كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الأوّل

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

1

الطبعة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

مقدمة التحقيق

أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني

I ـ أبو الفرج :

1 ـ توطئة موجزة

كان ليحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون مجلس يجتمع إليه فيه أهل العلم ، وكان ممّن يرتاد هذا المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فكان إسحاق ـ وصنعته التي عرف بها هي الغناء ـ يناظر أهل الكلام ، ويتكلّم في الفقه ، فإذا تحوّل الموضوع إلى الشعر خاض في الشعر واللغة ، وهو في كل ذلك يتفوّق على محاوريه في كل موضوع . كان عصراً يفسح المجال للمثقّف الطموح أن يتعمّق في أكثر العلوم ، إذا وهب القدرة على ذلك ، مع اشتهاره بالتخصّص في اتجاه واحد . ومَن عرف مؤلّفات إسحاق الموصليّ الكثيرة[1] استطاع أن يدرك ماذا كان يطمح إليه أبو الفرج عندما ألّف كتاب الأغاني . كان ذلك عصر التحدّي ، فيه نشأ أبو حيان التوحيديّ وابن النديم صاحب الفهرست ، وعشرات آخرون في شتّى حقول المعرفة ، وفيه كانت دكاكين الورّاقين ببغداد ، فيما أحسب ، أكثر من دكاكين البقالين وباعة الخضار والفواكه . وفي ذلك العصر نشأ أبو الفرج علي بن الحسين بن . . . إلخ ، الذي يرتفع نسبه إلى مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، وهذا هو الثابت في نسبه ، وإن كان صاحب الفهرست (1971 ص : 127–128) قد عدّه من ولد هشام بن عبد الملك . ولكن هذا سهو ، وإن كان لا ينفي نسبته إلى المروانيين ، ولعلّ تداخل النسب وتشابكه بين أبناء العمومة هو الذي أدّى إلى هذا السهو ؛ فهو إذن عربي قرشيّ وإن حمل النسبة إلى أصفهان (بكسر الألف دائماً في النطق الحديث فقط ، وإن كان فتحها جائزاً فيما مضى) .

2 ـ متى ولد علي بن الحسين ؟

أكثر المصادر التي ترجمت لأبي الفرج تذكر أنّه ولد عام 897/284 وسكت عن ذكر

---

1 من هذه المؤلفات على سبيل التمثيل لا الحصر : كتاب أغاني معبد . أخبار عزّة الميلاء . أخبار حماد عجرد . أخبار ذي الرمّة . أخبار طويس . أخبار المغنين المكيين . أخبار ابن مسجح . أخبار الدلال . أخبار ابن عائشة . أخبار الأبجر . كتاب قيان الحجاز . كتاب النغم والإيقاع . أخبار حسّان . أخبار الأحوص . أخبار جميل . أخبار نصيب . أخبار كثير ، إلى كتب أخرى كثيرة ، ممّا يدلّ على أنّ أبا الفرج وجد لديه مصادر جاهزة . ولغير إسحاق بن إبراهيم في هذا السياق مؤلّفات أخرى كثيرة . (معجم الأدباء لياقوت 2 : 615 نقلاً عن الأغاني وغيره) .

سنة مولده صاحب الفهرست والخطيب البغدادي وياقوت الحموي ولهذا السكوت معناه ، أي أنّ الذين ذكروه هم المؤلفون المتأخّرون نسبيّاً ، فمن أين جاءوا بهذا التاريخ وما هو المصدر المعتمد لديهم في هذه المسألة ؟ هذا ما أعاني التوصل إليه . أمّا تاريخ وفاته . فسأتحدّث عنه في آخر الحديث عن سيرته ، بعون الله .

3 ـ النسبة إلى إصبهان

يقول الثعالبي (اليتيمة 3 : 114–118 ط . القاهرة) ، «الأُصفهاني الأصل ، البغدادي المنشأ» ، ويبدو أنّ أكثر مَن ترجموا له أخذوا بهذا القول ، فعدّوه أصفهانيّ المولد . غير أنّ بعض الباحثين المعاصرين يشكُّ في أن تكون أصفهان مسقط رأسه ، ربّما لأنّ ابن النديم سمّاه «أبو الفرج **ابن الأصفهاني**» ، وهذا أقرب إلى المعقول ، يعني أنّ أباه كان يعرّف بالأصفهانيّ ، فلمّا اختار أن يعيش في بغداد عرفه الناس باسم «الأصفهاني» (تخفّفاً من قولهم ابن الأصفهانيّ) .

4 ـ تشيع أبي الفرج

على الرغم من انتساب أبي الفرج إلى بني أُميّة ، فقد كان شيعيّاً ، وهو موقف يلفت النظر لأوّل وهلة . ترى هل كان للنشأة الأصفهانية أثر في ذلك ؟ أو هل كان تشيّعه مجاراة لنوع من السيادة الشيعية في عصر بني بويه ؟ لعله بالانتماء إلى هذا المذهب أحبَّ أن يعرفه الناس «محايداً» ، فلا هو أُمويّ ولا هو عبّاسيّ ، وإنّما هو علويّ الهوى ، يتشيّع لعليّ وآله ، ويؤلّف في أخبار مَن قتل منهم كتاباً كاملاً سمّاه «مقاتل الطالبيين» . وهو كتاب يدين بسرده لأخبار العلويين ومصارعهم ، كلاًّ من الأمويين والعبّاسيين على حدٍّ سواء ، بل إنّه يُبرز أن مَن قتل منهم على أيدي العبّاسيين كان أكثر بكثير ممّن قتل في أيّام الأُمويين .

5 ـ المرحلة البغدادية

لا نعرف متى غادر أبو الفرج أصفهان إلى بغداد ، ولكنّنا نستطيع أن نقدّر أن جاذبية بغداد كانت أقوى من أن يقاومها شاب طموح ، يعرف أنّها كعبة العِلم والفنّ والحضارة من جميع النواحي ، فالعلم ، هكذا دون تحديد ، كان غاية أبي الفرج[1] الأولى من هذه الرحلة . فكان في أوّل مَن لقي علماء الحديث ، ومن أشهر من لقيهم مطين والقتات (محمد بن جعفر) والرزاز (علي بن أحمد) . ولكن المدينة الكبيرة بما فيها من متع متنوعة وحياة صاخبة أخذت تصرف هذا الإصبهاني الناشىء عن هذا الاتجاه ، وساعدها على ذلك ميول متأصلة في نفس الفتى إلى خوض تجربة الحياة بكلّ أبعادها ، فوجد نفسه مقبلاً على حفظ الشعر والأغاني

1 من هذا الكتاب طبعة بتحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، 1949م .

والأخبار والآثار والأنساب ، بل إنّه لم يقف عند هذا الحدّ إذ رأى أنّ الثقافة التي تحوّل إليها لا بدَّ لها من معرفة اللغة والنحو والسير والمغازي ، وأضاف إلى ذلك كلّه «الخرافات» . ولم تكن هذه المعارف التي اتّجه إليها ، أو أكثرها ، بحاجة إلى توثيق كثير ، ومحاكمة مصادرها ، ونقد الواهن منها ، كما كان يتطلب علم الحديث .

ولعلّه كان يهيّيء نفسه ليكون نديماً يسلّي منادميه ، أياً كانت منزلتهم ، بما يورده على مسامعهم من أخبار وحكايات ونوادر وما يتمثل به من شعر . وكان حفظه للشعر العربي الذي ينتمي إلى مختلف الحقب حتى عصره ، هو الذي هيأ له أن يصبح شاعراً ، وقد أورد له الثعالبيّ (وعنه ياقوت وغيره) عدداً من القصائد والمقطعات في المدح وبخاصة في مدح الوزير أبي محمد المهلبيّ الذي أصبح راعياً له ، وكان صديقاً له قبل عهد الوزارة ، واستمرت تلك الصداقة بعدها . وله مقطعات في وصف الخمر ، وفي الهجاء المقذع ، حتى في هجاء المهلبيّ صديقه وراعيه ، وحتى كان الناس يتّقونه ويخشون لسانه .

ومن العجيب أن يتّخذه الوزير المهلبيّ نديماً على الرغم من ميل الوزير إلى التنطس والتنوق في شؤون الشراب والطعام ، وفقدان أبي الفرج لهذه الخلال ، إذ كان أبو الفرج لا يأنف من القذارة ، ومن إهمال التنظّف في ملبسه وغيره ، وافتقاره إلى آداب المائدة .

وقد أثبتت الأيام أن أبا الفرج كان يعاني حساسيّة تجاه الحمص ، فإذا أكل شيئاً منه ، أو شرب مرقاً فيه آثار حمص عمَّ بدنه «شري» يجبره على أن يستشير الأطباء للتخلص من تلك الحساسية ، ولكنّ الأطباء لم ينجحوا في معالجته .

وكان أبو الفرج أكولاً نهماً ، فإذا أحسَّ بثقل الطعام في معدته تناول كميّة قليلة من الفلفل المدقوق كأنّه يعتقد أنّ ذلك يساعد في الهضم .

وذكر ياقوت أنّ أبا الفرج كان كاتباً لركن الدولة البويهيّ وأنّه كان مكيناً عنده ، ولكنّ هذا وهم من ياقوت ، في ما يبدو ، إذ كان لركن الدولة كاتب كنيته أبو الفرج فظنّه ياقوت أبا الفرج الأصفهاني . غير أنّ مصدر هذا الخبر هو كتاب «أخلاق الوزيرين» لأبي حيان التوحيدي (ص : 421) واسم وزير ركن الدولة فيه أبو الفرج حمد بن محمد الكاتب (معجم الأدباء : 4 : 1713) .

وهيّأت بغداد لأبي الفرج ، إلى جانب لقاء العلماء ، ارتياد دور اللّهو والحانات والمتنزهات ، وبخاصة الأديرة ، والاستماع إلى المغنين والمغنيات والملحنين ، والتعرّف إلى مختلف ما تهيئه المدينة الكبيرة من متع التسلية ، والتردد إلى سوق الورّاقين ، وشراء ما يصدر من كتب جديدة ، وحضور مناداة الدلالين على الكتب ، والأثاث ، وغير ذلك من مختلف الأدوات والمعروضات .

وعلى الرغم من جاذبية بغداد ، فإنّ أبا الفرج كان يحبّ الرحلة والتطواف ، في مدن العراق الأخرى وفي خارج العراق ، ولكنّه لم يكن يغادر بغداد إلاّ ليرجع إليها ، وينعم بما فيها من ضروب الجمال ، الطبيعيّ والإنساني ، فحيناً نراه في جامع الرصافة ، وحيناً آخر في نزهة إلى دير الثعالب (أدب الغرباء : 34–36) وهذا الدير بالجانب الغربي من بغداد بالموضع الذي كان يعرف بباب الحديد ، وأهل بغداد يقصدونه ويتنزّهون فيه في عيد دير الثعالب الذي يصادف آخر سبتٍ من شهر أيلول (سبتمبر) (الشابشتي : الديارات : 24 والحاشية 2 بغداد 1966) . وكان باب الحديد أعمرّ موضع ببغداد كثير البساتين والنخل والرياحين .

فإذا قيّض له أن يخرج من بغداد انحدر إلى البصرة واستأجر منزلاً في خان وأقام هناك بضع ليالٍ ، ثم يغادر البصرة إلى حصن مهدي أو إلى مدينة «متوث» (مدينة بين سوق الأهواز وقرقوب) أو عرّج على الكوفة أو غيرها من المدن العراقية . وأحياناً يبعد السفر إلى الرقّة أو باجسرى أو الأهواز أو تحمله الركائب إلى مكّة والقدس وأنطاكية حتى وصفه بعضهم بـ «الأديب الجوّاب» .

ويمكن جمع كثير من أخبار منادماته وصداقاته وتنقلاته من مؤلفاته وتكوين سيرة تفصيلية موثقة أحياناً بالتواريخ . ومثل هذه الأخبار يلقي ضوءاً كاشفاً على شخصيته وميوله وجانب كبير من ثقافته ولكن لم يتصدَّ أحدٌ لبناء سيرة تفصيلية له (قد تنوء بها هذه المقدمة) لا لتباعد الروايات في المصادر وحسب ، بل لأن النزعة الاعترافيّة لدى أبي الفرج قد تدفع متتبّع أخباره إلى التورط في شؤون قد تتجانف عنها المواضعات الأخلاقية وفي الأخبار المتيسرة عن نشاطاته ما يضمّ شواذ من السلوك .

6 ـ وفاة أبي الفرج

توفّي أبو الفرج في بغداد ، بغدادياً حتى العظم ، وكلّ المصادر التي ذكرت تاريخ وفاته أجمعت على أنّه رحل عن هذه الدنيا في 14 ذي الحجّة سنة 967/356 ، ما عدا الفهرست لابن النديم ، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة نيف وستين وثلاثمائة . وجاء في كتابه «أدب الغرباء» (ص: 88) أنّه كان ما يزال على قيد الحياة سنة 362 وهذا غير بعيد عمّا قاله مؤلّف الفهرست .

وقد استوقف هذا التأريخ ياقوتاً الحمويّ الذي اطّلع على «أدب الغرباء» ونقل النصّ منه ، وقدّر أن هذا التاريخ يحتاج إلى شيء من التأمّل ، ونقل الصفديّ النصَّ بكامله عن ياقوت . وحين اطّلع محقّق «أدب الغرباء» على هذا النص ، رفض في مقدّمة التحقيق (ص 12) التاريخ الذي أجمعت عليه معظم المصادر ، ولكنّي أرى أن رفض هذا التاريخ فيه شيء من التسرّع ، وهذا ما سأوضحه فيما يلي :

إن تحديد وفاته بعام 356 إنما نقله الخطيب البغدادي عن محمد بن أَبي الفوارس ، وهذا التاريخ محدَّدٌ باليوم والشهر والسنة ، ومن المستبعد أن يبتدع ابن أَبي الفوارس تاريخاً بهذا التحديد ، وكان ابن أَبي الفوارس هذا متابعاً لأَخبار أَبي الفرج ، فهو الذي أَخبرنا أن أبا الفرج «خلط في آخر عمره» . فذكر أَبي الفرج لحادثة تمّت سنة 362 لا يستبعد انتماؤه إلى فترة التخليط ، خصوصاً إذا تذكّرنا أنّ أَدب الغرباء كان آخر ما أَلَّف .

ولا يتعارض تاريخ 356 مع وفاة معزّ الدولة وتولّي ابنه بختيار ، فإنّ معزّ الدولة توفي في السنة نفسها (ربيع الآخر 356) ، وتوفّي أبو الفرج بعده بحوالي ستّة أشهر ، وأَبو الفرج يقول في أدب الغرباء «إنّه عند وفاة معز الدولة كان هو في أيّام الشبيبة والصبا (ص : 83) أليس هو التخليط بعينه ؟! لذلك لا أَتردّد في إثبات سنة 356 تاريخاً لوفاته ، إلى أن تظهر دلائل قوية تنفي هذا التاريخ .

II ـ مؤلفات أَبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني :

ذكر له صاحب الفهرست أربعة عشر كتاباً باستثناء كتاب الأغاني الكبير ، وكتاب مجرد الأغاني ، وقد أوصلها ياقوت إلى واحد وعشرين كتاباً عدا الكتابين في الأغاني وتجريده ، وبلغت عند عبد الجواد الأصمعيّ في كتابه «أَبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني» ستة وثلاثين مصنفاً :

1 ـ كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه :

1 ـ مجرد (أَبو تجريد) الأغاني .

2 ـ أخبار جحظة (وكان صديقاً له ، وهو يكثر في الرواية عنه) .

3 ـ أخبار القيان (حاول إعادة بنائه د . جليل العطية ، ولكنه لم يعتمد على مخطوطة) .

4 ـ أخبار الإماء الشواعر ، وسمّاه ابن النديم «كتاب أَشعار الإماء» وطبع بالاسم الأول مرّة بتحقيق الدكتورين القيسيّ ويونس السامرائيّ (بيروت 1984) ومرة بتحقيق د . جليل العطية .

5 ـ كتاب المماليك الشعراء .

6 ـ كتاب الأخبار والنوادر .

7 ـ كتاب أدب السماع .

8 ـ كتاب مجموع الأخبار والآثار .

9 ـ كتاب الغلمان المغنين .

10 ـ كتاب أخبار الطفيليين .

11 ـ أيّام العرب (وهو يشتمل على 1700 يوم) .

2 ـ كتب في الأنساب

1 ـ كتاب مناجيب الخصيان ألّفه للوزير المهلبيّ في خصيين كانا له .

2 ـ كتاب جمهرة النسب .

3 ـ كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها (لم يره ياقوت ، وكان يتمنى رؤيته) .

4 ـ أربعة كتب في أنساب أربع قبائل مفردة هي : بنو عبد شمس ، بنو شيبان ، المهالبة ، بنو تغلب .

3 ـ مؤلفات في مجالات أُخرى :

1 ـ كتاب دعوة التجار .

2 ـ كتاب تفضيل ذي الحجّة .

3 ـ كتاب الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار ، رسالة عملها في هارون بن المنجم ، فردّ عليه هذا بكتاب «اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط» (ياقوت 5 : 1991) .

4 ـ مقاتل الطالبيين (وقد مرَّ ذكره فيما تقدّم) .

5 ـ كتاب الخمارين والخمارات (وفي الفهرست : الحمادين) وإحدى القراءتين تصحيف .

4 ـ دواوين جمعها ، منها ديوان يزيد بن الطثرية ، ديوان البحتري ، ديوان أبي تمام .

5 ـ كتاب الأغاني الكبير :

1 ـ مسيرة الأغاني على مرّ الزمن :

يذكر ابن النديم أنّه كان في نحو خمسة آلاف ورقّة ، ولكنّه لا يحدّد وصفها . وحين سئل أبو الفرج عن المدّة التي أمضاها قال إنّه ألّفه في خمسين عاماً أي أنّه كان نتيجة جهد متواصل استغرق أكثر العمر ، إذا قبلنا هذا القول حرفياً ، ولكن أبا الفرج كان يجمع مادته وينسّقها في فترات متقطعة .

وقد قرىء هذا الكتاب على مؤلفه ، قرأه عليه علي بن إبراهيم الدّهكيّ (ياقوت 4 : 1641) كما قرأه عليه ابن دينار (علي بن محمد 5 : 1991) وربّما قرأه عليه آخرون ، ولكن مؤلّفه بعد أن أتمّه استخرج منه كتاب «مجرّد الأغاني» ، ممّا يدلّ على صعوبة قراءته كلّه لضخامته ، وذكر أنّ أبا الفرج لم يكتب منه إلاّ نسخة واحدة (وهذا معناه إلاّ «مبيضة» واحدة) وهي التي رحل بها إلى حلب وأهداها إلى سيف الدولة فأجازه بألف دينار . وحين

بلغ الخبر الصاحب بن عبّاد استقلَ المبلغ ، أمّا مسوّدة الكتاب (أي أصل أبي الفرج) فقد أخرجت إلى سوق الورّاقين ، وكان أكثرها في ظهور وبخطّ التعليق فاشتراها أحدهم في المناداة بأربعة آلاف درهم .

ولقي الكتاب ترحيباً بالغاً لدى مثقفي العصر ، فقد كان بعض الكبراء مثل عضد الدولة البويهي والصاحب بن عبّاد لا يكاد هذا الكتاب يفارقهم في سفر أو حضر ، واستغنى الثاني منهما بالأغاني عن أحمال كثيرة من الكتب كان يصطحبها معه إذا سافر . وكلّف أبو تغلب ناصر الدولة شخصاً يشتري له نسخة من كتاب الأغاني ، فابتاعها له بعشرة آلاف درهم (وكان كل 18 درهم = ديناراً) فلمّا حصلت النسخة لأبي تغلب قال : لقد ظُلِمَ وراقه وإنّه ليسوى عندي عشرة آلاف دينار .

وتدلّ النسخ التي نسخت منه على مرّ الزمن ، ووصلت إلينا على أنّه أصبح من أكثر الكتب رواجاً ، حتى إنّه ليوجد منه عشرات النسخ في مكتبات متعددة في الشرق والغرب ، وقد حاول المستشرق الألماني هلموت ريتر أن يحصر ما عرف من نسخه (Oriens 1949) وعدّ الأستاذ فؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي» 87 نسخة أكثرها غير كامل ؛ منها سبع وعشرون في مدينة ميونخ ، هذا غير ما يوجد في برلين واستانبول ودار الكتب المصرية والمكتبة البريطانية بلندن ، ومكتبات أخرى .

وعلى مرّ الزمن تعرّض الكتاب لا للنسخ وحده ، بل للتجريد والاختصار والتهذيب واستخراج مختارات . فقد استخرج منه الوزير أبو القاسم المغربي اختيارات ، وكتب ياقوت منه نسخة في عشر مجلّدات ، وجرّده ابن واصل الحموي (في القرن السابع) وصنع منه ابن منظور مختارات .

وفي العصر الحديث لقي عناية بالغة ، منذ أن صدرت طبعة بولاق (1868–1869) وبعدها طبعة الساسيّ (1905) ثم توالت الطبعات بعد استقراره محقّقاً على أيدي عدّة محقّقين بدار الكتب المصرية . ثم ظهرت طبعة دار الثقافة (بيروت منذ 1955 وما بعدها) وقد قام عبد الستار فراج بتحقيق الأجزاء من 16–25 ، مع فهارس الشعر وغيرها ، فمنح هذه الطبعة مكانة عالية إلى جانب طبعة دار الكتب ، وبعد ذلك توالت الطبعات البيروتيّة .

لقد كسب هذا الكتاب لمصنفه شهرة منقطعة النظير ، وأصبح مصدراً لكلّ من يكتب في تراجم الشعراء أو المغنين ، ولمّا كتب ياقوت كتابه «أخبار الشعراء» الذي لم يصلنا اعترف أنّ جلّ اعتماده على هذا الكتاب ، وكذلك فعل في «معجم الأدباء» ، وكذلك نجد كتباً كثيرة معتمدها الأوّل هو كتاب الأغاني ، مثل كثير من أخبار «كتاب مصارع العشاق» للسراج ،

وكتاب «الهفوات النادرة» لغرس النعمة ، وكتب التراجم مثل «وفيات الأعيان» وكتب أُخرى مثل «تذكرة ابن حمدون» وغيرها ممّا يعز على الحصر .

2 ـ منهج أَبي الفرج في كتاب الأغاني :

كانت المائة صوت التي غنيت للرشيد هي الحجر الذي ألقي في بحر معرفة أَبي الفرج ، فانداحت من حوله دائرة ثم أخذت الدوائر تتوالى حتى أُصبحت كتاباً في خمسة آلاف ورقة ، إذ وجد أَبو الفرج أَنّ الأصوات التي غنّاها ثلاثة هم : إبراهيم الموصليّ وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء ، يمكن أن يضمّ إليها ما غنّاه غير هؤلاء مثل معبد وابن سريج وكثيرين غيرهم من المغنين والمغنيات ، وما غنّاه الخلفاء وأَبناء الخلفاء وأَن يذكر مع كلّ أغنية لحنها ، وهذا يعني تاريخ الغناء حتى عصر المؤلف ، وأن يذكر الشاعر الذي غني شعره ، فتذكر ترجمته ونسبه والأَخبار المتصلة به ومختارات من شعره ، وإن كان في شعره هذا يذكر يوماً أو أيّاماً من أيّام العرب ، فلا بأس من توجيه الانتباه إلى ذلك لكي نعرف المناسبة التي يتصل بها الشعر ، وقد يكون المغني الذي ترد ترجمته أو الشاعر المترجم له صاحب ترسُّل ، فلا بأس من إيراد نماذج من ذلك ، وهذا كلّه لا ينفرد أَبو الفرج بسرده ، بل هو يروي الأخبار والأشعار والحكايات ، وكلّ ما جاء في هذا الكتاب الضخم رواية ، وقد يشرح بعض ما يرد من غريب الألفاظ ، إن هذا المنهج الذي اتّسع مجاله عن فكرة بسيطة يحتاج إلى تنظيم دقيق وذاكرة قوية ، تنقذ صاحبها من التكرار ، كما تنقذه من النسيان ، ولكن ضخامة المشروع وتشعبّه الكثير ، كان امتحاناً قاسياً لأَبي الفرج ، فهو لم يعفه من التكرار ولم ينقذه من النسيان ، ولذلك قال ياقوت «وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي في غير موضع منه ، كقوله في أخبار أَبي العتاهية : «وقد طالت أَخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر» ولم يفعل . وقال في موضع آخر «أخبار أَبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدّمت ، ولم يتقدّم بشيء ، إلى أَشباه لذلك . والأصوات المائة هي تسع وتسعون ، وما أظنّ إلاّ أنّ الكتاب قد سقط منه شيء ، أو يكون النسيان غلب عليه ، والله أعلم» (4 : 1708) ، وهذه عيوب طفيفة بالنسبة لما يحتوي عليه الكتاب من فوائد ، ولذلك نجد ياقوتاً الذي استوقفته هذه العيوب يقول «ولعمري إنّ هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر جم الفوائد عظيم العلم ، جامع بين الجدّ البحت ، والهزل النحت ؛ وقد تأمّلتُ هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مراراً . . .» .

3 ـ موثوقية أَبي الفرج جملة وفي كتاب الأغاني بخاصة :

يقول فيه صاحب المنتظم أَبو الفرج ابن الجوزي : «يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربّما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتابه «الأغاني»

رأى كلّ قبيح ومنكر» . لهذه الأسباب وغيرها ، ومنها تشيعّه ، لا يثق المحدثون بروايته ، ولكنهم يشهدون له بقولهم «كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيّام الناس والشعر والغناء والمحاضرات» (ميزان الاعتدال 3 : 143 ولسان الميزان 4 : 221) ، ومع ذلك روى عنه الدارقطني في غرائب مالك عدّة أحاديث ولم يعترض له (لسان الميزان 4 : 222) إلاّ أن ذلك كلّه يجعله لدى المحدثين مستبعداً .

لكنه في الأغاني يروي عن كثير من العلماء المشهورين مثل نفطويه وابن دريد والمبرِّد ، وعن أناس ميزهم الرواة بالصدق مثل أحمد بن سليمان الطوسيّ وابن أبي خميصة وأبي خليفة بن الحباب الجمحيّ ، ولكنّه أيضاً يروي عن مجاهيل ، وعن أناس لم يوصفوا بالعدالة ، ومع ذلك فإنّنا لا نستطيع أن نطبق عليه قواعد المحدثين لأن الخطّة التي انتحاها كانت مفتوحة على مصراعيها لنقلة الأخبار ، ويجب أن نتذكّر أن ليس كلّ ما يرويه أبو الفرج تاريخاً وإن رواه عن الواقديّ والهيثم بن عدي والطبري ، إذ لا بدَّ أن نتذكّر دائماً أن العناية عند أبي الفرج لم تكن موجهة للتاريخ بالدرجة الأولى .

وهنالك باب آخر ندخل منه إلى مدى الموثوقية في أغاني أبي الفرج : ينقل الخطيب البغدادي رواية عن أحد العلويين عن الحسن بن الحسين النوبختيّ أنَّ أبا الفرج الأصفهاني أكذب الناس ، كان يدخل سوق الوراقين ، وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ، ثم تكون رواياته كلّها منها . وربّما تكون أهمية هذه الرواية في أنّ أبا الفرج كان ينقل عن الصحف ، والاعتماد يومئذٍ على الصحف يمثل درجة أدنى بكثير من لقاء الشيوخ . ولا يبعد كثيراً عن هذه الرواية قول ابن النديم : «وله رواية يسيرة وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد» ، إلاّ أنّ ابن النديم يصف الأصول التي ينقل عنها بأنّها أصول جياد ذات خطوط منسوبة .

الأمر الذي يفصل في القضية أن نقول إنه لا فرق لدى أبي الفرج بين الحكاية المروية للتسلية وبين الخبر التاريخي ، لأن كليهما خبر يثير لدى القارىء ، كما يثير لدى المؤلف ، متعة . ذلك أنّ شخصية أبي الفرج تمثّل إنساناً مفتوناً بمظاهر الترف في بغداد أثناء القرن الرابع ، فلو أنّك تدبّرت ما يرويه عن بني أمية وخلفائهم ، وفكّرت في مستوى الترف والإقبال على اللذات لدى بني أُميّة وعصرهم وجدته لا يفترق كثيراً عن الحياة في القرن الرابع ، وكان الدافع لهذا التصوير الذي لا يفرّق بين الدولة في دور التأسيس وبين الدولة في مرحلة متطورة ، وهذا له ، في نظري ، عاملان أوّلهما أنّ أبا الفرج في افتتانه بالترف يريد أن يقول إن قومه بني أميّة لم يكونوا يقلّون في ترفهم عن بني العبّاس في ذروة تطوّرهم ، وأنّه هو نفسه غير ملوم في أن يغرق إلى أذنيه في

الملذات ، لأنّه ينتمي إلى قوم كانوا كذلك ، وهو يعيش في عصر قوم آخرين يمارسون هذا المستوى من الترف ، فالملامة منفية عنه مرتين .

قد نجد من يقول إنّ الأغاني يصوّر الحضارة العربية خلال عدّة قرون حتى عصر المؤلف ، هذا صحيح إلى حدّ ما ، لأنّ الصورة ليست دائماً موضوعية ولأنّها كثيراً ما تبارح الواقع ، أو طبيعة المألوف . فما هو موقفنا اليوم من روايات الأغاني ؟

أرى قراء الأغاني في هذا العصر فئتين ، في الأقل ، فئة الذين يقرأون الأغاني رغبة في التسلية أو اعتماد بعض قصصه لصياغة السيناريوهات أو يتخذونها مجالاً لتخيلات يجعلونها أقنعة في روايات أو مسرحيات ، وهذا مجال يتمتّع القارىء فيه بحريّة تامة ، وفئة الأكادميين الذين يريدون بناء تاريخ أدبي أو سياسيّ ويجعلون الأغاني مصدراً مهماً في بحوثهم وكتبهم الأدبية والتاريخية ، وهؤلاء لا بدّ لهم من أن يفيدوا من الأغاني بحذر شديد ، وتكرار نظر ، وضرب الروايات ببعضها ، ولا بدّ أن يكونوا ذوي قدرة نقدية عالية ، ذلك أنّ الضعف في روايات الأغاني إنّما جاء من ضعف النقد لدى المصنف المهتم بالاستكثار من الجمع ، ولدى رواته الذين كانوا في أحسن الأحوال يظنّون أنّ قوّة السند تعني قوّة الخبر ، وصدقه .

4 ـ هل نحن في حاجة إلى طبعة جديدة من الأغاني ؟

كان هذا السؤال يتردّد دائماً بيني وبين محقّقي هذه الطبعة ، وكان الجواب عليه دائماً بالنفي نظراً لتشبع أسواق الكتب بطبعات كثيرة . ولكن إقدامنا على هذا العمل خضع لعاملين يتّصلان بنا لا بالأغاني : أوّلهما أنّنا أردنا أن نجعل من تعاوننا على إخراج كتاب صعب برهاناً على تعاون أصدقاء ، وشهادة على طبيعة هذه الأخوة وعمقها ، والعامل الثاني هو أن نقدّم تحية لدار عريقة في خدمة التراث العربي منذ حوالي أواسط القرن التاسع عشر ، حتى اليوم ، بأن نقدّم لها الأغاني ، استجابة لأمنية كان أنطون صادر يرجو أن تتحقّق ، وظلّ خلفاؤه (سليم وإبراهيم ونبيل) وفقّهم الله يرون في هذه الأمنية «وصيّة» يبرّون بتحقيقها روح والدهم ، صديقي الأمين ، تقبّل الله إخلاصه الطويل في خدمة اللغة العربية .

5 ـ كلمة حول هذا العمل

كل شيء كان واضحاً لدينا ، كثرة طبعات الكتاب ، كثرة نسخه في العالم ، طول المدة التي يستغرقها تحقيقه ، استقرار نص الأغاني على قراءات متقاربة . إذن نحن لا نريد أن نصدر طبعة مليئة باختلاف القراءات في النسخ ، ولذلك اكتفينا بتصوير نسختين : مخطوطة برلين (رقم : 7395) المحفوظة في مكتبة الدولة ، وهي مخطوطة كبيرة جداً ، ولكنّها على الرغم من ذلك ينقصها بعض التراجم ، عدد ورقاتها (1367) وفي كلّ ورقة (صفحتين) وفي كلّ

صفحة من صفحاتها 31 سطراً ومعدّل الكلمات في السطر الواحد عشرون كلمة .

أمّا النسخة الثانية فهي نسخة التيموريّة بدار الكتب المصرية ، ولم نستفد منها كثيراً ، لأنّ الخط فيها باهت لا يكاد يقرأ ، ولعلّ ذلك من سوء التصوير . وقد استعنّا بطبعة دار الكتب وحافظنا على التسلسل فيها ، وإن كانت مخطوطة برلين أحياناً تخلّ بهذا التسلسل ، واقتصدنا في تفسير الغريب والتعريفات . وأثبتنا قراءات نصّ النسخة البرلينيّة حيث تأكّدنا أنّها الأرجح وأمدتنا هذه النسخة بزيادات لم ترد في طبعة دار الكتب أو طبعة دار الثقافة ، لكننا لم نميّز هذه الزيادات ببنط طباعي أصغر أو أكبر من غيرها .

وكان من خطّتنا أن نقرأ الأغاني مقارناً بالنصوص التي نقلت عنه أو التي شاركته في المصادر ، ولكنّا لم نستطع أن نحقّق ذلك إلاّ بصورة جزئيّة ، لكثرة تلك المصادر .

إنّ الأغاني أوسع كتاب لتراجم الشعراء ، ولذلك فإنّ الكتب التي وصلتنا في هذا المجال ، كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتزّ تعد كتباً موجزة جدّاً فقيرة إذا قورنت به .

إن نقدنا لكتاب الأغاني لا يلغي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها ، وهي أنّ كتاب الأغاني سيظلّ أهمّ مصدر لدينا لتراجم الشعراء ولتاريخ الأدب العربيّ ، ولو وصلنا كتاب «المستنير» للمرزبانيّ ، وهو كتاب يقارب الأغاني في ضخامته ، لكان مصدراً مهمّاً آخر في هذا المجال .

على أيّ حال نضع الأقلام بعد كلّ هذا الجهد ، خلال سنوات طوال داعين الله تعالى أن يوفّقنا للخير ، وأن يسدد خطانا ، وأن يغفر خطايانا ، إنّه سميعٌ مجيبٌ .

عمّان ـ بيروت (يونيه ـ حزيران 2000) **إحسان عبّاس**

المصادر والمراجع

1 ـ المصادر الكلاسيكية لترجمة أبي الفرج :

1 ـ ابن النديم : **الفهرست** ، تحقيق رضا تجدد ، طهران 1971م .
2 ـ الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ، 11 : 398 (ط . بيروت) .
3 ـ أبو منصور الثعالبيّ : **يتيمة الدهر** ، 3 : 114 (ط . القاهرة) .
4 ـ أبو نعيم : **تاريخ أصفهان** ، 2 : 11 (ط . بيروت) .
5 ـ ابن الجوزيّ : **المنتظم** ، 14 : 185 (ط . بيروت) .
6 ـ جمال الدِّين القفطيّ : **انباه الرواة** ، 2 : 251 (دار الكتب المصرية) .
7 ـ ياقوت الحموي : **معجم الأدباء** ، 4 : 1707 (دار الغرب الإسلامي ـ بيروت) .
8 ـ ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ، 8 : 851 (دار صادر ، بيروت) .
9 ـ ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ، 3 : 207 (بيروت) .
10 ـ خليل بن أيبك الصفديّ : **الوافي بالوفيات** ، 21 : 20 (شتوتغارت 1993م) .
11 ـ الحافظ الذهبيّ : **العبر في خبر من غبر** ، 2 : 305 (الكويت 1960م) .
12 ـ الحافظ الذهبي : **ميزان الاعتدال** ، 3 : 123 (عيسى البابي الحلبي) .
13 ـ الحافظ الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، 16 : 201 (مؤسسة الرسالة) .
14 ـ اليافعي : **مرآة الجنان** ، 2 : 159 .
15 ـ ابن كثير : **البداية والنهاية** ، 11 : 263 (بيروت ـ الرياض) .
16 ـ ابن حجر العسقلاني : **لسان الميزان** ، 4 : 221 (مؤسسة الأعلميّ ـ بيروت) .
17 ـ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ، 4 : 15 (دار الكتب المصرية) .
18 ـ ابن العماد : **شذرات الذهب** ، 3 : 19 .

المراجع الحديثة

19 ـ M. Nallino, in EI2, p. 118
20 ـ بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** (الترجمة العربية) Brockelmann, GAL .
21 ـ فؤاد سزكين : **تاريخ التراث العربي** ، F. Sezgin, GAS : 2 .
22 ـ عبد الجواد الأصمعيّ : **أبو الفرج وكتابه** ، (القاهرة ، 1956) .
23 ـ عبد الجواد الأصمعيّ : تصحيح كتاب الأغاني للشنقيطي : 1916 .
24 ـ خلف الله محمد أحمد : **صاحب الأغاني أبو الفرج** . . . (دار الكاتب العربي 1968) .
25 ـ محمد أبو الفضل إبراهيم : **مقدّمة المحقّق** ، (ج : 1) (القاهرة 1992) .
26 ـ أحمد طالب : **أبو الفرج الأصفهاني و . . . مقاربة بيليوغرافيّة** (بحث في مجلّة آفاق الثقافة والتراث التي تصدر عن مركز جمعة الماجد [السنة الخامسة (17)] مايو/ أيّار 1997 .
27 ـ **مقدّمة الدكتور صلاح المنجد** محقّق «أدب الغرباء» (ص 5–17) دار الكتاب الجديد ، وقد ذكر مزيداً من الدراسات الكلاسيكيّة والدراسات الحديثة عن أبي الفرج وكتابه . كما أنّ هناك بحوثاً كثيرة أغفلنا ذكرها .

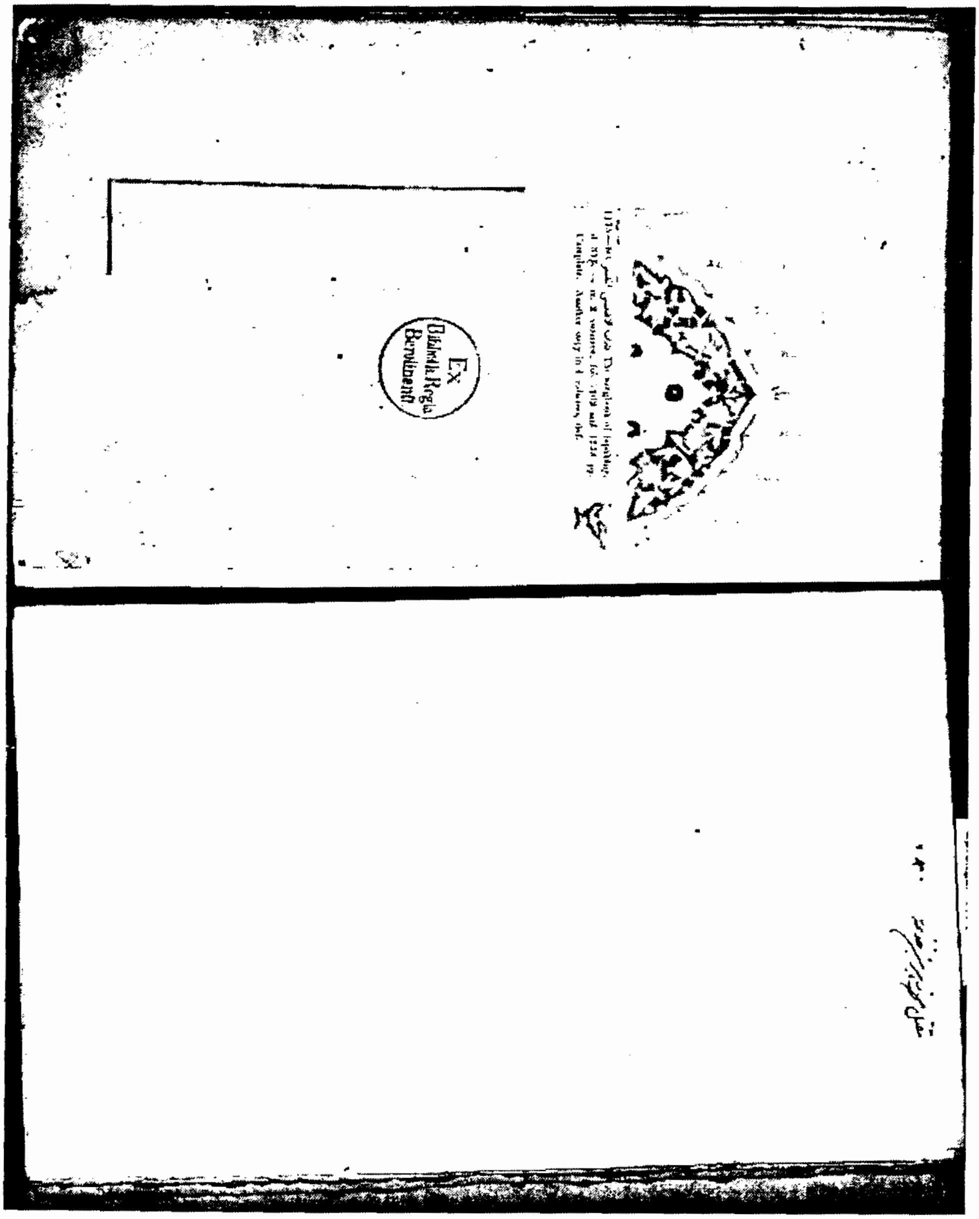

ورقة الغلاف من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

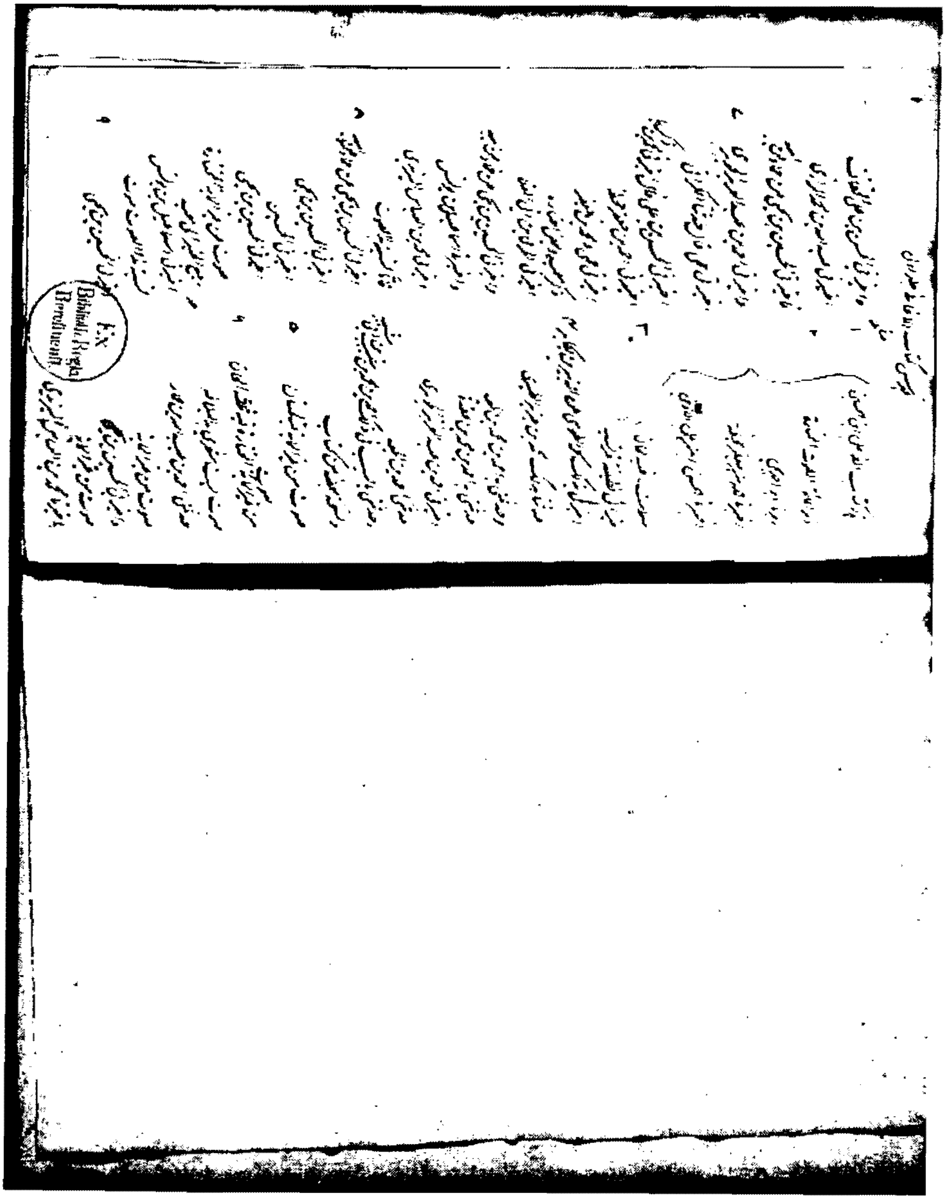

الورقة الأولى من فهارس المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

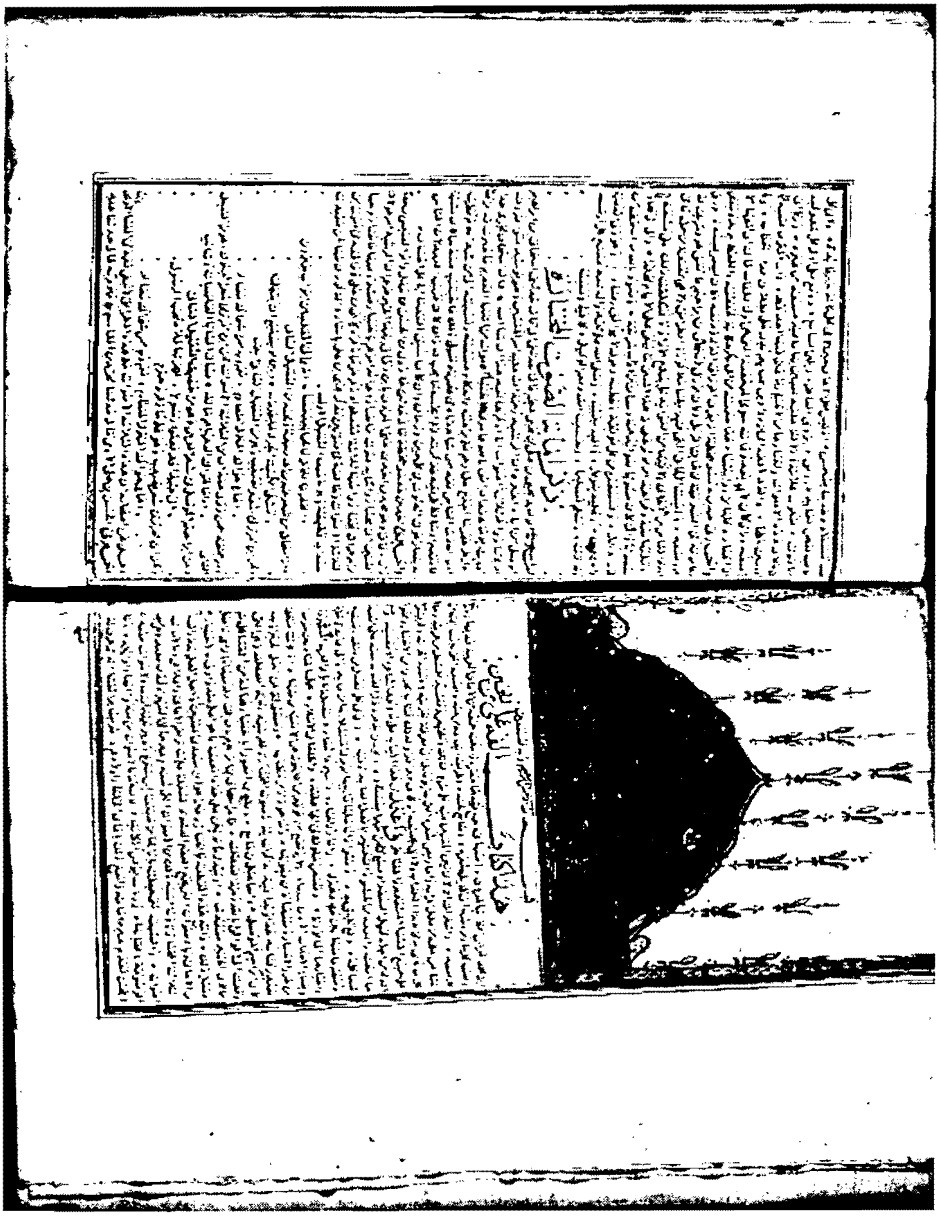

الورقة الأولى من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

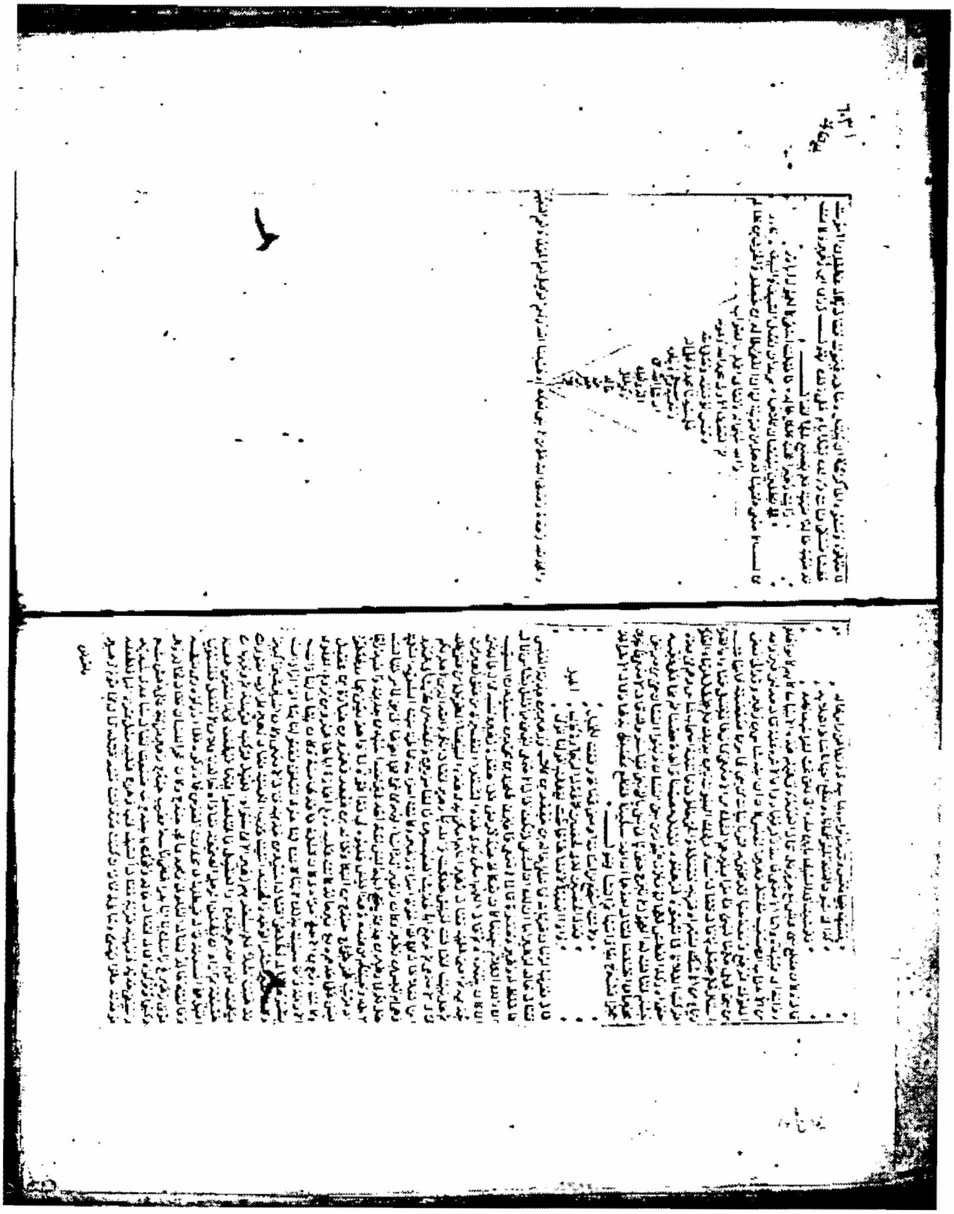

الورقة الأخيرة من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

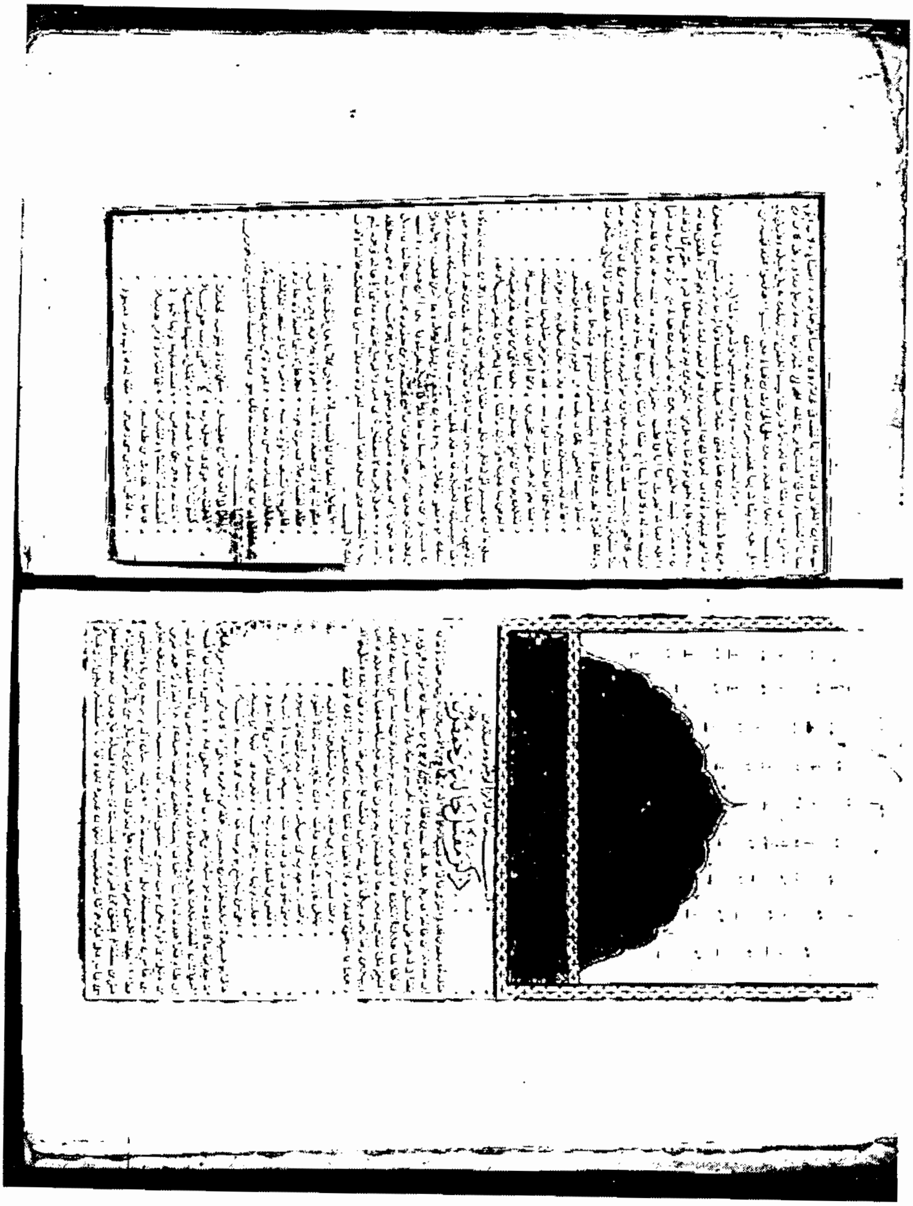

الورقة الأولى من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

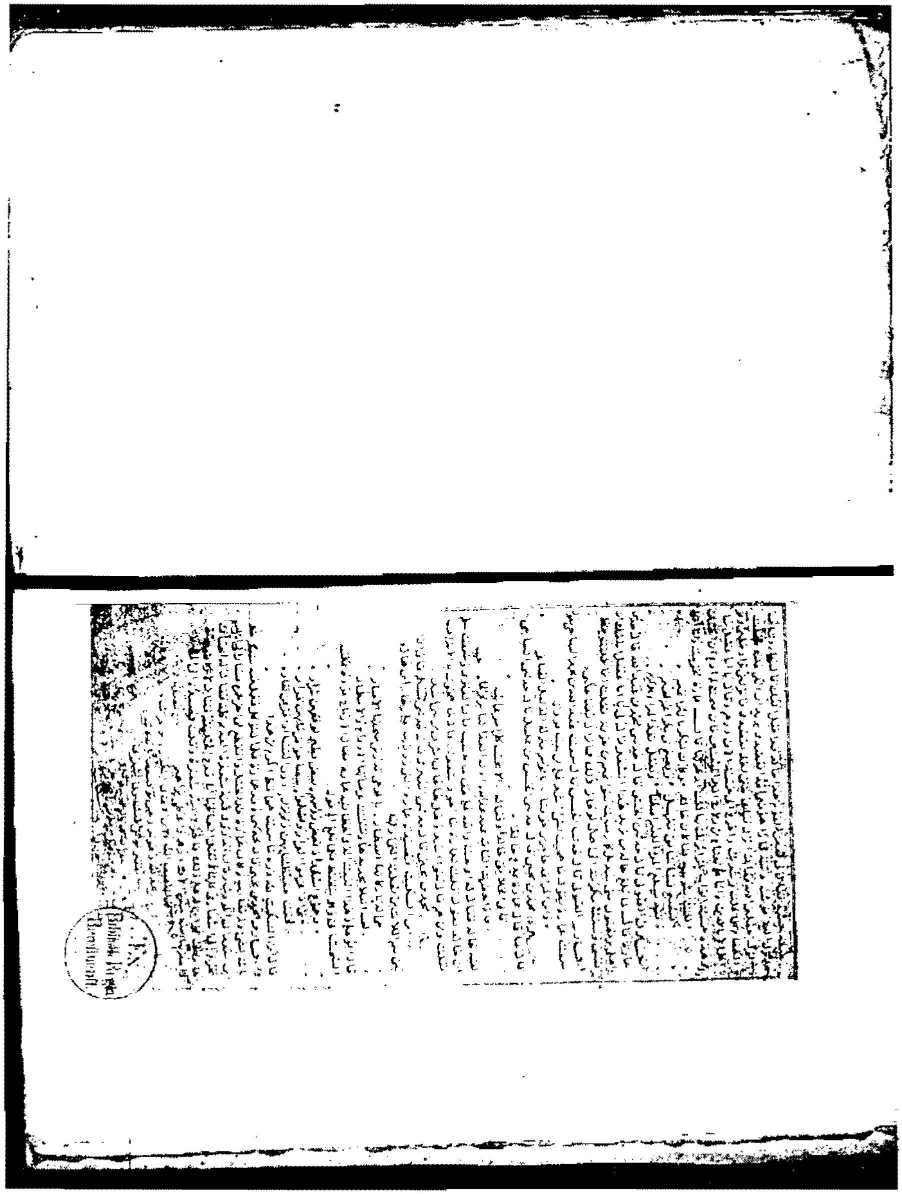

الورقة الأخيرة من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدّمة المؤلّف

[نهج أبي الفرج في تأليف الكتاب]

هذا كتاب ألّفه عليُّ بنُ الحسين بن محمد القُرَشيّ الكاتب المعروف بالأصفَهاني ، وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعُه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ، ونسب كلَّ ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانعِ لحنه وطريقة إيقاعه من لحنه وإصبعه التي ينسب إليها من طريقته ، واشتراكٍ إن كان بين المغنين فيه ، على شرحٍ لذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنًى عن علمه من عِلل إعرابه وأعاريض شعره التي بها يوصَّل إلى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه .

ولم يستوعب كلَّ ما غُنِّيَ به في هذا الكتاب ولا أتى بجميعه ؛ إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرّداً من الأخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدِّم والمتأخِّر . واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنِّيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعرُ أو صُنع اللحنُ خبراً يُستفاد ويَحْسُن بذكره ذكرُ الصوت معه ، على أقْصرِ ما أمكنه وأبعدِه من الحَشو والتكثير بما تَقِلُّ الفائدة فيه . وأتى في كلّ فصلٍ من ذلك بنُتَفٍ تُشاكله ، ولُمَعٍ تليق به ، وفِقرٍ إذا تأمّلها قارئُها لم يزل متنقِّلاً بها من فائدة إلى فائدة مثلها ، ومتصرِّفاً منها بين جِدٍّ وهزلٍ ، وآثارٍ وأخبار ، وسِيَرٍ وأشعار ، متّصلةٍ بأيّام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، يجمُل بالمتأدِّبين معرفتها ويحتاج الأحداث إلى دراستها ، ولا يرتفع مَن فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ؛ إذ كانت مُنتخَلَةً من غُرَر الأخبار ، ومُنتقاة من عيونها ، ومأخوذة من مظانِّها ، ومنقولة عن أهل الخبرة بها . فصدَّر كتابه هذا وبدأ فيه بذكر المائة الصوت المختارة [لأمير المؤمنين] الرشيد ، رحمة الله تعالى عليه ، وهي التي كان أمَرَ إبراهيم المَوصلي وإسماعيل بن جامع وفُلَيحَ بن العَوْراء باختيارها له من الغناء كلِّه ؛ ثم وقعت إلى الواثق بالله ، رحمة الله عليه ، فأمَرَ إسحاق بن إبراهيم بأن يختار له منها ما رأى أنّه أفضل ممّا كان اختِير متقدِّماً ، أو يُبدِلَ ما لم يكن على هذه الصفة بما هو أعلى[1] منه وأولى

1 ل : أعلم .

بالاختيار ؛ ففعل ذلك . وأتبعَ هذه القطعةَ بما اختاره غيرُ هؤلاء من متقدِّمي المغنّين وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغاني ، وبالأصوات التي تجمع النَّغمَ العشرَ المشتملة على سائر نَغَم الأغاني والملاهي ، وبالأرمال الثلاثة المختارة ، وما أشبه ذلك من الأصوات التي تتقدّم غيرها في الشهرة كَمُدُنِ مَعبَد وهي سبعة أصوات ، والسبعة التي جُعلت بإزائها من صَنْعة ابن سُرَيْج وخَيَّر بينهما فيها ، وكأصوات معبد المعروفة[1] بألقابها وزيانِبِ يُونُسَ الكاتب ؛ فإنّ هذه الأصوات من صُدور الغناء وأوائله وما لا يَحْسُن تقديم غيره أمامه . وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصّةٌ تُستفاد وحديثاً يُستحسن ؛ إذ ليس لكلِّ الأغاني خبرٌ ، ولا في كلّ ما له خبر فائدةٌ ، ولا لكلٍّ[2] ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويُلهي السامع .

ووَقَّع على أوّل كلّ شعرٍ فيه غناءٌ «صوت» لتكون علامةً ودلالةً عليه يتبيَّن بها ما فيه صنعةٌ من غيره . وربّما أتى في خلال هذه الأصوات وأخبارها أشعار[3] قيلت في تلك المعاني وغُنِّيَ بها وليست من الأغاني المختارة ولا من هذه الأجناس المرتَّبة ، فلا يوجد من ذكرها معها بُدٌّ ؛ لأنّها إذا أُفرِدت عنها كانت إمّا منقطعة الأخبار غير مُشاكلةٍ لنظائرها أو مُعادةً أخبارُها ؛ وفي كلتا الحالتين خلافٌ لما يجيء به هذا الكتاب . وقد يأتي أيضاً منها الشيءُ الذي تطولُ أخباره وتكثر قصص شاعره مع غيره من الأصوات والأخبار ، فلا يمكن شرحها جمعاء في ذلك الموضع لئلاّ تنقطعَ الأخبار المذكورة بدخوله بينها ، فيؤخَّر ذكره إلى مواضع يحسن فيها ، ونظائر له يُضاف إليها ، غير قاطع اتِّساق غيره منها ولا مُفرِدٍ للقرائن بتوسُّطه لها ، ويكون ذكره على هذه الحال أشكل وألْيَق .

[ترتيب الكتاب]

قال مؤلّف هذا الكتاب : ولعلَّ [بعض] مَن يتصفَّح ذلك يُنكر تركْنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنِّين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غُنَّى به من شعر شاعر . والمانع من ذلك والباعث على ما نحوناه عِلَلٌ :

منها : أنّا لمّا جعلنا ابتداءه الثلاثةَ الأصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين ، وأوّلهم أبو قطيفة وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ، ثم عُمَرُ بن أبي ربيعة ، ثم نُصَيبٌ . فلمّا جرى أوّلُ الكتاب هذا المجْرَى ولم يمكن ترتيبُ الشعراء فيه ، ألحِق آخره

1 ل : الموصوفة .

2 ل : في كل .

3 من هنا سقط في ل ، حتى قوله : «من ذكرها معها» .

وجُعل على حسب ما حضر ذِكره . وكذلك سائر المائةِ الصوت المختارة ؛ فإنّها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنِّين . وليس المَغْزَى في الكتاب ترتيبَ الطبقات ، وإنّما المَغْزَى فيه ما ضُمِّنَهُ من ذكر الأغاني بأخبارها ، وليس هذا ممّا يضرُّ بها .

ومنها : أنّ الأغاني قلّما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراكٌ بين المغنّين في طرائقَ مختلفةٍ لا يمكن معها ترتيبُها على الطرائق ؛ إذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنّين أولى بنسبة الصوت إليه من الآخر .

ومنها : أنّ ذلك لو لم يكن كما ذكرنا لم يَخْلُ فيها ، إذا أتينا بغناء رجلٍ رجلٍ وأخباره وما صنَّف إسحاق وغيره ، من أن نأتيَ بكلّ ما أتى به المصنِّفون والرواةُ منها على كثرة حَشْوه وقلّة فائدته ، وفي هذا نقضُ ما شرطناه من إلغاء الحشو ، أو أن نأتي ببعض ذلك فيُنسَبَ الكتابُ إلى قصورٍ عن مدى غيره . وكذلك تجري أخبارُ الشعراء . فلو أتينا بما غُنِّي به شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نَفرُغ منه ، لجرى هذا المَجْرَى ، وكانت للنفس عنه نَبْوة ، وللقلب منه مَلَّة ، وفي طباع البشر محبّةُ الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحةُ من معهود إلى مستجَدٍّ . وكلُّ منتقَلٍ إليه أشهى إلى النفس من المنتقَل عنه ، والمنتَظرُ أغلبُ على القلب من الموجود . وإذا كان هذا هكذا ، فما رتَّبناه أحلى وأحسنُ ، ليكون القارىء له بانتقاله من خبر إلى غيره ، ومن قصة إلى سواها ، ومن أخبارٍ قديمة إلى مُحدَثةٍ ، ومَليك إلى سُوقة ، وجِدٍّ إلى هَزل ، أنشطَ لقراءته وأشهى لتصفُّح فنونه ، لا سيَّما والذي ضَمَّنَّاه إيّاه أحسنُ جنسِه ، وصَفْو ما أُلِّف في بابه ، ولُبابُ ما جُمع في معناه .

وكلُّ ما ذكرنا فيه من نِسَب الأغاني إلى أجناسها فعلى مذهب إسحاق بن إبراهيم الموصلي وإن كانت رواية النسبة عن غيره ؛ إذ كان مذهبه هو المأخوذ به اليوم دون مذهب مَنْ خالفه ، مثل إبراهيمَ بن المَهْدي ومُخارق وعَلُّويه وعمرو بن بانةَ ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ومن وافقَهم ؛ فإنّهم يسمُّون الثقيلَ الأوّل وخفيفَه الثقيلَ الثاني وخفيفَه ، ويسمّون الثقيلَ الثاني وخفيفه الثقيلَ الأوّل وخفيفه ، وقد اطُّرِح ما قالوه الآن وتُرِك ، وأخذَ الناسُ بقولِ إسحاق .

[الباعث على تأليف الكتاب]

قال مؤلّف هذا الكتاب : والذي بَعثني على تأليفه أنّ رئيساً من رؤسائنا كلّفني جمعه له ، وعرَّفني أنّه بلَغه أنّ الكتاب[1] المنسوب إلى إسحاق مدفوعٌ أن يكون من تأليفه ، وهو مع ذلك قليلُ الفائدة ، وأنّه شاكٌّ في نسبته ؛ لأنّ أكثر أصحاب إسحاق يُنكرونه ، ولأنّ ابنه حمَّاداً أعظمُ الناس إنكاراً لذلك . وقد لعَمْري صدق فيما ذكره ، وأصاب فيما أنكره .

---

1 هو كتاب الأغاني الكبير كما في فهرست ابن النديم .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال : سمعتُ حمّاداً يقول : ما ألّف أبي هذا الكتاب قطُّ ولا رآه . والدليلُ على ذلك أنّ أكثر أشعاره المنسوبة التي جُمِعَتْ فيه إلى ما ذُكر معها من الأخبار ما غنّى فيه أحدٌ قطُّ ، وأنّ أكثر نسبه إلى المغنّين خطأ ؛ والذي ألّفه أبي من دواوين الغناء يدلّ على بُطلانِ هذا الكتاب ، وإنّما وضَعه ورّاقٌ كان لأبي بعد وفاته ، سوى الرُّخصةِ[1] التي هي أوّل الكتاب ؛ فإنّ أبي ألّفها ؛ إلاّ أن أخبارها كلّها من روايتنا . هذا ما سمِعتُه من أبي بكر حكايةً فحفظتُه واللفظ يزيد وينقُص .

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحظةُ أنّه يعرِف الورّاقَ الذي وضَعه ، وكان يسمَّى بسندٍ الورّاق ، وحانوتُه في الشرقية في خان الزبل[2] ، وكان يُورِّق لإسحاق بن إبراهيم ؛ فاتفق هو وشريك له على وضعه . وليست الأغاني التي فيه أيضاً مذكورةَ الطَّرائق ، ولا هي بمُقنعةٍ من جُملة ما في أيدي الناس من الأغاني ، ولا فيها من الفوائد ما يبلغُ الإرادة ؛ فتكلّفتُ ذلك له على مشقّةٍ احتملتُها منه ، وكراهةَ أن يؤثَر عنّي في هذا المعنى ما يبقى على الأيّام مخلّداً ، وإلّي على تطاولها منسوباً ، وإن كان مَشوباً بفوائد جَمّةٍ ومَعانٍ من الآداب شريفةٍ . ونعوذ بالله ممّا أسخطه من قول أو عمل ، ونستغفره من كلِّ مُوبقةٍ وخَطيئةٍ وقولٍ لا يوافق رضاه ، وهو وليّ العِصْمة والتوفيق ، وعليه نتوكّل وإليه نُنيب . وصلّى الله على محمد وآله عند مُفتتَح كلِّ قول وخاتمته وسلّم تسليماً . وحسبُنا الله ونعم الوكيل كافياً ومُعيناً .

1 قال في الفهرست : «وهذا الكتاب (أي كتاب الأغاني الكبير) يعرف في القديم بكتاب الشركة ، وهو أحد عشر جزءاً لكلّ جزء أوّل يعرف به ؛ فالجزء الأوّل من الكتاب «الرخصة» وهو تأليف إسحاق لا شكّ فيه ولا حلف» .

2 الفهرست : «طاق الزبل» .

[1] ـ ذكر المائة الصوت المختارة

[إجماع المغنّين على اختيار الأصوات الثلاثة الشاملة لجميع نغم الغناء]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم قال حدّثني أبي قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنّ أباه أخبره أنّ الرشيد ، رحمة الله عليه ، أمَرَ المغنِّين ، وهم يومئذٍ متوافرون ، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء ، [فأجمعوا على ثلاثة أصوات] أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله . قال إسحاق : فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله ، فأمرني باختيار أصواتٍ من الغناء القديم ، فاخترتُ له من غِناء أهلِ كلِّ عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته ، ونسبته إلى من شَدا به ، ثم نظرتُ إلى ما أحدث الناسُ بعدُ ممّن شاهدناه في عصرنا وقُبَيل ذلك ، فاجتبيت منه ما كان مشبِهاً لما تقدّم أو سالكاً طريقَه ، فذكرتُه ولم أُبْخَسه ما يجب له وإن كان قريب العهد ؛ لأنّ الناس قد يتنازعون الصوتَ في كلّ حين وزمان ، وإن كان السَّبْقُ للقدماء إلى كلّ إحسان .

وأخبرني أحمدُ بن جعفرٍ جحظة قال حدّثني هارون بن الحَسَن بن سَهل وأبو العَنْبَس بن حمدون وابن دُقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر ، فزعم : أنّ الرشيد أمر هؤلاء المغنّين أن يختاروا له مائة صوتٍ فاختاروها ، ثم أمرهم باختيار عشرةٍ منها فاختاروها ، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا . وذكَرَ نحوَ ما ذكره يحيى بن عليّ ، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات ، وخالفه في صوتين . وذكر يحيى بن عليّ بإسناده المذكور أنّ منها لَحْنَ مَعبَد في شعر أبي قَطيفة وهو من خفيف الثَّقيل الأوّل : [من البسيط]

القصر فالنخـــل فالجَمَّاءُ بينهمـــا ... أَشْهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيْرُونِ

ولَحْنَ ابن سُرَيج في شعر عُمَر بن أبي ربيعة ، ولحنُه من الثَّقيل الثاني : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لَمّا جَهَدْتُه ... وبَيَّن لـــو يَسْطِيـــعُ أن يتكلَّمـــا

ولَحْنَ ابن مُحرِزٍ في شعر نُصَيب ، وهو من الثقيل الثاني أيضاً : [من الطويل]

أهـــاجَ هـــواكَ المنزلُ المتقـــادِمُ ؟ ... نَعَـــمْ ، وبـــه ممّـــن شَجاكَ مَعالِمُ

وذكر جحظةُ عمن روى عنه أنّ من الثلاثة الأصوات لحنَ ابنِ مُحرِزٍ في شعر المجنون ، وهو من الثقيل الثاني : [من الطويل]

إذا ما طَواكِ الدهـــرُ يا أمَّ مالك ... فشأنَ المنايـــــا القاضياتِ وشانِيا

ولحن إبراهيم[1] الموصليّ في شعر العرجيّ ، وهو من خفيف الثقيل الثاني : [من الوافر]

إلى جَيْداء قد بَعثوا رسولاً ليُحْزِنَها ، فلا صُحِبَ الرسولُ

ولحن ابن محرز في شعر نُصيب ، وهو على ما ذكر ، هزَج : [من الهزج]

أهاج هواكَ المنزلُ المتقادمُ ؟ نعم وبه ممن شجاك معالمُ

وحكى عن أصحابه أنّ هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تبقى نغمةٌ في الغناء إلاّ وهي فيها .

أخبرني الحسن بن عليّ الأَدَميّ[2] قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدّثني محمد بن جرير المغنّي قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيد أمر المغنّين أن يختاروا له أحسنَ صوت غُنِّيَ فيه ، فاختاروا له لحنَ ابن مُحْرِز في شعر نُصَيب :

أهاج هواكَ المنزلُ المتقادمُ ؟

قال : وفيه دَورٌ كثير ، أي صنعة كثيرة . والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن عليّ أصحُّ عندي . ويدلّ على ذلك تبايُن ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأُخَر في جَودة الصنعة وإتقانها وإحكام مباديها ومقاطِعها وما فيها من العمل ، وأنّ الأُخَر ليست مثلَها ولا قريبةً منها . وأُخرى هي أنّ جَحظَةَ حكى عمّن روى عنه أنّ فيها صوتاً لإبراهيم الموصليّ ، وهو أحد من كان اختار هذه الأصوات للرشيد ، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفُلَيح [ابن العوراء] ، وليس أحدٌ منهما دونه إن لم يَفُقْه ، فكيف يمكن أن يقال : إنّهما ساعدا إبراهيم الموصلي على اختيار لَحْنٍ من صَنعته في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفُضِّلت عليها ؟ ألم يكونا لو فعلا ذلك قد حكمَا لإبراهيم على أنفسهما بالتقدّم والحِذْق والرِّياسة وليس هو كذلك عندهما ؟

ولقد أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّه أتى أباه إبراهيم بن ميمون يوماً مسلِّماً ، فقال له أبوه : يا بُني ، ما أعلم أحداً بلَغ من بِرِّ ولده ما بلغتُه من برّك ، وإنّي لأستقلُّ ذلك لك ، فهل من حاجةٍ أُصير فيها إلى محبَّتك ؟ قلت : قد كان ، جُعِلتُ فداك ، كلُّ ما ذكرتَ فأطال الله لي بقاءك ، ولكنّي أسألك واحدةً : يموت هذا الشيخ غداً أو بعد غد ولم أسمعه ، فيقول الناس لي ماذا وأنا أَحُلُّ منك هذا المَحَلّ ؟ قال لي : ومن هو ؟ قلت : ابن جامع . قال : صدقتَ يا بُنيّ ، أَسْرِجوا لنا . فجئنا ابن جامع ، فدخل

1 ل : ولحن إسحاق .

2 من يبيع الجلود .

عليه أبي وأنا معه ، فقال : يا أبا القاسم ، قد جئتك في حاجة ، فإن شئتَ فاشتُمني ، وإن شئت فاقذِفني ، غيرَ أنّه لا بدّ لك من قضائها . هذا عبدك وابن أخيك إسحاقُ قال لي كذا وكذا ، فركبت معه أسألك أن تُسْعِفَه فيما سأل . فقال : نعم ، على شَريطةٍ : تقيمان عندي أُطْعِمكما مَشُوشة وقَلِية وأُسقيكما من نَبِيذي التمريّ وأُغَنِّيكما ، فإن جاءنا رسولُ الخليفة مضينا إليه وإلاّ أَقَمنا يومنا . فقال أبي : السمع والطاعة ، وأمَرَ بالدوابّ فرُدَّت . فجاءنا [ابن جامع] بالمشوشة والقليّة ونبيذه التمريّ فأكلنا وشربنا ، ثم اندفع فغنَّانا ، فنظرتُ إلى أبي يَقِلُّ في عيني ويعظُم ابنُ جامع حتى صار أبي في عيني كلا شيء . فلمّا طربنا غاية الطرب جاء رسولُ الخليفة فركِبنا وركبتُ معهما . فلمّا كنّا في بعض الطريق قال لي أبي : كيف رأيت ابنَ جامع يا بنيّ ؟ قلت له : أَوَ تُعْفيني جُعِلتُ فِداك ! قال : لستُ أُعفيك فقل . فقلت له : رأيتُك ولا شيء أكبرُ عندي منك قد صغُرت عندي في الغناء معه [حتى صرتَ كلا شيء] . ثم مضَيا إلى الرشيد ، وانصرفتُ إلى منزلي ؛ [وذلك لأنـي لم أكُنْ بعدُ وصلتُ إلى الرشيد] . فلمّا أصبحتُ أرسلَ إليّ أبي فقال : يا بنيّ ، هذا الشتاء قد هجَم عليك وأنت تحتاج فيه إلى مؤونة ، وإذا مالٌ عظيمٌ بين يديه ، فاصرِف هذا المال في حوائجك . فقمت فقبّلت يده ورأسه ، وأمرتُ بحمل المال واتّبعته ، فصوَّت بي : يا إسحاق ارجع ، فرجعت . فقال لي : أتدري لِمَ وهبتُ لك هذا المال ؟ قلت : نعم ، جُعِلتُ فداك ! قال : لِمَ ؟ قلتُ : لِصِدقي فيك وفي ابن جامع . قال : صدقتَ يا بنيّ ، امضِ راشداً . ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع متفرّقةً في أماكن تصلح فيها و[لا] يُستغنى بما ذكر ها هنا عنها . فإبراهيم يُحِلّ ابنَ جامع هذا المحلَّ مع ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة ثم يُقدِم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتاً لنفسه يكون مقدَّماً على سائر الغناء ، ويطابقه هو وفُلَيح عليه ؟! هذا خطأ لا يُتخيَّل . وعلى ما به فإنّا نذكر الصوتين اللذين رويناهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن عليّ ، بعد ذكرنا ما رواه يحيى ، ثم نُتبعهما باقي الاختيار . فأوّل ذلك من رواية أبي الحسن عليّ بن يحيى .

[2 ـ الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة]

صوت فيه لحنان

[من البسيط]

القَصْرُ فالنَّخلُ فالجَمَّاءُ بينهما ... أَشهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيْرُونِ

إلى البَلاطِ فما حازت قَرائنُه ... دُورٌ نَزَحْن عن الفَحْشاء والهُونِ

قد يَكْتُمُ الناسُ أسراراً فأعلمُها ... ولا يَنالون حتى الموتِ مَكْنوني

عَرُوضه من أوّل البسيط . القصرُ الذي عناه هاهنا : قصرُ سعيد بن العاص بالعَرصة[1] . والنخل الذي عناه : نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجَمَّاء ، وهي أرضٌ كانت له ، فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد ، ابتاعه من ابنه عمرٍو باحتمال دَيْنه عنه ؛ ولذلك خبرٌ يُذكر بعدُ . وأبواب جَيْرونَ بدمشق . ويُروى : «حاذت قرائنه» من المحاذاة . والقرائن : دورٌ كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة ؛ سُمِّيت بذلك لاقترانها . ونزحن : بَعُدن ، والنازح : البعيد ؛ يقال : نَزَح نُزُوحاً . والهُون : الهَوان . قال الراجز : [من الرجز]

لم يُتَذَلْ مثلُ مَكْنونْ ... أبيضَ ماضٍ كالسِّنانِ المَسْنونِ

كان يُوَقِّي نفسَه من الهُونْ

والمكنون : المستور الخفيّ ، وهو مأخوذ من الكِنِّ . الشعر لأبي قَطِيفة المُعَيْطِيّ ، والغناء لَمعبد ، وله في لحنان : أحدهما خفيفُ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى في مَجراها من رواية إسحاق وهو اللحن المختار ، والآخر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عَمرو بن بانَةَ .

1 ل : بالعرضة .

[3] ـ خبر أبي قطيفة ونسبه[1]

[نسب أبي قطيفة]

هو عمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط . واسم أبي معيط أبانُ بن أبي عمرو بن أمَيّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤيّ بن غالب . هذا الذي عليه النسّابون .

وذكر الهَيثم بن عَدِيّ في «كتاب المَثالب» أنَّ أبا عمرو بن أُميّة كان عبداً لأُميّة اسمه ذَكْوان فاسْتَلْحَقَهُ . وذكر أنّ دَغْفَلاً النَّسَّابة دخل على معاوية فقال له : مَنْ رأيتَ من عِلْيةِ قُرَيش ؟ فقال : رأيت عبد المطّلب بن هاشم وأُميّةَ بن عبد شمس . فقال : صِفْهما لي . فقال : كان عبد المطلب أبيضَ مَدِيد القامة حسنَ الوجه ، في جبينه نور النبوّة وعزّ الملك ، يُطِيفُ به عشرةٌ من بَنِيه كأنّهم أسْدُ غاب . قال : فصِفْ أُمَيّة . قال : رأيته شيخاً قصيراً نحيفَ الجسم ضَريراً يَقُوده عبدُه ذكوان . فقال : مَهْ ، ذاك ابنه أبو عمرو . فقال : هذا شيء قُلتموه بعدُ وأحدثتُموه ، وأمّا الذي عرَفتُ فهو الذي أخبرتُك به .

ثم نعود إلى سياقة النَّسَب من لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة . والنضر عند أكثر النسَّابين أصل قريش ، فمن وَلدَه النضرُ عُدَّ منهم . ومن لم يَلِدْه فليس منهم . وقال بعض نسّابي قريش : بل فِهْر بن مالك [أصل] قريش ، فمن لم يلده فليس من قريش . ثم يعود النسب إلى النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وولدُ إلياس يقال لهم خِنْدِفُ ، سُمُّوا بأُمِّهم خندفَ وهو لقبها ، واسمها ليلى بنتُ حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة ، وهي أُمُّ مُدْرِكةَ وطابِخَةَ وقَمَعَةَ بني إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أدّ بن أُدَدَ بن الهَمَيْسَع بن يَشْجُبَ ، وقيل : أَشْجبُ ، بن نَبْت بن قَيْدار بن إسماعيل بن إبراهيم . هذا النسب الذي رواه نسّابو العرب وروي عن بن شِهاب الزُهريّ وهو من علماء قريش وفقهائها .

وقال قوم آخرون من النسّابين ممّن أخذ ، فيما يزعمُ ، عن دَغْفَلٍ وغيرِه : مَعَدُّ بن عدنان بن أدَد بن آمين بن شاجِيب بن نَبْت بن ثَعْلبة بن عَنْز بن سُرَيج بن محلم بن العَوّام بن المُحْتمل بن رائِمَةَ بن العِقْيان بن غلة بن شحدود بن الضرب بن عيفر[2] بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود بن دعدع بن محمود بن

1 انظر معجم الشعراء للمرزباني : 67–68 (تحقيق عبد الستار فراج) القاهرة ، 1960 .

2 ل : عبقر .

الرائد بن بدوان بن أُمامة بن دَوْس بن حُصَيْن بن النَّزّال بن الغمير بن محشر بن معذر بن صَيْفِيّ بن نَبْت بن قَيْدار بن إسماعيل [ذبيح الله ابن] إبراهيم خليل الله صلّى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلّم تسليماً. ثم أجمعوا أنّ إبراهيم بنُ آزَرَ وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى في كتابه، وهو في التوراة بالعِبرانية تارَح بن ناحُور، وقيل: النّاحر بن الشّارِع وهو شارُوع بن أَرْغُو وهو الرامح بن فالغ، وهو قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها، بن عابر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ وهو الرافد بن سام بن نوح صلّى الله عليه وسلّم ابن لامَك وهو في لغة العرب مِلْكان بن المُتوشَلَخ وهو المنوف بن أَخنخ وهو إدريس نبيّ الله عليه السلام بن يارد وهو الرائد بن مَهْلايِل بن قَيْنان وهو قنان بن أَنُوش وهو الطاهر بن شِيثٍ وهو هبة الله ويقال له أيضاً: شاثُ بن آدم أبي البشر صلّى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبيّنا محمد خاصة وسلّم تسليماً. هذا الذي في أيدي الناس من النَّسَب على اختلافهم فيه.

وقد روي عن النبيّ ﷺ تكذيبٌ للنسّابين ودفعٌ لهم. ورُوي أيضاً خلافٌ لأسماء بعضِ الآباء. [وقد شرَحت ذلك في «كتاب النسب» شرحاً يُستَغْنى به عن غيره].

[العنابس والأعياص من بني أميّة]

وأبو قطيفةَ وأهله من العنابِس من بني أميّة. وكان لأميّة من الوَلَد أحدَ عشرَ ذَكَراً، كلُّ واحد منهم يُكْنى باسم صاحبه، وهم العاص وأبو العاص، والعِيص وأبو العِيص، وعمرو وأبو عمرو، وحَرْب وأبو حرب، وسُفيان وأبو سفيان، والعُوَيص لا كُنى له. فمنهم الأَعياص فيما أخبرنا حَرَميُّ بن أبي العَلاء، واسمه أحمد بن محمد بن اسحاق، والطُّوسيّ، واسمه أحمد بن سليمان، قالا: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار عن محمد بن الضَّحّاك الحِزاميّ عن أبيه قال: الأعياص: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعُويص. ومنهم العنابس[1] وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو. وإنّما سُمُّوا العنابسَ لأنّهم ثبَتوا مع أخيهم حَرْب بن أُميّة بعُكاظ وعقَلوا أنفسَهم وقاتَلوا قِتالاً شديداً فشُبِّهوا بالأسْد، والأُسْدُ يقال لها العنابس، واحدها عَنْبَسَة. وفي الأعياص يقول عبد الله بن فَضالة الأَسَديّ: [من الوافر]

مِن الأعياصِ أو من آل حربٍ أَغَـرَّ كغُـرة الفرس الجَوادِ

[عبد الله بن فضالة وابن الزبير]

والسبب في قوله هذا الشعرَ ما أخبرَنا به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال: حدّثنا عمرُ بن شَبَّة، وحدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز، قال: حدّثنا المَدائنيّ

1 قارن بأنساب الأشراف 1/4 : 3 .

وابن غَزالة ، قالوا : أتى عبدُ الله بن فُضالة بن شَريك الوالبيّ ثم الأسديّ من بني أَسَد بن خُزيمة عبد الله بنَ الزُّبير ، فقال له : نَفِدتْ نَفَقتي ونَقِبتْ راحلتي . قال : أحضِرْها ، فأحضرَها . فقال : أَقبِلْ بها ، أدبِرْ بها ، ففعل . فقال : ارقَعها بسِبْتٍ واخصِفها بهُلب وأَنجِد بها يَبرُد خُفُّها وسِرِ البَرْدَين تَصِحّ[1] . فقال ابن فضالة : إنّي أتيتُك مُسْتَحمِلاً ولم آتِكَ مُستوصِفاً ، فلعَن الله ناقةً حملتني إليك ! قال ابن الزبير : إنّ وراكِبَها . فانصرف عنه ابنُ فضالة وقال[2] : [من الوافر]

أقول لغِلمتي شُدُّوا رِكابي ... أُجاوِزْ بَطْنَ مكّةَ في سَوادِ
فمالِي حينَ أَقْطَع ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابن الكاهِليَّة من معادِ[3]
سيُبْعِدُ بيننا نَصُّ المَطايا ... وتعليقُ الأَداوَي والمَزادِ[4]
وكلُّ مُعَبَّدٍ قد أعلَمَتْه ... مَناسِمُهن طُلاَّعَ النِّجادِ[5]
أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ ... نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ[6]
من الأَعْياصِ أو من آل حربٍ ... أغرَّ كغُرَّة الفرس الجوادِ

أبو خُبَيب : عبد الله بن الزُّبير ، كان يكنى أبا بكر . وخبيب : ابن له هو أكبر ولده ، ولم يكن يَكنِيه به إلاّ من ذمّه ، يجعله كاللقب له . قال : فقال ابن الزبير لمّا بلَغه هذا الشعر : علِم أنّها شرُّ أُمّهاتي فعيَّرني بها وهي خيرُ عمّاته . قال اليزيدي : «إنّ» هاهنا بمعنى نعمْ ، كأنّه إقرارٌ بما قال . ومثله قول ابن قيس الرُّقَيَّات : [من مجزوء الكامل]

ويَقُلْنَ شَيبٌ قد علا ... كَ وقد كَبِرتَ فقلتُ إنَّهْ

وأُمُّ أبي مُعيطٍ آمنةُ بنت أَبانَ بن كُليب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصَعَة بن معاوية بن بَكْر بن

1 نقب البعير : رقّت أخفافه . السبت : جلود البقر المدبوغة بالقرظ تُحذى منها النعال السبتية . والخصف : أن يُظاهر الجلدين بعضهما إلى بعض ويَخرزهما ؛ ولذلك قيل لِلخرْز المخصف . والهلب بضم الهاء : شعر الخنزير الذي يخرز به ، وأنجد : إذا أخذ في بلاد نجد ؛ والبردان : الغداة والعشيّ .

2 نسب البغدادي 4 : 65–66 . هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسديّ . وأورد الأصبهاني عن ابن حبيب أنّ هذا الشعر لفضالة بن شريك وأوّله في أبيات : [من الوافر]

شكوت إليه أن تعبت قلوصي ... فردّ جواب مشدود الصفادِ

3 ذات عرق مُهَلّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة (ياقوت) . والكاهلية : زهراء بنت خثراء امرأة من بني كاهل بن أسد وهي أمّ خويلد بن أسد بن عبد العُزّى .

4 نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير . والأداوي : جمع إداوة وهي وعاء الماء . والمزاد : جمع مزادة وهي الراوية يحمل فيها الماء .

5 المعبد : الطريق المذلل . وأعلمته مناسمهن : أثرت فيه بأخفافها .

6 يقال : نكده حاجته إذا منعه إيّاها ولم يقضها .

هَوازِنَ ، ولها يقول نابغةُ بني جَعدة : [من الوافر]

وشارَكْنـا قريشاً في تُقاهـا وفي أنسابهـا شِرْكَ العَنانِ[1]

بما وَلدتْ نساءُ بني هِلالٍ ومـا ولـدت نساءُ بنـي أبانِ

وكانت آمنة هذه تحت أُميَّة بن عبد شمس ، فولدت له العاصَ وأبا العاص وأبا العِيص والعُوَيص وصفيّة وتَوبة وأَرْوى بني أُميَّة . فلمّا مات أُميَّةُ تزوّجها بعده ابنه أبو عمرو ، وكان أهلُ الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوّج الرجلُ امرأة أبيه بعده ، فولدت له أبا مُعَيطٍ ، فكان بنو أُميّة من آمنة إخوةَ أبي مُعَيط وعُمومته ؛ أخبرني بذلك كلِّه الطوسيّ عن الزُّبير بن بَكّار .

قال الزبير : وحدّثني عمّي مُصعَب قال : زعَموا أنّ ابنها أبا العاص زوّجها أخاه أبا عمرو ، وكان هذا نِكاحاً تَنكِحُه الجاهلية ، فأنزل الله تعالى تحريمه ؛ [قال الله تعالى] : ﴿وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاّ مَا قَدْ سَلَفَ إنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً وَساءَ سَبِيلاً﴾ فسُمِّي نكاح المَقت .

[مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث]

وأُسِر عُقبة بن أبي مُعَيط في يوم بدر ، فقتله رسول الله ﷺ صبراً . حدّثنا بذلك محمد بن جَرير الطبريّ قال حدّثنا محمد بن حُميد الرازيّ قال حدّثنا سَلَمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق في خبرٍ ذَكره طويلٍ ، وحدّثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبي قال حدّثنا محمد بن فُليح عن موسى بن عُقبة عن ابن شهاب الزُّهريّ ، قالوا جميعاً[2] : قتله رسول الله ﷺ صبراً . فقال له ، وقد أمر بذلك فيه : يا محمد ، أأنا خاصّةً من قريش ؟ قال نعم . قال : فمَن للصِّبية بعدي ؟ قال : النار .

فلذلك يُسَمَّى بنو أبي مُعَيط صِبيةَ النار . واختُلِف في قاتله ، فقيل : إنّ عليّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، تولّى قتلَه . وهذا من رواية بعض الكوفيين ، حدّثني به أحمد ابن محمد بن سعيد بن عُقدة قال : أخبرني المُنذر بن محمد اللَّخمي قال حدّثنا سليمان بن عَبَّاد قال حدّثني عبد العزيز بن أبي ثابت المدنيّ عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام : أنّ النبي ﷺ أمر عليّاً يومَ بَدْر فضرب عُنُقَ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيط والنَّضرِ بن الحارث . وروى ابن إسحاق أنّ عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح الأنصاري قتله ، وأنّ الذي قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام النضرُ ابنُ الحارث بن كَلَدَة .

---

1 شرك العنان وشركة العنان : اشتراك شخصين في شيء خاص دون سائر أموالهما ، والثاني في أنساب الأشراف 1/4 : 3 .

2 تاريخ الطبري 2 : 459 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني الحسن بن عثمان قال حدّثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه ، وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا أحمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق عن أصحابه[1] ، قالوا : قتَل رسول الله ﷺ يومَ بَدْرٍ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيط صَبْراً : أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقَه ، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان «بالصَّفْراء»[2] قتَل النَّضْرَ بن الحارث بن كَلَدَةَ أحد بني عبد الدار ، أمر عليّاً عليه السلام أن يضرب عنقَه . قال عمر بن شبّة في حديثه : «الأُثَيل»[3] ؛ فقالت أُخته قُتَيلةُ بنت الحارث تَرثيه[4] : [من الكامل]

يـا راكباً إنّ الأُثَيْـلَ مَظِنَـةٌ ... مِن صُبْح خامسةٍ وأنتَ مُوفَّقُ
أَبلِغْ بـه مَيْتـاً بأنّ تحيّـةً ... ما إن تَزالُ بها النجائبُ تَخْفِقُ
مِنّي إليـكَ وعَبْرةً مسفوحةً ... جادتْ بِدرَّتها وأُخرى تخنَقُ
هل يسمَعَنَّ النضرُ إن ناديتُه ... إن كان يسمعُ هالكٌ لا يَنطِقُ
ظَلّتْ سيوفُ بني أبيهِ تنوشُه ... للهِ أرحـامٌ هنـاكَ تُشَقَّقُ
صبراً يُقـادُ إلى المنيّة مُتعَباً ... رَسْفَ المقيَّدِ وهو عانٍ موثَقُ
أَمُحمدٌ ولأنتَ نَسْلُ نَجيبةٍ ... في قومها والفحلُ فَحلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضرّكَ لو مَنَنْتَ وربّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحْنَقُ
أوْ كُنتَ قابلَ فديـةٍ فَلَنَأتِينْ ... بأعزِّ مـا يَغلو لديـكَ ويَنفقُ
والنضرُ أقربُ مَنْ أخذتَ بزَلّةٍ ... وأحقُّهـم إن كان عِتـقٌ يُعْتَقُ

فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ قال : «لو سمعتُ هذا قبل أن أقتلَه ما قتلتُه» . فيقال : إنّ شعرها أكرمُ شعرِ مَوْتُورةٍ وأعفُّه وأكفُّه وأحلمُه .

قال ابن إسحاق[5] : وحدّثني أبو عبيدةَ بن محمد بن عمّار بن ياسر أنّ رسول الله ﷺ لمّا كان بعِرقِ الظُّبية[6] قتلَ عُقبة بن أبي مُعَيطٍ . قال حين أمَرَ به أن يُقتَل : فمن للصِّبية يا محمد ؟

---

1 سيرة ابن هشام 2 : 644 .

2 الصفراء : واد قريب من بدر .

3 الأثيل : موضع بين بدر ووادي الصفراء .

4 أنساب الأشراف 1 : 144 وشرح التبريزي على الحماسة 3 : 14–15 (ط . بولاق) وفي الرواية اختلافات .

5 السيرة 2 : 744 .

6 عرق الظبية : موضع من الرَّوحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة .

قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد بني عمرو بن عوف .

حدّثني أحمد بن الجعد قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأَذَمي قال حدّثنا الوليد بن مسلم قال حدّثني الأوزاعيّ قال حدّثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التَّيمي قال حدّثني عُروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني بأشدّ شيءٍ صنعَه المشركون برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقال : بينا رسول الله ﷺ يصلّي في حِجْرِ الكعبة إذ أقبل عُقبة بن أبي مُعَيط فوضع ثوبَه في عُنق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فخنقه به خَنْقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر ، رحمة الله عليه ، [حتى أخذ بمَنكبه فدفعه عن رسول الله ﷺ] وقال : أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربّيَ الله !

[ولاية الوليد بن عقبة الكوفة]

وكان الوليد بن عُقبة أخا عثمانَ بن عفّان لأمّه ، أُمُّهما أَرْوى بنت عامر بن كُرَيز ، وأمّها أُمُّ حَكيم البيضاء بنت عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف . والبيضاء وعبدُ الله أبو رسول الله ﷺ تَوأمان . وكان عُقبة بن أبي معيط تزوّج أَروَى بعد وفاة عفّان ، فولدت له الوليد وخالداً وعُمارة وأُمَّ كلثوم ، كلّ هؤلاء إخوة عثمان لأمّه . وولّى عثمانُ الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة ، فشرِبَ الخمر وصلّى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة ، وشُهِدَ عليه بذلك عند عثمان فجلَده الحدّ . وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه .

وأبو قَطِيفة عمرو بن الوليد يُكنى أبا الوليد . وأبو قطيفة لقبٌ لُقِّبَ به . وأُمُّه بنت الربيع بن ذي الخِمار من بني أسد بن خُزيمة .

[نفي بني أُميّة عن المدينة]

وقال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أُميّة عن المدينة ، مع نظائر له تشوُّقاً إليها .

حدّثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شَبيب بن أبي شيبة البزَّار ، قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائني ، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدّثني أبي قال حدّثني وَهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمّى «كتاب الأَزارِقة» ، ونَسختُ بعضَه من كتابٍ منسوبٍ إلى الهيثم بن عدِيّ . واللفظ للمدائني في الخبر ما اتّسَق ، فإذا انقطع أو اختلف نسبتُ الخلاف إلى راويه .

[النفر الركب]

قال الهيثم بن عديّ أخبرنا ابن عيّاش عن مُجالد عن الشعبيّ وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر : أنّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عليه وعلى أبيه السلام ، لمّا سار إلى العراق ، شمّر ابن

الزبير للأمر الذي أراده ولبس المعافريّ[1] وشبَرَ بطنه وقال : إنّما بطني شِبْرٌ ، وما عسى أن يَسَعَ الشبرُ ! وجعل يُظهر عيبَ بني أُميّة ويدعو إلى خلافهم . فأمهله يزيدُ سنةً ، ثم بَعَث إليه عشرةً من أهل الشام عليهم النعمان بن بَشير . وكان أهل الشام يسمُّون أولئك العشرةَ النَّفرِ الرَّكْبَ ، منهم عبد الله بن عِضاه الأشعري ، ورَوْح بن زنباع الجُذاميّ ، وسعدَ بن حمزة الهمداني ، ومالك بن هبيرة السَّكوني ، وأبو كَبشة السَّكْسَكيّ ، وزَمْلُ بن عمرو العُذْري ، وعبد الله بن مسعود ، وقيل : ابن مسعدة الفزاريّ ، وأخوه عبد الرحمن ، وشريك بن عبد الله الكناني ، وعبدالله بن عامر الهمداني ، وجعل عليهم ، النعمان بن بشير ؛ فأقبلوا حتى قدِموا مكّة على عبدالله بن الزبير ، وكان النعمان يَخلو به في الحِجر كثيراً . فقال له عبد الله بن عِضاهٍ يوماً : يا ابن الزبير ، إنّ هذا الأنصاريّ والله ما أُمِر بشيء إلاّ وقد أُمِرنا بمثله إلاّ أنّه قد أُمِّرَ علينا ، إنّي والله ما أَدري ما بين المهاجرين والأنصار . فقال ابن الزبير : يا ابن عِضاه ، مالي ولك ! إنّما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكّة ، أفكنتَ قاتلاً حماماً من حمام مكّة ؟ قال : نعم ، وما حرمةُ حمام مكة ؟ يا غلام ، ائتني بقَوسي وأَسهُمي ، فأتاه بقوسه وأسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدّده نحو حمامة من حمام المسجد وقال : يا حمامة ، أيشربُ يزيد بن معاوية الخمر ؟ قُولي : نعم ، فوالله : لئن فعلتِ لأرمينّك . يا حمامة ، أتخلعين يزيد بن معاوية وتُفارقين أمّةَ محمد ﷺ ، وتُقيمين في الحرم حتى يُستحَلَّ بكِ ؟ والله لئن فعلتِ لأرمينّكِ . فقال ابن الزبير : ويحك ! أوَ يتكلّم الطائر ؟ قال : لا ! ولكنّك يا ابن الزبير تتكلّم . أُقسِم بالله لتُبايعنَّ طائعاً أو مُكرَهاً أو لتتعرَّفنَّ راية الأشعريين في هذه البطحاء ، ثم لا أُعظِّم من حقِّها ما تُعظِّم . فقال ابن الزبير : أوَ تستحل الحرَم ! قال : إنّما يَستحِلُّه من أَلحَد فيه . فحبسهم شهراً ثم ردّهم إلى يزيد بن معاوية ولم يُجبه إلى شيء . وفي رواية أحمد بن الجَعد : وقال بعض الشعراء ، وهو أبو العباس الأعمى ، واسمه السائبُ بن فرُّوخ يذكر ذلك وشبراً بن الزبير بطنَه : [من البسيط]

ما زال في سُورة الأعراف يدرسُها ... حتى بدا لِيَ مثلَ الخَزِّ في اللِّينِ
لو كان بطنُكَ شِبراً قد شَبِعتَ وقد ... أَفْضلتَ فضلاً كثيراً للمساكينِ

[خلع ابن الزبير يزيد]

قال الهيثم : ثم إنّ ابن الزبير مضى إلى صَفيّة بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر ، فذكر لها أنَّ خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله ، عليه السلام ، والمهاجرين والأنصار من أَثَرة معاوية وابنه [وأهله] بالفيء ، وسألها مسألته أن يبايعه . فلمّا قدّمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير

1 نسبة إلى معافر : اسم .

واجتهاده ، وأثنت عليه وقالت : ما يدعو إلاّ إلى طاعة الله جلّ وعزّ ، وأكثرت القولَ في ذلك . فقال لها : أمَا رأيتِ بَغَلاتِ معاوية اللواتي كان يُحجُّ عليهنّ الشُّهْبَ ، فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرهنّ . قال المدائني في خبره : وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأه على ذلك أكثر الناس . فدخل عليه عبد الله بن مُطيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجدَ وأتَوا المِنبر فخلعوا يزيد . فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المُغيرة المخزوميّ : خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتي ، ونزعها عن رأسه وقال : إنّي لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ، ولكنّ عدوّ الله سِكّير خمّير . وقال آخر : خلعته كما خلعتُ نعلي . وقال آخر : خلعتُه كما خلعت ثوبي . وقال آخر : قد خلعته كما خلعت خُفّي ، حتى كثُرت العمائمُ والنِّعال والخِفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع منه عبد الله بن عمر ، ومحمد بن عليّ بن أبي طالب ، عليهما السلام ، وجرى بين محمد خاصّة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك ، فخرج إلى مكّة ؛ وكان هذا أوّل ما هاج الشرَّ بينه وبين ابن الزبير .

[وقعة الحرّة]

قال المدائني : واجتمع أهلُ المدينة لإخراج بني أُميّة عنها . فأخذوا عليهم العهود ألاّ يُعِينوا عليهم الجيش ، وأن يردُّوهم عنهم ؛ فإن لم يقدروا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان : أنشُدكم اللهَ في دمائكم وطاعتكم ! فإنّ الجنود تأتيكم وتطَؤُكم ، وأُعذِر لكم ألاّ تُخرجوا أميرَكم ؛ إنّكم إن ظفرتم وأنا مقيمٌ بين أظهركم فما أيسرَ شأني وأقدرَكم على إخراجي ! وما أقول هذا إلاّ نظراً لكم أُريد به حَقن دمائكم . فشتموه وشتموا يزيد ، وقالوا : لا نبدأُ إلاّ بك ، ثم نُخرجهم بعدك . فأتى مروانُ عبدَ الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنّ هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى ، فضُمَّ عيالنا . فقال : لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء . فقام مروان وهو يقول : قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً . ثم أتى عليَّ بن الحسين ، عليهما السلام ، فسأله أن يضُمّ أهله وثقَله ففعل ، ووجّههم وامرأته أُمَّ أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابناه : عبد الله ومحمدٌ . فعرَض حُرَيثٌ رَقّاصة وهو مولًى لبني بهزٍ من سُليم كان بعض عمّال المدينة قطع رِجله ، فكان إذا مشى كأنّه يرقص ، فسُمّي رقّاصة ، لثقَلِ مروان وفيه أُمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فضربته بعصاً فكادت تدقُّ عنقه ، فولّى ومضى . ومضوا إلى الطائف وأُخرجوا بني أُميّة . فحسَّ بهم سليمان بن أبي الجهم العدويّ وحريث رقّاصة ، فأراد مروان أن يصلّي بمن معه فمنعوه ، وقالوا : لا يُصلّي والله بالناس أبداً ، ولكن إن أراد أن يصلّي بأهله فليصلِّ ، فصلّى بهم ومضى . فمرّ مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزهريّ ، فقال له : هلُمَّ إليّ يا أبا عبد الملك ، فلا يَصل إليك مكروهٌ ما بقي

رجلٌ من بني زُهرة . فقال له : وصلتْك رَحِمٌ ، قومنا على أمرٍ فأكره أن أُعرِّضك لهم . وقال ابن عمر بعد ذلك ، لمّا أُخرجوا ونَدِم على ما كان قاله لمروان : لو وجدتُ سبيلاً إلى نصر هؤلاء لفعلت ؛ فقد ظُلِموا وبُغِي عليهم . فقال ابنه سالم : لو كلَّمت هؤلاء القوم ! فقال : يا بنيّ ، لا ينزع هؤلاء القوم عمّا هم عليه ، وهم بعين الله ، إن أراد أن يُغيِّر غيَّر . قال : فمضوا إلى ذي خُشُب[1] ، وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، واتّبعهم العبيد والصبيان والسَّفِلة يرمونهم . ثم رجع حُريث رقّاصة وأصحابه إلى المدينة ، وأقامت بنو أميّة بذي خُشُب عشرة أيّام ، وسرَّحوا حبيب بن كُرة إلى يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه يسألونه الغَوث . وبلغ أهل المدينة أنّهم وجَّهوا رجلاً إلى يزيد ، فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجلٌ من بني سليم من بهز وحريث رقّاصة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أُميّة منها ، فنخس حريثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخّر عنها وزجرها وقال : اعلَي واسلَمي . فلمّا كانوا بالسُّويداء[2] عرض لهم مولًى لمروان ، فقال : جُعلتُ فِداك ! لو نزلت فأرحت وتغدَّيت ! فالغداء حاضر كثير قد أُدرك . فقال : لا يدعُني رقّاصة وأشباهه ، وعسى أن يمكِّن الله منه فتُقطع يده . ونظر مروان إلى ماله بذي خُشُب فقال : لا مال إلاّ ما أحرزتْه العِيابُ . فمضوا فنزلوا حَقِيلاً[3] أو وادي القُرى ؛ وفي ذلك يقول الأحوص : [من البسيط]

لا تَرثِيَنَّ لحَزْميٍّ رأيتَ به ضُرّاً ولو سقَط الحزميُّ في النارِ
الناخسينَ بمَروانٍ بذي خُشُبٍ والمُقْحِمِينَ على عثمانَ في الدارِ

قال المدائني : فدخل حبيب بن كرة على يزيد ، وهو واضعٌ رِجله في طستٍ لوجع كان يجدُه ، بكتاب بني أُميّة وأخبره الخبرَ . فقال : أما كان بنو أميّة ومواليهم ألف رجل ؟ قال : بَلى وثلاثة آلاف . قال : أفعجزوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ قال : كثرهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقةٌ . فندَبَ الناس وأمَّرَ عليهم صخر بن أبي الجهم القَينيّ ، فمات قبل أن يخرج الجيش ، فأمَّر مسلم بن عقبة الذي يسمَّى مُسْرِفاً . قال : وقال ليزيد : ما كنت مُرسلاً إلى المدينة أحداً إلاّ قصَّر وما صاحبهم غيري ؛ إنّي رأيت في منامي شجرة غرقدٍ تصيح : على يَدَي مسلم ، فأقبلتُ نحو الصوت فسمعتُ قائلاً يقول : أدرِك ثأرك أهل المدينة قتلَةَ عثمان . فخرج مسلم وكان من قصّة الحرَّة ما كان على يده ، وليس هذا موضعه . فقال أبو قطيفة في ذلك لما أخرجوا عن المدينة :

1 ذو خشب : واد على مسافة ليلة من المدينة .
2 السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .
3 حقيل : موضع .

صوت من غير المائة فيه لحنان

[تشوّق أبي قطيفة إلى المدينة]

[من الطويل]

بَكَى أُحُدٌ لَمّا تَحَمَّل أهلهُ   فكيفَ بِذي وَجْدٍ من القوم آلِفِ
مِن أجلِ أبي بَكْرٍ جَلَتْ عن بلادها   أُمَيَّةُ ، والأيّامُ ذاتُ تَصارِفِ

عَروضه من الطويل ، وفيه ثَقيلٌ أوّلُ . والغناءُ لسائبِ خاثِرٍ ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، ذكر ذلك حمّادٌ عن أبيه ، وذكر أنّ فيه لَحناً آخر لأهل المدينة لا يُعرف صاحبه . قال الهيثم في خبره : وقال أبو العبّاس الأعمى في ذلك :

[من الطويل]

قد حَلَّ في دار البَلاطِ مُجَوَّعٌ   ودارِ أبي العاصِ التَّميميُّ حَنْتَفُ[1]
فلم أرَ مثلَ الحيّ حين تحمّلوا   ولا مثلَنا عن مثلِهم يَتَنَكَّفُ

وقال أبو قَطِيفةَ أيضاً :

[من الطويل]

صوت من غير المائة فيه ثلاثة ألحان

بَكى أُحُدٌ لَمّا تحمَّل أهلُه   فسَلْعٌ فدارُ المال أمستْ تَصَدَّعُ
وبالشام إخواني وجُلُّ عَشِيرتي   فقد جَعَلتْ نفسي إليهم تَطَلَّعُ

عرُوضُه من الطويل . غنَّى فيه دَحمان ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وفيه لَمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية حَبَش . وذكر إسحاق أنّ فيه لحناً في خفيف الثَّقيل الأوّل بالخِنصر في مجرى البِنصر مجهول الصانع . وقال أبو قطيفة أيضاً :

[من الخفيف]

صوت من غير المائة المختارة

ليت شِعْري : هَلِ البَلاطُ كعَهْدي   والمُصَلَّى إلى قصور العَقِيقِ ؟
لامَني في هَواكِ يا أمَّ يحيى   مِن مُبِينٍ بغِشِّه أو صَدِيقِ

عَروضه من الخفيف . غنَّاه معبد ويقال دَحمان ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسَّبابة في مجرى الوسطى ، وذكر إسحاق أنّه لا يُعرف صاحبه .

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمَّار قال حدّثني محمد بن يونس بن الوليد قال : كان ابن

---

1 البلاط : موضع بالمدينة . هو الحنتف بن السجف بن سعد بن عوف كان ديناً شريفاً ، المعارف لابن قتيبة ص212 .

الزبير قد نفى أبا قَطيفة مع من نفاه من بني أميّة عن المدينة إلى الشام ؛ فلمّا طال مُقامُه بها قال : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْرِي هل تغيَّر بعدَنا قُباءٌ وهل زالَ العقيقُ وحاضِرُهْ ؟
وهل بَرِحَتْ بَطْحاءُ قبرِ محمدٍ أراهِطُ غُرٌّ من قُرَيشٍ تُباكِرُهْ ؟
لهم منتهى حُبِّي وصَفْوُ مودَّتي ومَحْضُ الهَوى منّي وللناسِ سائرُهْ

قال وقال أيضاً : [من الخفيف]

صوت من غير المائة المختارة

ليتَ شِعْرِي وأينَ مِنِّيَ لَيْتُ أعلى العَهْدِ يَلْبَنٌ فَبَرامُ[1]
أم كعَهْدِي العَقيقُ أم غَيَّرَتْهُ بَعْدِيَ الحادثاتُ والأيّامُ ؟
وبأهلي بُدِّلْتُ عَكّاً ولَخماً وجُذاماً ، وأينَ منّي جُذامُ !
وتبدَّلْتُ مِنْ مساكنِ قَوْمِي والقُصُورِ التي بها الآطامُ ،
كلَّ قَصْرٍ مُشَيَّدٍ ذي أواسٍ يتغنَّى على ذُراهُ الحَمامُ
إقْرَ مِنِّي السَّلامَ إن جئتَ قومي وقليلٌ لهمْ لَدَيّ السلامُ

عَروضُه من الخفيفِ ، غنّاه مَعبد ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالخِنصر في مجرى البِنصر . و«يَلْبَنُ» و«بَرامُ» : موضعان . والآطامُ : جمع أُطُم ، وهي القُصور والحصون . وقال الأصمعيّ : الآطام : الدُّور المسطّحة السقوف . وفي رواية ابن عمار : «ذي أَواشٍ» بالشين معجمة ؛ كأنّه أراد به أنّ هذه القصور مَوشيَّةٌ أي منقوشة . ورواه إسحاق : «أواسٍ» بالسين غيرَ معجمة ، وقال : واحدها آسِيٌّ ، وهو الأصل . قال ويقال : فلانٌ في آسِيِّه ، أي في أصله . والآسيّ والأساس واحد . وذُرى كلِّ شيء : أعاليه ، وهو جمعٌ ، واحدته ذِرْوة . ويروى : «أَبْلِغَنَّ السَّلامَ إن جئتَ قَوْمي» .

وروى الزبير بن بكّار هذه الأبيات لأبي قطيفة ، وزاد فيها : [من الخفيف]

أَقْطَعُ الليلَ كلَّه باكتئابٍ وزَفِيرٍ فما أكادُ أنامُ
نحوَ قَوْمِي إذ فرَّقَتْ بيننا الدا رُ وحادتْ عن قَصْدها الأحلامُ
خشيةً أن يُصيبَهم عَنَتُ الدّهـ ـرِ وحربٌ يَشيبُ منها الغلامُ
فلقدْ حانَ أن يكونَ لهذا الدّ هرِ عنّا تَباعُدٌ وانصِرامُ

---

1 يلبن : جبل قرب المدينة . وبرام : جبل في بلاد بني سليم عند الحرّة من ناحية البقيع .

[عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة وعودته إلى المدينة وموته]

رجع الخبر إلى سِياقَتِه من رواية ابن عمّار . وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الحِزامي ، وهو إبراهيم بن المنذر ، عن مُطَرِّف بن عبد الله المدنيّ قالا : إنّ ابن الزبير لمّا بلغَه شعرُ أبي قطيفة هذا قال : حَنَّ واللهِ أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، مَن لَقِيَه فليُخبره أنّه آمنٌ فليرجع . فأخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعاً ، فلم يصل إليها حتى مات . قال ابن عمّار : فحدّثت عن المدائني أنّ امرأة من أهل المدينة تزوّجها رجل من أهل الشام ، فخرج بها إلى بلده على كُرهٍ منها ، فسمعت مُنشداً يُنشد شعرَ أبي قطيفة هذا ، فشهقت شهقةً وخرّت على وجهها ميتة ؛ هكذا ذكر ابن عمّار في خبره .

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي عن أيوب بن عباية قال قال حدّثني سعيد بن عائشة مولى آل المطّلب بن عبد مناف قال : خرجت امرأة من بني زُهْرة في خِفٍّ[1] ، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشام فأعجبته ، فسأل عنها فنُسبت له ، فخطبها إلى أهلها فزوّجوه [إيّاها] بكَرْهٍ منها ، فخرج بها إلى الشام . [وخَرَجَتْ مَخْرَجاً] ، فسمِعت متمثِّلاً يقول : [من الطويل]

صوت من غير المائة المختارة

ألاَ ليتَ شعري هل تغيَّر بعدنا ... جَبُوبُ المصلَّى أم كعهدي القَرائنُ ؟[2]
وهل أدْؤُرٌ حولَ البَلاط عَوامِرٌ ... من الحيِّ أم هل بالمدينة ساكنُ ؟
إذا بَرقَتْ نحوَ الحِجاز سحابةٌ ... دعا الشوقَ منّي برقُها المتيامِنُ
فلَمْ أتْرُكْنها رَغْبةً عن بلادها ... ولكنّه ما قدّر اللهُ كائنُ

عروضه من الطويل ، يقال : إن لمعبد فيه لحناً ، قال : فتنفَّسَتْ بينَ النساء فوقعت ميِّتة . قال أيوب : فحدَّثتُ بهذا الحديث عبد العزيز بن أبي ثابت الأعرج فقال : أتعرِفُها ؟ قلت لا . قال : هي واللهِ عمّتي حميدةُ بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدّثنا الرياشي قال أخبرني ابن عائشة قال : لمّا أجلى ابن الزبير بني أميّة عن الحجاز قال أيمن بن خُرَيم الأسَدي : [من الوافر]

كأنّ بني أُميّةَ يومَ راحُوا ... وعُرِّيَ عن منازلهم صرارُ[3]

---

1 يقال : خرج فلان في خِف أي في جماعة قليلة من أصحابه .

2 الجبوب : الحجارة والأرض الصلبة .

3 صدار بالدال كغراب : موضع قرب المدينة ، صرار : جبل .

شَماريخُ الجبالِ إذا تردَّتْ بزينتِها وجادَتْها القِطارُ[1]

وأخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن سَعدٍ الكُرّاني قال حدّثنا العُمَريّ عن العتبيّ قال: كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عُقبة إلى أبيه وهو يتولّى الكوفة لعثمان بن عفّان: [من الكامل]

مَنْ مُبْلِغٌ عنّي الأميرَ بأنّني أَرِقٌ بلا داءٍ سوى الإنْعاظِ
إن لم تُغْنِني خِفْتُ إثمَكَ أو أرى في الدارِ محدوداً بزُرْقِ لِحاظِ

يعني دارَ عثمانَ التي تُقام فيها الحدود. فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه.

أخبرني عبد الله بن محمد الرّازي قال حدّثنا الخَرّاز عن المدائني قال: كان أبو قطيفة من شعراء قريش، وكان ممّن نفاه ابن الزبير مع بني أُميّة إلى الشام، فقال في ذلك: [من الطويل]

وما أخرَجَتْنا رَغْبَةٌ عن بلادنا ولكنّه ما قَدَّر اللهُ كائنُ
أَحِنُّ إلى تلك الوجوه صَبابةً كأنّي أسيرٌ في السَّلاسِلِ راهنُ

وكان يتحرّق على المدينة؛ فأتى عَبّاد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له: إنّ خاله أخبره أنّ العراقَيْنِ قد فُتحا. فقال عبدُ الملك لأبي قطيفة لِما يعلمه من حُبِّه المدينة: أمَا تسمع ما يقوله عَبّادٌ عن خاله؟ قد طابت لك المدينة الآن. فقال أبو قطيفة: [من البسيط]

إنّي لأَحْمَقُ مَنْ يَمْشِي على قَدَمٍ إن غَرَّني من حياتي خالُ عَبّادِ
أَنْشَا يقول لنا المِصْرانِ قد فُتِحا ودونَ ذلك يومٌ شَرُّهُ بادِي

قال: وأَذِنَ له ابنُ الزبير في الرجوع، فرجع فمات في طريقه.

[قصر سعيد بن العاص بالعرصة]

وأمّا خبرُ القَصْرِ الذي تقدّم ذكرُه وبيعُه من معاويةَ، فأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال ذكر مُصعَب بن عمّار بن مصعب بن عُروة بن الزبير: أنّ سعيد بن العاص لمّا حضرَتْه الوفاةُ وهو في قصره هذا، قال له ابنه عمرو: لو نزلتَ إلى المدينة! فقال: يا بنيّ، إنّ قومي لن يَضنُّوا عليّ بأن يحملوني على رقابِهم ساعةً من نهار، وإذا أنا مُتُّ فآذِنْهم، فإذا وارَيْتني فانطلق إلى معاوية فانعني له، وانظُر في دَيني؛ واعلم أنّه سيَعرِض عليك قضاءَه فلا تفعل، واعرِض عليه قصري هذا؛ فإنّي إنّما اتّخذتُه نُزهة وليس بمال. فلمّا مات آذَنَ به الناس، فحملوه من قصره حتى دُفن بالبقيع، ورواحل عمرو بن سعيد مُناخَةٌ، فعزَّاه الناس على قبره وودّعوه، فكان هو أوّل من نعاه لمعاوية؛ فتوجّع له وترحّم عليه، ثم قال: هل ترك دَيناً؟ قال نعم. [قال: كم هو؟

1 شماريخ الجبال: رؤوسها، واحدها شمراخ. القطار: جمع قطر وهو المطر.

قال] ثلثمائة ألف درهم . قال : هي عليّ . قال : قد ظنَّ ذلك وأمرني ألاّ أقبله منك ، وأن أَعرِض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكونَ قضاءَ دينه منه . قال : فاعرِض عليّ . قال : قصره بالعرصة . قال : قد أخذته بدَينه . قال : هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية . قال نعم . فحملها له إلى المدينة وفرّقها في غُرمائه ، وكان أكثرها عِداتٍ . فأتاه شابٌّ من قريش بصكٍّ فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيدٍ على نفسه وشهادة مولًى له عليه . فأرسل إلى المولى فأقرأه الصكّ ؛ فلمّا قرأه بكى وقال : نعم هذا خطُّه وهذه شهادتي عليه . فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنّما هو قديماً صعلوك من صعاليك قريش ؟ قال : أُخبرك عنه ، مرَّ سعيدٌ بعد عزله ، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألكَ حاجةٌ ؟ قال : لا ، إلاّ أنّي رأيتُك تمشي وحدك فأحببتُ أن أَصِلَ جَناحَك . فقال لي : ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدَّين وقال : إنّك لم تصادف عندنا شيئاً فخُذ هذا ، فإذا جاءنا شيء فأْتِنا . فقال عمرو : لا جَرَمَ واللهِ لا يأخذها إلاّ بالوافية ، أعطه إيّاها ؛ فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية .

[جود سعيد بن العاص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الصّلتُ بن مسعود قال حدّثنا سفيان بن عيينة قال حدّثنا هارون المدائني قال : كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده ، فيقول : ما عندي ، ولكن اكتب عليّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول : تُرَوْني أخذتُ منه ثمن هذا ؟ لا ، ولكنه يجيء فيسألني فيَنْزو دم وجهه في وجهي فأكره ردّه . فأتاه مولًى لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال : إنّ أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه . فقال : ما عندي ، ولكن خذ ما شئت في أمانتي . فلمّا مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال : إنّي أتيتُ أباك بابن فلان ، وأخبره بالقصّة . فقال له عمرو : فكم أخذتَ ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : مَن رأى أَعجز من هذا ! يقول له سعيدٌ : خُذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف ! لو أخذت مائة ألفٍ لأدّيتُها عنك .

[أبو قطيفة يفتخر بنسبه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن ابن الكلبي قال : قال أبو القطيفة ، وكانت أمّه وأمُّ خالد بن الوليد بن عقبة عَمَّة أروَى بنت أبي عَقِيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب : [من الوافر]

أنا ابن أبي مُعَيْطٍ حين أُنْمَى ... لأَكْرَمِ ضِئْضِئٍ وأعزِّ جِيلِ[1]

1 الضئضئ : الأصل والمعدن .

وأُنْمَى للعَقائلِ من قُصَيٍّ ومَخزُومٍ فما أنا بالضَّئيلِ
وأرْوَى من كُرَيْزٍ قد نَمتْني وأروَى الخيرِ بنتُ أبي عَقيلِ
كِلاَ الحَيَّيْن من هذا وهذا لعمرُ أبيك في الشَّرَفِ الطويلِ
فعدِّدْ مثلهن أبا ذُباب لِيَعْلَمَ ما تقولُ ذوو العقولِ
فما الزَّرْقاءُ لي أُمّاً فأخزَى ولا لِيَ في الأَزارِقِ مِنْ سبيلِ

قال : يَعنِي بأبي الذُّبابِ عبدَ الملك . والزرقاء : إحدى أمهاتِه من كندَةَ ، وكان يُعَيَّرُ بها .

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال أخبرني محمد بن زكريا قال حدّثنا قَعْنَبُ بن المحرز قال حدّثنا المدائني قال : بلغ أبا قطيفة أنّ عبد الملك بن مروان يتنقَّصُه ، فقال : [من الطويل]

نُبِّئْتُ أنّ ابنَ العَمَلَّس عابَني ومَنْ ذا من الناس البَريءُ المسلَّمُ ؟
مَنَ آنتم مَنَ آنتمُ خبِّرونا مَنَ انتُم فقد جَعَلَتْ أشياء تبدو وتُكْتَم !

فبلغ ذلك عبدَ الملك فقال : ما ظننت أنّا نُجْهَل ، والله لولا رِعايتي لحُرمته لألحقتُه بما يعلم ، ولقطَّعتُ جلده بالسِّياط .

[شعر أبي قطيفة في امرأته بعد طلاقها]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن العُتبيّ قال : طلَّق أبو قطيفة امرأته ، فتزوّجها رجلٌ من أهل العراق ، ثم ندِم بعد أن رحَل بها الرجل وصارت له ، فقال : [من الوافر]

فيا أَسَفا لفُرْقة أُمّ عمرٍو ورِحْلَةِ أهلِها نحوَ العِراقِ
فليس إلى زيارتها سبيلٌ ولا حتّى القيامةِ من تَلاقِي
وعَلَّ اللهَ يَرْجعُها إلينا بموتٍ من حَليلٍ أو طلاقِ
فأَرْجعَ شامتاً وتَقَرَّ عيني ويُجْمعَ شملُنا بعدَ افتراقِ

[مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة]

أخبرني عمّي ومحمد بن جعفر قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن أبي حَسّان عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : استعمل معاوية سعيد بن عثمان على خراسان ، فلمّا عزله قدِم المدينة بمالٍ وسلاحٍ وثلاثين عبداً من السُّغْد ، فأمرهم أن يَبْنُوا له داراً . فبينا هو جالسٌ فيها ومعه ابن سَيْحانَ وابنُ زينَةَ وخالدُ بن عُقْبة وأبو قَطيفة إذ تآمروا بينهم فقتلوه ؛ فقال أبو قطيفة يرثيه ، وقيل إنّها لخالد بن عُقْبة : [من البسيط]

يا عينُ جُودي بدمعٍ منكِ تَهْتانا وابكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عفّانا
إن ابنَ زِينَةَ لم تَصْدُقْ مودّتُه وفرّ عنه ابنُ أَرْطاةَ بنِ سَيْحانا

[4] ـ ذكر معبد وبعض أخباره

هو مَعْبَدُ بن وَهْب ، وقيل ابن قطنيّ مَولى ابن قطر ، وقيل ابن قَطَن مولى العاص بن وابِصَةَ المخزومي ، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان .

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهري قال : معبدٌ المغنّي ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال ابن الكلبيّ : معبدٌ مولى ابن قطر ، والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان .

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غسّان قال : معبد بن وهب مولى ابن قَطَن وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم ، وكان أبوه أسود وكان هو خِلاسيّاً مديد القامة أحْوَل .

وذكر ابن خُرْداذبهْ أنّه غنّى في أوّل دولة بني أُميّة ، وأدرك دولة ولد العباس ، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطَل ، فكان إذا غنَّى يُضْحَك منه ويُهزأ به . وابن خُرْدَاذْبه قليلُ التصحيح لما يرويه ويُضمِّنه كتبَه . والصحيح أنّ معبداً مات في أيّام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إنّه كان أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطَل صوتُه . فأمّا إدراكه دولة بني العبّاس فلم يَرْوِه أحد سوى ابن خُرْداذْبه ولا قاله ولا رَواه عن أحد ، وإنّما جاء به مُجازفةً .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثني أيُّوب بن عُمَر أبو سلَمَة المَدِينيّ قال حدّثنا عبد الله بن عِمران بن أبي فَروة قال حدّثني كَرْدَمُ بن معبد المغنّي مولى ابن قَطَنٍ قال : مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه ، فنظرتُ حين أُخْرِجَ نعشُه إلى سَلاَّمَةِ القَسّ ، جارية يزيد بن عبد الملك ، وقد أُضْرِب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير ، وهي تبكي أبي وتقول : [من مجزوء الرمل]

قَـد لَعَمْري بتُّ لَيْلي ... كأخـي الـدّاءِ الوَجيعِ
ونَجِـيُّ الهَـمِّ منِّـي ... بات أدنى من ضَجِيعِي
كلَّمـا أبصرتُ ربعـاً ... خالياً فاضتْ دموعي
قَـد خَـلا من سَيِّدٍ كا ... ن لنـا غيـرَ مُضيـعِ
لا تَلُمْنـا إن خَشَعْنا ... أو هَمَمْنـا بخُشُوعِ

قال كَرْدَم : وكان يزيدُ أمَر أبي أن يعلِّمها هذا الصوت ، فعلَّمها إيّاه فندبَتْه به يومئذٍ . قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بن يزيدَ والغَمْرَ أخاه متجرِّدَيْنِ في قميصين ورِداءين يمشيان بين يديْ سريره حتى أُخرِجَ من دار الوليد ؛ لأنّه تولّى أمرَه وأخرجَه من داره إلى موضع قبره .

فأمّا نسبةُ هذا الصوت ، فإنّ الشعرَ للأحوص ، والغِناء لمَعبد ، ذكره يونس ولم يُجَنِّسه . وذكر الهشاميّ أنّه ثاني ثَقيلٍ بالوسطى ، قال : وفيه لَحبابة خفيفُ ثقيل ، ولابن المَكّي ثقيلٌ أوّلُ نشيد . وفيه لسلاّمة القسِّ عن إسحاق لَحْنٌ من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى في مجراها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبيدة : ذكرَ مولًى لآل الزبير ، وكان منقطِعاً إلى جعفرٍ ومحمد ابني سليمان بن عليّ : أنّ معبداً عاش حتى كَبِر وانقطع صوتُه ، فدعاه رجلٌ من ولد عثمان ، فلمّا غنّى الشيخُ لم يطرب القوم ، وكان فيهم فتيان نُزُولٌ[1] من ولد أُسيد بن أبي العِيص بن أميّة ، فضحكوا منه وهزئوا به ، فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

فضَحِكْتم قريشاً بالفِرار وأنتمُ قُمدونَ سُودانٌ عِظامُ المناكِبِ
فأمّا القتالُ لا قتالَ لديكم ولكنَّ سيراً في عِراضِ المَواكِبِ

وهذا شعرٌ هُجوا به قديماً ، فقاموا إليه ليتناولوه ؛ فمنعهم العثمانيّ من ذلك وقال : ضَحِكتُم منه حتى إذا أَحْفَظْتُموه أردتُم أن تتناولوه ، لا واللهِ لا يكونُ ذلك . قال إسحاق : فحدّثني ابن سَلاّم قال أخبرني من رآه على هذه الحالِ فقال له : أصِرْتَ إلى ما أرى ؟ فأشار إلى حَلْقِه وقال : إنّما كان هذا ؛ فلمّا ذهب ذهب كلُّ شيء .

[اعتراف المغنين لمعبد بالتفوّق]

قال إسحاق : كان معبد من أحسن الناس غِناء ، وأجودِهم صنعة ، وأحسنهم خَلْقاً ؛ وهو فحل المغنّين وإمامُ أهلِ المدينة في الغِناء ، وأخذ عن سائب خاثرٍ ، ونشيطٍ مولى عبد الله بن جعفر ، وعن جميلة مولاة بهزٍ ، (بَطْنٍ من سُلَيْم) ، وكان زوجُها مولًى لبني الحارث بن الخزرج ؛ فقيل لها مولاة الأنصار لذلك . وفي معبد يقول الشاعر : [من الطويل]

أجادَ طُوَيْسٌ والسُّرَيجيُّ بعدَه وما قَصَباتُ السَّبْقِ إلاّ لَمعْبَدِ

قال إسحاق قال ابن الكلبيّ عن أبيه : كان ابن أبي عتيق خرج إلى مكّة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة ، فأسمعوه غناء معبد وهو غلام ، وذلك في أيّام مُسْلم بن عُقبة المُرِّيّ ، وقالوا : ما تقولُ فيه ؟ فقال : إن عاش كان مُغَنِّيّ بلاده . ولَمعبدٍ صنعةٌ لم يسبقه إليها من تقدّم ، ولا زاد عليه

1 هذه الكلمة ساقطة من ل .
2 الشعر لخالد بن الحارث المخزومي كما في الخزانة 1 : 453 .

فيها مَن تأخّر . وكانت صناعته التجارة في أكثر أيّام رِقّه ، وربّما رعى الغنم لمواليه ، وهو مع ذلك يختلف إلى نشيطٍ الفارسيّ وسائب خاثرٍ مولى عبد الله بن جعفر ، حتى اشتهر بالحِذق وحسن الغناء وطِيبِ الصَّوْتِ . وصنعَ الألحان فأجاد واعترُف له بالتقدّم على أهل عصره .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي : قال الجُمَحِيّ : بلغني أنّ معبداً قال : والله لقد صنعت ألحاناً لا يقدر شبعان ممتلىء ولا سَقَّاءٌ يحمِل قربةً على الترنُّم بها ، ولقد صنعتُ ألحاناً لا يقدِر المتَّكىء أن يترنَّم بها حتى يقعد مستوفِزاً[1] ، ولا القاعد حتى يقوم .

قال إسحاق : وبلغني أنّ معبداً أتى ابن سريج ، وابن سريج لا يعرفه ، فسمع منه ما شاء ، ثم عرض نفسه عليه وغنَّاه وقال له : كيف كنتَ تسمَع جُعِلْتُ فداءكَ ؟ فقال له : لو شئت كنت قد كُفِيتَ بنفسك الطلب من غيرك . قال : وسمِعتُ مَنْ لا أُحْصِي من أهل العلم بالغِناء يقولون : لم يكن فيمن غنَّى أحدٌ أعلمُ بالغناء من معبد . قال : وحدّثني أيُّوب بن عباية قال : دخلت على الحسن بن مسلم أبي العراقيب وعنده جاريته عاتكة ، فتحدّث فذكرَ معبداً فقال : أدركتُه يلبَس ثوبين مُمشَّقين[2] ، وكان إذا غنَّى عَلا مَنْخَراه . فقالت عاتكة : يا سيّدي أوَ أُدركتَ معبداً ؟ قال : إي واللهِ وأَقْدَمَ من معبد . فقالت : استحييتُ لك من هذا الكبر .

[تفوق معبد في صناعة الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد : قرأت على أبي أخبرني محمد بن سَلاَّم قال حدّثني جرير قال : قال معبد : قَدِمتُ مكّة فقيل لي : إنّ ابن صفوان قد سبق بين المغنِّين جائزة ، فأتيتُ بابه فطلبتُ الدخول ؛ فقال لي آذنه : قد تقدّم إليّ ألاّ آذَنَ لأحدٍ عليه ولا أُؤْذِنَه به . قال فقلت : دَعني أدنو من الباب فأُغنِّي صوتاً . قال : أمّا هذا فنعَم . فدنوت من الباب ، فغنّيت [صوتاً] ، فقالوا : مَعْبَد ! وفتحوا لي ، فأخذتُ الجائزة يومئذٍ .

أخبرني الحسين قال نسخت من كتاب حَمَّاد : قال أبي : وذكر عَوْرَكٌ ، وهو الحسن بن عُتْبة اللَّهَبِيّ ، أنّ الوليد بن يزيد كان يقول : ما أقدِرُ على الحجّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : يستقبلني أهلُ المدينة بصوتَيْ معبد : [من البسيط]

القصر فالنخلُ فالجَمَّاءُ بينهما

و«قُتَيْلَة» يعني حنَه : [من الخفيف]

1 قِعدة المستوفز : هي قعدة الجالس كأنّه يريد القيام .

2 مصبوغين بالمشق : أي بالمغرة وهي صبغ أحمر .

يوم تُبْدِي لنا قُتَيْلَةُ عن جيـــ ـدٍ تليــعٍ تَزِينُــه الأَطْواقُ[1]

قال إسحاق : قيل لمعبد : كيف تصنع إذا أردت أن تصوغَ الغناء ؟ قال : أرتحِل قعودي وأُوقع بالقضيب على رَحلي وأترنَّم عليه بالشِّعر حتى يستوي لي الصوتُ . فقيل لـه : ما أَبْيَنَ ذلك في غنائك !

قال إسحاق : وقال مصعب الزبيري قال يحيى بن عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير حدّثني أبي قال : قال معبد : كنت غلاماً مملوكاً لآل قَطَن مولى بني مخزوم ، وكنت أتلقَّى الغنم بظَهر الحرّة ، وكانوا تِجاراً أُعالج لهم التجارة في ذلك ، فآتي صخرة بالحرّة مُلقاة بالليل فأستند إليها ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مسامعي ، فأقوم من النوم فأَحكيه ؛ فهذا كان مبدأ غنائي .

[اعتراف مالك بن أبي السمح لمعبد بالتفوّق]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : نسختُ من كتاب حمّاد : قال أبي قال محمد بن سعيد الدَّوْسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدوسيّ عن الربيع بن أبي الهيثم قال : كنّا جُلوساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال إنسانٌ لمالك : أَنْشُدك الله ، أنت أحسن غناءً أم معبدٌ ؟ فقال مالك : واللهِ ما بلغتُ شِراكَه قطّ ، والله لو لم يُغنِّ معبدٌ إلاّ قوله : [من الطويل]

لعَمْـرُ أبيهـــا لا تقــولُ حَليلَتي ألا فَرَّ عَنّي مالكُ بن أبي كَعْبِ
وهُمْ يضربون الكَبْشَ تبرُقُ بَيضُه تَرى حَوْلَه الأبطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ[2]

لكان حَسْبَه ! قال : وكان مالك إذا غنَّى غِناءَ معبدٍ يُخَفِّفُ منه ، ثم يقول : أطال الشعرَ معبدٌ ومطَّطَه ، وحذفتُه أنا . وتمام هذا الصوت : [من الطويل]

صوت من غير المائة المختارة

لعمر أبيهـــا لا تقــول حليلتــي ألا فَــرَّ عنّي مالكُ بن أبي كعبِ
وهمْ يضربون الكبشَ تَبرُقُ بيضُه تَرى حولَه الأبطالَ في حَلَق شُهْبِ
إذا أَنْفَدُوا الزِّقَّ الرَّويِّ وصُرِّعُوا نَشاوى فلم أَقْطَعْ بقولي لهم حَسْبِي
بَعثــتُ إلى حانُوتهـــا فَسبَأْتُـها بغير مِكاسٍ في السُّوام ولا غَصْبِ[3]

عَرُوضُه من الطويل . والشعر لمالك بن أبي كَعب بن القَين الخَزرجيّ أحد بني سَلمة . هكذا ذكر إسحاق ، وغيره يذكُر أنّه من مُرادٍ . ولهذا الشعر خبرٌ طويل يُذكر بعد هذا .

1 الشعر للأعشى ، والتليع : الطويل .
2 الكبش : سيد القوم وقائدهم .
3 سبأ الخمر : اشتراها . والسوام (بالضم) كالسوم .

والغناء في البيتين الأوّلين لمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، ومن الناس مَن ينسبه إلى ابن سُرَيج . ولمالك في الثالث والرابع من الأبيات لَحْنٌ من الثقيل الأوّل بالسَّبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، ومن الناس من ينسُب هذا اللحن إلى معبد ويقول : إنّ مالكاً أخذ لحنَه فيه فحذَف بعضَ نغَمه وانتحله ، وإن اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة . وقد ذُكِر أنّ هذا الشعر لرجل من مُرادٍ ، ورُوي له فيه حديثٌ طويل . وقد أُخرج خبرُه في ذلك وخبرُ مالك بن أبي كعبٍ الخزرجيّ أبي كعب بن مالك صاحب رسول الله ﷺ وآله في موضع آخر أُفرِد له ؛ إذ كانت له أخبارٌ كثيرة ، ولأجله لا تصلُح أن تُذكر هاهنا .

[معبد وابن محرز]

رجع الخبر إلى معبد ؛ أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان عن يونس الكاتب قال : أقبلتُ من عند معبد ، فلَقيني ابن مُحْرِز بِبُطحان[1] ، فقال : من أين أقبلتَ ؟ قلتُ : من عند أبي عَبّاد . فقال : ما أخذتَ عنه ؟ قلت : غنَّى صوتاً فأخذته . قال : وما هو ؟ قلت : [من الكامل]

ماذا تأمّــلَ واقــفٌ جَمَلاً ... في رَبْــع دارٍ عابَــه قِدَمُهْ

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ، فقال لي : ادخُلْ معي دار ابنِ هَرْمَةَ وأَلْقِه عليّ ، فدخلتُ معه ، فما زلتُ أرَدِّده عليه حتى غنَّاه ، ثم قال : ارجع معي إلى أبي عبَّاد ، فرجعنا فسمِعه منه ، ثم لم نفترِق حتى صنع فيه ابن مُحرز لحناً آخر .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

ماذا تأمّــل واقــفٌ جَمَلاً ... في رَبْع دارٍ عابَــه قِدَمُهْ
أقْوى وأقْفَرَ غيرَ مُنتصِبٍ ... لِبَدِ الرَّمادَةِ ناصعٍ حُمَمُهْ

غنَّاه معبدٌ ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى يُنسب إلى الغَريض وإلى ابن مُحْرِز . وذكر عمرو بنُ بانَة أنّ التقيل الأوّل للغريض . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لمالكٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه رَمْلٌ بالوسطى يُنسَب إلى سائِبِ خاثرٍ ، وذكر حبشٌ أنّه لإسحاق .

[ارتداد ابن سريج والغريض عن المدينة بعد سماعهما صوت معبد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمَّاد : قال أبي قال ابن الكَلْبيّ : قدِم ابنُ

---

1 بطحان : (مع اختلاف في ضبطه) أحد أودية المدينة الثلاثة ، وهي العقيق وبطحان وقناة .

سُرَيج والغَريضُ المدينة يتعرَّضان لمعروفِ أهلها ، ويزوران مَن بها من صَديقهما من قريشٍ وغيرهم . فلمّا شارفاها تقدّما ثَقَلَهما ليَرْتادا منزلاً ، حتى إذا كانا بالمَغْسِلَة ، وهي جبّانةٌ على طَرَف المدينة يُغْسَل فيها الثياب ، إذا هما بغلامٍ مُلتحِفٍ بإزارٍ وطَرَفُه على رأسه ، بيده حِبالَة يَتَصيَّد بها الطيرَ وهو يتغنّى ويقول : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّـاء بينهمـا ... أَشهَى إلى النفسِ من أبواب جَيْرونِ

وإذا الغلام مَعْبَد . قال : فلمّا سمع ابنُ سُرَيج والغَريضُ معبداً مالا إليه واستعاداه الصوتَ فأعاده ، فسمِعا شيئاً لم يَسْمَعا بمثله قطُّ . فأقبل أحدُهما على صاحبه فقال : هل سمعتَ كاليوم قَطُّ ؟ قال : لا والله ! فما رأيك ؟ قال ابنُ سُرَيج : هذا غناءُ غلامٍ يَصيدُ الطير ، فكيف بمَنْ في الجوبَة[1] ! يعني المدينة . قال : أمّا أنا فَثَكِلَتْه والدتُه إن لم أرجعْ . قال : فكَرّا راجعين .

[قدوم معبد مكّة ومشاهدة الغريض]

قال : وقال معبد : قدِمت مكّةَ ، فذهب بي بعضُ القُرشيِّين إلى الغريض ، فدخلنا عليه وهو متصَبِّح[2] ، فانتبه من صُبْحَتِه وقعَد ، فسلَّم عليه القرشيّ ، وسأله فقال له : هذا معبدٌ قد أتيتُك به ، وأنا أُحِبُّ أن تسمع منه . قال : هاتِ ، فغنّيتُه أصواتاً . فقال بمِدْرًى[3] معه في رأسه ، ثم قال : إنّك يا معبدُ لَمليح الغناء . قال : فأحفظَني ذلك ، فجَثَوتُ على رُكبتيّ ، ثم غَنَّيتُه من صَنْعتي عشرين صوتاً لم يُسْمَع بمثلِها قطُّ ، وهو مُطْرِقٌ واجِمٌ قد تغيَّر لونُه حسَداً وخجلاً .

[بين معبد وحكم الوادي]

قال إسحاق : وأُخبِرتُ عن حَكَمٍ الوادي قال : كنت أنا وجماعةٌ من المغنّين نَختلِفُ إلى معبد نأخذُ عنه ونتعلّمُ منه ، فغنّانا يوماً صوتاً من صنعته وأُعجِبَ به ، وهو : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما

فاستحْسَنّاه وعَجِبْنا منه . وكنتُ في ذلك اليوم أوّلَ من أخَذه عنه واستحسنه منّي فأَعجَبَتْني نفسي . فلمّا انصرفتُ من عندِ معبد عملتُ فيه لَحناً آخر وبكَّرْتُ على معبد مع أصحابي وأنا مُعجَبٌ بلَحني . فلمّا تغنَّينا أصواتاً قلتُ له : إنّي قد عمِلت بعدَك في الشعر الذي غنَّيْتَناه لَحْناً ، واندفعتُ فغنَّيته صوتي ؛ فوَجَم معبدٌ ساعةً يتعجَّب منّي ثم قال : قد كنتُ أمس أرجى منّي لك اليومَ ، وأنت اليوم عندي أبعدُ من الفَلاح . قال حَكَمٌ : فأُنْسِيت ، يعلم الله ، صوتي ذلك منذُ تلك الساعة فما ذكرتُه إلى وقتي هذا .

---

1 لعلّها الحومة .

2 التصبّح : النوم بالغداة .

3 المدرى : المشط .

[معبد والأسود]

قال إسحاق : وقال معبد : بَعث إليّ بعضُ أُمراء الحجاز ، وقد كان جُمِعَ له الحَرَمان ، أن آشخَصْ إلى مكّة ، فشخَصْتُ . قال : فتقدّمت غُلامي في بعض تلك الأيّام ، واشتدّ عليَّ الحرُّ والعطشُ ، فانتهيتُ إلى خِباء فيه أَسْوَدُ وإذا حِبابُ[1] ماء قد بُرِّدَت ، فملتُ إليه فقلت : يا هذا ، اسقِني من هذا الماء . فقال لا . فقلتُ : فأْذَنْ لي في الكِنِّ[2] ساعةً . قال لا . فأَنَخْتُ ناقتي ولجأْتُ إلى ظِلِّها فاستترتُ به ، وقلت : لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئاً من الغناء أَقْدَمُ به عليه ، ولعلّي إن حَرَّكْت لساني أن يَبُلَّ حَلْقي رِيقي فيُخفِّف عنّي بعض ما أَجدُه من العطش ! فترنّمت بصوتي : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما

فلمّا سَمِعَني الأسودُ ، ما شعرتُ به إلاّ وقد احتملني حتى أدخلَني خِباءَه ، ثم قال : أَي ،
٩ بأبي أنت وأمّي ! هل لك في سَويق السُّلتِ[3] بهذا الماء البارد ؟ فقلت : قد منعتني أقلَّ من ذلك ، وشَرْبَة ماءٍ تُجزئُني . قال : فسقاني حتى رَوِيتُ ، وجاء الغلام فأقمت عنده إلى وقت الرواح . فلمّا أردتُ الرِّحلة قال : أَي ، بأبي أنت وأمّي ! الحرُّ شديدٌ ولا آمن عليك مثل الذي أصابك ، فأْذَن لي [في] أن أحمِل معك قِربةً من ماءٍ على عُنُقي وأسعى بها معك ، فكلّما عطِشتَ سَقَيتُك صَحْناً وغَنَّيتَني صوتاً ! قال : قلت ذاك لك . فوالله ما فارَقَني يَسقيني وأُغَنِّيه حتى بلغت المنزل .

[معبد وابن سريج يلتقيان ببطن مرّ]

نسختُ من كتاب جعفر بن قُدامة بخطِّه : حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير عن جرير قال : كان معبد خارجاً إلى مكّة في بعض أَسفاره ، فسمع في طريقه غِناء في «بَطن مَرٍّ»[4] فقصد الموضع ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حرف بركةٍ فارِقٌ شعره حسنُ الوجه ، عليه دُرَّاعة قد صبغها بزعفران ، وإذا هو يتغنّى : [من الخفيف]

صوت

حَنَّ قلبي من بعد ما قد أَنابا وَدَعا الهَمَّ شَجْوُه فأَجابا
ذاكَ مِنْ منزلٍ لسلمى خَلاءٍ لابِسٍ من خَلائِه جِلبابا

---

1 جمع حُبّ وهو الجرّة .
2 الكِنّ : ما وقاك من حرّ أو برد .
3 السُّلت : شعير لا قشر له .
4 بطن مرّ : موضع على مرحلة من مكّة ويقال له : «مرّ الظهران» .

عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْبِ عُوجُوا طَمَعاً أن يَرُدّ ربعٌ جوابا
فاستَثارَ المنسيَّ من لَوْعة الحـ ـبّ وأبدى الهمومَ والأَوْصابا

فقرع معبدٌ بعصاه وغنّى : [من الكامل]

منعَ الحياةَ من الرجالِ ونَفْعَها حَدَقٌ تُقَلِّبُها النساءُ مِراضُ
وكأنَّ أفئدةَ الرجالِ إذا رأَوْا حَدَقَ النساءِ لنَبْلِها أغْراضُ

فقال له ابن سُرَيج : بالله أنت معبد ؟ قال : نعم ، [فسألته] وبالله أنت ابنُ سُرَيج ؟ قال : نعم ، ووالله لو عرفتك ما غنّيت بين يديك .

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

[من الخفيف]

حَنَّ قلبي من بعد ما قد أنابا ودعا الهمَّ شَجْوُه فأجابا
فاستثار المنسيَّ من لوعة الحـ ـبِّ وأَبْدى الهمومَ والأوصابا
ذاك من منزلٍ لسلمى خَلاءٍ مُكْتَسٍ من عَفائه جِلْبابا
عُجْتُ فيه وقلت للرَّكْب عُوجُوا طمعاً أن يَرُدَّ رَبْعٌ جوابا
ثانياً من زِمامِ وَجْناءَ عَنْسٍ قانِياً لونُها يُخال خِضابا
جَدُّها الفالِج الأَشَمُّ من البُخْـ ـتِ وخالاتُها انتُخِبْنَ عِرابا[1]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، وله فيه لحنان : رَمَلٌ بالسَّبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو .

صوت

[من الكامل]

مَنع الحياةَ من الرجال ونَفْعَها حَدَقٌ تُقلِّبها النساءُ مِراضُ
وكأنَّ أفئدةَ الرجال إذا رأوْا حَدَقَ النساء لنَبلِها أغراضُ

الشعر للفرزدق ، والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ .

[رحلة معبد إلى الأهواز]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سِياطٍ قال حدّثني يونس الكاتب قال : كان معبد قد علَّم جاريةً من جواري الحجاز الغِناءَ ، تُدعَى ظبية ،

1 الفالج : جمل بختي (ذو سنامين) ضخم . والعراب : من أصل عربي .

وغُني بتخريجها ، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فاشتراها رجل من أهل الأهواز ، فأُعجب بها وذهبَت به كلّ مذهب وغلبَت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرهةً من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ؛ فكان لمحبَّته إيّاها وأسفه عليها لا يزالُ يسأل عن أخبار معبدٍ وأين مستقرُّه ، ويُظهر التعصُّب له والميل إليه والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصرِه إلى أن عُرِف ذلك منه . وبلغ معبداً خبره ، فخرج من مكّة حتى أتى البصرة ، فلمّا وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة . وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرفُ أحدٌ منهما صاحبه ، فأمر الرجل المَلاّح أن يُجلسه معه في مؤخّر السفينة ففعل وانحدروا . فلمّا صاروا في فَم نهر الأبلة[1] تغدَّوْا وشربوا ، وأمر جواريه فغنَّين ، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر ، وعليه فَرْوٌ وخُفّان غليظان وزيٌّ جافٍ من زِيّ أهل الحجاز ، إلى أن غنَّت إحدى الجواري : [من البسيط]

صوت

بانت سُعادُ وأمسى حبلُها انصَرَما ... واحتَلَّت الغَوْرَ فالأَجْراعَ من إضما[2]

إحدى بَليٍّ وما هام الفؤادُ بها ... إلاَّ السِّفاهَ وإلاَّ ذُكْرَةً حُلُما

قال حمّاد : والشعر للنابغة الذبياني ، والغناء لمعبد ، خفيفُ ثقيل أوّل بالبِنصر ، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومُحدثة ، فلم تُجِد أداءه ، فصاح بها معبد : يا جارية ، إنّ غناءك هذا ليس بمستقيم . قال : فقال له مولاها وقد غضِب : وأنت ما يُدرِيك الغناء ما هو ؟ ألا تُمسِكُ وتَلزَم شأنك ! فأمسك ، ثم غنَّت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلّم ، حتى غنَّت : [من المديد]

صوت

يـا ابنةِ الأَزْدِيّ قَلْبي كَئِيبُ ... مُسْتَهامٌ عندها ما يُنِيبُ

ولقد لاموا فقلتُ دَعُوني ... إنّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبِيبُ

إنّما أَبْلَى عِظامِي وجِسْمي ... حُبُّها والحبُّ شيءٌ عَجيبُ

أيُّها العائبُ عِندي هَواها ... أنتَ تَفْدِي مَن أراكَ تَعِيبُ[3]

والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر ، والغناء لَمعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبَّابة في مَجْرى البِنْصر ، قال :

---

1 الأُبُـلَّة : بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

2 الأجراع : الرمال الطيبة . إضم : الوادي الذي تقع فيه المدينة المنوّرة .

3 مَنْ لعلّ صوابها «الذي» .

فأخلَّتْ ببعضه ، فقال لها مَعْبدٌ : يا جاريةُ ، لقد أخللتِ بهذا الصوت إخلالاً شديداً . فَغضِبَ الرجلُ وقال له : ويلَك ! ما أنت والغناءِ ! ألا تَكُفُّ عن هذا الفُضول ؟ فأمسك . وغنّى الجواري مَلِيّاً ، ثم غنَّتْ إحداهنّ : [من الطويل]

صوت

خَلِيلَيَّ عُوجا فأبكيا ساعةً معي — على الرَّبْع نقضي حاجةً ونُوَدِّعِ[1]
ولا تُعْجِـلاني أنْ أُلِمَّ بدِمْنَـةٍ — لِعَـزَّةَ لاحـتْ لي بِبَيْداءَ بَلْقَعِ
وقُولا لِقلبٍ قد سَلا : راجعِ الهوى — ولِلعينِ : أَذْرِي من دموعِك أودَعِي
فلا عَيْشَ إلاّ مثلُ عيشٍ مضى لنا — مَصِيفاً أَقَمْنا فيـه مِن بعد مَرْبَعِ

الشعر لكُثَيِّر ، والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى ، وفيه رمَلٌ للغَريض . قال : فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تَقْوَين[2] على أداء صوت واحد ؟ فغضِب الرجل وقال له : ما أراك تدَع هذا الفضول بوجهٍ ولا حيلةٍ ! وأُقسِم بالله لئن عاودتَ لأُخرجنَّك من السفينة ، فأَمْسك معبدٌ ؛ حتى إذا سكتتِ الجواري سكتةً اندفع يغنّي الصوت الأوّل حتى فرَغ منه ، فصاح الجواري : أحسنتَ والله يا رجل ! فأعِده . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغنّي الثاني ، فقُلن لسيّدهنّ : ويحك ، هذا والله أحسن الناس غناءً ، فسَله أن يعيده علينا ولو مرّة واحدة لعلّنا نأخذه عنه ؛ فإنّه إنْ فاتنا لم نجد مثله أبداً . فقال : قد سمعتُنَّ سوءَ ردِّه عليكنّ وأنا خائف مثله منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرن حتى نُداريه . ثم غنّى الثالث . فزلزل عليهم الأرض . فوثب الرجل فخرج إليه وقبَّل رأسه وقال : يا سيّدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : فهَبْكَ لم تعرف موضعي ؛ قد كان ينبغي لك أن تتثبّت ولا تُسرع إليّ بسوء العِشرة[3] وجفاء القول . فقال لـه : قـد أخطأت وأنا أعتذر إليك ممّا جرى ، وأسألك أن تنزل إليّ وتختلط بي . فقال : أمّا الآن فلا . فلم يزل يرفُق به حتى نزل إليه . فقال له الرجل : ممّن أخذتَ هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز ، فمِن أين أخذه جواريك ؟ فقال : أخذنَه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكّة ، وكانت قد أخذت عن أبي عبّاد معبد وعُنيَ بتخريجها ، فكانت تَحُلُّ منّي محلَّ الروح من الجسد ، ثم استأثر اللهُ عزّ وجلّ بها ، وبقي هؤلاء الجواري وهنّ من تعليمها ، فأنا إلى الآن أتعصَّب لمعبد وأُفضِّله على المغنّين جميعاً وأُفضِّل

---

1 ديوان كثيّر : 410 .

2 ل : تقومين .

3 ل : تسرع إلى سوء العشرة .

صنعتَه على كلٍّ صنعة . فقال له معبد : أو إنكَ لأنت هو ! أفتعرفني ؟ قال لا . قال : فصَكَّ معبدٌ بيده صلعته ثم قال : فأنا والله معبدٌ ، وإليك قدمت من الحجاز ، ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ، ووالله لا قصَّرتُ في جواريك هؤلاء ، ولأجعلنَّ لك في كلّ واحدة منهنّ خَلَفاً من الماضية . فأكبَّ الرجلُ والجواري على يديه ورجليه يقبِّلونها ويقولون : كتمتَنا نفسك طول هذا اليوم حتى جفَوناك في المخاطبة ، وأسأنا عِشرتك ، وأنت سيّدنا ومَن نتمنّى على الله أن نلقاه . ثم غيَّر الرجل زِيَّه وحاله وخلع عليه عِدّة خِلَع ، وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطِيباً وهدايا بمثلها ، وانحدر معه إلى الأهواز ، فأقام عنده حتى رضي حِذقَ جواريه وما أخذنه عنه ، ثم ودّعه وانصرف إلى الحجاز .

[غناء معبد للوليد بن يزيد]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف وعبد الباقي بن قانع قالا : حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ[1] قال حدّثني مهديُّ بن سابق قال حدّثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدّثني عمر القاري بن عديّ قال : قال الوليد بن يزيد يوماً : لقد اشتقت إلى معبد ، فوجَّه البريد إلى المدينة فأتـى بمعبد ، وأمر الوليد ببركة قد هُيِّئت له فمُلئت بالخمر والماء ، وأُتِي بمعبد فأمر به فأُجلس والبركة بينهما ، وبينهما سِتْر قد أُرخِيَ ؛ فقال له غنِّني يا معبد : [من البسيط]

صوت

لَهْفي على فِتْية ذَلَّ الزمانُ لهمْ — فمـا أصابهُـمُ إلاّ بما شاءوا
ما زال يَعْدُو عليهم رَيْبُ دَهْرِهِمُ — حتى تَفانَوْا وريبُ الدهر عَدّاءُ
أبكـى فِراقُهـمُ عَيْني وأرّقها — إنّ التفـرُّق للأحباب بَكّاءُ

الغِناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ ، وفيه ليحيى المكّيّ رَملٌ ، ولسليمان هزجٌ ، كلّها رواية الهشاميّ . قال : فغنّاه إيّاه ، فرفع الوليد السِّتر ونزع مُلاءةً مُطيَّبة كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة ، فنهل فيها نهلة ، ثم أُتي بأثوابٍ غيرها وتلقَّوه بالمَجامر والطِّيب ، ثم قال غنِّني : [من الكامل]

صوت

يا رَبْعُ ما لكَ لا تُجيبُ متيَّما — قـد عـاج نحوَك زائراً ومُسَلِّما
جادتْكَ كلُّ سحابةٍ هَطّالـةٍ — حتى تُـرى عن زَهْرةٍ[2] متبسِّما

1 الغلابي : أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابيّ .
2 الزهرة : البهجة والنضارة .

الغناء لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى والخنصر عن ابن المكيّ . وفيه لعلُّوَيْه ثاني ثقيل آخر بالبنصر في مجراها عنه . قال : فغنّاه فدعا له بخمسةَ عشرَ ألفَ دينارٍ فصبَّها بين يديه ، ثم قال : انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت .

وأخبرني بهذا الخبر عمّي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص ، قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني سليمان بن سعد[1] الحلبي قال : سمعتُ القاري بن عديٍّ يقول : اشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد ، فوجَّه إليه إلى المدينة فأُحضر . وبلغ الوليد قدومه ، فأمر ببركةٍ بين يدي مجلسه فمُلئت ماء وردٍ قد خُلط بمسك وزعفران ، ثم فُرِش للوليد في داخل البيت على حافة البركة ، وبُسِط لمعبد مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالثٌ ، وجيء بمعبد فرأى سِتراً مُرخىً ومجلس رجلٍ واحد . فقال له الحجّاب : يا معبد ، سلِّم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ؛ فسلَّم فردَّ عليه الوليد السلامَ من خلف السِّتْر ، ثم قال له : حيَّاك الله يا معبد ! أتدري لِمَ وَجهتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتُك فأحببتُ أن أسمع منك . قال معبد : أأُغنّي ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : بل غنِّني : [من البسيط]

ما زالَ يَعْدُو عليهم ريبُ دهرِهِمُ حتى تفانَوا وريبُ الدهــر عَدّاءُ

فغنّاه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السَّجْف ، ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها ، فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الأولى ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له : غنّني يا معبد : [من الكامل]

يا رَبْعُ ما لك لا تُجيبُ متيَّما قــد عـاج نَحوَك زائراً ومسلِّما
جادتــكَ كلُّ سحابــةٍ هَطَّالةٍ حتى تُرى عن زَهْرةٍ متبسِّما
لو كنتَ تَدْري مَنْ دعاك أجبتَه وبكيتَ من حُرَقٍ عليه إذاً دَما

قال : فغنّاه ، وأقبل الجواري فرفعن السِّترَ ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له : غنِّني . فقال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال غنِّني : [من مجزوء الرمل]

عَجِبَــتْ لمّـا رأتني أندُبُ الربـعَ المُحِيلا
واقفـاً في الدارِ أبكِي لا أرى إلاّ طلـولا
كيف تَبْكِــي لأُناسٍ لا يَمَلُّون الذَّمِيلا ؟[2]

---

1 ل : سعيد .

2 الذميل : نوع من سير الإبل .

كلّما قلتُ اطمأنّتْ دارُهم قالوا الرَّحيلا[1]

قال : فلمّا غنَّاه ألقى نفسه في البركة ثم خرج ، فردُّوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم أقبل عليه الوليد فقال له : يا معبد ، من أراد أن يزداد عند الملوك حظْوةً فليكتم أسرارهم . فقلت : ذلك ما لا يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إيصائي به . فقال : يا غلام ، احمِلْ إلى معبدٍ عشرة آلاف دينار تُحَصّلُ له في بلده وألفَيْ دينار لنفقة طريقه ، فحُملت إليه كلُّها ، وحُمل على البريد من وقته إلى المدينة .

[معبد والشيخ الشامي]

قال إسحاق : وقال معبد : أرسلَ إليّ الوليد بن يزيد فأُشخِصتُ إليه . فبينا أنا يوماً في بعض حمّامات الشام إذ دخل عليّ رجل له هيبةٌ ومعه غِلمانٌ له ، فاطَّلى واشتغل به صاحب الحمّام عن سائر الناس . فقلت : والله لئن لم أُطْلِع هذا على بعض ما عندي لأكوننَّ بِمَزجَرِ الكلب ؛ فاستدبرتُه حيث يراني ويسمع منّي ، ثم ترنَّمت ، فالتفتَ إليّ وقال للغلمان : قدِّموا إليه جميع ما ها هنا ، فصار جميع ما كان بين يديه عندي . قال : ثم سألني أن أسير معه إلى منزله فأجبته ، فلم يدَع من البرِّ والإكرام شيئاً إلاّ فعله ، ثم وضع النبيذ ، فجعلت لا آتي بحَسَنٍ إلاّ خرجتُ إلى ما هو أحسنُ منه وهو لا يرتاح ولا يحفل لما يرى منّي . فلمّا طال عليه أمري قال : يا غلام ، شيخَنا شيخنا ، فأُتيَ بشيخ ؛ فلمّا رآه هَشَّ إليه ، فأخذ الشيخُ العود ثم اندفع يُغنِّي :

سِلَّوْرُ في القِدْرِ وَيْلي عَلُوهْ جاء القِطّ أكلَهْ وَيْلي عَلُوهْ

السلَّور : السمك الجرِّي بلغة أهل الشام . قال : فجعل صاحب المنزل يُصفِّق ويضرب برِجله طرباً وسروراً . قال : ثم غنّاه : [من الوافر]

وتَرْمِينـــي حَبِيبةُ بالدُّراقِن وتَحْسَبُنِي حبيبــةُ لا أراها

الدُّراقِن : اسم الخوخ بلغة أهل الشام . قال : فكاد أن يخرج من جلده طرباً . قال : وانسللتُ منهم فانصرفتُ ولم يَعلم بي . فما رأيت مثل ذلك اليوم قطّ غناءً أضيع ، ولا شيخاً أجهل !

[معبد وابن عائشة]

قال إسحاق : وذَكَر لي شيخٌ من أهل المدينة عن هارون بن سعد : أن ابن عائشة كان يُلقي عليه وعلى رُبَيْحة الشَّمَّاسيَّة ، فدخل معبدٌ فألقى عليهما صوتاً ، فاندفع ابن عائشة يُغنِّيه وقد أخذه منه فغضب معبد وقال : أحسنتَ يا ابن عاهرة الدار ، تُفاخرني ! فقال : لا والله ، جعلني

1 قالوا في ب : صاحوا .

الله فداءك يا أبا عبَّاد ، ولكنِّي أقتبِس منك ، وما أخذته إلاّ عنك ، ثم قال : أنشُدُك الله يا ابن شَمَّاس ، هل قلت لك : قد جاء أبو عبّاد فاجمع بيني وبينه أقتبس منه ؟ قال : اللهمّ نعم .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قيل لابن عائشة ، وقد غنَّى صوتاً أحسن فيه فقال : أصبحت أحسن الناس غِناءً ، فقيل له : وكيف أصبحتَ أحسن الناس غناءً ؟ قال : وما يمنعني من ذلك وقد أخذت من أبي عبَّاد أحد عشر صوتاً ، وأبو عبَّاد مُغنِّي أهل المدينة والمقدَّم فيهم !

[قدوم معبد إلى مكّة والتقاؤه بالمغنّين بها]

أخبرنا وكيع قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال حدّثني أيُّوب ابن عباية عن رجل من هُذيل قال : قال معبد : غنَّيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيتٌ وذِكر ، فقلت : لآتِيَنَّ مكّة فلأَسْمَعَنَّ من المغنِّين بها ولأُغَنِّيَنَّهم ولأتعرَّفَنَّ إليهم ، فابتعت حماراً فخرجت عليه إلى مكّة . فلمّا قدمتها بعتُ حماري وسألت عن المغنِّين أين يجتمعون ؟ فقيل : بقُعَيْقِعانَ[1] في بيت فلان ؛ فجئت إلى منزله بالغَلَس فقرعت الباب ؛ فقال : مَن هذا ؟ فقلت : انظر عافاك الله ، فدنا وهو يُسبِّحُ ويستعيذ كأنّه يخاف ، ففتح فقال : من أنت عافاك الله ؟ قلت : رجلٌ من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قلت : أنا رجلٌ أشتهي الغناء ، وأزعمُ أنّي أعرف منه شيئاً ، وقد بلغني أنّ القوم يجتمعون عندك ، وقد أحببتُ أن تُنزِلني في جانب منزلك وتخلطني بهم ؛ فإنّه لا مؤونة عليك ولا عليهم منّي . فلَوى شيئاً ثم قال : انزل على برَكَة الله . قال : فنقلت متاعي فنزلت في جانب حُجرته . ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحدٍ حتى اجتمعوا ، فأنكروني وقالوا : مَن هذا الرجل ؟ قال : رجلٌ من أهل المدينة خفيفٌ يشتهي الغناء ويطربُ عليه ، ليس عليكم منه غبْنٌ ولا مكروه . فرحّبوا بي وكلّمتهم ، ثم انبسطوا وشربوا وغنَّوا ، فجعلت أعجَبُ بغنائهم وأُظهر ذلك لهم ويُعجبهم منّي ، حتى أقمنا أيّاماً ، وأخذتُ من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصواتاً وأصواتاً . ثم قلت لابن سريج : أي فديتك ، أَمْسِك عليّ صوتك : [من مجزوء الخفيف]

قُــلْ لهنــدٍ وتِربِهـــا قبــلَ شَحْطِ النَّوى غَدا

قال : أَوَتُحْسِنُ شيئاً ؟ قلت : تَنظر وعسى أن أصنع شيئاً ، واندفعتُ فيه فغنَّيته ، فصاح وصاحوا وقالوا : أحسنت قاتلكَ الله ! قلتُ : فأَمْسِك عليَّ صوتَ كذا فأَمسَكوه عليّ ، فغنّيته ، فازدادوا عَجَباً وصِياحاً . فما تركت واحداً منهم إلاّ غنَّيته من غنائه أصواتاً قد تخيَّرتُها . قال :

---

1 قعيقعان : قرية قرب مكّة .

فصاحوا حتى عَلَت أصواتُهم وهَرفوا بي[1] وقالوا : لأنت أحسن بأداءِ غِنائنا عنّا مِنّا . قال : قلت : فأَمْسِكوا عليّ ولا تَضحكوا بي حتى تسمعوا من غِنائي ، فأمسَكوا عليّ ؛ فغنَّيت صوتاً من غنائي فصاحوا بي ، ثم غنَّيتهم آخر وآخر فوثبوا إليّ وقالوا : نَحلِفُ بالله إنّ لك لَصِيتاً واسماً وذِكراً ، وإنّ لك فيما هاهنا لَسَهْماً عظيماً ، فمن أنت ؟ قلت : أنا معبد . فقبّلوا رأسي وقالوا : لفَّقتَ علينا وكنّا نتهاون بك ولا نعدُّك شيئاً وأنت أنت . فأقمت عندهم شهراً آخُذُ منهم ويأخذون منّي ، ثم انصرفت إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِهِنـــدٍ وتِرْبِهـــا قبلَ شَحْطِ النَّوى غَدا
إنْ تجُـــودِي فطالما بِتُّ لَيْلِـــي مُسهّدا
أنـــتِ في وُدِّ بيننا خيرُ مـــا عندَنا يدا
حينَ تُدْلِـــي مُضَفَّراً حالِكَ اللَّـــونِ أسْودا

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة[2] ، والغناء لابن سُرَيج عن حمَّاد ولم يُجَنِّسه . وفيه لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وقال الهِشاميّ : فيه لابن مُحرز خفيف ثقيل بالوسطى .

ومن الثلاثة الأصوات المختارة
صوت فيه أربعة ألحان من رواية عليّ بن يحيى

[ثاني الثلاثة الأصوات المختارة]

[من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لما جَهَدْتُهُ وبَيَّـنَ لـــو يَسْطِيـــعُ أن يتكلَّما
لذلك أُدْنِي دونَ خَيْـلي مَكانَـهُ وأُوصي بـــه ألاّ يُهـانَ ويُكرما
فقلتُ لـــه : إنْ ألقَ للعين قُـرَّةً فهـــان عـــليّ أن تَكـلَّ وتَسْأَما

---

1 هرف به : غالى في مدحه .

2 ديوان عمر : 115 (ط . دار صادر ـ بيروت) 1961 .

عَدِمتُ إذاً وَفْرِي وفارقتُ مُهجتي لئن لم أَقِلْ قَرْناً إنِ اللهُ سَلَّما[1]

عروضه من الطويل . قولُه : «لئن لم أَقِل قَرنا» ، يعني أنّه يجدُّ في سيره حتى يقيل بهذا الموضع ، وهو قرن المنازل ، وكثيراً ما يذكره في شعره .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة[2] المخزوميّ ، والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج ، ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاق أيضاً ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وفيه ثقيلٌ أوّل يقال إنّه ليحيى المكّي . وفيه خفيف رملٍ يقال إنّه لأحمد بن موسى المنجِّم . وفيه للمعتضد ثاني ثقيل آخر في نهاية الجودة . وقد كان عمرو بن بانة صنع فيه لحناً فسقط لسقوط صنعته .

أخبرني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : صنع عمرو بن بانة لحناً في «تَشَكَّي الكميت الجري» فأخبرني بعض عجائزنا بذلك ، قالت ، فأردنا أن نعرضه على متيّم لنعلم ما عندها فيه ، فقلنا لبعض مَن أخذه عن عمرو : غنِّ «تشكَّى الكميتُ الجري» في اللحن الجديد ؛ فقالت متيَّمُ : أيْشِ هذا اللحنُ الجديد والكُمَيت المحدَث ؟ قلنا : لحنٌ صنعه عمرو بن بانة . فغنّته الجارية ، فقالت متيَّم لها : اقطعي اقطعي ، حسبُكِ حسبُك هذا ! والله لحمار حُنين المكسور أشبه منه بالكميت .

1 أَقِلْ : من القيلولة ؛ وقرن : اسم موضع ، ذكره في المتن .

2 ديوان عمر : 341 .

[5] ـ ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

[نسب عمر بن أبي ربيعة]

هو عُمَر بن عبد الله بن أبي ربيعة . واسم أبي ربيعة : حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وقد تقدّم باقي النسب في نسب أبي قطيفة . ويُكْنى عمر بن أبي ربيعة «أبا الخطَّاب» . وكان أبو ربيعة جدُّه يسمَّى «ذا الرُّمحين» ؛ سُمِّي بذلك لطوله ، كان يقال : كأنّه يمشي على رمحين .

أخبرني بذلك الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمِّي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه الضحّاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي . وقيل : إنّه قاتلَ يوم عُكاظ برُمحين فسُمِّي «ذا الرمحين» لذلك .

وأخبرني بذلك أيضاً عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفَّان عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مصعب الزبيريّ والمدائنيّ والمُسيَّبيّ ومحمد بن سلاَّم ، قالوا وفيه يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى : [من الهزج]

ألاَ للهِ قـــــومٌ وَ ... لَدَتْ أُختُ بني سَهْمِ
هِشامٌ وأبــو عَبْــدِ ... مَنافٍ مِـدْرَهُ الخَصْمِ[1]
وذو الرُّمْحَين أَشْبَاكَ ... على القــوّة والحَـزْمِ[2]
فهــذان يَـــذُودانِ ... وذا مِـنْ كَثَبٍ يَرْمِي
أُسُودٌ تَزْدَهِي الأقـرا ... نَ مَنَّاعــونَ للهَضْمِ[3]
وهــم يــومَ عُكاظٍ مـ ... ـنعوا الناسَ مــن الهَزْمِ
وهــم مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا ... بِسرِّ الحَسَبِ الضَّخْمِ[4]
فإن أحلِفْ وبيتِ اللـ ... ـه لا أحلفْ على إثمِ
لَما مِــنْ إخــوَةٍ بين ... قصــورِ الشأم والرَّدْمِ
بأزْكى من بنــي رَيْطَـ ... ـةَ أو أَوْزَنَ في الحِلْمِ

1 المدره : زعيم القوم .
2 يقال أشباك بفلان كما يقال حسبك بفلان .
3 تزدهي الأقران : تستخفّ بهم .
4 يقال : أشبى فلان إذا وُلِد ولد كيِّس .

أبو عبد مَناف : الفاكِهُ بن المُغِيرة . ورَيْطة هذه التي عناها هي أُمُّ بني المُغيرة ، وهي بنت سعيد بن سعد بن سَهْم ، ولدتْ من المغيرة هِشاماً وهاشماً وأبا رَبيعة والفاكِهَ .

وأخبرني أحمدُ بن سليمان بن داود الطُّوسي والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا : حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نَهْشَلٍ عن أبيه قال : قال لي أبو بكر بنُ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وجئتُه أطلب منه مَغْرَماً ، يا خال ، هذه أربعة آلاف درهم وأَنْشِد هذه الأبيات الأربعة وقل : سمعتُ حسَّان يُنْشِدها رسول الله ﷺ . فقلت : أعوذ بالله أن أَفْتَرِيَ على الله ورسوله ، ولكن إن شئتَ أن أقول : سمعتُ عائشة تُنشِدها فعلتُ . فقال : لا ، إلاّ أن تقول : سمعت حسّان يُنشدها رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالسٌ ، فأَبى عليّ وأَبيْتُ عليه ، فأَقَمنا لذلك لا نتكلّم عِدّة ليالٍ . فأرسل إليّ فقال : قل أبياتاً تمدح بها هشاماً ، يعني ابن المغيرة ، وبني أميّة . فقلت : سَمِّهم لي ، فسمَّاهم وقال : اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك . فقلت : [من الهزج]

ألا لله قـــــومٌ و لدتْ أُختُ بني سَهْمِ

. . . الأبيات . قال : ثم جئتُ فقلتُ : هذه قالها أبي . فقال : لا ، ولكن قل : قالها ابن الزِّبَعْرى . قال : فهي إلى الآن منسوبةٌ في كتب الناس إلى ابن الزِّبَعْرى .

قال الزبير : وأخبرني محمد بن الحسن المخزوميّ قال : أخبرني محمد بن طلحة أنّ عمر بن أبي ربيعة قائلُ هذه الأبيات : [من الهزج]

ألا لله قـــــومٌ و لدتْ أُختُ بني سهمِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران قال حدّثني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه . وزاد فيه عمر بن شبّة : قال محمد بن يحيى : وأختُ بني سهم التي عناها رَيطةُ بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب ، وهي أمُّ بني المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم : هشام وهاشمٌ وأبو ربيعة والفاكِهُ ، وعِدَّةٌ غيرهم لم يُعقِبوا ، وإيّاهم يعني أبو ذؤيب بقوله : [من الكامل]

صَخِبُ الشَّوارِبِ لا يزالُ كأنّه عبـدٌ لآل أبـي ربيعةَ مُسْبَعُ

ضَرب بعزِّهم المَثَل . قال : وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بَحِيراً ، فسمَّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عبدَ الله ؛ وكانت قريش تلقّبه «العِدْلَ» ؛ لأنّ قريشاً كانت تكسُو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنةً ، ويكسوها هو من ماله سنةً ، فأرادوا بذلك أنّه وحدَه عِدْلٌ لهم جميعاً في ذلك . وفيه يقول ابن الزِّبَعْرى : [من الطويل]

بَحِيرُ بنُ ذي الرُّمْحين قرَّب مجلِسي ... وراح علَيّ خيرُه غيرَ عاتِم

وقد قيل : إنّ العِدْل هو الوليد بن المُغيرة .

وكان عبد الله بن أبي ربيعة تاجراً مُوسِراً ، وكان مَتجرُه إلى اليمن ، وكان من أكثرهم مالاً . وأُمّه أسماء بنت مُخَرِّبَة ، وقيل : مُخَرِّمَة ، وكانت عَطّارة يأتيها العِطرُ من اليمن . وقد تزوّجها هشام بن المُغيرة أيضاً ، فولدت له أبا جَهل والحارث ابنَي هشام ؛ فهي أُمُّهما وأُمُّ عبدِ الله وعيّاش ابنَي أبي ربيعة .

أخبرني الحِرْميّ والطوسيّ قالا : حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي عن الواقديّ قال : كانت أسماء بنت مُخَرِّبَةَ تبيع العطر بالمدينة . فقالت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذ بن عَفراء الأنصارية ، وكان أبوها قَتل أبا جَهلٍ بن هشام يوم بدر واحتزّ رأسه عبد الله بن مسعود ، وقيل : بل عبد الله بن مسعود هو الذي قتله ، فذكرتْ أنّ أسماء بنت مُخرِّبة دخلت عليها وهي تبيع عِطراً لها في نسوة ، قالت : فسألت عنّا ، فانتسبنا لها . فقالت : أأنتِ ابنةُ قاتل سيِّده ؟ تعني أبا جهل . قلت : بل أنا بنت قاتلِ عبدِه . قالت : حرامٌ عليّ أن أبيعك من عطري شيئاً . قلت : وحرامٌ عليّ أن أشتري منه شيئاً ؛ فما وجدت لعطرٍ نَتناً غير عطرك ، ثم قمت ؛ ولا والله ما رأيت عِطْراً أطيبَ من عطرها ، ولكنّي أردت أن أَعِيبَه لأَغيظَها .

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرّفون في جميع المِهَن ، وكان عددهم كثيراً ؛ فرُوِي عن سفيان بن عيينة أنّه قيل لرسول الله ﷺ حين خرج إلى حُنين : هل لك في حَبَش بني المُغيرة تستعين بهم ؟ فقال : «لا خيرَ في الحبش إن جاعوا سَرَقوا وإن شَبِعوا زَنَوا ، وإنّ فيهم لخَلَّتَيْن حَسَنَتَين إطعام الطعام والبأس يوم البأس» . واستعمل رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي ربيعة على الجند ومخاليفها ، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . هذا من رواية الزبير عن عمّه . قال : وحدّثني ابن الماجِشُون عن عمّه أنّ عثمان بن عفّان ، رحمه الله ، استعمله أيضاً عليها .

[أمّ عمر بن أبي ربيعة وأخوه الحارث]

وأُمُّ عمر بن أبي ربيعة أُمّ ولدٍ يقال لها «مَجْدُ» ، سبيّة من حَضرموت ويقال من حِمْيَر . قال أبو مُحَلِّمٍ ومحمد بن سلاّم : هي من حِمير ، ومن هناك أتاه الغَزَل ؛ يقال : غَزَلٌ يمانٍ ، ودَلٌّ حجازيٌّ .

وقال عمر بن شبّة : أُمُّ عمر بن أبي ربيعة أُمُّ ولدٍ سوداء من حبشٍ يقال لهم : فرسان[1] .

---

1 فرسان : من جزائر اليمن .

وهذا غلطٌ من أبي زيد[1] . تلك أُمُّ أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له : «القُباعُ» ، وكانت نصرانية . وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً دَيِّناً وسيّداً من سادات قريش .

قال الزبير بن بَكّار : ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولاّه عبدُ الله بن الزبير ، فقال : أَرْسَلَ عَوْفاً وقَعَد ! «لا حُرَّ بوادي عَوف» . فقال له يحيى بن الحكم : ومَنِ الحارث ابن السَّوداء ! فقال له عبد الملك : ما ولدتْ والله أَمَةٌ خيراً ممّا ولدتْ أُمُّه !

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيَّبيّ : أنّ أُمّه ماتت نصرانية وكانت تُسِرُّ ذلك منه . فحضر الأشراف جنازتها ، وذلك في عهد عمر بن الخطّاب ، رحمة الله عليه ، فسمع الحارث من النساء لَغَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعُرِّف أنّها ماتت نصرانية وأنّه وُجِد الصليب في عنقها ، وكانت تكتُمه ذلك . فخرج إلى الناس فقال : انصرفوا رحمكم الله ؛ فإنّ لها أهلَ دِينٍ هم أولى بها منّا ومنكم ؛ فاستُحسن ذلك منه وعجِبَ الناسُ من فعله .

[الغناء في «ألا لله قوم» . . .]

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الهزج]

ألا لله قـــــومٌ و لدتْ أُختُ بني سَهْمِ
هِشامٌ وأبـو عَبْـدِ مَنافٍ مِـدْرَهُ الخَصْمِ
وذو الرُّمحـين أَشْباكَ على القـوّة والحَـزْمِ
فهـــذان يَـذُودان وذا مـن كَثَبٍ يَرْمِي

عروضُه من مَكفوف الهزج . الغناء لمعبد خفيف رملٍ من رواية حمّاد .

[رأي يزيد بن عبد الملك في غناء معبد وابن سريج]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيعٌ قال قال إسماعيل بن مُجَمِّع أخبرنا المدائنيّ عن رُسْتَمَ بن صالح قال : قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد : يا أبا عبّاد ، إنّي أُريد أن أُخبرك عن نفسي وعنك ، فإن قلتُ فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاشَ أن تردّه عليّ ، فقد أذِنت لك . قال : يا أمير المؤمنين ، لقد وضعك ربُّك بموضع لا يعصيك إلا ضالٌّ ، ولا يردُّ عليك إلا مخطىء . قال : إنّ الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج . أجد في غنائك متانة ، وفي غنائه انخناثاً وليناً . قال معبد : والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لعباده ، وجعله أميناً على أُمّة نبيّه ﷺ ، ما عدا

1 أبو زيد : كنية عمر بن شبّة .

صفتي وصفة ابن سريج ، وكذا يقول ابن سريج وأقول ؛ ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذاك عنده فعل . قال : لا والله ، ولكنّي أُوثر الطرب على كلّ شيء . قال : يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التامّ ، فأُغرِّب أنا ويُشرِّق هو ، فمتى نلتقي ؟ قال : أفتقدر أن تحكي رقيق ابن سريج ؟ قال نعم ؛ فصنع من وقته لحناً من الخفيف في : [من الهزج]

أَلاَ للهِ قـــــومٌ و   لدَتْ أُختُ بني سَهْمِ

الأربعة الأبيات . وغنّاه ، فصاح يزيد : أحسنتَ والله يا مولاي ! أعِد فداك أبي وأمّي ، فأعاد ، فردّ عليه مثل قوله الأوّل ، فأعاد . ثم قال : أعد فداك أبي وأمّي ، فأعاد ، فاستخفّه الطرب حتى وثبَ وقال لجواريه : افعلن كما أفعل ، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

يـا دارُ دَوِّرِيـنـي   يـا قَرَقـرُ امسكيني
آلَيْتِ مُنْـذُ حـينِ   حقّـاً لَتصرِمِينـي
ولا تُواصِلِينـــي   بـــالله فَارْحَمِينـي
لَـمْ تَذْكُـري يَمِيني

قال : فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويَدُرن معه ، حتى خرَّ مغشيّاً عليه ووقعن فوقه ما يعقل ولا يعقلن ، فابتدره الخدمُ [فأقاموه] وأقاموا مَن كان على ظهره من جواريه ، وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت .

[جوان بن عمر]

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة . وكان لعمر بن أبي ربيعة ابنٌ صالحٌ يقال له «جُوان» ، وفيه يقول العَرْجيّ : [من المتقارب]

شَهيدي جُـوانٌ على حبِّها   أليس بعَـدْلٍ عليهـا جُوانْ

فأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثَوْبان قال : جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثيّ وهو إذ ذاك أميرٌ على الحجاز ، فشَهِد عنده بشهادة ؛ فتمثّل : [من المتقارب]

شَهيدي جُـوانٌ على حبِّها   أليس بعـدلٍ عليها جُوانْ

وهذا الشعر للعَرْجِيّ . ثم قال : قد أجزنا شهادتك ، وقَبِلَه . وقال غير الزبير : إنّه جاء إلى العرجي فقال له : يا هذا ! ما لي وما لك تُشَهِّرني في شِعرك ! متى أَشْهدتَني على صاحبتك هذه ؟ ومتى كنتُ أنا أشهد في مثل هذا ! قال : وكان امرأً صالحاً .

وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني بكار بن عبد الله قال : استعمَل بعض وُلاة مكة جوان بن عمر على تَبالَةَ[1] ، فحمل على خَثْعَمَ في صدقات أموالهم حَملاً شديداً ؛ فجعلتْ خثعم سنة جوانٍ تاريخاً ؛ فقال ضُبارَة بن الطُّفَيل : [من الطويل]

أَتَلْبَسُنا ليلى عـلى شَعَثٍ بنـا ... من العامِ أو يُرمى بنا الرَّجَوانِ[2]

صوت

[من الطويل]

رأتنِـي كَأَشْلاءِ اللِّجامِ وراقَها ... أخـو غَـزَلٍ ذو لِمَّةٍ ودِهانِ
ولو شَهِدَتْني في ليالٍ مَضَيْنَ لي ... لِعامَيْنِ مـرًّا قبـلَ عـامِ جُوانِ
رأَتْنا كريمَيْ معشرٍ حُـمَّ بيننا ... هَـوًى فحفِظْناه بحُسْنِ صِيانِ[3]
نَذُودُ النفوسَ الحائماتِ عن الصِّبا ... وهُـنَّ بأعناقٍ إليـه ثَواني

ذكر حَبَشٌ أنّ الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقيلٍ بالبِنْصر ، وذكر الهشاميّ أنّه لقراريط .

[أمة الواحد بنت عمر]

قالوا : وكان لعمر أيضاً بنتٌ يقال لها : «أَمَةُ الواحِدِ» ، وكانت مُسترضَعة في هُذيل ، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة ، وقد خرج يطلبها فَضَلَّ الطريق : [من السريع]

لم تَدْرِ ولِيَغْفِرْ لهـا ربُّهـا ... ما جَشَّمَتْنا أَمَـةُ الواحدِ[4]
جَشَّمَـتِ الهَوْلَ بَراذينَنـا ... نسألُ عن بيتِ أبي خالدِ
نسألُ عن شيخِ بني كاهلٍ ... أَعْيـا خَفاءً نشْدَةَ الناشِدِ

[مولد عمر]

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامريّ أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المُهلّبي قالا : حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثنا أُسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحَكَم ، قال : أُراه عن الحسن ، قال : وُلد عمرُ بن أبي ربيعة ليلة قُتل عمر بن الخطّاب ، رحمة الله عليه ، فأيُّ حقٍّ رُفع ، وأيُّ باطلٍ وُضِع ! . قال عوانة : ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها .

---

1 تبالة : بلدة من أرض تهامة .
2 يرمي به الرجوان : يستهان به ، والرجوان جانبا البئر .
3 حمَّ : أتيح وقدر .
4 ديوان عمر : 116 .

أخبرني الجوهريّ والمُهلَّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثني عبد الله بن الحارث عن ابن جُريج عن عطاء قال : كان عمر بن أبي ربيعة أكبر منّي كأنّه وُلد في أوّل الإسلام .

[عمر وابن عباس وابن الأزرق]

أخبرني الجوهري والمهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزهريّ قال : حدّثنا ابن أبي ثابت ، وحدّثني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هفَّان عن إسحاق عن المُسَيَّبي والزبيري والمدائنيّ ومحمد بن سلاَّم ، قالوا : قال أيّوبُ بن سيّار ، وأخبرني به الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد العزيز بن عمران عن أيّوب بن سيّار عن عمر الركاءِ قال : بينا ابن عبّاس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مُوَرَّدين أو مُمَصَّرَين[1] حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عبّاس فقال أنشِدنا فأنشده : [من الطويل]

أمِن آل نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافعُ بن الأزرق فقال : الله يا ابن عبّاس ! إنّا نضرب إليك أكبادَ الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقلُ عنّا ، ويأتيك غلام مُترفٌ من مُترفي قريش فيُنشدك : [من الطويل]

رأتْ رَجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَخْزى وأمّا بالعشيِّ فيَخْسَرُ

فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال : [من الطويل]

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَضْحى وأمّا بالعَشِيِّ فيَخصَرُ

فقال : ما أُراك إلاّ وقد حَفِظْتَ البيتَ ؛ قال : أَجَلْ ، وإن شئت أن أُنشدك القصيدة أنشدتك إيّاها . قال فإنّي أشاء ؛ فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها . وفي غير رواية عمر بن شبَّة : أنّ ابن عبّاس أنشدها من أوّلها إلى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها إلى أوّلها مقلوبةً ، وما سمعها قَطُّ إلاّ تلك المرّة صَفْحاً . قال : وهذا غاية الذكاء . فقال له بعضهم : ما رأيت أَذكى منك قطّ . فقال : لكنّني ما رأيت قطّ أذكى من عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام . وكان ابن عبّاس يقول : ما سمعتُ شيئاً قطّ إلا رويتُه ، وإنّي لأسمع صوت النائحة فأسُدُّ أُذني كراهة أن أحفظ ما تقول . قال : ولامَه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة : «أمن آل نُعْم . . .» فقال : إنّا نَستجيدُها . وقال الزبير في خبره عن عمّه : فكان ابن عبّاس بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا

1 ثوب ممصّر : فيه بعض صفرة .

المُغِيريُّ شيئاً بعدنا ؟

قال : وحدّثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال : كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

فيَضْحَى وأمّا بالعَشيّ فيَخْصَرَ

قال : لا ، بل :

فيَخزى وأمّا بالعشيّ فيخسَرُ

قال عمر بن شَبَّة وأبو هَفَّان والزبير في حديثهم : ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال : أنشِد ، فأنشده[1] : [من المتقارب]

تَشُطُّ غـداً دارُ جيرانِنـا

وسكت ؛ فقال ابن عباس :

ولَلـدّارُ بعـدَ غـدٍ أبعـدُ

فقال له عمر : كذلك قلت ، أصلحك الله ، أفسمعتَه ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي .

[شهادات الشعراء في شعر عمر]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني يعقوب بن إسحاق قال : كان العرب تُقِرّ لقريش بالتقدّم في كلّ شيء عليها إلاّ في الشعر ؛ فإنّها كانت لا تُقِرُّ لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرّت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تُنازعها شيئاً .

قال الزبير : وسمعتُ عمّي مُصعباً يحدّث عن جدّي أنّه قال مثل هذا القول . قال : وحدّثني عِدَّةٌ من أهل العلم أنّ النُّصَيْب قال : لَعُمَرُ بن أبي ربيعة أوصَفُنا لربَّاتِ الحِجال .

قال المدائنيّ قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة : ما يمنعك من مَدحنا ؟ قال : إنّي لا أمدح الرجال ، إنّما أمدح النساء . قال : وكان ابن جُرَيج يقول : ما دخل على العواتق في حِجالهنّ شيءٌ أضرُّ عليهنّ من شعر عمر بن أبي ربيعة .

قال الزبير وحدّثني عمّي عن جدّي ، وذكره أيضاً إسحاق فيما رويناه عن أبي هَفَّان عنه عن المدائني ؛ قال قال هشام بن عُروة : لا تُرَوُّوا فَتياتِكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورَّطن في الزّنا تورُّطاً ، وأنشد : [من مجزوء الوافر]

لقد أرسلتُ جاريتـي وقلتُ لها خُذي حَذَرَكْ

وقُـولي في مُلاطفـةٍ لزينبَ : نَـوِّلي عُمَرَكْ

---

1 ديوان عمر : 90 .

أخبرنا عليّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق عن الزبيريّ[1] قال حدّثني أبي عن سَمُرَةَ الدُّومانيّ[2] من حِمْيَر قال : إنّي لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخ في الطَّواف ، فقيل لي : هذا عمر بن أبي ربيعة . فقبَضتُ على يده وقلت له : يا ابن أبي ربيعة . فقال : ما تشاء ؟ قلت : أكُلَّ ما قلتَه في شعرك فعلته ؟ قال : إليك عنّي . قلتُ : أسألك بالله قال : نعم وأستغفرُ الله .

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عديّ عن حمَّاد الراوية : أنّه سُئل عن شِعر عمر بن أبي ربيعة فقال : ذاك الفُسْتُق المُقشَّر[3] .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال : سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأتْه وبكتِ الديار ، ووقع هذا عليه . قال : وكان بالكوفة رجلٌ من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذاكرون العلمَ ؛ فذُكر يوماً شعرُ عمر بن أبي ربيعة فهَجَّنه . فقالوا له : بمن ترضى ؟ ومرّ بهم حمّادٌ الراوية فقال : قد رضيت بهذا . فقالوا له : ما تقول في من يزعم أنّ عمر بن أبي ربيعة لم يُحسن شيئاً ؟ فقال : أين هذا ؟ اذهبوا بنا إليه . قالوا : نصنع به ماذا ؟ قال نَنْزُو على أُمّه لعلّها تأتي بمن هو أَمْثَل من عمر .

قال إسحاق : وقال أبو المقوّم الأنصاري : ما عُصِي الله بشيء كما عُصِي بشعر عمرَ بن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وحدّثني قيس بن داود قال حدّثني أبي قال : سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول : لقد كنت وأنا شابٌّ أُعشَق ولا أَعشَق ، فاليوم صرت إلى مُداراة الحِسان إلى الممات . ولقد لقيَتني فتاتان مرة فقالت لي إحداهما : أُدْنُ منّي يا ابن أبي ربيعة أُسِرَّ إليك شيئاً . فدنوت منها ودنَت الأُخرى فجعلت تَعَضُّني ، فما شعرت بعَضِّ هذه من لذّة سِرار هذه .

قال إسحاق : وذكر عبد الصمد بن المفضَّل الرَّقاشي عن محمد بن فلان الزهري ، سقط اسمه ، عن إسحاق عن عبد الله بن مسلمة بن أَسلم قال : لقيتُ جريراً فقلت له : يا أبا حَزْرَةَ ، إنّ شِعرك رُفع[4] إلى المدينة وأنا أحِبّ أن تُسْمِعَني منه شيئاً . فقال : إنّكم يا أهل المدينة يُعجبكم النسيب ، وإنّ أَنسب الناس المخزوميّ ؛ يَعني ابن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وذكر محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة قال : أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قُبَيسٍ ، وبنو أخيه معه وهم

---

1 هو مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبيري .

2 دوماني : نسبة إلى دومان ، وهي بطن من همدان .

3 ل : الفاسق المفسد .

4 ل : وقع .

مُحرِمون ، فقال لبعضهم : خُذ بيدي فأخذ بيده ؛ وقال : ورَبِّ هذه البَنيَّة[1] ما قلت لامرأةٍ قطُّ شيئاً لم تقله لي ، وما كشفتُ ثوباً عن حرام قطّ . قال : ولمّا مرض عمر مرضه الذي مات فيه جَزِع أخوه الحارث جَزَعاً شديداً . فقال له عمر : أحسبُكَ إنّما تجزع لما تظنّه بي ، والله ما أعلم أنّي ركبتُ فاحشةً قطُّ ! فقال : ما كنت أُشفق عليك إلاّ من ذلك ، وقد سلَّيت عني .

قال إسحاق : حدّثني مُصعبٌ الزبيري قال قال مُصعب بن عروة بن الزبير : خرجت أنا وأخي عثمان إلى مكّة مُعتمرَين أو حاجَّيْن ؛ فلمّا طُفنا بالبيت مَضَينا إلى الحِجر نُصلّي فيه ، فإذا شيخٌ قد فرَج[2] بيني وبين أخي فأوسعنا له . فلمّا قضى صلاته أقبل علينا فقال : مَن أنتما ؟ فأخبرناه . فرحَّب بنا وقال : يا ابنَيْ أخي ، إنّي موكَّل بالجَمال أتبعُه ، وإنّي رأيتكما فَراقني حُسنكما وجمالكما ، فاستمتِعا بشبابكما قبل أن تندما عليه ، ثم قام ؛ فسألنا عنه فإذا هو عمر بن أبي ربيعة .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن الضحّاك قال : عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة ؛ فتكَ منها أربعين سنة ، ونسَك أربعين سنة .

قال الزبير وحدّثني إبراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المُغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : حَجَجْتُ مع أبي وأنا غلامٌ وعَليّ جُمَّة . فلمّا قدِمت مكّة جئتُ عمر بن أبي ربيعة ، فسلّمتُ عليه وجلست معه ، فجعل يَمُدُّ الخُصلة من شعري ثم يُرسلها فترجع على ما كانت عليه ، ويقول : واشباباه ! حتى فعل ذلك مراراً . ثم قال لي : يا ابن أخي ، قد سمعتَني أقول في شعري : قالت لي وقلتُ لها ، وكلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن كنت كشفت عن فَرْجٍ حرام قطُّ ! فقمت وأنا مُتشكِّكٌ في يمينه ، فسألت عن رقيقه فقيل لي : أمّا في الحوك فله سبعون عبداً سوى غيرهم .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثتني ظَبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت : مررت بجَدِّك عبد الله بن مُصعب وأنا داخلةٌ منزله وهو بفنائه ومعي دفتر ، فقال : ما هذا معك ؟ ودعاني . فجئتُه وقلت : شعرُ عمر بن أبي ربيعة . فقال : وَيحَكِ ! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة !! إنّ لشعرِه لَمَوْقِعاً من القلوب ومَدخلاً لطيفاً ، لو كان شعرٌ يَسحَر لكان هو ، فارجِعي به . قالت : ففعلتُ .

قال إسحاق : وأخبرني الهيثم بن عديّ قال : قدِمت امرأةٌ مكّة وكانت من أجمل النساء . فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت في قلبه ؛ فدنا منها فكلّمها ، فلم تلتفت إليه . فلمّا كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها . فقالت له : إليكَ عنّي يا هذا ، فإنّك

1 ل : الكعبة .

2 ل : فرق .

في حَرَم الله وفي أيّامٍ عظيمة الحُرمة . فألحّ عليها يُكلّمها حتى خافت أن يُشهِّرَها . فلمّا كان في الليلة الأُخرى قالت لأخيها : أُخرُج معي يا أخي فأَرِني المَناسِك ؛ فإنّي لستُ أعرفها ، فأقبلتْ وهو معها . فلمّا رآها عمر أراد أن يَعرِض لها ، فنظر إلى أخيها معها فعدَل عنها ؛ فتمثّلت المرأة بقول النابغة : [من البسيط]

تَعْدُو الذئابُ على مَنْ لا كِلابَ له ... وتَتّقِي صَوْلَةَ المُسْتَأسِدِ الحامي[1]

قال إسحاق : فحدّثني السِّندي مولى أمير المؤمنين أنّ المنصور قال ، وقد حُدِّث بهذا الخبر ، وَدِدْتُ أنّه لم تَبْقَ فتاةٌ من قريش في خِدرِها إلاّ سمعتْ بهذا الحديث .

قال إسحاق : قال لي الأصمعي : عمر حُجَّةٌ في العربية ، ولم يؤخذ عليه إلاّ قوله : [من الخفيف]

ثم قالوا تُحِبُّها قلْتُ بهْراً ... عدَدَ الرَّمْلِ والحَصى والتُّرابِ

وله في ذلك مَخرجٌ ؛ إذ قد أتى به على سبيل الإخبار . قال : ومن الناس من يزعم أنّه إنّما قال :

قيل لي هل تُحِبُّها قلت بهراً

[شعر عمر الذي غنّى فيه المغنّون]

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنّى فيها المغنّون إذ كانت لم تُنسب هناك لطول شرحها

منها ما يُغنّى فيه من قوله[2] : [من الطويل]

صوت

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ
لحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جَوابِها ... فتُبْلِغَ عُذراً والمقالةُ تُعْذِرُ
أشارت بِمدْرَاها وقالت لأُختِها ... أهذا المُغيريُّ الذي كان يُذْكَرُ ؟
فقالتْ : نعمْ لا شكَّ غيَّر لونَه ... سُرى الليلِ يَطوي نَصَّه والتهجُّرُ
رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فيَضْحَى وأمّا بالعشيّ فيَخْصَرُ

---

1 الحامي في ل : الضاري ؛ وانظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص 84 .
2 ديوان عمر : 120–127 .

أخـا سفرٍ جَـوَّابَ أرضٍ تقاذفتْ ... بـه فَلَـواتٌ فَهُوَ أَشْعَـثُ أَغْبَرُ
وليلةَ ذي دَوْران جَشَّمْتِني السُّرى ... وقـد يَجْشَمُ الهـولَ المُحبُّ المغرَّرُ[1]
فقلـــتُ : أُبادِيهـم فإمَّا أفُوتُهم ... وإمّـــا يَنـــالُ السيفُ ثأراً فَيثأرُ

هذه الأبياتُ جُمعت على غير تَوالٍ ؛ لأنّه إنّما ذُكر منها ما فيه صنعةٌ . غنّى في الأوّل والثاني من الأبيات ابن سُريج خفيف رَمَلٍ بالبِنصر عن أحمد بن المكّي وذكر حبشٌ أنّ فيهما لمعبدٍ لَحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر . وغنّى ابن سُريج في الثالث والرابع أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى ، وذكر حبشٌ أنّ فيهما لحناً من الهزج بالوُسطى لِحَكَم . وغنّى ابن سُريج في الخامس والسادس لحناً من الرَّمَل بالوسطى عن عمرو بن بانَة . وذكر يونس أنّ في السابع والثامن لابن سريج لحناً ولم يذكر طريقته ، وذكر حبشٌ أنّ فيهما لمالك لحناً من الثقيل الثاني بالبِنصر .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أخبرني محمد بن إسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبيّ : أنّ عمرَ بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عبّاس وهو في المسجد الحرام فقال : مَتّعني الله بك ! إنّ نفسي قد تاقت إلى قول الشِّعر ونازعتني إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تسمعه وتستره عليّ . فقال : أنشِدْني ، فأنشده : [من الطويل]

أمِن آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

فقال له : أنت شاعرٌ يا ابن أخي ، فقُل ما شِئت . قال : وأنشد عمر هذه القصيدة طَلحة بن عبيد الله بن عوف الزُّهْري وهو راكبٌ ، فوقف وما زال شانِقاً ناقته حتى كُتِبت له .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني الحسين بن إسماعيل قال حدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان جرير إذا أُنشد شعرَ عمر بن أبي ربيعة قال : هذا شعرٌ تِهاميٌّ إذا أَنجد وجَد البردَ ، حتى أُنشد قوله : [من الطويل]

رأت رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فيَضْحى وأمّـــا بالعشيّ فيَخْصَرُ
قليـلاً على ظَهـر المطيَّـة ظِلُّــه ... سِوى مـا نَفى عنه الرداءُ المُحَبَّرُ
وأعجبَها مـن عَيشها ظِـلُّ غُرفةٍ ... وريّـانُ مُلتـفُّ الحدائــقِ أخضَرُ
وَوالٍ كَفاهــا كلَّ شيء يَهُمُّهــا ... فليستْ لشيءٍ آخرَ الليلِ تَسهَرُ

فقال جرير : ما زال هذا القُرَشيّ يَهذِي حتى قال الشعر .

أخبرني محمد بن خَلَف قال أخبرني أبو عبد الله اليماميّ قال حدّثني الأصمعيّ قال : قال لي الرشيد : أَنشِدْني أحسنَ ما قيل في رجل قد لوّحه السفر ؛ فأنشدته قولَ عمر بن أبي ربيعة

---

1 ذو دوران : موضع بين قديد والجحفة .

حيث قال : [من الطويل]

رأت رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فيضحى وأمّا بالعشيّ فيَخْصَرُ
أخا سَفَرٍ جَوّابَ أرضٍ تقاذفتْ ... به فَلَواتٌ فهو أشْعَثُ أغبرُ

. . . الأبيات كلّها . قال : فقال لي الرشيد : أنا والله ذلك الرجل . قال : وهذا بعَقِب قدومه من بلاد الرُّوم .

أخبرني الفضلُ بن الحُباب الجُمَحِيّ أبو خليفة في كتابه إليّ : قال حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال أخبرني شُعَيب بن صخر قال : كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ كلامٌ ، فسهرت ليلةً فقالت : إنّ ابنَ أبي ربيعة لجاهلٌ بليلتي هذه حيث يقول : [من الطويل]

ووالٍ كَفاهـا كلَّ شيءٍ يَهُمُّها ... فليستْ لشيءٍ آخرَ الليل تَسْهَرُ

[مجن عمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان قال حدّثني إسحاق عن المدائني قال : عرض يزيدُ بن معاوية جيش أهل الحرَّة ، فمرّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ خَلَقٌ سَمْجٌ ، فنظر إليه يزيد وضحك وقال له : وَيْحَك ! تُرْسُ عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من تُرْسِك . يريد قول عمر : [من الطويل]

فكان مِجَنّي دون مَن كنتُ أتّقي ... ثلاثُ شُخوصٍ كاعِبانِ ومُعصِرُ

[جمين صاحب النوادر وشعر عمر]

أخبرنا جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : سمِع أبو الحارث جُمينٌ مُغنيةً تُغنّي : [من الطويل]

أشارت بِمدْراها وقالت لأُختها ... أهذا المُغِيريّ الذي كان يُذكَرُ ؟

فقال جُمَّين : امرأتُه طالق إن كانت أشارت إليه بمدراها إلاّ لَتَفْقَأ بها عينه ، هلاّ أشارت إليه بنقانق مُطَرَّفٍ بالخردل ، أو سنْبوسجةٍ مغموسة في الخلِّ ، أو لوزينجةٍ شَرِقَةٍ بالدُّهن ! فإن ذلك أنفع له ، وأطيب لنفسه ، وأدلُّ على مودّة صاحبته .

أخبرني الحِرْميّ قال : حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد العزيز بن أبي أُوَيس عن عطّاف بن خالد الوابصيّ عن عبد الرحمن بن حرملة قال : أُنشِد سعيد بن المسيِّب قولَ عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَه ... ورَوَّحَ رُعْيـانٌ ونَـوَّمَ سُمَّرُ

[شعر عمر في ابنة الأشعث]

فقال : ما له قاتَله الله ! لقد صغّر ما عظَّم الله ! يقول الله عزّ وجلّ : ﴿والقَمَرَ قَدَّرْناهُ

مَنازِلَ حَتَّى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيمِ﴾ [يس 36] .

ومنها ما فيه غِناء لم يُنْسَبْ في موضعه من الأخبار فنُسب هاهنا[1] : [من المتقارب]

صوت

تَشُطُّ غـداً دارُ جيرانِنا ... ولَلـدَّارُ بعـدَ غـدٍ أبعـدُ
إذا سَلَكَتْ غَمْـرَ ذِي كِنْدَة ... مع الصبحِ قَصْدٌ لها الفَرْقَدُ[2]
عِراقيَّـةٌ ، وتِهامـي الهَـوى ... يَغُـورُ بمكَّـةَ أو يُنْجِدُ
وحَثَّ الحُـداةُ بهـا عِيرها ... سِراعاً إذا مـا وَنَـتْ تُطْرَدُ
هُنالِكَ إمّـا تُعَـزِّي الفـؤادَ ... وإمّـا عـلى إثرِهـا تَكْمَدُ
وليستْ بِبِـدْعٍ إذا دارُها ... نـأتْ والعَـزاءُ إذاً أَجْلَدُ[3]
صَرَمْتُ وواصلتُ حتّى علمـ ... ـتُ أيـنَ المَصادِرُ والمَوْرِدُ
وجَرَّبْتُ من ذاك حتّى عرفـ ... ـتُ مـا أتوقّى ومـا أحمَدُ
فلمّا دَنَوْنـا لجَـرْسِ النُّبا ... حِ والضوءِ ، والحيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
[نأَيْنـا عـن الحَيِّ حتّى إذا ... تَـوَدَّعَ من نارِهـا المَوْقِدُ][4]
بَعَثْنـا لهـا باغيـاً ناشِداً ... وفي الحـيّ بُغْيَةُ مَـنْ يَنْشُدُ
أتَتْنـا تَهـادَى على رِقبـةٍ ... من الخوفِ أحشاؤها تُرْعَدُ
تقـول وتُظْهِـرُ وَجْـداً بنـا ... ووَجْدِي وإن أظهـرتْ أَوْجَدُ
لَمِمَّـا شَقائـي تَعَلَّقْتُكُـم ... وقـد كان لي عندكم مَقْعَدُ
وَكَفَّتْ سَوابِـقَ مِـن عَبرةٍ ... على الخَدِّ يَجْرِي بهـا الإثْمدُ
فـإنّ التـي شَيَّعَتْنا الغَداةَ ... مع الفجرِ قلبي بهـا مُقصَدُ
كـأنّ أقاحِـيَّ مَوْلِيَّـةً ... تَحَدَّرُ من مـاءِ مُـزْنٍ نَدِي[5]

غَنّى معبدٌ في الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل من أصواتٍ قليلاتِ الأشباه عن إسحاق . وغنّى فيها أَشْعَبُ المعروف بالطامع ثاني ثقيل بالوسطى ، عن الهشاميّ . وللغريض في الأبيات الأربعة الأُوَلِ ثاني ثقيل بالوسطى[6] عن عمرو . ولابن سُرَيج في الرابع عشر وهو :

1 ديوان عمر : 90–92 في فاطمة بنت الأشعث .
2 غمر ذي كندة : موضع على مسيرة يومين من مكّة .
3 وليست ببدعٍ إذا في ل : وليست نزوعاً لئن .
4 سقط البيت من ل .
5 في البيت إقواء ، ولعلّه دخيل على ما قبله من أبيات (ولم يرد في الديوان) .
6 ل : بالبنصر .

وكفَّتْ سوابقَ من عَبْرةِ

ثم الأوّل والتاسع رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المكّي . ولمالك ، ويقال إنّه لمعبد ، خفيف ثقيل في الرابع عشر والثالث عشر والأوّل عن الهشاميّ . وفي السابع والثامن والأوّل لابن جامع ثقيل أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وفي الأوّل والحادي عشر لابن سريج رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وفيهما ثاني ثقيل بالسَّبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أحمد بن المكّي أنّه لأبيه . وفي الرابع والخامس رملٌ لمعبد عن ابن المكّي ، وقيل : إنّه من منحول أبيه إلى معبد . وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رمل عن الهشاميّ . وفي الأوّل والثاني عشر ثاني ثقيل تشترك فيه الأصابع عن ابن المكّي ، وقال أيضاً : فيه للأبجر لحنٌ آخر من الثقيل الثاني . ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه ، وفيهما أيضاً رملٌ لابن سريج عنه وعن حبش . ولإسحاق في الأوّل والثاني رمل من كتابه . ولعُلَيَّة بنت المهدي في الثالث عشر والأوّل ثقيلٌ أوّل . ولابن مِسجَحٍ في الثاني عشر والأوّل رملٌ ، ويقال إنّه للرَّطَّاب ، وذكر حبشٌ أنّه لابن سريج . وفي الخمسة الأبيات الأولى متوالية خفيف رمل بالوسطى يُنسب إلى معبد وإلى يحيى المكّي ، وزعم حبش أنّ فيها رملاً بالوسطى لابن محرز . والذي ذكره يونس في كتابه أنّ في :

تَشُطُّ غــداً دارُ جيرانِنا

خمسة ألحان : اثنان لمعبد ، واثنان لمالك ، وواحد ليونس . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي عُرِف صحتُه من الغناء فيه سبعة ألحان : ثقيل أوّل ، وثاني ثقيل ، وخفيف ثقيل ، ورملٌ ، وخفيفُه .

أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المرزبان أنّ الذي أُحصي فيه إلى وقته ستّة عشر لحناً . والذي وجدته فيه ممّا جمعته ها هنا ، سوى ما لم يَذكر يونس طريقته ، تسعة عشر لحناً : منها في الثقيل الأوّل لحنان ، وفي خفيف الثقيل لحنان ، وفي الثقيل الثاني ستة ، وفي الرَّمل سبعة ، وفي خفيف الرَّمل لحنان .

وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من ولد الأشعث بن قيس حجَّت فهَوِيَها وراسلها ، فواصلتْه ودخل إليها وتحدّث معها وخطبها ، فقالت : أمّا هاهنا فلا سبيل إلى ذلك ، ولكن إن قَدِمْتَ إلى بلدي خاطباً تزوّجتك ، فلم يفعل .

[عمر يخدع بُدَيْحاً]

أخبرني بهذا الخبر الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الحسن المخزوميّ عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال : سمعت بديحاً يقول : حجَّت بنت محمد بن الأشعث الكِنْدِيَّة ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقّاها مساءَ الغد ، وجعل

الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد ، إن لم يمكنه أن يُرسِل رسولاً ، يُعلمُها بمصيره إلى المكان الذي وعدها . قال بُدَيح : فلم أشعر به إلاّ مُتَلَثِّماً ، فقال لي : يا بديح ، ائتِ بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أنّي قد جئت لموعدها ؛ فأبيتُ أن أذهب وقلت : مثلي لا يُعين على مثل هذا . فغيَّب بغلته عنّي ثم جاءني فقال لي : قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زُقاق الحاجّ . فذهبت فنشدتها ، فخرجت عليَّ بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية ، فأتته لموعده ؛ وذلك قوله : [من المتقارب]

وآيــة ذلك أن تسمعي إذا جئتُكم ناشداً ينشُد

قال بديح : فلمّا رأيتها مقبلةً عرفتُ أنّه قد خدعني بنشدي البغلة ، فقلت له : يا عمر ، لقد صدقتِ التي قالت لك : [من مجزوء الوافر]

فهــذا سِحْـــرُكَ النِّسْوا نَ ، قد خَبَّرْنَنِي خبرَكْ

قد سَحَرْتَني[1] وأنا رجل ، فكيف برقّة قلوب النساء وضعف رأيهنّ وما آمنك بعدها ، ولو دخلتَ الطَّواف ظننت أنّك دخلته لبليَّةٍ . قال : وحدّثها بحديثي ، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك منّي .

قال الزبير : فحدّثني أبو الهِندام[2] مولى الرَّبَعيِّين عن أبي الحارث بن عبد الله الرَّبَعيّ قال : لَقِي ابن أبي عتيق بديحاً فقال له : يا بديح ، أخدَعَكَ ابن أبي ربيعة أنّه قُرَشيّ ؟ فقال بُديح : نعم ! وقد أخطأه ذلك عند القَسري وصواحبه . فقال ابن أبي عتيق : ويحك يا بديح ! إنّ من تغابى لك لِيَغْبى عنك ، فقد ضُمَّت عليه قَبضتُك إن كان لك ذهنٌ ، أمَا رأيت لِمَن كانت العاقبة ؟ والله ما بالى ابنُ أبي ربيعة أوقع عليهنّ أم وقعن عليه ! .

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال حدّثنا العُمري عن كعب بن بكر المحاربيّ : أنّ فاطمة بنت محمد بن الأشعث حَجَّت ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره ، فأعطى الرسولَ الذي بشَّره بزيارتها مائة دينار .

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن رجاله المذكورين ، قالوا : حَجَّت بنتٌ لمحمد بن الأشعث [هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيحُ] ، وكانت معها أُمُّها وقد سمعت بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت إليه ، فجاءها فاستنشدته ، فأنشدها : [من المتقارب]

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا ولَلدارُ بعــدَ غــدٍ أَبعدُ

1 ل : قد سخرت مني (وهو خطأ) .

2 لعلّ الصواب «أبو الهيذام» .

وذكر القصة[1] بطولها . قال : وقد كانت لمّا جاءها أرسلتْ بينها وبينه سِتراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يُحدّثها حتى استنشدته ، فأنشدها هذه القصيدة ، فاستخفَّها الشعر فرفعت السَّجف ، فرأى وجهاً حسناً في جسم ناحل ، فخطبها وأرسل إلى أمّها بخمسمائة دينار ، فأبت وحجبتْه وقال للرسول : تعود إلينا . فكأنّ الفتاة غمّها ذلك ، فقالت لها أُمُّها : قد قتلكِ الوجد به فتزوّجيه . قالت : لا والله لا يتحدّث أهل العراق عنّي[2] أنّي جئتُ ابن أبي ربيعة أخطبه ، ولكن إن أتاني إلى العراق تزوّجته . قال : ويقال : إنّها راسلته وواعدته أن تزوره ، فأَجْمَرَ[3] بيته وأعطى المبشّر مائة دينار ، فأتته وواعدته إذا صدر الناس أن يُشيِّعها ، وجعلت علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقة له . فلمّا صدر الناس فعل ذلك عمر . وفيه يقول وقد شيَّعها[4] : [من الكامل]

صوت

قـال الخَليطُ غـداً تَصَدُّعُنا … أو بعـدَه ، أفـلا تُشَيِّعُنا
أمّا الرَّحيـلُ فدونَ بعد غدٍ … فمتـى تقـولُ الدارَ تَجْمَعُنا
لِتَشُوقَنا هنـدٌ وقـد علمتْ … علمـاً بـأنّ البـين يُفْزِعُنا[5]
عجبـاً لمَوْقفنـا وموقفهـا … وبسَمْـعِ ترْبَيْهـا تُراجِعُنا !
ومَقالِها سِرْ ليلـةً معَنـا … نَعْهَدْ فـإنّ البـينَ فاجعُنا[6]
قلـتُ العيونُ كثيرةٌ معكـم … وأظـنُّ أنّ السَّيْـرَ مانِعُنا
لا بـل نَزورُكُم بأرضكـم … فيُطـاعُ قائلُكـم وشافِعُنا
قالـتْ أشيءٌ أنت فاعلُـه … هـذا لَعَمْرُك أم تُخادِعُنا ؟
بالله حَـدِّثْ مـا تُؤمِّلُـه … واصدُقْ فإنّ الصِّدق واسعُنا
اضْرِبْ لنا أجـلاً نعـد لـه … إخْـلافُ موعِـده تقاطُعُنا

الغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر عمرو أنّه للغريض بالوسطى . وفيه لابن سريج خفيف رملٍ عن الهشاميّ ، وذكر حبشٌ أنّه لموسى شهوات .

---

1 ل : القصيدة .
2 ل : خلفي .
3 أجمر البيت : بثّ فيه بخوراً .
4 ديوان عمر : 434 .
5 يفزعنا في الديوان : فاجعنا (وهو وهم).
6 فاجعنا في ل : شائعنا .

[شعره في زينب بنت موسى الجمحيّة]

ومنها ممّا لم يُنسب أيضاً : [من مجزوء الوافر]

صوت

لقد أَرْسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَذَرَكْ[1]
وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلي عُمَرَكْ
فَهزَّتْ رأسَها عجباً وقالت : مَنْ بذا أَمَرَكْ
أهذا سِحْرُكَ النِّسوا نَ ، قد خبَّرنَني خَبَرَكْ[2]

غنّى فيها ابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو ، وقال قومٌ : إنّه للغريض . وفيها لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن ابن المكّي . وفي هذا الشعر ألحانٌ كثيرةٌ ، والشعر فيها على غير هذه القافية ؛ لأنّ هذه الأبيات لعُمرَ من قصيدة رائيّةٍ موصولة الرّاءات بألفٍ ، إلاّ أنّ المغنّينَ غيَّروا هذه الأبيات في هذين اللّحنين ، فجعلوا مكان الألِف كافاً ؛ وإنّما هي : [من مجزوء الوافر]

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذي حَذَرا

وأوّل القصيدة[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

تَصابَى القلبُ وادَّكَرا صِباهُ ولم يكن ظَهرا
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا صفاءً لم يكن كَدِرا
أليستْ بالتي قالتْ لمولاةٍ لها ظُهُرا
أَشيري بالسّلام لهُ إذا هُوَ نحونا خَطَرا
لقد أَرْسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَذَرا
وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلي عُمَرا
فهَزَّتْ رأسَها عجباً وقالت : مَنْ بِذا أَمَرا !
أهذا سِحْرُكَ النسوا نَ ، قد خبَّرْنني الخبرا

غنّى ابنُ سريج في الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيف ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأُولى أنّه لابن سريج ، وأبو إسحاق ينسبُه في نسخته الثانية إلى دَحمان . وللغريض في الأوّل من الأبيات لحن من

---

1 ديوان عمر : 213 وفيه «بعثت وليدتي سحراً» .

2 سحرك في ل : خدعك .

3 ديوان عمر : 194 والبيتان الأخيران ليسا في الديوان وكذلك الخامس .

القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى في مجراها ، أضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما[1] : [من مجزوء الوافر]

طَرِبَتْ وردَّ مَنْ تهوى ... جِمالُ الحَيِّ فابتكرا
فقُلْ للمالكيَّةِ لا ... تلومي القلبَ إن جَهَرا[2]

وذكر يونس أنّ لمعبدٍ في هذا الشعر الذي أوّله :

تَصابى القلبُ وادّكرا

لحنين لم يذكر جنسيهما ؛ وذكر الهشاميُّ : أنّ أحدهما خفيفُ ثقيل والآخر رملٌ . وفي الأبيات التي غنّى فيها الغريض رملٌ لدحمان عن الهشاميّ ، قال : ويقال إنّه لابنه الزبير . وزينبُ التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة هاهنا يقال لها : زينب بنت موسى أُختُ قُدامة بن موسى الجُمَحِيّ .

أخبرني بذلك محمد بنُ خَلَفِ بن المَرزُبان عن أبي بَكر العامريّ . وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهريّ قال حدّثني عمّي عمران بن عبد العزيز قال : شبّب[3] عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى الجُمَحيّة في قصيدته التي يقول فيها[4] : [من الخفيف]

صوت

يا خَليليَّ مِنْ مَلامٍ دَعاني ... وأَلِمَّا الغَداةَ بالأَظْعانِ[5]
لا تلوما في آل زينبَ إنّ الـ ... ـقلبَ رَهْنٌ بآلِ زينبَ عاني
ما أرى ما بقيتُ أنْ أذكرُ المو ... قِفَ منها بالخَيْفِ إلاّ شجاني

غنّى في هذه الأبيات الغريضُ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو : [من الخفيف]

لم تَدَعْ للنساءِ عندِيَ حظّاً ... غيرَ ما قلتُ مازِحاً بلساني
هي أهلُ الصَّفاءِ والوُدِّ منّي ... وإليها الهَوى فلا تَعْذُلاني
حين قالت لأُختها ولأُخرى ... من قَطينٍ مُوَلَّدٍ : حَدِّثاني[6]

---

1 انظر الديوان : 193–194 .
2 للمالكية في ل : للبربرية .
3 ل : نسب .
4 ديوان عمر : 416 .
5 مَلام في ل : مِ الملام .
6 لأختها في ل : لتربها .

كيفَ لي اليومَ أن أرى عُمَرَ المرْ سِلَ سِرّاً في القولِ أن يَلْقانِي ؟
قالتــا : نَبْتَغِـي رسولاً إليـــه ونُميـــتُ الحديـــثَ بالكِتمانِ
إنّ قلبي بعدَ الذي نِلْتُ منها كالمُعَمَّى عن سائـــر النِّسْوانِ[1]

[عمر وابن أبي عتيق]

قال : وكان سببُ ذكره لها أنّ ابنَ أبي عتيق ذَكرها عنده يوماً فأَطْراها ، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبَّب بها ؛ فبلغ ذلك ابن أبي عتيق ، فلامه فيه وقال له : أتنطِقُ الشعر في ابنة عمّي ؟ فقال عمر[2] : [من الخفيف]

صوت

لا تَلُمْنِـي عتيقُ حَسْبِي الذي بي إنّ بـي يـا عتيقُ ما قد كَفانِي
لا تَلُمني وأنـتَ زَيَّنْتَهـا لي أنـتَ مثلُ الشيطانِ للإنسانِ
إنّ بي داخلاً من الحبّ قد أبْـ ـلَى عِظامي مكنونُهُ وبَـرانِي
لـو بعينيـك يـا عتيقُ نَظَرْنا ليلـةَ السَّفْح قَـرّتِ العينانِ
إذ بدا الكَشْحُ والوشاحُ من الدُّ رِّ وفَصْلٌ فيـه مـن المَـرْجانِ
قـد قَلى قلبـي النساءَ سواها غيرَ مـا قلتُ مازحاً بلساني[3]

وأوّل هذه القصيدة : [من الخفيف]

إنَّنـي اليـومَ عـاد لي أحـزاني وتذكَّرتُ مـا مضى من زماني[4]
وتذكَّـرتُ ظبيـةً أُمَّ رِئـمٍ هاج لي الشوقَ ذِكرُها فشجاني[5]

غنّى أبو العنبس بن حمدون في «لا تلمني عتيق . . .» لحناً من الثقيل الأوّل المُطلق . وفيه رملٌ طُنبوريٌّ مجهولٌ .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله : [من الخفيف]

يـا خليـليَّ مِ المـلام دعاني وألِمَّـا الغـداةَ بـالأَظْعانِ

---

1 كالمعمّى في الديوان : كالمعنَّى .
2 ديوان عمر : 417 .
3 الشطر الثاني في الديوان : بعد ما كانت مغرماً بالغواني .
4 وتذكّرت ما مضى في الديوان : وتذكرت ميعتي .
5 أم رئم في ل : أم زيد .

لا تلوما في آل زينبَ إنّ الـ   ـقلبَ رَهْنٌ بآل زينبَ عاني

. . . القصيدةَ . قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السَّهميّ فأنكره وغضب . وبلغ ذلك ابن أبي عتيق وقيل له : إنّ أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى ، وقال : لا أُقِرُّ لابن أبي ربيعة أن يذكُرَ امرأةً من بني هُصَيْصٍ في شعره . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقَنْدَ على أهل عَدَنَ !

قال الزبير : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهريّ قال حدّثني عَمّي عِمران بن عبد العزيز قال : شبّب عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى في أبياته التي يقول فيها : [من الخفيف]

لا تلوما في آل زينب إنّ الـ   ـقلبَ رهنٌ بآل زينبَ عاني

فقال له ابن أبي عتيق : أمّا قلبُك فقد غُيِّبَ عنّا ، وأمّا لسانُكَ فشاهدٌ عليك .

قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عمران بن عبد العزيز : عذَلَ ابنُ أبي عتيق عمر في ذكره زينب في شعره ؛ فقال عُمر : [من الخفيف]

لا تَلُمْني عتيقُ حَسْبِي الذي بي   إنّ بي يا عتيقُ ما قد كفاني

لا تلمني وأنت زيّنتها لي   . . . .

قال : فبدَره ابن أبي عتيق ، فقال :

أنت مثلُ الشيطان للإنسانِ

فقال ابن أبي ربيعة : هكذا وربِّ البيتِ قلتُه . فقال ابن أبي عتيق : إنّ شيطانك وربِّ القبر[1] ربّما ألَمَّ بي ، فيَجِدُ عندي من عِصيانه خلافَ ما يجد عندك من طاعته ، فيُصِيبُ منّي وأُصيبُ منه .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حدّثني قُدامة بن موسى قال : خرجتُ بأختي زينبَ إلى العُمرة ، فلمّا كنت بسَرِفٍ[2] لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلَّم عليّ . فقلت له : إلى أينَ أراك متوجِّهاً يا أبا الخطّاب ؟ فقال : ذُكِرَتْ لي امرأةٌ من قومي بَرْزَةُ الجمال ، فأردت الحديث معها . فقلت : هل علمت أنّها أُختي ؟ فقال : لا ! واستحيا وثَنى عُنُقَ فرسه راجعاً إلى مكّة .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العُمريّ عن لَقِيط بن

1 يعني قبر الرسول ﷺ .
2 سرف : موضع قريب من مكّة .

بكر المُحاربيّ قال : أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر[1] : [من الطويل]

صوت

مَنْ لسَقيمٍ يكتُم الناسَ ما بـه لزينبَ نَجْوى صدرِه والوَساوِسُ
أقولُ لمن يَبْغِي الشِّفاءَ متى تجيء بزينبَ تُدرِكْ بعضَ ما أنتَ لامِسُ
فإنّك إن لم تَشْفِ من سَقَمِي بها فإنِّيَ مـن طِـبِّ الأطبَّاء آيسُ
ولستُ بناسٍ ليلةَ الدار مجلساً لزينبَ حتى يَعْلُوَ الرأسَ رامِسُ
فلمـا بَـدَتْ قَمْراؤُه وتكشَّفَتْ دُجُنَّتُه وغـابَ مَنْ هو حارِسُ
ومـا نِلتُ منها مَحْرَماً غير أنّنا كِلانا مـن الثوبِ المورَّدِ لابِسُ
نَجِيَّيْنِ نَقْضِي اللهوَ في غير مَأْثمٍ وإن رَغِمَتْ مِ الكاشِحِينَ المَعاطِسُ

قال : فقال ابنُ أبي عتيق : أمِنَّا يسخَرُ ابن أبي ربيعة فأيُّ مَحْرَم بقيَ ؟ ثم أتى عمرَ فقال له : يا عمرُ ، ألم تُخْبرني أنّك ما أتيتَ حراماً قطُّ ؟ قال بلى ! قال : فأخبِرني عن قولك : [من الطويل]

كِلانـا من الثَّوْبِ المورَّد لابسُ

ما معناه ؟ قال : والله لأخبِرنَّك ! خرجتُ أُريد المسجدَ وخرجتْ زينبُ تريده ، فالتقينا فاتّعدْنا لبعض الشِّعاب ، فلمّا توسَّطْنا الشِّعْبَ أخذتْنا السماء ، فكرِهتُ أن يُرى بثيابها بَللُ المطر ، فيقال لها : ألا استترتِ بسَقائِف المسجد أن كنتِ فيه ، فأمرتُ غِلماني فستَرونا بكِساء خَزٍّ كان عليّ ؛ فذلك حين أقول :

كلانا مِنَ الثوب المَطارفِ لابسُ[2]

فقال له ابن أبي عتيق : يا عاهِرُ ، هذا البيت يحتاج إلى حاضِنة !

الغناء في هذه الأبيات التي أوّلها : [من الطويل]

مَنْ لِسَقِيم يكتُم النّاسَ ما بـه

لِرَذاذٍ ثقيلٌ أوّلُ ؛ وكان بعض المحدَثين ممّن شاهدناه يدّعي أنّه له ، ولم يُصَدَّق .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون قال : قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى[3] : [من الخفيف]

---

1 ديوان عمر : 217 .
2 الثوب في ل : من اثواب .
3 ديوان عمر : 226 .

صوت

طال من آل زينبَ الإعراضُ ... للتعدِّي وما بها الإبغاضُ[1]
ووَليدَينِ كان عُلِّقَها القلـ ... ـبُ إلى أن علا الرؤوسَ بياضُ[2]
حبلُها عندَنا متينٌ وحَبْلي ... عندها واهِنُ القُوى أنْقاضُ

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز خفيف رَمَلٍ بالبِنصر عن عمرو . وقال الهشاميّ : فيه لابن جامع خفيف رَمَلٍ آخر .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال : لمّا قال عمر بن أبي ربيعة في زينب : [من الخفيف]

لم تَدَعْ للنساء عندي نصيباً ... غيرَ ما قلتُ مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق : رَضِيتَ لها بالمودّة ، وللنساء بالدّهفشة . قال : والدّهفشة : التّجْميشُ والخديعة بالشيء اليسير . وقال غير الزبير في هذا الخبر : الدهقشة ، مكان الدهفشة .

ومّما قاله عمر في زينب وغُنِّيَ فيه قوله[3] : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الكاشحُ المعيِّر بالصُّرْ ... مِ تَزَحْزَحْ فما لها الهِجْرانُ
لا مُطاعٌ في آل زينبَ فارجعْ ... أو تَكلَّمْ حتّى يَمَلَّ اللِّسانُ
نجعلُ الليلَ موعِداً حينَ نُمْسي ... ثم يُخْفي حديثَنا الكِتْمانُ
كيفَ صَبْري عن بعض نَفْسي وهل يَصْـ ... ـبِرُ عن بعضِ نفسه الإنسانُ !
ولقد أشهَدُ المحدَّثَ عند الـ ... ـقَصْر فيه تَعفُّفٌ وبَيانُ
في زمانٍ من المعيشة لَدْنٍ ... قد مضى عَصْرُه وهذا زمانُ

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرٍو ودنانير . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لابن مُحرز ولحناً لابن عباد الكاتب ، أوّل لحن ابن عبّاد الكاتب :

لا مُطاعٌ في آل زينبَ . . . .

وأوّل لحن ابن مُحرِز :

ولقد أشهد المحدَّث . . . .

---

1 وما بها في د : وما بنا .
2 بياض في د : البياض .
3 ديوان عمر : 420–421 باختلاف في ترتيب الأبيات .

ومّما غُنِّيَ فيه لابن مُحرِزٍ من أشعار عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى قوله[1] : [من المنسرح]

صوت

يا مَنْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ كَلِفٍ يَهْذِي بخَودٍ مريضةِ النَّظَرِ
تمشي الهُوَينا إذا مشَتْ فُضُلاً وهْيَ كمِثْلِ العُسْلُوجِ في الشَّجَرِ[2]

للغَريض في هذين البيتين خَفيف رَمَلٍ بالوسطى ، ولابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ وحبش : [من المنسرح]

ما زالَ طَرْفِي يَحارُ إذ بَرَزَتْ حتى رأيتُ النقصانَ في بَصَرِي
أبصرتُها ليلةً ونسْوَتَها يمشِين بين المَقامِ والحَجَرِ
ما إن طمِعْنا بها ولا طَمِعَتْ حتّى التقينا ليلاً على قَدرِ
بيضاً حساناً خَرائِداً قُطُفاً يَمْشِينَ هَوْناً كمِشْيةِ البقرِ
قَد فُزْنَ بالحسن والجمال معاً وفُزنَ رِسْلاً بالدَّلِّ والخَفَرِ
يُنْصِتْنَ يوماً لها إذا نطقتْ كيْماً يُشَرِّفْنها على البَشَرِ
قالت لِتِرْبٍ لها تُحَدِّثها لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ في عُمرِ
قُومي تَصَدِّي له ليعرفَنا ثم اغمِزيه يا أُخت في خَفَرِ
قالت لها قد غمزتُه فأبى ثم اسبَطَرَّتْ تَسعى على أَثَري[3]
من يُسْقَ بعد المنام ريقتها يُسْقَ بمِسْكٍ وباردٍ خَصِرِ[4]

[غنَّى في هذا الشعر الغريض خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وغنَّى فيه ابن سريج رَمَلاً بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَش] .

[ومنها][5] : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا يا بَكْرُ قد طَرَقا خيالٌ هاج لي أَرقا[6]

---

1 ديوان عمر : 68–69 .
2 فضلاً في ل : قطفاً .
3 اسبطرت : أُسرعت .
4 بعد المنام ريقتها في ل : بعد الكرى بريقتها . الشطر الثاني في ل : يسق بكأس ذي لذة .
5 ديوان عمر : 269–270 .
6 أرقا في د : الأرقا .

لزينب إنّها همّي فكيفَ بحبلِها خلَقا
خَدَلَّجةٌ إذا انصرفتْ رأيتَ وِشاحَها قَلِقا
وساقاً تَمْلأُ الخَلْخا لَ فيه تَراه مُختَنِقا
إذا ما زينبٌ ذُكِرَتْ سكَبتُ الدمع مُتَّسِقا
كأنّ سحابةً تَهْمِي بماءٍ حُمِّلَتْ غَدَقا

الغناء لحُنَين رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن عبّاد خفيف ثقيل ، ويقال : إنّه ليونس . وممّا قاله [فيها] أيضاً وغُنِّيَ فيه : [من البسيط]

صوت[1]

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا قَلَّ الثَّواءُ لَئِن كان الرَّحيلُ غَدا[2]
قد حَلَفتْ ليلةَ الصَّوْرَينِ جاهدة وما على المرء إلاّ الحلْفُ مجتهِدا
لأُختها ولأُخرى من مَناصِفِها لقد وجَدتُ به فوقَ الذي وَجَدا[3]
لو جُمِّعَ الناسُ ثم اختير صَفْوُهُمُ شخصاً من الناس لم أَعدِلْ به أحدا

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبَّابة والبنصر في الأوّل والثاني عن يحيى المكّيّ ، وله فيه أيضاً خفيف رمل بالوسطى في الثاني والثالث والرابع عن عمرو ، ولِمَعْبَد ثقيلٌ أوّل في الأوّل والثاني عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى الغريض ومالك .

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق عن مصعب الزبيريّ قال : اجتمع نسوةٌ فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظَرفه ومجلسه وحديثه ، فتشوّقْن إليه وتمنَّيْنَه . فقالت سُكَينة : أنا لَكُنَّ به ؛ فبعث إليه رسولاً أنْ يُوافي الصَّوْرَيْن[4] ليلةً سمّتها ، فوافاهنَّ على رواحِلِه ، فحدَّثهنَّ حتى طلع الفجر وحان انصرافهنّ . فقال لهنّ : والله إنّي لمحتاجٌ إلى زيارة قبر النبيّ ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكنّي لا أُخلط بزيارتكنّ شيئاً . ثم انصرف إلى مكّة وقال في ذلك :

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفدا

وذكر الأبيات المتقدّمة .

[عود إلى شهادة جرير والنصيب وغيرهما في شعر عمر]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيُّ قال حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال : أنشَد جرير قول عمر بن

1 ديوان عمر : 109 .
2 أفد : قرب ودنا .
3 المناصف : الخدم .
4 الصوران : موضع ببقيع المدينة .

أبي ربيعة[1] : [من الخفيف]

صوت

سائلا الربـعَ بالبُليِّ وقُـولا ... هِجْتَ شوقاً لِيَ الغَداةَ طويلا[2]
أين حَيٌّ حَلَوكَ إذ أنتَ مَحْفُو ... فٌ بهم آهِلٌ أراكَ جَمِيلا ؟
قـال سارُوا فأمْعَنوا واسْتَقَلُّوا ... وبرَغْمـي لَوِ استطعتُ سبيلا
سئمونـا ومـا سئمنـا مُقاماً ... وأحبُّـوا دَماثـة وسُهُـولا

فقال جرير : إنّ هذا الذي كنّا نَدُورُ عليه فأخطأناه وأصابه هذا القُرشيّ . وفي هذه الأبيات رملان : أحدهما لابن سريج بالسَّبَّابة في مجرى الوُسطى ، والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البِنصر جميعاً من روايته . وذكر عمرو : أنّ فيها رَمَلاً ثالثاً بالوُسطى لابن جامع . وقال الهشاميّ : فيها ثلاثة أرمال لابن سُريج ، وابن جامع ، وإبراهيم . ولأبي العَنْبَس بن حمدون فيها ثاني ثقيلٍ . وفيها هزجٌ لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال : وجدتُ كتاباً بخطّ محمد بن الحسن ذُكِر فيه أنّ فُليح بن إسماعيل حدّثه عن معاذٍ صاحب الهَرَويّ أنّ النُّصَيب قال : عمر بن أبي ربيعة أوصَفُنا لرَبَّاتِ الحِجال .

أخبرني الطوسيّ : قال حدّثنا الزبير قال حدّثتني ظَمْياءُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصعب قالت : سمعت جَدَّك[3] يقول وقد أُنْشِد قول عمر بن أبي ربيعة[4] : [من البسيط]

صوت

يا ليتني قد أَجَزْتُ الحبلَ نَحْوَكُمُ ... حَبْلَ المُعَرَّفِ أو جاوزت ذا عُشَرِ
إنّ الثَّواءَ بـأرضٍ لا أراكِ بها ... فاسْتَيقِنيه ثَـواءٌ حَقُّ ذِي كَدَرِ
وما مَلِلْتُ ولكن زاد حُبُّكُمُ ... وما ذكرتُكِ إلاّ ظَلْتُ كالسَّدِرِ[5]
ولا جَذِلتُ بشيءٍ كان بعدَكُـمُ ... ولا مَنَحْتُ سِواكِ الحبَّ من بَشَرِ

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لسَلاَّم بن الغَسَّاني رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع وقَفَا النجار لحنان من كتاب إبراهيم ولم يُجَنِّسهما . وتمام

1 ديوان عمر : 333 .
2 البُليّ : اسم تلّ .
3 ل : خالي .
4 ديوان عمر : 145 .
5 السدر : المتحير .

الأبيات : [من البسيط]

أَدرِي الدموعَ كذي سُقْم يُخامِرُه ... وما يُخامرني سُقْمٌ سوى الذِّكَرِ

قد ذكرتُكِ لو أَجْدى تذكُّرُكُمْ ... يـا أشبهَ الناسِ كلِّ الناسِ بالقمرِ

قالت : فقال جَدّك : إنّ لشعرِ عمر بن أبي ربيعة لَموقِعاً في القلب ، ومخالطةً للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعرٌ يَسْحَرُ لكان شعرُه سحراً .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عِمامةُ بن عمر[1] قال : رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عُروة بن الزبير يسأل المِسْوَرَ بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة ، فجعل يذكُر له شيئاً لا يعرفه ، فيسأله أن يُكْتِبه إيّاه فيفعل ، فرأيته يكتب ويدُه تُرعَد من الفرح .

[مفاضلة بين شعر عمر وشعر الحارث بن خالد]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشون عن عمّه يوسف قال : ذُكِر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتِيق في مجلس رجل من وَلد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبُنا ، يعني الحارث بن خالد ، أشعرهُما . فقال له ابن أبي عتيق : بعض قولك يا ابن أخي ، لِشعْرِ عمر بن أبي ربيعة لَوْطَةٌ[2] في القلب ، وعُلُوقٌ بالنفس ، ودَرَكٌ للحاجة ليست لشعْرٍ ، وما عُصيَ اللهُ جلّ وعزّ بشعر أكثر ممّا عُصيَ بشعر ابن أبي ربيعة ، فخُذْ عنّي ما أصِفُ لك : أشعرُ قريش مَنْ دقَّ معناه ، ولُطف مَدخلُه ، وسَهُل مَخرجه ، ومتُن حَشوه ، وتعطَّفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأَعربَ عن حاجته . فقال المفضِّل للحارث : أليس صاحبُنا الذي يقول[3] : [من الكامل]

إنّي ومـا نَحَرُوا غَداةَ مِنًى ... عنـد الجِمار يؤودها العقْلُ[4]

لـو بُدِّلَـتْ أعلَـى مساكِنِها ... سُفْلاً وأصبـح سُفْلُها يَعْلُو

فَيَكـادُ يعرفهـا الخَبيرُ بهـا ... فَيرُدُّه الإقْـواءُ والمَحْـلُ[5]

لعَرفْتُ مَغْناها بمـا احتمَلَتْ ... منِّـي الضلـوعُ لأهلهـا قَبْلُ

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ، استُرْ على نفسك ، واكتُمْ على صاحبك ، ولا تُشاهد المحافلَ بمثل هذا ؛ أما تَطَيَّر الحارث عليها حين قلَبَ ربعَها فجعل عاليَه سافلَه ! ما بقي إلاّ أن

---

1 ل : عمرو .

2 لوطة : تعلّق والتصاق ؛ ويقال : نوطة والمعنى واحد .

3 ديوان الحارث 77-78 .

4 يؤودها : يثقلها .

5 يعرفها في ل : ينكرها .

يسألَ الله تبرَك وتعالى لها حجارةً من سِجِّيلٍ . ابن أبي ربيعة كان أحسن صُحبةً للربع من صاحبك ، وأجمل مخاطبة حيث يقول : [من الخفيف]

سائــلا الربــعَ بالبُلِــيِّ وقولا هِجْتَ شوقاً لِيَ الغداةَ طويلا

وذكر الأبيات الماضية . قال : فانصرف الرجل خَجِلاً مُذْعِناً .

[شيء من أخبار الحارث بن أبي ربيعة الملقّب بالقباع]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق عن رجاله المسمَّيْنَ ، وأخبرني به الحِرْميّ عن الزبير عن عمّه عن جدّه ، قالوا : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديِّناً من سَرَوات قريش ؛ وإنّما لُقِّب القُباعَ لأنّ عبد الله بن الزبير كان ولّاه البصرة ، فرأى مكيالاً لهم فقال : إنّ مكيالكم هذا لقُباعٌ ، قال : وهو الشيء الذي له قعر ، فلُقِّب بالقُباع .

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المُهلَّبي قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدّثنا خالد بن سعيد قال : استعمل ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة ، فأتوه بمكيال لهم ، فقال لهم : إنّ مكيالكم هذا لَقُباعٌ ، فغلب عليه . وقال أبو الأسود الدُؤَليّ ، وقد عتَب عليه ، يهجوه ويُخاطب ابن الزبير : [من الوافر]

أميرَ المؤمنين جُزيتَ خيراً أَرِحْنا من قُباعِ بني المُغيرَهْ

بَلَوْنـــاه ولُمنـاه فأَعْيـا علينا مـا يُمِرُّ لنـا مَريرَهْ

على أنّ الفتى نِكْحٌ أكولٌ وَوَلّاَجٌ مذاهبُـــه كثيـرهْ

[عمر في اليمن تشوّق إلى مكّة]

قالوا : وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبلَ منه ، فأعطاه ألف دينار على ألاّ يقول شعراً ؛ فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلَحْجٍ وأَبْيَنَ[1] مخافة أن يَهيجَه مُقامُه بمكة على قول الشعر . فطَرِب يوماً فقال[2] : [من البسيط]

صوت

هيهاتَ مـن أَمَـةِ الوَهّاب منزلُنا إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ[3]

1 لحج وأبين : مخلافان باليمن .

2 ديوان عمر : 413–414 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

3 سيف البحر : ساحله .

واحتلّ أهلُكِ أَجْيـاداً وليس لنا … إلاّ التذكُّرُ أو حـظٌّ مِنْ الحَزَنِ[1]
لـو أنّها أبصرتْ بالجَزْعِ عَبْرَتَه … من أنْ يُغَـرِّد قُمْرِيٌّ على فَنَنِ
إذاً رأتْ غير مـا ظَنَّتْ بصاحبها … وأيقنتْ أنّ لَحْجاً ليس من وَطَني
ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها … وموقفي وكلانـا ثَـمَّ ذو شَجَنِ
وقولَهـا للثُّرَيّـا وهـي باكيةٌ … والدمع منها على الخدّينِ ذو سُنَنِ[2]
بـالله قُـولي لـه في غير مَعْتَبَةٍ … ماذا أردتَ بطول المُكْث في اليَمَنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظَفِرْتَ بها … فما أخذتَ بتَرْك الحجّ من ثمنِ[3]

قال : فسارتِ القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر ، قد فَتك وغدَر . قال : وقال ابن جُرَيج[4] : ما ظننتُ أنّ الله عزّ وجلّ ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن مُنشداً يُنشد قوله : [من البسيط]

بالله قـولي لـه في غير معتبـة … ماذا أردتَ بطول المكث في اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرت بها … فما أخذتَ بترك الحجّ من ثمنِ

فحرّكني ذلك على الرجوع إلى مكّة ، فخرجتُ مع الحاجّ وحَججت .

غَنَّى في أبيات عمرَ هذه ابن سُريج ، ولحنُه رَمَلٌ بالبِنصر في مجراها عن إسحاق . وفيها للغريض ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .

[عمر مع الوليد يعرِّفه أحوال الطائف]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفَّان قال حدّثني إسحاق عن السعدي[5] قال : قَدِم الوليد بن عبد الملك مكّة ، فأراد أن يأتي الطائف فقال : هل [لي] في رَجُلٍ علمٌ بأموال الطائف فيُخبرني عنها ؟ فقالوا : عمرُ بن أبي ربيعة . قـال : لا حاجة لي به . ثم عاد فسأل فذكروه له فـردّه . ثم عاد فسأل فذكروه لـه ثمّ ردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ؛ فقال : هاتوه . فركب معه يحدّثه ، ثم حرّك عمرُ رداءه ليُصلحه على كتفه ، فرأى على مَنكِبه أثراً . فقال : ما هذا الأثر ؟ فقال : كنتُ عند جارية لي إذ جاءتني جاريةٌ برسالةٍ من عند جارية أُخرى ، فجعلتْ تُسارُّني ، فغارت التي كنت أُحدّثها فعضَّت مَنكبي ؛ فما وجدتُ أَلَم عَضِّها من لذّة ما كانت تلك تَنفُث

1 أجياد : مكان بمكّة .
2 سنن : طرق .
3 ظفرت في ل : رضيت .
4 ل : ابن جرير .
5 ل : السعيدي .

في أذني ، حتى بلغت ما ترى ، والوليد يضحك . فلمّا رجع عمر قيل له : ما الذي كنتَ تُضحِكُ أمير المؤمنين به ؟ فقال : ما زلنا في حديث الزِّنا حتى رجَعنا .

[المفاضلة بين عمر وعبد الله بن قيس الرقيات]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن عبد الله البكريّ وغيره عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن أبيه قال : دخلتُ مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مُساحِق ؛ فإنّه لَمعتمدٌ على يدي ، إذ مررنا بسعيد بن المسيِّب في مجلسه وحوله جلساؤه ، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ، مَن أَشعرُ : صاحبُنا أم صاحبُكم ؟ يريد : عبد الله بن قيس ، أو عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفلٌ : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال : حين يقول صاحبُنا[1] : [من الطويل]

خليليَّ ما بالُ المَطايا كأنَّما ... نَراها على الأَدْبارِ بالقومِ تَنْكُصُ
وقد قُطِعَتْ أعناقُهنّ صَبابةً ... فأنفُسُنا ممّا يُلاقِينَ شُخَّصُ
وقد أتعبَ الحادي سُراهُنَّ وانتحى ... بِهِنّ فما يَأْلُو عَجولٌ مُقَلِّصُ[2]
يَزِدْنَ بنا قرباً فيزدادُ شَوْقُنا ... إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنْقُصُ

ويقولُ صاحبُك ما شئتَ . فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشعرُ في الغَزَل ، وصاحبنا أكثر أَفانِينَ شعرٍ . فقال سعيد : صدقتَ . فلمّا انقضى ما بينهما من ذِكر الشعر ، جعل سَعيدٌ يستغفر الله ويَعْقِد بيده حتى وفَّى مائةً . فقال البَكريّ في حديثه عن عبد الجبَّار ، قال مُسلِم : فلمّا انصرفنا قلت لنوفل : أتُراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال : كلاَّ هو كثيرُ الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسبُ ذلك للفخر بصاحبه .

[مفاضلة بين جميل وعمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا عَوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثَّقَفيّ : أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة : أيُّ بيت قالته العرب أغزل ؟ فقال بعضهم : قولُ جَميل[3] : [من الطويل]

يموتُ الهوى منِّي إذا ما لَقِيتُها ... ويَحْيا إذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر : قول عمر بن أبي ربيعة[4] : [من البسيط]

---

1 ديوان عمر : 218 .

2 مقلَّص : مشمَّر ثيابه .

3 ديوان جميل (دار صادر) : 40 .

4 ديوان عمر : 100 .

كأنّي حينَ أُمْسِي لا تُكلِّمُني ذو بُغْيةٍ يَبْتَغِي ما ليس موجودا

فقال الوليد : حسبُكَ واللهِ بهذا ! أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مولى هشام بن الوليد بن المُغيرة ، قال : وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يــا أبا الحارثِ قلبــي طائــرٌ فأْتَمِــرْ أمــرَ رشيدٍ مُؤْتَـمَنْ

قال : شهِدتُ عمرَ بن أبي ربيعة ، وجميل بن عبد الله بن معمر العُذْريّ ، وقد اجتمعا بالأَبْطَح ؛ فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

لقَد فَرِحَ الواشونَ أنْ صَرَمَتْ حبلي بُثَينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقولون مَهْلاً يــا جميــلُ وإنّني لأُقْسِمُ مــالي عــن بُثَيْنَةَ من مَهْلِ

حتى أتى على آخرها ، ثم قال لعمر : يا أبا الخطّاب ، هل قلت في هذا الرَّوِيّ شيئاً ؟ قال نعم . قال : فأنْشِدْنِيه ؛ فأنشده قوله[2] : [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها فقَرَّ بني يومَ الحِصابِ إلى قَتْلي[3]
فطارتْ بحَدٍّ من فؤادي وقارنت قرينتُها حبــلَ الصَّفاء إلى حبلي[4]
فلمّا تواقَفنــا عرفــتُ الذي بها كمثل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ
فقُلْــنَ لهــا هـــذا عِشاءٌ وأهلُنا قريبٌ ألَمَّا تَسْأَمي مَركَبَ البَغْلِ
فقالتْ فما شِئتُنّ قلن لهــا انزلي فَللأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ
نُجــومٌ دَراريٌّ تَكَنَّفْنَ صــورةً من البدر وافت غيرَ هُوجٍ ولا عُجْلِ
فسلَّمْتُ واستأنستُ خِيفَةَ أن يَرى عدوٌّ مُقامِي أو يــرى كاشحٌ فِعْلِي
فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتْر إنّما معي فَتَكَلَّمْ غيرَ ذي رِقْبَــةٍ أَهْلِي
فقلتُ لهــا مــا بي لهم من تَرَقُّبٍ ولكنَّ سِرِّي ليس يَحْمِلُــه مثلي
فلمّا اقتصرْنــا دونهـــنّ حديثَنا وهُنّ طَبيباتٌ بحاجة ذي الشَّكْلِ[5]

1 ديوان جميل : 98 .
2 ديوان عمر : 293–294 .
3 الحصاب أو المحصب : موضع رمي الجمار .
4 فؤادي في ل : سهامي .
5 الشكل : الدلُّ .

عَرَفْنَ الذي تَهْوى فقلن ٱئذَني لنا نَطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ[1]
فقالتْ فلا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تَحَدَّثي أتيناكِ ، وانْسَبْنَ انسِيابَ مَهَا الرَّمْلِ
وقُمْنَ وقد أفهمْنَ ذا اللُّبِّ أنّما أَتَيْنَ الذي يأْتِينَ من ذاك من أَجْلِي

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ، لا أقول والله مثل هذا سَجِيسَ الليالي[2] ، والله ما يُخاطب النساء مخاطبتك أحدٌ . وقام مُشمِّراً .

قال أبو عبد الله الزبير قال عمّي مُصعب : كان عمر يُعارض جميلاً ؛ فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها . فيقال : إنّه في الرائية والعَيْنيّة أشعرُ من جميل ، وإنّ جميلاً أشعر منه في اللاّميّة ، وكلاهما قد قال بيتاً نادراً ظريفاً ؛ قال جميل : [من الطويل]

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي

وقال عمر : [من الطويل]

فقالت وأرختْ جانبَ السِّتْر إنّما معي فتكلّم غيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي

[حين سمع الفرزدق بيتاً لعمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان عن إسحاق عن المدائنيّ قال : سمِع الفرزدقُ عمر بن أبي ربيعة يُنْشد قوله : [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينها فقرّبني يوم الحِصابِ إلى قتلي

[ولمّا بلغ قوله : [من الطويل]

فَقُمْنَ وقد أفهمنَ ذا اللبّ أنّما أَتَيْنَ الذي يأتينَ من ذاك من أجلي]

صاح الفرزدق : هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته ، وبكتْ على الديار .

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

منها في قصيدة جميل التي أنشدها عمر ، واستنشده ما له في وزنها : [من الطويل]

صوت

خليليَّ فيما عشْتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي
أَبيتُ مع الهُلاَّكِ ضيفاً لأهلِها وأهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فضلِ[3]

1 تهوى قد تقرأ : نهوى .
2 سجيس الليالي : أبد الدهر .
3 الهلاّك : المتسوّلون أو طالبو المعروف .

أَفِقْ أيّها القلبُ اللَّجُوجُ عن الجَهْلِ ... ودَعْ عنك «جُمْلاً» لا سبيلَ إلى جُمْلِ
فلو تَرَكَتْ عقلي معي ما طلبتُها ... ولكنْ طِلابِيها لِما فات من عَقْلِي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو في الأوّل والثاني من الأبيات. وذكر الهشاميّ الأبيات كلَّها ووصف أنّ الثقيل الثاني الذي يُغَنّى به فيها لمعبد. وذكر يحيى المكّي: أنّ لابن مُحرز في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقيل بالخِنصر والبِنصر. وفي هذه الأبيات التي أوّلها الثالث هزج بالبِنصر يَمانٍ عن عمرو. وفي الرابع والخامس لابن طُنبورةَ خفيف رَمَلٍ عن الهشاميّ. وفيها لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ أيضاً. وذكر حمّادٌ عن أبيه: أنّ لنافع الخَيْرِ مولى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لحناً، ولم يُجَنِّسْه. وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الأوّل لابن طُنبورة.

ومنها في شعر جميل أيضاً: [من الطويل]

صوت

لقد فَرِح الواشونَ أنْ صَرَمتْ حبلي ... بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البخلِ
فلوْ تركتْ عقلي ما طلبتُها ... ولكن طِلابِيها لِمَا فات من عقلي

الغناء لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ.

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أوّل الخبر: [من الطويل]

صوت

فقالت وأَرْخَتْ جانبَ السِّتر إنّما ... معي فتحدّثْ غيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي
فقلتُ لها ما بي لهم من تَرَقُّبٍ ... ولكنّ سرِّي ليس يحمله مثلي
جرى ناصحٌ بالوُدّ بيني وبينها ... فقرَّبني يوم الحِصاب إلى قتلِ

غنَّى في هذه الأبيات ابن سُريج، ولحنه رَمَلٌ مُطلَقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو. وذكر يونس: أنّ فيه لحناً لمالكٍ لم يُجَنِّسه، وذكر الهشاميّ: أنّ لحنَ مالك خفيف ثقيل. وذكر حبشٌ: أنّ لمعبد فيه لحناً من الثَّقيل الأوّل بالبِنصر، ولابن سُريج ثاني ثقيل بالوسطى. [وليس حبشٌ ممّن يُعتمد في هذا على روايته].

[رأي مشيخة قريش في شعر عمر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال: أدركتُ مَشيخة من قريش لا يزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه، والتحلّي بمودّته، والابتيار في شعره. والابتيار: أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به. والابتهار: أن يقول ما لم يفعل.

[نقد ابن أبي عتيق أبياتاً لعمر]

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزاميّ عن عبد العزيز بن عمران قال : قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله[1] : [من الرمل]

صوت

بينما يَنْعَتْنَنِي أبْصَرْنَنِي ... دونَ قِيدِ المِيل يَعْدُو بي الأَغَرّ
قالتِ الكبرى أتَعْرِفْنَ الفتى ... قالتِ الوُسْطى نعمْ هذا عمرْ
قالت الصغرى وقد تَيَّمْتُها ... قد عرفناه وهل يَخْفى القمرْ

الغناء في هذه الأبيات لابن سُرَيج خفيف رَمَلٍ بالبِنصر . فقال له ابن أبي عتيق : وقد أنشدها ، أنت لم تَنسُب بها ، وإنّما نَسَبْتَ بنفسك ؛ كان ينبغي أن تقول : قلتُ لها فقالت لي ، فوضعتُ خَدِّي فوَطِئَتْ عليه .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : لم يذهب على أحدٍ من الرواة أنّ عمر كان عفيفاً يَصِف ولا يقف[2] ، ويَحوم ولا يَرِد .

[عمر والوليد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابيّ ، وحدّثني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق المَوصليّ عن رجاله ، قالوا : كان ابن أبي ربيعة قد حَجَّ في سنة من السنين . فلمّا انصرف من الحجّ أَلْفَى الوليد بن عبد الملك وقد فُرِشَ له في ظهر الكعبة وجلس ، فجاءه عمرُ فسلَّم عليه وجلس إليه . فقال له : أنشِدني شيئاً من شعرك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد ، وهما يرويان كلّ ما قلتُ وهما لك . قال : ائتني بهما ففعل ؛ فأنشداه قوله : [من الطويل]

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

فطرب الوليدُ واهتزّ لذلك ، فلم يزالا يُنشدانه حتى قام ، فأجزل صلتَه ورَدَّ الغلامين إليه .

[عدد من مميّزات شعر عمر]

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقّب «كِيلَجَةَ» قال حدّثني أبو هفّان قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مُصعب بن عبد الله الزبيريّ ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه مصعب أنّه قال : راق عمرُ بن أبي ربيعة الناس

1 ديوان عمر : 174 .
2 في رواية : يصف ويقف .

وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدّة الأَسْر ، وحُسن الوصف ، ودقّة المعنى ، وصواب المَصْدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربع ، وإنطاق القلب ، وحُسْن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفّة المقال ، وقلّة الانتقال ، وإثبات الحجّة ، وترجيح الشكّ في موضع اليقين ، وطُلاوة الاعتذار ، وفَتْح الغزل ، ونهج العِلل ، وعطف المَساءة على العُذّال ، وحُسْن التفَجُّع ، وبَخّل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصَّفاء ؛ إن قَدَح أَورى ، وإن اعتذر أبرأ ، وإن تَشَكّى أَشْجى ، وأقدم عن خِبرة ولم يعتذر بغِرّة ، وأَسَر النوم ، وغَمَّ الطَّير ، وأَغذ السَّير ، وحيَّر ماءَ الشباب ، وسهَّل وقَوَّل ، وقاس الهوى فأَربى ، وعَصى وأخلى وحالف بسَمعه وطرْفِه ، وأَبْرَم نَعْتَ الرسل وحَذّر ، وأعلن الحبَّ وأَسَرّ ، وبطَن به وأَظْهَر ، وأَلَحَّ وأَسَفَّ ، وأَنْكَح النومَ ، وجَنى الحديثَ ، وضربَ ظهره لبَطْنِه ، وأذلَّ صعبَه ، وقَنِع بالرَّجاء من الوفاء ، وأَعلى قاتِلَه ، واستبكى عاذِله ، ونفَّض النوم ، وأَغْلَق رَهْن مِنًى ، وأَهْدَر قَتلاه ؛ وكان بعد هذا كلِّه فَصيحا .

فمن سُهولة شعرِه وشِدّة أَسْرِه قولُه[1] : [من الطويل]

صوت

فلمّا تَواقَفْنا وسلّمتُ أشرقَتْ ... وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تَتَقنَّعا

تَبالَهْـنَ بالعِرْفـان لَمّا رأَينَني ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعا

الغناء لابن عَبّادٍ رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن جامع لحنٌ غيرُ مُجَنَّس عن إبراهيم .

ومن حسن وصفه قولُه[2] : [من البسيط]

لها مـن الرِّيـم عيناه وسُنَّتُهُ ... ونَخْوةُ السابق المُخْتال إذ صَهَلا[3]

ومن دقّة معناه وصواب مصدره قولُه[4] : [من السريع]

صوت

عُوجـا نُحَيِّ الطَّلَلَ المُحْوِلا ... والرَّبْعَ مِـنْ أسمـاء والمنزلا

بسابِـغِ البَوْبـاةِ لم يَعـدُه ... تَقـادُمُ العهـدِ بـأن يُؤْهَلا[5]

---

1 ديوان عمر : 228 .

2 ديوان عمر : 308 .

3 سنته في رواية : ولفتته .

4 ديوان عمر : 310 .

5 البوباة : الفلاة .

الغناء لابن سُريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . قال إسحاق بن إبراهيم : يعني أنّه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد . وقال الزبير : قال بعض المدنيّين : يُحيِّيه بأن يُؤَهَل ، أي يدعو له بذلك .

ومن قصده للحاجة قولُه[1] : [من الخفيف]

صوت

أيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْـرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيانِ[2]

هي شاميّةٌ إذا ما اسْتَقلَّتْ وسُهَيْـلٌ إذا استقلَّ يَماني

ويُروى : «هي غوريَّة» . الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وابن المكّي .

ومن استنطاقه الربعَ قوله : [من الخفيف]

صوت

سائِلا الرَّبْعَ بالبُلَيِّ وقُولا هِجتَ شوقاً لِيَ الغداةَ طويلا

أين حيٌّ حلُّوكَ إذ أنت محفو فٌ بهم آهلٌ أراكَ جميلا

قال ساروا فأمعَنوا واستقلُّوا وبِرَغْمِي لو قد وجدتُ سبيلا

ويروى : وبِكُرهِي لَـو آستطعتُ سبيلا

سئِمُونا ومـا سَئِمْنا جِواراً وأحبُّـوا دَماثَـةً وسُهـولا

فيه رَمَلان : أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البِنصر ، وفيه لأبي العَنْبَس ابن حمدون ثاني ثقيل . وقد شرحتُ نسبتَه مع خبره في موضع آخر . قال إسحاق : أُنشِدَ جريرٌ هذه الأبيات فقال : إنّ هذا الذي كنّا ندور عليه فأخطأناه .

ومن إنطاقه القلب قولُه[3] : [من المديد]

قال لي فيهـا عَتِيقٌ مقالاً فجرتْ ممّـا يقولُ الدموعُ

قال لي وَدِّعْ سُلَيْمى ودَعْها فأجاب القلبُ : لا أستطيعُ

الغناء للهُذَلِيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ . قال : وفيه ليحيى المكيّ ثقيلٌ أوّل نُسِبَ إلى مَعْبَد وهو من مَنحوله .

---

1 ديوان عمر : 438 .

2 الثريا بنت علي بن عبد الله الأموية تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

3 ديوان عمر : 247 .

ومن حسن عَزائه قولُه[1] : [من الطويل]

أألحـقُّ إنْ دارُ الرَّبـاب تباعدتْ ... أو انْبـتَّ حبـلٌ أنّ قلبَك طائرُ
أفِقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الـ ... ـهوى واستمرَّتْ بالرِّجال المرائرُ[2]
زعِ النفسَ واستبقِ الحيـاءَ فإنّما ... تُباعِدُ أو تُدنِي الرَّبـابَ المَقادِرُ[3]
أمِتْ حُبَّها واجعل قَدِيمَ وِصالِها ... وعِشْرَتِها كمثـل مَـن لا تُعاشِرُ
وهَبْها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ ... بـه الدارُ أو مَـنْ غيَّبته المقابرُ
وكالناسِ عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تكن ... أحاديثَ مَنْ يَبْدُو ومن هو حاضرُ

الغناء في بعض هذه الأبيات وأوّله «زَعِ النفسَ» لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن عمرو . وفيه لعمرَ الواديِّ رملٌ بالبنصر عن ابن المكّي . وفيه لـ«قُدارٍ» لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مُجَنَّس . وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكُثَيِّر[4] ، ويرويها الكوفيون للكميت بن معروف الأسديّ ، وذكر بعضها الزبير بن بكّار عن أبي عبيدة لكُثيِّر في أخباره ؛ [ولكلّ فيها أخبار قد ذكرتها في مواضعها] .

ومن حسن غزله في مخاطبة[5] النساء ، قال مُصعب الزبيري : وقد أجمع أهلُ بلدنا ممّن له علمٌ بالشعر أنّ هذه الأبيات أغزلُ ما سمعوا ؛ قوله[6] : [من المتقارب]

صوت

تقولُ غَـداةَ التَقَيْنا الرَّبـابُ ... أيـاذا أقَلْـتَ أفـولَ السِّماكِ
وكَفَّـتْ سوابـقَ مـن عَبْرةٍ ... كما ارفَضَّ نظمٌ ضعيفُ السِّلاكِ
فقلتُ لها مَنْ يُطِعْ في الصَّديقِ ... أعـداءَه يَجْتَنِبْـه كذاكِ
أغَـرَّكِ أنّي عصَيتُ المَلامَ ... فيـكِ وأنّ هوانـا هـواكِ
وألاَّ أرى لَـذَّةً في الحيـاةِ ... تَقَـرُّ بهـا العينُ حتـى أراكِ
فكان من الذنـب لي عندكم ... مُكارَمَتِـي واتِّباعـي رِضاكِ

---

1 ديوان عمر : 133 .
2 بالرجال في ل : بالرحيل .
3 زع : فعل أمر من وزع أي كف وزجر .
4 ل : وهذه الأبيات تنسب لكثير .
5 ل : مخاطبته .
6 ديوان عمر : 287 .

فليــتَ الذي لامَ في حُبّكم   وفي أن تُزاري بقَــرْنٍ وَقاكِ[1]
هُمُـــومَ الحيـــاة واسقامَهـــا   وإن كان حَتْــفٌ جَهيزٌ فَداكِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وذكَر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لحَكَم . وقيل : إنّ فيه لحناً آخر لابن جامع .

ومن عِفّة مقاله قوله[2] : [من الخفيف]

صوت

طالَ لَيْلي واعتادَني اليومَ سُقْمُ   وأصابتْ مَقاتِــلَ القلبِ نُعْمُ
حُرَّةُ الوجــهِ والشمائلِ والجو   هرِ تكليمُها لمــن نــال غُنْمُ
وحديث بمثلــه تُنْزَلُ العُصْــ   ـمُ رَخِيــم يَشُوبُ ذلك حِلْمُ
هكذا وَصْفُ مــا بدا لي منها   ليس لي بالــذي تَغَيَّبَ علْمُ
إن تَجُودي أو تَبْخَلي فبحَمْدٍ   لستِ يا نُعْمُ فيهما مَــن يُذَمُّ

الغناء لابن سُريج رَمَلٌ عن الهشاميّ .

ومن قلّة انتقاله قوله[3] : [من المديد]

صوت

أيّها القائــلُ غيرَ الصــوابِ   أمْسِكِ النُّصْحَ وأَقِلــلْ عِتابي
واجتَنِبني واعلَمَنْ أن ستُعْصى   ولَخَيْــرٌ لــك طــولُ اجتنابي
إن تَقُلْ نُصْحاً فعن ظهرِ غِشٍّ   دائِــم الغِمْرِ بعيــدِ الذّهابِ[4]
ليس بي عِيٌّ بمــا قلتَ إنّي   عالــمٌ أفقــهُ رَجْــعَ الجوابِ
إنّمــا قُــرَّةُ عينــي هواهــا   فــدَعِ اللّومَ وكِلْني لِمــا بي
لا تَلُمْني في الرَّبابِ وأمستْ   عَدَلَتْ للنفس بَــرْدَ الشَّرابِ
هــي واللهِ الذي هــو ربّــي   صادقاً أحلِــفُ غيرَ الكِذابِ
أكــرمُ الأحيــاء طُــرّاً علينا   عند قُــرْب منهــمُ واجتنابِ

1 قرن : اسم مكان وهو قرن المنازل .
2 ديوان عمر : 374 .
3 ديوان عمر : 60 .
4 الغمر : الحقد .

خاطبتْني ساعــةً وهي تبكي ثم عَزَّتْ خُلَّتي في الخِطابِ[1]
وكفى بي مِدرَهــاً لخصُومٍ لِسواهــا عنــد حَــدِّ تَبابِي[2]

الغناء لكَرْدَمٍ ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مَجرى الوُسطى عن إسحاق في الأوّل والخامس ثم الثاني والثالث . وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالبنصر عن يحيى المكيّ .

ومن إثباته الحُجّة قولُه[3] : [من الطويل]

خليليَّ بعضَ اللــوم لا تَرْحَلا بــه رفيقكما حتى تقولا على عِلْمِ[4]
خليليّ مَنْ يَكلف بآخــرَ كالذي كَلِفْتُ بــه يَدمُلْ فؤاداً على سُقْمِ
خليليّ مــا كانت تُصابُ مَقاتِلي ولا غِرَّتي حتى وَقعتُ على نُعْمِ
خليليّ حتى لُــفَّ حَبْلِي بخادِعٍ مُوَقّىً إذا يُرْمى صَيُودٍ إذا يَرْمِي
خليليّ لــو يُرْقَى خليلٌ من الهوى رُقيتُ بما يُدْنِي النَّوارَ من العُصْمِ
خليليّ إن باعدتُ لانَتْ وإن أَلِنْ تُباعِدْ فلم أَنْبُلْ بحَرْبٍ ولا سَلْمِ

ومن ترجيحه الشكَّ في موضع اليقين قوله[5] : [من الطويل]

صوت

نظرتُ إليهــا بالُمحصَّب مــن مِنًى ولي نظــرٌ لــولا التَّحَــرُّجُ عارمُ
فقلــتُ : أشمسٌ أم مصابيحُ بيعَــةٍ بدتْ لك خَلْفَ السَّجْف أم أنت حالمُ
بعيدةُ مَهْــوى القُــرْطِ إمّــا لَنوْفَلٌ أبوهــا وإمّا عبــدُ شمسٍ وهاشمُ[6]
ومَــدَّ عليها السَّجْفَ يــومَ لَقِيتُها على عَجَــلٍ تُبّاعُهــا والخــوادِمُ
فلــم أَسْتَطِعْها غيرَ أنْ قــد بــدا لنا عَشيّــةَ راحــتْ وجهُهــا والمعاصمُ
مَعاصمُ لم تَضرِبْ على البَهْم بالضُّحى عَصاهــا ووجــهٌ لم تَلُحْــهُ السَّمائِمُ[7]

---

1 عزّت : بخلت .
2 المدره : القوي الحجّة .
3 ديوان عمر : 357 .
4 لا ترحلا به رفيقكما : لا تثقلا عليه به (أي باللوم) .
5 ديوان عمر : 348–349 .
6 بعيدة مهوى القرط : يعني أنّ عنقها طويل .
7 البهم : الصغير من أولاد الضأن والمعز .

نُضار تَرى فيه أَساريع مائه ... صَبيحٌ تُغاديه الأَكُفُّ النَّواعمُ[1]
إذا ما دَعتْ أترابَها فاكتنفْنها ... تَمايَلْنَ أو مالتْ بهنَّ المآكِمُ
طَلَبن الصِّبا حتى إذا ما أصَبْنه ... نَزَعْنَ وهنّ المُسْلِماتُ الظّوالمُ

الغناء لمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكّي . وفيها لابن سريج رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً . وفيها للغريض [خفيف] ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

ومن طُلاوة اعتذاره قولُه[2] : [من الخفيف]

صوت

عاودَ القلبَ بعضُ ما قد شَجاهُ ... مِن حبيبٍ أمسى هَوانا هواهُ
يا لقَومي فكيف أصبِرُ عمَّنْ ... لا تَرى النفسُ طِيبَ عيشٍ سِواهُ
أرسَلتْ إذ رأتْ بعاديَ ألاّ ... يَقْبَلَنْ بي مُحَرِّشا إن أتاهُ[3]
دونَ أن يسمَعَ المقالةَ مِنّا ... ولْيُطعْني فإنّ عندي رضاهُ
لا تُطِعْ بي فَدَتْكَ نَفْسي عدوّاً ... لحديثٍ على هَواهُ افْتَراهُ
لا تُطِعْ بي مَنْ لو رآني وإيّا ... كَ أسيرَيْ ضَرُورةٍ ما عَناهُ
ما ضِراري نفسي بهَجْرِيَ مَنْ ليـ ... ـسَ مُسيئاً ولا بعيداً ثراهُ[4]
واجتنابي بيتَ الحبيبِ وما الخُلْـ ... ـدُ بأَشْهَى إليَّ مِن أن أراهُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وقال عمرو : فيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للهُذَليّ . وفيه لابن مُحرِزٍ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وابتداؤه نشيدٌ أوّله : «ما ضراري نفسي» . وقال الهشاميّ : وفيه لعُلَيَّةَ بنتِ المَهديّ وسعيد بن جابر لَحنانِ من الثقيل الثاني .

[ومن نهجه العلل]

ومن نهجه العِلَل قولُه[5] : [من المتقارب]

---

1 نضار : صافٍ أو نضير . أساريع : طرائق .
2 ديوان عمر : 440 .
3 المحرش : المحرض .
4 ثراه في ل : نواه .
5 ديوان عمر : 91 .

وآيـــةُ ذلكِ أنْ تسمَعـي إذا جئتُكـــم ناشداً يَنْشُدُ[1]
فرُحْنـا سِراعـاً وراح الهوى دليـــلاً إليهـا بنـا يَقْصِدُ
فلمّا دَنَوْنـا لجَرس النُّبـا ح والصوتِ ، والحيُّ لم يَرْقُدوا
بَعَثْنـا لهـا باغيـاً ناشداً وفي الحـيّ بُغْيَـةُ مـن يَنْشُدُ

وقد نُسبتْ هذه الأبيات إلى مَنْ غَنّى فيها مع :

تَشِطُّ غـداً دارُ جيراننـا

ومن فتحه الغزلَ قولُه[2] : [من الطويل]

إذا أنت لم تَعْشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوى فكُنَّ حجراً من يابس الصَّخْرِ جَلْمَدا

ومن عطفه المساءة على العُذّال قولُه[3] : [من الخفيف]

صوت

لا تَلُمْني عَتِيقُ حَسْبي الذي بي إنّ بي يـا عَتِيقُ ما قد كَفاني
لا تَلُمْنـي وأنـت زيَّنْتَها لي أنت مثـلُ الشيطان للإنسانِ

الغناء لأبي العَنْبَس ابن حمدون ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ من مجموع أغانيه . وفيه رملٌ طُنبوريٌّ مُحْدَث . وفيه هَزَجٌ لأبي عيسى ابن المتوكِّل .

ومن حسن تفجّعه قوله[4] : [من الطويل]

صوت

هَجرتَ الحبيبَ اليومَ من غير ما اجْتَرمْ وقَطَّعْتَ من ذي وُدِّكَ الحبلَ فانصرمْ
أطعتَ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ مَقالةَ واشٍ يَقْرَعِ السِّنَّ مِـنْ نَدَمْ[5]
أتـاني رسولٌ كنـتُ أحسَبُ أنّـه شَفيقٌ علينـا ناصـحٌ كالذي زَعَمْ
فلمّـا تباثَثْنا الحديـثَ وصَرَّحَتْ سَرائِرُه عن بعض مـا كان قـد كَتَمْ
تَبَيَّـنَ لي أنّ المُحَـرِّشَ كاذبٌ فعندي لكِ العُتْبى على رَغْمِ مَنْ رَغِمْ

1 ناشداً ينشد في رواية : منشداً ينشد .
2 ديوان عمر : 118 .
3 ديوان عمر : 417 .
4 ديوان عمر : 356 .
5 الوشاة في ل : عدو ، وفي ديوانه «الوشاة» .

فمِلاّنَ لُمْتُ النفسَ بعــد الذي مَضى ... وبعــد الذي آلتْ وآليتُ مِنْ قَسَمْ[1]
ظلمْـتَ ولم تُعْتِـبْ وكان رسولُهـا ... إليك سريعــاً بالرِّضا لـكَ إذ ظَلَمْ

الغناء لابن سريج رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وقال يونس : فيه لابن سريج لحنان ، وذكر الهشاميّ أنّ لحنه الآخر ثقيلُ أوّلُ ، وأنّ لعَلُّويه فيه رملاً آخر .

ومن تبخيله المنازل قوله[2] : [من الطويل]

صوت

عَرَفْـتُ مَصيفَ الحيِّ والْمُتَرَبَّعا ... ببَطْــنِ حُلَيَّــاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا[3]
إلى السَّرْحِ من وادي الْمُغَمَّسِ بُدِّلَتْ ... مَعالِمُها وَبْــلاً ونَكْباءَ زَعْزَعا[4]
فَيبْخَلْنَ أو يُخْبِرنَ بالعلم بعدمـا ... نَـكَأْنَ فؤاداً كان قِدْماً مُفَجَّعا

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى .

ومن اختصاره الخبر قوله[5] : [من الطويل]

صوت

أمِـن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبكِرُ ... غَداةَ غــدٍ أم رائــحٌ فمُهَجِّرُ
لحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها ... فتُبلغَ عــذراً والمقالــةُ تُعذِرُ
أشارت بِمدْراها وقالت لتربها ... أهذا المُغيريُّ الذي كان يُذكرُ
لئن كان إيّاه لقــد حال بعدَنا ... عن العهد والإنسانُ قــد يَتَغيَّرُ

الغناء لابن سريج رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البِنصر ، وله أيضاً في بيتين آخرين من هذه القصيدة ، وهما قوله : [من الطويل]

وليلةَ ذي دَوْرانَ جَشّمتِني السُّرى ... وقــد يَجْشَمُ الهولَ المحبُّ الْمُغَرَّرُ
فقلــتُ أُبادِيهــم فإمّــا أفوتُهــم ... وإمـّا ينــالُ السَّيفُ ثــأراً فيثأرُ

رَملٌ آخرُ بالوسطى عن عمرو . قال الزبير حدّثني إسحاق الموصلي قال : قلتُ لأعرابيٍّ ما معنى قول ابن أبي ربيعة : [من الطويل]

---

1 فملاّن : فمن الآن .

2 ديوان عمر : 227 .

3 حليات : اسم موضع ، لعلّه قرب مكّة .

4 المغمس : موضع قرب مكّة في الطريق إلى الطائف .

5 ديوان عمر 120–127 .

لحاجة نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها فتُبلِغَ عُـذْراً والمقالـةُ تُعذِرُ

فقال : قام كما جلَس .

ومن صدقه الصفاء قوله[1] : [من الخفيف]

كلُّ وصلٍ أمسى لديك لأُنثى غيرِها وصلُها إليها أَداءُ
كلُّ أُنثى وإن دنتْ لوصالٍ أو نأتْ فَهْيَ للرَّباب الفِداءُ

وقوله[2] : [من المتقارب]

صوت

أُحِبُّ لحبِّكِ مَـن لم يكنْ صَفِيّاً لنفسي ولا صاحِبا
وأَبـذُلُ مـالي لَمرْضاتِكم وأُعْتِبُ مَـنْ جاءكم عاتبا
وأرغَبُ في وُدّ مَنْ لم أكن إلى وُدّه قبلَكـم راغبـا
ولو سَلَكَ الناسُ في جانبٍ من الأرضِ واعتزلتْ جانِبا
لَيَمَّمْـتُ طِيَّتَهـا إنّنـي أرى قُرْبَها العجبَ العاجِبا

الغناء لابن القَفَّاص رملٌ عن الهشاميّ ويحيى المكّيّ ، وفيه للرِّبَعيِّ لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مُجَنَّس .

ومما قَدَحَ فيه فأورَى قوله[3] : [من الرمل]

صوت

طالَ لَيْلِـي وتَعَنَّاني الطَّرَبْ واعتراني طـولُ هَمٍّ ووَصَبْ
أرْسلَتْ أسمـاءُ في مَعْتَبةٍ عَتَبَتْها وهي أحلى مَنْ عَتَبْ
أَنْ أتـى منهـا رسولٌ مَوْهِناً وجَـد الحـيَّ نيامـاً فانقلبْ
ضربَ البابَ فلم يَشْعُرْ بـه أحـدٌ يفتح بابـاً إذ ضَرَبْ
قـال : أيقـاظٌ ، ولكن حاجةٌ عَرَضَتْ تُكْتَمُ منّا فاحتجبْ
ولَعَمْـداً ردَّني ، فاجتَهـدَتْ بِيَمِينٍ حَلْفَـةً عنـد الغضبْ

---

1 ديوان عمر : 14 .
2 ديوان عمر : 66 .
3 ديوانه 28–29 .

يَشهَد الرحمـــنُ لا يجمعُنـا سَقْفُ بيتٍ رَجَباً بعد رجبْ
قلـتُ حِـلاً فاقْبَلي مَعْذِرتي ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أحبّ
إنّ كفِّـيَّ لكِ رَهْنٌ بالرِّضا فاقْبَلي يا هندُ ، قالت قد وجَبْ

الغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لدحمان خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمعبدٍ لحن من كتاب يونس لم يُجنِّسه ، وذكر الهشاميّ أنّه خفيف ثقيلٍ . وفيه لابن سريج رملٌ عن الهشاميّ .

قال مَن حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايتُهُ التي رواها عليٌّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن رجاله والحرميُّ عن الزبير عن عمّه : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأةً يقال لها «أسماء» ، فكان الرسول يختلف بينهما زماناً وهو لا يقدر عليها . ثم وعدته أن تزوره ، فتأهّب لذلك وانتظرها ، فأبطأت عنه حتى غلبته[1] عينُه فنام ، وكانت عنده جاريةٌ له تخدمه ؛ فلم تَلبث أن جاءت ومعها جاريةٌ لها ، فوقفت حَجرَةً[2] وأمرت الجارية أن تضرب الباب ، فضربته فلم يستيقظ . فقالت لها : تطلّعي فانظري ما الخبر ؟ فقالت لها : هو مُضطجعٌ وإلى جنبه امرأة ، فحلفت لا تزوره حَوْلا ؛ فقال في ذلك : [من الرمل]

طال ليلي وتَعَنّاني الطَّرَبْ

قال أبو هَفَّان في حديثه : وبعث إليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وكانت جَزْلَةً[3] من النساء ، فصدَقَتْها عن قصّته وحلفت لها أنّه لم يكن عنده إلاّ جاريته ، فرضيت . وإيّاها يَعني عمر بقوله : [من الرمل]

فأتتهـا طَبَّـــةٌ عالمـــةٌ تَخلِطُ الجِـدَّ مِـراراً باللَّعِبْ
تُغْلِظُ القولَ إذا لانـتْ لها وتُراخي عندَ سَوْراتِ الغضبْ
لم تَـزَلْ تَصْرِفُها عن رأيها وتأنَّاهــا برِفْـــقٍ وأدبْ

قال إسحاق في خبره : وحدّثني ابن كُناسَةَ قال أخبرني حَمَّاد الراوية قال : استنشدني الوليد بن يزيد ، فأنشدته نحواً من ألف قصيدة ، فما استعادني إلاّ قصيدة عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

طال لَيلي وتعنَّاني الطربْ

---

1 ل : حملته .
2 حجرة : ناحية .
3 جزلة : عاقلة .

فلمّا أنشدته قوله : [من الرمل]

فأتتهـــا طَبَّـــةٌ عالمَـــةٌ تَخلِطُ الجِـدّ مِـراراً باللَّعِبْ

إلى قوله :

إنّ كفِّـي لكِ رَهْـنٌ بالرِّضا فاقبَلي يا أُخت قالت قد وجبْ[1]

فقال الوليد : وَيْحَكَ يا حمَّاد ! أُطلُبْ لي مثلَ هذه أُرسِلها إلى سلمى . يعني امرأته سلمى بنتَ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وكان طَلَّقها ليتزوّج أُختَها ثم تَتَبَّعَتْها[2] نفسُه .

قال إسحاق وحدّثني جماعة منهم الحرميُّ والزبيريُّ وغيرهما : أنّ عمر أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة ؛ فقال له ابن أبي عتيق : الناس يطلبون خليفة مذ قُتِل عثمان في صفة قَوَّادتِك هذه يدبِّر أمورَهم فما يجدونه ! .

رَجْعٌ إلى خبر عمر الطويل

قالوا : ومن شعره الذي اعتذرَ فيه فأبرأ قوله[3] : [من الخفيف]

فالتقينا فَرَحَّبَتْ حـين سلَّمـ ـتُ وكَفَّتْ دمعاً من العين مارا[4]
ثـم قالـتْ عنـد العِتابِ رَأَيْنا منـكَ عنَّـا تَجلُّـداً وازْوِرارا
قلتُ كلاَّ لاهِ ابنُ عمِّك بل خِفْـ ـنا أُمـوراً كنَّـا بهـا أَغْمارا[5]
فجعلنـا الصُّدُودَ لَمّـا خَشِينا قالـةَ النـاسِ للهـوى أَسْتارا
ليس كالعهـد إذ عَهِدْتِ ولكن أوقـدَ الناسُ بالنميمـة نـارا
[فلِذاكِ الإعراضُ عنكِ وما آ ثَرَ قلبي عليكِ أُخرى اختيارا]
مـا أُبـالي إذا النَّـوى قَرَّبَتْكم فدَنَوْتُم مَنْ حَـلَّ أو مَـنْ سارا
فالليـالي إذا نَـأَيـتِ طِـوالٌ وأَراهـا إذا قَرُبْـتِ قصارا

ومن تَشَكِّيه الذي أشجى فيه قوله[6] : [من الطويل]

1 يا أخت في رواية : يا هند .
2 ل : تبعتها .
3 ديوان عمر : 160–163 .
4 مار الدمع : جرى .
5 لاه ابن عمّك : لله ابن عمّك .
6 ديوان عمر: 48–49 .

صوت

لَعَمْرُكِ مــا جاورتُ غُمْدانَ طائعاً وقَصْرَ شَعُوبٍ أن أكونَ به صَبّا[1]
ولكنَّ حُمَّى أَضْرَعَتْني ثلاثــةً مُجَرَّمَــةً ثــم استمــرَّتْ بنا غِبّا[2]
وحتى لو آنّ الخُلْدَ تَعْرِضُ إنْ مشت إلى الباب رِجْلِي ما نقلتُ لها إربا
فإنّــكِ لــو أبصرتِ يومَ سُوَيقَةٍ مُناخي وحَبسي العِيسَ دامِيةً حُدْبا[3]
ومَصْــرَعَ إخــوانٍ كأنّ أَنِينَهــم أنينُ المَكاكِي صادفتْ بلداً خِصْبا
إذاً لاقْشَعَرَّ الرَّأسُ منك صَبابَةً ولاستفرغتْ عيناكِ من سَكْبةٍ غَرْبا[4]

غَنّى في الأوّل والثاني من هذه الأبيات معبدٌ ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيهما لمالك ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ ، ونسبه يونس إلى مالك ولم يُجنِّسه .

ومن إقدامه عن خِبرة ولم يعتذر بغِرَّة قوله[5] : [من المتقارب]

صَرَمْتُ وواصلتُ حتّى عرفـ ـتُ أيــن المَصادِرُ والمَورِدُ
وجَرَّبتُ مــن ذاك حتى عرفـ ـتُ مــا أتوقّى ومــا أَعمِدُ

ومن أَسْره النومَ قوله[6] : [من الخفيف]

نامَ صَحْبي وباتَ نومي أسيرا أرقُب النَّجمَ مَوْهِناً أن يغُورا

ومن غَمِّه الطيرَ قوله[7] : [من الطويل]

فَرُحْنا وقلنا للغلام افضِ حاجةً لنــا ثــم أَدْرِكْنا ولا تتغبَّرِ
سِراعاً تَغُمُّ الطيرَ إن سنَحَتْ لنا وإن تَلْقَنا الرُّكْبانُ لا نَتَخَبَّرِ

نتغبّر ، من قولهم : غبرَ فلان أي لبِث .

ومن إغْذاذه السيرَ قوله[8] : [من الخفيف]

1 غمدان وشعوب : قصران باليمن .
2 أضرعتني : أذلّتني . ثلاث مجرمات : ثلاثة أعوام كاملات .
3 حدبا في ل : جربا .
4 صبابة في ل : عجابة .
5 ديوان عمر : 90 .
6 ديوان عمر : 160 .
7 ديوان عمر : 130 .
8 ديوان عمر : 160–163 .

قلتُ سِيرا ولا تُقِيما بِبُصْرى وحَفِيرٍ فمـا أُحِـبُّ حَفِيرا[1]
وإذا مـا مررتُما بمَعـانٍ فأقِـلاَّ بـه الثَّـواءَ وسِيرا
إنّما قَصْرُنا إذا حَسَّر السيـ ـرُ بعيـراً أن نَستجِدَّ بَعِيرا[2]

ومن تحبيره ماءَ الشباب قوله[3] : [من الخفيف]

صوت

أبرَزوها مثـلَ المَهاةِ تَهادى بين خَمْسٍ كَواعِـبٍ أَتْرابِ
ثـم قالـوا تحبُّهـا قلتُ بَهْراً عددَ القَطْرِ والحصى والترابِ
وهـي مكنونـةٌ تحيَّر منهـا في أَدِيم الخَدَّيْنِ ماءُ الشبابِ

الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشاميّ ، وقيل : بل هو هذا .

ومن تَقويله وتَسْهيله قوله[4] : [من البسيط]

قالتْ على رِقْبةٍ يومـاً لجارتها ما تأمُرينَ فإنّ القلـبَ قـد تُبِلا
وهل لي اليومَ منْ أختٍ مُواخِيةٍ منكنَّ أَشْكُو إليها بعضَ ما فَعلا
فراجعتْهـا حَصـانٌ غير فاحشةٍ برَجْعِ قولٍ ولُبٍّ لم يكن خَطِلا
لا تذكُري حُبَّـه حتـى أُراجِعَه إنِّي سَأَكْفِيكِه إنْ لم أمُتْ عَجَلا
فاقْنَيْ حياءَكِ في سَتْرٍ وفي كَرَمٍ فلستِ أَوَّلَ أنثـى عُلِّقتْ رجُلا

وأما ما قاس فيه الهوى فقوله[5] : [من الطويل]

وقَرَّبْنَ أسبابَ الهـوى لمتيَّمٍ يَقِيسُ ذراعاً كلّما قِسنَ إصبَعا

ومن عصيانه وإخلائه قوله[6] : [من الخفيف]

وأَنْصُّ المَطِـيَّ يَتْبَعْنَ بالرَّكْـ ـبِ سِراعاً نَواعِـمَ الأظْعانِ

---

1 بصرى : مدينة بالشام . حفير : نهر بالأردن .
2 قصرنا : غايتنا . حسَّره : جعله حسيراً أي ضعيفاً مجهداً .
3 ديوان عمر : 59 .
4 ديوان عمر : 315–317 .
5 ديوان عمر : 228 .
6 ديوان عمر : 419 .

فَنَصِيدُ الغَرِيرَ مِـن بقر الوَحـ ـشِ ونَلْهُـو بلـذَّة الفِتْيانِ
في زمانٍ لو كنتِ فيه ضَجِيعي غيرَ شَكٍّ عَرَفتِ لي عِصْيانِي
وتَقَلَّبْـتِ في الفِراشِ ولا تَـدْ رِينَ إلاّ الظُّنُـونَ أين مكاني

ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله[1] : [من البسيط]

سَمْعِي وطَرْفِي حَلِيفاها على جسدي فكيف أصْبِرُ عن سَمْعِي وعن بَصَرِي
لـو طاوعـاني عـلى ألاّ أُكلِّمَهـا إذاً لَقَضَّيْتُ مـن أوْطارِهـا وَطَرِي

ومن إبرامه نعتَ الرسلِ قوله[2] : [من مجزوء الكامل]

فبعثتُ كاتمـةَ الحديـ ـثِ رَفِيقـةً بَجَوابِها
وحْشِيَّـةً إنسيَّـةً خَرّاجـةً مـن بابهـا
فَرَقَـتْ فسهَّلتِ المَعـا رِضَ من سبيل نِقابِها

ومن تحذيره قوله[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

لقـد أرسلتُ جاريتـي وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ
وقُـولي في مُلاطَفَـةٍ لزينـبَ نَـوِّلي عُمَـرَكْ
فإنْ داويـتِ ذا سَقَمٍ فأخزى اللهُ مَنْ كَفَرَكْ
فهزَّتْ رأسَها عجبـاً وقالتْ مَنْ بِـذا أمركْ
أهـذا سِحْـرُك النِّسْوا نَ ، قـد خبَّرْنني خَبَركْ
وقُلْـنَ إذا قضى وَطَراً وأدْرَكَ حاجـةً هَجَرَكْ

غنَّى ابن سُريج في هذه الأبيات ، ولحنُه خَفيف ثقيل . ولابن المَكِّي فيها هزج بالوسطى . وفيها رملٌ ذكر ذُكاءُ وجهُ الرُّزَّة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنّه لابن جامع ، وذكر قُمْرِيٌّ أنّه له وأنّ ذُكاء أبطل في هذه الحكاية .

قال الزبير : حدّثني عمّي قال حدّثني أبي قال : قال شيخ من قريش : لا تُرَوُّوا نساءكم

1 ديوان عمر : 140 .
2 ديوان عمر : 27 .
3 ديوان عمر : 213 .

شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورّطن في الزّنا تورُّطاً ؛ وأنشد : [من مجزوء الوافر]

لقــد أرسلتُ جاريتــي وقلتُ لها خُذي حَذَرَكْ

. . . الأبيات .

ومن إعلانه الحبَّ وإسراره قوله[1] : [من الطويل]

شكوتُ إليها الحبَّ أُعْلِنُ بعضَه وأخفيــتُ منـــه في الفؤادِ غَليلا

وممّا أبطن به وأظهر قوله[2] : [من الرمل]

حُبُّكم يــا آل لَيْلى قاتِــلي ظهــرَ الحبُّ بجسمي وبَطَنْ
ليس حُبٌّ فوقَ مــا أحببتُكُم غيرَ أَنْ أَقْتُــلَ نفسي أو أُجَنّ

وممّا أَلَحَّ فيه وأَسَفَّ قوله[3] : [من الخفيف]

ليت حَظّي كطَرْفة العين منها وكثيرٌ منهــا القليــلُ المُهَنّا
أو حديثٌ على خَلاءٍ يُسَلّي ما يُجِــنُّ الفؤادُ منهــا ومِنّا
كَبُرَتْ رَبِّ نعمةً منكَ يوماً أنْ أراها قبــل الممــاتِ ومَنّا

ومن إنكاحه النومَ قوله[4] : [من الكامل]

صوت

حتّى إذا مــا الليلُ جَــنّ ظلامُه ونظـرتُ غَفلـةَ كاشحٍ أن يغفلا
واستَنْكَحَ النومُ الذين نَخافُهم وسَقى الكَرى بَوّابَهُــمْ فاستُثْقِلا
خرجتْ تَـأَطَّرُ في الثيابِ كأنّها أيْــمٌ يسيبُ على كَثيبٍ أَهْيَلا[5]

الغناء لمعبد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه ألحانٌ لغيره وقد نُسبت في غير هذا الموضع مع قوله :

وَدِّعْ لُبابةَ قبل أن تترحَّلا

ومن جَنْيِه الحديثَ قوله : [من الخفيف]

1 ديوان عمر : 313 .
2 ديوان عمر : 414 .
3 ديوان عمر : 406 .
4 ديوان عمر : 312 .
5 الأيم : الحية .

وجَوارٍ مُساعِفــاتٍ على اللَّهْــ ـــو مُسِرَّاتِ باطِــنِ الأَضْغانِ
صُيَّدٍ للرجال يَرشُقْن بالطَّرْ فِ حِسانٍ كخُــذَّلِ الغِزْلانِ
قد دَعاني وقــد دَعاهُنَّ لِلَّهـ ـــوِ شُجُونٌ مُهِمَّـــةُ الأَشجانِ
فاجتَنَيْنا مــن الحديــث ثِماراً ما جنَى مثلَهـــا لَعَمْرُك جاني

ومن ضَرْبه الحديثَ ظهرَه لبطنه قولُه[1] : [من الخفيف]

في خَــلاء مــن الأَنيس وأَمْنٍ فَبَثَثْنــا غَليلَنـــــا واشْتَفَيْنا
وضربْنا الحديثَ ظهــراً لبطنٍ وأتينا مــن أمرنــا مــا اشْتَهَيْنا
فمكثْنــا بــذاكَ عَشْرَ ليــالٍ في قضـــاءِ لِدَيْنِنا واقتَضَيْنا

ومن إذلاله صعبَ الحديث قوله[2] : [من الطويل]

فلمّــا أَفَضْنا في الهــوى نستبينُه وعاد لنا صعبُ الحديث ذَلُولا
شكوتُ إليها الحبَّ أُظْهِرُ بعضَه وأخفيتُ منــه في الفؤادِ غَليلا

ومن قَناعتِه بالرجاء من الوفاء قوله[3] : [من الخفيف]

فِعِــــدي نائــلاً وإن لم تُنيلي إنّـــه ينفـعُ المُحِــبَّ الرجاءُ

قال الزبير : هذا أحسن من قول كثيِّر[4] : [من الطويل]

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليـــلٍ ولا أرضَى لـه بقليلِ

ومن إعلائه قاتلَه قوله[5] : [من الكامل]

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهَبي فاشْكِي إليها مــا علمتِ وسَلِّمي
قُولي يقــولُ تَحرَّجي في عاشقٍ كَلِفٍ بكــم حتّى المماتِ مُتيَّمِ
ويقول إنّكِ قــد علمتِ بأنّكُمْ أصبحتُمُ يا بِشْرُ أَوْجَـهَ ذي دمِ
فُكِّــي رَهِينَتَــه فــإنْ لم تَفعَلي فاعْلي على قَتْلِ ابنِ عمِّك واسْلَمي

---

1 ديوان عمر : 430 .
2 ديوان عمر : 313 .
3 ديوان عمر : 15 .
4 لم يرد البيت في ديوان كثيِّر .
5 ديوان عمر : 364–365 .

فتضاحكتْ عَجَباً وقالتْ حقُّه ... ألاّ يُعَلِّمَنا بما لم نَعْلَمِ
علمي به ، واللهُ يَغْفِرُ ذنبَه ، ... فيما بدا لي ، ذو هَوًى مُتَقَسِّمِ
طَرِفٌ يُنازِعهُ إلى الأَدْنى الهوى ... ويُبِتُّ خلَّةَ ذي الوِصالِ الأَقْدَمِ[1]

ومن تنفيضه النومَ قولُه[2] : [من الطويل]

فلمّا فَقَدْتُ الصوتَ منهم وأُطفئتْ ... مَصابيحُ شُبَّتْ بالعشاءِ وأَنْؤُرُ
وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيوبَه ... وروَّح رُعْيانٌ ونَوَّم سُمَّرُ
ونَفَّضْتُ عنّي النومَ أقبلْتُ مِشْيَةَ الـ ... ـحُباب ورُكْني خَشْيَةَ القومِ أَزْوَرُ[3]

ومن إغلاقه رَهْنَ منًى وإهداره قَتْلاً قوله[4] : [من الطويل]

فَكَمْ من قَتِيلٍ ما يُباءُ به دمٌ ... ومن غَلِقٍ رَهْناً إذا لَفَّه مِنى[5]
ومن مالِئٍ عينيه من شيءِ غيره ... إذا راح نحو الجَمْرةِ البِيضُ كالدُّمى

وكان بعد هذا كلِّه فصيحاً شاعراً مِقوَلاً .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي ، وأخبرنا به عليّ بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن رجاله : أنّ عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلّم امرأة في الطَّواف ، فعاب ذلك عليه وأنكره . فقال له : إنّها ابنة عمّي . قال : ذاك أشنعُ لأمرك . فقال : إنّي خطَبْتُها إلى عمّي ، فأبى عليّ إلاّ بصَداق أربعمائة دينار ، وأنا غير مُطِيق ذلك ، وشكا إليه من حبِّها وكَلَفِه بها أمراً عظيماً ، وتَحَمَّلَ به على عمِّه . فسار معه إليه فكلَّمه . فقال له : هو مُمْلِق ، وليس عندي ما أُصْلِحُ به أَمرَه . فقال له عمر : وكم الذي تريده منه ؟ قال : أربعمائة دينار . فقال له : هي عليّ فزوِّجْه ، ففعل ذلك .

وقد كان عمر حين أَسَنَّ حلَف ألاّ يقولَ بيتَ شعر إلاّ أعتق رقبةً . فانصرف عمرُ إلى منزله يحدِّث نفسَه ؛ فجعلتْ جاريةٌ له تكلّمه فلا يردّ عليها جواباً . فقالت له : إنّ لك لأمراً ، وأراك تريد أن تقول شعراً ؛ فقال[6] : [من الوافر]

1 طرف : ملول .
2 ديوان عمر : 123 .
3 الحباب : الحية .
4 ديوان عمر : 18 .
5 أباء دمه : أخذ ثأره وقتل قاتله . غلق الرهن : استحقّ أجله ولم يفكّ .
6 ديوان عمر : 436 .

صوت

تقـــولُ وَليدتِـــي لمّا رأتْني طَرِبْتُ وكنتُ قد أقصرتُ حِينا
أراكَ اليومَ قد أحدثتَ شوقاً وهـــاجَ لكَ الهوى داءٌ دَفِينا
وكنتَ زعمتَ أنّك ذو عَزاءٍ إذا مـــا شئتَ فارقتَ القَرِينا
بربِّكَ هـــل أتاكَ لهـــا رسولٌ فشاقَكَ أم لَقِيتَ لهـــا خَدِينا
فقلتُ شكا إليّ أخٌ مُحِـــبٌّ كَبَعْضِ زَمانِنـــــا إذ تَعْلَمِينا
فقَصَّ عليّ مـــا يَلْقى بهند فذكَّـــر بعضَ مـــا كنَّا نَسِينا
وذو الشَّوْقِ القديم وإنْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حـــين يلقى العاشقينا
وكم مـــن خُلَّةٍ أعرضتُ عنها لغيرِ قِلىً وكنتُ بهـــا ضَنِينا
أردتُ بِعادَها فصَدَدْتُ عنها ولـــو جُـــنَّ الفؤادُ بها جنونا

ثم دعا تسعةً من رقيقه فأعتقهم لكلّ بيتٍ واحدٌ . الغناء لابن سريج رَمَلَ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ . وفيه ثقيل أوّلُ يقال : إنّه للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أنّ فيه لدَحمان خفيف رَمَلٍ .

[عمر وعروة]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال : ذكرَ ابنُ الكلبيّ أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُساير عُروة بن الزبير ويُحادثه ، فقال له : وأين زينُ المواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عُروة ، وكان يسمَّى بذلك لجماله . فقال له عروة هو أمامَك ؛ فركض يطلبه . فقال له عروة : يا أبا الخطَّاب ، أوَلَسنا أكفاءً كِراماً لمحادثتك ومسايرتك ؟ فقال : بَلى بأبي أنت وأمّي ! ولكنّي مُغْرًى بهذا الجمال أتْبَعُه حيث كان . ثم التفت إليه وقال[1] : [من البسيط]

إنّي امـرؤٌ مُولَعٌ بالحسن أتبعُه لا حظَّ لي فيـه إلاّ لَذّةُ النَّظَرِ

ثم مضى حتى لَحِقَه فسار معه ، وجعَل عروة يضحك من كلامه تعجّباً منه .

[عمر ومالك بن أسماء]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله قال : رأى عمرُ بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتمامه ، فسأل عنه فقيل له : هذا مالكُ بن أسماءَ بن خارجة . فجاءه فسلَّم عليه وقال له : يا ابن أخي ، ما زلت أتشوّقكَ

1 ديوان عمر : 212 .

منذ بلغني قولُك : [من الخفيف]

إنَّ لي عنــدَ كلِّ نَفْحَـةِ بستا ... نٍ مـن الوَرْد أو من الياسمِينا
نظـرةً والتفاتـــةً أتمنَّـى ... أنْ تكـوني حلَلْتِ فيما يَلِينا

ويروى : «. . . أترجَّى ... أن تكوني حللت . . .» .

[عمر وامرأة أبي الأسود الدؤلي]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني مولًى لزياد قال : حَجَّ أبو الأسود الدُّؤليّ ومع امرأته وكانت جميلة . فبينا هي تَطوف بالبيت إذ عرَض لها عمر بن أبي ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فأتاه أبو الأسود فعاتبه . فقال له عمر : ما فعلتُ شيئاً . فلمّا عادت إلى المسجد عاد فكلَّمها ، فأخبرتْ أبا الأسود ؛ فأتاه في المسجد وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له : [من الطويل]

وإنّي ليَثْنِيني عن الجهل والخَنا ... وعن شَتْم أقوامٍ خلائــقُ أربعُ
حيــاءٌ وإسلامٌ وبُقيــا وأنَّني ... كريمٌ ومثلي قــد يَضُرُّ وينفعُ
فشَتَّانَ مــا بيني وبينَك إنَّني ... على كلِّ حــالٍ أستقيمُ وتَظْلَعُ

فقال له عمر : لستُ أعودُ يا عَمِّ لكلامِها بعد هذا اليوم . ثم عاود فكلَّمها ، فأتَتْ أبا الأسود فأخبرته ، فجاء إليه فقال له : [من الطويل]

أنت الفتى وابنُ الفتى وأخو الفتى ... وسَيِّدُنــا لــولا خَلائِــقُ أربعُ
نُكُولٌ عن الجُلَّى وقُرْبٌ من الخنا ... وبُخْــلٌ عــن الجَدْوى وأنّك تُبَّعُ

ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مُشتَمِلاً على سيف . فلمّا رآهما عمر أعرض عنها ؛ فتمثَّل أبو الأسود : [من البسيط]

تَعْدُو الذِّئابُ على من لا كِلابَ له ... وتتَّقِي صَوْلَــةَ المستأسِدِ الحامِي

[رأي الفرزدق في شعر عمر]

أخبرني ابن المَرْزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم الفِراسيّ قال حدّثنا العُمَريّ قال أخبرنا الهيثم بن عديّ قال : قَدِم الفرزدق المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صُوَيْمٌ ، وللآخر ابن أسماء ، وُصِفا له فقصدهما ، وكان عندهما قِيانٌ ؛ فسلَّم عليهما وقال لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا فِرعون ، وقال الآخر : أنا هامان . قال : فأين منزلكُما في النار حتى أقصدكما ؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق الشاعر ؛ فضحك ونزل ، فسلَّم عليهما وسلَّما عليه وتعاشروا مدّة . ثم سألهما أن يَجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ففعلا ، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن

أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

فلمّــا التَقَيْنا واطمأنَّتْ بنا النَّوى وغُيِّبَ عنّا مَــنْ نخافُ ونُشْفِقُ

حتى انتهى إلى قوله :

فقُمْـــنَ لكـــيْ يُخْلِينَنا فترقرقتْ مَدامِـعُ عَيْنَيْهـــا وظَلَّـــتْ تَدَفَّقُ

وقالت أمَــا ترحَمْنَنِي لا تَدَعْنَنِي لَدى غَــزِلٍ جَــمٍّ الصَّبابة يَخْرُقُ

فقلنَ اسْكُتِي عنَّــا فلَسْتِ مُطاعةً وخِلُّكِ منَّا ، فاعلمي ، بِكِ أَرْفَقُ

فصاح الفرزدق : أنتَ والله يا أبا الخطّاب أغزلُ الناس ، لا يُحسن والله الشعراءُ أن يقولوا مثل هذا النَّسيب ولا أن يَرْقوا مثل هذه الرُّقْية ؛ وودّعه وانصرف .

[عمر وابن عياش]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن المُغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه : أنّه حَجَّ مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ، فأتى عمر بن أبي ربيعة وقد أسَنَّ وشاخ ، فسلَّم عليه وساءله ثم قال له : أيَّ شيءٍ أحدثتَ بعدي يا أبا الخطّاب ؟ فأنشده[2] : [من الطويل]

يقولون : إنّي لستُ أصدُقُكِ الهوى وإنِّــيَ لا أرعــاكِ حــين أَغيبُ

فما بالُ طَرْفِي عَفَّ عمّا تَساقطتْ لــه أعــينٌ مــن مَعْشَرٍ وقُلوبُ

عَشِيَّةَ لا يَسْتَنْكِفُ القومُ أن يَرَوْا سَفاهَ امــرىءٍ ممّن يقــال لبيبُ

ولا فِتْنَةً مــن ناسكٍ أَوْمَضَتْ له بعــين الصِّبا كَسْلَى القيامِ لَعُوبُ

تَــرَوَّحَ يَرْجُــو أن تُحَطَّ ذُنوبُــه فــآبَ وقــد زِيــدتْ عليه ذنوبُ

وما النُّسْكُ أَسْلانِي ولكنَّ للهوى على العــين منِّــي والفؤادِ رقيبُ

[عمر والنسوة اللاتي واعدهنّ بالعقيق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال : واعد عمر بن أبي ربيعة نسوةٌ من قريش إلى العقيق ليتحدَّثن معه ؛ فخرج إليهنّ ومعه الغَريضُ ، فتحدّثوا مَلِيّاً ومُطِروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلُّوا عليهنّ بمِطرَفِه وبُرِدَيْن له حتى استترنَ من المطر إلى أن سكن ، ثم انصرفن . فقال له الغريض : قل في هذا شعراً حتى أُغنِّي فيه ؛ فقال عمر[3] : [من المتقارب]

1 ديوان عمر : 265 .

2 ديوان عمر : 33 ولم يرد فيه البيت الرابع .

3 ديوان عمر : 330 .

صوت

ألـم تسألِ المنـزلَ المُقفِـرا ... بيانـاً فيكتُـمَ أو يُخْبِرا
ذكرتَ به بعض ما قد شَجاكَ ... وحُقَّ لذي الشَّجْو أن يَذْكُرا
مُقـامَ الحبيبين قـد ظاهَـرا ... كِساءً وبُرْدَيْـنِ أن يُمْطَرا[1]
ومَمْشى الثلاثِ بـه مَوْهِناً ... خرجـن إلى زائـرٍ زُوَّرا
إلى مجلسٍ مـن وراء القِباب ... سَهْـلِ الرُّبـا طيِّـبٍ أعْفَرا
غَفَلْنَ عن اللَّيـلِ حتّى بدتْ ... تَباشيرُ مـن واضـحٍ أسْفَرا
فقُمْـنَ يُعَفِّـينَ آثارَنـا ... بأكسيـة الخَـزِّ أن تُقفَرا
مَهاتـانِ شيَّعتـا جُـؤْذُراً ... أسيـلاً مُقَلَّـدُه أحْـوَرا[2]
وقُمْنَ وقُلْـنَ لَـوَ آنَّ النهارَ ... مُـدَّ لـه اللَّيـلُ فاستأخَرا
قَضَيْنـا بـه بعضَ أشْجانِنا ... وكان الحديـثُ بـه أجْدَرا

ذكر ابن المكيّ أنّ الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر ، وذكر الهشاميّ أنّ هذا اللحن للغريض ، وأنّ لحن ابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . قال : ولدَحْمانَ فيه أيضاً ثاني ثقيل آخر بالوسطى . وفيها لابن الهِرْبِذِ خفيف رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . وقال حبشٌ : فيها لمعبد خفيف ثقيلٍ بالوسطى .

[عمر وابن أبي عتيق]

أخبرنا محمد بن خَلَفَ بن المرزبان قال حدّثني أبو العبّاس المَدِينيّ قال أخبرنا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو يُنشد قوله[3] : [من الطويل]

ومَنْ كان مَحْزوناً بإهـراق عَبْرةٍ ... وَهَى غَرْبُهـا فَلْيأتِنا نبكـه غَدا
نُعِنْه على الإثْكال إنْ كان ثاكِلاً ... وإن كان مَحْروباً وإنْ كان مُقْصَدا[4]

قال : فلمّا أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخِرِّيتَ وقال له : قُمْ بنا إلى عمر . فَمضَيا إليه ، فقال له ابن أبي عتيق : قد جئناك لموعدك . قال : وأيُّ موعدٍ بيننا ؟ قال : قولُك : «فليأتِنا نَبْكِه غدا» . قد جئناك ، والله لا نبرَحُ أو تَبْكِي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف على أنّك

1 الحبيبين في رواية : المحبين .
2 جؤذراً في ل : ربرباً .
3 ديوان عمر : 114 .
4 مقصداً في رواية «محزونا» . والمقصد : المطعون أو المرمي بسهم .

غير صادق . ثم مضى وتركه . قال ابن عائشة : خالدُ الخِرِّيت هو خالد بن عبد الله القَسْرِيّ .

[عود إلى خلق عمر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا دَماذ عن الهيثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عيّاش الهمداني قال : لَقِيتُ عمر بن أبي ربيعة فقلت له : يا أبا الخطّاب ، أكُلُّ ما قلته في شِعرك فعلته ؟ قال : نعم ، وأستغفر الله .

[عمر ينزل الكوفة على ابن هلال]

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفَّان عن إسحاق عن عبد الله بن مصعب قال : قدِم عمر بن أبي ربيعة الكوفة ، فنزل على عبد الله بن هلالٍ الذي كان يقال له صاحبُ إبليس ، وكان له قَيْنتان حاذقتان ، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما ؛ فقال في ذلك[1] : [من الكامل]

يا أهلَ بابِلَ ما نَفِسْتُ عليكُمُ   من عَيشِكم إلاّ ثلاثَ خِلالِ
ماءَ الفُراتِ وطِيبَ ليلٍ باردٍ   وغِناءَ مُسْمِعَتَيْنِ لابن هِلالِ[2]

[وصف عمر وغيره للبرق]

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفَّان عن إسحاق عن رجاله : أنّ عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد وأبا ربيعة المُصْطَلِقِيّ ورجلاً من بني مَخزوم وابن أُخت الحارث بن خالد ، خرجوا يُشَيِّعونَ بعض خلفاء بني أُميّة . فلمّا انصرفوا نزلوا «بَسِرفٍ» فلاح لهم برقٌ ؛ فقال الحارث : كلُّنا شاعر ، فهَلُمُّوا نَصِفِ البرقَ . فقال أبو ربيعة : [من الطويل]

أرِقْتُ لبرقٍ آخرَ الليـلِ لامعٍ   جَرى من سَناه ذو الرُّبا فيُنابعُ[3]

فقال الحارث : [من الطويل]

أرِقتُ له ليلَ التَّمامِ[4] ودونَـه   مَهامِهُ مَوْماةٍ وأرضٌ بَلاقِعُ[5]

فقال المخزوميّ : [من الطويل]

يُضِيءُ عِضاهَ الشَّوْكِ حتّى كأنّه   مَصابيحُ أو فجرٌ من الصُّبحِ ساطِعُ

فقال عمر : [من الطويل]

1 ديوان عمر : 336 (م) .
2 مسمعتَيْن في ل : محسنتين .
3 ينابع : موضع ببلاد هذيل .
4 ليل التمام : أطول ليلة في الشتاء .
5 نقل جامع شعر الحارث الخبر والأبيات عن الأغاني ص 23 .

أيـا ربِّ لا آلُو المودَّةَ جاهِـداً لأسماءَ فاصْنَعْ بي الذي أنتَ صانعُ

ثم قال : مالي وللبرق والشوك !

[تتمّة خبر عمر ونسوة واعدنه بالعقيق]

أخبرني عمِّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : كان عمر بن أبي ربيعة وخالدٌ القَسْرِيّ معه ، وهو خالد الخِرِّيتُ ، ذات يوم يمشيان ، فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يُشَبِّبُ بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان ، فقصداهما وجلسا معهما مَلِيّاً ، فأخذتْهم السماء ومُطِروا . ثم ذكر مثل خبرٍ تقدّم ، وروِيتُه آنفاً عن هاشم بن محمد الخزاعيّ ، وذكرَ الأبيات الماضية ، ولم يذكر فيها خبر الغَريض . وحكى أنّه قال في ذلك[1] : [من الطويل]

صوت

أفي رَسْمِ دارٍ دَمْعُـكَ المُتَرَقْـرِقُ سَفاهـاً وما استنطاقُ مـا ليس يَنْطِقُ
بحيثُ التَقى «جَمْعٌ» ومُفْضى «مُحَسِّرٍ» مَغانِيَ قـد كادَتْ على العَهْدِ تَخْلَقُ
ذكرتُ به مـا قـد مضى من زماننا وذِكْـرُكَ رَسْمَ الدارِ مِمَّـا يُشَوِّقُ
مَقامـاً لنـا عند العِشاء ومجلساً بـه لم يُكـدِّرْه علينـا مُعَـوِّقُ
ومَمْشى فَتـاةٍ بـالكِساءِ تَكُنُّنـا بـه تحت عَيْنٍ بَرْقُهـا يتألَّـقُ
يَبُـلُّ أعالِـي الثوبِ قَطْـرٌ وتحتَـه شُعاعٌ بَدا يُعْشِي العيـونَ ويُشْرِقُ
فأحسنُ شيءٍ بَـدْءُ أوّلِ ليلِنـا وآخـرُه حُـزْنٌ إذا نتفـرّقُ

ذكر يحيى بن المكيّ أنّ الغناء في ستّة أبيات متواليةٍ من هذا الشعر لمعبدٍ خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى .

[عمر وليلى بنت الحارث البكرية]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال أخبرني مصعب قال : لَقِي عمرُ بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البكريّة وهي تسير على بغلة لها ، وقد كان نسَب بها ، فقال : جعلني الله فِداكِ ، عَرِّجي ها هنا أسْمِعْكِ بعض ما قلته فيك . قالت : أَوَ قد فعلت ؟ قال نعم ، فوقفت وقالت : هاتِ . فأنشدها[2] : [من الوافر]

صوت

ألا يـا لَيْلُ إنّ شِفاءَ نفسي نَوالُـكِ إن بَخِلْـتِ فَنَوِّلينا

1 ديوان عمر : 274 .

2 ديوان عمر : 437 .

وقــد حضرَ الرَّحِيلُ وحانَ منّا   فِراقُكِ فانظُـري مـا تأمُرِينا

فقالت : آمُرك بتقوى الله وإيثار طاعتِه وتَرْكِ ما أنت عليه . ثم صاحتْ ببغلتها ومضتْ .

وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّي ، وذكر الهشاميّ أنّه من مَنْحولِه إلى ابن سريج . وفيهما رملٌ طُنبوريٌّ لأحمد بن صَدَقة .

أخبرني بذلك جَحظة عنه . وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرَّازي قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن ابن الأعرابيّ : أنّ ليلى هذه كانت جالسةً في المسجد الحرام ، فرأتْ عمر بن أبي ربيعة ، فوجّهت إليه مَولًى لها فجاءها به . فقالت له : يا ابن أبي ربيعة ، حتّى متى لا تزال سادراً في حَرَم الله تُشَبِّبُ بالنساء وتُشيد بذكرهنّ ؟ أمَا تخاف الله ؟ قال : دعيني من ذاك واسمعي ما قلتُ . قالت وما قلتَ ؟ فأنشدها الأبيات المذكورة . فقالت له القول الذي تقدَّم أنّها أجابته به . قال : وقال لها : اسمعي أيضاً ما قلت فيك ، ثم أنشدها قوله[1] : [من الرمل]

أمِـنَ الرَّسْمِ وأطْـلالِ الدِّمَنْ   عاد لِي وَجْدِي وعاودتُ الحَزَنْ
إنّ حُبِّـي آلَ ليـلى قاتـلي   ظهـرَ الحبُّ بجسمي وبَطَنْ
يا أبـا الحارث قلبـي طائـرٌ   فأْتَمِرْ أمـرَ رشيـدٍ مؤتَمنْ
الْتَمِسْ للقلبِ وصلاً عندها   إنّ خيرَ الوَصْلِ مـا ليس يُمَنْ
عَلِقَ القلبُ ، وقـد كان صَحا   من بني بَكْرٍ غزالاً قـد شَدَنْ[2]
أحـورَ المُقْلـةِ كالبـدرِ ، إذا   قُلِّـد الدُّرَّ فقلبـي مُمْتَحَنْ
ليس حُبٌّ فوقَ مـا أحببتُكم   غيرَ أنْ أَقْتُـلَ نفسي أو أُجَنّ
خُلِقَتْ للقلـبِ منّـي فِتْنَـةً   هكـذا يُخْلَـقُ معروضُ الفِتَنْ

قال : وفيها يقول[3] : [من الخفيف]

إنّ ليـلى وقـد بلغتُ المَشيبا   لم تَـدَعْ للنساء عندي نصيبا
هاجِـرٌ بيتَهـا لأنْفِـيَ عنها   قولَ ذي العيبِ إن أرادَ عيوبا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء

الغناء في الأبيات الأولى النونيّة لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ ، يقال : إنّه أوّلُ ثقيلٍ غنّاه ، كان يُغنّي الخفيف ، فعِيبَ بذلك فصنع هذا

1 ديوان عمر : 414 مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .
2 شدن : شبَّ .
3 لم يرد البيتان في ديوانه .

اللحن . وفيه لعبد الله بن يونس الأُبُـلّي رَملٌ عن الهشاميّ .

والغناء في : [من الخفيف]

إنَّ ليلى وقد بلغتُ المشيبا

لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لكَرْدَمٍ ثقيل أوّلُ بالوسطى عن عمرو أيضاً . وذكر إبراهيم أنّ فيه لحنا لعَطَرَّدٍ ، ولم يجنسه .

[حديث عمر مع النوار]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني محمد بن منصور الأَزْديّ قال حدّثني أبي عن الهيثم بن عديّ قال : بينما عمر بن أبي ربيعة منصرفٌ من المُزدلِفة يريد مِنًى إذ بَصُر بامرأة في رِحالةٍ ففُتِن ، وسمع عجوزاً معها تُناديها : يا نَوارُ استتري لا يَفْضَحْكِ ابن أبي ربيعة . فاتَّبعها عمر وقد شَغَلَت قلبه حتى نزلت بمِنًى في مِضرَب قد ضُرِب لها ، فنزل إلى جنب المِضرب ، ولم يزل يَتَلَطَّف حتى جلس معها وحادثها ، وإذا أحسنُ الناس وجهاً وأحلاه مَنطِقاً ، فزاد ذلك في إعجاب عمر بها . ثم أراد معاودتها فتعذّر ذلك عليه ، وكان آخر عهده ؛ فقال فيها[1] : [من الكامل]

صوت

عَلِـق النَّوارَ فُـؤادُهُ جَهْلا ... وصَبا فلم تترك لـه عقلا
وتعرّضتْ لي في المَسيرِ فما ... أمسى الفؤادُ يَرى لها مِثْلا
ما نعجةٌ من وحش ذِي بَقَرٍ ... تَغْذُو بسَقْط صَرِيمةٍ طِفْلا[2]
بألَـذَّ منهـا إذ تقـول لنا ... وأردتُ كَشْفَ قِناعها : مَهْلا
دعْنـا فإنّـك لا مُكارِمـةً ... تَجزِي ولَسْتَ بواصلٍ حَبْلا
وعليكَ مَنْ تَبَلَ الفؤادَ وإن ... أمسى لقلبك ذِكرُه شُغْلا
فأجبتُها إنّ المحبّ مُكَلَّفٌ ... فدَعِي العِتابَ وأحدِثِي بَذْلا[3]

الغناء لابن مُحرِز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثاني ثقيل بالبنصر ينسب إلى ابن عائشة .

1 ديوان عمر : 334 .
2 النعجة : البقرة . الصريمة : الرملة المنقطعة عن الرمال ، وسقطها : منتهاها .
3 مكلّف : مثل كلف .

[عمر وأمّ الحكم]

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني أبو عبد الله السَّدوسيّ عن عيسى بن إسماعيل العَتَكِيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال: حجَّت امرأة من بني أُميّة يقال لها أُمُّ الحَكَم، فقدِمتْ قبل أوانِ الحجّ مُعتمِرةً. فبينا هي تطوف على بغلةٍ لها إذ مرَّت على عمر بن أبي ربيعة في نَفرٍ من بني مخزوم وهم جلوسٌ يتحدّثون وقد فَرَعهم[1] طولاً وجهَرهم جمالاً وبهَرهم شارةً وعارضةً وبياناً، فمالت إليهم ونزلت عندهم، فتحدّثت معهم طويلاً ثم انصرفت. ولم يزل عمر يتردّد إليها إلى أن انقضت أيّام الحجّ، فرحلت إلى الشام. وفيها يقول عمر: [من المتقارب]

تـأوّب لَيْـلي بنَصبٍ وهَمّ ... وعاودتُ ذِكْرى لأُمّ الحَكَمْ[2]
فبِتُّ أُراقِبُ ليلَ التَّمام، ... مَنْ نـام من عاشقٍ لم أَنَمْ
فإن تَريـني على ما عَـرا ... ضعيفَ القيامِ شديدَ السَّقَمْ
قـد كتبَ فـوقَ الفِـراش ... مـا إن تُقِــلُّ قيامِي قَدَمْ
بآنسةٍ طيّــبٍ نَشْرهـــا ... هَضيمِ الحَشا عَذْبةِ المُبتَسَمْ

في أوّل الأبيات الثلاثة غناء. وقبلها وهو أوّل الصوت: [من المتقارب]

صوت

وفتيانِ صدقٍ صِباحِ الوجو ... ه لا يَجِدون لشيءٍ أَلَـمْ[3]
مِن آل المُغيرةِ لا يَشْهدُون ... عند المَجازِرِ لحـمَ الوَضَمْ[4]

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقيل الثاني بالبنصر وهو الذي يقال له الماخُوريُّ، عن عمرو. وفيه ثاني ثقيل يُنسب إلى ابن سريج والغريض ودَحمان. وفيه لابن المكيّ خفيف رَمَلٍ.

[حديث عمر مع سكينة بنت الحسين]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان عن إسحاق عن أبي عبد الله الزبيريّ قال: اجتمع نسوةٌ من أهل المدينة من أهل الشرف، فتذاكَرْنَ عمر بن أبي ربيعة وشِعره وظَرفه وحسن حديثه، فتَشَوَّقْن إليه وتمنَّيْنَهُ؛ فقالت سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام: أنا لَكُنّ به. فأرسلت إليه رسولاً وواعدته الصَّوْرَين، وسمّت له الليلة والوقت، وواعدت

1 فرعهم: زاد عليهم طولاً.
2 النصب: العناء. لم ترد هذه الأبيات في الديوان.
3 ديوان عمر: 389.
4 الوضم: خشب أو نحوه يقطع فوقه اللحم؛ ولحم الوضم: لحم يقطع للميسر، وهو يفرق على الفقراء.

صواحباتها ؛ فوافاهنّ عمر على راحلته ، فحدّثهنّ حتى أضاء الفجر وحان انصرافهنّ . فقال لهنّ : والله إنّي لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخلط بزيارتكنّ شيئاً . ثم انصرف إلى مكّة وقال[1] : [من الكامل]

صوت

قالت سُكَينةُ والدموعُ ذَوارِفٌ ... منها على الخَدَّيْــنِ والجِلْبابِ
ليـتَ المُغيريَّ الذي لم أَجزِه ... فيما أطــال تصيُّدِي وطِلابِي
كانت تــردُّ لنا المُنَــى أيّامنا ... إذ لا نُلامُ على هَوًى وتَصابي
خُبِّرتُ مــا قالتْ فبِتُّ كأنّما ... تَرْمِــي الحَشا بنَوافِـذِ النُّشّابِ
أَسُكَيْنَ مــا ماءُ الفُراتِ وطِيبُه ... مِنِّــي على ظمإٍ وفَقْدِ شَرابِ
بألذَّ منكِ وإن نأيــتِ وقلَّما ... ترعَى النساءُ أمانَــةَ الغُيَّابِ

الغناء للهُذَليّ رَمَلٌ بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه للغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن حَبَشٍ . قال وقال فيها : [من المتقارب]

صوت

أُحِبُّ لحبّكِ مَــنْ لم يكن ... صَفِيّــاً لنفسي ولا صاحِبا
وأَبــذُلُ نفسي لَمرْضاتكــم ... وأُعتِبُ مَــنْ جــاءكم عاتِبا
وأرغَبُ في وُدِّ مَــنْ لم أكن ... إلى ودِّه قبلَكـــــم راغِبــا
ولــو سلَكَ الناسُ في جانبٍ ... مِن الأرض واعتزلــتْ جانبا
لَيَمَّمْـــتُ طِيَّتَهـــا ، إنَّني ... أرى قُرْبَها العَجَـــبَ العاجبا
فمــا ظبيةٌ مــن ظبــاء الأرا ... كِ تَقْرُو دَمِيث الرُبَى عاشِباَ[2]
بأحسنَ منهـــا غَــداةَ الغَمِيمِ ... وقد أبــدتِ الخَدَّ والحاجبا[3]
غـــداةَ تقــولُ على رِقْبَـــةٍ ... لخادِمِها : يــا احْبِسي الراكبا
فقالت لها : فِيمَ هــذا الكلامُ ... وأبــدتْ لهــا عابساً قاطِبا
فقالـــت كريـــمٌ أتى زائـــراً ... يَمُـــرُّ بكـــم هكـــذا جانِبا

---

1 ديوان عمر : 63 وفيه أنّه قالها في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف .
2 يقرو : يتتبّع ، ودميث الربى : السهل اللين منها .
3 الغميم : اسم موضع بين مكّة والمدينة .

شريــفٌ أتــى رَبْعَنــا زائــراً فأكْــرِهْ رجعتَـــه خائبــا

[بغوم وأسماء]

غنّى في الأوّل والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفّاص المكّيّ ، ولحنه رملٌ من رواية الهشاميّ : وحدّثني وَكيعٌ وابن المرزبان وعمّي قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحراميّ قال حدّثنا محمد بن مَعْنٍ الغِفاريّ قال حدّثني سُفيان بن عُيينة قال : بينا أنا ومِسْعَرُ بن كِدامٍ مع إسماعيل بن أميّة بفِناء الكعبة إذا بعجوزٍ قد طلعت علينا عَوراء متّكئةً على عصاً يُصفّق أحد لَحْيَيها على الآخر ، فوقفت على إسماعيل فسلّمت عليه ، فردّ عليها السلام ، وساءلها فأحفى[1] المسألة ، ثم انصرفتْ . فقال إسماعيل : لا إله إلاّ الله ؛ ماذا تفعل الدنيا بأهلها ؟ ثم أقبل علينا فقال : أتعرفان هذه ؟ قلنا : لا والله ، ومَن هي ؟ قال : هذه «بَغُومُ» ابن أبي ربيعة التي يقول فيها : [من الخفيف]

حَبّــذا أنتِ يــا بَغُــومُ وأسما ءُ وعِيصٌ يَكُنُّنــا وخَــلاءُ[2]

أُنظرا كيف صارت ، وما كان بمكّة امرأة أجمل منها . قال : فقال له مِسعر : لا وربِّ هذه البَنِيَّة ، ما أُرى أنّه كان عند هذه خيرٌ قطُّ . وفي هذه الأبيات يقول عمر[3] : [من الخفيف]

صوت

صَرَمتْ حَبْلَكَ البغومُ وصَدَّتْ عنــكَ في غير رِيبَـةٍ أسماءُ
والغَوانِــي إذا رأيْنَــكَ كَهْلاً كان فيهنّ عن هَــواكَ الْتِواءُ
حَبَّذا أنتِ يــا بَغُــومُ وأسما ءُ وعِيــصٌ يكُنُّنــا وخَلاءُ
ولقــد قلتُ ليلــةَ الجَزْلِ لَمّا أخضلتْ رَيْطَتِي عليّ السماءُ[4]
ليتَ شِعْري ، وهل يَرُدَّنَّ لَيْتٌ ، هــل لهــذا عند الرَّباب جزاءُ
كُلُّ وَصْلٍ أَمْسى لديَّ لأنثى غيرِهــا وَصْلُها إليهـــا أداءُ
كلّ خَلْقٍ وإنْ دنــا لِوصَالٍ أو نــأى فهو للرَّبــابِ الفِداءُ
فعِــدِي نائــلاً وإن لم تُنيلِي إنّمــا يَنْفَعُ المحــبَّ الرجــاءُ

---

1 أحفى المسألة : بالغ وأطال في السؤال .
2 العيص : الشجر الكثيف .
3 ديوان عمر : 15 .
4 الجزل : اسم موضع قرب مكّة .

لِمعبد في : «ولقد قلت ليلة الجزل . . .» والذي بعده خفيفُ ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن يونسَ وإسحاقَ ودَنانيرَ ، [وهو من مشهور غنائه] .

أخبرني الحَرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثتني ظَبية مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصعب عن ذهيبة مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت : كنتُ عند أَمَةِ الواحد أو أَمَة المجيد بنتِ عمر بن أبي ربيعة في الجُنْبُذ[1] الذي في بيت سُكَيْنة بنتِ خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تُغنّيان ، يقال لإحداهما البَغوم ، والأخرى أسماء . وكانت أَمةُ المَجيد بنت عمر تحت محمد بن مُصعب بن الزبير . قالت : فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجُنبذ هذه الأبيات . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الخفيف]

ولقد قلتُ ليلةَ الجَزْلِ لمّا أَخْضَلتْ رَيْطَتِي عليَّ السماءُ

خرجتِ البَغُوم ثم رجعت إليه فقالت : ما رأيتُ أكذبَ منك يا عمر ! تزعم أنّك بالجَزْل وأنت في جُنْبُذ محمد بن مصعب ، وتزعم أنّ السماء أَخْضَلتْ رَيطَتَك وليس في السماء قَزَعةٌ[2] ؛ قال : هكذا يستقيم هذا الشأن .

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن المُسَيَّبيّ ومحمد بن سَلاَّم أنّ عمر أنشد ابنَ أبي عتيق قوله : [من الخفيف]

حَبّذا أنتِ يا بغومُ وأسما ءُ وعِيصٌ يَكُنّنا وخلاءُ

فقال له : ما أبقيتَ شيئاً يُتمَنّى يا أبا الخطّاب إلاّ مِرجَلاً يُسَخَّن لكم فيه الماءُ للغُسْل .

[عمر وبنت مروان بن الحكم]

أخبرني ابن المرزُبان قال حدّثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ قال : حَجَّتْ أُمُّ محمدٍ بنتُ مروان بن الحَكَم ، فلمّا قَضَتْ نُسُكَها أتتْ عمر بن أبي ربيعة وقد أخفتْ نفسها في نِسوة ، فحدّثها مَليّاً . فلمّا انصرفت أَتْبعَها عمرُ رسولاً عرَف موضعها وسأل عنها حتى أَثْبَتها ؛ فعادت إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إيّاها . فقالت : نَشَدتُكَ الله أن تُشَهِّرَني بشِعرك ؛ وبَعَثتْ إليه بألفِ دينار ، فقَبِلها وابتاع بها حُلَلاً وطِيباً فأَهْداه إليها ، فردَّتْه . فقال لها : واللهِ لئِنْ لم تَقْبليه لأُنْهِبَنّه ، فيكونُ مشهوراً ؛ فقبِلَته ورحَلَتْ . فقال فيها[3] : [من الخفيف]

---

1 الجنبذ : بناء مرتفع مستدير .
2 القزع : ما تناثر من الغيم .
3 ديوان عمر : 176 .

صوت

أيُّها الراكبُ المُجِدُّ ابتِكارا قد قَضى مِن تِهامَةَ الأَوْطارا
من يَكُنْ قلبُه صَحِيحاً سَلِماً ففُؤادِي بالخَيْفِ أَمْسى مُعارا
ليتَ ذا الدهرَ كان حَتْماً علينا كلَّ يومين حِجَّةً واعتِمارا

الغناء لابن مُحْرِزٍ ولحنُه من القَدر الأوسط من الثَّقِيل الأوّل بالخِنصر في مجرى الوُسطى عن إسحاق ، وفيه أيضاً له خفيف ثقيل بالوُسطى عن ابن المَكّيّ . وفيه لذُكاء وَجْهِ الرُّزَّة المُعْتَمِدِيّ ثقيل أوّل من جيِّد الغناء وفاخِرِ الصَّنعة ليس لأحد من طبقته وأهل صنعته مثلُه . وأُنشِد ابن أبي عتيق قول عمر هذا ، فقال : الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليَتِمَّ لك فسْقُك .

[عمر وحميدة جارية ابن تفاحة]

أخبرني ابن المرزبان قال أخبرني أحمد بن يحيى القرشيّ عن أبي الحسن الأزديّ عن جماعة من الرواة : أنّ عمر كان يهوى حُمَيدة جارية ابن تُفَّاحة ؛ وفيها يقول[1] : [من الخفيف]

صوت

حُمِّلَ القلبُ من حُمَيدةَ ثِقْلا إنّ في ذاكَ للفؤادِ لشُغْلا
إنْ فعلتُ الذي سألتِ فقُولي حَمْدُ خيراً وأَتْبِعي القولَ فِعْلا
وصِلِيني فأُشْهِدُ اللهَ أنّي لستُ أُصفِي سواكِ ما عشتُ وصلا

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّيّ والهشاميّ . وفيها يقول[2] : [من الكامل]

صوت

يا قلبُ هل لك عن حُمَيدةَ زاجرُ أم أنتَ مُدَّكِرُ الحياء فصابرُ
فالقلبُ من ذِكْرى حميدةَ مُوجَعٌ والدَّمْعُ مُنْحَدِرٌ وعَظْمِي فاترُ
قد كنتُ أحسِبُ أنّني قبل الذي فعلتْ على ما عند حَمْدَةَ قادرُ
حتى بَدا لي من حُميدةَ خُلَّتِي بَينٌ وكنتُ من الفِراق أُحاذرُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق .

1 ديوان عمر : 337 .
2 ديوان عمر : 209 وقد سقط فيه البيت الثالث .

[حديث عمر مع بعض جواري بني أميّة في موسم الحجّ]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثني أبو مُسلمٍ المُسْتَمْلي عن ابن أخي زُرقان عن أبيه قال: أدركتُ مولًى لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً، فقلت له: حَدِّثْني عن عمر بحديثٍ غريب؛ فقال: نعمْ، كنتُ معه ذات يوم، فاجتاز به نِسْوةٌ من جواري بني أُميّة قد حَجَجْنَ، فتعرَّض لهنّ وحادثهنّ وناشدهنّ مُدّة أيّام حجِّهنّ؛ ثم قالت له إحداهنّ: يا أبا الخطّاب، إنّا خارجاتٌ في غدٍ فابعث مولاك هذا إلى منزلنا ندفع إليه تذكرةً تكون عندك تذكُرنا بها. فسُرَّ بذلك ووجَّه بي إليهنّ في السَّحَرِ، فوجدتُهنّ يَركبن، فقُلْن لعجوز معهنّ: يا فلانة، ادفعي إلى مولى أبي الخطّاب التذكرة التي اتحَفْناه بها. فأخرجت إليّ صُندوقاً لطيفاً مُقفلاً مختوماً؛ فقلن: ادفعه إليه وارتحلنَ. فجئته به وأنا أظنُّ أنّه قد أُودِعَ طِيباً أو جَوهراً. ففتحه عمر فإذا هو مملوءٌ من المضارِبِ (وهي الكِيرِنْجاتُ)[1]، وإذا على كلٍّ واحد منها اسم رجل من مُجَّان مكّة، وفيها اثنان كبيران عظيمان، على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذٍ أميرُ مكّة، وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة. فضحِك وقال: تَماجَنَّ عليَّ ونَفَذَ[2] لهنَّ. ثم أصلح مأدُبةً ودعا كلَّ واحد ممّن له اسم في تلك المضارب. فلمّا أكلوا واطمأنّوا للجلوس قال: هاتِ يا غلام تلك الوديعة، فجئته بالصندوق؛ ففتحه ودفع إلى الحارث الكِيرِنْجَ الذي عليه اسمُه. فلمّا أخذه وكشف عنه غطاءه فَزِع وقال: ما هذا أخزاك الله! فقال له: رُوَيداً، اصبِرْ حتى ترى. ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرَّقها فيهم؛ ثم أخرج الذي باسمه وقال: هذا لي. فقالوا له: وَيحَك! ما هذا؟ فحدّثهم بالخبر فعَجِبوا منه، وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منه.

[قومي تصدي له]

قال وحدّثني هذا المولى قال: كنت مع عمر وقد أَسَنَّ وضعُف، فخرج يوماً يمشي متوكّئاً على يدي حتى مرّ بعجوزٍ جالسة، فقال لي: هذه فلانة وكانت إلْفاً لي، وعدل إليها فسلّم عليها وجلس عندها وجعل يُحادثها، ثم قال: هذه التي أقول فيها[3]: [من المنسرح]

صوت

أبصرْتُها ليلةً ونسْوَتَها يَمْشِينَ بين المَقام والحَجَرِ

---

1 الكيرنجات: ما كان في شكل عضو الرجل.

2 نفذ لهن التماجن: أي جاء نافذاً مصيباً.

3 ديوان عمر: 168 مع بعض اختلاف ولم يرد فيه البيت الأخير ضمن هذه الأبيات.

بيضاً حِساناً نَواعِمــاً قُطُفــاً يَمْشِينَ هَوْنــاً كمِشْيَةِ البَقَرِ
قالــتْ لِتِربٍ لهـا تُلاطِفُهــا لَتُفْسِدَنَّ الطَّــوافَ في عُمَرِ
قُومِــي تَصَدَّي لــه لِيَعْرِفَنــا ثــم اغمزيه يا أُختِ في خَفَرِ
قالت لهـا قــد غمزْتُهُ فأَبى ثــم اسبَطَرَّت تَشْتَدُّ في أَثَري[1]
بــل يــا خليليَّ عادني ذِكَري بــل اعترتْنِــي الهُمُــومُ بالسَّهَرِ

الغناء لابن سريج في السادس والأوّل والثاني خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسنانٍ الكاتب رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن يونس . وفيها للأَبْجَر خفيف رملٍ بالوسطى عنه . وفي : [من المنسرح]

قالت لتربٍ لها تُلاطِفها

لعبد الله بن العبّاس خفيف رمل بالبِنصر عن الهشاميّ ، وفيه للدَّلالِ خفيفُ ثقيلٍ عنه أيضاً . ولأبي سعيد مولى فائدٍ في الأوّل والثاني ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ أيضاً ، ومن الناس من يَنسُب لحنه إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه .

[ملأ فمه ماء ومجّه في وجوههنّ]

قال : وجلس معها يحادثها ، فأطلعتْ رأسها إلى البيت وقالت : يا بناتي ، هذا أبو الخطّاب عمر بن أبي ربيعة عندي ؛ فإن كنتُنَّ تشتهينَ أن ترَيْنَه فتعالَيْن . فجئن إلى مِضْرَبٍ قد حُجِزنَ به دون بابها فجعلن يَثقُبْنه ويَضَعْنِ أعينهنّ عليه يُبصرنَ . فاستسقاها عمر ؛ فقالت له : أيُّ الشراب أحبّ إليك ؟ قال : الماء . فأُتِيَ بإناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملأ فمه فمجّه عليهنّ في وجوههنّ من وراء الحاجز ؛ فصاح الجواري وتهارَبنَ وجعلنَ يضحكنّ . فقالت له العجوز : ويلَك ! لا تَدَع مُجونَك وسَفَهك مع هذه السنّ ! فقال : لا تلوميني ، فما ملكتُ نفسي لمّا سمعت من حَرَكاتهنّ أن فعلتُ ما رأيتِ .

[عمر وامرأة رآها في الطواف]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن منصور بن أبي العلاء الهمدانيّ قال حدّثني عليُّ بن طريف الأَسَديّ قال : سَمِعتُ أبي يقول : بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق فأعجبه جمالُها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته وخطبَها . فقالت : إنّ هذا لا يصلُح هاهنا ، ولكن إن جئتَني إلى بلدي وخطَبتني إلى أهلي تزوّجتُك . فلمّا ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سَهْمٍ وقال له :

---

1 اسبطرّت : أسرعت .

إنّ لي إليك حاجةً أُريد أن تُساعدني عليها ؛ فقال له نعم . فأخذ بيده ولم يذكرُ له ما هي ، ثم أتى منزله فركِب نَجيباً له وأركبه نجيباً آخر ، وأخذ معه ما يُصلحه ، وسارا لا يشُكُّ السَّهْميّ في أنّه يريد سفر يوم أو يومين ؛ فما زال يَحْفِد[1] حتى لَحِق بالرُّفقة ، ثم سار بسيرهم يُحادث المرأة طولَ طريقه ويُسايرها وينزل عندها إذا نزَلتْ حتى ورَد العِراق . فأقام أيّاماً ، ثم راسلها يَتَنَجَّزُها وعدَها ؛ فأعلمتْه أنّها كانت متزوّجة ابن عمٍّ لها وولدت منه أولاداً ثم مات وأوصى بهم وبماله إليها ما لم تتزوّج ، وأنّها تخاف فُرْقة أولادها وزوال النعمة ؛ وبَعَثتْ إليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت ؛ فردّها عليها ورحَل إلى مكّة ؛ وقال في ذلك قصيدته التي أوّلها[2] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

نـام صَحْبِي ولم أَنَمْ ... مـن خَيـالٍ بنا أَلَمّ
طافَ بالركبِ مَوْهِناً ... بين خاخٍ إلى إضَمْ[3]
ثـم نَبّهـتُ صاحباً ... طَيِّبَ الخِيم والشِّيَمْ
أَرْيَحِيّـاً مُساعِـداً ... غيرَ نِكْسٍ ولا بَرَمْ
قلتُ يـا عَمْرُو شَفَّني ... لاعـجُ الحُبِّ والأَلَمْ
ايتِ هِنداً فقُـلْ لها ... ليلةَ الخَيْفِ ذي السَّلَمْ

الغناء لمالك خفيف رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ خفيف رملٍ من رواية عمرو بن بانةَ ، وذكر حبشٌ أنّ لحنَ عبد الله بن العبّاس رملٌ آخر عن الهشاميّ .

[شهادة جرير في شعر عمر ثانية]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا الحسين بن إسماعيل عن ابن عائشة عن أبيه قال : كان جريرٌ إذا أُنْشِد شعر عمر بن أبي ربيعة قال : شعرٌ تِهاميٌّ إذا أَنْجد وَجَد البَرْدَ ، حتى أُنْشِد قوله : [من الطويل]

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فيَضْحَـى وأمّـا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ

. . . الأبيات . فقال : ما زال هذا يَهْذِي حتى قال الشعر .

---

1 يحفد : يسعى ويسرع .
2 ديوان عمر : 395 .
3 خاخ وإضم : موضعان .

[عمر والغزل بعد أن نسك]

أخبرني حبيب بن نُصر المهلَّبيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال أخبرني العُتْبِيّ عن أبي زيد الزبيريّ عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ قال : أتيتُ عمر بن أبي ربيعة بعد أن نَسَك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مَخزوم ، فانتظرتُ حتى تفرّق القوم ، ثم دنوتُ منه ومعي صاحبٌ لي ظريفٌ وكان قد قال لي : تَعالَ حتى نَهيجَه على ذكر الغَزَل ، فننظرَ هل بقي في نفسه منه شيء . فقال له صاحبي : يا أبا الخطّاب ، أكرمك الله ؛ لقد أحسن العُذريّ وأجاد فيما قال . فنظر عمر إليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول : [من البسيط]

لو جُذَّ بالسَّيفِ رأْسي في مَوَدَّتها لَمَرَّ يَهْوِي سريعاً نحوَها راسي [1]

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاهْ ! لقد أجاد وأحسن ؛ فقلت : ولله دَرُّ جُنادة العُذري ؛ فقال عمر حيث يقول ماذا ويحَك ؟ فقلت : حيث يقول : [من البسيط]

سَرَتْ لَعَيْنِكَ سَلْمى بعد مَغْفاها فبِتَّ مُستنبِهاً من بعد مَسْراها
وقلتُ أهلاً وسهلاً مَنْ هَداكِ لنا إن كنتِ تِمْثالَها أو كنتِ إيَّاها
مِـن حبِّها أتمنَّى أن يلاقِيَني مِنْ نَحْـوِ بلدتِها ناعٍ فيَنْعاها
كيما أقولَ فـراقٌ لا لِقاءَ له وتُضْمِرُ النفسُ يأساً ثم تَسْلاها
ولو تموتُ لراعَتْني وقُلْتُ أَلا يا بُؤْسَ للموتِ ليتَ الموتَ أبقاها

قال : فضحك عمر ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى ، ولقد هيَّجْتُما عليَّ ساكناً ، وذكَّرْتُماني ما كان عنّي غائباً ، ولأحدّثنّكما حديثاً حُلْواً :

[عمر وهند بنت الحارث المرية]

بينا أنا منذ أعوام جالسٌ ، إذ أتاني خالدٌ الخِرِّيتُ ، فقال لي : يا أبا الخطّاب ، مَرّت بي أربعُ نُسوة قُبَيل العِشاء يُردْن موضع كذا وكذا لم أَرَ مثلهنّ في بَدْوٍ ولا حَضَر ، فيهنّ هند بنت الحارث المُرِّيّة ، فهل لك أن تأتيَهنَّ متنكِّراً فتسمع من حديثهنّ وتتمتّع بالنظر إليهنّ ولا يعلَمنَ مَن أنت ؟ فقلت له : وَيحك ، وكيف لي أن أُخفي نفسي ؟ قال : تلْبس لِبسةَ أعرابيّ ثم تجلس على قَعُود [ثم ائتهنّ فسلِّم عليهنّ] ، فلا يشعُرنَ إلاّ بك قد هَجَمتَ عليهنّ . ففعلت ما قال ، وجلستُ على قَعُود ، ثم أتيتهنّ فسلَّمت عليهنّ ثم وقفتُ بقُربهنّ . فسألنني أن أُنشدهنَّ وأُحدِّثهنّ ، فأنشَدتَهنّ

1 مختلف في نسبته . فهو ينسب إلى ريسان العذري أو إلى نجبة بن جنادة العذري .

لكُثيِّر وجَميل والأحوص ونُصَيب وغيرهم . فقلن لي : وَيْحَكَ يا أعرابيّ ؛ ما أملَحك وأظرفك ! لو نزلت فتحدّثتَ معنا يومَنا هذا ؛ فإذا أمْسَيت انصرفت في حفظ الله . قال : فأنَخْتُ بعيري ثم تحدّثت معهنّ وأنشدتُهنّ ، فسُرِرْن بي وجَذِلنَ بقُربي وأعجبهنّ حديثي . قال : ثم إنّهنّ تغامَزْنَ وجعل بعضُهنّ يقول لبعض : كأنّا نعرف هذا الأعرابيّ ؛ ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت إحداهنّ : فهو والله عمر ، فمدَّتْ هندٌ يدَها فانتزعت عِمامَتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي : هِيهِ بالله يا عمر ؛ أتُراك خدعتَنا منذ اليوم ، بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد ، فأرسلناه إليك لتأتينا في أسوأ هيئةٍ ونحن كما ترى . قال عمر : ثم أخذنا في الحديث ؛ فقالت هند : ويحك يا عمر ؛ اسمع منّي ، لو رأيتني منذ أيّام وأصبحت عند أهلي ، فأدخلتُ رأسي في جيبي ، فنظرتُ إلى حِرِي فإذا هو مِلءُ الكفِّ ومُنْيَةُ المتمنّي ، فناديت يا عُمراه يا عُمراه ، قال عمر : فصِحْتُ يا لَبيَّكاهْ يا لَبَّيكاه[1] ؛ ثلاثاً ومددتُ في الثالثة صوتي ، فضحكتْ . وحادثتُهنّ ساعة ، ثم ودَّعتهنّ وانصرفتُ . فذلك قولي[2] : [من الطويل]

صوت

عَرَفـتُ مَصيفَ الحـيِّ والمتربَّعـا ... ببَطْـنِ حُلَيَّـاتٍ دوارسَ بَلْقَعا
إلى السَّفْحِ من وادي المُغَمَّس بُدِّلتْ ... مَعالِمُـهُ وَبْـلاً ونكْبـاءَ زَعْزَعا
لهنـدٍ وأتـرابٍ لهنـدٍ إذِ الهوى ... جميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يَتَصدَّعا
وإذ نحـن مثلُ المـاء كان مِزاجُه ... كما صَفَّق الساقي الرحيقَ المُشَعْشَعا[3]
وإذْ لا نُطِيعُ الكاشحين ولا نرى ... لواشٍ لدينا يطلب الصُّرْمَ موضِعا[4]

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ ومن نسخة عمرو الثانية . وفيه لابن جامع وابن عبَّادٍ لحنان من كتاب إبراهيم . وفيها يقول ، وفيه غناء : [من الطويل]

صوت

فلمّا تواقفنا وسلَّمتُ أشرقتْ ... وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تَتَقنَّعا
تَبالَهْنَ بالعِرْفـانِ لَمّـا رَأَيْنَني ... وقُلْنَ امرؤ باغٍ أَكَلَّ وأَوضعا[5]

---

1 ل : يا للبيك للبيك (مع تصحيف) .
2 ديوان عمر : 227–229 .
3 كما في ل : إذا .
4 موضعا في ل : مطمعا .
5 في رواية : لما عرفنني . أكلَّ : تعب ؛ أوضعا : أسرع .

وقَرَّبْنَ أسبابَ الهوى لِمُتَيَّمٍ يقيسُ ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصبَعا

الغناء لابن عَبّادٍ رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن جامعٍ لحنٌ من كتابِ إبراهيم غيرُ مجنّسٍ . [هذه الأبيات مقرونةٌ بالأُولى ، والصنعةُ في جميعها مختلفةٌ ، يُغَنّي المُغَنّون بعضَ هذه وبعضَ تلك ويخلطونهما ، والصنعة لمن قَدَّمْتُ ذِكرَه] . وهي قصيدة طويلة ، ذَكرتُ منها ما فيه صَنْعةٌ .

ومّما قاله في هند هذه وغُنّيَ فيه قولُه[1] : [من الطويل]

صوت

أَلم تسألِ الأَطْلالَ والمنزِلَ الخَلَق ببُرْقَةِ ذي ضالٍ فَيُخبِرَ إنْ نَطَقْ ؟[2]
ذكرتُ بـه هنداً فظِلْتُ كأنّني أخو نَشْوةٍ لاقَى الحوانيتَ فاغتَبَقْ

الغناء لعَطَرَّدٍ ولحنُه من القَدرِ الأوسط من الثقيل الأوّلِ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر حبشٌ أنّ فيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى . ومنها[3] : [من مجزوء الرمل]

صوت

أصبح القلبُ مَهيضا راجَعَ الحُبَّ الغَريضا[4]
وأجدَّ الشوقَ وَهْنـاً أن رأى بَرْقاً وَمِيضا
ثم بـاتَ الرَّكْبُ نُوَّا مـاً ولم أَطْعَمْ غُموضا
ذاك مـن هنـدٍ قديماً تَرْكُها القلبَ مَهيضا[5]
وتَبدَّتْ ثـم أَبْدتْ واضحَ اللَّوْنِ نَحيضا[6]
وعِـذابَ الطَّعْمِ غُـرّاً كأَقاحِي الرّمـلِ بِيضا

الغناء لابن مُحرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ بالسَّبابة في مَجْرى البِنْصر . وفيه لحَكَمٍ هزج بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنّه يَمانٍ . ومن الناس من يَنسُبُ لحنَ ابن مُحرِزٍ إلى ابن مِسْجَحٍ .

1 ديوان عمر : 278 .
2 برقة ذي ضال : رملة في ديار بني عذرة .
3 ديوان عمر : 221 .
4 مهيضا في رواية : «مريضا» .
5 تركها في ل : رجعها .
6 النحيض : الكثير اللحم .

ومنها[1] : [من الطويل]

صوت

أَرِبْتُ إلى هندٍ وتِربَيْنِ مرّةً ... لها إذ توافَقْنا بِفَرْعِ المُقَطَّعِ[2]
[لِتَعْريج يومٍ أو لتَعْريس ليلةٍ ... علينا بجَمْع الشَّمْل قبلَ التَّصَدُّعِ
فقُلنَ لها لولا ارتقابُ صَحابةٍ ... لنا خَلْفَنا عُجنا ولم نَتورَّعِ]
وقالت فتاةٌ كنتُ أحسِبُ أنّها ... مُغَفَّلةٌ في مِئْزَرٍ لم تُدَرَّعِ
لهنّ ، وما شاوَرْنَها ، ليس ما أرى ... بحُسْنِ جزاءٍ للحبيبِ المودِّعِ
فقلن لها لا شَبَّ قَرْنُكِ فافْتَحِي ... لنا بابَ ما يَخْفى من الأمر نَسْمَعِ[3]

وهي أبياتٌ . الغناء للغريض ولَحْنُه من القَدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر ابن المَكّي أنّه لابن سريج . ومنها[4] : [من البسيط]

صوت

لَمَّا أَلَمَّتْ بأصحابي وقد هَجَعُوا ... حَسِبْتُ وَسْطَ رِحالِ القوم عَطّارا
فقلتُ مَنْ ذا المُحَيِّي وانتبهتُ له ... ومَنْ مُحَدِّثُنا هذا الذي زارا ؟
ألاَ انزِلوا نَعِمَتْ دارٌ بقربكُمُ ... أهلاً وسَهْلاً بكم مِنْ زائرٍ زارا
فبُدِّلَ الرَّبْعُ ممّن كان يسكنُهُ ... عُفْرَ الظِّباء به يَمشِينَ أَسْطارا

الغناءُ لابن سريج رَمَلٌ بالخِنصر في مَجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه ليونس خفيف ثقيل . وفيه لأبي[5] فارَةَ هَزَجٌ بالبِنصر . وأوّل هذه القصيدة التي فيها ذكرُ هند قولُه[6] : [من البسيط]

يا صاحبيَّ قِفا نَسْتَخْبِرِ الدارا ... أَقْوتْ وهاجتْ لنا بالنَّعْفِ تَذْكارا
وقد أرى مَرَّةً سِرْباً بها حَسَناً ... مثلَ الجآذرِ لم يُمْسَسْنَ أبكارا
فِيهنَّ هندٌ وهندٌ لا شبيهَ لها ... فيمَنْ أقام من الأحياء أو سارا

1 ديوان عمر : 234 .
2 أربت : احتجت واشفقت . فرع المقطع : اسم موضع .
3 لا شبّ قرنك : لا كبرت .
4 ديوان عمر : 143 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .
5 ل : لابن .
6 ديوان عمر : 142–143 .

تقولُ ليتَ أبــا الخَطَّابِ وافقنا ... كي نَلْهُوَ اليــومَ أو نُنْشَدَ أشعارا
فلم يَرُعْهُــنَّ إلاّ العِيسُ طالعـةً ... بالقومِ يَحمِلْنَ رُكْباناً وأَكْوارا[1]
وفارسٌ يحمـل البازي فقُلْنَ لهــا ... ها هُمْ أولاءِ ومـا أكثَرْنَ إكثارا
لمـا وَقَفْنـا وعَنّنَّـا ركائبنـــا ... بُدِّلْنَ بالعُرْفِ بعد الرَّجْعِ إنكارا[2]

ومنها[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلَمْ تَرْبَعْ على الطَّلَــلِ ... ومَغْنــى الحــيِّ كالخِلَلِ
لهنـدٍ إنّ هنـداً حُبُّـــ ... ـــها قـد كان من شُغُلي
[فلمّا أن عرَفْــتُ الدا ... رَ عُجْتُ لِرَسْمِها جَمَلي
وقلتُ لصُحْبَتي عُوجُوا ... فعاجُوا هِـــزَّة الإبلِ]
وقالــوا قِفْ ولا تَعْجَلْ ... وإن كُنَّـا عــلى عَجَلِ
قليــلٌ في هـــواكَ اليو ... مَ مـا نَلْقَى مـــن العَمَلِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل مُطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه [له] أيضاً رملٌ عن الهشاميّ وحَبَش . ومنها[4] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

هـــاجَ ذا القلبَ منزلُ ... بـــالبُلَيَّيْـــنِ مُحْـــوِلُ
غَيَّرتْ آيَـــهُ الصَّبـا ... وجَنُـــوبٌ وشَمـــأَلُ
إنّ هنداً قَـدَ ٱرسَلَتْ ... وأخـــو الشوقِ مُرْسِلُ
أرسَلَـــتْ تَسْتَحِثُّنــي ... وتُفَـــدِّي وتَعْـــذُلُ
أَيُّنَـــا بـــاتَ ليلَـــه ... بـــينَ غُصْنَيْنِ يُوبَـــلُ
تحـــتَ عَيْنٍ يكُنُّنـــا ... بُـــرْدُ عَصْـــبٍ مُهَلْهَلُ

في هذه الأبيات خفيف ثقيل مطلقٍ في مجرى البِنصر ، ذكر إسحاق أنّه لمالك ، وذكر

1 أكوار : جمع كور وهو رحل الناقة .
2 وعنّنّا في ل : وغيبنا ؛ وعنن الفرس : قلده العنان . الرجع : ترديد النظر .
3 ديوان عمر : 291 .
4 قارن بديوان عمر : 299–300 وفيه أنّ الأبيات في زينب بنت موسى الجمحية مع اختلاف شديد في الرواية .

عمرو أنّه لابن مُحْرِز . وذكر يونس أنّ فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك . وقال عمرو في نسخته الثانية : إنّه لابن زُرْزُر الطّائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، وروتْ مثلَ ذلك دَنانيرُ عن فُلَيح . وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيلٍ من مجموعه ورواية الهشاميّ . وفيه لحَكَمٍ هَزَجٌ بالخِنصر والبِنصر عن ابن المَكّيّ . وفيه للحجبِيّ[1] رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه ثقيلٌ أوّلُ نسَبه ابن المكّي إلى ابن مُحرِز ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول . وفيه خفيف رَمَل ذكر الهشاميّ أنّه لحن ابن مُحْرِز . ومنها[2] : [من الكامل]

صوت

يا صاحِ هل تدري وقد جَمَدتْ ... عَيني بما أُلْقَى من الوَجْدِ[3]
لمّا رأيتُ دِيارَها دَرَستْ ... وتَبَدَّلتْ أعلامُها بَعْدِي
وذكَرتُ مَجْلِسَها ومجلسَنا ... ذاتَ العِشاء بمَهْبِط النَّجْدِ
ورسالةً منها تُعاتِبُني ... فرَدَدْتُ مَعْتَبَةً على هِنْدِ

الغناء ليحيى المَكّيّ رَمَلٌ بالوُسطى . وفيه لغيره ألحان أُخَرُ . ومنها[4] : [من الرمل]

صوت

ليتَ هنداً أنجَزَتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفسَنا ممّا تَجِدْ
وآستَبدَّتْ مرّةً واحدةً ... إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستَبِدّ
ولقد قالتْ لجاراتٍ لها ... ذاتَ يومٍ وتَعَرَّتْ تَبْتَرِدْ

ويروى : زعَمُوها سألتْ جاراتِها

أكَما يَنْعَتُني تُبْصِرْنَني ... عَمْرَكُنَّ اللهَ أم لا يَقْتَصِدْ
فَتضاحَكْنَ وقد قُلْنَ لها ... حَسَنٌ في كلّ عينٍ من تَوَدّ
حسداً حُمِّلْنَه من أَجْلِها ... وقديماً كان في الناسِ الحَسَدْ

الغناء لابن سريجٍ رمل بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ لمالكٍ من كتاب يونس غيرُ مجنّس . وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبِنصر عن عمرو ، وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ولم ينسبه إلى أحد . وفيه ثاني ثقيل يقال إنّه لحنٌ

1 ل : ليحيى .
2 ديوان عمر : 104–105 .
3 ألقى في ل : أخفي .
4 ديوان عمر : 101 .

لمالكٍ ، ويقال إنّه لُمَتَيَّمَ . ومنها[1] : [من مجزوء الرجز]

صوت

هــاجَ القَرِيضَ الذِّكْرُ لَمّا غَـدَوْا فانْشَمَرُوا[2]
عـلى بِغـالٍ شُحَّجٍ قــد ضَمَّهُنَّ السَّفَرُ[3]
فيهنّ هنــدٌ ليتني مــا عُمِّرتْ أعَمَّرُ
حتّى إذا مــا جاءها حَتْــفٌ أتــاني القَدَرُ

لابن سُرَيْج فيه لَحنان : رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وخفيفُ رملٍ عن الهشاميّ . ومنها[4] : [من السريع]

صوت

يــا مَـنْ لِقَلْبٍ دَنِـفٍ مُغْرَمٍ هـــامَ إلى هِنْـدٍ ولم يَظْلِمِ
هامَ إلى رِيــمٍ هَضِيمِ الحَشا عَذْبِ الثَّنايــا طَيِّبِ المَبْسِمِ
لم أَحْسَبِ الشمسَ بليلٍ بَدَتْ قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ ولا ذي دَمِ
قالــت أَلا إنَّــكَ ذو مَلَّــةٍ يَصْرِفُكَ الأدْنـى عـن الأقْدَمِ
قلــتُ لهـا بــل أنــتِ مُعْتَلَّةٌ في الوَصْلِ يا هندُ لكي تَصْرِمي

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لُبُدَيح لحنٌ قديمٌ . وقيل : إنّ فيه رَمَلاً آخر لعَمّارة مولاةِ عبد الله بن جعفر . ومنها[5] : [من الطويل]

صوت

تَصابَى وما بعضُ التَّصابي بطائِلِ وعاوَدَ مـن هندٍ جَوًى غيرُ زائِلِ
عَشيَّةَ قالتْ صَدَّعَتْ غَرْبَةُ النَّوى فما من تَلاقٍ قد أَرى دونَ قابلِ
وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ مَجْلِساً لنــا مَـرَّةً منهــا بقَــرْنِ المنازلِ
بنَخْلَــةَ بــين النَّخْلَتــين يَكُنُّنــا من العَيْنِ عند العين بُرْدُ المَراجِلِ[6]

1 ديوان عمر : 196–197 .
2 انشمروا : مضوا مسرعين .
3 الشحيج : صوت البغل .
4 ديوان عمر : 351 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .
5 ديوان عمر : 302 .
6 العين في ل : الغيث .

الغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالبِنصر عن عمرو . وفيه للعُمانيّ خفيفُ ثقيلٍ عن دنانير والهشاميّ . ومنها[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

لَـجَّ قلبِي في التَّصابِي وازْدَهـى عنِّـي شَبابِي
ودَعانِـي لِهَـوى هنـ ـدٍ فـؤادٌ غيرُ نابي
قلتُ لَمّا فاضَتِ العَيْـ ـنانِ دَمْعاً ذا انْسِكابِ
إنْ جفَتْنِي اليومَ هندٌ بعـدَ وُدٍّ واقتـرابِ
فسبيلُ النـاسِ طُـرّاً لفَنـاءٍ وذَهـابِ

الغناء لأهل مكّة رَمَلٌ بالوُسطى .

[عمر وفاطمة بنت عبد الملك]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني أبو عليّ الأسديّ ، وهو بِشْرُ بن موسى بن صالح ، قال حدّثني أبي موسى بنُ صالح عن أبي بكر القُرَشيّ قال : كان عمر بن أبي ربيعة جالساً بمِنىً في فِناء مِضْرَبِه وغلمانه حوله ، إذ أَقْبلتِ امرأةٌ بَرْزَةٌ[2] عليها أثرُ النَّعْمةِ ، فسلَّمتْ ، فردَّ عليها عمرُ السلام ، فقالت له : أنت عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال لها : أنا هو ، فما حاجتك ؟ قالت له : حيَّاكَ اللهُ وقَرَّبَكَ ! هل لك في محادثة أحسنِ الناس وجهاً ، وأتمِّهم خَلْقاً ، وأكملهم أدباً ، وأشرفهم حَسَباً ؟ قال : ما أَحَبَّ إليّ ذلك ! قالت : على شرطٍ . قال : قُولي . قالت : تُمْكِنُني من عينيك حتى أَشُدَّهما وأقودَك ، حتى إذا توسَّطْت الموضع الذي أُريد حَلَلْتُ الشَّدَّ ، ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مِضْرَبِك . قال : شأنَكِ ، ففعلتْ ذلك به . قال عمر : فلمّا انتهتْ بي إلى المِضْرَب الذي أرادت كشَفَتْ عن وجهي ، فإذا أنا بامرأة على كرسيّ لم أَرَ مثلَها قطُّ جمالاً وكمالاً ، فسلَّمْتُ وجلستُ . فقالت : أأنت عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : أنا عمر . قالت : أنت الفاضح للحرائر ؟ قلت : وما ذاكِ جعلني الله فداءكِ ؟ قالت : ألستَ القائل[3] : [من الكامل]

صوت

قالت وعَيْشِ أخي ونعمةِ والدي لأُنَبِّهَـنّ الحـيَّ إن لم تَخْرُجِ[4]

---

1 ديوان عمر : 31 .

2 البرزة : التي تجلس إلى الرجال وتحدّثهم .

3 ديوان عمر : 83 وتنسب أيضاً إلى جميل وعروة بن أذينة وغيرهما .

4 ونعمة في ل : وحرمة .

فخرجتُ خَوفَ يمينِها فتبسَّمَتْ فَعلِمتُ أنّ يمينَها لم تَحْرَجِ
فتناولتْ رأسي لِتعرِف مَسَّه بمُخَضَّبِ الأطرافِ غيرِ مُشَنَّجِ[1]
فَلثِمْتُ فاها آخِذاً بقُرونِها شُرْبَ النَّزِيف ببَرْد ماء الحَشْرَجِ[2]

الغناء لمعبد ثقيل أوّلُ بالبنصر عن يونس وعمرٍو .

ثم قالت : قم فاخرج عنّي ، ثم قامت من مجلسها . وجاءت المرأة فشدَّت عينيّ ، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مِضرَبي ، وانصرفتْ وتركتني . فحلَلتُ عينَيّ وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم . وبِتُّ ليلتي ، فلمّا أصبحتُ إذا أنا بها ؛ فقالت : هل لك في العَوْد ؟ فقلت : شأنَكِ . ففعلتْ بي مثل فِعلها بالأمس ، حتى انتهت بي إلى الموضع . فلمّا دخلتُ إذا بتلك الفتاة على كرسيّ . فقالت : إيهِ يا فَضَّاحَ الحَرائر ، قلت : بماذا جعلني الله فداءكِ ؟ قالت : بقولك .

صوت

[من الطويل]

وناهِدَةِ الثَدْيَيْنِ قلتُ لها اتَّكِي على الرملِ من جَبَّانةٍ[3] لم تَوَسَّدِ[4]
فقالت على اسمِ اللهِ أمرُك طاعةٌ وإن كنتُ قد كُلِّفتُ ما لم أُعَوَّدِ
فلمّا دنا الإصباحُ قالتْ فضحتَني فقُمْ غيرَ مطرودٍ إن شئتَ فازْدَدِ

الغناء لأهل مكّة ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشاميّ . ثم قالت قُمْ فاخرج عنّي . فقمتُ فخرجتُ ثم رُدِدْتُ . فقالت لي : لولا وَشْكُ الرحيل ، وخوفُ الفَوت ، ومحبَّتي لمُناجاتك والاستكثار من محادثتِك ، لأقْصَيتُك ؛ هاتِ الآن كلّمني وحدِّثني وأنشدني .

فكلَّمتُ آدبَ الناس وأعلمهم بكلّ شيء . ثم نهضتْ وأبطأت العجوز وخلا لي البيتُ ، فأخذتُ أنظر ، إذا أنا بتَوْرٍ[5] فيه خَلوقٌ[6] ، فأدخلت يدي فيه ثمّ خبأْتُها في رُدني . وجاءت تلك العجوز فشدَّت عينيّ ونهضتْ بي تقُودني ، حتى إذا صرت على باب المِضرب أخرجتُ يدي فضربتُ بها على المِضرب ، ثم صرتُ إلى مِضربي ، فدعوت غلماني فقلتُ : أيُّكم يَقِفُني على باب مِضرب عليه خَلُوقٌ كأنّه أثر كَفٍّ فهو حرٌّ وله خمسمائة درهم . فلم ألبث أن جاء بعضهم

1 لتعرف في ل : لتعلم .
2 النزيف : الشديد العطش . الحشرج : النقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .
3 الجبانة هنا : الصحراء .
4 الأبيات في ديوان عمر : 113 .
5 تور : إناء صغير .
6 خلوق : طيب .

فقال : قم . فنهضتُ معه ، فإذا أنا بالكفِّ طريَّةً ، وإذا المِضربُ مضرِبُ فاطمة بنت عبدالملك بن مروان . فأخذت في أُهبة الرَّحيل ؛ فلمّا نَفَرتْ نفرتُ معها ، فبصُرَتْ في طريقها بقِبابٍ ومِضرب وهيئة جميلة ، فسألتْ عن ذلك ، فقيل لها : هذا عمر بن أبي ربيعة ؛ فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت تُرسلها إليه : قولي له نَشَدْتُكَ اللهَ والرَّحم أن تَصحَبني ، ويحَكَ ! ما شأنك وما الذي تريد ؟ انصرِف ولا تفضَحني وتُشيط بدمك . فسارت العجوز إليه فأدَّت إليه ما قالت لها فاطمة . فقال : لستُ بمنصرفٍ أو تُوَجِّه إليَّ بقميصها الذي يلي جلدها ؛ فأخبرتها ففعلت ووجَّهت إليه بقميصٍ من ثيابها ؛ فزاده ذلك شغفاً . ولم يزل يتبعهم لا يُخالطهم ، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دمشق انصرف وقال في ذلك[1] : [من الكامل]

ضاق الغَداةَ بحاجتي صَدْرِي ... ويئستُ بعد تقارُبِ الأمرِ
وذكرتُ فاطمةَ التي عُلِّقتُها ... عَرَضاً فيا لَحوادث الدَّهْرِ

وفي هذه القصيدة ممّا يُغَنَّى فيه قوله : [من الكامل]

صوت

مَمْكُورةٌ رَدْعُ العبير بها ... جَمُّ العِظام لطيفةُ الخَصْرِ[2]
وكأنّ فاها عند رَقْدَتِها ... تَجْري عليه سُلافَةُ الخَمْرِ[3]

الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيلٍ من جامعه . وفيه لمُتَيَّم رَملٌ من جامعها أيضاً . وتمام الأبيات وليست فيه صنعة : [من الكامل]

فسَبَتْ فؤادي إذ عرَضْتُ لها ... يومَ الرَّحِيلِ بساحة القَصْرِ
بمُزَيَّنٍ رَدْعُ العَبير به ... حَسَنِ التَّرائبِ واضِح النَّحْرِ
وبجِيدِ آدَمَ شادِنٍ خَرِقٍ ... يَرْعى الرِّياضَ ببلدةٍ قَفْرِ[4]
لمّا رأيتُ مَطِيَّها حِزَقاً ... خفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صبرِ[5]
وتبادرَتْ عَيْنايَ بعدهُم ... وانهلَّ دمعُهما على الصَّدْرِ

---

1 ديوان عمر : 179–180 .
2 ممكورة : مدمجة الخلق . ردع العبير : أثر الطيب .
3 رقدتها في ل : بعد رقدتها .
4 آدم : أسمر . والشادن : الظبي . خرق : ذو حيرة .
5 الحزق : الجماعات .

ولقد عَصَيتُ ذَوِي القرابةِ فيكمُ طُــرًّا وأهــلَ الوُدِّ والصِّهْرِ[1]
حتى لقــد قالوا ومـا كذَبوا أجُنِنتَ أم بك داخلُ السِّحْرِ

[شعر عمر في فاطمة بنت عبد الملك]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني إسحاق عن محمد بن أَبان قال حدّثني الوليد بن هشام القحذميّ عن أبي معاذٍ القُرَشيّ قال : لمّا قَدِمتْ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكّةَ جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكُرها باسمها فَرَقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحَجّاج ؛ لأنّه كان كتب إليه يتوعَّدُه إن ذكرها أو عرَّض باسمها . فلمّا قضت حجَّها وارتحلت أنشأ يقول[2] : [من الخفيف]

صوت

كِدْتُ يومَ الرَّحيل أَقضي حياتي ليتَني مُتُّ قبلَ يــومَ الرَّحيلِ
لا أُطِيقُ الكلامَ من شدّة الخو فِ ودَمْعِي يَسِيلُ كلَّ مَسِيلِ
ذَرَفتْ عينُها وفاضَتْ دُموعِي وكلانـا يَلْقـى بلُبٍّ أصيلِ[3]
لـو خَلَـتْ خُلَّتِي أصبتُ نَوالاً أَوْ حديثاً يَشْفِـي مِنَ التَّنْويلِ[4]
ولَظَـلَّ الخَلْخالُ فـوقَ الحَشايا مثــلَ أثنـاءِ حَـيَّـةٍ مَقْتُولِ
فلَقَـدْ قالــتِ الحبيبــةُ لـولا كثرةُ الناسِ جُــدْتُ بالتَّقْبيلِ

غنَّى فيه ابن مُحْرِزٍ ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ من أصواتٍ قليلةِ الأشْباهِ عن إسحاقَ وفيه لِعَبادِلَ خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ، ويقال إنّه للهُذليّ . وفيه لعبيد الله بن أبي غسّان ثاني ثقيلٍ عن الهشاميّ .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أخبرني أبو عليّ الحسن بن الصَّبّاح عن محمد بن حَبيب أنّه أخبره : أنّ عمر بن أبي ربيعة قال في فاطمة بنت عبد الملك بن مَروان[5] : [من المديد]

صوت

يـا خَلِيلِي شَفَّنِي الذِّكَرُ وحُمُولُ الحـيِّ إذ صَدَرُوا
ضَرَبوا حُمْــرَ القِبابِ لهـا وأُدِيــرتْ حولَهــا الحُجَرُ

---

1 ذوي القرابة في ل : ذوي أقاربها .
2 ديوان عمر : 296–297 .
3 يلقى في ل : يلهى .
4 التنويل : الاعطاء .
5 ديوان عمر : 184–186 . مع بعض اختلاف في الترتيب واللفظ .

سلكُوا شِعْبَ النِّقابِ بهـا زُمَـراً تَحْتَثُّهـا زُمَـرُ[1]
وطَرَقْتُ الحـيَّ مُكتَتماً ومَعِـي عَضْبٌ بـه أثُرُ
وأخٌ لم أخْشَ نَبْوَتَـه بنَواحـي أمرِهِـمْ خَبِرُ
فـإذا رِيـمٌ على فُرُشٍ في حِجال الخَزِّ مُخْتَدِرُ[2]
حَوْلَـه الأَحْـراسُ ترقُبه نُـوَّمٌ من طولِ مـا سَهِرُوا
شِبْـهُ القَتْـلى ومـا قُتِلُوا ذاكَ إلاّ أنّهـم سَمَـرُوا
فَدَعتْ بالوَيْل ، ثم دَعَتْ حُـرَّةً مـن شأنها الخَفَرُ
ثـم قالـت لِلّتـي مَعَها وَيْحَ نَفْسِي قـد أتى عمرُ
مالَـه قـد جـاء يَطْرُقُنا ويَرَى الأعداء قد حَضَرُوا
لِشَقائِـي كانَ عُلِّقَنـا ولِحَيْنِـي ساقـه القَدَرُ
قلتُ عِرْضِي دُونَ عِرضِكُمُ ولِمَـنْ ناواكُـمُ الحَجَـرُ

هذا البيت الأخير ممّا فيه غناء مع :

وطَرَقْـتُ الحـيَّ مُكتتِماً

للغَريض

وفي : يـا خَليلـي شَفَّنِي الذِّكَرُ

وفي : قلتُ عِرْضِي دونَ عِرضِكمُ

وفي : ثـمَّ قالـتْ للتـي معها

وفي : مالـه قـد جـاء يطرُقنا

[ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو]

وفي : ضَربوا حُمْـرَ القِبابِ لهـا

وما بعده أربعةٍ متواليةٍ خفيفُ رملٍ بالوُسطى للهُذليّ .

وفي : «وطرقتُ» وبعده : «فإذا ريم» وبعده : «حوله الأحراس» والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها بعَيْنِها ثقيلٌ أوّلُ يقال إنّه للأبجَر ، ويُنسب إلى غيره عن الهشاميّ .

---

1 النقاب : شعب من أعمال المدينة .

2 الحجال : جمع حجلة ، وهي قبة للنساء .

[عمر وعائشة بنت طلحة]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال: بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت، إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، وكانت من أجمل أهل دهرها، وهي تريد الرُّكن تستلمُه، فبُهِت لمّا رآها ورأته، وعلمتْ أنّها قد وقعت في نفسه، فبعثتْ إليه بجارية لها وقالت: قولي له: اتَّقِ الله ولا تَقُل هُجْراً؛ فإنّ هذا مقام لا بدّ فيه ممّا رأيتَ. فقال للجارية: أقْرِئيها السلامَ وقولي لها: ابن عمّك لا يقول إلاّ خيراً[1]. وقال فيها[2]: [من الوافر]

صوت

لعائشةَ ابنــةِ التَّيْمِيّ عنـدي ... حِمًى في القلبِ ما يُرْعَى حِماها
يُذَكِّرُني ابنـةَ التَّيْمِـيّ ظبــيٌ ... يَـرُودُ بروْضَةٍ سَهْـلٍ رُباها
فقلتُ له، وكاد يُراعُ قلبي، ... فلــم أَرَ قَـطُّ كاليوم اشتِباها
سِوى حَمْشٍ بِساقِكَ مُستبينٍ ... وأنّ شَواك لم يُشْبِـهْ شَواها[3]
وأنَّــكَ عاطـلٌ عـارٍ وليستْ ... بعاريــةٍ ولا عُطُـلٍ يَــداها
وأنّكَ غيرُ أفْرَعَ وهــي تُدْلِي ... على المَتْنَيْنِ أسحمَ قـد كَساها[4]
ولـو قَعَدتْ ولم تَكْلَفْ بـوُدٍّ ... سوى ما قد كَلِفتُ بـه كَفاها
أَظَــلُّ إذا أُكَلِّمُهـا كأنّـي ... أُكَلِّــم حيّــةً غَلَبَـتْ رُقاها
تَبِيتُ إليَّ بعــد النـوم تَسْرِي ... وقد أمسيت لا أخشى سُراها

الغناء في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقيل أوّل. وفيهما لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ خفيف ثقيلٍ جميعاً عن الهشاميّ. وذكر إسحاق أنّ هذا الصوت ممّا يُنسَب إلى معبد؛ وهو يُشبه غناءه إلاّ أنّه لم يَرْوِه عن ثبَتٍ[5] ولم يذكُر طريقتَه. قال: وقال فيها أشعاراً كثيرة، فبلغ ذلك فِتيان بني تميم، أبلغهم إيّاه فتًى منهم قال لهم: يا بني تَيم بن مرّة، هاالله ليَقذِفَنَّ بنو مَخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون، فمشى ولدُ أبي بكر وولدُ

1 ل: حسناً.
2 ديوان عمر: 442.
3 حمش: دقّة الساقين.
4 أفرع: طويل الشعر.
5 ثبت: ثقة.

طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : والله لا أذكرها في شعرٍ أبداً . ثم قال بعد ذلك فيها ، وكنى عن اسمها ، قصيدته التي أوّلها[1] : [من البسيط]

صوت

يـا أمّ طَلْحةَ إنّ البَيْنَ قـد أَفِدا ... قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرَّحِيلُ غَدا[2]

أمسى العِراقيّ لا يَدْرِي إذا بَرَزَتْ ... مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركانِ أو سجَدا

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ويونس . قال ولم يزل عمر يَنسُب بعائشة أيّام الحجّ ويطوف حولها ويتعرّض لها وهي تكره أن يرى وجهَها ، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة ، فنظر إليها فقالت : أمَا والله لقد كنتُ لهذا منكَ كارهة يا فاسقُ ، فقال[3] : [من الكامل]

صوت

إنّي وأوّلَ مـا كَلِفْتُ بذِكْرِها ... عَجَبٌ وهل في الحبِّ من مُتَعَجَّبِ[4]

نَعَتَ النساءُ فقلتُ لستُ بمُبْصِرٍ ... شَبَهاً لهـا أبـداً ولا بمُقرِّبِ

فمكَثْنَ حِيناً ثـم قُلْنَ تَوجَّهَتْ ... للحَجِّ ، موعِدُها لِقاءُ الأَخْشَبِ[5]

أقبلتُ أَنظرُ مـا زعمنَ وقُلْنَ لي ... والقلبُ بـين مُصَدِّقٍ ومُكذِّبِ[6]

فلَقِيتُها تَمْشي تَهـادى مَوْهِناً ... ترمِـي الجمارَ عَشيَّةً في مَوْكِبِ

غَـرَّاءَ يُعْشِي الناظريـنَ بياضُها ... حَـوْراءَ في غُلَواءِ عيشٍ مُعْجِبِ

إنَّ التي مِـنْ أرضِهـا وسمائها ... جُلِبَـتْ لحَيْنِك ليتَهـا لم تُجْلَبِ

الغناء لمعبدٍ في الأوّل والثاني والرابع والسابع ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيها للغريض خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ ، يُبْدأ فيه بالثالث .

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان عن إسحاق قال أخبرني مُصْعب الزبيريّ : أنّ عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكّة وهي تسير على بغلة لها ، فقال لها : قِفِي حتى

1 ديوان عمر : 109 .
2 أفد : اقترب .
3 ديوان عمر : 49 ، 50 .
4 في الحب في ل : في الدهر .
5 الأخشب : أحد جبلين بمكّة .
6 زعمت في ل : عزمن .

أَسمِعكِ ما قلتُ فيك . قالت : أَوَقد قُلْتَ[1] يا فاسق ؟ قال : نعمْ ، فوقفتْ فأنشدها[2] : [من البسيط]

صوت

يا ربَّة البغلة الشَّهباءِ هل لكِ في أن تُنْشِري مَيِّتاً لا تُرْهِقِي حَرَجا[3]

[ويروى : هــل لكُــمُ في عاشقٍ دَنِفٍ]

قالت بدائك مُتْ أو عِشْ تُعالِجُه فما نَــرى لكَ فيما عندنا فَرَجا

قــد كنــتَ حمَّلتَنا غيظاً نُعالِجُه فإن تُقِدنــا فقــد عَنَّيْتَنا حِجَجا[4]

حتَّى لَوَ اسْطِيعُ ممَّا قــد فعلتَ بنا أكلتُ لحمَكَ من غيظٍ وما نَضِجا

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثلاثة ألحانٍ ذكرها إسحاقُ ولم يُجنِّس منها إلاّ واحداً ، وذكر الهشاميّ أنّ أحدها خفيف رملٍ بالوسطى ، [وذكر عمرو أنّ الثالث هَزَجٌ بالوسطى] . ولإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته ، فقالت : لا وربِّ هذه البَنِيَّة ! ما عَنَّيْتَنا طَرْفَةَ عينٍ قـطُّ . ثم قالت لبغلتها : عَدَسْ[5] ، وسارتْ . وتمام هذه الأبيات : [من البسيط]

فقلتُ لا والذي حَجَّ الحَجِيجُ له مــا مَجَّ حُبُّكِ من قلبي ولا نَهِجا

ولا رأى القلبُ من شيءٍ يُسَرُّ به مُــذْ بانَ منزلُكم منّــا ولا ثَلِجا

ضَنَّتْ بنائلها عنه فقــد تَرَكتْ في غير ذنبٍ أبا الخَطَّاب مُخْتَلِجا

قال : فلم تَزل عائشة تُداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرَّض لها حتى قضت حجَّها وانصرفت إلى المدينة . فقال في ذلك[6] : [من الرمل]

إنّ مَنْ تَهْوى مع الفجرِ ظَعَنْ لِلْهَوى والقلبُ مِتْباعُ الوَطَنْ

بانتِ الشمسُ وكانت كلَّما ذُكِرَتْ للقلبِ عاودتُ الدَّدَنْ[7]

---

1 ل : أو قد فعلت .

2 ديوان عمر : 81 .

3 أرهقه : كلفه .

4 أقاد به : قابله بالقصاص ؛ عنّاه : أرهقه .

5 عدس : لفظة يزجر بها البغل .

6 ديوان عمر : 410 والأبيات الثلاثة التي تلي هذين البيتين من قصيدة أخرى في الديوان ص 414 .

7 الددن : اللهو واللعب .

صوت

[من الرمل]

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ فأتَمِـرْ أمـرَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ
نظَـرَتْ عَيني إليهـا نظرةً تَركتْ قلبي لَديْها مُرتَهَنْ
ليس حبٌّ فوقَ ما أَحببتُها غيرَ أنْ أَقْتُلَ نفسي أو أُجَنّ

فيها ثاني ثقيل بالوسطى نسبه عمرو بن بانة إلى ابن سُريج ، ونسبه ابن المكّي إلى الغريض . وفيها رمل لأهل مكّة .

وممّا يُغَنَّى فيه من أشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أوّلُها[1] : [من الخفيف]

صوت

مَـــنْ لقلبٍ أَمْسى رهيناً مُعَنَّى مُستكيناً قـد شَفَّـه مـا أَجَنَّا[2]
إثْرَ شخصٍ نفسي فَدَتْ ذاك شخصاً نـــازِح الدَّارِ بالمدينـــة عنّـا
ليتَ حَظِّي كطَرْفَــةِ العينِ منها وكثيرٌ منهـا القليـــلُ المُهَــنَّا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق .

[عمر وكلثم بنت سعد المخزومية]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف ومحمد بن خَلَف قالا حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدّثني محمد بن عبد الرحمن التَّيميّ عن هشام بن سليمان بن عِكرِمة بن خالد المخزوميّ قال : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعدٍ المخزوميّة ، فأرسل إليها رسولاً فضربتْها وحَلَقَتْها وأحلفتَها ألاّ تُعاود ؛ ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك ، فتحاماها رسُلُه . فابتاع أَمَةً سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله ، فأحسن إليها وكَساها وآنسَها وعرَّفها خبرَه وقال لها : إنْ أَوصلتِ لي رُقعةً إلى كلثم فقرأتها فأنتِ حُرّةٌ ولكِ معيشتك ما بَقِيتِ . فقالت اكتُب لي مُكاتبةً واكتُب حاجتك في آخرها ، ففعل ذلك . فأخذتها ومضتْ بها إلى باب كلثم فاستأذنت ، فخرجت إليها أَمَـةٌ لها فسألتها عن أمرها ؛ فقالت : مُكاتبةٌ[3] لبعض أهل مولاتك جئتُ أَستعينُها في مُكاتبتي ، وحادثَتْها وناشدتها حتى ملأتْ قلبَها ؛ فدخلت إلى كلثم وقالت : إنّ بالباب مُكاتبةً لم أَرَ قطُّ أجمل منها ولا أكملَ ولا آدبَ . فقالت : ائذَني لها ،

1 ديوان عمر : 406 .
2 رهينا في ل : حزيناً .
3 المكاتبة : أمة قد كتب لها سيدها أن يحررها لقاء مبلغ تدفعه مقسّطاً .

فدخلت . فقالت : مَن كاتَبَكِ ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة الفاسق ! فاقرئي مكاتبتي . فمدّت يدها لتأخذها . فقالت لها : لي عليك عهد الله أن تقرئيها ؛ فإن كان منكِ إليّ شيءٌ ممّا أُحِبُّه وإلاّ لم يَلحَقْنِي منكِ مكروهٌ ؛ فعاهدتها وفَطِنَتْ . وأعطتْها الكتاب ، فإذا أوّله[1] : [من السريع]

من عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهوى　　قـد شَفَّه الوجدُ إلى كَلْثَمِ
رأتكِ عَيْنِي فدعاني الهوى　　إليـكِ للحَيْـنِ ولم أَعْلَمِ
قَتَلْتِنا ، يـا حبَّـذا أنتُـم ،　　في غيرِ مـا جُرْمٍ ولا مَأْتَمِ
واللهُ قـد أَنْزَلَ في وَحْيِهِ　　مُبَيِّنـاً في آيـهِ المُحْكَمِ
مَنْ يَقْتُلِ النفسَ كذا ظالماً　　ولم يُقِدْهـا نفسَه يَظْلِمِ
وأنتِ ثَأْرِي فتَلافَيْ دَمِـي　　ثم اجعليـه نعمـةً تُنْعِمِي
وحَكِّمِـي عَـدْلاً يكُنْ بيننا　　أو أنتِ فيما بينَنا فاحكُمِي
وجالِسِيني مَجْلِساً واحـداً　　من غيرِ مـا عارٍ ولا مَحْرَمِ
وخبِّريني مـا الذي عندَكم　　باللهِ في قتلِ امرىءٍ مُسْلِمِ

قال : فلمّا قرأتِ الشعر قالت لها : إنّه خدّاعٌ مَلِقٌ ، وليس لما شَكاه أصلٌ . قالت : يا مولاتي ، فما عليكِ من امتحانه ؟ قالت : قد أَذِنْتُ له ، وما زال حتّى ظَفِرَ ببُغْيَتِه ؛ فقولي له : إذا كان المساءُ فَلْيَجلِسْ في موضع كذا وكذا حتى يأتيَه رسولي . فانصرفت الجارية فأخبرته ؛ فتأهّب لها . فلمّا جاءه رسولُها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيّأت أجمل هيئة ، وزيَّنت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء سِتر ، فسلَّم وجلس . فتركته حتى سكن ، ثم قالت له : أخبِرني عنكَ يا فاسق ! ألستَ القائلَ[2] : [من الكامل]

هلاَّ اسْتَحَيْتِ فتَرْحَمِي صَبّا　　صَدْيانَ لم تَدَعِي له قَلْبا[3]
جَشِمَ الزيـارةَ في مَوَدّتِكم　　وأرادَ ألاّ تُرْهَقِـي ذَنْبـا
ورَجا مُصالَحَةً فكان لكم　　سِلْماً وكنتِ تَرَيْنَه حَرْبا[4]
يا أيّها المُعْطِـي مودّتَـه　　مَنْ لا يَراكَ مُسامياً خِطْبا[5]

1 ديوان عمر : 389–390 .
2 الأبيات في ديوان عمر : 65 .
3 استحيتِ في ل : ارعويت .
4 مصالحة فكان لكم في ل : مصالحة فردكم .
5 لا يراك في ل : لا يزال .

لا تَجْعَلَنْ أحداً عليك إذا ... أحببتَــه وهَويتَــه رَبَّـا
وصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفْتَ به ... واطْـوِ الزيـارةَ دونَـه غِبَّا
فَلَذاكَ أحسنُ مـن مُواظَبةٍ ... ليستْ تَزيـدُكَ عنده قُرْبا
لا بـل يَمَلُّكَ عند دَعْوته ... فيقـولُ هاهِ وطالما لَبَّى[1]

فقال لها : جُعِلتُ فِداك ، إنّ القلب إذا هَوِي نطق اللسان بما يَهوى . فمكث عندها شهراً لا يدري أهلُه أين هو . ثم استأذنها في الخروج . فقالت له : بعد أن[2] فَضَحْتَني ؟ لا والله لا تخرج إلاّ بعد أن تتزوّجني . ففعل وتزوّجها ؛ فولدت منه ابنين أحدهما جُوانٌ ؛ وماتت عنده .

[عمر ولبابة بنت عبد الله بن العبّاس]

أخبرني حبيبُ بن نَصرٍ المهلّبيّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد قال حدّثني إبراهيـم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه : أنّ عمر رأى لبابة بنت عبدالله بن العبّاس امرأة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت ، فرأى أحسنَ خَلْق الله ، فكاد عقلُه يذهب ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ؛ فنسب بها وقال فيها[3] : [من الكامل]

صوت

وَدِّعْ لُبابَــةَ قبلَ أن تَترحَّلا ... واسْأَلْ فإنَّ قُلالَـةَ أن تَسْأَلا[4]
إلبَثْ بِعَمْرِك ساعــةً وتأنَّها ... فلعلَّ ما بَخِلَتْ بـه أن يُبْذَلا
قال ائتَمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالَفٍ ... فيما هَوِيتَ فإنّنا لن نَعْجَلا
لَسْنا نُبالي حين نَقْضي حاجةً ... مـا باتَ أو ظَلَّ المَطِيّ مُعَقَّلا
حتى إذا ما الليلُ جَنَّ ظَلامُه ... ورَقَبْتُ غفلةَ كاشِحٍ أن يَمحُلا[5]
خرجتْ تأطَّرُ في الثياب كأنّها ... أَيْم يَسيبُ على كَثِيبٍ أَهْيَلا[6]
رحَّبْتُ حـينَ رأيتُها فتبسَّمَتْ ... لتحيَّتِـي لَمّـا رأتْنِـي مُقبلا
وجَلا القِناعُ سَحابةً مشهورةً ... غَرَّاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمّلا

---

1 هاه : كلمة وعيد .
2 ل : أبعد ما .
3 ديوان عمر : 311 .
4 قلالة : قليلة .
5 الشطر الثاني في ل : ونظرت غفلة حارس أن يغفلا .
6 تتأطر : تتثنّى . الأيم : الحية .

فلَبِثْتُ أَرْقِيها بما لـو عاقِـلٌ يُرقَى بـه ما اسْطاعَ ألاّ يَنْزِلا

غنَّى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل مطلقٍ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، ابتداؤه نشيدٌ . وفيها لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق أيضاً . وفيها لابن سريج في الأوّل والرابع من الأبيات رمل عن ابن المكّيّ ، ولأبي دُلَفَ القاسم بن عيسى في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ بالسبابة والبنصر ، وابتداؤه نشيد من رواية ابن المكّيّ . وفيه لمحمد بن الحسن بن مُصعبٍ هزجٌ .

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لمّا حَجَّ الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل إليه معبد فغنّاه : [من الكامل]

وَدِّعْ لبابـةَ قبـل أن تترحَّلا

فلم يزل يُردِّده عليه ، ثم أخرجه معه لمّا رَحل عن المدينة ، فغنَّاه في المنزل به حتى أراد الرَّحِيل ، فحمله على بغلةٍ له وذهب غلامٌ له يَتبعُه ؛ فقال : إلى أين ؟ فقال : أَمْضِي معه حتى أجيء بالبغلة . فقال : هيهات ! ارجع يا بنيّ ، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك . وقد رُوي هذا الخبر لغير الغمر بن يزيد .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار وهو : [من الطويل]

تشكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه

[عمر والثريا]

يقولها عمر بن أبي ربيعة في الثريا بنتِ عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شمس بن عبد مَناف ، وهم الذين يقال لهم العَبَلاتُ ؛ سُمُّوا بذلك لجَدّةٍ لهم يقال لها عبلة بنت عُبَيد بن خالد بن خازِل بن قيس بن مالك بن حَنظَلَةَ بن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم ، وهي من بطنٍ من تميم يقال لهم البراجِم ، غيرُ براجِمِ بني أسد .

[نسب الثريا بنت علي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كانت عبلة بنت عُبَيد بن خالد بن خازل بن قيس بن حنظلة ، عند رجل من بني جُشَمَ بن معاوية ، فبعثها بأَنْحاء[1] سمنٍ تبيعها له بعكاظ ، فباعت السمن وراحلتين كان عليهما ، وشربتْ بثمنها الخمر . فلمّا نفِد ثمنُها رهنتِ ابنَ أخيه وهربَتْ ، فطلَّقها . وقالت في شُرْبِها الخمر : [من المتقارب]

---

1 أنحاء : جمع نحي وهو الزق .

شَرِبتُ براحلَتَيْ مِحْجَنٍ فيا وَيْلتي ، مِحْجَنٌ قاتِلِي
وبابنِ أخيه على لذَّةٍ ولم أَحْتَفِلْ عَذَلَ العاذِلِ

قال : فتزوّجها عبدُ شمس بن عبد مناف ؛ فولدتْ له أُميَّةَ الأصغر وعبدَ أُميَّةَ ونَوْفَلاً ، وهم العَبَلاتُ .

وقد ذكر الزبير بن بكّار عن عمّه : أنّ الثُّرَيَّا بنتُ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أُميّة الأصغر ، وأنّها أُختُ محمد بن عبد الله المعروف بأبي جِرابٍ العَبْليّ الذي قتله داود بن عليٍّ ؛ وهو الذي يقول فيه ابن زياد المكّي : [من الوافر]

ثلاثُ حوائجٍ ولَهُنَّ جئنا فقُمْ فيهنَّ يا ابن أبي جِرابِ
فإنّكَ ماجدٌ في بيتِ مجدٍ بَقِيّةُ مَعْشَرٍ تحتَ الترابِ

قال : وله يقول ابن زيادٍ المكّي أيضاً : [من الطويل]

إذا مُتَّ لم تُوصَلْ بعُرْفٍ قرابةٌ ولم يَبْقَ في الدنيا رجاءٌ لسائِلِ

قال الزبير : وهذا أشبهُ من أن تكون بنت عبد الله بن الحارث ، وعبد الله إنّما أدرك سلطان معاوية وهو شيخ كبير ، وورِث بقُعْدُدِه[1] في النَّسب دار عبد شمس بن عبد مناف ، وحَجَّ معاويةُ في خلافته ، فجعل ينظر إلى الدار ، فخرج إليه عبد الله بن الحارث بمِحْجَنٍ ليضربه به وقال : لا أَشْبَعَ اللهُ بطنَك ، أما تَكفيكَ الخلافة حتى تطلب هذه الدار ؟ فخرج معاوية يضحك .

[ترجيح المؤلّف لنسب الثريا]

قال مُؤلِّف هذا الكتاب : وهذا غلطٌ من الزبير عندي ، والثريّا أن تكون بنت عبد الله بن الحارث أَشبه من أن تكون أُختَ الذي قتله داود بن عليّ ؛ لأنّها ربَّتِ الغريض المُغنّي وعلّمته النَّوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرَّة . وإذا كانت قد ربَّتِ الغريض حتى كبِرَ وتعلَّم النَّوح على قتلى الحرّة [وهو رجل] ، وهي وقعةٌ كانت بعقِب موت معاوية ، فقد كانت في حياة معاوية امرأة كبيرة ، وبين ذلك وبين مَنْ قتله داود بن عليّ من بني أُميّة نحو ثمانين سنة ، وقد شَبَّب بها عمر بن أبي ربيعة في حياة معاوية ، وأَنشد عبد الله بن عبّاس شِعره فيها ، فكيف تكون أُختَ الذي قتله داود بن عليّ وقد أَدركتْ عبد الله بن عبّاس وهي امرأةٌ كبيرةٌ ! وقد اعترف الزبير أيضاً في خبره بأنّ عبد الله بن الحارث أدرك خلافة معاوية وهو شيخ كبير ؛ فقولُ مَن قال : إنّها بنتُه ، أصوب من قول مَن قرَنها بمن قتلَه داود بن عليّ .

1 القعدد : القرابة المتمكّنة في الوراثة .

وهذا القول الذي قلته قولُ ابن الكلبيّ وأبي اليقظان ، أخبرني به الحسن بن عليٍّ عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن أبي اليقظان ، قال وحدّثني به جماعةٌ من أهل العلم بنَسَب قُريش .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني مَسْلَمَةُ بن إبراهيمَ بن هشام المخزوميّ عن أيّوب بن مَسلمة ، أنّه أخبره أنّ عمر بن أبي ربيعة كان مُسهَباً[1] بالثُّريّا بنت عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميّة الأصغر ، وكانت عُرضَةَ ذلك جَمالاً وتماماً ، وكانت تَصِيفُ بالطائف ، وكان عمر يغدو عليها كلَّ غداة إذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسأل[2] الرُّكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قِبَلَهم . فلَقِي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ؛ فقال : ما استطرَفنا خبراً ، إلاّ أنَّني سمعتُ عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجمٌ في السماء وقد سقط عنّي اسمُه . فقال عمر : الثُّريّا ؟ قال نعم . وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنّها عليلةٌ ، فوجَّه فرسه على وجهه إلى الطائف يركُضُه مِلء فُروجه وسلكَ طريق كَداء[3] ، وهي أخشن الطُّرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثُّريّا وقد توقَّعته وهي تتشوّق له وتُشرِف ، فوجدها سليمة عميمة ومعها أختاها رُضَيَّا وأُمُّ عثمان ، فأخبرها الخبر ؛ فضحكتْ وقالت : أنا والله أمرتُهم لأختبر ما لي عندك . فقال عمر في ذلك هذا الشعر[4] : [من الطويل]

تَشكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه — وبَيَّن لو يَسْطِيعُ أن يَتكلَّما[5]
فقلتُ له إنْ أَلْقَ للعَيْن قُرَّةً — فهانَ عليّ أن تَكِلَّ وتَسْأما
لذلك أُدْنِي دونَ خَيلي رِباطَه — وأوصي به ألاّ يُهانَ ويُكْرَما
عَدِمْتُ إذاً وَفْري وفارقتُ مُهْجَتي — لئن لم أَقِلْ قَرْناً إنِ اللهُ سَلَّما

قال مَسْلَمَةُ بن إبراهيم : قلتُ لأيُّوب بن مَسلمة : أكانت الثريّا كما يصف عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوقَ الصِّفة ، كانت والله كما قال عبيد الله بن قيس الرقيّات : [من الخفيف]

حَبَّذا الحجُّ والثُّريّا ومَنْ بالـ — ـخَيْفِ من أجلِها ومُلْقَى الرِّحالِ
يا سليمانُ إن تُلاقِ الثريّا — تَلْقَ عَيْشَ الخُلُودِ قبلَ الهِلالِ
دُرَّةٌ من عَقائِلِ البحر بِكْرٌ — لم تَشِنْها مَثاقِبُ اللآّلِ

1 المسهب : السقيم من الحبّ .
2 ل : فيسائل .
3 كداء : جبل في أعلى مكّة .
4 ديوان عمر : 341 .
5 ديوان ابن الرقيات (تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر) : 112–113 .

تَعْقِـدُ المِئْزَرَ السُّخامَ مِـنَ الخَـ ـزِّ على حَقْـوٍ بـادِنٍ مِكْسالِ[1]

[عمر ورملة الخزاعية]

قال إسحاق في خبره عمَّن أَسند إليه أخبار عمر بن أبي ربيعة ، وذكر مثله الزبير بن بكّار فيما حدّثنا به عنه الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني مؤمن بن عمر بن أَفلح مولى فاطمة بنتِ الوليد بن عبد شمس بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم قال حدّثني بِلالٌ مولى ابن أبي عتيق : أنّ الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة قدِم للحجّ ، فأتاه ابن أبي عتيق فسلَّم عليه وأنا معه . فلمّا قضَى سلامه ومُساءلته عن حجِّه وسفره ، قال له : كيف تركْتَ أبا الخطّاب عمر بن أبي ربيعة ؟ قال : تركتُه في بُلَهْنِيَةٍ[2] من العيش . قال : وأنَّى ذلك ؟ قال : حَجَّتْ رَمْلَة بنت عبد الله بن خَلَفٍ الخزاعية فقال فيها[3] : [من الخفيف]

صوت

أصْبَحَ القلبُ في الحِبالِ رَهِينا مُقْصَداً يـومَ فارَقَ الظَّاعِنِينا
قلتُ مَنْ أنتُمُ فصَدَّتْ وقالتْ أَمُبِـدٌّ سؤالَـك العالَمينا[4]
نحن من ساكني العِراق وكُنّا قبلَـه قاطنِـين مكّـةَ حِينا
قد صَدَقْناكَ إذ سألتَ فمن أنـ ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا
ونَـرى أنّنا عَرَفْنـاكَ بالنَّعْـ ـتِ بظَـنٍّ ومـا قَتَلْنا يَقِينا
بسَوادِ الثَّنِيَّتَيْـنِ ونَعْـتٍ قـد نَـراه لناظـرٍ مُستَبِينا

غَنَّى معبدٌ في البيتين الأوّلين خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالوُسطى في مجراها عن إسحاق . وغنّى في الثاني وما بعده ابن سريج خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالسَّبابة في مجرى البِنصر عنه أيضاً . وذكر حبش أنّ فيه للغريض أيضاً لحناً من التقيل الأوّل بالبِنصر . قال : فبلغ ذلك الثُّريّا ، بلّغَتْها إيّاه أُمُّ نوفلٍ ، وكانت غَضبى عليه ، وقد كان انتشر[5] خبرُه عن الثريّا حتى بلغَها من جهةِ أُمّ نَوفلٍ وأنشدتها قوله : [من الخفيف]

أَصْبَحَ القلبُ في الحِبالِ رَهِينا مُقْصَداً يـومَ فـارقَ الظاعِنِينا

---

1 السخام : اللين .
2 في بلهنية : في عيش مرفه .
3 ديوان عمر : 425–426 .
4 أمبدّ سؤالك العالمينا : أقسّم سؤالك على جميع الناس .
5 ل : استتر .

فقالت : إنّه لوقاحٌ صنع[1] بلسانه ، ولئن سلِمتُ له لأُردَّنَّ من شأوِه ، ولأَثنِيَنَّ من عِنانه ، ولأُعَرِّفنّه نفسه . فلمّا بلغت إلى قوله : [من الخفيف]

قُلتُ مَن أنتُمُ فصدَّتْ وقالتْ ... أَمُبِـدٌّ سُؤالَـكَ العالَمِينـا

فقالت : إنّه لَسأَلٌ مُلِحٌّ ، [قُبحاً له] ولقد أجابتْه إن وَفَتْ . فلمّا بلَغتْ إلى قوله :

[من الخفيف]

نحن من ساكني العراقِ وكنّا ... قبلَـه قاطنـين مكّـةَ حِينا

قالت : غمَزَتْه الجَهمَةُ[2] ، فلمّا بلَغتْ إلى قوله : [من الخفيف]

قد صدَقْناك إذ سألتَ فمن أنـ ... ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا

قالت : رَمَتْه الوَرْهاءُ[3] بآخر ما عندها في مقامٍ واحد . وهَجرتْ عمرَ .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصعب : أنّ رملة بنت عبد الله بن خلف حجَّت ، فتعرّض لها عمر بن أبي ربيعة فقال فيها : [من الخفيف]

أصبَحَ القلبُ في الحِبال رهينا ... مُقصَداً يَـوم فـارقَ الظاعِنينا

وقال في هذه القصيدة : [من الخفيف]

فـرأَتْ حِرْصيَ الفتاةُ فَقالتْ ... خَبِّرِيهِ ، من أَجْلِ مَن تَكتُمينا ؟

نحن من ساكني العِراق وكنّا ... قَبلَـه قاطِنـين مكّـةَ حينا

قد صدّقناك إذ سألت فمن أنـ ... ـتَ عَسى أن يَجرّ شأنٌ شؤونا

قال الزبير : ورملَةُ هذه أُمُّ طَلحة بن عمرَ بن عُبَيد الله بن معمرٍ التَّيميّ ، وهي أُخت طلحة الطَّلحات بن عبد الله بن خَلَفٍ الخُزاعيّ .

[كثير يتغزّل بنسوة من قريش ردّاً على عمر]

قال : فبلغتْ هذه الأبيات كثيِّراً ، فغضِب لذلك وقال : وأنا والله لا أتمارى أنْ سيَجُرُّ شأنٌ شؤونا . ثم ذكَر نسوة من قريش فساقهنّ في شعره من الحجّ حتى بلغ بهنّ إلى مللٍ[4] ، ثم أَشفَقَ فجاز ، ولم يَزِد على ذلك ، وهو قوله في قصيدته التي أوّلها[5] : [من الخفيف]

1 صنع اللسان : ذلق اللسان .
2 الجهمة : الضعيفة .
3 الورهاء : الحمقاء .
4 ملل : موضع بين مكّة والمدينة .
5 ديوان كثيّر : 395–400 .

مـا عَناكَ الغَـداةَ من أَطْلالِ ، دارِساتِ المُقـامِ مُـذْ أحْوالِ

صوت

قُـمْ تأمَّلْ فأنـتَ أَبْصَرُ منِّي هل تَرى بالغَميمِ من أَجْمالِ[1]
قاضياتٍ لُبانَـةً مـن مُناخٍ وطَـوافٍ ومَوقِـفٍ بالجِبالِ[2]
قِلْنَ عُسْفانَ ثم رُحْنَ سِراعاً هابِطاتٍ عَشِيَّةً مـن غَزالِ[3]
وارداتِ الكَدِيـدِ مُجْترِعاتٍ جُزْنَ وادِي الحَجُونِ بالأَثْقالِ[4]
قَصْدَ لِفْتٍ وهُـنّ مُتَّسِقاتٌ كالعَدَوْليِّ لاحِقـاتِ التَّوالِي[5]
طالعاتِ الغَمِيس مـن عَبّـودٍ سالكاتِ الخَوِيِّ مـن أَمْلالِ[6]
فسَقى اللهُ مُنْتَوى أُمِّ عمـرٍو حيث أَمَّتْ بها صُدورُ الرِّحالِ
حَبَّذا هُـنَّ مِنْ لُبانَـةِ قَلبِي وجَدِيـدُ الشَّبابِ من سِرْبالي
رُبَّ يـومٍ أتيتُهُـنّ جميعـاً عند بَيْضاءَ رَخْصَةٍ مِكْسالِ[7]
غيرَ أنّي امرؤٌ تعَمَّمْتُ حِلْماً يَكْرَه الجهـلَ والصِّبا أمثالي

غنّى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأوّل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ويونس . وذكر الهشاميّ أنّ فيها للحَجَبِيّ رملاً بالبِنصر .

[شعر عمر حين هجرته الثريا]

قالوا : فلمّا هَجرت الثُّريّا عمر قال في ذلك : [من الخفيف]

مَنْ رَسُولِي إلى الثُّرَيّا فإنِّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

فبلَغ ابن أبي عَتيقٍ قوله ، فمضى حتى أصلح بينهما . وهذه الأبيات تُذكر مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيقٍ بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمرُ في شعره .

---

1 الغميم : موضع قرب المدينة .
2 بالجبال يروى أيضاً «بالخيال» .
3 عسفان : موضع قريب من مكّة . غزال : قرن غزال وهو وادٍ .
4 الكديد : موضع بين عسفان ورابغ .
5 لفت : واد قريب من عقبة هرشى . العدولي : سفن تنسب إلى مكان بالبحرين .
6 غميس : هو غميس الحمام بعد «ملل» وأنت ذاهب إلى بدر من المدينة . وعبود : جبل بين السيالة وملل . الخويّ : اسم واد . وأملال : اسم موضع .
7 أتيتهنّ في ل : رأيتهنّ .

قال مُصعب بن عبد الله في خبره : وكانت رملة جَهْمَةَ[1] الوجه ، عظيمةَ الأنف ، حسنةَ الجسم ، وتزوّجها عُمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ، وتزوّج عائشة بنت طَلْحة بن عبيد الله وجمَع بينهما ، فقال يوماً لعائشة : فعلتُ في محاربة الخوارج مع أبي فُدَيك[2] كذا ، وصنعت كذا ، يذكر لها شجاعته وإقدامَه . فقالت له عائشة : أنا أعلَم أنّك أشجعُ الناس ، وأعرف لك يوماً هو أعظمُ من هذا اليوم الذي ذكرتَه . قال : وما هو ؟ قالت : يوم اجتَلَيت رملة وأقدمتَ على وجهها وأنفها .

قال مُصعب وحدّثني يعقوب بن إسحاق قال : لمّا بلغ الثريّا قولُ عمر بن أبي ربيعة في رملة : [من الخفيف]

وجَـلا بُرْدُها وقـد حَسَرَتْه نُـورَ بـدرٍ يُضِيء للناظرينا

قالت : أفٍّ له ما أَكذَبه ! لن ترتفع حَسناءُ بصفتِه لها بعد رملةَ .

[رحل بابنته لئلاّ يشبب بها عمر حين تكبر]

وذكر ابن أبي حسّان عن الرياشيّ عن العبّاس بن بكّار عن ابن دَأب : أنّ هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جُمَحَ كان أبوها من أهل مكّة ، فوُلدت له جارية لم يُولد مثلها بالحجاز حُسناً . فقال أبوها : كأنّي بها وقد كَبِرَت ، فشبَّبَ بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوّه باسمها كما فعل بنساء قريش ، والله لا أَقَمْتُ بمكّة . فباع ضَيعةً له بالطائف ومكّة ورحل بابنته إلى البصرة ، فأقام بها وابتاع هناك ضيعةً حسنة ، ونشأت ابنتُه من أجمل نساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم تَرَ أحداً من بني جُمَحَ حضَر جنازته ، ولا وجدتْ لها مُسْعِداً ولا عليها داخِلاً . فقالت لداية لها سوداء : مَنْ نحن ؟ ومِنْ أيِّ البلادِ نحن ؟ فخبَّرتها . فقالت : لا جَرَمَ واللهِ لا أقمتُ في هذا البلد الذي أنا فيه غريبةٌ ! فباعت الضيعة والدار ، وخرجت في أيّام الحجّ . وكان عمر يَقْدَمُ فيعتمِر في ذي القِعدة ويُحِلُّ ، ويَلبَس تلك الحُلَلَ والوَشْيَ ، ويَركَب النجائب المخضوبة بالحنّاء عليها القُطوع[3] والدِّيباج ، ويُسْبِل لِمَّته ، ويَلقى العراقيّات فيما بينه وبين ذات عِرقٍ مُحْرِمات ، ويتلقّى المَدَنيّات إلى مَرٍّ ، ويتلقّى الشاميات إلى الكديد . فخرج يوماً للعراقيّات فإذا قُبَّةٌ مكشوفةٌ فيها جارية كأنّها القمر ، تُعادِلها جارية سوداء كالسُّبجة[4] . فقال للسوداء : مَن أنتِ ؟ ومِن أين أنت يا خالة ؟ فقالت : لقد أطال الله تَعَبك ،

1 جهمة الوجه : في وجهها غلظ .
2 أبو فديك : عبد الله بن ثور ، تغلبي خرج في البحرين أيّام بني أميّة .
3 القطوع : الطنافس .
4 السبجة : ثوب أو قميص أسود .

إن كنتَ تسأل هـذا العالم مَنْ هُم ومن أين هم . قال : فأخبريني عسى أن يكون لذلك شأن . قالـت : نحـن من أهل العراق ، فأمّا الأصل والمَنْشأ فمكّة ، وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا ؛ فضحك . فلمّا نظَرتْ إلى سواد ثَنِيَّتَيْهِ قالت : قد عرفناك . قال : ومن أنا ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة . قـال : وبِمَ عرفتني ؟ قالت : بسواد ثنيتيك وبهيئتك التي ليست إلاّ لقريش ؛ فأنشأ يقول : [من الخفيف]

قلتُ من أنتُم فصَدَّتْ وقالتْ أمُبِـدٌّ سؤالَـك العالَمينا

وذكر الأبيات . فلم يزل عمر بها حتى تزوّجها وولدَتْ له .

[خبر صلح الثريا وعمر]

قال : فلمّا صَرَمتِ الثريّا عمر قال فيها[1] : [من الخفيف]

صوت

مَـنْ رَسُولي إلى الثريّـا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ
سلبتْني مَجّاجَـةُ المِسْكِ عَقْلِي فسَلُوهـا ماذا أحَلَّ اغتصابي
وهـي مَكْنونَـةٌ تحيَّر منهـا في أَديم الخَدَّين ماءُ الشبابِ
أبْرَزُوهـا مثلَ المَهـاةِ تَهادَى بـين خَمْسٍ كَواعـبٍ أتْرابِ
ثم قالـوا تُحِبُّها قلتُ بَهْـراً عددَ القَطْرِ والحصى والترابِ[2]

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ، وذكر حبشٌ أنّه لمالك .

[ابن أبي عتيق يصلح بين عمر والثريا]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكَّار قال حدّثني مُؤْمِن بن عمر بن أَفْلَحَ مولى فاطمة بنت الوليد قال أخبرني بِلالٌ مـولى ابن أبي عتيق قال : أُنْشِد ابن أبي عتيق قول عمر : [من الخفيف]

مَـنْ رسولي إلى الثريّـا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرها والكتابِ

فقال ابن أبي عتيق : إيَّايَ أراد وبي نوّه ، لا جَرَمَ واللهِ لا أَذُوقُ أُكْلاً حتى أَشْخَصَ فأُصْلِحَ بينهما ، ونهض ونهضتُ معه ؛ فجاء إلى قوم من بني الدِّيل بن بَكْر لم تكن تُفارقهم نجائبُ لهم فُرهٌ يُكرونَها ، فاكترى منهم راحلتين وأَغلى لهم . فقلت له : استَوْضِعْهم أو دعني أماكسهم ؛ فقد اشتطّوا عليك . فقال : ويحَك ، أما علمتَ أنّ المِكاسَ ليس من أخلاق الكِرام ؟ ثم ركب

1 ديوان عمر : 59–60 .

2 عدد القطر في الديوان : عدد النجم .

إحداهما وركبتُ الأُخرى ، فسار سَيْراً شديداً ؛ فقلتُ : أبقِ على نفسك ؛ فإنّ ما تريد ليس يَفُوتُك . فقال : وَيْحَك ، [من الخفيف]

أبادِرُ حَبْلَ الوُدّ أن يَتَقَضَّبا

وما حلاوة الدنيا إن تمَّ الصَّدْعُ بين عمَر والثريَّا ؟ فقَدِمْنا مكّة ليلاً غير مُحْرِمين ، فدَقَّ على عمر بابه ، فخرج إليه وسلَّم عليه ولم ينزل عن راحلته ؛ فقال له : اركَبْ أُصلِحْ بينك وبين الثريّا ؛ فأنا رسولك الذي سألتَ عنه . فركب معنا وقَدِمنا الطائفَ ، وقد كان عمرُ أَرْضى أُمَّ نوفل فكانت تطلبُ له الحِيَلَ لإصلاحها فلا يمكنها . فقال ابن أبي عتيق للثريّا : هذا عمر قد جَشَّمَني السفرَ من المدينة إليك ، فجئتُكِ به مُعترِفاً لكِ بذنبٍ لم يَجْنِه ، معتذراً إليك من إساءته إليك ؛ فدعِيني من التَّعدادِ والتَّرْدادِ ؛ فإنّه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ فصالحتْه أحسن صُلْح وأتمَّه وأجملَه ، وكَرَرْنا إلى مكّة ، فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل .

وزاد عمر في أبياته[1] : [من الخفيف]

أَزْهَقَـتْ أُمُّ نوفـلٍ إذ دَعَتْهـا مُهْجَتِـي ، مـا لِقاتِلِي مِنْ مَتابِ
حـين قالتْ لهـا أَجِيبِي فقالتْ مَنْ دعانِي ؟ قالت أبو الخَطَّابِ
فاستجابـتْ عنـد الدعـاء كما لبَّـ ـى رجالٌ يَرجُونَ حسنَ الثوابِ

قال الزبير : وما دَعَتْها أُمُّ نوفلٍ إلاّ لابن أبي عتيق ، ولو دَعَتْها لعمر ما أجابتْ . قال : وسألتُ عمّي عن أُمِّ نوفلٍ ، فقال : هي أُمُّ ولدِ عبد الله بن الحارث أبي الثريّا . وسألته عن قوله :

. . . . كما لبَّـ ـى رجالٌ يَرجُونَ حسنَ الثوابِ

فقال : كرَّرَتْ في التلبية كما يفعل المُحرِم ، فقالت : لبَّيك لبيك .

وأخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمِّه أنّ بعض المكِّيِّين قال : كانت الثريّا تَصُبّ عليها جَرَّة ماءٍ وهي قائمة فلا يُصيب ظاهر فَخِذَيْها منه شيءٌ من عِظَم عَجِيزَتِها .

وأخبرني حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أبو غسَّان محمد بن يحيى بخبر الثريّا هذا مع عمر ، فذكر نحواً ممّا ذكره الزبير ، وقال فيه : لمّا أناخ ابن أبي عتيق بباب الثريّا أرسلت إليه : ما حاجتُك ؟ قال : أنا رسولُ عمرَ بن أبي ربيعة وأنشدها الشعرَ . فقالت : ابن أبي ربيعة فارِغٌ ونحن في شُغْلٌ ، وقد تَعِبْتَ فانْزِلْ بنا . فقال : ما أنا إذاً برسول . ثم كَرَّ راجعاً إلى ابن أبي ربيعة بمكّة فأخبره الخبر فأصلح بينهما .

1 الأبيات في القصيدة السابقة في الديوان .

حدّثني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق العَنزيّ قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ ، وأخبرني به الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيُّوب بن عبايَة ، وأخبرني به الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير عن مُؤمِن بن عمَر بن أَفلَح عن عبد العزيز بن عمران ، قالوا : قَدِم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، فنزل على ابن أبي عتيق ، وهو عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر ، فلمّا استلقى قال : أَوَّهْ ! [من الخفيف]

مَنْ رسولي إلى الثريّـا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

فقال ابن ابي عتيق : كلّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن بلّغها ذاك غيري . فخرج ، حتى إذا كان بالمصَلّى مَرَّ بنُصيب وهو واقفٌ فقال : يا أبا مِحجنٍ . قال لَبَّيْكَ ! قال : أتُودِعُ إلى سُلْمى شيئاً ؟ قال نعم . قال : وما ذاكَ ؟ قال : تقول لها يا ابنَ الصِّدِّيق : إنّك مررتَ بي فقلتَ لي : أتُودِع إليها شيئاً ، فقلتُ : [من الطويل]

أتَصْبِرُ عــن سَلْمَى وأنت صَبُورُ وأنت بحُسْنِ العَزْمِ منـكَ جَدِيرُ[1]

وكِدْتُ ولَمْ أُخْلَقْ من الطيرِ إن بَدا سَنَى بــارِقٍ نحـوَ الحِجـازِ أَطِيرُ

قال : فمرّ بسلمى وهي في قريةٍ يقال لها «القَسْرِيَّةُ»[2] ، فأَبْلَغَها الرسالة ؛ فزفرَتْ زَفْرَةً كادت أن تفرّق أضلاعها . فقال ابن أبي عتيق : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن لم يكن جوابُكِ أحسنَ من رسالته ، ولو سَمِعَكِ الآن لنَعَق وصار غُراباً . ثم مضى إلى الثريّا فأَبلَغ الكتاب . فقالت له : أَما وجد رسولاً أصغرَ منك ؟ انزل فأَرِح . فقال : لستُ إذاً برسولٍ ؛ وسألها أن ترضى عنه ، ففعلتْ . وقال الزبير في خبره : فقال لها : أنا رسول ابن أبي ربيعة إليكِ ، وأنشدها الأبيات ، وقال لها : خَشِيتُ أن تَضيعَ هذه الرسالة . قالت : أدّى الله عنك أمانتك . قال : فما جوابُ ما تَجَشَّمْتُه إليك ؟ قالت : تُنْشِده قوله في رملة : [من الخفيف]

وجَلا بُرْدُها وقد حَسَرتْــهُ ضوءَ بـدرٍ أضاءَ للناظرينا

فقال : أُعِيذُكِ بالله يا ابنةَ أخي أن تَغْلبيني بالمَثَل السائر . قالت : وما هو ؟ قال : «حَريصٌ لا يَرى عملَه» . قالت : فما تشاءُ ؟ قال : تَكْتُبينَ إليه بالرضا عنه كتاباً يَصِل على يدي ، ففعلت . فأخذ الكتابَ ورجَع من فَورِه حتى قَـدِم مكّة ، فأتـى عمَر . فقال له : من أين أقبلتَ ؟ قال : من حيث أرسلتني . قال : وأنَّى ذلك ؟ قال : من عند الثريّا ، أَفْرِخْ رَوعَك ، هذا كتابها بالرضا عنك إليك .

---

1 الأصوب : سعدى ، كما سيأتي في شعر نصيب . والبيتان في مجموع شعر نصيب (الدكتور داود سلوم) : 191 .

2 ل : القشيريّة .

[تغنّى ابن عائشة بشعر عمر في مجلس حسن بن حسن]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : اجتمع ابن عائشة ويونس ومالك عند حسن بن حسن بن عليّ ، عليهم السلام ، فقال الحسن لابن عائشة : غَنّني «مَن رسولي إلى الثريّا . . .» ؛ فسكت عنه فلم يُجبه . فقال له جليسٌ له : أيقول لك غَنِّني فلا تُجيبه ؟! فسكت . فقال له الحسن : مالَكَ ؟ وَيْحَك ، أَبِك خَبال ؛ كان والله ابن أبي عتيق رضي الله عنه أجود منك بما عنده ؛ فإنّه لمّا سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة : أنا رسولُك إليها ، فمضى نحو الثريّا حتى أدّى رسالته ، وأنت معنا في المجلس تَبْخَل أن تُغَنِّيَه لنا ، فقال له : لم أذهَبْ حيثُ ظننتَ ، إنّما كنتُ أتخيَّر لكَ أيَّ الصوتَيْن أُغَنّي : أقَوْلَه[1] : [من الخفيف]

مَنْ رسولي إلى الثريّا فإنّي ضاقني الهَمُّ واعترَتْني الهُمُومُ
يَعْلَمُ اللهُ أنّني مُسْتَهامٌ بهَواكُمْ وأنّني مرحومُ

أم قولَه : [من الخفيف]

مَنْ رسولي إلى الثريّا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

فقال له الحسن : أسأنا بك الظنَّ أبا جَعفر ، غَنِّ بهما جميعاً ، فغنّاهما . فقال له الحسن : لولا أنّك تغضَب إذا قلنا لك : أحسنتَ ، لقلتُ لك : أحسنتَ والله ، قال : ولم يَزَلْ يُردِّدُهما بَقِيَّةَ يومِهِ .

[ينشد عمرُ ابنَ أبي عتيق شعره في الثريا]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني يعقوب بن إسحاق الرَّبَعيّ عن أبيه قال : أنْشَدَ عمرُ بن أبي ربيعةَ ابن أبي عتيقٍ قولَه : [من الخفيف]

لَم تَرَ العينُ للثريّا شَبِيهاً بِمَسِيلِ التِّلاعِ يومَ التقَيْنا

فلمّا بلَغ إلى قوله : [من الخفيف]

ثم قالتْ لأُختها قد ظَلَمْنا إن رَدَدْناه خائباً واعتدَيْنا

قال : أحسنتْ والهدايا[2] وأجادت . ثم أنشده ابن أبي عتيق مُتَمَثِّلاً قول الشاعر : [من الخفيف]

أَرِيني جَواداً مات هُزْلاً لعلّني أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مُخَلَّدا[3]

---

1 البيتان في ديوان عمر : 394 .
2 والهدايا : قَسَمٌ ؛ وهي ما ينحر من الحيوان في الحجّ .
3 ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) : 230 .

فلمّا بلغ عمر إلى قوله في الشعر :

في خَلاءٍ من الأَنِيسِ وأَمْنِ

قال ابن أبي عَتِيق : أَمْكنتْ للشّارِب الغُدُر «مَنْ عالَ بعدها فلا ٱنجبَر»[1] . فلمّا بلغ إلى قوله : [من الخفيف]

فمكَثْنا كـذاك عَشْراً تِباعـاً ... في قَضاءٍ لِدَيْنِنـا واقتَضَيْنـا

قال : أما والله ما قضَيْتَها ذهباً ولا فِضّةً ولا اقتضَيْتَها إيّاه ، فلا عَرَّفكُما الله قبيحاً ! فلمّا بلغ إلى قوله : [من الخفيف]

كان ذا في مَسِيرنا إذ حَجَجْنا ... علمَ اللهُ فيـه مـا قَـدْ نَوَيْنا

قال : إنّ ظاهرَ أمرِك لَيَدُلُّ على باطنِه ، فأَرْوِد[2] التفسير ، ولئنْ مُتَّ لأموتَنَّ معك ، أُفٍّ للدنيا بعدَك يا أبا الخطّاب . فقال له عمر : بل عليها بعدَك العَفاءُ يا أبا محمد .

قال : فلَقِيَ الحارثُ بن خالد بن أبي عتيق فقال : قد بلغني ما دار بينَك وبين ابن أبي ربيعة ، فكيف لم تَتَحلَّلا منّي[3] ؟ فقال له ابن أبي عتيق : يَغْفِرُ اللهُ لكَ يا أبا عمرو ، إنّ ابنَ أبي ربيعة يُبرِىءُ القَرحَ ، ويضعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ[4] ، وأنتَ جميلُ الخَفْض . فضحِك الحارث بن خالد وقال : «حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ» . فقال : هيهاتَ أنا بالحُسن عالمٌ نَظّار !

[خبر السواد في ثنيّتي عمر]

وأمّا خبر السواد في ثَنِيَّتَيْ عمر فإن الزبير بن بكّار ذكره عن عمّه مُصعب في خبره : أنّ امرأةً غارتْ عليه فاعترضتْه بمِسْواكٍ كان في يدها فضربتْ به ثنيتيه فاسوَدَّتا .

وذكر إسحاقُ المَوْصليّ عن أبي عبد الله المُسَيَّبِيّ وأبي الحسن المدائنيّ : أنّه أَتى الثريّا يوماً ومعه صديقٌ لـه كان يصاحبه ويتوصَّل بذكره في الشعر ، فلمّا كشفَتِ الثريّا السِّتر وأرادت الخروج إليه ، رأت صاحبه فرجعتْ . فقال لها : إنّه ليس ممَّنْ أَحْتَشِمُه ولا أُخفِي عنه شيئاً ؛ واستَلْقى فضحِك ، وكان النساءُ إذ ذاك يتختَّمْنَ في أصابعهنّ العَشْر ، فخرجت إليه فضربتْه بظاهر كفِّها ، فأصابت الخَواتِيم ثنيّتيه العُلْيَيَيْن فنَغَضَتا وكادتا تَسقطان[5] ، فقَدِم البصرة فعُولِجَتا له ، فثَبَتَتا واسودَّتا . فقال الحزين الكِناني يُعَيِّره بذلك ، وكان عدوّه وقد بلغه خبره : [من البسيط]

---

1 من عال بعدها فلا انجبر : هذا مثل ، أي من افتقر بعد هذا فلا استغنى .

2 أرود : ترفق ؛ وربّما قرنت فأورد .

3 تحلل : سأل الآخر أن يجعله في حلّ .

4 يضع الهناء مواضع النقب : مثل يضرب للدقيق الذي يضع شيء في المكان المناسب .

5 ل : فنغضتا ، وكادت أن تقتلعهما وخاف أن يسقطا .

مـا بالُ سِنَّيْكَ أَمْ ما بالُ كَسْرِهما أهكذا كُسِرا في غيرِ مـا باسِ[1]
أم نَفْحَةٌ مـن فتاةٍ كنتَ تألفُها أم نالَها وَسْطَ شَرْبٍ صدمةُ الكاسِ

قال : ولقيه الحزين الكِناني ، يوماً فأنشده هذين البيتين ؛ فقال له عمر : اذهَبْ ، وَيْلَكَ ، فإنّك لا تُحْسِنُ أن تقول[2] : [من الرمل]

صوت

ليتَ هنداً أنجزَتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفسَنا ممّا تَجِدْ
واستبَدّتْ مرّةً واحـدةً إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستبدّ

لابن سريج في هذا الشعر رملٌ بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وخفيف رَمَلٍ [أيضاً] في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكيّ . ولمالك [فيه] ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . ولُمتيَّمَ ثاني ثقيلٍ عن ابن المعتزّ . وذكر أحمدَ بن أبي العلاء عن مُخارق أنّ خفيف الرمل ليحيى المكّيّ صنعه وحكى فيه لحن [هذا الصوت] :

اسْلَمِي يـا دارُ مِنْ هند

| خبر الثريا مع الحارث أخي عمر |

حدّثني عليُّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق المَوصِليّ عن رجاله المذكورين : أنّ الثريَّا واعدَتْ عمر بن أبي ربيعة أن تزوره ، فجاءت في الوقت الذي ذكرَته ، فصادفت أخاه الحارث قد طرَقَه وأقام عنده ، ووجَّه به في حاجة له ونام مكانه وغطَّى وجهه بثوبه ، فلم يشعر الحارث إلاّ بالثريّا قد ألقتْ نفسَها عليه تُقبِّله ، فانتبه وجعل يقول : اعْزُبي عنّي فلستُ بالفاسق ، أخْزاكِ الله ، فلمّا علِمتْ بالقِصَّة انصرفَتْ . ورجعَ عمرُ فأخبره الحارث بخبرها ؛ فاغتمَّ لِما فاتَه منها ، وقال : أمَا واللهِ لا تَمسُّكَ النارُ أبداً وقد ألقتْ نفسَها عليك . فقال له الحارث : عليك وعليها لعنةُ الله .

وأخبرني بهذه القصّة الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بَكّار عن يعقوب بن إسحاق الربعيّ عن الثقة عنده عن ابن جريج عن عثمان بن حَفْصٍ الثَّقفيّ : أنّ الحارث بن عبد الله زار أخاه ، ثم ذكر نحواً من الذي ذكره إسحاق ، وقال فيه : فبلَغ عمر خبرها ، فجاء إلى أخيه الحارث وقال له : جُعِلتُ فِداءَك ، ما لَكَ ولأَمَةِ الوهّاب ابنتِك ؟ أَتَتْكَ مُسلِّمةً عليك فلعنتَها وزجرتَها وتهدَّدْتَها ، وها هي تِيك باكية . فقال : وإنّها لهيَ ، قال : ومَنْ تَراها تكون ؟ قال : فانكسر الحارثُ عنه وعن لَومِهِ .

---

1 ما بالُ كسرهما في ل : أم ما شأن حسنهما .

2 ديوان عمر : 101–102 .

[سهيل يتزوّج الثريّا]

أخبرني عليُّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر بن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد ، هكذا قال إسحاق ، وأخبرني الحرميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عَمَّار . ورواه أيضاً حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه : عن أبي عبيدة العَمَّاريّ ، ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد : قالوا : تزوّج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريّا ، وقال الزبير : بل تزوّجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، فحُملت إليه وهو بمصر . والصواب قول من قال : سهيل بن عبد العزيز ؛ لأنّه كان هناك منزلُه ، ولم يكن لسُهيل بن عبد الرحمن هناك موضعٌ . فقال عمر : [من الخفيف]

صوت

أيُّها المُنْكِحُ الثريَّا سُهَيلاً ... عَمْـرَكَ اللهَ كيـف يَلْتقيانِ

هي شاميّـةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيـلٌ إذا استقلَّ يَماني

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لعبد الله بن العبّاس ثاني ثقيلٍ بالبِنصر . وأوّلُ هذه القصيدة[1] : [من الخفيف]

أيـُّها الطارِق الذي قد عَناني ... بعد ما نام سامِرُ الرُّكْبانِ

زارَ مِنْ نـازحٍ بغير دليلٍ ... يَتَخَطَّى إليَّ حتى أتـاني

وذَكر الرِّياشيُّ عن ابن[2] زكريا الغَلابيّ عن محمد بن عبد الرحمن التَّيْمِيّ عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالـد المخزومـيّ قال : كان عمرُ بن أبي ربيعة قد أَلَحّ على الثريّا بالهوى . فشَقَّ ذلك على أهلِها ، ثم إنّ مَسْعَدَةَ بنَ عمر أَخرج عمر إلى اليمين في أمر عَرَض لـه ، وتزوّجـت الثريّا وهـو غائـب ، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصرَ ، فقـال : [من الخفيف]

أيّها المنكحُ الثريّـا سهيلاً ... عمرَك اللّهَ كيفَ يلتقيانِ

وذكَـر الأبيات . وقـال في خبره : ثـم حمله الشوقُ على أن سار إلى المدينة فكتب إليها[3] : [من مجزوء الوافر]

كتبتُ إليكِ من بلدي ... كتـابَ مُوَلَّـهٍ كَمِـدِ

1 ديوان عمر : 438 وقد أفرد البيتان عن الأبيات التي أوّلها «أيّها المنكح» .
2 هو محمد بن زكريا الغلابي .
3 ديوان عمر : 114 .

كَئيبٍ واكِفِ العينيـ ـنِ بالحَسَراتِ منفردِ
يُؤَرِّقُــه لَهيبُ الشَّوْ قِ بين السَّحْرِ والكَبِدِ[1]
فيُمْسِكُ قلبَـه بيـدٍ ويَمْسَحُ عينَـه بيـدِ

وكتبه في قُوهِيَّةٍ[2] وشنفه وحَسَّنَه وبعثَ به إليها . فلمّا قرأتْه بكتْ بكاءً شديداً ، ثم تمثّلت : [من الطويل]

بنفسيَ مَنْ لا يستقِلُّ بنفسِه ومَنْ هو إن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائعُ[3]

وكتبت إليه تقول[4] : [من الطويل]

أتاني كتابٌ لم يَـرَ الناسُ مثلَه أُمِـدَّ بكافُـورٍ ومِسْكٍ وعَنْبَرِ
وقِرطاسُه قُوهِيَّـةٌ ورِباطُـه بعِقْدٍ من الياقوتِ صافٍ وجَوْهرِ
وفي صَدْرِه : مِنّي إليـكِ تحيّةٌ لقد طال تَهْيامي بكم وتذكُّري
وعُنْوانُـه مـنْ مُسْتَهامٍ فؤادُه إلى هائمٍ صَبٍّ من الحُزْنِ مُسْعَرِ

قال مؤلّف هذا الكتاب : وهذا الخبرُ عندي مصنوعٌ ، وشِعرُه مُضَعَّفٌ يدلُّ على ذلك ، ولكنّي ذكرتُه كما وقَع إليّ .

[الثريا عند الوليد بن عبد الملك]

قال أبو سعيد مَوْلى فائِدٍ ومَنْ ذكر خبره مع الثريّا : فمات عنها سُهَيلٌ أو طلّقها ، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشقَ في دَيْنٍ عليها ؛ فبَيْنا هي عند أُمِّ البَنِينَ بنتِ عبد العزيز بن مروان ، إذ دخل عليها الوليد فقال : مَنْ هذه ؟ فقالت : الثريّا جاءتني ، تَطلُبُ إليكَ في قضاءِ دينٍ عليها وحَوائجَ لها . فأقبَلَ عليها الوليدُ فقال : أتَرْوِينَ من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت : نعم ، أمَا إنّه يرحمه الله كان عفيفاً عَفيفَ الشِّعر ، أَرْوِي قولَه[5] : [من الخفيف]

صوت

مـا عَلى الرَّسْمِ بالبُلَيَّيْنِ لو بيَّـ ـنَ رَجْـعَ السَّلامِ أو لـو أَجابا
فـإلى قَصْرِ ذي العُشَيرةِ فالصَّا ئِـفِ أَمْسى مـن الأنيس يَبابا[6]

1 السحر : الرئة .
2 قوهية : قطعة قماش من صنع قوهستان .
3 الشعر والشعراء لابن قتيبة (ط . دار صادر) : 470 لليلى ترثي قيس .
4 انظر خزانة الأدب 1 : 31 وما بعدها .
5 ديوان عمر : 40 .
6 ذو العشيرة : موضع بالصَّمان . الصائف : من نواحي المدينة .

وبما قد أرى به حيَّ صِدْقٍ ظاهري العيشِ نَعمةً وشبابا
إذ فؤادي يَهْوى الرَّبابَ وأنَّى الدَّ هرَ حتَّى المَماتِ أَنْسَى الرَّبابا
وحِساناً جَوارِياً خَفِراتٍ حافظاتٍ عند الهوى الأَحْسابا
لا يُكَثِّرْنَ في الحديثِ ولا يتـ ـبعنَ يَنْعِقْنَ بالبِهامِ الظِّرابا[1]

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه . فلمّا خَلا الوليدُ بأمِّ البَنِينَ قال لها : للهِ دَرُّ الثريّا ، أتَدْرِينَ ما أرادتْ بإنشادها ما أنشدتْني من شعر عمر ؟ قالت لا . قال : إنّي لمّا عرَّضْتُ لها به عرَّضتْ لي بأن أُمِّي أعرابيةٌ . وأُمُّ الوليد وسليمان وَلاَّدَةُ بنتُ العبَّاس بن جزيّ بن الحارث بن زهير بن جَذيمة العبسيّ .

الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريّا الوليد بن عبد الملك لمالك بن أبي السَّمح خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر . وفيها لابن سريج رمل بالخِنصر في مجرى البِنصر . وفيها لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر كلها عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أيضاً أنّ فيها لابنِ مِسْجَحٍ خفيفَ رملٍ بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أن لابن مُحْرِزٍ فيها خفيف ثقيلٍ بالوسطى .

وممّا يُغنّى فيه من أشعارِ عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريّا من القصيدة التي أوّلها «من رسولي» : [من الخفيف]

صوت

وتَبدَّتْ حتّى إذا جُنَّ قلبي حال دوني وَلائِدٌ بالثِّيابِ
يا خليليَّ فاعلَما أنّ قلبي مُسْتهامٌ برَبَّةِ المِحْرابِ[2]

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . ومنها : [من الخفيف]

صوت

أُقْتُليني قتلاً سَريعاً مُريحاً لا تَكُوني عليَّ سَوْطَ عَذابِ
شَفَّ عنها مُحقَّقٌ جَنَديٌّ فهي كالشمس من خِلالِ السَّحابِ[3]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . ومنها : [من الخفيف]

1 يعني أنّهنّ لسن راعيات غنم ، يصحن زجراً لها بين الروابي (الظراب) .
2 المحراب هنا : العلّية .
3 جندي : ثوب من صنع الجند باليمن ، محقق : عليه صور حق .

صوت

قالَ لي صاحبي ليَعْلَمَ ما بي ... أتُحِبُّ البَتُولَ أُختَ الرَّبابِ[1]
قلتُ وَجْدِي بها كوَجْدِك بالما ... ءِ إذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرابِ

الغناء لمالكٍ رَمَلٌ مُطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها : [من الخفيف]

صوت

أَذْكَرَتْنِي من بَهْجَةِ الشمسِ لَمَّا ... بَرَزَتْ من دُجُنَّةٍ وسَحابِ
أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَلٍ إذ دعتْها ... مُهْجَتِي ، ما لقاتلي مِنْ مَتابِ
حين قالت لها أجيبي فقالتْ ... مَنْ دعاني ؟ قالتْ أبو الخَطَّابِ

الغناء للغَريض خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميّ وحمَّاد بن إسحاق . ومنها[2] : [من الخفيف]

صوت

مَرْحَباً ثم مرحباً بالتي قا ... لتْ غَداةَ الوَداعِ عند الرَّحيلِ
للثُّرَيّا قُولِي لـه أنتَ هَمِّي ... ومُنَى النَّفْسِ خالياً وخَليلي

الغناء لابن مُحرِز ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج خفيف رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها[3] : [من الوافر]

صوت

زَعَمُوا بأنّ البَيْنَ بعدَ غَدٍ ... فالقلبُ مِمّا أَزْمَعُوا يَجِفُ[4]
تَشْكُو ونشكو ما أَشَتَّ بنا ... كلٌّ لِوَشْكِ البَيْنِ يَعْتَرِفُ
حَلَفُوا لقد قَطَعُوا بَيْنِهِمُ ... وحلَفْتُ أَلفاً مثلَ ما حَلَفُوا

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى . ومنها[5] : [من الخفيف]

صوت

فَلَوتْ رأسَها ضِراراً وقالتْ ... لا وعَيْشِي ولو رأيتُك مُتّا

---

1 البتول في ل : القتول .
2 ديوان عمر : 301–302 .
3 ديوان عمر : 258 .
4 وجف يجف : خفق .
5 ديوان عمر : 74 .

حِينَ آثَرْتَ بالمودَّةِ غَيْري وتناسَيْتَ وَصْلَنــــا ومَلِلْتا
قد وَجَدْناكَ إذ خُبِرْتَ مَلُولاً طَرِفاً لم تَكُنْ كما كنتَ قُلْتا[1]

الغناء لمالكٍ رمل ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وكذا رَوَتْه دنانير عن فُليح ، وقد نسب قوم لحن مالك إلى الغريض . ومنها[2] : [من الخفيف]

صوت

يـا خَلِيلَيَّ سائـلا الأَطْـلالا ومَحَـلاً بالرَّوْضَتَيْنِ أَحـالا[3]
ويُروى : بالبُلَيَّيْنِ إن أَحَرْنَ سُؤالا[4]
وسَفاهٌ لولا الصَّبابَةُ حَبْسي في رُسُومِ الدِّيارِ رَكْباً عِجالا
بعدَ مـا أَقْفَرتْ مِنَ آلِ الثريّا وأَجَدَّتْ فيهـا النِّعـاجُ ظِلالا

الغناء لابن سريج هزج خفيفٌ مُطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحَكَم الوادي ثقيل أوّل من جامع أغانيه . وذكر ابن دينار أنّ فيه لابن عائشةَ لحناً لم يذكر طريقته . وذكر إبراهيم أنّ فيه لدحمانَ لحناً ولم يُجنِّسه . وقال حَبَشٌ : فيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

[سهيل ينقل الثريّا إلى الشام]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أبو عبد الله التميميّ ، يعني أبا العيناء ، عن القَحْذَميِّ عن أبي صالح السَّعديّ قال : لمّا تزوّج سُهيل بن عبد العزيز الثريّا ونقلها إلى الشام ، بلغَ عمر بن أبي ربيعة الخبرُ ، فأتى المنزل الذي كانت الثريّا تَنزِلُه ، فوجدها قد رحَلتْ منه يومئذٍ ، فخرج في أثرها فلحِقَها على مرحلتين ، وكانت قبلَ ذلك مُهاجِرته لأمرٍ أنكرته عليه . فلمّا أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى مُتَنكِّراً حتى مَرَّ بالخيمة ؛ فعرَفَتْه الثريّا وأَثبتتْ حركته ومِشيته ، فقالت لحاضنتها : كلِّميه ؛ فسلّمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغَ الثريّا عنه ؛ فاعتذر وبكى ، فبكتِ الثريا ؛ فقالت : ليس هذا وقت العِتاب مع وَشْك الرَّحِيل . فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودّعها وبَكَيا طويلاً ، وقام فركِب فرسَه ووقَف ينظُر إليهم وهم يَرحلون ، ثم أَتْبَعهم بصرَه حتى غابوا ؛ وأنشأ يقول[5] : [من البسيط]

---

1 الطرف : الملول .
2 ديوان عمر : 321-322 .
3 الروضتان : مثّنى يراد به المفرد .
4 أحرن : رجعن ، رددن .
5 ديوان عمر : 315-317 مع بعض اختلاف .

يـا صاحبـيَّ قِفـا نَسْتَخبِرِ الطَّلَلا عن حالِ مَـنْ حَلَّه بالأمْسِ ما فَعَلا
فقال لي الرَّبْـعُ لَمّـا أن وقَفْتُ به إنّ الخَلِيـطَ أجـدَّ البَيْنَ فاحتَمَلا
وخادَعتْـكَ النَّـوى حتـى رأيتَهمُ في الفَجْرِ يَحْتَثُّ حادِي عِيسِهم زجِلا[1]
لَمّـا وَقَفْنا نُحَيِّيهم وقـد صَرَخَتْ هَواتِفُ البَيْنِ واستولتْ بهـم أصُلا
صَدّتْ بَعاداً وقالـتْ للّتي معهـا بـالله لُوميـهِ في بعضِ الذي فَعَلا
وحَدِّثيـه بمـا حُدِّثْـتِ واستَمِعي مـاذا يقـولُ ولا تَعْيَيْ بـه جَدَلا
حتى يَـرى أنّ ما قـال الوُشاةُ له فينـا لَدَيْـهِ إلينـا كُلُّـه نُقِلا
وعَرِّفِيـه بـه كالهَـزْلِ واحْتَفِظي في بعضِ مَعْتَبةٍ أن تُغْضِبي الرجُلا[2]
فإنَّ عَهْـدِي بـه واللهُ يَحْفَظُـه وإن أتـى الذنبَ مِمّن يَكْـرَه العَذَلا
لـو عندنا اغتِيبَ أو نِيلَـتْ نقيصتُه مـا آبَ مُغتابُـه من عندِنا جَذِلا
قلتُ اسمَعِي فلقـد أبْلَغتِ في لَطَفٍ وليس يَخْفَى على ذي اللُّبِّ مَنْ هزَلا
هـذا أرادت بـه بُخْلاً لأَعْذِرَهـا وقـد أرى أنّها لـن تَعْـدَمَ العِلَلا[3]
مـا سُمِّي القلـبُ إلاّ مِـن تَقَلُّبه ولا الفـؤادُ فـؤاداً غيرَ أنْ عَقَلا
أمّا الحديث الذي قالـت أُتيتَ به فما عَبَأْتُ بـه إذ جـاءني حِوَلا[4]
ما إن أطَعْتُ بها بالغَيْبِ قـد عَلِمتْ مقالـةَ الكاشحِ الواشي إذا مَحُلا[5]
إنّـي لأَرْجِعُـه فيهـا بسَخْطَتـه وقـد يَـرى أنّه قـد غـرّني زَلَلا

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره .

[وفاة الثريا]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نَصْر ومحمد بنُ خَلَف بن المرزبانِ قالوا حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعمَ عُبَيْد بن يَعْلى قال حدّثني كَثِيرُ بن كَثِير السَّهْمِيّ قال : لمّا ماتت الثريّا أتاني الغريض فقال لي : قُلْ أبياتَ شعرٍ أَنُحْ بها على الثريّا فقلت : [من الخفيف]

1 زجلاً : رافعاً الصوت بالحداء .
2 في بعض في الديوان : في غير .
3 لأعذرها في الديوان : لنعذرها .
4 الحول : الحيلة .
5 محل : سعى به فساداً وكيداً .

صوت

أَلاَ يـا عينُ مـا لكِ تَدْمَعِينا ... أمِن رَمَـدٍ بَكَيْتِ فتُكْحَلِينا
أَمَ أنـتِ حَزِينةٌ تَبْكِينَ شَجْواً ... فشَجْوُكِ مثلُه أَبكَـى العيونا

غنّى الغريضُ في هذين البيتين لحناً من خفيف الثَّقيلِ الأوّل بالوسطى عن عمرو ويحيى المكّي والهشاميّ وغيرهم .

[وفاة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ قال حدّثني إبراهيم بنُ يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه عن ثعلبة بن عبد الله بن صُعَير : أنّ عمرَ بن أبي ربيعة نظَر في الطَّواف إلى امرأةٍ شريفة ، فرأى أحسنَ خَلْق الله صورةً ، فذهب عقلُه عليها ، وكلَّمها فلم تُجِبْه ؛ فقال فيها[1] : [من البسيط]

الرِّيحُ تَسْحَب أَذْيالاً وتَنْشُرهـا ... يا ليتني كنتُ ممَّن تَسحَبُ الريحُ
كَيْما تَجرُّ بنـا ذَيـلاً فتَطْرَحُنا ... على التّي دونَها مُغبَرَّةٌ سُوحُ
أَنِّي بقُرْبكُم أم كيفَ لي بكُمُ ... هَيْهاتَ ذلكَ ما أَمْسَتْ لنا رُوحُ
فليتَ ضِعْفَ الذي أَلْقَى يكونُ بها ... بل ليت ضِعْفَ الذي أَلْقَى تَبارِيحُ
إحْدى بُنيَّاتِ عَمِّي دون منزلها ... أرضٌ بقيعانها القَيْصُومُ والشِّيحُ

فبلغَها شعرُه فجزِعتْ منه . فقيل لها : اذكُريه لزوجِك ؛ فإنّه سيُنْكِر عليه قولَه . فقالت : كلاَّ والله لا أشكوه إلاّ إلى الله . ثم قالت : اللهمّ إن كان نَوَّه باسمِي ظالِماً فاجعَلْه طعاماً للريح . فضَرَب الدهرُ مِنْ ضَرْبه ، ثم إنّه غدا يوماً على فرس فهبّتْ ريحٌ فنزلَ فاستتر بسَلَمةٍ[2] ، فعَصَفتِ الريحُ فخدَشَه غُصنٌ منها فدَمِيَ ووَرِمَ به ومات من ذلك .

---

1 ديوان عمر : 89 .

2 ل : فنزل فاستذرى .

[6] ـ أخبار ابن سريج ونسبه[1]

[نسب ابن سريج]

هو عبيد بن سريج ، ويُكْنى أبا يحيى ، مولى بني نوفل بن عبد مَنافٍ . وذكَر ابنُ الكلبيّ عن أبيه وأبي مِسكين أنّه مَوْلًى لبني الحارث بن عبد المطَّلب .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسَّان قال : ابن سريج مَوْلًى لبني ليث ، ومنزلُه مكّةُ .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت الحسن بن عُتْبَةَ اللَّهَبيّ عن ابن سريج فقال : هو مَوْلًى لبني عائذِ بن عبدِ الله بن عمر بن مَخزوم . وفي بني عائذٍ يقول الشاعر : [من الوافر]

فإن تَصْلُحْ فإنّـك عائِذيٌّ وصُلْحُ العائذيِّ إلى فَسادِ[2]

قال إسحاق : وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : ابن سريج مولى عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفل ، أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد منافٍ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيُّوب المَدِينيّ قال : ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص : أنّ ابنَ سُرَيج كان آدَمَ أحمرَ ظاهرَ الدَّمِ سُناطاً[3] في عينيه قَبَلٌ[4] ، بلغ خمساً وثمانين سنةً ، وصَلِعَ فكان يلبَس جُمَّةً[5] مركَّبة ، وكان أكثر ما يُرى مُقَنَّعاً ، وكان منقطعاً إلى عبد الله بنِ جعفر .

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان ابن سُريج مُخنَّثاً أحول أعمش يُلقَّب «وجه الباب» ، وصَلِعَ فكان يلبس جُمَّة ؛ وكان لا يُغنِّي إلاّ مقنَّعاً يُسْبِل القِناع على وجهه .

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكينٍ : كان ابن سريج أحسن الناس غناءً ، وكان يُغنِّي مُرْتَجِلاً ويُوقِع بقَضيبٍ ، وغنَّى في زمن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، ومات في خِلافةِ هشام بن عبد الملك .

1 ل : ذكر ابن سريج وأخباره ونسبه .
2 من قصيدة لحسّان بن ثابت في هجاء بني عابد بالباء كما في الخزانة 6 : 103—104 .
3 سناط : لا ينبت شعر في لحييه .
4 القبل : ضرب من الحول .
5 جمة : شعر مستعار .

قال إسحاق : وكان الحسن بن عُتْبة اللَّهبيّ يَرْوِي مثلَ ذلك فيه ، وذكَر أنّ قبرَه بنخلة[1] قريباً من بستان ابن عامر .

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حسَّان قال : كان عبيد بن سريج من أهل مكّة وكان أحسن الناس غناءً . قال إسحاق قال عمارة بن أبي طَرَفة الهُذليّ : سمعت ابن جُريج يقول : عبيد بن سريج من أهل مكّة مولى آل خالد بن أُسيدٍ .

قال إسحاق وحدّثني إبراهيم بن زياد عن أيّوب بن سلمة المخزوميّ قال : كان في عين ابن سريج قَبَلٌ حُلْوٌ لا يَبلُغ أن يكون حَوَلاً ، وغنَّى في خلافةِ عثمان رضي الله عنه ، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد ، وكان له صَلَعٌ في جَبهتِه ، وكان يلبس جُمَّة مُركَّبة فيكون فيها أحسن شيء ، وكان يُلقَّب «وجه الباب» ولا يغضب من ذلك ، وكان أبوه تُركِيّاً .

وقال أبو أيُّوبَ المَدينيّ : كان ابنُ سريج ، فيما روينا عن جماعة من المَكِّيِّين ، مولى بني جُندَعِ بن ليث بن بكر ، وكان إذا غنَّى سَدَلَ قِناعَه على وجهه حتى لا يُرى حولُه ، وكان يُوقِّع بقضِيب ، وقيل : إنّه كان يضرب بالعُود ، وكانت عِلَّته التي مات منها الجُذام .

[ابن سريج أوّل من ضرب بالعود الفارسيّ على الغناء العربي]

قال إسحاق وحدّثني أبي[2] قال : أخبرني مَنْ رأى عُودَ ابنِ سريج وكان على صَنعةِ عيدانِ الفُرس ، وكان ابن سريج أوّل من ضرب به على الغناء العربيِّ بمكّة . وذلك أنّه رآه مع العَجَم الذين قَدِم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأَعجب أهلَ مكّة غناؤهم . فقال ابن سريج : أنا أضرِب به على غنائي ؛ فضرب به فكان أَحذَقَ الناس .

[أمّ ابن سريج]

قال إسحاق وذكر الزبيريّ : أنّ أُمّ ابنِ سريج مَولاةٌ لآلِ المُطَّلِب يقال لها «رائِقَةُ» ، وقيل : بل أُمُّه هند أُختُ رائقة ؛ فمِنْ ثَمَّ قيل : إنّه مَولى بني المطّلب بن حَنْطَبٍ . وكان ابنُ سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحَكَم بن المُطَّلب بن عبد الله بن المطّلب بن حنطب أحد بني مخزوم ، وكان من سادة قريش ووجوهها . وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مِسجَحٍ .

[أصول الغناء العربيّ]

قال إسحاق : وأصلُ الغناء أربعة نَفَرٍ : مَكّيّان ومدنِيَّان ؛ فالمكّيان : ابن سريج وابن محرز ، والمدنيان : معبد ومالكٌ .

1 هي نخلة اليمانية .
2 ل : وحدثني الأصمعي .

[أوّل شهرة ابن سريج بالغناء]

قال إسحاق وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : أخبرني بذلك مَن شِئتَ من مَشيَختِنا : أنّ يوماً شُهِر فيه ابن سريج بالغناء في خِتان ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حُسين . قال لأمّ الغلام : خَفِّضي عليك بعض الغُرْم والكُلفة ؛ فوالله لأُلهِيَنَّ نساءك حتى لا يَدرين ما جئتِ به ولا ما عزَمتِ عليه .

[شهادة هشام بن المرّية في ابن سريج]

قال إسحاق : وسألت هشام بن المُرِّيَّة ، وكان قد عُمِّر ، وكان عالماً بالغناء فلا يُبارى فيه ، فقلتُ له : مَنْ أحذَقُ الناس بالغناء ؟ فقال لي : أتُحِبُّ الإطالة أم الاختصار ؟ فقلت : أحبّ الاختصار الذي يأتي على سؤالي . قال : ما خلَق الله تعالى بعد داود النبيِّ عليه الصلاة والسلام أحسنَ صوتاً من ابن سريج ، ولا صاغ الله عزّ وجلّ أحداً أحذقَ منه بالغناء ، ويَدُلُّك على ذلك أنّ معبداً كان إذا أعجبه غناؤه وقال : أنا اليوم سريجيّ .

[شهادة يونس بن محمد الكاتب فيه]

قال وأخبرني إبراهيم ، يعني أباه ، قال : أدركتُ يونس بن محمد الكاتب فحدّثني عن الأربعة : ابن سريج وابن مُحرِز والغريض ومعبد . فقلت له : من أحسنُ الناسِ غناءً ؟ فقال : أبو يحيى . قلت : عبيد بن سريج ؟ قال نعم . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إن شئتَ فسَّرْتُ لك ، وإن شئت أجمَلتُ . قلت : أجملْ . قال : كأنّه خُلِقَ من كلِّ قَلبٍ ، فهو يغنّي لكلّ إنسانٍ ما يشتهي .

[شهادة إبراهيم الموصليّ فيه]

أخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحظة قال قال حَمَّاد بن إسحاق : أخبرني أبي عن الفضلِ بن يحيى بن خالد بن برمَك قال : سألتُ إبراهيم المَوصليّ ليلةً وقد أخذ منه النبيذ : مَنْ أحسَنُ الناسِ غناءً ؟ فقال لي : من الرجال أم من النساء ؟ فقلتُ : من الرجال . فقال : ابن محرز . قلت : ومن النساء ؟ قال : ابن سريج . ثم قال لي : إنْ كان ابن سريج إلاّ كأنّه خُلِقَ من كلِّ قلبٍ فهو يُغَنّي له ما يشتهي !

[شهادة إسحاق الموصليّ فيه]

أخبرني جَحظة قال حدّثني عليُّ بن يحيى المنجِّم قال : أرسلني محمد بن الحسين بن مصعبٍ إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحنِ ابن سريج في : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لَمّا جَهَدْتُه

أيُّهما أحسنُ ؟ فصِرْتُ إليه فسألته عن ذلك ؛ فقال لي : يا أبا الحسن ، والله لقد أخذتُ بخِطام راحلته فزَعْزَعتُها وأَنَختُها وقمتُ بها فما بلَغته . فرجعتُ إلى محمد بن الحسين فأخبرته ؛ فقال : والله إنّه لَيَعلم أنّ لحنَه أحسنُ من لحنِ ابنِ سريج ، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه ،

ولكن لا يدع تعصُّبه للقدماء . وقد أخبرنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى هذا الخبر عن أبيه ، فذكر نحو ما ذكره جَحظةُ في خبره ولم يقُل : أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق . وقال جحظة في خبره : قال عليُّ بن يحيى : وقد صدق محمد بن الحسين ؛ لأنّه قلّما غُنّي في صوتٍ واحدٍ لحنانِ فسقَط خيرُهما ، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحنُ إسحاق ، وقد تُرِك لحنُ ابنِ سريج ، فقَلّ مَنْ يسمعه إلاّ من العجائز المتقدّمات ومَشايخ المغنّين . هذا أو نحوه .

[لحن إسحاق مأخوذ من لحن الأبجر]

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن إبراهيمَ بن عليّ بن هشام قال : يقولون : إنّ ابتداء غناء إسحاق الذي في[1] : [من الطويل]

تَشَكّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لّما جَهَدْتُه

إنّما أخذه من صوتِ الأبْجَر : [من الطويل]

يقولون ما أَبْكاكَ والمالُ غامِرٌ[2]

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الطويل]

يقولـون مـا أبكاكَ والمالُ غامرٌ   عليكَ وضاحِي الجلدِ منكَ كَنِينُ
فقلتُ لهـم لا تَسألونيَ وانظُروا   إلى الطَّـربِ النَّزّاعِ كيفَ يكونُ

غنّاه الأَبجَرُ ثقيلاً أوّل بالبِنصر ، عن عمروٍ ودنانير . وذكر الهِشاميّ أنّ فيه لعَزّة المَرزوقِيّة ثاني ثقيلٍ بالوُسطى .

[مولد ابن سريج ووفاته واشتغاله بالغناء]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بنُ إبراهيمَ قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع عن سِياطٍ قال : كان ابن سريج أوّل مَن غنّى الغناء المُتقَن بالحجاز بعد طُوَيسٍ ، وكان مولِدُه في خلافة عمر بن الخطّاب ، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه ، ومات في خلافة هشام . قال : وكان قبل أن يُغَنّيَ نائحاً ولم يكن مذكوراً ، حتى ورَد الخبرُ مكّة بما فعله مُسْرِفُ بن عقبة[3] بالمدينة ، فعَلا على أبي قُبَيْسٍ وناح بشعرٍ هو

1 ل : الذي فيه الصباح .
2 أبكاك في ل : أبلاك (حيث وردت) .
3 اسمه مسلم بن عقبة ولقّب مسرفاً لأنّه صاحب معركة الحرّة .

اليومَ داخلٌ في أغانيه ، وهو : [من السريع]

يا عينُ جُودِي بالدُّموعِ السِّفاحْ وابكِي على قَتْلى قُرَيْشِ البِطاحْ

فاستحسن الناس ذلك منه ، وكان أوّل ما ندب به .

قال ابن جامع : وحدّثني جماعةٌ من شيوخِ أهلِ مكّةَ أنّهم حُدِّثوا : أنّ سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام بعثَت إلى ابن سريج بشعرٍ أمرَتْه أن يصوغ فيه لحناً يُناح به ، فصاغ فيه ، وهو الآن داخلٌ في غنائه . والشعر : [من الكامل]

يا أرضُ وَيْحكِ أَكرِمِي أمواتِي فلقد ظَفِرْتِ بسادتِي وحُماتِي

فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحَةِ مكّة والمدينة والطائف .

قال وحدّثني ابن جامعٍ وابنِ أبي الكَنّاتِ جميعاً : أنّ سُكينة بعثَتْ إليه بمملوكٍ لها يقال له عبد الملك ، وأمرَتْه أن يُعلِّمه النِّياحةَ ، فلم يزلْ يعلّمه مدّة طويلة ، ثم تُوفِّي عمُّها أبو القاسم محمد بن الحنفيَّة عليه السلام ، وكان ابن سريج عَليلاً عِلَّةً صعبة فلم يقدِر على النِّياحة . فقال لها عبدها عبد الملك : أنا أنوح لكِ نَوحاً أُنْسيكِ به نَوح ابن سريج . قالت : أَوَ تُحْسِن ذاك ؟ قال نعم . فأمرته فناح ؛ فكان نَوحه في الغاية من الجودة ، وقال النساء : هذا نَوحٌ غَريضٌ ؛ فلُقِّب عبد الملك الغريض . وأفاق ابن سريج من علّته بعد أيّام وعرَف خبر وفاةِ ابن الحنفيَّة ، فقال لهم : فمَن ناح عليه ؟ قالوا : عبد الملك غلامُ سُكَينة . قال : فهل جَوّز الناسُ نوحَه ؟ قالوا : نعم وقدَّمه بعضهم عليك . فحلف ابن سريج ألاّ ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوحَ وعَدَل إلى الغناء ، فلم يَنُحْ حتى ماتت حَبابةُ ، وكانت قد أخذت عنه وأحسنت إليه فناح عليها ، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك ، ثم لم يَنُح بعده حتى هلك . قال : ولمّا عدَل ابن سريج عن النَّوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه ، فكان لا يُغنِّي صوتاً إلاّ عارضه فيه .

[ابن سريج وعطاء بن أبي رباح]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدّث إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أبا إسحاق إبراهيم بن المهديّ وأنا حاضرٌ أنّ يحيى المكّي حدّثه أنّ عَطاءَ بنَ أبي رَباحٍ لَقِي ابن سريج بذي طُوًى[1] ، وعليه ثيابٌ مُصبَّغة وفي يده جَرادَةٌ مشدودة الرِّجل بخيطٍ يُطيِّرها ويجذبها به كلّما تخلَّفت ؛ فقال له عَطاء : يا فَتّانُ ، ألا تَكُفُّ عمّا أنت عليه ؟ كفى اللهُ الناس مؤونتَك . فقال ابن سريج : وما على الناس من تَلوِيني ثيابي ولَعِبي بجَرادَتِي ؟ فقال له : تَفْتِنُهم أغانيك الخبيثة . فقال له ابن سريج : سألتُك بحقٍّ من تَبِعْتَه من أصحاب رسولِ الله صلَّى

1 ذو طوى : موضع عند مكّة .

الله عليه وآله وسلَّم ، وبحقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عليك ، إلاّ ما سمعتَ منّي بيتاً من الشعر ، فإن سمعتَ مُنْكَراً أمرتَنِي بالإمساك عمّا أنا عليه . وأنا أقْسِم بالله وبحقّ هذه البَنِيَّة لئن أمرتَني بعد استماعك منّي بالإمساك عمّا أنا عليه لأفعلنَّ ذلك . فأطمع ذلك عطاءً في ابن سريج ، وقال : قُلْ . فاندفع يغنّي بشعر جَرير[1] : [من الكامل]

صوت

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا   وَشَلاً بعَينِك لا يـزال مَعِينا[2]
غَيَّضْنَ مِـن عَبَراتهنّ وقُلْنَ لي   ماذا لَقِيتَ مـن الهوى ولَقِينا

لحن ابن سريج هذا ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن ابن المكّي والهشاميّ ، وله أيضاً فيه رمل . ولإسحاق فيه رملٌ آخرُ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالوسطى يُنسب إلى ابن سريج والغريض . قال : فلمّا سمِعَه عَطاءٌ اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أَرِيَحِيَّة ، فحلف ألاّ يُكَلِّمَ أحداً بقية يومه إلاّ بهذا الشِّعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ؛ فكان كلُّ من يأتيه سائلاً عن حلالٍ أو حرامٍ أو خبرٍ من الأخبار ، لا يُجيبه إلاّ بأن يَضرِب إحدى يديه على الأُخرى ويُنشِد هذا الشِّعر حتى صلّى المغربَ ، ولم يُعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرَّض له .

[ابن سريج ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني جعفر بن قُدامَةَ قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الفَضْل بن محمد اليزيديّ قال حدّثني إسحاق عن ابن جامعٍ عن سِياطٍ عن يونس الكاتب قال : لمّا قال عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

نظَرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنًى   ولِي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ

غَنّى فيه ابن سريج .

قال : وحَجَّ يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس ، وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نَجِيبَين رِحالَتاهما[3] مُلبَستان بالدِّيباج ، وقد خضبا النجيبين ولَبسا حُلَّتين ، فجعلا يتلقّيان الحـاجَّ ويتعرَّضان للنساء إلى أن أُظلم الليل ، فعَدَلا إلى كَثيبٍ مُشْرِفٍ والقمر طالعٌ يُضِيءُ ، فجلسا على الكثيب ، وقال عمر لابن سريج : غنّني صوتَك الجديد ؛ فاندفع يغنّيه ، فلم يستتِمَّه إلاّ وقـد طلعَ عليه رجـلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيقٍ ، فسلَّم ثم قـال : أيمكنُك ، أعزك

1 ديوان جرير (ط . دار صادر) : 476 .
2 الوشل : الماء القليل . المعين : الجاري .
3 الرحالة : سرج من جلد يتّخذ للخيل والإبل .

الله ، أن تَرُدَّ هذا الصوت ؟ قال : نعم ونُعْمَةَ عَينٍ ، على أن تنزل وتجلِس معنا . قال : أنا أُعجَل من ذلك ، فإن أَجْمَلتَ وأنعمتَ أَعَدْتَه ، وليس عليك من وقوفي شيءٌ ولا مؤونةٌ ، فأعاده . فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال نعم . قال : حيَّاك الله ، وهذا عمرُ بن أبي ربيعة ؟ قال نعم . قال : حيَّاكَ الله يا أبا الخَطَّاب ؛ فقال له : وأنت فحيَّاك الله ، قد عَرَفتَنا فعَرِّفْنا نفسك . قال : لا يمكنني ذلك . فغَضِبَ ابن سريج وقال : والله لو كنتَ يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال له : أنا يزيد بن عبد الملك . فوثَب إليه عمر فأعظَمه ، ونزل ابن سريج إليه فقبَّل رِكابَه ؛ فنزع حُلَّته وخاتمه فدفعهما إليه ، ومضى يركض حتى لَحِق ثَقَلَه . فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فأعطاه إيّاهما ، وقال له : إنّ هذين بك أشبهُ منهما بي . فأعطاه عمر ثلثمائة دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد ، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجَّبون ويقولون : كأنّهما والله حُلَّةُ يزيد بن عبد الملك وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيُخبرهم أنّ يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .

[وقف غناؤه الناس في طريق الحاج]

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضاً قال وحدّثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال : حَجَّ عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام على نجيب له مخضوبٍ بالحِنَّاء مشهَّر الرَّحْل بِقَرابٍ[1] مُذهب ، ومعه عُبيد بن سريج على بغلة له شقراء ، ومعه غلامه جَنَّادٌ يقود فرساً له أدهم أغرَّ مُحجَّلا ، وكان عمر بن أبي ربيعة يُسمِّيه «الكوكبَ» ، في عُنقه طَوق ذهبٍ ، وجنادٌ هذا هو الذي يقول فيه عمر[2] : [من الطويل]

صوت

فقلتُ لجَنَّادٍ خُذِ السيفَ واشتملْ ... عليه برِفْقٍ وارقُبِ الشمسَ تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ لي الدَّهْماءَ واعجَلْ بِممطَرِي ... ولا تُعلِمَنْ خَلْقاً من الناس مَذْهَبي[3]

الغناء لزُرْزُرٍ غلامِ المارِقيّ خفيفُ ثقيلٍ وهو أجود صوتٍ صنعه ، قال : ومع عمر جماعةٌ من حَشَمِه وغِلمانه ومَواليه وعليه حُلَّة مَوْشِيَّةٌ يمانيّة ، وعلى ابن سريج ثوبان هَرَوِيَّان[4] مرتفعان ، فلم يَمُرُّوا بأحدٍ إلاّ عَجِبَ من حسنِ هيئتهم ، وكان عمر من أَعْطَرِ الناسِ وأحسنِهم هيئةً ، فخرجوا من مكّة يومَ التَّرْوِية بعد العَصْر يريدون منّي ، فمَرُّوا بمنزلِ رجلٍ من بني عبد مَنافٍ بمِنًى قد ضُربت عليه فساطِيطُه وخِيَمُه ، ووافى الموضع عمرُ فأبصر بنتاً للرجل قد خرجتْ من

---

1 القراب : شبيه الجراب .
2 ديوان عمر : 55–56 .
3 الممطر : معطف يتّقي به المطر . خلقاً في الديوان : حيّاً .
4 ثوب هرويّ : من صنع مدينة هراة .

قُبَّتها ، وستَر جواريها دون القُبَّة لئلاّ يراها مَنْ مَرّ . فأشرف عمر على النَّجيب فنظرَ إليها ، وكانت من أحسن النساء وأجملهنّ . فقال لها جواريها : هذا عمر بن أبي ربيعة . فرفَعتْ رأسها فنظرت إليه ، ثم ستَرتها الجواري وولائدها عنه وبَطَّنَّ دونها بِسَجْفِ القُبَّة حتى دخلتْ . ومضى عمر إلى منزله وفَساطِيطِه بمِنًى ، وقد نظَر من الجارية إلى ما تَيَّمَه ومن جمالها إلى ما حَيَّره ، فقال فيها[1] : [من الطويل]

نظَـرتُ إليهـا بالْمُحَصَّبِ من مِنى ... ولي نَظَـرٌ لـولا التَّحَـرُّج عـارِمُ
فقلـتُ أشمسٌ أم مَصابيحُ بِيعَـةٍ ... بدتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنت حالمُ
بَعيـدةُ مَهْـوى القُرْطِ إمّـا لَنوْفَلٌ ... أبوهـا وإمّـا عبـدُ شمسٍ وهاشِمُ
ومَـدّ عليهـا السّجْفَ يـومَ لَقيتُها ... على عَجَـلٍ تُبّاعُهـا والخَـوادِمُ
فلم أستطِعْها غيرَ أنْ قـد بـدا لنا ... على الرَّغْم منهـا كَفُّهـا والمَعاصِمُ[2]
مَعاصِمُ لم تَضْرِبْ على البَهْم بالضُّحى ... عَصَاهـا ووجـهٌ لم تَلُحْـه السَّمائِمُ
نَضيرٌ تَـرى فيـه أساريعَ مائـه ... صَبيحٌ تُغاديـه الأكُـفُّ النَّواعِمُ
إذا مـا دعـتْ أترابَهـا فاكتنفْنَها ... تَمايَلْـنَ أو مالَـتْ بهـنَّ المآكِمُ
طَلَبْنَ الصِّبا حتـى إذا مـا أصَبْنَه ... نَزَعْـنَ وهـنّ المُسْلِمـاتُ الظَّوالِمُ

ثم قال عمر لابن سريج : يا أبا يحيى ، إنّي تفكَّرْتُ في رجوعنا مع العشيَّة إلى مكّة مع كثرة الزِّحام والغُبار وجَلَبَة الحاجِّ فثقل عليّ ، فهل لك أن تَرُوح رَواحاً طيِّباً معتزلاً ، فنرى فيه من راح صادراً إلى المدينة من أهلِها ، ونرى أهلَ العراق وأهلَ الشّام ونتعلَّل في عشيَّتنا وليلتنا ونستريحَ ؟ قال : وأنّى ذلك يا أبا الخطّاب ؟ قال : على كَثِيب أبي شَحْوَةَ[3] المُشْرِف على بطن يَأْجَجَ[4] بين مِنًى وسَرِف ، فنُبْصِر مرور الحاجّ بنا ونراهم ولا يَرَونا . قال ابن سريج : طَيِّبٌ والله يا سيِّدي . فدعا بعض خدمه فقال : اذهبوا إلى الدار بمكّة ، فاعملوا لنا سُفرةً واحملوها مع شرابٍ إلى الكثيب ، حتى إذا أبْرَدنا ورمينا الجمرة صِرنا إليكم ؛ قال : والكثيب على خمسة أميال من مكّة مُشرِفٌ على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق ، وهو كثيبٌ شامخٌ مُسْتدِقٌّ أعلاه منفردٌ عن الكثبان ؛ فصارا إليه فأكلا وشرِبا . فلمّا انتشيا أخذ ابن سريج

1 ديوان عمر : 348–349 .
2 على الرغم منها في الديوان : عشية راحت .
3 أبو شحوة : كذلك هو عند ياقوت .
4 يأجج : موضع قريب من مكّة .

الدُّفّ فنقرَه وجعل يغنّي وهم ينظرون إلى الحاجّ . فلمّا أُمْسيا رفع ابن سريج صوته يغنّي في الشِّعر الذي قاله عمر ، فسمعه الرُّكبان فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت أما تتَّقي اللهَ قد حبستَ الناس عن مناسِكهم ؛ فيسكُتُ قليلاً ، حتى إذا مَضَوْا رفع صوتَه وقد أخذ فيه الشراب فيقفُ آخرون ، إلى أن مَرَّت قطعةٌ من الليل ، فوقف عليه في الليل رجلٌ على فرسٍ عتيقٍ عربيٍّ مَرِحٍ مُستَنٍّ[1] فهو كأنّه ثَمِلٌ ، حتى وقف بأصل الكثيب وثنى رجلَه على قَرَبُوسِ[2] سَرجه ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهُلُ عليك أن ترُدّ شيئاً ممّا سمعته ؟ قال : نعم ونعمة عينٍ ، فأيَّها تريد ؟ قال : تُعيد عليّ : [من الطويل]

ألاَ يا غُرابَ البَيْنِ ما لكَ كلّما ... نَعَبْتَ بفقدانٍ علَيَّ تَحُومُ
أبِالبينِ من عَفْراءَ أنت مُخَبِّري ... عَدِمْتُك مِن طيرٍ فأنتَ مَشُومُ

قال : والغناء لابن سريج ، فأعاده ، ثم قال له ابن سريج : ازْدَدْ إن شئتَ . فقال : غنِّني : [من الطويل]

أمَسْلَم إنّي يا ابنَ كلّ خَلِيفَةٍ ... ويا فارسَ الهَيْجا ويا قَمَرَ الأرضِ[3]
شكرتُك إنّ الشكرَ حَبْلٌ من التُّقى ... وما كلُّ مَنْ أقْرَضْتَه نعمةً يَقْضِي[4]
ونَوَّهْتَ لي باسمِي وما كان خاملاً ... ولكنّ بعضَ الذكر أنْبَهُ من بعضِ[5]

فغنَّاه ، فقال له : الثالث ولا أَسْتزِيدُك . فقال : قل ما شئتَ . فقال : تُغنيني . [من المنسرح]

يا دارُ أَقْوَتْ بالجزْعِ فالكُثُبِ ... بين مَسِيلِ العُذَيْبِ فالرُّحَبِ[6]
لم تَتَقَنَّعْ بفَضْلِ مِئْزَرِها ... دَعْدٌ ولم تُسْقَ دَعْدُ في العُلَبِ[7]

فغنّاه . فقال له ابن سريج : أَبقِيَتْ لكَ حاجةٌ ؟ قال : نعم ، تنزِل إليّ لأُخاطِبَك شِفاهاً بما أُريد . فقال له عمر : انزِل إليه ، فنزل . فقال له : لولا أنّي أُريد وَداعَ الكعبة وقد تقدّمني ثَقَلِي وغلماني لأَطَلتُ المُقام معك ولنزلتُ عندكم ، ولكنّي أخافُ أن يَفضَحَني الصبحُ ، ولو كان ثَقَلِي

1 مستنّ : مرح نشيط .
2 قربوس السرج : مقدمه ومؤخره .
3 نداء «مسلمة» مرخم .
4 حبلٌ في رواية : «جزء» .
5 الشطر الثاني في ل : وأحييت لي ذكري وما كان ميتاً .
6 الكثب : اسم وادٍ . انظر ديوان جرير : 67 .
7 العلب : جمع علبة ، إناء لحفظ اللبن (يعني أنّها ليست بدويّة) .

معي لَما رَضيت لك بالهُوَينا ، ولكن خذ حُلَّتي هذه وخاتَمي ولا تُخدَع عنهما ؛ فإن شراءهما ألفٌ وخمسمائة دينار . وذكر باقي الخبر مثلَ ما ذكره حماد بن إسحاق .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

نظَرتُ إليها بالمحصَّبِ من مِنىً ... ولي نظرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ
فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ ... بدتْ لك خلفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالِمُ
بعيدةُ مَهْوى القُرط إمّا لَنَوْفَلٌ ... أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أوّل بالسَّبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عنه . وقد نُسب في مواضع من هذا الكتاب .

صوت

[من الطويل]

ألا يا غُرابَ البَيْنِ مالكَ كُلَّما ... نَعَبْتَ بفِقْدانٍ علَيَّ تَحُومُ
أبالبَيْنِ من عَفْراءَ أنتَ مُخَبِّري ... عَدِمْتُك من طيرٍ فأنتَ مَشُومُ

الشعر لقيس بن ذريح ، وقيل : إنّه لغيره[1] . والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن الهشاميّ .

صوت

[من الطويل]

أَمَسْلَم إنّي يا ابن كلِّ خليفةٍ ... ويا فارسَ الهَيْجا ويا قمر الأرضِ[2]
شكرتُك إنّ الشكرَ حَبْلٌ من التُّقى ... وما كلُّ مَنْ أوليتَه نعمةً يَقْضي
ونوّهتَ لي باسمي وما كان خاملاً ... ولكنّ بعضَ الذكر أنبهُ من بعضِ

الشعر لأبي نُخَيْلة الحِمَّانيّ . والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وقد أُخْرِج هذا الصوت مع سائر أخبار نُخيلة في موضعٍ آخرَ .

[إجلال المغنين لابن سريج]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن سلاَّم الجمَحيّ قال حدّثني عُمَرُ بن أبي خليفة قال : كان أبي نازلاً في عُلْوٍ ، فكان المغنُّون يأتونه . قال فقلت :

---

1 لعلّه لعروة بن حزام ، فعفراء صاحبته ، ولابن ذريح لبنى .

2 ويا قمر في رواية «ويا جبل» .

فأيُّهم كان أحسنَ غِناءً ؟ قال : لا أدري ، إلاّ أنّي كنتُ أراهم إذا جاء ابن سريج سَكَتُوا .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال حدّثني الزبيريّ ، يعني عبد الله بن مُصعب ، عن عمرو بن الحارث ، قال إسحاق : وحدَّثَنِيه المدائنيّ ومحمد بن سلاَّم عن المُحرز بن جعفر عن عمر[1] بن سعد مولى الحارث بن هشام قال : خرج ابن الزبير ليلةً إلى أبي قُبَيْسٍ فسمع غِناءً ، فلمّا انصرف رآه أصحابه وقد حال لونُه ، فقالوا : إنّ بك لشَرّاً . قال : إنّه ذاك . قالوا : ما هو ؟ قال : لقد سمعتُ صوتاً إن كان من الجنِّ إنّه لَعَجَبٌ ، وإن كان من الإنْس فما انتهى مُنتهاه شيءٌ ! قال فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنّى : [من المتقارب]

صوت

أَمِــنْ رَسْمِ دارٍ بـوادِي غُدَرْ   لجاريــةٍ مِــن جَواري مُضَرْ[2]
خَدَلَّجــةِ السَّاقِ مَمْكُــورَةٍ   سَلُوس الوِشاحِ كمثلِ القَمَرْ[3]
تَزِينُ النساءَ إذا مــا بَـدَتْ   ويُبْهَتُ في وجهها مَــنْ نَظَرْ[4]

الشعر ليزيد بن معاوية . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن يونس وحَبَشٍ .

قال إسحاق : وذكر المدائنيّ في خبره أنّ عمر بن عبد العزيز مَرَّ أيضاً فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنّى : [من البسيط]

بَتَّ الخَلِيطُ قُوى الحَبْلِ الذي قَطَعُوا

فقال عمر : لله دَرُّ هذا الصوت لو كان بالقرآن ، قال المدائني : وبلغني من وجه آخرَ أنّه سمِعه يُغنّي : [من المنسرح]

قَــرَّبَ جيرانُنــا جِمالَهُــمُ   ليلاً فأَضْحَوْا معاً قَد ارتَفَعُوا[5]
ما كنتُ أَدْرِي بوَشْكِ بَيْنِهمُ   حتى رأيتُ الحُداةَ قد طَلَعُوا

فقال هذه المقالة .

---

1 ل : عمير .
2 غدر : من مخاليف اليمن .
3 خدلجة : ممتلئة الذراعين . سلوس : (الوشاح) ليّنته .
4 يبهت : يدهش .
5 ديوان عمر : 243 .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من البسيط]

بَتَّ الخَليطُ قُوى الحَبْلِ الذي قَطَعُوا إذ وَدَّعُوك فولَّوْا ثـم مـا رجَعُوا
وآذَنُـوكَ ببَيْنٍ مـن وِصالِهِـمُ فما سَلَوْتَ ولا يُسْلِيكَ ما صَنَعُوا
يا ابنَ الطَّويلِ وكم آثَرْتَ من حَسَنٍ فينا وأنت بمـا حُمِّلْتَ مُضْطَلِعُ
نَحْظى ونبقَى بخيرٍ مـا بَقِيتَ لنا فإن هلَكْتَ فما في مَلجـإٍ طَمَعُ

الشعر للأحوص ، والغناءُ لابن سريج رمل بالسَّبابة في مجرى البنصر على إسحاق وذكر حبشٌ أنّ فيه رملاً بالوسطى عن الهشاميّ .

نسبة الصوت الآخر

صوت

[من المنسرح]

قَـرَّبَ جيرانُنـا جِمالَهُـمُ ليلاً فأَضْحَوْا معاً قد ارتفعُوا
ما كنتُ أدْرِي بوَشْكِ بَيْنِهِمُ حتى رأيتُ الحُداةَ قد طلَعُوا
على مِصَكَّيْنِ مـن جِمالِهِم وعَنْتَرِيسَيْنِ فيهمـا خَضَعُ[1]
يـا قلـبُ صَبْراً فإنّه سَفَهٌ بالحُـرِّ أن يَسْتَفِـزَّه الجَزَعُ

الغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّل من أصواتٍ قليلة الأشباه عن إسحاق . وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أيضاً فيه خفيفَ رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسُبه . وذكر الهشاميّ أنّ الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المَكّي . وذكرتْ دنانير والهشاميّ أنّ فيه لمعبد ثاني ثقيل . وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أنّ لحن ابن سريج خفيف ثقيل .

[عدد الأصوات التي غنّى فيها ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال : حضرتُ أبا إسحاق إبراهيم بن المهديّ وعنده إسحاق الموصليّ ، فقال إسحاق : غنّى ابن سريج ثمانية وستّين صوتاً . فقال له أبو إسحاق : ما تجاوز قطّ ثلاثة وستّين صوتاً . فقال بلى . ثم جعَلا يُنشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستّين صوتاً وهما يتّفقان على ذلك ، ثم أنشد

---

1 العنتريس : الناقة القويّة الصلبة . المصك : القويّ .

إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصواتٍ أيضاً . فقال أبو إسحاق : صدَقتَ ، هذا من غنائه ، ولكنّ لحنَ هذا الصوت نقله من لَحنِه في الشعر الفُلانيّ ، ولَحْنَ الثاني من لَحنِه الفلانيّ ، حتى عَدّ له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقتَ . ثم قال له إبراهيم : إنّ ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً ، وكان يُغَنّي[1] الناسِ بما يشتهون ، فلا يُغنّيهم صوتاً مُدِح به أعداؤهم ولا صوتاً عليهم فيه عارٌ أو غضاضةٌ ، ولكنّه يَعدِل بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها ، فالصّوتان واحدٌ لا ينبغي أن نَعُدَّهما اثنين عند التحصيل مِنّا لغنائه ، فصدّقه إسحاق . فقال له إبراهيم : فأيُّها أولى عندك بالتَّقدِمة ؟ فقال : [من الرمل]

وإذا مـا عَثَرتْ في مِرْطِهـا نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ

فقال له إبراهيم : أحْسَبُك يا أبا محمد ، مُتِّعتُ بكَ ، ما أردتَ إلاّ مُساعدتي . فقال : لا ، والله ما إلى هذا قَصَدتُ ، وإن كنتُ أَهْوى كلَّ ما قَرَّبَنِي من مَحبَّتك . فقال له : هذا أَحَبُّ أغانيه إليّ ، وما أحسَبُه في مَكانٍ أحسنَ منه عندي ، ولا كان ابن سريج يتغنّاه أحسن ممّا يتغنّاه جَواريّ . ولئن كان ذلك فما هو عندي في حُسن التجزئة والقِسْمةِ وصحّتِهما مثلُ لَحنه في[2] :

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة

[من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـا أُمَّ يَعْمَـرا قبلَ شَحْطٍ من النَّوَى[3]

أَجْمعَ الحـيُّ رِحْلـةً ففُؤادِي كَذي الأَسَى

قلتُ لا تُعجِلُوا الرَّوا حَ فقالُـوا ألا بَلَـى

الغناء لابن سريج من القَدر الأوسط من الثقيل الأوّل مُطلقٌ في مجرى الوسطى . وفيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبِنصر عن ابن المكّي . وفيه لمالك ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرٍو . وفيه لحنان من الثقيل الثاني : أحدُهما لإسحاق والآخر لأبيه ، ونسَبه قومٌ إلى ابن مُحرز ، ولم يصحّ ذلك . قال : فاجتمعا معاً على أنّه أوّل أغانيه وأحقُّها بالتقديم . وأمرني أبو إسحاق بتَدْوين ما يجري بينهما ويتَّفِقان عليه ، فكتبتُ هذا الشعر . ثم اتّفقا على أنّ الذي يَلِيه : [من الرمل]

وإذا مـا عَثَرتْ في مِرْطِهـا نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ

---

1 ل : يعاشر .

2 ديوان عمر : 16 .

3 أم يعمرا في رواية : أم معمر .

فأثبتُه أيضاً . ثم تناظَرا في الثالث فاجتمعا على أنّه : [من الكامل]

فتركتُه جَـــزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ ... مــا بين قُـلَّة رأسِه والمِعْصَمِ

فقال إسحاق : لو قدّمناه على الأغاني التي تَقدَّمَتْه كلِّها لكان يستحقُّ ذلك . فقال أبو إسحاق : ما سمعتُه منذ عرفتُه إلاّ أبْكاني ؛ لأنـّي إذا سمعته أو ترنَّمتُ به وجدتُ غَمْراً على فؤادي لا يَسْكُن حتى أَبكِي . فقال إسحاق : إنّ مذهبه فيه ليُوجِبُ ذلك ؛ فدوّنتُه ثالثاً . ثم اتّفقا على الرابع وأنّه : [من الطويل]

فلــم أرَ كالتَّجْمِير مَنظَرَ ناظِرٍ ... ولا كلَيالي الحجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوى

وتحدّثا بأحاديث لهذا الصوت مشهورة . ثم تناظرا في الخامس ، فاتّفقا على أنّه : [من السريع]

عُوجِـي علينــا رَبَّةَ الهَــوْدَجِ ... إنّــكِ إلاّ تَفْعَــلي تَحْرَجِي

فأثبتُه . ثم تناظَرا في السادس واتّفقا على أنـّه : [من مجزوء الوافر]

ألا هَــلْ هاجَــكَ الأَظْعــا ... نُ إذ جَـــاوَزْنَ مُطَّلَحــا

فأَثبتُه . ثم تَناظَرا في السابع فاتّفقا على أنـّه : [من الكامل]

غَيَّضْنَ مِــن عَبَراتِهِنَّ وقُلْن لي ... ماذا لَقِيتَ مِــن الهَوى ولَقِينا

فأَثبتُه . وتناظرا في الثامن فاتّفقا على أنـّه : [من الرمل]

تُنكِـــرُ الإثْمِـــدَ لا تَعرِفُـــه ... غيرَ أنْ تَسْمَـعَ منــهُ بخَبَرْ

فأثبتُه . وتناظرا في التاسع فاتّفقا على أنـّه : [من الطويل]

ومِن أَجْلِ ذاتِ الخالِ أَعملْتُ ناقتِي ... أُكَلِّفُها سَيْرَ الكَلالِ مــع الظَّلْعِ

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

منها : [من الرمل]

صوت

وإذا مــا عَثَــرَتْ في مِرْطِهــا ... نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يـا عُمَرْ

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

ومنها : [من الكامل]

صوت

فتركْتُـه جَـــزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ ... مـا بــين قُلَّة رأسِه والمِعصَمِ

الشعرُ لعَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادٍ العَبْسيّ . والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى عن

عمرو[1] ومنها : [من الطويل]

صوت

فلَـمْ أَرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ولا كليالي الحجِّ أفْتَنَّ ذا هَوَى

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رَملٌ بالوسطى عن عمرو . ومنها[2] :
[من السريع]

صوت

عُوجِي علينا رَبَّـةَ الهَـوْدجِ إنّـكِ إلاَّ تفعَـلي تَحْرَجِي

الشعرُ للعَرْجِيّ . والغناء لابن سريج ثقيل بالوسطى عن عمرو . ومنها[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلا هَـلْ هاجـكَ الأظعـا نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحـا

الشعر لعمر . والغناء لابن سريج ثقيل أوّلُ مطلَقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه للغريض لَحنان : ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ ثالث بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .
ومنها : [من الكامل]

صوت

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لي ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

الشعر لجرير . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر . وفيه لإسحاق رمل بالوسطى . وفيه للهُذَليّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ . ومنها : [من الرمل]

صوت

تُنْكِـرِ الإثْمِـدَ لا تَعْرِفُـه غيرَ أن تَسْمَعَ منـه بخَبَرْ

الشعر لعبد الرحمن بن حسّان . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . ومنها : [من الطويل]

صوت

ومن أجلِ ذاتِ الخالِ أعملتُ ناقتِي أُكَلِّفُهـا سَيْرَ الكَلالِ مـع الظَّلْعِ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر . وفيه لإسحاق رملٌ بالوسطى .

---

1 ل : عن الهشاميّ .

2 ديوان العرجي : 17 (تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي) بغداد .

3 ديوان عمر : 84 .

[تنافر معبد ومالك إلى ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني الزبير بن دحمان أنّ أباه حدّثه : أنّ معبداً تَغَنَّى : [من الرمل]

آب لَيْلي بهُمُومٍ وفِكَرْ من حَبِيبٍ هاج حُزْني والسَّهَرْ[1]
يومَ أبصرتُ غراباً واقعاً شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ

فعارضه مالكٌ فغنّى في أبياتٍ من هذا الشعر ، وهي : [من الرمل]

وجَرَتْ لي ظبيةٌ يتبَعُها لَيِّنُ الأَظْلافِ من حُورِ البَقَرْ[2]
كلَّما كَفْكَفْتُ منِّي عَبْرَةً فاضتِ العينُ بمُنْهَلٍّ دِرَرْ[3]

قال : فتَلاحَيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصَّوتَين ، فقال كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه : أنا أَجوَدُ صنعةً منك . فتنافَرا إلى ابن سريج فمَضَيا إليه بمكّة . فلمّا قَدِماها سألا عنه ، فأُخْبِرا أنّه خرج يَتَطَرَّفُ[4] بالحنَّاء في بعض بساتينها . فاقتَفَيا أثره ، حتى وقفا عليه وفي يده الحِنَّاء ، فقالا له : إنّا خرجنا إليك من المدينة لِتَحْكُم بيننا في صوتين صنعناهما . فقال لهما : لِيُغَنِّ كلُّ واحدٍ منكما صوتَه . فابتدأ معبد يُغنِّي لحنَه . فقال له : أحسنتَ والله على سوءِ اختيارك للشِّعر ! يا ويحك ! ما حَمَلك على أن ضَيَّعْتَ هذه الصنعة الجيّدة في حُزنٍ وسَهَرٍ وهُمومٍ وفِكر ! أربعة ألوانٍ من الحُزن في بيتٍ واحد ، وفي البيت الثاني شرَّان في مِصْراعٍ واحدٍ ، وهو قولُك : [من الرمل]

شَرَّ ما طار على شَرِّ الشَّجَرْ

ثم قال لمالك : هاتِ ما عندكَ ، فغنَّاه مالك . فقال له : أَحسنتَ والله ما شئتَ ! فقال له مالك : هذا وإنّما هو ابن شَهْرِه ، فكيف تَراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحَوْل ؟ قال دحمان : فحدّثني معبد أنّ ابن سريج غضِب عند ذلك غضباً شديداً ، ثم رمى بالحنَّاء من يديه وأصابعه وقال له : يا مالك ، أَلِي تقول ابن شَهْرِه ! اسمعْ منّي ابن ساعته ، ثم قال : يا أبا عَبَّاد ، أَنشِدْني القصيدة التي تَغَنَّيتُما فيها . فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله : [من الرمل]

تُنْكِرِ الإِثْمِدَ لا تَعْرِفُه غيرَ أن تَسْمَعَ منه بخَبَرْ

فصاح بأعلى صوته : هذا خليلي وهذا صاحبي ، ثم تغنّى فيه ؛ فانصرفنا مَفلُولَيْن مَفضوحَيْن من غير أن نُقيم بمكّة ساعةً واحدةً .

---

1 وفكر في ل : وذكر .
2 ليّن الأظلاف في ل : ليّن الأطراف .
3 أي كالمطر المتتابع .
4 يتطرّف بالحناء : يخضب به أطراف أصابعه .

نسبة هذه الأغاني كلّها

صوت

[من الرمل]

آبَ لَيْـلي بهُمُـومٍ وفِكَـرْ من حَبيبٍ هاج حُزْني والسَّهَرْ
يـومَ أبصرتُ غرابـاً واقعـاً شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ
يَنْتِـفُ الرِّيشَ عـلى عُبْرِيَّـةٍ مُرَّةِ المَقْضَمِ من دَوحِ العُشَرْ[1]

الشِّعر لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، وله معها ومع أبيها وأخيها في تَشبيبه بها أخبارٌ كثيرةٌ ستُذكر في موضعها إن شاء الله . ومن الناس من يَنْسُب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهو غلط . وقد بُيِّن ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه .

والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكّي ، وذكر عمرو بن بانة أنّه للغريض ، وله لحنٌ آخرُ في هذه الطريقة .

صوت

[من الرمل]

وجَـرَتْ لي ظَبْيَـةٌ يتبعُهـا لَيِّنُ الأظلاف من حُورِ البَقَرْ[2]
خلفَها أَطْلَسُ عَسَّالُ الضُّحـى صادفتْـه يـومَ طَـلٍّ وخَصَرْ[3]

الغناء لمالكٍ خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

[من الرمل]

صوت

إنّ عَيْنَيْهـا لعَيْنـا جُـؤْذُرٍ أَهْدَبِ الأَشْفارِ من حُـورِ البَقَرْ
تُـنْكِـرُ الإثْمِـدَ لا تعرِفُـه غيرَ أنْ تسمَـعَ منـه بخَبَرْ

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة ، عن عمرو ويحيى المكّيّ .

[ابن سريج يميل إلى الأرمال والأهزاج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قال أبي قال محمد بن سعيد : لمّا ضادَّ ابن سريج الغريض وناوأه ، جعل ابن سريج لا يغنّي صوتاً إلاّ عارضه فيه الغريض فغنّى فيه لحناً غيره ، وكانت ببعضِ أطراف مكّة دارٌ يأتيانها في كلّ جمعة ويجتمع لهما ناسٌ كثيرٌ ، فيوضع لكلّ

1 العبرية : من شجر السدر .
2 الأظلاف في ل : الأطراف .
3 الأطلس : الذئب . العسال : الذي يهتزّ إذا مشى أو عدا .

واحد منهما كرسيّ يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويترادّانِه . قال : فلمّا رأى ابن سريج موقع الغريض وغنائه من الناس لقربه من النَّوح وشَبَهِه به ، مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفَّها الناس . فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قَصَرْتَ الغناء وحذَفْتَه وأفسدْتَه . فقال له : نعم يا مخنَّث ، جعلتَ تَنوح على أبيك وأُمِّك ، أَلِي تقول هذا ؟ والله لأُغَنِّيَنَّ غناءً ، ما غنّى أحدٌ أثقلَ منه ولا أجود . ثم تغنّى : [من الطويل]

تشكّـــى الكميْت الجَرْيَ لمّا جهدْتُهُ

[تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج]

قال حمّاد : وقرأت على أبي عن هشام بن المُرِّيَّة قال : كان ابن أبي عتيق يسوق في كلّ عام عن ابن سريج بَدَنَةً وينحَرُها عنه ، ويقول : هذا أقلُّ حقِّه علينا .

[اعتراف معبد لابن سريج بالسبق]

قال حمّاد : قال أبي وقال مَخْلَدُ بن خِداشٍ المهلَّبي : كنّا بالمدينة في مجلسٍ لنا ومعنا معبدٌ ، فقدِم قادمٌ من مكّة إلى المدينة فدخل علينا ليلاً ، فجلس معبد يُسائلُه عن الأخبار وهو يُخبِرهُ ولا نسمع ما يقول . فالتفت إلينا معبد فقال : أصبحتُ أَحْسَنَ الناس غناءً . فقيل له : أو لم تكن كذلك ؟ قال : لا حيث كان ابن سريج حيّاً ، إنّ هذا أخبرني أنّ ابن سريج قد مات . ثم كان بعد ذلك إذا غنّى صوتاً فأعجبه غناؤه قال : أصبحتُ اليومَ سُرَيجيّاً .

[أبو السائب المخزوميّ وأغاني ابن سريج]

قال حمّاد : حدّثني أبي قال حدّثني أبو الحسن المدائنيُّ قال : قال معبد : أتيتُ أبا السائب المخزوميّ ، وكان يصلّي في كلّ يوم وليلة ألفَ ركعةٍ ، فلمّا رآني تجوّز[1] وقال : ما معك من مُبكِيات ابن سريج ؟ قلت قوله : [من الكامل]

ولَهُــنَّ بالبيتِ العَتيقِ لُبانةٌ والبيتُ يَعْرِفُهُــنَّ لــو يَتَكَلَّمُ
لــو كان حَيّاً قبلَهن ظَعائِناً حَيّا الحَطِيمُ وجوهَهنَّ وزَمْزَمُ
لَبِثُوا ثــلاثَ بأعظمِ مِنىً غِبْطَةٍ وهُمُ على سَفَرٍ لَعَمْرُكَ ما هُمُ
مُتجاوِريــنَ بغيرِ دارِ إقامــةٍ لو قــد أجــدّ تفرّقٌ لم يَنْدَمُوا

فقال لي : غنِّه ، فغنّيْتُه . ثم قام يصلّي فأطال ، ثم تجوَّزَ إليّ فقال : ما معك من مُطْرِباتِه ومُشجِياته ؟ فقلت : قوله : [من الكامل]

1 تجوّز : خفف في صلاته .

لسنا نُبالي حين نُدرِكُ حاجــةً ... ما بــاتَ أو ظَـلَّ المَطِيُّ مَعَقَّلا

فقال لي : غنّه ، فغنّيته . ثم صلّى وتجوّز إليّ وقال : ما معك من مُرْقِصاتِه ؟

فقلت : [من الطويل]

فلَــم أَرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ... ولا كَلَيالي الحجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوَى

فقال : كما أنتَ حتى أَتَحَرَّمَ لهذا بركعتين .

[تغنّي ابن سريج والغريض بمسمع من عطاء بن أبي رباح]

قال حمّاد : وأخبرني أبي عن إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ ، وذكر أبو أيُّوبَ المدينيّ عن الحزاميّ قال حدّثني عبد الرحمن بن إبراهيم المخزوميّ قال : أرسلتني أُمِّي وأنا غلامٌ أسأل عطاءَ بنَ أبي رباحٍ عن مسألة ، فوجدتُه في دارٍ يقال لها دارُ المُعَلَّى ، وقال أبو أيُّوب في خبره : دارُ المُقلِّ ، وعليه مِلحَفة مُعَصفَرَةٌ ، وهو جالسٌ على مِنبر وقد ختَن ابنه والطعام يوضع بين يديه وهو يأمر به أن يُفرّق في الخَلْق ، فلهوتُ مع الصبيان ألعب بالجَوْز حتى أكل القوم وتفرّقوا وبَقِي مع عطاءٍ خاصّته ، فقالوا : يا أبا محمد لو أَذِنتَ لنا فأَرسَلْنا إلى الغريض وابن سريج ! فقال : ما شئتم ، فأرسلوا إليهما . فلمّا أتيا قاموا معهما وثبت عطاءٌ في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما بيتاً في الدار ، فتغنّيا وأنا أسمع . فبدأ ابن سريج فنقَر بالدُّفّ وتغنّى بشعر كُثَيِّر : [من الطويل]

بلَيْلى وجاراتٍ لليــلى كأنّها ... نِعاجُ المَلا تُحْدَى بهنَّ الأَباعِرُ[1]

أمُنْقطِعٌ يا عَــزّ مــا كان بينَنا ... وشاجَرني يا عزّ فيكِ الشَّواجِرُ

إذا قيلَ هذا بيتُ عزّةَ قادَني ... إليه الهَوى واستعجَلَتْني البَوادِرُ[2]

أصُدُّ وبي مثلُ الجُنونِ لكي يَرى ... رُواةُ الخَنا أنّي لِبيتِكِ هاجرُ

فكأنّ القوم قد نزل عليهم السُّبات ، وأدركَهم الغَشْيُ فكانوا كالأموات فما تسمع حسّاً ، ثم أَصغوا إليه بآذانهم وشخصتْ إليه أعينهم[3] وطالتْ أعناقُهم . ثم غنّى الغريض بصوتٍ أُنسِيتُه بلحنٍ آخر . ثم غنّى ابن سريج وأَوقع بالقضيب ، وأخذ الغريض الدُّفَّ فغنّى بشعر الأخطل : [من الطويل]

فَقلتُ اصبَحُونــا لا أَبــا لأَبيكُمُ ... ومــا وَضَعُوا الأثقالَ إلاّ ليَفْعَلوا

وقلتُ اقتُلوهــا عنكُــمُ بمِزاجِها ... فأكْرِمْ بها مَقْتولــةً حــين تُقْتَلُ

---

1 الملا : مثل الفلا .

2 البوادر : الدموع .

3 ل : أحداقهم .

أَناخُوا فَجَــرُّوا شاصِياتٍ كأنّها   رِجالٌ من السُّودانِ لَم يَتَسَرْبَلُوا[1]

فوالله ما رأيتُهم تحرَّكوا ولا نَطَقوا إلاّ مستمعين لما يقولُ . ثم غنّى الغريضُ بشعرٍ آخر وهو : [من البسيط]

هل تعرِف الرَّسْمَ والأَطْلالَ والدِّمَنا   زِدْنَ الفــؤادَ على مــا عندَه حَزَنا
دارٌ لصَفْراءَ إذ كانت تَحُــلُّ بها   وإذ تَرى الوَصْلَ فيما بيننَا حَسَنا
إذ تَسْتَبِيكَ بمَصْقــولٍ عوارضُــه   ومُقْلَتَيْ جُــؤْذُرٍ لم يَعْــدُ أن شَدَنا

ثم غنّيا جميعاً بلحنٍ واحد ؛ فلقد خُيِّل لي أنّ الأرضَ تَميدُ ، وتبيَّنْتُ ذلك في عطاء أيضاً .

وغنّى الغريضُ في شعر عمر بن أبي ربيعة ، وهو قوله[2] : [من الطويل]

كَفى حَزَناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنا   وأُمْسي قريبــاً لا أَزُورُكِ كَلْثَما
دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الذي   بــه منكِ أو داوي جَــواه المُكَتَّما
ومَــنْ كان لا يَعْــدُو هواه لسانَه   فقد حَــلَّ في قلبي هواكِ وخَيَّما
وليس بتَزْوِيــقِ اللسانِ وصَوْغِــه   ولكنَّه قَـــد خالطَ اللحمَ والدَّما

وغنّى ابن سريج أيضاً[3] : [من الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجا نَسْأل اليــومَ مَنْزِلا   أَبــى بــالبِراقِ العُفْرِ أن يَتَحوَّلا
ففُرْعِ النَّبِيتِ فالشَّرى خَفَّ أهلُه   وبُدِّلَ أَرْواحاً جَنُوبــاً وشَمْألا[4]
أرادتْ فلم تَسْطِعْ كلاماً فأومأتْ   إلينــا ولم تأمَــنْ رَسولاً فتُرْسِلا
بأنْ بِتْ عَسى أن يسترَ الليلُ مجلساً   لنا أو تنامَ العــينُ عنّــا فتُقبِلا[5]

وغنّى الغريضُ أيضاً[6] : [من الكامل]

يــا صاحِبَــيّ قِفا نُقَضِّ لُبانَــةً   وعلى الظَّعائِنِ قبلَ بَيْنِكما اعْرِضا
لا تُعْجِلانِــي أن أقــولَ بحاجةٍ   رِفْقاً فقد زُوِّدْتُ زاداً مُجْرِضا[7]

---

1 الشاصيات : صفة للزقاق .
2 ديوان عمر : 390 .
3 ديوان عمر : 309 .
4 النبيت والشرى : موضعان . الأرواح : الرياح .
5 فتقبلا في ل : فتغفلا .
6 ديوان عمر : 323–324 .
7 مجرضاً : يغص بالريق ، وقد تقرأ «محرضاً» .

ومقالَها بالنَّعْفِ نَعْفِ مُحَسِّرٍ لِفَتاتِها هل تَعْرِفِينَ المُعْرِضا[1]
هذا الذي أَعْطى مَواثِقَ عهدِهِ حتى رَضِيتُ وقُلتِ لي لن يَنْقُضا

وأَغانيَّ أُنْسيتُها ، وعَطاءٌ يسمع على مِنبرِه ومكانه ، وربّما رأيتُ رأْسَه قد مال وشَفَتَيْه تتحرّكان حتّى بلغتْه الشمسُ ، فقام يريد منزلَه . فما سمع السامعون شيئاً أحسن منهما وقد رفعا أصواتهما وتغنَّيا بهذا . ولمّا بلغتِ الشمس عطاءً قام وهُمْ على طريقةٍ واحدةٍ في الغناء ، فاطَّلَع في كُوَّة البيت . فلمّا رأَوْه قالوا : يا أبا محمد ، أيُّهما أحسنُ غناءً ؟ قال : الرَّقِيق الصوت ، يَعنِي ابن سريج .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[من الكامل]

ولَهُنَّ بالبيتِ العَتِيق لُبانَةٌ والبيتُ يعرِفهنّ لو يتكلَّمُ
لو كان حَيّاً قبلَهنّ ظعائناً حيّا الحَطِيمُ وُجوهَهنّ وزمزمُ
وكأنّهنّ وقد حَسَرْنَ لَواغِباً بَيْضٌ بأكنافِ الحَطِيم مُرَكَّمُ[2]
لَبِثُوا ثلاثَ مِنًى بمنزلِ غِبْطَةٍ وهمُ على سَفَرٍ لعمرُك ما هُمُ
مُتَجاوِرِينَ بغيرِ دارِ إقامةٍ لو قد أجدَّ رَحِيلُهم لم يَنْدَمُوا

عَرُوضُه من الكامل . الشعر لابن أُذَيْنَة . والغناء لابنِ سريج ثاني ثقيلٍ مُطْلَق في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبارُ ابن أُذَينةَ تأتي بعد هذا في موضِعها إن شاء الله .

ومنها الصوتُ الذي أوّله في الخبر : [من الكامل]

لسنا نُبالي حين نُدْرِكُ حاجةً

صوت[3]

[من الكامل]

وَدِّعْ لُبابةَ قبلَ أن تَترحَّلا واسأَلْ فإن قَلِيلَه أن تَسْأَلا
وانظُرْ بعينكَ ليلةً وتأَنَّها فلعلَّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا[4]

1 محسر : موضع بين مكّة وعرفة ؛ والنعف ، ما انحسر عن السفح .
2 لواغبا : متعبات .
3 ديوان عمر : 311–312 .
4 الشطر الأول في الديوان : امكث بعمرك ليلة وتأنها .

لسنا نُبالي حين نُدرِكُ حاجةً ... ما راح أو ظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلا
حتّى إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامُه ... ورَجَوْتُ غفلةَ حارِسٍ أن يَعْقلا[1]
خرجَتْ تَأَطَّرُ في الثياب كأنَّها ... أَيْمٌ يَسِيبُ على كثيبٍ أَهْيَلا

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناءُ لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مَجراها . وفيه لمعبد لحنٌ من خفيف الثَّقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، وهو من مختار أغانيه ونادرها وصُدور صنعته وما يُقدَّم على كثيرٍ منها .

[الغمر بن يزيد وشعر عمر]

أخبرني أحمدُ بن محمد بن إسحاق الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ عن عبد الله بن عمران بن أبي فَرْوَةَ قال : كنتُ أَسيرُ مع الغَمْرِ بن يزيد ، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة : [من الكامل]

وَدِّعْ لُبابَة قبلَ أن تترحَّلا ... واسألْ فإن قَلِيلَه أن تَسْأَلا
قال ائتَمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالَفٍ ... فيما هَوِيتَ فإنّنا لن نَعْجَلا
نَجْزِي أيادِيَ كنتَ تَبْذُلُها لنا ... حقٌّ علينا واجبٌ أن نَفْعَلا
حتّى إذا ما الليلُ جَنّ ظلامُه ... ورجوتُ غفلة حارسٍ أن يَعْقِلا
خرجتْ تأطَّرُ في الثياب كأنَّها ... أَيْمٌ يَسِيبُ على كثيبٍ أَهْيَلا
رَحَّبْتُ لَمّا أقبلتْ فتعَلَّلتْ ... لتحيَّتِي لمّا رأَتْنِي مُقْبِلا
فَجلا القِناعُ سحابةً مشهورةً ... غَرَّاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمَّلا
فظَلِلْتُ أَرْقِيها بما لو عاقِلٌ ... يُرقَى به ما اسْطاعَ ألاّ يَنزِلا
تَدْنُو فأَطْمَعُ ثم تمنعُ بَذْلَها ... نفسٌ أبتْ للجُودِ أن تتبخَّلا[2]

قال : فأمَرَ غلامَه فحملني على بغلتِه التي كانت تحتَه . فلمّا أراد الانصراف طلب الغلام منِّي البغلة ، فقلتُ : لا أُعطيكَها ، هو أكرمُ وأشرفُ مِن أن يحملَني عليها ثم ينتزعَها منّي . فقال للغلام : دَعْه يا بُنيّ ، ذهبتْ واللهِ لُبابَةُ ببغلةِ مولاكَ .

[القرشي يطرب لغناء ابن سريج في شعر عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنيه الحسن بن عليّ عن هارون بن الزَّيَّات عن حمَّاد عن أبيه قال حدّثني عثمان بن حفصٍ الثَّقفيّ عن إبراهيم بن عبد السلام بن

1 غفلة حارسٍ أن يعقلا في الديوان : غفلة كاشح أن يمحلا .
2 فأطمعُ . . . . في الديوان : فتطمع . . . . بالجود .

أبي الحارث عن ابن تَيْزَن المغنّي قال : قال أبو نافع الأسود ، وكان آخِرَ مَنْ بَقِيَ من غلمان ابن سريج : إذا أعجزك أن تُطرِب القرشيَّ فغنّه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنّك تُرقِصُه : قال : وأبو نافع هذا أحذقُ غِلمان ابن سريج ومَنْ أَخَذ عنه ، وكان آخِرَ رُواتِه صوتاً . ومنها[1] : [من الطويل]

صوت

بلَيْلى وجاراتٍ لِلَيْلى كأنّها نِعاجُ المَلا تُحْدَى بهنَّ الأباعِرُ
أمُنقطِعٌ يا عزّ ما كان بيننا وشاجَرَني يا عزّ فيكِ الشّواجِرُ
إذا قيل هذا بيتُ عَزّة قادني إليه الهوى واستعجلتْني البَوادِرُ
أَصُدّ وبي مثلُ الجنونِ لكي يَرى رُواةُ الخَنا أنّي لبيتكِ هاجِرُ
ألاَ ليتَ حَظّي منكِ يا عزّ أنّني إذا بِنْتِ باع الصبرَ لي عنكِ تاجرُ

عروضُه من الطويل . الشعر لكُثيِّر . والغناء لمعبدٍ ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو . وفيه لابن سريج لحنٌ أوّله : «أصُدّ وبي مثلُ الجُنون» خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق : ومنها[2] : [من الطويل]

صوت

أناخُوا فَجَرُّوا شاصياتٍ كأنّها رجالٌ من السُّودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا
فقلتُ اصبَحُوني لا أبا لأبيكمُ وما وضَعُوا الأثقالَ إلاّ ليفعَلُوا
تَمُرّ بها الأَيْدِي سَنِيحاً وبارِحاً وتُرْفَعُ باللّهُمّ حَيِّ وتُنْزَلُ

عَروضه من الطويل . الشاصياتُ : الشّائِلاتُ قوائمها من امتلائها ، يعني الزِّقاقَ ؛ يقال : شَصا يَشْصُو . وشَصا ببصرِه إذا رفعه كالشاخص ؛ وأنشد : [من مشطور الرجز]

ورَبْرَبٍ خِماص يَطْعُنُ بالصَّياصي[3]
ينظُر من خَصاصِ بأَعْيُنٍ شَواصي[4]
كَفِلَقِ الرَّصاصِ تَسْمُو إلى القَنّاصِ

الشعرُ للأخطل ، وذكره يأتي في غير هذا الموضع ، من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن

1 ديوان كثير : 368–370 (تحقيق إحسان عبّاس) بيروت 1971 .
2 ديوان الأخطل : 3–4 (تحقيق أنطون الصالحاني) بيروت .
3 ربرب : قطيع من البقر . خماص : ضامرات جوعاً . الصياصي : القرون .
4 خصاص : فتحات ، كوى .

أسيد بن أبي العِيص بن أُميّة . والغناء لمالك وله فيه لحنان : أحدُهما في الأوّل والثاني رَمَلٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، والآخرُ في الثالث والأوّل والثاني خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن محرز خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها . وفيه رمل آخر لإبراهيم عن عمرو أيضاً . ومنها : [من البسيط]

صوت

هل تعرِفُ الرسمَ والأَطْلالَ والدِّمَنا

وذكر الأبياتَ الثلاثة وقد تقدَّمت . عروضُه من البسيط . الشعرُ لذي الإصبَع العدواني[1] . والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر . ومنها : [من الطويل]

صوت

كفَى حَزَناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنا

صوت
وهو من المائة المختارة في رواية جحظة عن أصحابه

[من الطويل]

دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الذي ... بــه مِنْكِ أو دَاوِي جَواه المُكَتَّما
ومَنْ كان لا يَعْدُو هــواه لِسانَه ... فقد حَلَّ في قلبي هَــواكِ وخَيَّما
وليس بتَزْويــقِ اللسانِ وصوْغِــه ... ولكنَّه قــد خالَطَ اللَّحــمَ والدَّما

عروضُه من الطَّويل . الشعر للأحوص ، وقيل : إنّه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان . والغناء لمعبد ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر . وذكر يونس أنّ لمالك لحناً فيه : [من الطويل]

أَكَلْثَمُ فُكِّــي عانياً بِــكِ مُغْرَما ... وشُدِّي قُوى حَبْلٍ لنا قــد تَصَرَّما
فــإن تُسعِفِيه مَــرَّةً بنوالِكـــم ... فقد طالَما لم يَنْجُ منــكِ مُسَلَّما
كَفى حَزَناً أن تَجْمعَ الدارُ شَمْلَنا ... وأُمْسِي قريبــاً لا أَزُورُكِ كَلْثَما

وبعده هذه الأبيات التي مَضَتْ .

[اتفاق المغنين على تفضيل لحن لابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد وذكر الثقفيّ عن دَحمان قال : تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيُّه أحسنُ ، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء .

---

1 تنسب أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : 432 .

فقلت : اذهَبْ بنا إلى مالك بن أبي السَّمْح . فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد ، فقال : ما جاء بكما ؟ فأخبرناه . فقال : قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقلت ، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجد وقال : قد جئتُك بشيء لا ترُدُّه . فقلت : وما هو ؟ قال : لحنُ ابن سريج : [من الطويل]

وليسَ بتزويقِ اللسانِ وصَوْغِهِ ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدَّما

ثم قال لي معبد : أُسْمِعُكَه ؟ قلت : نعم ، وأريتُه أنّي لم أسمعه قبل ، فقال : اسمعه منّي ، فغنّى فيه ونحن في المسجد ، فما سمعتُ شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه .

وقرأتُ في فصلٍ لإبراهيم بن المَهديّ إلى إسحاق الموصليّ . «وكتبتُ رُقعتي هذه وأنا في غَمرةٍ من الحُمَّى تَصدِف عن المفترضات . ولولا خَوفي من تشنيعِك وتَجَنّيك لم يكن في للإجابة فَضلٌ ، غير أنّي قد تكلّفتُ الجواب على ما الله به عالمٌ من صعوبة علّتي وما أقاسيه من الحرارة الحادثة بي .

وليس بتزويقِ اللسان وصَوغِه ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدّما

[تفضيل غناء ابن سريج على غناء معبد ومالك]

وقال إسحاق حدّثني شيخٌ من مَوالي المنصور قال : قَدِم علينا فِتيان من موالي بني أميّة يريدون مكّة ، فسمعوا معبداً ومالكاً فأُعجبوا بهما ، ثم قدموا مكّة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً ، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يُسمِعَهم غناءه ، فخرج معهم حتى دخلوا عليه . فقالوا : نحن فتيانٌ من قريش ، أتيناك مُسلّمين عليك ، وأحببنا أن نسمع منك . فقال : أنا مريضٌ كما تَرَوْن . فقالوا : إنّ الذي نكتفي منكَ به يَسيرٌ ، وكان ابن سريج أديباً طاهر الخُلُق عارفاً بأقدار الناس ، فقال : يا جارية ، هاتي جِلْبابي وعُودِي ، فأتَـتْه خادمه بخامَةٍ[1] فسَدَلَها على وجهه ، وكان يفعل ذلك إذا تَغَنّى لقُبح وجهِه ، ثم أخذ العود فغنّاهـم ، فأرخى ثوبه على عينيه وهو يغنّي ، حتى إذا اكتفَوْا ألقى عـودَه وقـال : معذرةً . فقالوا : نَعَم ، قد قبِل اللهُ عذرَك فأحسنَ اللهُ إليك ، ومسح ما بك ، وانصرفوا يتعجّبون ممّا سمِعوا . فمرّوا بالمدينة مُنصرفين ، فسمِعوا من معبدٍ ومالِكٍ ، فجعلوا لا يَطربون لهما ولا يُعجبون بهما كما كانوا يَطربون . فقال أهلُ المدينة : نَحلِفُ بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج قالوا : أَجل ! لقد سمعناه فسمِعنا ما لم نسمع مثله قطُّ ، ولقد نَغَّصَ علينا ما بعده .

[تغنّي رقطاء الحبطية برمل ابن سريج]

وذكر العَتّابيّ أنّ زكريّا بن يحيى حدّثه قال حدّثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثمانيّ

1 خامة : قطعة من قماش .

عن بعض أهل الحجاز قال[1] : التقى قنديلٌ الجَصَّاص وأبو الحديد بشِعب الصَّفراء[2] ، فقال قنديلٌ لأبي الحديد : من أين وإلى أين ؟ قال : مررت برقطاء الحَبَطِيَّة رائحةً تترنَّم برَمَل ابن سريج في شعر ابن عُمارة السُّلَميّ : [من الطويل]

صوت

سَقى مَأْزِمَيْ نَجْـدٍ إلى بئر خالدٍ فوادِي نِصاعٍ فالقُرُونِ إلى عَمْدِ[3]

وجادَتْ بُروقُ الرائحاتِ بمُزْنَةٍ تَسُحُّ شآبيباً بمرتجزِ الرَّعْدِ

منازِلَ هِنْدٍ إذ تُواصِلُني بها ليالي تَسْبِيني بمُسْتَطْرَفِ الوُدِّ

يُنيرُ ظلامُ الليلِ من حُسْنِ وجهِها وتَهْدِي بطِيبِ الرِّيحِ مَنْ جاء مِن نَجْدِ

الغناء لابن سريج رملٌ بالبِنصر عن الهشاميّ . فزَفَفْتُ خلفَها زَفِيفَ النَّعامَة ، فما انجلتْ غشاوَتي إلاّ وأنا بالمُشاش[4] حَسِير[5] فأَوْدعتُها قلبي وخلَّفتُه لديها ، وأقبلتُ أَهْوِي كالرَّخمة بغير قَلْبٍ . فقال لي قِنديلٌ : ما دفعَ أحدٌ من المُزدلِفة أَسعدُ منكَ ، سمعتَ شعرَ ابن عُمارة في غِناء ابن سريج من رقطاء الحَبَطيَّة ؛ لقد أُوتيت جزءاً من النبوّة . قال : وكانت رَقْطاءُ هذه من أَضْرِب الناس ؛ فدخل رجلٌ من أهلِ المدينة منزلها فغنَّته صوتاً . فقال له بعض مَن حضر : هل رأيتَ قطُّ أو تَرى أفصح من وَتَرِ هذه ؟! فطَرِب المدنيُّ وقال : عليّ العهدُ إن لم يكن وترها من معَى بَشْكَسْتَ النَّحْويّ ، فكيف لا يكون فصيحاً ؟ وبشكستُ هذا كان نحويّاً بالمدينة ، وقُتل مع الشُّراةِ[6] الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكنديّ الشَّاري المعروف بطالب الحقِّ .

[غناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس]

قال محمد بن الحسن وحدّث عن إسحاق عن أبيه أنّه كان يقول : غناءُ كلِّ مُغَنٍّ مخلوقٌ من قلب رجلٍ واحد ، وغناءُ ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعاً . وكان يقول : الغناء على ثلاثة أَضرُب ، فضربٌ مُلْهٍ مُطرِبٌ يُحرِّك ويَسْتخِفُّ ، وضربٌ ثانٍ له شَجاً ورِقَّة ، وضربٌ ثالثٌ حِكمةٌ وإتقان صنعَةٍ . قال : وكلّ هذا مجموعٌ في غناء ابن سريج .

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 61–62 (الفقرة : 85) .
2 الصفراء : اسم واد بناحية المدينة .
3 المأزم : طريق ضيّق بين جبال . هذه كلها أسماء مواضع .
4 المشاش : واد يجري بعرفات .
5 حسير : متعب كلّ عن السير .
6 الشراة : الخوارج ، شروا (أي باعوا) أنفسهم بالجنة .

[التقاء ابن سلمة الزهريّ والأخضر الجدّي وتغنّى ابن سلمة بغناء ابن سريج]

قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال : ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال : التقى ابن سلَمة الزُّهريّ والأخضر الجدِّي ببئر الفصح[1] ، فقال ابن سلمة : هل لكَ في الاجتماع نَستَمتِع بك ؟ فقال له الأخضر : لقد كنتُ إلى ذلك مُشْتاقاً ، قال : فقعدا يتحدَّثان ، فمرّ بهما أبو السائب ، فقال : يا مُطْرِبَي الحجاز ، ألشيءٍ كان اجتماعُكما ؟ فقالا : لغير موعِدٍ كان ذلك ، أفتؤْنِسُنا ؟ قال : فقعدوا يتحدَّثون . فلمّا مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلَمة : يا أبا الأزهر ، قد أبْهارَّ الليل[2] وساعدَك القمر ، فأَوقعْ بقَهقهة ابن سريج وأَصِب مَعناك . فاندفع يُغنِّي : [من الطويل]

صوت

تَجَنَّتْ بلا جُرْمٍ وصَدّتْ تغضُّباً ... وقالت لِتِربَيْها مقالةَ عاتبِ
سَيَعْلَمُ هـذا أنَّني بنتُ حُرَّةٍ ... سأمنَعُ نَفْسي من ظُنُونٍ كَواذِبِ
فقُولِي لـه عنّـا تَنَـحَّ فإنّنا ... أبِيَّاتُ فُحْشٍ طاهِراتُ المَناسِبِ

الغناء لابن سريج ولم يذكر طريقته . قال : فجعل أبو السائب يَزفِن[3] ويقول : أَبشِرْ حَبيبي ، فلأنت أفضل من شُهداءِ قزوين . قال : ثم قال ابن سلَمة للأخضر : نِعم المُساعد على هَمِّ الليل[4] أنتَ ؛ فأَوقِع[5] بنَوْح ابن سريج ولا تعْدُ مَعْناكَ[6] . فاندفع يُغنِّي : [من الطويل]

صوت

فلمّـا الْتَقَيْنا بالحَجُـون تَنَفَّسَتْ ... تَنَفُّسَ محـزونِ الفُـؤادِ سَقِيمِ
وقالتْ وما يَرْقا مِنَ الخَوْفِ دمعُها ... أَقاطِنُهـا أم أنـتَ غيرُ مُقِيمِ
فإنّا غداً تُحْدَى بنا العِيسُ بالضُّحَى ... وأنـتَ بمـا نَلْقـاه غيرُ عَلِيمِ
فقَطَّعَ قَلْبِي قولُهـا ثـم أَسْبَلَتْ ... مَحاجِـرُ عَيْنِـي دمعَهـا بسُجُومِ

قال : فجعل أبو السَّائب يتأفَّف ويقول : أُعْتِقُ ما أملِك إن لم تَكُنْ فِرْدَوسِيَّة الطِّينة ، وإنّها بعلمِها لأَفْضَلُ من آسِيَةَ امرأةِ فرعونَ .

---

1 ل : ببئر الفصيح .
2 ابهار الليل : انتصف .
3 يزفن : يرقص .
4 ل : سهر الليل .
5 ل : فوقع .
6 ل : مغناك .

[تغنّي الذلفاء بلحن ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ قال: بلَغني أنّ أبا دَهْبَلٍ الجُمَحيّ قال: كنتُ أنا وأبو السَّائب المخزوميّ عند مُغَنيةٍ بالمدينة يقال لها «الذَّلْفاء»، فغنّتنا بشعر جَمِيلِ بن معمَر العُذْريّ، واللحن لابن سريج: [من الطويل]

صوت

لَهُنَّ الوَجى لِمْ كُنّ عَوناً على النَّوَى ولا زالَ منهـا ظالـعٌ وكَسِيرُ[1]
كأنّي سُقِيتُ السُّمَّ يومَ تحمَّلوا وجَـدّ بهـم حادٍ وحانَ مَسِيرُ

فقال أبو السائب: يا أبا دَهبَل، نحن واللّه على خَطَرٍ من هذا الغناء، فنسأل اللّه السلامة وأن يَكفينا كلَّ مَحذُور، فما آمَنُ أن يهجُمَ بي على أمرٍ يَهتِكُني. قال: وجعل يَبكِي.

[تأثير غناء ابن سريج في الحاج]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكِيعُ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن بكّار بن رباح عن إسحاق بن مِقَمَّة عن أُمِّه قالت: سمعتُ ابن سريج على أخشَب منًى غداةَ النَّفْر وهو يغنّي: [من الخفيف]

جَدّدِي الوصلَ يا قريبَ وجُودِي لمحـبٍّ فِراقُــه قــد ألَمَّـا
ليسَ بـينَ الحيـاةِ والمـوتِ إلاَّ أن يَـرُدُّوا جِمالَهُـمْ فتُزَمَّـا

ونسبةُ هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار ـ قالت: فما تشاء أن تسمَع من خِباءٍ ولا مِضْرَبٍ حنيناً ولا أنيناً إلاّ سمعته.

[مفاضلة أخرى بين معبد وابن سريج]

وذكر يوسف بن إبراهيم أنّه حضر إسحاقَ بن إبراهيم الموصِليّ ليلةً وهو يُذاكِرُ إبراهيم بن المهديّ، إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إيّاه: هذا صوتٌ قد تَمَعْبَدَ فيه ابن سريج. فقال له إبراهيم: ما ظننتُ أنّك يا أبا محمد مع علمك وتَقَدُّمِك تقول مثلَ هذا في ابن سريج، فكيف يجوز أن تقول: تَمَعْبَدَ ابنُ سريج، وإنّما مَعبدٌ إذا أحسن قال: أصبحتُ سُرَيجِيّاً، قد أغنَى اللّهُ ابنَ سريج عن هذا ورفعَ قَدْره عن مثله، وأُعِيذُكَ باللّه أن تستَشْعِر مثلَه في ابن سريج. قال: فما رأيت إسحاق دفع ذلك، ولا أباه، ولا زاد على أن قال: هي كلمةٌ يقولُها الناس، لم أَقُلْها اعتقاداً لها فيه، وإنّما تَكلّمتُ بها على العادة.

[اعتراف معبد لابن سريج بالتفوّق عليه]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكيعٌ قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال:

1 الوجى: الحفا. وكسير في ل: وحسير.

قال لي شُعَيْب بن صخر : كان معبدٌ إذا غنّى فأجاد قال : أنا اليوم سُرَيجِيٌّ .

[سكوت المغنين عند حضور ابن سريج]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن سَلاَّم قال حدّثنا شُعيب بن صخر قال : كان نعمان المغنِّي عندي نازلاً ، وكان يغني ، وكنتُ أراه يأتيه قومٌ . قال أبو عبد الله : فقلتُ له : فأيُّهم كان أحذقَ ؟ قال : لا أدْرِي ، إلاّ أنّهم كانوا إذا جاء ابن سريج سَكَتُوا .

[الأحوص وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّادٍ عن أبيه قال حدّثني الهيثم بن عيَّاش قال حدّثني عبد الرحمن بن عُيينة قال : بينما نحن بمِنًى ونحن نريد الغُدُوَّ إلى عرفاتٍ ، إذ أتانا الأَحْوص فقال : أَبِيتُ بكم الليلة ؟ قلنا : بالرَّحْبِ والسَّعة . فلمّا جَنَّه الليلُ لم يلبث أن غاب عنّا ثم عاد ورأسه يقطُر ماءً . قلت : ما لك ؟ قال : [من المتقارب]

صوت

تَعَرَّضُ سَلْمــاكَ لمّا حَرَمْــ ـتَ ، ضَلَّ ضَلالُكَ مِنْ مُحْرِمِ !
تُريــدُ بِــه البِرَّ يا لَيْتَــه كَفافــاً مِـن البِرِّ والمَأْثَـمِ

الغناء لابن سريج ولم يُجنِّسه . قال قلت : زَنَيْتَ ورَبِّ الكعبة ! قال : قُلْ ما بدا لك . ثم لَقِي ابن سريج فقال : إنِّي قد قلتُ بيتين حسنَين أُحِبُّ أن تُغَنِّيَنِي بهما . قال : ما هما ؟ فأنشده إيَّاهما ؛ فغنَّى بهما من ساعته ، ففُتِنَ مَن حضر ممَّن سمِع صوتَه .

[جرير يذهب من المدينة إلى مكّة ليسمع غناء ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال[1] : قدِم جرير بن الخَطَفَى المدينة ونحن يومئذٍ شبابٌ نطلُبُ الشِّعر ، فاحتشدنا له ومعنا أَشْعبُ . فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأَقمنا لم نبرح . وجاء الأحوص بن محمد الشاعر من قُباء على حمارٍ فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام لحاجةٍ ، فما حاجتك إليه ؟ قال : أُريد والله أنْ أُعْلِمه أنّ الفرزدق أشعرُ منه وأشرف . قلنا : ويحك ! لا تعرِض له وانصَرِف ، فانصرف وخرج . فجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص الشاعر فأقبل عليه ، فقال : السلام عليكَ يا جرير . قال جرير : وعليك السلام . فقال الأحوص : يا ابن الخطَفَى ، الفرزدق أشرفُ منكَ وأشعر . قال جرير : مَن هذا أَخزاه الله ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح . فقال : نعم ،

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 10–11 (رقم : 6) .

هذا الخبيث ابن الطيب ، أأنت القائل : [من الطويل]

يَقَرُّ بعَيْني ما يَقَرُّ بعَيْنِها وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

قال نعم . قال : فإنّه يَقَرُّ بعَينها أن يدخل فيها مثل ذِراع البَكْر ، أفَيَقرُّ ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوص يُرمى بالحُلاقِ فانصرف ، فبعث إليهم بتمرٍ وفاكهة . وأقبلنا على جرير نُسائله ، وأشعب عند الباب وجرير في مؤخّر البيت ، فألحَّ عليه أشعبُ يسأل . فقال : والله إنّي لأراكَ أقْبحَهم وجهاً وأراكَ ألأمَهم حَسَباً ؛ فقد أبْرَمْتَني منذ اليوم . قال : إنّي والله أنفعُهم وخيرُهم لك . فانتبه جرير وقال : ويحك ! كيف ذاك ؟ قال : إنّي أُمَلِّح شِعرَك وأُجيدُ مَقاطِعَه ومبادئه . فقال : قُلْ ، وَيْحَك ! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريج : [من الكامل]

يا أُختَ ناجيةَ السلامُ عليكُمُ قبلَ الرَّحِيل وقبل عَذْلِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عهدِكم يومُ الرَّحيل فعَلتُ ما لم أفعلِ

فطَرِب جرير وجعل يزحف نحوه حتى أَلصق برُكبته رُكبَتَه[1] ، وقال : لعَمري لقد صَدقتَ ، إنّك لأنفعُهم لي وقد حَسَّنْته وأجَدتَه وزيَّنته ، أحسنتَ والله ، وصله وكساه . فلمّا رأينا إعجاب جريرٍ بذلك الصوت ، قال له بعض أهلِ المجلس : فكيف لو سمعتَ واضعَ هذا الغِناء ؟ قال : أوَ إنّ له لواضعاً غير هذا ؟ فقلنا نعم . قال : فأين هو ؟ قلنا : بمكّة . قال : فلستُ بمفارقٍ حِجازَكم حتى أبْلُغَه . فمضى ومضى معه جماعة ممّن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم ، فأتيناه جميعاً ، فإذا هو في فِتيةٍ من قريش كأنّهم المَهَا مَع ظَرْفٍ كثيرٍ ، فأدنوا ورحّبوا وسألوا عن الحاجة ، فأخبرناهم الخبر ، فرحَّبوا بجرير وأدنَوه وسُرُّوا بمكانه ، وأعظم عُبَيد بن سريج موضع جرير وقال : سَلْ ما تريد جُعِلتُ فداءَك ! قال : أُريد أن تُغَنِّيَني لحناً سمعتُه بالمدينة أزعجَني إليك . قال : وما هو ؟ قال : [من الكامل]

يا أُختَ ناجيةَ السلامُ عليكُمُ قبلَ الرَّحيلِ وقبلَ عَذْل العُذَّلِ

فغنّاه ابن سريج وبيده قضيبٌ يُوقِعُ به ويَنْكُتُ ، فوالله ما سمعتُ شيئاً قطّ أحسنَ من ذلك . فقال جرير لله دَرُّكم يا أهلَ مكّة ، ما أعطِيتُم ! والله لو أنّ نازعاً نزع إليكم ليُقيم بين أظهُرِكم فيسمعَ هذا صباح مساء لكان أعظمَ الناس حَظّاً ونصيباً ، فكيف ومع هذا بيتُ الله الحرام ، ووجوهُكُم الحِسانُ ، ورِقّةُ ألسِنتِكم ، وحُسْنُ شارَتِكم ، وكثرةُ فوائدِكم !

[الوليد بن عبد الملك وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال : كتب الوليد بن عبد

---

1 ل : حتى مسّ بركبتيه ركبتيه .

الملك إلى عامل مكّة أن أَشْخِص إليّ ابن سريج ، فأَشخَصَه . فلمّا قَدِم مكثَ أيّاماً لا يدعو به ولا يلتفت إليه . قال : ثم إنّه ذَكَره ، فقال : ويلَكم ، أين ابن سريج ؟ قالوا : هو حاضرٌ . قال : عليَّ به . فقالوا : أجِبْ أمير المؤمنين . فتهيّأ ولَبِسَ وأقبل حتى دخل عليه فسلَّم . فأشار إليه أنْ اجلِسْ ، فجلس [بعيداً] . فاستدناه فدنا حتى كان منه قريباً ، وقال : وَيْحَكَ يا عُبَيد ! لقد بلغني عنكَ ما حملني على الوِفادة بك من كثرة أدبِك وجَودة اختيارك مع ظَرف لسانك وحلاوة منطقك ومجلسك . فقال : جُعِلتُ فداءَك يا أمير المؤمنين ! «تسمعُ بالمُعيديّ خيرٌ من أن تَراه» . قال الوليد : إنّي لأَرجُو ألاّ تكون أنت ذاك ، ثم قال : هاتِ ما عندك . فاندفع ابن سريج فغنّى بشعر الأحوص[1] : [من الطويل]

أمَنزلَتَيْ سَلْمَى على القِدَمِ اسْلَما ... فقد هِجْتُما للشوقِ قلباً متيَّما
وذَكَّرْتُما عَصْرَ الشَّبابِ الذي مضى ... وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قد تَجَذَّما
وإنّي إذا حَلَّتْ بِبِيشٍ مقيمَةً ... وحَلَّ بوجٍّ جالساً أو تَتَهَّما[2]
يَمانِيَةٌ شَطَّتْ فأصبحَ نَفْعُها ... رَجاءً وظَنّاً بالمَغيبِ مُرَجَّما
أُحِبُّ دُنُوَّ الدارِ منها وقد أَبَى ... بها صَدْعُ شَعْبِ الدار إلاّ تَثَلُّما
بَكاها وما يَدْرِي سوى الظَّنِّ مَنْ بكى ... أحيّاً يُبَكّي أم تُراباً وأعظُما
فدَعْها وأَخلِفْ للخليفةِ مِدْحَةً ... تُزِلْ عنكَ بُؤْسَى أوَ تُفِيدُكَ أَنْعُما[3]
فإنّ بكَفَّيْه مَفاتيحَ رحمةٍ ... وغيْثَ حَيّاً يَحيا به الناس مُرْهِما[4]
إمامٌ أتاه المُلْكُ عفواً ولم يُثِبْ ... على مُلْكِه مالاً حَراماً ولا دما
تَخيَّرَهُ ربُّ العِبادِ لخَلْقِه ... وَلِيّاً وكان اللهُ بالناسِ أَعْلَما
فلمّا قَضاه اللهُ لم يَدْعُ مُسْلِماً ... لبَيْعَتِه إلاّ أجابَ وسَلَّما
يَنالُ الغِنَى والعِزَّ مَنْ نالَ وُدَّه ... ويَرْهَبُ موتاً عاجلاً مَنْ تَشأما

فقال الوليد : أحسنتَ واللهِ وأحسنَ الأحوصُ ؛ عليّ بالأحوص . ثم قال : يا عُبَيد هِيهْ ؛ فغنّاه بشعر عَدِيّ بن الرِّقاعِ العامليّ يمدح الوليد[5] : [من البسيط]

---

1 شعر الأحوص : 195–196 (صنعة عادل سليمان جمال) ، القاهرة 1970 .

2 بيش : هي بيشة وكانت قديماً من مخاليف اليمن . وج : اسم واد بالطائف . جالساً أي نازلاً الجلس وهو من نجد . تتهّم : نزل تهامة .

3 أنعما في ل : مغنما .

4 مرهما : يجود بالرهام أي المطر .

5 ديوان عدي بن الرقاع : 216–221 (الدكتورين القيس والضامن) ، بغداد 1987.

صوت

طـارَ الكَـرَى وألَمَّ الهَمُّ فاكْتَنَعا ... وحِيلَ بَيْني وبَيْنَ النَّوْمِ فامتنعا[1]
كان الشَّبابُ قِناعـاً أسْتَكِنُّ به ... وأسْتَظِلُّ زمانـاً ثُمَّـتَ انْقَشَعا
فاسْتَبْدَلَ الرأسُ شَيْباً بعد داجِيَةٍ ... فَيْنانةٍ ما تَرى في صُدْغِها نَزَعا[2]
فإن تَكُنْ مَيْعةٌ من باطِلٍ ذهَبَتْ ... وأَعْقَبَ اللهُ بعـد الصَّبْوةِ الوَرَعا
فقد أَبِيتُ أُراعِي الخَـوْدَ راقِـدةً ... على الوَسائِدِ مسروراً بهـا وَلِعا[3]
بَرّاقةَ الثَّغْـرِ تَشْفِي القلبَ لَذَّتُها ... إذا مُقَبِّلُهـا في ريقِهـا كَرَعا
كالأُقْحُوانِ بضاحِي الرَّوْضِ صَبَّحه ... غَيْثٌ أَرَشَّ بتَنْضاحٍ ومـا نَقَعا
صَلَّى الذي الصَّلواتُ الطَّيِّباتُ له ... والمؤمِنون إذا مـا جَمَّعُوا الجُمَعا
على الذي سبَق الأقـوامَ ضاحِيَةً ... بالأَجْرِ والحَمْدِ حتى صاحباه معا
هـو الذي جَمـع الرحمنُ أُمَّتَه ... على يَدَيْـه وكانوا قبلَـه شِيَعا
عُذْنا بذي العَرْشِ أن نَحْيا ونَفْقِدَه ... وأنْ نكـونَ لِـراعٍ بعـدَه تَبَعا
إنّ الوليـدَ أميرَ المؤمنين لـه ... مُلْكٌ عليـه أعـانَ اللهُ فارتَفَعا
لا يَمْنَع الناسُ ما أَعْطى الذين هُم ... لـه عِبـادٌ ولا يُعْطُونَ مـا منَعا

فقال له الوَليد : صدقتَ يا عُبَيد ! أنَّى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو غيرَ هذا قلتَ لأحسنتُ أدبَك . قال ابن سريج : ذلك فضلُ اللهِ يُؤتِيه مَن يشاءُ . قال الوليد : يزيد في الخلق ما يشاء . قال ابن سريج : هذا من فَضلِ رَبِّي لِيَبْلُوَني أأشكُرُ أم أكفر .

قال الوليد : لَعِلْمُك واللهِ أكبرُ وأعجبُ إليَّ من غِنائك ! غنِّني . فغنَّاه بشعر عَدِيّ بن الرِّقاع العامليّ يمدح الوليد[4] : [من الكامل]

عرَف الدِّيـارَ تَوَهُّمـاً فاعتادَها ... من بعدِ مـا شَمِلَ البِلى أَبْلادَها
ولرُبَّ واضحـةِ العَوارِضِ طَفْلةٍ ... كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بهـا أوتادَها[5]

1 الكتنع : حضر .
2 نزع : صلع خفيف .
3 أراعي في ل : أناغي .
4 ديوان عدي بن الرقاع : 82–95 .
5 طفلةً في ل : برزة .

إنّي إذا ما لم تَصِلْنِي خُلّتي ... وتباعَدتْ منّي اغتفرتُ بِعادَها
صلّى الإلهُ على امرىءٍ ودّعْته ... وأَتَمَّ نِعْمتَه عليه وزادَها
وإذا الرَّبيعُ تتابعتْ أَنْواؤُه ... فسَقى خُناصِرَةَ الأحَصِّ فجادَها[1]
نَزلَ الوَليدُ بها فكان لأهلِها ... غَيْثاً أغاثَ أنيسَها وبلادَها
أوَ لا تَرى أنّ البَريَّةَ كلَّها ... ألقتْ خَزائِمَها إليه فقادَها
ولقد أرادَ اللهُ إذ وَلاّكَها ... من أُمَّةٍ إصلاحَها ورَشادَها
أعمَرْتَ أرضَ المسلمينَ فأَقْبَلَتْ ... وكَفَفْتَ عنها مَنْ يَرُومُ فسادَها
وأصَبْتَ في أرضِ العَدُوِّ مُصِيبةً ... عَمَّتْ أَقاصيَ غَوْرِها ونجادَها
ظَفَراً ونَصْراً ما تناولَ مثلَه ... أحدٌ من الخُلَفاءِ كان أرادَها[2]
فإذا نَشَرْتُ له الثناءَ وجدتُه ... جَمعَ المَكارِمَ طِرْفَها وتِلادَها

فأشار الوليدُ إلى بعض الخدم ، فغَطَّوْه بالخِلَع ووضعوا بين يديه كيساً من الدّنانير وبِدَراً من الدَّراهم ، ثم قال الوليد بن عبد الملك : يا مولى بني نَوفل بن الحارث ، لقد أُوتِيتَ أمراً جَليلاً . فقال ابن سريج : وأنت يا أمير المؤمنين ، لقد آتاك الله مُلْكاً عظيماً وشرفاً عالياً ، وعِزّاً بَسَط يدَك فيه فلم يَقبضْه عنكَ ولا يفعلُ إن شاء الله . فأدام الله لكَ ما ولاّك ، وحَفِظَك فيما استَرْعاك ؛ فإنّك أهلٌ لِما أَعطاك ، ولا نَزعه منك إذ رآكَ له موضِعاً . قال : يا نَوْفَليُّ ، وخَطِيبٌ أيضاً ؟ قال ابن سريج : عنك نطقتُ ، وبلسانكَ تكلَّمْتُ ، وبعزِّك بيَّنْتُ . وقد كان أمر بإحضار الأَحْوَص بنِ محمد الأنصاريّ وعَدِيّ بن الرِّقاع العامِلِيّ . فلمّا قَدِما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج ، فأُنزلا منزلاً إلى جَنْبِ ابنِ سريج . فقالا : والله لَقُرْبُ أميرِ المؤمنين كان أحبَّ إلينا من قربك يا مولى بني نوفل ، وإنّ في قُربك لَما يَلَذُّنا ويَشْغَلُنا عن كثيرٍ مما نُريد . فقال لهما ابن سريج : أوَ قِلَّةُ شكرٍ ؟ فقال له عديّ : كأنّكَ يا ابن اللَّخناء تَمُنُّ علينا ! عليَّ وعليَّ إن جَمعنا وإيّاك سقْفُ بيتٍ أو صحنُ دارٍ إلاّ عند أميرِ المؤمنين . وأمّا الأحوص فقال : أوَ لا تحتمل لأبي يحيى الزَّلَّةَ والهَفْوة ؟ وكفّارة يمين خيرٌ من عدمِ المَحبَّة ، وإعطاء النَّفْسِ سُؤْلَها خيرٌ من لَجاجٍ في غير منفعة ! فتحوّل عَديٌّ ، وبَقي عنده الأحوص . وبلغَ الوليدَ ما جرى بينهم ، فدَعا ابن سريج وأدخله بيتاً وأَرخى دونه سِتراً ، ثم أمره إذا فرَغ الأحوص وعديٌّ من كلمتيهما أن يُغَنّيَ . فلمّا دخلا وأنشداه مدائح فيه ، رفع ابن سريج

1 خناصرة : بلدة قرب قنسرين في الشام ، وأضافها إلى الأحص وهو مرج قريب منها .
2 هذا البيت آخرها في ل .

صوته من حيث لا يَرَوْنه وضرب بعُوده . فقال عديٌّ : يا أمير المؤمنين ، أتأذَنُ لي أن أتكلَّم ؟ فقال : قل يا عامليّ . قال : أمثِلُ هذا عند أمير المؤمنين ، ويبعثُ إلى ابن سريج يتخطّى به رِقابَ قريشٍ والعرب من تِهامة إلى الشام ، ترفعه أرضٌ وتَخفِضه أُخرى فيقال : مَن هذا ؟ فيقال : عُبيد بن سريج مولى بني نوفلٍ بعثَ أمير المؤمنين إليه ، ليسمَعَ غناءَه ؟ فقال : ويحك يا عَدِيّ ! أوَلا تعرفُ هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعتُه قطُّ ولا سمعتُ مثلَه حُسناً ، ولولا أنّه في مجلس أمير المؤمنين لقلت : طائفةٌ من الجنِّ يتغنَّون . فقال : اخرُج عليهم ، فخرج فإذا ابن سريج . فقال عديّ : حُقَّ لهذا أن يُحمل ؛ حُقَّ لهذا أن يُحمل ؛ ثلاثاً ، ثم أمر لهما بمثلِ ما أمر به لابن سريج ، وارتحل القوم . وكان الذي غنَّاه ابن سريج من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة[1] : [من السريع]

باللهِ يـــا ظَبْيَ بنـــي الحارثِ هل مَنْ وَفَى بالعَهْدِ كالنّاكِثِ
لا تَخْدَعَنّـــي بالمُنَـــى باطِلاً وأنت بـــي تَلعَـــبُ كالعابثِ
حتَّى متـــى أنـــتَ لنـــا هكذا نَفْسي فِـــداءٌ لكَ يـــا حارِثي
يا مُنْتَهـــى هَمِّي ويـــا مُنْيتي ويـــا هَوَى نفسي ويا وارِثي

[عتاب ابن سريج في الغناء ثم الرجوع بعد السماع]

قال : وبلغني أنّ رجلاً من [الأشراف من] قريش من مَوالي ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه ، وقال له : لو أقبلتَ على غيره من الآداب لكان أزينَ بمواليك وبك ؛ فقال : جُعِلتُ فِداك ، امرأتُه طالقٌ إن أنتَ لم تدخل الدار . فقال الشيخ : ويحك ، ما حَملك على هذا ؟ قال : جُعِلتُ فِداك قد فعلتُ . فالتفتَ النوفليّ إلى بعض من كان معه متعجِّباً ممّا فعل . فقال له القوم : قد طَلُقت امرأتُه إن أنت لم تدخل الدار . فدخل ودخل القوم معه . فلمّا توسَّطوا الدار قال : امرأته طالقٌ إن أنت لم تسمع غنائي . قال : اعزُبْ عنّي يا لُكَعُ ، ثم بَدَر الشيخ ليخرج . فقال له أصحابه : أتُطَلِّق امرأته وتحمل وِزْرَ ذلك ؟! قال : فوِزْرُ الغناء أشدُّ . قالوا : كَلاَّ ما سَوَّى الله عزّ وجلّ بينهما . فأقام الشيخ مكانه . ثم اندفع ابن سريج يغنّي في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب : [من مجزوء الوافر]

أَلَيْسَتْ بالّتي قالتْ لمــولاةٍ لَهــا ظهرا
أشِيري بالسَّلامِ لــهُ إذا هُــو نحوَنا خَطَرا

---

1 ديوان عمر : 78 .

وقُولِـي في مُلاطفةٍ لِزينبَ نوّلـي عمرا
أهـذا سِحرُكِ النِّسوا نَ قد خَبَّرَني الخبرا

فقال للجماعة : هذا واللهِ حسنٌ ، ما بالحجاز مثلُه ولا في غيره . وانصرفوا .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعي قال : قال عبد الله بن عُمَير اللّيثيّ لابن سريج : لو تركتَ الغناء ، وعاتبه على ذلك . فقال : جُعِلتُ فِداك ، لو سمعته ما تركته . ثم قال : امرأته طالق ثلاثاً إن لم تدخل الدار حتى تسمعَ غِنائي . فالتفت عبد الله إلى رفيقٍ له كان معه فقال : ما تنتظِر ؟ ادخل بنا وإلاّ طَلَقتِ امرأةُ الرجل . فدخلا مع ابن سريج ، فغنّى بشعرِ الأحوص : [من المتقارب]

صوت

لقدْ شاقَكَ الحيُّ إذ وَدَّعوا فعَينُك في إثْرِهِم تَدْمَعُ
ونـاداكَ للبَيْـنِ غِرْبانُـه فَظِلْـتَ كأنَّك لا تَسمَعُ

ثم قال : امرأتُه طالقٌ ثلاثاً إن أنت لم تستَحْسِنه لأَتْرُكَنَّه . فتبسَّم عبد الله وخرج .

نسبةُ ما في هذه الأخبار من الأصوات

منها : الصوتُ الذي أوّلُه في الخبر : [من الخفيف]

جَدّدِي الوَصْلَ يا قريب وجُودِي

أوّلُه[1] : [من الخفيف]

صوت

إنَّ طَيْفَ الخَيالِ حينَ أَلَمَّا هاجَ لي ذُكْرةً وأحدثَ هَمَّا
جَدِّدِي الوَصْلَ يا قريبَ وجُودِي لُمِحبٍّ فِراقُه قد أَلَمَّا
ليس بينَ الحياةِ والموتِ إلاّ أن يَرُدُّوا جِمالَهم فتُزَمَّا[2]
ولقد قُلْتُ مُخِيفاً لِغَريضٍ هل ترى ذلك الغَزالَ الأَجَمَّا[3]
هل تَرى مثلَه من الناسِ شَخْصاً أكملَ الناسِ صورةً وأَتَمَّا[4]

1 ديوان عمر : 393 .
2 والموت في ل : الرحيل والسير (حيث وردت) .
3 الأجم : الذي ليس له قرنان .
4 الناس في ل : اليوم .

عَرُوضُه من الخفيف . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه للغريض أيضاً ثقيل أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزُّبير قال : أُنشِدَ جعفرُ بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام قول عمر : [من الخفيف]

ليس بـينَ الحياةِ والموتِ إلاّ أن يَـرُدُّوا جِمالَهـم فتُــزَمَّا

فطَرِبَ وارتاح وجعل يقول : لقد عَجَّلوا البيْنَ ، أفلا يُوكُون قِربةً ! أفلا يُودِّعون صديقاً ! أفلا يشُدُّون رَحْلا ؟ حتى جَرت دموعُه .

وحدّثنا الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير فذكر مثله . ومنها : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الرَّحِيل وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عَهْدِكم يومُ الرَّحِيل فعلتُ ما لم أفعَلِ[1]

عَروضه من الكامل . الشعر لجرير ، والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن ابن المَكِّيّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبُه إلى أحد . وفيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكّي أيضاً . وممّا يُشَكّ فيه أنّه لمعبد أو لكَرْدَم ابنِه في البيت الثاني والأوّل ثاني ثقيل . ولعَرِيبَ في هذين البيتين لحنٌ من رواية ابن المعتزّ غير مجنَّس . ومنها : [من الطويل]

صوت

أمَنزِلَتَيْ سَلْمى على القِـدَمِ اسلَما فقـد هِجْتُمـا للشوقِ قلباً مُتَيَّما

وذَكَّرتُما عصرَ الشَّبابِ الذي مضَى وجِـدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قـد تَجَذَّما

عَروضه من الطّويل . والشعرُ للأحوص ، والغناء لكَردمٍ ثاني ثقيل بالوسطى ، وقيل : إنّ هذا الثقيل الثاني لمحمد الرَّفّ ، وإنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّلِ لكَرْدَم . ومنها : [من الكامل]

صوت

عرَفَ الديارَ توهُّماً فاعتادَها من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلى أبْلادَها

إلاّ رَواكِدَ كُلُّهنّ قَدِ اصْطَلى حَمْراءَ أكثرَ أهلُها إيقادَها[2]

عَروضه من الكامل . الشعر لعَدِيّ بن الرِّقاع العامليّ ، والغناء لابن مُحرز ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لمالكٍ ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرٍو . وفيه لحنٌ لإبراهيم ،

---

1 الرحيل في ل : الفراق .

2 رواكد : صفة للأثافي . أكثر في ل : أشعل .

وفي هذه الأخبار أنّه لابن سريج ، وذكر حمّاد في كتاب ابن مُحرزٍ أنّه ممّا يُنسب إلى ابن مِسجَح [أو إلى ابن مُحرزٍ] . ومنها : [من السريع]

صوت

بالله يا ظَبْـيَ بنـي الحارثِ هل مَنْ وَفَى بالعهدِ كالنّاكِثِ
لا تَخْدَعَنّـي بالمُنَـى باطِـلاً وأنتَ بـي تلعَـبُ كالعابِثِ

عَروضه من السريع . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ولحنُه خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لسِياطٍ . وذكر الهشاميّ وبَذْلُ أنّ فيه لإبراهيم المَوصليّ لحناً آخر . وفيه خفيف رملٍ بالبِنصر ذكر حبشٌ أنّه لإبراهيم بن المهديّ ، وغيرُه ينسبه إلى إسحاق . ومنها :

صوت

وهو الذي أوّله في الخبر : [من مجزوء الوافر]

أليستْ بالتـي قالـتْ لمولاةٍ لهـا ظهرا
تَصابَى القلبُ فادَّكَرا هَواه ولم يَكُـن ظَهَرا[1]
لزينبَ إذ تُجِـدُّ لنـا صَفاء لم يَكُـنْ كَدِرا
أليستْ بالتـي قالـتْ لمـوْلاةٍ لها ظهـرا
أَشيري بالسَّلامِ لـه إذا هـو نحوَنـا نَظَرا
وقُـولي في مُلاطَفـةٍ لزينـبَ نَـوِّلي عُمَـرا
فهـزَّتْ رأسَها عَجَبـاً وقالتْ مَـنْ بِذا أمَرا
أهـذا سِحْـرُكِ النِّسْوا نَ قـد خَبَّرْنَني الخَبَرا
طَرِبْتَ وردّ مَنْ تَهْوى جَمـالُ الحَـيِّ فابتكَرا
فقُلْ للبَرْبَرِيَّـةِ لا تَلُومي القلبَ إن جَهَرا[2]
بَطِرْتَ وهكـذا الإنسا نُ ذو بَطَـرٍ إذا ظَفِرا
فأيـنَ العَهْـدُ والميثا قُ لا تُخْبِرْ بنـا بَشَرا

1 ديوان عمر : 194–195 وهي هنا أكمل ولعلّها هنا ملفّقة من قصائد متعدّدة إذا صحّ توزيع القصائد في الديوان .

2 القلب في ل : الصب .

عَروضه من الوافر . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيف ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وللغريض في السابع والثامن والأوّل لحنٌ من القَدْر الأوسط من الثّقيل الأوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق . ولمعبدٍ في هذه الأبيات كلِّها لحنٌ عن يونسَ ودنانيرَ ولم يُجنِّساه ، وذكَر الهشاميّ أنّه خفيف ثقيلٍ . وفي السابع والثامن والتاسع رملٌ لِدَحْمان ، ويقال إنّه للزُّبير ابنه . ولمالك لحنٌ أوّلُه : [من مجزوء الوافر]

صوت[1]

لقـــدْ أرسلتُ جارِيَتي   وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ
وقُولِـــي في مُلاطَفةٍ   لزينـــبَ نَـوّلي عُمَرَكْ
فهـزَّتْ رَأسَها عَجَبـاً   وقالتْ مَن بـــذا أمَرَكْ
أهـــذا سحـرُك النسوا   نَ قـــد خبّرنني خبرَكْ

ولحنُ مالك هذا خفيف ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابن المكّيّ . وهكذا يروي الشعر ويجعل قوافِيَه كلَّها على الكاف . وفي هذه الأبيات بعينها على هذه القافية خفيف رملٍ يُنسب إلى ابن سريج وإلى الغريض . وذكر حبشٌ أنّ فيه لمعبد لحناً من الرَّمل أوّله الثالث من الأبيات الأوّل المذكورة .

رجع الخبر إلى سياقَة أحاديث ابن سُرَيج

[ابن سريج أحسن الناس غناء]

أخبرنا يحيى بن عليّ ووكِيعٌ وجَحظة قالوا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قال لي الفَضْل بن يحيى : سألتُ أباكَ ليلةً وقد أخذ منه الشراب عن أحسن الناس غِناءً ، فقال لي : مِنَ النساءِ أم من الرجال ؟ قلتُ : مِنَ الرجال . قال : ابن مُحرز . فقلت : فمِن النساء ؟ قال : ابن سريج . قال إسحاق لي : ويقال أحسن الرجال غناءً من تَشَبَّه بالنساء ، وأَحسنُ النساء غناءً من تشبَّه بالرجال . قال يحيى بن عليّ خاصّة : ثم كان ابن سريج كأنّه خُلِق من قلبِ كلٍّ واحد ، فهو يُغنِّي له بما يَشتهي .

[ابن سريج ببعض أندية مكّة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن الهيثم بن عديّ قال : قال ابن

1 ديوان عمر : 213 .

سريج : مرَرْتُ ببعضِ أندية مكّة وفيه جماعةٌ ، فحَصِرْت فقلت : كيف أَجُوزُهم مع تَعَبِي وما أنا فيه ؟ فسمِعْتُهم يقولون : قد جاء ابن سريج ، فقال بعضهم مِمَّن لم يَعْرِفْني : ومَنِ ابن سريج ؟ فقال : الذي يغنّي : [من مجزوء الوافر]

أَلا هَــلْ هاجَكَ الأظعا نُ إذ جــاوَزْنَ مُطَّلَحا

قال ابن سريج : فلمّا سمِعْتُ ذلك قَوِيَتْ نفسي واشتدّت مُنَّتِي ، ومررتُ بهم أَخطِر في مُصبَّغاتِي . فلمّا حاذَيْتُهم قاموا بأجْمَعِهم فسلَّموا عليَّ ، ثمّ قالوا لأحداثِهم : امْشوا مع أبي يَحيى .

[ابن سريج مع فتية من بني مروان]

وقد حدّثني عمِّي بهذا الخبر فقال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن سَلاَّم عن جرير قال : قال لي ابن سريج : دعاني فِتْيَةٌ من بني مروانَ ، فدخلتُ إليهم وأنا في ثياب الحِجاز الغِلاظ الجافية ، وهم في القُوهِيِّ والوَشْيِ يَرفُلون كأنّهم الدّنانير الهِرَقْلِيَّة ، فغنَّيتُهم وأنا محتقِرٌ لنفسي عندهم لَحناً لِي ، وهو : [من الطويل]

صوت

أَبِالفُرْعِ لم تَظْعَنْ مع الحيِّ زينبُ بنَفْسِي من النَّأْيِ الحَبِيبُ المُغَيَّبُ
بوَجْهِكِ عن مَسِّ التُّرابِ مَضَنَّةٌ فلا تَبْعَدي إذ كلُّ حَيّ سيَعْطَبُ

ولحن ابنِ سريج هذا رمل بالخِنصر في مجرى البِنصر . قال : فتضاءلوا في عَيْني حتى ساوَيْتُهم في نفسي لما رأَيْتُهم عليه من الإعظام لي . ثم غنَّيتُهم : [من الكامل]

وَدِّعْ لُبابَــةَ قبلَ أن تَترحَّـلا واسأَلْ فإن قُلالَــةَ أن تَسْألا

فطَرِبوا وعظَّموني وتواضَعوا لي ، حتى صِرتُ في نفسي بمَنزلتهم لِما رأيتُهم عليه ، وصاروا في عيني بمَنْزِلَتِي . ثم غنَّيتهم : [من مجزوء الوافر]

أَلاَ هَـلْ هاجَـكَ الأَظْعـا نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحـا

فطَرِبوا ومَثَلوا بين يديَّ ورَموا بحُلَلِهم كلِّها عليّ حتى غَطَّوني بها ؛ فمثَّلَتْ لي نفسي أنّها نفسُ الخليفة وأنّهم لي خَوَلٌ ؛ فما رفعتُ طَرفي إليهم بعد ذلك تِيهاً . وقد مضت نسبةُ «ودِّعْ لُبابَةَ» في أخبار عمر بن أبي ربيعة وغيره . وأمّا :

أَلا هَـلْ هاجَكَ الأَظْعا نُ...............

فنذكر نسبته : [من الوافر]

نسبة هذا الصوت

صوت

أَلاَ هَـلْ هاجَكَ الأظعا ... نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحا
نَعَـمْ ولوَشْكِ بينهِـمُ ... جَـرى لكَ طائرٌ سُنُحا
أَجَزْنَ الماءَ مـن رَكَكٍ ... وضوءُ الفَجْرِ قد وَضَحا[1]
فقُلْـنَ مَقِيلُنـا قَـرْنٌ ... نُباكِـرُ مـاءَه صُبُحا
تَبِعْتُهمُ بطَـرْفِ العَيْـ ... ـنِ حتَّى قِيلَ لي افتَضَحا
يُـوَدِّع بَعْضُنـا بعضاً ... وكلٌّ بالهَـوَى جُـرِحا
فمَـنْ يَفْـرَحْ ببَيْنِهِـمُ ... فغَيْري إذ غَـدَوْا فَرِحا

عروضه من الوافر . الشِّعر لأبي دَهبَلٍ الجُمَحِيِّ[2] والغناء لمالكٍ وله فيه لحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرٍو . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالخِنصر في مجرى الوسطى . ولابن سريج في الخامس وما بعده ثقيلٌ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه الغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ .

[مدح جرير ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قَدِمَ جريرٌ المدينة أو مكّة فجلس مع قومٍ ، فجعلوا يَعرِضون عليه غناء رجلٍ رجلٍ من المغنِّين ، حتى غنَّوه لابن سريج ، فطَرِب وقال : هذا أحسنُ ما أسمعتُمُوني من الغناء كلِّه . قالوا : وكيف قلتَ ذاك يا أبا حَزْرة ؟ قال : مَخْرَجُ كلِّ ما أسمعتموني من الغناء من الرأس ، ومَخرج هذا من الصَّدر .

[تحكيم الأفلح المخزوميّ في غناء قينتين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسمِ بن مَهْرُويه قال حدّثني أبي قال حدثني إبراهيم بن محمدٍ الشافعيّ قال : جاء سندة الخيَّاط المغني إلى الأفلح المخزوميّ ، وكان يوصَف بعقلٍ وفَضْلٍ ، فقال له : من أين أقبلتَ ؟ وإلى أين تَمضي ؟ فقال : إليكَ قصَدْتُ من مجلسٍ لبعضِ القُرَشِيِّين أقبلت مُحاكِماً إليكَ . قال : فيماذا ؟ قال : كنتُ عند هذا الرجلِ وحَضَرتْ مجلسَه رَقْطاءُ الحَبَطِيِّين ، وصفراءُ العَلْقَمِيِّين ، فتناوَلَتا بينهما رَمَل ابنِ سريج : [من الرمل]

---

1 رَكَك : موضع بجبل طيء المسمّى «سلمى» .

2 سبق أن نسبه إلى عمر بن أبي ربيعة وانظر ديوانه ص 84 . وينسب أيضاً إلى جعفر بن الزبير وعبد الرحمن بن أرطاة .

ليتَ شِعْرِي كيفَ أَبْقى ساعةً ... مع ما أَلْقى إذا الليلُ حَضَرْ
من يَذُقْ نوماً ويَهْدأْ ليلُه ... فلقد بُدِّلْتُ بالنومِ السَّهَرْ
قلتُ مَهْلاً إنّها جِنِّيَّةٌ ... إن تُخالِطْها تَفُزْ منها بشَرّ[1]

فغَنَّتاه جميعاً ، واختلفنا في تفضيلهما ، ففضَّل كلُّ فريقٍ منّا إحداهما ، فرَضِينا جميعاً بحُكْمِك ، فاحكُمْ بيننا وبينهما . قال : فوجَم ساعةً ، وأهلُ الحِجاز إذا أرادوا أن يَحْكُموا تأمَّلوا ساعةً ثم حكَمُوا ، فإذا حكَم المحكَّمُ مضى حكمُه كائناً ما كان ، ففضَّل مَن فضَّله وأَسْقَطَ مَن أَسقطَه ، إذا تَراضى الخَصْمانِ به ، فكَرِهَ الأَفْلَحُ أن يُرضِي قوماً ويُسْخِطَ آخرينَ ، فقال لسندة : صِفْهُما أنتَ لي كيفَ كانتا إذ غَنَّتاه واشرَح لي مذهبهما فيه كما سمعتَ ، وأنا أَحْكُم بعد ذلك . فقال سندة : أما جارية الحَبَطِيِّين ، فإنّها كانت تَلوكُ لحنَه كما يلوك الفرسُ العتيقُ لِجامه ، ثم تُلقيه في هامةٍ لَدْنةٍ ثمّ تُخرجه من مَنخرٍ أَغَنّ[2] ، واللهِ ما ابتدأتْه فتوسَّطَتْه وأنا أَعقِل ، ولا فرَغتْ منه فأَفَقتُ إلاّ وأنا أظُنُّ أنّي رأيتُه في نومي . وأمّا صفراءُ العَلْقَمِيِّين ، فإنّها أَحْسَنُهما حَلْقا ، وأَصَحُّهما صوتاً ، وأَبْيَنُهُما تَثَنِّياً ، واللهِ ما سَمِعها أحدٌ قطُّ فانتفع بنفسِه ولا دينِه .

هذا ما عندي ، فاحكُمْ أنت يا أخا بَني مَخزومٍ . فقال : قد حكمتُ بأنّهما بمنزلة العينين في الرأس ، فبأيِّهما نظرتَ أبصرتَ ، ولو كان في الدنيا من عُبَيد بن سريج خَلَفٌ لكانتا . قال : فانصرَفُوا جميعاً راضِين بحُكْمه .

[ثناء جرير المدينيّ على ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم قال : سألتُ جَريراً المَدِينيّ عن ابن سريج ، فقال : أتذكُره وَيحَك باسمه ، ولا تقول : سَيِّدُ مَنْ غَنّى وواحدُ مَنْ ترنَّم !

[ثناء الشعبيّ عليه]

قال حمّاد وحدّثني أبي عن هارون[3] بن مُسلم عن محمد بن زهير السَّعديّ الكوفيّ عن أبي بَكْر بنِ عَيَّاش عن الحسن بن عمرو الفُقَيميّ قال : دخلتُ على الشعبيّ ، فبينا أنا عنده في غُرفته ، إذ سمعتُ صوتَ غِناء ، فقلتُ : أهذا في جِوارِك ؟ فأَشْرف بي على منزِله ، فإذا بغلامٍ كأنّه فِلْقَةُ قمرٍ وهو يَتَغنّى . قال إسحاق : وهذا الغناء لابن سريج : [من الخفيف]

وقُميرٌ بَدا ابن خمسٍ وعشريـ ... ـن لـه قالت الفتاتانِ قُوما

1 تفز في ل : تُصَبْ .
2 ل : أرن .
3 ل : مروان .

قال : فقال لي الشَّعْبِيُّ : أتعرِف هذا ؟ قلتُ لا . فقال : هذا الذي أُوتِيَ الحُكْمَ صَبِيّاً ، هذا ابن سريج .

[ثناء ابن سريج على نفسه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال : حدّثني الهشاميّ الربعيّ عن إسحاق المَوصليّ قال : تغنّى ابنُ سريج في شعرٍ لعمرَ بن أبي ربيعة وهو[1] : [من الرجز]

صوت

خانَكَ مَنْ تَهْوى فلا تَخُنْهُ وكُنْ وَفِيّاً إن سَلَوْتَ عنهُ
واسلُكْ سَبِيلَ وَصْلِه وصُنْه إن كان غَدّاراً فَـلا تَكُنْهُ
عسى تَبارِيحُ تَجِـيءُ منه فيرجِـعَ الوَصْلُ ولم تَشِنْهُ

قال المَكِّيُّون : قال ابن سريج : ما تغنَّيْتُ بهذا الشعر قطُّ إلاّ ظننتُ أنّي أُحَلُّ محلَّ الخليفةِ .

قال مؤلّف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهانيّ : وجدت في هذا الشعرِ لحَنَيْن : أحدُهما ثقيلٌ أوّلُ والآخر رَمَلٌ ، مجهولَيْن جميعاً ، فلا أَدري أيُّهما لحنُه .

[وصف ابن سريج للمغني المحسن]

ونسَخْتُ من كتاب العَتَّابيّ : أخبرني عَونُ بن محمد قال حدّثني عبد الله بن العباس بن الفَضْلِ بن الرَّبيع عن جدّه الفَضْل عن ابن جامع عن سِياطٍ عن يونُس الكاتب عن مالك بن أبي السَّمح قال : سألتُ ابن سريج عن قول الناس : فلان يُصيب وفلان يُخطىء ، وفلان يُحسِن وفلان يُسيىء ؛ فقال : المصيب المحسنُ من المغنِّين هو الذي يُشْبِع الألحـانَ ، ويَمْلأُ الأنفاس ، ويُعَدِّل الأوزان ، ويُفَخِّم الألفاظ ، ويَعرِف الصواب ، ويُقيم الإعراب ، ويستوفي النَّغَم الطِّوال ، ويُحسِّن مقاطيع النَّغَم القِصار ، ويُصِيبُ أجناس الإيقاع ، ويَختلسُ مواقع النَّبرات ، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النَّقَرات . فعرَضْتُ ما قال على معبدٍ ، فقال : لو جاء في الغناء قرآنٌ ما جاء إلاّ هكذا .

[يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة المغنّية]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال حدّثني الزُّبير ابن بَكَّار عن ظَبْيَةَ : أنّ يزيد بن عبد الملك قال لحَبابة يوماً : أتعرفين أحداً هو أطربُ منِّي ؟ قالت . نعم ، مولاي الذي باعني . فأمر بإشخاصه فأُشخص إليه مقيَّدًا . وأُعلم بحاله فأُذن في إدخاله ، فمثَل بين يديه وحَبابة وسَلاَّمة تُغنّيان ؛ فغنّته سلاَّمة لحن الغريض في : [من المتقارب]

1 ديوان عمر : 440 .

تَنشُطُ غداً دارُ جيراننا

فطرِبَ وتحرّك في أقياده . ثم غنّته حبابةُ لحن ابن سريج المجرّد في هذا الشعر ، فوثَب وجعل يَحجُلُ في قيده ويقول : هذا وأبيكما ما لا تعذُلاني فيه ، حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت ، وجعل يصيح : الحريقَ الحريقَ يا أولاد الزِّنا . فضحك يزيد وقال : هذا والله أطرب الناس حقّاً ، ووصله وسرَّحه إلى بلده .

[سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا فضلٌ اليزيديّ عن إسحاق : أنّ ابن سريج كان جالساً ، فمرّ به عطاءٌ وابن جُريج . فحلفَ عليهما بالطَّلاق أن يُغنّيهما ، على أنّهما إن نهياه عن الغِناء بعد أن يسمعا منه تركه . فوقفا له وغنّاهما : [من المديد]

إخوتـي لا تَبْعُدُوا أبداً ... وابلَى واللهِ قــد بَعُدُوا

فغُشيَ على ابن جُريج ، وقام عطاء فرقَص . ونسبة هذا الصوت وخبره يُذكر في موضعٍ آخر .

[غناء ابن سريج عند موقف الحاج للاستماع]

أخبرني الحسن قال حدّثنا الفضل عن إسحاق : أنّ ابن سريج كان عند بستان ابن عامرٍ يغنّي : [من مجزوء الوافر]

لِمَنْ نــارٌ بأَعْلى الخَيْـ ... ـفِ دونَ البئر ما تَخْبُو
أُرِقْــتُ لذكرِ موقعِها ... فحَنَّ لذكرِها القَلْبُ
إذا ما أخمِدتْ أُلْقِي ... عليهـا المَنْدَلُ الرَّطْبُ

فجعل الحاجُّ يركب بعضُهم بعضاً ، حتى جاء إنسانٌ من آخر القُطُرات فقال : يا هذا ، قد قطعتَ على الحاجِّ وحبستَهم ، والوقتُ قد ضاق ، فاتّقِ اللهَ وقُمْ عنهم ، فقام وسار الناس .

[ابن سريج ينال جائزة السابق في الغناء]

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن زكريا قال حدّثني يزيد بن محمد عن إسحاق المَوصِليّ : أنّ سليمان بن عبد الملك لمّا حَجَّ سبَّق بين المغنّين بَدْرَةً . فجاء ابن سريج وقد أُغلِقَ الباب ، فلم يأذَنْ له الحاجب ، فأمسك حتى سَكَتُوا وغنَّى : [من الوافر]

سَرى هَمِّي وهَمُّ المرءِ يَسْرِي

فقال سليمان : ينبغي أن يكون هذا ابن سريج ، قالوا : هو هو ، قال : أدخلوه فأُدخل فأمره بإعادة الصوت فأعاده ، فقال : خذ البدرة ، وأمر للمغنين بأُخرى .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من الوافر]

سَرى هَمِّي وهَمُّ المرءِ يَسْرِي ... وغابَ النَّجْمُ إلاّ قِيسَ فِتْرِ
أُراقِبُ في المَجَرَّة كلَّ نَجْمٍ ... تعرَّض للمَجَرَّة كيفَ يَجْرِي
لِهَمٍّ لا أزالُ لـه مُديماً ... كأنّ القلبَ أُسْعِر حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخي ولَّى حَمِيداً ... وأيُّ العَيْشِ يَصْفُو بعدَ بَكْرِ

الشعر لعُروة بن أُذَينة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه لأبي عبّاد[2] رملٌ بالوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّ هذا اللحن لصاحبِ[3] الحَرُون .

[تاريخ وفاة ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال ابن مِقَمَّةَ : دخلتُ على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه ، فقلتُ : كيف أصبحتَ يا أبا يَحيى ؟ فقال : أصبحتُ واللهِ كما قال الشاعرُ : [من الوافر]

كأنّي من تَذَكُّرِ ما أُلاقِي ... إذا ما أَظْلَمَ الليلُ البهيمُ
سَقيمٌ مَـلَّ منـه أَقْرَبُـوه ... وأَسْلَمَه المُداوِي والحَمِيمُ

ثم مات .

قال إسحاق : قال ابن مِقَمَّة : لمّا احتُضِر ابن سريج نظرَ إلى ابنته تبكي فبكى ، وقال : إنّ من أكبر هَمِّي أنتِ ، وأَخشى أن تَضيعي بَعدِي . فقالت : لا تَخفْ ؛ فما غَنَّيتَ شيئاً إلاّ وأنا أُغنِّيه . فقال : هاتي . فاندفعت تُغنِّي أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها ، فقال : قد أصبتِ ما في نفسي ، وهوَّنْتِ عليّ أمرَكِ . ثم دعا سعيدَ بن مسعود الهُذليّ فزوَّجه إيّاها ؛ فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله ؛ فهو الآن يُنسب إليه . قال إسحاق : فقال كَثِيرُ بن كَثِير السَّهْمي يرثيه : [من البسيط]

ما اللهوُ بعدَ عُبَيْدٍ حين يَخْبُرُه ... مَنْ كان يَلهو بـه منه بمُطَّلَبِ
للهِ قبرُ عُبَيدٍ مـا تضمَّن من ... لَذاذَةِ العَيْشِ والإحسانِ والطربِ

---

1 أبيات عروة بن أذينة في ديوانه ص 34 (طبعة دار صادر ، 1996 بيروت) مع بعض اختلاف .
2 ل : لابن عباد .
3 ل : لحاجب .

لولا الغَريضُ ففيه من شمائِلِهِ مَشابةٌ لم أكُنْ فيها بذي أَرَبِ[1]

قال إسحاق : وحدّثني هشام بن المُرِّيَّة أنّ قادماً قَدِمَ المدينة فسارَّ معبداً بشيء ، فقال معبدٌ : أصبحتُ أحسنَ الناس غناءً . فقلنا : أو لم تكن كذلك ؟ فقال : ألا تدرون ما أخبرني به هذا ؟ قالوا لا . قال : أعلمني أنّ عبيد بن سريج مات ، ولم أكن أحسنَ الناس غناءً وهو حَيٌّ . وفي ابن سريج يقول عمر بن أبي ربيعة : [من السريع]

صوت

قالـتْ وعَيناها تَجُودانِها صُوحِبْتَ واللهُ لكَ الرَّاعِي
يا ابنَ سُرَيج لا تُذِعْ سِرَّنا قد كُنتَ عِندي غيرَ مِذْياعِ

غنّى فيه ابن سريج من رواية يونس .

قال أبو أيّوب المَدينيّ : توُفِّيَ ابن سريج بالعِلّة التي أصابته من الجُذام بمكّة ، في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد ، بمكّة ودُفِن في موضع بها يقال له دَسْمٌ[2] .

[وقفة على قبر ابن سريج بدسم]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني هارون بن أبي بكرٍ قال حدّثني إسحاق بن يعقوب العثمانيّ مَولى آل عثمان عن أبيه قال : إنّا لبفِناءِ دار عمرو بن عثمان بالأَبطح في صُبح خامسةٍ من الثَّمان ، يعني أيام الحجّ ، قال : كنت جالساً أيّام الحجّ ، فما إن دَرَيْتُ إلاّ برجلٍ على راحلةٍ على رحل جَميلٍ وأداةٍ حسنةٍ ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنب إليها فرساً وبغلاً ، فوقفا عليّ وسألاني ، فانتسبتُ لهما عثمانيّاً . فنزلا وقالا : رجلان من أهلِك لهما حاجةٌ ونُحِبُّ أن تقضيها قبل أن نُشْدَه[3] بأمر الحَجّ . فقلتُ ما حاجتكما ؟ قالا : نريد إنساناً يَقِفُنا على قبر عُبَيد بن سرَيج . قال : فنهضتُ معهما حتى بلغتُ بهما محلَّة بني أبي قارة من خزاعة بمكّة ، وهم موالي عبيد ابن سريج ، فالتمستُ لهما إنساناً يَصحبهُما حتّى يَقِفَهما على قبره بدسْم ، فوجدتُ ابن أبي دُباكِلٍ فأنهضتُه معهما . فأخبرني بعد : أنّه لمّا وَقَفَهُما على قبره نزل أحدهما عن راحلته فحسَر عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان ، فعقَر ناقته واندفع يندبه بصوتٍ شَجِيٍّ كَلِيلٍ حَسَنٍ ويقول : [من الطويل]

1 شمائله في ل : مشابهه .
2 دسم : موضع على مقربة من مكّة .
3 نشده : نشغل .

وَقَفْنا على قبرٍ بدَسْمٍ فَهاجَنا وذكَّرنا بالعَيْشِ إذ هو مُصْحِبُ
فجالتْ بأرجاءِ الجُفُونِ سَوافِحٌ من الدَّمْعِ تَسْتَلي الذي يَتعَقَّبُ
إذا أبطأتْ عن ساحةِ الخدّ ساقَها دمٌ بعدَ دمعٍ إثْرَه يَتصَبَّبُ
فإن تُسْعِدا نَنْدُبْ عُبَيداً بعَوْلَةٍ وقَلَّ لـه منّا البُكا والتَّحَوُّبُ

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته ، وقال له القُرَشيّ : خُذ في صوت أبي يحيى ؛ فاندفع يتغنّى[1] : [من الطويل]

أَسْعِدانِـي بعَبْـرَةٍ أَسْرابِ من دُمُـوعٍ كَثِيرةِ التَّسْكابِ
إنّ أَهْلَ الحِصابِ قـد تركُوني مُولَهـاً مُولَعـاً بأهـلِ الحِصابِ
أهـلِ بيتٍ تتابَعُـوا للمَنايـا مـا على الموتِ بعدَهم من عِتابِ
فارَقُونـي وقـد علمتُ يقينـاً مـا لِمَنْ ذاقَ مِيتَةً مـن إيابِ
كَم بذاكَ الحَجُونِ من أهلِ صِدْقٍ وكُهُـولٍ أَعِفَّـةٍ وشَبـابِ
سَكَنُوا الجَزْعَ جَزْعَ بَيتِ أبي مُو سَى إلى النَّخْلِ من صُفَيٍّ السِّبابِ
فلِـيَ الويـلُ بعدَهـم وعليهـمْ صِرْتُ فـرداً ومَلَّنِـي أَصْحابِي

قال ابن أبي دُباكِلٍ : فوالله ما تَمَّم صاحبُه منها ثلاثاً حتى غُشِيَ على صاحبِه ، وأقبل يُصلح السَّرج على بغلته وهو غير مُعَرِّجٍ عليه . فسألته مَن هو ؟ فقال : رجلٌ من جُذام . قلتُ : بمن تُعرَف ؟ قال : بعبد الله بن المُنْتَشِر . قال : ولم يَزَل القُرَشيّ على حاله ساعةً ثم أفاق ، ثم جعل الجذامي ينضحُ الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له : أنت أبداً مَصبوبٌ[2] على نفسك ! ومَن كَلَّفَكَ ما تَرى ؟ ثم قرّب إليه الفرسَ ، فلمّا عَلاه استخرج الجذاميّ من خُرْجٍ على بَغْلٍ قَدَحاً وإداوة ماءٍ ، فجعل في القدح تُراباً من تُراب قَبرِ ابن سريج وصَبَّ عليه ماءً من الإداوة ، ثم قال : هاكَ فاشرب هذه السَّلْوَة فشرِب ، ثم فعل هو مثل ذلك ، وركِب على البغل وأردفنِي . فخرجا والله ما يُعَرِّضان بذكر شيءٍ ممّا كنّا فيه ، ولا أرى في وجوههما شيئاً ممّا كنت أرى قبلَ ذلك . فلمّا اشتمَلَ علينا أبطحُ مكّة قالا : انزل يا خُزاعيّ فنزلتُ . وأومأ الفتى إلى الجذاميّ بكلامٍ ، فمدَّ يده إليّ وفيها شيءٌ فأخذته ، فإذا هو عشرون ديناراً ، ومضيا . فانصرفتُ إلى قبره ببعيرَيْنِ ، فاحتملتُ عليهما أداةَ الراحلتين اللتين عقَراهما فبعتُها بثلاثين ديناراً .

---

1 الشعر لكثير بن كثير السهمي كما سيأتي في ترجمة حنين الحيري من الأغاني .

2 ل : منصوب .

صوت
من المائة المختارة

[ثالث الثلاثة الأصوات المختارة]

وهو الثالث من الثلاثة المختارة[1] : [من الطويل]

أهـاجَ هـواكَ المنزلُ المُتَقادِمُ نعمْ وبـه مِمَّنْ شَجاكَ مَعالِمُ
مَضارِبُ أَوْتادٍ وأَشْعَثُ داثِرٌ مُقِيمٌ وسُفْعٌ في المَحَلِّ جَواثِمُ[2]

عَروضه من الطَّويل . الشعرُ لنُصَيْبٍ ، والغناء في اللَّحن المختار لابن محرز ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، وله فيه أيضاً هزج بالسبابة في مجرى البِنصر ، وذكر جَحظة عن أصحابه أنّه هو المختار ، وحكى عن أصحابه أنّه ليس في الغناء كلِّه نَغَمَةٌ إلاّ وهي في الثلاثة الأصوات المختارة التي ذكرها .

ومن قصيدة نُصَيب هذه مما يُغنَّى فيه قوله : [من الطويل]

لقد راعَني للبَيْنِ نَوْحُ حمامةٍ على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حَمائِمُ
هَواتِفُ أمّا مَنْ بَكَيْنَ فعهدُه قَديمٌ وأمّا شَجْوُهُنَّ فَدائِمُ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البِنصر عن يونس ويحيى المَكّيّ وإسحاق ، وأظنُّه مع البيتين الأوّلين وأن الجميعَ لحنٌ واحد ، ولكنّه تفرَّق لصعوبة اللَّحن وكثرةِ ما فيه من العمل ، فجُعِلا صوتَيْن .

1 شعر نُصيب : 128 عن الأغاني .
2 أشعث : صفة للوتد ؛ وسفع صفة للأثافي .

[7] ـ ذكر نُصَيْبٍ وأخباره[1] [-108هـ]

[نسب نصيب ونشأته]

هو نُصَيْبُ بن رَباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، وكان لبعضِ العرب من بني كِنانةَ السُّكّان بوَدان[2] ، فاشتراه عبد العزيز منهم ، وقيل : بل كانوا أعتقوه ، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم ، وقيل : بل كاتب مَواليه ، فأدّى عنه مُكاتبَتَه .

وقال ابن دَأبٍ : كان نُصَيْبٌ من قُضاعة ثم من بَليٍّ . وكانت أُمُّه سوْداءَ فوقع عليها سيِّدُها فحبِلت بنُصَيب ، فوثب عليه عمُّه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز .

وقال أبو اليقظان : كان أبوه من كِنانة من بني ضَمْرة . وكان شاعراً فَحْلاً فصيحاً مُقدَّماً في النسيب والمديح ، ولم يكن له حظٌّ في الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال : إنّه لم يَنْسُبْ قطُّ إلاّ بامرأته .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : كتب إليّ عبد الله بن عبد العزيز بن مِحْجَن بن نُصَيب بن رباح يذكُر عن عمَّتِه غَرْضَةَ بنت النُّصَيب : أنّ النُّصيب كان ابن نوبِيَّيْن سَبِيَّيْن كانا لخُزاعة ، ثم اشترت سَلامة أُمَّ نُصَيب امرأةٌ من خُزاعة ضَمريَّة حاملاً بالنُّصيب ، فأعتقتْ ما في بطنها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال : كان نُصيبٌ من أهل وَدَّان عبداً لرجلٍ من كِنانة هو أهلُ بيته . وكان أهل البادية يدعونه النُّصيب تفخيماً له ، ويَروُون شِعره . وكان عفيفاً كبيرَ النَّفْس مُقَدَّما عند الملوك ، يُجيد مَديحَهم ومَراثيَهم .

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : كان نُصيب من بَلِيٍّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعَةَ . وكانت أُمُّه أمةً سوداء ، وقع عليها أبوه فحملت ثم مات ، فباعه عمُّه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان .

---

1 ترجمة نصيب في الشعر والشعراء : 322 ، (بيروت 1964) . والموشّح للمرزباني : 296 ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (القاهرة 1965) . وشرح الأمالي للبكري : 291 ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1936 . ومعجم الأدباء لياقوت 6 : 2752–2757 ، تحقيق إحسان عبّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 . وفوات الوفيات للكتبي 4 : 197–201 تحقيق إحسان عبّاس بيروت 1973 ؛ وخزانة الأدب 8 : 386–390 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة (الطبعة الأولى) . ومقدمة ديوانه جمع الدكتور داود سلوم ، بغداد 1967 .

2 ودان : اسم موضع ، ولعلّ المراد هو الذي بين مكّة والمدينة .

[مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز بن مروان بمصر]

قال حمّاد وأخبرني أبي عن أيوب بن عَباية ، وأخبرنا الحِرْميُّ عن الزبير عن عمّه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيّوب بن عبايَةَ قال حدّثني رجلٌ من خُزاعة من أهل كُلَيَّةَ ، وهي قرية كان فيها النُّصَيب وكُثَيِّر ، قال : بلغني أنّ النّصَيب قال : قلتُ الشِّعر وأنا شابّ فأعجبني قولي ، فجعلتُ آتِي مَشْيَخَةً من بني ضَمرة بن بكر بن عبد مَناة ، وهم موالي النُّصَيب ، ومشيخةً من خُزاعة ، فأُنشِدُهم القصيدة من شِعْرِي ، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون : أحسنَ والله ، هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشِّعرُ ! فلمّا سمعتُ ذلك منهم علِمتُ أنّي مُحسِنٌ ، فأَزمعوا وأَزمَعْتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذٍ بمصر ، فقلتُ لأُختي أُمامة وكانت عاقلةً جَلدةً : أي أُخَيَّة ، إنّي قد قلت شعراً ، وأنا أُريد عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يُعتِقَكِ اللهُ عزّ وجلّ به وأُمّكِ ، ومن كان مرقوقاً من أهل قرابَتي . قالت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! يا ابن أمَّ ، أتَجتمع عليك الخصلتان : السَّواد ، وأن تكون ضُحكةً[1] للناس ! قال : قلت فاسمَعي ، فأنشدتُها فسمِعَت ، فقالت : بأبي أنتَ ، أحسنتَ واللهِ ، في هذا والله رَجاءٌ عظيمٌ ، فاخرُج على بركةِ الله . فخرجتُ على قعودٍ لي حتى قدِمتُ المدينة ، فوجدتُ بها الفرزدق في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فعرَّجتُ إليه فقلت : أُنشِده وأستنشده وأَعرِض عليه شِعري . فأَنشدتُه : فقال لي : وَيلَكَ ؟ أهذا شِعرُك الذي تَطلُب به الملوك ؟ قلتُ نعم . قال : فلستَ في شيء ، إن استطعتَ أن تكْتُم هذا على نفسِك فافعل . فانفضختُ عَرَقاً ، فحَصَبَنِي رجلٌ من قريشٍ كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمِع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق ، فأومأ إليّ فقمتُ إليه . فقال : ويحك ؛ أهذا شعرُك الذي أنشدتَه الفرزدق ؟ قلتُ نعم . فقال : قد والله أُصَبتَ ، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك ، فإنّا لنعرف مَحاسن الشعرِ ، فامضِ لوَجهِك ولا يَكسِرَنّك . قال : فسرَّني قوله ، وعلمتُ أنّه قد صدَقَني فيما قال ، فاعتزمتُ على المُضِيِّ .

[اتصاله بعبد العزيز بن مروان]

قال : فمضيتُ فقدِمتُ مصر ، وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرت بابه مع الناس ، فنُحِّيت عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بغلةٍ حسن الشّارة سَهْلَ المَدخَل ، يُؤْذَن له إذا جاء . فلمّا انصرف إلى منزله انصرفتُ معه أُماشي بغلته . فلمّا رآني قال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم ، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ ، وقد مدحتُ الأميرَ وخرجتُ إليه راجياً معروفه ، وقد ازدريتُ فطُرِدتُ من الباب ونُحِّيت عن الوجوه . قال :

1 الضحكة : من كان يضحك منه الناس .

فأنشِدني ، فأنشدته . فأعجبه شِعري ، فقال : ويحك ؛ أَهذا شِعرُك ؟ فإيّاك أن تَنْتَحِلَ ؛ فإنّ الأمير راويةٌ عالمٌ بالشِّعر وعنده رُواةٌ ، فلا تفضحني ونفسك . فقلت : والله ما هو إلاّ شِعري . فقال : ويحَك ، فقُل أبياتاً تذكرُ فيها حَوْفَ[1] مصر وفضلَها على غيرها ، والقَنِي بها غداً . فغدوتُ عليه من غَدٍ فأنشدتُه قولي[2] : [من الطويل]

سَرى الهَـمُّ تَثْنِيني إليكَ طَلائعُهْ ... بمصرَ وبالحَوْف اعتَرَتْنِــي رَوائِعُهْ
وباتَ وِسادِي ساعدٌ قَــلَّ لحمُه ... عن العَظْمِ حتى كاد تَبْدُو أَشاجِعُهْ[3]

قال : وذكرت فيها الغيث فقلت : [من الطويل]

وكَمْ دونَ ذاكَ العارِضِ البارِقِ الذي ... له اشتَقْتُ مِنْ وَجْهٍ أسِيلَ مَدامعُهْ
تَمَشَّى بِــه أفْناءُ بَكْـرٍ ومَذْحِجٍ ... وأفناءُ عَمْرٍو وهو خِصْبٌ مَرابِعُهْ
فكلُّ مَسِيلٍ مِــن تِهامَـةَ طَيِّبٌ ... دَمِيثُ الرُّبى تَسْقِي البحارَ دَوافِعُهْ
أعِنِّــي على بَـرْقٍ أُريكَ وَمِيضَه ... تُضِيءُ دُجُنَّــاتِ الظَّـلامِ لَوامِعُهْ
إذا اكتَحَلَتْ عَينا مُحِبٍّ بضَوْئِهِ ... تَجافَتْ به حتى الصَّباحِ مَضاجِعُهْ
هَنِيئــاً لأُمِّ البَخْتَرِي الرِّوى بِــه ... وإن أَنْهَجَ الحَبْلُ الذي أنا قاطِعُهْ
ومــا زِلْــتُ حتّى قُلْتُ إنِّي لَخالِعٌ ... وَلائِيَ مِنْ مَوْلًى نَمَتْنِي فَوارِعُهْ
وَمانِـحُ قَـومٍ أنتَ منهمْ مَوَدَّتِي ... ومُتَّخِــذٌ مَـوْلاكَ مَوْلــىً فتابِعُهْ

[نصيب وأيمن بن خريم الأسدي]

فقال : أنت والله شاعرٌ ، احْضُرْ بالبابِ حتّى أُذْكُرَك للأمير . قال : فجلستُ على الباب ودخل ، فما ظَنَنْتُ أنّه أمكنه أن يذكرَني حتى دُعي بي . فدخلت فسلَّمتُ على عبد العزيز ، فصعَّد فيَّ بصره وصوَّب ، ثم قال : أنت شاعرٌ ؟ ويلك ! قلت : نَعم ، أيُّها الأمير . قال : فأَنشِدني . فأنشدته ، فأعجبه شِعري . وجاء الحاجب فقال : أيّها الأمير ، هذا أَيمن بن خُرَيْم الأسديّ[4] بالباب . قال : ائذَن له ، فدخل فاطمأنّ . فقال له الأمير : يا أيمن بن خرَيم ، كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إليّ فقال : والله لنِعمَ الغادِي في أَثَر المَخاض ، هذا أيّها الأمير أرى ثمَنه مائة دينار . قال : فإنّ له شِعراً وفصاحةً . فقال لي أيمن : أتقول الشِّعر ؟ قلت نعم . قال : قيمتُه ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أَرفَعهُ وتخفِضُه أنتَ ؟ قال : لكونِه أَحمق أيُّها الأمير ! ما لهذا

1 الحوف : بمصر هما حوفان شرقي وغربي .
2 منها أبيات في الأشباه والنظائر 2 : 127 منسوبة لابن الدمينة ، وانظر ديوان نصيب : 103–104 .
3 الأشاجع : أصول الأصابع .
4 سيترجم أبو الفرج لأيمن بن خريم الأسدي فيما بعد .

وللشِّعر ؟ أمِثْلُ هذا يقول الشِّعر أو يُحسِن شِعراً ؟ فقال : أنشِده يا نُصَيب ، فأنشدته . فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أَيمنُ ؟ قال : شِعرُ أسود . وهو أشعر أهلِ جِلدَته . قال : هو والله أَشْعرُ منكَ ، قال : أمِنِّي أيُّها الأمير ؟ قال : إي والله منكَ . قال : واللهِ أيُّها الأمير ، إنّك لَمَلُولٌ طَرِفٌ . قال : كذبتَ والله ما أنا كذلك ؛ ولو كنتُ كذلك ما صبرتُ عليك ، تُنازِعُني التَّحيَّة وتُؤاكِلُني الطَّعامَ وتَتَّكِيءُ على وسائدي وفُرُشي وبكَ ما بكَ ؟ يَعني وَضَحاً كان بأيمن ؛ قال : ائذَن لي [أنْ] أخرج إلى بشر بالعراق ، واحمِلني على البريد . قال : قد أَذِنتُ لك ، وأمَر به فحُمِل على البريد إلى بشْرٍ . فقال أيمن بن خُرَيم : [من الوافر]

ركبتُ من المُقَطَّمِ في جُمادَى ... إلى بِشْرِ بنِ مَرْوانَ البَريدا
ولو أعطاكَ بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ ... رَأَى حَقّاً عليه أن يَزِيدا
أميرَ المؤمنينَ أَقِمْ بِبِشْرٍ ... عَمُودَ الحقِّ إنّ لَه عَمُودا
ودَعْ بِشْراً يُقوِّمْهُمْ ويُحْدِثْ ... لأهلِ الزَّيغْ إسلاماً جَديدا
كأنّ التاجَ تاجَ بني هِرَقْلٍ ... جَلَوْه لأَعْظَمِ الأيّامِ عِيدا
على دِيباجِ خَدَّيْ وَجْهِ بِشْرٍ ... إذا الألوانُ خالفتِ الخُدُودا

قال أيّوب يعني بقوله :

إذا الألوان خالَفتِ الخُدودا

أنّه عَرَّضَ بكَلَفٍ كان في وجهِ عبد العزيز .

وأَعْقَبَ مِدْحَتِي سَرْجاً مليحاً ... وأَبْيَضَ جُوزَجانِيّاً عَتُودا[1]
وإنّا قد وَجَدْنا أُمَّ بِشْرٍ ... كأُمِّ الأُسْدِ مِذكاراً وَلُودا

قال : فأعطاه بِشْرٌ مائةَ ألفِ درهمٍ .

[أوّل من نوّه باسم نصيب ووصله بعبد العزيز بن مروان]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال : أوّلُ مَن نَوَّه باسم نُصَيب وقَدِمَ به على عبد العزيز بن مروان عبد الله بن أبي فَروة ، قَدِمَ به عليه وهو وَصِيفٌ حين بلغ وأوّلَ ما قال الشِّعرَ . قال : أَصْلَح الله الأميرَ ، جئتُك بوصيفٍ نُوبيٍّ يقول الشعر ، وكان نُصَيب ابنَ نُوبيَّيْن ، فأدخله عليه ، فأعجبه شعره ، وكان معه أَيْمَن بن خريم الأسديّ . فقال عبد العزيز : إذا دعوتُ بالغداءِ فأَدخِلوه عليَّ في جُبَّةِ صوفٍ مُحتزِماً بعِقالٍ ، فإذا قلتُ قَوِّموه فقوِّموه وأَخرجوه ورُدُّوه عليّ في جُبَّة وَشْيٍ ورِداء

1 يعني جملاً قويّاً أبيض من منطقة جوزجان .

وشيٍ . فلمّا جلس للغداء ومعه أيمن ابن خريم أُدخِل نُصَيب في جُبَّة صوفٍ محتزماً بعِقال ، فقال : قوِّموا هذا الغلام . فقالوا : عشرةٌ ، عشرون ، ثلاثون ديناراً . فقال : رُدُّوه ، فأُخرجوه ثم ردُّوه في جُبّة وَشْيٍ ورِداء وَشْيٍ . فقال : أنشِدنا ، فأنشدهم . فقال : قوّموه ، قالوا : ألفُ دينار . فقال أيمن : والله ما كان قطُّ أقلَّ في عَيْني منه الآن ، وإنّه لنِعمَ راعي المَخاض . فقال له : فكيف شِعرُه ؟ قال : هو أشعر أهلِ جلدتِه . فقال له عبد العزيز : هو والله أشعر منكَ . قال : أمِنّي أيّها الأمير ؟ قال نعم . فقال أيمن : إنّك لَمُلولٌ طَرِفٌ . فقال له : والله ما أنا بملولٍ وأنا أُنازِعُكَ الطعام منذ كذا وكذا ، تضع يدَك حيث أضعُها وتلتقي يدُك مع يدي على مائدة ، كلُّ ذلك أحتملك ، وكان بأيمن بياضٌ ، فقال له أيمن : ائذَن لي أن أخرُج إلى بِشْرٍ . فأَذِن له فخرج ، وقال أبياته التي أوّلها : [من الوافر]

رَكِبْتُ من المقطَّمِ في جُمادى

وقد مضتِ الأبياتُ . قال : فلمّا جازَ بعبد الملك بن مروان ، قال : أين تريد ؟ قال أُريد أخاك بِشْراً . قال : أتَجُوزُني ؟! قال : إي واللهِ أَجوزُكَ إلى مَن قَدِمَ إليَّ وطلبَني . قال : فلِمَ فارقتَ صاحبك ؟ قال : رأيتُكم يا بَني مَروان ، تتّخذون للفتى من فِتيانِكم مؤدِّبا ، وشيخكم والله محتاجٌ إلى خمسة مؤدِّبينَ . فسرَّ ذلك عبد الملك ، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقِد لابنه الوليد .

[عبد العزيز بن مروان يعتق النصيب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : يقال : إنّ نُصَيباً أَضَلَّ إبلاً له فخرج في بُغائِها فلم يُصِبها ، وخاف مَوالِيه أن يرجع إليهم ، فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصّته ؛ فأَخلَف عليه ما ضلَّ لَمواليه وابتاعه وأَعتقه .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الهِلاليّ ثم الدَّوسيّ قال : أراد النُّصَيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو عبدٌ لبني مُحرز الضَّمْريّ ، فقالت أُمُّه له : إنّك ستَرْقُد ويأْخُذُك ابن مُحرز يذهب بك ، فذهب ولم يُبال بقَولها . حتى إذا كان بمكان ماءٍ يُعرَف بالدَّوِّ ، فبينا هو راقد إذ هجم عليه ابن مُحرز ؛ فقال حين رآه : [من الطويل]

إنّي لأَخشى من قِلاصِ ابن مُحرِزٍ إذا وَخَدَتْ بالدَّوِّ وَخْدَ النَّعائِمِ
يَرُعْنَ بَطِينَ القَوْمِ أيَّةَ رَوْعةٍ ضُحَيّا إذا استَقْبَلْنَه غير نائمِ

فأَطلقوه ، فرجع فأتى أُمّه . فقالت : أخبرتُك يا بُنيّ أنّه ليس عندك أن تُعْجزَ القومَ . فإن كنتَ يا بُنَيِّ قد غلبتَني أنّك ذاهبٌ فخُذ بنت الفلانة ؛ فإنّي رأيتُها وَطِئَتْ أفحُوصَ[1] بيضات

1 الأفحوص : مجثم القطاة التي تضع بيضها فيه .

قَطاةٍ فلم تَفلِقْهنّ فَرِكبَها ، فهي التي بلَّغته ابنَ مروان .

قال أبو عبيد الله بن الزبير : عندنا أنّ التي أعتقتْه امرأةٌ من بني ضَمْرَة ثم من بني حَنبلٍ .

[أوّل اتصاله نصيب بعبد العزيز بن مروان]

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَد قال حدّثنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال حدّثنا كُلَيب بن إسماعيل مَولى بني أُميَّة وكان حَدِثاً (أي حَسَن الحديث) قال : بلغني أن نُصَيباً كان حبشيّاً يَرعى إبلاً لمواليه ، فأضلّ منها بعيراً ، فخرج في طلبه حتى أتى الفُسطاطَ ، وبه إذ ذاك عبد العزيز بن مروان ، وهو وَليُّ عَهد عبد الملك بن مروان ، فقال نُصَيبٌ : ما بعدَ عبد العزيز واحدٌ أعتمِدُه لحاجتي . فأتى الحاجبَ فقال : استأذِنْ لي على الأمير ؛ فإني قد هيَّأْتُ له مديحاً . فدخل الحاجب فقال : أصلح الله الأميرَ ، بالباب رجلٌ أسودُ يستأذِن عليك بمديح قد هيّأَهُ لك . فظَنَّ عبد العزيز أنّه ممن يُهزأ به ويُضْحِكُهم ، فقال : مُرْه بالحضورِ ليوم حاجتِنا إليه . فغدا نُصَيب وراح إلى باب عبدِ العزيز أربعةَ أشهُر ، وأتاه آتٍ من عبد الملك فسَرَّه ، فأمر بالسَّرير فأُبْرِز للناس ، وقال : عليَّ بالأسود ، وهو يريد أن يُضحِك منه الناسَ . فدخل ، فلمّا كان حيث يُسمع كلامُه ، قال[1] : [من المتقارب]

لِعبدِ العَزيزِ على قَومِه وغيرِهِمُ نِعَمٌ غامِرَهْ
فبابُك أليَنُ أبوابِهم ودارُك مأهولةٌ عامِرَهْ
وكلبُك آنسُ بالمُعْتَفِينَ مِنَ الأمِّ بالإبْنَةِ الزائِرهْ
وكَفُّكَ حينَ تَرى السائلِيـ ـنَ أنْدى من اللّيلةِ الماطِرهْ
فَمنكَ العَطاءُ ومنِّي الثَّناءُ بكلِّ مُحَبَّرةٍ سائرهْ

فقال : أَعطُوه أَعْطُوه . فقال : إنّي مملوكٌ . فدعا الحاجبَ فقال : اخرُجْ فابلُغْ في قيمته ؛ فدعا المقوِّمين فقال : قَوِّموا غلاماً أسودَ ليس به عَيبٌ . قالوا : مائةُ دينارٍ . قال : إنّه راعٍ للإبل يُبْصرها ويُحسِن القيامَ عليها . قالوا : حينئذٍ مائتا دينار . قال : إنّه يبْري القِسيَّ ويُثقفُها ويَرمي النَّبْلَ ويَريشُها . قالوا : أربعمائة دينار . قال : إنّه راويةٌ للشِّعر بصيرٌ به . قالوا : ستُّمائة دينار . قال : إنّه شاعرٌ لا يُلحَق حِذقاً . قالوا : ألفُ دينار . قال عبد العزيز : ادفَعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ثَمَنَ بَعِيري الذي أضللت . قال : وكم ثمنُه ؟ قال : خمسةٌ وعشرون ديناراً . قال ادفعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ؛ جائزتي لنَفسي عن مديحي إيّاك . قال : اشترِ نفسك ثم عُد إلينا . فأتى الكوفة وبها بِشْرُ ابنُ مروان ، فاستأذن عليه فاستصعب الدخول إليه . وخرج بِشر بن مروان

1 أمالي الزجاجي : 44–45 وديوان نصيب (تحقيق د . داود سلوم) بغداد : 69 .

متنزّهاً فعارضَه ، فلمّا ناكَبَه (أي صار حِذاء مَنكبه) ناداه[1] : [من الكامل]

يا بشرُ يا ابنَ الجَعْفَرِيَّةِ ما خلقَ الإلهُ يَدَيْــكَ للبُخْلِ
جاءتْ بــه عُجُـزٌ مُقابَلةٌ ما هُنّ من جَرْمٍ ولا عُكْلِ

قال : فأمَر له بِشْرٌ بعشرة آلاف درهم . الجعفريّة التي عَناها نُصَيب : أُمُّ بِشر بن مروان ، وهي قُطَيَّة بنت بِشر بن عامر مُلاعب الأسِنَّة بن مالك بن جعفر بن كِلاب .

[أم بشر بن مروان]

أخبرنا اليَزيديّ عن الخرّاز عن المدائنيّ عن عبد الله بن مُسْلم وعامر بن حَفص وغيرهما : أنّ مروان بن الحَكَم مَرَّ ببادية بني جعفر ، فرأى قُطَيَّة بنت بِشر تَنزِع بدَلْو على إبلٍ لها ، وتقول : [من الرجز]

ليس بنا فَقْرٌ إلى التَّشكِّي جَرَبَّــةٌ كحُمُـرِ الأَبَكِّ[2]
لا ضَرَعٌ فيها ولا مُذَكِّي[3]

ثم تقول : [من الرجز]

عامــانِ تَرْقيقٌ وعــامٌ تَمَّما لم يَتْرِكْ لَحْماً ولم يَتْرُكْ دما
ولم يَدَعْ في رأسِ عَظْمٍ مكدما إلاّ رَذايــا ورجــالاً رُزَّما[4]

فخطبها مروان فتزوّجها ، فولدتْ له بِشر بن مروانَ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أحمد بن معاوية عن إسحاق بن أيّوب عن خليل بن عَجْلان في خبر النُصَيب مثلَ ما ذكره الزُّبير وإسحاق سواءً .

[نصيب يقسم ما يصيبه في مواليه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن العُتْبيّ قال : دعا النُّصَيب مَواليه أن يستلحِقوه فأبى ، وقال : والله لأن أكون مولًى لائقاً أحبُّ إليّ من أن أكون دَعِيّاً لاحِقاً . وقد علمتُ أنّكم تريدون بذلك مالي ، ووالله لا أَكسِبُ شيئاً أبداً إلاّ كنتُ أنا وأنتم فيه سواءٌ كأحدكم ، لا أستأثِرُ عليكم منه بشيء أبداً . قال : وكان كذلك معهم حتى مات ، إذا أصاب شيئاً قَسَمه فيهم ، فكان فيه كأحدهم .

[نصيب والفرزدق بحضرة سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا [الزُّبيري ، وحدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن

1 ديوان نصيب : 120 .
2 الجربّة : قطيع من الحمير . الأبكّ : الحمير المتدافعة .
3 الضرع : الضعيف . المذكّي : المسنّ .
4 مكدم : موضع للكدم أي العض . الرذايا : المهزولة . الرزم : الذين لا يستطيعون النهوض .

أبي خَيثَمة قال حدّثنا الزُّبير] قال حدّثنا محمد بن إسماعيل الجعفريّ قال : دخل النُّصَيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق ، فاستنشد الفرزدقَ وهو يرى أنّه سيُنشده مديحاً له ، فأنشده قوله يفتخر[1] : [من الطويل]

وَرَكْبٍ كأنَّ الريحَ تطلُبُ عندهمْ   لهـا تِـرَةً من جَذْبِها بالعَصائبِ
سَرَوْا يَرْكَبُون الريحَ وهي تَلُفُّهم   على شُعَبِ الأَكْوارِ من كلِّ جانبِ
إذا اسْتَوْضَحُوا ناراً يقولون ليتَها   وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نـارُ غالبِ

قال : وعمامتُه على رأسِه مثلُ المِنْسَفِ ؛ فغاظ سليمان وكَلَحَ في وجهه ، وقال لنُصَيب : قُمْ فأَنشِد مولاك وَيلَك ، فقام نُصَيب فأنشده قوله[2] : [من الطويل]

أقـولُ لِرَكْـبٍ صادِرِينَ لَقِيتُهم   قَفا ذاتِ أَوْشالٍ ومَوْلاك قارِبُ[3]
قِفُوا خبِّروني عن سليمانَ إنَّني   لمعروفِـه من أَهلِ وَدَّانَ طالبُ
فعاجُـوا فأَثْنَوا بالذي أنـت أهلُه   ولـو سكتوا أَثْنتْ عليكَ الحقائبُ
وقالـوا عَهِدْنـاهُ وكلَّ عشيَّةٍ   بأبوابه من طالبِ العُـرْفِ راكبُ
هو البدرُ والناسُ الكَواكِبُ حولَه   ولا تُشْبِهُ البدرَ المضيءَ الكواكبُ[4]

فقال له سليمان : أحسنتَ والله يا نُصَيب ، وأمر له بجائزة ولم يصنَعْ ذلك بالفرزدق . فقال الفرزدق وقد خرج من عنده : [من الوافر]

وخيرُ الشِّعْرِ أكرمُـه رجـالاً   وشرُّ الشعرِ ما قـال العَبيدُ

[النصيب وعبد العزيز بن مروان]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن عمِّه موسى بن عبد العزيز قال : حَمل عبد العزيز بن مروان النُّصَيب بالمقطَّم ، مقطَّم مصرَ ، على بُخْتيٍّ قد رَحَلَه بغَبيطٍ[5] فوقَه ، وألبسه مُقَطَّعاتِ وَشْيٍ ، ثم أمره أن ينشد ؛ فاجتمع حوله السُّودان وفَرِحوا به ، فقال لهم : أسَرَرْتُكم ؟ قالوا : إي والله . قال : والله لَما يَسوءُكم من أهل جِلدتِكم أكثرُ .

---

1 ديوان الفرزدق : 1 : 29 (ط . دار صادر ـ بيروت) ، مع بعض اختلاف في الرواية .
2 ديوان نصيب : 59 .
3 قارب : ذاهب للورود .
4 المضيء في ل : المنير .
5 الغبيط : الرحل .

[نصيب وجرير]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم قال حدّثني أبو العَرَّاف قال : مَرَّ جريرٌ بنُصَيب وهو يُنشد ، فقال له : اذهب فأنت أشعرُ أهل جلدتِك . قال : وجلدتِك يا أبا حَزْرة .

[هشام بن عبد الملك ونصيب]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أيّوب بن عبايَة قال : بلغني أنّ النُّصَيب كان إذا قَدِم على هشام بن عبد الملك أَخلى له مجلسه واستنشده مَراثي بني أُميَّة ، فإذا أنشده بكى وبكى معه . فأنشده يوماً قصيدةً له مدحه بها ، يقول فيها : [من الطويل]

إذا استبَقَ الناسُ العُلا سَبقْتهمُ   يَمِينُكَ عَفْواً ثم صَلَّت شِمالُها[1]

فقال له هشامٌ : يا أَسودُ ، بلغتَ غاية المدح فسَلْني . فقال : يدُك بالعطيَّة أجود وأبسط من لساني بمسئلتك . فقال : هذا والله أحسنُ من الشعر ، وحَباه وكَساه وأحسنَ جائزته .

[نصيب وإعتاقه ذوي قرابته]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : أصاب نُصَيبٌ من عبد العزيز بن مروان معروفاً ، فكتمه ورجع إلى المدينة في هيئة بَذَّةٍ ، فقالوا : لم يُصِب بمدحِه شيئاً . فمكث مُدّةً ، ثم ساوم بأُمّه فابتاعها وأعتقها ، ثم ابتاع أُمَّ أُمِّه بضِعفِ ما ابتاع به أُمَّه فأعتقها . وجاءه ابن خالةٍ له اسمه سُحَيمٌ فسأله أن يُعتقه ، فقال له : ما مَعي والله شيءٌ ، ولكنّي إذا خرجتُ أخرجتُك معي ، لعلّ الله أن يُعتِقَكَ . فلمّا أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مَولى سُحَيم يَرعى إبله وأخرجه معه ، فسأل في ثمنه فأعطاه وأعتقه . فمرّ به يوماً وهو يَزْفِن ويَزمُرُ مع السودان ، فأنكر ذلك عليه وزجره . فقال له : إنْ كنتَ أعتقْتَني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكونُ أبداً ، وإن كنتَ أعتقْتَني لِتَصِلَ رَحِمِي وتَقْضي حقّي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أُريده ، أَزفِن وأَزمُر وأصنع ما شئت . فانصرف النُّصَيبُ وهو يقول[2] : [من الرجز]

إنّي أرانِي لِسُحَيم قائلا   إنّ سُحَيماً لم يُثِبْنِي طائلا
نَسِيتَ إعْمالي لكَ الرَّواحلا   وضَرْبِيَ الأبوابَ فيك سائلا !
عند الملوك أَسْتَثِيبُ النائلا   حتى إذا آنَسْتَ عتْقاً عاجلا
ولَّيْتَني منك القَفا والكاهِلا   أخلُقاً شَكْساً ولوناً حائِلا

[استعجاله جائزة عند عبد العزيز]

قال إسحاق : وأبطأتْ جائزة النُّصيب عند عبد العزيز ، قال[3] : [من الوافر]

1 صلّت : جاءت مصلّية أي تالية .
2 ديوان نصيب : 121 عن الأغاني .
3 ديوان نصيب : 63 .

وإنّ وراءَ ظَهْرِي يا ابْنَ لَيْلى ... أُناساً يَنْظُـرونَ متـى أَؤُوبُ
أُمامَــةُ منهــمُ ولِمأْقِيَيْهـا ... غَـداةَ البَيْنِ في أَثَري غُرُوبُ
تركتُ بِلادَها ونأيـتُ عنها ... فأشبهُ ما رأيتُ بهـا السُّلُوبُ
فأتبِـعْ بعضَنـا بعضـاً فلَسْنا ... نُثِيبُـك لكِـنِ اللهُ المُثِيبُ

فعجَّل جائزتَه وسرَّحه . قال إسحاق : فحدّثني ابن كُناسة قال : ليلى أُمُّ عبد العزيز كَلْبِيَّة . وبَلَغني عنه أنّه قال : لا أُعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لشَرَفِها ؛ فكان الشعراءُ يذكرونها باسمها في أشعارهم .

[شرف نصيب لشعره]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن ابن عباية قال : وقَفَتْ سَوْداءُ بالمدينة على نُصيبٍ وهو يُنشد الناس ، فقالت : بأبي أنتَ يا ابن عمّ وأُمّي ! ما أنت والله عليَّ بِخزيٍ . فضحك وقال : والله لَمَنْ يُخزيك من بني عمِّك أكثر ممّن يَزينكِ .

[خطبة ابن نصيب بنت سيده]

قال إسحاق وحدّثني ابن عَباية وغيره أنّ ابناً لنُصَيب خطب بعد وفاة سيِّده الذي أعتقه بنتاً له من أخيه ، فأجابه إلى ذلك ، وعرَّف أباه . فقال له : اجمَعْ وُجوهَ الحيِّ لهذا الحال فجمعهم . فلمّا حضروا أقبل نُصَيبٌ على أخي سيِّده فقال : أزَوَّجْتَ ابني هذا من ابنة أخيك ؟ قال نعم . فقال لِعَبيدٍ له سُودٍ : خُذُوا برِجْلِ ابني هذا فجُرُّوه فاضربوه ضرباً مبرِّحاً ، ففعلوا وضربوه ضرباً مبرِّحاً . وقال لأخي سيِّده : لولا أنّي أكره أذاكَ لألحقتُك به . ثم نظر إلى شابّ من أشراف الحيّ ، فقال : زَوِّج هذا ابنة أخيك وعليّ ما يُصلِحُهما في مالي ، ففعل .

[نصيب ومنادمة عبد الملك بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : دخل نُصَيب على عبد الملك فتغدَّى معه ، ثم قال : هل لك فيما نتنادم عليه ؟ فقال : تُؤَمِّنُني ؟ ففعل . فقال : لَوْنِي حائلٌ ، وشَعْرِي مُفَلفَلٌ ، وخِلقتي مشوَّهة ، ولم أَبلُغ ما بلغت من إكرامك إيَّايَ بشرف أبٍ أو أمٍّ أو عشيرة ، وإنّما بلغته بعقلي ولساني . فأَنْشُدُكَ الله يا أمير المؤمنين أن تَحُول بيني وبين ما بلغتُ به هذه المنزلة منك ، فأعفاه .

[سبب تسميته بهذا الاسم]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح بن النَّطّاح قال بلغني عن خَلاَّد بن مُرَّة عن أبي بكر بن مَزيَدٍ قال : لَقِيتُ النُّصَيبَ يوماً بباب هشام ، فقلت له : يا أبا مِحْجَنٍ ، لِمَ سُمِّيت نُصَيباً ، أَلقولك في شعرِك عاينَها النُّصَيبُ ؟ فقال : لا ، ولكني وُلِدتُ عند أهل بيتٍ من وَدّان ، فقال سيّدي : إيتونا بمولودنا هذا لننظر إليه . فلمّا رآني قال : إنّه لَمُنصَّب

الخلق ؛ فسُمِّيت النُّصَيبَ ، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني .

[فصاحته وتخلّصه إلى جيد الكلام]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة أبي يحيى الأسديّ قال : قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البَصْريّ : لئن وَلِيتُ العِراق لأَسْتَكْتِبَنَّ نُصَيباً لفصاحته وتخلُّصه إلى جيِّد الكلام .

[صدق الحديث مع عبد العزيز فأجازه]

أخبرني الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزُّهْريّ قال : حدّثني نُصيب قال : دخلتُ على عبد العزيز بن مروان ، فقال : أَنشِدني قولَك : [من الطويل]

إذا لم يكـــنْ بـــينَ الخليلَيْـــنِ رِدّةٌ ... سِوى ذكرِ شيء قد مضى دَرَسَ الذِّكْرُ

فقلتُ : ليس هذا لي ، هذا لأبي صخر الهُذَليّ ، ولكنِّي الذي أقول : [من الطويل]

وقَفتُ بـــذي دَوْران أَنْشُدُ ناقتي ... وما إنْ بها لي مِنْ قَلُوصٍ ولا بَكْرِ

فقال لي عبد العزيز : لك جائزةٌ على صِدق حديثِك ، وجائزة على شعرِك ؛ فأعطاني على صدق حديثي ألف دينار ، وعلى شِعري ألف دينار .

[أوصاف نصيب الجسمية]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال : رأيت النُّصَيب وكان أسود خفيف العارضَين ناتيء الحَنجرة .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن يزيد السَّعديّ عن جدّتـه جمـال بنت عَون بن مسلم عن أبيها عن جدّها قال : رأيت رجلاً أسود مع امرأةٍ بيضاء ، فجعلتُ أَعجبُ من سواده وبياضها ، فدنوتُ منه وقلت : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي ما الذي تُحْدِثِينَ بي ... غـداً غُرْبَةَ النأيِ المفـرّقِ والبعدِ

لَـدى أُمِّ بَكْـرٍ حين تَقتَربُ النَّوى ... بنا ثم يَخْلُو الكاشحونَ بها بَعْدِي

أَتَصرِمُنِي عند الأُلى هُـمْ لنا العِدا ... فتُشْمِتَهم بـي أم تـدومُ على العهدِ

قال : فصاحتْ : بل والله تَدُومُ على العهد . فسألتُ عنهما فقيل : هذا نُصَيبٌ ، وهذه أمُّ بكر .

[النصيب وعبد الله بن جعفر]

أخبرني أبو الحسن الأَسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطَّاح قال حدّثني أبو اليقظان عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء قال : أتى النُّصَيب عبد الله بن جعفرٍ فحمَله وأعطاه وكَساه . فقال له قائل : يا أبا جعفر ، أَعطيتَ هذا العبدَ الأسودَ هذه العطايا ؟ فقال : والله لئن كان أسودَ إنّ ثناءَه لأبيض ، وإنّ شِعرَه لَعَربيّ ، ولقد استحقّ بما قال أكثر ممّا نال . وما ذاك ، إنّما هي

رواحِل تُنضَى ، وثيابٌ تَبلى ، ودراهمُ تَفنى ، وثناءٌ يَبقَى ، ومدائح تُروى !

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال قال أبو الأسود : امتدح نُصيبٌ عبد الله بن جعفر وذكر مثلَه .

[نصيب والنسوة اللاتي أردن أن يسمعن شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخَرّاز عن المدائني قال : قيل لنُصيب : إنّ هاهنا نسوةً يُردن أن ينظرنَ إليك ويسمَعن منك شِعرك . قال : وما يَصنَعنَ بي ! يَرَيْنَ جلدةً سوداء وشَعَراً أبيض ، ولكن ليسمَعن شِعري من وراء سِترٍ .

[تغني منقذ الهلالي بشعر نصيب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن رجل ذكره قال : أتاني مُنقِذٌ الهِلاليُّ ليلاً ، فضرب عليَّ الباب . فقلت : مَن هذا ؟ فقال : مُنقِذٌ الهِلاليّ . فخرجتُ إليه فزِعاً . فقال : البُشرى . فقلت : وأيُّ بُشرى أَتَتْني بك في هذا الليل ؟ فقال : خَيْرٌ ، أتاني أهلي بدَجاجةٍ مَشويَّةٍ بين رغيفين فتعشَّيتُ بها ، ثم أتَوني بِقَنّينةٍ من نبيذٍ قد التقى طرفاها صفاءً ورِقَّةً ، فجعلتُ أشرب وأترنَّم بقول نُصَيب :

بزينبَ أَلْمِمْ قبــلَ أن يَظْعَنَ الرَّكْبُ

ففكَّرْتُ في إنسانٍ يفهم حُسنه ويعرِف فَضله ، فلم أجد غيرك ، فأتيتُك مُخبِراً بذلك . فقلت : ما جاء بك إلاّ هذا ؟ فقال : أَوَلا يَكفِي ؟ ثم انصرف .

[عفة نصيب في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال مَسلمة لنُصَيب : أنت لا تُحسِن الهِجاء . فقال : بَلى والله ، أتُراني لا أُحسِن أن أجعل مكان عافاك الله أَخزاك الله ؟! قال : فإنّ فلاناً قد مدحتَه فحرَمك فاهْجُه ، قال : لا والله ما ينبغي أن أَهجُوَه ، وإنّما ينبغي أن أَهجُو نفسي حين مدحتُه . فقال مَسلمة : هذا والله أشدُّ من الهجاء .

[نصيب وعمر بن عبد العزيز في مسجد رسول الله ﷺ]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن أبن عَباية عن الضَّحّاك الحِزاميّ قال : دخل نُصَيب مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذٍ أمير المدينة ، وهو جالس بين قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ومِنبره ، فقال : أيُّها الأمير ، ائذَن لي أن أُنشِدك من مراثي عبد العزيز . فقال : لا تفعل فتحزِنَني ، ولكن أنشدني قولك . «قفا أخَوَيَّ» ؛ فإنّ شيطانَك كان لك فيها ناصحاً حين لقَّنك إيّاها . فأنشده[1] : [من الوافر]

1 ديوان نصيب : 135 عن الأغاني .

صوت

قِفا أَخَوَيَّ إنّ الدارَ ليستْ ... كما كانتْ بعهدِكُما تكونُ
ليالِيَ تَعْلمانِ وآلُ لَيْلى ... قَطِينُ الدارِ فاحتملَ القَطِينُ
فعُوجا فانظُرا أتُبِينُ عمَّا ... سألناها بـه أم لا تُبِينُ
فظَلاَّ واقفَيْنِ وظَلَّ دَمْعِي ... على خَدِّي تجودُ به الجُفُونُ[1]
فلولا إذ رأيتَ اليأسَ منها ... بدا أنْ كِدْتَ تَرْشُقُك العيونُ ،
بَرِحْتَ فلم يَلُمْكَ الناسُ فيها ... ولم تَغْلَقْ كما غَلِقَ الرَّهِينُ

في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سُرَيج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن عمرٍو ويونس .

[قصّة نصيب مع عجوز بالجحفة]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : كان نُصَيبٌ ينزل على عجوز بالجحفة إذا قَدِم من الشام ، وكان لها بُنَيَّةٌ صفراء وكان يستحليها ، فإذا قَدِم وهَب لها دراهم وثياباً وغير ذلك . فقدِم عليهما قَدمةً وبات بهما ، فلم يشعر إلاّ بفتىً قد جاءها ليلاً فركَضها برِجلِهِ ، فقامت معه فأبطأت ثم عادت ، وعاد إليها بعد ساعة فركضها برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت . فلمّا أصبح نُصيب رأى أثر مُعتَرَكهما ومُغتَسَلِهما . فلمّا أراد أن يرتحل قالت له العجوز وبنتُها : بأبي أنتَ ، عادتَك . فقال لها[2] : [من الطويل]

أراكِ طَمُوحَ العينِ مَيَّالةَ الهوى ... لهذا وهـذا منك وُدٌّ مُلاطِفُ
فإن تَحْمِلي رِدْفَيْن لا أَكُ منهما ... فحُبّيَ فردٌ لستُ ممّن يُرادِفُ

ولم يُعْطها شيئاً ورحَل .

[حديث النصيب مع امرأة من ملل]

قال أيّوب : وكانت بمَلَلَ امرأة ينزل بها الناس ، فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة وعِمران بن عبد الله بن مُطيع ونُصيب . فلمّا رحلوا وهب لها القُرشيّان ولم يكن مع نُصيب شيءٌ ، فقال لها : اختاري إن شئتِ أن أضمَنَ لكِ مثل ما أعطياك إذا قَدِمتُ ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ أبياتاً تنفعُك . قالت : بَلِ الشِّعْرُ أحبُّ إليّ . فقال[3] : [من الطويل]

1 الجفون في ل : الشؤون .
2 ديوان نصيب : 105 عن الأغاني وغيره .
3 ديوانه : 70 عن الأغاني وغيره .

أَلا حَـــيٍّ قبلَ البَيْن أُمَّ حَبِيبِ وإن لم تَكُنْ منّا غـــداً بقَرِيبِ
لئن لم يكن حُبِّيك حُبّاً صدَقْتُه فما أحـدٌ عنـدي إذاً بحَبِيبِ
تَهامٍ أصابـــتْ قلبَـه مَلَيَّـــةٌ غَرِيبُ الهَوى يا وَيْحَ كلِّ غَرِيبِ

فشهرها بذلك ، فأصابت بقوله ذلك فيها خيراً .

[النصيب وعمر بن عبد العزيز]

قال أيّوب : ودخل النُّصيب على عمر بن عبد العزيز ، رحمة الله عليه ، بعد ما وَلِيَ الخلافة . فقال له : إيهِ يا أسود ، أنت الذي تُشَهِّر النساءَ بنسيبك ! فقال : إنِّي قد تركتُ ذلك يا أمير المؤمنين ، وعاهدتُ الله عزّ وجلّ ألاّ أقولَ نسيباً ، وشهد له بذلك مَن حضر وأثنَوا عليه خيراً . فقال : أمّا إذْ كان الأمرُ هكذا فسَلْ حاجتَك . فقال : بُنَيّاتٌ لي نفضْتُ عليهنّ سوادِي فكسَدْنَ ، أَرْغَبُ بهنّ عن السُّودان ويرغب عنهنّ البِيضانُ . قال : فتُريد ماذا ؟ قال : تَفْرِض لهنَّ ، ففعل . قال : ونفقةً لطريقي . فأعطاه حِلية سَيفه وكساه ثوبيه ، وكانا يُساويان ثلاثين درهماً .

[اجتماع النصيب والكميت وذي الرمّة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق المَوصليّ عن ابن كُناسة قال : اجتمع النُّصَيب والكُمَيت وذو الرمّة ، فأنشدهما الكُمَيت قوله : [من البسيط]

هل أنتَ عن طلبِ الأيْفاعِ منْقَلِبُ

حتى بلغ إلى قوله فيها : [من البسيط]

أم هلْ ظَعائِـــنُ بالعَلياءِ نافعةٌ وإن تَكاملَ فيها الأُنْسُ والشَّنَبُ

فعقد نصيبٌ واحدةً . فقال له الكُميت : ماذا تُحصِي ؟ قال : خطأك ، باعدتَ في القول ، ما الأُنْسُ من الشَّنَب ؟ ألا قُلتَ كما قال ذو الرمّة : [من البسيط]

لَمْياءُ في شَفَتَيْهـا حُـوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللِّثاتِ وفي أنيابِهـا شَنَبُ[1]

ثم أنشدهما قوله :

أَبَتْ هذه النفسُ إلاّ ادِّكارا

حتى بلغ إلى قوله : [من المتقارب]

إذا مـا الهَجـارِسُ غَنَّيْنَهـا تُجاوِبْنَ بالفَلَواتِ الوِبارا[2]

فقال له النُّصَيب : والوِبار لا تسكن الفلوات . ثم أنشد حتى بلغ منها : [من المتقارب]

1 حوة : سمرة في الشفة . لعس : لون اللثة حين تكون حمراء مع بعض سواد . الشنب : رقة في الأسنان مع عذوبة .
2 الهجارس : الثعالب . الوبار : دابة تشبه السنور .

كأنّ الغُطامِطَ مِـن غَلْيِها ... أَراجيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفارا[1]

فقال النصيب : ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفاراً قطُّ ؛ فانكسر الكُمَيت وأمسك .

[نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك الفهري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ : أنّ نُصَيباً مدح عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيسٍ الفِهري ، فأمر له بعشر قَلائص ، وكتب بها إلى رجلين من الأنصار ، واعتذر إليه وقال له : والله ما أملِك إلاّ رِزقي ، وإنّي لأكره أن أبسُط يَدي في أموال هؤلاء القوم . فخرج حتّى أتى الأنصاريَّيْن فأعطاهما الكتاب مختوماً . فقرآه وقالا : قد أمر لك بثمان قلائص ، ودفعا ذلك إليه . ثم عُزِل ووُلِّي مكانه رجلٌ من بني نَصْر بن هَوازن ، فأمر بأن يُتتبَّع ما أعطى ابن الضَّحَّاك ويُرتَجَعَ ، فوُجد باسم نُصَيب عشر قلائص ، فأمر بمطالبته بها . فقال : والله ما دفع إليّ إلاّ ثماني قلائص . فقال : واللّه ما تخرُج من الدَّار حتى تُؤدِّي عشر قلائص أو أثمانها ؛ فلم يخرُج حتى قُبِض ذلك منه .

فلمّا قدِم على هشام سَمر عنده ليلةً وتذاكروا النَّصرِيَّ ، فأنشده قوله فيه[2] : [من البسيط]

أفي قلائصَ جُـرْبٍ كُنَّ في عملٍ ... أُرْدى وتُنْزَعُ مِـن أحشائيَ الكَبِدُ

ثمانياً كُـنَّ في أهــلي وعندهمُ ... عَشْرٌ فأيَّ كتابٍ بعدَنـا وَجَدُوا

أخانَنـي أَخَـوا الأنصارِ فانتقصا ... منها فعندهمـا الفَقْدُ الذي فَقَدُوا

وإنّ عامِلَـك النَّصْرِيّ كلّفَنِـي ... في غير نائـرةٍ دَيْنـاً لـه صَعَدُ[3]

أَأُذْنَبَ غيري ولم أُذنبْ يُكلِّفني ... أم كيف أُقْتَلُ لا عَقْلٌ ولا قَوَدُ

قال : فقال هشام : لا جَرَمَ والله ، لا يعمَلُ لي النَّصْريّ عملاً أبداً ؛ فكتب بعزلِه عن المدينة .

[شعر لنصيب في الجفر]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أخبرنا الزبير بن بَكّار إجازةً عن هارون بن عبد الله الزبيريّ عن شيخ من الجَفْرِ[4] قال : قَدِم علينا النُّصيب فجلس في هذا المجلس وأومأ إلى مجلسٍ حِذاءه ، فاستنشدناه ، فأنشدنا قوله[5] : [من الطويل]

ألا يـا عُقابَ الوَكْرِ وَكْرِ ضَرِيَّةٍ ... سَقَتْك الغَوادِي من عُقاب ومن وَكْرِ[6]

---

1 الغطامط : صوت غليان القدر .

2 ديوان نصيب : 78 عن الأغاني .

3 النائرة : الحقد . الصعد : المشقّة .

4 الجفر : اسم موضع بنواحي المدينة .

5 انظر ديوانه 93–94 ففيه بعض هذه الأبيات بروايات مختلفة وأبيات تنسب للمجنون .

6 ضرية : قرية على مقربة من الحمى المعروف باسمها .

تَمُــرّ الليالي مــا مَرَرْنَ ولا أرى مُرُورَ الليالي مُنْسِياتِي ابنــةَ النَّضْرِ
وقَفتُ بــذي دَوْرانَ أَنشُد ناقَتي ومالي لَدَيْها من قَلُوصٍ ولا بَكْرِ[1]
ومــا أَنْشُد الرُّعْيــانَ إلاّ تَعِلَّــةً بواضحــةِ الأَنْيابِ طَيِّبَــةِ النَّشْرِ
أما والذي نادى من الطُّورِ عبدَه وعلَّــم أيّــامَ المَناسِكِ والنَّحْرِ
لقــد زادَني للجَفْرِ حبّــاً وأهلِه لَيــالٍ أقامتْهُنَّ لَيْــلى على الجَفْرِ

[نصيب وعبد الملك بن مروان]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني عمر بن إبراهيم السَّعْدِيّ عن يوسف بن يعقوب بن العَلاء بن سليمان عن سلَمة بن عبد الله بن أبي مسروح قال : قال عبد الملك بن مروان لنُصَيبٍ أَنشدْني ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها[2] : [من البسيط]

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْويه الضَّجيعُ به طَيَّ الحَمائِــلِ لا جــافٍ ولا فَقِرُ
وَذِي رَوادِفَ لا يُلْفــى الإزارُ بها يُلْوى ولو كان سبعاً حــين يَأْتزِرُ

فقال له عبد الملك : يا نُصيب ، مَنْ هذه ؟ قال : بنتُ عمٍّ لي نُوبِيَّــةٌ ، لو رأيتَها ما شربتَ من يدها الماء . فقال له : لو غيرَ هذا قلتَ لضربتُ الذي فيه عيناك .

[رحلة نصيب السنوية إلى عبد العزيز بن مروان]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدّثنا الحارث بن محمد بن أبي أُسامَة قال حدّثنا المدائنيّ قال : كان عبد العزيز بن مروان اشترى نُصَيباً وأهله وولدَه فأعتقهم ، وكان نُصَيب يرحل إليه في كلّ عام مستميحاً[3] ، فيجيزه ويُحسن صِلتَه . فقال فيه نُصيب[4] : [من الوافر]

يقولُ فيُحسِنُ القولَ ابنُ ليلى ويفعَلُ فَوقَ أَحْسنِ مــا يقولُ
فتــىً لا يَــرْزَأُ الخُــلاّنَ إلاّ مَوَدَّتَهــمْ ويَــرْزَؤُهُ الخليــلُ
فَبَشِّرْ أهــلَ مصرَ فقدْ أتاهُم مَعَ النِّيــلِ الذي في مصرَ نِيلُ

[نصيب وشاعر هجاه]

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه قال : كان نُصَيب يُكنى أبا الحَجناءِ ، فهجاه شاعرٌ من أهل الحجاز فقال : [من الطويل]

1 ذو دوران : موضع بين الجحفة وقديد .
2 ديوان نصيب : 90 عن الأغاني .
3 مستميحاً : طالباً العطاء .
4 ديوان نصيب : 114 عن الأغاني .

رَأيتُ أبا الجَحْناءِ في الناسِ حائراً ... ولونُ أبي الجَحْناءِ لــونُ البهائِمِ
تراه على مــا لاحَــه من سَوادِهِ ... وإن كان مظلُوماً لــهُ وجهُ ظالِمِ

فقيل لنصيب : أَلا تُجيبُه فقال : لا ، ولو كنتُ هاجياً لأحدٍ لأجَبتُه ، ولكن الله أوصلَني بهذا الشعر إلى خير ، فجعلتُ على نفسي ألاّ أقولَه في شرّ ، وما وصَفنِي إلاّ بالسواد وقد صدَق . أفلا أُنْشِدُكم ما وصفتُ به نفسي ؟ قالوا بلى . فأنشدهم قوله[1] : [من الكامل]

ليس السوادُ بناقصي مــا دام لي ... هــذا اللسانُ إلى فــؤادٍ ثابتِ
مَنْ كان ترفَعُــه مَنابــتُ أصلِه ... فبيوتُ أشعاري جُعِلْنَ مَنابِتِي
كَم بــين أسودَ ناطــقٍ ببيانِه ... ماضي الجَنانِ وبين أبيضَ صامتِ
إنّي لَيَحْسُدُني الرفيــعُ بنــاؤُه ... من فضل ذاك وليس بي مِنْ شامتِ

ويُروى مكان «من فضل ذاك» ، «فضل البيان» وهو أجود .

أخبرني عمِّي ومحمد بن خَلَفٍ قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني سعيد بن يحيى الأُمويّ قال حدّثني عمِّي عن محمد بن سعد قال : قال قائل للنُّصيب : أيّها العبد ، ما لكَ وللشِّعر ؟ فقال : أمّا قولُك عبدٌ فما وُلِدتُ إلاّ وأنا حرٌّ ، ولكن أهلي ظلموني فباعوني . وأمّا السواد فأنا الذي أقول[2] : [من الوافر]

وإنْ أَكُ حالِكاً لَوْنِـي فإنِّي ... لِعَقْلٍ غيرِ ذي سَقَطٍ وِعاءُ
وما نزلتْ بِيَ الحاجاتُ إلاّ ... وفي عِرْضِي من الطَّمَعِ الحياءُ

[شعر النصيب في جارية طلبت منه أن يشبب بها]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال حُدّثتُ عن السَّدُوسيّ قال : وقَف نصيبٌ على أبيات فاستسقى ماءً ، فخرجتْ إليه جاريةٌ بلبنٍ أو ماءٍ فسَقَتْه ، وقالت : شَبِّبْ بي . فقال : وما اسمُكِ ؟ فقالت : هندٌ . ونظر إلى جبلٍ وقال : ما اسم هذا العَلَم ؟ قالت : قَناً . فأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أُحِبُّ قَناً من حُبِّ هندٍ ولم أكُنْ ... أُبالي أقُربــاً زادَه الله أم بُعْدا
ألاَ إنّ بالقِيعانِ من بطن ذي قَناً ... لنا حاجــةً مالتْ إليه بنا عَمْدا
أَرُوني قَنــاً أنظُــرْ إليــه فإنّني ... أُحِبُّ قَناً إنّي رأيتُ بــه هِنْدا

1 ديوان نصيب : 73 عن الأغاني ومعجم الأدباء .
2 ديوان نصيب : 57 عن الأغاني .
3 ديوان نصيب : 84–85 عن الأغاني .

قال : فشاعت هذه الأبيات ، وخُطبت هذه الجارية من أجلِها ، وأصابت بقول نصيب فيها خيراً كثيراً .

[نصيب وجارية خطبها فأبت ثم تزوّجته]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل بن نَبيه قال حدّثنا محمد بن سلاَّم قال : دخل نصيبٌ على يزيد بن عبد الملك ، فقال له : حدِّثني يا نُصيب ببعض ما مرَّ عليك . فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، عُلِّقْتُ جارية حمراء ، فمكَثَتْ زماناً تُمنِّيني بالأباطيل ، فلمّا أُلححتُ عليها قالت : إليك عنِّي ؛ فوالله لكأنَّك من طَوارِق الليل . فقلت لها : وأنتِ والله لكأنّك من طوارق النهار . فقالت : ما أظرفك يا أسود ! فغاظني قولُها ، فقلت لها : هل تَدرين ما الظَّرف ؟ إنّما الظَّرف العقلُ . ثم قالت لي : انصرف حتى أنظر في أمرك . فأرسلتُ إليها هذه الأبيات[1] : [من الوافر]

فإن أَكُ حالِكاً فالمِسْكُ أحوى وما لِسَوادِ جِلْـدِي من دَواءِ
ولي كَـرَمٌ عـن الفَحْشاءِ ناءٍ كبُعْدِ الأرض مـن جوّ السَّماءِ
ومثْلِـي في رِجالِكُـمُ قليـلٌ ومثلُكِ ليس يُعْدَم في النِّساءِ
فإنْ تَرضَيْ فَرُدِّي قولَ راضٍ وإن تَـأْبَيْ فنحنُ على السَّواءِ

قال : فلمّا قرأَتِ الشِّعر قالت : المالُ والشِّعر يأتيان على غيرهما ؛ فتزوّجتْني .

[استجادة الأصمعي شعراً لنصيب]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرياشيّ قال : أنشدنا الأصمعيّ لنُصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها : قاتَل اللهُ نُصَيباً ما أشعَرَه[2] ! : [من الطويل]

فإنْ يَكُ من لوني السّوادُ فإنَّني لَكالمسكِ لا يَرْوى من المِسْكِ ذائقُهْ
وما ضَرَّ أثوابـي سَوادِي وتحتَها لِبـاسٌ مـن العَلْيـاءِ بيضٌ بنائقُهْ
إذا المرءُ لم يَبْذُلْ من الودّ مثلَ ما بذلتُ لـه فاعلَـمْ بأنِّي مُفارِقُهْ

[نصيب وجرير]

أخبرني الفَضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاَّم عن خَلَف : أنّ نُصَيباً أنشد جريراً شيئاً من شعره ، فقال له : كيف تَرى يا أبا حَزْرة . فقال له : أنت أشعرُ أهلِ جِلدتك .

[نصيب والوليد بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن

1 ديوان نصيب : 58 عن الأغاني .
2 ديوان نصيب : 110–111 وفيه تخريج كثير والبيت الأوّل مختلف عمّا هنا .

عبد العزيز بن عِمران بن محمد عن المِسْوَر بن عبد الملك قال : قال نُصَيب لعبد الرحمن بن أزهر : أنشدتُ الوليد بن عبد الملك ، فقال لي : أنت أشعر أهل جلدتك ، والله ما زاد عليها ! فقال لي عبد الرحمن : يا أبا مِحجن ، أفَرَضِيتَ منه أنْ جَعَلَكَ أشعرَ السُّودان فقط ؟ فقال له : وَدِدتُ والله يا ابن أخي أنّه أعطاني أكثر من هذا ، ولكنّه لم يفعل ولستُ بكاذبك .

[نصيب يصف شعره وشعر بعض معاصريه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبَيدة قال : قال لي محمد بن عبد ربِّه : دخلت مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أرَ قطُّ مثلَه ولا أشدّ سواداً منه ، ولا أنقى ثياباً منه ، ولا أحسن زِيّاً . فسألتُ عنه ، فقيل : هذا نُصَيب ، فدنوت منه فحدّثته ، ثم قلت له : أخبرني عنك وعن أصحابك . فقال : جَميلٌ إمامُنا ، وعمر بن أبي ربيعة أوصَفُنا لرَبَّات الحِجال ، وكُثَيِّر أبكانا على الدِّمَن وأمدحُنا للملوك ، وأمّا أنا فقد قلتُ ما سمعتَ . فقلت له : إنّ الناس يزعمون أنّك لا تُحسِن أن تَهْجُوَ . فضحِك ثم قال : أفتراهم يقولون : إنّي لا أُحسِن أن أمْدَح ؟ فقلت لا . فقال : أفما تَراني أُحسِن أن أجعلَ مكانَ عافاكَ الله أخزاكَ الله ؟ قال قلت بَلى . قال : فإنّي رأيتُ الناس رَجُلَيْن : إمّا رجلٌ لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوَه فأظلمه ، وإمّا رجلٌ سألته فمنعني فنفسي كانت أحقَّ بالهجاء ؛ إذ سوّلت لي أن أسأله وأن أطلُبَ ما لديه .

[نصيب وكثيّر والأحوص في مجلس]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عُبَيد الله كاتب المهديّ قال : وجدتُ في كتاب أبي بخطّه : حدّثني أبو يوسف التُّجِيبيّ قال حدّثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال : حدّثني النّصيب أبو مِحجن أنّه خرج هو وكُثَيِّر والأحوص غِبَّ يومٍ أمطرتْ فيه السماء ، فقال : هل لكم في أن نركَبَ جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنُمَتِّعَ فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم . فركبوا أفضلَ ما يَقدِرُون عليه من الدوابِّ ، ولبِسوا أحسن ما يقدِرون عليه من الثياب ، وتنكّروا ثم ساروا حتى أتَوا العقيق ، فجعلوا يتصفَّحون ويَرَون بعض ما يشتهون ، حتى رُفع لهم سوادٌ عظيم فأمُّوه حتى أتَوه ، فإذا وصائِفُ ورجالٌ من الموالي ونساءٌ بارزاتٌ ، فسألنهم أن ينزلوا ، فاستحيوا أن يُجيبُوهنّ من أوّل وَهلةٍ ، فقالوا : لا نستطيع أو نَمضي في حاجةٍ لنا . فحلَّفْنَهم أن يرجِعوا إليهنّ ، ففعلوا وأتوهنّ ، فسألنَهم النزول فنزلوا . ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنتْ لهم ، فلم تلبث أنْ جاءت المرأة فقالت : ادخلوا . فدخلنا على امرأة جميلة بَرْزةٍ على فُرُشٍ لها ، فرحَّبَتْ وحَيَّت ، وإذا كراسيُّ موضوعةٌ ، فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحد كلُّ إنسانٍ على كرسيّ . فقالت : إن أحببتُم أن ندعو بصبيٍّ لنا فنُصَيِّحَه ونَعرُكَ أُذنَه فعلْنا ، وإن شئتُم بدأنا بالغداء . فقلنا : بل تَدعِينَ بالصبيّ ولن يفوتنا الغداء . فأومأتْ

بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يَكُنْ إلاّ كلا ولا حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سُتِرَت بمُطرفٍ ، فأَمْسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُها[1] ، ثم كُشف عنها وإذا جاريةٌ ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جمال مَولاتِها ، فرحَّبتْ بهم وحيَّتْهم ، فقالت لها مولاتها : خُذِي ، وَيحك ، من قول النُّصيب عافى الله أبا مِحجن[2] : [من الطويل]

أَلا هل من البَيْنِ المُفرِّق من بُدِّ ... وهل مثلُ أيّامٍ بمُنْقَطَعِ السَّعْدِ[3]
تَمنَّيتُ أيّامي أُولئك ، والمُنى ... على عَهد عادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِي

فغنَّته ، فجاءت به كأحسن ما سمعتُه قطّ بأَحلى لفظٍ وأَشجى صوت . ثم قالت لها : خُذي أيضاً من قول أبي مِحجن عافى الله أبا مُحجن[4] : [من الكامل]

أَرِقَ المُحِبُّ وعادَه سَهَدُهْ ... لِطَوارِقِ الهـمِّ التـي تَرِدُهْ
وذكرتُ مَنْ رَقَّتْ له كَبِدِي ... وأَبى فليس تَرِقُّ لي كَبِدُهْ
لا قَومُه قَومِي ولا بلَدِي ... فنَكُونَ حيناً جيرةً ، بَلدُهْ
ووَجدْتُ وَجْداً لم يكن أحدٌ ... قَبلي مِنَ أجْلِ صَبابةٍ يَجدُهْ
إلاّ ابنُ عَجْلانَ الذي تَبَلَتْ ... هِنْدٌ فَفاتَ بنفسِهِ كَمَدُهْ[5]

قال : فجاءت به أحسنَ من الأوّل ، فكدتُ أَطِيرُ سروراً . ثم قالت لها : وَيحَكِ ، خُذي من قول أبي مِحجَن عافى اللهُ أبا مِحجَن[6] : [من الطويل]

فَيا لكَ مِـن ليلٍ تمتَّعتُ طُولَه ... وهـل طائفٌ مِـن نائـمٍ مُتَمَتِّعُ
نَعمْ إنّ ذا شَجْوٍ متى يَلقَ شَجْوَه ... ولـو نائمـاً مُسْتَعْتِبٌ أو مُوَدّ عُ
له حاجةٌ قـد طالَما قـد أَسَرَّها ... من الناسِ في صَدْرٍ بهـا يتصدَّ عُ
تحمَّلَهـا طُـولَ الزمـانِ لعلّهـا ... يكونُ لها يوماً مِـن الدهرِ مَنْزَ عُ
وقد قُرعتْ في أُمّ عمرٍو ليَ العَصا ... قَدِيماً كما كانتْ لذِي الحِلْمِ تُقْرَعُ[7]

1 ذهب بهرها : سكن روعها .
2 ديوان نصيب : 83 عن الأغاني .
3 السعد : موضع قريب من المدينة .
4 ديوان نصيب : 81 عن الأغاني .
5 فات بنفسه : ذهب بها .
6 ديوان نصيب : 101 .
7 المثل من بيت المتلمس «لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا» . فصل المقال (تحقيق إحسان عبّاس وعبد المجيد عابدين ص 148) .

قال : فجاءت والله بشيء حيَّرني وأَذهلني طَرَباً لحسنِ الغناءِ وسروراً باختيارها الغناء في شعري ، وما سمعتُ فيه من حُسن الصَّنعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت لها : خُذي أيضاً من قول أبي مِحجنٍ ، عافى الله أبا محجن[1] : [من البسيط]

يا أيُّها الرَّكبُ إنِّي غيرُ تابِعِكُمْ   حتى تُلِمُّوا وأَنتُمْ بِي مُلِمُّونا
فَما أَرى مِثلَكُمْ رَكْباً كشَكْلِكُمُ   يَدعوهُمُ ذُو هَوًى إلاّ يَعُوجُونا
أم خبِّروني عن دائي بعلمِكُمُ   وأعلمُ النّاسِ بالداءِ الأَطَبُّونا

قال نُصَيب : فوالله لقد زُهيتُ بما سمعتُ زَهْواً خَيَّل إليّ أنّي من قُريش ، وأنّ الخلافة لي . ثم قالت : حَسبُكِ يا بُنيّة ! هاتِ الطعام يا غلام ! فوثب الأحوص وكُثيِّر وقالا : والله لا نَطعَمُ لكِ طعاماً ولا نجلسُ لك في مجلس ؛ فقد أسأتِ عِشرتنا واستخففتِ بنا ، وقدّمتِ شعرَ هذا على أشعارنا ، واستمعتِ الغناء فيه ، وإن في أشعارنا لَما يَفضُلُ شِعره ، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا . فقالت : على معرفةٍ كلٌّ ما كان منّي ، فأيُّ شعرِكما أفضلُ من شعره ؟ أقولُك يا أحوص : [من الطويل]

يَقَرُّ بعيني ما يقَرّ بعينها   وأحسنُ شيءٍ ما بِهِ العينُ قَرَّتِ

أو قولك يا كثَيِّر في عَزّة : [من الطويل]

وما حَسِبَتْ ضَمْرِيَّةٌ جُدَوِيَّةٌ   سِوى التَّيسِ ذي القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلا[2]

أم قولك فيها : [من الوافر]

إذا ضَمْرِيَّةٌ عطَستْ فنِكْها   فإن عُطاسَها طَرَفُ السِّفادِ

قال : فخرجا مُغضَبَيْن واحتَبَسَتْنِي ، فتغدّيت عندها ، وأمرت لي بثلثمائة دينار وحُلَّتَيْن وطيب ، ثم دفعت إليّ مائتيّ دينار وقالت : ادفَعها إلى صاحبَيك ؛ فإن قَبِلاها وإلاّ فهي لك . فأتيتُهما منازلهما فأخبرتُهما القصّة . فأمّا الأحوص فقبِلَها ، وأمّا كثيِّر فلم يقبلها ، وقال : لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها ، فأخذتها وانصرفتُ . فسألتُ النُّصَيب : ممّن المرأة ؟ فقال : من بني أُميّة ولا أذكرُ اسمها ما حييتُ لأحد .

[رثاء نصيب عبد العزيز بن مروان]

أخبرني عيسى بن يحيى الورّاق عن أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ قال : وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إيّاها ، فخرج هارباً منه فنزل بقريةٍ من الصعيد

---

1 ديوان نصيب : 137–138 عن الأغاني .
2 جدوية : نسبة إلى جدي بن ضمرة الكناني .

يقال لها «سُكَّرٌ» . فقدِمَ عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ فقال : طالب بن مُدرِك . فقال : أوّهْ ، ما أُراني راجعاً إلى الفُسطاط أبداً ! ومات في تلك القرية . فقال نُصيبٌ يرثيه[1] : [من المنسرح]

أُصِبْتُ يومَ الصعيد من سُكَرٍ ... مصيبةً ليس لي بهـا قِبَلُ
تـاللهِ أَنْسى مصيبتِي أبـداً ... مـا أسمَعَتْني حَنِينَهـا الإبلُ
ولا التَّبَكّـي عليـه أُعْوِلُـه ... كلُّ المصيباتِ بعـدَه جَلَلُ
لم يعلمِ النَّعْشُ ما عليه من الـ ... ـعُرْفِ ولا الحاملون ما حَمَلُوا
حتـى أجَنُّـوه في ضَرِيحِهِـمُ ... حِينَ انتهى من خليلِكَ الأملُ

غنّى في هذه الأبيات ابن سُريج ، ولحنُه رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر الهِشاميّ أنّ له فيه لحناً من الهزج ، وذكر ابن بانَةَ أنّ الرَّمَل لابن الهِرْبِذِ[2] :

أخبرني محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مُصعب الزبيريّ عن مشيخةٍ من أهل الحجاز : أنّ نُصَيباً دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أنشِدْني بعض ما رَثَيْتَ به أخي ؛ فأنشده قولَه[3] : [من الطويل]

عرفتُ وجرّبتُ الأُمورَ فما أَرى ... كماضٍ تَـلاه الغابـرُ المتـأخِّرُ
ولكنَّ أهلَ الفضلِ من أهلِ نِعْمَتِي ... يمـرُّون أَسْلافـاً أمامـي وأَغْبُرُ
فإن أَبْكِهِ أُعْذَرُ وإن أَغلِبِ الأَسى ... بصبرٍ فمِثْلِي عندمـا اشتدَّ يَصْبِرُ
وكانت رِكابي كلّما شئتُ تَنْتَحِي ... إليكَ فتَقْضِي نَحْبَها وهـي ضُمَّرُ
تَـرى الوِرْدَ يُسْراً والثَّواءَ غنيمةً ... لديكَ وتُثْنِي بالرِّضا حين تَصْدُرُ
فقـد عَرِيتْ بعـدَ ابنِ لَيْلى فإنّما ... ذُراها لمن لاقـتْ من الناس مَنْظَرُ
ولـو كان حيّـاً لم يَزَلْ بدُفُوفِها ... مَـرادٌ لغِرْبـانِ الطريـق ومَنْقَرُ[4]
فإن كُنَّ قـد نِلْنَ ابنَ لَيْلى فإنّه ... هـو المصطفى مـن أهلِهِ المُتَخَيَّرُ

فلمّا سمع عبد الملك قوله : [من الطويل]

فإن أبكِه أُعْذَرْ وإن أَغلِبِ الأَسى ... بصبرٍ فمثلي عندمـا اشتدّ يصبرُ

1 ديوان نصيب : 103 عن الأغاني .
2 هو إسماعيل بن الهربذ ، وكان مولىً لآل الزبير .
3 ديوان نصيب : 87–88 عن الأغاني ولكن مسقط منه عجز البيت الرابع وصدر الخامس .
4 الدف : الجنب ، والضمير في دفوفها يعود إلى «ركاب» في بيت سابق .

قال له : ويلَك ! أنا كنتُ أحقَّ بهذه الصفة في أخي منكَ ؛ فهلاَّ وصفْتَني بها ؛ وجعل يبكي .

[نصيب وعبدالله بن إسحاق البصري]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كُناسةَ قال : قال لي عبد الله بن إسحاق البصْريّ : لو وَليتُ العراقَ لاستكتبتُ نُصَيباً . قلتُ : لماذا ؟ قال لفصاحته وحسن تخلُّصه إلى جيِّد الكلام ، ألم تسمع قوله[1] : [من الطويل]

فلا النفسُ مَلَّتها ولا العينُ تنتهي إليها سوامي الطَّرْف عنها فتَرْجِعُ
رأتْها فما تَرْتَدُّ عنها سآمةً ترى بدلاً منها به النَّفْسُ تَقْنَعُ

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن محمد بن الحسن قال : دخل نُصَيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له . فقال إبراهيم : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دَهْبَلٍ لصاحبِنا ابن الأزرق حيث يقول : [من البسيط]

إن تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَخْلانَ مُرْتَحِلاً يَرْحَلْ من اليمنِ المعروفُ والجودُ[2]

قال : فغضِب نُصَيبٌ ونزع عِمامته وبرك عليها ، وقال : لئن تأتُونا برجالٍ مثل ابن الأزرق نأتِكم بمثل مديح أبي دهبل أو أحسن ؛ إنّ المديح والله إنّما يكون على قدر الرجال . قال : فأطرق ابن هشام ، وعَجِبوا من إقدام نُصَيبٍ عليه ، ومن حِلم ابن هشام وهو غير حَليم[3] .

[نصيب وأمّ بكر الخزاعية]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ : أنّ نصيباً كان ربّما قَدِم من الشام فيَطرَحُ في حِجر أُمّ بَكْرٍ الخزاعيّة أربعمائة دينار ، وأنّ عبد الملك بن مروان ظهر على تعلُّقه بها ونسيبِه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كفّ عن ذاك .

[نصيب يعترف أنّه كان يستعصي عليه أحياناً قول الشعر]

أخبرني محمد بن مزيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَفيّ عن أبيه قال : رأيتُ النُّصَيب بالطائف ، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قُوهِيٌّ ورداءٌ وحِبَرَةٌ[4] ، فجعل يُنشِدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال : إنّ الوادي مَسْبَعَةٌ ، فمَنْ أهلُ المجلس ؟

---

1 ديوان نصيب : 102 .
2 المنتقل : الطريق في الجبل ؛ وفي رواية «نجران» .
3 بعد هذا في (ل) خبر مرَّ من قبل .
4 الحبرة : ضرب من برود اليمن .

قالوا : ثَقِيف ؛ فعرَف أنَّا نُبغضُ ابن هشام ويُبغِضُنا ، فقال : إنّا لله أبعدَ ابنِ ليلى أُمتَدِح ابن جَيْداء ! فقال له بعض أهل المجلس : يا أبا مِحجَن ، أتطلبُ القريض أحياناً فيعسُر عليك ؟ فقال : إي والله لربَّما فعلتُ ، فآمرُ براحلتي فيُشَدُّ بها رَحْلِي ، ثم أُسير في الشِّعاب الخالية ، وأقف في الرِّباع المُقْوِيَة ، فيُطرِبُني ذلك ويُفتح لي الشعرُ . والله إنِّي على ذلك ما قلتُ بيتاً قطُّ تستحِي الفتاة الحَيِيَّة من إنشاده في سِتْر أبيها . قال إسحاق قال عثمان بن حفص فوصفَه أبي وقال : كأنِّي أراه صَدْعاً[1] خفيف العارضين ناتىء الحَنجرة .

[نصيب وابن أبي عتيق]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال : أنشد نُصيب قوله : [من الطويل]

وكِدْتُ ولَم أُخْلَقْ من الطيرِ إن بدا لهـا بـارقٌ نحـوَ الحجـاز أطيرُ

فسمعه ابن أبي عتيق ، فقال : يا ابن أُمّ ، قُلْ غاقٍ فإنّك تَطير . يعني أنّه غُرابٌ أسودُ .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أَسَد قريشٍ قال : قال ابن أبي عتيق لنُصيب : إنِّي خارجٌ ، أفترسلُ إلى سُعْدَى بشيء ؟ قال : نعم ، بيتَيْ شِعرٍ . قال : قل ؛ فقال : [من الطويل]

أتصبرُ عـن سُعْدى وأنت صَبُورُ وأنت بحُسْنِ الصبرِ مِنْـكَ جديرُ
وكدتُ ولَم أُخلَق مِنَ الطيرِ إن بدا سنا بـارقٍ نحـوَ الحجـازِ أطيرُ[2]

قال : فأنشد ابن أبي عتيق سُعدى البيتين ، فتنفَّست تنفُّسةً شديدةً . فقال ابن أبي عتيق : أوَّهْ ! أَجَبْتِه والله بأجود من شعره ، ولو سمعك خليلُك لنَعق وطار إليك .

[نصيب والحكم بن المطّلب]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيثم الكاتب قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق المَوصِليّ عن المُسَيَّبِيّ قال : قال أبو النَّجم : أَتيتُ الحَكَم بن المُطَّلب فمدحتُه ، وخرج إلى السِّعاية[3] فخرجنا معه ومعه عدَّةٌ من الشعراء . فبينا هو مع أصحابه يوماً واقفٌ ، إذا براكب يُوضع في السراب[4] وإذا هو نُصيب ، فتقدّم إليه فمدحه فأمر بإنزاله ، فمكث أيّاماً حتى أتاه فقال : إنِّي قد خلَّفْتُ صِبيةً صِغاراً وعِيالاً ضِعافاً . فقال له : ادخُلِ الحظيرةِ فخُذ منها سبعين فَريضةً[5] . فقال له :

1 الصدع : الرجل حين يكون خفيف اللحم .
2 سنا في ل : لها .
3 السعاية : جمع الزكاة .
4 في رواية : يوضع في السير .
5 الفريضة : ناقة عمرها سنة .

جعلني الله فداك قد أحسنت ، ومعي ابنٌ لي أخاف أن يَثْلِمها[1] عليّ . قال : فادخل فخذ له سبعين فريضة أُخرى ؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضة .

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير عن محمد بن الضَّحَّاك عن عثمان عن أبيه قال : قيل لنُصَيب : هَرِمَ شِعرُك . قال : لا والله ما هَرِمَ ، ولكن العطاء هَرِمَ ، ومن يُعطيني مثل ما أعطاني الحكَم بن المطّلب ؟ خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صَدَقات المدينة ، فلمّا رأيته قلت[2] : [من الوافر]

أبا مَـروانَ لستَ بخارجيٍّ ... وليس قديمُ مجـدِك بانتحالِ[3]

أغَرُّ إذا الرِّواقُ انجـابَ عنه ... بَـدا مثـلَ الهـلالِ على المِثالِ

تَـراءاه العيـونُ كما تَـراءى ... عَشيَّةَ فِطْرِهـا وَضَحَ الهلالِ

قال : فأعطاني أربعمائة ضائنةٍ ومائةَ لِقْحَةٍ ، وقال : ارفَعْ فِراشي ؛ فرفعته فأخذتُ من تحته مائتَيْ دينارٍ .

[نصيب وكثير عند أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني أسعدُ بن عبد الله المريّ[4] عن إبراهيم بن سعيد بن بِشر بن عبد الله بن عقيل الخارجيّ عن أبيه قال : والله إنّي لَمَع أبي عُبيدة بن عبد الله بن زمعة في حِواءٍ[5] له ، إذ جاءه كُثيِّر فحيّاه ، فاحتفى به ، ودعا بالغداء فشرَعنا فيه وشرع معنا كُثيِّر ؛ وجاء رجلٌ فسلَّم فردَدنا عليه السلام واستدْنَيناه ، فإذا نُصيب في بِزّةٍ جميلةٍ قد وافى الحجَّ قادماً من الشام ، فأكبَّ على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء ، فأكل مع القوم ، فرفع كثيِّر يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل عليه أبو عُبَيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى فتركوه . وأقبل كثيِّر على نُصَيب فقال : والله يا أبا مِحجَن ، إنّ أثر الشام عليك لجميل ، لقد رجعتَ هذه الكَرَّة ظاهرَ الكِبْر قليلَ الحياء . فقال له نُصَيب : لكنّ أثرَ الحجازِ عليك يا أبا صَخر غير جميل . لقد رجعت وإنّك لزائدُ النقصِ[6] ، كثير الحماقة . فقال كثيّر : أنا والله أشعرُ العرب حيث أقول لمَولاتِك : [من الوافر]

1 يثلمها : يحدث فيها ثلماً أي نقصاً .
2 ديوان نصيب : 119 عن الأغاني .
3 خارجي : حديث عهد بالرفعة والشرف .
4 ل : المزني .
5 الحواء : مجموعة من بيوت الشعر .
6 ل : التقصير .

إذا أَمْسَيتُ بَطْنُ مَجاحَ دُوني ... وعَمْـقٌ دون عَـزَّةَ فالبَقِيعُ[1]
فليس بلائِمِـي أحـدٌ يُصَلِّـي ... إذا أخذتْ مَجارِيَهـا الدموعُ

فقال له نُصيب : أنا واللهِ أشعرُ منكَ حيث أقول لابنة عمِّك[2] : [من الطويل]

خَلِيـلَيَّ إنْ حَلّتْ كُلَيَّةَ فالرُّبى ... فذا أَمَجٍ فالشِّعْبَ ذا الماء والحَمْضِ[3]
فأصبَح مـن حَوْرانَ رَحْلِي بمنزلٍ ... يُبَعِّده من دونها نازحُ الأرضِ[4]
وأَيْأَسْتُما أنْ يجمعَ الدهـرُ بيننَا ... فَخُوضا لِيَ السمَّ المُصَرَّحَ بالمَحْضِ[5]
ففي ذاك من بعضِ الأُمورِ سلامةٌ ... ولَلْمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ على غَمْضِ

قال : فاقْتَحَم إليه كثيِّر ، وثبت له النُّصيب . فلمّا نالتْه رِجلاه رمَحه نصيبٌ بساقه[6] رَمْحةً طاح منها بعيداً عنه ، فما زال راقداً حتى أَيقظناه عَشيّاً لرَمْي الجِمار .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير عن محمد بن موسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر بن عثمان النَّحويّ عن أنيس بن ربيعة الأَسْلَميّ أنّه قال : غدوتُ يوماً إلى أبي عُبَيدة بن عبد الله بن زمعة وهو مُحْتَـلٌّ بالرَّحبة[7] ، فألقيتُ عنده جماعةً منّا ومن غيرنا ، فأتاه آتٍ فقال له : ذاك النُّصَيب منذ ثلاثٍ بالفَرْش[8] من مَلَل مُتَلَدِّدٌ كأنّه والهٌ في أَثَر قومٍ ظاعنين . فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه ، فإذا نُصيب على المنحر من صَفَر[9] . فلمّا عايَننا وعرَف أبا عُبَيدة هبَط ؛ فسأله عن أمره ، فأخبره أنّه تَبِع قوماً سائرين وأنّه وجد آثارهم ومَحَلَّهم بالفَرْشِ فاستوْلَهه ذلك . فضحِك به أبو عُبَيدة والقوم ، وقالوا له : إنّما يُهْتَر[10] إذا عَشِق مَن انتسب عُذريّاً ، فأمّا أنت فمالَكَ ولهذا ؟! فاستحيا وسكَن . وسأله أبو عُبَيدة : هل قلتَ في مُقامِك شِعراً ؟ قال : نعم ، وأنشد[11] : [من الطويل]

1 مجاح : بعد مدلجة للذاهب من مكّة إلى المدينة . وعمق : من أودية الطائف .
2 ديوان نصيب : 100 عن الأغاني .
3 ذو أمج : من أعمال المدينة .
4 رحلي في ل : أهلي .
5 أن يجمع الدهر في ل : أن تجمع الدار .
6 ل : برجله .
7 الرحبة : متسع من الأرض ، وبه يسمّى المكان .
8 الفرش : اسم واد .
9 صفر : جبل قرب ملل .
10 يهتر : يذهب عقله .
11 ديوان نصيب : 98–99 عن الأغاني .

لَعَمْري لئن أَمْسَيْتَ بالفَرْشِ مُقْصَداً ثَوِيَّاكَ عَبُّودٌ وعُدْنَــةُ أو صَفَرْ[1]
ففَــرِّع صَبّاً أو تيمَّــم مُصْعِداً لِرَبْع قديمِ العهدِ يَنْتَكِفُ الأَثَرْ[2]
دَعا أهلَــه بالشام بَرْقٌ فأَوْجَفُوا ولم أَرَ متبوعــاً أضرَّ مـــن المَطَرْ
لَتَسْتَبْدِلَنْ قلبــاً وعينــاً سِواهُما وإلاّ أتى قصداً حُشاشَتَكَ القَدَرْ
خَلِيــليَّ فيمـــا عِشْتُمــا أو رأيتُما هل اشتاق مَضْرورٌ إلى من به أَضَرّ
نعـــمْ رُبّما كان الشَّقاءُ مُتَيَّحــاً يُغطِّي على سَمْعِ ابنِ آدمَ والبَصَرْ[3]

قال : فانصرف به أبو عبيدة إلى منزله ، وأطعمه وكَساه وحَمَله ، وانصرف وهو يقول[4] : [من الوافر]

أصابَ دواءَ عِلَّتِــكَ الطبيبُ وخاضَ لكَ السُّلُوَّ ابنُ الرَّبيبِ
وأَبْصَرَ مِــنْ رُقــاكَ مُنَفِّثاتٍ وداؤك كان أَعْـرَفَ بالطَّبيبِ

[نصيب ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : دخل نُصَيب على يزيد بن عبد الملك ذاتَ يوم ، فأنشده قصيدةً امتدحه بها ، فطرِب لها يزيد واستحسنها ، فقال له : أحسنتَ يا نُصَيب ! سَلْني ما شئتَ . فقال : يَدُكَ يا أمير المؤمنين بالعَطاء أَبْسَطُ من لساني بالمسألة ؛ فأمر به فمُلِىء فمُه جَوهراً ، فلم يزل به غَنِيّاً حتى مات .

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غُزيَّةَ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال : دخل نُصَيبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة ، فأنشده قوله : [من البسيط]

يا ابنَ الهِشامَيْن لا بَيْتٌ كَبَيْتِهما إذا تَسامَتْ إلى أحسابِها مُضَرُ

فقال له إبراهيم : قم يا أبا مِحجَن إلى تلك الراحلة المَرحولة فخُذها برَحلِها . فقام إليها نُصَيب متباطئاً والناس يقولون : ما رأينا عَطِيَّةً أَهْنأَ من هذه ولا أكرم ولا أَعجَل ولا أَجزَل . فسمعهم نُصَيب فأقبل عليهم وقال : والله إنّكم قلَّما صاحبتُم الكِرام ؛ وما راحلةٌ ورَحْلٌ حتى تَرفعوهما فوق قَدْرِهما !

---

1 عبود : اسم جبل . عدنة : ثنية قرب ملل .
2 ففرع صباً : ذهب منحدراً . ينتكف الأثر : يقصه ويتتبّعه .
3 متيّحاً : مقدّراً .
4 ديوان نصيب : 70 عن الأغاني .

[نصيب وهشام بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميّ وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا الزُّبير عن عبد الله بن محمد بن [عبد الله بن] عمرو بن عثمان بن عفّان عن أبيه قال: استبطأ هشام بن عبد الملك حين وَلِيَ الخلافة نُصَيباً ألاّ يكونَ جاءه وافِداً عليه مادحاً له ووَجَدَ عليه. وكان نُصَيب مريضاً، فبلغه ذلك حين بَرأ، فقَدِمَ عليه وعليه أثرُ المرض وعلى راحلته أثرُ النَّصَب، فأنشده قصيدته التي يقول فيها[1]: [من الطويل]

حَلَفتُ بمَـنْ حَجَّتْ قريشٌ لبيتِه ... وأَهْدَتْ لـه بُدْنـاً عليها القلائدُ
لئن كنتُ طالتْ غَيْبَتِي عنكَ إنَّني ... بمَبْلغِ حَوْلـي في رِضاكَ لَجاهِدُ
ولكنَّني قـد طالَ سُقْمِي وأكثرتْ ... عليَّ العِهادَ المُشْفِقاتُ العَوائِدُ[2]
صَرِيعُ فِراشٍ لا يَزَلْنَ يَقُلْنَ لي ... بنُصْحٍ وإشفاقٍ متـى أنت قاعدُ
فلمّا زجَرْتُ العِيسَ أَسْرَتْ بحاجتي ... إليكَ وذلَّـتْ للِّسانِ القصائدُ
وإنِّي فـلا تَسْتَبْطِنـي بمَودَّتـي ... ونُصْحـي وإشْفاقِي إليـكَ لَعامِدُ
فلا تُقْصِنِي حتى أكـونَ بصَرْعَةٍ ... فييأَسَ ذو قُرْبى ويَشْمَتَ حاسدُ[3]
أَنِلْنِـي وقرِّبنـي فإنِّـيَ بالـغٌ ... رِضاكَ بعَفْوٍ مـن نَـداكَ وزائِدُ
أَبِتْ نائمـاً أمّـا فؤادِي فهَمُّه ... قليلٌ وأمّـا مَسُّ جِلْـدِي فبارِدُ
وقد كان لي منكم إذا ما لَقِيتكُمْ ... لَيـانٌ ومعـروف وللخيرِ قائدُ[4]
إليك رَحَلَتُ العِيسَ حتّى كأنَّها ... قِسيُّ السُّرى ذُبْلاً بَرَتْها الطَّرائِدُ
وحتى هَوادِيهـا دِقاقٌ وشَكْوُها ... صَرِيفٌ وباقي النِّقْيِ منها شَرائِدُ[5]
وحتّى وَنَتْ ذاتُ المِراحِ فأَذعنتْ ... إليـكَ وكَلَّ الرَّاسِماتُ الحَوافِدُ[6]

قال: فرقَّ له هشام وبكى، وقال له: ويحَك يا نُصَيب! لقد أضرَرْنا بك وبرواحِلِك. ووصَله وأحسَن صِلَتَه واحتفل به.

[نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة]

أخبرنا الحِرْميُّ عن الزُّبير عن عمِّه عن أيّوب بن عباية قال: قدِم نُصَيبٌ على عبد الواحد

1 ديوان نصيب: 76–77 عن الأغاني.
2 العهاد هنا: الدموع وأصل معناها الأمطار.
3 الصرعة هنا: الموت.
4 اللبان: النعمة والترفيه.
5 هواديها: أعناقها. وشكوها: شكواها. صريف: احتكاك أسنانها؛ النقي: مخ العظام. شرائد: بقايا.
6 ذات المراح: الناقة النشيطة؛ الراسمات: اللواتي يمشين الرسيم؛ والحوافد: المسرعات.

النَّصريّ وهو أمير المدينة بفَرضٍ من أمير المؤمنين يضعَهُ في قومه من بني ضَمرة ، فأدخلهم عليه ليفرِض لهم وفيهم أربعة غِلمة لم يَحْتَلِمُوا ، فردَّهم النَّصريّ . فكلَّمه نُصَيبٌ كلاماً غليظاً إدلالاً بمنزلته عند الخليفة ، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع أن اسكتْ وكُفَّ واخرُج ؛ فإنّي كافيكَ . فلمّا خرج إبراهيم لقيَه نُصَيب ، فقال له : أشرتَ إليّ فكرهتُ أن أُغضِبَك ، فما كَرِهتَ لي من مراجعته والصَّلابة له ومن ورائي المُستعتَب من أمير المؤمنين ؟ فقال إبراهيم : هو رجلٌ عربيّ حديدٌ غَلِقٌ ، وخَشِيتُ إن جاذبتَه شيئاً ألاّ يرجع عنه وأن يَمضي عليه ويَلِجَّ فيه ، وهو مالكٌ للأمر وله فيه سلطان ، فأردتُ أن تخرُج قبل أن يَلِجَّ ويظهرَ منه ما لا يرجعُ عنه فيَمضي عليه ويَلِجَّ فيه ؛ فتنتظِر لتُصادِف منه طِيبَ نفس فتكلِّمَه ونُرفِدكَ عنده . فقال نُصَيب : [من الرجز]

يَوْمـانِ يــومٌ لِرُزَيْقٍ فَسْلُ ويومُــه الآخـرُ سَمْحٌ فَضْلُ[1]

أنا ، جُعلتُ فِداءك ، فاعلٌ ذلك ؛ فإذا رأيتَ القولَ فأَشِرْ إليّ حتى أُكلِّمَه . قال : ودخل إليه نُصيب عَشيّاتٍ ، كلَّ ذلك يُشير إليه ابن مُطيع ألاّ يكلّمه ، حتى صادفَ عَشيّةً من العَشيَّاتِ منه طِيبَ نَفس ، فأشار إليه أن كلِّمه . فكلَّمه نُصيبٌ فأصاب مَخْتِلَه بكلامه ، ثم قال : إنّي قد قلتُ شعراً فاسمَعه أيّها الأمير وأجزه ، ثم قال[2] : [من الطويل]

أهاجَ البُكا رَبْعٌ بأسْفَلِ ذي السِّدْرِ عَفاهُ اختِلافُ العَصْرِ بعدَك والقَطْرِ[3]
نَعمْ فَثَناني الوجدُ فاشتقتُ لِلَّذي ذكرتُ وليس الشوقُ إلاّ معَ الذِّكرِ
حَلفتُ بِــربّ المُوضِعِين لِربِّهــمْ وحُرمــةِ مـا بينَ المَقامِ إلى الحجْرِ
لئن حاجتي يوماً قَضَيتَ ورِشْتَني بِنفْحة عُرْف من يَديــكَ أبا بِشرِ[4]
لَتَعْتَرِفَــنَّ الدَّهــرَ مِنّــي مودَّةً ونُصْحاً على نُصْحٍ وشُكْراً على شُكرِ
سَقى اللهُ صَوْب المُزْنِ أرضاً عَمَرْتَها بريٍّ وأَسْقاها بِــلادَ بنِــي نَصْرِ
بوجهِك فاستُعْمِلْتَ ما دُمْتَ خائفاً لِربِّك تَقضِــي راشِداً آخِرَ الدَّهْرِ
لِتُنْقِذَ أصحابــي وتَستُرَ عَورةً بَدتْ لكَ من صَحْبِي فإنّكَ ذو سَتْرِ
فمــا بأمير المؤمنــين إلى التــي سألتُ فأعطاني لقومــيَ من فَقْرِ

---

1 الفسل : الرذل .
2 ديوان نصيب : 95–96 عن الأغاني .
3 ذو السدر : اسم موضع لم يحدده ياقوت .
4 لئن حاجتي يوماً في ل : لئن أنت حاجاتي .

وقــد خرجتْ منهُ إليك فلا تكن بموضِع بَيْضاتِ الأنوقِ من الوَكْرِ[1]

قال : فقال عثمان بن حَيّان المُرِّيّ وهو عنده ، وكان قد جاءه بالقَوَد من ابنِ حَزْم : قَدِ احتلَم الآن القومُ أيّها الأمير ، واستوجَبُوا الفَرْضَ . ورَفَده ابنُ مُطيع فأَحْسن ، واشتدَّ عليه أن شَرِكه ابنُ حَيّان في رَفده وتَشييعه . وقال النَّصْرِيّ لابن مُطِيع وابن حَيَّان : صَدَقتُما قد احتلَموا واستوجَبُوا الفَرضَ ، افرِضْ لهم يا فلانُ ، لكاتبٍ من كُتّابه ، فَفَرض له .

[نصيب يحدث أنّه عشق أمة لبني مدلج]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني جعفر بن عليّ اليَشْكُرِيّ قال حدّثني الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال : دخل نُصَيبٌ على عبد العزيز بن مروان ، فقال له عبد العزيز وقد طال الحديث بينهما : هل عَشِقْتَ قطُّ ؟ قال : نعمْ ، أمَةً لبني مُدْلِج . قال : فكنتَ تصنَعُ ماذا ؟ قال : كانوا يَحْرُسُونها منّي ، فكنتُ أقنَع أن أراها في الطَّريق وأُشيرَ إليها بعيني أو حاجبي ، وفيها أقول[2] : [من الطويل]

وقَفْــتُ لهــا كَيْما تَمُــرَّ لعلّنــي أُخالِسُها التّسليـمَ إن لم تُسَلِّمِ

ولمّا رأتنِــــي والوُشاةَ تحدّرتْ مَدامعُهــــا خوفــــاً ولم تتكلَّمِ

مَساكينُ أهلُ العِشق ما كُنتُ أشتَرِي جميــعَ حَيـاةِ العاشقِين بدِرْهَمِ

فقال عبد العزيز : وَيْحَكَ ، فما فعَلتْ ؟ قال : بِيعتْ فأولَدها سيِّدُها . قال : فهل في نفسِك منها شيء ؟ قال : نعَم ، عَقابِيل أحزان .

[حمل عبد العزيز بن مروان ديناً عن نصيب]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني بُهْلُول بنُ سليمان بن قِرضاب البَلَويّ : أنّ إبلاً لنُصَيب أَجدَبتْ وحالت[3] ، وكان لرجل من أَسلَمَ عليه ثمانيةُ آلافِ درهمٍ . قال : فأخبرني أبي وعمِّي أنّه وفَدَ على عبد العزيز بن مروان ، فقال له : جعَلني الله فداءَك ، إنّي حَمَلتُ دَيناً في إبل ابتعتُها مُجدِباتٍ حِيال ، وقد قلتُ فيها شعراً . قال : أَنشِده ، فأنشدَه[4] :

فلمّا حَمَلْتُ الدَّيْنَ فيها وأصبحتْ حِيالاً مُسِنّاتِ الهوى كِدْتُ أندَمُ

على حينِ أن راثَ الربيعُ ولم يكن لهــا بصَعِيدٍ مـن تِهامَةَ مَقْضَمُ[5]

---

1 بيضات الأنوق ، لا تنال ، ولذلك يضرب المثل بعزتها .

2 ديوان نصيب 131–132 عن الأغاني وغيره .

3 حالت : لم تحمل .

4 ديوان نصيب : 126 عن الأغاني .

5 راث : أبطأ . راث الربيع في ل : راث الزمان .

ثمانيـــةٌ للأسْلَمِيِّ ومـا دَنـا لفُحْشٍ ولا تدنو إلى الفُحْشِ أَسْلَمُ

فقال له عبد العزيز : فما دَيْنُك ويحك ؟ قال : ثمانية آلاف ، فأمر له بثمانية آلاف درهم . فلمّا رجَع أنشد الأسلميّ الشعرَ فتركَ ما له عليه ، وقال : الثمانيةُ الآلاف لك .

[نصيب والنسوة الثلاث]

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني المَوْصِليّ عن ابن أبي عُبَيدة قال : أتى نُصَيب مكّة فأتى المسجد الحرامَ ليلاً . فبينما هو كذلك إذ طلَع ثلاثُ نسوةٍ فجلسْن قريباً وجعلن يتحدّثن ويتذاكرْنَ الشعر والشعراء ، وإذا هنّ من أفصحِ النساء وآدبِهنّ . فقالت إحداهنّ : قاتل الله جميلاً حيث يقول : [من الطويل]

وبـينَ الصَّفا والمَرْوتـين ذكرتُكـم بمُخْتَلفٍ مـا بـين ساعٍ ومُوجِفُ
وعنـد طَوافي قـد ذكرتُـكِ ذُكْرةً هي الموتُ بل كادتْ على الموتِ تَضْعفُ

فقالت الأُخرى : بل قاتل اللهُ كُثَيِّر عَزَّةَ حيث يقول : [من الطويل]

طَلَعْنَ علينا بـين مَرْوَةَ والصَّفا يَمُرْنَ على البَطْحاءِ مَوْرَ السحائبِ
فكِدْنَ لَعمْـرُ اللهِ يُحْدِثْنَ فتنةً لُمختَشِعٍ مـن خَشْيَةِ اللهِ تائِبِ

فقالت الأُخرى : قاتل اللهُ ابنَ الزانية نُصَيباً حيث يقول : [من الطويل]

ألامُ عـلى لَيْلى ولـو أستطيعُهـا وحُرْمةِ مـا بـين البَنِيَّةِ والسِّتْرِ
لَمِلْـتُ على لَيْـلى بنفسيَ مَيْلةً ولو كان في يوم التَّحالُق والنَّحْرِ

فقام نصيبٌ إليهنّ فسلَّم عليهنّ ، فردَدْنَ عليه السلام . فقال لهنّ : إنِّي رأيتُكنّ تتحادَثْنَ شيئاً عندي منه علمٌ . فقلن : ومن أنت ؟ فقال : اسمَعْنَ أوّلاً . فقلن : هاتِ . فأنشدهنّ قصيدتَه التي أوّلها : [من البسيط]

ويــومَ ذي سَلَمٍ شاقَتْكَ نائحةٌ وَرْقـاءُ في فَنَنٍ والريحُ تضطربُ

فقلن له : نسألك بالله وبحقِّ هذه البَنيَّة ، من أنت ؟ فقال : أنا ابنُ المظلومةِ المقذوفة بغير جُرم «نُصَيب» . فقُمْن إليه فسلَّمن عليه ورحَّبنَ به ، واعتذرت إليه القائلة ، وقالت : والله ما أردت سوءاً ، وإنّما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعتَ . فضحك وجلس إليهنّ ، فحادثهنّ إلى أنِ انصرفن .

[8] ـ أخبار ابن مُحرز ونسبه

[نسب ابن محرز]

هو مُسْلم بن مُحرز فيما رَوى ابنُ المَكّي ، ويُكْنى أبا الخطَّاب ، مولى بني عبد الدَّارِ بن قُصَيّ . وقال ابن الكلبيّ : اسمه سَلْمٌ . قال ويقال : اسمه عبد الله . وكان أبوه من سَدَنةِ الكعبة ، أصله من الفُرس ، وكان أصفر أجنأ[1] طويلاً .

وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجِشون قال : اسمُ ابن مُحرز سَلْم ، وهو مولى بني مخزوم . وذكر إسحاق أنّه كان يسكُن المدينة مَرّةً ومكّة مرّةً ، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلّم الضرب من عزّة المَيْلاء ، ثم يرجع إلى مكّة فيقيم بها ثلاثة أشهر . ثم يشخَص إلى فارس فتعلّم ألحان الفرس وأخذ غناءهم ، ثم صار إلى الشام فتعلّم ألحان الرُّوم وأخذ غناءهم ، فأسقط من ذلك ما لا يُستحسن من نَغَم الفريقين ، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألّف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يُسمَعْ مثلُه . وكان يقال له صَنَّاج العرب .

[ابن محرز أوّل من غنى الرمل]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المَدِيني عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال ، قال أبي : أوّلُ من غنّى الرَّمَل ابن محرز وما غُنِّي قبلَه . فقلتُ له : ولا بالفارسيّة ؟ قال : ولا بالفارسيّة ، وأوّل مَن غنّى رَمَلاً بالفارسيّة سَلْمَك في أيّام الرشيد ، استحسن لحناً من ألحان ابن محرز ، فنقَل لحنه إلى الفارسيّة وغنّى فيه .

[خمول ذكر ابن محرز إلا في الغناء]

قال أبو أيّوب وقال إسحاق : كان ابن مُحرِز قليلَ المُلابَسَةِ للناس ، فأَخْمَل ذلك ذِكْرَه فما يُذكر منه إلاّ غناؤه ، وأخذتْ أكثرَ غنائه جاريةٌ كانت لصديق له من أهل مكّةَ كانت تألَفه ، فأخذه الناس عنها . ومات بداءٍ كان به . وسقَط إلى فارسَ فأخذ غناء الفُرْس ، وإلى الشام فأخذ غناءَ الروم ، فتخيَّر من نَغَمهم ما تغنّى به غناءه . وكان يَقدَم بما يُصيبه فيدفعُه إلى صديقه ذاك فيُنفقُه كيف شاء ، لا يسأله عن شيءٍ منه ، حتى إذا كاد أن يَنفد جهَّزه وأصلح من أمرِه ، وقال له : إذا شئتَ فارحل ، فيرحلُ ثم يعود . فلم يزل كذلك حتى مات .

---

1 أجنأ : محدودب الظهر

[ابن محرز أوّل من غنّى بزوج من الشعر]

قال : وهو أوّل مَن غنّى بزَوجٍ من الشِّعر ، وعمل ذلك بعده المغنُّون اقتداءً به . وكان يقول : الأفراد لا تَتِمُّ بها الألحان . وذكر أنّه أوّلَ ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مِسْجَح . قال إسحاق : وكانت العِلّة التي مات بها الجُذام ، فلم يُعاشر الخلفاء ولا خالَط الناس لأجل ذلك .

قال أبو أيّوب قال إسحاق : قدِم ابن مُحرِز يريد العراق ، فلمّا نزل القادسيّة لَقيَه حُنين ، فقال له : كم مَنَّتْك نفسك من العراق ؟ قال : ألفَ دينار . قال : فهذه خمسمائة دينارٍ فخُذها وانصرف واحلِف ألاّ تعود .

[علو كعبه في صنعة الغناء]

وقال إسحاق : وقلتُ ليونس : مَن أحسنُ الناس غناءً ؟ قال : ابن محرز . قلت : وكيف قلت ذاك ؟ قال : إن شئتَ فسَّرْتُ ، وإن شئتَ أجملتُ . قلت : أجمل . قال : كأنّه خُلِق من كلّ قلب ؛ فهو يغنّي لكلّ إنسان بما يشتهي . وهذه الحكاية بعينها قد حُكيت في ابن سريج ، ولا أدري أيُّهما الحقّ .

قال إسحاق : وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنّه سأل بعض من يُبصر الغناء : مَنْ أحسن الناس غناءً ؟ فقال : أمِنَ الرجالِ أم من النساء ؟ فقلت : من الرجال . فقال : ابنُ مُحرز . فقلت : فمن النساء ؟ فقال : ابن سريج . قال : وكان إسحاق يقول : الفحول ابن سُرَيج ، ثم ابن مُحرز ، ثم معبد ، ثم الغريض ، ثم مالك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي حدّثنا بعض أهل المدينة ، وأخبرني بهذا الخبر الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال : كان ابن محرز أحسن الناس غناءً ، فمرّ بهند بنتِ كنانة بن عبد الرحمن بن نَضْلَةَ بن صفوان بن أُميّة بن مُحَرِّث الكِناني حَليف قريش ، فسألتْه أن يجلس لها ولصواحب لها ، ففعل وقال : أُغنّيكنَّ صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أُغنّيه عائشةَ بنت طلحة بن عُبَيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذٍ أميرَ مكّة ؟ قُلنَ نعم . فغنّاهنّ : [من الكامل]

صوت

فَوددْتُ إذ شَحَطُوا وشَطّتْ دارُهُمْ ... وَعَدَتْهُمُ عَنَّا عَوادٍ تَشْغَلُ
أنّا نُطاعُ وأن تُنَقَّلَ أرضُنا ... أو أنَّ أرضَهُم إلينا تُنْقَلُ

لِتَــرُدَّ مِــنْ كَتَبٍ إليكِ رَسائلي بجَوابهـــا ويعــودَ ذاكَ المُرْسَلُ[1]

عَروضه من الكامل الغناء في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى البِنصر ، ذكر عمرو بن بانة أنّه لابن مُحرز ، وذكر إسحاق أنّه لابن سُرَيج .

[ابن محرز وحنين الحيري]

وقال أبو أيُّوب المَدِينيّ في خبره : بلغني أنّ ابنَ مُحرِز لمّا شَخَص يريد العراقَ لقيه حُنَين فقال له : غنِّني صوتاً من غنائك . فغنَّاه : [من المتقارب]

صوت

وحُسْنُ الزَّبَرْجَـدِ في نَظْمِـه على واضِح اللِّيتِ زانَ العُقُودا[2]
يُفَصِّـــلُ ياقوتُـــــه دُرَّه وكالجَمْرِ أبصرتَ فيه الفَريدا

عروضُه من المتقارب الشعر لعمر بن أبي ربيعة : والغناء لابن مُحرز ثاني ثقيلٍ بالسَّبَّابة في مجرى البِنصر . قال : فقال له حُنين حينئذٍ : كم أمَّلتَ من العراق ؟ قال : ألفَ دينار . فقال له : هذه خمسمائة دينارٍ فخُذها وانصرفْ . ولمّا شاع ما فعل لامه أصحابُه عليه ؛ فقال : والله لو دخل العراقَ لما كان لي معه فيه خبزٌ آكلُه ، ولاطُّرِحْتُ وسقَطْتُ إلى آخرِ الدهر . وهذا الصوتُ أعني : [من المتقارب]

وحسنُ الزبرجــدِ في نظمِهِ

من صُدور أغاني ابن محرز وأوائلِها وما لا يتعلَّق بمذهبه فيه ولا يتشبَّه به أحدٌ . ومّما يُغنِّي فيه من قصيدة نُصَيب التي أوّلها :

أهــاجَ هــواكَ المنزلُ المتقادمُ

صوت

[من الطويل]

لقـد راعَنِي للبيْن نَوْحُ حمامةٍ على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حَمائِمُ
هَواتفُ أمّا مَنْ بَكَيْن فعهدُه قديـمٌ وأمّا شَجْوُهـنّ فدائمُ

الغناء لابن سريج من رواية يونس وعمرو وابن المكيّ ، وهو ثاني ثقيلٍ بالبِنصر ، وهو من جَيِّد الألحان وحَسَنِ الأغاني ، وهو مّما عارض ابنُ سُرَيج فيه ابنَ محرز وانتصَفَ منه .

1 المرسل في ل : الدخلل (وهو الذي يداخل الآخر ويعرف سره) .
2 الليت : صفحة العنق .

ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه وحكى أنّها من الثلاثة المختارة

صوت[1]

[من الوافر]

إلى جَيْداءَ قــد بَعَثُوا رسولاً ليحْزُنَها فـلا صُحِبَ الرَّسُولُ
كأنّ العامَ ليس بعــامِ حَجٍّ تغيَّرتِ المــواسمُ والشُكولُ

الشعرُ للعرجيّ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، ولحنُه المختار ماخوريٌّ بالوسطى ، وهو من خفيفِ الثَّقيل الثاني على مذهب إسحاق . وفيه لابن سريج ثاني ثَقيلٍ بالسَّبَّابة في مجرى البِنصر ، وذكر عمرو بن بانة أنّ الماخوريّ لابن سُرَيج .

1 ديوان العرجي : 190 عن الأغاني .

[9] ـ أخبار العَرْجِيّ ونسبه[1]

[نسب العرجي من قبل أبويه]

هو عبد الله بن عُمَرَ بن عمرو بن عثمان بن عفّان بن أبي العاصي بن أميّة بن عبد شمس[2] . وقد شُرِح هذا النسبُ في نسب أبي قَطيفة . وأُمُّ عَفّان وجميع بني أبي العاصي آمنةُ بنت عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبَيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب . وأُمُّ عثمان أَروى بنتُ كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأُمّها البيضاء أُمّ حَكِيم بنتُ عبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مَناف ، وهي أُخت عبد الله بن عبد المُطَّلب أبي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لأُمِّه وأبيه وُلِدا في بطنٍ واحدٍ . وأُمُّ عمرو بن عثمان أُمُّ أَبان بنتُ جُنْدَب الدَّوْسيَّة .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عليُّ بن صالح عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال حدّثني مُحرز بن جعفر عن أبيه عن جدّه قال : قَدِم جُندَب بن عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسيُّ المدينة مهاجِراً في خلافة عمر بن الخطّاب ، ثم مضى إلى الشام وخلَّف ابنته أُمَّ أَبان عند عمر ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن وجدتَ لها كفئاً فزوِّجه بها ولو بَشَراك نَعْلِه ، وإلاّ فأَمْسِكها حتى تُلحقَها بدار قومها بالسَّراة[3] . فكانت عند عمر ، واستُشهد أبوها ، فكانت تدعو عمر أباها ويدعوها ابنته . قال : فإنّ عمر على المنبر يوماً يكلّم الناس في بعض الأمر إذ خطَر على قلبه ذكرُها ، فقال : مَن له في الجميلة الحسيبة بنت جندب بن عمرو بن حُمَمة ، وليعلَمِ امرؤٌ مَن هو ، فقام عثمان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فقال أنت لعَمْرُ اللهِ ، كم سُقْتَ إليها ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد زوَّجتُكها ، فعجِّله ؛ فإنّها مُعَدّة . قال : ونزل عن المنبر . فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها ، فأخذه عمر في ردنِه[4] فدخل به عليها ، فقال : يا بُنيَّة ، مُدِّي حِجرك ، ففتحتْ حجرَها ، فألقى فيه المال ، ثم قال : يا بُنيَّة ، قولي اللهمّ بارِك لي فيه . فقالت : اللهمّ بارِك لي فيه ، وما هذا يا أبتاه ؟ قال : مَهْرُك . فنفَحَتْ[5] به وقالت : واسَوْأَتاه ! فقال : احتَبِسي منه لنفسك ووسِّعي منه لأهلِك ، وقال لحَفصة : يا ابنتاه ، أَصلحي من شأنها

1 راجع عن العرجي : الشعر والشعراء : 478–480 ؛ ونسب قريش للمصعب : 118 . وشرح الأمالي للبكري : 422 ؛ والوافي بالوفيات للصفدي 17 : 384–388 تحقيق دوروتيا كرافولسكي . وتهذيب التهذيب 5 : 338–339 وخزانة الأدب 1 : 98–99 ؛ ومقدّمة ديوانه تحقيق رشيد العبيدي ، بغداد .

2 كذلك هو نسبه في أنساب الأشراف 1/4 : 608 .

3 السراة : سلسلة الجبال المحاذية لتهامة .

4 ل : في يديه .

5 نفحت به : روته ورمته (أي المال) .

وغَيِّري بَدَنَها[1] واصبُغي ثوبها ، ففعلتْ . ثم أرسل بها مع نسوةٍ إلى عثمان . فقال عمر لمّا فارقتْه : إنّها أمانةٌ في عُنقي أخشى أن تَضيع بيني وبين عثمان ، فلحِقَهُنّ فضرب على عثمان بابه ، ثم قال : خُذ أهلك بارك الله لك فيهم . فدخلت على عثمان ، فأقام عندها مُقاماً طويلاً لا يخرُج إلى حاجة . فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أقمتَ عند هذه الدَّوْسيَّة مُقاماً ما كنتَ تقيمه عند النساء . فقال : أما إنّه ما بقيت خَصلةٌ كنتُ أُحبُّ أن تكون في امرأة إلاّ صادفتُها فيها ما خلا خَصلةً واحدة . قال : وما هي ؟ قال : إنّي رجل قد دخلت في السنّ ، وحاجتي في النساء الولدُ ، وأَحسبُها حديثةً لا ولد فيها اليوم . قال : فتبسّمت . فلمّا خرج سعيدٌ من عنده قال لها عثمان : ما أضحككِ ؟ قالت : قد سمعتُ قولك في الولد ، وإنّي لمن نسوةٍ ما دخلتِ امرأةٌ منهنّ على سيِّد قطُّ فرأت حمراء[2] حتى تَلِد سيِّد مَن هو منه : قال : فما رأت حمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان . وأُمُّ عمر بن عمرو بن عثمان أُمُّ ولدٍ . وأُمُّ العرجيّ آمنة بنت عمر بن عثمان ؛ وقال إسحاق : بنت سعيد بن عثمان وهي لأُمِّ ولد .

[سبب تلقبه بالعرجي وتشبهه بعمر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي : أنّه إنّما لُقِّب العرجيّ لأنّه كان يسكن عَرْج الطائف . وقيل : بل سُمِّي بذلك لماءٍ كان له ومالٍ عليه بالعرْج . وكان من شعراء قريش ، ومَن شُهِر بالغَزَل منها ، ونحا نَحوَ عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبَّه به فأجاد . وكان مشغوفاً باللّهو والصَّيد حَريصاً عليهما قليل المُحاشاة لأحدٍ فيهما ، ولم يكن له نباهةٌ في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه . وجَيداءُ التي شبَّب بها هي أُمُّ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، وكان ينسُب بها ليفضح ابنها لا لمحبَّةٍ كانت بينهما ؛ فكان ذلك سبب حبس محمد إيّاه وضربه له ، حتى مات في السجن .

وأخبرني محمد بن مَزيد إجازةً عن حمَّاد بن إسحاق فذكر أنّ حماداً حدّثه عن إسحاق عن أبيه عن بعض شيوخه : أنّ العرجيّ كان أزرق كَوسَجاً[3] ناتيء الحنجرة ، وكان صاحب غزلٍ وفُتُوَّةٍ ، وكان يسكن بمالٍ له في الطائف يسمَّى العرج ؛ فقيل له العرجيّ ونُسِب إلى ماله . وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وكان له معه بَلاءٌ حسنٌ ونفقة كثيرة .

قال إسحاق : قد ذكر عُتبة بن إبراهيم اللّهبيّ : أنّ العرجيّ فيما بلغه باع أموالاً عظاماً

1 البدن : شبه درع على قدر الجسد .
2 حمراء : كناية عن دم الحيض .
3 كوسج : خفيف شعر اللحية .

كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفِد ذلك كلُّه ، وكان قد اتّخذ غلامين ، فإذا كان الليل نصب قِدرَه وقام الغلامان يوقِدان ، فإذا نام واحدٌ قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يُصبحا ، يقول : لعلّ طارقاً يَطرق .

[العرجيّ خليفة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثني مصعب ، وأخبرنا الحِرْميّ عن الزبير عن عمّه مصعب وعن محمد بن الضّحّاك بن عثمان عن أبيه قال ، دخل حديث بعضهم في بعضٍ ، وأخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه عن مُصعب قال : كانت حبشيّة من موَلّدات مكّة ظريفةٌ صارتْ إلى المدينة ، فلمّا أتاهم موت عمر بن أبي ربيعة اشتدّ جَزَعُها وجعلَتَ تَبكِي وتقول : مَن لمكّة وشِعابها وأباطحِها ونُزهِها ووَصفِ نسائها وحسنهنّ وجمالهنّ ووصف ما فيها ؟ فقيل لها : خفِّضي عليك ؛ فقد نشأ فتًى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلُك مسلَكَه . فقالت : أنشدوني من شعره ، فأنشدوها ؛ فمسحت عينَها وضحكت وقالت : الحمد لله الذي لم يُضَيِّعْ حَرَمَه .

[العرجيّ وكلابة مولاة عبد الله بن القاسم العبلي]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بَكّار قال حدّثني عمِّي مصعب ، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عَورَكٍ[1] اللهبيّ : أنّ مَولاةً لثقيف يقال لها كلابة كانت عند عبد الله بن القاسم الأُمويّ العَبليّ[2] ، وكان يَبلُغها تشبيب العرجيّ بالنساء وذكرهُ لهنّ في شعره ، وكانت كلابة تُكثر أن تقول : لشدّ ما اجترأ العرجيّ على نساء قريش حين يذكُرهنّ في شِعره ؛ ولعمري ما لقِي أحداً فيه خيرٌ ، ولئن لقيتُه لأُسَوِّدنَّ وجهَه ! فبلغه ذلك منها . قال إسحاق في خبره : وكان العبليّ نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مكّة على طريق مَن جاء من نجران أو تبالة إلى مكّة ، والعرج أعلاها قليلاً ممّا يلي الطائف . فبلغ العرجيّ أنّه خرج إلى مكّة ، فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت إليه كلابةُ وكان خلّفها في أهله ، فصاحت به : إليكَ ، ويلك ! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر . فاستسقاها ماءً فأبتْ أن تسقيه ، وقالت : لا يوجد والله أثَرُك عندي أبداً فيلصَق بي منك شرٌّ . فانصرف وقال : ستعلمين ؛ وقال[3] : [من البسيط]

1 قد تقدّم أنّه الحسن بن عتبة اللهبي .

2 نسبة إلى العبلات .

3 هي أوّل قصيدة في ديوان العرجي ، تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي .

صوت

حُـورٌ بَعَثْنَ رسولاً في مُلاطَفَةٍ ... ثَقْفاً إذا غَفَـلَ النَّسّاءةُ الوَهِمُ[1]
إليَّ أنْ إيتَنـا هَـدْأً إذا غَفَلَتْ ... أحراسُنا وافتضحنا إنْ همُ عَلِمُوا
فجئتُ أُمْشي على هَـوْلٍ أُجَشمه ... تَجَشُّمُ المرءِ هولاً في الهوى كَرَمُ
إذا تخوّفتُ من شيءٍ أقولُ له ... قد جفَّ فامْض بشيءٍ قُدر القَلَمُ[2]
أَمْشي كما حَرَّكَـتْ رِيحٌ يمانيَّةٌ ... غُصْناً من البانِ رَطْباً طَلَّة الدِّيَمُ[3]
في حُلَّةٍ من طِرازِ السُّوسِ مُشْرَبَةٍ ... تَعْفُو بهُدّابِها مـا أَثَّـرتْ قَدَمُ[4]
خَلَّتْ سَبِيلي كما خَلَّيْتُ ذا عُذُرٍ ... إذا رأتــه عِتـاقُ الخيـلِ ينتجِمُ
وهُنّ في مجلسٍ خـالٍ وليس له ... عـينٌ عليهنّ أَخْشاها ولا نَدَمُ[5]
حتى جلستُ إزاءَ البابِ مكتَتِماً ... وطالبُ الحاجِ تحت الليل مُكْتَتِمُ
أَبْدَيْنَ لي أعيُناً نُجْلاً كما نَظرتْ ... أُدْمٌ هِجانٌ أتاها مُصْعَبٌ قَطِمُ[6]
قالتْ كُلابة مَنْ هذا ؟ فقلتُ لها ... أنا الذي أنتِ من أعدائه زَعَمُوا
أنا امرؤٌ جدَّ بي حبٌّ فأَحْرَضَني ... حتى بَلِيتُ وحتى شَفَّني السَّقَمُ
لا تَكِلينـي إلى قـومٍ لَوَ آنَّـهمُ ... من بُغْضِنا أُطْعِموا لحمِي إذاً طَعِمُوا[7]
وأَنْعِمي نِعْمـةً تُجْزى بأحسنِها ... فطالما مَسَّنِي مِـن أهلِكِ النِّعَمُ
سَتْرُ المُحِبِّـين في الدنيـا لعلّهُم ... أن يُحْدِثُوا توبةً فيهـا إذا أَثِمُوا
هذِي يَمِينيَ رَهْنٌ بالوَفاء لكم ... فارضَيْ بها ولأَنْفِ الكاشح الرَّغَمُ
قالت رَضِيتُ ولكن جئتَ في قمرٍ ... هَلاَّ تلبَّثْتَ حتـى تَدخُـلَ الظُّلَمُ

---

1 ثقفاً : فهماً حاذقاً ، ورواية الدؤلي : أسقط . النساءة في ل : استيقظ ، والنساءة : الكثير النسيان .

2 الديوان : بما قد قدر (أي قد جف بما قد قدر القلم) .

3 الدميم في ل : الرهم .

4 السوس : مدينة في خوزستان . مشربة : ملوّنة . تعفو : تطمس . ما أثرت قدم في الديوان : ما تندب القدم ، والمراد أنّ أهدابها تطمس آثار الأقدام .

5 ولا ندم في الديوان : ولا يرم . ل : ولا قدم .

6 أبدين في الديوان : سدءن . المصعب : الفحل . القطم : المشتهي للضراب .

7 لا تكليني في الديوان : لا تذكريني .

فبتُّ أُسْقَى بأكْــواسٍ أُعَلُّ بها ... من باردٍ طابَ منها الطَّعْمُ والنَّسَمُ[1]
حتَّى بَــدا ساطعٌ للفجر نَحْسَبُه ... سَنا حريقٍ بلَيْــلٍ حــين يَضْطَرِمُ
كَغُرَّة الفرسِ المَنْسوبِ قد حُسِرَتْ ... عنه الجِلالُ تلالا وهــو يَلْتَجِمُ[2]
ودّعتهــنّ ولا شيءٌ يُراجعنــي ... إلاّ البَنانُ وإلاّ الأعــينُ السُّجُمُ
إذا أَرَدْنَ كلامي عندَه اعترضتْ ... من دُونِــه عَبَراتٌ فانثنى الكَلِمُ
تكاد إذ رُمْنَ نَهْضاً للقيام معي ... أعجازُهنّ مــن الأنصافِ تنقصِمُ

قال : فسمِع ابنَ القاسم العَبْلِيّ بالشِّعْر يُغَنَّى به ، وكان العَرجِيّ قد أعطاه جماعةً من المغنِّين وسألهم أن يُغنُّوا فيه ، فصنعوا في أبياتٍ منه عدّة ألحان ، وقال : والله لا أجد لهذه الأمَةِ شيئاً أبلغَ من لإيقاعها تحت التُّهمة عند ابن القاسم ليقطعَ مأْكَلَتَها من ماله . قال : فلمّا سمِع العبليّ بالشعر يغنّى به أخرج كُلابةَ واتَّهمهـا ، ثـم أرسل بها بعـد زمانٍ على بعير بين غِرارَتَيْ بَعْرٍ ، فأحلفها بمكّةَ بين الرُّكْنِ والمَقام أنّ العَرْجِيّ كذَب فيما قاله . فحلفتْ سبعين يميناً ، فرَضِيَ عنها وردّها . فكان بعد ذلك إذا سمِع قولَ العَرْجِيْ : [من البسيط]

فطالما مَسَّنِي من أهلِك النِّعَمُ

قال : كذَب واللهِ ما مسَّه ذلك قطُّ . وقال إسحاق : وقد قيل : إنّ صاحبَ هذه القصيدة [والقصّة] أبو جراب[3] العَبْلي ، وإنّ كُلابةَ كانت أَمَةً لسُعْدَةَ بنتِ عبد الله بن عَمْرو بن عثمان ، وكان العَرْجِيّ قد خطبَها وسُمِّيت به ، ثم خطبها يزيدُ بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزُوِّجته ، فقال العَرجِيّ هذا الشعر فيها . غنَّى في قوله : [من البسيط]

أَمْشي كما حَرَّكَتْ رِيحٌ يَمانيَةٌ

عليُّ بنُ هِشام هَزَجاً مطلقاً بالبِنْصر ، وفيه للمَسْدُود هَزجٌ آخر طُنْبُوريٌّ ، ذكر ذلك جَحْظَةُ . وفي :

لا تَكِليني إلى قــوم لَوَانهمُ

رَمَلٌ لابنِ سريج عن ابن المَكِّيّ وإسحاق بالسبابة في مجرى الوُسطى . وفي «قالت كُلابةُ» والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسَّان لحنٌ من خفيف الرَّمَل . ولنبيه في «أنا امرؤ جدّبي» وما بعده . هزج بالوُسطى ، ولدَحمان في «حُورٌ بَعَثْنَ» وما بعده ، هزجٌ بالوُسطى ،

1 طاب في ل : لذّ . الشطر الثاني في الديوان : أصناف شتّى فطاب الطعم والنسم .
2 الفرس في الديوان : الأزهر .
3 ل : جراب .

وروى عنه الهشاميّ فيه ثقيلاً أوّل . ولأبي عيسى ابن المتوكّل في «وأنْعِمِي نِعمةً» وبيتين بعده ، ثقيل أوّل .

وأخبرني بخبَر العرجيّ وكُلابة هذه الحرميُّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكّار عن عمّه مُصعب ، وأخبرني به وكيعٌ عن أبي أيوب المَدِينيّ عن مُصعب وذكر نحواً ممّا ذكره إسحاق ؛ وزعما أنّ كُلابة كانت قَيِّمةً لأبي جِراب العَبْليّ وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شمس .

[أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكّران شعراً للعرجيّ]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال : كنتُ عند أيُّوبَ بنِ مَسْلَمَة ومعنا أشعب ، فذكر قول العرجيّ[1] : [من الخفيف]

أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلَكَ أينا ... أين تصديقُ ما وَعَدْتِ إلينا
فلقد خِفْتُ منكِ أن تَصْرِمِي الحَبْـ ... ـلَ وأن تَجمعي مع الصُّرْمِ بَيْنَا
ما تقولين في فتىً هامَ إذ ها ... مَ بمن لا ينالُ جهلاً وحَيْنا
فاجْعَلِي بيننا وبينكِ عَدْلاً ... لا تَحِيفي ولا يَحِيفُ علينا
واعلَمِي أنّ في القَضاءِ شُهوداً ... أو يميناً فأَحْضِرِي شاهِدَينا
خُلّتي لو قدَرتُ منكِ على ما ... قُلْتِ لي في الخَلاء حينَ التقَينا
ما تحرّجتُ من دَمِي عَلِمَ اللـ ... ـهُ ولو كنتُ قد شهدتُ حُنَيْنا

قال فقال أيّوب لأشعب : ما تظنُّ أنّها وَعَدتْه ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظنّاً أنّها وَعَدَتْه أن تأتيه في شِعْب من شِعاب العَرج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصّلاة ، فعرض لها عارض شُغْلٍ فقطَعها عن موعِده . قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كُسَيرٌ وعُوَير ، وكلٌّ غَير خَيِّر[2] : فِندٌ أبو زيد مولى عائشة بنتِ سعد ، وزور الفرق مولى الأنصار . قال : فمن العدلُ الحكَم ؟ قال : حُصَين بن غُرير الحِمْيَري . قال : فما حَكَم به ؟ قال : أدّتْ إليه حقَّه وسقَطتِ المؤونة عنه . قال : يا أشعبُ ، لقد أَحكمتَ صِناعتَك ؛ قال : سَلْ علاَّمةً عن علمِه .

[شعر العرجيّ في عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفيّ]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهبيّ قال : قال العرجيّ في امرأة من بني حبيب (بطنٍ من بَني نَصْر بن معاوية) يقال لها عاتِكة ، وكانت زوجةَ

1 الأبيات في ديوان العرجي : 194 ، عن الأغاني .

2 هذا مثل .

طُرَيح بن إسماعيل الثَّقفيّ : [من الكامل]

يا دارَ عاتِكَــةَ التي بالأَزْهَرِ ... أو فَوْقَه بقَفا الكَثِيبِ الأَحْمَرِ[1]
لم أَلْقَ أهلَكِ بعدَ عامَ لقِيتُهم ... يا ليتَ أنّ لِقاءَهــم لم يُقْدَرِ

صوت

[من الكامل]

بفناء بيتك وابن مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
مُستشعِرينَ مَلاحِفاً هَرَوِيّةً ... بالزَّعْفران صِباغُها والعُصْفُرِ
فتَلازَما عند الفراقِ صَبابَةً ... أخْذَ الغَريم بفَضْل ثَوبِ المُعْسِرِ

الأَزهُر : على ثلاثة أميال من الطائف . وابن مِشْعبٍ الذي عناه مغنٍّ من أهل مكّةَ كان في زمن ابنِ سريج . والغناء في هذه الأبيات له رملٌ بالوسطى . قال إسحاق : كان ابن مشعب من أحسن الناس وجهاً وغِناء ، ومات في تلك الأيّام ، فأدخلَ الناسُ غناءه في غناء ابن سريج والغريض . قال : وهذا الصوت ينسبُه مَن لا يعلم إلى ابن مُحْرِزٍ ، يعني : [من الكامل]

بفِناءِ بيتك وابن مشعب حاضرٌ

قال : وهو الذي غنّى : [من المنسرح]

أَقْفَــرَ مِمّــن يَحُلُّــه السَّنَدُ ... فالمُنحنــى فالعَقِيقُ فالجُمُدُ
وَيْحِي غداً إنْ غَدا عليّ بمَا ... أحذَرُ من فُرقة الحَبيبِ غَدُ

والناس ينسبونه إلى ابن سريج .

[يوم غاب عذاله]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاريّ قال حدّثني ابن مُخارق قال : واعَدَ العرجيُّ هَوًى له شِعْباً من شِعاب عَرْج الطائف إذا نزل رجالُها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف . فجاءت على أَتانٍ لها معها جاريةٌ لها ، وجاء العرجيُّ على حِمار معه غلام له ؛ فواقع المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونَزا الحمارُ على الأَتان . فقال العرجيّ : هذا يومٌ قد غاب عُذّاله .

[ثراء العرجي]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن ابن داحَةَ قال : كان العرجيّ يَستقي على إبله في شَمْلَتين ، ثم يغتسل ويلبس حُلّتين بخمسمائة دينارٍ ، ثم يقول : [من الرجز]

1 ديوان العرجي : 177 .

يَوماً لأَصْحابي ويوماً للمالْ مِدرعةٌ يوماً ويوماً سِرْبالْ

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله : أنّ العرجيّ كان غازِياً فأصابتِ الناسَ مجاعةٌ ، فقال للتجار : أَعطُوا الناسَ وعليَّ ما تعطون ، فلم يزل يُعطيهم ويُطعِم الناس حتى أَخصبوا[1] ، فبلَغ ذلك عشرين ألفَ دينار ، فألزمها العَرْجيُّ نفسَه . وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال : بيتُ المال أَحقُّ بهذا ، فقضى التُّجّارَ ذلك المالَ من بيت المال .

[العرجيّ وأم الأوقص المخزوميّ]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمّه ، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ وغيره : أنّ العرجيّ خرج إلى جَنَبات الطائف مُتَنَزِّهاً ، فمرّ ببطن النَّقيع فنظر إلى أمّ الأَوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزوميّ القاضي ، وكان يتعرّض لها ، فإذا رآها رَمتْ بنفسها وتستَّرت منه ، وهي امرأة من بني تَميم ، فبَصُر بها في نسوةٍ جالسةٍ وهنّ يتحدّثن ، فعرفَها وأحبَّ أن يتأمَّلها من قُرب ، فعدَل عنها ولقي أعرابيّاً من بني نصر على بَكْرٍ له ومعه وَطْبا لَبنٍ ، فدفع إليه دابّته وثيابه وأخذ قَعُودَه ولبنَه ولَبِس ثيابه ، ثم أقبل على النسوة فَصِحْنَ به : يا أَعرابيُّ ، أَمَعك لبنٌ ؟ قال نعم ، ومال إليهنّ وجلس يتأمّل أُمَّ الأوقص ، وتواثَب مَن معها إلى الوَطْبين ، وجعل العرجيُّ يلحظَها وينظُر أحياناً إلى الأرض كأنّه يطلبُ شيئاً وهُنّ يشرَبْنَ من اللّبن . فقالت له امرأةٌ منهـنّ : أي شيء تطلُب يا أعرابيُّ في الأرض ؟ أضاعَ منكَ شيءٌ ؟ قال : نعم قلبي . فلمّا سمعت التَّميميَّة كلامه نظرتْ إليه وكان أزرقَ فعرفتْه ، فقالت : العرجيُّ بن عمرَ وربِّ الكعبة ؛ ووثَبتْ وستَرها نساؤها وقلن : انْصرِفْ عنّا لا حاجةَ بنا إلى لبنكَ . فمضى مُنصرِفاً ، وقال في ذلك[2] : [من الوافر]

أقـول لصاحبَيَّ ومثلُ ما بي شكاهُ المرءُ ذو الوَجْـدِ الأَلِيمِ
إلى الأَخَوَيْنِ مثلِهما إذا مـا تأوّبـه مُؤرِّقـةُ الهمـومِ
لَحيني والبلاءِ لقِيـتُ ظُهْراً بأعلى النَّقْعِ أُختَ بنِـي تَميمِ
فلمّـا أن رأتْ عينـايَ منهـا أَسِيلَ الخَدِّ في خَلْـقٍ عَمِيمِ
وعَيْنَيْ جـُؤذَرٍ خَـرقٍ وثَغْراً كلَونِ الأُقْحُوانِ وجيـدَ رِيمِ[3]
حَنا أترابُهـا دُونِـي عليهـا حُنـوَّ العائـداتِ على السَّقِيمِ

---

1 أخصبوا في ل : أحصي .

2 ديوان العرجيّ : 97–100 .

3 خرق : مفزع .

قال إسحاق في خبره : فقال رجل من بني جُمَحَ يقال له ابنُ عامر للأوقص وقَضى عليه بقَضيّة فتظلَّم منه : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عمر العَرجيّ لكنتَ قد أسرفتَ عليّ . فضربه الأوقص سبعين سوطاً .

[أبو السائب المخزوميّ وشعر العرجي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال : أتاني أبو السائب المخزوميّ ليلةً بعدما رقَد السّامرُ فأشرفتُ عليه . فقال : سَهِرتُ وذكَرتُ أخاً لي أستمتعُ به ، فلم أجد سواك . فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدّثنا ! فمضينا ، فأنشدته في بعض ذلك بيتَيْن للعرجيّ[1] : [من الكامل]

باتا بأنعَم ليلةٍ حتى بدا صُبْحٌ تَلوّح كالأغَرّ الأشقَرِ
فتَلازَما عندَ الفِراق صبابةً أخْذَ الغَرِيمَ بفَضْلِ ثوبِ المُعسِرِ

فقال : أعِدْه عليّ ، فأعدتُه . فقال : أَحسنَ والله ! امرأتُه طالقٌ إنْ نطقَ بحرف غيره حتّى يرجعَ إلى بيته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حسن بن حسن ، فلمّا صِرْنا إليه وقَف بنا وهو مُنصرِفٌ من ماله يريد المدينة ، فسلَّم ثم قال : كيفَ أنتَ يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازَما عندَ الفِراقِ صبابةً أخْذَ الغريمَ بفَضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فالتفت إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبَكَ ؟ فقلت : منذُ الليلة . فقال : إنّا لله ! وأيُّ كَهلٍ أُصيبتْ منه قريشٌ ! ثم مضَينا ، فلقِينا محمد بن عمران التَّيميّ قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلةٍ له ومعه غلامٌ على عنقه مِخلاةٌ فيها قيد البغلة ، فسلَّم ثم قال : كيف أنتَ يا أبا السائب ؟ فقال : [من الكامل]

فتلازَما عندَ الفِراقِ صبابةً أخْذَ الغريمَ بفَضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فالتفتَ إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبَك ؟ قلتُ : آنفاً . فلمّا أراد المُضيّ قلتُ : أفتدَعُه هكذا ؟ والله ما آمَنُ أن يتهوَّر في بعض آبار العقيق ؛ قال : صدقتَ ، يا غلام ، قَيْدَ البغلة ، فأخذ القيد فوضعَه في رِجله وهو ينشد البيت ويُشير بيده إليه يُري أنّه يفهم عنه قِصّته . ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : يا غلام ، احمِله على بغلتي وألحِقْه بأهله . فلمّا كان بحيث علمتُ أنّه قد فاته أخبرته بخبره ، فقال : قَبَّحَكَ الله ماجِناً ؛ فضَحْتَ شيخاً من قُريش وغرَرْتَني .

[ابن أبي عتيق وشعر العرجي]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عُروة بن عبد الله بن

---

1 ديوان العرجي : 178 .

عروة بن الزبير عن عروة بن أُذينة قال : أنشد ابن جُنْدَبٍ الهُذَليّ ابن أبي عتيق قول العرجيّ[1] : [من الطويل]

وما أَنْسَ مِ الأَشياءِ لا أَنْسَ قولَها لخادمها قُومِي ٱسْأَلِي لي عن الوَتْرِ
فقالت يقول الناسُ في ستٍّ عَشْرةً فلا تعجَلِي منهُ فإنّكِ في أجْرِ
فما ليلةٌ عندِي وإن قيل جمعةٌ ولا ليلةُ الأَضْحى ولا ليلةُ الفِطْرِ
بعادلةِ الإثنين عندي وبالحَرَى يكونُ سواءٌ منهما ليلةُ القَدْرِ

فقال ابن أبي عتيق : أُشهدكم أنّها حُرّةٌ من مالِي إن أجازَ ذلك أهلُها ، هذه والله أَفْقَهُ من ابن شِهاب .

[شعر العرجيّ في زوجته أمّ عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : تزوّجَ العرجيّ أُمّ عثمان بنت بُكَير بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأُمُّها سُكَينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها[2] : [من الخفيف]

إنّ عثمانَ والزُّبَيْرَ أحَلاّ دارَها باليَفاعِ إذ وَلَداها
إنّها بنتُ كلِّ أَبيضَ قَرْمٍ نال في المجد من قُصَيٍّ ذُراها
سَكَنَ الناسُ بالظّواهِرِ منها وتَبوّا لنفسِه بَطْحاها

قال إسحاقُ : ولمّا تزوّج الرشيدُ زوجتَه العُثمانية أعْجِب بها . فكان كثيراً ما يتمثّل بهذه الأبيات .

[العرجي وأبو عدي العبلي]

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حُدّثت أنّ أبا عَدِيّ العَبْليّ خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جِلْذان ، فمرّ بعبد الله بن عمر العرجيّ وهو نازلٌ هناك بوادٍ يقال له العَرْجُ ، فأرسل إليه غلاماً له فأعلمه بمكانه ، فأتاه الغلام فقال له : هذا أبو عديّ ، فأمر أن يُنزله في مسجد الخَيف ، فأنزله وأبطأ عليه في الخروج . فقال للغلام : وَيْحَكَ ؛ ما يَحبسُ مولاك ؟ قال : عنده ابن وَرْدان مولى معاوية ، وهما يأكلان القَسْبَ والجُلْجُلان[3] . ثم بعث إليه بخُبْز ولبن ، وبعث لرواحله بحَمْض ، وقدّم إلى رواحل ابن وردان

1 ديوان العرجي : 178 ، عن الأغاني .
2 ديوانه : 52 . وأوّل القصيدة ص 50 والترتيب مختلف .
3 القسب : التمر اليابس ؛ الجلجلان : السمسم .

القَتّ[1] والشَّعير . فكتب إليه أبو عديّ : [من الطويل]

أبا عُمَرٍ لَمْ تُنْزِل الركبَ إذ أَتَوْا منازِلَهم والرَّكْبُ يَحْفَوْنَ بالرَّكْبِ
رفعتَ لِئامَ الناسِ فوقَ كِرامِهِمْ وآثَرْتَهُمْ بالجُلْجُلان وبالقَسْبِ
فأمّا بَعِيرانا فبالحمْض غُذِّيا وأُوثِرَ عَبَّادُ بنُ وَرْدانَ بالقَضْبِ

فكتب إليه العرجيّ[2] : [من الطويل]

أتانا فلم نَشْعُرْ به غيرَ أنّه له لِحيَةٌ طالتْ على حَمِقِ القَلْبِ
كَرايةِ بَيْطارٍ بأَعْلى حديدةٍ إذا نُصِبتْ لم تَكْسِبِ الحمدَ بالنَّصْبِ
أتانا على سَغْبٍ يُعَرِّض بالقِرَى وهل فوق قُرْصٍ من قِرى صاحبِ السَّغْبِ

قال : فارتحل أبو عديّ مُغضَباً وقال : مزَحتُ معه فهجاني ، وأنشأ يقول في العرجيّ : [من الطويل]

سَرتْ ناقتِي حتَّى إذا مَلّتِ السُّرَى وعارَضها عَرْجُ الجبانة والخِصْبِ[3]
طَواها الكَرى بعدَ السُّرى بمُعَرَّسٍ جَديبٍ وشيخٍ بئس مُسْتَعْرِضُ الرَّكْبِ
وهَمَّتْ بتعريسٍ فحلَّتْ قُيودَها إلى رجلٍ بالعَرْجِ ألأمَ من كَلْبِ
تَمَطَّى قليلاً ثم جاء بصَرْبةٍ وقُرْص شعيرٍ مثلِ كِركِرَةِ السَّقْبِ[4]
فقلتُ له أُرْدُدْ قِراكَ مُذَمَّما فلستُ إليه بالفَقِيرِ ولا صَحْبِي
جزى اللهُ خيراً خيرَنا عند بيتِه وأَنْحَرَنا للكُومِ في اليومِ ذي السَّغْبِ
لقد عَلِمَتْ فِهْرٌ بأنّك شرُّها وآكَلُ فهرٍ للخبيثِ من الكَسْبِ
وتلبَس للجاراتِ إتْباً ومِئزَراً ومِرْطاً فبئس الشيخُ يَرْفُل في الإتبِ[5]
يُدَخِّنَّ بالعُودِ اليَلَنْجُوجِ مَرَّةً وبالضِرْوِ والسَّوْداء والمائع الرَّطْبِ[6]
فإنْ قلتَ عثمانُ بنُ عَفَّانَ والدي فقد كان عثمانٌ بريئاً من الوِشْبِ[7]

---

1 القت : ضرب من علف الدواب ، وهو القضب أيضاً .
2 ديوان العرجيّ : 175–176 ، عن الأغاني .
3 ل : الخيانة .
4 صربة : لبن في سقاء . الكركرة : زور البعير ؛ والسقب : ولد الناقة.
5 الاتب : ثوب لا جيب له ولا كمّين .
6 يُدخنَّ في ل : يبخر . الضرو : شجر طيب الريح . والسوداء : الحبة السوداء . والمائع الرطب : نوع من الطيب .
7 الوشب والوبش بمعنى .

وقِدْمـاً يَجـيءُ الحيُّ بالنَّسْلِ مَيِّتاً ويأتي كريـمُ الناسِ بالوَكَلِ الثِّلْبِ[1]
لـه لِحْيَـةٌ قـد مُزِّقَـتْ فكأنّها مِقَمَّـةُ حَشَّاشٍ مُحالِفَـةُ العُشْبِ[2]

فلمّا بلَغ ذلك العَرْجيَّ أتى عمَّه عليَّ بن عبد الله بن عليٍّ العَبْليّ فشَقَّ قميصَه بين يديه وشَكاه إليه . فبعث إلى أبي عَدِيّ فنهاه عنه وقال : لئن عُدْتَ لا كلَّمْتُك أبداً ، فكفَّ عنه .

[كان العرجيّ من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سليمان بن عثمان بن يَسار : رجلٍ من أهل مكّةَ وكان هَيِّباً أديباً قال : كان للعرجيّ حائطٌ يقال له العَرْج في وسط بلاد بني نصر بن معاوية ، فكانت إبلُهم وغَنَمهم تدخل فيه فيَعقِر كلَّ ما دخلَ منها ، فكانت تَضُرّ به ويَضُرّ بأهلها ويَشْكونه ويشكوهم . وكان من أفْرس الناس وأَرماهم وأَبراهم لسهم ، فكان ربَّما برى مائةَ سهمٍ من الرُّمَّان ، ثم يقول : والله لا أنقلب حتى أَقتُلَ بها مائة خَلِفَةٍ[3] من إبلِ بني نَصر ، فيفعلُ ذلك .

[حبس العرجي]

قال إسحاق : فحدّثني ابن غُرَير قال : لّما حُبِس العرجيّ وضُرِب وأُقيم على البُلُس[4] قال : [من الطويل]

مَعِـي ابن غُرَيْرٍ واقِفـاً في عَباءةٍ لَعَمْري لقد قَرّتْ عُيونُ بني نَصْرِ

فقال فتى من بني نصر يُجيبه ، وكان حاضراً لضَرْبه وإقامتِه : [من الطويل]

أجَـلْ قـد أَقَـرّ اللهُ فيكَ عُيونَنا فبئسَ الفتَى والجارُ في سالِف الدَّهْرِ

وقال إسحاق في خبره : قال رجلٌ للعرجيّ : جِئتُكَ أَخطُب إليكَ مودّتَكَ . قال : بل خُذْها زِناً ؛ فإنّها أحْلى وألَذّ !

[تمثل امرأة بشعر العرجيّ عند لومها على الرفث في الحجّ]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثنا إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ عن عبد الله بن سلم قال : قال عبد الله بن عمر العُمَريّ : خرجْتُ حاجّاً ، فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلّم بكلام أرفَثَت فيه ، فأَدْنَيْتُ ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أمةَ الله ، ألستِ حاجةً ! أما تخافين الله ؟ فسفَرتْ عن وجهٍ يَبْهَر الشمسَ حُسْناً ، ثم قالت : تأمّلْ يا عمِّ ؛ فإنّني ممّن عَنا العرجيُّ بقوله[5] : [من الطويل]

---

1 الوكل : الضعيف العاجز ؛ الثلب : ذو العيب .
2 العشب في ل : القشب .
3 الناقة الخلفة : الحامل .
4 البلس : المسوح تعبأ بالتبن .
5 ديوان العرجي : 74 .

صوت

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها   وأَدْنَتْ على الخَدَّيْن بُـرْداً مُهَلْهَلا
مِن اللاّءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً   ولَكِـــنْ لِيقتُلْـنَ البَرِيءَ المُغَفَّلا

قالَ فقلتُ لها : فإنّي أسأل الله ألاّ يُعَذِّب هذا الوجه بالنار . قال : وبلَغ ذلك سعيد بن المسيَّب فقال : أمَا والله لو كان من بعض بُغضاء العراق لقال لها : أعزبي قَبَّحَكِ الله ؛ ولكنّه ظَرْفُ عُبَّاد أهل الحجاز . وقد رويتْ هذه الحكاية عن أبي حازم الأَعْرَج وهو سَلَمَةُ بن دينار ، وقد روى أبو حازمٍ عن أبي هريرة وسَهْل بن سعد وغيرهما ، وروى عنه مالك وابن أبي ذئب . والحكاية عنه في هذا المعنى أصحُّ منها عن عبد الله العُمَري ، حدّثنا بهذا وكيعٌ . والغناءُ في هذه الأبيات لغَرار المكّيّ ثاني ثقيلٍ . وفيه خفيف ثقيل لمعبدٍ ، وفيها لعبد الله بن العبّاس الربيعيّ ثقيـل أوّل ، ويقال إنّ خفيف الثقيل لابن سُريج ، ويقال للغَريض .

[غناء عبد الله بن العباس الربيعي في شعر العرجيّ]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة قال : قال عبد الله بن العبّاس : دعاني المتوكّل ، فلمّا جلست مجلسَ المنادمة قال لي : يا عبد الله ، تَغَنَّ فغنّيْتُه في شعرٍ مدحتُه به ؛ فقال : أين هذا من غنائك في : [من الطويل]

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وجهِها

ومن صنعتك في : [من المنسرح]

أَقْفَر مِمَّنْ يَحُلُّه سَرِفُ

[هجاء العرجيّ محمد بن هشام وتشبيبه بأمّه]

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنّ صَنْعتي حينئذٍ كانت وأنا شابٌ عاشقٌ ؛ فإن استطعتَ رَدَّ شبابي وعِشقي صنعتُ مثلَ تلك الصنعة . فقال هيهاتَ ، وقد لَعَمري صدقتَ ، ووصلني . والأبيات التي فيها الغنـاء المذكور من شعر العَرْجيّ يقوله في جَيْداءَ أُمِّ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، وكان يهجوه ويشبِّب بأمّه وبامرأته ، وكان محمد تَيَّاهاً شديد الكِبر جَبَّاراً ، فلم يزل يتطلَّب عليه العِلَلَ حتى حبسه وقيَّده بعد أن ضربه بالسَّوط وأقامه على البُلُس للناس . واختلف الرُّواة في السبب الذي أعتلَّ به عليه ؛ وقد ذكرتُ ذلك في رواياتهم .

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب ومحمد بن الضحّاك الحزاميّ عن الضَّحّاك ابن عثمان ، وذكره

حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية ، ونسختُه أيضاً من رواية محمد بن حبيب ، قالوا : كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك ، فلمّا وَلِيَ الخلافة ولاّه مكّة ، وكتب إليه أن يَحُجَّ بالناس ، فهجاه العرجيّ بأشعارٍ كثيرة .

منها قوله فيه : [من الوافر]

كأنّ العامَ ليس بعـامِ حَجٍّ تَغَيَّرتِ المـواسمُ والشُّكُولُ
إلى جَيْداءَ قـد بَعثوا رسولاً لِيُخبِرَها فلا صُحِبَ الرّسُولُ

ويروى : «ليحْزُنَها» وهكذا يغنّى .

ومنها قوله[1] : [من الطويل]

أَلا قُـلْ لِمنْ أَمْسى بمكّـة قاطناً ومن جاء من عَمْقٍ ونَقْب المُشَلَّلِ[2]
دَعُوا الحَجَّ لا تَسْتَهْلِكُوا نفقاتِكم فما حـجُّ هـذا العـامِ بالمُتَقَبَّلِ
وكيف يُزَكّى حَجُّ مَنْ لم يكنْ له إمامٌ لـدى تَجْمِيره غيرُ دُلْدُلِ[3]
يَظَـلُّ يُرائِـي بالصِّيـام نَهـارَه ويَلْبَسُ في الظَّلماءِ سِمْطَيْ قَرَنْفُلِ

فلم يزل محمد يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه .

قال الزُّبير في خبره عن عمِّه ومحمد بن الضّحّاك ، وقال إسحاق في خبره عن أيّوبَ بن عَباية : كان العَرْجيُّ يشبِّب بأمّ محمد بن هشام ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ويقال لها جَيْداء[4] : [من السريع]

صوت

عُوجِـي علينا رَبَّـةَ الهَوْدَجِ إنَّكِ إن لا تَفْعَلِـي تَحْرَجِي
إنّـي أُتيحـتْ لي يمانِيـةٌ إحْدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حـولاً كامـلاً كلّـه مـا نلتقـي إلاّ على مَنْهَجِ
في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا منًى وأهلُـه إن هـي لم تَحْجُجِ
أيسرُ مـا نـال مُحِبٌّ لَـدَى بَيْنِ حَبيـبٍ قولُـه عَـرِّجِ

---

1 ديوان العرجيّ : 189 (عن الأغاني) .
2 عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل .
3 الدلدل : شبيه بالقنفذ .
4 ديوان العرجيّ : 17–20 .

نَقْضِ إليكــم حاجــةً أو نَقُلْ   هــل لِيَ مِمَّا بِيَ مــن مَخْرَجِ

قال إسحاق في خبره : فحدّثني حَمْزة بن عُتبة اللّهبيّ قال : أُنْشِد عطاءُ بنُ أبي رباحٍ قولَ العرجيّ : [من السريع]

في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا مِنًى   وأهلُــه إنْ هــي لم تَحْجُجِ

فقال : الخير واللهِ كلُّه بمِنًى وأهلِه حَجَّتْ أو لم تَحُجَّ . قال : ولَقِيَ ابن سُرَيج عَطاءً وهو راكب بمِنًى على بغلته ، فقال له : سألتُك باللهِ إلاّ وقفتَ لي حتى أُسْمِعَك شيئاً . قال : وَيْحَك ؛ دَعني فإنّي عَجِلٌ . قال : امرأته طالق لئن لم تقف مختاراً للوقوف لأَمْسِكَنَّ بِلِجام بغلتِك ثم لا أفارِقُها ولو قُطِعَتْ يدي حتى أُغنِّيَك وأرفعَ صوتي لا أُسِرُّه . قال : هاتِ وعجِّل ؛ فغَنَاه : [من السريع]

في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنىً   وأهلُــه إنْ هــي لم تَحْجُجِ

فقال : الخيرُ كلُّه واللهِ بمنًى ، لا سيَّما وقد غيَّبها اللهُ عن مشاعره ، خَلِّ سبيلَ البغلة .

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال : كنتُ مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجلٌ فأنشده قول العرجيّ : [من السريع]

إنِّــي أتيحــتْ لي يمانِيَــةٌ   إحدى بني الحارثِ من مَذْحجِ
نلبَــث حــولاً كامــلاً كلَّــه   لا نلتقــي إلاّ على مَنْهَــجِ
في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنىً   وأهلُــه إنْ هــي لم تَحْجُجِ

فقال عطاءٌ : خيرٌ كثيرٌ بمنًى إذ غيَّبَها اللهُ عن مشاعره .

[تشبيبه بجبرة المخزومية زوجة محمد بن هشام]

قال : وقال في زوجتِه جَبْرة المخزوميّة (يعني زوجة محمد بن هشام)[1] : [من الكامل]

صوت

عُوجِي عليّ فسلِّمي جَبْرُ   فِيمَ الصدودُ وأنتمُ سَفْرُ
ما نَلْتقِي إلاّ ثَلاثَ مِنًى   حتى يُفَرِّقَ بيننا النَّفْرُ
الحولُ بعد الحــول يَتْبَعُه   ما الدهرُ إلاّ الحولُ والشهرُ

قال حَمَّاد بن إسحاق في خبره : حدّثني ابن أبي الحُوَيْرِث الثَّقَفيّ عن ابن عمّ لعُمارة بن

1 ديوان العرجي : 42–45 .

حمزة قال حدّثنا سليمان[1] الخشّاب عن داود المكّي قال : كنّا في حلقة ابن جُرَيج وهو يحدّثنا وعنده جماعة فيهم عبد الله بن المبارك وعدّةٌ من العراقيين ، إذ مرَّ به ابنُ تيزن المغني وقد ائتزر بمئزر على صدره ، وهي إزرة الشُّطّار عندنا ، فدعاه ابن جُرَيج فقال له : أحِبُّ أن تُسْمِعَني . قال : إنّي مستعجِلٌ ، فألحّ عليه ؛ فقال : امرأته طالقٌ إن غنَّاك أكثر من ثلاثة أصوات . فقال له : ويحك ، ما أعجلك إلى اليمين ! غنّني الصوت الذي غنَّاه ابن سُرَيج في اليوم الثاني من أيّام منًى على جَمْرة العَقَبة فقطع طريق الذاهب والجائي حت تكسّرت المحاملُ . فغنّاه : [من الكامل]

عُوجي عليّ فسلِّمي جَبْرُ

فقال له ابن جُرَيج : أحسنت والله ، (ثلاث مرات) ، ويحك ، أَعِدْه . قال : من الثلاثة فإني قد حلفْتُ . قال : أعده ، فأعاده . فقال : أحسنتَ ؛ فأعِدْه من الثلاثة ، فأعاده وقام ومضى ، وقال : لولا مكانُ هؤلاء الثُّقَلاء عندك لأطلتُ معك حتى تَقْضيَ وَطَرَك . فالتفت ابن جُرَيج إلى أصحابه فقال : لعلّكم أنكرتُم ما فعلتُ ، فقالوا : إنّا لَنُنْكِره عندنا بالعراق ونَكْرَهه . قال : فما تقولون في الرَّجَز ؟ (يعني الحُداء) . قالوا : لا بأس به عندنا . قال : فما الفرق بينه وبين الغناء ؟!

[اضطغان محمد بن هشام حبس العرجيّ حتى مات]

قال إسحاق في خبره : بلغني أنّ محمد بن هشام كان يقول لأُمّه جَيداء [بنت عفيف] : أنتِ غَضَضْتِ منّي بأنّكِ أُمّي ، وأهلَكْتِني وقتلتِني . فتقول له : ويحك ، وكيف ذاك ؟ قال : لو كانت أُمّي من قريش ما وَلِيَ الخلافة غيري . قالوا : فلم يزل محمد بن هشام مضطغناً على العرجيّ من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلّباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيّده وضربه وأقامه للناس ، ثم حبسه وأقْسَمَ : لا يخرُج من الحَبْس ما دام لي سلطانٌ . فمكث في حبسه نحواً من تسعِ سنين حتى مات فيه .

[روايات أُخرى في سبب الخصومة بين محمد بن هشام والعرجيّ]

وذكر إسحاق في خبره عن أيّوب بن عَباية ووافقه عمر بن شبَّة ومحمد بن حبيب : أنّ السبب في ذلك أنّ العرجيّ لاحى مولًى كان لأبيه فأمصَّه العرجيّ ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له . فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مَواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأَوثقه كتافاً ، ثم أمر عبيده أن ينكِحُوا امرأته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار . فاستعْدَتِ امرأتُه على العرجيّ محمد بن هشام فحبسَه .

---

1 ل : سليم .

وذكر الزُّبير في خبره عن الضَّحَّاك بن عثمان : أنّ العرجيّ كان وكَّل بحُرَمِه مَولًى له يقوم مقامه بأمورهنّ ، فبلغه أنّه يُخالفُ إليهنّ ، فلم يزل يَرصُده حتى وجده يحدّث بعضهنّ ، فقتَله وأحرقه بالنار . فاستعْدتْ عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزوميّ وكان والياً على مكّة في خلافة هشام ، وكان العرجيّ قد هجاه قبل ذلك هِجاءً كثيراً لَمّا ولاّه هشامٌ الحجَّ فأحفَظَه . فلمّا وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البُلُس للناس ، وسجنه حتى مات في سجنه .

وذكر الزُّبير أيضاً في خبره عن عمِّه وغيره أنّ أَشعب كان حاضراً للعرجيّ وهو يشتُم مولاه هذا ، وأنّه طال شَتْمُه إيّاه . فلمّا أكثر ردَّ المولى عليه ، فاختلط من ذلك ، فقال لأشعب : اشْهَد على ما سمعت . قال أشعب : وعَلامَ أَشهد ؟ قد شتمتَه ألفاً وشتمَك واحدة ، والله لو أنّ أُمَّك أُمُّ الكتاب ، وأُمَّه حَمَّالة الحطب ما زاد على هذا .

[تعذيب محمد بن هشام للعرجيّ]

قال الزُّبير وحدّثني حمزة بن عُتبة اللّهبيّ قال : لمّا أخذ محمد بن هشام المخزوميّ العرجيّ أخذه وأخذ معه الحُصَين بن غُرَير الحِميَريّ ، فجلدهما ، وصبَّ على رؤوسهما الزيت ، وأقامهما في الشمس على البُلُس في الحَنَّاطِين[1] بمكّة ؛ فجعل العرجيّ يُنشِد : [من الوافر]

سينصُرُني الخليفةُ بعد رَبّي ... ويغضَب حين يُخْبَر عن مَساقي
عليَّ عَباءةٌ بَلْقاءُ ليستْ ... مع البَلْوى تُغَيِّب نِصْفَ ساقِي
وتغضَب لي بأجْمَعها قُصَيٌّ ... قَطِينُ البيتِ والدُّمْثِ الرِّقاقِ

ثم يصيح : يا غُرِيرَ أَجْياد ، يا غُرَيرَ أَجْياد ، فيقول له الحميريّ المجلود معه : ألا تَدَعُنا ، ألا تَرى ما نحن فيه من البَلاءِ ؟ يعني بقوله : يا غرير ، الحصين بن غرير الحميريّ المجلود معه ، وكان صديقاً وخَلِيطاً . وذكر إسحاق تمامَ هذه الأبيات وأوّلها[2] : [من الوافر]

وكَمْ مِنْ كاعِبٍ حَوْراء بِكْرٍ ... أَلُوف السِّتْرِ واضحةِ التَّراقِي
بَكَتْ جَزَعاً وقد سُمِرَتْ كُبُولٌ ... وجامِعَةٌ يُشَدُّ بها خِناقِي[3]
على دَهْماءَ مُشْرِفَةٍ سَمُوقٍ ... ثناها القَمْحُ مَزْلَقَةِ المراقي[4]
عليَّ عَباءةٌ بَلْقاءُ ليستْ ... مع البَلْوى تُغَيِّب نصفَ ساقِي

1 الحناطون : باعة الحنطة ، وقوله في الحناطين يعني السوق الخاصة بهم .
2 ديوان العرجيّ : 135–137 .
3 الجامعة : الغلّ .
4 ثناها في الديوان : بناها . المراقي في ل : البراق .

كأنّ على الخدود وهنّ شُعْثٌ سِجالَ الماء يُبْعَث في السَّواقِي
فقلتُ تجلُّداً وحلَفتُ صبراً أبالي اليومَ ما دَفعَتْ مآقِي
سيَنْصُرني الخليفةُ بعد ربِّي ويغضَب حين يُخْبَر عن مَساقِي
وتغضَب لي بأَجْمَعِها قُصَيٌّ قَطِينُ البيت والدُّمْثِ الرِّقاقِ
بمُجْتَمَع السُّيولِ إذا تَنحَّى لِئامُ الناسِ في الشُّعَبِ العِماقِ

قال : فكانَ إذا أَنْشد هذا البيت التفت إلى ابن غُرير فصاح به : يا غُريرَ أَجْياد ، يا غُرَير أَجياد ، يعني بني مَخزُوم ، وكانت منازلُهم في أَجيادَ ، فعيَّرهم بأنّهم ليسوا من أهل الأَبْطَح .

وقال الزبير في خبره ووافقَه إسحاق فذكرَ أنّ رجلاً مرَّ بالعَرْجيّ وهو واقفٌ على البُلُس ومعه ابن غُرير وقد جُلدا وحُلِقا وصُبَّ الزيت على رؤوسهما وأُلْبِسا عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما . قال : وكان الرجل صديقاً للعَرْجيّ ، وكان فَأْفاءً ، فوقف عليه فأراد أن يتوجَّع لما ناله ويدعو له ، فلَجْلَجَ لِما كان في لسانه كما يفعلُ الفأفاء . فقال له ابن غُرَير : عنّي ، لاخرجتْ من فِيكَ أبداً ! فقال له الرجل : فمكانك إذاً لا بَرِحتَ منه أبداً .

قال : ومرَّ به صبيان يلقُطون النَّوى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت إلى ابن غُرَير وقال له : ما أعرف في الدنيا سَخْلَيْن أشأمَ منّي ومنكَ ! إنّ هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم في كلّ يومٍ على كلِّ واحدٍ منهم مُدُّ نَوًى ؛ فقد تركوا لَقْطَهم للنَّوى ، وقد وقَفوا ينظرون إليّ وإليكَ وينصرفون بغير شيءٍ فيُضربون ، فيكونُ شؤمُنا قد لَحقَهم .

قال : وقال العَرْجيّ في حبسه[1] : [من الوافر]

صوت

أَضاعُوني وأيَّ فتًى أَضاعُوا ليومِ كَريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ
وصبرٍ عندَ مُعْتَرَكِ المَنايا وقد شُرِعَتْ أَسنَّتُها بنَحْري
أُجَرَّرُ في الجَوامع كلَّ يومٍ فيا للهِ مَظْلِمَتِي وصَبْري
كأنِّي لم أكُنْ فيهم وَسِيطاً ولم تَكُ نِسْبَتِي في آلِ عَمْرِو

[أبو حنيفة وجار له كان يغنّي بشعر العرجيّ]

أخبرني محمد بن زكريّا الصَّحّاف قال حدّثنا قَعْنَبُ بن المُحرِز الباهليّ عن الأصمعيّ قال : كان لأبي حَنِيفة جارٌ بالكوفة يغنّي ، فكان إذا انصرف وقد سَكِرَ يُغنّي في غرفته ، ويسمع أبو حنيفة غناءه فيُعجبُه . وكان كثيراً ما يغنّي : [من الوافر]

---

1 ديوان العرجيّ : 34-36 .

أَضاعُونِي وأيُّ فتًى أضاعُوا ... ليومِ كَرِيهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فلقِيَه العَسَسُ ليلةً فأخذوه وحُبس . ففقَد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غدٍ فأُخبِر ؛ فدَعا بسَواده وطويلته فلبِسهما ، وركِب إلى عيسى بن موسى فقال له : إنّ لي جاراً أخذه عَسَسُك البارحة فحُبس ، وما علمتُ منه إلاّ خيراً . فقال عيسى : سلِّموا إلى أبي حنيفة كلَّ من أخذه العَسَس البارحة ، فأُطلِقُوا جميعاً . فلمّا خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سِرّاً : ألستَ كنتَ تغنّي يا فتىً كلَّ ليلةٍ : [من الوافر]

أضاعونِي وأيَّ فَتًى أَضاعُوا

فهل أَضَعْناكَ ؟ قال : لا واللهِ أيُّها القاضي ، ولكن أحسنتَ وتكرّمتَ ، أحسنَ اللهُ جزاءك . قال : فعُدْ إلى ما كنتَ تغنّيه ؛ فإنّي كنتُ آنَسُ به ، ولم أَرَ به بأساً . قال : أفعلُ .

[عبد الله بن عليّ كان كثير التمثّل في حبسه بقول العرجيّ «أضاعوني»]

وقال إسحاق في خبره : لمّا حبس المنصور عبد الله بن عليّ ، كان يُكثِر التَّمثُّل بقول العَرْجيّ : [من الوافر]

أَضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فبلغ ذلك المنصورَ ، فقال : هو أضاعَ نفسه بسوءِ فعله ، فكانت أنفسُنا عندنا آثَر من نفسه .

[حكاية الأصمعيّ مع كنّاس بالبصرة]

قال إسحاق : وقال الأصمعيّ : مررتُ بكنَّاسٍ بالبصرة يكنُس كَنِيفاً ويغنّي : [من الوافر]

أَضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقلت له : أمّا سِداد الكَنِيف فأنت مَليءٌ به . وأمّا الثغر فلا علمَ لي بك كيفَ أنتَ فيه ، وكنتُ حديث السنّ فأردتُ العبث به ، فأَعْرَضَ عنّي مليّاً ، ثم أقبل عليّ فأنشد متمثّلاً : [من الطويل]

وأُكْرِمُ نفسي إنّني إن أَهنتُها ... وحَقِّك لم تَكْرُمْ على أحدٍ بَعْدِي

قال فقلتُ له : واللهِ ما يكونُ من الهَوانِ شيءٌ أكثرُ ممّا بذلتَها له ، فبأيِّ شيءٍ أكرمتَها ؟ فقال : بَلى ، واللهِ إنّ من الهوانِ لشرّاً ممّا أنا فيه . فقلت : وما هو ؟ فقال : الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس . فانصرفتُ عنه أَخْزَى الناس . قال محمد بن مزيَد : فحدّثني حمّادٌ قال قال لي أبي : اختصَر الأصمعيُّ ، فيما أَرى ، الجواب ، وستَر أقبحه على نفسه ، وإلاّ فكنّاسُ كنيفٍ قائمٌ يكنُسه ويعبث به هذا العَبث ، فيرضى بهذا الجواب الذي لا يُجيب بمثله الأحنفُ بن قيس لو كانت المخاطبة له ؟

[اقتصاص الوليد بن يزيد من محمد وإبراهيم ابني هشام]

وقال إسحاق في خبره : كان الوليد بن يزيد مُضطغِناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلُغه عنه في حياة هشام ، فلمّا وَلِيَ الخلافة قبَض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأُشخِصا إليه إلى الشام ، ثم دعا بالسِّياط . فقال له محمد : أسألُك بالقَرابة . قال : وأيُّ قرابةٍ بيني وبينَك ؟ وهل أنت إلاّ من أشْجَعَ ؟ قال : فأسألك بصِهْر عبد الملك . قال : لم تَحفَظْه . فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يُضرَبَ قرشيٌّ بالسِّياط إلاّ في حَدّ . قال : ففي حدٍّ أضرِبُك وقَوَدٍ ، أنت أوّلُ من سَنَّ ذلك على العرجيّ ، وهو ابن عمّي وابنُ أميرِ المؤمنين عثمان ، فما رَعَيْتَ حقَّ جَدّه ولا نَسبه بهشام ، ولا ذكرتَ حينئذٍ هذا الخبر ، وأنا وليُّ ثأْرِه ، اضرِبْ يا غُلام ؛ فضربهما ضرباً مبرِّحاً ، وأُثْقِلا بالحديد ، ووجَّه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة ، وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يَتْلَفا ، وكتب إليه : احبِسْهما مع ابن النَّصرانية ، يعني خالداً القَسْريّ ، ونفسَك نفسَك إن عاش أحدٌ منهم . فعذَّبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالاً عظيماً حتى لم يبق فيهم موضعٌ للضَّرْب . فكان محمد بن هشام مطروحاً ، فإذا أرادوا أن يُقيموه أخذوا بلِحيتِه فجذبوه بها . ولمّا اشتدّت عليهما الحال ، تَحامَلَ إبراهيم لينظر في وجه محمد ، فوقع عليه فماتا جميعاً ، ومات خالدٌ القسريّ معهما في يومٍ واحد . فقال الوليد بن يزيد لمّا حملهما إلى يوسف بن عمر : [من المنسرح]

قد راحَ نحو العِراقِ مَشْخَلَبَهْ ... قُصارُه السِّجْنُ بعدَه الخَشَبَهْ[1]
يركَبُها صاغِراً بلا قَتَبٍ ... ولا خِطامٍ وحَوْلَه جَلَبَهْ
فَقُلْ لدَعْجاءَ إن مررتَ بها ... لن يُعْجِزَ اللهَ هاربٌ طَلَبَهْ
قد جعلَ اللهُ بعدَ غَلْبَتِكم ... لنا عليكم يا دُلْدُلُ الغَلَبَهْ
لستَ إلى هاشمٍ ولا أَسَدٍ ... ولا إلى نَوْفَلٍ ولا الحَجَبَهْ
لكنّما أشْجَعٌ أبوكَ سَلِ الـ ... ـكَلْبِيَّ لا ما يُزَوِّقُ الكَذَبَهْ

[الرشيد وإسحاق حين غنّاه بيت العرجيّ]

قال إسحاق في خبره : غنّيتُ الرشيدَ يوماً في عُرْضِ الغناء : [من الوافر]

أَضاعُوني وأيَّ فتًى أَضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقال لي : ما كان سببُ هذا الشعر حتى قاله العرجيّ ؟ فأخبرتُه بخبره من أوّله إلى أن

---

1 مشخلبة : أداة تتّخذ من الليف والخرز أمثال الحلي ، وقد تسمّى الجارية مسخلبة بما عليها من الحلي أو الخرز . والأبيات في ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف . غابريلي) ص 21 .

مات ، فرأيتُه يتغيّظ كلّما مرَّ منه شيءٌ . فأتبعتهُ بحديث مَقتَلِ ابنَيْ هشام ، فجعل وجهُه يُسْفِر وغيظُه يسكُن . فلمّا انقضى الحديث ، قال لي : «يا إسحاق ! والله لولا ما حدّثتني به من فعل الوليد لَما تركتُ أحداً من أماثلِ بني مخزومٍ إلاّ قتلتُه بالعرجيّ .

والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه : [من الطويل]

صوت

إذا ما طَواكِ الدهرُ يا أُمَّ مالكٍ فشأنَ المنايا القاضِياتِ وشانيا
تمرُّ الليالي والشهورُ وتَنْقَضي وحُبُّكِ ما يَزْدادُ إلاّ تَمادِيا
خليليَّ إن دارتْ على أُمّ مالكٍ صُرُوفُ الليالي فابغِيا لِيَ ناعِيا
ولا تترُكاني لا لخيرٍ مُعَجَّلٍ ولا لبقاء تَنْظُرانِ بَقائِيا

الشعر للمجنون ، ومن الناس من يَروي البيت الأوّل منها لقَيْس بن الحدادية وهو جاهليّ . والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر حَبَشٌ وابنُ المكّيّ أنّ فيه لإسحاق لحناً آخرَ من الثقيل بالخنصرْ والبِنْصَر .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين   الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

2

الطبعَـة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعـة الثـانية

1426هـ - 2005م

الطبعـة الثـالثة

1429هـ - 2008م

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[10] ـ أخبار مجنون بني عامر ونسبه[1]

[نسبه وتصحيح اسمه]

هو ، على ما يقوله من صحّح نسبَه وحديثَه ، قَيْسٌ ، وقيل : مَهْدِيّ ، والصحيح [أنه] قيسُ بن الملوّح بن مُزاحِم بن عُدَس[2] بن ربيعة بن جَعدة بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ومن الدليل على أنّ اسمه قيسٌ قولُ ليلى صاحبته فيه : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْرِي والخطوبُ كثيرةٌ ... متى رَحْلُ قَيْسٍ مُستقِلٌّ فراجعُ

وأخبرني الحسن بن علي[3] قال حدّثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ مَن لا أُحْصِي يقول : اسم المجنون قيسُ بن الملوّح .

[كانت به لوثة ولم يكن مجنوناً]

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ ، وأخبرني الجَوهريّ عن عمر بن شبّة أنّهما سمِعا الأصمعيّ يقول ، وقد سُئل عنه : لم يكن مجنوناً ولكن كانتْ به لُوثة كلُوثة أبي حَيَّة النُّمَيريّ .

[اختلاف الرواة في وجوده]

وأخبرني حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّة عن الحزاميّ قال حدّثني أيُّوب بن عَباية قال : سألت بني عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدتُ أحداً يعرفه .

وأخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دَأْب[4] قال : قلت لرجل من بني عامر : أتعرِف المجنون وتروِي من شعره شيئاً ؟ قال : أَوَقد فرَغنا من شعر العقلاء حتى

---

1 مجنون بني عامر : لا فائدة في الإحالة على مصادر لترجمته ، ففي كتب أخبار العشّاق مثل : مصارع العشّاق وتزيين الأسواق ، وكتاب الشوق والفراق ، لابن المرزبان ، وفي الزهرة لابن داود الظاهريّ وخزانة الأدب 4 : 229–233 وغيرها أخبار وأشعار له ، وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستّار فراج ، وتلك مغامرة لا تحمد آثارها في الدارسين (طبعة مكتبة مصر ، القاهرة) على أنّه حاول ـ رحمه الله ـ استقصاء المراجع في تخريج الشعر وإثبات الروايات المختلفة . وقال الجاحظ (البيان والتبيين 4 : 22) وأمّا مجنون بني عامر وبني عقيل فهو قيس بن معاذ ، وهو الذي يقال له : مجنون بني عامر ، وهما شاعران ، قيل ذلك لهما لتجنّنهما بعشيقتين كانتا لهما ، ولهما أشعار معروفة . وقال أيضاً : ومن المجانين مهدي بن الملوح الجعدي ، وهو مجنون بني جعدة .

2 ل : بن قيس بن عدي .

3 ل : وأخبرني الحرمي .

4 ابن دأب اسمه عيسى بن يزيد .

نَروي أشعار المجانين ؟ إنّهم لكثيرٌ ! فقلت : ليس هؤلاء أعني ، إنّما أَعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق ، فقال : هيهات ، بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك ، إنّما يكون هذا في هذه اليَمانية الضِّعاف قلوبُها ، السَّخيفة عقولُها ، الصَّعْلَةِ[1] رؤوسها ، فأمّا نزار فلا .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرياشيّ قال سمعت الأصمعيّ يقول : رجلان ما عُرِفا في الدنيا قَطُّ إلاّ بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القِرِّيَّة ، وإنّما وضَعهما الرُّواة .

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني عبد الله بن أبي سَعد عن الحِزاميّ قال : ولم أسمعه من الحزاميّ فكتبتُه عن ابن أبي سعد قال أحمد : وحدّثنا به ابن أبي سعد عن الحزاميّ قال حدّثنا عبد الجَبَّار بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن مُساحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال : سعيتُ[2] على بني عامر فرأيتُ المجنون وأُتِيتُ به وأنشدني .

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفشُ قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال حدّثنا إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ قال : المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحبُ ليلى قيس بن مُعاذ من بني عامر ، ثم من بني عُقَيل ، أحد بني نُمَير بن عامر بن عُقَيل ، قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مَهْدِيّ بن المُلوّح من بني جَعْدَة بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعَة .

[قيل إنّ فتى من بني أميّة وضع حديثه وشعره ونسبه إليه]

وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ قال حدّثنا ابن أبي سَعد عن عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال[3] : حُدِّثتُ أنّ حديث المجنون وشعرَه وضعه فتًى من بني أُميَّة كان يهوى ابنة عمّ له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسَبها إليه .

أخبرني الحسين بن يحيى وأبو الحَسن الأَسَديّ قالا : حدّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال : اسم المجنون قيسُ بن مُعاذٍ أحدُ بَني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وأخبرني أبو سعد الحسن بن عليّ بن زكريّا العَدَوِيّ قال حدّثنا حَمَّاد[4] بن طالوت بن عبّاد : أنّه سأل الأصمعيّ عنه ، فقال : لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لُوثةٌ أحدثها العشقُ فيه ، كان يهوَى امرأةً من قومه يقال لها ليلى ، واسمه قيس بن مُعاذ .

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه أنّ اسمه قيسُ بن مُعاذ .

---

1 رأس صعل : صغير .
2 سعى على القوم : عمل ساعياً أي جابياً للزكاة .
3 انظر الخزانة : 4 : 229 .
4 عثمان بن طالوت .

وذكر شُعَيب بن السَّكَن عن يونس النَّحويّ أنّ اسمه قيس بن الملوّح . قال أبو عمرو الشَّيباني : وحدّثني رجل من أهل اليمن أنّه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر أنّه[1] قيسُ بن الملوّح .

وذكر هشام بن محمد الكلبيّ أنّه قيس بن الملوّح ، وحدّث أنّ أباه مات قبل اختلاطه[2] ، فعقَر على قبره ناقته وقال في ذلك : [من الطويل]

عقـرتُ على قبر الملـوّح ناقتي بذي السَّرْح[3] لما أن جفاه الأقاربُ
وقلـتُ لهـا كُوني عَقِيراً فإنّني غداً راجلٌ أمشي وبالأمسِ راكبُ
فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يا ابن مُزاحمٍ فكلٌّ بكأس الموت لا شكَّ شاربُ[4]

وذكر إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنّى أنّ اسمه البُخْتُريّ بن الجَعْد .

وذكر مُصْعَب الزُّبيريّ والرياشيّ وأبو العالِية أنّ اسمَه الأقرع بن مُعاذ . وقال خالد بن كلثوم : اسمه مهديٌّ بن الملوّح .

وأخبرني الأخفش عن السُّكَّريّ عن أبي زياد الكِلابيّ[5] ، قال : ليلى صاحبة المجنون هي ليلى بنت سَعد بن مَهْدِيّ بن رَبيعة بن الحَريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ ، قال حدّثنا أبو قِلابة الرَّقاشيّ[6] ، قال حدّثني عبد الصَّمد بن المُعَذَّل ، قال : سمعتُ الأصمعيّ وقد تذاكرنا مجنون بني عامر يقول : لم يكن مجنوناً وإنّما كانت به لُوثةٌ ، وهو القائل[7] : [من مجزوء الكامل]

أخذَتْ محاسنَ كلِّ ما ضَنَّـتْ محاسنُـه بحُسنِهْ
كادَ الغـزالُ يكونُهـا لولا الشَّوَى ونُشُوزُ قَرْنِهْ

[لقب بالمجنون كثير غيره وكلّهم كان يشبب بليلى]

وأخبرني عمر بن عبد الله بن جَمِيل العَتَكِيّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال : سألتُ أعرابيّاً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامِريّ فقال : عن أيِّهم تسألني ؟

1 في ل : فعرفه أنّه .
2 اختلاطه : تغيّر عقله .
3 ذو السرح : واد بنجد .
4 لا شك في ل : لا بدّ .
5 أبو زياد الكلابيّ : اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث عاش في أوائل الدولة العباسية وكان شاعراً وعالماً باللغة .
6 أبو قلابة الرقاشي ، هو عبد الملك بن محمد الرقاشي .
7 ديوان المجنون : 281 .

فقد كان فينا جماعةٌ رُمُوا بالجنون ، فعن أيّهم تسألُ ؟ فقلت : عن الذي كان يُشبّب بليلى ، فقال : كلُّهم كان يُشبّب بليلى ، قلتُ : فأنشِدني لبعضهم ، فأنشدني لِمُزاحِم بن الحارث المجنون[1] : [من الطويل]

ألا أيُّها القلبُ الذي لَجَّ هائِماً بلَيْلى وليــداً لم تُقَطَّــعْ تمائِمُهْ
أَفِقْ قد أفاق العاشقون وقد أَنى لكَ اليومَ أن تَلقى طبيباً تُلائِمُهْ
أجِــدَّكَ لا تُنسِيكَ لَيْلى مُلِمَّةٌ تُلِمُّ ولا عهــدٌ يَطُــولُ تَقادُمُهْ

قلت : فأنشِدني لغيره منهم ، فأنشَدَني لِمُعاذ بن كُلَيب[2] المجنون : [من الطويل]

ألا طالَما لاعَبْتُ لَيْلى وقادَني إلى اللَّهوِ قلبٌ للحِسانِ تَبُـوعُ
وطال امتراءُ الشّوقِ عينيَ كلّما نَزَفــتُ دُموعاً تَسْتَجِدُّ دُموعُ
فقد طال إمساكي على الكَبِد التي بها مِن هَوى لَيْلى الغَداةَ صُدُوعُ

قلتُ : فأنشِدني لغير هذين ممّن ذكرتَ ، فأنشدَني لِمَهْدِيّ بن الملوّح : [من الطويل]

لو انّ لــكَ الدنيا وما عُدِلَتْ به سِواها وليلى بائــنٌ عنــكَ بينُها[3]
لكنــتَ إلى ليـــلى فقيراً وإنّمـا يقــود إليهــا وُدَّ نفسِك حَينُها

قلتُ له : فأنشِدني لمن بقي من هؤلاء ، فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إنّ في واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليومَ .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال قال ابن الأعرابيّ : كان مُعاذ بن كليب مجنوناً ، وكان يُحبّ ليلى ، وشَرِكَه في حبّها مُزاحم بن الحارث العُقَيليّ ، فقال مزاحمٌ يوماً للمجنون : [من الوافر]

كِلانــا يــا مُعاذُ يُحِبُّ لَيْلى بفِيّ وفيكَ مِــن لَيْلى التُّرابُ
شَرِكتُكَ في هَوى من كان حظّي وحظُّكَ مِــن مودّتِها العَذابُ
لقد خَبَلَتْ فؤادَك ثــم ثَنَّتْ بقلبــي فهــو مخبولٌ مُصابُ

قال فيقال : إنّه لما سمع هذه الأبيات التُبِس وخولِط في عقله .

وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ : أنّه سمع في الليل هاتفاً يهتِفُ بهذه الأبيات ، فكانت سبب جنونه .

---

1 ديوان مجمون ليلى : 248 .
2 هذه الأبيات لمعاذ بن كليب ، ولكنها موجودة في ديوان المجنون أيضاً .
3 بائن في ل : حائن .

وذكر إبراهيم بن المُنذر الحِزاميّ عن أيُّوب بن عباية : أنّ فتًى من بني مروان كان يهوى امرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبُه إلى المجنون ، وأنّه عملَ له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعر ، فحمله الناس وزادوا فيه .

[إنكار وجوده والقول بأنّ شعره مولد عليه]

وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن العُتبيّ عن عَوانةَ أنّه قال : المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصلٌ ولا نسبٌ ، فسئل مَن قال هذه الأشعار ؟ فقال : فتًى من بني أميّة .

وقال الجاحظ[1] : ما تركَ الناس شعراً مجهولَ القائل قِيل في لَيْلى إلاّ نسَبوه إلى المجنون ، ولا شعراً هذه سبيلُه قيل في لُبْنَى إلاّ نسَبوه إلى قيس بن ذَرِيح .

وأخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني أبو أيُّوب المَدِيني[2] قال حدّثني الحَكَم بن صالح قال : قِيلَ لرجل من بني عامر : هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشقُ ؟ فقال : هذا باطلٌ ، إنّما يقتلُ العشقُ هذه اليمانية الضّعاف القلوبِ .

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ قال حدّثني أيُّوب بن عباية قال حدّثني مَن سأل بني عامرٍ بطناً بطناً عن المجنون فما وجدَ فيهم أحداً يعرِفُه .

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأَزْهَر قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن ابن الأعرابيّ أنّه ذَكر عن جماعة من بني عامر أنّهم سُئِلوا عن المجنون فلم يعرِفوه ، وذكروا أنّ هذا الشعر كلَّه مُوَلَّد عليه .

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمَّار قال حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن محمد بن الحَكَم عن عَوانة قال : ثلاثةٌ لم يكونوا قطُّ ولا عُرِفوا : ابن أبي العَقِب صاحبُ قصيدة المَلاحم[3] ، وابن القِرِّيّة[4] ، ومجنون بني عامر .

أخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال سمعتُ الأصمعيّ يقول : الذي أُلقِيَ على المجنون من الشعر وأُضِيفَ إليه أكثرُ ممّا قاله هو .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني إسحاق قال :

---

1 هذا القول مهمّ للدارس ، وهو منطلق لتصحح الدراسة في المجنون وشعره ؛ وقد ردّد هذا القول البغدادي في الخزانة 4 : 229 .

2 أبو أيوب المديني : هو سليمان بن أيوب بن محمد المديني (أي من أهل المدينة) .

3 قصيدة الملاحم : قصيدة يزعم فيها صاحبها أنّه سينبيء عمّا سيجري من أحداث في المستقبل .

4 له محاورات مع الحجّاج ، يبدو أنّ معظمها موضوع .

أنشدتُ أيُّوب بن عباية هذين البيتين[1] : [من الطويل]

وخبَّرتُمـــاني أنّ تَيمـــاءَ منزِلٌ لِلَيْلَى إذا ما الصَّيفُ أَلْقَى المَراسِيا
فهذي شهورُ الصَّيْفِ عنّا قد انقضَتْ فما لِلنّـوَى تَرمِـي بلَيْلَى المَرامِيا

وسألتُه عن قائلهما ، فقال : جميلٌ ، فقلتُ له : إنّ الناس يَروونَهما للمجنون ، فقال : ومَن هو المجنونُ ؟ فأخبرتُه ، فقال : ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعتُ به .

وأخبرني عمّي عن عبد الله بن شَبيب عن هارون بن موسى الفَرْويّ قال : سألت أبا بكر العَدَوِيّ عن هذين البيتين فقال : هما لجَمِيل ، ولم يَعرِف المجنونَ ، فقلتُ : فهل معهما غيرُهما ؟ قال : نعم ، وأنشدني : [من الطويل]

وإنّي لأخشى أن أموتَ فُجاءةً وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا
وإنّي ليُنْسِينِي لِقاؤكِ كلَّما لقيتُكِ يوماً أنْ أَبُـثَّكِ ما بيا[2]
وقالوا بـــه داءٌ عَياءٌ أصابه وقد علِمتْ نفسي مكانَ دوائِيا

وأنا أذكر ممّا وقع إليّ من أخباره جُمَلاً مستحسنةً ، مُتَبرِّئاً من العهدة فيها ، فإنّ أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبُها بعضُ الرُّواة إلى غيره وينسبُها مَنْ حُكِيتْ عنه إليه ، وإذا قدّمتُ هذه الشريطة برئتُ من عيبِ طاعنٍ ومُتَتَبِّعٍ للعيوب[3] .

[بدء تعشّقه ليلى]

أخبرني بخبره في شَغَفِه بليلى جماعةٌ من الرُّواة ، ونسختُ ما لم أسمعه من الروايات وجمعتُ ذلك في سِياقة خبره ما اتّسقَ ولم يختلِفْ ، فإذا اختلفَ نسَبتُ كلَّ رواية إلى راويها .

فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ ، قالا : حدّثنا عمرُ بن شبّة عن رجاله وإبراهيمُ بنُ أيّوبَ عن ابن قُتَيبة ، ونسختُ أخبارَه من رواية خالد بن كُلْثُوم وأبي عَمْرو الشَّيباني وابن دَأْبٍ وهِشام بن محمد الكَلْبيّ وإسحاق بن الجَصَّاص وغيرِهم من الرُّواة .

قال أبو عمرو الشَّيبانيّ وأبو عبيدة : كان المجنون يهوى ليلى بنت مَهديّ بن سَعد بن مهديّ بن ربيعة بن الحَرِيش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتُكنى أُمَّ مالك ، وهما حينئذٍ صبيان ، فعَلِق كلٌّ واحد منهما صاحبَه وهما يرعَيانِ مواشيَ أهلِهما ، فلم يزالا كذلك حتى كبِرا فَحُجِبتْ عنه ، قال : ويدلّ على ذلك قوله : [من الطويل]

---

1 بشأن ما يرد من الأبيات اليائية المنسوبة للمجنون انظر القصيدتين رقم 307 و308 في ديوانه .
2 ل : ليثنيني .
3 تأمّل تخرج أبي الفرج في هذا الموضع .

صوت

تَعلّقتُ لَيْلى وهــي ذاتُ ذُؤابــةٍ ولم يَبْدُ للأتراب من ثَدْيِها حجمُ[1]
صغيرَيْنِ نرعَى البَهْمَ يا ليتَ أنّنا إلى اليوم لم نَكْبُرْ ولم تَكْبُرِ البَهْمُ

في هذين البيتين للأَخْضَر الجُدِّيّ لحن من الثقيل الثاني بالوسطى ، ذكره هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشاميّ .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية ونسختُ هذا الخبر بعينه من خطّ هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أبو عَتّاب البصريّ عن إبراهيم بن محمد الشافعيّ قال : بَيْنا ابنُ مُلَيكةَ يؤذِّن إذ سمِع الأخضر الجُدِّيَّ يُغنّي من دار العاص بن وائل : [من الطويل]

وعُلِّقتُهـا غَـرَّاءَ ذاتَ ذوائـبٍ ولم يَبدُ للأتراب من ثديِها حجمُ
صغيرَيْنِ نرعَى البهمَ يا ليتَ أنّنا إلى اليومِ لم نَكْبُرْ ولم تَكبُرْ البَهْمُ

قال : فأراد أن يقول : حيَّ على الصلاة فقال : حيَّ على البَهْم ، حتى سمِعه أهلُ مكّة فغدا يعتذرُ إليهم .

وقال ابن الكلبيّ : حدّثني مَعروف المَكّيّ والمُعَلّى بن هِلال وإسحاقُ بن الجَصّاص قالوا : كان سبب عشق المجنون لَيْلَى ، أنّه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حُلّتان من حُلَل الملوك ، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها : كريمة ، وعندها جماعةُ نسوةٍ يتحدّثن فيهنّ ليلى ، فأعجبهنّ جمالُه وكمالُه ، فدعَوْنه إلى النزول والحديث ، فنزل وجعل يُحدِّثهنّ وأمر عبداً له كان معه فعقر لهنّ ناقته ، وظَلَّ[2] يحدّثهنّ بقيةَ يومه ، فبينا هو كذلك ، إذ طلع عليهم فتًى عليه بُرْدةٌ من بُرَدِ الأعراب يقال له : «مُنازِلُ» يَسُوق مِعْزًى له ، فلمّا رأيْنَه أقبلْنَ عليه وتركْنَ المجنون ، فغضب وخرج من عندهنّ وأنشأ يقول : [من الطويل]

أأعقِرُ مِـنْ جَـرّا كَريمـةَ ناقَتِي ووَصْلِي مَفْـروشٌ لِوَصْلِ مُنازِلِ
إذا جـاء قَعْقَعنَ الحُـليَّ ولم أكُنْ إذا جئتُ أرضى صوتَ تلكَ الخلاخلِ
متى مـا انتضَلْنا بالسِّهام نضَلْته وإن نَرْمِ رَشْقاً عندها فهو ناضِلِي[3]

قال : فلمّا أصبح لبِس حُلّتَه ، وركب ناقة له أُخرى ومضى مُتعرِّضاً لهنّ ، فألفَى لَيْلَى

---

1 في رواية : وهي ذات تمائم .
2 ل : وجعل .
3 انتضلا : تباريا في رمي السهام .

قاعدةً بفناء بيتها وقد عَلِق حبُّه بقلبها وهوِيَته ، وعندها جُوَيرياتٌ يتحدّثْنَ معها ، فوقف بهنّ وسلّم ، فدَعونَه إلى النزول وقلن له : هل لك في محادثة مَن لا يَشغَلُه عنك مُنازِلٌ ولا غيرُه ؟ فقال : إي لَعَمْرِي ، فنزل وفعل مثلَ ما فعله بالأمس ، فأرادت أن تعلم ، هل لها عنده مثلُ ما له عندها ، فجعلتْ تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدّث غيره ، وقد كان عَلِق بقلبه مثلُ حبّها إيّاه وشَغَفَتْه واستملحها ، فبينا هي تُحدِّثه ، إذ أقبل فتًى من الحيّ فدعته وسارّته سِراراً طويلاً ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيَّر وانتُقِع[1] لونه وشَقّ عليه فعلُها ، فأنشأت تقول : [من الوافر]

كِلانا مُظهِرٌ للناسِ بغضاً وكلٌّ عندَ صاحبِهِ مَكِينُ
تُبلِّغُنا العيونُ بما أردنا وفي القلبين ثَمَّ هَوىً دَفِينُ

فلمّا سمع البيتين شَهَقَ شهقةً شديدة وأُغمِيَ عليه ، فمكث على ذلك ساعة ، ونضَحوا الماء على وجهه [حتى أفاق] وتمكّن حبُّ كلّ واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلَّ مَبلغ .

[خطبته لليلى واختيارها عليه غيره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكيّ عن محمد بن سعيد المَخزوميّ عن أبي الهيثم العقيليّ قال : لمّا شُهِر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها ، خطبَها وبذل لها خمسين ناقةً حمراء ، وخطبها وَرْدُ بن محمد العُقَيليّ وبذل لها عَشْراً من الإبل وراعِيها ، فقال أهلُها : نحن مُخيِّروها بينكما ، فمَنِ اختارَتْ تزوّجته ، ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختاري وَرْداً لَنُمثِّلَنّ بِك ، فقال المجنون[2] : [من الوافر]

ألا يا لَيْلَ إن مُلِّكْتِ فينا خِيارَكِ فانظُرِي لِمَن الخيارُ
ولا تَسْتَبْدِلِي منّي دَنِيّاً ولا بَرَماً إذا حُبّ القُتارُ[3]
يُهَرْوِل في الصغير إذا رآه وتُعجِزُه مُلِمّاتٌ كِبارُ
فمثلُ تأيُّم منه نكاحٌ ومثلُ تَمَوُّلٍ منه افتِقارُ

فاختارت ورداً فتزوّجته على كُرهٍ منها .

---

1 انتقع لونه : تغيّر .
2 ديوان مجنون ليلى : 122–123 وينسب البيتان للعباس بن الأحنف .
3 البرم : اللئيم ، والأصل وصف للذي لا يدخل مع القوم في الميسر . القتار : رائحة اللحم المشويّ .

[حكاية أبيه عن جنونه بليلى]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة بن خُريم[1] المُرّي قال : خرجتُ إلى أرض بني عامر لألقى المجنون ، فَدُلِلْتُ عليه وعلى مَحَلَّته ، فلَقِيت أباه شيخاً كبيراً وحولَه إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالاً ؛ فسألتهم عنه فبَكَوه ، وقال الشيخ : أما والله لهو كان آثَر عندي من هؤلاء جميعاً ، وإنّه عَشِقَ امرأةً من قومه والله ما كانت تطمع في مثله ، فلمّا فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يزوّجه إيّاها بعد ما ظهر من أمرهما ، فزوّجها غيره ، وكان أوّل ما كَلِفَ بها يجلس إليها في نفرٍ من قومها فيتحدّثون كما يتحدّث الفِتيان ، وكان أجملَهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب ، فيُفِيضون في الحديث فيكون أحسنَهم فيه إفاضةً ، فتُعرِض عنه وتُقبِل على غيره ، وقد وقع له في قلبها مثلُ ما وقع لها في قلبه ، فظَنَّتْ به ما هو عليه من حبّها ، فأقبلت عليه يوماً وقد خَلَتْ فقالت : [من الوافر]

صوت

كِلانا مُظهِرٌ للنـاسِ بغضاً وكلٌّ عنـدَ صاحبـهِ مَكِـينُ
وأسرارُ المَلاحِظِ ليس تَخْفَـى إذا نطَقتْ بما تُخْفِي العيونُ[2]

غنّت في الأوّل عَريبُ خفيفَ رَمَلٍ ، وقيل : إنّ هذا الغناء لشارية ، والبيت الأخير ليس من شعره ، قال : فخرّ مغشيّاً عليه ثم أفاق فاقداً عقلَه ، فكان لا يلبس ثوباً إلاّ خَرَّقه ولا يمشي إلاّ عارياً ويلعب بالتراب ويجمعُ العظام حوله ، فإذا ذُكرتْ له ليلى أنشأ يحدّث عنها عاقلاً ولا يُخطىء حرفاً ، وترك الصلاة ، فإذا قيل له : ما لكَ لا تُصلّي ! لم يَرُدَّ حرفاً ، وكنّا نحبسه ونُقيّده ، فيَعضُّ لسانه وشفته ، حتى خشينا عليه فخلّينا سبيله فهو يهيم .

[قصّته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف]

قال الهيثم : فولّى مروان بن الحَكَم عمرَ بن عبد الرحمن بن عَوف صدقاتِ بني كعب وقُشَير وجَعْدَة والحَريش وحبيبَ وعبد الله ، فنظر إلى المجنون قبل أن يَسْتحكم جُنونه[3] فكلّمه وأنشده فأُعجِبَ به ، فسأله أن يخرجَ معه ، فأجابه إلى ذلك ، فلمّا أراد الرَّواحَ جاءه قومُه فأخبروه خبرَه وخبرَ ليلى ، وأنّ أهلها استعدَوُا السلطان عليه ، فأهدرَ دمَه إن أتاهم ، فأضربَ عمّا وعده وأمر له بقلائص ، فلمّا علم بذلك وأُتِي بالقلائص ردّها عليه وانصرف .

1 هو حريم (بالحاء المهملة) في تاريخ الطبري .
2 الشطر الثاني في ل : وقد تغرى بذي اللحظ الظنون .
3 ل : يستحكم حبّه .

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرُّواة : أنّ المجنون هو الذي سأل عمر بنَ عبد الرحمن أن يخرج به ، قال له : أكون معك في هذا الجَمْع الذي تَجمعه غداً ، فَأُرى في أصحابك ، وأتجمّل في عشيرتي بك ، وأفخرُ بقربك ، فجاءه رَهطٌ من رهط لَيْلى وأخبروه بقصّته ، وأنّه لا يريد التجمّل به ، وإنّما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها ، وأنّهم قد شكَوْه إلى السلطان فأهدر دمَه إن دخل عليهم ، فأعرض عمّا أجابه إليه من أخذه معه وأمر له بقلائص ، فردّها وقال [في ذلك] : [من الوافر]

رَددتُ قلائـصَ القرشيّ لَمّا بدا لي النقضُ منــه للعهودِ
وراحوا مُقْصِرين وخَلَّفُوني إلى حُزنٍ أُعالجُــهُ شديدِ

[نوفل بن مساحق يتوسط للمجنون]

قال : ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى ، قال : فلم تزل تلك حالَه ، إلاّ أنّه غيرُ مستوحش ، إنّما يكون في جَنَباتِ الحيّ منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلاّ خرَّقه ، ويَهْذِي ويُخطِّط في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة ، ولا يُجيب أحداً سأله عن شيء ، فإذا أحبُّوا أن يتكلَّم أو يثوب عقلُه ذكروا له ليلى ، فيقول : بأبي هي وأُمِّي ، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويُجيبهم ، ويأتيه أحداث الحيّ فيحدِّثونه عنها ويُنشدونه الشعر الغزل ، فيجيبهم جواباً صحيحاً ويُنشدهم أشعاراً قالها ، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفلُ بن مساحق ، فنزل مَجْمَعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان ، فقال لغلام له : يا غلام ، هاتِ ثوباً ، فأتاه به ، فقال لبعضهم : خذ هذا الثوب فألقِه على ذلك الرجل ، فقال له : أتعرِفه جُعِلتُ فِداك ؟ قال : لا ، قال : هذا ابن سيّدِ الحيّ ، لا والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن ، وإذا طُرِحَ عليه شيء خرَّقه ، ولو كان يلبسُ ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه ، وحدَّثه عن أمره ، فدعا به وكلّمه ، فجعل لا يعقِل شيئاً يكلّمه به ، فقال له قومه : إن أردت أن يُجيبك جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى ، فذكرها له وسأله عن حبّه إيّاها ، فأقبل عليه يحدّثه بحديثها ويشكو إليه حبَّه إيّاها ويُنشده شعره فيها ، فقال له نوفل : الحبّ صيّرك إلى ما أرى ؟ قال : نعم ، وسينتهي بي إلى ما هو أشدّ مما ترى ، فعجِب منه وقال له : أتُحِبُّ أن أزوّجكَها ؟ قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سبيلٍ ؟ قال : انطلق معي حتى أَقْدَمَ على أهلها بكَ وأخطبَها عليكَ وأُرَغِبهم في المهر لها ، قال : أَتُراك فاعلاً ؟ قال : نعم ، قال : انظر ما تقول ، قال : لك عليّ أن أفعل بك ذلك ، ودعا له بثياب فألبسه إيّاها ، وراح معه المجنون كأصحِّ أصحابه يحدّثه ويُنشده ، فبلغ ذلك رهطها فتلقَّوه في السلاح ، وقالوا له : يا ابن مُساحِق ، لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت ، فقد أهدَرَ لنا السلطانُ دمه ،

فأَقبل بهم وأَدبر ، فأَبَوْا ، فلمّا رأى ذلك قال للمجنون : انصرف ، فقال له المجنون : والله ما وفَيْتَ لي بالعهد ، قال له : انصرافُك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سَفْكِ الدماء ، فقال المجنون[1] : [من الطويل]

صوت

أيـا وَيْح مَنْ أَمْسى تُخُلِّسَ عقلُه ... فأصبحَ مذهوباً بـه كلَّ مذهبِ[2]

خليّـاً مـن الخُـلاَّنِ إلاّ مُعَذِّراً ... يُضاحِكني مَنْ كان يَهوى تَجَنُّبِي[3]

الغناء للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من جامع أغانيه : [من الطويل]

إذا ذُكرتْ ليلى عَقَلْتُ وراجعَتْ ... روائع عقلي مِن هَوىً مُتَشَعِّبِ[4]

وقالوا صحيحٌ مـا به طيفُ جِنَّةٍ ... ولا الهـمُّ إلاّ بـافتراء التكذّبِ

وشاهدُ وجْدِي دمعُ عيني وحُبُّها ... بَرى اللحمَ عن أحناءِ عظمي ومنكِبِي

صوت

[من الطويل]

تجنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بكَ الهوى ... وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ[5]

ألا إنّمـا غـادَرْتِ يا أمّ مالكٍ ... صَدىً أينما تَذْهبْ به الريحُ يَذْهَبِ[6]

الغناء لإسحاق خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وفيه لابن جامعٍ هزج من رواية الهشاميّ وهي قصيدة طويلة .

ومما يُغنّى فيه منها قوله : [من الطويل]

صوت

فلم أَرَ ليلى بعـد مَوْقِـفِ ساعةٍ ... بخَيْفِ مِنىً تَرمِي جِمارَ المحصَّبِ[7]

ويُبْدِي الحَصى منها إذا قذَفتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّبِ

---

1 ديوان مجنون ليلى : 78–80 وفيه تخريج كثير .
2 تخلّس عقله : أُخذ خلسة .
3 المعذّر : المقصّر .
4 روائع عقلي في ل : عوازب قلبي .
5 الحب في ل : اليأس .
6 غادرت في ل : أبقيت .
7 بعد في ل : غير .

فأصبحتُ من لَيْلى الغَداةَ كناظرٍ ... مع الصبحِ في أعقابِ نجمٍ مُغرِّبِ
ألا إنّما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

فيه ثقيل أوّل مطلق باستهلال ، ذكر ابن المكّيّ أنّه لأبيه يحيى ، وذكر الهشاميّ أنّه للواثق ، وذكر حبش أنّه لابن محرز ، وهو في جامع أغاني سليمان منسوبٌ إليه .

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب للمجنون[1] : [من الطويل]

فواللهِ ثم اللهِ إنّي لدائبٌ ... أُفَكِّر ما ذنبي إليها وأعجَبُ
وواللهِ ما أدري عَلامَ قتلتِني ... وأيَّ أموري فيك يا ليلَ أركبُ
أأقطَعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونه ... أمَ اشْربُ رَنْقا منكم ليس يُشرَبُ
أمَ اهربُ حتى لا أرَى لي مجاوراً ... أمَ اصنعُ ماذا أم أبوح فَأُغلَبُ
فأيّهما يا ليلَ ما ترتضِينَه ... فإنّي لمظلومٌ وإنّي لَمُعْتِبُ

[حجّه مع أبيه لسلوان ليلى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال : ذكر هشام بن الكلبيّ ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه : أنّ أبا المجنون وأمّه ورجال عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحِمَ ، وقالوا له : إنّ هذا الرجل لَهالكٌ ، وقبل ذلك ففي أقبح من الهلاكِ بذهاب عقله ، وإنّك فاجعٌ به أباه وأهلَه ، فنشَدناك الله والرحم أن تفعلَ ذلك ، فوالله ما هي أشرف منه ، ولا لكَ مثلُ مالِ أبيه ، وقد حكَّمَك في المَهر ، وإن شئتَ أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل ، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمّها إنّه لا يزوّجه إيّاها أبداً ، وقال : أفضحُ نفسي وعشيرتي وآتِي ما لم يأتِه أحدٌ من العرب ، وأَسِمُ ابنتي بمِيسَم فضيحة ، فانصرَفوا عنه ، وخالفهم لوقته فزوّجها رجلاً من قومها وأدخلها إليه ، فما أمسى إلاّ وقد بنى بها ، وبلغه الخبر فأيِس منها حينئذٍ وزال عقله جملةً ، فقال الحيّ لأبيه : احجُجْ به إلى مكّة وادعُ الله عزّ وجلّ له ، ومُره أن يتعلّق بأستار الكعبة ، فيسأل الله أن يعافيه ممّا به ويُبغِّضَها إليه ، فلعلّ الله أن يُخلِّصه من هذا البلاء ، فحجّ به أبوه ، فلمّا صاروا بمِنًى سمع صائحاً في الليل يَصيح : يا ليلى ، فصرخ صَرخةً ظنّوا أنّ نفسه قد تَلِفَت وسقط مَغشيّاً عليه ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائلَ اللون ذاهلاً ، فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

1 ديوان مجنون ليلى : 45–46 . والشطر الثاني من البيت الخامس فيه «فأوّل مهجور وآخر معتب» .
2 ديوان مجنون ليلى : 162 وانظر أيضاً ص 163–164 وتنسب هذه الأبيات أيضاً لغير المجنون .

صوت

عَرَضتُ على قلبي العزاءَ فقال لي ... مِن الآنَ فايأسْ لا أعزّك مِن صَبْرِ
إذا بـانَ مَنْ تهوى وأصبحَ نائياً ... فلا شيءَ أجدَى من حُلولكَ في القبرِ
وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ مِن منىً ... فهيَّجَ أطرابَ الفؤادِ ومـا يَدرِي
دعا باسم ليـلى غيرِها فكأنّما ... أطارَ بليلى طائـراً كان في صدرِي
دعا باسم ليـلى ضلَّل اللهُ سعيَه ... وليـلى بأرضٍ عنـه نازحةٍ قفرِ

الغناء لعريب خفيف ثقيلٍ ، ثم قال له أبوه : تعلّقْ بأستار الكعبة واسأل اللهَ أن يعافيك من حبِّ ليلى ، فتعلّقَ بأستار الكعبة وقال : اللهمّ زِدني لليلى حبّاً وبها كَلَفاً ولا تُنْسِني ذكرها أبداً ، فهام حينئذٍ واختلط[1] فلم يَضْبِطْ . قالوا : فكان يهيم في البرِّيَّة مع الوحش ولا يأكل إلاّ ما ينبُت في البرِّيَّة من بقل ولا يشرب إلاّ مع الظباء إذا وردَتْ مناهلها ، وطال شعر جسده ورأسه وألِفَتْه الظباء والوحوش فكانت لا تنفِر منه ، وجعل يَهيم حتى يبلغ حدود الشام ، فإذا ثاب إليه عقله سأل مَن يمرّ به من أحياء العرب عن نجدٍ ، فيقال له : وأين أنت من نجد؟ قد شارفتَ الشام ! أنتَ في موضع كذا ، فيقول : فأروني وِجهة الطريق ، فيرحمونه ويعرِضون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى ، فيدُلُّونه على طريق نجد فيتوجّه نحوه .

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ وأخبرنا حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال ذكر الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال : خرج منّا فتًى حتى إذا كان ببئر ميمونٍ[2] إذا جماعة فوق بعض تلك الجبال ، وإذا معهم فتًى أبيضُ طُوال جعد[3] كأحسن مَن رأيت من الرجال على هزالٍ منه وصُفرة ، وإذا هم متعلّقون به ، فسألت عنه ، فقيل لي : هذا قيس المجنون خرج به أبوه يستجير له بالبيت ، وهو على نيّة أن يأتي به قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليدعوَ له هناك لعلّه يُكشَف ما به ، فإنّه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه منه عدوُّه ، يقول : أخرجوني لعلّني أتنسَّم صَبا نَجدٍ ، فيُخرجونه فيتوجّهون به نحو نجدٍ ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقي نفسه من الجبل ، فإن شئتَ الأجرَ دنوتَ منه فأخبرته أنّك أقبلتَ من نجدٍ ، فدنوتُ منه وأقبلوا عليه فقالوا له : يا أبا المهديّ ، هذا الفتى أقبل من نجد ، فتنفَّسَ تَنَفُّسةً ظننتُ أنّ

1 ل : وخولط .
2 بئر ميمون : بئر في مكّة .
3 طوال : زائد في الطول ؛ جعد : شديد الأسر ، غير مضطرب الخلق .

كبِده قد انصدعتْ ، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ ، وأنا أُخبره وهو يبكي أحرَّ بكاءٍ وأوجعه للقلب ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري عن عُوارِضَتَيْ قناً … لطولِ الليالي هـلْ تغيَّرتا بعدِي[2]
وهل جارتانـا بالبَتِيل إلى الحِمى … على عَهْدِنا أم لم تَدُوما على العهدِ[3]
وعن عُلُويَّاتِ الريـاح إذا جرتْ … بريحِ الخُزامَى هل تهُبُّ على نجدِ[4]
وعن أُقْحُوانِ الرملِ مـا هو فاعلٌ … إذا هـو أَسْرى ليلةً بِثرىً جَعدِ[5]
وهل أنفُضَنَّ الدهـرَ أفنـانَ لِمَّتِي … على لاحِقِ المتنينِ مُندَلِقِ الوْخدِ[6]
وهلْ أسمعنَّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ … تَحدَّرُ من نَشْزٍ خَصِيبٍ إلى وَهْدِ[7]

[سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ والعُتْبِيّ قالا[8] : مرّ المجنون بزوج ليلى وهو جالسٌ يَصْطَلي في يومٍ شاتٍ ، وقد أتى ابن عمٍّ له في حيّ المجنون لحاجةٍ ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

صوت

بِربِّك هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلَى … قُبيـلَ الصبح أو قَبَّلْـتَ فاها
وهل رَفَّتْ عليكَ قُرونُ ليلَى … رَفِيـفَ الأُقْحُوانـةِ في نَداها

فقال : اللهمّ إذ حلَّفتَني فنَعَمْ ، قال : فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر ، فما فارقهما حتى سقط مغشيّاً عليه ، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه ، وعضّ على شفته فقطعها ، فقام زوجُ ليلى مغموماً بفعله مُتعجّباً منه فمضى .

غنَّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحسين بن محرز ، ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ .

1 ديوان مجنون ليلى : 123–124 .
2 قنا وعوارضتاه : جبال بنجد .
3 البتيل : هو بحسب السياق اسم موضع .
4 علويات الرياح : الرياح التي تهبّ من جهة العالية من نجد .
5 الثرى الجعد : الذي أصابه الندى .
6 لاحق المتنين . ضامر . مندلق الوخد : سريع في سيره .
7 الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . النشز : المكان المرتفع .
8 الخبر والشعر في خزانة الأدب : 10 : 54–55 .

[مروره بجبلي نعمان ومكثه فيهما إلى هبوب الصبا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال قال محمد بن الحكَم عن عَوانة : إنّه حدّثه ووافقه ابن نصر وابن حبيب قالوا : إنّ أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القُرى قبل توحشه ليَمْتاروا خوفاً عليه [من] أن يضيعَ أو يهلِك ، فمرّوا في طريقهم بجبلي نعمان ، فقال له بعض فِتيان الحيّ : هذان جبلا نعمان ، وقد كانت ليلى تنزل بهما ، قال : فأيّ الرياح يأتي من ناحيتهما ؟ قالوا : الصَّبا ، قال : فوالله لا أَرِيم هذا الموضع حتى تهُبَّ الصبا ، فأقام ومَضَوْا فامتاروا لأنفسهم ، ثم أَتَوْا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيّام حتى هَبَّتِ الصَّبا ، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

صوت

أيـا جَبَلَـيْ نَعمـانَ باللهِ خَلِّيا ... سبيل الصَّبا يَخلُصْ إليّ نَسيمُها[2]
أجِدْ بردَها أو تَشْفِ منّـي حرارةً ... على كَبِـدٍ لم يبـقَ إلاّ صَميمُها
فإنّ الصَّبـا ريحٌ إذا مـا تنسَّمَتْ ... على نَفْسِ محزونٍ تجلَّتْ هُمُومُها[3]

[ارتحال أهل ليلى عن منازلهم وما قاله في ذلك]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسين بن الحَرون قال حدّثني الكِسْرَوِيُّ[4] عن جماعةٍ من الرواة قال : لمّا منعَ أبو ليلى المجنون وعشيرتُه من تزويجه بها ، كان لا يزال يَغشى بيوتهم ويهجم عليهم ، فشكَوْه إلى السلطان فأهدر دمه لهم ، فأخبروه بذلك فلم يَرُعْهُ وقال : الموت أَرْوح لي فليتهم قتلوني ، فلمّا علموا بذلك وعرفوا أنّه لا يزال يطلب غِرَّةً منهم حتى إذا تفرّقوا دخل دورهم ، فارتحلوا عنها وأَبعدوا ، وجاء المجنون عشيّةً فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بَلاقِعُ ، فقصد منزل ليلى الذي كان بيتُها فيه ، فألصق صدره به وجعل يُمرِّغ خدَّيه على ترابه [ويبكي] ، ثم أنشأ يقول ، وذكر هذه الأبيات ابن حبيب وأبو نصر له [بغير خبر][5] : [من الطويل]

أيا حَرَجاتِ الحيّ حيثُ تحمّلوا ... بِذي سَلَمٍ لا جادَكُـنَّ رَبيعُ[6]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 250 .
2 سبيل الصَّبا في ل : نسيم الصبا .
3 تجلّت في ل : تسلّت .
4 ل : الكردوسي .
5 ديوان مجنون ليلى : 190–193 وتنسب هذه الأبيات أيضاً لقيس بن ذريح .
6 الحرجة : الغيضة .

وخَيماتُكِ اللاتي بمُنعَرَجِ اللِّوى بَلِينَ بِلىً لم تَبلَهنّ رُبُوعُ
نَدِمتُ على ما كان منّي ندامةً كما يَندَمُ المغبونُ حين يبيعُ
فَقَدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ فإنّني نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ[1]
فقرّبتِ لي غيرَ القريب وأشرفتْ إليكِ ثَنايا ما لهنّ طُلُوعُ[2]

[حديثه مع نسوة فيهنّ ليلى]

وذكر خالدُ بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعاها[3] أنّ ليلى وعدَته قبل أن يختلِط أن تستزيره ليلةً إذا وجدت فُرصةً لذلك، فمكث مدّةً يراسلها في الوفاء وهي تَعِده وتُسَوِّفُه[4]، فأتى أهلَها ذات يوم والحيُّ خُلُوفٌ[5]، فجلس إلى نسوة من أهلها حَجْرةً[6] منها بحيث تسمع كلامه، فحادثهنّ طويلاً ثم قال: ألا أُنشِدكنّ أبياتاً أحدثتُها في هذه الأيّام؟ قلن: بَلى، فأنشدهنّ[7]: [من البسيط]

صوت

يا لَلرِّجالِ لِهَمٍّ باتَ يَعروني مُستَطْرَفٍ وقَديمٍ كادَ يُبْلِيني
مَنْ عاذِري مِن غريمٍ غيرِ ذي عُسُرٍ يأبى فيمطُلُني دَيْني ويَلْويني
لا يُبعِدُ النقدَ مِن حقّي فينكرَه ولا يُحدِّثُني أنْ سوفَ يَقضيني
وما كشُكريَ شكرٌ لو يوافِقُني ولا مُناايَ سِواه لو يُوافِيني[8]
[أطعتُه وعصيتُ الناس كلَّهُمُ في أمرِه وهواه وهو يَعْصيني][9]

قالا: فقلن له: ما أنصفكَ هذا الغريم الذي ذكرتَه! وجعلنَ يتضاحكنَ وهو يبكي، فاستحيَتْ ليلى منهنّ ورقّت له حتى بكت، وقامت فدخلت بيتَها وانصرف هو.

في الثلاثة الأبيات الأُوَل من هذه الأبيات هزج طنبوريّ للمسدود؛ قالا في خبرهما هذا:

---

1 نفس شعاع: انتشر أمرها فلا تتشدّد.
2 أشرفت: ارتفعت. الثنايا: العقاب (ج عقبة).
3 ل: صنفاها.
4 تسوّفه: تماطله.
5 الحيّ خلوف: غاب عنه الرجال وبقي فيه النساء.
6 حجرة: ناحية.
7 ديوان مجنون ليلى 279.
8 يوافيني في رواية: يواتيني.
9 هذا البيت لم يرد في ل.

وكان للمجنون ابنا عمّ يأتيانِه فيُحدّثانه ويُسلّيانه ويؤانسانه ، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان ، فقالا له : يا أبا المهديّ ألا تجلس ؟ قال : لا ، بل أَمضي إلى منزل ليلى فأترسَّمه وأرى آثارَها فيه ، فأشفي بعض ما في صدري بها ، فقالا له : فنحن معك ، فقال : إذا فعلتما أكرمتُما وأحسنتُما ، فقاما معه حتى أتى دار ليلى ، فوقف بها طويلاً يتتبّع آثارَها ويبكي ويقفُ في موضعٍ موضعٍ منها ويبكي ، ثم قال[1] : [من البسيط]

صوت[2]

يا صاحبيّ أَلِمَّا بِـي بمنزلةٍ   قد مـرَّ حينٌ عليها أيُّما حين
إنّي أَرى رَجَعاتِ الحبّ تَقتُلُني   وكان في بدئِها ما كان يَكْفِيني
لا خيرَ في الحبّ ليسَتْ فيه قارعةٌ   كأنّ صاحبها في نَزْعٍ مَوتونِ[3]
إن قال عُذَّالُهُ مَهْلاً فَلانَ لهم   قال الهَوى غيرُ هذا القولِ يَعْنِيني
أَلْقى من اليأس تاراتٍ فتقتُلُني   ولِلرجـاء بشاشاتٌ فتُحْيِيني

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبيّ عن أبي مسكين : إنّ جماعة من بني عامر حدّثوه قالوا : كان رجل من بني عامر بن عُقَيلٍ يقال له : قيس بن معاذ ، وكان يُدعى المجنون ، وكان صاحب غَزَلٍ ومجالسةٍ للنساء ، فخرج على ناقة له يسيرُ ، فمرّ بامرأة من بني عُقَيل يقال لها : كريمة ، وكانت جميلة عاقلة ، معها نسوة فعرفنَه ودعونَه إلى النزول والحديث ، وعليه حُلَّتان له فاخرتان وطَيلسان وقَلَنسُوة ، فنزل فظلّ يُحدّثهنّ ويُنشدهنّ وهنّ أعجبُ شيءٍ به فيما يُرى ، فلمّا أعجبه ذلك منهنّ عقرَ لهنّ ناقته ، وقُمْنَ إليها فجعلنَ يَشوين ويأكلنَ إلى أن أَمْسى ، فأقبل غلامٌ شابٌّ حسنُ الوجه من حيّهنّ فجلس إليهنّ ، فأقبلنَ عليه بوجوههنّ يَقُلن له : كيف ظَلِلْتَ يا مُنازِلُ اليوم ؟ فلمّا رأى ذلك من فِعلهنّ غَضِب ، فقام وتركهنّ وهو يقول[4] : [من الطويل]

أأَعقِـرُ مِـن جَـرَّا كريمـةَ ناقتي   وَوَصْلِـي مَفْرُوشٌ لِوصْـلِ مُنازِلِ
إذا جـاء قَعقَعْنَ الحُلِـيَّ ولم أَكُـنْ   إذا جئتُ أَرضى صوتَ تلكَ الخلاخِلِ

قال : فقال له الفتى : هَلُمَّ نتصارع أو نتناضل ، فقال له : إن شئتَ ذلك فقُم إلى حيث لا

1 ديوان مجنون ليلى : 280 .
2 وردت هذه الأبيات في الشعر والشعراء أيضاً .
3 الموتون : المنقطع الوتين .
4 قد مرَّ الخبر والشعر في هذه الترجمة عن ابن الكلبيّ من طريق آخر .

تراهُنَّ ولا يَرَيْنَك ، ثم ما شئت فافعل ، وقال : [من الطويل]

إذا ما انتضَلْنا في الخلاء نَضَلْتُه وإن يَرْمِ رَشْقاً عندها فهو ناضلي

وقال ابن الكلبيّ في هذا الخبر : فلمّا أصبح لبِسَ حُلَّته وركب ناقته ومضى مُتعرِّضاً لهنّ ، فألفَى ليلى جالسةً بفناء بيتها ، وكانت معهنّ يومئذٍ جالسة ، وقد عَلِقَ بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيرِياتٌ يُحدِّثْنَها ، فوقف بهنّ وسلّم ، فدعَونه إلى النزول وقُلنَ له : هل لك في محادثة مَن لا يشغله عنك مُنازِل ولا غيره ؟ قال : إي لعَمري ، فنزل وفعَل فَعلته بالأمس ، فأرادت أن تعلَمَ هل لها عنده مثلُ ما له عندها ، فجعلت تُعرِض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتُحدِّث غيره ، وقد كان عَلِقَ حبُّها بقلبه وشَغَفَه واستملَحها ، فبينا هي تُحدِّثه إذ أقبل فتى من الحيّ فدعته فسارَّتْه سَراراً طويلاً ثم قالت له انصرف ، فانصرف ، ونظرتْ إلى وجه المجنون قد تغيَّر وامتُقِع وشَقَّ عليه ما فعلَت ، فأنشأَتْ تقول : [من الوافر]

كلانا مُظهِرٌ للناسِ بُغضاً وكلٌّ عندَ صاحبِهِ مَكِينُ
تُبَلِّغُنا العيونُ مَقالَتَيْنا وفي القلبَيْن ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

[قد نسبت هذا الشعر متقدّماً] فلمّا سمع هذين البيتين شَهَقَ شَهْقَةً عظيمةً وأُغمِيَ عليه فمكث [كذلك] ساعةً ، ونضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق ، وتمكَّنَ حبُّ كُلٍّ واحدٍ منهما في قلب صاحبه وبلغَ منه كلَّ مَبْلغٍ .

حدّثني عمّي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل القُرَشيّ قال حدّثنا أبو العالية عن أبي ثُمامة الجعديّ قال : لا يُعرَفُ فينا مجنونٌ إلاّ قيس بن الملوّح .

[اتّصاله بليلى في صباه]

قال : وحدّثني بعض العشيرة قال : قلتُ لقيس بن الملوّح قبل أن يُخالَطَ : ما أَعجبُ شيء أصابك في وَجدِك بليلى ؟ قال : طَرَقَنا ذات ليلةٍ أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أُدْمٌ ، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى وقال لي : اطلب [لنا] منه أُدماً ، فأتيتُه فوقفتُ على خِبائه فصِحْتُ به ، فقال : ما تشاء ؟ فقلتُ : طَرَقَنا ضِيفانٌ ولا أُدمَ عندنا لهم فأرسلَني أبي أطلب منك أُدماً ، فقال : يا ليلى ، أخرجي إليه ذلك النِّحْيَ[1] ، فاملئي له إناءه من السمن ، فأخرجَتْه ومعي قَعْبٌ[2] ، فجعلَت تَصُبُّ السمن فيه ونتحدَّث ، فألهانا الحديث وهي تصُبُّ السمن وقد امتلأ القَعبُ ولا نعلم جميعاً ، وهو يسيل حتى استنقعت أرجلُنا في السمن ، قال : فأتيتُهم ليلةً ثانية

---

1 النحي : الزق .

2 القعب : القدح الضخم .

أطلُبُ ناراً ، وأنا مُتَلفِّعٌ ببُردٍ لي ، فأخرجَت لي ناراً في عُطبةٍ[1] فأعطتْنيها ووقفنا نتحدَّث ، فلمّا احترقت العُطبة خَرقْت من بُردي خرقةً وجعلتُ النارُ فيها ، فكلّما احترقت خرقتُ أُخرى وأذكيت بها النار حتى لم يبق عليّ من البرد إلاّ ما وارى عورتي ، وما أعقِل ما أصنع ، وأنشدني[2] : [من الطويل]

أَمُسْتَقْبِلِي نَفْحُ الصَّبا ثم شائقي ... بِبَـرْدِ ثَنايا أُمّ حَسَّانَ شائِقُ

كأنَّ على أنيابها الخمرَ شَجَّها ... بماء النّدَى من آخرِ الليلِ غابِقُ[3]

وما شِمْتُـــه إلاّ بعيني تَفَرُّساً ... كما شِيم في أعلى السّحابةِ بارِقُ[4]

ومن الناس مَن يروي هذه الأبيات لنُصَيبٍ ، ولكن هكذا رُوي في [هذا] الخبر .

[حدّث الأصمعيّ أنّه لم يكن مجنوناً وروى من شعره]

أخبرنا محمد بن خلف وَكيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرَّقاشيّ عن عبد الصَّمد بن المعذَّل قال : سمعتُ الأصمعيّ يقول ، و[قد] تذاكرنا مجنون بني عامر قال : هو قيس بن معاذ العُقَيليُّ ، ثم قال : لم يكن مجنوناً إنّما كانت به لُوثةٌ ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

أخـذَتْ محاسنَ كلِّ ما ... ضَنَّـتْ محاسنُه بحُسْنِهْ

كادَ الغـزالُ يكونُهـــا ... لولا الشَّوى ونُشُوزُ قَرْنِهْ

قال : وهو القائل : [من الطويل]

[صوت]

ولم أرَ ليلى بعـــدَ موقِفِ ساعةٍ ... بخَيْفِ مِنىً ترمِي جِمارَ المحصَّبِ

ويُبْدِي الحصى منها إذا قَذَفَتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخَضّبِ

فأصبحتُ مِـــن لَيْلى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعقابِ نجمٍ مُغَرِّبِ

ألا إنّمـــا غـــادَرْتِ يا أمَّ مـــالِكٍ ... صَدىً أينما تَذْهبْ به الريحُ يذهَبِ

في هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأوّل ، ابتداؤه نشيدٌ من صنعة الواثق وهو المشهور . وذكره ابن المكيّ لأبيه يحيى . وهو في جامع غناء سُلَيمٍ[5] بن سَلام له . وذكره حبشٌ في موضعين من كتابه فنسبه في طريقة الثقيل الأوّل في أحدهما إلى ابن محرز ، والآخر إلى يحيى المكيّ . وزعم الهشاميّ أن فيه لِسُلَيم بن سَلام لحناً آخر من الثقيل الأوّل .

---

1 العطبة : خرقة تعلق بها نار .
2 ديوان مجنون ليلى : 203 .
3 الغابق : الساقي .
4 شمته في ل : ذقته .
5 ل : سليمان .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار الصوفيّ قال حدّثني إبراهيم بن سعد الزُّهريّ قال : أتاني رجل من عُذرة لحاجة ، فجرى ذكرُ العشق والعُشّاق ، فقلت له : أنتم أرقّ قلوباً أم بنو عامر ؟ قال : إنّا لأرقُّ الناس قلوباً ، ولكن غلبتْنا بنو عامرٍ بمجنونها .

[شيء من أوصافه]

أخبرني أحمد بن عمر بن موسى بن زكويه[1] القطّان إجازةً قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميّ قال أخبرني عبد الجبّار بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن أبيه عن جدّه قال : أنا رأيت مجنون بني عامر ، وكان جميل الوجه أبيض اللون قد علاه شُحُوبٌ ، واستنشدتُه فأنشدني قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

تَذَكَّرْتُ ليلَى والسِّنِينَ الخَوالِيا وأيّامَ لا أُعْدِي على اللَّهْوِ عادِيا[2]

أخبرني محمد بن الحسن الكِندي خطيب مسجد القادسية قال حدّثنا الرياشي قال : سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول : سمعت مُعاذاً وبشر بن المفضَّل جميعاً يُنشدان هذين البيتين وينسبانهما لمجنون بني عامر : [من الطويل]

طمِعْتُ بليلى أن تَرِيعَ وإنّما تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامعُ[3]
وداينتُ ليلى في خَلاءٍ ولم يكن شهودٌ على ليلى عُدُولٌ مَقانِعُ[4]

وحدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أبو خليفة [الفضل بن الحُباب] عن ابن سَلاّم قال : قضى عبيد الله بن الحسن بن الحُصين بن أبي الحرّ العَنبريُّ على رجل من قومه قضيَّةً أوجبها الحكمُ عليه ، وظنّ العنبريّ أنّه تحاملَ عليه وانصرف مُغضَباً ، ثم لقيه في طريق ، فأخذ بلِجام بغلتِه وكان شديداً أيِّداً ، ثم قال له : إيه يا عبيد الله ! [من الطويل]

طمِعْتُ بليلى أن تَريــعَ وإنّما تُقَطِّعُ أعناقَ الرجــالِ المطامعُ

فقال عبيد الله : [من الطويل]

وبايعتُ ليلَى في خلاءٍ ولم يكنْ شهودٌ عدولٌ عندَ ليلَى مَقانِعُ

خَلِّ عن البغلة . قال الصُّوليّ في خبره هذا : والبيتان للبَعِيث[5] هكذا ، قال : فلا أدري أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفة .

1 لعلّ الصواب : زكرويه .
2 اللّهو في ل : الدهر .
3 تريع : ترجع .
4 المقانع : الشهود العدول .
5 البعيث : من شعراء العصر الأمويّ .

[زيارة ليلى له وحديثه معها]

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباريّ عن عبد الله بن خلف الدلاّل قال حدّثنا زكريا بن موسى عن شُعَيب بن السَّكَن عن يونس النحويّ قال[1] : لما اختلط عقلُ قيس بن الملوَّح وترك الطعامَ والشراب ، مضت أُمُّه إلى ليلى فقالت لها : إنّ قيساً قد ذهب حُبُّكِ بعقله ، وترك الطعام والشراب ، فلو جئتِه وقتاً لرجوتُ أن يثوب إليه [بعض] عقلِه ، فقالت ليلى : أمّا نهاراً فلا [لأنّني لا][2] آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً ، فأتته ليلاً فقالت له : يا قيس ، إنّ أمّك تزعم أنّك جُننتَ من أجلي وتركتَ المطعم والمشرب ، فاتّقِ الله وأبقِ على نفسك ، فبكى وأنشأ يقول : [من البسيط]

قالت جُننتَ على أيْشٍ فقلتُ لها ... الحبُّ أعظمُ ممّا بالمجانينِ[3]

الحبُّ ليس يُفيقُ الدهرَ صاحبُه ... وإنّما يُصرَعُ المجنونُ في الحِينِ

قال : فبكتْ معه ، وتحدّثا حتى كاد الصبحُ أن يُسفِرَ ، ثم ودّعتْه وانصرفَتْ ، فكان آخرَ عهدِه بها .

[سبب جنونه بيت شعر قاله]

أخبرنا ابن المرزُبان قال قال القحذَميُّ : لّما قال المجنون : [من الطويل]

قضاها لغيري وابتلاني بحُبِّها ... فهلاَّ بشيءٍ غيرِ ليلَى ابتلانِيا

سُلِب عقله . الغناء لحَكَم ثقيل أوّل ، وقيل إنّه لابن الهِربذ . وفيه لمتيَّمَ خفيف ثقيل أوّل من جامع أغانيها . وحدّثني جَحظة بهذا الخبر عن ميمون بن هارون أنّه بلغه أنّه لّما قال هذا البيت بَرِصَ .

[اختلاف الرواة في تسميته المجنون]

أخبرني الحسن بن عليّ [قال حدّثنا محمد بن طاهر] القرشيّ عن ابن عائشة قال : إنّما سمّي المجنون بقوله : [من البسيط]

ما بالُ قلبِكَ يا مجنونُ قد خُلِعا ... في حبِّ مَنْ لا ترى في نَيْلِه طمَعا

الحبُّ والودّ نيطا بالفؤادِ لها ... فأصبحا في فؤادِي ثابتَيْنِ معا

حدّثنا وَكيعٌ عن ابن يونس قال قال الأصمعيّ : لم يكن المجنون مجنوناً ، إنّما جنَّنه العشقُ ، وأنشد له : [من الطويل]

---

1 ورد هذا الخبر بسند آخر عن يونس النحويّ في مصارع العشّاق 1 : 125 .

2 في مصارع العشّاق : أمّا نهاراً فلا يمكنني ذلك ، وإن علم أهل الماء لم آمنهم على نفسي . . .

3 على أيش (أصلها على أي شيء) وقيل إنّها مولدة في الاستعمال ، وفي مصارع العشاق : قالوا جننت على رأسي (وهو مصحّف) .

يُسَمُّونني المجنونَ حين يَرَوْنني نَعمْ بيَ مِن ليلَى الغداةَ جنونُ
لَيالِيَ يُزْهى بِي شَبابٌ وشِرَّةٌ وإذ بِيَ مِنْ خَفْضِ المعيشةِ لِينُ[1]

أخبرني محمد بن المرزبان عن إسحاق بن محمد بن أبان قال حدّثني عليّ بن سهل عن المدائنيّ : أنّه ذُكِرَ عنده مجنون بني عامر فقال : لم يكن مجنوناً ، وإنّما قِيل له المجنون بقوله : [من الطويل]

وإنّي لمجنونٌ بليلى مُوَكَّلٌ ولستُ عَزُوفاً عن هواها ولا جَلْدا
إذا ذُكِرَتْ ليلَى بكيتُ صَبابةً لِتَذْكارِها حتى يَبُلَّ البُكا الخَدَّا

أخبرني عمر بن جميل العَتَكِيّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا عون بن عبد الله العامريّ أنّه قال : ما كان والله المجنون الذي تَعْزُونه إلينا مجنوناً ، إنّما كانت به لُوثة وسَهوٌ أحدثهما به حُبُّ ليلى ، وأنشد له : [من الطويل]

وبي مِن هَوى ليلَى الذي لو أَبُثُّه جماعةَ أعدائي بكَتْ لِي عُيونُها
أرى النفسَ عن ليلَى أبتْ أن تُطِيعَني فقد جُنَّ مِن وَجْدِي بليلَى جُنونُها

أخبرني ابن المرزبان قال قال العُتبيّ : إنّما سمّي المجنون بقوله : [من الطويل]

يقول أُناسٌ عَلَّ مجنونَ عامرٍ يرومُ سُلُوّاً قلتُ أنَّى لِمَا بِيا
وقد لامني في حُبِّ ليلَى أقاربي أخي وابنُ عمّي وابنُ خالِي وخالِيا[2]
يقولون ليلَى أهلُ بيتِ عَداوةٍ بنفسي ليلَى مِن عَدُوٍّ ومالِيا
ولو كان في ليلَى شَذاً من خصومةٍ لَلَوَّيتُ أعناقَ المَطِيِّ[3] المَلاوِيا

أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعيّ عن عيسى بن إسماعيل قال قال ابن سَلاّم : لو حلفتُ أنّ مجنونَ بني عامرٍ لم يكن مجنوناً لصدقتُ ، ولكن تَولّه[4] لما زُوِّجت ليلى وأيقن اليأسَ منها ، ألم تسمَعْ إلى قوله : [من الطويل]

أيا ويحَ مَنْ أمسى تُخُلِّسَ عَقلُه فأصبح مذهوباً بهِ كلَّ مذهبِ
خَليعاً مِنَ الخُلاّنِ إلاّ مُجامِلاً يُساعِدُني مَنْ كان يَهْوى تَجنُّبِي[5]
إذا ذُكِرتْ ليلَى عَقَلتُ وراجَعَتْ عَوازِبُ قلبي مِنْ هَوىً مُتَشَعِّبِ

1 الشرة : نشاط الشباب .
2 أقاربي في ل : قرابتي .
3 المطي في ل : الخصوم .
4 ل : تدلّه .
5 خليعاً في رواية تقدّمت : خليّاً . مجاملاً ورد في ما تقدّم «معذراً» .

[أخبرني به الحسن بن علي عن دينار بن عامر التغلَبيّ عن مسعود بن سعد عن ابن سَلاَّم ونحوه .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أنشدني صالح بن سعيد قال أنشدني يعقوب بن السِّكّيت للمجنون : [من الطويل]

يُسَمُّونَنِي المجنونَ حِينَ يرونَنِي ... نَعَمْ بيَ مِن ليلَى الغداةَ جُنُونُ]

قال : وأنشدنا له أيضاً : [من الكامل]

صوت

وشُغِلْتُ عن فهم الحديثِ سِوَى ... ما كان فيكِ فإنّه شُغْلِي

وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثي لِيَرى ... أنْ قد فهِمتُ وعِندكُم عَقْلِي

[تكنيته ليلى بأمّ مالك]

أخبرني ابن المرزبان عن محمد بن الحسن بن دينار الأَحْول عن عليّ بن المغيرة الأَثْرم عن أبي عبيدة : أنّ صاحبة مجنون بني عامر التي كَلِفَ بها ليلى بنتُ مهديّ بن سَعْد بن مهديّ [بن ربيعة] بن الحَرِيش ، وكنيتها أُمُّ مالكٍ ، وقد ذكر هذه الكنيةَ المجنونُ في شعره فقال : [من الطويل]

تكادُ بِلادُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ ... بما رَحُبَتْ يوماً عليَّ تَضيقُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

فإنّ الذي أمّلتُ مِن أُمّ مالكٍ ... أشابَ قَذالي واستَهامَ فُؤادِيا

خليلَيَّ إنْ دارَتْ على أُمِّ مالكٍ ... صُرُوفُ اللّيالي فابغِيا ليَ ناعِيا

وقال أبو عَمرو الشيبانيّ : عَلِقَ المجنون ليلى بنت مهديّ بن سعد من بني الحَرِيش ، وكنيتُها أمُّ مالكٍ ، فشُهِر بها وعُرِف خبره فحُجِبَت عنه ، فشَقَّ ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوّجه إيّاها ، فاشتدَّ به الأمر حتى جُنَّ وقيل له : «مجنون بني عامر» ، فكان على حاله يجلسُ في نادي قومه فلا يفهم ما يُحَدَّثُ به ولا يعقِله إلاّ إذا ذُكِرَتْ ليلى . وأنشد له أبو عمرو[1] : [من الطويل]

صوت

ألا ما لِليلَى لا تُرى عند مَضْجَعِي ... بليلٍ ولا يَجْرِي بذلكَ طائرُ

بَلى إنّ عُجْمَ الطيرِ تَجرِي إذا جَرَتْ ... بليلَى ولكنْ ليس للطير زاجرُ

1 ديوان مجنون ليلى : 126–127 .

أزالَتْ عـن العهد الذي كان بيننا ... بِذِي الأَثْلِ أم قـد غيَّرتْها المَقادِرُ
فواللهِ ما في القربِ لي منكِ راحةٌ ... ولا البعدُ يُسْلِينِي ولا أنا صابِرُ
وواللهِ مـا أَدري بأيَّـةِ حِيلَـةٍ ... وأيِّ مَـرامٍ أو خِطـارٍ أُخاطِرُ[1]
وتاللهِ إنَّ الدهـرَ في ذاتِ بيننا ... عـليّ لهـا في كلِّ حـالٍ لجائِرُ
فلو كنتِ إذ أزمعتِ هَجري تركتِني ... جميعَ القُوى والعقلُ مِنِّيَ وافِرُ
ولكـنَّ أيّامِـي بِحَقْـلِ عُنَيزَةٍ ... وبالرَّضْمِ أيّامٌ جناهـا التَّجاوُرُ[2]
وقـد أصبحَ الوُدُّ الذي كان بيننا ... أمانِـيَّ نفسٍ والمؤمِّـلُ حائِـرُ
لَعَمْري لقـد رَنَّقْتِ يـا أمّ مالكٍ ... حياتِي وساقَتْنِـي إليـكِ المَقادِرُ[3]

قال أبو عمرو : وأخبرني بعض الشاميين قال : دخلتُ أرضَ بني عامر ، فسألتُ عن المجنون الذي قتله الحبُّ ، فخبَّروني عنه أنّه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلى ، رَبا معها ثم حُجِبَتْ عنه ، فاشتدّ ذلك عليه وذهب عقلُه ، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يَصْنعُ بنفسه ، فقال[4] : [من البسيط]

صوت

يا صاحِبيّ أَلِمّا بـي بمنزلةٍ ... قد مـرَّ حينٌ عليها أيُّما حينِ
في كلِّ منزلةٍ ديـوانُ مَعْرِفةٍ ... لم يُبـقِ باقيةً ذِكـرُ الدواوينِ
إنّي أَرى رَجَعاتِ الحبِّ تقتُلُني ... وكان في بدئها ما كان يكفيني

الغناء لابن جامع خفيف ثقيلٍ .

[جنونه بليلى وهيامه على وجهه من أجلها]

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن [العباس بن الفرج] الرِّياشيّ قال : ذكر العُتْبيُّ عن أبيه قال : كان المجنون في بدء أمره يرى ليلى ويأْلَفُها ويأنَسُ بها ثم غُيِّبتْ عن ناظره ، فكان أهلُه يُعزُّونه عنها ويقولون : نُزوِّجك أنفسَ جاريةٍ في عشيرتك ، فيأبى إلاّ ليلى ويَهذي بها ويذكرها [فكان ربّما استراح إلى أمانِيّهم ورَكِنَ إلى قولهم] ، وكان ربّما هاج عليه الحزن والهمُّ فلا يملك ممّا هو فيه أن يَهيمَ على وجهه ، وذلك قبل أن يتوحَّش مع البهائم في القِفار ، فكان قومُه

1 الخطار : المراهنة .
2 حقل عنيزة والرضم : موضعان .
3 رنَّق : كدَّر .
4 ديوان مجنون ليلى : 280 .

يلومونه ويَعذُلُونه ، فأكثروا عليه في المَلامة والعَذْلِ يوماً فقال : [من البسيط]

صوت

يـا لَلرِّجالِ لهـمٍّ بـاتَ يَعْرُوني مُسْتطـرَفٍ وقديـمٍ كان يَعْنِيني
على غَرِيم مَـلِيءٍ غيرِ ذي عُدُمٍ يأبَـى فيمْطُلُنِي دَيْنِـي ويَلْوِيني
لا يذكُر البعضَ مِـن دَيني فيُنكرُه ولا يُحَدِّثني أنْ سوفَ يَقْضِيني[1]
وما كَشُكْرِي شُكرٌ لو يُوافِقُني ولا مُنـىً كَمُنـاهُ إذ يُمنّيني
أطعتُـه وعَصَيـتُ النـاسَ كُلَّهُـمُ في أمره ثم يأبـى فهـو يَعْصِيني
خَيرِي لمـن يبتغي خيري ويأمُلُه من دون شَرّي وشَرِّي غيرُ مأمونِ
ومـا أُشارِكُ في رأيِي أخا ضَعَفٍ ولا أقولُ أخِـي مَـنْ لا يُواتِيني

في هذه الأبيات هَزَجٌ طُنبوريّ للمسدود من جامعه .

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : حدّثني رَباح العامريّ قال : كان المجنون أوّل ما عَلِقَ ليلى كثير الذِّكر لها والإتيان بالليل إليها ، والعرب ترى ذلك غير منكرٍ أن يتحدّث الفتيان إلى الفتيات ، فلمّا عَلِمَ أهلُها بعشقه لها منعوه من إتيانها وتقدّموا إليه ، فذهب لذلك عقلُه ويئس منه قومه واعتَنَوا بأمرِه[2] ، واجتمعوا إليه ولاموه وعذَلوه على ما يصنع بنفسه ، وقالوا : والله ما هي لك بهذه الحال ، فلو تناسيتها رَجَونا أن تَسلوَ قليلاً ، فقال لمّا سمع مقالتهم وقد غلب عليه البكاء : [من الطويل]

صوت

فواكبِدا مِن حـبّ مَن لا يُحبّني ومِـن زَفَـراتٍ مـا لهـنَّ فَناءُ
أَرَيْتكِ إن لم أُعطِكِ الحبَّ عن يدٍ ولم يكُ عنـدي إذ أبيْتِ إباءُ[3]
أتارِكَتِي للمـوتِ أنـتِ فميِّتٌ ومـا للنفـوسِ الخائفـاتِ بَقاءُ

ثم أقبل على القوم فقال : إنّ الذي بي ليس بهيِّنٍ ، فأقِلّوا من مَلامِكم فلستُ بسامعٍ فيها ولا مُطِيعٍ لقول قائلٍ .

[قصّة حبّه ليلى في رواية رباح العامريّ]

أخبرني عمّي ومحمد بن حبيب وابن المرزُبان عن عبد الله بن أبي سعد عن عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ابن دَأْبٍ عن رَباح بن حبيب العامريّ : أنّه سأله عن حال المجنون وليلى ،

1 فينكره في ل : فننظره .
2 ل : واغتموا بأمره .
3 أريتك : مخفف عن أرأيتك . عن يد : عن استسلام ؛ طواعية .

فقال : كانتْ ليلى من بني الحَرِيش وهي بنت مَهدِيّ بن سعيد بن مهديّ بن ربيعة ابن الحريش ، وكانت من أجمل النساء وأظْرَفِهنّ وأحسنِهنّ جِسماً وعقلاً وأفضلهنّ أدباً وأملحهنّ شكلاً ، وكان المجنون كَلِفاً بمحادثة النساء صَبّاً بهنّ ، فبلغه خبرُها ونُعِتَتْ له ، فصبا إليها وعزمَ على زيارتها ، فتأهّب لذلك ولبِس أفضلَ ثيابِه ورجّل جُمَّته ومسَّ طِيباً كان عنده ، وارتَحَل ناقةً له كريمةً برَحْلٍ حسنٍ وتقلَّد سيفَه وأتاها ، فسَلَّم فردّتْ عليه السلامَ وتَحَفَّتْ[1] في المسألة ، وجلس إليها فحادثَته وحادثها فأكثرا ، وكلٌّ واحد منهما مُقبِلٌ على صاحبه مُعْجَبٌ به ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا ، فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلةٍ شوقاً إليها ، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطولَ من ليلته الأولى واجتهد أن يُغمِض فلم يقدر على ذلك ، فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

نَهارِي نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ... لِيَ الليلُ هَزَّتْني إليكِ المضاجعُ
أُقَضِّي نهارِي بالحديثِ وبالمُنَى ... ويَجمَعُني والهمُّ بالليلِ جامِعُ
لَقَد ثَبَتَتْ في القلبِ منكِ محبَّةٌ ... كما ثبتَتْ في الراحتينِ الأصابعُ

عَروضه من الطويل . والغناء لإبراهيم الموصليّ رملٌ بالوسطى عن عمرو ، قال : وأدامَ زيارتها وترك مَن كان يأتيه فيتحدّث إليه غيرَها ، وكان يأتيها في كلّ يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف ، فخرج ذات يومٍ يريد زيارتها فلمّا قَرُب من منزلها لقِيَتْه جاريةٌ عَسْراء فتطيّر منها ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

وكيف يُرَجَّى وصلُ لَيْلى وقد جرى ... بِجَدِّ القُوى والوصلِ أعسرُ حاسِرُ
صَدِيعُ العَصا صَعْبُ المرام إذا انتحى ... لوصلِ امرىءٍ جُذَّتْ عليه الأواصِرُ[3]

ثم سار إليها في غدٍ فحدّثها بقصّته وطِيرَتِه ممّن لقيه ، وأنّه يخاف تغيُّرَ عهدِها وانتكاثَه وبكى ، فقالت : لا تُرَعْ ، حاشَ للهِ من تَغَيُّرِ عهدي ، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء اللهُ ، فلم يزل عندها يُحادثها بقية يومه ، ووقع له في قلبها مثلُ ما وقع لها في قلبه ، فجاءها يوماً كما كان يجيء ، وأقبل يُحدِّثها فأعرضَتْ عنه ، وأقبلتْ على غيره بحديثها ، تريد بذلك مِحنَتَه وأن تعلَم

1 ل : وأحفت .
2 الأبيات في شرح أمالي القالي : 961 قال ورواهما غير أبي عليّ :
نهاري نهار الواهين صبابة ... وليلي تنبو فيه عني المضاجع
وقال المحقق : من قصيدة في الأغاني 17 : 72 لابن الدمينة ، ومنها بيتان في عيون الأخبار 1 : 262 بغير نسبة وستأتي في الأغاني منسوبة لقيس بن ذريح . وفي ديوانه تحقيق الأستاذ راتب النفاخ ، ص 88 .
3 صدع العصا : كناية عن التفرّق .

ما في قلبه ، فلمّا رأى ذلك جَزِعَ جَزَعاً شديداً حتى بانَ في وجهه وعُرِف فيه ، فلمّا خافَتْ عليه أقبلَتْ عليه كالمُسرّة إليه فقالت[1] : [من الوافر]

كِلانا مُظهِرٌ للناسِ بغضاً وكلٌّ عندَ صاحبهِ مَكِينُ

فَسُرِّيَ عنه وعلم ما في قلبها ، فقالت له : إنّما أردتُ أن أمتحِنَكَ والذي لكَ عندي أكثر من الذي لي عندكَ ، وأُعطِي اللهَ عهداً إن جالستُ بعد يومي هذا رجلاً سواك حتى أذوقَ الموت إلاّ أن أُكرَه على ذلك ، قال : فانصرفَتْ عنه وهو من أشدّ الناس سروراً وأقرِّهم عيناً ، وقال : [من الطويل]

أَظُــنُّ هواهــا تارِكِي بمضَلَّةٍ من الأرض لا مالٌ لديَّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضي إليــه وصيَّتي ولا صاحبٌ إلاّ المطيَّةُ والرَّحْلُ[2]
مَحَا حبُّها حبَّ الأُلَى كُنَّ قبلَها وحَلَّتْ مكاناً لم يكن حُلَّ مِنْ قَبْلُ

[شعره فيها بعد أن تزوّجت وأيس منها]

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أبي العَيْناء عن العُتبيّ قال : لمّا حُجبتْ ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يرضهم أهلها ، وخطبها رجل من بني ثقيفٍ موسِرٌ فزوّجوه وأخْفَوا ذلك عن المجنون ثم نُمِي إليه طَرَفٌ منه لم يتحقَّقه ، فقال[3] : [من الطويل]

دعَوْتُ إلهي دعــوةً مــا جهِلتُها وربِّــي بما تُخفِي الصدورُ بصيرُ
لئن كنتَ تُهدِي بردَ أنيابها العُلا لأفقــــرَ مِنِّــي إنَّنِــي لَفَقِيرُ
فقد شاعتِ الأخبارُ أنْ قد تَزَوّجَتْ فهــل يأتِيَنِّــي بــالطلاقِ بشيرُ

وقال أيضاً[4] : [من الطويل]

ألا تِلك لَيْلى العامِريَّــةُ أصبحَتْ تَقَطَّــعُ إلاّ مــن ثَقِيــفٍ حِبالُها[5]
همُ حبَسُوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتَغى بها المــالَ أقــوامٌ ألا قَــلَّ مالُها
إذا التفتتْ والعِيسُ صُعْرٌ من البُرى بنخلــةَ جلّت عبرةَ العــينِ حالُها[6]

---

1 خبر الجارية العسراء ، والشعر الذي يتلوه في مصارع العشاق للسراج : ج2 : 46–48 (طبعة دار صادر ، 1958) .
2 صاحب في مصارع العشّاق : ولا وارث .
3 تنسب الأبيات لابن الدمينة . انظر ديوانه تحقيق الأستاذ أحمد راتب النفاخ وانظر ديوان مجنون ليلى : 140 .
4 الأبيات في مصارع العشّاق 2 : 288 وديوان مجنون ليلى : 227 .
5 حبالها في مصارع العشّاق : وصالها .
6 جلت في مصارع العشاق : خلَّى .

قال : وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفِتُ إليه ، ويقول إذا جاوزه : [من الطويل]

صوت

ألا أيُّها البيتُ الذي لا أزُوره وإن حَلَّه شخصٌ إليّ حبيبُ
هجرتُكَ إشفاقاً وزرتُك خائفاً وفيك عليّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستعتِبُ الأيّامَ فيكَ لعلّها بيومِ سُرورٍ في الزمانِ تؤوبُ

الغناء لعَرِيبَ ثاني ثقيل بالوسطى . قال : وبلغه أنّ أهلَها يريدون نقلَها إلى الثَّقَفِيّ فقال[1] : [من الوافر]

صوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدى بلَيْلى العامريَّةِ أو يُراحُ
قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجَناحُ

عَروضه من الوافر . الغناء لابن المكّيّ خفيفُ ثقيلٍ [أوّل] بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وفيه خفيف ثقيلٍ آخر لسليمان مطلقٌ في مجرى البِنْصر ، وفيه لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في مجراها عن الهشاميّ ، قال : فلمّا نُقِلتْ [ليلى] إلى الثَّقفيّ قال : [من الطويل]

[قصيدته العينية]

طَرِبتَ وشاقتكَ الحُمولُ الدّوافعُ غَداةَ دعا بالبين أسْفَعُ نازعُ[2]
شَحا فاهُ نعباً بالفِراقِ كأنّه حريبٌ سلِيبٌ نازحُ الدار جازِعُ[3]
فقلتُ ألا قد بَيَّنَ الأمرُ فانصرِف فقد راعنا بالبين قبلكَ رائعُ
سُقِيتَ سُمُوماً من غراب فإنّني تبيّنتُ ما خبَّرتَ مذ أنتَ واقعُ[4]
ألم تَرَ أنّي لا مُحِبٌّ ألومُه ولا بِبديلٍ بعدهم أنا قانِعُ

---

1 ورد الشعر في الزهرة 1 : 229 منسوباً لتوبة بن الحمير ؛ وفي شرح الأمالي : 696 منسوباً لنصيب بن رباح أو لقيس بن ذريح . وهو للمجنون في الأمالي 2 : 61 . وانظر ديوان مجنون ليلى 180–182 .

2 هذا البيت مكوّن في الديوان من بيتين :

طربت وهاجتك الديار البلاقع وعادك شوق بعد عامين راجع
وأوقد ناراً في فؤادك محرقاً غداتئذٍ للبين أسفع نازع

الأسفع : صفة للغراب .

3 شحا فمه : فتحه . نعباً في الديوان : نطقاً .

4 سموماً في ل : سماماً . خبرت في الديوان : حاولت .

[ألم تر دارَ الحيّ في رونقِ الضحى بحيثُ انحنتْ للهَضْبَتين الأجارعُ]
وقد يتناءى الإلْفُ من بعد ألْفةٍ ويصدَعُ ما بين الخليطين صادِعُ[1]
وكم من هَوىً أو جيرةٍ قد ألِفتُهُم زماناً فلم يمنعهمُ البينَ مانِعُ[2]
كأنّي غداةَ البين مَيّتُ جوبةٍ أخو ظمإٍ سُدّت عليه المشارِعُ[3]
تَخَلّسَ من أوشال ماءٍ صُبابةً فلا الشُّربُ مبذولٌ ولا هو ناقِعُ[4]
وبيضٍ تَطَلّى بالعَبير كأنّها نِعاجُ المَلا جِيبَتْ عليها البراقعُ[5]
تحمّلنَ من وادي الأراكِ فأومَضَتْ لهنّ بأطرافِ العيونِ المدامِعُ[6]
فما رِمْنَ ربعَ الدار حتى تشابهتْ هجائنُها والجُونُ منها الخواضعُ[7]
وحتى حملنَ الحُورَ من كلّ جانب وخاضت سُدُولَ الرَّقْمِ منها الأكارِعُ[8]
فلمّا استوتْ تحتَ الخدورِ وقد جرى عَبيرٌ ومسكٌ بالعرانينِ رَادِعُ[9]
أشَرْنَ بأن حُثّوا الجمال فقد بدا من الصيفِ يومٌ لافحُ الحرِّ ماتِعُ[10]
فلمّا لَحِقْنا بالحُمولِ تباشَرَتْ بنا مُعْصِرَاتٌ غاب عنها المطامِعُ
يُعَرِّضْنَ بالدَّلِّ المَليحِ وإن يُرِدْ جَناهُنَّ مشغوفٌ فهنَّ مَوانِعُ[11]
فقلتُ لأصحابي ودَمعِيَ مُسْبَلٌ وقد صَدَع الشملَ المشتَّتَ صادِعُ
أليلَى بأبوابِ الخُدورِ تعرّضَتْ لِعَينيَ أم قرنٌ من الشمسِ طالعُ

[مروره مع ابن عمّ له على حمامة تهدل]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال حدّثنا الهيثم بن فِراسٍ قال حدّثني العُمَريّ عن

1 من بعد ألفة في ل : من بعد قربه . والشطر الأول في الديوان : «وقد يشعب الألآف من بعد عزة» .
2 جيرةٍ في الديوان : خلة .
3 جوبة : أرض سهلية ملساء . وفي الديوان «رهن منية» .
4 الشطر الأول في الديوان : «تخلّس من يهواه ماء حياته» .
5 الشطر الأول في الديوان : «وبيض غذاهن النعيم كأنّها» . نعاج الملا : البقر الوحشية في الصحراء .
6 الشطر الأول في الديوان : تحملت من ذات التناضب وانبرت» .
7 في الديوان : هجل الدار . الهجائن : الإبل البيض ، والجون : (هنا) السود .
8 الحور : صفة للنساء . السدول : ما يجلل من الهودج . الأكارع : السيقان .
9 رادع : مزوّد بالردع وهو الطيب والخلوق . وفي الديوان «المطي» «طيب الظل» .
10 متع الحرّ فهو ماتع : اشتدّ وطال .
11 جناهن في الديوان : حِماهن .

الهيثم بن عَدِيّ : أنّ أبا المجنون حجَّ به لِيدعوَ الله عزّ وجلّ في الموقف أن يُعافِيه ، فسار ومعه ابنُ عمّه زياد بن كعب بن مزاحم ، فمرّ بحمامة تدعو على أَيْكة فوقف يبكي ، فقال له زياد : أيّ شيء هذا ؟ ما يُبْكِيك أيضاً ؟ سِرْ بنا نلحَقِ الرُّفقةَ ، فقال[1] : [من الطويل]

أأن هَتفَتْ يوماً بوادٍ حمامةٌ بكيتَ ولم يَعْذِرك بالجهل عاذِرُ
دعَتْ ساقَ حُرٍّ بعد ما عَلَتِ الضُّحى فهاجَ لكَ الأحزانَ أن ناحَ طائرُ[2]
تُغنّي الضُّحى والصُّبحَ في مُرْجَحِنَّةٍ كِثافِ الأَعالِي تحتها الماءُ حائرُ[3]
كأنّ لم يكن بالغَيْل أو بطنِ أَيْكةٍ أو الجزْعِ من ثولِ الأَشاءةِ حاضِرُ[4]
يقول زيادٌ إذ رأى الحيَّ هَجَّرُوا أرى الحيّ قد ساروا فهل أنتَ سائرُ[5]
وإنّي وإن غالَ التقادُمُ حاجتي مُلِمٌّ على أوطانِ لَيْلَى فَناظِرُ[6]

[هيامه إلى نواحي الشام]

أخبرني [محمد بن مَزيد] بن أبي الأَزهر عن الزبير عن محمد بن عبد الله البَكريّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير وأخبرني عمّي عن [عبد الله] بن شَبيب عن [هارون بن موسى] الفرويّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير وأخبرني ابن المرزُبان عن ابن الهيثم عن العمريّ عن العُتبيّ قالوا جميعاً : كان المجنون وليلى وهما صَبِيّان يَرعَيان غنماً لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال له التَّوباد[7] ، فلمّا ذهب عقله وتوحَّش ، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به ، فإذا تذكّر أيّام كان يُطيفُ هو وليلى به جَزِع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام ، فإذا ثاب إليه عقلُه رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم : بأبي أنتم ، أين التَّوباد من أرض بني عامر ؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بني عامر ؟ أنت بالشام عليك بنجم كذا فَأُمَّه ، فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن ، فيرى بلاداً يُنكِرها وقوماً لا يعرِفهم

1 ديوان مجنون ليلى : 125 .
2 ساق حرّ : ذكر الحمام .
3 مرجحنة : متمايلة (يعني الأغصان) .
4 الغيل وبطن أيكة والجزع : مواضع ؛ وكذلك : ثول الأشاءة . والأشاءة في الأصل نوع من الشجر ؛ والثول : نوع من الشجر أو تجمّع النحل .
5 هجروا : ظعنوا في الهاجرة .
6 غال التقادم حاجتي : أي أنّ تقادم العهد ومضيه قد قضى على حاجتي وذهب بها .
7 في تحديد جبل التوباد والشعر المتّصل به ، انظر معجم البلدان لياقوت ، مادة «توباد» 2 : 55 (طبعة دار صادر) . وانظر الشعر في الزهرة 1 : 295 وفيه بعض الخبر أيضاً .

فيسألهم عن التَّوباد وأرض بني عامر ، فيقولون : وأين أنتَ من أرض بني عامر ! عليك بنجم كذا وكذا ، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوبادِ ، فإذا رآه قال في ذلك : [من الطويل]

[شعره عند رؤيته التوباد]

وأجْهَشْتُ للتَّوبــادِ حـين رأيتُه ... وكَبَّر للرحمــنِ حــينَ رآني[1]

وأذرَيتُ دمـعَ العين لَمّـا عرفتُه ... ونـادى بأعـلى صوتـه فدعاني

فقلتُ له قـد كان حولكَ جيرةٌ ... وعهدِي بذاكَ الصرّم منذ زمانِ[2]

فقال مَضَوْا واستودَعُوني بلادَهم ... ومَنْ ذا الذي يبقى على الحَدَثانِ[3]

وإنّي لأبكي اليومَ من حَذَري غداً ... فِراقَــكَ والحَيَّــانِ مُجْتَمِعانِ[4]

سِجالاً وتَهْتانــاً ووَبْــلاً ودِيمَةً ... وسَحّــاً وتَسْجامــاً إلى هَمَلانِ

[سبب ذهاب عقله]

أخبرني عمّي عن [عبد الله] بن شبيب عن هارون بن موسى الفَرْوِيّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير قال : لما قال المجنون : [من الطويل]

خليـليّ لا واللهِ لا أملــكُ الذي ... قضى اللهُ في لَيْلى ولا ما قَضى لِيا

قضاهــا لغيري وابتــلاني بحبِّها ... فهَــلاَّ بشيءٍ غيرِ لَيْلــى ابتلانِيا

سُلِبَ عَقلَه .

[توهّم أنّ منادياً ينادي ليلى]

وحدّثني جحظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصليّ أنّه لَمّا قالهما بَرِصَ . قال موسى بن جعفر في خبره المذكور : وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صائحاً يصيح : يا ليلى في ليلةٍ ظلماءَ أو توهَّم ذلك ، فقال لبعض مَنْ معه : أما تسمع هذا الصوت ؟ فقال : ما سمعتُ شيئاً ، قال : بلى ، والله هاتفٌ يهتِف بليلى ، ثم أنشأ يقول[5] : [من الطويل]

أقـولُ لأدنـى صاحِبَـيَّ كُلَيمةً ... أُسِرَّتْ من الأَقصى أجِبْ ذا المنادِيا

إذا سِرْتُ في الأرضِ الفَضاءِ رأيتُني ... أُصانِعُ رَحْلِـي أن يَميـلَ حِياليا

---

1 ياقوت : وسبَّح ؛ الزهرة : وهلل .

2 ياقوت : فقلت له أين الذين عهدتهـم ... بربّك في خَفْض وعيش ليانِ

3 ياقوت : يغترّ بالحدثان .

4 ياقوت : وأُقلق .

5 هناك أبيات متفرّقة في الزهرة 1 : 71 ، 82 ، 85 لعلّها من هذه القصيدة اليائية . وانظر ديوانه .

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن شِمالاً يُنازِعْنِي الهَوى عن شِمَالِيا

[شعر له في منى وغيرها]

وقال ابن شبيب وحدّثني هارون بن موسى قال : قلت لغُرَير بن طلحة المخزوميّ : مَن أشعر الناس ممّن قال شعراً في منًى ومكّةَ وعرفاتٍ ؟ فقال : أصحابُنا القُرَشيُّون ، ولقد أحسن المجنون حيث يقول[1] : [من الطويل]

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفِ من مِنًى فهيَّجَ أحزانَ[2] الفؤادِ وما يدرِي
دعا باسم لَيْلى غيرَها فكأنّما أطارَ بلَيْلى طائراً كانَ في صدرِي

فقلت له : هل تروي للمجنون غير هذا ؟ قال : نعم ، وأنشدني له : [من الطويل]

أما والذي أرْسى ثَبِيراً مكانَه عليه السَّحابُ فوقه يتنصَّبُ[3]
وما سَلَكَ المَوماةُ مِن كلِّ جَسْرَةٍ طليحٍ كجفنِ السّيفِ تَهْوِي فتُركَبُ[4]
لقد عشْتُ مِنْ لَيْلى زماناً أُحِبُّها أخا الموت إذ بعضُ المحِبِّين يكذِبُ

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد [بن إسحاق] عن أبيه قال : كانت كنيةُ ليلى أمَّ عمرو ، وأنشَد للمجنون[5] : [من الطويل]

صوت

أبى القلبُ إلاّ حُبَّهُ عامريَّةً لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو
تكادُ يدِي تَنْدى إذا ما لمستُها وينبُتُ في أطرافها الورَقُ الخُضْرُ

الغناء لعريب ثقيل أوّل ، وقال حبش : فيه لإسحاق خفيف ثقيلٍ .

[ليلى تتزوّج رجلاً من ثقيف]

أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعيّ عن دماذ عن أبي عبيدة قال : خطب ليلى صاحبةَ المجنون جماعةٌ من قومها فكرِهَتْهم ، فخطبها رجلٌ من ثَقِيفٍ موسرٌ فرضيته ، وكان جميلاً فتزوّجها وخرج بها ، فقال المجنون في ذلك[6] : [من الطويل]

1 البيتان في الزهرة : 238 وانظر ديوانه : 56 .
2 الزهرة : أطرابَ (وكتبت هناك خطأ أطرار) .
3 يتنصّب : يعلو .
4 الجسرة : الناقة القوية ، طليح : متعبة من كثرة السير .
5 يرد البيت الثاني في قصيدة لأبي صخر الهذلي (شرح ديوان الهذليين 2 : 957) وفي الشرح أنّه للمجنون .
6 انظر مصارع العشّاق 2 : 288 وديوانه : 56-57 .

ألا إنّ لَيْلى كالمَنِيحَةِ أصبحَتْ ... تَقَطَّعُ إلاّ من ثقيفٍ حبالُها[1]
فقد حبسوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتغَى ... بها الربحَ أقوامٌ تَساحَتَ مالُها[2]
خليليّ هل مِنْ حيلةٍ تعلمانِها ... يُدَنِّي لنا تكليمَ لَيْلى احتيالُها
فإن أنتما لم تَعْلَماها فلستُما ... بأوّلِ باغٍ حاجةً لا ينالُها
كأنّ مع الركبِ الذينَ اغتَدَوْا بها ... غمامةَ صيفٍ زعزعَتْها شَمالُها
نظرتَ بمُفْضى سَيلِ جَوْشَنَ إذ غَدَوا ... تَخُبُّ بأطرافِ المَخارِمِ آلُها[3]
بشافيةِ الأحزان هيَّج شوقَها ... مُجامَعَةُ الأُلاَّفِ ثم زِيالُها
إذا التفتتْ من خَلْفِها وهي تَعْتَلِي ... بها العِيسُ جَلَّى عَبْرَةَ العينِ حالُها

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَشُ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي نصر أحمد بن حاتم قال : وأنشدناه المبرّد للمجنون فقال[4] : [من الطويل]

صوت

وأَحْبِسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ ... بذِكْراكِ والمَمْشى إليكِ قريبُ
مخافةَ أن تسعى الوُشاةُ بظِنَّةٍ ... وأَحْرُسُكم أن يستريبَ مُرِيبُ
فقد جعلتْ نفسي ، وأنتِ اجترمتِه ... وكنتِ أعزَّ الناسِ ، عنكِ تَطِيبُ
فلو شئتِ لم أَغضَبْ عليكِ ولم يزلْ ... لكِ الدهرَ منّي ما حييتُ نصيبُ
أما والذي يَبْلُو السرائرَ كلَّها ... ويعلَمُ ما تُبْدِي به وتَغِيبُ
لقد كنتِ ممّن تَصْطَفِي النفسُ خُلَّةً ... لها دونَ خُلاَّنِ الصَّفاء حُجُوبُ

ذكر يحيى المكّيّ أنّه لابن سُرَيج ثقيل أوّل ، وقال الهشاميّ : إنّه من منحول يحيى إليه .

[خبر أبي الحسن البغاء والمرأة التي أحبّت صديقاً له من قريش]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الحَسَن بن محمد بن طالب الدِّيناري قال حدّثني إسحاق الموصليّ ، وأخبرني به محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني سعيد بن سليمان عن أبي الحسن البَبَّغاء قال : بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً ، إذا بِظلّ نسوة في القمر ، فسمعتُ إحداهنّ تقول : أهو هو ؟ فقالت لها أُخرى معها : إي

1 المنيحة : الهبة (شاة تمنح وترد إذا انقطع لبنها) .
2 تساحت مالها : ذهب مالها واستؤصل .
3 جوشن : اسم جبل . غدوا في ل : والضحى . المخارم : الطرائق في الجبال . الآل : السراب .
4 ديوان مجنون ليلى : 51 .

والله إنّه لهو هو ! فدنت منّي ثم قالت : يا كهلُ ، قل لهذا الذي معك : [من البسيط]

ليستْ لياليكَ في خاخٍ بعائدةٍ كما عهدتَ ولا أيامُ ذي سَلَمِ[1]

فقلت : أجِبْ فقد سمعتَ ، فقال : قد والله قُطِعَ بي وأُرتج عليّ فأجبْ عنّي ، فقلت[2] : [من الطويل]

فقلتُ لها يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

ثم مضينا حتى إذا كنّا بمَفْرِق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيتُ إلى منزلي ، فإذا أنا بجويريةٍ تجذِب ردائي فالتفتُّ ، فقالت لي : المرأة التي كلّمتَها تدعوكَ ، فمضيتُ معها حتى دخلت داراً واسعة ثم صرتُ إلى بيتٍ فيه حصيرٌ ، وقد ثَنَتْ لي وسادةً فجلستُ عليها ، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثنيّةٍ فطرحتها ، ثم جاءت المرأة فجلستْ عليها ، فقالت لي : أنت المجيب ؟ قلت : نعم ، قالت : ما كان أفظَّ لجوابكَ وأغلظَه ! فقلت لها : ما حضرني غيره ، فسكتَتْ ، ثم قالت : لا ، والله ما خلق الله خلقاً أحبَّ إليّ من إنسان كان معك ، فقلت لها : أنا الضامنُ لكِ عنه ما تُحبِّين ، فقالت : هيهاتَ أن يقع بذلك وفاءٌ ، فقلت : أنا الضامن وعليّ أن آتِيَكِ به في الليلة القابلة فانصرفتُ ، فإذا الفتى ببابي ، فقلت : ما جاء بك ؟ قال : ظننتُ أنّها ستُرسل إليكَ وسألتُ عنكَ فلم أعرف لك خبراً ، فظننتُ أنّكَ عندها ، فجلستُ أنتظركَ ، فقلت له : وقد كان الذي ظننتَ ، وقد وعدتُها أن آتيكَ فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة ، فلمّا أصبحنا تهيّأنا وانتظرنا المساءَ ، فلمّا جاء الليل رحَلنا إليها ، فإذا الجارية منتظرةٌ لنا ، فمضت أمامَنا حين رأتنا حتى دخلت تلك الدار ودخلنا معها ، فإذا رائحةٌ طيّبة ومجلسٌ قد أُعِدّ ونُضّد ، فجلسنا على وسائد قد ثُنيتْ [لنا] ، وجلستْ مَلِيّاً ثم أقبلتْ عليه فعاتبته مليّاً ثم قالت[3] : [من الطويل]

صوت

وأنتَ الذي أخلفتَني ما وعدتَني وأشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يلومُ
وأبرزتَني للناسِ ثم تركتَني لهم غَرَضاً أُرمَى وأنتَ سَليمُ
فلو كان قولٌ يَكلُمُ الجلدَ قد بدا بجِلْدِيَ مِن قولِ الوشاةِ كُلُومُ

هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدُّمَينة ، وفيها غناء لإبراهيم الموصليّ ذكره إسحاق ولم يُجنِّسه . وقال الهشاميّ : هو خفيف رملٍ . وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ أوّل يُنسب إلى حَكَم

1 خاخ في ل : جمع .
2 البيت لكثير من تائيته المشهورة .
3 وردت الأبيات في البيان والتبيين 3 : 370 ؛ والديوان 3 : 55 .

الوادِي وإلى يعقوب . قال : ثم سكَتَتْ وسكت الفتى هُنيهةً ثم قال : [من الطويل]

غَدَرْتِ ولم أغدِر وخُنْتِ ولم أخُنْ وفي بعض هـذا للمحبّ عَزاءُ
جزيتُكِ ضِعْفَ الودّ ثم صَرَمتِني فحبُّكِ مِن قلبي إليكِ أداءُ

فالتفتت إليّ فقالت : ألا تسمع ما يقول ! قد خبرتُكَ ، فغمزتُه أن كُفَّ فكفّ ، ثم أقبلتْ عليه وقالت : [من الطويل]

صوت

تجاهَلْتَ وَصلِي حينَ جَدّتْ عَمايتِي فهلاّ صرَمتَ الحبلَ إذ أنا أُبصِرُ
ولي من قُوى الحبل الذي قد قطعتَه نصيبٌ وإذ رأيي جميعٌ مُوفَّرُ
ولكنّما آذنتَ بالصَّرْم بغتَةً ولستُ على مثل الذي جئتَ أَقدِرُ

الغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، فقال : [من الطويل]

لقد جعلتْ نفسِي ، وأنتِ اجترمتِه وكنت أعزَّ الناس ، عنكِ تطيبُ

قال : فبكت ، ثم قالت : أو قد طابتْ نفسُك ؟ لا ، والله ما فيك بعدها خير ، ثم التفتت إليّ وقالت : قد علمتُ أنّك لا تفِي بضمانك ولا يفي به عنك . وهذا البيت الأخير للمجنون ، وإنّما ذُكِر هذا الخبر هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه .

رجع الخبر إلى سِياقَةِ أخبار المجنون

[رأى المجنون أبيات أهل ليلى فقال شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ أنّ رهطَ المجنون اجتازوا في نُجْعَةٍ لهم بحيّ ليلي ، وقد جمعتْهم نُجعةٌ فرأى أبياتَ أهل ليلى ولم يُقدِم على الإلمام بهم وعدَلَ أهلُه إلى جهة أخرى ، فقال المجنون[1] : [من الطويل]

لعمرُكَ إنّ البيتَ بالقِبَلِ الذي مررتُ ولم أُلمِمْ عليه لَشائِقُ[2]
وبالجَزْعِ من أعلى الجنيبةِ منزلٌ شَجا حَزَنٍ صدرِي به مُتَضايِقُ
كأنّي إذا لم أَلقَ لَيْلى مُعَلَّقٌ بسِبَّينِ أهفُو بين سَهْلٍ وحالِقُ

1 ديوان مجنون ليلى ، طبعة دار صادر ، ص 155 .
2 منها بيتان في مصارع العشاق 2 : 244 .

عليَّ أنَّني لو شئتُ هاجت صبابتي ... عليَّ رسومٌ عيَّ فيها التَّناطُقُ
لَعمْرُكِ إنّ الحبَّ يا أُمَّ مالكٍ ... بقلبي يراني اللهُ منه لَلاصِقُ[1]
يَضمُّ عليَّ الليلُ أطرافَ حُبِّكم ... كما ضَمَّ أطرافَ القميصِ البَنائِقُ

صوت

[من الطويل]

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدّثوا ... سوى أن يقولوا إنّني لكِ عاشِقُ
نَعَم صدقَ الواشون أنتِ حبيبةٌ ... إليَّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائِقُ

الغناء لمتيَّمَ ثقيل أوّل من جامعها . وفيه لدِعامةَ رملٌ عن حَبَشٍ .

[حديث ليلى مع جارة لها من عقيل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني أحمد بن الطَّيِّب قال قال ابن الكلبيّ : دخلَتْ ليلى على جارة لها من عُقَيلٍ وفي يدها مِسْواكٌ تَستاكُ به ، فتنفَّستْ ثم قالت : سقى الله من أهدى لي هذا المِسواك ؛ فقالت لها جارتها : مَنْ هو ؟ قالت : قيسُ بن الملوّح ، وبكت ثم نزعتْ ثيابها تغتسلُ ؛ فقالت : وَيحَه ، لقد عَلِق منّي ما أهلكه من غير أن أستحقَّ ذلك ، فنشدتُكِ الله ، أصدَق في صفتي أم كَذَب ؟ فقالت : لا والله ، بل صدق ؛ قال : وبلغ المجنون قولُها فبكى ثم أنشأ يقول[2] : [من البسيط]

نُبِّئتُ لَيلى وقد كنَّا نبخّلها ... قالت سقى المزنُ غيثاً منزلاً خربا
وحبَّذا راكبٌ كُنَّا نَهَشُّ به ... يُهدِي لنا من أَراكِ الموسمِ القُضُبا
قالتْ لجارتِها يوماً تُسائِلُها ... لَمَّا استحَمَّتْ وأَلقَتْ عندها السَّلبا
يا عَمْرَكِ اللهَ ألاّ قُلْتِ صادقةً ... أَصَدَقَتْ صِفةُ المجنونُ أَمْ كذبا

ويروى : «نشدتُكِ اللهَ» ويروى : «أصادقاً وصفَ المجنونُ أم كذبا» .

[سمع المجنون بخروج ليلى مع زوجها فقال شعراً]

وقال أبو نصر في أخباره : لَمّا زُوِّجَتْ ليلى بالرجل الثقفيّ سمع المجنون رجلاً من قومها يقول لآخر : أنتَ ممّن يُشَيِّع ليلى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ قال : غداً ، ضَحْوةً أو الليلة ، فبكى [المجنون] ثم قال : [من الوافر]

---

1 براني في ل : جزاني .
2 ديوان مجنون ليلى : 82 .

صوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل يُغدَى ... بلَيْلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزَّها شرَكٌ فباتتْ ... تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

الغناء ليحيى المكّي خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وفيه رمل ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكّيّ ؛ وقال حَبَش : فيه خفيف ثقيل [بالوسطى] لسليم .

[وعظه رجل من بني عامر فأنشده شعراً]

وقال الهيثم بن عديّ في خبره : حدّثني عبد الله بن عيّاش الهَمدانيّ قال حدّثني رجلٌ من بني عامر قال : مُطِرنا مَطَراً شديداً في ربيع ارتبعْناه ، ودام المطرُ ثلاثاً ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صَحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي ، فرأيت رجلاً جالساً حَجْرةً وحدَه فقصدْتُه ، فإذا هو المجنون جالسٌ وحدَه يبكي فوعظتُه وكلّمتُه طويلاً وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إليّ ، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحُرْقَتَه[1] : [من الطويل]

صوت

جَرى السَّيلُ فاستبكانِيَ السيلُ إذ جرى ... وفاضَتْ لـه من مُقْلَتَيَّ غُروبُ[2]
وما ذاكَ إلاّ حينَ أيقنتُ أنّه ... يكونُ بوادٍ أنتِ فيه قريبُ
يكونُ أُجاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكم تَلَقَّى طيبَكم فيطيبُ
أَظَلُّ غريبَ الدارِ في أرضِ عامرٍ ... ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غَريبُ
وإن الكثيبَ الفردَ من أيمنِ الحمَى ... إلَيّ وإن لم آتِه لحبيبُ
فَلا خيرَ في الدنيا إذا أنتَ لم تَزُر ... حبيباً ولم يَطرَبْ إليكَ حبيبُ

وأوّل هذه القصيدة ، وفيه أيضاً غناء : [من الطويل]

صوت

ألا أيُّها البيتُ الذي لا أزوره ... وهِجْرانُه منّي إليه ذُنوبُ
هجرتُكَ مشتاقاً وزرتُكَ خائفاً ... وفيكَ عليّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستَعْطِفُ الأيّامَ فيكَ لعلّها ... بيومِ سرورٍ في هواكَ تُثيبُ

---

1 ديوان مجنون ليلى : 52–53 .

2 غروب : جمع غرب ، وهو الدمع ، وهو أيضاً سجل الماء .

هذه الأبيات في شعر محمد بن أُمَيَّة[1] مَرْوِيَّةٌ ، ورُوِيتْ ها هنا للمجنون [في هذه القصيدة] . وفيها لِعَريب ثقيل أوّل . ولعبد الله بن العباس ثاني ثقيل . ولأحمد بن المكّيّ خفيف ثقيل : [من الطويل]

وأُفرِدْتُ إفرادَ الطريد وباعدتْ إلى النفسِ حاجاتٌ وهنّ قريبُ
لئن حالَ يأسٌ دونَ لَيْلى لربَّما أتى اليأسُ دون الأمرِ فهو عَصِيبُ[2]
ومنَّيْتِني حتى إذا ما رأيتِني على شَرَفٍ للناظرين يَرِيبُ
صدَدتِ وأشمَتِّ العدوَّ بصرْمِنا أثابكِ يا لَيْلى الجزاءَ مُثيبُ

[لقاؤه في توحشه ليلى فجأة وشعره في ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدّثنا مَهديّ بن سابق قال حدّثنا بعض مشايخ بني عامر أنّ المجنون مرّ في توحُّشه فصادف حيَّ ليلى راحلاً ولقيها فجأةً فعرفها وعرفته فصَعِقَ وخرّ مغشيّاً على وجهه ، وأقبل فِتيانٌ من حيّ ليلى فأخذوه ومسحوا التراب عن وجهه ، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تَقِفَ له وقفةً ، فرقَّتْ لِما رأتْه به ، وقالت : أمّا هذا فلا يجوز أن أُفتضِحَ به ، ولكن يا فلانة ، لأَمَةٍ لها ، اذهبي إلى قيس فقولي له : ليلى تقرأُ عليك السلام ، وتقول لك : أعزِزْ عليّ بما أنتَ فيه ، ولو وجدتُ سبيلاً إلى شفاء دائكَ لوقَيْتُكَ بنفسي منه ، فمضت الوليدة إليه وأخبرته بقولها ، فأفاقَ وجلس وقال : أَبْلِغيها السلام وقولي لها : هيهاتَ ! إنّ دائي ودوائي أنتِ ، وإنّ حياتي ووفاتي لفي يديكِ ، ولقد وكَّلْتِ بي شقاء لازماً وبلاءً طويلاً . ثم بكى وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أقول لأصحابي هي الشمس ضوؤُها قريبٌ ولكن في تَناوُلِها بُعدُ
لقد عارضتنا الريحُ منها بنفحةٍ على كَبِدي من طيبِ أرواحها بَرْدُ
فما زلتُ مَغْشِيّاً عليّ وقد مَضَتْ أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلَّبُ بالأيدي وأهلي بِعَوْلةٍ يُفدُّونني لو يستطيعون أن يَفْدُوا
ولم يبقَ إلاّ الجلدُ والعظمُ عاريا ولا عظمَ لي إن دام ما بي ولا جِلدُ

1 محمد بن أميّة شاعر غزل مأموني ، ترجمته في معجم الشعراء : 354 والوافي للصفدي 2 : 229–230 وطبقات ابن المعتزّ : 322 .
2 فهو عصيبُ في ل : فهو قريب .
3 ديوان مجنون ليلى : 97–98 . وردت هذه الأبيات فيما تقدم من هذا الجزء ص 18 بلفظ وترتيب مختلفين .

أَدُنيايَ ما لي في انقطاعي وغُربتي إليكِ ثوابٌ منكِ دَينٌ ولا نَقْدُ
عِدِيني ، بنفسي أنتِ ، وعْداً فربَّما جَلا كُربةَ المكروبِ عن قلبهِ الوعدُ
وقد يُبتلى قومٌ ولا كَبليّتي ولا مثلَ جَدّي في الشقاءِ بكم جَدُّ
غَزَتني جنودُ الحبّ من كلِّ جانبٍ إذا حانَ من جندٍ قُفُولٌ أتى جُنْدُ

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : كان أبو عمرو المدنيّ يقول قال نوفل بن مُساحق : أُخبِرتُ عن المجنون أنّ سبب توحّشه أنّه كان يوماً بِضَرِيَّةَ جالساً وحده إذ ناداه مُنادٍ من الجبل : [من الوافر]

كِلانا يا أُخَيّ يُحِبُّ لَيلى بِفِيَّ وفِيكَ من لَيْلَى الترابُ
لقد خَبَلتْ فؤادكَ ثم ثَنَّتْ بقلبي فهو مَهمومٌ مُصابُ
شَرِكتُكَ في هَوى مَن ليس تُبدِي لنا الأيّامُ منه سِوَى اجتنابُ

[خبر نوفل بن مساحق مع المجنون]

قال : فتنفّس الصُّعَداء وغُشِي عليه ، وكان هذا سبب توحّشه فلم يُرَ له أثرٌ حتى وجده نوفل بن مساحق . قال نوفل : قدِمتُ الباديةَ فسألتُ عنه ، فقيل لي : توحَّشَ وما لنا به عهدٌ ولا ندري إلى أين صار ، فخرجتُ يوماً أتصيَّدُ الأرْوى ، ومعي جماعةٌ من أصحابي ، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى إذا نحن بأَراكةٍ عظيمةٍ قد بدا منها قَطِيعٌ من الظباء ، فيها شخص إنسان يُرى من خَلَلِ تلك الأراكة ، فعجِب أصحابي من ذلك ، فعرفتُه وأتيته وعرفتُ أنّه المجنون الذي أُخبِرتُ عنه ، فنزلتُ عن دابتي وتخفَّفتُ من ثيابي وخرجتُ أمشي رُويداً حتى أتيت الأراكة فارتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفتُ عليه وعلى الظباء ؛ فإذا به وقد تدلّى الشعَرُ على وجهه ، فلم أكد أعرفُه إلاّ بتأمّل شديد ، وهو يرتَعِي في ثمر تلك الأراكة ، فرفع رأسَه فتمثَّلتُ ببيت من شعره[1] : [من الطويل]

أَتَبكِي على ليلى ونفسُك باعَدتْ مَزارَكَ من ليلى وشَعْباكُما معا[2]

قال : فنفَرَتِ الظباء ، واندفع في باقي القصيدة يُنشِدُها ، فما أنسى حُسن نَغمته وحُسن صوته وهو يقول : [من الطويل]

1 هذه الأبيات في حماسة أبي تمام (شرح التبريزي 2 : 112-114) ط . بولاق ليزيد بن الطرفة باختلاف يسير في الترتيب ، وسقوط البيتين 6 ، 7 هنا وفي شرح المرزوقي للصمة القشيريّ ؛ وسترد منسوبة للصمة في ترجمته من كتاب الأغاني ، وتنسب أيضاً إلى قيس بن ذريح .

2 الحماسة : أتبكي على ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا ، وفي رواية حضنت إلى ريا . . .

فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمـرَ طائعاً ... وتَجْزَعَ أن داعـي الصبابةِ أسمعا
بكتْ عَينيَ اليسرى فلمّا زجرتُها ... عن الجهلِ بعـد الحلمِ اسبلَتا معا
وأذكـرُ أيّامَ الحِمَـى ثـم أنثَنِي ... على كبِدي من خَشيةٍ أن تَصدَّعا
فليسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمـى برواجعٍ ... عليكَ ولكن خَـلِّ عينيكَ تَدمَعا
معي كلُّ غِرٍّ قـد عصَى عاذلاته ... بوصلِ الغَواني من لَدُنْ أن تَرعرَعا
إذا راح يمشي في الرداءين أسرَعتْ ... إليـه العيـونُ الناظـراتُ التطلُّعا

قال : ثم سقط مغشيّاً عليه ، فتمثّلتُ بقوله[1] : [من البسيط]

يا دارَ ليلى بسِقْطِ الحيّ قد دَرَسَتْ ... إلاّ الثُّمـامَ وإلاّ مَوْقِـدَ النَّارِ
ما تفتأ الدهرَ من لَيْلى تموتُ كذا ... في موقـف وقفتْـه أو على دارِ
أبْلَى عظامَكَ بعد اللحم ذِكْرُكَها ... كما يُنَحِّتُ قِدْحَ الشَّوْحَطِ الباري[2]

فرفع رأسه إليّ وقال : مَنْ أنت حيّاك الله ؟ فقلت : أنا نوفل بن مساحق ، فحيّاني فقلت له : ما أحدثتَ بعدي في يأسِكَ منها ؟ فأنشدني يقول[3] : [من الطويل]

ألا حُجِبَتْ لَيْلى وآلى أميرُها ... عليّ يميناً جاهـداً لا أزورُها
وأوعدني فيها رجـالٌ أبوهُمُ ... أبي وأبوها خُشِّنَتْ لي صُدورُها
على غير جُـرمٍ غيرَ أنّي أُحِبُّها ... وأنَّ فؤادي رهنُهـا وأسيرُها

قال : ثم سَنَحَتْ له ظِباء فقام يعدو في أثرها حتى لحقها فمضى معها .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني علي بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال : لما قال مجنون بني عامر : [من الطويل]

قضاها لغيري وابتـلاني بحبِّها ... فهـلاَّ بشيءٍ غيرِ لَيْلى ابتلانِيا

نُودِي في الليل : أنت المتسخِّط لقضاء الله والمعترض في أحكامه ؟ واختُلِسَ عقلُه فتوحّشَ منذ تلك الليلة وذهب مع الوحش على وجهه . وهذه القصيدة التي قال فيها هذا البيت من أشهر أشعاره ، والصوت المذكور بذكره أخبارُ المجنون هاهنا منها . وفيها أيضاً عدّة أبيات يُغنَّى فيها ، فمن ذلك[4] : [من الطويل]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 67 .
2 القدح : السهم ؛ الشوحط : من أنواع النبع الصالح لصنع القسيّ .
3 ديوان مجنون ليلى : 146 ببعض اختلاف .
4 انظر الزهرة : 67 ، 70 ، 82 ، 85 ، 185 .

[قصيدته اليائية]

صوت

أَعُــدُّ الليالي ليلــةً بعـد ليلـــةٍ وقـد عِشْتُ دهراً لا أَعُـدُّ اللّيالِيا
أَراني إذا صَلَّيْتُ يمّمْتُ نحوَهــا بوجْهِي وإن كان المصلَّى ورائِيا
وما بِــيَ إشراكٌ ولكــنَّ حبَّهــا كعُودِ الشّجَا أعيا الطبيبَ المُداوِيا
أُحِبُّ من الأسماءِ مــا وافق اسمَها وأشبَهــه أو كان منــه مُدانِيــا

في هذه الأبيات هزج خفيف لمعان معزفي [؟] : [من الطويل]

صوت

وخبّرتمانِـــي أنّ تيمــاءَ منـــزلٌ لِلَيْلى إذا مــا الصيفُ ألقَى المراسيا
فهذي شهورُ الصّيفِ عنّي قد انقضَتْ فما للنَّوى تَرمِـي بليـلَى المراميا

في هذين البيتين لحن من الرمل صنعَته عجوزُ عُمير الباذَغِيسِي[1] على لحن إسحاق :

أمَاوِيَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحُ

وله حديث قد ذُكر في أخبار إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يغنّى ، لأنّه أشْهَرُ في أيدي الناس ، وإنّما هو لحن إسحاق أُخِذ فجُعِل على هذه الأبيات وكيدَ بذلك : [من الطويل]

صوت

فلـــو كان واشٍ باليمامـــة بيتُه وداري بأعلَى حَضْرَمَوْتَ اهتدَى لِيا
وماذا لهم ، لا أحسنَ اللهُ حالَهُمْ ، مــن الحظّ في تَصْريم لَيْلى حِبالِيا
فأنتِ التي إن شئتِ أشقَيتِ عِيشتي وإن شئتِ بعــدَ اللهِ أنعمتِ بالِيا
وأنتِ التي ما من صديقٍ ولا عِداً يَرى نِضْوَ ما أبقيتِ إلاّ رَثَى لِيا
أَمَضروبةٌ لَيْلى على أن أزورَهــا ومُتَّخَــذٌ ذنبــاً لهــا أن تَرانيا
إذا سِرْتُ في الأرض الفضاءِ رأيتُنِي أُصانِعُ رَحْلِي أن يَميلَ حِيالِيا
يميناً إذا كانت يمينــاً وإن تكن شِمالاً يُنازِعْنِي الهوى عن شِمالِيا
أُحِبُّ من الأسماءِ مــا وافقَ اسمَها وأشبَهــهُ أو كان منــه مُدانِيا
هــي السحرُ إلاّ أنّ للسحرِ رُقْيَةً وإنِّــيَ لا أُلْفِي لهــا الدهرَ راقِيا

---

1 الباذغيسي : نسبة إلى باذغيس من أعمال هراة .

وأنشد أبو نصرٍ للمجنون وفيه غناء[1] : [من الطويل]

صوت

تكادُ يدِي تَنْدَى إذا ما لمستُها ... وينبُتُ في أطرافها الورَقُ الخُضْرُ

أبـى القلبُ إلاّ حبَّها عامريَّةً ... لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو

الغناء لِعَريب ثقيل أوّل ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لإسحاق خفيف ثقيل .

[رثاؤه لأبيه]

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ قال : أنشدني جماعةٌ من بني عُقَيل للمجنون يرثي أباه ، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه ، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات[2] : [من الطويل]

عقَـرتُ على قبر الملـوّح ناقتي ... بذي السَّرْحِ لمّا أن جَفتْه أقاربُهْ

وقلتُ لهـا كـوني عقيراً فإنّني ... غـداةَ غـدٍ ماشٍ وبالأمسِ راكبُهْ

فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يـا ابنَ مزاحمٍ ... وكلُّ امرىءٍ لِلْموتِ لا بدّ شاربُهْ

فقد كنتَ طَلاّعَ النِّجادِ ومُعْطِيَ الْـ ... ـجيادِ وسيفـاً لا تُفَـلُّ مَضاربُهْ

[وعظه جعدي فقال شعراً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب عن الحزاميّ عن محمد بن مَعْنٍ قال : بلغني أنّ رجلاً من بني جعدةَ بن كعب كان أخاً وخِلاًّ للمجنون ، مرّ به يوماً وهو جالسٌ يخطّ في الأرض ويعبَثُ بالحصى ، فسلّم عليه وجلس عنده ، فأقبل يخاطبه ويَعِظُه ويُسَلّيه ، وهو ينظر إليه ويلعب[3] بيده كما كان وهو مُفكّر قد غمره ما هو فيه ، فلمّا طال خطابه إيّاه قال : يا أخي ، أما لكلامي جوابٌ ؟ فقال له : والله يا أخي ما علمتُ أنّك تُكلّمني فاعذِرْني ، فإنّي كما ترى مذهوبُ العقلِ[4] مُشتَرَكُ اللُّبِّ وبكى ، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

صوت

وشُغِلتُ عن فَهم الحديث سِوى ... مـا كان منـكِ فإنّـه شُغْلِي

وأُدِيـمُ لَحْـظَ مُحَدِّثي ليرى ... أنْ قـد فهمـتُ وعندكم عَقْلِي

---

1 سبق أن ورد البيتان بترتيب معكوس فيما تقدّم من هذا الجزء .

2 وردت ثلاثة من هذه الأبيات فيما تقدّم من هذا الجزء غير متّصلة القوافي بالهاء .

3 ل : ويعبث .

4 ل : مذهوب بي .

[شعره عند تجاوب حمام]

الغناء لِعَلُّويَـهْ . وقال الهيثم : مرّ المجنون بوادٍ في أيّام الربيع وحمامُه يتجاوب فأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

ألا يا حَمامَ الأيكِ ما لكَ باكياً أفارقْتَ إلفـاً أم جفـاكَ حبيبُ

دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنَّمَتْ هَتُوفُ الضحى بين الغصون طَروبُ

تُجاوِبُ وُرْقـاً قـد أذِنَّ لصوتِها فكـلٌّ لِكـلٍّ مُسْعِـدٌ ومُجيبُ[1]

الغناء لرذاذ ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى .

[زيارة قيس لليلى عندما غاب زوجها]

وقال خالد بن حمل : حدّثني رجالٌ من بني عامر أنّ زوج ليلى وأباها خرجا في أمرٍ طَرَقَ الحيَّ إلى مكّة ، فأرسلتْ ليلى بأمَةٍ لها إلى المجنون فدعتْه فأقام عندها ليلةً فأخرجته في السَّحَر ، وقالت له : سِرِ إليّ في كلّ ليلة ما دام القومُ سَفْراً ، فكان يختلِفُ إليها حتى قدِموا . وقال فيها في آخر ليلة لَقِيها وودّعتْه : [من الطويل]

تمتّعْ بلَيْلى إنّما أنتَ هامـةٌ من الهامِ يدنو كلَّ يوم حِمامُها[2]

تمتّعْ إلى أن يرجعَ الركبُ إنّهم متى يرجعوا يَحْرُمْ عليكَ كلامُها

[مرض ولم تعده ليلى]

وقال الهيثم : مَرِض المجنون قبل أن يختلط فعاده قومه ونساؤهم ولم تَعُدْه ليلى فيمن عاده ، فقال[3] : [من الطويل]

صوت

ألا ما لِلَيْلى لا تُرى عند مَضْجَعِي بليـلٍ ولا يَجْري بهـا لِيَ طائرُ

بلى إنّ عُجْمَ الطير تجري إذا جَرَتْ بلَيْلى ولكـن ليس للطير زاجرُ

أحالَتْ عـن العهدِ الذي كان بيننا بذي الرِّمْثِ أم قـد غيّبتْها المقابرُ[4]

الغناء لسُليم ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ .

1 أذنّ لصوتها : أصغين لها .

2 يقال : فلان هامة اليوم أو غد أي أنّه قريب من الموت ، لا يعمّر طويلاً .

3 ديوان مجنون ليلى : 126–127 .

4 ذو الرمث : اسم وادٍ ، سمّي كذلك لأنّ فيه شجر الرمث . وفي رواية بذي الأثل .

فواللهِ ما في القربِ لي منكِ راحةٌ ولا البُعدُ يُسْلِيني ولا أنا صابرُ
وواللهِ مــا أُدري بأيّــةِ حِيلــةٍ وأيّ مَــرامٍ أو خِطــارٍ أُخاطِرُ
وواللهِ إنّ الدهــرَ في ذاتِ بَينِنا عــليّ لهــا في كلّ أمــرٍ لجائرُ
فلو كنتِ إذ أزمَعْتِ هَجْري تركتِني جميعَ القُوى والعقلُ منّــيَ وافرُ
ولكــنَّ أيّامــي بحَقْــلِ عُنَيزَةٍ وذِي الرِّمثِ أيّامٌ جناها التجاوُرُ
فقــد أصبحَ الودُّ الذي كان بيننا أمــانيَّ نفس إن تَخَبَّــرَ خابرُ[1]
لعَمْري لقــد أرْهَقْتِ يا أُمَّ مالكٍ حياتــي وساقَتْني إليــكِ المقادِرُ

[خبر الظبي الذي ذكّره ليلى]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال : حدّثني بعض بني عُقيل قال : قيل للمجنون أيّ شيءٍ رأيته أحبُّ إليك ؟ قال : ليلى ، قيل : دَعْ ليلى فقد عرفنا ما لها عندك ولكن سواها ، قال : والله ما أعجبني شيء قطّ فذُكِرَتْ ليلى إلاّ سقطَ من عيني وأذهب ذكرُها بشاشتَه عندي ، غير أنّي رأيتُ ظبياً مرّةً فتأمّلته وذكرتُ ليلى فجعل يزداد في عيني حُسناً ، ثم إنّه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعتُه حتى خَفِيا عنّي فوجدت الذئب قد صرعه وأكل بعضه ، فرميته بسهم فما أخطأتُ مقتله ، وبقَرتُ بطنه فأخرجت ما أكل منه ، ثم جمعته إلى بقيّة شِلْوه ، ودفنتُه وأحرقتُ الذئب ، وقلت في ذلك[2] : [من الطويل]

أبــى اللهُ أن تبقــى لحــيّ بشاشةٌ فصبراً عــلى مــا شاءه اللهُ لي صبرا
رأيتُ غزالاً يرتَعِــي وَسْطَ روضــةٍ فقلــتُ أَرى لَيْلى تراءتْ لنــا ظُهْرا
فيا ظبيُ كُلْ رَغْـداً هنيئاً ولا تخفْ فإنّكَ لي جــارٌ ولا تَرْهَــبِ الدهرا
وعندي لكم حِصنٌ حصينٌ وصارمٌ حُسامٌ إذا أعملتــــهُ أحسنَ الهَبْرا
فما راعني إلاّ وذئبٌ قــد انتَحــى فأعلــقَ في أحشائــه النابَ والظُّفْرا
ففوّقــتُ سهمي في كَتُــوم غَمَزْتُها فخالط سهمي مُهجَةَ الذئبِ والنَّحْرا[3]
فأذهب غيظي قتلُــه وشفــى جَوىً بقلبيَ إن الحــرَّ قــد يُـدركُ الوِتْرا

1 الديوان : والمؤمل حائر .
2 ديوان مجنون ليلى : 171 .
3 كتوم : صفة للقوس حين لا تصوّت .

[بلغه أنّ زوج ليلى سبّه فقال فيه شعراً]

قال أبو نصر : بلغَ المجنونَ قبل توحّشه أنَّ زوج ليلى ذكره وعضهه[1] وسبّه وقال : أَوَ بَلَغَ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعي محبّة ليلى ويُنَوِّه باسمها ؟ فقال لِيَغيظَه بذلك : [من الطويل]

فإن كان فيكم بعلُ لَيْلى فإنّني ... وذي العرشِ قد قبّلتُ فاها ثمانِيا
وأشهَدُ عندَ اللهِ أنّي رأيتُها ... وعشرونَ منها إصبعاً مِنْ ورائِيا
أليسَ من البلوى التي لا شَوى لها ... بأن زُوِّجَتْ كلباً وما بُذِلتْ لِيا[2]

[خبر رفقة أبوا أن يعدلوا معه إلى جهة رهط ليلى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال : خرج المجنون في عِدّةٍ من قومه يريدون سَفَراً لهم ، فمرّوا في طريق يتشعّب وِجهَتين : إحداهما ينزلها رهطُ ليلى وفيها زيادة مرحلةٍ ، فسألهم أن يَعْدِلوا معه إلى تلك الوِجهة فأَبَوْا ، فمضى وحده وقال[3] : [من الطويل]

صوت

أأتركُ ليلى ليسَ بيني وبينها ... سوى ليلةٍ إنّي إذاً لَصَبُورُ
هَبُوني امرأً منكم أضلَّ بعيرَه ... له ذِمَّةٌ إنّ الذِّمامَ كبيرُ
ولَلصَّاحبُ المتروكُ أعظمُ حرمةً ... على صاحبٍ مِنْ أن يَضِلَّ بعيرُ
عفا اللهُ عن لَيْلى الغداةَ فإنّها ... إذا وَلِيَتْ حُكماً عليّ تَجُورُ

الغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش ، وفيه لابن المارقيّ خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وفيه لعَلُّوَيْهْ رَمَلٌ بالبِنصر .

[هتفت حمامة فقال شعراً]

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه : أنّ المجنون كان ذات ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمّه وهو وَلِهٌ يتلظّى ويتململُ وهم يَعِظونه ويُحادثونه ، حتى هتفتْ حمامةٌ من سَرْحةٍ كانت بإزائهم ، فوثب قائماً وقال : [من الطويل]

1 عضهه : تنقصه بسبّ أو ذمّ .
2 بلوى لا شوى لها : أي لا بلوى بعدها .
3 ديوان مجنون ليلى : 139 .

صوت

لقــد غَرَّدَتْ في جنحِ ليل حمامةٌ   على إلفِهــا تبكــي وإنّــي لنائمُ
كَذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً   لَما سَبَقَتْنِــي بالبكــاءِ الحمائمُ

ثم بكى حتى سقط على وجهه مَغْشيّاً عليه ، فما أفاق حتى حَمِيَت الشمسُ عليه من غدٍ . الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دحمان ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى .

[في رمل يبرين]

وذكر أبو نصر عن أصحابه أنّ رجلاً مرّ بالمجنون وهو برمل يَبْرِينَ[1] يُخطّط فيه ، فوقف عليه متعجّباً منه وكان لا يعرفه ، فقال له : ما بك يا أخي ؟ فرفع رأسَه إليه وأنشأ يقول : [من الطويل]

بِيَ اليأسُ والداءُ الهُيامُ أصابني   فَإيّاكَ عنّي لا يكُنْ بكَ ما بِيا
كأنّ جفونَ العينِ تَهْمي دموعُها   غداةَ رأتْ أظعانَ لَيْلى غوادِيا
غُروبٌ أمرَّتْها نواضحُ بُــزَّلٌ   على عَجَلٍ عُجْم يُروِّينَ صادِيا

[الهوى اليماني]

وقال خالد بن حمل : ذكر حماد الراوية أنّ نفراً من أهل اليمن مرُّوا بالمجنون ، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول : [من الطويل]

ألا أيُّها الركبُ اليَمانُونَ عرِّجوا   علينــا فقــد أمسى هوانــا يمانِيا
نُسائِلْكُم هــل سالَ نَعْمانُ بعدنا   وحَــبَّ إلينا بطــنُ نَعْمانَ وادِيا

يقول في هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

ألا يا حَمامَيْ قَصْرِ وَدّانَ هِجْتُما   عــليّ الهــوى لَمّــا تغنّيتُمــا لِيا
فأبكيتُماني وسْطَ صَحْبِي ولَم أكنْ   أُبالي دموعَ العينِ لو كنتُ خالِيا

غنّى في هذين البيتين عَلُّويَهْ غناء لم يُنسب . [من الطويل]

فواللهِ إنّــي لا أُحِبُّ ، لغير أن   تَحُلّ بهــا لَيْــلى البِراقَ الأعالِيا
ألا يا خليلي حُبُّ لَيْلى مُجشِّمِي   حياضَ المنايا أو مُقيــدي الأعادِيا

1 يبرين : من منطقة الأحساء في شرقي الجزيرة العربية .

ويـــا أيّها القُمْريَّتــان تَجاوَبـا ... بلَحْنيكما ثـم اسجَعــا عَلّانِيا
فــإن أنتمـا استَطْربتما وأردتُمـــا ... لَحاقــاً بأطـراف الغَضا فاتْبعانِيا

[زوج ليلى يرحل بها]

قال أبو نصر : وذكر خالد بن كلثوم أنّ زوجَ ليلى لما أراد الرحيلَ بها إلى بلده بلغ المجنونَ أنّه غادٍ بها فقال : [من الطويل]

صوت

أمُزمِعةٌ للبيـن لَيْلى ولم تَمُتْ ... كأنّكَ عمّا قـد أظلَّك غافلُ
ستَعلم إن شطَّتْ بهم غُرْبةُ النَّوى ... وزالـوا بلَيْـــلى أنّ لُبّـك زائلُ

الغناء للزبير بن دَحمان ثقيل أوّل بالوسطى .

قال أبو نصر قال خالد : وحدّثني جماعة من بني قُشَير أنّ المجنونَ سقِم سَقاماً[1] شديداً قبل اختلاطه حتى أشفى على الهلاك ، فدخل إليه أبوه يعلّله فوجده يُنشِد هذه الأبيات ويبكي أحرَّ بكاء ويَنشِج أحرَّ نشيج[2] : [من الطويل]

ألا أيّها القلبُ الذي لجَّ هائِماً ... بلَيْـــلى وليـداً لم تُقطَّــعْ تمائمُه
أفِقْ قد أفاقَ العاشقون وقد أنَـى ... لحالــكَ أن تلقـــى طبيباً تلائمُه
فما لَـكَ مسلوبَ العَـزاء كأنّـما ... تَرى نأيَ لَيْلى مَغْرَماً أنتَ غارِمُه
أجِـدَّكَ لا تُنسِيكَ لَيْــلى مُلِمَّــةٌ ... تُلِـمُّ ولا يُنسيك عهـداً تَقادُمُه

قال : ووقف مستتراً ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها وقومها ، فلمّا رآهم يرتحلون بكى وجزع ، فقال له أبوه : ويحك ، إنّما جئنا بك مُتخفّياً ليتروّح بعضُ ما بك بالنظر إليهم ، فإذا فعلتَ ما أرى عُرِفْتَ ، وقد أهدرَ السلطان دمَكَ إن مررتَ بهم ، فأمسِكْ أو فانصرف ؛ فقال : ما لي سبيلٌ إلى النظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غير جازعٍ ولا باكٍ فانصرِفْ بنا ، فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

صوت

ذُدِ الدّمعَ حتى يظعَنَ الحيّ إنّما ... دموعُكَ إن فاضت عليكَ دليلُ
كأنّ دموعَ العين يـومَ تحمَّلوا ... جُمانٌ على جَيب القميص يسيلُ

---

1 ل : سقماً .

2 ديوان مجنون ليلى : 248 .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابيّ للمجنون[1] : [من الطويل]

صوت

ألا ليتَ لَيْلى أطفأتْ حَرَّ زَفْرةٍ أُعالجها لا أستطيع لها رَدَّا
إذا الريحُ من نحوِ الحِمَى نَسَمَتْ لنا وجدتُ لَمسْراها ومَنْسَمِها بَرْدا
على كبِد قد كاد يُبدِي بها الهوَى نُدُوباً وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدا[2]

هذا البيت الثالث خاصّةً يُروى لابن هَرْمة[3] في بعض قصائده ، وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاق ، أوّله :

أفاطمَ إنّ النّأيَ يُسلي من الهَوى[4]

وقد أُخرج في موضع آخر . غنّى في هذين البيتين عبدُ آل الهذليّ[5] ، ولحنُه المختار على ما ذكره جحظة ثاني ثقيل ، وهما في هذه القصيدة : [من الطويل]

وإنّي يَمانيٌّ الهوى مُنجِدُ النَّوى سبيلان ألقى من خلافهما جَهْدا
سقى اللهُ نَجداً من رَبيعٍ وصَيِّفٍ وماذا يُرَجّى من ربيع سقى نَجْدا
بلى إنّه قد كانَ للعيش قُرّةً وللصَّحب والرُّكبان منزلةً حَمْدا[6]
أبَى القلبُ أن ينفكَّ من ذِكرِ نِسوةٍ رِقاقٍ ولم يُخلَقن شُؤْماً ولا نُكْدا
إذا رُحنَ يَسحَبنَ الذُّيولَ عَشيّةً ويقتُلْنَ بالألحاظ أنفُسَنا عَمْدا
مَشى عَيطَلاتٌ رُجَّحٌ بخصورِها رَوادفُ وَعْثاتٌ تردُّ الخُطا رَدّا[7]
وتَهتزّ لَيْلى العامريّةُ فوقَها ولاثتْ بسِبّ القزّ ذا غُدُرٍ جَعْدا[8]

1 ديوان مجنون ليلى : 119–120 .
2 قرّر أبو الفرج أنّ هذا البيت وحده لابن هرمة ، ولكن جامع الديوان ، أورد له قبله ثلاثة أبيات أُخرى لم ترد هنا (ديوانه : 95–96) . وانظر الأغاني 579/2 من هذه الطبعة .
3 ابن هرمة : إبراهيم بن هرمة وهو أحد الشعراء المحدثين ، وستأتي ترجمته في الأغاني ؛ جمع ديوانه محمد جبار المعيبد ؛ النجف 1969 .
4 يسلي من الهَوى في الديوان : يسلي ذوي الهوى .
5 ل : عبدان الهذلي (وهو خطأ) .
6 منزلة حمدٌ أي منزلة محمودة .
7 عيطلات جمع عيطلة وهي الطويلة العنق . وعثات : لينات .
8 لاثت : لفّت ؛ السبّ : الخمار ؛ الغدر جمع غديرة وهي الذؤابة أو الخصلة من الشعر .

إذا حَرَّكَ المِدرَى ضَفائرَهـا العُلا مَجَجْنَ نَدى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدا

وأخبار الهُذليَّـين[1] تُذكر في غير هذا الموضع إن شاء الله لئلاّ تنقطع أخبار المجنون ، ولهما في المائة الصوت المختارة أغانٍ تُذكر أخبارها معاً إن شاء الله .

[طلب من رجلين إطلاق ظبية صاداها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال ذكر الهيثم بن عديّ ، وأخبرني محمد بن خلَف [بن المرزبان] عن أحمدَ بن الهيثم عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : مرّ المجنون برجلين قد صادا ظَبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها ، فلمّا نظر إليها وهي تركض في حِبالهما دمعَت عيناه ، وقال لهما : حُلاَّها وخُذا مكانها شاةً من غنمي ، وقال ميمون في خبره : وخُذا مكانها قَلُوصاً من إبلي ؛ فأعطاهما وحَلاَّها فولَّتْ تعدو هاربةً . وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالهما[2] : [من البسيط]

يا صاحِبيّ اللّذينِ اليومَ قـد أخذا في الحبل شِبْهاً للَيْـلى ثـم غَلاَّها
إنّي أرى اليومَ في أعطافِ شاتِكُما مَشابِهـاً أشبهَـتْ لَيْـلى فَحُلاَّها

قال : وقال فيها وقد نظر إليها [وهي] تعدو أشدَّ عدْوٍ هاربةً مذعورةً[3] : [من الطويل]

صوت

أيا شِبهَ لَيْلى لا تُراعِي فإنّني لكِ اليومَ من وَحْشيَّةٍ لَصَديقُ
ويا شِبهَ لَيْلى لو تَلَبَّثتِ ساعةً لعـلَّ فؤادِي مِنْ جَواه يُفِيقُ
تَفِرُّ وقـد أطلقتُها من وَثاقِها فأنتِ للَيْلى لـو علِمْتِ طَلِيقُ

[خبره مع نسوة عذلنه في حبّ ليلى]

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحول أنّ ابن الأعرابيّ أخبرهما أنّ نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له : ما الذي دعاك إلى أن أحلَلتَ بنفسك ما ترى في هَوى ليلى ، وإنّما هي امرأة من النساء ، هل لكَ في أن تصرفَ هواك عنها إلى إحدانا فنُساعِفَكَ ونَجزيَكَ بهواك ويرجعَ إليك ما عَزَبَ[4] من عقلك وجسمك ؟ فقال لهنّ : لو قَدَرتُ على صرف الهوى عنها إليكنّ لصرفتُهُ عنها وعن كلّ أحد بعدها وعِشتُ في الناس

1 الهذليان : مغنيان هما سعيد وعبد آل ابنا مسعود .
2 ديوان مجنون ليلى : 285 .
3 ديوان مجنون ليلى : 206–207 وفيه رواية البيت الثالث :
عشقت فـأدّي شكر ليلى بنعمة فأنت لليـلى إن شكـرت طليق
4 في ل : ذهب .

سويّاً مستريحاً ؛ فقلن له : ما أعجبك منها ؟ فقال : كلّ شيء رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبني ، والله ما رأيتُ شيئاً منها قطّ إلاّ كان في عيني حَسَناً وبقلبي عَلِقاً ، ولقد جَهَدتُ أن يَقبُحَ منها عندي شيءٌ أو يَسمُجَ أو يُعابَ لأسلُوَ عنها فلم أجده ؛ فقلن له : فَصِفْها لنا ، فأنشأ يقول[1] : [من الكامل]

بيضاءُ خالصةُ البياض كأنّها قمــرٌ توسّط جُنحَ ليـلٍ مُبرَدِ
مَوْسُومةٌ بالحسنِ ذاتُ حواسدٍ إنّ الجمــالَ مَظِنّــةٌ للحسَّدِ
وتُرى مدامعُهـا تَرَقـرُقَ مُقْلَةٍ سوداءَ ترغبُ عن سوادِ الإثمدِ
خَـوْدٌ إذا كثُرَ الكلامُ تعوّذَتْ بحِمى الحياء وإن تكَلَّمْ تَقْصِدِ[2]

قال : ثم قال ابن الأعرابيّ : هذا والله من حَسَن الكلام ومُنَقّح الشِّعر .

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً ، وفيه غناء ، قال : [من الطويل]

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائــرٍ إذا ذُكِرتْ لَيْلى يَشُدُّ به قَبْضا
كأنَّ فِجاجَ الأرضِ حَلْقَةُ خاتَمٍ عليّ ، فما تزدادُ طولاً ولا عَرضا

[أودع رجلاً شعراً ينشده على مسمع من ليلى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أبو مسلم عن القحذَميّ قال : قال رجل من عشيرة المجنون له : إنّي أُريد الإلمامَ بحيّ ليلى فهل تُودِعُني إليها شيئاً ؟ فقال : نعم ، قِفْ بحيث تسمعُك ثم قُلْ[3] : [من البسيط]

صوت

اللهُ يعلـمُ أنّ النفسَ هالكــةٌ باليأس منكِ ولكنّــي أُعنّيها[4]
مَنّيتُكِ النفسَ حتى قد أضرّ بها واستيقَنَــتْ خُلُفــاً ممّــا أُمنّيها
وساعةٌ منكِ أَلْهُوها وإن قَصُرَتْ أشْهَـى إليّ من الدنيا وما فيها

قال : فمضى الرجل ، ولم يزل يرقُبُ خَلوةً حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلى لقد أحسن الذي يقول[5] : [من البسيط]

1 ديوان مجنون ليلى 117 ورواية البيت الأول فيه :
بيضاء باكرهـا النعيـم كأنّهـا قمـر توسط جنح ليـــل أسود
2 تقصد : تذهب مذهب الاعتدال .
3 ديوان مجنون ليلى : 270 .
4 أعنيها : أحملها العناء .
5 ديوان مجنون ليلى : 289 .

اللهُ يعلـم أنّ النفسَ هالكـــةٌ باليـأسِ منـكِ ولكنّي أُعَنّيها

وأنشدها الأبيات ؛ فبكت بكاءً طويلاً ثم قالت : أبلِغْهُ السلام وقُل له : [من البسيط]

نفسي فداؤكَ ، لو نفسي ملكتُ إذاً مـا كان غيرُك يَجْزِيها ويُرضيها
صبراً على ما قضاه الله فيكَ على مرارةٍ في اصطباري عنـكَ أُخفيها

قال : فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها ؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشيّاً عليه ، ثم أفاق وهو يقول : [من الوافر]

عَجِبتُ لعُروةَ العُذْرِيّ أضحى أحاديثـاً لقـومٍ بعد قـومِ
وعـروةُ مـات موتـاً مُسْتَرِيحاً وها أنـا ميّـتٌ في كلِّ يومِ

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر للمجنون[1] : [من الطويل]

صوت

أيا زينـةَ الدنيـا التي لا ينالُها مُنايَ ولا يبدو لقلبـي صَرِيمُها
بعيني قَـذاةٌ من هواكِ لَـوَ ٱنّها تُداوَى بمن تَهوى لصحّ سقيمُها
وما صَبَرَتْ عن ذكرِك النفسُ ساعةً وإن كنتُ أحيانـاً كثيراً ألومُها

[سأل أبو المجنون رجلاً أن يبلغه أنّ ليلى تشتمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال : سأل الملوّح أبو المجنون رجلاً قَدِمَ من الطائف أن يمرّ بالمجنون فيجلسَ إليه فيخبرَه أنّه لقي ليلى وجلس إليها ، ووصف له صفات منها ومن كلامها يعرفها المجنون ، وقال له : حَدِّثه بها ، فإذا رأيتَه قد اشرأبّ لحديثك واشتهاه فعرِّفه أنّك ذكرتَه لها ووصفتَ ما به فشتَمَتْه وسبّته ، وقالت : إنّه يكذب عليها ويُشهِّرُها بفعله ، وإنّها ما اجتمعت معه قطّ كما يصفُ ؛ ففعل الرجل ذلك ، وجاء إليه فأخبره بلقائه إيّاها ؛ فأقبل عليه وجعل يسائله عنها ، فيخبره بما أمره به الملوّح ، فيزداد نشاطاً ويثوب إليه عقله ، إلى أن أخبره بسبّها إيّاه وشتمِها له ؛ فقال وهو غير مُكترثٍ لِما حكاه عنها[2] : [من الطويل]

1 ديوان مجنون ليلى 252–253 .

2 ديوان مجنون ليلى : 85 .

صوت

تمرّ الصَّبا صَفْحاً بساكن ذي الغَضَا ... ويَصدَعُ قلبي أن يَهُبَّ هُبُوبُها
إذا هبَّتِ الريحُ الشَّمالُ فإنّما ... جَوايَ بما تُهدِي إليّ جَنُوبُها
قريبةُ عهدٍ بالحبيبِ وإنّما ... هَوى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها
وحسبُ الليالي أن طَرَحْنَكَ مَطْرَحاً ... بدار قِلىً تُمسي وأنتَ غَرِيبُها
حلالٌ لِلَيْلى شتمُنا وانتقاصُنا ... هنيئاً ومغفورٌ لِلَيْلى ذُنُوبُها

ذكر أبو أيّوب المدينيّ أنّ الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته. وفيه لمتيَّم غِناءٌ يُنسب. وذكر الهيثم بن عديّ أنّ المجنون قال، وفيه غناء[1]: [من الطويل]

صوت

كأن لم تكن لَيْلى تُزارُ بِذي الأَثْلِ ... وبالجِزْعِ من أجزاعِ وَدّانَ فالنخلِ
صديقٌ لنا فيما نَرى غير أنّها ... تَرى أنّ حبّي قد أحلَّ لها قَتلي

[وصف رجل المجنون لليلى فبكت]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن عثمان بن عمارة بن حُريم عن أشياخ من بني مُرَّة قالوا: خرج منّا رجلٌ إلى ناحيةِ الشام والحجاز وما يلي تَيماءَ والسَّراةَ وأرضَ نجد، في طلب بُغيةٍ له، فإذا هو بخيمة قد رُفعت له وقد أصابه المطرُ فعدَل إليها وتنحنح، فإذا امرأةٌ قد كلّمته فقالت: انزل، فنزل. قال وراحت إبلُهم وغنمُهم فإذا أمرٌ عظيم، فقالت: سَلُوا هذا الرجل من أين أقبل؛ فقلت: من ناحية تِهامة ونجد؛ فقالت: ادخل أيّها الرجل، فدخلتُ إلى ناحية من الخيمة، فأرخَتْ بيني وبينها سِتراً ثم قالت لي: يا عبد الله، أيَّ بلاد نجدٍ وطِئتَ؟ فقلت: كلّها؛ قالت: فبِمنْ نزلتَ هناك؟ قلت: ببني عامر؛ فتنفَّست الصُّعداء ثم قالت: فبأيّ بني عامر نزلت؟ فقلت: ببني الحَرِيش؛ فاستعبرَتْ ثم قالت: فهل سمعت بذكر فتًى منهم يقال له: قيس بن الملوّح ويلقّب بالمجنون؟ قلتُ: بلى والله، وعلى أبيه نزلتُ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يهيم في تلك الفيافي، ويكون مع الوحش لا يعقل [ولا يفهم] إلاّ أن تُذكر له امرأة يقال لها ليلى، فيبكي ويُنشِد أشعاراً قالها فيها. قال: فرفَعَتِ السترَ بيني وبينها، فإذا فِلْقةُ قمرٍ لم تَرَ عيني مثلَها، فبكتْ حتى ظننتُ، والله، أنّ قلبها قد انصدعَ، فقلتُ: أيّتها المرأة، اتّقي اللهَ فما قلتُ بأساً،

1 ديوان مجنون ليلى: 233.

فمكثتْ طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعرِي والخُطُوبُ كثيرةٌ　　متى رَحْـلُ قيسٍ مُسْتقِلٌّ فراجعُ

بنفسيَ مَـنْ لا يستقلّ برَحْلِـه　　ومَنْ هـو إن لم يَحفَظِ اللهُ ضائعُ

ثم بكت حتى سقطت مغشيّاً عليها ، فقلت لها : مَنْ أنتِ يا أمَةَ اللهِ ؟ وما قصَّتُكِ ؟ قالت : أنا ليلى [صاحبته] المشؤومة والله عليه غيرُ المؤنسة له ؛ فما رأيت مثلَ حزنها ووجدها عليه قطّ .

[خبر شيخ من بني مرّة لقي المجنون وشهده ميتاً في واد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة ، وأخبرني عثمان عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن لَقِيط ، وحدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة ، وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعيّ وأبو مسلم المُستَمْلي عن ابن الأعرابيّ ، يزيد بعضهم على بعض ، أنّ عثمان بن عمارة المرّي أخبرهم أنّ شيخاً منهم من بني مرّة حدّثه أنّه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون ، قال : فدُلِلْتُ على مَحَلّته فأتيتُها ، فإذا أبوه شيخ كبير وإخوة له رجال ، وإذا نَعَمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ ، فسألتُهم عنه فاستعبروا جميعاً ، وقال الشيخ : والله لهو كان آثَر في نفسي من هؤلاء وأحبَّهم إليّ ؛ وإنّه هَوِيَ امرأةً من قومه ، والله ما كانت تَطمعُ في مثله ، فلمّا أن فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزوّجَها منه بعد ظهور الخبر فزوّجها من غيره ، فذهب عقلُ ابني ولَحِقَه خَبَلٌ وهام في الفَيافِي وَجْداً عليها ، فحبسناه وقيَّدناه ، فجعل يَعَضّ لسانه وشفَتَيه حتى خِفْنا [عليه] أن يقطعَها فخلّينا سبيلَه ، فهو يهيم في [هذه] الفيافي مع الوحوش يُذْهَب إليه كلّ يوم بطعامه فيوضَع له حيث يراه ، فإذا تنحَّوْا عنه جاء فأكلَ منه . قال : فسألتُهم أن يَدُلّوني عليه ، فدَلّوني على فتًى من الحيّ كان صديقاً له وقالوا : إنّه لا يأنسُ إلاّ به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره ، فأتيتُه فسألته أن يدُلّني عليه ؛ فقال : إن كنتَ تريد شِعرَه فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمس عندي ، وأنا ذاهب إليه غداً فإن كان قال شيئاً أتيتُك به ؛ فقلت : بل أريد أنْ تَدُلّني عليه لآتيه ؛ فقال لي : إنّه إن نفَر منك نفر منّي فيذهب شِعره ، فأبيت إلاّ أن يدلّني عليه ؛ فقال : اطلبه في هذه الصحارى فإذا رأيته فآدنُ منه مستأنساً ولا تُـره أنّك تهابُه ، فإنّه يتهدّدكَ ويتوعّدك أن يرميك بشيء ، فلا يَرُوعنّك واجلِس صارفاً بصرك عنه والحظه أحياناً ، فإذا رأيته قد سكن من نِفاره فأنشِده شعراً غَزَلاً ، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشِدْه إيّاه فإنّه معجب به ؛ فخرجت فطلبتُه يومي إلى العصر فوجدته جالساً على رمل قد خطَّ فيه بإصبعه خطوطاً ، فدنوتُ منه غير منقبضٍ ، فنفر منّي نفورَ الوحش من الإنس ، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضت عنه ، فمكث

ساعة كأنّه نافرٌ يريد القيام ، فلمّا طال جلوسي سكن وأقبل يخطّ بأصبعه ، فأقبلتُ عليه وقلت : أحسن والله قيسُ بن ذَرِيح حيث يقول[1] : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبِّني بعلمك في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

فإن أنتَ لم تُخبِر بشيءٍ علمتَه فلا طِرْتَ إلاّ والجناحُ كسيرُ

ودُرْتَ بأعداءِ حبيبكَ فيهمُ كما قد تَراني بالحبيب أدورُ

فأقبل عليّ وهو يبكي فقال : أحسنَ والله ، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقول : [من الوافر]

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى بليلى العامريّةِ أو يُراحُ

قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

فأمسكْتُ عنه هُنيهةً ، ثم أقبلت عليه فقلت : وأحسنَ واللهِ قيس بن ذريح حيث يقول : [من الطويل]

وإنّي لَمُفْنٍ دمعَ عَيْنَيَّ بالبكا حِذاراً لِما قد كان أو هو كائنُ

وقالوا غداً أو بعد ذاكَ بليلةٍ فراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ

وما كنتُ أخشى أن تكون مَنِيّتي بكفّيكِ إلاّ أن مَنْ حانَ حائِنُ

قال : فبكى ، والله حتى ظننتُ أنّ نفسَه قد فاضت ، وحتى رأيتُ دموعَه قد بلّتِ الرمل الذي بين يديه ، ثم قال : أحسنَ لَعَمرُ الله ، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول[2] : [من الطويل]

صوت

وأدْنيتِني حتى إذا ما سَبَيْتِني بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ

تناءَيْتِ عنّي حينَ لا لِيَ حيلةٌ وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانحِ

ويروى : «وغادَرْتِ ما غادَرْتِ . . .» ، ثم سنحَتْ له ظبيةٌ فوثب يعدُو خلفَها حتى غاب عنّي وانصرفتُ ، وعُدتُ من غدٍ فطلبتُه فلم أجده ، وجاءت امرأةٌ كانت تصنع له طعامه إلى الطعام فوجدَتْه بحاله ، فلمّا كان في اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهله معي فطلبناه يومنا فلم نَجده ، وغَدَونا في اليوم الرابع نَسْتَقْرِي أثرَه حتى وجدناه في وادٍ كثير الحجارة خَشِنٍ ، وهو ميّتٌ بين تلك الحجارة ، فاحتمله أهله فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه .

[الحزن على المجنون وندم أبي ليلى]

قال الهيثم : فحدّثني جماعة من بني عامر : أنّه لم تبقَ فتاةٌ من بني جعدة ولا بني الحَريش

---

1 ديوان مجنون ليلى : 262 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

2 ينسب هذان البيتان أيضاً لكثير (انظر ديوانه : 586 وديوان مجنون ليلى : 94) .

إلاّ خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تندبه ؛ واجتمع فتيان الحيّ يبكون عليه أحرَّ بكاء ، ويَنشِجون عليه أشدّ نشيج ، وحضرهم حيُّ ليلى مُعزِّين وأبوها معهم فكان أشدّ القوم جزعاً وبكاءً عليه ، وجعل يقول : ما علمنا أنّ الأمر يبلغ كلَّ هذا ، ولكنّي كنتُ امرءاً عربيّاً أخاف من العار وقُبح الأُحدوثة ما يخافه مثلي ، فزوّجتُها وخرجت عن يدي ، ولو علمتُ أنّ أمره يجري على هذا ما أخرجتُها عن يده ولا احتملتُ ما كان عليّ في ذلك . قال : فما رُئِيَ يومٌ كان أكثر باكيةً وباكياً على ميّتٍ من يومئذٍ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[منها] الصوت الذي أوّله : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البين ويحكَ نَبِّني   بعلمِـكَ في لُبْنَى وأنـتَ خبيرُ

الغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لحَكَم . وفي رواية ابن الأعرابيّ أنّه أنشده مكان :

ألا يـا غرابَ البينِ ويحكَ نَبِّنِـي   بعلمِـكَ في لُبْنَـى وأنـتَ خبيرُ

صوت

[من الطويل]

ألا يا غرابَ البينِ هل أنتَ مُخْبِري   بخيرٍ كما خَبَّرْتَ بالنأيِ والشَّرِّ
وخبّرتَ أن قـد جَدّ بَيْنٌ وقَرَّبُوا   جِمـالاً لبينٍ مُثْقَلاتٍ مـن الغَدْرِ
وهِجتَ قذَى عينٍ بلُبْنَى مريضةٍ   إذا ذُكِرَتْ فاضَتْ مدامعُها تجري
وقلتَ كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعاً   صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ

الشعر لقيس بن ذَريح ، والغناء لابن جامع ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لبَحْرٍ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لدَحمان ثاني ثقيل عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى .

ومنها الصوت الذي أوّله : [من الوافر]

كأنّ القلبَ ليلـةَ قِيلَ يُغْدى   بلَيْـلى العامريّـة أو يُـراحُ

ومنها الصوت الذي أوّله : [من الطويل]

وأدنيتِنـي حتـى إذا ما سبيتِني   بقولٍ يُحِلّ العُصْمَ سهلَ الأباطِحِ

الغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

[بكاء أبي ليلى على المجنون]

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكَبيّ قال حدّثنا الفَضْل الرَّبعيّ عن محمد بن حبيب قال : لمّا مات مجنون بني عامر وُجد في أرض خشنة بين حجارة سُود ، فحضر أهله وحضر معهم أبو ليلى ، المرأة التي كان يهواها ، وهو متذمّم من أهله ، فلمّا رآه ميتاً بكى واسترجع وعلم أنّه قد شَرِكَ في هلاكه ، فبينما هم يقلّبونه إذ وجدوا خِرقةً فيها مكتوبٌ : [من الطويل]

أَلا أيُّها الشيخُ الذي ما بنا يرضَى   شَقِيتَ ولا هُنِّيتَ من عَيشِكَ الغَضّا
شَقِيـــتَ كما أشقيتَنِي وتركتَنِـــي   أهِيمُ مع الهُــلاّكِ لا أُطْعَمُ الغَمْضا

صوت

[من الطويل]

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائـرٍ   إذا ذُكِرَتْ لَيْلى يَشُدُّ به قَبْضا
كأنّ فِجاجَ الأرضِ حَلْقَةُ خاتَمٍ   عليّ فما تزدادُ طُولاً ولا عَرْضا

في هذين البيتين رمل ينسب إلى سليم وإلى ابن محرز ، وذكر حبشٌ والهشاميّ أنّه لإسحاق .

[عوتب على التغنّي بالشعر]

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني أبو سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيب قال حدّثني بعض القُشَيريِّين عن أبيه قال : مررتُ بالمجنون وهو مُشرِفٌ على وادٍ في أيّام الربيع ، وذاك قبل أن يختلط ، وهو يتغنَّى بشعر لم أفهمه ، فصِحتُ به : يا قيس ، أما تشغَلُك ليلى عن الغناء والطرب ؟ فتنفّس تنفُّساً ظننت أنّ حيازيمَه قد انقدّتْ ، ثم قال : [من الطويل]

صوت

ومــا أُشرِفُ الأيْفاعَ إلاّ صَبابــةً   ولا أُنشِدُ الأشعــارَ إلاّ تَـداوِيا
وقد يجمعُ اللهُ الشتيتَين بعــد ما   يظنّانِ جَهــدَ الظــنِّ أن لا تلاقِيا
لحَــى اللهُ أقوامــاً يقولــون إنّني   وجدتُ طَوالَ الدّهر للحبِّ شافِيا

[التقاؤه بقيس بن ذريح]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس قال : اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالس وحده في نادي قومه ، وكان كلّ واحد منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر ، وكان المجنون قبل توحُّشه لا يجلس إلاّ مُنفرداً ولا يُحدِّث أحداً ولا يردّ على

متكلّم جواباً ولا على مُسلّم سلاماً ، فسلّم عليه قيس بن ذريح فلم يردّ عليه السلام ؛ فقال له : يا أخي ، أنا قيس بن ذريح ؛ فوثب إليه فعانقه وقال : مرحباً بك يا أخي ، أنا والله مذهوبٌ بي مُشترَكُ اللب فلا تلُمني ، فتحدّثا ساعة وتشاكيا وبكيا ، ثم قال له المجنون : يا أخي ، إنّ حيّ ليلى منا قريب ، فهل لك أن تمضي إليها فتبلّغها عنّي السلام ؟ فقال لـه : أفعـل . فمضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلى فسلّم وانتسب ؛ فقالت لـه : حيّاكَ الله ، ألكَ حاجة ؟ قال : نعم ، ابن عمِّك أرسلني إليك بالسلام ؛ فأطرقت ثم قالت : ما كنتَ أهلاً للتحيّة لو علمتُ أنّك رسوله ، قل له عنّي : أرأيت قولك : [من الطويل]

أبَتْ ليلةٌ بالغَيل يــا أمّ مالكٍ لكم غيرَ حبٍّ صادقٍ ليس يكذبُ[1]
ألا إنّما أبقيـــتِ يا أمَّ مــالكٍ صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

أخبرني عن ليلة الغَيْل ، أيُّ ليلة هي ؟ وهل خلوتُ معكَ في الغَيل أو غيره ليلاً أو نهاراً ؟ فقال لها قيس : يا ابنة عمّ ، إنّ الناس تأوّلوا كلامه على غير ما أراد ، فلا تكوني مثلهم ، إنّما أخبر أنّه رآكِ ليلةَ الغَيل فذهبت بقلبه ، لا أنّه عَناكِ بسوء ؛ قال : فأطرقت طويلاً ودموعها تَجري وهي تكفكفها ، ثم انتحَبَت حتى قلتُ تقطّعت حيازِيمُها ، ثم قالت : اقرأ على ابن عمِّي السلام ، وقل له : بنفسي أنتَ ، والله إنّ وجدي بك لفوقِ ما تجدُ ، ولكن لا حيلة لي فيك ؛ فانصرف قيسٌ إليه ليخبره فلم يجده .

[رأى ليلى فبكى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرُويَهْ قال حدّثني عمّي عن ابن الصَّباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : مرّ المجنون بعد اختلاطه بليلى [وهي] تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويل ، فلمّا رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشيّاً عليه ، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقَوها عنده ، فمكث كذلك مليّاً ثم أفاق وأنشأ يقول : [من الوافر]

بكى فرحاً بلَيْلى إذ رآها محبٌّ لا يرى حَسَناً سواها
لقد ظفِرَتْ يداه ونال مُلكاً لئن كانتْ تراه كما يراها

الغناء لابن المكيّ رمل بالبنصر . وفيه لعَريب ثقيل أوّل عن الهشاميّ . وفيه خفيف رمل ليزيد حوراء . وقد نُسِبَ لحنُه إلى ابن المكيّ ولحن ابن المكّي إليه .

---

1 الغيل : واد لبني جعدة .

صوت
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من الرمل]

رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا عندَنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزّلالِ
عَصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

الشعر لعديّ بن زيد العِباديّ ، والغناء لابن مُحْرز ، ولحنه المختار خفيف [رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيف رمل] آخر بالبنصر ابتداؤه نشيد ذكر عمرو بن بانة أنّه لابن طنبورة ، وذكر أحمد بن المكّي أنّه لأبيه . وهذه الأبيات قالها عديّ بن زيد العباديّ على سبيل الموعظة للنُّعمان بن المنذر ، فيقال : إنّها كانت سبب دخوله في النصرانية .

[عظة عديّ بن زيد للنعمان بن المنذر]

حدّثني بذلك أحمد بن عِمران المؤدّب قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال : خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد ومعه عديُّ بن زيد فمرّوا بشجرةٍ ، فقال له عديّ بن زيد : أيُّها الملك ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال تقول : [من الرمل]

رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا عندنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزُّلالِ
عصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

قال : ثم جاوز الشجرة فمرّ بمقبرةٍ ، فقال له عديّ : أيّها الملك ، أتدري ما تقول هذه المقبرة ؟ قال : لا ، قال تقول : [من مجزوء الرمل]

أيُّهـا الركبُ المُخِبّو نَ على الأرضِ المُجِدّون
فكمـا أنتـمُ كُنّـا وكما نحـن تكونـون

فقال له النعمان : إنّ الشجرة والمقبرة لا يتكلّمان ، وقد علمتُ أنّك إنّما أردتَ عِظَتِي ، فما السبيلُ التي تُدرَكُ بها النجاة ؟ قال : تدعُ عبادة الأوثان وتعبدُ الله وتدينُ بدين المسيح عيسى بن مريم ؛ قال : أَوَفي هذا النجاةُ ؟ قال : نعم ، فتنصّر يومئذٍ . وقد قيل : إنَّ هذه القصّة كانت لعديّ مع النعمان الأكبر بن المنذر ، وإنّ النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصّر . وخبر هذا يأتي مع أحاديث عديّ .

[11] ـ ذكر عديّ بن زيد ونسبه وقصّته ومقتله[1]

[نسبه]

هو عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد بن أيُّوب بن محروف بن عامر بن عُصَيَّة بن امرىء القيس بن زيد مَناة بن تميم بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وكان أيّوب هذا فيما زعم ابن الأعرابيّ أوّل مَن سُمِّيَ من العرب أيّوب ، شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهليّة ، وكان نصرانيّاً وكذلك كان أبوه وأمّه وأهلُه .

[عديّ بن زيد لا يعدّ في فحول الشعراء]

وليس ممّن يُعدّ في الفحول ، وهو قرويّ . وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عِيب فيها . وكان الأصمعيّ وأبو عبيدة يقولان : عديُّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سُهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مَجراها . ومثله كان عندهم أُميّة بن أبي الصَّلت ، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين[2] الكُمَيت والطِّرِمَّاح . قال العجّاج : كانا يسألاني عن الغريب فأُخبرهما به ، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه ؛ فقيل له : ولم ذاك ؟ قال : لأنّهما قَرَوِيّان يَصِفان ما لم يَرَيا فيضعانه في غير موضعه ، وأنا بدويّ أصِفُ ما رأيتُ فأضَعُه في مواضعه . وكذلك عندهم عديٌّ وأُميَّةُ .

[سبب نزول آل عديّ الحيرة]

قال ابن الأعرابيّ فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عنه وعن هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال : سبب نزول آل عَدِيّ بن زيد الحِيرة أنّ جدَّه أيوب بن محروف كان منزله اليمامة في بني امرىء القيس بن زيد مناة ، فأصاب دماً في قومه فهرب فلَحِق بأَوْس بن قَلاَّمٍ أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة . وكان بين أيّوب بن محروف وبين أوس بن قلاّمٍ هذا نسبٌ من قِبَل النساء ، فلمّا قدِم عليه أيّوب بن محروف أكرمه وأنزله في داره ، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنّ أوساً قال له : يا ابن خالٍ ، أتريد المُقام عندي

---

1 ترجمة عدي بن زيد في طبقات فحول الشعراء : 140–142 والشعر والشعراء : 150–156 ومعاهد التنصيص 1 : 315–323 وخزانة الأدب 3 : 348–356 والموشح : 532–534 ومعجم المرزباني : 80 ومعجم الأدباء والوافي للصفدي 19 : 530 تحقيق د . رضوان السيد : 1203 وصفحتان أُخرى (انظر الفهرست) وشعراء النصرانية للويس شيخو ومقدّمة ديوانه صنعة محمد جبار المعيبد ، بغداد 1965 (ولبعضه أصل مخطوط) .

2 ل : في الإسلام .

وفي داري ؟ فقال له أيّوب : نعم ، فقد علمت أنّي إن أتيتُ قومي وقد أصبتُ فيهم دماً لم أسْلم ، وما لي دارٌ إلاّ دارُكَ آخرَ الدهر ؛ قال أوس : إنّي قد كبِرتُ وأنا خائف أن أموتَ فلا يعرِفُ ولدي لك من الحقّ مثلَ ما أعرِفُ ، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ ، فانظر أحبَّ مكانٍ في الحيرة إليكَ فأعلِمني به لأُقْطِعَكه أو أبتاعه لك ؛ قال : وكان لأيّوب صديقٌ في الجانب الشرقيّ من الحيرة ، وكان منزلُ أوْسٍ في الجانب الغربيّ ، فقال له : قد أحببتُ أن يكون المنزل الذي تُسكِنُنِيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب ؛ فابتاع له موضع داره بثلثمائة أُوقيةٍ من ذهبٍ وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعائِها وفرساً وقَيْنةً ؛ فمكث في منزل أوس حتى هلك ، ثم تحوّل إلى داره التي في شرقيّ الحيرة فهلك بها . وقد كان أيّوب اتّصل قبل مهلَكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقّه وحقّ ابنه زيد بن أيّوب ، وثبت أيوب فلم يكن منهم ملكٌ يملِك إلاّ ولِولد أيوب منه جوائز وحُملان[1] .

[مقتل زيد بن أيوب]

ثم إنّ زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قَلاَّم فولدت له حمّاداً ، فخرج زيد بن أيوب يوماً من الأيّام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم مُنتدون[2] بِحَفيرٍ ، المكان الذي يذكره عديّ بن زيد في شِعره ؛ فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجلٌ من بني امرىء القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَلَ أبيه ، فقال له ، وقد عَرَفَ فيه شَبَهَ أيوب : ممَّن الرجل ؟ قال : من بني تميم ، قال : من أيّهم ؟ قال : مَرَئيّ[3] ؛ قال له الأعرابيّ : وأين منزلك ؟ قال : الحيرة ؛ قال : أمن بني أيوب أنت ؟ قال : نعم ، ومن أين تعرف بني أيّوب ؟ واستوحش من الأعرابيّ وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه ؛ فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعلِمه أنّه قد عرفه ؛ فقال له زيد بن أيوب : فمن أيّ العرب أنت ؟ قال : أنا امرؤٌ من طيىء ؛ فأمِنه زيد وسكتَ عنه ، ثم إنّ الأعرابيّ اغتفل[4] زيد بن أيّوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففَلَقَ قلبه ، فلم يَرِم حافر دابته حتى مات ؛ فلبِث أصحابُ زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنّوا أنّه قد أمعن في طلب الصيد ، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه ، ثم غَدَوا في طلبه فاقتَفَوْا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يُسايره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً ، فعرفوا أنّ صاحب الراحلة قتله ، فاتبعوه وأغَذُّوا السير فأدركوه مساءَ الليلة الثانية ، فصاحوا به وكان من أرمَى الناس فامتنع منهم بالنَّبْل حتى حال الليل

1 الحملان : دواب الحمل .

2 ل : وهم متبدون . ومنتدون أي مجتمعون .

3 نسبة إلى امرىء القيس .

4 اغتفله : انتهز منه غفلة .

بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مَرْجِعِ[1] كتفَيه بسهم فلمّا أجنَّه الليل مات وأفلت الرامي ، فرجعوا وقد قَتل زيد بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب .

[تولي حماد بن زيد الكتابة للنعمان الأكبر]

فمكث حماد في أخواله حتى أيفع ولحِق بالوُصفاء ؛ فخرج يوماً من الأيّام يلعب مع غلمان بني لحيان فلَطَم اللّحيانيُّ عين حماد فشجّه حمّادٌ ، فخرج أبو اللحيانيّ فضرب حمّاداً ، فأتى حمّادٌ أُمَّه يبكي ، فقالت له : ما شأنك ؟ فقال : ضربني فلان لأنّ ابنه لطمني فشججتُه ، فجزِعَت من ذلك وحوّلته إلى دار زيد بن أيوب وعلّمته الكتابة في دار أبيه ، فكان حمّاد أوّل من كتب من بني أيّوب ، فخرج من أكتب الناس وطُلِبَ حتى صار كاتبَ الملكِ النُّعمان الأكبر ، فلبِث كاتباً له حتى وُلد له ابن من امرأة تزوّجها من طيىء فسمّاه زيداً باسم أبيه .

[سبب اتصال زيد بن حماد بكسرى]

وكان لحمّاد صديق من الدّهاقين[2] العظماء يقال له فرّوخ ماهان ، وكان مُحسناً إلى حمّاد ، فلمّا حضرَت حمّاداً الوفاة أوصى بابنه زيدٍ إلى الدّهقان ، وكان من المَرازِبة[3] ، فأخذه الدّهقان إليه فكان عنده مع ولده ، وكان زيدٌ قد حذَق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدّهقان ، فعلّمه لّما أخذه الفارسيّة فلَقِنَها ، وكان لَبيباً فأشار الدّهقان على كِسرى أن يَجعله على البريد في حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلاّ بأولاد المرازبة ، فمكث يتولّى ذلك لكِسرى زماناً .

[تمليك زيد بن حماد على الحيرة]

ثم إنّ النُّعمان النَّصريّ اللَّخميّ هلكَ ، فاختلف أهلُ الحيرة فيمن يُمَلّكونه إلى أن يعقِد كِسرى الأمر لرجل يُنَصِّبُه ، فأشار عليهم المرزبان بزيد بن حمّاد ، فكان على الحيرة إلى أن مَلَّكَ كِسْرى المُنْذِر بن ماء السماء ونكح زيد بن حمّاد نعمة بنت ثعلبة العَدَوِيّة فولدت له عَدِيّاً ، وملك المنذر وكان لا يعصيه في شيء ، ووُلد للمرزبان ابن فسمّاه «شاهانْ مَرْد» .

[تعلم عديّ بن زيد الكتابة والكلام بالفارسية]

فلمّا تحرّك عديُّ بن زيد وأيفع طرَحَه أبوه في الكُتَّاب ، حتى إذا حَذَقَ أرسله المرزبان مع ابنه «شاهان مَرْد» إلى كُتّاب الفارسية ، فكان يختلِف مع ابنه ويتعلَّم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر ، وتعلَّم الرمي

1 مرجع الكتف : الجانب السفلي منه .

2 الدهاقين وهو جمع دهقان ، وهو رئيس القرية .

3 المرازبة : جمع مرزبان (Satrap) قائد منطقة حدوديّة . والٍ على منطقة ثغرية (حدوديّة) .

بالنُّشّاب فخرج من الأساورة[1] الرُّماة ، وتعلَّم لِعْبَ العجم على الخيل بالصَّوالجة[2] وغيرها .

[اتصاله بكسرى وتوليه الكتابة في ديوانه]

ثم إنّ المرزبان وفَد على كِسرى ومعه ابنه «شاهان مرد» ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السُّور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى بجعل كلّ واحد منقاره في منقار الآخر ، فغضِب كسرى من ذلك ولحِقَته غَيرة ، فقال للمرزبان وابنه : لِيَرمِ كلٌّ واحد منكما واحداً من هذين الطائرين ، فإن قتلتماهما أدخلتُكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ، ومَن أخطأ منكما عاقبته ؛ فاعتمد كلٌّ واحد منهما طائراً منهما ورَمَيا فقتلاهما جميعاً ، فبعثهما إلى بيت المال فمُلئت أفواههما جوهراً ، وأثبت «شاهان مرد» وسائر أولاد المرزبان في صَحابته ؛ فقال فرُّوخ ماهان عند ذلك للملك : إنّ عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخَلَّفَه في حِجري[3] فربَّيته ، فهو أفصحُ الناس وأكتبهم بالعربيّة والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله ، فإن رأى أن يُثبِته في وَلَدِي فعلَ ؛ فقال : ادعه ، فأرسل إلى عديّ بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحُسن ، وكانت الفُرس تتبرّك بالجميل الوجه ، فلمّا كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرهم جواباً ، فرغِب فيه وأثبته مع ولد المرزبان .

[عديّ أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى]

فكان عديّ أوّل من كتب بالعربية في ديوان كِسرى . فرغِب أهلُ الحيرة إلى عديّ ورهِبوه ، فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذَن له عليه في الخاصّة وهو معجبٌ به قريبٌ منه ، وأبوه زيد بن حمّاد يومئذ حيّ إلاّ أنّ ذِكر عديّ قد ارتفع وخَمَلَ ذكرُ أبيه ، فكان عديّ إذا دخل على المنذر قام جميعُ مَن عنده حتى يقعد عديّ ، فعَلا له بذاك صِيت[4] عظيمٌ . فكان إذا أراد المُقام بالحيرة في منزله ومع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقلّ .

[إرسال كسرى له إلى ملك الروم]

ثم إنّ كسرى أرسل عديَّ بن زيد إلى ملِكِ الروم بهديّةٍ من طُرَفِ ما عنده ، فلمّا أتاه عديّ بها أكرمه وحمله إلى عُمَّاله على البريد ليُريه سَعةَ أرضه وعظيم[5] مُلكِه ، وكذلك كانوا يصنعون ؛ فمن ثَمَّ وقع عديّ بدمشق ، وقال فيها الشعر . فكان مما قاله بالشام وهي أوّل شعر

1 الأساورة جمع أسوار وهو الفارس الحاذق في الرمي .

2 الصوالجة جمع صولجان ، عصا معقوفة ، يلعب بها بالكرة اللاعب وهو على ظهر الفرس (Polo) .

3 ل : وخلّفه عندي .

4 ل : صوت وهي بمعنى «صيت» .

5 ل : وعظم .

قاله فيما ذكر[1] : [من الخفيف]

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ مِنْ دُو مَـةَ أشْهى إليّ مِنْ جَيرُونِ[2]
ونَدامَـى لا يَفرحـون بما نـا لُوا ولا يرهَبُون صَرْفَ المَنُونِ
قد سُقِيتُ الشَّمُولَ في دار بِشْرٍ قَهْـوَةً مُـزَّةً بمـاء سَخِينِ

ثم كان أوّل ما قاله بعدها قولُه[3] : [من الرمل]

لِمَـنِ الدارُ تَعفَّـتْ بخِيَمْ أصبحَتْ غيَّرَها طولُ القِدَمْ

[وفي غير هذه الرواية لمن الدار تبدت . . . .][4] :

ما تَبِينُ العين مـن آياتهـا غيرَ نُؤْيٍ مثل خـطٌ بالقَلَمْ
صالحاً قد لفَّها فاستوسَقَتْ لفَّ بازيٍّ حَماماً في سَلَمْ[5]

[تولية أهل الحيرة زيداً أبا عديّ على الحيرة]

قال : وفسد أمرُ الحِيرة وعديّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم ، لأنّ أهلَ الحيرة حين كان عليهم المنذرُ أرادوا قتلَه لأنّه كان لا يعدل فيهم ، وكان يأخذ من أموالهم ما يُعجبه ، فلمّا تيقّن أنّ أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب ، وكان قبلَه على الحيرة ، فقال له : يا زيدُ أنتَ خليفةُ أبي ، وقد بلغني ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة فلا حاجة لي في مُلكِكُم ، دونكموه مَلّكوه مَن شئتم ؛ فقال له زيد : إنّ الأمر ليس إليّ ، ولكنّي أسبُرُ[6] لك هذا الأمر ولا آلُوك نصحاً ، فلمّا أصبح غدا إليه الناس فحَيَّوْه تحيّة الملك ، وقالوا له : ألا تَبعَثُ إلى عبدك الظالِم ، يَعنون المنذر ، فتُريح منه رعيَّتك ؟ فقال لهم : أوَلا خيرٌ من ذلك ! قالوا : أشِرْ علينا ؛ قال : تَدَعُونه على حاله فإنّه من أهل بيت مُلكٍ ، وأنا آتيهِ فأُخبره أنّ أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الحيرة إليه إلاّ أن يكون غزوٌ أو قتالٌ ، فلك اسم المُلك وليس إليك سوى ذلك من الأمور ؛ قالوا : رأْيُك أفضل . فأتى المنذر فأخبره بما قالوا ؛ فقَبِل ذلك وفَرِح ، وقال : إنّ لك يا زيد عليّ نعمةً لا أكفُرُها ما عرفتُ حَقَّ سبد ، وسبد صنم كان لأهل الحيرة ؛ فولّى أهلُ الحيرة زيداً على كلّ شيء سوى اسم المُلك فإنّهم أقرّوه للمنذر . وفي

1 ديوان عدي : 186 ، وانظر معاهد التنصيص 1 : 318 .
2 دومة : قرية من قرى الغوطة . جيرون : دمشق أو أحد أبوابها .
3 ديوان عدي : 73 .
4 زيادة من ل .
5 استوسقت : اجتمعت . السلم : نوع من الشجر .
6 أسبر : أختبر وأتفحّص .

ذلك يقول عديّ : [من الرمل]

نحــن كنّا قــد علِمتُمْ قبلَكُمْ عَمَـدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ[1]

[قدوم عديّ للحيرة وخروج المنذر للقائه]

قال : ثم هلك زيدٌ وابنُه عديّ يومئذٍ بالشام . وكانت لزيدٍ ألفُ ناقةٍ للحَمالات[2] كان أهلُ الحيرة أعطوه إيّاها حين ولَّوْه ما ولَّوْه ، فلمّا هلك أرادوا أخذَها ؛ فبلغ ذلك المنذر ، فقال : لا ، واللاَّت والعُزَّى لا يؤخذ ممّا كان في يد زيدٍ ثُفْرُوقٌ[3] وأنا أسمعُ الصَّوتَ .

ففي ذلك يقول عديّ بن زيد لابنه النُّعمان بن المنذر : [من الرمل]

وأبــوكَ المــرءُ لم يُشْنَأْ بـــه يومَ سِيمَ الخَسْفَ منّا ذو الخَسارِ[4]

قال : ثم إنّ عدياً قَدِم المدائن على كسرى بهديَّةِ قيصَر ، فصادف أباه والمرزبان الذي ربَّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى في الإلمام بالحِيرة فأَذِن له فتوجَّه إليها ، وبلغ المنذر خبرُه فخرج فتلقّاه في الناس ورجع معه . وعديّ أنبلُ أهل الحيرة في أنفسهم ، ولو أراد أن يُملّكوه لملّكوه ، ولكنّه كان يُؤْثِرُ الصيد واللّهوَ واللعبَ على المُلك ، فمكث سنين[5] يبدو في فَصْلَي السنة فيقيم في جفير ويشتُو بالحيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدُم كسرى ، فمكث كذلك سنين ، وكان لا يؤثر على بلاد بني يَربوع مَبدًى من مَبادي العرب ولا ينزل في حيّ من أحياء بني تميم غيرهم ، وكان أخِلاّؤه من العرب كلّهم بني جعفر ، وكانت إبله في بلاد بني ضَبَّة وبلاد بني سعد ، وكذلك كان أبوه يفعل : لا يجاوز هذين الحيَّين[6] بإبله .

[زواجه من هند بنت النعمان]

ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي يومئذٍ جاريةٌ حين بلغَتْ أو كادت . وخبرُه يذكر في تزويجها بعد هذا .

قال ابن حبيب وذكر هشام بن الكلبيّ عن إسحاق بن الجَصَّاص وحَمَّاد الراوية وأبي محمد بن السائب قالوا : كان لعديّ بن زيد أخوان : أحدهُما اسمه عَمّار ولقبُه أُبَيّ ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سُمَيّ ، وكان لهم أخ من أمّهم يقال له عديّ بن حنظلة من طيىء ، وكان أُبيّ

1 الإصار : طنب الخيمة .
2 الحمالة : الدية .
3 الثفروق : قمع البسرة والثمرة ، يقال للشيء إذا كان تافهاً .
4 لم يشنأ به : لم يواجه بالكراهية . ذو الخسار في ل : بخسار .
5 ل : سنتين .
6 ل : هاتين القبيلتين .

يكون عند كسرى ، وكانوا أهلَ بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة ، ولهم معهم أُكْلٌ[1] وناحيةٌ ، يُقطِعُونَهم القطائعَ ويُجزِلُونَ صِلاتهم .

[المنذر يعهد بابنه النعمان إلى عديّ]

وكان المنذر لما ملك جعل ابنَه النعمان بن المنذر في حِجر عديّ بن زيد ، فهم الذين أرضعوه وربَّوْه ، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له «الأسود» ، أُمّهُ ماريةُ بنت الحارث بن جُلْهُم من تَيْم الرّباب ، فأرضعه وربّاه قومٌ من أهل الحيرة يقال لهم بنو مَرِينا ينتسبون إلى لَخْمٍ وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ ، وكان وَلَدُه يقال لهم «الأشاهب»[2] من جمالهم ، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة : [من الخفيف]

وبنو المنـذرِ الأشاهبُ في الحِيْـ ـرَةِ يمشونَ غُدْوةً كالسيوفِ

[سعي عديّ بن زيد في ولاية النعمان بن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عديّ بن مرينا]

وكان النعمان من بينهم أحمَرَ أبرش[3] قصيراً ، وأُمّه سَلمى بنت وائل بن عطيّة الصائغ من أهل فَدَكَ ، فلمّا احتُضِرِ المنذر وخلَّف أولاده هؤلاء العشرة ، وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر ، أوصى بهم إلى إياس بن قَبِيصة الطَّائيّ ، وملَّكه على الحيرة إلى أن يَرى كِسرى رأيَهُ ، فمكث مُملَّكاً عليها أشهُراً وكِسْرى في طلب رجل يُملّكه عليهم ، وهو كسرى بن هُرْمُزَ ، فلم يجد أحداً يَرضاه فضَجِرَ ، فقال : لأبعثنّ إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأَساورة ، ولأُمَلّكنَّ عليهم رجلاً من الفُرس ، ولآمرنَّهم أن ينزلوا على العرب في دُورهم ويَملِكوا عليهم أموالهم ونساءهم ، وكان عديُّ بن زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحك يا عديُّ : مَن بقي من آل المنذِر ؟ وهل فيهـم أحدٌ فيه خيرٌ ؟ فقال : نعم أيّها الملك السعيد ، إنّ في ولد المنذر لبقيّةً وفيهم كلِّهم خيرٌ ؛ فقال : ابعث إليهم فأحضِرْهم ، فبعث عديٌّ إليهم فأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده ، ويقال : بل شَخَص عديّ بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم ، ثم قَدِم بهم على كسرى . قال : فلمّا نزلوا على عديّ بن زيد أرسل إلى النعمان : لستُ أُملِّكُ غيرك فلا يُوحشنَّكَ ما أُفَضِّلُ به إخوتَكَ عليك من الكرامة فإنّي إنّما أغترُّهم بذلك ، ثم كان يُفَضِّلُ إخوته جميعاً عليه في النُّزُلِ والإكرام والملازمة ويُرِيهِم تنقُّصاً للنُّعمان وأنّه غير طامعٍ في تمام أمر على يده ، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول : إذا أدخلتُكم على المِلكِ فالبَسُوا أفخر ثيابكم وأجملها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطؤوا في الأكل وصَغِّروا اللُّقَمَ ونَزِّرُوا ما تأكلون ، فإذا قال

---

1 أُكل : رزق .

2 سمّوا بذلك لبياضهم أو لجمالهم .

3 أبرش : أرقط ، في وجهه بقع بيضاء وأُخرى غير ذلك .

لكم : أَتَكْفُونَنِي العربَ ؟ فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد ، أَتَكْفُونَنِيه ؟ فقولوا : لا ، إنّ بعضَنا لا يقدر على بعض ، لِيَهابكم ولا يَطمَعَ في تَفرّقكم ويعلم أنّ للعرب مَنَعةً وبأساً فقَبِلوا منه ؛ وخلا بالنعمان فقال له : البَسْ ثيابَ السفر وادخُل مُتقلِّداً بسيفك ، وإذا جلستَ للأكل فعظِّم اللُّقَمَ وأسرع المضغَ والبلعَ وزِدْ في الأكل وتجوَّعْ قبل ذلك ، فإنّ كسرى يُعجبه كثرةُ الأكل من العرب خاصّةً ، ويَرى أنّه لا خير في العربيّ إذا لم يكن[1] أكولاً شَرِهاً ، ولا سيّما إذا رأى غيرَ طعامه وما لا عَهْد له بمثله ، وإذا سألكَ هل تكفيني العربَ ؟ فقل : نعم ، فإذا قال لك : فَمنْ لي بإخوتكَ ؟ فقل له : إن عجزتُ عنهم فإنّي عن غيرهم لأَعْجَزُ . قال : وخلا ابنُ مَرينا بالأَسْوَد فسأله عمّا أوصاه به عديّ فأخبره ، فقال : غَشَّكَ والصليبِ والمعموديّةِ وما نَصَحَك ، ولئن أطَعتَني لتُخالفنَّ كلَّ ما أَمركَ به ولتُملَّكنّ ، ولئن عصيتَني ليُملَّكَنّ النعمان ولا يغرنَّك ما أراكَه من الإكرام والتفضيل على النعمان ؛ فإنّ ذلك دهاء فيه ومكر ، وإنّ هذه المَعَدِّيَّة لا تخلو من مكرٍ وحيلةٍ ؛ فقال له : إنّ عدياً لم يألُني نصحاً وهو أعلم بكِسرى منك ، وإن خالفتُه أوحشتُه وأفسد عليّ وهو جاء بنا ووصَفَنا وإلى قوله يرجع كسرى ؛ فلمّا أَيِسَ ابنُ مَرينا من قبوله منه قال : ستعلمُ . ودعا بهم كسرى ، فلمّا دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكمالُهم ورأى رجالاً قَلَّما رأى مثلَهم ، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عديّ ، فجعل ينظر إلى النعمان من بينهم ويتأمّلُ أَكله ، فقال لعديّ بالفارسية : إن يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا ، فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجلاً رجلاً فيقولُ له : أتكفِيني العربَ ؟ فيقول : نعم أَكْفِيكَها كلَّها إلاّ إخوتي ، حتى انتهى إلى النعمان آخرهم فقال له : أتكفيني العربَ ؟ قال : نعم ؛ قال : كلّها ؟ قال : نعم ؛ قال : فكيف لي بإخوتك ؟ قال : إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجزُ ؛ فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستّون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهبُ .

[توعد عديّ بن مرينا لعديّ بن زيد]

فلمّا خرج وقد مُلِّك قال ابن مرينا للأسود : دونك عُقْبى خلافِك لي ؛ ثم إنّ عديّاً صنع طعاماً في بِيعةٍ وأرسل إلى ابن مرينا أن ائتِني بمن أحببتَ فإنّ لي حاجة ، فأتى في ناس فتغدَّوْا في البيعة ؛ فقال عديُّ بن زيد لابن مرينا : يا عديّ ، إنّ أحقَّ مَن عرفَ الحقَّ ثم لم يَلُم عليه مَن كان مثلكَ ، وإنّي قد عرفتُ أنّ صاحبَك الأسودَ بن المنذر كان أحبّ إليك أن يُملَّك من صاحبي النعمان ، فلا تلُمني على شيء كنتَ على مثله ، وأنا أُحِبُّ ألاّ تَحقِدَ عليّ شيئاً لو قدَرتَ عليه ركبتَه ، وأنا أُحِبُّ أن تُعطِيني من نفسك ما أُعطيكَ من نفسي ، فإنّ نصيبي في

---

1 ل : إلاّ أن يكون . .

هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك ؛ وقام إلى البِيعة فحلف ألاّ يَهجوه أبداً ولا يَبغِيَه غائلةً ولا يَزْوِيَ عنه خيراً أبداً . فلمّا فرغ عديُّ بن زيد ، قام عديُّ بن مرينا فحلف مثل يمينه ألاّ يزال يهجوه أبداً ويَبغِيه الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة ، فقال عديُّ بن مرينا لعديّ بن زيد : [من الوافر]

ألا أبلغ عديّاً عن عديٍّ　　فلا تجزَعْ وإن رَثَّتْ قُواكا
هياكلُنا تَبَرُّ لغير فَقْرٍ　　لِتُحمَدَ أو يَتِمَّ به غِناكا
فإن تظفَرْ فلم تظفَر حميداً　　وإن تَعطَبْ فلا يَبْعَدْ سِواكا
نَدِمتَ نَدامَةَ الكُسَعِيّ لمّا　　رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكا[1]

[تدبير عديّ بن مرينا المكيدة لعديّ بن زيد]

قال : ثم قال عديُّ بن مرينا للأسود : أما إذا لم تظفَر فلا تعجزَنَّ أن تطلبَ بثأرك من هذا المَعَدِّيّ الذي فعل بكَ ما فعل ، فقد كنتُ أُخبِرُكَ أنّ مَعَدّاً لا ينام كيدُها ومكرها وأمرتُكَ أن تعصِيَه فخالفتَني ؛ قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألاّ تَأتيَكَ فائدةٌ من مالك وأرضك إلاّ عَرَضتَها عليّ ، ففعلَ . وكان ابنُ مرينا كثيرَ المال والضَّيعةِ ، فلم يكن في الدهر يومٌ يأتي إلاّ على باب النعمان هديّةٌ من ابن مرينا ، فصار من أكرمِ الناس عليه حتى كان لا يَقضِي في ملكه شيئاً إلاّ بأمر ابن مرينا ، وكان إذا ذُكِر عديُّ بنُ زيد عند النعمان أحسنَ الثناءَ عليه وشيَّع ذلك بأن يقول : إن عديَّ بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمَعَدِّيُّ لا يصلح إلاّ هكذا . فلمّا رأى مَن يُطِيفُ بالنعمان منزلةَ ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يَثِق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عديّاً عند الملك بخير فقولوا : إنّه لكذلك ، ولكنّه لا يَسلَم عليه أحدٌ ، وإنّه ليقول : إنّ الملكَ ، يعني النعمان ، عاملُه ، وإنّه هو ولاّه ما ولاّه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضْغَنوه عليه ، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرَمانٍ[2] له ثم دسّوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتَوْا به النعمانَ فقرأه فاشتدّ غضبُه ، فأرسل إلى عديّ بن زيد : عزمتُ عليك إلاّ زُرْتَنِي فإنّي قد اشتقتُ إلى رؤيتك ، وعديٌّ يومئذٍ عند كسرى ، فاستأذَن كسرى فأَذِنَ له .

[حبس النعمان لعديّ بن زيد وما خاطب به عديّ النعمان من الشعر]

فلمّا أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبِسٍ لا يدخل عليه فيه أحدٌ ، فجعل عديٌّ يقول

1 الكسعي : رجل من كسع ، كان رامياً ، فرمى عيراً في الظلام فأصابه ، وهو يحسب أنّه أخطأه ، فكسر قوسه ، فلمّا رأى العير مقتولاً ندم ؛ فضرب به المثل في الندامة .
2 القهرمان : الخازن أو الوكيل .

الشعر وهو في الحبس ، فكان أوّل ما قاله وهو محبوس من الشعر[1] : [من الخفيف]

ليتَ شِعْرِي عن الهمام ويأتيـ ـكَ بخُبْرِ الأنباء عطفُ السُّؤَالِ
أين عنّا إخطارُنا المالَ والأنْـ ـفُسَ إذ ناهَدُوا لِيـومِ المِحالِ[2]
ونِضالِي في جنبكَ الناسَ يرمُو نَ وأَرْمِـي وكُلُّنـا غَيرُ آلِي[3]
فأُصيبُ الذي تُريد بـلا غِشٍّ وأُربِـي عليهِـمُ وأُوالِـي
ليتَ أنّي أخذتُ حَتْفِي بكَفِّيّ ولم ألْـقَ مِيتَـةَ الأَقْتَالِ[4]
مَحَلوا مَحلَهُـمْ لصَرْعَتِنا العا مَ فقد أوقَعُوا الرحَى بالثِّفالِ[5]

وهي قصيدة طويلة . قالوا : وقال أيضاً وهو محبوس[6] : [من الوافر]

أرِقْـتُ لمكفَهِـرٍّ بـات فيـه بَـوارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤوسَ شِيبِ[7]
تَلُـوحُ المَشرَفِيَّـةُ في ذُراه ويجلـو صفحَ دَخدارٍ قَشيبِ

ويروى : تخالُ المشرفيّةُ . الدخدار : فارسية معرّبة وهو الثوب المصون . يقول فيها : [من الوافر]

سعـى الأعداءُ لا يألون شرّاً عليّ وربِّ مكّـةَ والصليبِ
أرادوا كـي تُمهَّلَ عـن عَديٍّ ليسجَن أو يُدهْدَه في القَلِيبِ[8]
وكنتُ لِزازَ خَصمِكَ لم أُعَرِّدْ وقد سَلَكوكَ في يومٍ عصيبِ[9]
أُعالِنُهـمْ وأُبطِـنُ كلّ سرٍّ كما بينَ اللحاء إلى العَسِيبِ
فَفُـزْتُ عليهـمُ لمّـا التَقَينـا بتاجِكَ فوزَةَ القِدْح الأَرِيبِ[10]

1 الأبيات في ديوانه : 56 (وأكثرها عن الأغاني) .
2 الاخطار للمال والنفس : بذلهما . ناهدوا في الحرب : نهض بعضهم إلى بعض . المحال : (بكسر الميم) : المكر وإعمال الحيلة .
3 غير آلي : غير مقصّر .
4 الأقتال (هنا) الأعداء .
5 الثفال : الجلد يفرَش تحت الرحى ، ويسمّى به أيضاً الحجر الأسفل من الرحى .
6 الشعر في ديوان عدي : 37 .
7 المكفهرّ (هنا) صفة للسحاب . رؤوس شيب : أي رؤوس جبال مبيضّة بما يعلوها من ثلج .
8 يدهده : يدحرج ؛ القليب : البئر .
9 لزاز الخصم : لازم للخصم ؛ لا يعرّد : لا يحيد .
10 القدح : سهم الميسر ؛ الأريب : الفائز .

وما دَهْرِي بأن كُدِّرتُ فضلاً ولكن ما لقيتُ من العَجيبِ[1]
ألا مَــن مُبلِــغُ النعمانِ عنّي وقد تُهــدى النَّصيحةُ بالمغِيبِ
أحَظّــي كان سِلْسِلةً وقَيْــداً وغُــلاً والبيانُ لــدى الطبيبِ
أتــاكَ بأنّني قــد طالَ حبسي ولم تَسأم بمسجونٍ حَرِيبِ[2]
وبَيْتِـــي مُقْفِــــرٌ إلاّ نساءً أراملَ قــد هَلَكْنَ من النّحِيبِ
يُبادِرْنَ الدموعَ على عَــديٍّ كَشَنٍّ خانَه خَــرْزُ الرَّبيبِ[3]
يُحــاذِرْنَ الوُشاةَ على عــدِيّ وما اقترفُوا عليه من الذُّنوبِ
فإنْ أخطأتُ أو أوهمْتُ أمــراً فقــد يهِــمُ المصافي بالحبيبِ
وإن أَظْلِــمْ فقــدِ عاقبتُمــوني وإن أُظلَــمْ فذلِكَ من نصيبِي
وإن أهلِكْ تجدْ فَقدِي وتُخذَلْ إذا التَقتِ العَوالِي في الحروبِ
فهل لــكَ أن تَدارَكَ ما لدينا ولا تُغْلَــبْ على الرأيِ المصيبِ
فإنّي قــد وكَلْتُ اليومَ أمــري إلى ربٍّ قريــــبٍ مستجيبِ

قالوا : وقال فيه أيضاً[4] : [من الرمل]

طــال ذا الليــلُ علينا واعتكَرْ وكأنّي نــاذرُ الصبــحِ سَمَرْ
مِنْ نجــيّ الهــمّ عندي ثاويــاً فــوقَ مــا أُعْلِنُ منــه وأُسِرّ
وكأنّ اللّيـــلَ فيـــه مثلُــه ولَقِدْماً ظُــنَّ بالليــلِ القِصَرْ
لم أُغَمِّضْ طولَــه حتى انقضى أتمنّى لــو أرى الصُّبحَ جَشَرْ[5]
غير مــا عِشقٍ ولكن طــارقٌ خلَسَ النومَ وأجدانِــي السَّهَرْ

وفيها يقول : [من الرمل]

أبلِــغِ النُّعمــانَ عَنِّــي مَــأْلُكاً قولَ مَنْ قد خافَ ظَنّاً فاعتذَرْ[6]

1 ما دهري بأن كدرت : ما رغبتي بأن أكون كُدّرت .
2 الحريب : المحروب الذي سلب ماله .
3 الشنّ : الجلد الخلق . الربيب : الذي يصلح الشيء ولا يفسده .
4 الديوان : 59 ومنها أبيات في تاريخ الطبريّ 2 : 198 ومعاهد التنصيص 1 : 319 .
5 جشر الصبح : طلع .
6 مألكاً : رسالة .

أنّنِي واللهِ ، فاقبَلْ حَلِفِي ... لأَبِيلٌ كُلَّما صَلَّى جَأَرْ[1]
مُرْعَدٌ أحشاؤُه في هَيكَلٍ ... حَسَنٍ لِمتُه وافِي الشَّعَرْ
ما حَمَلْتُ الغِلَّ مِنْ أعدائِكم ... ولَدى اللهِ مِنَ العِلْمِ المُسَرّ
لا تكونَنَّ كآسي عَظْمِه ... بأسىً حتى إذا العَظْمُ جَبَرْ[2]
عادَ بعدَ الجَبْرِ يَبْغِي وَهْنَهُ ... يَنْحُوَنَّ المَشيَ مِنه فانكَسَرْ
واذْكُرِ النُّعمى التي لم أنسَها ... لكَ في السَّعي إذا العبدُ كَفَرْ

وقال له أيضاً ، وهي قصيدة طويلة[3] : [من الرمل]

أبلِغِ النُّعمانَ عنّي مَأْلُكاً ... أنّه قد طال حَبسِي وانتِظارِي
لو بغير الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كنتُ كالغَصَّان بالماءِ اعتِصارِي[4]
ليتَ شِعري عن دخيلٍ يفترِي ... حيثما أدركَ لَيلي ونهارِي
قاعِداً يكرُبُ نفسي بَثُّها ... وحراماً كان سِجْني واحتِصارِي
أَجْلَ نُعمى ربَّها أوَّلُكُمْ ... ودُنُوّي كان مِنكم واصْطِهارِي[5]

[رواية المفضل الضبي في سبب حبس النعمان عديّ بن زيد]

في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها إليه فلا تُغنِي عنده شيئاً . (هذه رواية الكلبيّ) . وأمّا المفضَّل الضَّبِّيّ فإنّه ذكر أنّ عديّ بن زيد لمّا قدم على النعمان صادفه لا مالَ عنده ولا أثاث ولا ما يَصلُح لِمَلِكٍ ؛ وكان آدم إخوته مَنظَراً وكلُّهم أكثر مالاً منه ؛ فقال له عديّ : كيف أصنعُ بكَ ولا مال عندك ؟ فقال له النعمان : ما أعرِف لك حيلةً إلاّ ما تعرفه أنت ؛ فقال له : قم بنا نَمْضِ إلى ابن قَرْدس ، رجلٍ من أهل الحِيرة من دُومةَ ؛ فأتياه ليقترضا منه مالاً ، فأبى أن يُقرِضَهما وقال : ما عندي شيء ، فأتَيا جابر بن شمعون وهو الأسقفّ أحد بني الأَوس بن قلاّم بن بطين [ابن الأوس][6] بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب فاستقرضا منه مالاً ، فأنزلهما

1 حلفي لأبيل في ل : حلفتي بأبيل . والأبيل : الراهب .
2 آسي : مداوي . الأسى : العلاج .
3 ديوان عديّ : 93–94 .
4 هذا قد ذهب مثلاً . إنّ المرء إذا شرق باللقمة حدرها بشرب الماء ، فماذا يفعل إذا شرق بالماء نفسه ؟! وهو مثل للأذى الحاصل ممّن يرجى نفعه (انظر المثل 3290 في الميدانيّ) .
5 أجل أن : من أجلِ أن . ربّها : تعهدها ونمّاها ؛ قيل : ربُّ الصداقة أصعب من إنشائها .
6 زيادة من ل .

عنده ثلاثة أيام يذبح لهم ويَسقِيهم الخمر ، فلمّا كان في اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان ؟ فقال له عديّ : تُقرِضُنا أربعين ألف درهم يستعين بها النعمان على أمره عند كسرى ؛ فقال : لكما عندي ثمانون ألفاً ، ثم أعطاهما إيّاها ؛ فقال النعمان لجابر : لا جرم لا جرى لي درهمٌ إلاّ على يديك إن أنا ملكت . قال : وجابر هو صاحب القَصْر الأبيض بالحِيرة ، ثم ذكر من قصّة النعمان وإخوته وعديّ وابن مَرينا مثلَ ما ذكره ابن الكلبيّ . وقال المفضَّل خاصّةً : إنّ سبب حبس النعمان عديَّ بن زيد ، أنّ عديّاً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان ، وسأله أن يركب إليه ويتغدّى عنده هو وأصحابه ، فركب النعمانُ إليه فاعترضه عديّ ابن مرينا فاحتبسه حتى تغدّى عنده هو وأصحابه وشربوا حتى ثمِلوا ، ثم ركب إلى عديّ ولا فَضْلَ فيه ، فأحفظه[1] ذلك ، ورأى في وجه عديّ الكراهة ، فقام فركب ورجع إلى منزله ؛ فقال عديّ بن زيد في ذلك من فعل النعمان : [من مجزوء الكامل]

أحَسِبْتَ مجلِسَنا وحُسْـ ـنَ حديثِنا يُودِي بمالِكْ
فالمـالُ والأهلـونَ مصْـ ـرَعَةٌ لأمرِكَ أو نَكالِكْ
مـا تأمُرَنْ فينـا فأمـ ـرُكَ في يمينك أو شِمالِكْ[2]

قال : وأرسل النعمانُ ذات يوم إلى عديّ بن زيد فأبى أن يأتيه ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، وقد كان النعمان شَرِب فغضِب وأمر به فسُحِبَ من منزله حتى انتُهِي به إليه ، فحبسه في الصِّنّيْنِ[3] ولجّ في حبسه وعديّ يرسل إليه بالشعر ، فممّا قاله له[4] : [من الخفيف]

ليسَ شيءٌ على المنـونِ بباقِ غيرُ وجـه المسبِّح الخَلاّقِ
إن نَكُنْ آمِنـينَ فاجأنا شَـ ـرٌّ مُصيبٌ ذا الوُدِّ والإشفاقِ
فبريءٌ صدرِي من الظلم للرَّ بّ وحِنثٍ بِمُعْقَـدِ الميثاقِ
ولقـد ساءني زيـارةُ ذي قُرْ بَـى حبيبٍ لوُدّنـا مُشتاقِ
ساءه مـا بنـا تبيَّنَ في الأيـ ـدِي وإشناقُهـا إلى الأعناقِ
فاذهبِي يـا أُمَيم غيرَ بعيـدٍ لا يُؤاتي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ[5]

1 أحفظه : غاظه ، ولد لديه حفيظة .
2 تأمُرن في ل : ما تأتمر .
3 الصنين : موضع بظاهر الكوفة ينزل فيه المنذر .
4 ديوان عديّ : 150-151 وانظر ابن سلام : 118 .
5 يا أميم في ل : يا أمِّي .

واذهَبي يـا أُمَيـمَ إن يشأ اللهُ يُنفِّسْ مِن أَزْمِ هذا الخِناقِ[1]
أو تَكنْ وُجهَةٌ فتلكَ سبيلُ النـ ـاس لا تَمنعُ الحتوفَ الرَّواقي

ويقول فيها : [من الخفيف]

وتقول العُـداةُ أودى عـديٌّ وبنـوه قـد أيقنـوا بغَلاقِ[2]
يـا أبـا مُسْهِرٍ فأبلِغْ رسولا إخوتي إن أتيتَ صَحْنَ العِراقِ
أبلِغـا عامـراً وأبلِـغْ أخـاه أنّنِـي مُوثـقٌ شديـدٌ وَثاقِي[3]
في حديد القِسْطاس يرقُبني الحا رسُ والمرءُ كلَّ شيءٍ يُلاقِي[4]
في حديـدٍ مُضاعَف وغُلُولٍ وثيـابٍ مُنَضَّحـاتٍ خِلاقِ[5]
فاركبُوا في الحرام فُكُّوا أخاكم إنّ عِيراً قـد جُهِّزَتْ لانطِلاقِ

يعني الشهرَ الحرام . قالوا جميعاً : وخرج النعمانُ إلى البحرين ، فأقبل رجل من غسَّانَ فأَصاب في الحِيرة ما أَحب ؛ ويقال : إنّه جَفْنة بن النُّعمان الجَفْنِيّ ، فقال عديّ بن زيد في ذلك[6] : [من الوافر]

سما صَقْرٌ فَأَشْعَلَ جانِبَيْها وألهاكَ المروَّحُ والعَزِيبُ

المروَّح : الإبل المروَّحة إلى أعطانها . والعَزِيب : ما تُرِكَ في مراعيه .

وثَبْنَ لدى الثَّوِيةِ مُلْجَماتٍ وصبَّحنَ العِبادَ وهنَّ شِيبُ[7]
ألا تلـكَ الغَنِيمةُ لا إفالٌ تُرَجِّيها مُسَوَّمَـةٌ ونِيبُ[8]
تُرجِّيهـا وقـد صابَـتْ بِقُرٍّ كما ترجُـو أصاغِرَها عَتِيبُ

[لما طال سجنه كتب إلى أخيه في ذلك شعراً فأجابه]

وقالوا جميعاً : فلمّا طال سجنُ عديّ بن زيد كتب إلى أخيه أُبَيّ وهو مع كسرى بهذا

---

1 يا أميم في ل : يا أُمِّي . الأزم : الضّيق والشدّة .
2 الغلاق : إسلام القاتل إلى وليّ أمر المقتول .
3 وثاقي في ل : الوثاق .
4 حديد القسطاس : حديد القبّان .
5 منضحات في ل : موذحات (أي قذرات ، علق بها وزح) .
6 ديوان عديّ : 114 .
7 الثوية : موضع قريب من الكوفة ؛ والضمير في وثبن يعود إلى الخيل . العباد : نصارى الحيرة .
8 الإفال : صغار الإبل والمفرد أفيل . ترجيها في ل : تزجيها . النيب : النوق المسنّة .

الشعر[1] : [من المتقارب]

أبلِـغْ أُبَيّـاً على نأيِــهِ وهل ينفعُ المرءَ ما قد عَلِمْ
بأنّ أخـاكَ شقيقَ الفُـؤا دِ كنتَ بـه واثقاً ما سَلِمْ
لَدى مَلِكٍ مُوثَـقٌ في الحديـ ـدِ إمّـا بحـقّ وإمّـا ظُلِمْ
فلا أَعْرِفَنْكَ كذات الغلا م مـا لم تجِدْ عارِماً تَعْتَرِمْ[2]
فأرضَكَ أرضَكَ إن تأتِنا تَنَمْ نومـةً ليس فيها حلمْ

قال : فكتب إليه أخوه أبيّ : [من الخفيف]

إن يكن خانك الزمانُ فلا عا جزُ بـاعٍ ولا أَلَفَّ ضَعيفُ[3]
ويمـينِ الإله لـو أنّ جَأْوا ءَ طَحُونا تُضيءُ فيها السيوفُ[4]
ذاتَ رِزٍّ مجتابـةً غمـرةَ المو تِ صَحيحٌ سِرْبالُها مكفُوفُ[5]
كنتَ في حَمْيِها لجئتُكَ أسعى فاعلمنْ لو سمعتُ إذ تَستَضِيفُ[6]
أو بمالٍ سألتَ دونكَ لم يُمـ ـنَعْ تِلادٌ لحاجـةٍ أو طَرِيفُ
أو بـأرضٍ أسطِيعُ آتيكَ فيها لم يَهُلْنِي بُعْدٌ بهـا أو مَخوفُ
إن تَفُتْنِي واللهِ إلْفـاً فَجُوعاً لا يُعَقِّبْك ما يَصوبُ الخريفُ
في الأعادي وأنتَ منّي بعيدٌ عــزَّ هـذا الزمـانُ والتعْنِيفُ
ولَعمْرِي لئـن جزعـتُ عليه لجزوعٌ على الصديـق أَسُوفُ
ولَعَمْري لئن ملكـتُ عَزائِي لقليلٌ شَرْواكَ فيمـا أَطُوفُ

[أمر كسرى النعمان بإطلاق عديّ فقتله]

قالوا جميعاً : فلمّا قرأ أُبيّ كتاب عديّ قام إلى كسرى فكلّمه في أمره وعرّفه خبره ؛ فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه ، وبعث معه رجلاً ؛ وكتب خليفة النعمان إليه : إنّه قد كُتِب إليك في أمره . فأتى النعمانَ أعداءُ عديّ من بني بُقَيْلَةَ وهم من غسان ، فقالوا له : اقتُله

1 ديوان عديّ : 164 .
2 صبي عارم : بيّن العرامة أي الحدّة والشدّة ؛ وفي البيت روايات مختلفة .
3 الألفّ : الثقيل البطيء .
4 الجأواء : الكتيبة السوداء (من لبس الدروع) .
5 الرز : الصوت .
6 تستضيف : تستجير .

الساعةَ فأبى عليهم . وجاء الرسول ، وقد كان أخو عديّ تقدّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعديّ فيدخلَ إليه وهو محبوس بالصِّنِّيْنِ ، فقال له : ادخل عليه فانظر ما يأمركَ به فامتثِلْه ، فدخل الرسول على عديٍّ ، فقال لـه : إنّي قد جئتُ بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تُحبُّ ووعَدَه بعِدَةٍ سنيّةٍ ، وقال له : لا تَخرُجَنَّ من عندي وأعطني الكتاب حتى أُرسله إليه ، فإنّك والله إن خرجتَ من عندي لأُقتلَنَّ ، فقال : لا أستطيع إلاّ أن آتي الملك بالكتاب فأوصِّله إليه . فانطلق بعضُ مَن كان هناك من أعدائه فأخبر النعمان أنّ رسولَ كسرى دخل على عديّ وهو ذاهبٌ به ، وإن فعل والله لم يَستَبقِ منّا أحداً أنتَ ولا غيرك ؛ فبعث إليه النعمان أعداءه فغمُّوه حتى مات ثم دفنوه . ودخل الرسول إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه ؛ فقال : نَعَمْ وكرامةً ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجاريةٍ حسناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل أنتَ بنفسك فأَخرِجْه ؛ فلمّا أصبح ركِبَ فدخل السجن ، فأعلمَه الحرس أنّه قد مات منذ أيّامٍ ولم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان ، وقال له : إنّي كنت أمس دخلتُ على عديّ وهو حيّ ، وجئتُ اليوم فَجَحَدني السَّجّان وبهتَنِي[1] ، وذكر أنّه قد مات منذ أيّامٍ . فقال له النعمان : أيبعثُ بكَ الملكُ إليّ فتدخل إليه قبلي ؛ كذبت ، ولكنّك أردتَ الرشوة والخبث ، فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمه ، وتوثّق منه ألاّ يخبر كسرى إلاّ أنّه قد مات قبل أن يقدَمَ عليه . فرجع الرسول إلى كسرى ، وقال : إنّي وجدتُ عديّاً قد مات قبل أن أدخل عليه . وندِم النعمان على قتل عديّ وعرف أنّه احتيل عليه في أمره ، واجترأ أعداؤه عليه وهابَهم هيبةً شديدة .

[مدح النعمان زيد بن عديّ لدى كسرى فاتّخذه كاتباً]

ثم إنّه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعديّ يقال له زيد ، فلمّا رآه عرف شبهَهُ ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عديّ بن زيد ؛ فكلّمه فإذا غلام ظريفٌ ، ففرح به فرحاً شديداً وقرّبه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهّزه ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ عديّاً كان ممّن أُعِينَ به الملكُ في نُصحه ولُبّه ، فأصابه ما لا بدّ منه وانقطعت مُدَّته وانقضى أجله ، ولم يُصَب به أحدٌ أشدّ من مصيبتي ، وأمّا الملك فلم يكن ليَفقِد رجلاً إلاّ جعل الله له منه خَلَفاً لِما عظَّم الله من ملكه وشأنه ؛ وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيته يصلُحُ لخدمة الملِكِ فسرَّحته إليه ، فإن رأى الملِك أن يجعله مكان أبيه فليفعل ، وليصرِف عمَّه عن ذلك إلى عملٍ آخر . وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواصّ أمور الملِكِ . وكانت له من العرب وظيفةٌ موظَّفةٌ في كلّ

---

1 بهته : كذَّبه في وجهه .

سنة : مُهْرانِ أشقرانِ يُجعَلانِ له هُلاماً[1] ، والكَمْأة الرَّطْبةُ في حينها واليابسة والأَقِطُ والأُدْمُ وسائرُ تجارات العرب ؛ فكان زيدُ بن عديّ يلي ذلك له وكان هذا عملَ عديّ . فلمّا وقع زيد بن عديّ عند الملك هذا الموقعَ سأله كسرى عن النعمان ، فأحسنَ الثناءَ عليه . ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذي كان أبوه عليه . وأُعجِبَ به كسرى ، فكان يكثر الدخول عليه والخدمةَ له .

[كيد زيد بن عديّ للنعمان عند كسرى]

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، فكانوا يبعثون في تلك الأَرضِينَ بتلك الصفة ، فإذا وُجِدَت حُمِلَتْ إلى الملك ، غير أنّهم لم يكونوا يطلبونَها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم إنّه بدا للملك في طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتب بها إلى النواحي ، ودخل إليه زيد بن عديّ وهو في ذلك القول ، فخاطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إنّي رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطلَبنَ له وقرأتُ الصفةَ ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمّه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة ؛ قال : فاكتب فيهنّ ؛ قال : أيّها الملك ، إنّ شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصّةً أنّهم يتكرّمون ، زعموا في أنفسهم ، عن العجم ، فأنا أكره أن يُغَيبهنّ عمّن تبعث إليه أو يَعرضَ عليه غيرَهنّ . وإن قدِمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فابعثني وابعثْ معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبّه ؛ فبعث معه رجلاً جَلْداً فَهِماً ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلْطِفُه حتى بلغ الحِيرة ، فلمّا دخل عليه أعظم الملك وقال : إنّه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصِهره فبعث إليك ؛ فقال : ما هؤلاء النِّسوة ؟ فقال : هذه صفتُهنَّ قد جئنا بها . وكانت الصفة أنّ المنذر الأكبر أهدى إلى أَنُوشِرْوانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شَمِرٍ الغَسَّانيّ ، فكتب إلى أَنُوشِرْوان بصفتها ، وقال : إنّي قد وجّهتُ إلى الملك جاريةً معتدلة الخَلْق ، نقيَّة اللون والثغر ، بيضاء قَمراء وَطْفاء[2] كَحْلاء دَعْجاء حَوْراء عَيْناء قَنْواء[3] شَمّاء بَرْجاء[4] زَجّاء[5] أَسيلة الخدّ ، شهيّة المقبَّل ، جَثْلة الشَّعَر[6] ، عظيمة الهامة ،

---

1 الهلام : مرق اللحم المطبوخ بخلّ حين يبرّد ويصفّى .
2 وطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجب .
3 قنواء : مرتفعة أعلى الأنف .
4 برجاء : جميلة الوجه .
5 زجاء : دقيقة الحاجب .
6 جثلة الشعر : ذات شعر كثيف .

بعيدة مَهوى القُرط[1] ، عَيْطاء[2] ، عريضة الصدر ، كاعبَ الثدي ، ضخمة مُشاشِ المَنكِب والعضدِ ، حسنةَ المِعصَم ، لطيفة الكفّ ، سَبْطَة البَنان ، ضامرة البطن ، خَميصة الخَصر ، غَرْثَى الوِشاح[3] ، رَداحَ الإقبال ، رابيةَ الكَفَل ، لَفَّاءَ الفِخذين[4] ، رَيّا الروادِف ، ضخمة المأكِمتَيْن ، مُفعمة الساق ، مُشبَعة الخَلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قَطوفَ المشي[5] ، مِكسال الضُّحى ، بضّة المتجرَّد ، سَمُوعاً للسيّد ، ليست بخَنساء[6] ولا سَفعاء[7] ، رقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تُغَذَّ في بؤسٍ ، حييّةً رَزينةً ، حليمةً رَكينةً ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغني بفصيلتها دون جِماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمورُ في الأدب ، فرأيُها رأيُ أهل الشرف ، وعملُها عملُ أهل الحاجة ، صَناعَ الكفَّين ، قَطِيعة اللسان[8] رَهْوَةَ الصوت[9] ساكنته ، تَزين الوليَّ ، وتَشين العدوَّ ، إن أردتها اشتهت ، وإن تركتها انتهت ، تُحملِقُ عيناها ، وتحمرُّ وجنتاها ، وتَذَبذبُ شفتاها ، وتبادِرُكَ الوثبة إذا قمتَ ، ولا تجلس إلاّ بأمرك إذا جلست . قال : فقبِلَها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز . فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقت عليه ؛ وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مَها السَّواد وعِين فارس ما يبلُغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المَها والعِينُ ؟ فقال له بالفارسية : كاوان أي البقر ؛ فأمسك الرسول . وقال زيد للنعمان : إنّما أراد الملك كرامتَكَ ، ولو علم أنّ هذا يشُقُّ عليكَ لم يكتب إليكَ به . فأنزلهما يومين عنده ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ الذي طلب الملِكُ ليس عندي ، وقال لزيد : اعذِرني عند الملك . فلمّا رجعا إلى كسرى ؛ قال زيدٌ للرسول الذي قَدِم معه : اصْدُقِ الملكَ عمّا سمعتَ ، فإنّي سأحدّثه بمثل حديثك ولا أُخالفكَ فيه . فلمّا دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه إليك ، فقرأه عليه . فقال له كسرى : وأين الذي كنتَ خبّرتني به ؟ قال : قد كنتُ خبّرتكَ بضِنَّتِهم بنسائهم على غيرهم ، وإنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع

1 بعيدة مهوى القرط : كناية عن أنّها طويلة .
2 عيطاء : طويلة العنق .
3 غرثى الوشاح : كناية عن دقّة الخصر .
4 لفاء الفخذين : ضخمة الفخذين .
5 قطوف المشي : متقاربة الخطى .
6 خنساء : متأخّرة الأنف .
7 سفعاء : سوداء .
8 قطيعة اللسان : نزرة الكلام .
9 رهوة الصوت : رقيقة الصوت .

والعُرْيَ على الشِّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السَّمومَ والرياح على طِيب أرضكَ هذه ، حتى إنّهم ليسمّونها السّجنَ ، فسلْ هذا الرسول الذي كان معي عمّا قال ، فإنّي أُكْرِمُ الملكَ عن مشافهته بما قال وأجاب به . قال للرسول : وما قال ؟ فقال له الرسول : أيّها الملك ، إنّه قال : أمَا كان في بقَرِ السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ، فعُرِف الغضب في وجهه ، ووقَع في قلبه منه ما وقع ، لكنّه لم يزد على أن قال : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب . وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى أشهراً على ذلك .

[النعمان يستجير بسادات العرب ثمّ يسلم نفسه لكسرى]

وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّع حتى أتاه كتابه : أنْ أَقبِلْ فإنّ للملِكِ حاجةً إليك ، فانطلق حين أتاه كتابُه ، فحمل سلاحه وما قَوِيَ عليه ، ثم لحق بجبَلَيْ طَيِّىء وكانت فَرعة[1] بنت سعد بن حارثة بن لأْم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة ، وكانت أيضاً عنده زينب بنت أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيّئاً على أن يُدخِلوه الجبلين ويمنعوه فأَبَوْا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صِهْرُكَ لقتلناك ، فإنّه لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ، ولا طاقة لنا به . وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحدٌ منهم يقبلُه ، غيرَ أنّ بني رَواحةَ بن قُطَيعةَ بن عَبْسٍ قالوا : إن شئتَ قاتلنا معك ، لِمِنَّةٍ كانت له عندهم في أمر مروان القَرَظ[2] ، قال : ما أُحبُّ أنْ أُهلِكَكُم ، فإنّه لا طاقة لكم بكِسْرى . فأقبل حتى نزل بذِي قارٍ في بني شَيبان سِرّاً ، فلقِيَ هانىءَ بن قَبيصة ، وقيل بل هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان ، وكان سيّداً مَنيعاً ، والبيتُ يومئذٍ من ربيعة في آلِ ذي الجَدين لقَيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجَدَّين ، وكان كسرى قد أطعم قيسَ بن مسعود الأُبُـلَّةَ ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهلَه لذلك ، وعلِم أنّ هانئاً يمنعه ممّا يمنع منه نفسه .

وقال حَمَّاد الراوية في خبره : إنّه إنّما استجار بهانىء كما استجار بغيره فأجاره ، وقال له : قد لزمني ذِمامُك وأنا مانِعُك ممّا أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأَدْنَيْن رجلٌ ، وإن ذلك غير نافعك لأنه مُهلِكي ومُهلِكُك ، وعندي رأيٌ لكَ ، لستُ أُشير به عليك لأدفعكَ عمّا تريده من مجاورتي ولكنّه الصواب ؛ فقال : هاتِه ؛ فقال : إنّ كلَّ أمر يجمُلُ بالرجل أن يكون عليه إلاّ أن يكون بعد المُلْكِ سُوقَةً ، والموت نازلٌ بكلّ أحدٍ ، ولأنْ تموتَ كريماً خيرٌ من أن تتجرَّعَ الذلَّ أو تبقى سُوقَةً بعد المُلْكِ ، هذا إن بقيتَ ، فامضِ إلى صاحبك واحمِلْ إليه هدايا ومالاً وأَلْقِ نفسَك بين يديه ، فإمّا أن صفح

---

1 ل : قرعة .

2 مروان القرظ : مروان بن زنباع العبسيّ ، وكان يضرب به المثل في العزّة .

عنك فعُدت مَلِكاً عزيزاً ، وإمّا أن أصابك فالموتُ خيرٌ من أن يتلعَّب بك صعاليك العرب ويتخطَّفكَ ذئابها وتأكلَ مالكَ وتعيشَ فقيراً مجاوراً أو تُقتلَ مقهوراً ؛ فقال : كيف بحُرَمي ؟ قال : هنَّ في ذِمّتي ، لا يُخلَص إليهنَّ حتى يُخلَصَ إلى بناتي ؛ فقال : هذا وأبيكَ الرأيُ الصحيح ، ولن أجاوِزَه . ثم اختار خيلاً وحُلَلاً من عَصْبِ اليمن وجوهراً وطُرَفاً كانت عنده ، ووجَّه بها إلى كسرى وكتب إليه يعتذِر ويُعلِمُه أنّه صائرٌ إليه ، ووجَّه بها مع رسوله ، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم ؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنّه لم يرَ له عند كسرى سوءاً .

[وصول النعمان لكسرى وسجنه ثم موته]

فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن لقيه زيد بن عديّ على قنطرة ساباط ، فقال له : انجُ نُعيمُ ، إن استطعتَ النَّجاء ؛ فقال له : أفعلتَها يا زيد ؟ أما والله ، لئنْ عشتُ لكَ لأَقتلنَّكَ قِتْلةً لم يُقتَلْها عربيٌّ قطّ ولأُلْحِقَنّكَ بأبيك ؛ فقال له زيد : امضِ لشأنك نُعَيمُ ، فقد والله أخيَّتُ لك أُخِيَّةً[1] لا يقطعَها المهرُ الأرِنُ . فلمّا بلغ كسرى أنّه بالباب بعث إليه ، فقيّده وبعث به إلى سجن كان له بخانِقِينَ[2] ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه .

وقال حمّاد الراوية والكوفيّون : بل مات بساباط في حبسه . وقال ابن الكلبيّ : ألقاه تحت أرجل الفِيَلة فوطِئته حتى مات ، واحتجُّوا بقول الأعشى : [من الطويل]

فذاكَ وما أنجَى من الموتِ ربَّه ... بساباطَ حتى ماتَ وهو مُحَزْرَقُ

قال : المحزرق : المضيَّقُ عليه . وأنكر هذا من زعم أنّه مات بخانِقين ، وقالوا : لم يزل محبوساً مدّة طويلة ، وإنّه إنّما مات بعد ذلك بحينٍ قُبيل الإسلام ، وغَضِبَت له العرب حينئذٍ ، وكان قتلُه سبب وقعة ذي قارٍ .

[أحبّ عدي بن زيد هند بنت النعمان ثم تزوّجها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال عليّ بن الصبّاح حدّثني هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال : كان عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد بن أيّوب الشاعر العباديّ يهوى هِنْد بنت النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ بن نَصْر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غَنْم بن نُمارة بن لَخْم وهو مالك بن عَدِيّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زَيد بن يَشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سَبأ بن

1 أخية : عروة ؛ أي ربطت لك عروة ، وشددتك إليها ، وهي عروة قوية لا يقطعها المهر الحيويّ النشيط .

2 خانقين : بلد في شرق العراق .

يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحطان ، ولها يقول[1] : [من الرمل]

عَلِقَ الأحشاءَ من هندٍ عَلَقْ مُستسِرٌّ فيه نَصْبٌ وأَرَقْ

وهي قصيدة طويلة . وفيها أيضاً يقول[2] : [من الرمل]

مَنْ لِقَلب دَنِفٍ أو مُعتَمَدْ قد عَصى كُلَّ نَصُوحٍ ومُفَدّ

وهي طويلة . وفيها أيضاً يقول[3] : [من الخفيف]

يا خليليّ يَسِّرا التعسِيرا ثم رُوحا فهجِّرا تهجيرا
عرِّجا بي على ديارٍ لهندٍ ليس أن عُجْتُما المَطِيَّ كبيرا

[قصّة تزوّجه بهند]

قال ابن الكلبيّ : وقد تزوّجها عديّ . وقال ابن أبي سعد ، وذكر ذلك خالد بن كلثوم أيضاً قالا : كان سبب عِشقه إيّاها أنّ هنداً كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها ، وأُمُّها مارِيَةُ الكِندِيّة ؛ فخرجتْ في خميس الفِصْحِ[4] ، وهو بعد السَّعانِين[5] بثلاثة أيّام ، تتقرّب في البِيعة ، ولها حينئذٍ إحدى عشرة سنة ، وذلك في مُلْكِ المنذر ؛ وقد قَدِم عديّ حينئذٍ بهديَّةٍ من كسرى إلى المنذر ، والنعمان يومئذٍ فتًى شابّ ، فاتّفق دخولُها البِيعة وقد دخلها عديّ ليتقرّب ، وكانت مديدة القامة عَبلة الجسم ، فرآها عديّ وهي غافلة فلم تنتبه له حتى تأمّلها ، وقد كان جواريها رأينَ عديّاً وهو مقبلٌ فلم يقُلْن لها ذلك ، كَي يراها عديّ ، وإنّما فعلن هذا من أجل أمةٍ لهند يقال لها مارِيةُ ، وقد كانت أحبَّت عديّاً فلم تَدرِ كيف تأتي[6] له . فلمّا رأت هند عديّاً ينظر إليها شقَّ ذلك عليها ، وسَبَّتْ جواريها ونالت بعضهنَّ بضرب ؛ فوقعت هند في نفس عديّ . فلبث حولاً لا يخبر بذلك أحداً . فلمّا كان بعد حولٍ وظَنَّتْ مارية أنّ هنداً قد أضربت عمّا جرى وصَفَتْ لها بِيعة دُومة ، وقال خالد بن كلثوم : بيعةَ توما وهو الصحيح ؛ ووصفَت لها مَن فيها من الرواهب ، ومَن يأتيها من جواري الحيرة ، وحسن بنائها وسُرُجِها ؛ وقالت لها : سَلِي أُمَّكِ الإذنَ لكِ في إتيانها ، فسألتها ذلك فأَذِنت لها ، وبادرت مارية إلى عديّ فأخبرته الخبرَ فبادر فلبِسَ يَلْمَقاً[7] كان «فَرْخانْشاهْ مَرْد»

1 ديوان عديّ : 147 .
2 ديوان عديّ : 42 .
3 ديوان عديّ : 130 .
4 الفصح : عيد تذكار قيامة المسيح عند النصارى ويسمّى العيد الكبير ويقع دائماً يوم أحد .
5 السعانين (وبالشين أيضاً) عيد لهم يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح .
6 ل : كيف تراءى .
7 اليلمق : القباء .

قد كساه إيّاه ، وكان مُذهَباً لم يُرَ مثله حُسناً ، وكان عديّ حسنَ الوجه[1] ، مديد القامة ، حُلوَ العينين ، حسَنَ المَبسِم ، نقيّ الثّغر . وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة ، فدخل البِيعة ؛ فلمّا رأته مارية قالت لهند : انظري إلى هذا الفتى ؛ فهو والله أحسن من كلّ ما تَرَيْن من السرج وغيرها ؛ قالت : ومن هو ؟ قالت : عديُّ بن زيد ؛ قالت : أتخافين أن يعرفَني إن دنوتُ منه لأَراه من قريبٍ ؟ قالت : ومِن أين يعرِفُك وما رآك قطّ من حيث يعرِفُك ؛ فدنَتْ منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله ، وحُسن كلامه[2] وفصاحته ، وما عليه من الثياب ، فذَهَلَت لمّا رأته وبَهُتَت تنظر إليه . وعرَفَتْ مارية ما بها وتبيَّنَتْه في وجهها ، فقالت لها : كَلِّميه ، فكلَّمته ، وانصرفت وقد تبعتْه نفسُها وهَوِيَتْه ، وانصرف بمثل حالها . فلمّا كان الغدُ تعرّضت له مارية ، فلمّا رآها هَشَّ لها ، وكان قبل ذلك لا يكلّمها ، وقال لها : ما غَدا بكِ ؟ قالت : حاجةٌ إليك ، قال : اذكريها ، فوالله لا تسأليني شيئاً إلاّ أعطيتُكِ إيّاه ، فعرَّفته أنّها تهواه ، وأنّ حاجتها الخَلوة به على أن تحتال له في هند ، وعاهدتْه على ذلك ؛ فأدخلها حانوت خمّارٍ في الحيرة ووقَع عليها ؛ ثم خرجت فأتت هنداً ، فقالت : أما تشتهين أن ترَيْ عديّاً ؟ قالت : وكيف لي به ؟ قالت : أَعِدُه مكان كذا وكذا في ظَهْر القصر وتُشرِفين عليه ؛ قالت : افعلي ، فواعدته إلى ذلك المكان ، فأتاه وأشرفت هند عليه ، فكادت تموت ، وقالت : إن لم تُدخليه إليّ هلَكْتُ . فبادرت الأمَة إلى النعمان فأخبرته خبرَها وصَدَقَتْه ، وذَكَرَت أنّها قد شُغِفَت به ، وأنّ سبب ذلك رؤيتها إيّاه في يوم الفِصح ، وأنّه إن لم يزوّجها به افتضحت في أمره أو ماتت ؛ فقال لها : ويلك ؛ وكيف أبدؤه بذلك ! فقالت : هو أرغب في ذلك من أن تبدأه أنتَ ، وأنا أحتال في ذلك من حيث لا يعلم أنّك عرفتَ أمره . وأتتْ عديّاً فأخبرته الخبر ، وقالت : ادعُه ، فإذا أخذ الشراب منه فاخطُبْ إليه فإنّه غير رادِّك ؛ قال : أخشى أن يُغضِبَه ذلك فيكون سبب العداوة بيننا ؛ قالت : ما قلتُ لك هذا حتى فرغتُ منه معه ؛ فصنع عديٌّ طعاماً واحتفل فيه ، ثم أتى النعمان بعد الفِصح بثلاثة أيّام ، وذلك في يوم الاثنين ، فسأله أن يتغدّى عنده هو وأصحابه ، ففعل . فلمّا أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان ، فأجابه وزوّجه وضمّها إليه بعد ثلاثة أيّام .

[ترهّب هند بعد قتل عديّ]

قال خالد بن كلثوم : فكانت معه حتى قتله النعمان ، فترهَّبَت وحبسَت نفسَها في الدير المعروف بدير هند[3] في ظاهر الحيرة . وقال ابن الكلبيّ : بل ترهّبت بعد ثلاث سنين ومنعته

1 ل : حسن الثغر .

2 ل : وحسن قامته .

3 هما ديران بهذا الاسم ، كبير وصغير .

نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت ، وكانت وفاتُها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المُغِيرة بن شُعبة الكوفة ، وخطبها المغيرة فردّته .

[خطبها المغيرة بن شعبة فردّته]

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن محمد بن الكلبيّ عن أبيه والشَّرَقيّ بن القَطاميّ قالا : مرّ المغيرة بن شعبة لمّا ولاّه معاوية الكوفة بدير هند ، فنزله ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها ، فأذِنت له وبسطت له مِسحاً فجلس عليه ، ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال : جئتُكِ خاطباً ؛ قالت : والصليبِ لو علمتُ أنّ فيّ خَصلةً من جمالٍ أو شبابٍ رغَّبَتْكَ فيّ لأجبتُكَ ، ولكنّك أردتَ أن تقول في المواسم : مَلَكتُ مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته ، فبحقّ معبودك أهذا أردتَ ؟ قال : إي والله ؛ قالت : فلا سبيل إليه ؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها : [من الكامل]

أدركتِ ما منّيتُ نفسيَ خالياً ... للهِ درُّكِ يـا ابنـةَ النعمانِ

فلقد ردَدْتِ على المغيرة ذِهْنَهُ ... إنّ الملـوكَ نَقِيَّـةُ الأَذهانِ

وفي رواية أُخرى :

إنّ الملوكَ بَطِيَّةُ الإذعانِ

يا هندُ حسبُكِ قد صَدَقتِ فأمْسِكي ... فالصِّدقُ خيرُ مَقالَـةِ الإنسانِ

[عشقها لزرقاء اليمامة]

وقد روى عن ابن الكلبيّ غيرُ عليّ بن الصّبّاح في هند أنّها كانت تهوى زرقاء اليمامة ، وأنّها أوّل امرأة أحبَّتْ امرأةً في العرب ، فإنّ الزرقاء كانت تَرى الجيشَ من مسيرة ثلاثين ميلاً ؛ فغزا قوم من العرب اليمامة ، فلمّا قَرُبُوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزرقاء ؟ فاجتمع رأيُهم على أن يقتلِعُوا شجراً تستُر كلُّ شجرة منها الفارس إذا حملها ؛ فقطع كلٌّ واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها ؛ فأشرفَت ، كما كانت تفعل ، فقال لها قومها : ما تَرَيْنَ يا زرقاء ؟ وذلك في آخر النهار ؛ قالت : أُرى شجراً يسير ؛ فقالوا : كذبتِ أو كذبَتْك عينُكِ ، واستهانوا بقولها ؛ فلمّا أصبحوا صبَحهم القوم ، فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة وأخذوا الزرقاء فقَلعوا عينها فوجدوا فيها عروقاً سوداء ، فسُئِلت عنها فقالت : إنّي كنتُ أُديمُ الاكتحال بالإثمد فلعلّ هذا منه ، وماتَت بعد ذلك بأيّام ؛ وبلغ هنداً خبرُها فترهَّبت ولَبِست المُسوح وبَنَتْ ديراً يعرفُ بدير هند إلى الآن ، فأقامت فيه حتى ماتت .

[قيل إنّ النعمان أكره عديّاً على طلاق هند]

وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ : أنّ النعمان لما حبسَ عديّاً أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلّقها . قال ابن حبيب : وذكر عديّ بن زيد صِهرَه هذا للنعمان في قصائده وكان زوجَ أخته ، هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة .

وقالت رواة العرب : إنّه كان زوجَ ابنتِه هندٍ ، فمن ذلك قولُه في قصيدته التي أوّلها :

أبصَرَتْ عينِي عِشاءً ضَوءَ نارِ

فقال فيها : [من الرمل]

أجْـلَ نُعمَـى رَبِّهـا أَوّلُكُمْ ... ودُنُوّي كان منكم واصْطِهارِي
نحن كنَّا قـد علِمتُـم قبلها ... عَمَـدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ[1]

[سبب تنصّر النعمان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا إبراهيم بن فهد قال حدّثنا خليفة بن خيّاط شباب العُصْفُريّ[2] قال حدّثنا هشام بن محمد قال حدّثني يحيى بن أيّوب البجَليّ قال حدّثنا أبو زُرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البَجَليّ قال : سمعتُ جدّي جرير بن عبد الله يقول ، وأخبرني به عمّي قال حدّثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا محمد بن يزيد بن زياد الكلبيّ أبو عبد الله قال حدّثني معروف بن خَرَّبُوذَ عن يحيى بن أيّوبَ عن أبي زُرعة بن عمرو قال : سمعت جدّي جرير بن عبدالله ، ولَفْظ هذا الخبر لأحمد بن عبيد الله وروايته أتم ، قال : كان سببُ تنصّر النعمان ، وكان يعبد الأوثان قبل ذلك ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : النعمان بن المنذر الأكبر ، أنّه كان قد خرج يتنزّه بظهر الحيرة ومعه عديّ بن زيد ، فمرّ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها ؛ فقال له عديّ بن زيد : أبيتَ اللَّعنَ ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : فقال له تقول[3] : [من مجزوء الرمل]

أيُّهـا الركـبُ المخِبُّـو ... نَ على الأرضِ المجـدُّونْ
كما أنتُـمْ كُنَّـا ... وكما نحـنُ تكونُـونْ

وقال الصُّوليّ في خبره : فقال له تقول : [من البسيط]

كنَّـا كما كنتُمُ حينـاً فغَيَّرنا ... دهرٌ فسوفَ كما صرنا تصيرونا

قال : فانصرف وقد دخلته رِقّةٌ ، فمكث بعد ذلك يسيراً ؛ ثم خرج خَرْجةً أخرى فمرّ

1 قبلها في الرواية الشهيرة : قبلكم ، وقد مرّت .

2 هو المؤرّخ صاحب تاريخ خليفة وكتاب في الطبقات (توفي سنة 240 وقيل 246) .

3 ورد البيتان فيما تقدّم من هذا الجزء وأوّل البيت الثاني «فكما» .

على تلك المقابر ومعه عديّ ، فقال له : أبيتَ اللّعنَ ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ؛ قال : فإنّها تقول[1] : [من الرمل]

مَـنْ رآنـا فَلْيُحَـدِّثْ نفْسَه أنّه مُوفٍ على قَـرْنِ زَوالِ
وصُروفُ الدَّهرِ لا يَبقـى لهـا ولِمَا تأتـي بـه صُمُّ الجبالِ
رُبَّ ركبٍ قـد أناخوا عندنا يشربون الخمرَ بـالماءِ الزُّلالِ[2]
والأباريـقُ عليهـا فُـدُمٌ وجيادُ الخيلِ تَرْدِي في الجِلالِ[3]
عَمِرُوا دهـراً بعيشٍ حَسَنٍ آمِنِـي دَهْرِهِـمُ غيرَ عِجـالِ
ثم أضْحَوْا عصفَ الدَّهرُ بهم وكذاكَ الدهرُ يُودِي بالرِّجالِ[4]
وكذاكَ الدهـرُ يرمِـي بالفتى في طِلابِ العيشِ حالاً بعدَ حالِ

قال الصُّوليّ في خبره وهو الصحيح : فرجع النعمان فتنصّر ؛ وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزياديّ الكلبيّ : فرجع النعمان من وجهه وقال لعديّ : ائتني الليلة إذا هَدَأتِ الرِّجلُ لتعلمَ حالي ، فأتاه فوجده قد لَبِسَ المُسوحَ وتنصّر وترهَّب وخرج سائحاً على وجهه فلا يُدرى ما كانت حالُه ، فتنصّر ولدُه بعده ، وبَنوا البِيعَ والصوامعَ ، وبنَتْ هندُ بنت النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر الديرَ الذي بظهر الكوفة ويقال له : «دير هند» ، فلمّا حبَس كِسرى النعمان الأصغر أباها ومات في حبسه ترهَّبتْ هند ولبِست المسوحَ وأقامت في ديرها مُترهِّبةً حتى ماتت فدُفِنَتْ فيه .

[المؤلّف يرى أنّ النعمان هو الذي تنصّر]

قال مؤلّف هذا الكتاب : إنّما ذكرتُ الخبرَ الذي رواه الزياديّ على ما فيه من التخليط لأنّي إذا أتيتُ بالقصّة ذكرتُ كلّ ما يُروى في معناها . وهو خبر مختلط ، لأنّ عديَّ بن زيد إنّما كان صاحبَ النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عديّ ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذي صحبه عديّ كما ذكر ابن زياد ؛ وقد ذكرت نسب النعمان آنفاً ، ولعلّ هذا النعمانَ الذي ذكره عمُّ النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر ، والمتنصّر السائح على

1 ديوان عديّ : 82 .
2 عندنا في ل : حولنا .
3 الفدم : جمع فَدام وهو غطاء يوضع على فم الابريق للتصفية . تردي : تعدو أو تمشي الرديان : أي ترجم الأرض بحوافرها .
4 رواية هذا البيت فيما تقدّم من هذا الجزء :
عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حالاً بعد حال

وجهه ليس عديّ بن زيد أدخله في النصرانية ؛ وكيف يكون هو المدخِلَ له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره لمّا حبسه مع مَن ضربه مثلاً له من الملوك السالفة ! .

[حكاية خالد بن صفوان مع هشام بن عبد الملك]

حدّثنا بخبر ذلك المِلك جعفرُ بن محمد الفِريابيّ وأحمدُ بن عبد العزيز بن الجَعْدِ الوَشّاء قالا : حدّثنا إسحاق بن البُهلول الأنباريّ قال حدّثني أبي البُهلول بن حسّان التَّنوخيّ قال حدّثني إسحاق بن زياد من بني سامة بن لؤيّ عن شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال : أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وَفد أهل العراق قال : فقَدِمتُ عليه وقد خرج بقَرابته وحَشَمِه وغاشيته وجُلسائه ، فنزل في أرض قاعٍ صَحْصَحٍ مُنِيفٍ أفيحَ ، في عامٍ قد بكّر وسميُّهُ ، وتتابع وَلِيّه ، وأخذت الأرضُ فيه زينتَها على اختلاف ألوان نبتِها من نَوْرِ رَبيع مُونقٍ فهو في أحسنِ منظَرٍ ، وأحسن مُختبَرٍ ، وأحسن مُسْتَمْطَرٍ ، بصعيدٍ كأنّ ترابَه قِطَعُ الكافور ؛ قال : وقد ضُرِبَ له سُرادِقٌ من حِبرةٍ كان يوسف بن عُمر صنعه له باليمن ، فيه فُسطاطٌ فيه أربعة أفرِشَةٍ من خَزٍّ أحمرَ مِثلُها مَرافِقها ، وعليه دُرّاعةٌ من خَزٍّ أحمر مثلُها عمامَتُها ، وقد أخذ الناسُ مجالسهم ؛ قال : فأخرجتُ رأسي من ناحية السِّماط فنظر إليّ شِبْهَ المستنطِق لي فقلت : أتمّ اللهُ عليكَ يا أمير المؤمنين نِعَمَه ، وجعل ما قَلَّدك من هذا الأمر رُشْداً ، وعاقبةَ ما يؤول إليه حمداً ، وأخلصَه لك بالتّقى ، وكثره لك بالنّماء ، ولا كدَّر عليك منه ما صَفا ، ولا خالط سروره بالرّدى ، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقةً ومُستراحاً ، إليك يقصدون في مَظَالمهم[1] ، ويفزَعون في أمورهم ، وما أجِدُ شيئاً يا أمير المؤمنين هو أبلغ في قضاء حقّك ، وتوقِير مجلسك ، وما منَّ الله جلّ وعزّ عليّ به من مجالستك من أن أُذَكّركَ نعمَ الله عليكَ ، وأُنبّهك لشكرها ، وما أجِدُ في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث مَن سلف قبلك من الملوك ، فإن أذِنَ أمير المؤمنين أخبرتُه به ؛ قال : فاستوى جالساً وكان متّكئاً ثم قال : هاتِ يا ابن الأهتَم ، قال : قلت يا أمير المؤمنين إنّ مِلِكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثلِ عامكَ هذا إلى الخَوَرْنَقِ والسَّدير في عامٍ قد بَكّر وسميُّه ، وتتابع وَلِيّه ، وأخذت الأرض [فيه] زينتَها على اختلاف ألوان نَبتها في ربيع مُونقٍ ، فهو في أحسن مَنظَر ، وأحسنِ مختبَر ، بصعيد كأنّ ترابَه قِطعُ الكافور ، وقد كان أُعطِيَ فَتاءَ السنّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه : لِمَنْ مِثلُ هذا ، هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ؟ وهل أُعطِي أحدٌ مثل ما أُعطيت ؟ قال : وعنده رجل من بقايا حَمَلَة الحُجَّة ، والمضيِّ على أدب الحقِّ ومِنهاجه ، قال : ولم تَخْلُ الأرض من قائم لله بحُجّة في عباده ؛ فقال : أيّها الملك إنّك سألتَ عن أمرٍ ، أفتأذَنُ في الجواب عنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أرأيتَ

---

1 ل : في مطالبهم .

هذا الذي أنتَ فيه ، أشيءٌ لم تزل فيه ، أم شيءٌ صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنكَ وصائر إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذلك هو ؛ قال : فلا أُراكَ إلاّ عَجبتَ بشيءٍ يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتغيبُ عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرتَهَناً ؛ قال : وَيحك ؛ فأين المهربُ وأين المطلب ؟ قال : إما أن تُقيم في ملكك فتعملَ فيه بطاعة الله ربِّكَ على ما ساءك وسرَّك ، وأمَضَّك وأرْمَضك[1] ، وإمّا أن تضع تاجك ، وتخلَعَ أطمارك ، وتلبس أمساحك ، وتعبد ربّك حتى يأتيك أجلُكَ ؛ قال : فإذا كان السَّحَر فاقرع عليّ بابي فإنّي مختارٌ أحد الرأيين ، وربّما قال إحدى المنزلتين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصى ، وإن اخترتُ فَلَواتِ الأرض وقَفرَ البلاد كنت رفيقاً لا يُخالَف ؛ قال : فقرع عليه عند السَّحَر بابه فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره ، ولبس أمساحَه ، وتهيّأ للسياحة ، فلزِما والله الجبلَ حتى أتاهما أجلُهما ، وهو حيث يقول عديّ بن زيد أخو بني تميم[2] : [من الخفيف]

أيُّها الشَّامِتُ المعَيِّرُ بالدَّهـــ ـــرِ أأَنــتَ المبــرَّأُ الموفُــورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيَّـ ـام بـل أنتَ جاهـلٌ مغرورُ
مَن رأيتَ المَنونَ خَلَّدْنَ أم مَنْ ذا عليه مِـن أن يُضامَ خفيرُ
أينَ كسرى كسرى الملوك أَنُوشِرْ وانُ أم أيــنَ قبلــه سابورُ
وبنو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الر وم لم يبقَ منهــمُ مَذْكورُ
وأخو الحَضْرِ إذ بناه وإذ دِجْـ ـلَةُ تُجْبــى إليـه والخابُورُ
شادَهُ مَرمَـراً وجَلَّلَـه كِلْـ ـساً فَلِلطيرِ في ذُراه وكورُ
لم يَهَبْه رَيبُ المنونِ فبادَ الْـ ـمُلْكُ عنــه فبابُــه مَهجُورُ
وتَذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذ أشْـ ـرَفَ يومــاً وللهُدى تَفكيرُ
سرَّه مالُــهُ وكثرةُ مـا يمـ ـلِكُ والبحرُ مُعرِضاً والسديرُ
فارعَوى قلبُه فقال ومــا غِبْـ ـطَةُ حــيٍّ إلى الممـاتِ يصيرُ
ثم بعـدَ الفلاحِ والملكِ والإمّـ ـةِ وارَتهمُ هُنـاكَ القُبُورُ[3]

1 أرمضك : أوجعك .

2 ديوان عديّ : 84–92 وأوّل القصيدة :

أرداح مــودع أم بكــور لك فاعلم لأي حال تصير

3 الإمة : النعمة .

ثم صاروا كأنّهم ورقٌ جَـ ـفّ فألوت به الصَّبا والدَّبُورُ[1]

قال : فبكى والله هشام حتى أخضل لحيته ، وبلّ عمامته ، وأمرَ بنزع أبنيته ، وبنقلان قرابته وأهله وحشَمه وغاشيته من جلسائه ، ولزم قصرَه ، فأقبلتِ الموالي والحشمُ على خالد بن صفوان فقالوا : ما أردتَ إلى أمير المؤمنين ؛ أفسدتَ عليه لذّته ، ونغّصتَ عليه مأدُبَته ، فقال : إليكم عنّي فإنّي عاهدتُ الله عزّ وجلّ ألاّ أخلوَ بملِكٍ إلاّ ذكّرتُه اللهَ عزّ وجلّ .

[خبر الحضر]

فأمّا خبرُ الحَضْر وصاحبه ، والخورنق وصاحبه ، فإنّي أذكر خبرهما ها هنا لأنّه ممّا يحسُن ذكرُه بعَقِب هذه الأخبار ولا يُستغنى عنه ، والشيء يتبعُ الشيءَ .

أخبرني بخبره إبراهيم بن السَّرِيّ عن أبيه عن شُعيب عن سيف ، وأخبرني به الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا الحارث بن محمد قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقديّ ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين[2] عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عن بن الأعرابيّ عن المفضَّل بن سلمة الضَّبِّيّ ، وهشامُ بن الكلبيّ عن أبيه ، وإسحاق بن الجَصّاص عن الكوفيّين : أنّ الحَضرَ كان قصراً بحِيال تَكريتَ بين دِجلة والفُرات ، وأنّ أخا الحَضْرِ الذي ذكره عديّ بن زيد هو الضَيْزَنُ بن معاوية بن العبيد بن الأَجْرام بن عمرو بن النَّخَع بن سَلِيح من بني تَزِيد بن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ، وأمّه جَبْهَلَةُ امرأةٌ من بني تَزِيدَ بن حُلوان أخي سَلِيح بن حُلوان ، وكان لا يُعرفُ إلاّ بأمّه هذه ، وكان ملِكَ تِلكَ الناحية وسائر أرضِ الجزيرة ، وكان معه من بني الأجرام [ثم من بني العَبِيد ابن الأجرام] وسائر قبائل قضاعة ما لا يُحصى ، وكان مُلكُه قد بلغ الشام . فأغار الضيزن فأصاب أختاً لسابور ذي الأكتاف وفتح مدينة نهر شير وفتك فيهم ، فقال في ذلك عمرو بن السَّليح بن حُدَيٍّ بن الدّها بن غَنْم بن حُلوان بن عِمران ابن الحاف بن قُضاعة : [من الوافر]

لَقِيناهم بجَمْعٍ من عِلافٍ وبالخيلِ الصَّلادِمة الذكورِ
فلاقتْ فارسٌ منّا نَكالاً وقتَّلنا هَرابِذَ شَهْرَزُورِ
دلَفْنا للأعاجم من بعيدٍ بجمعٍ مِ الجزيرةِ كالسَّعِيرِ

---

1 ألوت به : ذهبت به .

2 كتاب أسماء المغتالين لمحمد بن حبيب في «نوادر المخطوطات» ـ المجموعة السادسة ، تحقيق محمد عبد السلام هارون (ط . ثانية) 1972 ، ولم يرِد فيه خبر الحضر ؛ وانظر الطبريّ 2 : 47–48 ومعجم البلدان لياقوت (حضر) ؛ وحضارة الحضر أمر تشهد به الآثار ؛ وقد نشرت عنها بحوث كثيرة في مجلّة سومر بالعراق .

قالوا : ثم إنّ سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم ، فأقام على الحضْر أربع سنين لا يستغِلّ منهم شيئاً[1] . ثم إنّ النَّضيرة بنتَ الضَّيْزن عَرَكَتْ ؛ أي حاضت فأُخرِجَتْ إلى الرَّبَضِ ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ ، وكان سابور من أجمل أهل زمانه ، فرآها ورأته ، وعشِقها وعشِقته ، فأرسلت إليه : ما تجعل لي إن دللتُكَ على ما تهدِمُ به هذه المدينة وتقتل أبي ؟ قال : أُحكِّمكِ وأرفَعُكِ على نسائي ، وأخصُّكِ بنفسي دونَهنَّ ؛ قالت : عليك بحمامةٍ مطوّقة وَرقاء ، فاكتب في رجلها بحيض جارية بكرٍ تكون زرقاء ، ثم أرسلها فإنّها تقعُ على حائط المدينة فتتداعى المدينة ، وكان ذلك طِلَّسْمَها لا يَهدِمها إلاّ هو ، ففعل وتأهّب لهم ، وقالت له : أنا أسقي الحرس الخمر ، فإذا صُرِعوا فاقتلهم وادخل المدينة ، ففعل فتداعت المدينة ، وفتحها سابور عَنْوةً ، فقَتَل الضيزن يومئذٍ ، وأبادَ بني العَبيد ، وأفنى قُضاعة الذين كانوا مع الضَّيزن فلم يبق منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأُصيبت قبائل حُلوان وانقرضوا ودَرَجوا ، فقال في ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضَّيزن : [من الوافر]

أَلَمْ يَحْزُنْكَ والأنباءُ تَنْمي ... بما لاقَتْ سَراةُ بَني العَبيدِ
ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَني أبيه ... وأحْلاسِ الكتائبِ مِنْ تَزِيدِ[2]
أتاهُم بالفُيُولِ مُجلَّلاتٍ ... وبالأبطالِ سابورُ الجنودِ
فهدَّمَ من أواسي الحضْر صَخْراً ... كأنّ ثِقالَه زُبَرُ الحديدِ[3]

قال : فأخرب سابور المدينة واحتمل النَّضيرة بنت الضَّيزن فأعرس بها بعينِ التمرِ ، فلم تزل ليلتَها تتضوّر[4] من خَشانةٍ في فُرُشِها وهي من حرير محشُوّ بالقَزّ ، فالتُمسَ ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنةٍ من عُكَنِها قد أثَّرتْ فيها . قال : وكان يُنظر إلى مُخِّها من لِينِ بشرتها . فقال لها سابور : ويحك ! بأيّ شيء كان أبوك يُغذّيكِ ؟ قالت : بالزُّبد والمخِّ وشُهْدِ الأبكار من النحل وصَفْوةِ الخمر . فقال : وأبيكِ لأنا أحدَثُ عهداً بمعرفتِك ، وآثرُ لكِ من أبيكِ الذي غذّاكِ بما تذكرين ! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جَمُوحاً وضَفَرَ غدائرَها بذنبه ، ثم استركضَه فقطَّعها قِطَعاً ، فذلك قول الشاعر : [من الخفيف]

أقفرَ الحضْرُ من نضيرةَ فالمِرْ ... باعُ مِنها فجانبُ الثَّرْثارِ

1 ل : لا يظفر منهم بشيء .
2 أحلاس الخيل : الملازمون لها من الفرسان ؛ وأحلاس الكتائب : رجال الحرب .
3 الأواسي : جمع آسية . وهي أساس البناء .
4 تتضوّر : تتلوّى .

قالوا : وكان الضَّيزن صاحبُ الحَضْر يُلَقَّبُ السَّاطِرونَ ، وقال غيرهم : بل السَّاطِرون صاحبُ الحَضْر كان رجلاً من أهل باجَرْمى والله أعلم أيّ ذلك كان . هذا خبر صاحب الحَضْر الذي ذكره عديٌّ .

[خبر الخورنق][1]

وأمّا صاحب الخَوَرنَقِ فهو النعمان بن الشَّقيقة ، وهو الذي ساح على وجهه فلم يُعرفْ له خبرٌ ، والشقيقة أمّه بنت أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان . وهو النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عَدِيّ بن نَصْر بن ربيعة بن الضَّخْم اللَّخميّ ، وهو صاحب الخورنق ، فذكر ابن الكلبيّ في خبره الذي قدّمنا ذكره ورواية عليّ بن الصبَّاح إيّاه عنه : أنّه كان سببُ بنائه الخورنَقَ أنَّ يَزدَجِردَ بن سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مَرِيءٍ صحيح من الأدواء والأسقام ، فَدُلَّ على ظَهْرِ الحِيرةِ ، فدفع ابنَه بَهرام جُور بن يزدجِرد إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عاملَه على أرض العرب ، وأمره بأن يبنيَ الخورنَقَ مسكناً له ولابنه ويُنزله إيّاه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب .

[جزاء سنمار]

وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له «سِنِمَّارُ» فلمّا فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمتُ أنّكم تُوفُوني أُجرتي وتصنعون بي ما أستحقُّه ، لَبنيتُه بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقالوا : وإنّك لتبني ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه ؟ ثم أُمِرَ به فطُرِحَ من أعلى الجَوْسَقِ[2] . وقال : في بعض الروايات أنّه قال له : إنّي لأعرِفُ في هذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدِمَ تداعى القصرُ أجمعُ ، فقال له : أما والله لا تدلُّ عليه أحداً أبداً ، ثم رُمِيَ به من أعلى القَصْرِ ، فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة منها قولُ أبي الطَّمَحانِ القَيْنِيّ[3] : [من الطويل]

جـــزاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها وربِّها وباللاَّتِ والعُزَّى جزاءَ المكفَّرِ

ومنها قول سَلِيط بن سعد[4] : [من البسيط]

---

1 تجد خبر الخورنق في شرح المثل «جزاه جزاء سنمار» في كتب الأمثال ؛ وانظر نشوة الطرب لابن سعيد ، 273–274 تحقيق د . نصرت عبد الرحمن ، عمان ، الأردن 1982 والمناقب المزيدية لأبي البقاء 1 : 266–269 تحقيق الدكتورين درادكه وخريسات ، عمان (الطبعة الأولى) وخزانة الأدب 1 : 292–294 .

2 الجوسق : القصر .

3 بيت أبي الطمحان في خزانة الأدب 1 : 294 .

4 بيت سليط بن سعد في خزانة الأدب 1 : 293 .

جزى بنوه أبا الغِيلان عن كِبَرٍ وحُسْنِ فعلٍ كما يُجزى سِنِمَّارُ

وقال عبد العزّى بن امرىء القيس الكلبيّ[1] ، وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغسّانيّ أفراساً ، ووفَدَ إليه فأُعْجِبَ به واختصّه ، وكان للملك ابنٌ مُسترضَعٌ في بني عَبْدِ وُدٍّ من كَلْبٍ فنهشَتْه حَيَّةٌ ، فظنَّ الملكُ أنّهم اغتالُوه ، فقال لعبد العُزّى : جئني بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولا فعلٍ ، فقال : لتأتِيَنّي بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ، فقال له : رَجَوْنا من حِبائِكَ أمراً حال دونه عِقابُكَ ، ودعا ابْنيه شَراحِيلَ وعبد الحارث ، فكتبَ معهما إلى قومه : [من الطويل]

جــزاني جــزاه اللهُ شَرَّ جزائه جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذا ذنبِ
سوى رَصِّه البنيانَ عِشرينَ حِجةً يُعَلّي عليه بالقَرامِيدِ والسَّكْبِ[2]

وهي أبيات ، قال : فقتله النعمان ، وكان أمره قد عظُم وجعل معه كسرى كتيبتين : إحداهما يقال لها : «دَوْسَر» وهي لِتَنُوخ ، والأُخرى : «الشَّهْباء» وهي للفُرس ، وكانتا أيضاً تُسمَّيانِ القبيلتين ، وكان يغزو بهما بلادَ الشام ، وكلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب . فجلس يوماً يُشرِفُ من الخَوَرْنَقِ فأعجبه ما رأى من مُلكه . ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما ذكره خالدُ بن صفوانَ لهشامٍ من مخاطبة الواعِظ وجوابِه وما كان من اختياره السياحة وتركِه مُلكَه .

[رثاء النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني عبدالله بن عمرو قال ذكر ابنُ حمزة عن مشايخه : أنّ النعمان بن المنذر لما نُعِيَ إلى النابغة الذُّبيانيّ وحُدِّثَ بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالبُ الملوكِ ثم تمثَّلَ[3] : [من البسيط]

مَنْ يَطْلُبِ الدهـرُ تُدرِكْه مَخالِبُه والدَّهْرُ بالوِتْر نــاجٍ غيرُ مطلوبِ
ما منْ أناسٍ ذَوِي مجدٍ ومَكرُمةٍ إلاّ يَشُدُّ عليهــم شَدَّةَ الذِّيبِ
حتــى يُبِيدَ على عَمْــدٍ سَراتَهُمُ بالنافــذاتِ مــن النَّبْل المَصايِيبِ
إنّي وجدتُ سِهامَ الموتِ مُعرِضةً بكلِّ حَتْفٍ مــن الآجالِ مكتوبِ

[الغناء في شعر عديّ بن زيد]

وفي سائر قصائد عديّ بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغانٍ .

---

1 الخبر في الخزانة 1 : 293–294 .
2 السكب : النحاس أو الرصاص .
3 قوله «تمثّل» يعني أنّ الأبيات ليست للنابغة .

منها[1] : [من المنسرح]

صوت

لَمْ أَرَ مثلَ الفِتيانِ في غَبَنِ الْـ ـأيـامِ يَنْسَوْنَ مـا عواقِبُها
يَنسونَ إخوانَهُـم ومصرَعَهُم وكيـف تَعْتاقُهُـم مَخالِبُها[2]
ماذا تُرجِّي النفوسُ مِن طلبِ الـ ـخير وحبُّ الحيـاةِ كارِبُها[3]
تظنّ أن لن يصيبها عَنَتُ الد هـرِ ورَيبُ المنـونِ صائِبُها[4]

ويروى عُقَبُ الدهر ، يقول : الأيّامُ تَغْبِنُ الناسَ فتخدَعُهم وتختِلُهم مثل الغبنِ في البيع . وتَعتاقُهُم : تَحبسُهم ، يقال : اعتاقه واعتقاه . وكاربها ها هنا : غامُّها ، وهو في موضع آخر القريب منها ، يقال كَرَبهُ الأمر وكرثه وبهَضه وغنَظه إذا غمّه ، الغناء في هذه الأبيات لابن مُحرز خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيها رمل بالبنصر ، نسبه حَبَشٌ ودَنانير إلى حُنين ، ونسبه الهشاميّ وابن المكّيّ إلى الهُذليّ . ومنها[5] : [من المديد]

صوت

يـا لُبَينَى أوقِدِي النَّارا إنّ مَنْ تَهْوَيْنَ قـد حارا
رُبَّ نـارٍ بِـتُّ أَرْمُقُها تَقْضِمُ الهِنْـدِيَّ والغارا
عندَهـا ظبـيٌّ يؤرِّثُهـا عاقِـدٌ في الجيدِ تِقصارا[6]

عروضه من المديد ، حار يحير هنا : ضلّ ، وحار في موضع آخر : رجع . والغار : شجر طيّبُ الريح ، والغار أيضاً : شجرُ السوسِ ، والغار : الغَيرة . ويؤرِّثها : يوقِدُها ويُكثِر حَطَبها . والتِّقصار : المِخْنَقَةُ ، الغناء لحُنين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيف رملٍ يقال إنّه لعَرِيب .

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن كلوة بن محمد عن داود بن محمد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس

1 ديوان عدي بن زيد : 45 .
2 تعتاقهم في الديوان : تغتالهم .
3 كاربها في الديوان : كاذبها .
4 صائبها في الديوان : كاربها .
5 ديوان عديّ بن زيد : 100 .
6 الشطر الثاني في الديوان : عاقد في الخصر زنارا . والتقصار : القلادة .

النحويّ قال : مات رجل من جُندِ أهل الشام عظيمُ القدر ، له فيهم عزّ [وعدد] ؛ فحضر الحجّاجُ جنازتَه وصلّى عليه وجلس على قبره وقال : لِيَنْزِل إليه بعضُ إخوانه ، فنزل نفرٌ منهم ، فقال أحدهم وهو يُسَوِّي عليه : رحمك الله أبا قنان ، إن كنتَ ما علمتُ لَتُجيدُ الغناء ، وتُسرِعُ ردَّ الكأس ، ولقد وقَعْتَ في موضع سُوءٍ لا تخرجُ منه والله إلى يوم القيامة[1] . قال : فما تمالك الحجّاج أن ضحِكَ ، وكان لا يكثر الضحكَ في جدٍّ ولا هزلٍ . فقال له : أهذا موضع هذا لا أمَّ لكَ ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، فرسُه حبيسٌ في سبيل الله لو سمعه الأميرُ وهو يُغنّي : [من المديد]

يا لُبَيْنَى أوقِدي النارا إن مَنْ تَهوَيْنَ قد حارا

لأنتشر الأمير على سعْنةَ ، وكان الميتُ يلقّبُ بسعنة ، فقال : إنّا لله أخرجوه من القبر ؛ ما أبينَ حُجّة أهلِ العراقِ في جهلكم يا أهل الشام ؟ قال : وكان سعنةُ هذا الميتُ من أوحشِ خلقِ الله كلِّهم صورةً ، وأذمِّهم قامةً . فلم يبقَ أحد حضر القبرَ إلاّ استفرغ[2] ضحكاً . ومنها من قصيدته التي أوّلها[3] : [من الرمل]

لِمَـن الدارُ تَعفَّـتْ بِخِيَمْ

صوت

[من الرمل]

وثــلاثٍ كالحمامـاتِ بهــا بــين مَجْثاهُنَّ توشيمُ الحُمَمْ
أسأل الـدارَ وقـد أنكرتُهــا عن حبيبي فإذا فيهـا صَمَمْ[4]

ويروى : توشيمُ العَجَم . والتوشيمُ أراد به آثار الوَقود قد صار فيها كالوَشْم . والثلاث يعني الأَثافِيَّ التي تُنصب عليها القِدرُ ، الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيل أوّل مطلقٍ في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكيّ . وفيه لحَكَم لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مجنَّس . وهذه القصيدة التي أوّلها : [من الرمل]

لِمَــن الدارُ تعفَّــتْ بِخِيَــمْ أصبحت غيَّرها طـولُ القِدَمْ
مـا تَبِينُ العـينُ مـن آياتهــا غيرَ نُــؤْيٍ مثل خـطٍّ بالقلمْ

وبعده :

1 ل : إلى يوم الدكة .
2 ل : إلاّ استغرب .
3 ديوان عديّ بن زيد : 73 .
4 أنكر تهاني في ل : وقد أُنكرها ؛ الديوان : وقد حييتها .

وثـلاثٍ كالحمامـــاتِ بهــا ــ بـين مَجثاهــنَّ توشيمُ الحُمَمْ

وعلى هذا خُفِضَ قولُه : وثلاث كالحمامات . ومنها قوله :

كفى غِيَرُ الأيّام للمرءِ وازعا

صوت

[من الطويل]

بنـــاتِ كِــرامٍ لم يُرَبْنَ بضَرَّةٍ ــ دُمًى شَرِقــاتٍ بالعَبيرِ رَوادِعا[1]

يُسارِقْـــنَ مِ الأستارِ طَرْفــاً مُفَتَّراً ــ ويُبْرِزْنَ من فَتْقِ الخُدورِ الأصابعا[2]

بنات كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله ويُنصب به وهو قوله :

وأُصْبِي ظِباءً في الدِّمَقْسِ خواضِعا

بناتِ كرام هكذا في القصيدة على تواليها ، وقد يجوز رفعه على الابتداء . ويروى : بضُرَّةٍ وبضَرَّةٍ جميعاً بالضمِّ والفتح . والدُّمى : الصُّوَرُ ، واحدتُها دُمْيَةٌ . الغناء في هذين البيتين لابن قندحٍ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أنّه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزيعٍ ، وذكر حبشٌ أنّه لإبراهيم . ومنها[3] : [من الوافر]

صوت

أَرِقْتُ لمكفهِــرٍّ بـــاتَ فيـــه ــ بَــوارِقُ يرتَقِينَ رؤوسَ شِيبِ

تَـــــروحُ المشرَفِيَّـةُ في ذُراهُ ــ ويَجْلُو صفحةَ الذَّيــلِ القَشِيبِ

والمكفَهِرُّ والمكرهِفُّ : السحاب المتوالي المتراكب . والشِّيب : السحائب التي فيها سواد وبياض شبَّهها بالرؤوس الشِّيب ، وقال قوم : بل شِيبٌ : جبل معروفٌ . شبَّه البرق في السحاب بلَمَعانِ السُّيوف . ورواه ابن الأعرابيّ :

ويجلو صفحَ دَخْدارٍ قَشِيبِ

وقال : الدَّخْدارُ : الثوب المَصُونُ ، وهـو أعجميٌّ معرَّب أصله تخت دار . والقشيب : الجديد . الغناء لِعَرِيبَ ثقيل أوّل بالبنصر . ومنها من قصيدته التي أوّلها[4] : [من الوافر]

ألا يــا طـــالَ ليلي والنهارُ

---

1 روادع بالعبير : مخلَّقات بالعبير .

2 من فتق الخدور في ل : من فتق الستور .

3 ديوان عديّ : 37 (وقد تقدّم) .

4 ديوان عديّ : 132 (ولم يورد الشطر الثاني) .

صوت

[من الوافر]

ألا مَنْ مُبلغُ النعمانِ عنّي ... علانيةً فقد ذهبَ السِّرارُ
بأنّ المرءَ لم يُخلَقْ حَديداً ... ولا هَضْباً تَوَقَّاه الوِبارُ[1]
ولكنْ كالشِّهابِ فثمَّ يَخْبُو ... وحادِي الموتِ عنه ما يَحارُ
فهل مِن خالدٍ إما هلكنا ... وهل بالموتِ يا لَلنَّاسِ عارُ

الهَضْبُ : الجبلُ . والوِبار : جمع وَبْرٍ . والشِّهاب : السراج . ويخبو : يَطْفَأُ . الغناء لبابُويَه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش والهشاميّ . ومنها[2] : [من الوافر]

صوت

ألا مَنْ مُبلِغُ النعمانِ عنّي ... فبينا المرءُ أَعْزَبَ إذ أَراحا[3]
أطَعْتَ بني بُقَيْلَةَ في وَثاقِي ... وكنّا في حُلُوقِهِمُ ذُباحا[4]
منحتَهمُ الفُراتَ وجانبيْه ... وتَسقِينا الأواجِنَ والمِلاحا[5]

الغناء لحُنين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها[6] : [من الرمل]

صوت

مَنْ لقلبٍ دَنِفٍ أو مُعْتَمَدْ ... قد عَصى كلَّ نَصِيحٍ ومُفَدّ
لستُ إن سَلْمَى نأتني دارُها ... سامعاً فيها إلى قول أحدْ

المعتَمدُ : الذي عمَده الوجعُ يَعمِده عَمْداً . غنّاه ابن محرز ولحنُه خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو . وذكر يونس أنّ فيه لمالك لحناً ، ولِسَنانٍ الكاتب لحناً ، وهو ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش . ومنها[7] : [من الخفيف]

---

1 الوبار : جمع وبرة ، وهي – فيما يقال – دويبة تكون في الغور ولا تترقى الهضاب .
2 ديوان عدي : 120 .
3 أغاني الدار الوطنية أغرب ، وعنه الديوان ؛ وصوبناه ، معنى أعزب : خرج بماشية ليقيم في المرعى بعيداً عن مكان قومه ؛ أراح : رجع بها مساء إلى الحيّ وهذا كناية عن الحياة والموت .
4 الذباح : وجع في الحلق .
5 ل : وما يليه . الأواجن : جمع آجن ، وهو الماء الذي تغيّر طعمه ؛ والملاحا : الملح .
6 ديوان عدي : 42 .
7 ديوان عدي : 84 .

صوت

أَرَواحٌ مُـــوَدَّعٌ أم بُكــورُ لكَ فاعمِدْ لأيّ حـالٍ تَصِيرُ[1]
ويقولُ العُــداةُ أَوْدى عـديٌّ وعـديٌّ بسُخْـطِ ربٍّ أَسِيرُ[2]
أيُّها الشامتُ المعَيِّرُ بالدهــ ــرِ أأنــت المبـــرّأ الموفورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّا مِ بـل أنـت جاهلٌ مغرُورُ

يريد : أَرَواحٌ نودِّعُكَ فيه أم بكورٌ ؟ أيـّهما تُريد ؟ فاعمِدْ للذي تصيرُ إليه من أمر آخرتكَ . والموفورُ : الذي لم تُصِبه نوائب الدهر . الغناء لحُنَين من كتاب يونسَ ولم يذكر طريقته ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ حُنيناً غنّاه خالداً القَسْرِيّ أيّام حَرَّم الغِناء ، فرَقَّ له وقال : غَنِّ ولا تُعاشِرِ سفيهاً ولا مُعَرْبِداً . والخبر [في ذلك] يُذكر في أخبار حنين .

وممّا يُغنّى فيه أيضاً من شعر عديٍّ[3] : [من الهزج]

صوت

أَلا يـا ربَّمـا عَـزَّ خليلـــي فتهاونْتُ
ولو شئتُ على مَقْـدُ رَةٍ مِنِّـــي لعــاقبتُ
ولكن سَرَّنـي أن يعـ ـلَمُوا قَدْري فأَقْلعتُ
أَلا لا فاسألوا الفتيـ ـة ما قالوا وقد قمتُ

الغناء لسِياطٍ رمل عن الهشاميّ . وفيه ليحيى المكيّ خفيف ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له . ولِعَرِيبَ في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل . وبعدهما بيتٌ ليس من الشعر[4] وهو :

ولكنَّ حبيبي جلّ عندي فتغافلتُ

وممّا يُغنّى فيه من شعره[5] : [من السريع]

صوت

تَعرِفُ أمْسِ منْ لَمِيسَ الطَّلَلْ مثلَ الكتابِ الدارسِ الأحْوَلْ

---

1 الديوان : فاعلم .
2 هذا البيت هو رقم 43 من القصيدة ، والذي بعده هو التاسع عشر : ففي الترتيب اختلاف كبير .
3 ديوان عديّ : 119 .
4 ولكن جامع الديوان ألحقه بالأبيات السابقة .
5 ديوان عدي : 157 .

الذي قد دَرَس فلا يُقرأ .

أنعِمْ صَبَاحاً عَلْقَمَ بنَ عَدِي … أثَوَيْتَ اليومَ أم تَرْحَلْ
قد رحَّلَ الفِتيانُ عِيرَهُمُ … واللحمُ بالغِيطانِ لم يُنْشَلْ[1]
إذ هي تَسْبِي الناظرين وتجـ … ـلو واضحاً كالأُقْحُوانِ رَتِلْ

الرَّتِلُ : المستوي البِنيةِ .

عذباً كما ذقتُ الجَنِيَّ من التـ … ـفاحِ مَسْقِيّاً ببردِ الطَّلّ

هكذا يُغنَّى . والذي قاله عديّ : يَسقيهِ بردُ الطَّلّ . الغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ أنّ عمرَو بن امرىء القيس المكني بأبي شريح وعَلْقمة بن عديّ ، وقيل علقم بن عديّ بن كعب ، وعمرَو بن هند خرجوا إلى الصيد فأتوْا قصر ابن مُقاتِل[2] فمكثوا فيه يتصيّدون ، فزعموا أنّ علقمة بن عديّ تَبعَ حماراً فصرعه والشمسُ لم تَطلع ، ثم لحق آخر فطعنه فانقصف الرمح فيه ومرَّ به فرسُه يركض ، فجال به العَير فضربه فأصاب صدرَه فقتله ، وقيل : إنّ الرمحَ المنقصف دخل في صدره فقتله ، وذلك في أيّام الربيع ، وكان عديّ بن زيد معهم وإليه قصدوا ، وكان نازلاً في قصر ابن مقاتل ، فقال عديّ هذه القصيدة يرثيه بها .

صوت
من المائة المختارة[3]

[من الطويل]

عَفا مِنْ سُلَيْمَى مُسحُلانُ فحامِرُهْ … تَمَشَّى بِهِ ظُلْمانُه وجآذِرُهْ[4]
بمستأسِدِ القُرْيانِ عافٍ نَباتُه … فَنُوّارُه مِيلٌ إلى الشمس زاهِرُهْ[5]
رأتْ عارِضاً جَوْناً فقامَتْ غَريرةً … بمِسْحاتها قبلَ الظلامِ تُبادِرُهْ
فما بَرِحَتْ حتى أتى الماءُ دونها … وسُدّت نواحيه ورُفِّعَ دابِرُهْ[6]

1 الغيطان : الحقول المطمئنّة .
2 قصر ابن مقاتل (أو قصر مقاتل) كان في طريق الذاهب من عين التمر إلى الشام .
3 ديوان الحطيئة : 180 تحقيق نعمان أمين طه . القاهرة : 1958 .
4 مسحلان وحامر : موضعان في ديار الشام . الظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام ؛ والجآذر : أولاد البقر .
5 مستأسد القريان : النامي من نبات القريان وهي مجاري الماء . عافٍ نباتُه في ل : حوّ تلاعه .
6 سدّت في ل : وهدت .

عروضه من الطويل . عفا : درس . مُسحُلان : موضع . وحامِرُهُ : موضعٌ أضافه إلى مُسحُلان . والظُّلمان : ذكورُ النعام واحدُها ظليم . والجآذر : أولاد البقر واحدها جُؤذُر وجُؤذَر بضمّ الذال وفتحها . وتمشَّى : تُكْثِر المشيَ . والقُرْيانُ : مجاري الماء إلى الرِّياض واحدها قَرِيّ . والمستأسِدُ : ما التفَّ منها وطال . والنُّوّارُ يقال : إنّه يكون أبداً حِيالَ الشمس يستقبلها بوجهه ، فيقول : إنّ نُوّارَ هذه الروضة يميلُ زاهرُه حيالَ الشمس . والعارض : السحاب . والجون : الأسود . والغريرة : الناعمة التي لم تُجرِّب الأمورَ ، يقول : لما رأت هذه المرأة السحابة السوداء قامت بمِسْحاتها تُصلِحُ النؤيَ حوالَيْ بيتها وهو الحاجزُ بينه وبين الأرض المستوية . وقوله : رُفِّع دابرُه أي مؤخّره الذي يلي الماء من النؤي . الشعرُ للحطيئة يهجو الزِّبْرِقانَ بنَ بَدْر . والغناء لابن عائشة ولحنُه المختار خفيف رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر حبشٌ أنّ له فيه لحناً آخرَ من الثقيل الثاني .

[12] ـ خبر الحطيئة ونسبه[1]

والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر

[نسبه]

الحُطَيئةُ لقبٌ لُقِّبَ به ، واسمه جَرْوَلُ بنُ أَوْس بن مالك بن جُؤَيَّة بن مَخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيعةَ بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْـثِ بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار . وهو من فحول الشعراء ومتقدِّميهم وفصحائهم ، متصرِّفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مُجيد في ذلك أجمع ، وكان ذا شرٍّ وسَفَهٍ ، ونسبُه مُتدافَع بين قبائل العرب ، وكان ينتمي إلى كلّ واحدة منها إذا غضب على الآخرين .

[إسلامه وارتداده]

وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم . ثم ارتدّ وقال في ذلك[2] : [من الطويل]

أطعنا رسولَ الله إذ كان بيننا فيـا لَعِبادِ اللهِ مـا لأبِي بَكْرِ

أَيُورِثُها بكرا إذا مـات بعده وتلك لعمرُ الله قاصِمَةُ الظهرِ

[سبب لقبه الحطيئة]

ويُكْنى الحطيئة أبا مُلَيكة ، وقيل : إنّ الحطيئة غلَب عليه ولُقِّبَ به لقِصره وقُربه من الأرض . وقال حمّاد الراوية قال أبو نصر الأعرابيّ : سمِّيَ الحطيئة لأنّه ضَرِطَ ضرطةً بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إنّما هي حُطَيْئة ، فسمّي الحطيئة . وقال المدائنيّ قال أبو اليقظان : كان الحطيئة يدَّعي أنّه ابن عمرو بن علقمة أحد بني الحارث بن سَدوس ، قال : وسمّي الحطيئة لقربه من الأرض .

[انتماؤه إلى بني ذهل بن ثعلبة]

أخبرني الفضل بن الحُباب[3] الجُمَحيّ أبو خليفة في كتابه إليّ بإجازته لي يذكر عن محمد بن

---

1 في ترجمة الحطيئة وأخباره انظر (الشعر والشعراء) : وابن سلام : 110–121 والموشح : 139–141 والخزانة 3 : 287–295 (جرول) ووصية الحطيئة في تذكرة ابن حمدون 3 : 269–271 (تحقيق إحسان عبّاس وبكر عباس دار صادر ، بيروت 1996) .

2 الشعر في تاريخ الطبريّ 3 : 246 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ونسبه لعبد الله الليثي ، وانظر ديوان الحطيئة : 329 والبيت الأوّل في الأغاني هو السابع في الديوان ، من قصيدة مطلعها :

ألا كلّ أرمـاح قصـار أذلــة فداء الأرماح ركزن على الغمر

3 طبقات ابن سلام 1 : 158 وانظر الديوان : 81 .

سَلاَّم : أنّ الحطيئة كان ينتمي إلى بني ذُهل بن ثعلبة فقال : [من الكامل]

إنّ اليمامــةَ خيرُ ساكنهــا   أهلُ القُرَيَّـةِ مـن بني ذُهْلِ

قال : والقُريّة : منازلهم ، ولم ينبت[1] الحطيئة في هؤلاء .

[تلوّنه في نسبه]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال : سمعتُ خِراشَ بن إسماعيل وخالد بن سعيد يقولان : كان الحطيئة إذا غضب على بني عَبسٍ يقول : أنا من بني ذُهل ، وإذا غضب على بني ذُهل قال : أنا من بني عبس .

أخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيّ قال قال حمّاد بن إسحاق قال أبي قال ابن الكلبيّ : كان الحطيئة مغموز النسب ، وكان من أولاد الزنا الذين شَرُفوا .

قال إسحاق وقال الأصمعيّ : كان الحطيئة يضربُ بنسبه إلى بكر بن وائل فقال في ذلك[2] : [من مجزوء الكامل]

قومي بنو عَوْفِ بن عمـ   ـرٍو إن أرادَ العلمَ عالِمْ
قــومٌ إذا ذهبَــتْ خَضا   رِمُ منهمُ خَلَفَتْ خَضارِمْ
لا يَفْشَلُـــون ولا تَبِيـــ   ـتُ على أُنوفِهِمُ المَخاطِمْ

قال الأصمعيّ : وقَدِمَ الحطيئة الكوفة فنزل في بني عوف بن عامر بن ذُهل يسألهم وكان يزعم أنّه منهم وقال في ذلك[3] : [من البسيط]

سِيرِي أُمــامَ فإنَّ المالَ يجمعُه   سَيْبُ الإلــه وإقْبالِــي وإدباري
إلى معاشرَ منهـــم يــا أُمــامَ أبي   من آل عَوْف بُـدُوءٍ غيرِ أَشْرارِ[4]
نمشي على ضوء أحسابٍ أَضأْنَ لنا   ما ضَوَّأَتْ ليلةُ القَمْراءِ لِلسَّارِي[5]

[خبره مع أخويه من أوس بن مالك]

وقال ابن دريد في خبره عن عمّه عن ابن الكلبيّ عن أبيه ، وحَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان أوس بن مالك بن جُؤَيَّة بن مَخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيعة بن عبس تزوّج بنت رِياح بن عمرو بن عوف بن الحارث بن سَدُوس بن شيبان بن

1 ل : يثبت .
2 ديوان الحطيئة : 80 .
3 ديوان الحطيئة : 78–79 .
4 البدوء : السادة والمفرد بدء .
5 الشطر الثاني في الديوان : كما أضاءت نجوم الليل للساري .

ذُهل بن ثعلبة ، وكان له أَمَةٌ يقال لها الضَّرَّاء فأَعلقها بالحطيئة ورحل عنها . وكان لبنت رياح أخٌ يقال له : الأَفقَم ، وكان طويلاً أفقم [1] ، صغير العينين ، مضغوط اللَّحْيين ، فولدتِ الضَّراء الحطيئة فجاءت به شبيهاً بالأفقم ، فقالت لها مولاتها : من أين هذا الصبيّ ؟ فقالت لها : من أخيك ، وهابت أن تقول لها من زوجك ، فشبَّهتْه بأخيها ؛ فقالت لها : صدقتِ . ثم مات أوس وترك ابنين من الحُرّة ، وتزوّج الضَّرَّاء رجلٌ من بني عبس فولدت له رجلين فكانا أُخوي الحطيئة من أمّه . فأعتقت بنت رياحٍ الحطيئة وربَّته فكان كأنّه أحدُهما . وترك الأفقم نخلاً باليمامة . فأتى الحطيئة أخويه من أوس بن مالك وقد كانت أمّه لما أعتقتها بنت رياح اعترفت أنّها اعتلقتْ من أوس بن مالك ، فقال لهم : أفرِدوا إليّ من مالكم قطعةً فقالا : لا ، ولكن أقِمْ معنا فنحن نُواسيك فقال [2] : [من الكامل]

أأَمَرْتُماني أن أُقِيـمَ عليكما كلاَّ لعَمْرُ أبيكما الحَبَّاقِ
عبدانِ خيرُهما يُشَلُّ بضَبْعِه شَلَّ الأجير قلائصَ الوَرَّاقِ [3]

[سأل أمّه من أبوه فخلطت عليه]

قال : وسأل الحطيئةُ أمَّه : مَن أبوه فخَلَطتْ عليه فقال [4] : [من الطويل]

تقـول ليَ الضرَّاءُ لستَ لواحِدٍ ولا اثنين فانظر كيفَ شِرْكُ أُولئكا
وأنتَ امرؤٌ تبغِي أباً قـد ضَلَلْتَه هَبِلْـتَ ألَّا تَسْتَفِقْ من ضَلالِكا

[خبره مع إخوته من بني الأفقم]

قال : وغضِبَ عليها فلحِقَ بإخوته بني الأفقم فقال : [من البسيط]

سِيري أُمامَ فإن المـال يجمعُه سَيبُ الإله وإقبـالي وإدباري

قال : فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال : [من الكامل]

إنّ اليمامــةَ خيرُ ساكِنِهـا أهلُ القُرَيَّــةِ مـن بنـي ذُهلِ

وسألهم ميراثَه من الأفقم فأعطَوْه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعى نخلات أُمّ مُليكة ، وأمّ مليكة : امرأةُ الحطيئة ، فقال : [من الطويل]

1 أفقم : في أسنانه عيب .
2 ديوان الحطيئة : 281 .
3 يشل : يطرد ، بضبعه : بوسط عضده . الورّاق : صاحب الورِق ، أي ذو المال .
4 ديوان الحطيئة : 276 .

لِيَهْنِي تُراثِي لامرىءٍ غيرَ ذِلَّةٍ ... صَنابيرُ أُحْـدانٌ لهـنّ حَفيفُ

قال : ثم لم تُقْنِعه النُّخيلات ، وقد أقام فيهم زماناً فسألهم ميراثه كاملاً من الأفقم فلم يُعطوه شيئاً وضربوه[1] ، فغضب عليهم وقال[2] : [من الطويل]

تَمنّيتُ بكرا أن يكونوا عِمارتي ... وقومِـي وبَكرٌ شرُّ تلك القبائلِ[3]

إذا قلـتُ بَكْرِيٌّ نَبَوْتُمْ بحاجتي ... فيا ليتني مِـن غيرِ بكرِ بن وائلِ

فعاد إلى بني عبس وانتسب إلى أَوْس بن مالك . وقال الأصمعيّ في خبره : لمّا أتى أهل القُرَيَّة ، وهم بنو ذُهْلٍ ، يطلب ميراثه من الأفقمِ مدحهم فقال : [من الكامل]

إنّ اليمامـةَ خيرُ ساكِنِهـا ... أَهلُ القُرَيَّة من بني ذُهْلِ

الضامنون لمـالِ جارِهِـمُ ... حتى يتـمَّ نـواهضُ البقلِ

قـوم إذا انتسبوا ففرعُهُم ... فرَعِي وأثبتُ أَصْلِهم أَصْلِي

قال : فلم يُعطوه شيئاً ، فقال يهجوهم : [من الكامل]

إنّ اليمامـة شَرُّ ساكنهـا ... أهلُ القُرَيَّـة من بني ذُهْلِ

[تزوّجت أمّه فهجاها]

وقال أبو اليَقْظان في خبره : كان الرجل الذي تزوّج أمّ الحطيئة أيضاً ولدَ زنا اسمه الكَلْب بن كُنَيس بن جابر بن قَطَن بن نَهشل ، وكان كُنَيس زنى بأمَةٍ لزُرارة يقال لها رُشَيَّةُ ، فولدت له الكلبَ ويَربوعاً ، فطلبهم من زُرارة فمنعه منهم ، فلمّا مات طلبهم من ابنه لَقِيطٍ فمنعه ؛ وقال لقيطُ في ذلك : [من الطويل]

أفِي نصفِ شهر ما صَبَرتم لحقِّنا ... ونحنُ صبرنَـا قبـل ذاكَ سِنِينا

وهي أبيات . فتزوّج الكلب الضَّرَّاء أمَّ الحطيئة ؛ فهجاه الحطيئة وهجا أُمَّه فقال[4] : [من الكامل]

ولقد رأيتُـكِ في النساءِ فسُؤتِني ... وأَبـا بنيكِ فساءني في المجلسِ

إنّ الذليـل لمـن تَـزُور ركابُه ... رهطَ ابن جَحْشٍ في الخُطوبِ الحُوّسِ[5]

---

1 ل : فصرفوه .

2 ديوان الحطيئة .

3 العمارة : القبيلة .

4 ديوان الحطيئة : 273 .

5 الحوس : الشداد .

قَبــحَ الإلــهُ قبيلــةً لم يَمنعُــوا يومَ المُجَيْمِر جارَهم مِــن فَقْعَسِ[1]
أبلغْ بنــي جَحْش بــأنّ نِجارَهم لــؤمٌ وأنّ أباهــمُ كالهِجْرِسِ[2]

وقال الحطيئة يهجو أمه[3] : [من الوافر]

جـزاكِ اللهُ شرّاً من عجوزٍ ولقّـاكِ العُقُوقَ مــن البنينِ
فقد مُلِّكتِ أمرَ بنيكِ حتى تركتِهِمُ أدقَّ مــن الطَّحِينِ[4]
فإن تُخْلَيْ وأمرَكِ لا تَصُولي بمشْتدٍّ قُــواهُ ولا مَتِينِ
لسانُكِ مِبْرَدٌ لا خير فيــه ودَرُّكِ دَرُّ جاذبــةٍ دَهِينِ[5]

وقال يهجو أمّه أيضاً[6] : [من الوافر]

تَنَحَّيْ فاجلِسي مِنّي بعيداً أراحَ اللهُ منـكِ العالَمينـا
أغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سِرّاً وكانونــاً على المتحـدّثينا
حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سُوءٍ وموتُكِ قــد يسرُّ الصالحِينا

[هجاء دنيء النفس فاسد الدين]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : كان الحطيئة جَشِعاً سَؤولاً مُلحِفاً ، دنيءَ النفس ، كثير الشرِّ ، قليل الخير ، بخيلاً ، قبيح المنظر ، رَثَّ الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدِّين ، وما تشاء أن تقول في (شعر) شاعرٍ من عيبٍ إلاّ وجدته ، وقلّما تجد ذلك في شعره .

أخبرني ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : بُخلاء العرب أربعةٌ : الحطيئة ، وحميد الأَرقَط ، وأبو الأسود الدُّؤَلِيّ ، وخالد بن صفوان .

أخبرنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة : كان الحطيئة بَذِيّاً هَجَّاءً ، فالتَمس ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول[7] : [من الطويل]

1 المجيمر : أرض أو جبل ببلاد بني أسد . فقعس : قبيلة من بني أسد .
2 الهجرس : ولد الثعلب .
3 ديوان الحطيئة : 278 .
4 فقد ملكت في الديوان : فقد سُوِّسْتِ .
5 لا خير فيه في ل : لا عيب فيه ؛ الديوان : لم يبق شيئاً . الجاذبة : الناقة التي تجذب لبنها فلا ينزل ، والدهين : الناقة القليلة اللبن .
6 ديوان الحطيئة : 277 .
7 ديوان الحطيئة : 282 .

أَبَتْ شَفَتايَ اليومَ إلاّ تكلُّماً ... بشرٍّ فما أَدْرِي لِمن أنا قائِلُهْ

وجعل يُدَهْوِرُ هذا البيت في أشداقِه ولا يرى إنساناً ، إذ اطّلع في رَكِيٍّ أو حوض فرأى وجهه فقال : [من الطويل]

أرى لِيَ وجهاً شَوَّهَ اللّهُ خَلْقَه ... فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

[قدم المدينة فجمعت له قريش العطايا خوفاً من شرّه]

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء : حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثني عمّي قال : قدِم الحطيئة المدينة فأَرْصَدَت قريشٌ له العطايا خوفاً من شرِّه ، فقام في المسجد فصاح : مَن يحمِلني على بغلين .

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاَّم[1] وأخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائنيّ ومُصعبٌ : كان الحطيئة سؤولاً جَشِعاً ، فقدِم المدينة وقد أرصَدَتْ له قريش العطايا ، والناس في سَنَةٍ مُجدِبةٍ وسَخطةٍ من خليفة[2] ، فمشى أشرافُ أهلِ المدينة بعضهم إلى بعض ، فقالوا : قد قدِم علينا هذا الرجل وهو شاعر ، والشاعر يَظُنّ فيُحقِّق ، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله ، فإن أعطاه جَهْدَ نفسِهِ بَهَرَها[3] ، وإن حرمَه هجاه ، فأُجمع رأيُهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعَدّاً يجمعونه بينهم له ، فكان أهلُ البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار ، وظنّوا أنّهم قد أغنَوه ، فَأَتَوه فقالوا له : هذه صلة آلِ فلانٍ وهذه صلةُ آل فلان وهذه صلة آل فلان ، فأخذها ؛ فظنّوا أنّهم قد كَفُّوه عن المسألة ، فإذا هو يومَ الجمعة قد استقبل الإمام ماثلاً ينادي : مَن يحملني على بغلين وقاه الله كَبَّةَ جهنّم[4] .

[كان متين الشعر]

ووصف أبو عبيدة ومحمد بن سلاّم شعرَ الحطيئة فجمعتُ متفرقَ ما وصفاه به في هذا الخبر ، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم وابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قالا :

كان الحطيئة مَتينَ الشعر ، شَرودَ القافية[5] ، وكان دنيءَ النفس ، وما تشاء أن تطعن في

1 طبقات ابن سلام 1 : 113 (الفقرة : 130) .

2 في سخطة من خليفة أي غضبة ؛ وقد توفي الحطيئة سنة 59هـ ؛ وقد يكون الخليفة هو معاوية ؛ ولعلّه كان مغضباً على أهل المدينة .

3 بهر نفسه : كلفها فوق ما تطيق .

4 كبّة جهنّم : شدّتها وصدمتها .

5 القافية الشرود : القصيدة التي تسير في البلاد .

شعر شاعر إلاّ وجدت فيه مطعَناً ، وما أقلّ ما تجد ذلك في شعره .

[وضعه كعب بن زهير بعده في الشعر فهجاه مزرد بن ضرار]

قالا : فبلغ من دناءة نفسه أنّه أتى كعب بن زهير ، وكان الحطيئةَ راوِيةَ زهير وآل زهير ، فقال له : قد علمتَ روايتي لكم أهلَ البيت وانقطاعي إليكم ، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسَكَ وتضعُني موضعاً بعدك ، وقال أبو عبيدة ؛ تبدأ بنفسك فيه ثم تُثنّي بي ، فإنّ الناس لأشعاركم أروَى وإليها أسرع ! فقال كعب[1] : [من الطويل]

فمَن للقوافي شانَها مَنْ يَحوكُها إذا ما ثَوى كعبٌ وفوَّز جَرْوَلُ
كَفَيتُكَ لا تلقَى من الناس واحداً تَنَخَّلَ منها مثلَ ما نَتَنَخَّلُ
نقولُ فلا نعيا بشيءٍ نقولُه ومِن قائليها مَنْ يُسيىء ويُجْمِلُ
نُثَقِّفُها حتّى تَلِينَ مُتُونُها فيقصرُ عنها كلّ ما يُتمَثَّلُ

قال : فاعترضه مُزَرِّدُ بن ضِرار ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّمَّاخ ، وكان عِرِّيضاً أي شديد العارِضة كثيرَها ، فقال[2] :

باستك إذ خلّفتَني خلفَ شاعرٍ من الناس لم أُكفِيء ولم أتنحّلِ[3]
فإن تَخْشِبا أَخْشِب وإن تتنخَّلا وإن كنتُ أَفْتى منكما أتنخَّلِ[4]
فلستَ كحَسّانَ الحُسامِ ابنِ ثابتٍ ولست كَشمّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ

[هجا قومه ومدح إبله]

نسختُ من كتاب الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن الضحَّاك قال : أنشد الحطيئةُ عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدح إبله فقال[5] : [من الطويل]

مَهارِيسُ يُرْوِي رِسْلُها ضيفَ أهلِها إذا الريحُ أبدتْ أوجُهَ الخَفِراتِ[6]

1 ديوان كعب بن زهير (شرح السكري) : 59–60 (دار الكتب 1950) .
2 أبيات مزرد وردت في ديوان كعب : 64 وما بعدها .
3 أكفأ : جاء بالإكفاء ، وهو عيب في القافية . تنحّل : ادّعى شعراً لنفسه وهو ليس له .
4 خشب الشعر جاء به كما جادت به القريحة دون تنقيح ؛ وقد تقرأ «خشن» بالنون .
5 ديوان الحطيئة : 322 .
6 المهاريس : النوق التي تأكل العيدان (تهرسها) إذا لم تجد كلأً . رسلها : حليبها .

يُزيلُ القَتادَ جذبُها بأصولِه ... إذا أصبحتْ مُقْوَرَّةً خَرِصاتِ[1]

[دخل عند سعيد بن العاص فأنكره الناس ثم عرف فكرّم]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن التَّوَّزيّ عن أبي عبيدة قال : بينا سعيد بن العاص يُعَشِّي الناس بالمدينة والناس يخرجون أوّلاً أوّلاً ، إذ نُظِر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر ، رثّ الهيئة ، جالسٍ مع أصحاب سَمَرِه ، فذهب الشُّرَطُ يُقيمونه فأبى أن يقوم ، وحانتْ من سعيدٍ التفاتةٌ فقال : دَعُوا الرجل ، فتركوه ؛ وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مَلِيّاً ؛ فقال لهم الحطيئة : والله ما أصبتم جَيِّدَ الشعرِ ولا شاعِرَ العرب ؛ فقال له سعيد : أتعرِف من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ؛ قال : فمن أشعرُ العرب ؟ قال : الذي يقول : [من الخفيف]

لا أعُدُّ الإقتارَ عُدماً ولكن ... فَقْدُ مَنْ قد رُزِئتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ؛ فقال له : مَن يقولها ؟ قال : أبو دُوادٍ الإياديُّ ؛ قال : ثم مَن ؟ قال : الذي يقول : [من الرجز]

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُدرَكُ بالـ ... ـجهلِ وقد يُخدَّعُ الأريبُ[2]

ثم أنشدها حتى فرغ منها ؛ قال : ومن يقولها ؟ قال عَبِيد بن الأبرص ؛ قال : ثم من ؟ قال : والله لَحَسْبُك بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رجليّ على الأخرى . ثم عَوَيت في أثر القوافي عُواء الفَصيل الصّادِي ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيئةُ ؛ قال : فرحّبَ به سعيد ، ثم قال : أسأت بكتمانك نفسَك منذ الليلة ؛ ووصَله وكساه .

[عتيبة بن النهاس يكرمه عندما عرفه]

ومضى لوجهه إلى عُتيبة بن النَّهَّاس العِجْليّ فسأله ؛ فقال له : ما أنا على عملٍ فأعطيكَ من عدده ، ولا في مالي فضل عن قومي ؛ قال له : فلا عليك ، وانصرف . فقال له بعض قومه : لقد عرّضتنا ونفسَك للشرّ ؛ قال : وكيف ؟ قالوا : هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبثَ هجاء ؛ فقال : رُدّوه ، فردّوه إليه ، فقال له : لِمَ كتمتنا نفسَك كأنّك كنت تطلب العِلَل علينا ؟ اجلسْ فلك عندنا ما يسرّك ؛ فجلس فقال له : مَن أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

ومَنْ يَجعَلِ المعروفَ من دون عِرْضِه ... يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِي الشَّتمَ يُشتَمِ[3]

1 مقورة : مهزولة . خرصات : جائعات ، وفي ل : خورات .

2 أفلح : أي أبقَ . وفي ل : أدرك .

3 يفره : يكمله .

فقال له عتيبة : إنّ هذا من مقدّمات أفاعيك ؛ ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلب شيئاً إلاّ اشتريته[1] له ؛ فجعل يَعرِضُ عليه الخزَّ ورقيقَ الثياب فلا يريدها ويُومِىء إلى الكرابيس[2] والأكسية الغِلاظِ فيشتريها له حتى قضى أربَه ثم مضى ؛ فلمّا جلس عتيبة في نادي قومه أقبل الحطيئة ، فلمّا رآه عتيبة قال : هذا مقامُ العائذِ بك يا أبا مُليكة من خيرك وشرّك ؛ قال : قد كنتُ قلتُ بيتين فاستمِعْهما ثم أنشأ يقول[3] : [من الطويل]

سُئِلتَ فلم تبخَل ولم تُعْطِ طائـلاً فَسِيّانِ لا ذمٌّ عليـكَ ولا حمـدُ[4]
وأنتَ امرؤ لا الجودُ منكَ سَجِيّةٌ فتُعطِي ولا يُعدِي على النائل الوُجْدُ

ثم ركض فرسَه فذهب .

[ليس في شعره مطعن]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزيَد البُوشَنْجِيّ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن عمرو الجَرجَرائيّ[5] عن أبي صفوان الأحوزيّ[6] قال : ما من أحدٍ إلاّ لو أشاء أن أجِدَ في شعره مطعَناً لوجدته إلاّ الحطيئة[7] .

[رأي إسحاق في شعره]

قال حمّاد : وسمعت أبي يقول وقد أَنشَدَ قولَ الحطيئة : [من الطويل]

وفتيـانِ صدقٍ مـن عَـدِيٍّ عليهـمُ صفائحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعَواتِقِ
إذا ما دُعُوا لم يَسأَلُوا مَنْ دعاهمُ ولم يُمْسِكوا فَوقَ القلوبِ الخَوافِقِ
وطارُوا إلى الجُرْدِ العِتاقِ فأَلْجموا وشَدُّوا على أوساطهم بالمَناطِقِ
أولئك آباءُ الغَريب وغاثَةُ الصَّرِ يـخِ ومـأوَى المُرْمِلـين الدَّرادِقِ
أَحَلُّوا حِياضَ الموتِ فوقَ جِباهِهِم مكانَ النَّواصي من وجوهِ السَّوابِقِ

ويروى :

---

1 ل : ابتعته .
2 الكرابيس : الثياب القطنية .
3 ديوان الحطيئة : 329 .
4 طائلاً في ل : نائلاً .
5 ل : الجرجاني .
6 ل : الأحوذي .
7 ديوان الحطيئة : 394 .

«إذا استُلْحِموا» . . . . وإذا ركبوا لم ينظروا عن شِمالهم

ويروى : أولئك أبناء العَزِيف ، ثم قال : أما إنّي ما أزعم أنّ أحداً بعد زُهير أشعرُ من الحطيئة .

[وافقه ابن ميادة في شطر فعرف أنّه شاعر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : بلغني أنّه لّما قال ابن مَيّادة :

تمشّى بــه ظُلْمانه وجآذِرُهْ

قيل له : قد سبقك الحطيئة إلى هذا ، فقال : والله ما علمتُ أنَّ الحطيئة قال هذا قطّ ، والآن علمتُ والله أنّي شاعرٌ حين واطأتُ الحطيئة .

[رأي الأصمعيّ في شعره]

قال حمّاد : قال أبي : وقال لي الأصمعيّ وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة : أفسد مثلَ هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع .

[سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه]

قال حمّاد : قال أبي : وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنّه قال : لقيت الحطيئة بذات عِرقٍ[1] فقلت له : يا أبا مُليكة ، مَن أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنّه لسان الحيّة ثم قال : هذا إذا طَمِع .

[قابل حسّان متنكّراً وسمع من شعره]

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن طلحة وكان قد قارب ثمانين سنة قال : أخبرني بعض أشياخنا أنّ أعرابيّاً وقف على حسّان بن ثابت وهو يُنشِد ، فقال له حسّان : كيف تسمع[2] يا أعرابيّ ؟ قال : ما أسمع[3] بأساً ؛ قال حسّان : أما تسمعون إلى الأعرابيّ ؟ ما كنيتكَ أيّها الرجل ؟ قال : أبو مُلَيكة ، قال : ما كنتَ قطُّ أهونَ عليّ منك حين اكتنيتَ بامرأة ، فما اسمك ؟ قال : الحطيئة ، فأطرق حسّان ثم قال له : امضِ بسلام .

[الحطيئة وابن الحمامة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال[4] : مرّ ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته ، فقال : السلام عليكم ؛ فقال : قلتَ ما لا يُنكر ؛ قال : إنّي خرجت

---

1 ذات عرق : على الحدّ بين نجد وتهامة .

2 ل : كيف ترى .

3 ل : ما أرى .

4 الحكاية في التذكرة الحمدونية 2 : 318 (رقم : 380) .

من [عند] أهلي بغير زاد ؛ فقال : ما ضَمِنتُ لأهلك قِراك ؛ قال : أفتأذن لي أن آتيَ ظلَّ بيتك فأتفيّأ به ؟ قال : دونكَ الجبلَ يفِيءُ عليك ؛ قال : أنا ابن الحمامة ؛ قال : انصرف وكن ابن أيّ طائر شئت .

وأخبرنا بهذا الخبر اليزيديّ عن الخزّاز[1] عن المدائنيّ فحكى ما ذكرناه من قول الحطيئة عن أبي الأسود الدُّؤَليّ .

وأخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة والمدائنيّ قالا[2] : أتى رجلٌ الحطيئة وهو في غنم له فقال له : يا صاحبَ الغنم ، فرفع الحطيئة العصا وقال : إنّها عَجراء من سَلَم ؛ فقال الرجل : إنّي ضيف ؛ فقال : للضّيفانِ أعددتُها ، فانصرف عنه . قال إسحاق : وقال غيرهما : إنّ الرجل قال له : السلام عليكم ؛ فقال له : عَجْراء من سَلَم ؛ فقال : السلام عليكم ؛ فقال : أعددتُها للطُّرّاق ؛ فأعاد السلام فقال له : إن شئتَ قمتُ بها إليك ؛ فانصرف الرجل عنه .

[«إنّما أنا حسب موضوع»]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : زعم الجاحظ أنّ الحطيئة كان يقول : إنّما أنا حسَبٌ موضوعٌ ؛ فسمع عمرو بن عُبَيد رجلاً يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صِدِّيقة ، فقال عمرو : كذب تَرَّحَه الله إنّما ذلك التقوى .

[يهجو أضيافه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعيّ : لم ينزل ضيفٌ قطُّ بالحطيئة إلاّ هجاه ، فنزل به رجلٌ من بني أسد لم يسمِّه الأصمعيّ ، وذكر أبو عبيدة أنّه صَخْر بنُ أَعْيَى الأَسَدِيّ أحدُ بني أَعْيَى بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين ، فسقاه شَرْبةً من لبنٍ ، فلمّا شربها قال[3] : [من الطويل]

لَمّا رأيتُ أنّ مَنْ يبتغِي القِرَى ... وأن ابنَ أعْيَى لا محالةَ فاضِحِي
شَدَدْتُ حَيازيمَ ابنِ أعيى بشربةٍ ... على ظَمإ سَدَّتْ أصولَ الجوانِحِ

وروى الأصمعيّ شَدَّتْ بالشين المعجمة :

ولم أَكُ مثلَ الكاهِليِّ وعِرْسِه ... بَغى الوُدَّ من مَطْروفَةِ العينِ طامِحِ[4]

1 الخزاز : هو أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز (بزاءين) .
2 الحكاية التالية في التذكرة الحمدونية 2 : 318 (رقم : 821) .
3 ديوان الحطيئة : 317 .
4 الكاهليّ : رجل من بني كاهل ، سقته زوجه سمّاً . مطروفة العين في ل : مطروفة الودّ .

غدا باغياً يَبْغِـي رضاهـا وودَّهـا وغابتْ له غيبَ امرىء غيرِ ناصِحِ
دعَتْ ربَّهـا ألاّ يـزالَ بفاقـةٍ ولا يغتَدِي إلاّ على حـدٍّ بارِحِ[1]

قال فأجابه صخرُ بن أعْيَى فقال[2] : [من الطويل]

ألا قَبَّـحَ اللهُ الحطيئـةَ إنّـه على كلِّ ضيفٍ ضافَه هو سالِحُ
دُفِعْتُ إليه وهـو يخنُقُ كلبَه ألا كلُّ كلبٍ لا أبا لكَ نابحُ
بكَيتَ على مَذْقٍ خبيثٍ قَرَيْتَه ألا كلُّ عَبْسِيٍّ على الزاد شائحُ

قال أبو عبيدة وهجا الحطيئة أيضاً رجلاً من أضيافه فقال[3] : [من الوافر]

وسَلَّمَ مرّتـينِ فقلتُ مهـلاً كفتكَ المرّةُ الأولى السّلاما
ونَقْنَـقَ بطنُـه ودعـا رُؤَّاساً لِمَا قد نالَ من شِبَعٍ وناما[4]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاَّم عن يونس أنّ الحطيئة خرج في سفر له ومعه امرأته أُمامة وابنته مُلَيكة ، فنزل منزِلاً وسرحَ ذَوْداً له ثلاثاً ، فلمّا قام للرَّواح فقَد إحداها فقال : [من الوافر]

أذئبُ القفـرِ أم ذئبٌ أَنيسٌ أصابَ البَكْرَ أم حَدَثُ الليالي
ونحـن ثلاثـةٌ وثَـلاثُ ذَوْدٍ لقد جارَ الزمانُ على عِيالِي

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العربُ بيتاً قطُّ أصدقَ من بيت الحطيئة : [من البسيط]

مَنْ يَفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازِيَه لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنّاسِ

فقيل له : فقولُ[5] طَرَفَة : [من الطويل]

سَتُبدِي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيـكَ بالأخبـار مَـنْ لم تُزوِّدِ

فقال : من يأتيك بها ممّن زَوّدتَ أكثر ، وليس بيتٌ ممّا قالته الشعراء إلاّ وفيه مَطعَنٌ إلاّ قولَ[6] الحطيئة : [من البسيط]

لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

1 إلا على في ل : إلاّ رأى . أي لا يقابله إلاّ الطائر البارح الذي يتشاءم به .
2 شعر ابن أعين في ديوان الحطيئة : 319–320 .
3 ديوان الحطيئة : 353 .
4 نقنق : قرقر ، لأنّه شبع ، فنادى : يا بني رؤاس ، أشرّاً منه وبطراً .
5 ل : فبيت .
6 ل : بيت .

قال إسحاق قال المدائنيّ قال سَلْم بن قتيبة : ما أعلم قافيةً تستغني عن صدرها وتدلّ عليه وإن لم يُنشَد مثل قول الحطيئة :

لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

[كتب له الأصمعيّ أربعين قصيدة في ليلة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا الرِّياشيّ قال سمعت الأصمعيّ يقول : كتبت للحطيئة في ليلةٍ أربعين قصيدة .

[«لا يذهب العرف . . .» في التوراة وهو من تخرصات كعب الأحبار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : بلغني أنّ هذا البيت في التوراة ، ذكره غير واحد عن أُبَيّ بن كعب . يعني قول الحطيئة : [من البسيط]

لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيُّوب بن عثمان الدِّمشقيّ عن عثمان بن أبي عائشة قال : سَمِعَ كَعبٌ الحِبْرُ رجلاً يُنشِد بيت الحطيئة : [من البسيط]

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازيَه ... لا يذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والناسِ

فقال : والذي نفسي بيده إنّ هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة . قال إسحاق قال العمريّ : والذي صحّ عندنا في التوراة «لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والعبادِ» .

[أوصى عبيد الله بن شدّاد ابنه بشعره]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عدنان : لمّا حضَرتْ عبيد الله بن شدّاد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له : يا بُنيّ إنّي أرى داعِيَ الموتِ لا يُقلِعُ ، وبِحقٍّ أنّ مَن مضى لا يرجع ، ومن بَقِي فإليه ينزِعُ . يا بنيّ ، لِيكُن أَولى الأمور بك تقوى الله في السرّ والعلانية ، والشكر لله ، وصِدقَ الحديث والنيّة ، فإنّ للشكر مزيداً ، والتقوى خيرُ زادٍ ، كما قال الحطيئة[1] : [من الوافر]

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ... ولكنّ التقيّ هو السعيدُ
وتقوَى الله خيرُ الزاد ذخراً ... وعندَ اللهِ للأتقى مَزِيدُ
وما لا بدّ أن يأتيَ قريبٌ ... ولكنّ الذي يمضي بعيدُ

[روى حمّاد لبلال مدحه في أبي موسى الأشعريّ]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قَدِم حمّاد

1 الأبيات أضيفت إلى ديوانه : 393 .

الراوية البصرة على بِلال بن أبي بُردة وهو عليها ؛ فقال له : ما أطرفتَني شيئاً يا حمّاد ؛ قال : بَلى ، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأشْعَريّ يمدحه : [من البسيط]

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن جُشَمٍ ومن تَميم ومن حاءٍ ومن حامِ
مُسْتَحقبات رَواياهـا جَحافِلَها يَسْمُو بها أَشْعَريٌّ طَرْفُه سامِي

فقال له بلال : وَيحكَ ؛ أيمدحُ الحطيئة أبا موسى الأشعريَّ وأنا أروي شعرَ الحطيئة كلَّه فلا أعرفُها ؛ ولكن أشِعْها تذهَب في الناس .

وذكر المدائنيّ أنّ الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى ، وأنّها صحيحة . قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده : [من البسيط]

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أَسَدٍ

وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو :

فما رضيتَهـمُ حتـى رَفدْتَهمُ بوائلٍ رهطِ ذي الجَدَّينِ بِسْطامِ

فوصله أبو موسى ؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك ؛ فكتب إليه : إنّي اشتريت عِرضي منه بها ؛ فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنّما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنتَ[1] . ولمّا وَلِيَ بلالُ بنُ أبي بُرْدَةَ أنشده إيّاها حمّادٌ الراوية فوصله أيضاً .

[كذبه عمر في بيت قاله]

ونسختُ من كتاب لحمّاد بن إسحاق حدّثني به أبي وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن الرياشيّ قال حدّثني محمد بن الطُّفيل عن أبي بكر بن عيَّاش عن الحارث بن عبد الرحمن عن مكحول قال : سبَق رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على فرس له فجَثا على ركبتيْه وقال : «إنّه لبَحْر» ؛ قال عمر : كذَب الحطيئة حيث يقول : [من الطويل]

وإنّ جيـادَ الخيـل لا تستفِزُّنا ولا جاعلاتُ الرَّيطِ فوقَ المَعاصِمِ[2]

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسول الله ﷺ .

[أراد سفراً فاستعطفته امرأته فرجع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة أنّ الحطيئة أراد سفراً فأتته امرأته وقد قُدِّمتْ راحلته ليركب ، فقالت : [من الكامل]

---

1 هذا خبر غريب .

2 يوصف الفرس بأنّه بحر إذا كان واسع الخطو .

اذكُرْ تحنُّنَنا إليكَ وشوقَنا وَاذكُرْ بناتِكَ إنّهنّ صِغارُ

فقال : حُطُّوا ، لا رحلتُ لسفرٍ أبداً .

[رجل ضاف قوماً من الجنّ فيهم صاحب الحطيئة]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ومحمد بن الحسن بن دريد قالا حدّثنا عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ عن عمّه عن أبيه قال : قال رجل : ضِفْتُ قوماً في سفر وقد ضللتُ الطريقَ ، فجاؤوني بطعام أجدُ طعمَه في فمي وثقلَه في بطني ، ثم قال شيخ منهم لشابٍّ : أنشِدْ عمَّك ؛ فأنشدني : [من الطويل]

عفا من سُلَيمى مُسْحُلانُ فَحامِرُهْ تَمَشَّى بِهِ ظِلْمانُهُ وجَآذِرُهْ[1]

فقلت له : أليس هذا للحطيئة ؟ فقال : بلى ، وأنا صاحبه من الجنّ .

[رأي ابن شبرمة في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال ابن عُيَينة : سمعت ابن شُبرمة يقول : أنا والله أعلم[2] بجيِّد الشعر ، لقد أحسن الحطيئةُ حيث يقول[3] : [من الطويل]

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقَدوا شَدُّوا

وإن كانتِ النَّعْماءُ فيهم جَزَوْا بها وإن أَنْعموا لا كدَّرُوها ولا كَدُّوا

وإن قال مَوْلاهم على جُلِّ حادثٍ من الدهرِ رُدُّوا فَضْلَ أحلامكم رَدُّوا

قال : وقال الأصمعيّ وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت : ما واحد البُنى ، قال : بِنْية ؛ فقال له : أتُجْمَع فِعْلة على فُعَل ؟ قال : نعم مثل رِشْوة ورُشًى وحِبْوة وحُبًى .

[نزل على بني مقلد فأحسنوا جواره ومدحهم]

حدّثنا أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباريّ قال حدّثنا ابن الأعرابيّ عن المفضَّل : أنّ الحطيئة أقحمتْه السنة ، فنزل ببني مُقَلَّد بن يَرْبُوع ، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : إنّ هذا الرجل لا يَسْلَم أحدٌ من لسانه[4] ، فتعالَوْا حتى نسأله عمّا يحبّ فنفعله وعمّا يكره فنجتنبه ؛ فأتَوْه فقالوا له : يا أبا مُلَيْكة ، إنّك اخترتنا على سائر العرب ووجب حقُّك علينا ، فمُرْنا بما تحبّ أن نفعله وبما تحبّ أن ننتهي عنه ؛ فقال : لا تُكثِروا زيارتي فتُمِلُّوني ، ولا تقطعوها فتُوحِشُوني ، ولا تجعلوا فِناءَ بيتي مجلساً لكم ، ولا تُسْمِعوا

---

1 عفا من سليمى مسحلان في ل : عفا مسحلان من سليمى .

2 ل : عالم .

3 ديوان الحطيئة : 140 .

4 ل : لا يسلم على لسانه أحد .

بناتي غناءَ شُبّانكم[1] ، فإنّ الغناء رُقْية الزنا . قال : فأقام عندهم . وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال : أُمُّكم الطلاق ، لئن تَغَنَّى أحد منكم والحطيئة مقيمٌ بين أظهُرنا لأضربنّه ضربةً بسيفي[2] أخذتْ منه ما أخذتْ . فلم يزل مقيماً فيما يرضى حتى انجلتْ عنه السَّنةُ ، فارتحل وهو يقول[3] : [من البسيط]

جاورتُ آلَ مُقَلَّـدٍ فحَمِدتُهم ... إذ ليس كلُّ أخـي جِوارٍ يُحْمَدُ
أيامَ مَنْ يـُرِدِ الصنيعةَ يَصْطنعْ ... فينا ومن يُـرِدِ الزَّهادةَ يَزْهَدُ

[خبره مع الزبرقان]

فأمّا خبره مع الزِّبرقان بن بدر والسبب في هجائه إيّاه ، فأخبرني به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم ولم يتجاوزه به ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم عن يونس ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرني اليزيديّ عن عمّه عبيدالله عن أبي حبيب عن ابن الأعرابيّ وقد جمعتُ رواياتهم وضممتُ بعضها إلى بعض :

أنّ النبيّ ﷺ كان ولّى الزِّبرِقان بن بدر بن امرىء القيس بن خَلَف بن بَهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم عَمَلاً ، وذكر مثل ذلك الأصمعيُّ ، وقال : الزِّبْرِقان : القمر ، والزبرقان : الرجل الخفيف اللحية . قال : وأقرَّه أبو بكر رضي الله عنه بعد النبيّ ﷺ على عمله ، ثم قدم على عمر في سنة مُجْدِبة ليؤدّي صدقاتِ قومه ، فلقيه الحطيئة بقَرْقَرى[4] ومعه ابناه أوسٌ وسَوادةُ وبناتُه وامرأتُه ؛ فقال له الزِّبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطَمتْنا هذه السنة ؛ قال : وتصنع ماذا ؟ قال وددتُ أن أصادف بها رجلاً يَكفيني مؤونة عيالي وأُصفِيه مَدحِي أبداً ؛ فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسِعك لبناً وتمراً ويجاورك أحسن جِوار وأكرمه ؟ فقال له الحطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو هذا كلَّه ؛ قال : فقد أصبتَه ؛ قال : عند مَنْ ؟ قال : عندي ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : الزبرقان بن بدر ؛ قال وأين محلُّك ؟ قال : اركب هذه الإبل ، واستقبل مَطلِع الشمس ، وسَلْ عن القمر حتى تأتي منزلي . قال يونس : وكان اسم الزبرقان الحُصَين بن بدر ، وإنّما سمّي الزبرقان لحسنه ، شُبِّه بالقمر . وقيل : بل لبس عمامة مزبرقةً[5] بالزَّعفران فسمِّي الزِّبْرِقان لذلك . وقال

1 ل : غناء شبيبتكم .
2 ل : بالسيف .
3 ديوان الحطيئة : 66 .
4 قرقرى : منطقة من اليمامة ذات قرى وزروع .
5 مزبرقة : مصبوغة .

أبو عبيدة في خبره : فقال له : سِرْ إلى أمّ شَذْرة وهي أمّ الزبرقان وهي أيضاً عمّة الفرزدق ، وكتب إليها أن أحْسِني إليه ، وأكثري له من التمر واللبن . وقال آخرون : بل وكَله إلى زوجته. فلحِق الحطيئة[1] بزوجته على رواية ابن سَلاّم ، وهي بنت صعصعة بن ناجية المُجاشِعِيَّة ، واسمُها هُنَيدة[2] ، وعلى رواية أبي عبيدة : أنّها أمُّه ، وذلك في عامٍ صعب مُجدِب ، فأكرمتْه المرأة وأحسنت إليه ؛ فبلغ ذلك بَغِيض بن عامر بن شَمَّاس بن لأْي بن جعفر وهو أَنْفُ الناقة بن قُرَيع بن عَوْف [بن كعب] بن سَعْد بن زيد مَناة بن تَمِيم ، وبلغ إخوته وبني عمّه فاغتنموها . وفي خبر اليزيديّ عن عمّه قال ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ : وكانوا يغضبون من أنفِ الناقة ، وإنّما سُمِّيَ جعفرٌ أنفَ الناقة لأنّ أباه قُرَيعاً نَحَرَ ناقةً فقسَمها بين نسائه ، فبعثتْ جعفراً هذا أُمُّه ، وهي الشَّمُوس من وائل ثم من سعد هُذَيم ، فأتى أباه ولم يبقَ من الناقة إلاّ رأسُها وعنقها ، فقال : شأنك بهذا ؛ فأدخل يده في أنفها وجرّ ما أعطاه ؛ فسمِّيَ أنف الناقة . وكان ذلك كاللّقب لهم حتى مدَحهم الحطيئة ، فقال[3] : [من البسيط]

قومٌ هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ومَن يسوِّي بأنفِ الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً ، وكانوا ينازعون الزِّبْرِقان الشرفَ ، يعني بَغِيضاً وإخوتَه وأهله ، وكانوا أشرفَ من الزِّبرقان ، إلاّ أنّه قد كان استعلاهم بنفسه . وقال أبو عبيدة في خبره : كان الحطيئة دَمِيماً سَيِّيء الخَلْق ، لا تأخذه العين ، ومعه عِيال كذلك ، فلمّا رأت أُمُّ شَذَرة حالَه هان عليها وقصَّرت به ، ونظر بغيضٌ وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أُمُّ شذرة ، فأرسلوا إليه : أن ائتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغَفلة ، ولستُ بالذي أحمِل على صاحبها ذنبها . فلمّا ألحّ عليه بنو أَنْف الناقة ، وكان رسولُهم إليه شَمَّاس بن لأْي وعَلقمة بن هَوذة وبَغِيضَ بن شمّاس والمُخَبَّلَ الشاعر ، قال لهم : لستُ بحاملٍ على الرجل ذنبَ غيره ، فإن تُركتُ وجُفيت تحوّلتُ إليكم ؛ فأطمَعوه ووعدوه وعداً عظيماً . وقال ابن سَلاَّم في خبره[4] : فلمّا لم يُجبْهم دَسُّوا إلى هُنَيدة زوجةِ الزبرقان أنّ الزبرقان إنّما يريد أن يتزوّج ابنته مُلَيكة ؛ وكانت جميلة كاملة ، فظهرت من المرأة للحطيئة جَفوة وهي في ذاك تُداريه . ثم أرادوا النُّجعة ، قال أبو عبيدة : فقالت له أُمُّ شَذْرة ، وقال ابن سَلاّم : فقالت له هُنيدة : قد حضَرت النُّجعة فاركب أنت وأهلُك هذا الظَّهرَ إلى مكان كذا

1 ل : فرحل الحطيئة حتى لحق .

2 ل : هند .

3 ديوان الحطيئة : 128 .

4 طبقات ابن سلام : 115 .

وكذا ، ثم اردُدْه إلينا حتى نَلحَقكَ[1] فإنّه لا يَسَعُنا جميعاً ؛ فأرسل إليها : بل تقدَّمِي أنتِ فأنتِ أحقُّ بذلك ؛ ففعلتْ وتثاقلت عن ردّها إليه وتركتْه يومين أو ثلاثة ، وألحَّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا له : قد تُرِكتَ بمَضْيَعة . وكان أشدُّهم في ذلك قولاً بَغِيضَ بن شَمَّاس وعَلْقمة بن هَوذة ، وكان الزبرقان قد قال في علقمة : [من مجزوء الكامل]

لِـي ابنُ عــمٍّ لا يـزا ... ل يَعِيبُنِي ويُعِـينُ عائبْ
وأعِينُـه في النائبـا ... تِ ولا يُعِينُ على النوائبْ
تَسْرِي عَقارِبُـه إلـ ... يَّ ولا تَدِبُّ له عقارِبْ[2]
لاهِ ابنُ عَمِّـكَ لا يَخا ... فُ المُخزياتِ من العواقِبْ[3]

قال : فكان عَلْقمة ممتلئاً غيظاً عليه . فلمّا ألَـحُّوا على الحُطَيئة أجابهم وقال : أما الآن فنعم ، أنا صائرٌ معكم . فتحمَّل معهم ، فضربوا له قبَّةً ، وربطوا بكلّ طُنُب من أطنابها جُلَّة[4] هَجَرِيَّة ، وأراحُوا عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعْطَوْه لِقاحاً[5] وكُسْوة . قال : فلمّا قدِم الزبرقان سأل عنه فأُخبر بقصّته ، فنادى في بني بَهدلة بن عَوْف ، وهم لأُمٍّ دون قُرَيع ، أُمُّهم السَّفعاء بنت غنم بن قتيبة من باهلة . فركب الزبرقان فرسه ، وأخذ رمحه ، وسار حتى وقف على نادي بني شَمَّاس القُرَيعيّين ، فقال : رُدّوا عليّ جاري ؛ فقالوا : ما هو لك بجارٍ وقد اطَّرحته وضيّعتَه ؛ فألَـمَّ أن يكونَ بين الحيَّين حربٌ ، فحضرهم أهل الحِجى من قومهم ، فلاموا بَغِيضاً وقالـوا : اردُدْ على الرجلِ جارَه ؛ فقال : لست مُخرِجَه وقد آويتُه ، وهو رجل حرٌّ مالكٌ لأمره ، فخيِّروه فإن اختارني لم أُخرِجْه ، وإن اختاره لم أُكْرِهْه . فخيَّروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه ؛ فجاء الزبرقان ووقف عليه وقال له : أبا مُليكة ، أفارقتَ جِوارِي عن سُخْط وذَمّ ؟ قال : لا ؛ فانصرف وتركه . هذه رواية ابن سَلاَّم[6] ، وأمّا أبو عبيدة فإنّه ذكَر أنّه كان بين الزبرقان ومن معه من القُرَيعيِّين تَلاحٍ وتَشاحٌّ . وزعم غيرهما أن الزبرقان استعدى عمر بن الخطّاب على بغيضٍ ، فحكم عمر بأن يُخرَجَ الحطيئة حتى يُقام في موضعٍ خالٍ بين الحيَّين وحدَه ويُخلَّى سبيلُه ، ويكون جارَ أيِّهما اختار ؛ ففعِل ذلك به ، فاختار القُرَيعيِّين . قال : وجعل الحطيئة

---

1 ل : حتى يلحقنا .
2 ولا تدب في ل : ولا تيممه .
3 لاه : لله .
4 الجلّة : وعاء من خوص لحفظ التمر . وعند ابن سلام : جلة من بر في هجر .
5 اللقاح : النوق الحلوبة .
6 ليس هذا مطابقاً تماماً لما عند ابن سلاّم .

يمدحهم من غير أن يَهجُو الزبرقان ، وهم يحضُّونه على ذلك ويُحرِّضونه فيأبى ويقول : لا ذنبَ للرجل عندي ؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النَّمِر بن قاسِط يقال له دِثار بن شيبان ، فهجا بَغِيضاً فقال : [من الوافر]

أرى إبِلِي بجَوْف الماء حَلَّتْ ... وأَعْوزها بـه المـاءُ الرَّواءُ
وقد ورَدَتْ مِياهَ بنـي قُرَيْع ... فما وصلُوا القرابةَ مذ أساؤوا
تُحَلَّأُ يـومَ وِرْد الناس إبْلي ... وتَصْدُر وهـي مُحنِقةٌ ظِماءُ[1]
أَلَـم أَكُ جارَ شمّاس بنِ لأْيٍ ... فأسلمني وقـد نـزل البَلاءُ
فقلتُ تحوَّلـي يـا أُمَّ بَكْـرٍ ... إلى حيـثُ المكـارمُ والعَلاءُ
وجدنا بيتَ بَهْدلةَ بنِ عَوْفٍ ... تعالى سَمْكُـه ودَحَـا الفَناءُ
وما أَضْحَى لشَمَّاسِ بنِ لأْيٍ ... قَدِيـمٌ في الفَعـالِ ولا رَباءُ[2]
سِوى أنّ الحطيئةَ قـال قولاً ... فهـذا مـن مقالتِـه جزاءُ

فحينئـذٍ قـال الحطيئـةُ يَهجـو الزبرقـان ويُناضِـل عـن بغيضٍ قصيدتـه التـي يقـول فيهـا[3] : [من البسيط]

واللهِ مـا مَعْشَرٌ لامُوا امْرءاً جُنُباً ... في آل لأْي بن شَمَّـاس بأَكْياسِ
مـا كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أبا لكمُ ... في بائسٍ جاء يَحْدُو آخرَ الناسِ
لقد مَرَيْتُكـمُ لـو أن دِرَّتكم ... يوماً يَجِيء بها مَسْحِي وإبْساسي[4]
وقـد مدحتُكـمُ عمداً لأُرْشِدَكم ... كيما يكون لكم مَتْحِي وإمراسي
لمـا بـدا لِيَ منكم غيبُ أنفسِكم ... ولم يكن لجِراحـي فيكمُ آسي
أزمعتُ يأساً مُبِيناً مـن نَوالِكُمُ ... ولن يُـرى طارداً للحُرِّ كالياسِ[5]
جـارٌ لقومٍ أَطالُوا هُـونَ منزِله ... وغـادرُوه مقيمـاً بـينَ أَرْماسِ
مَلُّوا قِـراه وهَرَّتْـه كلابُهُـم ... وجَرَّحُـوه بأنيـابٍ وأَضْراسِ

---

1 تحلأ : تمنع من ورود الماء . محنقة : ضامرة .
2 الرباء : الفضل .
3 ديوان الحطيئة : 283 .
4 مرى : مسح الضرع لتدرّ الناقة . الابساس : التسكين والتهدئة .
5 يرى في ل : ترى .

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها ... واقعُدْ فإنّكَ أنت الطاعمُ الكاسي،
مَن يَفعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَه ... لا يذهبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ
ما كان ذنبيَ أن فَلَّتْ مَعاوِلَكم ... من آلِ لأْيٍ صَفاةٌ أصلُها راسي
قد ناضلُوكَ فسَلُّوا من كَنائِنهم ... مجداً تَليداً ونَبْلاً غيرَ أنْكاسِ

الجُنُب : الغريب . والإبساس : أن يُسكِّنها عند الحَلْب . والماتِح : المستَقِي الذي يجذِب الدلوَ من فوق . والإمراس : أن يقع الحبلُ في جانب البَكَرة فيُخرِجَه ، فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطّاب ، فرفعه عمرُ إليه واستنشده فأنشده ؛ فقال عمر لحَسَّان : أتُراه هجاه ؟ قال : نعم وسلَح عليه ، فحبسه عمر .

[زياد يقتدي بفعل عمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن أبي عبد الرحمن الطائيّ عن عبد الله بن عيَّاش عن الشَّعْبيّ قال : شهِدتُ زياداً وأتاه عامرُ بن مسعود بأبي عُلاثَةَ التَّيْمِيّ ، فقال : إنّه هجاني ؛ قال : وما قال لك ؟ قال قال : [من الطويل]

وكيف أرجِّي ثَرْوَها ونماءَها ... وقد سار فيها خُصْيَةُ الكلبِ عامِرُ

فقال أبو علاثة : ليس هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتَ ؟ قال قلتُ :

وإنّي لأرجو ثَرْوَها ونماءَها ... وقد سار فيها ناجذ الحقِّ عامرُ

قال زياد : قاتلَ اللهُ الشاعر ، ينقلُ لسانه كيف شاء ، واللهِ لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانَك ؛ فقام قَيس بن فهد الأنصاريّ فقال : أصلح الله الأمير ، ما أَدْرِي مَن الرجل ، فإن شئتَ حدّثتُك عن عمرَ بما سمعتُ منه ، قال : وكان زيادٌ يعجبه الحديث عن عمر رضي الله عنه ، قال : هاتِه ، قال شهدتُه وأتاه الزبرقان بن بدر بالحطيئة فقال : إنّه هجاني ؛ قال وما قال لك ؟ قال قال لي : [من البسيط]

دَعِ المكارِمَ لا ترحلْ لبُغيتها ... واقعدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسي

فقال عمر : ما أسمَعُ هجاءً ولكنّها معاتبةٌ ؛ فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتي إلاّ أن آكُلَ وألبَس ؟ فقال عمر : عليَّ بحَسّان ، فجيء به فسأله ؛ فقال : لم يَهْجُه ولكن سلَح عليه ، قال ويقال : إنّه سأل لَبيداً عن ذلك فقال : ما يسُرُّني أنّه لَحِقَني من هذا الشعر ما لَحِقه وأن لي حُمُرَ النَّعَم ، فأمر به عُمر فجُعِل في نَقِيرٍ[1] في بئر ثم أُلْقِيَ عليه شيء ،

1 نقير : موضع منقور أي محفور مجوّف .

فقال[1] : [من البسيط]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ زُغْبِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[2]
ألقيتَ كاسِبَهم في قعرِ مُظْلِمةٍ فاغفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ[3]
أنت الإمامُ[4] الذي من بعدِ صاحبِه ألقى إليك مقاليدَ النُّهى البَشَرُ
لم يُؤْثِروكَ بها إذ قدَّموك لها لكن لأنفسِهم كانتْ بكَ الأُثَرُ

فأخرجه وقال له : إيّاك وهِجاءَ الناس ؛ قال : إذاً يموت عِيالِي جوعاً ، هذا مكسَبِي ومنه مَعاشِي ؛ قال : فإيّاك والمُقذِعَ من القول ؛ قال : وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقول : فلان خَيرٌ من فلان ، وآل فلان خيرٌ من آل فلان ؛ قال : فأنت والله أَهْجى منّي . ثم قال : والله لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانك ، ولكن اذهبْ فأنت له ، خُذْه يا زِبرقان ؛ فألقى الزبرقان في عنقه عمامةً فاقتاده بها ؛ وعارضتْه غَطَفان فقالوا له : يا أبا شَذْرَةَ ، إخوتُك وبنو عمِّك ، هَبْه لنا ؛ فوهبه لهم . فقال زياد لعامر بن مسعود : قد سمعتَ ما رُوِي عن عمر ، وإنّما هي السُّنَن ، فاذهب به فهو لك ؛ فألقى في عنقه حبلاً أو عمامة ، وعارضتْه بَكْرُ بن وائل فقالوا له : أخوالُك[5] وجيرانُك ؛ فوهبَه لهم .

[استعطف عمر بشعر فأطلقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : أنّ الحطيئة لمّا حبسه عمر قال وهو أوّل ما قاله[6] : [من المتقارب]

أَعُوذُ بجَدّكَ إنّي امرؤٌ سقَتْنِي الأعادي إليكَ السِّجالا
فإنّكَ خيرٌ مِنَ الزبرقان أشدُّ نَكالاً وأَرْجَى نَوالا
تحَنَّنْ عليَّ هَداكَ المليكُ فإنّ لكلِّ مقامٍ مَقالا
ولا تأخُذَنّي بقولِ الوُشَاةِ فإن لكلِّ زمانٍ رِجالا

---

1 ديوان الحطيئة : 208 .

2 ذو مرخ : واد كثير الشجر بالحجاز ، وقيل قرية باليمامة ويروى بذي أمر وهو موضع بنجد . زغب الحواصل في الديوان : حمر الحواصل ؛ وكلتاهما كناية عن الصغر .

3 ألقيت في الديوان : غيبت .

4 الأمام في الديوان : الأمين .

5 ل : إخوتك .

6 ديوان الحطيئة : 222 .

فـإن كان مـا زَعَمُوا صادقاً فسيقَتْ إليكَ نسائي رِجالا[1]
حَواسِرَ لا يشتكـينَ الوَجـى يُخفِّضْـنَ آلا ويرفَعْـنَ آلا

فلم يلتفت عمر إليه حتى قال أبياته التي أوّلها : [من البسيط]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء ومحمد بن العبّاس اليزيديّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهِشاميّ قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ قال حدّثني عبد الله بن مُصعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالسٌ عنده وقد كلّمه فيه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن فأنشده قولَه : [من البسيط]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ زغبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجرُ[2]
ألقيـتَ كاسبَهم في قعـرِ مظلمةٍ فاغْفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يـا عمرُ[3]
أنتَ الإمامُ الذي من بعد صاحبِه ألقى إليك مقاليدَ النُّهـى البشرُ
لم يؤثروكَ بهـا إذ قدَّمـوك لها لكن لأنفسِهم كانت بـك الأُثَرُ[4]
فامنُنْ على صِبْيةٍ بالرملِ مسكنُهم بين الأباطحِ تَغْشاهم بهـا القِرَرُ
أهـلي فِـداؤُكَ كم بينـي وبينهمُ من عَرْض داوِية تَعْمى بها الخُبُرُ[5]

قال فبكى حين قال :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ

فقال عمرو بن العاص : ما أَظلَّتِ الخَضراء ولا أَقلَّت الغَبْراء أعدلَ من رجلٍ يبكي على تركه الحطيئة ، فقال عمر : عليّ بالكرسيّ ، فأُتي به ، فجلس عليه ثم قال : أشيروا عليّ في الشاعر[6] ، فإنّه يقول الهُجْرَ ويَنسُب بالحُرَم ويمدح الناس ويذمُّهم بغير ما فيهم ، ما أُراني إلاّ قاطعاً لسانه ، ثم قال : عليّ بالطَّسْت[7] ، فأُتِي بها ، ثم قال : عليّ بالمِخْصَف[8] ، عليّ بالسكِّين ، لا

1 رجالا : راجلة أي ماشية .
2 زغب الحواصل في ل : حمر الحواصل .
3 ألقيت في ل : غادرت .
4 كانت بك في ل : إذ كانت .
5 داوية في ل : دوية .
6 الشاعر : أي شاعر يفعل ذلك = يقول الهجر وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم .
7 ل : بطست .
8 المخصف : المخرز .

بل عليّ بالموسى ، فهو أوحى[1] ؛ فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين ، فأشاروا إليه أن قُلْ لا أعود ؛ فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين ؛ فقال له : النَّجاء . قال : فلمّا ولّى قال له عمر : يا حطيئة ، كأنّي بك عند فتًى من قريش ، قد بسَطَ لك نُمْرُقةً وكسرَ لك أُخرى وقال : غنِّنا يا حطيئة ، فطَفِقْتَ تغنّيه بأعراض الناس . قال ابن أُسْلم : فما انقضبت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عُمر قد بسَط له نمرقة وكسَر له أُخرى وقال : غنِّنا يا حطيئة ، فجعل يغنّيه ، فقلت له : يا حطيئة ، أتذكر قول عمر ؟ ففزع وقال : يرحَم الله ذلك المرء[2] ، أمّا إنّه لو كان حيّاً ما فعلتُ . قال : وقلت لعبيد الله : سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل .

[اشترى منه عمر أعراض المسلمين]

ورُوي عن عبد الله بن المبارك أنّ عمر رضي الله عنه لمّا أطلق الحطيئة أراد أن يؤكّد عليه الحُجّة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال الحطيئة في ذلك[3] : [من الكامل]

وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تَدَعْ ... شَتْماً يضُرّ ولا مَديحاً ينفعُ
وحَميْتَنِي عِرْضَ اللئيم فلم يَخَفْ ... دَمِّي وأصبح آمناً لا يَفْزَعُ

[شفع له عبد الرحمن بن عوف عند عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه عن نافع بن أبي نُعَيم : أنّ عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمر بن الخطّاب وكلّمه في أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن . قال حمّاد وأخبرني أبي عن أبي عبيدة أنّ عمر رضيّ الله عنه لمّا أطلقه قال الشاعر النَّمريّ الذي كان الزبرقان حمَله على هجاء بَغِيض : [من الوافر]

دَعانِي الأَثْبَجانِ ابنا بَغِيضٍ ... وأَهْلِي بالعَلاةِ فمَنَّيانِي[4]
وقالوا سِرْ بأهلك فأْتِيَنّا ... إلى حَبٍّ وأَنْعامٍ سِمانِ
فسرتُ إليهمُ عشرين شهراً ... وأربعةً فذلك حِجَّتانِ
فلمّا أن أتيتُ ابنَيْ بغيضٍ ... وأسلمني بدائي الداعيانِ

1 أوحى : أسرع .
2 ل : يرحم الله عمر .
3 ديوان الحطيئة : 210 .
4 الأثبج : صفة للرجل إذا كان أحدب أو عظيم الجوف أو ناتىء الصدر . العلاة : جبل في ديار النمر بن قاسط أو بالعراق .

يَبيتُ الذئبُ والعَثْواءُ ضيفاً ... لنـا بالليـل بئسَ الضائفانِ[1]
أُمـارِسُ منهمـا ليـلاً طويلاً ... أُهَجْهِجُ عـن بَنِـيّ ويَعْرُوانِ[2]
تقـولُ حليلتِـي لمـا اشتكيْنا ... سيدرِكُنا بنـو القَـرْمِ الهِجانِ
سيُدْرِكُنا بنو القمـر بن بَدْرٍ ... سراجِ الليلِ للشمس الحَصانِ
فقلتُ ادْعِي وأَدْعُوَ إن أندَى ... لصوتٍ أن ينـادِيَ داعيانِ[3]
فمن يَـكُ سائلاً عنّـي فإنّي ... أنا النَّمَرِيُّ جـارُ الزِّبْرِقانِ
طَرِيدُ عَشيرةٍ وطريدُ حرب ... بما اجترمتْ يَدِي وجنى لساني
كأنّي إذ نزلـتُ بـه طريـداً ... نزلـتُ علـى الممنَّعِ من أَبانِ
أتيتُ الزِّبْرِقانَ فلـم يُضِعْنِي ... وضيَّعَنِي بِتِرْيَـمَ مَنْ دَعانِي[4]

[مكث في بني قريع إلى أن أخصبوا وأجازوه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لم يزل الحطيئة في بني قُرَيع يمدحهم حتى إذا أَحْيَـوْا[5] قال لبَغِيضٍ: فِ لي بما كنتَ تضمّنتَ؛ فأتى بَغِيضٌ علقمة بن هَوْذة فقال له: قد جاء الله بالحَيا، فَفِ لي بما قلتَ، وكان قد ضمِن له مائة بعير، وأبرِئْني مما تضمَّنْته عهدتي؛ فقال: نعم، سَلْ في بني قريع فمهما فضَل بعد عطائهم أن يُتِمَّ مائةً أتممته، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعير والبعيرين؛ قال: فأتمَّها علقمة له مائة وراعييْن فدُفعت إليه. فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمتَه السينيّة واستعدى الزبرقان عليه عمر رضي الله عنه. فلمّا رحل عنهم قال[6]: [من البسيط]

لا يُبْعِـدِ اللهُ إذ ودّعتُ أرضَهمُ ... أخـي بَغِيضاً ولكـن غيرُهُ بُعدا
لا يبعد الله من يُعْطِي الجزيلَ ومن ... يَحْبو الجليلَ وما أَكْدى ولا نَكِدا
ومـن تُلاقِيـه بالمعروفِ مبتهجاً ... إذا اجْرَهَدَّ صَفا المذمومِ أو صلَدا[7]

1 العثواء: الضبع.
2 هجهج: يصيح بالذئب أو الضبع لتنفيره.
3 هذا البيت من الشواهد النحوية على نصب الفعل بعد واو المعيّة المسبوقة بالأمر.
4 تريم: اسم وادٍ.
5 أحيوا: أصابهم الحيا وهو المطر.
6 ديوان الحطيئة: 139.
7 مبتهجاً في ل: مجتهداً. اجرهدّ الأرض: لم ينبت فيها نبات.

لاقيتُـــه ثَلِجـــاً تَنْـدى أناملُـه إن يُعْطِك اليومَ لا يمنعْك ذاك غَدا[1]
إنّـــي لرافـدُه وُدّي ومَنْصَرَتِـــي وحافظٌ غيبَه إن غابَ أو شهِدا

[سأل ابن عباس أعليه جناح في هجاء الناس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دَأْب عن عبد الله بن عيّاش المَنْتوف قال: بَيْنا ابن عبّاس جالسٌ في مجلس رسول الله ﷺ بعد ما كُفَّ بصرُه وحولَه ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابيٌّ يَخطِر وعليه مِطْرَفُ خزٍ وجبّة خزٍ وعِمامة خزٍ ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام ، فقال : يا ابن عمّ رسول الله ، أَفْتِني ؛ قال : في ماذا ؟ قال أتخاف عليّ جُناحاً إن ظلمني رجل فظلمته وشتمني فشتمتُه وقصّر بي فقصّرت به ؟ فقال : العفو خير ، ومن انتصر فلا جُناح عليه ؛ فقال : يا ابن عمّ رسول الله ﷺ ، أرأيت امرأ أتاني فوعَدني وغَرّني ومَنّاني ثم أخلفني واستخفّ بحُرمتي ، أيسعُني أن أهجوه ؟ قال : لا يصلُح الهجاء ، لأنّه لا بدّ لك من أن تهجُو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلمك ، وتشتم من لم يشتمك ، وتَبغِي على من لم يَبْغِ عليك ، والبغي مَرتعٌ وَخِيم ، وفي العفو ما قد علمتَ من الفضل ؛ قال : صدقتَ وبَرِرْتَ ؛ فلم يَنشَب أن أقبل عبد الرحمن بن سَيحان المُحاربيّ حليف قريش ، فلمّا رأى الأعرابيَّ أجلَّه وأَعظمه وأَلطف في مسألته ، وقال : قرّب الله دارَك يا أبا مُلَيكة ، فقال ابن عباس : أَجَرْوَل ؟ قال : جرول ؛ فإذا هو الحطيئة . فقال ابن عباس : لله أنتَ ! أيّ مِرْدى قِذافٍ[2] ، وذائدٍ عن عشيرة ، ومُثْنٍ بعارفة تُؤْتاها أنت يا أبا مُلَيكة ! والله لو كنتَ عرَكْتَ بجنبك بعض ما كرهتَ من أمر الزِّبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلمك ، وشتمتَ مَن لم يشتمك ؛ قال : إنّي والله بهم يا أبا العباس لعالم ؛ قال ما أنت بأعلم بهم من غيرك ؛ قال : بَلى والله ، يرحمك الله ، ثم أنشأ يقول[3] : [من البسيط]

أنا ابنُ بَجْدتِهـم علمـاً وتجربـةً فسَلْ بسعدٍ تجدْني أعلمَ الناسِ[4]
سعدُ بن زيـد كثيرٌ إن عددْتَهمُ ورأسُ سعدِ بـن زيـد آلُ شَمّاسِ
والزّبرقـــانُ ذُناباهـــم وشرّهُـــم ليس الذُّنابَى أبـا العباس كالراسِ

فقال ابن عباس : أقسمتُ عليك ألاّ تقول إلاّ خيراً ، قال : أفعل . ثم قال ابن عباس : يا أبا مُلَيكة ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ؛ قال : الذي

1 ثلجاً : فرحاً مبتهجاً .
2 مردى قذاف : حجر يقذف به ؛ ويستعمل أيضاً للرجل الشجاع فيقال إنّه لمردى حروب .
3 ديوان الحطيئة : 294 .
4 أنا ابن بجدتهم : أنا العالم بحقيقتهم وبواطن أمورهم .

يقول : [من الطويل]

ومَنْ يجعلْ المعروفَ من دون عرضِهِ يَفِرْهُ ومَـنْ لا يَتَّـقِ الشَّتمَ يُشْتَمِ

وما بدونه الذي يقول : [من الطويل]

ولستَ بمستبقٍ أخـاً لا تَـلُـمُّه على شَعَثٍ ، أيُّ الرجال المهذَّبُ

ولكنّ الضراعة أفسدتْه كما أفسدتْ جَرْولاً ، يعني نفسَه ، والله يا ابن عمّ رسول الله لولا الطمع والجشع لكنتُ أشعرَ الماضين ، فأمّا الباقون فلا تَشُكَّ أنّي أشعرهم وأصرَدُهم سهماً[1] إذا رَميتُ .

[منع الزبرقان عبد الله بن أبي ربيعة ماءه فهجاه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : رُوِي لنا عن أبي عبيدة والهيثم بن عَدِيّ وغيرهما : أنّ عبد الله بن أبي ربيعة لمّا قَدِم من البحرين نزل على الزِّبْـرقان بن بدر بمائه فحلأه وهو الماء الذي يقال له بنيان ، فنزل على بني أَنْف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وشِيع ، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا : لو كانت إبلُنا منّا قريبةً لنحرْنا لك ؛ فراح من عندهم يتغنّى فيهم بقوله : [من الطويل]

وما الزبرقانُ يومَ يمنَعُ ماءه بمُحْتَسِبِ التَّقْوى ولا متوكِّلِ
مقيـمٌ على بُنْيـانَ يمنعُ ماءه وماءُ وَشِيعٍ ماءُ ظمآنَ مُرْمِلِ

قال : فركب الزِّبْـرقان إلى عمرَ رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال : إنّه هجاني يا أمير المؤمنين ؛ فسأل عمرُ عن ذلك عبدَ الله ؛ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّي نزلت على مائه فحلأني عنه ؛ فقال عمر رضوان الله عليه : يا زِبْرِقانُ ، أتمنع ماءك من ابن السبيل ؟ قال : يا أمير المؤمنين أَلا أمنع ماءً حفر آبائي مجاريَه ومستقرّه وحفرتُه أنا بيدي ؟ فقال عمر : والذي نفسي بيده ، لئن بلغني أنّكَ منعتَ ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتَني بنجد أبداً ؛ فقال بعضُ بني أنف الناقة يُعيِّر الزِّبْـرقان ما فعله : [من الوافر]

أتدري مَنْ منعتَ ورودَ حوضٍ سَليل خَضارمٍ منَعوا البِطاحا
أَزادَ الركبِ تمنَع أم هِشاماً وذا الرُّمْحين أمنعَهم سلاحا[2]
همُ مَنعوا الأباطحَ دون فِهْرٍ ومَنْ بالخَيْف والبُدْنَ اللِّقاحا

---

1 أصردهم سهماً : أنفذهم سهماً .

2 زاد الركب : لقب والد أميّة بن المغيرة المخزوميّ . ذو الرمحين : لقب المغيرة بن عبد الله المخزوميّ .

بضربٍ دونَ بَيْضتِهم طِلَخْفٍ إذ الملهوفُ لاذَ بهم وصاحا[1]
ومـا تَــدْرِي بأَيِّهِمُ تُلاقي صــدورَ المَشرَفِيّــة والرِّماحا

[وصيته عند موته بالشعراء والفقراء والأيتام]

وللحطيئة وصيّةٌ ظريفة يأتي كلُّ فريق من الرواة ببعضها ، وقد جمعتُ ما وقع إليّ منها في موضع واحد وصدَّرْتُ بأسانيدها .

أخبرني بها محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال حدّثنا عُيَينة بن المِنْهال عن الأصمعيّ ، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة ، ونسختُها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبدالله العبْديّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عبد الرحمن [ابن أبي عمرة] عن أبيه ، وأخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسَّان دَماذ عن أبي عبيدة قالوا[2] : لمّا حضرتِ الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومُه فقالوا : يا أبا مُلَيكة : أوصِ فقال : ويلٌ للشِّعْر من راوية السوء ؛ قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطَيءُ ؛ قال : من الذي يقول : [من الطويل]

إذا أَنْبَض الرامونَ عنها تَرَنَّمَتْ ترنُّمَ ثَكْلَى أوجعَتْها الجنائزُ ؟

قالوا : الشَّمَّاخ ؛ قال : أبلِغوا غَطَفانَ أنّه أشعرُ العرب ؛ قالوا : وَيحَك ! أهذه وصيّة ! أوْصِ بما ينفعُك ! قال : أبلغوا أهلَ ضابىءٍ أنّه شاعرٌ حيث يقول : [من الطويل]

لِكلِّ جَديــدٍ لَذَّةٌ غيرَ أنّنِي رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ[3]

قالوا : أَوصِ ويحك بما ينفعك[4] ! قال : أَبلِغوا أهلَ امرىء القيس أنّه أشعرُ العرب حيث يقول : [من الطويل]

فَيا لَكَ مِــن لَيْلٍ كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغارِ الفَتْل شُدَّتْ بيَذْبُلِ

قالوا : اتّقِ الله ودَعْ عنك هذا ؛ قال : أبلغوا الأنصارَ أنّ صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول : [من الكامل]

يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِـرُّ كِلابُهم لا يَسْأَلون عن السَّواد المُقْبِلِ

1 بيضة القدم : ساحتهم . ضرب طلخف : ضرب شديد .
2 قد أشرنا إلى هذه الوصية في أوّل ترجمة الحطيئة .
3 رأيت في ل : وجدت .
4 ل : بغير ذا .

قالوا : هذا لا يُغْنِي عنك شيئاً ، فقل غيرَ ما أنتَ فيه ؛ فقال : [من الرجز]

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويـلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتَقى فيـه الذي لا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ بـه إلى الحَضِيضِ قَدَمُهْ يريـــدُ أن يعربـــه فيُعْجِمُهْ

قالوا : هذا مِثْلُ الذي كنتَ فيه ؛ فقال : [من الرجز]

قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخَصْمِ أَلَدّ
فَوَرَدَتْ نفسي وما كادتْ تَرِدْ

قالوا : يا أبا مُلَيكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا والله ، ولكن أُجزَع على المديح الجيِّد يُمدَح به من ليس له أهلاً . قالوا : فمَنْ أشعرُ الناس ؟ فأومأ بيده إلى فِيهِ وقال : هذا الجُحَير إذا طَمِعَ في خير (يعني فَمَه) واستعبَرَ باكياً ؛ فقالوا له : قل لا إله إلاّ الله ؛ فقال : [من الرجز]

قالتْ وفيها حَيْـدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بِرَبِّي مِنْكُـمُ وحُجْرُ

فقالوا له : ما تقول في عَبِيدك وإمائك ؟ فقال : هم عَبِيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليلُ النهارَ ؛ قالوا : فأَوْصِ للفقراء بشيء ؛ قال : أُوصيهم بالإلحاحِ في المسألة فإنّها تجارةٌ لا تَبُورُ ، واسْتُ المسؤولِ أضيقُ .

قالوا : فما تقولُ في مالك ؟ قال : للأُنْثى من وَلَدِي مثلُ حَظِّ الذكر ؛ قالوا : ليس هكذا قَضى اللهُ جَلَّ وعزّ لهنّ ؛ قال : لكنِّي هكذا قَضَيْتُ .

قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كُلُوا أموالَهم ونِيكوا[1] أُمَّهاتِهم ؛ قالوا : فهل شيء تَعْهَدُ فيه غَيْرُ هذا ؟ قال : نعمْ ، تَحْمِلونَني على أتانٍ وتتركونني راكبها حتى أُموتَ فإنّ الكريم لا يموتُ على فراشه ، والأتانُ مَرْكَبٌ لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطّ ؛ فَحَملوه على أتان وجَعَلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول : [من الرجز]

لا أحدٌ ألأمُ من حُطَيَّهْ هجا بَنِيهِ وهجـا المُرَيَّهْ
من لُؤمهِ ماتَ على فُرَيَّهْ

والفُرَيَّة : الأتان .

[الغناء في شعر الحطيئة]

ذكر ما غُنِّيَ فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئةُ بَغِيضاً وقومَه وهجا الزبرقان وقومه منها : [من الطويل]

1 ل : وانكحوا .

صوت

أَلا طَرَقَتْنـا بعدَ مـا هَجَعُوا هِنْدُ وقد حُزْنَ غَوْراً واستبانَ لنا نَجْدُ
وإنّ التـي نَكَّبْتُهـا عـن مَعاشِرٍ عَلَيَّ غِضابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

الغناء لعلُويَه ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهذه القصيدة التي يقول فيها : [من الطويل]

أتتْ آلَ شَمَّاسِ بـنِ لأْيٍ وإنّما أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ
فإنّ الشقيَّ مَن تُعادِي صدورُهم وذو الجَدِّ مَن لانُوا إليه ومَن وَدُّوا
يَسُوسون أحلامـاً بعيـداً أناتُها فإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظَةُ والجِدُّ
أَقِلّـوا عليهـم لا أبا لأبيكُـمُ مِن اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى وإن عاهدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا
وإن كانت النُّعْمى عليهم جَزَوْا بها وإن أنعمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا[1]
وإن قال مَوْلاهُمْ على جُلِّ حادثٍ من الدهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكم رَدُّوا[2]
مَطاعِينُ في الهَيْجا مَكاشِيفُ للدُّجَى بَنَى لهـمُ آباؤهـم وبَنَـى الجَدُّ

ومنها[3] : [من الطويل]

صوت

وأدمـاءَ خُرْجُوجٍ تَعالَلْتُ مَوْهِناً بسَوْطِيَ فارمَدَّتْ نَجاءَ الخَفَيْدَدِ[4]
إذا آنسَتْ وقْعاً من السَّوْط عارضَتْ به الجوْرَ حتى يستقيم ضُحى الغَدِ[5]
وتشربُ بالقَعْب الصغير وإن تُقَدْ بمِشْفَرِها يوماً إلى الحَوض تَنْقَدِ

المَوهِن : وقتٌ من الليل بعد مُضيّ صَدْرٍ منه . وارمدّت : نجت ، والارمداد : النَّجاء . والخَفَيْدَد : الظَّليم .

1 النُّعمى عليهم في ل : النعماء فيهم .
2 على جُل في ل : على كلّ .
3 ديوان الحطيئة : 155 .
4 الخرجوج : الناقة الطويلة . تعالل : استخرج ما بقي لدى الناقة من قوّة على المسير . أرمدت : أسرعت . النجاء : السرعة . الخفيدد : الظليم (ذكر النعام) .
5 الجور : القصد . ويروى :
فإن آنست حسّاً من السوط عارضت بي القصد حتى تستقيم ضحى الغدِ

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبابة في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق . وذكر الهِشاميّ : أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخر ، وهو في جامع إبراهيم غير مجنَّس . وفيه خفيف ثقيل مجهول ، وذكر حَبَشٌ : أنّه لَمَعْبَد ؛ ويُشبِه أن يكون ليحيى المكيّ .

[عدّه بعضهم أشعر الناس]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن المنذِر عن ابن عباية عن محمد بن مسلم الجَوْسق عن رجل من كعب قال : جئتُ سوق الظهر[1] فإذا بكُثَيِّر ، وإذا الناس مُتَقَصِّفون عليه ، فتخلَّصْتُ حتى دَنَوْتُ منه فقلت : أبا صخْر ؛ قال : ما تشاء ؟ قلتُ : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

وآثرتُ إدلاجِي على لَيْلِ حُرَّةٍ هَضيمِ الحشا حُسَّانَةِ المُتَجَرَّدِ
تُفَرِّق بالمِدْرى أثيثاً نباتُه على واضح الذِّفْرى أسيلِ المُقَلَّدِ[2]

قال : قلتُ : هذا الحطيئة ؟ قال : هو ذاك .

[كذبه عمر في شعر له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن مُجاهد عن هشام بن عُروة : أنّ عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه أُنْشِد قولَ الحطيئة : [من الطويل]

مَتى تأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عمر : كَذَب ، بل تلك نارُ موسى نبيِّ الله ﷺ .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن حمّاد الراوية : أنّ رجلاً دخل على الحُطيئة ، وهو مُضْطجع على فراشه وإلى جانبه سَوْداءُ قد أخرجتْ رِجْلَها من تحت الكساء ، فقال له : ويحك ! أفي رجلك خُفٌّ ؟ قال : لا والله ولكنّها رِجْلُ سوداء ، أتدري مَنْ هي ؟ قال : لا ؛ قال : هي والله التي أقول فيها : [من الطويل]

وآثرتُ إدلاجِي على ليلِ حُرَّةٍ

وذكر البيتين ، والله لو رأيتَها يا ابن أخي لَمَا شَرِبتَ الماء من يدها ؛ قال : فجعلتْ تسُبُّه أقبحَ سَبٍّ وهو يضحك . ومنها[3] : [من البسيط]

---

1 سوق الظهر : سوق الدواب .
2 الذفرى : العظم الناتىء خلف الأذن .
3 ديوان الحطيئة : 195 .

صوت

ما كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أَبـا لَكُمُ   في بائسٍ جاء يحدو أَيْنُقاً شُزُبا[1]
طافــتْ أُمامــةُ بالرُّكبــانِ آونةً   يا حُسْنها مـن خَيالٍ زارَ مُنْتَقِبا
إذ تَسْتَبِيكَ بمصقولٍ عَوارِضُــهُ   حَمْشِ اللِّثات تَرى في مائِهِ شَنَبا[2]
قد أخلفَتْ عهدَها من بعد جِدّته   وكذَّبَتْ حُبَّ مَلْهوفٍ وما كذَبا

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة .

ومنها :   [من الطويل]

صوت

جَزى اللهُ خيراً ، والجزاءُ بكفّه ،   بأحسنِ ما يَجْزِي الرجالَ بغيضا[3]
فلـو شاءَ إذ جئناه صَدَّ فلم يُلَمْ   وصادَف مَنْأًى في البلاد عريضا

الغناء للهُذليّ ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ .

---

1 الأينق الشزب : الضامرة .

2 حمش : دقيق .

3 هو بغيض بن عامر الذي أغرى الحطيئة بالتحوّل عن جوار الزبرقان إلى جواره .

[13] ـ أخبار ابن عائشة ونسبه

[اسمه وكنيته]

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ، ولم يكن يُعرَف له أبٌ فكان يُنسب إلى أمّه ، ويلقّبه مَن عاداه أو أراد سبَّه «ابن عاهة الدار» . وكان هو يزعم أنّ اسم أبيه جعفر ؛ وليس يُعرف ذلك . وعائشة أمّه مولاة لكَثِير بن الصَّلت الكِنديّ حليف قريش . وقيل : إنّها مولاة لآل المطَّلب بن أبي وَداعة السَّهْميّ ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلاّم . وحكى ابن الكلبيّ القول الأوّل ، وقال إسحاق : هو الصحيح ، يعني قول ابن الكلبيّ . وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه : إنّ محمد بن مَعْن الغِفاريّ ذكر له عن أبي السائب المخزوميّ أنّ ابن عائشة مولى المطّلب بن أبي وداعة السَّهميّ وإنّه كان لغير رَشْدة ، فأدركتُ المَشْيَخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حسناً قالوا : أحسن ابن المرأة . قال إسحاق وقال عمران بن هند الأرقميّ : بل كان مَوْلًى لكَثِير بن الصَّلت .

[سأله الوليد بن يزيد عن نسبه لأمه]

قال إسحاق : قال عبيد الله بن محمد بن عائشة : قال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد ، أَلِغَيَّةٍ أنت ؟ قال : كانت أُمّي يا أمير المؤمنين ماشطة ، وكنت غلاماً ، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا : ارفعوا هذا لابن عائشة ؛ فغلبتْ على نسبي .

[كان يفتن كلّ من سمعه وأخذ عن معبد ومالك]

قال إسحاق : وكان ابن عائشة يفتن كلّ من سمعه ، وكان فِتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته . وقد أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما .

[كان جيد الغناء دون الضرب]

وقد قيل : إنّه كان ضارباً ولم يكن بالجيِّد الضرب ؛ وقيل : بل كان مُرْتجِلاً لم يَضْرب قطّ .

[كان يضرب بابتدائه المثل]

وابتداؤه بالغناء كان يُضرب به المثل ، فيقال للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة قرآن ، أو إنشاد شِعر ، أو غِناء يُبدأ به فيستحسن : كأنّه ابتداء ابن عائشة . قال إسحاق : وسمعتُ علماءنا قديماً وحديثاً يقولون : ابن عائشة أحسن الناس ابتداءً ، وأنا أقول : إنّه أحسنُ الناس ابتداءً وتوسُّطاً وقَطْعاً بعد أبي عَبَّاد معبد ، وقد سمعتُ مَن يقول : إنّ ابن عائشة مثله ؛ وأمّا أنا

فلا أَجسُرُ على أن أقول ذلك .

وكان ابن عائشة غير جيِّد اليدين فكان أكثر ما يغنِّي مرتجلاً . وكان أطيب الناس صوتاً .

قال إسحاق وحدّثني محمد بن سلاّم قال قال لي جرير : لا تخدعنّ عن أبي جعفر محمد بن عائشة ، فلولا صَلَفٌ كان فيه لَما كان بعد أبي عبّاد مثله .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ عن أبيه عن جدّه قال : ثلاثةٌ من المغنِّين كانوا أحسن الناس حُلوقاً : ابن عائشة وابن تَيْزَن وابن أبي الكَنّات .

[ضرب ابن أبي عتيق رجلاً خدش حلقه]

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب الزبيريّ عن أبيه قال[1] : رأى ابن أبي عتيق حَلْقَ ابن عائشة مُخدَّشاً فقال : مَن فعل هذا بك ؟ قال : فلان ، فمضى فنزع ثيابه وجلس للرجل على بابه ، فلمّا خرج أخذ بتَلْبِيبِه وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له : ما لَكَ تَضرِبُني ؟ أيّ شيء صنعتُ ؟ وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ؛ ثم خلاّه وأقبل على مَن حضر فقال : هذا أراد أن يكسر مَزامير آل داود : شدّ على ابن عائشة فخنقه وخَدش حلْقه .

[لم يكن آخر غنائه كأوّله]

قال إسحاق في خبره : وحدّثني أبي عن سِياطٍ عن يونس الكاتب قال : ما عرَفْنا أحداً بالمدينة أحسن ابتداءً من ابن عائشة إذا غنّى ، ولو كان آخر غنائه مثل أوّله لقدَّمته على ابن سُرَيج . قال إبراهيم : هو كذاك عندي ، وقال إسحاق مثلَ قولهما . قال : وقال يونس : كان ابن عائشة يضرب بالعود ولم يكن مُجيداً ، وكان غناؤه أحسن من ضربه ، فكان لا يكاد يَمَسُّ العود إلاّ أن تجتمع جماعةٌ من الضُّرَّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويغنِّي ، فناهيك به حُسْناً .

[يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان أنّه ذكر يوماً المغنِّين بالمدينة ، فقال : لم يكن بها أحدٌ بعد طُوَيس أعلمَ من ابن عائشة ولا أَظرف مجلساً ولا أكثر طِيباً ؛ وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير ملك . قال إسحاق : فأذكرني هذا القول قول جميلة له : وأنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح أن تكون .

[رآه الحسن بن الحسن بالعقيق فأكرهه على أن يغنيه مائة صوت]

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال حدّثني جرير قال : كان ابن عائشة تائهاً سيِّىءَ الخُلُق ،

1 الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 63 (الفقرة : 92) عن الأغاني .

فإن قال له إنسان : تَغَنَّ ، قال : أَلِمثْلِي يقال هذا ؟ وإن قال له إنسان وقد ابتدأ هو بغناء : أحسنتَ ، قال : أَلمثلي يقال أحسنت ؟ ثم يسكت ، فكان قليلاً ما يُنتفع به . فسال العقيق مرَّة فدخل عَرَصَةَ سعيد بن العاصي الماءُ حتى ملأها ، فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج ، فجلس على قرن البئر ، فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، على بغلة وخلفَه غلامان أسودان كأنّهما من الشياطين ، فقال لهما : امضِيا رُويداً حتى تَقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة ، فخرجا حتى فعلا ذلك . ثم ناداه الحسن ! كيف أصبحت يا ابن عائشة ؟ قال : بخيرٍ ، فداك أبي وأمّي ، قال : انظر من إلى جَنبك ، فنظر فإذا العبدان ، فقال له : أتعرفهما ؟ قال : نعم ، قال : فهما حُرَّان لئن لم تغنني مائة صوت لآمرَنَّهما بطرحك في البئر ، وهما حُرَّان لئن لم يفعلا لأقطعنّ أيديهما ، فاندفع ابن عائشة فكان أوّل ما ابتدأ به صوتاً له وهو : [من مجزوء الوافر]

ألا للهِ درُّكَ مِـــنْ ... فتًى قــومٍ إذا رَهِبُوا

ثم لم يسكت حتى غنّى مائة صوت ، فيقال إنّ الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر ممّا سمعوا في ذلك اليوم ، وكان آخر ما غنّى : [من البسيط]

صوت

قلْ للمنازلِ بالظَّهْرانِ قد حانا ... أن تنطقي فتُبِينِي القولَ تِبْيانا

قال جرير : فما رُئي يومٌ أحسن منه ، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثله ، وما بلغني أنّ أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء ، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ . ولقد تبادر الناس من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه ، فيقال : إنّه ما رئي جَمْعٌ في ذلك الموضع مثلُ ذلك الجمع ، ولقد رفع الناس أصواتهم يقولون له : أحسنتَ والله ، أحسنتَ والله ، ثم انصرفوا حوله يزفّونه إلى المدينة زَفّاً .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها[1] : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا للهِ درُّكَ مِـــنْ ... فتًـى قـومٍ إذا رَهِبُـوا

1 شعر أبي العيال في شرح أشعار الهذليين 1 : 423–432 وهو يرثي ابن عمّ له اسمه عبد بن زهرة ، قتل بالقسطنطينيّة .

وقالوا مَنْ فتــىً للحر ... بِ يَرْقُبُنــا ويَرْتَقِــبُ
فكنــتَ فتاهــمُ فيهــا ... إذا تُدْعَـــى لهـا تَثِبُ
ذكرتُ أخــي فعاودَني ... رُداعُ السُّقْمِ والوَصَبُ[1]
كما يعتــاد ذاتَ البَــ ... ــوِّ بعدَ سُلُوّها الطَّرَبُ
على عَبْدِ بن زُهْرَةَ بتُّ ... طــولَ الليــلِ أنتحبُ

الشعر لأبي العِيال الهُذَلِيّ . والغناء لمعبد ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق يُبْدأ فيه بقوله : [من مجزوء الوافر]

ذكـرتُ أخــي فعاودني ... رداعُ السُّقمِ والوصبُ

والآخر خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيه لابن عائشة خفيف رملٍ آخر ، وقيل : بل هو لحن معبد . وذكر حَمَّاد بن إسحاق أنّ خفيف الرمل لمالك . البَوُّ : جلد يُحشى تِبناً ويجفَّف لكيلا تخبُثَ رائحته[2] ، ويُدنى إلى الناقة التي قد نُحر فصيلها أو مات لتَشَمَّه فتَدِرّ عليه .

ومنها[3] : [من البسيط]

صوت

قلْ للمنازلِ بالظَّهْرانِ قــد حانــا ... أن تنطقــي فتُبِيني القــولَ تِبْيانــا
قالت ومَن أنت قل لي قلتُ ذو شَغَفٍ ... هِجْتِ له من دَواعي الحبِّ أَحْزانا[4]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش .

[غنّى بالموسم فحبس الناس عن المسير]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثني عبد الرحمن بن سليمان عن عليّ بن الجهم الشاعر قال حدّثني رجل[5] : أنّ ابن عائشة كان واقفاً بالموسم متحيِّراً ، فمرّ به بعض أصحابه فقال له : ما يُقيمك ها هنا ؟ فقال : إنّي أعرف رجلاً لو تكلّم لحبسَ الناسَ ها هنا فلم

1 رداع في ل : صداع الرأس ؛ الديوان : رداع السقم .
2 ل : يخبث ريحه .
3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 433 .
4 هجت له في ل : هاجت له .
5 نقل ابن حمدون هذه الفقرة في التذكرة 9 : 12–13 (رقم : 7) وانظر نهاية الأرب للنويريّ 4 : 284 والبيت الأوّل في شرح ديوان زهير : 59 .

يذهب أحد ولم يجيء ؛ فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال أنا ، ثم اندفع يغنّي : [من الوافر]

جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أُجيزي نَـوىً مشمولـةً فمتى اللقاءُ

قال : فحُبِس الناس ، واضطربت المَحاملُ ، ومدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة أن تقع . فأُتِي به هشامُ بن عبد الملك ، فقال له : يا عدوَّ الله ، أردتَ أن تَفتن الناس ؟ قال : فأمسك عنه وكان تيَّاهاً ، فقال له هشام : ارفُقْ بتِيهك ، فقال : حَقٌ لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تَيَّاهاً ، فضحك منه وخلَّى سبيله .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه ابن عائشة

صوت

[من الوافر]

جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أُجيزِي نَـوًى مشمولـةً فمتى اللقاءُ
بنَفْسِي مَـنْ تذكُّـره سَقـامٌ أُعانيـه ومَطْلَبُـه عَنَـاءُ

السانح : ما أقبل من شِمالك يريد يمينك ، والبارح ضدّه . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل رُؤْبة عن السانح والبارح ، فقال : السانح : ما ولاَّك ميامِنَه ، والبارح : ما ولاَّك مشائمَه . وقوله : أجيزي أي انفُذِي . قال الأصمعي : يقال : أَجَزْتُ الوادي إذا قطعته وخلَّفته ، وجُزْتُه أي سِرْت فيه فتجاوزته ، وجاوزته مثلُه . قال أَوْس بن مغراء : [من البسيط]

ولا يَرِيمُون في التعريفِ موقفَهم حتى يقالَ أَجِيزُوا آلَ صوفانا[1]

ومشمولةٌ : سريعة الانكشاف . أخذه من السحابة المشمولة ، وهي التي تصيبها الشَّمال فتكشِفها ، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب ، واستعارها هاهنا في النَّوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم ، وأجرى ذلك مُجرى الذمّ للسانح لأنّه يُتشاءم به . البيت الأوّل من الشعر لزهير بن أبي سُلمى ، والثاني مُحدَث ألحقه المغنُّون به لا أعرف قائله . والغناء لابن عائشة ، ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

[غنّى الوليد بحضرة معبد ومالك فطرب الوليد]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا إسحاق وأخبرني به محمد بن مَزيد[2] والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدِيّ عن حمَّاد الراوية

1 آل صوفانا في ل : آل صفوانا .

2 ل : محمد بن جرير .

قال : كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أمّا بعد ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فسَرِّحْ إليّ حمّاداً الراوية على ما أحبَّ من دوابّ البريد ، وأعطِه عشرة آلاف درهم يتهيّأ بها . قال : فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إليّ ، فقلتُ : السمع والطاعة ؛ فقال : يا دُكَين ، مُرْ شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم ، فأخذتُها . فلمّا كان اليوم الذي أردتُ الخروج فيه أتيتُ يوسف بن عمر ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفته من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنِياً عن ثنائك ؛ فقلت : أصلح الله الأمير «إن العَوانَ لا تُعلَّمُ الخِمْرَةَ»[1] وسيبلغك قولي وثنائي . فخرجتُ حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبَخْراء ، فاستأذنتُ عليه فأذِن لي ، فإذا هو على سرير ممهَّد ، وعليه ثوبان أصفران : إزارٌ ورِداء يقيئان الزَّعفران قيئاً ، وإذا عنده معبد ومالك بن أبي السَّمح وأبو كاملٍ[2] مولاه ، فتركني حتى سكن جَأْشي ، ثم قال أنشِدني :

أمِنَ المنونِ وريْبِها تتوجّعُ

فأنشدته حتى أتيت على آخرها ؛ فقال لساقيه : يا سَبْرة اسقِه ، فسقاني ثلاثة أكؤس خَثَّرْنَ ما بين الذُّؤابة والنعل . ثم قال يا مالك ، غنِّني : [من مجزوء الوافر]

ألا هــل هاجَـكَ الأظعا نُ إذ جــاوزْنَ مُطَّلَحــا

ففعل . ثم قال له : غنِّني : [من البسيط]

جَــلا أُميَّــةُ عنِّــي كلَّ مظْلِمَةٍ سَهْل الحجابِ وأوفى بالذي وَعَدا

ففعل . ثم قال له : غنِّني : [من الوافر]

أتنسَى إذ تُودِّعنا سُلَيْمــى بفَرْعِ بَشامةٍ سُقِيَ البَشامُ

ففعل . ثم قال : يا سَبرة ، أو يا أبا سبرة ، اسقِني بزُبِّ فرعون ؛ فأتاه بقدح مُعْوَجٍّ فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أميرَ المؤمنين ، الرجل الذي طلبتَ بالباب ؛ قال : أدخله ، فدخل شابٌّ لم أَرَ شابّـاً أحسنَ وجهاً منه ، في رِجله بعض الفَدَع[3] ؛ فقال : يا سبرة اسقِه ، فسقاه كأساً ؛ ثم قال له : غنِّني : [من الرمل]

وهْي إذ ذاكَ عليها مِئْــزَرٌ ولهــا بيتُ جَوارٍ من لُعَبْ

فغنّاه ، فنبَذ إليه الثوبين . ثم قال له : غنِّني : [من مجزوء الكامل]

---

1 هذا مثل ، انظر جمهرة العسكري : 32 .

2 ل : وأبو مالك .

3 الفدع : الاعوجاج .

طاف الخيالُ فمَرحبا ألفاً برؤية زينَبا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنّك تركتَنا بمَزْجَر الكلب ، وأقبلت على هذا الصبيّ ؛ فقال : والله يا أبا عَبّاد ، ما جهلتُ قدرَك ولا سنَّك ، ولكن هذا الغلام طرَحني في مثل الطَّناجير[1] من حرارة غنائه . قال حمّاد الراوية : فسألتُ عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من البسيط]

جلا أُميَّةُ عنّي كلّ مظْلِمَةٍ سَهْلُ الحجابِ وأَوْفى بالذي وعَدا
إذا حلَلْتُ بأرضٍ لا أراكَ بها ضاقتْ عليّ ولم أعرفْ بها أحَدا

الغناء لابن عَبّاد الكاتبِ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لعمر الواديّ . وذكر حبشٌ أنّ فيه لمالك لحناً من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى . ومنها[2] : [من الوافر]

صوت

أَتَنْسى إذ تودِّعُنا سُلَيْمَى بفَرْعِ بَشامةٍ سُقِيَ البَشامُ
متى كان الخِيامُ بذي طُلُوحٍ سُقيتِ الغيثَ أيّتُها الخِيامُ
أتَمْضُون الخيامَ ولم نسلم كلامُكُم عليّ إذاً حرامُ
بنفسي مَنْ تجنُّبُه عزيزٌ عليّ ومَنْ زيارتُه لِمامُ
ومن أُمسي وأُصبح لا أراه ويَطْرُقُني إذا رقَدَ النِّيامُ[3]

الشعر لجرير . والغناء لابن سُرَيج ، وله في هذه الأبيات ثلاثة ألحان : أحدها في الأوّل والرابع ثقيل أوّلُ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . والآخر في الثاني ثم الأوّل ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ، والآخرُ في الثالث وما بعده رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ . وللدَّلالِ في الثاني والثالث ثاني ثقيلٍ بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والمكّيّ . وللغريض في الأوّل والثاني والثالث خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . وفيها لمالك ثقيل أوّل

1 الطناجير جمع طنجير ، وهو نوع من القدور .
2 ديوان جرير 1 : 278 تحقيق د . نعمان أمين طه ، (دار المعارف ، القاهرة) .
3 رقد في ل : هجع .

بالبنصر عن الهشاميّ . ولابن جامع في الأوّل والثاني والرابع والخامس هزج عن الهشاميّ . وفيها لابن جندب خفيف ثقيل بالبنصر . ومنها الصوت الذي أوّله في الخبر :

وهـي إذ ذاك عليها مِئْزَرٌ

وأوّله[1] : [من الرمل]

صوت

عَهِدَتْنِـي ناشئـاً ذا غِـرّة رَجِـلَ الجُمَّةِ ذا بَطْـنٍ أَقَبّ
أتبَعُ الوِلـدانَ أُرْخِي مِئزَرِي ابن عَشْر ذا قُرَيْطٍ مـن ذهبْ
وهـي إذ ذاك عليهـا مئزرٌ ولهـا بيتُ جَـوارٍ من لُعَبْ

الشعر لامرىء القيس ، ويقال : إنّه أوّلُ شعرٍ شَبَّب فيه بالنساء . والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ ودنانير وحمّاد بن إسحاق . وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر ذكر حمّاد في أخبار جميلة أنّه لها ، وذكر حبش والهشاميّ أنّه لابن سُرَيج ، وقيل : إنّه لغيرهما . ومنها[2] : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا هـل هاجكَ الأظعا نُ إذ جـاوزْن مُطَّلَحا
نعـمْ ولِوَشْك بَيْنِهـمُ جرى لكَ طائرٌ سُنُحا
أخَذْن المـاءَ من ركَك وضوءُ الفجر قد وضَحا[3]
يَقُلْـنَ مَقِيلُنـا قَـرْنٌ نُباكِـرُ مـاءَه صُبُحا
تبعتُهـمُ بطَـرْفِ العيـ ـن حتى قيل لي افتضحا
يـودِّع بعضُنـا بعضـاً وكلٌّ بالهـوى جُـرِحا
فمَـن يفـرَحْ ببينِهِمُ فغيري إذ غَـدَوْا فَرِحا

الشعر ترويه الرُواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزبير بن بكّار فإنّه رواه عن عمّه وأهله لجعفر بن الزبير بن العوّام ، وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره المذكورة في آخر الكتاب . ورواه الزُّبير « إذ جاوزْن مَنْ طَلَحا » وقال : ليس على وجه الأرض موضعٌ يقال له : مُطَّلح . والغناء لمالك وله فيه لَحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمعبـد ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج في الخامس ، وهو

1 ديوان امرىء القيس : 294 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دار المعارف ، القاهرة) .

2 هو في ديوان عمر : 84 وقد مرَّ من قبل .

3 من ركك في ل : من وشل . الفجر في ل : الصبح .

تَبِعْتُهُم بطرف العين إلى آخر الأبيات ، ثقيلٌ أوّلُ مُطلَق في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيها للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ ، قال : وهو الذي فيه استهلالٌ . وذكر ابن المكيّ أن الثقيل الثاني لمالكٍ ، وخفيف الثقيل للغريض . ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

طَرَقَ الخيـالُ فمَرْحَبا ألفـاً برؤيـة زينَبا
أنَّى اهتديـتَ لفِتيةٍ سلَكُوا السَّلِيـلَ فعُلَيْبا[1]

[طرب أبي جعفر الناسك لغناء ابن عائشة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبَّة عن محمد بن سَلاَّم قال حدّثني جرير قال : أخذ بعض وُلاة المدينة المغنِّين والمخنَّثين والسُّفَهاء بلزوم مسجد رسول الله ﷺ، وكان في المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جعفر مولًى لابن عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ يُقْرِىء الناس القرآن ، وكان ابن عائشة يلازمه ، فخلا لابن عائشة يوماً الموضعُ مع أبي جعفر فقرأ له فطَرَّب ورَجَّع ، فسمع الشيخ صوتاً لم يسمع مثلَه قطُّ ، فقال له : يا ابن أخي ، أفسدتَ نفسك وضيَّعتها ، فلو أنّك لزِمت المسجد وتعلّمت القرآن لأقمتَ[2] للناس في مسجد رسول الله ﷺ في شهر رمضان ، ولأصبت بذلك من الولاة خيراً ، فوالله ما دخل أذني قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك ؛ فقال ابن عائشة : فكيف لو سمعتَ يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صُنِع[3] له ! قال : وما هو ؟ قال : انطلق معي حتى أُسمِعَكه ، فخرج معه إلى مِيضأةٍ ببَقِيع الغَرْقَد عند دار المُغيرة بن شُعبة ، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كلَّ يوم ، فاندفع ابن عائشة يغنِّي : [من مجزوء الكامل]

ألآنَ أبصـرتُ الهـدَى وعلا المَشِيبُ مَفارِقِي

فبلغ ذلك من الشيخ كلَّ مبلغ ، وقال : يا ابن أخي ، هذا حَسَنٌ وأنا أشتهي أن أسمعه ، ولكن لا أطلبه ولا أمشي إليه ؛ قال ابن عائشة : فعليّ أن أُسْمِعَكه ؛ فكان يرصُده ، فإذا خرج أبو جعفر يتوضّأ خرج ابن عائشة في أَثَرِه حتى يقف خلف جِدار المِيضأة بحيث يسمع غناءه ، فيغنّيه أصواتاً حتى يفرُغ أبو جعفر من وضوئه . فلم يزل يفعل ذلك حتى أُطْلِقوا من لزوم المسجد .

---

1 السليل وعليب : واديان .
2 ل : لأممت .
3 ل : صيغ .

نسبة هذا الصوت[1]

صوت

[من مجزوء الكامل]

طَـرق الخيـالُ المُعْترِي وَهْنـاً فــؤادَ العاشِقِ
طَيْـفٌ ألـمّ فهاجَني للبَيْــنِ أُمَّ مُساحِـقِ
ألآنَ أبصـرتُ الهـدى وعـلا المَشِيبُ مفارقِي
وتركـتُ أمـرَ غَوايتـي وسلكتُ قصدَ طرائقي
ولقـد رضيـتُ بعيشنا إذ نحـن بـين حدائقِ
ركائـب تَهْـوِي بنـا بـين الدُّروبِ فدابِقِ[2]

الشعر للوليد بن يزيد ، ويقال : إنّه لابن رُهَيمة . والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر عن عمرو ، وذكره يونس أيضاً له في كتابه . وفيه لأبي زَكَّار الأعمى خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ . وذكر ابن خُرْداذْبِه أنّه لأبي زَكَّار الأعمى وهو قديم ، وأنّه وجد ذلك في كتاب يونس . وفيه لحَكَم الوادي لحن في كتاب يونس غير مجنَّس ، ولا أَدري أيُّها هو . وفي هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ متنازعٌ فيه نُسِب إلى معبد وإلى مالِك ، ولم أجده لهما عن ثقة ، وأظنّه لَحْنَ حَكَم .

[أكرهه الحسن بن الحسن على الخروج معه إلى البغيبغة]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأَزهر البُوشنجي والحسين بن يحيى الأعور المِرداسيّ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم عن أبيه قال : كان الحسن بن الحسن مُكرِماً لابن عائشة مُحِبّاً له ، وكان ابن عائشة منقطعاً إليه ، وكان من أَتْيه خَلْق الله وأشدِّه ذَهاباً بنفسه ، فسأله الحسن أن يخرُج معه إلى البُغَيبِغة فامتنع ابن عائشة من ذلك ؛ فأقسم عليه فأبى ؛ فدعا بغِلمانٍ له حُبشان وقال : نُفيت من أبي لئن لم تَسِر معي طائعاً لتسيرَنّ كارهاً ، ونُفِيتُ من أبي لئن لم يُنفذوا أمري فيك لأقطَعنّ أيديهم . فلمّا رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنّه لا بدّ من الذهاب ، فقال له : بأبي أنت وأمّي ، أنا أمضي معك طائعاً لا كارهاً . فأمر الحسنُ بإصلاح ما يُحتاج إليه وركب ، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا ، حتى صارا إلى البُغَيْبِغة[3] فنزلا الشِّعب ، وجاءهم ما أُعدّوا فأكلوا ؛ ثـم أَمر الحسنُ بأمرِه وقال يا محمد ؛ فقال له : لبَّيك يا

1 شعر الوليد بن يزيد : 153 تحقيق د . حسين عطوان (عمان 1979) عن الأغاني .
2 وركائب في ل : وركابنا . دابق : مكان تجمع جيوش الأجناد الشامية لمحاربة الروم ، وهي في منطقة حلب .
3 البغيبغة : عين غزيرة الماء لآل الرسول ﷺ وقفها عليّ بن أبي طالب هي وعين أبي نيروز على أهل المدينة .

سيّدي ؛ قال : غنّني ؛ فاندفع فغنّاه : [من الكامل]

صوت

يدعـو النبـيَّ بعمِّـه فيُجيبُـه يا خيرَ مـن يدعو النبيَّ جَلالا
ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسّ رجالا وأرى الإقامـةَ بالعراقِ ضلالا
وأرى المرجِّـيَ للعراقِ وأهلَه ظَمْـآنَ هاجِـرةٍ يؤمِّـلُ آلا
وطَربتُ إذ ذكَر المدينةَ ذاكرٌ يومَ الخميسِ فهاجَ لي بَلْبالا
فظَلِلْتُ أنظر في السماء كأنّني أبغـي بناحيـة السماء هلالا

الشعر لابن المولى[1] من قصيدة طويلة قالها وقد قدم إلى العراق لبعض أمره فطال مُقامه بها واشتاق إلى بلده . وقد ذُكِر خبره في موضعه من هذا الكتاب . والغِناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن حمّاد والهشاميّ وحبش . وقال الهِشاميّ خاصّةً : فيه لحن لقَراريطَ ، فقال له الحسن : أحسنتَ والله يا ابن عائشة ؛ فقال ابن عائشة : والله لا غنّيتُك في يومي هذا شيئاً ؛ فقال الحسن : فوالله لا برِحتَ البُغَيْبِغَة ثلاثة أيّام ! فاغتمّ ابن عائشة ليمينه وندِم وعلم أنّه لا حيلة له إلاّ المُقام ، فأقاموا . فلمّا كان اليوم الثاني قال له الحسن : هاتِ ما عندك فقد بَرّت يمينُك ، وكانوا جلوساً على شيء مرتفع ، فنظروا إلى ناقة تَقدُم جماعة إبل ، فاندفع ابن عائشة فغنّى : [من المتقارب]

تَمُـرّ كجَنْدلـة المَنْجنيـقِ يُرْمى بها السورُ يوم القتالِ
فمـاذا تُخَطرِف مِـن قُلّـةٍ ومِـن حَـدَبٍ وإكامٍ توالى[2]
ومـن سيرها العَنَـقُ المُسْبطِرُّ والعَجْرفِيّـةِ بعـدَ الكَـلالِ

فقال له الحسن : وَيْلَك يا محمد ؛ لقد أحسنت الصنعة ؛ فسكت ابن عائشة ؛ ثم قال له : غنّني ، فغنّاه : [من المتقارب]

إذا ما انتشيتُ طَرَحْتُ اللِّجام في شَدْقِ مُنْجَـرِدٍ سَلْهَبِ[3]
يُبَـذّ الجيـاد بتَقْريبِـهِ ويَأْوِي إلى حُضُـرٍ مُلْهِبِ
كُمَيْـتٌ كأَنّ على مَتْنِـهِ سبائكَ مـن قِطَـعِ المُذْهَبِ
كأنَّ القَرَنْفُـلَ والزنجبيـلَ يُعَـلُّ على رِيقِهـا الأطيبِ

---

1 ستأتي ترجمة ابن المولى في الأغاني .
2 قلّة في ل : حالق .
3 اللجام في ل : الكلام .

فقال له الحسن : أحسنت يا محمد ، فقال له ابن عائشة : لكنّك ، بأبي أنت وأمّي ، قد ألجمتني بحجر فما أُطيق الكلام . فأقاموا باقيَ يومهم يتحدثون ؛ فلمّا كان اليوم الثالث قال الحسن : هذا آخر أيّامك يا محمد ؛ فقال ابن عائشة : عليه وعليه إن غنّاك إلاّ صوتاً واحداً حتى تنصرف ، وعليه وعليه إن حلَفت ألاّ أبِرّ قسمَك ولو في ذَهاب رُوحه ؛ فقال له الحسن : فلك الأمان على محبّتك ؛ فاندفع فغنّاه : [من الخفيف]

صوت

أنعمَ اللّهُ لي بـذا الوجـهِ عينـاً وبـه مرحبـاً وأهـلاً وسهـلا
حين قالـت لا تذكـرنَّ حديثي يا ابنَ عمّي أقسمتُ قلتُ أجلْ لا
لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتّى يُنقـلَ البحـرُ بالغرابيـلِ نقلا

قال : ثم انصرف القوم ، فما رأى الحسن بن الحسن ابن عائشة بعدها .

[نسبة الغناء في الشعر الذي غنّى به ابن عائشة]

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات

منها : [من المتقارب]

صوت

تمـرّ كَجَنْدلـة المَنْجَنيـ ـقِ يُرْمى بها السورُ يومَ القتالِ
فمـاذا تُخَطْـرِفُ مـن قُلّـةٍ ومـن حَـدبٍ وإكامٍ تُوالي
ومِـنْ سيرِهـا العَنَقُ المُسبطِـ ـرُّ والعَجْرفِيّـةُ بعـد الكَلالِ
ألا يـا لَقومٍ لِطَيْف الخيالِ أرَّق مـن نـازحٍ ذي دَلالِ
يُثَنّـي التحيّـةَ بعـدَ السلامِ ثمّ يُفَـدّي بعـمٍّ وخالِ
خيـالٌ لسَلْمى فقد عـاد لي بنُكْسٍ مـن الحبِّ بعد اندمالِ

أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنّه قال : يمرّ بالياء لأنـّه وصف به حماراً وحْشِيّاً ، ولكنّ المُغنّين جميعاً يغنّونه بالتاء على لفظ المؤنث ، وقد وَصَف في هذه القصيدة الناقة ولم يذكر من صفتها إلاّ قولَه :

ومن سيرِها العَنَقُ المُسْبطرّ

ولكنّ المغنّين أخذوا من صفة العَير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوهما وغنّوْا فيهما . وقوله :

فماذا تَخَطْرَف مِـنْ قُلّـةٍ

يعني أنـّه يمرّ بالموضع المرتفع فيَطفِره . وروى الأصمعيّ : [من المتقارب]

فمـاذا تَخَطَرَفَ مـن حالِـقٍ ومن قُلّـة وحجـابٍ وجالِ

فالحالق : ما أشرف . والحجاب : ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض . والجال : حرف الشيء ، يقال له : جالٌ وجُولٌ . والعَنَق المُسْبطِرّ : المُسترسِل السهل . والعَجرفِيّة : التعسّف والإسراع . يقول : إذا كَلّتْ وتعِبت تعجرفت في السير من بقيّة نفسها وشدّتها . وروى الأصمعيّ فيها : [من المتقارب]

خَيالٌ لجَعْدَةَ قـد هـاجَ لي نُكاساً مـن الحبِّ بعد اندمالِ

يقال : نُكْس ونُكاس بمعنى واحد وهو عَودُ المرض بعد الصحة . والاندمال : الإفاقة من العلّة ، واندمال الجُرح : بُرْؤه . فأمّا الأبيات التي يصف فيها الناقة فقوله : [من المتقارب]

فسَلِّ الهمـومَ بعَيْرانـةٍ مُواشِكَةِ الرَّجْعِ بعد انتقالِ[1]

ذَمُـولٍ تَزِفّ زفيفَ الظَّليـ ـم شمر بالنَّعْفِ وَسْط الرِّئالِ[2]

وتَرْمَـدّ هَمْلَجـةً زَعْزَعـاً كما انخرط الحبلُ فوق المَحالِ[3]

ومن سيرهـا العَنَق المُسْبَطِرّ والعَجْرفيّـةُ بعـد الكَـلالِ

كأنّي ورحلِـي إذا رُعتُهـا على جَمزَى جازىءٍ بالرمالِ[4]

وأمّا صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الأُتُـن : [من المتقارب]

فظَـلَّ يُسوّفُ أبوالَهـا ويُـوفي زيـازِيَ حُـدْبَ التِّلالِ[5]

فطـاف بتعشيره وانتحـى جَوائلَهـا وهـو كالمُسْتَجـالِ[6]

تَهـادى حوافرُهـا جَنْـدَلاً زواهـقَ ضربَ قُـلاتٍ بِقـالِ[7]

رمـى بالجَرامِيزِ عُـرْضَ الوَجيـ ـنِ وارمدّ في الجري بعد انفتالِ[8]

بشأوٍ له كضَريـم الحريـ ـقِ أو شِقّة البرق في عُرْض خالِ[9]

1 مواشكة الرجع : سريعة السير .
2 الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام .
3 ترمدّ : تسرع في السير . هملجة : حسنة السير في سرعة . زعزع : شديد .
4 جمزى : سريع في وثبه . والجازىء : المكتفي بالرطب عن الماء .
5 يوفي : يصعد ، يعلو . زيازي : جمع زيزاء وهي الأرض الغليظة .
6 التعشير : النهيق .
7 تقذف حوافرها الجندل من حافر لآخر . الزواهق : السابقات . وهنا إشارة إلى لعبة قديمة .
8 جراميز الوحش : قوائمه وجسده . الوجين : الأرض الغليظة .
9 الخال : السحاب الذي يوشك أن يمطر .

يمُـــرّ كجَنْدلـــة المَنْجَنيـــ ـــقِ يُرْمى بها السورُ يـوم القتالِ
فمــاذا تَخَطْــرف مــن حالـقٍ ومن حَـدَبٍ وحجـابٍ وجالِ

الشعر لأميّة بن أبي عائذ الهذليّ[1] . والغناء لابن عائشة . ولحن ابن عائشة مشكوك فيه : أيّ الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو ، فيقال : إنّه خفيف الرمل ، ويقال : إنّه هو الثقيل الأوّل ، ويقال : إنّه الرمل . فأمّا خفيف الرمل فهو بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكره إسحاق في موضع فتوقّف عنه ولم ينسُبه ، ونسبه في موضعٍ آخرَ إلى ابن أبي يَزَن المكيّ . ونسبه عمرو بن بانة إلى معبد وقال : فيه خفيف رمل آخر لمالك . وذكره يونس في أغاني ابن أبي يَزَن المكيّ ونسبه ولم يُجنّسه . وذكر ابن خُرْداذْبِه والهشاميُّ أنّ فيه لهشام بن المريَّة لحْناً من الثقيل الأوّل ، ورأيت ذلك أيضاً في بعض الكتب بخطّ عليّ بن يحيى المنجم كما ذكرا . وذكر إسحاق أنّ الرمل مطلق في مجرى الوسطى وأنّه لابن عائشة . وذكر أحمد بن المكيّ أنّه لأبيه ، وذكر غيره أنّه غلط وأنّ لحن أبيه هو الثقيل الأوّل والرمل لابن عائشة . وقال حَبَش : فيه لابن سُرَيج هزج خفيف بالوسطى . ومنها ، وقد مضى تفسيره في الخبر واقتُصِر على البيت الأوّل منه : [من المتقارب]

صوت

إذا ما انتشيتُ طرَحتُ اللِّجامَ في شِدْقِ مُنْجَـردٍ سَلْهَـبِ

الشعر للنابغة الجعديّ[2] . والغناء لابن عائشة : خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحمّاد . ومنها الصوت الذي أوّله : [من الخفيف]

أنعَمَ اللهُ لي بذا الوجهِ عيناً

وقد جُمع مع سائر ما يُغنّى فيه من القصيدة ، وهو : [من الخفيف]

أثْلَ جُـودِي على المتيَّـم أثْلا لا تَزيـدي فـؤادَه أثْـلَ خبْلا
أثْلَ إنّـي والراقصاتِ بجَمْعٍ يتبارَيْـــن في الأزِمّـــة فُتْلا
سابحـاتٍ يَقطعْن مــن عرفاتٍ بين أيدي المَطيّ حَزْنا وسهلا
والأكفِّ المُطهّراتِ على الرُّكْـ ـنِ لشُعْثٍ سعَوْا إلى البيت رَجْلا

1 أميّة بن أبي عائذ الهذليّ : وقصيدته هذه في شرح أشعار الهذليين 2 : 494 والأبيات الواردة هنا لا تلتزم ترتيب الديوان .

2 ديوان النابغة الجعدي : 31 وما بعدها (طبع المكتب الإسلامي 1964) .

لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتّى يُنْقلَ البحـرُ بالغرابيـلِ نَقْلا
أو تمـورَ الجبالُ مَـوْرَ سحابٍ مُرْتَقٍ قـد وَعَى من الماءِ ثِقْلا
أنعـمَ اللهُ لي بـذا الوجـهِ عيناً وبـه مرحبـاً وأهـلاً وسهلا
حين قالت لا تُفْشِيَنّ حديثي يا ابن عمّي أقسمتُ قلتُ أجَلْ لا
فاتّقـي اللهَ واقبلي العـذرَ منّي وتجافَيْ عن بعض ما كان زَلاّ
إن أكن سؤتُكم به فلكِ العُتْـ ـبى لَدَينا وحَقَّ ذاك وقلاّ
لم أُرحِّب بأن سَخِطتِ ولكنْ مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا
إنّ شخصاً رأيتُـه ليلةَ البـد رِ عليـه ابتَنى الجمـالُ وحَلاّ
جعـلَ اللهُ كلّ أنثى فِـداءً لكِ بل خدَّها لرجليْكِ نعلا
وجهُكِ الوجهُ لو سألتِ به المز نَ من الحسنِ والجمالِ استهلاّ

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ[1] . والغناء لمعبد في الأربعة الأبيات الأُوَل : خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة . ولابن هَوْبَر في الأوّل والثاني ثقيل أوّلُ آخر عن إسحاق . ولابن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيل أوّل ، وآخر بالبنصر أوّله استهلال . وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيف ثقيلٍ بالوسطى . ولدَحمان في التاسع والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن من كتاب يونس ولم يقع إليَّ من يُجنّسه . ولابن سريج فيها بعينها رمل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيها أيضاً للغريض خفيف رملٍ بالبنصر . ولابن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يُجنّسه .

[غنّى الوليد بن يزيد فطرب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعِيّ وحَبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن سلاّم ، وأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن أبيه عن شيخ من تَنُوخ ولم يقل عمر بن شبّة في خبره : محمد بن سلاّم عن أبيه ، ورواه عن محمد عن شيخ من تَنُوخ ، قال : كنتُ صاحبَ سِتْر الوليد بن يزيد ، فرأيتُ ابن عائشة عنده وقد غنّاه : [من الكامل]

1 شعر الحارث بن خالد : 81–84 جمع د . يحيى الجبوري (بغداد – 1972) عن الأغاني .

صوت

إنِّي رأيتُ صَبِيحةَ النَّفْرِ حُوراً نَفَيْنَ عزيمةَ الصبرِ
مثلَ الكواكب في مطالعِها بعدَ العشاءِ أطفْنَ بالبدرِ
وخرجتُ أبغِي الأجْرَ مُحتسباً فرجَعتُ مَوْفوراً مِنَ الوِزْرِ

قال إسحاق في خبره : والشعر لرجل من قريش ، والغناء لمالك . هكذا في خبر إسحاق . وما وجدتُه ذكرَه لمالك في جامع أغانيه . ووجدته في غِناء ابن سريج خفيف رمل بالوُسطى عن الهشاميّ قال : فطرِب الوليد حتّى كفر وألحد ، وقال : يا غلام ، اسقِنا بالسماء الرابعة ، وكان الغِناء يعمَل فيه عملاً ضلّ عنه مَن بعدَه ؛ ثم قال : أحسنتَ والله يا أميري ؛ أعِد بحقّ عبد شمس ، فأعاد ؛ ثم قال : أحسنت والله يا أميري ؛ أعِد بحقّ أُميّة ، فأعاد ؛ ثم قال : أعِد بحقّ فلان ، أعد بحقّ فلان ، حتّى بلغ من الملوك نفسَه ، فقال : أعِد بحياتي ؛ فأعاده . قال : فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عُضْو من أعضائه إلاّ قبّله وأهوى إلى هَنِه ؛ فجعل ابن عائشة يضمّ فخذيه عليه ؛ فقال : والله العظيم لا تَرِيم حتى أُقبّله ، فأبداه له فقبّل رأسه ، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقيَ مجرّداً إلى أن أَتَوْه بمثلها ، ووهب له ألف دينار ، وحمله على بغلة وقال : اركبها ، بأبي أنت ، وانصرِف ، فقد تركتَني على مثل المِقلى من حرارة غنائك ؛ فركِبها على بِساطه وانصرف .

[محتاج يصرّ على السماع فجعله الوليد في ندمائه]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحسن النَّخَعيّ قال حدّثني محمد بن الحارث بن كُلَيب بن زيد الرَّبَعِيّ قال[1] : خرج ابن عائشة المدنيّ من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه : [من الوافر]

أبعَدَكَ مَعْقِلاً أرجو وحِصْناً قَدَ اعْيتنِي المَعاقِلُ والحُصونُ

وهي أربعة أبيات ، هكذا في الخبر ، ولم يَذكر غير هذا البيت منها ، قال فأطربه فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وبمثل كارةِ القَصّار كُسوةً . فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغِناء ويشرب النبيذ ، فدنا من غلامه وقال : مَن هذا الراكب ؟ قال : ابن عائشة المغنّي ؛ فدنا منه وقال : جُعِلتُ فداءك ، أنت ابن عائشة أُمِّ المؤمنين ؟ قال : لا ، أنا مولًى لقريش وعائشة أمّي وحسبُك هذا فلا عليك أن تكثر ؛ قال : وما هذا الذي أراه

1 التذكرة الحمدونية 9 : 63–64 (رقم : 93) عن الأغاني ؛ وانظر نهاية الأرب 4 : 284–285 وديوان النابغة الذبياني : 222 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة) .

بين يديك من المال والكُسوة ؟ قال : غنّيت أمير المؤمنين صوْتاً فأطربته فكفَر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكُسوة ؛ قال : جُعِلت فداءك ، فهل تمُنّ عليّ بأن تُسمعني ما أسمعتَه إيّاه ؟ فقال له : ويلك ؛ أمثلي يُكلَّم بمثل هذا في الطريق ! قال فما أصنع ؟ قال : الحَقْنِي بالباب . وحرَّك ابن عائشة بغلةً شَقراء كانت تحته لينقطع عنه ؛ فعدا معه حتى وافيا الباب كفرَسَيْ رِهانٍ ، ودخل ابن عائشة فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف ، فلم يفعل ؛ فلمّا أعياه قال لغلامه : أدخِلْه ، فلمّا دخل قال له : ويلك ؛ من أين صَبّك الله عليّ ! قال : أنا رجل من أهل وادي القُرى أشتهي هذا الغناء ؛ فقال له : هل لك فيما هو أنفع لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينار وعشرةُ أثواب تنصرف بها إلى أهلك ؛ فقال له : جُعِلتُ فداءك ، والله إنّ لي لَبُنيّةً ما في أذنها ، علِم الله ، حلقة من الورِق فضلاً عن الذهب ، وإنّ لي لزوجةً ما عليها ، يشهد الله ، قميصٌ ، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخَلّة والفقر اللذيْن عرّفتُكَهما وأضعفتَ لي ذلك ، لكان الصوتُ أعجبَ إليّ ، وكان ابن عائشة تائهاً لا يغنّي إلاّ لخليفةٍ أو لذي قدر جليل من إخوانه ؛ فتعجّب ابن عائشة منه ورحِمه ، ودعا بالدَّواة وكان يغنّي مُرتجلاً ، فغنّاه الصوت ؛ فطرِب له طرباً شديداً ، وجعل يُحرّك رأسَه حتى ظنّ أنّ عنقه سينقصف ، ثم خرج من عنده ولم يَرْزَأْه شيئاً ، وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه ، فجعل يَغِيب عن الحديث . ثم جدّ الوليد به فصدَقه عنه ، وأمر بطلب الرجل فطُلِب حتى أُحضِر ، ووصله صِلةً سنيّة ، وجعله في ندمائه ووكّله بالسَّقْي ، فلم يزل معه حتى مات .

[سمع الشعبيّ غناءه فمدحه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثني عمر بن أبي خليفة قال : كان الشَّعبيّ مع أبي في أعلى الدار ، فسمعنا تحتَنا غِناء حسناً ، فقال له أبي : هل ترى شيئاً ؟ قال : لا ، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السنّ يتغنّى : [من مجزوء الكامل]

قالتْ عُبَيْد تَجَرُّماً ... في القولِ فعلَ المازحِ

فما سمعتُ غِناء كان أحسن منه ، فإذا هو ابن عائشة ، فجعل الشَّعبيّ يتعجّب من غنائه ويقول : يُؤتِي الحِكمة من يشاء . [من مجزوء الكامل]

نسبة هذا الصوت

صوت

قالتْ عُبَيد تَجَرُّماً ... في القول فعلَ المازحِ

أنجِزْ بعَمْرك وعدَنا   فأظنّ حبَّك فاضحِي
فأجبتُها لــو تعلمـ   ـينَ بما تُجِنّ جوانحي
فيمــا أرى لَرَحِمْتِني   من حَمْل حُبٍّ فادِحِ
ما في البريّة لي هوىً   فاسمع مَقالــة ناصحِ
أشكو إليــه جَفـاءكم   إلاّ سلام مُصافِحِي

زعم حبش أنّ الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر .

[احتال عليه جماعة من قريش في الحجّ فغنّى لهم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض أهل المدينة قال : حدّثني مَن رأى ابن عائشة حاجّاً وقد دعاه فِتْيةٌ من بني هاشم فأجابهم ، قال : وكنت فيهم ، فلمّا دخلنا جعلوا صدرَ المجلس لابن عائشة فجلس فتحدّثوا حتّى حضَر الطعام ، فلمّا طعِموا دعا بشراب فشربوا ، وكان ابن عائشة إذا سئل أن يغنّيَ أبى ذلك وغضِب ، فإذا تحدّث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غُـنّي فيه ابتدأ هو فغنّاه ، فكان مَن فَطِن له يفعلُ ذلك به ، فقال رجل منهم : حدّثني اليوم رجل من الأعراب ممّن كان يصاحب جَميلاً بحديث عجيب ؛ فقال القوم : وما هو ؟ فقال : حدّثني أنّ جَمِيلاً بينما هو يُحدّثه كما كان يحدّثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يَرى ، فثار نافراً ، مُقشعرّ الشعر ، متغيّر اللّون ، إلى ناقة له مجتمعةٍ[1] قريبة من الأرض ، مُوثَّقَة الخَلق ، فشدّ عليها رَحلَه ثم أتاها بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربته ، ثم ثنّى فشربتْ حتى رَوِيتْ ، ثم قال : اشدُد أداة رَحلك واشرب واسقِ جملَك ، فإنّي ذاهب بك إلى بعض مذاهبي ، ففعلت ، فجال في ظَهْر ناقته وركبتُ ناقتي ، فسِرنا بياض يومنا وسَواد ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرنا يومَنا لا والله ما نَزَلنا إلاّ للصلاة ؛ فلمّا كان اليوم الثالث دَفَعنا إلى نسوة فمِلْنا إليهنّ فوجدنا الرجال خُلُوفاً ، وإذا قِدرُ لِبأ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطشاً ، فلمّا رأيت القِدْر اقتحمتُ عن بعيري وتركتهم جانباً ، ثم أدخلت رأسي في القِدر ما يَثنِيني حَرُّها حتى رويت ، فذهبتُ أُخرِجُ رأسي من القدر فضاقتْ عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنْسُوة ، فضحِكن منّي وغَسَلن ما أصابني . وأُتِـي جميـلٌ بقِرًى فوالله ما التفتَّ إليه ؛ فبينا هو يحدّثهنّ إذا رَواعِي الإبل ، وقد كان السلطان أحلَّ لهم دَمَهُ إن وجدوه في بلادهم ، وجاء الناس[2] فقُلن : وَيحَك ! أُنجُ وتقدّم ، فوالله ما أكبرهم ذلك الإكبار ، فإذا بهم يرمونه ويطردونه ، فإذا غَشَوه قاتلهم

1 يريد مجتمعة الخلق أي مكتنزة قويّة .
2 ل : وجاء النسوة .

ورَمى فيهم ، وقام بي جَمَلي ، فقال لي : يَسِّر لنفسك مركباً خَلفي ، فأردفني خلفه ، لا والله ما انكسر ولا انخَلّ عن فرسه حتى رجع إلى أهله ، وقد سار ستّ ليالٍ وستّة أيّام وما التفتَ إلى طعام وقال في ذلك : [من الكامل]

إنّ المنـــازلَ هَيجَـتْ أطرابِي ... واستَعْجَمَت آياتُهـــا بجـوابي

وهي قصيدة طويلة . وقال أيضاً : [من الطويل]

وأحسنُ أيامي وأبهجُ عِيشَتِي ... إذا هِيجَ بِي يَوْماً وهُنَّ قُعُودُ

قال فقال ابن عائشة : أفلا أُغَنِّي لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله ، فاندفع فغنّاه ، فما سَمِعَ السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك ، وبقي أصحابنا يتعجّبون من الحديث وحُسنه والغناء وطِيبه ؛ فقال له أصحابنا : يا أبا جعفر ، إنّا مستأذنوك ، فإن أذِنتَ لنا سألناك ، وإن كَرِهتَ تركناك ؛ فقال : سَلُوا ، فقالوا : نحبُّ أن تُغَنِّينا في مجلسنا هذا ما نَشطْتَ هذا الصوت فقط ؛ فقال لهم : نعم ونِعمةَ عينٍ وكرامةً ، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس .

نسبة هذا الغناء

صوت

[من الكامل]

إنَّ المنازلَ هَيَّجَتْ أطرابـي ... واستعجمـتْ آياتُهـا بجوابي
قَفْرٌ تَـلُوحُ بذي اللُّجَين كأنّها ... أنْضاءُ وَشْمٍ أو سُطورُ كتابِ
لَمّا وقفتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ ... منّي الدموعُ لفُرقةِ الأحبابِ[1]
وذكرتُ عصراً يا بُثَيْنَةُ شاقني ... إذ فاتَني وذكرتُ شَرخَ شبابي

الشعر لجميل[2] . والغناء للهُذَليّ ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق .

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال حدّثني عمرو بن أبي الكَنّات الحَكَمِيّ قال حدّثني يونس الكاتب قال : كنّا يوماً متنزّهين بالعقيق أنا وجماعةٌ من قريش ، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكّىء على يده ، فلمّا رأى جماعتَنا وسَمِعَني أُغَنّي جاءنا فسلّم وجلس إلينا

1 القلوص في ل : الركاب .
2 ديوان جميل بثينة : 31–32 عن الأغاني – جمعه د . حسين نصّار (مكتبة مصر) .

وتحدَّث معنا ، وكانت الجماعة تَعرف سوءَ خُلُقِه وغَضَبه إذا سئل أن يُغَنِّيَ ، فأقبل بعضهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كُثَيِّر وجميل وغيرهما من الشعراء ، يَسْتَجِرُّون بذلك أن يطرَب فيُغنّي ، فلم يجدوا عنده ما أرادوا ، فقلتُ لهم أنا : لقد حدّثني اليوم بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث ، فإن شئتم حدّثتكم إيّاه ؛ قالوا : هاتِ ؛ قلتُ : حدّثني هذا الرجل أنّه مَرَّ بناحية الرَّبَذَة فإذا صبيانٌ يتغاطسون[1] في غَدِيرٍ ، وإذا شابٌّ جميلٌ منهوك الجسم عليه أثرُ العِلّة ، والنحول في جسمه بيِّن ، وهو جالس ينظر إليهم ، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام وقال : من أين وَضَحَ الراكب ؟ قلتُ : من الحِمَى ؛ قال : ومتى عهدُك به ؟ قلتُ : رائحاً ؛ قال : وأين كان مبيتك ؟ قلت : ببني فلان ؛ فقال : أوَّه ! وألقى بنفسه على ظهره وتنفَّس الصعداء تنفُّساً قلت إنّه قد خرّق حِجاب قلبه ؛ ثم أنشأ يقول[2] : [من الطويل]

صوت

سَقى بلداً أمستْ سُلَيْمى تَحُلُّهُ ... مِنَ المُزْنِ مـا يَرْوى به ويُسِيمُ
وإن لم أكُنْ من قاطِنِيهِ فإنّه ... يَحُلّ بـه شخصٌ عليّ كَرِيمُ
ألاّ حَبّذا مَنْ ليسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ ... لَدَيَّ وإن شَطَّ المـزارُ نَعِيمُ[3]
ومَنْ لامَني فيهِ حَمِيمٌ وصاحبٌ ... فَرُدَّ بغَيظٍ صاحِـبٌ وحَمِيمُ

ثم سكن كالمَغشيّ عليه ، فصِحتُ بالصِّبْية ، فأتوْا بماءٍ فَصَبَبْتُه على وجهه ، فأفاق وأنشأ يقول[4] : [من الوافر]

إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُشُوعي ... وأنفـاسي تَزَيَّـنَ بالخُشُوعِ
ولي عَيْنٌ أَضَرَّ بهـا التفاتِـي ... إلى الأجـراع مُطلقـةَ الدموعِ
إلى الخَلَواتِ يأنسُ فيكِ قلبي ... كما أَنِسَ الغريـبُ إلى الجميعِ[5]

فقلتُ له : أَلا أنزلُ فأساعدك ، أو أكُرُّ عَوْدِي على بَدْئي إلى الحِمى في حاجة إن كانت لك حاجةٌ أو رسالة ؟ فقال : جُزِيتَ خيراً وصَحِبَتْك السلامة ؛ امضِ لِطِيَّتك ، فلو أنّي علمتُ أنّك تُغْنِي عنّي شيئاً لكنتَ موضِعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة ، ولكنّك أدركتني في صُبابة من حياتـي يسيرة ؛ فانصرفتُ وأنا لا أراه يُمسي ليلته إلاّ ميّتاً ؛ فقال القوم : ما أعجبَ

1 ل : يتغامسون ؛ وفي أمالي القالي (37) يتقامسون .
2 الخبر والشعر في أمالي القالي 1 : 37–38 .
3 لدي في ل : عليّ .
4 هذه الأبيات في أمالي القالي 1 : 38 دون نسبة .
5 يأنس فيك قلبي في ل : تأنس فيك نفسي .

هذا الحديث ! واندفع ابن عائشة فتغنّى في الشعرين جميعاً وطَرِبَ وشَرِبَ بقيّة يومه ، ولم يزل يُغَنِّينا إلى أن انصرفنا .

فأمّا نسبة هذين الصوتين فإنّ في الأوّل منهما لَحناً من خفيف الرمل الثقيل المطلق في مجرى الوسطى ، نسبه يحيى المكّيّ إلى معبد ، وذكر الهشاميّ أنّه مَنحول . وفي هذا الخبر : أنّ ابن عائشة غنّاه ، وهو يغنّى في البيت الأوّل والثاني من الأبيات . وفيه للضَّيْزنيّ الملقّب بنُبَيكة لحنٌ جيِّد من الثقيل الأوّل . وكان نُبَيكة هذا من حُذّاق المغنّين وكبارهم ، وقد خدم المعتمد ثم شخص إلى مصر فخدم خُمارَوَيْه بن أحمد ، ثم قَدِم بغداد في أيّام المقتدر ، ورأيناه وشاهدناه ، وكانت في يده صُبابة قويَّة من إفضال ابن طولون واستغنى بها حتى مات ، وله صنعةٌ جيِّدة قد ذكرتُ ما وقع إليّ منها في المجرَّد[1] . وذكرتُ ممّا وقع إليّ له في هذا الكتاب لَحْناً جيِّداً في شعر سعد ذلفاء ، وهو :

ولَمَّا وَقَفْنا دُونَ سَرْحَةِ مالِكٍ

في موضعه من أخباره .

وأمّا الشعرُ الثاني الذي ذكرتُ في هذا الخبر الماضي : أنَّ ابن عائشة غنّاه فما رأيتُ له نسبة في كتاب ولا سمعت فيه صنعةً من أحد ، ولعلّه ممّا انطوى عنّي أو لم يَشْتهِر فسقط عن الناس .

[غنّى من قصر ذي خشب ورأى نسوة يمشين فاتّجه نحوهنّ فسقط فمات]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن يعقوب بن طلحة اللَّيثيّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال : أقبلَ ابن عائشة من الشام حتى نزل قصر ذي خُشُبٍ ومعه مالٌ وطِيبٌ وكُساً فشَرِبَ فيه ، ثم تطرَّقوا إلى ظهر القصر فصَعِدوا ، ثم نَظَرَ فإذا بِنِسْوةٍ يَتَمَشَّيْنَ في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنّ ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلَبِسَ مُلاءة مَدلوكة ، ثم قام على شُرفةٍ من شُرُفات القصر فتغنَّى : [من الهزج]

وقد قالتْ لأترابٍ لها زُهْرٍ تَلاقَيْنا
تَعالَيْنَ فقد طابَ لنا العَيْشُ تَعالَيْنا

فأَقْبَلنَ إليه فطَرِبَ واستدارَ حتى سقط من السطح ؛ وهذا الخبر يُذكر على شرحه في خبر وفاته .

1 المجرد : أحد مؤلّفات أبي الفرج .

[كان يغنّي بشعر الحطيئة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن محمد بن سلاَّم عن جرير أبي الحصين قال : كان ابن عائشة إذا غَنَّى في صوت له من شعر الحطيئة وهو :

عَفـا مـن سُلَيْمى مُسْحُلانُ فحامِرُهْ

نظر إلى أعطافه في كلّ رَنّة ، فسئل يوماً ، وقد دَبَّ فيه الشرابُ ، عن ذلك ، فقال : أنا عاشقٌ لهذا الصوت ، وعاشقٌ لحديثه ، وعاشقٌ لغريبه ، وعاشقٌ لقول الحطيئة : إنّ الغناء رُقْيَةٌ من رُقى النَّيْك ، ويُعجبني فهمُ الحطيئة بالغِناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غِناء ، وكيف لا أُعجَبُ به ومَحَلُّه منّي هذا المحلّ ؟ وكان لا يسأله أحدٌ إيّاه إلاّ غَنّاه ، فمن فَطِنَ له أكثر سؤاله إيّاه . وكان جرير يقول : إنّه أحسنُ صوتٍ له وأرقّه وأجوده .

[وفاة ابن عائشة]

وتُوُفِّي ابن عائشة فيما قيل في أيّام هشام بن عبد الملك ، وقيل في أيّام الوليد . وما أظنّ الصحيح إلاّ أنّه توفّي في أيّام الوليد ، لأنّه أقدمه إليه . وذكر من زعمَ أنّه توفِّي في خلافة هشام : أنّه إنّما وفد على الوليد وهو وليّ عهد .

[ذو خشب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ذكر عِمران بن هند : أنّ الغَمر بن يزيد خرج إلى الشام ، فلمّا نَزَل قصرَ ذي خُشُب شرب على سطحه ، فغنّى ابن عائشة صوتاً طَرِبَ له الغَمْر ، فقال : اردُدْه ، فأبى ، وكان لا يردّ صوتاً لسوء خُلُقه ، فأمر به ، فطُرِح من أعلى السَّطح فمات . ويقال : بل قام من الليل وهو سكران ليبُول فسقط من السطح فمات .

[حكايات أُخرى في سبب وفاته]

قال إسحاق فحدّثني المدائنيّ قال حدّثني بعض أهل المدينة قال : أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازَه وأحسنَ إليه فجاء بما لم يأتِ به أحدٌ من عنده ، فلمّا قَرُب من المدينة نزل بذي خُشُب على أربعة فراسخ من المدينة ، وكان واليَها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، ولاّه هشام وهو خاله ، وكان في قصر هناك ، فقيل له : أصلحَ الله الأمير ، هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد ، فلو سألته أن يقيم عندنا اليومَ فيُطرِبَنا وينصرف من غَدٍ ؛ فدعا به فسأله المُقام عنده فأجابه إلى ذلك ، فلمّا أخذوا في شُربهم أخرج المخزوميّ جواريَه ، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمِز جاريةً منهنّ ، فقال لخادمه : إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فارمِ به ، وكانوا يشربون فوق سطح ليس له إفريز ولا شرفات ، وهو يُشرف على بستان ، فلمّا قام ليبول رمى به الخادم من فوق السطح فمات ، فقبرُه معروف هناك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه وأخبرني به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك بن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثيّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال : أقبل ابن عائشة من الشام حتى نزل بقصر ذي خشب ومعه مال وطيبٌ وكُساً ، فشرب فيه ، ثم تطَرَّقوا إلى ظهر القصر فصعدوا ، ثم نظر فإذا بنِسْوة يتمشّينَ في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهن ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلبس مُلاءة مدلوكةً، ثم قام على شُرفة من شُرَف القصر فتغنّى في شعر ابن أُذَينة: [من الهزج]

وقد قالتْ لأَتْرابٍ لهـا زُهْـرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقـد طـابَ لنـا العيشُ تعالَيْنا

فأقبلن إليه ، وطرِب فاستدار فسقط فمات . قال : وقال قوم : بل قدِم المدينة فمات بها .

[بكى عليه أشعب فأضحك الناس]

قال : ولمّا مات قال أَشْعَب[1] : قد قلتُ لكم ، ولكنّه لا يُغنِي[2] حَذَرٌ من قَدَر ، : زوِّجوا ابن عائشة رُبَيحة الشَّمّاسيّة تخرُج لكم بينهما مزامير داود فلم تفعلوا ، وجعل يَبكي والناس يضحكون منه .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه ابن عائشة

صوت[3]

[من الهزج]

سُلَيْمى أَزْمعـتْ بَيْنَا فأين تقولُهـا أَيْنا[4]
وقـد قالـتْ لأتراب لهـا زُهْـرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْـنَ فقـد طـابَ لنـا العيشُ تعالَيْنـا
وغـابَ البَـرَم الليلـ ـلة والعينُ فـلا عَيْنا
فأَقبَلْـنَ إليهـا مسـ ـرِعـاتٍ يَتَهادَيْنـا
إلى مثـلِ مَهاةِ الرمـ ـلِ تَكْسُو المجلسَ الزَّيْنا
إلى خَـوْدٍ منعَّمـةٍ حَفَفْـنَ بهـا وفدَّيْنا
تمنَّيْـنَ مُناهـنّ فكُنّـا ما تمنَّيْنـا

---

1 قول أشعب نقله الحمدوني في التذكرة 9 : 62 (رقم : 86) .
2 ل : ينجي .
3 الشعر لعروة بن أذينة في مجموع شعره : 398–400 جمع د . يحيى الجبوري (بغداد) .
4 أزمعت في ل : أجمعت . تقولها : تظنّها .

الشعر لعروة بن أُذينة ، والغناء لابن عائشة لحنان أحدهما رملٌ مطلَقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش .

[كان مالك بن أنس يكره الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سمعتُ إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عمَّن بالمدينة يكره الغناء ، فقال : من قنَّعه الله بخِزْيِه مالكُ بن أنس ، ثم حلف له إنّه سمع مالكاً يُغنِّي : [من الهزج]

سُلَيمَى أزمعتْ بينا فأين تقولها أينا

في عُرس رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة .

[مرّ بابن أذينة وطلب إليه أن يقول له شعراً يغنّيه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسَّان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال : مَرَّ ابن عائشة بابن أُذينة فقال له : قل أبياتاً هَزَجاً أُغنَ فيها ؛ فقال له : اجلس فجلس ؛ فقال :

سُلَيْمى أزمعت بينا

الأبيات . قال أبو غسّان : فحُدِّثتُ أنّ ابن عائشة رواها ، ثم ضحك لمّا سمع قوله : [من الهزج]

تمنَّيْنَ مُناهنّ فكنَّا ما تمنَّيْنا

ثم قال له : يا أبا عامر ، تمنَّيْنَك لمّا أقبل بَخَرُك ، وأدبر ذَفَرُك ، وذبُل ذَكَرُك ! فجعل يشتُمه . هذا لفظ إسماعيل بن يونس .

أخبرني الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال فحدّثني حمّاد الخَشَبيّ[1] قال : ذُكِر ابنُ أُذَينة عند عمر بن عبد العزيز ، فقال : نِعْم الرجل أبو عامر ، على [أنّه] الذي يقول : [من الهزج]

وقد قالت لأتْرابٍ لها زُهْرٍ تلاقَيْنا

[غنّى للوليد بن يزيد بمكّة فطرب وأجازه]

أخبرني محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيّوب القُرَشيّ قال : كان هشام بن عبد الملك مُكرِماً للوليد بن يزيد ، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّباً للوليد ، وكان ، فيما يقال ، زِنديقاً ، فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه ، فاتّخذ نُدَماءَ وشرب وتهتّك ، فأراد هشامٌ قطعَهم عنه ، فولاّه المَوْسِمَ في سنة عشر

1 ل : الحسني .

ومائة ، فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً بدينه ، وأمر مولاه عيسى فصلّى بالناس ، وبعث إلى المغنّين فغنَّوْه وفيهم ابن عائشة فغنّاه :

سُليمى أجمعتْ بَيْنَا

فنَعر الوليدُ نَعْرةً أَذِن لها أهلُ مكّة . وأمر لابن عائشة بألف دينار ، وخلع عليه عدّة خِلَع ، وحمَله . فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناس ، وأمر للمغنّين بدون ذلك ، فتكلّم أهلُ الحجاز وقالوا : أهذا وليّ عهدِ المسلمين ؟ وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خَلْعه ، وأراده على ذلك فأبى ؛ وتنكّر هشام للوليد ، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط ، وتعبث هشام بالوليد وخاصّته ومَواليه ، فنزل بالأَزرق بين أرض بَلْقَيْن وفَزارة على ماء يقال له الأَغْدَق ، حتى مات هشام . [انقضت أخباره] .

وممّا في المائة الصوت المختارة من أغاني ابن عائشة

[غناؤه في صوت من المائة المختارة]

صوت

من رواية عليّ بن يحيى : [من الكامل]

حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِي ... بعضَ الحَنِين فإن شَجْوَكِ شائقي
بأبـي الوليدُ وأمٌّ نفسي كلّما ... بدت النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارِقِ
أَثْـوى فأَكرمَ في الثَّواء وقُضِّيتْ ... حاجاتُنا من عنـد أَرْوعَ باسِقِ
لا تَبْعَـدنّ إداوةٌ مطروحــةٌ ... كانـت حَدِيثاً للشَّرابِ العاتِقِ

ويروى : بالشراب العاتق . عروضه من الكامل . حنّت ، يعني ناقته . وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو : [من الكامل]

فإلى الوليدِ اليومَ حنّتْ ناقتي ... تَهْوِي بمُغْبرِّ المُتونِ سَمالِقِ[1]

وبعده «حنت إلى برق . . .» . وقوله : «قِرِي» من الوَقار ، كأنّـها لمّا حنّت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد ، فقال يخاطبها ، قِـرِي . وذَرَّ قرنُ الشارق : طلع قرن الشمس ؛ يريد : بأبي الوليد وأمّي في كلّ ليل ونهار أبداً . وأَثْوى : أَنزَل . والثَّواء : الإقامة ؛ قال الأعشى : [من الطويل]

1 السمالق : الأراضي الجرداء .

لقد كانَ في حول ثَواء ثويته　　　تُقَضَّى لُباناتٌ ويَسأم سائمُ

والباسق : الطويل ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لها طَلْعٌ نَضِيد﴾ أي طِوالاً . ويروى :

لا تَبْعَــدنّ إداوةٌ مطروحــةٌ

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطأة المُحارِبيّ . والغناء لابن عائشة . ولحنه المختار ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه للهذليّ لحنٌ آخر من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ وابن المكيّ . فأوّلُ لحنِ الهذليّ استهلالٌ في :

حنتْ إلى برقٍ فقلتُ لها قِري

وأوّل لحن ابن عائشة : [من الكامل]

بأبي الوليدُ وأُمٍّ نفسي كلّما　　　بدت النجومُ وذَرّ قرنُ الشارقِ

[14] ـ أخبار ابن أرطاة ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن أرطاة ، وقيل : عبد الرحمن بن سَيْحان بن أرطاة بن سَيْحان بن عمرو بن نُجَيد بن سعد بن لاحِب بن ربيعة بن شُكُم بن عبد الله بن عوف بن زيد بن بكر بن عمير بن عليّ بن جَسْر بن محارب بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار . وأمّ جَسْر بن محارب كأس بنت لُكَيز بن أفصى بن عبد القيس ، وأمّ عليّ بن جسر ماوِيَّة بنت عليّ بن بكر بن وائل ، هذه رواية أبي عمرو الشيبانيّ أخبرني بها عمّي والصُّوليّ عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه ، قال : وشُكُم بن عبد الله أوّل مُحاربيّ سادَ قومَه وأبَذُّهم رأساً بنفسه ، وكانوا جيراناً في هَوازن ؛ وآل سَيحان حلفاء حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبمنزلة بعضهم عندهم خاصّة وعند سائر بني أميّة عامّة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران قال : بنو سيحان من بني جَسْر بن محارب ، وبنو عبد مناف تُقَوِّي حِلْفَهم ، وهم عندي أعِزَّاؤهم وليسوا بأحلافهم .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان قال : لمّا قتَل هشام بن الوليد أبا أُزَيْهِر ، بعثتْ قريش أرطاة بن سيحان حليف حرب بن أميّة إلى الشَّراة يُحَذِّر مَن بها من تُجّار قريش ، وخرج حاجزٌ الأزدِيّ ليُخْبِرَ قومه ، فسبقه أرطاة ، وقال في ذلك وقد حذَّرهم فنَجَوا : [من الكامل]

مثلُ الحليفِ تُشدُّ عُرْوتُه ... يَثْنِي العِناجَ لها مع الكَرَبِ[2]
زَلَمٌ إذا يَسَرُوا بـه يُسُرٌ ... ومناضلٌ يَحْمِي عن الحَسَبِ[3]
هل تَشْكُرَنْ فِهرٌ وتاجِرُها ... دَأْبَ السُّرى بالليلِ والخَبَبِ
حتى جَلَوْتُ لهم يَقِينَهُمُ ... ببيان لا أَلْسٍ ولا كَذِبِ[4]

---

1 لم نجد لعبد الرحمن بن أرطاة ترجمة في المصادر الأدبية عدا الأغاني .
2 العناج والكرب : سير وحبل يشدّان بالدلو لاستنقاذها إذا انقطع الحبل .
3 الزلم : قدح لا ريش فيه ويشبه به الرجل الخفيف . إذا يسروا : إذا لعبوا الميسر .
4 الألس : الخيانة والكذب .

[شاعر إسلاميّ مقل ليس من الفحول]

وكان عبد الرحمن شاعراً مُقِلاً إسلاميّاً ليس من الفحول المشهورين ولكنّه كان يقول في الشراب والغَزَل والفَخْر ومدح أحلافه من بني أميّة ، وهو أحد المعاقِرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مع بني أميّة كواحدٍ منهم إلاّ أنّ اختصاصه بآل أبي سفيان وآل عثمان خاصّة كان أكثر ، وخُصوصُه بالوليد بن عثمان ومؤانستُه إيّاه أزيدُ من خصوصه بسائرهم ، لأنـّهما كانا يَتَنادَمان على الشَّراب .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان ، وقيل : بل في الوليد بن عتبة . وخبره في ذلك يُذكَر بعد هذا .

[أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال قال عُتبَة بن المِنهال المهلَّبيّ حدّثني غيرُ واحد من أهل الحجاز قالوا : كان ابن سيحان حليفاً لقريش ينزِل بالمدينة ، وكان نديماً للوليد بن عثمان ، فأصابه ذات يومٍ خُمارٌ ، فذهب لسانه وسكنَت أطرافه وصرَخ أهله عليه ، فأقبل الوليد إليه فَزِعاً ، فلمّا رآه قال : أخي مَخمور وربِّ الكعبة ، ثم أمرَ غلاماً له فأتاه بشراب من منزله في إداوة فأمرَ به فأُسخن ثم سقاه إيّاه وقيّأه ، وصنع له حِساء وجعل على رأسه دُهناً وجعل رجليه في ماء سُخْن ، فما لبِث أن انطلق وذهب ما كان به . ومات الوليد بعد ذلك . فبينا ابن سيحان يوماً جالسٌ وبعض متاعه يُنقَل من بيت إلى بيت ، إذ مَرّت الخادم بإداوة الوليد التي كان داواه بما فيها من الشراب وقد يَبِسَتْ وتَقَبَّضت ، فانتحب وقال : [من الكامل]

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحـةٌ كانتْ حديثـاً للشرابِ العاتِقِ

وذكر باقي الأبيات .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أحمد بن معاوية عن الواقديّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال : كان الوليد بن عثمان بن عفّان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان وكان يُخْمَر فأصابه من ذلك شيءٌ شديدٌ حتى خِيفَ عليه وشقَّ النساء عليه الجُيوب ، فدُعِي له ابن سيحان ، فلمّا رآه قال : اخرُجنَ عنّي وعن أخي ، فخَرَجْنَ ، فقال له : الصَّبوح أبا عبد الله ، فجلس مُفِيقاً ؛ فذلك حيث يقول ابن سيحان : [من الكامل]

بأبي الوليـدُ وأُمِّ نفسي كلّما بَدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ
أثْوى فأكرَمَ في الثَّواءِ وقُضِّيَتْ حاجاتُنا من عندِ أرْوَعَ باسِقِ

كَمْ عنده من نائـلٍ وسَماحـةٍ وفضائـلٍ معـدودةٍ وخلائقِ
وسَمَاحةٍ للمُعْتَفِين إذا اعْتَفَوْا في مالـه حَقّـاً وقَوْلٍ صادِقِ
لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحـةٌ كانتْ حَديثاً للشرابِ العاتِقِ

[كان ينادم الوليد بن عثمان]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان الوليد بن عثمان يُكنى أبا الجَهْم ، وكان لابن سيحان صديقاً ونديماً ، وكان صاحب شراب ، فمرض فعادَه الوليد وقال : ما تشتهي ؟ قال : شراباً ؛ فبعث فجاءه بشراب في إداوة . ثم ذكر باقي الخبر[1] نحو الذي قبله .

[خرج مع الوليد بن عثمان إلى الحجاز ولمّا عاد أعطاه إداوة شراب]

أخبرني محمد بن خلف وكِيع قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية قال : كان الوليدُ بن عُثمان ذا غَلّة في الحجاز يخرُجُ إليها في زمان التَّمْر بنفَرٍ من قومه ، يَجْنُون له ويعاونونه ، فكان إذا حضرَ خروجُهم دفَعَ إليهم نفقاتٍ لأهليهم إلى رجعتهم ، فخرج بهم مرّةً كما كان يخرج وفيهم ابن سيحان ، فأتى ابن سيحان كتابٌ من أهله يسألونه القُدُوم لحاجةٍ لا بدّ منها ، فاستأذنه فأَذِنَ له ، فقال له ابن سيحان : زَوِّدوني من شرابكم هذا ، فزَوَّدُوه إداوةً ملأها له من شرابهم ، فكان يَشْرَبها في طريقِهِ حتى قَدِمَ على أهله ، فألقاها في جانب بيتِه فارغةً ، فمكثَ زماناً لا يذكرها ، ثم كَنَسوا البيتَ فرآها مُلقاةً في الكُناسة فقال : [من الكامل]

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحـةٌ كانت حَدِيثاً للشرابِ العاتِقِ
إن تُصْبِحِي لا شيءَ فيكِ فرُبَّما أُتْرِعْتِ مـن كأسٍ تَلَذُّ لِذائِقِ
بأبي الوليدُ وأُمِّ نفسي كُلَّما بَدَتِ النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارِقِ
كم عندَه مـن نائلٍ وسَماحةٍ وشمائـلٍ مَيْمونـةٍ وخلائِقِ
وكرامةٍ للمُعْتَفِين إذا اعْتَفَوْا في مالـه حَقّاً وقَـوْلٍ صادِقِ
أَثْوى فأكرَمَ في الثَّواءِ وقُضِّيَتْ حاجاتُنا من عندِ أَرْوَعَ باسِقِ
لَمَّا أتينـاهُ أَتَيْنا ماجـدَ الـ ـأخلاق سَبَّاقـاً لِقَـرْمٍ سابِقِ
قال الوليدُ يَدِي لكم رَهْنٌ بما حاوَلْتُمُ من صامتٍ أو ناطِقِ
فإلى الوليدِ اليـوم حَنَّتْ ناقتي تَهْوِي بمُغْبَرِّ المُتُـونِ سَمالِقِ
حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِي بَعْضَ الحَنِينِ فإنَّ شَجْوَكِ شائقِي

1 ل : الحديث .

[حدّه مروان بالخمر ومنع منه معاوية]

أخبرني عَمِّي قال حدّثني محمد بن عبد الله التَّميميّ الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي ، قالا جميعاً : كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مَروان بن الحكم أيّام كان معاوية يُعاقِب بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحَرَمين ، وأنكر عليه أشياءَ بلغَته فغاظَته : من مدحه سعيداً وانقطاعه إليه وسروره بولايته ، فرصَدَه حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحدَّ ثمانين سوطاً . وقدِم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها ، حتى انتهى به الحديث إلى ابن سيحان فأخبره أنّ مروان ضربه الحدّ ثمانين ؛ فغضِب معاوية وقال : واللهِ لو كان حليف أبي العاص لَما ضربه ولكنّه ضربه لأنّه حليف حَرب ، أليس هو الذي يقول : [من الطويل]

وإنّي امرؤٌ حِلْفٌ إلى أفضل الوَرى عَدِيداً إذا ارفَضَّتْ عَصا المُتَحلِّفِ

كذب والله مروان ، لا يَضْرِبه في نبيذ أهل المدينة وشَكِّهم وحُمقهم ؛ ثم قال لكاتبه : اكتُبْ إلى مروان : فَلْيُبْطل الحدَّ عن ابن سيحان ، ولْيَخطُب بذلك على المِنبر ، ولْيَقُل إنّه كان ضربه على شُبهة ثم بانَ له أنّه لم يشرب مُسْكِراً ، ولْيُعْطِه ألفيْ درهم . فلمّا ورد الكتاب على مروان عَظُم ذلك عليه ، ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه ؛ فقال له عبد الملك : راجِعْه ولا تُكَذِّب نفسَك ، ولا تُبْطِل حُكْمَك ؛ فقال مروان : أنا أعلم بمعاوية إذا عزَم على شيءٍ أو أراده ، لا واللهِ لا أُراجِعُه . فلمّا كان يوم الجمعة وفرَغ من الخطبة قال : وابنُ سيحان فإنّا كشَفنا أمره فإذا هو لم يشرب مُسْكِراً ، وإذا نحن قد عَجَّلنا عليه ، وقد أَبْطَلتُ عنه الحدّ . ثم نزل فأرسل إليه بألفيْ درهم .

[رآه مروان سكران وشنع به فجلده الوليد بن عثمان الحدّ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الواقديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال : كان عبد الرحمن بن سيحان المُحاربيّ شاعراً ، وكان حلوَ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيّامها وأشعارها ، وكان على ذلك يُصيب من الشراب ، فكان كلُّ مَن قدِم من وُلاة بني أُميّة وأحداثهم ممّن يُصيب الشراب يدعوه وينادمه ، فلمّا وَلِيَ الوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفيان وعُزل مَروان وجَد مروان في نفسه وكان قد سبَعَه[1] ، فحقَد ذلك عليه مروان واضطغنه ، وكان

1 سبعه : ذكره بالقبيح .

الوليد يُصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سيحان فيشرب معه ، وابن سيحان لا يظنّ أنّ مروان يفعل به الذي فعله ، وقد كان مدحه ابن سيحان ووصَلَه مروان ، ولكنّ مروان أراد فضيحة الوليد ، فرصدَه ليلةً في المسجد ، وكان ابن سيحان يخرج في السَّحَر من عند الوليد ثَمِلاً فيمرّ في المقصورة من المسجد حتى يخرج في زُقاق عاصِم ، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلّي ، وكذلك عبد الله بن حنظَلَة وغيرهما من القُرّاء يبيتُون في المسجد يتهجّدون ، فلمّا خرج ابن سيحان ثمِلاً من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه ، ثمّ دعا له محمد بن عمرو وعبد الله بن حنظلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أمّ القرآن فلم يقرأها ، فدفعه إلى صاحب شُرطتِه فحبسه ؛ فلمّا أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلِم أنّ مروان إنّما أراد أن يفضحه ، وأنّه لو لقِيَ ابن سيحان ثَمِلاً خارجاً من عند غيره لم يَعْرِض له ، فقال الوليد : لا يُبرِّئني من هذا عند أهل المدينة إلاّ ضربُ ابن سيحان ، فأمر صاحبَ شُرطته فضربه الحدَّ ثم أرسله .

[مكث في بيته استحياء]

فجلس ابن سيحان في بيته لا يخرج حياءً من الناس ، فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له : ما يُجْلسك[1] في بيتك ؟ قال : الاستحياء من الناس ؛ قال : اخرجْ أيّها الرجل ، وكان عبد الرحمن قد حمَل له معه كُسْوة ، فقال له : البَسْها ورُحْ معنا إلى المسجد فهذا أَحْرى أن يكذِّب به مكذِّب ، ثم تَرحَل إلى أمير المؤمنين فتُخبِره بما صنع بك الوليد فإنّه يَصِلُك ويُبطِل هذا الحدّ عنك ؛ فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسّطاً لهم حتى دخل المسجد فصلّى ركعتين ، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأُسطوانة ؛ فقائل يقول : لم يُضْرب ، وقائل يقول : أنا رأيته يُضْرَب ، وقائل يقول : عُزِّرَ أسواطاً .

[رحل إلى معاوية وشفع فيه يزيد]

فمكث أيّاماً ثم رحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فشرِب معه ، وكلّم يزيد أباه معاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصّته وما صنعه به مروان ، فقال : قبّح الله الوليد ما أضعف عقلَه ! أما استحيا من ضربك فيما شرِب ؟ وأمّا مروان فإنّي كنتُ لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودّتك له ، ولكنّه أراد أن يضع الوليد عندي ولم يُصِب ، وقد صيّر نفسه في حدٍّ كنّا نُنزِّهه عنه ، صار شُرْطَيا ! ثم قال لكاتبه : اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة . أمّا بعد ، فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه ، ما زدتَ على أن عرّفتَ أهل المدينة ما كنتَ تشربه ممّا حُرِّم عليك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان ،

1 ل : يحبسك .

وطُفْ به في حِلَق المسجد وأخبرهم أنّ صاحب شُرَطِك تعدّى عليه وظلمه ، وأنّ أمير المؤمنين قد أبطلَ ذلك عنه ، أليس ابن سيحان الذي يقول : [من الطويل]

وإنّي امرُؤٌ أُنْمَى إلى أفضلِ الوَرى ... عديداً إذا ارفَضّتْ عصا المُتحلّفِ
إلى نَضَدٍ من عبدِ شمس كأنّهم ... هِضابُ أجا أركانُها لم تَقَصَّفِ[1]
ميامينُ يَرْضَوْن الكِفايَة إنْ كُفُوا ... ويَكْفُون ما وُلّوا بغير تكلّفِ
غَطارِفةٌ ساسوا البلاد فأحْسَنوا ... سياستها حتّى أقرّت لِمُرْدِفِ[2]
فمن يلك منهم مُوسِراً يُفْشِ فضلَه ... ومن يكُ منهم مُعسِراً يَتَعفَّفِ
وإنْ تُبْسَطِ النُّعْمى لهم يَبْسُطوا بها ... أَكُفّاً سِباطاً نفعُها غيرُ مُقْرَفِ
وإن تُزْوَ عنهم لا يَضِجُّوا وتُلْفِهِمْ ... قليلي التشكّي عندها والتكلُّفِ[3]
إذا انصرفوا للحقّ يوماً تصرّفوا ... إذا الجاهلُ الحيرانُ لم يتصرَّفِ
سَمَوْا فعلَوْا فوقَ البريةِ كلّها ... ببُنْيان عالٍ من مُنيفٍ ومُشْرِفِ

قال : وكتب له بأن يُعطى أربعمائة شاة وثلاثين لِقحة ممّا يوطِن السَّيالة[4] وأعطاه هو خمسمائة دينار ، وأعطاه يزيد مائتي دينار . ثم قدِم بكتاب معاوية إلى الوليد ، فطاف به في المسجد ، وأبطل ذلك الحَدّ عنه ، وأعطاه ما كتب به له مُعاوية . وكتب معاوية إلى مروان يلومه فيما فعله بابن سيحان ، وما أراده بذلك . ودعا الوليد عبد الرحمن بن سيحان إلى أن يعود للشرب معه ؛ فقال : والله لا ذقتُ معك شراباً أبداً .

[ضربه مروان الحدّ فأبطله معاوية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو مسلم الغِفاريّ قال حدّثني موسى بن عبد العزيز قال : أُخذ ابنُ سَيْحان الجَسْريّ ، هكذا قال وهو غلط ، في شراب في إمارة مروان ، وكان حليفاً لأبي سفيان بن حرب ، فضربه مروان ثمانين سوطاً على رؤوس الناس ، فكتب إلى معاوية يشكوه ، فكتب إليه معاوية : أمّا بعد فإنّك أخذت حليف حرب فضربته ثمانين على رؤوس الناس ، والله لتُبْطِلَنّها عنه ، أو لأُقِيدَنّه منك ؛ فقال مروان لابنه عبد الملك : ما تَرى ؟ قال : أرى والله ألاّ تفعل ؛ قال : ويحك ، أنا أعلم

1 النضد : الأعمام والأخوال . كأنهم في ل : كأنّه .
2 الغطارفة جمع غطريف وهو السيد الشريف . سياستها في ل : سياستهم .
3 والتكلُّف في ل : والتلهّف .
4 السيالة : أرض بين المدينة ومكّة .

بعَزَمات[1] معاوية منك ، فصعِد المِنبر فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيّها الناس ، إنّا كنّا ضربنا ابن سيحان بشهادة رجل من الحرس ووجدناه غير عدلٍ ولا رِضاً ، فاشهدوا أنّي قد أبطلتُ ذلك الحَدّ عنه .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران قال : ضرب مروان عبد الرحمن بن سيحان في الخمر ثمانين سوطاً ، فكتب إليه معاوية : أمّا بعد ، فإنّك ضربتَ عبد الرحمن في نبيذ أهل الشام الذي يستعملونه وليس بحرام ، وإنّما ضربته حيث كان حِلفُه إلى أبي سفيان بن حرب ، وايْمُ الله لو كان حليفاً للحَكَم ما ضربته ، فأبطِلْ عنه الحدّ قبل أن أضرِب مَن أُخِذ معه : أخاك عبد الرحمن بن الحَكَم ؛ فأبطل مروان عنه الحدّ ؛ فقال ابن سيحان في ذلك يذكر حِلفه : [من الطويل]

إنّي امرؤٌ عَقْدِي إلى أفضل الورَى ... عَديدا إذا ارفَضّتْ عصا المُتَحلَّفِ[2]

وقال الطُّوسيّ : كان عبد الرحمن بن الحَكَم أخو مروان يشرب مع ابن سيحان ، فلمّا ضربه مروان الحدَّ كتب إليه معاوية : والله لتُبْطلنّه عنه أو لأبعثنّ إلى أخيك مَن يضرب ظهرَه بالسَّوط في السُّوق ، أليس ابن سيحان الذي يقول : [من الطويل]

سَموْتُ بحِلْفي للطِّوالِ مِـنَ الرُّبـى ... ولم تَلْقَنِـي قِنّاً لدى مَبْرَك الجُرْبِ
إذا مـا حَلِيف الذُّلّ أقْمأ شخصَه ... ودَبَّ كما دبَّ الحَسيرُ على نَقْـبِ[3]
وهَصْتُ الحَصى لا أُخنِسُ الأنفَ قابِعاً ... إذا أنا راخى لي خِناقي بَنـو حَرْبِ[4]

[كان مع سعيد بن عثمان حين قتله غلمانه وهرب عنه]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء وأحمد بن سليمان الطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصعب وغيره قالوا : قدِم سعيد بن عثمان المدينة فقتله غِلمانٌ جاء بهم من الصُّغْد ، وكان معه عبد الرحمن بن أرطاة بن سيحان حَليفُ بني حرب بن أميّة ، فهرَب عنه لمّا قتلوه ، فقال خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيط يرثي سعيد بن عثمان ، وعثمان أخوه لأمّه : [من البسيط]

يا عينُ جُودِي بدمعٍ منكِ تَهْتانا ... وابكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عَفّانا[5]

---

1 ل : بحماقات .
2 عقدي في ل : أنمي .
3 الحسير : المعيي . نقِب خفّ البعير : حني .
4 وهص الحصى : دقّه . قابع : مستخفّ .
5 ورد هذا البيت في المجلد الأول ، ص 45 . وأبكي في ل : على .

إنّ ابنَ زِينــةَ[1] لم تصدُق مودَّتُــه وفرّ عنـه ابنُ أرطاةَ بنِ سَيْحانا

فقال ابن سيحان يعتذر من ذلك : [من الطويل]

يقول رجالٌ قـد دعاك فلم تُجِبْ وذلك مــن تِلْقاءِ مثلِـك رائعُ[2]
فإن كان نـادى دعوةً فسمعتُها فشَلَّتْ يدي واستَكَّ منّي المسامعُ
وإلاّ فكانتْ بالذي قــال باطلاً ودارتْ عليه الدائـراتُ القوارعُ
يلومونني أن كنتُ في الدارِ حاسراً وقد فـرَّ عنه خالـدٌ وهو دارِعُ

فقال بعض الشعراء يجيبه : [من الطويل]

فإنّــكَ لم تسمَعْ ولكــن رأيتَــه بعينيك إذ مَجْراك في الدارِ واسعُ
وأسلمتَه للصُّغْد تَدْمَــى كُلُومُــه وفارقتَه والصوتُ في الدارِ شائعُ
ومــا كان فيهــا خالــدٌ بمعذِّرٍ سواء عليــه صَمّ أو هــو سامعُ[3]
فــلا زلتُما في غُــلٍّ سَوْءٍ بعِبْرةٍ ودارتْ عليكم بالشَّماتِ القَوارعُ

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن العُتْبيّ قال : لمّا قُتل سعيد بن عثمان بن عفّان قالت أمّه : أشتهي أن يرثيَه شاعرٌ كما في نفسي حتى أُعطيَه ما يَحْتَكِم ؛ فقال ابن سيحان : [من مجزوء الكامل]

إن كنتِ باكيــةً فتــىً فابْكِي هَبِلْتِ على سعيدِ :[4]
فارقــتَ أهلَــكَ بغتــةً وجَلَبْتَ حَتْفَكَ من بعِيدِ
أذْرِي دموعَكِ والدِّمــا ءَ على الشَّهيدِ ابن الشهيدِ

فقالت : هكذا كنت أشتهي أن يقال فيه ، ووصلت ابن سيحان . وكانت تندُبه بهذا الشعر .

وقال أبو عمرو في روايته التي ذكرتُها عن عمّي عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال : جلس ابن سيحان وخالد بن عُقبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدّثان ، فجرى ذكرُه فبكيا جميعاً عليه ، فقال ابن سيحان يرثيه : [من الطويل]

---

1 ابن زينة في ل : ابن زنية .
2 يقول رجالٌ في ل : يقول أناس . مثلك في ل : نفسك .
3 معذِّر : مقصِّر .
4 هبلت : ثكلت .

أَلا إنّ خيرَ الناس إن كُنت سائلاً ... سعيدُ بنُ عثمانَ القَتِيلُ بلا ذَحْلِ[1]
تداعــت عليـه عُصْبَةٌ فارسيّةٌ ... فأَضْحى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي[2]

وقال خالد بن عُقبة : [من الطويل]

ألا إنّ خيرَ النـاس نفساً ووالداً ... سعيدُ بــن عثمانٍ قتيلُ الأعاجِمِ
بكتْ عينُ مَن لَم يَبْكِهِ وَسْطَ يَثْرِبٍ ... مَدى الدهرِ منه بالدموعِ السَّواجِمِ
فإن تكن الأيّامُ أَرْدتْ صروفُها ... سعيداً ، فمَنْ هـذا عليها بسالِمِ

قال الحَزَنْبَل : أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن سيحان قال عمّي وأنشدني السُّكَّريّ عن ابن حبيب والطُّوسيّ له : [من الخفيف]

صوت

رحِم اللهُ صاحِبَـيَّ ابنَـي الحـا ... رثِ إذ ينْهَيانِنِـي أن أَبُوحـا
بالتـي تيَّمتْ فـؤادي وأن أُذْ ... رِي دموعي على ردائـي سُفُوحا
في مَغـاني منـازلٍ مـن حبيبٍ ... باشرتْ بعـدَه قِطـاراً وريحـا
ولقـد قلـتُ للفـؤادِ ولكـنْ ... كان قِدْمـاً إلى هـواه جَمُوحـا
قلتُ أَقْصِرْ عن بعضِ حُبِّك أَرْوى ... إن بعضَ الحِبـابِ كان فُضُوحا
فعصاني ، فليس يسمَـعُ قـولاً ... من حَمـامٍ على الأَراكِ ، جُنُوحا
أُمَّ يحيـى تقبـَّل اللهُ يحيـى ... بقَبُـول كما تقَبّـل نُوحـا
أُمَّ يحيى لولا طِلابُكِ قـد سِحْ ... تُ مع الوحشِ أو لَبِسْتُ المُسُوحا
ولقـد قلـتُ لا أُحـدِّث سِرّاً ... سرَّ أُخرى ما دمتُ أمشِي صحيحا

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه للغريض ثقيل أوّل عن المشاميّ . وفيه لزُرَيق رمل .

قال أبو عمرو : وابنُ سيحان الذي يقول : [من مجزوء الوافر]

ألا هل هاجَكَ الأظعا ... نُ إذ جـاوزْنَ مُطَّلحا

[جفاه بنو مطيع فذمّهم]

والناس يَرْوونه لعمر بن أبي ربيعة لغلبتِه على غزل أهل الحجاز جميعاً . وقال أبو عمرو في

1 بلا ذحل : بغير ثأر .
2 تداعت في ل : تراغت .

خبره : كان ابن سيحان يحدِّث قال : كنت آلَفُ[1] من قريش أهلَ بيتين سوى من كنت منقطعاً إليه من بني أميّة : بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وبني مُطِيع ، فلمّا ضربني مروان الحدَّ جئتُ فجلستُ إلى بني مُطيع كما كنت أجلس ، فلمّا رأوْني عرفتُ الكراهة في وجوههم ، والله ما أقبلوا عليّ بحديثهم ولا وَسَّعوا لي ، فانصرفتُ ورُحتُ إلى بني عبد الرحمن ، فلمّا رأوْني أقبلوا بوجوههم عليّ وحَيَّوْا ورحَّبوا وسهَّلوا ووسَّعوا لي ، ورفعوني إلى حيث لم أكن أجلس ، وأقبلوا عليّ بوجوههم يحدّثونني ، وقالوا : لعلّك خشعتَ للذي لَحِقَك ، أما والله لقد علم الناس أنّك مظلوم ، وظَلَّموا مروان في فعله ، ورأوْا أنّه قد أساء وأخطأ في شأنك ، وقالوا : ما ضَرَّك ذلك ولا نقَصك ولا زادك إلاّ خيراً ، ولم يزالوا حتى بسَطُوني ، فقلت أمدحهم وأذمّ بني مطيع : [من الوافر]

لقد حرَّمتُ وُدَّ بني مُطِيع ... حَرامَ الدُّهْنِ للرجلِ الحَرامِ
وإن جنَفَ الزمانُ مددتُ حبلاً ... مَتِيناً من حبالِ بني هشامِ
رَطِيبٌ عودُهم أبداً وَرِيقٌ ... إذا ما اغبرَّ عِيدانُ اللئامِ

[لامته امرأته على مبيته خارج المنزل]

وقال أبو عمرو في خبره : كان عبد الرحمن بن سيحان يُنادِم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفاً من أن يظهر وهو سكران فيُحَدَّ ، فقالت له امرأته : قد صرتَ لا تبيت في منزلك وأظنّك قد تزوّجت ، وإلاّ فما مبيتك عن أهلك ! فقال لها : [من البسيط]

لا تَعْذَمِيني نَديماً ماجِداً أَنِفاً ... لا قائلاً قاذِفاً خَلْقاً ببُهْتانِ[2]
أغرَّ راووقُه مَلآنُ صافيةً ... تَنْفي القَذَى عن جَبِينٍ غيرِ خَزْيانِ[3]
سَبِيئة من قُرى بَيْروتَ صافية ... عَذْراء أو سُبِئتْ من أرض بَيْسانِ
إنّا لَنشربُها حتى تميلَ بنا ... كما تَمايَلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ

[يحثّ ابن عمّه على شرب الخمر]

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأَزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : كان ابن سيحان صاحب شراب ، فدخل على ابن عمّ له يقال له الحارث بن سريع فوجده يشرب نبيذ زبيبٍ ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر ، وقال

1 ل : كنت أختصّ .
2 لا تعدميني في ل : لن تعدميني .
3 ملآن في ل : صهباء .

له : يا ابن سريع ، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنّك أحمق ، وإن كنت تشربه على أنّه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشربْ أجوَده فإن الوِزْرَ واحد ، ثم قال : [من الطويل]

دَعِ ابنَ سَرِيع شُرْبَ ما مات مرّةً وخُذْها سُلافاً حيّةً مُزّةَ الطَعْمِ
تَدَعْكَ على مُلْكِ ابن ساسان قادراً إذا حرّمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ
فَشتّان بين الحيّ والمَيْتِ فاعتزِمْ على مُزَّةٍ صَفْراءَ راووقُها يَهْمِي[1]
فإنّ سَرِيعــاً كان أوصَى بحبّها بَنِيه وعمِّي جـاوز اللهُ عن عَمِّي
ويا رُبَّ يومٍ قد شهدتُ بني أبي عليها إلى أن غابَ تاليةُ النَّجْمِ
حَسَوْها صلاةَ العصرِ والشمسُ حيّةٌ تُدار عليهم بالصغير وبالضَّخْمِ
فماتُــوا وعاشُوا والمُدامــةُ بينهم مُشَعْشَعةٌ كالنجمِ تُوصَفُ بالوَهْمِ

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال : كان ابن سيحان حليف حرب بن أُميّة يُنادِم الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، ويشرب معه الخمر ، وهو القائل : [من البسيط]

إصبَحْ نَدِيمكَ من صَهْباء صافيةٍ حتى يروحَ كريمــاً ناعــمَ البالِ
واشربْ هُدِيتَ أبا وَهْبٍ مُجاهَرةً واختَلْ فإنّكَ من قومٍ أُولي خالِ
أنتَ الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ أيدي الرجالِ بما تَحْوِيه من مالِ
لولا رجاؤك قد شَمَّرْتُ مُرتَحِلاً عَنْساً تُعاقِــبُ تَخْويــداً بإرْقالِ
لما تَواصَوْا بقتلي قمتُ معتزِماً حتى حَمَيْتُ من الأعداءِ أَوْصالِي
عــمّ الوليــدُ بمعروفٍ عشيرتَه والأبعدونَ حَظُــوا منــه بإفضالِ

[شعره في الوليد وقد حماه من أخواله]

قال : وكان ابن سيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بَيِّنة ، فتآمر به القوم ومنع منه ابنُ خالٍ له منهم ؛ وخاف الوليد بن عقبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقه وينقطع عنه ، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةَ صاحبِهم . فلم يزل عند الوليد حتى عُزِل وهو نَدِيمُه وصفيُّه . وهو القائل في الوليد ، وفيه غناء : [من البسيط]

---

1 الشطر الثاني في ل : وبادرْ إلى الصهباء راووقها يهمي .

صوت

بـاتَ الوَلِيدُ يُعاطِينـي مُشَعشَعَةً حتى هَوَيْتُ صَرِيعاً بين أصحابي

في الغناء : بات الكريم يعاطيني .

لا أستطيع نهوضاً إن هَمَمْتُ به ومـا أُنَهْنَه من حَسْوٍ وتَشْرابِ
حتى إذا الصبحُ لاحتْ لي جوانبُه ولَّيْتُ أسحَبُ نحـوَ القومِ أثوابِي
كأنّني من حُمَيَّا كأسِه جَمَلٌ صَحَّتْ قوائمُه من بعد أَوْصابِ[1]

ويروى :

كأنّني مـن حُمَيَّا كأسِه ظَلِعٌ

الغناء لِيَحيى المَكِّيّ ، ورُوِي : ضَلِعٌ ، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وبَذْل . قالت بَذْل : وفيه لحنٌ آخر ليحيى ؛ ولم تذكر طريقته .

[قصّة تبرئه لسعيد بن العاص من الشرب]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو فُهَيرة قال : دخل عبد الرحمن بن أرطاة على سعيد بن العاص وهو أمير المدينة ؛ فقال له : ألستَ القائل : [من البسيط]

إنّا لنشربُها حتى تميلَ بنا كما تَمايـل وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبد الرحمن : مَعاذ الله أن أشربها وأنعتَها ، ولكنّي الذي أقول : [من الطويل]

سَمَوْتُ بحِلْفِـي للطِّوالِ مِـن الذُّرى ولم تَلْقَنِـي كالنَّسْرِ في ملتقًى جَدْبِ
إذا مـا حَلِيفُ القـومِ أَقْعَى مكانَه ودَبَّ كما يمشي الحَسِيرُ مِـن النَّقْبِ
وَهَصْتُ الحَصى لا أرهبُ الضيمَ قائما إذا أنا راخى لي خِناقــي بنو حَرْبِ

وقام يجرّ مِطْرَفَه بين الصفّيْن حتى خرج . فأقبل عمرو بن سعيد على أبيه فقال : لو أمرتَ بهذا الكلب فضُرب مائتيْ سوط كان خيراً له ؛ فقال : يا بنيّ ، أضربهُ وهو حليفُ حرب بن أُميّة ومعاوية خليفةٌ بالشام ! إذاً لا يرضى ؛ فلمّا حجّ معاوية لقيه بمنًى ؛ فقال : إيهٍ يا سعيد ؛ أَمرَكَ أحمقُك بأن تضرب حليفي مائتيْ سوط ؛ أما والله لو جَلَدْتَه سوطاً لجلَدْتُك سوطَين ؟ فقال له سعيد : ولِمَ ذاك ؟ أو لم تجلِد أنت حليفك عمر بن جَبَلة ؛ فقال له معاوية : هو لَحمِي آكلُه ولا أُوكِلُه[2] . قال : وكان ابن سيحان قد قال : [من البسيط]

---

1 جمل في ل : خبل .

2 في المثل : هو لحمي آكله ولا أدعه لآكل .

لا يَعْدَمَنِّي نديمي ماجِداً أَنِفاً ... لا قائـلاً خالطاً زوراً ببُهْتانِ
أُمْسي أُعاطِيه كأساً لذَّ مَشْرَبُها ... كالمسكِ حُفَّتْ بنِسْرِينٍ ورَيحانِ
سبيئةً من قُرى بَيْرُوت صافيةً ... أو التي سُبِئَتْ من أرض بَيْسانِ
إنّا لَنَشربُها حتــى تَمِيلَ بنــا ... كما تَمايـل وَسْنــانِ بَوْسنانِ

انقضت أخباره .

صوت
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[صوت من المائة المختارة]

[من الخفيف]

يــا خليليّ هَجِّرا كَــيْ تَرُوحا ... هِجْتمـا للرَّواح قَلْبــاً قريحا
إنْ تُرِيغا[1] لِتَعْلَما سِرَّ سُعْدى ... تَجِداني بِسِرِّ سُعْدى شَحِيحا
إنّ سُعدى لَمُنْيَةُ المُتَمنِّــي ... جَمَعتْ عِفّة ووَجْهاً صَبيحا
كلّمتني وذاك مـــا نِلتُ منها ... إنّ سُعْدى ترى الكلامَ رَبيحا[2]

الشعر لابن ميّادة . والغناء لحُنَين ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لدَحمان لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وأظنّه هذا ، وأنّ عَمْراً غَلِط في نسبته إلى دحمان .

1 تريغان : تريدان ، تحاولان .
2 ربيحا : جالباً للربح .

[15] ـ أخبار ابن ميّادة ونسبه[1]

[نسبه]

اسمه الرَّمَّاح بن أَبرد بن ثَوْبان بن سُراقة بن حَرْمَلة ، هكذا قال الزبير بن بكّار في نسبه . وقال ابن الكلبيّ : ثَوْبان بن سُراقة بن سلمى بن ظالمٍ ويقال سُراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن زيد بن غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر . وأُمُّه ميّادة أم ولَدٍ بربريّة ، ورُوِي أنّها كانت صقلبيّة[2] . ويكنى أبا شُرَحْبيل ، وقيل بل يُكنى أبا شَراحيل .

[كان يزعم أنّ أمّه فارسيّة]

وكان ابن ميّادة يزعم أنّ أمّه فارسيّة ؛ وذكرَ ذلك في شعره فقال[3] : [من الطويل]

أنا ابنُ أبي سلمى وَجَـدِّيَ ظالمُ ... وأُمِّي حَصانٌ أخلصتْها الأعاجمُ[4]

أليس غـلامٌ بـين كسرى وظالمٍ ... بأكرمِ مَـن نِيطتْ عليـه التمائمُ

[كذّبه موسى بن سيار في أنّ أمّه فارسية]

أخبرني بذلك الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو مَسلمة مرهوب بن سيد وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني موسى بن زهير الفَزاريّ قال أخبرني موسى بن سيّار بن نَجِيح المُزَنيّ قال : أنشدني ابن ميّادة أبياته التي يقول فيها : [من الطويل]

أليسَ غلامٌ بين كِسرى وظالم ... بأكرم من نِيطَتْ عليه التمائمُ

فقلت له : لقد أشحطْتَ بدار العجوز وأبعدتَ بها النُّجعة ، فهلاّ غرَّبْتَ (يريد أنّها صَقَلِبيَّة ومحلها بناحية المغرب) فقال : إي بأبي أنتَ ، إنّه مَن جاع انتجع ، فدَعْها تَسِرْ في الناس فإنّه «مَن يَسْمَع يَخَلْ»[5] .

---

1 في ترجمة ابن ميّادة انظر : من نسب إلى أمّه لابن حبيب في نوادر المخطوطات 1 : 91 (رقم : 27) والشعر والشعراء وأنساب الأشراف للبلاذري (خ) . وطبقات ابن المعتزّ 106–109 وشرح أمالي القالي للبكري وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (خ) (مصوّرة 6 : 79) . ومعجم الأدباء لياقوت الحموي 1309–1311.

2 صقلبية : من الأقوام السلافية واللفظة تعريب للأصل .

3 شعر ابن ميّادة : 227 وخزانة الأدب 1 : 77 .

4 أخلصتها في ل : حصنتها .

5 من يسمع يخل : هو مثل يعني أنّ من يسمع أخبار الناس قد يصدّقها .

[ردّ عليه الحَكَم الخضري فخره وهجاه]

قال الزبير قال ابن مسلمة : ولمّا قال ابن ميّادة هذه الأبيات قال الحَكَم الخُضْرِيّ يرُدّ عليه : [من الطويل]

وما لكَ فيهم من أبٍ ذي دسيعةٍ ولا وَلَدَتْكَ المُحْصَناتُ الكرائمُ
وما أنتَ إلاّ عبدُهـم إن تُرِبْهُمُ مِنَ الدهرِ يوماً تَسْتَرِبْكَ المقاسِمُ
رَمى نَهْبَلٌ في فَـرْجِ أُمِّـك رَمْيَةً بِحَوقاءَ تَسْقِيها العُـرُوق الثَّواجمُ

قال أبو مسلمة : ونَهْبَل عبدٌ لبني مُرّة كانت ميّادة تزوَّجَتْه بعد سيِّدها ، وكانت صَقَلبيَّة .

[شاعر مخضرم]

وابن ميّادة شاعرٌ فصيحٌ مقدَّمٌ مخضرم من شعراء الدولتين . وجعله ابن سلاّم في الطبقة السابعة[1] ، وقَرَنَ به عُمَر بن لَجأ والقُحَيف العُقَيليّ والعُجَير السَّلُوليّ .

[يقول لأمّه اصبري على الهجو]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان ابنُ مَيّادة عِرِّيضاً للشرّ ، طالباً مُهاجاةَ الشعراء ومُسابَّةَ الناس . وكانْ يضرب بيده على جَنْب أمّه ويقول : [من الرجز]

اعْرَنْزِمي مَيّادَ للقوافي[2]

أي إنّي سأهجو الناس فيَهْجُونك .

وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي هفّان بهذه الحكاية مِثله ، وزاد فيها : [من الرجز]

اعْرَنْزِمي مَيّادَ للقوافي واسْتَسْمِعيهنّ ولا تَخافِي
سَتَجِدِينَ ابنَكِ ذا قِذَافِ[3]

[استنشد امرأة أمام أمّه عمّا قيل في هجوها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا داود بن عُلَّفَة الأسديّ قال : جاورتِ امرأةٌ من الخُضر : (رهط الحَكَم الخُضْريّ) أبيات ابن ميّادة ، فجاءت ذات يوم تطلب رحىً وثِفالاً لتَطحَن ، فأعاروها إيّاهما ؛ فقال لها ابن ميّادة : يا أختَ الخُضر ، أتروين شيئاً ممّا قاله الحَكَمُ الخُضْريّ لنا ، يريد بذلك أن تسمع أُمُّه ، فجعلتْ تأبى ، فلم يزل

---

1 كذا قال أبو الفرج ، ولم يرد ذكر لابن ميّادة في طبقات ابن سلام .

2 اعرنزمي : اشتدّي .

3 ذا قذافٍ : ذا مراماة .

بها حتى أنشدته : [من الطويل]

أَمَيّادَ قد أفسدتِ سيفَ ابن ظالم بِبَظْرِك حتى عـاد أَثْلَمَ باليا

قال : وميّادة جالسةٌ تسمع . فضحِك الرمَّاح ، وثارت ميّادة إليها بالعَمود تَضرِبها به وتقول : أَيْ زانية ؛ هَيا زانية ! أَإِيّايَ تَعْنِين ؟ وقام ابن ميّادة يخلِّصها ، فَبَعْد لأْيٍ ما أَنقذَها ، وقد انتزعَتْ منها الرّحى والثِّفال .

[في صحبته شماطيط إيّاه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو حَرملة منظور بن أبي عديّ الفزاريّ قال حدّثني شَماطِيط ، وهو الذي يقول : [من الرجز]

أنا شَماطِيطُ الذي حُدِّثتَ بِهْ متـى أُنبَّـهْ للغَـداء أَنْتَبِهْ

حتى يُقال شَرِهٌ ولستُ بِهْ

قال : كنتُ جالساً مع ابن ميّادة فورَدَت عليه أبيات للحَكَم الخُضريّ يقول فيها : [من الطويل]

أَأَنتَ ابن أشبانِيّةٍ أَدْلَجَتْ به إلى اللؤمِ مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنينُها[1]

أشبانية : صَقْلَبيّة ، قال : وأمّه ميّادة تسمع فضرب جَنبها وقال : [من الرجز]

اعْرَنْزِمِـي مَيَّـادَ للقوافِي

فقالت : هذه جنايتك يا ابن مَن خَبُثَ وشَرَّ ، وأهوتْ إلى عصاً تريد ضربه بها ؛ ففرَّ منها وهو يقول :

يا صِدْقَها ولم تكن صَدُوقا

فصِحْتُ به : أيُّهما المعنيّ ؟ فقال : أَضْرَعُهما خَدَّين وأَلأَمُهما جَدَّين ؛ فضربتُ جنبها الآخر وقلتُ : فهي إذاً مَيّادة ، وخرجتُ أعدو في أثر الرَّمّاح ، وتبِعَتنا تَرمينا بالحجارة وتَفتَري علينا حتى فُتناها .

[أصل أمّه ميادة]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو داود الفزاريّ : أنّ ميّادة كانت أَمَةً لرجلٍ من كَلْب زوجةً لعبدٍ له يقال له نَهْبَل ، فاشتراها بنو ثَوْبان بن سُراقة فأقبلوا بها من الشام ، فلمّا قدِموا وصبَّحوا بها المُلَيحة (وهي ماءة لبني سلمى ورَحْلِ بن ظالم بن جَذِيمة) نَظَرَ رجلٌ من بني سلمى إليها وهي ناعسة تَمايَلُ على بعيرها ،

1 المقلات : المرأة ليس لها إلاّ ولد واحد .

فقال : ما هذه ؟ قالوا : اشتراها بنو ثوبان ؛ فقال : وأبيكم إنّها لميّادة تميدُ وتميل على بعيرها ، فغلب عليها «ميّادة» . وكان أبردُ ضِلَّةً من الضلل[1] ورِثَّةً من الرِّثَث[2] جلفاً لا تَخلُص إحدى يديه من الأُخرى ، يَرعى على إخوته وأهله ، وكانت إخوته كلّهم ظُرفاء غيره . فأرسلوا ميّادة ترعى الإبل معه فوقع عليها ، فلم يشعروا بها إلاّ حُبْلى قد أُقعَسها بطنها[3] ، فقالوا لها : لَمن ما في بطنك ؟ قالت : لأَبرد ، وسألوه فجعل يسكُت ولا يُجيبهم ، حتى رمت بالرَّمَّاح فرأَوْا غلاماً فَدْغَماً نَجيباً ، فأقرّ به أَبرد . وقالت بنو سلمى : ويلكم يا بني ثوبان ! ابتطِنوه فلعلّه يُنجِب ؛ فقالوا : والله ما له غير ميّادة ، فبنَوا لها بيتاً وأقعدوها فيه ، فجاءت بعد الرمّاح بثوبان وخليل وبَشير بني أبرد ، وكانت أوَّل نسائه وآخرهنّ ، وكانت امرأة صِدق ، ما رُميت بشيء ولا سُبّت إلاّ بنهبل .

[هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسديّ]

قال عبد الرحمن بن جُهَيم الأسديّ في هجائه ابن ميّادة : [من الطويل]

لعَمْري لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبلٍ ... لبئس شبابُ المرءِ كان شبابُها
ولم تدرِ حمراءُ العِجان أَنَهْبَلٌ ... أبوه أمِ المُرِّيّ تَبَّ تَبابُها

[هجا بني مازن فردّ عليه رجل منهم]

قال أبو داود : وكان ابن ميّادة هجا بني مازن وفَزارة بن ذُبيان ، وذلك أنّهم ظلموا بني الصارد ، والصارد من مُرّة ، فأخذوا مالَهم[4] وغلبوهم عليه حتّى الساعة ؛ فقال ابن ميّادة[5] : [من الكامل]

فلأُورِدَنّ على جماعةِ مازنٍ ... خَيْلا مُقلِّصةَ الخُصى ورجالا
ظلّوا بذي أُرُكٍ كأَنّ رؤوسهم ... شجَرٌ تخطّاه الربيع فحالا[6]

فقال رجل من بني مازن يردّ عليه :

يا ابن الخبيثة يا ابن طَلّةِ نَهْبلٍ ... هلاّ جمَعتَ كما زعمتَ رجالا

---

1 ضلّة : امرؤ لا خير فيه ، وقد تقرأ «صلة» بالصاد المهملة .
2 الرثث : سفلة الناس .
3 أقعسها : جعلها قعساء وهي التي تكون ناتئة الصدر .
4 ل : فأخذوا ماءً لهم .
5 شعر ابن ميّادة : 198 (عن الأغاني) .
6 ذو أرك : واد باليمامة .

أَبَظْرِ مَيْـدَة أم بخُصْيَيْ نَهْبَلٍ أم بالفُساةِ تُنـازِلُ الأبطـالا
ولئن وردتَ على جماعة مازنٍ تبغِـي القتـالَ لتَلْقَيَنّ قِتـالا

[يفتخر بأمّه وأبيه]

قال : وبنو مُرّة يُسمَّون الفُساة لكثرة امتيارهم التمر ، وكانت منازلهم بين فَدَك وخَيْبَر فلُقّبوا بذلك لأكلهم التمر . وقال يحيى بن عليّ في خبره ، ولم يذكره عن أحد : وقال ابن ميّادة يفتخر بأمّه[1] : [من الرجز]

أنا ابن مَيّـادةَ تَهْـوِي نُجُبِي صَلْتُ الجبـينِ حَسَنٌ مُرَكَّبِي
ترفَعنـي أمّـي ويمينـي أبي فوق السحابِ ودُوَيْنَ الكوكبِ

[يفخر بأبيه في العرب وبأمّه في العجم]

قال يحيى بن عليّ في خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبي داود الفَزاريّ : إنّ ابن ميّادة قال يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمّه في العجم[2] : [من الطويل]

أليس غلامٌ بين كِسرى وظالمٍ بأكرمِ مَن نِيطت عليه التمائمُ
لَوَ ٱنّ جميعَ الناسِ كانوا بتَلْعةٍ وجئتُ بجَدِّي ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلّتْ رقابُ الناسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامِنا بالجماجمِ

[سمع الفرزدق شيئاً من شعره فانتحله]

فأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال : كان ابن ميّادة واقفاً في الموسم يُنشِد : [من الطويل]

لو ٱنّ جميعَ الناسِ كانوا بتَلْعَةٍ

وذكر تمام البيت والذي بعده . قال : والفرزدق واقفٌ عليه في جماعة وهو مُتلثّم ، فلمّا سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال : أنت يا ابن أَبْرَد صاحب هذه الصفة ؟ كذَبتَ والله وكذَب مَن سمع ذلك منك فلم يُكذّبك ؛ فأقبل عليه فقال : فَمَهْ يا أبا فِراس ؛ فقال : أنا والله أولى بهما منك ، ثم أقبل على راويته فقال : اضممهما إليك : [من الطويل]

لَوَ ٱنّ جميعَ الناسِ كانوا بتَلْعَةٍ وجئتُ بجَدّي دارِمٍ وابن دارمِ
لَظلَّتْ رِقابُ النَّاسِ خاضِعَةً لنا سُجوداً على أَقدامِنا بالجَماجِمِ

1 شعر ابن ميّادة : 70 .
2 شعر ابن ميادة : 227 .

قال : فأطرق ابن ميّادة فما أجابه بحرف ، ومضى الفرزدق فانتحلهما .

[كان له أخوان شاعران]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن أبي داود قال : أمُّ بني ثوبان ، وهم أبرد أبو ابن ميّادة والعوثبان وقريض وناعضة ، وكان العوثبان وقريض شاعرين ، أمّهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سُلمى .

[مهاجاته لعقبة بن كعب بن زهير]

ويقال : إنّ الشعر أتى ابنَ ميادة عن أعمامه من قِبَل جدِّهم زهير . قال إسحاق في خبره هذا : وحدّثني حُمَيد بن الحارث أنّ عُقبة بن كعب بن زهير نزل المُلَيحة على بني سلمى بن ظالم فأكلوا له بعيراً ، وبلغ ابن ميّادة أنّ عقبة قال في ذلك شعراً ، فقال ابن ميّادة يردّ عليه[1] : [من الكامل]

ولقد حلفتُ بربِّ مكّةَ صادقاً ... لـولا قرابـةُ نِسْوةٍ بالحاجرِ
لكسوتُ عُقْبةَ كُسْوةً مشهورةً ... تَرِدُ المَناهِلَ مـن كـلامٍ عائرِ

وهي قصيدة ؛ فقال له عُقبة : [من الوافر]

أَلَوْما أنّني أصبحتُ خـالاً ... وذكـرُ الخال ينقُص أو يزيدُ
لقـد قلّدتُ من سَلْمى رجالا ... عليهم مَسْحَـةٌ وهُـمُ العبِيدُ

فقال ابن ميّادة[2] : [من الوافر]

إن تَـكُ خالنا فقُبِحْتَ خالاً ... فأنت الخـالُ تنقُص لا تزيدُ[3]
فيومـاً في مُزَينة أنت حُرٌّ ... ويومـاً أنـت مَحْتِدُك العبيدُ
أحقُّ الناسِ أن يَلْقـى هَوانـاً ... ويؤكَلَ مالُـه العبـدُ الطَّرِيدُ[4]

[أوصاف ابن ميّادة]

قال إسحاق فحدّثني عجرمة[5] قال : كان ابن ميّادة أحمر سَبْطاً[6] عظيم الخَلْق طويلَ اللِّحية ، وكان لَبَّاساً عَطِراً ، ما دنوتُ من رجلٍ كان أطيب عَرفاً منه .

---

1 شعر ابن ميّادة : 157 .
2 شعر ابن ميّادة : 108 .
3 فقبحت في ل : قبحت .
4 يلقى في ل : يلقوا .
5 ل : عكرمة .
6 سبطاً : طويلاً حسن الاستواء .

[مقارنة بينه وبين النابغة]

قال إسحاق : وحدّثني أبو داود قال : سمعت شيخاً عالماً من غَطَفان يقول : إن كان الرَّمَّاح لأشعر غطَفان في الجاهلية والإسلام ، وكان خيراً لقومه من النابغة ، لم يمدح غير قريش وقَيْس ، وكان النابغة إنّما يَهْذِي باليمن مضلّلاً حتى مات .

[كثير السقط في شعره]

قال إسحاق : وحدّثني أبو داود أنّ بني ذُبيان تزعمُ أنّ الرَّمَّاح بن مَيَّادة كان آخرَ الشعراء . قال إسحاق : وحدّثني أبو صالح الفَزاريّ أنّ القاسم بن جُندَب الفَزاريّ ، وكان عالماً ، قال لابن ميّادة : والله لو أصلحت شعرَك لذُكِرتَ به ، فإنّي لأراه كثير السَّقَط ؛ فقال له ابن ميّادة : يا ابن جُندَب ، إنّما الشعر كنَبْلٍ في جَفيرِك[1] ترمي به الغرض ، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ[2] وقاصد .

[كان في أيّام هشام وبقي إلى خلافة المنصور]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال : كان ابن ميّادة حديث العهد لم يُدرك زمان قُتيبة بن مسلم ، ولا دخل فيمن عَناه حين قال : «أشعرُ قيسٍ الملقَّبون من بني عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غَطَفان» ، ولكنه شاعر مُجيد كان في أيام هشام بن عبد الملك وبقي إلى زمن المنصور .

[مدح بني أمية وبني هاشم]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : كان ابن ميّادة فصيحاً يُحتجُّ بشعره ، وقد مدح بني أميّة وبني هاشم : مدح من بني أميّة الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان ، ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان .

[علم أنّه شاعر حين وافق الحطيئة في بيت قاله]

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال أخبرني طمَّاح ابن أخي الرَّمَّاح بن ميّادة قال : قال لي عمّي الرَّمَّاح : ما علمتُ أنّي شاعرٌ حتى واطأت[3] الحطيئة ، فإنّه قال : [من الطويل]

عفا مُسْحُلان من سُلَيْمى فحامِرُهْ تَمَشَّى بـه ظِلْمانُـه وجـآذرُهْ

فوالله ما سمعتُه ولا رويتُه فواطأته بطبعي فقلت : [من الطويل]

---

1 الجفير : جعبة السهام .

2 عاصد : حائد عن الهدف .

3 واطأ : وافق .

فذو العُشّ والممدورُ أصبحَ قاوِياً تَمَشَّى بـــه ظِـلْمانُــهُ وجآذِرُهْ[1]

فلمّا أنشدتُها قيل لي : قد قال الحطيئة :

تَمَشَّى به ظلمانُـه وجآذِرهْ

فعلمتُ أنّي شاعرٌ حينئذٍ .

[كان ينسب بأمّ جحدر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني موسى بن زهير بن مُضَرِّس قال : كان الرماح بن أَبرَد المعروف بابن ميّادة يَنْسُب بأم جحدر بنت حسَّان المُرِّيّة إحدى نساء بني جذيمة ، فحلف أبوها لَيُخرجنّها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوّجها بنجد ؛ فقَدِم عليه رجلٌ من الشام فزوّجه إيّاها ؛ فلقي عليها ابن ميّادة شدّة ، فرأيته وما لقي عليها ، فأتاها نساؤها يَنظُرْن إليها عند خروج الشاميّ بها . قال : فوالله ما ذَكَرْنَ منها جمالاً بارعاً ولا حُسْناً مشهوراً ، ولكنّها كانت أكسبَ الناس لعجب . فلمّا خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول[2] : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي هل إلى أمّ جَحْدَر سبيلٌ فأمّا الصبرُ عنها فـلا صَبْرا

إذا نزلت بصْرى تراخى مَزارُها وأغلَق بَوَّابانِ مِـن دُونها قَصْرا[3]

فهل تأتينِّي الريحُ تَـدْرُجُ مَوْهِناً بريّاكِ تَعْرَوْرِي بهـا جَرَعاً عُفْرا

قال الزبير : وزادني عمِّي مُصعب فيها :

فلـــو كان نَذْرٌ مُدْنِياً أمَّ جَحْدَرٍ إليّ لقد أَوْجَبْتُ في عُنُقي نَذْرا[4]

ألا لا تَلُطِّي السِّتْرَ يـا أمّ جَحْدَرٍ كَفى بذُرا الأعلام مِنْ دُوننا سِتْرا[5]

لَعمري لئن أَمْسَيتِ يا أمّ جَحْدَرٍ نأيتِ لقد أبليتُ في طلبٍ عُذْرا

فَبَهْراً لقومـي إذ يبيعون مُهْجتي بغانيةٍ بَهْـراً لهـم بعدَهـا بَهْرا[6]

قال الزبير : بَهْراً هاهنا : يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما يَبْهرهم ، كما تقول :

1 ذو العش : من أودية العقيق ؛ الممدور : اسم موضع في ديار غطفان . القاوي : المقفر .
2 شعر ابن ميادة : 134 (مع اختلاف في الترتيب) وانظر فرحة الأديب 67 ، 68– 70 .
3 الشطر الأول في شعر ابن ميادة : إذا جاوزت بصرى تقطّع وصلها .
4 أوجبت في شعر ابن ميادة : أوذمت .
5 لطّ الستر : أرخاه .
6 شعر ابن ميادة : تفاقد قومي . . .

جَدْعاً وعَقْرا . وفي أوّل هذه القصيدة ، على ما رواه يحيى بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن حُمَيد بن الحارث ، يقول : [من الطويل]

ألا لا تَعُدْ لِي لَوْعَـةٌ مثلُ لَوْعَتِي عليكِ بأَدْمى والهوى يَرجعُ الذِّكْرا
عَشِيَّةَ أَلْوِي بالـرِّداءِ على الحَشا كأنّ رِدائـي مُشْعَلٌ دونَـه جَمْرا

[تزوّج أمّ جحدر وشعر ابن ميادة في ذلك]

قال حُميد بن الحارث : وأُمّ جحدر امرأة من بني رَحل بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرّة .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير عن موهوب بن رشيد عن جبر بن رباط النَّعاميّ : أنّ أمّ جحدر كانت امرأة من بني مرّة ثم من بني رحل ، وأنّ أباها بلغه مصير ابن ميّادة إليها ، فحلف ليزوِّجنَّها رجلاً من غير ذلك البلد ، فزوّجها رجلاً من أهل الشام فاهتداها[1] وخرج بها إلى الشام ، فتبعها ابن ميّادة حتى أدركه أهلُ بيته فردّوه مُصْمِتاً لا يتكلّم من الوجد بها ؛ فقال قصيدة أوّلها : [من الطويل]

خَلِيـلَيَّ مِـن أَبْناء عُـذْرَة بَلِّغـا رسائـلَ منّـا لا تَزيـدكما وِقْرا[2]
أَلِمّا عـلى تَيْمـاءَ نَسْأَلْ يَهُودَها فإنّ لدى تيماءَ مِـن رَكْبها خُبْرا
وبالغَمْر قـد جازتْ وجازَ مَطِيُّها عليه فسَلْ عن ذاك نَيّـانَ فالغَمْرا[3]
ويا ليتَ شِعْري هـل يَحُلّنّ أَهلُها وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببَطْن اللِّوى خُضْرا

[قصّة عشقه لها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني أبو سعيد (يعني عبد الله بن شبيب) قال حدّثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرِّياحِيّ العُـذْريّ قـال حدّثني عمر بن وَهْب العَبْسيّ قال حدّثني زياد بن عثمان الغَطَفانيّ من بني عبد الله بن غَطَفان قال : كنّا بباب بعض وُلاة المدينة فغَرِضْنا[4] من طُول الثَّواء ، فإذا أعرابيّ يقول : يا معشر العرب ، أما منكم[5] رجلٌ يأتيني أعلّله إذ غَرِضنا

1 اهتداها : تزوّجها .
2 أبناء في ل : أفناء .
3 الشطر الثاني في ل : فأسقى الغوادي بطن تبان فالغمرا .
4 غرضنا : سئمنا .
5 ل : أما فيكم .

من هذا المكان فأُخبره عن أمّ جَحدر وعنّي ؟ فجئتُ إليه فقلت : مَن أنت ؟ فقال : أنا الرَّمَّاح بن أَبْرد ، قلت : فأخبرني ببدء أمركما ؛ قال : كانت أمّ جحدر من عشيرتي فأعجبتني ، وكانت بيني وبينها خُلّة ، ثم إنّي عَتَبْتُ عليها في شيء بلغني عنها ، فأتيتها فقلت : يا أمّ جحدر إنّ الوصل عليكِ مردود ؛ فقالت : ما قضى الله فهو خير . فلبثتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتْ بهم نُجعةٌ فتباعدوا ، واشتقتُ إليها شوقاً شديداً ، فقلتُ لامرأة أخٍ لي : والله لئن دَنَتْ دارُنا من أمّ جحدر لآتينَّها ولأَطلبنّ إليها أن تردَّ الوَصْل بيني وبينها ، ولئن رَدَّته لا نَقَضْتُه أبداً ؛ ولم يكن يومان حتى رجعوا ، فلمّا أصبحتُ غَدَوتُ عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سند[1] أبرق طويل ، وإذا امرأتان جالستان في كِساءٍ واحدٍ بين البيتين ، فجئتُ فسلَّمتُ ، فردّتْ إحداهما ولم تردّ الأُخرى ؛ فقالت : ما جاء بك يا رمّاح إلينا ؟ ما كنّا حَسِبنا إلاّ أنّه قد انقطع ما بيننا وبينك ؛ فقلتُ : إنّي جعلتُ عليّ نَذْراً لئن دَنَتْ بأمّ جحدر دارٌ لآتينَّها ولأَطلبنّ منها أن ترُدّ الوصل بيني وبينها ، ولئن هي فعلت لا نَقَضْتُه أبداً ، وإذا التي تكلّمني امرأة أخيها وإذا الساكتة أمّ جحدر ؛ فقالت امرأة أخيها : فادخُل مقدَّم البيت فدخلت ، وجاءت فدخَلَت من مؤخّره فدَنَت قليلاً ، ثم إذا هي قد برزت ، فساعة برزت جاء غرابٌ فنَعَبَ على رأس الأبرق فنظرتْ إليه وشَهَقَتْ وتغيَّر وجهها ؛ فقلت : ما شأنكِ ؟ قالت : لا شيء ؛ قلت : بالله إلاّ أخبرتِني ؛ قالت : أرى هذا الغراب يخبرني أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلاّ ببلد غيرِ هذا البلد ؛ فتقبَّضَت نفسي ، ثم قلت : جاريةٌ والله ما هي في بيت عِيافة ولا قِيافة ، فأقمتُ عندها ، ثم تروّحتُ إلى أهلي فمكثتُ عندهم يومين ، ثم أصبحتُ غادياً إليها ، فقالت لي امرأة أخيها : ويحك يا رمّاح ؛ أين تذهب ؟ فقلت : إليكم ؛ فقالت : وما تريد ؟ قد والله زُوِّجَت أمُّ جحدر البارحة ، فقلت : بمَن ويحكِ ؟ قالت : برجل من أهل الشام من أهل بيتها ، جاءهم من الشام فخطبها فزُوِّجَها وقد حُمِلت إليه ، فمضيتُ إليهم فإذا هو قد ضرب سُرادقاتٍ ، فجلستُ إليه فأنشدتُه وحدّثته وعدتُ إليه أيّاماً ، ثم إنّه احتملها فذهب بها فقلتُ[2] : [من الطويل]

أجارتَنــا إنَّ الخطوبَ تَنُوبُ ... علينــا وبعضَ الآمنين تُصيبُ
أُجارَتَنــا لَسْتُ الغَداةَ ببارحٍ ... ولكنْ مُقِيمٌ مـا أقـامَ عَسيبُ
فإن تسألِيني هل صَبَرْتَ فإنّني ... صَبُورٌ على رَيْب الزمانِ صَليبُ

1 السند : ما ارتفع من قبل الوادي .
2 لعلّ هذا وهم ؛ إذ لم يكن ابن ميّادة يهتدم أشعار غيره .

قال عليّ بن الحسين : هذه الأبيات الثلاثة أغارَ عليها ابن ميّادة فأخذها بأعيانها ، أمّا البيتان الأوّلان فهما لامرىء القيس قالهما لَمّا احْتُضِر بأنْقِرَةَ في بيتٍ واحد وهو : [من الطويل]

أجارتنـــا إنّ الخطوبَ تَـنُوبُ وإنّي مُقِيمٌ مـا أقـامَ عَسِيبُ

والبيت الثالث لشاعر[1] من شعراء الجاهلية ، وتمثل به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيل بن أبي طالب ، فنقله ابن ميّادة نقلاً . ونرجع إلى باقي شعر ابن ميّادة[2] : [من الطويل]

جَرَى بانْبِتاتِ الحَبْلِ من أمّ جَحدَرٍ ظبـاءٌ وطيرٌ بالفِـراق نَعُـوبُ
نظرتُ فلم أَعْتَفْ وعافتْ فبيَّنَتْ لهـا الطيرُ قبلِـي واللبيـبُ لبيبُ
فقالت حــرامٌ أن نُرى بعـد هذه جميعَيْــنِ إلاّ أن يُلِـمَّ غريبُ
أجارتَنـا صبراً فيـا رُبَّ هالكٍ تَقَطَّعُ مـن وَجْـدٍ عليـه قلوبُ

[رحل إلى الشام لرؤيتها فردّته]

قال : ثم انحدرتُ في طلبها ، وطَمِعتُ في كلمتها : «إلاّ أن نجتمع في بلد غير هذا البلد» . قال : فجئت فدُرْتُ الشام زماناً فتلقّاني زوجُها فقال : ما لك لا تغسِل ثيابك هذه ؟ أرسلْ بها إلى الدار تُغسَل ، فأرسلتُ بها ؛ ثم إنّي وقفت أنتظر خروجَ الجارية بالثياب ، فقالت أمُّ جحدر لجاريتها : إذا جاء فأعلِميني ؛ فلمّا جئتُ إذا أمُّ جحدر وراء الباب فقالت : ويحك يا رمَّاح ؛ قد كنتُ أحسَب أنّ لك عقلاً ؛ أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسُنا عنه ؟ انصرف إلى عشيرتك فإنّي أستحيي لك من هذا المُقام ؛ فانصرفتُ وأنا أقول[3] : [من الطويل]

صوت

عسى إن حَجَجْنا أن نرى أمَّ جَحْدَرٍ ويجمعَنـا مـن نَخْلَتَيْن طَرِيـقُ
وتَصْطَـكَّ أعضــادُ المَطِيِّ وبيننا حديـثٌ مُسَرٌّ دونَ كلّ رَفِيـقِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثاني ذكر الهشاميّ أنّه للحَجَبِيّ .

وقال حين خرج إلى الشام ، هذه رواية ابن شبيب[4] : [من الطويل]

1 ل : لرجلٍ .
2 لم ترد هذه الأبيات في ما جمع من شعره .
3 شعر ابن ميّادة : 175 .
4 ل : حبيب .

ألا حيِّيا رَسْماً بـذي العُشِّ مُقْفِرا وربعاً بذي المَمْدُورِ مستعجماً قَفْرا
فأعجبُ دارٍ دارُهـا غيرَ أنّني إذا مـا أتيتُ الدار تَرْجِعُني صِفْرا
عشيةَ أَثْنِي بـالرِّداء على الحَشى كأنّ الحَشى من دُونه أُسْعِرَتْ جَمْرا
يَمِيلُ بنا شَحْطُ النَّوى ثـم نلتقي عِدادَ الثُّريَّـا صادفتْ ليلَـةً بَدْرا
وبالغَمْرِ قـد جازتْ وجاز مطيُّها فأسْقى الغَوادِي بَطْنَ نَيَّانَ فالغَمْرا
خَلِيليّ مـن غَيْظِ بن مُرَّةَ بلِّغـا رسائـلَ منِّـي لا تَزيدكُمـا وِقْرا
ألا ليت شعري هل إلى أمّ جَحْدَرٍ سَبِيلٌ ، فأمّا الصبرُ عنها فلا صَبْرا
فإن يَكُ نَذْرٌ راجعـاً أمَّ جَحْدَرٍ عليّ لقـد أَوْذَمتُ في عُنُقي نَذْرا[1]
وإنّي لاستنشي الحديثَ من آجْلِها لأسمعَ منهـا وهـي نازِحةٌ ذِكْرا
وإنّي لأستحيي مـن اللهِ أن أُرى إذا غـدَر الخُلاَّنُ أنوي لها غَدْرا

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمَّاد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن ميّادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت : [من الطويل]

ألَم تَـرَ أنّ الصارِدِيَّـةَ جاورتْ ليـالِيَ بالمَمْـدور غيرَ كَثِيرِ[2]
ثلاثـاً فلمّـا أن أصابتْ فـؤادَه بسَهْمَيْن من كُحْلٍ دعَتْ بهَجِيرِ
بأَصْهَبَ يَرْمِـي للزِّمـام برأسِهِ كأنّ على ذِفْـراه نَضْـخَ عَبِيرِ
جلتْ إذ جلت عن أهلِ نجدٍ حميدةً جَـلاءَ غنـيٍّ لا جـلاءَ فقيرِ
وقالت وما زادتْ على أن تبسّمتْ عَذِيرَكَ مـن ذي شَيْبةٍ وعَذِيري
عَدِمتُ الهوى ما يَبْرَح الدهرَ مُقْصِداً لقلبـي بسَهْمٍ في اليديـن طَرِيرِ[3]
وقـد كان قلبي ماتَ للوَجْدِ مَوْتةً فقد هَـمَّ قلبـي بعدَهـا بنُشُورِ

قال : فقلت لأبي داود : ما أضحكك ؟ فقال : كذب ابن ميّادة ، والله ما جُليت إلاّ على حمار وهو يذكر بعيراً ويَصِفُه وأنّها جُليت جلاءَ غنيّ لا جلاءَ فقيرٍ ، فأنطقه الشيطان بهذا كلِّه كما سمعت .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثني موسى بن زهير قال : مكثتْ أمُّ

1 أوذمت في ل : أوجبت .
2 الصارديّة : نسبة إلى بني صارد وهم حي من مرّة .
3 مقصد : مصيب . السهم الطرير : المحدّد .

جحدر عند زوجها زماناً ثم مات زوجُها عنها ومات ولدُها منه ، فقدِمتْ نجداً على إخوتها وقد مات أبوها .

[قص على سيار خبره معها حتى تزوّجت]

أخبرني سَيَّار بن نجيح المُزَنيّ قال : لقيتُ ابن ميّادة وهو يبكي فقلت له : ويحك ؛ ما لك ؟ قال : أخرجتْني أمُّ جحدر وآلتْ يميناً ألاّ تكلِّمني ، فانطلِقْ فاشفعْ لي عندها ؛ فخرجتُ حتى غَشيتُ رِواقَ بيتها فوجدتُها وهي تَدمُك جريراً لها بين الصَّلايةِ والمُدُقّ تريد أن تَخطِم به بعيراً تَحُجّ عليه ؛ فقالت : إن كنتَ جئتَ شَفيعاً لابن مَيَّادة فبيتي حرامٌ عليك أن تُلْقِي فيه قدمَك . قال : فحجّتْ ، ولا والله ما كلّمتْه ولا رآها ولا رأتْه . قال موسى قال سَيَّار : فقلت له : اذكرْ لي يوماً رأيتَه منها ؛ فقال لي : أمَا والله لأخبرنّك يا سَيَّار بذلك : بعثتُ إليها عجوزاً منهم فقلت : هل تَرَيْنَ من رجالٍ ؟ فقالت : لا والله ، ما رأيتُ من رجل ؛ فألقيتُ رَحلي على ناقتي ثم أرسلتُها حتى أَنَخْتُها بين أطناب بيتهم ؛ ثم جعلتُ أقيّد الناقة ، فما كان إلاّ ذاك حتى دخلتُ وقد ألقتْ لي فراشاً مرقوماً مطموماً ، وطرحتْ لي وسادتين على عجُز الفِراش وأخرين على مقدّمه ؛ قال : ثم تحدّثنا ساعةً وكأنّما تُلْعِقُني بحديثها الرُّبَّ[1] من حلاوته ، ثم إذا هي تَصُبُّ في عُسٍّ مخضوبٍ بالحِنّاء والزعفران من ألبان اللِّقاح ، فأخذتُ منها ذلك العُسّ وكأنّه قناةٌ فراوحتُه بين يديّ ، ما ألقمتُه فمي ولا دَرَيْتُ أنّه معي حتى قالت لي عجوز : ألا تصلِّي يا ابن ميّادة لا صلّى الله عليك فقد أظلَّك صَدْر النهار[2] ! ولا أحسَب إلاّ أنّني في أوّل البُكرة ؛ قال : فكان ذلك اليوم آخر يومٍ كلّمتُها فيه حتى زوّجها أبوها ، وهو أظرف ما كان بيني وبينها .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني حكيم بن طلحة الفزاريّ ثم المنظوريّ قال : قال ابن ميّادة : إنّي لأعلم أقصرَ يومٍ مرّ بي من الدهر ؛ قيل له : وأيُّ يوم هو يا أبا الشُّرَحْبِيل ؟ قال : يومٌ جئتُ فيه أمَّ جحدرٍ باكراً فجلستُ بفِناء بيتها فدعتْ لي بعُسٍّ من لبن فأُتيتُ به وهي تحدّثني ، فوضعتُه على يدي وكرهتُ أن أقطع حديثَها إن شربتُ ، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتَتْني صلاةُ الظهر وما سربت .

قال الزبير : وحدّثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد بمثل هذا ، وزاد في خبره : وقال ابن ميّادة فيها أيضاً[3] :

---

1 ل : الزبد .

2 ل : الرجال .

3 شعره : 149–150 عن الأغاني .

أَلَمْ تَـرَ أنّ الصارِدِيَّـةَ جاورتْ ليـالِيَ بالمَمْـدُورِ غيـرَ كثيرِ
ثلاثـاً فلمّـا أن أصابتْ فؤادَه بسهمَيْن من كُحل دعتْ بهَجيرِ
بأَحْمـرَ ذَيَّالِ العَسِيبِ مفـرَّجٍ كأنّ على ذِفْـراه نَضْـخَ عَبيرِ[1]
حلفْتُ بـربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى زَفِيفَ القَطا يقطعْنَ بطـنَ هَبِيرِ
لقـد كاد حبُّ الصارِديَّةِ بعدما علا في سَوادِ الرأسِ نَبْذُ قَتِيرِ
يكـون سَفاهاً أو يكونُ ضمانة على مـا مضى من نعمةٍ وعُصُورِ
عدِمتُ الهوى لا يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِداً لقلبي بسهـمٍ في الفـؤادِ طَرِيرِ
وقد كان قلبي ماتَ للحبِّ موتةً فقد هَـمَّ قلبـي بعدهـا بنُشُورِ
جَلَتْ إذ جلت عن أهلِ نَجْد حميدةً جـلاءَ غنـيٍّ لا جـلاءَ فقيرِ

ومّما يغنّى فيه من أشعار ابن ميّادة في النسيب بأمّ جحدرٍ [قوله][2] : [من الطويل]

صوت

أَلا يا لَقَوْمِي لِلهوى والتذكُّرِ وعينٍ قَذى إنسانِها أمُّ جَحْدَرِ
فلَمْ تَـرَ عيني مثلَ قلبيَ لم يَطِرْ ولا كضلوعٍ فَوقَـه لم تُكَسَّرِ

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

[جاءه سيار في حمالة فرأى جاريته وسمع شعره]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا حَكِيم بن طَلْحة الفَزاريّ عن رجل من كَلْبٍ قال : جنيْتُ جنايةً فغرِمتُ فيها ، فنهضتُ إلى أخوالي بني مُرّة فاستعنتُهم فأعانُوني ، فأتيتُ سَيَّار بن نجيح أحدَ بني سلمى بن ظالِم فأعانني ، ثم قال : انهضْ بنا إلى الرمَّاح بن أَبْرَدَ ، يعني ابن ميّادة ، حتى يُعِينَك ، فدَفعْنا إلى بيتين له ، فسألنا عنه فقيل : ذهبَ أمس ؛ فقال سَيَّار : ذهب إلى أَمَةٍ لبني سُهيل ، فخرجنا في طلبه فوقعنا عليه في قَرارةٍ[3] بيضاء بين حَرَّتين ، وفي القَرارة غَنَمٌ من الضأن سُودٌ وبيضٌ ، وإذا حمارٌ مقيَّد مع الغنم وإذا به معها ، فجلسْنا فإذا شابّة حلوة صفراء في دُرَّاعةٍ مُوَرَّسَةٍ ، فسلَّمْنا وجلسْنا ؛ فقال : أَنْشدِيهم ممّا قلتُ فيكِ شيئاً ؛ فأنشدتْنا[4] : [من الطويل]

1 تقدّم هذا البيت برواية أُخرى .
2 شعر ابن ميادة : 156 .
3 القرارة : المطمئن من الأرض .
4 شعر ابن ميادة : 204 .

يُمَنُّونَنــي منــكِ اللقــاءَ وإنّنــي لأعلَــمُ لا ألقاكِ من دونِ قابلِ
إلى ذاك ما حارتْ أمورُك وانجلتْ غَيايــةُ حُبِّيــكِ انجلاءَ المَخايلِ[1]
إذا حَــلَّ أهــلي بالجناب وأهلُها بحيث التقى الغُلاّنُ من ذي أرايلِ
أقلْ خُــلَّةٌ بانت وأَدْبــرَ وصلُها تقطَّــعَ منهــا باقيــاتُ الحَبائلِ[2]
وحالتْ شهورُ الصيفِ بيني وبينها ورفعُ الأعــادِي كلَّ حقٍّ وباطِلِ
أقــول لعَـــذَّاليَّ لمـــا تَقابَلا عليّ بلَـوْمٍ مثــلِ طعــنِ المَعابِلِ
لا تُكْثِرا عنهـــا السؤالَ فإنّهـــا مُصَلْصِلةٌ من بعض تلك الصّلاصِلِ[3]
من الصُّفْرِ لا وَرْهاءُ سَمْجٌ دَلالُها وليستْ من السُّودِ القِصارِ الحَوائِلِ
ولكنّهــا ريحانــةٌ طــابَ نَشْرُهــا وردتُ عليها بالضُّحى والأَصائِلِ

ثم قال لها : قُومِي فاطرَحي [عنكِ] دُرَّاعتكِ ، فقالت : لا حتى يقولَ لي سيَّار بن نجيح ذلك ، فأبى سيَّار ؛ فقال له ابن ميادة : لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما ، فقال لها فقامت فطرحتْها ، فما رأيتُ أحلى منها . فقال له سَيَّار : فما لك يا أبا الشُّرَحْبِيل لا تشتريها ؟ فقال : إذاً يفسُد حبُّها .

[ابن ميادة وصخر بن الجعد الخضريّ]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثتني مُغيرة بنت أبي عَدِيّ بن عبد الجَبَّار بن منظور بن زَبَّان بن سَيَّار الفَزاريّة قالت أخبرني أبي قال : جمعني وابن مَيَّادة وصخر بن الجعد الخُضريّ مجلسٌ ، فأنشدنا ابن ميّادة قوله : [من الطويل]

يُمَنُّونَنِي منــكِ اللقاءَ وإنّنِــي لأعلَمُ لا ألقاك من دون قابِلِ

فأقبل عليه صخر فقال له : المحبّ المُكِبُّ يرجو الفائتَ ويَغُمّ الطيرَ ، وأراك حسَنَ العَزاءِ يا أبا الشُّرَحْبيل ؛ فأعرض عنه ابن ميّادة . قال أبو عَدِيّ فقلت : [من الرجز]

صادَفَ دَرْءُ السَّيْلِ سيلاً يَرْدَعُهْ بهَضْبَــةٍ تَــرُدُّه وتدفَعُــــهْ

ويروى : دَرْءَ السيل سيلٌ ، فقال لي : يا أبا عديّ ، والله لا أتلطّخ بالخُضْرِ مرّتين وقد قال أخو عُذرة :

1 الغياية : كلّ ما يظلّ من سحاب ونحوه .
2 بانت في ل : ناءت .
3 مصلصلة : مصوّتة كالحمام .

هـو العبـدُ أقصى همِّـه أن تسُبَّه وكان سِبابُ الحرِّ أقصَى مدى العَبْدِ

قال الزبير : قوله يغمّ الطير يقول : إذا رأى طيراً لم يزجُرْها مخافةَ أن يقع ما يكره .

قال : فلم يُجِرْ إليه صخر بن الجعد جواباً . يعني بقوله : «لا أتلطخ بالخُضْر مرّتين» مُهاجاته الحَكَم الخُضريّ ، وكانا تَهاجَيا زماناً ثم كفَّ ابن ميّادة وسأله الصلحَ فصالحه الحَكَمُ .

[ابن ميادة والحكم الخضريّ]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأَحول التغلبيّ ثم الخولانيّ قال : كان أوّل ما بدأ الهجاءُ بين ابن ميّادة وحَكَم بن مَعْمر الخُضريّ أنّ ابن ميّادة مرّ بالحَكَم بن مَعْمر وهو يُنشد في مصلَّى النبيّ ﷺ في جماعة من الناس قوله : [من الكامل]

لمـن الديـارُ كأنّهـا لم تُعْمَرِ بين الكِناسِ وبـين بُرْقِ مُحَجَّرِ[1]

حتى انتهى إلى قوله :

يـا صاحبَـيَّ ألم تَشيمـا بارِقـاً نُضِحَ الصُّرادُ بِهِ فهَضْبُ المَنْحَرِ[2]

قـد بـتُّ أَرْقُبُـه وبات مصعِّداً نَهْضَ المقيَّـد في الدَّهـاسِ المُوقَرِ[3]

فقال [له] ابن ميادة : ارفعْ إليّ رأسَك أيّها المنشِد ، فرفع حَكَم إليه رأسَه ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حكم بن مَعْمَر الخُضريّ ؛ قال : فوالله ما أنت في بيتِ حسب ، ولا في أُرُومةِ شِعْر ؛ فقال له حَكَم : وماذا عِبْت من شعري ؟ قال : عِبْتُ أنّك أَدْهستَ وأَوْقرتَ ؛ قال له حكم : ومن أنت ؟ قال أنا ابن ميّادة ؛ قال : ويحك ! فلم رَغِبتَ عن أبيك وانتسبتَ إلى أمّك ؟ قبّح الله والدينِ خيرُهما ميّادة ، أَمَا والله لو وجدتَ في أبيك خيراً ما انتسبتَ إلى أمّك راعيةِ الضأن . وأما إدْهاسِي وإيقارِي فإنّي لم آتِ خَيْبَر إلاّ مُمتاراً لا مُتَحامِلاً[4] ، وما عدوتَ أن حكيتَ حالكَ وحالَ قومِك ، فلو كنتَ سكتَّ عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك . فلم يفترقا إلاّ عن هِجاء .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ قال حدّثني عُمَير بن ضمرة الخُضريّ قال : أوّلُ ما هاج الهجاء بين ابن ميّادة وبين حَكَم بن معمر بن

1 الكناس والمحجر : موضعان .

2 الصراد وهضب المنحر : موضعان .

3 الدهاس : الأرض السهلة اللينة تغوص فيها الرِجل ؛ والموقر : الثقيل الحمل ، وهي نعت للمقيد .

4 متحامل : الذي يحمل بالأجرة .

قنْبَر بن جِحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب ، قال : والخُضر ولد مالك بن طريف ، سُمُّوا بذلك لأنّ مالكاً كان شديد الأُدْمة ، وكذلك خرج ولده فسُمُّوا الخُضْرَ ، أنّ حَكَماً نزل بسُمَيرِ بن سَلَمة بن عوسجة بن أَنَس بن يزيد بن معاوية بن ساعدة بن عمْرو وهو خُصَيلة بن مرّة ، فأقبل ابن ميّادة إلى حَكَم ليَعْرِض عليه شعرَه وليسمع من شعره ، وكان حَكَم أسنَّهما ، فأنشدا جميعاً جماعةَ القوم ، ثم قال ابن ميّادة : والله لقد أعجبني بيتان قلتَهما يا حَكَم ؛ قال : أو ما أعجبك من شعري إلاّ بيتان ؟ فقال : والله لقد أعجباني ، يردّد ذلك مراراً لا يزيده عليه ؛ فقال له حكم : فأيُّ بيتَيْن هما ؟ قال : حين تُساهِمُ بين ثوبيْها وتقول : [من الطويل]

فوالله مـا أدرِي أَزِيدتْ مَلاحَةً ... وحُسناً على النِّسوان أم ليس لي عقْلُ

تَساهَم ثوباهـا ففِي الدِّرعِ غادَةٌ ... وفي المِـرْطِ لفَّاوانِ رِدْفهُما عَبْلُ[1]

فقال له حَكَم : أَوَ ما أعجبَك غيرُ هذين البيتين ؟ فقال له ابن ميّادة : قد أعجباني ، فقال : أَوَ ما في شعري ما أعجبك غيرهُما ؟ فقال : لقد أعجباني ؛ فقال له حَكَم : فإنّي سوف أُعيب عليك قولك :

ولا برِح المَمْدور رَيّان مُخصِباً ... وجِيدَ أَعالِي شِعْبـه وأسافلُهْ[2]

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفلِه وتركتَ وسطَه وهو خير موضع فيه ؛ فقال : وأيَّ شيء تريد ؟ تركتُه لا يزال رَيّان مُخصِباً : وتهاترا فغضِب حَكَم فارتحل ناقتَه وهدَر ثم قال :

فإنّـه يـومُ قَرِيضٍ ورَجَزْ

فقال رجل من بني مُرّة لابن ميّادة : اهدِرْ كما هدَر يا رمّاح ، فقال : إنّما يَغِطّ البَكْر . ثم قال الرَّمّاح : [من الرجز]

فإنّـه يـومُ قَرِيضٍ ورَجـزْ ... مَن كان منكم ناكِزاً فقد نَكَزْ

وبيَّن الطِّرْفُ النَّجِيبُ فبَرَزْ

قال الزبير : يريد بقوله ناكزاً : غائضاً قد نزَف . قال الزبير : وسمعت رجلاً من أهل البادية يَنزِع على إبلٍ له كثيرة من قَلِيب ويرتجِز : [من الرجز]

قد نَكَزَتْ أنْ لم تكن خَسِيفا ... أو يكـنِ البحـرُ لهـا حَلِيفا

قال الزبير قال الجُمَحيّ قال عُمَيْر بن ضَمْرَة : فهذا أوّل ما هاج التهاجِيَ بينهما .

---

1 غادة في ل : رأدة .

2 جيد : سقي مطراً غزيراً .

[فضلت أمّ جحدر ابن ميادة على الحَكَم وعملس]

قال الزُّبير قال الجُمَحيّ : وحدّثني عبد الرحمن بن ضبعان المُحاربيّ قال : كان ابن ميّادة وحَكَم الخُضريّ وعَمَلّس بن عقيل بن عُلَّفة مُتجاورين مُتَحالّين ، وكانوا جميعاً يتحدّثون إلى أمّ جحدر بنت حَسّان المُرِّيَّة ، وكانت أمّها مَولاة ، ففضَّلت ابن ميّادة على الحكم وعملّس فغضبا . وكان ابن ميّادة قال في أمّ جَحْدر : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي هل إلى أمِّ جَحْدَرٍ سبيلٌ فأمّا الصَّبْرُ عنها فلا صَبْرا

ويا ليتَ شِعْرِي هل يَحُلَّنّ أهلُها وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطنِ اللِّوى خُضْرا

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

إذا رَكَدتْ شمسُ النهارِ ووضَّعَتْ طَنافِسَها ولَّيْنها الأَعيُنَ الخُزْرا

الأبيات ؛ فقال عَمَلَّس بن عَقِيل وحَكَم الخُضْرِيّ يهجُوانها ، وهي تُنسب إلى حَكَم : [من الطويل]

لا عُوفِيتْ في قبرها أمّ جحدَرٍ ولا لَقِيَتْ إلاّ الكَلاليبَ والجَمْرا

كما حادثتْ عبداً لئيماً وخِلْتَه مِن الزادِ إلاّ حَشْوَ رَيْطاته صِفْرا

فيا ليتَ شِعري هل رأت أمُّ جَحْدَرٍ أكُشَّكَ أو ذاقتْ مَغابِنَك القُشْرَا[1]

وهل أبصرتْ أَرْساغَ أَبْرَدَ أو رأت قفا أمّ رَمَّاح إذا ما استقت دَفْرا[2]

وبالغَمْرِ قد صَرّت لِقاحاً وحادثتْ عبيداً فسَلْ عن ذاك نَيّان فالغَمْرا

وقال عَمَلَّس بن عَقِيل بن عُلَّفَة ويقال : بل قالها عُلَّفَة بن عَقِيل : [من الطويل]

فلا تضَعا عنها الطنافسَ إنّما يُقَصِّرُ بالمِرماة مَن لم يكن صَقْرا

وزاد يحيى بن عليّ مع هذا البيت عن حمّاد عن أبيه عن جرير بن رَبّاط وأبي داود قال : يُعرِّض بقوله : «مَن لم يكن صَقْرا» بابن ميّادة أي إنّه هَجين ليس من أَبَوَيْن متشابهين كما الصقر . وبعدَه بيت آخر من رواية يحيى ولم يَرْوه الزُّبَيْر معه : [من الطويل]

مُنَعَّمَةٌ لم تَلْقَ بؤساً وشِقْوةً بنجدٍ ولم يَكْشِفْ هجينٌ لها سِترا

قالوا جميعاً : فقال ابن مَيّادة يهجو عُلَّفة[3] : [من الطويل]

---

1 أكش : لعلّها جمع كشّة على غير قياس وهي الخصلة من الشعر .المغابن : الآباط وبواطن الأفخاذ . والقشر : البرص أو الشديدة الحمرة .

2 دفراً : دفعاً .

3 شعر ابن ميادة : 143–144 .

أعُلَّفَ إنّ الصقـرَ ليس بمُدْلِجٍ ولكنّـه بالليـل مُتَّخِــذٌ وَكْـرا
ومُفْتَرِشٌ بين الجَناحــين سَلْحَهُ إذا الليلُ ألقى فوقَ خُرْطومه كِسْرا
فإنْ يـكُ صقراً بعد ليلــة أمّه وليلــة جَحّافٍ فــأُفٍّ له صقرا
تَشُدّ بكفَّيْهــا على جِـذْل أيْـرِه إذا هــي خافت مــن مَطِيَّتها نَفْرا

يريد أنّ أمّ عُلَّفة من بني أَنمار ، وكان أبوه عَقِيل بن عُلَّفة ضربها ، فأرسلت إلى رجلٍ من بني أَنمار يقال له جَحّاف ، فأتاها ليلاً فاحتملها على جمل فذهب بها . وقال يحيى بن عليّ خاصّة في خبره عن حَمَّاد عن أبيه عن أبي داود : إنّ جَحّاف بن إياد كان رجلاً من بني قِتال بن يَربوع بن غيظ بن مُرّة ، وكان يتحدّث إلى امرأة عَقِيل بن عُلَّفة ، وهي أمّ ابنه عُلَّفة بن عَقِيل ، ويُتَّهم بها ، وهي امرأة من بني أَنْمار بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان يقال لها سُلافة ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ، وكان عَقِيل من أَغْيَر الناس ، فربَطها بين أربعة أوْتاد ودهنَها بإهالَة[1] ، وجعلها في قرية نَمْل ، فمرّ بها جحّاف بن إياد ليلاً فسمع أنينَها ، فأتاها فاحتملها حتى طرَحها بفَدَك ، فاستعدت والِيَها على عقيل . وقام عقيل من جوف الليل فأوقد عُشْوة[2] ونظَرها فلم يجدها ووجد أثر جحّاف فعرَفه وتبعه حتى صَبّح القرية ، وخَنَس جَحّاف عنها ؛ فأتى الواليَ فقال : إنّ هذه رأتني قد كَبِرتْ [سِنِّي] وذهب بصري فاجترأتْ عليّ ، وكان عقيل رجلاً مَهيباً فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لموضعه من صِهْر بني مروان . قال : فعَيّر ابن ميّادة عُلَّفَةَ بن عَقيل بأمر جَحّاف هذا في قوله : [من الطويل]

فإنْ يكُ صقراً بعدَ ليلـةِ أمّه وليلةِ جَحّافٍ فأُفٍّ له صقرا

قال : ولَجَّ الهِجاءُ بينهما . وقال فيه ابن مَيّادة وفي حَكَم الخُضْرِيّ وقد عاون عُلَّفَة : [من الطويل]

لقد ركِبَ الخُضْرِيُّ مِنّي وتربُه على مَرْكَبٍ من نابِياتِ المَراكِبِ

وقال لعُلَّفَة[3] : [من الرجز]

يا ابـنَ عَقِيل لا تكـن كَذُوبا أأن شَرِبـتَ الخَـزْرَ والحَلِيبا
من شَوْل زيد وشَمَمْتَ الطِّيبا جَهْـلاً تَجَنّيـتَ لِـيَ الذنوبا

1 إهالة : شحم مذاب .
2 العشوة : النار يستضاء بها .
3 شعر ابن ميادة : 82–83 عن الأغاني .

قال : ثم لم يُلْبِثْه ابنُ مَيّادة أن غلبه ، وهاج التهاجيّ بينه وبين حَكَم الخُضريّ ، وانقطع عنه عُلَّفة مفضوحاً . قال : وماتت أُمّ جَحدر التي كان يَنسُب بها ابن ميّادة على تفئة[1] ما كان بينه وبين عُلَّفة من المُهاجاة ، ونُعِيتْ له فلم يُصدِّق حتّى أتاه رجل من بني رَحْل يقال له عمّار فنعاها له ؛ فقال[2] :

ما كنتُ أحسَب أنّ القومَ قد صدقوا حتّى نعاها لِيَ الرَّحْلِيُّ عَمّارُ

وقال يرثيها[3] : [من الطويل]

خَلتْ شُعَبُ المَمْدُور لستَ بواجدٍ به غيرَ بالٍ من عِضاهٍ وحَرْمَلِ
تمنّيتَ أنْ تَلْقى به أمّ جَحْدَرٍ وماذا تَمَنَّى من صَدًى تحتَ جَنْدَلِ
فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ ذَميمةٍ ولَلْبخلُ خيرٌ من عَناء مُطوّلِ

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة بن مرمىء ، وذكره إسحاق أيضاً عن أصحابه : أنّ ابن ميّادة وحَكَماً الخُضريّ تواعدا المدينة ليتواقفا بها ، فتواقفا بها وجاء نَفَرٌ من قريش ، أمهاتُهم من مُرَّة ، إلى ابن ميّادة فمنعوه من مواقفة حَكَم ، وقالوا : أتتعرض له ولست بكُفْئِه فيشتُم أمّهاتِنا وأخوالنا وخالاتِنا وهو رجلٌ خبيثُ اللسان ، قال : وكان حَكَم يَسْجَع سَجْعاً كثيراً ، فقال : والله لئن واقفتُه لأسجَعَنّ به قبلَ المُقارضة سَجْعاً أفضَحُه به فلم يَلْقَه . وذكر الزُّبير له سَجْعاً طويلاً غَثّاً لا فائدة فيه ، لأنّه ليس برَجَز منظوم ولا كلامٍ فصيح ولا مسجَّع سَجْعاً مؤتلفاً كائتلاف القوافي ، إلاّ أنّ من أَسْلَمه قولَه : والله لئن ساجعْتَني سِجاعاً ، لتجدنّي شُجاعاً ، للجار منّاعاً ، ولأجدنّك هيَّاعاً ، للحَسَب مِضْياعاً ؛ ولئن باطشْتُك بِطاشاً ، لأُدْهِشنَّك به إدهاشاً ، ولأُدُقَّنَّ منك مُشاشاً ، حتى يجيء بولُك رَشاشاً . وهذا من غَثّ السَّجْع ورَذْله ، وإنّما ذكرتُه ليُسْتدلَّ به على ما هو دونه ممّا ألغيتُ ذكره . قال : ورجز به فقال[4] : [من الرجز]

يا معدِنَ اللؤم وأنتَ جَبَلُه وآخرَ اللؤم وأنت أوّلُهْ
جاريتَ سَبَّاقاً بعيداً مَهَلُه كان إذا جارى أباك يُفْشِلُهْ
فكيفَ ترجوه وكيفَ تأمُلُهْ وأنتَ شرُّ رجلٍ وأنْذَلُهْ

1 على تفئة : على حين أو على إثر .
2 البيت مفرداً في مجموع شعره : 128 عن الأغاني .
3 شعر ابن ميادة : 212-213 .
4 شعر ابن ميادة : 217 .

أَلأمُـه في مـأزِقٍ وأجهلُـهْ أدخلـه بيتَ المخازي مُدْخِلُهْ
فاللـؤم سِرْبالٌ لـه يُسَرْبَلُهْ ثوبـاً إذا أَنْهَجـه يُبَدِّلُـهْ[1]

فأجابه حَكَم : [من الرجز]

يا ابن التي جيرانَها كانت تَضُرّ وتَتْبَعُ الشَّوْلَ وكانـت تَمْتَصِرْ
كيف إذا مارسْتَ حُرّاً تنتصِرْ

ولهما أراجيزُ كثيرةٌ طويلةٌ جدّاً أسقطتُها لكثرتها وقلّة فائدتها .

[خرج الحكم إلى الرقم للقاء ابن ميّادة ولما لم يلقه تهاجيا]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عبد الله بن إبراهيم قال : أخبرني بعضُ من لقيت من الخُضْر : أنّ حكماً الخضريّ خرج يريد لِقاءَ ابنِ ميّادة بالرَّقَم من غير مَوعد فلم يَلْقَه ، إمّا لأنّه تغيَّب عنه وإمّا لأنّه لم يصادفْه ، فقال حكم : [من البسيط]

فَـرّ ابنُ مَيّادةَ الرَّقْطاءِ من حَكَمٍ بالصُّغْرِ مثلَ فِرار الأَعْقَدِ الدَّهِمِ[2]
أصبحتَ في أُقُرٍ تَعْلُـو أطاوِلَـه تَفِرُّ منّـي وقـد أصبحتُ بالرَّقَمِ[3]

وقـال إسحاق في روايتـه عن أصحابـه : قال ابن مَيَّادة يهجو حَكَماً وينسبُ بأمّ جحدر : [من الطويل]

يُمَنُّونَنِـي منـكِ اللقاءَ وإنّني لأعلمُ لا أَلقاكِ من دونِ قابِلِ

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدّماً ، فذكرتُ هاهنا منها ما لم يمضِ وهو قوله : [من الطويل]

فيا ليتَ رَثَّ الوصلِ من أمّ جَحْدَرٍ لنا بجديـدٍ مـن أُولاكَ البَدائلِ
ولم يَبْقَ ممّـا كان بينـي وبينها من الوُدِّ إلاّ مُخْفَيـاتُ الرسائلِ
وإنّي إذا استَنْبهتُ من حُلْوِ رَقْدةٍ رُميـتُ بحُبِّيهـا كَرَمْـيِ المُناضِلِ

صوت

[من الطويل]

فما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها وأدمُعها يُـذْرِينَ حَشْوَ المَكاحلِ

1 أنهجه : أبلاه وأخلقه .
2 الصغر : الذلّ . الأعقد : التيس في قرنه التواء وكذلك الكلب والذئب لانعقاد ذنبيهما .
3 أقر : واد لبني مرّة .

تمتّعْ بـذا اليومِ القصيرِ فإنّـه ... رَهِـينٌ بأيّامِ الدهـورِ الأطاولِ

الغناء في هذين البيتين لعليّ بن يحيى المنجِّم ، ولحنه من الثقيل الثاني .

وكنتُ امـرءاً أَرْمِي الزوائلَ مـرّةً ... فأصبحتُ قد ودّعتُ رميَ الزوائلِ

وعطَّلتُ قوسَ اللهو مـن سَرَعانها ... وعادتْ سِهامِي بـين رَثٍّ وناصِلِ

السَّرَعان : وَتَرٌ يعمل من عَقَبِ المتن ، وهو أطول العَقَبِ .

إذا حَلَّ بَيْتِي بين بَـدْرٍ ومازِنٍ ... ومُرَّةَ نِلْتُ الشمسَ واشتدّ كاهِلِي

يعني بَدْرَ بن عمرو بن جُؤيّة بن لَوذان بن ثعلبة بن عَدِيّ بن فزارة بن ذبيان ، ومُرَّةَ بن عوف بن سعد بن ذبيان ، ومُرَّة بن فزارة ، ومازن بن فزارة . وهي طويلة . قال أبو الفرج الأصبهانيّ : أخذ إسحاق الموصليّ معنى بيت ابن ميّادة في قوله : «نلتُ الشمسَ واشتدّ كاهلي» فقال : [من الطويل]

عطَسْتُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ ... يَدايَ الثريّا قاعـداً غيرَ قائِمِ

ولَعمْرِي لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد .

وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

فضَلْنا قريشاً غيرَ رَهْطِ محمدٍ ... وغيرَ بني مروان أهلِ الفضائِلِ

[سُرَّ به إبراهيم بن هشام لدعواه أنّه فضل قريشاً]

قال يحيى بن عليّ وأخبرني عليّ بن سليمان بن أيّوب عن مُصْعَب ، وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زُهير عن مُصعَب قال : قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميّادة : أنت فضَلْتَ قريشاً ؟ وجرّده فضربه أسواطاً .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : لما قال ابن ميادة : [من الطويل]

فضَلنا قُرَيشاً غيرَ رَهْطِ محمـد ... وغيرَ بني مَرْوانَ أهلِ الفضائِلِ

قال له الوليد بن يزيد : قدّمتَ آلَ محمدٍ قبلنا ؛ فقال : ما كنتُ يا أمير المؤمنين أظنُّه يمكنُ غيرُ ذلك . قال : فلمّا أَفْضت الخلافةُ إلى بني هاشم وفَد ابن ميّادة إلى المنصور ومدحه ؛ فقال له أبو جعفر لما دخل إليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال ، فجعل المنصور يتعجّب .

[ابن ميادة والحكَم الخضريّ بعريجاء]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال : حدّثني العباس بن سَمُرَة بن عَبَّاد بن شَمَّاخ بن سَمُرة عن ريحان بن سُوَيد الخُضريّ ، وكان راوية

حَكَم بن معمر الخُضريّ ، قال : تواعد حَكَمٌ وابنُ ميّادة عُريجاء ، وهي ماءة ، يتواقفان عليها ، فخرج كلّ واحد منهما في نَفَرٍ[1] من قومه ؛ وأقبل صخر بن الجعد الخُضريّ يَؤُمُّ حَكَماً ، وهو يومئذٍ عدوّ لحَكَم لِما كان فرط بينهما من الهجاء في أُرْكُوبٍ[2] من بني مازن بن مالك بن طَريف بن خَلَف بن مُحارب ؛ فلمّا لقيه قال له : يا حَكَم ، أهؤلاء الذين عَرَضْتَ للموت ؟ وهم وجوه قومك ؛ فوالله ما دماؤهم على بني مُرّة إلاّ كدماء جَداية ؛ فعرَف حَكَم أنّ قول صخر هو الحقّ فردّ قومَه ، وقال لصخر : قد وعدني ابنُ ميّادة أن يُواقفني غداً بعُريجاء لأن أناشدَه ؛ فقال له صخر : أنا كثير الإبل ، وكان حَكَم مُقِلاًّ ، فإذا وردتْ إبلي فارتجز ، فإنّ القوم لا يشجُعُون عليك وأنت وحدَك ، فإن لقيتَ الرجل نَحَر وأطعم فانحَرْ وأطعِمْ وإن أتيتَ على مالي كلِّه . قال رَيحان راويتُه : فورد يومئذٍ عُرَيجاءَ وأنا معه فظلّ على عُرَيجاءَ ولم يَلْقَ رَمّاحاً ولم يوافِ لموعده ، وظلّ يُنْشِد يومئذٍ حتى أمسى ، ثم صرف[3] وجوهَ إبل صخرٍ وردّها . وبلغ الخبرُ ابنَ ميّادة ومُوافاة حَكَم لموعده[4] ، فأصبح على الماء وهو يرتجزُ ويقول : [من الرجز]

أنا ابنُ مَيّادةَ عَقّارُ الجُزُرْ كلِّ صَفِيّ ذاتِ نابٍ مُنْفَطِرْ

وظَلّ على الماءِ فنَحَر وأَطْعَم . فلمّا بلغ حَكَماً ما صنعَ ابن ميّادة من نحره وإطعامه شقّ عليه مشقّةً شديدةً .

[توافيهما بحمى ضريّة وصلحهما]

ثم إنّهما بعدُ توافيا بحِمى ضَرِيّة . قال ريحان بن سُوَيد : وكان ذلك العامُ عامَ جَدْبٍ وسَنَةٍ إلاّ بقيـةَ كلإٍ بضريّة . قال : فسبقْنا ابن ميّادة يومئذٍ فنزلنا على مولاةٍ لعُكّاشة بن مُصْعَب بن الزُّبير ذاتِ مالٍ ومنزلة من السلطان . قال : وكان حَكَم كريماً على الوُلاةِ هناك يُتَّقى لسانُه . قال ريحـان : فبَيْنا نحـن عند المولاة وقد حطَطْنا براذعَ دوابّنا إذا راكبان قد أقبلا ، وإذا نحن برَمّاح وأخيه ثَوْبان ، ولم يكن لثوبان ضَرِيبٌ في الشجاعة والجمال ، فأقبلا يتسايران ، فلمّا رآهما حَكَمٌ عرفهما ، فقال : يا رَيْحانُ ، هذان ابنا أَبْرَد ، فما رأيك ؟ أتَكفِيني ثوبانَ أم لا ؟ قال : فأقبلا نحونا ورَمّاح يتضاحك حتى قبض على يد حكم وقال : مرحباً برجل سكتُّ عنه ولم يسكت عنّي ، وأصبحتُ الغداة أطلب سَلْمه يَسُوقني الذِّئبُ والسنةُ ، وأرجو أن أَرْعى

1 ل : جماعة .
2 أركوب : ركب .
3 ل : ضرب .
4 ل : لموضعه .

الحِمى بجاهِهِ وبركته ؛ ثم جلس إلى جَنْب حَكَم وجاء ثوبان فقعد إلى جَنْبي ؛ فقال له حَكَم : أما وربِّ المرسَلين يا رمّاح لولا أبياتٌ جعلتَ تعتصم بهنّ وترجعُ إليهنّ ؛ يعني أبياتَ ابنِ ظالم ، لاستوسقت كما استوسق مَنْ كان قَبْلَكَ . قال ريحان : وأخذا في حديثٍ أسمَع بعضَه ويخفى عليّ بعضُه ، فظَلِلْنا عند المرأة وذُبح لنا وهما في ذلك يتحادثان ، مقبلٌ كلّ واحد منهما على صاحبه لا ينظرانِ شَدَّنا ، حتى كان العِشاء فشدَدنا للرَّواح نوُمُّ أهلَنا ؛ فقال رَمَّاح لحكم : يا أبا مَنِيع ، وكانت كنيةَ حَكَم : قد قضيتَ حاجتَك وحاجةَ مَنْ طلبتَ له من هذا العامل ، وإن لنا إليه حاجةً في أن يُرْعِيَنا ؛ فقال له حكم : قد والله قضيتُ حاجتي منه وإنّي لأكره الرجوع إليه ، وما من حاجتك بُدٌّ ؛ ثم رجع معه إلى العامل ، فقال له بعد الحديث معه : إنّ هذا الرجلَ مَنْ قد عرفتَ ما بيني وبينه ، وقد سأل الصلحَ وأناب إليه ، فأحببتُ أن يكون ذلك على يدك[1] وبمَحْضَرِك . قال : فدعا به عاملُ ضَرِيّة[2] وقال : هل لك حاجةٌ غيرُ ذلك ؟ قال : لا والله ، ونسي حاجةَ رَمّاح ، فأَذْكرتُه إيّاها ، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان . فقال العامل لابن ميّادة : ما حاجتك ؟ فقال : تُرْعِيني عُرَيجاء لا يَعْرِضُ لي فيها أحدٌ ، فأَرعاه إيّاها . فأقبل رَمَّاح على حَكَم فقال : جزاك الله خيراً يا أبا مَنِيع ، فوالله لقد كان ورائي مِنْ قومي مَنْ يتمنّى أن يرعى عُرَيجاء بنصف ماله . قال فلمّا عزَما على الانصراف ودّع كلّ واحد منهما صاحبه وانصرفا راضيَيْن .

[استعدى قوم ابن ميادة السلطان على الحكم]

وانصرف ابنُ ميّادة إلى قومه فوجد بعضهم قد ركب إلى ابن هِشام فاستغضبه على حكم في قوله : [من الطويل]

وما ولـدتْ مُرِّيَّةٌ ذاتَ ليلةٍ   من الدهرِ إلاّ زاد لؤماً جَنِينُها

فأَطْرده وأقسم : لئن ظفِر به لَيُسْرِجَنّه ولَيَحْمِلَنّ عليه أحدَهم . فقال رَمّاح ، وساءه ما صنعوا : عَمَدتُم إلى رجل قد صَلُح ما بيني وبينه وأُرْعِيتُ بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطْراده ! وبلغ الحكَمَ الخبرُ فطار إلى الشام فلم يبرَحْها حتى مات .

قال العباس بن سَمُرة : مات بالشام غرَقاً ، وكان لا يُحسِن العَوْمَ فمات في بعض أنهارها . قال : وهو وجْهُه الذي مدح فيه أَسْود بن بِلال المُحاربيّ ثم السُّوائيّ في قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

1 ل : يديك .

2 ل : الجهة .

واستيقنتْ أن لا بَراحَ من السُّرى حتـى تُنـاخَ بأَسْوَدَ بنِ بِلالِ
قَـرْمٌ إذا نـزلَ الوُفـودُ ببابـه سَمَتِ العيونُ إلى أَشَمَّ طُوالِ

[مناقضات حكم وابن ميّادة]

ولِحَكَم الخُضْريّ وابن ميّادة مُناقضات كثيرة وأراجيز طِوالٌ طَويتُ ذكرَ أكثرها وألغيتُه ، وذكرتُ منها لُمَعاً من جيّد ما قالاه لئلاّ يخلوَ هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعبَ سائرَه فيطولَ . فمما قاله حَكَمٌ في ابن ميّادة قوله : [من الطويل]

خَلِيلَيّ عُوجا حَيِّيـا الدارَ بالجَفْرِ وقُولا لها سَقْياً لعَصْرِكِ من عَصْرِ
وماذا تُحَيِّي مـن رسومٍ تلاعبتْ بها حَرْجَفٌ تَذْرِي بأذيالِها الكُدْرِ

ومن جيّد قوله فيها وهو يفتخر : [من الطويل]

إذا يبِسَت عِيدانُ قـومٍ وجدتَنا وعِيدانُنا تُغْشى على الوَرَقِ الخُضْرِ
إذا الناسُ جـاؤوا بالقُرُوم أتيتُهم بقَرْمٍ يُساوي رأسُه غُـرَّةَ البدرِ[1]
لنا الغَـوْرُ والأَنجاد والخَيْلُ والقَنا عليكـم وأيّامُ المَكـارِمِ والفخرِ

ومن جيّد هجائه قولُه : [من الطويل]

فيا مُـرَّ قد أخزاكِ في كلِّ موطنٍ من اللؤمِ خَلاَّتٌ يزِدْنَ على العَشْرِ
فمنهنّ أنّ العبـدَ حامـي ذِمارِكم وبئس المحامي العبدُ عن حَوْزةِ الثَّغْرِ
ومنهنّ أن لم تمسَحُوا وجهَ سابقٍ جَوادٍ ولم تأتوا حَصاناً على طُهْرِ
ومنهنّ أن المَيْتَ يُدْفَـن منكـمُ فَيَفْسُو على دُفَّانـه وهو في القبرِ
ومنهنّ أنّ الجارَ يسكُن وَسْطَكم بريئـاً فيُلْقَـى بالخيانـةِ والغَدْرِ
ومنهنّ أن عُذْتُم بأَرْقَـطَ كَوْدَنٍ وبئس المحامي أنت يا ضَرْطَةَ الجَفْرِ
ومنهنّ أنّ الشيخَ يوجَـدُ منكمُ يَدِبُّ إلى الجاراتِ مُحْدَوْدِبَ الظهرِ
تَبيت ضِبابُ الضِّغْنِ تَخْشى احتراشها وإن هي أمسَتْ دونَها ساحلُ البحرِ[2]

فأجابه ابن ميّادة بقصيدةٍ طويلة ، منها قولُه مجيباً له عن هذه الخصال التي سبَّهم بها[3] : [من الطويل]

---

1 يساوي في ل : يسامي .
2 ضباب الضغن : الأحقاد .
3 شعر ابن ميادة : 152–154 .

لقد سَبقتْ بالمُخْزِيات مُحارِبٌ وفازتْ بخَلاّتٍ على قومِها عَشْرِ
فمنهنّ أن لم تَعْقِروا ذاتَ ذِرْوةٍ لحقٌّ إذا ما احْتِيجَ يوماً إلى العَقْرِ
ومنهنّ أن لم تَمسَحُوا عربيّةً من الخَيْل يوماً تحت جُلٍّ على مُهْرِ
ومنهنّ أن لم تضربوا بسيوفكم جَماجِمَ إلاّ فَيْشَلَ القُرَّحِ الحُمْرِ
ومنهنّ أن كانت شيوخُ محارب كما قد علمتم لا تَريشُ ولا تَبْري
ومنهنّ أخزى سوءةٍ لو ذكرتُها لكنتم عَبيداً تخدُمون بني وَبْرِ
ومنهنّ أنّ الضأنَ كانت نساءَكم إذا اخضرّ أطرافُ الثُّمام من القَطْرِ
ومنهنّ أن كانت عجوزُ مُحارِبٍ تُريغ الصِّبا تحت الصَّفيح من القَبْرِ
ومنهنّ أَنْ لو كان في البحرِ بعضُكُمْ لخبَّثَ ضاحِيَ جِلْدِهِ حَوْمَةَ البحرِ

ومما قاله ابن ميّادة في حكم قوله من قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

أَلا حَيِّيا الأطلالَ طالتْ سِنِينُها بحيثُ التقتْ رُبْدُ الجِناب وعِينُها

ويقول فيها :

فلمّا أتاني ما تقولُ مُحارِبٌ تغنَّتْ شياطيني وجُنَّ جُنُونُها
أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ غَشَّى مُحارِباً إذا اجتمعَ الأقوامُ لَوْناً يَشينُها[2]
ترى بوجوه الخُضْر خُضْرِ مُحارِبٍ طوابعَ لؤم ليسَ ينْفَتُّ طِينُها
لقد ساهَمْتَناكُمْ سُلَيمٌ وعامرٌ فَضِمْناهُمُ إنّا كذاك نَدِينُها
فصارتْ لنا أهلُ الضَّيْن مُحارِبٌ وصارتْ لهم جَسْرٌ وذاك ثَمينُها
إذا أخذَتْ خُضْرِيَّةٌ قائِمَ الرحَى تَحَرَّك قُنْباها فطارَ طَحِينُها
وما حَمَلتْ خُضريَّةٌ ذاتَ ليلةٍ من الدهرِ إلاّ ازدادَ لؤماً جَنِينُها

فقال حَكَمٌ يجيبه عن هذه بقصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

لأنتَ ابنُ أُشبانيّةٍ أدلجتْ به إلى اللّؤمِ مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنينُها
فجاءتْ بَروّاثٍ كأنّ جَبِينَه إذا ما صَغا في خِرقَتَيها جَبِينُها
فما حَمَلتْ مُرِّيَّة قطُّ ليلةً من الدهرِ إلاّ ازدادَ لؤماً جَنِينُها
وما حَمَلتْ إلاّ لألأمِ مَنْ مَشى ولا ذُكِرتْ إلاّ بأمرٍ يَشِينها

1 شعر ابن ميادة : 230–231 عن الأغاني .
2 لوناً في ل : لؤماً .

تـزوّجُ عثـوانُ الضَّئِـينَ وتَبْتَغِي بهـا الدَّرَّ لا دَرَّتْ بخيرٍ لَبُونها
أظَنَّتْ بنو عثوان أن لستُ شاتماً بشَتْمِي وبعضُ القوم حَمْقى ظُنُونُها
مَـدانِيسُ أبـرامٌ كأنّ لِحاهُـمُ لِحَـى مُسْتَهِبّاتٍ طِوالٍ قُرُونُها[1]

قال الزبير : فحدّثني مَوهوب بن رشيد قال : فسمع هذه القصيدة أحدُ بني قَتّال بن مُرّة فقال : ما له أخزاه الله يهجو صِبْيَتَنا ؟ قال : وهم أجفى قوم غَضَباً لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به .

قال : وبلغ إبراهيمَ بن هشام قولُه في نساء بني مُرّة إذ يقول :

ومـا حَمَلَتْ إلا لألأم مَنْ مَشى

فغَضِبَ ثم نَذَر[2] دَمَه ؛ فهَرَب من الحجاز إلى الشام فمات بها .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن ضَبْعان الخُضْريّ قال : لقيَ ابن ميادة صخر بن الجعد الخُضْريّ فقال له : يا صخر ، أَعنَتَ عليّ ابنَ عَمِّك الحَكَم بنَ مَعْمَر ؛ فقال له صخر : لا والله يا أبا الشُّرَحْبيل ما أعنتُهُ عليك ، ولكن خُيِّل إليك ما كان يُخَيَّل[3] إليّ ، ولقد هاجَيْتُه فكنتُ أظنّ أنّ شَجَرَ الوادِي يُعِينه عليّ .

ومن جَيِّد قَوْل ابنِ ميّادة في حَكَم قصيدتُهُ التي أوّلها : [من الطويل]

صوت

لقـد سَبَقَتْك اليـومَ عَيْناك سَبْقَةً وأبكاكَ من عهـد الشباب ملاعبُهْ
فواللهِ مـا أَدري أيَغلِبُنِي الهَـوى إذا جَـدَّ جِـدُّ البَيْن أم أنا غالبُهْ
فإن أستطِعْ أغلِبْ وإن يَغلِب الهَوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُهْ

في هذه الأبيات غِناءٌ يُنسَبُ ، يقول فيها في هجاء حَكَم :

لقد طالَ حَبْسُ الوَفْدِ وَفْدِ مُحارِبٍ عن المجدِ لم يَأْذَنْ لهم بَعْدُ حاجبُهْ
وقـال لهـم كُـرُّوا فلستُ بآذنٍ لكم أبداً أو يُحْصِيَ التُّرْبَ حاسِبُهْ

وهي قصيدة طويلة .

[فضله الوليد بن يزيد على الشعراء وأجازه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جلال[4] بن عبد العزيز المُرِّيّ ثم الصارِدِيّ عن

1 أبرام : جمع برم وهو الثقيل الجافي . المستهبات : التيوس الهائجة للسفاد .
2 نذر في ل : هدر .
3 ل : خُيِّل .
4 ل : حلال ، بالحاء .

أبيه : قال جلال : وقد رأيتُ ابنَ ميّادة في بيت أبي ، قال : قال لي ابن ميّادة : وصلتُ أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة . وكان مولىً من مَوالي خَرَشَةَ يقال له شُقْران يَعِيب ابن ميادة ويَحسدُه على مكانه من الوليد ، فلمّا اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لشُقْران : يا شُقْران ، ما عِلمُكَ في ابن ميّادة ؟ قال علمي فيه يا أمير المؤمنين أنّه : [من الطويل]

لئيمٌ يُبارِي فيــه أَبْـرِدُ نَهْـبَلاً لئيمٌ أتاه اللؤمُ من كلّ جانبِ

فقال الوليد : يا ابن ميّادة ، ما عِلمُك في شُقْران ؟ قال : عِدمِي يا أمير المؤمنين أنّه عبدٌ لعجوز من خَرَشَة كاتبَتْه على أربعين دِرهماً ووعدها ، أو قال : وعدَتْهُ ، أن تُجيزه بعشرين درهماً فقبَّضَتْه[1] إيّاها ، فأغنِه عنّي يا أميرَ المؤمنين ، فليس له أَصْلٌ فأحتفِره ، ولا فَرعٌ فأهتصِرَه ؛ فقال له الوليد : اجتَنِبْه يا شُقران فقد أبلغ إليك في الشَّتيمة ، فقَصَر شُقْران صاغراً ، ثم أنشدتُه ، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري ، وأمر لي بمائة لِقْحةٍ وفَحْلها وراعيها وجاريةٍ بِكْرٍ[2] وفَرَسٍ عتيق ، فاختلْتُ ذلك اليومَ وقلتُ[3] : [من البسيط]

أعطيْتَني مائـةً صُفْرا مَدامِعُهـا كالنخل زَيَّـنَ أعلى نَبْتِهِ الشَّرَبُ[4]

ويُروى : كأنّـها النخلُ رَوَّى نَبْتَها الشَّرَبُ

يَسُوقُها يافــع جَعْــدٌ مفارقُهُ مثْلُ الغُراب غَذاه الصَّرُّ والحَلَبُ

وذا سَبيبٍ صُهَيْبِيّاً لــه عُرُفٌ وهامَةٌ ذاتُ فَرْقٍ نابُها صَخِبُ[5]

لم يذكر الزبير في خبره غير هذه الأبيات الثلاثة ، وهي من قصيدة للرّمّاح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد ، وقد أجاد فيها وأحسن ؛ وذكرتُ من مُختارها هاهنا طرَفاً ، وأوّلها : [من البسيط]

هل تَعرفُ الدارَ بالعَلْياء غَيَّرَها سافي الرِّياحِ ومُسْتَنٌّ له طُنُبُ[6]

دارٌ لبيضاءَ مُسْوَدٍّ مسائحُهـا كأنّـها ظَبْيَةٌ تَرْعى وتَنْتَصِبُ

المسائح : ما بين الأُذُن إلى الحاجب من الشَّعَر . وتنتصب : تَقِفُ إذا ارتاعتْ منتصبة تتوجَّسُ .

---

1 ل : فنقصته .

2 ل : عذراء .

3 شعر ابن ميادة : 57–59 .

4 في اللسان «شرب» : «مثل النخيل يروي فرعه الشرب» . والشرب الحفر التي تُحفر حول النخيل وتملأً بالماء ليروى .

5 السبيب : شعر الناصية والذنب .

6 بالعلياء غيرها في ل : بالربع غيره .

تحنُو لأكْحَلَ ألْقتْهُ بمَضْيَعَةٍ فقَلْبُها شَفَقاً من حَوْله يَجِبُ

يقول فيها : [من البسيط]

يا أطيبَ الناسِ ريقاً بعدَ هَجْعَتها وأملَحَ الناسِ عَيْناً حينَ تَنْتَقِبُ
ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حينَ أسألُها ولستُ عندَ خَلاءِ اللَّهوِ أغتصِبُ
في مِرْفَقَيْها إذا ما عُونِقَتْ جَمَمٌ على الضَّجيعِ وفي أنيابها شَنَبُ
وليلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكِبُها مثلُ القناديلِ فيها الزَّيتُ والعُطُبُ
قد جُبْتُها جَوْبَ ذي المِقْراضِ مِمْطَرَةً إذا استوى مُغْفَلاتُ البِيدِ والحَدَبُ[1]
بِعَنْتَرِيسٍ كأنَّ الدَّبْرَ يَلْسَعُها إذا تَرَنَّمَ حادٍ خَلْفَها طَرِبُ[2]
إلى الوليدِ أبي العَبّاسِ ما عجِلتْ ودونَه المُعْطُ من لُبْنانَ والكُثُبُ[3]
لمّا أتيتُكَ مِن نَجْدٍ وساكِنِه نفَحتَ لي نَفْحةً طارتْ بها العَرَبُ

وبعد هذا البيت قوله :

أعطيتَني مائةً صُفْراً مَدامعُها

إنّي امرُؤٌ أعتفِي الحاجاتِ أطْلُبُها كما اعتَفى سَنِقٌ يُلْقَى له العُشُبُ

السَّنِق : الذي قد شَبع حتى بَشِمَ ، يقول : أطلب الحاجة بغير حِرْص ولا كَلَبٍ ، كما يَعْتَفي هذا البعير البَشِمُ من غير شَرَهٍ ولا شدّة طَلَب .

ولا أُلِحُّ على الخُلاّنِ أسألُهم كما يُلِحُّ بعظْمِ الغاربِ القَتَبُ
ولا أُخادِعُ نَدْمانِي لأخدَعَه عن ماله حين يَسْتَرْخِي به اللَّبَبُ
وأنتَ وابناكَ لم يوجد لكم مَثَلٌ ثلاثةٌ كلّهم بالتاجِ مُعْتَصِبُ
الطيّبون إذا طابتْ نفوسُهمُ شُوسُ الحواجبِ والأبصارِ إنْ غَضِبُوا[4]
قِسنِي إلى شُعراءِ الناسِ كلِّهمِ وادْعُ الرُّواةَ إذا ما غَبَّ ما اجتلَبوا[5]
إنّي وإن قالَ أقوامٌ مَديحَهمُ فأُحسنوه وما حابوا وما كَذَبوا

1 المِمطرة : ثوب من صوف يلبس في المطر . الحدب : الأرض الغليظة المرتفعة .
2 العنتريس : الناقة الضخمة القوية .
3 المعط : الأراضي التي لا نبات فيها .
4 شوس : جمع أشوس . والشوس هو النظر بمؤخّر العين غيظاً أو تكبّراً .
5 غب : فسد .

أُجري أمامَهُمُ جَرْيَ امرىء فَلَج عِنانُه حين يَجْرِي ليس يَضْطرِبُ

[سبب الهجاء بينه وبين شقران]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرني أبو الحسن ، أظنّه[1] المَدائنيّ ، قال أخبرني أبو صالح الفَزاريّ قال : أقبل شُقْران مولى بني سَلامان بن سعد هُذَيْم أخي عُذْرة بن سعد بن هُذَيْم ، قال : وهُذَيْم عبدٌ حَبَشِيّ كان حَضَنَ سعداً فغلَب عليه ، وهو ابن زيد بن لَيْث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة من اليمامة ومعه تمر قد امتاره ، فلَقِيَه ابنُ مَيّادة فقال له : ما هذا معك ؟ قال : تمرٌ امترتُه لأهلي يقال له : زُبُّ رُبَاح ، فقال له ابن ميّادة يُمازِحه[2] : [من الطويل]

كأنّكَ لم تَقْفُل لأهلك تمْرةً إذا أنت لم تَقْفُل بزُبِّ رُبَاحِ[3]

فقال له شقران : [من الطويل]

فإنْ كان هذا زُبَّه فانطلق به إلى نِسْوةٍ سُودِ الوجوه قِباحِ

فغضِب ابن ميّادة وأَمَضه وأَنحى عليه بالسوط فضربه ضَرَبات وانصرفَ مُغضَباً ؛ فكان ذلك سبب الهِجاء بينهما .

قال حمّاد عن أبيه وحدّثني أبو عليّ الكلبيّ قال : اجتمع ابن ميّادة وشُقران مولى بني سلامان عند الوليد بن يزيد ، فقال ابن ميّادة : يا أمير المؤمنين ، أتجمع بيني وبين هذا العبد وليس بمِثْلِي في حَسَبِي ولا نَسَبِي ولا لِساني ولا مَنْصِبِي ! فقال شُقران : [من الطويل]

لَعَمْرِي لئن كنتَ ابن شَيْخَيْ عشيرتي هِرَقْلٍ وكِسْرى ما أُراني مُقَصِّرا
وما أتمنّى أنْ أكونَ ابن نزوةٍ نَزاها ابنُ أَرْضٍ لم تجِدْ مُتَمَهّرا[4]
على حائلٍ تَلْوِي الصِّرارَ بكَفِّها فجاءتْ بخَوّارٍ إذا عُضَّ جَرْجرا

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيُّوب المَدِينيّ عن زُبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خَلاّد عن أبي أيّوب بن عبد العزيز قال : استأذن ابن ميّادة على الوليد بن يزيد وعنده شُقْران مَوْلى قُضاعة فأدخله في صُندوق وأَذِن لابن ميّادة ؛ فلمّا دخل أجلسه على الصندوق واستنشده هِجاء شُقران فجعل يُنشِده ، ثم أمر

---

1 ل : أحسبه .
2 شعره : 107 . وفسر جامع الشعر «زبّ ربّاح» بأنّه نوع من تمور البصرة ، ولم يفهمه شقران كذلك .
3 لأهلك في ل : لأمّك .
4 ابن أرض : غريب أو مسافر أو ضيف .

بفتح الصندوق فخرج عليه شُقران وجعل يَهدِر كما يهدِر الفَحلُ ويقول : [من الوافر]

سأَكْعَمُ عن قُضاعة كَلْبَ قيسٍ على حَجَـرٍ فيُنْصِتُ للكِعامِ[1]
أسيرُ أمـامَ قَيْسٍ كلَّ يــومٍ ومـا قيسٌ بسائـرةٍ أمامي

وقال أيضاً وهو يسمع : [من الكامل]

إنِّي إذا الشعراءُ لاقى بعضُهُمْ بعضاً ببَلْقعــةٍ يريــد نِضالَها
وقَفوا لمُرْتَجزِ الهدير إذا دنتْ منـه البِكارة قَطَّعــتْ أبوالَها[2]
فتركتُهمْ زُمَراً تَرَمَّـزُ باللِّحَـى منها عَنافِقُ قـد حَلقتُ سِبالَها

فقال له ابن ميّادة : يا أمير المؤمنين اكفُف عنّي هذا الذي ليس له أصلٌ فأحفِرَه ، ولا فرعٌ فأهصِرَه ؛ فقال الوليد : أشهد أنّك قد جَرْجرت كما قال شُقْران :

فجاءتْ بخوّارٍ إذا عُضّ جرجرا

[تفاخره مع عقال بالشعر]

قال يحيى في خبره : واجتمع ابن ميّادة وعِقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد ، وكان عِقالٌ شديد الرأي في اليمن ، فغمزَ عِقالٌ ابن ميّادة واعتلاه ؛ فقال ابن مَيّادة[3] : [من الطويل]

فجَرْنــا ينابيــعَ الكلامِ وبَحْـرَهُ فأصبحَ فيـه ذو الرِّوايــة يَسْبَحُ
وما الشِّعرُ إلاّ شعرُ قيسٍ وخِندِفٍ وقــولُ سِواهــم كُلْفَــةٌ وتملُّحُ

فقال عِقالٌ يُجيبه : [من الطويل]

ألا أبْلِغِ الرَّمَّــاحَ نَقْضَ مَقالــةٍ بهـا خَطِلَ الرَّمَّاحُ أو كان يَمْزَحُ[4]
لئن كان في قيسٍ وخِندِفَ ألْسُنٌ طِـوالٌ وشِعرٌ سائـرٌ ليس يُقْدَحُ
لقد خرَق الحــيُّ اليمانون قبلَهمْ بحورَ الكلام تُسْتَقى وهي تَطْفَحُ[5]
وهُمْ عَلَّموا مَنْ بعدَهــم فتعلّموا وهُمْ أعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا
فللسابقــين الفضلُ لا يُجْحَدُونـه وليس لَمخْلـوقٍ عليهـم تَبجُّـحُ

1 كعم : شدّ فمّ الحيوان فلا يؤكل أو يصوّت .
2 البكارة : الفتية من الإبل .
3 شعر ابن ميادة : 97 .
4 نقض في ل : بعض .
5 تطفحُ في ل : طُفّح .

[شعره في حنينه إلى وطنه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز[1] عن أبيه قال حدّثني ابن ميّادة قال : قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأباين ، وهو موضع كان الوليد ينزله في الربيع : [من الطويل]

لعَمْـــرُك إنّي نـــازلٌ بأبـــاينٍ لصَوْأرَ مشتاقٌ وإنْ كنتُ مُكْرَما[2]
أبيتُ كأنّي أرمَـدُ العـين ساهـرٌ إذا بات أصحابي مــن الليل نُوَّما

قال : فقال لي الوليد : يا ابن ميّادة كأنّك غَرِضْتَ[3] من قُربنا ؛ فقلت : ما مِثْلُك يا أمير المؤمنين يُغْرَضُ من قربه ، ولكن[4] : [من الطويل]

ألا لَيتَ شِعرِي هــل أَبيتنّ ليلةً بحرّةِ ليــلى حيث رَبَّتْنِي أهلِي
وهل أَسمَعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ تَطالعُ من هَجْلٍ خَصيبٍ إلى هَجْلِ[5]
بــلادٌ بهــا نِيطَتْ عــليَّ تَمائمِي وقُطِّعنَ عنّي حينَ أدركني عَقْلِي
فإنْ كنتَ عن تلك المواطنِ حابِسي فأَيْسِرْ عليَّ الرزق واجمَع إذاً شَمْلِي

فقال : كم الهَجْمَة ؟ قلت : مائة ناقة ؛ فقال : قد صَدَرْتَ بها كلّها عُشَراء . قال ابن ميّادة : فذكرتُ وِلْداناً لي بنجد إذا استطعموا الله عزّ وجلّ أطعمهم وأنا ، وإذا استَسْقَوْه سقاهم اللهُ وأنا ، وإذا استكْسَوْه كساهم اللهُ وأنا ؛ فقال : يا ابن ميّادة ، وكم وِلْدانك ؟ فقلت : سبعة عشَر ، منهم عشرة نَفَرٍ وسبع نسوة ، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبي ؛ فقال : يا ابن ميّادة ، قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين ، وسقاهم الله وأمير المؤمنين ، وكساهم الله وأمير المؤمنين ؛ أمّا النساء فأربعُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان ، وأمّا الرجال فثلاثُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان ، وأمّا السِّقْي فلا أرى مائة لِقْحة إلاّ ستُرويهم ، فإن لم تُروهم زِدتُهم عينَيْن من الحجاز ؛ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، لسنا بأصحاب عيون يأكلُنا بها البعوض ، وتأخذُنا بها الحُمَّياتُ ؛ قال : فقد أخلفها اللهُ عليك ؛ كلّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتُك العامَ : مائة لِقْحة وفَحْلها وجارية بِكْر وفَرَس عَتِيق .

---

1 ل : عبد الرحمن .
2 صوأر : ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة ممّا يلي الشام .
3 غرضت : ضجرت ومللت .
4 شعر ابن ميادة : 199–200 .
5 الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . الهجل : المطمئن من الأرض .

[عارض ابن القتال وانتحل بيتاً من شعره]

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني شَدّاد بن عُقْبة عن عبد السلام بن القَتّال قال : عارضني ابن ميّادة فقال : أنشدني يا ابن القَتّال ، فأنشدته : [من الطويل]

أَلا ليت شعري هـل أبيتَنّ ليلـةً بصحراءَ مـا بـين التَّنوفة والرّمْلِ
وهل أزجُرنَّ العِيسَ شاكيَة الوَجى كما عَسَلَ السِّرحانُ بالبلدِ المَحْلِ[1]
وهل أسْمَعنَّ الدهـرَ صوتَ حمامةٍ تُغنّـي حمامـاتٍ على فَنَنٍ جَثْلِ[2]
وهل أشرَبنّ الدهـرَ مُـزْنَ سحابةٍ على ثَمَدِ الأفعـاة حاضرُه أهلِي[3]
بـلادٌ بهـا نيطتْ عـليّ تمائِمي وقُطِّعنَ عنّي حـين أدركني عقْلِي

قال : فأتاني الرّواة بهذا البيت وقد اصطرفه ابن ميّادة وحدَه .

[أجازه الوليد إبلاً فأرادوا ابدالها]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني رجل من كَلْب وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عليّ الكلبيّ قال : أمر الوليد بن يزيد لابن ميّادة بمائة من الإبل من صَدَقات بني كلب ، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد ، وهي الغرائب ، وأن يُمسِكوا التِّلاد ؛ فقال ابن ميّادة[4] : [من الوافر]

أَلَـمْ يَبْلُغْكَ أنّ الحـيّ كلباً أرادوا في عطيّتـكَ ارتِدادا
وقالـوا إنّها صُهْب ووُرْقٌ وقـد أُعطيتَها دُهْماً جِعادا

فعلِموا أنّ الشعرَ سيبلُغ الوليد فيُغْضِبُه ؛ فقالوا له : انطلِق فخذها صُفْراً جِعاداً .

[شعره في رثاء الوليد]

وقال يحيى بن عليّ في روايته : لمّا قتِل الوليد بن يزيد قال ابن ميّادة يرثيه[5] : [من الوافر]

أَلا يـا لَهْفَتَيّ على وليـدٍ غداةَ أصابـه القَدرُ المُتاحُ

---

1 الوجى : الحفا .
2 الجثل : الكثير الورق .
3 مُزن في ل : صوب . الثمد : الماء القليل . والأفعاة : هضبة لبني كلاب .
4 شعر ابن ميادة : 109–110 والبيتان في الشعر والشعراء ص 657 . ورواية البيت الثاني فيه :
أرادوا لي بها لدنين شتّى وقد أعطيتها دهماً جعادا
5 شعر ابن ميادة : 95 والشطر الأوّل من البيت الأول فيه : «ألا لهفي على الملك المرجى» .

ألا بكّي الوليد فتى قُرَيْشٍ ... وأسمحَها إذا عُدّ السِّماحُ
وأجبرَها لذي عَظْمٍ مَهِيضٍ ... إذا ضَنَّتْ بدِرّتها اللِّقاحُ
لقد فعلَتْ بنو مَرْوانَ فِعْلاً ... وأمراً ما يسوغ به القَراحُ

قال يحيى : وغنّى فيه عُمَرُ الوادي ولم يذكُر طريقَةَ غِنائه .

[ابن ميادة وعثمان بن عمرو بن عثمان]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن زهير بن مُضَرِّس الفَزارِيّ عن أبيه قال : أخصب جَنابُ الحجاز الشاميّ فمالتْ لذلك الخِصْب بنو فَزارة وبنو مُرّة ، فتحالُّوا جميعاً به . قال : فبينا ذات يوم أنا وابن ميّادة جالسان على قارعة الطريق عِشاءً إذا راكبان يُوجِفان راحلتين حتّى وقفا علينا ، فإذا أحدهما بحر الريح[1] وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفّان معه مَوْلًى له ، فنَسَبَنا وانتسب لنا ، وقد كان ابن ميّادة يُعلِّلني بشعره ، فلمّا انقضى كلامُنا مع القُرشيّ ومولاه استعدتُ ابنَ ميّادة ما كنّا فيه ، فأنشدني فخراً له يقول فيه[2] : [من الكامل]

وعلى المُلَيْحة من جَذِيمةَ فِتْيَةٌ ... يتمارضُون تمارضَ الأُسْدِ
وتَرى الملوكَ الغُرَّ تحت قِبابهم ... يمشُون في الحلَقاتِ والقِدِّ[3]

قال : فقال له القُرشيّ : كذبتَ ؛ قال ابن ميّادة : أفي هذا وحدَه ؟ أنا والله في غيره أكذَبُ ؛ فقال له القرشيّ : إنْ كنتَ تريد في مديحك قريشاً فقد كفرتَ بربّك ودفعتَ قوله ، ثم قرأ عليه : ﴿لإيلافِ قُرَيْش﴾ حتّى أتى على آخرها ، ونهض هو ومولاه وركِبا راحلتَيْهما ؛ فلمّا فاتا أبصارنا قال ابن ميّادة[4] : [من الطويل]

سمِينُ قريشٍ مانعٌ منكَ نفسَهُ ... وغَثُّ قريشٍ حيث كان سمينُ

[ابن ميّادة وسنان بن جابر وهجاؤه بني حميس]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن حمّاد عن أبيه عن أبي الحارث المُرّيّ قال : كان ابن ميّادة قد هاجى سِنان بن جابر أحد بني حُمَيس بن عامر بن جُهَيْنة بن زيد بن ليث بن سُود بن أسْلَم ؛ فقال ابن ميّادة له فيما قال من هِجائه[5] : [من الطويل]

1 ل : بخر الزنج .
2 شعره : 117 .
3 قبابهم في الديوان : «حول بيوتنا» .
4 شعر ابن ميادة : 258 وينسب أيضاً إلى عروة بن أذينة وسلمة بن عبّاس .
5 شعر ابن ميادة : 160 عن الأغاني .

لقـد طالمـا عَلّلتَ حُجْـراً وأهلَه ... بأعراضِ قيسٍ يـا سنانُ بنَ جابرِ

أأهجُـو قُرَيشاً ثم تكـرَه رِيبتِي ... ويَسرِقُنِي عِرْضِي حُمَيسُ بنُ عامرِ

قال : وقال فيهم أيضاً[1] : [من الطويل]

قِصار الخُطى فُرْق الخُصى زُمَرُ اللِّحى ... كأنّهُمُ ظِرْبَـى اهتَرَشْنَ على لَحْـمِ

ذكـرتُ حَمـام القَيْظ لمـا رأيتُهم ... يُمَشُّون حَوْلِـي في ثيابهـم الدُّسْمِ

وتُبْـدِي الحُمَيْسِيَّاتُ في كلِّ زِينـةٍ ... فُروجـاً كآثـارِ الصِّغـار مـن البَهْمِ

قال : ثم إنّ ابنَ مَيَّادة خـرَج يبغي[2] إبلاً لـه حتى ورَد جُباراً ، وهو ماءٌ لحُمَيس بن عامر ، فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنَّتْ ، فنَشَدها إبلَه فذكرتْها له وقالت : ممّن أنت ؟ قال : رَجُلٌ من سُلَيم بن منصور ؛ فأَذِنَتْ له وقالت : ادخل حتى نَقْرِيَك وقد عَرَفَتْه وهو لا يدري ؛ فلمّا قَرَتْه قال ابن ميّادة : وَجَدتُ ريحَ الطِّيب قد نفَح عليَّ من البيت ، فإذا بنْتٌ لها قد هَتَكَت السِّتْرَ ، ثم استقبلَتْني وعليها إزارٌ أحمرُ وهي مؤتزرةٌ به ، فأطلقتْه وقالت : انظر يا ابن ميّادة الزانية ؛ أهذا كما نَعَتَّ ؟ فلم أرَ امرأةً أضخم قُبُلاً منها ؛ فقالت : أهذا كما قلتَ ؟ : [من الطويل]

وتُبْـدِي الحُمَيسِيّاتُ في كلِّ زينةٍ ... فُرُوجـاً كآثارِ الصِّغارِ من البَهْمِ[3]

قال : قلتُ : لا والله يا سيّدتي ، ما هكذا قلتُ ولكن قلت : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيسِيَّاتُ في كلّ زينةٍ ... فروجاً كآثـارِ المُقَيْسِرةِ الدُّهْمِ[4]

وانصرف يتشبَّب[5] بها ، فذلك حين يقول : [من الطويل]

نَظَرْنا فهاجَتْنا على الشَّوْق والهَوى ... لزينبَ نـارٌ أُوقِـدَتْ بجُبـارِ

كأنّ سَناها لاحَ لي من خَصاصةٍ ... على غير قَصْدٍ والمَطِـيُّ سَوارِي

حُمَيسِيَّـةٌ بالرملتيـن مَحَلُّهـا ... تَمُـدّ بجِلْـفٍ بيننـا وجِـوارِ

قال أبو داود : وكانت بنو حُمَيس حُلفاء لبني سَهْم بن مُرَّة ، ثم للحُصَيْن بن الحُمام . وتمدّ وتَمُتّ واحد .

---

1 شعر ابن ميادة : 229 عن الأغاني .

2 يبغي في ل : يبتغي .

3 الصغار من البهم في ل : المقيصرة الدهم .

4 المقيسرة : الإبل المسانّ .

5 يتشبب في ل : ينسب .

رجعٌ إلى الشعر

[من الطويل]

تُجاوِر من سهْم بن مُـرّة نِسوةً بمُجْتَمَـع النقبين غيرَ عواري[1]
نواعـمَ أبكـاراً كأنّ عيونَهـا عيـونُ ظِبـاء أو عيـونُ صُوارِ[2]
كأنّا نراهـا وهـي منّا قريبةٌ على متْن عصْماءِ اليَدَيْن نَوارِ[3]
تَتَبّعُ مـن حِجـر ذُرا مُتَمَنِّع لها مَعقِلٌ في رأس كلّ طَمارِ[4]
يَدُور بهـا ذو أسهُـم لا ينالها وذو كَلَبـات كالقِسيّ ضَوارِي
كأنّ على المَتْنَيْـنِ منهـا وَدِيّةً سقَتْها السواقِي من وَدِيّ دَوارِ[5]
يَظَلّ سحيقُ المِسْك يقطُرُ حَوْلَها إذا الماشِطاتُ احتفنـه بمَـدارِي
وما رَوْضةٌ خضراءُ يضرِبها الندى بها قُنَّـةٌ مـن حَنْـوَةٍ وعَـرارِ[6]
بأطيبَ من ريح القَرَنْفُـل ساطعاً بما التفَّ مِن دِرْعٍ لهـا وخمارِ
وما ظَبيةٌ ساقتْ لها الريحُ نَغْمَةً على غفلـةٍ فاستسمعت لخُوارِ[7]
بأحسنَ منها يـومَ قامتْ فأَتْلعتْ على شَرَكٍ مـن رَوْعـةٍ ونِفارِ[8]
فليتَكِ يـا حسناءُ يا ابنةَ مالكٍ يَبيعُ لنا منـكِ المَـوَدّةَ شارِي[9]

[ابن ميّادة وزينب بنت مالك]

وأخبرني بهذا الخبر الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني أبو حرملة منظور بن أبي عَدِيّ الفَزاريّ ثم المَنْظوريّ عن أبيه قال حدّثني رَمّاح بن أبرَد قال : خرجتُ قافلاً من السَّلْع[10] إلى نَجْد حتى إذا كنتُ ببعض أَهْضام[11] الحَرّة (هكذا في نُسختي ، وأظنّه هِضاب

1 النقبين في ل : الصفين .
2 الصوار هنا قطيع البقر .
3 عصماء اليدين : في يديها بياض . وتوصف به الخيل والظباء والوعول . ونوار : نفور .
4 حجر في ل : حجن . الطمار : المكان المرتفع .
5 الودية : فسيلة النخل وهي هنا كناية عن ضفيرة من الشعر . السواقي في ل : السواني .
6 الحنوة نبات طيب الرائحة وكذا العرار .
7 نغمة في ل : فغمة .
8 أتلعت : مدّت عنقها .
9 شاري : بائع .
10 سلع : جبل قرب المدينة .
11 أهضام : جمع هضم (بالفتح والكسر) وهو المطمئن من الأرض .

الحَرّة)[1] رُفِع لي بيتٌ كالطِّراف العظيم ، وإذا بفِنائه غَنَمٌ لم تَسْرَحْ ، فقلت : بيتٌ مَنْ بيوت بني مُرّةَ وبِي من العَيْمة[2] إلى اللبن ما ليس بأحد ، فقلت : آتيهم فأُسلِّم عليهم وأشْرَب من لبنهم ، فلمّا كنت غيرَ بعيد سلّمت فردّتْ عليّ امرأةٌ بَرْزَة بفِناء البيت ، وحَيّت ورحّبت واستنزلتني فنزلَتُ ، فدعَتْ بلبن ولِبَأ ورِسْل من رِسْل[3] تلك الغنم ، ثم قالت : هَيا فلانةُ البَسي شَفّاً واخرُجي ، فخرجتْ عليّ جاريةٌ كأنّها شَمعة ما رأيتُ في الخَلْق لها نظيراً قبْلُ ولا بعدُ ، فإذا شَفُّها ذاك ليس يُوارِي منها شيئاً وقد نَبا عن رَكَبِها ما وقع عليه من الثوب فكأنّه قَعْبٌ مُكْفَأ ، ثم قالت : يا ابن ميّادة الخبيثة ، أأنت القائل : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيْسيَّات في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثارِ الصِّغارِ مِن البَهْمِ ؟

فقلت : لا والله ، جعلني الله فِداك يا سيّدتي ، ما قلت هذا قطّ ، وإنّما قلت : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيْسِيَّاتُ في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار المُقَيْسِرة الدُّهْمِ

قال : وكان يقال للجارية الحُمَيسيّة : زينب بنت مالك ، وفيها قال ابن ميّادة قصيدته :

أَلِمّا فَزُورا اليومَ خيْرَ مَزارِ

[أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعراً]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني مَوهُوب بن رَشيد الكِلابيّ قال : أعطى الوليد بن يزيد ابن ميّادة جاريةً طَبَرِيّة أعجميَّة لا تُفْصِح ، حسناءَ جميلةً كاملةً لولا العُجمة ، فعشِقها وقال فيها[4] : [من الوافر]

جَزاكَ الله خيراً من أمير ... فقد أَعطيتَ مِبْراداً سَخُونا
بأَهلِي ما أَلَذّكِ عندَ نفسي ... لَوَ انّكِ بالكلام تُعَرِّبينا[5]

1 الظاهر أنّ ما بين قوسين ليس من صلب الكتاب ولعلّها حاشية على بعض النسخ فأدخلها ناسخ لاحق في المتن ، لأنّ أبا الفرج يروي رواية عن الحرميّ بن أبي العلاء . وعندما يقتبس من كتابه يقول «نسخت من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء» .
2 العيمة : شهوة اللبن .
3 الرسل : اللبن .
4 شعر ابن ميادة : 231 .
5 بأهلي في ل : بنفسي .

كأنّكِ ظبيـةٌ مَضَغَتْ أراكاً بوادِي الجزْعِ حـين تُبغِّمِينا[1]

[ملاحاته مع رجل من بني جعفر]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إسحاق بن شُعَيْب بنِ إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : ورَدتُ على بني فَزارة ساعياً[2] ، فأتاني ابنُ ميّادة مُسَلِّماً عليّ ، وجاءتْنِي بنو فَزارة ومعها رجلٌ من بني جعفر بن كلاب كان لهم جاراً وكان مُخطَّطاً مَوسوماً بجمال ، فلمّا رأيتُه أعجبني ، فأقبلتُ على بني فزارة وقلتُ لهم : أي أخوالي هذا ؟ فوالله إنّه ليَسُرّني أنْ أرى فيكم مثلَه ؛ فقالوا : هذا ، أمْتَعَ اللهُ بك ، رجلٌ من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جارٌ . قال : فأصغى إليّ ابن ميّادة ، وكان قريباً منّي ، وقال : لا يغرنّك ، بأبي أنت ، ما ترى من جسمه فإنّه أجوفُ لا عقـلَ لـه ؛ فسمعه الجعفريُّ فقال : أفيّ تقَع يا ابن ميّادة وأنت لا تَقرِي ضيفك ؟ فقال له ابن ميّادة : إن لم أقره قراه ابن عمّي وأنت لا تَقْرِي ولا ابن عمّك . قال ابن عمران : فضحِكت ممّا شَهِد[3] به ابن ميادة على نفسه .

[بخيل لا يكرم أضيافه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن المُعَلَّى بن نوح[4] الفَزاريّ قال حدّثني خال لي كان شريفاً من سادات بني فَزارة قال : ضِفتُ ابن ميّادة فأكرمني وتحفَّى بي وفَرّغ لي بيتاً فكنتُ فيه ليس معي أحد ، ثم جاءني بقَدَح ضخْم من لبن إبله فشربته ثم ولّى ، فلم يَنْشَب أن جاءني بآخرَ فتناولتُ منه شيئاً يسيراً ، فما لبثتُ حتّى عاد بآخرَ فقلتُ : حَسْبُك يا رَمّاح فلا حاجةَ لي بشيء ؛ فقال : اشرَب بأبي أنت ، فوالله لربّما بات الضيفُ عندنا مَدْحُوراً[5] .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمِّي مُصْعَب عن جَدِّي عبدِ الله بن مُصْعب قال : أتينا ابن ميّادة نتلقّى منه الشعرَ ؛ فقال لنا : هل لكم في فضل شَنَّةٍ ؟ فظننّاها تمراً ، فقلنا له : هاتِ ، لنَبْسُطَه بذلك ، فإذا شَنَّةٌ فيها فَضلةٌ من خمْر قد شُرِب بعضُها وبقِي بعضٌ ، فلمّا رأيناها قمنا وتركناه .

[دعي في وليمة فرجع لما رأى من ضرب الناس بالسياط]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن الكَثِيريّ قال حدّثني نعمة

1 التبغيم : ترخيم الصوت .
2 ساعياً : جابياً للصدقات .
3 ل : باء .
4 ل : برج .
5 مدحوراً : مطروداً .

الغِفاريّ قال : قدِم ابن ميّادة المدينة فدُعِي في وليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها الوليمةُ حَرَساً يضربون الزَّلاَّلين[1] بالسِّياط يمنعونهم من الدخول ، فرجَعَ وهو يقول[2] : [من الطويل]

ولّما رأيتُ الأُصْبَحِيّة قنّعتْ مفارِقَ شُمْطٍ حيث تُلْوى العمائمُ
تركتُ دِفاعَ الباب عمّا وراءَه وقلتُ صحيحٌ مَن نجا وهو سالمُ

[رقيباه على نسائه]

أخبرني يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال : قال الوليد بن يزيد لابن ميّادة في بعض وِفاداته عليه : مَن تركتَ عند نسائك ؟ قال : رَقيبين لا يُخالفاني طَرْفة عين : الجُوع والعُرْي . وهذا القول والجواب يُرْوى أنّ عمرَ بن عبد العزيز وعَقِيلَ بن عُلّفَة تراجعاهما ، وقد ذُكِرا في أخبار عَقِيل .

[مدحه لأبي جعفر المنصور]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصعَب وأخبرني محمّد بن مَزْيَد قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْر وأخبرنا يحيى بن عليّ قال : حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن مُصْعَب : أنّ ابن ميّادة مدَح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها[3] : [من الكامل]

طلعتْ علينا العِيسُ بالرَّمّاحِ

ثم خرج من عند أهله يُريده ، فمرّ على إبله فحُلِبت له ناقة من إبله ، وراح عليه راعِيه بلبنها فشربَه ثم مَسَح على بطْنِه ثم قال : سبحان الله ؛ إنّ هذا لهو الشَّرَه ؛ يكفيني لبن بَكْرة وأنا شيخ كبير ، ثم أَخرج وأغتربُ في طلب المال ! ثم رجَعَ فلم يخرُج . وهذه القصيدةُ من جَيِّد شعر ابن ميّادة ، أوّلها : [من الكامل]

وكواعبٍ قد قلن يَوم تَواعُدٍ قَولَ المُجِدّ وهُنّ كالمُزّاحِ
يا ليتَنا في غير أمرٍ فادِحٍ طَلَعتْ عَلَيْنا العِيسُ بالرَّمّاحِ
بَيْنا كذاكَ رأينَني مُتَعَصِّباً بالخَزِّ فوق جُلالة سِرْداحِ[4]

1 الزلالين : الطفيليين .
2 شعر ابن ميادة : 228–229 عن الأغاني وأنساب الأشراف 12 : 50 .
3 شعر ابن ميادة : 99–100 وفي الروايات اختلاف في اللفظ باختلاف المصادر .
4 الجلالة : الناقة العظيمة . وسرداح : أي طويلة أو كثيرة اللحم .

فيهنّ صفراءُ المَعاصِمِ طَفْلَةٌ ... بيْضاءُ مثلُ غَريضةِ التُّفّاحِ[1]
فنظَرنَ من خَلَلِ الحِجال بأعينٍ ... مَرْضى مُخالِطُها السَّقامُ صِحاحِ
وارتشن حين أرَدْنَ أنْ يرمِينَني ... نَبْلاً بلا رِيشٍ ولا بِقدَاحِ

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم :

فلئِنْ بَقِيتُ لأَلحقَنّ بأبْحُرٍ ... يَنْمِينَ لا قُطْعٍ ولا أنْزاحِ[2]
ولآتِينّ بَنِي عليٍّ إنّهمْ ... مَن يأتهم يُتلقّ بالإفلاحِ[3]
قومٌ إذا جُلِب الثناء إليهِمُ ... بِيعَ الثناء هناك بالأرباحِ
ولأجْلِسَنّ إلى الخليفة إنّه ... رَحْبُ الفِناء بواسع بَحْباحِ

وهي قصيدة طويلة .

[قوله عندما أصاب الحاج بمكّة مطر شديد وصواعق]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن أيّوب بن سلمة قال : اعتمرتُ في رجب سنة خمس ومائة ، فصادفني ابن ميادة بمكّة وقدِمها مُعتمراً ، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق ، فجلس إليّ ابن ميادة الغَدَ من ذلك اليوم ، فجعل يأتيني قومٌ من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغَيث فيقولون : صَعِق فلان وانهدم منزل[4] فلان ؛ فقال ابن ميادة : هذا العَيْث[5] لا الغَيْث ؛ فقلت : فما الغيث عندك ؟ فقال : [من الطويل]

سحائبُ لا مِن صَيِّبٍ ذي صَواعِقٍ ... ولا مُحْرِقاتٍ ماؤهُنّ حَمِيمُ[6]
إذا ما هبطْنَ الأرضَ قد مات عُودُها ... بكَيْنَ بها حتّى يَعيش هَشِيمُ

[استحسان الناس لشعره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني موسى بن زهير عن أبيه قال : جلستُ أنا وعيسى بن عُمَيْلة وابن ميّادة ذات يوم ، فأنشدنا ابن ميّادة شعره مَلِيّاً ، ثم أنشدنا

---

1 الطفلة : اللينة . غريضة : رقيقة البشرة ناعمة .
2 قطع : ناضبات . وأنزاح : نزح أكثر مائها .
3 الإشارة هنا إلى علي بن عبد الله بن العبّاس جدّ المنصور .
4 ل : دار .
5 العيث : الفساد .
6 صيب في ل : صيّف .

قوله[1] : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي هل أبيتنَّ ليلةً بحرَّة ليلى حيث ربَّتني أهلي
بلادٌ بها نِيطتْ عليّ تمائمي وقُطِّعن عنّي حين أدركني عَقلي
وهل أسمعنّ الدهرَ أصوات هَجْمَةٍ تَطالَع من هَجْلٍ خَصيبٍ إلى هَجْلِ
صُهَيْبيّةٍ صفراءَ تُلْقِي رِباعها بمُنْعَرِج الصَّمّان والجَرَعِ السهلِ[2]

تلقي رباعها : تطرح أولادها . وواحد الرباع رُبَع .

وهل أجمعنّ الدهرَ كفّيَّ جَمْعةً بمَهْضومَةِ الكَشْحَيْنِ ذاتِ شَوًى عَبْلِ
مُحلَّلةٍ لي لا حَراماً أتيتُها من الطيباتِ حين تَرْكُضُ في الحِجْلِ
تميلُ إذا مالَ الضجيعِ بعِطْفِها كما مال دِعْصٌ من ذُرا عَقِدِ الرملِ

فقال له عيسى بن عُمَيلة : فأين قولك يا أبا الشُّرَحبيل[3] : [من الطويل]

لقد حَرَّمت أُمِّي عليّ عَدِمْتُها كَرائمَ قومي ثمّ قِلّةُ ماليا

فقلت له : فاعطِف إذاً على أَمَة بني سُهيلٍ فهي أعنَدُ وأنكد ، وقد كنت أظنّ أنّ ميادة قد ضربت جأشك[4] على اليأس من الحرائر ، وأنا أُداعبه وأُضاحكه ؛ فضحِك وقال[5] : [من الطويل]

ألم تَرَ قوماً يَنْكِحون بمالِهِمْ ولو خَطَبتْ أنسابُهم لم تُزَوّجِ[6]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مُصعب وغيره : أنّ حُسَيْنة اليساريّة كانت جميلة ، وآلُ يسار من موالي عثمان رضوان الله عليه يسكنون تَيْماء ، ولهم هناك عدد وجَلَد ، وقد انتسبوا في كَلْب إلى يسار بن أبي هند فقبِلهم[7] بنو كلب ، قال : وكانت عند رجل من قومها يقال له : عيسى بن إبراهيم بن يَسار ، وكان ابن ميّادة يزورها ؛ وفيها يقول : [من الوافر]

ستأتينا حُسَيْنَةُ حيث شِئْنا وإن رَغِمَتْ أُنوفُ بني يَسارِ[8]

---

1 شعره : 199–200 .
2 بمنعرج الصمّان في ل : بمعتلج الصمان ؛ والصمان موضع .
3 شعر ابن ميادة : 239 .
4 ضرب جأشاً : اطمأن قلبه . والمعنى هنا أنّ أمّه جعلته ييأس من الاقتران بالحرائر لضعف نسبها .
5 شعر ابن ميادة : 94 عن الأغاني .
6 أنسابهم في ل : أماتهم .
7 ل : وقبيلتهم .
8 شعر ابن ميادة : 159 عن الأغاني وأنساب الأشراف .

قال : فدخل عليها زوجها يوماً فوجد ابن ميّادة عندها ، فهمّ به هو وأهلُها ؛ فقاتلهم وعاونته عليهم حُسَيْنة حتى أفلت ابن ميّادة ؛ فقال في ذلك : [من الوافر]

لقــد ظلّـتْ تُعاونُنـي عليهــمْ صَمُوتُ الحِجْلِ كاظمةُ السِّوارِ[1]
وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ يُقطِّــع سَلْحَه خَـلْفَ الجِدارِ

[ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال حدّثني عبد الله بن خالد بن دُفَيْف التَّغلِبيّ عن عثمان بن عبد الرحمن بن نُميرة العَدَويّ عن أبي العلاء ابن وثّاب قال : قَدِمَ ابن ميادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يَسمُر عنده في الليل ، فقال عبد الواحد لأصحابه : إنّي أَهُمّ أن أتزوّج ، فابغوني أيِّماً ؛ فقال له ابن ميّادة : أنا أَدُلُّك ، أصلحك الله أيّها الأمير ؛ قال : على مَن يا أبا الشَّرَحْبيل ؟ قال : قدِمتُ عليك أيّها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمَن فيه الجنّةُ وأهلُها ، فوالله لبَيْنا أنا أمشي فيه إذْ قادتني رائحة عطْر رجل حتى وَقَفَت بي عليه ، فلمّا وقع بصري عليه استلهاني حُسْنُه فما أقلعتُ عنه حتّى تكلّم ، فخِلْته لمّا تكلّم يتلو زبوراً أو يدْرُس إنجيلاً أو يقرأ قرآناً حتّى سكَت ، فلولا معرفتي بالأمير لشككتُ أنّه هو ، ثم خرج من مُصلاّه إلى داره ، فسألت : مَن هو ؟ فأُخبِرت أنّه للْحَيَّيْن وبين الخليفتين ، وأنْ قد نالته ولادةٌ من رسول الله ﷺ لها نور ساطع من غُرّته وذؤابته ، فنعم المُنكِحُ ونعم حَشْو الرحْل وابنُ العَشِيرة ، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد وجاب ذكرُه البلاد . فلمّا قضى ابن ميّادة كلامه قال عبد الواحد ومَن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وأمّه فاطمة بنت الحسين ، فقال ابن ميّادة[2] : [من الطويل]

لهم نَبْوَةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم وكلٌّ قضاء الله فهو مُقَسَّم[3]

قال يحيى بن عليّ : وممّا مدَح به عبد الواحد لمّا قَدِم عليه قوله[4] : [من الكامل]

مَــن كان أخطأه الربيعُ فإنّمــا نُصِرَ الحجاز بغَيْثِ عبدِ الواحدِ[5]
إنّ المدينــةَ أصبحــتْ معمورةً بمُتَوَّجٍ حُلْـوِ الشمائـلِ مــاجدِ

---

1 كاظمة السوار : لا يسمح لسوارها أو حجلها صوت لامتلاء معصمها وساقها . وفي ل : كاظمة السرار .
2 شعر ابن ميادة : 223 .
3 فهو في ل : فضل .
4 شعر ابن ميادة : 112 .
5 الحجاز في ل : الربيع .

ولقـد بَلَغـتَ بغير أَمـرِ تَكلُّـفٍ أعلى الحظوظِ برَغْم أَنْفِ الحاسدِ
وملكتَ مـا بين العراق ويَثْرِبٍ مُلْكـاً أجـارَ لمسلـم ومُعاهِدِ
مالَيْهِما ودَمَيْهِما مـن بعـد مـا غَشّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِدِ

[التقاؤه في طريق مكّة بجماعة يرتجزون بشعره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن زيد السُّلَميّ قال : إنّا لَنُزولٌ أنا وأصحابٌ لي قبل الفِطْر بثلاث ليالٍ على ماءٍ لنا ، فإذا راكبٌ يسير على جَمَلٍ مُلْتفٌّ بثوب والسماء تغسِله حتى أناخ إلى أَجَمٍ عَرَفته ، فلمّا رأيناه لَثِقاً[1] قُمنا إليه فوضعنا رَحْلَه وقيّدنا جَمَلَه ، فلمّا أقلعتِ السماء عنّا وهو معنا قاعدٌ قام غلمةٌ منّا يرتجزون والرَّجُلُ لم ينتسب لنا ولا عرفناه ، فارتجز أحدهم فقال[2] : [من الرجز]

أنـا ابنُ مَيّادةَ لَبّاسُ الحُلَـلْ أَمَرُّ من مُـرٍّ وأَحْلى من عَسَلْ

حتى قال له الرجل : يا ابن أخي ، أَتَدْري من قال هذا الشعر ؟ قـال : نعم ، ابـن ميّادة قال : فأنا هو ابن ميادة الرَّمّاح بن أَبْرَدَ ، وبات يُعلّلنا من شعره ، ويقطع عنّا الليل بنشيده ، وسرينا راحلين فصَبَّحنا مكّة فقضينا نُسُكَنا ، ولَقِيَه رَجُلان من قومه من بني مُرّة فعرفهما وعرفاه وأفطرنا بمكّة ، فلمّا انصرفنا من المسجد يوم الفِطر إذا نحن بفارسين مُسَوّدين وراجِلين[3] مع المرّيّين يقولون : أين ابن ميّادة ؟ فقلنا : ها هو وقد برزنا من خيمة كنّا فيها ، فقلنا لابن ميّادة : ابرُز ؛ فلمّا نَظَر إلى المرّيّين قال : [من الرجز]

إحـدى عَشِيّاتِك يـا شميرجْ

[محاورته مع عبد الصمد بن علي]

قال : وهذا رجزٌ لبعض بني سُلَيم يقوله لفرسه : [من الرجز]

أقولُ والرّكبة فـوقَ المِنْسَجْ إحدى عَشِيّاتِك يـا شميرجْ[4]

ويروى : مشمرج ، فقالوا لابن ميّادة : أجب الأمير عبد الصمد بن عليّ ، وخذ معك من أصحابك مَن أحببتَ ؛ فخرج وخرج معه منّا أربعةُ نَفَرٍ أنا أحدُهم حتى وقفنا على باب دار النَّدوة ، فدخل أحد المسوِّدين ، ثم خرج فقال : ادخل يا أبا شجرة ، فدخَلتُ على عبد الصمد بن عليّ فوجدتُه جالساً متوشّحاً بمِلحفةٍ مُوَرَّدة ؛ فقال لي : مَن أنت ؟

---

1 لثقاً : مبتلاً .
2 شعر ابن ميادة : 218 .
3 ل : وراحلتين .
4 منسج الفرس : ما بين العرف وموضع اللبد .

قلتُ : رجلٌ من بني سُلَيم ؛ فقال : ما لك تُصاحب المُرِّيّ وقد قتلوا معاوية بن عمرو ؛ وقالت الخنساء[1] : [من المتقارب]

أَلا مــا لِعَيْنِـي أَلا مـا لَها ... لقـد أَخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَها
فَآلَيْـتُ آسَى على هالـكٍ ... وأسألُ نائحـةً مـا لَها
أبعدَ ابنِ عمرو مِنَ الِ الشَّريد ... حَلّـتْ بـه الأرضُ أثقالَها
فإنْ تَـكُ مُـرّةُ أوْدَتْ بـه ... فقــد كان يُكثِـر تَقْتالَها

أَتَرويها ؟ قلتُ : نعم أصلح الله الأمير ، وما زال من المعركة حتى قَتَل به خُفاف بن عمرو المعروف بابن نُدبة كبشَ القوم مالكَ بن حِمارٍ الفزاريّ ثم الشَّمخيّ[2] ، أمَا سمع الأميرُ قولَ خُفاف بن ندبة في ذلك[3] : [من الطويل]

فإن تَكُ خَيْلِي قد أُصيب صَميمُها ... فعَمْداً على عينٍ تيَمّمْتُ مالِكا[4]
تيمّمتُ كَبْشَ القوم حـين رأيتُه ... وجانَبْتُ شُبّانَ الرِّجال الصَّعالِكا[5]
أقــولُ لــه والرمحُ يأْطِرُ مَتْنَه ... تَـأمّــل خُفافــاً إنّني أنا ذَلِكا[6]

وقد توسَّط معاوية بن عمرو خيلَهم فأكثر فيهم القتلَ ، وقتل كبش القوم الذي أُصيب بأيديهم ؛ فقال : لله دَرُّكَ ! إذا ولدتِ النساءُ فلْيَلدن مثلَك ؛ وأمر لي بألف درهم ، فدُفِعت إليّ وخلع عليّ .

وأُدخل ابن ميّادة فسلّم عليه بالإمْرة ؛ فقال له : لا سلّم اللهُ عليك يا ماصّ كذا من أمه ؛ فقال ابن ميادة : ما أكثر الماصِّين ! فضحِك عبد الصّمد ، ودعا بدفتر فيه قصيدة ابن ميّادة التي يقول فيها : [من الطويل]

لنا المُلْــكُ إلاّ أنّ شيئاً تَعُدُّه ... قريشٌ ولو شئنا لداخَتْ رِقابُها[7]

1 الأبيات في ديوان الخنساء (طبعة دار صادر) : 120–123 وسترد مرّة أُخرى في الأغاني في ترجمة الخنساء .
2 الشمخيّ : نسبة شمخ وهم بطن من فزارة .
3 الأبيات في مجموع شعر خفاف بن ندبة (جمع وتحقيق د . نوري حمودي القيسي) . وسترد مرّة أُخرى في ترجمة خفاف في الأغاني وفي ترجمة الخنساء . وانظر العقد الفريد 5 : 163–166 والخزانة 5 : 438 وما بعدها .
4 على عين : بجد ويقين . يقال فعلت كذا عمداً على عين وفعلته عمد عين . وفي ل : على عيني .
5 حين في ل : لما . وجانبت في ل : جنّبت .
6 يأطر : يثني ، يعطف .
7 داخت : ذلّت وخضعت .

ثم قال لابن ميّادة : أُعتِق ما أَمْلِك إن غادرتَ منها شيئاً إن لم أُبلغ غيظَك ، فقال ابن ميّادة : أُعتِق ما أملِك إن أنكرتُ منها بيتاً قلته أو أقررتُ ببيت لم أَقُلْه ؛ فقرأها عبدُ الصّمد ثم قال له : أأنتَ قلتَ هذا ؟ قال نعم ؛ قال : أفكنتَ أمِنْتَ يا ابن ميّادة أن يَنْقَضّ عليك بازٍ من قريش فيَضرِب رأسك ؟ فقال : ما أكثر البازين ! أفكان ذلك البازيّ آمِناً أن يلقاه بازٍ من قيس وهو يسير فيرميه فتَشُول رِجلاه ! فضحِك عبد الصمد ثم دعا بكُسْوة فكساهم .

[تمثّل بعض ولد الحسن بشعر ابن ميادة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الصمد[1] بن شبيب قال قال أبو حُذافة السَّهْميّ : سَبّ رجلٌ من قريش في أيّام بني أميّة بعض ولد الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فأغلظ له وهو ساكتٌ ، والناس يَعجبون من صبره عليه ، فلمّا أطال أقبل الحَسنيّ[2] عليه متمثّلاً بقول ابن ميّادة[3] : [من الطويل]

أظَنَّتْ سَفاهاً من سَفاهة رأيها ... أَنَ اهْجُوَها لمّا هَجَتْني مُحارِبُ

فـلا وأبيها إنّنـي بعَشِيرتـي ... ونَفْسِيَ عـن ذاك المَقامِ لراغِبُ

فقام القُرشيّ خَجِلاً وما ردّ عليه جواباً .

[مدحه لجعفر بن سليمان أمير المدينة]

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلاّم قال : مدح ابن ميّادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة ، فأخبرني مِسمَع بن عبد الملك أنّه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها إليه . قال فقال لـه : جزاكَ اللهُ خيراً . ممّن أنتَ رحمك الله ؟ قلتُ : أحدُ بني مِسمع ؛ قال : ممّن ؟ قلتُ : من قَيس بن ثعلبة ؛ قال : ممّن ؟ عافاك الله ! قلتُ : من بكر بن وائل ؛ قال : والله لو كنتُ سمعتُ ببكر بن وائل قطّ أو عرفتُهم لمدحتُك ، ولكنّي ما سمعتُ ببكر قطّ ولا عرفتهم ، ثم مدح جعفراً فقال[4] : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ مـا سيوفُ بني عـليٍّ ... بنابِيَـةِ الظُّبـاةِ ولا كِـلالِ

هُــمُ القومُ الأُلَى وَرِثوا أباهُمْ ... تُـراثَ محمّــدٍ غيرَ انتحـالِ

---

1 ل : عبد الله .

2 ل : الحسيني .

3 شعر ابن ميادة : 243 ورواية البيت الثاني فيه : «معاذ الإله إنّني . . .» .

4 شعر ابن ميادة : 214 عن الأغاني .

وهـم تَرَكوا المقال لهم رفيعاً وما تَرَكـوا عليهم مـن مَقالِ[1]
حَذَوْتُمْ قومَكم ما قـد حَذَوْتُمْ كما يُحْذى المثـالُ على المِثالِ
فَـرُدُّوا في جِراحِكُـمُ أساكم فقـد أبْلَغتـمُ مُـرَّ النَّكالِ[2]

يُشير عليه بالعفو عن بني أميّة ويُذَكِّره بأرحامهم .

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ عن سليمان المَدِينيّ عن محمد بن سلاّم ، قال يحيى قال أبو الحارث المُرِّيّ فيما ذكره إسحاق من أخباره : قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أتحبُّ أن أعطيك مثلَ ما أعطاك ابنُ عَمِّك رِياح[3] بن عثمان ؟ فقال : لا ، أيُّها الأمير ، ولكن أعطني كما أعطاني ابنُ عَمِّك الوليد بن يزيد .

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أأنت الذي تقول[4] : [من الطويل]

بَني أَسَدٍ إن تَغْضَبوا ثمّ تَغْضَبوا وتَغْضَبْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضابُها

قال : لا والله ، ما هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتَ ؟ قال : قلتُ .

بَني أَسَدٍ إن تَغْضَبوا ثـمّ تَغْضَبوا وتَعْدِلْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضابُها

[هجا بني أسد وبني تميم]

قال : صَدَقتَ هكذا قلتَ . وهذه القصيدة يهجو بها ابن ميّادة بني أسد وبني تميم ، وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سليمان : [من الطويل]

وأحقـرُ محقـورٍ تَميمٌ أخوكُـمُ وإن غَضِبَتْ يَرْبُوعُها وربابُـها
أَلا ما أبالي أن تُخَندِفَ خِنْدِفٌ ولستُ أُبـالي أن يَطِـنَّ ذُبابُـها[5]
ولو أنّ قَيْساً قَيسَ عَيْلانَ أقسمتْ على الشمسِ لم يَطْلُعْ عليكم حِجابُها
ولـو حاربَتْنا الجنُّ لم نَرفعْ القَنا عن الجنّ حتى لا تَهِـرَّ كِلابُـها
لنـا المُلْكُ إلاّ أنّ شيئـاً تَعُدُّه قُرَيشٌ ولـو شِئنا لَذَلَّـتْ رِقابُـها

---

1 المقال في ل : المقام .
2 الأسى : المداواة والعلاج .
3 ل : رماح .
4 شعر ابن ميادة : 77–78 .
5 تخندف : تهرول .

وإن غَضِبتْ من ذا قُرَيشٌ فقُلْ لها مَعاذَ الإلهِ أن أكونَ أُهابُها
وإنّي لقوّالُ الجوابِ وإنّني لَمفتجرٌ أشياءَ يُعيي جوابُها[1]
إذا غَضِبتْ قيسٌ عليك تقاصرتْ يداكَ وفاتَ الرِّجلَ منك ركابُها

[ابن ميادة وسماعة بن أشول]

قال إسحاق في خبره فحدّثني جَبْر بن رباط بن عامر بن نصر قال : فقال سَماعة بن أَشْوَل النعاميّ يعارض ابن ميّادة : [من الطويل]

لعلّ ابنَ أشبانيّةٍ عارضتْ به رِعاءَ الشَّويّ من مُرِيحٍ وعازِبِ[2]
يُسامي فروعاً من خُزَيمة أحرزتْ عليه ثنايا المجدِ من كلِّ جانبِ

فقال ابن ميّادة : مَن هذا ؟ لقد أغلقَ عليّ أغلق اللهُ عليه ! قالوا : سَماعة بن أَشْوَل ؛ فقال : سماعةُ يُسَمِّع بي[3] ، وأَشْوَلُ يَشُول بي ، والله لا أُهاجِيهِ أبداً ، وسكت عنه .

[هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسديّ]

وقال عبد الرحمن بن جُهَيم الأسديّ أحدُ بني الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد يردُّ على ابن ميّادة ، وهي قصيدة طويلة ذكرتُ منها أبياتاً : [من الطويل]

لقد كَذَبَ العبدُ ابنُ ميّادة الذي رَبا وهي وَسْطَ الشَّوْلِ تَدْمَى كِعابُها
شَرَنْبَثة الأطرافِ لم يَقْنَ كَفَّها خِضابٌ ولم تَشْرَقْ بعطرٍ ثيابُها[4]
أرمّاحُ إن تَغْضَبْ صناديدُ خِندِفٍ يَهِجْ لك حَرْباً قَصْبُها واعتيابُها[5]

ويروى «اغتيابها» من الغِيبة . و«اعتيابها» من العَيْب .

ولو أَغْضَبَتْ قَيسٌ قُرَيشاً لجَدَّعَتْ مَسامعَ قَيسٍ وهي خُضْعٌ رِقابُها
لقد جَرَّ رَمّاحُ ابن واهصة الخُصى على قومه حَرْباً عظيماً عَذابُها
وقد عَلِمَ المملوحُ بالشؤم رأسُهُ قُتَيبةُ أن لم تَحْمِ قَيْساً غِضابُها[6]
ولم تَحْمِها أيّامَ قَتْلِ ابنِ حازمٍ وأيّامَ قَتْلى كان خِزياً مُصابُها

1 يقال افتجر الكلام إذا اخترقه من غير أن يسمعه . وفي ل : لمفتخر .
2 الشوي : اسم جمع للشاة .
3 يسمّع بي : يشهرني ويفضحني وكذلك يشول بي .
4 شرنبثة الأطراف : غليظتها . لم يقن : لم يقنأ أي يصبغ .
5 قصبها : عيبها .
6 بالشؤم في ل : بالشأم .

ولا يَـوْمَ لاقينا نُميراً فَقُتِّلَتْ نُمَيرٌ وفَـرَّتْ كَعْبُها وكِلابُـها
وإن تَدْعُ قَيْساً لا تُجبْكَ وحَوْلَها خُيُـولُ تميـم سَعْدُهـا وربابُـها
ولو أنّ قيساً قيسَ عَيْلان أَصْحرتْ لأنـواء غَنْـمٍ غَرَّقتهـا شِعابُـها
ولو أنّ قَرْنَ الشمسِ كان لمعشرٍ لكان لنـا إشراقُهـا واحتجابُـها
ولكنّهـا للهِ يَمْلِـكُ أمرَهـا بقُدْرتـه إصعادهـا وانصبابُـها
لَعَمْري لئن شابتْ حَليلةُ نَـهْبَلٍ لبئسَ شبابُ المرءِ كان شبابُـها
ولم تـدرِ حَمْراءُ العِجانِ أَنَـهْبَلٌ أبـوهُ أم المُـرِّيّ تَـبَّ تَبابُـها
فإن يَـكُ رَمّـاحُ بنُ ميّادةَ التي يُصِنّ إذا باتَـتْ بأرضٍ ترابُـها
جَرَى جَرْيَ موهونِ القُوى قَصَّرتْ به لئيمةُ أعـراقٍ إليـه انتسابُـها
فلن تَسْبق المضمار في كلّ مَوْطنٍ من الخيلِ عندَ الجدِّ إلاّ عِرابُـها[1]
وواللهِ لـولا أنّ قَيْساً أذِلّـةٌ لئامٌ فـلا يُرْضـى لحُـرٍّ سِبابُـها
لأَلْحقتُها بالزَّنْـج ثـم رَمَيْتُها بشنعاءَ يُعيـي القائلـين جَوابُـها

[ابن ميّادة وأبان بن سعيد]

أخبرني يحيى بن عليّ عن حمّاد عن أبيه قال : وجدتُ في كتاب أبي عمرو الشيبانيّ فعرضتُه على أبي داود فعرَفه أو عامّتَه ، قال : إنّا لجلوسٌ على الهَجْم[2] في ظلّ القَصْر عَشيَّةً ، إذ أقبلَ إلينا ثلاثةُ نَفَرٍ يَقُودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عُيَينة بن حِصْن وهو في جماعة من بني عُيَينة ، قال : فرأيتُ أجِلّةً ثلاثةً ما رأيتهم قطُّ ، فقلنا : مَن القوم ؟ فقال أحدهم : أنا ابن ميّادة وهذان من عشيرتي ؛ فقال أبان لأحد بَنِيه : اذهبْ بهذه الناقة فأطلِقْ عنها عند بيت أمّك ؛ فقال له ابن ميّادة : هذه يا أبا جعفر السِّعْلاة ، أفلا أُنشِدُك ما قلتُ فيها ؟ قال : بَلى فهات ؛ فقال[3] : [من الطويل]

قَعَدْتُ على السِّعلاة تَنْفَضُ مِسْحَها وتُجْذَبُ مِثلَ الأَيْمِ في بُرَة الصُّفْرِ[4]
تُيَمِّـمُ خيرَ الناسِ مـاءً وحاضراً وتَحْمِلُ حاجاتٍ تضمَّنها صدري[5]

---

1 تسبق في ل : الصمات .
2 الهجم : ماء لبني فزارة .
3 شعر ابن ميادة : 152–153 عن الأغاني .
4 الأيم : الحية .
5 الحاضر : الحي العظيم .

فإنّــي على رَغْــمِ الأعادِي لقائلٌ وَجَدْتُ خِيارَ الناسِ حَيَّ بني بدرِ
لهــم حاضرٌ بالهَجْمِ لم أرَ مثلهم من الناسِ حيّاً أهل بَدْوٍ ولا حَضْرِ
وخيرُ مَعَدٍّ مجلساً مجلسٌ لهـم يَفيءُ عليه الظلُّ من جانبِ القَصْرِ
أخُصُّ بهـا رَوْقَــيْ عُيَينة إنّه كذاك ضحاحُ الماء يأوِي إلى الغَمْرِ
فأنتم أحقُّ الناسِ أن تتخيَّروا الـ ـمياه وأن تَرْعَوْا ذُرَى البلدِ القَفْرِ

قال : فكان أوّل قائم من القوم ركضةُ بن عليّ بن عُيَينة ، وهو ابن عمّ أبان وعَبْدة بنت أبان ، وكانت إبلُه في العَطَن[1] وهي أكرمُ نَعَمِ بني عُيَينة وأكثرُه ، فقال : ما سمعتُ كاليوم مَديحَ قَوْمٍ قطّ ، حُكْمُكَ ماضٍ في هذه الإبل ؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك ، وقام آخر وآخر ؛ فقال ابن ميّادة : يا بني عُيينة ، إنّي لم آتكم لتتبارى لي شياطينكم في أموالكم ، إنّما كان عليّ دَيْنٌ فأردتُ أن تُعْطوني أَبْكُراً أبيعها في دَيْني . فأقامَ عندَ أبان بن سعيد خمسةَ عشرَ يوماً ، ثم راح بتسع عشرة ناقة ، فيها ناقةٌ لابن أبان عُشراءُ أو رَباعيّةٌ . قال يحيى في خبره : وقال يعقوب بن جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيينة : إنّي على الهَجْم يوماً إذ أقبلَ رجلٌ فجعل يُصَرِّف راحلتَه في الحِياض فيردّه الرجل بعد الرجل ، فدعوته فقلت : اشْرَعْ في هذا الحوض ؛ فلمّا شَرع فسَقى قال : مَن هذا الفتى ؟ فقيل : هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيينة ؛ فقال[2] : [من الطويل]

بَنو الصالحين الصالحون ومَن يكن لآبــاء سَوْءٍ يَلْقَهـم حيثُ سَيَّرا
فما العــودُ إلاّ نابــتٌ في أُرُومه أبى شَجَـرُ العِيــدان أن يتغيّرا

قال إسحاق : سألت أبا داود عن قوله : [من الطويل]

كذاك ضحاحُ الماءِ يَجْرِي إلى الغَمْرِ

فقال : أراد أنّ الأمرَ كلَّه والسؤدد يصير إليه ، كما يصير الماءُ إلى الغَمْرة حيث كانت .

[ابن ميّادة وأيوب بن سلمة]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ قال أخبرني مُصعَب بن الزبير قال : ضافَ ابنُ ميّادة أيّوبَ بن سَلَمة فلم يَقْرِه ، وابن ميّادة من أخوال أيوب بن سلمة ، فقال فيه[3] : [من الطويل]

---

1 العطن : مبرك الإبل .
2 شعر ابن ميادة : 272 وقد وضعهما جامع الشعر في ما ينسب إلى ابن ميادة وليس له . وهما ينسبان أيضاً لجميل بثينة ونهشل بن حري أو يردان دون نسبة .
3 شعر ابن ميادة : 216 عن الأغاني .

ظَلِلْنا وُقُوفاً عند باب ابن أختنا وظلَّ عن المعروفِ والمجدِ في شُغْلِ
صَفاً صَلَدٌ عند النـدَى ونَعامَـةٌ إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذِها العُصْلِ

[ابن ميّادة ورياح بن عثمان]

قال أبو أيّوب وأخبرني مصعب قال: قدم ابن ميّادة على رِياح بن عثمان، وقد وَلِيَ المدينة وهو جادٌّ في طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه، فقال له: اتخذْ حَرَساً وجُنْداً من غَطَفان واترك هؤلاء العبيد الذين تُعطيهم دراهمَك، وحَذارِ من قريش؛ فاستخفَّ بقوله ولم يقبل رأيه؛ فلمّا قُتِلَ رِياح قال ابن ميّادة[1]: [من الوافر]

أمرتكَ يـا رِياحُ بأمرِ حَزْمٍ فقلتَ هَشِيمةٌ من أهل نجدِ
وقلتُ لـه تحفَّظ من قُريشٍ ورَقِّـع كلَّ حاشيـةٍ وبُردِ
فوجداً ما وَجَدْتُ على رِياحٍ وما أغنيتُ شيئاً غيرَ وَجْدِي

[تشبيبه بالنساء]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال حدّثني أكثم بن صَيفِيّ المُرِّيّ ثم الصارديّ عن أبيه قال: كان ابنُ ميّادة رأى امرأة من بني جُشَم بن معاوية ثم من بني حَرام يقال لها أمّ الوليد، وكانوا سارُوا عليه، فأُعجبَ بها وقال فيها[2]: [من الطويل]

ألا حَبّـذا أمُّ الوليدِ ومَرْبَـعٌ لنا ولهـا نَشْتُو بـه ونَصِيفُ

ويروى:

. . . . ومَرْبع لنا ولهـا بالمشتوى ومصيفُ
حَرامِيَّةٌ أمّا مَـلاثُ إزارِها فَوَعْـثٌ وأمّا خَصْرُها فلطيفُ
كأنّ القُرونَ السُّودَ فوقَ مَقَذِّها إذا زالَ عنها بُرْقُـعٌ ونَصِيفُ
بهـا زَرَجُوناتٌ بقَفْرٍ تَنَسَّمت لهـا الريحُ حتى بينهنّ رَفِيفُ[3]

قال: فلمّا سمع زَوجها هذه الأبيات أتاها فحلَف بطلاقها لئن وَجَدَ ابن ميّادة عندها ليَدُقّنَّ فَخِذَها، ثم أعرض عنها واغترّها[4]، حتى وجده يوماً عند بيتها فدقّ فخذها، واحتمل فرحل

1 شعر ابن ميادة: 114.
2 شعر ابن ميادة: 171.
3 الزرجونة: شجرة العنب.
4 اغترها: راقبها وطلب غرتها.

ورحل بها معه ؛ فقال ابن ميّادة[1] : [من الوافر]

أتانا عـــامَ سار بنو كلابٍ حَراميّــون ليسَ لهـم حَرامُ
كأنّ بيوتهــم شجرٌ صِغارٌ بقِيعانٍ تَقِيــلُ بهـــا النّعامُ
حَراميّــون لا يَقْرُون ضَيْفاً ولا يَدْرون ما خُلُقُ الكرامِ

قال : ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب ، فأُعجِبَ بامرأة منهم يقال لها : أمّ البَخْتَرِيّ ، وكان يتحدّث إليها مدّة مُقامهم ، ثم ارتحلوا فقال فيها[2] : [من الطويل]

أرِقــتُ لِبَرْقٍ لا يُفتِّــر لامعُــهْ بشُهْب الرُّبى والليلُ قد نام هاجعُهْ[3]
أرقتُ له من بعد مــا نام صُحْبَتِي وأعجبنـــي إيماضُــه وتتابعُـــهْ
يُضيءُ صَبيراً من سَحابٍ كأنّه هِجانٌ أرنّــتْ للحنــين نوازعُهْ[4]
هَنيئاً لأمّ البَخْتَرِيّ الرِّوى بــه وإن أَنْهَجَ الحبلُ الذي النّأْيُ قاطعُهْ[5]
لقد جَعَــلَ المُسْتَبْضِعُ الغشّ بيننا لِيَصْرِمَ حَبْلينـــا تَجُــوز بضائعُهْ
فما سَرْحةٌ تَجْرِي الجداولُ تحتها بمطّردِ القِيعــانِ عَــذْبٍ ينابعُهْ[6]
بأحسنَ منها يومَ قالتْ بذي الغَضا أَتَرْعَى جديدَ الحبلِ أمْ أنتَ قاطعُهْ

[خطب امرأة من بني سلمى بن مالك فلم يزوّجوه]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أحمد بن إبراهيم قال : وذكر أبو الأَشْعَث أنّ ابن ميّادة خطب امرأة من بني سلمى بن مالك بن جعفر ثم من بني البُهْثَة ، وهم بطن يقال لهم البهثاء ، فأبوْا أن يزوّجوه وقالوا : أنت هَجِينٌ ونحنُ أشرفُ منك ؛ فقال[7] : [من الطويل]

فلو طاوعَتْني آلُ سَلْمَى بن مالكٍ لأعطيتُ مَهْــراً مــن مَسَرّةَ غالِيا
وسِرْبٍ كسِرْب العِين من آل جَعْفَرٍ يُغادِينَ بالكُحْل العُيُونَ السواجِيا

---

1 شعر ابن ميادة : 223 عن الأغاني .
2 شعر ابن ميادة : 167 عن الأغاني .
3 يفترّ : يضعف ويخبو .
4 الصبير : السحاب الأبيض الكثيف . هجان الإبل : البيض .
5 أنهج الحبل : أخلق وبلي .
6 القيعان في ل : القريان .
7 شعر ابن ميادة : 239 عن الأغاني .

إذا ما هَبَطْنَ النِّيلَ أو كُنَّ دونـه	بسَرْوِ الحِمَى أَلْقَيْنَ ثَـمَّ المَراسِيا[1]

[مات في صدر خلافة المنصور]

قال أحمد بن إبراهيم : مات ابن ميّادة في صَدْر من خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ثم لم يَفِدْ[2] إليه ولا مدحه ، لِما بلغه من قلّة رغبته في مدائح الشعراء وقلّة[3] ثوابه لهم .

1 النيل : بليدة في سواد الكوفة (ياقوت) أو موضع في بلاد بني كلاب . وفي ل : النير . السرو : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل .

2 ل : يعد .

3 ل : نزارة .

[16] ـ أخبار حُنَين الحِيريّ ونسبه

[نسبه]

حنين بن بَلْوَعَ الحِيريّ مختلف في نسبه ، فقيل : إنّه من العِباديِّين من تَميم ، وقيل : إنّه مِنْ بني الحارث بن كعب ، وقيل : إنّه من قوم بَقُوا من جَدِيس وطَسْم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعُدُّوا فيهم ، ويُكْنى أبا كعب . وكان شاعراً مُغَنِّياً فَحْلاً من فُحول المُغَنِّين ، وله صنعة فاضلة متقدّمة ، وكان يسكن الحِيرةَ ويُكْرِي الجمالَ إلى الشام وغيرها ، وكان نصرانيّاً . وهو القائل يصفُ الحِيرَة ومنزلَهُ بها : [من المنسرح]

صوت

أنــا حُنَينٌ ومَنْزلي النَّجَفُ ... وما نَدِيمي إلاّ الفَتى القَصِفُ
أَقْـرَعُ بالكأسِ ثَغْـرَ باطيةٍ ... مُتْرَعَــةٍ ، تــارةً وأَغترفُ
مـن قهوة باكَـرَ التِّجَارُ بها ... بيتَ يَهُودٍ قرارُها الخَزَفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلي خَصِبٌ ... لم تَغْذُني شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

الغناء والشعر لحنين ، ولحنُه خفيف رمل بالبنصر . وفيه لابن المكّيّ خفيف ثقيل قديم . ولعَريب فيه خفيف ثقيل آخر عن الهشاميّ .

[غنّى هشام بن عبد الملك في الحجّ]

أخبرنا وَكِيع قال قال حمّاد حدّثني أبي عن أبي الخطّاب قال وحدّثني ابن كُناسة عن سليمان بن داود : مولًى ليحيى ، وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْهْ عن قَعْنَب بن المحرِز الباهليّ عن المدائنيّ قالوا جميعاً : حجّ هشامُ بن عبد الملك وعَدِيلُه الأبرشُ الكلبيّ ، فوقفَ له حُنين بظهر الكوفة ومعه عُودُه وزامرٌ له ، وعليه قُلَنْسِيَة طويلة ، فلمّا مرّ به هشام عَرَض له ؛ فقال : مَن هذا ؟ فقيل : حُنَين ، فأمر به فحُمل في مَحملٍ على جمل وعَدِيلُه زامرُه ، وسِيرَ به أمامه وهو يتغنّى : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَمِنْ سَلْمى بِظَهْرِ الكو ... فَــةِ الآيــاتُ والطَّلَلُ
يلـوحُ كما تلـوحُ على ... جفون الصَّيقلِ الخِلَلُ[1]

1 الصيقل : الذي يشحذ السيوف ويجلوها . والخلل : جمع خلّة وهي بطانة تجعل على السيف وينقش عليها بالذهب أو غيره .

الصنعة في هذا الصوت لحُنَين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره ، قال : فأمر له هشام بمائتي دينار ، وللزامر بمائة . وذكر إسحاق في خبره عن أبي الخطّاب أنّه غنّى هشاماً : [من مجزوء الرمل]

صوت

صاحِ هل أبصرتَ بالخَبْـ ـتيْن مـن أسمـاءَ نارا
مَوْهِنـاً شُبَّـت لعينيـ ـكَ ولم تُوقَـدْ نهارا
كَتَلالي البَرْقِ في المُـزْ نِ إذا البَرْقُ اسْتَطارا
أذكَرْتني الوصلَ من سُعْـ ـدى وأيّامـاً قِصارا

الشعر للأحوص ، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسبّابة في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق . ونسبه ابن المكّيّ إلى الغَرِيض . وقال يونس : فيه لحنان لمالك ولم يُجَنِّسهما . وقال الهِشاميّ : فيه لمالك خفيف رملٍ ، قال : فلم يزل هشام يستعيده حتى نزَلَ من النجف ، فأمر له بمائتي دينار .

[كان يغلي ثمن غنائه]

وقال إسحاق : قيل لحُنَين : أنتَ تُغنّي منذ خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالاً ولا داراً ولا عَقاراً إلاّ أتيتَ عليه ! فقال : بأبي أنتم ، إنّما هي أنفاسي أَقْسِمها بين الناس ، أَفَتَلُومونَني أن أُغْلِيَ بها الثمن !

[غنّى في الموسم في ظلّ بيت أبي موسى الأشعريّ]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ومُصْعَب بن الزُّبير عن بعض المكّيّين ، وأخبرني به الحرميّ بن أبي العَلاء وحبيب بن نصر قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عَمِّي مُصْعب قال حدّثني شيخ من المكيّين يقال له شَرِيس[1] قال : إنّا لبالأبطَح أيّامَ الموسم نَشْتَرِي ونَبِيع إذ أقبل شيخٌ أبيضُ الرأس واللحية على بغلة شَهباء ما ندري أهو أشدّ بياضاً أم بغلته أم ثيابه ؛ فقال : أين بيتُ أبي موسى ؟ فأشرنا له إلى الحائط ؛ فمضى حتى انتهى إلى الظلّ من بيت أبي موسى ، ثم استقبلنا ببغلته ووجهِه ثم اندفع يُغَنِّي : [من الخفيف]

صوت

أَسْعِدِينـــي بدمعـــةٍ أَسْرابِ مـن دمـوعٍ كثيرة التَّسْكابِ[2]

---

1 ل : شويس .
2 أسعديني في ل : أسعداني .

إنّ أهلَ الحِصاب قد تركوني ... مُغْرَماً مولَعاً بأهلِ الحِصابِ
فارقوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاق مِيتةً من إيابِ
سكنوا الجِزْعَ جزعَ بيْت أبي مُو ... سَى إلى النخلِ من صُفِيِّ السِّبابِ[1]
كم بذاكَ الحَجُون من حَيِّ صِدْق ... وكهولٍ أعفَّةٍ وشبابِ
أهلُ بيتٍ تتابعوا للمنايا ... ما على الموتِ بعدَهُم من عتابِ
فلِيَ الوَيلُ بعدَهم وعليهم ... صِرتُ فرداً ومَلّني أصحابي

الشعر لكَثِير بن كَثِير بن المطَّلب بن أبي وَداعة السَّهْميّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لابن أبي دُباكِل الخُزاعيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن ابن خُرْداذْبَهْ ، قال : ثم صرَف[2] الرجل بغلتَه وذهب ، فتبعناه حتى أدركناه ، فسألناه مَن هو ؟ فقال : أنا حُنَين بن بَلْوَع وأنا رجلٌ جَمّال أُكرِي الإبل ، ثم مضى .

[خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ ، قال : كان حُنَين غُلاماً يحمل الفاكهة بالحِيرة ، وكان لطيفاً في عمل التحيّات[3] ، فكان إذا حَمَلَ الرياحين إلى بيوت الفِتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القِيان والمتطرّبين إلى الحيرة ورأوا رشاقتَه وحُسن قَدِّه وحلاوته وخفّة روحه استحلَوه ، وأقام عندهم وخفّ لهم ، فكان يسمع الغناء ويَشتهيه ويُصغي إليه ويستمعه ويُطيل الإصغاء إليه ، فلا يكاد يُنتَفَع به في شيء إذا سمِعَه ، حتى شَدا منه أصواتاً فأسمعها الناس ، وكان مطبوعاً حَسَنَ الصوت ، واشتهوا غناءه والاستماع منه وعِشرته ، وشُهِرَ بالغناء ومَهَرَ فيه ، وبَلَغ منه مَبلغاً كبيراً ، ثم رَحَلَ إلى عُمَر بن داود الواديّ وإلى حَكَم الواديّ ، وأخذ منهما ، وغنّى لنفسه في أشعار الناس ، فأجاد الصنعة وأحكمها ، ولم يكن بالعراق غيرُهُ فاستولى عليه في عصره . وقَدِم ابن محرز حينئذٍ إلى الكوفة فبلغ خبره حُنيناً ، وقد كان يعرفه ، فخَشِيَ أن يعرفه الناس فيَسْتَحلوه ويَستولي على البلد فيسقُط هو ، فقال له : كم مَنَّتك نفسُك من العراق ؟ قال : ألف دينار ؛ قال : فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخُذها وانصرف واحلف لي أنّك لا تعود إلى العراق ؛ فأخذها وانصرف .

أخبرني عمّي وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيّوب المدائنيّ عن أحمد بن

1 صفي السباب : موضع بمكّة .
2 ل : ضرب .
3 التحيات : ما يحيا به القادم من باقات الريحان ونحوه .

إبراهيم بن إسماعيل قال : كان ابن مُحرز قَدِم الكوفة وبها بِشْر بن مروان ، وقد بلغه أنّه يشربُ الشرابَ ويسمعُ الغِناء ، فصادفه وقد خرج إلى البصرة ؛ وبلغ خبره حُنين بن بَلْوَع فتلطَّف له حتى دعاه ؛ فغنّاه ابن محرز لحنه ، قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثاني من جَيِّد الأغاني : [من المتقارب]

صوت

وَحُـرُّ الزَّبَرْجَـدِ في نَظْمِهِ ... على واضِحِ اللِّيتِ زانَ العُقُودا[1]

يُفَصِّـلُ ياقوتُـهُ دُرَّهُ ... وكالجَمْرِ أَبْصَرْتَ فيهِ الفَرِيدا

قال : فسمع شيئاً هاله وحيّره ، فقال له حنين : كَمْ مَنَّتْك نفسُك من العراق ؟ قال : ألفَ دينار ، فقال : هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتُك في عَودتك وبدْأتِك ودَعِ العراق لي وامضِ مُصاحباً حيث شئت ، قال : وكان ابن محرز صغير الهِمّة لا يحبّ عشرةَ الملوك ولا يُؤثِرُ على الخَلْوة شيئاً ، فأخذها وانصرف .

[خرج إلى حمص وغنّى بها فلم يستطعم أهلها غناءه]

وقال حمّاد في خبره قال ابي حدّثني بعض أهل العلم بالغناء عن حُنَين قال : خرجت إلى حِمْص ألتمِس الكَسْب بها وأرتاد مَن أستفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفِتيان بها وأين يجتمعون ، فقيل لي : عليك بالحَمّامات فإنّهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئتُ إلى أحدها فدخلتُه ، فإذا فيه جماعة منهم ، فأَنِسْتُ وانبسطت ، وأخبرتهم أنّي غريب ، ثم خرجوا وخرجتُ معهم ، فذهبوا بي إلى منزل أحدهم ، فلمّا قعدنا أُتينا بالطَّعام فأكلنا ، وأُتينا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم في مُغَنٍّ يُغنّيكم ؟ قالوا : ومَن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عُوداً فأُتيتُ به ، فابتدأت في هُنيّات[2] أبي عَبّاد معبد ، فكأنّما غَنّيتُ للحيطان لا فَكِهوا لغنائي ولا سُرُّوا بـه ، فقلت : ثَقُلَ عليهم غناءُ معبد لكثرة عمله وشدّته وصعوبة مذهبه ، فأخذتُ في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شيء ، وغنّيتُ خفائف ابن سريج ، وأهزاج حَكَم ، والأغاني التي لي ، واجتهدتُ في أن يفهموا ، فلم يتحرّك من القوم أحدٌ ، وجعلوا يقولون : ليت أبا مُنَبِّه قد جاءنا ؛ فقلت في نفسي : أرى أنّي سأفتضح اليوم بأبي مُنَبِّه فضيحةً لم يَفتضح أحدٌ قطُّ مثلها . فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنبِّه ، وإذا هو شيخ عليه خفّان أحمران كأنّه جَمّال ، فوثبوا جميعاً إليه وسلّموا عليه وقالوا : يا أبا مُنبّه أبطأتَ علينا ،

1 الليت : صفحة العنق .

2 الهنيات : الأراجيز .

وقدّموا له الطعام وسَقَوْه أقداحاً ، وخَنَسْتُ أنا حتى صرتُ كَلا شيءٍ خوفاً منه ، فأخذ العود ثم اندفع يغنّي : [من الخفيف]

طَرِبَ البحر فاعبُرِي يا سفينهْ   لا تَشُقّي على رجـالِ المدينهْ

فأقبل القوم يصفّقون ويَطرَبون ويشربون ، ثم أخذ في نحو هذا من الغناء ، فقلت في نفسي : أنتم هاهنا ! لئن أصبحتُ سالماً لا أمسيتُ في هذه البلدة . فلمّا أصبحتُ شددتُ رَحلي على ناقتي واحتقبتُ رَكوةً[1] من شراب ورَحَلت متوجِّهاً إلى الحِيرة ، وقلت : [من الخفيف]

ليتَ شِعري متى تَخُبّ بيَ النا   قـةُ بـين السَّديـرِ والصيَّبونِ
مُحْقِباً ركـوةً وخُبْزَ رُقـاقٍ   وبُقُـولاً وقطعـةً من نُونِ[2]
لستُ أبغِي زاداً سواها من الشا   مِ وحسبـي عُلالـةٌ تَكْفيني
فإذا أُبْتُ سالماً قلـت سُحْقاً   وبِعـاداً لمعشرٍ فـارقوني

[غنّى خالداً القسريّ بعد ما حرم الغناء]

أخبرني محمد بن مَزيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به وكيع في عقب أخبارٍ رواها عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه فقال : وقال لي إسحاق ، فلا أدري أأدْرَجَ الإسنادَ وهو سماعه أم ذكره مُرسَلاً ، قال إسحاق وذكر ابن كُناسة : أنّ خالدَ بن عبد الله القَسْرِيّ حرّم الغناءَ بالعراق في أيّامه ، ثم أَذِنَ للناس يوماً في الدخول عليه عامّة ، فدخل إليه حُنين ومعه عودٌ تحت ثيابه ، فقال : أصلح الله الأمير ، كانت لي صناعةٌ أعودُ بها على عيالي فحرّمها الأمير فأضرّ ذلك بي وبهم ؛ فقال : وما صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا ؛ فقال له خالد : غَنِّ ؛ فحرّك أوتاره وغنّى : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الشامـتُ المُعَيِّر بالدهـ   ـرِ أأنـت المُبَرَّأُ الموفـورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيّـ   ـامِ بـل أنـت جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خَلَّدن أم مَنْ   ذا عليـه مـن أن يُضامَ خَفِيرُ

قال : فبكى خالد وقال : قد أذِنتُ لك وحدَك خاصّةً فلا تجالسنّ سفيهاً ولا مُعَرْبِداً . فكان إذا دُعي قال : أفيكم سفيهٌ أو مُعرْبِد ؟ فإذا قيل له : لا ، دخل .

---

1 ل : زكرة وهي زق صغير .
2 ركوة في ل : زكرة .

شعر هذا الصوت المذكور لعديّ بن زيد ، والغناء لحُنين رمل بالوسطى عن عمرو . وقوله : المبرأ ، يعني المبرأ من المصائب . والموفور : الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء ، يقال : وُفِرَ الرجل يُوفر . ولديك بمعنى عندك هاهنا .

[غنّى بشر بن مروان بحضور الشعبيّ]

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصَّحَّاف الكوفيّ قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز الباهليّ قال أخبرنا الهَيْثَم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش وعن مُجالد عن الشَّعْبِيّ جميعاً ، وأخبرني محمد بن مَزْيد وحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشَّعْبيّ قال : لمّا ولِيَ بِشْرُ بن مروان الكوفة كنتُ على مَظالمه ، فأتيتُه عشيَّةً وحاجبُه أعْيَن (صاحب حمّام أعْيَن) جالس ، فقلت له : استأذنْ لي على الأمير ، فقال لي : يا أبا عمرو ، هو على حال ما أظنّك تصل إليه معها ؛ فقلت : أعلِمْه ، وخَلاك ذَمٌّ ، فقد حدث أمر لا بدّ لي من إنهائه إليه ، وكان لا يجلس بالعَشيّ ، فقال : لا ، ولكن اكتب حاجتك في رُقعة حتى أوصِّلَها إليه ؛ فكتبتُ رقعة ، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبيّ ممّن يُحتَشَم منه فَأْذَنْ له ، فأذن لي فقال : ادخل ، فدخلت فإذا بشر بن مروان عليه غِلالةٌ رقيقة صفراء ومُلاءةٌ تقوم قياماً من شدّة الصِّقال ، وعلى رأسه إكليل من رَيحان ، وعلى يمينه عِكْرمة بن رِبْعي ، وعلى يساره خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء ، وإذا بين يديه حُنين بن بَلْوَع معه عُوده ، فسلّمت فردّ عليّ السلام ورحّب وقرّب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لو كان غيرُك لم آذنْ له على هذه الحال ؛ فقلت : أصلح الله الأمير ، عندي لك السترُ لكلِّ ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَجْمُل ، والشكرُ على ما تُولِيني ؛ فقال : كذاك الظنّ بك ، ثم التفتُّ إلى حُنَين وعودُه في حِجْره وعليه قباء خُشْك شوِي ، وقال إسحاق : خشكون ، ومُسْتُقَةٌ[1] حمراء وخُفّان مُكعَّبان ، فسلَّم عليّ ؛ فقلت له : كيف أنت أبا كعب ؛ فقال : بخير أبا عمرو ؛ فقلت : احْزِق الزِّير وأَرْخِ البَمّ ففعل ؛ وضرب فأجاد ؛ فقال بشرٌ لأصحابه : تلومونني على أن آذنَ له في كلّ حال ! ثم أقبل عليّ فقال : أبا عمرو ، من أين وقع لك حَزْقُ الزير ؟ فقلت : ظننت أنّ الأمر هناك ؛ فقال : فإنّ الأمر كما ظننتَ هناك كلّه . ثم قال : فمن أين تعرف حُنَيناً ؟ فقلت : هذا بطَّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفه ؟ فضحك ، وغنّى حُنين فأجاد ، فطرِبَ وأمّر له بجائزة ، ثم ودّعتُه وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ؛ فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وانصرفتُ . وقد وجدت هذا الخبر

1 خشك شوي : قميص خشن . خشكون : زاهي اللون . مستقة : فرو طويل الكمّ أو جبّة واسعة . وجميعها كلمات معرّبة عن الفارسية .

بخطّ أبي سعيد السُّكَّريّ يأْثُره[1] عن محمد بن عثمان المخزوميّ عن أبيه عن جدّه : أنّه كان عند بِشْر بن مروان يوم دخل عليه الشّعبيّ هذا المَدخل وأنّ حنين بن بَلْوَع غنَّاه: [من الطويل]

هُمُ كتموني سَيْرَهمْ حين أزمَعُوا وقالوا اتّعدنا للرَّواحِ وبَكَّرُوا

وهذا القول خطأ قبيح ، لأنّ هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعَلُّويَه رمل بالوسطى ، وغُنِّي للمأمون فيه فقال : سَخِرُوا من أبي الفضل أعزّه الله .

[شيء من أوصاف الحيرة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي ، وقال أبو عُبَيد الله الكاتب حدّثني سليمان بن بِشْر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال : وكان بعض وُلاة الكوفة يذُمُّ الحِيرة في أيّام بني أميّة ، فقال له رجل من أهلها ، وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيبُ بلدةً بها يُضْرَب المثل في الجاهليّة والإسلام ؟ قال : وبماذا تُمدح ؟ قال : بصحّة هوائها ، وطِيب مائها ، ونُزهة ظاهرها ، تَصلُح للخُفِّ والظِّلف ، سَهْلٌ وجَبَلٌ ، وباديةٌ وبُسْتان ، وبَرٌّ وبَحْرٌ ، مَحَلُّ الملوك ومَزارُهم ، ومسكنُهم ومَثواهم ، وقد قَدِمْتَها ، أصلحك الله ، مُخِفّاً فرجَعْتَ مُثقِلاً ووَرَدتها[2] مُقِلاًّ فأصارتك مُكثِراً ؛ قال : فكيف نعرفُ ما وصفتَها به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إليّ ، ثم ادعُ ما شئتَ من لذّات العيش ، فوالله لا أجوزُ بك الحِيرة فيه ؛ قال : فاصنع لنا صنيعاً واخرُج من قولك ؛ قال : أفعلُ ؛ فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خُبْزها وسَمَكها وما صِيدَ من وَحشها : من ظِباءٍ ونَعامٍ وأرانبَ وحُبارى ، وسقاهم ماءَها في قِلالها ، وخَمْرَها في آنِيَتها ، وأجلسهم على رَقمها[3] ، وكان يُتَّخذ بها من الفُرُش أشياءُ ظريفة ، ولم يستخدم لهم حُرّاً ولا عَبْداً إلاّ من مُوَلَّديها ومولَّداتها من خَدَمٍ ووصائف ووُصَفاء كأنّهم اللؤلؤ ، لُغَتُهم لُغة أهلها ، ثم غنّاهم حُنين وأصحابه في شِعر عَدِيّ بن زيد شاعرهم وأَعشى همدان لم يتجاوزهما ، وحَيَّاهم برَياحِينها ، ونَقَّلهم على خَمرها ، وقد شرِبوا بفواكهها ؛ ثم قال له : هل رأيتني استعنتُ على شيء ممّا رأيت وأكلتَ وشَرِبتَ وافترشتَ وشَمَمْت وسَمِعتَ بغير ما في الحِيرة ؟ قال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صفة بلدك ونَصَرْتَه فأحسنتَ نُصْرَتَه والخروج ممّا تَضَمَّنته ، فبارك الله لكم في بلدكم .

---

1 يأثره : يرويه .

2 ل : وزرتها .

3 الرقم : ضرب مخطّط من الوشي أو الخزّ .

[المغنّون المشهورون بالحيرة غير حنين]

قال إسحاق : ولم يكن بالحيرة مذكورٌ في الغِناء سوى حُنين إلاّ نَفَراً من السِّدرِيِّين يقال لهم : عَباديس ، وزَيد بن الطُّلَيس ، وزيد بن كعب ، ومالك بن حُمَمَة ، وكانوا يغنّون غناء الحِيرة بين الهَزَج والنَّصْب[1] وهو إلى النصب أقرب ولم يُدوّن[2] منه شيءٌ لسقوطه وأنّه ليس من أغاني الفحول . وما سمِعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلاّ لمالك بن حُمَمة ، أخبرني به عمّي عن عبد الله بن أبي سَعْد .

[عمره ونسبه]

وقال وَكِيع في خبره عن إسحاق حدّثني أبو بِشْر الفَزاريّ قال حدّثني بِشْر بن الحسين بن سليمان بن سَمُرَة بن جُنْدَب قال : عاش حُنين بن بَلْوَع مائة سنة وسبع سنين ، وكان يقال إنّه من جَدِيس ؛ قال وقيل أيضاً : إنّه من لَخْم ؛ وكان هو يزعم أنّه عِباديّ وأخواله من بني الحارث بن كعب .

[غنّى حفيده إبراهيم بن المهديّ وقصّ عليه خبر جدّه مع ابن سريج]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال : كنتُ مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عونٍ العِباديّ ، فأتاني عَوْن بابن ابن حُنين بن بَلْوَع ، وهو شيخ ، فغنّاني عدّةَ أصوات لجَدِّه ، فما استحسنتها ، لأنّ الشيخ كان مشوّه الخَلْق[3] ، طَنَّ الغِناء[4] ، قليلَ الحلاوة ، إلاّ أنّه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يَفْرُغ منه ، فغنّاني صوتَ ابن سُرَيج : [من الكامل]

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ... مـا بينَ قُلّةِ رأسِه والمِعْصَمِ

فما أذكر أنّي سمِعتُه من أحد قطّ أحسنَ ممّا سمعتُه منه ، فقلتُ له : لقد أحسنت في هذا الصوت ، وما هو من أغاني جَدّك ولا من أغاني بلدك ، وإنّي لأعجبُ من ذلك ! فقال لي الشيخ : والصليب والقُربان ما صُنِع هذا الصوت إلاّ في منزلنا وفي سِرْداب لجَدّي ، ولقد كاد أن يأتي على نفس عمّتي ؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال :

[ضافه ابن سريج متنكّراً فأكرمه]

حدّثني أبي أنّ عُبيد بن سُرَيج قدم الحِيرة ومعه ثلثمائة دينار . فأتى بها منزلنا في ولاية

1 النصب : غناء يشبه الحداء إلاّ أنّه أرقّ .
2 ل : يذروا .
3 ل : مشتد الخلق .
4 ل : كزّ الغناء .

بِشْر بن مروان الكوفة ، وقال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكّة ، بلغني طِيبُ الحِيرة وجَودة خَمرها وحُسْن غِنائك في هذا الشعر : [من الوافر]

حَنَتْنِي حانيـاتُ الدهر حتّى كأنِّي خاتـلٌ يَدْنُـو لصَيْـدِ
قريبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآني ولستُ مُقَيَّـداً أنِّي بِقَيْـدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأُنفقها معك وعندك ، ونتعاشر حتى تَنْفَدَ وأَنصرف إلى منزلي . فسأله جَدِّي عن اسمه ونسبه فغيَّرهما وانتمى إلى بني مخزوم ، فأخذ جدّي المال منه وقال : موَفَّرٌ مالُك عليك ولك عندنا كلّ ما يحتاج إليه مثلُك ما نَشِطْتَ للمُقام عندنا ، فإذا دَعَتك نفسُك إلى بلدك جهَّزناك إليه ورددنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقته عليك إلى أن جئتَنا ، وأسكنه داراً كان ينفرد فيها ؛ فمكث عندنا شهرين لا يعلم جَدِّي ولا أحدٌ من أهلنا أنّه يُغَنِّي ، حتى انصرف جَدِّي من دار بِشْر بن مروان في يومٍ صائفٍ مع قيام الظَّهيرة ، فصار إلى باب الدار التي كان أنزل ابن سريج فيها فوجده مُغْلَقاً فارتاب بذلك ، ودقَّ الباب فلم يُفتح له ولم يُجبْه أحدٌ ، فصار إلى منازل الحُرَم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريه ، ورأى ما بين الدار التي فيها الحُرَم ودار ابن سُريج مفتوحاً ، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتُل ابنته ؛ فلمّا دخلها رأى ابنته وجواريه وقوفاً على باب السِّرداب وهُنَّ يُومِئنَ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء ، فلم يلتفت إلى إشارتهنّ لِمَا تداخَلَه ، إلى أن سَمِع تَرَنُّمَ ابن سريج بهذا الصوت ، فألقى السيف من يده وصاح به ، وقد عَرَفه من غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعت والحذْق : أبا يحيى ، جُعِلتُ فداءك ، أتيتنا بثلثمائة دينار لتُنفِقَها عندنا في حِيرتنا ! فوحقِّ المسيح لا خرجتَ منها إلاّ ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك ، ثم دخل إليه فعانقه ورحَّب به ولَقِيَه بخلاف ما كان يلقاه به ، وسأله عن هذا الصوت ، فأخبره أنّه صاغه في ذلك الوقت . فصار معه إلى بشر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم أوّلَ مرّةٍ ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها ؛ فلمّا أراد الخروج ردّ عليه جدّي مالَه وجَهَّزه ووصلَه بمقدار نفقته التي أنفقها من مكّة إلى الحِيرة ، ورجع ابن سريج إلى أهله وقد أخذ جميع مَن كان في دارنا منه هذا الصوت .

[استقدامه إلى الحجاز ووفاته]

أخبرني عمِّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني حسَّان بن محمد الحارثيّ قال حدّثنا عبد الله قال حدّثنا عبيد بن حُنَين الحِيرِيّ قال : كان المغنُّون في عصر جدِّي أربعة نفرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحدَه بالعراق ، والذين بالحجاز : ابن سريج والغَريض ومعبد ، فكان يبلغُهم أنّ جدِّي حُنَيناً قد غنَّى في هذا الشعر : [من الكامل]

هَلاَّ بَكَيْتَ على الشبابِ الذاهبِ وكَفَفْتَ عن ذَمِّ المَشِيبِ الآئبِ
هـذا ورُبَّ مُسَوِّفِينَ سَقَيْتُهُمْ من خمر بابلَ لَذَّةً للشارِبِ
بَكَـرُوا عَلَـيَّ بسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهم من ذات كُوب مثل قَعْبِ الحالِبِ
بزجاجة مِلْءِ اليَدَيْن كأنّها قِنْدِيلُ فِصْح في كَنيسة راهِبِ[1]

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جَدِّي وقالوا : ما في الدنيا أهلُ صناعة شرٌّ منّا ، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نزوره ولا نستزيره . فكتبوا إليه ووجّهوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون : نحن ثلاثةٌ وأنت وَحدَك فأنت أَولى بزيارتنا ، فشخَص إليهم ، فلمّا كان على مرحلة من المدينة بَلَغَهُم خبره فخرجوا يتلقّونه ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر حَشْراً ولا جمعاً من يومئذٍ ، ودخلوا ، فلمّا صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد : صِيرُوا إليَّ ؛ فقال له ابن سريج : إن كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لِمولاتي سكينة بنت الحسين عطَفْنا إليك ؛ فقال : ما لي من ذلك شيء ، وعدَلوا إلى منزل سُكَينة . فلمّا دخلوا إليها أَذِنَتْ للناس إذناً عامّاً فغَصَّت الدار بهم وصعِدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها ، ثم إنّهم سألوا جَدّي حُنيناً أن يغنّيهم صوته الذي أوّله : [من الكامل]

هلاَّ بكيتَ على الشبابِ الذاهبِ

فغنّاهم إيّاه بعد أن قال لهم : ابدءوا أنتم ؛ فقالوا : ما كنّا لنتقدَّمَك ، ولا نُغنِّي قبلك حتى نسمع هذا الصوت ؛ فغنّاهم إيّاه ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فازدحم الناس على السطح وكَثرُوا ليسمعوه ، فسقط الرِّواق على مَن تحته فسَلِموا جميعاً وأُخرِجوا أَصِحّاء ، ومات حُنين تحت الهدم ؛ فقالت سكينة عليها السلام : لقد كدّر علينا حُنين سرورنا ، انتظرناه مدّة طويلة كأنّا والله كنّا نسوقه إلى مَنِيّته .

[الغناء في الأصوات المتقدّمة]

نسبة ما في الخبر الأوّل[2] من الغناء

صوت

[من الكامل]

وَتَركْتُهُ جَـزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ما بينَ قُلَّـة رأسِهِ والمِعْصَمِ

1 فصح في ل : صبح .
2 سقطت من ل .

إن تُغْدِفي دُونِـي القِناعَ فإنّني ... طَبٌّ بأخـذ الفارسِ المُسْتَلئِمِ[1]

الشعر لعنترة بن شدّاد العبسيّ ، والغناء فيه لحنين ثاني ثقيلٍ . ومنها :

صوت

[من الوافر]

حَنَتْني حانِياتُ الدهـر حتّى ... كأنّي خاتِـلٌ يَدْنُـو لِصَيْـدِ
قَرِيبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآني ... ولَسْتُ مُقَيَّـداً أنّي بقَيْـدِ

الغناء لحُنين الحِيريّ ثقيل أوّل . وفيه لإبراهيم المَوْصِلِيّ ماخُوريّ جميعاً عن ابن المَكّيّ ، ووافقه عمرو بن بانة في لحن إبراهيم الموصليّ . ونسبة الشعر الذي غَنّاه حُنَينٌ في منزل سُكَينة ، عليها السلام ، يقال : إنّه لعَدِيّ بن زيد ، وقيل : إنّ بعضه له وقد أضافه المغنّون إليه . ولَحنُه خفيف ثقيل مُطلق في مجرى البِنصر عن إسحاق .

صوت من المائة المختارة

[من الكامل]

راعَ الفؤادَ تَفَـرُّقُ الأحبابِ ... يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أطْرابي
فَظَلِلتُ مكتئباً أُكَفْكِفُ عَبْرةً ... سَحّاً تَفِيضُ كواشِلِ الأسرابِ
لمّا تَنـادَوْا للرحيـلِ وقَرَّبـوا ... بُـزْلَ الجمال لِطِيَّـةٍ وذَهابِ
كاد الأسى يَقضي عليك صبابةً ... والوجهُ منك لِبَيْنِ إلفك كابي

عروضه من الكامل . والشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . [وقال حَبَشٌ : وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالوسطى] . وذكر حبش : أنّ للغريض أيضاً فيه خفيف ثقيل بالوسطى . ولمالك ثقيل أوّل بالوسطى . وهذه الأبيات قالها عمر بن أبي ربيعة في بنتٍ لعبد الملك بن مروان كانت حَجّت في خلافته .

[قصّة ابن أبي ربيعة مع بنت عبد الملك بن مروان]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال أخبرني أبو هَفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبيريّ والمدائنيّ ومحمد بن سَلاّم والمُسَيَّبيّ : أنّ بنتاً لعبد الملك بن مروان حجّت ، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعّده إن ذكرها في شعره بكلّ مكروه ؛ وكانت تحبُّ أن يقول فيها شيئاً وتتعرَّض لذلك ، فلم يفعل خوفاً من الحجّاج . فلمّا قضتْ حَجَّها خرجت فمرّ بها رجلٌ فقالت

---

1 أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . المستلئم : لابس اللأمة وهي الدرع .

له : مِن أين أنت ؟ قال : من أهل مكّة ؛ قالت : عليك وعلى أهل بلدك لعنةُ الله ، قال : ولِمَ ذاك ؟ قالت : حَجَجتُ فدخلتُ مكّة ومعي من الجواري ما لم تَرَ الأعين مثلهنّ ، فلم يستطع الفاسقُ ابن أبي ربيعة أن يُزوِّدنا من شعره أبياتاً نَلْهو بها في الطريق في سَفَرنا ! قال : فإنّي لا أراه إلاّ قد فعل ؛ قالت : فأْتِنا بشيء إن كان قاله ولك بكلّ بيتٍ عشرةُ دنانير ؛ فمضى إليه فأخبره ؛ فقال : لقد فعلتُ ، ولكن أُحبُّ أن تَكْتُمَ عليّ ؛ قال : أفعل ؛ فأنشده : [من الكامل]

راعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبابِ يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أطْرابي

وهي طويلة . وأنشده : [من الخفيف]

هاجَ قلبي تَذَكُّرُ الأحبابِ واعترتْني نوائبُ الأطرابِ

وهي طويلة أيضاً ، يقول فيها : [من الخفيف]

اقْتُليني قَتْلاً سريعاً مُريحاً لا تكوني عليّ سَوْطَ عَذابِ
شَفَّ عنها مُحَقَّق جَنَدِيٌّ فهي كالشمس من خلال سَحابِ[1]

ذكر حبشٌ : أنّ في هذه الثلاثة الأبيات للهُذَليّ ثاني ثقيل بالبِنصر ، قال : فعاد إليها الرجل فأنشدها هاتين القصيدتين فدفعتْ إليه ما وعدتْه به .

1 محقق في ل : مرفق .

[17] ـ ذكر الغريض وأخباره

[اسمه وكنيته وسبب لقبه]

الغريض لقبٌ لُقِّب به ، لأنّه كان طَرِيَّ الوجه نَضِراً غَضّ الشباب حَسَنَ المنظر ، فلُقِّب بذلك . والغريض : الطريّ من كلّ شيء . وقال ابن الكلبيّ : شُبِّه بالإغريض وهو الجُمّار فسُمِّي به ، وثَقُلَ ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه ، فقيل له : الغريض . واسمه : عبد الملك ، وكنيته : أبو يزيد[1] .

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ عن عمر بن شَبَّة عن أبي غسّان عن جماعة من المكِّيِّين : أنّه كان يكنى أبا مروان . وهو مولى العَبلات ، وكان مُوَلَّداً من مُوَلَّدِي البربر . وولاؤه وولاءُ يحيى قَيْل وسُمَيَّة للثُرَيَّا (صاحبة عُمر بن أبي ربيعة) وأخواتها : الرُّضَيَّا وقُرَيبة وأمّ عثمان بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر ، وقد مضت أخبارُهنّ في صدر الكتاب .

[أخذ الغناء عن ابن سريج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني محمد بن نصر الضُّبَعيّ قال حدّثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مسكين . وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى ، وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي الأزهر حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ والمدائنيّ ومحمد بن سلاّم ، وقد جمعت رواياتهم في قصّة الغريض ، قالوا : كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدفّ ويُوقع بالقضيب ، وكان جميلاً وَضِيئاً ، وكان يُصنِّع نفسه ويُبرِّقها[2] ، وكان قبل أن يُغنّيَ خيّاطاً . وأخذ الغناء في أوّل أمره عن ابن سريج ، لأنّه كان يخدمُه . فلمّا رأى ابن سريج طَبْعَه وظَرفه وحَلاوة مَنطِقه خَشيَ أن يأخذ غناءه فيغلبَه عليه عند الناس ويفوقه بحسنِ وجهه وجسده ؛ فاعتلّ عليه ، وشكاه إلى مَوْلياته ، وهنّ كنّ دَفَعنه إليه ليعلّمه الغناء ، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده ؛ فشكا ذلك إلى مَولياته وعرّفهنّ غرضَ ابن سريج في تنحيته إيّاه عن نفسه ، وأنّه حسده على تقدّمه ؛ فقلن له : هل لك في أن تسمع نَوحنا على قَتلانا فتأخذه وتُغنِّي عليه ؟ قال : نعم فافعلنَ ، فأسمَعنه المراثي فاحتذاها وخرّج غناءً عليها كالمراثي .

1 ل : زيد .

2 ل : يترفها .

[كان ينوح للنساء في المآتم]

وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضرب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كلَّ من سمعه . ولمّا كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشَّجا . فكان ابن سريج لا يغنّي صوتاً إلاّ عارضه الغريض فغنّى فيه لحناً آخر . فلمّا رأى ابن سريج موقع الغريض اشتدّ عليه وحسده ، فغنّى الأرمال والأهزاج فاشتهاها الناس ؛ فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قصَّرتَ الغناء وحذفته ؛ قال : نعم يا مخنَّث حين جعلتَ تَنُوح على أمّك وأبيك .

قال إسحاق وحدّثني أبو عبيدة قال : لما غضِب ابن سريج على الغريض فأقصاه وهجَره لحِق بحَوراء وبَغُوم ، جاريتين نائحتين كانتا في شعْب ابن عامر بمكّة ، ولم يكن قبلَهما ولا بعدَهما مثلُهما ، فرأتاه يوماً يعصر عينيه ويبكي ؛ فقالتا له : ما لك تبكي ؟ فذكر لهما ما صنع به ابن سريج ؛ فقالتا له : لا أَرقأَ الله دمعك ؛ الزُزْ رأسك بين ما أخذتَه عنه وبين ما تأخذه منّا ، فإن ضِعْتَ بعدها فأبعدك الله .

[عدّه جرير ضمن الأربعة المشهورين في الغناء]

قال إسحاق وحدّثني أبو عبد الله الزبيريّ قال : رأيت جريراً في مجلس من مجالس قريش فسمعته يقول : كان المغنُّون بمكّة أربعة ، فسيد مبرِّز وتابع مسدِّد ؛ فسألناه عن ذاك ، فقال : كان السيِّد أبو يحيى بن سريج والتابع أبو يزيد الغريض[1] .

[كان الناس لا يفرّقون بينه وبين ابن سريج]

وكان هناك رجل عالِم بالصناعة فقال : كان الغريض أحْذَق أهلِ زمانه بمكّة بالغناء بعد ابن سريج ، وما زال أصحابنا لا يُفرّقون بينهما لمقاربتهما في الغناء . قال الزبيريّ وقال بعض أهلي : لو حُكِّمتُ بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فرّقت بينهما ، وإنّما تَفضيلي أبا يحيى بالسَّبق ، فأمّا غير ذلك فلا ، لأنّ أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف وفي ميدانه جرى ، فكان كأنّه هو ؛ ولذلك قالت سُكينة لما غنّى الغريض وابن سريج : [من السريع]

عُوجِي علينا رَبّة الهودَجِ

والله ما أُفرِّق بينكما ، وما مَثَلُكما عندي إلاّ كَمَثَل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسان لا يُدرى أيّ ذلك أحسن .

[كان الغريض أشجى غناء من ابن سريج]

قال إسحاق : وسمعتُ جماعةً من البُصَراء عند أبي يتذاكرونهما ، فأجمعوا على أنّ الغريض أشجى غِناء ، وأنّ ابن سريج أَحكمُ صنعةً .

---

1 لم يذكر غير اثنين .

[غنّى الناس بجمع فحسبوه من الجنّ]

قال إسحاق وحدّثني أبو عبد الله الزبيريّ قال حدّثني بعض أهلي قال : حجَجنا فلمّا كنّا بِجَمْع سمعنا صوتاً لم نسمع أحسن منه ولا أَشْجَى ، فأصغى الناس كلّهم إليه تعجُّباً من حسنه[1] ، فسألت : مَن هذا الرجل ؟ فقيل لي : الغريض ، فتتابع جماعةٌ من أهل مكّة فقالوا : ما نعرِف اليومَ أحداً أحسنَ غناءً من الغريض ، ويدلّك على ذلك أنّه يعترض بصوته الحاجّ وهم في حجِّهم فيُصغون إليه . فسألوا الغريض عن ذلك ، فقال : نعم ، فسألوه أن يُغنِّيَهم فأجابهم ، وخرج فوقف حيث لا يُرى ، ويُسمع صوتُه فترنّم ورجَّع صوتَه وغنّى في شعر عمر بن أبي ربيعة : [من الخفيف]

أيّها الرائـحُ المُجِـدُّ ابْتِكارا قد قضى مِن تِهامَـةَ الأَوْطارا

فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك الصوتِ ، وتكلّم الناس فقالوا : طائفةٌ من الجِنّ حُجَّاجٌ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

أيُّها الرائــحُ المُجِـدُّ ابتِكارا قد قضى مِن تِهامَـةَ الأَوْطارا
مَنْ يكنْ قلبُه الغَــداةَ خَلِيّـاً ففؤادي بالخَيْفِ أَمْسى مُعارا[2]
ليت ذا الحجّ كان حَتْماً علينا كلَّ شهرين حِجَّـةً واعتِمارا

عَروضه من الخفيف . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن محرز ، ولحنُه من القَدْر الأَوسط من الثقيل الثاني[3] بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لحن للغريض من رواية حمّاد عن أبيه .

[غنّى هو ومعبد وابن سريج على أبي قبيس فعفا الوالي عنهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أنّ معبداً وابن سريج والغريض اجتمعوا بمكّة ذات ليلة فقالوا : هَلُمَّ نَبْكِ أهلَ مكّة ، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مَرْوِيّاً عن يونس الكاتب : أنّ أميراً من أمراء مكّة أمر بإخراج المُغنِّين من الحَرَم ، فلمّا كان في الليلة التي عزم بهم على

1 ل : واستحساناً .
2 معارا في ل : مطارا .
3 ل : الأوّل .

النَّفي في غَدِها اجتمعوا على أبي قُبَيْس ، وكان مَعبد قد زارهم ، فبدأ معبد فغنّى ، كذا رُوي عن يونس ولم يذكره الباقون : [من الطويل]

صوت

أَتِرْبَيَّ مِـــن أَعْلى مَعَدّ هُدِيتُما ... أَجِدّا البُكا إنّ التفرُّقَ باكِرُ[1]

فما مُكْثُنا دام الجَمِيلُ عليكما ... بِثَهْـلان إلاّ أنْ تُـــزَمّ الأباعِرُ

عَرُوضه من الطويل . هكذا ذكره ولم ينسُبه ولا جنّسه ، قال : فتأوّه أهل مكّة وأنُّوا وتمخَّطُوا . واندفع الغريض يُغنّي : [من الخفيف]

أيُّها الرائــحُ المُجِـدُّ ابتِكارا ... قــد قضى مِن تِهامَةَ الأَوطارا[2]

فارتفع البكاء والنحيب . واندفع ابن سريج يغنّي : [من الخفيف]

جَدِّدِي الوصلَ يا قُريبُ وجُودِي ... لُمحـبٍّ فِراقُـــه قـــد أَلَمّا

ليس بـين الحيـاةِ والمـــوتِ إلاّ ... أن يَـــرُدُّوا جِمالَهُـــمْ فتُزَمّــا

فارتفع الصراخ من الدُّور بالوَيْلِ والحرب . قال يونس في خبره : واجتمع الناسُ إلى الأمير فاستعفَوْه من نفيهم فأعفاهم . وذكر الباقون أنّ الغريض ابتدأ بلَحْنه :

أيُّها الراكب المُجِـدّ ابتِكارا

وتلاه ابن سريجٍ في «جَدِّدِي الوصل» . قال : وارتفع الصراخ فلم يُسْمَع من معبد شيء ولم يقدِر على أن يُغنّي .

[غنّت شطباء المغنية على بن جعفر فطرب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعديّ قال : حضَرتُ شَطْباء المغنِّية جارية عليّ بن جعفر ذات يوم تُغنّي : [من الخفيف]

ليس بين الرَّحِيل والبَيْنِ إلاّ ... أنْ يَرُدُّوا جِمالَهم فتُزَمّا[3]

فطرِب عليّ بن جعفر وصاح : سبحان الله العظيم ! ألا يُوكُونَ[4] قِرْبة ! ألا يَشُدُّون مَحْمِلا ؟ ألا يُعَلِّقون سُفْرة ؟ أَلا يُسَلِّمون على جارٍ ؟ هذه والله العجلةُ .

[لمّا ماتت الثريّا ناح عليها الغريض]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن

---

1 أعلى في ل : عليا .

2 الرائح في ل : الراكب .

3 البين في ل : والموت .

4 أوكى القربة : ربط رأسها .

يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال : قال لي كَثِير بن كَثِير السَّهْمِيّ : لمّا ماتتِ الثريّا أتاني الغَريض فقال لي : قل لي شعراً أَبْكِ به عليها ؛ فقلت :

صوت

[من الوافر]

أَلا يـا عينُ مالَكِ تَدْمَعِينا أَمِنْ رَمَـدٍ بكِيتِ فتُكْحَلِينا
أَمَ انتِ مريضةٌ تَبْكِين شَجْواً فَشَجْوُكِ مثلُهُ أبكـى العيونا

فناح به عليها . قال : وأخبرني مَن رآه بين عمودَيْ سَريرها يَنوح به . الغناء للغريض في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكّيّ . وفيه ثقيلٌ أوّلُ مجهول .

[ساوت سكينة بينه وبين ابن سُرَيج]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن سلام وأخبرنا وَكِيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم عن جرير ، ورواه حمّاد عن أبيه عن ابن سلام عن جرير أيضاً : أنّ سُكَينة بنت الحسين عليه السلام حجّت فدخل إليها ابن سريج والغريض وقد استعار ابن سريج حُلّةً لامرأة من قريش فلَبِسَها ؛ فقال لها ابن سريج : يا سيّدتي ، إنّي كنتُ صنعتُ صوتاً وحَسَّنْته وتَنَوَّقْت[1] فيه ، وخبأته لك في حريرةٍ في دُرج مملوءٍ مِسكاً فنازَعَنِيه هذا الفاسق ؛ يعني الغريض ، فأردنا أن نتحاكم إليك فيه ، فأيُّنا قَدَّمْتِهِ فيه تقدَّم ؛ قالت : هاته ؛ فغنّاها : [من السريع]

عُوجِي علينـا رَبَّـةَ الهَوْدَجِ إنّكِ إلاّ تَفعَلِـي تَحْرَجِـي

فقالت : هاتِه أنتَ يا غريض ؛ فغنّاها إيّاه ؛ فقالت لابن سريج : أعِدْه ، فأعاده ، وقالت : يا غريض ، أعِده ، فأعاده ؛ فقالت : ما أُشَبِّهُكُما إلاّ بالجَدْيَيْن[2] : الحارّ والبارد لا يُدرى أيُّهما أطيب . وقال إسحاق في خبره : ما أشَبِّهُكُما إلاّ باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسان لا يُدرى أيّهما أحسن .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجِي علينـا رَبَّـةَ الهَوْدَجِ إنّـكِ إلاّ تَفْعَلِـي تَحْرَجِـي
إنِّي أُتِيحـتْ لي يَمانِيَّـةٌ إحدى بني الحارثِ من مَذحِجِ

---

1 تنوق في الشيء : جوده .
2 ل : بالحد بين .

نَلْبَثُ حَوْلاً كاملاً كُلَّه لا نلتقي إلاّ على مَنْهَجِ
في الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نالَ مُحِبٌّ لدى بَيْنِ حبيبٍ قولُهُ عَرِّجِ

عَروضه من السريع ، والشعرُ للعَرْجيّ ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش . ولإسحاق في الأوّل والثالث ثقيل أوّلِ بالبِنصر عن عمرو . وللأَبْجَر فيه ثاني ثقيل بالخِنصر في مجرى البِنصر عن ابن المكيّ . ولِعلّويَهْ خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ . ولحكَم خفيفُ رملٍ عنه أيضاً .

[غنّى عطاء بشعر العرجيّ فردّه عليه]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن بِشْر قال حدّثني إبراهيم بن المنذر قال حدّثني حمزة بن عتبة اللّهبيّ عن عبد الوهّاب بن مُجاهد أو غيره قال : كنت مع عَطاء بن أبي رَباح فجاءه رجل فأنشده قولَ العرجيّ :

إنّي أُتيحَتْ لي يمانِيَةٌ

وذكر الأبيات وختمها بقوله : [من السريع]

في الحجّ إن حَجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُه إنْ هي لم تَحْجُجِ

قال فقال عطاء : بمنًى والله وأهلِه خَيْرٌ كثيرٌ إذ غيَّبها الله وإيّاه عن مشاعره .

[قصّة الأوقص المخزوميّ مع سكران يغنّي]

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق قال : وَلِيَ قضاءَ مكّة الأَوْقَصُ المخزوميّ فما رأى الناس مثلَه في عفافه ونُبْلِه ، فإنّه لنائم ليلة في جَناح له إذ مرّ به سكران يتغنّى : [من السريع]

عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ

فأشرف عليه فقال : يا هذا شرِبتَ حراماً ؛ وأيقظتَ نِياماً ؛ وغنّيتَ خطأً ؛ خُذْه عنّي . فأصلحَه له وانصرف .

[عطاء بن رباح والأبجر المغنّي]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق عن حمزة بن عُتبة اللهبيّ قال : مرّ الأبجر بعَطاء وهو سكرانُ فعذَله وقال : شهّرتَ نفسَك بالغِناء وٱطّرَحْتَها وأنت ذو مُروءة ، فقال : امرأته طالقٌ ثلاثاً إنْ برِحْتَ أو أُغنّيَك صوتاً ، فإن قلتَ لي : هو قبيحٌ تركتُه ؛ فقال له عطاء : هات ويحك ! فقد أضررتَ بي ، فغنّاه : [من السريع]

في الحجّ إنْ حجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُـه إنْ هـي لم تَحْجُـجِ

فقال له عطاء : الخيرُ والله كلُّه هناك حجّتْ أو لم تَحُجّ ، فاذهب الآن راشداً فقد برّتْ يمينُكَ .

[ابن أبي عتيق والغريض]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني المُغيرة بن محمد قال حدّثني هارون بن موسى الفَرْويّ قال حدّثني بعضُ المَدَنِيِّين قال : خرج ابن أبي عتيق على نجيبٍ له من المدينة قد أَوْقَرَه من طُرَف المدينة المَشارِبَ[1] وغير ذلك ، فَلَقِيَ فتًى من بني مَخزُوم مُقبِلاً من بعض ضياعِه ، فقال : يا ابن أخي ، أتَصْحَبُني ؟ قال : نعم ؛ قال المخزوميّ : فمضَينا حتى إذا قرُبْنا من مكّة جَنَبْنا عنها حتّى جُزْناها فصِرْنا إلى قصرٍ ، فاستأذن ابن أبي عتيق فأُذِن له ، فدخلنا فإذا رجل جالسٌ كأنّه عجوزٌ بربريّة مُختضبة ، لا أَشكّ في ذلك ، وإذا هو الغريض وقد كَبِر ، فقال له ابن أبي عتيق : تشوّقْنا إليك ، وأهدى له ما كان معه ، ثم قال له : نُحِبّ أنْ نسمعَ ؛ قال : ادْع فُلانةَ ، جاريةً له ، فجاءت فغنّت ، فقال : ما صنعتِ شيئاً ، ثم حلَّ خضابَه وغنّى : [من السريع]

عُوجِي علينـا ربَّةَ الهَوْدَجِ

فما سمعتُ أحسنَ منه قطُّ ، فأَقمنا عنده أيّاماً كثيرة وخَبّازُه قائمٌ وطعامُه كثير . ثم قال له ابن أبي عتيق : إنّي أريد الشُّخُوص ، فلَم يَبْقَ بمكّة تُحفةُ عَدَنِيّ ولا يَمانٍ ولا عُودٌ إلاّ أَوقَر به راحلته . فلمّا ارتحلنا وبرَزْنا صاح به الغريض : هيًا هيًا ، فرجعنا إليه ؛ فقال : ألَم تَرْوُوا عن النبيّ ﷺ أنّه قال : «يُحشَر من بَقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلةَ البدر» ! فقال له ابن أبي عتيق : بلى ؛ فقال : هذه سِنٌّ لي انتزَعَتْ فأُحِبّ أن تَدْفِنَها بالبقيع ، فخرجنا والله أَخْسَر اثنين لم نعتَمِر ولم ندخُل مكّة ، حاملين سِنّ الغريض حتّى دفنّاها بالبقيع .

[غنّى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال : خرج الغريض مع قوم فغنّاهم هذا الصوت : [من الطويل]

جرى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها فقرّبَني يومَ الحِصابِ إلى قَتْلي

فاشتدّ سرورُ القوم ، وكان معهم غلام أعجبه ، فطلب إليهم أن يُكلِّموا الغلامَ في الخَلْوة معه ساعةً ففعلوا ، فانطلق مع الغلام حتّى توارى بصخرة ، فلمّا قضى حاجته أقبل الغلام إلى

1 المشارب : جمع مشربة وهي إناء للشرب .

القوم ، وأقبل الغريض يتناول حَجَراً حَجَراً يَقرَع به الصخرة ، ففعل ذلك مراراً ، فقالوا له : ما هذا يا غريض ؟ قال : كأنّي بها قد جاءت يومَ القيامة رافعةً ذَيْلها تَشْهد علينا بما كان منّا إلى جانبها ، فأردتُ أن أُجَرِّح شهادتَها عليّ ذلك اليوم .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

جَرى ناصِحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وبينَها ... فقرَّبني يــومَ الحِصاب إلى قَتْلِي
فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتر إنّما ... معي فتحدَّثْ غَيْرَ ذي رِقْبَةٍ أهلِي
فقلتُ لهــا ما بــي لهم من تَرَقُّبٍ ... ولكنَّ سِرِّي ليس يَحمِلُــهُ مِثْلِي

عَرُوضه من الطويل ، الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنصَر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات . وذكر يونس أنّ فيه لَحْناً لمالك ، وفيه للغريض خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَشٍ والهشاميّ وعليّ بن يحيى وحمّاد بن إسحاق . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش . ولابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى عنه .

[كان عمر وجميل يتعارضان في قول الشعر]

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن المُسَيَّبيّ والمدائنيّ وابن سلاّم : أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُعارض جميلاً ، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلَها ، فيقال : إنّ عمر في الرائيّة والعينيّة أشعرُ من جَميل ، وإنّ جميلاً أشعرُ منه في اللاميّة . وقال الزبير فيما أخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء عنه : من الناس من يُفَضِّل قصيدة جَميل اللاميّة على قصيدة عمر ، وأنا لا أقول هذا ، لأنّ قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة ، فيها طوالعُ النَّجْد وخوالدُ المَهْد ، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة مَلْساء المتون ، مُستوية الأبيات ، آخِذٌ بعضُها بأذناب بعض ، ولو أنّ جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأُرْتِجَ عليه وعَثَر كلامُهُ به .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مَولى هشام بن الوليد المخزوميّ وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أبــا الحارثِ قَلْبِي طائـرٌ ... فاستمِعْ قَوْلَ رشيدٍ مُؤْتَـمَنْ

قال : شَهِدتُ عمر بن أبي ربيعة وجميلاً بالأَبْطَح ، فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

لقد فَرِحَ الواشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي　　بُثَيْنَةُ أو أَبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ

ثم قال : يا أبا الخطّاب ، هل قلتَ في هذا الوزن شيئاً ؟ قال : نعم ؛ فأنشده قوله: [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وبَيْنَها

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ، والله لا أقول مثلَ هذا سَجِيسَ الليالي ؛ والله ما خاطبَ النساءَ مخاطبتك أحدٌ ؛ وقام مُشَمِّراً .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : رأيتُ علماءنا جميعاً[1] لا يشكُّون في أنّ أحسن ما يُرْوى في تعظيم[2] السرّ قولُ عمر : [من الطويل]

ولكـــنَّ سِرِّي ليس يَحْمِله مِثْلِي

قال الزُّبير : وحدّثني محمد بن إسماعيل قال حدّثني ابن أبي الزِّناد قال : إنّما اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجِناب .

[سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه]

أخبرني محمد بن أحمد الطَّلَّاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَزَّاز عن المدائنيّ : أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة ، فلمّا بلغ إلى قوله : [من الطويل]

فقُمْنَ وقـد أَفْهَمْنَ ذا اللبِّ أنّما　　فَعَلْنَ الذي يَفعَلْنَ مِن ذاك مِن أَجْلِي

صاحَ الفرزدق وقال : هذا واللهِ الشعرُ الذي أرادتْهُ الشعراء فأخطأَتْهُ وبَكَتِ الديارَ .

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني سِوى قصيدة جميل فإنّ لها أخباراً تُذكَر مع أخباره

فمن ذلك قصيدة عمر التي أوّلها : [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وبينها

صوت

[من الطويل]

قِفِـي البغلـةَ الشهباءَ باللهِ سَلِّمِي　　عُزَيزة ذاتَ الدَّلِّ والخُلُق الجَزْلِ

فَلَمّـا تَواقَفْنا عَرَفْـتُ الذي بها　　كمِثْلِ الذي بي حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ

1 جميعاً في ل : كلهم .

2 ل : حفظ .

فقُلنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا قريبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِي مَرْكَبَ البَغْلِ

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبد في الأوّل والثاني ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانَة وعليّ بن يحيى ، وقيل إنّه لمالك . ولابن مُحرز في الثاني والثالث خفيف ثقيل أوّل بالبِنصَر عن الهشاميّ . ولابن سريج في الأوّل ثقيل والثاني خفيف آخر بالوسطى وهو الذي فيه استهلال . ولمالك في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالبِنصَر . ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ . ومنها : [من الرمل]

صوت

يا أبا الحارثِ قَلْبِي طائرٌ فاستمِعْ قولَ رشيدٍ مؤتمَنْ[1]
ليس حُبٌّ فوق ما أحببتُكم غيرَ أن أقتُلَ نفسي أو أُجَنّ
حَسَنُ الوجهِ نقيٌّ لونُهُ طيبُ النَّشْرِ لذيذُ المحتضَنْ

عروضه من الرمل ، الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنّه لابن عائشة ، وذكر ابن المكيّ أنّه للغريض في الثاني والثالث ، وفيهما رمل يقال إنّه لأهل مكّة ، ويقال : إنّه لعبد الله بن يونس صاحب أَيلَة . وفيه ثقيل أوّلُ ذكر حَبَشٌ أنّه لابن سريج ، وذكر غيره أنّه لمحمد ابن السِّنْديّ المكّيّ ، وأنّه غنّاه بحضرة إسحاق فأخذه عنه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَرُ بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال : كان ابن عائشة يُغنّي الهَزَج والخفيف ؛ فقيل له : إنّك لا تستطيع أن تُغنّي غناءً شجيّاً[2] ثقيلاً ؛ فغنّى : [من الرمل]

يا أبا الحارث قلبي طائِرٌ

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

[قيل إنّه كان يتلقّى غناءه عن الجنّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عباية عن مولًى لآل الغريض قال : حدّثني بعض مَوْلياتي وقد ذَكَرْنَ الغريض فترحَّمْنَ عليه وقُلْن : جاءنا يوماً يحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عَرَفنا بعد ذلك حقيقته ، وكان من أحسن الناس وجهاً صغيراً وكبيراً ، وكنّا نَلْقى من

1 قول في ل : أمر . وقد ورد البيت في ترجمة عمر برواية «فائتمر أمر رشيد مؤتمن» وكذلك هو في الديوان .
2 ل : نقيّاً .

الناس عَنَتاً بسببه ، وكان ابن سريج في جِوارنا فدفعناه إليه فَلَقِنَ الغناء ، وكان من أحسن الناس صوتاً ففتَن أهلَ مكّةَ بحُسْن وجهه مع حُسْن صوته ، فلمّا رأى ذلك ابن سريج نَحّاه عنه ، وكانت بعض مَوْلَياته تُعَلِّمه النِّياحة فَبَرَّز فيها ، فجاءني يوماً فقال : نَهَتْني الجنُّ أن أنُوح وأسمعتْني صَوتاً عجيباً فقد ابتنيتُ عليه لحناً فاسمعيه منّي ، واندفع فغنّى بصوت عجيب في شعر المَرّار الأسديّ : [من الطويل]

حَلَفْتُ لها بالله ما بَيْنَ ذي الغَضا وهضْبِ القَنانِ من عَوانٍ ولا بِكْرِ[1]
أحَبُّ إلينا منكِ دَلاًّ وما نَرى بـه عند لَيْلى من ثوابٍ ولا أجرِ

فكذّبناه وقلنا : شيء فكّر فيه وأخرجه على هذا اللحن[2] ، فكان في كلّ يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحةَ صوتاً من الجنّ بترجيع وتقطيع قد بَنَيْتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يَزل على ذلك ونحن نُنْكِر عليه ؛ فإنّا لكذلك ليلةً وقد اجتمع جماعةٌ من نساء أهل مكّة في جَمْع لنا سَهِرْنا فيه ليلتنا والغريض يُغنّينا بشعر عمر بن أبي ربيعة : [من المتقارب]

أمِنْ آلِ زينبَ جدَّ البُكُورُ نَعَمْ فلأيٍّ هواها تَصِيرُ

إذ سَمعنا في بعض الليل عَزيفاً عجيباً وأصواتاً مختلفة ذَعَرَتْنا وأفزَعَتْنا ، فقال لنا الغريض : إنّ في هذه الأصوات صوتاً إذا نِمْتُ سمعتُه ، وأُصبح فأبْني عليه غنائي ؛ فأصغينا إليه فإذا نَغَمَتُهُ نغمة الغريض بعينها فصدَّقناه تلك الليلة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها . . . . البيتان

عَروضه من الطويل . غنّاه الغريض ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن حَبَشٍ . قال : ولعلُّويَهْ فيه ثقيل أوّل آخر بالبنصر .

ومنها[3] : [من المتقارب]

صوت

أمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدَّ البُكُورُ نَعَمْ فلأيٍّ هواها تَصِيرُ

1 القنان : جبل لبني أسد .
2 ل : الحسن .
3 الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة (طبعة دار صادر) : 154 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

أبالغَوْر أم أَنْجدَتْ دارُها وكانتْ حَديثاً بعهدي تَغُورُ
نَظَـرتُ بخَيْفِ مِنًى نظرةً إليهـا فكاد فـؤادي يَطِيرُ
هي الشمسُ تَسْرِي بها بَغْلَةٌ وما خِلْتُ شمساً بليلٍ تسيرُ
أَلَـمْ تَـرَ أنّـكَ مستشرفٌ وأنّ عدوّك حَوْلِي حضورُ

عروضه من المتقارب . الشعر للنُّميريّ ، وقيل : إنّه ليزيد بن معاوية . والغناء لسِياط خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيه خفيف ثقيلٍ بالوسطى ؛ أوّله :

هي الشمسُ تَسْرِي بها بَغْلَةٌ

وفيه للغريض ثاني ثقيل بالبِنصر عن الهشاميّ وحمّاد ، وذكر غيرهما أنّه لابن جامع . وذكر حبش أن فيها لابن محرز ثقيلاً أوّل بالبنصر .

[أرسله ابن أبي ربيعة إلى سكينة فغنّاها بشعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصعب الزُّبيريّ : اجتمع نسوةٌ فذكرنَ عمر بن أبي ربيعة وشعره وظَرفه وحُسن مجلسه وحديثه وتشوَّقنَ إليه وتمنَّينه ؛ فقالت سُكَينة : أنا لَكُنَّ به ، فبعثَت إليه رسولاً ووعدته الصَّوْرَين[1] لليلة سَمَّتها ، فوافاها على رواحله ومعه الغريض ، فحدّثهنّ حتى وافى[2] الفجر وحان انصرافهنّ ، فقال لهنّ : إنّي والله لمشتاق إلى زيارة قبر النبيّ ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أَخلِط بزيارتكنّ شيئاً ، ثم انصرف إلى مكّة وقال : [من البسيط]

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا قلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرحيلُ غَدا

قال : وانصرف عمر بالغريض معه ، فلمّا كان بمكّة قال عمر : يا غَريض ، إنّي أريد أن أخبرك بشيء يتعجّل لك نفعُهُ ويبقى لك ذكرُه ، فهل لك فيه ؟ قال : افعل من ذلك ما شئت وما أنت أهلُه ؛ قال : إنّي قد قلتُ في هذه الليلة التي كنّا فيها شعراً فامضِ به إلى النِّسوة فأَنشِدْهُنّ ذلك وأخبِرهنَّ أنّي وَجَّهتُ بك فيه قاصداً[3] ؛ قال : نعم . فحمَل الغريض الشعر ورجَع إلى المدينة فقصد سُكَينة وقال لها : جُعلتُ فداكِ يا سيِّدتي ومولاتي ، إنّ أبا الخطّاب ، أبقاه الله ، وجَّهني إليك قاصداً ، قالت : أَوَلَيْس في خيرٍ وسرور تركتَه ؟ قال : نعم ؛ قالت : وفيمَ وجّهك أبو الخطّاب حَفِظه الله ؟ قال : جُعلت فداك ، إن ابن أبي ربيعة حمّلني شعراً

---

1 الصوران : موضع بالمدينة .
2 ل : رأى .
3 ل : عامداً .

وأمرني أن أُنشِدَكِ إيّاه ؛ قالت : فهاته ، قال فأنشدها : [من البسيط]

ألْمِمْ بزينبَ إن البَيْن قد أَفِدا قَلَّ الثَّواءُ لئِن كان الرحيلُ غدا

الشعر كلّه ؛ قالت : فيا وَيْحَه ! فما كان عليه ألاّ يرحَل في غده ؛ فوجّهتْ إلى النِّسوة فجمعتْهنّ وأنشدتهنّ الشعر ، وقالت للغريض : هل عَمِلْتَ فيه شيئاً ؟ قال : قد غنّاهُ ابن أبي ربيعة ؛ قالت : فهاته ، فغنّاه الغريض ؛ فقالت سكينة : أحسنتَ والله وأحسنَ ابن أبي ربيعة ، لولا أنّك سبقتَ فغنّيته عمر قبلنا لأَحْسَنّا جائزتك ، يا بُنانة ، أعطِيهِ بكلّ بيت ألفَ درهم ، فأخرجت إليه بُنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه ؛ وقالت سكينة : لو زادَنا عُمَر لَزِدناك .

نسبة هذا الغناء

صوت

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرَّحيلُ غَدا
قد حَلَفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْن جاهدةً وما على الحُرِّ إلاّ الصَّبْرُ مُجتَهِدا
لأختها ولأُخرى من مَناصِفِها لقد وَجَدتُ به فوقَ الذي وَجَدا[1]
لَعَمْرُها ما أراني إن نَوًى نَزَحتْ وهكذا الحبُّ إلاّ مَيّتاً كَمَدا

عَروضه من البسيط . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ، وله فيه لحنان : أحدهما رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، والآخر خفيف رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لحنٌ للغريض خفيف ثقيلٍ بالبِنصر عن الهشاميّ وحمّاد ، وذكر عمرو : أنّه لمالك ، أوّله الرابع ثم الأوّل ، ومن الناس مَن يَنسِبُ هذا إلى مَعبد ؛ وأوّله : [من البسيط]

يا أمّ طَلْحَةَ إن البَيْنَ قد أفِدا

وذلك خطأ ، اللحن الذي عَمِله معبد غير هذا وهو :

صوت

[من البسيط]

يا أمَّ طلحةَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا قَلَّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غَدا
أَمْسَى العِراقيُّ لا يدرِي إذا بَرَزَتْ مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركانِ أو سَجَدا

عروضه من البسيط . الشعر للأحوص ، ويقال : إنّه لعمر أيضاً . والغناء لمعبد ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

---

1 مناصف : جمع مِنصف وهو الخادم .

[غنّى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم قال : حجّت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فجاءتها الثريّا وأخواتها ونساء أهل مكّة القُرَشيّات وغيرُهنّ ، وكان الغريض فيمن جاء ، فدخل النسوة عليها فأمَرت لهنّ بكُسوة وألطاف كانت قد أعدّتها لمَن يَجيئها ، فجعلتْ تَخرج كلّ واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمَرتْ لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج مَولَياتُه مع جَواريهنّ الخِلَعُ والألطاف ؛ فقال الغريض : فأين نصيبي من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك وذهبتَ عن قلوبنا ؛ فقال : ما أنا ببارح من بابها أو آخُذَ بحظّي منها فإنّها كريمةٌ بنت كرام ، واندفع يغنّي بشعر جميل : [من الطويل]

تذكّرتُ لَيْلى فالفؤادُ عَمِيدُ وشَطّتْ نواهـا فالمَزارُ بعيدُ

فقالت : ويلكم ؛ هذا مولى العَبَلات بالباب يُذكّر بنفسه هاتوه ، فدخل ، فلمّا رأته ضحِكت وقالت : لم أعلم بمكانك ، ثم دَعَت له بأشياء أمَرت له بها ، ثم قالت له : إن أنت غَنّيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا (شيء سَمّتْه له ذهب عن ابن سلاّم) قال : فغنّاها في شعر كُثيّر : [من الطويل]

وما زِلتُ من لَيْلى لَدُن طَرّ شاربي إلى اليوم أُخْفِـي حبَّهـا وأُداجِنُ
وأَحمِـل في لَيْـلى لقـومٍ ضَغِينةً وتُحمَـل في لَيْـلى عَـليّ الضغائنُ

فقالت له : ما عَدَوْتَ ما في نفسي ، ووصَلَتْه فأجزلت . قال إسحاق : فقلت لأبي عبد الله : وهل علِمتَ حديث هذين البيتين ؟ ولم سألتَ الغريض ذلك ؟ قال : نعم .

[الشعبيّ عند مصعب بن الزبير وزوجه عائشة]

حدّثني أبي قال قال الشعبيّ : دخلتُ المسجد فإذا أنا بمُصعب بن الزبير على سرير جالسٌ والناس عنده ، فسلّمتُ ثم ذهبتُ لأنصرف ، فقال لي : ادْنُ ، فدنوتُ حتى وضعت يدي على مَرافقه ، ثم قال : إذا قمتُ فاتّبعني ، فجلس قليلاً ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى بن طلحة فتبعتُه ، فلمّا طَعَن في الدار التفتَ إليّ فقال : ادخُل ، فدخلتُ معه ومضى نحو حُجرته وتبِعتُه ، فالتفتَ إليّ فقال : ادخل ، فدخلتُ معه ، فإذا حَجَلة ، وإنّها لأوّل حَجَلة رأيتها لأمير ، فقمتُ ودخلَ الحجلة فسمعتُ حركة ، فكرهت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف ، فإذا جارية قد خرجت فقالت لي : يا شَعْبيّ ، إنّ الأمير يأمرك أن تجلس ، فجلستُ على وسادة ورُفع سَجْف الحجلة ، فإذا أنا بمُصعب بن الزبير ، ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة ، قال : فلم أرَ زوجاً قطُّ كان أجمل منهما : مصعب وعائشة ، فقال مصعب : يا شَعْبيّ ، هل تعرف هذه ؟ فقلت : نعم أصلح الله الأمير ؛ قال : ومَنْ هي ؟ قلت : سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة ؛

قال : لا ، ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر :

وما زِلتُ من لَيْلى لَدُنْ طَرَّ شاربي

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فَقُمْ ، فقمتُ . فلمّا كان العَشِيُّ رُحت وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسلّمتُ ، فلمّا رآني قال لي : ادْنُ ، فدنوتُ حتى وضعتُ يدي على مَرافقه ، فأصغى إليّ فقال : هل رأيت مثل ذلك لإنسان قطّ ؟ قلت : لا والله ؛ قال : أفتدري لِمَ أدخلناك ؟ قلتُ : لا ؛ قال : لتُحدِّث بما رأيت . ثم التفتَ إلى عبد الله بن أبي فَرْوة فقال : أَعطِه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً ، فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفتُ به ، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة[1] القَصّار ثياباً وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة .

[عائشة بنت طلحة وأزواجها]

قال : وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا عُذْرتها ثم هَلك ، فتزوّجها مصعب فقُتل عنها ، ثم تزوّجها عمر بن عبيد الله بن مَعمر فبَنى بها بالحِيرة ، ومُهِّدت له يوم عُرسه فُرُش لم يُرَ مثلها : سبع أذرع في عرض أربع ، فانصرف تلك الليلة عن سبع مَرّات ؛ فلَقِيَته مَولاة لها حين أصبح فقالت : يا أبا حَفص ، كَمُلْتَ في كلّ شيء حتى في هذا . فلمّا مات ناحت عليه وهي قائمةٌ ، ولم تَنُح على أحد منهم قائمةً ، وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمةً على زوجها عُلم أنّها لا تريد أن تتزوّج بعده ؛ فقيل لها : يا عائشة ، ما صنعتِ هذا بأحد من أزواجك ؛ قالت : إنّه كان فيه خِلال ثلاث لم تكن في أحد منهم : كان سيِّد بني تَيْم ، وكان أقربَ القوم بي قَرابة ، وأردتُ ألاّ أتزوّجَ بعده ! .

وأخبرني بخبر مصعب والشّعبيّ وعائشة أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال أخبرنا محمد بن الحَكَم عن عَوانَة قال : خرج مصعب بن الزبير من دار الإمارة يريد دار موسى بن طلحة ، فمرّ بالمسجد فأخذ بيد الشّعبيّ . ثم ذكر باقي الحديث مثله ، ولم يذكر شيئاً من حديث المُغنِّين . قال ابن عمّار : وأخبرني به داود بن جميل عن محمد بن جميل الكاتب عن ابن الأعرابيّ : قال ابن عمّار وأخبرني به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ أنّ الشّعبيّ قال : دخلتُ المسجد وفيه مصعب بن الزبير فاستدناني فدَنَوت حتى وضعت يدي على مرافقه ، فأصغى إليّ وقال : إذا قمتُ فاتّبعني . ثم ذكر باقي الحديث أيضاً مثلَ الذي تقدّمه .

1 كارة : صرّة الثياب . وقال كارة القصار كناية عن كبرها .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الطويل]

وما زِلتُ من ليلى لَدُنْ طَرَّ شاربي إلى اليوم أُخْفِي حُبّها وأُداجِنُ
وأحمِل في ليلى ضغائنَ مَعْشَرٍ وتُحْمَل في ليلى عليّ الضغائنُ[1]

عروضه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر بن عبد الرحمن . والغِناء لمعبد ثقيل أوّل بالبِنصر عن حبش . وفيه لحن للغريض .

[كان الغريض إذا غنّى بشعر لكثير قال أنا سريجيّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان الغريض إذا غنّى بيتين لكثيّر قال : أنا السُّرَيجيّ حقّاً ، ولم يكن يقول ذلك في شيء من غنائه وكان من جيّد غنائه .

[قدم يزيد بن عبد الملك مكّة فغنّاه الغريض]

وقَدِمَ يزيد بن عبد الملك مكّة فبعث إلى الغريض سِرّاً فأتاه فغنّاه بهذا اللحن وهو فيهما : [من الطويل]

وإنّي لأَرعى قومَها من جَلالها وإن أظهروا غِشّاً نصَحت لهم جَهْدِي
ولو حاربوا قومي لكنتُ لقومها صديقاً ولم أَحمِلْ على قومها حِقْدِي

فأُشير إلى الغريض أن اسكُتْ ؛ وفطِن يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى يُغنّيني بما يريد ، فأعاد عليه الصوت مراراً ، ثمّ قال : زِدني ممّا عندك فغنّاه بشعر عمرو[2] بن شَأْس الأَسدِيّ : [من الطويل]

فوَانَدمي على الشباب ووانَدَمْ ندِمتُ وبان اليومَ منّي بغير ذمّ
أرادتْ عرارا بالهَوانِ ومن يُرِدْ عراراً[3] لعَمْري بالهوانِ فقد ظَلَمْ

قال : فطرِب يزيد وأمر له بجائزة سنيّة . قال إسحاق : فحدّثت أبا عبد الله هذا الحديث ، وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً ، فقال أبو عبد الله : كان قدوم يزيد مكّة وبِعثَته إلى الغريض سِرّاً قبل أن يُستَخلف ؛ فقلت له : فلِم أُشير إلى الغريض أن يسكت

---

1 ورد البيت فيما تقدّم برواية مختلفة وتلك هي رواية الديوان .

2 سيترجم له أبو الفرج فيما بعد . وله ترجمة في الشعر والشعراء (طبعة دار الثقافة) 338–339 وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

3 ضبط هذا الاسم في المصادر بالقلم بفتح العين وكسرها . انظر اللسان (عرر ، عمم) والشعر والشعراء : 338 والحماسة بشرح المرزوقي : 280 .

حين غنّاه بشعر كثيّر :

وإنّي لأَرْعى قومَها من جَلالها

وما السبب في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله : أنا أُحدِّثكَه :

[عمر بن بلال يصلح بين عبد الملك وزوجته عاتكة]

حدّثني أبي قال : كان عبد الملك بن مروان من أشدّ الناس حُبّاً لعاتكة امرأته ، وهي ابنة يزيد بن معاوية وأُمّها أمّ كُلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وهي أمّ يزيد بن عبد الملك ، فغَضِبَت مرّة على عبد الملك ، وكان بينهما باب فحَجَبته وأغلقتْ ذلك الباب ، فشقّ غضبُها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصّته يقال له عمر بن بِلال الأسديّ ، فقال له : ما لي عندك إن رَضِيَتْ ؟ قال : حُكْمُك . فأتى عمرُ بابها وجعل يَتباكى . وأرسل إليها بالسلام ، فخرجتْ إليه حاضنتها ومواليها وجَواريها فقُلن : ما لك ؟ قال : فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها ، فقد علِمتْ مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعدَه ، قلن : وما لك ؟ قال : ابناي لم يكن لي غيرهما فقَتل أحدهما صاحبه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلٌ الآخر به ، فقلت : أنا الوليّ وقد عفوتُ ؛ قال : لا أُعوِّد الناس هذه العادة ، فرجوتُ أن يُنْجِيَ الله ابني هذا على يدها ؛ فدخَلْن عليها فذكَرْنَ ذلك لها ؛ فقالت : وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرتُ له ؟ قُلْن إذاً والله يُقْتَل ، فلم يزَلْن حتى دعت بثيابها فأجْمَرَتها[1] ثم خرجت نحو الباب ، فأقبل حُدَيْج الخَصيّ قال يا أمير المؤمنين : هذه عاتكة قد أَقبلت ؛ قال : ويلك ، ما تقول ؟ قال : قد واللهِ طلعتْ ، فأقبلتْ وسلّمت فلم يَرُدّ عليها ، فقالت : أما والله لولا عمر ما جئتُ ، إنّ أحد ابنيه تعدّى على الآخر فقتَله فأردتَ قَتل الآخر وهو الوليّ وقد عفا ؛ قال : إنّي أكره أن أُعوِّد الناس هذه العادة ؛ قالت : أَنْشُدُك الله يا أمير المؤمنين ، فقد عرفتَ مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد ، وهو ببابي ؛ فلم تزل به حتى أخذت برِجله فقبّلتها ؛ فقال : هو لك ، ولم يَبْرَحا حتى اصطلحا ؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف رأيت ؟ قال : رأينا أثَرك ، فهاتِ حاجَتَك ؛ قال : مَزرعة بعُدَّتها وما فيها ، وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي ؛ قال : ذلك لك . ثم اندفع عبد الملك يتمثّل بشعر كثيّر :

وإنّي لأرعى قومها من جَلالها

البيتين ؛ فعلِمتْ عاتكة ما أراد . فلمّا غُنِّيَ يزيد بهذا الشعر كَرِهتْه مواليه إذ كان عبد الملك تمثّل به في أُمّه ، ولم يكرهه يزيد وقال : لو قيل هذا الشعر فيها ثم غُنِّيَ به لما كان عَيْباً ،

1 أجمر الثياب : بخرها .

فكيف وإنّما هو مثلٌ تمثّل به أمير المؤمنين في أجمل العالَمين !

[حمل عرار بن عمرو بن شأس رأس ابن الأشعث إلى عبد الملك]

قال أبو عبد الله : وأمّا خبره لما غنّى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشعث لما قُتِل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس ، فلمّا ورد به وأوصل كتاب الحجّاج جعل عبد الملك يقرؤه ، فكلّما شكّ في شيء سأل عراراً عنه فأخبره ، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده ، فقال متمثّلاً : [من الطويل]

وإنّ عـراراً إن يكن غيرَ واضِحٍ ... فإنّي أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ[1]

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك ؛ فقال له : مِمَّ ضَحِكت ويلَك ! قال : أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟ قال : لا ؛ قال : فأنا والله هو ؛ فضحِك عبد الملك وقال : حظٌّ وافق كلمة ، ثم أحسن جائزته وسرّحه .

قال أبو عبد الله : وإنّما أراد الغريض أن يغنّي يزيدَ بمُتَمثَّلات عبد الملك في الأمور العِظام ، فلمّا تبيّن كراهة مواليه غناءه فيما تمثّل به في عاتكة أراد أن يُعقِبه ما تمثّل به في فتح عظيم كان لعبد الملك ، فغنّاه بشعر عمرو بن شأس في عرار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

وإنّي لأرعَـى قومَهـا مِـن جَلالها ... وإن أظهروا غِشّاً نصَحتُ لهم جُهدي

ولـو حاربـوا قومـي لكنتُ لِقومها ... صديقاً ولم أَحمِلْ على قومِهـا حِقدي

عروضه من الطويل . الشعر لكُثيِّر ، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لقفا النّجار ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وفيه لعَلُّويَهْ ثقيل أوّل .

[خرج إليه معبد بمكّة وسمع غناءه]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إبراهيم عن يونس الكاتب قال حدّثني معبد قال : خرجت إلى مكّة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غِنائه في لَحنه : [من الطويل]

وما أنْسَ مِ الأشياء لا أَنْسَ شادِناً ... بمكّـةَ مَكْحـولاً أَسِيلاً مَدامِعُهْ

1 المنكب العمم : الطويل .

وقد كان بلغني أنّه أوّل لحن صنعه وأنّ الجنّ نهته أن يُغنّيه لأنّه فَتَن طائفةً منهم ، فانتقلوا عن مكّة من أجل حُسنه ، فلمّا قدمتُ مكّة سألت عنه فدُلِلتُ على منزله ، فأتيتُه فقرعتُ الباب فما كلّمني أحد ، فسألت بعض الجيران فقلت : هل في الدار أَحَدٌ ؟ قالوا لي : نعم ، فيها الغريض ، فقلت : إنّي قد أكثرتُ دَقَّ الباب ، فما أجابني أَحَدٌ ؛ قالوا : إنّ الغريض هناك ، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجبني أحد ، فقلت : إن نفعني غِنائي يوماً نفعني اليوم ، فاندفعت فغنّيت لحني في شعر جميل : [من الطويل]

عَلِقتُ الهوى منها وَلِيداً فلم يزلْ ... إلى اليوم يَنْمِـي حبُّهـا ويزيـدُ

فوالله ما سمعتُ حركة الباب ، فقلت : بطَل سِحري وضاع سَفَري وجِئتُ أطلب ما هو عسيرٌ عليّ ، واحتقرت نفسي وقلت : لم يتوهّمني[1] لضَعف غِنائي عنده ، فما شعرتُ إلاّ بصائح يصيح : يا معبد المغنّي ، افهَم وتَلَقّ عنّي شعر جميل الذي تُغنّي فيه يا شقيّ البخت ، وغنّى :

صوت
للغريض ولم تُذكر طريقته

[من الطويل]

وما أَنْس مِ الأشياءِ لا أَنْس قولَها ... وقـد قُرِّبتْ نِضْوي أَمِصْرَ تريدُ[2]
ولا قولها لولا العيونُ التي تَرى ... أَتيتُـك فاعذِرني فدَتْـك جُدودُ
خَليليّ مـا أُخفي من الوجدِ باطن ... ودمعي بمـا قلتُ الغداةَ شَهيدُ[3]
يقولون جاهِـدَ يا جميلُ بغزوةٍ ... وأيّ جِهـادٍ غيرهـنّ أُريـدُ
لكلّ حديـثٍ عندهـنّ بشاشةٌ ... وكلّ قتيـلٍ بينهـنّ شَهيدُ[4]

عروضه من الطويل . قال : فلقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسن منه ، وقَصّر إليّ نفسي وعلِمتُ فضيلته عليّ بما أحسّ من نفسه ، وقلت : إنّه لَحَرِيّ بالاستتار من الناس تَنْزيهاً لنفسه وتعظيماً لقَدْره ، وإنّ مثلَه لا يستحقّ الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال ، فأردتُ الانصراف إلى المدينة راجعاً ، فلمّا كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يَصيح بي : يا معبد ، انتظر أُكلّمْك ،

1 لم يتوهّمني : لم يعرفني .
2 النضو : المهزول من الإبل .
3 باطن في رواية ظاهر .
4 عندهن في ل : بينهنّ .

فرجعتُ ، فقال لي : إنّ الغريض يدعوك ؛ فأسرعتُ فَرِحاً فدنوتُ من الباب ؛ فقال لي : أَتُحِبّ الدخول ؟ فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ فقرع الباب فَفُتِح ، فقال لي : ادخل ولا تُطِلِ الجلوس ؛ فدخلت فإذا شمس طالعةٌ في بيت ، فسلّمتُ فَرَدّ السلام ، ثم قال : اجلس فجلست ، فإذا أنبلُ الناس وأحسنهم وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً ، فقال : يا معبد ، كيف طرأتَ إلى مكّة ؟ فقلت : جُعِلت فداءك ! وكيف عرفتَني ؟ فقال : بصوتك ؛ فقلت : وكيف وأنت لم تسمعه قطّ ؟ قال : لمّا غنّيت عرفتُك به وقلت : إن كان معبدٌ في الدنيا فهذا ؛ فقلت : جُعلت فداءك ، فكيف أجبتَني بقولك : [من الطويل]

ومـا أَنسَ مِ الأشياء لا أَنسَ قولَها وقـد قُرّبـتْ نِضْوِي أمصرَ تريدُ

فقال : قد علمتُ أنّك تريد أن أُسْمِعَك صوتي : [من الطويل]

وما أَنسَ مِ الأشياء لا أَنسَ شادِناً بمكّـة مكحـولاً أسِيـلاً مدامعُهْ

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنّه صوتٌ قد نهيتُ أن أُغنِّيَه فغنّيتُك هذا الصوتَ جواباً لِما سألتَ وغنّيتَ ؛ فقلت : والله ما عدَوتَ ما أردتُ ، فهلْ لك حاجةٌ ؟ فقال لي : يا أبا عَبّاد ، لولا ملالة الحديث وثِقل إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك ، فأعْذِر ؛ فخرجتُ من عنده ، وإنّه لأجلُّ الناس عندي ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدثتُ بحديثه وعجبتُ من فِطنته وقِيافته ، فما رأيتُ إنساناً إلاّ وهو أجلّ[1] منه في عيني .

[خبر جميل وبثينة وتوسيطه رجلاً من بني حنظلة في لقائها]

وذكرتُ جميلاً وبُثينة فقلت : ليتني عرفت[2] إنساناً يُحدّثني بقصّة جميل وخبر الشعر فأكون قد أخذت بفضيلة الأمرِ كلّه في الغناء والشعر . فسألت عن ذلك فإذا الحديث مشهور ، وقيل لي : إن أردتَ أن تُخَبَّرَ بمشاهدته فأتِ بني حنظلة ، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يُخبِرك الخبر ؛ فأتيت الشيخَ فسألته فقال : نعم ، بينا أنا في إبلي في الربيع إذا أنا برجل مُنْطَوٍ على رَحله كأنّه جانٌّ فسلّم عليّ ثم قال : ممّن أنت يا عبد الله ؟ فقلت : أحدُ بني حنظلة ؛ قال : فانتسِب ؛ فانتسبتُ حتى بلغتُ إلى فَخذي الذي أنا منه ؛ ثم سألني عن بني عُذرة أين نزلوا ؛ فقلت له : هل ترى ذلك السَّفْح ؟ فإنّهم نزلوا من ورائه ؛ قال : يا أخا بني حنظلة ، هل لك في خير[3] تصطنعه إليّ ؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحتَ تسوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر منّي لك

1 ل : أعظم .
2 ل : أصبت .
3 ل : معروف .

عليه ؛ فقلت نعم ، ومن أنت أوّلاً ؟ قال : لا تسألني من أنا ولا أُخبرك غير أنّي رجلٌ بيني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العمّ ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنّك تجد القوم في مجلسهم فتَنشدُهم بَكْرةً أدماء[1] تجرّ خُفَّيْها غُفْلاً من السِّمة ، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك ، وإلاّ استأذنتَهم في البيوت وقلتَ : إنّ المرأة والصبيَّ قد يَرَيان ما لا يَرى الرجال ، فتنشُدهم ولا تَدَع أحداً تُصيبه عينُك ولا بيتاً من بيوتهم إلاّ نشَدتها فيه ؛ فأتيتُ القوم فإذا هم على جَزُور يقتسمونها ، فسلَّمت وانتسبتُ لهم ونَشدتهم ضالّتي ، فلم يذكروا لي شيئاً ؛ فاستأذنتهم في البيوت وقلت : إنّ الصبيّ والمرأة يَريان ما لا ترى الرجال ، فأذِنوا ؛ فأتيتُ أقصاها بيتاً ثم استقريتُها بيتاً بيتاً أنشُدُهم فلا يذكرون شيئاً ، حتى إذا انتصف النهار وآذاني حَرّ الشمس وعَطِشْت وفَرَغتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف حانتْ منّي التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلاّ ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسي : سوءةً ، وَثِقَ بي رجلٌ وزعم أن حاجته تَعدِل مالي ثم آتيه فأقول : عَجَزت عن ثلاثة أبيات ! فانصرفتُ عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أُرْخِيَ مؤخّرُه ومقدّمُه ، فسلّمت فرُدّ عليّ السلام ، وذكرتُ ضالّتي ، فقالت جارية منهم : يا عبد الله ، قد أصبتَ ضالّتك وما أظنّك إلاّ قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيت الشراب ؛ قلت : أجَلْ ؛ قالت : ادخل ؛ فدخلت فأتتني بصحفة فيها تمرٌ من تمر هَجَر ، وقدحٍ فيه لبن ، والصحفة مصريّة مُفَضّضة والقدح مفضَّض لم أَرَ إناءٍ قطُّ أحسنَ منه ؛ فقالت : دونَك ؛ فتجَمَّعْتُ وشربت من اللبن حتى رَوِيتُ ، ثم قلتُ : يا أمَة الله ، والله ما أتيتُ اليوم أكرمَ منكِ ولا أَحقَّ بالفضل ، فهل ذكرتِ من ضالّتي شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرة فوق الشَّرَف[2] ؟ قلت نعم ؛ قالت : فإنّ الشمس غَرَبتْ أمسِ وهي تُطِيف حولَها ثم حال الليل بيني وبينها ؛ فقمتُ وجَزَيتُها الخير وقلت : والله لقد تغدّيتُ ورَوِيتُ ! فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرة فأطفت بها ، فوالله ما رأيتُ من أثرٍ ، فأتيت[3] صاحبي فإذا هو متَّشِحٌ في الإبل بكسائه ورافعٌ عَقيرتَه[4] يُغنّي ، قلت : السلام عليك ؛ قال : وعليك السلام ما وراءك ؟ قلت : ما ورائي من شيء ؛ قال : لا عليك ! فأخبِرْني بما فعلتَ ، فاقتصصتُ عليه القصّة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذي صنعتُ ؛ فقال : قد أصبت طَلِبَتك ؛ فعجِبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئاً ، ثم سألني عن صفة الإناءين : الصَّحفة والقدح فوصفتُهما له ، فتنفّس الصُّعداء وقال : قد أصبتَ طلبتك ويحك ؛ ثم ذكرتُ له الشجرة وأنّها رأتها تُطيف

1 تنشدهم : تسألهم . البكرة : الفتية من الإبل . أدماء : بيضاء .
2 الشرف : المكان العالي .
3 ل : وانصرفت إلى .
4 عقيرة الرجل : صوته .

بها ؛ فقال : حسبُك ! فمكثتُ حتى إذا أوتْ إبلي إلى مباركها دعوتُه إلى العشاء فلم يدنُ منه ، وجلس منّي بِمَزْجَر الكلب ، فلمّا ظنّ أنّي قد نِمتُ رمَقتُه فقام إلى عَيبة[1] له فاستخرج منها بُردَين فأْتَزَر بأحدهما وتردَّى بالآخر ، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة . واستبطنت الوادي فجعلتُ أُخفي نفسي حتى إذا خِفت أن يراني انبطحت ، فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجراتٍ قريبٍ من تلك الشجرة بحيث أَسمع كلامهما فاستترت بهنّ ، وإذا صاحبته عند الشجرة ، فأقبل حتى كان منها غير بعيدٍ ، فقالت : اجلس ؛ فوالله لكأنّه لَصِق بالأرض ، فسلّم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال سمِعتُ به قطّ وأبعده من كلّ ريبة ، وسألتْه مثل مسألته ، ثم أمرتْ جارية معها فقرّبت إليه طعاماً ، فلمّا أكل وفرَغ ، قالت أنشدني ما قلتَ ؛ فأنشدها : [من الطويل]

عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يَزَل إلى اليوم يَنْمِـي حبُّهـا ويَزِيدُ

فلـم يـزالا يتحدّثـان ، ما يقولان فُحشاً ولا هُجْراً ، حتى التفتت التفاتة فنظرتْ إلى الصبح ، فودَّع كلٌّ واحد منهما صاحبَه أحسن وداع ما سمعتُ به قطّ ثم انصرفا ، فقمتُ فمضيتُ إلى إبلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه ؛ فجاء بعد ما أصبحنا فرفع بُرْديه ثم قال : يا أخا بني تَميم ، حتى متى تنام ؟ فقمتُ وتوضأت وصلّيت وحلبت إبلي وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً ، ثمّ دعوتُه إلى الغداء فتغدّى ، ثم قام إلى عَيبته فافتتحها[2] فإذا فيها سلاح وبُردان ممّا كستْه الملوك ، فأعطاني أحدَهما وقال : أما والله لو كان معي شيء ما ذخَرْتُه عنك ، وحدّثني حديثه وانتسب لي ، فإذا هو جميل بن معمَر والمرأة بُثينة ، وقال لي : إنّي قد قلتُ أبياتاً في مُنْصَرَفي من عندها ، فهـل لك إنْ رأيتها أن تُنشدها[3] ؟ قلت : نعم ! فأنشدني : [من الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياء لا أَنسَ قولَها وقد قُرّبتْ نِضْوِي أمصرَ تُريدُ

الأبيات ، ثم ودّعني وانصرف ، فمكثتُ حتّى أخذتِ الإبلُ مراتِعَها ، ثم عَمَدتُ إلى دُهْنٍ كان معي فدهنتُ به رأسي ، ثم ٱرتديت بالبُرْدْ وأتيت المرأة فقلت : السلام عليكم ، إنّي جئت أمس طالباً واليوم زائراً ، أفتأذنون ؟ قالت : نعم ، فسمِعتُ جُوَيْرِيَة تقول لها : يا بثينة ، عليه والله بُرْد جميلٍ ؛ فجعلت اثْني على ضيفي وأذكر فضله ، وقلت : إنّه ذكرك فأحسن[4]

1 العيبة : وعاء من الجلد توضع فيه الثياب .
2 ل : مال إلى عيبته فأشخصها .
3 ل : هل لك أن تأتيها فتنشدها .
4 ل : بأحسن .

الذكر ، فهل أنتِ بارزةٌ لي حتّى أنظر إليك ؟ قالت : نعم ، فلبستْ ثيابها ثم برزت ودعت لي بطُرَفٍ ، ثم قالت : يا أخا بني تميم ، والله ما ثَوْباك هذان بمُشتبِهَيْن ، ودعَتْ بعَيبتها فأخرجت لي مِلحفة مَرَوِيّة مُشْبَعة من العُصفر ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْر البيت ولتَخلَعَنّ مِدرَعَتك ثم لتأْتَزِرَنّ بهذه الملحفة فهي أشبه ببُردِك ؛ ففعلت ذلك وأخذت مدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي ، وأنشدتها الأبيات فدَمَعت عيناها ، وتحدّثنا طويلاً من النهار ، ثم انصرفتُ إلى إبلي بملحفة بثينة وبُرد جميلٍ ونَظرةٍ من بثينة . قال معبد : فجزَيتُ الشيخ خيراً وانصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناس حالاً بنظرة من الغريض واستماعٍ لغنائه ، وعِلمٍ بحديث جميل وبثينة فيما غنّيت أنا به وفيما غنّى به الغريض على حقّ ذلك وصِدقه ، فما رأيت ولا سمعت بزوجين قطّ أحسنَ من جميل وبثينة ، ومن الغريض ومنّي .

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر

وهي كلّها من قصيدة واحدة .

منها :

صوت

[من الطويل]

عَلِقتُ الهَوى منها وليداً فلم يَزَلْ ... إلى اليوم يَنْمِي حُبّها ويَزيدُ

وأَفنيتُ عُمْرِي في انتظاري نوالَها ... وأفنتْ بذاكَ الدهْرَ وهو جَديدُ

فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حُبُّها فيما يَبيدُ يَبيدُ

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أَنسَ قولَها ... وقد قَرّبت نِضْوِي أمِصرَ تريدُ

ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى ... لَزُرتُك فاعذِرْني فدتْكَ جُدُودُ

إذا قلتُ ما بي يا بُثَيْنَةُ قاتلِي ... من الحبّ قالتْ ثابتٌ ويَزيدُ

وإن قلتُ رُدِّي بعضَ عقلي أَعِشْ به ... تَوَلَّتْ وقالتْ ذاكَ منكَ بَعيدُ

عروضه من الطويل ، الشعر لجميل بن معمر ، والغناء لمعبد في الأوّل والثاني والثالث والسادس والسابع ، ولحنه ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو بن بانة . وذكر عمرو والهشاميّ أنّ فيه ثقيلاً أوّل آخرَ للهُذَليّ ، وأنّ فيه خفيف ثقيل يُنسَبُ إلى معبد وإلى الغريض وإلى إبراهيم ، أوّله : «وما أنسَ مِ الأشياء» . وفي الأربعة الأبيات الأُوَل ثاني ثقيل بالبنصر لابن أبي قباحة . ولإسحاق في الثالث والسادس ثاني ثقيل آخر بالوسطى عن الهشاميّ . وأوّلُ هذه القصيدة فيه غناءٌ أيضاً ، وهو موصول بأبيات أُخَرَ : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ رَيْعــانَ الشبابِ جديدُ ودهــراً تَوَلّـى يـا بُثَيْنُ يعـودُ
فَنَغْنَــى كما كنّـا نكـون وأنتــمُ قريبٌ ومـا قـد تَبْذُلِـين زَهِيدُ
أَلا لَيت شِعْرِي هــل أَبيتَنّ ليلةً بـوادي القُــرى إنّي إذاً لسعيدُ
وهل أَلْقَينْ سُعْدى من الدهر ليلةً وما رثَّ من حبل الصفاء جديدُ[1]
فقد تَـلْتَقِي الأهواءُ بعـد تَفاوُتٍ وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهي بَعِيدُ

في البيتين الأوّلين خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ، ذكر حبش أنّه لإسحاق ؛ وليس يُشبه أنْ يكون له . وفي الثالث وما بعده لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش أيضاً .

[قال ابن أبي ربيعة في شعر له فغيره الغريض باسمه لما غنّاه]

أخبرني إسماعيل بن يونس إجازةً قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال حدّثني الوليد بن هشام عن محمد بن مَعْن عن خالد بن سلمة المخزوميّ قال : خرجتُ مع أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخٌ ، فلمّا أسْحَرْنا قال لي أعمامي : انزل عن نَجيبك واحمل عليه هذا الشيخ واركب جَمَلَه ، ففعلت ؛ فإذا الشيخ قد أخرج عوداً له من غِلاف ، ثمّ ضرب به وغنّى : [من الرجز]

هاجَ الغَريضَ الذِّكَرُ لَمّا غَـدَوْا فانشَمَرُوا

فقلت لبعض أصحابنا : مَن هذا ؟ قال : الغريض .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الرجز]

هاجَ الغَريضَ الذِّكَرُ لَمّا غَــدَوْا فانشَمَرُوا
على بِغــالٍ شُحَّجٍ قــد ضَمَّهُنّ السفَرُ
فيهــنّ هِنْــدٌ ليتَنِي مــا عُمِّرتْ أُعَمَّرُ
حتى إذا مــا جاءَها حَتْــفٌ أتاني القَدَرُ

عروضه من الرجز . الذي قال عمر :

---

1 ليلة في ل : مرّة .

هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ

بالقاف ، فجعله الغريض لما غنّى فيه : «الغريض» يعني نفسه . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج . ذكر يونس أنّ له فيه لحنَيْن . وذكر إسحاق أنّ أحدهما رملٌ مطلق في مجرى البنصر ولم يذكر الآخر ، وذكر الهشاميّ أنّ الآخر خفيف رملٍ . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالبنصر ، وقيل : إنّه لحن ابن سريج ، وإنّ خفيف الرمل للغريض . وأوّل هذا الصوت في كتاب يونس : [من مجزوء الرجز]

هـاج فؤادي مَحْضَرُ بـذي عُكاظٍ مُقْفِرُ[1]
حتّى إذا ما وازنوا الـ ـمَرْوَةَ حين ائْتَمَرُوا[2]
قيل انزلُـوا فَعَرِّسُوا من ليلكم وانشَمِرُوا
وقولُهـا لأختهـا أَمُطْمَئِـنٌّ عُمَـرُ

[قدم الوليد بن عبد الملك مكّة فصحبه ابن أبي ربيعة وغنّاه الغريض]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السَّعْدِيّ : أنّ الوليد بن عبد الملك قدِم مكّة ، فأراد أن يأتي الطائف ، فقال : هل من رجلٍ عالمٍ يُخبرني عنها ؟ فقالوا : عُمَرُ بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حاجة لي به ، ثم عاد فسأل ، فذكَروه فأباه ، ثمّ عاد فذكروه فقال : هاتوه ؛ وركِب معه فجعل يُحدِّثه ، ثم حوّل عمر رداءه ليُصلحه على نفسه ، فرأى الوليد على ظهره أثراً ، فقال : ما هذا الأثر ؟ قال : كنت عند جارية لي إذ جاءتني جارية برسالة من عند جاريةٍ أُخْرى وجعلتْ تُسارُّني بها ، فغارت التي كنت عندها فعَضَّت مَنكبي ، فما وجدتُ ألَم عَضّتها من لذّة ما كانت تلك تنفُثُ في أُذُني حتى بلغتْ ما ترى ، والوليد يضحك . فلمّا رجع عمر قيل له : ما الذي كنت تُضحِك به أمير المؤمنين ؟ قال : ما زلنا في حديث الزِّنا حتى رجع . وكان قد حَمَل الغريض معه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندي أجمل الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً ، فهلٍ لك أن تسمعه ؟ قال : هاتِه ، فدعا به فقال : أسمِع أمير المؤمنين أحسن شيء قلته ؛ فاندفع يغني بشعر عمر ، ومن الناس مَن يرويه لجميل : [من الكامل]

صوت

إنّـي لأحفَـظُ سِرَّكم ويَسُرُّني لـو تعلمـين بصالح أن تُذْكَرِي

---

1 المحضر : الماء يجتمعون ويحضرون عليه .

2 وازنوا : حاذوا . وائتمروا : تشاوروا .

ويكون يـومٌ لا أَرى لك مُرْسَلاً أو نَلتقـي فيـه علـيّ كأشهُرِ
يـا ليتني أَلقـى المنيّـةَ بَغْتَـةً إنْ كان يـومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
مـا كنتِ والوعدَ الذي تَعِدِينني إلاّ كبَـرْقِ سَحابـةٍ لم تُمْطِرِ
تُقْضَى الدّيونُ وليس يُنْجزُ عاجلاً هذا الغريـمُ لنـا وليس بمُعْسِرِ

عروضه من الكامل . وذكر حبش أنّ الغناء للغريض ، ولحنه ثقيل أوّل بالبنصر ، قال : فاشتدّ سرورُ الوليد بذلك وقال له : يا عمر ، هذه رُقْيَتُك ، ووصله وكساه وقضى حوائجه .

[نصيب يصف لنفسه وللشعراء الثلاثة]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عَوانة قال حدّثني رجل من أهل الكوفة قال : قدِم نُصَيْب الكوفة ، فأرسلني أبي إليه ، وكان له صديقاً ، فقال : أقرئْه منّي السلام وقل له : إنْ رأيتَ أن تُهدِي لنا شيئاً ممّا قلتَ ! فأتيتُه في يوم جمعة وهو يصلّي ، فلمّا فَرَغ أقرأته السلام وقلت له ، فقال : قد علم أبوك أنّي لا أُنْشِد في يوم الجمعة ولكن تلْقاني في غيره فأبلُغ ما تحبّ ، فلمّا خرجتُ وانتهيت إلى الباب رُدِدْتُ إليه ؛ فقال : أَترْوي شيئاً من الشعر ؟ قلتُ نعم ؛ قال : فأنشدني ؛ فأنشدته قول جميل : [من الكامل]

إنّي لأَحفظُ غَيْبَكم ويَسُرُّني لو تعلمين بصالحٍ أن تُذْكَرِي

الأبيات المتقدّمة ؛ فقال نُصَيْبٌ : أمْسِكْ ! أمْسِك ! لله دَرُّه ! ما قال أحدٌ إلاّ دون ما قال ، ولقد نَحَت للناس مثالاً يَحتذون عليه . ثم قال : أمّا أصدَقُنا في شعره فجَمِيل ، وأمّا أوصفُنا لربّات الحِجال فكُثَيِّر ، وأمّا أكذبنا فعُمَر بن أبي ربيعة ، وأمّا أنا فأقول ما أَعرف .

[سمع أصوات رهبان في دير فصنع لحناً على مثالها]

وقال هارون بن محمد الزيّات حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ الغريض سمِع أصواتَ رُهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها ، فقال له بعض مَن معه : يا أبا يزيد ، صُغ على مِثْل هذا الصوت لحناً ؛ فصاغ مِثله في لحنه : [من الكامل]

يـا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِي لا تَصْرِمِيني إنّني غـادي

فما سُمِعَ بأحسنَ منه .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

يـا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِي لا تَصْرِمِيني إنّـي غادي

جَدّ الرحيلُ وحثَّني صَحْبِي وأُريدُ إمتاعــاً مــن الزَّادِ

عروضه من مُزاحَف الكامل . الشعر[1] لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ . والغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لابن المكّيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش . وفيه لإبراهيم بن أبي الهيثم هَزَج .

[غناء إبراهيم بن أبي الهيثم والرجل الناسك]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمَر بن شبّة عن أيّوب بن عباية عن عمرو بن عُقبة ، وكان يُعرف بابن الماشطة ، قال : خرجتُ أنا وأصحابٌ لي فيهم إبراهيم بن أبي الهيثم إلى العقيق ، ومعنا رجلٌ ناسك كنّا نحتَشم منه ، وكان محموماً نائماً ، وأحببنا أن نسمع مَن معنا من المغنّين ونحن نَهابُه ونحتشمه ، فقلت له : إنّ فينا رجلاً يُنشد الشعر فيُحسِن ، ونحن نُحِبّ أن نسمعه ، ولكنّا نهابُك ؛ قال : فما عليّ منكم ؛ أنا محموم نائم ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فاندفع إبراهيم بن أبي الهيثم فغنّى : [من الكامل]

يــا أُمّ بكــرٍ حبّكِ البادِي لا تَصْرِميني إنّــي غــادِي
جَدّ الرحيلُ وحثَّني صَحْبِي وأُريد إمتاعــاً مــن الزَّادِ

فأجاده وأحسنه . قال : فوثب الناسكُ فجعل يَرقص ويَصيح : أُريد إمتاعاً من الزاد ، والله أُريد إمتاعاً من الزاد ، ثم كشف عن أيره وقال : أنا أنيك أمّ الحُمَّى ! قال : يقول لي ابن الماشطة : أعتقتُ ما أملِك إن كان ناك أمّ الحُمَّى أحدٌ قبله .

أخبرني به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب فذكر الخبرَ ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سَوْءته وما قاله بعد ذلك .

[هروبه إلى اليمن خوفاً من نافع بن علقمة وموته بها]

وكانت وفاة الغريض في أيّام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها . والأشبه أنّه مات في خلافة سليمان ، لأنّ الوليد كان ولّى نافع بن علقمة مكّة فهرب منه الغريض وأقام باليمن واستوطنها مدّةً ثم مات بها . وأخبرني بخبره الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبي قال أخبرني بعض المخزوميين أيضاً بخبره .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان : أنّ نافعَ بن علقمة لمّا وُلّيَ مكّة خافه الغريض ، وكان كثيراً ما يطلبه فلم يجئه ، فهرب منه واستخفى في بعض منازل إخوانه . قال : فحدّثني رجلٌ من أهل مكّة كان يخدمه : أنّه دفع إليه يوماً

1 سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت : سيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

رَبْعَةً[1] له وقال له : صِرْ بها إلى فلان العطّار يملؤها لي طِيباً ؛ قال : فصِرتُ بها إليه ، فلقيني نافع بن عَلقمة فقال : هذه رَبْعَةُ الغريض والله ، فلم أقدِر أن أكتُمَه ، فقلت : نعم ؛ قال : ما قِصَّته ؟ فأخبرته الخبر ؛ فضحك وقال : سِرْ معي إلى المنزل ففعلت ، فملأها طِيباً وأعطاني دنانير ، وقال : أعطِه وقل له يَظهرُ فلا بأس عليه ؛ فسِرتُ إليه مسروراً فأخبرتُه بذلك فجَزِع وقال : الآن ينبغي أن أهرب ، إنّما هذه حيلةٌ احتالها عليّ لأقع في يده ؛ ثم خرج من وقته إلى اليمن ، فكان آخر العهد به .

قال إسحاق فحدّثني هذا المخزوميّ : أنّ الغريض لمّا صار إلى اليمن وأقام به اجتَزْنا به في بعض أسفارِنا ؛ قال : فلمّا رآني بكى ؛ فقلت له : ما يُبكيك ؟ قال : بأبي أنتَ وأُمّي ! وكيف يَطِيبُ لي أن أعيش بين قوم يَرونَني أحمِل عودي فيقولون لي : يا هَناه ، أتبيع آخرةَ الرَّحْل ! فقلت له : فارجع إلى مكّة ففيها أهلُك ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنّما كنتُ أستلذّ مكّة وأعيش بها مع أبيك ونحوه ، وقد أوطَنتُ[2] هذا المكان ولستُ تاركَه ما عشتُ ؛ قلنا له : فغَنِّنا بشيء من غنائك فتأبّى ، ثم أقسمنا عليه فأجاب ، وعَمَدنا إلى شاةٍ فذبحناها وخَرَطنا من مُصرانها أوتاراً ، فشدّها على عُوده واندفع فغنّى في شعر زهير : [من الوافر]

جَرى دَمْعِي فهيَّج لي شُجُونا فقلبي يُسْتَجَنُّ بـه جُنونا

فما سمعنا شيئاً أحسن منه ؛ فقلنا له : ارجع إلى مكّة ، فكلُّ مَن بها يشتاقك . ولم نَزَل نُرغِّبه في ذلك حتى أجاب إليه . ومَضينا لحاجتنا ثم عُدنا فوجدناه عليلاً ، فقلنا : ما قصّتك ؟ قال : جاءني منذ ليالٍ قوم ، وقد كنتُ أُغنّي في الليل ، فقالوا : غَنِّنا ؛ فأنكرتُهم وخِفتُهم ، فجعلت أُغنِّيهم ؛ فقال لي بعضُهم غَنِّني : [من مجزوء الوافر]

لقد حَثُّوا الجمالَ ليَهْـ ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا[3]

ففعلت ؛ فقام إليّ هَنٌ منهم أزَبُّ[4] فقال لي : أحسنتَ والله ! ودَقّ رأسي ، حتى سقطتُ لا أدري أين أنا ، فأفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى ، ولا أُراني إلاّ سأموت . قال : فأقمنا عنده بقيّة يومنا ومات من غدٍ فدفنّاه وانصرفنا .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شبّة عن أبي غسّان قال : زعم المكيُّون أنّ

1 ربعة : وعاء الطيب .
2 أوطن المكان : اتّخذه وطناً .
3 لم يئلوا : لم يجدوا موئلاً يعتصمون به .
4 هن : اسم يكنى به عن الشخص وجمعه «هنون» . والأزب : الكثير الشعر .

الغريض خرج إلى بلاد عَكٍّ[1] فغنَّى ليلاً : [من مجزوء الوافر]

هُمُ رَكْبٌ لَقُوا رَكباً   كما قد تجمَعُ السُّبُلُ

فصاح به صائح : اكفُفْ يا أبا مروان ، فقد سَفَّهتَ حُلَماءَنا ، وأصبيت سفهاءَنا ، قال : فأصبح ميّتاً .

[رواية أُخرى في وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الخَطّاب قال حدّثنا رجل من آل أبي قَبِيلٍ ، يقال له مُحْرِز ، عن أبي قبيل قال : رأيتُ الغريض ، وقال إسحاق في خبره المذكور : حدّثني محمد بن سلاّم عن أبي قبيل ، وهو مولًى لآل الغريض ، قال : شهدتُ مَجْمَعاً لآل الغريض إمّا عُرْساً أو خِتاناً ، فقيل له : تَغَنَّ ؛ فقال : هو ابن زانية إن فعل ؛ فقال له بعض مَواليه : فأنت والله كذلك ! قال : أَوَكذلك أنا ؟ قال : نعم ؛ قال : أنت أعلم بي والله ! ثم أخذ الدُّفَّ فرمى به وتمشَّى مِشيةً لم أرَ أحسن منها ، ثم تَغَنَّى : [من الطويل]

تَشَرَّبَ لونَ الرَّازِقيّ بياضُه   أو الزعفران خالط المِسكَ رادعُهْ[2]

فجعل يُغَنِّيه مُقبلاً ومُدْبِراً حتى التوتْ عُنُقه وخَرَّ صريعاً ، وما رفعناه إلاّ ميّتاً ، وظَنَنَّا أنّ فالِجاً عاجَلَه . قال إسحاق وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين قال : إنّما نهتْهُ الجنّ أن يتغنّى بهذا الصوت ، فلمّا أغضبه مَواليه تَغَنّاه فقتَلَتْه الجنّ في ذلك .

نسبة هذه الأصوات

صوت[3]

منها : [من الوافر]

جَرى دَمْعي فهيَّج لي شُجُونا   فقلبي يُسْتَجَنُّ به جُنونا
أأبكي للفِرَاق وكلُّ حيٍّ   سيبكي حين يَفتَقِد القَرِينا
فإن تُصْبِحْ طُلَيْحةُ فارقتني   بِبَيْنٍ فالرزيَّةُ أن تَبينا[4]
فقد بانتْ بكرْهِي يوم بانتْ   مُفارِقةً وكنتُ بها ضَنِينا

1 بلاد عك : مخلاف باليمن .
2 الرازقي : ثياب الكتّان البيض ، وقيل هو الكتّان نفسه (اللسان) ، وهو غير متّفق تماماً مع سياق البيت .
3 لم نعثر على هذه الأبيات في ديوان زهير بشرح ثعلب .
4 طليحة في ل : ظليمة .

الشعر لزهير، والغناء للغريض عن حبش، وقيل: إنّه لدَحمان. وفيه لأبي الورد خفيف رمل بالوسطى [عن حبش والهشاميّ].

انقضت أخبار الغريض.

ومنها: [من مجزوء الوافر]

صوت

من المائة المختارة في رواية جَحْظَة

لقد حَثُّوا الجِمالَ ليَهْـ ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا
عـلى آثارهـنّ مُقَلّـ ـص السِّرْبالِ مُعْتَمِلُ[1]
وفيهـم قلبُـك المَتبو لُ بـالحسناءِ مُخْتَبَلُ
مُخَفّفـةٌ بحَمْـلِ حمـا ئـلِ الدِّيباجِ والحُلَلِ[2]
أُسائل عاصماً في السِّرِّ أَيْـنَ تُراهُـمُ نَزَلُوا
فقـال هُـمُ قَرِيبٌ منـ ـكَ لو نفعوكَ إذ رَحَلُوا

الشعر للحَكَم بن عَبْدَل الأسديّ، والغناء في اللحن المختار للغريض، ولحنُه خفيف ثقيل [أوّل] بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في الأول والثاني من الأبيات. وذكر الهشاميّ أنّ فيهما لحناً لمعبد من الثقيل الأوّل. وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيها لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش. وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي صحّ فيه أربعةُ ألحان: منها لحنان في خفيف الثقيل للغريض ومالك، ولحنان في الرمل لابن سريج ومُخارق. وذكر ابن الكلبيّ أنّ فيها لعريب رَمَلاً ثالثاً، وذكر حبشٌ أنّ فيها لابن سريج خفيف رمل بالبنصر، ولابن مِسْجَح رملاً بالبنصر، ولابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر. هذه الألحان كلّها في «لقد حثّوا» والذي بعده.

1 مقلص السربال: مشمره.

2 في هذا البيت إقواء.

[18] ـ أخبار الحكم بن عبدل ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحَكَم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عِقال بن بِلال بن سعد بن حِبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ، شاعرٌ مُجيد مُقَدَّم في طبقته ، هَجَّاءٌ خبيثُ اللسان ، من شعراء الدولة الأمويّة ؛ وكان أعرج أحدب . ومنزله ومنشؤه الكوفة .

[أعرج يكتب بحاجته على عصاه فلا تردّ]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا محمد بن إدريس القَيسيّ بواسط قال حدّثنا العُتْبيّ قال : كان الحَكَم بن عبدل الأَسديّ أعرج لا تُفارقه العصا ، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك ، وكان يكتُب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رُسُله[2] ، فلا يُحبَسُ له رسولٌ ولا تُؤخَّر له حاجةٌ ؛ فقال في ذلك يحيى بن نوفل : [من الطويل]

عَصا حَكَمٍ في الدار أوّلُ داخلٍ ونحنُ على الأبوابِ نُقْصَى ونُحْجَبُ
وكانتْ عَصا موسى لِفِرْعَوْنَ آيةً وهذي لَعمرُ الله أدهَى وأعجبُ
تُطاعُ فلا تُعْصى ويُحْذَرُ سُخْطُها ويُرْغَبُ في المَرْضاة منها وتُرْهَبُ

قال : فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحِك الناس منها ؛ فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى : يا ابن الزانية ! ما أردتَ من عصاي حتى صَيَّرتها ضُحكةً ؟ واجتَنَبَ أن يكتُب عليها كما كان يفعل ، وكاتَب الناس بحوائجه في الرِّقاع .

[حبس هو وأبو علية صاحبه]

أخبرني عمِّي قال حدّثنا الكُرانيّ ، وأخبرني ابن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا

---

1 ترجمة الحكم بن عبدل في السمط : 899 ومصورة ابن عساكر 5 : 208 وتهذيب ابن عساكر 4 : 399 ومختصر ابن منظور 7 : 219 والمؤتلف والمختلف : 242 والوافي 13 : 114 والفوات 1 : 390 ووردت له ترجمة في ابن خلكان 2 : 201 وأخرى في معجم الأدباء 3 : 1185 ، واستغرب محقّق الكتابين ـ إحسان عبّاس ـ ورود هاتين الترجمتين فيهما لأنّ الأولى ليست على شرط ابن خلكان لأنّه لا يعرف سنة وفاته ، وبما أنّ الثانية لشاعر فهي أليق بمعجم الشعراء . وقد اقتبس ابن حمدون من أخباره وأشعاره عن الأغاني في عشرة مواضع وله في حماسة أبي تمام أربع قطع .

2 ل : رسوله .

أبو جعفر القُرَشيّ قال : كان للحَكَم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو عُلَيّة ، وكان ابن عبدل قد أُقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحَكَمُ يُحمَلُ وأبو عُلَيَّة يُقاد ، فلَقِيَهما صاحب العَسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلمّا استقرّا في الحبس نظر الحَكَم إلى عصا أبي عُلَيّة موضوعةً إلى جانب عصاه ، فضحِك وأنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

حَبْسي وحَبْسُ أبي عُلَيَّـ ـةَ من أعاجيب الزمانِ
أَعْمـى يُقــادُ ومُقْعَدٌ لا الرِّجْلُ منه ولا اليَدانِ
هــذا بــلا بَصَرٍ هنــا كَ وبي يَخُبُّ الحامِلانِ
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفَلا ةِ قَرينَ حُوتٍ في مكانِ
طِرْفِي وطِرْفُ أبي عُلَيَّـ ـةَ دهرَنـــا مُتَوافقانِ
مَــنْ يَفْتَخِرْ بجَــوادِهِ فَجيادُنــــا عُكَّــازتانِ
طِرْفــانِ لا عَلَفاهُمــا يُشْرى ولا يَتَصــاوَلانِ
هَبْنِي وإِيّــاه الحريـ ـقَ أكان يَسْطَع بالدُّخانِ

قال : وكان اسم أبي عُلَيَّة يحيى ، فقال فيه الحَكَم أيضاً : [من الطويل]

أقول ليحيى ليلــةَ الحبسِ سادِراً ونَوْمِي بــه نَــوْمُ الأَسيرِ المُقَيَّدِ[1]
أَعِنِّي على رَعْـي النجومِ ولَحْظِها أُعِنْـكَ على تحبيرِ شِعْــرٍ مُقَصَّدِ[2]
ففــي حالَتَيْنــا عِبرةٌ وتَفَكُّــرٌ وأَعجبُ شيءٍ حَبْسُ أعمى ومُقْعَدِ
كِلانا إذا العُكَّــازُ فــارقَ كَفَّــهُ يُنِيخ صَرِيعاً أو على الوجه يَسْجُدُ[3]
فعُكّازة تَهْدِي إلى السُّبْل أَكْمَهاً وأُخْرى مَقامَ الرِّجل قامت مع اليَدِ

[دولة العرجان]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرَفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثني أحمد بن بُكَير الأسديّ قال حدّثني محمد بن أَنَس السَّلاميّ الأسديّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت قال : وَلِيَ الشُّرطَةَ بالكوفة رجلٌ أَعرجُ ، ثم وَلِـيَ الإمارة أمير أَعرج ، وخرج ابن عبدلٍ وكان أعرج ، فلقي سائلاً أَعرجَ وقد تَعرَّض للأمير يسأله ، فقال ابن عبدل للسائل : [من الكامل]

---

1 السادر : المتحير .

2 الشعر المقصد : أي في قصائد طويلة .

3 في هذا البيت إقواء .

أَلْقِ العصا ودَعِ التخامُعَ والتَمِسْ عَمَـلاً فهَـذِي دَوْلَـةُ العُرْجانِ[1]
لأميرِنـا وأميرِ شُرْطَتِنـا مَعـاً يـا قَوْمَنـا لِكِلَيْهِمـا رِجْـلانِ
فإذا يكـونُ أميرُنـا ووزيرُنـا وأنـا فـإنّ الرابـعَ الشيطـانُ[2]

فبلغت أبياتُه ذلك الأمير فبعث إليه بمائتي درهم وسأله أن يكُفَّ عنه .

وحدّثنيه الأخفش عن عبيد الله اليزيديّ عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة عن عُمَر بن عبد العزيز قال : وَلِيَ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الكوفة وضُمَّ إليه رجلٌ من الأشعريّين يقال له سهل ، وكانا جميعاً أعرجَيْن . ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث يعقوب بن نُعَيم .

[حلم بما أعطاه عبد الملك بن بشر بن مروان]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن المُحرز الباهليّ عن الهيثم الأَحْمَرِيّ قال : كانت لابن عبدل الأسديّ حاجةٌ إلى عبد الملك بن بِشْر بن مروان ، فجعل يدخل عليه ولا يتهيّأ له الكلام ، حتى جاءه رجلٌ فقال : إنّي رأيتُ لـك رؤيـا ، فقال : هاتِها . فقصَّها عليه ؛ فقال ابن عبدل : وأنـا قد رأيت أيضاً ؛ قال : هاتِ ما رأيت ؛ فقال : [من الكامل]

أَغْفيتُ قبلَ الصبح نومَ مُسَهَّدٍ في ساعةٍ مـا كنتُ قبلُ أَنامُها
فَحَبوتَنِـي فيما أرى بوليـدةٍ مَغْنوجـةٍ حَسَنٍ عـليّ قِيامُها
وبِبَدرةٍ حُمِلـتْ إليّ وبغلـةٍ شَهْباءَ ناجيـةٍ يَصِلّ لِجامُها[3]
ليتَ المنابرَ يا ابنَ بِشْرٍ أصبحتْ تُرقى وأنتَ خطيبُهـا وإمامُها

فقال له ابن بشر : إذا رأيتَ هذا في اليَقظة أتعرفُه ؟ قال : نعم وإنّما رأيتُـه قُبيلَ الصبح ؛ قال : يا غلام ، ادعُ فلاناً ، فجاء بوكيله ، فقال : هاتِ فلانة فجاءت ، فقال : أين هذه ممّا رأيتَ ؟ قال : هي هي ؛ وإلاّ فعليه وعليه ؛ ثم دعا له ببَدرة ، فقال : مثلَ ذلك ، وببغلة فركِبها وخرج ؛ فلَقِيَه قَهْرمانُ[4] عبد الملك ، قال : أتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : بكَم ؟ قال : بستّمائة ، قال : هي لك ، فأعطاه ستّمائة ، فقال له : أما والله لو أبيتَ إلاّ ألفاً لأعطيتُك ؛ قال : إيّاي

1 التخامع في ل : التحامق . والتخامع : التظاهر بالخمع وهو العرج .
2 ووزيرنا في ل : ووزيره . وفي هذا البيت إقواء .
3 الناجية : الناقة السريعة . يصلّ لجامها : أي له صوت .
4 قهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

تَنْدِم ! لو أبيتَ إلاّ ستّةً لَبِعتُك .

[هجاؤه محمد بن حسان]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمد قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم عن ابن عيّاش عن لَقِيط قال : تزوّج محمد بن حسّان بن سعد التَّميميّ امرأةً من ولد قيس بن عاصم وهي ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس ، زوّجها إيّاه رجلٌ منهم يقال له زياد ، فقال ابن عبدل : [من الطويل]

أبـاعَ زيـادٌ سوَّد اللهُ وجهَـهُ عَقِيلَـةَ قـومٍ سادةٍ بالدراهِمِ
ومـا كان حسّانُ بن سعدٍ ولا ابنهُ أبو المسك من أكفاء قَيْس بن عاصِمِ
ولكنّـه ردَّ الزمـانَ على استِـهِ وضَيَّع أمرَ المُحْصَنـاتِ الكرائِمِ
خُذِي دِيَةً منه تكُـنْ لكِ عُـدَّةً وجيئي إلى باب الأمير فخاصمي
فلو كنت في رَوْحٍ لما قلتُ خاصمي ولَكنّما أُلقِيتِ في سجـن عارِمِ[1]

قال : فلمّا بلغَ أهلَها شعرُه أَنِفوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسّان حتى فارقها . قال : وكان محمد بن حسّان عاملاً على بعض كُوَر السَّواد ، فسأله ابن عَبْدَل حاجةً فردَّه عنها ، فقال فيه هذا الشعر وغيره وهجاه هجاءً كثيراً .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن بُكَير الأسديّ عن محمد بن بِشْر السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت ، فذكر نحواً ممّا ذكره عَمِّي وزاد فيه قال : وكانت المرأةُ التي تزوَّجها مُعاذة بنت مُقاتل بن طَلبة ، فلمّا سمِعَت ما قال ابن عبدل فيها نَشَزَت على زوجها وهَرَبَتْ إلى أهلها ، فتوسَّطوا ما بينهما وافتُدِيَتْ منه بمال وفارقها .

[سمع امرأة تنشد شعره فحادثها وأنشدها من شعره]

أخبرني عَمِّي قال حدّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ عن عَطاء عن يحيى بن نصر أبي زكريّا قال : سمِع ابن عبدل الأسديّ امرأةً وهي تتمشّى بالبلاط تتمثّل بقوله : [من الطويل]

وأُعسِرُ أحيانـاً فتشتَدّ عُسْرَتي وأُدرِكُ ميسورَ الغِنى ومَعِي عِرْضِي

فقال لها ابن عبدل ، وكان قريباً منها : يا أُخَيَّا ، أتعرفين قائل هذا الشعر ؟ قالت : نعم ، ابن عبدل الأَسديّ ؛ قال : أَفَتَثْبِتِينَه معرفةً ؟ قالت : لا ؛ قال : فأنا هو ، وأنا الذي أقول : [من الطويل]

---

1 سجن عارم : حبس كان لابن الزبير ثم للحجّاج . قال ياقوت «ولا أعرف موضعه وأظنّه بالطائف» .

وأُنْعِظُ أحياناً فينقدُّ جلدُهُ ... وأعذِلُهُ جُهْدِي فلا ينفعُ العَذْلُ
وأَزدادُ نَعْظاً حين أُبصِرُ جارتي ... فأُوثِقُه كيما يَثُوبَ لـه عَقْلُ[1]
ورُبَّتما لم أَدْرِ مـا حِيلَتِي لـه ... إذا هو آذاني وغَرَّ بـه الجهلُ
فآويتُهُ في بطن جاري وجارتي ... مكابرةً قُدْماً وإنْ رَغِمَ البَعْلُ[2]

فقالت له المرأة : بئس والله الجارُ للمُغِيبَة[3] أنتَ ، فقال : إي والله ، وللتي معها زوجها وأبوها وابنُها وأخوها .

[قدم على ابن هبيرة مستجدياً فأعطاه بعد إلحاح ما أراد]

أخبرني محمد بن زكريّا الصَّحّاف قال حدّثنا قَعْنَب بن المحرز الباهليّ قال حدّثنا الهيثم بن عَدِيّ وأخبرني به حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الحسن قال حدّثني أبو خالد الخُزاعيّ الأَسْلَميّ عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال : قَدِمَ الحَكَمُ بن عَبْدَل الشاعر الكوفيّ واسطاً على ابن هُبَيرة وكان بخيلاً ، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال : [من الطويل]

أتيتكَ في أمرٍ مِـنَ آمرِ عَشيرتِي ... وأَعْيا الأمورِ المُفْظِعاتِ جَسِيمُها
فإن قلتَ لي في حاجتي أنا فاعلٌ ... فقد ثَلِجَتْ نفسي وولَّتْ همومُها

قال : أنا فاعل إن اقتصدتَ ، فما حاجتك ؟ قال : غُرْمٌ لَزِمَنِي في حَمالة ؛ قال : وكم هي ؟ قال : أربعة آلاف ، قال : نحن مُناصِفُوكها ، قال : أصلح الله الأمير ، أتخاف عليَّ التُّخَمة إن أتممتَها ؟ قال : أكره أن أعوِّد الناسَ هذه العادة ؛ قال : فأعطِني جميعَها سرّاً وامنعني جميعَها ظاهراً حتى تُعوِّد الناس المنعَ وإلاّ فالضررُ عليك واقع إن عوّدتهم نصفَ ما يطلبون ؛ فضحِك ابن هُبَيرة وقال : ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك ؛ فجثا بين يديه وقال : امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان ؛ قال : أعطوه إيّاها قبّحه الله فإنّه ، ما عَلِمتُ ، حَلاّف مَهِين ؛ فأخذها وانصرف .

[أفنى الطاعون قوماً من بني غاضرة فرثاهم]

أخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبيّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني محمد بن معاوية الأَسديّ قال حدّثني مشايخنا من بني أسد محمد بن أنس وغيرُه قالوا : لمّا وقَعَ الطاعون بالكوفة أفنى بني

1 يثوب في ل : يكون .
2 قدماً : المضي والإقدام .
3 المغيبة : التي غاب عنها رجالها .

غاضرة ومات فيه بنو زِرّ بن حُبَيْش الغاضريّ صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكانوا ظُرَفاء ، وبنو عمٍّ لهم ، فقال الحَكَمُ بن عَبْدل الغاضريّ يرثيهم : [من الطويل]

أبعدَ بني زِرٍّ وبعدَ ابن جَنْدَلٍ ... وعمرو أُرَجِّي لَذَّة العيش في خَفْضِ
مَضَوْا وبَقِينا نَأمُلُ العيشَ بعدَهم ... أَلا إن مَنْ يَبْقى على إثْرِ مَنْ يَمْضي
فقد كان حَوْلي من جِيادٍ وسالمٍ ... كُهُولٌ مَساعِيرٌ وكلُّ فَتًى بَضّ[1]
يَرى الشُّحَّ عاراً والسماحةَ رِفْعَةً ... أغرُّ كعودِ البانةِ الناعمِ الغَضِّ

[هجاؤه محمد بن حسّان وقد سأله حاجة فلم يقضها]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب أبي مُحَلِّم قال : سأل الحكَم بن عبدل أخو بني نصر بن قُعَين محمدَ بن حسّان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألته إيّاها ؛ فردّه ولم يَقْضها ؛ فقال فيه ابنُ عَبْدَل : [من الوافر]

رأيتُ محمداً شَرِهاً ظلوماً ... وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقول أماتني رَبِّي خِداعاً ... أماتَ اللهُ حَسّانَ بنَ سَعْدِ
فلولا كَسْبُه لَوُجِدْتَ فَسْلاً ... لَئِيمَ الكَسْبِ شأنُكَ شأنُ عَبْدِ[2]
رَكِبتُ إليه في رَجُلٍ أتاني ... كريمٍ يَبْتَغِي المعروفَ عندي
فقلتُ له وبعضُ القول نُصْحٌ ... ومنه ما أُسِرُّ له وأُبْدِي
تَوَقَّ دراهمَ البَكْرِيِّ إنّي ... أخافُ عليك عاقبةَ التعدِّي
أُقَرِّبُ كلّ آصرةٍ ليدنو ... فما يزدادُ مِنّي غيرَ بُعْدِ
فأُقسِمُ غيرَ مُسْتثنٍ يميناً ... أبا بَخرٍ لَتَتَّخِمَنَّ رَدِّي

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثني أحمد بن بُكَيْر الأَسَديّ قال حدّثني محمد بن أَنَس السَّلاميّ قال حدّثني محمد بن سهل الأسديّ راويةُ الكُمَيت : أنّ الحَكَم بن عبدل الأسديّ أتى محمد بن حسّان بن سعد التَّميميّ وكان على خراج الكوفة ، فكلّمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خَراجه ؛ فقال : أماتني الله إن كنتُ أقدِر أن أَضَع من خراج أمير المؤمنين شيئاً ؛ فانصرف ابن عبدل وهو يقول : [من البسيط]

1 مساعير : يسعرون نار الحرب . والبض : رخص الجسم .
2 الفسل : المسترذل الضعيف الذي لا مروءة له .

دَعِ الثلاثين لا تَعْرِض لصاحبها لا بارَكَ اللهُ في تلك الثلاثينا
لمّا علا صوتُــه في الدارِ مُبْتكراً كأشتفان يرى قوماً يدُوسُونا[1]
أحسِنْ فإنّك قد أُعطيتَ مملكةً إمارةً صرتَ فيها اليومَ مَفْتونا
لا يُعطِك اللهُ خيراً مثلَها أبداً أقسمتُ بالله إلاّ قلتَ آمينا

قال : فلم يضع له شيئاً ممّا على الرجل ؛ فقال فيه :

رأيــتُ محمــداً شَرِهــاً ظَلُوماً وكنــتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقولُ أماتنِــي ربِّــي خِداعــاً أمــاتَ اللهُ حَسّانَ بــنَ سَعْدِ
فما صادفتَ في قَحْطان مثْلي ولا صادفــتُ مِثلَك في مَعَدِّ
أقــلَّ براعــةً وأشدّ بُخْــلاً وألأمَ عنــدَ مسألــةٍ وحَمْدِ
نَحَوْتُ محمــداً ودُخانُ فيــه كَريحِ الجَعْرِ فوقَ عَطِينِ جِلْدِ[2]
فأُقسمُ غيرَ مُسْتَثْــنٍ يمينــاً أبا بَخَـــرٍ لَتَتَّخِمَــنَّ رَدِّي
فلو كنتَ المهذَّبَ مــن تميمٍ لَخِفْتَ مَلامَتي ورَجَوْتَ حَمْدِي
نكَهْتَ عليّ نَكْهــةَ أَخْدَرِيٍّ شَتيمٍ أَعْصَلِ الأنيــاب وَرْدِ[3]
فما يدنــو إلى فَمِــهِ ذُبابٌ ولــو طُلِيَتْ مَشافــرُه بقَنْدِ[4]
فإن أهديتَ لي من فِيك حَتفاً فإنّي كالذي أهديــتَ مُهْدِي

قال محمد بن سهل : وما زال ابن عبدل يزيد في قصيدته هذه الداليّة حتى مات وهي طويلة جدّاً . قال : واشتهرتْ حتى إنْ كان المُكارِي ليَسوق بغلَه أو حمارَه فيقول : عَدْ * أماتَ اللهُ حَسّانَ بن سَعْدِ * فإذا سمع ذلك أبوه قال : بل أماتَ اللهُ ابني محمداً ، فهو عَرَّضني لهذا البلاء في ثلاثين درهماً .

[ابن عبدل وأبو المهاجر]

أخبرني أحمد بن محمد بن زكريّا الصَّحّاف قال حدّثنا قَعْنَبُ بن مُحرِزٍ قال أخبرنا الهيثم بن عَدِيّ قال : دعا أبو المهاجر الحَكَم بن عبدل ليشرب عنده وله جارية تغنّي فغنّت ؛ فقال ابن

1 كأشتفان في ل : كاستعار . يدوسونا في ل : يسوقونا .
2 نحوت في ل : فقدت . الجعر : نجو كل ذي مخلب من السباع . والعطين : الجلد المنتن .
3 يقصد بالأخدري : الأسد ؛ والشتيم : الأسد العابس ؛ وأعصل الأنياب : معوجها ؛ والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .
4 القند : عسل قصب السكّر إذا جمد .

عبدل : [من الكامل]

يا أبا المُهاجر قد أردتَ كرامتي فأهنتَنِي وضررتَنِي لو تَعْلَمُ
عند التي لو مَسَّ جِلْدِي جلدها يوماً بَقِيتُ مخلَّداً لا أَهْرَمُ
أو كنتُ في أَحْمى جهنَّمَ بقعةً فرأيتُها بَرَدَتْ عليَّ جهنَّمُ

قال : فجعل أبو المهاجر يَضْحَك ويقول له : وَيحَك ! واللهِ لو كان إليها سبيلٌ لوهبتُها لك ، ولكن لها مِنِّي ولدٌ .

[ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسديّ]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَزَّاز عن المدائنيّ قال : كان عمر بن يزيد الأسديّ مُبَخَّلاً ، ووجده أبوه مع أَمَةٍ له فكان يُعَيَّر بذلك ، وجاءه الحكم بن عبدل الأسديّ ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً ، فدخلوا إليه وهو يأكل تمراً فلم يَدْعُهم إليه ، وذكروا له حاجتَهم فلم يَقضِها ؛ فقال فيه ابن عبدل : [من البسيط]

جِئنا وبين يديه التمرُ في طَبَقٍ فما دعانا أبو حَفْصٍ ولا كادا
علا على جسمهِ ثوبانِ من دَنَسٍ لؤمٍ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا

[ابن عبدل يقتضي ديون امرأة موسرة من الكوفة]

أخبرني علي بن سليمان الأَخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأَحْول عن أبي نصر عن الأصمعيّ قال : كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد ، فاستعانت بابن عبدل في دَينها ، وقالت : إنّي امرأة ليس لي زوج ، وجعلت تُعَرِّض بأنّها تُزَوِّجه نفسَها ؛ فقام ابن عبدل في دَينها حتى اقتضاه ؛ فلمّا طالبها بالوفاء كتبتْ إليه : [من الوافر]

سَيُخطئكَ الذي حاولتَ منّي فقطِّعْ حبلَ وصلك من حبالِي
كما أخطاك معروفُ ابن بِشْرٍ وكنتَ تَعُدّ ذلك رأسَ مالِ

قال : وكان ابن عبدل أتى ابنَ بشر بالكوفة فسأله ؛ فقال له : أخمسمائة أَحَبُّ إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل ؟ قال : ألف في قابل . فلمّا أتاه قال له : ألف أَحبّ إليك أم أَلْفان في قابل ؟ قال : ألفان ؛ فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً .

[تلطفه في سؤال عبد الملك بن بشر بن مروان]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال : دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر ، فقال له : ما أحدثتَ بعدي ؟ قال : خطبتُ امرأة من قومي فرَدَّت عليّ جوابَ رسالتي بِبَيْتَيْ شعرٍ ؛ قال : وما هما ؟ قال : قالت : [من الوافر]

سيخطئكَ الذي حاولتَ منّـي   فقطِّع حبلَ وصلك من حبالي
كما أخطاكَ معروفُ ابن بشر   وكنتَ تعُـدّ ذلك رأسَ مالِ

فضحِك عبد الملك ، ثم قال : لجاد ما أَذْكَرتَ بنفسك ! وأمر له بألفيْ درهم .

[ابن عبدل وبشر بن مروان]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ وحَبيب بن نصر المُهلَّبيّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال حدّثني مِنْجاب بن الحارث قال حدّثني عبد الملك بن عفّان قال : كان الحكم بن عبدل الأسديّ ثم الغاضِريّ صديقاً لبشر بن مروان ، فرأى منه جَفاءً لشُغلٍ عَرَض له ، فغبَر عنه شهراً ، ثم التَقَيا فقال : يا ابن عبدل ، ما لك تركتَنا وقد كنت لنا زَوَّاراً ؟ فقال ابن عبدل : [من الخفيف]

كنتُ أُثني عليـك خيراً فلمّا   أَضْمَرَ القلبُ من نَوالك ياسا
كنت ذا مَنْصِب قَنِيتُ حَيائي   لم أَقُل غيرَ أن هجرتُـك باسا
لم أُطِق ما أردتَ بي يا ابن مروا   نَ ستَلقـى إذا أردتَ أُناسا
يَقْبَلونَ الخَسيسَ منـك ويُثْنو   نَ ثنـاءً مُدَخْمَساً دِخْماسا[1]

فقال له : لا نَسُومك الخسيسَ ولا نريد منك ثناءً مدخمساً ، ووصَلَه وحَمَله وكساه .

[ابن عبدل وقد طلبه عمر بن هبيرة للغزو]

أخبرني الأسديّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال وحدّثني محمد بن معاوية قال حدّثني مِنْجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفّان قال : أراد عمر بن هبيرة أن يُغْزِي الحَكَم بن عبدَل الغاضريّ ، فاعتلّ بالزَّمانة[2] فحُمل وأُلقي بين يديه فجرَّده فإذا هو أعرج مفلوج ، فوضع عنه الغزوَ وضمَّه إليه وشَخَص به معه إلى واسط ؛ فقال الحَكَم بن عبدل : [من الطويل]

لعَمْرِي لقد جرّدتني فوجدتني   كثير العيـوب سَيِّىءَ المُتَجرَّدِ
فأعفيْتَنِي لَمّـا رأيـتَ زَمانتـي   وَوُفِّقْتَ منّـي للقضاء المُسَدَّدِ

فلمّا صار عمر إلى واسط شكا إليه الحكمُ بن عبدل الضَّبْعَة[3] ، فوهَب له جاريةً من جواريه ، فواثَبَها ليلةَ صارت إليه فنكَحها تسعاً أو عشراً طَلَقاً ، فلمّا أصبحت قالت له : جُعِلتُ فِداك من أيِّ الناس أنت ؟ قال : امرؤٌ من أهل الشام ؛ قالت : بهذا العمل نُصِرْتُم .

1 ثناء مدخمس ودخماس : أي لا حقيقة له .
2 الزمانة : العاهة .
3 الضبعة : شدّة شهوة الفحل .

[أعفاه الحجّاج من الغزو]

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيْرفيّ ، قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثنا أحمد بن بُكَيْر الأسديّ عن محمد بن أَنَس السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيْت فقال فيه : ضرب الحجّاج البَعْثَ على المُحتَلِمين ومن أَنْبتَ من الصِّبيان ، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جُرِّد فَتَضمّه إليها وتقول له : «بأبي» جَزَعاً عليه ، فسُمِّي ذلك الجيش «جيش بأبي» ، وأُحضِر ابن عبدل فجُرِّد فوُجد أعرج فأُعفيَ ؛ فقال في ذلك :

لعمري لقد جَرّدتني فوجدتني

البيتين ، وزاد معهما ثالثاً وهو : [من الطويل]

ولستُ بــذي شَيْخَيْن يَلْتَزِمانه ... ولكن يَتيمٌ ساقطُ الرِّجلِ واليدِ

[تزوّج همدانيّة ولمّا كرهها قال فيها شعراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن مِنْجاب عن عبد الملك بن عفّان قال : تزوّج ابن عبدل امرأةً من هَمْدان فقالوا له : على كم تزوّجتَ ؟ فقال : [من الطويل]

تَزوّجتُ هَمْدانيّةً ذات بهجةٍ ... على نَمَـط عاديّةٍ ووسائدِ

لعمري لقد غاليتُ بالمَهْرِ إنّه ... كذاك يُغالَى بالنساء المَواجِدِ

قال : فلمّا دخَل بها كرِهها فقال : [من الوافر]

أَعاذِلتيّ مـن لَـومٍ دعاني ... أقِــلاّ اللومَ إن لم تَعْذِراني

فإنّي قــد دُلِلتُ على عجوزٍ ... مُبَرقَعــةٍ مخَضّبـــةِ البَنانِ

تَغَضّن جلدُهـا واخضرّ إلا ... إذا ما ضُرِّجَتْ بالزعفرانِ

فلمّا أن دخلتُ وحادثَتْني ... أَظَلّتْــي بيــومٍ أَرْوَنــانِ[1]

تُحدّثني عن الأزمــانِ حتى ... سمعتُ نـداءَ حُـرٍّ بالأذانِ

فقالت قد نَكَحْتُ اثنين شتّى ... فلمّـا صاحَبـاني طَلّقاني[2]

وأربعــةً نكحتُهـم فماتــوا ... فليت عَرِيف حَيٍّ قد نعانِي[3]

1 أرونان : صعب .
2 صاحباني في ل : صابحاني .
3 عريف في ل : عزيف الجنّ .

وقالت ما تِلادُك قلتُ مالي حمـــارٌ ظالـعٌ ومَـزادتانِ
وبُـــوريٌّ وأربعـةٌ زُيُـوف وثَوْبـــا مُفْـلِسٍ مُتَخَرِّقانِ[1]
وقِطعةُ جُلّــة لا تَمْرَ فيها ودَنّـــا عومـــةٍ مُتَقابِلانِ[2]
فقالت قد رَضِيتُ فسَمِّ ألفاً ليسمع ما تقولُ الشّاهِدانِ
وما لكِ عندنـــا ألفٌ عَتِيد ولا تِسْعٌ تُعَـدّ ولا ثَمانِ
ولا سَبْعٌ ولا سِتٌّ ولكن لكم عندي الطويلُ من الهَوانِ

[كان منقطعاً إلى بشر بن مروان فلمّا مات رثاه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : كان الحكم بن عبدل الأسديّ منقطعاً إلى بشر بن مروان ، وكان يأْنَس به ويُحبّه ويَستطِيبه ، وأخرجه معه إلى البصرة لمّا وَلِيَها ، فلمّا مات بِشْر جَزِع عليه الحَكَم وقال يرثيه : [من الكامل]

أصبحتُ جَـمَّ بَلابِـل الصَّدْرِ مُتَعجِّبـــاً لتصـــرُّفِ الدَّهـرِ[3]
ما زلتُ أطلبُ في البلاد فتًى ليكون لي ذُخْـــراً من الذُّخْرِ
ويكـــون يُسعِـــدني وأُسعِـده في كلّ نائبـــةٍ من الأمرِ
حتى إذا ظَفِـــرتْ يدايَ به جـــاء القَضاءُ بحَيْنِـــه يَجْري
إنّي لفِـــي هـــَم يباكرُنِـــي منـــه وهـــمٍّ طـــارقٍ يَسْري
فلأَصْبِرَنَّ ومـــــا رأيـــتُ دواً للهـــمّ غيرَ عزيمــــةِ الصبرِ
واللهِ مــــا استعظمـــتُ فُرْقَتَه حتـــى أحاطَ بفضلِـهِ خُبْري

[خرج مع عمّال بني أميّة إلى الشام]

أخبرني ابن دريد قال حدّثني عمّي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : لمّا ظَفِرَ ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عُمّال بني أميّة خرج ابن عبدل معهم إلى الشام ، وكان ممّن يدخل إلى عبد الملك ويَسْمُر عنده ، فقال لعبد الملك ليلةً : [من البسيط]

يا لَيْتَ شِعْري وليتٌ رُبَّما نفعتْ هل ابصِرَنَّ بني العَوَّام قد شُمِلُوا
بالذلّ والأَسْرِ والتشريد إنّهمُ على البريّـــةِ حَتْف حيثمـــا نَزلُوا

1 بوري : حصير من قصب . والأربعة الزيوف : أربعة دراهم مزيّفة .

2 الجلة : قفّة كبيرة للتمر .

3 بلابل الصدر : الهموم ، جمع بلبال .

أم هل أراكَ بأكنافِ العراق وقد ذلّت لِعزِّك أقوامٌ وقد نَكَلُوا[1]

فقال عبد الملك ، ويُرْوى أنّه قائل هذا الشعر :

إن يُمكِنِ اللهُ من قَيْس ومن جَدَسٍ ومن جُذام ويُقْتَلْ صاحبُ الحَرَمِ[2]
نَضْرِبْ جَماجِمَ أقوامٍ على حَنَقٍ ضَرْباً يُنكِّلُ عنّا سائرَ الأُمَمِ[3]

[يزيد بن عمر بن هبيرة وبنت ابن عبدل]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم عن أبيه قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ عن رجل من بني أَسَد قال : خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بني غاضرة ، وقد أُقيمت الصلاة ، فنزل يُصلِّي ، واجتمع الناس لمكانه في الطريق وأشْرفَ النساءُ من السطوح ، فلمّا قضى صلاته قال : لمن هذا المسجد ؟ قالوا : لبني غاضرة ، فتمثّل قول الشاعر : [من الكامل]

ما إن تَرَكْنَ من الغواضر مُعْصِراً إلاّ فَصَمْنَ بساقها خَلْخالا[4]

فقالت له امرأةٌ من المُشرِفات : [من الكامل]

ولقد عَطَفْن على فَزارةَ عَطْفَةً كَرَّ المَنِيحِ وجُلْنَ ثَمَّ مَجالا[5]

فقال يزيد : مَنْ هذه ؟ فقالوا : بنت الحَكَم بن عبدل ؛ فقال : هل تلد الحَيّةُ إلاّ حَيَّةً ! وقام خَجِلاً .

[ابن عبدل وصاحب العسس]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدّثني أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العُمَريّ عن عطاء بن مُصعب عن عاصم بن الحدثان قال : كان ابن عبدل الأسديّ أعرج أحدب ، وكان من أطيب الناس وأملحِهم ، فلَقيَه صاحب العَسس ليلةً وهو سكران محمول في مَحَفَّة ؛ فقال له : مَن أنت ؟ فقال له : يا بغيض ، أنت أعرفُ بي من أن تسألني مَن أنا ، فاذهب إلى شُغلك ، فإنّك تعلمُ أنّ اللصوص لا يخرجون بالليل للسَّرقة محمولين في مِحفّة ؛ فضحك الرجل وانصرف عنه .

1 أقوام في ل : أعداء .
2 جدس : بطن من كندة . وفي رواية جُرَش ، وهي بطن من حمير .
3 سائر في ل : غابر .
4 فصمن في ل : قصمن .
5 المنيح : اسم فرس .

[ابن عبدل يعرض بابن هبيرة حتى أغضبه]

أخبرني هاشم بن محمّد قال حدّثنا العبّاس بن مَيْمون طائع قال حدّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عَدِيّ عن ابن عيّاش قال : رأيتُ ابن عبدل الأسديّ وقد دخل على ابن هبيرة ، فقال له : أنشدْني شيئاً . فقال : أُنشدك مَقُولةً أيّها الأمير ؟ قال : هات ؛ فأنشده هذه الأبيات ؛ وهي قديمة وقد تمثّل بها ابن الأشعث حين خرج ، ويُروى أنّها لأعشى هَمْدان : [من الطويل]

نجمُّ ولا نُعطى وتُعْطَى جُيُوشُهم وقد مَلَؤوا مِن مالنا ذا الأَكارِعِ
وقد كَلّفونا عُدَّةً وروائِعاً فَقَدْ وَأَبِي رُعْناكُمُ بالرَّوائِعِ
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ من أَلْفِ فَرْسخٍ إليكم بمُحْمَرٍّ من الموتِ ناقِعِ

قال : فغضب ابن هبيرة من تعريضه به ، وقال له : والله لولا أنّي قد أمّنتك واستنشدْتُك لضَرَبتُ عُنُقَك .

[كانت له جارية سوداء فولدت ولداً فقال فيه شعراً]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدّثنا القاسم بن عبد الرحمن قال : كانت للحَكَم بن عبدل جارية سوداء ، وقد كان يميل إليها فولَدَت له ابناً أسود ، فكان من أعْرَمِ الصِّبيان[1] ، فقال فيه : [من الرجز]

يا رُبَّ خالٍ لَكَ مُسْوَدّ القَفا لا يَشْتَكِي من رِجْلِه مَسّ الحَفا
كأنّ عَيْنَيْه إذا تَشَوَّفا عَيْنا غُرابٍ فوقَ نِيقٍ أَشْرَفا[2]

[هجا عمر بن يزيد الأسديّ لبخله]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدّثنا عبيد الله بن محمد قال حدّثنا المدائنيّ قال : كان عُمَرُ بن يزيد الأسديّ بخيلاً على الطعام ، فدخل عليه الحَكَم بن عبدل الشاعر وهو يأكل بِطّيخاً ، فسلّم فلم يرُدّ عليه السلام ولم يَدْعُه إلى الطعام ؛ فقال ابنُ عبدل يهجوه : [من البسيط]

في عُمَر بن يزيد خَلَّتا دَنَسٍ بُخْلٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا
جِئْناه يأْكُلَ بِطِّيخاً على طَبَقٍ فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا

قال وكان عُمر على شُرطة الحجّاج وكان بخيلاً جِدّاً ، فأصابه قُولَنجْ فحَقَنَه الطبيب بدُهن

1 من أعرم الصبيان : من أخبثهم .
2 النيق : أرفع موضع من الجبل .

كثير ، فانحلّ ما في بطنه في الطَّسْت ، فقال للغُلام : ما تصنع به ؟ قال : أصُبُّه ؛ قال : لا ! ولكن مَيِّز منه الدُّهنَ واستصبحْ به .

[ابن عبدل ومحمد بن عمير كاتب عبد الملك بن بشر]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا أبو هَفَّان قال : كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتب يقال له محمّد بن عُمَير وكان كلّما مدحه ابن عبدل بشيء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها ، فدخل يوماً إلى عبد الملك وكاتِبُه هذا يُسارُه ، فوقف وأنشأ يقول : [من الكامل]

ألقيتَ نفسَك في عَرُوض مَشَقَّةٍ وحَصادُ أنفك بالمَناجِل أهْوَنُ[1]
فبحقّ أُمّك وهي غيرُ حقيقة باللّين واللُّطَف الذي لا يُخْزَنُ[2]
لا تُدْنِ فاكَ إلى الأمير ونَحِّهِ حتى يُداوِي نَتْنَه لك أهونُ
إن كان للظَّرِبان جُحْرٌ مُنْتِنٌ فلَجُحْرُ أنفِكَ يـا محمدُ أنتنُ

[خطب امرأة فأبت فقال يعيّرها]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العنَزيّ قال حدّثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ عن محمد بن أُنَس السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيْت قال : خطب ابن عبدل امرأةً من هَمْدان يقال لها : أُمّ رِياح فلم تتزوّجه ، فقال : أما واللهِ لأفضحنَّكِ ولأُعَيِّرنكِ فقال : [من الطويل]

فلا خيرَ في الفِتْيان بعدَ ابنِ عَبْدلٍ ولا في الزواني بعـد أُمّ رِياحِ
فأَيرِي بحمدِ الله ماضٍ مُجَرَّبٌ وأمّ رِيـاحٍ عُرْضَـةٌ لِنِكاحِي

[ولد له ولد سمّاه بشراً تيمّناً ببشر بن مروان]

قال : فتَحاماها الناسُ فما تزوّجتْ حتى أسنّتْ . وبهذا الإسناد عن محمد بن سهل قال : وُلِد للحَكَم بن عبدل ابنٌ فسمّاه بِشراً ، ودخل على بشر بن مروان فأنشده : [من المتقارب]

سَمّيْتُ بِشْراً ببشر النَّدى فـلا تَفْضَحَنِّي بتَصْداقِها
إذا ما قُرَيشٌ قُرَيشُ البِطا حِ عنـد تَجَمُّعِ آفاقِها

---

1 عروض : الطريق في عرض الجبل .
2 باللين في ل : بالبر .

تَسامَتْ قُـرُومُهـمُ للنَّدى تُباري الرِّيــاحَ بأَوْراقِها[1]
فمالُـكَ أنفــعُ أموالِهــا وخُلْقُـكَ أكـرمُ أخلاقِها

[اقترض مالاً فدفعه عنه عبد الملك بن بشر]

فأمر له بألفيْ درهم ، وقال : استَعِنْ بهذه على أمرك . وبإسناده عن محمد بن سهل قال : اقترض ابن عبدل مالاً من التِّجار وحلَف لهم بالطلاق ثلاثاً أنْ يَقضِيَهم المال عند طلوع الهلال ، فلمّا بَقي من الشهر يومان قال : [من المنسرح]

قد بــات هَمِّي قِرْناً أُكابِدُهُ كأنّما مَضْجَعِي على حَجَرِ
من رَهْبَةٍ أنْ يُرى هلالُ غَدٍ فإنْ رأوْه فحــقّ لي حَذَري
من فقْدِ بيضاء غادَةٍ كَمُلَتْ كأنّها صورةٌ مــن الصُّوَرِ
أصبحتُ من أهليَ الغداةَ ومِن مــالي على مثل ليلةِ الصَّدَرِ[2]

فبلغ خبرُه عبد الملك بن بِشْر فأعطاهم ما لهم عليه وأضعَفَه له ؛ فقال فيه : [من المنسرح]

لَمّا أتــاه الذي أُصِبْتُ بِــهِ وأَنْشَدُوه إيّــاه في شِعْري
جاد بضِعْفَيْ ما حلّ من غُرمِي عفواً فزالــت حرارةُ الصَّدْرِ
لأشكــرنَّ الذي مَنَنْتَ بِــهِ ما دُمْتُ حيّاً وطال لي عُمْري

[فضّله الحجّاج في الجائزة على الشعراء]

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد : اجتمع الشعراءُ إلى الحجّاج وفيهم ابن عبدل ، فقالوا للحجّاج : إنّما شعرُ ابن عبدل كلُّه هجاءٌ وشعرٌ سخيف ؛ فقال له : قد سمعتَ قولَهم فاستمع منّي ؛ قال هات ؛ فأنشده قوله[3] : [من الطويل]

وإنّي لأَسْتَغْنِـي فما أَبطَرُ الغِنَى وأَعْرِضُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي
وأُعْسِرُ أحيانــاً فَتَشْتَـدُّ عُسْرَتِـي فأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنى ومعي عِرْضِي

حتى انتهى إلى قوله : [من الطويل]

ولستُ بذِي وَجْهَيْن فيمن عَرَفْتَـهُ ولا البُخْلُ فاعلَمْ مِن سَمائي ولا أَرْضِي

فقال له الحجّاج : أَحسنتَ ! وفضّله في الجائزة عليهم بألفيْ دِرْهم .

---

1 أوراقها : أموالها .

2 ليلة الصدر : ليلة صدور الناس عن حجّهم ، أي شديد الاضطراب .

3 يبدو أنّ هذه الأبيات من قصيدة طويلة أثبت القالي أربعة عشر بيتاً منها (الأمالي 2 : 261) .

[أحد الأصوات المائة المختارة]

صوت[1]
من المائة المختارة

[من المتقارب]

أَجَـدّ بعَمْـرَةَ غُنْيانُهـا فتهجُرَ أم شأنَنـا شانـُها
فإنْ تُمس شَطَّتْ بها دارُها وباحَ لكَ اليومَ هِجْرانـُها
فما رَوْضَةٌ من رِياض القَطا كأنّ المَصابِيحَ حَوذانـُها[2]
بأحسنَ منهـا ولا مُزْنَـةٌ دَلُـوحٌ تَكَشَّفَ إدْجانـُها
وعَمْرةُ من سَرَوات النّسا ءِ تَنْفَـحُ بالمسكِ أَرْدانـُها

أجدّ : أَسْتمَرّ . وغُنيانُها : استغناؤها . أم شأننا شأنها : يقول أمْ هي على ما نحِبّ . وشطّتْ : بعُدَت ، قال ابن الأعرابيّ : يقال : شطّتْ وشَطَنَت وشَسَعَتْ وتشسّعتْ وبعُدَت ونأت وتزحزحت وشَطَرت ؛ قال الشاعر :

لا تَتْرُكنّي فيهمُ شَطيرا[3]

ومنه سُمِّي الشاطر . وباح : ظَهَر ؛ ومنه باحَة الدار وأنشد :

أَتكْتُـمُ حُبّ سَلْمى أم تَبُوحُ[4]

والرّوضة : موضع فيه نَبْتٌ وماء مستدير ، وكذلك الحديقة . وقوله :

كأنّ المصابيـحَ حَوْذانُهـا

أراد كأنّ حَوذانها المصابيح فقلَب ، والعرب تفعل ذلك ؛ قال الأعشى :

. . . كأنّ الجَمْرَ مثلُ تُرابِها

أراد كأنّ ترابَها مثلُ الجمر . والمُزْنَةُ : السحابة . والدّلُوحُ : الثقيلة ، يقال : مرّ يَدْلَح

---

1 أبيات قيس بن الخطيم في ديوانه (تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، طبعة دار صادر ، بيروت) : 66–69 .
2 الحوذان : نبات سهليّ طيّب الريح له زهرة حسنة .
3 شطيراً : غريباً .
4 سلمى في ل : ليلى .

بحمله إذا مرّ به مُثْقَلاً . والدَّجْن : إلباسُ الغيم السحاب برَشٍّ ونَدًى ، يقال : أدجنت السماء ؛ وقوله : تكشَّف إدْجانُها إذا انكشف السوادُ عنها ، وذلك أحسن لها ، وأراد مُزْنة بيضاء . والأردان : ما يلي الذراعين جميعاً والإبطَيْن من الكُمّين .

الشعر لقيس بن الخطيم ، والغناء لطُوَيْس خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسطى .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين
الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

3

الطبعة الأولى

1423هـ - 2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[19] ـ ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو قَيس بن الخَطيم بن عَدِيّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر ، ويُكنى قيس أبا يزيد[2] .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حَمّاد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أُنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم[3] : [من المنسرح]

بينَ شُكُولِ النساء خِلْقتُها حَذْواً فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[4]

فقال : لولا أن أبا يزيد قال : حَذْواً ما درى الناس كيف يَحْشُون هذا الموضع .

[أخذه بثأر أبيه وجدّه]

وكان أبوه الخطيم قُتِل وهو صغير ، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخَزْرَج ، فلمّا بلغ قتَل قاتلَ أبيه ، ونشِبتْ لذلك حروبٌ بين قومه وبين الخزرج وكان سببها .

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال : كان سبب قتل الخطيم أنّ رجلاً من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالِك اغتاله فقتله ، وقيس يومئذٍ صغير ، وكان عديّ أبو الخطيم أيضاً قُتل قبلَه ، قتله رجل من بني عبد القيس ، فلمّا بلغ قيس بن الخطيم وعرَف أخبار قومه وموضع ثأْرِه لم يزل يلتمس غِرَّة من قاتل أبيه وجَدّه في المواسم حتى ظفِر بقاتل أبيه بيَثْرِبَ فقتله ، وظفِر بقاتل جدّه بذي المَجاز ، فلمّا أصابه وجدَه في رَكْبٍ عظيم من قومه ، ولم يكن معه إلاّ رهطٌ من الأوس ، فخرج حتى أتى حُذَيفة بن بَدْر الفَزاريّ ، فاستنجده فلم يُنجده ، فأتى خِداش بن زُهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عديّ ، فإذا هو واقف على راحلته في السُّوق ، فطعنه قيس بحربة حتى أنفذ حضنه فقتله ، ثم استمرّ . فأراده رهطُ الرجل ، فحالت بنو عامر دونه ؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم[5] : [من الطويل]

1 طبقات محمد بن سلام الجمحي : 228–231 تحقيق العلاّمة الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر ، القاهرة 1974 ، والمؤتلف والمختلف للآمدي : 159–160 تحقيق عبد الستّار فرّاج ، القاهرة 1961 ، وخزانة الأدب للبغداديّ 7 : 24–37 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1986 ، وديوان قيس بن الخطيم تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1967 .

2 ل : أبا زيد .

3 الديوان : 103 .

4 جبلة في الديوان : قصد ، وفي ل : عبلة (حيثما وردت) . القضف : قلّة اللحم .

5 من القصيدة الأولى في ديوانه .

ثأرتُ عَدِيّاً والخَطِيمَ فلـم أُضِعْ   وِلايــةَ أشيــاخٍ جُعلتُ إزاءَها
ضربتُ بذي الزُّجَّيْنِ رِبْقةَ مالكٍ   فأُبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءَها[1]
وسامَحَنِي فيها ابنُ عمرو بنِ عامرٍ   خِـداشٌ فـأَدّى نعمــةً وأفاءَها
طعنتُ ابنَ عبد القَيْس طعنةَ ثائرٍ   لهــا نَفَذٌ لولا الشَّعــاعُ أضاءَها[2]
ملكتُ بها كفِّــي فأَنْهَرْتُ فَتْقَها   يَرى قائمٌ من دونِها ما وراءَها[3]

هذه رواية ابن الأعرابيّ عن المفضَّل . وأمّا ابن الكَلْبيّ فإنّه ذكر أنّ رجلاً من قُريش أخبره عن أبي عبيدة أنّ محمد بن عَمّار بن ياسِر ، وكان عالِماً بحديث الأنصار ، قال[4] : كان من حديث قيس بن الخطيم أنّ جَدّه عديّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة يقال له مالك ، وقتل أباه الخَطيمَ بن عديّ رجل من بني عبد القيس مِمّن كان يسكن هَجَرَ ؛ وكان قيس يوم قُتل أبوه صبيّاً صغيراً ، وقُتل الخَطيم قبل أن يثأر بأبيه عديّ ؛ فخشيتْ أمّ قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدّه فيَهلِك ، فعمَدتْ إلى كُومة من تراب عند باب دارهم ، فوضعت عليها أحجاراً وجعلتْ تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجَدّك ، فكان قيس لا يشكّ أن ذلك على ذلك . ونشأ أَيِّداً شديد الساعدين ، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر ، فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلتَ شدّة ساعديك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرجها عليّ ؛ فقال : ومن قاتل أبي وجدّي ؟ قال : سَلْ أُمَّ [illegible]برك ؛ فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذُبابه بين ثدييه وقال لأمّه : أخبريني مَن قتل أبي وجدّي ؟ قالت : ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفِناء ؛ فقال : والله لتُخبرينني مَن قتلهما أو لأَتَحامَلَنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ؛ فقالت : أمّا جَدُّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك ، وأمّا أبوك فقتله رجل من عبد القيس مِمّن يسكن هَجَرَ ؛ فقال : والله لا أنتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدّي ؛ فقالت : يا بُنيّ إنّ مالكاً قاتِل جَدِّك من قوم خِداش بن زهير ، ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر ، فَأْتِه فاستشِرْه في أمرك واستعِنه يُعِنك ؛ فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحه[5] وهو يسقي نخله ، فضرب الجَرِيرَ[6] بالسيف فقطعه ، فسقطت الدلوُ في

1 الزُّجّين في الديوان : بذي الزرّين (وهو سيف) ويروى بذي الخرصين .
2 الشعاع : انتشار الدم .
3 أنهرت : وسّعت .
4 أورد ابن حمدون في التذكرة خبر ثأر قيس واغتياله 7 : 377–382 .
5 الناضح : جمل يستقى عليه .
6 الجرير : الحبل .

البئر ، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرارَتين من تمر ، وقال : مَن يَكفيني أمر هذه العجوز ؟ (يعني أمّه) فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[1] حتى تموت ثم هو له ، وإن عشتُ فمالي عائد إليّ وله منه ما شاء أن يأكل من تمره ؛ فقال رجل من قومه : أنا له ، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليه بمَرِّ الظَّهْران ، فصار[2] إلى خبائه فلم يجده ، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه ، ثم نادى امرأة خداش : هل من طعام ؟ فأطلعَت إليه فأعجبها جماله ، وكان من أحسن الناس وجهاً ؛ فقالت : والله ما عندنا من نُزُلٍ نرضاه لك إلاّ تمراً ؛ فقال : لا أبالي ، فأخرجي ما كان عندك ؛ فأرسلت إليه بقُباع[3] فيه تمر ، فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردّ شِقَّها الباقي في القُباع ، ثم أمر بالقُباع فأُدخِل على امرأة خداش بن زهير ، ثم ذهب لبعض حاجاته[4] . ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قَيس ، فقال : هذا رجل متحرِّم . وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رُطَبا ؛ فلمّا رأى خداش رِجلَه وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفُكِ ؟ قالت : نعم ؛ قال : كأن قدمه قدم الخَطيم صديقي اليثربيّ ؛ فلمّا دنا منه قَرَع طُنُب[5] البيت بسنان رمحه واستأذن ، فأذِن له خداش فدخل إليه ، فنسَبه فانتسب وأخبره بالذي جاء له ، وسأله أن يُعينه وأن يشير عليه في أمره ؛ فرحّب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده ، وقال : إنّ هذا الأمر ما زلتُ أتوقّعه منك منذ حينٍ . فأمّا قاتل جدّك فهو ابن عمّ لي وأنا أُعينك عليه ، فإذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جنبه وتحدّثتُ معه ، فإذا ضربتُ فخذَه فثِبْ إليه فاقتله . فقال قيس : فأقبلتُ معه نحوه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالسه خداش ، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه[6] بسيف يقال له ذو الخُرْصين[7] ، فثار إليَّ القوم ليقتلوني ، فحال خداش بينهم وبيني وقال : دَعُوه فإنّه والله ما قتل إلا قاتل جدّه . ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه ، وانطلق مع قيس إلى العَبْدِي الذي قتل أباه ، حتى إذا كانا قريباً من هَجَرَ أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه ، فإذا دُلّ عليه قال له : إنّ لصّاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي ، فسألت مَن سيد قومه فدُللتُ عليك ، فانطلقْ معي حتى تأخذ متاعي منه ؛ فإن اتّبعك وحده فستنال ما تريد منه ، وإن أخرج معه غيره فاضحك ، فإن سألك ممّ ضحكتَ فقل : إنّ الشريف عندنا لا يصنع

1 الحائط : البستان .
2 ل : فأتى .
3 القباع : وعاء للتمر وغيره .
4 ل : حاجته .
5 ل : قرع الظلة .
6 ل : عنقه .
7 هو سيف ذو الزرين أو ذو الخرصين ، انظر الأبيات فيما تقدّم .

كما صنعتَ إذا دُعي إلى اللص من قومه ، إنّما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فإذا رآه اللص أعطى كلّ شيء أخذ هيبةً له ، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك ، وإن أبَى إلاّ أن يمضوا معه فأْتِني به ، فإنّي أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه . ونزل خداش تحت ظلّ شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العبديَّ فقال له ما أمره خداش فأحفظَه ، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس ؛ فلمّا طلع على خداش ، قال له : اخترْ يا قيس إمّا أن أُعينك وإمّا أن أَكفيَك ؛ قال : لا أُريد واحدة منهما ، ولكن إن قتلني فلا يُفْلِتَنَّك ؛ ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه ، فلمّا فرغ منه قال له خداش : إنّا إن فررنا الآن طلبَنا قومه[1] ، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله ، فإنّ قومه لا يظنّون أنّك قتلته وأقمتَ قريباً منه ، ولكنّهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره ، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كلّ وجه ، فإذا يئسوا رجعوا . قال : فدخلا في داراتٍ من رمال هناك ، وفقَد العبديّ قومه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلاً ، فخرجوا يطلبونهما في كلّ وجه ثم رجعوا ، فكان من أمرهم ما قال خداش . وأقاما مكانهما أيّاماً ثم خرجا ، فلم يتكلّما حتى أتيا منزل خداش ، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله . ففي ذلك يقول قيس[2] : [من الطويل]

تذكَّـر لَيْـلَى حسنَهـا وصفاءَها وبانتْ فمـا إن يستطيعُ لقاءَها[3]
ومِثْلُكِ قد أَصبَيتُ ليست بكَنَّةٍ ولا جارةٍ أَفْضَتْ إليّ خِباءَها[4]
إذا ما اصطَبَحتُ أربعاً خَطّ مِئْزَرِي وأَتْبعتُ دَلْوِي في السَّماحِ رِشاءَها[5]
ثَأَرْتُ عديّاً والخَطيمَ فلم أُضِعْ وصيّة أشيـاخٍ جُعِلْـتُ إزاءَها

وهي قصيدة طويلة .

[استنشد الرسول شعره وأعجب بشجاعته]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المِنْقَرِيّ قال حدّثنا زياد بن بيان[6] العُقيليّ قال حدّثنا أبو خَوْلة الأنصاريّ عن أَنَس بن مالك قال : جلس رسول الله ﷺ في مجلس ليس فيه إلاّ خَزْرَجِيّ ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ،

1 ل : إن فررنا اليوم قتلنا .
2 هي أوّل القصيدة التي منها الأبيات السابقة .
3 فما إن يستطيع في الديوان : فأمسى ما ينال .
4 أفضيت إليّ خباءها في الديوان : أفضت إلى حيائها ، أي لم يبق بيني وبينها ستر .
5 خطُ أو حط : أي أصبح مئزره يجرّ وراءه لأنّه يمشي مختالاً .
6 ل : بنان .

يعني قوله[1] : [من الطويل]

أتعرفُ رسماً كاطّرادِ المذاهبِ لعَمْرةَ وَحْشاً غيرَ موقِف راكبِ[2]

فأنشده بعضهم إيّاها ، فلمّا بلغ إلى قوله : [من الطويل]

أُجالِدُهم يومَ الحَدِيقةِ حاسِراً كأن يدي بالسيفِ مِخْراقُ لاعبِ[3]

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ فقال : «هل كان كما ذكَر» ؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شَمّاس وقال له : والذي بعثَك بالحقّ يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يومَ سابع عُرْسه عليه غِلالة ومِلحفة مورَّسة[4] فجالدَنا كما ذكر . هكذا في هذه الرواية .

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال : لم تكن بينهم في هذه الأيّام حروب إلاّ في يوم بُعاث[5] فإنّه كان عظيماً ، وإنّما كانوا يخرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب .

قال الزبير وأنشدتُ محمد بن فَضالة قول قيس بن الخطيم : [من الطويل]

أجالِدُهم يومَ الحديقةِ حاسراً كأنّ يدي بالسيفِ مِخراقُ لاعبِ

فضحك وقال : ما اقتتلوا يومئذٍ إلاّ بالرطائب والسَّعَف .

قال أبو الفرج : وهذه القصيدة التي استنشدهم إيّاها رسولُ الله ﷺ من جيّد شعر قيس بن الخطيم ، وممّا أَنْشَده نابغة بني ذُبيان فاستحسنه وفضّله وقدّمه من أَجْلِه .

[أنشد النابغة من شعره فاستجاده]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال قال أبو غُزَيَّة قال حسّان بن ثابت : قدِم النابغة المدينة[6] فدخل السُّوقَ فنزل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيه ، ثم اعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

عرفتُ منازلاً بعُرَيْتِناتٍ فأعلَى الجزْعِ للحَيِّ المُبِنِّ[7]

فقلت : هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافيةً مُنكرة . قال ويقال : إنّه قالها في موضعه ، فما

1 الديوان : 76 .

2 يعني تتابع جلود ذات خطوط مذهّبة .

3 الحديقة : قرية من أعمال المدينة .

4 مورّسة : مصبوغة بالورس أي صفراء اللون .

5 يوم بعاث : من أيّام الحرب بين الأوس والخزرج .

6 ل : السوق .

7 عريتنات : اسم واد . المُبين في ل : الخيف . المبنّ : المقيم .

زال يُنشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجلٌ يُنْشِد ؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده : [من الطويل]

أتعرف رَسْماً كاطّراد المذاهبِ

حتى فرغ منها[1] ؛ فقال : أنت أشعرُ الناس يا ابن أخي . قال حسّان : فدخَلَني منه ، وإنّي في ذلك لأجد القوّة في نفسي عليهما ، ثم تقدّمتُ فجلست بين يديه ؛ فقال : أنشِدْ فوالله إنّك لشاعر قبل أن تتكلّم ، قال : وكان يعرفني قبل ذلك ، فأنشدته ؛ فقال أنت أشعر الناس . قال الحسن بن موسى : وقالت الأَوْس : لم يَزِدْ قيس بن الخطيم النابغةَ على : [من الطويل]

أتعرف رَسْماً كاطّرادِ المذاهبِ

نصف البيت ، حتى قال أنت أشعر الناس .

[صفاته الجثمانية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال قال سليمان بن داود المُجَمِّعيّ : كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أَدْعج[2] العينين أحمر الشفتين بَرّاق الثّنايا كأن بينها بَرقاً ، ما رأته حليلة رجل قطُّ إلاّ ذهب عقلُها .

[أمر حسّان الخنساء بهجوه فأبت]

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجَمِّعيّ قال : قال حسّان بن ثابت للخنساء : اهْجِي قيس بن الخطيم ؛ فقالت : لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه . قال : فجاءته يوماً فوجدته في مَشْرَقَةٍ[3] ملتفّاً في كِساء له ، فنخَسَتْه برجلها وقالت : قم ، فقام ؛ فقالت : أدبِرْ ، فأدبر ؛ ثم قالت : أقبِلْ ، فأقبل . قال : والله لكأنّها تعترض عبداً تشتريه ، ثم عاد إلى حاله نائماً ؛ فقالت : والله لا أهجو هذا أبداً .

[عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام]

قال الزُّبير وحدّثني عمّي مصعب قال : كانت عند قيس بن الخطيم حَوّاء بنت يَزيد بن سِنان بن كُرَيز[4] بن زَعُوراء فأسلمتْ ، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها ، فلمّا قدِم قيس مكّة عرَض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، فاستنظره قيس حتى يَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة ؛ فسأله رسول الله ﷺ أن يجتنب زوجته حواءَ بنت يزيد ، وأوصاه بها خيراً ، وقال له : إنّها قد

---

1 ل : حتى أتى على آخرها . (وهي في 38 بيتاً في الديوان) .

2 الدعج : شدّة سواد العين مع سعتها .

3 المشرقة : حيث يتشرّق الإنسان ، أي يجلس في الشمس شتاء .

4 ل : كرز .

أسلمت ؛ ففعل قيس وحفظ وصيّة رسول الله ﷺ ؛ فبلغ رسول الله ﷺ ، فقال : «وفَى الأُدَيْعِجُ» .

قال أبو الفرج وأحسَب هذا غلطاً من مصعَب ، وأنّ صاحبَ هذه القصّة قيس بن شمّاس ، وأمّا قيس بن الخطيم فقُتل قبل الهجرة .

[قتله الخزرج بينهم]

أخبرني علي بن سليمان الأَخفش النحويّ عن أبي سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل : أنّ حرب الأَوْس والخَزْرَج لمّا هدأت ، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم ، فتوامروا[1] وتواعدوا قتله ؛ فخرج عشيَّةً من منزله في مُلاءتين يريد مالاً له بالشَّوْط[2] حتى مرّ بأُطُمِ[3] بني حارثة ، فرُميَ من الأُطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدها في صدره ، فصاح صَيحةً سمعها رهطه ، فجاؤوا فحملوه إلى منزله ، فلم يَرَوْا له كُفْئاً إلاّ أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مُدرِك النَّجّاريّ ، فاندسَّ إليه رجل حتى اغتاله في منزله ، فضرب عُنُقه واشتمل على رأسه ، فأتى به قيساً وهو بآخر رَمَق ، فألقاه بين يديه وقال : يا قيس قد أدركت بثأرك ؛ فقال : عضَضْتَ بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة ؛ فقال : هو أبو صعصعة ، وأراه الرأس ؛ فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات .

[مهاجاته حسّان]

وهذا الشعر أُغنّي : [من المتقارب]

أجَـدّ بعَمْـرة غُنْيانُها[4]

فيما قيل يقوله قيس في عَمْرة بنت رَواحة ، وقيل : بل قاله في عَمرة : امرأةٍ كانت لحسّان بن ثابت ، وهي عمرة بنت صامت بن خالد . وكان حسّان ذكر ليلى بنت الخَطيم في شعره ، فكافأه قيس بذلك ، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الرَّبيع[5] .

فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني مصعب قال : مَرّ حسّان بن ثابت بليلى بنت الخَطيم ، وقيس بن الخطيم أخوها بمكّة حين خرجوا يطلبون الحلْفَ في قريش ، فقال لها حسّان : اظعَني فالحَقي بالحيّ فقد ظعَنوا ، وليت شعري

1 توامروا : لغة في تآمروا ؛ وفي ل : تذامروا أي حضّ بعضهم بعضاً .

2 الشوط : ذكر ياقوت أنّه بستان بالمدينة .

3 الأطم : البناء الحصين .

4 عجز البيت : فتهجر أم شأننا شانها ، وهي فيما يقال ردّ على قصيدة حسّان «لقد هاج نفسك أشجانها» وسيرِد تفصيل ذلك فيما بعد .

5 من أيّام الأوس والخزرج.

ما خلَّفكِ وما شأنُك : أقلّ ناصرُك أم راث[1] رافدُكِ ؟ فلم تكلّمه وشتَمه نساؤها ؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه[2] : [من المتقارب]

لقد هـاج نفسَك أشْجانُها وعاودها اليـومَ أَدْيانُها[3]
تذكرتَ ليلى وأنّى بهـا إذا قُطِّعتْ منـك أقرانُها
وحَجَّـلَ في الدارِ غِرْبانُها وخَفَّ مـن الدار سُكَّانُها
وغيَّرها مُعْصِراتُ الرِّياحِ وسَحُّ الجَنُـوب وتَهْتانُها
مَهاةٌ من العِينِ تَمْشي بها وتَتْبَعُهـا ثَـمّ غِـزْلانُها
وقفـتُ عليهـا فساءلتُها وقد ظعَنَ الحيُّ : ما شانُها
فعَيَّـتْ وجاوبنـي دونَها بمـا راع قلبـيَ أعوانُها

وهي طويلة . فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أوّلها : [من المتقارب]

أجَـدّ بعَمْـرة غُنْيانُها

وفخَر فيها بيوم الرُّبيع وكان لهم فقال : [من المتقارب]

ونحن الفوارسُ يـومَ الرُّبيـ ـع قد علِمُوا كيف فُرْسانُها
حِسانُ الوجوه حِدادُ السيو فِ يَبْتَدِرُ المجـدَ شُبَّانُها

وهي أيضاً طويلة .

[غنّت عزّة الميلاء بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا الأصمعيّ قال حدّثني شيخ قَدِم من المدينة ، وأخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان عن أبي السائب المخزوميّ ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال ذُكِر لي عن جعفر بن مُحرز السَّدُوسيّ ، قالوا : دخل النُّعمان بن بَشير الأنصاريّ المدينةَ أيّام يزيد بن معاوية وابنِ الزُّبير ، فقال : والله لقد أخْفَقَتْ[4] أُذُنايَ من الغناء فأَسْمِعُوني ؛ فقيل له : لو وجَّهتَ إلي عَزّة فإنّها من قد عرفتَ ؛ قال : إي وربِّ البيت ، إنّها لَمَنْ يزيدُ النفسَ طِيباً والعقل شَحْذاً ، ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإن أبَتْ صِرنا إليها ؛ فقال له بعض القوم : إنّ النُّقْلة تشتدُّ

1 راث : تأخّر وتلكّأ .
2 ديوان حسّان : 239–240 .
3 الدين هنا بمعنى العادة .
4 أخفقت هنا : حُرِمَتْ .

عليها لثِقَل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها ؛ فقال النعمان : وأين النجائب عليها الهوادج ! فوجّه إليها بنجيب فذكرت علّة ، فلمّا عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبَر بها ، قوموا بنا ؛ فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرَقوها ، فأذِنتْ وأكرمتْ واعتذرتْ ، فقبل النعمان عُذرها وقال : غنّيني ، فغنّته : [من المتقارب]

أجَـدّ بعَمْـرة غُنْيانُها فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها

فأشير إليها أنّها أمُّه فسكتت ؛ فقال : غنّيني فوالله ما ذكرتِ إلاّ كراماً وطِيباً ؛ لا تغنّيني سائر اليوم غيره ؛ فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

وتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عديّ ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ قلنا بلى يا أبا عبد الرحمن ؛ قال قال لقيط : كنت عند سعيد الزبيريّ قال سمعت عامراً الشعبيّ يقول : اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى منزل عَزّة ، فلمّا انصرف إذا امرأةٌ بالباب منتظرة له ، فلمّا خرج شكت إليه كثرة غِشْيان زوجها إيّاها ؛ فقال لها النعمان بن بشير : لأَقضينّ بينكما بقضيّة لا تُردّ عليّ ، قد أحلّ الله له من النساء مَثْنى وثُلاث ورُباع ، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل . فهذا يدلّ على أنّ المغنيَّة بهذا الشعر عمرة بنت رواحة[1] .

وأمّا ما ذُكر أنّه عَنى عَمْرة امرأةَ حسّان بن ثابت ، فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بَكّار عن عمّه : أنّ قيس بن الخطيم لمّا ذكر حسّانُ أخته ليلى في شعره ذكر امرأته عمرة ، وهي التي يقول فيها حسّان[2] : [من الرمل]

أزمعتْ عَمرة صرْماً فابتَكِرْ

[حسّان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعب قال : تزوّج حسّان بن ثابت عمرة بنت الصامت بن خالد بن عطيّة الأَوْسيَّة ثم إحدى بني عمرو بن عوف ، فكان كلّ واحد منهما معجباً بصاحبه ، وإنّ الأوس أجاروا مخلد بن الصامت الساعديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأَسْلَت : [من الوافر]

أجرتُ مخلّدا ودفعتُ عنه وعندَ اللهِ صالحُ ما أتيتُ

فتكلّم حسّان في أمره بكلام أغضب عمرة ، فعيّرته بأخواله وفخَرت عليه بالأوس ؛ فغضب لهم فطلّقها ، فأصابها من ذلك ندم وشدّة ؛ وندم هو بعدُ فقال : [من الرمل]

1 لأنّ عمرة بنت رواحة هي أمّ النعمان بن بشير .

2 ديوان حسّان : 307 وفيه : أجمعت عمرة ، وهي في 21 بيتاً .

صوت

أزمعتْ عمرةُ صرماً فابتكِرْ　　إنّما يُدهِنُ للقلبِ الحَصِرْ[1]
لا يكن حبُّكِ حبّاً ظاهراً　　ليس هذا منكِ يا عَمْر بسِرّ[2]
سألتْ حَسّانَ مَن أخوالُه　　إنّما يَسأل بالشيء الغُمُرْ[3]
قلتُ أخوالي بنو كَعبٍ إذا　　أسلمَ الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرْ

يريد يُدهِن القلبُ ، فأدخل اللام زائدةً للضرورة . عَمْر : ترخيم عمرة . والسر : الخالص الحَسَن . غنَّت في هذه الأبيات عزّة المَيلاء ثاني ثقيل بالبِنصر من رواية حَبَش .

وتمام القصيدة : [من الرمل]

رُبَّ خالٍ لِيَ لو أبصرتِه　　سَبِطِ المِشْية في اليوم الخَصِرْ
عند هذا الباب إذ ساكِنُه　　كلُّ وجهٍ حسنِ النّقبَة حُرّ[4]
يُوقِدُ النارَ إذا ما أُطْفِئَتْ　　يُعْمِلُ القِدْرَ بأَثْباج الجُزُرْ
مَن يَغُرُّ الدهرُ أو يأمنُه　　من قَبيلٍ بعد عمروٍ وحُجُرْ[5]
ملَكا منْ جبلِ الثلجِ إلى　　جانِبَيْ أَيلَةَ من عبدٍ وحُرّ
ثم كانا خيرَ من نالَ النَّدى　　سبَقا الناسَ بإقساطٍ وبِرّ[6]
فارِسَيْ خيلٍ إذا ما أمسكتْ　　ربّةُ الخِدْرِ بأطرافِ السُّتُرْ
أَتَيا فارسَ في دارهِمُ　　فتناهَوْا بعد إعصارٍ بِقُرّ
ثم نادَوْا يا لَغَسّانَ اصبرُوا　　إنّه يومُ مَصاليتَ صُبُرْ[7]
اجعلوا مَعْقلَها أيمانَكم　　بالصَّفِيح المُصْطَفى غيرِ الفُطُرْ[8]
بِضَرابٍ تأذَنُ الجِنُّ له　　وطِعانٍ مثلِ أَفْواه الفُقُرْ[9]

1 يدهن للقلب يريد يدهن القلب بمعنى يداهن .
2 ظاهراً في ل : قاهراً .
3 الغمر : الجاهل .
4 النقبة : حالة وضع النقاب .
5 قبيل في ل : قتيل .
6 الندى في ل : الغنى . إقساط : عدالة .
7 مصاليت : شجعان .
8 السيف الفطير : المثلم .
9 تأذن : تسمع . الفقر : أفواه القنوات .

ولقـد يعلَـم مَـنْ حارَبنـا أنّنـا ننفـعُ قِدْمـاً ونَضُرّ
صُبُرٌ للمـوت إن حَـلَّ بنا صادِقُو البأسِ غَطاريفُ فُخُرْ
وأقـام العـزُّ فينـا والغِنَى فلنـا فيـه على الناسِ الكُبُرْ
منهم أَصْلِي فمن يفْخَرْ بـه يَعرِفُ الناسُ بفخـرِ المفتخِرْ[1]
نحن أهـلُ العـزِّ والمجدِ معاً غيرُ أنكاسٍ ولا مِيـلٍ عُسُرْ[2]
فاسألوا عنّـا وعـن أفعالنـا كلُّ قومٍ عندهـم علمُ الخَبَرْ[3]

قال الزبير فحدّثني عمِّي قال : ثم إنّ حسّان بن ثابت مرّ يوماً بنسوة فيهنّ عمرة بعد ما طلّقها ، فأعرضتْ عنه وقالت لامرأة منهنّ : إذا حاذاكِ هذا الرجلُ فاسأليه مَنْ هو وانسُبيه وانسُبي أخوالَه وهي متعرِّضة له ، فلمّا حاذاهنّ سألْته مَنْ هو ونسَبَتْه فانتسب لها ، فقالت : فمَنْ أخوالُك ؟ فأخبرها ، فبصقتْ عن شِمالها وأعرضتْ عنه ؛ فحدّد النظرَ إليها وعجب من فعلها وجعل ينظر إليها ، فبصُر بامرأته وهي تضحك فعرفها وعلم أنّ الأمر من قِبَلها أتى ؛ فقال في ذلك[4] : [من الكامل]

قالـتْ لـه يومـاً تخاطِبُه ريّـا الروادفِ غـادَةُ الصُّلبِ
أمّـا المـروءةُ والوَسامةُ أو حُسْم الرجالِ فقد بدا ، حَسْبِي
فوَدِدْتُ أنّكَ لـو تُخبِّرنـا مَنْ والداكَ ومنصِبُ الشَّعْبِ[5]
فضحكتُ ثـم رفَعتُ متَّصِلاً صوتي كرَفعِ المنطق الشَّغْبِ[6]
جَـدِّي أبـو لَيْلى ووالـدُه عمرٌو وأخوالِـي بنـو كَعْبِ
وأنـا مـن القـومِ الذيـنَ إذا أزَم الشتاءُ بحَلْقـةِ الجَدْبِ[7]
أعطى ذوو الأمـوالِ مُعْسِرَهم والضاربـين بمَوْطِـنِ الرُّعْبِ

قال مصعب : وأبو ليلى الذي عناه حسّان : حَرام بن عمرو بن زَيد مَناة .

1 يعرف : يعترف .
2 النكس : الضعيف .
3 أفعالنا في ل : أخبارنا .
4 ديوان حسّان : 230 .
5 الشعب : مجمع القبائل .
6 كرفع في ل : أوان .
7 بحلقة في ل والديوان : محالف .

وممّا فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

صوت

حَوْراءُ مَمْكورةٌ منعَّمةٌ كأنّما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[1]
تنامُ عن كُبْرِ شأنها فإذا قامتْ رُويداً تكاد تنقصفُ[2]
أوحشَ من بَعدِ خُلَّةٍ سَرِفُ فالمُنْحنى فالعَقيقُ فالجُرُفُ

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث ، والغناء لقَفا النَّجَّار ، ولحنُه المختار ثاني ثقيل ، هكذا ذكر يحيى بن عليٍّ في الاختيار الواثقيّ . وهو في كتاب إسحاق لقفا النجّار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، ولعلّه غير هذا اللحن المختار .

[الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمرو بن عوف]

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حربٍ كانت بينهم وبين بني جَحْجَبى وبني خَطْمَةَ ، ولم يشهدها قيس ولا كانت في عصره ، وإنّما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يقال له : دِرْهم بن يَزيد . قال أبو المِنهال عُتيبةُ بن المِنهال : بعث رجل من غَطَفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبيان إلى يثرب بفرسٍ وحُلّةٍ مع رجل من غَطَفان وقال : ادفعهما إلى أعزّ أهلِ يثرب ، قال وقيل : إنّ الباعث بهما عبد يالِيل بن عمرو الثَّقَفيّ . قال وقيل : بل الباعث بهما علقمة بن عُلاثة ، فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قَيْنُقاع فقال ما أُمِر به ، فوثب إليه رجلٌ من غطَفان كان جاراً لمالك بن العَجْلان الخزرجيّ يقال له كعب الثعلبيّ ، فقال : مالك بن العَجْلان أعزّ أهل يثرب ؛ وقام رجل آخر فقال : بل أُحَيحة بن الجُلاح أعزّ أهل يثرب ، وكثر الكلام ، فقَبِل الرسول الغطَفانيّ قول الثعلبيّ الذي كان جاراً لمالك بن العَجْلان ودفعهما إلى مالك ؛ فقال كعب الثعلبيّ : ألم أقل لكم : إنّ حَليفي أعزُّكم وأفضلُكم ! فغَضِب رجلٌ من بني عمرو بن عوف يقال له سُمَير فرصد الثعلبيّ حتى قتله ، فأُخبر مالك بذلك ، فأَرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك ابن الأوس : إنّكم قتلتم منّا قتيلاً فأَرسِلوا إلينا بقاتله ؛ فلمّا جاءهم رسولُ مالك تَرامَوْا به : فقالت بنو زيد : إنّما قتلتْه بنو جَحْجَبى ، وقالت بنو جَحْجَبى : إنّما قتلتْه بنو زيد ؛ ثم أُرسلوا إلى مالك : إنّه قد كان في السوق التي قُتِل فيها صاحبكم ناسٌ[3] كثير ، ولا يُدرى أيُّهم قتَله ؛ وأمر مالكٌ أهلَ تلك السوق أن يتفرّقوا ، فلم يبق فيها غيرُ سُمَير وكعب ، فأَرسل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال : إنّما قتله سُمَير ، فأَرسِلوا به إليّ أقتلْه ؛ فأَرسلوا

1 الشطر الأول في ديوان قيس : «تغترق الطرف وهي لاهية» .
2 تنقصف في الديوان : تنغرف ، أي تسقط .
3 ل : خلق .

إليـه : إنّه ليس لك أن تقتل سُمَيراً بغير بيّنة ؛ وكَثُرت الرسل بينهم في ذلك : يسألهم مالك أن يعطوه سُميراً ويأبـوْن أن يُعطوه إيّاه . ثم إنّ بني عمرو بن عوف كَرِهوا أن يُنشِبوا بينهم وبين مالك حرباً ، فأرسلوا إليه يَعرِضون عليه الدِّيَة فقبلها ؛ فأرسلوا إليه : إنّ صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلاّ نصف الدية ، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلاّ الدية كاملةً أو يقتل سُميراً ؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلاّ ديةَ الحليف وهي نصف الدية ، ثم دعوه أن يَحكم بينهم وبينه عمرو بن امرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رَواحة ففعل ؛ فانطلقوا حتى جاؤوه في بني الحارث بن الخزرج ، فقضى على مالك بن العجْلان أنّه ليس له في حليفه إلاّ دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصر قبائـل الخزرج ، فأبت بنو الحـارث بن الخزرج أن تنصُره غضباً حين ردّ قضاءَ عمرو بن امرىء القيس ؛ فقال مالك بن العجْلان يذكر خِذلان بني الحارث بن الخزرج له وحَدبَ بني عمرو بن عوف على سُمَير ، ويحرِّض بني النجّار على نُصرته : [من المنسرح]

إنّ سُمَيـراً أرى عشيرتَـه ... قـد حَدِبُوا دونَـه وقـد أَنِفُوا
إن يكن الظنُّ صادقاً بيني النَّـ ... ـجّار لا يَطْعَمُوا الذي عُلِفُوا
لا يُسْلِمُونـا لمعشرٍ أبـداً ... مـا دامَ منّـا ببَطْنِها شَرَفُ[1]
لكنْ مَوالِـيَّ قـد بـدا لهـمُ ... رأيٌ سِوى ما لديَّ أو ضَعُفُوا

[يقال : عُلفوا الضيمَ إذا أقرُّوا به ، أي ظنّي أنّهم لا يقبلون الضيم] .

صوت

[من المنسرح]

بينَ بنـي جَحْجَبى وبين بني ... زيـدٍ فأنّى لجـاريَ التَّلَفُ[2]
يمشون في البَيْض والدروع كما ... تمشي جِمالٌ مَصاعبٌ قُطُفُ[3]
كما تَمَشّى الأسودُ في رَهَج الـ ... ـموتِ إليـه وكلُّهـم لَهِفُ

غنّى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيلٍ عن إسحاق ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل للغريض .

وقال درهم بن يزيد بن ضُبيعة أخو سُمَير في ذلك[4] : [من المنسرح]

---

1 شرف : شريف .

2 فأنّى لجاري التّلف في ل : فأنّى تخاذل السلف .

3 مصاعب : جمع مصعب وهو الجمل الذي لم يذلل للركوب أو الحمل . وقطف : سريعة .

4 الأبيات في الخزانة 4 : 280 .

يا قــومِ لا تقتلوا سُميراً فإنَّ ... القتلَ فيــه البَــوارُ والأسفُ
إن تقتُلوه تَــرِنَّ نِسْوتُكــم ... على كريمٍ ويَفْــزَعِ السَّلَفُ[1]
إنّي لعَمرُ الذي يَحُجُّ لــه النـ ... ـاسُ ومــن دون بيتِه سَرِفُ
يمــينُ بَـــرٍّ باللهِ مجتهـــدٍ ... يَحْلِف إن كان ينفع الحَلِفُ
لا نرفَــعُ العبدَ فــوقَ سُنَّتِه ... ما دام منّا ببَطْنِها شَرَفُ
إنّــكَ لاقٍ غــداً غُواةَ بني ... عمِّيَ فانظرْ ما أنتَ مُزْدَهِفُ[2]
فأَبْــدِ سِيمَــاكَ يَعْرِفـوكَ كما ... يُبْدُون سِيمَاهــمُ فَتعترِفُ

معنى قوله «فأبد سيماك» : أنّ مالك بن العجْلان كان إذا شهد الحرب يغيِّر لباسه ويتنكّر لئلاّ يُعرف فيُقصَد .

وقال درهم بن يزيد في ذلك :

يا مــالِ لا تَبْغِــينْ ظُلامتَنا ... يــا مــالِ إنّــا مَعاشِرٌ أنُفُ
يا مــالِ والحقُّ إن قَنِعْتَ به ... فيــه وفينــا لأمرنــا نَصَفُ
إنّ بُجَيراً عبــدٌ فخُــذْ ثمناً ... فالحــقُّ يُوفَى بـــه ويُعتَرفُ
ثم اعلَمنْ إن أردتَ ضَيْمَ بني ... زَيدٍ فإنِّــي ومَــنْ لــه الحَلِفُ
لأُصْبَحَنْ دارَكم بــذي لَجَبٍ ... جَوْنٍ لــه مــن أمامِه عَزَفُ[3]
البَيْضُ حِصْنٌ لهــم إذا فَزِعُوا ... وسابِغــاتٌ كأنّهــا النَّطَــفُ[4]
والبِيضُ قــد ثُلِّمت مضاربُها ... بهــا نفوسُ الكُماةِ تُختطَفُ[5]
كأنّـها في الأكــفِّ إذ لَمعتْ ... وَمِيضُ برقٍ يبدو وينكسفُ

وقال قيس بن الخطيم الظَّفَرِيّ أحد بني النَّبيت في ذلك ، ولم يدركه وإنّما قاله بعد هذه الحرب بزمان ، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور : [من المنسرح]

رَدّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرفوا ... مــاذا عليهم لــو أنّهم وقَفُوا

---

1 ترن نسوتكم : يرفعن أصواتهنّ بالبكاء .
2 مزدهف : مقتحم .
3 عزف : عزيف أي صوت .
4 النطف : اللؤلؤ الصافي أو الماء .
5 ثلمت في ل : فللت .

لـو وَقفـوا ساعـةً نسائلُهم ... رَيْث يضحِّي جمالَـه السَّلَفُ
فيهم لَعُوبُ العِشاءِ آنسةُ الدّ ... ل عَـرُوب يَسُوءها الخُلُفُ
بـين شُكُول النساءِ خِلقَتُها ... قَصْدٌ فـلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[1]
تنـامُ عـن كُبْر شأنِهـا فإذا ... قامت رُويـداً تكاد تَنْغَرِفُ[2]
تَغْترِقُ الطرفَ وهـي لاهيةٌ ... كأنّما شفَّ وجهَهـا نُزُفُ
حَوْراء جَيْـداءُ يُستضاء بها ... كأنّها خُـوطُ بانـةٍ قَصِفُ
قضى لها اللهُ حين صَوّرها الـ ... ـخالقُ أن لا يُكِنَّها سَدَفُ[3]
خَوْدٌ يَغِثُّ الحديثُ ما صَمَتَتْ ... وهـو بِفيها ذو لـذة طَرِفُ[4]
تخزنُـه وهـو مشتهىً حسَنٌ ... وهـو إذا ما تكلمت أنُفُ[5]

وهي طويلة يقول فيها : [من المنسرح]

أبلغْ بنـي جَحْجَبى وإخوتَهم ... زيـداً بأنّا وراءَهـم أُنُفُ[6]
إنّا وإن قـلّ نصرُنـا لهـمُ ... أكبادُنـا مـن ورائِهِمْ تَجِفُ
لّمـا بـدتْ نحوَنـا جِباهُهُمُ ... حنَّت إلينا الأرحامُ والصُّحُفُ[7]
نَفْلِي بحـدّ الصَّفيح هامَهمُ ... وفَلْيُنا هامَهـم بهـا جَنَفُ[8]
يَتْبَع آثارَهـا إذا اختُلِجَتْ ... سُخْـنٌ عَبيطٌ عُروقُـه تَكِفُ
إنّ بنـي عمِّنـا طغَـوْا وبَغوْا ... ولَجّ منهم في قومِهم سَرَفُ

فردّ عليه حسّان بن ثابت ولم يدرك ذلك[9] : [من المنسرح]

مـا بـالُ عينيك دمعُهـا يَكِفُ ... من ذكر خَوْدٍ شَطَّت بها قَذَفُ[10]
بانـتْ بهـا غَرْبَـةٌ تـؤمّ بهـا ... أرضاً سِوانـا والشكل مختلِفُ

---

1 جبلة في ل : عبلة .
2 قد مرّ آنفاً برواية «تنقصف» .
3 السدف : الظلمة .
4 لذة في ل : للذة .
5 أنف : مستأنف .
6 أنف : يأبون الضيم .
7 الصحف : كتب العهود .
8 جنف في ل : عنف .
9 ديوان حسان : 387 .
10 عينيك في الديوان : عيني .

مـا كنـتُ أَدْرِي بوَشْكِ بَيْنِهِمُ ... حتى رأيـتُ الحُـدوجَ تَنقذِفُ[1]
دَعْ ذا وَعـدِّ القَرِيضَ في نَفَـرٍ ... يَرْجُون مدحي ومدحيَ الشرفُ[2]
إن تَـدْعُ قومـي للمجد تُلْفِهِمُ ... أهـلَ فَعـالٍ يبدو إذا وُصِفُوا
إنّ سُمَيراً عبـدٌ طغَـى سَفَهـاً ... ساعـده أعبُـدٌ لهـم نَطَفُ[3]

قال : ثم أرسَل مالكُ بن العَجْلان إلى بني عمرو بن عوف يُؤْذِنُهم بالحرب ، ويَعِدُهم يوماً يلتقون فيه ، وأمَر قومَه فتهيَّأوا للحرب ، وتحاشد الحيّان وجمع بعضهم لبعض . وكانت يَهُودُ قد حالفتْ قبائلَ الأَوْس والخَزْرج ، إلاّ بني قُرَيظة وبني النَّضير فإنّهم لم يحالفوا أحداً منهم ، حتى كان هذا الجمع ، فأرسلت إليهم الأوسُ والخزرج ، كلٌّ يدعوهم إلى نفسه ، فأجابوا الأَوسَ وحالفوهم ، والتي حالفتْ قُرَيظةُ والنَّضيرُ من الأَوسِ أوسُ اللهِ وهي خَطْمَةُ وواقِفُ وأُمَيَّةُ ووائلُ ، فهذه قبائلُ أَوسِ الله . ثم زحَف مالكٌ بمن معه من قومه من الخزرج ، وزَحفت الأوسُ بمن معها من حلفائها من قُريظة والنضير ، فالتقوْا بفضاء كان بين بئر سالِم وقُباء ، وكان أوّل يوم التَقوْا فيه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انصرفوا وهم منتصِفون جميعاً ، ثم التقوْا مرّة أُخرى عند أُطُمِ بني قَيْنُقاع ، فاقتتلوا حتى حَجز الليلُ بينهم ، وكان الظَّفَر يومئذٍ للأوس على الخزرج ، فقال أبو قيس ابن الأَسلَت في ذلك : [من البسيط]

لقد رأيتُ بني عمرٍو فمـا وهَنُوا ... عند اللقاء ومـا هَمُّوا بتكذيبِ
ألا فـدًى لهـمُ أُمِّي وما ولَدتْ ... غداةَ يَمْشُون إرْقـالَ المَصاعيبِ
بكـلِّ سَلْهَبَـةٍ كالأَيْـمِ ماضيةٍ ... وكلِّ أبيضَ ماضي الحدّ مخشوبِ[4]

أصل المخشوب : الحديث الطبع ، ثم صار كلّ مصقول مخشوباً ؛ فشبّهها بالحيّة في انسلالها ، قال : فلبث[5] الأَوسُ والخزرج متحاربيْن عشرين سنة في أمر سُمير يتعاودون[6] القتالَ في تلك السنين ، وكانت لهم فيها أيّامٌ ومواطنُ لم تُحفظ ، فلمّا رأت الأَوسُ طولَ الشرّ وأنّ مالكاً لا ينزِع[7] ، قال لهم سُوَيد بن صامتِ الأوسيّ ، وكان يقال له الكاملُ في الجاهلية ،

---

1 تنقذف في الديوان : قد عزفوا .
2 الشطر الثاني في الديوان : يدعون مجدي ومدحتي شرف .
3 النطف : الأقراط .
4 السلهبة : الفرس الطويلة .
5 ل : فمكث .
6 ل : يتعاورون .
7 ينزع : يكفّ .

وكان الرجل عند العرب[1] إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سمَّوْه الكامل ، وكان سويدٌ أحدَ الكَمَلة : يا قوم ، أَرْضُوا هذا الرجل من حليفه ، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتلَ بعضُكم بعضاً ويطمع فيكم غيرُكم ، وإن حَملْتُم على أنفسكم بعض الحَمْل . فأرسلت الأَوسُ إلى مالك بن العَجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المُنذر بن حرام أبو حسّان بن ثابت ، فأجابهم إلى ذلك ، فخرجوا حتى أَتَوْا ثابت بن المنذر ، وهو في البئر التي يقال لها سُمَيْحة ، فقالوا : إنّا قد حَكّمناك بيننا ؛ فقال : لا حاجةَ لي في ذلك ؛ قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردّوا حُكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرىء القيس ؛ قالوا : فإنا لا نردّ حكمَك فاحكم بيننا ؛ قال : لا أحكم بينكم حتى تُعطوني مَوْثِقاً وعهداً لَتَرضَون بحكمي وما قضيتُ به ولَتُسْلِمُنّ له ؛ فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم ، فحكم بأن يُودى حليفُ مالكٍ ديةَ الصريح ثم تكون السنّة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على ديته والحليف على ديته ، وأن تُعَدّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يكون بعضٌ ببعض ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين ، فرضي بذلك مالكٌ وسلَّمت الأَوسُ وتفرّقوا على أنّ على بني النَّجَّار نصف دية جارِ مالكٍ معونةً لإخوتهم ، وعلى بني عمرو بن عوف نصفَها ؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنّهم لم يُخرِجوا إلاّ الذي كان عليهم ، ورأى مالكٌ أنّه قد أدرك ما كان يطلب ، ووُدِيَ جارُه ديةَ الصريح . ويقال : بل الحاكم المنذر أبو ثابت .

1 ل : وكان الرجل في الجاهلية .

[20] ـ ذكر طُوَيس وأخباره[1]

[اسمه وكنيته]

طُوَيْس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وكنيته أبو عبد المُنْعِم وغيّرها المخنَّثون فجعلوها أبا عبد النَّعِيم ، وهو مولى بني مخزوم . وقد حدّثني جَحظة عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد : قال سعد بن أبي وَقّاص : كُنيَ طويس أبا عبد المُنعِم .

[أوّل من غنّى بالعربية في المدينة]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبي ومحمد بن سَلاَّم الجُمَحِيّ ، وعن الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد ؛ وعن المدائنيّ عن زيد بن أَسْلَم عن أبيه ، وعن ابن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مِسكين ؛ قالوا : أوّل من غنَّى بالعربيّ بالمدينة طويسٌ ، وهو أوّل من ألقى الخَنَث بها ، وكان طويلاً أحول يُكنى أبا عبد المنعم ، مولى بني مخزوم ، وكان لا يضرب بالعود ، إنّما كان ينقُر بالدُّف ، وكان ظريفاً عالِماً بأمر المدينة وأنساب أهلها ، وكان يُتّقى للسانِه .

[شؤمه]

قالوا : وسئل عن مولده فذكر أنّه وُلِد يوم قُبض رسول الله ﷺ ، وفُطم يوم مات أبو بكر ، وخُتن يوم قتل عمر ، وزُوّج يوم قتل عثمان ، ووُلد له يوم قُتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين . قال وقيل : إنّه وُلد له يوم مات الحسن بن عليّ عليهما السلام . وقال : وكانت أمّي تمشي بين نساء الأنصار بالنَّميمة . قالوا : وأوّل غناء غنّاه وهزِج به : [من مجزوء الرمل]

صوت

كيف يأتــي مـن بعيـدٍ   وهــو يُخْفيـه القريــبُ
نــازحٌ بـالشام عنّــا   وهـــو مِكْسالٌ هَيُــوبُ
قــد بـَراني الحـبُّ حتى   كدتُ من وَجْدِي أَذُوبُ

الغناء لطُويس هزجٌ بالبنصر .

قال إسحاق : أخبرني الهيثم بن عديّ قال قال صالح بن حسّان الأنصاريّ أنبأني أبي قال : اجتمع يوماً جماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويساً ، فقالوا : كان وكان ؛ فقال رجل منّا : أَمَا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسَرُّون به علماً وظَرْفاً وحسنَ غناء وجودة نَقْرٍ

1 تجد له ذكراً في كتب الأمثال تحت قولهم «أخنث من طويس» (الميداني 1 : 137 والدرة الفاخرة : 1 : 185) . وقولهم «أشأم من طويس» (الدرّة 1 : 235 ومادة (طوس) في اللسان) .

بالدفّ ، ويُضحك كلَّ ثكلى حَرَّى ؛ فقال بعض القوم : والله إنّه على ذلك كان مشؤوماً[1] ؛ وذكر خبَر ميلاده كما قال الواقديّ ، إلاّ أنّه قال : وُلد يوم مات نبيّنا ﷺ ، وفُطِم يوم مات صدِّيقُنا ، وخُتن يوم قُتِل فاروقنا ، وزُوّج يوم قُتل نورُنا ، ووُلد له يوم قُتل أخو نبيّنا ؛ وكان مع هذا مخنَّثاً يَكِيدنا ويطلب عَثَراتنا ؛ وكان مُفْرِطاً في طوله مضطرباً في خَلقه أحولَ . فقال رجل من جِلّة أهل المجلس : لئن كان كما قلت لقد كان مُمتِعاً فَهِماً يُحسن رعاية من حفظ له حقَّ المجالسة ، ورعاية حُرمة الخدمة ، وكان لا يحمِل قول من لا يرعى له بعض ما يرعاه له .

[كان يحبّ قريشاً ويحبّونه]

ولقد كان مُعظِّماً لمواليه بني مخزوم ومَن والاهم من سائر قريش ، ومسالماً لمن عاداهم دون التَّحكيك به ؛ وما يلام من قال بعلم وتكلّم على فهم ، والظالم المَلوم ، والبادىء أظلم . فقال رجل آخر : لئن كان ما قلتَ لقد رأيت قريشاً يَكتنفونه ويُحدِقون به ويُحبّون مجالسته ويُنصِتون إلى حديثه ويتمنَّوْن غناءه ، وما وضعه شيء إلاّ خَنَثُه ، ولولا ذلك ما بقي رجل من قريش والأنصار وغيرهم إلاّ أدناه .

[كان يلقّب بالذائب]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع عن سِياط قال : كان أوّل من تغنَّى بالمدينة غناءً يدخُل في الإيقاع طُوَيس ، وكان مولده يوم مات رسول الله ﷺ ، وفِطامه في اليوم الذي توفّي فيه أبو بكر ، وخِتانه في اليوم الذي قُتل فيه عمر ، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان ، ووُلد له يوم قُتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين ، ووُلد وهو ذاهب العين اليمنى . وكان يلقَّب بالذائب ، وإنّما لقِّب بذلك لأنّه غنّى : [من مجزوء الرمل]

قــد بــراني الحبُّ حتى كدتُ من وَجْدي أَذُوبُ

[مروان بن الحكم والنغاشي المخنّث]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين قال : كان بالمدينة مخنَّث يقال له النُّغاشيّ ، فقيل لمَروان بن الحكم : إنّه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً ، فبعث إليه يومئذٍ ، وهو على المدينة ، فاستقرأه أمَّ الكتاب : فقال : والله ما معي بناتُها ، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أُمّهنّ ؟ فقال : أتهزأ لا أمَّ لك ؟ فأمر به فقُتل في موضع يقال له بَطحان[2] ، وقال : من جاءني بمخنَّث فله عشرة دنانير .

---

1 ل : لمشؤوم .

2 بطحان : واد بالمدينة .

[طلبه مروان في المخنّثين ففرّ منه حتى مات]

فأُتِيَ طُوَيس وهو في بني الحارث بن الخزرج من المدينة ، وهو يغنّي بشعر حسّان ابن ثابت[1] : [من المتقارب]

لقد هاجَ نفسَك أشْجانُها وعاودها اليومَ أَدْيانُها
تذكَّرتَ هنداً وما ذكرُها وقد قُطِّعَتْ منك أَقْرانُها[2]
وقفتُ عليها فساءلتُها وقد ظعَنَ الحيُّ ما شانُها
فصَدَّتْ وجاوب مَنْ دونها بما أوجعَ القلبَ أعوانُها

فأُخبر بمقالة مروان فيهم ؛ فقال : أما فضَّلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل فيّ وفيهم أمراً واحداً ؟ ثم خرج حتى نزل السُّويداء ، على ليلتين من المدينة في طريق الشام ، فلم يَزل بها عُمرَه ، وعُمِّر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

[هيت المخنّث وبادية بنت غيلان]

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبيّ قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعَوانة قالا : قال هِيتُ المخنَّث لعبد الله بن أبي أُميّة : إنْ فَتح الله عليكم الطائف فسَل النبيّ ﷺ باديةَ بنت غَيلان بن سلمة بن معتِّب ، فإنّها هيفاء شَموع[3] نجلاء ، إن تكلّمت تغنّت ، وإن قامت تثنّت ، تُقبِل بأَربع وتُدبِر بثمان[4] ، مع ثغر كأنّه الأُقحوان ، وبين رجليها كالإناء المكفوء ، كما قال قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

تَغْتَرِقُ الطرفَ وهي لاهيةٌ كأنّما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[5]
بين شُكولِ النساءِ خِلْقَتُها قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[6]

فقال النبيّ ﷺ : لقد «غَلْغلتَ النظر يا عدوَّ الله» ، ثم جلاه عن[7] المدينة إلى الحمى . قال هشام : وأوّل ما اتُّخِذت النُّعوش[8] من أجلها . قال : فلمّا فُتحت الطائف تزوّجها عبد الرحمن بن

1 قد مرّ هذا الشعر من قبل .
2 هنداً في ل : ليلى وقد تقدّم بهذه الرواية .
3 شموع : ضحوك لعوب .
4 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 5 : 307 ولكنّه أسقط هذه العبارة . وانظر الإصابة 6 : 296 .
5 سبق أن مرّ هذا البيت برواية أُخرى .
6 جبلة في ل : عبلة .
7 ل : عن نظر .
8 النعش هنا : المحفة .

عوف فولدت له بُرَيهة . فلم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى قُبض النبيّ ﷺ ؛ فلمّا ولي أبو بكر رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يُردّه ؛ فلمّا وَلِيَ عمر رضي الله عنه كلّم فيه فأبى أن يردّه وقال : إن رأيته لأضربنّ عنقه ؛ فلمّا ولي عثمان رضي الله عنه كُلّم فيه فأبى أن يردّه ؛ فقيل له : قد كبر وضعُف واحتاج ؛ فأذِن له أن يدخل كلَّ جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه . وكان هيتٌ مولًى لعبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة المخزوميّ ، وكان طُوَيس له ؛ فمن ثمّ قيل الخَنِثُ .

وجلس يوماً فغنّى في مجلس فيه ولد لعبد الله بن أبي أميّة :

تغترقُ الطرَفَ وهـي لاهيـةٌ

إلى آخر البيتين ؛ فأشير إلى طُوَيس أن اسكتْ ؛ فقال : والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة وإنّما هذا مَثَلٌ ضربه هيتٌ في أمّ بُرَيهة ؛ ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال : يا ابن الطاهر ، أوجَدتَ عليّ في نفسك ؟ أُقسِم بالله قسماً حقّاً لا أغنّي بهذا الشعر أبداً .

[ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه]

قال إسحاق وحدّثنا أبو الحسن الباهليُّ الراوية عن بعض أهل المدينة ، وحدّثنا الهيثم بن عديّ والمدائنيّ ، قالوا : كان عبد الله بن جعفر معه إخوان[1] له في عشيّة من عشايا الربيع ، فراحت عليهم السماء بمطر جَودٍ فأسال كلّ شيء ؛ فقال عبد الله : هل لكم في العقيق ؟ وهو متنزَّه أهل المدينة في أيّام الربيع والمطر ، فركبوا دوابَّهم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزَّبَد مثل مَدِّ الفُرات ، فإنّهم لينظرون إذ هاجت السماء ، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جُنَّة نستجنُّ بها وهذه سماء خليقة أن تَبُلَّ ثيابنا ، فهل لكم في منزل طُوَيس فإنّه قريب منّا فنستكنّ فيه ويحدّثنا ويُضحكنا ؟ وطويس في النَّظَّارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر ؛ فقال له عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت : جُعِلت فداءك ؛ وما تريد من طُوَيس عليه غضب الله : مخنَّث شائـن لمن عرفه ؛ فقال له عبد الله : لا تقل ذلك ، فإنّه مليح خفيف لنا فيه أُنْس ؛ فلمّا استوفى طُوَيس كلامهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته : وَيحَك ؛ قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس ، فما عندك ؟ قالت : نذبح هذه العَناق[2] ، وكانت عندها عُنَيِّقَة قد ربَّتها باللبن ، واختبز خبزاً رُقاقاً ؛ فبادر فذبحها وعَجنتْ هي . ثم خرج فتلقَّاه مقبلاً إليه ؛ فقال له طُوَيس : بأبي أنت وأُمّي ؛ هذا المطر ، فهل لك في المنزل فتستكنّ فيه إلى أن تكُفَّ السماء ؟ قال : إيّاك أريد ؛ قال : فامض يا سيدي على بركة الله ، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا ، فتحدّثوا حتى أُدرك الطعام ، فقال : بأبي أنت وأُمّي ، تُكْرِمني إذ دخلت منزلي بأن تتعشّى

1 ل : حداث .

2 العناق : الأنثى من ولد الماعز .

عندي ؛ قال : هات ما عندك ؛ فجاءه بعَناقٍ سمينة ورُقاق ، فأكل وأكل القوم حتى تَمَلَّؤُوا ، فأعجبه طِيب طعامه ، فلمّا غسلوا أيديهم قال : بأبي أنت وأُمّي ، أتَمَشَّى معك وأُغنّيك ؟ قال : افعل[1] يا طُوَيس ؛ فأخذ ملحفة فأْتزر بها وأُرخى لها ذَنَبَين ، ثم أخذ المُرَبَّع[2] فتمشّى وأنشأ يغنّي : [من الرمل]

يا خَلِيلي نابني سُهُدِي ... لَمْ تَنَمْ عيني ولم تَكَدِ
كيف تَلْحوني على رجلٍ ... آنسٍ تَلتَــدُّه كبِـدِي
مثـل ضوء البدرِ طَلْعَتُه ... ليس بالزُّمَّيْلَة النَّكِدِ[3]

فطرب القوم وقالوا أحسنتَ والله يا طُوَيس . ثم قال : يا سيدي ، أتدري لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله ، ما أدري لمن هو ، إلاّ أنّي سمعت شعراً حسناً ؛ قال : هو لفارعة بنت ثابت أُخت حسّان بن ثابت وهي تتعشّق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ وتقول فيه هذا الشعر ؛ فنكّس القوم رؤوسهم ، وضرب عبد الرحمن برأسه على صدره ، فلو شُقَّت الأرض له لدخل فيها .

[عرّض بسعيد بن عبد الرحمن في شعر]

قال وحدّثني ابن الكلبيّ والمدائنيّ عن جعفر بن محرز قال : خرج عمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة ، إلى السويداء وخرج الناس معه ، وقد أُخِذت المنازل ، فلحق بهم يزيد بن بكر بن دأْب اللَّيثيّ وسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ ، فلقيهما طويس فقال لهما : بأبي أنتما وأُمّي ؛ عرِّجا إلى منزلي ؛ فقال يزيد لسعيد : مِل بنا مع أبي عبد النَّعيم ؛ فقال سعيد : أين تذهب مع هذا المخنَّث ؛ فقال يزيد : إنّما هو منزل ساعة فمالا ، واحتمل طُوَيس الكلام على سعيد ، فأتيا منزله فإذا هو قد نضحه ونصَّعه[4] ، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء ؛ ثم قال سعيد : لو أسمعتنا يا أبا عبد النَّعيم ؛ فتناول خريطة فاستخرج منها دُفّاً ثم نقره وقال : [من الرمل]

يا خَليلي نابَنِـي سُهُدِي ... لم تَنَمْ عينِـي ولم تَكَدِ
فشَرابِي مــا أُسِيغُ وما ... أَشْتَكِي مــا بي إلى أحدِ

---

1 ل : بلى .
2 المربع : دفّ هذا شكله .
3 الزميلة : الضعيف الرذل .
4 ل : ونضده .

كيف تَلْحُوني على رجلٍ　　آنسٍ تلتـــذُّه كبِـــدِي
مثـلُ ضوءِ البدرِ صورتُه　　ليس بالزُّمَّيْلَـــةِ النَّكِدِ
من بنـــي آل المُغِيرة لا　　خامـلٍ نِكْسٍ ولا جَحِدِ
نظرتْ يومـاً فلا نظرتْ　　بعـــدَه عينـــي إلى أحدِ

ثم ضرب بالدفّ الأرض ؛ فقال سعيد : ما رأيت كاليوم قطّ شعراً أجود ولا غناءٍ أحسن منه ؛ فقال له طُوَيس : يا ابن أبي الحُسام ، أتدري مَن يقوله ؟ قال : لا ؛ قال : قالته عمَّتُك خولة بنت ثابت تُشَبِّب بعُمارة بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ؛ فخرج سعيد وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطّ مثل ما استقبلني به هذا المخنَّث ؛ والله لا يُفلِتُني ! فقال يزيد : دَع هذا وأُمِته ولا ترفع به رأساً . قال أبو الفرجِ الأصبهانيّ : هذه الأبيات ، فيما ذكر الحرميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار ، لابن زهير المخنَّث .

[مدح ابن سريج غناءه]

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش ، وابن الكلبيّ عن أبي مسكين قالا : قدِم ابن سريج المدينة فغنّاهم ، فاستظرف الناس غناءه وآثروه على كلّ مَنْ غنّى ، وطلع عليهم طويس فسمعهم وهم يقولون ذلك ، فاستخرج دُفّاً من حِضنِه ثم نقَر به وغنّاهم بشعر عُمارة بن الوليد المخزوميّ في خولة بنت ثابت ، عارضها بقصيدتها فيه : [من الرمل]

يا خليلي نابنـي سُهُدِي　　لم تَنَـمْ عَيْنِـي ولم تَكَدِ

وهو :

تَناهى فيكُـم وَجْـدِي　　وصدَّع حبُّكم كِبْدِي
فقلبي مُسْعَـرٌ حزنـاً　　بذات الخـالِ في الخدِّ
فما لاقـى أخــو عشقٍ　　عَشِيرَ العُشْرِ من جَهْدِي

فأقبل عليهم ابن سريج فقال : والله هذا أحسنُ الناس غناء .

أخبرني وكيع محمد بن خلف قال حدّثنا إسماعيل بن مجمِّع قال حدّثني المدائنيّ قال : قدِم ابن سريج المدينة فجلس يوماً في جماعة وهم يقولون : أنت والله أحسنُ الناس غناء ، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمعهم وما يقولون ، فاستلّ دُفَّه من حِضنه ونقره وتغنّى : [من مجزوء الكامل]

إنّ المُخَبَّـــةَ التـــي　　مَـرَّتْ بنا قبل الصَّباحِ
في حُلَّـــةٍ مَوْشيّـــةٍ　　مَكيَّـةٍ غَرْثَـى الوِشاحِ
زَيْنٌ لمشهـدِ فِطْرِهم　　وتَزِينُهم يومَ الأضاحِي

الشعر لابن زهير المخنَّث ، والغناء لطُويس هزجٌ ؛ أخبرنا بذلك الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بَكّار ، فقال ابن سريج : هذا والله أحسنُ الناس غناء لا أنا .

[تبع جارية فزجرته]

قال إسحاق حدّثني المدائنيّ قال : حُدّثت أنّ طويساً تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها ، فخَبَّتْ[1] في المشي فلم ينقطع عنها ؛ فلمّا جازت بمجلسٍ وقفتْ ثم قالت : يا هؤلاء ، لي صديق ولي زوج ومولًى يَنْكِحُني ، فسَلُوا هذا ما يريد منّي ؟ فقال : أُضيِّق ما قد وسّعوه . ثم جعل يتغنّى : [من الهزج]

أفِقْ يا قلبُ عن جُمْلِ وجُمْلٌ قطَّعتْ حَبْلِي
أفِق عنها فقد عُنِّيـ ـتَ حَوْلاً في هَوى جُمْلِ
وكيف يُفِيق محزونٌ بجُمْلٍ هائمُ العقلِ
بَراه الحُبّ في جملٍ فحَسْبِي الحبُّ من ثِقْلِ
وحَسْبِي فيكِ ما أَلْقَى من التَّفْنيد والعَذْلِ[2]
وقِدْماً لامني فيها فلم أَحْفِل بهم أهلِي

[طُوَيس والرجل المسحور]

قال إسحاق وقال المدائنيّ قال مسلمة بن محارب حدّثني رجل من أصحابنا قال : خرجنا في سَفْرة ومعنا رجلٌ ، فانتهينا إلى وادٍ فدعَونا بالغداء ، فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه ، وهو قبل ذلك يأكل معنا في كلّ منزل ، فخرجنا نسأل عن حاله فلقِينا رجلاً طويلاً أحول مضطرب الخَلق في زِيّ الأعراب ، فقال لنا : ما لكم ؟ فأنكرنا سؤاله لنا ، فأخبرناه خبر الرجل ؛ فقال : ما اسم صاحبكم ؟ فقلنا : أُسَيد ؛ فقال : هذا وادٍ قد أُخِّذَتْ[3] سِباعه فارحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادي استمرّ صاحبكم وأكل . قلنا في أنفسنا : هذا من الجنّ ، ودخلتْنا فَزعةٌ[4] ؛ ففهم ذلك وقال : لِيُفْرِخْ رَوعُكم فأنا طُوَيس . قال له بعض مَن معنا من بني غِفارٍ أو من بني عَبْس : مرحباً بك يا أبا عبد النعيم ، ما هذا الزِّيّ ! فقال : دعاني بعض أُوِدّائي من الأعراب فخرجت إليهم وأحببت أن أتخطّى الأحياء فلا يُنكروني . فسألت الرجل أن يغنّينا ؛ فاندفع ونَقَر بدُفٍّ كان معه مربَّعٍ ، فلقد تخيَّل لي[5] أنّ الوادي يَنطِق معه حسناً ،

1 ل : فحثت .
2 التفنيد في ل : التعنيف .
3 أُخِّذَت سباعه : سحرت ؛ وفي ل : أخاف .
4 ل : ودخلنا فزع .
5 ل : خيّل إلي .

وتعجَّبْنا من علمه وما أخبرنا [به] من أمر صاحبنا .

وكان الذي غنّى به في شعر عُروة بن الورد في سلمى امرأته الغِفاريّة حيث رهَنها على الشراب[1] : [من الوافر]

سَقَوْني الخمرَ ثم تَكَنَّفُوني ... عُداةُ الله من كَذِبٍ وزُورِ[2]

وقالوا لستَ بعدَ فِداء سَلْمى ... بمُفْنٍ ما لديك ولا فقيرِ

فلا واللهِ لو مُلِّكْتُ أمري ... ومَنْ لي بالتَّدَبُّرِ في الأُمورِ

إذاً لَعَصَيْتُهمْ في حبّ سَلْمى ... على ما كان من حَسَكِ الصدورِ[3]

فيا للنّاسِ كيف غُلِبْتُ أمري ... على شيءٍ ويكرَهُهُ ضميري

[عروة وامرأته سلمى الغفارية]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال : لمّا غَزا النبيّ ﷺ بني النَّضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خَيبَر يضربون بدُفوف ويَزمُرون بالمزامير وعلى النساء المُعصفرات وحُليّ الذهب مُظهرين لذلك تجلُّدا ، ومرَّت في الظُّعن يومئذٍ سلمى امرأة عروة بن الورد العبسي ، وكان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف ، وكانت سلمى من بني غِفار ، فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمال فولدت له أولاداً وكان شديد الحبّ لها وكان ولده يعيَّرون بأمِّهم ويسمَّون بني الأَخيذة ، أي السَّبِيّة ، فقالت : ألا ترى ولدك يعيَّرون ؟ قال : فماذا تَرَين ؟ قالت : أرى أن ترُدَّني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك فأَنعَم لها[4] ، فأرسلت إلى قومها أنِ القَوْه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكَر ويثمل فإنّه لا يُسأل حينئذٍ شيئاً إلاّ أعطاه ؛ فلَقوه وقد نزل في بني النَّضير فسَقوه الخمر ، فلمّا سكر سألوه سلمى فردّها عليهم ثم أَنكحوه بعد . ويقال : إنّما جاء بها إلى بني النَّضير ، وكان صُعلوكاً يُغِير ، فسقَوه الخمر ، فلمّا انتشى منعوه ولا شيء معه إلاّ هي فرهنها ، ولم يزل يشرب حتى غَلِقَت[5] ؛ فلمّا قال لها : انطلقي قالت : لا سبيل إلى ذلك ، قد أُغلَقتني . فبهذا صارت عند بني النَّضير . فقال في ذلك : [من الوافر]

سقَوْني الخمرَ ثم تكنَّفُوني ... عُداةُ اللهِ من كذبٍ وزورِ

---

1 ديوان عروة (شرح ابن السكيت) : 58 تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق : 1966 .

2 الخمر في الديوان : النسء وهي أيضاً الخمر .

3 حسك الصدور : الغلّ والعداوة .

4 أنعم لها : قال لها نعم .

5 غلق الرهن : استحق .

هذه الأبيات مشهورة بأنّ لطويس فيها غناءً ، وما وجدتُه في شيء من الكتب مجنَّساً فتُذكر طريقته .

[كان يغرى بين الأوس والخزرج بغنائه]

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال : كان طويس وَلِعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء ، فقَلّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان الحَيّان فغنَّى فيه طويس إلاّ وقع فيه شيء ؛ فنُهِي عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناء بشعر الأنصار حتى يُوَسِّدوني التراب ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به ، فكان يُبْدي السرائر ويُخرج الضغائن ، فكان القوم يتشاءمون به[1] .

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبَر عن حديثه ويُستشهد على معرفته ، فغنَّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو : [من المنسرح]

ردّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرفوا ... مـاذا عليهم لـو أنّهم وقفُوا
لـو وقفـوا ساعـةً نسائلُهم ... رَيْث يضحِّي جِمالَـه السَّلَفُ
فليت أهلي وأهلَ أَثْلَة في الـ ... ـدَّارِ قَرِيبٌ من حيثُ نختلِفُ[2]

فلمّا بلغ إلى آخر بيت غنَّى فيه طويس من هذه القصيدة وهو : [من المنسرح]

أبلِغْ بني جَحْجَبَى وقومَهُـمُ ... خَطْمَـةَ أنّا وراءَهـم أُنُفُ

تكلّموا وانصرفوا وجرتْ بينهم دماءٌ ، وانصرف طُوَيس من عندهم سليماً لم يُكلَّمْ ولم يُقَلْ له شيءٌ .

[سبب الحرب بين الأوس والخزرج]

قال إسحاق فحدّثني الواقديّ وأبو البختريّ ، قالا : قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشَغب أثاره القوم بعد دهر طويل . ونذكر سبب أوّل ما جرى بين الأوس والخزرج من الحرب .

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيديّ وأبو البختريّ ، وحدّثني مشايخ لنا قالوا : كانت الأوس والخزرج أهلَ عزٍّ ومَنَعةٍ وهما أخوان لأبٍ وأمّ وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأُمُّهما قَيلة بنت جَفنة بن عُتبة بن عمرو ؛ وقُضاعة تذكر أنّها قَيلة بنت كاهِل بن عُذرة بن سعد بن زيد بن سُود بن أَسلم بن الحاف بن قُضاعة . وكانت أوّلُ حرب جرت

---

1 ل : يتماشون إليه .

2 في الدار في ل : والدار . ورواية الديوان :

بل ليت أهلي وأهل أثلة في دارٍ ... قريـبٍ مـن حيث تختلـفُ

بينهم في مولىً كان لمالك بن العجلان قتله سُمَير بن يزيد بن مالك ، وسُمير رجل من الأوس ثم أحد بني عمرو بن عوف ، وكان مالك سيد الحيَّين في زمانه ، وهو الذي ساق تُبَّعاً إلى المدينة وقتل الفِطْيون[1] صاحب زُهرة وأذلَّ اليهودَ للحيَّين جميعاً ، فكان له بذلك الذكر والشرف عليهم ، وكانت ديةُ المولى فيهم ، وهو الحليفُ ، خَمساً من الإبل ، ودية الصريح عشراً ، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف : ابعثوا إليّ سُمَيراً حتى أقتله بمولاي فإنّا نكرَه أن تَنشَبَ بيننا وبينكم حرب ؛ فأرسلوا إليه : إنّا نعطيك الرضا من مولاك فخذ منّا عقلَه[2] ، فإنّك قد عرفت أنّ الصريح لا يُقتل بالمولى ؛ قال : لا آخذ في مولاي دون دية الصريح ؛ فأبوا إلاّ ديةَ المولى . فلمّا رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه من الخزرج ، وكان فيهم مُطاعاً ، وأمرهم بالتهيّؤ للحرب . فلمّا بلغ الأوس استعدُّوا لهم وتهيَّئُوا للحرب واختاروا الموت على الذلّ ؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصَّفِينة بين بئر سالم وبين قُباء (قرية لبني عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعض القوم من بعض . ثم إنّ رجلاً من الأوس نادى : يا مالك ، ننشدك الله والرَّحِمَ ، وكانت أُمّ مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف ، فاجعل بيننا وبينك عدلاً من قومك فما حكَم علينا سلّمنا لك ؛ فارعوى مالك عند ذلك ، وقال نعم ؛ فاختاروا عمرو بن امرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به ، واستوثق منهم ، ثم قال : فإنّي أقضي بينكم : إن كان سُمَير قتل صَريحاً من القوم فهو به قَوَدٌ ، وإن قبِلوا العقل فلهم دية الصريح ؛ وإن كان قتل مولًى فلهم ديّة المولى بلا نقصٍ ، ولا يُعطى فوق نصف الدية ، وما أصبتم منّا في هذه الحرب ففيه الدية مسلَّمةً إلينا ، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلَّمة إليكم . فلمّا قضى بذلك عمرو بن امرىء القيس غضب مالك بن العجْلان ورأى أن يردّ عليه رأيه ، وقال : لا أقبل هذا القضاء ؛ وأمَر قومه بالقتال ، فجمع القومُ بعضهم لبعضٍ ثم التقَوا بالفضاء عند آطام بني قَيْنُقاع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم تداعَوا إلى الصلح فحَكَّموا ثابت بن حرام بن المنذر أبا حسّان بن ثابت النَّجّاريّ ، فقضى بينهم أن يَدُوا مولى مالك بن العجْلان بدية الصَّريح ثم تكون السنَّة فيهم بعده على مالكٍ وعليهم كما كانت أوّل مرّة : المَولى على ديته ؛ والصريح على ديّته ؛ فرضي مالك وسلَّم الآخرون . وكان ثابت إذ حَكَّموه أراد إطفاء النائرة[3] فيما بين القوم ولَمَّ شَعَثِهم ، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوس أن تؤدّي إلى مالك أكثر من خمسٍ وأبى مالكٌ أن يأخذ دون عشر . فلمّا أخرج

1 أسطورة الفطيون لها مشابه ، من ذلك ما يتصل بقصّة طسم واستعباده لجديس .

2 عقله : ديته .

3 النائرة : الفتنة (وتصحف إلى الثائرة) .

ثابت الخمس أرضى مالكاً بذلك ورضيت الأوس ، واصطلحوا بعهد وميثاقٍ ألاّ يُقتَل رجلٌ في داره ولا معقلِه ، والمعاقل : النخل ، فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا دية له ولا عقل . ثم انظروا في القتلى فأيُّ الفريقين فَضَل على صاحبه وَدى له صاحبه . فأفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نَفَر فوَدَتْهم الأوس واصطلحوا . ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لِما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك : [من الخفيف]

وأبِي في سُمَيْحة القائـلُ الفا ... صِلُ حين التَفّتْ عليه الخصومُ

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته وهي طويلة : [من المنسرح]

رَدّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ... ماذا عليهم لـو أنّـهم وقَفوا

[رأي عمر بن عبد العزيز في شعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال : كان عمر بن عبد العزيز يُنشِد قول قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

بينَ شُكـولِ النساءِ خِلْقَتُها ... قَصْدٌ فلا جَبْلَـةٌ ولا قَضَفُ

تنـام عن كُبْر شأْنهـا فإذا ... قامت رُويداً تكاد تنقصفُ

تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ ... كأنّما شَفَّ وجهها نُـزُفُ

ثم يقول : قائلُ هذا الشعر أنسب الناس .

[أصوات من المائة المختارة]

وممّا في المائة المختارة من أغاني طويس
صوت[1]

[من الخفيف]

يـا لَقَوْمِي قـد أرّقتني الهمومُ ... ففؤادي ممّـا يُجِنُّ سقيمُ

أنْدَبَ الحبُّ في فؤادي ففيه ... لـو تَـراءى للناظرين كلومُ

يُجنّ : يُخفي ، والجُنّة من ذلك ، والجنّ أيضاً مأخوذ منه . وأندب : أبقى فيه نَدَباً وهو أثر الجرح ؛ قال ذو الرُّمّة[2] : [من البسيط]

تُرِيكَ سُنّةَ وجــهٍ غيرَ مُقْرِفةٍ ... ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

---

1 الأبيات في ديوان ابن قيس الرقيات : 194 تحقيق د . محمد يوسف نجم ، عن الأغاني (دار صادر ، بيروت) .

2 ديوان ذي الرمّة : 1 : 29 من قصيدته المشهورة :

ما بال عينِكَ منها الماء ينسكبُ ... كأنّه مـن كُلـىً مفريـة سرِبُ

الشعر لابن قيس الرُّقيّات فيما قيل . والغناء لطويس ، ولحنه المختار خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ، قال إسحاق : وهو أجود لحن غنّاه طويس ، ووجدتُه في كتاب الهشاميّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طُنْبورة . قال وقال ابنُ المكّيّ : إنّه لَحَكم ، وقال عمرو بن بانة : إنّه لابن عائشة أوّلُه هذان البيتان ، وبعدهما : [من الخفيف]

ما لِذا الهمِّ لا يَرِيمُ فؤادِي مثلَ ما يَلزَمُ الغريمَ الغريمُ
إنّ مَنْ فَرّق الجماعةَ منّا بعد خَفْضٍ ونَعْمَةٍ لذميمُ

انقضت أخبار طويس .

صوت

من المائة المختارة من صنعة قفا النجّار

[من الكامل]

حُجبَ الأُلى كنّا نُسَرّ بقربهم يا ليتَ أنّ حجابَهم لم يُقْدَرِ
حُجبُوا ولم نَقضِ اللُّبانةَ منهمُ ولنا إليهم صَبْوةٌ لم تُقْصِرِ
ويُحيط مئزرُها بِرِدْفٍ كاملٍ رابي المَجَسّةِ كالكَثيبِ الأعفرِ
وإذا مَشَتْ خِلتَ الطريقَ لمشيها وَحِلاً كمشي المُرْجحِنّ المُوقَرِ

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لقفا النجّار ، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ويقال : إن فيه لحناً لابن سريج . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى في الاختيار الواثقيّ أنّ لحن قفا النجّار المختار من الثقيل الأوّل .

صوت

من المائة المختارة

أفِقْ يا دارِميُّ فقد بُلِيتا وإنّك سوف تُوشِك أن تَمُوتا
أراك تَزِيدُ عشقاً كلَّ يومٍ إذا ما قلتَ إنّك قد بَرِيتا

الشعر والغناء جميعاً لسعيد الدارميّ ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

[21] ـ ذكر الدارميّ وخبره ونسبه[1]

[نسبه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : الدارميّ من ولد سُوَيد بن زيد الذي كان جَدُّه قتل أسعد بن عمرو بن هِنْد ، ثم هربوا إلى مكّة فحالفوا بني نَوفل بن عبد مَناف .

وكان الدارميّ في أيّام عمر بن عبد العزيز ، وكانت له أشعار ونوادر ، وكان من ظُرفاء أهل مكّة ، وله أصوات يسيرة . وهو الذي يقول : [من المتقارب]

ولمّـا رأيتُـكَ أوليتنـي الـ ـقَبيحَ وأبعدتَ عنّي الجميلا
تركـتُ وِصالَـك في جانـبٍ وصادفتُ في الناسِ خِلاًّ بَدِيلا

[شبب بذات خمار أسود فنفقت الخمر السود]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا فَضْل اليزيديّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا أبو الفضل الرِّياشيّ عن الأصمعيّ ، قال وحدّثني به النُّوشْجانِيّ عن شيخ له من البِصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد ، ولم يقل عن ابن أبي الزناد غيره : أنّ تاجراً من أهل الكوفة قَدِم المدينة بخُمُر فباعها كلّها وبقيت السود منها فلم تَنْفُق ، وكان صديقاً للدارميّ ، فشكا ذاك إليه ، وقد كان نسَك وترك الغناء وقول الشعر ، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنّي سأُنفقها لك حتى تبيعها أجمع ؛ ثم قال : [من الكامل]

صوت

قُلْ للمليحةِ في الخَمارِ الأسودِ مـاذا صَنَعـتِ براهـبٍ متعبِّدِ
قـد كان شَمَّر للصـلاةِ ثيابَـه حتى وقَفتِ لـه ببابِ المسجدِ

وغنّى فيه ، وغنّى فيه أيضاً سِنان الكاتب ، وشاع في الناس وقالوا : قد فتَك[2] الدارميّ ورجع عن نُسكه ؛ فلم تبقَ في المدينة طريفةٌ إلاّ ابتاعت خِماراً أسود حتى نَفِذ ما كان مع

---

1 لم يذكر أبو الفرج اسم الدارميّ كاملاً فلم يكن من الممكن العثور على ترجمة له في مصادر أُخرى ، وهو إنّما اشتهر بأبياته في «ذات الخمار الأسود» . وقد حققت ديوانه كارين صادر ، بيروت 2000 .

2 فتك : مجن .

العراقيّ منها ؛ فلمّا علم بذلك الدارميّ رجع إلى نسكه ولزم المسجد .

فأمّا نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارميّ والغناء أيضاً ، وهو خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لسِنانٍ الكاتب رمل بالوسطى عن حبش . وذكر حبش أنّ فيه لابن سريج هزجاً بالبنصر .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني أبو هفّان قال : حضرتُ يوماً مجلس بعض قوّاد الأتراك وكانت له ستارة فنُصبت ، فقال لها : غنّي صوت الخمار الأسود المليح ، فلم تدرِ ما أراد حتى غنّت :

قل للمليحةِ في الخمار الأسودِ

ثم أمسك ساعة ثم قال لها غنّي :

إنّي خريت وجئت أُنتقله

فضحِكت ثم قالت : هذا يشبهك ؛ فلم ندرِ أيضاً ما أراد حتى غنّتْ :

إنّ الخليطَ أجدّ مُنتقَلَهْ

[بخله وظرفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثني محمد بن أخي سَلْم[1] الخُزاعيّ قال حدّثني الحِرْمازيّ قال زعَم لي ابن مودود قال : كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً وكانت مُتَفَتِّيات[2] أهل مكّة لا يطيب لهنّ مُتَنَزَّه إلاّ بالدارميّ ، فاجتمع جماعةٌ منهنّ في متنزّه لهنّ ، وفيهنّ صديقة له ، وكلٌّ واحدة منهنّ قد واعدت هَواها ، فخرجن حتى أتيْنَ الجُحفة[3] وهو معهنّ ؛ فقال بعضهنّ لبعض : كيف لنا أن نَخلو مع هؤلاء الرجال من الدارميّ ؟ فإنّا إن فعلنا قطّعَنا في الأرض ؛ قالت لهنّ صاحبته : أنا أكفيكُنّه ؛ قلن : إنّا نريد ألاّ يلومَنا ؛ قالت : عليّ أن ينصرف حامداً ، وكان أبخلَ الناس ، فأتته فقالت : يا دارميّ ، إنّا قد تَفِلْنا[4] فاجلُب لنا طِيباً ؛ قال نعم هو ذا ، آتي سوق الجُحفة آتيكنّ منها بطِيبٍ ؛ فأتى المُكارين فاكترى حماراً فصار عليه إلى مكّة وهو يقول : [من الهزج]

أنا بالله ذي العِزّ وبالرُّكنِ وبالصَخْرهْ
من اللائي يُرِدنَ الطِّيـ ـبَ في اليُسر وفي العُسْرهْ

---

1 ل : ابن أبي سلمة .

2 متفتيات : يذهبن مذهب الفتوة ويتشبّهن بالفتيان .

3 الجحفة : قرية بين مكّة والمدينة .

4 تفل : تغيّرت رائحته لعدم الطيب .

وما أقـــوى على هـذا ولـو كنتُ على البَصْرَهْ

فمكث النسوة ما شئن . ثم قَدِم من مكّة فلقِيته صاحبته ليلة في الطَّواف ، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلتْ تُعاتبه على ذهابه ويُعاتبها ، إلى أن قالت له : يا دارميّ ، بحقّ هذه البَنِيّة أتُحبُّني ؟ فقال نعم ، فبِربِّها أتُحبِّيني ؟ قالت نعم ؛ قال : فيا لكِ الخيرُ فأنتِ تحبِّيني وأنا أُحبّك ، فما مدخل الدراهم بيننا ؟!

[عطسة الدارميّ وعبد الصمد بن علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يحدّثه ، فأغفى عبد الصمد فعطس الدارميُّ عطسةً هائلة ، ففزع عبد الصمد فزعاً شديداً وغضب غضباً شديداً ، ثم استوى جالساً وقال : يا عاضّ كذا من أمّه أتُفزِعني ؟ قال : لا والله ولكن هكذا عُطاسي ؛ قال : والله لأَنقعنّك في دمك أو تأتيني ببيّنة على ذلك ؛ قال : فخرج ومعه حَرَسيٌّ لا يدري أين يذهب به ، فلقيه ابن الريّان المكيّ فسأله ؛ فقال : أنا أشهد لك ؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد ؛ فقال له : بم تشهد لهذا ؟ قال : أشهد أنّي رأيته مرّةً عطس عطسةً فسقط ضرسه ؛ فضحك عبد الصمد وخلّى سبيله .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزبير قال : قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ : لو صَلَحتْ عليك ثيابي لكسوتك ؛ قال : فَدَيتك ! إن لم تصلُح عليّ ثيابك صَلَحتْ عليّ دنانيرك .

[الدارميّ مع نسوة من الأعراب]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير ، ونسخت من كتاب هارون بن محمد : حدّثنا الزبير قال حدّثني يونس بن عبد الله الخيّاط قال : خرج الدارميّ مع السُّعاة[1] ، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطَوه دراهم ، فأتى بها في ثوبه ، وأحاط به أعرابيّات فجعلن يسألنه وألحَحْنَ عليه وهو يردّهنّ ؛ فعرفتْه صبيّة منهنّ فقالت : يا أخواتي ، أتدرين من تسألن منذ اليوم ؟ هذا الدارميّ السأّل . ثم أنشدت : [من المتقارب]

إذا كنتَ لا بـدّ مُستطعِماً فدَعْ عنك مَنْ كان يَستطعِمُ

فولّى الدارميّ هارباً منهنّ وهنّ يتضاحكن به .

[الدّارميّ والأوقص القاضي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال أخبرني أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثنا مصعب الزبيريّ قال : أتى الدارميُّ الأوقص القاضي بمكّة في شيء فأبطأ عليه فيه ، وحاكمه إليه خصم له في

1 السعاة : عمّال الصدقات .

حقٌّ ، فحبسه به حتى أدّاه إليه . فبينا الأوقص يوماً في المسجد الحرام يصلّي ويدعو ويقول : يا ربّ أعتِق رقبتي من النار ، إذ قال له الدارميّ والناس يسمعون : أوَلك رقبةٌ تُعتق ؟ لا والله ما جعل الله ، وله الحمد ، لك من عتق ولا رقبة ؛ فقال له الأوقص : ويلك ! ومن أنت ؟ قال : أنا الدارميّ ، حبستَني وقتلتني ؛ قال : لا تقل ذلك وأْتِني فإنّي أعوّضك ؛ فأتاه ففعل ذلك به .

[نادرة له مع عبد الصمد بن علي]

أخبرني الحِرْميّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : مدح الدارميّ عبد الصمد بن عليّ بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له ؛ فلمّا فرغ أُدخِل إليه رجلٌ من الشُّراة ؛ فقال لغلامه : أَعْطِ هذا مائةَ دينار واضرب عنقَ هذا ؛ فوثب الدارميّ فقال : بأبي أنت وأُمّي ! بِرُّك وعقوبتك جميعاً نَقد ! فإن رأيت أن تبدأ بقتل هذا ، فإذا فرغ منه أمرتَه فأعطاني ! فإنّي لن أَريمَ من حضرتك حتى يفعل ذلك ؛ قال : ولِمَ ويلك ؟ قال : أخشى أن يغلط فيما بيننا ، والغلط في هذا لا يُستقال ؛ فضحك وأجابه إلى ما سأل .

[نادرة له في مرضه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي قال : أصابت الدارميّ قُرحةٌ في صدره ، فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده . فرآه قد نفث من فيه نَفثاً أخضر ، فقال له : أَبْشِر ، قد أخضرَّتِ القرحة وعُوفِيتَ ؛ فقال : هيهات ، والله لو نفَثْتُ كلّ زُمُرُّدةٍ في الدنيا ما أَفلَتُّ منها .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمَى لقد هيَّجتَ لي طرَبا زِدْتَ الفؤادَ على عِلاَّتِه وصَبا
ربعٌ تبدّل ممّن كان يسكُنه عُفْرَ الظِّباء وظِلْماناً به عُصَبا

الشعر لِهلال بن الأسعر المازنيّ ، أخبرني بذلك وَكِيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه . وهكذا هو في رواية عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني . ومن لا يعلم ينسُبه إلى عمرَ بن أبي ربيعة وإلى الحارث بن خالد ونُصَيب ، وليس كذلك . والغناء في اللحن المختار لعزّور الكوفيّ ، ومن الناس من يقول عَزُّون بالنون وتشديد الزاي ، وهو رجل من أهل الكوفة غير مشهور ولا كثير الصنعة ، ولا أعلم أنّي سمعتُ له بخبرٍ ولا صنعةٍ غير هذا الصوت . ولحن هذا المختار ثقيل أوّل بالبِنصر في مجراها عن إسحاق ، وهكذا نسَبه في الاختيار الواثقيّ . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لابن عائشة لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر . وفي أخبار الغريض عن حمّاد أنّ له ثقيلاً أول . وقال الهشاميّ : فيه لعبد الله بن العبّاس لحنٌ من الثقيل الثاني . وذكر حبش أنّ فيه لحسين بن محرز خفيف رملٍ بالبنصر .

[22] ـ أخبار هلال بن الأسعر ونسبه[1]

[شاعر أمويّ شجاع أكول]

هو ، فيما ذكر خالد بن كلثوم ، هلال بن الأسعر بن خالد بن الأَرقم بن قسيم بن ناشرة بن سيَّار بن رِزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . شاعرٌ إسلاميّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وأظنّه قد أدرك الدولة العباسية ، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أَكولاً معدوداً من الأُكَلة . قال أبو عمرو : وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظمهم في حربٍ غَناءً . هذا لفظ أبي عمرو . وقال أبو عمرو : وعمِّر هلال بن أسعر عُمْراً طويلاً ومات بعد بلايا عِظامٍ مرّت على رأسه .

[كان المغيرة بن قنبر يعوله فلمّا مات رثاه]

قال : وكان رجل من قومه من بني رِزام بن مالك يقال له المُغيرة بن قنبر يعوله ويُفضلُ عليه ويحتملُ ثِقْلَه وثِقْلَ عيالِه فهلك ، فقال هلال يَرثيه : [من الوافر]

ألا ليــتَ المُغيرةَ كان حيّــاً … وأُفْنــى قبلَـه النــاسَ الفناءُ
لِيَبْكِ على المُغيرةِ كلُّ خيــلٍ … إذا أُفنــى عَرائكَهــا اللِّقاءُ[2]
ويَبْـكِ على المغيرةِ كلُّ كَلٍّ … فَقِيــرٍ كان يَنْعَشُـــه العَطاءُ[3]
ويَبْـكِ على المغيرةِ كلُّ جيشٍ … تَمُورُ لــدى مَعارِكـه الدِّماءُ
فتى الفتيانِ فارسُ كلِّ حربٍ … إذا شالت وقــد رُفِع اللِّواءُ[4]
لقد وارَى جديــدُ الأرضِ منه … خِصالاً عَقْـدُ عِصْمتِها الوفاءُ
فصبراً للنوائـــب إن أَلَمَّــتْ … إذا مــا ضاق بالحَدَثِ الفضاءُ
هِزبــرٌ تَنْجــلي الغَمْراتُ عنه … نقــيّ العِــرْضِ همَّتُـه العَلاءُ
إذا شهِد الكَريهَــةَ خاض منها … بُحــوراً لا تكدّرُهــا الدِّلاءُ
جَسُورٌ لا يــروَّع عنــد رَوْعٍ … ولا يَثْنِـــي عزيمتَـــه اتّقاءُ

---

1 أورد ابن حمدون بعض أخبار هلال المازنيّ في التذكرة نقلاً عن الأغاني 9 : 34 ، 101 .

2 العرائك : جمع عريكة أي الشدّة والقوّة ، وأصل العريكة : سنام البعير .

3 ينعشه في ل : حين يلتمس .

4 شالت الحرب : إذا تمّ الاستعداد لها وأصبحت وشيكة الوقوع .

حَلِيمٌ في مَشاهده إذا ما ... حُبَا الحُلَماءِ أطلقها المِراءُ[1]
حَميدٌ في عشيرتِه فَقيدٌ ... يَطيب عليه في المَلأ الثناءُ
فإن تكن المنيّةُ أَقْصدتْه ... وحُمَّ عليه بالتلفِ القَضاءُ[2]
فقد أَوْدَى به كرمٌ وخِيرٌ ... وعَوْدٌ بالفضائل وابتداءُ[3]
وجودٌ لا يَضُمّ إليه جوداً ... مُراهِنُه إذا جَدّ الجِراءُ[4]

[كان عاديّ الخلْق صبوراً على الجوع]

وقال خالد بن كُلْثوم : كان هلال بن الأسعر ، فيما ذكروا ، يَرِد مع الإبل فيأكُل ما وجد عند أهله ثم يرجع إليها ولا يتزوّد طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يوم ورودِها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عاديّ الخَلق لا تُوصف صفتُه .

[حكايات عن قوّته]

قال خالد بن كلثوم فحدّثنا عنه من أدركه : أنّه كان يوماً في إبلٍ له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وَقْع الشمس محتدم الهاجِرة وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، فبينا هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بني نهشل والآخر من بني فُقَيم ، كانا أشدّ تَميميَّين في ذلك الزمان بطشاً ، يقال لأحدهما الهَيَّاج ، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أَنواطٌ[5] من تمر هَجَرَ ، وكان هلالٌ بناحية الصِّعاب[6] ؛ فلمّا انتهيا إلى الإبل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهِه ولا يعرفان أنّ الإبل له ، نادَيا : يا راعي ، أعندك شرابٌ تسقينا ؟ وهما يظنّانه عبداً لبعضهم ؛ فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة التي صفتُها كذا في موضع كذا فأَنِيخاها فإنّ عليها وَطْبَيْن من لبنٍ ، فاشربا منهما ما بدا لكما . قال فقال له أحدهما : ويحك ! انهض يا غلام فأْتِ بذلك اللبن !؟ فقال لهما : إن تَكُ لكما حاجةٌ فستأتيانها فتجدان[7] الوطبين فتشربان ؛ قال فقال أحدهما : إنّك يا ابن اللَّخناء لغليظ الكلام ، قم فاسقنا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما ، حيث قال له

1 حبا : جمع حُبوة والثوب يشتمل به ؛ وإطلاق الحبا يعني الخروج عن طور الحلم إلى السفه والطيش ؛ والمراء : المجادلة والمخاصمة . أي أنّه يظلّ حليماً حتى إذا واجهه ما يخرج الحلماء عن أطوارهم .
2 أقصدته : أصابته .
3 خير : شرف .
4 الجراء : المسابقة والمفاخرة .
5 أنواط : جمع نوط وهو الجلة الصغيرة من التمر ونحوه .
6 الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين .
7 ل : فتحدران .

أحدهما : «إنّك يا ابن اللخناء لغليظ الكلام» ، : أراكما والله ستلقيان هواناً وصَغاراً ؛ وسمعا ذلك منه ، فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسَّوط على عَجُزِه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ورماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطةً ؛ فنادى صاحبه : ويحك أغِثني قد قتلني ؛ فدنا صاحبه منه ، فتناوله هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأُخرى . ثم أخذ برقابهما فجعل يصُكّ برؤوسهما بعضاً ببعضٍ لا يستطيعان أن يمتنعا منه ؛ فقال أحدهما : كنْ هِلالاً ولا نُبالي ما صنعت ؛ فقال لهما : أنا والله هلال ، ولا والله لا تُفلِتان منّي حتى تُعطياني عهداً وميثاقاً لا تَخِيسان به : لتأْتيانّ المِربَد[1] إذا قدِمتُما البصرة ، ثم لتُناديانّ بأعلى أصواتكما بما كان منّي ومنكما ؛ فعاهداه وأعطياه نَوطاً من التمر الذي معهما ، وقدِما البصرة فأتيا المِربد فناديا بما كان منه ومنهما .

وحدّث خالد عن كُنَيف[2] بن عبد الله المازنيّ قال : كنتُ يوماً مع هلال ونحن نبغِي إبلاً لنا ، فدفَعْنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبنا وعطشنا ، وإذا نحن بفِتيةٍ شباب عند رَكِيّة[3] لهم وقد وردت إبلُهم ، فلمّا رأوْا هلالاً استهْوَلُوا خَلقَه وقامتَه ، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدهما : يا عبد الله ، هل لك في الصِّراع ؟ فقال له هلال : أنا إلى غير ذلك أحوج ؛ قال : وما هو ؟ قال : إلى لبنٍ وماءٍ فإنِّني لَغِبٌ ظمآن ؛ قال : ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعطيَنا عهداً لتُجيبنَّنا إلى الصراع إذا أَرَحتَ ورَوِيت ؛ فقال لهما هلال : إنّني لكم ضيفٌ ، والضيف لا يُصارع آهِلَه وربَّ منزله ، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم : اعمِدوا إلى أشدّ فحل في إبلكم شدّة وأهْيبِه صولةً وإلى أشدِّ رجل منكم ذراعاً ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أُدخل يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني ، وإن فعلته علمتم أنّ صراع أحدكم أيسر من ذلك . قال : فعجبوا من مقالته تلك ، وأومئوا إلى فحل في إبلهم هائج صائلٍ قَطِمٍ[4] ؛ فأتاه هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخ لهم ، فأخذ بهامة الفحل ممّا فوق مِشفره فضغطها ضغطة جَرجَر الفحلُ منها واستخذى ورَغا ، وقال : ليُعطني من أحببتم يده أُولِجها في فم هذا الفحل . قال فقال الشيخ : يا قوم تنكّبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعت فلاناً (يعني الفحل) جرجر منذ بزَل[5] قبل اليوم ، فلا تعرِضوا لهذا الشيطان . وجعلوا

1 المربد : محلة بالبصرة كانت قديماً سوقاً للإبل ثم أصبحت معقد مفاخرة الشعراء ومجالس الخطباء .

2 ل : كفيف .

3 ركية : بئر .

4 قطم : هائج .

5 بزل البعير : فطر نابه ودخل في سنته التاسعة .

يتبعونه وينظرون إلى خطوه ويعجبون من طول أعضائه حتى جازهم .

[صارع في المدينة عبداً]

قال وحدّثنا مَن سمع هلالاً يقول : قدِمتُ المدينة وعليها رجلٌ من آل مروان ، فلم أزل أضع عن إبلي وعليها أحمال للتجّار حتى أُخِذ بيدي وقيل لي : أجِب الأمير . قال : قلتُ لهم : ويلكم ! إبلي وأحمالي ! فقيل : لا بأس على إبلك وأحمالك . قال : فانطُلِقَ بي حتى أُدخلت على الأمير ، فسلّمتُ عليه ثم قلت : جُعِلتُ فِداك ! إبلي وأمانتي ! قال فقال : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدّيها إليك . قال فقلت عند ذلك : فما حاجةُ الأمير إليّ جعلني الله فداه ؟ قال فقال لي ، وإلى جَنْبه رجل أصفر ، لا والله ما رأيت رجلاً قطُّ أشدَّ خَلْقاً منه ولا أغلظ عُنُقاً ، ما أدرى أطولُه أكثر أم عرضُه : إنّ هذا العبد الذي ترى لا والله ما ترك بالمدينة عربيّاً[1] يصارع إلاّ صرعه ، وبلغني عنك قوّة ، فأردتُ أن يُجريَ الله صرعَ هذا العبد على يديك فتُدرِك ما عنده من أوتار العرب . قال فقلت : جعلني الله فداء الأمير ، إنّي لَغِبٌ نَصِبٌ جائعٌ ، فإن رأى الأمير أن يدَعني اليوم حتى أضعَ عن إبلي وأُؤدِّي أمانتي وأُريح يومي هذا وأجيئَه غداً فليفعل . قال فقال لأعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إبله وأداء أمانته وانطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه ؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به . قال : فظَلِلْتُ بقية يومي ذلك وبتُّ ليلتي تلك بأحسن حالٍ شِبَعاً وراحةً وصلاح أمر ، فلمّا كان من الغد غدوتُ عليه وعليّ جُبّةٌ لي صوفٌ وبَتٌّ[2] وليس عليّ إزار إلاّ أنّي قد شددت بعمامتي وسَطي ، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام ، وقال للأصفر : قُم إليه ، فقد أرى أنّه أتاك الله بما يُخزيك ؛ فقال العبد : اتَّزِرْ يا أعرابيّ ؛ فأخذت بَتِّي فاتّزرت به على جُبّتي ؛ فقال : هيهات ؛ هذا لا يثبُت ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي ؛ قال فقلت : والله ما لي من إزار ؛ قال : فدعا الأمير بملحفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدي مثلها ، فشددت بها على حَقْوِي[3] وخلعت الجُبّة ؛ قال : وجعل العبد يدور حولي ويريد خَتْلي وأنا منه وجِلٌ ولا أدري كيف أصنع به ، ثم دنا منّي دَنْوةً فنقد[4] جَبهتي بظُفره نَقدة حتى ظننتُ أنّه قد شجّني وأوجعني ، فغاظني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِه بِمَ أقبضُ منه ، فما وجدت في خلقه شيئاً أصغر من رأسه ، فوضعت إبهاميّ في صُدغيه وأصابعي الأُخَر في أصل أُذنيه ، ثم غمزته غمزةً صاح منها : قتلتني ؛ قتلتني ! فقال الأمير :

---

1 ل : عبداً .

2 البت : كساء غليظ ، وقيل هو من وبر وصوف .

3 حقو : خصر .

4 نقد الشيء : نقره باصبعه .

اغمِس رأس العبد في التراب ؛ قال فقلت له : ذلك لك عليّ ؛ قال : فغمستُ والله رأسه في التراب ووقع شبيهاً بالمَغشيّ عليه ؛ فضحك الأمير حتى استلقى وأمر لي بجائزةٍ وصلة وكسوةٍ وميرة وانصرفتُ[1] .

[قتل رجلاً من بني جلان استجار بمعاذ ثم فرّ إلى اليمن]

قال أبو الفرج : ولهلالٍ أحاديثُ كثيرة من أعاجيب شدّته . وقد ذكره حاجب بن ذبيان فقال لقوم من بني رِبابٍ من بني حَنِيفة في شيء كان بينهم فيه أربع ضربات بالسيف ، فقال حاجب : [من الوافر]

وقائلــةٍ وباكيــةٍ بشَجْــوٍ لَبئس السيفُ سيفُ بني رِبابِ
ولــو لاقَــى هلالَ بني رِزام لعجّلــه إلى يــوم الحسابِ

وكان هلالُ بن الأسعر ضربه رجلٌ من بني عنزة ثم من بني جَلاَّن يقال له عبيد بن جريّ في شيء كان بينهما ، فشجّه وخمشه خُماشةً ، فأتى هلالٌ بني جَلاّن فقال : إنّ صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقّي ، فأوعدوه وزجروه[2] ؛ فخرج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاءٌ حتى أتى بلاد قومه ؛ فمضى لذلك زمن طويل حتى درس ذكرُه ؛ ثم إنّ عبيد بن جريّ قَدِم الوَقْبى ، وهو موضع من بلاد بني مالك ، فلمّا قَدِمها ذكر هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوّفه ؛ فسأل عن أعزّ أهلِ الماء ، فقيل له : مُعاذ بن جعدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة بن سيّار بن رزام بن مازن ؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء ، فعقد عُبيد بن جريّ طرف ثيابه إلى جانب طُنُبِ بيت معاذ ، وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطُنُب بيته للمستجير به أن يجيره وأن يطلب له بظلامته ، وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء ، فقيل : رجلٌ استجار بآل مُعاذِ بن جعدة . ثم خرج عبيد بن جريّ ليستقي ، فوافق قدومه هلال بإبله يوم وُروده ، وكان إنّما يقدَمُها في الأيـّام ، فلمّا نظر هلال إلى ابن جريّ ذكر ما كان بينه وبينه ، ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة ، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده ، فانتزع المِحور[3] من السَّانية فعلاه به ضربةً على رأسه فصُرِع وقِيذاً[4] ، وقيل : قتَل هلال بن الأسعر جارَ معاذ بن جعدة ! فلمّا سمع ذلك هلال تخوّف بني جعدة الرِّزاميّين ، وهم بنو عمّه ، فأتى راحلته[5] ليركبها . قال هلال : فأتتني

1 ل : ثم انحدرت .
2 ل : وزبروه .
3 المحور : الحديدة بين الخطاف والبكرة ؛ والسانية : الدلو العظيمة .
4 الوقيذ : الذي أشرف على الموت .
5 ل : ناقته .

خَولة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جعدة بن ثابت ، وهي جدّة أبي السَّفَّاح زهيد بن عبد الله بن مالك أُمُّ أبيه ، فتعلّقت بثوب هـلال ، ثم قالت : أيْ عدوّ الله قتلتَ جارنا ، والله لا تُفارقني حتى يأتيَكَ رجالُنا ! قال هلال : والمحورُ في يدي لم أضعه ؛ قال : فهَممتُ أن أعلو به رأس خولة ، ثم قلت في نفسي : عجوزٌ لها سِنٌّ وقرابةٌ ، قال : فضربتها برجلي ضربةً رميتُ بها من بعيدٍ ، ثم أتيت ناقتي فأركبها[1] ثم أضربها هارباً . وجاء معاذ بن جعدة وإخوته ؛ وهم يومئذٍ تسعة إخوة ، وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ ويقـال لها جُبَيلةُ ، وهو مع ذلك ابن عمّتهم خَوْلـة بنت يزيـد بن ثابت ، فهو معهم كأنّه بعضُهم ؛ فجاؤوا من آخر النهار فسمِعوا الواعية[2] على الجَلاّنيّ وهو دَنِفٌ لم يمُت ، فسألوا على تلك الواعية فأُخبروا بما كان من استجارة الجَلاّنيّ بمعاذ بن جعدة وضربِ هلالٍ له من بعد ذلك ؛ فركب الإخوة التسعة وعبد الله بن مالك عاشرهم ، وكانوا أمثال الجبال في شدّة خَلْقِهم مع نجدتهم ، وركبوا معهم بعشرة غِلمة لهم أشدّ منهم خَلْقاً لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضعٍ يريده من رَمِيَّته ، حتى تبعوا هلالاً ؛ وقد نَسَلَ[3] هلال من الهرب يومه ذلك كلَّه وليلته ، فلمّا أصبح أَمِنَهم وظنَّ أن قد أَبْعد في الأرض ونجا منهم ؛ وتبِعوه ، فلمّـا أصبحوا من تلك الليلة قصُّوا أثره ، وكان لا يَخفى أثرُه على أحد لعِظَم قَدَمه ، فلحقوه من بعد الغد ، فلمّا أدركوه وهـم عشرون ومعهم النَّبْل والقِسيّ والسيوف والتِّرَسَة ، ناداهم : يا بني جعدة ، إنّي أنشُدكم الله أن أكون قتلتُ رجلاً غريباً طلبته بِترةٍ تقتلوني وأنا ابن عمّكم ! وظنّ أنّ الجَلاَّني قد مـات ، ولم يكن مات إلى أن تبعوه وأخذوه ؛ فقال معاذ : والله لو أيقنّا أنّه قد مات ما ناظرْنا[4] بك القتل من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت ، ولسنا نحبّ قتلك إلاّ أن تمتنع منّا ، ولا نُقدم عليك حتى نعلـم ما يصنع جارنـا ؛ فقاتلهم وامتنع منهم ، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه : لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ، ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه ؛ ففعلوا ذلك ، فما قَدَروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأُخرى إصبعين ، ودقُّوا ضِلِعين من أضلاعه وأكثروا الشِّجاج في رأسه ، ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه ، فوضعوا في رجله أُدهَم[5] ، ثم جاؤوا به وهو معروض على بعير حتى انتهوا به إلى الوَقَبى فدفعوه إلى الجَلاَّني ولم يمت بعد ، فقالوا : انطلقوا به

1 ل : فركبتها .

2 الواعية : الصراخ على الميت .

3 نسل : أسرع في سيره ؛ وفي ل : تمهّل .

4 ما ناظرنا بك القتل : ما أخّرناه .

5 أدهم : قيد .

معكم إلى بلادكم ولا يُحدِثوا في أمره شيئاً حتى تنظروا ما يُصنع بصاحبكم ، فإن مات فاقتلوه وإن حَيَ فأعلمونا حتى نحمل لكم أرْشَ[1] الجناية . فقال الجلاّنيّون : وَفَتْ ذمّتكم يا بني جعدة ، وجزاكم الله أفضل ما يجزي به خيار الجيران ، إنّا نتخوّف أن ينزعه منّا قومكم إن خلّيتم عنّا وعنهم وهو في أيدينا ؛ فقال له معاذ : فإنّي أحمله معكم وأُشيّعكم حتى تَرِدوا بلادكم ، ففعلوا ذلك ، فحُمل معروضاً على بعير ورَكِبتْ أختُه جماء بنت الأسعر معه ، وجعل يقول : قتلتْني بنو جعدة ، وتأتيه أخته بمَغْرة فيشربها فيُقال : يُمشي بالدَّم ، لأنّ بني جعدة فرَثوا[2] كبِدَه في جوفه . فلمّا بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل قال الجَلاَّنيّون لمعاذ وأصحابه : أدام الله عزّكم ، قد وفيتم فانصرفوا . وجعل هلال يُريهم أنّه يُمشي في الليلة عشرين مرّة . فلمّا ثقُل الجَلاَّنيُّ وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميّتاً ، تبرّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنّه يقضي حاجة ، ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظَلماء ، ثم اعتمد على الأدهم فحطمه ، ثم طار تحت ليلته على رجليه ، وكان أدلّ الناس فتنكَّب الطّريق التي تُعرف ويُطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يُطمَع فيها ، حتى انتهى إلى رجل من بني أُثاثة بن مازن يقال له السِّعر بن يزيد بن طَلْق بن جُبَيلة بن أُثاثة بن مازن ، فحمله السِّعر على ناقة له يقال لها مَلْوة ، فركبها ثم تجنَّب بها الطريق فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان ، تخوّفاً من بني مازن أن يَتبعوه أيضاً فيأخذوه ، فسار ثلاث ليالٍ وأيّامها حتى نزل اليوم الرابع ، فنحرَ الناقة فأكل لحمها كلَّه إلاّ فضلة فضلت منها فاحتملها ، ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها ، فلبث زماناً وذلك عند مُقام الحجاج بالعراق ، فبلغ إفلاته مَن بالبصرة من بكر بن وائل . فانطلقوا إلى الحجّاج فاستعدَوْه وأخبروه بقتله صاحبهم ؛ فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شُعبة بن العلقم ، وهو يومئذٍ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم ، فقال له : لَتَأْتينّي بهلال أو لأفعلنّ بك ولأفعلنّ ؛ فقال له عبد الله بن شُعبة : إنّ أصحاب هلال وبني عمّه قد صنعوا كذا وكذا : فاقتصَّ عليه ما صنعوا في طلبه وأخذِه ودفعه إلى الجَلاّنيّين وتَشييعهم إيّاه حتى وردوا بلاد بكر بن وائل ؛ فقال له الحجّاج : ويلك ! ما تقول ؟ قال فقال بعض البكريّين : صدَق ، أصلحَ الله الأمير ؛ قال فقال الحجّاج : فلا يُرغم الله إلاّ أنوفكم ، اشهدوا أنّي قد آمنت كلَّ قريب لهلال وحَميم وعريف ومنعتُ من أخذ أحدٍ به ومن طلبه حتى يظفَرَ به البكريّون أو يموت قبل ذلك . فلمّا وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رِزام بن مازن بشعر يعاتبهم فيه ويُعظّم عليهم حقّه ويذكر قرابته ، وذلك أنّ سائر بني

1 الأرش : دية الجراحات .

2 فرثوا كبده : ضربوها فأخذوا بها .

مازن قاموا ليحمِلوا ذلك الدّم ، فقال معاذ : لا أرضى والله أن يُحمل لجاري دمٌ واحد حتى يُحمل له دم ولِجواري دمٌ آخر ، وإن أراد هلال الأمان وسطنا حُمل له دم ثالث ؛ فقال هلال في ذلك : [من الطويل]

بَني مازنٍ لا تطرُدوني فإنّني ... أخوكم وإن جَرّتْ جرائرَها يدِي
ولا تُثلِجوا أكبادَ بكر بن وائلٍ ... بترك أخيكم كالخليع المُطرَّدِ
ولا تجعلوا حِفظي بظَهرٍ وتحفَظوا ... بعيداً ببغضاء يروح ويغتدي
فإنّ القريبَ حيثُ كان قريبُكم ... وكيفَ بقطع الكَفّ من سائرِ اليدِ
وإن البعيدَ إن دنا فهو جاركم ... وإن شطّ عنكم فهو أبعدُ أبعدِ
وإنّي وإن أوجدتموني لحافظ ... لكم حفظَ راض عنكمُ غير مُوجَدِ[1]
سيَحْمِي حِماكم بي وإن كنتُ غائباً ... أغرُّ إذا ما ريع لم يتبلّدِ
وتَعلم بكر أنّكم حيثُ كنتمُ ... وكنتُ من الأرض الغريبة مَحتِدِي
وأنّي ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا ... وأنّي وإن أُوجِدتُ لستُ بأوحدِ
وأنّهمُ لمّا أرادوا هَضيمتي ... مُنُوا بجميع القلب عَضبٍ مُهنّدِ
حُسامٍ متى يعزِمْ على الأمر يأتِهِ ... ولم يتوقّفْ للعواقبِ في غدِ
وهم بَدأوا بالبَغْي حتّى إذا جُزُوا ... بأفعالهم قالوا لجازيهُمُ قَدِ
فلم يَكُ منهم في البديهةِ[2] مُنصِفٌ ... ولم يك فيهم في العواقب مُهتدي
ولم يفعلوا فعلَ الحليم فيُجْمِلوا ... ولم يفعَلوا فعلَ العزيز المؤيَّدِ
فإن يَسْرِ لي إيعادُ بَكْرٍ فربّما ... مَنَعتُ الكَرى بالغيظ من مُتوعِّدِ
ورُبَّ حِمَى قوم أُبحتُ ومَورِدٍ ... ورَدتُ بفتيان الصباح ومورِدِ
وسَجْفٍ دَجُوجِيٍّ من الليل حالكٍ ... رفعتُ بعَجْلَى الرِّجل مَوّارةِ اليدِ[3]
سفينةِ خَوّاضٍ بُحورَ هُمومِه ... قليلِ التِياث العزم عند التردّدِ[4]
جَسورٌ على الأمر المَهيب إذا ونَى ... أخو الفَتْك ركّابٍ قَرى المتهدِّدِ

1 أوجدتموني : أحفظتموني .
2 البديهة : البداية .
3 موارة اليد : يعني أنّها سريعة الحركة .
4 الالتياث : الابطاء ؛ وفي ل : ثبات .

وقال وهو بأرض اليمن : [من الطويل]

أقول وقـد جاوزتُ نُعْمى وناقتي تَحِنُّ إلى جَنْبَيْ فُلَيج مـع الفَجْرِ
سقى اللهُ يا ناقَ البـلادَ التي بها هواكِ ، وإن عنّا نأتْ ، سَبَلَ القَطرِ[1]
فما عن قِلًى منّا لها خَفّتِ النّوى بنـا عـن مَراعِيها وكُثْبانِها العُفْرِ
ولكنّ صرفَ الدّهـرِ فـرّق بيننا وبين الأداني ، والفتى غَرضُ الدهرِ
فسَقْياً لصحراء الإهالـة مَرْبَعاً وللوَقَـبَى من مَنزلٍ دَمِثٍ مُثْرِي
وسَقْياً ورَعْيـاً حيث حَلّتْ لمازنٍ وأيّامِهـا الغُـرّ المحجّلـةِ الزُّهْرِ

قال خالد بن كلثوم : ولمّا دُفِعَ هلال إلى أولياء الجَلاّني ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له : حُفيدٌ [2] كان هلال قد وتَره فقال : والله لأؤنبنّه ولأُصَغِّرنّ إليه نفسه وهو في القيود مصبورٌ[3] للقتل ، فأتاه فلم يدع لـه شيئاً ممّا يكره إلاّ عدّه عليه . قـال : وإلى جنب هـلالٍ حَجَـرٌ يملأ الكفَّ ، فأخذه هلال فأهوى به للرجـل فأصاب جبينه فاجتلـف جُلفةً من وجهه ورأسه ، ثم رمى بها وقال : خذ القصاص منّي الآن ، وأنشأ يقول : [من الرجز]

أنـا ضرَبتُ كَرِباً وزَيْدا وثابِتـاً مَشَيَّتُهـم رُوَيْـدا
كما أفـدتُ حَيْنَـه عُبَيْدا وقد ضربتُ بعده حُفيدا[4]

قال : وهؤلاء كلُّهم من بني رِزام بن مازن ، وكلُّهم كان هلال قد نكَأَ فيهم .

[أدّى عنه ديسم الديّة لبني جلان فمدحه]

قال خالد بن كلثوم : ولمّا طال مُقام هلالٍ باليمن نهضَتْ بنو مـازنٍ بأجمعهم إلى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معاذ بن جعدة جار الجَلاّني المقتول ، فقالوا : إنّكم قد أسأتم بابن عمّكم وجُزْتُم الحدَّ في الطلب بدم جاركم ، فنحن نحمِل لكم ما أردتم ، فحمل دَيْسَم بن المِنهال بن خزيمة[5] بن شهاب بن أُثاثة بن ضِباب بن حُجيَّة بن كابِية بن حُرقوص بن مازنٍ الذي طلب معاذ بن جعدة أن يُحمَلَ لجاره ، لفضل عزّه وموضعه في عشيرته ، وكان الذي طلب ثلثمائة بعيرٍ ؛ فقال هلال في ذلك : [من الكامل]

1 السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض .
2 ل : جعيد .
3 ل : مصفود .
4 حفيدا في ل : جعيدا .
5 ل : جذيمة .

إن ابن كابيةَ المـرَزَّأَ دَيْسماً وارِي الزنادِ بعيدُ ضوءِ النارِ[1]
من كان يحملُ ما تحمّلَ ديسمٌ من حائـلٍ فُنُقٍ وأمٍّ حُوَارِ[2]
عَيَّتْ بنو عمرو بحمل هنائدٍ فيها العِشارُ مَلابِيءُ الأبكارِ[3]
حتى تلافاهـا كريـمٌ سابقٌ بالخير حـلّ منـازلَ الأخيارِ
حتى إذا وردتْ جميعاً أُرْزِمَتْ جَـلاَّنَ بعـد تَشَمُّسٍ ونِفارِ
تَرعَى بصحراءِ الإهالَة رُوبَةً والعُنظُوانَ مَنابِتَ الجَرجارِ[4]

[أعان قمير بن سعد على بكر بن وائل وقال في ذلك شعراً]

وقال خالد بن كلثوم : كان قُميرُ بنُ سعد مُصَدِّقاً على بكر بن وائل ، فوجد منهم رجلاً قد سرق بعض صدقتِه ، فأخذه قُمَير ليحبسه ، فوثب قومُه وأرادوا أن يَحُولوا بين قُميرٍ وبينه ، وهلالٌ حاضرٌ ، فلمّا رأى ذلك هلالٌ وثَب على البكريّين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنُفُهما[5] ويُناطِح بين رؤوسهما ، فانتهى إلى قُميرٍ أعوانُه فقَهَروا البكريّين ؛ فقال هلال في ذلك : [من الطويل]

دعـاني قُمَيرٌ دَعْـوةً فأجبتُـه فأيُّ امرىءٍ في الحرب حين دَعانِي
معي مِخْذَمٌ قـد أخلَص القَيْنُ حَدَّه يُخَفِّـضُ عنـد الرَّوْعِ رَوْعَ جَنانِي
وما زِلتُ مذ شَدَّتْ يميني حُجْزَتي[6] أُحـارِبُ أو في ظِـلّ حربٍ تَرانِي

[حبسه بلال بن أبي بردة وافتكّه ديسم]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ قال حدّثنا حَكِيم بن سعد عن زُفَر بن هبيرة قال : تَقاوَم هلالُ بن أسعر المازنيّ ، وهو أحد بني رِزام بن مازن ، ونُهَيْسٌ[7] الجَلاَّنيّ من عنزة وهما يسقيان إبلَهما ، فخذف[8] هلالٌ نُهيساً[9] بمحورٍ في يده

1 المرزأ هنا : الكريم الذي يصاب في ماله .
2 الفنق : الناقة الفتيّة السمينة .
3 عيت في ل : عنيت . هنائد : جمع هنيدة وهي المائة من الإبل . العشار الملابيء : التي قرب نتاجها .
4 الروبة : الأرض الكثيرة الكلأ والشجر . العنظوان : نبات إذا أكثر منه البعير وجع بطنه . الجرجار : نبات طيّب الريح .
5 يكنفهما : يضمهما .
6 الحجزة : معقد الإزار .
7 ل : وبيهس .
8 خذف : حذف ورمى .
9 ل : بيهسا بمحزز .

فأصابه فمات ، فاستعدى ولده بلال بن أبي بُردة على هلال فحبسه فأسلمه قومه بنو رزام وعمل في أمره ديسم ابن المنهال أحد بني كابِية بن حرقوص فافتكه بثلاث دِيات ، فقال هلال يمدحه : [من الوافر]

تدارَكَ دَيْسمٌ حسَباً ومجداً رِزاماً بعد ما انشقّتْ عَصاها
همو حمَلوا المِئِينَ فألحقُوها بأهليهـا فكان لهـم سَناها
وما كانــت لتحمِلَها رِزامٌ بأَسْتــاهٍ مُعَقّصَــة لِحاها
بكابيـةَ بنِ حُرقُوصٍ وجدٍّ كريــمٍ لا فتــى إلاّ فَتاها

[نهم هلال وكثرة أكله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثني نصر بن علي الجَهْضَميّ قال حدّثنا الأصمعيّ ، وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمِّل الصَّيرفيّ قال حدّثنا فضل بن الحسن قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قـال حدّثنا المُعْتمِر بن سليمان قـال : قلت لهلال بن أسعر : ما أَكْلةٌ أكلتَها بلغتني عنك ؟ قال : جُعتُ مرَّةً ومعي بعيري فنحرته وأكلته إلاّ ما حملت منه على ظهري ، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل المضري : ثم أردت امرأتي فلم أقدر على جماعها ؛ فقالـت لي : ويحك ؛ كيف تصل إليّ وبيني وبينك بعيرٌ ! قال المعتمر : فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ قال : أربعة أيّام . وحدّثني به ابن عَمَّار قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ عن مُعتمِر بن سليمان عن أبيه قال : قلت لهلال بن الأسعر ، هكذا قال ابن أبي سعد : معتمر عن أبيه وقال في خبره : فقلت له ، كم تكفيك هذه الأكلة ؟ فقال : خمساً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا نصر بن عليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال حدّثني شيخ من بني مازن قال : أتانا هلال بن أسعر المازنيّ فأكل جميع ما في بيتنا ، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبز فلمّا رأى الخبز قد اختلف عليه قال : كأنّكم أرسلتم إلى الجيران ، أعندكم سَويق ؟ قلنا : نعم ، فجئتُه بجراب طويل فيه سويق وبَرْنيّة نبيذ ، فصبّ السويقَ الذي كان في الجراب كلّه ، فشربه مع النبيذ وصبّ عليه النبيذ حتى أتى على السويقِ والنبيذ كلّه .

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ هلال بن أسعر مرَّ على رجل من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رُطَباً في زَواريق ، فجلس على زورقٍ صغير منها وقد كُثِبَ الرطب فيه وغُطّي بالبواري ؛ قال له : يا ابن عمّ آكُلُ من رُطَبك هذا ؟ قال : نعم ؛ قال : ما يكفيني . قال : ما يكفيك ؛ فجلس على صدر الزورق

وجعل يأكل إلى أن اكتفى ، ثم قام فانصرف ، فكُشف الزورق فإذا هو مملوءٌ نوًى قد أكل رُطَبه وألقى النوى فيه .

قال المدائنيّ وحدّثني مَن سأله عن أعجبِ شيء أكله ، فقال : مائتي رغيف مع مَكّوكٍ[1] ملح .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن علي بن منصور الأهوازيّ ، وكان كَهْلاً سَرِيّاً مُعَدّلاً ، قال حدّثني شبان النِّيليّ عن صدقة بن عبيد المازنيّ قال : أولَمَ عليٌّ أبي لما تزوّجت فعَمِلنا عشر جِفانٍ ثريداً من جَزورٍ . فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنيّ ، فقدّمنا إليه جفنةً فأكلها ثم أُخرى ثم أُخرى حتى أتى على العشر ، ثم استسْقَى فأُتي بقربةٍ من نبيذ فوضع طرفها في شِدقه ففرّغَها في جوفه ، ثم قام فخرج ؛ فاستأنفنا عمل الطعام .

[أبو عمرو بن العلاء لم يَرَ أطول منه]

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال : حدّثني أبو عمرو بن العلاء قال : رأيت هلال بن أسعر ميتاً ولم أره حيّاً ، فما رأيت أحداً على سرير أطول منه .

[غنّى مخارق الرشيد فأعتقه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد قال حدّثني بعض حاشية السلطان قال : غنّى إبراهيم الموصليّ الرشيد يوماً : [من البسيط]

يا ربعَ سَلْمى لقد هيّجتَ لي طربا ... زِدتَ الفؤاد على علاّته وَصَبا

قال : والصنعةُ فيه لرجل من أهل الكوفة يقال له عَزّون ، فأُعجِبَ به الرشيد وطرِب له واستعاده مراراً ؛ فقال له الموصليّ : يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مُخارقٍ ، فإنّه أخذه عنّي وهو يفضُلُ فيه الخلق جميعاً ويَفضُلُني ، فأمر بإحضار مُخارقٍ ، فأُحضِرَ فقال له غنّني :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طربا ... زدتَ الفؤاد على عِلاّته وصَبا

فغنّاه إيّاه ؛ فبكى وقال : سَلْ حاجتكَ ! قال مخارق : فقلت : تُعتِقُني يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشَرِّفني بولائِك ، أعتقك الله من النار ؛ قال : أنت حرّ لوجه الله ، أعِدِ الصوت ؛ قال : فأعدته . فبكى وقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ضيعةٌ تُقيمُني غلّتها ؛ فقال : قد أمرت لك بها ، أعد الصوت ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يأمر لي أمير المؤمنين

1 المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

بمنزلٍ وفرشِهِ وما يصلحه وخادمٍ فيه ؛ قال : ذلك لك ، أعِدْه ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ قلتُ : حاجتي يا أمير المؤمنين أن يُطِيل الله بقاءك ويُديم عزّك ويجعلني من كلّ سوء فداءك ؛ قال : فكان إبراهيم الموصليّ سبب عتقه بهذا الصوت .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثني هارون بن مخارق ، وحدّثني به الصُّوليّ أيضاً عن وكيع عن هارون بن مخارق قال : كان أبي إذا غنّى هذا الصوت : [من البسيط]

يا ربعَ سلمى لقد هيّجت لي طربا   زدتَ الفؤاد على عِلاّته وصَبا

يقول : أنا مولى[1] هذا الصوت ؛ فقلت له يوماً : يا أبت ، وكيف ذلك ؟ فقال : غنّيتُه مولاي الرشيد فبكى وقال : أحسنتَ ، أعِد فأعدتُ ؛ فبكى وقال : أحسنت ! أنتَ حرّ لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي ، وذكر قريباً ممّا ذكره المبرّد من باقي الخبر .

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن أبي الدُّنيا قال حدّثني إسحاق النَّخعيّ عن حسين بن الضَّحَّاك عن مُخارق : أنّ الرشيد أقبل يوماً على المغنّين وهو مضطجع ، فقال : مَن منكم يغنّي :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طربا   زدتَ الفؤاد على عِلاّته وصَبا

قال : فقمت فقلت : أنا ، فقال : هاتِه ؛ فغنّيتُه فطرب وشرب ، ثم قال : عليّ بهَرثمة ، فقلت في نفسي : ما تُراه يريد منه ؟ فجاؤوا بهرثمة فأُدخِلَ إليه وهو يَجُرّ سيفه ، فقال : يا هرثمة ، مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته ؟ فقال : أبو المهنّا ؛ فقال : انصرف فانصرف ؛ ثم أقبل عليّ فقال : قد كنيتك أبا المهنّا لإحسانك ، وأمر لي بمائة ألف درهم ، فانصرفتُ بها وبالكنية .

صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه[2]

[من الوافر]

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشْد منه   إذا نظرتْ ومستمِعاً سَمِيعا
أطاف بِغَيِّه فعدلتُ عنها   وقلت له أَرى أمراً فظيعا[3]

الشعر لعُروة بن الورد ، والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقيل بالبِنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن عمرو أيضاً .

---

1 التذكرة : عتيق .
2 ديوان عروة : 50 .
3 الشطر الأول في الديوان : «أطاف بغيه فعدلت عنه» .

[23] ـ أخبار عروة بن الوَرْد ونسبه[1]

[نسبه ، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور]

عُرْوَةُ بن الوَرد بن زيد ، وقيل ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشِب بن هريم[2] بن لُدَيم بن عوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار ، شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارس من فُرسانها وصُعلوك من صعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد .

[سبب تلقيبه بعروة الصعاليك]

وكان يلقَّب عروة الصعاليك لجَمعه إيّاهم وقيامه بأمرهم[3] إذا أَخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مغزىً ، وقيل : بل لُقّب عروة الصعاليك لقوله[4] : [من الطويل]

لَحى اللّهُ صُعلوكاً إذا جَنّ ليلُه ... مُصافي المُشاشِ آلِفاً كلَّ مَجزرِ[5]
يَعُدُّ الغنى مِن دهـره كلَّ ليلةٍ ... أصابَ قِراها من صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
ولّهِ صُعلوكٌ صفيحةُ وجهِـه ... كضوء شهابِ القابسِ المتنوِّرِ[6]

[شرف نسبه وتمنّي الخلفاء أن يصاهروه أو ينتسبوا إليه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال بلغني أنّ معاوية قال : لو كان لعُروة بن الوَرْد وَلدٌ لأحببتُ أن أتزوّج إليهم .

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ ، وحدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مُسلم قالا جميعاً : قال عبد الملك بن مروان :

---

1 ترجمة عروة بن الورد في الشعر والشعراء : 566 (دار الثقافة 1964) ، وأخباره ومختارات من شعره منثورة في مصادر كثيرة كخزانة الأدب للبغدادي (تحقيق عبد السلام هارون) وأمالي القالي (انظر الفهرس) وحماسة أبي تمام (شرح المرزوقي تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون) : 421 ، 464 ، 1169 ، 1575 ، 1653 ، 1723 وانظر التذكرة الحمدونية (تحقيق إحسان عبّاس وبكر عبّاس ، دار صادر 1996 ، بيروت) 2 : 279 ، 430 ، 4 : 20 ، 5 : 104 ، 7 : 338 ، 8 : 91 ، 98 ، 117 ، 118 ، والبصائر والذخائر للتوحيدي (تحقيق د . وداد القاضي ، دار صادر 1988 ، بيروت) 7 : 162 ، وقد طبع ديوانه مرّات .

2 ل : هرم .

3 ل : بأمورهم .

4 ديوان عروة (طبعة دار صادر ، بيروت 1964) : 37 وهذه الأبيات من قصيدة له طويلة .

5 مصافي المشاش : مؤثر رؤوس العظام اللينة .

6 ولّهِ صُعلوك في الديوان : ولكن صعلوكاً .

ما يسُرّني أنّ أحداً من العرب ولَدني ممّن لم يَلِدْني إلاّ عروة بن الورد لقوله[1] : [من الطويل]

إنّي امـرؤٌ عافي إنائيَ شِرْكَـةٌ وأنت امرؤٌ عافي إنائِكَ واحدُ
أتهـزأ منّي أن سمِنْتَ وأن ترى بجسمي مَسَّ الحقّ والحقُّ جاهِدُ[2]
أُفرِّق جِسْمِي في جسومٍ كثيرةٍ وأَحْسُو قَراحَ الماء والماءُ باردُ[3]

[قال الحطيئة لعمر بن الخطّاب كنّا نأتم في الحرب بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال : بلغني أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنّا ألف حازِم ، قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنّا لا نعصيه ، وكنّا نُقْدِم إقدام عنترة ، ونأتمُّ بشعر عروة بن الوَرْد ، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زياد .

[أجود من حاتم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال : ويقال : إنّ عبد الملك قال : من زعم أنّ حاتماً أَسمحُ الناسِ فقد ظلمَ عُروة بن الوَرْد .

[منع عبد الله بن جعفر معلم ولده من أن يرويهم قصيدة له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا إبراهيم بن المُنذر قال حدّثنا مَعْن بن عيسى قال : سمعت أنّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلِّم ولده : لا تُرَوِّهم قصيدة عُروة بن الورد التي يقول فيها[4] : [من الوافر]

دَعِينـي للغِنَى أَسْعى فإنِّـي رأيتُ الناسَ شرُّهُـم الفقيرُ

ويقول : إنّ هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم .

[خبر عروة مع سلمى سبيته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران الزّهريّ عن عامر بن جابر قال : أغار عُروة بن الورد على مُزَينة فأصاب منهم امرأةً من كِنانة ناكحاً ، فاستاقها ورجع وهو يقول[5] : [من الطويل]

---

1 ديوان عروة : 29 .
2 الشطر الثاني في الديوان والحماسة : بوجهي شحوب الحقّ والحقّ جاهد ، ومسّ في ل : شحوب .
3 ديوان والحماسة : أقسم .
4 ديوانه : 45 .
5 ديوانه : 63 .

تَبَغَّ عَدِيّاً حيث حَلّتْ ديارَهــا وأبناءَ عَــوْفٍ في القُرُونِ الأوائلِ[1]
فــإلاّ أَنَــلْ أَوْساً فإنّــي حَسْبُها بمُنْبطِحِ الأدغالِ من ذي السلائلِ[2]

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النَّضير ، فلمّا رأوْها أعجبتهمْ فسَقَوْه الخمر ، ثم استوهبوها منه فوهبها لهم ، وكان لا يمسُّ النساء ، فلمّا أصبح وصحا ندم فقال :

سَقَوْني الخمرَ ثم تكنّفوني

الأبيات . قال : وجَلاها النبي ﷺ مع مَن جلا من بني النضير .

وذكر أبو عمرو الشيبانيّ من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه أنّه أصاب امرأة من بني كنانة بِكْراً يقال لها سلمى وتُكنى أمَّ وهب ، فأعتقها واتّخذها لنفسه ، فمكثتْ عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً وهو لا يشكّ في أنّها أرغب الناس فيه ، وهي تقول له : لو حَجحجتَ بي فأَمُرَّ على أهلي وأراهم ؛ فحجّ بها ، فأتى مكّة ثم أتى المدينة ، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير فيُقرضونه إن احتاج ويُبايعهم إذا غَنِم ، وكان قومها يخالطون بني النضير ، فأتوهم وهو عندهم ؛ فقالت لهم سلمى : إنّه خارجٌ بي قبل أن يخرج الشهرُ الحرام ، فتعالوا إليه وأخبروه أنّكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سَبِيَّة ، وافتدوني منه فإنّه لا يرى أنّي أُفارقه ولا أُختار عليه أحداً ، فأتوه فسَقَوه الشراب ، فلمّا ثمل قالوا له : فادِنا بصاحبتنا فإنّها وسيطة النسب فينا معروفة ، وإنّ علينا سُبَّةً أن تكون سبيّة ، فإذا صارت إلينا وأردتَ معاودتها فاخطُبها إلينا فإنّا نُنكحك ؛ فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لي الشرط فيها أن تُخيِّروها ، فإن اختارتني انطلقتْ معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها ؛ قالوا : ذاك لك ؛ قال : دعوني أَلْهُ بها الليلة وأُفادِها غداً ، فلمّا كان الغد جاؤوه فامتنع من فدائها ؛ فقالوا له : قد فاديتنا بها منذ البارحة ، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممّن حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفاداها ، فلمّا فادوه بها خيّروها فاختارت أهلها ، ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة أَمَا إنّي أقول فيك وإن فارقتُك الحقَّ : والله ما أعلم امرأةً من العرب ألقت سِترَها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضَّ طرفاً وأقلّ فُحشاً وأجود يداً وأحمى لحقيقة ؛ وما مرّ عليّ يومٌ منذ كنت عندك إلاّ والموت فيه أحبُّ إليّ من الحياة بين قومك ، لأنّي لم أكن أشاء أن أسمع امرأةً من قومك تقول : قالت أَمَةُ عروة كذا وكذا إلاّ سمعتُه ؛ ووالله لا أنظر في وجه غَطَفانيَّةٍ أبداً ، فارجع راشداً إلى ولدك وأحسِنْ إليهم . فقال عروة في ذلك :

1 عديّاً في الديوان : عداء .
2 الشطر الثاني في ل والديوان : بمنبطح الأوعال من ذي الشلائل .

سقَوْني الخمرَ ثـم تكنّفوني[1]

وأوّلها[2] : [من الوافر]

أرِقتُ وصُحْبتِي بمضِيقِ عَمْقٍ لبرقٍ مـن تَهامـةَ مُستَطِيرِ[3]
سَقى سَلْمى وأين ديارُ سلْمى إذا كانـت مُجاوِرةَ السَّرِيرِ[4]
إذا حَلَّتْ بأرض بنـي علـيّ وأهـلي بـين إمَّـرَةٍ وَكِيرِ[5]
ذكرتُ منـازلاً مـن أمّ وهبٍ محلَّ الحـيِّ أسفلَ مـن نَقِيرِ[6]
وأُحْدَثُ معهـدٍ من أمّ وهبٍ مُعرَّسُنا بـدار بنـي النَّضِيرِ
وقالوا مـا تشاءُ فقلـتُ أَلْهُو إلى الإصباحِ آثِـرَ ذِي أُثِيرِ[7]
بآنسةِ الحديثِ رُضـابُ فِيها بُعَيـدَ النـومِ كالعِنَبِ العَصِيرِ

وأخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو ، وقال فيها : إنّ قومَها أُغلَوْا بها الفِداء ، وكان معه طَلْقٌ وجُبار أخوه وابن عمّه ، فقالا له : والله لئن قبِلتَ ما أعطَوك لا تفتقِرُ أبداً ، وأنتَ على النساء قادر متى شئت ، وكان قد سَكِرَ فأجاب إلى فدائها ، فلمّا صحا ندم فشهِدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع . وجاءت سلمى تُثني عليه فقالت : والله إنّك ما علِمتُ لضَحُوكٌ مُقبِلاً ، كسوبٌ مُدبِراً ، خفيفٌ على مَتن الفرس ، ثقيل على العدو ، طويل العماد ، كثير الرَّماد ، راضي الأهل والجانب ، فاستوصِ ببنيك خيراً ، ثم فارقتْه . فتزوّجها رجل من بني عمِّها ، فقال لها يوماً من الأيّام : يا سلمى ، أثْنِي عليّ كما أثنيتِ على عروة ، وقد كان قولها فيه شُهِرَ ، فقالت له : لا تُكلِّفني ذلك فإنّي إن قلتُ الحقَّ غَضِبتَ ولا واللاّتِ والعُزَّى لا أكذب ؛ فقال : عزمت عليكِ لتأْتيني في مجلس قومي فلَتُثنِين عليّ بما تعلمين ، وخرج فجلس في نَدِيّ القوم ، وأقبلت فرماها القوم[8] بأبصارهم ، فوقفت عليهم وقالت : أَنعِموا صباحاً ، إنّ هذا عزَم عليّ

1 الخمر في الديوان : النسء وهو الخمر .
2 ديوان عروة : 31–32 .
3 عمق : موضع قرب المدينة .
4 السرير : موضع في بلاد بني كنانة .
5 إمّرة وكير : جبلان ، وفي الديوان : زامرة .
6 نقير : موضع . وفي الديوان وياقوت : أسفل ذي نقير .
7 آثر ذي أثير : أوّل كلّ شيء .
8 ل : الناس .

أن أُثنيَ عليه بما أعلم . ثم أقبلت عليه فقالت : والله إنّ شِملتَك لالتِحاف ، وإنّ شُربَك لاشتِفاف[1] ، وإنّك لتنام ليلة تخاف ، وتَشبع ليلة تُضاف ، وما تُرضي الأهل ولا الجانب ، ثم انصرفت . فلامَه قومه وقالوا : ما كان أغناك عن هذا القول منها .

[كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم]

أخبرني الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني أبو فقعسٍ قال : كان عروة بن الوَرْد إذا أصابت الناس سنةٌ شديدةٌ تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدّة ثم يَحفِرُ لهم الأسراب ويَكنُف عليهم الكُنُفَ[2] ويَكسِبُهم ، ومَن قَوِي منهم ، إمّا مريض يبرأ من مرضه ، أو ضعيفٌ تثوب قوّته ، خرج به معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصَبَ الناس وألبَنوا وذهبت السَّنة ألحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله وقسَم له نصيبه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها ، فربّما أتى الإنسان منهم أهلَه وقد استغنى ، فلذلك سُمّي عروة الصعاليك ، فقال في ذلك بعض السنين وقد ضاقت حاله[3] : [من الطويل]

لعلّ ارتيادِي في البلادِ وبُغيَتي ... وشَدِّي حَيازِيمَ المطيَّةِ بالرَّحْلِ[4]
سيدفَعُني يوماً إلى ربّ هَجْمَةٍ ... يُدافِعُ عنها بالعُقُوقِ وبالبُخلِ[5]

[أغار مع جماعة على رجل فأخذ إبله وامرأته ثم هجاهم]

فزعموا أنّ الله عزّ وجلّ قيَّضَ له وهو مع قوم من هُلاَّكِ عشيرته في شتاءٍ شديدٍ ناقتين دهماوَيْن ، فنحَر لهم إحداهما وحمَل متاعهم وضُعفاءهم على الأخرى ، وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان ، وكان بين النَّقرة والرَّبذَة[6] فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له : ماوان[7] . ثم إنّ الله عزّ وجلّ قيَّضَ له رجلاً صاحبَ مائة من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه ، وذلك أوّل ما ألبنَ الناسُ ، فقتله وأخذ إبله وامرأته ، وكانت من أحسن النساء ، فأتى بالإبل أصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملَهم عليها ، حتى إذا دَنَوْا من عشيرتهم أقبل يَقسِمُها بينهم وأخذ مثلَ

1 شربك اشتفاف : تعني أنّه يشرب كلّ في الإناء .
2 يكنف عليهم الكنف : يتّخذ لهم حظائر يؤون إليها ، واحدها الكنيف .
3 ديوان عروة : 54 .
4 ارتيادي في الديوان والحماسة : انطلاقي .
5 الهجمة من الإبل : أربعون أو أكثر ، فإذا بلغت مائة فهي هنيدة .
6 النقرة : من منازل حاج الكوفة ؛ والربذة : من قرى المدينة .
7 ماوان : قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة .

نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللاتِ والعُزّى لا نرضى حتى تجعلَ المرأة نصيباً فمن شاء أخذها ؛ فجعل يَهُمُّ بأن يحمِلَ عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم ، ثم يذكرُ أنّهم صنيعته وأنّه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع ، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يُردّ عليهم الإبل إلاّ راحلةً يحمِلُ عليها المرأة حتى يلحَقَ بأهله ، فأبوا ذلك عليه ، حتى انتدب رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه ؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي أوّلها[1] : [من الطويل]

ألا إن أصحابَ الكَنِيفِ وجدتُهم ... كما الناسِ لمّا أمرَعُوا وتموّلُوا
وإنّي لمدفُوعٌ إليّ وَلاؤُهُم ... بماوانَ إذ نَمْشِي وإذ نَتَملمَلُ
وإنّي وإيّاهم كذِي الأمِّ أرْهنَتْ ... له ماءَ عينيْها تُفدّي وتَحمِلُ[2]
فباتت بحدّ المِرْفَقيْن كِلَيْهما ... تُوَحوِحُ ممّا نالها وتُوَلْوِلُ[3]
تُخَيَّرُ من أمرين ليسا بغِبطةٍ ... هو الثُّكلُ إلاّ أنّها تتجمّلُ[4]

[سبى ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعراً]

وقال ابن الأعرابيّ في هذه الرواية أيضاً : كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها : ليلى بنت شعواء ، فمكثتْ عنده زماناً وهي مُعجبة له تُريه أنّها تحبّه ، ثم استزارته أهلها فحملها حتّى أتاهم بها ، فلمّا أراد الرّجوع أبتْ أن ترجع معه ، وتوعّده قومها بالقتل فانصرف عنهم ، وأقبل عليها فقال لها : يا ليلى ، خبّري صواحبك عنّي كيف أنا ؛ فقالت : ما أرى لك عقلاً ، أتُراني قد اخترتُ عليك وتقول : خبّري عنّي ، فقال في ذلك[5] : [من الطويل]

تَحِنّ إلى ليلى بجوّ بلادها ... وأنت عليها بالمَلا كنتَ أقدرا[6]
وكيف تُرَجّيها وقد حِيلَ دونَها ... وقد جاوزتْ حيّاً بتيْماء مُنكَرا
لعلّك يوماً أن تُسرّي ندامةً ... عليّ بما جشّمتَني يوم غَضْوَرا[7]

وهي طويلة .

1 ديوان عروة : 56–58 .
2 وإيّاهم في الديوان : وإيّاكم . أرهنت : أدامت .
3 بحد المرفقين في الديوان : لحد المرفقين ، أي أنّها باتت متّكئة على مرفقيها .
4 تتجملُ في الديوان : قد تجمّل .
5 ديوانه : 33–35 ، وهي أبيات من قصيدة طويلة .
6 بجو بلادها في الديوان : بجر بلادها : أي وسطها . الملا : المتّسع من الأرض .
7 تسرّي هنا : تظهري ، وهو من الأضداد . غضور : مدينة فيما بين المدينة وبلاد خزاعة وكنانة .

قال : ثم إنّ بني عامر أخذوا امرأة من بني عَبس ثم من بني سُكَين يقال لها أسماء ، فما لبِثتْ عندهم إلاّ يوماً حتّى استنقذَها قومُها ؛ فبلغَ عروة أنّ عامر بن الطُّفيل فخر بذلك وذكر أخذَه إيّاها ، فقال عروة يعيّرهم بأخذه ليلى بنت شعواء الهلالية[1] : [من الطويل]

إن تأخُذوا أسماءَ مَوقِفَ ساعةٍ ... فمأْخَذُ ليلى وهي عَذْراءُ أعجبُ
لبِسنا زماناً حُسنَها وشَبابَها ... ورُدَّتْ إلى شَعْواء والرأسُ أشيبُ
كمأْخذِنا حسناءَ كرهاً ودمعُها ... غداةَ اللِّوى مَغصوبةً يَتصبّبُ

[خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها]

وقال ابن الأعرابيّ : أُجْدَب ناس من بني عَبْس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس ، فأتوا عُروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلمّا بَصُروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصَّعاليك ، أغِثْنا ؛ فرَقَّ لهم وخرج ليغزوَ بهم ويُصيب معاشاً ، فنهتْه امرأته عن ذلك لِما تخوّفتْ عليه من الهلاك ، فعصاها وخرج غازياً ، فمرّ بمالِك بن حِمار الفزاريّ ثم الشَّمخيّ ؛ فسأله : أين يريد ؟ فأخبره ، فأمر له بجَزور فنحرها فأكلوا منها ؛ وأشار عليه مالكٌ أن يرجع ، فعصاه ومضى حتّى انتهى إلى بلاد بني القَيْن ، فأغار عليهم فأصاب هَجْمَةً عاد بها على نفسه وأصحابه ؛ وقال في ذلك[2] : [من الطويل]

أرى أمَّ حَسَّانَ الغَداةَ تلومُني ... تُخوِّفني الأعداءَ والنّفسُ أخوفُ
تقول سُلَيمى لو أقمتَ لَسَرَّنا ... ولم تـدرِ أنّي للمُقام أُطَوِّفُ
لعـلَّ الذي خَوّفتِنا مِنْ أمامِنا ... يُصادفـه في أهلـه المُتَخلِّفُ

وهي طويلة .

وقال في ذلك أيضاً[3] : [من الطويل]

أليس وَرائي أن أدِبَّ على العصا ... فيَشْمَتَ أعدائـي ويسأمَني أهلِي
رَهينـة قَعْـر البيت كلَّ عَشيّـةٍ ... يُطيفُ بي الوِلْدانُ أَهْدَجَ كالرَّألِ[4]
أقيموا بنـي لُبْنَى صُدورَ رِكابكم ... فكلُّ مَنايا النّفْس خيرٌ من الهُزلِ
فإنّكمُ لـن تبلُغـوا كلَّ هِمّتِي ... ولا أرَبـي حتّى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْلِ

---

1 ديوانه : 18 .
2 ديوان عروة : 51 .
3 ديوان عروة : 53–54 .
4 الرأل : ولد النعام . وأهدج كالرأل : أمشي مضطرباً من الكبر كولد النعام .

لعلّ ارتيادي في البـلاد وحِيلتي ... وشَدِّي حيازيـمَ المطيّـة بالرَّحْلِ[1]
سيدفعني يَومـاً إلى ربّ هَجْمةٍ ... يُدافِـع عنهـا بالعُقـوق وبالبُخلِ

[قصّته مع هذلي أغار على فرسه]

نسختُ من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدّثني حُرّ بن قَطَن أنّ ثُمامة بن الوليد دخل على المنصور ؛ فقال : يا ثُمامة ، أتحفَظ حديثَ ابن عمِّك عُروة الصَّعاليك بن الوَرْد العَبْسيّ ؟ فقال : أيُّ حديثِه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنَه ؛ قال : حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسَه ؛ قال : ما يَحضُرني ذلك فأَرْويَه يا أمير المؤمنين ؛ فقال المنصور : خرج عروة حتّى دنا من منازل هُذَيل فكان منها على نحو مِيلين وقد جاع فإذا هو بأَرْنبٍ فرماها ثم أَوْرَى ناراً فشَواها وأكلها ودفَن النّار على مقدار ثلاث أذرُع وقد ذهب الليل وغارت النجوم ، ثمّ أتى سَرْحـة[2] فصَعِدها وتخوّف الطَّلَب ، فلمّا تغيّب فيها إذ الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البَيات[3] . قال : فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركَز رُمحَه في موضع النار وقال : لقد رأيتُ النّارَ هاهنا ؛ فنزل رجل فحفَر قدر ذِراع فلم يجد شيئاً ، فأكبّ القوم على الرجل يعذُلونه ويَعِيبون أمرَه ويقولـون : عنَّيتَنا في مثل هذه الليلة القـرّة وزعمتَ لنا شيئاً كذبت فيه ؛ فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيت النّار في موضع رُمحي ؛ فقالوا : ما رأيت شيئاً ولكن تحذلُقَك وتَدَهِّيك هو الذي حَملك على هذا ، وما نعجب إلاّ لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتّبعناك ؛ ولم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم . واتَّبعهم عروة ، حتى إذا ورَدوا منازلهم جاء عروة فتمكَّن في كِسر بيت ؛ وجاء الرجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود ، وعُروة ينظر ، فأتاها العبد بعُلبة فيها لبن فقال : اشربي ؛ فقالت لا ، أو تبدأَ ، فبدأ الأسود فشرِب ؛ فقالت للرجل حين جاء : لعنَ اللهُ صَلَفك ! عنّيتَ قومك منذ الليلة ؛ قال : لقد رأيت ناراً ، ثم دعا بالعلبة ليشرب ، فقال حين ذهب ليكرَع : ريحُ رجـلٍ وربِّ الكعبة ؛ فقالت امرأته : وهذه أُخرى ، أيُّ ريح رجلٍ تجده في إنائك غيرَ ريحك ؟ ثم صاحت ، فجاء قومها فأَخبرتهم خبره ، فقالت : يتّهمني ويظُـنّ بي الظُّنون ، فأقبلوا عليه باللَّوم حتّى رجع عن قوله ؛ فقال عروة : هذه ثانية . قال ثم أَوى الرجل إلى فراشه ، فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به ، فضرب الفرس بيده وتحرّك[4] ، فرجع عروة إلى موضعه ، ووثَب الرجل فقال : ما كنتَ لتكْذِبَني فمالكَ ؟ فأقبلت

1 ارتيادي في الديوان : انطلاقي .
2 السرحة : واحدة من شجر السرح وهو شجر عظام يستظلّ بها .
3 البيات : الإيقاع بالقوم ليلاً .
4 ل : ونخر .

عليه امرأته لَوماً وعَذْلاً . قال : فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنعه[1] الرجل ، ثم أَوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم ، فقال : لا أقوم إليكَ الليلة ؛ وأتاه عُروة فجال في متنه وخرج ركْضاً ، وركِب الرجلُ فرساً عنده أنثى . قال عروة : فجعلت أسمعه خَلفي يقول : الحَقِي فإنّك من نسله . فلمّا انقطع عن البيوت ، قال له عُرْوة بن الورد : أيّها الرجل قِف ، فإنّك لو عرفتني لم تُقدم عليّ ، أنا عروة بن الورد ، وقد رأيت الليلة منكَ عجباً ، فأخبرني به وأردَّ إليك فرسك ؛ قال : وما هو ؟ جئتَ مع قومك حتّى ركزتَ رُمحَك في موضع نارٍ قد كنتُ أوقدتُها فثنَوْك عن ذلك فانثنيت وقد صدَقْت ، ثم اتّبعتُك حتّى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتَها منهما ، ثم شَممتَ رائحة رجل في إنائك ، وقد رأيت الرجل حين آثرته زوجتُك بالإناء ، وهو عبدُك الأسود وأظنّ أنّ بينهما ما لا تحبُّ ، فقلتَ : ريحُ رجلٍ ؛ فلم تزل تَثْنيكَ عن ذلك حتى انثنيت ، ثم خرجتُ إلى فرسك فأردتُه فاضطرب وتحرّك فخرجتَ إليه ، ثم خرجتَ وخرجتَ ، ثم اضربتَ عنه ، فرأيتُك في هذه الخصال أكملَ الناس ولكنّك تَنثَني وترجع ؛ فضحِك وقال : ذلك لأخوال السَّوْء ، والذي رأيت من صَرامتي فمن قِبَل أعمامي وهم هُذَيل ، وما رأيت من كَعاعَتي[2] فمن قِبَل أخوالي وهم بطنٌ من خُزاعة ، والمرأة التي رأيت عندي امرأةٌ منهم وأنا نازلٌ فيهم ، فذلك الذي يَثْنيني عن أشياء كثيرة ، وأنا لاحقٌ بقومي وخارجٌ عن أخوالي هؤلاء ومُخَلٍّ سبيلَ المرأة ، ولولا ما رأيتَ من كَعاعتي لم يقوَ على مناوأة قومي أحدٌ من العرب . فقال عروة : خُذْ فرسَك راشداً ؛ قال : ما كنت لآخذه منك وعندي من نسله جماعةٌ مثله[3] ، فخذه مباركاً لك فيه . قال ثمامة : إنّ له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا .

[قصّة غزوه لماوان وحديثه مع غلام تبيّن بعد أنّه ابنه]

قال المنصور : أَفَلا أُحدّثك له بحديثٍ هو أظرف من هذا ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره . قال : خرج عروة وأصحابُه حتى أتى ماوان فنزل أصحابه وكَنَف عليهم كَنيفاً من الشجر ، وهم أصحاب الكَنيف الذي سمعتَه قال فيهم : [من الطويل]

ألا إنّ أصحابَ الكنيف وجدتُهم ... كما الناس لَمّا أمرَعُوا وتموّلُوا

وفي هذه الغَزاة يقول عروة[4] : [من الطويل]

1 ل : ومنعه الفرس .

2 الكعاعة : الجبن والضعف .

3 ل : خير منه .

4 ديوان عروة : 23 .

أقول لقـــوم في الكَنيفِ تَروّحُوا عَشيّةَ قِلْنا حولَ مــاوانَ رُزَّحِ[1]

وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

ليَبْلُغَ عُــذْراً أو يُصِيــبَ غَنيمــةً ومُبْلِغُ نفسٍ عُذرَهــا مِثْلُ مُنْجِحِ[2]

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جُهِدُوا ، فإذا هو بأبيات شَعَرٍ وبامرأة قد خلا من سنّها وشيخٍ كبيرٍ كالحِقاء[3] المُلقى ، فكمَن في كِسر بيتٍ منها ، وقد أجدبَ الناس وهَلَكت الماشية ، فإذا هو في البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشويّةٍ ، فقال ثمامة : وما السُّحور ؟ قال : الحلقوم بما فيه ، والبيت خالٍ فأكلها ، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعتْه وقَوِي ، فقال : لا أُبالي مَن لَقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأة فظنَّتْ أنّ الكلبَ أكلها فقالت للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ ! وطردَته . فإنه لكذلك إذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأت الأُفُق وإذا هي تلتفِت فَرَقاً ، فعلم أنّ راعيَها جلدٌ شديدُ الضرب لها ، فلمّا أتتِ المُناخ بركَت ، ومكث الراعي قليلاً ثم أتى ناقةً منها فَمرى[4] أخلافَها ، ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها ، ثم أتى الشيخ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أُخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز ، ثم أتى أُخرى ففعل بها كذلك فشرب هو ، ثم التفع بثوب واضطجع ناحية ، فقال الشيخ للمرأة وأعجبه ذلك : كيف ترَيْنَ ابني ؟ فقالت : ليس بابنك ! قال : فابن مَن ويلك ؟ قالت : ابن عروة بن الورد ، قال : ومِن أين ؟ قالت : أتذكر يوم مرَّ بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت : هذا عروة بن الورد ، ووصفتَه لي بِجَلَدٍ فإنّي استظرفته . قال : فسكت : حتى إذا نوّم وثَب عروة وصاح بالإبـل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألاّ يَتبعه الغلام ، وهو غلام حين بدا شاربه ، فاتّبعه . قال : فاتخذا[5] وعالجه . قال : فضرب به الأرض فيقع قائماً ، فتخوّفه على نفسه ، ثم واثبه فضرب به وبادره ، فقال : إنّي عُروة بن الورد ، وهو يريد أن يُعجزَه عن نفسه . قال : فارتدع ، ثم قال ما لكَ ويلك ؟ لستُ أشكُّ أنّك قد سمعتَ ما كان من أمّي ؛ قال قلت : نعم فاذهب معي أنت وأمّك وهذه الإبلُ ودَعْ هذا الرجل فإنّه لا ينهاك عن شيء ، قـال : الذي بقي من عمر الشيخ قليلٌ ، وأنا مقيمٌ معه ما بقي ، فإن له حقّاً وذماماً ، فإذا هلك فما أسرعني إليك ، وخذ من هذه الإبل بعيراً ؛ قلت : لا يكفيني ، إنّ معي أصحابي قد خلَّفتُهم ؛ قال : فثانياً ، قلت لا ؛ قال : فثالثاً ، والله لا زِدتُكَ على ذلك . فأخذها ومضى إلى

1 الديوان والحماسة : قلت لقوم . . . عشية بتنا» ، وفي رواية : أقول لأصحاب الكنيف . . .

2 الديوان : رغيبة .

3 ل : كالخباء .

4 مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .

5 اتّخذا : تقاتلا .

أصحابه ، ثم إنّ الغلام لَحِقَ به بعد هَلاك الشيخ . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد زيَّنته عندنا وعظّمته في قلوبنا ؛ قال : فهل أعقبَ عندكم ؟ قال لا ، ولقد كنّا نتشاءم بأبيه ، لأنّه هو الذي أوقعَ الحربَ بين عَبْسٍ وفزارة بمراهنته حُذيفة ، ولقد بلغني أنّه كان له ابن أسنّ من عروة فكان يؤثِرُه على عروة فيما يعطيه ويُقرِّبه ، فقيل له : أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه ! قال : أتَرَوْن هذا الأصغر ؟ لئن بقي مع ما رأى من شدّة نفسه ليَصِيرَنّ الأكبر عِيالاً عليه .

صوت

من المائة المختارة[1]

[من البسيط]

أزْرَى بنـا أنّنا شالَتْ نَعامتُنا ... فخالني دونه بـل خِلتُه دونِـي

فإن تُصِبكَ من الأيّام جائحةٌ ... لم أبكِ منك على دنيا ولا دينِ[2]

الشعر لذي الإصبع العَدْوانيّ ، والغناء لِقيلٍ مولى العَبَلات هزجٌ خفيفٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . معنى قوله أزرى بنا : قَصَّر بنا ، يقال : زَرَيتُ عليه إذا عِبتَ عليه فِعلَه ، وأزريتُ به إذا قَصَّرتَ به في شيء . وشالت نعامتُهم إذا انتقلوا بكُلِّيتهم ، يقال : شالت نعامتُهم ، وزَفَّ رَألُـهمْ ، إذا انتقلوا عن الموضع فلم يبقَ فيه منهم أحد ولم يبقَ لهم فيه شيء . وخالني : ظنني ، يقال : خِلتُ كذا وكذا فأنا إخاله إذا ظننتَه . والجائحة : النازلة التي تجتاح ولا تُبقي على ما نزلَتْ به .

---

1 هذان البيتان من نونية ذي الإصبع العدواني التي مطلعها :

يا من لقلب شديد الهم محزون ... أمسى تذكـر ليلى أم هـارون

وهي المفضلية الحادية والثلاثون ، وقد أوردها القالي كاملة في أماليه 1 : 255 وما بعدها ومنتهى الطلب 3 : 62–63 (طبعة دار صادر) ، وتجد تخريجاً كاملاً لها في المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط . 7 ، دار المعارف ، القاهرة) .

2 لم يرد هذا البيت في المفضليات ولا عند القالي ، وسيورد أبو الفرج جانباً كبيراً من القصيدة ليس فيه هذا البيت . وانظر ديوانه (جمع وتحقيق عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي ، الموصل ، 1973) .

[24] ـ ذكر ذي الإصبع العدوانيّ ونسبُه وخبره[1]

[نسبه]

هو حُرثان بن الحارث بن مُحرِّثِ بن ثعلبة بن سَيّار بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يَشْكُر بن عَدْوان بن عمرو بن سَعَد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار ، أحد بني عدوان وهم بطنٌ من جَدِيلَة . شاعرٌ فارسٌ من قُدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة .

[فنيت عدوان فرثاها]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيعٌ وابن عَمّار والأسديّ ، قالوا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أبو عثمان المازنيّ عن الأصمعيّ قال : نزلَت عدوان على ماء فأحْصَوْا فيهم سبعين ألف غلام أغْرَلَ[2] سِوى من كان مختوناً لكثرة عددهم ، ثم وقع بأسهُم بينهم فتفانوا فقال ذو الإصبع[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

عَذِيـرَ الحيّ مِـن عَدْوا نَ كانوا حَيَّـةَ الأرضِ[4]
بَغـى بعضُهُـمُ بعضـاً فلم يُبْقُوا على بعضِ
فقـد صاروا أحـاديثَ برَفْعِ القولِ والخفضِ[5]
ومنهـم كانـت السَّادا تُ والمُوفُـونَ بالقَرْضِ
ومنهـم مَـنْ يُجيزُ النا سَ بالسُّنَّـــة والفَرْضِ
ومنهـم حَكَـمٌ يَقْضِي فلا يُنقَضُ مـا يَقضِي

1 ترجمة ذي الإصبع العدواني في الشعر والشعراء لابن قتيبة : 597–598 (طبعة دار الثقافة ، بيروت) والمؤتلف والمختلف للآمدي : 118 والسمط : 289 والخزانة 5 : 282 وما بعدها (تحقيق عبد السلام هارون) والمفضلية 29–31 بشرح ابن الأنباري (تحقيق ليال) وبتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون وأمالي القالي 1 : 255 وما بعدها ، وأورد ابن حمدون في مواطن متفرّقة من التذكرة نتفاً من أخباره وشعره وأمثاله (انظر الفهرس) .
2 أغرل : غير مختون .
3 ديوانه : 46–52 .
4 حية الأرض : يقال للرجل الصعب المنيع الجانب حيّة الأرض .
5 أي أنّهم أصبحوا أحاديث للناس في السرّ والعلن .

غنّى في هذه الأبيات مالكٌ ثقيلاً أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو .
وأمّا قولُ ذي الإصبع :

ومنهم حَكَـمٌ يَقضِي

فإنّه يعني عامرَ بنَ الظَّرب العَدواني ، كان حَكَماً للعرب تَحْتَكِم إليه .

[من قرعت له العصا]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن محمد بن حبيب قال : قيس تدَّعي هذه الحكومة وتقول : إنّ عامر بن الظَّرب العدوانيّ هو الحَكَم وهو الذي كانت العصا تُقرَع له ، وكان قد كَبِرَ فقال له الثاني من ولده : إنّك ربّما أخطأتَ في الحكم فيُحمَل عنك ؛ قال : فاجعلوا لي أمارةً أعرِفُها فإذا زُغتُ فسمعتُها رجعتُ إلى الحكم والصواب ، فكان يجلس قُدّامَ بيته ويقعدُ ابنُه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ[1] أو هفا قرَع له الجَفنة فرجع إلى الصواب . وفي ذلك يقولُ المتلمِّسُ[2] : [من الطويل]

لِذِي الحِلم قبلَ اليومِ ما تُقرَعُ العصا وما عُلِّـمَ الإنسانُ إلاّ ليَعلَمـا

قال ابن حبيب : وربيعةُ تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام . واليمنُ تدّعيه لربيعة بن مُخاشِنٍ ، وهو ذو الأعواد ، وهو أوّل من جلس على مِنبر أو سرير وتكلّم ؛ وفيه يقول الأسود بن يَعفُر : [من الكامل]

ولقد علمتُ لَوَ آنّ علمِي نافِعي أنّ السبيلَ سبيـلُ ذِي الأعوادِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال أخبرنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : زعم أبو عمرو بن العلاء أنّه ارتحلتْ عَدوان من منزلٍ ، فعُدَّ فيهم أربعونَ ألفَ غلام أَقْلَف . قال الرياشيّ وأخبرني رجل عن هشام بن الكلبيّ قال : وقع على إيَادٍ البقُّ فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بقَّتانِ .

[سؤال عبد الملك بن مروان عن ذي الإصبع]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا أحمد بن عبيدٍ أبو عَصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزياديّ ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمرُ بن شبّة ولم يُسنده إلى أحد وروايته أتمّ : أنّ عبد الملك بن مروان لما قَدِم الكوفة بعد قتله مُصعب بن الزبير جلس لعرض[3] أحياء العرب ، وقال عمرُ بن شبة : إنّ مصعب بن الزبير

1 ل : زلّ .
2 راجع ذلك في كتب الأمثال .
3 ل : جعل يعترض .

كان صاحب هذه القصّة ، فقام إليه معبد بن خالد الجَدَليّ ، وكان قصيراً دميماً ، فتقدّمه إليه رجل منّا حسنُ الهيئة ؛ قال معبد : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : ممّن أنت ؟ فسكتَ ولم يقل شيئاً وكان منّا ، فقلتُ من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جَدِيلة ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : مِن أيّكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان عَدوانيّاً ؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم سُمّيَ ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ فقلت : نهشتْه حيّةٌ في إصبعه فيبست ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : وبِمَ كان يسمّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان يسمّى حُرْثانَ ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : مِن أيّ عدوان كان ؟ فقلت مِنْ خَلفه : من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر : [من الطويل]

وأمّا بَنُو نــاجٍ فــلا تَذْكُرَنَّهُمْ ولا تُتبِعَنْ عَينيكَ ما كان هالكا
إذا قُلتُ معروفاً لأُصلِحَ بينهم يقــولُ وُهَيبٌ لا أُسالِمُ ذلكا

وروى عمرُ بن شبّة : لا أسَلّم . [من الطويل]

فأضحى كظَهر الفحل جُبَّ سَنامُه يَــدِبُّ إلى الأعداء أحــدَبَ بارِكا

فأقبل على الرجل وتركني وقال أنشِدني قوله : [من الهزج]

عذيــرَ الحــيّ مــن عَدوانَ

قال الرجل : لستُ أُرويها ؛ قلت : يا أمير المؤمنين إن شئتَ أنشدتُك ؛ قال : ادْنُ منّي ، فإنّي أُراكَ بقومك عالِماً ؛ فأنشدته[1] : [من مجزوء الوافر]

وليس المــرءُ في شيءٍ مــن الإبــرامِ والنقِضِ
إذا أبــرم أمــراً خــا لــه يَقْضِي وما يَقْضِي
يقــولُ اليــومَ أُمْضِيه ولا يَملِكُ مــا يُمْضِي
عَذِيــرَ الحــيّ من عَدوا نَ كانوا حَيَّــةَ الأرضِ
بغــى بعضُهــمُ بعضــاً فلم يُبْقُوا على بعضِ
فقــد صــاروا أحاديثَ برفع القــولِ والخفضِ
ومنهــم كانــت السادا تُ والموفُــونَ بالقَرضِ
ومنهــم حَكَــمٌ يَقضي فلا يُنقَضُ مــا يَقضِي

1 ديوانه : 46–52 .

ومنهـم مـن يُجيزُ النا ... سَ بالسُّنَّـةِ والفـرضِ
وهم مَـنْ وَلَدُوا أُشْبَوْا ... بسرّ الحَسبِ المَحْـضِ[1]
وممَّـنْ ولـدوا عامِـ ... ـرُ ذو الطول وذو العرضِ
وهـم بَـوَّوْا ثَقيفـاً دا ... رَ لا ذُلٌّ ولا خَفْـضِ[2]

فأقبل على الرجل وتركني وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان ، فأقبل عليّ فقال : كم عطاؤك ؟ فقلت : خمسمائة ؛ فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا ؛ فانصرفتُ بها .

وقوله : «ومنهم من يُجيزُ الناس» فإنّ إجازة الحجّ كانت لخُزاعة فأخذتْها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سَيّارة أحدُ بني وابش بن زيد بن عدوان . وله يقول الراجز : [من الرجز]

خَلّوا السبيلَ عن أبي سَيَّارَهْ ... وعـن مَواليـه بنـي فَزارهْ
حتى يُجيز سالمـاً حِمارَهْ ... مستقبِلَ الكعبةِ يدعو جارَهْ

قال : وكان أبو سيارة يُجيز الناس في الحجّ بأن يتقدّمهم على حمارٍ ، ثم يَخطُبَهم فيقول : اللهمّ أصلحْ بين نسائنا ، وعاد بين رعائنا ، واجعل المالَ في سُمَحائنا ، أوْفُوا بعهدكم ، وأكرِمُوا جارَكم ، واقرُوا ضيفكم ، ثم يقول : أشْرِقْ ثَبيرْ كيما نُغير ، وكانت هذه إجازتَه ، ثم يَنْفِرُ ويتبعُه الناس . ذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ والكلبيّ وغيرهما .

[خبر بناته الأربع وقد أردن الزواج]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدّثنا محمد بن داود الهشاميّ قال[3] : كان لذي الإصبع أربعُ بنات وكنّ يُخطَبْنَ إليه فيَعرِضُ ذلك عليهنّ فيَستَحِينَ ولا يزوّجهنّ ، وكانت أُمّهنّ تقول : لو زوّجتَهنّ ! فلا يفعل . قال : فخرج ليلةً إلى مُتحدَّثٍ لهنّ فاستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمْنَ فقلن : تعالَيْنَ نتمنّى ولنَصْدُقْ ، فقالت الكبرى . [من الطويل]

ألا ليتَ زوجي من أُناسٍ ذَوِي غِنًى ... حَدِيثُ الشباب طيّبُ الريح والعِطرِ[4]
طبيـبٌ بـأدواء النساء كأنّـه ... خليفـةُ جـانٍ لا ينـام على وِتْرِ[5]

---

1 أشبوا : جاؤوا بأولاد نجباء أذكياء .
2 بووا : أنزلوا ، بوأوا .
3 قارن الخبر بما جاء في الكامل للمبرد (تحقيق الدالي) : 679 وما بعدها .
4 والعطر في ل : والنشر .
5 وتر في ل : هجر .

فقلن لها : أنتِ تُحِبِّين رجلاً ليس من قومك . فقالت الثانية : [من الطويل]

ألا هــل أراها ليلــةً وضَجيعُها أشمُّ كنصــلِ السيف غَيرُ مُبَلَّدِ[1]
لَصُــوقٌ بأكبــاد النساء وأصلُــه إذا ما انتمي من سِرِّ أهلي ومَحْتِدِي

فقلن لها : أنتِ تُحبِّين رجلاً من قومك . فقالت الثالثة : [من الطويل]

أَلا لَيْتَه يَمْــلا الجِفــانَ لضَيْفِه له جفنةٌ يَشْقى بها النِّيبُ والجُزْرُ[2]
له حَكَمات الدهر من غير كَبْرة تَشين ولا الفاني ولا الضَّرِعُ الغَمْرُ[3]

فقلن لها : أنت تُحبّين رجلاً شريفاً . وقلن للصُّغرى : تمنَّيْ ؛ فقالت : ما أريد شيئاً ؛ قلن : والله لا تَبرحين حتى نعلم ما في نفسك ؛ قالت : زوجٌ من عُود خيرٌ من قُعود[4] . فلمّا سمع ذلك أبوهنّ زوّجهنّ أربعتهنّ . فمكَثْنَ برهةً ثم اجتمعن إليه ، فقال للكبرى : يا بُنيّة ، ما مالُكم ؟ قالت : الإبل ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، نأكل لحومها مُزَعا ، ونشرب ألبانها جُرَعا ، وتحمِلنا وضعيفَنا معا ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خيرُ زوج يُكرم الحليلة ، ويُعطي الوسيلة[5] ؛ قال : مالٌ عميم وزوجٌ كريم . ثم قال للثانية : يا بنيّة ما مالُكم ؟ قالت : البقر ؛ قال : فكيف تجدونها ؛ قالت : خير مال ، تألف الفِناء ، وتُوَدِّك[6] السِّقاء ، وتملأ الإناء ، ونساءٌ في نساء ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم أهله ويَنسى فضله ؛ قال : حَظِيتِ ورضيتِ . ثم قال للثالثة : ما مالُكم ؟ قالت : المِعزى ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأس بها نُولِدها فُطُما ، ونسلَخها أُدَما ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : لا بأس به ليس بالبخيل الحَكِر[7] ولا بالسَّمْح البَذِر ، قال : جَدْوى مُغْنِية . ثم قال للرابعة : يا بنيّة ، ما مالُكم ؟ قالت : الضّأن ؛ قال : وكيف تجدونها ؟ قالت : شرّ مال ، جُوفٌ لا يَشْبَعن ، وهِيمٌ[8] لا يَنقعنَ ، وصُمّ لا يَسمَعنَ ، وأمرَ مُغوِيَتهنّ يَتْبَعْنَ[9] ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : شرّ

1 ليلة في ل : مرّة .
2 لضيفه في ل : فدية .
3 حكمات الدهر في ل : محكمات الشيب . الضرع الغمر : الضعيف غير المجرّب .
4 انظر المثل رقم 1729 عند الميداني وقد نقل في خبره ما جاء في الكامل .
5 الوسيلة : ما يتقرّب به إلى الغير .
6 تودّك : تجعل فيه الودك وهو الدسم .
7 الحكر : المستبدّ ، وفي ل : الخرّ .
8 أي عظيمات الأجداف لا يشبعن وشديدات العطش لا يروين .
9 أمر مغويتهن يتبعن : يتبعن المتقدمة منهنّ فإذا سقطت في ماء أو وحل تبعها الباقي .

زوج ، يُكرِم نفسه ويُهين عِرسه ؛ قال : «أشبه امرأ بعضُ بَزّه»[1] .

وذكر الحسن بن عُليل العنزيّ في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنّه لا يصحّ من أبيات ذي الإصبع الضَّادِيّة إلاّ الأبيات التي أنشدها وأنّ سائرها مَنحول .

[خرف وأهتر وقال في ذلك شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحَزَنْبَل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه قال : عُمِّر ذُو الإصبع العدوانيّ عمراً طويلاً حتى خرِف وأُهتر وكان يفرِّق ماله ، فعذَله أصهاره ولاموه وأخذوا على يده ؛ فقال في ذلك[2] : [من المنسرح]

أَهْلَكَنا اللّيلُ والنّهارُ معا ... والدّهرُ يَغْدُو مُصمِّما جَذَعا[3]
فليس فيما أصابني عَجَبٌ ... إن كنتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعا
وكنتُ إذ رَونقُ الشَّبابِ به ... ماء شبابي تَخالُه شرعا
والحيُّ فيه الفتاةُ تَرْمُقني ... حتّى مضى شَأْوُ ذاك فانقشعا[4]

صوت

[من المنسرح]

إنّكما صاحبيّ لم تدَعا ... لَوْمِي ومَهما أُضِقْ فلن تَسَعا[5]
لم تَعقِلا جَفْوةً عليّ ولم ... أشتُم صديقاً ولم أَنِلْ طَبَعا[6]
إلاّ بأن تكذِبا عليّ وما ... أُملِك أن تكذِبا وأن تَلِعا[7]

لابن سريج في هذه الأبيات لحنان : أحدهما ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة والبِنصر عن يحيى المكّيّ ، والآخر ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . [من المنسرح]

---

1 انظر أمثال العرب للمفضل الضبي (إعداد إحسان عبّاس ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981) : 701 . ويروى أيضاً «أشبه امرؤ بعضَ بزّه» .
2 انظر ديوان : 55–63 والمفضليّة 29 .
3 الجذع : الحدث الناشيء .
4 انقشعا في ل : فانقطعا .
5 لم في ل والمفضليات : لن . أضق في ل والمفضليات : أُضع . يعني : أنّهما لا يستطيعان الإحاطة بما يضيع منه ، أي أنّهما يعجزان عن بلوغ مبلغه أو القيام مقامه .
6 في المفضليات : لن تعقلا جفرة عليّ ولن ... أوذ نديماً ولم أنل طبعا
الطبع : هو الدنس أو العيب .
7 تلعا : تكذبا .

وإنّني سوف أبتدِي بنَدًى ... يا صاحبيَّ الغداةَ فاستمِعا
ثمّ سَلا جارتي وكِنَّتَها ... هل كنتُ فيمن أُراب أو خدَعا[1]
أو دَعَتاني فلم أُجِبْ ، ولقد ... تأمن منّي حَليلتِي الفَجَعا
آبَى فلا أقربَ الخِباءَ إذا ... ما ربُّه بعد هَدْأةٍ هجَعا
ولا أُرُوم الفتاةَ زَوْرَتَها ... إن نام عنها الحليلُ أو شَسَعا[2]
وذاك في حِقبةٍ خَلَتْ ومضَتْ ... والدّهرُ يأتي على الفتى لُمَعا[3]
إن تَزْعُما أنّني كبِرتُ فلم ... أُلفَ ثقيلاً نِكْسا ولا وَرَعا
إمّا تَرَيْ شِكّتي رُمَيحَ أبي ... سعدٍ فقد أحمِلُ السّلاحَ مَعا

أبو سعد : ابنُه ، ورُمَيحٌ : عصاً كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يُطاعِنُهم بها كالرُّمح ، فصار يتوكّأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها . [من المنسرح]

السّيفُ والرّمحُ والكِنانةُ قد ... أكملتُ فيها مَعابِلاً صُنُعا[4]
والمُهْرُ صافي الأديم أصنَعُه ... يَطِير عنه عِفاؤه قَزَعا[5]
أقْصِرُ من قَيده وأُردَعُه ... حتّى إذا السِّرب رِيعَ أو فزِعا
كان أمامَ الجِيادِ يَقْدُمها ... يَهُزُّ لَدْناً وجُؤْجُؤا تَلِعا[6]
فغامَس الموتَ أو حَمى ظُعُنا ... أو رَدّ نَهْباً لأيٍّ ذاك سعى[7]

[وصيّته لابنه عند موته]

قال أبو عمرو : ولمّا احتضِر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا فقال له : يا بُنيّ ، إنّ أباك قد فني وهو حيّ وعاش حتّى سَئم العيش ، وإنّي مُوصيك بما إنّ حفِظتَه بلغتَ في قومك ما بلغتُه ، فاحفظ عنّي : أَلِن جانبك لقومك يحبّوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك ، ولا تَستأثِر عليهم بشيء يُسوّدوك ؛ وأكرِم صِغارهم كما تُكرِم كبارَهم يكرمْك كبارُهم ويكبَرْ على

1 خدَعا في ل : قذعا .
2 شسع : بعد .
3 لمعا : ألواناً .
4 رواية المفضليات : السيف والرمح والكنانة والـ ... ـنّبل جياداً محشورة صنعا
والمعابل : جمع معبلة وهي نصل عريض طويل . وصنع : جمع صنيع وهو المجرب المجلو .
5 العفاء : الشعر الطويل والقزع : القطع المتفرّقة .
6 الجوْجؤ : الصدر . وتلع : منبسط .
7 غامس الموت : ورده .

مودّتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحْم حريمَك ، وأعززْ جارك ، وأعِن مَن استعان بك ، وأكرِم ضيفَك ، وأسرع النَّهضة في الصَّريخ ، فإن لك أجلاً لا يَعْدُوك ، وصُنْ وجهَك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتمّ سُودَدُك ؛ ثم أنشأ يقول[1] : [من مجزوء الكامل]

أأسيدُ إنْ مـالاً مَلكـ ـتَ فسِرْ به سَيراً جميلا
آخِ الكِـرامَ إن استطعـ ـتَ إلى إخائهـمُ سبيلا
واشرَب بكأسهـمُ وإن شربوا بـه السُّمَّ الثَّميلا
أهِـنِ اللِّئـام ولا تكـنْ لإخائهم جَمَـلاً ذَلُولا
إنَّ الكـرامَ إذا تُـوا خِيهمْ وجدتَ لهم فُضولا[2]
ودَع الذي يَعِـد العَشيـ ـرةَ أن يسيلَ ولن يَسيلا
أبُنَـيّ إن المـالَ لا يَبْكِي إذا فقَـد البخيلا

صوت

[من مجزوء الكامل]

أأسيدُ إن أزمعتَ مـن بلـدٍ إلى بلـدٍ رَحيلا
فاحفـظْ وإن شَحط المَزا رُ أخا أخيك أو الزَّميلا[3]
واركب بنفسك إن هَمَمـ ـتَ بها الحزونةَ والسّهولا
وصِلِ الكِرامَ وكُـن لمن تَرجـو مَودّتـه وَصولا

الغناء للهذليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرٍو : [من مجزوء الكامل]

ودَعِ التَّوانِـيَ في الأمـو رِ وكن لهـا سَلِساً ذَلُولا
وابسُطْ يمينَـكَ بالنَّدى وامْدُدْ لهـا باعـاً طويلا
وابسُطْ يَدَيْكَ بمـا مُلكْـ ـتَ وشَيِّد الحسَبَ الأثيلا
واعْـزِمْ إذا حاولـتَ أمـ ـراً يَفْرِجُ الهـمَّ الدَّخِيلا
وابذُلْ لِضَيفكَ ذاتَ رَحْـ ـلِكَ مُكرِمـاً حتّى يَزُولا[4]
واحلُـلْ على الأيْفاعِ للـ ـعافِينَ واجْتنِبِ المَسِيلا

---

1 ديوانه : 72–74 .
2 فضولاً في ل : قبولا .
3 الزميل : الرفيق في السفر .
4 الرحل هنا : المثوى والمنزل .

وإذا القُـرُومُ تخاطـرَتْ يوماً وأرعَـدَتِ الخَصِيلا[1]
فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضَّــبَ مِن فَريستِه التَّلِيلا[2]
وانــزِلْ إلى الهيجـا إذا أبطالُـهـا كَرِهـوا النزولا
وإذا دُعِيــتَ إلى المُهِـــمّ فكن لفادِحِهِ حَمُولا

[استنشد معاوية قيسياً شعره وزاد في عطائه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : جرى بين عبد الله بن الزُّبير وعُتْبَةَ بن أبي سُفيان لِحاء بين يدي معاوية ، فجعل ابن الزبير يَعدِلُ بكلامه عن عُتَبَة ويُعَرِّضُ بمعاوية ، حتى أطال وأكثر من ذلك ، فالتفت إليه معاوية متمثّلاً وقال[3] : [من الطويل]

ورامٍ بعُـورانِ الكلام كأنّهـا نوافِـرُ صُبْـحٍ نفَّرتْهـا المراتِعُ[4]
وقد يَدْحَضُ المرءُ المُوارِبُ بالخَنا وقد تُدرِكُ المرءَ الكريمَ المصانِعُ[5]

ثم قال لابن الزبير : مَن يقول هذا ؟ فقال : ذو الإصبع ؛ فقال : أتَرْوِيه ؟ قال لا ؛ فقال : مَنْ هاهنا يروي هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال : أنا أرْوِيها يا أمير المؤمنين ؛ فقال أنشِدني ؛ فأنشده حتى أتى على قوله : [من الطويل]

وساعٍ برجليـه لآخـرَ قاعدٍ ومُعْـطٍ كريـمٌ ذو يَسارٍ ومانِعُ
وبـانٍ لأحسابِ الكرامِ وهادِمٌ وخافِـضُ مـولاه سَفاهاً ورافِعُ
ومُغْضٍ على بعض الخطوبِ وقد بدَت له عَوْرةٌ من ذي القرابةِ ضاجعُ
وطالِـب حُـوبٍ باللسان وقَلبُـه سِوى الحقّ لا تَخفَى عليه الشرائعُ[6]

فقال له معاوية : كَم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة ؛ قال : اجعلوها ألفاً ، وقطع الكلام بين عبد الله وعُتبة .

[شعره في ابن عمّه وقد عاداه]

قال أبو عمرو : وكان لذي الإصبع ابن عمّ يُعاديه فكان يتدسَّسُ إلى مكارِهه ويَمشي به إلى أعدائه ويُؤلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين بني عمّه ويَبغِيه عندهم شرّاً ؛ فقال فيه ، وقد أنشدنا

1 أرعدت الخصيل : جعلت الأوصال ترجف من الخوف .
2 التليل : العنق .
3 ديوانه : 66–67 .
4 عوران الكلام : ما تنفيه الأذن .
5 يدحض : يزلّ .
6 سوى الحق : وسطه أي أن قلبه ملازم للحق .

الأخفش هذه الأبيات أيضاً عن ثعلب والأحول السُّكَّريّ[1] : [من مجزوء الكامل]

يــا صاحِبَيّ قِفا قَليلا وتَخَبَّرا عَنّــي لَمِيسا
عمَّنْ أصابــتْ قلْبَــه في مَرِّهــا فغَدا نكِيسا[2]
ولِـيَ ابنُ عـمٍّ لا يــزا ل إليّ مُنكَـرُه دَسِيسا
دبَّــتْ لــه فأَحسَّ بعـ ـد البُرْءِ من سَقَمٍ رَسِيسا[3]
إمّــا علانيــةً وإمّــ ـا مُخْمَراً أَكْلاً وَهِيسا[4]
إنّــي رأيــتُ بَنــي أبيـ ـك يُحَمِّجُون إليّ شُوسا[5]
حَنَقاً عــليَّ ولن تَـرى لِيَ فيهــمُ أثــرا بَئِيسا
أنْحَوْا على حُــرّ الوجو ه بحَدّ مِئشارٍ ضُرُوسا[6]
لــو كنتَ مــاءً لم تَكنْ عَذْبَ المَذاقِ ولا مَسُوسا[7]
مِلحاً بعيــدَ القعــر قــد فَلَّــتْ حجارتُه الفُؤوسا
مَنّاعُ مــا ملكَــتْ يــدا كَ وَسائِلٌ لَهُمُ نُحُوسا

وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات ، وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه يشبه معناه : [من الرجز]

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عَذْبِ أو كنتَ سيفاً كنتَ غير عَضْبِ
أو كنتَ طِرْفاً كنتَ غيرَ نَدْبِ أو كنتَ لحما كنتَ لحمَ كَلْبِ[8]

قال : وفي مثله أنشدنا : [من الرجز]

لو كنتَ مُخّاً كنتَ مُخّاً رِيرا أو كنت بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرا[9]
أو كنت رِيحاً كانت الدَّبُورا

1 ديوانه : 42–44 .
2 نكيس : مريض .
3 الرسيس : أول الحمّى .
4 مخمراً : متستراً . والأكل الوهيس : الشديد .
5 يحمجون : يديمون النظر . الشوس : النظر بمؤخر العين تغيظاً .
6 المئشار : لغة في المنشار .
7 المسوس : الماء بين العذب والملح .
8 طرف ندب : حصان نشيط .
9 مخ ريرا : أي فاسد من الهزال .

[سبب تفرّق عدوان وتقاتلهم]

قال أبو عمرو : وكان السبب في تفرّق عدوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانَوْا : أنّ بني ناج بن يَشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ، ونَذِرتْ بهم بنو عوف فاقتتلوا ، فقتل بنو ناج ثمانية نفرٍ ، فيهم عُمَير بن مالك سيِّد بني عوف ، وقتلت بنو عوف رجلاً منهم يقال له سِنان بن جابر ، وتفرّقوا على حرب . وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيّداً ، فاصطلح سائرُ الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك ، وأبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر ديةً ، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومَن والاهم ، وتَبِعه على ذلك كَرِبُ بن خالد أُحد بني عبس بن ناج ، فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبولَ الدية وقال : قد قُتِلَ منّا ثمانية نفر فقبلنا الدية وقُتِل منكم رجل فاقبلوا ديته ؛ فأبيا ذلك وأقاما على الحرب ، فكان ذلك مبدأ حربٍ بعضِهم بعضاً حتى تَفانَوْا وتَقَطَّعوا . فقال ذو الإصبع في ذلك[1] : [من الطويل]

ويا بُـؤسَ للأيّام والدّهرِ هالِكا ... وصَرْفِ الليالي يَخْتَلِفْـنَ كذلِكا
أبْعدَ بنِـي نـاجٍ وسَعْيِكَ فيهِمُ ... فلا تُتبِعَنْ عينيْكَ مـا كان هالِكا
إذا قلتُ معروفـاً لأُصْلِحَ بينهم ... يقـولُ مَريـرٌ لا أُحـاوِلُ ذلِكا
فأضحَوْا كظهرِ العَوْدِ جُبَّ سَنامُه ... تَحُوم عليه الطيرُ أحدَبَ بارِكا[2]
فإن تك عَدْوانُ بن عمرو تفرّقت ... فقد غَنِيَتْ دَهـراً ملوكاً هُنالِكا

[قصيدته النونية]

وقال أبو عمرو : وفي مَرير بن جابر يقول ذو الإصبع ، وهذه القصيدة هي التي منها الغناء المذكور ، وأوّلها[3] : [من البسيط]

يـا مَنْ لقلبٍ شَدِيدِ الهمِّ مَحزونِ ... أمسَى تَذَكَّـرَ رَيَّـا أُمَّ هـارُونِ[4]
أُمسى تَذَكَّرها مِن بعد ما شَحَطتْ ... والدَّهْرُ ذو غِلَظٍ حينا وذو لِينِ[5]

1 ديوانه : 69–70 .
2 تحوم عليه الطير في ل : يدب إلى الأعداء .
3 هذه هي النونية التي منها المفضلية 31 وفي حاشية طبعة شاكر وهارون تخريج كامل لها وقد أوردها القالي في الأمالي كاملة I : 255–257 ، وانظر ديوانه : 88–98 .
4 الأمالي : طويل البث .
5 غلظ في ل والأمالي : غلظة .

فإنْ يكنْ حبُّها أمسى لنا شَجَناً وأصبحَ الوَلْيُ منهـا لا يُواتِيني[1]
فقـد غَنِينا وشمْلُ الدارِ يجمعُنا أُطِيـعُ رَيَّـا ورَيَّـا لا تُعاصِيني
نَرمِـي الوُشاةَ فلا نُخْطِي مَقاتِلَهُمْ بخالصٍ مِن صفاءِ الوُدِّ مَكنونِ[2]
ولِي ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ مُختَلِفـانِ فأَقْلِيـهِ ويَقْلِيني
أزرى بنـا أنّنا شالَـتْ نَعامتُنا فخالني دونـه بـل خِلتُهُ دوني
لاهِ ابنُ عمّك لا أُفضلتَ في حسَبٍ شيئـاً ولا أنت دَيَّاني فتَخْزُوني[3]
ولا تَقُوتُ عِيـالي يـومَ مَسْغَبَةٍ ولا بنفسكَ في العَـزَّاءِ تَكْفِيني[4]
فإن تُـرِدْ عَرَضَ الدنيا بمَنْقَصتِي فـإنّ ذلك مِمّـا ليس يُشْجِيني
ولا تَـرى فِيَّ غيرَ الصّبرِ مَنقَصَةً ومـا سِواه فـإنّ اللهَ يَكفِيني
لولا أَواصِرُ قُرْبـى لستَ تحفظُها ورَهْبَـةُ اللهِ في مَولـىً يُعادِيني
إذاً بَرَيتُك بَرْيـاً لا انجبارَ لـه إنّي رأيتُـك لا تَنفَـكُّ تبريني
إنّ الذي يَقبِضُ الدنيا ويبسُطها إن كان أغناكَ عنّي سوفَ يُغْنِيني
اللهُ يَعلَمُكـم واللهُ يَعلَمُنِـي واللهُ يَجزِيكُمُ عَنّـي ويَجْزِيني[5]
ماذا عليَّ وإن كنتم ذوِي رَحِمِي ألاَّ أحبّكـم إن لـم تُحبُّوني
لو تَشْرَبُونَ دَمِي لَم يَرْوَ شارِبُكم ولا دِمـاؤُكم جَمْعـاً تُرَوِّينني
ولِي ابن عمٍّ لو آنّ الناسَ في كَبِدي لَظَـلَّ مُحتَجِزاً بالنَّبْـلِ يَرْمِيني[6]
يا عمرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصتِي أُضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسْقُونِي[7]
كلّ امرِىءٍ صائـرٌ يومـاً لِشيمَتِه وإن تخلَّـقَ أخلاقـاً إلى حِـينِ
إنّي لَعَمْرُكَ مـا بَابِي بـذِي غَلَقٍ عن الصّديق ولا خَيري بمَمْنُونِ

1 الولي : القرب وفي الأمالي : الوأي وهو الوعد .
2 بخالص في الأمالي : بصادق .
3 دانه : قهره .
4 العزاء : السنة الشديدة .
5 الشطر الأول رواية الأمالي : الله يعلمني والله يعلمكم .
6 محتجز : شاد مئزره كناية عن التهيّؤ .
7 حتى في الأمالي : حيث . كانت العرب تزعم أن القتيل الذي لم يؤخذ بثأره تصيح روحه عند قبره «اسقوني ! اسقوني !» وتطير عندما يدرك بثأره .

ولا لسانِي على الأدنــى بمنطَلق ... بالمنكَـرات ولا فَتْكِـي بمأمُونِ
لا يُخْرِجُ القَسْرُ منّي غير مَغْضِبةٍ ... ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يبتغِـي لِينــي[1]
وأنتــمُ مَعْشَرٌ زَيْـدٌ على مائـةٍ ... فأجمِعُوا أمرَكم شَتَّـى فكِيدُوني
فإن علمتُم سبيلَ الرُّشدِ فانطلِقوا ... وإن غَبِيتم طريقَ الرشدِ فأْتُوني[2]
يا رُبَّ ثـوبٍ حواشيه كأوسطِه ... لا عيبَ في الثوبِ من حُسنٍ ومن لِينِ
يوماً شَدَدتُ على فَرْغــاءَ فاهقةٍ ... يومـاً من الدّهرِ تاراتٍ تُمارِيني[3]
مــاذا عــليّ إذا تدعونَنِـي فَزَعاً ... ألاَّ أُجيبَكــم إذ لا تُجيبُــوني
وكنــتُ أُعطِيكُم مالي وأَمنحُكم ... وُدِّي على مُثْبَتٍ في الصدرِ مَكنونِ[4]
يا رُبَّ حَيٌّ شَدِيد الشَّغْبِ ذي لَجَبٍ ... ذعَرْتُ مِن راهن منهم ومَرهُونِ[5]
رَدَدتُ باطلَهُم في رَأْس قائِلهم ... حتى يَظَلُّوا خصومـاً ذا أفانينِ[6]
يا عَمرُو لو كنتَ لي أَلْفَيْتَنِي يَسَراً ... سَمْحاً كريماً أُجازِي مَنْ يُجازِيني

[قصيدته في رثاء قومه]

قال أبو عمرو : وقال ذو الإصبع يرثي قومَه : [من الهزج]

وليس المـرءُ في شيءٍ ... مـن الإبــرام والنقضِ
إذا يفعــلُ شيئاً خـا ... له يَقْضِي ومـا يَقْضي
جَدِيــدُ العيشِ ملبـوسٌ ... وقـد يُوشِكُ أن يُنْضي

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدّماً في صدر هذه الأخبار ، وتمامها :

وأَمْـرَ اليــومِ أُصْلِحْــهُ ... ولا تَعْرِضْ لمــا يَمضي
فبينا المــرءُ في عَيشٍ ... لــه مـن عِيشَةٍ خَفْضِ
أتــاه طَبَـقٌ يومـاً ... على مَزْلَقَــةٍ دَحْضِ[7]

1 مغضبة في الأمالي : مأبية .
2 غبيتم في الأمالي : جهلتم .
3 فرغاء : طعنة واسعة ، والفاهقة هي التي تنهق بالدم أي تتصبّب .
4 وكنت في الأمالي : قد كنت .
5 ذعرت في الأمالي : دعوتهم .
6 خصوماً في الأمالي : جميعاً .
7 طبق : شدّة .

وهم كانوا فلا تُكْذَبْ ذوي القُـــوّةِ والنَّهْضِ
وهم إن وَلَـدُوا أَشْبَوْا بسِرِّ الحسَـــبِ المَحْضِ
لهـــم كانت أعالي الأر ض فالسرَّان فـالعِرْضِ[1]
إلى مـا حـــازه الحَزْنُ فمـا أسهـلَ للحَمْضِ
إلى الكَفْرَيـــنِ من نخلـ ـــةَ فالـدّاءةِ فالمَرْضِ[2]
لهـم كان جِمـامُ[3] المـا ءِ لا المُزجى ولا البَرْضِ[4]
فكان النـاسُ إذ هَمُّوا بيُسْرٍ خـــاشعٍ مُغْضِي
تَنادَوْا ثـم ساروا بِـــ ـرئيسٍ لهـــمُ مُـرْضِي
فمَـــنْ ساجَلَهُمْ حربـاً ففي الخَيْبَةِ والخَفْضِ
وهـم نالُـوا على الشَّنْآ نِ والشَّحْنـــاءِ والبُغضِ
مَعـالي لم ينلهـا النَّـا سُ في بَسْطٍ ولا قبضِ

[شعر أمامة بنت ذي الإصبع]

قال أبو عمرو: قالت أُمامة بنت ذي الإصبع وكانت شاعرةً ترثي قومَها: [من السريع]

كَم مِن فَتىً كانت لـه مَيْعَةٌ أُبلـجَ مثلِ القمـرِ الزاهِرِ[5]
قــد مرَّتِ الخيلُ بحافاتِهِ كمـرِّ غيثٍ لجِبٍ ماطِرِ
قــد لَقِيَتْ فَهْمٌ وعَدْوانُها قَتْلاً وهُلْكـاً آخـرَ الغابِرِ
كانوا ملوكاً سادةً في الذُّرى دهراً لها الفَخْرُ على الفاخِرِ
حتى تَساقَوْا كأسَهم بينهم بَغْياً فَيـا لِلشّاربِ الخاسِرِ
بادُوا فمَنْ يَحْلُلْ بأوطانهم يَحْلُـلْ برَسْمٍ مُقْفـرٍ داثِرِ

[شعره في الكبر]

قال أبو عمرو: ولأمامة ابنتِه هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكّأ على العصا فبكت فقال: [من الكامل]

1 العرض: واد باليمامة. وكلّ واد فيه قرى ومياه: عرض.
2 الداءة: جبل نواحي مكّة. وفي ل: الدارة.
3 جمام الماء: كثيرة.
4 المزجى والبرض: الماء القليل.
5 ميعة الشباب: أوّله.

جَزِعَتْ أمامَةُ أن مَشَيتُ على العصا ... وتَذَكَّــرَتْ إذ نحـن م الفِتْيانِ
فَلَقَبْـل مـا رام الإلـهُ بكيـده ... إرَمـاً وهذا الحـيَّ مِـنْ عَدْوانِ
بعـد الحكومـةِ والفضيلة والنُّهى ... طـاف الزمـانُ عليهـمُ بأَوانِ
وتفرّقُـوا وتقطّعـت أشلاؤهـم ... وتبـدَّدُوا فِرَقـاً بكـلّ مكانِ
جَـدَبَ البلادُ فأُعْقِمَتْ أرحامُهُم ... والدَّهْرُ غَـيَّرَهُـمْ مع الحِدثانِ
حتـى أبادَهُـمُ عـلى أُخْراهُـم ... صَرْعَـى بكـلِّ نُقَيْرَةٍ ومَكانِ
لا تَعْجَبِنَّ أُمامُ مـن حَدَثٍ عَرا ... فالدَّهْـرُ غَيَّرنـا مـع الأزمانِ

[25] ـ ذكرُ قيلٍ مولى العَبَلات

[ولاؤه وغناؤه]

قال هارونُ بن محمد بن عبد الملك : أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان يحيى قَيْل عبداً للثُّريّا ورُضَيّا وأخواتهما بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميّةَ الأصغر بن عبد شمس مَوْلَياتِ الغَريض .

قال وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال حدّثني ابن أبي جَناحٍ قال حدّثنا مقاحف بنُ ناصحٍ مولى عبد الله بن عبّاس قال قال حدّثني هشامُ بن المُرِّية ، وهي أمّه ، وهو مولى بني مَخزوم ، قال : كان يحيى قَيْل عبداً لامرأة من العَبَلات ، وله من الغناء[1] : [من الطويل]

صوت

وأخرجتُها من بطن مكّةَ بعد ما أُصاتَ المنادِي للصّلاةِ وأَعْتَما

فمرّتْ ببطن اللّيثِ تَهوِي كأنّما تُبادِرُ بالإصباح نَهْباً مُقَسَّما[2]

والشعر لأبي دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ . وأوّل هذه القصيدة :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيّم كَلْثَما

[أبو دهبل الجمحي]

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني يحيى بن المقداد الزَّمْعِيّ قال حدّثني عمّي موسى بن يعقوب الزَّمْعِيّ قال أنشدني أبو دَهْبلٍ الجُمَحِيّ لنفسه[3] : [من الطويل]

ألا عَلِقَ القلبُ المتيَّمُ كَلْثَما لَجُوجاً ولم يلزَمْ من الحبّ مَلْزَما

خَرَجْتُ بها من بطن مكّةَ بعدَ ما أصاتَ المنادِي للصَّلاةِ وأعتَما

فما نام مِنْ راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ من الحيّ حتى جاوزَتْ بِي يَلَملَما[4]

ومرَّتْ ببطنِ اللّيثِ تَهوِي كأنّها تُبادِرُ بالإدلاج نَهْباً مُقَسَّما

1 البيتان لأبي دهبل الجمحي وسيردان عمّا قليل في قصيدته . وسيترجم أبو الفرج فيما بعد في الأغاني لأبي دهبل ، وسيورد القصيدة بصورة أتمّ . لاحظ اختلاف الرواية في الصفحة الواحدة .

2 الليث : واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو هو موضع في الحجاز (ياقوت) .

3 ديوان أبي دهبل (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، ط10 ، النجف ، 1972) : 106–109 .

4 يلملم : موضع قريب من مكّة وهو ميقات أهل اليمن .

أجازت على البَزواءِ والليلُ كاسرٌ جناحَيْنِ بالبزواء وَرْداً وأدْهَما[1]
فما ذَرَّ قرنُ الشمسِ حتى تبيَّنَتْ بِعُلَيْبَ نخلاً مُشرِفاً ومُخَيِّما[2]
ومرَّتْ على أشطانِ دُومةَ بالضحى فما خزرتْ للماء عيناً ولا فَما
وما شَرِبَتْ حتى ثَنيتُ زِمامَها وخِفْتُ عليها أن تُخَزَّ وتُكْلَما
فقلت لها قد تِعْتِ غيرَ ذميمةٍ وأصبحَ وادِي البِرْكِ غَيْثاً مُدَيِّما[3]

قال فقلت له : يا عمّ ما كنتَ إلاّ على الريح ! فقال : يا ابن أخي إنّ عمَّك كان إذا همَّ فعل ، وهي العَجاجة ، أَما سمعتَ قول أخي بني مُرَّة[4] : [من المتقارب]

إذا أقبلَتْ قُلتَ مَشْحُونةٌ أقلَّتْ لها الريحُ قِلْعاً جَفُولا[5]
وإن أدبَرَتْ قلتَ مَذعُورةٌ من الرُّمْدِ تتبَعُ هَيقاً ذَمُولا[6]
وإن أعرضَتْ خالَ فيها البَصيـ ـرُ ما لا يُكلّفُه أن يَفِيلا[7]
يَداً سُرُحاً مائرا ضَبْعُها تَسُوم وتَقْدُمُ رِجلاً زَجُولا[8]
فمرّت على كشبٍ غُدوَةً ومرَّتْ فُوَيقَ أُريكٍ أُصيلا[9]
تُخَبِّطُ بالليلِ حِزّانَهُ كَخَبْطِ القَويِّ العزيزِ الذَّليلا[10]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني ابن أصبغ السلميّ قال : جاء إنسان يُغنّي إلى عيّاش المِنقريّ بالعقيق فجعل يُغنّيه قول أبي دَهبلٍ :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيّمُ كَلْثَما

1 البزواء : موضع في طريق مكّة قرب الجحفة .
2 عليب : موضع بتهامة .
3 تعت في ل : بعت . وادي البرك : ناحية باليمن .
4 المقصود بشامة بن عمرو الغدير والأبيات من المفضلية العاشرة وبين الروايتين بعض اختلاف .
5 القلع : الشراع ، وفي ل : خلعا .
6 الرمد : جمع رمداء وهي النعامة التي فيها سواد مائل إلى الرمادي ، والهيق : ذكر النعام ، والذمول : المسرع .
7 يفيل : يخطىء .
8 الشطر الأول في ل : يدي سرح مائر ضبعها . ومائر ضبعها : أي سريعة حركة القوائم . وتسوم : تمرّ مرّاً سهلاً . والزجول : التي تدفع نفسها .
9 ل : بذي خشب ، وهو موضع قرب المدينة ، وكشب : جبل ممّا يلي حدود اليمن . أريك : جبل في بلاد بني مرّة ، وقيل سمّي بذلك لكثرة شجر الأراك فيه .
10 حزان (بكسر الحاء وضمّها) : جمع حزين وهو المكان الغليظ الصلب من الأرض .

وجعل يعيدُه فلمّا أكثر قال له عيّاش : كم تُنذِر بالعجوز عافاك الله ! اسم أمّي كلثم ، قال : وتسمعُ العجوز ، فقالت : لا والله ما كان بيني وبينه شيء .

قال : ومن غنائه[1] : [من البسيط]

أزرى بنا أنّنا شالَتْ نعامتُنا فخالَني دونه بل خِلتُه دوني

فإن تُصبكَ من الأيّام جائحةٌ لا نَبكِ منك على دنيا ولا دينِ

[وأوّل هذه الأبيات فيما أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب] .

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

لِيَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلقٍ مختلفانِ فأَقليهِ ويَقْلِيني

لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أفضلتَ في حَسَبٍ عَنّي ولا أنتَ ديّاني فتَخْزُوني

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثانيَ ثقيل بالوسطى .

وقد عجِبتُ وما في الدَّهرِ من عَجبٍ يَدٌ تَشُجُّ وأُخرى منك تَأسُوني

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

ارفَعْ ضَعِيفَكَ لا يُحِرْ بكَ ضَعْفُه يوماً فتدرِكَه العواقبُ قد نَما

يَجزِيك أو يُثْنِي عليك وإنّ مَنْ أثنى عليكَ بما فعلتَ فقد جزى

عَروضه من الكامل ، الشعر لغَريض[2] اليهوديّ وهو السموألُ بن عادِياء ، وقيل إنّه لابنه سَعْيَة[3] بن غريض ، وقيل إنّه لزيد بن عمرو بن نُفَيلٍ ، وقيل إنّه لورَقَة بن نَوْفلٍ ، وقيل إنّه لزهير بن جَناب ، وقيل إنّه لعامر بن المجنون الجَرْميّ الذي يقال له : مَدرَجُ الرّيح ، والصحيح أنّه لغَريض أو لابنه .

---

1 تقدّمت الأبيات في ترجمة ذي الإصبع العدواني .

2 ضبط غريض في المصادر المختلفة هكذا بالغين على وزن فعيل ، وبالعين على الوزن نفسه وعلى التصغير . وقول أبي الفرج إنّ غريض هو السموأل بن عادياء مستغرب ، فهو يذكر السموأل في ترجمته بأنّه ابن عُريض بن عاديا .

3 سعية بن غريض تسميه بعض المصادر سعنة بالنون (انظر الإصابة 3 : 94) ويقال شعية بالشين (المؤتلف : 211) .

26 ـ [خبر غريض اليهوديّ]

[نسبه وأصل قومه]

وغريضٌ هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ﷺ ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجَّه جيشاً إلى العَماليق وكانوا قد طَغَوْا وبلغت غاراتُهم إلى الشام وأمرهم إن ظَفِروا بهم أن يقتلوهم أجمعين ، فظَفِروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابنٍ لملكِهم كان غلاماً جميلاً فرحِموه واستبقوه ، وقَدِموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه ؛ فقالوا : أنتم عصاةٌ لا تدخلون الشام علينا أبداً ، فأخرجوهم عنها . فقال بعضهم لبعض : ما لنا بلدٌ غيرُ البلد الذي ظفِرنا به وقتلنا أهلَه ؛ فرجعوا إلى يثرِب فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأَوْس والخَزرج إيّاها عند وقوع سَيل العَرِم باليمن ، فمن هؤلاء اليهودِ قُرَيظة والنَضيرُ وبنو قَيْنُقاع وغيرُهم ، ولم أجد لهم نسباً فأذكره لأنـّهم ليسوا من العرب فتُدَوِّنَ العرب أنسابهم إنّما هم حلفاؤهم ، وقد شَرَحتُ أخبارهم وما يُغَنَّى به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب .

والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيتُه أبو عبد الله ، وكان أبوه على المِيضأة بالمدينة فعُرِف بذلك ، وهو يسير الصناعة ليس ممّن خَدمَ الخلفاءَ ولا شُهِرَ عندهم شُهرة غيره . وهذا الغناء ماخوريّ بالبنصر وفيه ليونس ثاني ثقيل بالبنصر .

[نسب له شعر هو لورقة بن نوفل]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة قال :

ارفَعْ ضَعِيفَك لا يَحُرْ بِكَ ضعفُه لغَريض اليهودي

[تمثّلت عائشة أمام رسول الله بشعر نزل بمعناه الوحي]

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا مؤمِّل بن عبد الرحمن الثَّقفيّ قال حدّثني سهل بن المغيرة عن الزُّهريّ عن عروة عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أتمثّل بهذين البيتين : [من الكامل]

ارفَعْ ضعيفَك لا يَحُرْ بك ضعفُه يوماً فتُدرِكَه العواقبُ قد نَما[1]

1 في نسبة هذين البيتين وتمثّل عائشة بهما وما قاله لها النبيّ ﷺ انظر الشعر والشعراء 296 والعقد 1 : 279 / 5 : 275 (لزهير بن جناب) وفيهما «فتدركه عواقب ما جنى» وفصل المقال : 207 (دون نسبة) والسمط : 206 وحماسة البحتري : 252 والخزانة 3 : 393 (ورقة بن نوفل) وروايتها جميعاً كراوية الأغاني : ومؤدى قول النبيّ لعائشة على اختلاف اللفظ أنّ من شكر الناس صنيعهم فقد كافأ ومن لم يشكرهم لم يشكر الله .

يَجْزِيكَ أو يُثني عليكَ وإنّ مَنْ ... أثنى عليكَ بما فعلْتَ فقد جزى

فقال ﷺ : «رُدِّي عليَّ قول اليهوديّ قاتله الله ؛ لقد أتاني جبريلُ برسالةٍ من ربّي : أيُّما رجل صنَع إلى أخيه صنيعةً فلم يجِد له جزاءً إلاّ الثناء عليه والدعاءَ له فقد كافأه» .

قال أبو زيد : وقد حدّثني أبو عثمان محمد بن يحيى أنّ هذا الشعر لورقة بن نوفل ، وقد ذكر الزبير بن بكّار أيضاً أنّ هذا الشعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدةٍ أوّلها : [من الكامل]

رَحَلَتْ قُتيلَةُ عِيرَها قبلَ الضحى ... وإخالُ أن شَحَطَتْ بجارتِكَ النَّوى
أو كُلَّما رَحَلَتْ قُتيلَةُ غُدْوَةً ... وغَدَتْ مُفارِقَةً لأرضهمُ بكى
ولقد ركِبتُ على السَّفينِ مُلجِّجاً ... أَذرُ الصَّديقَ وأنتَحِي دارَ العِدا
ولقد دخلتُ البيتَ يُخشى أَهلُه ... بعد الهدوء وبعد ما سقطَ الندى
فوجدتُ فيه حُرَّةً قد زُيِّنتْ ... بالحَلْي تحسَبُه بها جمرَ الغَضا
فنَعِمْتُ بالاً إذ أَتيتُ فِراشَها ... وسقَطتُ منها حين جئتُ على هَوى
فلَتِلكَ لَذَّاتُ الشَّبابِ قَضَيتُها ... عَنِّي فسائِلْ بعضهم ماذا قَضى
فرج الرَّباب فليس يؤدي فرجه ... لا حاجةً قَضَّى ولا ماءً بغى
فارفَعْ ضعيفَكَ لا يحرْ بك ضعفُه ... يومأً فتدرِكَه العواقبُ قد نما
يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليك وإنّ مَنْ ... أثنى عليك بما فعلتَ فقد جزى

[27] ـ ذكر ورقة بن نوفل ونسبه[1]

[نسبه]

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ ، وأمّه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قُصَي . وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدِّين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان .

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

غيرِ ارفع ضعيفَكَ . . .

صوت

[من الكامل]

ولقد طرقتُ البيتَ يُخشى أهلُه   بعد الهدوء وبعد ما سقطَ الندى
فوجدتُ فيه حُـرَّةً قـد زُيِّنَـتْ   بِالحَلْي تَحسَبُه بها جَمرَ الغَضا

الشعر لورقة بن نوفل ، والغناء لابن محرز من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الله بن مُعاذٍ عن مَعمرٍ عن الزُّهريّ عن عروة بن الزبير قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال : «قد رأيتُه في المنام كأنّ عليه ثياباً بيضاً فقد أظنّ أنّ لو كان من أهل النار لم أَرَ عليه البياض» . قال الزبير وحدّثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهريّ عن عائشة : أنّ خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبي ﷺ حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب[2] العِبرانيّ فيكتُب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ، فقالت خديجة : أي ابن عمٍّ ، اسمع من ابن أخيك ؛ قال ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى ؛ يا ليتني فيها جَذَع[3] ، ليتني أكون حيّاً إذ يُخرجُك قومُك ؛ قال رسول الله ﷺ : «أوَ مُخرِجيّ هم» قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قطُّ بمثلِ ما جئتَ به إلاّ عُودِيَ ، وإن يُدركني يومُكَ لأنصرنَّكَ نصراً مُؤَزَّراً ، ثم لم يَنشبْ ورقةُ أن تُوُفِّيَ .

---

1 انظر سيرة ابن هشام 1 : 222 وما بعدها وخزانة الأدب : 3 : 389 وما بعدها وتاريخ الطبري 2 : 292 (أبو الفضل إبراهيم) .

2 الكتاب : مصدر أي الكتابة العبرانيّة .

3 جذع : شاب حدث .

[رأى بلالاً يعذّب لإسلامه فقال شعراً]

قال الزبير حدّثني عثمان عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال قال عروة : كان بِلالٌ لجاريةٍ من بني جُمَحِ بن عمرو ، وكانوا يعذِّبونه برَمضاء مكّة ، يُلصِقون ظهرَه بالرَّمضاء لِيُشرك بالله ؛ فيقول : أحدٌ أحدٌ ؛ فيمرّ عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك يقول : أحد أحد ، فيقول ورقة بن نوفل : أحَدٌ أحدٌ والله يا بلال ؛ والله لئن قتلتموه لاتّخذنّه حناناً[1] كأنّه يقول : لأتَمسّحنّ به . وقال ورقة بن نوفل في ذلك[2] : [من البسيط]

لقد نَصَحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم ... أنا النذيرُ فلا يَغرُرْكُمُ أحَدُ
لا تَعبُدُنّ إلهاً غيرَ خالقكم ... فإن دَعَوْكم فقولوا بيننا حَدَدُ[3]
سُبحانَ ذي العرشِ سبحاناً نعوذ به ... وقبلُ قد سبّحَ الجوديُّ والجُمُدُ[4]
مُسَخَّرٌ كلُّ ما تحت السماءِ له ... لا ينبغي أن يُناوِي مُلكَهُ أحَدُ
لا شيءَ مّما ترى تبقى بَشاشتُهُ ... يبقى الإله ويُودِي المالُ والوَلَدُ[5]
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُه ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سليمانَ إذ دانَ الشُّعُوبُ له ... والجنُّ والإنسُ تَجْرِي بينها البُرُدُ[6]

[مدحه النبيّ ونهى عن سبّه]

قال الزبير حدّثني عمّي قال حدّثنا الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة : أنّ رسول الله ﷺ قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه : «شَعَرتُ أنّي قد رأيتُ لوَرَقة جنّةً ، أو جنّتين» يشكّ هشام .

قال عروة : ونَهى رسول الله ﷺ عن سبّ ورقة .

وقال الزبير وحدّثني عمّي قال حدّثني الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة عن أبيه : أنّ خديجة كانت تأتي ورقة بما يُخبرها رسول الله ﷺ أنّه يأتيه ، فيقول ورقة : لئن كان ما يقول حقّاً إنّه ليأتيه الناموس الأكبر ناموسُ عيسى بن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلاّ بثمن ، ولئن نَطَق وأنا حيٌّ لأُبْلِيَنّ فيه لله بَلاءً حسناً .

---

1 لاتخذنه حناناً : لاتخذن قبره موضعاً للتبرّك وطلباً للرحمة . ويضعّف الخبر أنّ ورقة بن نوفل توفي قبل البعثة ولم يكن بلال قد تعرّض للعذاب .
2 الأبيات في الخزانة منسوبة إلى ورقة بن نوفل 3 : 389 مع اختلاف يسير في اللفظ والترتيب .
3 حدد : مانع .
4 الجمد : اسم جبل .
5 جعل هذا البيت في الخزانة آخراً .
6 البرد : جمع بريد وهو الرسول . وهذا البيت ممّا ينسب إلى أميّة بن الصلت ولزيد بن عمرو بن نفيل .

[28] ـ خبر زيد بن عمرو ونسبه[1]

[نسبه]

هو زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كعب بن لُؤيّ بن غالب . وأمّه جَيْداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فَهْم . وكانت جيداء عند نُفَيل بن عبد العُزَّى فولدت له الخطّاب أبا عُمَر بن الخطّاب وعبدَنُهْم[2] ، ثم مات عنها نُفَيل فتزوّجها ابنه عمرو فولدت له زيداً ، وكان هذا نِكاحاً ينكحه أهل الجاهليّة .

[اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشاً]

وكان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكلِ ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشرَ قريش ، أيُرسِل الله قَطْرَ السماء ويُنبت بَقْل الأرض ويَخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغيره ؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري .

[إخراجه عن مكّة لمخالفته دين قريش]

أخبرنا الطُّوسيُّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعَب بن عبد الله ومحمد بن الضحَّاك عن أبيه ، قالا : كان الخَطَّاب بن نُفَيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكّة وجماعةٌ من قريش ومنعوه أن يدخلُها حين فارق أمرَ عبادة الأوثان ، وكان أشدّهم عليه الخَطّاب بن نُفَيل . وكان زيد بن عمرو إذا خلَص إلى البيت استقبله ثم قال[3] : لَبَّيْكَ حَقّاً حقّاً ؛ تَعَبُّداً ورِقّاً ؛ البِرَّ أرجو لا الخال ، وهل مُهَجِّرٌ كمن قال ! ثم يقول : [من مجزوء الكامل]

عُـدتُ بما عاذَ به إبراهِيمُ   مُسْتَقْبِلَ الكعبـةِ وهـو قائِمُ
يقولُ أنفِي لك عانٍ راغمُ   مهما تُجَشِّمْني فإنّي جاشِمُ

ثم يسجد . قال محمد بن الضحّاك عن أبيه : [و] هو الذي يقول : [من الرجز]

لا هُـمّ إنّي حَـرَمٌ لا حِلَّـهْ   وإنّ داري أوسط المَحَلَّـهْ
عند الصَّفا ليست بها مَضَلَّهْ

---

1 انظر ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل في سيرة ابن هشام 1 : 224-232 والخزانة 6 : 410-419 وكتب السير كالاستيعاب والإصابة .

2 عبد نهم : شيطان أو صنم لمزينة وبه سمّوا عبدنهم .

3 قارن بما جاء في سيرة ابن هشام 1 : 230 .

[شعره في ترك عبادة الأوثان]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنّها قالت : قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل[1] : [من الوافر]

عزلتُ الجنَّ والجِنَّانَ عنِّي كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبُورُ
فلا العُزَّى أدِينُ ولا ابنتَيْها ولا صَنَمَيْ بني غَنَمٍ أزورُ[2]
ولا هُبَلاً أُدِينُ وكان رَبّاً لنا في الدهرِ إذ حلمي صغيرُ[3]
أربّاً واحداً أم ألفَ ربٍّ أدينُ إذا تُقُسِّمتِ الأُمورُ
ألم تعلَمْ بأنّ اللهَ أفنى رجالاً كان شأْنَهُمُ الفُجورُ
وأبقى آخرين ببِرِّ قومٍ فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ
وبينا المرء يَعْثُرُ ثابَ يوماً كما يتروّحُ الغُصنُ النَّضيرُ[4]

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نُفيل[5] : [من الطويل]

رَشَدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرٍو وإنّما تَجَنَّبْتَ تَنُّوراً من النار حامِيا
بِدِينك ربّا ليس ربّ كَمِثْلِه وتَرْكِكَ جِنّانَ الجبالِ كما هيا
أقولُ إذا ما زُرتُ أرضاً مخوفةً حَنانَيْكَ لا تُظْهِرْ عليَّ الأعادِيا
حَنانَيْكَ إنّ الجنَّ كانت رجاءَهُمْ وأنتَ إلهي ربَّنا ورَجائيا
أُدِينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرى أُدِينُ لمن لا يسمع الدهرَ داعِيا
أقولُ إذا صلَّيْتُ في كلِّ بِيعةٍ تباركتَ قد أكثرتَ باسمك داعِيا

يقول : خلقتَ خَلْقاً كثيراً يدعُون باسمك .

[امتناعه عن ذبائح قريش]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله قال حدّثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن

1 هناك اختلاف كبير بين ما أثبته أبو الفرج وما جاء في سيرة ابن هشام 1 : 226–227 .
2 غنم في ل : طسم .
3 هبلاً في ل : غنماً .
4 ثاب في ل : ذات .
5 هذا رثاء ورقة لزيد كما جاء في السيرة 1 : 232 وينحصر التشابه بين النصين في أوّل بيتين أمّا الأبيات الأُربعة الأُخرى فمختلفة جدّاً .

أبي الزِّناد عن موسى بن عُقبة قال سمعتُ من أُرضى يحدِّث : أنّ زيد بن عمرو كان يَعِيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها اللهُ وأنزل من السماء ماءً وأنبتَ لها من الأرض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

قال الزبير : وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقبة عن سالم بن عبد الله أنّه سمع عبد الله بن عمر يحدِّث عن رسول الله ﷺ : أنّه لَقيَ زيد بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بَلْدَح ، وكان قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحيُ ، فقدّم إليه رسول الله ﷺ سُفْرة فيها لحم ، فأبى أن يأكل ، وقال : إنّي لا آكل إلاّ ما ذُكِر اسم الله عليه .

[اجتمع بالشام مع يهودي ونصرانيّ فسألهما عن الدّين واعتنق دين إبراهيم]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقبة عن سالم بن عبد الله قال ، قال موسى : لا أُراه إلاّ حدّثه عن عبد الله بن عمر : إنّ زيد بن عمرو خرج إلى الشام يسأل عن الدِّين ويتّبعه ، فلقي عالِماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : لعلّي أدين بدينكم فأخبِرني بدينكم ؛ فقال اليهوديّ : إنّك لا تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من غضب الله ؛ فقال زيد بن عمرو : لا أفرّ إلاّ من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تَدُلّني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلَمه إلاّ أن يكون حَنِيفاً ؛ قال : وما الحَنيف ؟ قال : دين إبراهيم ؛ فخرج من عنده وتركه . فأتى عالِماً من علماء النَّصارى فقال له نحواً ممّا قال لليهوديّ ، فقال له النَّصرانيّ : إنّك لن تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ؛ فقال : إنّي لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلُّني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً ممّا قاله اليهوديّ : لا أعلمه إلاّ أن تكون حنيفاً ؛ فخرج من عندهما وقد رضيَ بما أخبراه واتّفقا عليه من دين إبراهيم ، فلمّا بَرَز رفع يديه وقال : اللهمّ إنِّي على دين إبراهيم .

[بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال قال هشام بن عُروة : بلَغنا أنّ زيد بن عمرو كان بالشام ، فلمّا بلَغه خبرُ النبيّ ﷺ أقبل يريده فقتله أهل مَيفعة[1] .

1 ل : ميقعة .

[قال عنه النبي يأتي يوم القيامة أُمّةً وحده]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال : سألت أنا وعمر بن الخطّاب رسول الله ﷺ عن زيد فقال : «يأتي يومَ القيامة أمّةً وَحْدَه» .

وأنشد محمد بن الضحّاك عن الحزاميّ عن أبيه لزيد بن عمرو[1] : [من المتقارب]

أسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المُزْنُ تحمِل عَذْبا زُلالا
وأسلمتُ وجهِي لمن أسلمتْ ... له الأرضُ تَحمِل صَخْراً ثِقالا
دَحاها فلمّا استوتْ شَدّها ... سَواءً وأرسَى عليها الجبالا

1 أبيات زيد هذه في سيرة ابن هشام 1 : 230 مع اختلاف في الترتيب .

29 ـ [خبر زهير بن جناب][1]

[زهير بن جناب وشعره في الكبر]

وأمّا زهير بن جَناب الكلبيّ فإنّه أحد المعمَّرين ، يقال : إنّه عُمِّر مائةً وخمسين سنة وهو ، فيما ذُكِر ، أحد الذين شربوا الخمر في الجاهليّة حتى قتلتهم ؛ وكان قد بلغ من السنّ الغاية التي ذكرناها ، فقال ذات يوم : إنّ الحيّ ظاعن . فقال عبد الله بن عُلَيم بن جناب : إنّ الحيّ مقيم ؛ فقال زهير : إنّ الحيّ مقيم ؛ فقال عبد الله : إنّ الحيّ ظاعن ؛ فقال : مَن هذا الذي يخالفني منذُ اليوم ؟ قيل : ابن أخيك عبد الله بن عُلَيم ؛ فقال : أوَ ما هاهنا أحدٌ يَنهاه عن ذلك ! قالوا : لا ، فغضب وقال : لا أُراني قد خولفت ، ثم دعا بالخمر فشربها صِرْفاً بغير مِزاج وعلى غير طعام حتّى قتلته . وهو الذي يقول في ذمّ الكِبَر وطول الحياة[2] : [من مجزوء الكامل]

المـوتُ خيـرٌ للفتى ... فلْيَهْلِكَـنْ وبـه بَقيّهْ
من أن يُرى الشّيخَ البجا ... لَ إذا تَهادى بالعشيّهْ[3]
أبَنيّ إن أهلِـكْ فقـد ... أورثتكـم مجـداً بَنيّهْ[4]
وتركتُكـم أبنـاءَ سا ... داتٍ زِنادُكُـمُ وَريّـهْ
بـل كلّ مـا نال الفتى ... قـد نلتُـه إلاّ التّحيّهْ[5]

[مدرج الريح][6]

[مدرج الريح وسبب هذه التسمية]

وأمّا مَدرَج الرِّيح فاسمه عامر بن المجنون الجَرْميّ ، وإنّما سمّي مدرجَ الريح بشعر قاله

1 ترجمة زهير بن جناب الكلبيّ في طبقات ابن سلام : 35 والشعر والشعراء : 294–297 والمؤتلف : 190 وسيترجم له أبو الفرج ترجمة أوفى في الأغاني فيما بعد .

2 ثلاثة من هذه الأبيات في الشعر والشعراء وثلاثة في المؤتلف . وقد وردت القصيدة كاملة في طبقات ابن سلام وسيوردها أبو الفرج في ترجمة زهير بن جناب فيما بعد .

3 البجال : الشيخ المبجل لكبره .

4 الشطر الثاني في رواية : «فإني قد بنيت لكم بنيه99» .

5 الطبقات والمؤتلف : «ولكل» وكذلك هي في ترجمة زهير في الأغاني . التحية : الملك ، وتعني أيضاً البقاء . قالوا إنّه يقصد هنا البقاء لأنّه كان ملكاً في قومه ، وذهب البغدادي في الخزانة 5 : 299 إلى أنّه يعني «الملك» وأنّ التحيّة أن يقال له «أبيت اللعن» التي لا تقال إلاّ للملوك .

6 لم نعثر على ترجمة له سوى سطر في الشعر والشعراء : 622 : «هو عامر بن المجنون ، من قضاعة ، وسمّي مدرج الريح لقوله . . .» .

في امرأة كان يزعم أنّه يهواها من الجنّ وأنّها تسكُن الهواء وتتراءى له ، وكان محمَّقاً ؛ وشعره هذا : [من الرمل]

صوت

لابنة الجنّيّ في الجَوِّ طَلَلْ دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ
دَرَسَتْهُ الرّيحُ من بين صَباً وجَنوبٍ درَجتْ حِيناً وطَلّ

الغناء فيه لحُنين ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وابن المكيّ ، وذكر حبش أنّه لمعبد ، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن حُنين من خفيف الثّقيل الأوّل بالبِنصر . وأخبار عامر بن المجنون تُذْكَر في موضع آخرَ إن شاء الله تعالى[1] .

1 لم يفِ أبو الفرج بهذا الوعد .

30 ـ [سعية بن غريض][1]

[سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر]

وأمّا سعية بن غَريض فقد كان ذُكِر خبرُ جدِّه[2] السَّموأل بن غريض بن عادِيا في موضع غير هذا . وكان سعية بن غريض شاعراً ، وهو الذي يقول لمّا حضرته الوفاة يرثي نفسه[3] : [من الكامل]

صوت

يا ليتَ شِعري حين يُذكَر صالحي ... مـاذا تُـؤبِّنُـنـي بـــه أنواحِي[4]
أيَقُلْـنَ لا تبعَـدْ ، فربّ كريهـة ... فرّجتهـــا ببشارة وسَمَـــاحِ[5]
وإذا دُعيـــتُ لصَعبــةٍ سهّلتُها ... أُدعَـى بأفلِحْ تــارةً ونجــاحِ[6]

غنّاه ابنُ سُريج ثاني ثقيل بالبِنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ، وأسلم سَعْيَة وعُمِّر عمراً طويلاً ، ويقال : إنّه مات في آخر خلافة معاوية .

[سعية بن غريض ومعاوية]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عَدِيّ قال : حجّ معاوية حجّتين في خلافته ، وكانت له ثلاثون بغلةً يحجّ عليها نساؤه وجواريه . قال : فحجّ في إحداهما فرأى شيخاً[7] يُصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان

1 ترجمته في طبقات ابن سلام (وانظر حاشية الأستاذ محمود محمد شاكر حول الاختلاف في اسمه واسم أبيه في المصادر المختلفة) والمؤتلف : 211 .
2 انظر أبو الفرج في القول إنّ السموأل جدّ سعية ، فهو في جميع المصادر أخوه ، وقد ذكر مرّة في الإصابة أنّه ابن أخي السموأل .
3 هذه الأبيات في طبقات ابن سلام .
4 أنواحي : النائحات عليّ .
5 ببشارة في الطبقات : بيسارة .
6 رواية الطبقات :
وإذا عمدت لصخرة أسهلتها ... أدعو بأفلحَ مـرّة وربـــاحِ
وفي حاشية الأستاذ محمود شاكر أنّ أفلح ورباح كانا ، على الظنّ ، بطنين من قبائل اليهود ، وربّما كانا عبدين عنده لأنّ أفلح ورباح من أربعة أسماء نهى النبيّ ﷺ عن تسمية الرقيق بها .
7 ل : شخصاً .

أبيضان ، فقال : من هذا ؟ قالوا : سَعْيَة بن غَرِيض ، وكان من اليهود ، فأرسل إليه يدعوه ، فأتاه رسولُه فقال : أجِبْ أميرَ المؤمنين ؛ قال : أو ليس قد مات أميرُ المؤمنين ! قيل : فأجب معاوية ؛ فأتاه فلم يسلّم عليه بالخلافة ؛ فقال له معاوية : ما فعلتْ أرضُك التي بتَيْماء ؟ قال : يُكسى منها العارِي ويُردّ فَضلُها على الجار ؛ قال : أفتبيعها ؟ قال : نعم ؛ قال : بكَمْ ؟ قال : بستّين ألفَ دينار ، ولولا خَلّة أصابت الحيّ لم أبِعها ؛ قال : لقد أغليت ؛ قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تُبَل ! قال : أجل ، وإذ بخِلتَ بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي [به] نفسه ؛ فقال : قال أبي : [من الكامل]

يا ليتَ شِعري حين أُندَبُ هالكاً ماذا تُؤبّنُني به أنواحِي
أيقلن لا تبعَد ، فرُبّ كَريهة فرّجتُها بشجاعةٍ وسَماحِ
ولقد ضربتُ بفضل مالي حقَّه عند الشّتاء وهَبَّة الأرواحِ
ولقد أخذتُ الحقّ غير مخاصم ولقد رددتُ الحقّ غيرَ مُلاحِي
وإذا دُعيتُ لصَعبةٍ سهّلتُها أُدعى بأفلِحْ مرّة ونَجاحِ

فقال : أنا كنتُ بهذا الشعر أولى من أبيك ؛ قال : كذبتَ ولَؤُمْتَ ؛ قال : أمّا كذبتُ فنَعَمْ ، وأمّا لَؤُمْتُ فلِمَ ، قال : لأنّك كنتَ مَيّتَ الحقّ في الجاهلية وميِّته في الإسلام ، أمّا في الجاهليّة فقاتلتَ النبيَّ ﷺ والوَحِي حتى جعل الله عزّ وجلّ كيدَك المردود ، وأمّا في الإسلام فمنعتَ ولدَ رسول الله ﷺ الخلافة ، وما أنت وهي ؟ وأنتَ طَلِيقٌ ابن طَلِيقٍ[1] ! فقال معاوية : قد خَرِفَ الشيخ[2] فأقيموه ، فأُخِذَ بيده فأُقِيم .

وسَعية هذا هو الذي يقول : [من البسيط]

صوت

يا دارَ سُعْدى بأقصى تَلْعَةِ النَّعَمِ حُيِّيتِ داراً على الإقواء والقِدَمِ[3]
وما بِجزْعِك إلاّ الوَحشُ ساكنةً وهامدٌ من رَمادِ القِدْرِ والحُمَمِ
عُجْنا فما كلَّمتْنا الدارُ إذ سُئِلَتْ وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صَمَمِ

الشعر لسعية بن غريض ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البِنصر .

1 أي من الذين قال لهم النبيّ ﷺ يوم الفتح : اذهبوا فأنتم الطلقاء .
2 ل : الرجل .
3 تلعة النعم : موضع بالبادية .

[31] ـ أخبار ابن صاحب الوَضوء ونسبه

[نسبه]

اسمه محمد بن عبد الله ، ويُكنى أبا عبد الله ، مولى بني أميّة ، وهو من أهل المدينة ؛ وكان أبوه على مِيضَأةِ المدينة فسُمّي صاحب الوَضوء . وهو قليل الصّنعة لم يذكُر له إسحاق إلاّ صوتين كلاهما في خفيف الثقيل الثاني المعروف بالماخُوريّ ، ولا ذكَر له غير إسحاق سواهما إلاّ ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصل له ، وفي كتاب حَبَش [الصينيّ] . وهو رجل لا يُحصِّل ما يقوله ويَرويه .

[مدح يونس الكاتب غناءه]

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه [عن] جدّه عن سِياط عن يونس الكاتب قال : غنّى ابن صاحب الوَضوء في شعر النابغة : [من الطويل]

خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حبالٍ مَتينةٍ ... تَمُـدّ بهـا أيـدٍ إليكَ نَوازِعُ

وفي شعر بعض اليهود : [من الكامل]

ارفع ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه ... يوماً فتدركَه العواقبُ قـد نَما

فأجاد فيهما ما شاء وأحسنَ غايةَ الإحسان ؛ فقيل له : ألا تزيد وتصنع شيئاً آخر ؟ فقال : لا والله حتى أُرى غيري قد صنع مثلَ ما صنعتُ وأُزيد ، وإلاّ فحَسبي هذا .

[نقل أبو مسلمة لعبد الله بن عامر صوتاً فغنّاه في المحراب]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ وإسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ ، قال ابن عمّار في خبره : وكان يسمَّى المبارك ، قال حدّثنا أبو مسلمة المَصبَحيّ قال : قَدِم علينا أُسود من أهل الكوفة فغنّى : [من الكامل]

ارفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه ... يوماً فتدركَه العواقبُ قـد نَما

قال : فمررت بعبد الله بن عامر الأسلميّ ، وكان يؤمّنا وهو قائم يصلّي الظهر ، فقلت له : قدِم علينا أسودُ من الكوفة يُغنّي كذا وكذا فأجاده ؛ فأشار إليّ بيده أن اجلس ؛ فلمّا قضى صلاته قال : أخذته عنه ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأَمِرَّهُ عليّ ، ففعلتُ ؛ قال : فلمّا كان بالليل صلّى بنا فأدّاه في المحراب .

صوت
من المائة المختارة التي رواها عليّ بن يحيى

[من مجزوء الكامل]

يـا ليلَتــي تَزْدادُ نُكْــرا ... مِنْ حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرا
حَــوْراءُ إن نظرَتْ إليـ ... ـكَ سقَتْك بالعينين خَمْرا

الشعر لبشّار ، والغناء في اللحن المختار ليزيد حَوراء رملٌ بالبِنصر عن عمرو ويحيى المكيّ وإسحاق . وفيه لِسِياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو وإبراهيم المَوْصليّ .

[32] ـ أخبار بشّار بن برد ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن غيلان الشّعوبيّ ، بَشّار بن بُرد بن يَرجُوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهرداد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن ادريوس بن يستاسب بن لهراسف . قال : وكان يَرْجُوخ من طُخارُستان من سَبْيِ المُهَلَّب بن أبي صُفرة . ويُكنى بَشّار أبا معاذ . ومَحَلُّه في الشعر وتقدُّمه طبقات المحْدَثين فيه بإجماع الرُّواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله . وهو من مُخَضْرَمي شعراء الدولتين العبّاسية والأُمَويّة ، وقد شُهِر فيهما ومَدَح وهَجا وأخذ سَنيّ الجوائز مع الشعراء .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حُمَيد بن سعِيد : كان بشّار من شعب ادريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك . قال : وهو بشّار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز . قال : وكان يُكنى أبا مُعاذ .

[ولاؤه لبني عقيل]

وأخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ وغيرُهما عن الحسن بن عُلَيل العَنزيّ عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال : كان بشّار بن بُرْد بن يَرجوخ وأبوه بُرْدٌ من قِنّ خِيرةَ القُشَيريّة امرأة المهلّب بن أبي صُفرة ، وكان مُقيماً لها في ضيعتِها بالبصرة المعروفة «بخِيرَتان» مع عَبيدٍ لها وإماء ، فوهَبَتْ بُرداً بعد أن زوّجته لامرأةٍ من بني عُقَيل كانت متّصلة بها ، فولدت له امرأته وهو في مِلكِها بشاراً فأعتقته العُقيليّة .

وأخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان بُردٌ أبو بشّارٍ مولى أُمِّ الظِّباء العُقيليّة السَّدوسيّة ، فادّعى بشّار أنّه مولى بني عُقَيل لنزوله فيهم .

1 ترجمة بشّار بن برد في الشعر والشعراء : 643–646 ونكت الهميان : 125 ومعاهد التنصيص 1 : 289 والموشح : 246 وتاريخ بغداد 7 : 112 وطبقات ابن المعتزّ : 21–31 ووفيات الأعيان 1 : 271–274 والسمط : 196 وانظر بروكلمان 2 : 13–17 وقد نشر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ثلاثة مجلّدات من ديوانه وصلت إلى حرف الراء وأتبعها جزءا رابعاً ضمنه ما جمعه من شعره وكذلك فعل محمد بدر الدين العلوي (ط . دار الثقافة ، بيروت) وإليه نشير . وقد نقل ابن حمدون قدراً كبيراً من أخباره في مواضع متفرّقة من التذكرة (انظر الفهرس) .

وأخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني رجلٌ من ولد بشّار يقال له حَمدان كان قَصّاراً بالبصرة ، قال : وَلاؤنا لبني عُقَيلٍ ؛ فقلت : لأيّهم ؟ فقال : لبني ربيعة بن عُقَيلٍ .

وأخبرني وكيعٌ قال حدّثني سليمان المَدَنيّ قال قال أحمد بن معاوية الباهليّ : كان بشّار وأُمّه لرجل من الأزد ، فتزوّج امرأةً من بني عُقَيل ، فساق إليها بشّاراً وأُمّه في صَداقها ، وكان بشّار وُلِدَ مكفوفاً فأعتقته العُقيليّة .

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسن بن عليلٍ العنزيّ قال حدّثنا قعنَبُ بن المُحرِز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : باعتْ أُمُّ بشّار بشّاراً على أُمِّ الظِّباء السَّدوسيّة بدينارين فأعتقته . وأُمُّ الظباء امرأة أَوس بن ثعلبة أحد بني تَيْم اللاّت بن ثعلبة ، وهو صاحب قصر أَوسٍ بالبصرة ؛ وكان أَوس أحد فُرسان بَكْر بن وائلٍ بخُراسان .

[كان أبوه طياناً]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا محمد بن زيد العِجْليُّ قال أخبرني بَدْر بن مُزاحِم : أنّ بُرْداً أبا بشّار كان طَيّاناً يَضرِب اللَّبِنَ ، وأراني أبي بيتين لنا فقال لي : لَبِنُ هذين البيتين من ضَرب بُردٍ أبي بشّار . فسمع هذه الحكاية حمّاد عَجْردٍ فهجاه فقال : [من الخفيف]

يا ابنَ بُردٍ إخْسَأْ إليكَ فمثلُ الـ ـكلبِ في الناسِ أنتَ لا الإنسانِ
بل لَعَمْرِي لأنتَ شرٌّ من الكلـ ـبِ وأَولى منه بكلّ هَـوانِ
ولَرِيحُ الخنزيرِ أهـونُ من رِيـ ـحِكَ يا ابن الطيّانِ ذِي التُّبّانِ

[أنشد المهديّ شعراً في أنّه عجميّ بحضور أبي دلامة]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي الصَّلْتِ البَصْرِيّ عن أبي عدنان قال حدّثني يحيى بن الجَوْنِ العَبْدِيُّ راوية بشّار قال : قال : لمّا دَخَلتُ على المهديّ قال لي : فيمَن تَعتَدُّ يا بشّار ؟ فقلت : أمّا اللسان والزِّيّ فعربيّان ، وأمّا الأصل فعجميّ ، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين[1] : [من المتقارب]

ونُبِّئتُ قومـاً بهم جنَّـةٌ يقولونَ مَـنْ ذا وكنتُ العَلَمْ
ألا أيُّها السائـلي جاهـداً لِيَعْرِفَني أنـا أنـفُ الكَرَمْ

1 ديوان بشّار : 218 مع بعض اختلاف وقد أثبت جامعه القراءات المختلفة في المصادر المختلفة .

نَمَتْ في الكرامِ بَنِي عامرٍ فُروعِي وأَصْلِي قريشُ العَجَمْ
فإنّي لأُغْني مقامَ الفتى وأُصبي الفتاةَ فما تَعتَصِمْ

قال : وكان أبو دُلامة حاضراً فقال : كلا ! لَوَجْهُك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك ؛ فقلت : كلاً ، والله ما رأيتُ رجلاً أصدقَ على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله إنّي لطويلُ القامة عظيمُ الهامة تامّ الألواح أُسجحُ[1] الخدَّين ، ولرُبَّ مُسترخِي المِذْرَوَين[2] للعين فيه مَرادٌ قد جلس من الفتاة حَجرةً وجلستُ منها حيث أُريد ، فأنتَ مثلي يا مَرْضَعان[3] ! قال : فسكت عنّي . ثم قال لي المهديّ : فمِن أيِّ العجم أصلُك ؟ فقلت : مِن أكثرها في الفُرسان ، وأشدِّها على الأقران ، أهل طُخارُستان ؛ فقال بعض القوم : أولئك الصُّغْدُ ؛ فقلت : لا ، الصُّغْدُ تِجارٌ ؛ فلم يَرْدُدْ ذلك المهديُّ .

[كان كثير التلوّن في ولائه للعرب مرّة وللعجم أُخرى]

وكان بشّار كثير التلوّن في ولائه ، شديد الشَّغْب والتعصُّب للعجم ، مرَّةً يقول يفتخر بولائه في قيس[4] : [من الوافر]

أَمِنْتُ مَضَرَّةَ الفُحَشاء أنّي أرى قيساً تَضُرُّ ولا تُضارُ[5]
كأنّ الناسَ حين تَغيبُ عنهم نباتُ الأرضِ أخطأَهُ القِطارُ[6]
وقد كانت بتَدْمُرَ خيلُ قيسٍ فكان لِتَدْمُرٍ فيها دَمارُ
بحيٍّ من بني عَيْلانَ شُوسٍ يَسيرُ الموتُ حيث يقالُ سارُوا
وما نَلقاهُمُ إلاّ صَدَرْنا بَرِيٍّ منهمُ وهُمُ حِرارُ[7]

ومرَّةً يتبرَّأُ من وَلاء العرب فيقول[8] : [من الكامل]

أصبحتُ مولَى ذي الجلالِ وبعضُهمْ مولى العُرَيبِ فخذْ بفضلك فافخَرِ
مَولاكَ أكرمُ من تميمٍ كلِّها أهلِ الفَعالِ ومن قُريشِ المَشْعَرِ

1 أسجح الخدّين : سهلهما .
2 المذروان : طرف الاليتين ، يريد أنّه سمين يروق للعين .
3 مرضعان : لئيم .
4 ديوان بشّار : 110 .
5 الفحشاء : جمع فاحش وهو السيء الخلق . تضر في ل : تسب .
6 القطار : المطر .
7 حرار : شديدو العطش .
8 ديوان بشّار : 124 عن الأغاني .

فارجِعْ إلى مولاكَ غيرَ مُدافَعٍ   سُبحانَ مَولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

وقال يفتخِر بولاء بني عُقَيلٍ[1] :   [من الخفيف]

إنّني من بني عُقَيلِ بنِ كعبٍ   مَوضِعَ السّيفِ مِنْ طُلَى الأعناقِ

ويُكنى بشّار أبا مُعاذ ، ويُلقّب بالمرَعَّثِ .

أخبرني عمّي ويحيى بن عليّ قالا حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم قال : بشّارٌ المرعَّثُ هو بشّار بن بُرد ، وإنّما سُمّي المرعَّثَ بقوله[2] :   [من مجزوء الخفيف]

قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ   ساحرُ الطَّرفِ والنَّظَرْ
لستَ واللهِ نائلي   قلتُ أو يَغْلِبُ القَدَرْ
أنتَ إن رُمتَ وَصْلَنا   فانجُ ، هل تُدْرِكُ القَمَرْ

قال أبو أيّوب : وقال لنا ابن سلاّمٍ مرّةً أُخرى : إنّما سُمّي بشّار المرعَّث ، لأنّه كان لقميصه جَيبان : جَيبٌ عن يمينه وجَيبٌ عن شماله ، فإذا أراد لُبسَه ضَمّه عليه من غير أن يُدخِل رأسه فيه ، وإذا أراد نزعَه حلَّ أزراره وخرج منه ، فشُبِّهت تلك الجيوب بالرِّعاث لاسترسالها وتَدَلِّيها ، وسُمّي من أجلها المرعَّثَ .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو حاتم قال قال لي أبو عبيدة : لُقِّبَ بشّارٌ بالمرَعَّثِ لأنّه كان في أُذنه وهو صغير رِعاثٌ . والرِّعاث : القِرَطَةُ ، واحدتها رَعْثَةٌ وجمعُها رِعاثٌ ، ورَعَثاتٌ . ورَعَثاتُ الديك : اللحم المتدلّي تحت حنكه ؛ قال الشاعر :   [من الوافر]

سَقَيْتُ أبا المصرَّعِ إذ أتاني   وذُو الرَّعَثاتِ مُنتَصِبٌ يَصيحُ[3]
شراباً يهرُبُ الذِّبّانُ منه   ويَلْثَغُ حين يشرَبه الفَصيحُ

قال : والرَّعث : الاسترسال والتساقط . فكأنّ اسم القِرَطَةِ اشتُقّ منه .

[كان شديد التبرّم بالناس]

أخبرني محمد بن عِمران قال حدّثني العنزيُّ قال حدّثنا محمد بن بدر العِجليّ قال : سمعتُ الأصمعيّ يذكر أنّ بشّاراً كان من أشدّ الناس تبرُّماً بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذي ذهب ببصري ؛ فقيل له : ولِمَ يا أبا مُعاذٍ ؟ قال : لئلاّ أُرى مَن أُبغِضُ . وكان يلبس قميصاً له

1 ديوان بشّار : 168 .
2 ديوان بشّار : 140 .
3 المصرع في ل : المطرح .

لِبْنتان[1] ، فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله ، فبذلك سُمّيَ المرعَّث .

[صفاته]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخُزاعيّ قال حدّثنا قَعنَبُ بن مُحرِز عن الأصمعيّ قال : كان بشّارٌ ضَخماً ، عظيم الخَلق والوجه ، مَجدوراً ، طويلاً ، جاحظ المُقلتين[2] قد تغشّاهما لحمٌ أحمر ، فكان أقبح الناس عَمًى وأفظَعه مَنظراً ، وكان إذا أراد أن يُنشِد صفّق بيديه وتنحنح وبصَق عن يمينه وشماله ثم يُنشد فيأتي بالعجب .

[وُلد أعمى وهجي بذلك]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال : وُلِد بشّارٌ أعمى ، وهو الأكمه . وقال في تَصداق ذلك أبو هشام الباهليّ يهجوه : [من الطويل]

وعبدِي فَقا عينيكَ في الرِّحْمِ أَيرُه ... فجئتَ ولم تَعلَم لعينيكَ فاقِيا
أأُمُّكَ يا بشّارُ كانت عفيفةً ؟ ... عليّ إذاً مَشي إلى البيتِ حافِيا

قال : ولم يزل بشّار منذ قال فيه هذين البيتين مُنكسِراً .

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال : وُلِد بشّار أعمى فما نَظَر إلى الدنيا قطُّ ، وكان يُشبِّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدِر البُصَراء أن يأتوا بمثله ؛ فقيل له يوماً وقد أُنشد قوله : [من الطويل]

كأنّ مُثارَ النقعِ فوقَ رُؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُهْ

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم ترَ الدنيا قطّ ولا شيئاً فيها ؟ فقال : إنّ عدم النظر يُقَوِّي ذكاءَ القلب ويقطع عنه الشغلَ بما يُنظَرُ إليه من الأشياء فيتوفّر حِسّه وتذكو قريحتُه ؛ ثم أنشدهم قوله[3] : [من الطويل]

عَميتُ جَنِيناً والذكاءُ من العَمَى ... فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلمِ مَوْئِلا
وغاضَ ضياءُ العينِ للعلمِ رافداً ... لِقلب إذا ما ضَيّعَ الناسُ حَصّلا
وشِعرٍ كنَوْرِ الروض لاءمتُ بينَه ... بقولٍ إذا ما أحزنَ الشعرُ أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدّثنا العَنزيّ عن قَعنَب بن مُحرِز عن أبي عبد الله الشراذنيّ قال : كان بشّارٌ أعمى طويلاً ضخماً آدمَ مجدوراً .

1 اللبنة : بنيقة القميص .
2 ل : الحدقتين .
3 ديوان بشّار : 180 .

وأخبرني يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المَدِينيّ قال قال الحمرانيّ قالت لي عمّتي : زرتُ قرابةً لي في بني عُقَيْل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم يُنْشِد[1] : [من الوافر]

مِـنَ المَفْتونِ بَشّارِ بن بُـرْدِ ... إلى شَيبانَ كَهْلِهِـمُ ومُـرْدِ

بأنّ فتاتَكـم سَلَبتْ فـؤادِي ... فنِصْفٌ عندها والنصفُ عندي

فسألت عنه فقيل لي : هذا بشّار .

[كان يقول أزرى بشعري الأذان]

أخبرني محمد بن يحيى الصَّيْرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التَّوَّزيّ يقول : قال بشّار : أزرى بشعري الأذان . يقول : إنّه إسلاميّ .

[قال الشعر وهو ابن عشر سنين]

وأخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال أبو عبيدة : قال بشّار الشعرَ ولم يبلغ عشر سنين ، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخْشيٌّ مَعَرّةِ لِسانه .

[هجا جريراً فأعرض عنه استصغاراً له]

قال : وكان بشّار يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عنّي واستصغرني ، ولو أجابني لكنتُ أشعر الناس .

[كان الأصمعيّ يقول هو خاتمة الشعراء]

وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان الأصمعيّ يقول : بشّارٌ خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرتْ لفضَّلتُه على كثيرٍ منهم .

قال أبو زيد : كان راجزاً مُقَصِّداً .

[جودة نقده للشعر]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَطَّاح قال حدّثني أبو عبيدة : قال سمعت بشّاراً يقول وقد أُنْشِد في شعر الأعشى : [من البسيط]

وأنكَرَتْني وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا

فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلام الأعشى ؛ فعَجِبتُ لذلك .

فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس ، فقال : حدّثني أبو عمرو ابن العلاء أنّه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى : [من البسيط]

1 ديوان بشّار : 142 .

وأنكرتْني وما كان الذي نكرتْ من الحوادثِ إلاّ الشيبَ والصلعا

فجعلت حينئذٍ أزداد عَجَباً من فِطنة بشّار وصحّة قريحته وجَودة نَقده للشعر .

[له اثنتا عشرة ألف قصيدة]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : قال بشّار : لي اثنا عَشَرَ ألف بيت عَين ؛ فقيل له : هذا ما لم يكن يَدّعيه أحدٌ قطُّ سواك ؛ فقال : لي اثنتا عشرة ألف قصيدة ، لَعَنها اللهُ ولعن قائلها إن لم يكن في كلّ واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ .

[رأي أبي عبيدة فيه وفي مروان بن أبي حفصة]

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ عن أبي حاتم قال : قلتُ لأبي عبيدة : أَمَروانُ عندك أشعر أم بشّار ؟ فقال : حَكَمَ بشّار لنفسه بالاستظهار أنّه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيِّد ، ولا يكون عدد الجيّد من شعر شعراء الجاهليّة والإسلام هذا العدد ، وما أحسبهم بَرَّزُوا في مثلها ، ومروان أمدح للملوك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال بشّار الشعر وله عشرُ سنين ، فما بلغ الحُلُمَ إلاّ وهو مَخْشيٌّ مَعَرّة اللسان بالبَصرة . قال : وكان يقول : هَجَوت جريراً فاستصغرني وأعرض عنّي ، ولو أجابني لكنتُ أشعر أهل زماني .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويَهْ قال حدّثنا أبو العَواذل زكريّا بن هارون قال : قال بشّار : لي اثنا عشر ألف بيت جيّدة ؛ فقيل له : كيف ؟ قال : لي اثنتا عشرة ألف قصيدة ، أمّا في كلّ قصيدة منها بيت جيّد .

[كلام الجاحظ عنه]

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره : كان بشّار شاعراً خطيباً صاحب منثور ومزدوجٍ وسَجعٍ ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفتنِّين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه ؛ قال الشعرَ في حياة جرير وتَعَرَّض له ، وحُكي عنه أنّه قال : هجوتُ جريراً فأعرض عنّي ، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس .

[كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمّة]

قال الجاحظ : وكان بَشّار يَدِين بالرَّجعة[1] ، ويُكَفِّر جميع الأمّة ، ويصوِّب رأي إبليس في تقديم النار على الطِّين ، وذكر ذلك في شعره فقال : [من البسيط]

الأرضُ مُظلِمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

1 الرجعة : القول بأنّ الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيّاً كما كان ، وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء (اللسان) .

[هجا واصل بن عطاء فحثّ على قتله]

قال : وبلغه عن أبي حُذَيفة واصلِ بن عَطاء إنكارٌ لقوله وهَتْفٌ به ، فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

مـا لي أُشايعُ غَزالاً لـه عُنُقٌ كنِقْنِق الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلا[2]

عُنْقَ الزَّرافةِ مـا بالي وبالكُمُ تُكَفِّرُون رجالاً كَفَّرُوا رَجلا !

قال[3] : فلمّا تَتابع على واصلٍ منه ما يَشْهد على إلحاده خَطَب به واصلٌ ، وكان أَلْثغَ على الراء فكان يجتنبها في كلامه ، فقال : أَمَا لهذا الأعمى المُلْحِد ، أَما لهذا المُشَنَّف المَكنيّ بأبي مُعاذ من يقتله ؟ أَما والله لولا أن الغِيلة سجيّةٌ من سَجايا الغالِية لدَسَسْتُ إليه من يَبْعَج بطنَه في جوف منزله أو في حفله[4] ، ثم كان لا يتولّى ذلك إلاّ عُقَيْليٌّ أو سَدُوسيٌّ . فقال أبا مُعاذ ولم يقل بشّاراً ، وقال المُشَنَّفَ ولم يقل المُرَعّث ، وقال : من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة ، وقال : في منزله ولم يقل في داره ، وقال : يبعج بطنه ولم يقل يَبْقُر ، للّثغة التي كانت به في الرّاء .

قال : وكان واصلٌ قد بَلَغ من اقتداره على الكلام وتمكُّنه من العبارة أنْ حَذَفَ الراءَ من جميع كلامه وخُطَبه وجعل مكانَها ما يقوم مَقامها .

[هو أحد أصحاب الكلام الستّة]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن عافية بن شبيب قال حدّثني أبو سهيل قال حدّثني سعيد بن سَلاّم قال : كان بالبصرة ستّةٌ من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبَيد ، وواصل بن عطاء ، وبشّار الأعمى ، وصالح بن عبد القدُّوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ورجلٌ من الأَزد ، قال أبو أحمد : يعني جرير بن حازم ، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدِيّ ويختصمون عنده . فأمّا عمرو وواصلٌ فصارا إلى الاعتزال . وأمّا عبد الكريم وصالح فصحَّحا التوبة . وأمّا بشّار فبقِي متحيِّراً مُخَلِّطاً . وأمّا الأَزدي فمال إلى قول السُّمَنِيّة[5] ، وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقي ظاهرُه على ما كان عليه . قال : فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث ؛ فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلَغني أنّك تخلو بالحدث من أحداثنا فتُفسده وتستزِلّه وتُدخِله في دينك ،

---

1 ديوان بشّار : 181 .

2 الغزال : لقب واصل بن عطاء . قيل إنّه لقّب بذلك لأنّه كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين (انظر البيان والتبيين 1 : 33 تحقيق عبد السلام هارون) . النقنق : ذكر النعام . والدو : الفلاة .

3 انظر البيان والتبيين 1 : 16 .

4 الحفل : الجمع من الناس .

5 السُّمَنية : نسبة إلى سومنات في الهند ، وهم قوم دهريون يقولون بالتناسخ .

فإن خرجتَ من مصرنا وإلاّ قمتُ فيك مقاماً آتي فيه على نفسك ؛ فلحِق بالكوفة ، فدُلّ عليه محمد بن سليمان فقتَله وصلَبه بها . وله يقول بشّار [1] : [من الخفيف]

قلْ لعبد الكريم يا ابنَ أبي العَوْ ... جاء بعتَ الإسلامَ بالكفرِ موقا[2]
لا تصلّي ولا تصومُ فإن صُمـ ... ـتَ فبعضَ النّهار صوماً رَقيقا
لا تُبالِي إذا أصبتَ من الخمـ ... ـرِ عَتيقاً ألاّ تكون عَتيقا
ليتَ شعري غداةَ حُلّيتَ في الجيـ ... ـدِ حَنيفاً حُلِّيت أم زنديقا
أنت ممّن يَدُور في لعنة اللـ ... ـهِ صديق لمن ينيك الصديقا

[رأي الأصمعي فيه وفي مروان بن أبي حفصة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرياشيّ قال : سئل الأصمعيّ عن بشّار ومروان أيّهما أشعر ؟ فقال : بشّار ؛ فسئل عن السبب في ذلك ، فقال : لأنّ مروان سلكَ طريقاً كثُر من يسلكه فلم يلحَق من تقدّمه ، وشركه فيه من كان في عصره ، وبشّار سلك طريقاً لم يُسلَك وأحسن فيه وتفرّد به ، وهو أكثر تصرّفاً وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسع بَديعاً ، ومروان لم يتجاوز مَذاهب الأوائل .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العَنزيّ عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعيّ وقد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حَفصة ، فقال : وجَد أهلَ بغداد قد ختَموا به الشعراء وبشّار أحقُّ بأن يَختِموهم به من مروان ؛ فقيل له : ولِمَ ؟ فقال : وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشّار يقول شعراً حتّى يُصلحَه له بشّار ويُقَوِّمَه ! وهذا سَلْمٌ الخاسِرُ من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز ، وسلم مُعترف بأنّه تَبَعٌ لبشّار .

[مقارنته بامرىء القيس والقطامي]

أخبرني جحظة قال سمعت عليّ بن يحيى المُنجّم يقول : سمعتُ مَن لا أُحصي من الرّواة يقولون : أحسنُ الناس ابتداء في الجاهليّة امرؤ القيس حيث يقول :

ألا انعِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلل البالِي

وحيث يقول :

قِفا نبكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومنزِلِ

1 ديوان بشّار : 167 عن الأغاني .
2 موقاً : حمقاً وغباوة .

وفي الإسلام القَطاميّ حيث يقول :

إنّا مُحيّـوكَ فاسلَـم أيـُّها الطّللُ

ومن المُحدثين بشّار حيث يقول[1] : [من الطويل]

صوت

أبى طَلَـلٌ بالجِزْع أن يتكلّما ... ومـاذا عليه لـو أجاب مُتيّما
وبالفرعِ آثـارٌ بقـينَ وباللّوَى ... مَلاعـبُ لا يُعرَفْنَ إلاّ تَوهُّما

وفي هذين البيتين لابن المَكّي ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه . وفيهما لابن جُؤذَرٍ رَمَلٌ .

[مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان الأصمعيّ يُعجَب بشعر بشّار لكثرة فنونه وسعة تصرُّفه ، ويقول : كان مطبوعاً لا يُكلّف طَبْعه شيئاً متعذّراً لا كمن يقول البيت ويحكّكه أيّاماً . وكان يُشبِّه بَشّاراً بالأعشى والنّابغة الذُّبيانيّ ، ويشبِّه مروان بزهير والحُطَيئة ، ويقول : هو متكلّف .

قال الكُرانيّ : قال أبو حاتم : وقلت لأبي زيد : أيّهما أشعرُ بشّارٌ أم مروان ؟ فقال : بشّار أشعر ، ومروان أكفر .

قال أبو حاتم : وسألت أبا زيد مرّة أُخرى عنهما فقال : مروان أَجَدُّ وبشّارٌ أَهْزلُ ؛ فحدّثت الأصمعيّ بذلك ؛ فقال : بشّارٌ يصلُحُ للجِدّ والهزل ، ومَروان لا يصلحُ إلاّ لأحدهما .

[كان شعره سيّاراً بين الناس]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا نجمُ بن النَّطّاح قال : عَهدي بالبصرة وليس فيها غَزِلٌ ولا غَزِلةٌ إلاّ يَروِي من شعر بشّار ، ولا نائحةٌ ولا مُغنّيةٌ إلاّ تتكسَّب به ، ولا ذو شرفٍ إلاّ وهو يَهابه ويخاف مَعرّة لسانه .

[لم يأت في شعره بلفظ مستنكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن المبارك قال حدّثني أبي قال : قلتُ لبشّار : ليس لأحد من شعراء العرب شعرٌ إلاّ وقد قال فيه شيئاً استنكرتْه العرب من ألفاظهم وشُكّ فيه ، وإنّه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه ؛ قال : ومن أين يأتيني الخطأ ؛ وُلِدتُ هاهنا ونشأتُ في حُجور ثمانين شَيخاً من فُصحاء بني عُقَيل ما فيهم أحدٌ يعرِف كلمة من الخطأ ، وإن دخلتُ إلى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم ، وأيفعتُ

1 ديوان بشّار : 199 .

فأبديتُ[1] إلى أن أدركتُ ، فمن أين يأتيني الخطأ ؟ .

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان الأصمعيّ يقول : إنّ بشّاراً خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرتْ لفضَّلته على كثير منهم .

[هو أوّل الشعراء في جملة من أغراض الشعر]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو الفضل المَرْوَزِيّ[2] قال حدّثني قَعنَب بن المُحرِز الباهليّ قال قال الأصمعيّ : لَقِيَ أبو عمرو بن العَلاء بعض الرواة فقال له : يا أبا عمرو ، مَن أبدع الناس بيتاً ؟ قال : الذي يقول[3] : [من الرمل]

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَمْ ... ونَفى عنّي الكَرى طيفٌ ألَمّ
رَوِّحي عنّي قليلاً وآعلَمي ... أنّني يا عَبْدَ من لحمٍ ودَمْ

قال : فمَن أمدح الناس ؟ قال : الذي يقول[4] : [من الطويل]

لَمَستُ بكفّي كفَّه أبتغي الغِنَى ... ولم أدرِ أنّ الجودَ من كفّه يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغِنَى ... أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عِندي

قال : فمَنْ أهجَى الناس ؟ قال : الذي يقول[5] : [من الطويل]

رأيتُ السُّهيْلَيْن استوى الجودُ فيهما ... على بُعْد ذا من ذاك في حُكمِ حاكمِ
سُهَيلُ بن عثمانٍ يَجودُ بمالِهِ ... كما جادَ بالوَجْعا سُهَيلُ بن سالمِ[6]

قال : وهذه الأبيات كلُّها لبشّار .

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغنَّى فيها

صوت

[من الرمل]

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَمْ ... ونفى عنّي الكرى طيفٌ ألَمّ
وإذا قلتُ لها جُودِي لنا ... خرجتْ بالصَّمْت عن لا ونعَمْ
نَفِّسي يا عَبْدَ عنّي واعلمي ... أنّني يا عبدَ من لحمٍ ودمْ

1 أبديت : خرجت إلى البادية .
2 ل : المروروذي .
3 ديوان بشّار : 211–212 وفي رواية «نفسي يا عبد . . .» .
4 ديوان بشّار : 88 .
5 ديوان بشّار : 207 .
6 الوجعا : الدبر .

إنَّ في بُــرْدَيَّ جسماً ناحِلاً   لــو توكّــأتِ عليـه لانهدَمْ
ختَم الحـبُّ لهـا في عُنُقــي   موضِعَ الخاتَمِ من أهـل الذِّمَمْ

غنّاه إبراهيم هزجاً بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ. وفيه لقعنب[1] الأسود خفيف ثقيلٍ. فأمّا الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدح الناس وأوّلها: [من الطويل]

لَمَسْتُ بكَفِّي كفَّه أبتَغِي الغِنى

فإنّه ذكر أنّها لبشّار. وذكر الزبير بن بكّار أنّها لابن الخيّاط في المهديّ، وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخيّاط في هذا الكتاب.

[هجا صديقه ديسماً لأنّه يروي هجاءه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ الكسرويّ قال حدّثنا أبو حاتم قال: كان بشّار كثير الوَلُوع بدَيسَم العَنزيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكثِرُ هجاءه، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّادٍ وأبي هشام الباهليّ في بشّار؛ فبلغه ذلك فقال فيه[2]: [من الطويل]

أَدَيْسَمُ يا ابنَ الذئبِ من نَجْلِ زارِعٍ   أَتَرْوِي هِجائي سادِراً غيرَ مُقْصِرِ

قال أبو حاتم: فأنشدْتُ أبا زيد هذا البيت وسألتُه ما يقول فيه، فقال: لمن هذا الشعر؟ فقلتُ: لبشّار يقوله في ديسم العَنزيّ؛ فقال: قاتله الله ما أعلَمه بكلام العرب! ثم قال: الدَّيسمُ: ولد الذئب من الكلبة، ويقال للكلاب: أولاد زارعٍ. والعِسبار: ولدُ الضَّبُعِ من الذئب. والسِّمْعُ: ولد الذئب من الضَّبع. وتزعم العرب أن السِّمْعَ لا يموت حتف أنفِه، وأنّه أسرع من الريح وإنّما هلاكُه بعَرَض من أعراض الدنيا.

[مزاحه مع حمدان الخرّاط]

أخبرنا حبيب بن نصرٍ المهلَّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان بالبصرة رجلٌ يقال له: حمدان الخرّاط، فاتّخذ جاماً لإنسان كان بشّار عنده، فسأله بشّارٌ أن يتّخذ له جاماً فيه صُوَرُ طيرٍ تِطِيرُ، فاتّخذه له وجاءه به، فقال له: ما في هذا الجام؟ فقال: صُوَرُ طيرٍ تطيرُ؛ فقال له: قد كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنّه يريد صيدها، فإنّه كان أحسن؛ قال: لم أعلم؛ قال: بلى قد علمتَ[3]، ولكن علِمت أنّي أعمى لا أُبصر شيئاً! وتهدّده بالهجاء، فقال له حمدان: لا تفعل فإنّك تندم؛ قال: أَو تُهَدِّدُني أيضاً! قال: نعم؛ قال: فأيّ شيءٍ تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك؟ قال: أُصَوِّرُكَ على باب داري بصورتك هذه وأجعلُ من

---

1 ل: لعثعث.
2 ديوان بشّار: 128.
3 ل: عملت.

خلفك قِرداً يَنكِحُك حتى يراك الصادر والوارد ؛ فقال بشّار : اللّهمّ أخزه ، أنا أمازحُهُ وهو يأبى إلاّ الجِدَّ ! .

[مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى والحسن بن عليّ ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ قالوا : حدّثنا العنزيّ قال حدّثني جعفر بن محمد العدويّ عن محمد بن سلاّم قال حدّثني مَخْلَدٌ أبو سفيان قال : كان جرير بن المنذر السدوسيّ يُفاخر بشّاراً ؛ فقال فيه بشّار[1] : [من المتقارب]

أَمِثْلُ بَنِي مُضَرٍ وائِلٌ فَقَدتُكَ من فاخرٍ ما أُجَنّ
أفي النومِ هذا أَبا مُنْذِرٍ فَخَيْراً رأيتَ وخيراً يَكُنْ
رأيتُكَ والفخرَ في مثلِها كعاجنةٍ غيرَ ما تَطَّحِنْ

وقال يحيى في خبره : فحدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني عاصم[2] بن وهبٍ أبو شبلٍ الشاعر البُرْجُميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج السراداني قال : كنّا عند بشّار وعنده رجلٌ ينازعه في اليمانيّة والمُضَرِيّة إذ أذّن المؤذّن ، فقال له بشّار : رويداً ، تَفَهَّم هذا الكلام ؛ فلمّا قال : أشهدُ أنّ محمداً رسول الله ، قال له بشّار : أهذا الذي نُودِي باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مُضر هو أم من صُداءٍ وعَكٍّ وحِمْيَر ؟ فسكت الرجل .

[نقده للشعر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال أنشد[3] بشّار قول الشاعر[4] : [من الطويل]

وقد جَعل الأعداءُ ينتقِصُوننا وتطمَعُ فينا أَلسُنٌ وعيونُ
ألا إنّما ليلى عَصا خَيزُرانةٍ إذا غمزُوها بالأكفّ تَلينُ

فقال : والله لو زعم أنّها عصا مُخّ أو عصا زُبْدٍ ، لقد كان جعلها جافيةً خَشِنَةً بعد أن جعلها عصاً ؛ ألا قال كما قلت[5] : [من الوافر]

ودَعْجاءِ المَحاجرِ من مَعَدٍّ كأنّ حديثَها ثَمرُ الجِنانِ

1 ديوان بشّار : 244 .
2 ل : عصيم .
3 ل : أنشدنا .
4 انظر الخبر والشعر في الكامل للمبرد (الدالي) : 1018 وينسب البيت الأول لكثير (ديوانه : 176) . والثاني للمجنون بني عامر (ديوانه 264) ويردان دون نسبة في عدّة مصادر .
5 ديوان بشّار : 235 .

إذا قامت لِمشيتها تثنّتْ كأنّ عظامَها من خَيْزُرانِ[1]

[اعتداده بنفسه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني محمد بن [صالح بن] الحجّاج قال : قلت لبشّار : إنّي أنشدت فلاناً قولك : [من الطويل]

إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُهْ

فقال لي : ما كنتُ أظنّه إلاّ لرجل كبير ؛ فقال لي بشّار : ويلك ؛ أفلا قلتَ له : هو والله لأكبر الجنّ والإنسِ ! .

[وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني أبو الشبل عن محمد بن الحجّاج قال : كان بشّار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلمّا لم تأته أرسل إليها يعاتبها ، فاعتذرت بمرض أصابها ؛ فكتب إليها بهذه الأبيات[2] : [من مجزوء الكامل]

يـا لَيْلَتي تَـزدادُ نُكْـراً مِن حُبٍّ مَنْ أحببتُ بِكْرا
حَـوراءُ إن نظـرت إليـ ـكَ سقتكَ بالعينينِ خَمرا
وكأن رَجْـعَ حديثِهـا قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرا
وكأنّ تحـت لسانهـا هاروتَ ينفُثُ فيه سِحْرا
وتَخالُ مـا جمعَتْ عليـ ـه ثيابُهـا ذهبـاً وعِطْرا
وكأنّهـا بَـرْدُ الشرا بِ صَفا ووافق منك فِطْرا
جِنّيَّـةٌ إنسيَّـةٌ أو بـينَ ذاك أجـلُّ أمرا
وكفـاك أنـّي لم أحِـطْ بشَكاةِ مَـنْ أحببتُ خُبرا
إلاّ مقالـةَ زائـرٍ نَثَرَتْ لِيَ الأحـزانَ نثرا
مُتخشِّعاً تحـت الهـوَى عشراً وتحت الموتِ عشرا

[كان إسحاق الموصليّ لا يعتدّ به ويفضل عليه مروان]

حدّثني جحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال : كان إسحاق الموصليّ لا يَعتدُّ ببشّارٍ ويقول : هو كثير التخليط في شعره ، وأشعاره مختلفةٌ ، لا يُشبِه بعضها بعضاً ؛ أليس هو

1 لمشيتها في ل والديوان : لسبحتها ، والسبحة : صلاة التطوع والنافلة وفي رواية أُخرى «لحاجتها» .
2 ديوان بشّار : 118–119 .

القائل[1] : [من مجزوء الرمل]

إنّما عَظْمُ سُلَيمى حِبَّتــي قَصَبُ السُّكَّرِ لا عَظْمُ الجمَلْ[2]
وإذا أدْنَيــتَ منهـــا بصَــلاً غلبَ المِسكُ على ريح البصَلْ[3]

لو قال كلَّ شيء جيّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزيَّفَهُ . قال : وكان يقدِّم عليه مروان ويقول : هذا هو أشدّ استواء شعرٍ منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يعُدُّ أبا نوّاس ألبتّة ولا يرى فيه خيراً .

[أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للمنصور ولمّا قتل غيرها وجعلها في هجو أبي مسلم]

حدّثنا محمد بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن زكريّا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال : دخل بشّار إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصور ويُشير عليه برأيٍ يستعمله في أمره ، فلمّا قُتِلَ إبراهيم خاف بشّارٌ ، فقلب الكنية ، وأظهر أنّه كان قالها في أبي مُسلم وحذف منها أبياتاً وأوّلها[4] : [من الطويل]

أبا جعفرٍ مـا طولُ عيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عمَّـا قَليـلٍ بسالِمِ

قلب هذا البيت فقال : «أبا مسلم» . [من الطويل]

على المَلكِ الجَبّارِ يَقتحِمُ الردى ويصرَعُـه في المـأزِق المتلاحِمِ
كأنّك لم تَسمَعْ بقتـل مُتوَّجٍ عظيم ولم تسمع بفَتكِ الأعاجِمِ
تَقَسَّمَ كِسرى رهطُه بسيوفهم وأمسى أبو العبّاسِ أحلامَ نائِمِ

يعني الوليد بن يزيد :

وقد كان لا يَخْشى انقلابَ مكيدةٍ عليـه ولا جَرْيَ النُّحوسِ الأشائِمِ
مُقيماً على اللذّاتِ حتى بَدَتْ له وجـوهُ المنايـا حاسِراتِ العمائمِ
وقـد تَـرِدُ الأيـامُ غُـرّاً وربّما وَرَدْنَ كُلُوحاً بادِيـاتِ الشَّكائِمِ
ومَرْوانُ قد دارَتْ على رأسه الرحى وكان لِما أجرمْتَ نَزْرَ الجرائِمِ[5]
فأصبحتَ تجرِي سادراً في طريقهم ولا تَتَّقِي أشبـاهَ تلـكَ النقائِمِ

---

1 ديوان بشّار : 192 .
2 حبّتي في ل : خلّتي .
3 أدنيت في ل : قربت .
4 ديوان بشّار : 204–206 .
5 يقصد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة .

تجـرَّدتَ للإسلامِ تَعفُـو سبيلَه ... وتُعْرِي مَطـاهُ للُّيوثِ الضَّراغِمِ[1]
فما زِلتَ حتى استنصرَ الدينُ أهلَه ... عليكَ فعـاذُوا بالسّيوفِ الصوارمِ
فَرُمْ وَزَراً يُنْجِيكَ يـا ابن سَلامةٍ ... فلستَ بِنـاجٍ من مَضيم وضائِمِ

جعل موضع «يا ابن سلامة» «يا ابن وشيكة» وهي أمّ أبي مسلمٍ .

لَحـا الله قومـاً رأَّسُوكَ عليهمُ ... وما زِلتَ مَرْؤوساً خبيثَ المطاعِمِ
أقُـــولُ لِبَسَّامٍ عليـــه جَلالَـةٌ ... غَـدا أَرْيَحِيّـاً عاشِقاً للمكارمِ
مِـــن الفاطِمِيّينَ الدُّعاةِ إلى الهدَى ... جِهاراً ومَنْ يَهْدِيكَ مثلُ ابنِ فاطمِ

هذا البيت الذي خافه وحذفه بشارٌ من الأبيات .

سِراجٌ لعـين المستضيءِ وتـارَةً ... يكــون ظَلامـاً للعـدوِّ المزاحِمِ
إذا بلَـغَ الرأيُ المَشُورةَ فاستعِنْ ... بـرَأْيِ نَصِيحٍ أو نَصِيحةِ حازمِ
ولا تجعَلِ الشُّورى عليكَ غضاضَةً ... فـإنّ الخـوافي قُـوّةٌ للقَوادِمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها ... ومـا خيرُ سَيــفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائِمِ
وخَـلِّ الهُوَينا للضَّعيف ولا تكُنْ ... نَؤُومـاً فـإن الحَـزْمَ ليس بنائِمِ
وحارِبْ إذا لم تُعـطَ إلاّ ظُلامةً ... شَبا الحربِ خيرٌ من قَبُولِ المظالِمِ

قال محمد بن يحيى : فحدّثني الفضل بن الحُباب قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول سمعت أبا عبيدة يقول : ميمِيَّةُ بشّارٍ هذه أحبّ إليّ من ميميَّتَيْ جريرٍ والفرزدق .

[حديث بشّار في المشورة]

قال محمد : وحدّثني ابن الرِّياشيّ قال حدّثني أبي قال : قال الأصمعيّ قلت لبشّار : يا أبا معاذ ، إنّ الناس يَعجَبُونَ من أبياتك في المشورة ؛ فقال لي : يا أبا سعيد ، إنّ المُشاوِرَ بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يُشارك في مكروهه ؛ فقلت له : أنت والله في قولِكَ هذا أشعرُ منكَ في شعرك .

[بشّار والمعلّى بن طريف]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الفَضْلُ بن محمد اليزيديّ عن إسحاق وحدّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه قال : كان بشّار جالساً في دار المهديّ والناس ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالي المهديّ لمن حضر : ما عندكم في قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبالِ بُيُوتاً ومِنَ الشَّجَرِ﴾ فقال له بشّار : النّحلُ التي يعرفها الناس ؛

1 تعفو : تمحو . المطى : كظهر .

قال : هيهات يا أبا معاذٍ ، النحل : بنو هاشم ، وقوله : ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ﴾ يعني العلم ؛ فقال له بشّار : أَراني اللهُ طعامَكَ وشرابَكَ وشِفاءَكَ فيما يخرجُ من بطون بني هاشم ، فقد أوسَعْتَنا غَثاثَةً ؛ فغَضِبَ وشَتَم بشّاراً ؛ وبلغ المهديَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصّة ، فحدّثه بَشَّار بها ؛ فضحِك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أَجَلْ ! فجعل الله طعامك وشرابك مِمّا يخرج من بطون بني هاشم ، فإنّك باردٌ غَثٌّ . وقال محمد بن مَزيَد في خبره : إنّ الذي خاطبَ بشّاراً بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالي المهديّ المُعَلَّى بن طَريفٍ .

[بشّار ويزيد بن منصور الحميري]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل يزيد بن منصور الحِمْيَرِيّ على المهديّ وبشّار بين يديه يُنشده قصيدةً امتدحه بها ، فلمّا فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحِميريّ ، وكانت فيه غفلةٌ ، فقال له : يا شيخ ، ما صناعتك ؟ فقال : أَثقُبُ اللؤلؤ ؛ فضحك المهديّ ثم قال لبشّار : أُعْزُبْ ويلك ؛ أَتتنادَرُ على خالي ! فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى يُنشِد الخليفة شِعراً ويسأله عن صناعته ! .

[ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال : وقف على بشّار بعض المُجّان وهو ينشد شعراً ؛ فقال له : اسْتُر شِعرَكَ هذا كما تسترُ عورَتَك ؛ فصفَّق بشّار بيديه وغضب وقال له : مَن أنت ويلك ؟ قال : أنا أعزّك الله رجل من باهلة ، وأخوالي من سَلُول ، وأصهاري عُكْل ، واسمي كلبٌ ، ومولدي بأُضاخ[1] ، ومنزلي بنهر بلال[2] ؛ فضحك بشّار ثم قال : اذهب ويلك ؛ فأنت عتيق لؤمِك ، قد علم الله أنّك استترتَ منّي بحصونٍ من حديد .

[وصف قاص قصراً كبيراً في الجنّة فعابه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني الفضل بن سعيد قال حدّثني أبي قال : مرّ بشّار بقاصٍّ بالبصرة[3] فسمعه يقول في قصصه : مَن صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنّة صحنُه ألف فرسخ في مثلها وعُلْوُه ألف فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصيرِه عشرة فراسخ في مثلها ، قال : فالتفت بشّارٌ إلى قائده فقال : بئست والله الدار هذه في كانون الثاني .

---

1 أضاخ : قرية من قرى اليمامة .

2 نهر بلال : نهر بالبصرة حفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري .

3 ل : بالمدينة .

[سمع صخباً في الجيران فقال كأن القيامة قامت]

قال الفضل بن سعيد وحدّثني رجلٌ من أهل البصرة ممّن كان يتزوّج بالنّهاريّات قال : تزوّجت امرأةً منهنّ فاجتمعت معها في عُلْوِ بيتٍ وبشّار تحتنا ، أو كنّا في أسفل البيت وبشّار في عُلْوة مع امرأةٍ ، فنهقَ حمارٌ في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار فارتجّت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل يَدُقّها بها دقّاً شديداً فسمعتُ بشّاراً يقول للمرأة : نُفِخَ ، يعلم الله ، في الصُّورِ وقامتِ القيامة أما تسمعين كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم يلبث أن فَزِعَتْ شاةٌ كانت في السطح فقطعت حبلَها وعَدَت فألقت طبقاً وغَضارةً[1] إلى الدار فانكسرا ، وتطاير حمامٌ ودجاج كنّ في الدار لصوت الغضارة وبكى صبيّ في الدار ؛ فقال بشّار : صحَّ والله الخبر ونُشِر أهلُ القبور من قبورهم أَزِفَتِ ، يشهد الله ، الآزفة وزُلزِلَتِ الأرضُ زِلزالها ، فعجبتُ من كلامه وغاظني ذلك ؛ فسألت من المتكلّم ؟ فقيل لي : بشّار ، فقلت : قد علمتُ أنّه لا يتكلّم بمثل هذا غير بشّار .

[نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر الله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد جدار قال حدّثني قُدامة بن نوح قال : مرّ بشّارٌ برجل قد رمَحته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشّار : استَزِدْه يَزِدْكَ .

[ما لهم مسرعين بالميت ؟]

قال : ومرّ به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها ، فقال : ما لهم مسرعين ؛ أتُراهم سرقوه فهم يخافون أن يُلحَقوا فيؤخذ منهم ؟ .

[مات ابن له فرثاه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب ، وأخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جُمهور ، قالا : توفّي ابن لبشّار فجزع عليه ؛ فقيل له : أجرٌ قدّمتَه ، وفَرَطٌ افترطتَه ، وذُخْرٌ أحرزته ، فقال : ولدٌ دفنته ، وثكلٌ تعجّلته ، وغيبٌ وُعِدتُه فانتظرته ؛ والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرحُ للزيادة . وقال يرثيه[2] : [من الطويل]

أَجارَتَنا لا تَجْزَعِي وأَنِيبِي ... أتاني مِن الموت المُطلّ نَصيبي
بُنَيّي على رَغْمِي وسُخْطِي رُزِئْتُه ... وبُدِّلَ أحجاراً وجالَ قليبِ[3]

---

1 الغضارة : القصعة الكبيرة .

2 ديوان بشار : 33–34 .

3 جال : جانب ، والقليب : البئر .

وكان كرَيحانِ الغصونِ تَخالُه ذَوى بعد إشراقٍ يَسُرُّ وطِيبِ[1]
أُصيبَ بُنَيِّي حين أورَقَ غُصنُه وألقى عليّ الهَمَّ كُلُّ قَريبِ
عَجِبتُ لإسراعِ المنيّةِ نحوَه وما كان لو مُلِّيتُهُ بعَجِيبِ[2]

[نوادره]

أخبرني يحيى بن عليّ قال ذكر عافيةُ بن شبيب عن أبي عثمان اللّيثيّ، وحدّثني به الحسن بن عليّ عن ابن مهرويَه عن أبي مسلم، قالا: رفع غلام بشّارٍ إليه في حساب نفقته جِلاءَ مرآةٍ عشرة دراهم، فصاح به بشّار وقال: والله ما في الدنيا أعجبُ من جِلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم، والله لو صدئَتْ عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أُجرة مَن يجلوها عشرة دراهم.

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ قال حدّثنا أبو معاذ النُّميريّ قال: قلت لبشّار: لِمَ مَدحتَ يزيد بن حاتم ثم هجوته؟ قال: سألني أن أُنيكَه فلم أفعل؛ فضحكتُ ثم قلت: فهو كان ينبغي له أن يغضب، فما موضع الهجاء؟ فقال: أظنّك تُحِبّ أن تكون شريكَه؛ فقلت: أعوذ بالله من ذلك ويلَك!

[سئل عن شعره الغث فأجاب]

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثنا أحمد بن خَلاَّد، وأخبرنا يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ، قالا حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خلاّد قال حدّثني أبي قال قلت لبشّار: إنّك لَتَجيءُ بالشيءِ الهَجِين المتفاوت، قال: وما ذاك؟ قال قلت: بينما تقول شعراً تُثير به النقع وتخلع به القلوب، مثل قولك[3]: [من الطويل]

إذا ما غَضِبنا غَضْبَةً مُضَرِيّةً هَتكنا حِجابَ الشمس أو تُمْطِرَ الدَما
إذا ما أعَرْنا سَيِّداً من قبيلةٍ ذُرى مِنبرٍ صلَّى علينا وسَلَّما

تقول[4]: [من الهزج]

رَبابَةُ رَبَّةُ البيتِ تَصُبُّ الخلَّ في الزَّيْتِ
لها عَشْرُ دَجاجاتٍ ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوتِ

فقال: لكُلٍّ وجهٌ وموضعٌ، فالقولُ الأوّل جِدٌّ، وهذا قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا آكلُ البيض من السُّوق، وربابة هذه لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها،

1 الغصون في ل: العروس.
2 مليته: متعت به.
3 ديوان بشّار: 199.
4 ديوان بشّار: 52.

فهذا عندها من قولي أحسن من : [من الطويل]

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنزِلِ

عندكَ .

[كان يحشو شعره تكميلاً للقافية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن محمد جِدار قال حدّثني قُدامة بن نوح قال : كان بشّار يحشو شِعرَه إذا أعوزَته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنّه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه :

غنِّني للغَريض يـا ابنَ قنانِ

فقيل له : مَن ابن قنان هذا ، لسنا نعرفه من مُغَنِّي البصرة ؟ قال : وما عليكم منه ! ألكم قِبَلَهُ دَينٌ فتطالبوه به ، أو ثأرٌ تريدون أن تُدرِكوه ، أو كَفَلتُ لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره ؟ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنّما أردنا أن نعرفه ، فقال : هو رجل يُغنِّي لي ولا يخرج من بيتي ؛ فقالوا له : إلى متى ؟ قال : مُذ يومَ وُلِد وإلى يوم يموت . قال : وأنشدها أيضاً في هذه القصيدة :

. . . . ووافا ني هـلالُ السمـاء في البردانِ

فقلنا : يا أبا معاذ . أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه بالبصرة ، فقال : هو بيت في بيتي سمّيته البردان ، أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه ؟ .

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو غسّان دَماذ ، واسمه رفيع بن سلَمَة ، قال حدّثني يحيى بن الجَوْنِ العبديّ راوية بشّار قال : كنّا عند بشّار يوماً فأنشدنا قوله[1] : [من المتقارب]

وجاريةٍ خُلِقَـتْ وحدَهـا كأنّ النساءَ لديْهـا خَدَمْ

دُوار العـذارَى إذا زُرْنَـها أطَفْنَ بحَوْراءَ مثـلِ الصَنَمْ[2]

ظَمِئتُ إليهـا فلم تَسْقِني برِيٍّ ولم تَشْفِني من سَقَمْ

وقالت هَوِيتَ فمتْ راشِداً كما مـات عُروةُ[3] غمّاً بغَمّ

فلمّا رأيـتُ الهـوى قاتلي ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عَمّ

دَسَسْتُ إليهـا أبا مِجْلَزٍ وأيّ فتىً إن أصابَ اعتزَمْ

1 ديوان بشار : 214-216 .

2 دوار : اسم صنم كانت العرب تدور حوله .

3 هو عروة بن حزام صاحب عفراء .

فمـا زال حتى أنابتْ لـه ... فراح وحلَّ لنـا مـا حَرُمْ

فقال له رجل : ومَن أبو مجْلزٍ هذا يا أبا مُعاذٍ ؟ قال : وما حاجتك إليه ؟ لك عليه دينٌ أو تطالبه بطائلةٍ[1] ! هو رجل يتردّد بيني وبين معارفي في رسائل . قال : وكان كثيراً ما يحشُو شعرَه بمثل هذا .

[شعره في قينة]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كانت بالبصرة قينةٌ لبعض ولد سليمان بن عليّ وكانت مُحسنة بارعة الظَّرف ، وكان بشّار صديقاً لسيِّدها ومَدّاحاً له ، فحضر مجلسه يوماً والجارية تغنّي ؛ فسُرَّ بحضوره وشَرِب حتى سكِر ونام ، ونهض بشّار ؛ فقالت : يا أبا معاذ ، أُحبّ أن تذكر يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيّدي وتكتب بها إليه ؛ فانصرف وكتب إليه[2] : [من البسيط]

وذاتِ دَلٍّ كأن البـدرَ صُورَتُهـا ... باتَتْ تُغنّي عميدَ القلبِ سكرانا
(إنّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْننـا ثـم لم يُحيِينَ قتلانا)
فقلتُ أَحسَنْتِ يا سُؤْلِي ويا أملي ... فأسمِعِينـي جـزاكِ اللهُ إحسانـا :
(يا حبّذا جبلُ الرَّيـانِ من جبلٍ ... وحبّذا ساكـنُ الريّانِ مَنْ كانا)
قالت فهلاّ فدَتكَ النفسُ أحسن مِنْ ... هذا لِمَنْ كان صبَّ القلبِ حَيرانا :
(يا قوم أُذْني لبعض الحـيِّ عاشِقَةٌ ... والأذن تَعشَقُ قبـل العين أحيانا)
فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً ... أضرَمْتِ في القلبِ والأحشاءِ نِيرانا
فأسمِعينـيَ صَوتـاً مُطرِبـاً هَزَجاً ... يزيدُ صَبّاً مُحِبّاً فيكِ أشجانا
يـا ليتني كنتُ تُفّاحـاً مُفَلَّجةً ... أو كنتُ من قُضبِ الريحان رَيحانا
حتى إذا وَجـدَتْ رِيحِي فأعجبَها ... ونحـنُ في خَلـوةٍ مُثِّلْتُ إنسانا
فحرّكَتْ عُودَهـا ثـم انثنَتْ طَرَباً ... تَشْدُو بـه ثم لا تُخفيه كِتمانا :
(أصبَحْتُ أطوعَ خَلقِ اللهِ كُلِّهِمِ ... لأكثرِ الخلق لِي في الحبِّ عِصيانا)

---

1 طائلة : ذحل أو ثأر .

2 ديوان بشّار : 223–225 والأبيات التي بين قوسين هي التي فيها الغناء وأوّل اثنين منها من قصيدة جرير التي مطلعها (ص 490 ، ط . دار صادر) :

بـان الخليط ولو طوِّعـت ما بانا ... وقطعوا من حبال الوصـل أقرانا

فقلتُ أطربْتِنا يـا زَيْنَ مجلِسَنا فهـاتِ إنـكِ بالإحسانِ أولانا
لـو كنـتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتُلُني أعددتُ لي قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنَّتِ الشَّرْبَ صَوْتاً مُؤْنِقاً رَمَلاً يُذْكِي السّرورَ ويُبْكِي العينَ ألوانا :
(لا يَقتُلُ اللهُ مَـنْ دامَـتْ مَوَدّتُهُ واللهُ يقتُـلُ أهـلَ الغَـدْرِ أحيانا)

ووجّه بالأبيات إليها ، فبعث إليه سيّدُها بألفَيْ دينار وسُرَّ بها سروراً شديداً .

[أغضبه أعرابيّ عند مجزأة بن ثور فهجاه]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيلٍ قال حدّثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدّثني أبو عبد الله المقرىء الجَحدَريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة ، قال : دخل أعرابيّ على مجزأة بن ثور السَّدوسيّ وبشّار عنده وعليه بِزّةُ الشعراء ، فقال الأعرابيّ : مَنِ الرجل ؟ فقالوا : رجلٌ شاعرٌ ؛ فقال : أَمَوْلًى هو أم عَرَبيّ ؟ قالوا : بل مولًى ؛ فقال الأعرابيّ : وما للموالي وللشعر ؟ فغضِب بشّار وسكت هُنيهةً ، ثم قال : أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا مُعاذٍ ؛ فأنشأ بشّار يقول[1] : [من الوافر]

خليـلي لا أنـامُ على اقتسارِ ولا آبـى عـلى مَوْلـىً وجارِ
سَأُخبِرُ فاخـرَ الأعراب عنّي وعنـه حـين تأذنُ بالفَخارِ
أحين كُسِيتَ بعد العُرْي خزّاً ونادَمْـتَ الكِـرامَ على العُقارِ
تُفاخِرُ يـا ابـنَ راعيةٍ وراعٍ بني الأحرار حَسبُكَ مِنْ خَسارِ
وكنتَ إذا ظمِئْتَ إلى قَراحٍ شَرِكْتَ الكلبَ في وَلْغِ الإطارِ
تُريـغُ بخُطْبَـةٍ كسرَ الموالي ويُنْسِيكَ المكـارمَ صيدُ فارِ[2]
وتَغْـدُو للقنافــذ تَدَّرِيَهـا ولم تَعقِـلْ بـدَرَّاج الدِّيارِ[3]
وتَتَّشحُ الشِّمـالَ لِلابسيهـا وتَرعى الضأنَ بالبلَـد القِفارِ[4]
مُقامُـكَ بيننـا دَنَسٌ علينـا فليتَـكَ غائِـبٌ في حَـرِّ نارِ
وفخـرُكَ بـين خنزيرٍ وكلبٍ على مِثْلي مـن الحدَثِ الكُبارِ

فقال مجزأةُ للأعرابيّ : قَبَحَكَ الله ؛ فأَنتَ كَسَبْت هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالِك .

---

1 ديوان بشار : 122-123 عن الأغاني .

2 تريغ : تريد وتطلب .

3 تدريها : تختلها لتصيدها . دراج الديار : القنفذ .

4 الشمال : جمع شملة وهي الكساء يتّشح به .

[خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني العنزيّ عن الرياشيّ قال : حضر بشّار باب محمد بن سليمان ، فقال له الحاجب : آصبِر ؛ فقال : إنّ الصبرَ لا يكون إلاّ على بليّةٍ ؛ فقال له الحاجب : إنّي أظنُّ أنّ وراء قولك هذا شرّاً ولن أتعرّض له ، فقم فادخُل .

[بشّار وهلال الرأي]

أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سلاّم قال : قال هلال الرأي ، وهو هلال بن عطيّة ، لبشّارٍ وكان له صديقاً يمازحه : إنّ الله لم يُذهب بصرَ أحدٍ إلاّ عوّضه بشيء ، فما عوّضَك ؟ قال : الطويل العريض ؛ قال : وما هذا ؟ قال : ألاّ أراك ولا أمثالك من الثقلاء . ثم قال له : يا هلال أتُطِيعُنِي في نصيحةٍ أخُصُّكَ بها ؟ قال نعم ؛ قال : إنّك كنتَ تسرِقُ الحمير زماناً ثم تُبتَ وصِرتَ رافِضيّاً ، فعُد إلى سرقة الحمير ، فهي والله خيرٌ لك من الرِّفْضِ [1] .

قال محمد بن سلاّم : وكان هلال يُستثقَل ، وفيه يقول بشّار [2] : [من الوافر]

وكيفَ يَخِفُّ لي بصري وسمعي ... وحَوْلِي عَسكَرانِ مِنَ الثِّقالِ
قُعُوداً حولَ دَسْكَرَتِي وعندِي ... كأنّ لهم عليّ فضولَ مالِ
إذا ما شِئتُ صبّحني هِلالٌ ... وأيُّ الناس أثقلُ من هلالِ

وأخبرني أبو دُلَفَ الخُزاعيّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، فذكر أنّ الذي خاطب بشّاراً بهذه المخاطبة ابن سيّابة ، فلمّا أجابه بشّار بالجواب المذكور ، قال له : من أنت ؟ قال : ابن سيّابة ؛ فقال له : يا ابن سيّابة ، لو نُكِحَ الأسد ما افترس ؛ قال : وكان يُتّهمُ بالأُبْنةِ .

[ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه]

قال أيوب وحدّثني محمد بن سلاّم وغيره قالوا : مرّ ابن أخي بشّارٍ به ومعه قومٌ ؛ فقال لرجل معه : مَن هذا ؟ فقال : ابن أخيك ؛ قال : أشهد أنّ أصحابه أنذال ؛ قال : وكيف علِمتَ ؟ قال : ليست لهم نِعالٌ .

[كان دقيق الحسّ]

أخبرنا محمد بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني عافيةُ بن شَبيب عن أبي دُهمان الغَلابيّ ، قال : مررتُ ببشّار يوماً وهو جالس على بابه وحده وليس معه خَلَقٌ وبيده مِخْصَرةٌ يلعبُ بها

---

1 الرفض (بالكسر) : مذهب الرافضة ، وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ولمّا رفض التبرّؤ من الشيخين رفضوه وانفضوا عنه .

2 ديوان بشار : 282 عن الأغاني .

وقُدَّامه طبق فيه تفّاح وأُترُجٌّ ، فلمّا رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسي إلى أن أسرق ما بين يديه ، فجئتُ قليلاً قليلاً وهو كافٌّ يده حتى مَددت يدي لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب به يدي ضربةً كاد يكسِرُها ، فقلت له : قطع الله يدك يا ابن الفاعلة ، أنتَ الآن أعمى ؛ فقال : يا أحمق ، فأين الحِسُّ ؟ .

[حديثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره لينحن به]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال : كان لبشّار في داره مجلسان : مجلسٌ يجلس فيه بالغداة يُسمِّيه «البردان» ومجلسٌ يجلس فيه بالعشيّ اسمه «الرَّقيق» ، فأصبح ذات يومٍ فاحتجم وقال لغلامه : أَمسك عليّ بابِي واطبُخ لي من طَيِّب طعامي وصَفِّ نبيذي ؛ قال : فإنّه لكذلك إذ قُرِع الباب قرعاً عنيفاً ؛ فقال : ويحك يا غلام ؛ انظُر مَنْ يدقّ الباب دَقَّ الشُّرَطِ ؛ قال : فنظر الغلام ، فقال له : نسوةٌ خمسٌ بالباب يسألن أن تقول لهنَّ شعراً ينُحْنَ به ؛ فقال : أَدخِلْهُنَّ ، فلمّا دخلنَ نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى في قَنانِيِّه في جانب بيته ؛ قال : فقالت واحدة منهنّ : هو خمرٌ ، وقالت الأُخرى : هو زبيبٌ وعسلٌ ، وقالت الثالثة : نقيع زبيب ؛ فقال : لستُ بقائلٍ لكنّ حرفاً أو تَطعَمْنَ من طعامي وتشربْنَ من شرابي ؛ قال : فتماسكْنَ ساعةً ، ثم قالت واحدة منهنّ : ما عليكنّ ؛ هو أعمى فكُلْنَ من طعامه واشربن من شرابه وخُذْن شِعرَه ؛ فبلغ ذلك الحسن البصريَّ فعابه وهتَفَ ببشّارٍ ؛ فبلغه ذلك ، وكان بشّار يُسمِّي الحسن البصريّ القَسَّ ، فقال[1] : [من مجزوء الكامل]

لمّا طَلَعْــنَ مــن الرّقيــ ـــق عليّ بالبردانِ خمسا
وكأنّهــــنّ أهِلَّـــــةٌ تحت الثيابِ زَفَفْنَ شمسا
باكَــرْنَ عِطْــرَ لَطِيمَــةٍ وغُمِسْنَ في الجادِيّ غمسا[2]

صوت

لمّـا طلَعْـــنَ حَفَفْنَهـا وأصَخْنَ ما يَهْمِسْنَ هَمْسا
فسألنَنِي مَـــنْ في البيـو تِ فقلتُ ما يُؤْوِينَ إنسا
ليــتَ العيـــونَ الطارفــا تِ طُمِسْنَ عنّا اليومَ طَمْسا
فأصَبْنَ من طُـرَفِ الحديـ ـثِ لَذاذةً وخَرَجْنَ مُلسا[3]

1 ديوان بشار 141–142 عن الأغاني .
2 اللطيمة : المسك . الجادي : الزعفران .
3 مُلسا في ل : قلسا . والقلص : شرب الكثير من النبيذ . وملس : خاليات من العيب .

لـــولا تَعَرُّضُهُـــنَّ لي ... يـا قَسُّ كنتُ كأنتَ قَسَّا

غنَّى في هذه الأبيات يحيى المكيّ ، ولحنه رمل بالبنصر عن عمرٍو .

[نهاه مالك بن دينار عن التشبيب بالنساء]

أخبرنا يحيى قال حدّثني العنزيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد قال حدّثني جعفر بن محمد النوفليّ ، وكان يروي شعر بشّار بن بُرد ، قال : جئتُ بشّاراً ذات يومٍ فحدّثني ، قال : ما شعرتُ منذ أيّام إلاّ بقارع يقرَع بابي مع الصّبح ، فقلت : يا جارية انظُري مَن هذا ، فرجعتْ إليّ وقالت : هذا مالكُ بن دينار ؛ فقلت : ما هو من أشكالي ولا أضرابي ، ثمّ قلت : ائذَني له ، فدخل فقال : يا أبا معاذ ، أتشتم أعراض الناس وتُشبِّب بنسائهم ؟ فلم يكن عندي إلاّ أن دفعتُ عن نفسي وقلت : لا أعود ، فخرج عنّي ، وقلتُ في أثره[1] : [من المتقارب]

غـَـدا مالــكٌ بمَلاماته ... عليّ ومـا بـاتَ من باليَهْ

تَناولَ خَوْداً هَضِيم الحشَى ... من الحُورِ مَحظوظةً عاليَهْ[2]

فقلتُ دَعِ اللّوم في حبّهـا ... فقبـلكَ أعيَيـتُ عُذّالِيَهْ

وإنّــي لأكتُمهــم سِرّها ... غداةَ تقـول لهـا الجالِيَهْ[3]

عُبَيـدةُ ما لـك مَسلوبـةً ... وكنــتِ مُعطَّــرة حاليَهْ

فقالـت على رقبةٍ : إنّني ... رهَنتُ المرَعّـث خَلخاليَهْ

بمجلس يـوم سأُوفِـي به ... ولو أُجْلَب الناسُ أحواليهْ[4]

[شعره في محبوبته فاطمة]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني السَّمَيدع بن محمد الأزديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الجَهْم عن هشام بن الكلبيّ قال : كان أوّل بَدْء بشّار أنّه عشق جارية يقال لها فاطمة ، وكان قد كُفّ وذهب بصرُه ، فسمعها تغنّي فهَوِيَها وأنشأ يقول[5] : [من الرمل]

دُرّةٌ بَحريَّـــةٌ مكنونــــةٌ ... مازها التّاجرُ مـن بين الدُّررْ

عجبتْ فَطْمةُ مــن نَعْتِي لهـا ... هل يُجيد النَّعتَ مَكفوفُ البصرْ

1 ديوان بشّار : 247–248 .
2 محظوظة في ل : محطوطة أي ممدودة المتنين حسنة .
3 الجالية : الماشطة التي تجلوها .
4 أحواليه : من حولي .
5 ديوان بشّار : 135–136 .

أَمَتا بَـــدّد هـــذا لُعَبـي ووِشاحي حَلّـه حتّى انتثَرْ
فدَعينـــي معَـــه يـا أمتـا عَلَّنا في خَلْـوةٍ نَقْضِي الوَطَرْ
أقبلَـتْ مُغضَبَـــةً تضربهـا واعتراهـا كجنـون مستعِـرْ
بأبـــي واللهِ مــا أحسنَــه دمعُ عين يَغسِل الكحْلَ قَطَرْ
أيُّها النَّوّام هُبُّـــوا وَيْحَكم واسألوني اليومَ ما طعمُ السَّهرْ

[عبث به رجل من آل سوّار فلم يجبه]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير قال حدّثني أبي عن الحكم بن مَخْلَد بن حازم قال : مررتُ أنا ورجل من عُكْل من أبناء سَوَّار بن عبد الله بقصر أوس[1] ، فإذا نحن ببشّار في ظلّ القصر وحده ، فقال لي العُكْليّ : لا بدّ لي من أن أعبَث ببشّار ؛ فقلت : ويحك ، مَهْ لا تُعرِّض بنفسك وعِرْضِك له ؛ فقال : إنّي لا أجده في وقتٍ أخلى منه في هذا الوقت ؛ قال فوقفت ناحيةً ودنا منه فقال : يا بشّار ؛ فقال : من هذا الذي لا يَكْنِيني ويدعوني باسمي ؟ قال : سأخبرك من أنا ، فأَخبِرْني أنت عن أمّك : أوَلدتْك أعمى أم عميتَ بعدما ولدتْـك ؟ قال : وما تريد إلى ذلك ؟ قال : وَدِدتُ أنّه فُسِح لك في بصرك ساعة لتنظُر إلى وجهك في المرآة ، فعسى أن تُمْسِكَ عن هجاء الناس وتعرفَ قَدْرَك ؛ فقال : ويحكم ؛ مَن هذا ؟ أمَا أحدٌ يُخبرني مَن هذا ؟ فقال له : على رِسلك ، أنا رجل من عُكْل وخالي يبيع الفَحم بالعَبْلاء[2] فما تقدِر أن تقول لي ؟ قال : لا شيء ، اذْهَبْ ، بأبي أنت ، في حِفْظ الله .

[مدح خالد البرمكيّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مَهْدِيّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البرمكيّ قال : كان الزُوَّار يُسمَّوْن في قديم الدّهر إلى أيّام خالد بن برمك السُّؤَّال ؛ فقال خالد : هذا والله اسم أستثقله لطُلاَّب الخير ، وأرفعُ قدرَ الكريم عن أن يُسمِّيَ به أمثال هؤلاء المؤمِّلين ، لأنّ فيهم الأشراف والأحرار وأبناءَ النَّعيم ومن لعلَّه خيرٌ ممّن يقصِد وأفضلُ أدباً ، ولكنّا نسمِّيهم الزُوّار ؛ فقال بشّار يمدحه بذلك[3] : [من الطويل]

حذا خالدٌ في فعله حَذوَ بَرْمكٍ فمَجدٌ لـه مُستطرَف وأَصِيلُ
وكان ذوو الآمالِ يُدعَوْن قبلَه بلَفظٍ على الإعدام فيـه دَليلُ

1 قصر أوس بالبصرة يُنسب إلى أوس بن ثعلبة الذي ولي خراسان في عهد الدولة الأموية .
2 بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت صنم (ياقوت) .
3 ديوان بشّار: 107 .

يُسمَّون بالسُّؤَّال في كلّ مَوْطِنٍ   وإن كان فيهم نابـةٌ وجَلِيلُ
فسمّاهـمُ الزّوّارَ سَتْراً عليهـمُ   فأستارُه في المُجْتَدِيـن سُدُولُ

قال : وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزوّار ، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم .

[بشّار وصديقه تسنيم بن الحواري]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرُويَهْ قال حدّثني أبو شِبْل عاصم بن وهب قال : نهق حِمارٌ ذات يوم بقرب بشّار ، فخطر بباله بيتٌ فقال[1] : [من البسيط]

ما قام أيرُ حمـارٍ فامتلا شَبَقاً   إلاّ تحرّك عرقٌ في استِ تَسْنِيمِ

قال : ولم يُرِد تَسْنِيماً بالهجاء ؛ ولكنّه لمّا بلغ إلى قوله : «إلاّ تحرَّك عِرْقٌ» قال : في اسْتِ مَنْ ؟ ومرّ به تسنيم بن الحواري وكان صديقه ، فسلّم عليه وضحك ، فقال : في استِ تسنيم عَلِمَ الله ؛ فقال له : أيش ويحك !؟ فأنشده البيت ؛ فقال له : عليك لعنة الله ؛ فما عندك فرقٌ بين صديقك وعدوّك ، أيّ شيء حملك على هذا ! ألا قلت : «في است حمّاد» الذي هجاك وفضَحك وأَعياك ، وليست قافيتك على الميم فأَعذِرَك ! قال : صدقتَ والله في هذا كلّه ، ولكن ما زلتُ أقول : في است من ؟ في است من ؟ ولا يخطُر ببالي أحد حتى مررتَ وسلّمت فرُزِقته ؛ فقال له تسنيم : إذا كان هذا جواب السّلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا عليّ حين سلّمتُ عليك ؛ وجعل بشّار يضحك ويُصفِّق بيديه وتسنيمٌ يشتُمه .

[ليس من حسنه يهاب الأسد]

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدّثنا عليّ بن محمّد النوفليّ عن عمّه قال : قالت امرأة لبشّار : ما أدري لِمَ يهابُك الناس مع قُبح وجهك ؛ فقال لها بشّار : ليس من حُسْنِه يُهاب الأسد .

[الملاحاة بينه وبين عقبة بن رؤبة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن الحجّاج قال : دخل بشّار على عقبة[2] بن سَلْم ، فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن رؤبة يُنشده رجزاً يمدحه به ، فسمِعه بشّار وجعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ ؛ ثم أقبل على بشّار فقال : هذا طرازٌ لا تُحسنه أنت يا أبا معاذ ؛ فقال له بشّار : ألي يُقال هذا ؟ أنا والله أَرجَز منك ومن أبيك وجدّك ؛ فقال له عقبة : أنا والله وأبي فتحنا للناس باب الغريب وباب الرّجز ، ووالله إنّي لخليق أن أُسُدّه عليهم ؛ فقال بشّار : ارحَمْهم رحمك الله ؛ فقال عقبة : أتستخفُّ بي يا أبا

1 ديوان بشّار : 210 .
2 ولي البصرة لأبي جعفر المنصور .

معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ فقال له بشّار : فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهّرهم تطهيراً ؛ ثمّ خرج من عنده عقبةُ مُغضَباً . فلمّا كان من غدٍ غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها[1] : [من الرجز]

يـا طَلَلَ الحيِّ بـذات الصَّمْدِ ... بالله خبِّرْ كيف كنتَ بعدِي[2]
أَوْحَشْتَ من دعدٍ وتِرْب دعدِ ... سَقْيـاً لأسمـاءَ ابنـةِ الأَشَدِّ
قامَتْ تَراءى إذ رأَتْني وَحْدِي ... كالشّمْسِ تحتَ الزِّبْرِجِ المُنْقدِّ[3]
صدَّت بخدّ وجلَتْ عن خـدِّ ... ثـم انثنـتْ كالنَّفْس المُـرتَدِّ
عَهْدِي بها سَقْياً لـه من عَهْدِ ... تُخلِـفُ وعـداً وتَفِـي بوعدِ
فنحنُ من جَهْدِ الهوى في جَهْدِ ... وزاهـرٍ مـن سَبِـطٍ وجَعْدِ
أَهْدى لـه الدّهرُ ولم يَستهدِ ... أفــوافَ نَـوْرِ الحِبَرِ المُجَدِّ[4]
يلقَى الضُّحى رَيحانُـه بسَجْدِ ... بُدِّلتُ من ذاك بُكًى لا يُجدِي
وافقَ حظّاً مـن سَعـى بجَدِّ ... ما ضرَّ أهلَ النَّوْكِ ضعفُ الجدِّ
الحُـرّ يُلْحَـى والعصا للعبدِ ... وليس للمُلْحِـف مثـلُ الردِّ
والنَّصْفُ يَكْفِيك من التعدّي ... وصاحـــبٍ كالدُّمَّـلِ المُمِدِّ[5]
حملتُه في رُقعـةٍ مـن جِلْدِي ... أرقُبُ منـه مثلَ يومِ الوِرْدِ[6]
حتى مضى غيرَ فقيـد الفَقْدِ ... وما دَرى ما رَغْبتِي من زُهدِي
اسلَمْ وحُيِّيتَ أبـــا المِلَدِّ ... مفتاحَ بـاب الحدَث المنسدِّ
مُشتَرَكَ النَّيْـل وريَّ الزَّنـدِ ... أغـرَّ لبَّـاسَ ثيـابِ الحمدِ
مـا كان منّي لك غيرُ الوُدِّ ... ثـم ثنـاءٌ مثـلُ ريح الوَرْدِ
نسَجْتُه في مُحْكَماتِ النَّـدِّ ... فالبَسْ طِـرازِي غيرَ مُستَرِدِّ
لله أيّامُـــكَ في مَعَـدِّ ... وفي بنـي قَحْطـانَ غيرَ عَدِّ

1 ديوان بشّار : 84–87 .
2 ذات الصمد : موضع أو ماء .
3 الزبرج : السحاب . والمنقد : المتقطّع .
4 أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن .
5 النصف : الإنصاف .
6 الورد : من أسماء الحمى .

يوما بذِي طِخْفَةَ عنـد الحـدِّ ومثلَه أودَعْـتَ أرضَ الهندِ[1]
بالمرْهَفاتِ والحَديـدِ السَّردِ والمُقرباتِ المُبْعداتِ الجُرْدِ
إذا الحيا أكْدى بها لا تُكْدِي تُلْجِمُ أمراً وأموراً تُسْدي
وابنُ حكيـم إن أتاك يَرْدِي[2] أصمَّ لا يسمعُ صوتَ الرعدِ
حيَّيْتَـه بتُحْفَـة المُعِـدِّ فانهَـدَّ مثـلَ الجبـل المُنْهَدِّ
كُلُّ امرىءٍ رَهْنٌ بما يُؤدِّي ورُبَّ ذي تـاجٍ كريمِ الجَدِّ
كآلِ كِسرَى وكـآلِ بُـردِ أنكَبَ جافٍ عن سبيل القصدِ[3]
فَصَلْتَه عـن مالِـهِ والوُلْدِ

فطرب عُقبة بن سَلْم وأجْزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بِخِزْيٍ ، وهرب من تحت ليلته فلم يَعُد إليه .

وذكر لي أبو دُلَفَ هاشم بن محمد الخزاعيّ هذا الخبر عن الجاحظ ، وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر إلى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجملَ بشّارٌ مَحضرَه وعِشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلمَ خلقِ الله به ، لأنّه قال له وقد فاخره بشعره : أنت يا بُنيَّ ذَهْبان الشعر إذا مُتَّ مات شعرُك معك ، فلم يوجد مَن يرويه بعدك ؛ فكان كما قال له ، ما يُعرفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالِّ على سُخفه وسقوطه وسُوء أدبه .

[كان يهوى امرأة من البصرة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ قال حدّثنا أبو عبيدة قال : كان بشّار يهوى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عبيدة[4] ، فخرجت عن البصرة إلى عُمانَ مع زوجها ، فقال بشّارٌ فيها[5] : [من الطويل]

صوت

هوَى صاحِبِي ريحُ الشَّمالِ إذا جَرَتْ وأشفَى لقلبِـي أن تهُـبَّ جَنُوبُ
وما ذاكَ إلاّ أنّها حـين تنتهِي تَناهَـى وفيهـا من عُبيدَةَ طِيبُ

1 طخفة : موضع كان فيه يوم لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .
2 يردي : يعدو .
3 أنكب : مائل .
4 ل : عبدة .
5 ديوان بشار : 19 .

عَذِيرِي مـِـنَ العُذَّالِ إذ يَعْذِلُونَنِي سَفاهاً ومـا في العاذِلـينَ لَبِيبُ

صوت

[من الطويل]

يقولونَ لو عَزَّيْتَ قلبَكَ لاَرْعَوى فقلتُ وهــل للعاشقــينَ قُلوبُ
إذا نطــقَ القــومُ الجُلوسُ فإنّني مُكِبٌّ كأنّي في الجميع غَرِيبُ[1]

[بشّار وأبو الشمقمق]

أخبرني هاشم قال حدّثني دَماذ قال حدّثني رجل من الأنصار قال : جاء أبو الشمقمق إلى بشّار يشكو إليه الضيِّقة ويحلف له أنّه ما[2] عنده شيء ؛ فقال له بشّار : والله ما عندي شيء يُغنيك ولكن قُم معي إلى عقبة بن سلم ، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ؛ فقال له بشّار[3] : [من مجزوء الكامل]

يا واحدَ العربِ الذي أمسَى وليسَ لــه نَظِيرُ
لــو كان مِثْلَــكَ آخـَـرٌ ما كان في الدنيا فَقِيرُ

فأمر لبشّار بألفيْ درهم ؛ فقال له أبو الشمقمق : نفعتَنا ونفعناك يا أبا معاذٍ ؛ فجعل بشّار يضحك .

[بشّار وأبو جعفر المنصور]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثنا زكريّا بن يحيى أبو السُّكَين[4] الطائي قال حدّثني زَحرُ بن حِصنٍ قال : حجّ المنصور فاستقبلناه بالرَّضم الذي بين زُبالة والشُّقوق[5] ، فلمّا رحل من الشُّقوق رحَلَ في وقت الهاجرة فلم يركب القبّة[6] وركب نجيباً فسار بيننا ، فجعلت الشمس تضحك[7] بين عينيه ، فقال : إنّي قائلٌ بيتاً فمن أجازه وهَبْتُ له جبّتي هذه ؛ فقلنا : يقول أمير المؤمنين ، فقال : [من الوافر]

1 مكب : مطرق .
2 ل : ليس .
3 ديوان بشار : 104 وسيردان لابن المولى في ترجمته وهما أيضاً له في معجم الشعراء : 326 وابن خلكان 6 : 362 .
4 ل : المستكين .
5 زبالة : قرية على طريق الحاج من الكوفة . الشقوق : منزل على الطريق بعد الكوفة .
6 القبة : الهودج .
7 تضحك : تتلألأ .

وهاجـرةٍ نَصبْتُ لهـا جَبِيني يُقَطِّعُ ظهرُهـا ظَهْـرَ العظايَهْ

فبدر بشار الأعمى فقال[1] : [من الوافر]

وقَفْتُ بها القَلُوصَ ففاضَ دمعي على خـدِّي وأَقْصَرَ واعِظـايَهْ

فنزع الجبّة وهو راكب فدفعها إليه . فقلت لبشّار بعد ذلك : ما فعلت بالجبّة ؟ فقال بشّار : بعتُها والله بأربعمائة دينار .

[كانت له شعر غث يعير به]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيّ قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ قال حدّثني عبد الرحمن بن العبّاس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عيّاش بن أبي ربيعة عن أبيه قال : كان بشّار منقطعاً إليّ وإلى إخوتي فكان يَغشانا كثيراً ، ثم خرج إبراهيم بن عبد الله فخرج معه عِدَّةٌ منّا ، فلمّا قُتِل إبراهيم توارينا ، وحبس المنصور منّا عدّةً من إخوتي ، فلمّا وَلِيَ المهديُّ أمّنَ الناس جميعاً وأطلق المحبوسين ، فقدِمتُ بغداد أنا وإخوتي نلتمس أماناً من المهديّ ، وكان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد الرُّصافة يُنشدون ويتحدّثون ، فلم أُطلِع بشّاراً على نفسي إلاّ بعد أن أظهر لنا المهديّ الأمان ، وكتب أخي إلى خليفته بالليل ، فصِحتُ به : يا أبا معاذ مَن الذي يقول : [من الهزج]

أُحِبُّ الخاتمَ الأحمـ ـر مِنْ حُـبِّ مَوالِيهِ

فأعـرض عنّـي وأخـذ في بعض إنشاده شعره ، ثـم صِحـتُ : يـا أبـا مُعـاذٍ مَن الذي يقول : [من الرمل]

إنّ سَلْمى خُلِقَـتْ من قَصَبٍ قصبِ السكّر لا عظـمِ الجَمَلْ
وإذا أدنيـتَ منهـا بصـلاً غلَب المسكُ على ريحِ البصلْ

فغضب وصاح : من الذي يُقَرِّعُنا بأشياءَ كنّا نعبث بها في الحداثة فهو يُعَيِّرنا بها ! فتركته ساعةً ثم صِحتُ به : يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول[2] : [من الطويل]

أخشّابُ حقّاً أنّ دارَكِ تُزْعَجُ وأنّ الذي بيني وبينَكِ يَنْهَجُ[3]

فقال : ويحك ؛ عن مثلِ هذا فسَلْ ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها ، وهي من جيّد شعره ، وفيه غناءٌ : [من الطويل]

1 ديوان بشّار : 248 .
2 ديوان بشّار : 58 .
3 ينهج : يبلى .

صوت

فواكَبِدا قد أنضَجَ الشوقُ نصفها ... ونصفٌ على نارِ الصَّبابةِ يَنضَجُ
وواحَزَنا منهنَّ يَحْفُفْن هودجاً ... وفي الهودجِ المحفوفِ بدرٌ مُتَوَّجُ
فإن جئتَها بين النساء فقل لها ... عليكِ سلامٌ ماتَ مَنْ يتزوّجُ
بكيت وما في الدمعِ منكِ خليفةٌ ... ولكنّ أحزاني عليكِ تَوَهَّجُ

الغناء لسُلَيم بن سَلاَّم رملٌ بالوسطى . ووجدتُ هذا الخبر بخطّ ابن مهرويَهْ فذكر أنّه قال هذه القصيدة في امرأة كانت تغشى مجلسه وكان إليها مائلاً يقال لها خَشَّابة ، فارسيّة ، فزُوِّجَتْ وأُخرجت عن البصرة .

[أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم : قال أبو النضير الشاعر : أنشدتُ بشّاراً قصيدةً لي ، فقال لي : أيجيئُكَ شعرُكَ هذا كلّما شئتَ أم هذا شيء يجيئك في الفَيْنةِ بعد الفينةِ إذا تَعَمَّلتَ له ؟ فقلت : بل هذا شعرٌ يجيئني كلّما أردتُه ؛ فقال لي : قل فإنّك شاعر ؛ فقلت له : لعلّك حابيتَنِي أبا مُعاذ وتحمَّلتَ[1] لي ؛ فقال : أنتَ أبقاك الله أهونُ عليّ من ذلك .

[حاول تقبيل جارية لصديق له ثم اعتذر عن ذلك]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن العمريّ عن عبّاس بن عبّاس الزِّنادِيّ عن رجلٍ من باهلة ، قال : كنتُ عند بشّارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسلّم عليه ، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال : كيف ابنتي ؟ قال : في عافيةٍ ، تدعوكَ اليوم ؛ فقال بشّار : يا باهليّ انهَضْ بنا ، فجئنا إلى منزلٍ نظيف وفَرشٍ سَرِيّ ، فأكلنا ، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية ، فلمّا أراد الانصراف قامت فأخذتْ بيد بشّار ، فلمّا صار في الصحن أومأ إليها ليقبّلها ، فأرسلت يدَها من يده ، فجعل يجول في العَرْصة ؛ وخرج المولى فقال : ما لك يا أبا معاذٍ ؟ فقال : أذنبتُ ذنباً ولا أبرحُ أو أقولَ شعراً ، فقال[2] : [من المتقارب]

أتوبُ إليك من السيئاتِ ... وأستغفرُ اللهَ من فَعْلتِي
تناولتُ ما لم أُرِدْ نَيْلَه ... على جهلِ أمري وفي سَكرتي
ووالله واللهِ ما جئتُه ... لعمدٍ ولا كان من هِمَّتي

1 لعلّها تجمّلت ، أي تكلّفت الجميل .
2 ديوان بشار : 54 عن الأغاني .

وإلاّ فَمِــتُّ إذاً ضائعــاً   وعَذَّبَنِــي اللهُ في مِيتَتِــي
فمَن نــالَ خيراً على قُبْلَــةٍ   فــلا بــاركَ اللهُ في قُبلَتِي

[كتب شعراً على باب عقبة يستنجزه وعده]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال : لمّا أنشد بشّارٌ أرجوزته : [من الرجز]

يا طللَ الحيّ بذاتِ الصَّمْدِ

أبا المِلَدِّ عُقبة بن سَلْم أمر له بخمسين ألفَ درهم ، فأخّرها عنه وكيلُه ثلاثة أيّام ، فأمر غلامه بشّار أن يكتب على باب عُقبة عن يمين الباب[1] : [من الرجز]

ما زالَ ما مَنَّيتَني من هَمِّي   والوعدُ غمٌّ فأزِحْ من غَمِّي
إن لم تُرِدْ حَمْدِي فَراقِبْ ذَمِّي

فلمّا خرج عقبةُ رأى ذلك ، فقال : هذه مِن فَعَلات بشّارٍ ، ثم دعا بالقَهْرَمانِ ، فقال : هل حملتَ إلى بشّارٍ ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيّها الأمير نحن مُضيِقون وغداً أحملُها إليه ؛ فقال : زِدْ فيها عشرة آلاف درهم واحمِلها إليه الساعة ؛ فحملها من وقته .

[نهاه المهدي عن التشبيب بالنساء]

أخبرني هاشم قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ قال : سألتُ أبا عبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال : كان أوّلُ ذلك استهتار نساء البصرة وشُبَّانِها بشعره ، حتى قال سَوّار بن عبد الله الأكبر ومالكُ بن دينار : ما شيءٌ أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى ؛ وما زالا يَعِظانه ؛ وكان واصلُ بن عطاءٍ يقول : إن مِن أخدَع حبائلِ الشيطان وأغواها لَكَلمات هذا الأعمى الملحِد . فلمّا كثُر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهديّ ، وأنشد المهديَّ ما مدحه به ، نهاه عن ذكر النساء وقولِ التشبيب ، وكان المهديّ من أشدّ الناس غَيْرةً ؛ قال : فقلت له : ما أحسَبُ شِعرَ هذا أبلغ في هذه المعاني من شعر كُثَيِّر وجميلٍ وعُروة بن حِزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة ؛ فقال : ليس كلُّ مَن يسمع تلك الأشعار يعرِف المراد منها ؛ وبشّار يُقارب النساء حتى لا يخفى عليهنّ ما يقول وما يريد ، وأيّ حُرَّةٍ حَصانٍ تسمع قول بشّار فلا يؤثِّر في قلبها ، فكيف بالمرأة الغَزِلَة والفتاة التي لا همَّ لها إلاّ الرجالُ ! ثم أنشد قولَه[2] : [من البسيط]

1 ديوان بشار : 211 .
2 ديوان بشار : 99–100 .

قـد لامَني في خليلتـي عُمَرُ — واللَّومُ في غير كُنهِـه ضَجَرُ
قـال أفق قلتُ لا فقـال بلى — قد شاعَ في الناسِ منكما الخَبَرُ
قلتُ وإذ شاعَ ما اعتذارُكَ ممّـ — ـا ليس لي فيه عندهـم عُذُرُ
ماذا عليهم ومـا لهم خَرِسُوا — لـو أنّهم في عيوبِهم نَظَرُوا
أعشَقُ وحدي ويؤخَذُون بـه — كالتُّركِ تَغْزُو فتُؤخَـذُ الخَزَرُ
يا عجباً للخلاف يـا عجبـاً — بِفِي الذي لامَ في الهوى الحجَرُ
حَسْبِي وحَسْبُ الذي كَلِفْتُ به — منّي ومنـه الحديـثُ والنّظرُ
أو قُبلَةٌ في خـلالِ ذاك ومـا — بأسٌ إذا لم تُحَـلَّ لِـي الأُزُرُ
أو عَضَّـةٌ في ذراعِهـا ولهـا — فـوق ذراعي مـن عَضِّها أَثَرُ
أو لَمسةٌ دون مِرْطِها بيدي — والبابُ قـد حال دونه السُّتُرُ
والساقُ برّاقَـةٌ مُخَلخَلُهـا — أو مَصُّ رِيقٍ وقد علا البُهُرُ[1]
واسترختِ الكفُّ للعِراك وقا — لتْ إيهِ عنّي والدَّمعُ مُنحَدِرُ
انهَضْ فما أنتَ كالذي زعموا — أنـتَ وربّـي مُغـازِلٌ أشِرُ
قد غابَتِ اليومَ عنكَ حاضِنَتي — واللهُ لي منـكَ فيـكَ يَنتَصِرُ
يا ربِّ خُذْ لي فقد ترى ضَرَعِي — من فاسقٍ جاء مـا بـه سَكَرُ
أهوى إلى مِعْضَدِي فرضَّضهُ — ذو قـوّةٍ مـا يُطاقُ مُقتدِرُ[2]
ألصقَ بي لِحْيَةً لـه خَشُنَتْ — ذاتَ سوادٍ كأنّهـا الإبَـرُ
حتّـى عَلاني وأُسرتـي غَيَبٌ — وَيْلي عليهم لو أنّهم حَضَرُوا[3]
أُقسِمُ باللهِ لا نجوتَ بهـا — فاذهبْ فأنـت المُساوِرُ الظّفِرُ
كيف بأُمّـي إذا رأتْ شَفَتي — أم كيف إن شاعَ منك ذا الخبرُ
قد كنتُ أخشى الذي ابتُلِيتُ به — منكَ فمـاذا أقولُ يـا عبرُ[4]
قلتُ لهـا عند ذاك يا سَكَني — لا بأسَ إنّـي مُجـرَّبٌ خَبِرُ

---

1 البهر : (بسكون الهاء) تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء وقد حرّك للضرورة .
2 المعضد : الدملج يلبس في العضد .
3 غيب : غائبون .
4 عبر : شديد قوي .

قُولِي لها بَقَّةٌ لها ظُفُرٌ ... إن كان في البقِّ ما له ظُفُرُ

ثم قال له : بمثل هذا الشعر تَميل القلوب ويَلِين الصَّعْبُ .

قال دَماذ قال لي أبو عبيدة : قال رجلٌ يوماً لبشّار في المسجد الجامع يُعابِثه : يا أبا معاذ ، أيُعجبك الغلام الجادل[1] ؟ فقال غير مُحتشِم ولا مُكترث : لا ، ولكن تُعجبني أُمّه .

[ورد على خالد البرمكيّ بفارس وامتدحه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني محمد بن سهل عن محمد بن الحجّاج قال : ورد بشّار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه ؛ فوعده ومَطَله ؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد ، فأخذ بلجام بغلته وأنشده[2] : [من الطويل]

أَظَلّتْ علينا منكَ يوماً سحابةٌ ... أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رِشاشُها

فلا غيمُها يُجْلي فييأسَ طامعٌ ... ولا غيثُها يأتِي فيَرْوى عِطاشُها

فحَبَس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : لن تنصرف السحابة حتى تَبُلَّك إن شاء الله .

[تظاهر بالحجّ وخرج مع سعد بن القعقاع]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثني عليّ بن حرب الطائيّ قال حدّثني إسماعيل بن زياد الطائيّ قال : كان رجلٌ منّا يقال له سعد بن القعقاع يتندّم[3] بشّاراً في المَجانة ، فقال لبشّار وهو يُنادمه : ويحك يا أبا معاذ ! قد نسبَنا الناس إلى الزَّندقة ، فهل لك أن تَحُجّ بنا حجّةً تنفي ذلك عنّا ؟ قال : نِعْمَ ما رأيتَ ؛ فاشتَريا بعيراً ومَحمِلاً وركِبا ، فلمّا مَرّا بزُرارة قال له : ويحك يا أبا معاذ ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ؟ مِلْ بنا إلى زُرارة نتنعّم فيها ، فإذا قَفَل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة وجَزَزْنا رؤوسنا فلم يَشُكَّ الناس أنّا جئنا من الحجّ ؛ فقال له بشّار : نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك ، وإنّي أخاف أن تَفضَحنا . قال : لا تخفْ . فمالا إلى زُرارة فما زالا يشربان الخمر ويَفسُقان ، فلمّا نَزَل الحاجُّ بالقادسيّة راجعين ، أخذا بعيراً ومَحمِلاً وجَزَّا رؤوسهما وأقبلا وتلقّاهما الناس يهنّئونهما ؛ فقال سعيد بن القعقاع : [من الوافر]

ألم تَرَني وبَشّاراً حَجَجْنا ... وكان الحجُّ من خيرِ التّجارَهْ

خرجْنا طالبَيْ سَفَرٍ بعيدٍ ... فمال بنا الطريقُ إلى زُرارَهْ

1 الجادل : اليافع الذي قوي واشتدّ .
2 ديوان بشار : 145 .
3 لعلّها يتقدّم .

فآبَ الناسُ قد حَجّوا وبَرُّوا وأُبْنا مُوقَرِينَ من الخسارَهْ

[أنكر عليه داود بن رزين أشياء فأجابه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم الدِّينَوَريّ قال حدّثني محمد بن عِمران بن مطر الشاميّ قال حدّثني محمد بن الحسَّان الضَّبِّي قال حدّثني محمود الورّاق قال حدّثني داود بن رزين قال : أتينا بشّاراً فأذن لنا والمائدة موضوعةٌ بين يديه فلم يَدْعُنا إلى طعامه ، فلمّا أكل دَعا بطَست فكشف عن سَوْءَته فبال ؛ ثم حضرتِ الظهرُ والعصر فلم يصلِّ ، فدنونا منه فقلنا : أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياءَ أنكرناها ؛ قال : وما هي ؟ قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعُنا إليه ؛ فقال : إنّما أَذِنتُ لكم أن تأكلوا ولو لم أُرِد أن تأكلوا لَما أذِنتُ لكم ؛ قال : ثم ماذا ؟ قلنا : ودعوتَ بطست ونحن حضورٌ فبُلْتَ ونحن نراك ؛ فقال : أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغَضّ الأبصار ، ثم قال : ومه ؛ قلنا : حضرتِ الظهرُ والعصر والمغرب فلم تُصَلِّ ؛ فقال : إنّ الذي يقبَلُها تفاريقَ يقبلها جُمْلةً .

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن بعض أصحاب بشّار قال : كنّا إذا حضرتِ الصلاةُ نقوم ويقعد بشّار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل يصلّي ، فنعود والتراب بحاله .

[بشّار والثقلاء]

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب عن الحِرمازيّ قال : قعد إلى بشّار رجلٌ فاستثقله فضَرِط عليه ضرطةً ، فظنّ الرجل أنـّها أُفلِتَتْ منه ، ثم ضَرِط أُخرى : فقال : أفلتت ، ثم ضَرِط ثالثة ، فقال : يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ قال : مَهْ ، أرأيتَ أم سمِعتَ ؟ قال : بل سمعت صوتاً قبيحاً ، فقال : فلا تُصَدِّق حتى ترى .

قال : وأنشد أبو أيّوب لبشّارٍ في رجل استثقله[1] : [من الخفيف]

رُبّما يثقُلُ الجليسُ وإن كا نَ خفيفـاً في كِفّـةِ المِيزانِ
كيفَ لا تحمِـلُ الأمانةَ أرضٌ حَمَلتْ فوقهـا أبـا سُفْيانِ

وقال فيه أيضاً[2] : [من السريع]

هل لك في مالي وعِرضي معاً وكلٍّ مـا يملـكُ جيرانِيَهْ
واذهبْ إلى أبعدِ مـا يُنْتَوى لا رَدّكَ اللهُ ولا مالِيَـهْ

1 ديوان بشّار : 231 .
2 ديوان بشّار : 248 .

[أنشد الوليد بن يزيد شعره في المزاج بالريق فطرب]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني محمد بن إبراهيم الجِيليّ قال حدّثني محمد بن عِمران الضَّبِّيّ قال أنشدنا الوليد بن يزيد قول بشّار الأعمى[1] : [من الخفيف]

أيُّها الساقيـانِ صُبَّا شَرابِـي ... واسقِيانِي من رِيقِ بيضاءَ رُودِ[2]

إن دائـي الظّمـا وإن دوائي ... شَرْبَةٌ من رُضابِ ثغرٍ بَرُودِ[3]

ولها مَضْحَكٌ كغُـرِّ الأَقاحِي ... وحديثٌ كالوَشْي وشي البُرودِ

نزلتْ في السَّوادِ من حبّةِ القلـ ... ـبِ ونالتْ زيـادةَ المُسْتَزيدِ

ثم قالـت نلقـاكَ بعـد لَيالٍ ... والليـالي يُبْلِـينَ كلَّ جديدِ

عندَها الصبرُ عن لقائي وعندي ... زَفَراتٌ يأكلـنَ قلبَ الحديدِ

قال : فطرب الوليد وقال : مَن لي بمزاجِ كاسي هذه من ريق سلمى فيَروى ظَمَئي وتَطفأ غُلّتي ! ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : إن فاتَنا ذاك فهذا .

[هجا جاره أبا زيد فهجاه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن سليمان الطُّفاويّ قال حدّثني عبد الله بن أبي بكر ، وكان جليساً لبشّار ، قال : كان لنا جارٌ يُكنى أبا زيد وكان صديقاً لبشّار ، فبعث إليه يوماً يطلب منه ثياباً بنسيئةٍ فلم يصادفها عنده ، فقال يهجوه[4] : [من الهزج]

أَلا إنّ أبـا زيـدٍ ... زَنى في ليلـةِ القَدْرِ

ولم يَـرْعَ ، تعالى اللـ ... ـهُ ربِّي ، حُرْمةَ الشَّهْرِ

وكتبها في رُقعة وبعث بها إليه ، ولم يكن أبو زيد ممّن يقول الشعر ، فقلبها وكتب في ظهرها : [من الهزج]

ألا إنّ أبـا زيـدٍ ... لـه في ذلكم عُذْرُ

أتتـــه أُمُّ بشّارٍ ... وقد ضاقَ بها الأمرُ

فواثَبهـا فجامعَهـا ... ومـا ساعدَه الصّبرُ

---

1 ديوان بشّار : 79–80 .

2 رود : الشابة الحسنة .

3 الشطر الثاني في الديوان : «إن دائي الصدى وإن شفائي» .

4 ديوان بشّار : 121 .

قال : فلمّا قُرِئَتْ على بشّار غضِب وندِم على تعرّضه لرجل لا نباهة له ، فجعل ينطَحُ الحائط برأسه غيظاً ، ثم قال : لا تَعَرَّضتُ لهجاءِ سَفِلةٍ مثلِ هذا أبداً .

[شعره في قينة]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني بعضُ ولد أبي عبيد الله وزير المهديّ ، قال : دخل بشار على المهديّ وقد عُرِضَتْ عليه جارية مغنّية فسمع غِناءها فأطربه وقال لبشّار : قُلْ في صفتها شعراً ؛ فقال[1] : [من الطويل]

ورائحــةٍ للعــين فيهــا مَخِيلَــةٌ إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْـنَ صَعِيدِ[2]
من المستَهلاّتِ السّرور على الفتى خفــا بَرقُهــا في عبقــرٍ وعُقُودِ[3]
كأنّ لساناً ساحــراً في كلامها أُعِــينَ بصوتٍ للقلـوب صَيُودِ
تُمِيــتُ بــه ألبابَنــا وقُلوبَنــا مــراراً وتُحيِيهــنَّ بعــد هُمُودِ

[شعره في عقبة بن سلم]

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال قال أبو عدنان حدّثني يحيى بن الجَوْن قال : دخل بشّار يوماً على عُقبة بن سَلْمٍ فأنشده قوله فيه[4] : [من الخفيف]

صوت

إنّما لَــذَّةُ الجَوادِ ابنِ سَلْمٍ في عَطــاءٍ ومَرْكَــبٍ لِلّقــاءِ
ليس يُعطيكَ للرجاء ولا الخو فِ ولكن يَــلَذُّ طَعْــمَ العَطاءِ
يَسقُطُ الطيرُ حيــثُ يَنْتَثِرُ الحَـ ـبُّ وتُغْشى مَنــازِلُ الكُرَماءِ
لا أُبالي صَفْحَ اللئيم ولا تَجْـ ـري دُموعي على الخَرونِ الصَّفاءِ
فعــلى عُقبــةَ السلامُ مقيمــاً وإذا سار تحــت ظــلِّ الــلواءِ

فوصَلَه بعشرة آلاف درهم . وفي هذه الأبيات خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر لرَذاذٍ ، وهو من مختار صنعته وصُدورِها ومّما تشبّه فيه بالقدماء ومذاهبهم .

[كان خلف الأحمر وخلف بن أبي عمرو يرويان شعره]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيُّ قال حدّثنا أحمد بن خَلاَّدٍ عن الأصمعيّ ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال

1 ديوان بشّار : 81–82 .
2 رائحة : واحدة الروائح وهي السحب التي تجيء رواحاً ويقابلها الغادية .
3 خفا برقها : لمع . عبقر : قرية باليمن توشى فيها الثياب والبسط . والمقصود هنا ثياب المغنية الموشاة .
4 ديوان بشّار : 14–15 .

حدّثني أحمد بن خَلاَّد عن الأصمعيّ قال : كنتُ أشهد خَلَفَ بن أبي عمرو بن العلاء وخَلَفاً الأحمر يأتيان بشّاراً ويُسلّمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدَثْتَ ؟ فيُخبرهما ويُنشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه ، فأتياه يوماً فقالا له : ما هذه القصيدة التي أحدَثتها في سلم بن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما ؛ قالا : بلغنا أنّك أكثرتَ فيها من الغريب ؛ فقال : نعم ، بلغني أنّ سَلْماً يتباصر[1] بالغريب فأحببتُ أن أُوردَ عليه ما لا يعرفه ؛ قالا : فأنشدناها ، فأنشدهما : [من الخفيف]

بَكِّرا صاحِبَيَّ قبل الهَجِيرِ   إنّ ذاكَ النجاحَ في التَّبكِيرِ

حتى فرغ منها ؛ فقال له خَلَف : لو قلت يا أبا مُعاذ مكان «إن ذاك النجاح» :

بَكِّرا فالنجاحُ في التَّبكيرِ

كان أحسن ؛ فقال بشّار : بَنَيتُها أعرابيّة وحشِيَّةً ، فقلت : «إنّ ذاك النجاح» كما يقول الأعراب البدويُّون ، ولو قلت : «بَكِّرا فالنجاح» كان هذا من كلام المولَّدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة ؛ فقام خَلَفٌ فقبَّلَ بين عينيه ؛ وقال له خلف بن أبي عمرٍو يمازحه : لو كان عُلاثَةُ[2] ولدك يا أبا معاذ لفعلتُ كما فعل أخي ، ولكنّك مولًى ، فمدّ بشارٌ يده فضرب بها فخذ خَلَفٍ وقال[3] : [من البسيط]

ارْفُقْ بعَمرٍو إذا حَرَّكْتَ نِسبَتَه   فإنّـه عربـيٌّ مـن قَواريرِ

فقال له : أفعلتَها يا أبا معاذ ؟ قال : وكان أبو عمرو يُغمَزُ في نسبه .

وأخبرني ببعض هذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن أبي عبيدة ، فذكر نحوه وقال فيه : إنّ سَلْماً يُعجبه الغريب .

[قيل له إنّ فلاناً سبّك عند الأمير فهجاه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال حدّثنا محمد بن سلاَّم قال قال لي خَلَفٌ : كنت أسمع ببشّار قبل أن أَراه ، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره ، فاستنشدتهم شيئاً من شعره ، فأنشدوني شيئاً من شعره لم يكن بالمحمود عندي ، فقلت : والله لآتينّه ولأُطَـأْطِئَنَّ منه ، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه ، فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثّة ، فقلت : لعن الله مَن يُبالي بهذا ، فوقفتُ

1 يتباصر بالغريب : يظهر أنّه بصير به .
2 يعني أنّه لو كان عربيّاً قحّاً .
3 ديوان بشّار : 123 .

أتأمَّلُه طويلاً ، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال : إنّ فلاناً سبّك[1] عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك ؛ فقال : أوَ قد فعل ؟ قال : نعم ؛ فأطرق ، وجلس الرجل عنده وجلستُ ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يردُد عليهم ، فجعلوا ينظرون إليه وقد دَرَّت أوداجُه ، فلم يلبث إلاّ ساعةً حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفخمه[2] : [من الكامل]

نُبِّئتُ نائِـلكَ أمّـــهِ يغتابُنِـي ... عنـد الأميرِ وهـل عـليَّ أميرُ
نارِي مُحَرِّقَـةٌ وبَيتِي واسِعٌ ... للمعتَفـينَ ومَجلِسي مَعْمُورُ
ولِيَ المهابــةُ في الأحبَّةِ والعِدا ... وكأنّنــي أسَدٌ لــه تامُــورُ[3]
غَرِثَتْ حَليلتُــه وأخطأ صيدَه ... فلـه على لَقَـمِ الطريـق زَئِيرُ

قال : فارتَعَدَتْ والله فَرائِصي واقْشَعَرَّ جلدي وعَظُمَ في عيني جدّاً ، حتى قلت في نفسي : الحمد لله الذي أبعدني من شَرِّكَ .

[شعر له في مدح خالد بن برمك]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا العباس بن خالد قال[4] : مدح بشّار خالد بن برمكٍ فقال فيه : [من الطويل]

لعَمْري لَقَد أجْدى عليَّ ابنُ برمَكٍ ... وما كلُّ مَنْ كان الغِنَى عنده يُجْدِي
حَلَبتُ بشعْرِي راحَتَيْـه فَدَرَّتـا ... سَماحاً كما دَرَّ السَّحابُ مع الرّعدِ
إذا جئتَـه للحمــد أشرقَ وجهُه ... إليكَ وأعطاكَ الكرامةَ بالحمدِ
لــه نِعَمٌ في القــومِ لا يستثيبُها ... جـزاءً وكَيْلَ التاجـر المُـدَّ بالمُدِّ
مُفِيـدٌ ومِتلافٌ ، سَبيلُ تُراثِـه ... إذا ما غدا أو راحَ كالجزْرِ والمَدِّ[5]
أخالـدُ إنّ الحمـدَ يبقَى لأهلِـه ... جمالاً ولا تبقَى الكُنوزُ على الكَدِّ
فَأَطْعِمْ وكُلْ مـن عارَةٍ مُستَرَدَّةٍ ... ولا تُبقِهـا ، إن العَـوارِيَ للرَّدِّ

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعطِيهِ في كلِّ وِفادَةٍ خمسة آلاف درهم ، وأمر خالدٌ أن يُكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه . وقال ابنه يحيى بن خالد : آخرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتين .

1 ل : سبعك .
2 ديوان بشّار : 111 .
3 التامور : عرين الأسد .
4 ديوان بشار : 88–89 .
5 تراثه لعلّها «ثرائه» ليستقيم المعنى .

[عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عثمان[1] قال : كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عُمّال الخراج ، وكان عفيفاً بخيلاً ، فسأل عُمَرَ بن العلاء ، وكان جواداً شجاعاً ، في رجل فوهب له مائة ألف درهم ؛ فدخل أبو الوزير على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عُمَر بن العلاء خائنٌ ؛ قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : كُلِّمَ في رجل كان أقصى أَمَلِه ألفَ درهم فوهب له مائة ألف درهم ؛ فضحك المهديّ ثم قال : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعمَل على شاكِلَتِه﴾ ، أما سمعت قول بشّار في عمر[2] : [من المتقارب]

إذا دَهَمَتْكَ عِظامُ الأمورِ فَنَبِّهْ لهـا عُمَراً ثم نَمْ
فتـىً لا ينامُ على دِمْنَـةٍ ولا يَشْرَبُ الماءَ إلاّ بدَمْ[3]

أوَ ما سمعتَ قول أبي العتاهية فيه : [من الكامل]

صوت

إنّ المطايا تَشتكِيكَ لأنّها قَطَعَتْ إليك سَباسِباً ورِمالا
فإذا ورَدْنَ بنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً وإذا رجَعْنَ بنا رجَعْنَ ثِقالا

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، أوَ ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية : [من البسيط]

يا ابنَ العَلاء ويا ابنَ القَرْمِ مِرْداسِ إنّي لأُطْرِيكَ في صَحْبِي وجُلاَّسي
حتى إذا قيل ما أعطاكَ من نَشَبٍ أُلفِيتُ من عُظْمِ ما أَسديتَ كالناسي

ثم قال : مَن اجتمعتْ أَلْسُنُ الناس على مدحه كان حقيقاً أن يُصدِّقَها بفعله .

[شعره في جارية له سوداء]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أبو بكر الرَّبعِيّ قال : كانت لبشّار جارية سوداء وكان يَقَعُ عليها ، وفيها يقول[4] : [من السريع]

وغـادَةٍ سَوداءَ بَرَّاقَـةٍ كالماءِ في طِيبٍ وفي لِينِ
كأنّها صِيغَتْ لمن نالَها من عَنبرٍ بالمِسكِ مَعجُونِ

---

1 ل : طهمان .
2 ديوان بشار : 218 وفيه «إذا أيقظتك حروب العدا» .
3 دمنة : حقد .
4 ديوان بشّار : 239 عن الأغاني .

[ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني أبو الشِّبل البُرْجُميّ قال : قال رجلٌ لبشّار : إنّ مدائحك عُقبة بن سَلْمٍ فوق مدائحكَ كلَّ أحدٍ ؛ فقال بشّار : إنّ عطاياه إيّايَ كانت فوق عطاءِ كلّ أحدٍ ، دخلتُ إليه يوماً فأنشدته : [من الخفيف]

حرَّم اللهُ أن تَرى كابنِ سَلْمٍ عُقبَـةِ الخيرِ مُطْعِـمِ الفقراءِ
ليس يُعطِيكَ لِلرَّجاءِ ولا الخو فِ ولكن يَلَذُّ طَعْـمَ العَطاءِ
يَسقطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحَـ ـبُّ وتُغشى مَنـازِلُ الكُرَماءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار ، وها أنا قد مدحت المهديّ وأبا عبيد الله وزيره ، أو قال يعقوب بن داود ، وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً ، أفَأُلامُ على مدحي هذا !

[أبو الشمقمق ينتزع الجزية من بشّار]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ أيضاً : حدّثني عليّ قال حدّثني عبيد الله بن أبي الشِّيص عن دِعبِل بن عليّ قال : كان بشّار يُعطي أبا الشمقمق في كلّ سنة مائتي درهمٍ ، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له : هَلُمَّ الجزية يا أبا مُعاذ ؛ فقال : ويحَك ! أجزيةٌ هي ؟ قال : هو ما تسمع ؛ فقال له بشّار يمازحه : أنتَ أفصحُ منّي ؟ قال : لا ؛ قال : فأعلمُ منّي بمثالب الناس ؟ قال : لا ؛ قال : فأشعرُ منّي ؟ قال : لا ؛ قال : فلِمَ أُعطيك ؟ قال : لئلاّ أهجُوَكَ ؛ فقال له : إنْ هجوتَني هجوتُك ؛ فقال له أبو الشمقمق : هكذا هو ؟ قال : نعم ، فقل ما بدا لك ؛ فقال أبو الشمقمق : [من الرجز]

إنّي إذا ما شاعِرٌ هَجانِيَهْ ولَجَّ في القـولِ له لِسانِيَهْ
أدخلتُه في استِ آمِّهِ عَلانِيَهْ بشّارُ يا بشّارُ . . . .

وأراد أن يقول : «يا ابن الزانِيَهْ» ؛ فوثب بشّارٌ فأمسك فاه ، وقال : أراد والله أن يشتمني ، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له : لا يسمَعَنَّ هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق .

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيُّ قال حدّثني محمد بن بكر قال حدّثني الأصمعيّ قال : أمر عقبة بن سَلْم الهُنائيّ لبشّار بعشرة آلاف درهم ، فأُخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّاراً فقال له : يا أبا مُعاذٍ ، إنّي مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشدون : [من مجزوء الرمل]

هَلِّلِينَـــهْ هَلِّلِينَــــهْ طَعْــنَ قِثَّــاةٍ لِتِينَـهْ
إنّ بشّارَ بــنَ بـــردٍ تَيسٌ اعمَى في سَفِينَـهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتي درهم فقال : خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق .

[شعره في هجاء العبّاس بن محمد بن علي]

أخبرني أحمد قال حدّثنا أبو محمد الصَّعْتَرِيّ قال حدّثنا محمد بن عثمان البصريّ قال : استمنحَ بشّار بن برد العبّاس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس فلم يَمنحْه ، فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

ظِلُّ اليسارِ على العباسِ مَمـدُودُ وقَلبُـهُ أبـداً في البخـلِ مَعقُودُ
إنّ الكريمَ لَيُخفِي عنكَ عُسرَتَهُ حتى تَراه غَنِيّـاً وهـو مجهودُ
وللبخيـلِ على أموالِـهِ عِلَـلٌ زُرقُ العيونِ عليها أَوجُـهٌ سُودُ
إذا تكرَّهتَ أن تُعطِي القليلَ ولم تَقـدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهَـرِ الجُودُ
أَوْرِقْ بخَيرٍ تُرَجَّـى لِلنّوالِ فما تُرْجى الثمارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثَّ النَّـوالَ ولا تَمنَعْـكَ قِلَّتُهُ فكلُّ مـا سَدَّ فَقراً فهـو محمودُ

[اجتمع بعباد بن عباد وسلّم عليه]

أخبرني أحمد قال حدّثنا العَنزيُّ قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلَّبيّ قال حدّثني أبي عن عبّاد بن عبّاد قال : مررتُ ببشّار فقلت : السلامُ عليك يا أبا معاذ ؛ فقال : وعليك السلام ، أعبّاد ؟ فقلت : نعم ؛ قال : إنّي لحسن الرأي فيك ؛ فقلت : ما أحوَجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ !

[جارى امرأ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرني محمد بن عمر الجُرجانيّ عن أبي يعقوب الخُرَيميّ الشاعر أنّ بشّاراً قال : لم أزل منذ سمعتُ قول امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول : [من الطويل]

كأنّ قلـوبَ الطيرِ رَطْبـاً ويابساً لدى وكرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي

أُعمِلُ نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلتُ : [من الطويل]

كأنّ مُثارَ النّقعِ فـوقَ رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تَهـاوَى كَواكِبُهْ

قال يحيى : وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمريّ فقال وأحسن : [من البسيط]

ليلٌ من النّقْعِ لا شمسٌ ولا قَمَرٌ إلاّ جَبِينُكَ والمَذْرُوبَةُ الشُّرُعُ[2]

1 ديوان بشار : 74–75 .
2 المذروبة الشُّرع : السيوف المحدّدة المشروعة .

[كان إسحاق الموصليّ يطعن في شعره ولمّا أُنشد منه سكت]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال : كان إسحاق الموصليّ يطعن على شعرِ بشّار ويضع منه ويذكر أنّ كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً ؛ فقلنا : أتقول هذا القول لمن يقول[1] : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ في كلِّ الأمـورِ مُعاتباً صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخـاكَ فإنّهُ مُقـارِفُ ذنـبٍ مَـرّةً ومُجانِبُهْ
إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تَصْفُو مَشارِبُهْ

لأبي العنبس بن حمدون في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ بالبنصر ، قال عليّ بن يحيى : وهذا الكلامُ الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولا حَشوَ فيه ؛ فقال لي إسحاق : أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنّى أنّ شُبَيلَ بن عزرة الضُّبَعيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس ، وكان عالماً بشعره لأنّهما جميعاً من بني ضبيعة ؛ فقلت له : أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنّه قال لبشّار : إنّ شُبيلاً أخبره أنّها للمتلمّس ؛ فقال : كذبَ والله شُبيلٌ ، هذا شعري ، ولقد مدحت به ابن هُبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفاً . وقد صدق بشّار ، قد مدح في هذه القصيدة ابن هبيرة ، وقال فيها : [من الطويل]

روَيـدَ تَصاهَـلْ بالعـراق جِيادُنا كأنّكَ بالضّحاكِ قـد قامَ نادِبُهْ
وسامٍ لمروانٍ ومِنْ دونـه الشَّجا وهَوْلٌ كَلُجِّ البحرِ جاشَتْ غوارِبُهْ
أحَلَّتْ بـه أُمُّ المنايــا بناتِها بأسيافنا ، إنّا رَدى مَـنْ نُحارِبُهْ
وكنّا إذا دَبَّ العـدوُّ لسِخْطِنا وراقَبَنــا في ظاهــرٍ لا نُراقِبُهْ
ركِبنا لـه جَهْـراً بكلِّ مُثَقَّفٍ وأبيضَ تَستسْقي الدِّمـاءَ مَضارِبُهْ

ثم قلت لإسحاق : أخبرني عن قول بشّار في هذه القصيدة : [من الطويل]

فلمّا تَوَلَّـى الحَـرُّ واعتَصَرَ الثّرى لَظى الصَّيفِ مِنْ نَجمٍ تَوَقَّدَ لاهِبُهْ
وطارَتْ عَصافيرُ الشَّقائقِ واكتسَى من الآلِ أمثـالَ المَجَـرَّةِ ناضِبُهْ[2]
غَدَتْ عانَةٌ تشكو بأبصارِها الصَّدى إلى الجأْب إلاّ أنّها لا تُخاطِبُهْ

العانة : القَطِيع من الحمير ، والجأب : ذكرها . ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنّ

---

1 ديوان بشار : 42–48 .

2 الشقائق : جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب .

العطش قد تبيّن في أحداقها فغارت ، قال : وهذا من أحسن ما وُصِف به الحمار والأُتُن ، أفهذا للمتلمّس أيضاً ؟ قال : لا ؛ فقلت : أفما هو في غاية الجَودة وشبيهٌ بسائر الشعر ؟ فكيف قصد بشّار لسرقة تلك الأبيات خاصّة ! وكيف خصّه بالسرقة منه وحدَه من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويلٍ ؟ وقد روى الرُّواةُ شعره وعلم بشّار أنّ ذلك لا يخفى ، ولم يُعثَر على بشّار أنّه سرق شعراً قطّ جاهليّاً ولا إسلاميّاً . وأُخرى فإنّ شعر المتلمّس يُعرفُ[1] في بعض شعر بشّار ؛ فلم يردُدْ ذلك بشيءٍ .

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة أنّ بشّاراً أنشده : [من الطويل]

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِباً صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

وذكر الأبيات . قال : وأنشدتُها شُبيلَ بن عَزْرَةَ الضُّبَعِيّ ، فقال : هذا للمتلمّس ؛ فأخبرتُ بذلك بشّاراً ، قال : كذب والله شُبَيل ، لقد مدحتُ ابن هبيرة بهذه القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفاً .

[سأل طاهر عن ولد بشّار ليبرّهم]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم[2] المَروَزِيّ ، وكان أبوه من قوّاد طاهر ، قال حدّثني أبي قال : لمّا خلعَ محمّدٌ المأمونَ وندَب له عليَّ بنَ عيسى ، ندب المأمون للقاء عليّ بن عيسى طاهِرَ بن الحسين ذا اليمينين وجلس له لعَرضِه وعَرْض أصحابه ، فمرّ به ذو اليمينين مُعترضاً وهو يُنشد : [من الطويل]

رُوَيدَ تَصاهَلْ بالعِراق جيادُنا كأنّكَ بالضحّاكِ قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه ؛ فقال ذو الرِّياسَتَين : يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ العِراق ؛ قال : أجل . فلمّا صار ذو اليمينين إلى العراق سأل : هل بقي من ولد بشّار أحد ؟ فقالوا : لا ؛ فتوهّمت أنّه قد كان همَّ لهم بخيرٍ .

[غضب على سلم الخاسر لأنّه سرق من معانيه]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح ، وكان أحدَ الأدباء ، قال : غَضِبَ بشّارٌ على سَلْمٍ الخاسِرِ وكان من تلامذته ورُواته ، فاستشفع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاؤوه في أمره ؛ فقال لهم : كلُّ حاجةٍ لكم مَقْضِيَّةٌ إلاّ سَلْماً ؛ قالوا : ما جئناك إلاّ في سَلْمٍ ولا بدّ من أن تَرضى عنه لنا ؛ فقال : أين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو هذا ؛ فقام إليه سَلْمٌ فقبّل رأسه ومثَل بين

1 ل : يفرق .

2 ل : علي .

يديه وقال : يا أبا معاذ ، خرِّيجُكَ وأُديبُكَ ؛ فقال : يا سَلْمُ ، مَن الذي يقول : [من البسيط]

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجته   وفازَ بالطّيباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

قال : أنت يا أبا مُعاذٍ ، جعلني الله فداءَكَ ! قال : فمَن الذي يقول : [من مخلّع البسيط]

مَـنْ راقـبَ الناسَ مـات غَمّاً   وفـــاز باللَّـــذّةِ الجَسُورُ

قال : خرِّيجُكَ يقول ذلك (يعني نفسه) ؛ قال : أفتأخُذُ معانيَّ التي قد عُنِيتُ بها وتَعِبتُ في استنباطها ، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ مِنْ ألفاظي حتى يُروى ما تقول ويذهب شعري ! لا أرضى عنك أبداً ، قال : فما زال يتضرَّعُ إليه ، ويشفَعُ له القومُ حتى رَضِيَ عنه . وفي هذه القصيدة يقول بشّارٌ[1] : [من البسيط]

لو كنتِ تَلْقِينَ ما نَلْقى قَسَمتِ لنا   يوماً نَعِيشُ بــه منكم ونَبتَهِجُ

صوت

[من البسيط]

لا خيرَ في العيش إن كنّا كذا أبدا   لا نَلتقِي وسبيلُ الملتَقى نَهَجُ[2]

قالوا حرامٌ تلاقِينا فقلت لهم   ما في التَّلاقِي ولا في قُبْلَةٍ حَرَجُ

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجتهِ   وفاز بالطّيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

أشكو إلى الله هَمّاً ما يُفارِقُني   وشُرَّعاً في فُؤادِي الدّهرَ تعتَلِجُ

[أنشد الأصمعيّ شعره في هجو باهلة]

أخبرنا محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خَلاَّدٍ قال : أُنشدتُ الأصمعيّ قول بشّارٍ يهجو باهلة[3] : [من الرمل]

ودعـــاني مَعشَرٌ كُلُّهُــمُ   حُمُقٌ دام لهــمْ ذاكَ الحُمُقْ

ليس مــن جُرمٍ ولكن غاظَهُم   شَرَفِي العارِضُ قــد سَدَّ الأُفُقْ

فاغتاظ الأصمعيّ فقال : وَيْلِي على هذا العبد القِنّ ابنِ القِنّ[4] !

[حديثه مع امرأة في الشيب]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني

1 ديوان بشّار : 59-60 .
2 نهج : بيّن واضح .
3 ديوانه : 168- 169 .
4 القن : العبد مُلك هو وأبوه .

عبّاس بن خالد قال سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدِّثُ : أنّ امرأةً قالتْ لبشّار : أيّ رجل أنتَ لو كنتَ أسودَ اللحية والرأس ! قال بشّار : أما علِمتِ أنّ بِيض البُزاة أثمن من سُود الغِربان ؛ فقالت له : أمّا قولك فحَسَنٌ في السّمع ، ومن لك بأن يَحسُن شَيبُك في العين كما حسُنَ قولك في السّمع ! فكان بشّار يقول : ما أفحمني قطّ غير هذه المرأة .

[أحبّ الأشياء إليه]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازنيّ : سئل بشّار : أيُّ متاع الدنيا آثرُ عندكَ ؟ فقال : طعامٌ مُزّ ، وشرابٌ مُرّ ، وبنتُ عشرين بِكْر .

[دخل إليه نسوة وطلب من إحداهنّ أن تواصله]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن صالح بن عطيّة قال : كان النساء المتظرِّفات يدخُلْنَ إلى بشّار في كلّ جمعة يومين ، فيجتمعن عنده ويسمَعْن من شعره ، فسمِع كلام امرأة منهنّ فعلِقَها قلبُه وراسلها يسألها أن تواصله ؛ فقالت لرسوله : قل له وأيُّ معنى فيك لي أوْ لك فيّ ! وأنت أعمى لا تراني فتعرف حسني ومقداره ، وأنتَ قبيحُ الوجه فلا حظّ لي فيك ؛ فليت شِعري لأيّ شيء تطلُب وِصال مثلي ؟ وجعلَتْ تهزأُ به في المخاطبة ؛ فأدّى الرسول الرسالة ، فقال له : عُد إليها فقل لها : [من الكامل]

أيـرِي لــه فضلٌ على آيارهم ... وإذا أشظّ سَجدْنَ غير أُوابي[1]

تلقاه بعـد ثـلاثَ عشْرةَ قائماً ... فعلَ المؤذّن شكَّ يومَ سَحابِ

وكأنّ هامَــةَ رأسه بطّيخـةٌ ... حُمِلتْ إلى مَلِكٍ بدجلةَ جابي[2]

[اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيبانيّ عن أبيه قال : قال مروان لبشّار لمّا أنشده هذا البيت : [من الرمل]

وإذا قلتُ لهـا جُــــودِي لنا ... خرجَتْ بالصَّمْت مِن لا ونَعَمْ

جعلني الله فِداءك يا أبا معاذ ! هلاّ قلتَ : «خَرِستْ بالصَّمْت» ؛ قال : إذاً أنا في عقلك فضّ الله فاك ! أأتطيّر على مَن أُحِبّ بالخَرس ؟ .

---

1 أشظ : أنعظ . أوابي : ممتنعات آبيات .

2 جابي : جامع الخراج .

[مدح خالد البرمكيّ فأجازه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني بعضُ أصحابنا قال : وفَد بشّار إلى خالد بن برمك وهو على فارِس فأنشده[1] : [من الطويل]

أخالــدُ لم أُخبِـطْ إليك بذمّةٍ ... سوى أنّني عافٍ وأنتَ جَوادُ
أخالدُ بينَ الأجر والحمدِ حاجتي ... فأيّهما تأتــي فأنــتَ عِمادُ
فإن تُعطني أُفرِغْ عليك مدائحي ... وإن تأبَ لم يُضْرَبْ عليّ سدادُ
رِكابي على حَرْفٍ وقلبي مُشَيَّع ... وما لي بأرض الباخلـينَ بِلادُ[2]
إذا أنكرتني بَلـدةٌ أو نَكِرْتُها ... خرجتُ مع البازِي عليّ سَوادُ

قال : فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضَع واحداً عن يمينه وواحداً عن شِماله وآخرَ بين يديه وآخر خلفَه ، وقال : يا أبا معاذ ، هل استقلّ العماد ؟ فلَمس الأكياس ثم قال : استقلّ والله أيّها الأمير .

[مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال محمد بن الحجّاج حدثني بشّار قال : دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة ، فأنشدته : [من الرجز]

إنّ السّلامَ أيُّهـا الأميرُ ... عليكَ والرّحمةُ والسّرورُ

فسمعتُه يقول : إنّ هذا الأعمى لا يدَعنا أو يأخذ من دراهمنا شيئاً ؛ فطمعتُ فيه فما برحتُ حتّى انصرفتُ بجائزته .

[طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة وهجاه فانقطع عنه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال : وقَف رجلٌ من بني زيد شريفٌ ، لا أُحِبّ أن أُسمّيَه ، على بشّار ، فقال له : يا بشّار قد أفسدتَ علينا مَوالينا ، تَدعوهم إلى الانتفاء منّا وتُرغّبهم في الرُّجوع إلى أصولهم وترك الوَلاء ، وأنت غيرُ زاكي الفَرع ولا معروف الأصل ؛ فقال له بشّار : والله لأَصْلِي أكرمُ من الذهب ، ولَفَرْعي أزكى من عمل الأبرار ، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبَكَ له بنسبه ، ولو شئتُ أن أجعل جوابَ كلامك كلاماً[3] لفعلتُ ، ولكنّ موعدك غدا بالمِربَد ؛ فرجع الرجل إلى منزله وهو يتوهّم أنّ بشّاراً يحضُر معه المِربد ليفاخره ، فخرج من الغد يريد المِربد فإذا رجل يُنشِد : [من الطويل]

1 ديوان بشار : 70–71 .
2 الحرف : الناقة القوية . ومشيع : شجاع .
3 كلاماً في ل : شعراً .

شهِدتُ على الزَّيديّ أنّ نِساءَه ضِياعٌ إلى أيـر العُقيليّ تَزفِرُ[1]

فسأل عمّن قال هذا البيت ؛ فقيل له : هذا لبشّار فيك ؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المِربد حتّى مات .

قال ابن سَلاّم : وأنشد رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي[2] : [من الطويل]

بَلَوتُ بنـي زيدٍ فمـا في كِبارهم حُلـومٌ ولا في الأصغَريـنَ مُطهَّرُ
فأبلغْ بنـي زيـدٍ وقـلْ لَسراتهم وإن لم يكـن فيهم سَراةٌ تُوقَّرُ
لأمِّكم الوَيـلاتُ إنّ قصائدي صَواعـقُ منهـا مُنجـدٌ ومغوِّرُ
أجَدَّهـم لا يتَّقـونَ دَنِيّـةً ولا يُؤثِـرون الخيرَ والخيرُ يؤثرُ
يَلُفُّون أولاد الزّنـا في عِدادِهم فعِدَّتُهم من عِـدّةِ الناسِ أكثرُ[3]
إذا مـا رأوا مَنْ دأبُه مثلُ دأبهم أطافوا بـه ، والغَيُّ للغيِّ أصوَرُ[4]
ولـو فارقـوا من فيهمُ من دَعارةٍ لمـا عرفتْهم أمُّهـم حـين تَنظُرُ
لقـد فخَـروا بالمُلْحَقِينَ عشيَّةً فقلتُ افخروا إن كان في اللؤمِ مفخَرُ
يريـدون مَسْعاتِـي ودون لقائِها قناديلُ أبـوابِ السَّمواتِ تَزْهَرُ[5]
فقل في بني زيـدٍ كما قال مُعْرِبٌ قَواريـرُ حَجَّامٍ غـداً تَتكَسَّرُ

فقال يونس للذي أنشده : حَسْبُك حسبك ؛ مَنْ هَيَّجَ هذا الشيطانَ عليهم ؟ قيل : فلانٌ ؛ فقال : رُبَّ سَفِيهِ قومٍ قد كسَبَ لقومه شرّاً عظيماً .

[ضمن مثلاً في شعره عند عقبة بن سلم واستحقّ جائزته]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني عبد الله بن بُشر بن هلال قال حدّثني محمد بن محمد البصريّ[6] قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجّاج قال : قال بشّار : دعاني عقبة بن سَلْم ودعا بحمّاد عَجْرَد وأعشى باهلة ، فلمّا اجتمعنا عنده قال لنا : إنّه خطر ببالي البارحة مَثَلٌ يتمثّله الناس : «ذهبَ الحمارُ يطلبُ قرنَيْنِ فجاءَ بِلا أذنيْنِ» فأَخْرِجوه من الشعر ، ومن أخرجَه فله خمسة آلاف درهم ، وإن لم تفعلوا جَلَدْتُكم كُلَّكم خمسمائة ؛ فقال حمّاد :

1 ضباع : جمع ضبعة وهي الناقة تشتهي الفحل .
2 ديوان بشار : 115– 116 .
3 يلفون : يجمعون .
4 أصور : أميل .
5 مسعاتي : مكرمتي . تزهر : تتلألأ .
6 ل : المضري .

أجِّلْنا أعزّ الله الأمير شهراً ؛ وقال الأعشى : أجِّلْنا أسبوعين ؛ قال : وبشّار ساكتٌ لا يتكلّم ؛ فقال له عقبة : مالكَ يا أعمى لا تتكلّم ! أعمى الله قلبك ؛ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، قد حضرني شيءٌ فإن أمرتَ قلتُه ؛ فقال قل ؛ فقال[1] : [من السريع]

شَطَّ بِسَلْمى عاجلُ البينِ وجاورتْ أُسْدَ بَنِي القَيْنِ
ورَنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً كادتْ لها تنشَقُّ نصفَيْنِ
يا ابنةَ مَن لا أشتهي ذكرَه أخشى عليهِ عُلَقَ الشَّيْنِ
واللهِ لو ألقاكِ لا أتّقي عيناً لقبَّلتُكِ ألفيْنِ
طالبتُها دَيني فراغتْ به وعَلَّقتْ قلبي مع الدّيْنِ
فصِرتُ كالعَيْرِ غدا طالباً قَرْناً فلم يَرجِعْ بأُذْنيْنِ

قال : فانصرف بشّارٌ بالجائزة .

[قصّته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة الكوفيّ قال حدّثني عثمان بن عمرو الثقفيّ قال قال أبانُ بن عبد الحميد اللاحقيّ : نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قَيس عَيلان وكان فيهم بيانٌ وفصاحة ، فكان بشّار يأتيهم ويُنشدهم أشعاره التي يمدح بها قيساً فيُجِلّونه لذلك ويُعظّمونه ، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدّثن إليه وينشدهنّ أشعاره في الغزل وكنّ يُعجَبن به ، وكنتُ كثيراً ما آتي ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم ، فأتيتُهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا ، فجئتُ إلى بشّار فقلت له : يا أبا معاذ ، أعَلِمتَ أنّ القوم قد ارتحلوا ؟ قال : لا ؛ فقلت : فاعلم ؛ قال : قد علمتُ لا علمتَ ؛ ومضيتُ ، فلمّا كان بعد ذلك بأيّام سمعتُ الناس يُنشدون[2] : [من الوافر]

دعا بفِراق مَنْ تَهْوى أبانُ ففاضَ الدّمعُ واحترقَ الجَنانُ
كأنّ شَرارةً وقعَتْ بقلبي لها في مُقْلتِي ودَمِي استِنانُ[3]
إذا أنشدتُ أو نَسَمَتْ عليها رياحُ الصّيفِ هاجَ لها دُخانُ

فعلِمتُ أنّها لبشّار ، فأتيتُه فقلت : يا أبا معاذ ، ما ذنبي إليك ؟ قال : ذنبُ غرابِ البين ؛ فقلت : هل ذكرتَني بغير هذا ؟ قال : لا ؛ فقلت : أَنشُدُكَ اللهَ ألاّ تزيد ؛ فقال : امضِ لشأنك فقد تركتُكَ .

---

1 ديوان بشّار : 238–239 .
2 ديوان بشّار : 222 عن الأغاني .
3 استنان : سرعة السير .

[بشّار وجعفر بن سليمان]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني يحيى بن سعيد الأيوزَرذِي المعتزليّ قال حدّثني أحمد بن المعذّل عن أبيه قال : أنشد بشّار جعفر بن سليمان[1] : [من الطويل]

أقِلّي فإنّا لاحِقونَ وإنّما يُؤَخِّرنا أنّا يُعَدُّ لنا عَدّا
وما كنتُ إلاّ كالأغرّ ابن جعفرٍ رأى المالَ لا يبقى فأبقى به حمدا

فقال له جعفر بن سليمان : مَنِ ابنُ جعفرٍ ؟ قال : الطيّارُ في الجنّة ؛ فقال : لقد سامَيْتَ غير مُسامًى ؛ فقال : والله ما يُقعِدُني عن شأوه بعد النسب ، لكن قِلَّةُ النشب ، وإنّي لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندي الكثيرُ ، وما على مَن جاد بما يملك ألاّ يهبَ البدورَ ؛ فقال له جعفر : لقد هَزَزْتَ أبا مُعاذ ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه .

[جوابه عندما سئل عن ميله للهجاء دون المديح]

ونسخت من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العَلَويّ قال : قيل لبشّار : إنّك لكثيرُ الهِجاء ؛ فقال : إنّي وجدتُ الهِجاءَ المؤلم آخَذَ بِضَبُع[2] الشاعر من المديح الرائع ، ومَن أراد من الشعراء أن يُكرَمَ في دَهرِ اللئامِ على المديح فليستعدَّ للفقرِ وإلاّ فليُبالِغ في الهجاء ليُخافَ فيُعطى .

[بشّار في صباه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان بُردٌ أبو بشّار طَيّاناً حاذِقاً بالتّطيين ، ووُلِد له بشّار وهو أعمى ، فكان يقول : ما رأيتُ مولوداً أعظم بركةً منه ، ولقد وُلِد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعتُ مائتي درهم . ولم يمت بردٌ حتى قال بشّار الشعر . وكان لبشّار أخوانِ يقال لأحدهما : بشر ، وللآخر : بشير ، وكانا قصّابَين وكان بشّار بارّاً بهما ، على أنّه كان ضيّق الصدر متبرِّماً بالناس ، فكان يقول : اللهمّ إنّي قد تبرَّمت بنفسي وبالناس جميعاً ، اللهمّ فأَرِحني منهم . وكان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسِّخونها ويُنتِنون ريحَها ، فاتّخذ قميصاً له جَيبان وحلف ألاّ يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذونها بغير إذنه ؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته فيقول إذا وجد رائحةً كريهةً من ثوبه : «أينما أتوجَّه أَلْقَ سَعْدا» . فإذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على نَتْنِها ووسَخِها ، فيقال له : ما هذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صِلة الرّحم . قال : وكان يقول الشعر وهو صغير ، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه فشكَوه فيضربه ضرباً

1 ديوان بشّار : 76–77 .
2 الضبع : العضد أو ما بين الإبط إلى منتصف العضد .

شديداً ، فكانت أمّه تقول : كم تضرب هذا الصبيّ الضرير ، أما ترحمه ؟ فيقول : بلى والله إنّي لأرحمه ولكنّه يتعرّض للناس فيشكونه إليّ ؛ فسمعه بشّار فطمِع فيه فقال له : يا أبتِ إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليك هو قول الشعر ، وإنّي إن ألممتُ عليه أغنيتُكَ وسائرَ أهلي ، فإن شَكَوني إليك فقل لهم : أليس الله يقول : ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمى حَرَجٌ﴾ . فلمّا عاودوه شَكواه قال لهم بُردٌ ما قاله بشّار ؛ فانصرفوا وهم يقولون : فِقْهُ بُردٍ أغْيظُ لنا من شعرِ بشّار .

[أعطاه فتى مائتي دينار لشعره في مطاولة النساء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني محمد بن عثمان الكُرَيْزِيّ قال حدّثني بعض الشعراء قال : أتيتُ بشّاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار ، فقال لي : خذ منها ما شئت ، أوَ تدري ما سببها ؟ قلت : لا ؛ قال : جاءني فتًى فقال لي : أنت بشّار ؟ فقلت : نعم ؛ فقال : إنّي آليتُ أن أدفع إليك مائتيْ دينارٍ وذلك أنّي عَشِقتُ امرأة فجئتُ إليها فكلّمتها فلم تلتفِت إليّ ، فهمَمتُ أن أتركها فذكرت قولك[1] : [من الكامل]

لا يُؤْيِسَنّكَ من مُخَبَّأةٍ قولٌ تُغَلِّظُهُ وإن جَرَحا
عُسْرُ النِّساءِ إلى مُياسَرَةٍ والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

قعدتُ إليها فلازمتُها حتى بلغتُ منها حاجتي .

[عاب الأخفش شعره ثم صار يستشهد به]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان الأخفش طعن على بشّار في قوله[2] : [من الكامل]

فالآنَ أَقْصَرَ عن سُمَيَّةَ باطلي وأشارَ بالوَجَلى عليّ مُشيرُ

وفي قوله[3] : [من الطويل]

على الغَزَلى منّي السّلامُ فربّما لَهَوْتُ بها في ظِلِّ مَرْؤومَةٍ زُهْرِ[4]

وفي قوله في صفة سفينةٍ[5] : [من الوافر]

تُلاعِبُ نِينانَ البُحورِ ورُبَّما رأيتَ نفُوسَ القوم من جَرْيها تَجْري

وقال : لم يُسمَع من الوجَل والغزل فَعلى ، ولم أسمع بنونٍ ونينان ؛ فبلغ ذلك بشّاراً

1 ديوان بشّار : 63 .
2 ديوان بشّار : 111 .
3 ديوان بشّار : 133 .
4 مرؤومة : محبوبة .
5 ديوان بشّار : 134 وفيه «تلاعب تيار البحور . . .» .

فقال : ويلي على القَصَّارين ؟ متى كانت الفصاحة في بيوت القصّارين ؟ دعوني وإيّاه ؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجَزِع ؛ فقيل له : ما يُبكيك ؟ فقال : وما لي لا أبكي وقد وقعت في لسان بشّار الأعمى ! فذهب أصحابه إلى بشّار فكذّبوا عنه واستوهَبوا منه عِرضه وسألوه ألاَّ يهجوه ؛ فقال : قد وهبتُه لِلؤم عِرضِه . فكان الأخفش بعد ذلك يحتجُّ بشعره في كتبه لِيَبلُغَه ؛ فكَفَّ عن ذكره بعد هذا .

قال : وقال غير أبي حاتم : إنّما بلغه أنّ سيبويه عابَ هذه الأحرف عليه لا الأخفش ، فقال يهجوه[1] : [من الطويل]

أَسِيْبَوَيْهِ يـا ابنَ الفارسيَّةِ ما الذي تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِي وما كنتَ تَنبذُ
أَظَلْتَ تُغَنِّي سادِراً في مَساءَتِـي وأُمُّكَ بالمِصْرَينِ تُعْطِـي وتَأْخُذُ

قال : فتوقّاه سيبويه بعد ذلك ، وكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ فأجاب عنه ووجَدَ له شاهداً من شعرِ بشّار احتجّ به استِكفافاً لشرِّه .

[ذمّ بني سدوس باستعانة بني عقيل]

أخبرني محمّد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيلٍ العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن سويد بن مَنجوفٍ قال : كان بشّار مُجاوِراً لبني عقيل وبني سدوس في منزل الحيَّين ، فكانوا لا يزالـون يتفاخرون ، فاستعانـت عُقيل ببشّار وقالوا لـه : يا أبا معاذٍ ، نحن أهلُك وأنت ابنُنا ورَبيتَ في حُجُورنا فأَعِنَّا ؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون ، فجلس ثم أنشد[2] : [من الوافر]

كأنّ بنـي سَدُوسٍ رَهطَ ثَوْرٍ خَنافِسُ تحـتَ مُنكَسِرِ الجِدارِ
تُحـرِّكُ للفَخـارِ زُبانَيَيْهـا وفخـرُ الخُنْفساء مـن الصَّغارِ

فوثب بنو سدوسٍ إليه فقالوا : ما لنا ولكَ يا هذا ؟ نعوذ بالله من شرِّكَ ! فقال : هذا دأبكُم إن عاودتم مُفاخرة بني عُقيلٍ ؛ فلم يُعاوِدُوها .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرُويَهْ قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال : قال يونس النحويّ : العجب من الأزد يَدعون هذا العبد يَنسِبُ بنسائهم ويَهجو رجالَهم ، يَعني بشّاراً ، ويقول[3] : [من الهزج]

أَلا يـا صَنَمَ الأَزْدِ الـ ـذي يَدْعُونَـه رَبَّـا

---

1 ديوان بشّار : 98 .
2 ديوان بشّار : 122 .
3 ديوان بشّار : 24 .

أَلا يبعثون إليه من يفتُقُ[1] بطنَه ؟ .

[ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه]

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مهرويَه عن أحمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال : مرّ ابن أخ لبشّار ببشّار ومعه قوم : فقال لرجل معه وسمع كلامه : من هذا ؟ فقال : ابن أخيك ؛ قال : أشهد أنّ أصحابه سَفِلَةٌ ؛ قال : وكيف علِمْتَ ؟ قال : ليس عليهم نِعالٌ .

[سمع شعره من مغنّية فطرب]

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثني الفضل بن يعقوب قال : كنّا عند جارية لبعض التجّار بالكَرْخِ تُغنّينا ، وبشّار عندنا ، فغنّت في قوله[2] : [من مجزوء الكامل]

إنّ الخليفـةَ قـد أبـى ... وإذا أبـى شيئاً أبَيتُهْ
ومُخَضّبٍ رَخصِ البَنـا ... نِ بكى عَليَّ ومـا بكَيتُهْ
يـا مَنْظـراً حَسَناً رأيــ ... ـتُ بوجهِ جاريةٍ فَدَيتُهْ[3]
بعثَـتْ إليّ تَسُومُنِـــي ... ثَوبَ الشَّبابِ وقد طَوَيتُهْ

فطرِب بشّار وقال : هذا والله يا أبا عبد الله أحسن من سُورَةِ الحَشر ؛ وقد روى هذه الكلمة عن بشّار غير مَن ذكرته فقال عنه : إنّه قال : هي والله أحسن من سورة الحشر . الغناء في هذه الأبيات . وتمام الشعر : [من مجزوء الكامل]

وأنـا المِطلُّ على العِـدا ... وإذا غَلا الحمدُ اشتريتُهْ[4]
وأمِيـلُ في أُنسِ النّديــ ... ـم من الحياءِ وما اشتَهيتُهْ
ويَشُوقُني بيتُ الحبيــ ... ـبِ إذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ[5]
حـالَ الخليفـةُ دونـه ... فصبَرتُ عنه وما قَليتُهْ[6]

وأنشدني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات وأخبرني أنّ الجاحظ أخبره أنّ المهديّ نهى بشّاراً عن الغزَل وأن يقول شيئاً من النسيب ، فقال هذه الأبيات . قال : وكان الخليل بن أحمد يُنشدها ويستحسنها ويُعجَب بها .

1 ل : يشقّ .
2 ديوان بشّار : 55–56 مع اختلاف في الترتيب .
3 رأيتُ في الديوان : رأيته . بوجه في ل والديوان : من وجه .
4 الحمد في الديوان : علق .
5 غدوت في الديوان : ادّكرت .
6 حال في الديوان : قام .

[سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولا يعرفهم]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دماذ أبو غسّان عن محمد بن الحجّاج قال : قالت بنت بشّار لبشّار : يا أبتِ ، ما لكَ يعرِفك الناس ولا تعرفهم ؟ قال : كذلك الأمير يا بنيّة .

[سبّ عبد الله بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشّار]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : قال عبد الله بن مِسْوَر الباهليّ يوماً لأبي النَّضير ، وقد تحاوروا في شيء ، : يا ابن اللَّخناء ، أتُكلّمني ولو اشتريت عبداً بمائتي درهم وأعتقته لكان خيراً منك ؟ فقال له أبو النضير : والله لو كنتُ ولد زنًا لكنت خيراً من باهلة كلّها ؛ فغضِب الباهليّ ، فقال له بشّار : أنت منذ ساعة تُزَنّي أمّه ولا يغضب ، فلمّا كلّمَك كلمةً واحدة لحقك هذا كلّه ؛ فقال له : وأُمُّه مثل أُمّي يا أبا مُعاذٍ ! فضحك ، ثم قال : والله لو كانت أُمُّك أُمَّ الكتاب ما كان بينكما من المُصارَمة هذا كلّه ! .

[طلب من يزيد بن مزيد أن يدخله على المهدي فسوّفه فهجاه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بن عُبيدٍ الخُزاعيّ قال : ورد بشّار بغداد فقصد يزيد بن مَزيد ، وسأله أن يذكره للمهديّ ، فسوّفه أشهراً ؛ ثم وردَ رَوْحُ بن حاتم فبلغه خبر بشّار ، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه ، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ وأنشده شعراً مدحه به ، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقَيْنَةً وكساه كُساً كثيرة ؛ وكان يحضر قيساً مرّة ، فقال بشّار يهجو يزيد بن مزيد[1] : [من الطويل]

ولمّـا التقينا بالجُنَينَةِ غَـــرَّني ... بمعروفه حتى خرجتُ أُفُوقُ[2]

غرَّني : أوجَرني[3] كما يُغَرّ الصبيُّ أي يُوجَر اللبن .

حَباني بعبــدٍ قَعْسَرِيٍّ وقَيْنَةٍ ... ووَشْي وآلافٍ لهــنَّ بَــرِيقُ[4]
فَقُل ليزيدٍ يلعَصُ الشهدَ خالياً ... لنا دونه عنـدَ الخليفةِ سُوقُ[5]
رَقَدتَ فنَمْ يا ابنَ الخبيثةِ إنّها ... مكـارِمُ لا يَسْطِيعُهُنّ لَصِيقُ
أبى لكَ عِرْقٌ من فلانةَ أن تُرى ... جواداً ورأسٌ حين شِبْتَ حَلِيقُ

1 ديوان بشّار : 165–166 .
2 أفوق : أشهق من الامتلاء .
3 أوجره اللبن : جعله في فيه .
4 قعسري : صلب شديد .
5 يلعص : يلعق .

[مدح إبراهيم بن عبد الله بقصيدة فلمّا قتل جعلها للمنصور]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعيّ قال : كان بشّار كتب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدةٍ يمدحه بها ويُحرّضه ويُشير عليه ، فلم تَصل إليه حتى قُتِل ، وخاف بشّارٌ أن تشتهر فقلبها وجعل التحريض فيها على أبي مُسلم والمدح والمشورة لأبي جعفرٍ المنصور ، فقال : [من الطويل]

أبا مُسلمٍ ما طِيبُ عَيشٍ بدائِمٍ ... ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالِمِ

وإنّما كان قال : «أبا جعفرٍ ما طِيبُ عيشٍ» فغيّره وقال فيها[1] : [من الطويل]

إذا بلغ الرأيُ النصيحةَ فاستَعِنْ ... بعَزْمِ نَصيحٍ أو بتأييدِ حازمِ
ولا تَجعَلِ الشُّورى عليك غضاضةً ... مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ
وخَلِّ الهُوَينَى للضعيفِ ولا تكن ... نَؤُوماً فإنّ الحزمَ ليس بنائمِ
وما خيرُ كَفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ
وحارِبْ إذا لم تُعطَ إلاّ ظُلامةً ... شَبا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالمِ
وأَدْنِ على القُرْبى المقرِّبَ نفسَه ... ولا تُشْهِد الشّورى امرأ غيرَ كاتمِ
فإنّكَ لا تَسْتَطْرِدُ الهمَّ بالمُنَى ... ولا تَبلُغُ العلْيا بغير المكارمِ
إذا كنتَ فرداً هَرَّكَ القومُ مُقبلاً ... وإن كنت أدنى لم تَفُزْ بالعَزائمِ[2]
وما قَرَعَ الأقوامَ مِثلُ مُشَيَّع ... أريبٍ ولا جَلَّى العَمى مثلُ عالمِ[3]

قال الأصمعيّ : فقلت لبشّار : إنّي رأيت رجال الرأي يتعجّبون من أبياتك في المشورة ؛ فقال : أَما علمتَ أنّ المشاوِر بين إحدى الحُسْنَيَيْنِ : بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأ يُشارك في مكروهه ؛ فقلت : أنت والله أشعرُ في هذا الكلام منك في الشعر .

[اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول وهو سمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال : مررتُ ببشّار وهو مُتَبَطِّح في دِهْليزه كأنّه جاموس ، فقلتُ له : يا أبا مُعاذ ، مَن القائل : [من السريع]

في حُلّتي جسمُ فتًى ناحلٍ ... لو هَبّتِ الريحُ به طاحا

---

1 ديوان بشّار : 205– 207 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .
2 هرّ القوم : كرهوا .
3 المشيع : الشجاع .

قال : أنا ؛ قلتُ : فما حَمَلك على هذا الكذب ؟ والله إنّي لأرى أن لو بعث اللهُ الرياحَ التي أهلك بها الأمم الخاليةَ ما حرّكتْك من موضعك ؛ فقال بشّار : مِن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ؛ فقال : يا أهل الكوفة لا تَدَعون ثِقَلَكم ومَقْتَكم على كلّ حال ! .

[عاتب صديقاً له لأنّه لم يهدِ له شيئاً]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عافية بن شبيب قال : قدِم كُرْدِيّ بن عامر المِسْمعيّ من مكّة ، فلم يُهْدِ لبشّار شيئاً وكان صديقه ؛ فكتب إليه[1] : [من الكامل]

ما أنتَ يا كرديّ بالهَشِّ ولا أُبَرِّيك من الغِشِّ
لم تُهْدِنا نعلاً ولا خاتَماً من أين أقبلتَ ؟ من الحشّ ![2]

فأهدى إليه هديّةً حسنةً وجاءه فقال : عَجِلتَ يا أبا معاذ علينا ، فأَنشُدُك اللهَ ألاّ تزيدَ شيئاً على ما مضى .

[أخبر أنّه غنّى بشعر له فطرب]

ونسختُ من كتابه عن عافيةَ بن شَبيب أيضاً قال حدّثني صديقٌ لي قال : قلتُ لبشّار : كنّا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي : [من الطويل]

هَوى صاحبي ريحُ الشَّمالِ إذا جرتْ وأَشْفى لنفسي أن تَهُبَّ جَنُوبُ
وما ذاك إلاّ أنّها حين تنتهي تَناهى وفيها من عُبَيدةَ طِيبُ

فطَرب وقال : هذا والله أحسن من فُلْج[3] يوم القيامة .

[مدح المهدي فلم يجزه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال : مدح بشّار المهديَّ فلم يُعطه شيئاً ؛ فقيل له : لم يَستجِدْ شعرَك ؛ فقال : والله لقد قلت فيه شعراً لو قيل في الدهر لم يُخْشَ صرفُه على أحد ، ولكنّا نكذب في القول فنُكذَبُ في الأمل .

[هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنّه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن خليفة الدارميّ عن نصر بن عبد الرحمن العِجْليّ قال : هجا بَشّار رَوْحَ بن حاتم ؛ فبلغه ذلك فقذفه وتهدّده ؛ فلمّا بلغ ذلك بشّاراً قال فيه[4] : [من الهزج]

1 ديوان بشّار : 145 .
2 الحش : موضع قضاء الحاجة ، وهو أصلاً البستان .
3 الفلج : الفوز والظفر .
4 ديوان بشّار : 201–202 عن الأغاني .

تَهَـدّدني أبو خلفٍ وعـن أوتـاره ناما
بسيفٍ لأبـي صُفْرَ ةَ لا يَقْطَـع إبهاما
كأنّ الوَرْسَ يَعْلُـوهُ إذا مـا صدرُه قاما

قال ابن أبي سعد : ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي ، قال : فبلغ ذلك رَوحاً فقال : كلّ مالي صدقةٌ إنْ وقعتْ عيني عليه لأضربنّه ضربةً بالسيف ولو أنّه بين يَدَي الخليفة ؛ فبلغ ذلك بشّاراً فقام من فوره حتى دخل على المهديّ ؛ فقال له : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ فأخبره بقصّة رَوح وعاذ به منه ، فقال : يا نُصَيْر ، وَجِّهْ إلى رَوْح من يُحضره الساعة ؛ فأرسل إليه في الهاجرة ، وكان ينزل المُخرِّم[1] ، فظنّ هو وأهله أنّه دُعي لولاية . قال : يا روح ، إنّي بعثتُ إليك في حاجة ؛ فقال له : أنا عبدُك يا أمير المؤمنين فقل ما شئتَ سوى بشّار فإنّي حلفت في أمره بيمين غَمُوس ؛ قال : قد علمتُ وإيّاه أردتُ ؛ قال له : فاحتلْ ليميني يا أمير المؤمنين ؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه بعُرْض السيف ، وكان بشّار وراء الخيش ، فأُخرِج وأُقعِد واستلّ رَوح سيفَه فضربه ضربةً بعُرضه ؛ فقال : أَوَّهْ باسم الله ؛ فضحك المهديّ وقال له : ويلك ؛ هذا وإنّما ضَرَبَك بعُرْضه وكيف لو ضربك بحدّه !

[مدح سليمان بن هشام]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال : مَدَح بشّار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحَرّان وخرج إليه فأنشده قوله فيه[2] : [من الطويل]

نأتْكَ على طُـول التجاوُرِ زينبُ وما شَعَرتْ أنّ النَّوى سوف تَشعَبُ
يرى الناسُ ما تَلْقى بزينبَ إذ نأتْ عجيباً وما تُخفي بزينبَ أعجبُ
وقائلـةٍ لي حـين جَـدّ رحيلُنا وأجفـانُ عينيهـا تجودُ وتسكُبُ
أغـادٍ إلى حَـرّانَ في غيرِ شِيعةٍ وذلك شأوٌ عـن هَواهـا مُغَرّبُ[3]
فقلتُ لهـا كَلّفتِني طَلَبَ الغِنى وليس وراءَ ابـنِ الخليفـةِ مذهبُ
سيكفي فَتىً مـن سعيه حَدُّ سيفِه وكُـورٌ عِـلافيٌّ ووجناء ذِعْلِبُ[4]

1 محلّة كانت ببغداد .
2 ديوان بشّار : 17–18 .
3 مغرّب : بعيد .
4 الكور : الرحل . العلافي : نسبة إلى رجل اسمه علاف بن طوار كان أوّل من صنعها . الوجناء : الناقة الصلبة القويّة . ذعلب : سريعة .

إذا استوغرتْ دارٌ عليه رمى بها ... بناتِ الصُّوى منها رَكوبٌ ومُصْعَبُ[1]
فعُدّي إلى يلمم ارتحلتُ وسائلي ... بزَوْرِك والرَّحّال من جاء يضربُ
لعلكِ أن تسْتَيْقِني أن زَوْرتي ... سليمانَ من سير الهواجر تُعقِبُ
أغَرُّ هِشاميُّ القَناةِ إذا انتمى ... نَمَتْه بدورٌ ليس فيهنّ كوكبُ
وما قصدتْ يوماً مخيلين خَيلُه ... فتُصْرَفُ إلاّ عن دِماءٍ تَصَبّبُ[2]

[استقلّ عطاء سليمان فقال شعراً]

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل ، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضباً فقال[3] : [من الكامل]

إن أُمْسِ مُنْقبِضَ اليدين عن النَّدى ... وعن العدوّ مُخَيَّسَ الشيطانِ[4]
فلقد أروحُ عن اللئام مُسَلَّطاً ... ثَلِجَ المَقِيلِ مُنَعَّمَ النَّدْمانِ
في ظِلِّ عيشِ عشيرةٍ محمودةٍ ... تَنْدى يدي ويُخافُ فَرْطُ لساني
أزْمانَ جِنّيُّ الشباب مُطاوِعٌ ... وإذ الأميرُ عليّ من حَرّانِ
رِيمٌ بأَحْوِيةِ العراق إذا بَدا ... بَرَقتْ عليه أَكِلَّةُ المَرْجانِ[5]
فاكحَلْ بعَبْدَة مُقْلَتَيْكَ من القَذى ... وبوَشْكِ رُؤْيتها من الهَمَلانِ
فلَقُرْبُ مَنْ تهوى وأنتَ متيّمٌ ... أَشْفى لدائكَ من بني مَرْوانِ

فلمّا رجع إلى العراق بَرّه ابن هُبَيرة ووصَلَه ، وكان يُعَظّم بشّاراً ويُقدّمه ، لمدحه قيساً وافتخاره بهم ، فلمّا جاءت دولةُ أهلِ خراسان عَظُم شأنُه .

[مدح المهديّ بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : قَدِمَ بشّار الأعمى على المهديّ بالرُّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسنٌ ، فنهاه عن التشبيب لغَيْرةٍ شديدةٍ كانت فيه ، فأنشده مديحاً فيه ، يقول فيه[6] : [من المنسرح]

---

1 استوغرت : حميت ، وهنا ضاقت . الصوى : علامات يهتدى بها .
2 يوماً في ل : قوماً .
3 ديوان بشّار : 233 .
4 مخيّس : مذلّل .
5 أحوية : جمع حواء وهو جماعة البيوت المتدانية . أكلة : جمع إكليل .
6 ديوان بشّار : 25–26 .

كأنّمـــا جئتُـــه أُبشِّرُهُ ... ولم أُجِىء راغِباً ومُحتَلِبا
يُزَيِّــنُ المِنبرَ الأشمَّ بِعِطْــ ... ـفَيـــهِ وأقوالـه إذا خَطَبا
تُشَمُّ نَعْلاه في النَّدِيّ كما ... يُشَمُّ مـاءُ الرَّيحانِ مُنتهَبا

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وِفادةً في كلّ سنةٍ ونهاه عن التشبيب ألبتَّة ، فقدِمَ عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده[1] : [من الطويل]

تَجالَلْتُ عن فِهْرٍ وعن جارَتَيْ فِهرِ ... وودَّعتُ نُعْمى بالسّلامِ وبالبِشْرِ[2]
وقالتْ سُليمى فيكَ عنّــا جَلادَةٌ ... مَحلُّكَ دانٍ والزيـــارةُ عن عُفْرِ[3]
أخي في الهوى ما لي أراكَ جَفَوْتَنا ... وقد كنتَ تقفُونا على العُسْرِ واليُسرِ
تثاقلــتُ إلاّ عـــن يــدٍ أستفِيدُها ... وزَوْرَةِ أمْـلاكٍ أشُدُّ بهـــا أزْري
وأخرَجَني من وِزْرِ خمسينَ حِجَّةً ... فتىً هاشميٌّ يَقْشَعِر مــن الوِزْرِ
دفَنْتُ الهــوى حَيّــاً فلسْتُ بزائرٍ ... سُلَيمى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ القُمْري
ومُصْفَــرَّة بالزعفــرانِ جلودُهــا ... إذا اجتُلِيَتْ مثلَ المُفرطَحَةِ الصُّفْرِ[4]
فرُبَّ ثَقالِ الرِّدفِ هبَّتْ تلومُني ... ولو شَهِدَتْ قبري لصَلَّتْ على قبري
تَرَكتُ لِمَهْدِيّ الأنـــام وِصالَها ... وراعيتُ عهداً بيننا ليس بالخَتْرِ[5]
ولـــولا أميرُ المؤمنـــــين محمـــدٌ ... لقبَّلتُ فاها أو لَكانَ بها فِطْري
لَعَمْري لقد أوقَرتُ نفسِي خطيئةً ... فما أنا بالمُزْدادِ وِقْــراً على وِقْرِ

في قصيدة طويلة امتدحه بها ، فأعطاه ما كان يُعطِيه قبل ذلك ولم يَزِدْه شيئاً .

[توفي ابن له فجزع عليه وتمثّل بقول جرير]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكيّ عن محمد بن سَلاَّم عن بعض أصحابه قال : حضَرْنا جنازة ابنٍ لبشّار توفّـي ، فجزِع عليه جَزَعاً شديداً ، وجعلنا نُعزِّيه ونُسَلِّيه فما يُغْني ذلك شيئاً ، ثم التفتَ إلينا وقال : لله درُّ جريرٍ حيث يقول وقد عُزِّيَ بسَوادة ابنِه[6] : [من البسيط]

1 ديوان بشّار : 131– 134 .
2 تجاللت : ترفّعت .
3 تعني أنّ زيارتك متباعدة رغم قرب محلّك .
4 المفرطحة الصفر : يعني الدنانير .
5 الختر : الغدر والخديعة .
6 ديوان جرير (طبعة دار صادر ، بيروت ، 1964) : 345 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

قالوا نَصيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشبالِي

ودَّعْتَنِي حين كفَّ الدَّهرُ من بصَرِي ... وحين صِرتُ كعَظمِ الرِّمَّةِ البالِي

أودَى سَوادَةُ يَجْلُو مُقلَتي لَحمٍ ... بازٍ يُصَرصِرُ فوقَ المِربَـأ العالِي[1]

إلاّ تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَيـن نائحـةٌ ... فـرُبَّ نائحـةٍ بالرّمـلِ مِعْوالِ

[استنشده صديق له شيئاً من غزله فاعتذر بنهي المهديّ له]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني خَلاَّدٌ الأرقط قال : لمّا أُنشِدَ المهديُّ قول بشّار : [من الكامل]

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخبَّـــأةٍ ... قـولٌ تُغَلِّظُـــهُ وإن جَرَحـا

عُسْرُ النساءِ إلى مُيَـــاسَرَةٍ ... والصَّعبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

فنهاه المهديّ عن قوله مثلَ هذا ، ثم حضر مجلساً لصديقٍ له يقال لـه عمرو بن سَمّان ، فقال له : أنشِدنا يا أبا مُعاذٍ شيئاً من غَزَلِكَ ، فأنشأ يقول[2] : [من البسيط]

وقائلٍ هـاتِ شَوِّقْنا فقلتُ لـه ... أنائمٌ أنتَ يـا عمرو بـنَ سَمّانِ

أما سَمِعتَ بما قد شاعَ في مُضَرٍ ... وفي الحَلِيفَيْنِ مـن نَجْرٍ وقَحطانِ[3]

قـال الخليفةُ لا تَنْسُبْ بجاريـةٍ ... إيّـاكَ إيّـاكَ أن تَشْقـى بعِصيانِ

[صدق ظنّه في تقدير جوائز الشعر]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قـال حدّثنـا سليمان بن أيّوب المدائنيّ قـال : قال مروان بن أبي حفصة : قدِمتُ البصرة فأنشدتُ بشّاراً قصيدةً لي واستنصحتُه فيها ؛ فقال لي : ما أجوَدَها ! تَقْدم بغداد فتُعطـى عليهـا عشرة آلاف درهـم ؛ فجزعتُ من ذلك وقلتُ : قتَلتَني ! فقال : هو ما أقول لك ؛ وقَدِمتُ بغداد فأُعطيتُ عليها عشرة آلاف درهم ؛ ثم قدِمتُ عليه قَدْمةً أُخرى فأنشدته قصيدتي :

طَرَقَتْكَ زائرةً فحيِّ خيالَها

فقال : تُعطى عليها مائة ألف درهم ؛ فقدمتُ فَأُعطِيتُ مائةَ ألف درهم ، فعُدتُ إلى البصرة فأخبرتُه بحالي في المرّتين ، وقلت له : ما رأيت أعجبَ من حَدْسِك[4] ! فقال : يا بُنيّ ، أما علمتَ أنّه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمّك ؟ .

1 لحم : صفة مقدمة لباز . المربأ : مكان وقوف البازي .
2 ديوان بشّار : 236 عن الأغاني .
3 نجر : في الصحاح أرض مكّة والمدينة .
4 ل : حديثك .

أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدّثنا يزيد بن محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبد الله بن أبي عُيينة عن مروان أنّه قَدِمَ على بشّار فأنشده قوله :

طرقتكَ زائرةً فحيِّ خَيالَها

فقال له : يُعطونَكَ عليها عشرةَ آلاف درهم ، ثم قدِم عليه فأنشده قوله : [من الكامل]

أنَّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ ... لِبَني البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

فقال : يُعطُونَكَ عليها مائة ألفِ درهم ، وذكر باقي الخبر مثلَ الذي قبله .

[امتحن في صلاته فوجد لا يصلي]

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال : قال بعض أصحاب بشّار : كنّا نكون عنده فإذا حضرَتِ الصلاة قمنا إليها ونجعلُ على ثيابه تراباً حتى ننظُرَ هل يقوم يُصلّي ، فنعود والتراب بحاله وما صَلَّى .

[جعل الحب قاضياً بين المحبّين بأمر المهديّ]

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال : قال أبو عمرو : بعث المهديّ إلى بشّار فقال له : قُلْ في الحبّ شِعراً ولا تُطِلْ واجعَلِ الحبَّ قاضياً بين المحبِّين ولا تُسمِّ أحداً ؛ فقال[1] : [من الخفيف]

اجعلْ الحبَّ بين حِبِّي وبيني ... قاضياً إنّني به اليومَ راضي

فاجتمعنا فقلتُ يا حِبَّ نفسي ... إنّ عَينِي قليلةُ الإغماضِ

أنتَ عذَّبتَنِي وأنحلتَ جسمِي ... فارحمِ اليومَ دائمَ الأمراضِ

قال لي لا يَحِلّ حُكمي عليها ... أنتَ أولى بالسُّقْمِ والإحراضِ[2]

قلتُ لمّا أجابني بهواها ... شَمِلَ الجورُ في الهوى كلَّ قاضي

فبعث إليه المهديّ : حكمتَ علينا ووافَقَنا ذلك ، فأمر له بألف دينار .

[اتهمه بعضهم بأخذ معنى من أشعب فردّ عليه]

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمان المدنيّ قال حدّثني الفضل بن إسحاق الهاشميّ قال : أنشد بشّار قوله[3] : [من الوافر]

يُرَوِّعُهُ السِّرارُ بكلِّ أرضٍ ... مخافةَ أن يكونَ به السّرارُ[4]

---

1 ديوان بشار : 148– 149 .

2 الإحراض : إدناف الحب .

3 هذا البيت من قصيدة طويلة في ديوانه من مصادر متعدّدة : 108– 110 .

4 السرار : المسارة .

فقال له رجل : أظنّك أخذتَ هذا من قول أشعَبَ : ما رأيتُ اثنين يتسارّانِ إلاّ ظننتُ أنـّهما يأمران لي بشيء ؛ فقال : إن كنتُ أخذتُ هذا من قول أشعبَ فإنّكَ أخذتَ ثِقَلَ الرُّوح والمقتَ من الناس جميعاً فانفردتَ به دونهم ، ثم قام فدخل وتركنا . وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشّار فقال فيه[1] : [من الخفيف]

تركَتْنِي الوُشاةُ نُصْبَ المُسِرِّيـ ـنَ وأُحْدُوثـةً بكـلِّ مَكانِ
مـا أرى خاليَيْنِ في السرّ إلاّ قلتُ مـا يخلـوانِ إلاّ لِشاني

[استنشد هجوه في حماد عجرد وعمرو الظالميّ]

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدّثني سعيد ، جليسٌ كان لأبي زيد ، قال : أتاني أعشى سُلَيم وأبو حَنَشٍ فقالا لي : انطلق معنا إلى بشّار فتسأله أن يُنشِدَك شيئاً من هِجائـه في حمّاد عَجْرَد أو في عمرٍو الظالمـيّ فإنّه إن عرفَنا لم يُنشِدنـا ، فمضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشّار فاستنشدته فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخـرج من وادٍ في الهجـاء إلى وادٍ آخر ، وهما يستمعان وبشّار لا يعرِفهُمـا ، فلمّا خرجا قال أحدهُما للآخر : أما تعجبُ مما جاء به هذا الأعمى ؟ فقال أبو حنش : أمّا أنا فلا أُعَرِّض ، واللهِ ، والدَيَّ له أبداً ؛ وكانا قد جاءا يَزورانه ، وأحسَبُهما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته .

[مدح واصلاً قبل أن يدين بالرجعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ عن الجاحظ قال : كان بشّار صديقاً لأبي حُذيفة واصل بن عطاءٍ قبل أن يدين بالرجعة ويُكَفِّر الأمّةَ ، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلّها الراءَ وكانت على البديهة ، وهي أطول من خُطبتَيْ خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، فقال[2] : [من البسيط]

تكلَّفُوا القولَ والأقوامُ قـد حَفَلُوا وحَبَّرُوا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ
فقـام مُرتَجِـلاً تَغْـلي بَداهَتُـهُ كَمِرْجَلِ القَيْنِ لمّا حُـفَّ باللَّهَبِ
وجانَبَ الراءَ لم يَشْعُرْ بـه أحَـدٌ قبل التصَفُّح والإغراقِ في الطلبِ

قال : فلمّا دانَ بالرجعة زعم أنّ الناس كلّهم كفروا بعد رسول الله ﷺ ؛ فقيل له : وعليّ بن أبي طالب ؟ فقال[3] : [من الوافر]

1 ديوان أبي نواس (الغزالي ، بيروت) : 246 .
2 ديوان بشّار : 28 .
3 البيت من معلقة عمرو بن كلثوم .

ومــا شَرُّ الثلاثــةِ أمّ عمرٍو   بصاحِبِك الذي لا تَصْبَحِينا

[قال : ما كان الكميت شاعراً]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينةُ قال قال لي محمد بن الحجّاج : قال بشّار : ما كان الكُمَيتُ شاعراً ؛ فقيل له : وكيف وهو الذي يقول ! : [من الطويل]

أَنِصْفُ امْرِىءٍ من نصفِ حيٍّ يسُبُّني   لَعَمْري لقد لاقيتُ خَطْباً من الخَطْبِ

هنيئــاً لكَلْــبٍ أنَّ كلبــاً يسُبُّني   وأنّيَ لم أَرْدُدْ جواباً على كَلْبِ

فقال بشّار : لا بَلَّ شانِئُكَ[1] ، أترى رجلاً لو ضَرَطَ ثلاثين سنة لم يُستَحْلَ من ضرطه ضرطَةٌ واحدةٌ !

[تمثّل سفيان بن عيينة بشعر له]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حجّاج المعلِّم قال سمعتُ سفيان بن عيينة يقول[2] : عَهدِي بأصحاب الحديث وهم أحسن الناس أدباً ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدباً ، وصبَرنا عليهم حتى أشبَهْناهم ، فصرنا كما قال الشاعر : [من الطويل]

ومــا أنــا إلاّ كالزمانِ إذا صَحا   صَحَوتُ وإن ماقَ الزمانُ أَمُوقُ[3]

[وبخ من سأله عن منزل ولم يفهم]

أخبرني حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : كنّا مع بشّار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل يُفَهِّمُه ، ولا يَفْهَمُ ، فأخذ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو يقول[4] : [من البسيط]

أعمى يقــودُ بصيراً لا أَبــا لَكُمُ   قد ضَلَّ مَنْ كانت العُمْيانُ تَهدِيهِ

حتى صار به إلى منزل الرجل ، ثم قال له : هذا هو منزلُه يا أعمى .

[أنشده عطاء الملط شعراً فاستحسنه]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : زعم أبو دعامة أنّ عطاء الملط أخبره أنّه أتى بشّاراً فقال له : يا أبا مُعاذ ، أُنْشِدُكَ شِعراً حسناً ؟ فقـال : مـا أسرّني بذلك ، فأنشده : [من الطويل]

---

1 لا بل شانئك : لا برىء كارهك . ويجوز بناء «بُلّ» للمجهول بمعنى «لا مُطر» .

2 ديوان بشّار : 165 .

3 الموق : حمق في غباوة .

4 ديوان بشّار : 98 .

أَعاذِلَتــيَّ اليــومَ وَيلَكُمــا مَهْــلا ... فما جَزَعاً مِ الآنَ أبكي ولا جَهْلا[1]

فلمّا فَرَغ منها قال له بشّار : أحسنتَ ، ثم أنشده على رَوِيّها ووزنها[2] : [من الطويل]

لقد كادَ ما أُخْفِي من الوَجْدِ والهوى ... يكون جَوًى بين الجوانِح أو خَبْلا

صوت

[من الطويل]

إذا قال مهــلاً ذو القرابة زادَني ... وَلُوعاً بذكراها ووجْداً بها مَهْلا

فلا يَحسَبِ البِيضُ الأوانسُ أنّ في ... فؤادي سوى سُعْدى لِغانيةٍ فَضْلا

فَأُقسِمُ إن كان الهوى غيرَ بالغ ... بِيَ القتلَ من سُعدى لقد جاوزَ القتلا

فيا صاحِ خَبِّرني الذي أنت صانعٌ ... بقاتِلَتِي ظُلْماً وما طَلَبَتْ ذَحْلا[3]

سِوى أنّني في الحبّ بيني وبينها ... شَدَدْتُ على أكظامِ سِرٍّ لها قُفْلا

وذكر أحمدُ بن المكيّ أنّ لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلاً أوّل بالوسطى فاستحسنتُ القصيدةَ وقلتُ : يا أبا مُعاذٍ ، قد والله أجدتَ وبالغتَ ، فلو تفضّلتَ بأن تُعيدَها ؛ فأعادها على خلاف ما أنشدَنِيها في المرّة الأولى ، فتوهّمتُ أنّه قالها في تلك الساعة .

[حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني أحمد بن خَلاّد قال حدّثني أبي قال : كنتُ أكلّم بشّاراً وأردّ عليه سوءَ مذهبه بميلِه إلى الإلحاد ، فكان يقول : لا أعرف إلاّ ما عاينتُه أو عاينت مثله ؛ وكان الكلام يطول بيننا ، فقال لي : ما أظنّ الأمر يا أبا خالد[4] إلاّ كما تقول ، وأن الذي نحن فيه خِذْلانٌ ، ولذلك أقول[5] : [من الطويل]

طُبِعْــتُ على مــا فِيَّ غيرَ مُخَيَّرٍ ... هَـوايَ ولـو خُـيِّرتُ كنتُ المهذَّبا

أُرِيدُ فـلا أُعْطى وأُعطى ولم أُرِدْ ... وقَصَّر عِلْمِـي أَنْ أَنـالَ المغَيَّبا[6]

فَأُصرَفُ عن قَصْدِي وعلمي مُقَصِّرٌ ... وأُمْسي ومـا أُعْقِبْتُ إلاّ التعجُّبا[7]

---

1 ويلكُما في ل : ويحكما .

2 ديوان بشّار : 182 عن الأغاني .

3 الذحل : الثأر .

4 ل : مخلد .

5 ديوان بشار : 24–25 .

6 وقصر في الديوان : ويَقصر .

7 مقصِّرٌ في الديوان : ثاقب .

[عاتب منقريّاً بعث إليه في الأضحية بنعجة عجفاء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني ابن مهرويَهْ قال حدّثني أحمد بن خَلاَّد بن المبارك قال حدّثني أبي قال : كان بالبصرة فتًى من بني مِنقَرٍ أمُّه عِجْلِيَّةٌ ، وكان يبعث إلى بشّار في كلّ أُضْحِيَّةٍ بأضحيّةٍ من الأضاحي التي كان أهل البصرة يُسَمِّنونها سنةً وأكثر للأضاحي ثم تُباعُ الأضحيّة بعشرة دنانير ، ويبعثُ معها بألف درهم ؛ قال : فأمر وكيلَه في بعض السنين أن يُجرِيَه على رسمه ، فاشترى له نعجةً كبيرةً غيرَ سمينةٍ وسرقَ باقي الثمن ، وكانت نعجةً عَبدَلِيَّةً من نِعاج عبد الله بن دارم وهو نِتاجٌ مرذولٌ ، فلمّا أُدخِلَتْ عليه قالت له جاريته رَبابة : ليست هذه الشاةُ من الغنم التي كان يَبعثُ بها إليك ؛ فقال : أُدنيها منّي فأدنتْها ولمسَها بيده ثم قال : اكتب يا غُلامُ[1] : [من المتقارب]

وهبتَ لنا يا فتى مِنقَرٍ — وعِجْلٍ وأكْرَمَهُمْ أوّلا
وأبسَطَهم راحةً في النَّدى — وأرفعَهم ذِرْوَةً في العُلا
عجوزاً قَدَ اوْرِدَها عمرُها — وأسكنَها الدهرُ دارَ البِلى
سَلُوحاً توهّمتُ أن الرِّعاء — سَقَوْها لِيُسهِلَها الحنظَلا
وأُضرَطَ من أمِّ مُبتاعِها — إن اقتحَمَتْ بُكرةً حَرْمَلا[2]
فلو تأكُل الزُّبدَ بالنَّرسيان — وتَدَّمِجُ المِسكَ والمَنْدَلا[3]
لَما طَيَّبَ اللهُ أرواحَها — ولا بلّ من عَظْمِها الأقْحَلا[4]
وضعتُ يميني على ظهرها — فخِلْتُ حَراقِفَها جَنْدَلا
وأهوتْ شِمالي لعُرْقوبها — فخلتُ عَراقِبَها مِغْزَلا
وقَلّبتُ أَلْيَتَها بعد ذا — فشَبَّهتُ عُصْعُصَها مِنْجَلا
فقلتُ أبيع فلا مشرَباً — أُرَجِّي لديها ولا مَأكَلا
أمَ اشوي وأطبُخُ من لحمها — وأطْيَبُ من ذاك مَضْغُ السَّلى[5]
إذا ما أُمِرَّتْ على مجلسٍ — من العُجْبِ سَبّحَ أو هَلّلا

1 ديوان بشّار : 183–184 .
2 الحرمل : حبّ كالسمسم .
3 النرسيان : نوع من أجود التمر . تدّمج : مثل تندمج أي تدخل في المسك والمندل .
4 الأقحل : من أقحل الشيء وإذا يبس .
5 السلى : الجلدة يكون فيها الولد في بطن أمّه .

رأوْا آيـةً خلْفَهـا سائقٌ يَحُثّ وإن هَرْولتْ هَرْولا
وكنتَ أمرتَ بهـا ضَخْمةً بلحمٍ وشحمٍ قد استُكْمِلا
ولكنّ رَوحاً عَـدا طورَه وما كنتُ أحسَبُ أن يفعلا
فعَضّ الذي خانَ في أمرها مِن اسْتِ امّه بَظْرَها الأغْرَلا
ولـولا مكانُـك قَلّدتـه عِلاطاً وأنشقتُه الخَرْدَلا[1]
ولولا استِحائِيكَ خَضّبتُها وعَلّقت في جِيدها جُلْجُلا
فجاءتْكَ حتى ترى حالَها فتعلَـمَ أنّي بهـا مُبْتَلى
سألتُـك لحماً لصِبْياننـا فقـد زِدْتَنِي فيهمُ عَيِّلا
فخُذْهـا وأنت بنا مُحسِنٌ وما زلتَ بِي مُحسناً مُجْمِلا

قال : وبعث بالرقعة إلى الرجل ؛ فدعا بوكيله وقال له : ويلك ؛ تعلم أنّي أفتدي من بشّار بما أُعطيه وتُوقِعني في لسانه ! اذهَبْ فاشترِ أُضحِيّةً ، وإن قَدرتَ أن تكونَ مثلَ الفيل فافعل ، وابلُغْ بها ما بلغتْ وابعَثْ بها إليه .

[شعره في رثاء بنية له]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال أخبرنا أبو عمرو بن العَلاء قال : رأيت بشّاراً المرعَّثَ يرثي بُنَـيَّة له وهو يقول[2] : [من الرجز]

يا بنتَ من لم يكُ يَهْوى بنتا مـا كنتِ إلاّ خمسةً أو ستّـا
حتّى حَلَلْتِ في الحَشى وحتّى فَتَّتِّ قلبي مـن جـوًى فانفتّا
لأنْـتِ خيرٌ مـن غـلامٍ بتّـا يُصبحُ سكرانَ ويُمْسي بَهْتا[3]

[مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه]

أخبرني وَكيع قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال : كان نافع بن عُقبة بن سَلْم جَواداً مُمَدَّحاً ، وكان بشّار منقطعاً إلى أبيه ، فلمّا مات أبوه وَفَد إليه وقد وَلِيَ مكانَ أبيه ، فمدحه بقوله[4] : [من الكامل]

ولنافـعٍ فضـلٌ على أكفائـه إن الكريـمَ أحـقّ بالتفضيل

1 علاط : حبل يجعل في عنق البعير .
2 ديوان بشّار : 51 عن الأغاني .
3 بت : منقطع عن العمل (بسبب السكر) . بهت : دهش متحيّر متعب .
4 ديوان بشّار : 187 .

يا نافعَ الشِّبْراتِ حين تناوحتْ هُوجُ الرياحِ وأُعْقِبتْ بوبُولِ[1]
أشبهتَ عُقْبَةَ غيرَ ما مُتَشبِّهٍ ونشأتَ في حلمٍ وحسنِ قَبُولِ
ووَلِيتَ فينا أشهراً فكفيتَنا عَنَتَ المُريبِ وسَلّةَ التّضليلِ
تُدْعَى هِلالاً في الزمانِ ونافعاً والسَّلْمُ نِعْمَ أُبُوَّةُ المأمولِ

فأعطاه مثل ما كان أبوه يُعطيه في كلّ سنة إذا وفَد عليه.

[أجاز شعراً للمهدي في جارية]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني إبراهيم بن عُقبة الرفاعيّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم التمّارِ البَصْرِيّ قال: دخل المهديُّ إلى بعض حُجَر الحُرَم فنظر إلى جاريةٍ منهنّ تغتسل، فلمّا رأته حَصِرت[2] ووضعت يدَها على فَرْجها، فأنشأ يقول:

نظرتْ عيني لحَيْني

ثم أُرتِجَ عليه، فقال: مَن بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشّار، فأذن له فدخل؛ فقال له: أجِزْ:

نظرتْ عيني لحيني

فقال بشّار[3]: [من مجزوء الرمل]

نظـرتْ عيني لِحَيْني نَظَـراً وافـقَ شَيْني
سَتَرَتْ لّمـا رأتنـي دونَـه بالراحتَيـنِ
فَضَلتْ منـه فُضُولٌ تحت طَـيِّ العُكْنَتَينِ

فقال له المهديّ: قبّحكَ اللهُ ويحك؛ أكنت ثالثنا! ثم ماذا؟ فقال: [من مجزوء الرمل]

فتمنّيـتُ وقلبـي للهـوى في زَفْرتَـينِ
أنّني كنـتُ عليـه ساعـةً أو ساعتَـينِ

فضحكَ المهديّ وأمر له بجائزة؛ فقال: يا أمير المؤمنين أقَنِعتَ من هذه الصفة بساعة أو ساعتين؟ فقال: اخرج عنّي قبّحك الله؛ فخرج بالجائزة.

[أنشد شعراً على لسان حمار له مات]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثنا أبو شبل عاصم بن وَهْب البُرْجُميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال: جاءنا بَشّار يوماً فقلنا له:

---

1 الشبرات: من شبره: أعطاه والشّبر (بفتح الشين)؛ اسم العطية.
2 حصرت: استحت.
3 ديوان بشّار: 242–243 مع اختلاف في اللفظ.

ما لك مغتمّاً ؟ فقال : مات حماري فرأيته في النوم فقلتُ له : لم مُتّ ؟ ألم أكن أُحسِن إليك ؟ فقال[1] : [من مجزوء الرمل]

سَيِّدِي خُذْ بي أتاناً عندَ بابِ الأصبهاني
تَيّمتنِي ببنانٍ وبدَلٍّ قد شَجانِي
تَيّمتنِي يومَ رُحنا بثناياها الحسانِ
وبغُنْجٍ ودَلال سَلّ جسمي وبَرانِي
ولها خَدٌّ أسِيلٌ مثلُ خدّ الشيفرانِ
فلذا متُّ ولو عِشْـتُ إذاً طالَ هوانِي

فقلتُ له : ما الشيفران ؟ قال : ما يدريني ؛ هذا من غريب الحمار ، فإذا لَقِيتَه فاسأله .

[رأيه فيما يكون عليه المجلس]

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني علي بن إيّاس قال حدّثني السَّرِيّ بن الصبّاح قال : شَهِد بشّار مجلساً فقال : لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شعراً كلّه ولا حديثاً كلّه ولا غناءً كلّه ، فإن العيش فُرَصٌ ، ولكن غَنُّوا وتحدّثوا وتَناشدوا وتعالَوْا نتناهب العيشَ تناهُباً .

[وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكَرانيّ عن ابن عائشة قال : جاءَ بشّار يوماً إلى أبي وأنا على الباب ، فقال لي : مَن أنت يا غلام ؟ فقلت : مِن ساكني الدار ؛ قال : فكلَّمني والله بلسانٍ ذَرِبٍ وشِدْقٍ هَرِيتٍ[2] .

[أبطأ سهيل القرشي في إهدائه التمر فكتب إليه يتنجزه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان سُهيل بن عُمَر القرشيّ يبعث إلى بشّار في كلّ سنة بقواصر[3] تمر ، ثم أبطأ عليه سنةً ؛ فكتب إليه بشّار[4] : [من الخفيف]

تمركُم يا سُهَيْلُ دُرٌّ وهل يُطْـمَعُ في الدرّ مِنْ يَدَيْ مُتَعَتِّي[5]
فاحبُنِي يا سُهيلُ من ذلك التمـرِ نـواةً تكون قُرْطاً لبنتِي

فبعث إليه بالتمر وأضعفه له ، وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر .

---

1 ديوان بشّار : 242 .
2 الشدق الهريت : الواسع .
3 قواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) وعاء للتمر يشبه الزنبيل .
4 ديوان بشّار : 54 .
5 متعتّي : مستكبر .

[سأله بعض أهل الكوفة أن ينشدهم شعراً ثم عاتبوه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صَفوان قال : جلس إلى بشّارٍ أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن يُنشدَهم شيئاً ممّا أحدثه ، فأنشدهم قوله[1] : [من السريع]

أنّـى دعـاه الشّوقُ فارتاحا ... من بعد ما أصبح جَحجاحا

حتى أتى على قوله :

في حُلَّتِــي جسمُ فتىً ناحلٍ ... لـو هبّـت الرّيح بـه طاحا

فقالوا : يا ابن الزانية ، أتقول هذا وأنت كأنّك فِيل عَرضُك أكثر من طولك ! فقال : قوموا عنّي يا بني الزِّناء ؛ فإنّي مشغول القلب ، لست أنشَط اليومَ لمشاتمتكم .

[عشق امرأة وألحّ عليها فشكته إلى زوجها]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال : كان لبشّار مجلس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البَرْدان ، فدخل إليه نِسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره ، فعشِق امرأة منهنّ ، وقال لغلامه : عَرِّفها محبّتي لها ، واتبعها إذا انصرفت إلى منزلها ؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تُجبه إلى ما أحبّ ، فتبِعها إلى منزلها حتى عرَفه ، فكان يتردّد إليها حتى بَرِمت به ، فشكته إلى زوجها ، فقال لها : أجيبيه وعِديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلتْ ، وجاء بشّار مع امرأةٍ وجّهتْ بها إليه ، فدخل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم ، فجعل يحدّثها ساعة ، وقال لها : ما اسمك بأبي أنت ؟ فقالت : أُمامة ؛ فقال[2] : [من الوافر]

أمامةُ قد وُصفتِ لنا بحسن ... وإنّــا لا نَــراكِ فألمِسينـا

قال : فأخذتْ يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ ، ففزِع ووثب قائماً وقال[3] : [من الوافر]

عليّ أَلِيّـةٌ مـا دمتُ حيّا ... أَمَسُّكِ طائعــاً إلاّ بعُودِ
ولا أُهدِي لقومٍ أنتِ فيهم ... سلامَ الله إلاّ مِـن بعيدِ
طلبتُ غنيمةً فوضَعت كفّي ... على أيــر أشدَّ مِـن الحديدِ
فخيرٌ منكِ من لا خيرَ فيه ... وخيرٌ من زيارتكم قُعودِي

1 ديوان بشّار : 63 .
2 ديوان بشّار : 227 .
3 ديوان بشّار : 81 .

وقبض زوجها عليه وقال : هَمَمتُ بأن أفضحك ؛ فقال له : كفاني ، فديتُك ، ما فعلتَ بي ، ولستُ والله عائداً إليها أبدا ، فحسبُك ما مضى ، وتركه وانصرف . وقد رُوي مثل هذه الحكاية عن الأصمعيّ في قصّة بشّار هذه . وهذا الخبر بعينه يُحكى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضحَ عن أبي العبّاس الأعمى السائب بن فَرُّوخ ، وقد ذكرته في أخبار أبي العبّاس بإسناده .

[رثاؤه أصدقاءه]

نسخت من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حمدان الآبَنوسيّ قال حدّثنا أبو نُواس قال : كان لبشّار خمسة نُدماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البَراء ، فركب في زَورق يريد عُبور دجلة العوراء[1] فغرِق ، وكان المهديّ قد نهى بشّاراً عن ذكر النساء والعشق ، فكان بشّار يقول : ما خَيرٌ في الدنيا بعد الأصدقاء ؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله[2] : [من الخفيف]

يا ابنَ موسى ماذا يقول الإمامُ ... في فتاة بالقلبِ منها أُوامُ
بِتُّ من حبِّها أُوَقَّرُ بالكأ ... سِ ويهفُو على فؤادي الهُيامُ
وَيْحَها كاعباً تُدِلّ بجَهْمٍ ... كَعثَبيّ كأنّه حَمّامُ
لم يكن بينها وبينيَ إلاّ ... كُتُبُ العاشقين والأحلامُ
يا ابنَ موسى اسقني ودَع عنك سلمى ... إنّ سلمى حِمىً وفيّ احتشامُ
رُبّ كأسٍ كالسَّلسبيل تعلّلـ ... ـتُ بها والعيون عنّي نيامُ
حُبستْ للشُّراة في بَيت رأس ... عُتّقتْ عانساً عليها الخِتامُ[3]
نَفحتْ نَفحةً فهزّت نديمي ... بنسيمٍ وانشقّ عنها الزّكامُ
وكأنّ المعلولَ منها إذا را ... حَ شَجٍ في لسانه بِرْسامُ[4]
صدَمتْه الشَّمُولُ حتّى بعينيـ ... ـه انكسارٌ وفي المفاصل خامُ
وهو باقي الأطراف حَيَّت به الكأ ... س وماتت أوصالُه والكَلامُ
وفتىً يشرَبُ المدامةَ بالما ... لِ ويمشي يرومُ ما لا يُرامُ[5]

1 دجلة العوراء : دجلة بالبصرة .
2 ديوان بشّار : 195–196 .
3 بيت رأس : اسم قرية قرب حلب وأُخرى قرب بيت المقدس والقريتان تكثر فيهما الكروم .
4 برسام هنا : لجلجة وهذيان .
5 ويمشي في ل : يمسي .

أنفــدتْ كأسُه الدنانيرَ حتّــى ذهب العــينُ واستمرّ السَّوامُ[1]
تركتْــه الصَّهبــاء يرنــو بعــين نــام إنسانُهــا وليست تَنامُ
جُنّ مــن شَربة تُعَــلّ بأُخرى وبكــى حــين سار فيــه المُدامُ
كان لي صاحباً فأودَى بــه الدّهــ ـــر وفارقتُــه عليــه السَّلامُ
بَقِــيَ النّاس بعــدَ هُلْك نَدامــا يَ وقوعاً لم يشعروا مــا الكلامُ
كجَزورِ الأيسار لا كَبِــدٌ فيــ ــها لبــاغٍ ولا عليهــا سَنامُ[2]
يا ابنَ موسى فَقْدُ الحبيب على العيــ ـنِ قَــذاةٌ وفي الفــؤادِ سَقامُ
كيف يصفُو ليَ النّعيم وَحيــداً والأخــلاّءُ في المقابــرِ هــامُ[3]
نَفِسَتْهــم عــليّ أمّ المنايــا فأنامَتْهــمُ بعُنــفٍ فناموا
لا يَغيضُ انسجامُ عينــي عليهــم إنّما غايــةُ الحزيــنِ السِّجامُ

[وفد على عمر بن هبيرة فمدحه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ : أنّ بشّاراً وفَد إلى عمر بن هُبيرة وقد مدحه بقوله[4] : [من الطويل]

يخافُ المنايا أن ترحّلتُ صاحبي كأنّ المنايــا في المُقــام تُناسِبُهْ
فقلــتُ لــه إنّ العــراقَ مُقامُــه وخيــمٌ إذا هبّــت عليك جنائبُهْ
لأَلقــى بنــي عَيــلان إنّ فَعالَهم تزيــدُ عــلى كلِّ الفعــال مَراتبُهْ
أولاك الأُلى شقّوا العمى بسيوفهم عن العينِ حتّى أبصر الحقَّ طالبُهْ
وجيشٍ كجُنحِ الليل يزحَفُ بالحصى وبالشوكِ والخَطّيِّ حُمراً ثَعالبُهْ[5]
غَدَونا له والشّمسُ في خِــدر أُمّهــا تُطالعنــا والطَّــلُّ لم يَجــرِ ذائبُهْ
بضَربٍ يذوقُ الموتَ مَنْ ذاقَ طعمَه وتُدْرِكُ مَنْ نجّــى الفرارُ مَثالبُهْ
كأنّ مُثَارَ النّقع فــوقَ رؤوسنا وأسيافَنا ليــلٌ تَهــاوى كواكبُهْ

1 العين : الذهب . السوام : الإبل أو المواشي السائمة .
2 جزور الأيسار : الناقة تذبح للمقامرة عليها .
3 هام : أموات .
4 هذه الأبيات من قصيدة بشّار التي تقدمت (ديوانه : 42–48) مع اختلاف في الترتيب .
5 ثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان .

بعثنا لهم موتَ الفُجاءة إنّنا ... بنو الموت خفّاق علينا سَبائبُهْ[1]

فراحوا فريقٌ في الإسار ومثله ... قتيلٌ ومثلٌ لاذَ بالبحرِ هاربُهْ

إذا الملكُ الجبّارُ صَعَّر خدّه ... مَشْينا إليه بالسُّيوف نعاتبُهْ

فوصله بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أُعطيها بشّار ورَفعتْ من ذكره ، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعاتبا ... صديقَك لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنّه ... مُقارِفُ ذنبٍ مرّة ومجانِبُهْ

إذا أنت لم تَشرَبْ مِراراً على القَذَى ... ظَمِئتَ وأيُّ النّاسِ تصفو مَشاربُهْ

الغناء في هذه الأبيات لأبي العَنْبس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها .

[شعره في العشق]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال : كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البَرْدانَ ، وكان النساء يحضُرنه فيه ، فبينما هو ذاتَ يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشِقها ، فدعا غلامه فقال : إذا تكلّمتِ المرأة عرّفتُك فاعرِفها ، فإذا انصرفتْ من المجلس فاتبعها وكلّمها وأعلمها أنّي لها مُحبّ ؛ وقال فيها[2] : [من البسيط]

يا قومُ أُذني لبعضِ الحيّ عاشقةٌ ... والأذنُ تعشَقُ قبلَ العينِ أحيانا

قالوا : بمَن لا تَرى تَهذِي فقلتُ لهم ... الأذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا[3]

هل من دواءٍ لمشغوفٍ بجاريةٍ ... يلقَى بلُقيانها رَوحا ورَيحانا[4]

وقال في مثل ذلك[5] : [من البسيط]

قالت عُقَيل بن كَعب إذ تَعلّقها ... قلبي فأضحى به من حبّها أثرُ

أنّى ولم ترها تَهذِي فقلتُ لهم ... إنّ الفؤادَ يَرى ما لا يَرى البصرُ

أصبحتُ كالحائمِ الحَيران مُجتنَباً ... لم يقض وِرداً ولا يُرجَى له صَدَرُ

1 السبائب : جمع سبيبة وهي هنا الراية .

2 ديوان بشّار : 226 مع اختلاف في الترتيب .

3 توفي : تبلغ .

4 الشطر الأول في رواية الديوان : «ما كنت أوّل مشغوف بجارية . . .» .

5 ديوان بشّار : 106–107 .

قال يحيى بن عليّ وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار في هذا المعنى وكان يستحسنه[1] : [من الطويل]

يُزهّـدني في حبِّ عَبـدةَ مَعشرٌ قلوبُهـمُ فيهـا مخالفـةٌ قلبـي
فقلت دَعوا قلبي وما اختارَ وارتضى فبالقلبِ لا بالعينِ يُبصِرُ ذو الحبِّ
فما تُبصرُ العينان في مَوضع الهوى ولا تَسمع الأذنان إلاّ من القلبِ
وما الحسنُ إلاّ كلُّ حسنٍ دعا الصّبا وألّف بين العشقِ والعاشقِ الصَّبِّ

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك[2] : [من المنسرح]

يـا قلـبُ مـا لي أراكَ لا تَقِـر إيّـاك أُعنـي وعنـدكَ الخبرُ[3]
أذعـتَ بعـدَ الألى مضَوْا حُرَقاً أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا[4]

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك[5] : [من المنسرح]

إنّ سليمـى واللهُ يكلؤهـا كالسُّكر تَزدادُه علـى السَّكَرِ
بُلّغتُ عنهـا شَكلاً فأعجبني والسّمعُ يكفيك غَيبةَ البصرِ[6]

[أنشد المهدي شعراً فلم يعطه شيئاً فقال شعراً مداره الحكمة]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال : زعم أبو العالية أنّ بشّاراً قدِم على المهديّ ، فلمّا استأذن عليه قال له الربيع : قد أذِن لك وأمرك ألاّ تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فادخُل على ذلك ، فأنشده قوله[7] : [من مجزوء الكامل]

يـا مَنظَـراً حَسَناً رأيتُـهْ مـن وجه جاريـة فديتُهْ
بعثَـتْ إليّ تَسومنـي بُردَ الشّباب وقد طوَيتُهْ
واللهِ ربِّ مُحمّـد مـا إن غَدرتُ ولا نَويتُهْ
أمسكـتُ عنـك وربّما عَرَض البلاءُ ومـا ابتغيتُهْ

1 ديوان بشّار : 34–35 .
2 ديوان بشّار : 100–101 وأوّل البيت الثاني فيه «أضعت بين . . .» .
3 لا تقر : لا تأخذ بالوقار والرزانة .
4 ضاع في ل : ذاع .
5 ديوان بشّار : 130–131 .
6 شكل : غنج ودلال .
7 تقدّمت بعض أبيات هذه القصيدة في ترجمة بشّار (ديوانه : 55–56) .

إنّ الخليفةَ قد أبَى | وإذا أبَى شيئاً أبيتُهْ
ومُخضَّبٍ رَخص البَنا | ن بكَى عليّ وما بكَيتُهْ
ويشوقنِي بيتُ الحبيـ | ـبِ إذا ادّكرتُ وأينَ بيتُهْ
قامَ الخليفةُ دونَه | فصبَرتُ عنه وما قلَيْتُه
ونَهانِيَ المَلِكُ الهما | م عن النَّسيب وما عصَيتُهْ[1]
لا بل وفَيتُ فلم أُضِع | عهداً ولا رأياً رأيتُهْ
وأنا المُطلّ على العِدا | وإذا غلا عِلْق شريتُهْ[2]
أُصفي الخليلَ إذا دنا | وإذا نأى عنّي نأيتُهْ

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فحرمه ولم يُعطه شيئاً؛ فقيل له: إنّه لم يستحسن شعرك؛ فقال: والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهر لم يُخشَ صرفُه على أحد[3]، ولكنّه كذّب أملي لأنّي كذَبتُ في قولي. ثم قال في ذلك[4]: [من الطويل]

خليليَّ إنّ العسرَ سوف يُفيقُ | وإنّ يساراً في غدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلاّ كالزّمان إذا صَحا | صَحوتُ وإن ماقَ الزّمانُ أموقُ
أأدْماءُ لا أسطيع في قلّة الثّرى | خُزوزا ووَشيا والقليلُ مَحيقُ[5]
خُذي من يدي ما قلّ إنّ زماننا | شَمُوسٌ ومعروف الرجال رقيقُ
لقد كنتُ لا أرضَى بأدنى مَعيشة | ولا يَشتكي بُخلاً عليّ رفيقُ
خليليّ إنّ المالَ ليس بنافع | إذا لم ينَل منه أخٌ وصديقُ
وكنتُ إذا ضاقتْ عليَّ مَحَلّةٌ | تيمّمتُ أُخرى ما عليّ تَضيقُ
وما خابَ بينَ اللهِ والناسِ عاملٌ | له في التّقى أو في المحامدِ سُوقُ
ولا ضاقَ فضلُ اللهِ عن مُتعفّفٍ | ولكنّ أخلاقَ الرجالِ تَضيقُ

[أنشد المهديّ شعراً في النسيب فتهدّده إن عاد إلى مثله]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عمر بن شبّة قال: بلغ المهديَّ قولُ بشّار[6]: [من الكامل]

1 النسيب في ل: النساء.
2 الشطر الثاني تقدّمت رواية هذا الشطر: وإذا غلا حمد شريته.
3 ل: حر.
4 ديوان بشّار: 164–165.
5 أدماء: الظبية التي أشرب لونها بياضاً أو السمراء، وهي هنا علم. الخزوز: جمع خز. محيق: لا خير فيه.
6 تقدّم البيتان الثاني والثالث في هذه الترجمة.

قاسِ الهمومَ تنلْ بهـا نُجُحا والليـلَ إنّ وراءه صُبُحـا
لا يُؤيسنّك مـن مُخبّـأةٍ قـولٌ تُغلّظه وإن جَرَحـا
عُسر النّساءِ إلى مُيـاسَرَةٍ والصّعبُ يُمكن بعد ما جَمَحا

فلمّا قدِم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إيّاه ، وكان المهديّ غيوراً ، فغضب وقال : تلك أمّك يا عاضّ كذا من أمّه ! أتحضّ الناس على الفجور وتقذف المحصَنات المخبّآت ! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتينّ على روحك ؛ فقال بشّار في ذلك[1] : [من المنسرح]

واللهِ لـولا رِضا الخليفة مـا أُعطيتُ ضَيماً عليَّ في شَجنِ
وربّما خِيرَ لابـن آدمَ في الـ ـكُره وشقَّ الهوى على البدنِ
فاشرَبْ على أُبنة الزّمـان فما تلقَى زماناً صَفا مـن الأُبَنِ[2]
الله يُعطيـك مـن فواضلـه والمرء يُغضي عيناً على الكُمَنِ[3]
قد عشتُ بين الرَّيحان والراح والـ ـمزْهر في ظلِّ مَجلسٍ حسنِ
وقد ملأتُ البلادَ مـا بين فُغْـ ـفُور إلى القَيـروان فاليمنِ

قال عمر بن شبّة : فُغْفُور : ملك الصين .

شِعراً تُصلّي لـه العواتِقُ والـ ـثّيبُ صـلاةَ الغُـواة للوَثَنِ
ثم نهاني المَهديّ فانصرفتْ نفسي صنيعَ الموفَّـق اللّقِنِ[4]
فالحمـدُ للهِ لا شريكَ لـه ليس بباقٍ شيءٌ على الزّمَنِ

ثم أنشده قصيدته التي أوّلها :

تجاللتُ عن فِهرٍ وعن جارتَـيْ فهرِ

ووصف بها تركه التشبيب ، ومدحه فقال[5] : [من الطويل]

تَسلّى عـن الأحبـابِ صَرّامُ خُلّـة ووصّالُ أُخـرى مـا يُقيم على أمرِ
وركّاض أفـراس الصّبابـة والهـوى جرت حِجَجاً ثم استقرّت فما تَجرِي

1 ديوان بشّار : 237 .
2 الأبنة هنا : الكدر .
3 الكمن : جمع كمنة وهي ورم في الجفن .
4 اللقن : السريع الفهم .
5 ديوان بشّار : 133–134 .

فأصبحن مـا يُركَبن إلاّ إلى الوغَى ... وأصبحتُ لا يُزْرى عليّ ولا أُزرِي
فهذا وإنّي قـد شَرَعْتُ مـع التّقى ... وماتت همومي الطارقاتُ فما تسري[1]

ثم قال يصف السفينة : [من الطويل]

وعذراء لا تجري بلحـمٍ ولا دمٍ ... قليلة شكوى الأيْن مُلجَمةُ الدُّبْرِ[2]
إذا ظَعَنَت فيهـا الفُلـول تَشخّصت ... بفُرسانها لا في وُعـوث ولا وعرِ[3]
وإن قصدت زلّـت على مُتنصِّـب ... ذليل القوى لا شيء يَفري كما تفري
تُلاعـب تَيّارَ البحـور وربّمـا ... رأيتَ نفوسَ القوم من جَريها تجري

قال : وكان قال : «نِينان البحور» فعابه بذلك سيبويه فجعله «تيّار البحور» .

إلى ملـكٍ مـن هاشمٍ في نبـوّةٍ ... ومن حِمْير في الملك في العدد الدَّثرِ[4]
مِنَ المشترين الحمد تندى من النّدى ... يـداه وينـدى عارضاه مـن العِطرِ
فألزمتُ حبلِـي حبـلَ من لا تُغبّه ... عُفاة الندى من حيثُ يَدرِي ولا يَدرِي
بَنـى لـك عبد اللهِ بيتَ خلافـةٍ ... نزلـتَ بهـا بـين الفَراقـد والنَّسرِ
وعندك عهـدٌ مـن وَصاة محمّـد ... فَرَعتَ بـه الأملاكَ من ولد النّضرِ[5]

[هجا المهدي بعد أن مدحه فلمّا بلغه ذلك أمر بقتله]

فلم يَحْظَ منه أيضاً بشيء ، فهجاه فقال في قصيدته[6] : [من السريع]

خليفـةٌ يـزني بعمّاتـه ... يلعب بالدَّبُّوق والصَّوْلجانْ
أبدلنـا اللهُ بـه غيـرَه ... ودسّ مُوسى في حِرِ الخَيْزُرانْ[7]

وأنشدها في حَلقة يونس النّحويّ ، فسُعي به إلى يعقوب بن داود ، وكان بشّار قد هجاه فقال[8] : [من البسيط]

---

1 شرعت مع التقى : لزمت الحقّ وابتعدت عن الباطل .
2 الأين : التعب .
3 الوعوث : جمع وعث وهو المكان السهل .
4 الدثر : الكثير .
5 فرع : علا بالشرف .
6 ديوان بشار : 243 .
7 الخيزران : إحدى جواري المهدي وهي أمّ موسى (الهادي) وهارون (الرشيد) .
8 ديوان بشّار : 91 .

بنـــي أميّة هُبّـوا طـــال نومُكُم   إنّ الخليفـةَ يعقـوبُ بنُ داودِ
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتمسوا   خليفـةَ الله بـينَ الـزِّقِّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجاك ؛ فقال : بأيّ شيء ؟ فقال : بما لا ينطق به لساني ولا يتوهّمه فكرِي ؛ قال له : بحياتي إلاّ أنشدتني ! فقال : والله لو خيّرتَني بين إنشادي إيّاه وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي ؛ فحلف عليه المهديّ بالأيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره ؛ فقال : أمّا لفظاً فلا ، ولكنّي أكتبُ ذلك ، فكتبه ودفعه إليه ؛ فكاد ينشقّ غيظاً ، وعمَد على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها ، وما وكده[1] غير بشّار . فانحدر ، فلمّا بلغ إلى البَطِيحة سمِع أذاناً في وقت ضُحى النّهار ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ؛ فإذا بشّار يؤذّن سكران ؛ فقال له : يا زنديق يا عاضّ بَظْر أمّه ، عجبتُ أن يكون هذا غيرك ، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ؛ ثم دعا بابن نَهِيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحَرّاقة[2] سبعين سوطاً أتلفه فيها ، فكان إذا أوجعه السوط يقول : حَسٍّ ، وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أُوجع ، فقال له بعضهم : انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول : حَسٍّ ، ولا يقول : باسم الله ؛ فقال : ويلك ؛ أطعامٌ هو فأُسمّيَ الله عليه ! فقال له الآخر : أفلا قلتَ : الحمد لله ؛ قال : أَوَنعمةٌ هي حتّى أحمد الله عليها ؟ فلمّا ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه ، فأُلقي في سفينة حتّى مات ثم رُميَ به في البَطيحة ، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدُفن بها .

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال : لمّا وليَ صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزيرِ المهديّ البصرة ، قال بشّار يهجوه[3] : [من الطويل]

هُمُ حَملوا فـوقَ المنابر صالحاً   أخاك فضجّت من أخيك المنابرُ

فبلغ ذلك يعقوبَ فدخل على المهديّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أبَلَغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجوَ أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك ! وما قال ؟ قال : يُعفيني أمير المؤمنين من إنشاده ، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه . فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره : وخاف يعقوب بن داود أن يَقدَم على المهديّ فيمدحَه ويعفو عنه ، فوجّه إليه من استقبله فضربه بالسِّياط حتّى قتله ثم ألقاه في البَطيحة في الخَرّارة .

1 وكده : قصده .
2 الحراقة : سفينة يرمى بالنار منها .
3 ديوان بشّار : 113 .

[هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه وعن جماعة من رُواة البصريين ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أحمد بن أبي طاهر عن علي بن محمد ، وخبره أتمّ ، قالوا : خرج بشّار إلى المهديّ ، ويعقوبُ بن داود وزيره ، فمدحه ومدح يعقوب ، فلم يحفِل به يعقوب ولم يُعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزله ، فصاح به بشّار :

طال الثَّـواء على رُسوم المنزِلِ

فقال يعقوب :

فإذا تشاءُ أبـا معاذٍ فارحَلِ

فغضِب بشّار وقال يهجوه : [من البسيط]

بنـي أميّة هُبّـوا طـال نومكـمُ ... إنّ الخليفـة يعقوبُ بـن داودِ
ضاعت خلافتُكم يا قوم فالتمسوا ... خليفــةَ اللهِ بـين الـزِّقّ والعُودِ

قال النوفليّ : فلمّا طالت أيّام بشّار على باب يعقوب دخل عليه ، وكان من عادة بشّار إذا أراد أن يُنشد أو يتكلّم أن يتفُل عن يمينه وشماله ويُصفّق بإحدى يديه على الأُخرى ، ففعل ذلك وأنشد[1] : [من الكامل]

يعقوبُ قـد ورد العُفـاةُ عشيّةً ... مُتعرّضـين لسَيبـك المُنتابِ
فسقَيتَهـم وحسِبتَنـي كَمّونـةً ... نَبتـت لزارعهـا بغيـر شرابِ
مَهـلاً لديـك فإنّنـي رَيحانـة ... فاشمُمْ بأَنفك واسقِهـا بذِنابِ[2]
طـال الثـواءُ على تنظُّرِ حاجـةٍ ... شَمِطتْ لديك فمن لها بِخِضابِ[3]
تُعطِي الغزيـرةُ دَرَّهـا فإذا أبتْ ... كانـت مَلامتُهـا على الحُلاّبِ[4]

يقول ليعقوب : أنت من المهديّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يُوصَل إلى دَرِّها فليس ذلك من قِبَلها ، إنّما هو من منع الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس من قِبَله لسَعَة معروفه ، إنّما هو من قِبَل السبب إليه . قال : فلم يعطِفْ ذلك يعقوبَ عليه وحرَمه ، فانصرف إلى البصرة مُغضَبا . فلمّا قدِم المهديُّ البصرة أعطى عطايا كثيرةً ووصَل الشعراء ، وذلك كلُّه على يديْ يعقوب ، فلم يُعط بشّاراً شيئاً من ذلك ، فجاء بَشّار إلى حَلَقة يونسَ

1 ديوان بشّار : 38–39 .
2 ذناب : جمع ذنوب وهو الدلو الملأى .
3 فمن في ل : فمر .
4 الغزيرة : الكثيرة الدرّ .

النَّحْوي فقال : هل هاهنا أحد يُحْتَشم ؟ قالوا له : لا ؛ فأنشأ بيتاً يَهْجو فيه المهديّ ، فسعى به أهلُ الحلقة إلى يعقوب ؛ فقال يونس للمهديّ : إنّ بشّاراً زِنْديق وقامت عليه البيّنة عندي بذلك ، وقد هجا أمير المؤمنين ، فأمر ابنَ نَهيك بأخذه ، وأَزِف خروجُهم فخرجوا وأخرجه ابن نَهيك معه في زَورق .

[وفاة بشّار]

فلمّا كانوا بالبَطِيحة ذكَرَه المهديّ فأرسل إلى ابن نَهيك يأمُره أن يضرب بشّاراً ضربَ التلف ويُلقيه بالبطيحة ، فأمر به فأُقيم على صدر السفينة وأمر الجلاّدين أن يضربوه ضرباً يُتلفون فيه نفسَه ففعلوا ذلك ، فجعل يَسترجع ؛ فقال بعض من حضر : أمَا تراه لا يحمد الله ؟ فقال بشّار : أنعمةٌ هي فأحمدَ الله عليها ؟ إنّما هي بليّة أسترجع عليها ، فضُرب سبعين سوطاً مات منها وأُلقيَ في البطيحة .

قال يحيى بن عليّ فحكى قَعنب بن محرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : لّما ضُرب بشّار بالسياط وطُرح في السفينة قال : ليت عينَ أبي الشَّمقمق رأتني حين يقول : [من مجزوء الرمل]

إنّ بشّارَ بنَ بـــرد تيسٌ أعمى في سفينهْ[1]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبة قال : أمر المهديّ عبد الجبّار صاحب الزنادقة فضرب بشّاراً ، فما بقي بالبصرة شَريفٌ إلاّ بعث إليه بالفَرْش والكُسْوة والهدايا ومات بالبطيحة . قال : وكانت وفاته وقد ناهز ستّينَ سنة .

قال عمر بن شبّة حدّثني سالم بن عليّ ، قال : كنّا عند يونس فنعى بشّاراً إلينا ناعٍ ، فأنكر يونُس ذلك وقال : لم يمتْ ؛ فقال الرجل : أنا رأيت قبرَه ؛ فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ، وإلاّ فعليّ وعليّ ، وحلَف له حتى رضيَ ، فقال يونس : «لِليدين ولِلفم»[2] .

قال أبو زيد وحدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمّد بن عَوْن بن بَشير ، وكان يُتّهَم بمذهب بشّار ، فقال : لّما مات بشّار أُلقيتْ جُثّته بالبطيحة في موضع يُعرَف بالخَرّارة ، فحمله الماء فأخرجه إلى دِجلة البصرةِ فأُخِذ فأُتِي به أهلُه فدفنوه ، قال وكان كثيراً ما ينشدني[3] : [من مجزوء الرمل]

1 قال الجاحظ : تقول العرب : «ما هو إلاّ تيس في سفينة» إذا أرادوا الغباوة و«ما هو إلاّ تيس» إذا أرادوا به نتن الريح (الحيوان 2 : 150 تحقيق عبد السلام هارون) .

2 هذا مثل في الشماتة (الميداني رقم 3465 وفصل المقالي : 98) .

3 ديوان بشّار : 201 .

سَتَرى حولَ سَريري حُسَّرا يَلْطِمن لَطما
يا قَتِيلا قتلتْه عبدةُ الحوراءُ ظلما

قال : وأُخرِجَتْ جنازته فما تبِعها أحدٌ إلاّ أَمَةٌ له سوداء سِنديّة عَجماء ما تُفصح ، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح : واسيّداه ! واسيّداه !

[شماتة الناس بموته]

قال أبو زيد وحدّثني سالم بن عليّ قال : لّما مات بشّار ونُعِيَ إلى أهل البَصرة تَباشر عامّتهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحمِدوا الله وتصدّقوا ، لّما كانوا مُنوا به من لسانه .

وقال أبو هشام الباهليّ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ في قتل بشّار : [من المنسرح]

يا بُؤْسَ مَيْتٍ لم يَبكِهِ أحدُ أَجَلْ ولم يَفتقِدْه مُفتقِدُ
لا أمٌّ أولاده بكتْه ولم يَبْكِ عليه لفُرقةٍ وَلَدُ
ولا ابنُ أختٍ بكى ولا ابنُ أخٍ ولا حَميمٌ رقَت له كبِدُ
بل زعموا أنّ أهلَه فرَحاً لّما أتاهم نَعِيُّه سَجَدوا

قال : وقال أيضاً في ذلك : [من السريع]

قد تبِع الأعمى قَفا عَجْرَدِ فأصبحا جارَين في دارِ
قالت بِقاعُ الأرضِ لا مَرحباً بِرُوحِ حمّادٍ وبشّارِ
تَجاوزا بعد تنائيهما ما أبغَضَ الجارَ إلى الجارِ
صارا جميعاً في يَدي مالكٍ في النّار والكافرُ في النارِ

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمّد عن أحمد بن خَلاَّد عن أبيه قال : مات بشّار سنة ثمان وستّين ومائة وقد بلغ نَيِّفاً وسبعين سنة .

[ندم المهديّ على قتله]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال : لّما ضرب المهديّ بشّاراً بعث إلى منزله من يُفتّشه ، وكان يُتّهم بالزندقة فوُجد في منزله طومار[1] فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّي أردت هجاء آل سليمان بن عليّ لبخلهم فذكرتُ قرابتهم من رسول الله ﷺ فأمسكت عنهم إجلالاً له ﷺ ، على أنّي قد قلتُ فيهم[2] : [من البسيط]

1 طومار : صحيفة .
2 ديوان بشار : 53 .

دِينــارُ آلِ سليمانٍ ودِرهَمُهم كالبابِليَّين حُفَّا بالعفــارِيتِ
لا يُبصَران ولا يُرجَى لقاؤهما كما سمعتَ بهارُوتٍ ومارُوتِ

فلمّا قرأه المهديّ بكى وندم على قتله ، وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود خيراً ، فإنّه لمّا هجاه لفّق عندي شهوداً على أنّه زنديقٌ فقتلتُه ثمّ ندمت حين لا يُغني الندم .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون قال : لمّا نزل المهديُّ البصرة كان معه حَمْدُويَه صاحب الزنادقة فدفع إليه بشّاراً وقال : اضربْه ضربَ التلف ، فضربه ثلاثة عشر سوطاً ، فكان كلّما ضربه سوطاً قال له : أوجعتَني ويلك ؛ فقال : يا زنديق ، أتُضرَب ولا تقول : باسم الله ؟ قال : ويلك ! أثَريدٌ هو فأسمّي الله عليه !! قال : ومات من ذلك الضّرب .

ولبشّار أخبار كثيرة قد ذُكرت في عدّة مواضع : منها أخباره مع عبدة فإنّها أُفردت في بعض شعره فيها الذي غنَّى فيه المغنّون ، وأخبارُه مع حَمّاد عَجْرد في تَهاجيهما فإنّها أيضاً أُفرِدتْ ، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهليّ فإنّا لم نجمع جميعها في هذا الموضع ، إذ كان كلّ صِنفٍ منها مُستغنياً بنفسه حسبما شُرِط في تصدير الكتاب .

[33] ـ أخبار يزيد حوراء

[ولاؤه ، وهو مغن من طبقة ابن جامع والموصلي]

يزيد حَوْراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة ، ويُكنى أبا خالد ، مُغنٍّ محسنٌ كثيرُ الصّناعة ، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصليّ ، وكان ممّن قدِم على المهديّ في خلافته فغنّاه ، وكان حسنَ الصوت حُلوَ الشمائل .

[كان إبراهيم الموصلي يحسده]

وذكر ابن خُرْداذْبِهْ أنّه بلغه أنّ إبراهيم الموصليّ حسده على شمائله وإشارته في الغناء ، فاشترى عدّة جوارٍ وشاركه فيهنّ ؛ وقال له : عَلِّمهن فما رَزَق الله فيهنّ من رِبْحٍ فهو بيننا ، وأمرهنّ أن يجعلنَ وَكْدَهنّ[1] أخْذ إشارته ففعلن ذلك ، وكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وابنه ويأمرهنّ بتعليم كلٍّ من يعرفنَه ذلك حتى شهَرها في الناس ، فأبطل عليه ما كان منفرداً به من ذلك .

[كان صديقاً لأبي العتاهية وغنّى للمهدي من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني جماعةٌ من موالي الرشيد : أنّ يزيد حوراء كان صديقاً لأبي العتاهية ، فقال أبو العتاهية أبياتاً في أمر عُتْبة يتنجَّز فيها المهديّ ما وعده إيّاه من تزويجها ، فإذا وجد المهديَّ طيِّبَ النفس غنَّاه بها ، وهي[2] : [من الكامل]

ولقد تَنَسّمتُ الرياحَ لحاجتي فإذا لها مـن راحتَيْكَ نسيمُ
أشْربتُ نفسي من رجائك ما له عَنَقٌ يَخُبّ إليك بي ورَسِيمُ
ورَمَيتُ نحوَ سماءِ جَوْدِك ناظري أرْعَى مخايـلَ بَرْقِـهِ وأَشيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقولُ لا ، إنّ الذي ضَمِنَ النجاحَ كريمُ

فصنَع فيها لحناً وتوخَّى لها وقتاً وجد المهديّ فيه طيِّبَ النفس فغنّاه بها . فدعا بأبي العتاهية وقال له : أمّا عُتْبة فلا سبيل إليها لأنّ مولاتها مَنَعتْ من ذلك . ولكن هذه خمسون ألفَ درهم فاشتر ببعضها خيراً من عُتبة ، فحُمِلتْ إليه وانصرف .

---

1 وكد : قصد .

2 ديوان أبي العتاهية (تحقيق د . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965) : 631–633 .

[كان نظيفاً ظريفاً حسن الوجه جميل الخصال]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن المرزبان قال حدّثنا شَيبة بن هشام عن عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسنَ الوجه شَكِلاً[1] ، لم يَقدَم علينا من الحجاز أنظفُ ولا أشكلُ منه ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلةً فيه لا تراها في أحد منهم إلاّ رأيتَها فيه ، وكان يتعصّب لإبراهيم الموصليّ على ابن جامع ، فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذكره بالجميل وينبّه على مواضع تقدُّمه وإحسانه ويَبعث بابنه إسحاق إليه يأخذ عنه .

[رثاه صديقه أبو مالك حين مات]

وكان صديقاً لأبي مالكٍ الأعرج التَّميميّ لا يكاد أن يفارقه ، فمرِض مرضاً شديداً واحتُضر ، فاغتمّ عليه الرشيد وبعث بمسرورٍ الخادم يسأل عنه ، ثم مات ؛ فقال أبو مالك يرثيه : [من الخفيف]

صوت

لم يُمَتَّعْ مــن الشبابِ يزيدُ صار في التُّرْبِ وهو غَضٌّ جديدُ
خانَـه دهـرُه وقابَلَـه منـ ـهُ بنَحْسٍ ودابَرَتْـهُ السُّعودُ
حين زُفَّتْ دُنْياه من كل وجهٍ وتَدانـى إليـه منـه البعيدُ
فكأنْ لم يكنْ يزيدُ ولم يَشْـ ـجُ نَديمـاً يَهُـزُّه التّغريدُ

وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثاني بالبنصر ، من نسخة عمرو بن بانة .

[توسّط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهديّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَهْ قال حدّثني أحمد بن أبي يوسف قال حدّثني الحسين بن جُمهور بن زِياد بن طرخان مولى المنصور قال حدّثني أبو محمد عبد الرحمن بن عُيَينة بن شارية الدُّؤَليّ قال حدّثني محمد بن ميمون أبو زيد قال حدّثني يزيد حوراء المغنّي قال : كلّمني أبو العتاهية في أن أُكلِّم له المهديّ في عُتبة ، فقلت له : إنّ الكلام لا يمكنني ولكن قل شعراً أُغَنّه به ، فقال[2] : [من البسيط]

صوت

نفسي بشيءٍ من الدنيا مُعَلَّقةٌ اللهُ والقائـمُ المهـديُّ يَكْفِيها
إنّي لأيأسُ منهـا ثم يُطْمِعُني فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها

1 شكلا : ذا دلّ وغزل .
2 ديوان أبي العتاهية : 668 .

قال : فعمِلتُ فيه لحناً وغنّيته به ، فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ، فقال : ننظُر فيما سأل ، فأخبرتُ أبا العتاهية ، ثم مضى شهرٌ فجاءني وقال : هل حدث خبر ؟ فقلت : لا ، قال : فاذكرني للمهديّ ، قلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرّكه وتُذكّره وعدَه حتى أُغنّيَه به ، فقال[1] : [من الخفيف]

صوت

ليتَ شعرِي ما عندكم ليتَ شعري فلقــد أُخِّــرَ الجــوابُ لأمــرِ
مــا جــوابٌ أَوْلى بكــلّ جميلٍ من جــوابٍ يُــرَدُّ من بعــد شهرِ

قال يزيد : فغنّيت به المهديّ فقال : عَلَيَّ بعُتْبة فأُحضِرَتْ ، فقال : إنّ أبا العتاهية كلّمني فيكِ ، فما تقولين ، ولك وله عندي ما تُحِبّان ممّا لا تبلُغه أمانِيكما ؟ فقالت له : قد عَلِم أمير المؤمنين ما أوجب الله عليّ من حقّ مولاتي ، وأُريد أن أذكُرَ لها هذا ، قال : فافعلي ؛ قال : وأعلمتُ أبا العتاهية ، ومضتْ أيّامٌ فسألني معاودَةَ المهديّ ، فقلت : قد عرفتَ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أغنّيَه به ، فقال[2] : [من الكامل]

صوت

أَشْربتُ قلبي من رجائك ما له عَنَقٌ يَخُبّ إليك بي ورسيمُ
وأَمَلتُ نحوَ سماء جَودِك ناظري أرعَى مَخايِــلَ بَرْقِها وأُشيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقول لا إنّ الذي وعَدَ النجاحَ كريمُ

قال يزيد : فغنّيته المهديّ ، فقال : عَلَيَّ بعُتْبة فجاءت ، فقال : ما صنعتِ ؟
فقالت : ذكرتُ ذلك لمولاتي فكَرِهتْه وأبَتْه ، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يريد ، فقال : ما كنتُ لأفعلَ شيئاً تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك ، فقال[3] : [من الكامل]

قَطّعْتُ منكِ حبائــلَ الآمــالِ وأَرحْتُ من حِلٍّ ومن تَرْحالِ
ما كان أشأمَ إذ رجاؤُكِ قاتلي وبناتُ وَعْــدِكِ يَعْتلِجن ببالي
ولئن طَمِعتُ لَرُبَّ بَرْقةِ خُلّبٍ مالتْ بذي طَمَع ولمعــةِ آلِ

[مغازلته لجارية]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قال يزيد حوراء :

1 ديوان أبي العتاهية : 547 .
2 ديوان أبي العتاهية : 633 .
3 ديوان أبي العتاهية : 281 .

كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش ، فكانت تمرّ بي جارية تختلف إلى الزرقاء ، تتعلّم منها الغِناء ، فقلت لها يوماً : افهَمِي قولي ورُدِّي جوابي وكوني عند ظنّي ، فقالت : هاتِ ما عندك ، فقلت : بالله ما اسمك ؟ فقالت : ممنّعة ؛ فأطرقتُ طِيَرَةً من اسمها مع طَمَعي فيها ، فقلت : بل باذلة أو مبذولة إن شاء الله ، فاسمعي منّي ، فقالت وهي تتبسّم : إن كان عندك شيءٌ فقُل ، فقلت : [من الطويل]

لِيَهْنِكِ منّي أنّني لستُ مُفْشِياً هواكِ إلى غيري ولو مِتُّ من كَرْبِ
ولا مانحاً خَلْقاً سواكِ مودّتي ولا قائلاً ما عشتُ من حبّكم حَسْبي

قال : فنظرتْ إليّ طويلاً ، ثم قالت : أنشُدُك الله ، أعن فَرْطِ محبّة أم اهتياج غُلمة تكلّمت ؟ فقلت : لا والله ولكن عن فَرْط محبّة ، فقالت : [من الطويل]

فوالله ربِّ الناس لا خُنْتُكَ الهَوى ولا زلتَ مخصوصَ المحبَّة من قلبي
فثِقْ بي فإنّي قد وَثِقْتُ ولا تكنْ على غيرِ ما أظهرتَ لي يا أخا الحُبِّ

قال : فوالله لكأنّما أضرمتْ في قلبي ناراً ، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلُكه فتحدّثني وأتفرّج بها ، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، فكانت تُكاتبني وتُلاطفني دهراً طويلاً .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

يا ليلةً جمعتْ لنا الأحبابا لو شئتِ دام لنا النعيمُ وطابا
بتنا نُسَقَّاها شَمولاً قَرْقَفاً تدَعُ الصحيحَ بعقلِه مُرتابا
حمراء مثل دمِ الغزال وتارةً عند المِزاج تخالها زِريابا
من كفِّ جاريةٍ كأنّ بَنانَها من فِضّةٍ قد قُمِّعَتْ عُنّابا
وكأنّ يُمناها إذا نقَرتْ بها تُلقي على الكفِّ الشِّمال حِسابا

عروضه من الكامل ، الشعر لعُكّاشة العَمِّيّ ، والغناء لعبد الرحيم الدَّفّاف ، ولحنه المختار هَزَجٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوُسطى .

[34] ـ أخبار عُكَّاشة العمّيّ ونسبه[1]

[نسبه وأصل قومه]

هو عُكَّاشة بن عبد الصَّمَد العَمِّيّ من أهل البصرة من بني العمّ . وأصلُ بني العمّ كالمدفوع ، يقال : إنّهم نزلوا ببني تميم بالبصرة في أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغَزَوا مع المسلمين وحَسُنَ بلاؤهم ، فقال الناس : أنتم ، وإن لم تكونوا من العرب ، إخوانُنا وأهلُنا وأنتم الأنصار والإخوانُ وبنو العمِّ ، فلُقِّبوا بذلك وصاروا في جملة العرب .

[هجا كعب بن معدان بني ناجية وشبّههم ببني العمّ]

وقال بعض الشعراء ، وهو كعب بن مَعْدان ، يهجو بني ناجية ويشبِّههم ببني العمِّ : [من الوافر]

وجدنا آلَ سامةَ في قُريشٍ كمثل العمِّ بين بني تميمِ

ويروى : «في سَلَفَيْ تميم» .

[أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير]

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو عبيدة قال : لمّا تواقف جرير والفرزدق بالمِربد للهجاء اقتتلت بنو يربوع وبنو مُجاشع ، فأمدّت بنو العمّ بني مُجاشع وجاؤوهم وفي أيديهم الخشب فطردوا بني يربوع ؛ فقال جرير : مَن هؤلاء ؟ قالوا : بنو العمّ ، فقال جرير يهجوهم : [من البسيط]

ما للفرزدقِ مِنْ عزٍّ يلوذُ به إلاّ بني العمِّ في أيديهمُ الخشَبُ
سِيروا بني العمِّ فالأهواز داركُمُ ونهرُ تِيرى ولم تعرفْكم العَرَبُ

وعُكّاشة شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة العباسية ، ليس ممّن شُهِر وشاع شعره[2] في أيدي الناس ولا ممّن خدَم الخلفاء ومدحهم .

[ذكر لصديقه حميد الكاتب حبّه لنعيم وشعره فيها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني عليّ بن الحسن عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني سعيد بن حُمَيد الكاتب البصريّ قال قال أبي : كان عُكّاشة بن

---

1 عكّاشة العمّي : بتشديد الكاف وتخفيفها ، له ترجمة في السمط : 526–527 وفوات الوفيات (تحقيق إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت) 2 : 455–457 وذكر أنّه توفّي بعد المائتين والزركشي : 209 وأعلام الزركلي .

2 ل : ذكره .

عبد الصَّمد العمِّيّ صديقاً لي وإلفاً ، وكنّا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتُم أحدنا صاحبه شيئاً ، فرأيته في بعض أيّامه متغير الهيئة عمّا عهدته مقسَّمَ القلب والفكر غير آخذٍ ما كنَّا فيه من الفُكاهة والمُزاح ، فسألته عن حاله فكاتَمَنِيها مَلِيّاً ، ثم أخبرني أنّه يهوى جاريةً لبعض الهاشميين يقال لها نُعَيْم ، وأنّ مَرامَها عليه مستصعِبٌ لا يراها إلاّ من جَناحٍ لدارِهم ، تُشرِفُ عليه في الفَيْئة[1] بعد الفَيْئة فتكلّمه كلاماً يسيراً ثم تذهب ، فعاتبتُه على ذلك فلم يَزْدجِرْ وتمادى في أمره ، ثم جاءني يوماً ، فقال : قد وعدَتْني الزيارة لأنّ شكواي إليها طالت ، فقلت له : فهل حقَّقَتْ لك الموعدَ على يومٍ بعينه ؟ قال : لا ، إنّما سألتُها الزيارة فقالت : نعم أفعل ، فقلت له : هذا واللهِ أعجبُ من سائرِ ما مضى ، وأيُّ شيءٍ لك في هذا من الفائدة بلا تحصيلٍ وعدٍ ؟ فقال لي : يا أخي ، إنّ لي في قولها : «نعم» فرجاً كبيراً ، فقلتُ : أنت أقنعُ الناس ؛ ثم جاءني بعد يومين وهو كاسفُ البال مهمومٌ ، فقلت له : ما لك ؟ فقال : مضيتُ إلى نُعَيْم فتنجَّزتُ وعدَها ، فقالت لي : إنّ لي صاحبةً أستنصِحُها وأعلمُ أنّها تُشفقُ عليَّ شفقةَ الأختِ على أختها والأمِّ على ولدِها وقد نهَتني عن ذلك ، وقالت لي : إنّ في الرجال غَدراً ومكراً ، ولا آمنُ أن تفتضحي ثم لا تَحصُلي منه على شيء ؛ وقد انقطعتْ عنّي ثم أنشدني لنفسه : [من المنسرح]

عـلامَ حبـلُ الصفاء منصرمُ ... وفيمَ عنّـي الصدودُ والصَّمَمُ
يا مـن كَنَيْنا عن اسمه زمناً ... نتبـعُ مرضاتَـهُ ويجتـرمُ
قـد عِيلَ صبري وأنتِ لاهيـةٌ ... عنّي وقلبـي عليـكِ يَضْطَرِمُ
مَنْ جَـذَّ حبلَ الوفـاء سيِّدتي ... منكِ ومن سامني لـه العَدَمُ
فكـم أتـاني واشٍ يعيبكُـمُ ... فقلتُ اخسَأْ لأنفِـك الرَّغَمُ
أنتَ الفِدا والحِمَى لمن عِبتَ فار ... جعْ صاغِراً راغماً لك النَدَمُ

صوت

[من المنسرح]

يا ربِّ خُذْ لي من الوُشاة إذا ... قامـوا وقُمنـا إليكَ نختصِمُ
دَبُّـوا إليهـا يُوَسوسون لهـا ... كي يستزِلّوا حبيبتـي زَعموا
هيهاتَ مِنْ ذاك ضَلَّ سعيُهُم ... مـا قلبهـا المستعـارُ يُقتَسَمُ

[1] الفيئة : بمعنى الفينة .

يـا حاسدينا موتوا بغيظِكُمُ حَبْـلي متـينٌ بقولِها نَعَـمُ
بـالله لا تُشْمتي العُـداةَ بنـا كونـي كقلبـي فلستُ أتّهمُ

الغناء في هذه الأبيات لعَرِيبَ رمل . وقيل : إنّه لغيرها .

[زارته نُعَيْم وغنّته ثم ذهبت]

قال : ثم طال تَرداده إليها واستصلاحه لها ، فلم ألبَثْ أن جاءتني رُقعتُه في يومِ خميسٍ يُعلِمني أنّها قد حصَلَتْ عنده ويستدعيني فحضرتُ ، وتوارتْ عنّي ساعةً وهو يُخبِرُها أنّه لا فرق بيني وبينه ولا يحتشمني في حالِ ألبتّة إلى أن خرجتْ ، فاجتمعنا وشربنا وغنّت غناءً حسناً إلى وقت العصر ثم انصرفت ، وأخذ دواةً ورُقعة فكتب فيها[1] : [من الكامل]

سَقْيـاً لمجلسنا الذي كنّـا بـه يـومَ الخميسِ جماعـةً أتْرابا
في غُرفةٍ مَطَرَت سمـاوةُ سقفِها بحَيـا النعيم مـن الكرومِ شَرَابا
إذ نحـنُ نُسقاهـا شَمولا قَرْقَفاً تـدَعُ الصحيـحَ بعقلـه مُرتابا
حمراء مثـل دمِ الغزالِ وتـارةً بعـد المِـزاج تخالُها زِرْيابا
مـن كـفِّ جاريـةٍ كأنَّ بنانَها مـن فِضّةٍ قـد قُمِّعـتْ عُنّابا
تزدادُ حسناً كأسُها مـن كفّها ويطيـبُ منهـا نشرُهـا أحقابا
وإذا المـزاجُ عَـلا فشجّ جبينَها نفَثَـتْ بـألْسِنةِ المِـزاجِ حَبَابا[2]
وتخالُ ما جَمَعتْ فأحدق سِمْطُه بالطَّـوقِ رِيـقَ حَبائب ورُضابا
كَفَتِ المَناصِفَ أن تَذُبَّ أكُفُّها عنهـا إذا جعلـتْ تَفُوح ذُبابا
والعُـودُ مُتّبـعٌ غِنـاءَ خَرِيدةٍ غَرِداً يقـولُ كما تقـول صوابا
وكأنّ يُمناها إذا نَطَقَـتْ بـه تُلقي على يدهـا الشِّمالِ حِسابا
فهناك خَفَّ بنا النعيمُ وصار من دون الثقيـلِ لنـا عليـه حِجابا
آليتُ لا ألْحَـى على طلب الهوى مُتَلـذِّذًا حتـى أكـونَ تُرابا

[اشترى نعيم بغداديّ وسافر بها]

قال : ثم قدِمَ قادم من أهلِ بغداد فاشترى نُعَيْمَ هذه من مولاتها ورحل إلى بغداد ، فعَظُم أسَفُ عُكّاشة وحزنُه عليها واستُهيم بها طول عمره ، فاستحالت صورتُه وطبعُه وخُلُقه إلى أن فرّق الدهر بيننا ، فكان أكثر وَكده وشُغْله أن يقول فيها الشعر وينوحَ به عليها ويبكي ؛ قال

1 الأبيات من الثالث إلى الحادي عشر في الفوات 2 : 457 .
2 نفثت في ل : نفشت .

حُميد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك[1] : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْرِي هل يعودنّ ما مضى وهل راجعٌ ما مات من صِلة الحَبْلِ
وهل أجلسنْ في مثل مجلِسنا الذي نَعِمْنا بـه يـومَ السعادة بالوصلِ
عشيّةَ صبّتْ لـذّةُ الوصل طِيبَها علينا وأفنانُ الجِنانِ جَنى البَذْلِ[2]
وقـد دار ساقينـا بكأسٍ رَوِيّـةٍ تُرَحِّلُ أحزانَ الكئيبِ مع العقلِ
وشَجَّ شَمُولاً بالمِـزاج فطيَّرت كألسنة الحيّات خافتْ من القتلِ[3]
فبِتْنا وعـينُ الكأسِ سَحٌّ دموعُها لِكلِّ فتًى يهتزّ للمجـدِ كالنَّصْلِ
وقَيْنَتُنا كالظبـي تسمَحُ بالهوى وبَـثٌ تَبارِيح الفـؤادِ على رِسْلِ
إذا ما حَكّتْ بالعُودِ رَجْعَ لسانِها رأيتَ لسانَ العودِ من كَفِّها يُمْلِي
فلـم أرَ كاللذّات أمطرتِ الهَوى ولا مثلَ يومي ذاك صادفَه مِثلِي

وممّا قاله فيها[4] : [من الكامل]

أنُعَيم حبُّـكِ سَلَّني وبَـلاني وإلى الأمرِّ مـن الأمـورِ دعاني
أنُعَيم لو تَجِدينَ وَجْدِي والذي ألْقى بَكَيتِ مـن الذي أبكاني
أنُعَيم سيّدتي عليـكِ تَقَطَّعتْ نفسي مـن الحَسَراتِ والأحزانِ
أنُعَيم قـد رَحِم الهوى قلبي وقد بكتِ الثيابُ أسًى على جُثْماني
أنُعَيم وانحـدرتْ مدامعُ مقلتي حتّـى رَحِمـتُ لرحمتي إخواني
أنُعَيم مَثَّلـكِ الهُيـامُ لمقلتي فكأنّنـي ألقـاكِ كلَّ مكانِ
أنُعَيم نظرةُ سحرِ عينِك بالهوى معروفـةٌ بالقتـلِ في إنسانِ
أنُعَيمُ اشفي أو دَعـي مَنْ داؤه ودواؤه بيديـكِ مُقترنـانِ
هـذا وكم من مجلسٍ لي مُونِقٍ بـين النعيـمِ وبـين عيشٍ داني
نازعتُـه أردانَـه فلَبستُها مـع ظَبْيـةٍ في عيشنا الفَيْنانِ
تُنسي الحليمَ مـن الرجال مَعادَه بـين الغِناء وعُودِهـا الحَنّانِ

1 في الفوات تسعة أبيات من هذه القطعة من أوّلها .
2 الفوات : جنى النحل .
3 الفوات : وشجت شمول .
4 في الفوات تسعة أبيات من هذه القطعة ابتداء من البيت التاسع .

حتى يعـودَ كأنّ حَبَّـةَ قلبـه مشدودةٌ بَمَثالِـثٍ ومَثـاني
ظَلّت تُغَنّيـني وتَعْطِفُ كفُّهـا بالعُـودِ بـين الـرَّاحِ والرَّيحانِ
فسمِعتُ ما أبكى وأضْحكَ سامعاً وسكِرتُ من طَرَبٍ ومن أشجانِ
ومَشَيتُ في لُجَجِ الهوى مُتبختراً ومشى إليّ اللهـوُ في الألوانِ
فعلمتُ أنْ قـد عـاد قلبي عائدٌ مـن بين عُـودٍ مُطربٍ وبَنانِ

وممّا قاله أيضاً فيها : [من الوافر]

نُعَيْمٌ هـل بَكَيتِ كما بَكَيـتُ وهل بعـدي وَفَيتِ كما وَفَيتُ
ألا يا ليت شِعري كيف بَعدي اصـ ـطبارُكِ إذ نَأيـتِ وإذ نأيتُ
فكم مـن عَبْرةٍ ذَرَفـتْ فلمّا خَشِيتُ عيونَ أهـلي واستحَيتُ
نَهضتُ بهـا مُكاتَمَـةً فلمّـا خلـوتُ ذَرَفْتُهـا حتّى اشتفيتُ
وقلـتُ لصُحْبتي لمّـا رَمـاني هـواكِ بدائـه حتـى انطويتُ
أراني مـن همـومِ النفسِ مَيْتـاً ولم أرَ في نُعَيـمٍ مـا نَويتُ
فليتَ المـوتَ عَجّل قبضَ رُوحي جِهـاراً فاسترحتُ وأيـن ليتُ

وقال أيضاً في فراقه إيّاها : [من الكامل]

أَنُعَيْمُ في قلبـي عليـك شَرارُ وعلى الفـؤادِ من الصَّبابـةِ نارُ
وعلى الجفونِ غِشاوةٌ وعلى الهَوى داعٍ دعَتْـه لِحَيْنـيَ الأقدارُ
بِمُضلّةٍ لُـبَّ الحليـم إذا رَمتْ بالمقلتـين كأنّهـا سَحّـارُ
طالبتُهـا حَوْلَيْنِ لا لَيْلي بهـا ليـلٌ ولا هـذا النهـارُ نهـارُ
حتى إذا ظَفِـرَتْ يداي بكاعِبٍ كالشمسِ تَقْصُر دونهـا الأبصارُ
وثَلِجتُ صدراً بـالفتاةِ وصارتـا كالنفسِ نفسانـا وقَـرّ قَـرارُ
بلـغَ الشقاءُ أشدَّ مـا يَسطِيعُهُ فينـا وفَـرّقَ بيننـا المِقْدارُ

وممّا يُغَنّى فيه من شعر عُكّاشة الذي قاله في هذه الجارية :

صوت

[من مجزوء الكامل]

لَهْفِي على الزمنِ الذي وَلّـى ببهجته القصيرِ
قـد كان يُؤْنقني الهوى ويُقِـرّ عينـي بالسرورِ

إذ نحـنُ خُلاّنُ الهوى رَيْحانُنـا عَبـقُ العبيرِ
وغناؤنا وصفُ الهـوى نلتـذّ بالحـبِّ اليسيرِ

الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته . وفيه لأبي العَنْبس بن حمدون خفيف رمل . وتمام هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

وجـهُ التواصُـل بيننـا في الحسنِ كالقمرِ المنيرِ
إيماؤنا يَحكـي الكلا مَ وسِرُّنا فَطَـنُ المشيرِ
وحديثُنـا بحواجـبٍ نطقتْ بألسنةِ الضَّميرِ
بل رُسْلنا الكُتُبُ التي تَجري بخافيةِ الصُّدورِ

[أنشد للمهديّ قوله في الخمر فأراد حدّه]

حدّثني الحسن بن عُلَيل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثنا أبو مُسلمٍ عن المدائنيّ قال : أنشد عُكّاشة بن عبد الصمد المهديّ قوله في الخمر : [من الكامل]

حمراء مِثلَ دمِ الغـزالِ وتارةً عنـدَ المِـزاجِ تَخالُها زِرْيابا

فقال له المهديّ : لقد أحسنت في وصفها إحسان مَنْ قد شربها ، ولقد استحققتَ بذلك الحدَّ ، فقال : أيؤمِّنني أمير المؤمنين حتى أتكلّم بحجّتي ؟ قال : قد أمّنتُك ، قال : وما يُدريك يا أمير المؤمنين أنّي أحسنت وأجدت صفتَها إن كنتَ لا تعرفها ؟ فقال له المهديّ : اعزُبْ قبّحك الله .

[وقع له مثل ذلك مع الهادي]

قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار أنّ عكّاشة أنشد موسى الهادي هذا الشعر ثم أنشده قوله : [من الطويل]

كأنّ فُضولَ الكأسِ من زَبَداتها خَلاخِلُ شُدّتْ بالجُمانِ إلى حَجْلِ[1]

فقال له موسى : والله لأجلِدنَّك حدّ الخمر ، قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ إنّما نقول ولا نفعل ، فقال : كذبتَ ، قد وصفْتَها صفة عالمٍ بها ، قال : فاجعل لي الأمان حتى أتكلّم بحُجّتي ، قال : تكلّم وأنت آمِنٌ ، قال : أجَدتُ وصفَها أم لم أُجِدْ ؟ قال : بلى قد أجدتَ ، قال : وما يُدريك أنّي أجدتُ إن كنتَ لا تعرفها ؟ إن كنتُ وصفتُها بطبعي دون امتحاني فقد شرِكتَني في ذلك بطبعك ، وإن كان وصفُها لا يُعلَم إلاّ بالتجربة فقد شركتَني أيضاً فيها ؛ فضحك موسى وقال له : قد نجوتَ بحيلتك منّي ، قاتلك الله فما أدهاك !

1 زبدات : جمع زبدة وهي الطائفة من الزبد الذي يطفو على الماء والشراب .

[ما غنّي فيه من شعره]

وممّا وجَدْتُ فيه غناءً من شعر عُكّاشة قوله : [من الطويل]

صوت

وجـاؤوا إليــه بالتَّعاويذِ والرُّقَى ... وصَبّوا عليه الماءَ من شدّةِ النُّكْسِ[1]

وقالوا بــه من أعينِ الجنّ نَظرةٌ ... ولو صدَقوا قالوا بــه أعينُ الإنسِ

الغناء لعَريبَ . ومنها : [من الكامل]

صوت

طَرفي يذوبُ وماءُ طَرفِكِ جامدُ ... وعــليَّ مــن سِيما هواكِ شواهدُ

هذا هــواكِ قسَمتِه بين الورى ... ومنحتني أرَقــاً وطَرفُكِ راقدُ

فعليّ منــه اليـــومَ تسعةُ أَسهُمٍ ... وعلى جميــعَ النّاسِ سهمٌ واحدُ

الغناء لجَحظة ؛ ومنها : [من مجزوء الكامل]

غــادِ الهــوى بالكأس بــردا ... وأطِــعْ إمــارةَ مـــن تَبدّى

ومنها : [من البسيط]

كما اشتهتْ خُلقتْ حتى إذا اعتدلتْ ... تمّت قَواماً فـلا طولٌ ولا قِصَرُ

ومنها : [من البسيط]

وزَعفرانيّة في اللّـونِ تحسَبُها ... إذا تأمّلتَهــا في جِسم كافُورِ

تخال أنّ سَقيطَ الطَّلّ بينَهما ... دمــعٌ تحيّر في أجفانِ مَهْجُورِ

1 النكس : معاودة المرض . وهذان البيتان في الفوات 2 : 456 .

[35] ـ أخبار عبد الرحيم الدفّاف ونسبه

[نسبه]

عبد الرحيم بن الفَضل الكوفيّ ، ويُكنى أبا القاسم ، وقيل : هو عبد الرحيم بن سعد ، وقيل : عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد ، مولًى لآل الأشعث بن قيس ، وقيل : بل هو مولى خُزاعة .

[سمعه حمّاد الراوية يغنّي]

ذكر أبو أيّوب المدينيّ أنّ حمّاداً الراوية حدّثه قال : رأيتُ عبد الرَّحيم الدفَّاف أيّام هارون الرشيد بالرَّقَّة وقد ظَهَرْتُ ، فحضَرني وسمعتُه يغنّي يومئذٍ صوتاً سئل عنه فذكر أنّه من صنعته ، وهو : [من الطويل]

فَديتُكِ لو تَدْرِينَ كيف أحِبّكم وكيف إذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ

[كان منقطعاً إلى عليّ بن المهديّ]

وكان عبد الرحيم منقطعاً إلى عليّ بن المهديّ المعروف بأمّه رَيْطة بنت أبي العبّاس .

[غنّى في شعر عرّض فيه بالرشيد فجلده]

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال : غنّت جاريةٌ يوماً بحضرة الرشيد : [من المنسرح]

قُل لعليّ أيا فتى العربِ وخيرَ نامٍ وخيرَ مُكتسِبِ
أعلاكَ جَدّاكَ يا عليُّ إذا قصّر جَدٌّ عن ذروةِ الحسبِ

فأمر بضرب عنقها ، فقالت : يا سيّدي ما ذنبي ! هذا صوت عُلّمْتُه ، والله ما أدري من قاله ولا فيمن قيل ؛ فعلم أنّها صدقت ، فقال لها : عمّن أخذته ؟ فقالت : عن عبد الرَّحيم الدّفّاف ، فأمر بإحضاره فأُحضِر ، فقال له : يا عاضَّ بَظْرِ أمّه ، أتغنّي في شعرٍ تُفاخِر فيه بيني وبين أخي ؟ جرِّدوه ، فجرَّدوه ، ودعا له بالسياط ، فضُرب بين يديه خمسمائة سوطٍ .

[غنّى لعليّ بن المهديّ فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن القَطِرانيّ عن محمد بن جبر قال : قال لي عبد الرَّحيم بن القاسم الدفّاف : دخلتُ على عليّ بن رَيطة يوماً وسِتارتُه منصوبة ، فغنّت جاريته[1] : [من الطويل]

---

1 ديوان العباس بن الأحنف (تحقيق عاتكة الخزرجيّ) : 230 .

أُنــاسٌ أمِنّاهــم فنَمّوا حديثَنا فلمّا كتَمنا السرَّ عنهم تَقَوَّلوا

فقلت : أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفي تمامه زيادةُ بيتٍ واحدٍ ، أيّ شيء لي عليك ؟ قال : خِلعتي التي عليّ ، فغنّيته : [من الطويل]

فلم يحفَظوا الوُدّ الذي كان بيننا ولا حينَ هَمّوا بالقَطيعة أجملوا

قال : فنزع خِلْعتَه فخلَعها عليّ ، وأقمتُ عنده بقيّة يومي على عربدةٍ كانت فيه .

الشعر لعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعبد الرَّحيم الدّفّاف هزج بالبنصر . وهذا أخذه العبّاس من قول أبي دَهْبَل[1] : [من الطويل]

صوت

أمِنّــا أُناساً كنــتِ تأتمِنينهم فزادوا علينا في الحديثِ وأَوْهَمُوا

وقالوا لهـا ما لم نقل ثمّ أكثروا عليّ وباحـوا بالذي كنتُ أكتمُ

وفي هذين البيتين أغانٍ قديمة : منها لحنٌ لابن سُريج رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن زرزور الطائفيّ خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيف رمل بالبنصر والوسطى لمتيَّمَ وعَرِيبَ .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

بَكَرتْ سُمَيّةُ غُدْوةً فتمتّعي وغدتْ غُدُوَّ مُفارقٍ لم يَرْبَعِ

وتَعَرّضتْ لكَ فاستبتكَ بواضح صَلْتٍ كمُنْتَصٍ الغزالِ الأتلعِ

عَروضه من الكامل ، والشعر للحادِرة الثَّعْلَبيّ ، والغناء في اللحن المختار لسعيد بن مِسْجَحٍ ، وإيقاعُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن مُحْرِز . وفيهما للغريض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو . وفيهما خفيف رملٍ بالوسطى لابن سريج عن حبش .

وممّا يُغنّى فيه من هذه القصيدة : [من الكامل]

أسُمَيّ ما يُدريكِ كم من فِتْية بادرتُ لَذّتَهم بأدكَنَ مُتْرَعِ[2]

---

1 ديوان أبي دهبل (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن) : 112 .

2 بادرتُ في ل : باكرت .

بَكَروا عليّ بسُحْرة فصَبَحتُهم من عاتقٍ كدَمِ الذبيحِ مُشَعْشَعِ

غنّاه مالك ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ آخر أيضاً . وفيهما لعَلُّويَهْ ثقيلٌ أوّلُ صحيحٌ من جيِّد صنعته . قوله : فتمتّعي يخاطب نفسه ، أي تمتّعي منها قبل فِراقها . ولم يربَع : لم يُقِم . والواضح الصَّلْت : يعني عُنُقَها ، وأصل الصلت : الماضي ، ومنه الناقة المِصْلاتُ : الماضية ، وشَدّ عليه بالسيف صَلْتاً أي خارجاً من غِمْده . والصلت في هذا الشعر : الطويل الذي لا قِصَرَ فيه . والمنتصّ : المنتصب ، يقال : انتصّ فلان أي انتصب ، ومِنَصّة العروس مأخوذةٌ من هذا ، ومنه نَصٌّ الحديث : رَفَعه إلى صاحبه . واستبتْك : غلبتْك على عقلك . والواضح : الخالص الأبيض . وأدكن مُترَع يعني الزِّقّ . والمشعشَع : المُرَقْرَق بالماء .

[36] ـ أخبار الحادرة ونسبه[1]

[نسبه]

الحادرة لَقب غلَب عليه ، والحُوَيدِرة أيضاً ؛ واسمه قُطبة بن أوس بن مِحصَن بن جَرْوَل بن حبيب بن عبد العُزّى بن خُزيمة بن رِزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار ، شاعرٌ جاهليّ مُقِلٌّ . أخبرني بنسبه هذا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه . قال : وإنّما سُمّي الحادرة بقول زَبّان بن سَيّار الفَزاريّ له : [من المتقارب]

كأنّـــك حــــادرةُ المَنْكبيْـــ ـــنِ رَصْعاءُ تُنقِضُ في حائـرِ[2]
عجــوزُ ضَفــادِعَ محجوبةٌ يَطِيـفُ بهــا وِلْـدةُ الحاضرِ

قال : والحادرة : الضخم .

وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ أن الحادرة خرج هو وزبّان الفزاريّ يصطادان فاصطادا جميعاً ، فخرج زبّان يشتوي ويأكل في الليل وحده ؛ فقال الحادرة : [من الوافر]

تركتَ رفيقَ رَحْلِكَ قد تراه وأنت لِفيكَ في الظَّلْماء هادِي

فحقَدها عليه زبّان ، ثم أتيا غديراً فتجرّد الحادرة ، وكان ضخمَ المنكبين أرسح ، فقال زبّان : [من المتقارب]

كأنّـــك حــــادرةُ المنكِبَيْـــ ـــنِ رصعاء تُنْقِض في حائرِ

فقال له الحادرة[3] : [من المتقارب]

لَحَــا اللهُ زَبّانَ مـن شاعرٍ أخـي خَنْعـةٍ فاجــر غادرِ[4]

---

1 انظر مقدّمة ديوانه (تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، طبعة دار صادر ، بيروت ، 1973) وطبقات فحول الشعراء لابن سلام (تحقيق العلاّمة محمود محمد شاكر) 1 : 186 ، وانظر المفضلية السابقة في شرح التبريزي وفي المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون) .

2 تنقض في حائر : تنق في مجتمع الماء . والرصعاء : الرسحاء الخفيفة العجز والفخذين .

3 ديوان الحادرة : 97 .

4 خنعة : ريبة .

كأنّـك فُقّاحـةٌ نَـوّرتْ مع الصبحِ في طَـرَف الحائرِ[1]

فغَلَب هذا اللقب على الحادرة .

[كان حسّان بن ثابت معجباً بقصيدته «بكرت سميّة»]

حدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال سمعت شيخاً من بني كِنانة من أهل المدينة يقول : كان حسّان بن ثابت إذا قِيل له : تُنوشدَتِ الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول : فهل أُنشِدتْ كلمةُ الحُوَيْدِرة : [من الكامل]

بَكَرتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً فَتَمتّعي

قال أبو عبيدة : وهي من مختار الشعر ، أَصْمَعِيَّةٌ مُفَضَّلِيَّةٌ .

[سبب الهجاء بينه وبين زبان]

نسخت من كتاب ابن الأعرابيّ قال حدّثني المفضّل قال : كان الحادرة جاراً لرجل من بني سُلَيم ، فأغار زبّان بن سيّار على إبله فأخذها فدفعها إلى رجلٍ من أهل وادي القُرى يهوديٍّ ، وكان له عليه دَينٌ فأعطاه إيّاها بدينه ، وكان أهل وادي القرى حُلفاء لبني ثعلبة ؛ فلمّا سمع اليهوديّ بذلك قال : سيجعل الحادرة هذا سبباً لنقض العهد الذي بيننا وبينه ، ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغي لنا أن نَغْدِر ، فردّ الإبل على الحادرة فردّها على جاره ، ورجع إلى زبّان فقال له : أعطِني مالي الذي عليك ، فأعطاه إيّاه زبّان ، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة ؛ فقال الحادرة فيه[2] : [من الطويل]

لعَمْرةَ بـين الأخرمَيْنِ طلـولُ تَقادَمَ منهـا مُشْهِرٌ ومُحِيلُ[3]
وَقَفتُ بها حتى تعالى لِيَ الضُّحَى لأُخبَرَ عنهـا إنّنـي لَسَؤولُ

يقول فيها : [من الطويل]

فإنْ تَحْسَبوها بالحجابِ ذليلةً فما أنا يوماً إن رَكِبتُ ذليلُ[4]
سأَمنَعُهـا في عُصْبةٍ ثَعْلبيَّـةٍ لهـم عَدَدٌ وافٍ وعِـزٌّ أَصيلُ
فإنْ شِئتمُ عُدْنا صديقاً وعُدْتُم وإمّـا أبيتم فالمُقـامُ زَحُولُ[5]

قال : ولَجَّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببه .

1 فقاحة : واحدة الفقاح وهو الزهر عندما يتفتح .
2 ديوان الحادرة : 100 .
3 الأخرمان : مثنّى الأخرم وهو اسم لعدّة مواضع .
4 تحسبوها في ل : تحبسوها .
5 زحول : بعيد .

[غزوة بني عامر]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ يذكر عن أبيه : أنّ جيشاً لبني عامر بن صعصعة أقبل وعليهم ثلاثة رؤساء : ذُؤاب بن غالب من عُقيل ثم من بني كَعب بن ربيعة ، وعبد الله بن عمرو من بني الصَّمُوت ، وعُقَيل بن مالك من بني نُمَيرٍ ، وهم يريدون غَزْو بني ثعلبة بن سعد رهطِ الحادرة ومن معهم من مُحارب ، وكانوا يومئذ معهم ، فنَذِرَتْ بهم بنو ثعلبة ، فركب قيس بن مالك المحاربيُّ الخَصَفيّ وجُؤيَّة بن نصر الجَرْميّ أحد بني ثعلبة للنظر إلى القوم ، فلمّا دَنَوا منهم عرف عُقَيل بن مالك النميريّ جُؤَيَّة بن نَصر الجَرميّ ، فناداه : إليَّ يا جُؤَيّة بن نصر فإنّ لي خبَراً أُسِرّه إليك ؛ فقال : إليكَ أقبلتُ لكن لغير ما ظننتَ ، فقال له : ما فعلتْ قَلوص ؟ ، يعني امرأته ؛ فقال : هي في الظُّعن أسَرَّ ما كانت قطُّ وأجمله ؛ ثم حَمَل كلّ واحدٍ منهما على صاحبه واختلفا طَعنتين فطَعَنه جُؤيّة طعنةً دقّت صُلبه ، وانطلق قيس بن مالك المحاربيّ إلى بني ثعلبة فأنذرهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهُزِمت بنو نُمَير وسائرُ بني عامر ومات عُقَيل النُّميريّ وقُتِل ذؤاب بن غالب وعبد الله بن عمرو أحد بني الصَّمُوت ؛ فقال الحادرة في ذلك[1] : [من الطويل]

كأنَّ عُقَيلاً في الضُّحى حَلَّقتْ به ... وطارتْ بِهِ في الجوّ عنقاءُ مُغرِبُ

ويروى : «وطارت به في اللَّوْح» ، وهو الهواء .

وذي كرمٍ يدعوكُمُ آلَ عامرٍ ... لدى مَعْرَكٍ سِرْبالُه يتصبَّبُ
رأت عامرٌ وقْعَ السيوف فأسلموا ... أخاهم ولم يعطِفْ من الخيلِ مُرهِبُ
وسلَّم لمّا أن رأى الموتَ عامرٌ ... له مركبٌ فوق الأسنّةِ أَحْدَبُ
إذا ما أظلّتْه عَوالي رماحِنا ... تدلَّى به نَهْدُ الجُزارة مِنْهَبُ[2]
على صَلَوَيْه مُرْهَفاتٌ كأنّها ... قوادمُ نَسرٍ بُزَّ عنهنّ مَنكِبُ[3]

قال : وفي هذه الوقعة يقول خِداش بن زهير : [من الطويل]

أيا أخَوَيْنا من أبينا وأُمِّنا ... إليكم إليكم لا سبيلَ إلى جَسْرِ

جَسْر : قبيلة من مُحارب . قال : وهذا اليوم يُعرَف بيوم شُواحطٍ ، قبيلة من محارب .

1 ديوان الحادرة : 92 .

2 نهد الجزارة : عظيم الأطراف . والمنهب : الفرس الفائق في العدو .

3 الصلا : وسط الظهر من الناس ومن كلّ ذي أربع وما انحدر من الوركين .

[يوم الكفافة]

وقال أبو عمرو : خرج خارجة بن حِصن في جمع من بني فزارة ومن بني ثعلبة بن سعد وهو يريد غزو بني عبس بن بَغيض ، فلقُوا جيشاً لبني تميم على ماءٍ يقال له «الكُفافة» وتميم في جمع سعد والرِّباب وبني عمرو ، فقاتلوهم قتالاً شديداً وهُزِمتْ تميم وأُجْفلت ، وهذا اليوم يقال له : «يوم كُفافة» ، فقال الحادرة في ذلك[1] : [من الطويل]

ونحن مَنعْنا من تميم وقد طغتْ ... مَراعي المَـلا حتى تضمَّنها نجدُ
كَمعْطَفِنا يـومَ الكُفافـة خَيْلَنـا ... لِتَتْبَع أُخْرى الجيشِ إذ بلغ الجِدُّ
على حين شالتْ واستَخَفَّتْ رجالَهم ... جلائبُ أحياءٍ يسيلُ بهـا الشدُّ
إذا هي شَكَّ السَّمْهَرِيُّ نحورَها ... وخامت عن الأبطالِ أتعبها القِدُّ[2]
تَكُرُّ سِراعاً في المَضِيـقِ عليهِمُ ... وتُـثْنَى بِطاءً ما تخُبُّ ولا تَعدو
فأَثْـنُوا علينـا لا أَبـا لأبيكُمُ ... بإحساننا إن الثناءَ هـو الخُلْدُ

1 ديوان الحادرة : 94 .

2 خامت : نكصت وجبنت . القد : سير يقد من جلد ويقيد به .

[37] ـ أخبار ابن مِسْجَح ونسبه

[ولاؤه ، وهو مغنّ أسود متقن نقل غناء الفرس]

سعيد بن مِسْجَح أبو عثمان مولى بني جُمَح ، وقيل : إنّه مولى بني نَوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب . مكيٌّ أسود ، مُغنٍّ متقدّم من فحول المغنّين وأكابرهم ، وأوّلُ من صنع الغناء منهم ، ونقل غِناءَ الفُرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم والبَرْبَطِيّة والأسطوخوسيّة ، وانقلب إلى فارس فأخذ بها غناءً كثيراً وتعلّم الضربَ ، ثم قدِم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النَّغَم ، وألقى منها ما استقبحه من النَّبرات والنغم التي هي موجودةٌ في نَغَم غِناء الفُرس والروم خارجةً عن غناء العرب ، وغنَّى على هذا المذهب ، فكان أوّل من أثبت ذلك ولحّنه وتبعه الناس بعد .

[علّم ابن سريج والغريض الغناء]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان ، والحسين بن يحيى قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن هشام بن المُرِّيّة : أنّ أوّل من غنّى هذا الغناء العربيّ بمكّة ابن مِسْجَح مولى بني مَخْزوم ، وذلك أنّه مرَّ بالفُرس وهم يَبْنون المسجدَ الحرام ، فسمِع غِناءهم بالفارسيّة فقلبه في شعر عربيٍّ ؛ وهو الذي علَّم ابن سريج والغريض ، وكان ابن مِسْجَح مولَّداً أسود يُكنى بأبي عيسى .

[احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبناؤها]

أخبرني محمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد[1] بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ ، وذكر إسحاق عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال : كان سبب بناء ابن الزُّبير الكعبة لّما احترقت ، أنّ أهل الشام لّما حاصروه سمِع أصواتاً بالليل فوق الجبل فخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا إليه ، وكانت ليلةً ظلماءَ ذات ريح شديدة صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ ، فرفع ناراً على رأس رمح لينظر إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدِروا ، وأصبحت الكعبة تتهافت وماتت امرأة من قريش ، فخرج الناس كلُّهم في جنازتها خوفاً من أن ينزل العذاب عليهم ، وأصبح ابن الزُّبير ساجداً يدعو ويقول : اللهمّ إنّي لم أتعمّد ما جرى فلا تُهلِك عبادَك بذنبي وهذه ناصيتي بين يديك ؛ فلمّا تعالى النهار أمِنَ وتراجَعَ الناس ، فقال لهم : اللهَ اللهَ أن ينهدمَ في بيت أحدكم حجرٌ فيزول

1 ل : محمد .

عن موضعه فيبنيه ويُصلحه وأتركَ الكعبة خراباً ؛ ثم هدمها مبتدئاً بيده وتبعه الفَعَلَةُ حتى بلغوا إلى قواعدها ، ودعا ببنَّائِين من الفُرس والروم فبناها .

[نقل غناء الفرس من بنّائي الكعبة]

قال إسحاق : وأخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مِسكين قال : كان سعيد بن مِسْجَح أسودَ مولّداً يُكنى أبا عيسى مولًى لبني جُمَح ، فرأى الفُرس وهم يعملون الكعبة لابن الزُّبير ويتغنَّون بالفارسية فاشتقَّ غِناءه على ذلك .

قال إسحاق : وحدّثني محمد بن سلاّم عن شُعَيب بن صخر وجرير قالا : كان سعيد بن مِسْجح أسود وهو مولى بني جُمح يُكنى أبا عيسى .

[كان ولاؤه هو وابن سريج لرجل واحد]

قال إسحاق : وحدّثني المدائنيّ عن صخر بن جعفر عن أبي قَبِيل بمثل ذلك ، وذكر أنّه كان يُكنى أبا عثمان . قال : وهو مولًى لبني نوفل بن الحارث كان هو وابن سريج لرجل واحد ، ولذلك قَبِل عنه ابن سُرَيج .

[ابن مسجح في حداثته]

قال إسحاق : وحدّثني الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان فذكر مثل ما ذكر أبو قَبِيل من كنيته وولائه ، وقال : كان ابن مسجح فَطِناً كيِّساً ذكيّاً ، وكان أصفر حسن اللون ، وكان مولاه مُعجباً به ، وكان يقول في صِغره : ليكونَنَّ لهذا الغلام شأنٌ ، وما منعني من عتقه إلاّ حسنُ فِراستي فيه ، ولئن عشتُ لأتعرَّفَنَّ ذلك ، وإن مِتُّ فهو حرٌّ ؛ فسمِعه مولاه يوماً وهو يتغنَّى بشعر ابن الرِّقاع العامليّ ، وهو من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى : [من الكامل]

صوت

أَلِمْ على طَلَلٍ عَفا متقادم بين اللُّكيكِ وبين غَيْب الناعمِ[1]
لولا الحياء وأنّ رأسي قد عثا فيه المشيبُ لزرتُ أُمّ القاسِمِ[2]

فدعا به مولاه فقال له : يا بُنَيَّ أعِدْ ما سمعتُه منك عليّ ، فأعاده فإذا هو أحسن ممّا ابتدأ به ، فقال : إن هذا لمن بعضِ ما كنتُ أقول ، ثم قال : أنَّى لك هذا ؟ قال : سمعتُ هذه الأعاجم تتغنَّى بالفارسيّة فثَقِفتُها وقلبتُها في هذا الشعر ، قال له : فأنت حرٌّ لوجه الله ، فلزم مولاه وكثُر أدبُه واتّسع في غنائه ومهَر بمكّة وأُعجِبوا به لظَرْفِه وحُسن ما سمعوه منه ، فدفع

1 اللكيك أو اللكاك : موضع وكذلك غيب الناعم .
2 عثا في ل : عسا .

إليه مولاه عُبيد بن سُريج ؛ وقال له : يا بنيّ علِّمه واجتهد فيه ؛ وكان ابنُ سريج أحسن الناس صوتاً ، فتعلَّم منه ثم برَّزَ عليه حتى لم يُعرف له نظير .

[غناء نافع الخير عند رجل من قريش]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا أخي هارون عن ابن الماجِشون عن شيخ من أهل المدينة ، وأخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابن الكلبيّ عن أبي مسكين عن شيخ من أهل المدينة قال : دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكن الطَّرْف نبيلٌ تأخذه العين ، لا أعرفه ؛ فقال له القرشيّ : أقسمتُ عليك إلاّ ما غنّيت صوتاً ، فحوّل خاتمَه من خِنصره اليُسرى إلى بِنصره اليُمنى ، ثم تناول قَدَحاً ، فغنّاه لحن ابن سريج في شعر كعب بن جُعَيلٍ : [من الطويل]

إذا امتشطتْ عالَـوْا لهـا بوِسادةٍ ومدَّتْ عَسِيبَ المتـن أن يتعَفَّرا
ثَوَتْ نصفَ شهر تحسَبُ الشهرَ ليلةً تُناغِي غَزالاً ساجِيَ الطرف أحوَرا[1]
تَزَيَّنُ حتـى تَسلُبَ المـرءَ عقلَه وحتى يَحارَ الطرْفُ فيها ويَسْكُرا

ثم غنّى في شعر توبة بن الحُمَيِّر : [من الطويل]

وغَيَّرني إن كنـتِ لَمّا تَغَيّري هواجـرُ تَكْتَنِّنَهـا وأسِيرُهـا
وأَدْماء من سِرِّ المَهـارى كأنّها مَهاةُ صُوارٍ غيرَ ما مَسّ كُورُها[2]
قطعتُ بهـا أجـوازَ كلِّ تَنُوفَـةٍ مَخُوفٍ رَداها كلّما استنَّ مُورُها[3]
تَرى ضعفاءَ القوم فيهـا كأنّهم دَعامِيص ماءٍ نَشَّ عنها غَدِيرُها[4]

قال : فقلت له إنّي لأَرْوي هذا الشعرَ وما أعرف هذه الأبيات فيه ، فقال : هكذا رويتُها عن عبد الله بن جعفر ، قال : وإذا هو نافع الخير مولى عبد الله بن جعفر .

الغناء في هذين اللحنين لابن مِسجح ولم أجد لهما طريقةً في شيء من الكتب التي مرَّت . وذكر حبشٌ أنّ في أبيات كعب بن جُعَيلٍ لإبراهيم خفيف رملٍ بالوسطى .

[دور معاوية بمكّة]

حدّثني جعفر بن قُدامة بن زياد الكاتب وعمّي وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى الهاشميّ قال حدّثني أحمد بن

1 ساجي الطرف : فاتره .
2 الصوار : قطيع البقر .
3 أجواز : جمع جوز وهو الوسط . والتنوفة : الفلاة لا ماء فيها . استن مورها : ثار غبارها .
4 دعاميص : دود أسود يكون في الغدران كلّما نشت ، أي نضب أو جفّ ماؤها .

موسى بن حمزة بن عمارة بن صفوان الجُمَحيّ عن أبيه قال : أوّلُ مَن نقل الغناء الفارسيّ من الفارسيّ إلى الغناء العربيّ سعيد بن مسجح مولى بني مخزوم . قال : وقد يُختلف في ولائه إلاّ أنّ الأغلب عليه ولاءُ بني مخزوم ، وذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان لّما بنى دُورَه التي يقال لها : «الرُّقْطُ» ، وهي ما بين الدارَين إلى الرَّدْم : أوّلها الدار البيضاء وآخرها دار الحمَّام ، وهي على يسار المُصْعِدِ من المسجد إلى «رَدْمِ عُمَرَ» ، حمل لها بَنَّائِينَ فُرْساً من العراق فكانوا يبنونها بالجِصّ والآجُرّ ، وكان سعيد بن مسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بُنيانِهم ، فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربيّ ، ثم صاغ على نحو ذلك ؛ وهو الذي علَّمَ الغريض ، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني[1] : [من الكامل]

صوت

أَسَلامُ إنَّكِ قد مَلَكْتِ فَأَسجِحي قد يملكُ الحرُّ الكريمُ فيُسْجِحُ[2]
مُنّـي على عـانٍ أَطَلْتِ عَنـاءَه في الغُـلِّ عندكِ والعُنـاةُ تُسَرَّحُ
إنّي لأنصَحُكُـمْ وأعلَـمُ أنّه سِيَّانِ عندكِ مَـنْ يَغُشُّ ويَنصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلامـةَ حُبَّها قالـتْ أَجِـدٌّ منكَ ذا أم تَمزَحُ

الشعر للأحْوص ، والغناء لابن مسجح ثقيل أوّل بالبنصر . ولِدَحمان فيه ثقيل أوّل بالبنصر . ولمالكٍ فيه خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ .

[أخذ عنه معبد]

قال : وهو أوّل من غنّى الغناءَ العربيّ المنقول عن الفارسيّ . وعاش سعيد بن مسجح حتى لقيه معبدٌ وأخذ عنه في أيّام الوليد بن عبد الملك .

[نفاه دحمان الأشقر والي مكّة إلى الشام فتوصل إلى عبد الملك برد]

حدّثني عمّي والحسين بن القاسم الكوفيّ قالا جميعاً حدّثنا محمد بن سعيد الكُرانيّ قال حدّثني النضر بن عمرو قال حدّثني أبو أُميَّة القرشيّ قال حدّثنا دَحمان الأشقر قال : كنتُ عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكّة فنُمِيَ إليه أنّ رجلاً أسود يقال له : سعيد بن مسجح أفسدَ فِتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إليّ : أن أقبض مالَه وسَيِّرْهُ ، ففعلت . فتوجّه ابن مِسْجح إلى الشام فصحِبه رجلٌ له جَوارٍ مُغَنِّيات في طريقه ، فقال له : أين تريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أُريد الشام ، قال له : فتكون معي ؟ قال : نعم ، فصحبه حتى بلغا دمشق

1 ديوان الأحوص : 48 عن الأغاني .
2 الأسجاح : حسن العفو .

فدخلا مسجدها فسألا : مَن أخَصُّ الناسِ بأمير المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش وبنو عمّه ، فوقف ابن مسجح عليهم وسلّم ثم قال : يا فِتيان ، هل فيكم مَن يُضيفُ رجلاً غريباً من أهلِ الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعضٍ وكان عليهم موعدٌ أن يذهبوا إلى قَينةٍ يُقال لها : «بَرْقُ الأُفُقِ» فتثاقلوا به إلاّ فتًى منهم تَذَمَّم فقال : أنا أُضيفُكَ ، وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفي ، قالوا : لا ، بل تجيء أنت وضيفُك ، فذهبوا جميعاً إلى بيت القَيْنة ، فلمّا أُتُوا بالغَداء قال لهم سعيد : إنّي رجلٌ أسود ولعلّ فيكم من يَقذَرُني فأنا أجلس وآكلُ ناحيةً وقام ، فاستحيَوا منه وبعثوا إليه بما أكل ، فلمّا صاروا إلى الشراب قال لهم مثلَ ذلك ، ففعلوا به ، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضِع لهما ، فغنَّتا إلى العِشاء ثم دخلتا ، وخرجت جاريةٌ حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلستْ على السرير وجلستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجح : فتمثَّلتُ هذا البيت : [من الطويل]

فقلــتُ أشمسٌ أم مَصابِيحُ بِيعَـــةٍ بدَتْ لكَ خلفَ السِّجفِ أم أنت حالمُ

فغضبت الجارية وقالت : أَيَضرِبُ هذا الأسود بي الأمثال ؟ فنظروا إليّ نظراً مُنكراً ولم يزالوا يُسَكِّنونها ، ثم غنَّت صوتاً ، فقال ابن مسجح : أحسنتِ والله ، فغضب مولاها وقال : أمثلُ هذا الأسود يُقدِمُ على جاريتي ؟ فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قم فانصرف إلى منزلي فقد ثَقُلتَ على القوم ، فذهبتُ أقومُ[1] فتذمّم القوم وقالوا لي : بل أَقِم وأَحسِن أدبَك فأقمتُ ، وغنَّت فقلت : أخطأتِ والله يا زانية وأسأت ، ثم اندفعتُ فغنَّيتُ الصوت فوثبتِ الجارية فقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمان سعيد بن مسجح ، فقلت : إنّي والله أنا هـو ، والله لا أُقيم عندكم ، فوثب القُرشيّون فقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : بل عندي ، فقلت : والله لا أُقيم إلاّ عند سيِّدكم ، يعني الرجل الذي أنزله منهم ، ثم سألوه عمّا أقدمَه فأخبرهم الخبر ، فقال له صاحبه : إنّي أَسمُرُ الليلة مع أمير المؤمنين فهل تُحسن أن تَحدُوَ ؟ قال : لا ، ولكنّي أستعمل حُداءً ، قال : فإن منزلي بحذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طِيبَ نفسٍ أرسلتُ إليكَ ، ومضى إلى عبد الملك فلمّا رآه طَيِّبَ النفس أرسل إلى ابن مسجح وأخرج رأسه من وراء شُرَف القصر ثم حَدا[2] : [من الرجز]

إنّكَ يا مُعاذُ يــا ابن الفُضَّلِ إن زُلْــزِلَ الأقــدامُ لم تُزلزَلِ

---

1 ل : فقمت لأذهب .

2 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 24–26 (رقم 45) وانظر نهاية الأرب 4 : 241–243 .

عن دينِ موسى والكتابِ المنزَلِ تُقيمُ أصداغَ القرونِ المُيَّلِ
للحقِّ حتى ينتحُوا للأعدلِ

فقال عبد الملك للقرشيّ : مَن هذا ؟ قال : رجلٌ حجازيّ قَدِمَ عليّ ، قال : أُحضِره فأحضره له ، وقال له : احْدُ مُجداً ، ثم قال له : هل تُغَنّي غِناء الركبانِ ؟ قال : نعم ، قال : غنّه ، فتغنّى ، فقال له : فهل تغنّي المُتقَن ؟ قال : نعم ، قال : غنّه ، فتغنّى فاهتزّ عبد الملك طرباً ، ثم قال له : أُقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة ، مَن أنت ويلك ؟ قال له : أنا المظلوم المقبوض مالُه المُسَيَّر عن وطنه سعيد بن مِسْجح ، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني ، فتبسّم عبدُ الملك ثم قال له : قد وضَح عذرُ فتيان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالَهم ، وأمَّنه ووصله وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه وألاّ يَعْرِض له بسوء .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

سلا دارَ ليلى هل تُبِين فتَنْطِقُ وأنّى تَرُدّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ[1]
وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنّها لطُول بِلاها والتقادمِ مُهْرَقُ[2]

عروضه من الطويل ، الشِّعر لابن المولى . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعرَ للأعشى ؛ وذلك غلط ، وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذُكِر في شعراء العرب فلم نجده ، ولا رواه أحدٌ من الرُّواة لأحد منهم ، ووجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة ، وقد أثبتناها بعَقِب أخباره ليُوقَفَ على صحّة ما ذكرناه ، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجّة على ما خالفه والدلالة على الصواب فيه . والغناء في اللحن المختار لعَطَرَّد ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو ، وفيه لأيّوب زهرة خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ . وفي غناء أيّوب زهرة زيادة بيتين وهما : [من الطويل]

وقال خليلي والبُكا لي غالبٌ أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وقد طال تَوْقاني أُكفكِف عَبْرةً تكاد إذا رُدَّتْ لها النفسُ تَزْهَقُ[3]

1 سملق : القاع المستوي لا شجر فيه .
2 مهرق : صحيفة .
3 توقاني في ل : توقافي . سيرد هذا الشطر بعد قليل برواية أُخرى .

[38] ـ أخبار ابن المولى ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن عبد الله بن مُسْلِم بن المولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف ، شاعرٌ متقدّم مجيد من مخضرميّ الدولتين ومَدّاحي أهلهما ، وقدِم على المهديّ وامتدحه بعدّة قصائد فوصَله بصِلاتٍ سنيّةٍ ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة .

[قدم على المهدي ومدحه فأجزل صلته]

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبل قال قال لي محمد بن صالح بن النَّطّاح : كان ابن المولى يسمّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار ، وكان مسكنه بقُباء ، وكان يَقْدَم[1] على المهديّ فيمدحه ، فقدِم عليه فأنشده قوله : [من الطويل]

سَلا دارَ ليلى هـل تُبِـين فَتَنْطِقُ ... وأنّى تـردُّ القولَ بيـداءُ سَمْلَقُ
وأنّى تـردُّ القـولَ دارٌ كأنّها ... لطـول بِلاهـا والتقـادمِ مُهْرَقُ
وقال خليـلي والبكـا ليَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وإنسانُ عينـي في دوائرِ لُجّـةٍ ... من الدمعِ يبدو تـارةً ثم يَغرَقُ

يقول فيها : [من الطويل]

إلى القائم المهـديّ أعملتُ ناقتي ... بكـلِّ فـلاةٍ آلُهـا يترقرقُ[2]
إذا غال منها الركبَ صحراءُ برَّحت ... بهم بعدها في السير صحراءُ دردقُ[3]
رَميتُ قَراهـا بـين يـوم وليلة ... بفَتْلاء لم ينكُبْ لها الزَّوْرَ مِرْفَقُ[4]
مُزَمِّـرَةً سَقْبـاً كأنّ زِمامَها ... بجرداء مـن عمّ الصَّنَوْبر مُعْلَقُ[5]
موكَّلـةً بالفادحـات كأنّهـا ... وقـد جعَلت منها الثَّمِيلةُ تَخْلُقُ[6]
بقِـيّ المـلا هَيْـقٌ أمـام رِئاله ... أصَمُّ هِجَفٌّ أقـرعُ الرأس نِقْنِقُ[7]

---

1 ل : يفد .
2 الآل : السراب .
3 غالت الصحراء الركب : أبعدتهم . دردق : لعلّه يقصد واسعة .
4 القرا : الظهر . الناقة الفتلاء : هي التي فتل ذراعها أي تباعد عن الجنبين .
5 مزمرة : مصوتة ، ولعلّها مذمرة : أي تحثّ فتسرع في السير . العم : النخل الطويل واستعير هنا للصنوبر .
6 الثميلة : البقية التي تدّخر من الطعام وغيره .
7 القيّ : القفر . الهيق : الظليم وكذلك النقنق . الرئال : أفراخ النعام . الهجفّ : المسن أو الجافي الثقيل من النعام .

تراهـــا إذا استعجلتَها وكأنّها على الأَيْن يَعْرُوها من الرَّوْع أَوْلَقُ[1]
مورِّكة أرضَ العُذيْب وقد بدا فسُرّ بـه للآئبـين الخَـوَرنقُ

فاستحسنها المهديّ وأجزل صِلتَه ، وأمر فَغُنِّيَ في نسيب القصيدة . فأمّا ما شَرَطتُ ذكره من تمام القصيدة فهو بعقِب البيت الثاني منها : [من الطويل]

عفَتْها الرياحُ الرامِساتُ مع البِلى بأذيالهـا والرائـحُ المُتبَعِّقُ[2]
بكلِّ شآبيبٍ من الماء خلفَها شآبيبُ مـاءِ مُزْنِها متألِّقُ
إذا رَيِّـقٌ منهـا هُرِيقَتْ سِجالُه أُعِيد لهـا كِرْفِيءُ مـاءٍ وريِّقُ[3]
فأصبح يرمـي بالرَّبـاب كأنّما بأرجلـه منـه نَعـامٌ مُعَلَّقُ[4]
فـلا تبـكِ أطلالَ الديارِ فإنّها خبالٌ لمن لا يدفع الشوقَ عَوْلَقُ[5]
وإنّ سفاهـاً أن تُـرى متفجِّعًا بـأطلالِ دارٍ أو يقـودَك مَعْلَقُ
فلا تَجْزَعَنْ للبـين كلُّ جماعةٍ وجَدِّك مكتوبٌ عليهـا التفرُّقُ
وخذ بالتعزّي كلُّ ما أنتَ لابسٌ جديـداً على الأيّام بالٍ ومُخْلِقُ
فصبرُ الفتـى عمّـا تولّـى فإنّه من الأمـرِ أولى بالسَّداد وأوفقُ

ويروى : «أدنى للذي هو أوفق» .

وإنّك بالإشفاقِ لا تدفعُ الرّدى ولا الحَيْنُ مجلوبٌ فما لك تُشفِقُ
كأنْ لم يَرُعْك الدهرُ أو أنتَ آمنٌ لأحداثـه فيما يُغادي ويَطْرُقُ
وقـال خليـلي والبكا ليَ غالبٌ أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وقد طال تَوْقاني أُكفكِف عَبرةً على دِمْنةٍ كادت لها النفسُ تَزْهَقُ[6]
وإنسانُ عينـي في دوائـرِ لجّـةٍ مـن الماء يبدو تـارةً ثم يَغرَقُ
وللدّمع من عيني شَرِيجا صبابةٍ مُرِشٌ الرَّجـا والجائـلُ المُترقرِقُ[7]

1 الأولق : الجنون .
2 الرائح المتبعق : المطر المندفع .
3 كرفيء : سحاب مرتفع .
4 الرباب : السحاب الأبيض .
5 عولق : غول .
6 توقاني في ل : توقافي .
7 الشريجان : لونان مختلفان .

وكنتُ أخا عِشق ولم يك صاحبي ... فيعـذِرَني ممّـا يَصَـبُّ ويعشَقُ
وقد يعذِر الصبُّ السقيمُ ذوي الهوى ... ويَلحَى المحبّين الصديـقُ فيَخرَقُ[1]
وعابَ رجالٌ أن عَلِقتُ وقد بدا ... لهم بعضُ ما أهوى وذو الحلم يعلَقُ

والقصيدة طويلة . وفي بعض ما ذكرته منها دلالةٌ على صحّة ما قلته .

[كان يشبّب بليلى وهي قوسه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : خرجتُ أنا وأبو السائب المخزوميّ وعبيد الله بن مُسلم بن جُندب وابن المولى وأُصبَغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُباء ، وابن المولى مُتنكِّب قوساً عربية ، فأنشد ابن المولى لنفسه : [من الطويل]

وأبكي فلا ليلى بكت من صَبابةٍ ... إليّ ولا ليلى لـذي الودّ تَبذُلُ
وأخنَعُ بالعُتبى إذا كنـتُ مُذنباً ... وإن أذنَبتْ كنتُ الـذي أتنصَّلُ

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جُندَب : مَن ليلى هذه حتى نقودَها إليك ؟ فقال لهما ابن المولى : ما هي والله إلاّ قَوسي هذه سمّيتها ليلى .

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى لخَزْرَج ، ويقال : إنّه لهاشم بن سليمان .

[مدح يزيد بن حاتم فوهبه كلّ ما يملك]

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أبو محلِّم عن المفضَّل الضّبيّ قال : وفَد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها[2] : [من مجزوء الكامل]

يا واحدَ العربِ الذي ... أضحَى وليس له نظيرُ
لـو كان مثلَك آخَـرٌ ... ما كان في الدنيا فقيرُ

قال : فدعا بخازنه وقال : كم في بيت مالي ؟ فقال له : من الورقِ والعَيْن بقيَّةٌ عشرون ألف دينار ، فقال : ادفعها إليه ، ثم قال : يا أخي ، المعذرة إلى الله وإليك ، والله لو أنّ في مِلكي أكثرَ لَما احتجبتُها[3] عنك .

[كان يمدح جعفر بن سليمان وقثم بن عبّاس ويزيد بن حاتم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب

1 ذوي في ل : ذوو .
2 سبق أن أورد هذين البيتين منسوبين لبشّار .
3 ل : احتجنتها .

قال حدّثنا مُصعَب الزبيريّ عن عبد الملك بن الماجِشُون قال : كان ابن المولى مَدّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العباس الهاشميَّين ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب ، واستفرغ مدحَه في يزيد وقال فيه قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

يا واحدَ العرب الذي دانت له قَحطـانُ قاطبةً وساد نِزارا
إنّي لأرجو إن لقِيتُك سالِما ألاّ أُعالِجَ بعـدَك الأسفارا
رِشْتَ النَّدى ولقد تكسَّر رِيشُه فعَلا النّدى فوقَ البلادِ وطارا

[مرض عند يزيد بن حاتم وأضعف يزيد صلته]

ثم قصَده بها إلى مصر وأنشده إيّاها ؛ فأعطاه حتّى رضِيَ . ومرِض ابن المولى عنده مرضاً طويلاً وثقُل حتّى أَشْفى[1] ، فلمّا أفاق من علّته ونهض ، دخل عليه يزيد بن حاتم مُتعرِّفاً خبره ، فقال : لودِدْتُ والله يا أبا عبد الله ألاّ تُعالج بعدي الأسفار حقّاً ، ثم أضعفَ صلتَه .

[كان يمدح يزيد دون أن يراه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير بن بكّار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال : كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرِفه ولا ألقاه ، فلمّا ولاّه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة فلقِيتُه فأنشدته ، وقد خرج من مسجد رسول الله ﷺ إلى أن صار إلى مسجد الشجرة ، فأعطاني رِزمتَيْ ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضِياعاً تُغِلّ ألف دينار ، أقوم في أدناها وأصيح بقَيِّمى ولا يسمعني وهو في أقصاها .

[عنفه الحسن بن زيد على ذكر ليلى]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال : بلغني أنّ الحسن بن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال : أتُشبّب بحُرَم المسلمين وتُنشد ذلك في مسجد رسول الله ﷺ وفي الأسواق والمحافل ظاهراً ؟ فحلَف له بالطّلاق أنّه ما تعرّض لمحرَّمٍ قطّ ولا شبّب بامرأة مُسلم ولا مُعاهدٍ قطّ ، قال : فمن ليلى هذه التي تُذكرُ في شعرك ؟ فقال له : امرأتي طالق إن كانت إلاّ قَوسي هذه ، سمّيتُها ليلى لأذكرَها في شِعري ، فإنّ الشعر لا يحسُن إلاّ بالتشبيب ، فضحك الحسن ثم قال : إذا كانت القصّة هذه فقل ما شئت .

[كان بالعراق وتشوّق إلى المدينة]

فقال الحَزَنْبَل : وحُدِّثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال : قدِم ابن المولى إلى العراق في بعض سِنيه فأخفَق وطال مُقامه وغرِض[2] به وتشوّق إلى المدينة فقال في ذلك : [من الكامل]

1 أشفى : أشرف على الموت .
2 غرض به : ضجر وقلق .

صوت

ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسّ رِجالا وأرى الإقامةَ بالعراق ضَلالا
وطرِبْتُ إذ ذَكَر المدينةَ ذاكرٌ يومَ الخميسِ فهاجَ لي بَلْبالا
فظللتُ أنظُر في السماءِ كأنّني أبغي بناحيــةِ السماءِ هلالا
طرباً إلى أهلِ الحِجازِ وتارةً أبكي بدمــعٍ مُسبَلٍ إسبالا

غنّى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة . ولحنه ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وذكره حمّاد عن أبيه في أخباره ولم يذكر طريقته . [من الكامل]

فيقال قــد أضحى يُحدِّث نفسَه والعينُ تَذرِفُ في الرّداءِ سِجالا[1]
إنّ الغريبَ إذا تذكّــر أوشكت منــه المدامــعُ أن تَفيضَ عِلالا
ولقــــد أقــولُ لصاحبي وكأنّه ممّــا يعالــجُ ضُمِّــن الأغلالا
خَفِّضْ عليكَ فما يُرَدْ بك تَلقَهُ لا تُكثِرنَّ وإن جزِعــتَ مَقالا
قد كنتَ إذ تَدع المدينةَ كالذي تــرك البحارَ ويَمّم الأوشالا[2]
فأجابني خاطرْ بنفسِكَ لا تكنْ أبــداً تُعَــدّ مــع العِيــال عِيالا
واعلمْ بأنّكَ لن تَنــالَ جَسيمةً حتّــى تُجشِّم نفسَكَ الأهوالا
إنّي وجــدّك يــومَ أترك زاخراً بحــراً يُنفّــل سيبُــه الأنفالا
لأضلُّ مَن جلَــب القوافيَ صَعْبَةً حتّــى أُذَلّ مُتونَهــا إذلالا[3]

[مدح المهديّ وعرّض بالطالبيين فأجازه]

قال الحَزَنْبَلُ : وحدّثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدّثني مولى للحسن بن زيد قال : قدم ابن المولى على المهديّ وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

وما قارَعَ الأعــــداءَ مثلُ محمّــدٍ إذا الحربُ أبدتْ عن حُجولِ الكَواعبِ
فتىً ماجدُ الأَعــراقِ مــن آل هاشمٍ تَبَحْبَح منهــا في الذُّرى والذَّوائبِ[4]
أشمُّ مــن الرّهــطِ الذيــنَ كأنَّهــم لدى حِنْدسِ الظَّلماءِ زُهْرُ الكواكبِ[5]

1 سجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة .
2 الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .
3 صعبة في ل : ضيعة .
4 تبحبح : تمكّن .
5 حندس : الليل الشديد الظلمة .

إذا ذُكِرَتْ يوماً مَناقِبُ هاشمٍ فإنّكمُ منها بخيرِ المَناصِبِ
ومَن عِيبَ في أخلاقه ونِصابِه فما في بني العبّاس عَيْبٌ لِعائبِ[1]
وإنّ أميرَ المؤمنين ورَهْطَهُ لأهلُ المَعالي من لُؤَيِّ بنِ غالبِ
أُولئك أوتادُ البلادِ ووارِثو النـ ـبيِّ بأمرِ الحقّ غير التّكاذُبِ[2]

ثم ذكر فيها آلَ أبي طالبٍ فقال :

وما نَقَموا إلاّ المودّةَ منهمُ وأن غادرُوا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنّهمُ نالوا لهم بدمائهم شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ[3]
وقاموا لهم دونَ العدا وكفَوْهمُ بسُمر القنا والمُرهَفات القَواضبِ
وحامَوْا على أحسابهم وكرائم حسانِ الوجوهِ واضحاتِ التّرائبِ
وإن أميرَ المؤمنين لعائدٌ بإنعامه فيهم على كلِّ تائبِ
إذا ما دَنَوْا أدناهُمُ وإذا هفَوْا تَجاوز عنهم ناظراً في العواقبِ
شفيقٌ على الأَقْصَيْن أن يركبوا الرّدى فكيف به في واشِجات الأقاربِ[4]

[مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله في مدائحه للمهديّ]

قال : فوصله المهديّ بصلة سنيّة ، وقدِم المدينة فأنفق وبنى دارَه ولبس ثياباً فاخرةً ، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه . ثم قدم[5] على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفة في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قوله يمدحه : [من الخفيف]

هاج شوقي تفرّقُ الجيرانِ واعترتني طوارقُ الأحزانِ
وتذكّرتُ ما مضى من زماني حين صارَ الزمانُ شرَّ زمانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد :

ولو آنّ امرأً ينالُ خلوداً بمحلٍّ ومَنْصِبٍ ومكانِ
أو ببيتٍ ذُراه تَلْصَق بالنجـ ـمِ قِراناً في غير بُرج قِرانِ
أو بمجدِ الحياةِ أو بسَماحٍ أو بحلم أوفَى عَلى ثَهْلانِ

1 النصاب : الأصل .
2 ووارثوا في ل : وأورثوا .
3 نفوس في ل : النفوس .
4 الواشجات : جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة المتّصلة .
5 ل : دخل .

أو بفضل لنالـه حسَنُ الخَيْـ ـر بفضلِ الرسول ذي البرهانِ
فضلُه واضحٌ برهطِ أبـي القا سم رهـطِ اليقـينِ والإيمانِ
هم ذَوُو النور والهُدى ومَدى الأمـ ـر وأهـلُ البرهانِ والعِرفانِ[1]
مَعْدِنُ الحـقِّ والنبوّةِ والعـد لِ إذا مـا تنازع الخَصْمانِ
وابنُ زيد إذا الرجالُ تَجارَوْا يـومَ حَفْـل وغايـةٍ ورِهانِ
سابـقٌ مُغْلِـقٌ مُجيزُ رِهـانٍ وَرِث السَّبْقَ من أبيه الهِجانِ[2]

قال : فلمّا أنشده إيّاها دعا به خالياً ثم قال له : يا عاضَّ كذا من أمه ، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا ، وأمّا إذا مضيت إلى العراق فتقول : [من الطويل]

وإن أمير المؤمنين ورهطَـه لرَهطُ المعالي من لُؤَيٍّ بن غالبِ
أولئكَ أوتادُ البلادِ ووارِثو النـ ـبيِّ بأمرِ الحقِّ غير التَّكاذُبِ[3]

فقال له : أتُنْصِفني يا ابن الرسول أم لا ؟ فقال : نعم ، فقال : ألم أقل :

وإن أميرَ المؤمنـينَ ورهطَه

ألستم رهطه ؟ فقال : دَعْ هذا ، ألم تقدِر أن يَنفُق شعرُك ومديحُك إلاّ بتهجين أهلي والطعنِ عليهم والإغراء بهم حيث تقول : [من الطويل]

ومـا نَقَمـوا إلاّ المودّةَ منهُمُ وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنّهمُ نالـوا لهـم بدمائهم شفاءَ نُفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ[4]

فوجَم ابن المولى وأطرق ثم قال : يا ابن الرسول إنّ الشاعر يقول ويتقرّب بجهده ، ثم قام فخرج من عنده منكسرا ، فأمر الحسن وكيله أن يحمِل إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل ؛ فقال ابن المولى : والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ ، فأمّا إنْ قرَنها بالرضى فقبلتُها ، وأمّا إن أقام وهو عليّ ساخط ألبتّة فلا ؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره ؛ فقال له : قل له : قد رضيتُ فاقبلْها . ودخل على الحسن فأنشده قوله فيه :

سألتُ فأعطاني وأعطَى ولم أَسَلْ وجاد كما جادتْ غـوادٍ رَواعِدُ

1 العرفان في ل : والفرقان .
2 الهجان : الحسيب .
3 ووارثو في ل : وأورثوا .
4 نفوس في ل : النفوس .

فأُقسِمُ لا أنفــكُّ أُنشِدُ مَدْحَــه إذا جمعتْنــي في الحَجيج المَشاهدُ
إذا قلتُ يومــاً في ثنائي قصيدةً ثَنَيْتُ بأخرى حيث تُجْزى القصائدُ

[مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز وغلبته على الأزارقة]

قال الحَزَنْبَل : وحدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبيّ قال : لمّا انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة وقد ظَفِر ، خُلِع عليه وعُقِد له لواءٌ على كُوَر الأهواز وسائر ما افتتحه ، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده : [من الطويل]

صوت

ألا يا لَقومي هل لِما فاتَ مَطلبُ وهل يُعْذَرَنْ ذو صَبْوةٍ وهو أَشْيَبُ
يحِنّ إلى ليلى وقد شَطَّتْ النَّوى بليـلى كما حَـنّ اليَراعُ المُثقّبُ[1]

غنّى في هذين البيتين عَطَرَّد ، ولحنه رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ؛ وفيه ليونس لحن ذكرَه لنفسه في كتابه ولم يذكر طريقتَه . [من الطويل]

تقرّبتُ ليلى كــي تُثيب فزادني بعـاداً على بعـدٍ إليهــا التقرّبُ
فداويتُ وجدي باجتناب فلم يكن دواءٌ لِمــا ألقـاه منها التجنُّبُ
فلا أنــا عنــد النَّأْي سالٍ لحبّها ولا أنا منها مُشْتَفٍ حين تَصْقَبُ[2]
وما كنت بالراضي بما غيرُه الرِّضى ولكنني أنــوي العــزاءَ فأُغلَبُ
وليلٍ خُــداريّ الرِّواق جَشِمتُــه إذا هابــه السارون لا أتهيّبُ[3]
لأظْفَرَ يوماً مــن يزيد بن حاتم بحبل جِوارٍ ذاك مــا كنتُ أطلبُ
بلَــوتُ وقلّبتُ الرجــالَ كما بَلا بكفّيــه أوساطَ القِــداح مُقلِّبُ
وصَعَّــدني همّــي وصَــوَّب مرّةً وذو الهمّ يومــاً مُصْعَدٌ ومُصوَّبُ
لأعرفَ مــا آتــي فلم أرَ مثلــه من الناس فيما حاز شرقٌ ومغرِبُ
أكَــرَّ على جيش وأعظــمَ هيبةً وأوهبَ في جــود لما ليس يُوهبُ
تصدَّى رجالٌ في المعالي ليَلْحقوا مَــداك ومــا أدركتَــه فتَذَبْذَبوا
ورُمتَ الذي راموا فأذللتَ صعبه وراموا الذي أذللتَ منه فأصعَبوا

1 اليراع المثقب : المزمار .
2 تصقب : تقرب .
3 خداري : مظلم .

ومهما تَناولْ مِــن مَنــال سَنيّة يساعدْك فيها المُنْتَمى والمُركَّبُ[1]
ومَنصِبُ آبــاء كِــرامٍ نَماهــمُ إلى المجـدِ آبـاءٌ كِرامٌ ومنصِبُ

صوت

[من الطويل]

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ بـدا منهمُ بــدرٌ مُنيرٌ وكوكبُ
أنــارَ بــه آل المهلّــب بعدمـا هَوى مَنكِبٌ منهم بليلٍ ومَنكِبُ
ومــا زال إلْحاحُ الزمانِ عليهمُ بنائبةٍ كادت لهـا الأرض تَخْرَبُ
فلـو أبقــتِ الأيّامُ حيّـاً نَفاسةً لأبقاهمُ للجـودِ نــابٌ ومِخلَبُ
وكنتَ ليومَيْ نِعمــةٍ ونِكايـةٍ كما فيهمــا للنّــاس كان المهلَّبُ
ألا حبَّــذا الأحياءُ منكم وحبّذا قبــورٌ بهـا مَوتاكُـم حين غُيِّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخِلعةٍ ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلٌّ واحد منهم بما يمكنه ، فانصرف بملء يده .

[كان عمرو بن أبي عمرو ينشد شعره ويستحسنه]

قال الحَزَنْبَل : أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

حَيِّ المنازلَ قد بَلِينا أقوَينَ عن مَرِّ السِّنينا[2]
وسلِ الدّيــارَ لعلَّهــا تُخْبرك عن أمِّ البَنينا
بانــت وكلٌّ قرينــةٍ يومــاً مفارِقــةٌ قرينا
وأخو الحياة من الحيا ةِ مُعالِجٌ غِلَظاً ولِينا

غنّى في هذه الأبيات نبيةٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر .

وتــرى المُوَكَّــل بِالغوا ني راكباً أبـداً فُنونا
ومــن البليّــةِ أن تُـدا نَ بما كرِهتَ ولن تَدينا
والمــرءُ تُحــرَم نفسُه ما لا يــزال بــه حَزينا
وتَــراه يَجمــع مالَــه جمعَ الحريص لوارِثينا

1 المنتمى في ل : المنتهى . المركب : المنبت .
2 أقوى : أقفر .

يسعى بأفضلِ سعيه فيصيرُ ذاك لقاعدينا
لم يُعطِ ذا النّسب القريـ ـبِ ولم يَجُدْ للابعدينا
قد حلَ منزلَه الذميـ ـمَ وفارق المتنصِّحينا[1]

[مدح المهدي بولايته الخلافة]

قال الحَزَنْبل : وذكر أحمد بن صالح بن النطّاح عن المدائنيّ : أن المهديّ لَمّا وليَ الخلافة وحجّ فرّق في قريشٍ والأنصار وسائرِ الناس أموالاً عظيمةً ووَصَلهم صِلاتٍ سنيّةً ، فحسُنَتْ أحوالُهم بعد جُهد أصاب الناس في أيّام أبيه ، لتسرّعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن ، وكانت سنة ولايته سنة خِصب ورُخْص ، فأحبّه الناس وتَبرّكوا به ، وقالوا : هذا هو المهديّ ، وهذا ابن عمّ رسول الله ﷺ وسَميُّه ، فلقُوه فدَعوا له وأثنَوا عليه ، ومدحته الشعراء ، فمدّ عينَه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقُرّب منه ؛ فقال له : هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك ، فأنشده [قوله فيه] : [من البسيط]

يا ليلَ لا تَبخلي يا ليلَ بالزادِ واشفي بذلك داءَ الحائم الصادي
وأنجِزي عِدَةً كانت لنا أَمَلاً قد جاء مِيعادُها من بعد ميعادِ
ما ضرّه غيرُ أن أبدى مودّته إنّ المُحبَّ هواه ظاهرٌ بادي

ثم قال فيها يصف ناقته :

تَطوي البلادَ إلى جمٍّ منافعُه فعّالِ خيرٍ لفعل الخيرِ عوّادِ
للمهتدين إليه من منافعه خيرٌ يروحُ وخيرُ باكرٍ غادي[2]
أغنَى قُريشاً وأنصارَ النبيِّ ومَنْ بالمسجدَيْن بإسعاد وإحفادِ[3]
كانت منافعُه في الأرض شائعةً تَتْرى وسيرتُه كالماء للصّادِي
خليفةُ اللهِ عبدُ الله والدُه وأمُّه حُرّةٌ تُنْمَى لأمجادِ
من خير ذي يَمنٍ في خير رابيةٍ من القَبولِ إليها مَعْقِل النّادي[4]

حتى أتى على آخرها ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكُسوة ، وأمر صاحب الجاري[5] بأن يُجريَ له ولعياله في كلّ سنة ما يَكفيهم ، وألحقهم في شرف العطاء .

1 المتنصّح : الكثير النصح .
2 للمهتدين في ل : للمجتدين .
3 الإحفاد : الإسراع في مرضاتهم وقضاء حوائجهم .
4 معقل : ملجأ .
5 صاحب الجاري : صاحب الجرايات أي الأرزاق .

قال : وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعب الزبيريّ قال : وفدنا إلى المهديّ ونحن جماعة من قريش والأنصار ، فلمّا دخلنا عليه سلّمنا ودعَونا وأثنينا ، فلمّا فرَغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال : هاتِ يا محمد ما قلت ، فأنشده : [من مجزوء الكامل]

صوت

نـادى الأحبّةُ باحتمالِ ... إنّ المُقيـمَ إلى زَوالِ
ردَّ القِيـانُ عليهـمُ ... ذُلُلَ المطيّ من الجِمالِ[1]
فتحمّلـوا بعَقيلـةٍ ... زهـراءَ آنسةِ الدَّلالِ
كالشمسِ راقَ جَمالُها ... بين النساء على الجَمالِ
لمّـا رأيـت جِمالهم ... في الآل تَغْـرَق باللآلي
يا ليت ذلك بعـدَ أنْ ... أظهـرتَ أنّك لا تُبالي
ولِمثْل مـا جرّبتَ مـن ... إخلافهنّ لذي الوِصالِ
أسلاكَ عن طلَب الصِّبا ... وأخو الصِّبا لا بدّ سالي
يـا ابنَ الأطايب للأطا ... يب ذا المَكارم والمَعالي
وابنَ الهُداةَ بَنـي الهدا ... ةِ وكاشفي ظُلَم الضّلالِ
أصبحتَ أكـرمَ غالبٍ ... عنـدَ التّفاخرِ والنِّضالِ
وإذا تُحَصَّـلُ هاشمٌ ... يعلـو بمجدك كلُّ عالي
ويكـون بيتُـك منهمُ ... في الشاهقات من القِلالِ[2]
هـذا وأنـت ثِمالُها ... وابنُ الثّمالِ أخو الثِّمالِ[3]
ومآلُهـا بأمورِهـا ... إنّ الأمـورَ إلى مـآلِ

قال : فأمر له خاصّة بعشرة آلاف درهم معجّلة ، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم ، وقال : ذلك بحقّ المديح ، وهذا بحقّ الوِفادة .

[سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ أبو أحمد وعمّي قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيّ

1 القيان : العبيد والإماء .
2 القلال : جمع قلة وهي أعلى الجبل .
3 ثمال : غياث .

قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال : قدِم عبد الملك بن مروان المدينة ، وكان ابن المولى يُكْثر مدحَه ، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا ، قال : وابن المولى مولى الأنصار ، فلمّا قدم عبدُ الملك المدينة قدِم ابن المولى ، لِما بلَغه من مسألة عبد الملك عنه ، فوردها وقد رحَل عبد الملك عنها ، فأتْبعه فأدركه بإضَم بذي خُشُب بين عين مروان وعين الحديد ، وهما جميعاً لمروان ، فالتفت عبد الملك إليه وابنُ المولى على نجيب مُتَنكّباً قوساً عربيّة ، فقال له عبد الملك : ابن المولى ؟ قال : لَبّيْك يا أمير المؤمنين ؛ قال : مرحباً بمن نالنا شكرُه ولم يَنَلْه منّا فعلٌ ، ثم قال له : أخبرني عن ليلى التي تقول فيها : [من الطويل]

وأبكي فلا لَيْلى بكَتْ من صَبابةٍ إليّ ولا ليلى لذي الوُدّ تَبذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرّةً لأُزوِّجَنّكها ، ولئن كانت أَمَةً لأبتاعنّها لك بما بلَغتْ ، فقال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، والله ما كنتُ لأَذْكُر حُرْمة حُرّ أبداً ولا أمَتَه ، والله ما ليلى إلاّ قوسي هذه ، سمّيتها ليلى لأُشبِّب بها ، وإن الشاعر لا يُسْتطاب إذا لم يَتشبّب[1] ؛ فقال له عبد الملك : ذلك والله أظرف لك ، فأقام عنده يومَه وليلته يُنشده ويُسامره ، ثم أمر له بمال وكسوة ، وانصرف إلى المدينة .

[وقف لجعفر بن سليمان على طريقه وأنشده شعراً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ عن الزبير وغيره عن محمد بن فَضالة النحويّ قال : قدِم ابن المولى البصرة ، فأتى جعفر بن سليمان فوقف على طريقه وقد ركب فناداه : [من السريع]

كم صارخٍ يدعو وذي فاقةٍ يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ
أنت الذي أحييتَ بَذْلَ النَّدى وكان قد ماتَ فلا يُذْكَرُ
سليلُ عبّاسٍ وليّ الهُدى ومَنْ به في المَحْل يُسْتَمْطَرُ
هذا امتداحيكَ عَقيدَ النَّدى أشهدُ بالمجدِ لكَ الأَشْقَرُ

1 ل : ينسب .

[39] ـ أخبار عَطَرَّد ونسبُه

[ولاؤه وصفته وهو مغنّ مقبول الشهادة فقيه]

عَطَرّد مولى الأنصار ، ثم مولى بني عمرو بن عوف ، وقيل : إنّه مولى مُزَيْنَة ، مدنيٌّ ، يكنى أبا هارون ، وكان ينزل قُباء . وزعم إسحاق[1] أنّه كان جميل الوجه ، حسنَ الغناء ، طيّبَ الصوت ، جيّد الصَّنعة ، حسنَ الرأي والمروءة ، فقيهاً ، قارئاً للقرآن ، وكان يغنّي مرتجلاً ، وأدرك دولة بني أميّة ، وبقي إلى أيّام الرشيد ، وذكر ابن خُرْداذْبه فيما حدّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه : أنّه كان مُعدَّل الشهادة بالمدينة ؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجّم عن أبي أيّوب المدينيّ عن إسحاق .

[جاءه عباد بن سلمة ليلاً وطلب منه أن يغنّيه]

وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ سلمة بن عبّاد[2] وَلِيَ القضاءَ بالبصرة ، فقصد ابنه عبّاد بن سلمة عطرَّداً وهو بها مقيم قد قصد آل سليمان بن عليّ وأقام معهم ؛ فأتى بابه ليلاً فدَقّ عليه ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس ، فخرج عطرَّد إليه ، فلمّا رآه ومن معه فزِع ؛ فقال : لا تُرَعْ : [من الكامل]

إنّي قصدتُ إليكَ مِـــن أهلي ... في حاجـةٍ يأتـي لها مثـلي

فقال : وما هي أصلحك الله ؟ قال : [من الكامل]

لا طالبـاً شيئاً إليـــك سوى ... «حيِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ»[3]

فقال : انزلوا على بركة الله ، فلم يزل يغنّيهم هذا وغيره حتى أصبحوا .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

حيِّ الحُمولَ بجانب العَزْلِ ... إذ لا يوافق شكلُها شكلي

اللهُ أنجحُ مـا طلبتَ بـه ... والبِـرُّ خيرُ حقيبـة الرَّحْلِ

1 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 35–36 (رقم 55 حتى آخرها) .
2 هو كذلك في التذكرة الحمدونية وفي ل : عباد بن سلمة .
3 العزل : موضع في ديار قيس (كذا ذكر البكري) .

إنّي بحبلِكَ واصلٌ حبلي ... وبريشِ نَبْلكَ رائشٌ نَبْلي
وشمائلي ما قد علمتَ وما ... نبحتْ كلابُكَ طارقاً مثلي

الشعر لامرىء القيس بن عابس الكِنْديّ ، هكذا روى أبو عمرو الشيبانيّ ، وقال : إن من يرويه لامرىء القيس بن حُجْر يغلَط . والغِناء لعطرَّد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لعمرو بن بانة ثقيلٌ بالوسطى من روايته أيضاً ، وفيه لابن عائشة خفيف رملٍ بالبنصر ، وفيه عنه وعن دنانير لمالكٍ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، وفيه عنه أيضاً لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

[غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهديّ]

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ قال : كتب إليّ أبو أيّوب المدينيّ ، وخبره أتمّ ، قال : حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطيّ[1] قال : دخلت على المهديّ ، وقد كان وُصِف له غنائي ، فسألني عن الغناء وعن علمي به ، فجاذبتُه من ذلك طَرَفا ؛ فقال لي : أتُغنّي النواقيس ؟ قلت : نعم ، وأُغنّي الصُّلبان يا أمير المؤمنين ، فتبسّم . والنواقيس لحن معبد ، كان معبد وأهل الحجاز يسمّونه النواقيس ، وهو : [من الطويل]

سَلا دارَ ليلى هل تُبين فتَنْطِقُ ... وأنّى تَرُدُّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ

قال : ثم قال لي المهديّ وهو يضحك : غنِّه ، فغنّيته فأمر لي بمالٍ جزيلٍ وخَلَع عليّ وصرفني ، ثم بلغني أنّه قال : هذا مُعَيْطِيٌّ وأنا لا آنَسُ به ، ولا حاجةَ لي إلى أن أُدْنيَه من خَلْوتي وأنا لا آنسُ به . هكذا ذُكِرَ في هذا الخبر أنّ اللحنَ لمعبد ، وما ذكره أحدٌ من رُواة الغِناء له ، ولا وُجِد في ديوانٍ من دواوينهم منسوباً إليه على انفراد به ولا شِرْكة فيه ، ولعلّه غلط .

[تنادر إبراهيم بن خالد المعيطيّ على ابن جامع]

وقد أخبرني هذا الخبر الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال : كان إبراهيم بن خالد المُعيطيّ يغنّي ، فدخل يوماً الحمّامَ وابنُ جامع فيه ، وكان له شيءٌ يجاوز ركبتيه ، فقال له ابن جامع : يا إبراهيم أتَبيع هذا البغل ؟ قال : لا بل أَحمِلك عليه يا أبا القاسم ؛ فلمّا خرج ابن جامع من الحمّام رأى ثياب المُعَيطيّ رثّةً فأمر له بخِلعةٍ من ثيابه ؛ فقال له المعيطيّ : لو قبِلتَ حُملاني قبلتُ خِلْعتَك ، فضَحِك ابن جامع وقال له : ما لك أخزاك الله ؟ ويلك أما تَدَع ولَعَك وبطالتَك وشرَّك ؟ ودخل إلى الرشيد فحدّثه حديثه ؛ فضحك وأمر بإحضاره ، فأُحضر ، فقال له : أتغنّي النواقيس ؟ قال : نعم ، وأُغنّي الصلبان أيضاً . ثم ذكر باقي الخبر مثلَ الذي تقدّمه .

1 لا نعرف لماذا أقحم أبو الفرج هذا الخبر والذي يليه عن إبراهيم بن خالد المعيطي في أخبار عطرد ، ولكن مثل هذا كثير في الأغاني .

[كان عطرّد منقطعاً إلى آل سليمان بن عليّ]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال : كان عطرَّد منقطعاً في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن عليّ لم يَخدِمْ غيرهم ، وتُوُفِّي في خلافة المهديّ . قال : وكان يوماً يغنّي بين يدَيْ سليمان بن علي فغنّاه : [من السريع]

صوت

أُلْـهُ فكم من ماجدٍ قد لَها ومـن كريـمٍ عِرضُـه وافِـرُ

الغناء لعطرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ ، فقيل له : سرَقتَ هذا من لحن الغريض : [من السريع]

يــا رَبْعَ سلاّمـةَ بالُمنْحَنـى فَخَيْفِ سَلْـعٍ جـادكَ الوابلُ

فقال : لم أسرقه ولكنَّ العقولَ تتوافق[1] ، وحلف أنّه لم يسمعه قطّ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

يــا ربـعَ سلاّمــةَ بالُمنْحَنى فَخَيْفِ سَلْـعٍ جــادكَ الوابلُ
إن تُمْسِ وحْشاً طالما قد تُرَى وأنــتَ معمــورٌ بهــم آهِلُ[2]
أيّــامَ سلاّمــــةُ رُعْبُوبـةٌ خَــوْدٌ لَعُـوبٌ حبُّهـا قاتلُ
محطوطةُ المَتْـنِ هَضِيمُ الحَشا لا يطَّبِيهــا الوَرَعُ الــواغلُ

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن يحيى المكيّ . قال : ومن الناس من ينسُبه إلى ابن سريج .

[حبسه زبراء والي المدينة مع المغنّين ثم أطلقه وأطلقهم]

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيى قال سمعت جَدّي عليّ بن يحيى قال حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدّثني خالد بن كلثوم قال[3] : كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها ، وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب ، فأمر بأصحاب الملاهي فحُبِسوا وحُبِس عطرّد فيهم ، فجلس ليَعْرِضَهم ، وحضر رجالٌ من أهل المدينة شفَعوا لعطرّد ، وأخبروه أنّه من أهل الهيئة والمروءة والنّعمة والدِّين ، فدعا به فخلّى سبيله ، وأمره برفع

---

1 ل : تتوافى .
2 طالما في ل : فبما .
3 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 65 (رقم 96) .

حوائجه إليه فدعا له ، وخرج فإذا هو بالمغنّين أُحضِروا ليُعرَضوا ، فعاد إليه عطرّد ، فقال : أصلح الله الأمير ، أعَلى الغِناء حبستَ هؤلاء ؟ قال : نعم ؛ قال : فلا تَظْلِمهم ، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قطّ ؛ فضحِك وخلّى سبيلهم .

[استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة]

أخبرني محمد بن مَزيد وجحظة قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمّه أيّوب بن إسماعيل قال : لمّا استُخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرّد المغنّي ؛ قال عطرّد : فأقرأني العامل الكتابَ وزوّدني نفقةً وأشخصني إليه ، فأُدخِلتُ عليه وهو جالسٌ في قصره على شَفِير بركةٍ مرصّعةٍ مملوءةٍ خمراً ليست بالكبيرة ولكنّها يدور الرجل فيها سباحةً ، فوالله ما تركني أُسلِّم عليه حتى قال : أعَطرَّد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : لقد كنتُ إليك مشتاقاً يا أبا هارون . غنّني : [من الكامل]

حيِّ الحُمولَ بجانبِ العَزْلِ ... إذ لا يُلائم شكلُها شكلي
إنّي بحبلـكِ واصلٌ حبلِي ... وبريشِ نَبْلِكِ رائشٌ نبلي
وشمائلي ما قد علمتِ وما ... نبحَتْ كلابُك طارقاً مثلي

قال : فغنّيتُه إيّاه ، فوالله ما أتممتُه حتى شقّ حُلّة وَشْيٍ كانت عليه لا أدري كم قيمتها ، فتجرّد منها كما ولدته أُمُّه وألقاها نِصفين ، ورمى بنفسه في البركة فنَهِل منها حتى تبيّنتُ ، عَلِم اللهُ ، فيها أنّها قد نَقَصَت نُقْصاناً بيّناً ، وأُخرج منها وهو كالميّت سُكراً ، فأضجع وغُطِّيَ ، فأخذتُ الحُلّة وقمتُ ، فوالله ما قال لي أحدٌ : دَعها ولا خُذْها ، فانصرفتُ إلى منزلي متعجّباً ممّا رأيتُ من ظَرْفه وفعله وطَرَبه ، فلمّا كان من غَدٍ جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني ، فلمّا دخلتُ عليه قال لي : يا عطرّد ، قلت : لَبّيك يا أمير المؤمنين ؛ قال غنّني : [من الطويل]

أيَذْهَبُ عمري هكذا لم أَنَلْ بها ... مَجالسَ تَشفي قَرْحَ قلبي من الوجدِ
وقالـوا تَداوَ إنّ في الطّبِّ راحةً ... فعلّلتُ نفسي بالدواء فلـم يُجْدِ

فغنّيته إيّاه ، فشقّ حلّة وشْيٍ كانت تَـلْتَمِع عليه بالذهب التماعاً احتقرتُ والله الأولى عندها ، ثم ألقى نفسه في البركة فنهِل فيها حتى تبيّنت ، علم الله ، نقصانها ، وأُخرج منها كالميّت سكرا ، وأُلْقِي وغُطِّيَ فنام ، وأخذتُ الحلّة فوالله ما قال لي أحد : دعها ولا خذها ، وانصرفتُ ؛ فلمّا كان اليوم الثالث جاءني رسولُه فدخلتُ إليه وهو في بهْوٍ قد أُلقيت سُتوره ، فكلّمني من وراء الستور وقال : يا عطرّد ، قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : كأنّي بك الآن قد أتيتَ المدينة فقمتَ بي في مجلسها ومَحفِلِها وقعدتَ وقلتَ : دعاني أمير المؤمنين فدخلتُ

إليه فاقترح عليّ فغنّيته وأطربته فشقّ ثيابه وأخذتُ سَلَبَه وفعل وفعل ، والله يا ابن الزانية ، لئن تحرّكتْ شَفتاك بشيء ممّا جرى فبلغني لأضربنّ عنقك ، يا غلام أعطِهْ ألفَ دينار ، خُذْها وانصرف إلى المدينة ؛ فقلت : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لي في تقبيل يده ، ويزوِّدَني نظرةً منه وأُغنِّيَه صوتاً ؛ فقال : لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك ، فانصرف . قال عطرّد : فخرجتُ من عنده وما ، علم الله ، أنّي ذكرتُ شيئاً ممّا جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة .

نسبة هذين الصوتين

الصوت الأوّل ممّا غنّاه عطرّد الوليد قد نُسب في أوّل أخباره ، والثاني الذي أوّله: [من الطويل]

أيذهبُ عمري هكذا لم أَنَلْ بها

الغناء فيه لعطرّد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ليونس من كتابه لحن لم يذكر طريقته ؛ وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

صوت
من المائة المختارة[1]

[من السريع]

إن امـرءاً تَعْتـاده ذِكَـرٌ ... منهـا ثلاثُ مِنـىً لَذو صَبرِ
ومواقـفٌ بالمَشْعَرَيْـنِ لهـا ... ومناظـرُ الجَمَـرات والنحرِ
وإفاضـةُ الرُّكبـان خَلْفَهـمُ ... مثـلَ الغمـام أَرَذّ بالقَطْرِ[2]
حتى استلمنَ الركنَ في أُنُفٍ ... مـن ليلهـنّ يَطَأْن في الأُزْرِ
يَقْعُـدن في التَّطْوافِ آونـةً ... ويَطُفـن أحيانـاً عـلى فَتْرِ
ففرَغن من سَبْع وقد جُهِدَتْ ... أحشاؤهـنّ موائـلَ الخُمْرِ

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ ، والغِناء في اللحن المختار للأَبْجَر ، وإيقاعُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنصر في الأوّل والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق . وفيه للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج في الثالث والرابع رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 شعر الحارث بن خالد المخزومي (جمع د . يحيى الجبوري ، 1972) : 65–66 عن الأغاني .
2 وإفاضة في ل : وأفاضت . أرذّ : أمطر الرذاذ .

[40] ـ أخبار الحارث بن خالد المخزوميّ ونسبه[1]

[نسبه]

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب . وأمّه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام ، وأُمُّها بنت أبي جهل بن هشام . وكان العاص بن هشام جَدُّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بَدْر فقتله أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

[قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني مُصعب بن عبد الله قال : قامَر أبو لَهَب العاص بن هشام في عَشْرٍ من الإبل فقَمَره أبو لهب ، ثم في عشرٍ فقَمره ، ثم في عشرٍ فقَمَره ، ثم في عشر فقَمَره ، ثم في عشرٍ فقَمَره ، إلى أن خلعه من ماله فلم يَبْق له شيءٌ ، فقال له : إنّي أرى القِداح قد حالفتْك يا ابن عبد المطّلب فهلمّ أُقامرك ، فأيُّنا قُمِرَ كان عبداً لصاحبه ، قال : افعل ، ففعل . فقمَرَه أبو لهب فكرِه أن يسترقّه فتَغْضَب بنو مخزوم ، فمشى إليهم وقال : افتَدُوه منّي بعشرٍ من الإبل ؛ فقالوا : لا والله ولا بوبرة ، فاسترقّه فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر . وقال غير مُصعب : فاسترقّه وأجلسه قَيْنا يعملُ الحديد . فلمّا خرج المشركون إلى بدر كان مَن لم يَخرج أُخرج بديلاً ، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقعد ، على أنّه إن عاد إليه أعتقه ، فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ .

[ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل]

والحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغَزَليّين ، وكان يذهب مَذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبّب بها ؛ وولاّه عبد الملك بن مروان مكّة ، وكان ذا قدْرٍ وخَطَرٍ ومنظرٍ في قريش ؛ وأخوه عِكرِمة بن خالد المخزوميّ محدّثٌ جليلٌ من وجوه التابعين ، قد روى عن جماعة من الصحابة ؛ وله أيضاً أخٌ يقال له عبد الرحمن بن خالد ، شاعرٌ ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

رحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ ... وغدا لِطيَّـةِ ذاهبٍ مُتَحمِّلِ
ولّى بـلا ذمٍّ وغـادر بعدَهُ ... شيْباً أقـامَ مكانَـه في المَنزلِ
ليتَ الشبابَ ثَوى لدينا حقْبَةً ... قبلَ المشيبِ وليتـه لم يَعْجَلِ

1 ورد ذكره بإيجاز في خزانة الأدب 1 : 453–454 .

فنُصيبَ مـن لذّاتـهِ ونعيمـهِ كالعهدِ إذ هو في الزمانِ الأوّلِ

وفيه غناء .

[كان أبو عمرو بن العلاء يسأله عن بعض الحروف]

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال معاذ بن العَلاء أخو أبي عمرو بن العلاء : كان أبو عمرو إذا لم يَحُجّ استَبْضَعني بعض الحروف أسأل عنها الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتِيه بجوابها ؛ قال : فقَدِمتُ عليه سنةً من السنين وقد ولاّه عبد الملك بن مروان مكّةَ ، فلمّا رآني قال : يا مُعاذ ، هاتِ ما معك من بضائع أبي عمرو ، فجعلتُ أعجَبُ من اهتمامه بذلك وهو أمير .

[هو أحد شعراء قريش الخمسة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير ، ولفظُه أتمّ ، قال حدّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال : كانت العرب تُفضِّل قريشاً في كلّ شيء إلاّ الشعر ، فلمّا نجَمَ في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والعَرْجِيّ وأبو دهبل وعبيد الله بن قيس الرُّقَيّات ، أقرّت لها العرب بالشعر أيضاً .

[تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة بشعريهما]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسّان قال : تفاخرَ مَوْلىً لعمر بن أبي ربيعة ومولًى للحارث بن خالد بشِعرَيْهما ، فقال مولى الحارث لمولى عمر : دعني منك فإنّ مولاك والله لا يعرِف المنازلَ إذا قُلبت ، يعني قول الحارث[1] : [من الكامل]

إنّي وما نَحَروا غداةَ مِنًى عندَ الجمار تَؤُودها العُقُلُ
لو بُدِّلَـتْ أعلى مَساكِنِها سُفْلاً وأَصبحَ سُفْلُها يَعْلُو
فيَكاد يعرِفُها الخبيرُ بهـا فيـرُدّه الإقْـواءُ والمَحْلُ
لعرفتُ مَغْناها بما احتمَلتْ منّي الضلوعُ لأهلها قَبْـلُ

قال عمر بن شبّة : وحدّثني محمد بن سلاّم بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسّان ، وزاد فيه : فقال مولى بنِ أبي ربيعة لمولى الحارث : والله ما يُحسنُ مولاك في شعرٍ إلاّ نُسِب إلى مولاي .

قال ابن سلاّم : وأنشَد الحارثُ بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلَّها حتى انتهى إلى قوله : [من الكامل]

لعرفتُ مغناها بما احتملتْ منّي الضلوعُ لأهلِها قبلُ

1 شعر الحارث بن خالد : 78 .

فقال له ابنُ عمر : قُلْ : إن شاء الله ؛ قال : إذاً يَفسُد بها الشعر يا عمّ ، فقال له : يا ابن أخي ، إنّه لا خيرَ في شيء يُفسدُه «إن شاء الله» . قال عمر : وحدّثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحدٍ ، وأظنّه لم يَرْوِها إلاّ عن محمد بن سلاّم . وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي الفضل المَرْوَرُّوذيّ عن إسحاق عن أبي عبيدة ، فذكر قصّة الحارث مع ابن عمر مثلَ الذي تقدّمه .

[فضّله كثيّر في الشعر على نفسه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثني أبو سلمة الغِفاريّ عن يحيى بن عروة بن أُذَينة عن أبيه قال : كان كُثَيِّرٌ جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مرّ بهم سعيد الراس ، وكان مغنّياً ، فقالوا لكثيّر : يا أبا صخر ، هل لك أن نُسمِعك غناء هذا ، فإنّه مُجيد : قال : افعلوا ؛ فدَعوا به فسألوه أن يغنّيهم : [من الكامل]

صوت[1]

هَـلاَّ سألتَ معالِمَ الأطلالِ ... بالجزع من حُرُضٍ وهنَّ بَوالِي[2]
سَقْياً لعَزّةَ خُلّتي سَقْيا لهـا ... إذ نحن بالهَضبات من أُمْلالِ[3]
إذ لا تكلّمنـا وكان كلامُها ... نَفَـلا نؤمّلـه مـن الأنفالِ

فغنّاه ، فطرِب كثيّر وارتاح ، وطرِب القومُ جميعاً ، واستحسنوا قولَ كثيّر ، وقالوا له : يا أبا صخر ما يستطيع أحدٌ أن يقول ، مثل هذا ؛ فقال : بلى ، الحارث بن خالد حيث يقول : [من الكامل]

صوت

إنّي وما نَحروا غداةَ مِنىً ... عند الجمار تَؤودُها العُقْلُ
لـو بُدّلتْ أعلى مساكنها ... سُفْلا وأصبحَ سُفْلُها يعلو
لعرَفتُ مَغناها بما احتملَتْ ... منّي الضلوعُ لأهلِها قَبْلُ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في أبيات كثيّر الأُوَل التي أوّلها :

هلاّ سألتَ مَعالِمَ الأطلالِ

لابن سريج منها في الثاني والثالث رمل مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغريض

1 ديوان كثير : 284–285 والشطر الأوّل فيه «أربع في معارف الأطلال» .
2 حرض : واد عند أُحد .
3 أملال : موضع على طريق المدينة إلى مكّة .

في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر عنه . وفيهما لعلُّويَهْ رمل بالوسطى عن عمرو . وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصليّ رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

[تمثّل أشعب بشعره في علوّ الزبيريين على العلويين]

أُخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : دخل أشعب مسجد النبيّ ﷺ فجعل يطوف الحِلَق ، فقيل له : ما تريد ؟ فقال : أَسْتَفْتي في مسألة ؛ فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير وهو مُسْنَدٌ إلى سارية وبين يديه رجلٌ عَلَويّ ، فخرج أشعب مبادراً ؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتَطوافه : أَوَجدتَ من أفتاك في مسألتك ؟ قال : لا ، ولكني علمتُ ما هو خير لي منها ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد : [من الكامل]

قد بُدّلَتْ أَعْلى مساكنها سُفْلاً وأصبحَ سُفْلُها يعلو

رأيتُ رجلاً من ولد الزُّبير جالساً في الصدر ، ورجلاً من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه ، فكفى هذا عَجَباً ، فانصرفت .

[كان مروانيّاً وكلّ بني مخزوم زبيرية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني هذا الخبر إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان ، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبد الله بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيّوب سليمان بن أيّوب المدنيّ قال حدّثنا مُصعب الزبيريّ ، وأخبرني به أيضاً الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي ، وقد جمعتُ رواياتهم في هذا الخبر : أنّ بني مخزوم كلّهم كانوا زبيريّة سوى الحارث بن خالد فإنّه كان مَروانيّاً .

[ذهب إلى الشام مع عبد الملك فحجبه وجفاه]

فلمّا وليَ عبد الملك الخلافة عامَ الجماعة وفَد عليه في دَيْن كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين ؛ وقال مصعب في خبره : بل حجّ عبد الملك في تلك السنة فلمّا انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت له منه جَفوة ، وأقام ببابه شهراً لا يَصِل إليه ، فانصرف عنه وقال فيه[1] : [من الطويل]

1 شعر الحارث بن خالد : 101-102 .

صَحِبتُك إذ عَيْني عليها غِشاوةٌ فلمّا انجلَتْ قَطّعتُ نفسي ألومُها
وما بي وإن أقصيْتَني من ضَراعةٍ ولا افتقرتْ نفسي إلى من يَضِيمُها

هذا البيت في رواية ابن المرزُبان وحده : [من الطويل]

عَطَفتُ عليك النفسَ حتى كأنّما بكفّيْكَ بؤسي أو عليكَ نعيمُها

[عزله عبد الملك لأنه أخّر الصلاة]

وبلغ عبد الملك خبره وأُنشد الشعرَ ، فأرسل إليه مَن ردّه من طريقه ؛ فلمّا دخل عليه قال له : حارِ ، أخبِرني عنك : هلِ رأيتَ عليك في المُقام ببابي غَضاضةً أو في قصدي دناءَةً ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ قال : فما حمَلك على ما قلتَ وفعلتَ ؟ قال : جفوةٌ ظهرتْ لي ، كنتُ حقيقاً بغير هذا ، قال : فاخترْ ، فإن شئتَ أعطيتُك مائة ألف درهم ، أو قضيتُ دَيْنَك ، أو ولّيتُك مكّةَ سنةً ، فولاّه إيّاها . فحجّ بالناس[1] وحجّت عائشة بنت طلحة عامئذٍ ، وكان يهواها ، فأرسلت إليه : أخِّر الصلاة حتى أفرُغ من طوافي ، فأمر المؤذّنين فأخّروا الصلاة حتى فرغَت من طَوافها ، ثم أُقيمت الصلاة فصلّى بالناس ، وأنكر أهلُ الموسم ذلك من فعله وأعظموه ، فعزَله وكتب إليه يؤنّبه فيما فعل ؛ فقال : ما أهونَ واللهِ غضبه إذا رَضِيَتْ ! والله لو لم تفرغْ من طوافها إلى الليل لأخّرتُ الصلاة إلى الليل . فلمّا قضَتْ حجَّها أرسَل إليها : يا ابنة عمّي ألِمّي بنا أوعِدِينا مجلساً نتحدّث فيه ؛ فقالت : في غَدٍ أفعلُ ذلك ، ثم رحلت من ليلتها ؛ فقال الحارث فيها[2] : [من الكامل]

صوت

مــا ضرُّكم لو قلتمُ سَدَداً إنّ المطايـا عاجِـلٌ غَدُها
ولهـا علينا نِعمةٌ سَلَفتْ لسنا على الأيّامِ نجحدُها
لــو تمّمتْ أسبابَ نعمتِها تمّتْ بذلكَ عندنـا يدُها

لمعبد في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودنانير ، وقد ذكره إسحاق فنسَبه إلى ابن محرز ثقيلاً أوّل في أصوات قليلة الأشباه ؛ وقال عمرو بن بانة : من الناس من نسبه إلى الغريض .

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

[منْ الطويل]

وما بي وإن أقصيتني من ضَراعةٍ ولا افتقرتْ نفسي إلى من يُهينُها

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 6 : 179 (رقم 489) .
2 شعر الحارث بن خالد : 57–58 .

بَلى بأبــي إنّي إليك لضَارعٌ فقيرٌ ونفسي ذاك منها يَزِينُها

البيت الأوّل للحارث بن خالد ، والثاني أُلحِق به . والغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن ابن المكيّ . وذكر الهشاميّ أنّ لحن الغريض خفيف ثقيلٍ في البيت الأوّل فقط ، وحكى أنّ قافيته على ما كان الحارث قاله :

ولا افتقرتْ نفسي إلى مَنْ يَضيمُها

وأن الثقيل الأوّل لعُليّة بنت المهديّ ، ومن غنائها البيت المضاف . وأخْلِقْ بأن يكونَ الأمر على ما ذكره ، لأنّ البيت الثاني ضعيفٌ يُشبه شِعرَها .

[قوله عندما تزوّج مصعب بعائشة ورحل بها إلى العراق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى قال : لمّا تزوّج مُصعب بن الزُّبير عائشة بنت طلحة ورحَل بها إلى العراق ، قال الحارث بن خالد في ذلك[1] :

صوت

[من الكامل]

ظعَــن الأميرُ بأحسن الخَلْقِ وغــدا بلُبِّك مَطْلِعَ الشَّرْقِ
في البيت ذي الحسبِ الرفيعِ ومِن أهــلِ التُّقـى والبرِّ والصِّدقِ
فظَلِلــتُ كالمقهـور مهجتــه هــذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ
أتْرُجَّــةٌ عَبِــقَ العبيرُ بهــا عَبَقَ الدِّهان بجانـب الحُقِّ
مــا صبّحـتْ أحـداً برؤيتها إلاّ غـدا بكواكــب الطَّلْقِ

وهي أبيات ، غنّى ابن مُحرز في البيتين الأوّلين خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلاً بالوسطى ، وذكر حَبَش أن فيهما لمالك رملاً بالوسطى ، وذكر حبش أيضاً أن فيهما لِلدَّلال ثاني ثقيل بالبنصر ، ولابن سُريج ومالك رَمَلَيْن ، ولسعيد بن جابر هَزَجاً بالوسطى .

[استأذن على عائشة فوعدته وخرجت من مكّة]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن ابن جُعْدُبة قال : لمّا أن قدِمتْ عائشةُ بنتُ طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير على مكّة : إنّي أُريد السلام عليكِ ، فإذا خفّ عليكِ أذِنْتِ ، وكان الرسول الغريض ، فقالت له : إنّا حُرُم ، فإذا أحلَلْنا أذِنّاك ، فلمّا أحلّت سَرَتْ على بَغَلاتها ، ولَحِقها

1 شعر الحارث بن خالد : 75–76 .

الغريض بعُسْفان أو قريبٍ منه ، ومعه كتابُ الحارث إليها :

ما ضَرُّكم لو قلتُمُ سَدَداً

الأبيات المذكورة ؛ فلمّا قرأتِ الكتابَ قالت : ما يَدَعُ الحارث باطلَه ؛ ثم قالت للغريض : هل أحدثْتَ شيئاً ؟ قال : نعم ، فاسمعي ، ثم اندفع يغنّي في هذا الشعر ؛ فقالت عائشة : والله ما قلنا إلاّ سَدَداً ، ولا أردنا إلاّ أن نشتري لسانه ؛ وأتى على الشعر كلّه ، فاستحسنته عائشة ، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب ، وقالت : زِدْني ، فغنّاها في قول الحارث بن خالد أيضاً[1] : [من الكامل]

زَعَموا بأن البَيْن بعد غَـدٍ ... فالقلبُ ممّا أُحْدَثوا يَجِفُ
والعَيْنُ منذ أُجِـدّ بَيْنَهُـمُ ... مثلُ الجُمانِ دموعُها تَكِفُ
ومقالهـا ودموعُها سُجُـمٌ ... أَقْلِلْ حنينَك حين تَنصرِفُ
تشكو ونشكو ما أشَتّ بنا ... كلٌّ بوَشْك البيْن مُعْتَرِفُ

إيقاع هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ ، ولم يذكر له حمّادٌ طريقاً .

[غنّاها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة]

قال : فقالت له عائشة : يا غريض ، بحقّي عليك أهو أَمَرَكَ أن تغنّيَني في هذا الشعر ؟ فقال : لا ، وحياتِك يا سيدتي ! فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت له : غَنّني في شعرٍ غيره ؛ فغنّاها قول عمر فيها[2] :

صوت

[من الخفيف]

أجْمَعتْ خُلّتي مع الفجر بَيْنا ... جَلّـل اللهُ ذلك الوجـهَ زَيْنا
أجمعتْ بينَها ولم نَـكُ منها ... لـذّةَ العيشِ والشبابِ قضَيْنا
فتولّـتْ حُمُولُهـا واستقلّـت ... لم نَنَلْ طائلاً ولم نُقْضَ دَيْنا
ولقـد قلتُ يـومَ مكّـةَ لمّا ... أرسلتْ تَقْـرَأُ السلامَ علينـا
أنعـم اللهُ بالرسولِ الذي أُر ... سِلَ والمُرسِلِ الرسالـةِ عَيْنا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن

1 شعر الحارث بن خالد : 70–71 . وتنسب هذه الأبيات أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة (ديوانه : 258 ، 259) .
2 ديوان عمر : 435 .

إسحاق ، وغيره ينسُبه إلى ابن سريج . وفيه لمعبدٍ خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وأظنّه هذا اللحن ، قال : فضحِكَتْ ثم قالت : وأنت يا غريض فأنعَم الله بك عينا ، وبابن أبي ربيعة عينا ، لقد تلطّفتَ حتى أدّيتَ إلينا رسالته ، وإن وفاءك له لممّا يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك . وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنّيَها هذا الصوتَ لأنّه قد كان ترك ذكرها لمّا غضبت بنو تيم من ذلك ، فلم يحبّ التصريح بها وكرِهَ إغفال ذكرها ؛ وقال له عمر : إن أبْلغتَها هذه الأبيات في غناء فلَكَ خمسةُ آلاف درهم ، فوفَى له بذلك ، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أُخرى .

[غنّى الغريض عاتكة بنت يزيد]

ثم انصرف الغريض من عندها فلَقِيَ عاتِكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان ، وكانت قد حجّت في تلك السنة ، فقال لها جواريها : هذا الغريض ؛ فقالت لهنّ : عليَّ به ، فَجيء به إليها . قال الغريض : فلمّا دخلتُ سلّمتُ فردّت عليّ وسألتني عن الخبر ، فقصَصتُه[1] عليها ؛ فقالت : غنّني بما غنّيتَها به ، ففعلتُ فلم أرَها تَهَشّ لذلك ، فغنّيتُها مُعرِّضاً لها ومذكّراً بنفسي في شعر مُرّة بن مَحكان السَّعْديّ يُخاطب امرأته وقد نزل به أضيافٌ : [من البسيط]

أقـولُ والضّيفُ مَخْشيٌّ ذَمامَتُـه		على الكريمِ وحقُّ الضيفِ قد وجَبا

صوت

[من البسيط]

يا ربّــةَ البيتِ قُومِي غيرَ صاغرةٍ		ضُمِّي إليك رِحالَ القوم والقِرَبا
في ليلــةٍ من جُمادى ذاتِ أنديَةٍ		لا يُبصِر الكلبُ من ظَلْمائها الطُّنُبا
لا ينبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ		حتى يَلُـفَّ على خَيْشومه الذَّنَبا

الشعر لمُرّة بن مَحكان السَّعديّ ، والغِناء لابن سريج . ذكر يونس أنّ فيه ثلاثةَ ألحان ، فوجدتُ منها واحداً في كتاب عمرو بن بانة رَمَلاً بالوسطى ، والآخَرَ في كتاب الهِشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى ، والآخر ثاني ثقيلٍ في كتاب أحمد بن المكيّ . قال : فقالت وهي متبسّمة : قد وجَب حقّك يا غريض ، فغنّني ؛ فغنّيتها : [من الكامل]

صوت

يـا دهرُ قـد أكثرتَ فَجْعتنا		بسَراتنا ووَقَـرْتَ في العَظْمِ
وسَلَبتنـا مـا لستَ مُخْلِفَـه		يا دهرُ مـا أنصفتَ في الحُكْمِ
لـو كان لي قِـرنٌ أُناضِلـه		ما طاشَ عنـدَ حَفِيظةٍ سَهْمي

---

1 ل : فاقتصصته .

لو كان يُعطِي النِّصْفَ قلتُ له أحرزتَ سهمك فَالْهُ عن سهمي

فقالت : نُعطِيك النصف ولا نُضيع سهمَك عندنا ، ونُجزِل لك قِسمك ، وأَمَرتْ لي بخمسة آلاف درهم وثياب عَدَنِيّة وغير ذلك من الألطاف ، وأتيتُ الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبرَ وقصصتُ عليه القصّة ؛ فأمر لي بمثل ما أَمَرتا لي به جميعاً ، فأتيتُ ابن أبي ربيعة وأعلمتُه بما جرى ، فأمر لي بمثل ذلك ، فما انصرف واحد من ذلك الموسم بمثل ما انصرفتُ به : بنظرة من عائشة ونظرةٍ من عاتكة وهما من أجمل نساء عالَمهما ، وبما أمرتا لي به ، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكّة ، وابنِ أبي ربيعة ، وما أجازاني به جميعاً من المال .

[استأذن عائشة بنت طلحة في الزيارة فوعدته ثم هربت]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أبو الحسن المَرْوَزِيّ قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال : لمّا حجّت عائشةُ بنت طلحة أرسل إليها الحارثُ بن خالد وهو أمير مكّة : أنعم الله بك عيناً وحيّاكِ ، وقد أردتُ زيارتك فكرِهتُ ذلك إلاّ عن أمرك ، فإن أَذِنْتِ فيها فعلتُ ؛ فقالت لمَوْلاة لها جَزْلةٍ : وما أَرُدّ على هذا السفيه ؟ فقالت لها : أنا أَكْفِيك ، فخرجتْ إلى الرسول وقالت له : اقرأ عليه السلام ، وقل له : وأنت أنعم الله بكَ عيناً وحيّاك ، نَقْضي نُسُكَنا ثم يأتيك رسولُنا إن شاء الله ، ثم قالت لها : قُومِي فطُوفي واسعَيْ واقضي عُمْرَتك واخرجي في الليل ، ففعلت ؛ وأصبح الحارث فسأل عنها فأُخبر خبرَها ، فوجّه إليها رسولاً بهذه الأبيات ، فوجَدها قد خرجت عن عمل مكّة ، فأوصل الكتابَ إليها ، فقالت لمولاتها : خُذيه فإنّي أظنّه بعض سفاهاته ، فأخذتْه وقرأته وقالت له : ما قلنا إلاّ سَدَداً وأنت فارغ للبَطالة ، ونحن عن فَراغك في شغل .

[سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : زعم كُلْثوم بن أبي بكر بن عمر بن الضّحّاك بن قيس الفِهْرِيّ قال : قدِم المدينة قادمٌ من مكّة فدخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجل ؟ قال : من مكّة ، فقالت : فما فعل الأعرابيّ ؟ فلم يَفْهَم ما أرادت ، فلمّا عاد إلى مكّة دخل على الحارث ، فقال له : من أين ؟ قال : من المدينة ، قال : فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم ، قال : فعَمّاذا سألتْك ؟ قال : قالت لي : ما فعل الأعرابيّ ؟ قال له الحارث : فَعُدْ إليها ولك هذه الراحلةُ والحُلّة ونَفَقتُك لطريقك وادفع إليها هذه الرقعة ، وكتب إليها فيها[1] : [من البسيط]

1 شعر الحارث بن خالد : 103–104 .

صوت

من كان يسأل عنّا أين منزِلُنا   فالأُقْحُوانَةُ منّا منزلٌ قَمَنُ[1]
إذ نلبَس العيشَ صفواً ما يكدّره   طَعْنُ الوُشاة ولا ينبو بنا الزمنُ

قال إسحاق : وزادني غيرُ كلثوم فيها :

ليتَ الهوَى لم يقرّبني إليكِ ولم   أَعْرِفْكِ إذ كان حظّي منكمُ الحَزَنُ

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحرِز خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر يونس أنّ فيها لحناً ولم يُجنسه ، وذكر عمرو أنّ فيه لبابُويَه ثاني ثقيل بالبنصر .

[غضب على الغريض ثم رقّ له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم ، قال : لمّا ولّى عبدُ الملك بن مروان الحارثَ بن خالد المخزوميّ مكّةَ بعث إلى الغريض فقال له : لا أَرَيَنّك في عملي ، وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يُجيبه ، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف ، وبلغ ذلك الحارث فرقّ له فردّه وقال له : لِمَ كنتَ تُبْغِضنا وتهجر شِعرَنا ولا تَقْرَبُنا ؟ قال له الغريض : كانت هفوةً من هفوات النفس ، وخطرةً من خطرات الشيطان ، ومثلُك وهَب الذنب ، وصفَح عن الجُرْم ، وأقال العَثْرة ، وغَفَر الزَّلّة ، ولستُ بعائد إلى ذلك أبداً ؛ قال : وهل غنّيتَ في شيء من شعري ؟ قال : نعم ، قد غنّيت في ثلاثة أصوات من شعرك ، قال : هاتِ ما غنّيتَ ، فغنّيتُه[2] : [من البسيط]

صوت

بانَ الخَلِيطُ فما عاجوا ولا عَدَلوا   إذ ودّعوكَ وحنّت بالنوى الإبلُ
كأنّ فيهم غداةَ البَيْن إذ رَحَلوا   أَدْماءَ طاع لها الحَوْذانُ والنَّفَلُ

الغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش ؛ قال حبَش : وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر ، ولإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر ، فقال له : أحسنتَ والله يا غريض ، هاتِ ما غنّيتَ فيه أيضاً من شعري ، فغنّاه في قوله[3] : [من البسيط]

---

1 الأقحوانة : موضع قريب من مكّة .
2 شعر الحارث بن خالد : 79 .
3 شعر الحارث بن خالد : 60 .

صوت

يا ليتَ شعري وكم من مُنْية قُدِرتْ   وَفْقا وأُخرى أتى من دونها القَدَرُ
ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضجيعُ له   طــيَّ الحِمالةِ لا جـافٍ ولا فَقِرُ
لــه شَبيهان لا نَقْــصٌ يَعِيبهمـا   بحيث كانـا ولا طُــولٌ ولا قِصَرُ

لم أَعْرِف لهذا الشعر لحناً في شيء من الكتب ولا سمعتُه ، فقال له الحارث : أحسنت والله يا غريض ، إيهِ ، وماذا أيضاً ؟ فغنّاه قوله[1] : [من الكامل]

عَفَتِ الديارُ فمــا بهــا أهلُ   حُزّانُهــا ودِماثُهــا السهلُ
إنّي وما نحــروا غــداةَ مِنىً   عنــدَ الجِمار تؤدهــا العُقْلُ

الأبيات المذكورة وقد مضت نِسْبَتُها معها ، فقال له الحارث : يا غريض لا لومَ في حبّك ، ولا عذرَ في هجرك ، ولا لذّة لمن لا يروِّح قلبَه بك ، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكّةَ حظٌّ إلاّ أنتَ لكان حظّاً كافياً وافياً ، يا غريض إنّما الدنيا زينة ، فأَزْيَنُ الزينة ما فرّح النفسَ ، ولقد فَهِم قَدرَ الدنيا على حقيقته من فَهِم قَدْر الغناء .

[نقدت سكينة بنت الحسين بيتاً من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزبيريّ قال : أُنشِدتْ سُكَينة بنت الحسين قول الحارث بن خالد : [من الكامل]

ففرَغْن من سَبْع وقد جُهِدت   أحشاؤهــنّ موائــلَ الخُمْرِ

فقالت : أَحَسَنٌ عندكم ما قال ؟ قالوا : نعم ، فقالت : وما حُسْنُه ؟ فوالله لو طافت الإبل سَبْعاً لجُهِدت أحشاؤها .

[سئل عمّا يمنعه من عائشة بعد موت زوجها]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال : لمّا مات عمر بن عبد الله التَّيْميّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصعَب بن الزبير قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك الآن منها ؟ قال : لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أنّ نَسيبي بها كان لشيء من الباطل .

[تنازع هو وأبان بن عثمان ولاية الحجّ]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : لمّا خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان شُغِل عن أن يولِّيَ على الحجّ رجلاً ، وكان الحارث بن خالد عامِلَه على مكّة ، فخرج أَبانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها ، فغدا على الحارث بمكّة ليَحُجّ بالناس ؛ فنازَعه الحارث وقال له : لم يأتني كتابُ أمير

1 شعر الحارث بن خالد : 77- 78 .

المؤمنين بتَوْلِيتك على الموسم ، وتغالبا فغلبَه أبانُ بن عثمان بنسبه ، ومال إليه الناس فحجّ بهم ؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك[1] : [من الطويل]

فإن تَنْجُ منها يا أُبانُ مسلَّما فقد أفلت الحجّاجَ خيلُ شَبيبِ
وكاد غَداةَ الدّيرِ يُنفِذُ حِضْنَه غلامٌ بطعنِ القِرْن جِدُّ طبيبِ
وأَنْسَوْه وصفَ الدَّيْر لما رَآهُمُ وحسَّنَ خوفُ الموت كلَّ مَعيبِ

فَلَقِيَه الحجّاج بعد ذلك ، فقال : ما لي ولك يا حارث ! أَيُنازعك أبان عملاً . فتذكرَني ؟ فقال له : ما اعتمدتُ مَساءتك ولكن بلغني أنّك أنت كاتبتَه ، قال : والله ما فعلتُ ، فقال له الحارث : المعذرة إلى الله وإليك أبا محمد .

[قال هشام حين سمع شيئاً من شعره : هذا كلام معاين]

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات : حدّثني عمرو بن سلم قال حدّثني هارون بن موسى الفَرْوِيّ قال حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثني مؤدِّب لبني هشام بن عبد الملك قال : بَيْنا أنا أُلقي على ولد هشامٍ شعرَ قريشٍ إذ أنشدتُهم شعرَ الحارث بن خالد : [من الكامل]

إن امـرءاً تعتـادُه ذِكَـرٌ منها ثَلاثُ مِنىً لـذو صَبْرِ

وهشامٌ مُصْغٍ إليّ حتى ألقيتُ عليهم قولَه : [من الكامل]

ففرَغْنَ من سَبْع وقد جُهِدتْ أحشاؤهنّ موائـلَ الخُمْرِ

فانصرف وهو يقول : هذا كلامُ مُعاينٍ .

[شعره عندما قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني أبو عبد الله السَّدُوسيّ قال وحدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عبيدة قال : قدِمتْ عائشة بنت طلحة مكّةَ تريد العُمرة ، فلم يزل الحارث يدور حولها وينظر إليها ولا يُمكِنه كلامُها حتى خرجتْ ، فأنشأ يقول ، وذكر في هذه الأبيات بُسْرَةَ حاضِنَتَها وكَنى عنها[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا دارُ أَقْفَـرَ رسمُهـا بين المُحَصَّبِ والحَجُونِ
أَقْـوَتْ وغيَّر آيَهـا مَـرُّ الحوادثِ والسِّنينِ

---

1 شعر الحارث بن خالد : 46–47 .
2 شعر الحارث بن خالد : 106–107 .

واستبدلوا ظَلَف الحجا ... زَ وسُرَّةَ البلـــد الأمينِ
يا بُسْر إنّـــي فاعلمـــي ... باللهِ مجتهـــداً يَمينـــي
ما إن صَرَمتُ حبالكم ... فَصِلِي حبـالي أو ذَرِيني

في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ، قال: وفيها لابن مِسجَح ثقيلٌ أوّل، وذكر أحمد بن المكيّ أنّ فيها لابن سريج رملاً بالبنصر؛ فيها لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حَبَش.

[شبب بزوجته أم عبد الملك]

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني مُصْعَب بن عثمان بن مصعب بن عُروة بن الزُّبير، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزبان عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزُّبيريّ قال: كانت أُمُّ عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أُسِيد عند الحارث بن خالد، فولدتْ منه فاطمة بنت الحارث، وكانت قَبْلَه عند عبد الله بن مُطِيع، فولدت منه عِمران ومحمداً، فقال فيها الحارث وكنّاها بابنها عمران[1]: [من البسيط]

يا أمَّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحتْ ... بِيَ الصبابةُ حتى شفّني الشَّفَقُ
القلبُ تاقَ إليكم كي يُلاقِيَكم ... كما يتوقُ إلى مَنْجاتـــه الغَرِقُ
تُنِيل نَزْراً قليلاً وهي مُشْفِقةٌ ... كما يخافُ مَسِيسَ الحَيّةِ الفَرِقُ

قال مصعب بن عثمان: فأنشد رجلٌ يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مُطِيع هذا الشعر، ثم فَطِن فأمسك؛ فقال له: لا عليك، فإنّها كانت زوجته. وقال ابن المرزبان في خبره: فقال له: امضِ رحِمك الله وما بأس بذلك، رجلٌ تزوّج بنت عمّه وكان لها كفئاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ، فكان ماذا؟.

[شبّب بأمّ بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التَّميميّ عن أبي شُعَيْب الأسديّ عن القَحذَميّ قال: بينا الحارث بن خالد واقف على جمرة العَقَبة إذ رأى أمَّ بكر وهي ترمي الجمرة فرأى أحسنَ الناس وجهاً، وكان في خدّها خالٌ ظاهر، فسأل عنها فأُخْبِر باسمها حتى عرف رَحْلَها، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذَن له في الحديث، فأذِنتْ له، فكان يأتيها يتحدّث إليها حتى انقضت أيّامُ الحجّ، فأرادت الخروج إلى بلدها، فقال فيها[2]: [من الطويل]

1 شعر الحارث بن خالد: 72–73.
2 شعر الحارث بن خالد: 53–54 عن الأغاني.

ألا قُل لذاتِ الخال يا صاحِ في الخدِّ ... تدومُ إذ بانت على أحسن العَهْدِ
ومنها علاماتٌ بمجرى وِشاحها ... وأُخرى تَزين الجِيدَ من مَوْضِع العِقْدِ
وترعى من الوُدّ الذي كان بيننا ... فما يَستوي راعي الأمانةَ والمُبْدي
وقل قد وعدتِ اليوم وعداً فأَنْجزي ... ولا تُخْلِفِي ، لا خيرَ في مُخْلِف الوعدِ
وجُودِي عليّ اليومَ منكِ بنائل ... ولا تَبْخَلي ، قُدِّمتُ قَبْلَك في اللَّحدِ
فمن ذا الذي يُبدي السرورَ إذا دنت ... بِكِ الدارُ أو يُعْنى بنأيكمُ بعدي
دنوّكُمُ منّا رَخاءٌ نناله ... ونأيُكُمُ والبعدُ جَهْدٌ على جَهدِ
كثيرٌ إذا تدنو اغتباطي بك النّوى ... ووجدي إذا ما بِنْتُمُ ليس كالوجدِ
أقولُ ودمعي فوقَ خدّي مُخَضِّلٌ ... له وَشَلٌ قد بَلَّ تَهْتانُه خدّي
لقد منحَ اللهُ البخيلةَ وُدَّنا ... وما مُنِحتْ ودّي بدعوى ولا قَصْدِ

[شبّب بليلى بنت أبي مرّة لمّا رآها بالكعبة]

أخبرني محمد بن خلف قال وحُدّثت عن المدائنيّ ولست أحفظ من حدّثني به قال : طافت ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود وأمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بالكعبة ، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها[1] : [من الطويل]

أطافتْ بنا شمسُ النهار ومَنْ رأى ... من الناس شمساً بالعشاء تطوفُ
أبو أُمّها أوفى قريشٍ بذِمّةٍ ... وأعمامُها إمّا سألتَ ثَقِيفُ

وفيها يقول[2] : [من الطويل]

أَمِن طَلَلٍ بالجِزْع من مكّةَ السِّدرِ ... عفا بين أكناف المُشَقَّرِ فالحَضْرِ
ظَلِلتَ وظلَّ القومُ من غير حاجةٍ ... لَدُنْ غُدوةٍ حتى دَنَتْ حَزَّةُ العَصْرِ
يُبَكُّون من ليلى عهوداً قديمةً ... وماذا يُبَكِّي القومُ من منزلٍ قَفْرِ

الغِناء في هذه الأبيات لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكيّ ، وذكر غيره أنّه للغريض . وفي ليلى هذه يقول ، أنشدناه وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ للحارث بن خالد ، وفي بعض الأبيات غناءٌ[3] : [من الطويل]

---

1 شعر الحارث بن خالد : 71–72 .
2 شعر الحارث بن خالد : 66–67 .
3 شعره : 115–117 وتنسب هذه الأبيات أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة (ديوانه 95–96) .

صوت

لقـد أرسلتْ في السرِّ ليلى تلومني ... وتزعُمُنـي ذا مَلّـةٍ طَرِفـاً جَلْدا
وقـد أخلفتْنا كلَّ مـا وعَدتْ به ... وواللهِ مـا أخلفتُهـا عامـداً وعْدا
فقلتُ مُجيباً للرسولِ الذي أتى ... تُراه ، لكَ الوَيْلاتُ ، من قولها جدّا ؟
إذا جئتَها فاقْـرَ السلامَ وقُـلْ لها ... دَعِي الجَوْرَ ليلى واسلُكي مَنْهَجاً قَصْدا
أفي مُكْثِنـا عنكم ليـالٍ مَرِضتُها ... تَزِيدِينَنـي ليـلى على مَرضِـي جَهْدا
تَعُدِّيـن ذنبـاً واحـداً مـا جنيتُه ... علـيّ ومـا أُحصي ذنوبَكـمُ عَدّا
فإن شئتِ حرّمـتُ النساءَ سِواكُم ... وإن شئتِ لم أُطْعَم نُقاخاً ولا بَرْدا
وإن شئتِ غُرْنا بعدكم ثـم لم نزل ... بمكّةَ حتـى تَجْلِسي قابِـلاً نَجْدا

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . وذكر ابن المكيّ أنّ فيه لدَحمان ثاني ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيره . وفيه ثقيلٌ أوّلُ للأبجَر عن يونس والهشاميّ . وفيه لابن سريج رمل بالبنصر . ولعَرار خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ وحَبَش .

[غلبه أبان بن عثمان على الصلاة]

أخبرني محمد بن خَلَف قال أخبرني محمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ قال : كان الحارث بن خالد والياً على مكّة ، وكان أبان بن عثمان ربّما جاءه كتابُ الخليفة أن يُصَلِّي بالناس ويُقِيمَ لهم حَجّهم ، فتأخّر عنه في سنة الحرب كتابُه ولم يأتِ الحارث كتابٌ ، فلمّا حضر الموسم شخَص أبان من المدينة ، فصلّى بالناس وعاونَتْه بنو أُميّة ومَواليهم فغَلَب الحارث على الصلاة ، فقال : [من الطويل]

فإن تَنْجُ منها يـا أبانُ مسلَّماً ... فقد أفلتَ الحَجّاجَ خيلُ شَبيبِ

فبلغَ ذلك الحجّاج فقال : ما لي وللحارث ! أيغلِبُه أبان بن عثمان على الصلاة ويهتِف بي أنا ؟ ما ذِكْرُه إيّاي ؟ فقال له عبيد بن مَوهب : أتأذَن أيّها الأمير في إجابته وهجائه ؟ قال : نعم ؛ فقال عبيد : [من الطويل]

أبا وابِصٍ رَكِّب عَلاتَك والتَمِس ... مَكاسِبَهـا إن اللئيـمَ كَسوبُ
ولا تَذْكُـرِ الحجّـاجِ إلاّ بصالح ... فقد عِشْتَ من معروفه بذَنُوبِ[1]
ولستَ بـوالٍ مـا حيِيتَ إمارةً ... لُمستَخلَـفٍ إلاّ عليـك رقيـبُ

1 في هذا البيت إقواء .

[سأله عبد الملك عن أيّ البلاد أحبّ إليه فأجاب وقال شعراً]

قال المدائنيّ : وبلغني أنّ عبد الملك قال للحارث : أيّ البلاد أحبّ إليك ؟ قال : ما حسُنتْ فيه حالي وعُرِض وجهي ، ثم قال : [من الطويل]

لا كُوفــةٌ أُمّــي ولا بَصْــرةٌ أبي ⁂ ولستُ كمن يَثنيه عن وجهه الكَسَلْ

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[الغناء في شعره]

منها في تشبيب الحارث بامرأته أمّ عِمران : [من البسيط]

صوت

بــانَ الخَلِيطُ الذي كنّا بــه نَثِـقُ ⁂ بانــوا وقلبُــك مجنونٌ بهــم عَلِقُ
تُنِيـل نَـزْراً قليـلاً وهـي مُشْفِقـةٌ ⁂ كما يَخافُ مَسِيسَ الحَيّـة الفَرِقُ
يا أمّ عِمرانَ ما زالتْ وما بَرِحتْ ⁂ بيَ الصّبابـةُ حتـى شفّنـي الشَفَقُ
لا أعتَق اللهُ رِقّـي مـن صبابتكم ⁂ ما ضرّني أنّني صَـبٌّ بكـم قَلِقُ
ضحِكتِ عن مُرْهَفِ الأنياب ذي أُشُرٍ ⁂ لا قَضَـمٌ في ثنايــاه ولا رَوَقُ
يتـوقُ قلبـي إليكـم كي يلاقيَكم ⁂ كما يتـوقُ إلى مَنْجاتـه الغَرِقُ

غنّى ابن محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ، ولِسَلْسَل في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلق عن الهشاميّ ، ولابن سريج في الثاني والأوّل والرابع والخامس رمل بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وللهُذَليّ في الثاني ثم الأوّل هَزَج عن الهشاميّ . وذكر حَبَش أنّ فيها لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، ولابن مُحرِز ثاني ثقيل آخر بالبِنصر . وذكر الهشاميّ أنّ لابن سريج في الأبيات خفيف رمل .

وممّا يغنّى فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببُسْرة جاريتها[1] : [من الكامل]

صوت

يــا رَبْعَ بُسْرةَ بالجنابِ تَكَلَّمِ ⁂ وأَبِــنْ لنــا خبراً ولا تَسْتَعْجِمِ

---

1 شعر الحارث بن خالد : 97–98 عن الأغاني .

ما لي رأيتُك بعد أهلك مُوحِشاً ... خَلَقاً كَحَوْض الباقر المتهدِّمِ
تَسْبِي الضجيعَ إذا النجومُ تغوّرت ... طوعُ الضجيع أنيقةُ المتوسَّمِ
قُبُّ البطونِ أوانسٌ مثلُ الدُّمَى ... يَخْلِطنَ ذاك بعِفّةٍ وتكرُّمِ

الغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. والأبيات أكثر من هذه إلاّ أنّي اعتمدتُ على ما غُنِّيَ فيه.

ومنها صوتٌ قد جُمعتْ فيه عدّة طرائقَ وأصوات في أبياتٍ من القصيدة[1] : [من الكامل]

أعَرفتَ أطلالَ الرُّسوم تنكّرتْ ... بعدي وبُدِّل آيُهنّ دُثُورا
وتَبدّلتْ بعد الأنيسِ بأهلها ... عُفْراً بَواغِمَ يرْتَعِين وُعُورا
من كلّ مُصْبِية الحديثِ ترى لها ... كَفَلاً كرابية الكَثِيبِ وَثِيرا
دَعْ ذا ولكن هل رأيتَ ظَعائناً ... قَرَّبْن أجْمالا لهنّ بُكُورا
قَرّبنَ كلَّ مُخَيَّسٍ مُتَخَمِّلٍ ... بُزُلا تُشَبِّه هامَهنّ قُبُورا
يَفتِنّ لا يَأْلُون كلَّ مُغَفَّلٍ ... يملأنه بحديثهنّ سرورا
يا دارُ حسَّرها البلى تحسِيرا ... وسَفَتْ عليها الريحُ بعدك بُورا
دَقّ الترابُ نَخِيلُه فمخيِّم ... بِعِراصها ومُسَيَّر تَسْيِيرا
يا رَبْعَ بُسْرة إن أضرّ بكِ البِلى ... فلقد عهِدتُكَ آهلا معمورا
عَقَبَ الرّذاذُ خِلافَهم فكأنّما ... بسَط الشّواطِبُ بينهنّ حصيرا[2]
إنْ يُمسِ حبلُكِ بعد طولِ تواصُلٍ ... خَلَقاً ويُصبحْ بَيْتُكم مهجورا
فلقد أراني ، والجديدُ إلى بِلًى ، ... زمناً بوصلكِ قانعاً مسرورا
جَذِلاً بمالي عندكم لا أبتغي ... للنفسِ غيرَكِ خُلَّةً وعشيرا
كنتِ المُنَى وأعزَّ مَنْ وطِيء الحصا ... عندي وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

غنّى في الأوّل والثاني من هذه الأبيات معبد ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو ، مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض فيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو ، ولإسحاق فيهما ثاني ثقيل ، ولإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيفُ ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابن المكّيّ ، وغنّى الغريض في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى

1 شعر الحارث بن خالد : 60–63 .
2 الشواطب : جمع شاطبة ، وهي المرأة التي تشقّ الجريد لتعمل منه الحصير . بينهنّ في ل : فوقهنّ .

الوسطى عن إسحاق ، وغنّى معبدٌ في السابع والثامن والعاشر خفيفَ ثقيلٍ بالسبّابة والوسطى عن يحيى المّكيّ ؛ وفيها ثاني ثقيل يُنسَبُ إلى طُوَيْس وابن مِسجَح وابن سُرَيج ، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشَرَ والثاني عشر خفيف ثقيلٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكيّ ، وفيها بأعيانها لابن سريج رمل بالسبّابة والوسطى عن يحيى أيضاً ، وليحيى المكّيّ في الحادي عشر وما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثقيل ، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيل أوّل عن الهشاميّ ، وفيها لإسحاق رمل ، وفي الثالث والرابع لحنٌ لخُلَيْدةَ المكيّة خفيف رملٍ عن الهشاميّ أيضاً .

ومنها من أبيات قالها بالشام عند عبد الملك أوّلها[1] : [من البسيط]

هل تعرفُ الدارَ أضحت آيُها عُجُما ... كالرَّقِّ أجرى عليها حاذقٌ قَلَما
بالخَيْفِ هاجت شؤونا غيرَ جامدةٍ ... فانهلّت العينُ تُذْري واكفاً سَجِما
دارٌ لبُسرَةَ أمستْ ما تكلّمنا ... وقد أبنتُ لها لو تعرِفُ الكَلِما
واهاً لبُسرةَ لو يدنو الأميرُ بها ... يا ليتَ بُسرةَ قد أمست لنا أَمَما

صوت

حلَّتْ بمكّةَ لا دارٌ مُصاقِبة ... هيهاتَ جَيْرونُ ممّن يسكن الحَرَما
يا بُسرُ إنّكمُ شطَّ البِعادُ بكم ... فما تُنيلوننا وصلاً ولا نِعَما

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وفيهما ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر ، جميعاً من روايته : [من البسيط]

قد قُلتُ بالخَيفِ إذ قالت لجارتِها ... أدامَ وصلُ الذي أهدى لنا الكَلِما

صوت

[من البسيط]

لا يُرغِمُ اللهُ أنفاً أنتَ حاملُه ... بل أنفُ شانيك فيما سرّكم رَغِما
إن كان رابكِ شيء لستُ أعلمه ... منّي فهذي يميني بالرضى سَلَما
أو كنتُ أحببتُ شيئاً مثلَ حبِّكُمُ ... فلا أرحتُ إذاً أهلا ولا نَعَما
لا تكليني إلى من ليس يرحَمُني ... وقاكِ مَنْ تُبْغِضين الحتفَ والسَّقما
إن الوُشاةَ كثيرٌ إن أطعتِهمُ ... لا يرقُبون بنا إلا ولا ذِمَما

---

1 شعر الحارث بن خالد : 94– 96 .

غنّى ابن محرز في :

لا يُرغمُ اللهُ أنفاً أنت حاملُه

خفيف ثقيل بالبنصر ، ولابن مسجح فيه ثاني ثقيلٍ عن حبش ؛ وفي :

لا تكليني إلى من ليس يرحمني

لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حبشٍ والهشاميّ .

[أخّر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك]

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ قال : أذّن المؤذّنُ يوماً وخرج الحارثُ بن خالد إلى الصلاة ، فأرسلتْ إليه عائشة ابنة طلحة : إنّه بقي عليَّ شيءٌ من طوافي لم أتِمهُ ، فقعد وأمر المؤذّنين فكفّوا عن الإقامة وجعل الناس يصيحون حتى فرغَت من طَوافها ؛ فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فعزله وولّى مكّة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أسِيد ، وكتب إلى الحارث : ويلَكَ ، أتركت الصلاةَ لعائشة بنت طلحة ؟ فقال الحارث : والله لو لم تَقْضِ طوافَها إلى الفجر لما كَبَّرتُ ؛ وقال في ذلك[1] : [من الخفيف]

لم أُرَحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن … مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا
إنّ وجهاً رأيتُه ليلةَ البد … رِ عليه انثنى الجمالُ وحَلاّ
وجهُها الوجهُ لو يُسالُ به المُز … نُ من الحسنِ والجمالِ استهلاّ
إن عندَ الطَّوافِ حين أتته … لجَمالاً فَعْماً وخُلْقاً رِفَلاّ
وكُسين الجمالَ إن غِبنَ عنها … فإذا ما بدتْ لهنّ اضمحلاّ

[الغناء في شعره]

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلَّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه ، وهو : [من الخفيف]

صوت

أُثْلَ جُودِي على المتيّم أثلاَ … لا تزيدي فؤادَه بِكِ خَبْلا
أثلَ إنّي والراقصاتِ بجَمْع … يتبارَيْن في الأزمّة فُتْلا
سانحاتٍ يقطعن من عرفاتٍ … بين أيدي المطيّ حَزْنا وسَهلا
والأكفِّ المضمّرات على الرك … ـنِ بشُعْثٍ سعَوْا إلى البيت رَجْلى
لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتى … يُنقَلَ البحرُ بالغرابيلِ نقلا
أو تمرَّ الجبالُ مرَّ سحابٍ … مُرْتَقٍ قد وعَى من الماء ثِقلا

1 شعر الحارث بن خالد : 81–84 .

أنعمَ اللهُ لي بـذا الوجهِ عيناً ... وبـه مرحبـاً وأهلاً وسَهلا
حين قالت لا تفشِيَنَّ حديثي ... يا ابن عمّي أقسمت قلت أجلْ لا
اتّقي اللهَ واقبلي العـذرَ منّـي ... وتَجافَيْ عن بعض ما كان زَلاَّ
لا تُصـدّي فتقتُليـنـيَ ظُلماً ... ليس قتلُ المحـبِّ للحِـبِّ حِلاَّ
ما أكن سؤتُكم به فلك العُتـ ... ـبى لدينا وحَـقَّ ذاك وقَلاّ
لم أرحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن ... مرحبـاً أن رضيتِ عنّا وأهلا
إنّ شخصاً رأيتُـه ليلـة البد ... رِ عليـه انثنـى الجَمالُ وحلاَّ
جعـلَ اللهُ كلَّ أنثـى فـداءً ... لك بل خدَّها لرجلِك نعلا
وجهكِ البدرُ لو سألتُ به المز ... نَ من الحسنِ والجمالِ استهلاَّ

غنّى معبدٌ في الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، ولابن تَيْزن في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق ، ولابن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، ولدحمان في التاسع والعاشر والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو ، ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عَشَر لحنٌ ذكره يونس ولم يجنّسه ، ولابن سريج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو ، وللغريض فيها أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن ابن المكّيّ ، ولابن عائشة في الخامس إلى آخر الثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يذكر طريقته .

ومنها[1] : [من الوافر]

صوت

أَحَقّاً أنّ جيرتنـا استحبّـوا ... حُزُونَ الأرض بالبلدِ السَّخاخِ[2]
إلى عُقْـر الأباطـح من ثَبِير ... إلى ثـوْر فَمدْفَعِ ذي مُراخِ[3]
فتلك ديارُهـم لم يَبْقَ فيها ... سوى طللِ المُعَـرَّس والمُناخِ
وقد تَغْنى بهـا في الدار حُورٌ ... نَواعمُ في المجاسدِ كالإراخِ[4]

غنّى في هذه الأبيات الغريض ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشاميّ .

---

1 شعر الحارث بن خالد : 50–51 .
2 السخاخ : الأرض اللينة .
3 هذه جميعها جبال ومواضع بمكّة .
4 المجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن . والإراخ : بقر الوحش .

[جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلمّا سمعت شعر الحارث طابت به نفساً]

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلاّم قال : كانت سوداءُ بالمدينة مشغوفة بشعر عمر بن أبي ربيعة ، وكانت من مولّدات مكّة ، فلمّا ورد على أهل المدينة نَعْيُ عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتدّ عليهم ، وكانت السوداءُ أشدَّهم حزناً وتَسَلُّباً وجعلت لا تمرّ بسِكّة من سكك المدينة إلاّ ندبَتْه ، فلقيَها بعض فتيان مكّة ، فقال لها : خفّضي عليك ، فقد نشأ ابن عـمّ له يشبه شعرُه شِعرَه ، فقالت : أَنشِدني بعضه ، فأنشدها قوله : [من الكامل]

إنّي وما نحروا غَداةَ مِنىً عنـدَ الجِمارِ تؤودُها العُقْلُ

الأبيات كلّها ، قال : فجعلت تمسَح عينيها من الدموع وتقول : الحمد لله الذي لم يُضيِّع حَرَمه .

[ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله]

أخبرني اليزيديّ قال حدّثني عمّي (جَدُّ عُبَيد الله) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : ناضل[1] سليمان بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عَبْس ، فرمى الحارث بن خالد فأخطأ ورمى العَبْسيّ فأصاب ، فقال :

أنا نَضَلْتُ الحـارثَ بن خالدِ

ثم رمى العبسيّ فأخطأ ورمى الحارثُ فأصاب ، فقال الحارث :

حَسِبْتَ نَضْلَ الحارث بن خالدِ

ورَميا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارث ، فقال الحارث :

مَشْيَكَ بـين الزَّرْبِ والمَرابدِ[2]

ورَميا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارث ، فقال الحارث :

وإنّـك الناقـصُ غيرُ الزائـدِ

فقال سليمان : أقسمتُ عليك يا حارثُ إلاّ كفَفْتَ عن القولِ والرَّمْي فكَفّ .

1 جعلهما يتباريان في الرماية .

2 الزرب : موضع الغنم . والمربد : موضع الإبل .

[41] ـ أخبار الأَبجَر ونسبه

[اسم الأبجر وولاؤه]

الأَبجَر لقبٌ غلَب عليه ، واسمه عُبَيْد الله بن القاسم بن ضبية ، ويُكنى أبا طالب ، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق ، وروى هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه : أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبية ، وهو مولى لكِنانة ثم لِبَني بَكْر ، ويقال : إنّه مولى لِبَني لَيْث .

[نشأته]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويَهْ وهارون بن الزيّات قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال : كنّا يوماً جلوساً عند إسحاق ، فغنّتنا جارية يقال لها «سَمْحَة[1]» : [من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها مَرَضٌ قتَلْننا ثم لم يُحْيِـينَ قَتْلانا

فَهِبتُ إسحاق أن أسأله لِمن الغناء ، فقلت لبعض من كان معنا : سَلْه ، فسأله فقال له إسحاق : ما كان عهدي بك في شبيبتك لتسألنا عن هذا ، فقال : أحْبَبتُه لمّا أسْنَنتُ ، فقال : لا ولكنّ هذا النَّقْبَ عمَلُ هذا اللّص ، وضرب بيده إلى تَلابيبي ، فقال له الرجل : صدقتَ يا أبا محمد ، فأقْبَل عليّ فقال لي : ألم أَقُل لك إذا اشتهيتَ شيئاً فسَلْ عنه ، أما لأُعطِيَنَّك فيه ما تُعايِي به مَن شئتَ منهم ، أتدري لمن الشعر ؟ فقلت : لجرير ، فقال لي : والغناء للأبجر ، وكان مَدَنِيّاً مَنْشَؤه بمكّة ، أو مكيّاً منشؤه بالمدينة ، أتدري ما اسمه ؟ قلت : لا ، قال : اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية ، أتدري ما كنيته ؟ قلت : لا ، قال : أبو طالب ، ثم قال : اذهب فَعايِ بهذا مَن شئتَ منهم فإنّك تظفَر به .

[كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث]

وقال هارون : حدّثني حمّاد عن أبيه قال : الأَبجر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرّة أُخرى : عُبَيْد الله بن القاسم ، مولى لبني بكر بن كِنانة ، وقيل : إنّه مولى لبني ليث ، يُلقّب بالحَسْحاس .

---

1 ل : سميحةُ .

[ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه]

قال هارون : وحدّثني حمّاد عن أبيه قال حدّثني عَوْرَك اللّهبيّ قال : لم يكن بمكّة أحدٌ أظرفَ ولا أُسرى ولا أحسن هيئةً من الأبجر ، كانت حُلّته بمائة دينار وفرسُه بمائة دينار ومركَبُه بمائة دينار ، وكان يقف بين المأزِمَيْن[1] فيرفع صوته فيقِف الناس له يركَبُ بعضُهم بعضاً .

[احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، قالا : جلس الأبجر في ليلة اليوم السابع من أيّام الحَجّ على قريبٍ من التنعيم[2] فإذا عَسْكرٌ جَرّار قد أقبل في آخر الليل ، وفيه دوابُّ تُجْنَبُ وفيها فرسٌ أَدْهَمُ عليه سَرْجٌ حِلْيته ذهب فاندفع ، فغنّى : [من الطويل]

عَرَفتُ ديارَ الحـيّ خاليةً قَفْرا كأن بهـا لّمـا توهمتُها سَطْرا

فلمّا سمِعَه مَن في القِباب والمحامل أُمسكوا ، وصاح صائحٌ : ويحك ؛ أَعِد الصوت ، فقال : لا والله ، إلاّ بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار ، فإذا الوليد بن يزيد صاحبُ الإبل ، فنُودِيَ : أين منزلك ومَن أنت ؟ فقال : أنا الأبجر ومنزلي على باب زُقاق الخرّازين ، فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتَخْتٍ من ثياب وَشْي وغيرِ ذلك ، ثم أتى به الوليد فأقام عنده ، وراح مع أصحابه عشيّة التَّرْوِيَة وهو أحسنهم هيئة ، وخرج معه أو بعده إلى الشام .

[خرج معه إلى الشام]

قال إسحاق : وحدّثني عَوْرك اللّهبيّ أن خروجه كان معه ، وذلك في ولاية محمد ابن هشام بن إسماعيل مكّةَ ، وفي تلك السنة حَجّ الوليد ، لأنّ هشاماً أمره بذلك ليَهتِكه عند أهل الحَرَم ، فيجدَ السبيل إلى خلعه ، فظهر منه أكثر ممّا أراد به من التّشاغل بالمغنّين واللهو ، وأقبل الأبجر معه حتى قُتل الوليد ، ثم خرج إلى مصر فمات بها .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الطويل]

عَرَفْتُ ديارَ الحـيِّ خاليةً قَفْرا كأنّ بها لّمـا توهّمتُها سَطْرا

---

1 المأزمان : جبلان بمكّة .

2 التنعيم : موضع بمكّة .

وقفتُ بها كيما تَـرُدَّ جوابَهـا فما بيّنتْ لي الدارُ عن أهلِها خُبْرا

الغناء لأبي عبّاد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو ، وفيه لسِياط خفيفُ رملٍ بالبنصر .

[أخذ صوتاً من الغريض]

قال إسحاق : وحُدِّثتُ أنّ الأبجر أخذ صوتاً من الغريض ليلاً ثم دخل في الطواف حين أصبح ، فرأى عطاء بن أبي رَباح يطوف بالبيت ، فقال : يا أبا محمد ، اسمع صوتاً أخذتُه في هذه الليلة من الغريض ؛ قال له : ويحك ، أفي هذا الموضع ؟ فقال : كفرتُ بربِّ هذا البيتِ لئن لم تسمَعْه منّي سِرّاً لأُجهَرَنّ به ؛ فقال : هاته ، فغنّاه : [من الطويل]

صوت

عُوجِي علينـا ربّـةَ الهودَج إنّـكِ إلاّ تَفْعَلِـي تَحْرَجـي
إنّـي أُتيحـتْ لي يَمانِيّـةٌ إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبَـثُ حـولاً كامـلاً كلَّـه لا نلتقـي إلاّ عـلى مَنْهَـجِ
في الحجِّ إن حجّتْ وماذا مِنًى وأهلُـه إنْ هـي لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء : الخيرُ الكثيرُ واللهُ في مِنًى وأهلِهِ حجّت أو لم تحجّ ، فاذهب الآن . وقد مرّت نسبة هذا الصوت وخبره في أخبار العَرجيّ والغريض .

[ختن عطاء بنيه فغنّاهم ثلاثة أيام]

قال إسحاق : وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عبيد بن عُمير قال : ختَن عطاء بن أبي رَباح بنيه أو بني أخيه ، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيّام يغنّي لهم .

[نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما]

قال هارون بن محمد حدّثني حمّاد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبي نجيح بخطّه : حدّثني غُرَير بن طلحة الأرقميّ عن يحيى بن عِمران عن عمر بن حفص بن أبي كِلاب قال : كان الأبجر مولانا وكان مَكّيّاً ، فكان إذا قَدِم المدينة نزل علينا ، فقال لنا يوماً : أَسمِعوني غناءَ ابن عائشتِكم هذا ، فأرسلنا فيه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبّار فتغنّى ابن عائشة ، فقال الأبجر : كلّ مملوكٍ لي حرٌّ إن تَغَنّيتُ معك إلاّ بنصف صوتي ، ثم أدخل إصبعه في شِدقه فتغنّى ، فسمِع صوتَه مَن في السوق فحُشِر الناس علينا ، فلم يفترقا حتى تشاتما ؛ قال : وكان ابن عائشة حديداً[1] جاهلاً .

1 حديد : حاد الطبع .

[غنّى الوليد وقد عرف سرّه من خادمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال وحدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني القطرانيّ المغنّي عن محمد بن جبر عن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني ابن أشعب عن أبيه قال[1] : دُعِيَ ذات يوم المغنّون للوليد بن يزيد ، وكنت نازلاً معهم ، فقلت للرسول : خُذني فيهم ؛ قال : لم أُومَرْ بذلك وإنّما أُمِرتُ بإحضار المغنّين وأنت بَطّال لا تدخل في جملتهم ؛ فقلت : أنا والله أحسنُ غِناءً منهم ، ثم اندفعتُ فغنّيته ؛ فقال : لقد سمعتُ حَسَناً ولكنّي أخاف ؛ فقلت : لا خوفَ عليك ، ولك مع هذا شرطٌ ، قال : وما هو ؟ قلت : كلّ ما أصبته فلك شَطره ؛ فقال للجماعة : اشهدوا عليه ، فشهدوا ، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ النفس ، فغنّاه المغنّون في كلّ فنّ من خفيفٍ وثقيلٍ ، فلم يتحرّك ولا نَشِط ، فقام الأبجر إلى الخلاء ، وكان خبيثاً داهياً ، فسأل الخادمَ عن خبره ، وبأيٍّ سببٍ هو خاثر ؟ فقال : بينه وبين امرأته شرٌّ ، لأنّه عَشِق أختها فغضبت عليه فهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألاّ يذكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة ، وخرج على هذا الحال من عندها ؛ فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى اندفع فغنّى : [من الطويل]

صوت

فبِيني فإنّي لا أُبالي وأيقِني أصَعَّدَ باقي حبِّكم أم تَصَوَّبا
ألم تعلَمي أنّي عَزُوفٌ عن الهَوى إذا صاحبي من غير شيء تَغَضّبا

فطَرِب الوليد وارتاح وقال : أصبتَ يا عبيد والله ما في نفسي ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشَرِب حتى سكِر ، ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الأبجر ، فلمّا أيقنتُ بانقضاء المجلس وثَبْتُ فقلت : إن رأيتَ يا أمير المؤمنين أن تأمُرَ مَن يضربني مائةً الساعة بحضرتك ؛ فضحك وقال : قَبّحك الله ، وما السبب في ذلك ؟ فأخبرتُه بقصّتي مع الرسول وقلت : إنّه بَدَأني من المكروه في أوّل يومه بما اتّصل عليّ إلى آخره ، فأُريد أن أُضرَبَ مائةً ويُضرَب بعدي مثلَها ، فقال له : لقد لَطُفتَ ، أعطوه مائة دينار وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذها ؛ فقبضتُها وما حَظِيَ أحدٌ بشيء غيري وغيرَ الرسول .

والشعر الذي غنّى فيه الأبجر الوليد بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم ، والغناء للأبجر ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لغيره عدّة ألحان نُسبتْ .

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 66–67 (رقم 97) .

صوت[1]
من المائة المختارة من رواية جَحظة

[من الرمل]

حمــزةُ المبتــاعُ بالمــال الثَّنا ويَــرى في بَيْعه أنْ قـد غَبَنْ
فهــو إن أعطَى عطاء فاضلاً ذا إخــاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بمَــنّ
وإذا مــا سَنَــةٌ مُجْدِبَــة بَــرَتِ الناسَ كبَرْيِ بالسَّفَنْ[2]
كان للنــاسِ ربيعــاً مُغْدِقــاً ساقطَ الأكنافِ إن راحَ ارجَحَنّ
نُــور شَرقٍ بَيِّنٌ في وجهه لم يُصِب أثوابَــه لونُ الدَّرَنْ[3]

عروضه من الرمل ، الشعر لموسى شَهَوات . والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 انظر الأبيات في جمهرة نسب قريش 1 : 39 .
2 مجدبة في جمهرة النسب : مجحفة . السفن : قطعة خشناء تحكّ بها الصحف والسهام .
3 جمهرة النسب : نور صدق . . . لم يدنس ثوبه .

[42] ـ أخبار موسى شَهَوات ونسبُه
وخبرُه في هذا الشعر[1]

[نسبه]

هو موسى بن يَسار مولى قريش ، ويُختَلَف في ولائه فيقال : إنّه مولى بني سَهم ، ويقال : مولى بني تَيْم بن مُرّة ، ويقال : مولى بني عدِيّ بن كعب ؛ ويُكنى أبا محمد ، وشَهَوات لقبٌ غَلَب عليه .

وحدّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : إنّما لُقّب موسى شهوات لأنّه كان سَؤولاً مُلحِفاً ، فكان كلّما رأى مع أحد شيئاً يُعجبه من مالٍ أو مَتاع أو ثوب أو فرس[2] ، تباكى ، فإذا قيل له : ما لك ؟ قال : أشتهي هذا ؛ فسُمّيَ موسى شهوات . قال : وذكر آخرون أنّه كان من أهل أذْرَبِيجان وأنّه نشأ بالمدينة وكان يُجْلَب إليه القَنْدُ والسكّر ، فقالت له امرأة من أهله : ما يزال موسى يَجيئنا بالشهوات ؛ فغَلَبتْ عليه .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال : كان محمد بن يحيى يقول : موسى شَهَوات مولى بني عدِيّ بن كعب ، وليس ذاك بصحيح ، هو مولى تيم بن مُرّة . وذكر عبد الله بن شَبيب عن الحِزاميّ : أنّه مولى بني سَهْم .

وأخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خَيْثَمة عن مصعب ومحمد بن سلاّم قال : موسى شَهَوات مولى بني سَهْم .

[عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : هَوِيَ موسى شَهَوات جاريةً بالمدينة فاستُهِيم بها وساوم مولاها فيها فاستام بها عشرة آلاف درهم ، فجمع كلَّ ما يَملِكه واستماح إخوانَه فبلغ أربعة آلاف درهم ، فأتى إلى سعيد بن خالد العُثمانيّ فأخبره بحاله واستعان به ، وكان صديقه وأوثق الناس عنده ، فدافعه واعتلّ عليه فخرج من عنده ؛ فلمّا ولّى تمثّل سعيدٌ قول الشاعر : [من الوافر]

كتبتَ إليَّ تَستَهْدِي الجَواري ... لقد أنْعَظْتَ من بَلَدٍ بَعيدِ

---

1 أخبار موسى شهوات وشعره في جمهرة نسب قريش للزبير بن بكّار (تحقيق الأستاذ العلاّمة محمود محمد شاكر) 1 : 39 وما بعدها ، القاهرة ، 1381هـ .

2 ل : فرش .

[أتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن أُسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه]

فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسيد فأخبره بقصّته فأمر له بستّة آلاف درهم ، فلمّا قبَضَها ونهَض قال له : اجلِسْ ، إذا ابتعتها بهذا المال وقد أنفدت كلّ ما تَملِك فبأيّ حالٍ تعيشان ! ثم دفع إليه ألفيْ درهم وكُسوةً وطِيباً ، وقال : أُصلِحْ بهذا شأنكما ؛ فقال فيه : [من الطويل]

أبـا خالـدٍ أعني سعيدَ بن خالدٍ | أخا العُرْف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكنّني أعنـي ابـنَ عائشةَ الذي | أبـو أبَوَيْـه خالـدُ بـن أُسيدِ
عَقِيدُ الندى ما عاش يَرضى به النّدى | فإن مات لم يَرضَ النّـدى بعَقِيدِ
دَعُوهُ دعـوه إنّكم قـد رَقَدتُم | وما هـو عـن أحسابكـم برَقُودِ
قتلتَ أُناساً هكـذا في جلودهم | مـن الغيـظِ لم تقتُلْهـمُ بحديدِ

[رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجواً له فشكاه]

قال : فشكاه العثمانيّ إلى سليمان بن عبد الملك ؛ فأحضر موسى وقال له : يا عاضّ كذا وكذا ، أتهجو سعيدَ بن خالد ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما هجوتُه ولكنّي مدحتُ ابن عمّه فغضِب هو ، ثم أخبره بالقصّة ؛ فقال للعثمانيّ : قد صدَق ، إنّما نَسَبَ مَن مدحَه إلى أبيه ليُعرَف . قال : وكان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول : لَعَمْري والله ما أنت عن أحسابنا برَقود .

وأخبرني محمد بن عبد الله[1] اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عبيدة وقال فيه :

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه المُوتَةُ[2] في كلّ سنة ، فأرادوا عِلاجه ، فتكلّمتْ صاحبته على لسانه وقالت : أنا كريمة بنت مِلحان سيّدِ الجنّ ، وإن عالجتموه قتلتموه ، فوالله لو وجدتُ أكرم منه لَهوِيته .

أخبرني وكيع عن أبي حَمزة أَنَس بن خالد الأنصاريّ عن قبيصة بن عمر بن حَفص المهلّبيّ[3] عن أبي عبيدة قال حدّثني الحارث بن سليمان الهُجَيْميّ ، وهو أبو خالد بن الحارث المحدِّث ، قال : وكان عنده رؤبة بن العجّاج ، قال : شهِدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن

1 ل : محمد بن العباس .
2 الموتة : ضرب من الصرع .
3 ل : اللهبيّ .

عبد الملك وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتيتُك مُستَعْدِياً ، قال : ومَن بك ؟ قال : موسى شَهَوات ، قال : وماله ؟ قال : سَمّع بي واستطالَ في عِرْضي ، فقال : يا غلام ، عليّ بموسى فأُتني به فأُتيَ به ؛ فقال : ويلك ؛ أسمّعتَ به واستطلتَ في عِرضه ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكنّي مدحتُ ابن عمّه فغضِب هو ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : علِقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنها جِدَتِي[1] ، فأتيته وهو صديقي فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أُصِب عنده شيئاً ، فأتيتُ ابن عمّه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسيد فشكوتُ إليه ما شكوته إلى هذا ، فقال : تعود إليّ ، فتركته ثلاثاً ثم أتيته فسَهَّل من إذْني ، فلمّا استقرّ بي المجلس قال : يا غلام ، قل لقيِّمتي : هاتي ودِيعتي ، ففتح باباً بين بيتين وإذا بجارية ، فقال لي : أهذه بُغيتُك ؟ قلت : نعم فِداك أبي وأُمِّي ! قال : اجلس ثم قال : يا غلام ، قل لقيّمتي : هاتي ظَبية[2] نَفَقتي ، فأُتي بظبية فنثِرت بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها فـرُدّت في الظَّبْيـة ، ثـم قال : عَتِيدة طِيبي ، فأُتي بها ، فقال : مِلحَفَةَ فِراشي ، فأُتي بها ، فصَيّر ما في الظبية وما في العتيدة في حواشي المِلحفة ، ثم قال : شأنك بهواك واستعِن بهذا عليه ؛ فقال له سليمان بن عبد الملك : فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

[ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد]

[من الطويل]

أبا خالـدٍ أعْني سعيــدَ بن خالدٍ … أخا العُرف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكنني أعنـــي ابنَ عائشة الذي … أبـو أبويـــه خالـدُ بـن أسِيدِ
عقيدُ الندى ما عاش يرضَى به الندى … فإن مـاتَ لم يرضَ الندى بعَقيدِ
دَعُوهُ دعُــوهُ إنّكم قـد رقدتمُ … ومـا هـو عـن أحسابكم برَقودِ

فقال سليمان : عليّ يا غلام بسعيد بن خالد ، فأُتي به ، فقال : أحقٌّ ما وصفَك به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فأعاد عليه ، فقال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فما طوّقتك هذه الأفعال ؟ قال : دَيْنَ ثلاثين ألفَ دينار ؛ فقال له : قد أمرتُ لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثُلُث مثلها ، فحُمِلت إليه مائةُ ألف دينار ؛ قال : فلقيتُ سعيد بن خالد بعد ذلك فقلت له : ما فعلَ المالُ الذي وصلَكَ به سليمان ؟ قال : ما أصبحتُ والله أملِك منه إلاّ خمسين ديناراً ؛ قلت : ما اغتاله ؟ قال : خَلّةٌ من صديق أو فاقةٌ من ذي رَحِم .

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة عن مُصعب الزبيريّ ومحمد بن سَلاّم قال :

---

1 الجدة : اليسار والسعة .

2 الظبية : جراب صغير من جلد الظبي .

عشِق موسى شهوات جارية[1] بالمدينة فأُعطي بها عشرة آلاف درهم ؛ ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ ؛ وقال فيه : أما والله لئن مدحتَه وهو سَميُّك وأبوه سَميُّ أبيك ولم أُفرِّق بينكما ليقولنّ الناس : أهذا أم هذا ، ولكن والله لأقولنّ قولاً لا يُشَكّ فيه . وتمامُ هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها : [من الطويل]

فِدًى للكريمِ العَبْشَميِّ ابنِ خالد بَنِيّ ومالي طارِفي وتَلِيدي
على وجهه تلقى الأيامِنَ واسمِهِ وكُلُّ جَواري طيره بِسُعُودِ
أبان وما استغنى عن الثَّدْي خيرُه أبان به في المهد قبلَ قُعُودِ
دعوه دعوه إنّكم قد رقدتُمُ وما هو عن أحسابكم برَقودِ
ترى الجُنْد والجُنّابَ يَغشَوْن بابَه بحاجاتهم من سيّد ومَسُودِ[2]
فيُعطِي ولا يُعطَى ويُغشَى ويُجتدَى وما بابُه للمُجْتَدِي بسديدِ
قتلتَ أُناساً هكذا في جلودهم من الغيظِ لم تقتلهمُ بحديدِ
يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تَحِنْ مَناياهُمُ يوماً تَحِنْ بِحُقُودِ
فقل لبُغاة العُرْف قد مات خالدٌ ومات النّدَى إلاّ فُضُولَ سعيدِ

قال وكيع في خبره : أمّا قوله : «لا أعني ابن بنت سعيد» فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان أمِنةُ بنت سعيد بن العاصي ، وعائشة أمّ عَقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخُزاعيّة أخت طلحة الطَّلحات ، وأمُّها صَفِيّة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قُصَيّ ، وأمّ أبي عقيد الندى رَمْلة بنت معاوية بن أبي سفيان .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال : لّما أنشد موسى شهوات سليمانَ بن عبد الملك شعرَه في سعيد بن خالد قال له : اتّفق اسماهُما واسما أبوَيْهما ، فتخوّفتُ أن يذهب شعري باطلاً ففرّقت بينهما بأمّهما ، فأغضبه أنْ مدحتُ ابن عمّه ، فقال له سليمان : بَلى والله لقد هجوتَه وما خَفِي عليّ ولكنّي لا أجد إليك سبيلاً ، فأطلقه .

[مدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بشعر غنّاه معبد]

أخبرني وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا محمد بن مَسلمة الثقفيّ قال : قال موسى شهوات لمعبد : أأَمْدح حمزة بن عبد الله بن الزُّبير بأبيات

1 ل : مغنّية .
2 الجناب : الغرباء .

وتُغنّي فيها ويكون ما يُعطينا بيني وبينك ؟ قال : نعم ؛ فقال موسى : [من الرمل]

حمزةُ المبتاعُ بالمالِ الثَّنا ويَرى في بَيْعه أن قد غَبَنْ
فهو إن أعطى عَطاءً فاضلاً ذا إخاءٍ لم يُكدِّرْه بِمَنْ
وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفَةٌ بَرَتِ الناسَ كَبَرْيِ بالسَّفَنْ
حَسَرَتْ عنه نقيّاً عرضُه ذا بلاءٍ عند مُخْناها حَسَنْ
نُور صدقٍ بَيّنٌ في وجهه لم يُدَنِّسْ ثوبَه لونُ الدَّرَنْ
كنتَ للناسِ رَبيعاً مُغْدِقاً ساقطَ الأكنافِ إن راحَ ارجَحَنّ

قال أحمد بن زهير : وأوّلُ هذه القصيدة عن غير ابن سلاّم : [من الرمل]

شاقَني اليومَ حبيبٌ قد ظَعَنْ ففؤادي مُسْتَهامٌ مُرْتَهَنْ
إنّ هنداً تَيّمتني حِقْبَةً ثم بانتْ وهي للنفسِ شَجَنْ
فتنةٌ أَلْحَقَها اللهُ بنا عائذٌ بالله من شرِّ الفِتَنْ

[عارض فاطمة بنت الحسين لما زفّت إلى عبد الله بن عمرو]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني الطَّلْحيّ قال أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمران بن موسى بن طلحة قال : لما زُفَّت فاطمة بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، عارَضَها موسى شهوات : [من مجزوء الخفيف]

طَلْحَةُ الخيرِ جَدّكم ولخيرِ الفواطِمِ
أنتِ للطاهراتِ مِن فَرْعِ تَيْمٍ وهاشمِ
أرْتَجيكُمْ لنَفْعِكم ولدَفْعِ المظالِمِ

فأُمر له بكُسوةٍ ودنانير وطيبٍ .

[هجا داود بن سليمان لمّا تزوّج فاطمة بنت عبد الملك]

قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العَنَزيّ عن العُتبيّ قال : كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فلمّا مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه ، فقال في ذلك موسى شهوات : [من المتقارب]

أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز قَريعِ قريشٍ إذا يُذْكَرُ
تَزوّجْتِ داودَ مُخْتارةً أَلا ذلك الخَلَفُ الأَعْوَرُ

فكانت إذا سَخِطَتْ عليه تقول : صدق والله موسى ، إنّك لأنتَ الخَلَف الأعور ، فيشتُمُه داود .

[مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن لَقِيط قال: أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق، وكان فتًى جواداً سَمْحاً، فلمّا ركب وثَب إليه فأخذ بعِنان دابّته، ثم قال: [من الخفيف]

قم فصوِّتْ إذا أتيت دِمَشْقاً: يـا يزيدُ بنَ خالـدِ بن يزيدِ
يا يزيدُ بـن خالدٍ إن تُجِبْني يَلْقَني طائـري بنجمِ السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال له: كلّما شئتَ فنادِنا نُجِبْك.

[تزوّج بنت داود بن أبي حميدة]

أخبرنا وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب الزُّبيريّ قال: زُوِّج موسى شهوات بنتَ مولًى لمَعْن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له: داود بن أبي حُمَيدة، فلمّا جُلِيت عليه قال داود: ما للجَلْوة؟ فأنشأ يقول: [من الوافر]

تقول ليَ النساءُ غَداةَ تُجْلَى حميدةُ يا فتـى ما للجلاءِ
فقلتُ لهم سَمَرْقَنْدٌ وبَلْخٌ وما بالصين من نَعَمٍ وشاءِ
أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيراً وليثُ كريهـةٍ عندَ اللقاءِ

[هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه]

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب قال: قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيْطِب على موسى شهوات بقضيّة، وكان خالدُ بن عبد الملك استقضاه في أيّام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجوه: [من الطويل]

وجدتُك فَهّـاً في القضاء مُخَلِّطاً فقَدْتُك مـن قـاضٍ ومـن مُتأمِّرِ
فدَعْ عنك ما شيّدته ذات رخـة أذى الناس لا تَحْشُرْهُمُ كلَّ مَحْشَرِ

ثم وَلِيَ القضاءَ سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاريّ، فقال يمدحه: [من البسيط]

مَنْ سَرّه الحُكْمُ صِرفا لا مِزاجَ له من القُضـاة وعـدلٌ غيرُ مَغْمُوزِ
فليـأتِ دارَ سعيد الخَيْر إنَّ بها أمضى على الحقّ من سيف ابن جُرْمُوزِ

[هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة]

قال: وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوف، قد وليَ المدينة واشتدّ على السفهاء والشعراء والمغنّين، ولحِقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه، وكان قبيحَ الوجه، فقال موسى يهجوه: [من الخفيف]

قل لِسَعْدٍ وجهِ العجوز لقد كنـ ـتَ لِما قد أُوتِيتَ سعداً مخيلا
إن تكن ظالماً جهـولاً فقد كا نَ أبوك الأدْنى ظلوماً جهولا

وقال يهجوه : [من الخفيف]

لعـن اللهُ والعبادُ تُطَيْطَ الـ ـوجه لا يُرْتَجى قبيحَ الجِوارِ
يَتّقـي النـاسُ فحشه وأذاه مثلَ مـا يتّقون بـولَ الحِمارِ
لا تَغُرّنْك سَجْدَةٌ بـين عينيْـ ـه حَـذارِ منها ومنـه حَذارِ
إنّها سَجْدَةٌ بهـا يَخْدَعُ النا سَ ، عليها من سَجْدة بالدَّبارِ [1]

[مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان حين أعطاه]

أخبرني عمّي قال أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شَبيب قال : ذكر الحِزاميّ أنّ موسى شهوات سأل بعضَ آلِ الزبير حاجةً فدفعه عنها ، وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فبعث إليه بما كان التمسه من الزُّبيريّ من غير مسألة ؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد ، ثم أنشأ يقول : [من الخفيف]

ليس فيما بَدا لنا منك عيبٌ عابَـه النـاسُ غيرَ أنّك فاني
أنت نِعمَ المَتاعُ لو كنتَ تَبْقَى غيـرَ أنْ لا بقـاءَ للإنسانِ

والشعر المذكور فيه الغناء ، يقوله موسى شَهَوات في حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، وكان فتًى كريماً جواداً على هَوَجٍ كان فيه ، ووَلاّه أبوه العِراقَين وعَزَل مُصعباً لَمّا تزوّج سُكَيْنة بنت الحسين رضي الله عنه وعائشة بنت طلحة وأمهر كلَّ واحدٍ منهما ألفَ ألفِ درهم .

[سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعب الزُّبيريّ ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرّازيّ والحسين بن عليّ : قال عبيد الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ ، وقال الحسين حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة عن المدائني عن أبي مِخْنَف : أن أَنَسَ بن زُنَيْم اللّيْثيّ كتب إلى عبد الله بن الزبير : [من الكامل]

أبْلِغْ أميرَ المؤمنـين رسالـةً مِن ناصح لك لا يُريك خِداعا
بضَع الفتاةَ بألفِ ألفٍ كاملٍ وتَبيتُ قاداتُ الجيوش جِياعا
لـو لأبي حَفْصٍ أقولُ مَقالتي وأَبـثُّ مـا أبثتكـم لارتاعا

1 الدبار : الهلاك .

فلمّا وصلت الأبيات إليه جَزِع ثم قال : صَدَق والله ، لو لأبي حفصٍ يقول : إنَّ مُصعباً تزوّج امرأتين بألفيْ ألفِ درهم لارتاع ، إنّا بعثنا مصعباً إلى العراق فأغمد سيفَه وسَلّ أيره وسنَعْزِله ، فدعا بابنه حمزة ، وأمُّه بنت منظور بن زَبّان الفَزاريّ وكان لها منه مَحَلٌّ لطيف ، فولاّه البصرة وعزل مصعباً . فبلغ قوله عبد الملك في أخيه مصعب ، فقال : لكنّ أبا خُبَيب أغمد سيفَه وأيرَه وخَيْرَه .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : هذه الأبيات لعبد الله بن همّام السَّلُوليّ .

[عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه]

قالوا جميعاً : فلمّا ولي ابنه حمزة البصرة أساء السِّيرة وخَلّط تخليطاً شديداً ، وكان جواداً شجاعاً أهوج ، فوفدتْ إلى أبيه الوفود في أمره ، وكتب إليه الأحنف بأمره وما يُنكره الناس منه وأنّه يخشى أن تفسُد عليه طاعتهم ؛ فعزله عن البصرة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا المدائنيّ قال : لمّا قدِمَ حمزة بن عبد الله البصرة والياً عليها ، وكان جواداً شجاعاً مُخلِّطاً : يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملِكه إلاّ وَهَبه ويَمنع أحياناً ما لا يُمنع من مثله ، فظهرَتْ منه بالبصرة خِفّة وضَعف . ورَكِب يوماً إلى فَيْض البصرة ، فلمّا رآه قال : إنّ هذا الغدير إن رَفَقُوا به لَيَكْفيَنّهم صَيْفَتَهم هذه ، فلمّا كان بعد ذلك ركِب إليه فوافقه جازِراً فقال : قد رأيتُه ذاتَ يوم فظننتُ أن لن يكفيَهم ؛ فقال له الأحنف : إنّ هذه ماءٌ يأتينا ثم يَغِيض عنّا ثم يعود . وشَخَص إلى الأهواز فرأى جبلَها ؛ فقال : هذا قُعَيْقِعان ـ وقعيقعان : جبلٌ بمكّة ـ فلُقِّب ذلك الجبلُ بقُعَيقعان .

قال أبو زيد : وحدّثني غير المدائنيّ أنّه سَمِع بذكر الجبل بالبصرة ، فدعا بعامله فقال له : ابعث فأتنا بخَراج الجبل ؛ فقال له : إنّ الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه . وبعث إلى مَرْدانْشاه فاستحثّه بالخراج فأبطأ بـه ، فقام إليه بسيفه فقتله ؛ فقال له الأحنف : ما أَحَدَّ سيفك أيّها الأمير ! وهَمّ بعبد العزيز بن شبيب[1] بن خيّاط أن يضربه بالسِّياط ؛ فكتب إلى ابن الزُّبير بذلك وقال له : إذا كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرِف ابنَك عنها وأَعِد إليها مُصعباً ؛ ففعل ذلك . وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويَعِيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جَزَر : [من الكامل]

يا ابن الزُّبير بَعَثتَ حمزةَ عاملاً … يا ليتَ حمزةَ كان خلفَ عُمانِ
أزرى بِدَجْلةَ حين عَبّ عُبابُها … وتقاذفتْ بزواخرِ الطُّوفانِ

---

1 ل : بشير (بشر) .

[نفار النوار من الفرزدق والتجاؤها لابن الزبير]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عبيدة قال[1] : خَطَبَ النَّوارَ ابنة أعْيَن المُجاشِعِيّة رجلٌ من قومها ، فجعلت أمرَها إلى الفرزدق ، وكان ابن عمّها دِنْيةً ، ليزوّجها منه ، فأشهد عليها بذلك وبأنّ أمرَها إليه شُهوداً عُدُولاً ؛ فلمّا أشهدتْهم على نفسها قال لهم الفرزدق : فإنّي أُشْهِدكم أنّي قد تزوّجتُها ، فمنعته النَّوار نفسَها وخرجت إلى الحجاز إلى عبد الله بن الزُّبير ، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زَبّان ، وخرج الفرزدق فعاذَ بابنه حمزة ، وقال يمدحه[2] : [من البسيط]

يا حَمْز هَلْ لك في ذي حاجةٍ ، عَرَضتْ　　أنضاؤه بمكان غيرَ ممطورِ
فأنتَ أولى قُرَيشٍ أن تكونَ لها　　وأنت بين أبي بكرٍ ومنظورِ[3]

فجعل أمر النوار يقوى وأمر الفرزدق يضعُف ؛ فقال الفرزدق في ذلك : [من البسيط]

أمّا بَنُوه فلم تَنْفَعْ شَفاعتُهم　　وشُفِّعت بنتُ منظور بن زَبّانا
ليس الشفيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتَزِراً　　مثلَ الشفيع الذي يأتيك عُرْيانا

فبلغ ابنَ الزبير شعره ، ولَقِيَه على باب المسجد وهو خارجٌ منه فضَغَط حَلقه حتى كاد يقتله ، ثم خَلاّه وقال : [من الطويل]

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفَرَزْدقِ ناشِزاً　　ولو رَضِيتْ رُمحَ استِهِ لاستقرَّتِ

ثم دخل إلى النَّوار فقال لها : إن شئتِ فَرّقتُ بينِك وبينَه ثم ضربتُ عنقَه فلا يهجونا أبداً ، وإن شئتِ أمضيتِ نِكاحه فهو ابن عمّك وأقربُ الناس إليك ، وكانت امرأةً صالحةً ، فقالت : أَوَما غيرُ هذا ؟ قال : لا ؛ قالت : ما أُحِبّ أن يُقتَل ولكني أُمضِي أمرَه فلعلّ الله أن يجعل في كُرْهي إيّاه خيراً ؛ فمضتْ إليه وخرجتْ معه إلى البصرة .

[غنّى معبد حمزة بن عبد الله بشعره فأجازه]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ : أنّ حمزة بن عبد الله كان جواداً ، فدخل إليه معبد يوماً وقد أرسله ابنُ قَطَن مولاه يقترض له من حمزة ألفَ دينار فأعطاه الألف الدينار ، فلمّا خرج من عنده قيل له : هذا عبد ابن قَطَن وهو يروي فيك شعر موسى شَهَوات فيُحسِنْ روايته ، فأمر بردِّه فرُدَّ ، وقال له ما حكاه

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 192 وما بعدها (رقم 403) .
2 جمهرة نسب قريش : 40–41 (ستّة أبيات) .
3 أولى في الجمهرة : أحجى .

القوم عنه ، فغنّاه معبد الصوت فأعطاه أربعين ديناراً ؛ ولمّا كان بعد ذلك رَدّ ابنُ قَطَن عليه المال فلم يقبله ، وقال له : إنّه إذا خرج عنّي مالٌ لم يَعُد إلى ملكي . وقد رُوِي أنّ الداخلَ على حمزة والمخاطَبَ في أمره بهذه المخاطبة ابن سُرَيج ؛ وليس بذلك بِثَبَتٍ ، هذا هو الصحيح ، والغناء لمعبد .

[أنشد حمزة بن عبد الله شعراً وغنّاه إيّاه معبد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانيّ : أنّ موسى شهوات أملق ، فقال لمعبد : قد قلتُ في حمزة بن عبد الله شعراً فغنٍّ فيه حتى يكونَ أجزلَ لصلتنا ؛ ففعل ذلك معبد وغنّى في هذه الأبيات ، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى ثم غنّاه فيها مَعبد ، فأمَرَ لكلٍّ واحدٍ منهما بمائتي دينار .

[كان من شعراء الحجاز وكان خلفاء بني أميّة يحسنون إليه]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال : كان موسى شَهَوات مولًى لسليمان بن أبي خَيْثَمة بن حُذَيفة العدويّ ، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز ، وكان الخلفاء من بني أُميّة يحسِنون إليه ويُدِرُّون عطاءه وتَجيئه صِلاتهم إلى الحجاز .

[هجا داود بن سليمان بن مروان]

وكانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فلمّا مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان وكان دميماً قبيحاً ، فقال موسى شهوات في ذلك : [من المتقارب]

أبعد الأغرِّ ابنِ عبد العزيز قريـعِ قريشٍ إذا يُذكرُ
تزوّجتِ داودَ مختـارةً ألا ذلك الخلَفُ الأعورُ

فغلبَ عليه ذلك في بني مروان ، فكان يقال له : الخلفُ الأعورُ .

صوت
من المائة المختارة[1]

[من السريع]

عُوجـا خليليّ على المَحْضَرِ والربـعِ مـن سَلاّمة المُقْفِرِ
عُوجـا بـه فآستنطِقاه فقد ذَكَّرني مـا كنـتُ لم أذْكُرِ
ذَكّـرني سَلْمَـى وأيّـامَهـا إذ جاورتْنا بلـوى عَسْجَرِ

1 ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف . غابريلي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1967) : 39-40 .

بالربعِ من وَدّانَ مبدى لنا ومِحْوراً ناهيكَ مـن محورِ
في مَحْضَرٍ كنّا بـه نلتقـي يـا حبّـذا ذلك من محضَرِ
إذ نحـن والحيّ بـه جيرةٌ فيما مضى من سالفِ الأعصُرِ

الشعر للوليد بن يزيد ، وقيل : إنّه لعمر بن أبي ربيعة ، قيل : إنّه للعرجيّ ، وهو للوليد صحيح ، والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيف رمل بالبنصر في مجراها ، وفيه لِشارِيةَ خفيف رملٍ آخر عن ابن المعتزّ ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لَحَكمٍ الواديّ خفيف رملٍ أيضاً .

[عتب عمرو بن عثمان على زوجه سكينة بنت الحسين]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال : كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوّج سُكَينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنه ، فعَتَبَ عليها يوماً ، فخرج إلى مال له ، فذكر أشعب أنّ سكينة دعته فقالت له : إن ابنِ عثمان خرج عاتباً عليّ فاعلَمْ لي حالَه ، قلت : لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة ، فقالت : أنا أُعطيك ثلاثين ديناراً ، فأعطتني إيّاها فأتيتُه ليلاً فدخلتُ الدار ، فقال : انظروا مَن في الدار ، فأتوه فقالـوا : أشعب ، فنزل عن فرشه[1] وصار إلى الأرض فقـال : أُشعَيب ؟ قلـت : نعم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : أرسلتني سُكينة لأعلم خبرك ، أتذَكّرتَ منها ما تذكّرتْ منك ؟ وأنا أعلم أنّك قد فعلتَ حين نزلتَ عن فرشك وصرتَ إلى الأرض ، قال : دعني من هذا وغنّني : [من السريع]

عُوجَـا بـه فاستنطِقاه فقد ذكّرني مـا كنـتُ لم أذكُرِ

فغنّيته فلم يَطرَبْ ، ثم قال : غنّني ويحك غير هذا ، فإن أصبتَ ما في نفسي فلك حُلّتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلثمائة دينار ، فغنّيته : [من الخفيف]

صوت

عَلِقَ القلبَ بعضُ مـا قد شجاه مـن حبيبٍ أمسى هوانـا هواهُ
ما ضِرارِي نفسي بهِجرانِ مَنْ ليـ ـس مُسيئـاً ولا بعيـداً نـواهُ
واجتنابِي بيتَ الحبيبِ ومـا الخُلـ ـدُ بأشهـى إليّ مـن أن أراهُ

فقال : ما عدَوتَ ما في نفسي ، خُذ الحلّة ، فأخذتُها ورجعتُ إلى سكينة فقصصت عليها القصّة ، فقالت : وأين الحلّة ؟ قلت : معي ، فقالت : وأنت الآن تريد أن تلبس حلّة ابن عثمان ؟ لا والله ولا كرامة ، فقلت : قد أعطانيها ، فأيّ شيءٍ تُريدين منّي ؟ فقالت : أنا أشتريها منك ، فبعتُها إيّاها بثلثمائة دينار .

1 ل : عرشه .

الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للدارميّ خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنّه للهذليّ ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى .

[غاضب رجل جارية كان يهواها فغنّت مغنية من شعره فاصطلحا]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما ، واتّفق أنّ مغنيةً دخلت فغنتهما : [من الخفيف]

ما ضِراري نفسي بهِجران مَنْ ليـ ـس مُسيئاً ولا بعيـداً نـواهُ

فقالت الجارية : لا شيء والله إلاّ الحمقُ ، ثم قامت إلى مولاها فقبَّلَت رأسَه واصطلحا .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

يا ويحَ نفسي لو أنّه أقصَرْ ما كان عيشي كما أرى أكدَرْ
يا من عذيري ممّن كَلِفتُ به يشهـدُ قلبـي بأنّـه يَسْحَرْ
يا رُبَّ يـومٍ رأيتُنـي مَرِحـاً آخذُ في اللهـو مُسبِلَ المِئزرْ
بـين ندامـى تحُـثّ كأسَهمُ عليهمُ كـفُّ شادِنٍ أحـوَرْ

الشعر لأبي العتاهية والغناء لفريدةَ خفيفُ رمل بالبنصر .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين
الأستاذ بكر عباس

المجلد الرابع

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

4

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[43] ـ ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره[1]

سوى ما كان منها مع عتبة ، فإنّه أُفرد لكثرة الصنعة في تشبيبه بها ، وأنّها اتّسعت جدّاً فلم يصلح ذكرها هنا ، لئلاّ تنقطع المائة الصوت المختارة ، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

[اسمه ولقبه وكنيته ونشأته]

أبو العتاهية لقبٌ غلب عليه ، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كَيْسان ، مولى عَنَزة ، وكنيته أبو إسحاق . وأمّه أمّ زيد بنت زياد المُحاربيّ مولى بني زُهرة ؛ وفي ذلك يقول أبو قابوس[2] النصرانيّ وقد بلغه أنّ أبا العتاهية فضَّل عليه العتّابي : [من مجزوء الكامل]

قُــلْ لِلمُكَنّـي نفسَه ... مُتَخَيِّـراً بعَتاهِيــهْ
والمرسِلِ الكَلِمَ القبيـ ... ـحَ وعَتْـه أُذْنٌ واعيهْ
إن كنتَ سِرّاً سؤتَني ... أو كان ذاك عَـلانيهْ
فعليكَ لعنةُ ذي الجلا ... لِ وأُمُّ زيــدٍ زانيهْ

ومنشؤه بالكوفة . وكان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملةَ المخنّثين ، ثم كان يبيع الفَخّار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدّم .

[شاعريته]

ويقال : أطبع الناس بشّار والسيّد[3] وأبو العتاهية . وما قدَر أحدٌ على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته . وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليلَ التكلّف ، إلاّ أنّه كثير الساقط المرذول مع ذلك . وأكثر شعره في الزهد والأمثال . وكان قوم

1 ترجمة أبي العتاهية في الشعر والشعراء 675– 679 وطبقات ابن المعتزّ : 228 ومعاهد التنصيص 2 : 285 وشذرات الذهب 2 : 25 ووفيات الأعيان رقم 94 وتاريخ بغداد 6 : 25 والموشّح : 254 وانظر بروكلمان 2 : 34–36 وله ترجمة مهمّة أوردها ابن العديم في بغية الطلب استمدّها من عدّة مصادر بعضها لم يصلنا مثل المستنير في أخبار الشعراء للمرزباني وأخبار أبي العتاهية للآمدي وأخبار أبي العتاهية لابن عمّار . وهذه الترجمة نشرها إحسان عبّاس في مجلّة دراسات التي تصدر عن الجامعة الأردنية ، المجلّد 15 (7 : 70–91) 1988 وهي التي نشير إليها في الحواشي . وديوانه الذي نعتمده هنا هو الذي عني بجمعه وتحقيقه د . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965 وطبعة دار صادر ، 1964 . وقد أورد ابن حمدون في التذكرة نتفاً من أخباره وشعره في نحو ثلاثين فقرة .

2 ل : فارس .

3 يعني السيد الحميري .

من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممّن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجّون بأنّ شعره إنّما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشور والمَعاد . وله أوزان طريقة قالها ممّا لم يتقدّمه الأوائلُ فيها . وكان أبخَل الناس مع يَساره وكثرة ما جمعه من الأموال .

[كنيته]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال أخبرني محمد بن موسى بن حمّاد قال : قال المهديّ[1] يوماً لأبي العتاهية : أنت إنسانٌ مُتحذلِق مُعَتَّه[2] . فاستوتْ له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته ، وسارت له في الناس . قال : ويقال للرجل المتحذلق : عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل : شَناحِية . ويقال : أبو عتاهية ، بإسقاط الألف واللام .

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كُني بأبي العتاهية أنْ كان يحبّ الشهرة والمُجون والتعتُّه . وبلدُه الكوفة وبلد آبائه ، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه .

[قول ابنه إنّهم من عنزة]

قال محمد بن سَلاَّم : وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أنّ أصلَهم من عَنَزة ، وأنّ جَدّهم كَيْسان كان من أهل عَيْن التَّمْر ، فلمّا غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسان جَدُّهم هذا يتيماً صغيراً يكفُله قَرابةٌ له من عَنَزة ، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها ، فوجّه بهم إلى أبي بكر ، فوصلوا إليه وبحضرته عبّاد بن رِفاعة العَنَزيّ بن أسَد بن ربيعة بن نِزار ، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيُخبره كلٌّ واحد بمبلغ معرفته ، حتى سأل كَيْسان ، فذكر له أنّه من عَنَزة . فلمّا سمعه عبّاد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه ، وقد كان صار خالصاً له ، فوهبه له ؛ فأعتقه ، فتولّى عَنَزَة .

[استعداؤه مندل بن علي وأخاه على من سبه بأنّه نبطي]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن الحجَّاج الجَلاَّني الكوفيّ قال حدّثني أبو دُوَّيل مُصْعَب[3] بن دُوَّيل الجَلاَّني ، قال : لم أَرَ قطُّ مَنْدَل بن عليّ العَنَزيّ وأخاه حَيَّان[4] بن عليٍّ غضِبا من شيء قطُّ إلاّ يوماً واحداً ، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضَمَّخ بالدماء . فقالا له : ويحك ؛ ما بالك ؟ فقال لهما : من أنا ؟ فقالا له :

1 ابن العديم في دراسات : 49 (الفقرة 11) .
2 ل وابن العديم : مُتَعَتِّه .
3 ل وابن العديم : صعب .
4 ل وابن العديم : حبان ؛ وانظر الفقرة 9 من ابن العديم .

أنت أخونا وابن عمِّنا ومولانا . فقال : إنّ فلاناً الجزّار قتلني وضربني وزعم أنّي نَبَطِيّ ، فإن كنتُ نبطيّاً هربت على وجهي وإلاّ فقوما فخُذا لي بحقّي . فقام معه مندل بن عليّ وما تعلَّق نعله غضباً ؛ وقال له : والله لو كان حقُّك على عيسى بن موسى لأخذتُه لك منه ؛ ومرّ معه حافياً حتى أخذ له بحقّه .

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمر بن معاوية عن جُبارة [1] بن المُغَلِّس الحِمَّانيّ قال : أبو العتاهية مولى عَطاء بن مِحجن العَنَزيّ .

[صنعة أبي العتاهية وصنعة أهله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال قال أبو عَوْن أحمد بن المُنجِّم أخبرني خِيارٌ الكاتب قال : كان أبو العتاهية وإبراهيم الموصليّ من أهل المَذار [2] جميعاً ، وكان أبو العتاهية وأهلُه يعمَلون هذه الجِرار الخُضْر ، فقدما إلى بغداد ثم افترقا ؛ فنزل إبراهيم الموصليّ ببغداد ، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ . وذُكر عن الرِّياشيّ أنّه قال مثل ذلك ، وأنّ أبا أبي العتاهية نقله إلى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولاءُ أبي العتاهية من قِبَل أبيه لعَنَزة ، ومن قِبَل أُمّه لبني زُهرة ، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتبة بن أبي وَقّاص ، وكانت أُمّه مَولاةً لهم ، يقال لها أُمّ زيد .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن مَهْرُويَه قال : قال الخليل بن أسد : كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخَزّاف . وكان أبوه حجّاماً من أهل ورجة ؛ ولذلك يقول أبو العتاهية [3] : [من الطويل]

أَلا إنّما التَّقْوى هــو العزّ والكَرَمْ ... وحُبُّك للدّنيا هــو الفقــر والعَدَمْ

وليس عــلى عبــدٍ تَقِــيٍّ نقيصةٌ ... إذا صحّح التّقوى وإن حاك أو حَجمْ

[فاخره رجل من كنانة]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال : جاذب رجلٌ من كِنانةَ أبا العتاهية في شيء ، ففخَر عليه الكِنانيّ واستطال بقوم من أهله ؛ فقال أبو العتاهية : [من الرجز]

دَعْنِيَ من ذِكْـر أبٍ وجَدِّ ... ونَسَبٍ يُعْلِيكَ سُورَ المجدِ

---

1 ل : محمد بن معاوية عن جنادة بن المغلّس .

2 المذار : بين واسط والبصرة .

3 ابن العديم في دراسات : 52 (الفقرة 17) .

ما الفخرُ إلاّ في التُّقى والزُّهدِ وطاعةٍ تُعطي جِنان الخُلْدِ
لا بُدَّ من وِرْدٍ لأهلِ الوِردِ إمّـا إلى ضَحْلٍ وإمّـا عِدٍّ[1]

[آراؤه الدينية]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال : كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد ، وأنّ الله خلق جوهرين متضادّين لا من شيء ، ثم إنّه بَنى العالَم هذه البِنْية منهما ، وأنّ العالَم حديثُ العين والصّنعة لا مُحدِثَ له إلاّ اللهُ . وكان يزعم أنّ الله سيردُّ كلَّ شيء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفْنى الأعيانُ جميعاً . وكان يذهب إلى أن المعارف واقعةٌ بقَدْر الفكر والاستدلال والبحث طِباعاً . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ، ويتشَيّع بمذهب الزّيدية البُتْريّة المبتدِعة ، لا يتنقَّص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان . وكان مُجَبِّراً .

[مناظرته لثمامة بن أشرس]

قال الصُّولي : فحدّثني يموت بن المُزَرِّع قال حدّثني الجاحظ قال : قال أبو العتاهية لثُمامة بين يـدَي المأمـون ، وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الإجبار : أسألك عن مسألة . فقال له المأمون : عليك بشعرك . فقال : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمرَه بإجابتي ؛ فقال له : أجبْه إذا سألك . فقال : أنا أقول : إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرّك يدي هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها . فقال له ثُمامة : حرّكها مَنْ أُمّه زانية . فقال : شتمني والله يا أمير المؤمنين . فقال ثمامة : ناقض الماصُّ بَظْر أُمّه والله يا أمير المؤمنين ؛ فضحك المأمون وقال له : ألم أقل لك أن تَشْتَغِل بشِعرك وتدعَ ما ليس من عملك ! قال ثمامة : فلقيني بعد ذلك فقال لي : يا أبا مَعْن ، أما أغناك الجواب عن السَّفَه ؟ فقلت : إنّ من أتمِّ الكلامِ ما قطع الحجّة ، وعاقبَ على الإساءة ، وشَفى من الغيظ ، وانتصَر من الجاهل .

قال محمد بن يحيى وحدّثني عَون بن محمد الكِنْدِيّ قال : سمعتُ العبّاس بن رُسْتُم يقول : كان أبو العتاهية مُذَبْذَباً في مذهبه : يعتقد شيئاً ، فإذا سمع طاعِناً عليه ترك اعتقاده إيّاه وأخذ غيره .

[اعترض عليه أبو الشمقمق في ملازمة المخنّثين]

حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني ابن أبي الدنيا قال حدّثني الحسين بن عبد ربّه قال حدّثني عليّ بن عبيدة الرَّيحانيّ قال حدّثني أبو الشَّمقمق : أنّه رأى أبا العتاهية يحمل زاملةَ المُخَنَّثين ، فقلت له : أمِثْلُك يضع نفسه هذا الموضعَ مع سِنّك وشعرك وقدرك ؟ !

1 العد : الماء الجاري .

فقال له : أُريد أن أتعلَّم كِيادَهم ، وأتحفّظ كلامهم .

[حاوره بشر بن المعتمر في صنعة الحجامة]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بِشْر بن المُعْتَمِر قال يوماً لأبي العتاهية : بلغني أنّك لمّا نَسَكْتَ جلستَ تحجُم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذلك كان ؟ قال نعم . قال له : فما أردتَ بذلك ؟ قال : أردتُ أن أضع من نفسي حَسَبَما رفعتْني الدنيا ، وأضعَ منها ليسقُط عنها الكِبْر ، وأكتسِب بما فعلتُه الثواب ، وكنت أحجِم اليتامى والفقراء خاصّة . فقال له بشر : دَعني من تذليلك نفسَك بالحِجامة ؛ فإنّه ليس بحُجّة لك أن تؤدّبها وتُصلِحها بما لعلّك تُفسد به أمرَ غيرك ؛ أُحبّ أن تُخبرني هل كنتَ تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجُمه إلى إخراج الدم ؟ قال لا . قال : فهل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كلّ واحد منهم إلى أن يُخرجه على قَدْر طبعه ، ممّا إذا زدتَ فيه أو نقصتَ منه ضَرّ المحجومَ ؟ قال لا . قال : فما أُراك إلاّ أردتَ أن تتعلّم الحِجامة على أَقْفاء اليتامى والمساكين !

[أراد حمدويه صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال حدّثنا العبّاس بن رُسْتَم قال : كان حَمدُويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ، ففزع من ذلك وقعَد حجّاماً .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه قال : قال أبو دِعامة عليّ بن يزيد : أُخبر يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نَسَك ، وأنّه جلس يحجُم الناس للأجر تواضعاً بذلك . فقال : ألم يكن يبيع الجِرار قبل ذلك ؟ فقيل له بلى . فقال : أما في بَيْع الجِرار من الذُّلّ ما يكفيه ويَسْتَغني به عن الحجامة ؟

[جوابه عن خلق القرآن]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني شيخ من مشايخنا قال حدّثني أبو شُعَيب صاحب ابن أبي دُواد قال : قلت لأبي العتاهية : القرآن عندك مخلوقٌ أم غير مخلوق ؟ فقال : أسألتَني عن الله أم عن غير الله ؟ قلت : عن غير الله ، فأمسك . وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجواب ، حتى فعل ذلك مراراً . فقلت له : ما لك لا تُجيبني ؟ قال : قد أجبتُك ولكنّك حمار .

[أوصافه وصناعته]

أُخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثني محمد بن موسى قال[1] : كان أبو العتاهية قَضِيفاً ، أبيض اللون ، أسود الشعر ، له وَفْرة جَعدة ، وهيئة حسنة ولَباقة وحَصافة ،

1 صفة أبي العتاهية في ابن العديم – دراسات : 50 (الفقرة 5) .

وكان له عَبيد من السُّودان ، ولأخيه زيدٍ أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخَزَف في أَتُّون لهم ؛ فإذا اجتمع منه شيء أَلْقَوْه على أجير لهم يُقال له أبو عباد اليزيديّ من أهل طاق الجِرار بالكوفة ، فيبيعه على يديه ويردّ فضلَه إليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو ؛ وسُئل عن ذلك فقال : أنا جرّار القوافي ، وأخي جَرّار التّجارة .

قال محمد بن موسى : وحدّثني عبد الله بن محمد قال حدّثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عِجْل قال : أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداث والمتأدّبون فيُنشِدُهم أشعاره ، فيأخذون ما تكسّر من الخَزَف فيكتبونها فيها .

[كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابيّ]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني عون بن محمد الكِنديّ قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ قال : لمّا هاجى أبو قابوس النصرانيّ كُلثوم بن عمرو العَتّابيّ ، جعل أبو العتاهية يشتُم أبا قابوس ويَضع منه ، ويُفَضِّل العَتّابيّ عليه ؛ فبلغه ذلك فقال فيه : [من مجزوء الكامل]

قُــلْ للمُكَنِّــي نفسَه مُتخيِّــراً بعتــاهيةْ
والمرسِلِ الكَلِـمَ القبيـ ـحَ وعَتْه أُذْنٌ واعيهْ
إن كنتَ سرّاً سؤتَني أو كان ذاك عَلانيـهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلا لِ وأُمّ زيــدٍ زانيـهْ

يعني أُمَّ أبي العتاهية ، وهي أُمّ زيد بنت زياد ، فقيل له : أتشتُم مسلماً ؟ فقال : لم أشْتُمه ، وإنّما قلت :

فعليك لعنــةُ ذي الجلا لِ ومَــنْ عَنَيْنــا زانيهْ

[هجاه والبة بن الحباب]

قال : وفيه يقول والِبَةُ بن الحُباب وكان يُهاجيه : [من الخفيف]

كان فينا يُكْنى أبا إسحاقِ وبها الرّكْبُ سارَ في الآفاقِ
فتكنّــى مَعْتُوهُنــا بعَتــاهٍ يــا لهـا كُنْيَةً أتت باتّفاقِ
خلقَ اللهُ لِحْيةً لك لا تنـ ـفكّ معقودةً بداء الحُلاقِ

[قصّته مع النوشجاني]

أخبرنا محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا النُّوشَجانيّ قال : أتاني البوّاب يوماً فقال لي : أبو إسحاق الخزّاف بالباب ؛ فقلت : ائْذَن له ، فإذا أبو العتاهية قد دخل . فوضعت بين يديه قِنْوَ مَوْزٍ ؛ فقال : قد صِرْتَ تقتل العلماء بالموز ، قتلتَ أبا عُبيدة

بالموز ، وتريد أن تقتلني به ! لا والله لا أذوقه . قال : فحدّثني عُروة بن يوسف الثَّقَفيّ قال : رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُّوشَجانيّ في شِقّ مَحْمِل مُسَجًّى ، إلاّ أنّه حيّ ، وعند رأسه قِنْوُ موز وعند رجليه قِنْوُ موز آخر ، يُذهَب به إلى أهله . فقال النُّوشَجانيّ وغيرُه : لمّا دخلنا عليه نعوده قلنا : ما سبب عِلّتك ؟ قال : هذا النُّوشَجانيّ جاءني بمَوز كأنّه أُيُور المساكين ، فأكثرتُ منه ، فكان سبب عِلّتي . قال : ومات في تلك العِلّة .

[رأي مصعب بن عبد الله في شعره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ مُصْعَب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعرُ الناس . فقلت له : بأيّ شيء استحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله[1] : [من الهزج]

تَعَلّقتُ بآمالِ ... طِوالٍ أيِّ آمالِ
وأقبلتُ على الدّنيا ... مُلِحّاً أيَّ إقبالِ
أيا هذا تَجَهَّزْ لـ ... ـفراق الأهل والمالِ
فلا بدَّ من الموتِ ... على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هذا كلامٌ سهلٌ حقٌّ لا حشو فيه ولا نُقصان ، يعرِفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل .

[استحسن الأصمعيّ بعض شعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال : سمعتُ الأصمعيّ يستحسن قول أبي العتاهية[2] : [من مجزوء الرمل]

أنتَ ما استغنيتَ عن صا ... حبك الدهرَ أخوه
فإذا احتجتَ إليه ... ساعةً مجّك فُوه

[سلم الخاسر يعتبره أشعر الجنّ والإنس]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ إملاءً قال حدّثني عمّي الفَضْل بن محمد قال حدّثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُوريّ قال[3] : أتيتُ سَلْماً الخاسِر فقلت له : أنشِدني لنفسك . قال : لا ، ولكن أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبي العتاهية ، ثم أنشدني قوله[4] : [من المديد]

1 ديوان أبي العتاهية : 305 (رقم 316) .
2 البيتان في بخلاء الجاحظ : 166 .
3 قارن بابن العديم – دراسات : 50 (الفقرة 14) .
4 ديوان أبي العتاهية : 361 (رقم 368) .

صوت

سَكَنٌ يبقى لـه سَكَنُ   مـا بهـذا يُؤذِن الزَّمنُ
نحـن في دارٍ يُخبِّرنـا   ببِلاهـا ناطـقٌ لَسِنُ
دار سَوء لم يَـدُمْ فَرَحٌ   لامرىءٍ فيها ولا حَزَنُ
في سبيـلِ اللهِ أنفسُنا   كلُّنا بالمـوتِ مُرتَهنُ
كلُّ نفسٍ عنـد مِيتَتِهـا   حظُّها من مالها الكَفَنُ[1]
إنّ مـالَ المرء ليس لـه   منـه إلاّ ذكـرُه الحسنُ

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني رجل من أهل البصرة أُنسِيتُ اسمَه ، قال حدّثني حَمدون بن زيد قال حدّثني رجاء بن مَسلمة قال : قلت لسَلْم الخاسر : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : إن شئتَ أخبرتك بأشعر الجنّ والإنس . فقلت : إنّما أسألك عن الإنس ، فإن زدتَني الجنَّ فقد أحسنتَ . فقال : أشعرُهم الذي يقول : [من المديد]

سَكَنٌ يبقى له سَكنُ   مـا بهذا يُؤذِن الزّمنُ

قال : والشعر لأبي العتاهية .

[أثنى جعفر بن يحيى على شعره ووافقه الفراء]

حدّثني اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفَضْل قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا يحيى بن زِياد الفَرّاء قال : دخلتُ على جعفر بن يحيى فقال لي : يا أبا زكريّا ، ما تقول فيما أقول ؟ فقلت : وما تقول أَصْلَحك الله . قال : أزعمُ أنّ أبا العتاهية أَشعرُ أهلِ هذا العصر . فقلت : هو والله أشعرُهم عندي .

[أثنى آخرون على شعره]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني جعفر بن النَّضْر الواسِطيّ الضَّرير قال حدّثني محمد بن شِيرَوَيْه الأنْماطيّ قال : قلت لداود بن زيد بن رَزِين الشاعر : مَن أشعرُ أهلِ زمانه ؟ قال : أبو نُواس . قلت : فما تقول في أبي العتاهية ؟ فقال : أبو العتاهية أشعرُ الإنسِ والجنّ .

أخبرني الصوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال ، قال الزُّبير بن بكّار : أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحّاك ، قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العُمَريّ : أشعرُ الناس أبو العتاهية حيث يقول : [من الكامل]

---

1 الديوان : كلّ حيّ عند ميتته . . . حظّه .. .

ما ضَرّ مَنْ جَعل التُّرابَ مِهادَه ألاّ ينامَ على الحريـرِ إذا قَنِعْ

صَدَق والله وأَحْسن .

[مهارته في الشعر]

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حَرْب قال حدّثني المعلَّى بن عثمان قال : قيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردتُه قطّ إلاّ مَثَل لي ، فأقول ما أُريد وأترُك ما لا أُريد .

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني ابن مهرويَهْ قال حدّثني رَوْح بن الفرج الحِرمازيّ قال : جلستُ إلى أبي العتاهية فسمعتُه يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامي كلَّه شِعراً لفعلتُ .

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال : قال محمد بن أبي العتاهية[1] : سُئل أبي : هل تَعْرِف العَروض ؟ فقال : أنا أكبر من العروض . وله أوزانٌ لا تدخل في العَروض .

[نظم شعراً للرشيد وهو مريض فقربه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا أبو عِكرمة قال : حُمّ الرشيدُ ، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برُقعة فيها[2] : [من المنسرح]

لـو عَلِم الناسُ كيف أنت لهم ماتـوا إذا ما أَلِمْـتَ أَجْمَعُهـمْ

خليفـةَ الله أنـت ترجَحُ بالنّـ ـاس إذا ما وُزِنتَ أنت وهُـمْ

قد عَلِم الناسُ أنّ وجهَك يَسـ ـتَغْنِي إذا مـا رآه مُعدِمُهـمْ

فأنشدها الفضلُ بن الربيع الرشيد ؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية ، فما زال يُسامره ويُحدّثه إلى أن بَرِىء ، ووَصل إليه بذلك السبب مالٌ جليلٌ .

[إعجاب ابن الأعرابيّ به]

قال : وحُدّثتُ أنّ ابن الأعرابيّ حَدّث بهذا الحديث ؛ فقال له رجل بالمجلس : ما هذا الشعر بمُستحق لِما قلتَ . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّه شعر ضعيف . فقال ابن الأعرابيّ ، وكان أحَدَّ الناس : الضعيف والله عقلُك لا شعر أبي العتاهية ، أَلأَبي العتاهية تقول : إنّه ضعيف الشعر ؟ فوالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه ، وما أحسبُ مذهبَه إلاّ ضَرْباً من السحر ، ثم أنشد له[3] : [من الكامل]

1 أفرد المرزباني ترجمة لمحمد بن أبي العتاهية في معجم الشعراء : 377 وأورد له مقطوعة .

2 ديوان أبي العتاهية (طبعة دار صادر) : 406 .

3 ديوان أبي العتاهية : 280 (رقم 295) وهي 47 بيتاً .

قطَّعتُ منك حَبائِـلَ الآمال وحَطَطتُ عن ظَهْر المَطِيّ رِحالي
ووجدتُ بَرْد اليأس بين جَوانحي فأَرَحْتُ من حَلٍّ ومن تَرْحالِ
يا أيُّها البَطِرُ الذي هو من غدٍ في قبـره متمـزِّقُ الأَوْصالِ
حذَف المُنَى عنه المُشَمِّرُ في الهُدى وأرى مُنـاك طَويلـةَ الأذيالِ
حِيَلُ ابن آدم في الأمورِ كثيرةٌ والموتُ يَقْطَـعُ حيلـةَ المُحتالِ
قِستُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً من كلِّ عارفةٍ جَرَتْ بسؤالِ
فإذا ابتُلِيتَ بِبَذْلِ وجهك سائلاً فابذُلْـه للمُتَكَـرِّم المِفْضالِ
وإذا خَشِيتَ تَعَـذُّراً في بلدةٍ فاشدُدْ يَدَيْك بعاجِل التَّرحالِ
واصْبِرْ على غِيَر الزَّمـان فإنّما فَرَجُ الشَّدائدِ مثلُ حَـلِّ عِقالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يُحسِنُ أنْ يقول مثلَ هذا الشّعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلني الله فداءَك ؛ إنّي لم أَرْدُدْ عليك ما قلتَ ، ولكنّ الزهدَ مذهبُ أبي العتاهية ، وشعرُه في المديح ليس كشعره في الزُّهد . فقال : أَفلَيْس الذي يقول في المديح[1] : [من الطويل]

وهارونُ ماءُ المُزْن يَشْفى به الصَّدى إذا ما الصَّدِي بالرِّيق غَصَّتْ حَناجِرُهْ
وأَوْسَطُ بيـتٍ في قريش لَبيتُـه وأوّلُ عِـزٍّ في قـريش وآخِـرُهْ
وزَحْفٍ له تَحكِي البروقَ سيوفُه وتَحكي الرعودَ القاصفاتِ حوافِرُهْ
إذا حَمِيتْ شمسُ النَّهارِ تضاحكتْ إلى الشّمس فيـه بَيْضُه ومَغافِرُهْ
إذا نُكِبَ الإسلامُ يومـاً بنَكْبَةٍ فهارونُ مِـن بـين البَرِيّةِ ثائِرُهْ
ومَنْ ذا يفوتُ الموتَ والموتُ مُدرِكٌ كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافِرُهْ

قال : فتخلّص الرجل من شرّ ابن الأعرابيّ بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ سمِعتُ له مثلَ هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

[قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حيّ]

حدّثني محمد قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني ابن الأعرابيّ المُنَجِّم قال حدّثني هارون بن سَعْدان بن الحارث مولى عَباد قال : حضرتُ أبا نُواس في مجلسٍ وأنشد شعراً . فقال له مَنْ حضَر في المجلس : أنت أشعرُ الناس . قال : أمّا والشيخُ حيّ فلا . (يعني أبا العتاهية) .

1 تكملة الديوان : رقم 96 (ص 540) .

[أنشد لثمامة شعره في ذمّ البخل فاعترض على بخله]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : قال ثمامة بن أُشْرَس أنشدني أبو العتاهية[1] : [من الطويل]

إذا المرءُ لم يُعْتِقْ من المالِ نفسَه تملّكه المالُ الذي هو مالِكُهْ
ألا إنّما مالي الذي أنا مُنفِقٌ وليس ليَ المالُ الذي أنا تارِكُهْ
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي يَحِقّ وإلاّ استهلَكتْه مَهالِكُهْ

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله ﷺ : «إنّما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبْلَيْتَ ، أو تصدّقت فأمضَيْتَ» . فقلت له : أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسول الله ﷺ وأنّه الحقّ ؟ قال نعم . قلت : فلِم تحبِس عندك سبعاً وعشرين بدْرَةً في دارك ، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزَكّي ولا تُقَدِّمها ذُخْراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا مَعن ، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ ، ولكنّي أخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس . فقلت : وبِمَ تَزيد حالُ مَنِ افتقر على حالك ، وأنت دائمُ الحِرْص دائمُ الجَمْع ، شحيحٌ على نفسك ، لا تشتري اللحمَ إلاّ من عِيد إلى عيد ؟ فترك جوابَ كلامي كلّه ، ثم قال لي : والله لقد اشتريتُ في يوم عاشوراء لحماً وتوابِلَه وما يتبعه بخمسة دراهم . فلمّا قال لي هذا القول أضحكني حتّى أُذهلني عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمت أنّه ليس ممّن شرَح الله صدره للإسلام .

[حكايات في بخله]

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن المهديّ قال قال الجاحظ : حدّثني ثُمامة قال : دخلتُ يوماً إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خُبزاً بلا شيء . فقلت : كأنّك رأيته يأكل خُبزاً وحده ؛ قال : لا ؛ ولكنّي رأيته يتأدّم بلا شيء . فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيت قُدّامه خبزاً يابساً من رِقاقٍ فَطيرٍ وقَدَحاً فيه لبنٌ حليبٌ ، فكان يأخُذ القطعة من الخبز فيغمِسها من اللبن ويُخرجها ولم تتعلّق منه بقليل ولا كثير ؛ فقلت له : كأنّك اشتهيتَ أن تتأدّم بلا شيء ، وما رأيتُ أحداً قبلك تأدّم بلا شيء .

قال الجاحظ : وزعم لي بعضُ أصحابنا قال : دخلتُ على أبي العتاهية في بعض المتنزّهات ، وقد دعا عَيّاشاً صاحب الجسر وتهيّأ له بطعام[2] ، وقال لغلامه : إذا وضعتَ قُدّامهم الغداء فقدّم إليّ ثَريدةً بخلّ وزيت . فدخلت عليه ، وإذا هو يأكل منها أكل مُتكمّش

1 ديوان أبي العتاهية : 276 في الحاشية عن الأغاني (طبعة دار صادر : 317) .
2 ل : وهيأ له غداء .

غير مُنكر لشيء . فدعاني فمددت يدي معه ، فإذا بثريدة بخلّ وبِزْر بدلاً من الزيت . فقلت له : أتدري ما تأكل ؟ قال : نعم ثريدةً بخلٍّ وبِزْر . فقلت : وما دعاك إلى هذا ؟ قال : غَلِط الغلام بين دبّة الزيت ودبّة البِزْر ؛ فلمّا جاءني كَرِهت التجبُّر وقلت : دُهنٌ كدهن ، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئاً .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عبد الله بن عطيّة الكوفيّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخُزَيْميّ ، وكان جارَ أبي العتاهية ، قال : كان لأبي العتاهية جارٌ يلتقط النَّوى ضعيفٌ سيِّيء الحال متجمِّل له بناتٌ[1] فكان يمرّ بأبي العتاهية طَرَفَي النهار ؛ فيقول أبو العتاهية : اللهمّ أَغْنِه عمّا هو بسبيله ، شيخٌ ضعيف سيّيءُ الحال له بنات متجمّل ، اللهمّ أَعِنْه ، اصنع له ، بارِك فيه . فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نَحْواً من عشرين سنة . ولا والله إنْ تصدّق عليه بدرهم ولا دانِق قطّ ، وما زاد على الدعاء شيئاً . فقلت له يوماً : يا أبا إسحاق إنّي أراك تُكثر الدعاءَ لهذا الشيخ وتزعم أنّه فقير معيلٌ[2] ، فلِمَ لا تتصدّق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة ، والصدقة آخِر كسب العبد ، وإنّ في الدعاء لخيراً كثيراً .

قال محمد بن عيسى الخُزَيْميّ هذا : وكان لأبي العتاهية خادمٌ أسود طويل كأنّه مِحراك أتُّون ، وكان يُجري عليه في كلّ يوم رغيفين . فجاءني الخادم يوماً فقال لي : والله ما أشبع . فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّي ما أَفْتُر من الكدّ وهو يُجري عليّ رغيفين بغير إدام . فإن رأيتَ أن تكلّمه حتى يزيدني رغيفاً فتؤجَر ؛ فوعدتُه بذلك . فلمّا جلستُ معه مَرّ بنا الخادم فكَرِهتُ إعلامَه أنّه شكا إليّ ذلك ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، كم تُجري على هذا الخادم في كلّ يوم ؟ قال رغيفين . فقلت له : لا يَكفِيانه . قال : من لم يَكفِه القليل لم يكفه الكثير ، وكلّ من أعطى نفسه شهوتها هلكَ ، وهذا خادم يدخل إلى حُرَمي وبناتي ، فإن لم أُعَوِّده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي . فمات الخادم بعد ذلك فكفّنه في إزار وفراش له خَلَقٍ . فقلت له : سبحان الله ؛ خادمٌ قديم الحُرمة طويل الخدمة واجبُ الحقّ ، تكفّنه في خَلَق ، وإنّما يكفيك لـه كفن بدينار ؛ فقال : إنّه يصير إلى البِلَى ، والحيُّ أولى بالجديد من الميّت . فقلت له : يرحمك الله يا أبا إسحاق ! فلقد عوّدته الاقتصاد حيّاً وميّتاً .

قال محمد بن عيسى هذا : وقف عليه ذات يوم سائلٌ من العَيَّارين الظُّرفاء وجماعةٌ من جيرانه حوله ، فسأله مِن بين الجيران ؛ فقال : صنع الله لك ، فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانية ، فأعاد عليه ثالثةً فردّ عليه مثل ذلك ؛ فغضب وقال له : ألستَ القائل : [من المديد]

---

1 طبعة الدار : عليه ثياب .

2 طبعة الدار : مُقلّ .

كلُّ حَــيٍّ عند مِيتته حظُّه مِن ماله الكفنُ

ثم قال : فبالله عليك أتريد أن تُعِدَّ مالَك كلَّه لثمن كفنك ؟ قال لا . قال : فبالله كم قَدّرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير . قال : فهي إذاً حظُّك من مالك كلّه . قال نعم . قال : فتصدّق عليّ من غير حظّك بدرهم واحد . قال : لو تصدّقت عليك لكان حظّي . قال : فاعمل على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير وضيعته[1] قيراط ، وادفع إليّ قيراطاً واحداً ، وإلاّ فواحدة أُخرى . قال : وما هي ؟ قال : القبور تحفر بثلاثة دراهم ، فأعطني درهماً وأُقيم لك كفيلاً بأنّي أحفِر لك قبرك به متى مُتّ ، وتربح درهمين لم يكونا في حُسبانك ، فإن لم أحتفر رددتُه على وَرَثَتك أو ردّه كفيلي عليهم . فخجِل أبو العتاهية وقال : اعزُب لعنك الله وغضب عليك ؛ فضحك جميع مَن حضر . ومرّ السائل يضحك ؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال : من أجل هذا وأمثالِه حُرّمت الصدقة . فقلنا له : ومَن حرّمها ومتى حُرّمت ؟ فما رأينا أحداً ادّعى أنّ الصدقة حُرّمت قبله ولا بعده .

قال محمد بن عيسى هذا : وقلت لأبي العتاهية : أتُزَكّي مالَك ؟ فقال : والله ما أُنفق على عيالي إلاّ من زكاة مالي . فقلت : سبحانَ الله ! إنّما ينبغي أن تُخرِج زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين . فقال : لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقرُ منهم .

[سئل عن أحكم شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : قال سليمان بن أبي شيخ قال إبراهيم بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهية : أيُّ شعرٍ قلتَه أَحْكم ؟ قال قولي : [من الرجز]

عَلِمتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسْعَدَهْ أنّ الشّبابَ والفَراغَ والجِدَهْ
مَفْسَدَةٌ للمرء أيُّ مَفْسدهْ

[عاتب عمرو بن مسعدة]

أخبرني عيسى قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال :. كان مُجاشِع بن مَسعدة أخو عمرو بن مَسعدة صديقاً لأبي العتاهية ، فكان يقوم بحوائجه كلِّها ويُخلص مودّته ، فمات ، وعرضت لأبي العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[2] : [من الطويل]

1 الوضيعة : حطّ شيء من أصل الثمن وتسمّى أيضاً «الحطيطة» .

2 ديوان أبي العتاهية : في الزيادات رقم 44 ورواية البيت الثاني فيه :

ومن عجب الأيّام أن باد من يفي ومــن كنت ترعاني لــه وبقيتـا

غَنِيتَ عـن العهـدِ القديمِ غَنِيتا وضَيَّعـتَ وُدّاً بيننـا ونَسِيتـا
ومِن عَجَبِ الأيّام أن مات مأْلَفي ومَـن كُنتَ تَغْشاني بـه وبَقِيتا

فقال عمرو : استطال أبو إسحاق أعمارنا وتوعّدنا ، ما بعد هذا خيرٌ ، ثم قضى حاجته .

[فارق أبا غزية في المدينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال : كان أبو العتاهية إذا قدِم من المدينة يجلس إليّ ؛ فأراد مرّة الخروج من المدينة فودّعني ثم قال : [من الخفيف]

إنْ نَعِشْ نجتمعْ وإلاّ فما أُشْـ ـغلَ مَنْ مات عن جميع الأنامِ

[طالبه غلام من التجار بمال فأخجله بشعر]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن إسحاق العُذْريّ قال : كان لبعض التُّجّار من أهل باب الطّاق على أبي العتاهية ثمنُ ثياب أخذها منه . فمرّ به يوماً ، فقال صاحب الدكان لغلام ممّن يخدمه حسن الوجه : أُدرِك أبا العتاهية فلا تُفارقه حتى تأخذ منه مالنا عنده ؛ فأدركه على رأس الجِسر ، فأخذ بعنان حماره ووقَفَه . فقال له : ما حاجتُك يا غلام ؟ قال : أنا رسولُ فلان ، بعثني إليك لآخذ ما له عليك . فأمسك عنه أبو العتاهية ؛ وكان كلُّ مَن مَرّ فرأى الغلام متعلّقاً به وقف ينظر ، حتى رضي أبو العتاهية جمع الناس وحفلَهم ، ثم أنشأ يقول[1] : [من مجزوء الكامل]

واللهِ ربِّـك إنّنـي لأُجِلُّ وجهَك عن فِعالِكْ
لـو كان فِعلُك مثلَ وجـ ـهِك كنتُ مُكْتفياً بذلكْ

فخجل الغلام وأُرسل عِنان الحمار ، ورجع إلى صاحبه ، وقال : بعثتَني[2] إلى شيطان جمع عليَّ الناس وقال فيَّ الشعر حتى أخجلني فهربتُ منه .

[حجبه حاجب عمرو بن مسعدة]

أخبرني أحمد بن العبّاس قال حدّثنا العَنَزيّ قال قال إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التَّيميّ : حدّثني إبراهيم بن حَكِيم قال : كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مسعدةٍ لودٍّ كان بينه وبين أخيه مُجاشع . فاستأذن عليه يوماً فحُجِب عنه ، فلزِم منزله . فاستبطأه عمرو ؛ فكتب إليه : إنّ الكسل يمنعني من لقائك ؛ وكتب في أُسفل رقعته[3] : [من المنسرح]

---

1 تكملة الديوان : رقم 221 (صادر : 321) .
2 ل : أرسلتني .
3 تكملة الديوان : رقم 217 .

كَسَّلني اليأسُ منكْ عنك فما أرفعُ طَرْفي إليك من كَسَلِ
إنّي إذا لم يكن أخي ثِقة قطَّعتُ منه حبائلَ الأملِ

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النَّحويّ قال : استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فحُجب عنه ؛ فكتب إليه[1] : [من المنسرح]

ما لك قد حُلْتَ عن إخائك واسـ ـتبدلت يا عمرُو شيمةً كَدِرةْ
إنّي إذا البابُ تاه حاجبُه لم يَكُ عندي في هَجْره نَظِرَةْ
لَسْتُمْ تُرَجَّوْنَ للحِساب ولا يومَ تكونُ السماءُ مُنفطِرةْ
لكنْ لدنيا كالظلّ بهجتُها سريعةُ الإنقضاءِ مُنْشمِرَةْ
قد كان وجهي لديك معرفةً فاليومَ أضحى حَرْفاً من النَّكِرةْ

[قصيدته في هجو عبد الله بن معن]

أخبرني محمد بن القاسم الأَنباريّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال : كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن مَعن بن زائدة تمثّل قول أبي العتاهية : [من السريع]

أختُ بني شَيْبان مرّتْ بنا مَمْشوطةً كُوراً على بَغْلِ

وأوّل هذه الأبيات[2] : [من السريع]

يا صاحِبَيْ رَحْليَ لا تُكْثِرا في شَتْم عبد الله من عَذْلِ
سبحانَ من خَصَّ ابنَ معنٍ بما أرى به من قِلّة العَقْلِ
قال ابنُ مَعْنٍ وجَلا نفسَه على مَنِ الجَلْوةُ يا أهْلي
أنا فتاةُ الحيّ من وائلٍ في الشَّرَف الشّامخ والنُّبْلِ
ما في بَني شَيبانَ أهلِ الحِجا جاريةٌ واحدةٌ مثلي
وَيْلي ويا لَهْفي على أَمْرَدٍ يُلْصِق منّي القُرْط بالحِجْلِ
صافحتُه يوماً على خَلْوةٍ فقال دَعْ كفي وخُذْ رِجْلي
أختُ بني شيبانَ مرَّتْ بنا ممشوطةً كُوراً على بَغْلِ
تُكْنَى أبا الفضل ويا مَنْ رأى جاريةً تُكْنَى أبا الفضلِ

---

1 تكملة الديوان : رقم 102 عن الأغاني .
2 تكملة الديوان : رقم 210 عن الأغاني (صادر : 381) .

قــد نَقَّطتْ في وجهها نُقطةً مَخافـةَ العـين مـن الكُحْلِ
إن زُرتموها قـال حُجَّابُها نحـن عــن الزُّوَّار في شُغْلِ
مولاتُنــا مشغولـةٌ عندهــا بَعْــل ولا إذنَ عــلى البَعْلِ
يـا بنتَ مَعْنِ الخيرِ لا تجهَلي وأيــن إقصارٌ عــن الجهــلِ
أتَجْلـدُ النــاسَ وأنــت امرؤٌ تُجْلَـد في الدُّبْــر وفي القُبْلِ
مــا ينبغي للنّاسِ أن يَنسُبُوا مَنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخلِ
يَـبذُلُ مــا يمنع أهـلُ الندى هـذا لعَمْـري مُنتهـى البَذْلِ
ما قلتُ هـذا فيك إلاّ وقد جَفّتْ بــه الأقلامُ من قَبْلي

قال : فبعث إليه عبد الله بن مَعْن ، فأتي به ؛ فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه وقال له : قد جزَيْتُك على قولك فيّ ، فهل لك في الصُّلح ومعه مركبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب ؟ قال : بل الصلح . قال : فأسمِعني ما تقوله في الصلح ؛ فقال[1] : [من مجزوء الرمل]

مــا لعُــذّالي وما لي أمــروني بالضّــلالِ
عذَلـوني في اغْتِفـاري لابــن مَعْــنٍ واحتمالي
إن يكن مــا كان منه فبِجُرمــي وفِعــالي
أنـا منــه كنــتُ أسوا عِشْرةً في كلِّ حــالِ
قل لِمن يَعْجَب من حُسـ ـنِ رُجوعــي ومَقالي
رُبَّ وُدٍّ بعــد صَــدٍّ وهــوى بعـد تَقــالي
قــد رأينـــا ذا كثيراً جاريــاً بــين الرّجالِ
إنّمــا كانــتْ يمينــي لَطَمَــتْ منّــي شِمالي

[أحبّ سعدى التي كان يحبّها ابن معن ثم هجاها]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى اليزيديّ قال حدّثنا أبو سُوَيد عبد القَويّ بن محمد بن أبي العتاهية ومحمد بن سعد قالا : كان أبو العتاهية يَهوى في حَداثته امرأةً نائحة من أهل الحِيرة لها حُسن وجمال يقال لها سُعدى ؛ وكان عبد الله بن مَعْن بن زائدة المُكنّى بأبي الفضل يَهواها أيضاً ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اتّهمها أبو العتاهية بالنِّساء ، فقال

1 تكملة الديوان : رقم 211 عن الأغاني (صادر : 382) .

فيها[1] : [من الطويل]

أَلا يا ذَواتِ السَّحْق في الغرب والشّرقِ ... أَفِقْنَ فإنّ النَّيْك أَشْفى من السَّحْقِ
أفِقنَ فإنّ الخبز بالأُدم يُشتَهى ... وليس يَسُوغُ الخبزُ بالخُبزِ في الحَلْقِ
أَراكُنَّ تَرقَعن الخُروقَ بمثلها ... وأيُّ لبيبٍ يرقَعُ الخَرْقَ بالخَرْقِ
وهل يصلحُ المِهراسُ إلاّ بعُوده ... إذا احْتِيج منه ذاتَ يوم إلى الدَّقِّ

[أهاجيه في ابن معن]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الغَلابيّ قال حدّثني مَهْديّ بن سابق قال : تهدّد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوّفه ونهاه أن يَعْرِض لمولاته سُعدى ؛ فقال أبو العتاهية[2] : [من الهزج]

أَلا قُلْ لابن معنٍ ذا الذ ... ي في الوُدّ قد حالا
لقد بُلِّغتُ ما قال ... فما باليتُ ما قالا
ولو كان من الأُسْدِ ... لَما صال ولا هالا[3]
فصُغْ ما كنتَ حلَّيتَ ... به سَيْفَك خَلْخالا
وما تصنَع بالسيف ... إذا لم تَكُ قَتّالا
ولو مَدّ إلى أُذْنيـ ... ـه كَفَّيه لما نالا
قَصيرُ الطُّولِ والطِّيلـ ... ـةِ لا شَبّ ولا طالا[4]
أرى قومَك أبطالا ... وقد أصبحتَ بطّالا

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني سليمان المدائنيّ قال : احتال عبد الله بن معن على أبي العتاهية حتى أُخِذ في مكان فضربه مائةَ سَوْط ضرباً ليس بالمبرِّح غَيْظاً عليه ، وإنّما لم يَعْنُفْ في ضربه خوفاً من كثرة من يُعنى به ؛ فقال أبو العتاهية يهجوه[5] : [من مجزوء الخفيف]

جَلَدَتْني بكَفِّها ... بنتُ معنِ بن زائدهْ

1 تكملة الديوان : رقم 165 .
2 تكملة الديوان : رقم 194 (صادر : 380) .
3 صال في الديوان : راع .
4 الديوان : قصير الطَّول والطُّول فلا . . . .
5 تكملة الديوان : رقم 69 عن الأغاني .

جَلدتنــي فأُوجعــتْ　　بأبــي تِلــك جالدهْ
وتَراها مــع الخَصِيّ　　على البــاب قاعدهْ
تَتَكَنّى كُنــى الرجــا　　لِ بِعَمْــدٍ مُكــايدهْ
جلدَتْنــي وبالغــتْ　　مائــةً غيــرَ واحدهْ
اجْلدينــي واجْلِـدي　　إنّمــا أنــتِ والــدهْ

وقال أيضاً[1] :　　[من الخفيف]

ضربَتْني بكَفِّهــا بنتُ مَعْــنٍ　　أوْجَعَتْ كفَّهــا وما أُوجَعتني
ولَعَمْرِي لــولا أذى كفِّها إذ　　ضَرَبَتْني بالسَّوْط مــا تَرَكَتْني

[توعّده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه]

قال الصولي : حدّثنا عَوْن بن محمد ومحمد بن موسى قالا : لمّا اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن وكَثُر ، غضب أخوه يزيد بن معن من ذلك وتوعّد أبا العتاهية ؛ فقال فيه قصيدته التي أوّلها[2] :　　[من الوافر]

بَنى مَعْنٌ ويَهدِمُــه يزيدُ　　كذاك اللهُ يفعلُ ما يُريدُ
فمَعْنٌ كان للحُسّاد غَمّاً　　وهذا قد يُسَرّ به الحسودُ
يزيدُ يزيدُ في مَنْعٍ وبخلٍ　　ويَنقُص في العطاء ولا يزيدُ

[مصالحته أولاد معن]

حدّثني الصوليّ قال حدّثني جَبَلَةُ بن محمد قال حدّثني أبي قال : مضى بنو مَعْن إلى مَنْدَل وحيّان ابنَيْ عليّ العَنَزِيَّيْن الفقيهين ، وهما من بني عمرو بن عامر بطنٍ مِنْ يَقْدُمَ بن عَنَزة ، وكانا من سادات أهل الكوفة ، فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ ، ولا فرقَ بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الوَلاء لوجبَ أن تَرْدعاه . فأَحْضَرا أبا العتاهية ، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابنَيْ معن ، وضمِنا عنه خُلُوصَ النيّة ، وعنهما ألاّ يَتْبَعاه بسوء ، وكانا ممّن لا يُمكن خلافُهما ، فرجَعت الحالُ إلى المَوَدّة والصَّفاء . فجعل الناس يَعذِلُون أبا العتاهية على ما فرَط منه ، ولامه آخرون في صُلْحه لهما ؛ فقال :　　[من مجزوء الرمل]

1 تكملة الديوان : رقم 266 .
2 تكملة الديوان : رقم 62 .

مـا لعُـذّالي ومـا لي أَمَـروني بالضَّـلالِ

وقد كُتِبَتْ مُتقدِّمة .

[رثاؤه زائدة بن معن]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال : كان زائدةُ بن معنٍ صديقاً لأبي العتاهية ولم يُعِنْ إخوتَه عليه ، فمات ؛ فقال أبو العتاهية يَرثيه[1] : [من الوافر]

حَزِنتُ لمـوت زائدةَ بن مَعْنٍ حقيقٌ أن يطولَ عليـه حُزني
فَتـى الفتيانِ زائـدةُ المُصَفَّى أبـو العبّاس كان أخي وخِدْني
فتى قـومٍ وأيُّ فتًى توارتْ بـه الأكفانُ تحت ثرًى ولِبْنِ
ألا يـا قبرَ زائـدةَ بن مَعْنٍ دعوتُك كي تُجيبَ فلمَ تُجبني
سَلِ الأيّامَ عن أركانِ قومي أُصبن بهنّ رُكناً بعـدَ ركنِ

[عبد الله بن معن يخجل إذا لبس السيف لهجوه فيه]

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا الحسن بن عليّ الرازيّ القارىء قال حدّثني أحمد بن أبي فَنَن قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ ، فذكروا[2] قولَ ابن نوفلٍ في عبد الملك بن عُمَير : [من الطويل]

إذا ذاتُ دَلٍّ كلّمتْـه لحاجـةٍ فَهَمَّ بأن يَقْضِي تَنَحْنَحَ أو سَعَلْ

وأن عبد الملك قال : تركني والله وإنّ السُّعْلة لتَعْرِض لي في الخلاء فأذكُر قولَه فأهاب أن أَسعُل . قال : فقلت لابن الأعرابيّ : فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله بن مَعْن بن زائدة : [من الهزج]

فصُغْ ما كنت حَلَّيتَ بـه سيفَك خَلْخـالا
وما تصنـع بالسَّيفِ إذا لم تـك قتّـالا

فقال عبد الله بن مَعْن : ما لبِستُ سيفي قطّ فرأيت إنساناً يَلمَحُني إلاّ ظننتُ أنّه يحفظ قول أبي العتاهية فيّ ، فلذلك يتأمَّلُني فأخجَل . فقال ابن الأعرابيّ : اعجَبوا لعبد يَهجو مولاه . قال : وكان ابن الأعرابيّ مولى بني شيبان .

[ناظر مسلم بن الوليد]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال : اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاريّ في بعض

---

1 تكملة الديوان : رقم 269 .

2 ل : فتذاكروا .

المجالس ، فجرى بينهما كلامٌ ؛ فقال له مُسلم : والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك[1] : [من مجزوء الرجز]

الحمــدُ والنعمةُ لــك والملكُ لا شريكَ لكْ
لبيك إنّ المُلْكَ لكْ

لقلتُ في اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكنّي أقول[2] : [من البسيط]

مُوف على مُهجٍ في يوم ذي رهجٍ كأنّه أجــلٌ يسعَــى إلى أمــلِ
ينالُ بالرّفقِ مــا يعْيا الرجــالُ به كالموتِ مُستعجِلاً يأتي على مَهَلِ
يكسو السيوف نُفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهــامَ تِيجانَ القنا الذُّبُلِ
للهِ مــن هاشمٍ في أرضِهِ جبــل وأنتَ وابنُكَ رُكْنـا ذلك الجَبَلِ

فقال له أبو العتاهية : قُلْ مثلَ قولي :

الحمــدُ والنِّعمــة لــكْ

أَقُلْ مثل قولك :

كأنّه أجلٌ يَسعى إلى أملِ

[تقارض هو وبشّار الثناء]

حدّثني الصوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا مهديّ بن سابق قال : قال بشّار لأبي العتاهية : أنا والله أَسْتحسِن اعتذارك من دمعك حيث تقول[3] : [من مجزوء الكامل]

كم مــن صَديقٍ لي أُسا رِقُــه البُكاءَ من الحَياءِ
فــإذا تأمَّــلَ لامنــي فأقولُ ما بــي مِنْ بُكاءِ
لكنْ ذهبــتُ لأَرتــدي فطَرَفــتُ عينــي بالرِّداءِ

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعاذ ، ما لُذتُ إلاّ بمعناكَ ولا اجتنيتُ إلاّ من غَرْسك حيث تقول[4] : [من الوافر]

1 تكملة الديوان : رقم 203 .
2 شرح ديوان صريع الغواني (تحقيق سامي الدهان ، دار المعارف بمصر) : 9 .
3 تكملة الديوان : رقم 2 .
4 في أمالي القالي 1 : 49–50 أبيات منها :
وقالوا قد جزعـت فقلت كلا وهل يبكي من الطرب الجليد
ولم ينسبها لبشّار . ومن المستبعد نسبتها إلى بشّار لأن قائلها لا بدّ أن يكون بصيراً .

صوت

شكوتُ إلى الغواني ما أُلاقي ... وقلتُ لهنّ ما يَومي بَعِيدُ
فقُلْنَ بكيتَ قلتُ لهنّ كلاّ ... وقد يَبْكي من الشَّوْق الجَلِيدُ
ولكنّي أصابَ سَوادَ عيني ... عُوَيْدُ قَذىً له طَرَفٌ حديدُ
فقُلْن فما لدَمْعِهما سواءٌ ... أكِلْتا مُقْلَتَيْك أصابَ عُودُ

لإبراهيم المَوصليّ في هذه الأبيات لحن من الثقيل الأوّل بالوسطى مُطلق .

[شكا إليه محمد بن الفضل الهاشميّ جفاء السلطان]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني محمد بن هارون الأُزرَقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابنٍ لمحمد بن الفضل الهاشميّ قال : جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدّثا ساعةً ، وجعل أبي يشكو إليه تَخَلُّفَ الصَّنعة وجَفاءَ السلطان . فقال لي أبو العتاهية : اكتُبْ[1] : [من الكامل]

كلٌّ على الدنيا له حِرْصُ ... والحادثاتُ أَناتُها غَفْصُ[2]
وكأنّ من وَارَوْه في جَدَثٍ ... لم يبدُ منه لناظر شَخصُ
تَبْغِي من الدنيا زِيادتَها ... وزيادةُ الدنيا هي النَّقْصُ
لِيَدِ المنيّة في تَلَطُّفها ... عن ذُخْرِ كلِّ شفيقةٍ فَحْصُ

[حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه]

حدّثني عمرو قال حدّثني عليّ بن محمد الهشاميّ عن جدّه ابن حمدون قال أخبرني مُخارِق قال : لمّا تنسّك[3] أبو العتاهية ولبِس الصوف ، أمره الرشيد أن يقولَ شعراً في الغزَل ، فامتنع ؛ فضربه الرشيد ستّين عصاً ، وحلف ألاّ يخرج من حبسه حتى يقول شعراً في الغزل . فلمّا رُفعت المقارِعُ عنه قال أبو العتاهية : كلُّ مملوكٍ له حرّ وامرأته طالق إن تكلّم سنةً إلاّ بالقرآن أو بلا إله إلاّ الله محمد رسول الله . فكأنّ الرشيد تَحزّن ممّا فعله ، فأمر أن يُحبَس في دار ويُوسَّعَ عليه ، ولا يُمنع من دخول من يريد إليه . قال مُخارق : وكانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصليّ لطيفةً ، فكان يبعثني إليه في الأيّام أتعرّف خبره . فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظَهْراً[4] ودواةً ، فيكتب

1 ديوان أبي العتاهية : 198 (رقم 206) .
2 الغفص : الختل .
3 ل : تقرأ وهي بمعنى «تنسك» . وانظر الخبر في ابن العديم – دراسات : 51 (الفقرة : 16) .
4 ل : ظهوراً .

إليّ ما يريد ، وأُكلّمه . فمكث هكذا سنةً . واتّفق أنّ إبراهيم الموصليّ صنع صوتَه : [من الكامل]

صوت

أعرَفْتَ دارَ الحيّ بالحِجْرِ ... فشدوريان فقُنّة الغَمْرِ[1]
وهجرتَنا وأَلِفتَ رَسْمَ بِلًى ... والرسمُ كان أحقَّ بالهَجْرِ

لحن إبراهيم في هذا الشعر خفيف رملٍ بالوسطى ، وفيه لإسحاق رمل بالوسطى . قال مخارق : فقال لي إبراهيم : اذهَب إلى أبي العتاهية حتى تُغَنّيه هذا الصوت . فأتيته في اليوم الذي انقضت[2] فيه يمينه ، فغنّيته إيّاه . فكتب إليّ بعد أن غنّيته : هذا اليوم تَنقضي فيه يميني ، فأُحِبّ أن تُقيم عندي إلى الليل ؛ فأقمتُ عنده نهاري كلّه ، حتى إذا أُذّن الناسُ المغربَ كلّمني ، فقال : يا مُخارق . قلت : لَبَّيْك . قال : قُلْ لصاحبك : يا ابن الزانية ؛ أما والله لقد أبقيتَ للناس فِتنةً إلى يوم القيامة ، فانظر أين أنت من الله غداً ؛ قال مُخارق : فكنتُ أوّل من أَفْطر على كلامه ؛ فقلت : دَعْني من هذا ، هل قلتَ شيئاً للتخلّص من هذا الموضع ؟ فقال : نعم ، قد قلت في امرأتي شعراً . قلت : هاته ؛ فأنشدني[3] : [من الخفيف]

صوت

مَـنْ لِقلبٍ مُتَيَّمٍ مُشتاقِ ... شَفّه شوقُه وطولُ الفراقِ
طالَ شوقي إلى قعيدةِ بيتي ... ليت شعري فهل لنا من تَلاقي
هي حظّي قَدِ اقتصرتُ عليها ... من ذوات العُقود والأطواقِ
جَمَع اللهُ عاجلاً بِكَ شملي ... عن قريبٍ وفكّني من وَثاقي

قال : فكتبتها وصِرتُ بها إلى إبراهيم ؛ فصنع فيها لحناً ، ودخل بها على الرشيد ؛ فكان أوّل صوت غنّاه إيّاه في ذلك المجلس ؛ وسأله : لمن الشعر والغِناء ؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلي ، وأمّا الشعر فلأسيرك أبي العتاهية . فقال : أَوَ قد فَعل ؟ قال : نعم قد كان ذلك . فدعا به ، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال : ستّين عصاً ، فأمر له بستّين ألف درهم وخلَع عليه وأطلقه .

1 الغمر : جبل بحذاء توّز بمكّة .
2 ل : انقطعت .
3 الأبيات في تكملة الديوان : 586 عن الأغاني . وكلّ ما لم نشِر إلى تخريجه في الديوان من شعره فهو منقول عن الأغاني . وانظر أيضاً ابن العديم : 64 (الفقرة 40) .

[غضب عليه الرشيد وترضّاه له الفضل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهدي قال حدّثنا الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : قال لي الفضل بن العبّاس : وجَد الرشيدُ وهو بالرَّقَّة على أبي العتاهية وهو بمدينة السّلام ، فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلَّم الفضلُ بن الربيع في أمره ، فأبطأ عليه بذلك ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[1] : [من مجزوء الكامل]

أَجَفَوْتَني فيمن جفاني وجعلتَ شأنَك غيرَ شاني
ولطالمــا أَمَّنْتنــي ممّا أرى كلَّ الأمـانِ
حتّى إذا انقلبَ الزّما نُ عليَّ صرت مع الزمانِ

فكلّم الفضلُ فيه الرشيد فرضي عنه . وأرسل إليه الفضلُ يأمره بالشخوص ، ويذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رضي عنه ؛ فشخص إليه . فلمّا دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه[2] : [من الخفيف]

قد دعوناه نائياً فوجدنا ه على نَأْيِه قريباً سميعا

فأدخله إلى الرشيد ، فرجع إلى حالته الأولى .

[رثاء يزيد بن منصور]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : كان يزيد بن منصور خالُ المهديّ يتعصّب لأبي العتاهية ؛ لأنّه كان يمدح اليمانية أخوالَ المهديّ في شعره ؛ فمن ذلك قوله[3] : [من الوافر]

صوت

سُقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السّلامِ فنِعْـم مَحَلّـةُ الملـكِ الهُمامِ
لقد نشرَ الإلـهُ عليـك نُـوراً وحفَّـك بالملائكـةِ الكِرامِ
سأشكُر نعمـةَ المهديّ حتّى تـدورَ عليّ دائـرةُ الحِمامِ
لـه بيتـانِ بيتٌ تُبَّعِـيٌّ وبيتٌ حَـلَّ بالبلـدِ الحرامِ

قال : وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعي أنّه مولًى لليمن ويَنْتفي من عَنَزَة ؛ فلمّا مات يزيد رجع إلى ولائه الأوّل . فحدّثني الفضل بن العبّاس قال : قلت له : ألم تكن تزعمُ أنّ ولاءَك لليمن ؟! قال : ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن ، وما في واحدٍ ممّن

1 تكملة الديوان : رقم 267 .
2 تكملة الديوان : رقم 149 .
3 تكملة الديوان : رقم 242 .

انتميتُ إليه خيرٌ ، ولكنّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع . وكان ادّعى ولاءَ اللَّخْمِيّين . قال : وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظِهم لحُرْمةٍ ، وأرعاهم لعهدٍ ، وكان بارّاً بأبي العتاهية ، كثيراً فضلُه عليه ؛ وكان أبو العتاهية منه في مَنَعة وحصْن حَصين مع كَثْرة ما يدفعُه إليه ويمنعه من المَكاره . فلمّا مات قال أبو العتاهية يَرثيه[1] : [من البسيط]

أَنْعَى يزيدَ بن منصورٍ إلى البَشَرِ ... أَنْعى يزيـدَ لأهلِ البَدْوِ والحَضَرِ
يا ساكنَ الحُفْرة المهجورِ ساكنُها ... بعـد المَقاصر والأبـواب والحُجَرِ
وجدتُ فَقْدَك في مالي وفي نَشَبي ... وجدتُ فقدك في شَعْري وفي بَشَرِي
فلستُ أَدري جـزاك الله صالحةً ... أَمنظَري اليومَ أَسْوَا فيك أم خَبَري

[استحسن شعره بشّار وقد اجتمعا عند المهديّ]

حدّثنا ابن عمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال حدّثني أبي قال[2] : حُدّثتُ أنّ المهديّ جلس للشّعراء يوماً ، فأذِن لهم وفيهم بشّار وأشجعُ ، وكان أشجع يأخذ عن بشّار ويُعظِّمه ، وغيرُ هذين ، وكان في القوم أبو العتاهية . قال أشجع : فلمّا سمِع بشّار كلامَه قال : يا أخا سُلَيم ، أهذا ذلك الكوفيّ المُلَقَّب ؟ قلت نعم . قال : لا جزى الله خيراً مَنْ جمعنا معه . ثم قال له المهديّ : أنشد ، فقال : ويحك ؛ أَوَيَبدأُ فيُسْتَنشَدَ أيضاً قبلنا ؟! فقلت : قد ترى . فأَنشد : [من المتقارب]

أَلا مـا لِسيّدتِي مـا لهـا ... أَدَلاًّ فأَحمِـلَ إِدْلالَهـا
وإلاّ ففِيـمَ تَجنَّـتْ ومـا ... جَنَيتُ سَقى اللهُ أطلالَهـا
أَلا إنّ جاريـةً لِلإمـا ... مِ قد أُسْكِن الحبُّ سِرْبالَها
مَشتْ بين حُورٍ قصارِ الخُطا ... تُجاذِبُ في المَشْي أكفالَها
وقـد أَتعـبَ اللهُ نفسي بها ... وأَتعـب باللَّـوْمِ عُذّالَهـا

قال أشجع : فقال لي بشّار : وَيْحَك يا أخا سُلَيم ؛ ما أدري من أيّ أَمْرَيْه أعجب : أَمِنْ ضعف شِعْره ، أم من تَشْبيبه بجارية الخليفة ، يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله : [من المتقارب]

أَتَـتْه الخلافـة مُنقادةً ... إليـه تُجَـرِّرُ أذيالَها
ولم تَـكُ تصلُح إلاّ له ... ولم يَـكُ يصلُح إلاّ لها

1 تكملة الديوان : رقم 111 .
2 الخبر والشعر في ابن العِدِيم ـ دراسات : 71 (الفقرة 48) . وانظر ديوان أبي العتاهية : الزيادة (رقم 719) .

ولـو رامهـا أحدٌ غيرُه لزُلزِلتِ الأرضُ زِلْزالَها
ولو لم تُطِعْه بناتُ القلوبِ لمَـا قَبِـل اللهُ أعمـالَها
وإنّ الخليفةَ من بُغض لا إليـه لَيُبْغِض مَـن قالَها

قال أشجع : فقال لي بشّار وقد اهتزّ طرباً : ويحك يا أخا سُلَيم ! أترى الخليفة لم يَطِرْ عن فَرْشه طَرَباً لما يأتي به هذا الكوفيّ ؟

[رماه منصور بن عمّار بالزندقة]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني ابن مهرويَه قال حدّثني العبّاس بن ميمون قال حدّثني رَجاء بن سَلَمة قال : سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأتُ البارحةَ ﴿عَمَّ يَتَساءلُونَ﴾ ، ثم قلتُ قصيدة أحسن منها . قال : وقد قيل : إنّ منصورَ بن عمّار شَنّع عليه بهذا .

قال يحيى بن عليّ حدّثنا ابن مَهرويَهْ قال حدّثني أبو عُمَر القرشيّ قال : لمّا قَصَّ منصور بن عمّار على الناس مجلسَ البَعُوضة قال أبو العتاهية : إنّما سرق منصورٌ هذا الكلامَ من رجل كوفيّ . فبلغ قولُه منصوراً فقال : أبو العتاهية زِنديقٌ ، أما تَرَوْنه لا يذكر في شعره الجنّة ولا النار ، وإنّما يذكر الموت فقط ؟ فبلغ ذلك أبا العتاهية ، فقال فيه[1] : [من البسيط]

يا واعظَ الناسِ قد أصبحتَ مُتَّهَماً إذ عِبتَ منهـم أُموراً أنت تأتيها
كالمُلْبِس الثوبَ من عُريٍ وعورتُه للنـاس باديـةٌ مـا إنْ يُواريها
فأعظمُ الإثْمِ بعـد الشِّرك نَعلَمُه في كلّ نفسٍ عَماها عن مَساويها
عِرفانُها بعيوبِ الناسِ تُبصرهـا منهم ولا تُبصر العيبَ الذي فيها

فلم تَمضِ إلاّ أيّامٌ يسيرة حتى مات منصور بن عمّار ، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال : يَغفِر الله لك أبا السَّرِيّ ما كنتَ رميتَني به .

[وشي به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقّق أمره وتركه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال أخبرني النَّسائيّ عن محمد بن أبي العتاهية قال[2] : كانت لأبي العتاهية جارةٌ تُشْرِف عليه ، فرأتْه ليلةً يَقْنُت ، فروتْ عنه أنّه يُكلّم القمر ، واتّصل الخبر بحمدويَه صاحب الزنادقة ، فصار إلى منزلها وبات وأُشرف على أبي العتاهية ورآه يُصلّي ، ولم يزَل يرقُبه حتى قَنَت وانصرف إلى مضجعه ، وانصرف حمدويَه خاسئاً .

1 ديوان أبي العتاهية : 445 (رقم 441) وفيه في البيت الرابع «وشغلها» بدل «عرفانها» .

2 هذا الخبر في ابن العديم ـ دراسات : 53 (الفقرة 22) . وحمدويه صاحب الزنادقة اسمه محمد بن عيسى من أهل ميسان ، عيّنه المهدي لتعقّب الزنادقة .

[قال شعراً يدلّ على توحيده ليتناقله الناس]

حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن الرياشيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجانيّ قال : جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعَم الناس أنّي زنديق ، والله ما ديني إلاّ التّوحيد . فقلنا له : فقُلْ شيئاً نتحدّث به عنك ؛ فقال[1] : [من المتقارب]

ألا إنّنــــا كلّنــا بائــدُ ... وأيُّ بنـــي آدمٍ خالـــدُ

وبَدْؤُهــمُ كان مــن ربِّهم ... وكلٌّ إلى ربِّـــه عائـــدُ

فيا عجباً كيف يُعْصى الإلـ ... ـهُ أم كيف يَجْحَدُه الجاحدُ

وفي كلِّ شيءٍ له آيــةٌ ... تــدلُّ على أنَّـــه واحــدُ

[أرجوزته المشهورة]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : تذاكروا يوماً شعرَ أبي العتاهية بحضرة الجاحظ ؛ إلى أن جرى ذكرُ أُرجوزتِه المزدوجة التي سمّاها «ذاتَ الأمثال» ؛ فأخذ بعض مَن حضر يُنشدها حتى أتى على قوله : [من الرجز]

يا لَلشَّبابِ المَـرِحِ التَّصابي ... روائحُ الجنَّــةِ في الشَّبابِ

فقال الجاحظ للمُنشد : قِفْ ، ثم قال : انظروا إلى قوله :

روائحُ الجنّةِ في الشَّبابِ

فإنّ له معنًى كمعنى الطَّرب الذي لا يقدِر على معرفته إلاّ القلوبُ ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنة إلاّ بعد التطويلِ وإدامة التفكير . وخيرُ المعاني ما كان القلبُ إلى قبوله أسرعَ من اللسان إلى وصفه . وهذه الأُرجوزة من بدائع أبي العتاهية ، ويقال : إن له فيها أربعةَ آلاف مَثَل . منها قوله[2] : [من الرجز]

حَسْبُك ممّـــا تَبْتَغيه القــوتُ ... ما أكثَر القُــوتَ لمـن يموتُ

الفقــرُ فيمــا جــاوزَ الكفافا ... مِـــن اتّقَــى اللهَ رَجــا وخافا

هــي المقاديــرُ فلُمْني أو فَذَرْ ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ

لِكلِّ مــا يُؤذِي وإن قَلَّ أَلَــمْ ... ما أطولَ اللَّيلَ على من لم يَنَم

مــا انتفع المــرءُ بمثلِ عَقْلِهِ ... وخيرُ ذُخْرِ المــرءِ حُسْنُ فِعْلِهِ

1 ديوان أبي العتاهية : 102 (رقم 103) .

2 هذه الأرجوزة وردت في أصل ديوانه ، وقد جاءت في 320 بيتاً (ص 444–465) .

إنّ الفسادَ ضِـدُّه الصّـلاحُ ورُبّ جِـدٍّ جَـرّه المِزاحُ
مَـن جَعَـل النَّمَّامَ عيناً هلَكا مُـبْلِغُـك الشرَّ كَباغيـه لكا
إنّ الشَّبابَ والفَـراغ والجِدَه مَفْسَدَةٌ للمـرء أيُّ مَفْسَدَهْ
يُغْنيك عـن كلِّ قبيحٍ تَرْكُهُ يرتَهِـن الرأيَ الأصيلَ شكُّهُ
مـا عَيشُ مَـنْ آفتُـه بقاؤُهُ نَغَّص عيشاً كلَّـه فنـاؤُهُ
يا رُبَّ مَـنْ أسخطنا بجَهْدِهِ قـد سَرّنـا اللهُ بغير حَمْده
مـا تطلُع الشمسُ ولا تغيبُ إلاّ لأمـرٍ شأنُـه عجيبُ
لكلّ شيء مَعْـدِنٌ وجَوْهَـرُ وأوسطٌ وأصغـرٌ وأكبرُ
مَنْ لك بالَمحْضِ وكلٌّ مُمتزِجْ وساوسَ في الصّدر منه تَعتلجْ
وكلُّ شيءٍ لاحـقٌ بجوهرهْ أصغـرُه مُتَّصِـلٌ بـأكبرهْ
مـا زالتِ الدنيا لنا دارَ أذَى ممزوجةَ الصَّفو بألـوان القَذى
الخيـرُ والشرُّ بهـا أزواجُ لِـذا نِتـاجٌ ولِـذا نِتاجُ
مَنْ لك بالَمحْض وليس مَحْضُ يَخبُـث بعضٌ ويَطيب بعضُ
لكـلِّ إنسانٍ طبيعتـانِ خيرٌ وشرٌّ وهمـا ضِـدّانِ
إنّك لـو تَستنشق الشَّحيحا وجدتَـه أنتـنَ شيءٍ ريحا
والخيرُ والشرُّ إذا مـا عُـدّا بينهما بَـوْنٌ بعيـدٌ جِدّا
عجبتُ حتى غمّني السكوتُ صِرْتُ كأنّي حائـرٌ مبهوتُ
كذا قضى اللهُ فكيف أصنَعُ الصمتُ إن ضاقَ الكلامُ أوسعُ

وهي طويلة جدّاً ، وإنّما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسَب ما اسْتاقَ الكلامُ من صفتها .

[برمه بالناس وذمّه لهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه عن رَوْح بن الفَرَج قال : شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشه على خاتمه ؛ فقال : انقُش عليه : لَعنةُ الله على الناس ؛ وأنشد[1] : [من السريع]

بَرِمـتُ بالناسِ وأخلاقِهم فصِرْتُ أستأنِس بـالوَحدَهْ
مـا أكثرَ الناسَ لعَمْري وما أقلَّهـم في حاصـلِ العِدّهْ

1 ديوان أبي العتاهية : 134 (الحاشية) عن الأغاني .

[مدح عمر بن العلاء]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضحَّاك : أنّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حُرَيث صاحبَ المهديّ كان مُمَدَّحاً ، فمدحه أبو العتاهية ، فأمر له بسبعين ألف درهم ؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ ؟ وأيّ شيء مِقدارُ شعره ؟ فبلغه ذلك ، فأحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم لَيَدُور على المعنى فلا يُصيبه ، ويتعاطاه فلا يُحسنه ، حتى يُشبّب بخمسين بيتاً ، ثم يمدَحنا ببعضها ، وهذا كأنّ المعاني تُجمع له ، مدحني فقصَّر التشبيبَ ، وقال[1] : [من الكامل]

إنّي أُمِنْتُ من الزمـانِ ورَيبِه ... لَمّا عَلِقتُ مــن الأميرِ حِبالا
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله ... لَحَذَوْا لـه حُـرَّ الوُجوهِ نِعالا

صوت

إنّ المطايا تَشتكيك لأنّـها ... قطَعتْ إليك سَباسِباً ورِمالا
فإذا وَرَدْنَ بنا وردن مُخِفَّةً ... وإذا رجَعْنَ بنا رجعنَ ثِقالا

أخذ هذا المعنى من قول نُصَيب : [من الطويل]

فعاجُوا فأثْـنَـوْا بالذي أنت أهلُه ... ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

[رأي العتابي فيه]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن عَوْن قال حدّثني محمد بن النَّضْر كاتب غَسَّان بن عبد الله قال : أُخرِجتُ رسولاً إلى عبد الله بن طاهر وهو يُريد مصر ، فنزلت على العتّابيّ ، وكان لي صديقاً ، فقال : أنشِدني لشاعر العراق ، يعني أبو نواس ، وكان قد مات ، فأنشدته ما كنت أحفظ من مُلَحِه ، وقلت له : ظَنَنتُك تقول هذا لأبي العتاهية . فقال : لو أردتُ أبا العتاهية لقلت لك : أنشِدني لأشعر الناس ، ولم أقتصر على العراق .

[ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني هارون بن سَعدان عن شيخ من أهل بغداد قـال : قـال أبو العتاهية : أكثرُ الناس يتكلّمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلّهم . قال : فبينما نحن كذلك إذ قال رجلٌ لآخر عليه مِسحٌ : «يا صاحب المِسْحِ تَبيع المسْحَ ؟» . فقال لنا أبو العتاهية : هذا من ذلك ، ألم تسمعوه يقول : [من الرجز]

---

1 تكملة الديوان : رقم 191 .

يا صاحبَ المِسح تَبيع المسحا

قد قال شعراً وهو لا يعلم . ثم قال الرجل : «تعال إن كنتَ تريد الرِّبح» . فقال أبو العتاهية : وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم ، قال له :

تعــالَ إن كنـتَ تُريــدُ الرِّبحا

[وصف الأصمعيّ شعره]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحَلَبيّ قال حدّثنا مَزْيَد الهاشميّ عن السِّدْريّ قال : سمعت الأصمعيّ يقول : شِعْرُ أبي العتاهية كساحة الملوك يَقع فيها الجوهرُ والذهب والتراب والخَزَف والنَّوى .

[مدح يزيد بن منصور]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : لمّا حَبس المهديُّ أبا العتاهية ، تكلّم فيه يزيد بن منصور الحِميريّ حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العتاهية[1] : [من البسيط]

مـا قلتُ في فَضلِه شيئاً لأَمدحَه ... إلاّ وفضلُ يَزيـدٍ فـوقَ ما قلتُ
ما زلتُ من رَيْبِ دهري خائفاً وَجِلاً ... فقد كفانيَ بعـدَ الله مـا خِفْتُ

[قدرته على ارتجال الشعر]

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن الحسن قال : جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ . فقلت : يا أبا إسحاق ، أما يصعُب عليك شيءٌ من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ من يقول الشعر ، أو إلى ألفاظ مُسْتكرَهة ؟ قال لا . فقلت له : إنّي لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافي السَّهلةَ . قال : فاعرِض عليّ ما شئتَ من القوافي الصعبة . فقلت : قل أبياتاً على مثل البلاغ . فقال من ساعته[2] : [من الخفيف]

أيُّ عيشٍ يكون أبلَغ من عيـ ... ـشٍ كَفافٍ قُوتٍ بقَدْر البلاغِ
صاحبُ البَغْي ليس يسلَمُ منه ... وعلى نَفْسه بَغــى كلُّ باغِي
رُبَّ ذي نِعمـةٍ تَعرَّضَ منهـا ... حائـلٌ بينـه وبـين المَساغِ
أَبْلَغ الدهـرُ في مَواعظِهِ بل ... زاد فيهـنّ لي عـلى الإبلاغِ

1 تكملة الديوان : رقم 41 وهي أربعة أبيات عن الموشح : 262 .
2 ديوان أبي العتاهية : 236 (رقم 244) .

غَبَنَتْنِي الأيّـــامُ عقلِـي ومالي ... وشَبابـي وصِحّتــي وفراغِي

[كان مسلم بن الوليد يستخفّ به فلمّا أنشده من غزله أكبره]

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو عليّ اليَقطِينيّ قال حدّثني أبو خارجة بن مسلم قال : قال مسلم بن الوليد : كنت مُسْتَخِفّاً بشعر أبي العتاهية ، فلَقِيَني يوماً فسألني أن أصير إليه ، فصِرت إليه فجاءني بلَونٍ واحد فأكلناه ، وأُحضَرني تمراً فأكلناه ، وجلسنا نتحدّث ، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل ، وسألته أن يُنشِدني ، فأنشدني قوله[1] : [من البسيط]

بالله يـا قُـرّةَ العينَيْنِ زُورِيني ... قبـلَ المماتِ وإلاّ فاسْتَزِيريني
إنّي لأَعْجَبُ من حُـبٍّ يُقَرّبني ... ممّـن يُباعـدني منـه ويُقْصِيني
أمّا الكثير فما أرجوه منكِ ولو ... أطمعتني في قليـلٍ كان يَكفيني

ثم أنشدني أيضاً[2] : [من الطويل]

رأيتُ الهوى جمرَ الغَضا غيرَ أنّه ... على حَرّه في صدرِ صاحبهِ حُلْوُ

صوت

[من الطويل]

أخِلاّيَ بي شَجْوٌ وليس بكم شجوُ ... وكلُّ امرىءٍ عن شَجو صاحبه خِلْوُ
ومـا مـن مُحِبٍّ نالَ ممّن يُحِبّه ... هوًى صادقاً إلاّ سيدخُلـه زَهْوُ
بُلِيتُ وكان المَـزْحُ بـدْءَ بَلِيّتي ... فأحببـتُ حقّاً والبلاء لـه بَدْوُ
وعُلِّقتُ مَـنْ يزهـو عليّ تَجبُّراً ... وإنّـيَ في كلِّ الخِصالِ لـه كُفْوُ
رأيتُ الهوى جمرَ الغَضا غير أنّه ... على كلِّ حالٍ عنـد صاحبه حُلْوُ

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مُطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولعمرو بن بانة رمل بالوسطى من كتابه . ولعَريب فيه خفيف ثقيـلٍ من كتاب ابن المُعتزّ ، قـال مسلم : ثم أنشدني أبو العتاهية[3] : [من الطويل]

1 تكملة الديوان : الزيادة رقم 263 وفيها «بالله يا حلوة العينين . . .» .
2 تكملة الديوان : رقم 295 .
3 تكملة الديوان : رقم 243 .

صوت

خليـليَّ مـا لي لا تَـزال مَضرّتـي تكون على الأَقْدارِ حَتْماً منَ الحَتْمِ
يُصاب فؤادي حين أرْمى ورَمْيَتي تعودُ إلى نَحري ويَسْلَمُ من أَرْمي
صَبَرتُ ولا واللهِ مـا بي جَلادةٌ على الصبر لكنّي صبَرتُ على رَغْمي
ألا في سبيلِ الله جسمي وقُوّتي ألا مُسْعِدٌ حتى أنوح على جسمي
تُعَدّ عظامي واحـداً بعـد واحدٍ بِمَنْحًى منَ العُذّال عَظْماً على عَظمِ
كفاك بحقّ الله مـا قـد ظلمتَني فهـذا مَقَـام المستجير من الظُّلْمِ

الغناء لسِياط في هذه الأبيات ، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، قال مسلم : فقلت له : لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالي مَنْ أحسنَ أن يقول مثل هذا الشّعر ما فاته من الدنيا ! فقال : يا ابن أخي ، لا تقولنّ مثل هذا ؛ فإن الشعر أيضاً من بعض مَصايد الدنيا .

[وفد مع الشعراء على الرشيد فأفرده بالجائزة]

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال : اجتمعت الشعراء على باب الرشيد ، فأذِن لهم فدخلوا وأنشدوا ؛ فأنشد أبو العتاهية[1] : [من السريع]

يا مَـنْ تَبَغّـى زمنـاً صالحاً صَلاحُ هـارونَ صلاحُ الزمنْ
كلُّ لسانٍ هـــو في مُلكـــه بالشكـــرِ في إحسانه مُرْتَهَنْ

قال : فاهتزّ له الرشيد ، وقال له : أحسنتَ والله ؛ وما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بِصلةٍ غيره .

[شعره في فرس الرشيد]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عِمران الضَّبيّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال : أَجرى هارون الرشيد الخيلَ ، فجاءه فرس يقال له المُشَمِّر سابقاً ، وكان الرشيد مُعْجَباً بذلك الفرس ، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه ؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال[2] : [من البسيط]

1 تكملة الديوان : رقم 280 .
2 تكملة الديوان : رقم 97 .

جـاء المشمّرُ والأفراسُ يَقْدُمُهـا هَوْنـاً على رِسْله منها ومـا انبَهرا
وخَـلَّفَ الريحَ حَسْرى وهي جاهدةٌ ومَـرَّ يَختطـفُ الأبصارَ والنظرا

فأجزل صلتَه ، وما جسَر أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً .

[رثاؤه صديقه علي بن ثابت]

أخبرني يحيى إجازةً قال حدّثني الفضل بن عبّاس بن عُقبة بن جعفر قال : كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجاوبات كثيرة في الزهد والحِكمة ، فتُوفّي عليّ بن ثابت قبله ، فقال يَرثيه[1] : [من مجزوء الخفيف]

مُؤْنِسٌ كان لي هَلَـكْ والسبيلُ التـي سَلَكْ
يـا عليُّ بـنَ ثابـتٍ غَفَـرَ الله لي ولَـكْ
كلُّ حـيٍّ مُمَلَّـكٍ سوف يَفْنى ومـا مَلَكْ

قال الفضل : وحضر أبو العتاهية عليَّ بن ثابت وهو يجود بنفسه ، فلم يزل مُلتزمه حتى فاض ، فلمّا شُدّ لَحياه بكى طويلاً ، ثم أنشد يقول[2] : [من الخفيف]

يـا شَرِيكي في الخير قَرّبك اللَّـ ـهُ فنعمَ الشّريكُ في الخيرِ كُنتا
قد لَعَمْرِي حكَيْتَ لي غُصَصَ المو تِ فحرَّكْتَنـي لهـا وسَكَنْتا

قال : ولّما دُفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاء ، ويردّد هذه الأبيات[3] : [من الوافر]

ألا مَـنْ لي بأُنْسِك يا أُخَيّا ومَـنْ لي أن أُبُثَّك مـا لديَّا
طَوتْكَ خُطوبُ دهرِكَ بعد نَشْرٍ كـذاك خُطوبُـه نَشْراً وطيّا
فلـو نَشَرتْ قُواك ليَ المنايا شكوتُ إليك مـا صنعتْ إليّا
بكيتُك يـا عليُّ بدمـعِ عَيني فما أغنـى البكاءُ عليك شَيَّا
وكانت في حياتِكَ لي عِظاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منـكَ حيًّا

[مرثيته في عليّ بن ثابت وأقوال الفلاسفة في موت الإسكندر]

قال عليّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه المعاني أخذها كلَّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لّما حضروا تابوتَ الإسكندر[4] ، وقد أُخرج الإسكندر ليُدْفَن : قال بعضهم : كان

---

1 تكملة الديوان : رقم 177 وقد جعل البيت الثاني ثالثاً .

2 ديوان أبي العتاهية : 70 (رقم 67) .

3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 491 .

4 وردت أقوال الفلاسفة في مصادر كثيرة ذكرها إحسان عبّاس في كتابه «ملامح يونانية في الأدب العربي» 247- 271 (الطبعة الثانية) . وفي تضمين أبي العتاهية لبعض أقوالهم في شعره انظر زهر الآداب 2 : 673-674 (تحقيق علي محمد البجاوي ـ الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1969) .

الملك أمسِ أهيبَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس . وقال آخر : سَكَنتْ حركةُ الملك في لذّاته ، وقد حرّكنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار .

[هو عند نفسه أشعر الناس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلّبيّ قال : لَقِينا أبو العتاهية فقلنا له : يا أبا إسحاق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : الذي يقول : [من منهوك الكامل]

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبِرُّ خيرُ حَقيبة الرَّحْلِ

فقلت : أنْشِدني شيئاً من شعرك ؛ فأنشدني[1] : [من البسيط]

يا صاحبَ الرُّوح ذي الأنفاسِ في البدَنِ بين النهارِ وبين الليلِ مُرْتَهَنِ
لقلّما يتخطّاك اختلافُهما حتى يُفَرِّق بين الرُّوحِ والبدنِ
لَتَجْذِبَنّي يدُ الدُّنيا بقوّتها إلى المنايا وإن نازعتُها رَسَني
للهِ دُنيا أُناسٍ دائبين لها قَد ارتَعوْا في رياض الغَيّ والفِتنِ
كسائماتٍ رِتاعٍ تَبتغي سِمَناً وحَتْفُها لو دَرَتْ في ذلك السِّمَنِ

قال : فكتبتُها ، ثم قلت له : أنشدني شيئاً من شعرك في الغزل ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنّ الغزل يُسرِع إلى مثلك . فقلت له : أرجو عصمةَ الله جلّ وعزّ . فأنشدني[2] : [من السريع]

كأنّها من حُسنها دُرّةٌ أخرجها اليَمُّ إلى الساحِلِ
كأنّ في فيها وفي طَرفها سواحراً أقبلنَ من بابلِ
لم يُبْقِ مِنّي حبُّها ما خلا حُشاشَةً في بَدَنٍ ناحلِ
يا مَنْ رأى قبلي قتيلاً بكى من شدّةِ الوَجْدِ على القاتلِ

فقلت له : يا أبا إسحاق ، هذا قولُ صاحبنا جَميل : [من الطويل]

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتِله قبلي

فقال : هو ذاك يا ابن أخي وتبسّم .

1 ديوان أبي العتاهية : 397 (رقم 410) .
2 تكملة الديوان : رقم 204 مع اختلاف في الترتيب .

[شعره في التحسّر على الشباب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو عِكْرِمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال : دخلتُ مسجد المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمدٌ بسَنةٍ ، فإذا شيخٌ عليه جماعةٌ وهو يُنشد[1] : [من مجزوء الكامل]

لَهْفِي على وَرَقِ الشّبابِ وغُصونِه الخُضْرِ الرِّطابِ
ذهبَ الشبابُ وبانَ عنّـ ـي غيرَ مُنتَظَرِ الإيابِ
فلأبْكيَنَّ على الشَّبا بِ وطِيبِ أيّام التَّصابي
ولأبْكينَّ من البِلى ولأَبكينَّ من الخِضابِ
إنّي لآمُلُ أن أُخَـ ـلَّد والمنيَّةُ في طِلابي

قال : فجعل يُنشدها وإنّ دموعَه لتَسيل على خدّيه . فلمّا رأيت ذلك لم أصبر أنْ مِلتُ فكتبتُها . وسألت عن الشيخ فقيل لي : هو أبو العتاهية .

[ابن الأعرابيّ يعيب شعره]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدّثني أبو العبّاس محمّد بن أحمد قال : كان ابن الأعرابيّ يَعيب أبا العتاهية ويَثْلُبُه ، فأنشدته[2] : [من منهوك الكامل]

كَم من سفيهٍ غاظَني سَفَهاً فشَفَيْتُ نفسي منه بالحِلْمِ
وكَفَيْتُ نفسي ظلمَ عاديتي ومنحتُ صفوَ مودّتي سِلْمي
ولقد رُزِقتُ لظالمي غِلَظاً ورَحِمتُه إذ لَجَّ في ظُلْمي

[أحبّ شعره إليه]

أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن أحمد الأزديّ قال : قال لي أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قطّ أحبَّ إليّ من هذين البيتين [في] معناهما[3] : [من الخفيف]

ليت شعري فإنّني لستُ أدري أيُّ يومٍ يكون آخِرَ عُمْرِي

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 68 .
2 تكملة الديوان (صادر) : 411 .
3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 172 .

وبأيِّ البـلادِ يُقبض رُوحـي وبأيِّ البِقـاعِ يُحْفَـرُ قبري

[راهن جماعة على قول الشعر فغلبهم]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد بن عبد الجبّار الفزاريّ قال : اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فَخَّار يدور به في الكوفة ويَبيع منه ، فمرّ بفتيان جُلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه ، فسلّم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : يا فتيانُ أراكم تذاكرون الشعر ، فأقول شيئاً منه فتُجيزونه ، فإن فعلتم فلكم عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؛ فهَزِئوا منه وسخِروا به وقالوا نعم . قال : لا بدّ أن يُشترَى بأحد القِمارَيْن رُطَبٌ يُؤكل فإنّه قِمار حاصل ، وجعل رَهْنَه تحت يد أحدهم ، ففعلوا . فقال : أجِيزوا :

ساكِنـي الأجداثِ أنتُمْ

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغته الشمسُ ولم يُجيزوا البيت ، غُرِّموا الخطر[1] ؛ وجعل يهزأ بهم وتَمَّمه : [من مجزوء الرمل]

.... مثلَنـا بالأمسِ كُنْتـمْ
ليـتَ شعري ما صنعتم أرَبِحتـم أم خَسِرتـمْ

وهي قصيدة طويلة في شعره .

[هجاه أبو حبش وذم شعره]

أخبرني عمّي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله عن أبي خَيْثَم العَنَزيّ قال : لمّا حَبَس الرشيد أبا العتاهية وحلَف ألاّ يُطلِقه أو يقول شعراً ، قال لي أبو حبش : أسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر ، تقول الشعراء الشعرَ الجيّد النادر فلا يُسمع منهم ، ويقول هذا المخنَّث المُفكَّك تلك الأشعار بالشفاعة ! ثم أنشدني[2] : [من الوافر]

أبـا إسحاق راجعت الجماعَهْ وعُدْتَ إلى القوافي والصِّناعَهْ
وكنت كجامحٍ في الغَيّ عاصٍ وأنـت اليومَ ذو سمـع وطاعَهْ
فجُرَّ الخزَّ ممّـا كنتَ تُكْسَى وَدَع عنك التَقَشُّفَ والبَشاعَهْ
وشَبِّبْ بالتـي تهـوى وخَبِّرْ بأنّـك مَيّـتٌ في كلِّ ساعَهْ
كسَدنا مـا نـراد وإنْ أجدنا وأنت تقولُ شعـرَك بالشّفاعَهْ

1 الخطر : الرهان .

2 لم ترد هذه الأبيات في الديوان المطبوع .

[خرج مع المهديّ في الصيد]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله قال حدّثني أبو خَيْثم العَنَزيّ ، وكان صديقاً لأبي العتاهية ، قال حدّثني أبو العتاهية قال : أخرجني المهديّ معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شيء كثير ، فتفرّق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يَلْتَقوا ، وعرض لنا وادٍ جرّارٌ وتَغيَّمتِ السماءُ وبدأت تُمطر فتحيّرنا ، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاّح يُعَبِّر الناس ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق ، فجعل يُضَعِّف رأينا ويُعجِّزنا في بَذلنا أنفسنا في ذلك الغَيم للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كُوخاً له . وكاد المهديّ يموت برداً ؛ فقال له : أغطّيك بجُبّتي هذه الصوف ؟ فقال نعم ؛ فغطّاه بها ، فتماسك قليلاً ونام . فافتقده غِلمانه وتَبِعوا أثره حتى جاؤونا . فلمّا رأى الملاّح كثرتهم علِم أنّه الخليفة فهرب ، وتبادر الغِلمان فنَحَّوا الجبّة عنه وألقَوا عليه الخَزَّ والوَشْيَ . فلمّا انتبه قال لي : ويحك ؛ ما فعل الملاّح ؟ فقد والله وَجَب حقُّه علينا . فقلت : هرَب والله خوفاً من قُبح ما خاطبنا به . قال : إنّا لله ؛ والله لقد أردتُ أن أغْنِيه ، وبأيّ شيء خاطبَنا ؟ نحن والله مُستحقّون لأقبح ممّا خاطبنا به ، بحياتي عليك إلاّ ما هجوتَني . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تَطيب نفسي بأن أهجوكَ ؟ قال : والله لَتَفْعَلنّ ؛ فإنّي ضعيفُ الرأي مُغرَمٌ بالصّيد . فقلت[1] : [من السريع]

يا لابسَ الوَشْيِ على ثوبـه | ما أقبحَ الأشْيبَ في الراحِ

فقال : زِدْني بحياتي ؛ فقلت : [من السريع]

لو شئتَ أيضاً جُلْتَ في خامةٍ | وفي وَشاحَيْنِ وأَوْضـاحِ[2]

ويلك ! هذا معنى سَوْء يرويه عنك الناس ، وأنا أستأهل . زِدني شيئاً قلت : إنّي أخاف أن تغضب . قال : لا والله . فقلت : [من السريع]

كم مَنْ عظيمِ القَدرِ في نفسِه | قـد نـامَ في جُبّةِ مَلاّحِ

فقال معنى سوء ، عليك لعنةُ الله ؛ وقمنا وركبنا وانصرفنا .

[وقعت في عسكر المأمون رقعة فيها شعره فوصله]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالـوا : وقعت رقعةٌ فيها بيتَا شعرٍ في عسكر المأمون ، فجيء بها إلى مُجاشع بن

1 تكملة الديوان : رقم 59 .
2 الأوضاح : حلي من الفضّة .

مسعدَة ، فقال : هذا كلام أبي العتاهية ، وهو صديقي ، وليست المخاطبة لي ولكنّها للأمير الفضل بن سهل . فذهبوا بها ، فقرأها وقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ المأمون خبرُها فقال : هذه إليّ وأنا أعرف العلامة . والبيتان[1] : [من الخفيف]

صوت

مـا على ذا كنّا افترَقْنا بِسَنْدا نَ ومـا هكذا عهِدْنـا الإخاءَ
تَضْرِبُ النـاسَ بالمُهَنَّدة البِيـ ـضِ على غَدْرِهم وتَنْسَى الوفاءَ

قال : فبعث إليه المأمون بمالٍ .

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكّل رمل من رواية ابن المعتزّ .

[استبطأ عادة ابن يقطين فقال شعراً فعجلها له]

قال : وكان عليّ بن يَقطِين صديقاً لأبي العتاهية ، وكان يَبَرّه في كلّ سنة ببرّ واسع ، فأبطأ عليه بالبِرّ في سنة من السنين . وكان إذا لقِيَه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسَرّ به ويرفع مجلسَه ولا يَزيده على ذلك . فلقيَه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة ، فاستوقفه فوقف له ، فأنشده[2] : [من البسيط]

حتّى متى ليت شعري يا ابنَ يَقْطِينِ أُثني عليـك بمـا لا منك تُولِيني
إنّ السّلامَ وإنّ البِشْرَ مـن رجلٍ في مثلِ ما أنتَ فيـه ليس يَكْفِيني
هذا زمـانٌ ألحّ الناسُ فيـه على تيه الملـوك وأخـلاقِ المساكينِ
أمَا علمتَ جـزاك اللهُ صالحـةً وزادك اللهُ فضلاً يـا ابنَ يَقْطِينِ
أنّي أُريـدك للدُّنيـا وعاجلهـا ولا أُريـدك يـومَ الدِّين للدينِ

فقال عليّ بن يَقطين : لستُ والله أبرح ولا تَبرح من موضعنا هذا إلاّ راضياً ، وأمر لـه بمـا كان يبعث به إليه في كلّ سنة ، فحُمل من وقته وعليٌّ واقفٌ إلى أن تَسَلّمه .

[نظم شعراً في الحبس أبكى الرشيد]

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهْرُ المبرَّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغني من غير وجه : أنّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية وحبسَه ، وَكّل به صاحب خَبَرٍ يكتب إليه بكلّ ما يسمعه . فكتب إليه أنّه سمعه يُنشد[3] : [من الوافر]

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 17 .
2 الديوان : 376 (رقم 384) بترتيب مختلف وفي التكملة : رقم 285 بهذا الترتيب .
3 الديوان : 353 (رقم 361) .

أمّـا واللهِ إنّ الظلمَ لُـومُ   وما زالَ المُسيءُ هو الظَّلُومُ
إلى دَيَّانِ يومِ الدِّين نَمْضي   وعندَ اللهِ تجتمعُ الخصومُ

قال : فبكى الرشيد ، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه ، وأمر له بألفَيْ دينار .

[رماه منصور بن عمار بالزندقة]

أخبرني محمد بن جعفر قال حدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب[1] عن محمد بن أبي العتاهية قال : لمّا قال أبي في عُتْبة[2] : [من السريع]

كأنّ عتابـةَ مـن حسنِها   دُمْيـةُ قَسٍّ فتنَتْ قَسَّها
يـا رَبِّ لو أنْسَيْتَنِيها بمـا   في جَنَّةِ الفِرْدوس لم أنْسَها

شَنَّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة ، وقال : يتهاون بالجنّة ويَبتذل ذِكْرَها في شعره بمثل هذا التهاونِ ! وشنَّع عليه أيضاً بقوله[3] : [من مجزوء الكامل]

إنّ المليـكَ رآكِ أحـ   ـسنَ خَلْقِه ورأى جَمالكْ
فحـذا بقُـدْرةِ نفسه   حُـورَ الجِنانِ على مثالِكْ

وقال : أيُصَوِّر الحورَ على مثال امرأة آدميّة واللهُ لا يحتاج إلى مثال ؛ وأوقع له هذا على ألْسِنة العامّة ؛ فلَقِي منهم بلاءً .

[سأله الباذغيسي عن أحسن شعره]

حدّثني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا خليل بن أسد قال حدّثني أبو سَلَمة الباذَغيسيّ قال : قلتُ لأبي العتاهية : في أيّ شعر أنت أشعرُ ؟ قال : قولي[4] : [من مجزوء الكامل]

النـاسُ في غَفَلاتِهـمْ   وَرَحـى المنيـّةِ تَطْحَنُ

[أنشد المأمون شعره في الموت فوصله]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني يحيى بن عبد الله القرشيّ قال حدّثني المُعَلّى بن أيّوب قال : دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقبِل على شيخ حَسَن اللِّحية خَضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطئةٌ ، فقلت للحسن بن أبي سعيد ، قال : وهو ابن خالة المُعَلّى بن أيّوب . وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة : مَن هذا ؟ فقال : أما

1 ل : حريث .
2 تكملة الديوان : رقم 135 .
3 تكملة الديوان : رقم 208 . وانظر حاشية القطعة رقم 135 من التكملة .
4 الديوان : 381 (رقم 389) من قطعة فيها 14 بيتاً .

تعرفه ؟ فقلت : لو عرفتُه ما سألتُك عنه . فقال : هذا أبو العتاهية . فسمعت المأمون يقول له : أنْشِدني أحسنَ ما قلتَ في الموت ؛ فأنشده[1] : [من مجزوء الكامل]

أَنساكَ مَحْياك المماتا فطَلَبْتَ في الدنيا الثَّباتا
أَوَثِقْتَ بالدنيا وأنـ ـتَ ترى جَماعتَها شَتاتا
وعزَمتَ منك على الحيا ةِ وطُولِها عَزْماً بَتاتا
يا مَنْ رأى أَبَوَيْه فيـ ـمَنْ قد رأى كانا فماتا
هل فيهما لك عِبْرةٌ أم خِلْتَ أنّ لك انْفِلاتا
ومَن الذي طَلَبَ التَّفَلُّـ ـتَ من مَنِيّته ففاتا
كلٌّ تُصَبِّحه المنـ ـيّةُ أو تُبَيِّتُه بَياتا

قال : فلمّا نهض تَبِعتُه فقبضت عليه في الصحن أو في الدهليز ، فكتبتها عنه .

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل قال حدّثني الجاحظ عن ثُمامة قال : دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده[2] : [من السريع]

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها إذا أَطاعَ اللهَ مَنْ نالَها
مَنْ لم يُواسِ الناسَ من فضلها عَرَّض للإدبارِ إقبالَها

فقال له المأمون : ما أجود البيتَ الأوّل ! فأمّا الثاني فما صنعتَ فيه شيئاً ، الدنيا تُدبر عمّن واسَى منها أو ضَنّ بها ، وإنّما يُوجِب السماحةُ بها الأجرَ ، والضنُّ بها الوِزْرَ . فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين ، أهلُ الفضلِ أوْلى بالفضل ، وأهلُ النقصِ أولى بالنقص . فقال المأمون : ادفَعْ إليه عشرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحقّ . فلمّا كان بعد أيّام عاد فأنشده[3] : [من السريع]

كم غافلٍ أَوْدى به الموتُ لم يأخُذِ الأُهبَة للفَوْتِ
مَنْ لم تَزُلْ نعمتُه قبلَه زال عن النعمةِ بالموتِ[4]

فقال له : أحسنتَ ؛ الآن طَيَّبْتَ المعنى ؛ وأمر له بعشرين ألف درهم .

[تأخّرت عنه عادة المأمون سنة ثم عجلها]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني ابن

1 الديوان : 74 (رقم 73) .
2 ديوان أبي العتاهية : 338 (رقم : 346) خمسة أبيات .
3 ديوان أبي العتاهية : 79 (رقم : 78) .
4 زال عن النعمة في ل : تذعر النعمة .

سِنانٍ العِجليّ عن الحسن بن عائذ قال : كان أبو العتاهية يَحُجّ في كلّ سنة ، فإذا قدِم أهْدى إلى المأمون بُرْداً ومِطرَفاً ونعلاً سوداء ومَساويكَ أراكٍ ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم . وكان يُوَصِّل الهديّة من جهته مِنْجابٌ مولى المأمون ويَجيئه بالمال . فأهدى مرّةً له كما كان يُهدي كلّ سنة إذا قَدِم فلم يُثِبْه ولا بعث إليه بالوظيفة . فكتب إليه أبو العتاهية[1] : [من الرمل]

خبَّروني أنّ مِن ضَرْب السّنَهْ جُدُداً بِيضاً وصُفْراً حَسَنَهْ
أُحْدِثَتْ لكنّني لم أرها مِثْلَ ما كنتُ أرى كلّ سَنَهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم ، وقال : أغفلْناه حتى ذكّرنا .

[كان الهادي واجداً عليه فلمّا تولّى استعطفه]

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا المُغيرة بن محمد المُهلَّبيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال أخبرني عُروة بن يوسف الثَّقفيّ قال : لمّا وَلِي الهادي الخلافة كان واجداً على أبي العتاهية لِملازمته أخاه هارون وانقطاعه إليه وتَركِه موسى ، وكان أيضاً قد أمر أن يخرُج معه إلى الرَّيّ فأبى ذلك ؛ فخافه وقال يَستعطفه[2] : [من الطويل]

ألا شافِعٌ عند الخليفةِ يَشْفَعُ فيدفَع عنّا شرَّ ما يُتَوَقَّعُ
وإنّي على عُظْمِ الرجاء لخائفٌ كأنّ على رأسي الأسِنّةَ تُشْرَعُ
يُرَوِّعني موسى على غير عَثْرةٍ ومالي أرى موسى من العفوِ أوْسَعُ
وما آمِنٌ يُمسِي ويُصبح عائذاً بعفو أمير المؤمنين يُرَوَّعُ

[مدح الهادي واستشفع ابن عقال حتى نال جائزة]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال : دخل أبي على الهادي فأنشده[3] : [من مجزوء الرمل]

يا أمينَ اللهِ مالي لستُ أدري اليومَ مالي
لم أنَلْ منكَ الذي قد نال غيري من نَوالِ
تَبْذُلُ الحقَّ وتُعْطِي عن يمينٍ وشِمالِ
وأنا البائسُ لا تَنـ ـظُر في رِقّةِ حالي

قال : فأمر المُعَلّى الخازنَ أن يُعطيه عشرة آلاف درهم . قال أبو العتاهية : فأتيته فأبى أن

1 تكملة الديوان : رقم 261 .
2 تكملة الديوان : رقم 146 .
3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 377 .

يُعطيها وذلك أنّ الهادي امتحنني في شيء من الشعر ، وكان مَهيباً ، فكنتُ أخافه فلم يُطِعني طَبْعي ، فأمر لي بهذا المال ، فخرجتُ . فلمّا مَنعنيه المُعَلَّى صِرتُ إلى أبي الوليد أحمد بن عِقال ، وكان يُجالس الهادي ، فقلت له[1] : [من الكامل]

أَبْلِغْ سَلِمتَ أبا الوليدِ سَلامي عنّـي أميرَ المؤمنـين إمامي
وإذا فرَغتَ من السّلامِ فقل له قد كان ما شاهدتَ من إفحامي
وإذا حَصِرتُ فليس ذاك بمُبْطِلٍ ما قد مَضى من حُرْمتي وذمامي
ولطالما وفَدتْ إليكَ مدائحي مخطوطةً فَلْيـأتِ كلٌّ ملامِ
أيّـامَ لي لَسَنٌ ورقّـةُ جِدّةٍ والمـرءُ قـد يَبْلَى مـع الأيّامِ

قال : فاستخرج لي الدراهم وأنفذها إليّ .

[استعطف الهادي لمّا ولي الخلافة بعد موجدة]

حدّثني الصوليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالا حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال : وُلِد للهادي ولد في أوّل يوم وَلِي الخلافة ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده[2] : [من السريع]

أكثرَ موسى غيظَ حُسّادِه وزَيَّـن الأرضَ بأولادِهِ
وجاءنا من صُلْبه سَيّدٌ أَصْيَدُ في تقطيع أجدادِهِ
فاكتستِ الأرضُ به بَهْجةً واستبشر المُلكُ بميلادِهِ
وابتسم المِنْبَرُ عن فَرْحةٍ عَلَتْ بهـا ذرْوةُ أعوادِهِ
كأنّني بعـد قليلٍ بـه بـين مَواليـه وقُوّادِهِ
في مَحفِلٍ تَخْفِقُ راياتُه قد طَبّق الأرضَ بأجنادِهِ

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطِيبٍ كثير ، وكان ساخطاً عليه فرضي عنه .

[ترضّى المهدي على وزيره أبي عبيد الله]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليُّ بن مهديّ قال حدّثني عليّ بن يزيد الخزرجيّ الشاعر عن يحيى بن الربيع قال : دخل أبو عبيد الله على المهديّ ، وكان قد وجَد عليه في أمر بلغه عنه ، وأبو العتاهية حاضرٌ المجلس ، فجعل المهديّ يشتم أبا عبيد الله ويتغيّظ

1 تكملة الديوان : رقم 244 .
2 تكملة الديوان : رقم 83 .

عليه ، ثم أمر به فجُرّ برِجله وحُبِس ، ثم أطرق المهديّ طويلاً . فلمّا سكن أنشده أبو العتاهية[1] : [من الوافر]

أرى الدنيا لمـن هي في يَدَيْهِ   عذابـاً كلّمـا كَثُـرَت لدَيْهِ
تُهينُ المُكْرِمـين لهـا بصُغْرٍ   وتُكْرِم كلَّ مـن هانتْ عليهِ
إذا استَغْنيتَ عن شيءٍ فدَعْهُ   وخُـذْ مـا أنت محتاجٌ إليهِ

فتبسَّم المهديّ وقال لأبي العتاهية : أحسنتَ ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدّنيا ولا أصْونَ لها ولا أشَحَّ عليها من هذا الذي جُرّ برجله الساعة . ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزّ الناس ، فما بَرِحتُ حتى رأيته أذلّ الناس ، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت . فتبسّم المهديّ ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه . فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

[بيتان روحانيان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني محمد بن الحسن قال حدّثني إسحاق بن حَفْص قال : أنشدني هارون بن مُخَلَّد الرازيّ لأبي العتاهية[2] : [من منهوك الكامل]

ما إن يَطيبُ لذي الرعاية للـ   ـأيّام لا لَعِـب ولا لَـهْـوُ
إذ كان يطْـرب في مَسَرّتـه   فيمـوت مـن أجزائـه جُزْوُ[3]

فقلت : ما أحسنهما ! فقال : أهكذا تقول ؟ والله لهما روحانيّان يطيران بين السماء والأرض .

[فضّله ابن مناذر على جميع المحدثين لإحسانه في الجدّ والهزل]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشر المازنيّ قال : لَقِيتُ ابن مناذر بمكّة ، فقلت له : مَن أشعرُ أهل الإسلام ؟ فقال : أترى مَن إذا شئت هزَل ، وإذا شئت جدّ ؟ قلت : مَنْ ؟ قال : مثلُ جرير حين يقول في النَّسيب[4] : [من الكامل]

إنّ الذين غَدَوْا بلُبّك غـادروا   وَشَلاً بعينك مـا يـزال مَعينا
غَيّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقُلْن لي   ماذا لَقِيتَ من الهـوى ولَقِينا

1 ديوان أبي العتاهية : 410 (رقم : 425) .
2 ديوان أبي العتاهية : 429 (رقم : 445) .
3 يطرب في الديوان : يسرف . أجزائه في الديوان : أعضائه .
4 ديوان جرير (صادر) : 476 .

ثم قال حين جدّ : [من الكامل]

إنّ الذي حَـرَمَ المَكارِمِ تَغلِباً ... جعـل النُّبـوّةَ والخلافـةَ فينا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم ... يـا آل تَغلِبَ من أبٍ كأبينا
هذا ابنُ عمّي في دِمَشْقَ خليفةٌ ... لـو شئـتُ ساقكم إليّ قَطِينا

ومن المحدَثين هذا الخبيثُ الذي يتناول شعره من كُمّه . فقلت : مَن ؟ قال : أبو العتاهية .
قلت : في ماذا ؟ قال : قوله[1] : [من المنسرح]

اللهُ بينـي وبـين مَوْلاتي ... أَبْدَتْ لِيَ الصَّدّ والمَلالاتِ
لا تَغْفِرُ الذنبَ إن أسأتُ ولا ... تقبَـل عُـذْري ولا مُواتاتي
منحتُها مُهجتي وخالِصتي ... فكـان هجْرانُهـا مُكافاتي
أَقلقنـي حُبُّهــا وصَيَّرني ... أُحدوثــةً في جمع جاراتي[2]

ثم قال حين جدّ[3] : [من المنسرح]

ومَهْمـهٍ قـد قطعتُ طامِسَه ... قَفْـرٍ على الهَوْل والمُحاماةِ
بحُـرّةٍ جَسْرةٍ عُذافِـرةٍ ... خَوصـاءَ عَيْرانـةٍ عَلَنْداةِ
تُبادر الشمسَ كلّما طلعتْ ... بالسَّير تَبْغي بذاك مَرْضاتي
يا ناقُ خُبّي بنا ولا تَعدي ... نَفْسَك ممّـا تَرَيْنَ راحاتِ
حتى تُناخَيْ بنا إلى مَلِكٍ ... تَـوَّجَـه اللهُ بالمَهـاباتِ
عليـه تاجان فـوقَ مَفْرقه ... تاجُ جـلالٍ وتـاجُ إخْباتِ
يقول للرِّيح كلّما عصَفتْ ... هل لكِ يا ريحُ في مُباراتي
مَنْ مثلُ مَنْ عمُّه الرسولُ ومَنْ ... أخوالُـه أكـرمُ الخؤولاتِ

[يعيّر إسحاق بن عزيز لقبوله المال عوضاً عن عبادة معشوقته]

أخبرني وكيع قال : قال الزُّبير بن بكّار حدّثني أبو غَزِيّة ، وكان قاضياً على المدينة ، قال : كان إسحاق بن عُزَيز يتعشّق عَبّادة جارية المُهلَّبيّة ، وكانت المهلبيّة مُنقطعة إلى الخيزُران . فركب إسحاق يوماً ومعه عبدُ الله بن مصعب يُريدان المهديّ ، فلقيا عبّادة ؛ فقال إسحاق : يا

1 تكملة الديوان : رقم 45 .
2 أقلقني في الديوان : هيَّمني .
3 تكملة الديوان : رقم 48 .

أبا بكر ، هذه عبّادة ، وحرّك دابّته حتى سبقها فنظر إليها ، فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجّب من فِعله . ومضيا فدخلا على المهديّ ، فحدّثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل . فقال : أنا أشتريها لك يا إسحاق . ودخل على الخيزُران فدعا بالمهلّبيّة فحضرتْ ، فأعطاها بعبّادة خمسين ألف درهم . فقالت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ تُريدها لنفسك فبِها فداك الله ، وهي لك . فقال : إنّما أريدها لإسحاق بن عُزَير . فبكت وقالت : أتُؤْثِر عليّ إسحاق بن عُزَير وهي يَدي ورِجلي ولساني في جميع حوائجي ! فقالت لها الخيزُران عند ذلك : ما يُبكيك ؟ والله لا وَصَلَ إليها ابن عُزَير أبداً ، صار يتعشّق جواريَ الناس ؟ فخرج المهديّ فأخبر ابن عُزَير بما جرى ، وقال له : الخمسون ألف درهم لك مكانها ، وأمر له بها ، فأخذها عن عبّادة . فقال أبو العتاهية يُعَيّره بذلك[1] : [من السريع]

مَـنْ صَدَق الحـبَّ لأَحبابه ... فإنّ حُـبّ ابن عُزَيْـزٍ غُرورْ
أنساه عبّـادةَ ذاتَ الهـوى ... وأَذهبَ الحبَّ الذي في الضميرْ
خمسون ألفـاً كلُّها راجـحٌ ... حُسْناً لها في كلّ كِيسٍ صَرِيرْ

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً[2] : [من المنسرح]

حُبُّك للمال لا كحبّـك عبَّـ ... ـادةَ يـا فاضـحَ المُحبّينا
لـو كنتَ أصفيتَها الوِدادَ كما ... قُلْتَ لَمـا بِعْتَهـا بخمسينا

[طال وجع عينه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني جَبَلَةَ بن محمد قال حدّثني أبي قال : رأيت أبا العتاهية بعد ما تَخلّص من حَبس المهديّ وهو يلزم طبيباً على بابنا ليكحَل عينه . فقيل له : قد طال وجع عينِك ؛ فأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

صوت

أيا وَيْحَ نفسي وَيْحَها ثم وَيْحَها ... أما من خَلاصٍ من شِباك الحبائِلِ[4]
أيا ويحَ عيني قد أضرّ بها البُكا ... فلم تُغنِ عنها طِبُّ ما في المكاحِلِ

في هذين البيتين لإبراهيم الموصليّ لحنٌ من الثقيل الأوّل .

1 تكملة الديوان : رقم 123 .
2 تكملة الديوان : 259 .
3 تكملة الديوان : رقم : 214 وفيها «ويا ويح» في البيتين .
4 أما من خلاص في التكملة : ألم تنج يوماً .

[مدح الهادي وكان واجداً عليه لاتّصاله بهارون]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان الهادي واجداً على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون في خلافة المهديّ ، فلمّا ولي موسى الخلافة ، قال أبو العتاهية يمدحه[1] : [من المنسرح]

صوت

يضطربُ الخوفُ والرجاءُ إذا ... حرّكَ موسى القضيبَ أو فكّرْ
ما أبْيَنَ الفضلَ في مُغيَّبِ ما ... أوْردَ من رأيه وما أصْدَرْ

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكّل لحن من الثقيل الأوّل في نهاية الجَودة ، وما بان به فضلُه في الصّناعة : [من المنسرح]

فكم تَرَى عَزَّ عند ذلك مِنْ ... مَعْشَرِ قومٍ وذَلَّ مِنْ مَعْشَرْ
يُثمر مِنْ مَسِّه القضيبُ ولو ... يَمَسُّه غيرُه لَمَا أثْمَرْ
مَنْ مِثلُ موسى ومثلُ والدِه الـ ... ـمهديّ أو جَدِّه أبي جَعفرْ

قال : فرضي عنه . فلمّا دخل عليه أنشده[2] : [من مجزوء الكامل]

لَهْفي على الزمنِ القصير ... بين الخَوَرْنقِ والسَّديرِ
إذ نحن في غرَف الجنا ... نِ نَعُومُ في بَحر السُّرورِ
في فتيةٍ ملكوا عنا ... نَ الدهرِ أمثال الصُّقورِ
ما منهمُ إلاّ الجَسو ... رُ على الهوى غيرُ الحَصُورِ
يَتَعاوَرُون مُدامةً ... صهباءَ من حَلَب العَصيرِ
عَذراءَ ربّاها شُعا ... عُ الشمسِ في حَرِّ الهَجيرِ
لم تُدْنَ من نارٍ ولم ... يَعْلَقْ بها وَضَرُ القُدورِ
ومُقَرْطَقٍ يمشي أمَا ... مَ القومِ كالرَّشأ الغَريرِ
بزُجاجةٍ تَستخرج السـ ... ـرَّ الدّفينَ من الضميرِ
زهراءَ مثلِ الكوكب الدُّ ... رِّيّ في كَفّ المُديرِ
تَدعُ الكريمَ وليس يَدْ ... ري ما قَبيلٌ من دَبيرِ

1 تكملة الديوان : رقم 120 .
2 تكملة الديوان : 104 .

ومُخَصَّـــراتٍ زُرْنَنـــا بعـد الهُـدوّ من الخُدورِ
رَيَّـــا رَوادِفُهـــنّ يَلْـ ـبَسْنَ الخواتمَ في الخُصورِ
غُـرٍّ الوُجـوه محجَّبـــا تٍ قاصراتِ الطَّرف حُورِ
مُتَنَعِّمـــاتٍ في النَّعيـ ـمِ مُضَمَّخـاتٍ بالعَبيرِ
يَرفُلْـنَ في حُلَـلِ المَحا سِنِ والمَجـاسدِ والحـريرِ
مـا إن يَرين الشمسَ إلاّ الفَرْطَ مـن خَلَل السُّتورِ
وإلى أمـينِ اللهِ مَهـ ـرَبُنا مـن الدّهرِ العَثُورِ
وإليـه أُتعبْنـا المطـا يـا بـالرّواح وبالبُكورِ
صُعْـرَ الخُـدود كأنّما جُنِّحْنَ أجنحـةَ النُّسورِ
مُتَسَرْبِـلاتٍ بالظَّـلا مِ على السُّهولـة والوُعورِ
حتّـى وَصَلْـنَ بنـا إلى رَبِّ المدائـن والقُصورِ
مـا زالَ قبـلَ فِطامِـه في سنّ مُكتهِـلٍ كبيرِ

قال : قيل لو كان جَزْل اللفظ لكان أشعر الناس ، فأجزل صلته . وعاد إلى أفضل ما كان له عليه .

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : قَدِم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون . فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه ، فكان أوّل ما أنشدهم[1] : [من الطويل]

ألم تَـرَ رَيْبَ الدّهر في كلِّ ساعةٍ لـه عـارضٌ فيـه المنيّـة تلمَعُ
أيا بـاني الدُّنيـا لغيرك تَبتني ويـا جامعَ الدنيا لغيرك تَجْمَعُ
أرى المرءَ وَثّابـاً على كلِّ فُرْصةٍ وللمرء يومـاً لا مَحالـةَ مَصْرَعُ
تبـارَكَ مَنْ لا يَملِك المُلكَ غيرُه متى تنقضي حاجاتُ من ليس يَشبَعُ
وأيُّ امرىءٍ في غايةٍ ليس نفسُه إلى غايـةٍ أُخـرى سواهـا تَطَلَّعُ

قال : وكان أصحابنا يقولون : لو أنّ طَبْع أبي العتاهية بجزالة لفظٍ لكان أشعرَ الناس .

[تمثّل الفضل بشعر له حين انحطّت مرتبته عند المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني سليمان بن جعفر الجَزَريّ قال حدّثني أحمد بن عبد الله قال : كانت مَرْتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد

1 ديوان أبي العتاهية : 210–212 (وانظر الحاشية) .

في دار المأمون . فقال الفضل لأبي العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولك[1] : [من الكامل]

مـا النَّاسُ إلاّ لِلكثيرِ المالِ أو ... لمُسَلَّطٍ مـا دامَ في سُلْطانِـهِ
فإذا الزمـانُ رماهمـا ببَلِيَّـةٍ ... كان الثِّقاتُ هناك من أعوانِهِ[2]

يعني : من أعوان الزمان . قال : وإنّما تمثّل الفضلُ بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته في دار المأمون وتقدُّم غيره . وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه .

[كان ملازماً للرشيد فلمّا تنسّك حبسه ثم أطلقه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي محمد بن أبي العتاهية : كان أبي لا يُفارق الرشيد في سَفَرٍ ولا حَضَرٍ إلاّ في طريق الحجّ ، وكان يُجري عليه في كلّ سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمَعاوِن . فلمّا قدِم الرشيد الرَّقّة ، لبِس أبي الصوف وتزهّد وترك حُضورَ المُنادمة والقول في الغزل ، وأمر الرشيد بحبسه فحُبس ؛ فكتب إليه من وقته[3] : [من الطويل]

صوت

أنـا اليـومَ لي والحمدُ لله أَشْهُرُ ... يَرُوح عـليَّ الهَمُّ منكـم ويَبْكُرُ
تَذَكَّرْ أمينَ الله حَقِّـي وحُرْمتي ... ومـا كنتَ تُوليني لعلّك تَذْكُرُ[4]
لياليَ تُدْني منك بالقُرْبِ مجلسي ... ووجهُك مـن ماء البشاشةِ يَقْطُرُ
فمَنْ ليَ بـالعين التي كنتَ مرّةً ... إليّ بها في سالِـف الدهـرِ تَنظُرُ

قال : فلمّا قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك . فكتب إليه[5] : [من الوافر]

صوت

أَرِقتُ وطار عن عَيْنِي النُّعاسُ ... ونـام السامرون ولم يُواسُوا
أمـينَ الله أَمْنُك خيرُ أمـنٍ ... عليك مـن التُّقى فيـه لِباسُ
تُساس مـن السماء بكلّ بِـرٍّ ... وأنت بـه تَسُوس كما تُساسُ

---

1 ديوان أبي العتاهية : 401 (رقم 412) .
2 ببلية في ل : بملمة والديوان «رمى الفتى بملمة» .
3 تكملة الديوان : رقم 86 .
4 لعلّك تذكر في ل : لذلك يذكر .
5 تكملة الديوان : رقم 133 .

كأنّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ ... لــه جَسَدٌ وأنتَ عليــه راسُ
أمــينَ الله إنّ الحَبْسَ بــأْسٌ ... وقد أُرْسلتَ : ليس عليك باسُ

غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ، ولحنه : ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وفيه أيضاً ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ ، قال : وكتب إليه أيضاً في الحبس[1] : [من الطويل]

وكَلَّفْتَني مــا حُلْــتَ بيني وبينه ... وقلتَ سأبغي ما تُريد وما تهوى
فلو كان لي قلبانِ كَلّفتُ واحــداً ... هواك وكَلّفتُ الخَليَّ لِمــا يَهْوى

قال : فأمر بإطلاقه .

حدّثني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال حدّثني ابن أُخت أبي خالد الحَربيّ قال : قال لي الرشيد : احْبِسْ أبا العتاهية وضَيِّقْ عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل كما كان يقول . فحبستُه في بيتٍ خمسة أشبارٍ في مثلها ؛ فصاح : الموت ، أَخرِجوني ، فأنا أقول كلَّ ما شئتم . فقلت : قُلْ . فقال : حتى أَتنفَّس . فأخرجته وأعطيته دواةً وقِرطاساً ؛ فقال أبياته التي أوّلها[2] : [من الخفيف]

صوت

مَنْ لعبــدٍ أَذلّــه مــولاهُ ... ما لــه شافعٌ إليــه سِواهُ
يشتكي ما به إليه ويخشا ... هُ ويرجوه مثل مــا يخشاهُ

قال : فدفعتُها إلى مسرور الخادم فأَوْصلها ، وتقدّم الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ فغنّى فيها ، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر . فلمّا أُحضر قال له : أنشِدني قولك[3] : [من الكامل]

صوت

يا عُتْبَ سيّدتي أمَا لَكِ دِينُ ... حتّى متى قلبي لديكِ رَهينُ
وأنا الذَّلولُ لكلِّ مــا حمّلتِني ... وأنــا الشقيُّ البائسُ المسكينُ
وأنا الغــداةَ لكلِّ باكٍ مُسعِدٌ ... ولكلِّ صَبٍّ صاحبٌ وخَدِينُ
لا بأسَ إنّ لذاك عندي راحةً ... لِلصَّبِّ أن يَلْقَى الحزينَ حزينُ

1 تكملة الديوان : رقم 8 .
2 تكملة الديوان : رقم 282 .
3 تكملة الديوان : رقم 252 .

يا عُتْبَ أين أَفِرُّ منك أميرتي وعليَّ حِصْنٌ من هَواكِ حصينُ

لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهِشاميّ ، فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم . ولأبي العتاهية في الرشيد لمّا حبسه أشعارٌ كثيرة ، منها قوله[1] : [من الرمل]

يــا رشيدَ الأمرِ أَرشِدْني إلى وجهِ نُجْحِي لا عَدِمتَ الرَّشَدا
لا أراكَ اللهُ سُوءا أبــــدا مــا رأتْ مثلَك عــينٌ أحدا
أَعِــن الخائفَ وارحَمْ صوتَه رافعــاً نحـوَك يدعـوكَ يَدا
وابلائي مــن دَعـاوى أمــلٍ كلّما قلـتُ تَدانَــــى بَعُدا
كم أُمَنّــي بِغَــدٍ بعــدَ غــدٍ يَنْفَـدُ العمـرُ ولم أَلــقَ غدا

[هجا القاسم بن الرشيد فضربه وحبسه فاشتكى إلى زبيدة]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : مرّ القاسم بن الرشيد في مَوكبٍ عظيمٍ وكان من أَتْيَهِ الناس ، وأبو العتاهية جالسٌ مع قـوم على ظهـر الطريق . فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً لـه ، فلم يَـزَلْ قائماً حتى جاز ، فجاوزه ولم يلتفت إليه ؛ فقال أبو العتاهية : [من المتقارب]

يَتِيــهُ ابنُ آدمَ مـن جهلــهِ كأنَّ رَحا الموت لا تَطْحَنُهْ

فسمِع بعض مَن في موكبه ذلك فأَخبر به القاسم ؛ فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مِقرعةٍ ، وقال له : يا ابن الفاعلة ! أَتُعَرِّض بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحبسه في داره . فدسَّ أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر ، وكانت تُوجِب له حقَّه ، هذه الأبيات[2] : [من السريع]

حتّى متى ذو التّيه في تِيهِهِ أَصلحــه اللهُ وعافـــــاهُ
يَتيه أهلُ التّيــه من جَهلهم وهـم يموتــون وإن تاهُوا
مَــنْ طلبَ العِــزّ لِيبقى به فــإنَّ عِـــزَّ المـرء تَقْواهُ
لم يعتصم باللهِ مــن خَلْقِه مَنْ ليس يَرجــوه ويَخْشاهُ

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه ، وكانت مائلةً إليه ، فرثت[3] له وأخبرت الرشيد بأمره وكلّمته فيه : فأحضره وكساه ووصله . ولم يَرْضَ عن القاسم حتى برَّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه .

1 تكملة الديوان : رقم 65 .
2 الديوان : 413–414 (رقم 430) .
3 ل : فرقَّت .

[مدح الرشيد والفضل فأجازاه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال : بعث الرشيد بالحَرَشيّ[1] إلى ناحية المَوْصِل ، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج ، فوافى[2] به باب الرشيد ، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه ، فاستعظم الناس ذلك وتحدّثوا به ؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شِبْهُ الجنون ، فقلت له : ما لك ويحك ؟ ! فقال لي : سبحان الله ؛ أيُدفَع هذا المال الجليل إلى امرأة ، ولا تتعلّق كفّي بشيء منه ؟ ثم دخل إلى الرشيد بعد أيّام فأنشده[3] : [من مجزوء الكامل]

اللهُ هوّنَ عندك الدنـ ـيـا وبَغَّضَها إليكا
فأَبَـيْتَ إلاّ أن تُصَـ ـغِّر كلَّ شيء في يَدَيْكا
مـا هانـتِ الدُّنيا على أحـدٍ كما هانت عَلَيْكا

فقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين ، ما مُدِحَتِ الخلفاء بأصدق من هذا المدح . فقال : يا فضل ، أَعطِه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده[4] : [من الوافر]

إذا مـا كنتَ مُتَّخِذاً خليلاً فمثلُ الفضلِ فاتَّخِذِ الخليلا
يرى الشُّكْرَ القليلَ له عظيماً ويُعطي من مَواهبه الجزيلا
أراني حيثُما يَمَّمتُ طَـرْفي وجدتُ على مَكارمه دليلا

فقال له الفضل : والله لولا أنّ أُساوِيَ أميرَ المؤمنين لأعطيتُك مثلها ، ولكن سأُوصلها إليك في دَفَعات ، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد ، وزاد له خمسة آلاف درهم من عنده .

[سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المُبَرِّد قال حدّثني عبد الصمد بن المُعَذَّل قال : سمعتُ الأميرَ عليَّ بن عيسى بن جعفر يقول : كنت صبيّاً في دار الرشيد ، فرأيت شيخاً يُنشد والناس حوله[5] : [من الرمل]

ليس للإنسان إلاّ مـا رُزِقْ أستعـيـنُ اللهَ بـالله أَثِـقْ

---

1 ل : بالمجرشي .

2 ل : فوافق .

3 تكملة الديوان : رقم 170 .

4 ديوان أبي العتاهية : 311 (الحاشية) وديوان أبي العتاهيـة (صادر) : 383 وهما يتّفقان مع الأغاني في البيت الأوّل فقط .

5 تكملة الديوان : رقم 168 .

عَلِقَ الهمُّ بقلبي كلِّه ... وإذا ما علِق الهمّ عَلِقْ
بأبي مَنْ كان لي من قلبه ... مَرَّةً وُدٌّ قليلٌ فسُرِقْ
يا بني الإسلام فيكم مَلِكٌ ... جامعُ الإسلامِ عنه يَفترِقْ
لَنَدى هارونَ فيكم وَلَهُ ... فِيكُمُ صَوْبٌ هَطُولٌ وورِقْ
لم يَزَلْ هارونُ خيراً كلّه ... قُتِل الشَّرُّ به يومَ خُلِقْ

فقلتُ لبعض الهاشميّين : أما ترى إعجاب الناس بشِعْرِ هذا الرجل ؟ فقال : يا بُنيّ ، إنّ الأعناقَ لتُقطَع دون هذا الطبع . قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهية ، والذي سأله إبراهيم بن المهديّ .

[استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال : لبِس أبو العتاهية كساءَ صُوفٍ ودُرَّاعةَ صوفٍ ، وآلى على نفسه ألاّ يقول شعراً في الغَزَل ، وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه ؛ فقال[1] : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عمِّ النبيّ سمعاً وطاعه ... قد خلعنا الكساءَ والدُّرّاعهْ
ورجَعْنا إلى الصِّناعة لّما ... كان سُخْطُ الإمام تَرْكَ الصِّناعهْ

وقال أيضاً[2] : [من الطويل]

أمَا رَحِمَتْنِي يومَ وَلَّتْ فَأَسْرعتْ ... وقد تركَتْني واقفاً أتلفَّتُ
أُقَلِّبُ طَرْفي كي أَراها فلا أرى ... وأحلِبُ عيني دَرَّها وأُصَوِّتُ

فلم يزل الرشيد مُتوانياً في إخراجه إلى أن قال[3] : [من الوافر]

أمَا واللهِ إنّ الظلمَ لُومُ ... وما زال المُسيء هو الظَّلومُ
إلى دَيَّانِ يومِ الدِّين نَمْضي ... وعندَ الله تَجتمعُ الخصومُ
لأمرٍ مّا تَصرَّفتِ الليالي ... وأمرٍ مّا تُوُلِّيتِ النُّجومُ
تموت غداً وأنت قَريرُ عينٍ ... من الغَفَلاتِ في لُجَجٍ تَعومُ

1 التكملة : رقم 152 .
2 تكملة الديوان : رقم 39 .
3 ديوان أبي العتاهية : 353–354 (رقم 361) .

تنـامُ ولم تَنَمْ عنـك المنايا ... تَنَبّـهْ للمنيّـة يـا نَؤُومُ
سَلِ الأيّامَ عـن أمَمٍ تَقَضّتْ ... ستُخبـرك المَعالـمُ والرُّسُومُ
تَـروم الخُلْدَ في دار المنايـا ... وكم قـد رام غيرُك مـا ترومُ
ألا يـا أيّها الملـك المُرَجّى ... عليـه نَواهِضُ الدنيـا تَحومُ
أقِلْني زَلّـةً لم أجْـرِ منهـا ... إلى لَـومٍ ومـا مثـلي مَلومُ
وخَلِّصْني تُخَلَّصْ يـومَ بَعْثٍ ... إذا للنـاس بُـرِّزتِ الجَحِيمُ

فَرقّ له وأمر بإطلاقه .

[حديثه عن شعره ورأي أبي نواس فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ابن أبي الأبيض قال : أتيتُ أبا العتاهية فقلت له : إنّي رجلٌ أقول الشعر في الزُّهد ، ولي فيه أشعارٌ كثيرة ، وهو مذهب أستحسِنه ؛ لأنّي أرجو ألاّ آثَمَ فيه ، وسمعت شعرك في هذا المعنى ، فأحببت أن أستزيد منه ، فأُحِبّ أن تُنشدني من جَيِّد ما قلتَ ؛ فقال : اعلَمْ أنّ ما قلته رديء . قلت : وكيف ؟ قال : لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشّار وابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظُه ممّا لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيّما الأشعار التي في الزُّهد ؛ فإنّ الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلاّب الغريب ، وهو مذهب أشْغَفُ الناس به الزُّهّاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرِّياء والعامّة ، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهموه . فقلت : صدقتَ . ثم أُنشدني قصيدته[1] : [من الوافر]

لِدُوا للموتِ وابْنُوا للخرابِ ... فكلّكـمُ يَصيرُ إلى تَبابِ[2]
ألا يـا موتُ لم أرَ منكَ بُدّاً ... أتيتَ وما تَحِيفُ وما تُحابي
كأنّك قد هَجَمْتَ على مَشيبي ... كما هجمَ المشيبُ على شَبابي

قال : فصِرتُ إلى أبي نُواس فأعلمتُه ما دار بيننا ؛ فقال : والله ما أحسب في شعره مثلَ ما أنشدك بيتاً آخر . فصِرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس ؛ فأنشدني قصيدته التي يقول فيها[3] : [من البسيط]

1 ديوان أبي العتاهية : 33–34 (رقم 28) وهي 19 بيتاً .
2 تباب : هلاك .
3 ديوان أبي العتاهية : 278–280 وهي 23 بيتاً .

طُولُ التَّعاشُرِ بين النَّـــاس مَمْلُولُ ... مــا لابنِ آدمَ إن فَتَّشْتَ معقولُ
يا راعــيَ الشاء لا تُغْفِلْ رِعايتها ... فأنت عن كلٍّ ما استُرْعِيتَ مسؤُولُ[1]
إنّي لَفِي مَنزلٍ مــا زِلتُ أعمُره ... على يَقِــينٍ بأنّــي عنـه منقولُ
وليس من مَوْضِعٍ يأتيه ذو نَفَسٍ ... إلاّ وللموتِ سَيفٌ فيــه مَسْلولُ
لم يُشْغَلِ الموتُ عنّا مـذ أُعِدَّ لنا ... وكلّنــا عنـه بـــاللذّاتِ مَشغولُ
ومَنْ يَمُتْ فهو مَقْطوعٌ ومُجْتَنَبٌ ... والحيُّ مــا عاش مَغْشيٌّ ومَوْصولُ
كُلْ مــا بـدا لك فالآكالُ فانِيةٌ ... وكُلُّ ذي أُكُلٍ لا بُــدَّ مَأْكولُ

قال : ثم أنشدني عدّة قصائد ما هي بدون هذه ، فصِرتُ إلى أبي نواس فأخبرته ؛ فتغيّر لونُه وقال : لِمَ خبَّرتَه بما قلت ؟ قد والله أجاد ، ولم يَقُل فيه سوءًا .

[كان أبو نواس يجلّه ويعظّمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدّثني هارون بن سعدان مولى البَجَلِيِّين قال : كنتُ مع أبي نواس قريباً من دُور بني نِيبَخْت بنهر طابِق[2] وعنده جماعةٌ ، فجعل يَمُرّ به القُوّاد والكُتّاب وبنو هاشم فيُسَلِّمون عليه وهو متّكىءٌ ممدودُ الرِجل لا يتحرّك لأحد منهم ، حتى نظرنا إليه قد قبض رِجليه ووثَب وقام إلى شيخٍ قد أقبل على حمارٍ له ، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه ، فلم يزل واقِفاً معه يُراوِح بين رجليه يرفع رجلاً ويضع أُخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوّه . فقال له بعضُ مَن حضر : والله لأنت أشعرُ منه . فقال : والله ما رأيته قطّ إلاّ ظننت أنّه سَماءٌ وأنا أَرْض .

[رأي بشّار فيه]

قال محمد بن القاسم حدّثني عليّ بن محمد بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثني السَّرِيّ بن الصَّبَّاح مولى ثَوبان بن عليّ قال : كنتُ عند بَشّار فقلتُ لـه : مَن أشعرُ أهـل زماننا ؟ فقال : مُخَنَّث أهل بغداد (يعني أبا العتاهية) .

[عزّى المهديّ في وفاة ابنته فأجازه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المُنَجِّم إجازةً : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الخَزْرَجيّ الشاعر قال حدّثني عبد الله بن أيّوب الأنصاريّ قال حدّثني أبو العتاهية قال : ماتت

1 الشاء في ل والديوان : النفس .
2 نهر طابق : محلّة كانت ببغداد .

بنتُ المهديّ فحزِن عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب ، فقلت أبياتاً أُعَزّيه بها ؛ فوافيته وقد سَلا وضحك وأكل وهو يقول : لا بدّ من الصبر على مالا بدّ منه ، ولئن سَلَوْنا عمّن فقدنا ليَسْلُوَنَّ عنّا من يَفقِدنا ، وما يأتي الليلُ والنهارُ على شيء إلاّ أَبْلَياه . فلمّا سمعتُ هذا منه قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذَن لي أن أُنشدك ؟ قال هاتِ ؛ فأنشدته[1] : [من البسيط]

ما للجديدَيْن لا يَبْلَى اختلافُهما ... وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالي
يا مَنْ سَلا عن حبيبٍ بعد مِيتته ... كم بعد موتِك أيضاً عنك منْ سالي
كأنّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقُه ... من لذّةِ العيشِ يحكي لمعةَ الآلِ
لا تَلعَبَنَّ بك الدنيا وأنت ترى ... ما شئتَ من عِبَرٍ فيها وأمثالِ
ما حيلةُ الموت إلا كُلّ صالحةٍ ... أولاَ فما حيلةٌ فيه لمُحتالِ

فقال لي : أحسنتَ ويحك ؛ وأصبتَ ما في نفسي ووعظت وأَوْجزت ، ثم أمر لي لكلّ بيت بألف درهم .

[حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصليّ ثم أطلقهما]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن خَلاّد قال حدّثني أبي قال : لمّا مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية : قُلْ شعراً في الغزَل ؛ فقال : لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه . وأمر إبراهيم المَوصليّ أن يغنّي ؛ فقال : لا أُغنّي بعد موسى أبداً ، وكان مُحسِناً إليهما ، فحبسه . فلمّا شخَص إلى الرَّقّة حفَر لهما حَفيرةً واسعةً وقطَع بينهما بحائطٍ ، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تَشعُر أنت ويُغَنّي هذا . فصَبَرا على ذلك بُرهةً . وكان الرشيد يشرب ذاتَ يومٍ وجعفرُ بن يحيى معه ، فغنَّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطربا عليه طَرباً شديداً ، وكان بيتاً واحداً . فقال الرشيد : ما كان أحوجه إلى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغِناءُ فيه فنَسْتَمتِع مدّةً طويلة به ؛ فقال له جعفر : قد أصبتُه . قال : من أين ؟ قال : تبعَث إلى أبي العتاهية فيُلحِقه به لقُدرته على الشعر وسرعته . قال : هو أنكدُ من ذلك ، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطرب . قال : بلى ؛ فاكتُب إليه حتى تعلَم صحّة ما قلتُ لك . فكتب إليه بالقصّة وقال : ألحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانياً . فكتب إليه أبو العتاهية[2] : [من الرمل]

شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ ... فارقَ الرُّوحَ وأَخلَى من بدنْ

1 تكملة الديوان : رقم 297 .
2 تكملة الديوان : رقم 278 .

ولقد كُلِّفتُ أمراً عَجباً   أسْأَلُ التَّفريجَ من بيتِ الحَزَنْ

فلمّا وصلتْ قال الرشيد : قد عرَّفتك أنّه لا يفعل . قال : فتُخرِجه حتى يفعل . قال : لا ، حتى يَشعُر ؛ فقد حلَفتُ . فأقام أيّاماً لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم هذا نُلاجُّ الخلفاء ؟ هَلُمَّ أَقُلْ شعراً وتُغَنّ فيه . فقال أبو العتاهية[1] : [من الرمل]

بأبي مَنْ كان في قلبي لـه   مـرّةً حُـبٌّ قليـلٌ فسُرِقْ
يا بنـي العبّاس فيكـم مَلِكٌ   شُعَبُ الإحسانِ منـه تفترقْ
إنّمـا هـارونُ خيرٌ كلُّـه   ماتَ كلُّ الشرّ مُذْ يـومَ خُلِقْ

وغنّى فيه إبراهيم ، فدعا بهما الرشيد ؛ فأنشده أبو العتاهية وغنّاه إبراهيم ، فأعطى كلَّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب .

حدّثني الصُّوليّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الربيع ، فقال فيه : غضِب الرشيد على جاريةٍ له فحلَف ألاّ يدخُل إليها أيّاماً ، ثم ندِم فقال[2] : [من الرمل]

صَدَّ عنّـي إذ رآني مُفْتَتَنْ   وأطـال الصَّدَّ لّمـا أن فَطَـنْ
كان مَملوكي فأضحى مالكي   إنّ هـذا مِـن أعاجيبَ الزَّمنْ

وقال لجعفر بن يحيى : اطلُبْ لي مَنْ يزيدُ على هذين البيتين . فقال له : ليس غيرُ أبي العتاهية . فبَعث إليه فأجاب بالجواب المذكور ، فأمر بإطلاقه وصلَتِه . فقال : الآن طاب القولُ ؛ ثم قال[3] : [من الرمل]

عِـزَّةُ الحِـبّ أرتْـه ذِلّتـي   في هـواه ولـه وجـهٌ حَسَنْ
ولهـذا صِرتُ مملوكاً لـه   ولهـذا شاعَ مـا بـي وعَلَنْ

فقال : أحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي ؛ وأُضعَف صلتَه .

[شعره في ذمّ الناس]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الهيثم بن عثمان قال حدّثني شَبيب بن منصور قال : كنتُ في الموقف واقفاً على باب الرشيد ، فإذا رجلٌ

1 تقدّمت هذه الأبيات والإشارة إليها في تكملة الديوان برواية أُخرى : «بأبي من كان لي في قلبه» في الأوّل و«يا بني الإسلام» في الثاني .
2 تكملة الديوان : رقم 278 (الحاشية) .
3 تكملة الديوان : رقم 279 .

بَشِع الهيئة على بغل قد جاء فوقف ، وجعل الناسُ يُسَلِّمون عليه ويُسائلونه ويُضاحكونه ، ثم وقف في الموقف ، فأقبل الناس يَشْكُون أحوالَهم : فواحد يقول : كنت مُنقطعاً إلى فلان فلم يصنع بي خيراً . ويقول آخر : أمّلت فلاناً فخاب أملي وفعل بي ، ويشكو آخرُ من حاله ؛ فقال الرجل[1] : [من منهوك الكامل]

فَتَّشْتُ ذي الدنيا فليس بها ... أحــدٌ أراه لآخــرٍ حامِدْ
حتّى كأنّ النــاسَ كلَّهُــمُ ... قد أُفرغوا في قالَبٍ واحِدْ

فسألت عنه فقيل : هو أبو العتاهية .

[هجا سلماً الخاسر بالحرص]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني أحمد بن خَلَّاد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال : أُنشِد المأمون بيت أبي العتاهية يُخاطب سَلْماً الخاسر : [من الوافر]

تَعالى اللهُ يا سَلْم بنَ عمرٍو ... أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال المأمون : إنّ الحرص لَمُفسِدٌ للدّين والمروءة ، والله ما عرفتُ من رجلٍ قطّ حِرْصاً ولا شَرَهاً فرأيت فيه مُصْطَنَعا . فبلغ ذلك سَلْماً فقال : ويلي على المخنَّث الجَرّار الزنديق ؛ جمع الأموالَ وكنزَها وعبّأ البدورَ في بيته ثم تَزهّد مُراءاةً ونفاقاً ، فأخذ يهتِف بي إذا تصَدّيتُ للطلب .

[اقتصّ منه الجماز لخاله سلم فاعتذر له]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ومحمد بن عمران الصَّيرفيّ قالا حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكيّ قال حدّثني العبّاس بن عبيد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مِسْمَع قال : كنّا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد في الزهد ، فقال قُثَم : يا عبّاس ، اطلُبِ الساعة الجَمَّاز حيث كان ، ولك عندي سَبَقٌ[2] . فطلبته فوجدته عند رُكن دار جعفر بن سليمان ، فقلت : أجِبِ الأمير ؛ فقام معي حتّى أتى قُثَم ؛ فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده ؛ فأنشأ الجَمَّاز يقول : [من السريع]

ما أقبحَ التَّزهِيدَ مِــن واعظٍ ... يُزَهِّــدُ النــاسَ ولا يَزْهَــدُ
لــو كان في تزهيده صادقاً ... أضحَى وأمسَى بيتُـه المسجدُ

---

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 126 .
2 سبق : جائزة المتسابقين .

يخـــافُ أن تنفَـدَ أرزاقُـه والـــرزقُ عنـد الله لا ينفَدُ
والرزقَ مقسومٌ على مَنْ تَرى ينالُـــــه الأبيـضُ والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية إليه فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا الجمّاز وهو ابن أختِ سَلْم الخاسر ، اقتصّ لخاله منك . فأقبل عليه وقال : يا ابن أخي ، إنّي لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظنّ خالُك ، ولا أردتُ أن أهتِف به ؛ وإنّما خاطبته كما يُخاطِب الرجلُ صديقَه ، فالله يغفِر لكما ، ثم قام .

[غنّاه مخارق بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْريّ عن أبيه قال : كنتُ عند مُخارِق ، فجاء أبو العتاهية في يوم جمعة فقال : لي حاجةٌ وأُريد الصلاةَ ؛ فقال مُخارق : لا أبرَح حتّى تعود . قال : فرجَع وطرح ثيابه ، وهي صوفٌ ، وغسل وجهه ، ثم قال له : غَنّني[1] : [من الخفيف]

صوت

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ مـا بي أتُحِبّ الغـداةَ عُتْبــةَ حقّـا
فتنفَّستُ ثـم قلـتُ نعمْ حُـ ـبّاً جرى في العُروق عِرْقاً فعرقا

فجذَب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأُوقع عليها ثم غنّاه ؛ فاستعاده ثلاث مرّاتٍ فأعاده عليه ، ثم قام وهو يقول : لا يَسمع والله هذا الغناءَ أحدٌ فيُفلِح . وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهرويَه عنه .

وحدّثنا به أيضاً في كتاب هارون بن عليّ بن يحيى عن ابن مهرويَه عن ابن عمّار قال حدّثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حَسَّان الضَّبِّيّ قال حدّثنا مُخارق قال : لقيني أبو العتاهية فقال : بلغني أنّك خَرَّجْتَ قولي : [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ مـا بي أتُحِبُّ الغـداةَ عُتْبــةَ حَقّا

فقلت نعم . فقال : غَنّه . فمِلتُ معه إلى خَراب ، فيه قوم فقراء سكّان ، فغنّيْتُه إيّاه ؛ فقال : أحسنتَ والله ؛ منذ ابتدأت حتّى سكتّ ؛ ثم قال لي : أما ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب ؟

[شعره في تبخيل الناس]

أخبرني جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال : قال مُخارق : لَقِيتُ أبا العتاهية على الجِسْر ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أتُنشدني قولك في تبخيلك الناس كلّهم ؟ فضحك وقال

1 تكملة الديوان : رقم 161 .

لي : ها هنا ؟ قلت نعم . فأنشدني[1] : [من مجزوء الكامل]

إن كنتَ مُتّخِـذاً خليلاً فتَنَـقَّ وانتقِـدِ الخليلا
مَنْ لم يكـن لك مُنصفاً في الودّ فابْغِ بـه بديلا
ولربّمـا سُئِـل البخيـ ـلُ الشيءَ لا يَسْوى فَتِيلا
فيقـول لا أجـد السَّبيـ ـلَ إليه يَكْرَهُ أن يُنِيلا
فلـذاك لا جعـلَ الإلـ ـهُ لـه إلى خيرٍ سبيلا
فاضْرِبْ بطَرْفك حيث شئـ ـتَ فلن ترى إلاَّ بخيلا

فقلتُ له : أَفرَطْتَ يا أبا إسحاق ؛ فقال : فديتُك ، فأَكْذِبْني بجوادٍ واحد . فأحببتُ موافقتَه ، فالتفتُّ يميناً وشمالاً ثم قلت : ما أجد . فقبّل بين عينيّ وقال : فديتُك يا بُنيّ ! لقد رَفَقْتَ حتى كِدتَ تُسرِف .

[كان بعد تنسّكه يطرب لحديث هارون بن مخارق]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن مُخارِق قال : كان أبو العتاهية لمّا نسَك يقول لي : يا بُنيّ ، حدّثني ؛ فإن ألفاظَك تُطْرِب كما يُطرِب غِناؤُك .

[جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ قال حدّثني أبو هَفَّان قال حدّثني موسى بن عبد الملك قال : كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية ، فلمّا خدَم المأمونَ وخُصّ به ، رأى منه أبو العتاهية جَفْوة ، فكتب إليه[2] : [من الطويل]

أبـا جعفـرٍ إنّ الشريفَ يَشينه تَتايُهُـه عـلى الأَخِـلاّء بالوَفْـرِ
ألم تَـرَ أنّ الفقرَ يُرجى لـه الغنَى وأنّ الغِنى يُخشَى عليـه من الفقرِ
فإن نِلتَ تِيهاً بالذي نِلْتَ من غنًى فإنّ غنـايَ في التجمّـلِ والصبرِ

قال : فبعث إليه بألفيْ درهم ، وكتب إليه يعتذر ممّا أنكره .

[طلب إليه أن يجيز شعراً فأجازه على البديهة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفيّ قال حدّثني أبو جعفر المَعْبديّ قال : قلت لأبي العتاهية : أَجِزْ لي قولَ الشاعر[3] : [من الوافر]

---

1 ديوان أبي العتاهية : 311–312 (حاشية القطعة رقم 320) وقد تقدّمت الإشارة إليها في الخبر عن الفضل بن الربيع لاشتراكها مع تلك الأبيات في البيت الأوّل .

2 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 217–218 .

3 الخبر في تكملة الديوان : رقم 189 والحاشية عن الأغاني .

وكان المالُ يأتينا فكنّا نُبَذّره وليس لنا عقولُ
فلمّا أن تولّى المالُ عنّا عَقَلْنا حين ليس لنا فُضُولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان : [من الوافر]

فقصِّر ما ترى بالصّبر حقّاً فكلٌّ إن صبرتَ له مُزِيلُ

[قال لابنه : أنت ثقيل الظلّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني الحسن بن الفضْل الزّعفرانيّ قال : حدّثني مَن سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضِب عليه : اذهب فإنّك ثقيلُ الظلّ جامد الهواء .

[أهدى إلى الفضل نعلاً فأهداها للخليفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني يحيى بن خليفة الرّازيّ قال حدّثنا حبيب بن الجَهْم النُّمَيريّ قال : حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنجِّزاً جائزتي وفَرضي ، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي ، فإذا عونٌ حاجبُه قد جاء فقال : هذا أبو العتاهية يُسَلّم عليك وقد قدِم من مكّة ؛ فقال : أَعْفِني منه الساعة[1] يشغَلُني عن ركوبي . فخرج إليه عونٌ فقال : إنّه على الرّكوب إلى أمير المؤمنين . فأَخرَج من كُمّه نعلاً عليها شِراكٌ فقال : قل له إنّ أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلتُ فداءك . قال : فدخل بها ؛ فقال : ما هذه ؟ فقال : نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب . فقال : يا حبيب ، اقرأ ما عليها . فقرأته فإذا هو[2] : [من الكامل]

نعلٌ بعثتُ بها ليلبسَها قَرْمٌ بها يمشي إلى المجدِ
لو كانَ يَصلُح أن أُشَرّكها خدّي جعلتُ شِراكَها خدّي

فقال لحاجبه عَون : احمِلها معنا ، فحملها . فلمّا دخل على الأمين قال له : يا عبّاسيّ ، ما هذه النّعل ؟ فقال : أهداها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أُولى بلُبْسها لِما وصف به لابسها . فقال : وما هما ؟ فقرأهما . فقال : أجاد والله ! وما سبَقه إلى هذا المعنى أحد ، هَبُوا له عشرة آلاف درهم . فأخرجتْ والله في بَدْرة وهو راكب على حماره ، فقبضها وانصرف .

[قيل إنّه كان من أقل الناس معرفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثنا عمروس صاحب الطعام وكان جارَ أبي العتاهية ، قال : كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً ، سمعتُ بِشْراً المرِّيسيّ يقول له : يا أبا إسحاق ، لا تُصلِّ خلف فلانٍ جارِك

1 ل : فالساعة .
2 التكملة : رقم 75 .

وإمام مسجدكم ؛ فإنه مُشَبِّه[1] . قال : كلاَّ إنّه قرأ بنا البارحة في الصّلاة : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ؛ وإذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ ﴿قُلْ هو الله أحد﴾ .

[شكا إليه بكر بن المعتمر ضيق حبسه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني أحمد بن يعقوب الهاشميّ قال حدّثني أبو شَيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال : كتب بَكْر بن المُعتمِر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضِيقَ القَيْد وغَمّ الحبس ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[2] : [من مجزوء الوافر]

هــيَ الأيّام والعِبَرُ وأمـــرُ الله يُنْتَظَرُ
أَتَيْـأَس أن ترى فرجاً فأيـــنَ اللهُ والقَدَرُ

[ذمّه الخيلاء وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال : كنت أَمشي مع أبي العتاهية يدُه في يدي وهو متّكيء عليّ ينظر إلى الناس يذهبون ويجيئون ، فقال : أما تراهم هذا يَتيه فلا يتكلّم ، وهذا يتكلّم بصَلَفٍ ؟ ثم قال لي : مرَّ بعض أولاد المهلَّب بمالك بن دينار وهو يَخطِرُ ، فقال : يا بنيّ ، لو خَفَّضتَ بعضَ هذه الخيُلاء ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشُّهرة التي قد شهَرت بها نفسك ؟! فقال له الفتى : أَوَما تعرِف مَنْ أنا ؟ فقال له : بلى والله أعرِفك معرفة جيّدة ، أوّلُك نطفة مَذِرة ، وآخرك جيفةٌ قَذِرة ، وأنت بين ذينك حامِلٌ عَذِرة . قال : فأَرخى الفتى أُذنيه وكفّ عمّا كان يفعل ، وطَأْطَأَ رأسَه ومشى مُسترسِلاً . ثم أنشدني أبو العتاهية[3] : [من الهزج]

أيـــا واهــاً لذِكر اللّـ ـــهِ يا واهاً لـه واها
لقـد طَيَّب ذِكرُ اللّـ ـــه بالتسبيحِ أفواها
فيـــا أنتنَ مـــن حُشٍّ عـلى حشٍّ إذا تاها[4]
أرى قومـــاً يتيهـــون حُشوشا رُزقوا جاها[5]

[مدح إسماعيل بن محمد شعره]

حدّثني اليزيديّ عن عمّه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال : قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا :

---

1 المشبه : فرقة تقول بأن الله يشبه الإنسان في تكوينه وأفعاله .

2 تكملة الديوان : 94 .

3 ديوان أبي العتاهية : 406 (رقم 420) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 459 .

4 حشّ في الديوان : «زبل» في المرّتين .

5 حشوشا في الديوان : «بهاماً» .

يا أبا إسحاق ، شعرُك كلُّه حَسَنٌ عجيب ، ولقد مرّت بي منذُ أيّام أبياتٌ لك استحسنتها جدّاً ؛ وذلك أنّها كانت مقلوبةٌ أيضاً ، فأواخِرُها كأنّها رأسُها ، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتاباً والله لقد كان حسناً أرفعَ ما يكون شعراً . قال : وما هي ؟ قلت[1] : [من الكامل]

المـــرءُ في تأخير مُدّتــه ... كالثوب يَخْلُق بعـد جِدّتِهِ
وحياتُــه نَفَسٌ يُعَـدّ لـه ... ووفاتُــه استكمالُ عِدّتِـهِ
ومصيرُه مــن بعـد مُدّتــه ... لِبِلىً وذا من بعد وُحْدتِهِ[2]
مَنْ مات مالَ ذوو مودّته ... عنــه وحالوا عــن مودّتِــهِ
أَزِفَ الرحيلُ ونحن في لَعِبٍ ... مــا نستعِـــدّ لـه بِعُدّتِهِ
ولقلّما تُبْقي الخطوبُ على ... أشَر الشّبابِ وحَـرٍّ وقْدتِهِ
عَجَبــاً لمنتبِــهٍ يُضَيّع مــا ... يحتــاج فيــه ليــوم رَقْدتِهِ[3]

[شبّه أبو نواس شعراً له بشعره]

قال اليزيديّ : قال عمّي وحدّثني الحسين بن الضحّاك قال : كنت مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها[4] : [من مجزوء الخفيف]

يــا بنــي النقصِ والغِيَرْ ... وبنــي الضعفِ والخَوَرْ

فلمّا فرَغ منها قال لي : يا أبا عليّ ، والله لكأنّها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية) .

[سأل أعرابيّاً عن معاشه ثم قال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني حُذَيْفَة بن محمد الطائيّ قال حدّثني أبو دُلَف القاسم بن عيسى العجْليّ قال : حَجَجْت فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابيّ في ظلّ مِيلٍ[5] وعليه شَمْلَةٌ إذا غطّى بها رأسَه بدتْ رِجلاه ، وإذا غطّى رِجليه بدا رأسُه . فقال له أبو العتاهية : كيف اخترتَ هذا البلدَ القفْر على البُلدان المُخصِبة ؟ فقال له : يا هذا ، لولا أنّ الله أقنع بعضَ العباد بشرّ البلاد ، ما وَسِع خيرُ البلاد جميعَ العباد . فقال له : فمن أين مَعاشُكم ؟

1 ديوان أبي العتاهية : 84 (رقم 84) مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .
2 رواية الديوان : ومصيره مــن بعـد مِرّتــه ... بالناس ظلمة بيت وحدّته
3 يحتاج في الديوان : يحتاجه .
4 أدرج هذا البيت وآخر معه في تكملة الديوان : رقم 128 نقلاً عن كتاب البديع لابن المعتزّ : ص 44 ، ولم يردا في طبعة صادر من الديوان . ومفهوم قول الحسين بن الضحاك هنا أنّ البيت لأبي نواس ولكنّه ليس في ديوانه (الغزالي) .
5 الميل : منار يبنى للمسافر على نشز من الأرض .

فقال : منكم معشرَ الحاجّ ، تمرّون بنا فننال من فُضولكم ، وتَنْصرفون فيكون ذلك . فقال له : إنّما نمرّ ونَنْصرِف في وقت من السنة ، فمن أين معاشُكم ؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال : لا والله لا أدري ما أقول إلاّ أنَّا نُرْزَقُ من حيث لا نَحتسب أكثرَ ممّا نُرزق من حيث نَحتسب . فولّى أبو العتاهية وهو يقول[1] : [من الهزج]

أَلا يـا طالـبَ الدُّنيـا دَعِ الدنيـا لشانِيكا
ومـا تصنـعُ بالدنيـا وظِـلُّ المِيـل يَكْفِيكا

[شتمه سلم لمّا سمع هجوه فيه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : لمّا قال أبو العتاهية : [من الوافر]

تعالى اللهُ يـا سَلْمُ بنَ عَمْرٍ أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

قال سَلم : ويلي على ابن الفاعِلة ؛ كَنَز البُدور ويزعُم أنّي حريصٌ وأنا في ثوبيّ هذين !

[كان عبد الله بن عبد العزيز يتمثّل كثيراً بشعره]

أخبرني محمد بن مَزْيد والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمرو بن أدعَج قال : قلت لعبد الله بن عبد العزيز العُمَريّ وسمعته يتمثّل كثيراً من شعر أبي العتاهية : أشهدُ أنّي سمعته يُنشد لنفسه[2] : [من مجزوء الخفيف]

مَرّتِ اليومَ شاطرهْ بَضّةُ الجسمِ ساحرهْ
إنّ دُنيا هـي التي مرّت اليـومَ سافرهْ
سَرَقوا نصفَ إسمِهـا فَهْيَ دنيـا وآخِرهْ

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وكَله اللهُ إلى آخرتها . قال : وما سُمع بعد ذلك يَتَمَثّل ببيتٍ من شعره .

قال عليّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبي عُيَيْنة المُهلّبيّ ، وكان يُشَبّب بدنيا في شعره ، فإمّا أن يكون الخبرُ غلطاً ، وإمّا أن يكون الرجل أنشدها العُمَرِيَّ لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنـها ليست له .

[موازنة بينه وبين أبي نواس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال : قال لي الحِرْمازِيّ : شهِدتُ أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس ، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة ،

1 ديوان أبي العتاهية 275 (رقم 291) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 317 .
2 تكملة الديوان : رقم 101 .

وكان أبو نواس أسرعَهما في قول الشعر ؛ فإذا تَعاطَيا جميعاً السرعةَ فضَله أبو العتاهية ، وإذا توقّفا وتمهّلا فضَله أبو نواس .

[جفاه صالح المسكين فعاتبه فجاهره بالعداوة]

أخبرني أحمد بن العبّاس عن ابن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثنا أبو أُنَس كَثِيرُ بن محمد الحِزاميّ قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار عن مَعروف العامِليّ قال : قال أبو العتاهية : كنتُ منقطعاً إلى صالح المسكين ، وهو ابن أبي جعفر المنصور ، فأصبت في ناحيته مائةَ ألف درهم ، وكان لي ودوداً وصديقاً ، فجئته يوماً ، وكان لي في مجلسه مَرتبةٌ لا يجلس فيها غيري ، فنظرت إليه قد قصّر بي عنها ، وعاودتُه ثانيةً فكانت حاله تلك ، ورأيت نظرَه إليّ ثقيلاً ، فنهضتُ وقلت[1] : [من الهزج]

أراني صالحٌ بُغْضا فأظهرتُ له بُغضا
ولا واللهِ لا ينقُـ ـضُ إلاّ زدتُه نَقْضا
وإلاّ زِدتُه مقتاً وإلاّ زدتُه رفْضا
ألا يا مُفسِد الودّ وقد كان له محضا
تغضبتَ مِنَ الريح فما أُطلُب أن تَرْضى
لئن كان لك المالُ الـ ـمُصفّى إنّ لي عِرْضا

قال أبو العتاهية : فنُمي الكلامُ إلى صالح فنادى بالعداوة ؛ فقلت فيه[2] : [من الوافر]

مَدَدْتُ لُمعْرِضٍ حَبْلاً طويلاً كأطولِ ما يكون من الحِبالِ
حبالٍ بالصَّريمةِ ليس تَفْنى مُوَصَّلةٍ على عَددِ الرمالِ
فلا تنظُرْ إليّ ولا تُرِدْني ولا تُقْرِبْ حبالَك من حِبالي
فليت الرَّدْمَ من يأجوجَ بيني وبينَك مثبتاً أُخرى الليالي
فكَرِّش إن أردتَ لنا كلاماً ونقطع قِحْفَ رأسِك بالقَذالِ

[استنشده مساور شعراً في جنازة فأبى]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليٌّ بن سليمان النَّوفليّ قال : قال مُساوِر السبّاق ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير عن مُساوِر السبَّاق قال : شَهِدتُ

1 تكملة الديوان : رقم 143 .
2 تكملة الديوان : رقم 216 .

جنازةً في أيّام الحاجّ وقت خروج[1] الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن المقتول بفَخّ ، فرأيتُ رجلاً قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر : هذا الرجل الذي صِفَتُه كذا وكذا أبو العتاهية . فالتفت إليه فقلت له : أنت أبو العتاهية ؟ فقال : لا ، أنا أبو إسحاق . فقلت له : أنشِدْني شيئاً من شعرك ؛ فقال لي : ما أحمقَك ؛ نحن على سَفَرٍ وعلى شَفِير قَبْر ، وفي أيّام العشر ، وببلدكم هذا تَستنشدني الشعر ؟ ثم أدْبَر عنّي ثم عاد إليّ فقال : وأُخرى أَزِيدُكها ، لا والله ما رأيت في بني آدم قطُّ أسمجَ منك وجهاً !

قال النّوفليّ في خبره : وصدق أبو العتاهية ، كان مُساورٌ هذا مُقَبَّحاً طويلَ الوجه كأنّه ينظُر في سيف .

[حجبه حاجب يحيى بن خاقان فعاتبه ولم يرض عنه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد وجَحظة قالا حدّثنا مَيمون بن هارون قال : قدِم أبو العتاهية يوماً منزلَ يحيى بن خاقان ، فلمّا قام بادر له الحاجب فانصرف . وأتاه يوماً آخرَ فصادفه حين نزل ، فسلّم عليه ودخل إلى منزله ولم يأذَن له ؛ فأخذ قِرطاساً وكتب إليه[2] : [من الوافر]

أَراكَ تُراعُ حين تَرى خَيالي ... فما هذا يَرُوعك من خيالي
لعلّك خائفٌ منّي سؤالي ... ألا فلَكَ الأمانُ مِنَ السؤالِ
كَفَيتُك إنّ حالَك لم تَمِلْ بي ... لأطلُبَ مثلَها بَدَلاً بحالي
وإنّ اليُسْرَ مثلُ العُسْر عندي ... بأيّهما مُنِيتُ فلا أُبالي

فلمّا قرأ الرُّقعةَ أمر الحاجب بإدخاله إليه ، فطلبه فأبى أن يرجع معه ، ولم يَلتَقِيا بعد ذلك .

[كان بينه وبين أبي الشمقمق شرّ]

أخبرني عبد الله بن محمد الرَّازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ قال : اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمقمق في بيت ابن أُذَيْن ، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشَّمقمق شرٌّ ، فخبّؤوه من أبي العتاهية في بيت . ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ ، فظنّ أنّه جارية ، فقال لابن أُذَيْن : متى استطرفتَ هذه الجارية ؟ فقال : قريباً يا أبا إسحاق ، فقال : قُلْ فيها ما حضَر ؛ فمدّ أبو العتاهية يده إليه وقال : [من السريع]

مددتُ كَفّي نحوَكم سائلاً ... ماذا تَرُدُّون على السائلِ

---

1 ل : خرج .

2 تكملة الديوان : رقم 213 .

فلم يَلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت : [من السريع]

نَـــرُدّ في كفِّـــك ذا فَيْشَةٍ يَشْفي جوًى في ٱستِك من داخلِ

فقال أبو العتاهية : شمقمق والله ؛ وقام مُغضَباً .

[استنشد ابن أبي أميّة شعره ومدحه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفليّ قال حدّثني سليمان بن عَبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال : كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ في وسط المجلس ؛ فقال أبو العتاهية لجعفر : جعلني الله فداك ؛ معكم شاعرٌ يُعرَف بابن أبي أُميّة أُحِبّ أن أسمعه يُنشِد ؛ فقال له جعفر : هو أقربُ الناس منك . فأقبل أبو العتاهية على محمد ، وكان إلى جانبه ، وسأله أن يُنشده ، فكأنّه حَصِر ثم أنشده : [من الرمل]

صوت

رُبّ وعدٍ منك لا أُنساه لي أَوْجَبَ الشكرَ وإن لم تَفعلِ
أَقطَعُ الدهرَ بوعـدٍ حَسَنٍ وأُجَلِّـي غَمْرةً مـا تَنْجَلي
كلّما أمّلتُ وعـداً صالحاً عَرَض المكروهُ دونَ الأَملِ
وأرى الأيّامَ لا تُدْني الذي أَرْتَجِي منـك وتُدْني أَجلي

في هذه الأبيات لأبي حَبَشة رملٍ ، قال : فأقبل أبو العتاهية يُردّد البيت الأخير ويُقبّل رأسَ ابن أبي أميّة ويبكي ، وقال : وَدِدتُ والله أنّه لي بكثيرٍ من شِعْرِي .

[لم يرض بتزويج ابنته من منصور بن المهدي]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كانت لأبي العتاهية بنتان ، اسم إحداهما «لله» ، والأُخرى «بالله» ؛ فخطَب منصور بن المهدي «لله» فلم يُزوّجه ، وقال : إنّما طلبها لأنّها بنت أبي العتاهية ، وكأنّي بها قد ملّها ، فلم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأُزوّجها إلاّ بائع خَزَفٍ وجِرارٍ ، ولكنّي أختاره لها مُوسِراً .

[كان له ابن شاعر]

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يقال له محمد وكان شاعراً ، وهو القائل[1] : [من مخلّع البسيط]

قـد أَفْلحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ كَلامُ راعِي الكلامِ قُوتُ
ما كلُّ نُطْـقٍ لـه جوابٌ جوابُ مـا يُكْرَهُ السُّكوتُ

1 ديوان أبي العتاهية : 144 (رقم 148) على اختلاف في الترتيب .

يا عَجَبـاً لامرىءٍ ظَلُومٍ مُسْتَيقِـنٍ أنّـه يموتُ

[سأله عبد الله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثنا زكريّا بن الحسين عن عبد الله بن الحسن بن سَهْل الكاتب قال : قلت لأبي العتاهية : أَنشِدني من شِعرك ما تستحسن ، فأَنشدني : [من السريع]

ما أَسرعَ الأيّامَ في الشّهرِ وأسرَعَ الأَشْهُـرَ في العُمْرِ

صوت

ليس لمن ليستْ لـه حِيلةٌ موجـودةٌ خيرٌ مـن الصَّبْرِ
فاخْطُ مع الدهرِ إذا ما خطا واجْرِ مـع الدهرِ كما يَجْرِي
مَنْ سابَقَ الدهرَ كبا كَبْوةً لم يَسْتَقِلْهـا آخِـرَ الدهرِ

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ وثقيلٌ أوّل .

[جفاه الفضل فوصله ابن الحسن بن سهل]

قال عبد الله بن الحسن : وسمعتُ أبا العتاهية يُحدّث قال : ما زال الفضلُ بن الربيع من أَميَلِ الناس إليّ ، فلمّا رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه ، فاستنشدني فأَنشدته[1] : [من البسيط]

أَفنيـتَ عمـرَك إدبـاراً وإقبالا تَبْغِي البنين وتَبْغِي الأَهْـلَ والمالا
الموتُ هَوْلٌ فكُنْ ما شِئتَ مُلْتمِساً من هَوْلِه حِيلةً إن كنتَ مُحتالا[2]
أَلـم تَرَ المَلِكَ الأَمْسِيَّ حين مضى هل نال حيٌّ مـن الدنيا كما نالا[3]
أفناه مَنْ لم يَزَلْ يُفْني القُرونَ فَقَدْ أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا[4]
كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمانِ بهم فأصبحـوا عِبَـراً فينـا وأَمثالا

فاستحسنها وقال : أنت تعرف شُغْلي ، فَعُدْ إليّ في وقت فراغي أقعد معك وآنسْ بك . فلم أَزَلْ أُراقِب أيّامه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه ؛ فبينما هو مُقبِلٌ عليّ يستنشدني ويسألني

1 ديوان أبي العتاهية : 302–303 (رقم 314) .
2 الديوان : «للموت غول . . . من غوله . . .» .
3 الأمسي في الديوان : الأمي .
4 القرون في الديوان : الملوك .

فأُحدّثه ، إذْ أنشدته[1] : [من الكامل]

وَلَّى الشبابُ فما له من حِيلةٍ   وكَسا ذُؤابَتي المشيبُ خِمارا
أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهمْ   بالأمسِ أعظمَ أهْلِهــا أخطارا

فلمّا سمع ذكري البرامكة تَغَيّر لونُه ورأيتُ الكراهيّة في وجهه ، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك .

قال : وكان أبو العتاهية يُحدّث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل ؛ فقال له : لئن كان ذلك ضَرّك عند الفَضْل بن الربيع لقد نفعك عندنا ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأَجرى له كلّ شهرٍ ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يَقْبَلها دارّةً إلى أن مات .

[عاتب مجاشع بن مسعدة فردّ عليه من شعره]

قال أبو عبد الله بن الحسن بن سهل : وسمعت عمرو بن مَسعدة يقول : قال لي أخي مُجاشِع : بينما أنا في بيتي إذ جاءتني رُقعةٌ من أبي العتاهية فيها[2] : [من مجزوء الوافر]

خَليــلٌ لي أُكاتمُـــه   أَرانــي لا أُلائمُــــهُ
خليلٌ لا تَهُبّ الرِّيــ   ـحُ إلاّ هــبّ لائِمهُ
كذا مَنْ نــالَ سلطاناً   ومــن كَثُرتْ دراهمُهُ

قال : فبعثتُ إليه فأتاني ، فقلت له : أما رَعَيْتَ حقّاً ولا ذِماماً ولا مودّة ؟ فقال لي : ما قلتُ سوءا . قلت : فما حمَلك على هذا ؟ قال : أُغيبُ عنك عشرةَ أيّام فلا تسأل عنّي ولا تبعَثُ إليّ رسولاً ؟ فقلت : يا أبا إسحاق ، أَنَسِيتَ قولك[3] : [من مجزوء الكامل]

يَأْبــى المُعَلَّق بالمُنــى   إلاّ رَواحــاً وادّلاجــا
أُرفُقْ فعمرُك عُودُ ذي   أَوَدٍ رأيتُ به اعوجاجا
مَنْ عاجَ من شيءٍ إلى   شيءٍ أصابَ له مَعاجا

فقال : حسبُك ، حسبُك ، أوسَعْتَني عُذْراً .

[عاب شعر ابن مناذر لاستعماله الغريب]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ الزّارع قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن عِمران بن عبد الصّمد الزّارع قال حدّثنا ابن عائشة قال : قال أبو العتاهية لابن

1 ديوان أبي العتاهية : 145 (رقم 148) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 171 .
2 تكملة الديوان : رقم 232 .
3 ديوان أبي العتاهية : 95 (رقم 96) .

مناذر : شعرك مُهجَّن لا يَلْحَق بالفحول ، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحدَثين . فإن كنت تَشبَّهت بالعجّاج ورُؤْبة فما لَحِقْتَهما ولا أنت في طريقهما ، وإن كنت تذهب مَذْهبَ المُحْدَثين فما صنعتَ شيئاً . أَخبِرْني عن قولك :

ومَنْ عاداك لاقَى المَرْمَرِيسا[1]

أَخبرني عن المرمريس ما هو ؟ قال : فخجِل ابن مناذر وما راجعه حَرْفاً . قال : وكان بينهما تَناغُر[2] .

[عرف عبيد الله بن إسحاق بمكّة وسأله أن يجيز شعره]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني الحسين بن إسماعيل المَهديّ قال حدّثني رجاء بن سلمة قال : وجد المأمون عليّ في شيء ، فاستأذنته في الحجّ فأذن لي ، فقَدِمتُ البصرة وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشميّ عليها وإليه أمرُ الحجّ ، فزاملتُه إلى مكّة . فبينا نحن في الطَّواف رأيت أبا العتاهية ، فقلت لعبيد الله : جُعِلتُ فِداك ؛ أَتُحِبّ أن ترى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إنّي لأُحِبُّ أن أراه وأُعاشِره . قلت : فافرُغ من طَوافك واخرُج ، ففعل . فأخذتُ بيد أبي العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ، هل لك في رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدّثا ساعةً ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك في بيتين تُجيزهما ؟ فقال له عبيد الله : إنّه لا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدال في الحجّ . فقال له : لا نَرْفُث ولا نفسُق ولا نُجادل . فقال : هات إذاً . فقال أبو العتاهية[3] : [من الكامل]

إنّ المنــونَ غُدُوَّهــا ورَواحَها ... في الناسِ دائبة تُجيلُ قِداحَها
يــا ساكنَ الدنيا لقد أُوطنتَها ... ولَتَنْزَحنَّ وإن كَرِهتَ نزاحَها

فأطرق عبيد الله ينظرُ إلى الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال : [من الكامل]

خُــذْ لا أبــا لكَ للمنيّةِ عُدَّةً ... واحْتَلْ لنفسك إن أَردتَ صلاحَها
لا تَغْتَرِرْ فكأَنَّني بعُقاب رَيـ ... ـب الموت قد نَشَرتْ عليك جَناحَها

قال : ثم سمعتُ الناس يَنْحَلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلّها ، وليس له إلاّ البيتان الأوّلان .

1 المرمريس : الداهية .
2 ل : تباعد .
3 ديوان أبي العتاهية : 101 (رقم 101) .

[قصّته في السجن مع داعية عيسى بن زيد]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا مَيمون بن هارون قال حدّثني إبراهيم بن رَباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله ، وأخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا هارون بن مُخارق قال حدّثني إبراهيم بن دَسْكَرة ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شَيخ قال : قال أبو العتاهية : حبَسني الرشيد لمّا تركتُ قولَ الشعر ، فأُدخِلتُ السجن وأُغلِق الباب عليَّ ، فدَهِشتُ كما يدهَش مثلي لتلك الحال ، وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مُقَيّد ، فجعلتُ أنظر إليه ساعةً ، ثم تمثّل : [من الطويل]

صوت

تَعــوّدتُ مُرَّ الصبر حتى أَلِفْتُه ... وأسلمني حسنُ العَزاء إلى الصبرِ[1]
وصيّرني يأسي مـن النَّاس راجياً ... لحُسْن صنيعِ الله من حيثُ لا أَدري

فقلت له : أَعِدْ ، يرحمك الله ، هذين البيتين . فقال لي : ويلَك أبا العتاهية ؛ ما أسوأَ أدبَك وأقلَّ عقلَك ! دخلتَ عليّ الحبس فما سلَّمتَ تسليم المُسْلِم على المُسْلم ، ولا سألتَ مسألة الحُرّ للحرّ ، ولا توجّعت توجُّع المُبتلى للمُبتلَى ، حتى إذا سمعتَ بيتين من الشعر الذي لا فضلَ فيك غيره ، لم تصبِر عن استعادتهما ، ولم تُقَدِّم قبلَ مسألتك عنهما عُذراً لنفسك في طلبهما ؛ فقلت : يا أخي إنّي دَهِشتُ لهذه الحال ، فلا تَعذُلْني واعذِرْني مُتفضِّلاً بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدَّهَش والحيرة منك ؛ لأنّك حُبِستَ في أن تقول شعراً به ارتفعتَ وبلَغت ، فإذا قُلتَ أُمِّنت ، وأنا مأخوذٌ بأن أَدُلَّ على ابن رسول الله ﷺ ليُقتَل أو أُقتَلَ دونه ، ووالله لا أدُلّ عليه أبداً ، والساعة يُدعى بي فأُقتَل ، فأَيُّنا أحقُّ بالدَّهَش ؟ فقلت له : أنت والله أولى ، سَلَّمك الله وكفاك ، ولو علمتُ أنّ هذه حالُك ما سألتُك . قال : فلا نَبْخَلُ عليك إذن ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتُهما . قال : فسألته مَن هو ؟ فقال : أنا خاصّ داعيةُ عيسى بن زيد وابنِه أحمد . ولم نلبث أن سمعنا صوتَ الأقفال ، فقام فسكَب عليه ماء كان عنده في جرّة ، ولبِس ثوباً نظيفاً كان عنده ، ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً ، وقُدِّم قبلي إلى الرشيد . فسأله عن أحمد بن عيسى ؛ فقال : لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع ، فلو أنّه تحت ثوبي هذا ما كشفتُه عنه . وأُمر بضرب عنقه فضُرِب . ثم قال لي : أظنّك قد ارتعتَ يا إسماعيل ؛ فقلت : دون ما رأيتَه تَسيل منه النفوس . فقال : ردّوه إلى مَحبسه فرُدِدْتُ ، وانتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما[2] : [من الطويل]

---

1 مُرّ الصبر في ل : مسّ الضر .

2 انظر ديوان أبي العتاهية : 174–175 (رقم 178) وهي خمسة أبيات من ضمنها الثلاثة المتقدّمة .

إذا أنا لم أَقْبَلْ من الدّهرِ كلَّ ما تكَرَّهتُ منه طال عَتْبِي على الدهرِ

لِزُرْزُور غلامِ المارِقيّ في هذين البيتين المذكورين خفيف رمل . وفيهما لعَرِيب خفيف ثقيل .

[كان خِلْفاً في شعره منه الجيّد والرديء]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ناجيةُ بن عبد الواحد قال : قال لي أبو العبّاس الخُزيميّ : كان أبو العتاهية خِلْفاً في الشعر ، بينما هو يقول في موسى الهادي : [من مجزوء الكامل]

لَهْفي على الزمنِ القصيرِ بين الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ

إذ قال[1] : [من مجزوء الرجز]

أيا ذَوِي الوَخامهْ أكثرتُمُ المَلامهْ
فليس لي على ذا صبرٌ ولا قُلامهْ
نعمْ عَشِقتُ مُوقاً هل قامتِ القيامهْ
لأَرْكَبنّ فيمن هَوِيتُه الصَّرامهْ

[عرض شعراً له على سلم الخاسر فذمّه]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن عيسى قال حدّثني الجَمّاز قال : قال سَلْمٌ الخاسِر : صار إليّ أبو العتاهية فقال : جئتُكَ زائراً ؛ فقلت : مقبولٌ منك ومشكورٌ أنت عليه ، فأَقِمْ . فقال : إنّ هذا ممّا يَشتدّ عليّ . قلت : ولِمَ يشتدّ عليك ما يَسهُل على أهلِ الأدب ؟ فقال : لِمَعرِفتي بضيقِ صدرك . فقلت له وأنا أُضحك وأُعجب من مُكابرته : «رَمَتْني بدائِها وانسلَّتْ»[2] . فقال : دَعني من هذا واسمع منّي أبياتاً . فقلت : هاتِ ، فأَنشدني[3] : [من الخفيف]

نغّصَ الموتُ كلَّ لذّة عيشٍ يا لَقومِي لِلْمَوتِ ما أَوْحاهُ[4]
عجباً أنّه إذا مات مَيْتٌ صَدَّ عنه حبيبُه وجَفاهُ
حيثما وُجِّه امرؤٌ ليفوتَ الـ ـموتَ فالموتُ واقفٌ بحِذاهُ
إنّما الشَّيْبُ لابن آدمَ ناعٍ قام في عارِضَيْهِ ثم نَعاهُ

---

1 تكملة الديوان : رقم 240 .
2 هو المثل رقم 1521 عند الميداني وانظر فصل المقال : 92 .
3 ديوان أبي العتاهية : 414–415 (رقم 432) .
4 أوحاه : ما أسرعه .

مَنْ تَمَنَّى المُنى فأَغْرق فيها　　مات من قبلِ أن ينالَ مُناهُ
مـا أَذَلَّ المُقِلَّ في أَعْيُنِ النّا　　سِ لإقلالـــه ومـا أقْماهُ
إنّما تنظـرُ العيـونُ من النا　　سِ إلى مَنْ تَرْجوه أو تخْشاهُ

ثم قال لي : كيف رأيتها ؟ فقلت له : لقد جوَّدتَها لو لم تكن ألفاظُها سُوقيّةً . فقال : والله ما يُرَغِّبني فيها إلاّ الذي زهّدك فيها .

[قوله عندما مرّ به حميد الطوسيّ متكبّراً]

ونسختُ من كتابه : عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة عن محمد بن عيسى الحربيّ قال : كنت جالساً مع أبي العتاهية ، إذ مرّ بنا حُمَيْدٌ الطُّوسيّ في موكبه وبين يديه الفُرسان والرَّجّالة ، وكان بِقُربِ أبي العتاهية سَوادِيٌّ على أتان ، فضربوا وجه الأتان ونَحَّوْه عن الطريق ، وحُميد واضعٌ طَرَفَه على مَعرَفَة فرسه والناس ينظرون إليه يعجَبون منه وهو لا يلتفت تِيهاً ؛ فقال أبو العتاهية[1] : [من مجزوء الكامل]

لِلمـوت أبنـاءٌ بهـمْ　　ما شِئْتَ من صَلَفٍ وتيهِ
وكأنّني بالمـوتِ قـد　　دارَتْ رَحاه على بَنِيهِ

قال : فلمّا جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية[2] : [من الخفيف]

مـا أذلَّ المُقِـلَّ في أعين النا　　س لإقلالـــه ومـــا أقْماهُ
إنّما تنظـرُ العيـونُ مـن النا　　سِ إلى مَنْ تَرْجوه أو تَخْشاهُ

[اعترض عليه في بخله فأجاب]

قال عليّ بن مهديّ وحدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال : قيل لأبي العتاهية : ما لك تَبخَل بما رزقك الله ؟ قال : والله ما بَخِلتُ بما رزقني الله قطّ . قيل له : وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يُحصى ؟ قال : ليس ذلك رِزقي ، ولو كان رزقي لأنفقتُه .

[طلب من صالح الشهرزوري حاجة فلم يقضها فعاتبه]

قال عليّ بن مهديّ وحدّثني محمد بن جعفر الشَّهرَزُورِيّ قال حدّثني رَجاء مولى صالح الشهرزوريّ قال : كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشهرزوريّ وآنس الناس به ، فسأله أن يُكَلِّم الفضلَ بن يحيى في حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أُكَلِّمه في أشباه هذا ، ولكن حَمِّلْني ما شئت في مالي . فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أيّاماً لا يأتيه ؛ فكتب إليه أبو

1 تكملة الديوان : رقم 291 .
2 ديوان أبي العتاهية : 400–401 (رقم 412) وهي 10 أبيات .

العتاهية : [من الكامل]

أَقْلِلْ زيارتَك الصديقَ ولا تُطِلْ إتْيانَـه فتَلِـجَّ في هِجْرانِهِ[1]
إنّ الصديقَ يَلِـجّ في غِشْيانِه لصديقه فيُمَـلُّ من غِشْيانِهِ
حتّى تراه بعد طـول مَسرّةٍ بمكانـه مُتَبرِّماً بمكانِهِ[2]
وأقَلُّ ما يُلْفَى الفتى ثِقَلاً على إخوانه ما كـفَّ عن إخوانِهِ[3]
وإذا توانَـى عن صيانة نفسه رجلٌ تُنُقِّص واستُخِفَّ بشانِهِ

فلمّا قرأ الأبياتَ قال : سبحانَ الله ؛ أتهجُرني لمنعي إيّاك شيئاً تعلم أنّي ما ابتذلتُ نفسي له قطّ ، وتَنْسى مودّتي وأخوّتي ، ومِنْ دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تَعْذِرني ! فكتب إليه[4] : [من الكامل]

أهلَ التَّخلُّقِ لو يَدوم تَخلُّقُ لسكنتُ ظِلّ جَناح مَنْ يَتخَلَّقُ
ما الناس في الإمساك إلاّ واحدٌ فبأيِّهم إنْ حُصِّلوا أتعلّقُ
هـذا زمـانٌ قـد تعوَّد أهلُه تيهَ الملوك وفِعلَ مَنْ يَتصدّقُ

فلمّا أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدّثه بالحديث ؛ فقال له : لا والله ما على الأرض أبْغضُ إليّ من إسداء عارفةٍ إلى أبي العتاهية ؛ لأنّه ممّن ليس يظهر عليه أثرُ صنيعة ، وقد قضيتُ حاجتَه لك ؛ فرجعَ وأرسلني إليه بقضاء حاجته . فقال أبو العتاهية[5] : [من الطويل]

جَزَى اللهُ عنّـي صالحاً بوَفائـه وأَضْعَفَ أضعافاً لـه في جَزائِهِ
بَلَوْتُ رجـالاً بعـدَه في إخائهمْ فما ازددتُ إلاّ رغبةً في إخائِهِ
صديقٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً رجعتُ بما أَبْغي ووجهي بمائِهِ

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حرب قال : أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحاً هـذا في تأخيره قضـاء حاجتـه[6] : [من الطويل]

1 ولا تطل إتيانه فتلجُّ في الديوان : «. . . ولا تطل هجرانه فيلج . . .» .
2 الديوان : «. . . مستثقلاً لمكانه» .
3 وأقل في الديوان : وأخف .
4 تكملة الديوان : رقم 158 .
5 تكملة الديوان : رقم 5 .
6 تكملة : رقم 60 .

صوت

أَعَيْنَيَّ جُودا وابكِيا وُدَّ صالِحٍ   وهِيجا عليه مُعْوِلاتِ النَّوائِحِ
فما زالَ سلطاناً أخٌ لي أَوَدُّه   فيَقْطَعُني جُرْماً قطيعةَ صالِحِ

الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

[أمر الرشيد مؤدّب ولده أن يرويهم شعره]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : كان الرشيد مُعجَباً بشعر أبي العتاهية ، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُقعتان على نسخةٍ واحدة ، فبعث بإحداهما إلى مُؤدِّب لوَلَده وقال : ليُرَوِّهِمْ ما فيها ، ودفَع الأُخرى إليّ وقال : غَنِّ في هذه الأبيات . ففتحتُها فإذا فيها[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

قُـلْ لِمَنْ ضَنَّ بوُدِّهْ   وكَوى القلبَ بصَدِّهْ
ما ابتَلى اللهُ فؤادي   بِكَ إلاّ شُؤْمَ جَدِّهْ
أيُّها السارقُ عَقْلي   لا تَضَنَّنَّ بِرَدِّهْ
ما أرى حُبَّكَ إلاّ   بالغاً بي فوقَ حَدِّهْ

[تمثّل المعتصم عند موته بشعر له]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الأُمويّ العُتْبيّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات : لمّا أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق : ذَهَب والله أبوك يا هارون ! للهِ درُّ أبي العتاهية حيث يقول[2] : [من مجزوء الكامل]

الموتُ بينَ الخَلْقِ مُشْتَرَكُ   لا سُوقَةٌ يَبْقى ولا مَلِكُ
ما ضَرَّ أصحابَ القليلِ وما   أَغْنى عَنِ الأملاكِ ما مَلَكُوا

[عدّ أبو تمّام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي الحسن والكوكبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي أبو تمّام الطائيّ : لأبي العتاهية خمسةُ أبياتٍ ما شَرِكَه فيها أحدٌ ، ولا قَدَر على مثلها مُتَقَدِّم ولا متأخّر ، وهو قوله : [من مجزوء الكامل]

---

1 تكملة : رقم 84 .

2 ديوان أبي العتاهية : 267–268 (رقم 283) .

النـــاسُ في غَفَلاتِهِـــمْ ورَحـــى المَنِيَّـةِ تَطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنّ الفقْرَ يُرْجى له الغِنى وأنّ الغِنى يُخْشى عليه مِنَ الفَقْرِ

وقوله في موسى الهادي[1] : [من المتقارب]

ولّمـا اسْتَقَلُّوا بأثقالِهـمْ وقد أَزْمَعُوا للذي أَزمعوا
قرنتُ التفاتــي بآثارِهمْ وأَتْبَعْتُهــمْ مُقْلـةً تَدْمَعُ

وقوله : [من الوافر]

هَبِ الدنيا تصيرُ إليك عَفْواً أليس مصيرُ ذاك إلى زَوالِ

[عزاؤه صديقاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني محمد بن سعيد المَهْديّ عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاريّ قال : مات شيخٌ لنا ببغداد ، فلمّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعَزُّونه ، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد ، فعَزَّاه ثم أنشده[2] : [من المجتث]

لا تَـأمنِ الدَّهْرَ والْبَسْ لكلِّ حــينٍ لِبــاسا
لَيَـدْفِنَنّـــا أُنـــاسٌ كما دَفَنّـــا أُنــاسا

قال : فانصرف الناسُ ، وما حفِظوا غير قول أبي العتاهية .

[أرسل لخزيمة من شعره في الزهد فغضب وذمّه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه : قال : كنتُ في مجلس خُزَيمة[3] ، فجرى حديثُ ما يُسْفَكُ من الدماء ، فقال : والله مالنا عند الله عذرٌ ولا حُجّةٌ إلاّ رجاء عفوه ومغفرته . ولولا عزُّ السلطان وكراهةُ الذلّة ، وأن أصيرَ بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعاً ، ما كان في الأَرض أزهَدُ ولا أَعبدُ منّي ؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ[4] : [من الطويل]

1 تكملة الديوان : رقم 145 .
2 ديوان أبي العتاهية : حاشية القطعة 198 (ص 193) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 229 .
3 هو خزيمة بن خازم أحد قوادِ الرشيد .
4 ديوان أبي العتاهية : 347 (رقم 356) وهي عشرة أبيات مع اختلاف في الترتيب .

أَراكَ امرءاً ترجو من الله عَفْوَهُ وأنتَ على مـا لا يُحِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ على التقوى وأنتَ مُقَصِّرٌ أيا مَن يُداوي الناسَ وهو سَقِيمُ
وإنَّ امرءاً لم يُلْهِهِ اليومُ عن غَدٍ تَخَوُّفُ مـا يأتـي بـه لحكيمُ
وإنّ امرءاً لم يَجعلِ البِرَّ كنزَه وإنْ كانـتِ الدنيا لـه لعديمُ

فغضِب خُزيمة وقال : والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحِف من كنوز البِرّ فيرغب فيه حرٌّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنّه من الذين يكنِزون الذهب والفِضّة ولا يُنفقونها في سبيل الله .

[مدح يزيد بن مزيَد فوصله]

ونسختُ من كتابه : عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال قال لي الفضل بن العبّاس : قال لي أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مَزْيد ، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها[1] : [من الطويل]

ومـا ذاك إلاَّ أنَّني واثِـقٌ بما لديـك وأنِّي عالـمٌ بوفائِكا
كأنّك في صدري إذا جئتُ زائراً تُقَـدِّر فيـه حاجتـي بابتدائكا
وإنّ أميـرَ المؤمنـين وغيـرَه ليَعلَمُ في الهيجـاء فضلَ غَنائِكا
كأنّك عند الكَرِّ في الحربِ إنّما تَفِرُّ من السِّلْمِ الذي من وَرائِكا
فما آفةُ الأملاكِ غيرُك في الوَغَى ولا آفـةُ الأمـوالِ غيرُ حِبائِكا

قال : فأعطاني عشرة آلاف درهم ، ودابةً بسرْجها ولِجامها .

[وعظ راهب رجلاً عابداً بشعره]

وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق وعمِّي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا : حدّثنا عمر بن شَبَّة قال : مرّ عابدٌ براهبٍ في صَوْمعة ؛ فقال له : عِظْني . فقال : أعِظُك وعليكم نَزل القرآن ، ونبيُّكم محمد ﷺ قريب العهد بكم ؟ قلت نعم . قال : فاتَّعِظْ ببيتٍ من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول : [من الطويل]

تَجَرَّدْ مِـنَ الدنيـا فإنَّك إنّما وقعتَ إلى الدنيا وأنتَ مُجَرَّدُ[2]

[فضّله العتابيّ على أبي نواس]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني الفضل بن محمد الزَّارع

1 تكملة الديوان : رقم 7 .

2 وقعت في الديوان (القطعة رقم 109) : سقطت .

قال حدّثني جعفر بن جَميل قال : قدِم العَتّابيّ الشاعر على المأمون ، فأُنزله على إسحاق بن إبراهيم ، فأنزله على كاتبه ثوابة بن يونس ، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه . فجرى ذات يوم ذِكر الشعراء ؛ فقال : لَكُمْ يا أهل العراق شاعرٌ منوَّه الكنية ، ما فعل ؟ فذكر القوم أبا نواس ؛ فانتهرهم ونفضَ يده وقال : ليس ذلك ، حتى طال الكلام . فقلت : لعلّك تريد أبا العتاهية . فقال : نعم ، ذاك أشعر الأوّلين والآخرين في وقته .

[لام أبا نواس في استماع الغناء]

أخبرني محمد بن عِمران قال حدّثني العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكِنديّ قال : جلس أبو العتاهية يوماً يَعْذُلُ أبا نواس ويلومه في استماع الغِناء ومجالسته لأصحابه ؛ فقال له أبو نواس : [من مجزوء الرمل]

أتُراني يـــا عَتاهــي   تــاركاً تلك المَلاهي
أتُراني مفْسِداً بالنُّسْـ   ـكِ عند القوم جاهي

قال : فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك . وجعل أبو نواس يضحك .

[بلغه أنّ إبراهيم بن المهديّ رماه بالزندقة فبعث إليه يعاتبه]

أخبرني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها ؛ فبعث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق الموصلي ، فأدّى إليه إسحاق الرسالة ؛ فكتب إليه أبي : [من الكامل]

إنّ المنيَّــةَ أُمهلتْــك عَتاهـــي   والموتُ لا يسهو وقلبُك ساهِي
يا ويحَ ذي السنِّ الضعيفِ أمالُه   عن غَيِّه قبــل الممات تُناهي
وُكِّلْــتَ بالدنيا تُبَكِّيهـا وتَنْـ   ـدُبها وأنت عَنِ القيامة لاهي
والعيشُ حُلْـوٌ والمَنُونُ مَريرةٌ   والـــدَّارُ دارُ تَفاخُــرٍ وتَباهي
فاختَرْ لنفسك دونها سُبُلاً ولا   تَتَحامَقَنَّ لهـا فإنّـك لاهي[1]
لا يُعْجِبَنّــكَ أنْ يُقال مُفَوَّهٌ   حَسَنُ البَلاغة أو عَرِيضُ الجاهِ
أَصْلِحْ جَهُولاً من سَرِيرتك التّي   تخلو بهـــا وارهَبْ مَقامَ اللهِ
إنّـــي رأيتُك مُظْهِـراً لِزَهادةٍ   تحتــاجُ منــك لهـا إلى أشباه

1 فاختر في ل : فاحتل .

[شغف عبد الله بن العباس بن الفضل بالغناء في شعره]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى الصولي قال حدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال : رآني الرشيد مشغوفاً بالغِناء في شعر أبي العتاهية : [من الخفيف]

صوت

أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي أَتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حَقّا

فتَنَفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُـ ـبّاً جَرى في العُروق عِرْقاً فعِرقا

لو تَجُسِّينَ يا عُتَيبةُ قلبي لَوجَدْتِ الفؤادَ قَرْحاً تَفَقّا

قد لَعَمْري مَلَّ الطبيبُ ومَلَّ الأ هلُ منّي ممّا أُقاسي وأَلْقَى

ليتَني مُتُّ فاسترحتُ فإنّي أبداً ما حَيِيتُ منها مُلَقّى

ولا سيّما من مُخارق ، وكان يُغنّي فيه رَمَلاً لإبراهيم أخذه عنه . وفيه لحنٌ لفَريدة رمل . هكذا قال الصُّولي : «فريدة» بالياء ، وغيره يقول : «فِرِندة» بالنون .

[صنع شعراً يغنّي فيه الملاّحون فلمّا سمعه الرشيد بكى]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العَدَويّ قال أخبرني أبو العتاهية قال : كان الرشيد ممّا يعجبه غِناءُ المَلاَّحين في الزَّلاَّلات إذا رَكبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعمَلوا لهؤلاء شعراً يُغَنُّون فيه . فقيل له : ليس أحدٌ أقدرَ على هذا من أبي العتاهية ، وهو في الحبس . قال : فوَجَّه إليّ الرشيد : قُلْ شعراً حتّى أسمعه منهم ، ولم يأمُرْ بإطلاقي ؛ فغاظني ذلك فقُلت : والله لأقولَنَّ شعراً يَحزنه ولا يُسَرُّ به ، فعَمِلتُ شعراً ودفعتُه إلى مَنْ حَفَّظَه الملاّحين ، فلمّا رَكِب الحَرَّاقة سمِعه ، وهو[1] : [من مجزوء الرمل]

خانَك الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أيُّها القَلبُ الجَمُوحُ

لِدَواعي الخَيْرِ والشَّـ ـرِّ دُنُوٌّ ونُزُوحُ

هَلْ لمطلوبٍ بِذَنْبٍ توبةٌ منه نَصُوحُ

كيفَ إصلاحُ قُلُوبٍ إنّما هُنَّ قُروحُ

أَحْسَنَ اللهُ بنا أ نَّ الخَطايا لا تَفُوحُ

1 ديوان أبي العتاهية : 96–97 (رقم 97) .

فـــإذا المستـورُ مِنّـا بـــينَ ثَوبَيْهِ نَضُوحُ[1]
كَمْ رأينا مِـنْ عَزِيــزٍ طُوِيــتْ عنـه الكُشوحُ
صـــاحَ منـــه برَحِيــلٍ صائحُ الدّهْـــرِ الصَّدُوحُ
موتُ بعضِ الناسِ في الأرْ ضِ على قـــومٍ فُتُوحُ
سيصيرُ المــرءُ يومـــاً جَسَداً مـــا فيـــه رُوحُ
بـين عَيْنَيْ كُلِّ حَـــيٍّ عَلَـمُ المـوتِ يلـــوحُ
كُلُّنـا في غَفْلـــةٍ والْـــ ـــمَوْتُ يغـدو ويروحُ
لِبَني الدُّنيـا مِـــنَ الدُّنْـ ـيا غَبُــوقٌ وصَبُوحُ
رُحْنَ في الوَشْيِ وأَصْبَحْـ ـنَ عليهِـــنَّ المُسُوحُ
كلُّ نَطّـاحٍ مِـنَ الدَّهْـ ـرِ لـه يـومٌ نَطُوحُ
نُحْ على نَفْسِكَ يا مِسْـ ـكِينُ إنْ كنـتَ تنوحُ
لَتمُوتَـــنَّ وإنْ عُمِّـــ ـرْتَ مـا عُمِّـرَ نُوحُ

قال : فلمّا سمِع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتَحِب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة ، وأشدِّهم عَسْفاً في وقت الغَضب والغِلظة . فلمّا رأى الفضل بن الربيع كثرةَ بكائه ، أومأ إلى المَلاَّحين أن يسكتوا .

[هجا منجاباً الذي كان موكلاً بحبسه]

حدّثني الصُّولي قال حدّثني الحسن بن جابر كاتب الحسن بن رَجاء قال : لَمّا حَبَس الرشيد أبا العتاهية دَفَعه إلى مِنجابٍ ، فكان يَعْنُف به ؛ فقال أبو العتاهية[2] : [من مجزوء الكامل]

مِنْجابُ مـات بِدائه فاعْجَـلْ لـه بدَوائِهِ
إنَّ الإمــامَ أعلَّــه ظُلْمـاً بحَـدِّ شَقائِهِ
لا تُعْنِفَـــنَّ سِياقَـهُ مـا كُلُّ ذاك برائِهِ
ما شِمْتُ هذا في مَخا يِلِ بارِقاتِ سَمائِهِ

[مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لبنيه]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن معاوية

1 نضوح في الديوان : فضوح .
2 تكملة الديوان : رقم 6 .

القُرشيّ قال : لمّا عقد الرشيد ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة : الأَمين ، والمأمون ، والمؤتمن ، قال أبو العتاهية[1] : [من الطويل]

رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ المُحِيلِ قَعُودِي ... إلى ذي زُحُوفٍ جَمَّـةٍ وجُنودِ
وَراعٍ يُراعِي اللَّيل في حِفْظِ أُمَّةٍ ... يُدافِـع عنهـا الشرَّ غيرِ رَقُودِ
بِأَلْوِيَـةٍ جبريـلُ يَقْـدُم أهلَها ... ورايـات نَصْـرٍ حولَـه وبُنودِ
تَجافَـى عَنِ الدُّنيـا وأَيْقَـن أنَّـها ... مُفارِقَـةٌ ليستْ بَـدارِ خُلـودِ
وشَدَّ عُـرَى الإسلامِ منـه بِفِتْيةٍ ... ثَلاثـةِ أَمـلاكٍ وُلاةِ عُهُـودِ
هُـمْ خيرُ أولادٍ ، لَهُمْ خيرُ والدٍ ... لَـهُ خيرُ آبـاءٍ مَضَتْ وجُدودِ
بنو المصطفى هارونَ حولَ سَرِيرِه ... فَخَيْرُ قِيـامٍ حولَـه وقُعـودِ
تُقَلِّـبُ ألحـاظَ المَهابـةِ بينهمْ ... عيونُ ظِبـاءٍ في قُلـوبِ أُسُودِ
جُدُودُهُمُ شمسٌ أتـتْ في أَهِلَّةٍ ... تَبَدَّتْ لِـراءٍ في نُجـومِ سُعُودِ

قال : فوصله الرشيد بصِلةٍ ما وَصَل بمثلها شاعراً قَطُّ .

[ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد]

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسديّ إجازةً قال حدّثني الرِّياشيّ قال : قدِم رسولٌ لَمِلك الروم إلى الرشيد ، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره ، وكان يُحسِن العربية ، فمضى إلى ملك الرُّوم وذكره له ؛ فكَتَب ملكُ الروم إليه ، ورَدَّ رسولَه يسأل الرشيد أن يُوجِّه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن مَن أراد ، وألحَّ في ذلك . فكلَّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك ، فاستعفى منه وأباه . واتَّصل بالرشيد أنّ ملك الروم أَمَر أن يُكتَبَ بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مَجالسه وباب مدينته ، وهما[2] : [من المنسرح]

صوت

ما اختلـفَ اللَّيْـلُ والنَّهـارُ ولا ... دارتْ نجومُ السماء في الفَلَكِ
إلاّ لِنَقْلِ السُّلْطانِ عـن مَلِكٍ ... قَـدِ انْقَضَى مُلْكُـه إلى مَلِكِ

---

1 تكملة الديوان : رقم 72 .

2 ديوان أبي العتاهية : حاشية ص 274 (رقم 291) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 316 .

[انقطع بعد خروجه من الحبس فلامه الرشيد]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله[1] بن أبي سعد قال حدّثنا الرَّبيع بن محمد الخُتَّليّ الوَرَّاق قال أخبرني ابن أبي العتاهية : أنّ الرشيد لمّا أطلق أباه من الحبس ، لَزِم بيتَه وقطَع الناس ؛ فذكَره الرشيد فعُرِّفَ خبره ، فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ بَيت ؛ فكتب إليه أبو العتاهية : [من السريع]

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وأَخلاقِهِم ... فصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بالوحدَهْ
ما أَكْثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وما ... أَقَلَّهُم في مُنْتَهى العِدَّهْ

ثم قال : لا ينبغي أنْ يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له ، فقَرَن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها : وهي[2] : [من المديد]

صوت

عادَ لي من ذِكْرِها نَصَبُ ... فدموعُ العَينِ تَنْسَكِبُ
وكذاكَ الحُبُّ صاحِبُه ... يَعْتَرِيهِ الهَمُّ والوَصَبُ
خيرُ مَنْ يُرْجى ومَنْ يَهَبَ ... مَلِكٌ دانتْ لـه العَرَبُ
وحقيقٌ أنْ يُدانَ لـه ... مَنْ أبوه لِلنَّبيّ أَبُ

[وعظه الرشيد]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا عون بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال : قال الرشيد لأبي : عِظْني ؛ فقال له : أخافك . فقال له : أنت آمِن . فأنشده[3] : [من البسيط]

لا تَأْمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ ... إذا تَسَتَّرْتَ بالأبوابِ والحَرَسِ[4]
واعلَمْ بأنّ سِهامَ الموتِ قاصدةٌ ... لكلّ مُدَّرِعٍ منّا ومُتّرِسِ[5]
ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ طَرِيقتَها ... إنّ السفينةَ لا تَجْري على اليَبَسِ[6]

قال : فبكى الرشيد حتى بلَّ كُمَّه .

1 ل : عبيد الله .
2 تكملة الديوان : رقم 12 .
3 ديوان أبي العتاهية : 192 (من القطعة رقم 199) .
4 الشطر الثاني في الديوان : «وإن تمنّعت بالحجاب والحرس» .
5 الديوان : «فما تزال سهام الموت نافذة . . . في جنب» .
6 طريقتَها في الديوان : مسالكها .

[تناظر ابن أبي فنن وابن خاقان فيه وفي أبي نواس]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : قال لي أحمد بن أبي فنن : تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله : أيُّما الرجلين أشعر : أبو نواس أم أبو العتاهية . فقال الفتح : أبو نواس ، وقلت : أبو العتاهية . ثم قلت : لو وُضِعتْ أشعارُ العرب كلُّها بإزاء شعر أبي العتاهية لَفَضَلَها ، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كلّ قصيدة جيّداً ووسطاً وضعيفاً ، فإذا جُمع جيِّده كان أكثر من جيِّد كلّ مُجَوِّد . ثم قلت له : بمَن تَرضى ؟ قال : بالحسين بن الضحّاك . فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحّاك ؛ فقلت : ما تقول في رجلين تَشاجرا ، فَضَّل أحدُهما أبا نواس وفضَّل الآخرُ أبا العتاهية ؟ فقال الحسين : أُمُّ مَن فَضَّل أبا نواسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ ؛ فخَجِل الفَتح حتى تبيَّن ذلك فيه ، ثم لم يُعاوِدْني في شيء من ذِكْرهما حتى افترقنا .

[اجتمع مع مخارق فراح يغنّيه وهو يشرب ويبكي ثم كسر الآنية وتزهّد]

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيما تقدّم ، فقال : حدّثني هارون بن مخارق قال حدّثني أبي قال[1] : جاءني أبو العتاهية فقال : قد عزمتُ على أنْ أتزوَّد منك يوماً تَهَبُه لي ، فمتى تَنشَط ؟ فقلت : متى شئت . فقال : أخاف أن تقطع بي . فقلت : والله لا فعلتُ وإنْ طَلَبني الخليفة . فقال : يكون ذلك في غدٍ . فقلت : أفعل . فلمّا كان في غدٍ باكرني رسولُه فجئته ، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فَرشٌ نظيفٌ ، ثم دعا بمائدة عليها خُبْزُ سَميذٍ وخَلٌّ وبَقْلٌ ومِلحٌ وجَدْيٌ مَشويٌّ فأكلنا منه ، ثم دعا بسمك مشويّ فأصبنا منه حتى اكتفينا ، ثم دعا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوانٍ من الأنبذة ، فقال : اختَر ما يصلُح لك منها ؛ فاخترتُ وشرِبت ؛ وصبَّ قَدَحاً ثم قال : غنّني في قولي : [من الخفيف]

أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي أَتُحِبُّ الغَداةَ عُتْبَةَ حَقّا

فغنَّيته ، فشرب قدحاً وهو يبكي أَحَرَّ بكاء . ثم قال : غَنِّني في قولي : [من السريع]

ليس لِمَنْ ليستْ له حِيلَةٌ موجودةٌ خيرٌ مِنَ الصَّبْرِ

فغنَّيته وهو يبكي ويَنْشِج ، ثم شرِب قدحاً آخر ثم قال : غنِّني ، فديتك ، في قولي : [من الطويل]

1 هذا الخبر والذي يليه ممّا أورده ابن حمدون عن أبي العتاهية بتمامه في التذكرة 9 : 330–332 نقلاً عن الأغاني .

خَلِيلَيَّ مالي لا تزالُ مَضَرَّتي تكونُ مع الأقدارِ حَتْماً من الحَتْمِ

فغنَّيته إيّاه . وما زال يقترح عليّ كلَّ صوتٍ غُنِّي به في شِعره فأُغَنِّيه ويشرَب ويبكي حتى صار العتمة . فقال : أُحِبُّ أن تَصبِر حتى ترى ما أصنع فجلست . فأمر ابنه وغلامه فكَسَرا كلَّ ما بين أيدينا من النبيذ وآلته والمَلاهي ، ثم أمر بإخراج كلِّ ما في بيته من النبيذ وآلته ، فأخرج جميعه ، فما زال يكسره ويَصُبُّ النبيذ وهو يبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيءٌ ، ثم نزع ثيابه واغتسل ، ثم لبِس ثياباً بيضاء[1] من صوف ، ثم عانقني وبكى ، ثم قال : السلام عليك يا حبيبي وفَرَحي من الناس كلِّهم سلامَ الفِراق الذي لا لِقاء بعده ؛ وجعل يبكي ، وقال : هذا آخِرُ عهدي بك في حال تعاشُرِ أهل الدنيا ؛ فظننت أنّها بعض حماقاته ، فانصرفت ، وما لَقِيته زماناً . ثم تشوّقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذِن لي فدخلت ، فإذا هو قد أخذ قَوصَرَتَين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثَقَب الأُخرى وأُخرج رجليه منها وأقامها مقام السَّراويل . فلمّا رأيته نسيت كلَّ ما كان عندي من الغَمّ عليه والوحشة لعِشرته ، وضحكت والله ضحكاً ما ضحكتُ مثله قطّ . فقال : من أيّ شيءٍ تضحك ؟ فقلت : أسخن الله عينك ؛ هذا أيُّ شيء هو ؟ مَن بَلَغَك عنه أنَّه فَعَل مثل هذا من الأنبياء والزُّهّاد والصحابة والمجانين ، انزِع عنك هذا يا سخين العين ، فكأنّه استحيا منّي ، ثم بلَغني أنّه جَلَس حَجّاماً ، فجَهِدت أن أراه بتلك الحال فلم أَرَه . ثم مرِض ، فبلغني أنّه اشتهى أن أُغنّيه ، فأتيتُه عائداً ، فخرج إليّ رسوله يقول : إن دخلتَ إليّ جَدَّدتَ لي حزناً وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتُها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدي به .

[تمنّى عند موته أن يجيء مخارق فيغنّيه في شعره]

حدّثني جحظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فقال : أشتهي أن يجيء مخارق فيَضَع فمه على أُذني ثم يغنّيني[2] : [من الطويل]

سَيُعْرَضُ عن ذِكْري وتُنْسى مَوَدّتي ويَحْدُثُ بعدي للخليلِ خليلُ
إذا ما انقضتْ عنّي مِنَ الدَّهْرِ مُدّتي فإنَّ غَناءَ الباكِياتِ قليلُ[3]

1 ل : ثياب بياض .
2 ديوان أبي العتاهية : 317 (رقم 325) .
3 مدتي في ل : ليلتي .

وأخبرني به أبو الحسن الأَسَديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال: قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فذَكَر مثلَ الأوّل.

وأخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح: أنّ بِشراً قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب.

[آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليُّ بن مَهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: آخرُ شعرٍ قاله أبي في مرضه الذي مات فيه[1]: [من الوافر]

إلهي لا تُعَذِّبْني فإنّي ... مُقِرٌّ بالذي قد كان مِنّي
فمالي حيلةٌ إلاّ رجائي ... لِعَفْوِك إنْ عَفَوْتَ وحُسْنُ ظَنّي
وكَم مِنْ زَلةٍ لي في الخَطايا ... وأنتَ عليَّ ذو فَضْلٍ ومَنٍّ
إذا فَكَّرْتُ في نَدَمي عليها ... عَضِضْتُ أناملي وقَرَعْتُ سِنّي
اجنُّ بزَهرةِ الدُّنْيا جُنُونا ... وأَقْطَعُ طولَ عُمْري بالتمنّي
ولَوْ أنّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عنها ... قلبتُ لأهلِها ظَهْرَ المِجَنِّ
يَظُنّ الناسُ بي خيراً وإنّي ... لَشَرُّ الخَلْقِ إنْ لم تَعْفُ عنّي

[أمر بنته في مرض موته أن تندبه بشعر له]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثني أحمد بن حمزة الضُّبَعيّ قال أخبرني أبو محمد المؤدِّب قال: قال أبو العتاهية لابنته رُقَيَّة في علّته التي مات فيها: قُومي يا بُنيّة فاندُبي أباك بهذه الأبيات؛ فقامت فندبَته بقوله[2]: [من الكامل]

لَعِبَ البِلى بمَعالمي ورُسُومي ... وقُبِرْتُ حَيّاً تحت رَدْمِ هُمومي
لَزِمَ البِلى جِسْمِي فأَوْهَنَ قُوَّتي ... إنّ البِلَى لَمُوَكَّلٌ بِلُزومي

[تاريخ وفاته ومدفنه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مُخارق المُغنّي قال: تُوُفِّي أبو العتاهية، وإبراهيم الموصليّ، وأبو عمرو الشَّيباني عبد السلام[3] في يومٍ واحد في خلافة المأمون، وذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين.

1 ديوانه: 375 (رقم 383).
2 ديوانه: حاشية ص 358 (رقم 364)، (صادر): 402.
3 لعلّها: بمدينة السلام.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتيبة قال : مات أبو العتاهية ، وراشد الخَنَّاق ، وهشيمة الخمَّارة في يومٍ واحد سنة تسع ومائتين .

وذكر الحارث بن أبي أُسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ : أنَّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْنَ من جُمادى الأُولى سنة إحدى عشرة ومائتين ، ودُفِن حيال قَنطَرة الزيَّاتين في الجانب الغَربيّ ببغداد .

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشيباني عن محمد بن أبي العتاهية : أنَّ أباه توفِّي سنة عشرٍ ومائتين .

[الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره]

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجُنيد عن إسحاق بن عبد الله بن شُعَيب قال : أمَرَ أبو العتاهية أن يُكتَب على قبره[1] : [من مجزوء الخفيف]

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعي ... اسْمَعِي ثُمَّ عي وعِي
أنا رَهْنٌ بِمَضْجَعي ... فاحْذَري مِثْلَ مَصْرعي
عِشتُ تسعينَ حِجَّةً ... أَسْلَمَتْنِي لَمَضْجَعِي
كَمْ ترى الحَيَّ ثابتاً ... في دِيارِ التزَعْزُعِ
ليس زادٌ سوى التُّقَى ... فخُذِي منه أَوْ دَعِي

[رثاه ابنه بشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال : لمّا مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال : [من مجزوء الخفيف]

يا أبي ضَمَّكَ الثَّرى ... وطوى الموتُ أَجْمَعَكْ
ليتَني يومَ مُتَّ صِرْ ... تُ إلى حُفْرةٍ مَعَكْ
رحِمَ اللهُ مَصْرَعَكْ ... بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ

1 ديوانه : الحاشية ص 231 (رقم 238) ، وفي ديوانه (صادر) : 268 ومع أنّه نقل عن الأغاني فقد سقط فيه البيت الرابع .

[أنكر ابنه أنّه أوصى بأن يكتب شعر على قبره]

أخبرني الحسن قال حدّثني أحمد بن زهير قال : قال محمد بن أبي العتاهية : لَقِيَني محمد بن أبي محمد اليزيديّ فقال : أَنشِدْني الأبيات التي أَوْصى أبوك أن تُكتَبَ على قبره ؛ فأنشأتُ أقول له : [من الوافر]

كَذَبْتَ على أخٍ لك في مَماتهْ وكَمْ كَذِبٍ فشا لك في حَياتهْ
وأكذَبُ ما تكونُ على صَدِيقٍ كَذَبْتَ عليـه حَيّـاً في مماتهْ

فخَجِل وانصرف . قال : والناس يقولون : إنّه أُوْصى أنْ يُكْتَبَ على قبره شعرٌ له ، وكان ابنه يُنْكِر ذلك .

وذكر هارون بن عليّ بن مهديّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ الأبيات العينيّة التي أوّلها :

أُذْنَ حَـيٍّ تَسَمَّعي

على حَجَرٍ عند قبر أبي العتاهية .

ولم أذكرها هنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عُتبة ، وهي من أعظم أخباره ؛ لأنّها طويلة ، وفيها أغانٍ كثيرة ، وقد طالت أخباره ها هنا فأفردتُها .

[44] ـ أخبار فريدة

[أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها]

قال مؤلّف هذا الكتاب : هما اثنتان مُحسِنتان لهما صنعةٌ تُسَمَّيان بفَرِيدة . فأمّا إحداهما ، وهي الكبرى ، فكانت مُوَلَّدةً نشأتْ بالحجاز ، ثم وقعت إلى آل الربيع ، فعُلِّمَتِ الغناء في دُورهم ، ثم صارت إلى البرامكة . فلمّا قُتِل جعفر بن يحيى ونُكِبوا هربت ، وطلبها الرشيد فلم يجدها ، ثم صارت إلى الأمين ، فلمّا قُتِل خرجت ، فتزوّجها الهيثم بن مُسْلِم[1] فولدتْ له ابنه عبد الله ، ثم مات عنها ، فتزوَّجها السِّنديّ بن الحَرَشيّ وماتت عنده .

[بعض الشعر الذي لها فيه صنعة]

ولها صنعةٌ جيّدة ، منها في شعر الوليد بن يزيد[2] : [من مجزوء الرمل]

صوت

وَيْحَ سَلْمى لو تَراني لَعَناهــا مــا عَنــاني

واقفاً في الدَّارِ أَبْكي عاشقــاً حُــورَ الغَواني

ولحنُها فيه خفيف رملٍ .

ومن صنعتها[3] : [من الطويل]

صوت

أَلا أَيُّها الرَّكْبُ النِّيامُ ألا هُبُّوا نُسائلكُمْ هــل يقتُل الرَّجُلَ الحُبُّ

أَلا رُبَّ رَكْبٍ قد وقفتُ مَطِيَّهُمْ عليك ولولا أنتِ لم يَقِفِ الرَّكْبُ

لحنُها فيه ثاني ثقيل . وفيه لابن جامع خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

[بيت نصفه بدوي والآخر حضري]

فحدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال حدّثني العُمَريّ قال

---

1 ل : سلم .

2 ديوان الوليد (تحقيق غابريلي ، بيروت) : 70 (رقم 94) ورواية للبيت الثاني

متلفــاً في اللهــو مــــا لي عاشقــاً حــــور القيــــان

3 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 16 ورواية البيت الأوّل فيه :

ألا أيّهـا النوام ويحكـمُ هبــوا أُسائلكم هل يقتل الرجل الحب

حدّثني الهيثم بن عديّ قال : قال صالح بن حسّان يوماً : ما نصفُ بيتٍ كأنّه أعرابيّ في شَمْلةٍ ، والنصفُ الآخر كأنّه مُخَنَّثٌ مُفكَّك ؟ قلت : لا أدري . فقال : قد أَجَّلْتُك حولاً . فقلت : لو أجَّلتني عشرةَ أحوالٍ ما عرفتُه . فقال : أُوَّهْ ! أُفٍّ لك ! قد كنتُ أحسِبك أجودَ ذِهْناً ممّا أرى . فقلت : فما هو الآن ؟ قال : قولُ جميل : [من الطويل]

ألا أيُّها الرَّكْبُ النِّيامُ ألا هُبُّوا

هذا كلام أعرابيّ ، ثم قال : [من الطويل]

أُسائلكم هلْ يقتلُ الرَّجلَ الحبُّ

كأنّه والله من مخنثي العقيق .

[فريدة المحسنة دون فريدة الكبرى]

وأمّا فريدة الأُخرى فهي التي أرى بل لا أَشُكّ في أنّ اللحن المختار لها ؛ لأنّ إسحاق اختار هذه المائة الصوت للواثق ، فاختار فيها لُمتيَّم لحناً ، ولأَبي دلف لحناً ، ولسُلَيم بن سَلاَّم لحناً ، ولرياض جارية أبي حمَّاد لحناً . وكانت فريدة أُثيرةً عند الواثق وحظيّةً لديه جدّاً ، فاختار لها هذا الصوت ، لمكانها من الواثق ، ولأنّها ليست دون مَن اختار له من نُظَرائها .

[قدّمت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء]

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى عن رَيِّقَ : أنّها اجتمعت هي وخِشْفُ الواضحيّة يوماً ، فتذاكرتا أحسن ما سمعتاه من المغنّيات ؛ فقالت رَيِّق : شارية أحسنهنّ غناءً ومُتَيَّمُ ، وقالت خِشْف : عريب وفريدة ؛ ثم اجتمعتا على تساويهنّ ، وتقديم متيَّم في الصَّنعة ، وعريب في الغزارة والكثرة ، وشارية وفريدة في الطِّيب وإحكام الغناء .

[أهداها ابن بانة للواثق]

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : كانت فريدة جارية الواثق لعمرو بن بانة ، وهو أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المُحسِنات ، ورُبِّيت عند عمرو بن بانة مع صاحبة لها اسمها «خِلّ» ، وكانت حسنة الوجه ، حسنة الغناء ، حادّة الفِطنة والفهم .

[سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة]

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانة قال : غنَّيت الواثق : [من الرمل]

قلــتُ حِــلاًّ فاقبَلي مَعْذِرَتي ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أَحَبّ

فقال لي : تقدّم إلى السّتارة فألْقِه على فريدة ، فألقيته عليها ؛ فقالت : هو حِلٌّ أو خِلٌّ كيف هو ؟ فعلمتُ أنّها سألتني عن صاحبتها في خَفاءٍ من الواثق .

[تزوّجها المتوكّل ثم ضربها حتى غنّت]

ولمّا تزوَّجها المتوكّل أرادها على الغناء ، فأبَتْ أن تغنّي وفاءً للواثق ، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغنّي ، فاندفعت وغنّتْ : [من الوافر]

فَـلا تَبْعَدْ فكُلُّ فتىً سيأتي عليـه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

[قصّتها مع الواثق وغيرته من المتوكّل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر قال[1] : كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كلّ جمعة ، إذا حضرتْ رَكِبتُ إلى الدار ؛ فإنْ نَشِط إلى الشُّرْب أقمتُ عنده ، وإن لم يَنشَطِ انصرفت . وكان رسمُنا ألاّ يحضر أحدٌ منّا إلاّ في يوم نوبته . فإنّي لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذا رُسُل الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي : احضرْ . فقلت : ألِخَيرٍ ؟ قالوا : خير . فقلت : إنّ هذا يومٌ لم يُحضِرني فيه أمير المؤمنين قطّ ، ولعلّكم غلِطتم . فقالوا : الله المستعان ، لا تُطِلْ وبادِر ؛ فقد أُمَرنا ألاّ نَدعك تستقرّ على الأرض . فداخلني فزع شديد ؛ وخِفتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بي ، أو بَلِيَّةٌ قد حدثت في رأي الخليفة عليّ ؛ فتقدّمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ؛ فذهبت لأدخل على رَسْمي من حيث كنت أدخل ، فمُنِعتُ ، وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدَلوا بي إلى ممرّات لا أعرفها ، فزاد ذلك في جَزَعي وغمّي . ثم لم يزل الخدم يُسْلِمونني من خدمٍ إلى خدم حتى أُفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحْن ، مُلبَسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب ، ثم أفضيت إلى رِواقٍ أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك ، وإذا الواثق في صدره على سرير مُرَصَّع بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدة جاريته ، عليها مثل ثيابه وفي حجرها عودٌ . فلمّا رآني قال : جَوَّدتَ والله يا محمد إلينا . فقبّلت الأرض ثم قلت : يا أمير المؤمنين خيراً ! قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ والله ثالثاً يؤنسنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك ، فبحياتي بادرْ فكُلْ شيئاً وبادِر إلينا . فقلت : قد والله يا سيّدي أكلت وشربت أيضاً . قال : فاجلس فجلست ، وقال : هاتوا لمحمد رِطلاً في قَدَحٍ ، فأُحضرتُ ذلك ، واندفعت فريدة تغنّي[2] : [من الطويل]

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 226–228 (الفقرة 449) .

2 البيتان في شرح المرزوقي للحماسة رقم 559 ، وهي لنصيب كما في السمط 401 .

أُهابُكِ إجلالاً وما بك قدرةٌ عليَّ ولكِنْ مِـلءُ عينٍ حَبيبُها
وما هَجَرَتْكِ النَّفْسُ يا لَيْلَ أَنَّها قلَتْكِ ولا أنْ قَلَّ منكِ نَصيبُها

فجاءت واللهِ بالسحر ، وجعل الواثق يُجاذبها ، وفي خلال ذلك تغنّي الصوت بعد الصوت ، وأُغنّي أنا في خلال غنائها ، فمرّ لنا أحسن ما مَرَّ لأحد . فإنا لكذلك إذ رَفَع رِجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتَفتَّتَ عُودُها ومرَّت تعدو وتصيح ، وبقيت أنا كالمنزوع الرُّوح ؛ ولم أَشُكَّ في أنّ عينه وقعت عليّ وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إليّ ؛ فأطرق ساعة إلى الأرض متحيِّراً وأطرقتُ أتوقَّع ضرب العنق . فإنّي لكذلك إذ قال لي : يا محمد ، فوثبت . فقال : ويحك ! أرأيتَ أغرب ممّا تهيَّأ علينا ؟ فقلت : يا سيّدي ، الساعة والله تخرج روحي ، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله ؛ فما كان السبب ؟ أَلِذَنْبٍ ؟ قال : لا والله ! ولكن فكّرت أنّ جعفراً يقعُد هذا المقعَد ويقعُد معها كما هي قاعدة معي ، فلم أطِقِ الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت . فسُرِيَ عنّي وقلت : بل يقتُل الله جعفراً ، ويحيا أمير المؤمنين أبداً ، وقبَّلت الأرض وقلت : يا سيِّدي اللهَ اللهَ ! ارحَمها ومُرْ بردّها .

فقال لبعض الخدم الوقوف : من يجيء بها ؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها . فلمّا رآها جذبها وعانقها ، فبكت وجعل هو يبكي ، واندفعتُ أنا في البكاء . فقالت : ما ذنبي يا مولاي ويا سيِّدي ؟ وبأيِّ شيءٍ استوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي . فقالت : سألتُك بالله يا أمير المؤمنين إلاّ ضربتَ عُنقي الساعة وأَرَحْتَني من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الهمّ بي ؛ وجعلت تبكي ويبكي ، ثم مسحا أعينهما ورجعت إلى مكانها ؛ وأومأ إلى خدم وقوفٍ بشيء لا أعرفه ، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ ووَرِقٌ ، ورزَماً فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قطُّ مثل جوهر كان فيه ، فألبسها إيَّاه ، وأُحضِرت بَدْرة فيها عشرة آلاف درهم فجُعلت بين يدي وخمسة تُخُوتٍ فيها ثياب ، وعُدنا إلى أمرنا وإلى أحسن ممّا كنّا ؛ فلم نَزَل كذلك إلى الليل ، ثم تفرّقنا .

[قصّتها مع المتوكّل بعد الواثق]

وضرب الدهر ضربَه وتقلّد المتوكّل . فوالله إنّي لفي منزلي بعد يومِ نوبتي إذ هجمَ عليَّ رُسُلُ الخليفة ، فما أُمهلوني حتى ركبتُ وصِرت إلى الدار ، فأُدخلت والله الحجرة بعينها . وإذا المتوكّل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة .

فلمّا رآني قال : ويحك ؛ أما ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدوةٍ أطالبها بأن تغنّيني فتأبى ذلك ! فقلت لها : يا سبحان الله ! أتُخالفين سيِّدك وسيِّدنا وسيّد البشر ! بحياته غَنّي ! فعرفت والله ثم اندفعت تُغَنّي [1] : [من الوافر]

مُقِيمٌ بالمَجـازةِ مِـن قَنَوْنى وأهلُـكِ بالأُجَيْفِـرِ فالثِّمادِ
فـلا تَبْعَـدْ فكلُّ فتًى سيأتي عليـه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

ثم ضربتْ بالعود الأرض ، ثم رمت بنفسها عن السرير ومرَّت تعدو وهي تصيح واسيِّداه ! فقال لي : ويحك ! ما هذا ؟ فقلت : لا أدري والله يا سيِّدي . فقال : فما ترى ؟ فقلت : أرى أن أنصرف أنا وتحضُرَ هذه ومعها غيرُها ؛ فإنّ الأمر يؤول إلى ما يريد أمير المؤمنين . قال : فانصرِف في حِفظ الله ؛ فانصرفت ولم أدرِ ما كانت القصّة .

[مدح محمد بن عبد الملك غناءها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال : سمعتُ فريدة تغنّي [2] : [من الطويل]

أخِلاَّيَ بي شَجوٌ وليس بكم شَجْوُ وكلُّ امـرىءٍ ممّـا بِصاحبـه خِلْوُ
أذابَ الهوى لَحْمِي وجِسْمِي ومَفْصِلي فلم يبقَ إلاّ الرُّوحُ والجَسَدُ النِّضْوُ

فما سمعتُ قبلَه ولا بعده غناءً أحسنَ منه .

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ ، وله أيضاً فيه خفيف ثقيل بالسبابة والبِنصر عن ابن المكيّ . وفيه لعمرو بن بانة رمل بالوسطى من مجموع أغانيه . وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ آخر صحيح في غنائها من جمع ابن المعتزّ وعليّ بن يحيى . وتمام هذه الأبيات : [من الطويل]

وما مِنْ مُحِبٍّ نال مِمّن يُحِبُّهُ هوًى صادقاً إلاّ سَيَدْخُلُه زَهْوُ

وفيها كلِّها غناء مُفْترِقُ الألحان في أبياته .

بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدءَ بليّتي فأَحببتُ جهلاً والبلايا لها بَدْوُ
وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهُو عليّ تَجَبُّراً وإنّيَ في كلِّ الخِصالِ له كُفْوُ

---

1 البيتان لكثير في ديوانه : 222 .
2 الأبيات الواوية لأبي العتاهية وقد تقدّما في ترجمته .

صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

[من المنسرح]

بِاتَتْ هُمُومي تَسْرِي طوارقها أَكُفُّ عيني والدمعُ سابِقُها
لِمَا أتاها مِنَ اليقينِ ولم تَكُنْ تراه يُلِمُّ طارقُها

الشعر لأُميّة بن أبي الصَّلْت ، والغناء للهُذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لابن محرز لحنان : هزجٍ وثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش . وذكر يونس : أنّ فيه لابن محرز لحناً واحداً مجنّساً .

[45] ـ ذكر أُميّة بن أبي الصَّلْت ونسبه وخبره[1]

[نسبه]

واسمُ أبي الصَّلْت عبدُ الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عُقدة بن عنزة بن قَسيّ ، وهو ثقيف بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن . هكذا يقول مَن نَسَبَهم إلى قيس ، وقد شُرِح ذلك في خبر طُرَيح . وأُمّ أُميّة بن أبي الصلت رُقَيّة بنت عبد شمس بن عبد مَناف .

وكان أبو الصلت شاعراً ، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يَزَن : [من البسيط]

لِيَطْلُبِ الثأْرَ أمثالُ ابن ذِي يَـزَنٍ إذ صارَ في البَحْرِ للأعداء أحْوالا

وقد كُتِب خبر ذلك في موضعه .

[أولاد أميّة]

وكان له أربعة بنين : عمرٌو وربيعة ووَهْبٌ والقاسم . وكان القاسم شاعراً ، وهو الذي يقول ، أنشدَنيه الأَخْفَش وغيرُه عن ثعلبٍ ، وذكر الزُّبير أنّها لأُميّة[2] : [من الكامل]

صوت

قومٌ إذا نَزَل الغريبُ بدارِهمْ رَدُّوه ربَّ صَواهِـــلٍ وقِيــانِ
لا يَنْكُتون الأرضَ عند سُؤالهمْ لِتَلَمُّسِ العِــلاَّتِ بالعِيــدانِ

يمدح عبد الله بن جُدعان بها ؛ وأوّلها :

قومِي ثَقِيفٌ إنْ سألتَ وأسْرتي وبهم أُدافِع رکْنَ مَنْ عاداني

غنَّاه الغريض ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر . ولابن مُحرزٍ فيه خفيف ثقيلٍ أوّلُ بالوسطى ، عن الهشاميّ جميعاً .

وكان ربيعة ابنه شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

وإنْ يَــكُ حيّاً مـن إيادٍ فإنّنا وقَيْساً سَواءٌ مـا بَقِينا وما بَقُوا

---

1 تغلب على ترجمة أميّة في هذا الفصل نزعة أسطورية ، وانظر طبقات ابن سلام : 259–260 إن ذكره في شعراء الطائف ، والشعر والشعراء (ط . دار الثقافة ـ بيروت) : 369–372 وخزانة الأدب 1 : 247–253 ، والسمط : 362 والدميري 2 : 154 ، وشعراء النصرانية : 219 ، وراجع بروكلمان 1 : 113–114 حيث أورد ثبتاً ببحوث تناولت أميّة وشعره . وقد جمع شعره وقدّم له بدراسة طويلة د . عبد الحفيظ السطلي (وإليه نشير) ولكن كيف يميّز الدارس بين الأصل والمنحول من شعره .

2 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء ومعجم المرزباني : 213 للقاسم بن أُميّة .

ونحن خيــارُ النّاسِ طُــرّاً بِطانةً لِقَيْسٍ وهُمْ خيرٌ لنا إنْ هُمُ بَقُوا

[كان يستعمل في شعره كلمات غريبة]

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسلم قال: كان أُميَّة بن أبي الصَّلْتِ قد قرأ كتاب الله عزّ وجلّ الأوّل، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب؛ فمنها قوله:

قَمــرٌ وساهُـورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وكان يسمِّي اللهَ عزَّ وجلَّ في شعره السِّلْطِيطَ، فقال:

والسِّلْطِيطُ فوقَ الأرضِ مُقْتَدِرُ

وسمّاه في موضع آخرَ التغرور فقال: «وأيَّده التغرور». وقال ابن قتيبة: وعلماؤنا لا يحتجّون بشيء من شعره لهذه العلّة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال أبو عبيدة: اتّفقت العرب على أنّ أشعرَ أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف، وأنّ أشعر ثقيف أُميّة بن أبي الصلت.

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال: قال يحيى بن محمد: قال الكُمَيْت: أُميّة أشعرُ الناس، قال كما قُلنا ولم نَقُل كما قال.

قال الزُّبير وحدّثني عمّي مصعب عن مصعب بن عثمان قال: كان أُميّة بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المُسُوح تعبُّداً، وكان ممّن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفيّة، وحرّم الخمر وشكَّ في الأوثان، وكان[1] مُحقِّقاً، والتمس الدِّين وطمع في النبوّة؛ لأنّه قرأ في الكتب أنّ نبيّاً يُبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه. قال: فلمّا بُعِث النبيّ ﷺ قيل له: هذا الذي كنتَ تستريث[2] وتقول فيه؛ فحسَده عدوُّ الله وقال: إنّما كنتُ أرجو أنْ أكونَه؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ: ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الّذي آتَيْناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها﴾. قال: وهو الذي يقول[3]: [من الخفيف]

كلُّ دِينٍ يومَ القيامةِ عند اللهِ إلاّ دِيــنَ الحَنيفــةِ زُورُ

[كان يحرّض قريشاً بعد بدر ويرثي قتلى قريش]

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد قال: كان أُميّة يُحرّض قريشاً بعد وَقعة بَدْرٍ، وكان

1 ل: وصام.
2 تستريث: تستبطىء.
3 ديوان أميّة بن أبي الصّلت: 393 (رقم 25).

يرثي مَن قُتِل من قريش في وقعة بدر ؛ فمن ذلك قولُه[1] : [من مجزوء الكامل]

مـــاذا بِبَـــدْرٍ والعَقَنْـــ ـــقَلِ مِنْ مَرازِبـةٍ جَحاجِحْ

وقال : وهي قصيدة نهى رسول الله ﷺ عن روايتها . ويقال : إنّ أُميّة قَدِم على أهل مكّة «باسمِك اللهمّ» ؛ فجعلوها في أوّل كُتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) .

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن محمد المدائنيّ قال : قال الحجّاج على المِنبر : ذهب قومٌ يَعرِفون شعر أُميّة ، وكذلك اندراسُ الكلام .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمر بن أبي بكر المُؤَمِّليّ وغيره قال : كان أُميّة بن أبي الصلت يلتمسُ الدِّيـن ويطمَع في النبـوّة ، فخرج إلى الشام فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقريش ، فقال أُميّة : إنّ لي حاجةً في هذه الكنيسة فانتظروني ، فدخل الكنيسة وأبطأ ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغيِّر اللَّون ، فرمى بنفسه ، وأقاموا حتى سُرِّي عنه ، ثم مضَوا فقضَوا حوائجهم ثم رجعوا . فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم : انتظروني ، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ ، ثم خرج إليهم أسوأَ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : قد شَقَقْتَ على رُفَقائك . فقال : خلُّوني فإنِّي أرتاد على نفسي لَمعادي ، إنّ ها هنا راهباً عالِماً أخبرني أنّه تكون بعد عيسى عليه السلام ستُّ رَجَعاتٍ[2] ، وقد مضتْ منها خمسٌ وبَقِيتْ واحدةٌ ، وأنا أطمع في النبوّة وأخاف أن تُخطِئني ، فأصابني ما رأيتَ فلمّا رجعتُ ثانيةً أتيتُه فقال : قد كانت الرجعة ، وقد بُعث نبيٌّ من العرب ؛ فيئست من النبوّة ، فأصابني ما رأيتَ ؛ إذ فاتني ما كنتُ أطمع فيه .

قال : وقال الزُّهريّ : خرج أميّة في سفر فنزلوا منزِلاً ، فأَمَّ أُميّة وجهاً وصعد في كَثيب ، فرُفِعتْ له كنيسةٌ فانتهى إليها ، فإذا شيخٌ جالسٌ ، فقال لأُميّة حين رآه : إنّك لَمتبوع ، فمن أين يأتيك رئيُّك[3] ؟ قال : من شِقِّي الأيسر . قال : فأيُّ الثياب أَحَبُّ إليك أن يلقاك فيها ؟ قال : السواد . قال : كِدتَ تكون نبيَّ العرب ولستَ به ، هذا خاطرٌ من الجنِّ وليس بمَلَكٍ ، وإنّ نبيَّ العرب صاحب هذا الأمر يأتيه من شِقِّه الأيمن ، وأَحَبُّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البياضُ .

قال الزُّهريّ : وأتى أُميَّةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِي الخبر ، فهل أحسستَ شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدتُه يخرُج العامَ .

[مع أبي سفيان في رحلة إلى الشام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال : سمعتُ خالد بن يزيد يقول : إنّ

---

1 من قصيدة تتألّف من 11 بيتاً : 345–347 (رقم 8) .

2 في حاشية ل : أي ستّ من المئين .

3 الرئي : الجني المصاحب .

أميّة وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشام ؛ ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل . فقال له أبو سفيان : إنّ بك لَشَرّاً ، فما قِصَّتك ؟ قال : خيرٌ ، اخبرني عن عُتبة بن ربيعة كَم سِنُّه ؟ فذكر سِنّاً . وقال : أَخبِرني عن ماله فذَكَر مالاً . فقال له : وضعته . فقال أبو سفيان . بل رفعتُه . فقال له : إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ . قال : وكان الراهبُ أَشْيَبَ ، وأخبره أنَّ الأمر لرجلٍ من قريش .

[يفهم ثغاء الغنم]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حُدِّثتُ عن عبد الرحمن بن أبي حمَّاد المِنقَريّ قال : كان أُميّة جالساً معه قوم ، فمرّت بهم غنم فثَغَت منها شاة ؛ فقال للقوم : هل تَدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا لا . قال : إنّها قالت لِسَخْلتها : مُرِّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختَك عام أوّل في هذا الموضع . فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له : أُخبِرني عن هذه الشاة التي ثَغَتْ ألها سَخْلةٌ ؟ فقال : نعم ، هذه سخلتها . قال : أكانت لها عام أوّلَ سخْلةٌ ؟ قال : نعم ، وأكلها الذئب في هذا الموضع .

قال الزُّبير وحدَّثني يحيى بن محمد عن الأَصمعيّ قال : ذهب أُميّة في شعره بعامّة ذِكْر الآخرة ، وذهب عنترة بعامّة ذكر الحرب ، وذهب عُمَر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب .

قال الزُّبير حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّلي قال حدّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال : كان أُميّة نائماً فجاء طائران فوقَع أحدُهما على باب البيت ، ودخل الآخر فشَقَّ عن قلبه ثم ردّه الطائر ؛ فقال له الطائر الآخر : أُوَعى ؟ قال نعم . قال : زَكا ؟ قال : أَبى .

[خرج مع ركب إلى الشام]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابيّ عن ابن دَأْبٍ قال : خرج ركبٌ من ثَقيفٍ إلى الشام ، وفيهم أُميّة بن أبي الصَّلْت ، فلمّا قفَلوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشُّوا بعشاء ، إذ أَقبلتْ عَظايةٌ حتى دنت منهم ، فحَصَبها بعضهم بشيءٍ في وجهها فرجعت ؛ وكَفَتوا سُفرتهم ثم قاموا يرحلون مُمْسِين ؛ فطلعت عليهم عجوزٌ من وراء كَثِيبٍ مقابلٍ لهم تتوكّأ على عصاً ، فقالت : ما منعكم أن تُطعموا رَجِيمةَ الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشيّة ؟ قالوا : ومَن أنتِ ؟ قالت : أنا أمّ العوّام ، إمتُ[1] منذ أعوام ؛ أمّا وربِّ العباد ، لتَفترِقُنّ في البلاد ؛ وضربت بعصاها الأرض ثم قالت : بَطِّئي إيابهم ، ونَفِّري ركابهم ؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذِروة كلّ بعير منها شيطاناً ما يُملَكُ منها شيءٌ ، حتى افترقت في الوادي . فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نَكَد . فلمّا أُنَخناها لنَرحَلَها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها

1 إمت : أصبحت أيماً .

الأوّل ؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس ، فلم نجمعها إلاّ الغَدَ عشيّة . فلمّا أنخناها لنَرحَلَها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل . فقُلنا لأُميّـة : أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني . فتوجَّه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى واد ، فإذا فيه كنيسة وقناديل ، وإذا رجلٌ مضطجع معترض على بابها ، وإذا رجلٌ أبيض الرأس واللِّحية ؛ فلمّا رأى أُميّة قال : إنّك لمتبوع ، فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قال : من أُذني اليسرى . قال فبأيّ الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد . قال : هذا خطيب الجنّ ؛ كِدت والله أن تكونه ولم تفعل ؛ إنّ صاحبَ النبوّة يأتيه صاحبه من قِبَل أُذنه اليمنى ، ويأمره بلباس البياض ؛ فما حاجتك ؟ فحدّثه حديث العجوز ؛ فقال : صدقت ، وليست بصادقة ؛ وهي امرأة يهودية من الجنّ هَلَك زوجها منذ أعوام ، وإنّها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تُهلِككم إن استطاعت . فقال أُميّة : وما الحيلة ؟ فقال : جَمِّعوا ظهرَكم ، فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها : سَبْعٌ من فوقُ وسبعٌ من أسفل ، باسمِك اللّهمّ ؛ فلن تضُرَّكم . فرجع أُميّة إليهـم وقـد جمعوا الظَّهْر . فلمّا أقبلت قال لها ما أُمره به الشيخ ، فلم تضُرَّهم . فلمّا رأتِ الإبل لم تتحرّك قالت : قد عرفتُ صاحبكم ، ولَيَبْيَضَّنَّ أعلاه ، ولَيَسْوَدَّنَّ أسفله ؛ فأصبح أُميّة وقد بَرِص في عذارَيْه واسوَدّ أسفلُه . فلمّا قدِموا مكّة ذكروا لهم هذا الحديث ؛ فكان ذلك أوّل ما كَتَبَ أهل مكّة «باسمك اللهمّ» في كُتبهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزُّهريّ قال : دخل يوماً أُميّة بن أبي الصلت على أخته وهي تهيىء أَدَماً لها ، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت . قال : فانشقّ جانبٌ من السقف في البيت ، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه ، فشَقّ الواقعُ صدره فأخرج قلبه فشقّه ؛ فقال الطائر الواقف[1] للطائر الذي على صدره : أَوعى ؟ قال : وَعى . قال : أَقبِلَ ؟ قـال : أبى . قال : فرَدَّ قلبه في موضعه فنهض ؛ فأتبعهما أُميّة طَرفَه فقال : [من مجزوء الرجز]

لَـبَّيْكُما لبيكما   هأنــذا لَدَيْكُما

لا بَريءٌ فأَعتذِر ، ولا ذو عشيرةٍ فأَنتصِر . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقّه ؛ فقال الطائر الأعلى : أَوَعى ؟ قال : وَعى . قال : أَقبِلَ ؟ قال : أبى ، ونهَض ؛ فأَتبعهما بَصَرَه وقال : [من مجزوء الرجز]

1 ل : الواقع .

لَبَّيْكُما لبيكما هأنـذا لديكمـا

لا مالٌ يُغنيني ، ولا عشيرةٌ تَحميني . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقّه ؛ فقال الطائر الأعلى : أَوَعى ؟ قال : وَعَى . قال : أَقَبِل : قال : أبى ، ونهض ؛ فأتبعهما بصره وقال : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكما لبيكما هأنـذا لديكمـا

محفوفٌ بالنِّعم ، محوطٌ من الريب . قال : فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه وأخرج قلبَه فشقّه ؛ فقال الأعلى : أَوَعى ؟ فقال : وَعَى . قال : أَقَبِلَ : قال : أبى . قال : ونهض ، فأتبعهما بصره وقال : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكما لبيكما هأنـذا لديكمـا

[من الرجز]

إنْ تَغْفِرِ اللهـمَّ تَغفِرْ جَمًّا وأيُّ عبـدٍ لـكَ لا أَلَمَّا[1]

قالت أُخته : ثم انطبق السَّقف وجلس أُميّة يمسح صدره . فقلت : يا أخي ، هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنّي أجد حَرّاً في صدري . ثم أنشأ يقول[2] : [من الخفيف]

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في قِنانِ الجبـالِ أَرْعَـى الوُعولا

اجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينِك واحْذَر غَوْلَةَ الدَّهْـرِ إنّ للدّهـر غُولا

حدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة عن عكرمة عن ابن عبّاس : أنّ رسول الله ﷺ قال صَدق أُميّة في قوله[3] : [من الكامل]

زُحَلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يَمينِه والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله ﷺ : «صَدَق» .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني حمّاد بن عبد الرحمن بن الفضل الحَرّانيّ قال حدّثنا أبو يوسف ، وليس بالقاضي ، عن الزُّهريّ عن عروة عن عائشة عن النبيّ ﷺ بمثل هذا .

---

1 ديوان أميّة بن أبي الصّلت : 491 (رقم 85) .

2 ديوان أميّة بن أبي الصّلت : 450–452 (رقم 65) .

3 من قصيدة مطلعها :

اعلم بأنّ الله ليس كصنعه صنع ولا يخلي عليه ملحد

(ديوان أميّة بن أبي الصّلت 353–367) .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المُهلَّبيّ[1] قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عِكرِمة قال : أُنْشِد النبيّ ﷺ قولَ أُميّة[2] : [من البسيط]

الحمدُ للهِ مُمْسانا ومُصْبَحنا | بالخيرِ صَبَّحَنا ربِّي ومَسَّانا
رَبُّ الحنيفةِ لم تَنفَدْ خزائنُها | مملوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سُلْطانا[3]
ألا نَبيٌّ لنا مِنّا فيُخبِرَنا | ما بعدَ غايتنا من رأس مَحْيانا
بينا يُرَبِّيننا آباؤنا هَلَكُوا | وبينما نَقْتَني الأولادَ أُفنانا
وقد عَلِمْنا لَوَ آنّ العلمَ ينفعنا | أنْ سوف يَلْحَقُ أُخْرانا بأُولانا

فقال النبيّ ﷺ : «إنْ كاد أُميَّةُ لَيُسلِم» .

[شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا عبدالله بن أبي بكر ، وحدّثنا خالد بن عمارة : أنّ أُميّة عَتَب على ابنٍ له فأنشأ يقول[4] : [من الطويل]

غَذَوْتُك مولوداً ومُنْتُكَ يافعاً | تَعَلُّ بما أُجْني عليك وتَنْهَلُ
إذا ليلةٌ نابَتْك بالشَّكْوِ لم أَبِتْ | لِشَكواكَ إلاّ ساهراً أَتَمَلْمَلُ
كأنِّي أنا المطروقُ دونَكَ بالذي | طُرِقتَ به دُوني فعَيْنِيَ تَهْمُلُ
تخافُ الرَّدى نفسي عليك وإنَّني | لأَعلمُ أنّ الموتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ
فلمّا بلغتَ السِّنَّ والغايةَ التي | إليها مَدى ما كنتُ فيك أُؤمِّلُ
جعلتَ جزائي غِلْظَةً وفظاظةً | كأنّك أنت المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ[5]

قال الزُّبير قال أبو عمرو الشَّيبانيّ قال أبو بكر الهُذَليّ قال : قلتُ لعِكرِمة : ما رأيت مَن يبلِّغنا عن النبيّ ﷺ أنّه قال لأُميّة : «آمَنَ شِعْرُه وكَفَر قلبُه» ؛ فقال : هو حقٌّ ، وما الذي أنكرتم من ذلك ؟ فقلت له : أنكرنا قوله[6] : [من الكامل]

والشمسُ تطلُع كلَّ آخرِ ليلةٍ | حمراءَ مَطْلَعُ لَوْنِها مُتَوَرِّدُ

---

1 ل : اللهبي .
2 ديوان أُميّة بن أبي الصّلت : 516–519 (رقم 96) .
3 تنفد خزائنها في ل : تعنت خوايمها .
4 ديوان أُميّة بن أبي الصّلت : 430–433 (رقم 53) .
5 المتفضل في ل : المتطول .
6 ديوانه : 366 (رقم 10) .

تأبى فلا تبدو لنا في رِسْلِها　　إلاّ مُعَذَّبَــةً وإلاَّ تُجلَــدُ

فما شأن الشمس تُجْلَد ؟ قال : والذي نفسي بيده ما طلعتْ قَطُّ حتَّى يَنْخُسَها سبعون ألفَ مَلَك يقولون لها : اطْلُعي ؛ فتقول : أأطْلُعُ على قومٍ يعبدونني من دون الله ! قال : فيأتيها شيطانٌ حين تستقبل الضِّياء يريد أن يَصُدَّها عن الطُّلوع فتطلعُ على قَرْنَيْه ، فيُحرقه الله تحتها . وما غَرَبتْ قَطُّ إلاَّ خَرَّتْ لله ساجدةً ، فيأتيها شيطانٌ يريد أن يصُدّها عن السجود ، فتغرُب على قَرنيه فيُحرقه الله تحتها ؛ وذلك قول النبيّ ﷺ : «تطلُع بين قرْنَيْ شيطان وتغرب بين قرنَيْ شيطان» .

حدّثني أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن عبّاد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد أنّه سمع ابن حاضر يقول : اختلف ابن عباس وعمرو بن العاصي عند معاوية ؛ فقال ابن عبّاس : ألا أُغنّيك ؟ قال بلى فأنشده[1] :　[من الكامل]

والشمسُ تغرُب كلَّ آخرِ ليلةٍ　　في عين ذي خُلُبٍ وثَـأْطٍ حَرْمَدِ

[حاله في مرض موته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا عمّي عن مصعب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبير قال : لمّا مرِض أُميّة مَرَضَه الذي مات فيه ، جعل يقول : قد دنا أجلي ، وهذه المَرضة منيَّتي ، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقٌّ ، ولكن الشكّ يُداخلني في محمد . قال : ولمّا دنت وفاته أُغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول :　[من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما　　هأنذا لديكمــا

لا مالٌ يفديني ، ولا عشيرة تُنجيني . ثم أُغمي عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظنَّ مَن حضره من أهله أنّه قد قضى ، ثم أفاق وهو يقول :　[من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما　　هأنـذا لديكما

لا بَريءٌ فأعتذر ، ولا قويٌّ فأنتصر . ثم إنّه بقي يحدِّث مَن حضره ساعة ، ثم أُغمي عليه مثل المرّتين الأُولَيَيْن حتى يئسوا من حياته ، وأفاق وهو يقول :　[من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما　　هأنـذا لديكما

محفوفٌ بالنِّعَم ،　[من الرجز]

إنْ تَغفِرِ اللهُمَّ تغفــرْ جَمّا　　وأيُّ عبـدٍ لـك لا أَلـمَّا

---

1 لم يرد البيت في ديوانه وانظر اللسان (ثأط) .

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي ، فكونوا في أُهْبتي ؛ وحدّثهم قليلاً حتى يئس القوم من مرضه ، وأنشأ يقول : [من الخفيف]

كلُّ عيشٍ وإنْ تَطاولَ دَهْراً ... مُنْتَهى أمرِه إلى أن يَزُولا[1]

ليتَني كنتُ قبل ما قد بَدا لي ... في رؤوسِ الجبالِ أَرْعى الوُعولا

اجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينيك واحذَرْ ... غَوْلَةَ الدّهرِ إنّ لِلدّهرِ غُولا

ثم قضى نَحبه ، ولم يُؤْمن بالنبيّ ﷺ . وقد قيل في وفاة أُميّة غيرُ هذا .

[ذهابه إلى اليمن]

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : سمعت في خبر أُميّة بن أبي الصَّلت ، حين بُعِث النبيّ ﷺ ، أنّه أخذ بِنْتَيهْ وهرب بهما إلى أقصى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف ؛ فبينما هو يشرب مع إخوانٍ له في قصر غَيلان بالطائف ، وقد أودع ابنتَيه اليمن ورجع إلى بلاد الطائف ، إذ سقط غرابٌ على شُرفة في القصر فنَعَب نَعبةً ؛ فقال أُميّة : بفِيك الكَثكَثُ ! وهو التُّراب ، فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : يقول إنّك إذا شربتَ الكأس التي بيدك مُتَّ ، فقلت : بفِيك الكَثْكَث . ثم نَعَب نعبةً أُخرى ، فقال أُميّة نحو ذلك ؛ فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : زَعَم أنَّه يَقَع على هذه المَزبلة أسفل القصر ، فيستثير عَظْماً فيبتلعه فيَشْجى به فيموت ، فقلت نحو ذلك . فوقع الغراب على المزبلة ، فأثار العظْمَ فشَجِيَ به فمات ؛ فانكسر أُميّة ، ووضع الكأْسَ من يده ، وتغيَّر لونه . فقال له أصحابه : ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً ؛ فألحُّوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال في شِقٍّ وأُغمِي عليه ثم أفاق ، ثم قال : لا بَرِيءٌ فأَعتذر ، ولا قويٌّ فأَنتصر ، ثم خرجت نفسه .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

تَبلَتْ فؤادَك في المنامِ خَرِيدةٌ ... تَشْفِي الضَّجيعَ ببارِدٍ بَسّامِ

كالمِسْكِ تَخْلِطُه بماءِ سَحابةٍ ... أو عاتِقٍ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدامِ

عَروضه من الكامل ، الشعر لحسَّان بن ثابت ، والغناء لموسى بن خارجة الكوفيّ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوَتَر في مجرى البنصر . وذكر حمَّاد عن أبيه أنّ فيه لحناً لَعَزّة المَيْلاء . وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور ، ولا ممّن خدَم الخلفاء .

---

1 منتهى أمره في ل : قصره مرة ، وفي الشعر والشعراء : «صائر مرة» .

[46] ـ أخبار حسّان بن ثابت ونسبه[1]

[نسبه]

هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار ، واسمُه تَيمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ، وهو العَنقاء بن عمرو ؛ وإنّما سُمِّي العنقاء لطول عنقه . وعمرو هو مُزَيْقِياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن امرىء القيس البِطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد ، وهو ذرى ، وقيل : ذِراء ممدود ، بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

قال مصعب الزُّبيريّ فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عمِّه قال : بنو عَدِيٍّ بن عمرو بن مالك بن النجّار يُسَمَّوْن بني مَعالة . ومعالة أُمّه ، وهي امرأة من القَيْن وإليها كانوا يُنسَبون . وأُمّ حسّان بن ثابت بن المنذر ، الفُرَيعةُ بنت خالد بن قيس بن لَوذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج . وقيل : إنّ اسم النجّار تَيمُ اللاَّت ؛ وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت : [من الطويل]

أَمَا لابن تَيْمِ اللاَّتِ ماذا أَضَلَّتِ وأُمٌّ ضِرارٍ تَنْشُدُ النَّاسَ والِهاً

يعني ضِرار بن عبد المُطَّلب ، وكان ضَلَّ فنشدته أُمّه . وإنّما سمّاه رسول الله ﷺ تَيْمَ الله ؛ لأنَّ الأنصار كانت تنسب إليه ، فكَرِه أن يكون في أنسابها ذكرُ اللاَّت .

ويُكنى حسّان بن ثابت أَبا الوليد[2] ، وهو فحلٌ من فحول الشعراء . وقد قيل : إنّه أشعر أهلِ المَدَر . وكان أحد المُعَمَّرين من المُخضرمين ، عُمِّر مائةً وعشرين سنة : ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام .

[عاش حسان مائة وعشرين سنة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : عاش ثابت بن المنذر مائةً وخمسين سنةً ، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة . وممّا يحقّق ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن

1 أخبار حسان في طبقات ابن سلام 215–220 والشعر والشعراء 1 : 223–226 وفي كتب السيرة وتراجم الصحابة وغيرها من كتب التراجم ، وخزانة الأدب 4 : 70–77 ، وديوانه الذي نعتمده هنا بتحقيق د . وليد عرفات ط . أمناء سلسلة جب التذكارية .

2 ذكر البغداديّ في الخزانة كنية أُخرى له هي «أبو الحسام» وسترِد فيما بعد في هذه الترجمة .

محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن حسّان بن ثابت قال : إنّي لَغُلامٌ يَفَعَةٌ ابن سَبْعٍ سنين أو ثمان ، إذا بيهوديّ بيثرب يصرخ ذات غداةٍ : يا معشر يهود ؛ فلمّا اجتمعوا إليه قالوا : ويلك ؛ مالكَ ؟ قال : طلع نجمُ أحمد الذي يُولَد به في هذه الليلة . قال : ثم أدركه اليهوديّ ولم يُؤْمِن به . فهذا يدلّ على مدّة عُمره في الجاهليّة ؛ لأنّه ذكر أنّه أدرك ليلة وُلِد النبيّ ﷺ ، وله يومئذٍ ثمان سنين ، والنبيّ ﷺ بُعِث وله أربعون سنة ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنةً ، فقدِم المدينة ولحسّان يومئذٍ ، على ما ذكره ، ستّون سنةً أو إحدى وستّون سنة ، وحينئذ أسلم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثني ابن أبي الزّناد قال : عُمِّر حسّان بن ثابت عشرين ومائة سنة : ستّين في الجاهليّة ، وستّين في الإسلام .

قال أخبرني الحسن بن عليٍّ قال أخبرني أحمد بن زهير قال حَدّث سليمان بن حرب عن حمّاد بن زيد عن يزيد بن حازمٍ عن سليمان بن يَسار قال : رأيتُ حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سَدَلَها بين عينيه .

[كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليُّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه قال : كان حسّان بن ثابت يَخضِب شاربه وعنفقته بالحِنّاء ، ولا يَخضِب سائِر لِحيته . فقال له ابنه عبد الرحمن : يا أبتِ ، لِمَ تفعل هذا ؟ قال : لأكونَ كأنّي أَسَدٌ والِغٌ في دَمٍ .

[فضل الشعراء بثلاث]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : فَضَل حسّان الشعراء بثلاث : كان شاعرَ الأنصار في الجاهليّة ، وشاعرَ النبيّ ﷺ في النبوّة ، وشاعرَ اليمن كلِّها في الإسلام .

[أجمعت العرب على أنّه أشعر أهل المدر]

قال أبو عبيدة : وأجمعتِ العربُ على أنّ حَسّان أشعر أهل المَدَر . أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن أبي عبيدة قال : اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المَدَر أهلُ يثرب ، ثم عبدُ القيس ثم ثَقيفٌ ؛ وعلى أنّ أشعر أهلِ يَثْرِب حَسّان بن ثابت[1] .

1 رتب ابن سلام شعراء المدن أو القرى العربية : المدينة ، مكّة ، الطائف ، اليمامة ، البحرين ، وأشعرهم شعراء المدينة وفي مقدمتهم حسّان بن ثابت .

[سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عَفّان قال حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال حدّثنا مَعْمَر عن الزُّهْريّ عن سعيد بن المسيِّب قال : جاء حَسّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هُريرة ، فقال : أَنْشُدُك الله : أَسَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقول : «أجِبْ عَنِّي» ثم قال : «اللّهُمّ أَيِّده برُوح القُدُس» ؟ قال أبو هريرة : اللهُمّ نعم .

[كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثنا وَهْب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعتُ محمد بن سِيرِين ، قال أبو زيد وحدَّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حدّثنا عَوف عن محمد بن سيرين قال : كان يهجو رسولَ الله ﷺ ثلاثةُ رَهْطٍ من قريش : عبد الله بن الزِّبَعْرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطَّلِب ، وعمرو بن العاصي ؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه : اهْجُ عنَّا القومَ الذين قد هَجَوْنا . فقال عليٌّ رضي الله عنه : إنْ أذِن لي رسولُ الله ﷺ فعلتُ . فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال : «ليس هُناك» أو «ليس عنده ذلك» ؛ ثم قال للأنصار : «ما يَمْنَع القَوْمَ الذين نَصَروا رسولَ الله ﷺ ، بسلاحهم أن يَنْصُروه بألسنتهم ؟». فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطَرَف لسانه وقال : والله ما يَسُرُّني به مقْوَلٌ بين بُصرى وصنعاء . فقال : «كيف تهجوهم وأنا منهم» ؟ فقال : إنّي أَسُلُّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعَرةُ من العجين . قال : فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . فكان حسّان وكعب يُعارِضانِهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعَيِّرانهم بالمَثالِب ، وكان عبد الله بن رواحة يُعَيِّرهم بالكفر . قال : فكان في ذلك الزمان أشدُّ القولِ عليهم قولَ حسّان وكعب ، وأهوَن ، القول عليهم قول ابن رواحة . فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام ، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رواحة .

[استأذن النبيّ في هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبدالله بن بكر بن حبيب السَّهْميّ قال حدّثنا أبو يونس القُشَيْريّ وهو حاتم[1] بن أبي صغيرة قال حدّثنا سِماك بن حرب قال : قام حسّان أبو الحُسام فقال : يا رسول الله ، ائذَن لي فيه ، وأخرج لساناً له أسود ، فقال : يا رسول الله ، لو شئْتُ لفَرَيْتُ به المَزاد ، ائذَنْ لي فيه . فقال : «اذهَبْ إلى أبي بكر فَلْيُحدثك حديثَ القوم وأيّامِهم وأحسابهم ثم اهجُهم وجبريلُ معك» . قال أبو

---

1 ل : خالد (وهو خطأ) . انظر ابن حجر : تهذيب التهذيب 2 : 130 .

زيد قال ابن وهب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدِّيّ عن البراء بن عازِبٍ وعن سِماكِ بن حَرب ، فأنا أشكّ : أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً ، قال أبو زيد : وحدّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سِماك بن حَرْب بنَحوه ، وزاد فيه : فأخرج لسانه أسود ، فوضعه على طَرَف أرنَبَتِه ، وقال : يا رسول الله ، لو شِئْتَ لَفَرَيْتُ به المزاد ؛ فقال : «يا حسّان وكيف وهو مِنّي وأنا منه» ؟ قال : والله لأسُلَّنّه منك كما يُسَلُّ الشَّعر من العجين ؛ قال : «يا حسّان فَأْتِ أبا بكر فإنّه أعلمَ بأنساب القوم منك» . فأتى أبا بكر فأعلمَه ما قال رسول الله ﷺ ؛ فقال : كُفَّ عن فُلانة واذكُرْ فلانة . فقال[1] : [من الوافر]

هَجَوْتَ محمداً فأجَبْتُ عنه وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ
فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي لِعِرض محمدٍ منكم وِقاءُ
أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ فشَرُّكُما لخَيْرِكُما الفِداءُ

[لمّا بلغ قريشاً شعر حسّان اتهموا فيه أبا بكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : لمّا أُنشِدت قريش شعر حسان قالت : إنّ هذا الشّتم ما غاب عنه ابن أبي قُحافة .

قال الزُّبير : وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مُجَمِّع عن رجلٍ من بني العَجلان قال : لمّا بلغ أهلَ مكّة شعر حسّان ولم يكونوا عَلِموا أنّه قوله ، جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشِّعْرَ بعدَنا .

[نهي عمر بن الخطّاب عن إنشاد مناقضات الأنصار ومشركي قريش]

قال الزُّبير : وحدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شَمَّاس قال : نهى عمر بن الخطّاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومُشركي قريش ، وقال : في ذلك شَتْمُ الحَيّ بالمَيِّت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدَم الله أمْرَ الجاهليّة بما جاء من الإسلام . فقدِم المدينة عبد الله بن الزِّبَعرى السَّهْميّ وضرارَ بن الخطّاب الفِهريّ ثم المحاربيّ ، فنزلا على أبي أحمد بن جحش ، وقالا له : نُحِبُّ أن تُرسِلَ إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيك ، فنُنشده ويُنشدنا ممّا قلنا له وقال لنا . فأرسل إليه

1 ديوان حسان : 18 . والمخاطب بقوله «هجوت» هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وهو ابن عمّ الرسول ﷺ ؛ والقصيدة التي منها الأبيات قيلت يوم فتح مكّة . وانظر سيرة ابن هشام 1 : 421-424 .

فجاءه ؛ فقال لـه : يا أبا الوليد ، هذان أُخَواك ابن الزِّبعرى وضرارُ قد جاءا أن يُسمعاك وتُسمِعهما ما قالا لك وقلتَ لهما . فقال ابن الزِّبَعرى وضِرار : نَعَم يا أبا الوليد ، إن شِعرك كان يُحتَمَل في الإسلام ولا يُحتمل شعرُنا ، وقد أحببنا أن نُسمِعك وتُسمعنا . فقال حسّان : أفتَبْدآن أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . قال : ابتدِئا ؛ فأنشداه حتى فارَ فصار كالمِرْجَل غَضَباً ، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكّة ؛ فخرج حسّان حتى دخل على عُمَر بن الخطّاب فقَصَّ عليه قِصَّتهما وقصَّته . فقال له عمر : لن يذهبا عنك بشيءٍ إن شاء الله ، وأرسل مَن يَرُدّهما ، وقال له عمر : لو لم تُدْرِكهما إلاّ بمكّة فارْدُدْهما عليّ . وخرجا فلمّا كانا بالرَّوحاء[1] رجع ضِرار إلى صاحبه بكُرهٍ ، فقال له يا ابن الزِّبَعرى : أنا أعرف عمر وذَبَّه عن الإسلام وأهلِه ، وأعرف حسّان وقلّة صبره على ما فعلنا به ، وكأنّي به قد جاء وشَكا إليه ما فعلنا ، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله : إن لَم تَلحَقهُما إلاّ بمكّة فارْدُدْهما عليّ ؛ فاربح بنا تَرك العناء وأَقِم بنا مكاننا ؛ فإنْ كان الذي ظننتُ فالرجوع من الرَّوحاء أسهلُ منه من أبعد منها ، وإنْ أخطأ ظَنّي فذلك الذي نُحِبُّ ونحن من وراء المُضِيّ . فقال ابن الزِّبَعرى : نِعْمَ ما رأيت . قال : فأقاما بالرَّوحاء ، فما كان إلاّ كمَرّ الطائر حتى وافاهما رسولُ عمر فردَّهما إليه ، فدعا لهما بحسّان ، وعُمَرُ في جماعةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال لحسّان : أَنْشِدهما ممّا قلت لهما ؛ فأنشدهما حتى فَرَغ ممّا قال لهما فوقف . فقال له عمر : أَفَرغْتَ ؟ قال نعم . فقال له : أَنشَداك في الخَلاء وأنشدتَهما في الملأ . وقال لهما عمر : إن شئتما فأَقيما ، وإن شئتما فانصرفا . وقال لمن حضره : إنّي قد كنت نهيتكم أن تذكروا ممّا كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دَفْعاً للتضاغُن عنكم وبَثِّ القبيح فيما بينكم ، فأمّا إذ أَبَوا فاكتبوه واحتفظوا به ؛ فدوّنوا ذلك عندهم . قال خَلاّد بن محمد : فأدركتُه والله وإنّ الأنصار لَتُجدِّده عندها إذا خافت بِلاه .

[شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عفّان بن مُسلم قال حدّثنا عمران بن زيد قال : سمعتُ أبا إسحاق قال في قصّة حسّان وأبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره ممّا قدّمنا ذِكره ، وزاد فيه : فقال حسّان فيه[2] : [من الطويل]

وإنّ سَنامَ المَجْـدِ مِـن آلِ هاشمٍ بنو بِنْتِ مَخْزومٍ ، ووالدُك العَبْدُ

1 الروحاء : موضع بين مكّة والمدينة .

2 ديوان حسان : 398 من قصيدة أولها :

لقـد علـم الأقـوام أن ابـن هاشم هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد

ومَنْ ولــدتْ أبناء زُهْرَةَ منكمُ ... كِــرامٌ ولم يَلْحَقْ عجائزَك المَجْدُ
وإنّ امــرءاً كانــتْ نثيلة أمَّــهُ ... وسَمراءَ مغلوبٌ إذا بَلَغ الجَهْدُ[1]
وأنت هَجِينٌ نِيطَ في آل هاشمٍ ... كما نيطَ خَلْفَ الرّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[2]

فقال العبّاس : وما لي وما لحسّان ! يعني في ذكره نُتَيْلَةَ ، فقال فيها : [من الطويل]

ولَسْتَ كَعبَّــاسٍ ولا كابــنِ أمِّــهِ ... ولكن هَجِينٌ ليس يُورى له زَنْدُ

[أعانه جبريل في مديح النبيّ]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا القَعْنَبيّ قال حدّثنا مَروان بن معاوية قال حدّثنا إيّاس السُّلَميّ عن ابن بُرَيدةَ قال : أعان جبريل عليه السلام حسّان بن ثابت في مديح النبيّ ﷺ بسبعين بيتاً .

[مدحه النبيّ ومدح كعباً وعبد الله بن رواحة]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا سعيد بن عامر قال حدّثني جُوَيْرِيّة بن أسماء قال : بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال : «أمرتُ عبد الله بن رَواحةَ فقال وأحسَنَ ، وأمرتُ كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرتُ حسّان بن ثابت فشفى واشتَفى» .

[أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيّده]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويَعلى بن شدّاد بن أوْس عن عائشة قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسّان بن ثابت الشاعر : «إنّ روحَ القدس لا يزال يُؤيِّدك ما كافحتَ عن الله عزّ وجلّ وعن رسول الله» ﷺ .

[استنشده النبيّ وجعل يصغي إليه]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد قال : قال النبيّ ﷺ ليلةً وهو في سَفَرٍ : «أين حسّان بن ثابت» ؟ فقال حسّان : لَبَّيك يا رسول الله وسَعْدَيك . قال : «احْدُ» ، فجعل حسّان ينشد ويُصغي إليه النبيّ ﷺ ويستمع ، فما زال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يَمَسُّ الوَرِكَ حتى فرغ من نشيده . فقال النبيّ ﷺ : «لَهَذا أَشَدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل» .

[انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرنا

---

1 نثيلة في رواية أُخرى : سمية . سمراء : أم أبي سفيان المهجوّ .

2 الهجين : من كان أبوه عربياً وأمّه غير عربيّة . نيط : ألحق بهم وليس منهم .

زِياد بن أبي سهل قال حدّثني سعيد بن المسيّب : أنّ عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ فانتهره عمر ؛ فقال حسّان : قد أَنشدتُ فيه مَن هو خيرٌ منك ؛ فانطلق عمر .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطَّيالسيّ قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهريّ عن سعيد بن المسيّب : أنّ عمر مرّ على حسّان وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ ، فذكر مثله وزاد فيه : وعَلِمتُ أنّه يريد النبيّ ﷺ .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شُجاع بن الوليد عن الإفريقيّ عن مسلم بن يسار : أنّ عمر مرّ بحسّان وهو يُنشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ، فأخذ بأُذُنه وقال : أَرُغاءٌ كرُغاءِ البعير ! فقال حسّان : دَعنا عنك يا عمر ، فوالله لَتَعلَمُ أنّي كنت أُنشِد في هذا المسجد مَن هو خيرٌ منك فلا يُغيِّر عليّ ! فصدّقه عمر .

[مدح الزبير بن العوام شعره]

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحِرْمِيّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعة غيرهم قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّةَ محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن مصعب عن هشام بن عُروة عن فاطمة بنت المُنذر عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت : مرَّ الزُّبير بن العوّام بمجلسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ، وحسّان بن ثابت يُنشدهم من شِعره وهم غيرُ نِشاط لِما يسمعون منه ، فجلس معهم الزُّبير فقال : مالي أراكم غير آذنين لِما تسمعون من شعر ابن الفُرَيعة ! فلقد كان يَعرِض لرسول الله ﷺ فيُحسن استماعه ويُجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه بشيء . فقال حسّان[1] : [من الطويل]

أقــامَ عـلى عهدِ النبيِّ وهَدْيِهِ … حَواريُّـه والقَـوْلُ بالفِعْلِ يُعْدَلُ
أقــامَ عـلى مِنْهاجِـه وطَرِيقِـهِ … يَوالي وَلِيَّ الحـقِّ والحَـقُّ أعدلُ
هــو الفارسُ المشهورُ والبَطَلُ الذي … يَصُولُ إذا مـا كان يـومٌ مُحَجَّلُ
إذا كَشَفتْ عن ساقها الحربُ حَشَّها … بأبيض سَباقٍ إلى المـوتِ يُرْقِلُ[2]
وإنَّ امــرءاً كانــتْ صَفِيّـةُ أُمَّهُ … ومِـنْ أَسَدٍ في بيتها لَمُـرَفَّلُ[3]

1 ديوان حسان : 433 وهي فيه كما وردت في الأغاني ترتيباً وعدد الأبيات .
2 حشها : زاد وقودها .
3 المرفل : المعظم المسود .

له مــن رسول الله قُربَــى قريبةٌ ... ومِنْ نُصْرةِ الإسلامِ نصرٌ مُؤَثَّلُ[1]
فكَــمْ كُرْبةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بسيفه ... عَن المصطفى واللهُ يُعطي فيُجْزِلُ
فما مثلُــه فيهــم ولا كان قبلَــه ... وليس يكون الدَّهْرَ ما دام يَذْبُلُ[2]
ثناؤك خيرٌ مــن فِعــال مَعاشِرٍ ... وفِعْلُك يــا ابنَ الهاشميّةِ أفضلُ

[تقدم هو وكعب وابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فاختاره النبيّ دونهما]

أخبرني أحمد بن عيسى العِجليّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابن فُضَيْل عن مُجالد عن الشَّعبيّ قال : لَمّا كان عامُ الأحزاب وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً ، قال النبيّ ﷺ : «مَنْ يَحْمي أعراض المسلمين» ؟ فقال كعب : أنا يا رسول الله ، وقال عبدالله ابن رَواحة : أنا يا رسول الله ، وقال حَسّان بن ثابت : أنا يا رسول الله ؛ فقال : «نعم اهْجُهم أنت فإنّه سَيُعينُك عليهم رُوحُ القُدُس» .

[سبّه قوم في مجلس ابن عبّاس فدافع عنه]

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا حُدَيْج بن معاويـة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جُبير قـال : كنّا عند ابن عبّاس فجاء حسّان ، فقالوا : قد جاء اللَّعين . فقال ابن عبّاس : ما هو بلعين ؛ لقد نَصَر رسولَ الله ﷺ بلسانه ويده .

حدّثنيه أحمد بن الجَعد قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا حُدَيج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جُبير قال : جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال : قد جاء اللعين حسّان من الشام . فقال ابن عبّاس : ما هو بلعين ؛ لقد جاهد مع رسول الله ﷺ بلسانه ونفسه .

[قدم وفد تميم على النبيّ مفتخرين فأمره النبيُّ أن يجيب شاعرهم]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمر وشُرَيْح بن النُّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لَمّا قَدِم وفد بني تميم وضع النبي ﷺ لحسّان مِنبراً وأجلسه عليه ، وقال : «إنّ الله لَـيُـؤيِّـد حسّان برُوح القدس ما نافح[3] عن نبيّه» ﷺ . هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً . وأتينا به على تمامه هاهنا ؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه : أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : قَدِم على النبي ﷺ وفدُ بني تميم[4] وهم سبعون أو ثمانون رجلاً ، فيهم

1 نصر في ل : مجد .
2 يذبل : جبل في نجد .
3 نافح : هذه رواية ل ، وفي رواية أُخرى «كافح» وكلتاها بمعنى .
4 قصة الوفادة وما فيها من خطب وشعر في كتب السيرة . وانظر ديوان حسان : 101–104 .

الأَقرَع بن حابس ، والزِّبرقان بن بدر ، وعُطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتَم ، وانطلق معهم عيينة بن حِصنٍ ، فقَدِموا المدينة ، فدخلوا المسجد ، فوقفوا عند الحجرات ، فنادوا بصوتٍ عالٍ جافٍ : اخرُج إلينا يا محمد ؛ فقد جئنا لنُفاخرك ، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا . فخرج إليهم رسول الله ﷺ فجلس . فقام الأَقرع بن حابس فقال : والله إنّ مَدحي لَزَيْن ، وإنّ ذَمّي لَشَيْن . فقال النبيّ ﷺ «ذلك الله» . فقالوا : إنّا أكرمُ العرب . فقال رسول الله ﷺ : «أكرمُ منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام» . فقالوا : ايذَنْ لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسول الله ﷺ فجلس وجلس معه الناس ، فقام عُطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذي له الفضل علينا وهو أهلُه ، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أَعَزَّ أهل المَشْرِق ، وآتانا أموالاً عِظاماً نفعل فيها المعروف ، ليس في الناس مثلُنا ؛ ألسنا برؤوس الناس وذوي فَضلهم ؟ فمَن فاخرنا فليعدُد مثلَ ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكنّا نستحي من الإكثار فيما خَوَّلَنا الله وأعطانا . أقول هذا ، فأْتُوا بقَوْلٍ أفضلَ من قولنا ، أو أمرٍ أَبيَنْ من أمرنا ، ثم جلس .

فقام ثابت بن قيس بن شَمَّاس فقال : الحمد لله الذي السمواتُ والأرضُ خلْقُه ، قضى فيهنّ أمرَه ووَسِع كُرْسيَّه علمه ، ولم يَقض شيئاً إلاّ من فضله وقُدرته ؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولاً أكرمهم حَسَباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم رأياً ، فأنزل عليه كتاباً ، وأْتَمَنه على خَلقه ، وكان خِيرةَ اللهِ من العالمين . ثم دعا رسول الله ﷺ إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذوي رَحِمِه المهاجرون أكرمُ الناس أنساباً ، وأَصبَحُ الناس وجوهاً ، وأفضل الناس فِعالاً . ثم كان أوّل من اتَّبع رسول الله ﷺ من العرب واستجاب له نحن مَعْشَرَ الأنصار ؛ فنحن أنصار الله ووزراءُ رسوله ، نُقاتل الناسَ حتى يؤْمِنوا ويقولوا : لا إله إلاّ الله . فمن آمن بالله ورسوله مَنَع منّا مالَه ودمه ، ومَن كَفَر بالله ورسوله جاهدناه في الله ، وكان جهاده علينا يسيراً . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

فقام الزِّبرقان فقال[1] : [من البسيط]

نحـنُ الملـوكُ فـلا حَيٌّ يُقارِبُنا مِنّا الملوكُ وفينا يُؤْخَـذُ الرُّبُعُ
تلـك المكـارمُ حُزْناها مُقارَعةً إذا الكـرامُ على أمثالهـا اقترَعوا
كَمْ قد نَشَدْنا مِنَ الأحياءِ كُلِّهِمُ عنـدَ النِّهـابِ وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ[2]

1 ورد هذا الشعر في سيرة ابن هشام (2 : 563 وما بعدها) برواية مختلفة في كثير من الأبيات ، وقارن بما جاء في ديوان حسان .

2 نشدنا في ل : قسرنا .

ونَنْحَرُ الكُـومَ عُبْطاً في مَنازلنا | للنازلين إذا مـا اسْتَطْعَموا شَبِعوا[1]
ونحن نُطْعِم عند المَحْلِ مـا أكلوا | من العبيطِ إذا لم يَظْهَـرِ القَزَعُ
وننصر النـاسَ تأتينـا سَراتُهُـمُ | مِنْ كُـلِّ أَوْبٍ فتَمْضي ثم تُتَّبَعُ

فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى حسان بن ثابت فجاء، فأمره أن يُجيبه. فقال حسان: [من البسيط]

إنّ الذوائبَ مِنْ فِهْـرٍ وإخْوَتِهمْ | قـد بَيَّنُوا سُنَّـةً لِلنّـاسِ تُتَّبَعُ
يَرضى بها كلُّ مَـنْ كانت سريرتُـه | تَقْوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شَرَعُوا
قـومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ | أو حاولوا النَّفْعَ في أشياعهم نَفَعُوا
سجيَّـةٌ تلك منهـم غيرُ مُحْدَثَةٍ | إنّ الخلائقَ فاعلَمْ شَرُّها البِدَعُ
لا يَرْقَعُ النّاسُ ما أوهَتْ أكُفُّهُمُ | عند الدِّفاع ولا يُوهُون ما رَقَعوا
إنْ كان في الناسِ سَبَّاقون بعدَهُمُ | فكُلُّ سَبْقٍ لأَدْنـى سَبْقِهِـمْ تَبَعُ
أَعفّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْـيِ عِفَّتُهمْ | لا يَطْمَعون ولا يُزري بهم طَمَعُ
ولا يَضَنُّـونَ عـن جـارٍ بِفَضْلِهِمُ | ولا يَمَسُّهُمُ مِـنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
يَسْمُون للحرب تبدو وهي كالحةٌ | إذا الزَّعانِفُ من أظفارِها خَشَعُوا
لا يَفْرَحـون إذا نالـوا عَدُوَّهُمُ | وإنْ أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ
كأنَّهم في الوغى والموتُ مُكتَنِعٌ | أُسُودُ بيشَةَ في أرساغها فَدَعُ[2]
خُذْ منهمُ ما أتى عَفْواً وإنْ مَنَعُوا | فلا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا[3]
فإنّ في حَرْبِهم، فاتْرُكْ عداوَتَهم، | سُمّاً يُخاض عليه الصَّابُ والسَّلَعُ[4]
أَكْـرِمْ بقَوْمٍ رسولُ الله قائدُهُمْ | إذا تَفَرَّقَـتِ الأهـواءُ والشِّيَعُ
أَهْدى لهـمْ مِدَحِي قلبٌ يؤازِرُهُ | فيما أراد لسانٌ حائِـكٌ صَنَعُ
فإنّهـم أفضلُ الأحيـاءِ كلِّهِـمُ | إنْ جَدّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا[5]

---

1 الكوم: جمع كوماء وهي الناقة الضخمة.
2 مكتنع: قريب. أسد بيشة أو أسد حلية. فدع: اعوجاج الرسغ.
3 أتى في ل: أتوا.
4 يخاض: يخلط. الصاب والسلع: نوعان من الشجر مران.
5 شمعوا: لم يجدوا.

فقام عُطارد بن حاجب فقال[1] : [من الطويل]

أتيناك كيما يعلَم الناسُ فضلَنا إذا اجتمعوا وقتَ احتضارِ المواسِمِ
بأنّا فُروعُ الناسِ في كلِّ موطنٍ وأنْ ليس في أرض الحجاز كَدارِمِ

فقام حسّان بن ثابت فقال[2] : [من الطويل]

مَنَعْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له على أنْفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ
هَلِ المجدُ إلاّ السُّؤْدُدُ العَوْدُ والنَّدى وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ[3]

قال : فقال الأقرَع بن حابس : والله إنّ هذا الرجل لَمُؤتّى له ؛ والله لَشاعرُه أشعرُ من شاعرنا ، ولَخَطِيبُه أخطبُ [من خطيبنا] ، ولأصواتُهم أرفعُ من أصواتنا ؛ أعطِني يا محمد فأعطاه . فقال : زِدني فزاده . فقال : اللّهمَّ إنّه سيد العرب . فنزلتْ فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ .

[إسلام وفد تميم وإكرام النبيّ لهم]

ثم إنّ القوم أسلموا ، وأقاموا عند النبيّ ﷺ يتعلّمون القرآن ، ويتفقّهون في الدّين . ثم أرادوا الخروج إلى قومهم ، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم ، وقال : «أما بقيَ منكم أحدٌ ؟» ، وكان عمرو بن الأهْتَم في رِكابهم ، فقال قيس بن عاصم ، وهو من رهطه وكان مُشاحِناً له .

[مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم]

لم يبقَ منّا أحدٌ إلاّ غلام حديث السن في ركابنا ؛ فأعطاه رسول الله ﷺ مِثْلَ ما أعطاهم . فبلغ عَمْراً ما قال قيس ؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس : [من البسيط]

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمني عندَ الرسولِ فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ[4]
إنْ تُبْغِضونا فإنَّ الرُّومَ أصلُكُمُ والرومُ لا تملِكُ البغضاء للعَرَبِ
فإنَّ سُؤْدُدَنا عَوْدٌ وسُؤْدُدكم مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ

فقال له قيس : [من السريع]

لولا دفاعي كنتمُ أَعْبُداً دارُكم الحِيرةُ والسَّيْلَحونْ[5]

1 نسب الشعر في سيرة ابن هشام للزبرقان .
2 ديوان حسان : 109 .
3 العود : القديم .
4 الهلباء : الاست .
5 السيلحون : موضع بين الكوفة والقادسية .

[شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدّثني عمر بن عليّ بن مُقَدَّم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيّان التَّيميّ عن حبيب بن أبي ثابت ، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزُّبير قال حدّثنا مِسْعَرٌ عن سعد بن إبراهيم ، قالوا : قال حسّان بن ثابت للنبيّ ﷺ[1] : [من الطويل]

صوت

شَهِدتُ بإذن الله أنّ محمداً رسولُ الذي فوق السمواتِ من عَلُ
وأَنَّ أخا الأحقاف إذ يَعْذُلونه يقومُ بدينِ الله فيهم فيَعدِلُ[2]
وأَنَّ أبا يحيى ويحيى كِلاهُما لـه عَمَلٌ في دينِه مُتَقَبَّلُ[3]
وأنّ الذي عادى اليهودَ ابنَ مَرْيَمٍ رسولٌ أتى من عند ذي العرش مُرْسَلُ
وأَنَّ الذي بالجِزْعِ من بطن نَخْلَةٍ ومَنْ دونَها فِلٌّ من الخير مَعْزِلُ[4]

غنّى في هذه الأبيات معْبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر من رواية يونس وغيره ، فقال النبيّ ﷺ : «أنا أشهَد معك» .

[أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زهير بن حرب قال حدّثني جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق ، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العِجليّ قال حدّثنا سفيان بن وكيع قال حدّثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق قال : دخلتُ على عائشة وعندها حسّان وهو يرثي بنتاً له ، وهو يقول[5] : [من الطويل]

رَزانٌ حَصانٌ ما تُزَنُّ برِيبَةٍ وَتُصبِحُ غَرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ

فقالت عائشة : لكن أنت لستَ كذلك . فقلت لها : أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ ! فقالت : أمَا تراه في عذاب عظيم قد ذَهَب بصرُه !

---

1 ديوان حسان : 203 .
2 أخو الأحقاف : النبي هود .
3 يحيى النبي وأبوه زكريا .
4 الشطر الأول في الديوان : وأن التي بالسد من بطن نخلة . الفلّ : المقفر من الخير .
5 هذا البيت من جملة أبيات يعتذر لعائشة عمّا نسب إليه من حديث الأفك (انظر ديوانه 1 : 292 و510 (برواية السيرة) . وأبياته في رثاء ابنته في ص 234 . ولعلّ تشابه البيت الثاني منها والبيت الأوّل من أبيات عائشة كان وراء القصّة المنسوبة إلى مسروق .

[أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا ابن أبي أُوَيْس قال حدّثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدّثاني جميعاً عن الرَّبيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنّه قال : بينا نحن جُلوسٌ عند حسّان بن ثابت ، وحسّان مضطجعٌ مُسنِدٌ رِجليه إلى فارِعٍ[1] قد رفعهما عليه ؛ إذ قال : مَهْ ، أما رأيتم ما مرَّ بكم الساعة ؟ قال مالك : قلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسّان : فاختِةٌ مَرَّت الساعة بيني وبين فارع فصدمتني ، أو قال : فزَحَمتني . قال : قلنا : وما هي ؟ قال[2] : [من الطويل]

ستأتيكمُ غَدْواً أحاديثُ جَمَّةٌ فأَصغُوا لها آذانَكم وتَسَمَّعوا

قال مالك بن أبي عامر : فصَبَّحَنا من الغد حديث صِفِّين .

[سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعراً فبعث إليه بمال]

أخبرنا وكيع قال حدّثنا اللَّيث بن محمد عن الحَنْظَليّ عن أبي عبدة عن العلاء بن جَزْء العنبريّ قال : بينا حسان بن ثابت بالخَيْفِ وهو مكفوفٌ ، إذ زَفَر زفرةً ثم قال[3] : [من الكامل]

وكأنَّ حافِرَها بكلِّ خَميلةٍ صاعٌ يَكيِلُ به شحيحٌ مُعْدِمُ
عارِي الأَشاجعِ من ثَقيفٍ أصلُه عبدٌ ويزعمُ أنَّه مِنْ يَقْدُمُ[4]

قال : والمُغيرة بن شُعبة جالسٌ قريباً منه يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فقال : مَن بعث بهذا ؟ قال : المُغيرة بن شُعبة سمع ما قلتَ . قال : واسَوْءتاه ! وقَبِلها .

[استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبيّ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الأصمعيّ قال : جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبي ﷺ فقال : أَجِرْنِي من شعر حسّان ، فلو مُزِج البحرُ بشِعره لمَزَجه . قال : وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمِّي مُصعب : أنّ الحارث بن عوف أتى رسولَ الله ﷺ فقال : ابعَثْ معي مَن يدعو إلى دِينك وأنا له جار . فأرسل معه رجلاً من الأنصار . فغَدَرتْ بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاريّ ، فقَدِم الحارث على رسول الله ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنِّب أحداً

1 فارع : أطم بالمدينة ، كان لحسان .
2 ديوان حسان : 492 .
3 ديوان حسان : 438 .
4 يقدم : أبو قبيلة وعلى هذا جاز رفعه .

في وجهه ، فقال : «ادْعُوا لي حسّان» ؛ فدُعي له . فلمّا رأى الحارث أنشده[1] : [من الكامل]

يا حارِ مَنْ يَغْدِرْ بذِمّةِ جارِه منكُـمْ فإنّ محمـداً لم يَغْدُرِ
إنْ تَغْدِرُوا فالغَدْرُ منكم شيمةٌ والغدرُ ينبُت في أُصول السَّخْبَرِ[2]

فقال الحارث : اكْفُفْه عنّي يا محمد ، وأُؤدّي إليك دِيَةَ الخفارة ؛ فأدّى إلى النبيّ ﷺ سبعين عُشَراء ، وكذلك دِيةُ الخُفارة ، وقال : يا محمد ، أنا عائذٌ بك من شرِّه ، فلو مُزج البحر بشِعره مزجه .

[بلغ النبيّ شعره فآلمه فضربه ابن المعطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا عبد الله بن وَهْب قال أخبرنا العطّاف بن خالد قال : كان حسان بن ثابت يجلس إلى أطُمِه فارِعٍ ، ويجلس معه أصحابٌ له ويضع لهم بِساطاً يجلسون عليه ؛ فقال يوماً ، وهو يرى كثرة مَن يأتي إلى النبي ﷺ من العرب فيُسْلِمون : [من البسيط]

أَرى الجَلابيبَ قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابنُ الفُرَيْعَةِ امسَى بَيْضَةَ البَلَدِ[3]

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : «مَن لي بأصحاب البِساطِ بفارع ؟» . فقال صفوان بن المعَطَّل : أنا لك يا رسول الله منهم ؛ فخرج إليهم فاخترط سيفه ، فلمّا رأوْه عرفوا الشرَّ في وجهه ففرّوا وتبدّدوا ، وأدرك حسّان داخلاً بيتَه ، فضربه وفلق أَلْيَتَه . قال : فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ عوّضه وأعطاه حائطاً[4] ، فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية قصراً ، وهو الذي يقال له : «قصر الدّارَين» . وقد قيل : إنّ صفوان بن المعطَّل إنّما ضرب حسّان لِما قاله فيه وفي عائشة زوج النبي ﷺ من الإفك ؛ لأن صفوان هو الذي رمى أهلُ الإفك عائشة به .

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة قال : اعترض صَفوان بن المُعَطَّل حسّان بن ثابت بالسيف لِما قَذَفه[5] به من الإفك حين بلغه ما قاله . وقد كان حسّان قال شِعراً يعرِّض بابن المعطَّل وبمن أسلمَ من العرب من مُضَر فقال[6] : [من البسيط]

1 ديوان حسان : 137 .
2 السخبر : نوع من الشجر .
3 الجلابيب : لقب كان المنافقون ينبزون به المهاجرين .
4 الحائط : البستان .
5 ل : قرفه .
6 ديوان حسان : 284 . وانظر الخبر والشعر في سيرة ابن هشام : 304 فما هنا متابع للسيرة .

أمسَى الجَلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابنُ الفُرَيعةِ أُمسى بَيْضَةَ البَلَدِ
قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَن كنتُ صاحبَه أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأَسَدِ
ما للقتيلِ الذي أعدُو فآخُذُه من دِيَةٍ فيه أُعْطِيها ولا قَوَدِ
ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيةً فيَغْطئِلُّ ويَرْمي العِبْرَ بالزَّبَدِ
يوماً بأغلبَ منِّي حين تُبْصِرُني بالسيف أَفْرِي كفَرْي العارِضِ البَرِدِ

فاعترضه صفوان بن المعطَّل بالسيف فضربه وقال : [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيْفِ عنِّي فإنّني غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

[قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل ثم انتهى الأمر إلى النبيّ فاسترضاه]

وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميّ : أنّ ثابت بن قيس بن الشمَّاس أخا بَلْحارث بن الخزرج وثَبَ على صفوان بن المعطَّل في ضَربه حسّان فجمع يديه على عنقه ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلَقِيَه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ألا أُعَجِّبُك ؛ ضرب حسّان بالسيف ، والله ما أُراه إلاّ قد قتله . فقال له عبد الله بن رواحة : هل عِلِم رسولُ الله ﷺ بشيءٍ من هذا ؟ قال : لا والله . لقد اجترأت ! أَطْلِق الرجلَ ، فأطلقه . ثم أَتَوْا رسول الله ﷺ فذُكِر ذلك له ، فدعا حسّان وصفوان بن المعطَّل ؛ فقال ابن المعطَّل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني فضربتُه . فقال رسول الله ﷺ لحسّان : «يا حسّان أَتَعِيبُ على قومي أنْ هداهم الله عزّ وجلّ للإسلام !» ، ثم قال : «أَحْسِنْ يا حسّان في الذي أصابك» . قال : هي لك يا رسول الله .

[برواية أُخرى حول الموضوع نفسه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني المَدائنيّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يَسارٍ عن بعض رجال بني النجّار بمثل ذلك ، وزاد في الشعر الذي قاله حسّان زيادةً ، ووافقه عليها مُصعَب الزُّبيريّ ، فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ ، قال قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب وخالف في القصّة ، فذكر أنّ فِتيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولهم ، فغضب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر .

وذكر الزُّهريّ ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعد ، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبي قال حدّثنا محمد بن فُلَيْح عن موسى بن عُقبة عن ابن شِهاب الزُّهريّ أنّ هذا الخبر كان بعد غزوة النبي ﷺ بني المُصْطَلِق . قال : وكان في أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ يقال له : سِنان ، ورجل من بني غِفار يقال له : جَهْجاه ؛ فخرج جَهْجاهٌ بفرس لرسول

الله ﷺ وفرس له يومئذٍ يَسقيهما ، فأوردهما الماء ، فوجد على الماء فِتيةً من الأنصار ، فتنازعوا فاقتتلوا ؛ فقال عبد الله بن أبيّ بن سَلُول يومئذٍ : هذا ما جَزَونا به ، آويناهم ثم هم يقاتلوننا ؛ وبلغ حسّان بن ثابت الذي بين جَهجاه وبين الفِتية الأنصار ، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدِموا على رسول الله ﷺ في الإسلام ، وهذا الشعر من رواية مُصعب دون الزُهريّ : [من البسيط]

أمسَى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا ... وابنُ الفُرَيعـةِ أَمسى بيضةَ البَلَدِ
يمشون بالقـولِ سِرّاً في مُهادَنةٍ ... تَهَدُّداً لي كأَنّي لستُ مـن أَحَدِ
قد ثَـكِلتْ أُمُّه مَن كنتُ صاحبَه ... أو كان مُنتشِباً في بُرْثُـن الأَسَدِ
مـا للقتيـلِ الذي أسمـوا فأَقتُلُه ... من دِيَـةٍ فيـه أُعْطِيها ولا قَوَدِ
مـا البحرُ حين تَهُبُّ الريحُ شاميةً ... فيَغْطَئِـلُّ ويَرْمـي العَبْـرَ بالزَّبَدِ
يوماً بأغلبَ منّي حـين تُبْصِرُني ... أفْري من الغَيْظِ فَرْيَ العارِضِ البَرِدِ
أمّا قريشٌ فإنّـي لستُ تاركَهم ... حتى يُنِيبُوا مِنَ الغَيّاتِ بالرَّشَدِ
ويتركوا اللاّتَ والعُزّى بمَعْزِلَةٍ ... ويَسْجُدوا كلُّهـم للواحدِ الصَّمَدِ
ويَشْهَدوا أنَّ ما قـال الرسولُ لهم ... حـقٌّ ويُوفُوا بعهـد الله في سَدَدِ
أَبْلِغْ بَنيّ بأنّي قـد تركتُ لهم ... من خير مـا تَـرَك الآباء للوَلَدِ
الدّارُ واسطـةٌ والنخـلُ شارعـةٌ ... والبِيضُ يَرْفُلْـنَ في القَسِّيّ كالبَرَدِ

قال : فقال رسول الله ﷺ : «يا حسّان نَفِستَ عليّ إسلامَ قومي» وأغضبه كلامه . فغدا صفوان بن المعطَّل السُّلَميّ على حسّان فضربه بالسيف . وقال صفوان : [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبـابَ السَّيْفِ عنّـي فإنّني ... غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب قومُه على صفوان فحبسوه ، ثم جاؤوا سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبي حَزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهو مُقبلٌ على ناضِحه بين القِربتين ، فذكروا له ما فعلَ حسّان وما فعلوا ؛ فقـال : أشاورْتُـم في ذلـك رسولَ الله ﷺ ؟ قالـوا لا . فقعـد إلى الأرض وقـال : وانقِطاعَ ظَهْراه ! أتأخذون بأيديكم ورسول الله ﷺ بين ظَهْرانَيْكم ؟ ودعا بصفوان فأُتي به ، فكساه وخلاّه . فجاء إلى النبيّ ﷺ ؛ فقال له رسول الله ﷺ : «مَنْ كَساك كساه الله» . وقال حسان لأصحابه : احمِلوني إلى رسول الله ﷺ أترضّاه ففعلوا ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فردّوه . ثم سألهم فحملوه إليـه الثانية ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فانصرفوا به . ثم قال

لهم : عُودوا بي إلى رسول الله ﷺ ؛ فقالـوا لـه : قد جئنا بك مرّتين كلّ ذلك يُعْرِض فلا نُبرمه بك . فقال : احمِلوني إليه هذه المرّة وحدَها ، ففعلوا . فقال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمّي ! احفَظ قولي : [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعنـدَ اللهِ في ذاك الجزاءُ
فإنّ أبي ووالـدَه وعِرْضي ... لِعِـرض محمـدٍ منكم وِقاءُ

فرضي عنه رسول الله ﷺ ووهَبَ له سيرين أُخت مارية أمّ ولد رسول الله ﷺ إبراهيم . هذه رواية مُصعب . وأمّا الزُّهريّ فإنّه ذكر أنّ رسول الله ﷺ لمّا بلغه ضربُ السُّلَميّ حسّان قال لهم : «خُذوه فإنْ هلك حسّان فاقتلوه» . فأخذوه فأسروه وأوثقوه ، فبلغ ذلك سعد بن عبادة ، فخرج في قومه إليهم فقال : أَرْسِلوا الرجل ، فأبوا عليه ؛ فقال : أعمدتم إلى قوم رسول الله ﷺ تُؤْذونهم وتَشتُمونهم وقد زعمتم أنّكم نصرتموهم ؟ أرسِلوا الرجلَ ؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ ، ثم أرسلوه . فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حُلّةً ، ثم أرسله سعد إلى أهله . فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ دخل المسجد ليُصلّي فيه فرآه ، فقال : «مَن كساكَ كساه اللهُ مِن ثيابِ الجنّة» . فقال : كساني سعد بن عبادة . وذكر باقي الخبر نحوه .

وحدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثني ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث : أنّ رسول الله ﷺ أعطاه عِوَضاً منها بيرحاء[1] ، وهي قصر بني جُدَيلة اليوم بالمدينة ، كانت مالاً لأبي طلحة بن سهلٍ تَصَدَّق بهـا إلى رسول الله ﷺ ، فأعطاه حسّان في ضَربته ، وأعطاه سيرين (أَمَةً قِبطيّة) فولدت له عبد الرحمن بن حسّان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سُئل عن صفوان بن المُعَطَّل ، فإذا هو حَصُورٌ[2] (لا يأتي النساء) ؛ قُتِل بعد ذلك شهيداً .

[شعره في مدح عائشة والاعتذار عمّا رماها به]

قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عُتبة : فقال حسّان يعتذر من الذي قال في عائشة : [من الطويل]

حَصانٌ رَزانٌ مـا تُـزَنُّ بِريبَـةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوافِلِ
فإنْ كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُمُ ... فـلا رفعـتْ سَوْطِـي إليَّ أَنامِلِي
وكيفَ ووُدِّي من قديمٍ ونُصْرَتي ... لآلِ رسولِ اللهِ زَيْـنِ المَحافِلِ

1 بيرحاء : موضع بالمدينة .
2 ل : فوجدوه حصوراً ما يأتي النساء .

فإنّ الذي قـد قِيلَ ليس بِلائطٍ ... ولكنّه قولُ امـرىءٍ بيَ ماحِلِ[1]

[هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل]

قال الزُّبير وحدّثني محمد بن الضحّاك : أنّ رجلاً هجا حسّان بن ثابت بما فعل به ابن المعطَّل فقال : [من الوافر]

وإنّ ابنَ المُعَطَّلِ مـن سُلَيْمٍ ... أَذَلَّ قِيـادَ رَأْسِك بالخِطامِ

[سبّه أُناس فدافعت عنه عائشة]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال أخبرنا أبو عاصمٍ قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرني محمد بن السائب عن أُمّه : أنـّها طافت مع عائشة ومعها أُمُّ حكيم وعاتكة : (امرأتان من بني مخزوم) . قالت : فابتَدَرْنا حسّان نَشْتُمه وهو يطوف ؛ فقالت : أَبْنَ الفُرَيعة تَسْبُبْنَ ؟ قلن : قد قال فيكِ فَبَرَّأَكِ الله . قالت : فأين قوله : [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعنـدَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

فإنّ أبي ووالـدَه وعِرضي ... لِعرْضِ محمـدٍ منكم وِقاءُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أُمّه بنحو ذلك ، وزاد فيه : إنّي لأَرجو أن يُدخله الله الجنَّة بقوله .

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير عن عبد العزيز بن عمران عن سفيان بن عُيينة وسَلْمِ بن خالد عن يوسف بن ماهَك عن أُمّه قالت : كنتُ أطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتُ حسّانَ فسَبَبْتُه ؛ فقالت : بِئس ما قلتِ ! أتَسُبِّينَه وهو الذي يقول : [من الوافر]

فـإنّ أبـي ووالـدَه وعِرْضي ... لِعِـرْضِ محمـدٍ منكـم وِقاءُ

فقلت : أليس ممّن لَعَنَ الله في الدنيا والآخرة بما قال فيكِ ؟ قالت : لم يَقُلْ شيئاً ، ولكنّه الذي يقول : [من الطويل]

حَصانٌ رَزانٌ مـا تُـزَنّ بريبةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوافِلِ

فإنْ كان ما قـد جـاء عنِّيَ قلتُه ... فـلا رفعتْ سَوْطي إليَّ أناملي

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني مصعب عمِّي قال حدّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كنتُ قاعـداً عند عائشة ، فمُرَّ بجنازة حسّان بن ثابتٍ فنِلتُ منه ؛

1 محل به : كاده بسعاية . ورواية الديوان : «بلك الدهر بل سعي امرىء بلك ماحل» .

فقالت : مَهلاً ؛ فقلت : أليس الذي يقول ؟ قالت : فكيف بقوله : [من الوافر]

فإنّ أبـي ووالدَه وعِرْضي لِعِـرْض محمدٍ منكم وِقاءُ

[افتخاره بلسانه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سَلمان عن سليمان بن حرب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب عن محمد بن سيرين : أنّ حسّان أخذ يوماً بطَرَفِ لسانه وقال : يا رسول الله ، ما يَسرُّني أنّ لي به مِقْوَلاً بين صنعاءَ وبُصرى ، ثم قال : [من الوافر]

لِساني مِقْـوَلٌ لا عيبَ فيـه وبَحْرِي ما تُكَدِّرُه الدِّلاءُ

[جبنه عن مناصرة صفية بنت عبد المطّلب يوم الخندق]

أخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سلَمة قال حدّثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه قال : كانت صفيّة بنت عبد المطّلب في فارِعٍ (حِصْنِ حسّان بن ثابت) ، يعني يوم الخندق . قالت : وكان حسّان معنا فيه والنساء والصبيان . قالت : فمرّ بنا رجلٌ من يهود فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حاربتْ بنو قُريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا ، ورسول الله والمسلمون في نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، إذْ أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسّان ، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطيفُ بالحِصن ، وإنّي والله ما آمَنُه أن يَدلّ على عَوراتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شُغل عنّا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزِل إليه فاقْتُلْه ؛ فقال : يغفِر الله لكِ يا ابنة عبد المطّلب ؛ لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلمّا قال ذلك ولم أرَ عنده شيئاً احتجَزتُ[1] ثم أخذت عموداً ثم نزلتُ إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسّان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجلٌ . قال : مالي بسَلَبِه من حاجة يا بنتَ عبد المطّلب .

[حديث ابن الزبير عن يوم الخندق وجبن حسان]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال : كان ابن الزُّبير يحدّث أنّه كان في فارِعٍ (أُطُمِ حسان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق ومعهم عمر بن أبي سلَمة . قال ابن الزُّبير : ومعنا حسّان بن ثابت ضارباً وَتِداً في آخر الأُطُـم ، فإذا حَمَل أصحابُ رسول الله ﷺ على المشركين حَمَل على الوتد فضربه بالسيف ؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتى كأنّه

1 ل : اعتجرت . واحتجز بردائه : إذا شدّه على وسطه .

يُقاتل قِرناً ، يتشبّه بهم كأنّه يُري أنّه مجاهدٌ حين جَبُن . وإنّي لأظلم ابنَ أبي سلمة وهو أكبر منّي بسنتين فأقول له : تَحْمِلُني على عُنقك حتّى أنظر ، فإنّي أَحمِلك إذا نزلتُ . قال : فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلتُ له : هذه المرّة أيضاً . قال : وإنّي لأنظر إلى أبي مُعلَماً بصُفرةٍ ، فأخبرتُها أبي بعدُ ؛ فقال : أين كنتَ حينئذٍ ؟ فقلت : على عنق ابن أبي سلَمة يحملني . فقال : أَمَا والذي نفسي بيده إنَّ رسول الله ﷺ حينئذٍ لَيَجمع لي أَبَويه .

قال ابن الزّبير : وجاء يهوديٌّ يرتقي إلى الحصن ، فقالت صفيّة له : أُعطِني السيف ، فأعطاها . فلمّا ارتقى اليهوديّ ضربتْه حتّى قتلته ، ثم احتَزَّت رأسه فأعطته حسّان وقالت : طَوِّحْ به ؛ فإنّ الرجل أقوى وأشدّ رميةً من المرأة . تريد أن تُرْعِب به أصحابه .

[كان حسّان مقطوع الأكحل]

قال الزّبير : وحدّثني عمّي مصعب عن الواقديّ قال : كان أَكْحَلُ حسّان قد قُطِع فلم يكن يَضرب بيده .

[أنشد النبي شعراً في شجاعته فضحك]

قال الزّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جدّي أنّه سمع أنّ حسّان بن ثابت أَنشد رسول الله ﷺ[1] : [من البسيط]

لقد غدوتُ أمامَ القومِ مُنتَطِقاً بِصارِمٍ مِثْلِ لَوْنِ المِلْحِ قَطَّاعِ
يَحْفِزُ عنّي نِجادَ السيفِ سابغةٌ فَضْفاضةٌ مثل لَوْنِ النِّهْي بالقاعِ[2]

قال : فضحك رسول الله ﷺ ؛ فظنّ حسّان أنّه ضحك من صفته نفسَه مع جبْنه .

[قال النابغة حسان شاعر والخنساء بكّاءة]

قال الزّبير وحدّثني محمد بن الحسن قال : قال حسّان بن ثابت : جئتُ نابغة بني ذبيان ، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده ، فأنشدته ؛ فقال : إنّك لشاعرٌ ، وإنّ أُخْتَ بني سُلَيم لَبَكّاءة .

[سمعه الحطيئة ينشد فسأله رأيه فأجابه الحطيئة بما لم يرضه]

قال الزّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق قال أخبرني غير واحدٍ من مَشايخي : أنّ الحُطَيئة وقف على حسّان بن ثابت وحسّان يُنشد من شعره ؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابيّ ؟ قال الحطيئة : لا أرى به بأساً . فغضب حسان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابيّ ! ما كُنيَتُك ؟ قال : أبو

1 ديوان حسان : 300 .
2 الشطر الثاني في رواية الديوان «تغشى الأنامل مثل النهي بالقاع» .

مُلَيكة . قال : ما كنتَ قطُّ أَهوَنَ عليّ منك حين كُنِّيتَ بامرأةٍ ، فما اسمك ؟ قال : الحُطَيئة فقال حسان : امضِ بسلام .

[اتّهمه أعشى بكر بالبخل فاشترى كلّ الخمر وأراقها]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثني الزُّبير ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني بعض القرشيين قال : دخل حسان بن ثابت في الجاهلية بيت خَمَّارٍ بالشَّام ومعه أَعشى بكر بن وائل ، فاشتريا خمراً وشربا ، فنام حسّان ثم انتبه ، فسمع الأعشى يقول للخمّار : كَرِه الشيخ الغُرم . فتركه حسّان حتى نام ، ثم اشترى خمر الخمّار كلَّها . ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى ؛ فعَلِم أنَّه سمع كلامه فاعتذر إليه ؛ فقال حسّان[1] : [من الطويل]

ولَسْنا بِشَرْبٍ فَوْقَهُمْ ظِـلُّ بُرْدةٍ ... يُعِدُّونَ للخَمّـارِ تَيْساً ومِفْصَدا
ولكِنَّنا شَرْبٌ كِـرامٌ إذا انتشَوْا ... أهانوا الصَّرِيحَ والسَّدِيفَ المُسَرْهَدا[2]
كَأَنَّهُـمُ ماتُـوا زمـانَ حَلِيمـةٍ ... فإنْ تَـأْتِهِمْ تَحْمَدْ نِدامَتَهِمْ غَدا[3]
وإن جئتَهم أَلْفَيْتَ حـولَ بُيوتِهِمْ ... من المِسْكِ والجادي فَتِيتاً مُبَدَّدا
تَرى حولَ أثناءِ الزَّرابـيِّ ساقطاً ... نِعـالاً وقَسُّوبـاً ورَيْطـاً مُنَضَّدا[4]
وذا نُمْرُقٍ يَسْعَـى ومُلْصِقَ خَدِّهِ ... بديباجَـةٍ تَكْفافُهـا قـد تَقَدَّدا

[تعييره الحارث بن هشام بفراره]

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت في وقعة بَدْرٍ يفخر بها ويُعَيِّر الحارث بن هشام بفِرارِه عن أخيه أبي جهل بن هشام . وفيها يقول[5] : [من الكامل]

صوت

إنْ كُنْتِ كاذِبَـةَ الذي حَدَّثْتِني ... فَنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشامِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أنْ يُقاتِـلَ دونَهـم ... ونجـا بـرأسِ طِمِـرَّةٍ ولجـامِ

---

1 ديوان حسان : 312 .
2 الصريح : الذي ذهبت رغوته . السديف المسرهد : لحم أو شحم السنام السمين .
3 يشير إلى يوم حليمة بين المنذر الأكبر والحارث الأكبر وبه يضرب المثل «ما يوم حليمة بسر» .
4 الزرابي : الطنافس . القسوب : الخف . الريط : جمع ريطة وهي الملاءة .
5 من قصيدة من 28 بيتاً . انظر ديوانه : 29 .

غنّاه يحيى المكيّ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . ولعَزّة المَيلاء فيه خفيف رمل بالبنصر . وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر لموسى بن خارجة الكوفيّ ، فأجاب الحارث بن هشام ، وهو مشرك يومئذٍ ، فقال[1] : [من الكامل]

صوت

اللهُ يعلَم ما تركتُ قِتالَهم حتّى رَمَوْا فَرَسي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّي إنْ أُقاتِلْ واحداً أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّيَ مشْهَدي
ففَرَرْتُ منهمْ والأَحِبَّةُ فيهمُ طَمَعاً لهم بعِقاب يوم مُرْصَدِ

غنّى فيه إبراهيم الموصليّ خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر ، وقيل : بل هو لفُلَيْح .

[تمثّل رتبيل بشعر حسّان]

أخبرنا محمد بن خلَفٍ وكيعٌ قال حدّثني سليمان بن أيُّوب قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال : لمّا صار ابن الأشعث إلى رُتْبيل ، تمثَّل رتبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام : [من الكامل]

تَرَكَ الأحِبَّةَ أنْ يُقاتِلَ دونَهُمْ ونجا برأس طِمِرّةٍ ولجامِ

فقال له ابن الأشعث : أوَ ما سمعتَ ما ردّ عليه الحارث بن هشام ؟ قال : وما هو ؟ فقال قال : [من الكامل]

اللهُ يعلَم ما تركتُ قتالَهم حتى رَمَوْا فرسي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّي إنْ أُقاتِلْ واحداً أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوّي مَشْهَدي
فصددتُ عنهمْ والأحبّةُ فيهمُ طمعاً لهم بعقاب يوم مُرْصَدِ

فقال رُتْبِيل : يا معشر العرب ، حَسَّنتم كلَّ شيء حتى حسَّنتم الفِرار .

1 انظر الأبيات في سيرة ابن هشام 2 : 18 والحماسية رقم 37 في شرح المرزوقي .

[47] ـ ذكر الخبر عن غَزاة بدر[1]

[أخبار غزاة بدر]

حدّثني بخبرها محمد بن جرير الطبريّ في المغازي قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق[2] قال حدّثني محمد بن مُسلم الزهريّ وعاصم بن عُمر بن قَتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزّبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عبّاس ، كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر ، قالوا :

[ندب النبي المسلمين للعير واستنفار أبي سفيان لقريش]

لمّا سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مُقبِلاً من الشام ندَب المسلمين إليهم ، وقال : «هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها ؛ فلعلّ الله أن يُنَفِّلَكُموها» . فانتدب الناس ، فخفّ بعضهم وثَقُل بعضهم ؛ وذلك أنّهم لم يظنُّوا أنّ رسول الله ﷺ يَلقى حرباً . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز وجعل يتحسَّس الأخبار ، ويسأل مَن لَقِي من الرُّكبان ، تَخَوُّفاً على أموال[3] الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان أنّ محمداً استنفر أصحابه لك ولعِيرك ، فجَدَّ[4] عند ذلك فاستأجر ضَمْضَمَ بن عَمْرو الغِفاريّ فبعثه إلى مكّة وأَمَره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويُخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه ؛ فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكّة .

[رؤيا عاتكة بنت عبد المطّلب]

قال ابن إسحاق[5] : وحدّثني مَن لا أُتَّهِمُ عن عِكرمة مولى ابن عبّاس ويزيد بن رُومان عن عروة بن الزّبير قال : وقد رأتْ عاتكة بنت عبد المطّلب قبل قدوم ضمضم [مكّة] بثلاث [ليالٍ] رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطّلب ، فقالت : يا أخي ، والله لقد رأيتُ الليلة رؤيا أفظعتني وتخوّفتُ أن يدخل على قومك [منها] شرٌّ أو مصيبة ، فاكتم عنّي

---

1 سيرة ابن هشام 1 : 606 وتاريخ الطبري 2 : 421 ومغازي الواقدي 1 : 19 .

2 هو نصّاً عن ابن هشام 1 : 606-607 .

3 السيرة (س) : على أمر .

4 السيرة : فحذر .

5 متابع للسيرة 1 : 607-608 .

ما أحدِّثك . قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأَبطَح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفِروا يا آلَ غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث ؛ وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينما هم حولَه مَثُلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته : انفِرُوا يا آل غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث ، ثم مَثَل به بعيره على رأس أبي قُبَيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تَهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفَضَّتْ ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكّة ولا دارٌ من دورها إلاّ دخلتْها منها فِلقة . قال العبّاس : إنّ هذه لَرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ولا تذكريها لأحد .

ثم خرج العبّاس[1] فلَقِي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها [له] واستكتمه إيّاها ؛ فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث [بمكّة] حتى تحدّثت به قريش . قال العبّاس : فغدوتُ أطوفُ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام ورهطٌ من قريش قُعُودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة . فلمّا رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغتَ من طَوافك فأَقبِل إلينا ؛ فلمّا فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم . فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطّلب[2] ، متى حدثَتْ فيكم هذه النَّبيَّة ؟! قال : قلتُ : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأتْ عاتكة . قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطّلب ، أَما رضيتم أن تتنبَّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنّها قالت : انْفِروا في ثلاثٍ ؛ فسنتربّص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقّاً فسيكون ، وإن تَمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب كتاباً عليكم أنّكم أكذب أهلِ بيتٍ في العرب . قال العبّاس : فوالله ما كان إليه منّي كبيرٌ إلاّ أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرّقنا . فلمّا أمسينا لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطّلب إلاّ أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقَع في رجالكم ، ويتناول النساءَ وأنت تسمع ، ولم يكن عندك غَيْرٌ لشيءٍ ممّا سمعتَ ؟ قلتُ : قد والله فعلتُ ، ما كان منّي إليه من كبيرٍ ، وايْمُ اللهِ لأَتعَرَّضَنّ له ؛ فإنْ عاد لأَكْفِيَنَّكُـنّه . قال : فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغضبٌ أُرى [أنّي] قد فاتني منه أمرٌ أحِبُّ أن أُدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنّي لأمشي نحوَه العِرَضْنَةَ[3] ليعود لبعضِ ما كان فأُوقِعَ به . وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ . قال : قلت في نفسي : ما لَه لَعَنه الله ؟ أكُلُّ هذا فَرَقاً منّي أنْ أُشاتمه ؟ فإذا هو قد سمِع ما لم أُسمع ، صوتَ ضمضم بن

---

1 متابع للسيرة 608–609 .

2 ل : يا بني عبد مناف .

3 يمشي العرضنة : يمشي مشية فيها تحدٍّ ؛ وفي س : إني لأمشي نحوه أتعرضه .

عمرو الغِفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي [واقفاً على بعيره قد جَدَّع بعيره وحوّل رحله وشَقَّ قميصَه وهو يقول] : يا معشر قريش اللَّطيمةَ ! [اللطيمةَ !] أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أنْ تُدركوها ؛ الغَوْثَ الغوثَ ! قال : فشَغَلني عنه وشَغَله عنّي ما جاء من الأمر .

قال[1] : فتجهَّز الناسُ سِراعاً ، وقالوا : لا يَظُنَّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعِيرِ ابن الحَضْرَميّ ؛ كلاَّ والله ليَعْلَمُنّ غير ذلك ! فكانوا بين رجلين : إمّا خارج وإمّا باعث مكانه رجلاً .

[خروج قريش وإرسال أبي لهب العاصي بن هشام مكانه]

وأوعبتْ قريش فلم يتخلَّف من أشرافها أحدٌ إلاّ أبو لَهَبِ بن عبد المطّلب تخلَّف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان لَطَّ[2] له بأربعة آلاف درهمٍ كانت له عليه ، فأفلس بها ، فاستأجره بها على أن يُجزِىء عنه بَعْثَه ، فخرج عنه وتخلَّف أبو لهب . هكذا في الحديث . فذكر أبو عبيدة وابن الكلبيّ : أنّ أبا لهبٍ قامَر العاصي بن هشام في مائة من الإبل ، فقَمَره أبو لهب ، ثم عاد فقَمَره أيضاً ، ثم عاد فقَمَره أيضاً الثالثة ، فذهب بكلّ ما كان يملكه . فقال له العاصي : أرى القِداح قد حالفتك يا ابن عبد المطّلب ، هَلُمَّ نجعلها على أيّنا يكون عبداً لصاحبه ؛ قال : ذلك لك ؛ فدَحاها فقَمَره أبو لهب ، فأسلَمه قيناً ، وكان يأخذ منه ضريبةً . فلمّا كان يومُ بدرٍ وأخذتْ قريش كلَّ مَن لم يُخرج بإخراج رجلٍ مكانَه أخرجه أبو لهب عنه وشرَط له العِتق ؛ فخرج فقَتَله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

رجع الحديث إلى وقعة بدر[3]

[وبخ ابن أبي معيط أميّة بن خلف لإجماعه القعود]

قال محمد بن إسحاق : وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح : أنّ أُميَّة بن خَلَفٍ كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً [جليلاً جسيماً] ثقيلاً ، فجاءه عُقبة بن أبي مُعَيط وهو جالسٌ في المسجد بين ظَهْرانَيْ قومه بمِجْمَرةٍ يحملها ، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ، استَجْمِرْ فإنّما أنت من النساء ! قال : قَبّحك الله وقبّح ما جئتَ به ؛ ثم تجهّز وخرج مع الناس . فلمّا فرغوا من جَهازهم وأجمعوا السيرَ ، ذكروا ما [كان] بينهم

---

1 متابع للسيرة : 609–610 .

2 لط بالمال : ماطل .

3 متابع للسيرة : 610–612 .

وبين بني بكر بن عبد مَناةَ بن كِنانة من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتُوا من خَلفِنا .

[تخوّف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم]

قال محمد بن إسحاق : فحدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزُّبير قال : لمّا أجمعتْ قريش المسيرَ ذكرتِ الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مَناةَ ، فكاد ذلك أن يُثَبِّطهم ، فتبدّى لهم إبليس في صورة سُراقة بن جُعْشُم المُدْلِجيّ ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : إنّي جارٌ لكم من أن تأتيكم كِنانة [من خَلْفِكم] بشيءٍ تكرهونه ، فخرجوا سِراعا .

[خروج النبيّ وعدد جيشه والطريق التي سلكها]

وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بَلَغني عن غير ابن إسحاق ، لثلاث ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المعظَّم في ثلاثمائةٍ وبضعة عَشَرَ رجلاً من أصحابه . فاختُلِف في مبلغ الزيادة على العشرة ؛ فقال بعضُهم : كانوا ثلاثمائة وثلاثة عَشَرَ رجلاً . وكان المهاجرون يومَ بَدْرٍ سبعةً وسبعين رجلاً ، وكان الأنصار مائتين وستّةً وثلاثين رجلاً ، وكان صاحبُ راية رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان صاحبُ راية الأنصار سعد بن عُبادة .

حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مصعب بن المِقدام ، قال أبو جعفر وحدّثني محمد بن إسحاق الأَهْوازيّ قال حدّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ قال حدّثنا إسرائيل قال حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال : كنّا نتحدّث أنّ عِدّة أصحاب بَدْرٍ على عِدّة أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهر ، ولم يَجُزْ معه إلاّ مؤمن ، ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشَرَ .

قال ابن إسحاق[1] في حديثه عمّن روى عنه : وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ، وجعل على السَّاقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجّار ، في ليالٍ مضتْ من رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعث بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنِيّ حليفَ بني ساعدة وعَدي بن أبي الزَّغباء حليفَ بني النجّار إلى بدر يتجسَّسان له الخبر عن أبي سفيان بن حرب وغيره ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقدّمهما . فلمّا استقبل الصَّفراء ، وهي قريةٌ بين جبلين ، سأل عن جبلَيْها ما اسماهما ؟ فقيل : يقال لأحدهما هذا مُسْلِح ، وللآخر هذا مُخْرِىء ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النّار ، وبنو حُراق (بطنان من غِفار) ؛ فكَرِهَهما رسولُ الله ﷺ والمرورَ بينهما ، وتفاءل باسميهما وأسماء أهاليهما ، فتَرَكهما والصفراء يساراً ، وسلَكَ ذات اليمين عل وادٍ يقال له ذَفِران فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه نَزَل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم .

1 متابع للسيرة : 614-615 .

[استشارة النبيّ لأصحابه وتأييد الأنصار له]

فاستشار النبيّ ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المِقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امضِ لِما أمرك الله فنحن معك ؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتِلا إنّا معكما مُقاتلون مُعْلَمون . فوالذي بَعَثك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغَماد ، يعني مدينةَ الحبشة ، لجالدنا معك مَنْ دونه حتى تَبْلُغَه . فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير .

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عبيد المحاربيّ قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدّثنا المُخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال : شَهِدْتُ من المقداد مشهداً لأَنْ أكونَ صاحبه أحَبُّ إليّ ممّا في الأرض من كلِّ شيء : كان رجلاً فارساً ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا غضب احمارّتْ وَجنتاه ، فأتاه المِقداد على تلك الحال ، فقال : أَبْشِرْ يا رسول الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهَبْ أنت وربُّك فقاتلا إنَّا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بَعَثك بالحقّ لنكونن بين يديك ومِن خَلفك وعن يمينك وشِمالك أو يفتح الله تبارك وتعالى .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله ﷺ : «أَشيروا عليَّ أيـُّها الناس» ، وإنّما يريد الأنصار ؛ وذلك أنـّهم كانوا عَدَدَ الناس ، وأنـّهم حين بايعوا بالعَقَبة قالوا : يا رسول الله إنا بُرآء من ذِمامَك حتى تصير إلى دارنا ، فإذا وصلتَ فأنت في ذِمامنا ، نَمْنَعُك ممّا نمنع منه أنفسَنا وأبناءنا ونساءَنا . فكان رسولُ الله ﷺ يتخوّف ألاّ تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرته إلاّ ممّن دَهِمَه بالمدينة من عَدُوّه ، وأنْ ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوٍّ في غير بلادهم . فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنـّك تريدنا يا رسول الله . قال : «أجل» . قال : فقد آمنَّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشَهِدنا أنّ ما جئتَ به هو الحقُّ ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ بنا يا رسول الله لِما أردت [فنحن معك] . فوالذي بعَثَك بالحقّ لو استعرضتَ بنا هذا البحر وخُضْتَه لَخُضناه معك ما يتخلَّف منَّا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوًّا غداً . إنَّا لَصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ، لعلّ الله تعالى أن يُريك [منَّا] ما تَقَرَّ به عينُك ؛ فسِرْ بنا على بركة الله . فسُرَّ رسول الله ﷺ [بقول سعد] ونَشَّطه ذلك ؛ ثم قال : «سِيرُوا على بركة الله وأَبْشِروا ؛ فإنّ الله قد وعَدَني إحدى

الطائفتين ، واللهِ لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم» .

[نزول النبيّ قريباً من بدر]

ثم ارتحل رسول الله[1] ﷺ من ذَفِران ، وسَلَك على ثنايا يُقال لها الأَصافر ، ثم انحطّ منها على بلدٍ يقال له الدَّبَّة ، ثم ترك الحَنَّان بيمينٍ ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل ، ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه ، قال الطبريّ قال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن يحيى بن حَبَّان ، حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبراني ممّن أنتما . فقال له رسول الله ﷺ : «إذا أخبرتَنا أخبرناك» . فقال : أَوَذاك بذاك ؟ فقال : «نعم» . قال الشيخ : فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإنْ كان صَدَقني الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسول الله ﷺ) . وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدّثني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش) . فلمّا فرغ من خبره قال : ممّن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : «نحن من ماء» ، ثم انصرف الشيخ عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ؟ أَمِنْ ماء العراق ؟ ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه .

[أرسل النبيّ نفراً إلى بدر يلتمسون الخبر]

فلمّا أمسى بعث عليَّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والزُّبير بن العوّام ، وسعد بن أبي وقَّاص في نَفَرٍ من أصحابه إلى بدرٍ يلتمسون له الخبر عليه .

[قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش لمعرفة أخبارهم منهما]

قال محمد بن إسحاق[2] : حدّثني يزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير : فأصابوا راويةً لقريش فيها أَسْلَمُ غلام بني الحجَّاج ، وعريض[3] أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد ، فأَتَوْا بهما رسول الله ﷺ وهو يصلّي . فسألوهما فقالا : نحن سُقاةٌ لقريش بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ورجَوْا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما قالا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين ثم سلَّم ، ثم قال : «إذا صَدَقاكم ضربتموهما ، فإذا كَذَباكم تركتموهما ، صَدَقا والله إنّهما لقريش . أَخبِراني أين قريش» ؟ قالا : هم وراء [هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصوى و] الكثيب : العَقَنْقَل ، فقال لهما رسول الله ﷺ : «كَمِ القومُ» ؟ قالا : لا ندري . قال : «كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم» ؟ قالا : يوماً تِسْعاً

1 تابع للسيرة : 615–616 .
2 متابع للسيرة : 616 .
3 ل : وغريض .

ويوماً عَشْراً . فقال رسول الله ﷺ : «القوم ما بين التسعمائة والألف» . ثم قال لهما رسول الله ﷺ : «فمَنْ فيهم من أشراف قريش» ؟ قالا : عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البختريّ بن هشام ، وحكيمُ بن حِزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمةُ بن عَدِيّ ، والنَّضْرُ بن الحارث ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأُميَّة بن خَلَفٍ ، ونُبَيْهُ ومُنَبِّه ابنا الحجّاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن وُدّ . فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : «هذه مكّة قد رمتْ إليكم أفلاذَ كَبِدها» .

قال ابن إسحاق[1] : وقد كان بَسْبَسُ بن عمرو وعَدِيّ بن أبي الزَّغباء مَضَيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تَلٍّ قريبٍ من الماء ، ثم أخذا شَنّاً يستقيان فيه ، ومَجدِيُّ بن عمرو الجُهَنيّ على الماء ، فسمع عدِيٌّ وبَسْبَسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنّما تأتي العِيرُ غداً أو بعد غدٍ فأعمَلُ لهم ثم أقضيكِ الذي لك . قال مَجديٌّ : صدقتِ ، ثم خلَّص بينهما . وسَمِع ذلك عديٌّ وبَسْبَس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمِعا .

[قدم أبو سفيان إلى بدر متجسّساً ثم اتّجه بالعير نحو الساحل]

وأقبل أبو سفيان حتى[2] تقدّم العير حذراً حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أُنكره ، إلاّ أنّي رأيت راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا في شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَهما فأخذ من أبعار بعيرَيهما ففَتّه فإذا فيه النَّوى ، فقال : هذه والله علائفُ يَثْرِب . فرجع إلى أصحابه سريعاً فصرَفَ وجهَ عِيرِه عن الطريق فساحَلَ[3] بها وترك بدراً يَساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

[رؤيا جهيم بن أبي الصلت]

وأقبلت قريش ، فلمّا نزلوا الجُحفة رأى جُهَيم بن أبي الصَّلت بن مَخرَمة بن عبد المُطَّلِب بن عبد مَنافٍ رُؤيا ، فقال : إنّي رأيت فيما يرى النائم ، وإنّي لَبَيْن النائم واليقظان إذْ نظرتُ إلى رجلٍ أقبلَ على فَرَسٍ حتى وقف ومعه بعيرٌ له ثم قال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشَيْبةُ بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأُميَّة بن خَلَفٍ ، وفلانٌ وفلان ، فعدّد رجالاً ممّن قُتِل يومئذٍ من أشراف قريش ، ورأيته ضرَب في لَبّة بعيره ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خِباءٌ من أخبية العسكر إلاّ أصابه نَضْحٌ من دمه . قال : فبلغتْ أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخَرُ من بني عبد المطّلب !

1 السيرة : 618–620 .
2 ل : حين .
3 ساحل : اتّجه نحو الساحل .

سيعلم غداً مَن المقتول إنْ نحن التقينا .

[نصح أبو سفيان بالرجوع فأبى أبو جهل]

ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عِيرَه ، أرسل إلى قريش : إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورحالكم وأموالكم فقد نَجّاها الله فارجِعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً ، وكان بدرٌ مَوْسِماً من مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سُوقٌ كلَّ عام ، فنُقيم عليه ثلاثاً ، ونَنْحَرُ الجُزُرَ ونُطْعِم الطعامَ ونسقي الخمور ، وتَعْزِف علينا القِيان ، وتسمَع بنا العربُ [بمسيرنا وجَمْعِنا] ، فلا يزالون يَهابُوننا أبداً ، فامْضُوا .

[رجوع بني زهرة]

فقال الأَخنس بن شَرِيق بن عمرو [بن وَهْب] الثَّقَفِيّ ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالجُحفة : يا بني زهرة قد نَجّى الله لكم عِيرَكم وخلَّص لكم صاحبكم مَخْرَمَةَ بن نوفَلَ ، وإنّما نَفَرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنَها وارجِعوا ؛ فإنّه لا حاجة بكم في أن تخرُجوا في غير ضيعةٍ لِما يقول هذا (يعني أبا جهل) ؛ فلم يَشْهَدْها زُهْرِيّ ، وكان فيهم مُطاعاً ، ولم يكن بَقِي من قريش بطنٌ إلاّ نَفَر منهم ناسٌ ، إلاّ بني عَدِيّ بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد . فرجعتْ بنو زهرة مع الأَخْنَس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد . ومضى القوم .

[اتّهام قريش لبني هاشم]

وقد كان بين طالب بن أبي طالب ، وكان في القوم ، وبين بعض قريش محاورةٌ ؛ فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم ، وإنْ خرجتم معنا ، أنّ هواكم [لمع] محمد ؛ فرجع طالبٌ إلى مكّة فيمن رجع . وأمّا ابن الكلبيّ فإنّه قال فيما حُدّثتُ عنه : شَخَص طالبُ بن أبي طالب إلى بدرٍ مع المشركين ، أُخرِج كَرْهاً ، فلم يوجَد في الأَسرى ولا في القَتلى ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الرجز]

يـا رَبِّ إمَّا يَغْزُوَنّ طالِبْ   في مِقْنَبٍ من هـذه المَقانِبْ
فَلْيَكُنِ المسلوبَ غيرَ السالِبْ   وليكـنِ المغلوبَ غيرَ الغالِبْ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق[1]

[نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي]

قال : ومضت قريشٌ حتّى نزلوا بالعُدوةِ القصوى من الوادي خلفَ العَقنقَل . وبطنُ

1 السيرة : 620–621 .

الوادي ، وهو يَلْيَل ، بين بَدْرٍ وبين العقنقل : الكثيب الذي خَلْفَه قريشٌ . والقَلِيب ببدر من العُدْوة الدنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة . وبعث اللهُ عزّ وجلّ السماءَ ، وكان الوادي دَهْساً ، فأصاب رسول الله ﷺ [وأصحابه منها] ما لَبَّد لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ ، وأصاب قريشاً منها ما لم يَقدِروا على أن يرتحِلوا معه . فخرج رسولُ الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بَدْرٍ فنزل به .

[مشورة الحباب بن المنذر على النبي]

قال ابن إسحاق : فحدّثني عشرة رجالٍ من بني سَلَمةَ ذكروا أنّ الحُبابَ بن المُنذِر بن الجَمُوح قال : يا رسول الله ، أرأيتَ هذا المنزلَ ، أمنزلٌ أنْزَلَكَهُ الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرأي والحربُ والمكيدة ؟ قال : «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» . فقال : يا رسول الله ، إنّ هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من مياه القوم فتنزله ، ثم تُعَوِّرَ ما سواه من القُلُب ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماءً ، ثم نُقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أشرتَ بالرأي» . فنهض رسول الله ﷺ ومَنْ معه من الناس حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه . ثم أَمَر بالقُلُب فعُوِّرَتْ وبَنَوا حوضاً على القَلِيب الذي نزل عليه فمُلِىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

[بناء عريش من جريد للنبيّ]

قال محمد بن إسحاق : فحدّثني محمد بن أبي بكر أنّ سعد بن مُعاذ قال : يا رسول الله ، نَبْني لك عَريشاً من جريدٍ فتكون فيه ونُعِدّ عندك ركائبَك ، ثم نَلقى عدوَّنا ؛ فإن نحن أعزّنا الله وأظهَرَنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأُخرى جلستَ على ركائبك فلَحِقتَ بمن وراءنا من قومنا ؛ فقد تخلَّف عنك أقوامٌ يا نبيّ الله ما نحن بأشدَّ حُبّاً لك منهم ، [ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يُناصحونك ويُجاهدون معك] . فأثنى [عليه] رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

[إقبال قريش ودعاء النبيّ عليها]

ثم بُنِي لرسول الله ﷺ عَريشٌ فكان فيه . وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت وأقبلت . فلمّا رآها رسول الله ﷺ تَصَوَّبُ من العقنقل ، وهو الكثيب الذي منه جاؤوا ، إلى الوادي قال : «اللهمّ هذي قريشٌ قد أقبلت بُخَيلائها وفَخْرها تُحادُّكَ وتكذِّب رسولَك . اللهمّ فَنصْرَكَ الذي وعدتَني . اللّهمّ فأَحِنْهُمُ الغداة» . وقد قال رسول الله ﷺ ورأى عُتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر : «إنْ يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إنْ يُطيعوه يرشُدوا» .

[عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش]

وقد كان خُفافَ [بن إيماء] بن رَحَضة الغِفاريّ ، أو أبوه أيْما بن رَحَضة ، بعث إلى قريش حين مَرُّوا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إنْ أحببتم أن نُمِدّكم بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا . فأرسلوا [إليه] مع ابنه : أنْ وَصَلَتْك رحِمٌ ! فقد قضيتَ الذي عليك . فلَعَمْري لئن كنّا إنّما نُقاتل الناسَ فما بنا ضعفٌ [عنهم] ، ولئن كنّا نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة . فلمّا نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «دَعُوهم» . فما شَرِب منهم رجلٌ إلاَّ قُتِل يومئذٍ ، إلاّ ما كان من حَكيم بن حزامٍ فإنّه لم يُقتل ، نجا على فرس له يقال له الوَجِيه ، وأسلمَ بعد ذلك فحَسُنَ إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد [في] يمينه قال : والذي نجّاني من يوم بَدْرٍ .

[بعثت قريش عمير بن وهب متجسّساً فأخبرهم بما روّعهم]

قال محمد بن إسحاق[1] : وحدّثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا : لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمَير بن وهبٍ الجُمَحيّ فقالوا : احزُرْ لنا أصحاب محمد ؛ فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقُصونه ، ولكن أَمْهِلوني حتى أنظر : أَلِلقَوم كمينٌ أو مددٌ . قال : فضرب في الوادي حتى أمعن ، فلم يرَ شيئاً ، فرجع فقال : لم أَرَ شيئاً ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش الوَلايا تحمِل المَنايا ! نواضِحَ يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأ إلاّ سيوفهم . والله ما أُرَى أن يُقتَلَ رجلٌ منهم حتى يقتلَ رجلاً منكم ! فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رأيكم . فلمّا سمع حكيم بن حِزامٍ ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة وقال : يا أبا الوليد ، إنّك كبيرُ قريش الليلة وسيِّدُها والمطاع فيها ، هل لك إلى أمرٍ لا تزال تُذكَرُ منه بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : تَرجع بالناس وتَحمِل دَمَ حليفِك عمرو بن الحضرميّ . قال : قد فعلتُ ، أنت على ذلك شهيدٌ ، إنّما هو حليفي فعليّ عقلُه وما أُصيبَ من ماله ؛ فَأْتِ ابنَ الحَنْظَلِيَّةَ فإنّي لا أَخشى أن يَسْحَرَ الناسَ غيرُه (يعني أبا جهل بن هشام) .

[حكيم بن حزام يقص حديث بدر لمروان بن الحكم]

حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا غمامة بن عمرو السَّهميّ قال حدّثنا مُسَوَّر بن عبد الملك اليربوعيّ عن أبيه عن سعيد بن المسيّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحَكَم إذ دخل عليه حاجبه فقال : هذا أبو خالدٍ حكيمُ بن حزام . قال : إيذَنْ له . فلمّا

1 السيرة : 622 .

دخل حكيم بن حزام ، قال : مرحباً بك يا أبا خالد ، ادْنُ ؛ فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله مروان فقال : حدِّثنا حديث بَدْرٍ . قال : خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحفة رجعتْ قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدراً ؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوةَ التي قال الله عزّ وجلّ ؛ فجئت عُتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك أن تذهب بشَرَفِ هذا اليوم ما بقيتَ ؟ قال : أفعلُ ماذا ؟ قال : قلتُ : إنّكم لا تطلبون من محمد إلاّ دَمَ واحدٍ : (ابن الحضرميّ) وهو حليفك ، فتَحَمَّل دِيَتَه فيرجع الناس . قال : أنت وذاك ، وأنا أتحمَّل دِيَتَه ، فاذهبْ إلى ابن الحَنْظَلِيَّة (يعني أبا جهل) فقل له : هل لك أن ترجع اليومَ بمن معك عن ابن عمّك ؟ فجئتُه فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن ورائه ، فإذا ابن الحضرميّ واقفٌ على رأسه وهو يقول : قد فسختُ عَقَدي من بني عبد شمس ، وعقدي إلى بني مخزوم . فقلت له : يقول لك عُتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمِّك بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلتُ : لا ، ولم أكن لأكونَ رسولاً لغيره . قال حكيم : فخرج مُبادِراً إلى عتبة وخرجتُ معه لئلاّ يفوتَني من الخبر شيء ، وعُتبة يتّكيء على إيماء بن رَحَضَة الغِفاريّ ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهل والشرُّ في وجهه ، فقال لعُتبة : انتفخ سَحْرُك ! فقال عُتبة : فستعلم . فسَلَّ أبو جهل سيفَه فضرب به متنَ فرسه ؛ فقال إيماء بن رحَضةَ : بئس المُقام هذا ؛ فعند ذلك قامت الحرب .

رجع الحديث إلى ابن إسحاق[1]

[نصح عتبة بالرجوع فأبى أبو جهل]

ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشَر قريش ، والله ما تصنعون بأن تَلْقَوا محمداً وأصحابه شيئاً ! والله لئن أصبتموه ، لا يزال الرجلُ منكم ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه ، رجلٍ قَتَلَ ابن عمِّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تَعدَموا منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل ، فوجدتُه قد نَثَل دِرعاً له من جِرابها وهو يُهَيِّئها ؛ فقلت له : يا أبا الحكم ، إنّ عُتبة أرسلني إليك بكذا وكذا (الذي قال) ؛ فقال : انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابه . كلاّ والله ! لا مَرجِعَ حتّى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ؛ وما بِعُتْبة ما قال ، ولكنّه قد رأى أنّ

1 السيرة : 623 .

محمداً وأصحابه أكَلَةُ جَزُورٍ ، وفيهم ابنُه قد تَخَوَّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرميّ فقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيتَ ثأْرَك بعينك ، فقُمْ فانْشُد خُفرَتَك[1] ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف[2] ثم صرخ : واعَمْراه ! واعَمْراه ! فحَمِيَتِ الحرب ، وحَقِب[3] أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشرِّ ، وأُفسِد على الناس الرَّأي الذي دعاهم إليه عُتبة بن ربيعة . ولمّا بلغ عتبة قول أبي جهل : «انتفخ سَحْرُه» قال : سيعلم مُصَفّر الاسْتِ مَن انتفخ سَحْرُه : أنا أم هو ؟ ثم التمس عتبة بيضةً ليُدخِلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تسَعُه من عِظم هامته ؛ فلمّا رأى ذلك اعتجَرَ على رأسه ببُردٍ له .

[أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل]

وقد خرج الأسود[4] بن عبد الأسد المخزوميّ ، وكان رجلاً شرساً سيِّىء الخُلق ، فقال : أُعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم أو لأهدِمَنَّه أو لأموتنّ دونه . فلمّا خرج خرج له حمزة بن عبد المطّلب ، فلمّا التقيا ضربه حمزة فأبان قَدَمَه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخَبُ رجلُه دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُبِرَّ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

[طلب عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه المبارزة فندب لهم النبيّ من قتلهم]

ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا نَصَل[5] من الصفِّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فِتية من الأنصار ثلاثة نفرٍ ، وهم : عوف ومُعَوِّذ ابنا الحارث ، وأمُّهما عفراء ، ورجلٌ آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة ؛ فقالوا : مَن أنتم ؟ قالوا : رهطٌ من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرِج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : «قُم يا حمزة بن عبد المطلب ، قُم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا عليّ بن أبي طالب» . فلمّا قاموا ودَنَوا منهم ، قالوا : مَن أنتم ؟ فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال عليٌّ : عليّ . قالوا : نعم أكفاءٌ كِرامٌ . فبارز عبيدة بن الحارث ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة بن ربيعة ؛ وبارز حمزة

---

1 ل : حقوقك .
2 ل : فاكتنف .
3 ل : وخفت .
4 السيرة : 624 .
5 ل : فصل .

شيبةَ بن ربيعة ؛ وبارز عليٌّ الوليدَ بن عتبة . فأمّا حمزة فلم يُمْهِل شيبة أنْ قتله . وأمّا عليٌّ فلم يُمهل الوليد بن عتبة أنْ قتله . واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت[1] صاحبه ؛ فكرَّ حمزة وعليٌّ على عتبة بأسيافهما فذفَّفا[2] عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة ، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطِعتْ رِجله ومُخُّه يسيل . فلمّا أتَوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال : ألستُ شهيداً يا رسول الله ؟ قال «بلى» . فقال عبيدة . لو كان أبو طالب حيّاً لعلِم أنّي بما قال أحقُّ منه حيث يقول : [من الطويل]

ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حولَه ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائِلِ

قال محمد بن إسحاق[3] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة : أنّ عُتبة بن ربيعة قال للفِتية من الأنصار حين انتسبوا له : أكفاءٌ كرامٌ ، إنّما نُريد قومنا . ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ [أصحابه] ألاّ يحمِلوا حتى يأمرهم ، وقال : «إنِ اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنَّبْل» ، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر .

وكانت وقعة بدرٍ يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، قال ابن إسحاق : كما حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين .

[تعديل النبي لصفوف أصحابه وقصّة سواد بن غزيّة]

قال محمد بن جرير وحدّثنا ابن حميد[4] قال حدّثنا سلَمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدّثني حبّان بن واسع بن حبّان عن أشياخٍ من قومه : أنّ رسول الله ﷺ عدّل صفوفَ أصحابه يوم بدرٍ ، وفي يده قدحٌ يُعَدِّل به القوم ، فمرّ بسَواد بن غَزِيّةَ حليف بني عديّ بن النجّار وهو مُسْتَنتِلٌ من الصفّ ، فطعن رسول الله ﷺ في بطنه بالقِدح ، ثم قال : «اسْتَوِ يا سواد بن غزيّة» . فقال : يا رسول الله ، أوجعتَني ؛ وقد بعثك الله بالحقِّ ، فأَقِدْني . قال : فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : «اسْتَقِدْ» ؛ فاعتنقه وقبَّل بطنه . فقال : ما حَمَلك على هذا يا سَواد» ؟ فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فلم آمَنِ الموت ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جِلدي جلدَك ؛ فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً . ثم عدّل رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره ، ورسول الله ﷺ يُناشد ربَّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : «اللهمّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابة

---

1 أثبته : أثخنه جراحاً .

2 ذفف على الجريح : أجهز عليه .

3 السيرة : 625 .

4 ل : ابن أحمد ، وهو خطأ .

اليوم ، يعني المسلمين ، لا تُعبَد بعد اليوم» ، وأبو بكر يقول : يا نبيَّ الله خَلِّ بعض مُناشدتك ربَّك ؛ فإنّ اللهَ مُنجزٌ لك ما وعدك .

[دعاء النبيّ يوم بدر]

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن عبيد المُحاربيّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن عِكرمة بن عمّار قال حدّثني سِماكٌ الحَنَفيّ قال سمعتُ ابن عبّاس يقول : حدّثني عمر بن الخطّاب قال : لمّا كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وعِدتِهم وإلى أصحابه وهم نَيِّفٌ على ثلاثمائة ، استقبل الكعبة وجعل يدعو ويقول : «اللّهمّ أنجزْ لي ما وعدتَني . اللّهمّ إن تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبَد في الأرض» ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه فقال : كفاك يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، مناشدتك لربّك ، سيُنجزُ لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى : ﴿إذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ .

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن وكيع قال حدّثنا الثّقفيّ (يعني عبد الوهّاب) عن خالد عن عِكرمة عن ابن عبّاس : أنّ النبيّ ﷺ قال وهو في قُبَّتِه يومَ بدرٍ «اللّهمَّ أسأُلك عهدَك ووَعدَك . اللّهمّ إن شئتَ لم تُعْبَد بعد اليوم» . قال : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبُك يا نبيّ الله ، فقد ألححتَ على ربِّك ، وهو في الدِّرع ؛ فخرج وهو يقول : ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعةُ أَدْهى وأَمَرُّ﴾ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق[1]

[أخذت النبي سنة ثم انتبه مبشّراً بالنصر ومحرّضاً على القتال]

قال : وقد خَفَق رسول الله ﷺ خَفْقةً وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : «يا أبا بكر أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخِذٌ بعِنان فَرَسه يقوده وعلى ثناياه النَّقْع» . قال وقد رُمِي مِهجَعٌ مولى عُمَر بن الخطّاب بسهمٍ فقُتِل ، فكان أوّلَ قتيلٍ من المسلمين . ثم رُمي حارثة بن سُراقة أحدُ بني عَدِيّ بن النجّار وهو يشرب من الحوض بسهمٍ فأصاب نَحرَه فقُتِل . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم ونَفَّل كلَّ امرىءٍ ما أصاب ، وقال : «والذي نَفْسي بيده لا يُقاتلهم اليوم رجلاً فيُقتَل صابراً مُحتسِباً مُقبِلاً غير مُدبرٍ إلاّ أدخله اللهُ الجنّة» .

1 السيرة : 627 وما بعدها .

[استهانة أصحاب النبي بالموت]

فقال عمير بن الحُمام أخو بني سلمة في يده تَمَراتٌ يأكلها : بَخٍ بخ ! أما بيني وبين أن أدخلَ الجنَّة إلاّ أن يقتلَني هؤلاء ! قال : ثم قَذَف التَّمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِل ، وهو يقول : [من الرجز]

رَكْضاً إلى اللهِ بغيرِ زادِ إلاّ التُّقى وعَمَلَ المَعادِ
والصَّبْرَ في اللهِ على الجهادِ وكلُّ زادٍ عُرْضةُ النَّفادِ
غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشادِ

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قَتادة : أنّ عَوفَ بن الحارث ، وهو ابن عَفراء ، قال : يا رسول الله ، ما يُضحك الربَّ من عبده ؟ قال : «غَمْسُه يَدَه في العدوِّ حاسراً» ؛ فنزع دِرعاً كانت عليه فقَذَفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القومَ حتى قُتِل .

[التقاء الفريقين وهزيمة المشركين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق قال وحدّثني محمد بن مسلم الزُّهريّ عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذريّ حليفِ بني زُهرة قال : لمّا التقى الناس ودنا بعضُهم من بعضٍ ، قال أبو جهل : اللّهمّ أقطَعُنا للرَّحِم وآتانا بما لا يُعرَف فأَحِنْهُ الغداة ؛ فكان هو المُستَفْتِحَ على نفسه . ثم إنّ رسول الله ﷺ أخذ حفنةً من الحصباء واستقبل بها قريشاً ، ثم قال : «شاهتِ الوجوه» ثم نَفَحهم بها ، وقال لأصحابه : «شُدُّوا» ؛ فكانتِ الهزيمة ، فقتَل اللهُ مَن قَتَل من صناديد قريش ، وأَسَرَ مَن أَسَر منهم . فلمّا وضع القومُ أيديَهم يأسِرون ، ورسولُ الله ﷺ في العريش ، وسعدُ بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ مُتَوَشِّحاً بالسيف في نفَرٍ من الأنصار ، يحرسون رسول الله ﷺ ، يخافون عليه كَرّةَ العَدوّ ، رأى رسول الله ﷺ ، فيما ذُكِر لي ، في وجه سعد بن مُعاذ الكراهة فيما يصنع الناس ؛ فقال له : «كأنّك كَرِهْتَ ما يصنَع الناس» ! قال : أجَلْ يا رسول الله ! كانت أوّلَ وَقعةٍ أوقعها الله عزّ وجلّ بأهل الشِّرك ؛ فكان الإثخان في القتل أعجبَ إليّ من استبقاء الرجال .

[نهى النبيّ عن قتل جماعة أخرجوا كارهين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق قال ، وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عبّاس[1] : أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه

1 السيرة : 629 .

يومئذٍ : «إنّي قد عرفتُ أنّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرِجوا كَرْهاً لا حاجةَ لهم بقتالنا ؛ فمَن لَقِيَ منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُلْه ، ومَن لَقِيَ أبا البَخْتَرِيّ [بن هشام] بن الحارث فلا يقتُله ومن لقي العبّاس بن عبد المطّلب ، عمّ رسول الله ﷺ ، فلا يقتله ، فإنّما خرج مُستكرَهاً» . قال : فقال أبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة : أيُقتَل آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا وعشيرتُنا ونترك العبّاس ! والله لئن لقيتُه لأُلحِمَنَّه السيف ! فبلغتْ رسول الله ﷺ ، فجعل يقول لعمر بن الخطّاب : «يا أبا حَفص أما تسمع إلى قول أبي حذيفة يقول أضرِب وجهَ عمّ رسول الله ﷺ ، بالسيف» . فقال عمر : يا رسول الله ، دَعني فَلأَضْرِبنَّ عُنُقه بالسيف ، فوالله لقد نافقَ . قال عمر : والله إنّه لأوّلُ يومٍ كَناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص . قال : فكان أبو حُذَيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ ولا أزالُ منها خائفاً إلاّ أن تُكَفِّرها عنّي الشهادة ؛ فقُتل يوم اليمامة [شهيداً] .

[سبب نهي النبي عن قتل أبي البختري]

قال : وإنّما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختريّ ، لأنّه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكّة ، كان لا يُؤْذيه ولا يبلُغه عنه بمكّة شيءٌ يكرهه ، وكان ممّن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطّلب . فلقيه المُجَذَّر بن ذِياد البَلَويّ حليفُ الأنصار من بني عَدِيّ ، فقال المجذّر بن ذياد لأبي البختريّ : إنّ رسول الله ﷺ قد نهى عن قتلك ، ومع أبي البختريّ زميلٌ له خرج معه من مكّة ، وهو جُنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أَسَد ، وجُنادة رجلٌ من بني ليث . واسم أبي البختري العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد ، قال : وزميلي ؟ فقال المجذَّر : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ؛ ما أمرنا رسول الله ﷺ إلاّ بك وحدك . قال : والله إذاً لأموتنّ أنا وهو جميعاً ! لا تتحدّث عنّي نساء قريش بين أهل مكّة أنّي تركتُ زميلي حرصاً على الحياة . فقال أبو البختريّ حين نازله المجذَّر وأَبَى إلاّ القتال وهو يرتجز : [من الرجز]

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ أكيلَه حتّى يموتَ أو يرى سبيلَه

فاقتتلا ، فقتله المجذَّر بن ذِياد . ثم أتى المجذَّر بن ذِياد رسول الله ﷺ فقال : والذي بعثك بالحقّ ، لقد جَهِدتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيك به ، فأبى إلاّ القتالَ ، فقاتلتُه فقتلته .

[عبد الرحمن بن عوف وأميّة بن خلف]

قال محمد بن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه ، قال : وحدّثنيه أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال[1] : كان أُميّة بن خَلَف لي صديقاً

1 السيرة : 631 .

بمكّة . قال : وكان اسمي عبدَ عمروٍ ، فسُمِّيت حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكّة . قال : وكان يلقاني بمكّة فيقول : يا عبد عمرو ، أرَغِبتَ عن اسمٍ سمّاك به أبواك ؟ فأقول نعم ؛ فيقول : فإنّي لا أعرف الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبني باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : يا عبدَ عمرو ، لم أجبه . فقلت : اجعَلْ بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت . قال : فأنت عبد الإله . فقلت نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله فأُجيبه فأتحدّث معه . حتى إذا كان يوم بَدرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع عليٍّ ابنه آخذاً بيده ، ومعي أدراعٌ قد سلبتُها وأنا أحملها . فلمّا رآني قال : يا عبد عمرو ، فلم أُجبه . فقال : يا عبد الإله ، قلت نعم . قال : هل لك فيّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع ؟ قلت : نعم ، هَلُمَّ إذاً . فطرحتُ الأدراعَ من يدي وأخذتُ بيده وبيد ابنه عليٍّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطُّ ، أما لكم حاجةٌ في اللبن ؟ ثم خرجتُ أمشي بينهما .

[مقتل أميّة بن خلف وابنه]

قال ابن إسحاق : وحدّثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال لي أُميّة بن خَلَفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ المُعْلَمُ منكم بريش نَعامةٍ في صدره ؟ قال قلت : ذلك حمزةُ بن عبد المطَّلب . قال : ذلك الذي فَعَل بنا الأفاعيل . قال عبد الرحمن : فوالله إنّي لأقودهما إذ رآه بِلالٌ معي ، وكان هو الذي يعذِّب بِلالاً بمكّة على أن يترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رَمضاءِ مكّة إذا حَميتْ فيُضْجِعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا حتى تفارقَ دينَ محمد ؛ فيقول بِلالٌ : أَحَدٌ أَحَدٌ ، فقال بلالٌ حين رآه : رأسُ الكُفر أُميَّةُ بن خَلَفٍ ، لا نجوتُ إن نَجَوَا ! قال : قلت : أيْ بلال ، أبأسِيرَيّ ؟ قال : لا نجوتُ إن نَجَوَا ! قلت : أيْ بلالُ ، أبأسيرَيّ تُسَمِّعُ يا ابن السوداء ! قال : لا نجوتُ إن نَجَوَا ! ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكفر أُميّة بن خلف ، لا نجوتُ إن نَجَوَا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسكَة وأنا أذُبُّ عنه . قال : فأخلفَ رجلٌ السيفَ فضَرَب رِجْلَ ابنِه فوقع ، وصاح أُميّة صيحةً ما سمعت بمثلها قطُّ . قال قلت : انْجُ بنفسك ولا نَجاءَ ! فوالله ما أُغني عنك شيئاً . قال : فهَبَروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رَحِم اللهُ بلالاً ؛ ذَهَب بأدراعي وفَجَعني بأسيريّ .

[قتال الملائكة في غزوة بدر]

قال ابن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر أنّه حدّث عن ابن عبّاس قال حدّثني رجلٌ

من بني غِفار[1] قال : أقبلتُ أنا وابن عمٍّ لي حتى أصعدنا في جبلٍ يُشْرِفُ بنا على بدر ، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على مَن تكون الدَّبْرة ؛ فنَنْهَب مع من يَنهَب . فبينا نحن في الجبل إذ دنتْ منّا سحابةٌ ، فسمِعنا فيها حَمحَمة الخيل ، وسمعتُ قائلاً يقول : أقْدِمْ حَيزُومُ . قال : فأمّا ابن عمّي فانكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه . وأمّا أنا فكدتُ أهلِك ، ثم تماسكتُ .

قال محمد بن إسحاق حدّثني أبي إسحاق بن يسارٍ عن رجالٍ من بني مازِن بن النجّار عن أبي داود المازنيّ ، وكان شَهِد بدراً ، قال[2] : إنّي لأتْبَعُ رجلاً من المشركين يوم بدرٍ لأضربه ، إذ وقَعَ رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعلمتُ أنّه قد قتَله غيري .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المِصريّ قال حدّثنا يحيى بن بُكَيْر قال حدّثني محمد بن إسحاق عن العَلاء بن كَثِير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبي أمامةَ بن سَهل بن حُنيف قال : قال لي أبي : يا بُنيّ ، لقد رأيتنا يومَ بدرٍ وإنّ أحدنا لَيُشِيرُ إلى المُشرِكِ بسيفه فيقَع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

[لباس الملائكة يوم بدر وحنين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حَمَيْدٍ قال حدّثنا سلمة عن محمد قال ، وحدّثني الحسن بن عُمارَّة قال أخبرنا سلَمة عن الحَكَم بن عُتَيْبة[3] عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عبّاس قال[4] : كانت سِيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حُنين عمائم حُمراً ، ولم تُقاتل الملائكة في يومٍ من الأيّام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيّام مَدَداً وعَدَداً ولا يضرِبون .

[مقتل أبي جهل بن هشام]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُميد قال حدّثنا سلَمة قال ، قال محمد وحدّثني ثور بن زيد مولى بني الدِّيل عن عِكرمة مولى ابن عبّاس عن ابن عبّاس ، قال وحدّثني عبد الله بن أبي بكر ، قالا : كان معاذ بن عمرو بن الجَموح أخو بني سلمة يقول[5] : لمّا فرغ رسول الله ﷺ من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يُلْتَمَس في القتلى ، وقال : «اللهمّ لا يُعجِزنَّك» . وكان أوّل مَن لقِي أبا

1 السيرة : 633 .
2 السيرة : 633 .
3 ل : عيينة .
4 السيرة : 633 .
5 السيرة : 634–636 .

جهل مُعاذ بن عمرو بن الجَموح ، قال : سمعتُ القوم ، وأبو جهل في مثل الحَرَجة ، وهم يقولون : أبو الحَكَم لا يُخلَصُ إليه . فلمّا سمعتها جعلتُها من شأني ، فعَمَدتُ نحوه ، فلمّا أمكنني حملتُ عليه ، فضربته ضربةً أطَنَّت[1] قدمَه بنصف ساقه ، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلاّ كالنواة تَطِيح من تحت مِرضخة[2] النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي ، فتعلَّقت بجلدةٍ من جنبي ، وأجهضني القتال عنها ؛ فلقد قاتلتُ عامّة يومي وإنّي لأسحَبُها خلفي ، فلمّا آذتني جعلتُ عليها رجلي ثم تمطَّيتُ بها حتى طرحتها . قال : ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفّان .

قال : ثم مرّ بأبي جهلٍ ، وهو عَقيرٌ[3] ، مُعَوِّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته ، فتركه وبه رمقٌ ، وقاتل معوِّذ حتى قُتِل . فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلْتَمَس في القتلى ، وقال لهم رسول الله ﷺ فيما بلغني : «انظُروا إنْ خَفي عليكم في القَتْلى إلى أثر جُرح بركبته ؛ فإنّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدُبةٍ لعبد الله بن جُدعان ونحن غلامان وكنت أشَبَّ ، أو أشَفَّ ، منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فخُدِش في إحداهما خَدشاً لم يزل أثره فيها بعدُ» . فقال عبد الله بن مسعود : فوجدتُه بآخر رَمَقٍ فعرفتُه ، فوضعتُ رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَث[4] بي مرّةً بمكّة فآذاني ولَكَزني ، ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدوّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ! أَعْمَدُ[5] من رجلٍ قتلتموه !؟ لمن الدَّبرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله ﷺ .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلَمة عن محمد قال[6] : زعم رجالٌ من بني مخزومٍ أنّ ابن مسعود كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنم مُرتَقًى صعباً ؛ ثم احتززتُ رأسه ، ثم جئتُ به رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدوّ الله أبي جهل . فقال رسول الله ﷺ : «آللهِ الذي لا إله غيرُه» ! ، وكانت يمين رسول الله ﷺ ، قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسَه بين يَدَي رسول الله ﷺ ؛ قال : فحَمِد اللهَ .

1 أطنت : قطعت .
2 مرضخة النوى : حجر يكسر به النوى .
3 عقير : جريح .
4 ضبث بالشيء : قبض عليه بكفّه .
5 أعمد : أعجب .
6 السيرة : 636 .

[تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم]

قال محمد بن إسحاق وحدّثني يزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير عن عائشة قالت[1] : لمّا أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرَحوا في القَليب طُرِحوا فيها إلاّ ما كان من أميّة بن خلفٍ ، فإنّه انتفخ في دِرعه فملأها ؛ فذهبوا به ليخرجوه فتَزايل ، فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة . فلمّا أَلْقَوْهم في القَليب ، وقف رسول الله ﷺ فقال : «يا أهل القَليب هل وجدتُم ما وعدكم ربُّكم حقّاً فإنّي وجدتُ ما وعدني ربِّي حقّاً» . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلِّم قوماً موتى ؟ قال : «لقد علِموا أنَّ ما وعدهم ربُّهم حقٌّ» . قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمِعوا ما قلتُ لهم» ، وإنّما قال رسول الله ﷺ : «لقد عَلِموا» .

قال ابن سحاق وحدّثني حميد الطويل عن أَنَس بن مالك قال : لمّا سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ وهو يقول من جَوف الليل : «يا أهل القليب يا عُتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام ، فعدّد مَن كان منهم في القليب ، هل وجدتم ما وعدَكم ربُّكم حقّاً فإنِّي قد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقّاً» قال المسلمون : يا رسول الله ، أتُنادي قوماً قد جَيَّفوا ! فقال : «ما أنتم بأَسْمَعَ لِما أقول منهم ، ولكنّهم لا يستطيعون أن يُجيبوني» .

قال محمد بن إسحاق وحدّثني بعض أهل العلم : أنَّ رسول الله ﷺ يوم قال هذه المقالة قال : «يا أهل القَليب بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيِّكم ؛ كذَّبتموني وصدّقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس» . ثم قال : «هل وجدتم ما وَعدكم ربُّكم حقّاً» للمقالة التي قالها . ولمّا أَمَر بهم رسول الله ﷺ أن يُلقوا في القليب ، أُخِذ عُتبة فسُحب إلى القليب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، إلى وجه أبي حذيفة بن عُتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيَّر ؛ فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا حُذيفة لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء» أو كما قال . قال فقال : لا والله يا رسول الله ما شَكَكتُ في أبي ولا في مصرعه ، ولكنّني كنتُ أعرف من أبي رأياً وفضلاً وحِلماً ، فكنتُ أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام ، فلمّا رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحزنني ذلك . قال : فدعا رسول الله ﷺ له بخير وقال له خيراً .

[اختلاف المسلمين على الفيء]

ثم إنّ[2] رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر ممّا جمع الناس فجُمِع ، واختلف المسلمون فيه : فقال مَن جمَعه : هو لنا ، وقد كان رسول الله ﷺ نَفَّل كلَّ امرىءٍ ما أصاب . فقال

1 السيرة : 638–639 ، 640 .

2 السيرة : 641–642 .

الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شَغَلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يُخالِف إليه العدوّ : والله ما أنتم بأحقَّ منّا ، ولقد رأينا أن نقتل العدوَّ إذ ولاَّنا الله ومَنَحَنا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه مَن يمنعه ، ولكن خِفنا على رسول الله ﷺ كَرّةَ العدوّ ، فقُمنا دونه ، فما أنتم بأحقَّ به منّا .

[مقتل النضر بن الحارث]

قال ابن إسحاق وحدّثني عاصم بن عُمَر بن قتادة ويزيد بن رُومان[1] : أنّ رسول الله ﷺ جمع الأسارى من المشركين ، وكانوا أربعةً وأربعين أسيراً ، وكان من القَتلى مثلُ ذلك ، وفي الأسارى عُقبة بن أبي معيطٍ ، والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة ، حتّى إذا كان رسول الله ﷺ بالصَّفراء ، قُتل النَّضر بن الحارث بن كَلَدَة ، قتَله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

[تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أُسر]

قال محمد بن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال[2] : قُدِم بالأسارى حين قُدِم بهم ، وسَودة بنت زَمعة (زوج النبي ﷺ) عند آل عَفراء في مَناحَتهم على عَوْف ومُعَوِّذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب . قال : تقول سودة : والله إنّي لعندهم إذْ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتي بهم ، فرُحت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سُهيل بن عمرو في ناحية الحُجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحَبْل . قالت : فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلتُ : يا أبا يزيد ، أَعْطَيتُم بأيديكم ، ألا مُتُّم كِراماً ؟ فوالله ما أنبهني إلاّ قولُ رسول الله ﷺ من البيت : «يا سَودة أَعَلى الله وعلى رسوله ؟» قالت فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثَك بالحقِّ ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل أن قلتُ ما قلت .

[إخبار الحيسمان أهل مكّة عن قتلى بدر]

قال محمد بن إسحاق[3] : وكان أوّلُ مَن قَدِم مكّةَ بمُصاب قريش ، الحَيْسُمان بن عبد الله بن إياس بن ضُبيعة بن رُومان بن كعب بن عمرو الخُزاعيّ . قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عُتبة بن ربيعة ، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو الحَكَم بن هشام ، وأُميّة بن خَلَف ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو البختريّ بن هشام ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج . قال : فلمّا جعل يُعَدِّد أشرافَ قريش قال

1 السيرة : 644 .
2 السيرة : 645 .
3 السيرة : 646 .

صفوان بن أُميّة وهو قاعدٌ في الحِجر : والله إن يَعْقِل هذا فسَلُوه عنّي . قالوا : ما فعل صفوان بن أُميّة ؟ قال : هو ذلك جالس في الحِجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا .

[أبو لهب وتخلّفه عن الحرب ثم موته]

قال محمد بن إسحاق حدّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عبّاس عن عِكرمة مولى ابن عبّاس قال[1] : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنتُ غلاماً للعبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الإسلام قد دَخَلَنا أهلَ البيت ، فأسلم العبّاس وأسلمت أُمّ الفضل ، وأسلمتُ ، وكان العبّاس يَهاب قومَه ، ويكره خِلافَهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو لَهَبٍ عدوُّ الله قد تخلّف عن بدر ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المُغيرة ، وكذلك صَنعوا ، لم يتخلّف رجلٌ إلاّ بعث مكانه رجلاً . فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أهل بدرٍ من قريش ، كَبَته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّةً وعزّاً ؛ وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنتُ أعملَ القِداح أُنحَتُها في حُجرة زَمزم ؛ فوالله إنّي لجالسٌ فيها أُنحَت القِداح ، وعندي أُمّ الفضل جالسة وقد سَرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسقُ أبو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجليه يسير حتى جلس على طُنب الحُجرة ، فكان ظهرُه إلى ظهري . فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب قد قَدِم ؛ فقال أبو لهب : هَلُمَّ إليَّ يا ابن أخي ، فعندك لعمري الخبر . فجلس إليه والنّاس قيامٌ عليه . فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شيء والله ، إنْ كان إلاّ أنْ لَقِيناهم فأَبحناهم أكتافَنا يقتلون ويأسِرون كيف شاؤوا . وايْمُ اللهِ مع ذلك ما لُمتُ الناس ، لَقينا رجالاً بِيضاً على خيلٍ بُلقٍ بين السماء والأرض ما تُليق شيئاً ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُبَ الحُجرة بيدي ، ثم قلتُ : تلك واللهِ الملائكة ، فرفع أبو لَهَب يدَه فضرب وجهي ضربةً شديدة . قال : فساورتُه فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم بَرَك عليّ يضربني ، وكنتُ رجلاً ضعيفاً ؛ فقامت أُمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحُجرة فأخذتْه فضربته به ضربةً ، فشَجّتْ في رأسه شَجّةً مُنكَرة وقالت : أَتَسْتَضعفه أنْ غاب عنه سيّده ؟ فقام مُوَلّياً ذليلاً . فوالله ما عاش فيها إلاّ سبع ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعَدَسة فقتلته ؛ فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً لا يَدفِنانه حتّى أَنْتَن في بيته ، وكانت قريش تتّقي العَدَسة كما يُتّقى الطاعون ، حتى قال لهما رجلٌ من قريش ويحكما ! لا تَستَحِيِيان أنّ أباكما قد أنتن في بيته لا تُغيّبانه ! فقالا : نخشى هذه القرحة . قال : فانطلِقا فأنا معكما . فما غسّلوه إلاّ قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ما يَمَسّونه ؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكّة على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى وارَوْه .

---

1 السيرة : 646–647 .

[العباس بن عبد المطّلب وتألّم النبي لأسره]

قال محمد بن إسحاق وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن مَعبَد عن بعض أهله عن الحَكَم بن عُتَيبة عن ابن عبّاس قال : لمّا أمسى القومُ من يوم بدرٍ ، والأسارى محبوسون في الوَثاق ، بات رسول الله ﷺ ساهراً أوّلَ ليلته . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، ما لك لا تنام ؟ فقال : «سمعتُ تَضَوُّرَ العبّاس في وثاقه» ؛ فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه ؛ فنام رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق وحدّثني الحسن بن عُمارة عن الحكم بن عُتيبة عن ابن عبّاس قال : كان الذي أَسَرَ العبّاس أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بني سَلِمة ، وكان رجلاً مجموعاً ، وكان العبّاس رجلاً جسيماً . فقال رسول الله ﷺ لأبي اليَسَر : «كيف أَسَرْتَ العبّاس يا أبا اليَسَر» ؟ فقال : يا رسول الله ، أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم» .

[طلب منه النبي الفداء وأخبره عن أمواله بمكّة]

قال ابن إسحاق عن الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس : أنّ رسول الله ﷺ قال للعبّاس بن عبد المطّلب حين انتُهي به إلى المدينة : «يا عبّاس افْدِ نَفسَك ، وابنَ أخيك عَقِيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جَحْدَم أخا بني الحارث بن فِهْر ؛ فإنّك ذو مال» . فقال : يا رسول الله ، إنّي كنتُ مُسلِماً ولكنّ القومَ استكرهوني . فقال «الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكُر حقّاً فالله يَجزِيك به ، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد كان علينا ؛ فافْدِ نفسك» . وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أُوقِيّةً من ذهب . فقال العبّاس : يا رسول الله ، احسُبْها لي في فِدائي . قال : «لا ، ذلك شيء أعطاناه الله منك» . قال : فإنّه ليس لي مال . قال قال : «فأين المالُ الذي وضعته بمكّة حين خرجت من عند أُمّ الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ ، ثم قلتَ لها إن أُصِبْتُ في سَفرتي هذه فلِلْفَضْل كذا ولعبد الله كذا ولِقُثَم كذا ولعبيد الله كذا» ؟ قال : والذي بعثَك بالحقّ ما عَلِم هذا أحدٌ غيري وغيرها ، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله . ففَدى العبّاس نفسَه وابنَ أخيه وحليفَه .

[فدت زينب زوجها فردّ عليها النبي الفداء]

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه عن عائشة قالت [1] : لمّا بَعَث أهلُ مكّة في فِداء أُسراهم ، بعثتْ زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقِلادةٍ لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاصي حين بَنَى عليها . فلمّا رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رِقّةً شديدة وقال : «إنْ رأيتم أن تُطلِقوا لها أسيرَها وتَرُدُّوا عليها

1 السيرة : 653 .

الذي لها فافعلوا» ! فقالوا : نعم يا رسول الله ؛ فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .

[رثاء الأسود بن المطّلب لأولاده]

قال ابن إسحاق : حدّثني يحيى بن عبّاد عن أبيه قال[1] : ناحت قريش على قَتلاها ، ثم قالت : لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمداً وأصحابه فيَشْمَتوا بكم ، ولا تبعثوا في فِداء أسراكم حتى تستَأْنوا بهم ، لا يتأرَّب عليكم محمد وأصحابُه في الفداء . قال : وكان الأَسود بن المطَّلب قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده : زَمَعَةُ وعقيل والحارث بنو الأسود ، وكان يُحِبّ أن يبكي على بَنيه . فبينا هو كذلك إذ سمع نائحةً في الليل ، فقال لغلامه وقد ذهب بصره : انظر هل أُحِلَّ النَّحيب ؟ وهل بكت قريش على قَتلاها ؟ لعلّي أبكي على أبي حَكِيمة (يعني زَمعةَ) ؛ فإنّ جَوْفي قد احترق . فلمّا رجع إليه الغلام قال : إنّما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلَّته ؛ فذلك حين يقول الأسود : [من الوافر]

أتبكــي أنْ أُضِلَّ لهــا بعيرٌ ... ويَمْنَعُها البكاءُ مــن الهُجودِ
ولا تَبْكي على بَكْـرٍ ولَكِنْ ... على بَـدْرٍ تَقاصَرتِ الجُدُودُ[2]
على بَدْرٍ سَراةَ بني هُصَيْصٍ ... ومَخْزومٍ ورَهْط أبي الوليدِ
وبَكّي إنْ بَكَيْـتِ على عَقِيلٍ ... وبَكّي حارثــاً أَسَدَ الأُسودِ
وبَكّيهم ولا تُسْمي جميعًـا ... فما لأبــي حَكِيمــةَ من نَدِيدِ
أَلا قــد سادَ بَعْدَهُمُ رجالٌ ... ولولا يــومُ بَدْرٍ لم يَسودُوا[3]

[رثاء هند بنت عتبة أباها]

ومّما قيل في بدر من الشعر وغُنّي به قول هند بنت عُتبة ترثي أباها[4] : [من مجزوء الكامل]

صوت

مَنْ حَسَّ لي الأَخوَيْنِ كالـ ... ـغُصْنَين أو مَــنْ راهُما
قَرْمــانِ لا يَتَظالَمــا ... نِ ولا يُــرامُ حِماهُما
وَيْلِـي على أَبَــوَيَّ والْـ ... ـقَبْرِ الــذي واراهُما

1 السيرة : 647-648 .
2 في هذا البيت إقواء .
3 في هذا البيت إقواء .
4 وردت هذه الأبيات في ديوان الخنساء (طبعة دار صادر ، بيروت ، 1963) وأثبت في الحاشية أنّها تنسب لهند بنت عتبة .

لا مِثْلَ كَهْلي في الكُهُو لِ ولا فَتًى كَفَتاهُما

ذكر الهشاميّ أنّ الغناء لابن سريج رمل ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنّه للغريض ، وتمام هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

أُسدانِ لا يَتَذَلّلا نِ ولا يُرامُ حِماهما
رُمْحَيْنِ خَطِّيَّيْنِ في كَبِدِ السماءِ تراهما
ما خَلَّفا إذ وَدَّعا في سُودَدٍ شَرْواهُما
سادا بغير تَكَلُّفٍ عَفْواً يَفِيضُ نَداهُما

[معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقِديّ ، وأخبرني ابن أبي الأَزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنادَ قال : لمّا كانت وقعة بدرٍ ، قُتِل فيها عُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عُتبة ؛ فأقبلت هند بنت عُتبة تَرثيهم ، وبَلَغها تَسْوِيمُ[1] الخَنساء هَوْدَجَها في الموسمِ ومعاظمتها العرب بمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد وأَخوَيها صخرٍ ومعاوية ، وأنّها جعلتْ تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سوّمت هودَجها براية ، وأنّها تقول : أنا أعظم العرب مصيبةً ، وأنّ العرب قد عرفتْ لها بعض ذلك . فلمّا أُصيبت هند بما أُصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبةً ، وأمرتْ بهودجها فسُوِّمَ براية ، وشَهِدَت الموسم بعُكاظ ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب ، فقالت : اقْرِنوا جَمَلي بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلمّا أن دنتْ منها ، قالت لها الخنساء : مَن أنتِ يا أُخَيَّة ؟ قالت : أنا هند بنت عُتبة أعظمُ العرب مصيبةً ، وقد بلغني أنّكِ تُعاظِمين العرب بمصيبتك ، فبِمَ تُعاظِمِينَهم ؟ فقالت الخنساء : بعَمرِو بن الشَّريد ، وصخرٍ ومعاوية ابني عمرو ، وبِمَ تُعاظمينهم أنتِ ؟ قالت : بأبي عُتبة بن ربيعة ، وعَمِّي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد . قالت الخنساء : أَوَ سَواءٌ هُمْ عندكِ ؟ ثم أنشدتْ تقول[2] : [من الطويل]

أُبَكِّي أبي عَمْراً بعينٍ غَزِيرَةٍ قليلٌ إذا نامَ الخَليُّ هُجودُها
وصِنْوَيَّ لا أَنْسى مُعاويةَ الذي لَه مِن سَراةِ الحَرَّتَيْن وُفودُها

1 تسويم : وضع علامة للتمييز .
2 في الديوان (طبعة دار صادر) أن هند بنت عتبة أنشدت والخنساء أجابت مع أن في مقدمة الشعر ما يفيد أن شارح الديوان إنّما ينقل عن الأغاني .

وصخراً ، ومَنْ ذا مثلُ صخرٍ إذا غَدا ... بساهمـــة الآطـالِ قُبّاً يَقودُها[1]
فذلك يــا هندُ الرَّزِيَّــة فاعْلَمي ... ونيــرانُ حَــرْبٍ حين شَبَّ وَقُودُها

فقالت هند تُجيبها : [من الطويل]

أَبَكِّي عَمِيدَ الأَبْطَحَيْنِ كِلَيْهِما ... وحاميهما مــن كلِّ باغٍ يُريدها[2]
أَبِي عُتْبَةُ الخَيْراتِ وَيْحَكِ فاعْلَمي ... وشَيْبَةُ والحامي الذِّمارَ وليدُها
أولئكَ آلُ المَجْدِ مــن آلِ غالبٍ ... وفي العِـزِّ منها حين يَنْمــي عَدِيدُها

وقالت لها أيضاً يومئذٍ : [من مجزوء الكامل]

مَنْ حَسَّ لي الأَخَوَيْنِ كالـ ... ـغُصْنَيـنِ أو مَـنْ راهُمـا

[لم ينكر معاوية على عبد الله بن جعفر سماعه الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض القُرَشيِّين قال : قَدِم عبدالله بن جعفر على معاوية وافداً ، فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا ابن جعفر يشرب النبيذ ، ويسمع الغناء ، ويُحَرِّك رأسَه عليه . فجاء معاوية مُتغيِّراً حتى دخل على ابن جعفر ، وعَزَّة المَيْلاءُ بين يديه كالشمس الطالعة في كِواء[3] البيت يُضيء بها البيت ، تُغَنِّيه على عُودها : [من الكامل]

تَبَلتْ فُؤادَكَ في الظلامِ خَرِيدةٌ ... تَشْفِي الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسّامِ[4]

وبين يديه عُسٌّ ؛ فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟ قال : أقسمتُ عليك يا أمير المؤمنين لَتَشْرَبَنَّ منه ، فإذا عسلٌ مَجدوحٌ بمِسْكٍ وكافور . فقال : هذا طَيِّبٌ ، فما هذا الغِناء ؟ قال : هذا شعرُ حسَّان بن ثابت في الحارث بن هشام . قال : فهل تُغَنِّي بغير هذا ؟ قال : نعم ، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابيّ الجافي الأَدفَر ، القبيح المنظر ، فيُشافِهُك به ، فتُعطيه عليه ؛ وآخذه أنا ، فأختار محاسنه ورقيق كلامه ، فأعطيه هذه الحسنة الوجه ، اللَّيِّنة اللمس ، الطيبة الريح ، فتُرَتّله بهذا الصوت الحسن . قال : فما تحريكُكَ رأسَك ؟ قال : أريحيَّة أجِدُها إذا سمعت الغناء ، لو سُئلت عندها لأَعطيتُ ، ولو لَقِيت لأَبْلَيت . فقال معاوية : قَبَّح اللهُ قوماً عَرَّضوني لك . ثم خرَج وبَعَث إليه بصِلَةٍ .

1 بساهمة الآطال في ل : بسلهبة الأبطال .
2 الأبطحان : بطحاء مكّة وسهل تهامة .
3 كواء : جمع كوة وهي النافذة .
4 في الظلام في في ديوان حسان : «في المنام» وتشفي الضجيع «تسقي الضجيع» .

[عمر بن أبي ربيعة ونُعْم]

صوت
من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَيُّها القلبُ لا أَراكَ تُفِيقُ ... طالَما قدْ تَعَلَّقَتْكَ العَلُوقُ[1]
مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوى حبيبٍ قريباً ... فأنا النازحُ البعيدُ السَّحِيقُ
قُضِيَ الحُبُّ بيننا فالتقينا ... وكلانا إلى اللِّقاء مَشُوقُ

الشعر في البيت الأوّل والثالث لعُمَر بن أبي ربيعة ، والبيت الثاني ليس له ، ولكن هكذا غُنّي ؛ وليس هو أيضاً مُشاكِلاً لحكاية ما في البيت الثالث . والغِناء لبابَوَيْه الكُوفيّ ، خفيف ثقيلٍ أوّل . وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش ، يقال لها نعم ، كان كثيرَ الذِّكر لها في شعره . أخبرني بذلك محمد بن خَلَف بن المَرزبان عن أبي عبد الله التَّميميّ عَنِ القَحْذَمِيّ والمدائنيّ . قال : وهي التي يقول فيها :

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

قال : وكانت تُكنى أُمَّ بَكْر ، وهي من بني جُمَح . وتمامُ هذه الأبيات على ما حكاه ابن المرزبان عمّن ذكرتُ : [من الخفيف]

فالتَقَيْنا ولم نَخَفْ ما لَقِينا ... ليلةَ الخَيْفِ ، والمُنى قد تَشُوقُ
وجرى بيننا فجددَ وصلا ... قُلَّبٌ حُوَّلٌ أرِيبٌ رفيقُ
لا تَظُنّي أنّ التَّراسُلَ والبَذْ ... لَ لكلٍّ النساء عندي يَلِيقُ
هل لكَ اليومَ إنْ نأتْ أُمُّ بَكْرٍ ... وتَوَلَّتْ إلى عَزاءٍ طريقُ

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حُدِّثت عن محمد بن حُمَيد عن عبد الله بن سَوّار القاضي عن بِشْر بن المُفَضَّل قال : بلغَ عُمَرَ بنَ أبي ربيعة أنّ نُعْماً اغتسلت في غَدِيرٍ ، فأتاه فأقام عليه ، وما زال يشرب منه حتى جَفَّ .

أخبرني محمد بن خَلَف قال : قال محمد بن حبيب الراوية : بلغني أنّ نُعْماً استقبلتْ عمرَ بن أبي ربيعة في المسجد الحرام ، وفي يدها خَلُوقٌ من خلوق المسجد ، فمسحتْ به ثوبه ، ومضتْ

1 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 266 وقد تضمّن البيت الثاني الذي نفى أبو الفرج نسبته إليه ، ومع بعض اختلاف في الرواية .

وهي تضحك ؛ فقال عمر[1] : [من الخفيف]

أدخل اللّهُ ربُّ موسى وعيسى جَنَّةَ الخُلْدِ مَنْ مَلانِي خَلُوقا
مسحتْه من كَفِّها في قميصي حين طافتْ بالبيت مَسْحاً رَفِيقا
غَضِبَتْ أَنْ نظرتُ نحوَ نساءٍ ليس يَعْرِفْنَنِي سَلَكْنَ طريقا
وأرى بينها وبين نساء كنتُ أُهْذِي بِهِنَّ بَوْناً سَحِيقا

وهذا البيت الأوّل ممّا عِيب على عمر .

وممّا غُنِّي فيه من تشبيب عمر بنُعْمٍ هذه[2] : [من المديد]

صوت

دِينَ هذا القلبُ مِنْ نُعْمِ بسَقامٍ ليس كالسُّقْمِ
إنّ نُعْماً أَقصدتْ رجلاً آمناً بالخَيْفِ إذ تَرْمي
بشَتِيتٍ نَبْتُه رَتَلٍ طَيِّبِ الأنيابِ والطَّعْمِ
وبِوَحْفٍ مائلٍ رَجِلٍ كعناقيدَ مِن الكَرْمِ

ومنها[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

خَلِيلَيَّ ارْبَعا وسَلا بمَغْنى الحَيِّ قد مثِلا
بأعلى الوادِ عند البئْـ ـرِ هَيَّجَ عَبْرةً سبَلا
وقد تَغْنى به نُعْمٌ وكنت بوَصْلِها جَذِلا
لَيالِيَ لا نُحِبُّ لنا بعَيْشٍ قد مضى بَدَلا
وتَهْواننا ونَهْواها ونَعْصِي قَوْلَ مَنْ عَذَلا
وتُرْسِلُ في مُلاطَفَةٍ ونُعْمِلُ نحوَها الرُّسُلا

غنّاه الهذليّ ، ولحنُه من القَدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج لحنان : رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وخفيف ثقيلٍ

---

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 270 .

2 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 386 ورواية البيت الأول :

قد أصاب القلب من نُعْمٍ سقم داء ليس كالسقم

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 337 .

بالوسطى عن عمرو . وفيها عن إسحاق ثاني ثقيلٍ ، ولسُلَيْم خفيف رملٍ ، جميعاً عن الهشاميّ . قال : ويقال : إنّ اللحنَ المنسوب إلى سُلَيْمٍ لِحَكَم الوادي .

ومنها من قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

لقد أرسلتْ نُعْمٌ إلينا أَن ائْتِنا ... فأَحبِبْ بها من مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبِ

يُغَنّى منها في قوله :

صوت

فقلتُ لِجَنَّادٍ خُذِ السيفَ واشْتَمِلْ ... عليه برِفْقٍ وارْقُبِ الشمسَ تَغْرُبِ

وأَسْرِجْ لِيَ الدَّهْماءَ واعْجَلْ بِمِمْطَرِي ... ولا تُعْلِمَنْ حَيّاً مِنَ النّاسِ مَذْهَبِي

فلمّا التقينا سَلّمتْ وتبسَّمَتْ ... وقالتْ مقالَ المُعْرِضِ المُتَجَنِّبِ

أَمِنْ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ ... مَشى بيننا صَدَّقْتَه لم تُكَذِّبِ[2]

وقَطَّعْتَ حبلَ الوصلِ منّا ، ومَنْ يُطِعْ ... بذِي ودِّه قولَ المُؤَرِّشِ يُعْتَبِ[3]

صوت

[من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهْلِكِ يا رَبابُ ... خُزْراً كأنَّهُمُ غِضابُ

إنْ زُرْتُ أهلَكِ أَوْعَدُوا ... وتَهِرُّ دونَهُم الكلابُ

عروضه من الكامل ، الشعر لعَلَسٍ ذي جَدَنٍ الحِمْيَرِيّ ، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دريد عن عمِّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه . والغناء لطُوَيْس ؛ ولحنُه المختار خفيف رملٍ بالبِنصر .

---

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 55–56 مع بعض اختلاف في الرواية .

2 مشى في ل : جرى .

3 أرش بين القوم : أفسد .

[48] ـ نسب عَلَس ذي جَدَنٍ وأخباره

[نسبه]

هو عَلَسُ بن زيد بن الحارث بن الغَوْث بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد الجُمهور بن سَهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَمَ بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَريب بن زهير بن أعز بن الهمّ بن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . وهو مَلِكٌ من ملوك حِمْيَر . ولُقِّب ذا جَدَنٍ لحسن صوته ، والجَدَن : الصوت بلغتهم ، ويقال : إنّه أوّل من تغنّى باليمن .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ وأبي مسكين قالا : إنّما سُمّي ذا جَدَنٍ لحسن صوته .

[قبره بصنعاء وآثاره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثنا عليُّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشّعار الهمدانيّ عن حيّان بن هانىء الأَرْحَبيّ عن أبيه قال : أخبرني رجلٌ من أهل صنعاء : أنّهم حفروا حفيراً في زمن مروان ، فوقفوا على أَزَجٍ له بابٌ ، فإذا هم برجل على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرجال ، عليه خاتمٌ من ذهب وعِصابةٌ من ذهب ، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه : «أنا عَلَس ذو جَدَنِ القَيْلُ ، لخليلي منّي النَّيْل ، ولعَدُوّي منّي الوَيل . طلبت فأدركتُ وأنا ابن مائة سنةٍ من عمري ، وكانت الوَحشُ تأْذَنُ[1] لصوتي . وهذا سيفي ذو الكفّ عندي ، ودِرعي ذاتُ الفُروج ، ورُمْحي الهزبريّ ، وقوسي الفَجْواء[2] ، وقَرَني[3] ذاتُ الشرّ ، فيها ثلاثمائة حَشْر ، من صنعة ذي نمِرٍ[4] ؛ أعددت ذلك لدفع الموت عنّي فخانني» . قال : فنظرنا فإذا جميعُ ذلك عنده . ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبيّ في بعض الكتب من غير رواية ابن عمّار ، فوجدت فيه : فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبراً ، وعليه مكتوبٌ تحت شاربه بالمُسْنَدِ : «بِآستِ امرىء كنتَ في يده فلم يَنْتَصِر» .

انقضت أخباره .

---

1 تأذن لصوتي : تستمع ، تعبيراً عن جمال صوته .
2 القوس الفجواء : هي التي يبين وترها عن كبدها .
3 القرن : الجعبة .
4 ل : ذو نمر ، وهو واد في ديار بني كلاب .

[49] ـ أخبار طويس[1] ونسبه

[أوّل من صنع الهزج والرمل]

طُوَيْسٌ لَقبٌ ، واسمه طاووس ، مولى بني مخزوم . وهو أوّل مَن غنّى الغناء المُتقَن من المخنَّثين . وهو أوّل من صنع الهزَج والرَّمَل في الإسلام . وكان يقال : أحسنُ الناس غناءً في الثَّقيل ابنِ مُحرِز ، وفي الرمل ابن سُرَيج ، وفي الهزج طُوَيْس . وكان الناس يضربون به المثل ، فيقال : «أَهْزَجُ من طُوَيس» .

[غنّى أبان بن عثمان فطرب وسأله عن عقيدته وسنه وشؤمه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأَزهَر والحسين بن يحيى قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكين ، قال إسحاق : وحدّثني المدائنيّ والهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن كَيْسان : أنّ أبانَ بن عثمان وفَد على عبد الملك بن مروان ، فأمَّره على الحجاز ؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقَّاه أهلُها ، وخرج إليه أشرافُها ، فخرج معهم طُوَيْس ؛ فلمّا رآه سلَّم عليه ، ثم قال له : أيّها الأمير ، إنّي كنتُ أُعطيت اللهَ عهداً لئن رأيتُك أميراً لأَخْضبَنَّ يديّ إلى المرفَقَيْن ، ثم أَزْدُو[2] بالدُّفّ بين يديك ، ثم أَبْدى عن دُفِّه وتغنّى بشعر ذي جَدَنٍ الحِمْيَريّ : [من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهلِكِ يــا ربابُ خُــزْراً كأنَّهــمُ غِضابُ

قـال : فطَرِب أبان حتى كاد أن يطير ، ثم جعل يقول له : حَسْبُك يا طاوُس ، ولا يقول له : يا طُوَيْس لِنُبْلِه في عينه ، ثم قال له : اجْلِسْ فجلس . فقـال لـه أبان : قد زعموا أنّك كافر . فقال : جُعِلتُ فِداءَك ! والله إنّي لأَشْهَدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ وأنّ محمداً رسول الله ، وأُصلّي الخمس ، وأصوم شهـر رمضان ، وأَحُجُّ البيت . فقال : أفأنت أكبرُ أم عمرو بن عثمان ؟ ، وكان عمرٌو أخـا أبان وأمّه ، فقال له طويس : أنا والله ، جُعِلتُ فداءك ، مع جلائل نساء قومي ، أُمْسِكُ بذُيولهنّ يومَ زُفَّتْ أُمُّك المباركة إلى أبيك الطيِّب . قال : فاستحيا أبان ورمى بطَرْفه إلى الأرض .

وأخبرني بهذه القصّة إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شبَّة قال حدّثنا العُتْبيّ

1 تقدّم ذكر طويس وأخباره في المجلد الثالث صفحة 22 من الأغاني (ذكر طُويس وأخباره) وقد أعاد أبو الفرج بعض أخباره التي تقدّمت .

2 أزدو : أضرب .

عن أبيه بمثل هذه القصّة عن أبان وطُوَيس . وزاد فيها أنّ طُوَيْساً قال له : نَذْري أيّها الأمير ؛ قال : وما نَذْرُك ؟ قال : نذرتُ إنْ رأيتُك أميراً في هذه الدار أنْ أُغنّي لك وأَزدُو بدُفّي بين يديك . فقال له : أَوْفِ بنَذْرِك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ﴾ . قال : فأخرجَ يديه مخضوبتين ، وأخرج دُفَّه وتَغنّى : [من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهلِكِ يا ربابُ

وزاد فيه : فقال له أبان : يقولون : إنّك مشؤوم ، قال : وفوق ذلك ؛ قال : وما بلغ من شؤمك ؟ قال : وُلِدت ليلة قُبِض النبي ﷺ ، وفُطِمتُ ليلة مات أبو بكر رضي الله عنه ، واحتلمتُ ليلة قُتِل عُمَر رضوان الله عليه ، وزُفّت إليّ أهلي ليلة قُتِل عثمان رضي الله عنه . قال : فاخرُج عنّي عليك الدَّبارُ[1] .

[أهدر دمه أمير المدينة مع المخنّثين]

أخبرني إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن الوليد قال حدّثني مُصعب بن عثمان عن نوفل بن عمارة قال : خرج يحيى[2] بن الحَكَم وهو أمير على المدينة ، فبَصُر بشخصٍ بالسَّبَخة ممّا يلي مسجد الأحزاب ، فلمّا نظر إلى يحيى بن الحكم جلَس ، فاستَرابَ به ، فوجَّه أعوانه في طَلَبه ؛ فأُتي به كأنّه امرأةٌ في ثياب مُصَبَّغة مصقولة وهو مُمْتَشِطٌ مُخْتَضِبٌ . فقال له أعوانه : هذا ابن نُغاش المخنَّث . فقال له : ما أحسِبُك تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ شيئاً ، اقرأْ أُمَّ القرآن . فقال : يا أبانا لو عرفت أُمّهنّ عرفتُ البناتِ . فقال له : أتَتهزَّأ بالقرآن لا أُمَّ لك ! وأمر به فضُرِبت عُنُقه . وصاح في المخنَّثين : مَنْ جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم . قال زَرَجون المخنَّث : فخرجتُ بعد ذلك أريد العالية ، فإذا بصوت دُفٍّ أعجبني ، فدنوتُ من الباب حتى فَهِمْتُ نَغَماتِ قومٍ آنسُ بهم ، ففتحتُه ودخلتُ ، فإذا بطُوَيْسٍ قائمٌ في يده الدُّفُّ يتغنّى ؛ فلمّا رآني قال لي : إيه يا زَرَجون ! قَتَل يحيى بنُ الحَكَم ابن نُغاش ؟ قلت نعم . قال : وجَعَل في المخنَّثين ثلاثمائة درهم ؟ قلت نعم . فاندفع يغنّي : [من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهلكِ يا ربابٌ ... خُزْراً كأنّهمُ غِضابُ
إن زرتُ أهلكِ أوعدوا ... وتَهِرّ دونهمُ كِلابُ

ثم قال لي : ويحك ! أفمَا جعل فيّ زيادةً ولا فَضَّلني عليهم في الجُعل بفضلي شيئاً .

---

1 الدبار : الهلاك .

2 هذا الخبر ممّا كرّره أبو الفرج .

[مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر]

أخبرني محمد بن عمرو العتّابيّ قال حدّثنا محمد بن خَلَف بن المرزبان ، ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف ، قال حدّثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفيّ قال حدّثني حسين بن دَحمان الأشقر قال : كنتُ بالمدينة ، فخَلا لي الطريق وسطَ النهار ، فجعلتُ أتغنَّى : [من مجزوء الكامل]

ما بــالُ أهلكِ يا رَبابُ　　　خُــزْراً كأنّهــمُ غِضابُ

قال : فإذا خَوْخَةٌ[1] قد فُتحت ، وإذا وجهٌ قد بدا تَتْبَعُه لحيةٌ حمراء ، فقال : يا فاسق أسأتَ التأدية ، ومنعتَ القائلة ، وأذعتَ الفاحشة ؛ ثم اندفع يغنّيه ، فظننتُ أنّ طويساً قد نُشِر بعينه ؛ فقلت له : أصلحكَ الله ! من أين لك هذا الغناء ؟ فقال : نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَثٌ أتبَع المغنّين وآخُذ عنهم ، فقالت لي أُمّي : يا بُنيّ إنّ المُغنّي إذا كان قبيحِ الوجه لم يُلتَفت إلى غنائه ، فدَعِ الغِناء واطلب الفقه ؛ فإنّه لا يضرّ معه قُبح الوجه . فتركت المغنّين واتّبعتُ الفقهاء ، فبلغ الله بي عزّ وجلّ ما ترى . فقلت له : فأعِد جُعِلتُ فداءك ! قال : لا ولا كرامةَ ! أتريد أن تقول : أخذتُه عن مالك بن أَنَسٍ ؟ وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم .

صوت
من المائة المختارة

[من الهزج]

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ　　　ـشِ أمْسى دارساً خَلَقَا
وقفــتُ بــه أُسائلُــــه　　　ومَــرّتْ عِيسُهمْ حِزَقا
عَلَــوْا بــك ظاهرَ البَيْدا　　　ءِ والمحــزونُ قــد قَلِقا

[حديث انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة]

ذات الجيش : موضع . ذكر النبي ﷺ أنّ جيشاً يغزو الكعبة ، فيُخسَف بهم إلاّ رجلاً واحداً يُقلَب وجهُه إلى قَفاه ، فيرجع إلى قومه كذلك ، فيخبرهم الخبر . حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجعديّ قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا إسماعيل بن زكريّا عن محمد بن سُوقة قال سمعتُ نافعَ بن جُبَيْر بن مُطعِم يقول حدّثتني عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «يغزو جيشٌ الكعبة حتى إذا كانوا ببَيداء من الأرض خُسِفَ بأوّلهم وآخرهم» . قالت عائشة : فقلت يا رسول الله ، كيف يُخسف بأوّلهم وآخرهم وفيهم سواهم ومَن ليس

---

1 الخوخة : باب صغير في باب كبير .

منهم ؟ قال : «يُخسَفُ بأوّلهم وآخِرِهم ثم يُبْعثون على قَدْرِ نيّاتهم» ، الشعر للأحوص [1] ، والغناء في هذا اللحنِ المختار للدّلال المخنَّث وهو أحد مَن خَصاه ابن حَزْم ، بأمر الوليد بن عبد الملك ، مع المخنَّثين . والخبر في ذلك يُذكَرُ بعد . ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر في الأوّل والثالث . ولإسحاق فيه ثقيل أوّل آخر . وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرمل عن يونس والهشاميّ وغيرهما . وفيه رمل يُنسب إلى ابن سريج ، وهو ممّا يُشَكُّ في نسبته إليه . وقيل : إنّ خفيف الرمل لابن سريج ، والرمل لمالك . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للدّلال خفيف ثقيل بالبِنصر أيضاً .

1 شعر الأحوص : 162 عن الأغاني .

[50] ـ ذكر الأحوص وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو الأحوص ، وقيل : إنّ اسمه عبد الله ، وإنّه لُقّب الأحوص لحوَصٍ[2] كان في عينيه . وهو ابن محمد بنِ عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأُقلَح ، واسم أبي الأقلح قيس ، بن عُصَيمة بن النعمان بن أُميَّة بن ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عَوف بن مالك بن الأوس . وكان يقال لبني ضُبيعة بن زيدٍ في الجاهلية : بنو كِسَرِ الذَّهب . وقال الأحوص حين نُفي إلى اليمن[3] : [من الخفيف]

بَدّل الدّهْرُ من ضُبَيْعَةَ عَكّاً ... جيرةً وهـو يُعْقِبُ الأَبْدالا

[سبب تسمية جدّه عاصم حميّ الدبر]

وكان جدّه عاصمٌ يقال له حَمِيّ الدَّبْر ؛ وكان رسول الله ﷺ بعثَه بَعْثاً ، فقتله المشركون ؛ وأرادوا أن يصلبوه فحمتْه الدَّبْر ، وهي النَّحل ، فلم يقدروا عليه ، حتى بعثَ الله عزّ وجلّ الواديَ في الليل فاحتمله فذهب به . وفي ذلك يقول الأحوص مفتخراً[4] : [من الخفيف]

وأنا ابنُ الذي حَمَتْ لحمَه الدَّبْـ ... ـرُ قتيلِ اللَّحْيانِ يومَ الرَّجيعِ

[قصّة وفد عضل والقارة وقتل البعث الذي أرسل معهم]

حدّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطَّبريّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة بن الفضل قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قَدِم على رسول الله ﷺ بعد أُحُدٍ رهطٌ من عَضَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّ فينا إسلاماً وخَيْراً ، فابعَثْ معنا نفراً من أصحابك ، يُفَقّهونا في الدِّين ، ويُقْرِئونا القرآن ، ويُعلِّمونا شرائع الإسلام[5] ، فبعث رسول

---

1 ترجمة الأحوص في الشعر والشعراء (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 424—426 والمؤتلف : 48 والخزانة 2 : 15—20 ، 52—55 والسمط : 73 وطبقات ابن سلام : 534 والموشح : 187 وانظر بروكلمان 1 : 196 وقد نقل ابن حمدون من شعره وأخباره 27 فقرة في مواضع متفرّقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره د . إبراهيم السامرائي وأعاد جمعه عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970) وعليه نعتمد .

2 الحوص : ضيق في مؤخّر العينين أو في إحداهما .

3 شعر الأحوص : 177 .

4 شعر الأحوص : 157 .

5 ل : شعائر .

الله ﷺ معهم نفراً ستّةً من أصحابه : مَرْثَد بن أبي مرْثَدٍ الغَنَويّ حليفَ حمزة بن عبد المطّلب ، وخالد بن البُكَير حليفَ بني عَدِيّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأَقلح أخا بني عمرو بن عوف ، وخُبَيب بن عديّ أخا بني جَحجَبى بن كُلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة أخا بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارقٍ حليفاً لبني ظَفَر من بَلِيّ ، وأُمّر رسول الله ﷺ عليهم مَرْثَدَ بن أبي مَرْثَدٍ ، فخرجوا مع القوم ، حتّى إذا كانوا على الرَّجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدر الهَدْأة) غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هُذَيلاً ، فلم يُرَعِ القوم وهم في رحالهم إلاّ بالرِّجال في أيديهم السيوف قد غَشُوهم ؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ؛ فقالوا : [إنّا] والله ما نُريد قَتلكم ، ولكنّا نريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكّة ، ولكم عهدُ اللهِ وميثاقه ألاّ نقتلكم . فأمّا مَرْثَدُ بن أبي مَرْثَد ، وخالدُ بن البُكَيْر ، وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلح فقالوا : إنّا والله لا نقبل من مُشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً ! فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً . وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة ، وخُبَيْب بن عديّ ، وعبد الله بن طارق فلانُوا ورَقُّوا ورغِبوا في الحياة وأَعطَوْا بأيديهم ؛ فأُسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكّة ليَبيعوهم بها ؛ حتى إذا كانوا بالظَّهران انترع عبدالله بن طارق يده من القِرانِ ، ثم أخذ سيفَه واستأْخر عن القوم ، فرَمَوه بالحجارة حتى قتلوه ، فقَبرُه بالظَّهران . وأمّا خُبَيب بن عَدِيّ وزيد بن الدَّثِنَّة ، فقَدِموا بهما مكّة فباعوهما . فابتاع خُبَيباً حُجَيْر بن أبي إهابٍ التَّمِيميّ حليفُ بني نوفل لعُقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان حُجَيْرٌ أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمّه ، ليقتله بأبيه . وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفوان بن أُميَّة ليقتله بأُميّة بن خَلَف أبيه . وقد كانت هُذَيْل حين قُتِل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافةَ بنت سَعد بن شُهَيد ، وكانت قد نَذَرتْ حين قَتَل عاصمٌ ابنَها يومَ أُحُدٍ لئن قَدَرتْ على رأس عاصمٍ لتَشْرَبَنَّ في قِحفه الخَمر ، فمنعته الدَّبْر . فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يُمْسِي ، فتذهب عنه فنأخذه . فبعث الله عزّ وجلّ الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به . وكان عاصم قد أعطى الله عزّ وجلّ عهداً لا يَمَسُّه مشركٌ أبداً ولا يَمَسّ مشركاً أبداً تَنَجُّساً منه . فكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أنّ الدَّبْرَ منعته : «عجباً لحفظ الله عزّ وجلّ العبدَ المؤمن ! كان عاصم نَذَر ألاّ يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسُّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنَعَه الله بعد مماته كما امتنع منه في حياته !» .

[رواية أُخرى عن البعث ومصيره]

قال محمد بن جرير : وأمّا غير ابن إسحاق ، فإنّه قصّ من خبر هذه السَّرِيَّة غير الذي قصّه غيره : من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيْبٌ قال حدّثنا جعفر بن عَوْن العمريّ قال حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عُمَرَ أو عمرو بن أَسِيدٍ عن أبي هُرَيرة : أنّ رسول الله ﷺ بعث عشرة رهطٍ ،

وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، فخرجوا ، حتى إذا كانوا بالهَدْأة ذُكِروا لِحَيٍّ من هذيل يقال لهم بنو لَحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجلٍ رامياً ، فوجدوا مأْكَلَهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : نَوى يَثْرِب ! ثم اتَّبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أَحَسَّ بهم عاصم وأصحابه التجؤوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم ، وأعطوهم العهد . فقال عاصم : والله لا أنزِل على عهد كافرٍ ، اللهمَّ أَخبِرْ نبيَّك عنَّا . ونَزَل إليهم ابن الدَّثِنَة البَياضيّ ، وخُبَيبٌ ، ورجلٌ آخر ؛ فأطلق القوم أوتار قسيِّهم ، ثم أَوثقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّلُ الغَدر ، والله لا أَتبعُكم ، فضربوه وقتلوه ؛ وانطلقوا بخُبَيْبٍ وابن الدَّثِنَّة إلى مكّة ، فدفعوا خُبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ ، وكان خبيبٌ هو الذي قتل الحارث بأُحُدٍ . فبينما خُبَيْبٌ عند بنات الحارث ، استعار من إحدى بنات الحارث موسى ليَستَحِدّ بها للقتل ، فما راع المرأة ولها صبيٌّ يدرُج إلاّ خُبَيب قد أجلس الصبيَّ على فخذه والموسى بيده ، فصاحت المرأة ؛ فقال خبيب : أتحسبين أنّي أقتُله ! إنّ الغَدْرَ ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعدُ : ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خبيبٍ ، لقد رأيته وما بمكّة من ثمرةٍ وإنّ في يده لقِطْفاً من عِنَبٍ يأكله ، إنْ كان إلاّ رزقاً رزقَه الله خبيباً . وبعثَ حيٌّ من قيس إلى عاصم ليُؤتَوْا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصمٍ فيهم آثار[1] بأُحُدٍ ، فبعَث الله عليه دَبراً فحمَتْ لحمَه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً . فلمّا خرجوا بخُبَيب من الحَرَم ليقتلوه ، قال : ذَرُوني أُصَلِّ ركعتين ، فتركوه فصلَّى ركعتين ، فجرتْ سُنّةً لمن قُتِل صَبْراً أن يُصلّي ركعتين ، ثم قال : لولا أن يقال جَزِعَ لَزِدْتُ ، وما أُبالي[2] :

عَلى أيِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعي

ثم قال : [من الطويل]

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

اللّهمّ أَحْصِهم عدداً[3] ، وخُذهُم بِدَداً . ثم خرج به أبو سَروعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فضربه فقتله .

حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو كُرَيبٍ قال حدّثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال

1 ل : أوتار وهي جمع وتر ، وآثار : جمع ثأر .

2 من قصيدة نسبها ابن هشام إلى خبيب مطلعها :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

3 أحصهم عدداً : أهلكهم فلا يبقى من عددهم أحد .

وأخبرني جعفر بن عمرو بن أُميَّة عن أبيه عن جدّه : أنّ رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش . قال : فجئتُ إلى خشبة خُبَيْب وأنا أتخوّف العيون ، فرَقِيتُ فيها ، فحللتُ خُبَيباً فوقع إلى الأرض ، فانتبذتُ[1] غير بعيدٍ ، ثم التفتُّ فلم أَرَ لخُبَيْبٍ أثراً ، فكأنّما الأرض ابتلعته ، فلم تَظهرُ لخبيب رِمّةٌ حتى الساعة .

قال محمد بن جرير : وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة ، فإنّ صفوان بن أُميّة بعثَ به ، فيما حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، مع مولًى له يقال له نسطاس إلى التَّنْعيم ، فأخرجه من الحَرَم ليقتله ؛ واجتمع إليه رهطٌ من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتَل : أَنشدُكَ الله يا زيد ، أتُحِبُّ أنّ محمداً عندنا الآن مكانك فنضرب عُنُقه وأنَّك في أهلك ؟ فقال : والله ما أُحِبُّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تُؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتله نِسْطاس .

[نزول عبد الله وأبي أحمد ابني جحش على عاصم بن ثابت]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبيّ قال حدّثنا محمد بن فُلَيْح عن موسى بن عقبة عن ابن شهابٍ قال : نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جحشٍ ، حين قدِما مهاجرين ، على عاصم بن ثابت ، وكنيته أبو سليمان .

[شعر لعاصم بن ثابت وكنيته]

وقال عاصم : [من الرجز]

أبو سليمانَ ورِيشُ المُقْعَدِ ومُجْنَأٌ من جلدِ ثورٍ أَجْرَدِ[2]

وذكر لنا الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير أنّ عاصماً ، فيما قيل ، كان يُكنى أبا سفيان . قال : وقال في يوم الرَّجيع : [من الرجز]

أنا أبو سُفيانَ مِثْلي راما أَضْرِبُ كَبْشَ العارِضِ القَدَّاما[3]

[كنية الأحوص واسم أمّه وبعض صفاته]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عُقبة عن عمِّه قال : كُنية الأحوص أبو محمد . وأُمُّه أُثَيْلَة بنت عُمَيْر بن مَخْشيٍّ ؛ وكان أحمر أُحوص العينين .

---

1 ل : فاستدرت .

2 المقعد : فرخ النسر وقيل اسم رجل كان يريش السهام . المجنأ : الترس ليس فيه حديد .

3 كبش : رئيس . والعارض : الجيش . والقدّام : الذي يتقدّم في الشرف .

[رأي الفرزدق في شعره]

قال الزُّبير فحدّثني محمد بن يحيى قال : قَدِم الفرزدق المدينة ، ثم خرج منها ، فسُئل عن شُعرائها ، فقال : رأيتُ بها شاعرَيْن وعَجِبتُ لهما : أحدُهما أَخْضَرُ يسكن خارجاً من بُطحان[1] (يريد ابن هرمة) ؛ والآخر أحمرُ كأنّه وَحَرَةٌ على بُرودةٍ في شعره (يريد الأحوص) . والوَحَرَةُ : يَعْسُوبٌ أحمر ينزل الأنبار[2] .

[هجاؤه لابنه]

وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حَوَصَه[3] : [من الرجز]

أَقْبِحْ بـه مـن وَلَـدٍ وأَشْقِحِ　　مِثْـلِ جُـرَيٍّ الكلب لم يُفَقِّحِ
إنْ يَـرَ سُوءًا لم يَقُمْ فيَنْبَحِ　　بالبابِ عند حاجةِ المُسْتَفْتِحِ[4]

قال الزُّبير : ولم يبقَ للأحوص من وَلَدِه غيرُ رجلين .

[طبقته في الشعر عند ابن سلام]

قال الزُّبير : وجعل محمد بن سلاّم الأحوص ، وابن قيس الرُّقيّات ، ونُصَيباً ، وجميل بن معمَرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام[5] ، وجعله بعد ابن قَيس ، وبعد نُصَيْب . قال أبو الفرج : والأَحوص ، لولا ما وضع به نفسَه من دَنِيء الأَخلاق والأفعال ، أَشَدُّ تقدُّماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرُّواة ؛ وهو أَسمحُ طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وأَصَحُّ معنًى منهم ؛ ولشِعرِه رونقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوة وعذوبةُ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم . وكان قليلَ المروءة والدِّين ، هجَّاءً للناس ، مأْبوناً فيما يُروى عنه .

[جلده سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أبو عبيدة أنّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه : أنّ السبب في جَلْدِ سليمان بن عبد الملك ، أو الوليد بن عبد الملك إيّاه ونفيِه له ، أنّ شهوداً شهِدوا عليه عنده أنّه قال : إذا أخذتُ جريري[6] لم أُبالِ أيَّ الثلاثة لَقِيتُ ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً . قالوا : وانضاف إلى ذلك أنّ سُكَيْنة بنت الحسين رضي الله عنهما فَخَرتْ يوماً برسول الله ﷺ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها : [من الخفيف]

---

1 بطحان : واد بالمدينة .
2 ل : يلزم البثار .
3 البيتان في مجموع شعره : 90 وفي الحيوان للجاحظ 1 : 254-255 أنّهما لأبي الأحوص يهجو فيهما ابنه .
4 هذه رواية الجاحظ ، والشطر الثاني في الديوان «بالبابِ عند خلقه المستقبح» .
5 شعراء الطبقة السادسة عند ابن سلام هم : عبيد الله بن قيس الرقيات والأحوص وجميل ونصيب .
6 الجرير : الزمام .

ليس جهـلٌ أُتيـْتـِهِ ببَديعِ

فزاده ذلك حَنَقاً عليه وغيظاً حتّى نفاه .

[فخرت سكينة بالنبيّ ففاخرها بجدّه وخاله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة : أنّ الأحوص كان يوماً عند سُكينة ، فأذّن المؤذّن ، فلمّا قال : أَشهَدُ أنْ لا إله إلاّ الله ، أَشهد أنّ محمداً رسول الله ، فخَرَتْ سُكينةُ بما سمعت ؛ فقال الأحوص[1] : [من الخفيف]

فخَرتْ وانتمتْ فقلتُ ذَريني ... ليس جهـلٌ أُتيتِـه ببَديعِ
فأنا ابنُ الذي حَمَتْ لَحْمَه الدَّبْـ ... ـرُ قتيلِ اللَّحْيانِ يومَ الرَّجيعِ
غَسَّلتْ خاليَ الملائكـةُ الأبْـ ... ـرارُ مَيْتاً طُوبَى له مِن صَريعِ

قال أبو زيد : وقد لَعَمري فَخَر بفَخْرٍ لو على غيرِ سُكَينة فخَر به ؛ وبأبي سُكينة ﷺ حمتْ أباه الدَّبرُ وغسَّلتْ خالَه الملائكة .

[هجاؤه لابن حزم عامل المدينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن أيُّوب بن عُمَر عن أبيه قال : لمّا جاء ابن حَزْمٍ عملَه من قِبَل سليمان بن عبد الملك على المدينة والحجّ ، جاءه ابن أبي جَهم بن حذيفة وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وسُراقة ، فدخلوا عليه فقالوا له : إيه يا ابن حَزْم ! ما الذي جاء بك ؟ قال : استعملني والله أمير المؤمنين على المدينة على رغم أُنْفِ من رَغِمَ أنفُه . فقال له ابن أبي جهم : يا ابن حزم ، فإنّي أوّلُ مَنْ يَرْغَمُ من ذلك أنفُه . قال فقال ابن حزم : صادقٌ ، واللهُ يُحِبّ الصادقين . فقال الأحوص[2] : [من الطويل]

سليمانُ إذْ وَلاَّكَ رَبُّك حُكْمَنا ... وسُلطانَنا فاحْكُمْ إذا قلتَ واعْدِلِ
يَـؤُمُّ حَجيجَ المسلمين ابنُ فَرْتَنى ... فهَبْ ذاكَ حَجّاً ليس بالمُتَقَبَّلِ

فقال ابن أبي عتيق للأحوص : الحمد لله يا أحوص ، إذْ لم أُحُجَّ ذلك العامَ بنعمة ربِّي وشُكره . قال : الحمدُ لله الذي صَرَف ذلك عنك يا ابن أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، فلم يُضْلِلْ دِينَك ، ولم تُعنِّ نَفسك ، وتَرَ ما يَغيظُك ويَغِيظ المسلمين معك .

[تعرّض لخبازيّ الوليد فأمر عامل المدينة بجلده]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمّه موسى بن

1 شعر الأحوص : 157 .
2 شعر الأحوص : 178 .

عبد العزيز قال : وَفَد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه ، فأنزله منزلاً ، وأمر بمَطْبَخِه أن يُمال عليه ؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شُعَيب بن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، فكان الأَحوص يُراود وُصَفاءَ للوليد خَبَّازين عن أنفسهم ويُريدهم أن يفعلوا به . وكان شُعَيبٌ قد غَضِب على مولًى له ونحاه . فلمّا خاف الأَحوص أن يفتضح بمُراودته الغلمان ، اندسَّ لمولى شُعَيب ذلك فقال : ادخُلْ على أمير المؤمنين فاذْكُرْ له أنّ شُعيباً أرادك عن نفسك ، ففعل المولى ذلك . فالتفت الوليد إلى شُعَيب فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه غَوْرٌ يا أمير المؤمنين ، فاشْدُد به يَدَك يصدُقْك . فشدد عليه ، فقال : أَمَرني بذلك الأَحوص . فقال قَيِّم الخبّازين : أصلحك الله ! إنَّ الأَحوص يُراود الخبّازين[1] عن أنفسهم . فأرسل به الوليد إلى ابن حَزْمٍ بالمدينة ، وأمره أن يجلده مائةً ، ويَصُبَّ على رأسه زيتاً ، ويُقيمَه على البُلُسِ[2] ؛ ففعل ذلك به . فقال وهو على البُلُس أبياتَه التي يقول فيها : [من الكامل]

ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنى بها   إلاّ تُشَرِّفُنـي وتَرْفَـعُ شاني

[شعره الذي أنشده حين شهر به]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثني أَيُّوب بن عمر قال أخبرني عبد الله بن عمران بن أبي فَرْوَةَ قال : رأيتُ الأَحوص حين وَقَفه ابنُ حَزْمٍ على البُلُس في سوق المدينة وإنّه لَيَصيح ويقول[3] : [من الكامل]

مـا مِـنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها   إلاّ تُعَظِّمُنـي وترفَـع شاني
وتَزولُ حـين تزولُ عن مُتَخَمِّطٍ   تُخْشى بَـوادِرُه على الأَقـرانِ[4]
إنِّـي إذا خَفِـيَ اللِّئـامُ رأيتَني   كالشمسِ لا تَخفـى بكلِّ مكانِ

[شعره في هجو ابن حزم]

قال : وهجا الأَحوصُ ابن حزمٍ بشعرٍ كثيرٍ ، منه[5] : [من الطويل]

أقولُ وأبصرت ابنَ حَزْمِ بنِ فَرْتَنى   وُقُوفـاً لــه بـالمأزِمَيْنِ القبائلُ

---

1 ل : غلمانك .
2 البلس : غرائر كبار تُحشى بالتبن ويجعل عليها من يراد التنكيل والتشهير به .
3 شعره : 203 . وقد وردت الأبيات في مصادر عديدة بروايات مختلفة . انظر مثل الحماسية رقم 54 في شرح المرزوقي .
4 متخمط : متكبّر .
5 شعر الأحوص : 165 .

تُرى فَرْتَنى كانتْ بما بَلَغَ ابنُها مُصَدِّقَــةً لــو قــال ذلك قائلُ

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير عن أبي عبيدة قال : كلُّ أَمَةٍ يقال لها فَرْتَنى . وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم قال : فَرْتَنى : الأَمَةُ بنت الأَمَة ، قال الزُّبير : فقال ابن حَزْمٍ حين سمع قولَ الأَحوص فيه «ابن فَرْتَنى» لرجلٍ من قومه له علمٌ : أَنحنُ من ولد فَرْتَنى ؟ أَوَتعرِفُها ؟ فقال : لا والله ؛ قال : ولا أنا أعلَمُ والله ذلك ! ولقد عَضَهني به ، ولو كانت ولدَتْني لم أَجْهَل ذلك .

قال الزُّبير : وحدّثني عَمِّي مُصْعَبٌ عن عبد الله بن محمد بن عُمارة قال : فَرْتَنى : أمٌّ لهم في الجاهلية من بَلْقَيْنِ ، كانوا يُسَبُّون بها ، لا أدري ما أَمْرُها ، قد طرحوها من كتاب النَّسب ، وهي أُمّ خالد بنت خالد بن سِنان بن وَهْب بن لَوْذانَ السَّاعِدِيّة أُمّ بني حَزْم .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون : أنّ الأحوص قال لابن حزمٍ[1] : [من الطويل]

لَعَمْري لقد أجرى ابنُ حَزْمٍ بنِ فَرْتَنى إلى غايــةٍ فيهــا السِّمامُ المُثَمَّلُ[2]

وقد قلتُ مهلاً آلَ حَزْمٍ بنِ فَرْتَنى ففي ظُلْمِنا صابٌ مُمِــرٌّ وحَنْظَلُ

وهي طويلة . وقال أيضاً[3] : [من البسيط]

أَهْوى أُمَيَّةَ إنْ شَطَّتْ وإنْ قَرُبَتْ يوماً وأُهْدِي لها نُصْحِي وأَشْعارِي

ولو وردتُ عليها الفَيضَ ما حَفَلَتْ ولا شَفَتْ عَطَشي من مائه الجارِي

لا تَــأْوِيَنَّ لِحَزْمِــيٍّ رأيتَ به ضُرّاً ولو طُرِحَ الحَزْمِــيُّ في النّارِ

الناخِسِينَ بمَرْوانٍ بذِي خُشُبٍ والمُقْحِمِينَ على عثمانَ في الدَّارِ

[دفع عنه بنو زريق فمدحهم]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جماعةٌ من مشايخ الأنصار : أنّ ابن حَزْمٍ لمّا جلَد الأحوص ووقَفَه على البُلُس يضربه ، جاءه بنو زُرَيق فدفعوا عنه ، واحتملوه من أعلى البُلُس . فقال في ذلك ، قال ابن الزُّبير : أَنشدنيه عبد الملك بن الماجِشون عن يوسف بن أبي سلمة الماجشون[4] : [من البسيط]

إمّا تُصِبْني المَنايــا وهْــيَ لاحقةٌ وكلُّ جَنْبٍ لــه قد حُمَّ مُضْطَجعُ

---

1 شعر الأحوص : 172 .

2 السمام المثمل : السم المقوّى بالسلع أو الذي طال نقعه .

3 شعر الأحوص : 131-132 .

4 شعر الأحوص : 143 عن الأغاني .

فقد جَزَيْتُ بني حَــزْمٍ بظُلْمِهِمُ وقد جزيتُ زُرَيْقاً بالذي صنعوا
قــومٌ أبى طَبَعَ الأخلاق أوّلُهمْ فهُمْ على ذاك من أخلاقهم طُبِعوا[1]
وإنْ أُناسٌ وَنَوْا عن كلِّ مَكْرُمَــةٍ وضاقَ باعُهُمُ عن وُسْعِهِمْ وَسِعوا
إنّي رأيتُ غداةَ السُّوق مَحضَرَهُمْ إذْ نحــنُ ننظر مــا يُتْلى ونَسْتَمِعُ

[نفاه ابن حزم إلى دَهْلك وشعره في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عُمَر بن أبي بكر المؤمّليّ قال حدّثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم : أنّ أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَد الأحوصَ في الخُنْثِ ، وطاف به وغرّبه إلى دَهْلَكَ في مَحْمِلٍ عُرْياناً . فقال الأَحْوَصُ وهو يُطافُ به : [من الكامل]

مـا مِنْ مُصيبةِ نَكْبةٍ أُبْلى بها

الأبيات . وزاد فيها : [من الكامل]

إنّي على مـــا قد تَرَوْن محسَّد أَنْمي عــلى البَغضاء والشَّنَآنِ
أصبحتُ للأنصارِ فيما نابَهم خَلَفــاً وللشُّعَراء مــن حَسّانِ

قال الزُّبير : وممّا ضُرِب فيه أيضاً قولُه[2] : [من الطويل]

شَرُّ الحِزامِيِّينَ ذو السِّنّ منهـــمُ وخيرُ الحِزامِيِّــين يَعْدِلُــه الكَلْبُ
فإنْ جئتَ شيخاً من حِزامٍ وجدتَه من النَّوْكِ والتقصير ليس لـه قلبُ
فلَـــوْ سَبَّنــي عَــوْنٌ إذاً لَسَبَبْتُه بشِعْرِيَ أو بعضُ الأولَى جَدُّهُمْ كَعْبُ

عون ، يعني عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه رضوان الله . وكعب ، يعني كَعب بن لؤَيّ : [من الطويل]

أولئــك أكفــاءٌ لبيتــي بُيوتُهُـــمْ ولا تستوي الأَعْلاثُ والأَقْدُحُ القُضْبُ

[أعانه فتى من بني جحجبى فدعا عليه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن ثابتٍ الأنصاريّ عن محمد بن فَضالة قال : كان الأحوص بن محمد الأنصاريّ قد أوسع قومه هِجاء فملأهم شرّاً ، فلم يبقَ له فيهم صديقٌ ، إلاّ فتًى من بني جَحجَبى . فلمّا أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك ، نهض الفتى في جَهازه وقام بحوائجه وشَيَّعه ؛ فلمّا كان بسقاية سليمان وركب الأحوص

1 طبع : الدنس والعيب ، وكل شين في دين أو دنيا فهو طبع .
2 شعر الأحوص : 73 .

مَحمِلَه ، أقبل على الفتى فقال : لا أَخلَفَ اللهُ عليك بخير ؛ فقال : مَهْ ! غفر الله لك ! قال الأحوص : لا والله أو أُعَلِّقها حرباً ! يعني قُباءَ وبني عمرو بن عوف .

[هجا معن بن حميد الأنصاريّ فعفا عنه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غسّان بن عبد الحميد : أقبل الأحوص حتى وقف على مَعن بن حميد الأنصاريّ ، أحد بني عمرو بن عوف بن جَحْجَبى ، فقال[1] : [من الطويل]

رأيتُــك مَزْهُــوّاً كأنّ أباكُـــمُ صُهَيْبَةَ أَمْسى خيرَ عَـوْفٍ مُرَكّبا
تُقِـرُّ بكـم كُوثـى إذا مـا نُسِبْتُمُ وتُنكر كم عَمْرُو بن عَوْفِ بن جَحْجَبى[2]
عليكَ بأدنى الخَطْبِ إنْ أنت نِلْتَهُ وأَقْصِرْ فلا يَذْهَبْ بك التِّيهُ مَذْهَبا[3]

فقام إليه بنوه ومواليه ؛ فقال : دَعوا الكلب ، خَلُّوا عنه ، لا يمَسَّه أحدٌ منكم ؛ فانصرف . حتى إذا كان عند أحجار المِراء بقُباءَ[4] لَقِيه ابن أبي جرير أحد بني العَجلان ، وكان شديداً ضابطاً ؛ فقال له الأحوصُ : [من الطويل]

إنّ بقــومٍ سَوَّدُوكَ لَحاجــةً إلى سَيِّد لــو يَظْفَرون بسَيِّدِ[5]

فألقى ثيابه وأخذ بحَلق الأحوص ، ومع الأحوص راويته ، وجاء الناس ليخلِّصوه ، فحلف لئن خَلَّصه أحدٌ من يديه ليأخُذَنَّه ولَيَدَعَنّ الأحوص ؛ فخنقه حتى استرخى ، وتركه حتى أفاق ؛ ثم قال له : كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ ، لئن سُمِعِ أو سَمِعتُ هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنّك ضربةً بسيفي أُريد بها نفسَك ولو كنتَ تحت أستار الكعبة . فأقبل الأحوص على راويته فقال : إنّ هذا مجنون ، ولم يسمع هذا البيت غيرُك ؛ فإيّاك أن يسمعه منك خَلْق .

[لقي عباد بن حمزة ومحمد بن مصعب فتهدّداه إن هجاهما]

أخبرني الحِرْميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني بعض أصحابنا : أنّ الأحوص مرّ بعبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن مصعب بن الزُّبير بخَيمَتَي[6] أُمِّ

1 شعر الأحوص : 81 .
2 كوثى : محلة بمكّة لبني عبد الدار .
3 التيه في ل : اللؤم .
4 ل : المزيقيا .
5 لحاجة في ل : لفاقة . هذا البيت في القسم المنسوب إلى الأحوص : 219 ، وهو في الخزانة 1 : 165 لأبي نخيلة .
6 خيمة أمّ معبد (ويقال بئر أم معبد) : موضع بين مكّة والمدينة نزل الرسول ﷺ وأبو بكر أثناء هجرتهما .

معبد ، وهما يريدان الحجَّ مَرجعه من عند يزيد بن عبد الملك ، وهو على نجيب له فارِهٍ ورَحْل فاخرٍ وبِزة مرتفعة ، فحدّثهما أنّه قَدِم على يزيد بن عبد الملك ، فأجازه وكساه وأَخدَمه ؛ فلم يَرَهما يَهَشَّان لذلك . فجعل يقول : خَيْمَتي أُمِّ معبد ، عبّاد ومحمد ، كأنّه يَرُوض القوافي للشعر يريد قوله . فقال له محمد بن مصعب : إنّي أراك في تهيئة شعر وقَوافٍ وأراكَ تُريد أن تهجوَنا ؛ وكلُّ مملوك لي حُرٌّ لئن هجوتَنا بشيء إنْ لم أضربْك بالسيف مجتهداً على نفسك . فقال الأحوصُ : جعلني الله فداك ! إنّي أخاف أن تُسمِعَ هذا فيّ عدوّاً فيقول شعراً يهجوكما به فيَنْحَلُنيه ، وأنا أبرئكما الساعة ، كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبداً .

[رفض محمد بن عباد صحبته في طريقه إلى مكّة]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصعب قال حدّثنا الزُّبير بن خُبَيب عن أبيه خُبيب بن ثابت قال : خرجنا مع محمد بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير إلى العُمرة ، فإنّا لَبِقُرب قُدَيد إذ لحِقنا الأحوص الشاعر على جملٍ برَحل ؛ فقال : الحمدُ لله الذي وفَّقكم لي ، ما أُحِبُّ أنّكم غيرُكم ، وما زلت أُحَرِّكُ في آثاركم مذ رُفِعتم لي ؛ فقد ازددت بكم غبطةً . فأقبل عليه محمد ، وكان صاحب جدٍّ يكره الباطل وأهلَه ، فقال : لكنّا والله ما اغتبطنا بك ولا نُحِبُّ مسايرتك ، فتقدّم عنّا أو تأخّر . فقال : والله ما رأيتُ كاليوم جواباً ! قال : هو ذاك . قال : وكان محمد صاحب جدّ يكره الباطل وأهله ، فأشفقنا ممّا صنع ، ومعه عدّة من آل الزُّبير ، فلم يقدِر أحدٌ منهم أن يرُدَّ عليه . قال : وتقدّم الأحوص ، ولم يكن لي شأنٌ غير أن أعتذر إليه . فلمّا هبطنا من المُشَلَّل[1] على خيمتي أم معبد سمعتُ الأحوص يُهَمْهِم بشيء ، فتفهَّمتُه فإذا هو يقول : خيمتَيْ أمّ معبد ، محمد ، كأنّه يُهيّيء القوافي ، فأمسكتُ راحلتي حتى جاءني محمد ، فقلت : إنّي سمعتُ هذا يُهيّيء لك القوافي ، فإمّا أذِنتَ لنا أن نعتذر إليه ونُرضيه ، وإمّا خَلَّيتَ بيننا وبينه فنضربه ؛ فإنّا لا نُصادفه في أخلى من هذا المكان . قال : كلاّ ! إنّ سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألاّ يهجو زبيريّاً أبداً ، فإن فعل رجوتُ أن يُخزِيَه الله ، دَعه .

[هجا سعد بن مصعب فلمّا أراد ضربه حلف له ألاّ يهجو زبيريّاً]

قال الزُّبير : وأمّا خبره مع سعد بن مصعب ، فحدّثني به عمّي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزُّبير بن عبّاد أو مصعب بن عثمان ، شَكَّ : أيُّهما حدّثه ، قال : كانت أَمَةُ الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، تحت سعد بن مُصعب بن الزُّبير ، وكان فيهم مأتمٌ ، فاتّهمته بامرأةٍ ، فغارت عليه وفضحته . فقال الأحوص يُمازحه[2] : [من الطويل]

---

1 جبل يهبط منه إلى قديد .

2 شعر الأحوص : 84–85 عن الأغاني .

وليس بسَعْدِ النّارِ مَـــنْ تزعُمونه ولكنّ سَعْدَ النارِ سعدُ بن مُصْعَبِ
ألم تَـــرَ أنّ القومَ ليلـــةَ نَوْحِهِمْ بَغَـــوْهُ فألفَـوْهُ على شَرِّ مَرْكَبِ
فمـــا يَبتغـــــي بالغَـــيِّ لا دَرَّ دَرُّه وفي بيتِـــه مثـلُ الغَـزالِ المُرَبَّبِ

قال : وسعدُ النار رجلٌ يقال له سعد حضنة ، وهو الذي جدّد لزياد بن عبيد الله الحارثيّ الكتابَ الذي في جدار المسجد ، وهو آياتٌ من القرآن أحسَبُ أنّ منها ﴿إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبى ويَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْي﴾ . فلمّا فرغ منه قال لزياد : أَعطِني أَجْري . فقال له زياد : انتظِر ، فإذا رأيتَنا نعمل بما كتبتَ ، فخُذْ أجرك .

قال : فعمِلَ سعد بن مصعبٍ سُفرةً ، وقال للأحوص : اذْهَب بنا إلى سَدّ عبيد الله بن عمر نَتَغَدَّ عليه ، ونشرب من مائه ، ونستَنقِع فيه ؛ فذهب معه . فلمّا صارا إلى الماء ، أمر غلمانه أن يربطوه وأراد ضربه ، وقال : ما جَزِعتُ من هجائك إيّايَ ، ولكن ما ذكرُكَ زوجتي ؟ فقال له : يا سعدُ ، إنّك لتَعلم أنّك إن ضربتني لم أَكفُفْ عن الهجاء ، ولكن خيرٌ لك من ذلك : أَحلِفُ لك بما يُرضيك ألاّ أهجوكَ ولا أحداً من آل الزُّبير أبداً ؛ فأحلَفه وتركه .

[هجا مجمع بن يزيد فسبّه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني مصعبٌ عمّي عن مصعب بن عثمان قال : قال الأحوص لمُجَمِّع بن يزيد بن جارية[1] : [من الطويل]

وجُمِّعْتَ من أشياءَ شَتَّى خبيثةٍ فسُمِّيتَ لَمّا جئتَ منها مُجَمِّعا

فقال له مجمِّع : إنّي لا أُحسن الشعر ، ثم أخذ كُرْنافةً[2] فغمَسها في ماءٍ فغاصتْ ، ثم رفع يده عنها فطفتْ ، فقال : هكذا والله كانت تصنَع خالاتُك السَّواحِرُ .

[طلب من أمّ ليث أن تدخله إلى جارة لها فأبت فعرّض بها في شعره]

أخبرني الحِرْميّ قال وحدّثنا الزُّبير قال : كانت امرأةٌ يقال لها أُمُّ لَيْث امرأة صِدق ، فكانت قد فتحت بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خَوخة ، وكانت الأنصاريّة من أجملِ أنصاريّةٍ خُلِقَتْ . فكلَّم الأحوص أمَّ ليثٍ أن تُدخله في بيتها يكلِّم الأنصاريّة من الخوخة التي فتحت بينها وبينها ، فأبت ؛ فقال : أما لأُكافِئنَّك ، ثم قال[3] : [من البسيط]

---

1 شعر الأحوص : 151 .
2 الكرنافة : ما يتبقّى في جذع النخلة بعد قطع السعف .
3 شعر الأحوص : 82 .

هيهاتَ منكَ بنو عَمْرٍو ومَساكنُهمْ إذا تَشَتَّيْتَ قِنَّسْرِينَ أو حَلَبا
قامتْ تراءَى وقد جَدّ الرحيلُ بنا بينَ السَّقيفةِ والبابِ الذي نُقِبا
إنّي لَمانِحُها ودِّي ومُتَّخِذٌ بأُمّ لَيْثٍ إلى معروفِها سَبَبا

فلمّا بلغتِ الأبياتُ زوجَ المرأة ، سَدّ الخوخة ؛ فاعتذرت إليه أُمّ ليث ، فأبى أن يقبَل ويُصدّقها . فكانت أُمّ ليث تدعو على الأحوص .

[وعده مخزوميّ أن يعينه عند الوليد ثم أخلف]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عُمَر بن شبَّة قال حدّثني أبي قال : ركِب الأحوص إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضرب ابن حَزْمٍ إيّاه ، فلقِيَه رجلٌ من بني مخزوم يقال له محمد بن عُتبة ، فوعَده أن يُعينه . فلمّا دخل على الوليد قال ويحك ؛ ما هذا الذي رُمِيتَ به يا أحوص ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، لو كان الذي رماني به ابن حزمٍ من أمر الدِّين لاجتنبتُه ، فكيف وهو من أكبر مَعاصي الله ؛ فقال ابن عتبة : يا أمير المؤمنين ، إنّ من فضل ابن حزمٍ وعَذْلِه كذا وكذا وأثنى عليه . فقال الأحوص : هذا والله كما قال الشاعر : [من الطويل]

وكنتَ كذئبِ السَّوْءِ لمّا رأى دَماً بصاحبه يوماً أحالَ على الدَّمِ

[شكاه أهل المدينة فنفي إلى دَهْلَك ثم استعطف عمر بن عبد العزيز فلم يعطف عليه]

فأمّا خبره في بقيّة أيّام سليمان بن عبد الملك وعُمَر بن عبد العزيز ، فأخبرني به أبو خليفة الفضلُ بن الحُباب [الجُمَحيّ] قال حدّثنا عون بن محمد بن سلاّم قال حدّثني أبي عمّن حدّثه عن الزُّهريّ ، وأخبرني به الطُّوسيّ والحِرْمِيّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عَمِّي مُصعب عن مصعب بن عثمان قال : كان الأحوص يَنْسُب بنساءٍ ذواتِ أخطارٍ من أهل المدينة ، ويتغنّى في شعره معبد ومالك . ويَشيع ذلك في الناس ، فنُهي فلم يَنْتَهِ ؛ فشُكي إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه إليه ، ففعل ذلك . فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوطٍ ويُقيمَه على البُلُس للناس . ثم يُصيِّره إلى دَهْلَك ففعل ذلك به ؛ فثوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك . ثم وَلِي عمر بن عبد العزيز ؛ فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه ؛ فأبى أن يأذَن له . وكتب فيما كتب إليه به[1] : [من الطويل]

أيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ هُدِيتَ أميرَ المؤمنين رسائلي

1 شعر الأحوص : 180 .

وقُـلْ لأبـــي حَفْصٍ إذا مـا لَقِيتَهُ ... لقـد كنـت نَفّاعـاً قليلَ الغوائلِ
وكيف تـرى للعيشِ طِيباً ولَـذَّةً ... وخالُك أمسَى مُوثَقاً في الحبائلِ !

هذه الأبيات من رواية الزُّبير وحده ، ولم يذكرها ابن سَلاَّم ، قال : فأتى رجالٌ من الأنصار عُمَرَ بن عبد العزيز ، فكلَّموه فيه وسألوه أن يُقْدِمَه ، وقالوا له : قد عرفتَ نَسَبَه وموضعَه وقديمَه ، وقد أُخْرِجَ إلى أرض الشِّرْك ، فنطلب إليك أن تردَّه إلى حَرَم رسول الله ﷺ ودارِ قومه . فقال لهم عمر : فمَنِ الذي يقول[1] : [من الطويل]

فمـا هُـوَ إلاّ أن أراها فُجاءَةً ... فأُبْهَتَ حتّى مـا أكادُ أُجِيبُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول[2] : [من الطويل]

أَدُورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جَعْفَرٍ ... بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زَوَّاراً ولكِنَّ ذا الهوى ... إذا لم يـزرْ لا بُدَّ أنْ سَيَزُورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول[3] : [من المنسرح]

كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ غاديـةٍ ... أو دُمْيَةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَعُ
اللهُ بيني وبين قَيِّمِهـا ... يَفِـرُّ منِّـي بها وأَتَّبِعُ

قالوا : الأحوص . قال : بَلِ اللهُ بين قَيِّمها وبينه . قال : فمن الذي يقول[4] : [من الطويل]

ستَبْقَى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشا ... سريرةُ حُبٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائرُ

قالوا : الأحوص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذٍ لمشغولٌ ، والله لا أَرُدُّه ما كان لي سلطان . قال : فمكث هناك بقيّة ولاية عُمَرَ وصَدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك .

[غنّت حبابة يزيد بن عبد الملك بشعر فلما علم أنّه للأحوص أطلقه وأجازه]

قال : فبينا يزيد وجاريته حبابة ذاتَ ليلةٍ على سطح تُغَنِّيه بشعر الأحوص ، قال لها : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا وعينيك ما أدري ! قال : وقد كان ذهب من الليل شَطْرُه ، فقال : ابعثوا إلى ابن شِهابٍ الزُّهريّ ، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك . فأُتِي الزهريّ فقُرِع عليه بابُه فخرج مُرَوَّعاً إلى يزيد . فلمّا صعِد إليه قال له يزيد : لا تُرَعْ ، لم نَدْعُك إلاّ لخير ، اجلِس ، مَن يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين . قال : ما فَعَل ؟ قال : قد طال حبسُه

1 شعر الأحوص (القسم الثاني) : 213 وينسب إلى كثيرين غير الأحوص .
2 شعر الأحوص : 125 .
3 شعر الأحوص : 143–144 .
4 شعر الأحوص : 118 .

بدَهْلك . قال : قد عَجِبْتُ لعُمَر كيف أغفلَه . ثم أمر بتخلية سبيله ، ووهب له أربعمائة دينار . فأقبل الزُّهريّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبَشَّرهم بذلك .

[عتابه لعمر بن عبد العزيز]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاريّ قالا : لمّا وَلِي عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم ، وجفا الأحوص . فقال له الأحوص[1] : [من الطويل]

ألستَ أبا حَفْصٍ هُدِيتَ مُخَبِّري أفي الحَقِّ أنْ أُقْصَى ويُدْنَى ابنُ أسْلَما

فقال عمر : ذلك هو الحقّ .

قال الزُّبير : وأنشدنيها عبد الملك بن الماجِشون عن يوسف بن الماجِشون : [من الطويل]

ألا صِلَةُ الأرحامِ أدنى إلى التُّقَى وأظهرُ في أكفائه لو تكَرَّما
فما تركَ الصُّنْعُ الذي قد صنعتَه ولا الغيظُ منّي ليس جِلْداً وأعْظُما
وكنّا ذَوِي قُرْبَى لديك فأصبحتْ قرابتُنا ثَدْياً أجَدَّ مُصَرَّما[2]
وكنتَ وما أمَّلْتُ منك كبارِقٍ لَوى قَطْرَه من بعد ما كان غَيَّما
وقد كنتَ أرْجى الناسِ عندي مَوَدّةً ليالِيَ كان الظنُّ غَيْباً مُرَجَّما
أعُدُّك حِرْزاً إن جَنيتُ ظُلامةً ومالاً ثَرِيّاً حين أحمِلُ مَغْرَما
تَدارَكْ بعُتْبَى عاتباً ذا قَرابَةٍ طَوى الغيظَ لم يَفْتَحْ بسُخْط له فَما

[قيل إنّه دسّ إلى حبابة الشعر الذي غنّت يزيد به]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم أنّ أبا عبيدة حدّثه : أنّ الأحوص لم يَزَلْ مقيماً بدَهْلَك حتى مات عمر بن عبد العزيز ، فدَسّ إلى حبابة فغنّت يزيد بأبيات له ، قال أبو عبيدة : أظنّها قوله[3] : [من الخفيف]

صوت

أيُّهذا المُخَبِّري عن يزيدٍ بصَلاحٍ فِداكَ أهلي ومالي
ما أبالي إذا يزيدُ بَقِي لي مَنْ تَوَلَّتْ به صُروفُ الليالي

---

1 شعر الأحوص : 197 .
2 الثدي الأجد : لا لبن فيه .
3 شعر الأحوص : 184 .

لم يجنسه . كذا جاء في الخبر أنّها غنّته به ، ولم يذكر طريقته . قال أبو عبيدة : أُراه عَرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يَقدِر أن يصرِّح مع بني مروان ، فقال : مَنْ يقول هذا ؟ قالت : الأحوص ، وهوّنتْ أمره ، وكلّمته في أمانه فأمَّنه . فلمّا أصبح حضر فاستأذنت له ، ثمّ أعطاه مائة ألف درهم .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حسّان : أنّ الأحوص دَسَّ إلى حبابة ، فغنّت يزيد قوله[1] : [من الطويل]

كريمُ قُـرَيْشٍ حين يُنْسَبُ والذي ... أقرَّتْ لــه بالْمُلْكِ كَهْلاً وأمْرَدا

وليس وإن أعطاك في اليوم مانِعاً ... إذا عُدْتَ من أضعاف أُضعافِه غَدا[2]

أهان تِلادَ المـــالِ في الحمدِ إنَّه ... إمامُ هُدًى يجري على مـــا تَعَوَّدا

تَشرَّفَ مجــداً مـــن أبيه وجَدّه ... وقــد وَرِثــا بُنْيانَ مجدٍ تَشَيّدا[3]

فقال يزيد : ويلك يا حبابة ! مَن هذا من قريش ؟ قالت : ومَنْ يكون ؟ أنت هو يا أمير المؤمنين . فقال : ومن قال هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يمدح به أميرَ المؤمنين ؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دَهْلَكَ ، وأمر له بمالٍ وكُسْوة .

[أخبره يزيد بن عبد الملك بأنّه معجب بشعر له في مدحهم]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قـال حدّثني بعض أهل العلم قال : دخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك وهو خليفةٌ ؛ فقال له يزيد : والله لو لم تَمُتَّ إلينا بحُرمة ، ولا تَوَسَّلتَ بدالّـة ، ولا جَدّدْتَ لنا مَدحاً ، غيرَ أنّـك مُقتصِرٌ على البيتين اللذين قلتَهما فينا ، لكنتَ مُستوجباً لجزيل الصِّلَةِ منّي حيث تقول[4] : [من الطويل]

وإنّي لأَستحييكُمُ أنْ يقودَني ... إلى غيرِكم من سائرِ الناس مَطْمَعُ

وأنْ أَجْتَدي للنفعِ غيرَك منهمُ ... وأنت إمــامٌ للرعيّــةِ مَقْـنَعُ

قال : وهذه قصيدةٌ مدَح بها عمر بن عبد العزيز .

[لمّا ولي يزيد بعث إليه فأكرمه فمدحه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ قال حدّثني

1 من قصيدة ضمّت 31 بيتاً ؛ شعره : 98– 104 .
2 الشطر الأول في رواية الديوان : «وليس عطاء كان منه بمانع» .
3 تشرف مجداً في الديوان : «تردى بمجد» .
4 شعر الأحوص : 141 .

عمر بن موسى بن عبد العزيز قال : لمّا وَلِي يزيد بن عبد الملك بعث إلى الأحوص ، فأُقْدِمَ عليه ، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ درهم . فلمّا قَدِم قُباء صَبَّ المالَ على نِطْعٍ ودعا جماعةً من قومه ، وقال : إنّي قد عَمِلتُ لكم طعاماً . فلمّا دخلوا عليه كشَف لهم عن ذلك المال ، وقال : ﴿أَفَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾ .

قال الزُّبير : وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذٍ بهذه القصيدة[1] : [من الخفيف]

صَرَمتْ حَبْلَك الغداةَ نَوارُ   إنّ صَرْماً لكلِّ حبلٍ قُصارُ

وهي طويلة ، يقول فيها :

مَنْ يَكُنْ سائلاً فإنّ يزيداً   مَلِكٌ مِنْ عَطائه الإكثارُ
عمَّ معروفُه فعَزَّ به الدِّيـ   ـنُ وذَلَّتْ لِمُلْكِه الكُفّارُ
وأقامَ الصِّراطَ فابتهجَ الحْـ   ـقُّ منيراً كما أنارَ النّهارُ

ومن هذه القصيدة بيتان يُغنَّى فيهما ، وهما : [من الخفيف]

صوت

بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليه   كان فيه من مَشْيِه آثارُ
إنّ أَرْوى إذا تذكَّر أَرْوى   قَلْبُه كاد قلبُه يُسْتَطارُ

غنَّت فيه عَرِيبُ لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وذكر ابنُ المكّي أنّه لجدّه يحيى .

[أراد أن يكيد عند يزيد لابن حزم فلم يقبل منه وأهانه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصعب عن مُصعب بن عثمان قال : حَجّ يزيد بن عبد الملك فتزوّج بنت عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأصدَقها مالاً كثيراً ؛ فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم : إنّه بلغ أميرَ المؤمنين أنّ يزيدَ بن عبد الملك قد تزوّج بنتَ عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب وأصدَقها مالاً كثيراً ، ولا أُراه فعل ذلك إلاّ وهو يراها خيراً منه ، قَبَّح الله رأيَه ؛ فإذا جاءك كتابي هذا فادْعُ عوناً فاقبِض المال منه ؛ فإنْ لم يدفعه إليك فاضربه بالسِّياط حتى تستوفيه منه ثم افسَخْ نِكاحه . فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عون بن محمد وطالبه بالمال . فقال له : ليس عندي شيءٌ وقد فرّقتُه . فقال له أبو بكر : إنّ أمير المؤمنين أمرَني إن لم تدفعه إليّ كلَّه أن أضربَك بالسِّياط ثم لا أرفعَها عنك حتى أستوفِيَه منك . فصاح به يزيد : تعال إليّ ،

1 شعر الأحوص : 123 .

فجاءه ؛ فقال له فيما بينه وبينه : كأنّك خَشِيتَ أن أُسْلِمَك إليه ، ادفَع إليه المال ولا تُعَرِّض له نفسك ؛ فإنّه إنْ دفعه إليّ رددتُه عليك ، وإن لم يَرُدَّه عليّ أخلفتُه عليك ، ففعل . فلمّا وَلِيَ يزيد بن عبد الملك ، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم وفي الأحوص ، فحُملا إليه ، لِما بين أبي بكر والأحوص من العداوة ؛ وكان أبو بكر قد ضرب الأحوص وغرَّبَه إلى دَهْلك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز ، وعمر إذ ذاك على المدينة . فلمّا صارا بباب يزيد أُذِن للأحوص ، فرفع أبو بكر يديه يدعو ، فلم يَخفِضهُما حتى خرج الغِلمان بالأحوص مُلَبَّباً مكسور الأنف ، وإذ هو لَمّا دخل على يزيد قال له : أصلحك الله ؛ هذا ابن حَزمٍ الذي سفَّه رأيَك وردّ نِكاحك . فقال يزيد : كذبتَ ! عليك لعنةُ الله وعلى مَن يقول ذلك ! اكسِروا أنفَه ، وأمر به فأُخرج مُلَبَّباً .

[قصّته مع عبد الحكم بن عمرٍو الجمحيّ]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجُمحيّ قال : كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجُمحيّ قد اتّخذ بيتاً فجعل فيه شِطْرَنْجاتٍ ونَرْداتٍ وقِرقاتٍ ودفاتر فيها من كلِّ علم ، وجعل في الجدار أوتاداً ، فمَن جاء علَّق ثيابه على وتِدٍ منها ، ثم جرَّ دفتراً فقرأه ، وأخذ بعض ما يُلعَب به فلعِب به مع بعضهم . قال : فإنّ عبد الحكم يوماً لَفي المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحَنَّاطين إلى باب بني جُمَحَ ، عليه ثوبان مُعَصفران مَدلُوكان وعلى أُذنه ضِغْثُ ريحانٍ وعليه رَدعُ الخَلوق ، فأقبل يَشُقُّ الناس حتى جلس إلى عبد الحَكَم بن عمرو بن عبد الله ؛ فجعل مَن رآه يقول : ماذا صُبَّ عليه من هذا ؟ ألم يَجِدْ أحداً يجلس إليه غيرَه ؛ ويقول بعضهم : فأيّ شيء يقوله له عبد الحكم وهو أكرمُ من أن يَجبَه مَن يقعُد إليه ! فتحدّث إليه ساعةً ثم أهوى فشبَّك يده في يد عبد الحَكَم وقام يَشُقُّ المسجد حتَّى خرج من باب الحَنَّاطين ، قال عبد الحكم : فقلت في نفسي : ماذا سَلَّط الله عليّ منك ! رآني معك نصْفُ الناس في المسجد ونِصفُهم في الحَنَّاطين ، حتّى دخل مع عبد الحكم بيتَه ، فعلَّق رداءَه على وَتِدٍ وحَلَّ أزرارَه واجْتَرَّ الشِّطْرَنْجَ وقال : مَن يلعب ؟ فبينا هو كذلك إذ دخل الأبْجَرُ المغنّي ، فقال له : أي زِنديق ما جاء بك إلى هاهنا ؟ وجعل يشتُمه ويُمازحه . فقال له عبد الحكم : أتشتُم رجلاً في منزلي ! فقال : أتعرِفه ؟ هذا الأحوص . فاعتنقه عبد الحكم وحيّاه . وقال له : أمّا إذ كنت الأحوص فقد هان عليّ ما فعلتَ .

[خطب عبد الملك بن مروان أهل المدينة وتمثّل بشعر له]

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني حميد بن عبد العزيز عن

أبيه قال : لمّا قَدِم عبد الملك بن مَروان حاجاً سنة خمس وسبعين ، وذلك بعد ما اجتمع الناس عليه بعامين ، جلس على المِنبر فشتَم أهلَ المدينة ووبَّخهم ، ثم قال : إنّي والله يا أهلَ المدينة قد بلوتُكم فوجدتكم تَنْفَسُون القليلَ وتحسُدون على الكثير ، وما وجدتُ لكم مثلاً إلاّ ما قال مُخَنَّثكُم وأخوكم الأحوص[1] : [من الطويل]

وكَمْ نزلتْ بي من خُطُوب مُهِمّةٍ خَذَلْتُمْ عليها ثمّ لم أَتَخَشَّعِ
فأَدْبَرَ عنّي شَرُّها لم أُبَلْ بها ولم أَدْعُكُمْ في كَرْبِها المُتَطَلَّعِ

فقام إليه نوفل بن مُساحِق فقال : يا أمير المؤمنين ، أقررنا بالذَّنب وطلبنا المعذرة ؛ فعُدْ بحِلْمِك ، فذلك ما يُشْبِهُنا منك ويُشْبِهُك منّا ؛ فقد قال مَنْ ذكرتَ من بعد بيتيه الأوّلين : [من الطويل]

وإنّي لَمُسْتَأْنٍ ومُنْتَظِرٌ بكم[2] وإنْ لم تقولوا في المُلِمّاتِ دَعْ دَعِ
أُؤمِّلُ منكم أنْ تَرَوْا غيرَ رأيكم وشيكاً وكيما تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ

[أثر أهل دهلك عنه الشعر وعن عراك بن مالك الفقه]

أخبرني الحِرْميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن الضحّاك عن المُنذر بن عبد الله الحِزاميّ : أنّ عِراك بن مالك كان من أشدّ أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفَيْء والمَظالم من أيديهم . فلمّا وَلِيَ يزيد بن عبد الملك وَلّى عبد الواحد بن عبد الله النَّصْريّ المدينة ، فقرّبَ عِراك بن مالك وقال : صاحبُ الرجل الصالح ، وكان لا يقطع أمراً دونه ، وكان يجلس معه على سريره . فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيد بن عبد الملك : أنِ ابعَثْ مع عِراك بن مالك حَرَسيّاً حتى يُنزِله أرض دَهلَكَ وخُذْ من عِراكٍ حمولتَه . فقال لحَرَسيٍّ بين يديه وعِراكٌ معه على السرير : خُذْ بيد عِراكٍ فابتَعْ من ماله راحلةً ثم تَوَجَّهْ به نحو دَهْلَكَ حتى تُقِرَّه فيها ؛ ففعل ذلك الحرسيّ . قال : وأَقْدَم الأحوص ؛ فمدحه الأحوصُ ؛ فأكرمه وأعطاه . قال : فأهلُ دَهْلَكَ يأثُرون الشعرَ عن الأحوص ، والفِقْه عن عِراك بن مالك .

[كاد له الجراح الحكميّ بأذربيجان لهجائه يزيد بن المهلّب]

أخبرني أبو خليفة الفَضْلُ بن الحُباب عن محمد بن سَلاّم عن أبي الغَرَّاف عمّن يَثِق به قال : بعثَ يزيد بن عبد الملك حين قُتِل يزيد بن المهلّب في الشعراء ، فأمر بهجاء يزيد بن المهلّب ،

---

1 شعر الأحوص : 154 مع اختلاف طفيف في الرواية .
2 بكم في ل : معاً .

منهم الفرزدق وكُثَيِّرٌ والأحوص . فقال الفرزدق : لقدِ امتدحتُ[1] بني المهلَّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً ، وإنّه لقبيحٌ بمثلي أن يُكذِّب نفسه على كِبر السِّنّ ، فَلْيُعفِني أمير المؤمنين ؛ قال : فأعفاه . وقال كُثَيِّرٌ : إنّي أكره أن أُعَرِّضَ نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوتُ بني المهلَّب . وأمّا الأحوص فإنّه هجاهم . ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجرَّاح بن عبد الله الحَكَميّ وهو بأذربيجان ، وقد كان بلغ الجرّاح هجاءُ الأحوص بني المهلّب ، فبعث إليه بِزِقٍّ من خمرٍ فأُدخِل منزل الأحوص ، ثم بعث إليه خيلاً فدخلتْ منزلَه فصبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتو به الجرّاح ، فأمر بحَلقِ رأسه ولِحيته ، وضربه الحَدَّ بين أوجُه الرجال ، وهو يقول : ليس هكذا تُضرَب الحدود ؛ فجعل الجرّاح يقول : أجَلْ ! ولكن لِما تعلَم . ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها .

[رأي أبي الفرج فيه]

قال أبو الفرج الأصبهانيّ[2] : وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغَضِّ منه في شعره ، ولكنّا ذكرنا من كلِّ ما يُؤْثَـرُ عنه ما تُعْرَفُ به حاله من تقدُّمٍ وتأخُّرٍ ، وفضيلةٍ ونقصٍ ؛ فأمّا تفضيلُه وتقدُّمه في الشعر فمُتَعالَم مشهور ، وشِعرُه يُنْبىء عن نفسه ويدُلّ على فضله فيه وتقدُّمه وحُسنِ رونقه وتَهَذُّبِه وصَفائه .

[رأى الفرزدق وجرير في نسيبه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال حدّثني عبد الله بن مُسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ قال حدّثنا شيخٌ لنا من هُذَيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال : سمعتُ بالفرزدق وجرير على باب الحجّاج ، فقلتُ : لو تَعرّضتُ ابن أُختِنا ! فامتطيتُ إليه بعيراً ، حتى وجدتُهما قبل أن يَخلُصا ، ولكلٍّ واحدٍ منهما شيعةٌ ؛ فكنتُ في شيعة الفرزدق ؛ فقام الآذن يوماً فقال : أين جرير ؟ فقال جرير : هذا أبو فراس ؛ فأظهرتْ شيعتُه لَوْمَه وأسَرَّتْه . فقال الآذِن : أين الفرزدق ؟ فقام فدخل . فقالوا لجرير : أتُناوِئه وتُهاجيه وتُشاخِصُه ، ثم تُبَدَّى عليه فتأبى وتُبَدِّيه ؟ ! قضيتَ له على نفسك ؛ فقال لهم : إنّه نَزْرُ القول ، ولم يَنْشَب أن يَنفَد ما عنده وما قال فيه فيُفاخره ويرفَع نفسه عليه ؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واستُحسِن . فقال قائلُهم : لقد نظرتَ نَظَراً بعيداً . قال : فما نَشِبوا أنْ خرج الآذِن فصاح : أين جرير ؟ فقام جرير فدخل . قال : فدخلتُ ، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفِد ، وإذا هو يقول : [من الكامل]

1 ل : مدحت .

2 ل : مؤلّف هذا الكتاب .

أينَ الذين بِهِمْ تُسامي دارِماً ... أَمْ مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تجعلُ

قال : وعِمامته على رأسه مثل المِنْسَف ، فصِحتُ من ورائه[1] : [من الكامل]

هذا ابنُ يوسُفَ فاعْلَموا وتَفَهَّموا ... بَرِحَ الخَفاءُ فليس حين تَناجِي
مَنْ سَدّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عليكُمُ ... أَمْ مَنْ يَصُولُ كصَوْلَةِ الحجَّاجِ
أم مَنْ يَغارُ على النِّساء حفيظةً ... إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرةِ الأزواجِ
قُلْ لِلْجَبَانِ إذا تأخَّر سَرْجُهُ ... هل أنتَ من شَرَكِ المَنِيَّةِ ناجي

قال : وما تشبيبها ؟ وطرِب : فقال جرير : [من الكامل]

لَجَّ الهَوى بفُؤادِك المِلْجاجِ ... فاحْبِسْ بتُوضِحَ باكِرَ الأَحْداجِ

وأَمَّرها ، أو قال : أمضاها . فقال : أَعْطُوه كذا وكذا ؛ فاستقللت ذلك . فقال الهُذَليّ : وكان جريرٌ عربيّاً قَرَوِيّاً ، فقال للحجّاج : قد أمر لي الأمير بما لم يُفهَم عنه ، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمَر به الأمير ؛ فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضِعفه ، وأعطى الفرزدق أيضاً . قال الهُذليّ : فجئتُ الفرزدق فأمر لي بستّين ديناراً وعبدٍ ، ودخلتُ على رُواته فوجدتُهم يُعَدِّلون ما انحرف من شِعره ، فأخذتُ من شعره ما أردتُ . ثم قلتُ له : يا أبا فِراس ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أشعرُ الناس بعدي ابنُ المَراغة . قلت : فمَنْ أنْسبُ الناس ؟ قال الذي يقول[2] : [من الكامل]

لِي ليلتانِ فليلةٌ مَعْسُولةٌ ... أَلْقَى الحبيبَ بها بِنَجْمِ الأَسْعُدِ
ومُرِيحةٌ هَمِّي عليَّ كأنَّني ... حتى الصَّباحِ مُعَلَّقٌ بالفَرْقَدِ

قلت : ذاك الأحوص . قال : ذاك هو . قال الهذليّ : ثم أتيتُ جريراً فجعلتُ أستقلّ عنده ما أعطاني صاحبي أسْتَخرِج به منه ؛ فقال : كم أعطاك ابنُ أُخْتِك ؟ فأخبرته . فقال : ولك

---

1 انظر ديوان جرير (طبعة صادر ، 1964) : 73-74 هناك اختلاف كبير في الرواية والترتيب ويبدو أنّ البيت الأوّل قد لُفّق من بيتين في هذه القصيدة :

إنّ ابن يوسف فاعلموا وتيقّنوا ... ماضي البصيرة واضح المنهاج
فاستوسقوا وتبيّنوا سبل الهدى ... ودعوا النجيّ فليس حين تناجي

ومطلع القصيدة في الديوان :

هاج الهوى بفؤادك المهتاج ... فانظر بتوضح باكر الأحداج

2 شعر الأحوص : 109 وهما من أبيات سترد فيما بعد مطلعها :

يا للرجال لوجدك المتجدّد ... ولما تؤمل من عقيلة في غد

مثله ؛ فأعطاني ستّين ديناراً وعبداً . قال : وجئتُ رُواتَه وهم يُقَوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّناد ، فأخذتُ منه ما أردت ، ثم قلتُ : يا أبا حَزْرَةَ ، مَن أنْسَبُ الناس ؟ قال الذي يقول[1] : [من المنسرح]

يا ليتَ شِعْري عَمَّنْ كَلِفْتُ به ... من خَثْعَمٍ إذ نأَيْتُ ما صَنَعوا
قومٌ يَحُلُّون بالسَّدِيرِ وبالـ ... ـحِيرَةِ منهم مَرْأىً ومُسْتَمَعُ
أَنْ شَطَّتِ الدارُ عن دِيارِهِمُ ... أأمسكوا بالوِصال أم قَطَعُوا
بل هُمْ على خَيْرِ ما عَهِدْتُ وما ... ذلِكَ إلاّ التأميلُ والطَّمَعُ

قلت : ومَن هو ؟ قال : الأحوص . فاجتمعا على أن الأحوص أنسبُ الناس .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص : [من الكامل]

لي ليلتان فليلةٌ معسولةٌ

وأوّل ما يُغنّى به فيها : [من الكامل]

صوت

يا لَلرِّجالِ لِوَجْدِكَ المُتَجَدِّدِ ... ولِمَا تُؤَمِّلُ من عَقِيلةَ في غَدِ
ترجو مَواعِدَ بَعْثُ آدمَ دونها ... كانتْ خَبالاً للفُؤادِ المُقصَدِ
هل تذكُرين عَقِيلُ أو أُنْساكِهِ ... بَعْدِي تَقَلُّبُ ذا الزَّمانِ المُفْسِدِ
يومي ويَوْمَكِ بالعَقِيقِ إذِ الهَوى ... منّا جَمِيعُ الشَّمْلِ لم يَتَبَدَّدِ
لي ليلتانِ فليلةٌ معسولةٌ ... ألقَى الحبيبَ بها بنَجْمِ الأَسْعُدِ
ومُرِيحةٌ هَمِّي عليّ كأنّني ... حتّى الصباحِ مُعَلَّقٌ بالفَرْقَدِ

عروضه من الكامل . يقال : يا لِلرِّجال ويا لَلرجال بالكسر والفتح وفي الحديث أنّ عمر رضي الله عنه صاح لَمّا طُعِن : يا لله يا للمسلمين . وقوله «في غد» ، يريد فيما بعد وفي باقي الدهر ؛ قال الله سبحانه : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الكَذّابُ الأَشِرُ﴾ . والخَبَل والخَبالُ : النُّقصان من الشيء . والمُخَبَّل ، أصلُه مأخوذ من النقص لأنّه ناقص العقل . والمعسولة : الحُلْوة المشتهاة .

الشعر للأحوص . والغناء في البيت الأوّل والثاني لمالك خفيف رمل بالبنصر عن الهشاميّ

1 شعر الأحوص : 144 عن الأغاني .

وحَبَش . وفي الثالث والرابع لسليمان أخي بابَوَيْهِ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيهما وفي الخامس والسادس لحن لابن سُرَيج ذكره يونس ولم يجنّسه . وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ لَمعبدٍ في الأبيات كلّها لحناً وأنّه من صحيح غنائه ، ولم يُجَنّسه .

[سألت امرأة ابناً للأحوص عن شعر له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : بلغني أنّ ابناً للأحوصِ بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفةٍ ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن زيد عن عَنْبَسَة بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أَشْعَبُ بن جُبَيْر قال : حضرتِ امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر ؛ فقالت له : أتروي قولَ أبيك : [من الكامل]

لي ليلتـــانِ فليلـــةٌ معسولـــةٌ ألقَى الحبيبَ بها بنجم الأَسْعُدِ
ومُريحـــةٌ هَمِّـــي عـــليّ كأنّني حتّى الصباحِ معلّـــقٌ بالفَرْقَدِ

قال نعم . قالت : أتدري أيّ الليلتين التي يبيت فيها معلّقا بالفَرقد ؟ قال : لا والله . قالت : هي ليلة أمِّك التي يبيت معها فيها . قال إبراهيم في خبره : فقلتُ لأشعب : يا أبا العلاء ، فأيُّ ليلتيه المعسولة ؟ فقال[1] : [من الطويل]

سَتُبْدِي لك الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتِيـــكَ بالأخبارِ مَـــنْ لم تُزَوِّدِ

هي ليلة الإسراف[2] ، ولا تسأل عمّا بعدها .

[ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص]

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال : أُنشِدَ ابن جُندبٍ قول الأحوص : [من الكامل]

لي ليلتـــانِ فليلـــةٌ معسولـــةٌ ألْقَى الحبيبَ بها بنجم الأَسْعُدِ
ومُريحـــةٌ هَمِّـــي عليّ كأنّني حتّى الصباحِ معلّـــقٌ بالفَرْقَدِ

فقال : أمَا إنّ الله يعلم أنّ الليلة المريحة هَمِّي لألَذُّ الليلتين عندي . قال الحِرْميّ بن أبي العلاء : وذلك لِكَلَفِه بالغزَل والشّوق والحنين وتَمَنِّي اللقاء .

[من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص]

وللأحوص مع عقيلة هذه أخبارٌ قد ذُكِرت في مواضع أُخَرَ . وعقيلة امرأة من وَلَد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه . وقد ذكر الزّبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أنّ عقيلة هذه هي سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام ، كَنى عنها بعقيلة .

1 هذا البيت من معلّقة طرفة .
2 ل : الأشراف .

[أعجب أبو عبيدة بن محمد بن عمّار ببيت له]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي : أنّ إنساناً أُنشد عند إبراهيم بن هشام وهو والي المدينة قول الأَحوص : [من البسيط]

إذْ أنتِ فينا لِمَنْ يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذْ أُجُرُّ إليكم سادراً رَسَني

فوثب أبو عبيدة بن عمّار بن ياسرٍ قائماً ثم أُرخى رِداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويَجُرّه حتى بلغ العِرض ثم رجع . فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس : ما شأنُك ؟ فقال : أيّها الأمير ، إنّي سمعتُ هذا البيتَ مرّةً فأعجبني ، فحلفتُ لا أسمَعُه إلاّ جَرَرْتُ رَسَني[1] .

نسبة هذا البيت وما غُنّي[2] فيه من الشعر

صوت

[من البسيط]

سَقْياً لِرَبْعِك من رَبْع بذِي سَلَمٍ ولِلزَّمانِ به إذ ذاكَ من زَمَنِ
إذْ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذ أُجُرُّ إليكم سادِراً رَسَني

عروضه من البسيط . غنّى ابن سُريج في هذين البيتين لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر حَبَشٌ أنّه للغريض .

[كان حمّاد الراوية يفضّله على الشعراء في النسيب]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم عن سالم بن أبي السَّحماء[3] وكان صاحب حمّادٍ الراوية : أنّ حمّاداً كان يقدِّم الأحوص في النَّسيب .

[هجا رجلاً فاستعدى عليه الفرزدق وجريراً فلم ينصراه فعاد فصالحه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عُنيزة قال : هجا الأحوص رجلاً من الأنصار من بني حرامٍ يقال له ابن بشير ، وكان كثير المال ؛ فغضِب من ذلك ، فخرج حتّى قدِم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه ، فقبِل منه ، ثم جلسا يتحدّثان ؛ فقال الفرزدق : ممّن أنت ؟ قال : من الأنصار .

1 شعر الأحوص : 203 .
2 ل : ومن غنّى .
3 ل : السمحاء .

قال : ما أقدمك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجاني . قال : قد أجارك الله منه وكفاك مُؤنته ، فأين أنت عن الأحوص ؟ قال : هو الذي هجاني . فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذي يقول[1] : [من الطويل]

ألا قِفْ بِرَسْمِ الدّارِ فاستَنْطِقِ الرّسْما فقَـدْ هـاجَ أحزاني وذَكَّرَني نُعْما

قال بلى . قال : فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شِعره أبداً . فخرج ابن بشير فاشترى أفضَل من الشِّراء الأوّل من الهدايا ، فقَدِم بها على جرير ؛ فأخذها وقال له : ما أقدَمَك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني . فقال : قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاكَ ، أين أنت عن ابن عَمِّك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو الذي هجاني . قال : فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذي يقول[2] : [من الطويل]

تَمَشَّى بشَتْمِي في أكارِيسِ مالكٍ تُشِيدُ به كالكَلْبِ إذ يَنْبَحُ النَّجْما[3]
فما أنا بالمَخْسُوسِ في جِذْمِ مالكٍ ولا بالمُسَمَّى ثم يَلْتَزِمُ الإسْما
ولكـنّ بيتي إنْ سألتَ وجدتَـه تَوَسَّط منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْما[4]

قال : بلى والله . قال : فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره . قال : فاشترى أفضل من تلك الهدايا وقَدِم على الأحوص فأهداها إليه وصالحَه .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

ألا قِفْ برَسْمِ الدّارِ فاستنْطِقِ الرّسْما فقد هاجَ أحزاني وذكَّرني نُعْمَى
فبِـتُّ كأنّي شاربٌ من مُدامَـةٍ إذا أذهبتْ هَمّاً أتاحتْ لـه هَمَّا

غنّاه إبراهيم الموصليّ خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ أنّه له .

---

1 شعر الأحوص : 194 .
2 شعرالأحوص : 193–194 .
3 رواية الديوان :
وكنت وشتمي في أرومة مالك بسبي به كالكلب إذ ينبح النجما
والأكاريس : جمع كرس وهو الجماعة من الناس .
4 بيتي في الديوان : أبي .

[أُنشد أبو السائب المخزوميّ شعراً له فطرب]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : قال لي أبو السائب المخزوميّ : أنشِدني للأحوص ؛ فأنشدته قوله[1] : [من الكامل]

قالتْ وقلتُ تَحَرَّجِي وصِلِي حَبْلَ امْرِىءٍ بوصالكم صَبِّ
واصِلْ إذاً بَعْلي فقُلْتُ لها الغَدرُ شيءٌ ليس من ضَرْبي

صوت

[من الكامل]

ثِنتانِ لا أدنو لِوَصْلِهما عِرْسُ الخليلِ وجارةُ الجَنْبِ
أمّا الخليلُ فلستُ فاجعَه والجارُ أوصاني به رَبِّي
عُوجُوا كذا نَذْكُرْ لغانيةٍ بعضَ الحديثِ مَطِيَّكم صَحْبِي
ونَقُلْ لها فِيمَ الصُّدودُ ولَمْ نُذْنِبْ بَلَ انْتِ بَدَأْتِ بالذَّنْبِ
إنْ تُقْبِلي نُقْبِلْ ونُنْزِلكم مِنّا بدار السَّهْلِ والرُّحْبِ
أو تُدْبِري تكدُرْ مَعِيشَتُنا وتُصَدِّعي مُتَلائمَ الشَّعْبِ

غنّى في «ثِنتان لا أدنو» والذي بعده ابنُ جامع ثقيلاً أوّل بالوسطى . وغنّى في «عُوجُوا كذا نذكر لغانيةٍ» والأبيات التي بعده ابنُ مُحرز لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلقاً في مجرى البِنصر ، قال : فأقبل عليّ أبو السائب فقال : يا ابن أخي ، هذا واللهِ المُحِبُّ عَيْناً لا الذي يقول : [من الوافر]

وكنتُ إذا خليلٌ رامَ صُرْمِي وجدتُ وَرايَ مُنْفَسَحاً عَرِيضاً

اذهَب فلا صَحِبك[2] الله ولا وسَّع عليك (يعني قائل هذا البيت) .

[سأل المهديّ عن أنسب بيت فأجاب رجل من شعره فأجازه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا خالد بن وضّاح قال حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجُمَحيّ قال : حملتُ دَيْنا بعسكر المهديّ ، فركب المهديّ بين أبي عبيد الله وعمر بن بَزِيع ، وأنا وراءه في موكبه على بِرذَوْنٍ قَطُوف ؛ فقال : ما أنْسَبُ بيتٍ قالته العرب ؟ فقال له أبو عبيد الله : قولُ امرىء القيس : [من الطويل]

1 شعر الأحوص : 82- 84 .
2 ل : أصبحك .

وما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلاّ لِتَضْرِبي بسَهْمَيْكِ في أعشارِ قَلبٍ مُقَتَّلِ[1]

فقال : هذا أعرابيٌّ قُحٌّ . فقال عمر بن بزيع : قول كُثَيِّر يا أمير المؤمنين : [من الطويل]

أُريدُ لأَنْسى ذِكْرَها فكأنَّما تَمَثَّلُ لي لَيْلى بكلِّ سَبيلِ

فقال : ما هذا بشيءٍ ، وماله يريد أن يَنْسى ذِكرها حتى تَمَثَّل له ؟ فقلتُ : عندي حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ! قال : الحَقْ بي . قلتُ : لا لَحاقَ بي ، ليس ذلك في دابَّتي . قال : احمِلوه على دابَّة . قلت : هذا أوّلُ الفَتح ؛ فحُمِلت على دابّة ، فلَحِقت . فقال : ما عندك ؟ فقلت : قول الأحوص : [من الطويل]

إذا قلتُ إنِّي مُشْتَفٍ بِلِقائها فحُمّ التلاقي بيننا زادَني سُقْما

فقال : أحسنَ والله ! اقْضُوا عنه دَينَه ؛ فقُضِي عنّي دَيْني .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الشعر الذي هو : [من الطويل]

أُريد لأَنْسى ذِكرَها فكأنَّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

وقال[2] : [من الطويل]

صوت

ألا حَيِّيا لَيْلَى أجَدّ رَحِيلي وآذَنَ أصحابي غَداً بِقُفُولِ
ولم أَرَ مِن لَيْلَى نَوالاً أَعُدُّهُ ألا رُبَّما طالبتُ غيرَ مُنِيلِ
أُريد لأَنْسى ذِكْرَها فكأنَّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ
وليس خَلِيلي بالمَلولِ ولا الذي إذا غِبْتُ عنه باعَني بخليلِ
ولكنْ خَليلي مَنْ يَدومُ وِصالُهُ ويَحْفَظُ سِرِّي عند كلِّ دَخيلِ

عروضه من الطويل ، الشعر لكُثَيِّر . والغناء في ثلاثة الأبيات الأوَل لإبراهيم ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . ولابنه إسحاق في :

وليس خليلي بالمَلُول ولا الذي

ثقيلٌ آخرُ بالوسطى .

1 لتضربي في ل : لتقدحي . والبيت من معلّقة امرىء القيس .

2 ديوان كثير : 108 .

[حديث ابن سلام عن كثير وجميل]

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم ، وأخبرني الحِرْمِيّ قال حدّثنا الزُّبير عن محمد بن سَلاَّم قال : كان لِكُثَيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر ، وجميلٌ مقدَّمٌ عليه وعلى أُصحاب النسيب جميعاً ، ولكثيِّر من فنون الشِّعر ما ليس لجميل . وكان كثيِّر راوية جميل ، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعِشق ، ولم يكن كثيِّر بعاشق ، وكان يتقوّل . قال : وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر في النسيب : [من الطويل]

أُريد لأنْسى ذِكْرَها فكأنّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

قال : وقد رأيتُ مَنْ يُفضِّل عليه بيتَ جميلٍ[1] : [من الطويل]

خليلَيّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قَتِيلاً بَكى من حُبِّ قاتِلِه قَبلي

[حديث ابن مصعب الزبيريّ عن كثير]

قرأت في كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البَلاذُرِيّ : وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنّ عبد الله بن مُصعب الزُّبيريّ كان يوماً يذكُر شعرَ كُثَيِّرٍ ويَصِف تفضيل أهل الحجاز إيّاه ، إلى أن انتهى إلى هذا البيت . قال إسحاق : فقلتُ له : إنّ الناس يَعِيبُون عليه هذا المعنى ويقولون : ما لَه يُريد أن ينساها ؟ فتبسَّم ابن مُصعَبٍ ثم قال : إنَّكم يا أُهلَ العراق لَتقولون ذلك .

[سئل كثيّر عن أنسب بيت قاله فأجاب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو يحيى الزُّهريّ قال حدّثني الهِزَبْريّ قال : قيل لكثيِّر : ما أنسب بيتٍ قلتَه ؟ قال : الناس يقولون : [من الطويل]

أُريد لأَنْسى ذِكْرَها فكأنَّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

وأنسبُ عندي منه قولي : [من الطويل]

وقُلْ أُمُّ عَمْرٍ داؤه وشفاؤه ... لديها وريَّاها الشِّفاءُ مِنَ الخَبلِ[2]

وقد قيل : إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكِّل اللَّيْثيّ .

[قال محرز بن جعفر إنّ الشعر في الأنصار]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عثمان ، قال الحرميّ : أحْسِبه ابن عبد الرحمن

1 ديوان جميل : 99 .

2 «لديها وريّاها الشفاء من الخبل» في ل : «لديها ورياها إليه طبيب» .

المخزوميّ ، قال حدّثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال : قيل لمُحرز بن جعفر : أنت صاحبُ شِعْرٍ ، ونَراك تَلزَم الأنصار ، وليس هناك منه شيء ؛ قال : بلى والله ، إنّ هناك لَلشعرَ عين الشّعر ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول[1] : [من الطويل]

يقولون لو ماتتْ لقد غاض حُبُّهُ وذلك حِينُ الفاجِعاتِ وحِيني
لَعَمْرُك إنّي إنْ تُحَمَّ وفاتُها بصُحْبَةِ مَنْ يَبقَى لَغَيْرُ ضَنِينِ

وهو الذي يقول[2] : [من الطويل]

وإنّي لِمكْرامٌ لسادات مالكٍ وإنّي لِنَوْكى مالكٍ لَسَبُوبُ
وإنّي على الحِلْمِ الذي من سَجِيَّتي لَحَمَّالُ أضْغانٍ لَهُنّ طَلُوبُ

[ما قاله الأحوص من الشعر في مرض موته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصعب قال حدّثني يحيى بن الزبير بن عبَّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزّبير ، قال الزُّبير وحدّثني عليُّ بن صالح عن عامر بن صالح : أنّ الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه ، وقال عامر بن صالح : حين هرب من عبد الواحد النَّصْريّ إلى البصرة[3] : [من البسيط]

يا بِشْرُ يا رُبَّ مَحْزونٍ بمَصْرَعنا وشامِتٍ جَذِلٍ ما مَسَّه الحَزَنُ
وما شَماتُ امْرِىءٍ إن ماتَ صاحبُه وقد يَرى أنَّه بالموتِ مُرْتَهَنُ
يا بشْرُ هُبِّي فإنّ النَّوْمَ أرّقَهُ نأْيٌ مُشِتٌّ وأرضٌ غيرُها الوَطَنُ

1 شعر الأحوص : 205 .
2 شعر الأحوص : 80 .
3 شعر الأحوص : 202 .

[51] ـ ذكر خبر الدَّلال وقصّته حين خُصِيَ ومَن خُصِيَ معه والسبب في ذلك وسائر أخباره

[اسمه وكنيته]

الدَّلال اسمه ناقِد[1] ، وكُنيته أبو زيد[2] ، وهو مدنيٌّ مولى بني فَهْم .

وأخبرني عليُّ بن عبد العزيز عن ابن خُرداذْبهْ قال : قال إسحاق : لم يكنْ في المخنَّثين أحسن وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ من الدَّلال . قال : وهو أحد مَن خَصاه ابنُ حَزْمٍ . فلمّا فُعِل ذلك به قال : الآن تَمَّ الخُنْث .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزُّبيريّ قال : الدَّلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص .

[كان ظريفاً صاحب نوادر]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعَب الزُّبيريّ قال : كان الدَّلال من أهل المدينة ، ولم يكن أهلُها يَعُدُّون في الظُّرفاء وأصحاب النوادر من المخنَّثين بها إلاّ ثلاثةً : طُوَيْسٌ ، والدَّلال ، وهِنبٌ[3] ؛ فكان هِنب أقدمهم ، والدلال أصغرهم . ولم يكن بعد طُوَيس أظرفُ من الدَّلال ولا أكثرُ مُلَحاً .

قال إسحاق : وحدّثني هشام بن المُرِّيّة عن جرير ، وكانا نديمين مدنيَّين ، قال : ما ذكرتُ الدَّلالَ قطُّ إلاّ ضحكتُ لكثرة نوادره . قال : وكان نَزرَ الحديث ، فإذا تكلَّم أضحك الثَّكلى ، وكان ضاحك السنّ ، وصنعَته نَزرةٌ جيِّدة ، ولم يكن يغنِّي إلاّ غناءً مُضْعَفاً ، يعني كثيرَ العمل .

[كان أهل المدينة يفخرون به]

قال إسحاق : وحدّثني أيُّوب بن عَباية قال : شَهِدتُ أهلَ المدينة إذا ذكروا الدَّلالَ وأحاديثَه ، طوّلوا رقابَهم وفَخَروا به ؛ فعلمتُ أنّ ذلك لفضيلةٍ كانت فيه .

[كان يلازم النساء]

قال وحدّثني ابن جامع عن يونس قال : كان الدَّلال مُبْتَلًى بالنساء والكَوْن معهنّ ، وكان

1 ل : نافذ .

2 ل : يزيد .

3 ل : وهيت .

يُطلَبُ فلا يُقْدَرُ عليه ، وكان بديعَ الغِناء صحيحَه حَسَن الجِرم[1] .

[سبب لقبه ، وتوسّطه بين الرجال والنساء]

قال إسحاق وحدّثني الزُّبيريّ قال : إنّما لُقِّبَ بالدَّلال لشَكله وحُسن دَلِّه وظَرفه وحلاوة مَنطِقه وحُسن وجهه وإشارته . وكان مشغوفاً بمخالطة النساء يكثر وَصْفِهنّ للرجال . وكان[2] مَن أراد خِطبةَ امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها ، فلا يزال يصف له النساء واحدةً فواحدةً حتى ينتهي إلى وصف ما يُعجبه ؛ ثم يتوسَّط بينه وبين من يُعجِبه منهنّ حتى يتزوّجها ؛ فكان يُشاغِل كلَّ مَن جالسه عن الغِناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء .

قال إسحاق وحدّثني مُصعب الزُّبيريّ قال : أنا أعلمُ خَلقِ الله بالسبب الذي من أجله خُصِي الدَّلال ؛ وذلك أنّه كان القادم يَقدَمُ المدينة ، فيسأل عن المرأة يتزوّجها فيُدَلُّ على الدّلال ؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لي مَن تعرف من النساء للتزويج ؛ فلا يزال يصِف له واحدةً بعد واحدة حتى ينتهي إلى ما يُوافق هواه ؛ فيقول : كيف لي بهذه ؟ فيقول : مَهْرُها كذا وكذا ؛ فإذا رضي بذلك أتاها الدّلال ، فقال لها : إنّي قد أَصبتُ لكِ رجلاً من حالِه وقِصّته وهيئته ويساره ولا عهد له بالنساء ، وإنّما قَدِم بلدَنا آنفاً ؛ فلا يزال بذلك يُشوِّقها ويُحَرِّكها حتى تُطيعه ؛ فيأتي الرجل فيُعلمه أنّه قد أُحكم له ما أراد . فإذا سُوِّيَ الأمر وتزوّجته المرأة ، قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك ، والليلة موعده ، وأنت مُغتلمةٌ شَبِقة جامَّة ؛ فساعة يدخل عليك[3] قد دَفَقت عليه مثلَ سَيْل العَرِم ، فيقذَرُكِ ولا يُعاوِدُك ، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك . فتقول : فكيف أصنع ؟ فيقول : أنتِ أعلمُ بدواء حِرِكِ[4] ودائه وما يُسَكِّن غُلْمتَك . فتقول : أنت أعرَف . فيقول : ما أجد له شيئاً أشفى من النَّيْك . فيقول لها : إن لم تَخافِي الفضيحة فابعثي إلى بعض الزُّنوج حتى يقضي بعض وَطَرك ويَكُفَّ عادية حِرِك ؛ فتقول له : ويلك ؛ ولا كلَّ هذا ! فلا تزال المُحاورة بينهما حتى يقول لها : فكما جاء[5] عليَّ أقوم ، فأُخَفِّفك وأنا والله إلى التخفيف أحوجُ . فتفرَح المرأة فتقول : هذا أمرٌ مستور ، فيَنِيكها ؛ حتى إذا قضى لَذَّته منها ، قال لها : أمّا أنتِ فقد استرحتِ وأمِنْتِ العيبَ ، وبَقِيتُ أنا . ثم يجيء إلى الزوج فيقول له : قد واعدْتها أن تدخل عليك الليلة ، وأنت رجلٌ

1 الجرم هنا : الصوت أو جهارته .
2 ل : وكل .
3 ل : يجامعك .
4 ل : فرجك .
5 ل : حكم .

عَزَبٌ ، ونساءُ المدينة خاصّة يُرِدن المُطاولة في الجِماع[1] ، وكأنّي بك كما تُدخله عليها تُفرغ وتقوم ، فتُبغِضُك وتَمْقُتُك ولا تُعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا ، ولا تنظر في وجهك بعدها . فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنّه قد هاجتْ شهوته ؛ فيقول له : كيف أعمل ؟ قال : تطلُب زَنْجيّةً فتَنيكها مرّتين أو ثلاثاً حتى تَسكن غُلْمتُك ؛ فإذا دخلتَ الليلة إلى أهلك لم تجد[2] أمرَك إلاّ جميلاً . فيقول له ذاك : أعوذُ بالله من هذه الحال ، أزِناً وزنجيّة ؟ لا والله لا أفعل ! فإذا أكثر محاورته قال له : فكما جاء عليّ قُمْ فنِكْني أنا حتى تَسْكُن غُلمتك وشَبَقُك ؛ فيفرَح فيَنيكه مرّةً أو مرّتين . فيقول له : قد استوى أمرُك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتَنيكها نَيْكاً يملؤها سروراً ولَذّة . فيَنيكُ المرأةَ قبل زوجها ، ويَنيكه الرجل قبل امرأته . فكان ذلك دأبَه ، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك ، وكان غَيُوراً شديد الغَيرة ، فكتب بأن يُخصى هو وسائرُ المخنّثين [بالمدينة ومكّة] ، وقال : إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفسِدونهنّ . فورد الكتاب على ابن حَزْمٍ فخصاهم . هذه رواية إسحاق عن الزُّبيريّ . والسبب في هذا أيضاً مختلفٌ فيه ، وليس كلُّ الرواة يَرْوون ذلك كما رواه مُصعب[3] .

[رواية أُخرى في السبب الذي خُصي من أجله الدلال وسائر المخنّثين بالمدينة]

فممّا رُوي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وهذا الخبر أصحُّ ما رُوي في ذلك إسناداً ، قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبَّة عن مَعْن بن عيسى ، هكذا رواه الجوهريّ ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال : قال ابن جَناح حدّثني مَعْنُ بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه وعن محمد بن مَعْنٍ الغِفاريّ قالا : كان سبب ما خُصي له المخنّثون بالمدينة أنّ سليمان بن عبد الملك كان في نادية له يَسمر ليلةً على ظهر سطح ، فتفرّق عنه جلساؤه ، فدعا بوضُوء فجاءت به جاريةٌ له . فبينا هي تصبّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثاً ، فلم تَصُبَّ عليه ؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه ، فإذا هي مُصغية بسمعها إلى ناحية العسكر ، وإذا صوت رجل يغنّي ، فأنصتَ له حتى سمع جميعَ ما تَغَنّى به . فلمّا أصبح أذِن للناس ، ثم أجرى ذِكْرَ الغِناء فلَيّن فيه حتى ظنّ القوم أنّه يشتهيه ويريده ، فأفاضُوا فيه بالتّسهيل وذِكْرِ مَن كان يسمعه . فقال سليمان : فهل بقي أحد يُسمَع منه الغناء ؟ فقال رجل من القوم : عندي يا أمير المؤمنين

1 ل : النيك .

2 ل : يجىء .

3 ل : مصعب الزبيري .

رجلانِ من أهل أَيْلَة مُجيدان مُحكِمان . قال : وأين منزلُك ؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها . قال : فابعَثْ إليهما ، ففعل . فوجد الرسول أحدهما ، فأدخله على سليمان ؛ فقال : ما اسمُك ؟ قال : سُمَير ؛ فسأله عن الغِناء ، فاعترف به . فقال : متى عهدُك به ؟ قال : الليلة الماضية . قال : وأين كنتَ ؟ فأشار إلى الناحية التي سَمِع سليمان منها الغناء . قال : فما غنّيت به ؟ فأخبره بالشعرَ الذي سمعه سليمان . فأقبل على القوم فقال : هَدَر الجملُ فضَبِعَتِ الناقة ، ونَبَّ التيسُ فشَكِرَتِ الشاةُ ، وهدَر الحمام فزافت الحمامة ، وغنّى الرجل فطَرِبتِ المرأة ، ثم أمر به فخُصِي . وسأل عن الغناء أين أصلُه ؟ فقيل : بالمدينة في المخنَّثين ، وهم أئمّتُه والحُذّاق فيه . فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم الأنصاريّ ، وكان عامِلَه عليها ، أن اخْصِ مَن قِبَلَك من المخنّثين المغنّين ، فزعمَ موسى بن جعفر بن أبي كَثِير قال أخبرني بعض الكُتّاب قال : قرأت كتابَ سليمان في الديوان ، فرأيتُ على الخاءِ نقطةً كتمرة العَجوة . قال : ومَن لا يعلم يقول : إنّه صَحّف القارىء ، وكانت أُحْصِ ، قال : فتتبّعهم ابن حزم فخَصى منهم تسعةً ؛ فمنهم الدّلال ، وطَرِيفٌ ، وحَبِيبٌ نَوْمةُ الضُّحى . وقال بعضهم حين خُصِي : سَلِم الخاتن والمختون . وهذا كلام يقوله الصبيّ إذا خُتِن .

قال : فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حمّاد بن نَشِيط الحَسَنيّ قال : أقبلْنا من مكّة ومعنا بَدَراقُس وهو الذي خَتَنَهم ، وكان غلامُه قد أعانه على خِصائهم ، فنزلنا على حبيبٍ نومةِ الضُّحى ، فاحتفل لنا وأكرمنا . فقال له ثابت : مَن أنت ؟ قال : يا ابن أخي أتجهلُني وأنت وَلِيتَ خِتاني ! أو قال : وأنت ختنتني . قال : واسوءتاه ! وأيُّهم أنت ؟ قال أنا حبيب . قال ثابت : فاجتنبت طعامه وخِفتُ أن يسمني[1] . قال : وجعلتْ لحيةُ الدّلال بعد سنة أو سنتين تتناثر . وأمّا ابن الكلبيّ فإنّه ذكر عن أبي مِسْكِين ولَقِيطٍ أن أيمَن كتب بإحصاء مَن في المدينة من المخنَّثين ليعرفهم ، فيُوفِد عليه مَن يختاره للوِفادة ؛ فظَنّ الوالي أنّه يُريد الخصاء ، فخصاهم .

أخبرني وكيع قال حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم قال حدّثني ابن جُعْدُبة ، ونسختُ أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدِينيّ عن ابن جُعْدُبة واللفظُ له : أنّ الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنَّثين ، أنّه كان مستلقياً على فراشه في الليل ، وجاريةٌ له إلى جنبه ، وعليها غِلالةٌ ورِداءٌ مُعَصْفَران ، وعليها وِشاحان من ذهب ، وفي عُنُقها فصلانِ من لؤلؤ وزَبَرجد وياقوت ، وكان سليمان بها

1 ل : فاجتنب طعامه وخاف أن يسمّه .

مشغوفاً ، وفي عسكره رجلٌ يقال له سُمَير الأَيْليّ يغنّي ، فلم يفكِّر سليمان في غنائه شُغْلاً بها وإقبالاً عليها ، وهي لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصغيةٌ إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه ، فحوّل وجهه عنها مُغضَباً ، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها ، فسمع سُمَيْراً يغنّي بأحسن صوت وأطيب نغمة : [من البسيط]

صوت

محجوبـةٌ سَمِعتْ صوتـي فأَرّقَها ... من آخـر اللَّيل حتى شَفَّها السَّهَرُ
تُدْني على جِيدِهـا ثِنْيَيْ مُعَصْفَرَةٍ ... والحَلْيُ منهـا على لَبَّاتـها خَصِرُ
في ليلة النصفِ ما يدري مُضاجِعُها ... أوجهُها عنـده أبهـى أَمِ القمرُ

ويروى : أوجهُهـا مـا يَرى أم وجهُها القمرُ

لَوْ خُلِّيَتْ لَمَشتْ نَحْوي على قَدَمٍ ... تكاد مـن رِقَّـةٍ للمشي تَنْفَطِرُ

الغناء لسُمَيْر الأَيْليّ ، رمل مطلق بالبنصر عن حَبَش . وأخبرني ذُكاء وجه الرُّزّة أنّه سمع فيه لحناً للدّلال من الثقيل الأوّل ، فلم يَشكُك سليمان أنّ الذي بها ممّا سمعتْ ، وأنّها تهوى سُمَيراً ؛ فوجّه من وقته مَن أحضره وحبسه ، ودعا لها بسيف ونِطْع ، وقال : واللهِ لَتَصْدُقِنّي أو لأضرِبَنّ عنقِك ! قالت : سَلني عمّا تريد . قال : أخبريني عمّا بينك وبين هذا الرجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيته قطُّ ، وأنا جاريةٌ مَنْشَئي الحجاز ، ومن هناك حُمِلتُ إليك ، وواللهِ ما أعرف بهذه البلاد أحداً سواك . فرقَّ لها ، وأحضر الرجلَ فسأله ، وتلطَّف له في المسألة ، فلم يجد بينه وبينها سبيلاً ، ولم تَطِبْ نفسه بتخليته سَوِيّاً فخصاه ؛ وكتب في المخنّثين بمثل ذلك . هذه الرواية الصحيحة .

[أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدلال]

وقد أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمِّي قال : قيل للوليد بن عبد الملك : إنّ نساء قريش يدخل عليهنّ المخنَّثون بالمدينة ، وقد قال رسول الله ﷺ : «لا يدخل عليكنّ هؤلاء» . فكتب إلى ابن حَزْم الأنصاريّ أنِ اخْصِهم ، فخصاهم . فمرّ ابن أبي عتيق فقال : أَخَصَيتم الدَّلال ! أما والله لقد كان يُحسن : [من الهزج]

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ ... ـش أمسَى دارساً خَلَقا
تأبَّد بعـد ساكنـه ... فأصبـح أهلُـه فِرَقا
وقفـتُ بـه أُسائلُـه ... ومَـرّتْ عِيسُهم حِزَقا

ثم ذهب ثم رجع ، فقال : إنّما أعني خفيفَه ، لستُ أعني ثقيلَه .

[أسف الماجشون لذلك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقديّ عن ابن الماجشون : أنّ خليفةَ صاحبَ الشُّرطة لمّا خُصي المخنَّثون مرّ بأبيه الماجِشون وهو في حلقته ؛ فصاح به : تعالَ ، فجاءه ؛ فقال : أَخَصَيتم الدّلال ؟ قال نعم . قال : أما إنّه كان يُجيد : [من الهزج]

لِمَنْ ربـعٌ بذات الجيـ ـش أمسى دارساً خَلَقا

ثم مضى غيرَ بعيد فردّه ، ثم قال : أستغفر الله ؛ إنّما أعني هزجه لا ثقيلَه .

[أضحك الناس في الصلاة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني حمزة النَّوفليّ قال : صلّى الدَّلال المخنَّث إلى جانبي في المسجد ، فضَرَطَ ضرطةً هائلةً سمعها مَن في المسجد ، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد ، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوته : سَبَّح لك أعلايَ وأسفلي ؛ فلم يبقَ في المسجد أحدٌ إلاّ فُتِن وقطع صلاتَه بالضحك .

[طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن أشياخه : أنّ عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو غَنَّتْك جاريتي فلانة : [من الهزج]

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيـ ـش أمسى دارساً خَلَقا

لَمَا أدركتَ دُكَّانك . فقال : جُعِلتُ فِداك ، قد وجبتْ جُنوبُها فكُلوا منها وأَطعِموا البائس الفقير . فقال عبد الله : يا غلام ، مُرْ فلانة أن تخرج ؛ فخرجتْ معها عُودُها . فقال عبد الله : إنّ هذا الشيخ يكره السماع . فقالت : وَيْحه ! لو كَرِهَ الطعام والشرابَ كان أقرب له إلى الصواب ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة ؟ فقالت : إنّهما ربّما قتلا وهذا لا يقتُل . فقال عبد الله غنّي : [من الهزج]

لِمَنْ ربعٌ بذات الجيـ ـش أمسَى دارساً خَلَقا

فغنَّت ؛ فجعل الشيخ يصفّق ويرقُص ويقول :

هذا أوانُ الشّدِّ فاشْتَدِّي زِيَمْ

ويحرِّك رأسه ويدور حتى وقع[1] مغشيّاً عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

[غنّى الدلال الغمر بن يزيد فطرب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شبَّة قال حدّثني أبو غسَّان قال : مرّ

1 ل : سقط .

الغَمر بن يزيد بن عبد الملك حاجّاً ، فغنّاه الدَّلال : [من البسيط]

بانتْ سُعادُ وأمسى حَبْلُها انصَرَما ... واحْتَلَّت الغَمْرَ فالأجراعَ من إضما

فقال له الغمر : أحسنتَ والله ، وغلبتَ فيه ابن سريج ! فقال له الدَّلال : نعمةُ الله عليّ فيه أعظمُ من ذلك . قال : وما هي ؟ قال : السُّمعة ، لا يسمَعه أحدٌ إلاّ عَلِم أنّه غناء مُخَنَّثٍ حقّاً .

نسبة هذا الصوت[1] : [من البسيط]

صوت

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انصرما ... واحتلّتِ الغَمْرَ فالأجراعَ من إضَما[2]
إحْدى بَليّ وما هامَ الفؤادُ بها ... إلاّ السَّفاهَ وإلاّ ذُكْرةً حُلُما
هَلاَّ سألتِ بني ذُبْيانَ ما حَسَبي ... إذا الدُّخانُ تَغَشّى الأشمط البَرَما

الشعر للنابغة الذبيانيّ ، والغناء للدَّلال خفيف ثقيل أوّلَ بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيلٍ بالبِنصر لمعبد عن عمرو بن بانة . وفيه لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن حبش . وفيه لنَشيطٍ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عنه . وذكر الهِشاميّ أنّ لحن مَعبَدٍ ثقيلٌ أوّل ، وذكر حمّاد أنّه للغَريض . وفيه لجَميلَة ودَحمان لحنانِ ، ويقال : إنّهما جميعاً من الثقيل الأوّل .

[احتكم إليه شيعي ومرجىء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق إجازةً عن أبيه عن المَدائنيّ قال : اختصم شيعيٌّ ومُرجِىء ، فجعلا بينهما أوّل مَن يطلُع ، فطلَع الدَّلال . فقالا له : أبا زَيد ، أيُّهما خيرٌ : الشِّيعيّ أمِ المُرجِىء ؟ فقال : لا أدري إلاّ أنّ أعلايَ شيعيّ وأسفلي مُرجِىء !

[هرب من المدينة إلى مكّة]

قال إسحاق قال المدائنيّ وأخبرني أبو مسكينٍ عن فَلَيْح بن سليمان قال : كان الدَّلال ملازماً لأُمٍّ سعيد الأسلميّة وبنتٍ ليحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي ، وكانتا من أَمْجَن النساء ، كانتا تخرُجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدوَ خَلاخِيلُهما . فقال معاوية لمروان بن الحَكَم : اكْفِني بنتَ أخيك ؛ فقال : أفعل . فاستزارها ، وأمر ببئر فحُفِرَتْ في طريقها ، وغُطِّيتْ بحَصيرٍ ، فلمّا مشتْ عليه سقطتْ في البئر فكانت قبرَها . وطُلِب الدَّلال

1 ديوان النابغة (تحقيق أبو الفضل إبراهيم) : 61-62 .

2 انصرما في الديوان : انجذما . الغمر في الديوان : الشرع .

فهرَب إلى مكّة . فقال له نساء أهلِ مكّة : قتلتَ نساء أهل المدينة وجئتَ لتقتلنا ! فقال : واللهِ ما قَتَلهنّ إلاّ الحُكاك . فقلن : اعزُبْ أخزاك الله ، ولا أدنى بك [دارا ، ولا آذانا بك] ! قال : فمَنْ لَكُنّ بعدي يدلّ على دائكنّ ويعلَم موضع شِفائكنّ ؟ والله ما زنيتُ قطٌّ ولا زُني بي ، وإنّي لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم .

[كان الماجشون يقرّب الدلال ويستحسن غناءه]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن ابن الماجشون قال : كان أبي يُعجِبه الدّلال ويستحسن غناءه ويُدنيه ويُقرّبه ، ولم أَرَه أنا ، فسمعتُ أبي يقول : غنّاني الدّلال يوماً بشعر مجنون بني عامر ، فلقد خفْتُ الفتنة على نفسي . فقلت : يا أبتِ ، وأيَّ شعر تَغَنّى ؟ قال قوله[1] : [من الطويل]

صوت

عَسى اللهُ أنْ يُجْري المَوَدّةَ بيننا ... ويُوصِلَ حبلاً منكمُ بحِباليا
فكَمْ من خَلِيلَيْ جَفْوةٍ قد تَقاطَعا ... على الدّهْرِ لّما أنْ أطالا التّلاقِيا[2]
وإنّي لفي كَرْبٍ وأنتِ خَلِيّةٌ ... لقد فارقتْ في الوصفِ حالُكِ حالِيا
عتبتُ فما أعتبِتِني بمودّةٍ ... ورُمْتُ فما أسعفتِني بسؤالِيا

الغناء في هذا الشعر للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، ولا أعرف فيه لحناً غيره . وذكر حمّاد في أخبار الدّلال أنّه للدّلال ، ولم يجنّسه .

[غرر بمخّة المخنّث فعابت ختيم بن عراك صاحب الشرطة]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ قال : قَدِم مخنّث من مكّة يقال له مُخّة ، فجاء إلى الدّلال فقال : يا أبا زيد ، دُلّني على بعض مُخَنّثي أهل المدينة أُكايدْه وأُمازِحْه ثم أُجاذِبْه . قال : قد وجدته لك ، وكان خُثيم بن عِراك بن مالكٍ صاحبِ شُرطة زِياد بن عبيد الله الحارثيّ جارَه ، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلّي في المسجد ، فأومأ إلى خُثَيم فقال : الْحَقْه في المسجد ؛ فإنّه يقوم فيه فيطُلّي لِيُرائيَ الناس ، فإنّك ستظفر بما تريد منه . فدخل المسجد وجلس إلى جنب ابن عِراك ، فقال : عَجِّلي بصلاتك لا صلّى اللهُ عليكِ ! فقال خُثَيم : سبحانَ الله ! فقال المخنّث : سبَّحتِ في جامعةٍ قرّاصةٍ ، انصرفي حتى أُحدّثَ معكِ . فانصرف خُثَيم من صلاته ، ودعا بالشُّرَط والسِّياط فقال : خُذُوه فأخذوه ، فضربه مائةً وحبسه .

1 ديوان مجنون ليلى ، 311 عن الأغاني .

2 تقاطعا في ل : تواصلا ، ولا معنى له .

[أضحك الناس في الصلاة فتهدّده الوالي]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال : صلَّى الدَّلال يوماً خلْفَ الإمام بمكّة ، فقرأ : ﴿وما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ؛ فقال الدَّلال : لا أدري والله ؛ فضَحِك أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة . فلمّا قضى الوالي صلاتَه دعا به وقال له : ويلك ! أَلا تَدَعُ هذا المجونَ والسَّفَهَ ! فقال له : قد كان عندي أنّك تعبد الله ، فلمّا سمعتُك تستفهم ، ظننتُ أنّك قد تشكّكت في ربِّك فثَبَّتُّك . فقال له : أنا شككت في ربِّي وأنت ثَبَّتَّني ! اذهَبْ لعنك الله ؛ ولا تُعاوِد فأُبالغَ والله في عقوبتك !

[قصّته مع رجل زوّجه امرأة لم يدخل بها]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم قال[1] : سأل رجلٌ الدَّلال أنْ يزوّجه امرأةً فزوّجه . فلمّا أعطاها صَداقَها وجاء بها إليه فدخلت عليه ، قام إليها فَواقَعها ، فضَرَطتْ قبل أن يطأها ، فكَسِل عنها الرجل ومَقَتها وأَمَر بها فأُخرجَتْ ، وبعث إلى الدَّلال ، فعرّفه ما جرى عليه . فقال له الدَّلال : فديتُك ! هذا كلُّه من عِزّة نفسها . قال : دعني منك ؛ فإنّي قد أبغضتها ، فاردد عليّ دراهمي ، فرَدّ بعضها . فقال له : لِمَ رددتَ بعضها وقد خرجتْ كما دخلت ؟ قال : للرَّوعة التي أدخلتَها على استِها . فضحِك وقال له : اذهَب فأنت أقضى الناس وأفقَهُهم .

[سكر مع فتية من قريش فأراد الأمير أن يحدّه ثم عفا عنه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم عن أبيه قال وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن أبيه قال : إنّ الدّلال خرج يوماً مع فِتيةٍ من قريش في نزهةٍ لهم ، وكان معهم غلامٌ جميلُ الوجه ، فأعجبه ؛ وعلِم القوم بذلك ، فقالوا : قد ظَفِرنا به بقيّة يومنا ، وكان لا يصبِر في مجلس حتّى ينقضي ، وينصرف عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبّةً في محادثة النساء . فغَمزوا الغلام عليه ؛ وفَطِن لذلك فغضِب ، وقام لينصرف ؛ فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس . وكان معهم شرابٌ فشرِبوا ، وسَقَوْه وحَمَلوا عليه لئلاّ يبرَح[2] ، ثم سألوه أن يُغنِّيهم فغنّاهم : [من الطويل]

صوت

زُبَيْرِيّــةٌ بالعَـرْجِ منهــا منــازلٌ وبالخَيْفِ من أدنــى مَنازِلها رَسْمُ

---

1 نقل ابن حمدون هذه الحكاية في التذكرة 9 : 423 (رقم 1007) .

2 ل : يخرج .

أُسائــلُ عنهــا كلَّ رَكْــبٍ لَقِيتُه ... ومالي بهــا مِــن بعد مَكَّتِنا عِلْمُ
أيا صاحب الخَيْماتِ من بَطْنِ أَرْثَد ... إلى النخلِ من وَدّانَ ما فعلتْ نُعْمُ[1]
فإنْ تَكُ حَرْبٌ بين قومي وقومِها ... فإنِّــي لهــا في كلِّ نائــرةٍ سَلْمُ[2]

ذكر يحيى المكّيّ وعمرو بن بانة أنّ الغِناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ، وذكر غيرهما أنّه للدّلال . وفيه لمُخارق رملٌ . وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني ولم ينسبه إلى أحد ، قال : فاستُطِير القومُ فرحاً وسروراً وعلا نَعِيرُهم ؛ فنَذِر بهم السُّلطان ، وتعادتِ الأشراط[3] ، فأحسُّوا بالطَّلَب فهربـوا ؛ وبقي الغلام والدَّلال ما يُطيقان بَراحاً من السُّكْر ؛ فأُخِذا فأُتِيَ بهمـا أمير المدينـة . فقال للدَّلال : يا فاسق ؛ فقال له : مِن فمِك إلى السماء . قال : جَوُّوا فَكَّه ؛ قال : وعُنُقَه أيضاً . قال : يا عدوّ الله ! أما وَسِعَك بيتُك حتى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به ! فقال : لو علمتُ أنّك تغارُ علينا وتشتهي أن نفسُق سِرّاً ما خرجتُ من بيتي . قال : جَرِّدوه واضربوه حدّاً . قال : وما ينفعك من ذلك ؛ وأنا والله أُضْرَب في كلِّ يوم حدوداً . قال : ومَن يتولّى ذلك منك ؟ قال : أُيُورُ المسلمين . قال : ابطَحوه على وجهه واجلسوا على ظهره . قال : أحسَب أنّ الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أُناك . قال : أقيموه لعنه الله واشهَروه في المدينة مع الغلام . فأُخْرِجا يُدار بهما في السِّكَك . فقيل له : ما هذا يا دلالُ ؟ قال : اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين ، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا ، ولو قيل له الآن : إنّك قوّاد غضِب ! فبلغ قولُه الوالي فقال : خَلُّوا سبيلَهما ، لعنة الله عليهما !

[شهادة معبد في غناء الدلال]

قال إسحاق في خبره خاصّةً ، ولم يذكره أبو أيُّوب ، فحدّثني أبي عن ابن جامع عن سِياطٍ قال : سمعت يونسَ يقول قال لي معبدٌ : ما ذكرت غناء الدَّلال في هذا الشعر : [من الطويل]

زُبَيْرِيَّةٌ بالعَــرْجِ منهــا مَنازِلُ

إلاّ جدّد لي سروراً ، ولَوددْتُ أنِّي كنت سبقتُه إليه لحُسنه عندي . قال يونس : فقلت له : ما بلغَ من حُسنه عندك ؟ قال : يكفيك أنّي لم أسمعْ أحسنَ منه قطُّ .

[ما كان بينه مع بعض المخنَّثين وبين عبد الرحمن بن حسّان]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حسّان قال : كان

---

1 أرثد في ل : أربد .

2 نائرة : عداوة .

3 تعادت الأشراط : أخذ رجال الشرطة يعدون .

بالمدينة عُرس ، فاتّفق فيه الدّلال وطُوَيْس والوليد المخنّث ، فدخل عبد الرحمن بن حسّان ، فلمّا رآهم قال : ما كنتُ لأجلسَ في مجلس فيه هؤلاء . فقال له طُوَيْس : قد علمتَ يا عبد الرحمن نِكايتي فيك وأنّ جَرْحي إيّاك لم يندمل ؛ يعني خبرَه معه بحضرة عبد الله بن جعفر ، وذِكْرَه لعَمّته الفارعة ، فاربَح نفسَك وأَقبِلْ على شأنك ؛ فإنّه لا قيامَ لك بمن يَفْهَمك فَهْمي . وقال له الدّلال : يا أخا الأنصار ! إنّ أبا عبد النَّعيم أعلَمُ بك منّي ، وسأُعْلِمك بعض ما أعلم به . ثم اندفع ونَقَر بالدُّفّ ، وكلُّهم ينقُر بدُفّه معه ، فتغنّى : [من الطويل]

صوت

أتهجُر يا إنسانُ مَنْ أنتَ عاشقُهْ ... ومَنْ أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ
وريمٍ أحَمَّ المقلتين مُوَشَّحٍ ... زَرابِيُّه مبثوثةٌ ونَمارِقُهْ
ترى الرَّقْمَ والدِّيباجَ في بيته معاً ... كما زيَّن الروضَ الأنيق حدائقُهْ[1]
وسِرب ظباء تَرْتَعي جانبَ الحِمى ... إلى الجوّ فالخَبْتَيْنِ بِيضٌ عَقائقُهْ
وما مِنْ حِمًى في الناس إلاّ لنا حِمًى ... وإلاّ لنا غَرْبِيُّهُ ومَشارِقُهْ

فاستضحك عبد الرحمن وقال : اللّهمَّ غَفْراً ، وجلس .

لحن الدّلال في هذه الأبيات هزج بالبنصر عن يحيى المكيّ وحمّاد .

[استدعاه سليمان بن عبد الملك سرّاً فغنّاه ثم أعاده إلى الحجاز مكرّماً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله الجُمَحيّ عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعتُ عَمِّي عُتْبة يقول حدّثني مولًى للوليد بن عبد الملك قال : كان الدّلالُ ظريفاً جميلاً حسنَ البيان ، مِن أَحْضَر الناس جواباً وأحَجِّهم ؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رقّ له حين خُصِي غَلَطاً ، فوجَّه إليه مولًى له وقال له : جئني به سِرّاً ، وكانت تبلُغه نوادرُه وطِيبُه ، وحذّر رسولَه أن يعلَم بذلك أحدٌ . فنَفَذ المولى إليه وأعلمه ما أُمِرَه به ، وأمَر بالكِتْمان وحَذَّره أن يَقِفَ على مقصده أحد ، ففعل . وخرج به إلى الشام ، فلمّا قَدِم أنزله المولى منزلَه وأعلم سليمان بمكانه ؛ فدعا به ليلاً فقال : ويلَكَ ما خَبَرُك ؟ فقال : جُبِبْتُ من القُبُل مرّةً أُخرى يا أمير المؤمنين ، فهل تريد أن تَجُبَّني المرّة من الدُّبُر ! فضحك وقال : اعزُب أخزاك الله ؛ ثم قال له : غَنِّ . فقال : لا أُحسِن إلاّ بالدُّفّ . فأمر فأُتي له بدُفّ ؛ فغنّى في شعر العَرْجيّ[2] : [من الطويل]

1 الأنيق في ل : الأثيث .
2 ديوان العرجيّ : 89–92 .

أفي رسْمِ دارٍ دَمْعُكَ المُتَحَدِّرُ سَفاهاً وما استنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ
تغيَّر ذاك الربعُ من بعد جِدَّةٍ وكلُّ جديدٍ مَرّةً متغيِّرُ
لأسماءَ إذ قلبي بأسماءَ مُغْرَمٌ وما ذِكْرُ أسماءَ الجميلةِ مُهْجَرُ
ومَمْشى ثَلاثٍ بعد هَدْءٍ كَواعبٍ كمثل الدُّمَى بل هُنَّ من ذاك أنضَرُ
فَسلَّمْنَ تسليماً خفيّاً وسَقَّطَتْ مَصاعبةٌ ظُلَّعٌ مِنَ السيرِ حُسَّرُ
لها أَرَجٌ من زاهرِ البَقْلِ والثَّرى وبُرْدٌ إذا ما باشر الجِلْدَ يَخْصَرُ
فقالتْ لِتِرْبَيْها الغداةَ تَبَقَّيا بعينٍ ولا تَسْتَبعِدا حين أُبْصِرُ
ولا تُظْهِرا بُرْدَيْكما وعليكما كِساءان من خَزٍّ بنَقْشٍ وأخضرُ
فعَدِّي فما هذا العتابُ بنافعٍ هوايَ ولا مُرْجِي الهوى حين يُقْصِرُ

فقال له سليمان : حُقَّ لك يا دَلالُ أن يقال لك الدَّلال ! أحسنتَ وأجملتَ ! فوالله ما أدري أيّ أمرَيْك أعجب : أَسُرْعة جوابك وجودة فهمك أم حُسن غِنائك ، بل جميعاً عَجَب ؛ وأمر له بصِلة سنيّة . فأقام عنده شهراً يشرب على غِنائه ، ثم سرَّحه إلى الحجاز مُكرّماً .

[قصّته مع شامي من قوّاد هشام أراد أن يتزوّج من المدينة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال : حَجّ هشام بن عبد الملك ، فلمّا قدِم المدينة نزل رجل من أشراف أهل الشام وقوّادهم بجنب دار الدلال ، فكان الشاميّ يسمع غِناء الدّلال ويُصغي إليه ويصعد فوق السطح ليقرُب من الصوت ؛ ثم بعث إلى الدلال : إمّا أن تزورنا وإمّا أن نزورك ؛ فبعث إليه الدّلال : بل تزورنا . فتهيّأ الشامي ومضى إليه ، وكان للشامي غِلمان رُوقةٌ ، فمضى معه بغلامين منهم كأنّهما دُرّتان . فغنّاه الدّلال : [من منهوك الكامل]

قد كنتُ آمُلُ فيكمُ أمَلاً والمرءُ ليس بمُدْرِكٍ أَمَلَهْ
حتى بدا لي منكم خُلُفٌ فزجرتُ قلبي عن هوًى جَهِلَهْ[1]
ليس الفتى بمُخَلَّدٍ أبداً حَقّاً وليس بفائتٍ أَجَلَهْ
حَيٍّ العمُودَ ومَن بِعَقْوتِه وقَفا العمُودِ وإن جَلا أهلُهْ

قال : فاستحسن الشاميّ غِناءه ، وقال له : زدني ؛ فقال : أوما يكفيك ما سمعت ؟ قال :

1 عن هوى في ل : فارعوى .

لا والله ما يكفيني . قال : فإنّ لي إليك حاجةً . قال : وما هي ؟ قال : تبيعني أحد هذين الغلامين أو كليهما . قال : اخترْ أيّـهما شئت ؛ فاختار أحدهما . فقال الشامي : هو لك ؛ فقبِله الدلال ، ثم غنّاه : [من الطويل]

دَعَتْني دَواعٍ من أُرَيَّا فهيَّجتْ هوًى كان قِدْماً من فؤادِ طَروبِ
لعلَّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي فتَغْفِرَ أَرْوَى عنـد ذاك ذُنوبي
سَبَتْني أُرَيّا يـوم نَعْف مُحَسِّرٍ بوجـهٍ جميلٍ للقلوبِ سَلُوبِ

فقال له الشاميّ : أحسنتَ ! ثم قال له : أيّها الرجل الجميل ، إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : أريد وصيفةً وُلِدتْ في حِجْرٍ صالح ، ونشأت في خير ، جميلة الوجه مجدولة ، وضيئةً ، جَعدةً ، في بياض مُشْرَبةً حمرةً ، حسنة القامة ، سَبطةً ، أسيلةَ الخدّ ، عَذبة اللسان ، لها شِكْلٌ ودَلٌّ[1] ، تملأ العين والنفس . فقال له الدّلال : قد أصبتُها لك ، فما لي عليك إن دَلَلْتُك ؟ قال : غلامي هذا . قال : إذا رأيتَها وقَبِلتَها[2] فالغلام لي ؟ قال نعم . فأتى امرأةً كَنى عن اسمها ، فقال لها : جُعِلتُ فِداك ! إنّه نزل بقُرْبي رجلٌ من أهل الشام من قوّاد هشام له ظرفٌ وسخاء ، وجاءني زائراً فأكرمتُه ، ورأيت معه غلامين كأنّـهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة ، ما وقعتْ عيني على مثلهما ولا ينطلق لساني بوصفهما ، فوَهَب لي أحدهما والآخر عنده ؛ وإن لم يَصِل إليّ فنفسي خارجة . قالـت : فتُريد ماذا ؟ قال : طَلَب منّي وصيفـةً يشتريهـا على صِفـةٍ لا أعلمها في أحدٍ إلاّ في فلانة بنتِك ، فهل لك أن تُريها له ؟ قالت : وكيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها ؟ قال : فإنّي قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع . قالت : فشأنك ولا يعلم أحدٌ بذلك . فمضى الدّلال فجاء الشاميّ معه . فلمّا صار إلى المرأة أدخلته ، فإذا هو بحَجَلةٍ وفيها امرأة على سرير مُشْرِفٍ بَرْزَةٌ جميلةٌ ، فوُضِع له كرسيٌّ فجلس . فقالت له : أمِن العرب أنت ؟ قال نعم . قالت : من أيِّهم ؟ قال : من خُزاعة . قالت : مرحباً بك وأهلاً ، أيَّ شيء طلبتَ ؟ فوصَف الصفة ؛ فقالت : أصبتها ، وأصغَتْ إلى جاريةٍ لها فدخلت فمكثت هنيهةً ثم خرجتْ ؛ فنظرتْ إليها المرأة فقالت لها : أيْ حبيبتي ، اخرُجي ؛ فخرجتْ وصيفةٌ ما رأى الرّاؤون مثلَها . فقالت لها : أَقبلي فأقبلت ، ثم قالت لها : أَدبري ، فأدبرت تملأ العين والنفس ؛ فما بقي منها شيء إلاّ وضع يده عليه . فقالت : أتُحِبُّ أن نؤزِّرها لك ؟ قال نعم . قالت : أي حبيبتي ائتزِري ، فضَمَّها الإزار

1 ل : متكلّم ودلال .

2 ل : وقلبتها .

وظهرت محاسنها الخفيّة ، وضرب بيده على عجيزتها وصَدرها . ثم قالت : أتُحِبّ أن نُجَرِّدها لك ؟ قال نعم . أي حبيبتي وَضِّحي ؛ فألقت إزارها فإذا أحسن خلق الله كأنّها سبيكة . فقالت : يا أخا أهل الشام كيف رأيتَ ؟ قال : مُنْية المتمنّي[1] . قال : بكم تقولين ؟ قالت : ليس يوم النظر يوم البيع ، ولكن تعود غداً حتى نبايعك ولا تنصرف إلاّ على الرِّضى ، فانصرف من عندها . فقال له الدّلال : أرَضِيتَ ؟ قال : نعم ، ما كنت أحسب أنّ مثل هذه في الدنيا ؛ فإن الصفة لَتَقْصُر دونها . ثم دفع إليه الغلام الثاني . فلمّا كان من الغد قال له الشاميّ : امْضِ بنا ، فمَضَيا حتى قَرَعا الباب ؛ فأُذِن لهما ، فدخلا وسلَّما ، ورحَّبت المرأة بهما ، ثم قالت للشاميّ : اعطِنا ما تبذُل ؛ قال : ما لها عندي ثمنٌ إلاّ وهي أكبر منه ، فقولي يا أَمَة الله . قالت : بل قُلْ ؛ فإنّا لم نُوطئك أعقابنا ونحن نريد خِلافَك وأنت لها رِضاً . قال : ثلاثة آلاف دينار . فقالت : والله لَقُبْلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار . قال : بأربعة آلاف دينار . قالت : غَفَر الله لك ! أَعطِنا أيُّها الرجل . قال : والله ما معي غيرها ، ولو كان لزدتُك ، إلاّ رقيقٌ ودوابٌ وخُرْثِيٌّ[2] أحمله إليك . قالت : ما أَراك إلاّ صادقاً ، أتدري مَن هذه ؟ قال : تُخبريني . قالت : هذه ابنتي فلانة بنت فلان ، وأنا فلانة بنت فلان ، وقد كنتُ أردتُ أن أَعرض عليك وصيفةً عندي ، فأحببتُ إذا رأيتَ غداً غلظ أهل الشام وجفاءهم ، ذكرتَ ابنتي فعلمت أنّكم في غير شيء ، قُمْ راشداً . فقال للدّلال : خدعتَني ! قال : أوَلا تَرضى أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبَ مائة غلام مثل غلامك ؟ قال : أمّا هذا فنعم . وخرجا من عندها .

نسبة ما عَرَفتُ نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الكامل]

قـد كنتُ آمُلُ فيكمُ أَمَـلاً ... والمـرءُ ليس بمُـدْرِكٍ أَمَلَهْ
حتـى بـدا لي منكمُ خُلُفٌ ... فزجرتُ قلبي عن هوًى جَهِلَهْ[3]

الشعر للمُغيرة بن عمرو بن عثمان ، والغناء للدّلال ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها ؛ وجدتُه في بعض كتب إسحاق بخطّ يده هكذا .

1 ل : منتهى المتمنى .
2 خرثى : متاع البيت وأثاثه .
3 عن هوى في ل : فارعوى .

وذكر عليّ بن يحيى المنجِّم أنّ هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سُرَيج ، وأنّ لحن الدّلال خفيف ثاني ثقيلٍ نَشيد . وذكر أحمد بن المكّيّ أنّ لحن الدّلال ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، ولحنَ ابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل . وفيه لُمتيَّمَ وعَرِيبَ خفيفاً ثقيلٍ ، المُطلَق المُسْجَحُ منهما لعَريب .

ومنها : [من الطويل]

صوت

دعتْني دَواعٍ من أُرَيَّا فهيَّجَتْ   هوًى كان قِدْماً من فُؤادٍ طَرُوبِ
سبتْني أُرَيَّا يومَ نَعْفِ مُحَسِّرٍ   بوجـهٍ صبيح للقلوبِ سَلُوبِ
لعلّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي   وتَغْفِرَ أُرْوَى عنـد ذاك ذُنوبي

الغناء للدّلال خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى في مجراها من رواية حمّاد عن أبيه ، وذكر يحيى المكيّ أنّه لابن سُرَيج .

[غنّى نائلة بنت عمّار الكلبيّ فأجازته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي قَبيصة قال : جاء الدّلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمّار الكلبيّ ، وكانت عند معاوية فطلّقها ، فقَرَع الباب فلم يُفتح له ؛ فغنّى في شعر مجنون بن عامرٍ ونَقَر بدُفّه : [من الطويل]

خَلِيلَـيَّ لا واللهِ مـا أَمْلِكُ البُكا   إذا عَلَـمٌ مـن أرض لَيْلَى بَدا لِيا
خليلَـيَّ إنْ بانُـوا بلَيْلَى فهَيِّئـا   لِيَ النَّعْشَ والأكفانَ واسْتَغْفِرا لِيا

فخرج حَشَمُها فزجروه وقالوا : تَنحَّ عن الباب . وسمِعَت الجَلَبة[1] فقالت : ما هذه الضجَّة بالباب ؟ فقالوا : الدّلال . فقالت : ائذَنوا له . فلمّا دخل عليها شقّ ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بوَيْلِه وحَرَبه ؛ فقالت له : الويل ويلك ! ما دَهاك ؟ وما أمْرُك ؟ قال : ضربني حَشَمُكِ . قالت : ولِمَ ؟ قال : غنّيْتُ صوتاً أُريد أن أُسْمِعَكِ إيّاه ، لأدخل إليكِ ؛ فقالت : أُفٍّ لهم وتُفّ ! نحن نبلُغ لك ما تُحِبُّ ونُحسن تأديبهم . يا جارية هاتي ثياباً مقطوعة . فلمّا طُرِحت عليه جلس . فقالت : ما حاجتك ؟ قال : لا أسألك حاجةً حتّى أُغنّيَك . قالت : فذاك إليك ؛ فاندفع يُغنّي شعرَ جميل[2] : [من الخفيف]

ارْحَمِيني فقد بَلِيتُ فحَسْبِي   بعضُ ذا الدّاء يا بُثَيْنةُ حَسْبي

---

1 ل : الضجّة .

2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 22 .

لامَني فيكِ يا بثينةُ صَحْبي   لا تَلُوموا قد أقْرح الحُبُّ قلبي
زعَم الناس أنّ دائيَ طِبِّي   أنتِ واللهِ يا بثينةُ طِبِّي[1]

ثم جلس فقال : هل من طعام ؟ قالت : عليَّ بالمائدة ؛ فأُتي بها كأنّها كانت مهيَّأة عليها أنواع الأطعمة ، فأكل ، ثم قال : هل من شراب ؟ قالت : أمّا نبيذٌ فلا ، ولكن غيره . فأُتي بأنواع الأشربة ، فشَرِب من جميعها . ثم قال : هل من فاكهة ؟ فأُتي بأنواع الفواكه فتفكَّه ، ثم قال : حاجتي خمسةُ آلاف درهمٍ ، وخمسُ حُللٍ من حلل معاوية ، وخمس حلل من حلل حبيب بن مسلمة ، وخمس حلل من حلل النعمان بن بشير . فقالت : وما أردت بهذا ؟ قال : هو ذاك ، والله ما أرضى ببعضٍ دون بعضٍ ، فإمّا الحاجة وإمّا الردّ . فدعت له بما سأل ، فقبضه وقام . فلمّا توسَّط الدار غنّى ونَقر بدُفِّه[2] : [من الخفيف]

ليتَ شِعْري أَجَفْوةٌ أم دَلالٌ   أمْ عَدُوٌّ أتى بُثَيْنَةَ بعدِي
فمُريني أُطِعْكِ في كلِّ أمرٍ   أنت واللهِ أوجهُ الناسِ عندي

وكانت نائلة عند معاوية ، فقال لفاختة بنت قَرَظة : اذهبي فانظُري إليها ، فذهبت فنظرتْ إليها ، فقالت له : ما رأيت مثلها ، ولكنِّي رأيت تحت سُرَّتها خالاً لَيُوضَعَنّ منه رأس زوجها في حجرها . فطلّقها معاوية ؛ فتزوّجها بعده رجلان : أحدهما حبيب بن مسلمة ، والآخر النعمان بن بشير ؛ فقُتِل أحدهما فوُضِع رأسه في حجرها .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت[3]

[من الطويل]

خليلَيَّ لا واللهِ ما أَمْلكُ البُكا   إذا عَلَمٌ من أرضِ لَيْلَى بَدا لِيا
خليلَيَّ إنْ بانُوا بلَيْلَى فَهَيِّئا   لِي النَّعْشَ والأكفانَ واستغفِرا لِيا[4]
أمضروبةٌ لَيْلَى على أنْ أزورها   ومتَّخَذ ذنباً لها أنْ تَرانِيا
خليلَيَّ لا واللهِ ما أملكُ الذي   قضى الله في لَيْلَى ولا ما قضَى لِيا

---

1 يا بثينة في ل : يا حميتك .

2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 49 .

3 الأبيات من مواضع متفرّقة من اليائية المنسوبة للمجنون في ديوانه : 297 .

4 فهيِّئا في ل : فقربا .

قَضاها لغيري وابتلاني بحُبِّها فهَلاَّ بشيءٍ غير لَيْلَى ابتلانِيا

الشعر للمجنون، والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحناً لمعبد ثقيلاً أوّل لا يشكّ فيه. قال: وقد قال قوم: إنّه منحول يحيى المكيّ. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشاميّ أيضاً. وفيه ليحيى المكيّ رملٌ من رواية ابنه أحمد. وفيه خفيف رملٍ عن أحمد بن عبيد لا يُعرَف صانعه.

ومنها: [من الخفيف]

صوت

ليتَ شِعْرِي أَجَفْوةٌ أم دَلالٌ أم عَدُوٌّ أتى بثينةَ بعدي
فمُريني أُطِعْكِ في كلِّ أمرٍ أنتِ والله أوجُه الناسِ عندي

الشعر لجميل، والغناء لابن محرز خفيف ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لعَلُّويَه خفيف ثقيل آخر. وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه خفيف ثقيل بالوسطى لمعبد. وذكر إسحاق أن فيه رملاً بالبنصر في مجراها ولم ينسُبه إلى أحد، وذكر الهشاميّ أنّه لمالك. وفيه لمُتيَّم خفيف رملٍ. وفيه لعريب ثقيل أوّل [بالبنصر]. وذكر حبش أنّ فيه للغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر. ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالوسطى. وذكر ابن المكيّ أنّ فيه خفيف ثقيلٍ لمالك وعَلُّويَهْ.

[غنّى في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن عَوانة بن الحَكَم قال: لمّا أراد عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحَجّاج، كان ابن أبي عتيق عنده، فجاءه الدّلال متعرِّضاً فاستأذن. فقال له ابن جعفر: لقد جئتنا يا دلال في وقت حاجتنا إليك. قال: ذلك قصدتُ. فقال له ابن أبي عتيق: غَنِّنا؛ فقال ابن جعفر: ليس وقتَ ذلك، نحن في شغل عن هذا. فقال ابن أبي عتيق: وربِّ الكعبة لَيُغَنِّيَنَّ. فقال له ابن جعفر: هات. فغَنَّى ونَقَر بالدُّفِّ، والهوادج والرَّواحل[1] قد هُيِّئت، وصُيِّرَت بنت ابن جعفر فيها مع جَواريها والمشيِّعين لها: [من المنسرح]

يا صاحِ لو كنتَ عالِماً خَبِراً بما يُلاقِي المُحِبُّ لم تَلُمُهْ
لا ذنبَ لي في مُقَرَّطٍ حَسَنٍ أعجبني دَلُّهُ ومُبْتَسَمُهْ[2]
شيمتُه البُخْلُ والبِعادُ لنا يا حَبَّذا هُوْ وحَبَّذا شِيَمُهْ
مُضَمَّخٌ بالعَبِيرِ عارِضُهُ طُوبَى لِمَنْ شَمَّه ومَنْ لَثَمُهْ

1 ل: الرمائل.
2 مقرط في ل: مقرطق.

قال : ولابن محرز في هذا الشعر لحن أجود من لحن الدّلال ، فطَرِب ابن جعفر وابن أبي عتيق . وقال له ابن جعفر : زِدني وطَرِب . فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنّى[1] : [من مجزوء الكامل]

بَكَرَ العواذِلُ في الصَّبا ح يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ
ويَقُلْنَ شيبٌ قد عَلا كَ وقد كَبِرْتَ فقُلْتُ إنَّهْ

ومضتْ بنتُ ابن جعفر ، فاتَّبعها يُغنّيها بهذا الشعر ، ولعبد آل الهذليّ فيه لحن وهو أحسنها[2] : [من الكامل]

إنّ الخَلِيطَ أَجَدّ فاحتملا وأراد غَيْظَكَ بالذي فَعَلا[3]
فوقفتُ أنظرُ بعضَ شأنِهِمُ والنَّفْسُ ممّا تأمُلُ الأَمَلا
وإذا البِغالُ تُشَدُّ صافِنةً وإذا الحُداةُ قَدَ ازمَعُوا الرِّحَلا
فهناك كاد الشَّوْقُ يقتُلني لَوْ أنَّ شوقاً قبلَه قَتَلا

فدَمَعت عينا عبد الله بن جعفر ، وقال للدّلال : حسبُك ؛ فقد أوجعت قلبي ؛ وقال لهم : امضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمَن نَقيبة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من مجزوء الكامل]

بَكَر العواذلُ في الصَّبا ح يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ
ويقلنَ شيبٌ قد علا كَ وقد كَبِرْتَ فقلتُ إنَّهْ
لا بُدَّ من شيبٍ فدَعْـ ـنَ ولا تُطِلْنَ مَلامَكُنَّهْ
يَمْشِينَ كالبَقَرِ الثِّقا لِ عَمَدْنَ نحو مُراجِهِنَّهْ
يَخْفَيْنَ في المَمْشَى القَريـ ـبِ إذا يُرِدْنَ صَدِيقَهُنَّهْ

الشعر لابن قيس الرقيّات ، والغناء لابن مِسجَح خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثقيل أوّل للغريض عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيلٍ آخر بالوسطى ليعقوب بن هَبَّار عن الهشاميّ ودَنانيرَ ، وذكر حَبَشٌ أنّه ليعقوب .

ومنها : [من الطويل]

1 ديوان ابن قيس الرقيات (طبعة دار صادر) : 66–67 .
2 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 326 مع اختلاف كبير في الرواية .
3 وأراد في ل : وازداد .

صوت

إنّ الخليطَ أَجدّ فاحتملا وأراد غيظَك بالذي فعلا[1]

الأبيات الأربعة .

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالسبّابة عن يحيى المكيّ . وفيه ليحيى أيضاً ثقيلٌ أوّل بالوسطى من رواية أحمد ابنه ، وذكر حبشٌ أنّ هذا اللحن لبسباسة بنت معبدٍ .

[سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له فغنّاه فأجازه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفصٍ الثّقفيّ قال : كان للدّلال صوتٌ يُغَنّي به ويُجيده ، وكان عُمَر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل ، وهو قول عمر[2] : [من الطويل]

صوت

ألم تَسْأَلِ الأَطـلالَ والمتَربَّعـا ببطـنِ حُـلَيّـاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا
إلى السَّرْحِ من وادي المُغَمَّسِ بُدِّلَتْ مَعالِمُه وَبْـلاً ونَكْبـاءَ زَعْزَعا
وقَرَّبْـنَ أسبابَ الهَـوى لِمُتَيَّمٍ يقِيس ذِراعـاً كُلَّما قِسْنَ إصْبَعا
فقلتُ لِمُطْرِيهِـنّ في الحُسْنِ إنّما ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيعُ نَفْعاً فتَنْفَعا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض فيه لحنان : أحدهما في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ، والآخر في الثالث والرابع ثاني ثقيل بالبنصر . وفي هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفي الأوّل والثاني للهُذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيهما لابن جامع رملٌ بالوسطى عنه أيضاً . وقال يونس : لمالكٍ فيه لحنانِ ، ولمعبدٍ لحنٌ واحد .

[روى هشام بن المريّة عن جرير صوتين له]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني هشام بن المريَّة قال : كنّا نعرف للدّلال صوتين عجيبين ، وكان جريرٌ يُغنّي بهما فأَعجَبُ من حُسنِهما ، فأخذتُهما عنه وأنا أُغنّي بهما . فأمّا أحدُهما فإنّه يُفرِح القلب . والآخر يُرقِص كلَّ مَن سمِعَه . فأمّا الذي يُفرِح القلب فلابن سريج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو : [من الكامل]

1 وأراد في ل : وازداد .

2 تقدّم هذا الشعر في الجزء الأوّل ، ص 103 ، 130 .

ولقد جرى لك يومَ سَرْحةِ مالكٍ ممّا تَعَيَّفُ سانحٌ وبَريحُ
أَحْوى القَوادِمِ بالبياض مُلَمَّعٌ قَلِقُ المَواقِعِ بالفِراقِ يَصِيحُ
الحُبُّ أبغضُه إليَّ أَقَلُّه صَرِّحْ بذاك فراحَتي التَّصْريحُ
بانتْ عُوَيْمةُ فالفؤادُ قَريحُ ودموعُ عينِك في الرِّداءِ سُفُوحُ

والآخر : [من مجزوء الرمل]

كلَّما أبصرتُ وجهاً حَسَناً قلتُ خَليلي
فإذا ما لم يَكُنْهُ صِحْتُ وَيْلي وعَوِيلي
فصِلي حبلَ مُحِبٍّ لكُمُ جِدٍّ وَصُولِ
وانظُري لا تَخْذُلِيهِ إنّه غيرُ خَذُولِ

نسبة هذين الصوتين

للدَّلال في الشعر الأوّل الذي أوّله : [من الكامل]

ولقد جرى لك يومَ سَرْحةِ مالكٍ

خفيف ثقيل بالوسطى . وفيه لابن سريج ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ . وقال حبشٌ : إنّ للدَّلال فيه لحنين : خفيف ثقيل أوّل وخفيف رملٍ . وأوّلُ خفيف الرَّمَل : [من الكامل]

بانتْ عويمةُ فالفؤادُ قَريحُ

وذكر أنّ لحن ابن سريج ثاني ثقيل ، وأنّ لابن مسجح فيه أيضاً خفيف ثقيلٍ .

والصوت الثاني الذي أوّله : [من مجزوء الرمل]

كلّما أبصرتُ وجهاً حَسَناً قلتُ خليلي

الغناء فيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش ، ويقال إنّه للدَّلال . وفيه ليونس خفيف رملٍ . وفيه لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو .

[شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزّبيريّ قال : كان الدَّلال لا يشرب النبيذ ، فخرج مع قومٍ إلى منتزهٍ لهم ومعهم نبيذٌ ، فشربوا ولم يشرب منه ، وسَقَوه عَسَلاً مجدوحاً ، وكان كلَّما تغافل صيَّروا في شرابه النبيذ فلا يُنكره ، وكثُر ذلك حتى سَكِر وطَرِب ، وقال : اسقوني من شرابكم ، فسَقَوه حتى ثمِل ، وغنّاهم في شعر الأحوص[1] : [من البسيط]

1 شعر الأحوص : 128 .

طاف الخيالُ وطاف الهَمُّ فاعتَكَرا عنـد الفراشِ فباتَ الهَمُّ مُحْتَضِرا
أُراقِـبُ النَّجْـمَ كالحَيْرانِ مُرْتَقِباً وقَلَّصَ النـومُ عن عينيّ فانْشَمرا
من لوعةٍ أورثتْ قَرْحاً على كَبِدي يوماً فأصبَح منها القلبُ مُنْفَطِرا
ومَنْ يَبِتْ مُضْمِراً هَمّاً كما ضَمِنَتْ منّي الضُّلوعُ يَبِتْ مُسْتَبْطِناً غِيرا

فاستحسنه القوم وطَرِبوا وشَرِبوا . ثم غنّاهم : [من المتقارب]

طَرِبْتَ وهاجَـك مَنْ تَدَّكِرْ ومَـنْ لستَ من حُبِّـه تعْتَذِرْ
فإنْ نِلتُ منهـا الذي أرتجي فـذاك لَعَمْـري الذي أنْـتَظِرْ
وإلاّ صبرتُ فـــلا مُفْحِشاً عليهـــا بِسوءٍ ولا مُبْتَهِـرْ[1]

لحن الدّلال في هذا الشعر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حبش . قال : وذكر قوم أنّه للغريض ، قال : وسَكِر حتى خلع ثيابه ونام عرياناً ، فغطّاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فنوّموه وانصرفوا عنه . فأصبح وقد تقيّأ ولوّث ثيابه بقَيئه ، فأنكر نفسه ، وحلف ألاّ يُغنّي أبداً ولا يُعاشر مَن يشرب النبيذ ؛ فوفى بذلك إلى أن مات . وكان يُجالس المَشْيَخةَ والأشراف فيُفيض معهم في أخبار الناس وأيّامهم حتى قضى نَحبَه .

[انقضت أخبار الدّلال] .

ومّما في شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت من المائة المختارة[2]

[من البسيط]

يا دِينَ قَلْبِك منها لستَ ذاكِرَها إلاّ تَرَقْرَقَ مـاءُ العينِ أو دَمَعا[3]
أدعــو إلى هَجْرِها قلبي فيَتْبَعُني حتى إذا قلتُ هـذا صادقٌ نَزَعا
لا أستطيعُ نُزوعـاً عن مَحَبَّتِها أو يَصْنَعَ الحُبُّ بي فوق الذي صنَعا
كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لها قـد صرتُ أتْبَعُه ولو سلا القلبُ عنها صارَ لي تَبَعا
وزادَني كَلَفاً في الحُبِّ أنْ مُنِعَتْ وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا

1 مبتهر في ل : منتهر .
2 هذه الأبيات ممّا ينسب إلى الأحوص (انظر ديوانه : 152–153) وللمجنون (انظر ديوانه : 200–201) .
3 دين هنا : داء .

الشعر للأحوص ، والغناء ليحيى بن واصلٍ المكيّ ، وهو رجلٌ قليل الصنعة غير مشهور ، ولا وجدتُ له خبراً فأذكره . ولحنه المختار ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه .

[محبوبة الأحوص في كبرها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا مُطَرِّف بن عبد الله المدنيّ[1] [قال] حدّثني أبي عن جدّي قال : بينا أطوفُ بالبيت ومعي أبي ، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها الآخر .

فقال لي أبي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، ومَن هي ؟ قال : هذه التي يقول فيها الأحوص : [من البسيط]

يا سَلْمَ ليت لساناً تَنْطِقين به ... قبلَ الذي نالني من حُبِّكم قُطِعا
يلومني فيكِ أقوامٌ أُجالسهم ... فما أُبالي أطارَ اللومُ أم وَقَعا
أدعو إلى هَجْرِها قلبي فيَتْبَعُني ... حتّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعا

قال : فقلت له : يا أبتِ ، ما أُرى أنّه كان في هذه خيرٌ قطُّ . فضحك ثم قال : يا بُنَيّ هكذا يصنَع الدهرُ بأهله .

حدّثنا به وكيع قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا أبو خُوَيلد مُطرِّف بن عبد الله المدنيّ[1] عن أبيه ، ولم يقل عن جدّه ، وذكر الخبر مثل الذي قبله .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

كالبَيْضِ بالأُدْحِيّ يلمَعُ في الضُّحى ... فالحُسْنُ حسنٌ والنَّعيـمُ نعيـمُ
حُلِّينَ من دُرِّ البُحـورِ كأنَّـه ... فـوق النُّحورِ إذا يلـوحُ نُجومُ

الأُدحِيّ : المواضع التي يبيض فيها النَّعام ، واحدتها أُدْحِيّة . وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ أنّ الأدحيّ البَيْضُ نفسه . ويقال فيه أُدْحِيٌّ وأَداحٍ أيضاً .

الشعر لطُرَيْح بن إسماعيل الثّقفيّ ، والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه للهُذَليّ خفيف ثقيلٍ من رواية الهشاميّ . وقد سمعنا مَن يغنّي فيه لحناً من خفيف الرَّمَل ، ولستُ أعرف لمن هو .

---

1 ل : الهذلي .

[52] ـ ذكر طريح وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن عمِّه عن ابن الكلبيّ في كتاب النسب إجازةً ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبي أيُّوب المَدِينيّ عن ابن عائشة ومحمد بن سَلاَّم ومُصْعب الزّبيريّ ، قال : طُرَيْح بن إسماعيل بن عبيد بن أُسِيد بن عِلاج بن أبي سَلَمة بن عبد العُزَّى بن عَنَزة بن عَوف بن قَسيّ ، وهو ثَقِيف ، بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَةَ بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر .

[ثقيف والخلاف في نسبه]

قال ابن الكلبيّ : ومن النسَّابين مَنْ يذكُر أنّ ثقيفاً هو قَسيّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن منصور بن يَقدُمَ بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن إيَاد بن نِزار . ويقال : إنّ ثقيفاً كان عبداً لأبي رِغال ، وكان أصلُه من قوم نَجَوا من ثَمود ، فانتمى بعد ذلك إلى قيس . ورُوِي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرَّم وجهَه : أنّه مرّ بثَقِيف ، فتغامزوا به ؛ فرجَع إليهم فقال لهم : يا عَبِيد أبي رِغال ، إنّما كان أبوكم عبداً له فهرَب منه ، فثَقِفَه بعد ذلك ، ثم انتمى إلى قيس .

وقال الحجَّاج في خُطبة خَطَبها بالكوفة : بَلَغني أنّكم تقولون إنّ ثقيفاً من بقيّة ثمود ويلكم ! وهل نجا من ثَمود إلاّ خِيارُهم ومَن آمن بصالح فبَقِيَ معه عليه السلام ! ثم قال : قال الله تعالى : ﴿وثَمُودَ فَما أَبْقى﴾ . فبلغ ذلك الحسنَ البصريّ : فتضاحك ثم قال : حَكَم لُكَعُ لنفسه ، إنّما قال عزّ وجلّ : ﴿فما أبقى﴾ أي لم يُبْقِهم بل أهلكهم . فرُفِع ذلك إلى الحجّاج فطلبَه ، فتوارى عنه حتى هلك الحجّاج . وهذا كان سبب تَواريه منه . ذكر ابن الكلبيُّ أنّه بلغه عن الحسن .

وكان حمّادٌ الراوية يذكر أنّ أبا رِغالٍ أبو ثَقيف كلِّها ، وأنّه من بقيّة ثمود ، وأنّه كان مَلِكاً بالطائف ، فكان يَظْلِم رعيّته . فمرّ بامرأةٍ تُرضع صبيّاً يتيماً بلَبَنِ عَنْزٍ لها ، فأخذها منها ، وكانت سنة مُجْدِبة ؛ فبَقِي الصبيُّ بلا مُرْضِعة فمات ، فرماه الله بقارِعةٍ فأهلكه ، فرجمتِ

---

1 ترجمة طريح في الشعر والشعراء : (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 568 ومعجم الأدباء (تحقيق احسان عبّاس ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت) : 1458 وابن عساكر 8 : 506 والوافي 16 : 432 وأورد ابن حمدون مختارات من شعره وبعض أخباره في مواضع متفرّقة من التذكرة (انظر الفهرس) . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي شعره في الجزء الثالث من «شعراء أمويون» مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1982 .

العربُ قبرَه ، وهو بين مكّة والطائف . وقيل : بل كان قائدَ الفيل ودليلَ الحبشة لمّا غَزَوا الكعبة ، فهلك فيمن هلكَ منهم ، فدُفن بين مكّة والطائف ؛ فمرّ النبيّ ﷺ بقبره ، فأَمَر برَجْمه فرُجِم ؛ فكان ذلك سُنّةً .

قال ابن الكلبيّ وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : كان ثقيف والنَّخَع من إياد ؛ فثَقيفٌ قَسيّ بن مُنَبِّه بن النَّبيت بن يَقْدُمَ بن أَقصى بن دعْمِيّ بن إيّاد . والنَّخَع ابن عمرو بن الطمنان[1] بن عبد مَناةَ بن يَقدُم بن أَقصى ، فخرجا ومعهما عَنْزٌ لهما لَبون يشربا لبنها ، فعرَض لها مُصَدِّقٌ[2] لملك اليمن فأراد أخذَها ؛ فقالا له : إنّما نعيش بدَرِّها ؛ فأبى أن يدَعها ؛ فرماه أحدُهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنّه لا يحملني وإيّاك أرض . فأمّا النَّخعُ فمضى إلى بِيشَةَ فأقام بها ونزل القَسيُّ موضعاً قريباً من الطائف ؛ فرأى جاريةً ترعى غنماً لعامر بن الظَّرب العَدوانيّ ، فطَمِع فيها ، وقال : أقتل الجارية ثم أُحْوي الغنم : فأنكرتِ الجارية مَنظَره ، فقالت له : إنّي أراك تُريد قتلي وأَخْذَ الغنم ، وهذا شيءٌ إن فعلتَه قتِلتَ وأُخِذَتِ الغنم منك ، وأظنّك غريباً جائعاً ؛ فدلَّته على مولاها . فأتاه واستجار به فزوّجه بنته ، وأقام بالطائف . فقيل : للهِ دَرُّه ما أَثقفَه حين ثَقِف عامراً فأجاره . وكان قد مرَّ بيهوديّة بوادي القُرى حين قُتل المصدّق ، فأعطته قُضبان كَرْمٍ فغَرَسها بالطائف فأطعمتْه ونفعته .

قال ابن الكلبيّ في خبرٍ طويل ذكرَه : كان قَسِيٌّ مقيماً باليمن ، فضاق عليه موضعه ونبا به ، فأتى الطائف ، وهو يومئذٍ منازلُ فَهْمٍ وعَدوان ابني عمرو بن قيس بن عيلان ، فانتهى إلى الظَّرِب العدوانيّ ، وهو أبو عامر بن الظَّرِب ، فوجده نائماً تحت شجرة[3] ، فأيقظه وقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الظَّرِب . قال : عليَّ أَلِيَّةٌ إن لم أَقتُلْك أو تُحالِفني وتُزَوِّجْني[4] ابنتَك ، ففعل . وانصرف الظَّرِب وقَسِيٌّ معه ، فلقِيه ابنه عامر بن الظَّرِب فقال : مَنْ هذا معك يا أبتِ ؟ فقصَّ قِصَّته . قال عامرٌ : للهِ أبوه ! لقد ثَقِفَ أمرَه ؛ فسُمِّي يومئذٍ ثَقيفاً . قال : وعُيِّر الظَّرِبُ تزويجَه قَسِيّاً ، وقيل : زوّجتَ عبداً . فسار إلى الكُهّان يسألهم ، فانتهى إلى شِقٍّ ابن صَعْب البَجَليّ وكان أقربهم منه . فلمّا انتهى إليه قال : إنّا قد جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قَسِيّ ، وقَسِيٌّ عبد إيّاد ، أَبَقَ ليلةَ الواد ، في وَجٍّ ذاتِ الأنداد ، فوَالى سَعْداً ليُفاد ، ثم لَوَى بغير مَعاد . (يعني سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر) . قال : ثم توجّه إلى سَطِيح الذِّئبيّ (حَيٌّ

1 ل : الظبيان .

2 المصدق : جامع الزكاة والصدقة .

3 ل : صخرة .

4 تحلف لي لتزوجني .

من غسان ، ويقال : إنّهم حَيٌّ من قُضاعة نُزولٌ في غسّان) ، فقال : إنّا جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قَسيٍّ ، وقَسيٌّ من وَلَد ثَمود القديم ، ولدتْه أُمُّه بصَحراء بريم ، فالتقطه إيادٌ وهو عديم ، فاستعبده وهو مليم . فرجع الظَّرِب وهو لا يدري ما يصنع[1] في أمره ، وقد وَكَّد عليه في الحِلْف والتزويج ؛ وكانوا على كُفْرهم يُوفُون بالقول . فلهذا يقول مَن قال : إنّ ثقيفاً من ثمود ؛ لأنّ إيّاداً من ثَمود .

قال : وقد قيل : إنّ حرباً كانت بين إيّادٍ وبين قيس ، وكان رئيسُهم عامر بن الظَّرب ، فظَفِرتْ بهم قيس ، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزار .

قال : وقال عامر بن الظَّرِب في ذلك : [من الرجز]

قالتْ إيادٌ قـد رأينا نَسَبا ... في ابْنَيْ نِزارٍ ورأينا غلَبا
سيرِي إيادُ قـد رأينا عَجَبا ... لا أصلُكم منّا فسامِي الطَّلَبا
دارَ ثَمُودٍ إذْ رأيتِ السَّبَبا

قال : وقد رُوي عن الأعمش أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قال على المِنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً : لقد هممتُ أن أَضَعَ على ثقيفٍ الجزية ؛ لأنّ ثقيفاً كان عبداً لصالح نبيّ الله عليه السلام ، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصدقة ، فبعث العاملُ معه بها ، فهرَب واستوطن الحَرَمَ ، وإنّ أوْلى الناس بصالح محمد ﷺ ، وإنّي أُشْهِدُكم أنّي قد رددتهم إلى الرِّقّ .

قال : وبلغنا أنّ ابن عبّاس قال ، وذُكِر عنده ثقيف ، فقال : هو قَسيّ بن مُنَبِّه ، وكان عبداً لامرأةِ صالح نبيّ الله ﷺ ، وهي الهَيْجُمانة بنت سعد ، فوَهَبْته لصالح ، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصَّدقة ؛ ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . وقال فيه : إنّه مرّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أُمّه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرُها ، فأخذ الشاة ؛ فناشده الله ، وأعطاه عَشْراً فأبى ، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى . فلمّا رأى ذلك تَنَحَّى ، ثم نَثَل كنانَتَه فرماه ففلق قلبَه ؛ فقيل له : قتلتَ رسولَ رسولِ الله صالح . فأتى صالحاً فقصَّ عليه قِصّته ؛ فقال : أبعده الله ؛ فقد كنتُ أنتظر هذا منه ؛ فرُجِم قبرُه ، فإلى اليوم والليلة يُرْجَم ، وهو أبو رِغال .

قال : وبلغنا عن عبد الله بن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف مرّ بقبر أبي رِغال فقال : «هذا قبر أبي رِغال وهو أبو ثقيف كان في الحَرَم فمنعه الله عزّ وجلّ ، فلمّا خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب» ، فابتدره المسلمون فأخرجوه .

---

1 ل : يأتي .

قال : وروى عمرو بن عبيد عن الحسن أنّه سُئل عن جُرْهُم : هل بقي منهم أحد ؟ قال : ما أدري ، غير أنّه لم يبقَ من ثمودَ إلاّ ثقيف في قَيْس عَيلان ، وبنو لَجأ في طَيِّىء ، والطُّفاوة في بني أَعْصُرَ .

قال عمرو بن عبيد وقال الحسن : ذُكِرت القبائل عند النبيّ ﷺ ، فقال : «قبائل تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب حِمْيَر من تُبَّع وجُرْهُمٌ من عاد وثقيف من ثمود» .

قال : ورُوِي عن قَتادةَ أنّ رجلين جاءا إلى عمران بن حُصين . فقال لهما : ممّن أنتما ؟ قالا : من ثقيف . فقال لهما : أتزعمان أنّ ثقيفاً من إياد» قالا نعم . قال : فإن إيّاداً من ثمود ؛ فشقّ ذلك عليهما . فقال لهما : أساءكما قَولي ؟ قالا : نعم والله . قال : فإنّ الله أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه ؛ فأنتم إنْ شاء الله من ذُرِّيّة مَن آمن ، وإنْ كان أبو رِغالٍ قد أُتي ما بلغكما . قالا له : فما اسمُ أبي رِغال ؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه : ؟ قال : قَسيّ بن مُنبّه .

قال : وروى الزُّهريّ أنّ النبيّ ﷺ قال : «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُحِبّ ثقيفاً ، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبغِض الأنصار» .

قال : وبلَغَنا عنه عليه الصلاة والسلام أنّه قال : «بنو هاشمٍ والأنصار حِلْفان وبنو أُميّة وثَقيف حِلْفان» .

قال : وفي ثقيف يقول حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه[1] : [من الوافر]

إذا الثَّقَفيُّ فاخـركم فقولوا هَلُـمَّ نَعُـدّ شأنَ أبي رِغالِ
أبوكـم أخبثُ الآبـاءِ قِدْماً وأنتـم مُشْبِهـوه عـلى مثالِ
عَبيـد الفِـزر أورثهـم بَنيـه وولّـى عنهـمُ أُخْـرى الليالي

[أم طريح ونسبها]

وأُمُّ طُرَيح بنت عبد الله بن سِباع بن عبد العُزّى بن نَضْلَة بن غُبْشان من خُزاعة ، وهم حُلفاء بني زهرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ . وسِباع بن عبد العُزّى هو الذي قتله حَمزة بن عبد المطّلب يوم أُحد . ولّما بَرَز إليه سِباع قال له حمزة : هَلُمَّ إليّ يا ابنَ مُقَطِّعة البُظور ، وكانت أُمّه تَفعَل ذلك وتَقْبَلُ[2] نساءَ قريش بمكّة ، فحَمِيَ وَحْشيٌّ لقوله وغضِب لسباع ، فرمى حمزة بحربته فقتله ، رحمةُ الله عليه ، وقد كُتب ذلك في خبر غَزاة أُحُدٍ في بعض هذا الكتاب .

1 ديوان حسان 1 : 167 مع اختلاف كبير في الرواية .
2 تقبل : تولّد ، ومنه القابلة .

[كنيته]

ويُكنى طُرَيح أبا الصَّلْت ؛ كُني بذلك لابنٍ كان له اسمه صَلْتٌ . وله يقول[1] : [من الكامل]

يا صَلْتُ إنّ أباكَ رَهْنُ مَنيّةٍ مكتوبةٍ لا بُدّ أنْ يلقاها
سَلَفتْ سَوالِفُها بأَنْفُسِ مَنْ مَضى وكذاك يَتْبَعُ باقياً أُخْراها
والدّهرُ يُوشِك أن يُفَرِّقَ رَيْبُه بالموتِ أو رِحَلٍ تَشِتُّ نَواها[2]
لا بُدَّ بينكما فتُسْمِع دَعْوةً أو تَستجيب لدعوةٍ تُدْعاها

[طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمّه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب : أنّ أُمّ الصَّلْت بن طُرَيح ماتت وهو صغير ، فطَرَحه طريح إلى أخواله بعد موت أُمّه . وفيه يقول[3] : [من الكامل]

باتَ الخيالُ من الصُّلَيْتِ مُؤَرِّقي يَفْري السَّراةَ مع الرَّبابِ المُلْثِقِ[4]
ما راعني إلاّ بياضُ وُجَيْهِهِ تحتَ الدُّجُنَّةِ كالسِّراجِ المُشْرِقِ

[نشأ في دولة بني أميّة وأدرك دولة بني العبّاس]

ونشأ طُرَيح في دولة بني أُميّة ، واستفرغ شعرَه في الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بني العبّاس ، ومات في أيّام المهديّ[5] ؛ وكان الوليد له مُكرماً مُقَدِّماً ؛ لانقطاعه إليه ولخؤولته في ثقيف .

فأخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أحمد بن حمّاد بن الجَميل عن العُتْبيّ عن سَهْم بن عبد الحميد قال أخبرني طُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفيّ قال : خُصِصْتُ بالوليد بن يزيد حتى صِرتُ أخلو معه . فقلت له ذات يومٍ وأنا معه في مَشْرَبَةٍ : يا أمير المؤمنين ، خالك يُحِبُّ أن تعلم شيئاً من خُلُقه . قال : وما هو ؟ قلتُ : لم أشرب شراباً قطُّ ممزوجاً إلاّ من لبن أو عسل . قال : قد عرفتُ ذاك ولم يباعِدك من قلبي . قال : ودخلتُ يوماً إليه وعنده الأُمويّون ، فقال لي : إليّ يا خالي ، وأقعدني إلى جانبه ، ثم أُتي بشراب فشَرب . ثم ناولني القَدَحَ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب . قال : ليس لذلك أعطيتك ، إنّما دفعته إليك لتُناوله الغلام ، وغضِب . فرفع القوم

1 شعر طريح : 314 .
2 ريبه في ل : بينهم .
3 شعر طريح : 308 .
4 الملثق : الذي يسبب البلل .
5 ل : الهادي وهو خطأ .

أيديهم كأنّ صاعقةً نزلتْ على الخِوان ؛ فذهبتُ أقوم ، فقال : اقعُد . فلمّا خلا البيت افترى عليّ ، ثم قال : يا عاضَّ كذا وكذا ! أردتَ أن تفضَحني ، ولولا أنّك خالي لضربتُك ألفَ سَوْط ! ثم نهى الحاجب عن إدخالي ، وقَطَع عنّي أرزاقي . فمكثتُ ما شاء الله . ثم دخلت عليه يوماً متنكّراً ، فلم يشعُرْ إلاّ وأنا بين يديه وأنا أقول[1] : [من البسيط]

يا ابنَ الخلائفِ مـا لي بعدَ تَقْرِبةٍ إليك أقْصَى وفي حالَيْكَ لي عَجَبُ
ما لي أُذادُ وأُقصى حينَ أَقْصِدُكم كما توقِّيَ من ذي الغرّة الجَرَبُ[2]
كأنّني لم يكـن بينـي وبينكم إلٌّ ولا خُلّـةٌ تُرعـى ولا نَسبُ
لـو كان بالوُدّ يدني منك أزلفَني بقربـك الودُّ والإشفاقُ والحَدَبُ
وكنتُ دون رجالٍ قـد جعلتهم دوني إذ مـا رأوني مقبلاً قَطَبوا
إنْ يَسْمَعوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإنْ سَمِعوا شَرّاً أذاعُوا وإن لم يَسمعوا كَذَبوا[3]
رأَوْا صُدودَك عنّي في اللّقاءِ فقد تحدَّثوا أنَّ حبـلي منكَ مُنْقَضِبُ
فــذو الشَّماتــةِ مسرورٌ بهَيْضَتِنا وذو النَّصيحةِ والإشفاقِ مكتئبُ[4]

قال : فتبسّم وأمرني بالجلوس فجلست . ورجع إليّ وقال : إيّاك أن تُعاوِد . وتمام هذه القصيدة : [من البسيط]

أين الذِّمامــةُ والحَقُّ الذي نزلتْ بحِفْظِــه وبتعظيـمٍ لـه الكُتُبُ
وحَوْكِـيَ الشِّعْرَ أُصْفِيهِ وأَنْظِمُه نظمَ القلائدِ فيهـا الدُّرُّ والذهبُ
وإنَّ سُخْطَكَ شيءٌ لم أُنـاجِ بـه نفسي ولم يك ممّا كنتُ أكتسِبُ
لكـن أتـاك بقَـوْلٍ كاذبٍ أَثِمٍ قـومٌ بَغَوْني فنالوا فيّ ما طلبوا
وما عَهِدْتُـك فيمـا زَلَّ تَقْطَعُ ذا قُرْبَي ولا تدفَع الحقَّ الذي يجبُ
ولا تَوَجَّـعُ مـن حَـقٍّ تَحَمَّلُـه ولا تَتَبَّعُ بالتكديرِ مـا تَهَبُ
فقد تقرّبتُ جهداً من رِضاك بما كانت تُنالُ بـه من مثلك القُرَبُ
فغيرَ دَفْعِكَ حَقّي وارتفاضِكَ لي وَطيِّكَ الكَشْحَ عنّي كنت أحتسبُ

1 شعر طريح : 293–295 .
2 وأقصى في ل : وأنهى .
3 أذاعو في ل : أذيع .
4 بهيضتنا في ل : بفعلهم .

أُمْشِمِتٌ بـيَ أقوامـاً صُدُورُهُمُ علَيّ فيـك إلى الأذقانِ تَلْتَهِبُ
قد كنتُ أحسَب أنّي قد لجأتُ إلى حِـرْزٍ وألاّ يَضُرُّوني وإنْ أَلَبُوا
إنّ التي صُنْتُها عن مَعْشَرٍ طَلَبوا منّي إليّ الذي لم يُنْجحِ الطَّلَبُ
أخلصتُها لك إخلاصَ امرىءٍ علمِ الأ قوامُ أنْ ليس إلاّ فيـك يَرْتَغبُ
أصبحتَ تدفَعها منّـي وأعْطِفُها عليكَ وَهْيَ لمن يُحْبَى بها رَغَبُ
فإنْ وصلتَ فأهلُ العُرْفِ أنت وإن تَدْفَعْ يَدَيَّ فـلي بُقْيـا ومُنْقَلَبُ
إنّي كريمُ كِرامٍ عِشْتُ في أَدَبٍ نَفى العيوبَ ومَلْكُ الشِّيمةِ الأَدَبُ[1]
قـد يعلَمـون بأنّ العُسْرَ منقطعٌ يومـاً وأنّ الغِنى لا بـدّ منقلبُ
فمالُهُمْ حُبُسٌ في الحـقّ مُرْتَهَنُ مثل الغنائم تُحْوى ثم تُنْتَهَبُ
ومـا على جارِهـمْ ألاّ يكونَ لـه إذا تَكَنَّفَـه أبياتُهـم نَشَبُ
لا يَفرحون إذا ما الدَّهْرُ طاوعَهم يوماً بيُسرٍ ولا يَشْكونَ إنْ نُكِبوا
فارقتُ قومي فلم أعتَضْ بهم عِوَضاً والدَّهرُ يُحْدِثُ أحداثاً لها نُوَبُ

[رواية المدائنيّ في ذلك]

وأمّا المدائنيّ فقال: كان الوليد بن يزيد يُكرم طُرَيحاً، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانةٌ، وكان يُدْني مجلسه، وجعله أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارج، ولم يكن يَصْدُر إلاّ عن رأيه. فاستفرغ مديحَه كلَّه وعامّة شعره فيه؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد. وقَدِم حمّاد الراوية على التَّفِئة[2] الشامَ، فشَكَوْا ذلك إليه وقالوا: واللهِ لقد ذهب طُرَيح بالأمير، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار. فقال حمّاد: ابغُوني مَن يُنشِد الأمير بيتين من شعر، فأُسقِط منزلتَه. فطلبوا إلى الخَصِيّ الذي كان يقوم على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنْشِدَهما الأمير في خَلْوة، فإذا سأله مِن قولِ مَن ذا؟ قال: مِن قولِ طُرَيح؛ فأجابهم الخَصِيّ إلى ذلك، وعَلَّموه البيتين. فلمّا كان ذاتَ يوم دخل طُرَيح على الوليد وفُتح البابُ وأُذِن للناس فجلسوا طويلاً ثم نهضوا، وبَقِي طُرَيح مع الوليد وهو وليّ عهد؛ ثم دعا بغدائه فتَغَدّيا جميعاً. ثم إنّ طُرَيحاً خرج وركب إلى منزله، وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحدٌ، فاستلقى على فراشه. واغتنم الخَصِيّ خَلْوَته فاندفع يُنشِد: [من البسيط]

---

1 ملك الشيمة: قوامها.

2 التفئة: الحين والزمان.

سِيرِي رِكابي إلى مَنْ تَسْعَدِين به   فقد أقمتِ بدار الهُونِ مـا صَلَحا
سِيري إلى سَيِّـدٍ سَمْحٍ خلائقُه   ضخمِ الدَّسِيعةِ قَرْمٍ يحمِلِ المِدَحا

فأصغى الوليدُ إلى الخصِيّ بسَمْعه وأعاد الخَصيّ غيرَ مرّة ؛ ثم قال الوليد : ويحك يا غلام ؛ مِن قول مَن هذا ؟ قال : من قول طُرَيح . فغضِب الوليد حتى امتلأ غيظاً ، ثم قال : وَالَهْفا على أُمٍّ لم تَلِدني ! قد جعلتُه أَوَّل داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ثم يزعمُ أنّ هشاماً يحمل المِدَحَ ولا أَحمِلها ! ثم قال : عليّ بالحاجب ، فأتاه . فقال : لا أعلم ما أَذِنتُ لطُرَيح ولا رأيتُه على وجه الأرض ؛ فإن حاوَلَك فاخْطَفْه بالسيف . فلمّا كان العَشيُّ وصُلِّيتِ العصرُ ، جاء طُرَيح للساعة التي كان يؤْذَن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل . فقال له الحاجبُ : وراءَك ! فقال : ما لكَ ! هل دخل على وليّ العهد أحدٌ بعدي ؟ قال : لا ! ولكن ساعةَ ولَّيتَ من عنده دعاني فأمرَني ألاّ آذَنَ لك ، وإنْ حاوَلتني في ذلك[1] خطِفْتُك بالسيف . فقال : لك عشرةُ آلاف درهم وأْذَنْ لي في الدخول عليه . فقال له الحاجب : والله لو أَعطيتَني خَراجَ العِراق ما أذِنتُ لك في ذلك ، وليس لك من خير في الدخول عليه فارجع . فقال : ويحك ! هل تعلم مَن دَهاني عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ! لقد دخلتُ عليه وما عنده أحدٌ ، ولكنّ الله يُحْدِث ما يشاء في الليل والنهار . قال : فرجع طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لا يخلُص إليه ولا يقدر على الدخول عليه . وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال : والله إنّ هذا لعجزٌ بي أن أرجعَ من غير أن ألقى وليّ العهد فأعلَمَ مَنْ دَهاني عنده . ورأى أُناساً كانوا له أعداءً قد فرِحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدِّثونه ويصدُرُ عن رأيهم . فلم يَزَل يَلْطُف بالحاجب ويُمَنِّيه ؛ حتى قال له الحاجب : أمّا إذْ أطلتَ المُقامَ فإنِّي أكره أن تنصرف على حالك هذه ، ولكنّ الأمير إذا كان يوم كذا وكذا دخل الحَمَّامَ ، ثم أُمَر بسريره فأُبرِز ، وليس عليه يومئذٍ حِجابٌ ؛ فإذا كان ذلك اليوم أعلمتُك فتكون قد دخلتَ عليه وظَفِرتَ بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذْرٍ . فلمّا كان ذلك اليومُ ، دخل الحَمَّام وأَمَر بسريره فأُبْرِز وجلس عليه ، وأَذِن للناس فدخلوا عليه ، والوليدُ ينظر إلى مَنْ أقبل . وبعث الحاجبُ إلى طُرَيح ، فأقبَلَ وقد تَتَامَّ الناس . فلمّا نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرَف عنه وجهَه ، واستحيا أن يردَّه من بين الناس ؛ فدنا فسلَّم فلم يَرُدَّ عليه السلام . فقال طُرَيح يستعطفه ويتضرَّع إليه[2] : [من الكامل]

نام الخَلِيُّ مِـن الهُمومِ وبات لي   ليـلٌ أُكابِـدُه وهَـمٌّ مُضْلِعُ

1 ل : الاذن .
2 شعر طريح : 304–305 .

وسَهِرتُ لا أَسْرِي ولا في لَـذّةٍ   أرَقـي وأَغْفَـل مـا لَقِيتُ الهُجَّعُ
أبغِي وجوه مَخارِجي مـن تُهْمةٍ   أزَمـتْ عليّ وسُدَّ منهـا المَطْلَعُ
جزعـاً لمَعْتَبةِ الوَليـدِ ولم أكُنْ   من قبلِ ذاك من الحوادثِ أجْزَعُ
يا ابنَ الخلائفِ إنّ سُخْطَك لامرئٍ   أمسيتَ عِصْمتَـه بـلاءٌ مُفْظِعُ
فَلأنزِعـنّ عـن الذي لم تَهْـوَه   إنْ كان لي ورأيـتُ ذلك مَنزِعُ
فاعْطِفْ فِـداك أبي عليّ تَوَسُّعاً   وفضيلـةً فعـلى الفضيلـةِ تتبَع
فلقـد كفـاكَ وزاد ما قد نالني   إن كنتَ لي ببلاء ضُـرٍّ تَقْنَعُ
سِمَةٌ لذاك عليَّ جِسْمٌ شاحبٌ   بـادٍ تَحَسُّرُه ولـونٌ أَسْفَعُ
إنْ كنتَ في ذنبٍ عتبتَ فإنّني   عمّـا كَرِهـتَ لنازعٌ متصرِّعُ
ويئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ   كفّـاً إليّ وكلُّ يُسْرٍ أَقْطَعُ
من بعد أخْذِي من حِبالك بالذي   قـد كنتُ أحسَبُ أنّه لا يُقْطَعُ
فاربُبْ صنيعَك بـي فإنّ بأعينٍ   للكاشحين وسَمْعِهم ما تصنَعُ
أدَفعتَني حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ   عنّي الوجوهُ ولم يكن لي مَدْفَعُ
ورُجيتُ واتُّقِيَتْ يدايَ وقيل قد   أمسَى يَضُـرُّ إذا أحـبَّ وينفعُ
ودخلتُ في حَرَم الذِّمام وحاطَني   خَفَـرٌ أخـذتُ بـه وعهدٌ مُولِعُ
أفهادِمٌ مـا قـد بنيتَ وخافضٌ   شَرَفي وأنـتَ لِغيرِ ذلك أوسَعُ
أفلا خَشِيتَ شَماتَ قومٍ فُتَّهم   سَبْقاً وأنفسُهم عليـك تَقَطَّعُ
وفَضَلتَ في الحَسبِ الأشَمِّ عليهم   وصنعتَ في الأقوامِ ما لم يصنعوا
فكـأنَّ آنُفَهـمْ بكـلِّ صنيعةٍ   أسديتها وجميل فِعْلٍ تُجْدَعُ
وَدُّوا لَـوَ آنّهـمُ ينـال أكُفَّهمْ   شَلَلٌ وأنّكَ عـن صَنِيعِك تَنْزَعُ
أو تَسْتَليـمُ فيجعلونـك أُسْوَةً   وأبى المَـلامَ لك النَّدى والمَوْضِعُ[1]

قال : فقرّبه وأدناه ، وضحك إليه ، وعاد له إلى ما كان عليه .

[عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عُتبة اللّهبيّ عن أبيه[2] : أنّ طُرَيحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشُّعراء ؛ فقال

1 تستليم : تفعل ما تستحقّ عليه اللوم .
2 هذا الخبر ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 8 : الفقرة 485 .

له : لا حَيّاك الله ولا بيّاك ! أَمَا اتَّقيت الله ، ويلك ! حيث تقول للوليد بن يزيد : [من المنسرح]

لو قلتَ للسيلِ دَعْ طريقَك والـ ـموجُ عليـه كالهَضْـبِ يَعْتَلِجُ
لساخَ وارتـدّ أو لكانَ لـه في سائـرِ الأرض عنك مُنْعَرَجُ[1]

فقال له طُرَيح : قد علم الله عزّ وجلّ أنّي قلتُ ذاك ويدي ممدودة إليه عزّ وجلّ ، وإيّاه تبارك وتعالى عَنَيتُ . فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلُّص !

[دخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه]

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث ممّا أجاز لي أبو أحمد الجريريّ روايته عنه : حدّثنا المَدائنيّ : أنّ الوليد جلَس يوماً في مجلس له عامٍّ ، ودخل إليه أهلُ بيته ومَواليه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها ، وكان أشرفَ يومٍ رُئي له ؛ فقام بعض الشعراء فأنشد ، ثم وثب طريح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه ، وأخوالُه عن شِماله وهو فيهم ، فأنشده[2] : [من المنسرح]

صوت

أنـتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم تُطْرِقْ عليك الحُنـيُّ والوُلُجُ
طوبَى لفَرْعَيْكَ مـن هنا وهنا طُوبَـى لأعراقـك التي تَشِجُ
لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ ـموجُ عليـه كالهَضْبِ يعتلِجُ
لساخَ وارتـدَّ أو لكان لـه في سائـرِ الأرضِ عنـك مُنْعَرَجُ

فطرِب الوليد بن يزيد حتّى رُئي الارتياح فيه ، وأمر له بخمسين ألف درهم .

[ولاؤه ، وكان مغنّياً وشاعراً]

وقال : ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي ، فلا يُنْشِدني أحدٌ بعده شيئاً ؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا ، واحتبس طُرَيحاً عنده ، وأمر ابنَ عائشة فغنّى في هذا الشعر .

نسبة هذا الصوت

[من المنسرح]

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم تُطْرِقْ عليـك الحُنيُّ والوُلُجُ

الأبيات الأربعة . عروضه من المنسرح ، غنّاه ابن عائشة ، ولحنُه رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق .

1 سائر في ل : ساحة .
2 شعر طريح : 296 .

[طلب إليه المهدي أن يغنّيه صوتاً له فغنّاه غيره واعتذر عنه]

المسلنطح من البطاح : ما اتّسع واستوى سطحُه منها . وتُطْرِق عليك : تُطْبِق عليك وتغطِّيك وتضيِّق مكانك ؛ يقال : طرقتِ الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتتْ بأمر ضيِّق مُعْضِل . والوشيج : أصول النبت ؛ يقال : أعراقك واشجةٌ في الكرم ، أي نابتة فيه . قال الشاعر[1] : [من الطويل]

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلاّ وَشِيجُه وتَنْبُت إلاّ في مَغارسها النَّخْلُ

يعني أنّه كريم الأبوين من قريش وثقيف . وقد ردّد طُرَيح هذا المعنى في الوليد ، فقال في كلمة له[2] : [من الكامل]

واعتامَ كَهْلُك من ثَقِيفٍ كُفْأَه فتنازعاكَ فأنت جَوْهَرُ جوهرِ[3]
فنَمَتْ فروعُ القَرْيَتَيْن قُصَيُّها وقَسِيُّها بك في الأشمّ الأكبرِ

والحُنيّ : ما انخفض من الأرض ، والواحدة حَناً ، والجمع حُنيّ مثل عَصاً وعُصِيّ . والوُلج : كلّ متّسع في الوادي ، الواحدةُ ولَجةٌ . ويقال : الوَلَجات بين الجبال مثل الرِّحاب . أي لم تكن بين الحُنِيِّ ولا الوُلُج فيخفى مكانُك ، أي لستَ في موضع خفيٍّ من الحسب . وقال أبو عبيدة : سمِع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخَر عليه : أنا ابن مُسْلَنْطِح البِطاح ، وابن كذا وكذا ؛ فقال له عمر : إنْ كان لك عقلٌ فلك أصلٌ ، وإن كان لك خُلُقٌ فلك شَرَفٌ ، وإن كان لك تقوى فلكَ كَرَمٌ ، وإلاّ فذاك الحِمار خيرٌ منك . أحَبُّكم إلينا قبل أن نراكم أَحْسَنُكم سَمْتاً ، فإذا تكلّمتم فأبْيَنُكم مَنْطقاً ، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم فعْلاً .

وقوله : «لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك» ، يقول : أنت مَلِكُ هذا الأَبْطح والمُطاع فيه . فكلُّ مَن تأمُره يُطيعك فيه ، حتى لو أمرتَ السَّيْلَ بالانصراف عنه لفَعَل لنفوذ أمرك . وإنّما ضَرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً ؛ لأنّه لا شيءَ أشدّ تعذُّراً من هذا وشبهه ، فإذا صَرَفه كان على كلّ شيء سواه أقدر . وقوله : «لساخ» أي لغاض[4] في الأرض . «وارتد» أي عدل عن طريقه ، وإن لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً كان له منعرجٌ عنك إلى سائر الأرض .

1 هو زهير بن أبي سلمى .
2 شعر طريح : 303 .
3 اعتام : اختار .
4 ل : لغاب .

[غضب الوليد على ابن عائشة فلمّا غنّاه في شعره طرب ورضي عنه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّادٍ عن أبيه قال إسحاق وحدّثني به الواقِديّ عن أبي الزِّناد عن إبراهيم بن عطيّة : أنّ الوليد بن يزيد لمّا وَلِي الخلافةَ بعث إلى المغنِّين بالمدينة ومكّة فأشخصهم إليه ، وأمَرهم أن يتفرّقوا ولا يدخلوا نهاراً لئلاّ يُعْرَفوا ، وكان إذ ذاك يتستَّر في أمره ولا يُظهره . فسبقهم ابنُ عائشة فدخل نهاراً وشُهِر أَمْرُه ، فحبسه الوليد وأَمَر به فقُيِّد ، وأُذِن للمغنِّين وفيهم مَعبدٌ ، فدخلوا عليه دَخَلات . ثم إنّه جمعهم ليلةً فغنَّوا له حتى طَرِب وطابت نفسه . فلمّا رأى ذلك منه مَعبدٌ قال لهم : أخوكم ابن عائشة فيما قد علِمتم ، فاطلُبوا فيه . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كيف ترى مَجْلِسَنا هذا ؟ قال : حَسَناً لذيذا . قال : فكيف لو رأيتَ ابنَ عائشة وسَمِعتَ ما عنده ؟ قال : فعليَّ به . فطلع ابنُ عائشة يرسُف في قَيْده . فلمّا نظر إليه الوليد ، اندفع ابن عائشة فغنّاه في شعر طُرَيح ، والصنعةُ فيه له : [من المنسرح]

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم تُطْـرِقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليد : اكسِروا قَيْدَه وفُكُّوا عنه ؛ فلم يَزَلْ عنده أثيراً مَكرماً .

[غنّى مسلمة بن محمد بن هشام من شعره فتذكّر قومه]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدّثنا ابن أبي سَعد عن الحِزاميّ عن عثمان بن حَفص عن إبراهيم بن عبد السَّلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أبـا الحارث قلبـي طائرٌ فأْتَمِـرْ أمْـرَ رَشِيـدٍ مُؤْتَمَنْ[1]

قال : واللهِ إنِّي لقاعدٌ مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مرّ به ابن جُوان بن عُمَر بن أبي ربيعة ، وكان يغنِّي ؛ فقال له : اجْلِس يا ابن أخي غنِّنا . فجلس فغنَّى : [من المنسرح]

أنتَ ابن مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم تطْرِقْ عليـك الحُنِيُّ والوُلُجُ

فقال له : يا ابن أخي ، ما أنت وهذا حين تَغَنَّاه ، ولا حَظَّ لك فيه ! هذا قاله طُرَيح فينا :

إذِ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانُ

وممّا في المائة الصوت المختارة من الأغاني من أشعار طُرَيح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد[2] :

1 فأتمر في ل : فاستمع .

2 شعر طريح : 298 .

صوت
من المائة المختارة

[من المنسرح]

وَيْحِي غَـدًا إنْ غَدا عليَّ بما … أحْذَرُ من لَوْعـةِ الفِراقِ غَدُ
وكيف صَبْرِي وقد تجاوبَ بالـ … ـفُرْقَةِ مِنْها الغُـراب والصُّرَدُ

الشعر لطُرَيح بن إسماعيل ، والغناء لابن مِشْعَب الطائفيّ ، ولحنُه المختار من الرّمَل بالوسطى .

[53] ـ ذكر ابن مِشعبٍ وأخباره[1]

[أصله]

هو رجلٌ من أهل الطائف مولًى لثَقيف ، وقيل : إنّه من أنفُسهم ، وانتقل إلى مكّة فكان بها . وإيّاه يعني العَرجيّ بقوله[2] : [من الكامل]

بِفناءِ بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سامـرٍ عَطِرٍ وليـلٍ مُقْمِرِ
فتَلازَمـا عنـد الفِراقِ صبابةً ... أَخْذَ الغَريمِ بفضلِ ثوبِ المُعْسِرِ

[كان عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكّة له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ابن مِشْعب مُغَنٍّ من أهل الطائف ، وكان من أحسن الناس غِناءً ، وكان في زمن ابن سُرَيج والأَعرَج ؛ وعامّةُ الغِناء الذي يُنسَب إلى أهل مكّة له ، وقد تفرّق غِناؤه ، فنُسِب بعضه إلى ابن سُريج ، وبعضُه إلى الهُذَليّين ، وبعضه إلى ابن مُحرِز . قال : ومن غنائه الذي يُنسب إلى ابن مُحرِزٍ : [من الكامل]

يـا دارَ عاتِكـةَ التي بالأَزْهَرِ

ومنه أيضاً[3] : [من المنسرح]

أقفـرَ ممّـن يَحُلُّـه السَّنَدُ ... فالمُنْحَنى فالعَقِيقُ فالجُمُدُ[4]

[اشتهى مريض أن يغنّي في شعر العرجي الذي ورد فيه اسمه]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد وحدّثني أبي قال : مَرِض رجلٌ من أهل المدينة بالشام ، فعاده جيرانُه وقالوا له : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي إنساناً يَضَع فمه على أُذُني ويُغَنّيني في بيتَيْ العرجيّ : [من الكامل]

بِفِناءِ بَيْتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ ... في سامـرٍ عَطِرٍ وليـلٍ مُقْمِرِ
فتَلازَمـا عنـد الفِراقِ صبابةً ... أَخْذَ الغريمِ بفضل ثوبِ المُعْسِرِ

---

1 أقحم أبو الفرج هذه الترجمة الموجزة لابن مشعب في وسط ترجمة طريح .
2 ديوان العرجي : 177 .
3 شعر طريح : 297–300 .
4 الجمد : جبل بنجد والسند : ماء بتهامة .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

[من الكامل]

يـا دارَ عاتِكـةَ التـي بالأَزْهَـرِ أو فوقَـه بقَفـا الكَثِيبِ الأحمرِ
بفِناءِ بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ في سامـرٍ عَطِـرٍ وليـلٍ مُقْمِرِ
فتلازمـا عنـدَ الفـراقِ صبابةً أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثـوبِ المُعْسِرِ

الشعر للعرجيّ ، والغناء لابن محرزٍ خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، وذكر إسحاق أنّه لابن مِشعَب . وذكر حبشٌ أنّ فيه لابن المكيّ هزَجاً خفيفاً بالبنصر .

وأمّا الصوت الآخَر الذي أوّلُه :

أَقفـرَ ممّـن يَحُلُّـه السَّنَدُ

فإنّه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار ، وهو أوّلُ قصيدة طُرَيح التي منها : [من المنسرح]

وَيْحي غداً إنْ غَدا علـيّ بما أكره مـن لَوْعـةِ الفِراقِ غدُ

وليس يُغَنَّى فيه في زماننا هذا . وهذه القصيدة طويلة يمدَح فيها طُرَيح الوليد بن يزيد ، يقول فيها : [من المنسرح]

لم يَبْقَ فيها من المَعارِفِ بعـ ـد الحَـيّ إلاّ الرَّمادُ والوَتَدُ
وعَرصةٌ نَكَّرتْ مَعالِمَها الـ ـريحُ بها مَسْجِدٌ ومُنْتَضَدُ[1]

[أُنشد المنصور قصيدة طريح الدالية فمدحها]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني محمد بن خَلَفٍ القارىء قال أخبرنا هارون بن محمد ، وأخبرنا به وكيع ، وأظنّه هو الذي كَنى عنه يحيى بن عليّ ، فقال : محمد بن خَلَفٍ القارىء ، قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عليّ بن عبد الله اللَّهبيّ قال حدّثنا أبي عن أبيه قال : أُنشِد المنصور هذه القصيدة ، فقال للربيع : أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي مَعالم الحَيِّ المسجد غير طُرَيح ؟ . وهذه القصيدة من جيّد قصائد طُرَيح ، يقول فيها : [من المنسرح]

---

1 معالمها في ل : معارفها . منتضد : مجتمع ومقام .

لم أَنْسَ سلمى ولا لَيالِيَنا ... بالحَزْنِ إذْ عيشُنا بها رَغَدُ
إذْ نحنُ في مَيْعة الشَّباب وإذْ ... أيّامُنا تلك غَضّةٌ جُدُدُ
في عيشةٍ كالفِرِندِ عازِبةِ الشِّـ ... ـقوةِ خَضْراءَ غُصْنُها خَضَدُ
نُحْسَدُ فيها على النَّعيم وما ... يُولَعُ إلاّ بالنِّعْمةِ الحَسَدُ
أيّامَ سَلْمى غَريرةٌ أُنُفٌ ... كأنَّها خُوطُ بانةٍ رُؤُدُ[1]
وَيْحِي غداً إنْ غَدا عليّ بما ... أكره من لَوْعةِ الفِراق غَدُ
قد كنتُ أبكي من الفراقِ وحَيَّـ ... ـانا جميعٌ ودارُنا صَدَدُ
فكيف صَبْرِي وقد تَجاوَبَ بالـ ... ـفُرقةِ منها الغُرابُ والصُّرَدُ
دَعْ عنك سَلْمى لغير مَقْلِيَةٍ ... وعُدَّ مَدْحاً بُيوتُه شُرُدُ
للأَفْضَل الأَفْضَل الخليفةِ عبـ ... ـد الله من دون شَأْوِه صُعُدُ
في وجهه النُّورُ يُستبانُ كما ... لاح سِراجُ النَّهارِ إذ يَقِدُ
يمضي على خَيرِ ما يقول ولا ... يُخالِف ميعادَه إذا يَعِدُ
من مَعْشَرٍ لا يَشَمُّ مَنْ خَذَلُوا ... عِزّاً ولا يُسْتَذَلُّ مَنْ رَفَدُوا
بِيضٌ عظامُ الحلومِ حَدُّهُمُ ... ماضٍ حُسامٌ وخيرُهم عَتَدُ[2]
أنت إمامُ الهدى الذي أصلَحَ الـ ... ـله به الناسَ بعدما فَسَدوا
لمّا أتى الناسَ أنّ مُلْكَهُمُ ... إليكَ قد صار أمره سجَدوا
واستبشروا بالرضا تَباشُرَهم ... بالخُلْدِ لو قيل إنّكم خُلُدُ
وعَجَّ بالحمدِ أهلُ أرضِك حتـ ... ـى كاد يَهْتَزّ فرحةً أُحُدُ
واستقبل الناسُ عِيشةً أُنُفاً ... إنْ تبقَ فيها لهم فقد سَعِدوا
رُزِقتَ من وِدِّهم وطاعتهم ... ما لم يَجِدْه لِوالدٍ وَلَدُ
أَثْلَجَهمْ منك أنَّهم عَلِموا ... أنّك فيما وَلِيتَ مُجتهِدُ
وأنّ ما قد صنعتَ من حَسَنٍ ... مِصْداقُ ما كنتَ مَرّةً تَعِدُ
أَلَّفْتَ أهواءَهمْ فأصبحتِ الأَ ... ضغانُ سِلْماً وماتتِ الحِقَدُ

1 غريرة : قليلة التجربة . أُنف : عذراء . خوط : غصن . رؤد : الغصن الرطب الرخص .
2 عتد : حاضر معد .

كنتُ أرى أنّ ما وجدتُ من الـ ـفَرْحةِ لم يلـقَ مثلَـه أحَدُ
حتـى رأيـتُ العبادَ كلَّهـمُ قد وجدُوا من هواك ما أجِدُ

صوت

قـد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقـد جَهَدوا
يرفعُـك اللهُ بالتَّكرُّمِ والـ ـتَّقوى فتعلو وأنـت مُقْتَصِدُ
حَسْبُ امرىءٍ من غِنًى تَقَرُّبُهُ منك وإن لم يكن لـه سَبَدُ
فأنت أمْنٌ لمن يخـاف وللـ ـمَخْذولِ أودى نصيرُه عَضُدُ

غنّى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر .

كلُّ امرىءٍ ذي يدٍ تُعَـدّ عليـ ـه منك معلومـة يَـدٌ ويدُ
فهم ملوكٌ مـا لم يَرَوْكَ فإنْ داناهُمُ منـكَ منزلٌ خَمَدوا
تعروهـم رِعْـدةٌ لديـكَ كما قَفْقَفَ تحـت الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ
لا خوفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ إلاّ جَـلالاً كَساكَـهُ الصَّمَدُ
وأنت غَمْرُ النَّدى إذا هَبَط الـ ـزُّوّارُ أرضاً تَحُلُّهـا حَمِدُوا
فهـم رِفاقٌ فرُفقـةٌ صَدَرتْ عنـكَ بغُنْـمٍ ورُفْقـةٌ تَرِدُ
إنْ حالَ دهرٌ بهم فإنّك لا تَنْفَكُّ عن حالِك التي عَهِدُوا
قـد صدّق اللهُ مادِحِيك فما في قولهـم فِرْيـةٌ ولا فَنَدُ

[ذكاء جعفر بن يحيى وعلمه بالأشعار والألحان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو إنّه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قطُّ ، ولا أفطنَ ، ولا أعلمَ بكلِّ شيء ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلغَ في مكاتبةٍ . قال : ولقد كنّا يوماً عند الرشيد ، فغنّى أبي لحناً في شعر طُرَيح بن إسماعيل ، وهو : [من المنسرح]

قـد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقـد جَهَدُوا

فاستحسن الرشيد اللحنَ والشعرَ واستعاده ووصَل أبي عليه . وكان اللحن في طريقة خَفيف الثقيل الأوّل . فقال جعفر بن يحيى : قد والله يا سيِّدي أحسنَ ، ولكنّ اللحنَ مأخوذٌ من لحن الدَّلال الذي غنّاه في شعر أبي زُبَيد : [من الخفيف]

مَنْ يَرَ العِيرَ لابن أَروَى على ظَهْـ ـرِ المَرَورى حُداتُهُـنَّ عَجالُ[1]

وأمّا الشعر فنقله طُرَيح من قول[2] زُهير : [من الطويل]

سعى بعدَهم قومٌ لكي يُدركوهُمُ فلـم يَبـْلُغُوا ولم يُلاموا ولم يأْلُـوا

قال إسحاق : فعجبتُ واللهِ من عِلْمه بالألحان والأشعار ، وإذا اللحن يُشْبِه لحنَ الدَّلال ، قال : وكذلك الشعر ؛ فاغتممت أنّي لم أكن فَهِمتُ اللحن ، وكان ذلك أشدّ عليّ من ذَهاب أمر الشعر عليّ ، وأنا واللهِ مع ذلك أُغنِّي الصوتين وأحفَظ الشعرين . قال الحسين : ولحنُ الدَّلال في شعر أبي زُبَيْد هذا من خَفيف الثقيل أيضاً .

[صادف طريح أبا ورقاء في سفر فأنس به وذكر له قصّته مع أعرابيّ عاشق]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني أبو الحسن البَلاذُريّ أحمد بن يحيى وأبو أيُّوب المَدِينيّ ؛ قال البَلاذُريّ وحدّثني الحِرمازِيّ ، وقال أبو أيّوب وحدّثونا عن الحِرْمازيّ قال حدّثني أبو القَعقاع سهل بن عبد الحميد عن أبي وَرْقاء الحَنَفيّ قال : خرجتُ من الكوفة أُريد بغداد ، فلمّا صِرْتُ إلى أوّل خانٍ نزلتُه ، بَسط غِلماننا وهيّؤوا غَداءهم ، ولم يجىء أحدٌ بعدُ ، إذ رمانا البابُ برجل فاره البِرْذَون حَسَنِ الهيئة ، فصِحْتُ بالغلمان ، فأخذوا دابّته فدَفعها إليهم ، ودعوتُ بالغَداء ، فبسط يدَه غير محتشم ، وجعلتُ لا أُكرمه بشيء إلاّ قَبِلَه . ثم جاء غلمانُه بعد ساعة في ثَقَلٍ سَرِيّ وهيئة حسنة . فتناسَبْنا فإذا الرجلُ طُرَيحُ بن إسماعيل الثّقفيّ . فلمّا ارتحلنا ارتحلنا في قافلة غَـنَّاء لا يُدْرِكُ طَرَفاها . قال : فقال لي : ما حاجتُنا إلى زِحام الناس وليستْ بنا إليهم وحْشة[3] ولا علينا خوف ! نتقدّمهم بيوم فيخلو لنا الطريق ونُصادف الخاناتِ فارغةً ونُودِعُ أنفسَنا إلى أن يُوافُوا . قلتُ : ذلك إليك . قال : فأصبحنا الغَدَ فنزلنا الخان فتغدّينا وإلى جانبنا نهرٌ ظَليل ؛ فقال : هلْ لك أن نستنقع فيه ؟ فقلتُ له : شأنَك . فلمّا سَرا ثيابَه[4] إذا ما بين عُصْعُصِه إلى عُنُقه ذاهبٌ ، وفي جنبيه أمثالُ الجرذان ، فوقَع في نفسي منه شيءٌ . فنظر إليّ ففَطِن وتبسَّم ، ثم قال : قد رأيتُ ذُعرَك ممّا رأيتَ ؛ وحديثُ هـذا إذا سِرْنـا العَشيَّة إن شاء الله تعالى أُحدّثك بـه . قال : فلمّا ركبنا قلت : الحديثَ ! قال : نعم ! قَدِمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدُّنيا ، وكتب إلى يوسف بن عُمر مع فَرَّاش فملأ يَدَيْ أصحابي ، فخرجتُ أُبادِر الطائف . فلمّا امتدّ لي الطريقُ وليس يصحَبني فيه

1 المرورى : جمع مروراة وهي الفلاة المستوية .

2 ل : شعر .

3 ل : حاجة .

4 سرا ثيابه : ألقاها .

خَلْقٌ ، عَنّ لي أعرابيٌّ على بعير له ، فحدّثني ، فإذا هو حسنُ الحديث ، وروى لي الشِّعْرَ فإذا هو راوية ، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر . فقلت له : من أين أقبلتَ ؟ قال : لا أدري . قلت : فأين تُريد ؟ فذَكر قِصّةً يُخْبِر فيها أنّه عاشق لمُرَيَّةٍ قد أفسدتْ عليه عقلَه ، وستَرها عنه أهلُها وجفاه أهلُه ، فإنّما يستريح إلى الطريق ينحدر مع مُنْحَدِريه ويُصْعِد مع مُصْعِديه . قلت : فأين هي ؟ قال : غداً ننزل بإزائها . فلمّا نزلنا أراني ظَرِباً[1] على يسار الطريق ، فقال لي : أترى ذلك الظَّرِبَ ؟ قلت : أراه . قال : فإنّها في مَسقطه . قال : فأدركتني أريحيّةُ الشباب ، فقلتُ : أنا والله آتيها برسالتك . قال : فخرجت وأتيت الظَّرِبَ ، وإذا بيتٌ حَرِيدٌ[2] ، وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ ؛ فذكرتُه لها ، فزَفَرتْ زفرةً كادت أضلاعُها تَساقَطُ . ثم قالت : أَوحَيٌّ هو ؟ قلت : نعم ، تركتُه في رَحْلي وراء هذا الظَّرِب ، ونحن بائتون ومُصْبِحون . فقالت : يا أَبي أرى لك وجهاً يدلُّ على خير ، فهل لك في الأَجْر ؟ فقلت : فقيرٌ والله إليه . قالت : فالبَسْ ثيابي وكُنْ مكاني ودَعْني حتى آتِيَه ، وذلك مُغَيْرِبانَ الشمس . قلت : أفعلُ . قالت : إنّك إذا أظلمتَ أتاك زوجي في هَجْمةٍ من إبله ، فإذا بركتْ أتاك وقال : يا فاجرة يا هَنتاه ، فيُوسِعُكَ شتماً فأَوْسِعْه صمتاً ، ثم يقول : اقْمَعي سِقاءَك ، فضَعِ القِمَعَ في هذا السِّقاء حتّى يُحْقَنَ فيه ، وإيَّاكَ وهذا الآخرَ فإنّه واهي الأسفلِ . قال : فجاء ففعلتُ ما أمرتْني به ، ثم قال : اقمَعي سِقاءَك ، فحيَّنني[3] اللهُ ، فتركتُ الصحيحَ وقَمَعتُ الواهيَ ، فما شعرَ إلاّ باللبن بين رجليه ، فعمَد إلى رِشاءٍ من قِدٍّ مَرْبوعٍ ، فثَناه باثنين فصار على ثَمانِ قُوًى ، ثم جعلَ لا يتّقي منّي رأساً ولا رِجلاً ولا جَنْباً ، فخَشِيتُ أنْ يبدوَ له وجهي ، فتكون الأُخْرى ، فألزمتُ وجهي الأرض ، فعمِل بظَهْري ما ترى .

---

1 الظرب : الرابية الصغيرة .

2 حريد : معتزل .

3 حيَّنني الله : لم يوفقني إلى الصواب .

[54] ـ ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

[ولاؤه ، وكان مغنّياً وشاعراً]

أبو سَعيد مولى فائد . وفائدٌ مولى عَمْرو بن عثمان بن عَفّان رضي الله تعالى عنه . وذكر ابن خُرْداذْبَه أنّ اسم أبي سعيد إبراهيم . وهو يُعْرَف في الشعراء بابن أبي سِنّة مولى بني أُميّة ، وفي المغنّين بأبي سعيد مولى فائد . وكان شاعراً مُجِيداً ومُغَنِّياً ، وناسكاً بعد ذلك ، فاضلاً مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعَدَّلا . وعُمِّر إلى خلافة الرشيد ، ولقِيه إبراهيم بن المَهْديّ وإسحاقُ الموصليّ وذووهما . وله قصائد جِياد في مَراثي بني أُميّةٍ الذين قتلهم عبدُ الله وداوُد ابنا عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، يُذْكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديث ذِكْره .

[طلب إليه المهديّ أن يغنّيه صوتاً له فغنّاه غيره واعتذر عنه]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عُبيد الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأَزْهَر عن حَمَّاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أخيه أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب عن أبي جعفر الأَسَديّ عن إسحاق ، قال يحيى خاصّةً في خبره : قال إسحاق : حَجَجْتُ مع الرشيد ، فلمّا قَرُبتُ من مكّة استأذنتُه في التقدُّم فأذِنَ لي ، فدخلتُ مكّة ، فسألتُ عن أبي سعيد مولى فائد ، فقيل لي : هو في المسجد الحَرام . فأتيتُ المسجد فسألتُ عنه ، فدُلِلْتُ عليه ، فإذا هو قائمٌ يصلِّي ، فجئتُ فجلستُ قريباً منه . فلمّا فَرِغ قال لي : يا فتى ، ألكَ حاجةً ؟ قلتُ : نعم ، تُغنِّيني : «لقد طفتُ سبعاً» . هذه رواية يحيى بن عليّ . وأمّا الباقون فإنّهم ذكروا عن إسحاق أنّ المَهْديّ قال هذا لأبي سعيد وأَمَره أن يُغَنِّيَ له : [من الطويل]

لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... أَلا ليتَ هذا لا عَلَيَّ ولا لِيا

ورفَق به وأدنى مجلسَه ، وقد كان نَسَك ؛ فقال : أَوَ أُغَنِّيك يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ؟ قال : أنتَ وذاك . فغَنَّى : [من الخفيف]

إنّ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ ... نَشَرَ المَجْدَ بعد ما كان ماتا
وبَناهُ على أَساسٍ وَثيقٍ ... وعِمادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا
مثلَ ما قد بنى له أوّلُوه ... وكذا يُشْبِهُ البُناةُ البُناتا

الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، فأحسن . فقال له المهديّ : أحسنتَ يا أبا سعيد !

فغنّني «لقد طفتُ سبعاً» . قال : أَوَ أغنّيك أحسن[1] منه ؟ قال : أنت وذاك . فغنّاه : [من الكامل]

قَدِمِ الطويلُ فأشرقتْ واستبشرتْ ... أرضُ الحجازِ وبانَ في الأشجارِ
إنّ الطويلَ مِن آل حَفْصٍ فاعلموا ... سادَ الحضورَ وسادَ في الأسفارِ

فأحسنَ فيه . فقال : غَنِّني «لقد طفتُ سبعا» . قال : أَوَ أُغَنِّيك أحسنَ منه ؟ قال : فغَنِّني . فغنّاه : [من الخفيف]

أيُّها السائلُ الذي يَخْبِطُ الأر ... ضَ دعِ النـاسَ أجمعـين وراكا
وأْتِ هذا الطويلَ مِـنْ آل حَفْصٍ ... إنْ تخوّفـتَ عَيْلـةً أو هلاكا

فأحسن فيه . فقال له : غَنِّني «لقد طفت سبعاً» ، فقد أحسنت فيما غنَّيت ، ولكنّا نُحِبّ أن تُغَنِّي[2] ما دعوناك إليه . فقال : لا سبيلَ إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ لأنّي رأيت رسولَ الله ﷺ في مَنامي وفي يده شيءٌ لا أدري ما هو ، وقد رفعه ليضربَني به وهو يقول : يا أبا سعيد ، لقد طفتُ سبعاً ، لقد طفتُ سبعاً ، سبعاً طُفْتَ ! ما صنعت بأمّتي في هذا الصوت ! فقلت له : بأبي أنت وأُمّي اغْفر لي ، فوالذي بَعَثك بالحقّ واصطفاك بالنبوّة لا غَنَّيتُ هذا الصوت أبداً ؛ فردّ يدَه ثم قال : عفا الله عنك إذاً ! ثم انتبهتُ . وما كنتُ لأُعْطِيَ رسولَ الله ﷺ شيئاً في مَنامي فأرجعَ عنه في يَقظَتي . فبكى المهديّ وقال : أحسنتَ يا أبا سعيدٍ أحسن الله إليك ! لا تَعُدْ في غنائه ، وحَباه وكساه وأَمَر بردّه إلى الحجاز . فقال له أبو سعيد : ولكن اسْمَعْه يا أميرَ المؤمنين من مَنَّةَ جاريةِ البرامكة . وأظُنّ حكايةَ مَنْ حكى ذلك عن المهديّ غلطاً ؛ لأنّ مَنَّةَ جاريةَ البرامكة لم تكن في أيّام المهديّ ، وإنما نشأتْ وعُرِفتْ في أيّام الرشيد .

وقد حدّثني أحمد بن جعفر جَحظةُ قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بنِ المهديّ عن أبيه أنّه هو الذي لَقِي أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القِصّة . وذكر ذلك أيضاً حَمّاد بنُ إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ . وقد يجوز أن يكون إبراهيم بن المهديّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهديّ . وأمّا خبرُ إبراهيم بن المهديّ خاصّةً فله مَعانٍ غيرُ هذه ، والصوت الذي سأله عنه غيرُ هذا ؛ وسيُذْكر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلاّ تنقطع .

1 ل : خيراً .
2 ل : تغنينا .

[أراده إبراهيم بن المهديّ على الذهاب إلى بغداد فأبى]

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة : أنّ إبراهيم بنَ المهديّ لَقي أبا سعيد مولى فائدٍ ؛ وذكر الخبرَ بمثل الذي قبله ، وزاد فيه : فقال له : اشْخَصْ معي إلى بغداد ، فلم يفعل . فقال : ما كنت لآخذُكَ بما لا تُحِبّ ، ولو كان غيرُك لأكرهتُه على ما أحِبُّ ، ولكن دُلَّني على مَنْ ينوب عنك . فدَلَّه على ابن جامِع ، وقال له : عليكَ بغلامٍ من بني سَهْمٍ قد أخذ عنّي وعن نُظَرائي وتخرّج ، وهو كما تُحِبّ . فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغداد ؛ فهو الذي كان سبب وروده إيّاها .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... أَلا ليتَ هـذا لا عَلَيَّ ولا لِيا

يُسائلني صَحْبي فما أَعقِلُ الذي ... يقولون من ذِكْرٍ لليلى اعترانِيا

عروضه من الطويل . ذكر يحيى بن عليّ أنّ الشعر والغِناء لأبي سعيد مولى فائد ، وذكر غيرُه أنّ الشعر للمجنون . ولحنُه خفيف رَمَلٍ بالبنصر وهو المختار . وذكر حبشٌ أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخَرَ . والذي ذكر يحيى بن عليّ من أنّ الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح .

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَميّ أنّه أنشده لأبي سعيدٍ مولى فائد . قال عمّي : وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامة لأبي سعيد . وبعد هذين البيتين اللّذين مَضَيا هذه الأبيات : [من الطويل]

إذا جئتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابن عامرٍ ... فأَقْرِىء غـزالَ الشِّعْبِ مِنّي سَلامِيا

وقُلْ لغزالِ الشِّعْب هـل أنتَ نازلٌ ... بشِعْبِكَ أم هل يُصْبِحُ القلبَ ثاويا

لقـد زادني الحُجَّـاجُ شوقـاً إليكمُ ... وقـد كنتُ قبل اليـومِ لِلْحَجِّ قاليا

ومـا نظرتْ عيني إلى وجـه قـادمٍ ... مـن الحَجِّ إلاّ بَـلَّ دَمْعي ردائيا

في البيت الأوّل من هذه الأبيات ، وهو :

إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر

[لحن] لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميّ .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

إنّ هذا الطويلَ مِنْ آل حَفْصٍ ... نَشَر المجدَ بعد ما كان ماتا
وبناه على أساسٍ وَثِيقٍ ... وعِمادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا
مثلَ ما قد بنى له أوّلوه ... وكذا يُشْبِه البُناةُ البُناتا

عروضه من الخفيف ، الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنُه رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من الكامل]

صوت

قَدِم الطويلُ فأشرقتْ لقدومه ... أرضُ الحجاز وَبانَ في الأشجارِ
إنّ الطويلَ من ال حفصٍ فاعلموا ... سادَ الحُضورَ وسادَ في الأسفارِ

الشعر والغناء لأبي سعيد .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الطالبُ الذي يَخْبِطُ الأرْ ... ضَ دَعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأتِ هذا الطويلَ من آل حَفصٍ ... إن تخوّفتَ عَيْلةً أو هلاكا

عروضه من الخفيف ، الشعر لأبي سعيدٍ مولى فائد ؛ وقيل : إنّه للدّارميّ . والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ . وفيه للدّارميّ ثاني ثقيل .

الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراءُ في هذه الأشعار ، هو عبد الله بن عبد الحميد بن حفص ، وقيل : ابن أبي حفص بن المُغيرة المَخزوميّ ، وكان مُمدَّحاً .

[مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ]

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبي أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه : أنّ عبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ ، كان يُعطي الشعراءَ فيُجزِل ، وكان مُوسراً ، وكان سبب يَساره ما صار إليه من أُمّ سَلَمَة المخزوميّة امرأةِ أبي العبّاس السفّاح ؛ فإنّه تزوّجها بعده ، فصار إليه منها مالٌ عظيم ، فكان يتسمّح به ويَتَفَتّى[1] ويتّسع في العطايا . وكانت أُمّ سلَمة مائلةً إليه ، فأعطتْه ما لا يُدرى ما هو ، ثم إنّها اتّهمته

1 يتفتى : يتسخّى .

بجاريةٍ لها فاحتجبتْ عنه ، فلم تَعُدْ إليه حتّى مات . وكان جميلَ الوجه طويلاً . وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد : [من الخفيف]

إنّ هذا الطويلَ من آل حفصٍ نشر المجدَ بعـد مـا كان ماتا

وفيه يقول الدّارميّ : [من الخفيف]

أيـُّها السائلُ الذي يَخْبِـطُ الأر ضَ دَعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأْتِ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ إنّ تخوّفـتَ عَيْلـةً أو هلاكا

وفيه يقول الدّارميّ أيضاً : [من منهوك الكامل]

صوت

إنّ الطويـلَ إذا حَلَلْتَ بـه يومـاً كفـاك مَؤونـةَ الثِّقْلِ

ويروى : ابن الطويل إذا حللت به

وحللتَ في دَعَةٍ وفي كَنَفٍ رَحْبِ الفِنـاء ومنزلٍ سَهلِ

غنّاه ابن عبّاد الكاتب ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن ابن المكيّ .

[غنّى إبراهيم بن المهديّ في المسجد]

فأمّا خبرُ إبراهيم بن المهديّ مع أبي سعيدٍ مولى فائد الذي قلنا إنّه يُذْكَر هاهنا ، فأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني القَطِرانيّ المغنّي قال حدّثني ابن جَبْر قال : سمعتُ إبراهيم بن المهديّ يقول : كنت بمكّة في المسجد الحرام ، فإذا شيخٌ قد طلع وقد قَلَب إحدى نعليه على الأُخرى وقام يصلّي ؛ فسألتُ عنه فقيل لي : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلتُ لبعض الغِلْمان : احْصِبْه فحصَبَه ؛ فأقبل عليه وقال : ما يظنّ أحدُكم إذا دخل المسجدَ إلاّ أنّه له . فقلت للغلام : قُلْ له : يقول لك مولاي : أبْلُغْني ؛ فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : مَنْ مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاي إبراهيم بن المهديّ ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد ؛ وقام فجلس بين يديّ ، وقال : لا والله ، بأبي أنت وأمّي ، ما عرفتُك ! فقلت : لا عليك ! أخبِرْني عن هذا الصوت : [من المتقارب]

أفاضَ المدامـعَ قَتْلى كُدىً وقَتْلَى بكُثْـوةَ لم تُـرْمَسِ[1]

قال : هو لي . قلت : وربّ هذه البَنِيَّةِ لا تَبْرحُ حتى تغنّيه . قال : ورَبّ هذه البنيّة لا

1 كدى : (بضم الكاف) موضع بأسفل مكّة ، وبفتحها : ثنية بالطائف . وكداء : اسم لعرفات أو جبل بمكّة . ولعلّ المقصود إذ سترد أبيات أخرى بهذا اللفظ «كداء» . كُثوة : موضع .

تبرح حتى تسمَعَه . قال : ثم قَلَب إحدى نعليه وأخذ بِعَقب الأُخرى ، وجعل يقرع بحرفها على الأُخرى ويُغَنِّيه حتّى أتى عليه ، فأخذتُه منه . قال ابن جَبْر : وأخذتُه أنا من إبراهيم بن المهديّ .

[ردّ محمد بن عمران القاضي شهادته ثم قبلها]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني دنية المَدَنيّ صاحب العبّاسة بنت المهديّ ، وكان آدبَ مَنْ قَدِم علينا من أهل الحجاز : أنّ أبا سعيدٍ مولى فائد حضَر مجلسَ محمد بن عِمران التَّيْميّ قاضي المدينة لأبي جعفر ، وكان مقدّماً لأبي سعيد . فقال له ابن عمران التيميّ : يا أبا سعيد أنت القائل : [من الطويل]

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ... ألا ليتَ هـذا لا عَلَـيَّ ولا لِيا

فقال : إي لَعَمْرُ أبيك . وإنّي لأُدْمِجه إدماجاً من لؤلؤ . فردّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مُغضَباً وحلَف ألاّ يشهَدَ عنده أبداً . فأنكر أهل المدينة على ابن عمْران ردَّه شهادته ، وقالوا : عَرَّضتَ حقوقَنا للتَّوى[1] وأموالنا للتلف ؛ لأنا كنّا نُشْهِد هذا الرجلَ لعِلْمِنا بما كنت عليه والقضاةُ قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فنَدِم ابنُ عمران بعد ذلك على ردّ شهادته ، ووَجَّه إليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضي بشهادته ؛ فامتنع ، وذكر أنّه لا يقدِر على حضور مجلسه ليمينٍ لزمتْه إن حضرَه حَنِثَ . قال : فكان ابنُ عمران بعد ذلك ، إذا ادّعى أحدٌ عنده شهادةَ أبي سعيدٍ ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمَع منه ويسأله عمّا يَشهد به فيُخبره . وكان محمد بن عمران كثير اللَّحمْ ، عظيم البطن ، كبيرَ العجيزة ، صغير القدمين ، دقيق الساقين ، يشتدّ عليه المشي ، فكان كثيراً ما يقول : لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طفتُ سبعاً» وأضرَّ بي ضرراً طويلاً شديداً . وأنا رجلٌ ثَقالٌ ، بتردّدي إلى أبي سعيد لأسمعَ شهادتَه .

[ردّ المطّلب بن حنطب شهادته فقال له شعراً فقبلها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهيثم بن عديٍّ قال : كان المُطَّلب بن عبد الله بن حنطب قاضياً على مكّة ، فشَهِد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة ؛ فقال له المطَّلب : [ويحك !] ألستَ الذي يقول : [من الطويل]

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ... أَلا ليـت هـذا لا عـليّ ولا ليا

1 التوى : الهلاك .

لا قَبِلتُ لك شهادةً أبداً . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذي أقول : [من الطويل]

كأنّ وُجوهَ الحَنْطَبِيِّين في الدُّجَى قناديلُ تَسْقيها السَّلِيطَ الهياكلُ

فقال الحنطبيّ : إنّك ما علمتك إلاّ دَبّاباً حول البيت في الظُّلم ، مُدْمناً للطَّواف به في الليل والنهار ؛ وقَبِل شهادته .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا ، الذي في حديث إبراهيم بن المهديّ وخبره

صوت

[من المتقارب]

أفاضَ المدامِعَ قَتْلَى كُدىً وقَتْلى بكُثْوةَ لم تُرْمَسِ
وقَتْلى بِوَجٍّ وباللاَّبَتَيـ ـن من يَثْرِبٍ خيرُ ما أَنْفُسِ[1]
وبالزَّابِيَيْنِ نفوسٌ ثَوَتْ وأُخْرى بنهرِ أبي فُطْرُسِ[2]
أولئك قومي أناختْ بهم نوائبُ من زَمَنٍ مُتْعِسِ
إذا رَكِبوا زيَّنوا المَوْكِبَيْنِ وإن جَلَسوا الزَّيْنُ في المجلسِ
همُ أضرعوني لريبِ الزَّمانِ وهُمْ أَلصَقوا الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ

عروضه من المتقارب ، الشعر للعَبَليّ ، واسمه عبد الله بن عُمَر ، ويُكْنى أبا عدِيّ ، وله أخبار تُذْكر مفردةً في موضعها إن شاء الله . والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد ، ولحنه من الثقيل الثاني بالسبّابة في مجرى البِنصر . وقصيدةُ العبليّ أوّلُها :

تقولُ أُمامةُ لمّا رأتْ نُشُوزى عن المَضْجَعِ الأَنفَسِ

[أنشد العبليّ عبد الله بن حسن شعره في رثاء قومه فبكى]

نسختُ من كتاب الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، وأخبرني الأخفش عن المُبَرَّد عن المُغيرة بن محمد المُهَلَّبيّ عن الزُّبير عن سليمان بن عيّاش السَّعديّ قال : جاء عبد الله بن عُمَر العَبَليّ إلى سُوَيقة[3] وهو طريدُ بني العبّاس ؛ وذلك بعَقِب أيّام بني أُميّة وابتداء خروج مُلكهم إلى بني العبّاس ، فقصد عبد الله وحسناً ابنَيْ الحسن بن

1 وجّ : واد بالطائف . اللابتان : حرتا المدينة .
2 الزابيان : لعلّهما الزاب الأعلى والزاب الأسفل في العراق . نهر أبي فطرس : قرب الرملة بفلسطين .
3 سويقة : موضع بالمدينة .

حَسنٍ بسُويقة ؛ فاستنشده عبد الله بن حسنٍ شيئاً من شعره فأنشده ؛ فقال له : أُريد أن تُنْشِدَني شيئاً ممّا رثيت به قومك ؛ فأنشده قوله : [من المتقارب]

تقــول أمامـــةُ لَمّــا رأتْ ... نُشُوزي عن المَضْجَعِ الأنْفَسِ
وقِلّـةَ نَوْمـي على مضجعي ... لــدى هَجْمةِ الأَعيُنِ النُّعَّسِ
أبي مـا عَراكَ ؟ فقلتُ الهُمومَ ... عَـــرَوْنَ أباكِ فــلا تُبْلِسي
عَـــرَوْنَ أبــاكِ فحبَّسْنَه من ... الــذُّلِّ في شرِّ مـــا مَحْبِسِ
لِفَقْــدِ الأحِبَّــةِ إذ نالهــا ... سِهامٌ مــن الحَــدَث المُبْئِسِ
رمتْهـــا المَنُــونُ بــلا نُكَّلٍ ... ولا طــائشاتٍ ولا نُــكَّسِ
بأسْهُمِها المُتْلِفـــاتِ النفـوسِ ... متى ما تُصِبْ مُهْجةً تَخْلِسِ
فصَرَّعْنَهمْ في نَواحــي البلادِ ... مُلَقًّــى بــأرْضٍ ولم يُرْسَسِ[1]
تَقِــيٌّ أُصيــبَ وأثوابُـــه ... مــن العَيْبِ والعارِ لم تَدْنَسِ[2]
وآخَــرُ قــد دُسَّ في حُفْرةٍ ... وآخَــر قــد طــار لم يُحْسَسِ
إذا عَــنّ ذِكْرُهُــمُ لم يَنَــمْ ... أبــوكِ وأَوْحَشَ في المَجْلِسِ
فــذاكَ الذي غالنــي فاعلمي ... ولا تسألي بامــرىءٍ مُتْعَسِ
أذلُّـــوا قَناتــي لِمــن رامَها ... وقــد أَلْصَقُوا الرَّغم بالمَعْطِسِ

قال : فرأيتُ عبد الله بن حسنٍ وإنّ دموعه لتجري على خدّه .

[غنّى الرشيد وكان مغضباً فسكن غضبه]

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن إبراهيم بن رباح قال : عُمِّر أبو سعيد بن أبي سِنّة مولى بني أُميّة وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيّام الرشيد ؛ فلمّا حجّ أحضرَه فقال : أَنْشِدْني قصيدتك :

تقــولُ أُمامــةُ لَمّــا رأتْ

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنْشِده الشعرَ لحنه في أبيات منها ، أوّلها :

أفــاضَ المدامــعَ قَتْلى كُدًى

---

1 يرسس في ل : يرمس .
2 تقي يروى أيضاً : نقي .

وكان الرشيد مُغضباً فسكنَ غَضَبُه وطَرِب ، فقال : أنشِدني القصيدة . فقال : يا أمير المؤمنين ، كان القومُ مَوالِيّ وأنعموا عليّ ، فرثيتُهم[1] ولم أَهْجُ أحداً ؛ فتركه .

[كان ابن الأعرابيّ ينشد شعر العبليّ فصحّفه فردّه أبو هفان]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الحَزَنْبَل قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ وحضَر معنا أبو هِفان ، فأنشدنا ابن الأعرابيّ عمّن أنشده قال : قال ابن أبي سبة العَبَليّ : [من المتقارب]

أفاضَ المدامـعَ قَتْلى كذا وقَتْـلى بكبـوة لم تُرْمَسِ

فغَمَز أبو هفّان رجلاً وقال له : قُل له : ما معنى «كذا» ؟ قال : يريد كثرتهم فلمّا قُمنا قال لي أبو هِفّان : أسمِعتَ إلى هذا المُعجب الرَّقِيع ! صَحَّفَ اسم الرجل . هو ابن أبي سنّة ، فقال : ابن أبي سبَّة ؛ وصحَّف في بيت واحدٍ موضعين ، فقال : «قَتْلى كذا» وهو كُدًى ، و«قتلى بكبوة» وهو بكُثْوةَ . وأغلظُ عليّ من هذا أنّه يفسِّر تصحيفَه بوجهٍ وَقاحٍ . وهذا الشعر الذي غنّاه أبو سعيد يقوله أبو عَدِيّ عبد الله بن عُمَر العَبَلِيّ فيمن قَتَله عبد الله بن عليّ بنهر أبي فُطْرُس وأبو العبّاس السفّاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أُميّة . وخبرُهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرُها جدّاً . ونذكر هاهنا ما يُسْتَحسَنُ منها .

1 هنا ينسب أبو الفرج القصيدة إلى أبي سعيد وكان قبل قليل قد نسبها إلى عبد الله بن عمر العبلي .

[55] ـ ذكر مَنْ قتل أبو العبّاس السفّاح من بني أميّة

[مقتل مروان بن محمد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني مُسَبِّح بن حاتم العُكْليّ قال حدّثني الجَهْم بن السَّبَّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن عليّ ، قال : لمّا استمرّت الهزيمةُ بمروان ، أقام عبد الله بن عليّ بالرَّقّة ، وأنفذ أخاه عبدَ الصمد في طلبه فصار إلى دمشق ، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قوّاد خُراسان ، فلحِقه وقد جاز مصرَ في قرية تُدعى بُوصِيرَ ، فقتله ، وذلك يومَ الأحد لثلاث بَقين من ذي الحجّة ، ووجّه برأسه إلى عبد الله بن عليّ ، فأنفذه عبد الله بن عليّ إلى أبي العبّاس . فلمّا وُضِع بين يديه خرّ لله ساجداً ، ثم رفع رأسه وقال : الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يُبْقِ ثأري قِبلَكَ وقِبَلَ رَهْطِك أعداءِ الدّين ؛ ثم تمثَّل قول ذي الإصبع العدوانيّ[1] : [من البسيط]

لو يَشربون دَمي لم يُرْوِ شاربَهم ولا دِماؤهمُ للغَيْظِ تُرْوِيني

[أمّن عبد الله بن علي ابن مسلمة بن عبد الملك فأبى وقاتل حتى قتل]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثني محمد بن يزيد قال : نظر عبدُ الله بن عليّ إلى فتًى عليه أُبَّهةُ الشَّرَف وهو يُقاتل مُسْتَنْتِلاً[2] ، فناداه : يا فتى ، لك الأمانُ ولو كنتَ مروان بن محمد . فقال : إلاّ أكُنْه فلستُ بدونه . قال : فلك الأمانُ مَن كنتَ . فأطرق ثم قال : [من المتقارب]

أَذُلَّ الحياةِ وكُرْهَ المَماتِ وكُلاًّ أرى لك شَرّاً وَبيلا[3]

ويروى : وكلاًّ أراه طعاماً وَبيلا

فإنْ لم يكن غيرُ إحداهما فسَيْراً إلى الموتِ سَيْراً جَميلا

ثم قاتل حتى قُتل . قال : فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان .

[اجتمع عند السفّاح جماعة من بني أميّة فأنشده سديف شعراً يغريه بهم فقتلهم]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني النَّضْر بن عمرو عن المُعَيطيّ ، وأخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال قال أبو السائب سَلْم بن جُنادَةَ السُّوائيّ سمعتُ أبا

---

1 البيت من المفضلية رقم 31 وقد ورد في المفضليات وأمالي القالي بضمير المخاطب .

2 ل : مستقتلاً .

3 لك في ل : ذاك .

نُعَيْم الفضلَ بن دُكَيْن يقول : دخل سُدَيْفٌ ، وهو مولًى لآل أبي لَهَبٍ ، على أبي العبّاس بالحِيرة . هكذا قال وَكيع . وقال الكُرانيّ في خبره واللفظ له : كان أبو العبّاس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسي ، وبنو أُميّة على الوسائد قد ثُنِيتْ لهم ، وكانوا في أيّام دَولتهم يجلِسون هم والخلفاء منهم على السرير ، ويجلس بنو هاشم على الكراسي ؛ فدخل الحاجبُ فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب رجلٌ حِجازيّ أسود راكبٌ على نَجيبٍ متلثّمٌ يستأذن ولا يُخبِر باسمه ، ويحلِف ألاّ يَحْسِرَ اللِّثام عن وجهه حتى يراك . قال : هذا مولاي سُدَيف ، يدخل ، فدخل . فلمّا نظر إلى أبي العبّاس وبنو أُميّة حولَه ، حَدَر اللِّثام عن وجهه وأنشأ يقول[1] : [من الخفيف]

أصبح المُلْكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليل من بني العبّاسِ
بالصدورِ المُقَدَّمين قديماً ... والرُّؤوسِ القَماقِمِ الرُّؤّاسِ
يا أميرَ المُطَهَّرين مِنَ الذَّ ... مِّ ويا رأسَ منتهى كلِّ راسِ
أنت مَهْدِيُّ هاشمٍ وهُداها ... كم أُناسٍ رَجَوْكَ بعد إياسِ[2]
لا تُقِيلَنّ عبدَ شَمْسٍ عِثاراً ... واقطَعَنْ كلَّ رَقْلةٍ وغِراسِ
أَنْزِلُوها بحيث أنزلَها الـ ... ـلهُ بدارِ الهَوانِ والإتْعاسِ
خَوفُهم أظهرَ التَّوَدُّدَ منهمْ ... وبهم منكمُ كَحَزِّ المَواسي
أَقْصِهم أيُّها الخليفةُ واحْسِمْ ... عنك بالسَّيف شَأْفةَ الأَرْجاسِ
واذْكُرَنْ مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزَيْدٍ ... وقَتِيلٍ بجانبِ المِهْراسِ[3]
والإمامِ الذي بحرّان أَمْسَى ... رَهْنَ قبرٍ في غُرْبةٍ وتَناسي[4]

---

1 في الكامل للمبرد (3 : 1367) والعقد الفريد (4 : 486) أنّ الذي أنشد هذه الأبيات هو شبل بن عبد الله مولى بني هاشم ، وأنّ شعر سديف :

لا يغرنك ما ترى من أناس ... إن تحت البطون داء دويا

غير أنّ المخاطب عند المبرد هو عبد الله بن علي (عمّ السفاح) وفي العقد أبو العباس السفاح . وقد نقل ابن حمدون هذا الخبر والشعر .

2 إياس في ل : أناس .

3 القتيل بجانب المهراس ، هو حمزة بن عبد المطّلب ، ونسب قتله إلى بني أميّة ، كما قال المبرّد ، لأنّ أبا سفيان كان قائد قريش يوم أُحد . والمهراس ماء قريب من أُحد .

4 والأمام الذي بحران : هو إبراهيم الإمام قُتل في أيام مروان بن محمد وكان رأس الدعوة العباسية .

فلقـــد ساءني وساءَ سَوائــي قُرْبُـهمْ من نَمارِقٍ وكَراسي
نِعْمَ كَلْبُ الهِراشِ مولاك لولا أَوَدٌ مـــن حبائـــلِ الإفلاسِ[1]

فتغيّر لونُ أبي العبّاس وأخذه زَمَعٌ[2] ورِعْدة ؛ فالتفتَ بعضُ وَلَد سليمانَ بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم ، وكان إلى جَنْبه ، فقال : قَتَلَنا واللهِ العبدُ . ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال : يا بَني الفَواعل ، أرى قَتْلاكم من أهلي قد سَلَفوا وأنتم أحياءٌ تتلذَّذون في الدنيا ؟ خُذُوهم ! فأخذتْهم الخُراسانيّة بالكافر كوبات ، فأُهْمِدوا ، إلاّ ما كان من عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز فإنّه استجار بداود بن عليّ وقال له : إنّ أبي لم يكن كآبائهم وقد علِمتَ صنيعتَه إليكم ، فأجارَه واستوهبه من السّفاح ، وقال له : قد علمتَ يا أمير المؤمنين صنيعَ أبيه إلينا . فوَهَبه له وقال له : لا تُريني وجهَه ، وليكن بحيث تأمَنُه ؛ وكتب إلى عُمّاله في النواحي بقَتْل بني أُميّة .

[سبب قتل السفاح لبني أميّة وتشفّيه فيهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار عن عمّه : أنّ سبب قَتْل بني أُميّة : أنّ السفاح أُنْشِد قصيدةً مُدِح بها ، فأقبل على بعضهم فقال : أين هذا ممّا مُدحْتم به ؟ فقال : هيهاتَ ! لا يقول واللهِ أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيس الرُّقيات فينا[3] : [من المنسرح]

ما نَقَمُوا من بني أُميّة إلاَّ أنّـهمْ يَحْلُمـون إنْ غَضِبوا
وأنَّـهُم مَعْدِنُ المُلـوكِ ولا تَصْلُـحُ إلاّ عليهـمُ العَرَبُ

فقال له : يا ماصَّ كذا من أُمّه ، أوَ إنّ الخلافة لَفي نفسِك بعدُ ؟ خُذُوهم ! فأُخِذُوا فقُتِلوا .

[بسط السفاح على قتلاهم بساطاً تغدّى عليه]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطيّ : أنّ أبا العبّاس دعا بالغداء حين قُتِلوا ، وأَمَر ببساطٍ فبُسِط عليهم ، وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته . فلمّا فرغ من الأكل قال : ما أعلَمُني أكلتُ أُكلةً قطُّ أهْنأَ ولا أَطيَبَ لنفسي منها . فلمّا فرغ قال : جُرُّوا بأرجلهم ؛ فالقُوا في الطريق يلعَنُهم الناس أمواتاً كما لعنوهم أحياء . قال : فرأيت الكِلاب تجرّ بأرْجُلِهم وعليهم سَراويلاتُ الوَشْي حتى أَنْتَنوا ؛ ثم حُفِرتْ لهم بئر فأُلْقُوا فيها .

---

1 يروى أيضاً «نعم شبل الهراش مولاك شبل» ممّا يقوي نسبة الأبيات إلى شبل بن عبد الله .
2 زمع : رعدة شديدة .
3 ديوان ابن قيس الرقيات (طبعة دار صادر) : 4 .

[أوغر ابن هرمة صدر داود بن عليّ على بعض الأمويين في مجلسه]

أخبرني عُمَر بن عبد الله بن جميل العَتَكيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن مَعْنٍ الغِفاريّ عن أبيه قال : لمّا أقبلَ داود بن عليّ من مكّة أقبل معه بنو حسنٍ جميعاً وحسينُ بن عليّ بن حسين وعليُّ بن عُمَر بن عليّ بن حسين وجعفرُ بن محمد والأرْقَطُ محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وعُروة وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان ، فعُمِل لداود مجلسٌ بالرُّوَيْثة[1] ، فجلس عليه هو والهاشميّون ، وجلس الأمويُّون تحتهم ؛ فأنشده إبراهيم بن هَرْمة قصيدةً يقول فيها : [من البسيط]

فَلا عَفا اللهُ عن مَرْوانَ مَظْلِمةً ... ولا أُمَيَّة بئس المجلسُ النّادي
كانوا كعادٍ فأمسَى اللهُ أهلكهم ... بمثلِ ما أهلكَ الغاوين من عادِ
فلن يُكَذِّبَني مِن هاشمٍ أحدٌ ... فيما أقول ولو أكثرتُ تَعدادِي

قال : فنبَذ داود نحو ابن عنبسة ضحكةً كالكِشرة . فلمّا قام قال عبد الله [بن حسن] لأخيه حسن : أما رأيتَ ضَحْكتَه إلى ابن عَنْبسةَ ! الحمد لله الذي صَرَفها عن أخي (يعني العثمانيّ) . قال : فما هو إلاّ أنْ قَدِمِ المدينة حتّى قتل ابنَ عَنْبسة .

[استحلف عبد الله بن حسن داود بن عليّ ألاّ يقتل أخويه محمداً والقاسم]

قال محمد بن مَعنٍ حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : استحلف أخي عبدُ الله بن حسنٍ داودَ بن عليّ ، وقد حجّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، بطلاق امرأتِه مُلَيْكة بنتِ داود بن حسنٍ ألاّ يقتل أَخَويه محمداً والقاسم ابنَيْ عبدِ الله . قال : فكنتُ أختلف إليه آمناً وهو يقتل بني أُميّة ، وكان يكره أن يراني أهلُ خُراسان ولا يستطيع إليَّ سبيلاً ليمينه . فاستدناني يوماً فدنوتُ منه ، فقال : ما أكثَرَ الغَفْلَةَ وأقلَّ الحَزْمَةَ ! فأخبرتُ بها عبدَ الله بن حسن ؛ فقال : يا ابنَ أمّ ، تَغَيَّبْ عن الرجل ؛ فتغيَّبت عنه حتى مات .

[أنشد سديف السفّاح شعراً وعنده رجال من بني أُميّة فأمر بقتلهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثَم بن بِشْر مولى محمد بن عليّ قال : أَنْشَدَ سُدَيْفٌ أبا العبّاس ، وعنده رجالٌ من بني أُمَيَّة ، قوله : [من الخفيف]

يا ابنَ عَمّ النبيّ أنت ضِياءٌ ... إسْتَبَنَّا بِكَ اليقينَ الجَلِيّا

1 الرويثة : موضع على ليلة من المدينة .

فلّما بلغ قوله :

جَرِّدِ السَّيفَ وارْفَعِ العَفْوَ حتَّى ... لا ترى فوق ظهرها أُمَويا
لا يَغُرَّنْكَ ما ترى من رجالٍ ... إنّ تحت الضُّلوع داء دَويَّا
بَطَن البُغْضُ في القديمِ فأضحَى ... ثاوياً في قلوبهِم مَطْويَّا

وهي طويلة ، قال : يا سُدَيف ، خُلِق الإنسان من عَجَلٍ ، ثم قال : [من البسيط]

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سَلَفُوا ... فلنْ تَبِيدَ وللآباء أبناءُ

ثم أَمَر بمن عنده منهم فقُتِلوا .

[حضر سليمان بن عليّ جماعة من بني أميّة فأمر بقتلهم]

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ عن أبيه عن عمومته : أنّهم حضروا سليمانَ بن عليّ بالبَصرة ، وقد حضره جماعةٌ من بني أُميّة عليهم الثِّياب المَوْشيّة المرتفعة ، فكأنّي أنظر إلى أحدهم وقد اسودّ شيبٌ في عارضَيْه من الغالية ، فأَمَر بهم فقتِلوا وجُرُّوا بأرْجُلِهم ، فأُلْقُوا على الطريق ، وإنّ عليهم لسَراويلات الوَشْي والكِلاب تجرّ بأرجلِهم .

[وفد عمرو بن معاوية على سليمان بن عليّ يسأله الأمان فأجابه إليه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو قال أخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال : جاءني رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ، فقال لي : يقول لك عمرو : قد جاءتْ هذه الدولة وأنا حديث السنّ كثيرُ العِيال منتشر المال ، فما أكون في قبيلة إلاّ شُهِرَ أَمْري وعُرِفتُ ، وقد اعتزمتُ على أن أَفْدِيَ حُرَمي بنفسي ؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمان بن عليّ ، فصِرْ إليّ . فوافيتُه فإذا عليه طَيْلَسانٌ مُطْبَقٌ أبيضُ وسَراويلُ وَشْي مسدول ، فقلت : يا سبحان الله ! ما تصنع الحداثة بأهلها ! أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لِما تُريد لقاءَهم فيه ! فقال : لا والله ، ولكنّه ليس عندي ثوبٌ إلاّ أَشْهَر ممّا ترى . فأعطيتُه طَيلساني وأخذتُ طيلسانَه ولَوَيْتُ سَراويلَه إلى رُكبتيه ؛ فدخل ثم خرج مسروراً . فقلت له : حَدِّثني ما جرى بينك وبين الأمير . قال : دخلتُ عليه ولم يَرَني قطُّ ، فقلت : أصلح الله الأمير ! لفظتْني البلاد إليك ، ودَلّني فضلُك عليك ؛ فإمّا قتلتني غانِماً ، وإمّا رَدَدْتَني سالِماً . فقال : ومَنْ أنت ؟ ما أعرِفك ؛ فانتسبتُ له . فقال : مرحباً بك ، اقْعُد فتكلَّم آمناً غانِماً ؛ ثم أقبل عليّ فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت : إنّ الحُرَمَ اللواتي أنت أقرب الناس إليهنّ معنا وأولى الناس بهنّ بعدَنا ، قد خِفْنَ لخوفنا ، ومَن خاف خِيفَ عليه . فوالله ما أجابني إلاّ بدموعه على خَدَّيْه ؛ ثم قال : يا ابن أخي ، يَحْقِن اللهُ دَمَك ، ويحفظك

في حُرَمك ، ويُوَفِّر عليك مالَك . ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلتُ ، فكُنْ مُتوارياً كظاهر ، وآمِناً كخائف ، ولتَأْتِني رِقاعُك . قال : فكنتُ واللهِ أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه . قال : فلمّا فرَغ من الحديث رددتُ عليه طيلسانه ؛ فقال : مَهلاً ، فإنّ ثيابنا إذ فارقَتْنا لن ترجع إلينا .

[شعر لسديف في تحريض السفاح على بني أميّة]

أخبرني أحمد بن عبد الله قال حدّثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال : قال سديفٌ لأبي العبّاس يَحُضُّه على بني أُميّة ويذكر مَن قَتَل مروانُ وبنو أُميّة من قومه : [من الخفيف]

كيف بالعفو عنهمُ وقَدِيماً ... قتلوكم وهَتَّكُوا الحُرُماتِ
أين زيدٌ وأين يحيى بنُ زيدٍ ... يا لَها من مُصيبةٍ وتِراتِ
والإمامُ الذي أُصيبَ بَحرّا ... نَ إمامُ الهُدى ورأسُ الثِّقاتِ
قتلوا آلَ أحمدٍ لا عفا الذَّنْـ ... ـبَ لمروانَ غافرُ السَّيِّئاتِ[1]

[شعر لرجل من شيعة بني العبّاس في التحريض على بني أُميّة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أنشدني محمد بن يزيد لرجلٍ من شيعة بني العبّاس يُحرِّضهم على بني أُميّة : [من البسيط]

إيّاكُم أنْ تَلينوا لاعتذارهم ... فليس ذلك إلاّ الخَوْفُ والطَّمَعُ
لو أنَّهم أمِنوا أبْدَوْا عدواتَهمْ ... لكنّهم قُمِعوا بالذلِّ فانْقَمَعُوا
أليس في ألفِ شهرٍ قد مضتْ لهمُ ... سقَوْكُمُ جُرَعاً من بعدها جُرَعُ
حتى إذا ما انقضتْ أيّامُ مُدّتِهمُ ... مَتُّوا إليكم بالارحامِ التي قَطَعوا
هيهاتَ لا بدّ أن يُسْقَوْا بكأسهمُ ... ريًّا وأن يَحْصُدوا الزَّرْعَ الذي زَرَعوا
إنّا وإخوانَنا الأنصارَ شيعتُكمْ ... إذا تفرّقت الأهواءُ والشِّيَعُ
إيّاكمُ أن يقولَ الناسُ إنّهمُ ... قد مُلِّكوا ثم ما ضَرُّوا ولا نَفَعُوا

[رواية أُخرى في تحريض سديف للسفاح]

وذكر ابن المعتزّ : أنّ جعفر بن إبراهيم حدّثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخَصيب في قصّة سُدَيف بمثل ما ذكره الكُرانيّ عن النضر بن عمرو عن المُعَيطيّ ، إلاّ أنّه قال فيها : فلمّا أنشده ذلك التفتَ إليه أبو الغَمْر سليمان بن هشام فقال : يا ماصَّ بَظْرِ أُمّه ! أتَجبَهُنا بهذا

1 الذنب في ل : الله .

ونحن سَرواتُ الناس ! فغَضِب أبو العبّاس ؛ وكان سليمان بن هشام صديقه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيّامهم ويَبَرُّه ؛ فلم يلتفت إلى ذلك ، وصاح بالخُراسانيّة : خُذُوهم ؛ فقُتِلوا جميعاً إلاّ سليمان بن هشام . فأقبل عليه السفّاح فقال : يا أبا الغَمْر ، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً . قال : لا والله . فقال : اقتُلوه ، وكان إلى جَنبه ، فقُتِل ؛ وصُلبوا في بُستانه ، حتى تأذّى جلساؤه بروائحهم ، فكلّموه في ذلك ، فقال : والله لهذا ألَذُّ عندي من شَمّ المسْك والعنبر ، غيظاً عليهم وحَنَقاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الخفيف]

أصبح الدِّينُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهالِيلِ من بني العبَّاسِ[1]
بالصُّدُورِ المُقَدَّمين قديماً ... والرُّؤوسُ القَماقِمِ الرُّؤاسِ

عروضه من الخفيف ، الشعر لسُدَيف . والغناء لعَطَرَّد رَمل بالبنصر عن حَبَشٍ . قال : وفيه لَحَكَمٍ الواديّ ثاني ثقيلٌ . وفيه ثقيلٌ أوّل مجهول .

وممّا قاله أبو سعيد مولى فائد ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما في قَتلى بني أُميّة وغَنّى فيه : [من المتقارب]

صوت

بكيتُ وماذا يَرُدّ البُكاءُ ... وقَلَّ البُكاءُ لقَتْلَى كُداءْ
أُصيبوا معاً فَتَولَّوْا معاً ... كذلك كانوا معاً في رَخاءْ
بكتْ لهمُ الأرضُ من بعدهم ... وناحَتْ عليهم نجومُ السماءْ
وكانوا الضياءَ فلمّا انقضى الـ ... ـزَّمانُ بقومي تولّى الضياءْ

عروضه من المتقارب ، الشعر والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد .

وممّا قاله فيهم وغَنّى فيه على أنّه قد نُسِب إلى غيره : [من الخفيف]

صوت

أثَّـر الدهـر في رجـالي فقلُّوا ... بعـد جَمْعٍ فراحَ عَظْمي مَهيضا[2]

---

1 الدين تقدم برواية «الملك» ، ص 241 .
2 رجالي في ل : الرجال .

مـــا تذكَّرتُهـــم فتَملِــك عَيْني فَيْضَ غَرْبٍ وحُـقَّ لي أن تَفِيضا

الشعر والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ . وروى الشِّيعيّ عن عمر بن شبّة عن إسحاق أنّ الشعر لسُدَيف والغناء للغريض ، ولعلّه وَهَمٌ .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أولئك قَوْمـي بعدَ عِـزٍّ ومَنْعةٍ تَفانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أكْمَدِ

كأنَّـهمُ لا نـاسَ للموتِ غيرُهم وإن كان فيهم مُنصِفاً غيرَ مُعْتَدي

الشعر والغناء لأبي سعيد . وفيه لحن لمُتَيَّمَ .

[ركب المأمون إلى جبل الثلج فغنّاه علويه بشعر ندب فيه بني أميّة]

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني عمّي طَيّاب بن إبراهيم قال : رَكِب المأمون بدمشق يتصيَّد حتى بلغ جبلَ الثلج ، فوقف في بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربعُ سَرَوَاتٍ لم يُرَ أحسن منها ولا أعظم ، فنزل المأمون وجعل ينظر إلى آثار بني أميّة ويَعْجَب منها ويذكُرهم ، ثم دعا بطَبَقٍ عليه بَزْماوَرد[1] ورِطل نبيذ ؛ فقام عَلُّويَه فغنّى : [من الطويل]

أولئك قَوْمي بعدَ عِــزٍّ ومَنْعةٍ تَفانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أكْمَدِ

قال : فغَضِب المأمون وأَمَر برفع الطبق ، وقال : يا ابن الزانية ! ألم يكن لك وقتٌ تبكي فيه على قومك إلاّ هذا الوقت ! قال : نعم أبكي عليهم ! مولاكم زِرْياب يركب معهم في مائة غُلامٍ ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً ! فقام المأمون فركِب وانصرف الناس ، وغَضِب على عَلُّويَه عشرين يوماً ؛ فكلَّمه فيه عبّاس أخو بَحر ؛ فرَضي عنه ، ووَصله بعشرين ألفَ درهم .

صوت
من المائة المختارة[2]

[من الطويل]

مَهاةٌ لَوَ آنَّ الذَّرَّ تَمْشي ضِعافُه على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَما[3]

---

1 بزماورد : طعام من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

2 ديوان حميد (طبعة دار صادر ، بيروت) : 90–105 وهي من قصيدة تتألّف من مائة وثلاثين بيتاً .

3 رواية الديوان مطابقة لرواية الأصمعي .

فقُلْنَ لها قُومي فديْناكِ فارْكَبِي فأومَتْ بَلا لا غيرَ أنْ تَتكَلَّما[1]

عروضه من الطويل . بَضَّتْ : سالتْ . يقول : لو مَشى الذرُّ على جِلْدها لجرى منه الدمّ من رِقَّته . وروى الأصمعيّ : [من الطويل]

مُنَعَّمَةٌ لــو يُصْبِحُ الذَّرُّ سارياً على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَما

الشعر لحُمَيْد بن ثَورٍ الهلاليّ ، والغناء في اللحن المختار لفُلَيْح بن أبي العَوراء ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن فُلَيْح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، وأنّ الثقيل الأوّل للهُذليّ .

وممّا يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

إذا شئتُ غَنَّتْنِي بأجزاعِ بِيشَةٍ أوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أو مِنْ يَلَمْلَما[2]
مُطَوَّقَـــةٌ طَوْقـاً وليس بحِلْيَـةٍ ولا ضَرْبِ صَوّاغٍ بكَفَّيْهِ دِرْهَما[3]
تُبَكّي على فَرْخٍ لهـا ثمّ تَـغْتَدي مُوَلَّهةً تبغـي لـه الدَّهْرَ مَطْعَما[4]
تُؤَمِّـل منـه مُؤْنِساً لانفرادهـا وتَبْكي عليـه إنْ زَقـا أو تَرَنَّما

غنّاه محمد الرَّفّ خفيفَ رملٍ بالوسطى .

---

1 الشطر الثاني في الديوان : «فقالت ألا لا غير أمّاً تكلما» وفي عيون الأخبار «فأومت بلا لا غير ما أن تكلما» .

2 بيشة وتثليث ويلملم : أسماء مواضع والأخيرة ميقات أهل اليمن . ويروى بأجراع بدلاً من بأجزاع ، وبالرزن بدلاً من النخل ، ويبنبم أو يبمبم بدلاً من يلملم .

3 مطوقة في الديوان : تطوق .

4 لم يرِد هذان البيتان في الديوان ولا في الزيادات .

[56] ـ ذكر حُمَيد بن ثور ونسبه وأخباره[1]

[نسبه]

هو حُمَيد بن ثَور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهِيك بن هِلال بن عامِر بن صَعصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هوازِن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار . وهو من شعراء الإسلام . وقَرَنه ابن سَلاَّم بِنَهشل ابن حَرِّيّ وأَوس[2] بن مَغراء .

[هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب]

وقد أدرك حُمَيد بن ثور عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وقال الشعر في أيّامه . وقد أدرك الجاهليّة أيضاً .

[نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعراً]

أخبرنا وكيع قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شَبيب قالا حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ قال حدّثني محمد بن فَضالة النحويّ قال : تقدّم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألاَّ يُشَبِّب أحدٌ بامرأة إلاّ جَلَده . فقال حُمَيد بن ثور ، وكانت له صحبة ، فذكر شعراً فيه : [من الطويل]

أَبَى اللهُ إلاَّ أنَّ سَرْحَةَ مالكٍ على كُلِّ أفنانِ العِضاهِ تَرُوقُ[3]
فقد ذهبتْ عَرضاً وما فوق طُولها مِن السَّرْحِ إلاَّ عَشَّةٌ وسَحُوقُ

العَشَّة : القليلة الأغصان والورق . والسَّحوق : الطويلة المفرطة .

1 ترجمة حميد بن ثور الهلالي في كتب الصحابة وطبقات ابن سلام 2 : 583 والشعر والشعراء 306-310 وشرح شواهد المغني : 73 والوافي 13 : 193 ومعجم الأدباء (تحقيق إحسان عبّاس) : 1222-1225 وسمط اللآلي : 376 وتهذيب ابن عساكر 4 : 456 . وقد صنع الميمني ديوانه ثم نشرته دار صادر ، بيروت بإشراف د . محمد يوسف نجم وإلى هذه الطبعة نشير . وقد تضمّنت التذكرة الحمدونية عدّة مختارات من شعره في مواضع متفرّقة ، وتجد مختارات أخرى في الكامل للمبرد وأمالي القالي وغيرهما .

2 عدّ ابن سلام في طبقاته أوس بن مغراء في الطبقة الثالثة وعدّ حميد بن ثور ونهشل بن حريّ والأشهب بن رميلة وعمر بن لجأ في الطبقة الرابعة (انظر طبقات فحول الشعراء ، تحقيق العلاّمة الأستاذ محمود محمد شاكر : 570 و583) .

3 السرحة : الشجرة الطويلة ويكنى بها الشعراء عن المرأة . والأبيات من مواضع متفرّقة من قصيدة تتألّف من 46 بيتاً (الديوان : 65-71) .

فلا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحى تستَطِيعُه ... ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ[1]
فهَلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ ... مِنَ السَّرْحِ موجـودٌ عليَّ طريقُ

وهي قصيدة طويلة أوّلها : [من الطويل]

نـأتْ أُمُّ عَمْرٍ فالفُـؤادُ مَشُوقُ ... يَحِـنُّ إليهـا والهـاً ويَتُـوقُ

صوت

وفيها ممّا يُغنَّى فيه :

سَقى السَّرْحةَ المِحْلالَ والأَبْرَقَ الذي ... بـه السَّرْحُ غيثٌ دائمٌ وبُروقُ
وهلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نفسي بِسَرْحةٍ ... مِـنَ السَّرْح موجودٌ عـليّ طريقُ[2]

غنّاه إسحاق ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[وفد على بعض خلفاء بني أُميّة بشعر فوصله]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عَمِّه قال[3] : وَفَد حُمَيْد بن ثَور على بعض خُلفاء بني أُميّة ؛ فقال له : ما جاء بك ؟ فقال : [من الطويل]

أتاكَ بِيَ اللهُ الذي فوق مَنْ تَرى ... وخيرٌ ومعـروفٌ عليـك دليلُ
ومَطْوِيَّـةُ الأَقْرابِ أمّا نهارُهـا ... فنَـصٌّ وأمّـا ليلُهـا فذَمِيـلُ[4]
ويَطْوِي عليَّ اللَّيْلُ حِضْنَيْهِ إنّني ... لذاك إذا هاب الرجالُ فَعُولُ[5]

فوصله وصرفه شاكراً .

1 الظل : ما كان من أوّل النهار إلى الزوال . الفيء : ما كان من الزوال إلى الليل .
2 موجود في الديوان : مسدود .
3 ديوان حميد : 78 وفي الحاشية أنّ الصواب نسبتها إلى حميد الأرقط .
4 الأقراب : جمع قُرب وهو الخاصرة . فنص في ل : فرقل . ويروى : فسبت ، وكلها أنواع من السير .
5 لذاك في ل : أراك .

[57] ـ أخبار فليح بن أبي العوراء

[هو مولى بني مخزوم وأحد مغنّي الدولة العبّاسية]

فُلَيْحٌ رجل من أهل مكّة ، مولًى لبني مخزوم ، ولم يقع إلينا اسمُ أبيه . وهو أحد مغنّي الدولة العبّاسية ، له محلٌّ كبير من صناعته ، وموضع جليل . وكان إسحاق إذا عدّ مَنْ سَمِع من المُحْسنين ذكَره فيهم وبدأ به . وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائةَ الصوتِ للرشيد .

[مدح إسحاق الموصليّ غناءه]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ابن المكّيّ عن أبيه عن إسحاق قال : ما سمعتُ أحسنَ غناءٍ من فُلَيْح بن أبي العوراء وابن جامع : فقلتُ له : فأبو إسحاق ؟ (يعني أباه) ؛ فقال : كان هذان لا يُحسنان غير الغناء ، وكان أبو إسحاق فيه مثلهما ، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يُداخِلانه فيها .

[كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد[1] المُهلَّبيّ قال : قال لي إسحاق : أحسنُ مَنْ سمعتُ غناءً عَطَرَّد وفُلَيح .

وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيّامه ، وهو أحدُ مَن كان يَحكي الأوائلَ فيُصيب ويُحسن .

[أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني محمد بن محمد العَنْبسيّ قال حدّثني محمد بن الوليد الزُّبيريّ قال : سمعتُ كَثِيرَ بن المُحَوَّل يقول : كان مُغَنِّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُلَيح بن أبي العوراء ، والآخر سليمان بن سُلَيم ؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفُليح غِناؤك من حَلق أبي صدقة[2] أحسن منه من حَلقك ، فعَلِّمْه إيّاه ، قال : وكان يغنّي صوتا يُجيده ، وهو :

خيرُ ما نَشْرَبُها بالبُكَرْ

قال : فقال فُليح للرسول : قُلْ له : حَسْبُك . قال : فسمعنا ضَحِكَه من وراء الستارة .

1 ل : محمد بن يزيد .

2 سيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

[كانت ترفع الستارة بينه وبين المهديّ دون سائر المغنّين]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثنا الفضل بن الربيع : أنّ المهديّ كان يسمع المغنّين جميعاً ، ويحضُرون مجلسَه ، فيُغنّونه من وراء الستارة لا يرون له وجهاً إلاّ فُلَيْح بن أبي العَوراء ؛ فإنّ عبد الله بن مُصعَب الزُّبيريّ كان يُرَوِّيه شعرَه ويغنّي فيه في مدائحه للمهديّ ؛ فدسَّ في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه ، وسأل فليحاً أن يغنّيهما في أضعاف أغانيه ، وهما : [من الخفيف]

صوت

يا أمينَ الإلـهِ في الشَّرْقِ والغَرْ ... بِ على الخَلْقِ وابنَ عَمِّ الرَّسُولِ

مجلساً بالعَشِيِّ عنـدك في المَيْـ ... ـدانِ أبغِي والإذْنَ لي في الوُصُولِ

فغنّاه فُلَيح إيّاهما . فقال المهديّ : يا فضلُ ، أَجِبْ عبدَ الله إلى ما سأل ، وأحْضِرْه مجلسي إذا حَضَره أهلي ومَوالِيّ وجلستُ لهم ، وزِدْه على ذلك أن ترفع بيني وبين راويته فُلَيْح السِّتارة ؛ فكان فُلَيْح أوّل مُغنٍّ عاين وجهَه في مجلسهم .

[دعاه محمد بن سليمان بن عليّ أوّل دخوله بغداد ووصله]

أخبرني رضوان قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال حدّثني بعد قُدومي فُسْطاط مِصْر زيادُ بن أبي الخطّاب كاتب مسرورٍ خادمِ الرشيد ، قال : سمعتُ محبوبَ بن الهَفْتِيّ يحدّث أبي ، قال : دعاني محمد بن سليمان بن عليٍّ ، فقال لي : قد قَدِم فُلَيْحٌ من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغبان ، فصِرْ إليه ، فأعْلِمْه أنّه إن جاءني قبلَ أن يدخلَ إلى الرشيد ، خلعتُ عليه خِلعةً سريَّة من ثيابي ووهبتُ له خمسة آلاف درهم . فمضيتُ إليه فخبَّرته بذلك ؛ فأجابني إليه إجابة مسرورٍ به نشيطٍ له . وخرج معي ، فعَدَل إلى حَمّامٍ كان بقُربه ، فدعا القَيِّمَ فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيءٍ يأكله ونبيذٍ يشربه ؛ فجاءه برأسٍ كأنّه رأسُ عِجلٍ ونبيذٍ دُوشابيّ[1] غليظ مسحوريّ رديء . فقلت له : لا تفعل ، وجَهَدتُ به ألاّ يأكل ولا يشرب إلاّ عند محمد بن سليمان ؛ فلم يلتفت إليّ ، وأكل من ذلك الرأسَ وشرب من ذلك النبيذِ الغليظ حتّى طابت نفسه ، وغنّى وغنّى القيِّم معه مَلِيّاً ؛ ثم خاطب القيِّمَ بما أغضبه ، وتَلاحَيا وتَواثَبا ؛ فأخذ القيِّم شيئاً فضربه به على رأسه فشجّه حتّى جرى دمُه . فلمّا رأى الدمَ على وجهه اضطرب وجَزِع وقام يغسِل جُرحه ،

1 الدوشاب : نبيذ التمر . والمسحوري : الفاسد .

ودعا بصوفة مُحرَقة وزيت ، وعَصَبه وتعمَّم وقام معي . فلمّا دخلنا دارَ محمد بن سليمان ، ورأى الفرشَ والآلةَ وحضر الطعام فرأى سَرْوَه وطِيبَه ، وحضر النبيذ وآلته ، ومدّتِ الستائرُ وغنَّى الجواري ، أقبل عليّ وقال : يا مجنون ! سألتك بالله أيّما أحقُّ بالعربدة وأوْلى : مجلِسُ القَيِّم أم مجلس[1] الأمير ؟ فقلت : وكأنّه لا بُدَّ من عربدة ؟ قال : لا ، والله مالي منها بُدٌّ ، فأخرجتُها من رأسي هناك . فقلت : أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجودُ . فسألني محمد عمّا كنّا فيه فأخبرته ؛ فضَحِك ضحكاً كثيراً ، وقال : هذا الحديث والله أظرفُ وأطيب من كلِّ غِناء ، وخلَع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم .

[اتّفق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع عند يحيى بن خالد]

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبو إسحاق القرمطي قال حدّثنا مُدرِكةُ بن يزيد قال : قال لي فُلَيْح بن أبي العوراء : بعث يحيى بن خالد إليّ وإلى حَكَمٍ الواديّ وإلى ابن جامع ، فأتيناه . فقلت لحكَمَ : إنْ قَعَد ابنُ جامع معنا فعاونّي عليه لنكسره . فلمّا صرْنا إلى الغِناء غنَّى حكم ؛ فصِحتُ وقلتُ : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنَّيت ، ففعل لي حكم مثلَ ذلك . وغنَّى ابن جامع فما كنّا معه في شيء . فلمّا كان العَشيُّ أرسل إلى جاريته دنانير : إنّ أصحابك عندنا ، فهل لك أن تخرُجي إلينا ؟ فخرجتْ وخرج معها وصائف ؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يَظُنّ أنّا لا نسمع : ليس في القوم أنْزَهُ نفساً من فُلَيْح . ثم أشار إلى غلام لـه : أنِ ائْتِ كلَّ إنسان بألفَيْ درهم ، فجاء بها ؛ فدفع إلى ابن جامع ألفَيْ درهم فأخذها فطرحها في كُمِّه ، وفعل بحكم الوادِيّ مثلَ ذلك فطرحها في كُمِّه ، ودفع إليّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّي النبيذ ، فاحبِسيها لي عندك[2] حتى تَبعَثي بها إليّ ؛ فأخذت الدراهم منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها ؛ وأرسلت إليّ : قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشيء أحببتُ أن تفرِّقه على أُخواتي (تعني جَوارِيّ) .

[غنّى الفضل بن الربيع وهو مريض ثم مات في علّته]

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال : كنّا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هَل لك في فُلَيْح بن أبي العوراء ؟ قلت نعم . فأرسل إليه ، فجاء الرسول فقال : هو عليلٌ ؛ فعاد إليه فقال الرسول : لا بدّ من أن تجيء ؛ فجاء به محمولاً في مِحَفّة ؛ فحدّثنا ساعةً ثم غنَّى . فكان فيما غنَّى : [من السريع]

1 ل : منزل (في الحالين) .

2 ل : عند نفسك .

تقول عِرْسي إذ نبا المَضْجَعُ ما بالك الليلةَ لا تَهْجَعُ

فاستحسنّاه منه واستعَدْناه منه مراراً ؛ ثم انصرف ومات في علّته تلك ؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس .

[قصة عاشق غنّاه هو وعشيقته فبعثت إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ قال حدّثني أبي عن فُلَيْح بن أبي العوراء قال : كان بالمدينة فتًى يعشَق ابنة عمّ له ، فوعدتْه أن تزوره . وشكا إليّ أنّها تأتيه ولا شيء عنده ، فأعطيته ديناراً للنفقة . فلمّا زارته قالت له : مَن يُلَهِّينا ؟ قال : صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته ؛ فكان أوّل ما غنّيته : [من الوافر]

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها ولم تَرْفَعْ لِوالدها شَنارا

فقامت إلى ثوبها فلبِسته لتنصرف ؛ فعَلِق بها وجهَد بها كلَّ الجَهد في أن تقيم ، فلم تُقِم وانصرفتْ . فأقبل عليّ يلومني في أن غنّيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شيءٌ اعتمدتُ به مساءَتك ، ولكنّه شيء اتّفق . قال : فلم نبرَح حتى عاد رسولها بعدها ومعه صرّة فيها ألف دينار ، ودفعها إلى الفتى وقال له : تقول لك ابنة عمّك : هذا مهري ادفعه إلى أبي ، واخطُبني ؛ ففعل فتزوّجها .

نسبة هذا الصوت

صوت

وقال[1] : [من الوافر]

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها ولم ترفَعْ لوالدها شَنارا
كأنّ مَجامِعَ الأردافِ منها نَقاً درجتْ عليه الريحُ هارا
يعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قلبي وأتّبع المُمَنَّعَةَ النَّوارا

الشعر لسُلَيك بن السُّلَكة السَّعديّ . والغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لابن الهِرْبِذ لحنٌ من رواية بَذْل ، أوّله :

يعافُ وِصالَ ذاتِ البذلِ قلبي

1 شعر السليك بن السلكة (جمع حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد (مطبعة العاني ، بغداد) : 55 .

وبعده . [من الوافر]

غَذاهـا قارِصٌ يغدو عليها ومَحضٌ حين تنتظرُ العِشارا

[ورد دمشق على إبراهيم بن المهديّ فأخذ عنه جواريه غناء]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قـال حدّثنا أبـو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال : كتب إليّ جعفر بن يحيى وأنا عاملٌ للرشيد على جُنْد دِمشق : قد قَدِم علينا فُلَيْح بن أبي العوراء ، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمِعناه قبله . وأنا محتالٌ لك في تخليصه إليك ، لتستمتع به كما استمتعنا . فلم ألبَثْ أنْ ورد عليّ فُلَيْح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلافِ دينار . فورد عليَّ رجل أذكَرني لقاؤه الناس ، وأخبرني أنّه قد ناهز المائة ، فأقام عندي ثلاث سنين ، فأخذ عنه جواريّ كلَّ ما كان معه من الغناء ، وانتشرت أغانيه بدمشق .

[غنى مونق ألحان فليح بفسطاط مصر]

قال يوسف : ثم قَدِم علينا شابٌّ من المغنِّين مع عليّ بن زيد بن الفَرَج الحَرّانيّ ، عند مَقْدَم عَنْبسة بن إسحاق فُسْطاط مصر ، يقال له مُونِق ؛ فغنّاني من غناء فُلَيْح : [من المنسرح]

[صوت]

يـا قُـرّةَ العينِ اقْبَلي عُـذري ضـاقَ بهِجرانكُـمُ صدري
لو هَلَكَ الهجرُ استراح الهوى مـا لَقِـيَ الوصلُ مـن الهجرِ

ولحنه خفيف رمل ، فلم أَرَ بين ما غنَّاه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً ؛ فسألته من أين أخذه ؟ فقال : أخذتُـه بدمشق ؛ فعلمـتُ أنّه ممّا أخذه أهلُ دمشق عن فُلَيْح .

صوت
من المائة المختارة[1]

[من الطويل]

أفاطمَ إنّ النأْيَ يسلي ذوي الهوى ونأيُـكِ عنّي زاد قلبي بكم وَجْدا
أرى حَرَجاً ما نِلتُ من وُدّ غيركم ونافلةً مـا نلتُ من ودّكم رُشْدا

1 ديوان ابن هرمة : 95–96 عن الأغاني .

وما نلتقي من بعدِ نــأْيٍ وفرْقةٍ وشَحْطِ نَوًى إلاّ وجدتُ لـه بَرْدا
على كَبدٍ قــد كاد يُبْدي بها الهوى نُدوباً وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدا

عروضه من الطويل . النأي : البُعْد ، ومثله الشَّحْط . والحَرَج : الضِّيق ؛ قال الله تعالى : ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ . والنُّدوب : آثار الجِراح ، واحدها نَدَبٌ .

الشعر لإبراهيم بن هرمةَ ، والغِناء في اللحن المختار ، على ما ذكره إسحاق ، ليونس الكاتب ، وهو من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه مثل ذلك . وذكر حبش بن موسى أنّ الغِناء لمرزوق الصرَّاف أو ليحيى بن واصِل . وفي هذه الأبيات للهُذَليّ لحنٌ من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ، ومن الناس من ينسُب اللحنين جميعاً إليه .

[58] ـ ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو إبراهيم بن عليّ بن سلمة بنٍ هرمة بن هُذَيل . هكذا ذكر يعقوب بن السِّكِّيت . وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزّبير بن بكّار عن عمّه مُصعَب ، وذكر ذلك العبّاس بن هشام الكلبيّ عن أبيه هشام بن محمد بن السائب ، قالوا جميعاً : هو إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهُذَيل بن ربيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنانة بن عَدِيّ بن قَيس بن الحارث بن فهْر ، وفهرٌ أصلُ قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يُعَدّ من قريش ، وقد قيل ذلك في النَّضْر بن كنانة ، وفهر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر . قال مَنْ ذكرْنا من النسّابين : قَيس بن الحارث هو الخُلُجُ ، وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نَصر بن معاوية بن بَكْر بن هَوازِن . فلمّا استُخلِف عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أَتَوْه لِيَفرِض لهم ، فأنكر نَسَبَهم . فلمّا استُخلف عثمان أَتَوْه فأثبتهم في بني الحارث بن فِهْرٍ وجعل لهم معهم ديواناً . وسُمُّوا الخُلُج لأنّهم اختلجوا ممّن كانوا معه من عَدوان ومن بني نصر بن معاوية . وأهلُ المدينة يقولون : إنّما سُمُّوا الخُلُج لأنّهم نزلوا بالمدينة على خُلُجٍ (وواحدُها خليج) فسُمُّوا بذلك . ولهم بالمدينة عدد . قال مُصعب : كان لإبراهيم بن هَرمة عمٌّ يقال له هرمة[2] الأعور ، فأرادت الخُلُجُ نَفْيَه منهم ؛ فقال : أمسيتُ ألأمَ العرب دَعِيّاً أدعياء . ثم قال يهجوهم[3] : [من الطويل]

رأيتُ بني فِهْرٍ سِباطاً أكُفُّهُمْ ... فما بالُ ، أَنْبُوني ، أَكُفُّكُم قُفْدا[4]
ولم تُدْرِكوا ما أدرك القومُ قبلَكم ... من المجدِ إلاّ دَعْوَةً أُلحقتْ كَدّا
على ذي أيادِي الدّهرِ أفلح جَدُّهم ... وخِبْتُم فلَم يَصْرَع لكم جَدُّكم جَدّا[5]

---

1 ترجمة إبراهيم بن هرمة في الخزانة 1 : 224–226 والسمط : 398 وطبقات ابن المعتزّ : 20 والموشح : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وقد أورد ابن حمدون كثيراً من أخباره وشعره في مواضع متفرّقة من التذكرة الحمدونية (انظر الفهرس) وقد جمع شعره محمد عبد الجبار المعيبد (النجف ، 1969) وهو الذي نعتمده هنا .

2 ل : أبو هرمة .

3 لم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن هرمة ولا في الشعر المنسوب له .

4 سباط الأكف : أكفّهم طويلة معتدلة كناية عن الكرم . القفد : ميل في الكف كناية عن البخل .

5 وخبتم في ل : وخفتم .

[نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم فعاتبهم]

وقال يحيى بن عليّ حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن أبي سَلَمة الغِفاريّ قال: نَفى بنو الحارث بن فهرٍ ابنَ هَرمة، فقال[1]: [من الطويل]

أحارِ بنَ فِهْرٍ كيف تَطَّرِحونني وجاء العِدا من غيرِكم تبتغي نَصْرِي[2]

قال: فصار من وَلَد فِهْرٍ في ساعته.

[كان يقول: أنا ألأم العرب]

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدّثني العبّاس بن هشام الكلبيّ عن أبيه قال: كان ابن هرمة يقول: أنا ألأمُ العرب، دَعِيٌّ أدعياء: هَرْمةُ دَعِيٌّ في الخُلُج، والخُلُج أدعياء في قريش.

[قصّته مع أسلميّ ضافه]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال: زرتُ عبد الله بن حسن ببادِيته وزاره ابنُ هرمة، فجاءه رجلٌ من أَسْلَمَ؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن: أصلحك الله! سَلِ الأسْلَمِيّ أنْ يأذَنَ لي أن أُخبرك خبري وخبره. فقال له عبد الله بن حسن: ائذَنْ له، فأذِنَ له الأسلميّ. فقال له إبراهيم بن هَرمة: إنّي خرجتُ، أصلحك الله، أبغِي ذَوْداً لي، فأوحشتُ[3] وضِفتُ هذا الأَسْلَمِيّ، فذَبحَ لي شاةً وخبَزَ لي خبزاً وأكرمني، ثم غدوتُ من عنده، فأقمتُ ما شاء الله. ثم خرجتُ أيضاً في بُغاء ذَوْدٍ لي، فأوحشتُ فضِفتُه فَقراني بلبن وتَمْر، ثم غدوتُ من عنده فأقمت ما شاء الله. ثم خرجتُ في بُغاء ذَوْدٍ لي، فأوحشتُ، فقلت: لو ضِفْتُ الأَسلميّ! فاللَّبن والتمر خيرٌ من الطَّوى؛ فضِفته فجاءني بلبن حامض. فقال: قد أجبتُه، أصلحك الله، إلى ما سأل، فسَلْه أنْ يأذنَ لي أن أخبرك لِمَ فعلتُ. فقال له: ائذَن له؛ فأذِن له. فقال الأَسْلَمِيّ: ضافَني، فسألته مَن هو؟ فقال: رجلٌ من قريش، فذبحتُ له الشاة التي ذكَر، ووالله لو كان غيرُها عندي لذبحتُه له حين ذكَر أنّه من قريش. ثم غَدا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا: مَنْ كان ضيفَك البارحة؟ قلتُ: رجلٌ من قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو من قريش، ولكنّه دَعِيٌّ فيها. ثم ضافني الثانية على أنّه دَعِيٌّ في قريش، فجئتُه بلبن وتمر وقلت: دَعِيُّ قريش خيرٌ من غيره.

1 ديوان ابن هرمة: 126 عن الأغاني.
2 وجاء في ل: وجاني.
3 أوحش الرجل: إذا نفد زاده وجاع.

ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا : مَن كان ضيفَك البارحة ؟ قلت الرجل الذي زعمتم أنّه دَعِيٌّ في قريش فجئته بلبن وتمر ؛ فقالوا : لا والله ما هو بدَعِيٍّ في قريش ، ولكنّه دَعِيٌّ أدْعِياءِ قريش . ثم جاءني الثالثة ، فقريتُه لبناً حامضاً ، ووالله لو كان عندي شرٌّ منه لَقَرَيْتُه إيّاه . قال : فانخذل ابنُ هرمة ، وضَحِكَ عبد الله وضَحِكنا معه .

[لقيه ابن ميّادة وطلب مهاجاته ثم تبيّن أنّه يمزح]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال : لَقِي ابنُ ميّادة ابنَ هرمة ، فقال ابن ميّادة : واللهِ لقد كنتُ أُحِبُّ أنْ أَلقاك ، لا بدّ من أن نتهاجى ، وقد فعل الناس ذلك قبلنا . فقال ابن هرمة : بئس والله ما دعوتَ إليه وأحببته ، وهو يظنّه جادّاً . ثم قال له ابن هرمة : أما والله إنّني للذي أقول[1] : [من الطويل]

إنِّــي لَميمونٌ جــِواراً وإنَّني　　إذا زَجَــر الطَّيْرَ العِــدا لَمَشُومُ
وإنّي لمــلآنُ العِنــانِ مُناقِــلٌ　　إذا ما وَنى يومــاً أُلفُّ سَؤُومُ[2]
فوَدَّ رجــالٌ أنَّ أُمِّي تَقَنَّعتْ　　بشيبٍ يُغَشِّي الرأسَ وهي عقيمُ

فقال ابن ميّادة : وهل عندك جَراء[3] ؟ ثَكِلَتْك أُمُّك ! أنت أَلأم من ذلك ! ما قلتُ إلاّ مازحاً .

أخبرنا به وكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران : اجتمع ابن هرمة وابن ميّادة عند جُمَيع بن عمر بن الوليد ، فقال ابن ميّادة لابن هرمة : قد كنتُ أحِبُّ أن ألقاك . ثم ذكر نحوه .

[أنكر عليه أن تتمضغ الناطف مع قدوم وزير فحمله وتلقّى به الموكب]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا عليّ بن محمّد بن سليمان النَّوفليّ قال حدّثني أبو سلمة الغفاريّ عن أبيه قال : وفدتُ على المهديّ في جماعة من أهل المدينة ، وكان فيمن وَفَد يُوسُفُ بن موهب وكان في رجال بني هاشم من بني نَوفلٍ ، وكان معنا ابن هرمة ؛ فجلسنا يوماً على دكّان قد هُيِّىء لمسجد ولم يُسقَّف ، في عسكر المهديّ ؛ وقد كنّا نلقى الوزراء وكُبَراء السلطان ، وكانوا قد عرفونا ؛ وإذا حِيالَ الدكّان رجلٌ بين يديه ناطِف يبيعه في يوم شات شديد البرد ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفُوفاً ؛ فأقبل ابن هرمة علينا ، فقال ليوسف : يا ابن عمّ رسول الله ، ﷺ ، أما معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف ؟ فقال له : متى عهِدتَني أحمل

---

1 ديوان ابن هرمة : 204–205 عن الأغاني .

2 ملآن العنان : سريع العدو . مناقل : ينقل قوائمه بسرعة . الألفّ : الثقيل البطيء .

3 الجراء : االفتوة ومثلها الجراية والجري .

الدراهم ! قال : فقلت له : لكنّي أنا معي ، فأعطيتُه درهماً خفيفاً ، فاشترى به ناطفاً على طَبَق للناطفيّ فجاء بشيء كثير ، فأقبل يتمضَّغه وحدَه ويحدّثنا ويضحك . فما راعَنا إلاّ موكب أحد الوزيرين : أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود . ثم أقبلتِ المُطَرِّقة[1] ؛ فقلنا : مالك قاتلك الله ! يهجُم علينا هذا وأصحابه ، فيَرون الناطف بين أيدينا فيظنُّون أنّا كنّا نأكل معك . قال : فوالله ما أحدٌ أولى بالسَّتر على أصحابه وتَـقلُّد البليّة منك يا ابن عمّ رسول الله ! فضَعْه بين يديك . قال : اعزُب قَبَحك الله ! قال : فأنت يا ابن أبي ذَرّ ، فزَبَرْته .

قال : فقال : قد علمتُ أنّه لا يُبتلى بهذا إلاّ دَعِيٌّ أدعياءَ عاضٌّ كذا من أمّه . ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقّى به الموكب ، فما مرَّ به أحدٌ له نباهةٌ إلاّ مازحه ، حتى مضى القومُ جميعاً .

[مدح عبد الله حسن فأكرمه]

وقال هارون حدّثني أبو حُذافة السَّهميّ قال حدّثنا إسحاق بن نِسطاس قال : كان ابن هَرمة مشتهراً[2] بالنبيذ ، فأتى عبد الله بن حسن بن حسن وهو بالسَّيالة[3] ، فأنشده مديحاً له . فقام عبد الله إلى غنم كانت له ، فرمى بساجةٍ[4] عليها فافترقت فرقتين ، فقال : اختَرْ أيَّهما شئت ، قال : فإمّا أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأُخرى . قال : وكانت ثلاثمائة ، وكتب له إلى المدينة بدنانير . فقال له : يا ابنَ هرمة ، انقُل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا . فقال : أفعلُ يا ابن رسول الله ﷺ .

[دعاه صديق وهو يزمع السفر إلى النبيذ فشرب حتى حُمل سكران]

ثم قدِم ابن هرمة المدينة وجَهَّز عيالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن ، واكترى من رجلٍ من مُزَينة . فبينا هو قد شَدّ متاعه وحمله والكريُّ[5] ينتظره أن يتحمَّل ، إذ أتاه صديق له ، فقال : أي أبا إسحاق ، عندي والله نبيذٌ يُسقِط لحمَ الوجه . فقال : ويحك ! أما ترانا على مثل هذه الحال ! أعليها يمكن الشراب ! فقال : إنّما هي ثلاثة لا تَزِدْ عليهنّ شيئاً . فمضى معه وهم وقوف ينظرون ؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح ؛ ثم أُتي به وهو سكران ، فطُرِح في شِقِّ المَحمِل وعادلته امرأته ومضَوْا .

[لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر]

فلمَّا أسْحَروا رفع رأسه فقال : أين أنا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذُله ، وقالت :

---

1 المطرقة : الذين يتقدّمون الموكب ويفسحون له الطريق .
2 ل : مستهتراً .
3 السيالة : موضع قرب المدينة .
4 الساجة : هنا واحدة الساج وهو نوع من الخشب .
5 الكري : المكاري .

قد أفسد عليك هذا النبيذُ دِينَك ودنياك ، فلو تعلَّلت عنه بهذه الألبان ! فرفع رأسه إليها وقال[1] : [من الكامل]

لا نبتغي لبـنَ البعيرِ وعندنـا مـاءُ الزَّبيبِ وناطفُ المِعْصارِ

[هو أحد من ختم بهم الشعراء في رأي الأصمعيّ]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا زكريّا بن يحيى بن خلاَّد قال : كان الأصمعيّ يقول : خُتِم الشعراءُ بابن هرمة ، والحَكَم الخُضريّ ، وابن ميّادة ، وطُفَيلٍ الكِنانيّ ، ومَكِينٍ العُذْريّ .

[رهن رداءه في النبيذ]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثني أبو حُذافة السَّهْميّ أحمد بن إسماعيل قال : كان ابن هرمة مُدمناً للشراب مُغرَماً به ؛ فأتى أبا عمرو بن أبي راشد مولى عدوان ؛ فأكرمه وسقاه أيّاماً ثلاثة . فدعا ابن هرمة بالنبيذ ؛ فقال له غلامٌ لأبي عمرو بن أبي راشد : قد نَفد نبيذُنا . فنزع ابن هرمة رداءَه عن ظهره فقال للغلام : اذهَبْ به إلى ابن حونك[2] (نبَّاذ كان بالمدينة) ، فارهنه عنده وأْتِنا بنبيذٍ ، ففعل . وجاء ابن أبي راشد ، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ . فقال له : أين رِداؤك يا أبا إسحاق ؟ فقال : نصفٌ في القدح ونصفٌ في بطنك .

[مدح محمد بن عمران الطلحيّ فاحتجب عنه]

قال هارون حدّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزُهريّ قال حدّثني عمِّي عبد العزيز بن إسماعيل قال : مدح ابن هرمة محمد بن عِمران الطَّلحيّ ، وبعث إليه بالمديح مع ابن رُبَيح[3] ، فاحتجب عنه ؛ فمدح محمد بن عبد العزيز ، وكان ابن هرمة مريضاً ، فقال قصيدته التي يقول فيها[4] : [من الكامل]

إنِّي دعوتُكَ إذْ جُفِيتُ وشَفَّني مرضٌ تَضاعفني شديدُ المُشْتَكى
وحُبِسْتُ عن طلب المَعِيشةِ وارتقتْ دوني الحوائجُ في وُعـورِ المُرْتَقى
فأَجِبْ أخاك فقد أنـافَ بصوته يا ذا الإخاء ويا كريمَ المُرْتَجى
ولقد حُفِيتَ صَبيبَ عُكَّـةِ بَيْتِنا ذَوباً ومِزْتُ بصَفْوِه عنك القَذى[5]

1 ديوان ابن هرمة : 130 عن الأغاني
2 ل : ابن حوقل .
3 هو راوية ابن هرمة .
4 ديوان ابن هرمة : 54 عن الأغاني .
5 حفيت في ل : حبيت . وحبيت وحفت بمعنى أعطيت . ذوباً : عسلاً .

فخُـذِ الغَنيمـةَ واغتنمني إنَّنـي غُـنْـمٌ لمثلـك والمكـارمُ تُشْتَرى
لا تَرْمِيَـنَّ بحاجتـي وقضائهـا ضَرْحَ الحجاب كما رَمى بي مَنْ رَمَى

فركِب إلى جعفر بن سليمان نصف النَّهار ؛ فقال : ما نَزَعك[1] يا أبا عبد الله في هذا الوقت ؟ قال : حاجةٌ لم أَرَ فيها أحداً أكفى منّي . قال : وما هي ؟ قال : قد مَدحني ابن هرمة بهذه الأبيات ، فأردتُ من أرزاقي مائةَ دينار . قال : ومِنْ عندي مثلُها قال : ومن الأمير أيضاً ! قال : فجاءتِ المائتا الدينار إلى ابن هرمة ، فما أنفق منها إلاّ ديناراً واحداً حتى مات . وورِث الباقي أهله .

[طلب من أبي جعفر أن يحتال له في إباحة الشراب]

وقال أحمد بن أبي خَيْثَمة عن أبي الحسن المدائنيّ قال : امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصَله بعشرة آلاف درهم . فقال : لا تَقَع منّي هذه . قال : ويحك ! إنّها كثيرة . قال : إنْ أردتَ أن تَهْنِئني فأَبِح لي الشراب فإنّي مُغرمٌ به . فقال : ويحك ! هذا حدٌّ من حدود الله . قال : احتَل لي يا أمير المؤمنين . قال نعم . فكتب إلى والي المدينة : مَن أتاك بابن هرمة سكرانَ فاضربه مائةً واضرب ابن هرمة ثمانين . قال : فجعل الجِلواز[2] إذا مرّ بابن هرمة سكران ، قال : مَن يشتري الثمانين بالمائة ! .

[امتدح الحسن بن زيد وعرض بعبد الله بن حسن وأخويه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سلمة الغِفاريّ قال أخبرنا ابن رُبَيح راوية ابن هرمة قال : أصابت ابن هرمة أُزمةٌ ؛ فقال لي في يوم حارٍّ : اذهب فتَكارَ حمارَين إلى ستّة أميال ، ولم يُسَمِّ موضعاً . فركِب واحداً وركبتُ واحداً ، ثم سِرنا حتى صِرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببَطحاء ابن أَزهر ، فدخلنا مسجده . فلمّا مالت الشمس خرج علينا مُشتملاً على قميصه ، فقال لمولًى لـه : أَذِّنْ فـأذّن ، ولم يكلّمنا كلمةً . ثم قال له : أَقِم فأقام ، فصلّى بنا ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ، حاجَتك ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأُمّي ، أبياتٌ قلتُها ، وقد كان عبد الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدُوه شيئاً فأخلفوه ، فقال : هاتِها . فقال[3] : [من البسيط]

أمّا بَنو هاشمٍ حوْلي فقـد قَرَعُوا نَبْـلَ الضِّبابِ التي جَمَّعتُ في قَرَنِ[4]

1 ما نزعك : ما حرّكك من مكانك .
2 الجلواز : الشرطي .
3 ديوان ابن هرمة : 230–233 .
4 الضباب هنا : الأحقاد . أي أنّهم أظهروا حقدهم وعداوتهم وأنا كتمتها .

فمـا بِيَثْرِبَ منهـم مَـنْ أُعاتِبُه إلاّ عَوائـدَ أرجوهنّ مـن حَسَنِ
اللهُ أعطـاك فضـلاً مِـنْ عَطِيَّتِه على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضى وهَنِ[1]

قال : حاجتك ! قال : لابن أبي مُضَرِّسٍ عليّ خمسون ومائة دينار . قال : فقال لمولى لـه : يا هيثم ، اركـب هذه البغلة فـأْتِني بابن أبي مُضَرِّس وذِكر حَقّه[2] . قال : فما صَلَّينا العصر حتى جاء به . فقال له : مرحباً بك يا ابن أبي مُضَرِّس ، أمعك ذِكرُ حَقِّك على ابن هرمة ؟ قال نعم . قال : فامحُه ، فمحاه . ثم قال : يا هيثم ، بعِ ابن أبي مُضَرِّس من تمر الخانقين[3] بمائة وخمسين ديناراً وزِده على كلِّ دينار ربع دينار ، وكِلِ ابن هرمة بخمسين ومائة دينارٍ تمراً ، وكِلِ ابن رُبيح بثلاثين ديناراً تمراً . قال : فانصرفنا من عنده ؛ فلقِيَه محمد بن عبد الله بن حسن بالسَّيالة ، وقد بلغه الشعر ، فغَضِب لأبيه وعُمومته فقال : أيْ ماصَّ بَظْرِ أُمّه ! أنت القائل :

على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ

فقال : لا والله ! ولكنّي الذي أقول لك[4] : [من البسيط]

لا والذي أنتَ منه نِعمةٌ سَلَفتْ نرجـو عَواقِبَهـا في آخـِرِ الزَّمَنِ
لقد أُتِيتُ بأمـرٍ مـا عَمَدتُ له ولا تعمَّـده قولـي ولا سَنَني
فكيف أمشي مع الأقـوام معتـدلاً وقـد رَمَيتُ بَرِيءَ العُودِ بالأُبَنِ[5]
مـا غيَّرتْ وجهَـه أُمٌّ مُهَجِّنَـةٌ إذا القَتامُ تَغَشَّى أوجُـهَ الهُجُنِ

قال : وأمّ الحسن أمّ ولد .

[لمّا عرض بعبد الله بن حسن وإخوته قطع عنه ما كان يجريه عليه]

قال هارون : فحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبايةَ قال : لمّا قال ابنُ هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد ، قـال عبد الله بن حسن : والله مـا أراد الفاسق غيري وغير أخَـوَيّ : حسنٍ وإبراهيـم . وكان عبد الله يُجري على ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغَضِب عليه . فأتاه يعتذر ، فنُحِّي وطُرِدَ ؛ فسأل رجالاً أن يكلِّموه ، فردَّهم ؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه . فمكث ما شاء الله ، ثم مرّ عشيّـةً وعبد الله على زَرْبِيَّة في ممرّ المِنبر ، ولم تكن تُبسَطُ

1 هن : كلمة يكنى بها عن الاسم . وكررها ثلاثاً لأنّه أراد ثلاثة أشخاص .
2 ذكر الحق : الصك الذي يكتب فيه الدَّين .
3 الخانقان : موضع بالمدينة .
4 ديوان ابن هرمة : 234–235 .
5 الأبن : جمع أبنة وهي العقدة في العود تفسده . ويقال : ليس في حسب فلان أبنة أي عيب .

لأحدٍ غيره في ذلك المكان . فلمّا رأى عبد الله تضاءل وتَقَنْفَذَ وتصاغر وأسرع المشيَ . فكأنّ عبد الله رقّ له ، فأمر به فرُدَّ عليه ، فقال : يا فاسقُ ، يا شاربَ الخمر ، على هَنٍ وهَنٍ ! أتُفَضِّل الحسنَ عليّ وعلى أخويّ ؟ فقال : بأبي أنت وأُمّي ! ورَبِّ هذا القبر ما عَنَيتُ إلاّ فرعونَ وهامانَ وقارونَ ، أفتغضَب لهم ! فضحِك وقال : واللهِ ما أحسَبُك إلاّ كاذباً . قال : والله ما كذَبْتُك . فأمَر بأن تُرَدَّ عليه جرايتُه .

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال أخبرني أبو أيُّوبَ المدينيّ عن مُصعب قال : إنّما اعتذر ابن هرمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن .

[قصيدة له خالية من الحروف المعجمة]

قال يحيى : وأخبرني أبو أيُّوب عن عليّ بن صالح قال[1] : أنشدني عامر بن صالح قصيدةً لابن هرمة نحواً من أربعين بيتاً ، ليس فيها حرف يُعجم ؛ وذكر هذه الأبيات منها . ولم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة ، ولا كنتُ أظنّ أنّ أحداً تقدَّم رُزَيناً العَروضيّ إلى هذا الباب . وأوّلها : [من البسيط]

أَرَسْمُ سَوْدَةَ أمسى دارسَ الطَّلَلِ مُعَطَّـلاً ردّه الأحـوالُ كالخُلَلِ

هكذا ذكر يحيى بن عليّ في خبره أنّ القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً ؛ ووجدتها في رواية الأصمعيّ ويعقوب بن السِّكِّيت اثني عشر بيتاً ، فنسختُها هاهنا للحاجة إلى ذلك . وليس فيها حرف يُعجم إلاّ ما اصطلح عليه الكُتَّاب من تصييرهم مكانَ ألفٍ ياءً مِثل «أَعْلى» فإنّها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء ، ومثل «رأَى» ونحو هذا ، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف ، وإنّما اصطلح الكُتَّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه . والقصيدة : [من البسيط]

أَرَسْمُ سَوْدَةَ مَحْلٌ دارسُ الطَّلَلِ مُعَطَّـلٌ رَدَّه الأحـوالُ كالحُلَلِ
لَمّـا رأى أهلَهـا سَدّوا مَطالِعَها رام الصُّدودَ وعـاد الوُدُّ كالمُهُلِ
وعـاد وُدُّك داءً لا دواءَ لـه ولو دعاك طَوالَ الدّهـرِ للرِّحَلِ
ما وَصْلُ سَوْدَةَ إلاّ وَصْلُ صارمةٍ أحلها الدهـرُ داراً مأْكَلَ الوَعِلِ
وعـاد أمواهُها سُدْماً[2] وطارَ لها سَهْمٌ دعـا أهلَها لِلصُّرْم والعِلَلِ
صَدُّوا وصدّ وساء المـرءَ صَدُّهُمُ وحام للورْدِ رَدْهـاً حَوْمَـةَ العَلَلِ

حومة الماء ، كَثرته وغمرته . والعلل : الشُّرْب الثاني . والرَّدْهُ : مستنقَع الماء .

---

1 ديوان ابن هرمة : 179–181 عن الأغاني .

2 سُدْماً : متغيرة .

وحَلَّـوْوهُ رِداهـاً ماؤُهـا عَسَلٌ ... مـا مـاءُ رَدْهٍ لَعَمْرُ اللهِ كالعَسَلِ
دعـا الحَمامُ حَماماً سَدَّ مَسْمَعَه ... لَمّـا دعـاه رآه طامـحَ الأَمَلِ
طُمُوحَ سارحـةٍ حَـوْمٍ مُلَمَّعَةٍ ... ومُمْرِعُ السرِّ سهلٌ ماكِدُ السَّهَلِ[1]
وحاولوا رَدَّ أمـرٍ لا مَرَدَّ لـه ... والصُّرْمُ داءٌ لأهلِ اللَّوْعةِ الوُصُلِ
أحَلَّـكَ اللهُ أعْـلى كلِّ مَكْرُمـةٍ ... واللهُ أعطاك أعـلى صـالحِ العَمَلِ
سهـلٌ مَـوارِدُهُ سَمْحٌ مَواعِـدُهُ ... مُسَودٌ لِكِـرامٍ سادةٍ حُمُـلِ

[عاب المسوّر بن عبد الملك شعره]

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن أبي حُذَيفة قال : كان المُسَوَّر بن عبد الملك المخزوميّ يَعيب شعرَ ابن هرمة ، وكان المُسَوَّرُ هذا عالِماً بالشعر والنَّسب ؛ فقال ابن هرمة فيه[2] : [من البسيط]

إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ من لُجُمي ... نِكْلاً يُنَكِّلُ قَرّاصاً مـن اللُّجُمِ
يَـدُقُّ لَحْيَيْكَ أو تنقـادَ مُتَّبِعاً ... مَشْيَ المُقَيَّدِ ذي القِرْدانِ والحَلَمِ
إنّي إذا ما امـرؤٌ خَفَّتْ نَعامَتُهُ ... إليّ واسْتَحْصَدتْ منه قُوى الوَذَمِ[3]
عقـدتُ في مُلْتَقى أوداجِ لَبَّتِه ... طَوقَ الحمامةِ لا يَبْلى على القِدَمِ
إنّي امرؤٌ لا أصوغ الحَلْيَ تَعْمَلُه ... كَفّايَ لكن لِساني صائـغُ الكَلِمِ
إنَّ الأَديمَ الذي أمسيتَ تَقْرِظُه ... جَهْلاً لذو نَغَلٍ بـادٍ وذو حَلَمِ[4]
ولا يَئِطُّ بأيـدي الخالقِينَ ولا ... أيـدي الخوالِقِ إلاّ جَيِّدُ الأَدَمِ

[عاتب عبد الله بن مصعب في تفضيله ابن أذينة عليه]

قال يحيى وحدّثني أبو أيُّوب عن مُصعب بن عبد الله عن أبيه قال : لَقِيَني ابن هَرْمةَ فقال لي : يا ابن مُصعب ، أتُفَضِّل عليّ قولَ ابن أُذَيْنةَ ! أما شكرتَ قولي[5] : [من الطويل]

فما لَكَ مُخْتَلاًّ عليـك خَصاصةٌ ... كأنّك لم تَنْبُت ببعض المَنابِتِ

1 السارحة : الماشية . الحوم : القطيع الضخم . الملمع : الذي في جسده بقع تخالف لونه . السر هنا : بطن الوادي . الماكد : الدائم غير المنقطع .
2 ديوان ابن هرمة : 214 .
3 استحصدت قواها : أحكم فتلها . الوذم : سيور مستطيلة .
4 نغل : فساد ، والحلم : فساد في الجلد .
5 ديوان ابن هرمة : 74 .

كأنَّكَ لم تَصْحَبْ شُعَيْبَ بنَ جَعْفَرٍ ولا مُصْعباً ذا المَكْرُماتِ ابنَ ثابتِ

يعني مُصعب بن عبد الله ، قال : فقلت : يا أبا إسحاق ، أقِلْني ورَوِّني من شعرك ما شئتَ ؛ فإنّي لم أَروِ لك شيئاً . فروّاني عَبّاسِيّاتِه تلك .

[ثناؤه على إبراهيم بن عبد الله وإبراهيم بن طلحة لإكرامهما له]

قال يحيى : وأخبرني أبو أيُّوب المدينيّ عن مُصعب بن عبد الله عن مُصعَب بن عثمان قال : قال ابن هرمة[1] : ما رأيتُ أحداً قطُّ أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع ، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن مَعْمَر . أمّا إبراهيم بن طلحة فأتيته فقال : أَحْسِنوا ضِيافةَ أبي إسحاق ، فأتيتُ بكلِّ شيء من الطعام ، فأردت أن أُنشِدَه ؛ فقال : ليس هذا وقتَ الشعر . ثم أخرج الغلام إليّ رُقعة فقال : ائتِ بها الوكيل . فأتيتُه بها ، فقال : إنْ شئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به ، وإن شئتَ أعطيتُك القيمة . قلت : وما أَمَر لي به ؟ فقال : مائتا شاةٍ برعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جَمَّالٌ ومِظَلّة وما تحتاج إليه ، وقُوتُك وقوتُ عِيالِك سنةً . قلت : فأَعْطِني القيمة ؛ فأعطاني مائتي دينار . وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيتُه في منزله بمُشاش[2] على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عَفّان ؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برُزمة من ثياب وصُرَّةٍ من دراهم ودنانير وحُليّ ، ثم قال : لا واللهِ ما بَقّينا في منزلنا ثوباً إلاّ ثوباً نُواري به امرأةً ، ولا حَلياً ولا ديناراً ولا درهماً . وقال يمدح إبراهيم[3] : [من الخفيف]

أَرَّقَتْني تَلُومُني أُمُّ بكرٍ بعد هَدْءٍ[4] واللَّوْمُ قد يُؤْذِيني
حَذَّرَتْني الزمانَ ثُمَّتَ قالتْ ليس هذا الزمانُ بالمأمونِ
قلتُ لمّا هَبَّتْ تُحَذِّرني الدَّهْـرَ دَعِي اللَّوْمَ عنكِ واسْتَبْقِيني
إنّ ذا الجُودِ والمَكارِمِ إبرا هيمَ يَعْنيه كلُّ ما يَعْنِيني
قد خَبَرْناه في القديم فألفَيْـ ـنا مَواعِيدَه كعَيْنِ اليقينِ
قلتُ ما قلتُ للّذي هو حقٌّ مستبينٌ لا لِلّذي يُعْطِيني
نَضَحتْ أرضَنا سماؤك بعد الـ ـجَدْبِ منها وبعد سُوء الظُّنونِ
فرَعَيْنا آثارَ غَيْثٍ هَراقَتْـ ـهُ يَدا مُحْكَم القُوى ميمونِ

1 هذا الخبر ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 2 : 296 (رقم 770) .
2 مشاش : موضع .
3 ديوان ابن هرمة : 239–240 .
4 ل : فتر .

[طلب من محمد بن عمران علفاً فأعطاه كلّ ما ورده]

وقال هارون حدّثنا حمّاد عن عبد الله بن إبراهيم الحَجَبيّ : أنّ إبلاً لمحمد بن عِمران تحمل علفاً مرّتْ بمحمد بن عبد العزيز الزُّهريّ ومعه ابن هرمة ، فقال : يا أبا إسحاق ، ألا تستعلف محمدَ بن عِمران ! وهو يريد أن يُعَرّضه لمَنْعِه فيهجوه . فأرسل ابن هرمة في أثر الحَمُولة رسولاً حتى وقف على ابن عِمران ، فأبلغه رسالتَه ؛ فردّ إليه الإبل بما عليها ، وقال : إن احتجتَ إلى غيرها زِدناك . فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز فقال له : اغْسِلْها عنّي ، فإنّه إنْ علِم أنّي استعلفته ولا دابّةَ لي وقعتُ منه في سَوْأة . قال : بماذا ؟ قال : تُعْطيني حمارَك . قال : هو لك بسَرْجه ولِجامه . فقال ابن هرمة : مَن حَفَر حفرةَ سوءٍ وقَع فيها[1] .

[وفد على السريّ بن عبد الله باليمامة ومدحه فأكرمه وكان يحبّ أن يفد عليه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزُّهريّ عن ابن زُرَيق ، وكان منقطعاً إلى أبي العبّاس بن محمد وكان من أَرْوى الناس ، قال : كنتُ مع السَّريّ بن عبد الله باليمامة ، وكان يتشوّق إلى إبراهيم بن عليّ بن هرمة ويُحِبُّ أن يَفِدَ عليه ؛ فأقول : ما يمنعك أن تكتب إليه ؟ فيقول : أخاف أن يكلّفني من المؤونة ما لا أُطيق . فكنت[2] أكتب بذلك إلى ابن هرمة ، فكَره أن يَقدَم عليه إلاّ بكتاب منه ؛ ثم طُلب فشخَص إليه ، فنزل عليٌّ ومعه راويته ابن رُبَيح . فقلت له : ما مَنَعك من القدوم على الأمير وهو من الحِرص على قدومك على ما كتبتُ به إليك ؟ قال : الذي منعه من الكتاب إليّ . فدخلتُ على السَّرِيّ فأخبرته بقدومه ؛ فسُرَّ بذلك وجلس للناس مجلساً عامّاً ، ثم أُذِن لابن هرمة فدخل عليه ومعه راويته ابن رُبَيح . وكان ابن هرمة قصيراً دَميماً أُرَيْمِص[3] ، وكان ابنُ رُبَيْح طويلاً جسيماً نقيّ الثياب . فسلَّم على السَّرِيّ ثم قال له : أصلحك الله ! إنّي قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه عليك . فقال : أَنْشِد ؛ فقال : هذا يُنشد فجلس . فأنشده ابن رُبَيح قصيدتَه التي أوّلها[4] : [من البسيط]

عُوجا على رَبْعِ ليــلى أُمِّ محمودِ ... كيما نُسائلَه مـن دون عَبُّـودِ[5]

---

1 المثل رقم 4002 في مجمع الميداني : «من حفر مغوّاة وقع فيها» والمغواة حفر تغطّى للضبع والذئب وفي مستقصى الزمخشري 2 : 354 «من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً» .

2 ل : فقلت .

3 أريمص : تصغير أرمص والرمص : ما يسيل من العين .

4 ديوان ابن هرمة : 101–103 .

5 عبود : جبل قريب من المدينة .

عن أُمِّ محمودَ إذ شَطَّ المَزارُ بها … لعلّ ذلك يَشْفِي داءَ مَعمودِ
فعَرَّجا بعد تغويرٍ وقد وقفتْ … شمسُ النهارِ ولاذ الظِّلُّ بالعُودِ[1]
شيئاً فما رَجَعتْ أطلالُ منزلةٍ … قَفْرٍ جواباً لمحزونِ الجَوى مُودِي[2]

ثم قال فيها يمدح السريّ :

ذاك السَّرِيُّ الذي لولا تَدَفُّقُهُ … بالعُرْفِ مُتْنا حليفُ المجدِ والجودِ
مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عبدِ الله مجتدياً … لِسَيْبِ عُرْفِك يَعْمِدْ خيرَ معمودِ
يا ابنَ الأُساةِ الشُّفاةِ المُسْتَغاثِ بهمْ … والمُطْعِمِينَ ذُرى الكُومِ المَقاحِيدِ[3]
والسَّابقين إلى الخيراتِ قومَهُمُ … سَبْقَ الجِياد إلى غاياتها القُودِ[4]
أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البطحاء مَنْبِتُكُمْ … بطحاءِ مكّةَ لا روسُ القَرادِيدِ[5]
لَكُمْ سِقايَتُها قِدْماً ونَدْوَتُها … قد حازها والدٌ منكمُ لمولودِ
لولا رجاؤك لم تَعْسِفْ بنا قُلُصٌ … أجوازَ مهْمَهةٍ قَفْرِ الصُّوى بيدِ
لكنْ دعاني وميضٌ لاح معترضاً … من نحو أرضِك في دُهمٍ مَناضِيدِ[6]

وأنشده أيضاً قصيدةً مدحه فيها ، أوّلُها[7] : [من الطويل]

أفي طَلَلٍ قَفْرٍ تَحَمَّلَ آهِلُهْ … وقفتَ وماءُ العينِ يَنْهَلُّ هامِلُهْ
تُسائل عن سَلْمى سَفاهاً وقد نأتْ … بسلمى نَوًى شَحْطٌ فكيف تُسائلُهْ
وترجو ولم يَنْطِقْ وليس بناطقٍ … جواباً مُحِيلٌ قد تَحَمَّل آهِلُهْ
ونُؤْيٌ كخَطِّ النُّونِ ما إن تَبِينُه … عَفَتْه ذيولٌ من شَمالٍ تُذايِلُهْ

ثم قال فيها يمدح السَّرِيّ : [من الطويل]

فقُلْ للسَّرِيِّ الواصِلِ البَرِّ ذي النَّدى … مديحاً إذا ما بُثَّ صُدِّقَ قائلُهْ

---

1 تغوير في ل : تعويق .
2 مودي : هالك .
3 المقاحيد : النوق العظيمة السنام .
4 القود : الخيل الطويلة العنق .
5 القراديد : الأراضي الغليظة المرتفعة .
6 الدهم المناضيد : السحاب الأسود المتراكب .
7 ديوان ابن هرمة 174–175 عن الأغاني .

جوادٌ على العِلاَّتِ يَهْتَزُّ للنَّدى ... كما اهتزَّ عَضْبٌ أخلصتْه صَياقِلُهْ
نَفى الظُّلْمَ عن أهل اليَمامةِ عدلُه ... فعاشُوا وزاحَ الظُّلْمُ عنهم وباطلُهْ
وناموا بأَمْنٍ بعد خوفٍ وشِدَّةٍ ... بسيرةِ عَدْلٍ ما تخافُ غوائلُهْ
وقد عَلِم المعروفُ أنَّك خِدْنُه ... ويعلَم هذا الجوعُ أنَّك قاتِلُهْ
بك اللّهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ وغيرَها ... من الأرضِ حتَّى عاشَ بالبَقْلِ آكلُهْ
وأنتَ تُرَجَّى للَّذي أنتَ أهلُه ... وتنفَعُ ذا القُرْبى لديك وسائِلُهْ

وأنشده أيضاً ممّا مدحه به قوله :

عُوجا نُحَيِّ الطُّلولَ بالكُثُبِ[1]

يقول فيها يمدحه[2] : [من المنسرح]

دَعْ عنك سَلْمى وقُلْ مُحَبَّرَةً ... لِماجِدِ الجَدِّ طَيِّبِ النَّسَبِ
مَحْضٍ مُصَفَّى العُروقِ يحمَده ... في العُسْرِ واليُسْرِ كُلُّ مُرْتَغِبِ
الواهبِ الخَيْلَ في أَعِنَّتِها ... والوُصَفاءَ الحِسانَ كالذَّهَبِ
مجداً وحمداً يُفيدُه كَرَماً ... والحمدُ في الناسِ خيرُ مُكْتَسَبِ

قال : فلمّا فرغ ابن رُبيح ، قال السَّريّ لابن هرمة : مرحباً بك يا أبا إسحاق ! ما حاجتك ؟ قال : جئتك عبداً مملوكاً . قال : لا ! بل حُرّاً كريماً وابن عمّ ، فما ذاك ؟ قال : ما تركتُ لي مالاً إلاّ رهنتُه ، ولا صديقاً إلاّ كلَّفته ، قال أبو يحيى : يقول لي ابن زُرَيق : حتّى كأنّ له دَيَّاناً وعليه مالاً ، فقال له السَّريّ : وما دَيْنُك ؟ قال : سبعمائة دينار . قال : قد قضاها الله عزّ وجلّ عنك . قال : فأقام أيّاماً ، ثم قال لي : قد اشتقتُ . فقلت له : قل شِعراً تَشَوَّقُ فيه . فقال قصيدته التي يقول فيها[3] : [من البسيط]

أَالحمامةُ في نخلِ ابن هَدّاجِ ... هاجَتْ صَبابةَ عانِي القلب مُهْتاجِ
أم المُخَبِّرُ أنّ الغَيْثَ قد وَضَعَتْ ... منه العِشارُ تماماً غيرَ إخْداجِ
شَقَّتْ سَوائِفُها بالفَرْشِ من مَلَلٍ ... إلى الأعارِفِ من حَزْنٍ وأولاجِ[4]

---

1 الكثب : موضع بديار طيّىء .
2 ديوانه : 68 .
3 ديوان ابن هرمة : 76–78 .
4 الفرش : اسم واد . ملل : موضع . الأعارف : جبال باليمامة . أولاج : جمع ولجة وهي ما غمض من الأرض .

حتى كأنّ وُجوهَ الأرض مُلْبَسةٌ طرائفاً من سَدى عَصْبٍ ودِيباجِ

وهي طويلة مختارة من شعره ، يقول فيها يمدح السَّريّ : [من البسيط]

أمَّا السَّرِيُّ فإنِّــي سوفَ أمدَحُه ما المادحُ الذاكرُ الإحسانَ كالهاجي
ذاك الذي هــو بعــد اللهِ أنقذني فلستُ أنساه إنقاذي وإخراجي
لَيْثٌ بحَجْرٍ إذا ما هاجَه فَزَعٌ هـــاجَ إليــه بالْجــامٍ وإسْراجِ
لأَحْبُوَنَّكَ مِمّـــا أَصْطَفِي مِدَحاً مُصاحِبــاتٍ لعُمَّـــارٍ وحُجَّاجِ
أَسْدى الصنيعةَ من بِرٍّ ومن لَطَفٍ إلى قَــروعٍ لبــاب المُلْكِ وَلاَّجِ
كَمْ من يَدٍ لكَ في الأقوامِ قد سَلَفتْ عند امرىءٍ ذي غِنًى أو عند مُحْتاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دَيْنه ، ومائة دينارٍ يتجهَّز بها ، ومائة دينار يُعَرِّض بها أهله ، ومائة دينارٍ إذا قَدِم على أهله .

قوله : «يُعَرِّض بها أهلَه» أي يُهدي لهم بها هديّة ، والعُراضة : الهَدِيّة . قال الفرزدق يهجو هشامَ بن عبد الملك[1] : [من الكامل]

كانتْ عُراضَتُكَ التي عَرَّضْتَنا يــومَ المدينــةِ زَكْمةً وسُعالا

[أنكر شعراً له في بني فاطمة خوفاً من العباسيين]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن عليّ بن هرمة قال : قال ابن هرمة[2] : [من المتقارب]

ومهمــا أُلامُ على حُبِّهــمْ فإنِّــي أُحِــبُّ بني فاطمهْ
بني بنت مَنْ جاء بالمُحْكَما تِ والدِّينِ والسُّنّةِ القائمهْ

فلَقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله : مَن قائلها ؟ فقال : مَن عَضَّ بَظرَ أُمِّه . فقال له ابنه : يا أبتِ ، ألستَ قائلها ؟ قال بلى . قال : فلِمَ شتمتَ نفسَك ؟ قال : أليس أنْ يَعَضَّ المرءُ بَظْرَ أُمِّه خيراً من أن يأخذه ابن قَحطبة !

[خبره مع رجل يتجر بعرض ابنتيه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن مُدرك الجَعديّ قال : جاء ابن هرمة إلى رجل كان بسوق النَّبَط ، معه زوجةٌ له وابنتان كأنَّهما ظَبْيَتان يقود عليهما ، بمال فدفعه إليه ،

1 لم نعثر على هذا البيت في ديوان الفرزدق .
2 ديوان ابن هرمة : 203-204 .

فكان يشتري لهم طعاماً وشراباً . فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتّى خَفَّ ذلك المال ، وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ ؛ فأخبرهم بمكان ابن هرمة ؛ فاستثقلوه وكَرِهوا أن يعلَم بهم ؛ فأمر ابنتيه ، فقالتا له : يا أبا إسحاق ، أما دَرَيتَ ما الناسُ فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قالتا : زُلْزِلَ بالرَّوضة ، فتغافلهما . ثم جاء أبوهما مُتفازِعاً فقال : أي أبا إسحاق ، ألا تفزَع لِما الناس فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلْزِلَ بالرَّوضة . قال : قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معه مال ، وقد نَفَضْتُ ما جئتكم به وثَقُلتُ عليكم ؛ فأردتَ إدخاله وإخراجي . أيُزَلزَلُ بروضةٍ من رياض الجنّة ويُترَك منزلُك وأنت تجمَع فيه الرجال على ابنتيك ! والله لا عدتُ إليه ! وخرج من عنده .

وروى هذا الخبر عن الزُّبير هارون بن محمد الزيّات فزاد فيه ، قال : ثم خرج من عندهم ، فأتى عبد الله بن حسن فقال : إنّي قد مدحتُك فاستَمِع منّي . قال : لا حاجة لي بذلك ، أنا أُعطيك ما تريد ولا أسمع . قال : إذاً أسقُط ويكسُد سوقي . فسمِع منه وأُمَر له بمائتي دينارٍ ؛ فأخذها وعاد إلى الرجل ، وقال : قد جئتك بما تُنفقه كيف شئتَ . ولم يزل مقيماً عنده حتى نَفِدتْ .

[قصّته مع محمد بن عبد العزيز ومحمد بن عمران وغيرهما]

قال الزُّبير : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدّثني عمّي عِمران بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد الرحمن بن عوف قال : وافَينا الحَجَّ في عامٍ من الأعوام الخالية ، فأصبحتُ بالسَّيالة ، فإذا إبراهيم بن عليّ بن هرمة يأتينا ؛ فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأُذِن له ؛ فدخل عليه فقال : يا أبا عبد الله ، ألا أُخبِرك ببعض ما تَسْتَظْرِف ؟ قال : بلى ، وربّما فعلتَ يا أبا إسحاق . قال : فإنّه أصبح عندنا هاهنا منذ أيّام محمد بن عِمران وإسماعيل بن عبد الله بن جُبَير ، وأصبح ابن عمران بجملين له ظالعين ، فإذا رسوله يأتيني أنْ أُجبْ ؛ فخرجتُ حتى أتيتُه ؛ فأخبرني بظَلَع جمليه ، وقال لي : أردتُ أن أبعث إلى ناضحَيْن لي بعَمْقٍ[1] لعلّي أُوتى بهما إلى هاهنا لأُمضي عليهما ، ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما . ففرِّغ لنا دارك واشترِ لنا علَفاً واستْلِفه بجهدك ؛ فإنّا مُقيمون هاهنا حتى تأتينا جِمالُنا . فقلتُ : في الرُّحب والقُرب ، والدار فارغةٌ ، وزوجته طالقٌ إن اشتريتُ عُود علَفٍ ، عندي حاجتك منه . فأنزلتُه ودخلت إلى السوق ، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسْلٍ[2] ولا جِداءٍ ولا طُرفةٍ ولا غيرِ ذلك إلاّ ابتعتُ منه فاخِره ، وبعثتُ به إليه مع دَجاجٍ كان عندنا . قال : فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف عليَّ عبدٌ لإسماعيل بن عبد الله يُساوِمني بجِمْلِ عَلَفٍ لي ، فلم أَزَل أنا وهو

1 عمق : اسم ماء في الحجاز .

2 الرِّسل : اللبن .

حتى أخذه منّي بعشرة دراهم ، وذهب به فطرَحه لظَهره . وخرجتُ عند الرَّواح أتقاضى العبد ثَمَنَ حِملي ، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله ولم أكن دَرَيتُ . فلمّا رآني مولاه حيَّاني ورحَّبَ بي ، وقال : هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق ؟ فأعلمه العبد أنّ العَلَفَ لي . فأجلسني فتغدّيت عنده ، ثم أمرَ لي مكانَ كلِّ درهم منها بدينار ، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عبَّاد ، فبعثت إليّ بخمسة دنانير . قال : وراحوا ، وخرجتُ بالدنانير ففرّقتها على غُرمائي ، وقلت : عند ابن عِمران عِوَضٌ منها . قال : فأقام عندي ثلاثاً ، وأتاه جملاه ، فما فَعَل بي شيئاً . فبينا هو يترحّل وفي نفسه منّي ما لا أَدري به ، إذ كَلَّم غلاماً له بشيءٍ فلم يفهَم . فأقبل عليّ فقال : ما أَقدِر على إفهامه مع قُعودك عندي ، قد والله آذيتَني ومنعتَني ما أُردتُ . فقمتُ مُغْتَمّاً بالذي قال ؛ حتى إذا كنتُ على باب الدار لَقِيَني إنسانٌ فسألني : هل فَعَل إليك شيئاً ؟ فقلتُ : أنا والله بخيرٍ إذْ تَلِفَ مالي ورَبِحتُ بَدَني . قال : وطَلَع عليّ وأنا أقولُها ، فشتمني والله يا أبا عبد الله حتّى ما أبقى لي ، وزَعَم أنّه لولا إحرامه لضربني ؛ وراح وما أعطاني درهماً . فقلت[1] : [من البسيط]

يا مَـنْ يُعِينُ على ضَيْفٍ أَلَـمَّ بنا ... ليس بِذِي كَرَمٍ يُرْجى ولا دِينِ
أَقـام عندي ثلاثـاً سُنَّةً سَلَفتْ ... أُغضيتُ منها على الأقذاء والهُونِ
مسافـةُ البيت عَشْرٌ غيرُ مُشْكِلةٍ ... وأنـت تأتيـه في شَهْرٍ وعشرينِ
لستَ تُبالي فَواتَ الحَجِّ إن نَصِبتْ ... ذاتُ الكَلالِ وأسمنتَ ابنَ حِرقينِ
تحدّث النَّاسُ عمّا فيك من كَرَمٍ ... هيهـاتَ ذاك لضِيفانِ المَساكينِ
أصبحتَ تَخْزُنُ ما تَحْوِي وتجمَعُه ... أبـا سُلَيمـانَ مـن أَشلاء قارونِ
مثلُ ابـن عِمْرانَ آباءٌ له سَلَفُوا ... يَجزُونَ فِعْلَ ذوي الإحسان بالدُّونِ
أَلا تكـون كإسماعيـلَ إنّ لـه ... رأيـاً أَصيـلاً وفِعْـلاً غيرَ ممنونِ
أو مِثْـلَ زوجتِه فيمـا أَلَـمَّ بهـا ... هيهات مَـنْ أُمُّها ذاتُ النِّطاقَيْنِ

فلمّا أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز : نحن نُعِينُك يا أبا إسحاق ؛ لقوله : «يا من يعين» . قال : قد رَفَعك الله عن العَون الذي أُريده ، ما أردتُ إلاّ رجلاً مثل عبد الله بن خِنْزيرة وطلحة أَطْباء الكَلْبة يُمسِكونه لي وآخذ خُوطَ سَلَمٍ فأُوجع به خَواصِرَه وجَواعِره . قال : ولَمّا بلغ في إنشاده إلى قوله :

---

1 ديوان ابن هرمة : 240–241 عن الأغاني .

مثلُ ابن عمرانَ آباءٌ لــه سلفوا

أقبل عليّ فقال : عذراً إلى الله تعالى وإليكم ! إنّي لم أَعْنِ من آبائه طلحة بن عبيد الله . قال : ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان عندنا ، فلم يكلّمه حتّى ضرب أنفه ، وقال له : فَعَنَيْتَ من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يا دَعِيّ ! قال : فدخلنا بينهما . وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه إلى ابن هرمة يدعوه ، فذهب إليه . فقال له : ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان ! والله لا أرضى حتى تَحْلِفَ ألاّ تقولَ له أبداً إلاّ خيراً ، وحتى تلقاه فتترضّاه إذا رجع ، وتحتمل كلَّ ما أَزَلّ إليك وتمدحه . قال : أفعلُ ، بالحُبِّ والكرامة . قال : وإسماعيل بن جعفر لا تَعرِضْ له إلاّ بخير ؛ قال نعم . قال : فأخذ عليه الأيمانَ فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً ، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلَها . قال : واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عِمران[1] : [من الطويل]

أَلَم تَــرَ أنّ القولَ يَخْـلُص صِدْقُه ... وتأبَــى فمــا تزكو لباغٍ بَواطِلُهْ
ذَمَمْتُ امــرءاً لم يَطْبَعِ الذَّمُّ عِرْضَه ... قليلاً لدى تحصيلِه مَنْ يُشاكِلُهْ[2]
فما بالحجاز من فَتًى ذي إمارةٍ ... ولا شَرَفٍ إلاّ ابنُ عِمْرانَ فاضِلُهْ
فَتًــى لا يَطُــورُ الذَّمُّ ساحةَ بيتِه ... وتشقَى بــه ليــلَ التِّمامِ عَواذِلُهْ[3]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا أحمد بن عمر الزُّهريّ قال حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن جعفر المِسْوَريّ قال : مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطَّلحيّ ، فألفاه راويته وقد جاءته عِيرٌ له تحمِل غَلَّةً قد جاءته من الفُرعِ أو خيبر . فقال له رجل كان عنده : أعلَمُ واللهِ أنّ أبا ثابت بن عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بِعيرِك هذه . فقال : إنّما أراد أبو ثابت أن يُعَرِّضَني للسانه ، قُودوا[4] إليه القِطارَ ، فقِيدَ إليه .

[طلب من عمر بن القاسم تمراً على ألاّ يعمل منه نبيذاً]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن عمر بن القاسم قال : جاء أبي تمرٌ من صدقة عُمر ؛ فجاءه ابن هرمة فقال : أَمْتَع الله بك ! أعطِني من هذا التَّمر . قال : يا أبا إسحاق ، لولا أنّـي أخاف أن تعمَل منه نبيذاً لأعطيتك . قال : فإذا علمتَ

1 ديوان ابن هرمة : 176 .
2 يطبع : يدنس .
3 يطور : يقرب .
4 ل : فردوا .

أنّي أعمَل منه نبيذاً لا تُعطيني ؟ قال : فخافه فأعطاه . فلَقِيه بعد ذلك ؛ فقال له : ما في الدنيا أجود من نبيذ يجيء من صدقة عمر ؛ فأخجله .

[سمع جرير شعره فمدحه]

أخبرنا الحِرْميّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : قَدِم جرير المدينة ، فأتاه ابن هرمة وابنُ أُذَينة فأنشداه ؛ فقال جرير : القُرَشيّ أشعرُهما ، والعربيّ أفصحُهما .

[مدح المطّلب بن عبد الله فليم لمدحه غلاماً حديث السن]

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبد الله بن محمد : أنّ ابن هرمة قال يمدح أبا الحكم المطّلب بن عبد الله[1] : [من الكامل]

لمّا رأيتُ الحادثاتِ كَنَفْنَني ... وأَوْرَثْنَني بُؤْسَى ذكرتُ أبا الحَكَمْ
سليلُ مُلوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا ... همُ المُصْطَفونَ والمُصَفَّوْنَ بالكَرَمْ

فلاموه وقالوا : أتمدح غلاماً حديث السنّ بمثل هذا ! قال نعم ! وكانت له ابنةٌ يُلقّبها «عُيَيْنة» ، وقال الزُّبير : كان يلقّبها «عينة» ، فقال[2] : [من البسيط]

كانتْ عُيَيْنَةُ فينا وهي عاطلةٌ ... بين الجَواري فحَلاَّها أبو الحَكَمِ
فمَنْ لَحانا على حُسْنِ المَقالِ له ... كان المُليمَ وكنّا نحن لم نُلِمِ

[شكا حاله لعبد العزيز بن المطّلب فأكرمه]

قال يحيى وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيريّ عن نوفَل بن ميمون قال : أرسل ابن هرمة إلى عبد العزيز بن المطّلب بكتاب يشكو فيه بعض حاله ؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً . فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخر بعد ذلك ؛ فقال : إنّا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحَكَمُ بن المطّلب . وكان عبد العزيز قد خطب إلى امرأة من ولد عُمر فردّته ، فخطب إلى امرأة من بني عامر بن لُؤَيّ فزوّجوه . فقال ابن هرمة[3] : [من الطويل]

خطبتَ إلى كَعْبٍ فرَدُّوكَ صاغراً ... فحوّلتَ من كعبٍ إلى جِذْمِ عامرِ
وفي عامرٍ عِزٌّ قديمٌ وإنّما ... أجازك فيهم هزلُ أهل المقابرِ

وقال فيه أيضاً[4] : [من المتقارب]

---

1 ديوان ابن هرمة : 200 .
2 ديوان ابن هرمة : 217 .
3 ديوان ابن هرمة : 128 .
4 ديوان ابن هرمة : 199 .

أبالبُخْــلِ تطلبُ مــا قَدَّمتْ عرانـــينُ جــادتْ بأموالهـا
فهيهاتَ ! خالفتَ فعلَ الكرامِ خــلافَ الجِمــالِ بأبوالهــا

[خبره مع امرأة تزوّجها]

وقال هارون بن محمد حدّثني مُغيرة بن محمد قال حدّثني أبو محمد السّهْميّ قال حدّثني أبو كاسب قال : تزوّج ابن هرمة بامرأة ؛ فقالت له : أعطِني شيئاً ؛ فقال : والله ما معي إلاّ نَعلاي ، فدفعهما إليها ، ومضى معها فتورّكها مراراً . فقالت له : أحْفَيْتَني ؛ فقال لها : الذي أحفى صاحبَه منّا يَعَضُّ بَظْرَ أُمّه .

[أغراه قوم بالحكم بن المطّلب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني المُسَيَّبيّ محمد بن إسحاق قال حدّثني إبراهيم بن سكرة جارُ أبي ضَمرة قال : جلس ابن هرمة مع قومٍ على شراب ، فذكر الحَكَمَ بن المطّلب فأطنب في مدحه . فقالوا له : إنّك لتُكثِر ذكرَ رجلٍ لو طرقتَه الساعة في شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لردّك عنها . فقال : أهو يفعلُ هذا ؟ قالوا : إي والله . وكانوا قد عرفوا أنّ الحكم بها مُعجَبٌ ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحلب . فخرج وفي رأسه ما فيه ، فدقّ الباب فخرج إليه غلامه . فقال له : أعلِم أبا مروان بمكاني ، وكان قد أَمَر ألاّ يُحجَبَ إبراهيم بن هرمة عنه ، فأعلمه به ، فخرج إليه مُتَّشحاً فقال : أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق ! فقال : نعم جُعِلتُ فداك ، وُلِد لأخ لي مولود فلم تَدرّ عليه أمّه ، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها ، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَرّاء» ، فسألني أن أسألكها . فقال : أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا تبقى في الدار شاةٌ إلاّ انصرفتَ بها ، سُقْهنّ معه يا غلام ، فساقهنّ . فخرج بهنّ إلى القوم ، فقالوا : ويحك ! أيَّ شيء صنعت ! فقصّ عليهم القصّة . قال : وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة .

[لمّا سمع بقتل الوليد أنشد شعراً في مدحه]

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيّوب بن عباية عن عمر بن أيُّوب الليثيّ قال : شرب ابن هرمة عندنا يوماً فسكِر فنام . فلمّا حضرتِ الصلاة تحرّك أو حرّكته . فقال لي وهو يتوضّأ : ما كان حديثكم اليوم ؟ قلت يزعمُون أنّ الوليد قُتِل ؛ فرفع رأسَه إليّ وقال[1] : [من الطويل]

---

1 ديوان ابن هرمة : 211–212 .

وكانت أُمورُ الناس مُنْبَتَّةَ القُوى فشدَّ الوليدُ حين قام نِظامَها
خليفةُ حقٍّ لا خليفةُ باطلٍ رمَى عن قناة الدِّين حتى أقامَها

ثم قال لي : إيّاك أن تذكر من هذا شيئاً ؛ فإنّي لا أدري ما يكون .

[كان ابن الأعرابيّ يقول : ختم الشعراء بابن هرمة]

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ابن الأعرابيّ : أنّه كان يقول : خُتِم الشعراء بابن هرمة .

[سكر مرّة سكراً شديداً فعتب عليه جيرانه]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البَلاذُرِيّ : أنّ ابن هرمة كان مُغرَماً بالنبيذ ، فمرّ على جيرانه وهو شديد السُّكر حتى دخل منزله . فلمّا كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها ؛ فقال لهم : أنا في طلب مثلها منذ دهر ، أمَا سمعتم قولي[1] : [من الخفيف]

أسألُ اللهَ سكرةً قبل موتي وصِياحَ الصِّبيان يا سكرانُ

قال : فنفضوا ثيابهم وخرجوا ، وقالوا : ليس يُفلِح والله هذا أبداً .

[لم يحمل جنازته إلاّ أربعة نفر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : أنشدني عمّي لابن هرمة[2] : [من الخفيف]

ما أظنُّ الزمانَ يا أُمَّ عَمْرٍ تارِكاً إن هلكتُ من يَبْكِيني[3]

قال : فكان والله كذلك ؛ لقد مات فأُخبرني مَن رأى جنازته ما يحملها إلاّ أربعةُ نفر ، حتى دُفِن بالبقيع .

[ولد سنة 90هـ ومدح المنصور وعمره خمسون سنة]

قال يحيى بن عليّ ، أُراه عن البَلاذُريّ : وُلِد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها[4] : [من البسيط]

إنّ الغَوانيَ قد أعرضن مَقْلِيَةً لمّا رمَى هَدَفَ الخمسين ميلادي

قال : ثم عُمِّر بعدها مدّة طويلة .

---

1 ديوان ابن هرمة : 229 .
2 ديوان ابن هرمة : 243 .
3 عَمْر في ل : سعد .
4 ديوان ابن هرمة : 107 .

[59] ـ ذكر أخبار يونس الكاتب

[نسبه]

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شِهريار ، من ولد هُرْمُز . وقيل : إنّه مولًى لعمرو بن الزُّبير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان أبوه فقيهاً ، فأسلمه في الديوان فكان من كُتَّابه . وأخذ الغِناء عن معبدٍ وابن سُرَيج وابنِ مُحرِزٍ والغريض ، وكان أكثر روايته عن معبد ؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذقُ ولا أَقوَمُ بما أُخذ عنه منه . وله غِناء حسن ، وصنعة كثيرة ، وشعرٌ جيِّد . وكتابه في الأغاني ونسبها إلى مَن غنَّى فيها هو الأصلُ الذي يُعمَل عليه ويُرجَع إليه . وهو أوّل مَن دوّن الغناء .

[شعر مسعود بن خالد في مدحه]

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المُورِيانيّ لنفسه في يونس : [من السريع]

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ طابَ لنا اليومَ بك المجلسُ
إنّ المغنِّينَ إذا ما هُمُ جارَوْكَ أَخْنى بهمُ المقبسُ
تنشُر دِيباجاً وأشباهَه وهم إذا ما نشروا كَرْبَسُوا[1]

[خرج مع بعض فتيان المدينة إلى دومة فتغنّوا ثم غنّى ابن عائشة ففرّق جمعهم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ذكر إبراهيم بن قُدامة الجُمَحيّ قال : اجتمع فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممّن يُغنّي فخرجوا إلى وادٍ يقال له دومة من بطن العقيق ، في أصحاب لهم فتَغنَّوا ، واجتمع إليهم نساء أهل الوادي ، قال بعض مَن كان معهم : فرأيتُ حولَنا مثلَ مُراح الضأن ، وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ؛ فلمّا رأى جماعة النساء عندهم حسَدهم ، فالتفتَ إلى صاحبه فقال : أما والله لأُفرِّقَنَّ هذه الجماعة ! فأتى قصراً من قصور العقيق ؛ فعَلا سطحَه وألقى رداءه واتّكأ عليه وتغنّى : [من مجزوء الكامل]

صوت

هــذا مُقــامُ مُطَــرَّدٍ هُدِمتْ منازلُـه ودُورُهْ

---

1 كربسوا : أتوا بالكرابيس وهي الثياب الخشنة .

رَقَّى عليه عُداتُه ظلماً فعاقبه أميرُهْ[1]

الغناء لابن عائشة رمل بالوسطى . والشعر لعبيد بن حُنَين مولى آل زيد بن الخَطَّاب ، وقيل : إنّه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم ، قال : فوالله ما قضى صوتَه حتى ما بَقِيتِ امرأةٌ منهنّ إلاّ جلستْ تحت القصر الذي هو عليه وتفرّق عامّة أصحابهم . فقال يونس وأصحابه : هذا عملُ ابنِ عائشة وحسَدُه .

[صاحب الشعر الذي تغنّى به ابن عائشة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى عن أبيه قال : تزوّج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصعَب بن الزُّبير امرأةً من بني عبد بن بَغِيض بن عامر بن لُؤَيّ ، ففرّق مصعبٌ بينهما . فخرج حتى قَدِم على عبد الله بن الزُّبير بمكّة فقال : [من مجزوء الكامل]

هــذا مُقـامُ مُطــرَّدٍ هُدِمــتْ منازلــهُ ودورُهْ
رَقَّـــتْ عليـــه عُداتُــه كَذِبـــاً فعاقبـــه أميرُهْ
في أنْ شَرِبتُ بجـمِّ مـا ءٍ كان حِـلاًّ لي غَدِيرُهْ
فلقـد قطعتُ الخَـرْقَ بعـ ـد الخرقِ مُعْتَسِفاً أسِيرُهْ
حتّى أتيـتُ خليفــةَ الـ ـرَّحمن ممهـــوداً سريرُهْ
حَـيَّيْتُـــــه بتَحِيّـــــةٍ في مجلسٍ حضرتْ صُقُورُهْ

فكتب عبد الله إلى مصعب : أن ارْدُدْ عليه امرأته ؛ فإنِّي لا أُحَرِّم ما أحلَّ الله عزّ وجلّ ؛ فردّها عليه . هذه رواية عُمر بن شبّة .

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ عن سُحَيم بن حفص : أنَّ المتزوّج بهذه المرأة عبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطّاب ، وأنّ المفرّق بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القُباع ؛ وذكر باقيَ الخبر مثل الأوّل .

[ذهب إلى الشام فبعث إليه الوليد بن يزيد ليغنّيه ثم وصله]

أُخبرني عمّي قال حدّثني طلحة بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدّثني أحمد بن الهيثم قال : خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة ؛ فبلغ الوليد بن يزيد مكانه ؛ فلم يشعر يونس إلاّ برسله قد دخلوا عليه الخان ، فقالوا له : أجِبِ الأمير ، والوليد إذ ذاك أمير ، قال :

---

1 رقى عليه عداته : تقوّلوا عليه ما لم يقل .

فنهضتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير ، لا أدري مَن هو ، إلاّ أنّه من أحسن الناس وجهاً وأنبلِهم ، فسلّمت عليه ، فأمرني بالجلوس ، ثم دعا بالشراب والجواري ؛ فكنّا يومنا وليلتنا في أمر عجيب . وغنَّيته فأُعجِب بغنائي إلى أن غنَّيته : [من الخفيف]

إنْ يَعِشْ مُصعَبٌ فنحن بخيرٍ قد أتانا مِنْ عيشنا مـا نُرَجِّي

ثم تنبَّهتُ فقطعتُ الصوت . فقال : مالَكَ ؟ فأخذتُ أعتذر من غنائي بشعرٍ في مُصعب . فضحِك وقال : إنّ مُصعباً قد مضى وانقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه ، وإنّما أريد الغناء ، فأَمْض الصوت ؛ فعُدتُ فيه فغنَّيته . فلم يَزَل يَستَعِيدُنيه حتى أصبح ، فشرِب مُصطَبِحاً وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيّام . ثم قلتُ له : جعلني الله فداءَ الأمير ! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تجّار وأخاف أن يرتحلوا فيَضِيع مالي . فقال لي : أنت تغدو غداً ؛ وشَرِب باقي ليلته ، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحُمِلتْ إليّ ، وغدوتُ إلى أصحابي . فلمّا خرجتُ من عنده سألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الأمير الوليد بن يزيد وليّ عهد أمير المؤمنين هشام . فلمّا استُخلِفَ بعث إليّ فأتيته ، فلم أَزل معه حتى قُتِل .

[أصواته المعروفة بالزيانب]

صوت
من المائة المختارة

[من الرمل]

أقصدتْ زينبُ قلبــي بعدما ذهَب الباطـلُ عنِّـي والغَزَلْ
وعَلا المَفْـرِقَ شيبٌ شامِـلٌ واضِحٌ في الرأس منِّي واشْتَعلْ

الشعر لابن رُهَيمة المَدَنيّ ، والغناء في اللحن المختار لعُمَر الوادي ثاني ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وفيه ليونس الكاتب لحنان : أحدُهما خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر رمل بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضاً . وفيه رَمَلان بالوسطى والبنصر : أحدُهما لابن المكّيّ ، والآخرُ لحكَم ، وقيل : إنّه لإسحاق من رواية الهشاميّ . ولحنُ يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب ، والشعر فيها كلِّها لابن رُهَيمة في زينب بنت عِكرِمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وهي سبعة : أحدُها قد مضى . والآخرُ : [من مجزوء الرمل]

صوت

أقصدتْ زينبُ قلبي وسَبَتْ عقلي ولُبِّي
تركتْني مُستهاماً أستغيثُ اللّهَ رَبِّي
ليس لي ذنبٌ إليها فتُجازيني بذَنْبي
ولها عندي ذنوبٌ في تَنائيها وقُربي

غنّاه يونس رملاً بالبنصر . وفيه لحَكم هَزَجٌ خفيف بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

وَجَد الفؤادُ بزينبا وَجْداً شديداً مُتْعبا
أصبحتُ من وَجْدِي بها أُدْعى سقيماً مُسْهَبا[1]
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً وأتيتُ أمراً مُعجبا

غنَّاه يونس ثقيلاً أوّل مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق ، وهو ممّا يُشَكّ فيه من غناء يونس . ولعُلَيَّة بنت المهديّ فيه ثقيلٌ أوّلُ آخَر لا يُشكُّ فيه أنّه لها ، كَنَتْ فيه عن رشأ الخادم ، وذكر أحمد بن عبيد أنّ فيه من الغناء لحنين هما جميعاً من الثقيل الأوّل ليونس ، ومن لا يعلم يزعمُ أنّ الشِّعر لها .

ومنها : [من مجزوء الخفيف]

صوت

إنّما زينبُ المُنَى وهِي الهمُّ والهَوى
ذاتُ دَلٍّ تُضْني الصَّحِيـ حَ وتُبْرِي من الجَوى[2]
لا يُغرَّنْكِ أنْ دعَوْ تِ فُؤادي فما الْتَوى[3]
واحْذَرِي هِجْرةَ الحبيـ بِ إذا مَلَّ وانْزَوى

غنّاه يونس رملاً بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

---

1 مسهب : ذهب عقله .
2 تضني الصحيح في ل : تصبي الحليم .
3 فما التوى في ل : إلى الثوى ، وهو الهلال .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنّمـا زينـبُ هَمّـي بأبـي تلـك وأمّـي
بأبـي زينبُ لا أكْـ ـنـي ولكنّـي أسَمّي
بأبي زينبُ مِـنْ قا ضٍ قَضَى عمداً بظُلْمي
بأبـي مَنْ ليس لـي في قلبـه قيـراطُ رُحْمٍ[1]

غنّاه يونس رملاً بالبنصر عن عمرو ، وله فيه لحنٌ آخر .

ومنها : [من السريع]

صوت

يـا زينبُ الحسناءُ يا زينبُ يـا أكـرمَ النَّاسِ إذا تُنْسَبُ
تَقِيكِ نفسي حادثاتِ الرَّدى والأُمُّ تَفْدِيـك معـاً والأبُ
هَلْ لكِ في وُدّ امرئٍ صادق لا يَمْـذُق الـوُدَّ ولا يَكْذِبُ
لا يبتغـي في وُدّه مَحْرَمـاً هيهاتَ منكِ العمـلُ الأرْيَبُ

غنّاه يونس ثاني ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها : [من الطويل]

صوت

فليتَ الذي يلحَى على زينبَ المُنَى تَعَلَّقَـهُ ممّـا لَقِيـتُ عَشيرُ[2]
فحَسْبي لـه بالعُشْرِ ممّـا لَقِيتُه وذلك فيمـا قـد تَـراه يسيرُ

غنّاه يونس ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن الهشاميّ .

هذه سبعة أصوات قد مضتْ وهي المعروفة بالزيانب . ومن الناس من يجعلها ثمانية ، ويزيد فيها لحن يونس في :

تَصابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينبُ

1 رحم : مصدر رحم كالرحمة .
2 العشير : العشر .

وليس هذا منها ؛ وإن كان ليونس لحنُه ، فإنّ شِعره لِحُجَيَّةَ بن المُضرَّب الكِنديّ ، وقد كُتب في موضع آخر ؛ وإنّما الزيانب في شعر ابن رُهَيمة . ومنهم من يَعُدّها تسعةً ويُضيف إليها : [من مجزوء الكامل]

قُــولاَ لزينبَ لــو رأيــ ــتِ تَشَوُّقي لكِ واشترافي

وهذا اللحن لحَكَم . والشعر لمحمد بن أبي العبّاس السفّاح في زينب بنت سليمان بن عليّ ، وقد كُتِب في موضع آخر .

انقضت أخبار يونس الكاتب .

[60] ـ أخبار ابن رُهيمة

[شبب بزينب بنت عكرمة فأمر هشام بضربه فتوارى]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق قال : كان ابن رهيمة يُشبِّب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ويغنّي يونس بشعره ، فافتضحت بذلك . فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك ، فأُمَر بضربه خمسمائة سوط ، وأن يُباح دمُه إنْ وُجِد قد عاد لذكرها ، وأن يُفعل ذلك بكلّ مَنْ غنَّى في شيء من شعره . فهرب هو ويونس فلم يُقدَر عليهما . فلمّا وَلِي الوليد بن يزيد ظَهَرا . وقال ابن رُهيمة : [من المتقارب]

لئــن كنتَ أطردتَنــي ظالمًا لقد كَشَفَ اللّهُ مــا أَرْهَبُ
ولو نِلْتَ مِنِّــيَ مــا تشتهي لَقَــلَّ إذا رَضِيــتْ زينبُ
وما شئتَ فاصنَعْه بي بعد ذا فحُبِّــي لزينبَ لا يذهبُ

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أَبان بن عبد الحميد اللاَّحِقيّ : [من مجزوء الوافر]

أحِــبُّ مــن الغِناء خَفِيـ ـفَه إنْ فاتنــي الهَزَجُ
وأشْنأُ «ضوءَ برقٍ» مثـ ـلَ مــا أشْنا «عَفا مُزُجُ»
وأبْغِضُ «يوم تنأَى» و«الزَّ يانــبُ» كلُّهــا سُمُجُ
ويُعْجِبُنــي لإبراهــ ـيمَ والأوتــارُ تَخْتَلِجُ
«أدِيــرُ مُدامَــةً صِرْفــاً كــأنَّ صبيبَهــا وَدَجُ»

يعني أَبانٌ لحنَ إبراهيم . والشعر لأَبان أيضاً ، وهو : [من مجزوء الكامل]

صوت

أُدِيــرُ مدامـــةً صِرْفــاً كأَنَّ صَبِيبَهـــا وَدَجُ
فظَــلَّ تخالُــه مَلِكــاً يُصَرِّفُهـــا ويَمتــزِجُ

الشعر لأَبانٍ ، والغِناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

وممّا في غناء يونس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب : [من الطويل]

صوت
من المائة المختارة

أَلا يـــا لَقَوْمـي لِلرُّقــادِ المُسَهَّـدِ ... ولِلماء ممنوعاً مِنَ الحائمِ الصَّدي
ولِلحالِ بعدَ الحالِ يركَبُها الفتى ... ولِلحُـــبِّ بعـد السَّلْـوة المُتَمَرِّدِ

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدحَ بها عبد الملك بن مروان ؛ وذكر يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق : أنَّها للغول بن عبد الله بن صَيَفيّ الطَّائيّ . والصحيح أنَّها لإسماعيل . وأنا أذكُر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدحَه إيّاه بها ليُعلَم صحّة ذلك . والغناء ليونس ، ولحنه المختار من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر ، وتمام هذه الأبيات : [من الطويل]

ولِلمَرء لا عَمّنْ يُحِبُّ بِمُرْعَوٍ ... ولا لِسبيلِ الرُّشْدِ يوماً بمُهتدي[1]
وقـد قـال أقوامٌ وهم يعذُلونه ... لقد طالَ تعذيبُ الفؤادِ المُصَيَّدِ

1 الشطر الأول في ل : ولا المرء عمّا قد يحب بمرعوٍ .

[61] ـ أخبار إسماعيل بن يَسار ونسبه

[كان منقطعاً إلى آل الزبير ثم اتّصل بعبد الملك بن مروان]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : كان إسماعيل بن يَسارٍ النِّسائيّ مولى بني تَيْمِ بن مُرّة : تيم قريش ، وكان منقطعاً إلى آل الزبير . فلمّا أفضتِ الخلافةُ إلى عبد الملك بن مروان ، وَفَد إليه مع عُروة بن الزُّبير ، ومدحه ومدحَ الخلفاء من ولده بعده . وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سُلطان بني أُميّة ، ولم يُدرِك الدولة العبّاسية . وكان طَيِّباً مليحاً مُندِراً بَطّالاً ، مليح الشِّعر ، وكان كالمنقطع إلى عُروةَ بن الزُّبير .

[سبب تلقيبه بالنسائيّ]

وإنّما سُمِّي إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ[1] ، لأنّ أباه كان يصنع طعام العُرس ويبيعه ، فيشتريه منه مَن أراد التعريس من المتجمِّلين وممّن لم تبلُغ حالُه اصطناع ذلك .

وأخبرني الأسديّ قال حدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطّاح قال : إنّما سُمِّي إسماعيل بن يسار النسائيّ لأنّه كان يبيع النَّجْدَ والفُرُش التي تُتَّخذُ للعرائس ؛ فقيل له إسماعيل بن يَسارٍ النسائيّ .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَدٍ عن ابن عائشة : أنّ إسماعيل بن يسار النسائيّ إنّما لُقِّب بذلك لأنّ أباه كان يكون عنده طعامُ العُرُسات مُصْلَحاً أبداً ؛ فمَن طَرَقَه وجده عنده مُعَدّاً .

[نادرة له مع عروة بن الزبير أثناء سفرهما للشام]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدّثني الزبير بن بكّار قال قال مُصعب بن عثمان : لمّا خرج عُروة بن الزُّبير إلى الشام يريد الوليد بن عبد الملك ، أخرج معه إسماعيل بن يسار النسائيّ ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبير ، فعادله . فقال عروة ليلةً من الليالي لبعض غلمانه : انظر كيف ترى المَحمِلِ ؟ قال : أُراه معتدلاً . قال إسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحَقُّ والباطل قبل الليلة قطُّ ؛ فضحك عروة ، وكان

1 نسبة إلى النساء .

يستخفّ إسماعيل ويستطيبه .

[تساب هو وآخر يكنى أبا قيس في اسميهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي عن أيُّوب بن عَباية المخزوميّ : أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حُدَيلة وكان له جلساء يتحدّثون عنده ، ففقدهم أيّاماً ، وسأل عنهم فقيل : هم عند رجل يتحدّثون إليه طيِّبِ الحديث حُلْوٍ ظريف قدِم عليهم يسمَّى محمداً ويُكنى أبا قيس . فجاء إسماعيل فوقف عليهم ، فسمع الرجل القومَ يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال نعم . قال : رحِم الله أبويك فإنّهما سَمَّياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس . فقال له إسماعيل : ما اسمك ؟ قال : محمد . قال : أبو مَنْ ؟ قال : أبو قيس . قال : لا ! ولكن لا رحم الله أبويك ؛ فإنّهما سَمّياك باسم نبيٍّ وكَنَّياك بكُنْيةِ قِرْد . فأفْحِم الرجل وضحِك القوم ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم ، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل .

[استأذن على الغمر بن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكي لحجبه وادّعى نيته نفاقاً]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ عن نُمير العُذْريّ قال : استأذن إسماعيل بن يسار النسائيّ على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً ، فحَجَبه ساعةً ثم أذِن له ، فدخل يبكي . فقال له الغمر : مالكَ يا أبا فائد تبكي ؟ قال : وكيف لا أبكي وأنا على مَرْوانيّتي ومَرْوانيّة أبي أُحْجَبُ عنك ؟ فجعل الغَمر يعتذر إليه وهو يبكي ؛ فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قَدْر . وخرج من عنده ، فلَحِقه رجلٌ فقال له : أخبرني ويلك يا إسماعيل ، أيّ مَروانيّة كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بُغْضُنا إيّاهم ، امرأتُه طالقٌ إن لم يكن يلعن مروان وآله كلَّ يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، فقيل له : قُلْ لا إله إلاّ الله ، فقال : لَعَن الله مروان ، تَقَرُّباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامة له مُقامَه .

[شعره الذي يفخر فيه بالعجم على العرب]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال حدّثني مُصعَب قال : قال إسماعيل بن يسار النسائيّ قصيدته التي أوّلها : [من الخفيف]

مـا على رسمِ منزلٍ بالجَنابِ … لـو أبانَ الغداةَ رَجْـعَ الجوابِ[1]

1 الجناب : الغناء ولعلّه هنا اسم موضع بعينه .

غَيَّرَتْـه الصَّبـا وكلُّ مُلِثٍّ دائِـم الوَدْقِ مُكْفَهِـرِّ السَّحابِ
دارَ هنـدٍ وهـل زمـاني بهندٍ عائـدٌ بالهـوى وصَفْوِ الجَنابِ
كالذي كان والصفـاءُ مصـونٌ لم تَشُبْـه بهجْـرةٍ واجتناب
ذاك منها إذ أنتَ كالغُصْنِ غَضٌّ وهـي رُؤْدٌ كدُمْيـةِ المِحْـرابِ
غـادةٌ تَسْتَبي العقـولَ بعَذْبٍ طَيِّـبِ الطعـم بـاردِ الأنيـابِ
وأثيثٍ مـن فـوق لـونٍ نَقـيٍّ كبيـاضِ اللُّجَيْـنِ في الزِّرْيـابِ[1]
فأَقِـلَّ المَـلامَ فيهـا وأَقْصِرْ لَجَّ قلبـي من لوعـةٍ واكتئاب
صاحِ أبصرتَ أو سمِعـتَ بـراعٍ رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرى في العِلابِ[2]
انقضتْ شِرَّتـي وأقصَر جهـلي واستراحـتْ عَواذِلي مـن عِتابي

وقال فيها يفخر على العرب بالعجم : [من الخفيف]

رُبَّ خـالٍ مُتَـوَّجٍ لي وعَـمٍّ ماجـدٍ مُجْتَدًى كريـم النِّصابِ
إنّمـا سُمِّـي الفَـوارِسُ بـالفُرْ سِ مُضاهـاةَ رِفْعـةِ الأنسابِ
فاتْرُكـي الفخـرَ يا أُمـامَ علينا واتركي الجَوْرَ وانْطِقي بالصَّوابِ
واسألي إن جَهِلْتِ عنّـا وعنكم كيف كنّـا في سالف الأحقابِ
إذ نُرَبِّـي بَناتَنـا وتَدُسُّو نَ سَفاهـاً بناتِكـم في التُّرابِ

فقال رجل من آل كَثير بن الصَّلت : إنّ حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم ؛ فأفحمه . يريد : أنّ العجم يربُّون بناتِهم لِيَنْكِحوهنّ ، والعرب لا تفعل ذلك . وفي هذه الأبيات غناءٌ ، نسبتُه : [من الخفيف]

صوت

صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ بـراعٍ ردّ في الضَّرْع ما قَرى في العِلابِ
انقضتْ شِرَّتـي وأَقْصَرَ جهـلي واستراحـتْ عـواذلي من عِتابي

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائيّ ، والغناء لمالك خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنّ فيه للغريض خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر ، وذكر

1 الزرياب : الذهب أو ماؤه .
2 قرى : جَمَعَ . والعلاب : جمع علبه وهي إناء كالقدح الكبير يحلب فيه .

في نسخته الثانية أنّ لابن سريج . وذكر الهِشاميّ أنّ لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى ، وأنّ لحن الغريض ثقيلٌ أوّل .

[كان شعوبيّاً شديد التعصّب للعجم]

وحدّثني بهذا الخبر عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة عن مُصعب قال : إسماعيل بن يسار يُكنى أبا فائد ، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً ، وهم من سَبْي فارس . وكان إسماعيل شُعُوبيّاً شديد التعصُّب للعجم ، وله شعرٌ كثير يفخَر فيه بالأعاجم . قال : فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب قوله : [من الخفيف]

إذ نُرَبِّـــي بناتِنـــا وتَدُسُّو نُ سَفاهاً بناتِكم في التُّرابِ

فقال له أشعبُ : صدقتَ والله يا أبا فائد ، أراد القوم بناتِهم لغير ما أردتموهنّ له . قال : وما ذاك ؟ قال : دَفَن القومُ بناتهم خوفاً من العار ، وربَّـيْتُموهنّ لتنكحوهنّ . قال : فضحِك القومُ حتى استغربوا ، وخَجِل إسماعيل حتّى لو قَدَر أن يَسيخَ في الأرض لَفَعل .

[رماه عبد الصمد في البركة بثيابه بإيعاز من الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شبَّة قال أخبرني أبو سلمة الغفاريّ قال أخبرنا أبو عاصم الأسلميّ قال : بينا ابن يَسارٍ النسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة ، إذ أشار الوليد إلى مولًى له يقال له عبد الصمد ، فدفع ابن يسار النسائيّ في البركة بثيابه ؛ فأَمَر به الوليد فأُخْرِج . فقال ابن يسار : [من الرمل]

قُـلْ لِوالِي العَهْـدِ إنْ لاقَيْتَه ووَلِيِّ العهـدِ أولَـى بالرَّشَدْ
إنّـه واللهِ لـولا أنـتَ لم يَنْجُ منّي سالمًا عبدُ الصَّمَدْ
إنّـه قـد رام منِّـي خُطَّـةً لم يَرُمْهـا قبلَـه منِّـي أحدْ
فهـو ممّـا رامَ منِّـي كالذي يَقْنَصُ الدُّرّاجَ من خِيسِ الأَسَدْ[1]

فبعث إليه الوليد بخِلعةٍ سَنِيةٍ وصِلةٍ وترضّاه . وقد رُوي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت في قصّة أُخرى ، وذُكِر هذا الشعر له فيه .

[استنشد أحد ولد جعفر بن أبي طالب الأحوص قصيدة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي : حدّثني مصعب بن عبد الله قال سمعتُ إبراهيم بن أبي عبد الله يقول : رَكِب فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله

1 المثل رقم 4724 في مجمع الميداني «يطلب الدراج في حبس الأسد» ، وحبس تحريف عن خيس وهو غابة الأسد أو مكانه . وهناك مثل آخر قريب منه وهو «كمبتغي الصيد في عريسة الأسد» (انظر المثل رقم 3115 في مجمع الميداني وص 363 في فصل المقال) .

بإسماعيل بن يسار النسائيّ حتى أتى به قُباءَ ؛ فاستخرج الأحوصَ فقال له : أَنْشِدني قولك : [من المنسرح]

ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتجعوا لو أَنَّهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا

فأنشده القصيدة . فأُعجِبَ بها ، ثم انصرف . فقال له إسماعيل بن يسار : أما جئتَ إلاّ لِما أرى ؟ قال لا . قال : فاسمع ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

ما ضَرّ أهلَكِ لو تَطَوّف عاشقٌ بِفنـاء بيتِـكِ أو أَلَـمَّ فسلّما

فقال : والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أنّك قلتَها لَمَا أتيتُه . وفي أبياتٍ من هذا الشعر غناءٌ نسبتَهُ : [من الكامل]

صوت

يا هندُ رُدّي الوصلَ أن يَتَصرَّما وصِلِي آمـرءاً كَلِفاً بحبِّك مُغْرَما

لـو تبذُلـين لنا دَلالكِ مَرّةً لم نَبْغِ منكِ سوى دَلالكِ مَحْرَما

مَنَع الزيارةَ أنَّ أهْلَكِ كلَّهم أبـدَوْا لِزَوْرِك غِلْظـةً وتَجَهُّما

ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفِنـاء بيتِـكِ أو أَلَـمَّ فسَلَّما

الشعر لإسماعيل بن يَسار النسائيّ ، والغناء لابن مِسْجَحٍ خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإبراهيم المَوصِلي رملٌ بالبنصر عن حَبَش .

[سمع زبان السوّاق شعره فبكى]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : أنشد رجلٌ زَبّان السوّاق قول إسماعيل بن يَسار : [من الكامل]

ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفنـاء بيتِكِ أو أَلَـمَّ فسَلّما

فبكى زبّان ، ثم قال : لا شيء والله إلاّ الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصدر ، وجعل يبكي ويمسَح عينيه .

[شعره الذي تشاجر بسببه أبو المعافى مع زبان السوّاق]

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدلانيّ النحويّ صِهْر المُبَرّد قال حدّثني طلحةُ بن عبد الله بن إسحاق الطَّلْحيّ قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلّبيّ قال : أنشدتُ زبّان السَّوّاق قول إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ : [من الخفيف]

صوت

إنّ جُمْلاً وإنْ تَبَيَّنْتُ منها ... نَكَباً عن مَوَدّتي وازْوِرارا[1]
شَرَّدتْ بادِّكارها النَّوْمَ عنّي ... وأُطيرَ العَزاءُ منّي فطارا
ما على أهلها ولم تأتِ سُوءًا ... أن تُحَيَّا تَحِيَّةً أو تُزارا
يوم أَبْدَوْا ليَ التَّجَهُّمَ فيها ... وحَمَوْها لَجاجةً وضِرارا

فقال زبّان : لا شيء وأبيهم إلاّ اللَّحَزُ[2] وقلّة المعرفة وضِيق العَطَن[3] . فصاح عليه أبو المُعافى وقال : فعلى مَنْ ذاك ويلَك ! أعليك أو على أبيك أو أُمّك ؟ فقال له زبّان : إنّما أُتيتَ يا أبا المُعافَى من نفسك ، لو كنتَ تفعل هذا ما اختلفتَ أنت وابنُك . فوثب إليه أبو المُعافى يرميه بالتُّراب ويقول له : ويحَك يا سفيه ؛ تُحسن الدِّياثَةَ ! وزبّان يسعى هرباً منه .

الغناء في هذه الأبيات لابن مِسْجَح خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ وحمّاد ، وذكر الهشاميّ وحَبَشٌ أنّه لابن مُحرِز ، وأنّ لحن ابن مِسْجَح ثاني ثقيل .

[طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر وأنشده]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثني إسحاق المَوْصِليّ قال : غُنّي الوليد بن يزيد في شِعْرٍ لإسماعيل بن يسار ، وهو : [من السريع]

حتّى إذا الصبحُ بدا ضوؤُه ... وغارتِ الجوزاءُ والمِرزَمُ
خرجتُ والوَطْءُ خَفيٌّ كما ... ينسابُ من مَكْمَنِه الأرقَمُ

فقال : مَن يقول هذا ؟ قالوا : رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائيّ ؛ فكتب في إشخاصه إليه . فلمّا دخل عليه استنشده القصيدةَ التي هذان البيتان منها ؛ فأنشده : [من السريع]

كَلْثَمُ أنتِ الهَمُّ يا كلثمُ ... وأنتم دائي الذي أكْتُمُ
أُكاتمُ الناسَ هوًى شَفَّني ... وبعضُ كِتمانِ الهوى أحزمُ
قد لُمْتِني ظلماً بلا ظِنَّةٍ ... وأنتِ فيما بيننا ألوَمُ
أَبْدي الذي تُخْفِينه ظاهراً ... أرتدُّ عنه فيكِ أو أُقدِمُ

---

1 وإن في ل : خلي .
2 اللحز : الشح والبخل .
3 ضيق العطن : ضيق الصدر .

إمّـا بيـأْسٍ منـك أو مَطْمَعٍ   يُسْدَى بحسنِ الـودِّ أو يُلْحَمُ
لا تَترُكِينـي هكـذا مَيِّتاً   لا أُمْنَحُ الوُدَّ ولا أصْرَمُ
أُوْفي بما قُلـتِ ولا تَنْدَمِـي   إنّ الـوَفيَّ القـولِ لا يَنْدَمُ
آيـةُ مـا جئـتُ على رِقْبـةٍ   بعد الكَرى والحيُّ قـد نَوَّمُوا
أُخافِـتُ المَشْيَ حِذارَ العِدا   والليـلُ داجٍ حالـكٌ مظلمُ
ودونَ مـا حاولتُ إذ زرتُكم   أخـوكِ والخـالُ معـاً والعَمُ
وليس إلاّ اللهَ لـي صاحـبٌ   إليكُـم والصـارمُ اللَّهْـذَمُ
حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ   مـن شَفَقٍ عيناكِ لي تَسْجُمُ
ثـم انجلَـى الحـزنُ وروْعاتُه   وغُيِّـبَ الكاشحُ والمُبْـرِمُ
فبِتُّ فيمـا شئتُ مـن نَعْمةٍ   يَمْنَحُنيهـا نحرُهـا والفَـمُ[1]
حتّى إذا الصبحُ بَـدا ضوؤُه   وغـارتِ الجـوزاءُ والمِـرْزَمُ
خرجتُ والوطءُ خفـيٌّ كما   ينسابُ مـن مَكْمَنِه الأَرْقَمُ

قال : فطرِبَ الوليد حتّى نزل عن فَرْشه وسريره ، وأَمَر المغنِّين فغَنَّوه الصوتَ وشَرِب عليه أقداحاً ، وأَمَر لإسماعيل بِكُسوةٍ وجائزة سنيّة ، وسرّحه إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

الشعر لإسماعيل بن يَسار النسائيّ . والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ .

[سمع شيخ قينة تغنّى بشعره فألقى بنفسه في الفرات إعجاباً به]

حدّثنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ قال حدّثنا محمد بن كُناسة قال : اصطحبَ شيخٌ وشبابٌ في سفينة من الكوفة ؛ فقال بعضُ الشباب للشيخ : إنّ معنا قَيْنةً لنا ، ونحن نُجِلُّك ونُحِبُّ أن نسمَع غناءها . قال : اللهُ المستعان ؛ فأنا أرقى على الأطلال وشأنَكم . فغنَّتْ : [من السريع]

حتّـى إذا الصبحُ بَدا ضوؤُه   وغـارتِ الجـوزاءُ والمرزمُ
أقبلـتُ والـوطءُ خفـيٌّ كما   ينسابُ مِـن مكمنِـه الأَرقمُ

قال : فألقى الشيخ بنفسه في الفُرات ، وجعل يخبِط بيديه ويقول : أنا الأرقم ! أنا

1 النعمة : (بفتح النون) المسرّة والفرح .

الأرقم ! فأدركوه وقد كاد يغرَق ؛ فقالوا : ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إنّي واللهِ أعلمُ من معاني الشعر ما لا تعلمون .

[مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني أبو مُسْلِم المُستَمْلي عن المدائنيّ قال : مدح إسماعيل بن يسار النسائيّ رجلاً من أهل المدينة يقال له عبدُ الله بن أَنَس ، وكان قد اتَّصل ببني مَروان وأصاب منهم خيراً ، وكان إسماعيل صديقاً له ؛ فرحل إلى دمشق إليه ، فأنشده مديحاً له ومتَّ إليه بالجِوار والصداقة ؛ فلم يُعطِه شيئاً . فقال يهجوه[1] : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما إلى حَسَنٍ رَحَلْنا ولا زُرْنا حُسَيْناً يا ابنَ أَنْسِ

(يعني الحسنَ والحسين رضي الله عنهما)

ولا عبداً لعبدهُما فنَحْظى بحُسْنِ الحَظِّ منهم غيرَ بَخْسِ
ولكن ضَبَّ جَنْدَلَةٍ أتينا مُضِبّاً في مَكامِنِه يُفَسِّي
فلمّا أنْ أتيناه وقُلْنا بحاجتنا تلوَّن لَوْنَ وَرْسِ
وأعرضَ غيرَ مُنْبَلِجٍ لِعُرْفٍ وظَلَّ مُقَرْطِباً ضِرْساً بضِرْسِ
فقلتُ لأهله أبه كُزازٌ وقلتُ لصاحبي أتُراه يُمْسي
فكان الغُنْمُ أن قُمْنا جميعاً مخافَةَ أن نُزَنَّ بقتلِ نَفْسِ

[رثاؤه لمحمد بن عروة]

حدّثني عمِّي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله قال : وَفَد عروة بن الزُّبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يسار النِّسائيّ ، فمات في تلك الوفادة محمد بن عروة بن الزُّبير ، وكان مُطَّلِعاً على دوابِّ الوليد بن عبد الملك ، فسقَط من فوق السطح بينها ، فجعلتْ تَرمَحه حتى قطّعته ، وكان جميلَ الوجه جواداً . فقال إسماعيل بن يسار يرثيه : [من الكامل]

صلَّى الإلهُ على فَتىً فارقتُه بالشأم في جَدَثِ الطَّوِيّ المُلْحَدِ[2]

1 ورد بعض هذه الأبيات برواية مختلفة في عيون الأخبار 3 : 154 منسوبة للحارث الكندي .
2 الطوي : (هنا) القبر المعرش بالحجارة والآجر . وألحد القبر : جعل له لحداً .

بوّأتُــه بيــديَّ دارَ إقامــةٍ نائــي المَحَلّــة عن مَـزارِ العُوَّدِ
وغبَرتُ أعْوِلُـه وقــد أسلمتُــه لِصَفا الأماعِزِ والصَّفِيحِ المُسْنَدِ[1]
مُتَخَشِّعاً للدهــر ألبَسُ حُلَّــةً في النائبــاتِ بحَسْرةٍ وتَجَلُّدِ
أعني ابنَ عُــرْوةَ إنّه قد هَدَّني فَقْــدُ ابنِ عُـرْوةَ هَدَّةً لم تَقْصِدِ
فإذا ذهبتُ إلى العَــزاء أرُومُه لِيَرى المُكاشِحُ بالعــزاء تَجَلُّدي
مَنَـع التَّعَــزِّيَ أنَّني لِفراقِــه لَبِس العَـدُوُّ علَيّ جِلْدَ الأَرْبَدِ[2]
ونأى الصديقُ فــلا صديقَ أعُدُّه لدِفاعِ نائبــةِ الزّمــانِ المُفْسِدِ
فلئــن تركتُــكَ يــا محمدُ ثاوياً لَبِمَا تروحُ مـع الكرامِ وتغتدي
كان الذي يَــزَع العــدوَّ بدفعـه ويردّ نَخْوةَ ذي المِراحِ الأَصْيَدِ
فمضــى لوجهتــه وكلُّ مُعَمَّــرٍ يومــاً سيُدْرِكُــه حِمــامُ الموعدِ

[دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الله عن أبيه : أنّ إسماعيل بن يَسار دخل على عبد الملك بن مَروان لمّا أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير ، فسلّم ووقف موقف المُنْشِد واستأذَنَ في الإنشاد . فقال له عبد الملك : الآن يا ابن يسار ! إنّما أنت امرؤ زبيريٌّ ، فبأيّ لسان تُنشِد ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأناً من ذلك ، وقد صفحتَ عنْ من هو أعظمُ جُرْماً وأكثرُ غَناءً لأعدائك منّي ، وإنّما أنا شاعر مُضحِك . فتبسّم عبد الملك ؛ وأومأ إليه الوليد بأن يُنشد . فابتدأ فأنشد قوله : [من الطويل]

ألا يــا لَقَوْمــي لِلرُّقــاد المُسَهَّدِ وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِي
ولِلحالِ بعد الحال يركبها الفتى ولِلحُــبِّ بعــد السَّلْــوة المُتَمَرِّدِ
ولِلمرء يُلْحَى في التصابي وقبلَه صَبا بالغواني كُلُّ قَــرْمٍ مُمَجَّدِ
وكيف تَناسِي القَلْبِ سَلْمى وحُبُّها كَجمْرِ غَضًى بين الشَّراسيف مُوقَدِ

حتى انتهى إلى قوله :

1 الأماعز : جمع أمعز وهو المكان الصلب الكثير الحصى ، والأرض معزاء .
2 الأربد هنا : الأسد .

إليكَ إمامَ النّاسِ من بطنِ يَثْرِبٍ ... ونِعْـمَ أخو ذي الحاجـةِ المُتَعَمِّدِ
رَحَلْنا لأنّ الجودَ منـك خليقةٌ ... وأنَّـك لم يَذْمُمْ جنابَـك مُجْتَدِي
ملكتَ فزِدتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُم ... إمـامٌ مـن المعروفِ غيرِ المُصَرَّدِ[1]
وقُمْتَ فلم تنقُض قضاءَ خليفةٍ ... ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي
ولمّا وَلِيتَ المُلْكَ ضاربتَ دونـه ... وأسندتـــه لا تأتــلي خيرَ مُسْنَدِ[2]
جعلتَ هِشامــاً والوليـدَ ذخيرةً ... ولِـيَّينِ للعهـدِ الوثيــقِ المؤكَّدِ

قال : فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّماً ، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر . فقَطَب سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظر مُغْضَب . فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنّما وَزْنُ الشعر أخرجه من البيت الأوّل ، وقد قلتُ بعده : [من الطويل]

وأمضيتَ عزماً في سليمانَ راشداً ... ومَـنْ يعتصمْ بالله مثلَـك يَرْشُدِ

فأمر له بألفيْ درهمٍ صلةً ، وزاد في عطائه ، وفرض له ، وقال لولده : أَعْطُوه ؛ فأعطَوْه ثلاثة آلاف درهم .

[استنشده هشام بن عبد الملك فافتخر فرمى به في بركة ماء ونفاه إلى الحجاز]

أخبرني عمِّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال ذكر ابن النَّطَّاح عن أبي اليقظان : أنّ إسماعيل بن يسار دخل على هِشام بن عبد الملك في خِلافته وهو بالرُّصافة جالسٌ على بركةٍ له في قصره ، فاستنشده وهو يرى أنّه يُنْشِده مديحاً له ؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم : [من البسيط]

يا رَبْعَ رامــةَ بالعَلْياء من رِيمِ ... هل تَرْجِعَنّ إذا حَيَّيْتُ تسليمي[3]
ما بالُ حَيٍّ غدتْ بُزْلُ المَطِيِّ بهم ... تَخْـدِي لغربتهـم سَيْراً بتقحيمِ
كأنَّني يوم ساروا شاربٌ سلَبتْ ... فؤادَه قهـوةٌ مـن خَمْرِ دارُومِ[4]

حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

إنِّي وجَدِّك ما عُودي بذي خَوَرٍ ... عند الحِفاظِ ولا حَوْضي بمهدومِ

1 غير مصرد : غير قليل .
2 وأسندته في ل : وساندته .
3 رامة : اسم هضبة أو جبل . ورئم : واد قرب المدينة .
4 داروم : قلعة بعد غزّة في الطريق إلى مصر .

أُصْلي كريمٌ ومجدي لا يُقاس به ... ولي لسانٌ كحَدِّ السَّيْف مسمومِ
أَحْمِي به مجدَ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ ... من كلِّ قَرْمٍ بتاجِ المُلْكِ معمومِ
جَحاجِحٍ سادةٍ بُلْجٍ مَرازِبةٍ ... جُرْدٍ عِتاقٍ مَساميحٍ مَطاعِيمِ
مَنْ مثلُ كِسْرى وسابورِ الجنودِ معاً ... والهُرْمُزانِ لفخرٍ أو لتعظيمِ
أُسْدُ الكتائبِ يوم الرَّوْع إن زَحَفُوا ... وهمْ أذلُّوا ملوكَ التُّركِ والرُّومِ
يمشُون في حَلَق المـاذِيِّ سابغةً ... مَشْيَ الضَّراغِمةِ الأُسْدِ اللَّهاميمِ
هناك إنْ تسألي تُنْبَيْ بأنّ لنا ... جُرْثومةً قَهرتْ عِزَّ الجراثيمِ

قال : فغضِب هشامٌ وقال له : يا عاضَّ بَظْرِ أمّه ! أعليّ تفخَر وإيّايَ تُنْشِد قصيدةً تمدح بها نفسك وأعلاجَ قومك ؟ غُطُّوه في الماء ، فغَطُّوه في البركة حتى كادت نفسه تخرُج ، ثم أمر بإخراجه وهو بشَرٍّ ونفاه من وقتِه ، فأُخرِج عن الرُّصافة منفِيّاً إلى الحجاز . قال : وكان مبتلًى بالعصبيّة للعجم والفخر بهم ، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً .

[مدح الوليد والغمر ابنَيْ يزيد فأكرماه]

أخبرني عمِّي قال حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال قال ابن النطّاح وحدّثني أبو اليقظان : أنّ إسماعيل بن يَسار وَفَد إلى الوليد بن يزيد ، وقد أسنّ وضعُف ، فتوسَّل إليه بأخيه الغَمر ومَدحه بقوله : [من الطويل]

نأتْــكَ سُلَيْمى فالهَوى مُتَشاجِرُ ... وفي نَأْيِها للقلبِ داءٌ مُخامِرُ
نأتْك وهام القلبُ ، نأياً بذكرها ... ولَجّ كما لجّ الخليعُ المُقامِرُ[1]
بواضحةِ الأَقرابِ خَفّاقةِ الحَشا ... بَرَهْرَهةٍ لا يَجْتَويها المُعاشِرُ[2]

يقول فيها يمدح الغَمْرَ بن يزيد :

إذا عَـدَّد الناسُ المكـارمَ والعُلا ... فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخرُ
فما مرَّ من يومٍ على الدهرِ واحدٍ ... على الغَمْرِ إلاّ وهو في الناسِ غامِرُ
تراهم خشوعاً حين يبدو مهابةً ... كما خَشَعَتْ يوماً لكِسْرى الأَساوِرُ

1 نأياً في ل : جهلاً .
2 الأقراب : جمع قرب وهي الخاصرة . برهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة .

أَغَـــرُّ بِطاحِـيٌّ كأنَّ جبينَـه إذا مـا بـدا بدرٌ إذا لاح باهرُ
وَقَى عِرْضَه بالمــالِ فالمالُ جُنَّـةٌ له وأهانَ المــالَ والعِرْضُ وافرُ
وفي سَيْبِـه للمجتديـن عِمـارةٌ وفي سَيْفِـه للدِّين عِــزٌّ وناصِرُ
نَماه إلى فَرْعَيْ لُـؤَيٍّ بن غالبٍ أبوه أبو العاصي وحَرْبٌ وعامِرُ
وخمسةُ آبـاءٍ لـه قـد تتابعـوا خلائـفُ عَـدْلٍ مُلْكُهُمْ مُتواتِرُ
بَهاليلُ سَبَّاقون في كلِّ غايـةٍ إذا استبقتْ في المَكْرُماتِ المَعاشِرُ
همُ خيرُ مَنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا إلى حيثُ أفضتْ بالبِطاح الحَزاوِرُ[1]
وهمْ جمعوا هذا الأنامَ على الهُدى وقـد فرّقتْ بـين الأنامِ البصائرُ

قال : فأعطاه الغَمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة[2] آلاف درهم .

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة عن مُصعب قال : لمّا مات محمد بن يسار ، وكانت وفاته قبل أخيه ، دخل إسماعيل على هشام بن عروة ، فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه ، ثم أنشده يرثيه : [من الكامل]

عِيلَ العَـزاءُ وخانَنـي صَبْري لَمّـا نَعَـى الناعـي أبـا بَكْرِ
ورأيتُ رَيْبَ الدَّهْـرِ أفردني منـه وأسْلَمَ للعِـدا ظهري
من طَيِّبِ الأثـوابِ مُقْتَبَلٍ حُلْوِ الشمائـلِ ماجـدٍ غَمْرِ
فمضــى لوِجْهتـه وأدركـه قَـدَرٌ أُتيـحَ لـه مـن القَدْرِ
وغَبَرتُ مـالي مـن تَذَكُّرِه إلاّ الأَسَى وحـرارةُ الصدرِ[3]
وجَـوًى يُعاوِدُني وقَـلَّ لـه منِّي الجوى ومَحاسِنُ الذِّكْرِ
لَمّـا هوتْ أيدي الرِّجالِ بـه في قَعْـرِ ذات جَوانـبٍ غُبْرِ
وعلمــتُ أنِّي لـن أُلاقِيَـه في الناسِ حتَّـى ملتقَى الحَشْرِ
كادتْ لِفُرْقتـه ومـا ظلمتْ نَفْسي تموتُ على شَفا القبرِ
ولَعمْرُ مَـنْ حُبِس الهَدِيُّ له بالأَخْشَبَيْنِ صَبيحـةَ النَّحْرِ[4]

1 الحزاور : جمع حزورة وهي الرابية الصغيرة .
2 ل : خمسة .
3 غبر هنا : مكث وبقي .
4 الأخشبان : جبلان .

لـو كان نيـلُ الخُلْدِ يُدركه بَشَرٌ بطِيـبِ الخيـمِ والنَّجْرِ
لَغَبَرْتَ لا تخشى المَنُونَ ولا أُوْدى بنفسك حادثُ الدَّهرِ
ولنِعْـمَ مـأوى المُرْمِلـينَ إذا قُحِطوا وأُخلفَ صائبُ القَطْرِ
كم قلتُ آونةً وقـد ذَرَفتْ عيني فمـاءُ شؤونها يجري
أنَّى وأيُّ فتًـى يكـون لنا شَرْواكَ عنـد تَفاقُـمِ الأَمرِ
لِدفاعِ خَصْمٍ ذي مُشاغَبَةٍ ولِعائـلٍ تَـرِبٍ أخـي فَقْرِ
ولقد علمتُ وإنّ ضمنتُ جَوًى ممّـا أُجِـنّ كَواهِجِ الجَمْرِ
مـا لامرىءٍ دون المنيَّةِ مِنْ نَفَـقٍ فيُحْـرِزُه ولا سِتْرِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبير ، فقال له : أحسنتَ وأسرفتَ في القول ، فلو قلتَ هذا في رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيراً . فزجره هشام وقال : بئس والله ما واجهتَ به جليسَك ؛ فشكره إسماعيل ، وجزاه خيراً . فلمّا انصرف تناولَ هشامٌ الرجلَ الزُّبيريّ وقال : ما أردتَ إلى رجلٍ شاعرٍ مَلَك قولَه فصرَف أحسنَه إلى أخيه ! ما زدتَ على أن أغريته بعِرْضِك وأعراضِنا لولا أنّي تَلافيتُه . وكان محمد بن يَسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقة أخيه ؛ وله أشعار كثيرة . ولم أَجِد له خبراً فأذكُرَه ، ولكن له أشعار كثيرة يغنَّى فيها . منها قوله في قصيدة طويلة : [من الهزج]

صوت

غَشِيتُ الدارَ بالسَّنَدِ دُوَيْنَ الشِّعْبِ من أُحُدِ
عَفَتْ بعدي وغيَّرها تَقادُمُ سالِفِ الأَبَدِ

الغناء لحَكَم الواديّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ .

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم ، شاعرٌ أيضاً ، وهو القائل : [من المتقارب]

مضى الجهلُ عنكَ إلى طِيَّتِهْ وآبَكَ حِلْمُـك مـن غَيْبتِهْ
وأصبحتَ تَعْجَـبُ ممّـا رأيـ ـتَ من نَقْضِ دَهْرٍ ومن مِرَّتِهْ

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كَرِهتُ الإطالةَ بذكرها .

انقضت أخباره .

صوت[1]

[من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثَرَ ناصراً   وأَيْسَرَ جُرْمـاً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نـابٍ فاستمرّ بطعنةٍ   كحاشية البُرْدِ اليمـانيِّ المُنَمِ[2]

عروضه من الطويل ، الشعر للنابغة الجعديّ . والغناء للهذليّ في اللحن المختار ، وطريقته من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ونذكر هاهنا سائر ما يغنّى به في هذه الأبيات وغيرها من هذه القصيدة ونَنْسُبه إلى صانعه ، ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره . فمنها على الوِلاء سوى لَحن الهُذَليّ[3] : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْـرِي كان أكثَرَ ناصراً   وأيسَر جُرْمـاً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ   كحاشيةِ البُرْد اليمـانيِّ المسهَّمِ
أيا دارَ سَلْمَى بالحَرورِيّةِ اسْلَمي   إلى جانـبِ الصَّمَّـان فالمُتَثَلَّمِ[4]
أقامتْ بـه البَرْدَيْن ثم تَذكّرتْ   منازلَهـا بـين الدَّخُـولِ فَجُرثُمِ
ومسكَنُها بين الغُروب إلى اللِّوى   إلى شُعَبٍ ترعَـى بِهـنّ فَعَيْهَمِ
ليـاليَ تَصطادُ الرجـالَ بفاحـمٍ   وأبيـضَ كالإغريـض لَـم يتَثَلَّمِ

في البيت الأوّل والثاني لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ آخرُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيهما لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغَريض في الثالث والرابع والأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . ولإسحاق في الثالث والأوّل ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر ذلك أبو العَنْبَس والهِشاميّ . وللغَريض في الرابع ثم الأوّل خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في رواية عمرو بن بانة . ولمعبدٍ فيهما وفي الخامس والسادس خفيف ثقيل من رواية أحمد بن المكيّ . ولابن سريج في الخامس والسادس ثقيل أوّل بالبنصر من رواية عليّ بن يحيى المنجّم ، وذكر غيره أنّه للغريض . ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكر حَبَشٌ أنّه لمعبد . ولابن مُحرِزٍ في

---

1 ديوان النابغة الجعدي .
2 المنمم في الديوان : المسهّم .
3 ديوان النابغة الجعدي : 137–147 .
4 الصمان والمتثلم والدّخول وجرثم والغروب وعيهم : كلّها مواضع .

الأوّل والثاني والثالث والرابع هَزَجَ ، ذكر ذلك أبو العَنْبَس ، وذكر قُمْرِيّ أنّه لأبي عيسى بن المتوكّل لا يشكّ فيه . وللدّلال في الخامس والسادس ثاني ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وذكر أبو العَنْبَس أنّه للهُذَليّ . ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في الرابع خفيف رَمَلٍ . ولإسحاق في الثالث والرابع أيضاً ماخُوريّ ، ولمعبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى فيهما ، وقيل : إنّه لحنه الذي ذكرنا متقدّماً ، وإنّه ليس في هذا الشعر غيره . وذكر حبشٌ أنّ في هذه الأبيات التي أوّلها : «كليبٌ لعمري» خفيف رملٍ بالوسطى ، وللهُذليّ خفيف ثقيلٍ بالبنصر ، وللدّلال رملٌ ؛ فذلك ثمانية عَشَرَ صوتاً[1] . وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أنّ له فيهما (أعني الأوّل والثاني) خفيفاً بالوسطى .

* * * *

1 ل : لحناً .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين   الأستاذ بكر عباس

المجلد الخامس

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

5

الطبعَـة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعـة الثـانية

1426هـ - 2005م

الطبعـة الثـالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[62] ـ ذكر النابغة الجَعْديّ ونسبه وأَخباره[1]
والسبب الذي من أَجله قيل هذا الشعر

[نسبه]

هو ، على ما ذكر أُبو عمرو الشَّيبانيّ والقَحْذَميّ ، وهو الصحيح ، حِبّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس ، وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وحوح ، ابن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . هذا النسب الذي عليه الناس اليومَ مجتمعون . وقد روى ابن الكَلْبيّ وأَبو اليَقْظان وأَبو عُبيدة وغيرُهم في ذلك رواياتٍ تُخالف هذا ، فمنها أَنّ ابن الكلبيّ ذكر عن أَبيه أَنّ خَصَفة الذي يقول الناس إنّه ابن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا ، وأنّ عِكْرِمة ابنُ قيس بنِ عَيْلان وخَصَفة أمّه ، وهي امرأة من أَهل هَجَر . وقيل : بل هي حاضنته ؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات وعِكْرِمة صغير فربّته حتى كبِر ، وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خَصَفة ، فبقيت عليه ؛ ومَن لا يعلم يقول : عِكرمة بن خَصَفة بن قيس ، كما يُقال خِنْدِف ، وإنّما هي امرأة وزوجها إلياس بن مضر . وقالوا في صَعْصَعة بن معاوية : إنّ الناقميّة بنت عامر بن مالك ، وهو الناقم ، سُمِّي بذلك لأنّه انتقم بلطمةٍ لُطِمها ، وهو ابن سعد بن جَدّان[2] بن جَديلة بن أَسد بن ربيعة بن نِزار ، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوازن فمات عنها أَو طلّقها وهي نسء[3] ، فتزوّجها سعد بن زيد مَناة بن تميم ، فولدتْ على فراشه صعصعةَ بن معاوية ، ثم ولدت هُبَيْرة ونَجْدَة وجُنادة ؛ فلمّا مات سعد اقتسم بنوه الميراثَ وأُخرجوا صعصعةَ منه ، وقالوا : أَنتَ ابن معاوية بن بكر ؛ فلمّا رأى ذلك أَتى بني معاوية بن بكر فأَقرّوا بنسبه ودفَعوه عن الميراث ؛ فلمّا رأَى ذلك أَتى سعدَ بن الظَّرِب العَدْوانيّ فشكا إليه ما لقِي ، فزوّجه بنتَ أَخيه عَمْرة بنت عامر بن الظَّرِب ، وأَبوها

---

1 ترجمة النابغة الجعدي في طبقات ابن سلام 123–131 والشعر والشعراء : 208–214 ومعجم المرزباني 195 وكتاب المعمرين رقم : 66 والخزانة 3 : 167–173 والموشّح : 64 وأُسد الغابة والإصابة والاستيعاب وانظر بروكلمان 1 : 232 وقد جمعت أشعاره ماريا نلينو ، وقد اعتمدنا هنا طبعة المكتب الإسلاميّ للطباعة والنشر ، بيروت ، 1964 .

2 ل : خندف .

3 النسء : المرأة يظنّ بها الحمل لتأخّر الحيض .

عامر الذي يُقال له : ذو الحِلْم ؛ وعَمْرة ابنتُه هذه هي التي كانت تَقرَع له العصا إذا سها في الحكم ؛ وله يقول الشاعر[1] :

لذي الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقرَع العصا ‏ ‏ ‏ ‏ وما عُلِّم الإنسانُ إلاّ ليَعْلَما

قال : وكانت عَمْرَة يوم زوَّجها عمُّها نسئاً من ملك من ملوك اليمَن يُقال له : الغافِق بن العاصي الأَزْدِيّ ، والمُلْك يومئذٍ في الأَزْد ، فولَدت على فراش صعصعة عامرَ بن صعصعة ، فسمّاه صعصعةُ عامراً بجَدِّه عامر بن الظَّرِب . وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن : [من الكامل]

أزعمتَ أنَّ الغافقيّ أَبوكم ‏ ‏ ‏ ‏ نسبٌ لَعَمْرُ أَبيك غيرُ مُفَنَّدِ
وأَبوكم مِلكٌ يُنتِّفُ باسته ‏ ‏ ‏ ‏ هَلْباء عافيةً كعُرف الهُدْهُدِ
جَنَحتْ عجوزُكُمُ إليه فردَّها ‏ ‏ ‏ ‏ نسئاً بعامركم ولَمّا يُويدِ[2]

ويكنى النابغةُ أَبا ليلى .

وأَخبرنا أَبو خَليفة عن محمَّد بن سلاَّم قال : هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وقال ابن الأَعرابيّ : هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة ، ووافق ابنَ سلاّم في باقي نسبه . وهذا وَهْمٌ ممّنْ قال : إنّ اسمه قيس[3] ؛ وليس يُشَكّ في أنَّه كان له أَخ يُقال له وَحْوَح بن قيس ، وهو الذي قتله بنو أَسد ؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة .

وأُمّه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شِحْنَة الأَسَديّ .

[سبب لقبه النابغة]

وإنّما سُمِّي النابغةَ لأَنّه أَقام مدّةً لا يقول الشِّعر ثم نبغَ فقاله .

أَخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأْتُ على القَحْذميّ : قال الجعديّ الشِّعرَ في الجاهليّة ثم أُجْبَلَ[4] دهراً ثم نَبَغَ بعدُ في الشِّعر في الإسلام .

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عمّار عن محمَّد بن حبيب عن ابن الأُعرابيّ قال : أَقام النابغة الجعديّ ثلاثين سنة لا يتكلَّم ، ثم تكلَّم بالشِّعر .

---

1 تقدّم بيت المتلمس هذا في ترجمة ذي الإصبع العدواني . وانظر المثل في مجمع الميداني 1 : 37 ومستقصى الزمخشري 1 : 408 .

2 يُويد في ل : يولد .

3 انظر بشأن اسمه والخلاف فيه (أهو قيس بن عبد الله أم عبد الله بن قيس) مصادر ترجمته .

4 أُجبل الشاعر : صعب عليه قول الشعر .

[عمره وشِعره فيه]

قال القَحْذميّ في رواية حمّاد عنه : كان الجعديّ أسنَّ من نابغة بني ذُبْيان .

قال ابن سلاّم في رواية أبي خَليفة عنه : كان الجعديّ النابغةُ قديماً شاعراً طويلاً مُفلِقاً طويل البقاء في الجاهليّة والإسلام ، وكان أكبر من الذُّبياني ؛ ويدُلّ على ذلك قولُه[1] : [من الوافر]

ومَن يــكُ سائلاً عنّي فإنّي   مـن الفِتيـان أيّامَ الخُنانِ[2]

أتت مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه   وعَشْرٌ بعد ذاك وحِجَّتـانِ

فقد أبقتْ خطوبُ الدّهر منّي   كما أبقتْ من السيفِ اليَماني

قال وعُمِّر بعد ذلك عُمراً طويلاً . سُئِل محمَّد بن حبيب عن أيّام الخُنان ما هي ؟ فقال : وقعةٌ كانت لهم ؛ فقال قائل منهم وقد لقُوا عدوَّهم : خُنُّوهم[3] بالرماح ، فسُمِّيَ ذلك العامُ الخُنانَ . ويدلُّ على أنّه أقدم من النابغة الذُبيانيّ أنّه عُمِّر مع المُنذر بن المُحرِّق قبل النعمان بن المنذر ، وكان النابغة الذُبيانيّ مع النعمان بن المنذر وفي عصره ، ولم يكن له قِدَمٌ إلاّ أنّه مات قبل الجَعْديّ ، ولم يُدرِك الإسلام . وقد أدركه الجعديّ الذي يقول[4] : [من الطويل]

تَذكَّرتُ شيئاً قـد مَضى لسبيلِهِ   ومِنْ عـادةِ المحـزونِ أن يَتَذكَّرا

نَدَامـايَ عند المُنـذر بنِ مُحـرِّقٍ   أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرا

كُهـولٌ وفِتيـانٌ كأنَّ وجوهَهـم   دنانيرُ ممّا شِيفَ في أرضِ قَيصَرا[5]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن حكيم عمَّن كان يأخذ العِلمَ عنه ولم يُسمِّ إليَّ أحداً في هذا : أنّ النابغة عُمِّر مائة وثمانين سنة ، وهو القائل[6] : [من المتقارب]

لبِستُ أُنـاساً فأفنيتُهـم   وأفنيـتُ بعد أُنـاسٍ أُناسا

ثلاثـةَ أهلِيـنَ أفنيتُهـم   وكان الإلـه هُوَ المُسْتَآسَا[7]

وهي قصيدة طويلة ، يقول فيها ، وفيه غناء :

---

1 شعر النابغة الجعدي : 160–163 .

2 رواية الشطر الأول في الشعر والشعراء : «ومن يحرص على كبري فاني» . الخنان : داء يأخذ بالإبل في مناخرها وتموت منه .

3 خنوهم : اقطعوهم .

4 انظر رائية النابغة (رقم 3 أ) في مجموع شعره : 35–59 وهناك بعض اختلاف في الرواية .

5 شيف الدينار أو السيف : جلي .

6 شعره : 77–80 .

7 المستآس : المستعان .

صوت

وكنتُ غُلامـاً أُقاسي الحُرو ... بَ يَلْقى المُقاسون منّي مِراسَا
فلمّـا دَنَوْنـا لجَرْسِ النُّبـا ... حِ لَم نعرِف الحيَّ إلاّ التماسا
أَضاءتْ لنا النَّـارُ وجهاً أَغَرَّ ... مُلتبساً بالفُـؤادِ التبـاسا

غنّى في هذه الثلاثة الأبيات فُلَيح بن أَبي العَوْراء خفيفَ ثقيل أَوَّلَ بالوسطى .

رجع الخبر إلى رواية عمرَ بن شبَّة :

قال : وقال أَيضاً : [من الوافر]

أَلا زعمتْ بنو سعدٍ بأنّي ... أَلا كذَبوا كبيرُ السنِّ فاني
أَتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه ... وعشرٌ بعد ذاك وحِجَّتانِ

قال : وأَنشد عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله تعالى عنه أَبياتَه التي يقول فيها : [من المتقارب]

ثلاثـةَ أَهلِـينَ أَفنيتُهم

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه : كم لبِثتَ مع كلّ أَهل ؟ قال : ستّين سنة .

[شِعره مشؤوم]

وأَخبرني بعض أَصحابنا عن أَبي بكر بن دُريد عن عبد الرَّحمن ابن أَخي الأَصمعيّ عن عمِّه قال : أُنشِد رجلٌ من العجم قولَ النابغة الجعديّ : [من المتقارب]

لبِستُ أُناساً فأَفنيتُهـم ... وأَفنيتُ بعد أُناسٍ أُناسا

[قيل إنّه عاش 220 سنة]

وفُسِّر له ، فقال : «بدِين شان بود» ، أَي هذا رجل مشؤوم . وأَمّا ابن قُتيبة فإنَّه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمَّد أَنَّه عُمِّر مائتين وعشرين سنة ، ومات بأَصْبهان . وما ذاك بمُنكَر ؛ لأَنَّه قال لعمر رضي الله تعالى عنه : إنَّه أَفنى ثلاثةَ قرون كلّ قرن ستّون سنة ، فهذه مائةٌ وثمانون ، ثمّ عُمِّر بعده فمكَث بعد قَتْل عمر خلافةَ عثمان وعليّ ومعاوية ويزيد ، وقدِم على عبد الله بن الزبير بمكّة وقد دَعا لنفسه ، فاستماحه ومدَحه ؛ وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر نحوٌ ممّا ذكر ابنُ قتيبة ؛ بل لا أَشكُّ أَنَّه قد بلَغ هذه السنّ . وهاجى أَوْسَ بن مَغْراء بحضرة الأَخطل والعَجّاج وكعب بن جُعَيل فغلبه أوسٌ ، وكان مُغَلَّباً .

[دعاء النبيّ له]

حدَّثنا أَحمد بن عمر بن موسى القَطَّان المعروف بابن زَنْجَوَيْهِ قال حدَّثنا إسماعيل بن عبد الله السكَّريّ قال حدَّثنا يَعْلى بن الأَشْدق العُقَيليّ قال حدَّثني نابغة بني جَعْدة قال :

أُنشدتُ النبيَّ ﷺ هذا الشّعرَ فأُعجِب به : [من الطويل]

بلغنا السَّماءَ مَجدُنا وجدودُنا وإنا لَنَبْغِي فـوقَ ذلك مَظْهَرا

فقال النبيُّ ﷺ : «فأَين المَظْهرُ يا أَبا ليلى» ؛ فقلت : الجنَّة ؛ فقال : «قُل إن شاءَ الله» ؛ فقلتُ : إن شاءَ الله . [من الطويل]

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لَمْ يكُن لَهُ بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أَن يُكَدَّرَا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لَمْ يكُن لَهُ حَليمٌ إذا ما أَوْردَ الأَمرَ أَصْدَرَا

فقال النبيُّ ﷺ : «أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ» ؛ قال : فلقد رأَيته وقد أَتت عليه مائة سنة أَو نحوُها وما انفضَّ مِن فِيهِ سِنّ .

[تجنّب الخمر والأزلام والأوثان]

أَخبرني محمَّد بن الحسن بن دُرَيد قال أَخبرني أَبو حاتم قال أَخبرنا أَبو عُبيدة قال : كان النابغة الجَعْديّ ممَّن فكَّر في الجاهليّة وأنكر الخمرَ والسُّكر وما يفعل بالعقل وهَجر الأزلام والأوثان وقال في الجاهليّة كلمتَه التي أَوَّلها[1] : [من المنسرح]

الحمدُ للهِ لا شريـكَ لَـهُ مَن لَمْ يقُلْها فنفسَه ظَلَمَا

وكان يذكر دينَ إبراهيم والحنيفيّة ، ويصوم ويستغفِر ، ويتوقَّى أَشياء لعواقبها .

[وفد على النبيّ وأسلم]

ووفَد على النبيِّ ﷺ فقال : [من الطويل]

أَتيتُ رسولَ الله إذ جـاءَ بالهُدى ويتلـــو كتابـاً كالمَجَـــرَّةِ نَيِّرَا
وجاهدتُ حتى ما أُحِسّ ومَن معي سُهَيْلاً إذا مــا لاح ثُمَّتَ غَوّرا
أُقيــم على التَّقوى وأَرضى بفعلها وكنتُ مِنَ النَّارِ المَخُوفــةِ أَوْجَرا[2]

[استأذن عثمان في سكنى البادية]

وحسُن إسلامُه ، وأَنشد النبيَّ ﷺ ؛ فقال له : «لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ» ؛ وشهِد مع عليّ بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه صِفِّينَ . وقد ذُكِر خبره مع عمر رضي الله عنه ؛ وأَمَّا خبره مع عثمان فأَخبرنا به أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال مَسْلَمةُ بن مُحارِب : دخل النابغة الجعديّ على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال : أَستودعكَ اللهَ يا أَمير المؤمنين ؛ قال : وأَينَ تريد يا أَبا ليلى ؟ قال : أَلْحَقُ بإبلي فأَشرَبُ من أَلبانها فإنِّي مُنكِر لنفسي ؛

1 شعر النابغة : 132 .
2 أُوجر : خائف .

فقال : أتَعَرُّباً[1] بعد الهجرة يا أَبا ليلى ؟ أما علمتَ أَنّ ذلكَ مكروه ؟! قال : ما علمتُه ، وما كنت لأخرجَ حتّى أُعلِمَكَ . قال : فأْذِن له ، وأَجَّل له في ذلك أَجلا ، فدخل على الحسن والحسين ابني عليّ فودّعهما ؛ فقالا له : أَنشِدْنا من شعرك يا أَبا ليلى ؛ فأَنشدهما : [من المنسرح]

الحمـدُ لله لا شريـكَ لـهُ مَـن لَمْ يقُلْها فنفسَه ظلَمَا

فقالا : يا أَبا ليلى ، ما كنّا نروي هذا الشعرَ إلاّ لأُميّة بن أَبي الصَّلت ؛ فقال : يا ابنيْ رسول الله ﷺ إنِّي لصاحبُ هذا الشعر وأَوَّل مَن قاله ، وإنّ عين السروق لَمن سرَق شعرَ أُميّة .

[كان مغلباً في الهجاء]

قال أَبو زيد عمرُ بن شَبَّة في خبره : كان النابغة شاعراً متقدِّماً ، وكان مغلَّباً ما هاجى قطّ إلاّ غُلِب ، هاجى أَوسَ بن مَغْراء وليلى الأَخيليّة وكعبَ بن جُعَيل فغلبوه جميعاً .

[مهاجاته أوس بن مغراء]

وقال أَبو عمرو الشَّيْباني : كان بدءُ حديث النابغة وأَوس بن مغراء أَنّ معاوية لمّا وجَّه بُسْرَ بن أَرْطاة الفِهْريّ لقتل شيعة عليّ بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قام إليه معنُ بن يزيد بن الأَخْنَس السُّلَميّ وزياد بن الأَشهب بن وَرْد بن عمرو بن رَبيعة بن جَعْدة ، فقالا : يا أَمير المؤمنين ، نسأَلك بالله وبالرحم أَلاّ تجعل لبُسْر على قيس سلطاناً ، فيقتل قيساً بمَن قتلتْ بنو سُلَيم من بني فِهْر وبني كِنَانة يومَ دَخل رسول الله ﷺ مكّة ؛ فقال معاوية : يا بُسر لا أَمْرَ لكَ على قيس ؛ وسارَ بُسْرٌ حتّى أَتى المدينة ، فقتَل ابنَيْ عُبيد الله بن العبّاس ، وفرَّ أَهل المدينة ودخلوا الحرَّة (حرَّةَ بني سُلَيم) . ثم سارَ بُسر حتّى أَتى الطائف ؛ فقالت له ثَقيف : ما لكَ علينا سلطان ، نحن من قيس ؛ فسار حتى أَتى هَمْدان وهم في جبل لهم يُقال له شِبَام ، فتحصَّنت فيه همدان ، ثم نادَوْا : يا بُسر نحن هَمْدان وهذا شِبَام ، فلم يلتفت إليهم ، حتّى إذا اغترّوا ونزلوا إلى قُراهم ، أَغار عليهم فقتل وسبى نساءهم ؛ فكُنَّ أَوَّلَ مسلماتٍ سُبينَ في الإسلام . ومرَّ بحيٍّ من بني سعد نُزُولٍ بين ظَهْرَيْ بني جَعْدة بالفَلج[2] ، فأَغار بُسْر على الحيّ السَّعْديين فقتل منهم وأَسَر ؛ فقال أَوْس بن مَغْراء في ذلك : [من الطويل]

مُشرِّين ترعَوْن النَّجيل وقد غدَتْ بأَوصال قَتْلاكم كِـلابُ مُزاحِمِ

المُشرّ : الذي قد بسَط ثوبه في الشمس . والنجيل : جنس من الحَمْض. فقال النابغة

1 التعرّب : أن يصير المرء أعرابيّاً بعد أن كان مهاجراً ، وقد عدّ الرسولُ ذلك من الكبائر .

2 الفلج : موضع أو ماء .

يجيبه[1] : [من الوافر]

متى أَكلتْ لُحومَكُم كِلابي أَكلْتَ يديكَ من جَرَبٍ تَهامِ[2]

أُخبرنا أَبو خليفة الفضل بن الحُباب مِمَّا أَجاز لنا روايتَه عنه من حديثه وأُخباره مِمّا ذكره منها عن محمَّد بن سلاَّم الجُمَحيّ عن أَبي الغَرَّاف ، وأُخبرنا به أَحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نَصر ، قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة عن محمَّد بن سلاَّم عن أَبي الغَرَّاف : أَنّ النابغة هاجى أَوسَ بن مَغْراء ؛ قال : ولَم يكن أَوس مثلَه ولا قريباً منه في الشِّعر ؛ فقال النابغة : إنِّي وإيَّاه لَنبتَدِر بيتاً ، أَيُّنا سبَق إليه غلَب صاحبَه ؛ فلمّا بلَغه قولُ أَوس : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما تَبْلَى سَرابيلُ عامرٍ من اللؤم ما دامتْ عليها جلودُها

قال النابغة : هذا البيت الذي كنّا نَبتدِر إليه . فغُلِّب أَوسٌ عليه .

قال أَبو زيد : فحدَّثني المدائنيّ أَنّهما اجتمعا في المِرْبَد فتنافرا وتهاجيا ، وحضَرهما العَجَّاجُ والأَخطل وكعب بن جُعَيل ، فقال أَوْس : [من الرجز]

لَمَّا رأَتْ جَعدةُ منَّا ورْدَا ولَّوْا نَعاماً في البلادِ رُبْدَا
إنَّ لَنا عليكُمُ مَعَدّا كاهلَها وركنَها الأَشَدَّا

فقال العَجَّاج : [من الرجز]

كلّ امرئٍ يَغْدو بما استعدّا

وقال الأَخطل يُعين أَوسَ بن مغراء ويحكُم له : [من الطويل]

وإنِّي لقاضٍ بين جَعدةِ عامرٍ وسَعدٍ قضاءً بَيِّنَ الحقِّ فَيْصلا
أَبو جعدةَ الذئبُ الخبيثُ طَعامُه وعَوفُ بن كعبٍ أَكرمُ الناس أَوَّلا

وقال كعب بن جُعَيل : [من البسيط]

إنِّي لقاضٍ قضاءً سوف يتبعه مَنْ أَمَّ قَصْداً ولم يَعدِل إلى أَوَدِ[3]
فَصْلاً من القولِ تَأْتَمُّ القضاةُ به ولا أَجُور ولا أَبغِي على أَحدِ
ناكت بنو عامرٍ سعداً وشاعرَها كما تَنِيك بنو عَبْس بني أَسدِ

1 شعر النابغة : 201 .
2 تهام : منسوب إلى تهامة . وقارن بالنقائض : 717 .
3 أَود : عوج .

[مهاجاته ليلى الأخيلية]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيليّة وبين الجعديّ أنَّ رجلاً من قُشَير ، يُقال له ابن الحَيا (وهي أُمّه) واسمه سَوّار بن أَوْفى بن سَبْرة ، هجاه وسبَّ أخوالَه من أَزْد في أمرٍ كان بين قُشير وبين بني جَعْدة وهم بأَصبهان متجاورون ، فأَجابه النابغة بقصيدته التي يُقال لها الفاضحة[1] ، سُمِّيت بذلك لأنّه ذكر فيها مساويَ قُشير وعُقيل وكلَّ ما كانوا يُسبّون به ، وفخَر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحيَّين من قُشير وعُقيل : [من الطويل]

جَهِلتَ عليّ ابنَ الحيا وظلمتَني وجَمّعت قولاً جاءَ بيتاً مُضلّلا

وقال في هذه القصّة أيضاً قصيدتَه التي أوَّلها[2] : [من البسيط]

إمّا تَرَيْ ظُلَلَ الأَيّامِ قد حَسَرَتْ عنِّي وشَمّرتُ ذَيلاً كانَ ذَيّالا[3]

وهي طويلة ، يقول فيها :

ويــومَ مكّــةَ إذْ ماجَدْتُــمُ نَفَراً حامَوْا على عُقَد الأَحساب أَزْوالاَ[4]
عند النّجاشيّ إذ تُعطونَ أَيديَكم مُقرَّنـــين ولا تَرجُـون إرْسالا
إذ تَستحِبُّونَ عند الخَذْل أنّ لكم مِنْ آلِ جَعْـدة أَعمامـاً وأَخْوالا
لو تستطيعون أَنْ تُلْقــوا جُلودَكُمُ وتجعلــوا جِلْـدَ عبد الله سِرْبالا

يعني عبدَ الله[5] بن جَعدة بن كعب :

إذاً تسربْلتُــم فيــه لِيُنجيَكم مّما يقولُ ابنُ ذي الجَدَّينِ إذْ قالا
حتّى وَهبتم لعبد الله صاحبَه والقولُ فيكم بإذن اللهِ ما فالا[6]
تلك المكارمُ لاقَعْبانِ من لَبَنٍ شِيبَا بماءٍ فعادا بعــدُ أَبْوالا

يعني بهذا البيت أَنّ ابن الحَيا فَخر عليه بأنّهم سَقَوْا رجلاً من جَعدة أدركوه في سفر وقد جهِد عطشاً لبناً وماءً فعاش .

1 شعر النابغة : 114–122 .
2 شعره : 100–112 .
3 ذيال : طويل .
4 أزوال : جمع زول وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد .
5 هو خال النابغة الجعدي .
6 فال : أخطأ .

وقال في هذه القصّة أيضاً يفخر عليهم قصيدتَه التي أوَّلها[1] : [من الكامل]

أبلــغ قُشَيراً والحَرِيشَ فمــا ذا ردّ في أيديكــم شَتْمــي

وفخر عليهم بقتل عَلْقمة الجُعْفيّ يوم وادي نِساح[2] وقتل شَراحِيل بن الأصْهب الجُعْفيّ ، وبيوم رَحْرَحان أيضاً ، فقال فيه : [من البسـيط]

هَلاَّ سألتَ بيومَيْ رَحْرحانَ وقد ظنَّتْ هَوازنُ أنَّ العِزَّ قد زَالا[3]

فلمّا ذكر ذلك النابغة قال : [من البسيط]

تِلكَ المَكارم لاقَعبانِ من لبن شِيبَا بماءٍ فعـادا بعـدُ أبوالا

ففخر بما لهُ وغَضَّ مِمَّا لهم . ودخلت[4] ليلى الأخيليّة بينهما فقالت : [من الطويل]

وما كنتُ لو قاذفتُ جلَّ عَشيرتي لأذكرَ قَعْبَيْ حـازِرٍ قـد تَثَمَّلا[5]

وهي كلمة[6] . فلمّا بلغ النابغةَ قولُها قال[7] : [من الطويل]

ألا حَيِّيـا ليـلى وقُولا لَهـا هَلاَ فقـد رَكِبتْ أيْـراً أغـرَّ مُحَجَّلا
وقـد أكلتْ بقـلاً وخِيماً نباتُه وقد شَرِبتْ مـن آخر الصيف أيِّلا

يعني ألبان الأيْل .

دَعِي عنكِ تَهْجاءَ الرِّجال وأقْبِلي على أذْلَغِيٍّ يمـلأ استَكِ فَيْشَلا
وكيف أهاجِي شاعراً رُمحه استُه خَضِيبَ البَنانِ لا يـزال مُكَحَّلا

فردَّت عليه ليلى الأخيليّة فقالت[8] : [من الطويل]

أنابغُ لَم تَنْبغ ولَم تـكُ أوَّلا وكنتَ صُنَيّاً بين صُدَّيْن مَجْهَلا

الصُنَيُّ : شِعْب صغير يسيل منه الماء . وصُدّان : جبلان .

أنابغُ إنْ تَنْبغ بلؤمك لا تجدْ للؤمك إلاّ وَسْط جَعْدة مَجْعَلا

1 شعر النابغة : 234 .
2 وادي نساح : باليمامة .
3 رحرحان : جبل خلف عرفات كان للعرب فيه يومان سيورد أبو الفرج خبرهما فيما بعد في هذه الترجمة .
4 ل : واعتنت .
5 الحازر : اللبن الحامض .
6 كلمة هنا بمعنى قصيدة .
7 شعر النابغة : 123 .
8 ديوان ليلى الأخيليّة (جمع وتحقيق خليل العطيّة وجليل العطيّة ، الكويت ، 1971) 100–101 .

تُعيِّــرني داءً بأمِّــك مثلُــه   وأيّ حَصانٍ لا يُقال لها هَلا[1]

فغلبتْه . فلمّا أَتى بني جعدة قولُها هذا ، اجتمع ناس منهم فقالوا : والله لنأتينَّ صاحبَ المدينة ، أو أَمير المؤمنين ، فيأخذَنَّ لنا بحقّنا من هذه الخبيثة ، فإنّها قد شَتَمْت أَعراضنا وافتَرَتْ علينا ، فتهيَّئوا لذلك ؛ وبلَغها أنّهم يريدون أن يستعدُوا عليها ، فقالت : [من الطويل]

أتــاني مــن الأنبـاء أنّ عشيرةً   بشَوْرانَ يُزْجون المطيّ المُذَلَّلا[2]

يروح ويغدو وفدُهم بصحيفةٍ   لِيَستجلِدوا لي ، ساء ذلك مَعْمَلا

وقد أُخبرني ببعض هذه القصّة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة فجاء بها مُختلِطة ، وهذا أَوضح وأَصحّ .

[يوم وادي نِساح]

قال أبو عمرو : فأمّا ما فَخر به النابغةُ من الأيّام ، فمنها يوم عَلْقمةَ الجُعْفيّ ، فإنّه غَدا في مَذْحِج ومعهُ زُهَير الجعفيّ ، فأتى بني عُقيل بنِ كعب فأغار عليهم ، وفي بني عقيل بطون من سُلَيم يقال لهم بنو بَجْلة ، فأصاب سَبْياً وإبلاً كثيرة ، ثمّ انصرف راجعاً بما أصاب ، فاتّبعه بنو كعب ، ولم يلحَق به من بني عُقيل إلاّ عِقَالُ بن خُوَيلد بن عامر بن عُقَيل ، فجعل يأخُذ أبعار إبل الجُعفيّين فيبُول عليها حتى يُندِّيَها ، ثم يلحَق ببني كعب فيقول : إيهِ فِدىً لكم أَبَواي ، قد لَحِقتم القومَ ؛ حتى ورَدوا عليهم النخيلَ في يوم قائظ ، ورأسُ زهير في حِجْر جارية من سُلَيم من بني بَجْلة سباها يومئذٍ وهي تَفْليه ، وهو متوسّد قطيفةً حمراءَ وهي تَضفِر سَعَفاتِه ـ أي أعلى رأسه ـ بهُدْب القطيفة ، فلم يشعُروا إلاّ بالخيل ؛ فكان أوّلُ مَن لَحِق زُهيراً ابنَ النهّاضة ، فضرب وجهَ زهير بقوسه حتى كسَر أنفَه ، ثم لحِقه عِقالُ بنُ خُوَيلد ، فبعَج بطنَه ، فسال من بطنه بَريرٌ وحَلَب ، والبرير : ثمر الأراك . والحلب : لبن كان قد اصطبحه . فذلك يوم يقول أبو حَرْب أخو عقال بن خُوَيلد : والله لا أَصطَبِح لبناً[3] حتى آمن من الصِّباح[4] . قال : وهذا اليوم هو يوم وادي نِساح[5] وهو باليمامة .

[يوم شراحيل]

قال : وأمّا يوم شَراحِيلَ بن الأَصْهب الجُعْفيّ فإنّه يوم مذكور تفتخر به مُضَرُ كلُّها .

1 وأي حصانٍ لا يقال له هلا في ل : وأي نجيب لا يقال له هلا .
2 شوران : جبل في ديار بني جعدة .
3 ل : حلباً .
4 الصباح : الغارة في الصبح .
5 لم يتطرّق أبو عبيدة في النقائض وابن عبد ربّه في العقد الفريد إلى يوم وادي نساح أو يوم شراحيل .

وكان شَراحِيلُ خرج مُغِيراً في جمع عظيم من اليمن ، وكان قد طال عمرُه وكثُر تَبَعُه وبعُد صِيتُه[1] واتّصل ظَفَرُه ، وكان قد صالح بني عامر على أن يَغزُوَ العرب مارّاً بهم في بدأته وعودته لا يَعْرِض أحدٌ منهم لصاحبه ؛ فخرج غازياً في بعض غَزَواته فأبعد ، ثم رجَع إليهم فمرَّ على بني جَعْدة فقَرَتْه ونحرتْ له ؛ فعمَد ناسٌ من أصحابه سفهاءُ فتناولوا إبلاً لبني جعدة فنحروها ؛ فشكَتْ ذلك بنو جعدة إلى شَراحيل ، فقالوا : قَرَيْناك وأحسنّا ضِيافتك ثم لم تمنَع أصحابك ممّا يصنعون ؛ فقال : إنّهم قوم مُغيرون ، وقد أساءوا لعَمْري ؛ وإنّما يُقيمون عندكم يوماً أو يومين ثم يرتحلون عنكم . فقال الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة لأخيه ورد بن عمرو ، وقيل : بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْد : دَعْني أذهب إلى بني قُشَير ، قال : وجَعْدة وقُشَير أخوان لأمّ وأب ، أمّهما رَيْطة بنت قُنْفُذ بن مالك بن عوف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور ، فأدعوهم ، واصنَع أنت يا هذا لشَراحيل طعاماً حسَناً كثيراً ، وادعُه وأدخِله إليك فاقتُله ، فإن احتجت إلينا فدَخّنْ ، فإنّي إذا رأيتُ الدّخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفنا على القوم . فعمَد وردٌ هذا إلى طعام فأصلحه ، ودعا شَراحيلَ وناساً من أصحابه وأهله وبني عمّه ، فجعلوا كلّما دخل البيتَ رجلٌ قتله وردٌ ، حتى انتصف النهار ؛ فجاء أصحاب شَراحيل يُتْبِعُونه ، فقال لهم وردٌ : تَروّحُوا فإنّ صاحبكم قد شَرِب وثمِل وسيرُوح فرجعوا ؛ ودخّن وردٌ ، وجاءت قُشير ، فقتلوا من أدركوا من أصحابه ، وسار سائرُهم ؛ وبلَغهم قتلُ شَراحيل ، فمرّوا على بني عُقَيل ، وهم إخوتهم ، فقالوا : لنقتلَنّ مالكَ بن المُنتفِق ؛ فقال لهم مالك : أنا آتيكم بورد ؛ فركِب ببني عُقيل إلى بني جَعْدة وقُشَير ليُعطوهم ورداً ؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذَبّوا عن عُقَيل ، حتى تفرّق مَن كان مع شَراحيل . فقال في ذلك بَحِيرُ بن عبد الله بن سَلَمة[2] : [من الوافر]

أحَيٌّ يتبعون العير نَحْراً ... أحبُّ إليك أم حَيّا هلالِ
لعلّك قاتلٌ وَرْداً ولَمّا ... تَساقَ الخيلُ بالأَسَل النِّهالِ
ألا يا مالِ وَيْحَ سِواك أقصِرْ ... أما ينهاك حلمُكَ عن ضلالِ

[يوما رحرحان]

وأمّا يوما رَحْرحان[3] ، فأحدُهما مشهور قد ذُكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار

1 ل : صوته

2 له ترجمة في المؤتلف والمختلف للآمدي (76) وقد ضبط بالقلم بضمّ الباء وفي النقائض (ص 70) بفتحها .

3 انظر في خبر يومي رحرحان كتاب النقائض ص 1060 وما بعدها . أمّا ما أورده أبو الفرج عن غارة الطماح الحنفي فغير متّصل بيوميْ رحرحان .

الحارث بن ظالم ، وهذا اليوم الثاني ، فكان الطمّاح الحنفيّ أغار في بني حَنيفة وبني قَيس بن ثَعْلبة على بني الحَريش بن كعب وبني عُبادة بن عُقيل وطوائفَ من بني عَبْس يقال لهم بنو حُذَيفة[1] ؛ فركبت بنو جَعْدة وبنو أبي بكر بن كِلاب ، ولم يشهَد ذلك من بني كِلاب غيرُ بني أبي بكر ، فأدركوا الطمّاحَ من يومهم ، فٱستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه ، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم .

[كعب الفوارس ومقتله]

قال : وأما ما ذكره[2] من إدراكهم بثأر كعب الفوارس ، فإن كعب الفوارس ، وهو ابن معاوية بن عُبادة بن البَكّاء ، مرّ على بني نَهْد وعليه سلاحه ، فحمَل عليه رجل من نَهْد يُقال له خُلَيف فقتله وأخذ فرسَه وسلاحه ؛ ثم إنّ خُليفاً بعد ذلك بدَهْرٍ مَرَّ على بني جَعْدة ، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جُبّة كعب وفيها أثر الطعنة ، وكان مُحْرِماً فلم يقدِر على قتله ، فقال : يا هذا ! ألا رقَعتَ هذا الخَرْق الذي في جُبّتك ؟ وجعل يترصّده بعد ذلك ، حتى بلَغه بعد دهرٍ أنّه مَرَّ ببني جَعْدة ، فركِب مالكُ بن عبد الله بن جعدة فرساً له وقد أُخبر أنّ خُليفاً مَرَّ بجَنَباتهم ، فأدركه فقتله ، ثم قال : بُؤْ بكعب . ثم غزا نواحيَهم عبدُ الله بن ثَور بن معاوية بن عُبادة بن البَكّاء : جَرْماً ونَهْداً ، وهم يومئذٍ في بني الحارث ، فناداهم بنو البَكّاء : ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنّ النهديّ قتل صاحبنا مُحْرِما ؛ فقاتلهم نَهْد وجَرْم جميعاً يومئذٍ ، وكان عبد الله بن ثَوْر يومئذٍ على فرسٍ وَرْدٍ ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذٍ غنيمة عظيمة ، وقتلوا قَتلى كثيرة . فقال عبد الله في ذلك : [من الطويل]

فسائِلْ بني جَـرْمٍ إذا مـا لقِيتَهم ... ونَهْداً إذا حَجّتْ عليك بنو نهدِ
فإن يُخبروكَ الحـقَّ عنّا تَجدْهُم ... يقولون أبلى صاحبُ الفرس الوَرْدِ

[يوم الفلج]

قال : وأمّا يوم الفَلَج[3] ، فإنّ بكر بن وائل بعثتْ عيناً على بني كعب بن رَبيعة حتّى جاءَ الفَلَجَ ــ وهو ماء ــ فوجد النَّعَمَ بعضَه قريباً من بعض ، ووجد النّاسَ قد احتملوا ، فليس في النَّـعَم إلاّ من لا طَبَاخ[4] به من راعٍ أو ضعيف ؛ فجاءهـم عينُهم بذلك ، فركبت بكـر بن وائل

1 ل : جذيمة .
2 لم يذكر النابغة ثأر كعب الفوارس في القصائد التي أشار إليها أبو الفرج . فهل سها أبو الفرج أو أنّ ثمّة سقط في أصول الأغاني التي وصلتنا ؟ وقد أورد أبو عبيدة خبر الثأر (ص 469) متّصلاً بخبر «يوم فيف الريح» .
3 هذا يوم آخر لم يتطرّق إليه أبو عبيدة وابن عبد ربّه .
4 لا طباخ به : لا قوّة له ولا سمن له .

يريدونهم ، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم ، سمِعوا الصَّهيل وأصواتَ الرجال ؛ فقالوا لعينهم : ما هذا ويلك ؟ ! قال : والله ما أدري ، وإنّ هذا لمما لم أعهد ، فأرسلوا مَن يعلَم عِلمَهم ؛ فرجَع فأخبرهم أنّ الرجال قد رجَعوا ، ورأى جمعاً عظيماً وخيولاً كثيرة[1] ؛ فكَرّوا راجعين من ليلتهم ؛ وأصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتّبعوهم ، فأصابوا من أخرياتهم رجالاً وخيلاً ، فرجعوا بها .

[خداش بن زهير وهبيرة بن عامر]

قال : وأمّا قوله : [من البسيط]

لو تستطيعون أن تُلْقوا جُلودَكم وتجعلـوا جلد عبدِ الله سِرْبالا

فإنّ السبب في ذلك أنّ هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشير ، لقي خِداش بن زهير البَكّائي ، فتنافرا على مائة من الإبل ، وقال كلٌّ منهما لصاحبه : أنا أكرم وأعزّ منك ؛ فحكَّما في ذلك رجلاً من بني ذي الجَدّين ، فقضى بينهما أنّ أعزَّهما وأكرَمهما أقربُهما من عبد الله بن جعدةَ نسباً ؛ فقال خِداشُ بن زُهَير : أنا أقرب إليه ، أمّ عبد الله بن جَعدة عمّتي ، وهي أُميمة بنت عمرو بن عامر ، وإنّما أنت أدنى إليه منّي منزلةً بأب ؛ فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المُكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك ، حتى فلَج[2] هبيرةُ القُشَيريُّ وظفِر .

[عبد الله بن جعدة]

قال أبو عمرو : وكان عبد الله بن جَعْدة سيِّداً مُطاعاً ، وكانت له إتاوةٌ بعكاظ يُؤتى بها ، يأتيه بها هذا الحيُّ من الأَزْد وغيرُهم ؛ فجاء سُمَيرُ بن سَلَمة القُشَيريّ وعبدُ الله جالسٌ على ثياب قد جُمعت له من إتاوته ، فأنزله عنها وجلسَ مكانَه ؛ فجاءَ رِياح بن عمرو بن رَبيعة بن عُقَيل وهو الخليع ، سُمِّي بذلك لتخلّعه عن الملوك لا يُعطيهم الطاعة فقال للقشيريّ : ما لَكَ ولشيخنا تُنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حولَه ! فقال القشيريّ : كذبتَ ، ما هي له ؛ ثم مدّ القشيريّ رجلَه فقال : هذه رجلي فاضربها إن كنتَ عزيزاً ؛ قال : لا ! لعمري لا أضرب رجلَك ؛ فقال له القُشَيريّ : فامدُدْ لي رِجلَك حتى تعلم أأضربها أم لا ؛ فقال : ولا أمدّ لَكَ رِجلي ، ولكن أفعلُ ما لا تُنكره العشيرة وما هو أعزُّ لي وأذَلُّ لكَ ؛ ثم أهْوى إلى رِجل القشيريّ فسحَبه على قفاه ونحّاه ، وأقعد عبدَ الله بنَ جَعْدَة مكانَه .

---

1 ل : وخلقاً كثيراً .

2 فلج : غلب وفاز .

قال : وعبد الله بن جعدة أوّل مَن صنع الدَّبّابة[1] ؛ وكان السبب في ذلك أنّهم انتجعُوا ناحيةَ البحرين ، فهجموا على عبدٍ لرجلٍ يُقال له كَوْدَن في قصر حَصين ، فدخّن العبدُ ودعا النساءَ والصبيانَ ، فظنّوا أنّهُ يُطعمهم ثريداً ، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم ، فصاح النساء والصبيان ، وقام العبد ومَن معه على شُرَف القصر ، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلاّ رماه ؛ فلمّا رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دَبَّابة على جذوع النخل وألبسها جلودَ الإبل ، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها إلى القصر ، ثم حفروا حتى خرقوه ؛ فقتل العبدَ ومَن كان معه واستنقذ صبيانَهم ونساءهم . فذلك قول النابغة[2] : [من الطويل]

ويومَ دعـــا وِلدانَكم عبدُ كَوْدَنٍ فخالُوا لدى الدّاعي ثريداً مُفلفلا
وقى ابنَ زِياد وهـــو عُقبة خيرِكم هبيرةُ ينـــزو في الحديـد مُكبَّلا

يعني هبيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قُشير ، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة ، حتى مرّوا على بني زياد العبسيِّين والرجالُ غَيَبٌ ، فأخذوا ابناً لأَنَس[3] بن زياد وانطلقوا به يرجون الفِداء ؛ وانطلق عمُّه عُمارة بن زياد حتّى أتى بني كعب ، فلقي هُبَيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قشير ، فقال له : يا هبيرة إنّ الناسَ يقولون : إنّك بخيل ؛ قال : مَعاذَ اللهِ ! قال : فهَبْ لي جُبّتكَ هذه ؛ فأهوَى ليخلَعها ، فلمّا وقَعتْ في رأسه وثَب عليه فأسَره ، ثم بعث إلى بني قُشير : عليّ وعليّ إن قبلتُ من هُبيْرة أقلّ من فِدية حاجب[4] إلاّ أن يأتوني بابن أخي الذي في أيدي بني جَعْدة ؛ فمشتْ بنو قُشير إلى بني جعدة ، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم ، فافتدَوْا به هُبَيْرةَ .

[وحوح أخو النابغة]

وأمّا خبرُ وحوح أخي النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة ، فإنّ أبا عمرو ذكر أنّ بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سَبْياً وأسْرى ، فركبتْ بنو أسد في آثارهم حتى لحِقوهم بالشُّرَيْف[5] ، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة ، فذادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردّوهم ؛ ولم يظفَروا منهم بشيء . وتعلّقت امرأة من بني أسد بالحَكَم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خلفَه ، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته ، فعطَف

1 الدبابة : آلة من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقرّبونها من الحصن المحاصر لينقبوه .
2 شعر النابغة : 129 عن الأغاني .
3 ل : لأوس .
4 هو حاجب بن زرارة .
5 ل : السديف وهو تحريف . والشريف واد بنجد .

عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفْوان ، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتَخَلّصه . وطُعِن يومئذٍ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعديّ ، فارتُثَّ[1] في معركة القوم ، فأخذه خالد بن نَضْلة الأسدي ؛ وعطَف عليه يومئذٍ أخوه النابغة ، فقال له خالد بن نَضْلة : هَلُمَّ إليّ وأنت آمن ؛ فقال له النابغة : لا حاجةَ لي في أمانك ، أنا على فرسي ومعي سلاحي وأصحابي قريب ، ولكنّي أُوصيك بما في العَوْسجة (يعني أخاه وحوح بن قيس) ؛ فعدَل إليه خالد فأخذه وضمّه إليه ومنَع مِنْ قتله ودَاواه حتى فُدِي بعد ذلك . قال : ففي ذلك يقول مُدْرِك العَبْسيّ[2] : [من الوافر]

أقمــتُ على الحِفاظِ وغاب فَرْجٌ ... وفي فَــرْجٍ عن الحسب انفراجُ
كذلك فِعْلُنـا وحِبالُ عمِّـي ... ورِدْنَ بوحــوح فَلَــجَ الفِلاجِ

[مزيد من مفاخرة النابغة الجعدي]

وممّا قاله النابغة في هذه المفاخرة وغُنّي فيه قولُه وقد جُمِع معه كلّ ما يغنّى فيه من القصيدة[3] : [من المنسرح]

صوت

هل بالدّيارِ الغداةَ مِــن صَمَمِ ... أم هَلْ برَبْعِ الأنيس مِــن قِدَمِ
أم ما تُنادِي من ماثلٍ دَرَج السّـ ... ــيلُ عليــه كالحـوض مُنهدِمِ
غــرّاءُ كالليلة المباركة القمـ ... ــراءِ تَهــدِي أوائــلَ الظُّلَمِ
أَكْني بغير اسمها وقد علِم الله ... خَفيَّــــاتِ كلّ مُكتَتَــــمِ
كأنَّ فاهــاً إذا تبسَّم مــــن ... طِيبِ مَشَمٍّ وطيبِ مُبْتَسَمِ[4]
يُسَنّ بالضِّرْوِ مــن بَراقِشَ أو ... هَيْلانَ أو ضامــرٍ مــن العُتُمِ[5]

عروضه من المنسرح . وفي الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر ابن المكّيّ والهشاميّ أنّه لمعبد ، وأظنّه من منحول يحيى ، وذكر حبش أنّه لإبراهيم . وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل

---

1 أرتث : أصابته جراح وبه رمق .
2 ل : الفقعسيّ .
3 شعر النابغة الجعدي : 148 .
4 وطيب مبتسم في الديوان : وحسن مبتسم .
5 يسنّ : يسوّك . الضرو : شجر طيب الرائحة يتسوّك به . براقش وهيلان : مدينتان كانتا في اليمن ثم خربتا . العتم : شجر الزيتون البرّي .

بالبنصر ، وذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملاً آخر ؛ ولابن مِسْجَح فيها ثقيل أوّل بالبنصر .

[سبقه إلى الكناية عمّن يعني]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أوّلُ مَن سبقَ إلى الكناية عن اسم من يَعْنِي بغيره في الشعر الجعديُّ ، فإنّه قال : [من المنسرح]

أَكْنِي بغير اسمها وقد علم اللهُ ... خَفِيّـــاتِ كلِّ مكتتـــمِ

فسبَق الناسُ جميعاً إليه واتّبعوه فيه . وأَحسنُ مَن أَخذه وأَلطفهُ فيه أَبو نُواس حيث يقول[1] : [من الخفيف]

أَسأَلُ القادمين من حَكَمانِ ... كيف خلّفتُمُ أَبـا عثمانِ

فيقولـون لي جِنانٌ كما سرَّ ... كَ في حالها فسَلْ عن جنانِ

ما لهـمْ لا يُبارك اللهُ فيهمْ ... كيف لم يُغْنِ عندهم كِتماني

[رأي الفرزدق في شعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو بكر الباهليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال : ذكر الفرزدقُ نابغةَ بني جعدة فقال : كان صاحبَ خُلْقان عنده مُطْرَفٌ بألفٍ ، وخِمارٌ[2] بَوافٍ ، يعني درهما .

[مدح ابن الزبير]

وحدّثني خبرَه مع ابن الزبير جماعةٌ ، منهم حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحِرْميّ بن أبي العلاء ووَكيع ومحمّد بن جرير الطبريّ حدّثنيه مِنْ حِفْظه ، قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمّد بن يحيى بن عُروة عن أبيه عن عمّه عبد الله بن عُروة قال : أَقْحمت السنةُ[3] نابغةَ بني جعدة ، فدخل على ابن الزبير المسجدَ الحرامَ ، فأنشده[4] : [من الطويل]

حَكَيتَ لنـــا الصِّدِّيقَ لّما وَلِيتَنا ... وعثمانَ والفاروقَ فارتـاح مُعدمُ

أَتاك أَبو ليلى يَجُوب بـه الدُّجى ... دُجى الليلِ جوّابُ الفلاةِ عَثَمْثَمُ[5]

1 ديوان أبي نُواس (الغزالي) : 252 .
2 الخمار : النصيف تغطّي به المرأة رأسها ، وقد يطلق على العمامة لأنّ الرجل يغطّي بها رأسه .
3 أقحمت السنة : اضطر بسبب الجدب إلى الخروج من البادية إلى الريف حيث الخضرة والماء .
4 شعر النابغة الجعدي : 204–205 .
5 العثمثم : الجمل الشديد الطويل .

لتجبرُ منــه جانبــاً زَعْزَعت بـــه صُروفُ الليالي والزمـانُ المُصمِّمُ

فقال له ابن الزبير : هوِّن عليك أبا ليلى ، فإنَّ الشعر أهونُ وسائِلك عندنا ، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزبير ، وأمّا عَفوته[1] فإنّ بني أسد بن عبد العزّى تشغلُها عنك وتَيْماً معها ، ولكن لك في مال الله حقّان : حقّ برؤيتك رسولَ الله ﷺ ، وحقّ بشِرْكتك أهلَ الإسلام في فيْئهم ؛ ثم أخذ بيده فدخل به دارَ النَّعَم ، فأعطاه قلائصَ سبعاً وجَملاً رَجيلاً[2] ؛ وأوْقر له الإبلَ بُرّاً وتمراً وثياباً ، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفا ؛ فقال ابن الزبير : ويح أبي ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ ؛ فقال النابغة : أشهد أنّي سمِعت رسولُ الله ﷺ يقول : «ما وَلِيتْ قريش فعدَلت واسترُحمت فرَحِمتْ وحَدَّثت فصَدَقتْ ووعدت خيراً فأنجزت فأنا والنبيّون فُرّاطُ القاصفين»[3] وقال الحِرْميّ : «فُرّاطٌ لها ضُمُنٌ» . قال الزُّبَيريّ : كتب يحيى بن مَعين هذا الحديث عن أخي .

[هجاؤه أبا موسى الأشعري]

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ أحمد بن محمّد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمّد الخُزاعيّ أبو دُلَف قالا حدّثنا الرِّياشيّ قال قال أبو سليمان عن الهَيْثم بن عديّ قال : رَعَتْ بنو عامر بالبَصرة في الزرع ، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم ، فتصارخوا : يا آلَ عامر ، يا آل عامر ! فخرج النابغة الجعديّ ومعهُ عُصبة له ؛ فأُتيَ به إلى أبي موسى الأشعريّ ، فقال له : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعيةَ قومي ؛ قال : فضربه أسواطاً ؛ فقال النابغة[4] : [من الوافر]

رأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بني ثمودٍ وأنتَ أراك بكرَ الأشعَرينا
فإن يكُــنِ ابنُ عَفّانٍ أميناً فلم يَبْعَثْ بك البَرَّ الأمينا
فيـــا قبرَ النبــيّ وصاحِبَيْهِ ألا يــا غَوْثَنا لــو تسمَعُونا
ألا صَلَّى إلهكــمُ عليكــم ولا صلَّى على الأُمراء فِينا

[مع عليّ ومعاوية]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دَأْب قال : لمّا خرج عليٌّ رضي الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابغةُ بني جَعْدة ؛ فساق به يوماً فقال[5] : [من الرجز]

1 عفوته : عفوة أيّ ما فضل عن النفقة .
2 القلائص : جمع قلوص وهي الناقة الشابة . والجمل الرجيل أو الرحيل : القوي على السير .
3 فراط القاصفين : المتقدّمون إلى الشفاعة أو الحوض في تزاحم . ضمن : ضامنون .
4 شعر النابغة الجعدي : 210 .
5 شعره : 192–193 .

قد علِم المِصْرانِ والعِراقُ ... أنَّ عليّاً فحلُها العُتاقُ[1]
أبيضُ جَحْجاجٌ له رُواقُ ... وأُمّه غالَى بها الصَّداقُ
أكرمُ من شُدَّ به نِطاقُ ... إنّ الأُلى جارَوْكَ لا أفاقوا
لهم سِياقٌ ولكم سياقُ ... قد علمتْ ذلكمُ الرِّفاقُ
سُقتم إلى نَهْجِ الهُدى وساقُوا ... إلى التي ليس لها عِراقُ[2]
في مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ

فلمّا قَدِم معاويةُ بن أبي سفيان الكوفةَ ، قام النابغةُ بين يديه فقال[3] : [من الطويل]

أَلَم تأْتِ أهلَ المَشْرِقَين رسالتي ... وأيُّ نصيحٍ لا يَبيتُ على عَتْبِ[4]
مَلَكتمْ[5] فكان الشرُّ آخرَ عَهدِكُمْ ... لئن لَم تَداركْكُمْ حُلُومُ بني حَرْبِ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهلَ النابغة ومالَه ؛ فدخل النَّابغةُ على معاوية ، وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان ، فأنشده[6] : [من الطويل]

مَنْ راكِبٌ يأتي ابنَ هندٍ بحاجتي ... على النَّأي والأنباءُ تُنْمَى وتُجلَبُ
ويُخبر عنّي ما أقول ابنَ عامر ... ونعم الفتى يأوِي إليه المُعصَّبُ[7]
فإنْ تأخذوا أهلي ومالي بِظنّةٍ ... فإنّي لَحَرّابُ الرجالِ مُحرِّبُ
صَبورٌ على ما يكره المرءُ كلّه ... سِوى الظلم إنّي إن ظُلمت سأغضَبُ

فالتفت معاويةُ إلى مروان فقال : ما ترى ؟ قال : أرى ألاّ تردّ عليه شيئاً ؛ فقال : ما أهونَ والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العربُ فتَرويه ، أما والله إن كنتَ لِمَن يرويه ! أُردُد عليه كلّ شيء أخذتَه منه . وهذا الشِّعر يقوله النّابغة الجعديُّ لعِقال بن خُوَيلد العُقَيليّ يُحذّره غِبَّ الظلم لمّا أجار بني وائل بن مَعْن ، وكانوا قتلوا رجلاً من جَعْدة ، فحذَّرهم مثلَ حرب البَسوس إن أقاموا على ذلك فيهم .

1 المِصران : البصرة والكوفة .
2 ليس لها عراق : ليس لها نهاية أو غاية .
3 شعر النابغة الجعدي : 214 .
4 وأي في ل : برأي . وفي أنساب الأشراف : وإنّي نصيح .
5 ملكتم في أنساب الأشراف : هلكتم .
6 شعره : 7–8 .
7 المعصب : الذي أكلت ماله السنون أو الذي يُعصب بطنه من الجوع .

قال أبو عمرو الشّيْبانيّ : كان السببُ في قول الجعديّ هذه القصيدةَ أنّ المُنتشِر الباهليّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مُظفَّرا . فوجد بني جعدة قد قتلوا ابناً له يُقال له سِيدان ، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ثم في بني جعدة ، فلمّا أن علم ذلك المُنتشر وأتاه الخبرُ أغار على بني جعدة ثم على بني سُبيع في وَجْهه ذلك ، فقتل منهم ثلاثةَ نفَر ؛ فلمّا فعل ذلك تصدّعت باهلةُ ، فلحِقتْ فرقة منهم يُقال لهم بنو وائل بعِقال بن خويلد العقيليّ ، ولحِقتْ فرقة أُخرى يُقال لهم بنو قُتيبة وعليهم حَجْلٌ الباهليّ بيزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابيّ ، فأجارهم يزيد ، وأجار عِقالٌ وائلاً . فلمّا رأت ذلك بنو جَعدة أرادوا قِتالهم ، فقال لهم عقال : لا تقاتلوهم فقد أجرتُهم ؛ فأمّا أحدُ الثلاثة القَتلى منكم فهو بالمقتول ، وأمّا الآخران فعليّ عَقْلُهما[1] ؛ فقالوا : لا نقبل إلاّ القتالَ ولا نُريد من وائل غِيَراً (يعني الدية) ؛ فقال : لا تفعلوا فقد أُجرتُ القومَ ؛ فلم يزل بهم حتى قبِلوا الدية . وانتقلت وائل إلى قومهم . فقال النابغة في ذلك قصيدتَه التي ذكر فيها عِقالاً[2] : [من الطويل]

فأبلِغْ عِقالاً أنّ غايــةَ داحسٍ بكفّيكَ فاستأخرْ لهــا أو تَقدّمِ
تُجيرُ علينا وائــلاً في دمائنا كأنّك عمّا نابَ أشياعَنا عَمِ
كُلَيبٌ لَعَمْرِي كان أكثَرَ ناصراً وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرَّ بطَعنةٍ كحاشية البُردِ اليَمَاني المسَهَّمِ[3]
وما يَشعُر الرمحُ الأصمُّ كعوبُه بثَرْوَةِ رَهــطِ الأبلخ المتظلّمِ[4]
وقال لجَسّاسٍ أغِثْني بشَرْبَــةٍ تفَضَّلْ بها طَــولاً عليّ وأنعِمِ
فقال تَجاوزتَ الأحَصّ وماءَه وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مُترسمِ[5]

1 العقل : الدية .
2 شعر النابغة الجعدي : 142–144 .
3 المسهم : المخطّط .
4 في رواية «بنزوة رهط الأبلج المتوسم» . والأصمّ : الصلب . والثروة كثرة العدد . والأبلخ : المتكبّر الذي لا يرعوي عن الفجور . المتظلّم : الظالم .
5 الأحص وشبيث : ماءان أو موضعان . والمثل «تخطّى إلي شبيثاً والأحصّ» (مجمع الميداني : 1 : 145 وجمهرة العسكريّ 1 : 155) .

63 ـ [حرب بكر وتغلب][1]

[مقتل كليب بن ربيعة ونشوب حرب البَسوس]

وكان السببُ في قتل كُليبٍ[2] بن رَبيعة ، فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مُقاتل الأحول بن سِنان بن مَرْثَد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد أخي بني قيس بن ثَعْلبةَ ، ونسختُ بعضَه من رواية الكَلْبيّ ، وأخبرنا به محمّدُ بن العبّاس اليَزيديّ عن عمِّه عبيدِ الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل ، فجمعتُ من روايتهم ما احْتِيجَ إلى ذكره مختصرَ اللفظ كاملَ المعنى ، أنَّ كُلَيباً كان قد عَزَّ وسادَ في رَبيعة فبَغى بَغياً شديداً ، وكان هو الذي يُنزِلُهم منازلَهم ويُرحِّلُهم ، ولا يَنزِلُون ولا يَرحلُون إلاّ بأمره . فبلغ من عِزِّه وبغيه أنه اتّخذ جِرْوَ كلبٍ ، فكان إذا نزل منزلاً به كَلأٌ قذف ذلك الجِرْوَ فيه فيَعْوِي ، فلا يَرعَى أحدٌ ذلك الكلأ إلاّ بإذنه ، وكان يَفعل هذا بحِياض الماء ، فلا يَرِدُها أحدٌ إلاّ بإذنه أو مَنْ آذَنَ بحَرْبٍ ؛ فضُرِب به المثلُ في العزّ ، فقيل : «أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ»[3] . وكان يَحمي الصيدَ ، ويقولُ : صيدُ ناحية كذا وكذا في جِوارِي ؛ فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئاً ؛ وكان لا يمرُّ بين يديه أحدٌ إذا جلس ، ولا يحتبي أحدٌ في مجلسه غيرهُ ؛ فقتله جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ .

وقال أبو عُبيدةَ : قال أبو بَرْزَةَ القَيْسيّ وهو من ولد عمرو بن مَرْثَد : وكان كليبٌ بنُ ربيعة ليس على الأرض بَكْريّ ولا تَغْلَبيّ أجار رجلاً ولا بعيراً إلاّ بإذنه ، ولا يَحمي حِمىً إلا بأمره ، وكان إذا حَمى حِمىً لا يُقْرَبُ ؛ وكان لِمُرّةَ بن ذُهْلِ بنِ شَيْبان بن ثَعْلَبة عشرةُ بنينَ جَسَّاسٌ أصغرُهم ، وكانت أختُهم عند كليب . وقال مُقاتِلٌ وفِراسٌ : وأُمُّ جسَّاسٍ هَيْلَةُ بنتُ مُنقِذِ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَناةَ ، ثم خلَف عليها سعدُ بن ضُبيعةَ بنِ قيس بن ثَعْلبةَ بعد مرّة بنِ ذُهْلٍ ، فولدتْ له مالكاً وعَوْفاً وثعلبةَ . قال فِراسُ بن خَنْدَق البَسُوسيّ[4] : فهي

---

1 انظر حول هذه الحرب النقائض : 905 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 213 وما بعدها ونهاية الأرب 15 : 396–406 و21 : 473 وما بعدها وابن الأثير 1 : 523 وسرح العيون : 92 والشريشي 2 : 371 وأيّام العرب في الجاهلية (محمد أحمد جاد المولى وعلي محمّد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيّة ، ط2 ، 1953) 142–168 وبعض كتب الأمثال عند الحديث على المثل «أعزّ من كليب وائل» والمثل «أشأم من البسوس» . وقد جمع أبو الفرج روايات أبي عبيدة والكلبيّ والمفضل واختصر اللفظ .

2 اسمه وائل ، وكليب لقب غلب عليه بسبب جروه الذي سيرد الحديث عنه بعد قليل .

3 المثل 2594 مجمع الميداني 2 : 42 وأمثال العرب ؛ للضبّي : 129 وجمهرة العسكري 1 : 132 ومستقصى الزمخشريّ 1 : 246 .

4 النقائض : القيسيّ .

أُمَّنا . وخالة جَسَّاس البَسُوس ــ وقال أَبو بَرْزَة : البَسُوسِيَّةُ ــ وهي التي يُقال لها : «أَشأَمُ من البَسُوس»[1] فجـاءت فنزلتْ على ابن أختها جَسَّاس فكانت جارةً لبني مُرَّة ، ومعها ابنٌ لها ، ولهم ناقةٌ خَوّارةٌ[2] من نَعَم بني سعد ومعها فَصيل .

أُخبرني عليّ بنُ سليمان قال ، قال أَبو بَرْزَةَ : وقد كان كُليب قبل ذلك قال لصاحبته أُختِ جَسّاس : هل تَعْلَمِينَ على الأَرض عربيّاً أَمنعَ مِنّي ذِمّةً ؟ فسكتت ثم أَعاد عليها الثانية فسكتَتْ ثم أَعاد عليها الثالثة ، فقالت : نعم أَخي جسَّاسٌ ونَدْمانُهُ ابن عمِّه عمرو المُزْدَلِفُ بنُ أَبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان . وزعم مقاتِل : أن امرأَته كانت أُختَ جَسَّاسٍ ، فبينا هي تَغسِلُ رأسَ كليب وتُسَرِّحُه ذاتَ يوم إذ قال : مَنْ أَعزُّ وائل ؟ فصمَتَتْ ، فأَعاد عليها ؛ فلمّا أَكثر عليها قالت : أَخَوايَ جَسَّاسٌ وهَمَّامٌ ؛ فنزَع رأسَه من يدها وأَخذ القوسَ فرمى فصيلَ ناقةِ البَسُوس خالةِ جَسَّاس وجارةِ بني مُرّة فقتله ؛ فأَغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لَقِيَ كُليبٌ بنَ البَسُوس فقال : ما فعل فصيلُ ناقتِكم ؟ قال : قتلتَه وأَخليتَ لنا لبنَ أُمّه ؛ فأَغمضوا على هذه أَيضاً . ثم إنّ كليباً أَعـاد على امرأَته فقال : مَنْ أَعزّ وائل ؟ فقالت : أَخواي ؛ فأَضمرَها وأَسرّها في نفسه وسكت ، حتى مَرَّتْ به إبلُ جَسَّاس ، فرأَى الناقةَ فأَنكرها ، فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالة جَسَّاسٍ ؛ قال : أَوَ قد بلغ من أَمر ابنَ السَّعْديّة أَن يُجيرَ عليّ بغير إذني ! ارْمِ ضَرْعَها يا غلامُ . قال فِراسٌ : فأَخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة فاختلط دمُها بلبنها ؛ وراحت الرُّعاةُ على جَسَّاس فأَخبروه بالأَمر ؛ فقال : احلُبوا لها مِكيالَيْ لبنٍ بمِحلَبها ولا تَذكُروا لها من هذا شيئاً ؛ ثم أَغمضوا عليها أَيضاً . قال مُقاتِلٌ : حتى أَصابتهم سَماءٌ ، فغدا في غِبِّها يَتمطّر[3] ، وركِب جَسَّاسُ بن مُرّةَ وابنُ عمّه عمرُو بن الحارث بن ذُهْل ، وقال أَبو بَرْزَةَ : بل عمرو بن أَبي رَبيعة ، وطعن عمرٌو كليباً فحطّم صُلبَه ؛ وقال أَبو بَرْزَةَ : فسكت جَسَّاسٌ ، حتى ظَعَن ابنا وائل ؛ فمرَّتْ بَكْرُ بن وائل على نِهْيٍ[4] يقال له شُبَيْثٌ فنفاهم كُليبٌ عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ، ثم مرُّوا على نِهْيٍ آخر يُقال له الأَحَصُّ فنفاهم عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ؛ ثم مرّوا على بطن الجَريب[5] فمنعهم إيّاه ؛ فمضَوْا حتى نزلوا الذَّنائب[6] ، واتّبعهم كليبٌ وحَيُّه حتى نزلوا عليه ؛ ثم

---

1 مجمع الميداني 1 : 374 وفصل المقال : 504 ومستقصى الزمخشريّ 1 : 176 وجمهرة العسكري 1 : 556 .

2 ناقة خوارة : رقيقة حسنة .

3 يتمطّر : يتنزّه .

4 نهي : غدير .

5 الجريب : اسم لواد كبير في نجد .

6 الذنائب : موضع بنجد .

مرَّ عليه جَسَّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال . طردتَ أهلَنا عن المياه حتى كِدتَ تقتلُهم عطشاً ؛ فقال كليبٌ : ما منعناهم من ماءٍ إلاّ ونحن له شاغلون ؛ فمضى جَسَّاسٌ ومعه ابنُ عمّه المزدلِفُ . وقال بعضُهم : بل جَسَّاسٌ ناداه فقال : هذا كفِعلكَ بناقة خالتي ؛ فقال له : أَوَ قد ذكرتَها ؟ أَما إنّي لو وجدتُها في غير إبل مُرّة لاستحللتُ تلك الإبلَ بها . فعطف عليه جَسَّاسٌ فرسَه فطعنه برمحٍ فأنفذَ حِضْنَيه[1] ؛ فلمّا تَداءمَه[2] الموتُ قال : يا جَسَّاس اسقِني من الماء ؛ قال : ما عَقَلْتَ استسقاءكَ الماءَ منذُ ولَدتْكَ أُمُّكَ إلاّ ساعتَك هذه ! . قال أبو بَرْزة : فعطَف عليه المُزدلف عمرو بن أَبي ربيعةَ فاحْتزّ رأسَه . وأَمّا مقاتلٌ فزعم أَنّ عمرو بن الحارث بن ذُهل الذي طعنه فقصَم صُلبَه . قال : وفيه يقول مُهلهِلٌ : [من الوافر]

قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرٍو ... وجَسَّاسِ بنِ مُرّة ذو ضَريرِ[3]

وقال العبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ يُحَذّرُ كُلَيبَ بن عَهْمَةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ لّما مات حربُ بنُ أُميّةَ وخَنَقتِ الجنُّ مِرداساً وكانوا شركاءَ في القرية فجحَدهم كُليبٌ حظَّهم منها ، وسنذكر خبرَ ذلك في آخر هذه الأَخبار إن شاء الله تعالى ، فحذَّره غِبَّ الظلم فقال[4] : [من الكامل]

أَكليبُ ما لكَ كلَّ يومٍ ظالماً ... والظلمُ أَنكدُ وجهُه مَلعونُ
فافعَلْ بقومك ما أَرادَ بوائلٍ ... يومَ الغَديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنحَلُ للأَعشى : [من الطويل]

ونحن قهَرنا تَغلِبَ ابنةَ وائلٍ ... بقتلِ كُلَيبٍ إذ طغى وتَخيّلا
أَبأْناه بالنابِ التي شَقَّ ضَرْعَها ... فأَصبح مَوْطُوءَ الحِمى مُتذلِّلا[5]

قال : ومَقتلُ كُلَيب بالذّنائب عن يسار فَلْجَةَ[6] مُصعِداً إلى مكّة ، وقبرُه بالذنائب . وفيه يقول المهلهلُ : [من الوافر]

ولو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيبٍ ... فَيُخْبَرَ بالذنائبِ أَيُّ زِيرِ

قال أَبو بَرْزَةَ : فلمّا قتله أَمال يَدَه بالفرس حتى انتهى إلى أَهله . قال : وتقول أُخته

1 الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح .
2 تداءمه الموت : تزاحم عليه .
3 الضرير : الشدّة ، وذو ضرير : ذو صبر على الشرّ .
4 في النقائض أربعة أَبيات . وسيورد أبو الفرج خبر القرية وموتَ حرب بن أُميّة والعبّاس بن مرداس السلمي والشعر في ترجمة أبي سفيان فيما بعد .
5 أَباء بالقتيل : قتل قتيلاً به .
6 فلجة : منزل على طريق مكّة .

حين رأته لأبيها : إنَّ ذا لجَسَّاسٌ أتى خارجاً ركبتاه ؛ قال : والله ما خرجت ركبتاه إلاّ لأمرٍ عظيم ! . قال : فلمّا جاء قال : ما وراءكَ يا بُنَيَّ ؟ قال : ورائي أنِّي قد طعنتُ طعنةً لتُشغلَنَّ بها شيوخُ وائل زمناً ؛ قال : أقتلتَ كليباً ؟ قال نعم ؛ قال : وَدِدتُ أنّكَ وإخوتَكَ كنتم مُتّم قبل هذا ، ما بي إلاّ أن تتشاءمَ بي أبناءُ وائل . وزعم مُقاتلٌ أنّ جَسّاساً قال لأخيه نَضْلَةَ بن مرّة ، وكان يُقال له عَضُدُ الحمار : [من الوافر]

وإنِّي قد جَنيتُ عليكَ حربـاً تُغِصُّ الشيخَ بالمــاءِ القَراحِ
مُذَكَّرةً متى مــا يَصْحُ عنها فَتىً نَشِبَتْ بآخرَ غيرِ صاحِ[1]
تُنَكِّلُ عن ذُبــاب الغيّ قوماً وتدعُــو آخرينَ إلى الصَّلاحِ[2]

فأجابه نَضْلَةُ : [من الوافر]

فإن تَكُ قد جَنَيتَ عليَّ حرباً فــلا وَانٍ ولا رَثُّ السِّلاحِ

قال أبو بَرْزَةَ : وكان همّامُ بن مُرّة آخى مُهَلْهِلاً وعاقدَه ألاّ يَكْتُمَه شيئاً ؛ فجاءت إليه أَمَةٌ له فأسرّت إليه قتلَ جَسّاس كليباً ؛ فقال له مُهلهلٌ : ما قالت ؟ فلم يُخبره ؛ فذكّره العهدَ بينهما ؛ فقال : أخبرَتْ أنّ جَسّاساً قتلَ كليباً ؛ فقال : استُ أخيكَ أضيق من ذلك[3] . وزعم مُقاتلٌ : أنّ همّاماً كان آخى مُهَلْهِلاً وكان عاقده ألاّ يكتمَه شيئاً ؛ فكانا جالسَيْن ، فمرَّ جَسَّاسٌ يَركُضُ به فرسُه مُخرِجاً فَخذيهِ ؛ فقال همّام : إنّ له لأمراً ، والله ما رأيتُه كاشفاً فَخذيه قطُّ في رَكْضٍ ؛ فلم يلبَثْ إلاّ قليلاً حتّى جاءته الخادم فسارّته أنّ جَسَّاساً قتلَ كليباً ؛ فقال له مُهلهلٌ : ما أخبرَتْكَ ؟ قال : أخبرتْني أنّ أخي قتلَ أخاك ؛ قال : هو أَضيقُ استاً من ذلك[4] . وتحمّل القومُ ، وغدا مُهلهلٌ بالخيل .

وقال المفضَّلُ في خبره[5] : فلمّا قُتِلَ كليبٌ قالت بنو تَغلِبَ بعضُهم لبعض : لا تَعجَلُوا على إخوتكم حتّى تُعْذِرُوا بينكم وبينهم ؛ فانطلق رهطٌ من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أَتَوْا مُرّةَ بنَ ذُهْل ، فعظَّمُوا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : اختَرْ منّا خِصالاً : إمّا أن تَدْفَع إلينا جَسَّاساً فنقتلَه بصاحبنا فلم يَظْلِمْ مَنْ قَتَل قاتلَه ، وإمّا أن تدفعَ إلينا همّاماً ، وإمّا أن تُقيدَنا من نفسك ؛ فسكتَ ، وقد حضرتْه وجُوه بني بكر بن وائل فقالوا : تكلَّمْ غيرَ مخذول ؛ فقال : أمّا جَسَّاسٌ فغلامٌ حديثُ

1 مذكرة : شديدة .
2 ذباب الغي : الجنون أو الشرّ .
3 المثل رقم 1781 عند الميداني .
4 المثل رقم 1781 عند الميداني .
5 انظر أمثال العرب للمفضل الضبي (تقديم وتعليق إحسان عبّاس ، دار الرائد العربي ، 1981 : 129–137) .

السنّ ركب رأسَه فهرَب حين خاف فلا عِلمَ لي به ، وأمّا همّامٌ فأبو عَشَرةٍ وأخو عشرة[1] ، ولو دفعتُه إليكم لصَيَّحَ بنوه في وجهي وقالوا : دفعتَ أبانا للقتل بجَرِيرة غيره ؛ وأمّا أنا فلا أتعجَّلُ الموتَ ، وهل تَزيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولَةً فأكونَ أوّلَ قتيل ! ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بنيّ ، فدُونكم أحدَهم فاقتلُوه بـه ، وإن شئتمُ فلكـم ألفُ ناقةٍ تَضمَنُها لكم بكرُ بنُ وائل ؛ فغَضِبوا وقالوا : إنّا لم نأتك لتُرذِلَ[2] لنا بنيكَ ولا لِتَسُومَنـا اللبن ؛ فتفرَّقوا ووقعت الحربُ . وتُكُلِّمَ في ذلك عند الحارث بن عُبَادٍ ، فقال : «لا ناقة لي في هذا ولا جمل»[3] ، وهو أوَّل مَن قالها وأرسلها مثلاً . قالوا جميعاً : كانت حربهم أربعين سنة ، فيهنَّ خمسُ وقَعاتٍ مُزاحَفات ، وكانت تكون بينهم مُغاوِرات ، وكان الرجلُ يلقى الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هذا .

[يوم عنيزة]

وكان أوّلُ تلك الأيّام يوم عُنَيزةَ ، وهي عند فلجةَ ، فتكافؤوا فيه لا لبكر ولا لِتَغْلِبَ ؛ وتصديق ذلك قولُ مُهَلْهِلٍ : [من الوافر]

كأنّا غُـدوةً وبَنـي أبينـا ... بجَنْـب عُنَيزةٍ رَحَيـا مُدِيـرِ
ولـولا الريحُ أُسمِع مَـنْ بحَجْرٍ ... صليلَ البِيض تُقـرَع بالذُّكورِ

[يوم واردات]

فتفرَّقوا ، ثم غبروا زماناً . ثم التقَوْا يوم وارِدات[4] ، وكان لتغلِبَ على بكر ، وقتلوا بكراً أشدَّ القتل ، وقتلوا بُجيراً ؛ وذلك قولُ مُهلهِلٍ : [من الوافر]

فإنّي قـد تركـتُ بِوارِداتٍ ... بُجيـراً في دَمٍ مثـلِ العَبيرِ
هتكتُ بـه بيوتَ بني عُبادٍ ... وبعضُ الغَشْمِ أشفى للصدورِ[5]

قال مُقاتلٌ : إنّه إنّما التُقِطَ تَوّاً . وسيجيء حديثُه أسفلَ من هذا . التوّ : الفرد ، يُقال : وجدته تَوّاً ، أي وحده .

قال أبو بَرْزةَ : ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بني ثَعْلبة بن عُكابةَ ورَأسُوا على أنفسهم الحارثَ بن عُبَادٍ ، فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة ، حتى التقوْا بالحِنْوِ ، فظهرت بنو ثعلبة على تَغْلِب .

---

1 أضاف المفضل : وعم عشرة .
2 ل : لتؤدي . وترذل بنيك . تعطينا رذال بنيك (المفضل) .
3 جمهرة العسكري 2 : 391 وأمثال العرب 1 : 131 .
4 واردات : موضع عن يسار طريق مكّة .
5 الغشم : الظلم .

[يوم القصيبات]

قال مقاتل : ثم التقَوْا يومَ بطن السَّرْو ، وهو يوم القُصَيبات ، وربّما قيل يوم القُصَيبة ، وكان لبني تَغْلِب على بَكْر ، حتى ظنّت بكرٌ أن سيقتلونها قال مقاتل :

[يوم قضة]

وقتلوا يومئذٍ همّامَ بن مرّة . ثم التقَوْا يومَ قِضَةَ وهو يومُ التحالُقِ ويومُ الثَّنِيّة . ويومُ قِضَة ويومُ الفَصيل لبَكْر على تَغْلِب . قال أبو برزة : اتَّبعتْ تغلب بكراً فقطعوا رِمَلاتِ خَزازى والرَّغامَ ثم مالوا لبطنِ الحِمارة ؛ فوردت بكرٌ قِضَةَ فسقتْ وأسقتْ ثم صدَرتْ وحلأُوا[1] تغلِبَ ، ونهضوا في نُجْعةٍ يُقال لها مُوَيبة لا يجوز فيها إلاّ بعير بعير ، فلحِق رجل من الأَوْس بن تغلب بغُلَيِّم من بني تَيْم اللاّت بن ثَعْلبة يطردُ ذَوْداً له ، فطعَن في بطنه بالرمح ثم رفَعه فقال : تَحَدَّبي أُمَّ البَوِّ على بوِّك . فرآه عَوْف بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، فقال : أنفِذوا جملَ أسماءَ (ابنته) فإنّه أمضى جمالِكم وأجودُها منفذاً ، فإذا نَفِذ تبعتْه النَّعَمُ ؛ فوثب الجمل في المُوَيبة ، حتى إذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عُرْقوبيه وقطع بِطانَ الظَّعِينة فوقع فسَدَّ الثنيةَ ، ثم قال عوف : أنا البُرَكُ أَبرُكُ حيثُ أُدرِك ، فسُمِّي البُرَك ، ووقع الناس إلى الأرض لا يرون مَجازاً ، وتحالقوا لتعرفهم النساء ؛ فقال جَحْدر بن ضُبيعة بن قيس أبو المَسامِعة ، واسمه رَبيعة ؛ قال : وإنّما سُمِّي جحدراً لقِصَرِه : لا تحلقوا رأسي فإنّي رجلٌ قصير ، لا تَشِينوني ، ولكنّي أشتريه منكم بأوّلِ فارس يطلعُ عليكم من القوم ؛ فطلع ابنُ عَناق فشَدّ عليه فقتله . فقال رجلٌ من بكر بن وائل يمدحُ مِسْمَع بن مالك بذلك : [من الرجز]

يا ابنَ الذي لمّا حلقنا اللِّمَمَا ابتاع منّا رأسَه تكَرُّما[2]
بفارسٍ أوّلِ مَنْ تقدّما

وقال البكريّ : [من الطويل]

ومنّا الذي فادى من القوم رأسَه بمستلئمٍ من جَمْعهم غيرِ أعزلا[3]
فأدّى إلينا بَزَّه وسلاحَه ومُنْفصِلاً من عُنْقه قد تزَيَّلا

قال : وكان جَحْدَرٌ يرتجز يومئذٍ ويقول : [من الرجز]

رُدّوا عليَّ الخيلَ إن ألَمّتِ إن لَم أُقاتلْهم فجُزّوا لِمَّتي

وزعم عامر بن عبد الملك المِسْمَعيّ أنّه لم يقلها ، وأن صخر بن عمرو السُّلَميّ قائلُها ؛ فقال

1 حلأُوا تغلب : منعوها الماء .

2 لمّا في ل : يوم .

3 مستلئم : لابس السلاح كلّه .

مِسْمَع : كَرْدِين (كذب) عامر . وقال البكريّ : [من الطويل]

ومِنّـا الذي سَدَّ الثنيةَ غُدْوةً على حَلْفةٍ لم يُبقِ فيها تَحَلُّلا

بجَهْدِ يمينِ الله لا يطلُعونهـا ولمّا نُقاتِلْ جَمْعَهم حين أَسْهَلا

وأمّا مقاتل فزعم أنّهم قالوا : اتّخِذوا عَلَماً يعرِف به بعضُكم بعضاً ، فتحالقوا . وفيه يقول طَرَفة[1] : [من الرمل]

صوت

سائلـوا عنّـا الذي يَعرِفنـا بقُوَانا يـومَ تَحْـلاقِ اللِّمَمْ

يومَ تُبْدِي البِيضُ عن أَسْوُقِها وتَلُفُّ الخيـلُ أَعْراجَ النَّعَمْ[2]

غنّى في هذين البيتين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن الهِشاميّ ، وذكر أحمد بن المكّيّ أنّه لمعبد .

[همام بن مرّة ومقتله]

وزعم مقاتل أنّ هَمّام بن مُرّة بنِ ذُهْل بن شَيبان ، لم يزلْ قائدَ بكر حتّى قُتل يوم القُصَيبات ، وهو قبل يوم قِضَة ، ويوم قِضَة على أَثَره . وكان من حديث مقتل هَمّام أنّه وجَد غلاماً مطروحاً ، فالتقطه وربّاه وسمّاه ناشِرةَ فكان عنده لَقِيطاً ؛ فلمّا شَبَّ تَبَيَّنَ أنّه من بني تَغْلِب ؛ فلمّا التقَوْا يومَ القُصَيبات جعل هَمّام يقاتل ، فإذا عطِش رجع إلى قِرْبة فشرب منها ثم وضع سلاحَه ؛ فوجد ناشرةُ من هَمّام غفلةً ، فشَدّ عليه بالعَنَزة[3] فأقْصده فقتله ، ولحِق بقومه تغلِبَ . فقال باكي هَمّام : [من الطويل]

لقـد عَيَّل الأقوامَ طعنةُ ناشِرَهْ أناشِرُ لا زالتْ يَمينُك آشِرَهْ[4]

[الحارث بن عباد أخذ بثأر ابنه بجير]

ثم قتل ناشِرةَ رجلٌ من بني يَشْكُر . فلمّا كان يومُ قِضَة وتجمّعتْ إليهم بكر ، جاء إليهم الفِنْد الزِّمّانِيّ أحد بني زِمّان بن مالك بن صَعْب بن عليّ بن بَكْر بن وائل من اليمامة ، قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعيّ : فرأسوه عليهم ؛ فقلت أنا لِفراس بن خَنْدَق : إنّ عامراً يزعم أنّ الفِنْد كان رئيس بكر يوم قِضَة ؛ فقال : رحِم الله أبا عبد الله[5] ! كان أقلَّ الناس حظّاً في عِلم

1 ديوان طرفة (صادر ، بيروت) : 90 وزعم الأصمعيّ أنّها مصنوعة .
2 أسؤق : جمع ساق . أعراج النعم : قطعان من الإبل .
3 العنزة : شبه العكازة ولها زج من أسفلها .
4 يروى : «الأيتام» بدل الأقوام . وعيّلهم : أفقرهم وجعلهم عالة على الآخرين .
5 ل : عبد الملك .

قومه . وقال فِراس : كان رئيسَ بكر بعد هَمّام الحارثُ بن عُباد . قال مقاتل : وكان الحارث بن عُباد قد اعتزل يوم قتل كُلَيب ، وقال : لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عِدْلي ، وربّما قال : لست من هذا ولا جملي ولا رَحْلي ، وخذل بكراً عن تَغلِبَ ، واستعظم قتلَ كُلَيب لسؤدده في ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحارثَ بن عُباد : [من مجزوء الكامل]

يا بؤسَ للحرب التي وضعتْ أَراهطَ فاستراحوا
والحربُ لا يَبْقى لصا حبها التَّخَيُّلُ والمِراحُ[1]
إلاّ الفتى الصبّارُ في النَّـ ـجَدات والفرسُ الوَقاحُ

فلمّا أُخذ بُجَيْر بن الحارث بن عُبّاد تَوّاً بوارِدات ، وإنّما سُلَّ ولَم يؤخذ في مُزاحَفة ، قال له مُهَلْهِل : مَن خالُك يا غلام ؟ قال امرؤ القيس بن أَبان التَّغْلَبيّ لمهلهل : إنّي أرى غلاماً لَيُقْتَلَنّ به رجل لا يُسأل عن خاله ، وربّما قال عن حاله ، قال : فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به ، قتله الحارث بن عُباد يوم قِضَة بيده ، فقتله مهلهل . قال : فلمّا قتَل مهلهل بُجَيْراً قال : بؤْ[2] بِشِسْعِ نعلِ كُلَيب ؛ فقال له الغلام : إن رَضِيتْ بذلك بنو ضُبَيعة بن قيس رضيتُ . فلمّا بلغ الحارثَ قتلُ بُجَيْر ابنِ أخيه ، وقال أبو بَرْزة : بل بجير ابن الحارث بن عُباد نفسِه ، قال : نِعْمَ الغلامُ غلامٌ أَصلح بين ابنيْ وائلٍ وباء بكُلَيب . فلمّا سمعوا قول الحارث : قالوا له : إنّ مهلهلاً لَمّا قتله قال له : بُؤْ بشِسْع نعل كليب[3] ، وقال مهلهل : [من الرجز]

كُلُّ قتيلٍ في كُلَيْبٍ حُلاَّمْ[4] حتى ينالَ القتلُ آلَ هَمَّامْ

وقال أيضاً : [من الرجز]

كُلُّ قتيلٍ في كُلَيبٍ غُرَّهْ حتى ينالَ القتلُ آل مُرَّهْ

فغضِب الحارث عند ذلك فنادى بالرَّحيل . قال مقاتل : وقال الحارث بن عُباد : [من الخفيف]

قَرِّبا مَرْبَطَ النَّعامةِ مِنّي لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ[5]

1 لصاحبها في رواية : «لجاحمها» أي مثيرها .
2 باء بدمه : عادله وكافأه .
3 جمهرة العسكري 1 : 266 وأمثال العرب : 132 .
4 قتيل حُلام : ذهب باطلاً .
5 النعامة : فرس الحارث بن عباد . لقحت : حملت . حيال : انعدام الحمل . والمعنى أنّ الحرب هاجت بعد سكون .

لا بُجَيْرٌ أغنى قتيلاً ولا رهـ ـطُ كُلَيبٍ تَزاجروا عن ضَلالِ
لم أكُن من جُناتهـا علم اللـ ـهُ وإنّي بحَرّهـا اليومَ صالِ

قال : ولم يصحّح عامر ولا مِسْمَع غير هذه الثلاثة الأبيات . وزعم أبو بَرْزة قال : كان أوّل فارس لقي مهلهلاً يوم واردات بُجَير بن الحارث بن عُباد ، فقال : مَنْ خالُك يا غلام ، وبوّأ[1] نحوه الرمحَ ؛ فقال له امرؤ القيس بن أبان التّغْلَبيّ ، وكان على مقدِّمتهم في حروبهم : مهلاً يا مهلهل ! فإنّ عمّ هذا وأهلَ بيته قد اعتزلوا حربَنا ولم يدخلوا في شيء مّما نكـرْه ، ووالله لئن قتلتَه ليُقتلنّ بـه رجلٌ لا يُسأل عن نسبه ؛ فلم يَلتفِتْ مهلهلٌ إلى قوله وشَدّ عليه فقتله ، وقال : بُؤْ بشِسْع نعل كليب ؛ فقال الغلام : إن رَضيتْ بهذا بنو تَغْلبة فقد رضيتُه . قال : ثم غَبروا زماناً ، ثم لقي هَمّامَ بن مرّة فقتلـه أيضاً . فأُتي الحارثَ بن عُباد فقيل له : قتل مهلهل هماماً ؛ فغضِب وقال : رُدُّوا الجمالَ على عكَرها[2] «الأَمرُ مخلوجةٌ ليس بسُلْكَى»[3] ؛ وجَدّ في قتالهم . قال مقاتل : فكان حَكَمَ بكـر بن وائل يومَ قِضَةَ الحارثُ بن عُبَاد ؛ وكان الرئيسَ الفِنْدُ ، وكان فارسَهم جَحْدَرٌ ، وكان شاعرَهم سعدُ بن مالك بن ضُبَيعة ، وكان الذي سَدّ الثنيَّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة ؛ وكان عوفٌ أنْبهَ من أخيه سعد .

[أسر مهلهل ونجاته]

وقال فِراس بن خَنْدَق : بل كان رئيسَهم يوم قِضَةَ الحارثُ بن عُباد . قال مقاتل : فأَسَر الحارثُ بن عباد عَدِيّاً ، وهو مهلهل ، بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه ؛ فقال له : دُلَّني على المهلهل ؛ قال : ولي دَمِي ؟ قال : ولك دَمُك ؛ قال : ولي ذِمّتُك وذمّةُ أبيك ؟ قال : نعم ، ذلك لك ؛ قال : فأنا مُهَلْهِل . قال : دُلَّني على كُفءٍ لبُجَيْر ؛ قال : لا أعلمه إلاّ امرأَ القيس بن أبان ، هذاك عَلَمُه ؛ فَجزَّ ناصيتَه[4] وقصَد قَصْدَ امرىء القيس فشَدّ عليه فقتله . فقال الحارث في ذلك : [من الخفيف]

لَهْفَ نفسي على عَدِيٍّ ولَمْ أعـ ـرِفْ عَدِيّاً إذ أمكنتْني اليدانِ
طُلَّ مَنْ طُلَّ في الحروب ولَمْ أُو تِـرْ بُجَيراً أبأْتُـه ابنَ أبانِ[5]

1 بوّأ الرمح : سدده .

2 العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل أي ردوا الإبل إلى بعضها .

3 انظر المثل رقم 139 عند الميداني وص 305 في فصل المقال . والمخلوجة : الطعنة المعوجة ، والسلكى : الطعنة المستقيمة .

4 كانوا يجزون ناصية الأسير قبل إطلاق سراحه للافتخار بفعلهم .

5 طُل : دم القتيل لم يؤخذ بثأره .

فارسٌ يَضرِب الكتيبةَ بالسيـ ـف وتسمو أمامَــه العِيْنانِ

وزعم حُجْرٌ[1] أنّ مُهَلْهِلا قال : لا والله أَوْ يَعْهَدَ لي غيرُك ؛ قال الحارث : اخترْ مَنْ شئت ؛ قال : أختارِ الشيخَ القاعد عَـوْفَ بن مُحَلِّم ؛ قال الحارث : يا عـوفُ أَجِرْه ؛ قال : لا حتى يقعدَ خَلْفي ؛ فأَمره فقعد خلفه ؛ فقال : أَنا مُهَلهِل . وأَمّا مقاتل فقال : إنّما أَخذه في دَوْرِ الرَّحـى وحَوْمة القتال ولَمْ يقعد أَحـدٌ بعـدُ ، فكيف يقول الشيخَ القاعدَ ! . قال مقاتل : وشدّ عليهم جَحْدَرٌ ، فاعتوره عمرو وعامر ، فطعن عمراً بعالية الرمح وطعن عامـراً بسافِلته فقتلهما عِـداءً[2] وجاء بِبَزِّهـما . قـال عامـر بن عبد الملك المِسْمعي : فحدّثني رجلٌ عالِم قال : سألني الوليدُ بن يزيد : مَنْ قتلَ عمراً وأَخاه عامراً ؟ قلت : جَحْدَر ؛ قال : صدقتَ ، فهل تدري كيف قتلهما ؟ قلت : نعم ، قتل عمراً بسِنانِ[3] الرمح ، وقتل عامراً بزُجِّهِ . قال : وقتل جحدرٌ أيضاً أَبا مِكْنَفٍ . قال مقاتل : فلمّا رجع مُهلهِل بعد الوَقْعَة والأَسْرِ إلى أَهله ، جعل النساء والولدانُ يستخبرونه : تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأَخيها ، والغلامُ عن أَبيه وأَخيه ؛ فقال : [من الخفيف]

ليس مثلي يُخَبِّر النّاسَ عـن آ بائهـم قُتِّلـوا ويَنْسى القِتالاَ
لَم أَرِمْ عَرْصةَ الكتيبةِ حتّى انـ ـتعل الوَرْدُ من دمـاءٍ نِعالا[4]
عَرَفَتْه رمــاحُ بكــرٍ فما يأ خُــذن إلاّ لَبانَــه والقَذالا
غلبونــا ، ولا محالــةَ يومــاً يَقلِبُ الدَّهرُ ذاك حالاً فحالا

ثم خرج حتّى لحِق بأَرض اليمن ، فكان في جَنْبٍ[5] ، فخطب إليه أَحدُهم ابنتَه فأَبى أَن يفعل ، فأَكرهوه فأَنكحها إيّاه ؛ فقال في ذلك مهلهِل : [من المنسرح]

أَنكحَها فقدُهــا الأَراقِمَ في جَنْبٍ وكان الحَباءُ مــن أَدَمِ[6]
لــو بأَبانَيْنِ جــاءَ يخطبُها ضُرِّجَ مــا أَنفُ خاطبٍ بدَمِ[7]
أَصبحتُ لا مُنْفِساً أصبتُ ولا أُبْتُ كريماً حــرّاً من النَّدَمِ[8]

1 ل : جحدر .

2 عالية الرمح : سنانه . وسافلته : زجه . وقتلهما عداء : قتلهما بطعنتين متواليتين .

3 ل : بعالية .

4 لم أرم : لم أبرح . الورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .

5 جنب : حمى باليمن .

6 الأراقم : حي بن تغلب . الحباء : المهر .

7 أبانان : جبلان يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود .

8 المنفس : الكثير من المال .

هان على تَغْلِبٍ بما لَقِيتْ　　أختُ بني المالِكِين من جُشَمِ
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا　　يُغْنون من عَيْلةٍ ولا عَدَمِ

ثمّ إنّ مهلهلاً انحدر ، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبيعة ، فطلب إليه أخوالُه بنو يَشْكُر ، وأمّ مهلهلٍ المرادة[1] بنت ثَعْلبة بن جُشَم بن غُبَر اليَشْكُريّة ، وأختها مَنَّة بنت ثَعْلبة أمّ حُيَيّ بن وائلٍ ، وكان المُحَلّل بن ثعلبة خالَهما ، فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكونَ عنده ففعل ؛ فسقاه خمراً ، فلمّا طابت نفسُه تَغَنَّى : [من الخفيف]

طَفْلةٌ ما ابنةُ المُحلّل بيضا　　ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ في العِناقِ

حتى فرغ من القصيدة ، فأدّى ذلك مَنْ سَمِعه من المُهلهِل إلى عمرٍو ، فحوّله إليه وأقسم ألاّ يذوق عنده خمراً ولا ماء ولا لبناً حتى يَرِدَ رَبِيبٌ الهِضابَ (جمل له كان أقلُّ ورودِه في الصيف الخِمْسَ) ؛ فقالوا له : يا خير الفتيان ، أرسِلْ إلى ربيبٍ فلتُؤتَ به قبلَ وروده ، ففعل فأوْجره ذَنُوباً[2] من ماء ؛ فلمّا تَحَلَّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة ، وهو أوبأ ماءٍ رأيته قطّ ، فمات . فتلك الهِضاب التي كان يرعاها ربيبٌ يُقال لها هِضاب ربيب ، طالما رعيتُهنّ ورأيتهنّ .

[القبائل التي انضمّت إلى بكر]

قال مقاتل : ولم يُقاتل معنا من بني يَشْكُرَ ولا من بني لُجَيْم ولا ذُهْل بنِ ثَعْلبة غيرُ ناس من بني يَشْكر وذُهْلٍ قاتلتْ بأَخَرَةٍ ، ثم جاء ناس من بني لُجَيم يوم قِضَةَ مع الفِنْدِ . وفي ذلك يقول سَعْد بن مالك : [من السريع]

إنّ لُجَيماً قد أبتْ كلُّها　　أن يُرْفِدونا رجلاً واحدَا
ويَشْكُرٌ أضْحتْ على نأيها　　لَم تَسْمَعِ الآن لها حامدا
ولا بنو ذُهْلٍ وقد أصبحوا　　بها حُلولا خَلَفاً ماجدا
القائِدي الخيلِ لأرض العِدَا　　والضاربين الكوكبَ الوافِدا[3]

وقال البَكْريّ : [من الطويل]

وصَدّتْ لُجَيمٌ للبراءة إذ رأتْ　　أهاضيبَ موتٍ تُمطِرُ الموتَ مُعْضِلاَ[4]

1 ل : المرتادة .
2 أوجره ذنوباً : جعل في فيه دلواً من الماء .
3 الكوكب الوافد : سيد القوم القادم .
4 أهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر . ل : يوم بدلاً من موت .

وَيَشْكُرُ قـد مالـتْ قديماً وأَرْتعتْ ومَنّتْ بقُرْباهـا إليهـم لِتُوصَلا

وقالوا جميعاً : مات جَسَّاسٌ حَتْفَ أَنفه ولَم يُقْتَل .

[عدد القتلى من بكر وتغلب]

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم مِن قَتْلى تُعَدُّ ولا تذكر إلاّ ثمانيةَ نفرٍ من تَغْلِب وأَربعةً من بَكْر عدّدهم مُهلهلُ في شِعرَيْهِ ، يعني قصيدتَيْهِ : [من الوافر]

أَليلَتَنا بـذي حُسُمٍ أَنيـري إذا أَنتِ انْقضَيتِ فلا تَحُورِي[1]

فإن يَكُ بالذَّنائب طال ليلي فقـد أَبكي مـن الليلِ القِصيرِ

فلـو نُبِش المقابـرُ عن كُلَيب فيَعْلَـمَ بالذنائـب أَيُّ زيرِ

بيـوم الشَّعْثَمَـينِ أُقـرّ عيناً وكيف لِقاءُ من تحت القُبورِ[2]

وإنّي قـد تركـتُ بِوارِداتٍ بُجَيـراً في دمٍ مثـلِ العَبيرِ

هتكتُ بـه بيوتَ بنـي عُبَادٍ وبعضُ الغَشْمِ أَشفى للصّدورِ

على أَنْ ليس يُوفِي من كُلَيْبٍ إذا بـرزتْ مخبّأةُ الخُدورِ[3]

وهمّامَ بـن مُـرَّةَ قـد تركنا عليه القَشْعمانِ مـن النسورِ

يَنُـوء بصدره والرمحُ فيـه ويَخْلِجُـه خِـدَبٌّ كالبعيرِ[4]

فلولا الريحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ صليلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذكور

فِدىً لبني شَقيقَةَ يوم جاؤوا كأُسْدِ الغابِ لَجّتْ في الزَّئيرِ

كأنّ رماحَهـم أَشطـانُ بئرٍ بعيـدٍ بـين جَالَيْهـا جَرُورِ[5]

غـداةَ كأنّنـا وبنـي أَبينا بجَنْـب عُنَيْزةٍ رَحَيـا مُديرِ

تَظَلّ الخيـلُ عاكفـةً عليهم كأنّ الخيلَ تُرْحَضُ في غديرِ[6]

فهؤلاء أَربعة من بني بكر بن وائل . وقال أيضاً : [من الخفيف]

طَفْلَةٌ مـا ابنـةُ المحلّلِ بَيضا ءُ لَعُـوبٌ لذيـذةٌ في العِناقِ

---

1 ذو حسم : موضع بالبادية . لا تحوري : لا ترجعي .

2 يوم الشعثمين : يوم واردات . وفي شعر الأخطل ما يشير إلى أنه يوم الذنائب .

3 يُوفي في ل : يشفي .

4 يخلجه : يجذبه . والخدب : الضخم .

5 أشطان : حبال شديدة الفتل . جال البئر : ناحيتها .

6 ترحض : تغسل .

فاذْهَبي مـا إليكِ غيرَ بعيدٍ لا يُؤاتي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ
ضربـتْ نحرَهـا إليّ وقالتْ يا عَدِيّـاً لقد وَقَتْك الأواقي
ما أُرَجِّي في العيش بعد نَداما يَ أراهم سُقُوا بكأسِ حَلاَقِ[1]
بعـد عمـرٍو وعامرٍ وحُيَيٍّ ورَبيعِ الصَّدُوفِ وابْني عَناقِ
وامرىء القيس مَيِّت يوم أَوْدى ثم خَلّى عليّ ذاتَ العَراقي[2]
وكليبٍ سُمّ الفوارس إذ حُمَّ رمـاه الكمـاةُ بالإيفاقِ[3]
إنّ تحتَ الأحجار حَدّاً ولِيناً وخَصيماً ألـدَّ ذا مِعْلاقِ[4]
حيّةٌ في الوِجـار أربـدُ لا تَنـ ـفَعُ منـه السليمَ نَفْثةُ راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب . قال عامر : والدليل على أنّ القَتْلى كانوا قليلاً أنّ آباء القبائل هم الذين شهِدوا تلك الحروبَ ، فعُدُّوهم وعُدُّوا بنيهم وبني بنيهم ، فإن كانوا خمسمائةٍ فقد صدَقوا ، فكم عسى أن يبلغ عددُ القتلى والقبائل . قال مِسْمَع : إنّ أخي مجنون ، وكيف يحتجّ بشعْر المُهَلهِل ، وقد قتل جَحْدرٌ أبا مِكْنَف يوم قِضَة فلم يذكره في شعره ، وقَتل اليشكريُّ ناشِرةَ فلم يذكره في الشعر ، وقُتِل حَبيبٌ يومَ وارِدات ، وقَتل سعدُ بن مالك يوم قِضَةَ ابنَ القَبيحة فلم يُذْكر ، فهؤلاء أربعة . وقال البَكْريّ : [من الطويل]

تركنا حَبيباً يوم أَرْجفَ جمعُه صريعاً بأعلى وارداتٍ مُجَدَّلا

وقال مُهَلهِل أيضاً : [من الخفيف]

لستُ أرجو لَـذَّةَ العيش مـا أزَمَتْ أجـلادُ قِـدٍّ بساقِي
جَلَّلوني جلـدَ حَـوْبٍ فقـد جعلـوا نَفْسيَ عنـد التَّراقي[5]

وقال آخر يَفْخَر بيوم واردات : [من الوافر]

ومُهْـراقُ الدمـاء بـواردات تَبيـد المُخْزِيـاتُ ومـا تَبيدُ

فقلتُ لعامر : ما بالُ مسْمَع وما احتجّ به من هؤلاء الأربعة ؟ فقال عامر : وما أربعةٌ إن كنتُ أغفلتهم فيما يقولون ؟ إنّهم قتلوا يوم كذا ثلاثةَ آلاف ، ويوم كذا أربعةَ آلاف ، والله ما

---

1 كأس حلاق : كأس المنية .
2 ذات العراقي : الداهية .
3 الإيفاق : توتير القوس للرمي .
4 حد : حدّة . ذو معلاق : لسان بليغ يسدّ الحجّة على خصمه . ويروى «مغلاق» أي يغلقها على خصمه .
5 الحوب : الضخم من الجمال .

أظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ ألفاً ! فهاتوا فعُدُّوا أسماءَ القبائل وأبناءهم وانزِلوا معهم إلى أبناء أبنائهم ، فكم عسى أن يكونوا ؟

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الخفيف]

أزْجُـرِ العـين أنْ تُبَكّي الطُّلولا إنّ في الصَّدرِ مـن كُلَيبٍ غليلاَ
إنّ في الصدرِ حاجـةً لن تَقَضّى ما دعا في الغصون داعٍ هَدِيلا
كيـف أنساكَ يـا كُلَيبُ ولمّـا أَقضِ حزنـاً يَنُوبُنـي وغَليلا
أيّها القلبُ أنْجِزِ اليـومَ نَحْباً من بني الحِصْنِ إذ غَدَوْا وذُحولا[1]
كيف يَبكي الطلولَ مَنْ هو رهنٌ بطِعـانِ الأنـامِ جيـلاً فجيـلاَ
أنبَضُوا مَعْجِسَ القِسيِّ وأبرقْـ ـنا كما تُوعِدُ الفحولُ الفحولا[2]
وصبَرْنـا تحـت البَوارِقِ حتّـى رَكَدتْ فيهـمُ السيوفُ طويلا
لَـمْ يُطيقـوا أن يَنزِلـوا ونزلنـا وأخو الحربِ مَـنْ أطاق النّزولا

الشعر لمُهلهِل[3] ، قال أبو عُبَيدة : اسمه عَدِيّ ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت : اسمه امرؤ القيس ، وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهير بن جُشَم بن بَكْر بن حَبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب ؛ وإنّما لُقِّب مُهَلهِلاً لِطيب شعره[4] ورقّته ، وكان أحدَ مَن غُنِّيَ من العرب في شعره . وقيل : إنّه أوّلُ مَن قَصَّد القصائدَ وقال الغزلَ ؛ فقيل : قد هَلْهَلَ الشعرَ ، أي أَرَقّه . وهو أوّلُ مَنْ كذَب في شعره[5] . وهو خال امرئ القيس بن حُجْر الكِنْديّ . وكان فيه خُنْثٌ ولِين ، وكان كثيرَ المحادثة للنّساء ، فكان كُلَيب يسمّيه «زيرَ النِّساء» ؛ فذلك قوله : [من الوافر]

ولـو نُبِش المقابرُ عن كُلَيبٍ فيَعلَمَ بالذنائـب أيُّ زيرِ

الغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

---

1 النحب : النذر . بنو الحصن : ثعلبة بن عكابة . الذحول : جمع ذحل وهو الثأر .
2 أنبض القوس : جذب وترها لتصوّت . معجس : مقبض .
3 ترجمة مهلهل في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 215–217 والخزانة 2 : 164–174 ومعجم المرزباني : 79 .
4 ل : صوت .
5 لقوله : «ولولا الريح أسمع من بحجر . . .» نظراً لبُعد المسافة بين مكان الموقعة وحجر . وقد حمل ذلك عليه القالي وأبو الفرج وابن قتيبة ، على أنّها من أيسر المبالغات في الشعر العربي .

وللغَريض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع والمجرى ، والذي فيه سَجْحةٌ منها لابن مُحرز . ولمَعْبَد لحنان أحدهما في الأوّل والسادس ثقيل أوّل مُطلق في مجرى البنصر ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولإبراهيم في الأوّل والرابع ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى . ولإسحاق في الأوّل والثالث ماخُوريّ . ولعَلُّويه في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر ، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى . ولابن سُرَيج في السادس والسابع خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى البنصر . ولابن سُرَيج أيضاً في الأوّل والثامن خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر . وللغَريض في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . وللهُذَليّ في الأوّل والثاني والسابع خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه . ولمالك في الأوّل والثاني والخامس خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانة .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

ثَكِلتْني عند الثَّنِيَّة أُمِّي ... وأتاها نَعيُّ عمِّي وخالي
إنْ لَمَ آشْفِ النفوسَ من حَيِّ بكرٍ ... وعَدِيّ تَطاهُ بُزْلُ الجمالِ[1]

الشعر مجهول[2] ؛ غنّاه ابن سُرَيجٍ ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق ، وغنّاه الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامة مِنِّي ... لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ
قَرِّباها في مُقْرَباتٍ عِجَالٍ ... عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّعالي[3]
لَم أكن من جُناتها علم اللهُ ... وإنّي بحَرّها اليوم صالِ

الشعر للحارث بن عُباد . والغناء للغَريض ثقيلٌ أوّل بالبنصر . وفيه لحن آخر يُقال إنّه لابن سُرَيج .

---

1 لهذا البيت رواية أخرى :
إن لم اشف النفوس من تغلب الغد ... ر بيوم تذلّ فيه بزل الجمال
2 إضافة من ل ، ولعلّ البيتين ملحقان بشعر الحارث بن عباد .
3 مقربات : خيل يقرب مربطها لكرامتها .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

يـــا لَبَكْــرٍ أَنْشِروا لي كُلَيبــاً يا لَبَكْـــرٍ أَيــنَ أَيــنَ الفِرارُ
يالَبَكْــرٍ فاظعَنــوا أَو فحُلُّــوا صَرَّح الشرُّ وبـــان السِّرارُ

الشعر لمُهَلهِل . والغناء لابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأَوسط من الثقيل الأَوّل بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وغنّاه الأَبجر خفيف رملٍ بالوسطى من رواية عمرو .

ومنها : [من الوافر]

صوت

أَليلَتنــا بــذي حُسُمٍ أَنيري إذا أَنتِ انقضيتِ فلا تَحُوري
فإن يَــكُ بالذَّنائب طال ليلي فقد أَبكي من الليــل القصيرِ
كأَنّ الجَدْيَ جَدْيَ بناتِ نَعْشٍ يُكِبّ على اليديــن بمستديرِ[1]
وتَحْبُو الشِّعْرَيــانِ إلى سُهَيلٍ يَلُوح كقِمَّةِ الجمــل الكبيرِ[2]
فلولا الريحُ أُسمِعَ أَهــلُ حَجْرٍ صَليلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ

الشعر لمُهَلْهِل . والغناء لابن مُحْرِز في الأَوّل والثاني ثقيلٌ أَوّل بالبنصر ، وله في الأَبيات كلّها خفيفُ ثقيلٍ أَوّل مطلقٌ في مجرى الوسطى ، عن إسحاق جميعاً . وفي الأَبيات كلّها على الوِلاء للأَبجر ثاني ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو . ويُقال : إنّ فيها لحناً للغَريض أَيضاً .

[مقتل جَسَّاس]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال أَخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حَبيبَ عن ابن الأَعرابيّ عن المُفَضَّل عن أَبي عُبَيدة : أَنّ آخِرَ مَنْ قُتِل في حرب بكر وتغلِب جَسَّاسُ بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وهو قاتلُ كُلَيب بن رَبيعة ، وكانت أُخته تحت كُلَيب ، فقتله جَسّاس وهي حامل ، فرجعتْ إلى أَهلها ووقعت الحربُ ، فكان من الفريقين ما كان ؛ ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان ؛ فولدت أُختُ جَسّاس غلاماً فسمّته الهِجْرِسَ وربّاه جسّاس ، فكان لا يعرف أَباً غيره ، وزوّجه ابنتَه . فوقع بين الهِجْرِس

1 الجدي : نجم يدور مع بنات نعش أو أحد البروج . يكب : ينكس .
2 تحبو : تدنو . الشعريان : الشعرى اليمانية أو العبور والشعرى : الغميصاء . وهما اللتان تبكيان لأخيهما سهيل في شعر المعرّي .

وبين رجل من بني بكر بن وائل كلامٌ ؛ فقال له البكريّ : ما أَنت بمنتهٍ حتى نُلْحقك بأَبيك ؛ فأَمسك عنه ودخل إلى أُمّه كئيباً ، فسأَلتْه عمّا به فأَخبرها الخبر ؛ فلمّا أَوى إلى فراشِه ونام إلى جنب امرأَته وضع أَنفَه بين ثدييها ، فتنفّس تَنفُّسةً تَنَفَّط ما بين ثدييها من حرارتها ؛ فقامت الجارية فَزِعةً قد أَقلّتها رِعدةٌ حتّى دخلتْ على أَبيها ، فقصّت عليه قصّةَ الهِجْرِس ؛ فقال جَسَّاس : ثائرٌ وربِّ الكَعْبة ! وبات جَسّاسٍ على مثل الرَّضْف حتى أَصبح ؛ فأَرسل إلى الهِجْرِس فأَتاه ، فقال له : إنّما أَنتَ ولدي ومني بالمكان الذي قد علمتَ ، وقد زوّجتك ابنتي وأَنتَ معي ، وقد كانت الحرب في أَبيك زماناً طويلاً حتّى كِدْنا نتفانى ، وقد اصطلحْنا وتحاجزنا ، وقد رأَيتُ أَن تدخل فيما دخل فيه الناسُ من الصّلح ، وأَن تنطلقَ حتّى نأخذَ عليك مثلَ ما أُخذ علينا وعلى قومنا ؛ فقال الهِجْرِس : أَنا فاعل ، ولكنّ مثلِي لا يأتِي قومَه إلاّ بلأْمته وفرسه ؛ فحمله جَسّاس على فرس وأَعطاه لأْمةً ودِرْعاً ؛ فخرجا حتى أَتَيا جماعةً من قومهما ، فقَصّ عليهم جَسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا الفتى ابن أُختي قد جاء ليدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعْقِد ما عَقَدتم ؛ فلمّا قَرّبوا[1] الدمَ وقاموا إلى العَقْد أَخذ الهِجْرِس بوَسَط رُمحه ، ثم قال : وفَرَسي وأُذُنَيْه ، ورُمْحي ونَصْلَيْه ، وسيفي وغِرارَيْه ، لا يترك الرجل قاتلَ أَبيه وهو ينظر إليه ؛ ثم طعن جَسَّاساً فقتله ، ثم لحِقَ بقومه ؛ فكان آخرَ قتيلٍ في بكر بن وائل .

[ترحيل امرأة كليب عن مأتم زوجها]

قال أَبو الفرج : أَخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمِّي عن العبّاس بن هشام عن أَبيه عن الشَّرْقِيّ بن القُطاميّ قال : لمّا قَتل جَسَّاس بن مُرّةَ كُلَيبَ بنَ ربيعة ، وكانت جليلةُ بنت مُرّة أُختُ جَسَّاس تحت كليب ، اجتمع نساء الحيّ للمأتم ، فقلن لأُخت كُليب : رَحِّلي جَليلةَ عن مأتمك ، فإنّ قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب ؛ فقالت لها : يا هذه اخرُجي عن مأتمنا ، فأَنتِ أُختُ واترِنا وشقيقةُ قاتِلنا ؛ فخرجت وهي تَجُرّ أَعطافَها ؛ فلقيها أَبوها مُرّة ، فقال لها : ما وراءكِ يا جليلة ؟ فقالت : ثُكْلُ العَدَد ، وحزنُ الأَبد ؛ وفَقْدُ حليل ، وقتلُ أَخٍ عن قليل ؛ وبين ذينِ غرسُ الأَحقاد ، وتَفَتُّتُ الأَكباد ؛ فقال لها : أَوَ يَكُفُّ ذلك كرمُ الصَّفْح وإغلاءُ الدِّيات ؟ فقالت جليلة . أُمْنِيَّةُ مخدوعٍ وربِّ الكعبة ! أَبِالبُدْنِ تَدَعُ لك تَغْلِب دمَ ربِّها ؟ . قال : ولمّا رَحَلت جليلةُ قالت أُخت كُلَيب : رِحلةُ المعتدي وفِراقُ الشامت ، ويلٌ غداً لآل مُرّة ، من الكَرّة بعد الكرّة ! . فبلغ قولُها جليلةَ ، فقالت : وكيف تَشْمَتُ الحُرّة بهَتْك سِتْرِها وتَرَقُّبِ وِتْرِها ! أَسعد اللهُ جَدَّ أُختي ، أَفَلا قالت : نَفْرة الحياء ، وخوف الاعتداء ! .

---

1 كان من عادة العرب أَن يغمسوا عند التحالف أيديهم في طيب أَو دم أَو رماد .

[رثاء جليلة لكليب]

ثم أنشأَتْ تقول[1] : [من الرمل]

يــا ابنةَ الأقوامِ إنْ شئتِ فلا ... تَعْجَـلي باللَّـوْم حتّـى تسأَلي
فـإذا أنـتِ تَبيَّنْتِ الذي ... يُوجِبُ اللَّـومَ فلُومي واعذُلي
إن تكن أُختُ امرىءٍ لِيمتْ على ... شَفَــقٍ منهـا عليــه فافعلي
جَلَّ عندي فعــلُ جَسّاسٍ فيا ... حَسْرتي عمّا انجلتْ أو تنجلي
فعلُ جَسّاسٍ على وَجْدي به ... قاطعٌ ظَهْـرِي ومُـدْنٍ أجَلي
لَـوْ بعَينٍ فُقِئتْ عيني سوى ... أُختِهـا فانفقأَتْ لَـم أَحْفِلِ
تَحمِلُ العينُ قَـذى العينِ كما ... تَحمِـلُ الأُمّ أذى مـا تَفْتَلي
يـا قتيـلاً قَـوّض الدَّهرُ به ... سَقفَ بيتَـيّ جميعاً مـن عَلِ
هـدمَ البيتَ الذي استحدثتُه ... وانثنى في هـدمِ بيتي الأوّلِ
ورمــاني قتلــهُ مــن كَثَبٍ ... رميةَ المُصْمي بــه المُستأصِلِ
يا نِسائي دونكنّ اليومَ قــد ... خَصَّني الدَّهــرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ
خَصَّني قتــلُ كُلَيب بلَظـىً ... مِن ورائـي ولَظـىً مُسْتقبلِ
ليس مَـن يَبكي ليومين كمن ... إنّمـا يبكــي ليـومٍ ينجلي
يشتفِي المــدركُ بــالثأرِ وفي ... دَرَكي ثــأريَ ثُكلُ المُثكِلِ
ليتــه كان دَمـي فاحتلبوا ... بَدَلاً منــه دَمــاً من أكْحلي[2]
إنّنــي قاتلـــةٌ مقتولـــةٌ ... ولعــلّ الله أن يرتــاحَ لِي

1 ذكر المرزباني في أشعار النساء عن الحرمي بن أبي العلاء نسبة هذه الأبيات عن محمّد بن خلف المرزبان إلى فاطمة أخت كليب ومهلهل ترثي بها أخاها . على أن في الأبيات ما لا يتّفق منطقيّاً مع هذه النسبة .

2 بدلاً في ل : درراً .

[64] ـ ذكر الهذلي وأخباره

[نسب الهذلي وصناعته]

أخبرني محمَّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: الهُذَليان أخَوانِ يُقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود؛ فالأكبر منهما يُقال له سَعيد، ويُكنى أبا مسعود، وأُمّه امرأة يُقال لها أُمّ فَيْعل، وكان كثيراً ما يُنسب إليها، وكان ينقش الحجارة بأبي قُبَيسٍ، وكان فتيانٌ من قريش يَرُوحون إليه كلَّ عشيّة فيأتون بَطْحاء يُقال لها بطحاء قريشٍ فيجلسون عليها، ويأتيهم فيُغنّي لهم ويكون معهم. وقد قيل: إنّ الأكبر هو عبد آل، والأصغر سعيد.

[يغنّي وهو يزاول نقش الحجارة]

قال هارون وحدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ: أنّ الهذليّ كان نَقّاشاً يعمل البُرَمَ من حجارة الجبل، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن، وكان إذا أَمْسى[1] راح فأشْرف على المسجد ثم غنّى، فلا يلبث أن يُرى الجبل كقُرْص الخَبيص صُفْرةً وحُمرة من أرْدِية قريش؛ فيقولون: يا أبا عبد الرحمن، أعِد؛ فيقول: أمّا والله وهاهنا حجر أحتاج إليه لم يَرِد الأبطحَ فلا؛ فيضعون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويَحْدُروها إلى الأبطح، وينزل معهم حتّى يجلس على أعظمها حجراً ويغنّي لهم.

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جَناح قال أخبرني أبو لَطِيف وعُمارة قالا: تغنَّى الهذليُّ الأكبرُ، وكان من أنفسِهم، وكان فِتيانُ قريش يَرُوحون كلّ عشيَّةٍ حتّى يأتوا بَطْحاءَ يُقال لها بطحاءُ قريش قريباً من داره، فيجلِسون عليها ويأتيهم فيُغنّيهم.

[أجازه الحارث بن خالد لمّا سمع غناءه]

قال: وأخبرني ابن أبي طَرَفة عن الحسن بن عَبّاد الكاتِب مولى آل الزُّبَير قال: هجم الحارثُ بن خالد، وهو يومئذٍ أمير مكّة، على الهذليّ وهو مع فتيان قريش بالمفجَر[2] يغنّيهم وعليه جُبّةُ صوف، فطرح عليه مُقطَّعاتِ خزّ، فكانت هذه أوّلَ ما تحرّك لها.

[تزوّج بنت ابن سريج وأخذ عنها غناء أبيها]

قال هارون: وحدّثني حماد عن أبيه قال: ذكر ابن جامع عن ابن عَبّاد أنّ ابن سُرَيج لمّا

---

1 ل: مشى.

2 المفجر: موضع بمكّة. وفي ل: المفخر.

حضَرته الوفاةُ نظر إلى ابنته فبكى ، فقالت له : ما يُبكِيك ؟ قال : أَخشى عليكِ الضيعةَ بعدي ؛ فقالت له : لا تخف فما من غنائك شيء إلاّ وقد أَخذتُه ؛ قال : فغنِّيني فغنَّته ، فقال : قد طابت نفسي ، ثم دعا بالهذليّ فزوّجها منه ؛ فأَخذ الهذليّ غناء أَبيها كلَّه عنها فانتحل أَكثَره ؛ فعامّة غناء الهذليّ لابن سُرَيج ممّا أَخذه عن ابنته وهي زوجتُه .

[حدره الحارث بن خالد من منى]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني محمّد بن يحيى أَبو غَسَّان قال : كان الهذليّ منزلُه بمِنىً ، وكان فِتيان قريشٍ يأتونه فيُغنِّيهم هناك ، ثم أَقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فغنّى هناك ، فحدَره الحارثُ من مِنىً ، وكان عاملاً على مكّة ، ثم أُذِن له فرجع إلى منى[1] .

[غنّى لفتية من قريش]

قال هارون : وحدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أَبي قال : كان الهذليّ النقَّاشُ يغدو إليه فتيان قريش وقد عَمِل عملَه بالليل ، ومعهم الطعامُ والشراب والدراهم . فيقولون له : غنِّنا ؛ فيقول لهم : الوظيفةَ ، فيقولون : قد جئنا بها ؛ فيقول : الوظيفةَ الأُخرى ، أَنزِلُوا أَحجاري ، فيُلقون ثيابهم ويأتزِرون بأُزُرهم وينقلُون الحجارة ويُنزِلونها ، ثم يجلِس[2] على شُنْخُوبٍ[3] من شَناخيب الجبل فيجلسون تحته في السَّهْل فيشربون وهو يُغنِّيهم حتّى المساء ، وكانوا كذلك مدّة ؛ فقال له يوماً ثلاثةُ فتيةٍ من قريش : قد جاءَك كلّ واحد منّا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أَن تُنقَص وظيفتُك عليهم ، وقد اختار كلّ واحد منّا صوتاً من غنائك ليجعلَه حظَّه اليومَ ، فإن وافقتِ الجماعةُ هوانَا كان ذلك مشتركاً بيننا ، وإن أَبَوْا غنّيتَ لهم ما أَرادوا وجعلتَ هذه الثلاثةَ الأَصواتِ لنا بقيةَ يومنا ؛ قال : هاتوا فاختار أَحدُهم : [من الطويل]

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمصايفُ من هندِ

واختار الآخرُ : [من الطويل]

أَلمَّ بنا طيفُ الخيال المهجِّدُ[4]

واختار الآخر : [من المنسرح]

هجَرْتُ سُعدى فزادني كَلَفا

1 ل : مكّة .
2 ل : ينزلون .
3 الشنخوب : رأس الجبل .
4 المهجّد : الموقظ .

فغنّاهم إيّاها ، فما سمِع السامعون شيئاً كان أَحسنَ من ذلك ؛ فلمّا أَرادوا الانصراف قال لهم : إنّي قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أَحد ، فهل لكم فيه ؟ قالوا : هاتِه مُنْعِماً بذلك ؛ فاندفع فغنّاهم : [من الطويل]

أَإِنْ هتَفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سفاهةً ... تُبكّي على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهْتِفُ

فقالوا : أَحسنتَ والله ، لا جرمَ لا يكون صَبُوحُنا في غدٍ إلاّ عليه ، فعادوا وغنّاهم إيّاه وأَعطَوْه وظيفتَه ؛ ولم يزالوا يستعيدونه إيّاه باقيَ يومهم .

نسبة ما في هذا الخبر من الأَصوات

من ذلك[1] : [من الطويل]

صوت

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمَصايف من هندِ ... فَأَوْحشَ ما بين الجَرِيبين فالنَّهْدِ[2]

وغَيَّرهـا طـولُ التقـادُمِ والبِـلى ... فليستْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ

الشعر للأَحْوص ، وقيل : إنّه لعمر . والغناء للهذليّ ، ولحنه من القدر الأَوسط من الثقيل الأَوّل بالخنصر في مجرى البنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت
من المائة المختارة

أَلَمَّ بنا طَيْـفُ الخيـال المهجِّـدُ ... وقد كادت الجوزاءُ في الجوِّ تَصْعَدُ

أَلَمَّ يُحيّينـا ومِـن دون أَهلهـا ... فَيـافٍ تَغُـورُ الريحُ فيها وتُنجدُ

عروضه من الطويل . لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهُذَليّ ثقيل أَوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وهو اللحن المختار ، وفيه ليحيى المَكّيّ هَزَجٌ . ولحنُ الهذليّ هذا ممّا اختير للرشيد والواثقِ بعده من المائة الصوت المذكورة .

ومنها : [من المنسرح]

---

1 البيتان في ديوان الأحوص : 75 وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 116 .

2 الجريبان والنهد : أسماء مواضع .

صوت

هجرتُ سُعْدى فزادني كَلَفَا هِجرانُ سُعْدى وأَزمعتْ خُلُفَا
وقَـدْ على حُبّهـا حلفتُ لهـا لــو أَنَّ سُعْدَى تُصدِّق الحِلَفا
مـا عَلِقَ القلبُ غيرَهـا بَشَراً ولا سواهــا مِـن مَعْلَقٍ عَرَفا
فلَم تُجبنـي وأَعرضتْ صَلَفاً وغادرتْنـــي بحبّهـــا كَلِفـا

الغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

[ابن مزامير داود]

أُخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : زوّج ابنُ سريج لما حضرتْه الوفاةُ الهذليّ الأَكبر بابنته ، فأَخذ عنها أَكثرَ غناء أَبيها ، وادّعاه فغلَب عليه . قال : وولدتْ منه ابناً ؛ فلمّا أَيْفع جاز يوماً بأَشعبَ وهو جالس في فِتْيةٍ من قريش ، فوثَب فحمله على كتفه وجعل يرقّصه ويقول : هذا ابن دفَّتي المصحف وهذا ابنُ مزامير داود ؛ فقيل له : ويلك ؛ ما تقول ومَن هذا الصبيّ ؟ فقال : أَوَ ما تعرفونه ! هذا ابن الهذليّ من ابنة ابن سُريج ، وُلِد على عُود ، واستهلّ[1] بغناء ، وحُنّك بملوي[2] ، وقُطعت سرّته بوتر ، وخُتِن بمِضْراب .

[إسحاق الموصلي يأخذ بغنائه مطرفاً من إبراهيم بن المهدي]

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أَبيه عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال : دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجـة ، فرأَيـت عليه مُطْرَفَ خَزّ أَسود ما رأَيت قطّ أَحسن منه ؛ فتحدّثنا إلى أَن أَخَذْنا في أَمر المِطرف ، فقال : لقد كان لكم أَيَّامٌ حسنة ودولة عجيبة ؛ فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأَيتُ مثلَه ؛ فقال : إنّ قيمته مائة أَلف درهم ، وله حديث عجيب ؛ فقلت : ما أَقوّمه إلاّ بنحو مائة دينار ؛ فقال إسحاق : شَرِبنا يوماً من الأَيّام فبِتُّ وأَنا مُثْخَـن[3] ، فانتبهت لرسول محمّد الأَمين ، فدخل عليّ فقال : يقول لك أَمير المؤمنين : عجِّل ؛ وكان بخيلاً على الطعام ، فكنتُ آكل قبل أَن أَذهب إليه ؛ فقمت فتسوّكت وأَصلحت شأني ، وأَعجلني الرسولُ عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه ، وإبراهيم بن المهديّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المِطرف وجُبَّة خزٌّ دَكْناء ؛ فقال لي محمّد :

1 استهلّ : رفع صوته بالبكاء عند الولادة .
2 حنّك : دلك حنكاه . والملوي : من أجزاء العود .
3 مثخن : أوهنه السكر ، كما تقول أثخنته الجراح .

يا إسحاق ، أتغدّيت ؟ قلت : نعم يا سيِّدي ؛ قال : إنّك لنَهِم ، أهذا وقتُ غداء ! فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمار فكان ذلك ممّا حداني على الأكل ؛ فقال له : كم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثةَ أرطال ، فقال : اسقُوه إيّاها ؛ فقلت : إن رأيتَ أن تُفرّق عليّ ! فقال : يُسقى رِطلين ورِطلاً ؛ فدُفِع إليّ رِطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهّم أنّ نفسي تسيل معهما ، ثم دُفِع إليَّ رِطل آخر فشربته ، فكأنَّ شيئاً انجلى عنّي ؛ فقال غنّني : [من الطويل]

كُليبٌ لعمْرِي كان أكثرَ ناصراً

فغنّيته ، فقال : أحسنتَ وطرِب ، ثم قام فدخل ، وكان كثيراً ما يدخل إلى النساء ويَدَعُنا ، فقمت في إثْر قيامه ، فدعوت غلاماً لي ، فقلت : اذهب إلى بيتي وجئني ببِزْماوَرْدَتَيْن[1] ولُفَّهما في مِنديل واذهب رَكْضاً وعجِّل ، فمضى الغلام وجاءني بهما ، فلمّا وافى البابَ ونزل عن دابّته انقطع فنفَق[2] من شدّة ما ركض عليه ، وأدخل إليَّ البِزْماوَرْدَتَيْن ، فأكلتُهما ورجَعتْ نفسي إليَّ وعدتُ إلى مجلسي ؛ فقال لي إبراهيم : لي إليك حاجة أُحِبّ أن تقضيَها لي ؛ فقلت : إنّما أنا عبدك وابن عبدك[3] ، فقل ما شئت ؛ قال : تُردّد عليّ : «كليب لعمري» وهذا المِطْرَف لك ؛ فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا ، ولكنّني أصير إلى منزلك فأُلقيه على الجواري وأردّده عليك مِراراً ؛ فقال : أُحبّ أن تردّده عليّ الساعةَ وأن تأخذَ هذا فإنّه من لُبْسك وهو من حاله كذا وكذا ؛ فردّدت عليه الصوت مراراً حتّى أخذه ، ثم سمعنا حركة محمّد فقمنا حتّى جاء وجلس ، ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا ؛ فغنّاه إبراهيم : «كليب لعمري» ، فكأنّي والله لم أسمعه قبلَ ذلك حُسْناً ؛ وطرِب محمّد طرَباً شديداً وقال : أحسنتَ والله يا غلام ، عَشْرَ بِدَر لعَمّي الساعةَ ! فجاؤوا بها ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لي فيها شريكاً ؛ قال : مَن هو ؟ قال : إسحاق ؛ قال : وكيف ؟ فقال : إنّما أخذتُه منه لمّا قمتَ ؛ فقلت أنا : ولِمَ أضاقت الأموالُ على أمير المؤمنين حتى تُريد أن تُشْرِك فيما يُعطي ؛ قال : أمّا أنا فأُشْرِكك وأمير المؤمنين أعلم ؛ فلمّا انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفاً ، وأعطاني هذا المِطْرَف ، فهذا أخِذ به مائةُ ألف درهم ، وهي قيمتُه .

---

1 البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

2 نفق : مات والضمير يعود إلى الدابة .

3 ل : عبد من عبيدك .

صوت
من المائة المختارة

من رواية جَحْظَةَ عن أصحابه[1] : [من مجزوء الخفيف]

عَلِّلِ القومَ يشربُوا كي يَلَذُّوا ويَطْرَبُوا
إنّما ضلَّل الفؤا دَ غزالٌ مُرَبَّبُ[2]
فرشتْه على النّما رِقِ سُعْدَى وزينبُ
حالَ دون الهوى ودو ن سُرى الليلِ مُصعَبُ[3]
وسِياطٌ على أكفٍّ رجالٍ تقلَّبُ

الشِّعر لعُبَيد الله بن قيس الرُّقيّات . والغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السَّمْح ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى البنصر . ولابن سُرَيج في الرابع والخامس والأوّل ثاني ثقيل في مجرى الوسطى . ولمعبد في الثاني وما بعده خفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 177 .

2 مربّب في الديوان : مربرب .

3 هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف كما سيأتي في الترجمة ويروى : «منع اللهو والهوى وسرى الليل مصعب» .

[65] ـ ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ونسبه وأخباره[1]

[نسب عبيد الله بن قيس الرقيّات]

هو عُبَيد الله بن قيس بن شُرَيح بن مالك بن رَبيعة بن أُهَيب بن ضِباب بن حُجير بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب . وأمّه قتيلة بنت وَهْب بن عبد الله بن ربيعة بن طَرِيف بن عَدِيّ بن سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كِنانة .

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمّد بن محمّد بن أبي قُلامة[2] العُمَريّ قال حدّثني محمّد بن طَلْحة ، قال الزبير وحدّثنيه أيضاً محمّد بن الحسن المخزوميّ ، قالا جميعاً : كان يُقال لبني مَعِيص بن عامر بن لؤيّ وبني مُحارِب بن فِهْر : الأَجْرَبان من أهل تِهامة ، وكانا متحالفين ، وإنّما قيل لهما الأجربان من شدّة بأسِهما وعَرِّهما[3] مَن ناوأهما كما يُعرّ الجرب .

[سبب لقبه بالرقيات]

وإنّما لُقّب عبيدُ الله بنُ قيسٍ الرُّقَيّاتِ لأنّه شَبّب بثلاث نسوة سُمِّين جميعاً رُقَيَّةَ ، منهنّ رقيّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أُهْبان بن ضِباب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ ، وابنة عمّ لها يقال لها رُقَيّة ، وامرأة من بني أُميّة يُقال لها رقيّة . وكان هواه في رقيّة بنت عبد الواحد ؛ وكان عبد الواحد ، فيما أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير ، ينزل الرَّقّة . وإيّاه عَنى ابنُ قيس بقوله : [من الكامل]

ما خيرُ عيش بالجزيرة بعد ما عثَر الزمانُ ومات عبدُ الواحِدِ

وله في الرقيّات عدّة أشعار يُغنّى فيها تُذكر بعقب هذا الخبر . والأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْريّ ، وكان صاحبَ شُرْطة مروانَ بنِ الحَكَم بالمدينة .

---

1 ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 450–452 وشرح شواهد المغني : 47 والموشّح : 187 والخزانة 7 : 281–289 وطبقات ابن سلام : 648–655 والسمط : 294 وحقّق ديوانه الدكتور محمد يوسف نجم (بيروت) وعلى هذه الطبعة نعتمد .

2 ل : قُدامة .

3 عرّه بمكروه : أصابه به .

[مصعب بن عبد الرحمن على شرطة المدينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال[1] : لمّا وَلي مروانُ بن الحكم المدينة ولّى مصعبَ بنَ عبد الرحمن بن عوف شُرْطتَه ؛ فقال : إنّي لا أضبط المدينةَ بحَرَس المدينة ، فابْغِني رجالاً من غيرها ، فأعانه[2] بمائتي رجل من أهل أَيْلَةَ[3] ، فضبطها ضبطاً شديداً . فدخل المِسْوَرُ بنُ مَخْرمةَ على مروانَ فقال : أما ترى ما يشكوه الناسُ من مصعَب ! فقال : [من الرجز]

ليس بهـذا مـن سِياقٍ عَتْبُ يمشي القَطُوفُ وينامُ الركبُ[4]

وقال غيرُ مصعَب في هذا الخبر وليس من رواية الحِرْميّ : إنّه بقي إلى أن وَلِي عمرُو بن سعيد المدينةَ وخرج الحسينُ رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير ؛ فقال له عمرو : اهدِمْ دورَ بني هاشم وآلِ الزبير ؛ فقال : لا أفعل ؛ فقال : انتفَخَ سَحْرُك[5] يا ابنَ أُمّ حُرَيْثٍ ! أَلْقِ سيفَنا ! فألقاه ولحِق بابن الزبير . وولّى عمرُو بن سعيد شُرْطَته عمرَو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دُور بني هاشم وآل الزبير ، ففعل وبلغ منهم كلَّ مبلغ ، وهدَم دار ابن مُطِيع التي يُقال لها العَنْقاءُ ، وضرَب محمّد بن المنذر بن الزبير مائةَ سوط ؛ ثم دعا بعُروة بنِ الزبير ليضربَه ؛ فقال له محمّد : أتضرِب عُروة ؟ فقال : نعم يا سَبَلان إلاّ أن تحتمِل ذلك عنه ؛ فقال : أنا أحتمِله ، فضربه مائةَ سوط أُخرى ، ولحِق عُرْوةُ بأخيه . وضرب عمرٌو الناسَ ضرباً شديداً ، فهَربوا منه إلى ابن الزبير ، وكان المِسْور بنُ مَخْرَمة أحدَ مَن هرَب منه ؛ ولمّا أفْضى الأُمرُ إلى ابن الزُّبَير أَقاد منه وضرَبه بالسوط[6] ضرباً مُبرِّحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين ، وقال للناس ، فيما ذُكر عنه ، إنّ عمراً مات مرتدّاً عن الإسلام .

[شاعر قريش]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبَيْر قال : سألتُ عمّي مُصعباً ومحمّد بن الضحّاك ومحمّد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام ، فكلّهم قالوا : ابنُ قيس الرقيّات ؛ وحُكِي ذلك عن عديّ وعن الضحّاك بن عثمان ؛ وحكاه محمّد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليَرْبوعيّ . قال

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 79 .

2 ل : فدعا له .

3 أيلة : هي اليوم مدينة العقبة .

4 السياق : السوق . القطوف من الدواب : البطيء .

5 انتفخ سحره : تجاوز قدره . والسحر : الرئة .

6 ل : مائة سوط .

الزبير : وحدّثني بمثله غَمامةُ بن عمرو السَّهْميّ عن مِسْوَر بن عبد الملك اليَرْبوعيّ .

[ثناء طلحة الزهريّ على شعره]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ والحِرْميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن عمِّه محمّد بن عبد العزيز : أنّ ابن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له : يا عمِّي ، إنّي قد قلتُ شعراً فاسمعه فإنّك ناصحٌ لقومك ، فإن كان جيِّداً قلتُ ، وإن كان رديئاً كففتُ ؛ فقال له : أنشِد ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها : [من مجزوء الخفيف]

منَع اللهــوَ والهــوى وسُرى الليلِ مُصْعَبُ
وسِيــاطٌ عــلى أكــ ـــفِّ رجــالٍ تقلَّبُ

فقال : قل يا ابنَ أخي فإنّك شاعر .

[خرج مع مصعب على عبد الملك ثم شفع له ابن جعفر]

وكان عُبيد الله بن قيس الرقيّات زُبيريَّ الهوى ، وخرج مع مُصعَب بن الزبير على عبد الملك ؛ فلمّا قُتِل مصعب وقُتِل عبدُ الله هرَب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل[1] عبدَ الملك في أمره فأمّنه .

وأخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ والحِرْميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبيريّ قال حدّثني عبد الله بن البصير البربريّ[2] مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قال عبيدُ الله بن قيس الرقيّات : خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شُخوصُ عبد الملك بن مروان إليه ، فلمّا نزل مصعب بن الزبير بمَسكِنٍ[3] ، ورأى معالمَ الغَدْر ممّن معه ، دعاني ودعا بمالٍ ومناطقَ ، فملأ المناطقَ من ذلك المال وألبسني منها ، وقال لي : انطلِق حيثُ شئت فإنّي مقتول ؛ فقلت له : لا والله لا أريمُ حتّى أرى سبيلَك ؛ فأقمتُ معه حتى قُتل ؛ ثم مضيتُ إلى الكوفة ، فأوّلُ بيتٍ صِرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأةٌ لها ابنتانِ كأنّهما ظَبيتانِ ، فَرقِيتُ في درجةٍ لها إلى مَشربة فقعدتُ فيها ، فأمرتْ لي المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعام والشراب والفَرْش والماءِ للوُضوء ، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حول ، تقيم لي ما يُصلحني وتغدو عليّ في كلّ صباح فتسألني بالصباح والحاجة[4] ، ولا تسألني مَنْ أنا ولا أسألُها مَن هي ، وأنا في

---

1 ل : فكلم .

2 ل : النضر اليزيدي .

3 مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير .

4 أي كيف أصبحت وما حاجتك ؟

ذلك أَسمَع الصِّياحَ فيّ والجُعْلَ ؛ فلمّا طال بي المُقام وفقدتُ الصياح فيّ وغَرِضتُ[1] بمكاني غدتْ عليّ تسألني بالصباح والحاجة ، فعرّفتها أنّي قد غَرِضت وأحببت الشُّخوصَ إلى أهلي ؛ فقالت لي : نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى ؛ فلمّا أمسيتُ وضرَب الليل بأرواقِه رَقِيتْ إليّ وقالت : إذا شئتَ ! فنزلتُ وقد أعدّتْ راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد ، وأعطتِ العبدَ نفقةَ الطريق ، وقالت : العبدُ والراحلتان لك ؛ فركِبتُ وركب العبدُ معي حتى طَرَقتُ أهلَ مكّة ، فدقَقتُ منزلي ؛ فقالوا لي : مَن هذا ؟ فقلت : عُبيد الله بن قيس الرقيّات ؛ فوَلْوَلوا وبَكَوْا ، وقالوا : ما فارقَنا طلبُك إلاّ في هذا الوقت ؛ فأقمتُ عندهم حتّى أسْحَرتُ ، ثم نهضتُ ومعي العبدُ حتى قَدِمتُ المدينةَ ، فجئتُ عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يُعشّي أصحابَه ، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجَمُ وأقول : يار[2] يار ابن طيّار ؛ فلمّا خرج أصحابُهُ كشفتُ لـه عن وجهي ، فقال : ابنُ قيس ؟ فقلت : ابنُ قيس ، جئتك عائذاً بك ؛ قال : وَيْحَك ؛ ما أجدَّهم في طلبك وأحرصَهم على الظَّفَر بك ! ولكنّي سأكتب إلى أمّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان ، فهي زوجةُ الوليد بنِ عبد الملك ، وعبدُ الملك أرقُّ شيءٍ عليها . فكتب إليها يَسألُها أن تشفع له إلى عمّها ، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعةَ ؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها : هل من حاجة ؟ فقالت : نعم لي حاجةٌ ؛ فقال : قد قضيتُ كلّ حاجةٍ لك إلاّ ابنَ قيس الرقيّات ؛ فقالت : لا تَستْثنِ عليّ شيئاً ! فنفَح بيده فأصاب خدّها[3] ، فوضعتْ يدَها على خدّها ؛ فقال لها : يابنتي ارفعي يدَكِ ، فقد قضيتُ كلّ حاجة لكِ وإن كانت ابنَ قيس الرقيّات ؛ فقالت : إنّ حاجتي ابنُ قيس الرقيات تُؤمّنه ، فقد كتب إليّ أبي يسألني أن أسألك ذلك ؛ قال : فهو آمِن ، فمُرِيهِ يحضُر مجلسي العَشِيّة ؛ فحضر ابنُ قيس وحضر الناسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك ، فأخّر الإذنَ ، ثم أذِن للناس ، وأخّر إذنَ ابن قيس الرقيّات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذِن له ؛ فلمّا دخل عليه قال عبد الملك : يا أهلَ الشام ، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ فقال : هذا عُبَيدُ الله بنُ قيس الرقيّات الذي يقول[4] : [من الخفيف]

كيف نومي على الفِراش ولـمّـا تَشْمَلِ الشامَ غـارةٌ شَعْـواءُ

1 غرض : ضجر .
2 يار : كلمة فارسية معناها الصاحب والمعين .
3 ل : وجهها .
4 ديوان ابن قيس الرقيات : 95- 96 .

تُذهِل الشيخَ عن بَنيه وتُبدي عــن خِـدام العقيلةُ العذراءُ[1]

[مدح عبد الملك فلم يرض مدحه]

فقالوا : يا أَمير المؤمنين اسقِنا دَمَ هذا المنافق ؛ قال : الآن وقد أَمَّنتُه وصار في منزلي وعلى بِساطي ! قد أَخّرتُ الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابنُ قيس الرقيّات أَن يُنشده مديحَه فأَذِن له ، فأَنشده قصيدتَه التي يقول فيها[2] : [من المنسرح]

عـاد لـه مـن كَثِيرةَ الطربُ فعينُـه بالدّمـوع تنسكِبُ
كُوفيَّـةٌ نـازحٌ مَحَلّتُهـا لا أَمَمٌ دارُهـا ولا صَقَبُ
والله مـا إن صَبَتْ إليّ ولا إن كان بيني وبينهـا سببُ[3]
إلاّ الذي أورثتْ كثيرةُ في الـ ـقلب وللحـبّ سَوْرةٌ عجبُ

حتى قال فيها :

إنّ الأغرَّ الذي أَبـوه أَبو الـ ـعاصي عليه الوقارُ والحُجُبُ[4]
يعتـدِل التّاجُ فـوق مَفْرِقِـه عـلى جَبـينٍ كأَنّـه الذهبُ

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتّاج كأَنّي من العجم وتقول في مُصعَب : [من الخفيف]

إنّما مُصعَبٌ شِهابٌ مـن الله تجلّت عـن وجهـه الظلماءُ
ملكُـه ملك عِـزّةٍ ليس فيـه جبـروتٌ منـه ولا كِبرياءُ

أَمّا الأَمان فقد سبَق لك ، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاء أَبداً ! .

قال : وقال ابن قيس الرقيّات لعبد الله بن جعفر : ما نفعني أُماني ، تُرِكت حيّاً كميتٍ لا آخذُ مع الناس عطاءً أَبداً ؛ فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السنّ ؟ قال : ستّين سنة ؛ قال : فعَمِّر نفسَك ؛ قال : عشرين سنة من ذي قَبَلٍ[5] ؛ فذلك ثمانون سنة ؛ قال : كم عطاؤك ؟ قال : أَلفا درهم ؛ فأَمر له بأَربعين أَلف درهم ، وقال : ذلك لك عليّ إلى أَن تموت على تعميرك نفسَك ؛ فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح عبد الله بن جعفر[6] : [من الطويل]

---

1 العذراء في ل : الحسناء ؛ الخدام : الخلخال . وفي الديوان : براها وهي أيضاً الخلاخيل واحدتها برة .

2 ديوان ابن قيس الرقيات : 1–6 .

3 الديوان : «يعلم بيني وبينها سببُ» .

4 الديوان : «إن الفنيق الذي . . .» .

5 يقال أُفعل ذلك من ذي قبل أي في المستقبل .

6 ديوان ابن قيس الرّقيات : 82–83 مع بعض اختلاف في الترتيب .

تَقَدّتْ بِيَ الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سواءٌ عليهــا ليلُهــا ونهارُها
تزُور امــرأً قــد يعلــمُ اللهُ أنّه تَجُودُ لــه كــفٌّ قليلٌ غِرارُها
أتيناكَ نُثْنِــي بالذي أنْتَ أهلُه عليك كما يُثْني على الروض جارُها
فواللهِ لولا أن تزورَ ابنَ جعفر لكان قليــلاً في دِمَشقَ قَرارُها
إذا مُـتَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولَم تُقَمْ طريقٌ من المعروف أنتَ مَنارُها
ذكرتُكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا وفــاض بأعــلى الرَّقَّتَيْن بِحارُها
وعنديَ ممّا خــوَّل اللهُ هَجْمَةٌ عَطاؤُكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
مبارَكــةٌ كانــت عطاءَ مُبارَكٍ تُمانِحُ كُبراها وتَنْمي صِغارُها

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الملك قال : قال عبد الملك بن مروان لعُبيد الله بن قيس الرقيّات : وَيْحَك يا ابنَ قيس : أما اتّقيتَ اللهَ حين تقول لابن جعفر : [من الطويل]

تزورُ امرأً قد يعلم اللهُ أنّه تَجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها

ألا قلتَ : قد يعلم الناسُ ولَم تقل : قد يعلم الله ؛ فقال ابن قيس : قد واللهِ علمه اللهُ وعلمته أنت وعلمتُه أنا وعلمه الناسُ .

[رواية أخرى في شفاعة ابن جعفر له]

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حَمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي أنّ عُبيدَ الله بن قيس الرقيّات منعه عبدُ الملك بن مروانَ عطاءَه من بيت المال وطلبه ليقتلَه ، فاستجار بعبد الله بن جعفر ، وقصده فألفاه نائماً ، وكان صديقاً لسائب خاثر ، فطلب الإذنَ على ابن جعفر فتعذّر ، فجاء سائب خاثر ليستأذنَ له عليه ؛ قال سائبٌ : فجئت من قِبَلِ رِجْلِ عبدِ الله بن جعفر فنَبَحتُ نُباحَ الجرْوِ الصغير ، فانتبه ولَم يَفتَح عينيه ، وركَلني برِجْله ، فدُرتُ إلى عند رأسه ، فنبَحتُ نُباح الكلب الهَرِم ، فانتبه وفتح عينيه فرآني ؛ فقال : ما لكَ ؟ ويحكَ ! فقلت : ابنُ قيس الرقيّات بالباب ؛ قال : آئذن له ، فأذنتُ له ، فدخل إليه فرحّب ابنُ جعفر به وقرّبه ؛ فعرّفه ابن قيس خبرَه ، فدعا بظَبْيةٍ[1] فيها دنانيرُ ، وقال : عُدَّ له منها ؛ فجعلتُ أعُدُّ وأترنَّمُ[2] وأُحَسِّنُ صوتي بجُهدي حتى عددتُ ثلثَمائةِ دينار ، فسكتُّ ؛ فقال لي عبد الله : ما لكَ ويلكَ سكتّ ! ما هذا وقتُ قطع الصوت الحسنِ ، فجعلتُ أعُدّ حتى نَفِدَ ما

1 ظبية : جراب .
2 ل : وأطّرب .

كان في الظّبية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعتُها إليه ؛ فلمّا قبضها قال لابن جعفر : اسأل أميرَ المؤمنين في أمري ؛ قال : نعم ، فإذا دخلتَ إليه معي ودعا بالطعام ، فكُلْ أكلاً فاحشاً . فركب ابنُ جعفر ، فدخل معه إلى عبد الملك ؛ فلمّا قُدّم الطعامُ جعل يُسيىء الأَكلَ ؛ فقال عبدُ الملك لابنِ جعفر : مَنْ هذا ؟ فقال : هذا إنسان لا يجوز إلاّ أن يكون صادقاً إن استُبقي ، وإن قُتل كان أكذبَ الناس ؛ قال : وكيف ذلك ! قال : لأنّه يقول : [من المنسرح]

مـا نَقموا من بني أُميّةَ إلاّ أنّـهم يَحلُمُـون إن غَضِبُوا

فإن قتلتَه لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به ؛ قال : فهو آمنٌ ، ولكن لا أعطِيه عطاءً من بيت المال ؛ قال : ولِمَ وقد وهبتَه لي ؟ فأُحِبّ أن تَهَب لي عطاءه أيضاً كما وهبتَ لي دَمَه وعفوتَ لي عن ذنبه ؛ قال : قد فعلتُ ، قال : وتُعطِيه ما فاته من العطاء ؛ قال : قد فعلتُ ، وأمرتُ له بذلك .

[عطاء عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : كان ابن قيس الرقيّات منقطعاً إلى ابن جعفر ، وكان يَصِلُه ويَقضِي عنه دَينَه ، ثم استأمن لـه عبدَ الملك فأمّنه ، وحرَمه عطاءه ؛ فأمره عبدُ الله أن يُقدِّرَ لنفسه ما يَكفيهِ أيّامَ حياته ففعل ذلك ، فأعطاه عبدُ الله ما سأل وعوّضه من عطائه أكثرَ منه ؛ ثم جاءت عبدَ الله صِلةٌ من عبد الملك وابنُ قيسٍ غائبٌ ، فأمر عبدُ الله خازنَه فخبأ له صِلتَه ، فلمّا قدِم دفعَها إليه ؛ وأعطاه جاريةً حسناءَ ؛ فقال ابنُ قيس[1] : [من الطويل]

إذا زرتُ عبدَ الله نفسي فـداؤه رجعتُ بفضلٍ مـن نَـداهُ ونائِلِ
وإن غِبتُ عنـه كان للوُدّ حافظاً ولم يَـكُ عنّي في المَغيبِ بغافِلِ
تداركَني عبدُ الإلـه وقـد بَـدَتْ لذي الحِقدِ والشّنآنَ منّـي مَقاتِلي
فأَنقذني من غَمرة الموت بعد مـا رأيتُ حِياضَ المـوت جَمَّ المَناهِلِ
حَبـانيَ لمّـا جئتُـه بعطيّـةٍ وجاريـةٍ حسناءَ ذاتِ خَلاخِلِ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها : [من المنسرح]

صوت

عـادَ لـه من كَثِيرةَ الطَّربُ فعينُـه بالدّمـوعِ تنسكبُ

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 189 .

كُوفيّــةٌ نــازحٌ مَحَلَّتُهــا لا أَمَمٌ دارُهــا ولا صَقَــبُ
والله مــا إن صَبَتْ إليَّ ولا يُعرَفُ بينــي وبينهــا سَبَبُ[1]
إلاّ الذي أورثَتْ كثيرةُ في الـ ـقلب وللحبّ سَوْرةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح ، غنّاه معبدٌ ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . قوله : «لا أَمَمٌ دارُها» يعني أنّها ليست بقريبة . ويُقال : ما كلَّفْتني أَمَماً من الأَمر فأَفعلَه : أي قريباً من الإمكان ؛ ويُقال : إنّ فلاناً لأَمَمٌ من أن يكون فعل كذا وكذا . قال الشاعر : [من المنسرح]

طَرَقَتْــه أَسمــاءُ أم حَلَمــا بل لَم تكــن من رِحالنا أَمَما

أي قريبةً . وقال الراجز : [من الرجز]

كلَّفها عمرٌو نِقــال الضِّبْعان مــا كُلِّفَتْ من أَمَمٍ ولا دانْ[2]

وقال آخر : [من الرجز]

إنّــكَ إن سألتَ شيئــاً أَمَما جــاء بــه الكَرِيّ أو تجشَّما[3]

والصَّقَبُ : الملاصقة . تقول : والله ما صاقبتُ فلاناً ولا صاقبني ، ودارُ فلانٍ مصاقبةٌ لدار فلان ؛ وفي الحديث : «الجارُ أَحقُّ بصَقَبِه» أي بما لاصقه ، أي إنّه أَحقُّ بشفعته . والسَّورَةُ : شِدّة الأَمر ، ومنه يُقال : ساور فلان فلاناً ، وتَساوَرَ الرجلان إذا تَغالبا وتَشادّا ؛ وقيل إنّ السَّوْرة : البقيَّةُ أيضاً .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

مــا نَقَمُــوا مــن بني أُميَّة إلاّ أنّهم يَحلُمُــونَ إن غَضِبــوا
وأنّهــمُ سادةُ الملــوك فمــا تَصلُح إلاّ عليهــمُ العــرَبُ

غنّت في هذين البيتين حَبابةُ ، وهما من القصيدة التي أوّلُها : [من المنسرح]

عــاد لــه من كَثِيرةَ الطّربُ

قال الأَصمعيّ : كَثِيرةُ هذه امرأة نزل بها بالكوفة فآوتْه . قال ابنُ قيس : فأَقمتُ عندها سنةً تَرُوحُ وتَغْدُو عليّ بما أَحتاج إليه ، ولا تسأَلُني عن حالي ولا نسَبي ؛ فبينا أَنا بعد سنةٍ مُشْرِفٌ من

---

1 مرّ هذا البيت برواية أُخرى .
2 الضبعان : ذكر الضبع .
3 الكري : الذي يكري الدواب .

جَناح[1] إلى الطريق ، إذا أنا بمُنادِي عبدِ الملك يُنادي ببراءة الذمّة ممّن أُصيبتُ عنده ؛ فأعلمتُ المرأةَ أنّي راحلٌ ؛ فقالت : لا يَرُوعَنَّك ما سَمِعتَ ، فإنّ هذا نداءٌ شائعٌ منذُ نزلتَ بنا ، فإن أردتَ المُقام ففي الرُّحْب والسَّعَة ، وإن أردتَ الانصرافَ أعلمتَني ؛ فقلتُ لها : لا بدَّ لي من الانصراف ؛ فلمّا كان الليلُ ، قَدَّمتْ إليَّ راحلةً عليها جميعُ ما أحتاجُ إليه في سفري ؛ فقلتُ لها : مَن أنتِ جُعِلْتُ فِداءَكِ لأُكافِئَكِ ؟ قالت : ما فعلتُ هذا لتُكافِئَني ؛ فانصرفتُ ولا والله ما عرفتُها إلاّ أنّي سمعتُها تُدعى باسمها «كَثِيرة» ، فذكرتُها في شِعري .

[فتك عبد الله بن علي ببني أُميّة]

وذكر الزبيرُ بن بكّار عن عمِّه مصعب أنّ عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس صاحِبَ بني أُميَّة بنهر أبي فُطْرُس ، إنّما بعثه على قتلهم أنّه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحاً مدَح به بني هاشم ؛ فقال لبعضهم : أين هذا ممّا كنتم تُمدَحُون به ؛ فقال : هيهات أن يُمدَح أحدٌ بمثل قول ابن قيس فينا : [من المنسرح]

ما نقَمُوا من بني أُميّــة إلاّ ... أنّهم يَحلُمُونَ إن غَضِبُوا

البيتين ؛ فقال له عبدُ الله بن عليّ : ألا أرى المطمعَ في المُلك في نفسك بعدُ يا ماصَّ كذا من أُمه ! ثم أوْقع بهم .

[غنّت قينة الرشيد بشعره فحرّقته]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهَير قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن جدّي عبد الله بن مُصعَب قال : اعترض هارونُ الرشيد قَيْنةً فغنَّتْ : [من المنسرح]

ما نَقَمُــوا مــن بنــي أُميّة إلاّ ... أنّهم يحلُمون إن غَضِبُوا

فلمّا ابتدأتْ به تغيَّر وجهُ الرشيد ، وعلِمتْ أنّها قد غَلِطتْ وأنّها إن مرَّت فيه قُتِلتْ ، فغنَّت : [من المنسرح]

ما نَقَمُوا من بني أُميّة إلاّ ... أنّهم يَجهَلُون إن غَضِبوا

وأنّهم مَعدِنُ النّفاق فما ... تَفسُدُ إلاّ عليهم العربُ

فقال الرشيد ليحيى بن خالد : أَسمعتَ يا أبا عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تُبتاعُ وتُسْنَى لها الجائزةُ ويُعجَّلُ لها الإذنُ لِيَسكُن قلبُها ؛ قال : ذلك جزاؤها ، قُومي فأنتِ منّي بحيث تُحِبِّين . قال : فأُغْمِيَ على الجارية . فقال يحيى بن خالد : [من الطويل]

---

1 جناح : كوّة .

جُزِيــتَ أَميرَ المؤمنــين بأَمْنها مــن الله جناتٍ تفــوز بِعَدْنها

ومنها : [من الطويل]

صوت

تَقَدَّتْ بيَ الشَّهْباءُ نحوَ ابن جعفرٍ سواءٌ عليهــا ليلُهــا ونهــارُها
تَــزُور آمرءاً قــد يَعلمُ اللهُ أَنّه تَجودُ لــه كَــفٌّ بطيءٌ غِرارُها
ووالله لولا أَن تــزورَ ابنَ جعفرٍ لكــان قليــلاً في دِمَشقَ قرارُها

عَروضُه من الطويل . غنّاه مَعْبدٌ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر . قوله : «تَقدَّتْ» أَي سارت سيراً ليس بِعَجلٍ ولا مُبطِيء ، فيُقال : تَقدَّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لا يخاف فوتَ مَقْصِده فلَم يَعْجَل . وقوله : «بطيء غِرارُها» يعني أَن منعَها المعروفَ بطيءٌ . وأَصل الغِرار : أَن تمنعَ الناقةُ دِرّتَها ، ثم يُستعار في كلّ ما أَشبه ذلك ؛ ومنه قول الراجز : [من الرجز]

إنّ لكــلّ نَهــلاتٍ شِرَّهْ ثــم غِــراراً كغِــرار الدِّرَّهْ

وقال جَميلٌ في مثل ذلك : [من الكامل]

لاحتْ لعينك من بُثينةَ نارُ فدموعُ عينــكَ دِرَّةٌ وغِرارُ

[ما عيب عليه في شعره]

قال الزّبيرُ : وهذا البيتُ ممّا عِيبَ على ابن قيسٍ ، لأَنّه نَقَضَ صدرَه بعَجزِه ، فقال في أَوّله : انّه سار سيراً بغير عَجَل ، ثم قال : [من الطويل]

سَواءٌ عليها ليلُهـا ونهارُها

وهذا غايةُ الدَّأَب في السَّير ، فناقض معناه في بيت واحد .

وممّا عِيبَ على ابن قيس الرّقيّات قولُه وفي هذين البيتين غناء[1] : [من المنسرح]

صوت

تُرضِعُ شِبْلَيْنِ وَسْطَ غِيلِهما قد ناهزا للفِطام أَو فُطِما[2]
مــا مرَّ يــومٌ إلاّ وعندهما لحمُ رجــال أَو يَوْلَغانِ دَما[3]

غنَّاه الغريضُ خفيفَ ثقيلٍ أَوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو بن بانة وهي قصيدة مدح بها عبدَ العزيز بن مروانَ ، وفيها يقول : [من المنسرح]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 151–155 .
2 الديوان : «يقوت شبلين عند مطرقة . . .» .
3 الديوان : «لم يأت يوم . . .» .

أَعْنى ابنَ ليلى عبدَ العزيز بِبا   بِلْيُــونَ تَغـدُو جِفانُــه رُذُما[1]
الواهبَ النُّجْبَ والولائدَ كالـ   ـغِزلانِ والخيلَ تَعْلُك اللُّجُما[2]

وكان قال في قصيدته هذه : «أو يالغان دما» بالألف ، وكذلك رُوِي عنه ، ثم غيّرتْه الرواة .

[يونس يصفه بأنه غير فصيح ولا ثقة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال : سمعتُ ابن الأعرابيّ يقول : سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيّات : [من المنسرح]

مـا مـرَّ يوم إلاّ وعندهمـا   لحم رجال أو يَوْلغان دمَا

فقال يونس : يجوز يولغانِ ولا يجوز يالغان ؛ فقيل له : فقد قال ذلك ابن قيس الرقيّات وهو حِجازيّ فصيح ؛ فقال : ليس بفصيح ولا ثقةٍ ، شَغَل نفسَه بالشرب بتَكرِيتَ .

[انتقد ابن أبي عتيق شعراً له]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي : أوَ بلغك أنّ ابن أبي عتيق أُنشد قولَ ابن قيس : [من الطويل]

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فقال : كانت هذه يا ابنَ أمّ فيما أرى عَمْياءَ .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمِّي مصعب عن جدّي عن هشام بن سليمان المخزوميّ قال : قال ابن أبي عتيق لعُبَيد الله بن قيس وقد مرَّ به فسلَّم عليه فقال : وعليك السلام يا فارسَ العمياء ؛ فقال له : ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد ! بأبي أنتَ ! قال : أنت سَمَّيتَ نفسَك حيث تقول : [من الطويل]

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فما يستوي الليلُ والنهارُ إلاّ على عَمْياء ؛ قال : إنّما عنيتُ التعبَ ، قال : فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجُمان يترجم عنه .

ومنها : [من الطويل]

صوت

ذكرتُكَ أنْ فاض الفراتُ بأرضنا   وفاضت بأعـلى الرَّقَّتَيْن بِحارُها

---

1 رذم : ممتلئة .

2 الديوان : «مَنْ يهب البخت . . .» .

وحَوْلِيَ ممّا خوّل اللهُ هَجْمَةٌ عطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
فجئناك نُثْني بالذي أنتَ أهلُه عليك كما أثْنى على الروض جارُها
إذا مِتَّ لم يُوصَل صديقٌ ولم تُقَمْ طَريقٌ من المعروف أنت منارُها

الشولُ : النُّوق التي شالت بأذنابها وكرِهت الفحل ، وذلك حين تلقح ، واحدتها شائل ، غنّاه حَكَم الوادِي ثقيلاً أوّل بالوسطى .

[حكم الوادي ودنانير]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي : قال حكم الوادي : دخلت يوماً على يحيى بن خالد فقال لي : يا أبا يحيى ، ما رأيُك في خمسمائة دينار قد حضرتْ ؟ قلت : ومَنْ لي بها ؟ قال : تلقي لحنك في : [من الطويل]

ذكرتُكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا

على دنانَير فها هي ذِه ، وهذا سَلامٌ واقف معك ومُخرِجها إليك ، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين ، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر ، فكُدَّها فيه ، فإذا أحكمتْه فلك خمسُمائة ؛ فقالت دنانير : يا سيِّدي ، أبو يحيى يأخذ خمسَمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أقاسِيكَ عُمري كلَّه ! فقال لها : إن حِفظِتيهِ فلكِ ألف دينار ، وقام فمضى ؛ فقلت لها : يا سيِّدتي اشغَلي نفسكِ بذا ، فإنّك أنتِ تهبين لي الخمسَمائة الدينار بحفظِك إيّاه وتفوزين بالألف الدينار ، وإلاّ بطَل هذا ، فلم أزَلْ معها أكُدُّها ونفسي وتُغنّيني حتى انصرف يحيى ، فدعا بماء وطَسْتٍ ، ثم قال : يا أبا يحيى ، غَنّ الصوتَ كما كنتَ تُغنّيه ، فقلتُ : هلكتُ ؛ يسمعُه منّي ، وليس هو بمن يَخْفى عليه ، ثم يَسمعُه منها فلا يرضاه ، فلَم أجِدْ بُدّاً من الغناء ؛ ثم قال : غَنّيه أنتِ الآن ؛ فغنّتْ ؛ فقال : والله ما أرى إلاّ خيراً ؛ فقلتُ : جُعِلتُ فداءَك ؛ أنا أمضُغ هذا منذ أكثرَ من خمسين سنةً كما أمضُغ الخبز ، وهذه أخذتْه الساعةَ وهو يَذِلُّ لها بعدي وتَجترىء عليه ويزدادُ حسناً في صوتها ؛ فقال : صدقتَ ، هاتِ يا سَلامُ خمسمائةِ دينار ولها ألفَ دينار ، ففعل ؛ فقالت له : وحياتِكَ يا سيِّدي لأُشاطِرَنّ أُستاذي الألف الدينار ؛ قال : دلك إليكِ ، ففعلَتْ ؛ فانصرفتُ وقد أخذتُ بهذا الصوتِ ألف دينار .

رجع الحديث إلى عُبيد الله بن قيس الرقيّات

[شعر ابن قيس الرقيّات في كثيرة]

قال الزبير بن بكّار حدّثني عبد الله بن النَّضير عن أبيه : أَنّ ابن قيس الرقيّات قال في

الكوفيّة التي نزل عليها[1] : [من مجزوء الكامل]

بانــــت لِتَحْزُنَنَـا كَثِيرَهْ ولقــد تكـون لنا أميرَهْ
حَلَّـتْ فَلالِيــجَ السَّوا د وحَـلَّ أهلي بالجزيرهْ[2]

قال : ولقد رحَل من عندها وما يتعارفان .

قال : وقال فيها أيضاً ، وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لابن المكّيّ : [من المتقارب]

صوت[3]

لَجِجْتَ بحبِّكَ أهـلَ العِراق ولــولا كَثِيرةُ لم تَـلْجَـجِ
فليــتَ كثيــرةَ لم تَلْقَنــي كثيرةَ أختَ بني الخَزْرجِ

[سعيد بن المسيّب وابن قيس الرقيّات]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الله بن عاصم القَحْطانيّ قال حدَّثني أبي عن عبد الرحيم بن حَرْمَلَةَ قال : كنتُ عند سعيد بن المسيّب ، فجاء ابنُ قيس الرقيّات ، فهَشَّ وقال : مَرْحباً بظُفُر من أظفار العَشيرة ، ما أحدَثْتَ بعدي ؟ قال : قد قلتُ أبياتاً وأستَفتيكَ في بيت منها فاسمعها ؛ قال : هات ؛ فأنشده[4] : [من الكامل]

هـل للديـار بأهلهــا عِلْمُ أم هـل تُبِينُ فينطقَ الرسمُ
قالت رُقيّـةُ فِيـمَ تَصرِمُنا أرُقَـيّ ليس لوجهكِ الصّرمُ[5]
تَخطُـو بخَلْخَالَينْ حَشْوُهما ساقـانِ مار عليهما اللحمُ
يا صاحِ هل أبكاكَ موقفُنا أم هـل علينا في البُكا إثمُ

فقال سعيد : لا والله ما أبكاني ؛ قال ابنُ قيس الرقيّات : [من الكامل]

بـل ما بكاؤك منزلاً خَلَقاً قَفْـراً يَلُـوح كأنّه الوَشْمُ

فقال سعيد : اعتذر الرجل . ثم أنشد[6] : [من الطويل]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 43-44 .
2 فلاليج السواد : قرى سواد العراق .
3 ديوانه : 61 .
4 ديوانه : 55 .
5 الديوان «قالت سكينة . . . أسكين . . .» .
6 ديوان ابن قيس الرقيات : 69 .

أتلبَثُ في تَكْريتَ لا في عَشيرةٍ شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ
وأَنتَ امرؤٌ للحزم عندك منزلٌ وللدِّين والإسلام منك نصيبُ

فقال سعيدٌ : لا مُقامَ على ذلك ، فاخرُجْ منها ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال قد أَصبتَ أَصاب اللهُ بكَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الكامل]

قامَتْ بخَلْخالين حَشْوُهما ساقان مارَ عليهما اللحمُ
يا صاحِ هل أَبكاك موقفُنا أَم هل علينا في البكا إثمُ

غنّى فيهما ابنُ سُرَيج رملاً بالبنصر .

[ابن قيس الرقيّات وعمر بن أبي ربيعة]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن عبد الله البَكْريّ وهارونُ بن أَبي بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن أَبيه عن سعيد بنْ مُسْلِم بن وَهْب مولى بني عامر بن لؤيّ عن أَبيه قال[1] : دخلتُ مسجدَ رسول الله ﷺ مع نَوْفَل بن مُساحِقٍ وإنّه لَمُعتَمِدٌ على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيِّب في مجلسه فسلّمنا عليه فردّ سلامَنا ؛ ثم قال لنوفل : يا أَبا سعيد مَنْ أَشعرُ ، أَصاحبُنا أَم صاحبُكم ؟ يعني : عبيدُ الله بن قيس الرقيّات أو عمرُ بن أَبي ربيعة ؛ فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال : حين يقول صاحبنا : [من الطويل]

خليليَّ ما بالُ المَطِيّ كأنّما نَراها على الأدبارِ بالقومِ تنكُصُ
وقد أَبْعدَ الحادِي سُرَاهنّ وٱنتحَى بهنَّ فما يأْلُو عَجُولٌ مُقلِّصُ
وقد قُطِّعتْ أَعناقُهُنّ صَبابةً فأنفُسنا ممّا تُكلّفُ شُخَّصُ
يَزِدْنَ بنا قُرْباً فيزدادُ شوقُنا إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنقُصُ

ويقول صاحبُكم ما شئتَ ؛ قال : فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع اللهُ بك ، وصاحبُنا أكثرُ أفانينَ شعرٍ ؛ قال : صدقتَ ؛ فلما ٱنقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيدٌ يستغفرُ اللهَ ويَعْقِد بيده ويَعُدُّه بالخمس كلِّها حتى وفّى مائةً .

قال البكريّ في حديثه عن عبد الجبّار : فقال مُسْلِمُ بن وَهْب : فلما فارقناه قلتُ لنوفل : أَتُراه ٱستغفرَ اللهَ من إنشادِه الشعرَ في مسجد رسول الله ﷺ ؟ قال : كلاّ ؛ هو كثيرُ الإنشاد

1 تقدّم هذا الخبر في الجزء الأوّل ، ص 91 .

والاستنشاد للشعر ، ولكنّي أحسبُه للفخر بصاحبه .

[وفوده على حمزة بن الزُّبير]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال : استأذن عُبيدُ الله بن قيس الرقيّات على حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ؛ فقالت لـه الجاريـةُ : ليس عليه إذنٌ الآنَ ؛ فقال : أمَا إنه لو علم بمكاني ما احتجب عنّي ! قال : فدخلتِ الجاريةُ على حمزةَ فأخبرتْه ، فقال : ينبغي أن يكونَ هذا ابنَ قيس الرقيّات ، ائذَني له ، فأذِنتْ له ؛ فقال : مَرْحباً بك يا ابنَ قيس ، هل من حاجةٍ نزَعتْ بك ؟ قال : نعم ، زوَّجتُ بنينَ لي ثلاثةً ببناتِ أخ لي ثلاثٍ ، وزوّجتُ ثلاثة من بني أخ لي بثلاثِ بناتٍ لي ؛ قال : فلبنيكَ الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ ، ولبني أخيك الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ ، ولبناتك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ ثلثُمائةِ دينارٍ ، ولبنات أخيك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ ثلثُمائةِ دينارٍ ، هل بقيَتْ لك من حاجة يا ابنَ قيس ؟ قال : لا واللهِ إلاّ مؤونة السفر ؛ فأمر له بما يُصلِحُه لسفره حتى رِقاعِ أخْفافِ الإبلِ .

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيّات وغُنّي فيه

صوت

[من الكامل]

أمسَتْ رُقيّـة دونهـا البِشْرُ   فالرَّقــةُ السَّوْداء فالغَمْرُ[1]

غنّاه يونس ثقيلاً أوّلَ بالوسطى ، وفيه لعَزّةَ المَيْلاء ثاني ثقيلٍ .

ومنها : [من الوافر]

صوت[2]

رُقَــيّ بعَيْشكم لا تَهْجُرينا   ومَنّينا المُنــى ثـم امطُلينا
عِدِينا في غَدٍ مـا شِئتِ إنّا   نُحِبُّ وإن مَطَلْتِ الواعدِينا
أغرَّكِ أنّنــي لا صبرَ عندي   على هَجْـرٍ وأنَّكِ تَصْبِرينا
ويومَ تَبِعتُكم وتركتُ أهلي   حَنِينَ العَـوْدِ يَتَّبعُ القَرِينا[3]

---

1 السَّوداء في ل : البيضاء . والبشر : جبل . الرقّة السوداء : قرية ذات بساتين كثيرة ، والرقة البيضاء : مدينة على الفرات . الغمر : علم على مواضع متعدّدة والبيت في ديوان ابن قيس الرقيات : 182 .

2 ديوانه : 137 .

3 العود : الجمل المسنّ .

عَروضه من الوافر . غنّاه ابنُ مُحرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى . ومنها[1] :

صوت

[من مجزوء الوافر]

رُقيّةُ تيَّمَتْ قلبي فواكَبِدي من الحبِّ
نهاني إخوتي عنها وما بالقلبِ من عَتْبِ[2]

غنّاه مالكٌ ثاني ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وقد ذكرتْ بَذْلُ أنّ فيه لابن المكّي لحناً .

[فضّل ابنُ أبي عتيق شعره على شعر كثير]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو بن الزبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله قال : أنْشد كُثيِّرٌ ابنَ أبي عَتيق كلمَته التي يقول فيها : [من الطويل]

ولستُ بِراضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أُرضى لـه بقليلِ

فقال له : هذا كلامُ مكافىءٍ ليس بعاشقٍ ، القُرشيان أقنعُ وأَصدقُ منك : ابنُ أبي ربيعة حيث يقول : [من الخفيف]

ليتَ حَظّي كَلَحْظَةِ العَينِ منها وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنّا

وقولُه أيضاً[3] : [من الخفيف]

فعِدِي نائلاً وإن لم تُنيلي إنّه يُقنِعُ المحبَّ الرجاءُ

وابنُ قيس الرقيّات حيث يقول : [من الوافر]

رُقَيَّ بعيشكم لا تَهجُرينا ومَنّينا المُنَى ثم امطُلينا
عِدِينا في غَدٍ ما شئتِ إنّا نُحِبّ وإن مَطلتِ الواعِدينا
فإمّا تُنجِزي عِدَتِي وإمّا نَعيشُ بما نُؤمّل منك حِينا

قال : فذكرتُ ذلك لأبي السائب المخزوميّ ومعه ابنُ المولى ، فقال : صدق ابن أبي عتيق وفّقه الله ، ألا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 169 .
2 الديوان : «وما للقلب من ذنب» .
3 ديوان عمر : 15 .

وأبكي فلا ليلى بَكَتْ من صبابةٍ لِباكٍ ولا ليلى لِذي الودّ تَبذُلُ
وأخنَعُ بالعُتْبى إذا كنتُ مذنباً وإن أذنبَتْ كنتُ الذي أتنصَّلُ

[يشبب برقيّة بنت عبد الواحد في الطواف]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال سمعت عبيدةَ بنَ أشْعب بن جُبَير قال حدَّثني أبي قال حدّثني فِنْدٌ مولى عائشةَ بنت سعد بن أبي وَقّاص قال : حجَّتْ رُقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد العامريّة ، فكنتُ آتيها وأحدِّثُها فتَسْتظرِف حديثي وتَضحكُ منّي ؛ فطافتْ ليلةً بالبيت ثم أهوَتْ لِتستلمَ الركنَ الأسودَ وقبّلته ، وقد طفتُ مع عُبَيد الله بن قيس الرقيّات ، فصادف فراغُنا فراغَها ولم أشعرُ بها ، فأهوى ابنُ قيس يستلمُ الركنَ الأسودَ ويُقبّله ، فصادفها قد سبقتْ إليه ، فنفَحَتْه برُدْنِها فارتدَعَ[1] ؛ وقال لي : مَن هذه ؟ فقلتُ : أَوَ لا تعرفُها ! هذه رقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد ؛ فعند ذلك قال[2] : [من الخفيف]

مَن عذِيري ممّن يَضِنُّ بمبذو لِ لغيري عـليّ عنـد الطّوافِ

يريد أنّها تُقبِّل الحجرَ الأسودَ وتَضِنّ عنه بقبلتها . وقال في ذلك[3] : [من المديد]

حدِّثوني هـل على رجلٍ عاشقٍ في قُبْلـةٍ حَـرَجُ

وفيه غِناءٌ يُنسب بعد هذا الخبر . قال : ولمّا نفَحتْه برُدْنها فاحت منه رائحةُ المسك حتى عَجِب مَنْ في المسجد ، وكأنّما فُتِحتْ بين أهل المسجد لَطِيمةُ عَطّارٍ ، فسبَّح مَنْ حولَ البيت . قال : وقال فِنْدٌ : فقلتُ بعد انصرافها لابن قيسٍ : هل وجدْتَ رائحةَ رُدْنها لشيءٍ طيباً ؟ فعند ذلك قال أبياتَه التي يقول فيها[4] : [من مجزوء الرمل]

صوت

سائـلاً فِنْـداً خليـلي كيـف أَرْدانُ رُقَيّـهْ[5]
إنّـي عُلِّقت خَـوْداً ذاتَ دَلٍّ بَختَرِيّـهْ[6]

غنّاه فِندٌ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش .

---

1 نفحته : أصابته . وارتدع : أصبح به أثر الطيب .
2 ديوان ابن قيس الرقيات : 36 .
3 ديوانه : 163 .
4 ديوانه : 170 .
5 أردان في الديوان : أرواح .
6 عُلّقت في الديوان : بُدلت . بخترية : متبخترة في مشيها .

نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدّم وخبره
وهو أيضاً ممّا قاله ابن قيس في رقيّة

صوت [من المديد]

حَبَّ ذاكَ الدَّلُّ والغُنُجُ والتي في عينهـا دَعَجُ
والتي إن حَدّثتْ كذبتْ والتي في وعدها خَلَجُ[1]
وتَرى في البيت صورتَها مِثْلَما في البِيعَة السُّرُجُ[2]
خبِّروني هـل على رجلٍ عاشقٍ في قُبلـةٍ حَرَجُ

الشعر لابن قيس الرقيّات يقوله في رقيّة بنت عبد الواحد . والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن مُحْرِز من رواية عمرو بن بانة ، وقيل : بل هو هذا .

[ابن أبي عتيق يفضله على كثير مرّة أُخرى]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني سليمان ابن عَيّاش السَّعْديّ قال حدّثني سائبٌ راويةُ كثيِّر قال : كان كثيِّر مديوناً ، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة : اذهب بنا إلى ابن أبي عَتيق نتحدّث عنده ؛ قال : فذهبت إليه معه ؛ فاستنشده ابنُ أبي عَتيق ، فأنشده قولَه : [من الطويل]

أبائنةٌ سُعْدَى نعـم ستَبينُ

حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وأخلفْنَ ميعادي وخُنَّ أمانتي وليس لمـن خان الأمانةَ دِينُ

فقال له ابن أبي عَتيق : أعَلى الأمانة تَبِعتَها ! فانكفّ واستغضب نفسَه وصاح وقال : [من الطويل]

كذبْنَ صفاءَ الودّ يـوم مَحِلّه وأنكدْنَني من وعدهنّ ديونُ[3]

فقال له ابن أبي عَتيق : وَيْلَك ! هذا أملح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ ، سيِّدُك ابن قيس الرقيّات كان أعلمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنّ ؛ أما سمعتَ قوله : [من المديد]

---

1 وعدها في الديوان : وصلها . والخلج : عدم الثبات .
2 صورتها في الديوان : سنتها .
3 وأنكدنني في ل : وأدركني .

حَبَّ ذاكَ الدلُّ والغُنُجُ والتي في عينها دَعَجُ
والتي إن حَدّثتْ كذبتْ والتي في وعدها خَلَجُ
وتَرى في البيت صورتَها مثلما في البِيعَة السُّرُجُ
خبِّروني هل على رجلٍ عاشقٍ في قُبلةٍ حَرَجُ

قال : فسكن كُثَيِّر واستحلى ذلك ، وقال : لا ! إن شاء الله ؛ فضحك ابن أَبي عَتيق حتى ذُهِبَ به .

[ثناء أبي السائب على شعره]

أَخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن غُرَير الزُّهْريّ قال : أَنشدتُ أَبا السائب المخزوميّ قولَ ابن قيس الرقيّات[1] : [من الخفيف]

صوت

قد أَتانا من آل سُعْدَى رسولُ حَبَّذا ما يقول لي وأَقولُ
مِنْ فتاةٍ كأَنّها قَرْنُ شمسٍ ضاق عنها دَمالجٌ وحُجُولُ
حَبَّذا ليلتي بمِزَّة كلبٍ غال عنّي بها الكَوانينَ غُولُ[2]

فقال لي : يا ابنَ الأَمير ما تُراه كان يقول وتقول ؟ فقلت : [من الطويل]

حديثاً كما يسري النَّدى لو سمعتَه شفاك مِنَ ادواءٍ كثيرٍ وأَسْقَما

فطرِب وقال : بأَبي أَنت وأُمِّي ! ما زلتُ أُحبّك ، ولقد أُضعِف حبِّي إيّاك حين تفهم عنّي هذا الفهم .

غنّى في هذه الأَبيات ابن سُرَيج ثقيلاً أَوّلَ بالوسطى . ولمالكٍ فيها ثاني ثقيلٍ ، كلاهما عن الهِشاميّ .

[علم أشعب بالشعر]

أَخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلانيّ النحويّ صهرُ المبرّد قال حدَّثني طلحة بن عبد الله أَبو إسحاق الطَّلْحيّ قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال : أَنشَد أَشْعبُ بن جُبَير أَبي أَبياتَ عُبيد الله بن قيس الرقيّات التي يقول فيها : [من الخفيف]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 144 .
2 المزة : في غوطة دمشق .

قد أَتانا من آل سُعْدَى رسولُ حَبّـذا مـا يقـول لي وأَقولُ

فقال أَبي : وَيْحَك يا أَشعب ؛ ما تُراه قال وقالت له ؟ فقال : [من الطويل]

حديثاً لَوَ ٱنَّ اللحمَ يَصْلَى بحَرّه غَريضاً أَتى أَصحابَه وهو مُنْضَجُ

ذكَر شوقاً ووصف تَوْقاً ، ووعَد ووفى ، والتقيا بمِزّة كَلْب فشفى واشتفى ، فذلك قوله : [من الخفيف]

حَبّـذا ليلتـي بمِـزّة كلبٍ غال عنّي بها الكَوانينَ غُولُ

فقال له : إنّك لعلاّمة بهذه الأَحوال ؛ قال أَجلْ ؛ بأَبي أَنت ! فاسأَل عالِماً عن علمه .

وممّا في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيّات[1]

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يا قلبُ وَيْحَك لا تذهبْ بك الحُرَقُ إنّ الأُلَى كنـتَ تهواهم قـد انطلقُوا

وذُكر أنّه لوَضّاح ، وقد أُخرج في موضع آخر .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 187 وديوان وضاح اليمن (صادر) : 65 .

[66] ـ ذكر مالك بن أبي السَّمْح
وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو مالك بن أبي السَّمْح . واسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثُعَل ثم أحدُ بني عمرو بن دَرْماء . ويكنى أبا الوليد . وأمّه قرشيّة من بني مخزوم ، وقيل : بل أمّ أبيه منهم ، وهو الصحيح .

وقال ابن الكلبيّ : هو مالك بن أبي السَّمْح بن سليمان بن أَوْس بن سِمَاك بن سعد بن أوس بن عمرو بن دَرْماء أحد بني ثُعَل . وأُمّ أبيه بنت مُدْرِك بن عوف بن عُبَيد بن عمرو بن مخزوم . وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتيماً في حِجْره أوصى به أبوه إليه ، فكان ابن جعفر يكفُله ويَمُونه ، وأدخله وسائرَ إخوته في دعوة بني هاشم ، فهم معهم إلى اليوم . وكان أحولَ طويلاً أحْنى . قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسينَ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب في قوله فيه : [من المنسرح]

أبيضُ كالبدر أو كما يَلْمَع الـ ... ـبارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

فقال له الوليد : بل أنت . [من المنسرح]

أحولُ كالقردِ أو كما يَرْقُب الـ ... ـسارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

[أساتذته في الغناء]

وأخذ الغناءَ عن جَميلة ومَعْبد وعُمَر حتى أدرك الدولة العبّاسيَة ، وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن عليّ ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .

[كان أبوه منقطعاً إلى ابن جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمّاد : قرأت على أبي : أنّ السبب في انقطاع أبي السَّمْح إلى ابن جعفر أنّ السَّنةَ أقْحَمَتْ طيِّئاً ، فكان ثَعْلبة جدُّ مالك أحدَهم ، فوُلد أبو السَّمْح بالمدينة ؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشميّ ، وكان سببُ ذلك مودّةً كانت بينه وبين آل شُعَيب السَّهْميين ؛ فلمّا تزوّج حسين عابِدة بنت شُعَيب السَّهْميّة خاصمهم بسببها ؛ وكان جدّ مالك معه وعوناً له مع من عاونه ، فنَشِبَتْ بذلك حالٌ بينه وبين بني هاشم ، حتى وُلد مالك في دُورهم ، فصارت دعْوَتُه فيهم .

[أدرك الدولة العبّاسية]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي : وعُمِّر مالك حتى أدرك دولةَ بني العبّاس ، وقَدِم على سليمان بن عليّ بالبصرة ، فمَتّ إليه بخؤولته في قريش ، ودِعْوته لبني هاشم ، وانقطاعِه إلى ابن جعفر ، فعجّل له سليمانُ صلتَه وكساه وكتب له بأوْساقٍ من تمر .

[لازم باب حمزة بن الزبير وأخذ الغناء عن معبد]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني مَيْمون بن هارون قال حدّثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الوَرْدانيّ قال : كان مالك بن أبي السَّمْح المغنّي من طيىء ، فأصابتهم حَطْمةٌ[1] في بلادهم بالجبلين ، فقَدِمتْ به أُمّه وبإخوةٍ له وأخَواتٍ أيتامٍ لا شيء لهم ؛ فكان يسأل الناسَ على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير ، وكان معبدٌ منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كلّ يوم يغنّيه ؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه ، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يَرِيمُ موضعَه ، فينصرف إلى أُمّه ولم يكتسب شيئاً ، فتضربه ، وهو مع ذلك يترنّم بألحان معبد ويؤدّيها دَوْراً دوراً في مواضع صَيْحاته وإسجاحاته ونَبَراته نَغَماً بغير لفظ ولا روايةِ[2] شيء من الشعر ؛ وجعل حمزةُ كلّما غدا وراح رآه ملازماً لبابه ؛ فقال لغلامه يوماً : أدخِل هذا الغلامَ الأعرابيّ إليّ ؛ فأدخله ؛ فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا غلام من طيىء أصابتْنا حَطْمةٌ بالجبلين فحطَّتْنا إليكم ومعي أُمٌّ لي وإخوةٌ ، وإنّي لزمت بابَك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني ، فلزمتُ بابَك من أجله ؛ قال : فهل تعرف منه شيئاً ؟ قال : أعرف لحنَه كلَّه ولا أعرف الشعرَ ؛ فقال : إن كنتَ صادقاً إنّك لفَهِمٌ . ودعا بمَعْبَد فأمره أن يغنّي صوتاً فغنّاه ، ثم قال لمالك . هل تستطيع أن تقوله ؟ قال نعم ؛ قال : هاته ؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نَغَمَه بغير شعر ، يؤدّي مَدّاتِه وليّاته وعَطَفاته ونَبَراته وتعليقاتِه لا يَخرِم حرفاً ؛ فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرِّجه ، فلَيكوننّ له شأن ؛ قال معبد : ولِمَ أفعل ذلك ؟ قال : لتكونَ محاسنُه منسوبة إليك ، وإلاّ عدَل إلى غيرك فكانت محاسنُه منسوبة إليه ؛ فقال : صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتَني به . ثم قال حمزة لمالكٍ : كيف وجدتَ ملازمتَك لبابنا ؟ قال : أرأيتَ لو قلتُ فيك غيرَ الذي أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك ؟ قال لا ؛ قال : وكذلك لا يسرُّك أن تُحمدَ بما لم تفعل ؛ قال نعم ؛ قال : فوالله ما شَبِعتُ على بابك شَبْعةً قطُّ ، ولا انقلبتُ منه إلى أهلي بخير ؛ فأمر له ولأُمّه ولإخوته بمنزل ، وأجْرى لهم رزقاً وكسوة ، وأمر لهم بخادم يخدُمهم وعبدٍ يسقيهم الماء ، وأجلس مالكاً معه في مجالسه ، وأمر معبداً أن يطارحه ، فلم

---

1 الحطمة : السنة المجدبة .

2 ل : ولا روى شيئاً .

يَنْشَبْ أن مهَر وحذَق ، وكان ذلك بعقب مقتل هُدْبُةَ بن خَشْرَم ؛ فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زِيادةَ الذي قتله هُدْبةُ بن خَشْرَم بشعر أَخي زِيادة : [من الطويل]

أَبعد الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةَ رَمْسٍ ذي تراب وجَنْدلِ[1]
أُذَكَّــرُ بالبُقْيــا على مــن أَصابني ... وبُقْياي أَنِّي جاهــدٌ غيرُ مؤْتَلي
فلا يَدْعُني قومي لزيد بن مالكٍ ... لئــن لم أُعجِّلْ ضربةً أَو أُعجِّلِ
وإلاّ أَنَلْ ثأرِي مــن اليوم أَو غدٍ ... بنــي عمِّنا فالدهــرُ ذو مُتطَوَّلِ
أَنَخْتُمْ علينا كَلْكَلَ الحــرب مرّةً ... فنحن مُنِيخُوهــا عليكــم بكَلْكَلِ

فغنّى في هذا الشعر لَحْنَيْن ؛ أَحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورقّقه وأَصلحه وزاد فيه ، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه ؛ ثم دخل على حمزة فقال له : أَيّها الأَمير ، إنّي قد صنعت غناءً في شعر سمعتُ بعضَ أَهل المدينة يُنشده وقد أَعجبني ، فإن أَذِن الأَميرُ غنّيته فيه ؛ قال : هاته ، فغنّاه اللحنَ الذي نحا فيه نحو معبد ؛ فطَرِب حمزة وقال له : أحسنتَ يا غلام ، هذا الغناء غناء معبد وطريقتُه ؛ فقال : لا تَعْجَل أَيّها الأَمير واسمع منّي شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقتِه ؛ قال : هاتِ ، فغنّاه اللحنَ الذي تشبَّه فيه بنوح المرأة ، فطرِب حمزة حتى أَلقى عليه حُلَّة كانت عليه قيمتها مائتا دينار ؛ ودخل معبد فرأى حُلّة حَمْزة عليه فأَنكرها ؛ وعلم حمزةُ بذلك فأَخبر معبداً بالسبب ، وأَمر مالكاً فغنّاه الصوتين ؛ فغضِب معبد لمّا سمع الصوت الأَوّل وقال : قد كرهتُ أَن آخذ هذا الغلامَ فيتعلَّمَ غنائي فيدّعيَه لنفسه ؛ فقال له حمزة : لا تَعْجَل واسمع غناءً صَنَعه ليس من شأنك ولا غنائك ، وأَمره أَن يغنّي الصوت الآخر فغنّاه ؛ فأَطرق معبد ؛ فقال له حمزة : والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأَيّام ، وكلّما كبِر وزاد شِخْتَ أنت ونقصتَ ، فلأن يكون منسوباً إليك أَجملُ ؛ فقال له معبد وهو منكسر : صدق الأَميرُ . فأَمر حمزةُ لمعبدٍ بخِلْعةٍ من ثيابه وجائزةٍ حتى سكَن وطابت نفسُه ؛ فقام مالك على رجله فقبَّل رأس معبد ، وقال له : يا أَبا عَبَّاد أَساءك ما سمعتَ منّي ؟ والله لا أُغنّي لنفسي شيئاً أَبداً ما دمتَ حيّا ، وإن غلبتْني نفسي فغنّيتُ في شعر استحسنتُه لا نسبتُه إلاّ إليك ، فطِبْ نفساً وارضَ عنّي ؛ فقال له معبد : أَوَ تفعل هذا وتَفي به ؟ قال : إي والله وأَزيد ؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنّى صوتاً وسئل عنه قال : هذا لمعبد ، ما غنّيت لنفسي شيئاً قطّ ، وإنّما آخُذُ غناء معبد فأَنقله إلى الأَشعار وأَحسِّنه وأَزيد فيه وأَنقُص منه .

---

1 النعف : ما انحدَر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل .

[كان يغنّي ليلة الجمعة]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا الحسن بن عُتْبة اللهبيّ عن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عُبيد الله أحدِ بني الحارث بن عبد المطّلب قال : خرجتُ من مكّة أريد العراق ، فحملتُ معي مالكَ بن أبي السَّمْح من المدينة ، وذلك في أيّام أبي العبّاس السّفاح ، فكان إذا كانت عَشيّةُ الخميس قال لنا : يا معشر الرُّفْقة إنّ الليلة ليلةُ الجمعة وأنا أعلم أنّكم تسألوني الغناءَ ، وعليّ وعليّ إن غنّيتُ ليلة الجمعة ، فإن أردتم شيئاً فالساعةَ اقترحوا ما أحببتم ؛ فنسأله فيغنّينا ، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب[1] طرِب ثم صاح : الحريق في دار شَلْمَغان ، ثم يمرّ في الغناء فما يكون في ليلة أكثَر غناءً منه في تلك الليلة بعد الأَيمان المغلَّظة .

[مالك بن أبي السَّمْح وسليمان بن علي]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سليمان بن عليّ يسمع من مالك بن أبي السَّمْح بالسَّراةِ ، لأنّه كان إذا قدِم الشام على الوليد بن يزيد ، عدَل إليهم في بَدْأته وعَوْدته لانقطاعه إليهم ، فيَبَرُّونه ويَصِلُونه ؛ فلمّا أفْضى إليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالكاً على باب ابنه جعفر ؛ فقال له : يا بنيّ ، لقد رأيتُ ببابكَ أشبَه الناس بمالكٍ ؛ فقال له جعفر : ومَنْ مالكٌ ؟ ، يُوهمه أنّه لا يعرفه ، فتغافل عنه سليمانُ لئلاّ ينبهه عليه فيطلبه ، وتوهّم أنّه لم يعرفه ولا سمع غناءه .

قال حمّاد : وحدَّثني أبي عن جدّي إبراهيم أنّه أخبره أنه رأى مالكاً بالبصرة على باب جعفر بن سليمان ، أوْ أخيه محمد ، ولم يعرفه ، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة ؛ قال : فمالي حسرةٌ مثل حسرتي بأنّي ما سمعتُ غناءه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال : كان مالك بن أبي السَّمْح يتيماً في حِجْر عبد الله بن جعفر ، وكان أبوه أبو السَّمْح صار إلى عبد الله بن جعفر وانقطع إليه ، فلمّا احتُضر أوْصى بمالكٍ إليه ، فكفَله وعاله وربّاه ، وأدخله في دِعْوة بني هاشم ، فهو فيهم إلى اليوم . ثم خطب حسينُ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس العابدةَ بنت شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، فمنعه بعضُ أهلها منها وخطبَها لنفسه ، فعاون مالكٌ حُسَيناً ، وكانت العابدةُ تستنصحه ، وكانت بين أبيها شعيب وبينه مودّةٌ ، فأجابت حُسَيناً وتزوّجته ، فانقطع مالكٌ إلى حسين ؛ فلمّا أفضى الأمرُ إلى بني هاشم قدِم البصرةَ على سليمان بن عليّ ، فلمّا دخل إليه مَتَّ بصحبته عبدَ الله بن جعفر ودعْوتِه في بني هاشم

---

1 ل : تغرب .

وانقطاعِه إلى حسين ؛ فقال له سليمان : أنا عارفٌ بكلّ ما قلته يا مالك ، ولكنّك كما تعلم ، وأخاف أن تُفسد عليّ أولادي ، وأنا واصلُك ومُعطيك ما تريد وجاعلٌ لك شيئاً أبعث به إليك ما دمتَ حيّاً في كلّ عام ، على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك ؛ قال : أفعلُ جعلني الله فِداك ؛ فأمر له بجائزة وكُسْوة وحمله وزوّده إلى المدينة .

[مالك بن أبي السَّمح في كبره]

أخبرني عمّي الحسن بن محمّد قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون بن جَناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكُوفيّ عمّن أخبره قال : دخلتُ المدينةَ حاجّاً فدخلت الحمّام ، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحبُ الحمام فغسله ونظّفه ، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض ؛ فلمّا جلس خرجتُ إلى صاحب الحمّام فقلت له : من هذا الشيخ ؟ قال : هذا مالك بن أبي السمح المغنّى ، فدخلتُ عليه فقلت له : يا عَمّاه ، مَنْ أحسنُ الناسِ غِناءً ؟ فقال : يا ابن أخي ، «على الخَبير سَقَطْتَ»[1] ، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنُهم صوتاً .

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوبَ المَدينيّ قال حدّثني أبو يحيى العِبادِيّ عن إسحاق قال : كان فتيةٌ من قريش جلوساً في مجلس ، فمرّ بهم مالك بن أبي السَّمْح ، فقال بعضهم لبعض : لو سألْنا مالكاً فغنّانا صوتاً ! فقام إليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم ، فعدَل إليهم ؛ فسألوه أن يغنّيهم ؛ فقال : نعمْ واللهِ بالحُبِّ والكرامةِ ، ثم اندفع يغنّي ، وأوقع بالمِقْرَعة على قَرَبُوس سَرْجه ، فرفع صوتَه فلم يقدِر ، ثم خفَضه فلم يقدر ، فجعل يبكي ويقول : واشباباه .

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه عن جدّه أنّه كان في هؤلاء الفِتْية الذين كانوا سألوه الغناءَ ؛ وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق .

[مالك بن أبي السَّمْح وعجاجة المخنث]

أخبرني عمِّي قال حدّثني أبو أيّوبَ المَدِينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه قال حدّثني صالح بن أبي الصَّقْر قال : قدِم مالك بن أبي السَّمْح المغنّي البصرةَ ، فلقيه عَجاجةُ المخنَّثُ ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنّثين ، وقال له : فَدَيْتُكَ يا أبا الوليد ، إنّي كنتُ أحبّ أن ألقاك وأنْ أعرض عليك صوتاً من غنائك أخذتُه عن بعض المخنّثين ، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندي فعلتَ ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنّثُ جَرْدَ[2] قطيفةٍ كانت عنده فجلس ، ثم أخذ عَجاجةُ الدفَّ فغنّى : [من الخفيف]

---

1 مجمع الأمثال للميداني 2 : 24 وجمهرة العسكري 2 : 32 والمستقصى للزمخشري 2 : 164 .

2 الجرد : الخلق .

حَـبٌ إنّ الخمارَ كان عليها شاهداً يوم زارتِ الجَوْشَنِيَّه[1]
قد سَبَتْه بِدَلّهــا حـين جاءت تَتَهــادَى في مِشْيــةٍ بَخْتَرِيَّه

فجعل مالك يقول له : وَيْلَك ! مَنْ قال هذا ؟ لعنه اللهُ ؛ وَيْحَكَ مَن غنّى هذا ؟ قبّحه الله ، وَيْحَكَ مَنْ روى عنّي هذا ؟ أَخزاه اللهُ ، ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عَجاجةَ .

[مالك ومعبد وابن عائشة عند يزيد بن عبد الملك]

أَخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أَخبرني حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن ابن جَناح قال حدَّثني مصعب بن عثمان قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عُرْوة بن الزُّبير قال حدّثني مالك بن أَبي السَّمْح قال : قَدِمنا على يزيدَ بن عبد الملك أَوّلَ قُدومنا عليه مع معبد وابنِ عائشةَ ، فغنّيناه ليلةً فأَطربْناه ، فأَمر لكلّ واحد منّا بأَلف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبه ، فغدوْنا عليه بالكتاب ؛ فلمّا رآه أَنكره وقال : أيُؤمر لمثلكم بأُلف دينار ؟ لا والله ولا حُبّاً ولا كرامةَ ! . فرجعنا إلى يزيدَ فأَخبرناه بمقالته وكررنا عليه ؛ فقال : كأنّه استنكر[2] ذلك ؟ فقلنا : نعـم ؛ فقـال : مثلـه والله يستنكره[3] ودعاه ؛ فلمّا حضر ورآنا عنده استأمـره فيها ، فأَطرق مُسْتَحِياً ؛ وقال له : إنّي قد قلتها لهم ولا يَجمُلُ أَن أَرجع عمّا قلت ، ولكن قطِّعها عليهم . قال مالك : فمات والله يزيد ، وقد بقي لكلّ واحد منّا أَربعُمائة دينار .

[سليمان بن علي يلوم ولديه على استماعهما للغناء]

أَخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال قرأت على أَبي ، وحدَّثنا الحسن بن محمد قال : لمّا انهزم عبد الله بن عليّ من أَبي مسلم قَدِم البصرةَ ، وكان عند سليمان بن عليّ ، وكان مالك بن أَبي السمح يومئذ بها ، فاستزاره جعفر ومحمّد فزارهما ، وغنّاهما مالك في جَوْف الليل في دار سليمانَ بن عليّ ، وبلغ الخبرُ سليمانَ ، فدخل عليهم فعذَل جعفراً ومحمداً ، وقال : نحن نتوقّعُ الطامّةَ الكبرى وأَنتم تسمعون الغناء ! فقالا : أَلا تجلس وتسمع ! ففعل ، فغنّاهم مالك : [من البسيط]

صوت

ما كنتُ أَوّلَ مَنْ خاسَ الزمانُ به قد كنتُ ذا نَجْدةٍ أُخْشى وذا باسِ
أَبْلِـغْ أَبـا معبـدٍ عنّي وإخوَتَه شوقي إليهم وأَحزاني ووَسْواسي

فخرج وتركهم ولم يُنكِر عليهم شيئاً .

1 الجوشنية : نسبة إلى جوشن بطن من غطفان .
2 ل : استكثر .
3 ل : يستكثره .

[مدحه الحسين بن عبد الله]

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس : [من المنسرح]

صوت

لا عيشَ إلاّ بمالكِ بن أبي السَّـ ـمح فـلا تَلْحَنـي ولا تَلُـمِ
أبيضُ كالبدرِ أو كما يَلْمَع الـ ـبارقُ في حالـكٍ من الظُّلَمِ
مَنْ ليس يَعصيكَ إن رَشَدتَ ولا يَهتِكُ حـقَّ الإسلام والحُرَم
يُصيبُ مِن لَـذّة الكريم ولا يَجهَلُ آيَ الترخيص في اللَّمَم
يـا رُبَّ ليلٍ لنا كحاشية الـ ـبُردِ ويـومٍ كـذاكَ لم يَدُم
نَعمتُ فيه ومالكَ بنَ أبي السـ ـمح الكريمَ الأخلاقِ والشِّيَم

غنّاه مالكٌ في الأوّل والثاني والثالث رملاً بالبنصر في مجراها ، فيقال : إنّ مالكاً قال له : لا والله ولا إن غَوَيتَ أيضاً أعصيك ؛ ذكر ذلك الزبير عن عمّه مصعب . ويقال : إنّه قال هذه المقالةَ للوليد بن يزيدَ ، فُسرّ بذلك وأجزل صلتَه .

[غنّى الوليد بن يزيد حتى طرب]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال حدَّثني أبي قال قال ابن الكلبيّ : قال الوليد بن يزيد لمَعْبد قد آذَتْني وَلْوَلَتُكَ هذه ، وقال لابن عائشة : قد آذاني استهلالُك هذا ، فانظُرا لي رجلاً يكون مذهبه متوسّطاً بين مذهَبيْكما ؛ فقالا له : مالكُ بن أبي السّمح ؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائر مُغنّي الحجاز المذكورين ؛ فلمّا قَدِم مالكٌ على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنّين نزل على الغَمْر بن يزيد ، فأدخله على الوليد فغنّاه فلم يُعجبه ؛ فلمّا انصرف الغَمْر قال له : إنّ أمير المؤمنين لم يُعجبه شيءٌ من غنائك ؛ فقال له : جعلني الله فداك ! اطلُب لي الإذنَ عليه مرّةً واحدة ، فإن أعجبه شيء ممّا أُغنّيه وإلاّ انصرفتُ إلى بلادي . فلمّا جلس الوليدُ في مجلس اللهو ذكره الغَمْر وطلب له الإذنَ ، وقال له : إنّه هابك فَحصر ؛ قال : فأْذَنْ له ، فبعث إليه ؛ فأمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُراحيّات صِرْفا ؛ فخرج حتى دخل عليه يَخْطِرُ في مِشْيته . وقال غير ابن الكلْبيّ : إنّه قال لفرّاش للوليد : اسْقِني عُسّاً من شراب ولك دينار ، فسقاه إيّاه وأعطاه الدينار ؛ ثم قال له : زِدْني آخرَ فأزيدَك آخرَ ، ففعل حتى شرِب ثلاثة ، ثم دخل على الوليد يخطِر في مِشيته ؛ فلمّا بلغ بابَ المجلس وقف ولم يسلم ، وأخذ بحَلْقةِ الباب فقَعْقَعَها ، ثم رفع صوتَه فغنّى : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إلاّ بمالكِ بن أبي السـ ـمْح فـلا تَلْحَنِـي ولا تَلُـمِ

فطَرِب الوليد ، ورفع يديه ، حتى بدا إبطاه إليه مادّاً لهما ، وقام فاعتنقه قائماً ، وقال له : ادنُ يا ابن أخي ، فدنا حتى اعتنقه ؛ ثم أخذ في صوته ذلك ، فلم يزالوا فيه أيّاماً ، وأجزل صلته حين أراد الانصرافَ . قال : ولمّا أتى مالكٌ على قوله : [من المنسرح]

أَبْيضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ الـ ـبارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

قال له الوليد : [من المنسرح]

أَحْولُ كالقِرْد أو كما يَرْقُبُ السـ ـارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

[كان يأخذ أغاني غيره ويغيرها]

وكان مالك طويلاً أجْنَى[1] فيه حَوَلٌ . وقد قال قومٌ : إنّ مالكاً لم يصنع لحناً قطّ غيرَ هذا ، أعني : «لا عيشَ إلاّ بمالك بن أبي السَّمْح» ، وإنّه كان يأخذ غناءَ الناسِ فيزيدُ فيه وينقُصُ منه وينسبُه الناس إليه ، وكان إسحاق يُنكر ذلك غايةَ الإنكار ، ويقول : غناءُ مالكٍ كلّه مَذْهبٌ واحد لا تَبايُن فيه ، ولو كان كما يقول الناسِ لاختلف غِناؤه ، وإنّما كان إذا غَنّى ألحانَ مَعْبَدٍ الطِّوالَ خفَّفها وحَذَف بعض نَغَمها ، وقال : أطاله مَعْبَد ومطّطَه ، وحذفتُه أنا وحسّنته ، فأمّا ألاّ يكونَ صنع شيئاً فلا .

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حَماد : قرأتُ على أبي وذكر بكّار بن النبال : أنّ الوليد قال لمالك : هل تصنع الغناء ؟ قال : لا ، ولكنّي أزيدُ فيه وأنقُص منه ؛ فقال له : فأنت المُحَلّي إذاً .

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتبة اللّهبيّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشميّ الحارثي الذي يقال له سَنابِل ، وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

فإن هي ضَنَّتْ عنكَ أو حِيل دونَها فدَعْها وقُلْ في ابن الكرامِ سَنابِلِ

قال : خرجتُ من مكّة أريد أبا العبّاس أميرَ المؤمنين ، فمررت على المدينة فحملت معي مالكَ بن أبي السَّمْح ، فسألته يوماً عن بعض ما يُنْسَب إليه من الغناء ؛ فقال : يا أبا الفضل ، عليه وعليه إن كان غنّى صوتاً قطّ ، ولكنّي آخذُه وأحسِّنه وأهيّئه وأُطيّبه ، فأُصيب ويخطئون فيُنسَبُ إليّ . قال إسحاق : وليس الأمرُ هكذا ، لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة ، وصنعته تَجْري في أسلوب واحد ، ويُشبِه بعضُها بعضاً ، ولو كان كما قيل لاختَلَف غناؤه . وقد قيل : إنّ مالكاً كان يَنتفِي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكرون عليه ، فكان يَتَبَذَّل به عند مَن يراه ، ويُنكره عند مَن يذُمّه ، لمحلّه في بني هاشم .

1 الأجنى : الأجنأ وهو الذي أشرف كاهله على صدره . والأحنى : الأحدب .

وأَخبرني بخبر سَنابِل هذا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني حمزة بن عُتبة اللّهبيّ عن سَنابل ، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أَنّ الحسن بن عتبة حدّثه وحكاه عن حمزةَ بن عُتْبة أُخيه .

[أخذ صوتاً من حمّار]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه عن هشام بن الكلبيّ ؛ عن أَبيه عن محمد بن يَزيد اللَّيْثيّ قال : سُئِل مالك بن أَبي السَّمْح عن صنعته في : [من الخفيف]

لاحَ بالدَّيْر مـن أُمامةَ نارُ

فقال : أخذتُه والله من خَرْبَنْده[1] بالشام يَسُوق أَحْمِرَةً ، فكان يترنَّم بهذا اللَّحن بلا كلام ، فأَخذتُه فكسوتُه هذا الشعر .

[أخذ صوتاً من حائك]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه قال : نزل مالكُ بن أَبي السَّمْح عند رجل بمكّةَ مخزوميٍّ ، وكان له غلامٌ حائك ، فأَتاه آتٍ فقال : أَما سَمِعتَ غناء غلامك الحائك ؟ قال : لا ! أَوَ يُغَنِّي ؟ قال : نعم بشعر لأَبي دَهْبَل الجُمَحِيّ ؛ فبعث إليه فأَتاه ، فقال : تَغَنَّه ؛ فقال : ما أُحسِنُ ذاك إلاّ على حَفِّي ؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته ، فلمّا جلس على حَفِّه تغنّى : [من الطويل]

تطاولَ هذا الليلُ مـا يَتبلَّجُ

فأَخذه مالكٌ عنه وغنّاه فنسَبه الناسُ إليه ؛ وكان يقول : والله ما غنّيته قطّ ولا غنّاه إلاّ الحائك .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الخفيف]

لاحَ بالدَّيْـر مـن أُمامةَ نـارُ   لمحـبٍّ لـه بيَثْـرِبَ دارُ
قـد تَراها ولو تشاءُ من القُرْ   ب لأَغناكَ عن نَداها السِّرارُ

الشعر للأحوص[2] ، ويقال : إنّه لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . والغناء لمالك بن أَبي السَّمْح ثقيل أَوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق .

1 خربنده : كلمة فارسية تعني المكاري .
2 شعر الأحوص : 96 عن الأغاني .

صوت

[من الطويل]

تَطـاوَلَ هـذا الليـلُ مـا يَتَبَلَّجُ   وأعيتْ غَواشي سَكْرَتي ما تَفَرّجُ
أَبيـتُ بِهَـمٍّ مـا أنـامُ كأنّما   خِـلالَ ضُلوعـي جمرةٌ تَتَوهّجُ
فَطَوْراً أُمَنّي النفسَ من تُكْتَمَ المُنى   وطوراً إذا ما لجّ بي الحبُّ أَنْشِجُ[1]

عروضه من الطويل ، الشعر لأبي دَهْبَل ، والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

[هرب يوم مقتل الوليد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال : قال ابن عائشة : حضرتُ الوليدَ بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبي السَّمْح وكان من أحمقِ الناس ، فلمّا قُتل الوليد قال : اهرُب بنا ؛ فقلت : وما يريدون منّا ؟ قال : وما يؤمّنك أن يأخذوا رأسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما ليُحسِّنوا أمرَهم بذلك ! قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قطّ قبل ذلك اليوم .

[علّم ابنه الغناء]

أخبرني محمّد بن خلَف وَكيع قال قال الزبير بن بكّار حدّثتني ظَبْيَةُ قالت : رأيتُ مالكَ بن أبي السَّمح وهو على مَنامته يُلقي على ابنه وقد كَبِرَ وانقطَع[2] : [من السريع]

صوت

اعتـادَ هـذا القلبَ بَلْبالُـهُ   إذ قُرّبَـتْ للبيْنِ أجمـالُهُ
خَوْدٌ إذا قامتْ إلى خِدْرِها   قامت قَطُوفُ المَشْيِ مِكْسالُهُ
تَفْتَرُّ عـن ذي أُشُرٍ بـاردٍ   عَذْبٍ إذا ما ذِيـقَ سَلْسالُهُ

الشعرُ لعمرَ بن أبي رَبيعة ، ولمالك بن أبي السَّمْح فيه ثلاثة ألحان : خفيفُ ثقيل مطلق في مجرى الوسطى ، وثقيل أوّل بالوسطى في مجراها جميعاً عن إسحاق ، وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وقيل : إنّه لابن سُرَيج . وفيه رَمَلٌ يُنسب إلى ابن جامع وابن سريج .

[شعر في رثائه]

أخبرني وَكيع قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة : سمعتُ مُنشِداً يُنشد لنفسه يَرثي مالكاً بهذه القصيدة : [من البسيط]

1 تكتم : اسم المرأة التي يشبب بها .
2 ديوان عمر : 338 .

يا مالُ إنّي قَضَتْ نفسي عليكَ وما ... بيني وبَينَكَ من قُرْبى ولا رَحِمِ
إلاّ الذي لك في قَلْبي خُصِصْتَ به ... من المودّة في سِتْرٍ وفي كَرَمِ

قال إسحاق قال أبو عُبَيدة : هو مالك بن أبي السمح . انقضت أخباره .

صوت
من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سَهْل وابن المَكّيّ وأبي العَنبس ومَن روى جَحظةُ عنه : [من الطويل]

فإلاّ تَجَلّلْها يُعالُوكَ فوقَها ... وكيف تَوَقّى ظهرَ ما أنتَ راكبُهْ
هُمُ قتلوه كي يكونوا مكانَه ... كما غدَرتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بني هاشمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أُختِكم ... ولا تَنْهَبُوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ

عروضه من الطويل . البيت الأوّل من الشعر لرجلٍ من بني نَهْد جاهليّ ، وباقي الأبيات للوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط . والغناء لابن مُحرِز ، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق ، وهو اللحن المختار . وفيه للغَرِيض ثقيل أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لَمعْبد ثقيل أوّلُ آخرُ مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشاميّ . وفيه لسَلْسَل في الثاني والثالث ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل .

[67] ـ النَّهْديّ في هذا الشعر
وخبر الوليد بن عُقبة وقد مضى نسبه في أوّل الكتاب

[الحارث بن مارية وزهير بن جناب]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عمِّي عن ابن الكَلْبيّ عن أبيه عن عبد الرحمن المَدائنيّ ، وكان عالِماً بأخبار قومه ، قال وحدّثنيه أبو مِسْكِين أيضاً ، قالا : كان الحارث بن مارِية الغسّاني الجِفْنيّ مُكرِماً لزُهير بن جَناب الكَلْبيّ يُنادمه ويحادثه . فقَدِم على المِلِك رجلان من بني نَهْد بنِ زيد يقال لهما حَزْنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزاح ، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب ، فاجتباهما الملكُ ونزلا بالمكان الأثير منه ، فحسدهما زُهير بن جَناب ، فقال : أيّها الملك ، هما والله عَيْنٌ لذي القَرْنين عليك (يعني المُنذِرَ الأكبر جدَّ النعمان بن المنذر) ، وهما يكتبان إليه بعَوْرتك وخَلَلِ ما يريان منك ؛ قال : كلاّ ! فلم يزل به زهير حتى أَوْغَر صدرَه ، وكان إذا رِكب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه ، فبعَث إليهما بناقة واحدة ؛ فعرَفا الشرّ فلم يركب أحدهما وتوقّف ؛ فقال له الآخر : [من الطويل]

فإلاّ تَجَلَّلْهـا يُعالُـوكَ فَوْقَهـا ... وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنتَ راكِبُهْ

فركبها مع أخيه ، ومَضى بهما فقُتِلا ، ثم بحَث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلاً فشتَم زُهيراً وطرده ، فانصرف إلى بلاد قومه ؛ وقدِم رِزاحٌ أبو الغلامين إلى الملك ، وكان شيخاً عالِماً مُجرِّباً ، فأكرمه الملك وأعطاه دِيةَ ابنيه ؛ وبلغ زهيراً مكانُه ، فدعا ابناً له يقال له عامر ، وكان من فِتيان العرب لساناً وبياناً ، فقال له : إنّ رِزاحاً قد قدِم على الملك ، فالحَقْ به واحتَلْ في أن تكفِيَنيه ، وقال له : اذْمُمْني عند الملك ونَلْ منّي ، وأثّر به آثاراً ؛ فخرج الغلام حتى قدِم الشام . فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل إليه ؛ فأعجبه ما رأى منه ؛ فقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا عامرُ بنُ زُهَير بن جَناب ؛ قال : فلا حيّاك الله ولا حيّا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعيَ ! فقال الغلام : نعم ، فلا حيّاه الله ؛ أُنظُر أيّها الملك ما صنَع بظهري ! وأراه آثارَ الضرب ؛ فقَبِل ذلك منه وأدخله في نُدمائه ؛ فبَيْنا هو يحدّثه يوماً إذ قال له : أيّها الملك ، إنّ أبي وإن كان مُسيئاً فلستُ أَدَعُ أن أقولَ الحقّ ، قد والله نصحك أبي ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

فيالكِ نَصْحَةً لَمّـا نَذُقْها ... أراها نصحةً ذهبتْ ضَلالا

ثم تركه أيّاماً ، وقال له بعد ذلك : أيّها الملك ، ما تقول في حيّة قد قُطِع ذَنَبُها وبقيَ رأسُها ؟ قال : ذاك أبوك وصَنِيعُه بالرجُلين ما صَنَع ؛ قال : أبيتَ اللّعنَ ! والله ما قَدِم رِزاحٌ إلاّ ليثأرَ بهما ؛ فقال له : وما آيةُ ذلك ؟ قال : اسقِهِ الخمر ثم ابعَثْ إليه عَيْناً يأتِك بخبره ؛ فلمّا انتشى صرفَه إلى قُبّته ومعه بنتٌ له ، وبعث عليه عيوناً ؛ فلمّا دخل قُبّته قامت إليه ابنته تُسانده فقال : [من الوافر]

دَعِيني من سِنادِكِ إنّ حَزْناً　　وسَهْلاً ليس بعدهما رُقودُ
ألا تَسَلين عن شِبْلَيّ ماذا　　أصابهما إذا اهْتَرش الأُسُودُ[1]
فإنّي لو ثأرتُ المرءَ حَزْناً　　وسَهْلاً قد بدا لكِ ما أُريدُ

فرجع القومُ إلى الملك فأخبروه بما سمعوا ، فأمر بقتل النَّهْديّ رِزاحٍ ، وردّ زُهيراً إلى موضعه .

[شعر الوليد بن عقبة]

وقد أنشدني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال : أنشدنا محمد بن حَبيبَ أبياتَ الوليد هذه على الوِلاء ، وهي : [من الطويل]

ألا مَن لِلَيْلٍ لا تَغُورُ كواكبُهْ　　إذا لاح نجمٌ لاحَ نجم يراقبُهْ[2]
بني هاشم رُدّوا سلاحَ ابن أختكم　　ولا تَنْهبوه لا تَحِلُّ مناهِبُهْ
بني هاشم لا تَعْجَلوا بإقادةٍ　　سواءٌ علينا قاتِلوه وسالِبُهْ[3]
فقد يُجْبَرَ العظمُ الكسير ويَنْبري　　لذي الحقّ يوماً حقُّه فيطالبُهْ
وإنّا وإيّاكم وما كان منكم　　كصَدْعِ الصَّفا لا يَرْأَبُ الصَّدعَ شاعبُه
بني هاشم كيف التعاقُد بيننا　　وعند عليٍّ سيفُه وحَرائِبُهْ[4]
لعَمْرُكَ لا أَنسى ابنَ أَرْوى وقتلَه　　وهل ينسيَنّ الماءَ ما عاش شارِبُهْ
همُ قتلوه كي يكونوا مكانَه　　كما غَدَرتْ يوماً بكسْرى مَرازِبُهْ
وإنّي لمجتابٌ إليكم بجحفلٍ　　يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه وجَلائبُهْ

1 شبلي في ل : شبليك .
2 كلمة لاحَ الثانية في ل : غار .
3 المثل : سواء علينا قاتلاه وسالبه في مجمع الميداني 1 : 335 والمستقصى 2 : 123 والجمهرة 1 : 515 .
4 الحرائب : المال أو ما يسلب منه .

وقد أجاب الفضلُ بن عبّاسِ بن عُتْبة بن أبي لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات ، وقيل : بل أبوه العبّاس بن عُتبة المجيبُ له أيضاً . والجواب : [من الطويل]

صوت

فـلا تسألونــا بالسلاح فإنّــه أُضيع وأَلقاه لَدى الرَّوْع صاحبُهْ[1]
وشبَّهْتَه كسرى وقــد كان مثلُه شبيهاً بكسرى هَدْيُــه وعصائبُهْ

ذكر أحمد بن المكّيّ أنّ لابن مِسْجَحٍ فيه لحناً وأنّ لحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى ، وقال غيره : إنّه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح .

1 تسألونا في ل : تسألوني .

[68] ـ ذكر باقي خبر الوليد بن عُقْبة ونسبه

[نسب الوليد بن عقبة وولايته الكوفة]

الوليدُ بنُ عقبة بن أبي مُعَيط ، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قَطِيفة . ويكنى الوليدُ أبا وَهْب . وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه . أمّهما أرْوى بنت كُرَيز ، وأمّها البيضاء بنت عبد المطّلب . وكان من فِتيان قريش وشعرائهم وشُجعانهم وأجوادِهم ، وكان فاسقاً ؛ ووَلِيَ لعثمان رضي الله عنه الكوفةَ بعد سعد بن أبي وَقّاص ، فشرِب الخمرَ وشُهِد عليه بذلك ، فحدّه وعزلَه .

[تحريضه معاوية على الأخذ بثأر عثمان]

وهو الذي يقول يَرثي عثمانَ رضي الله عنه ويُحرِّض معاوية : [من الطويل]

والله ما هندٌ بأُمِّك إن مضى النهـ ـــارُ ولم يَثْـأر بعثمان ثائرُ
أيقتُل عبـدُ القـوم سيِّدَ أهلِـه ولم تقتلوه ليت أُمَّـكَ عاقرُ
وإنّا متى نقتلْهمُ لا يُقِـدْ بهم مُقِيدٌ فقد دارت عليك الدوائرُ

[كان يجالس عثمان على سريره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال : لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلاّ العباسُ بن عبد المطّلب وأبو سفيان بن حَرْب والحَكَم بن أبي العاصي والوليد بن عُقْبة ، فأقبل الوليدُ يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم ، فلمّا رآه عثمان زَحَل له عن مجلسه ، فلمّا قام الحكم قال له الوليد : والله يا أمير المؤمنين ، لقد تَلَجْلج في صدري بيتان قلتُهما حين رأيتك أثرت عمّك على ابن أُمّك ؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه : إنّه شيخ قريش ، فما البيتان اللذان قلتَهما ؟ قال قلت : [من الطويل]

رأيتُ لعـمِّ المـرء زُلْفى قرابةٍ دُوَيْن أخيه حادثاً لَم يكن قِدْمًا
فأمّلتُ عَمْراً أن يَشِبّ وخالداً لكي يدعُواني يوم مَزْحمةٍ عمّا

يعني عمراً وخالداً ابنَي عثمان . قال : فرَقّ له عثمان ، وقال له : قد ولّيتك العراق (يعني الكوفة) .

[ولايته على الكوفة وخبره مع سعد بن أبي وقاص]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني بعضُ أصحابنا عن ابن دَأْب قال : لمّا ولّى عثمان رضي الله عنه الوليدَ بن عقبة الكوفةَ قدِمها وعليها سعد بن أبي وَقّاص ، فأُخبِر بقدومه ؛ فقال : وما صنع ؟ قال : وقف في السوق فهو يحدّث الناسَ هناك ولسنا نُنكر شيئاً من شأنه ؛ فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار ، فاستأذن على سعد فأذِن له ، فسلَّم عليه بالإمرة وجلس معه ؛ فقال له سعد : ما أَقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببتُ زيارتك ؛ قال : وعلى ذلك أجئتَ بريداً ؟ قال : أنا أَرْزَنُ من ذلك ، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه ، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة ؛ فمكث طويلاً ثم قال : لا والله ما أدري أصلَحتَ بعدنا أم فسَدنا بعدك ؟ ثم قال : [من الطويل]

خُذيني فجُرِّيني ضِباعُ وأَبْشِري بلحم امرىءٍ لم يَشهد اليوم ناصرُهْ

فقال : أما والله لأنا أقْوَلُ للشعر وأَرْوى له منك ، ولو شئتُ لأجبتُك ، ولكنّي أدَعُ ذلك لما تعلم ؛ نعم والله قد أُمِرتُ بمحاسبتك والنظرِ في أمر عُمّالك ؛ ثم بعث إلى عمّاله فحبَسهم وضيَّق عليهم ؛ فكتبوا إلى سعد يستغيثون ، فكلّمه فيهم ؛ فقال له : أوَ للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم والله ؛ فخلّى سبيلَهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر قال حدّثنا جَنّاد بن بِشْر قال : حدّثني جَرير عن مُغيرة بنحوه . قال أبو زيد عمر بن شَبّة أخبرنا أبو بكر الباهليّ قال حدّثنا هُشَيم عن العَوّام بن حَوْشَب : أنّه لمّا قدِم على سعد قال له سعد : ما أدري أكِسْتَ بعدنا أم حَمُقْنا بعدك ؟ فقال : لا تَجْزَعنَّ أبا إسحاق ، فإنّما هو المُلْك يتغدّاه قومٌ ويتعشّاه آخرون ؛ فقال له سعد : أراكم والله ستجعلونه مُلْكاً .

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المدائنيّ عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شَقِيق بن سَلَمة قال : قدِم الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وكان سعد قد أخذ مالاً ، فقال الوليد لعبد الله : خُذْه بالمال ، فكلّمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك ؛ فقال سعد : آتي أميرَ المؤمنين ، فإن أخذني به أدّيته . فغمزَ الوليدُ عبدَ الله ، ونظر إليهما سعد فنهض وقال : فعلتماها ؛ ودعا اللهَ أن يُغرِيَ بينهما وأدّى المال .

[صلّى بالناس الصبح أربع ركعات]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثنا هارون بن مَعروف قال حدّثنا ضَمْرة بن رَبيعة عن ابن شَوْذب قال : صلّى الوليد بن عُقْبة بأهل الكوفة الغداةَ أربعَ ركعات ، ثم التفت إليهم فقال : أأزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك في زيادة منذُ اليوم .

[شعر الحطيئة فيه]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جَرير عن الأَجْلح عن الشَّعْبيّ في حديث الوَليد بن عُقْبة حين شهدوا عليه قال: قال الحطيئة[1]: [من الكامل]

شهِد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه أنّ الوليدَ أحقُّ بالعُذرِ
نادى وقد تمّت صلاتُهم أأزيدكم سُكراً وما يدري
فأبَوْا أبا وَهْب ولو أذِنوا لقَرَنْتَ بين الشفع والوِترِ
كَفُّوا عِنانَك إذ جريتَ ولو تركوا عِنانك لم تزل تجري

وقال الحطيئة أيضاً[2]: [من الوافر]

تكلّم في الصلاة وزاد فيها عَلانِيَةً وجاهر بالنِّفاقِ
ومجّ الخمرَ في سَنَن المُصلّى ونادى والجميعُ إلى افتراقِ
أزيدكُم على أن تحمَدُوني وما لكمُ وما لي من خَلاقِ

[شرب الخمر فضرب الحدّ]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال قال حمّاد بن إسحاق حدّثني أبي قال ذكر أبو عُبَيدة وهشام بن الكلبيّ والأصمعيّ قالوا: كان الوليد بن عقبة زانياً شِرِّيب خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلّي بهم الصبحَ في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع رَكَعات، ثم التفت إليهم وقال لهم: أَزِيدكم؟ وتقيّأ في المحراب، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته: [من مجزوء الرمل]

عَلِق القلبُ الرَّبابا بعد ما شابَتْ وشابا

فشخَص أهلُ الكوفة إلى عثمان، فأخبروه خبرَه وشهِدوا عليه بشُربه الخمرَ، فأُتِي به، فأمر رجلاً بضربه الحدَّ؛ فلمّا دنا منه قال له: نَشَدْتُك اللهَ وقَرابتي من أمير المؤمنين فتركه؛ فخاف عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُعطِّل الحدُّ، فقام إليه فحده فقال له الوليد نشدتُك بالله وبالقرابة فقال له عليّ: اسكت أبا وَهْب فإنّما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدودَ، فضربه وقال: لَتدعُوَنّي قريشٌ بعد هذا جلاّدَها. قال إسحاق: فأخبرني مُصْعَب الزُّبيريّ قال: قال الوليد بن عُقْبة بعد ما جُلد: اللهمّ إنّهم شهِدوا عليّ بزور، فلا تُرْضِهم عن أمير ولا تُرْضِ عنهم أميراً. فقال الحطيئة يكذّب عنه: [من الكامل]

---

1 ديوان الحطيئة (صادر): 180.
2 ديوان الحطيئة: 181.

شهِد الحُطَيْئةُ يومَ يلقى ربَّه … أنّ الوليـد أحـقُّ بالعُـذْرِ
خَلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو … تركوا عِنانَك لم تَزَل تَجْري
ورأَوْا شمائـلَ ماجدٍ أَنِفٍ … يُعْطِي على الميسور والعُسْرِ
فنُزِعتَ مكذوباً عليك ولم … تَنْزِعْ إلى طمع ولا فقرِ[1]

فقال رجل من بني عِجْل يردّ على الحطيئة : [من الكامل]

نـادى وقد تَمَّتْ صَلاتُهمُ … أأزيدكم ثَمِلاً ومـا يَدْرِي
لِيزيدَهم خَيْراً ولو قَبِلوا … لقَرَنْتَ بـين الشَّفْع والوِتَرِ
فأَبَوْا أبا وَهْـب ولـو فعلوا … وصلتْ صَلاتُهُم إلى العَشْرِ

وروى العبّاس بن مَيْمون طائع عن ابن عائشةَ قال حدّثني أبي قال : لمّا أُحضر عثمانُ رضي الله عنه الوليدَ لأهل الكوفة في شُرْب الخمر ، حضَر الحُطَيْئةُ فاستأذن على عثمان وعنده بنو أميّة متوافِرون ، فطَمِعوا أن يأتيَ الوليدَ بعذر ، فقال : [من الكامل]

شَهِد الحُطَيْئةُ يوم يلقى ربَّه … أنّ الوليـد أحـقُّ بالعذرِ
خلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو … تركوا عِنانك لم تزل تجري
ورأَوْا شمائل ماجدٍ أَنِـفٍ … يُعطي على الميسورِ والعُسرِ
فنُزعتَ مكذوباً عليك ولم … تَنزِع إلى طمـع ولا فقرِ

قال : فسُرُّوا بذلك وظنّوا أنّ قد قام بعذره ؛ فقال رجل من بني عِجْل يردّ على الحُطيئَة : [من الكامل]

نادى وقد تَمّـتْ صَلاتُهـمُ … أأزيدكـم ثَمِـلاً وما يَدْرِي
فأَبَوْا أبا وَهْـبٍ ولـو فعلوا … وصلتْ صلاتُهمُ إلى العَشْرِ

فوجَم القومُ وأَطرقوا ، فأَمر به عثمانُ رضي الله تعالى عنه فحُدّ .

[قصّة رجل معيطيّ شهد عليه عند الأمير]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ[2] قال حدّثني محمّد بن الفَضْل مِنْ حِفْظه قال حدّثنا عمر بن شبّة من حفظه ، ونسختُ من كتاب لهارون ابنِ الزيّات بخطّه عن عمر بن شبّة ، وروايته أتمّ ، فحكيتُ لفظه ، قال : شهِد رجل عند أبي العَجّاج ، وكان على البصرة ، على رجل من المُعَيْطيّين

1 طمع في ل : طبع .
2 ل : المكّيّ .

شهادة ، وكان الرجل الشاهد سكرانَ ؛ فقال المشهود عليه وهو المُعَيْطيّ : أعزَّك الله إنّه لا يُحسنُ أن يقرأ من السكر ؛ فقال الشاهد : بلى إنّي لأُحسن ؛ فقال : اقرأْ ؛ فقال : [من مجزوء الرمل]

عَلِق القلبُ الرَّبابـا بعد مـا شابت وشابا

قال : وإنّما تَماجَنَ بذلك على المُعَيْطِيّ ، ليَحكي به ما صنع الوليدُ بن عُقْبة في مِحْراب الكوفة وقد تقدّم للصلاة وهو سكرانُ ، فأنشد في صلاته هذا الشِّعر ؛ وكان أبو العجّاج مُحمَّقاً فظنَّ أنّ هذا قرآن ، فقال : صدق الله ورسوله ، وَيْلَكم ؛ فلم تعلمون ولا تعملون ؟ ولقد رُوي أيضاً في الشهادة على الوليد في السُّكر غيرُ ما ذُكِر من زيادته في الصلاة .

[رواية أخرى لحكاية سكره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال عرضت على المَدائنيّ عن مبارك بن سَلاّم عن فِطْر بن خَلِيفة عن أبي الضُّحى قال : كان أبو زَيْنب الأَزْدِيّ وأبو مُوَرِّع يطلبان عَثْرة الوليد بن عُقْبة ، فجاءا يوماً فلم يحضُر الصلاة ، فسألا عنه وتلطّفا حتى علِما أنّه يشرب ، فاقتحما عليه الدارَ فوجداه يَقيء ، فاحتملاه وهو سكرانُ فوضعاه على سريره وأخذا خاتَمه من يده ، فأفاق فافتقد خاتَمه فسأل عنه ؛ فقالوا : لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك ؛ فقال : صِفُوهما لي ؛ فقالوا : أحدهما آدَمُ طويلٌ[1] حسنُ الوجه ، والآخرُ عريض مربوع عليه خَميصة[2] ؛ فقال : هذا أبو زَينب وأبو مُوَرِّع . ولقي أبو زينب وصاحبُه عبدَ الله بن حُبَيش[3] الأسديّ وعَلقمة بن يَزيد البَكْريّ وغيرَهما فأخبراهم ، فقالوا : اشخَصوا إلى أمير المؤمنين فأعْلِموه ؛ فقال بعضهم : لا يَقبل قولَنا في أخيه ؛ فشخَصوا إليه وقالوا : إنّا جئناك في أمرٍ ونحن مُخرِجوه إليك من أعناقنا ، وقد قلنا : إنّك لا تقبلُه ، قال : وما هو ؟ قالوا : رأينا الوليدَ وهو سكرانُ من خمر قد شرِبها وهذا خاتمُه أخذناه وهو لا يَعقِلُ ؛ فأرسل إلى عليّ رضي الله تعالى عنه فشاوره ؛ فقال : أرى أنْ تُشخِصه ، فإن شهدوا عليه بمَحْضَرٍ منه حدَدْتَه ؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عُقبة فقدِم عليه ، فشهد عليه أبو زينبَ وأبو مُوَرِّع وجُنْدَب الأَسْديّ وسعد بن مالك الأشْعريّ ، ولم يَشْهَد عليه إلاّ يمانٍ ؛ فقال عثمان لعليّ : قم فاضربه ؛ فقال عليّ للحسن : قم فاضربه ؛ فقال الحسن : ما لك ولهذا ؛ يكفيك غيرُك ؛ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه ، فضربه بمِخْصَرة فيها سيرٌ له رأسان ، فلمّا بلغ أربعين قال له عليٌّ : حَسْبُك .

1 ل : طوال .
2 الخميصة : كساء أسود مربّع .
3 ل : خنيس .

[عائشة تتدخّل لإقامة الحد على الوليد]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنيّ عن الوَقّاصيّ عن الزُّهريّ قال : خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد ، فقال : أكلّما غضِب رجلٌ منكم على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحتُ لكم لأنكِّلنّ بكم ؛ فاستجاروا بعائشة ؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعضُ الغِلْظة ، فقال : أما يَجِد مُرّاق أهلِ العراق وفُسّاقهم ملجأ إلاّ بيتَ عائشة ؟ فسمعتْ فرفعتْ نعل رسول الله ﷺ وقالت : تركتَ سنّةَ رسول الله ﷺ صاحبِ هذه النعل ؛ فتسامَع الناسُ فجاءوا حتى ملؤوا المسجدَ ، فمن قائل : أحسنْت ، ومن قائلٍ : ما للنساء ولهذا ! حتى تحاصبوا وتَضاربوا بالنّعال ؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على عثمان ؛ فقالوا له : اتّق الله ولا تُعطِّل الحدَّ ؛ واعزِلْ أخاك عنهم ؛ فعزَله عنهم .

[ضرب عثمان رجلاً شهد عليه]

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنيّ عن أبي محمد النّاجِيّ عن مَطَر الورّاق قال : قدِم رجل المدينةَ فقال لعثمان رضي الله عنه : إنّي صلّيتُ الغداةَ خَلْف الوليد بن عُقْبة ، فالتفتَ إلينا فقال : أأزيدكم ؟ إنّي أجِد اليومَ نشاطاً ، وأنا أشَمّ منه رائحةَ الخمر ؛ فضرب عثمانُ الرجل ؛ فقال الناس : عُطِّلتِ الحدود وضُربت الشهود .

[الوليد بن عقبة وعديّ بن حاتم]

أخبرني أحمد قال حدّثني عُمر قال حدّثنا أبو بكر البّاهِليّ عن بعض مَن حدّثه قال : لمّا شُهِد على الوليد عند عثمان بشُرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص ، فخرج وخرج معه قومٌ يَعْذِرونه ، فيهم عدِيّ بن حاتم ، فنزل الوليدُ يوماً يَسُوق بهم ، فقال يرتجز : [من الرجز]

لا تحسَبَنّا قد نَسِينا الإيجافْ والنَّشَوات من عَتيق أو صافْ[1]
وعَزْفَ قَيْناتٍ علينا عُزّافْ

فقال عَدِيّ : إلى أين تذهب بنا ؟ أقِمْ . . . .

[أخبار تتعلّق بجلد الوليد]

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عَرَضْتُ على المَدائنيّ عن قَيْس بن الرَّبيع عن الأجْلَح عن الشَّعْبيّ عن جُنْدَب قال : كنتُ فيمن شهِد على الوليد ، فلمّا استَتْمَمْنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان ، ثم ذكر باقيَ خبره وضَرْبَ عليّ عليه السلام إيّاه ، وقولَ الحسن : «ما لَكَ ولهذا !» ، فزاد فيه : فقال له عليّ : لست إذاً مسلماً ، أو من المسلمين .

1 الإيجاف : ضرب من سير الإبل .

حدّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزوميّ قال حدّثنا سعيد بن محمد المخزوميّ قال حدّثنا ابنُ عُلَيّة قال حدّثنا سَعيد بن أَبي عَرُوبة عن عبد الله الدَّاناج قال سمعت الحُضَين بن المُنْذِر أَبا ساسانَ يحدِّث ، وأَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمّد بن حاتم قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيّة قال حدّثنا سعيد بن أَبي عَرُوبة قال حدّثنا عبد الله الدَّاناج عن حُضَين أَبي ساسانَ قال : لمّا جيء بالوليد بن عُقْبة إلى عثمان بن عَفّان وقد شَهِدوا عليه بشرب الخمر ، قال لعليّ : دونَك ابنَ عمّك فأَقِمْ عليه الحدَّ ؛ فأَمَر به فجُلِد أَربعين . ثم ذكر نحوَ هذا الحديث وقال فيه : فقال عليّ للحسن : بل ضَعُفْتَ ووَهَنْتَ وعَجَزْتَ ، قُمْ يا عبدَ الله بنَ جعفر ، فقام فَجَلده وعليّ يَعُدّ حتى بلَغ أَربعين ، فقال عليّ : أَمسِكْ ، جلَد رسولُ الله ﷺ أَربعين ، وجلد أَبو بكر أَربعين ، وأَتمّها عمرُ ثمانين ، وكُلٌّ سُنّة .

أُخبرنا أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد قال : لمّا ضرب عثمانُ الوليدَ الحدَّ قال : إنّك لتضربني اليومَ بشهادة قوم لَيَقْتُلُنَّكَ عامًا قابلاً .

[أبو زبيد من ندمائه]

أَخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمّه عبيد الله قال أَخبرني محمّد بن حَبيبَ عن ابن الأَعرابيّ قال ، وأَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد ، وأَخبرني إبراهيم ابن محمّد بن أَيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم ، قالوا جميعاً : كان أَبو زُبَيد الطائي نديماً للوليد بن عُقْبة أَيّامَ ولايته الكوفةَ ، فلمّا شُهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أَبو زُبَيد[1] واللفظ في القصيدة لليَزيديّ لأَنّها في روايته أَتمّ : [من الخفيف]

مَن يرى العِيرَ لابن أَرْوى على ظهـ ـــر المَـرَوْرَى حُداتُهـنّ عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أَبي وَهْـ ـب خَـلاءٌ تَحِـنُّ فيـه الشَّمالُ
يعرف الجاهلُ المُضَلّل أَنّ الدهـ ـــر فيـه النَّكْــراء والـزِّلْزالُ
ليت شعري كذاكمُ العهدِ أَم كا نــوا أُناساً كمَــن يـزول فزالوا
بعـد مـا تَعْلَمين يـا أُمَّ زيـــدٍ كان فيهــم عِــزٌّ لنـا وجَمالُ
ووجــوهٌ بوُدِّنـا مشرقـــاتٌ ونَـــوالٌ إذا أُريـــد النَّــوالُ

1 ستَرِد ترجمة لأبي زبيد الطائي فيما بعد . وهذه الأبيات في مجموع شعره (بغداد) : 127–131 .

أصبح البيتُ قـد تبـدّل بالحيّ وجوهـاً كأنّهـا الأقْتـالُ
كلُّ شيءٍ يَحتال فيـه الرجـالُ غير أنْ ليس للمنايـا احتيـالُ
ولَعَمْـرُ الإلهِ لـو كان للسيـ ـف مَصالٌ أو للّسان مَقـالُ
مـا تناسيتُك الصفـاءَ ولا الوُدَّ ولا حـال دونـك الأشغـالُ
ولحرَّمـتُ لَحْمَـك المُتَعَضَّـى ضَلَّـةً ضَلّ حِلْمُهم مـا اغتالوا[1]
قولُهم شُرْبُك الحـرامَ وقـد كا ن شرابٌ سوى الحـرامِ حَلالُ
وأَبـى الظّاهـرُ العـداوةِ إلاّ شَنآنـاً وقـولَ مـا لا يُقـالُ
مـن رجـالٍ تَقارضوا مُنْكَراتٍ لَينالـوا الـذي أرادوا فنـالوا
غيرَ مـا طالِبـين ذَحْـلاً ولكن مـال دهـرٌ على أُنـاس فمالوا
مَن يَخُنْك الصّفـاءَ أو يتبـدَّلْ أو يَزُلْ مثـلَ مـا تَزُولُ الظِّلالُ
فاعلمَـنْ أنّني أخـوك أخو الودّ حياتـي حتـى تـزولَ الجبالُ
ليس بخلاً عليـك عندي بمـالٍ أبـداً مـا أَقَـلَّ نعـلاً قِبـالُ[2]
ولـك النّصر باللسان وبالكـفّ إذا كان لليديـن مَصـالُ

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

صوت

[من الخفيف]

مَن يرى العِيرَ لابن أَرْوى على ظهـ ـر المَـرَوْرى حُداتُهـنّ عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ ـبٍ خلاءٌ تَحِـنّ فيـه الشّمالُ

عروضه من الخفيف . المَرَوْرَى : جمع مَرَوْراة وهي الصحراء . غنّى الدّلال فيه خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنْصر عن إسحاق وغيرِه .

[لوم الوليد لانزاله أبا زبيد بدار على باب المسجد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : لّما قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ قَدم عليه أبو زُبَيد ، فأنزله دارَ عَقِيل بن أبي طالب على باب المسجد وهي دارُ القِبْطِي ، فكان ممّا احْتَجَّ به عليه أهلُ الكوفة أنّ أبا زُبَيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجدَ وهو نصرانيّ

1 المتعضى : المتقطّع والمتفرق .
2 أقل : حمل . القبال : سير النعل بين الأصبعين .

فيجعلُه طريقاً .

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمِّي عُبيد الله عن أبي حَبِيب بن جَبَلة عن ابن الأعرابيّ : أنّ أبا زُبَيد وفَد على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة ، فأنزله الوليد داراً لعَقِيل بن أبي طالب على باب المسجد ، فاستَوْهبها منه فوَهَبها له ، فكان ذلك أوّلَ الطَّعْن عليه من أهل الكوفة ؛ لأنّ أبا زُبيد كان يخرج من منزله حتى يَشُقّ الجامعَ إلى الوليد ، فيَسْمُرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيَشُقّ المسجدَ وهو سكران ، فذلك نبّههم عليه .

[ولاه عمر صدقات بني تغلب]

قال : وقد كان عمرُ بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ولّى الوليدَ بن عُقْبة صَدَقاتِ بني تَغْلِب ، فبَلَغه عنه بيتٌ قاله وهو : [من الطويل]

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ مِنّي بمِشْوَذٍ فغَيَّكِ مِنّي تَغْلِبَ ابنةَ وائلِ[1]

فعزَله .

[مدح أبي زبيد للوليد]

وكان أبو زُبَيد قد استودع بَني كنانةَ بن تَيْم بن أُسامة بنِ مالك بن بَكْر بن حَبيب بن غَنْم بن تَغْلب إبلاً فلم يردّوها عليه حين طلبها ، وكانت بنو تغلب أخوالَ أبي زُبَيد ، فوجد الوليدُ بني تغلبَ ظالمين لأبي زُبَيد ، فأخذ له الوليدُ بحَقّه ؛ فقال يمدح الوليد[2] : [من البسيط]

يا ليت شِعري بأنْباءٍ أُنبَّؤُها قد كان يَعْيا بها صَدْري وتَقْديري
عن امرِئٍ ما يَزِدْه اللهُ من شَرَفٍ أَفرَحْ بـه ومُـرَيٌّ غيرُ مسرورِ

(يعني مُرَيّ بن أَوْس بن حارثة بن لأْم) . وهي طويلة يقول فيها : [من البسيط]

إنّ الوليدَ لـه عنـدي وحُقَّ له وُدُّ الخليلِ ونُصْحٌ غيرُ مَذْخورِ
لقـد رعاني وأدناني وأظهَرَني على الأعادي بنصرٍ غيرِ تَعْذيرِ[3]
فشَذَّب القومَ عنّي غيرَ مكترثٍ حتى تناهَوْا على رغم وتَصْغيرِ[4]
نفسي فداءُ أبي وَهْبٍ وقَلَّ له يا أُمَّ عمرو فَحُلّي اليومَ أو سِيري

وفي رواية ابن حَبيب : «يا أمّ زيد» ، يعني : يا أمّ أبي زُبَيْد .

---

1 المشوذ : العمامة .
2 شعر أبي زبيد (بغداد) : 78-79 .
3 وأظهَرَني في ل : وآثرني .
4 شذب : طرد ودفع .

[أقطع أبا زبيد أرضاً واسعة]

أخبرني محمّد بن العبّاس عن عمّه عن محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ قال : كان الوليد بن عُقْبة قد استعمل الرَّبيع بن مُرَيّ بن أَوْس بن حارثة بن لأْم الطائيّ على الحِمى فيما بين الجزيرة وظَهْر الحِيرة ، فأجْدبتِ الجزيرةُ ، وكان أبو زبيد في تَغْلِب ، فخرج بهم لِيُرعِيَهم ؛ فأبى عليه الأَوْسيّ وقال : إن شئتَ أَن أُرعيَك وحدَك فعلتُ وإلاّ فلا ؛ فأتى أبو زُبَيد الوليدَ بن عُقْبة ، فأعطاه ما بين القصور الحُمْر من الشام إلى القصور الحُمْر من الحِيرة وجعله له حِمىً ، وأخذها من الآخر . هكذا روى ابن حبيب . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال : كانت الجُنَيْنة في يد مُرَيّ بن أَوْس ، فلمّا قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ انتزعها منه ودفَعها إلى أَبي زُبَيْد . والقولُ الأوّل أَصحّ ، وشِعْر أَبي زُبَيد يدلّ عليه في قوله في الوليد بن عُقْبة يمدحه[1] : [من الوافر]

لَعَمْرُ أَبيك يا ابنَ أَبي مُرَيٍّ ... لَغَيْرُك مَن أَباح لها الدّيارا
أَباح لها أَبارِقَ ذات نَوْر ... تَرَعَّى القَفَّ منها والعَرارا[2]
بحمد الله ثم فتى قريشٍ ... أَبي وهبٍ غدتْ بُطُناً غِزارا[3]
أَباح لها ولا يُحْمى عليها ... إذا ما كنتمُ سَنَةً جزارا

يريد جزرا من الجدب والشدّة .

فتىً طالت يداه إلى المعالي ... وطَحْطَحَتا المُقطَّعةِ القِصارا

وهي أَبيات .

[شعر أبي زبيد عندما نزع منه سعيد بن العاص هذه الأرض]

قال عمر بن شَبَّة في خبره خاصّة : فلمّا عُزِل الوليدُ ووَلِيَها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده ؛ فقال : [من الخفيف]

ولقد مِتّ غير أَنّيَ حيٌّ ... يوم بانت بودّها خنساءُ[4]
من بني عامرٍ لها شِقّ نفسي ... قسمةً مثلَ ما يُشقّ الرداءُ

---

1 شعر أبي زبيد 76–77 .
2 الأبارق : جمع الأبرق وهو الأرض الغليظة الواسعة تنبت البقل والشجر . القف : ما يبس من البقول . العرار : نبت أصفر طيب الرائحة .
3 غزار : إبل كثيرة اللبن .
4 شعر أبي زبيد : 23–26 .

أُشْرِبَتْ لونَ صُفرةٍ في بياضٍ وهي في ذاك لَدْنَةٌ غَيْداءُ
كلَّ عينٍ ممّن يراها من النّا س إليها مُديمةٌ حَوْلاءُ
فانتهُوا إن للشدائد أهلاً وذَرُوا ما تُزَيِّن الأهواءُ
ليتَ شعري وأين مِنّيَ ليتٌ إنّ ليتاً وإنّ لَوّاً عَناءُ
أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِربي حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ
واستظلَّ العصفور كَرْهاً مع الضبِّ وَأوفى في عُوده الحِرْباءُ
ونفى الجُنْدُبُ الحصى بكُراعَيـ ـهِ وأذْكَت نيرانَها المَعْزاءُ[1]
من سَمُوم كأنّها حَرُّ نارٍ سَفَعْتها ظَهيرةٌ غَرّاءُ
وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني عَرَفتْني الدَّوِّيَّةُ المَلْساءُ[2]
عرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي فهي إلاّ بُغامَها خَرْساءُ[3]
عَرَفَتْ ليلَها الطويلَ وليلي إنّ ذا الليل للعيون غِطاءُ

نسبة ما يغنّى فيه من هذا الشعر
صوت

[من الخفيف]

أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبي حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ
واستكنّ العصفورُ كَرْهاً مع الضـ ـبّ وأوْفى في عوده الحِرْباءُ
وإذا الدّارُ أهلُها أنكروني عَرفتني الدَّوِّيَّة المَلْساءُ
عُرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي فهي إلاّ بُغامَها خَرْساءُ
عرفتْ ليلَها الطويلَ وليلي إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاءُ

عروضه من الخفيف . غنّاه ابنُ سُرَيج خفيفَ رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وغنّى داود بن العبّاس الهاشميّ في الخامس ثم الثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو .

[تشوّق أبي زبيد للكوفة]

قال ابن حبيب في خبره : وقال أبو زُبَيْد يتشوّق إلى الوليد لمّا خرج عن الكوفة[4] : [من الطويل]

1 المعزاء : الأرض الغليظة ذات الحجارة .
2 الدوية : الفلاة .
3 بغام الناقة : صوتها دون مدّ .
4 شعر أبي زبيد : 72–73 .

لعَمْرِي لئن أُمْسى الوليدُ ببلدةٍ سواي لقد أمسيتُ للدَّهرِ مُعْوَرا[1]

[قال ابن حبيب: «ويروى سويّ لقد . . .» وهي لغة طيّىء].

خـلا أنّ رزقَ الله غـادٍ ورائحٌ وأنّي لـه راجٍ وإن سِرتُ أشهرا
وكان هو الحصنَ الذي ليس مُسلِمي إذا أنـا بالنُّكْراء هيّجتُ معشرا
إذا صادَفـوا دوني الوليدَ كأنّما يرون بوادي ذي حَماسٍ مُزَعْفَرا[2]
خضيبَ بنـان مـا يزال براكب يَخُبّ وضاحي جلدِه قد تقشَّرا[3]

وهي طويلة.

[الوليد يفاخر عليّ بن أبي طالب]

حدَّثني إسحاق بن بَنان الأَنماطيّ قال حدّثنا حُبَيْش بن مُبَشِّر قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا ابن أبي لَيْلى عن الحَكَم عن سَعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس قال: قال الوليد بن عُقْبة لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أَحَدُّ منك سِناناً، وأَبسطُ منك لساناً، وأَملأُ للكتيبة طِعاناً؛ فقال له عليّ رضي الله تعالى عنه: اسكتْ! فإنّما أنت فاسق؛ فنزَل القرآنُ: ﴿أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَن كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾ 18/32.

[أرسله النبيّ ﷺ، على صدقات بني المصطلق فاتهمهم بالردة]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن حاتم قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا شَيْبانُ عن قَتادة في قوله تعالى: ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ قال: هذا ابنُ أَبي مُعَيْط الوليدُ بن عُقْبة، بعثه النبيّ ﷺ إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقاً، فلمّا رأوه أَقبلوا نحوَه فهابَهم؛ فرجَع إلى النبيّ ﷺ فأَخبره أَنّهم قد ارتدّوا عن الإسلام؛ فبعث النبيّ ﷺ خالد بن الوليد وأَمَره أَن يتثبّت ولا يعجَل؛ فانطلق حتّى أَتاهم ليلاً فبعث عيونَه؛ فلمّا جاؤوه أَخبروه بأَنّهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أَذانَهم وصَلاتَهم؛ فلمّا أَصبحوا أَتاهم خالد فرأَى ما يُعْجِبه، فرجع إلى النبيّ ﷺ فأَخبره.

[شكته زوجه إلى النبيّ]

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا نُعَيْم بن حَكيم عن أَبي مَرْيَم عن عليّ: أَنّ امرأَة الوليد بن عُقْبة جاءَت إلى النبيّ ﷺ، تَشْتكي الوليدَ وقالت: إنّه يضربها؛ فقال لها: «ارجعي وقولي إنّ رسول ﷺ، قد

1 المعور: الذي لا حافظ له. والمعور في ل: مثاراً: أي محلاً للثأر.
2 ذو حماس: موضع وقيل مأسدة. المزعفر: الأسد الورد.
3 ل: خصيب لبان.

أجارني» ، فانطلقتْ فمكثتْ ساعةً ، ثم رجعتْ فقالت : ما أقْلَع عنّي ؛ فقطَع رسول الله ﷺ هُدْبَةً من ثوبه ثم قال : «امضي بهذا ثم قولي إنّ رسول الله ﷺ ، أجارني» ؛ فانطلقتْ فمكثتْ ساعة ثم رجعتْ فقالت : يا رسول الله ما زادني إلاّ ضَرْباً ؛ فرفع يديْه وقال : «اللهمّ عليكَ الوليدَ» مرّتين أو ثلاثاً .

[لم يمسح النبيّ على رأسه يوم الفتح]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وحدّثني أبو عُبَيد الصَّيْرفيّ قال حدّثني الفضلُ بن الحسن البصريّ قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا أيّوب بن عمر قال حدّثنا عمرُ بن أيّوب قال حدّثنا جعفر بن بُرْقان عن ثابت بن الحَجّاج عن أبي موسى عبد الله الهَمْداني : أنّ الوليد بن عُقْبة قال : لمّا فتح رسولُ الله ﷺ ، مكّة ، جعل أهلُ مكّة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسَحُ على رؤوسهم ، فجيء بي إليه وأنا مُخَلَّق[1] فلم يَمْسَسْني ، وما منعه إلاّ أنّ أُمّي خلَّقتني بخَلُوق فلم يمسسني منْ أجل الخلوق .

[قتل جندب بن كعب ساحره خشية الفتنة]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا خَلَف بن الوليد قال حدّثنا المُبارك بن فَضالة عن الحسن : أنّ الوليد بن عُقْبة كان عنده ساحرٌ يُريه كَتِيبتَيْن تَقْتتِلان ، فتحمِل إحداهما على الأُخرى فتهزِمها ؛ فقال له الساحر : أيَسُرُّكَ أن أُريَك هذه المنهزمةَ تغلِب الغالبةَ فتهزمها ؟ قال : نعم ؛ وأُخْبِر جُنْدَبٌ بذلك ، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال : أفرِجوا ، فضربه حتى قتله ، ففزِع الناسُ وخرجوا ؛ فقال : يا أيّها الناس لا عليكم ، إنّما قتلت هذا الساحر لئلاّ يَفْتِنَكم في دينكم ؛ فحبسه قليلاً ثم تركه .

[قتل دينار بن دينار لإطلاقه رجلاً أمر بحبسه]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عمر بن سَعيد الدِّمَشْقيّ ، وحدّثنا سَعيد بن عبد العزيز عن الزُّهْرِيّ : أنّ رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يَسْتعلِن بالسِّحْر ، فقال : أوَ إنّ السِّحْر لَيُعْلَن به في دِينِ محمّد ؟ فقتله ؛ فأُتِيَ به الوليدَ بن عُقْبة فحبَسه ؛ فقال له دينار بن دينار : فيم حُبِستَ ؟ فأخبره فخلّى سبيلَه ؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله .

[سيرة جندب بن كعب الأسديّ]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا موسى بن إسماعيل قال حدّثنا حَمّاد بن سَلَمة قال حدّثنا أبو عِمْران الجَوْنيّ : أنّ ساحراً كان عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه ؛ فرآه جُنْدَبٌ ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف ، فلمّا دخل الساحرُ في جوف

1 مخلق : مطيّب بالخلوق .

البقرة ، قال : أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة فقطَعها وقطَع الساحرَ في البقرة فانذعر الناسُ ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه ؛ وكان السجّان يفتح له البابَ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجنَ .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا حَجَّاج بن نُصَيْر قال حدّثنا قُرّة عن محمّد بن سيرينَ قال : انْطُلِق بجُنْدَب بن كَعْب إلى سجنٍ خارج الكوفة وعلى السجن رجلٌ نصرانيّ ، فلمّا رأى جندبَ بن كعب يصوم النهارَ ويقوم الليلَ ، قال النّصرانيّ : والله إنّ قوماً هذا شرُّهم لقومُ صِدْقٍ ؛ فوكَّل بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ؛ فاستضافه ، فجعل يَرى أبا محمد ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدائه ؛ فخرج من عنده فسأل : أيّ أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ؛ فوجده ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغدائه ، فاستقبل القبلةَ ثم قال : ربّي ربُّ جُنْدَب ودِيني على دين جندب ، وأسلم .

حدّثني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا الخَزَّاز عن المَدائنيّ عن عليّ بن مُجاهِد عن محمّد بن إسحاق عن يزيد بن رُومانَ عن الزُّهْريّ وغيره ، قالوا : لمّا انصرف رسولُ الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِق ، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجَز ، ثم نزل آخرُ فساق بالقوم ورجَز ، ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يُواسِيَ أصحابَه ، فنزل فجعل يقول : «جُنْدَبٌ وما جُنْدَب والأَقْطَعُ الخير زيد» ؛ فدنا منه أصحابُه وقالوا : يا رسولَ الله ما يَنفعنا مَشْيُك مخافةَ أن تَلْسَعَك دابّةُ الأرض أو تُصيبك نكبةٌ ؛ فركب ودنَوْا منه فقالوا : لقد قلتَ قولاً ما ندري ما هو ؟ قال : «وما ذاك» ؟ : قالوا : قولك «جُنْدَب وما جُنْدَب والأَقطع الخير زيد» ؛ فقال : «رجلان يكونان في هذه الأمّة يضرب أحدُهما ضربةً يفرُق بين الحقّ والباطل وتُقطع يدُ الآخر في سبيل الله فيُتْبع اللهُ آخرَ جسده بأوّله» ؛ فكان زَيْدَ بن صُوحان ، قُطِعت يدُه يوم جَلُولاءَ وقُتل يومَ الجَمَل مع عليّ . وأمّا جُنْدَب فإنّه رجل دخل على الوليد بن عُقْبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شَيْبان يأخذ أَعْيُنَ الناس فيُخرِج مَصارينَ بطنه ثم يُعيدها فيه ؛ فجاء من خلفه فقتَله ، وقال : [من الرجز]

الْعَنْ وليداً وأبا شَيْبانِ وابنَ حُبَيْش راكبَ الشَّيطانِ
رسولَ فِرْعونَ إلى هامانِ

[سعيد بن العاص يخلف الوليد على الكوفة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحِزاميّ قال حدّثني ابن وَهْب عن يونس عن الزُّهْريّ قال : نزَع عثمانُ بن عفّان الوليدَ بن عقبة عن الكوفة وأَمّر عليها سَعِيد بن العاص . قال أبو زيد : فحدّثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدّثنا سَعيد بن جامِع الهُجَيْميّ قال : لمّا أقبل سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعد ما خرج والياً لعثمان جعل

يرتجز في طريقه : [من الرجز]

وَيْــلَ نُسَيّاتِ العِــراق منّي كأنّنــي سَمَعْمَعٌ مــن جِــنٍّ[1]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المَدائنيّ عن أبي عَلْقَمة عن سعيد بن أشْوع قال قال عديّ بن حاتم : قدِم سعيدُ بن العاص الكوفةَ فقال : اغسِلوا هذا المنبر ، فإنّ الوليد كان رَجِساً نَجِساً ؛ فلم يَصْعَده حتّى غُسِل ، عيباً على الوليد . وكان الوليدُ أسنَّ منه وأسْخى نفساً وألينَ جانباً وأرضى عندهم ، فقال بعضُ شعرائهم : [من الرجز]

يــا وَيْلَنا قــد ذهــب الوليدُ وجاءنــا مــن بعــده سعيدُ
ينقُص في الصّاع ولا يَزيــدُ

وقال آخر : [من الوافر]

فَرَرتُ مــن الوليد إلى سَعيدٍ كأهل الحِجْر إذ جزِعوا فبارُوا
يَلِينــا مــن قريش كلَّ عــامٍ أميــرٌ مُحْــدَثٌ أو مستشــارُ
لنــا نــارٌ تُحرِّقنــا فَنَخْشى وليس لهــم فــلا يَخْشَوْن نارُ

[زيارة الوليد الكوفة بعد عزله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنيّ قال : قدِم الوليدُ بن عُقبة الكوفةَ زائراً للمُغِيرة بن شُعْبة ، فأتاه أشرافُ أهل الكوفة يسلّمون عليه ، فقالوا : والله ما رأينا بَعْدَك مثلَك ؛ فقال أخَيراً أم شَرّاً ؟ فقالوا : بل خَيراً ؛ قال : ولكنّي والله ما رأيتُ بعدكم شرّاً منكم ؛ فأعادوا الثناء عليه ؛ فقال : بعضَ ما تُثْنون به ، فوالله إنّ بُغْضَكم لتَلَف ، وإنّ حبّكم لصَلَف .

[قبيصة بن جابر يثني عليه بحضرة معاوية]

قال أبو زيد : وذكروا أنّ قَبِيصة بن جابر كان ممّن كثَّر على الوليد ؛ فقال معاوية يوماً والوليدُ وقبيصةُ عنده : يا قَبِيصة ، ما كان شأنك وشأنُ الوليد ؟ فقال : خيراً يا أمير المؤمنين ، في أوّلٍ وَصَل الرَّحِمَ وأحسن الكلامَ فلا تسألَنّ عن الشكر وحُسْن الثناء ، ثم غضِب على الناس وغضِبوا عليه وكنّا منهم ، فإمّا ظالمون فنستغفر الله ، وإمّا مظلومون فغفر الله له ، وخُذْ في غير هذا يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحديثَ يُنْسي القديم ؛ قال : ولِمَ ؟ فوالله لقد أحسن السِّيرةَ وبَسَط الخيرَ وكفَّ الشرّ ؛ قال : فأنت أقدرُ على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ؛ قال :

1 نسيات في ل : ويل لشبّان . سمعمع : سريع أو خبيث لبق .

اسكُت لا سَكَتَّ ، فسكَتَ وسكَتَ القومُ ؛ فقال له : مالك لا تتحدّث ؟ قال : نهيتَني عمّا كنتُ أحِبّ فسكتُّ عمّا أكره .

[دفن هو وأبو زبيد في موضع واحد]

أخبرني أحمد قال حدّثني عُمَر قال حدّثني المَدائنيّ قال : مات الوليد بن عُقْبة فُوَيق الرَّقّة ، ومات أَبو زُبَيد ، فدُفِنا جميعاً في موضع واحد . فقال في ذلك أَشْجع السُّلَميّ[1] وقد مرّ بقبريْهما : [من الوافر]

مـررتُ على عظامِ أَبي زُبَيْـدٍ وقـد لاحـتْ ببَلْقَعَـةٍ صَلُودِ
وكان لـه الوليدُ نَديمَ صِدْقٍ فنـادَمَ قبـرُه قبـرَ الوليدِ
ومـا أَدْري بمَـن تَبْدا المنايا بأَحمـدَ أَو بأَشجـعَ أَو يزيدِ

[خرج غازياً للروم وقال شعراً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أَبيه عن ابن الكلبيّ عن أَبيه قال : خرج الوليد بن عُقْبة غازياً للرُّوم وعلى مقدّمته عُتْبة بن فَرْقَد ، فلَقِيه الروم فقاتلوه ؛ فقال له رجلٌ من العرب نصرانيٌّ : لستُ على دِينكم ولكنّي أُنصحكم للنَّسَب ، فالقومُ مقاتلوكم إلى نصف النهار ، فإن رَأَوْكم ضعفاءَ أَفنَوْكم وإن صَبَرتم هَرَبوا وتركوكم ؛ فقال سَلْمان بن رَبيعة : يا معشرَ المسلمين ، ما عذرُكم عند الله غداً إن أُصيب عُتْبةُ بن فَرْقَد وأَصحابُه ولم يُعِنْهم أَحدٌ منكم ! ؛ فركب معه ثلاثةُ آلاف رجل على البغال يَجْنُبون[2] الخيلَ ، فلَحِقوا عُتْبةَ وأَصحابَه ، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم اللهُ الرومَ . فقال الوليد بن عُقْبة : [من الطويل]

أَتاني من الفَجّ الذي كنتُ آمناً بقيَّةُ شُذّاذٍ مـن الخيلِ ظُلَّعِ[3]
عليها العبيدُ يضربون جُنوبَها ونازَلَ منّا كُلُّ خِرْقٍ سَمَيْذَعِ
فإنّي زعيـمٌ أَن تَصيحَ نساؤُهم صياحَ دَجاجِ القرية المتوزِّعِ[4]

[مدحه الحطيئة وكذبه الحليس النهديّ]

وقال الحطيئة يمدح الوليدَ بذلك ، وكان قد وصله وكان الوليد جَواداً[5] : [من الطويل]

---

1 سيترجم أبو الفرج لأشجع السلميّ فيما بعد .
2 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .
3 الفجّ : الطريق الواسع بين جبلين . الشذاذ : القلال المتفرقون . ظلّع : جمع ظالع وهو الذي في مشيته عرج خفيف .
4 المتوزّع : المتفرّق .
5 ديوان الحطيئة (صادر) : 77–80 .

أرى لابن أَرْوى خَلَّتين اصطفاهما ... قِتالٌ إذا يَلْقى العدوَّ ونائلُهْ
فتىً يملأ الشِّيزى ويروى بكفّه ... سِنانُ الرُّدَيْنيّ الأَصمِّ وعاملُهْ[1]
يَؤُمُّ العدوَّ حيث كان بجَحْفَلٍ ... يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وصواهلُهْ
إذا حان منه مَنزِلُ الليل أُوقِدَتْ ... لأُخْراه في أعلى اليَفاع أوائلُهْ
نَفَيْتَ الجِعادَ البِيضَ عن حُرِّ دارهم ... فلم يَبْقَ إلاّ حيّةٌ أنت قاتلُهْ

فقال الحُلَيس بنُ نُعَيم النَّهديّ يكذّب الحُطَيئة : [من الطويل]

وأَبلغْ أَبا وهبٍ إذا ما لَقيتَه ... فقد حاربتك الرومُ فيمن تُحارِبُ
وفي الأَرضِ حَيَّاتٌ وأُسْدٌ كثيرةٌ ... عدوٌّ ولكنّ الحطيئةَ كاذبُ

[شعره في مقتل عثمان]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عليّ بن محمّد عن أَبي مِخْنَف عن خالد بن قَطَن عن أَبيه قال : لمّا قُتل عثمان أَرسل عليّ فأَخذ كلّ ما كان في داره من السلاح وإبلاً من إبل الصدقة ، فلذلك قال الوليد بن عُقْبة[2] : [من الطويل]

بني هاشم رُدُّوا سلاحَ ابنِ أُختكم ... ولا تَنْهَبوه لا تَحِلُّ مَناهِبُه
ويُروى : ولا تَهَبُوه لا تَحِلُّ مواهبُهْ
بني هاشمٍ كيف الهَوادةُ بيننا ... وعند عليٍّ سيفُه ونجائبُهْ
قتلتم أَخي كيما تكونوا مكانَه ... كما فعلتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ

هكذا في الخبر : ولا تهبوه لا تحِلُّ مواهبهْ

أَخبرني الطُّوسيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عبد الله بن إسحاق الجَعْفَريّ : أَنّ الوليد بن عُقْبة بن أَبي مُعَيط لقي بِجاداً مولى عثمان ، فأَخبره أَنّ عثمان قد قُتل ؛ فقال : [من الخفيف]

ليتَ أَنّي هَلَكتُ قبلَ حديثٍ ... سَلَّ جسمي وريعَ منه فؤادي
يوم لاقيتُ بالبَلاط بِجاداً ... ليت أَنّي هلكتُ قبل بِجادِ[3]

وقد زيد في هذا الشعر بيتٌ ونُقِص منه آخرُ مكانَه وغُنّيَ فيه ، وهو : [من الخفيف]

---

1 الشيزى : الجفان . الأصم : الصلب . عامل الرمح : صدره .
2 تقدّمت هذه الأبيات بروايات مختلفة ، ص 78 .
3 البلاط : موضع بالمدينة .

صوت

طـال ليـلي وملّنـي عُوّادي | وتَجافى عـن الضلوع مِهادي
من حديثٍ نُمِي إليّ فما يَرْ | قَـأُ دمعـي ولا أُحِسّ رُقادي
يـوم لاقيتُ بالبَـلاط بِجاداً | ليت أنّي هلكتُ قبـل بِجادِ
وبنفسي التي أُحِبّ وأهـلي | وبمـالي وطـارفي وتِلادي
قلـتُ لا تَغْضبي فذلك قولي | بلساني ومـا يُجِنُّ فؤادي

غنّى فيه ابن عَبّاد ثانيَ ثقيل مُطْلَق في مجرى البنصر في الأوّل والرابع من الأبيات ، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن مُحْرِز ، ومن الناس من يَنْسُبه إلى ابن سُرَيج في هذه الطريقة في الأوّل والثاني ، وذكر ابن المَكّيّ أنّه للغَريض ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ، ووافقه يونس . وذكر أنّ في هذا الشعر لابن سُرَيج والغريض لَحْنين في الخمسة الأبيات . وذكر حَبَش أنّ فيها لَمَعْبد ثقيلاً أوّل بالوُسطى ، ولعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وللغَريض خفيف رَمَلٍ بالوسطى ، ولسُلَيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر أحمد بن عُبَيد أنّ فيه رَمَلاً لابن جامِع في البيت الأوّل وحده ، وأنّ فيه هَزَجاً لا يُعرَف صانعه .

[تطير الأمين من الغناء بشعره]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني أبي قال : أُرسل إليّ محمّد بن زُبَيدة في ليلةٍ من ليالي الصيف مُقْمِرة : يا عمّ إنّ الحرب بيني وبين طاهر بن الحسين قد سكنتْ ، فصرْ إليّ ، فإنّي إليك مشتاقٌ ، فجئتُه وقد بُسِط له على سطح زُبَيدة ، وعنده سليمان بن جعفر عليه كِساءٌ رُوذَبارِيّ[1] وقَلَنْسُوَةٌ طويلة ، وجَواريه بين يديه ، «وضَعْفُ» جاريتُه عنده ، فقال لها : غَنِّيني فقد سُرِرتُ بعمومتي ؛ فاندفعتْ تغنّيه : [من الطويل]

هُـمُ قَتَلوه كي يكونوا مكانه | كما فَعَلَتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بني هاشمٍ كيف التواصُلُ بيننا | وعنـد أخيـه سيفُـه ونجائبُهْ

هكذا غنّت ؛ وإنّما هو :

وعنـد علـيّ سيفُـه ونجائبُهْ

فغضِب وتطيَّر وقال لها : ما قِصّتك وَيْحَك ! اتْنَي وانتهِي وغَنِّيني ما يسُرّني !
فاندفعتْ وغنَّت : [من مجزوء الكامل]

1 نسبة إلى روذبار وهو علم على مواضع مختلفة .

هـذا مَقـامُ مُطَـرَّدٍ هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ

فازداد تَطَيُّراً ، ثم قال لها : وَيْحَكِ ! انتهي ، غنِّيني غير هذا ؛ فغنّت : [من الطويل]

كُلَيبٌ لَعَمْرِي كان أَكثرَ ناصراً وأَيسرَ جُرْماً منك ضُرِّج بالدّمِ

فقال لها : قومي إلى لعنة الله ؛ فوثبتْ وكان بين يديه قَدَحُ بَلُّور وكان لحبِّه إيّاه سمّاه باسمه محمّداً ، فأَصابه طَرَفُ ذيلها[1] فسقط على بعض الصواني فانكسر وتفتّت ؛ فأَقبل عليّ وقال : أَرى والله يا عمّ أَنّ هذا آخرُ أيّامنا ؛ فقلت : كلاّ ، بل يُبْقيك الله يا أَمير المؤمنين ويسرّك ؛ قال : ودِجْلةُ والله يا بنيّ هادئة ما فيها صوتُ مجداف ولا أَحدٌ يتحرّك وهي كالطَّسْت هادئة ، فسمِعتُ هاتفاً يهتف : «قُضِيَ الأَمْرُ الذي فيهِ تَسْتَفْتِيانِ» . قال : فقال لي : أَسمعتَ ما سمعتُ يا عمّ ؟ فقلتُ : وما هو ؟ وقد والله سمعتُه فقال : الصوتُ الذي جاء الساعة من دِجْلة ؛ فقلتُ : ما سمعتُ شيئاً ، وما هذا إلاّ تَوَهُّم ؛ فإذا الصوت قد عاد يقول : «قُضِيَ الأَمرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيانِ» . فقال : انصرفْ يا عمّ بيَّتك الله بخير ، فمحالٌ أَلاّ تكون الآن قد سَمِعتَ ما سمعتُ ؛ فانصرفتُ ، وكان آخر العهدِ به .

[معاوية يأخذ ماله ويوبخه على الطلب]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمّد بن يحيى الصُّوليّ واللفظ له ، قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضَّحَّاك عن هشام بن محمد عن أَبيه ، قال محمد : وحدّثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعاً عن مُطَرِّف بن عبد الله بن عيسى بن يزيد ، قال : وفَد الوليدُ بن عُقْبة ، وكان جَواداً ، على معاوية ؛ فقيل له : هذا الوليد بن عُقْبة بالباب ؛ فقال : والله لَيَرْجِعَنّ مُعْطِياً[2] غيرَ مُعْطىً ، فإنّه الآن قد أَتانا يقول : عليّ دَيْن وعليّ كذا وكذا ؛ يا غلام ائذَن له ، فأَذِنَ له ؛ فسأَله وتحدّث معه ، ثم قال : أَما والله إن كنّا لَنُحِبّ إيثارَ[3] مالك بالوادي وقد أعجب أَميرَ المؤمنين ، فإن رأَيتَ أَن تَهَبه ليزيد فعلتَ ؛ فقال الوليد : هو لِيَزيدَ ، ثم خرج وجعل يختلفُ إلى معاويـة أَيّاماً ، فقال له يوماً : أُنظُر يا أَمير المؤمنين في شأني ، فإنّ عليّ مؤونةً وقد أَرهقني دَيْن ؛ فقال له معاوية : أَلا تستحيي لحَسَبك ونَسَبك ! تأخذ ما تأخذ فتبذِّره ثم لا تَنْفكّ تشكو دَيْناً ؟ ؛ فقال له الوليد : أُفعل ، ثم انطلق مكانَه فصار إلى الجزيرة ، فقال : [من مجزوء الكامل]

1 ل : ردائها .
2 ل : مغيظاً .
3 ل : إتيان .

فـإذا سُئِلـتَ تقـول لا وإذا سألـتَ تقـول هاتِ
تأبـى فِعـالَ الخيرِ لا تَرْوى وأنت على الفُراتِ
أَفَلا تَميـل إلى نَعَـمْ أو تَرْكِ لا حتى المماتِ

قال : فبلغ معاويةَ مَقْدَمُه الجزيرةَ ، فخافه وكتب إليه : أن أَقبِلْ إليّ ؛ فكتب إليه : [من الطويل]

أعِفُّ وأستحْيي كما قـد أَمرتَني فأَعْطِ سوايَ مـا بدا لك وانْحَلِ[1]
سأَحْدُو ركابي عنك إنّ عزيمتي إذا نابَنـي أمـرٌ كسَلّة مُنْصُلِ
وإنّي امـرؤٌ للرأي منّـي تَطرّفٌ وليس شَبا قُفْـلٍ عـليّ بمُقْفَلِ

ورحَل إلى الحجاز ، فبعث إليه معاوية بجائزة .

[انقضت أخبار الوليد بن عُقبة]

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الرمل]

ربّمـا نبّهنـي الإخـ ـوانُ والليـلُ بَهيمُ
حين غـارتْ وتدلَّتْ في مَهاويهـا النجـومُ
ونُعاسُ الليلِ في عيـ ـنيّ كالثّـاوِي مُقيمُ
للتـي تُعْصَـر لّمـا أَيْنعـتْ منهـا الكُرُومُ
أنـا بـالرَّيِّ مقيـمٌ في قُـرى الرَّيِّ أُهيمُ
ما أُراني عن قُرى الرَّيِّ مَـدى دهـري أَريـمُ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ . ولحنُه المختار ثقيلٌ أَوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ولإبراهيم أَيضاً فيه خفيفُ ثقيلٍ ، وقيل : إنّه لابنه إسحاقَ . وفيه لأَحمد بن يحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأَحمد بن عُبَيد .

1 أستحيي في ل : وأستغني .

[69] ـ نسب إبراهيم الموصليّ وأَخباره[1]

[نسب إبراهيم الموصليّ ونشأته]

هو فيما أُخبرنا به يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن حَمّاد عن أَبيه ، وأَخبرني به عبدُ الله ابن الرَّبيع عن وَسْواسةَ ، وهو أَحمد بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ عن أَبيه عن جدّه وعن حَمّاد عن أَبيه ، إبراهيمُ بن ميمون أَو ابن ماهان بن بَهْمَن بن نسك ، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنّه كتب إلى صديق له فعَنْوَن كتابَه : من إبراهيم بن ماهان ؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة : أَما تَستحيي من هذا الاسم ! فقال : هو اسم أَبي ؛ فقال : غيِّره ؛ فقال : وكيف أُغيِّره ! فأَخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ ، فبَقي إبراهيمَ بنَ ميمون .

قال إسحاق عن أَبيه : وأَصلُنا من فارس ، ولنا بيت شريفٌ في العجم ، وكان جدُّنا ميمون هرَب من جَوْر بعض عُمّال بني أُميّة ، فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم ، فكان بين إبراهيم وبين وَلَدِ نَضْلَة بن نُعَيْم رَضاع . وأُمُّ إبراهيم امرأةٌ من بنات الدّهاقين الذين هربوا من فارسَ لما هرب ميمون أَبو إبراهيم ، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارِم ، فتزوّجها ماهانُ بالكوفة فولَدتْ إبراهيمَ ومات في الطاعون الجارف[2] ، وخلّف إبراهيمَ طفلاً . وكان مولدُ إبراهيمَ سنةَ خمس وعشرين ومائة بالكوفة ، وتوفِّي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، وله ثلاثٌ وستّون سنة .

[كفله بعد موت أَبيه آل خزيمة بن خازم]

قال أَحمد[3] بن أَحمد بن إسماعيل وَسْواسة في خبره : ومات ماهان وخلّف إبراهيمَ طفلاً ، فكفَلَه آلُ خُزَيمة بن خازِم .

وقال يحيى بن عليّ في خبره : إنّه كان لإبراهيم لمّا مات أَبوه سنتان أَو ثلاث ، وخلّف معه أَخوين له من غير أُمّه أَكبرَ منه ، فأَقام إبراهيم مع أُمّه وأَخواله حتى تَرَعْرَع ، فكان مع ولد خُزَيمة بن خازم في الكُتّاب ، فبهذا السبب صار ولاؤه لبني تَميم . وسأَله الرشيدُ فقال : ما السببُ بينك وبين بني تَميم ؟ فاقتصَّ عليهِ قِصَّتَه ، وقال : ربَّوْنا يا أَمير المؤمنين فأَحسنوا

---

1 لإبراهيم الموصلي النديم ترجمة موجزة في وفيات الأعيان 1 : 42–43 وتاريخ بغداد 6 : 175 وفي الجزء التاسع من التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلاً عن الأغاني .

2 في وفيات الأعيان 1 : 43 أنّه مات بداء القولنج .

3 ورد فيما تقدّم أنّه أحمد بن محمد بن إسماعيل .

تربيتنا ، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رَضاعٌ ، فتولّوْنا بهذا السبب ؛ فقال لـه الرشيد : وَيْحَكَ فما أُراك إذن إلاّ مولاي ؛ فقال : فهذه والله قصّتي يا أُمير المؤمنين .

[سبب نسبته إلى الموصل]

قال يحيى بن عليّ في خبره : وكان سببُ قولهم إبراهيمَ الموصليّ أنّه لمّا نشأً واشتدّ وأَدرك ، صَحِب الفتيانَ واشتهى الغناءَ فطلبه ، واشتدّ أَخوالُه عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهرَب منهم إلى المَوْصِل ، فأَقام بها نحواً من سنة ، فلمّا رجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان : مرحباً بالفتى المَوْصِلّي ، فلُقِّب به . وقال أَحمدُ في خبره : إنّ سبب طلبه الغناءَ أنّه خرج إلى الموصل ، فصَحِب جماعةً من الصعاليك كانوا يُصيبون الطريق ويُصيبه معهم ، ويَجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون ويشربون ويغنّون ، فتعلّم منهم شيئاً من الغناء وشَدا ، فكان أَطيبَهم وأَحذقَهم ، فلمّا أَحسّ بذلك من نفسه اشتهى الغناءَ وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه . وذكر ابنُ خُرْدَاذْبه ، وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمِّنه كتُبَه[1] ، أنّ سببَ نسْبَتِه إلى الموصل أنّه كان إذا سكِر ، كثيراً ما يغنّي على سبيل الوَلَع[2] :

أَنا جِتُ مِنْ طُرقِ مَوْصل أَحمِـــلُ قِلـلَ خَمْرِيـــا[3]
مَنْ شاربَ الملـوك فـــلا بـــدَّ مِـــنْ سُكْرِيـــا

قال الأصفهاني : وما سمعتُ بهذه الحكاية إلاّ عنه ؛ وإنّما ذكرتُها على غَثاثتها لشهرتها عند الناس ، وأنّها عندهم كالصحيح من الرواية في نِسْبة إبراهيم إلى الموصل ، فذكرتُه دالاًّ على عَواره .

أَخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ وابنُ أَبي الأَزهر قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : أُسْلِم أَبي إلى الكُتّاب فكان لا يتعلّم شيئاً ، ولا يزال يُضرب ويُحْبَس ولا يَنْجَع ذلك فيه ، فهرب إلى المَوْصل وهناك تعلَّم الغناءَ ، ثم صار إلى الرّي وتعلّم بها أَيضاً ، ومهَر وتزوّج هناك امرأَتَه دُوشار وتفسير هذا الاسم أَسَدان ، وطال مُقامُه هناك ، وأَخذ الغناءَ الفارسيَّ والعربيّ ، وتزوّج بها أَيضاً شاهَك أمّ إسحاقَ ابنِه وسائرِ ولده . قال : وفي دُوشار هذه يقول إبراهيمُ ، وله فيه غِناءٌ من الهَزَج ، : [من الرجز]

1 ربّما كان في طعن أبي الفرج على ابن خرداذبه شيء من الافتئات . فقد اعتمد ياقوت على كتابه «المسالك والممالك» في النقل في «معجم البلدان» وقرظه المسعودي في «التنبيه والاشراف» . وانظر «معجم الأدباء» (تحقيق إحسان عبّاس) : 1575 .

2 ل : الولوع .

3 هذا شعر عامي ينبغي أن يقرأ كذلك .

دُوشارُ يــا سيّدتــي ... يــا غايتــي ومُنْيتي
ويا سروري من جميـ ... ـع الناس رُدّي سِنَتي

[أنفق أوّل مال وصله في تعلّم صنعة الغناء]

قال إسحاقُ وحدّثني أبي قال : أوّلُ شيء أُعْطِيتُه بالغناء أنّي كنتُ بالرَّيّ أُنادم أهلَها بالسَّوِيَّة لا أَرْزَؤُهم شيئاً ، ولا أُنفِقُ إلاّ من بقيّة مالٍ كان معي انصرفتُ به من الموصل ؛ فمرّ بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة ، فسمِعَني عند رجل من أهل الرّيّ ، فشُغِف بي وخلَع عليَّ دُوَّاجَ سَمّور[1] ، له قيمة ، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصَله العاملُ بسبعة آلاف درهم وكساه كُسوةً كثيرة ، فجاءني إلى منزلي الذي كنتُ أسكنه فأقام عندي ثلاثةَ أيّام ، ووهَب لي نصف الكُسوة التي معه وأَلفَيْ درهم ، فكان ذلك أوّل ما اكتسبتُه بالغناء . فقلتُ : والله لا أُنفق هذه الدراهم إلاّ على الصناعة التي أفادَتْنِيها ، ووُصف لي رجل بالأُبلّة يقال له جُوانُويه[2] كان حاذقاً ، فخرجتُ إليه وصحِبتُ فتيانَها ، فأخذتُ عنهم وغنّيتهم فشُغِفوا بي .

[اتّصاله بالمهديّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال : لمّا أتيتُ جُوانُويَه لم أُصادفه في منزله ، فانتظرتُه حتّى جاء ، فلمّا رآني احتَشَمَني وكان مَجُوسيّاً ، فأخبرتُه بصناعتي والحالِ التي قصدتُه فيها ؛ فرحَّب بي وأفرد لي جَناحاً في داره ، ووكّل بي أُختَه ، فقدّمتْ إليّ ما أحتاج إليه ؛ فلمّا كان العَشيُّ عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفُرْس ممّن يُغنّي ، فنزلتُ إليه ، فجلسنا في مجلس قد صُفّي لنا فيه نبيذٌ وأُعِدّتْ لنا فاكهة ورَياحِينُ ، فجلسنا وأخذوا في شأنهم وضربوا وغنّوْا ، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً ؛ وبَلَغتِ النَّوْبَةُ إليّ ، فضربتُ وغنّيتُ ، فقاموا كلُّهم إليّ وقبّلوا رأسي ، وقالوا : سَخِرتَ منّا ، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُ منك إلينا ؛ فأقمتُ على تلك الحال أيّاماً ، حتى بلَغ محمّدَ بن سليمان بن عليّ خبري ، فوجّه إليّ فأحضرني وأمَرني بملازمته ؛ فقلتُ له : أيّها الأمير ، إنّي لستُ أتكسّب بالغناء وإنّما أَلتذُّه فلذلك تعلّمتُه ، وأُريد العَوْدَ إلى الكوفة ، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذَني بملازمته ، وسألني : من أين أنا ؟ فانتسبتُ إلى الموصل ، فلَزِمتني وعُرِفتُ بها ؛ ولم أزلْ عنده أثيراً مكرّماً حتى قدِم عليه خادمٌ من خدَم المهديّ ، فلمّا رآني عنده قال له : أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هذا منك ، فدافَعه عنّي ؛ فلمّا قدِم الرسولُ على المهديّ سأله عمّا رأى في طريقه ومَقْصِده ، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكري فوصَفَني له ؛ فأمره المهديّ بالرجوع إلى محمّد وإشخاصي إليه ، ففعل ذلك

1 دواج سمور : نوع من الفراء الثمين .
2 ل : خوالويه .

وجاء فأشخصني إلى المهديّ ، فحَظِيتُ عنده وقدّمني .

[أوّل هاشميّ صحبه وأوّل خليفة سمعه]

قال وَسْواسة في خبره عن إسحاق فحدّثني أبي قال : كان أوّلَ هاشميّ صَحِبته عليُّ بن سليمان بن عليّ أخو جعفر ومحمّد ، وكان فتاهم ظَرْفاً [1] ولهواً وسماحةً ، ووصَفني له جُوانُويَه ومضى بي إليه ، فوقعتُ من قلبه كلَّ مَوْقِع . وأوّلُ خليفة سمِعني المهديّ ، وُصِفتُ له فأخذني من عليّ بن سليمان ، وما سمِع قبلي من المغنّين أحداً سوى فُلَيْح بن أبي العَوْراء وسِياط ، فإنّ الفضل بن الرَّبيع وصلهما به .

[نهاه المهديّ عن الشرب ومصاحبة ابنيه موسى وهارون]

قال إسحاقُ : فحدّثني أبي قال : كان المهديّ[2] لا يَشرب فأرادني على مُلازمتِه وترك الشرب فأبيتُ عليه ، وكنتُ أغيبُ عنه الأيّامَ ، فإذا جئتُه جئتُه مُنْتَشِياً ، فغاظَه ذلك منّي فضرَبني وحبَسني ، فحَذِقتُ الكتابةَ والقراءةَ في الحبس ، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتّبذُّل معهم ؛ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنّما تعلّمتُ هذه الصناعةَ للذّتي وعِشرتي لإخواني ، ولو أمكنني تركُها لتركتُها وجميعَ ما أنا فيه لله جلّ وعزّ ؛ فغضِب غضباً شديداً وقال : لا تَدْخل على موسى وهارون ألبتّةَ ، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ ؛ فقلتُ : نعم ؛ ثم بلغه أنّي دخلتُ عليهما وشرِبتُ معهما ، وكانا مُستهترَيْن بالنبيذ ، فضربني ثلثَمائةِ سوط ، وقيّدني وحبَسني .

قال أحمدُ بن إسماعيل في خبره قال عمّي إسحاق فحدّثني أبي : أنّه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أبانُ الخادمُ ، فسَعى بهما وبي إلى المهديّ وحدّثه بما كنّا فيه ، فدعاني فسألني فأنكرتُ ، فأمر بي فجُرّدتُ فضُربتُ ثلثَمائة وستّين سوطاً ؛ فقلتُ له وهو يضربني : إنّ جُرْمي ليس من الأجرام التي يحلّ لك بها سَفْكُ دمي ، والله لو كان سرُّ ابنيك تحت قدميّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أبانَ السّاعي العبدِ ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضرَبني بالسيف في جَفْنه[3] فشجّني به ، وسقطتُ مغشيّاً عليّ ساعةً ، ثم فتحتُ عينيّ فوقعتا على عينَي المهديّ ، فرأيتُهما عَيْنَيْ نادمٍ ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خُذْه إليك . قال : وقَبْل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوطَ من يد سَلاّم الأبرش فضَربني ، فكان ضربُ عبد الله عندي بعد ضرب سَلاّم عافيةً ، ثم أخرجني عبدُ الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراءَ

1 ل : أكثرهم طرباً .

2 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 32–33 (رقم 52أ) ونهاية الأرب 4 : 330–331 .

3 جفن السيف : غمده .

وخضراء وحمراء من حَرِّ السَّوْط ، وأَمَره أن يتّخذ لي شبيهاً بالقبر فيصيِّرني فيه ؛ فدعا عبدُ الله بكَبْشٍ فذُبح وسُلخ وأَلبسني جلدَه ليسكن الضربُ ، ودفَعني إلى خادم له يقال له أَبو عثمان سَعيد التركيّ فصيَّرني في ذلك القبر ، ووكّل بي جاريةً له يقال لها جَشّة ؛ فتأذّيتُ بنزٍّ كان في ذلك القبر وبالبقّ ، وكان فيه حَلِيٌّ[1] أستريح إليه ، فقلتُ لجشّة : اطلُبي لي آجُرّة عليها فحم وكُنْدُر[2] يذهب عنّي هذا البقّ ، فأتتني بذلك ، فلمّا دخّنْتُ أظلم القبرُ عليّ وكادت نفسي تخرُج من الغمّ ، فاسترحتُ من أذاه إلى النّزّ فألصقتُ به أنْفِي حتى خَفّ الدُّخان ، فلمّا ظننتُ أنّي قد استرحتُ ممّا كنتُ فيه ، إذا حيّتان مُقْبلتان نحوي من شقّ القبر تَدُوران حولي بحفيفٍ شديدٍ ، فهَمَمْتُ أن آخذ واحدةً بيدي اليمنى والأُخرى بيدي اليسرى فإمّا عليّ وإمّا لي ، ثم كُفِيتُهما ، فدخلَتا من الثَّقْب الذي خرجَتا منه ، فمكثتُ في ذلك القبر ما شاء الله ، ثم أُخرجتُ منه ؛ ووجَّهتُ إلى أَبي عثمان الخادمِ أَسأله أَن يبيعني جَشّةَ لأُكافئها عمّا أَولَتْني[3] ففَعل ، فزوّجتُها من حاجبٍ لي ، ولم تزل عندنا . قال إسحاق : مكثتْ عندنا حتى ماتت ، وبقيتْ بنتٌ لها يقال لها جُمعة ، فزوّجتُها من مولىً لي في سنة أَربع وثلاثين ومائتين .

قال إبراهيم : وقلتُ في الحبس وأَنا مقيَّد : [من المتقارب]

أَلا طـال ليلي أُراعي النجوم ... أُعالـج في السّاق كَبْلاً ثقيلا
بـدارِ الهَـوانِ وشرِّ الديـار ... أُسامُ بها الخسفَ صبراً جميلا
كثيرَ الأَخـلاّء عنـد الرّخاء ... فلمّـا حُبِستُ أَراهـم قليلا
لطولِ بلائـيَ مَـلَّ الصديقُ ... فـلا يـأْمَنَنَّ خليـلٌ خليلا

[صنع وهو في الحبس لحناً في شعر أَبي العتاهية]

قال : ثم أَخرجني المهديّ وأَحْلَفني بالطّلاق والعِتاق وكلِّ يمين لا فُسْحَة لي فيها أَلاّ أَدخلَ على ابنيه موسى وهارون أَبداً ولا أُغنّيهما ، وخلّى سبيلي . قال : وصنعتُ في الحبس لحناً في شِعر أَبي العتاهية لمّا حبسَه المهديّ بسبب عُتْبة ، وهو[4] : [من الطويل]

صوت

أَيا وَيْحَ قَلْبي مـن نَجِيِّ البَلابِلِ ... ويا ويحَ ساقي من قُرُوح السّلاسلِ

---

1 ل : خلاء . والحلي : كلأ يابس .
2 الكندر : اللبان الذكر .
3 ل : فعلت .
4 ديوان أبي العتاهية : 625–626 .

ويـا ويحَ نفسي وَيْحَها ثم ويحها ... أَلَمْ تَنْجُ يومـاً من شِباك الحبائلِ
ويا ويحَ عَيْني قـد أضرّ بها البُكا ... فلم يُغْنِ عنها طِبٌّ ما في المَكاحِلِ
ذَرِينـي أُعَلِّلْ نفسيَ اليـوم إنّها ... رهينـةُ رَمْسٍ في ثَـرىً وجَنادلِ
ذَريني أُعَلِّل بالشّراب فقـد أرى ... بقيّـةَ عيشي هـذه غيرَ طائـلِ

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر حمّاد أنّه لجدّه إبراهيم . والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأوَل ، وله في البيتين الأخيرين ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

[استتر من الهادي لمّا ولي الخلافة وكان للمهديّ]

قال حمّاد : فلمّا وَلِيَ موسى الهادي الخلافةَ استتر جَدّي منه ولم يَظهر لهُ بسبب الأيمان التي حلّفه بها المهديّ ، فكانت منازلُنا تُكبَس في كلّ وقت وأهلُنا يُروَّعون بطلبه حتى أصابوه فمضوْا به إليه ، فلمّا عاينه قال : يا سيّدي ، فارقتُ أُمَّ ولدي وأعزَّ خلقِ الله عليّ ، ثم غنّاه لحنَه في شعره : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ خيرِ الملوك لا تَترُكَنّي ... غَرَضاً للعدوّ يرمي حِيالي
فلقد في هواك فارقتُ أهلي ... ثم عرَّضتُ مهجتي للزوالِ
ولقد عِفْتُ في هواك حياتي ... وتغرّبتُ بـين أهلي ومالي

الشّعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى . قال إسحاق : فموَّلَه والله الهادي وخوَّلَه ، وبحسْبك أنّه أخذ منه في يوم واحد مائةً وخمسين ألفَ دينار ، ولو عاش لنا لبنيْنا حِيطانَ دُورِنا بالذهب والفضّة[1] .

[ما وصل إليه من الأموال وما تركه]

قال حَمَّاد قال لي أبي[2] : نظرتُ إلى ما صار إلى جَدّك من الأموال والغَلاّت[3] وثمن ما باع من جواريه ، فوجدتُه أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم سوى أرزاقِه الجارية ، وهي عشرة آلاف درهم في كلّ شهر ، وسوى غَلاّت ضِياعه ، وسوى الصِّلات النَّزْرَة التي لم يحفظها ؛ ولا والله ما رأيتُ أكملَ مروءةً منه ، كان له طعامٌ مُعَدّ في كلّ وقت ؛ فقلت لأبي : أكان يُمكنه ذلك ؟ فقال : كان له في كلّ يوم ثلاثُ شِياه : واحدةٌ مقطَّعةٌ في القدور ، وأُخرى مسلوخةٌ ومعلَّقة ، وأُخرى حيّة ، فإذا أتاه قومٌ طَعِمُوا ما في القدور ، فإذا فرغتْ قُطّعت الشاة

1 ل : ذهباً وفضّة .
2 التذكرة الحمدونية 9 : 33 (رقم 52ب) ونهاية الأرب 4 : 331–332 .
3 ل : والصلات .

المعلَّقة ونُصبت القدور وذُبِحت الحيّة فعلِّقت وأُتيَ بأُخرى فجُعلت وهي حيّة في المطبخ ؛ وكانت وظيفتُه لطعامه وطِيبِه وما يُتّخذ له في كلّ شهر ثلاثين أَلف درهم سوى ما كان يُجرِي وسوى كُسْوته ؛ ولقد اتّفق عندنا مرّةً من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية ، ما منهنّ واحدة إلاّ ويُجْرِي عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلَ ما يُجرِي لأَخصّ جواريه ، فإذا رُدّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وصَلها وكساها ، ومات وما في ملكه إلاّ ثلاثة آلاف دينار ، وعليه من الدَّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

[محاطة في ثمن جارية بينه وبين الرشيد]

أَخبرني محمد بن خَلَف وَكيعٌ ويحيى بن عليّ بن يحيى وابن المَرْزُبان قالوا أُخبرنا حَمّاد بن إسحاق قال : كان أَبي يحدِّث أَنّ الرشيد اشترى من جَدّي جاريةً بستّة وثلاثين أَلفَ دينار ، فأَقامت عنده ليلةً ، ثم أَرسل إلى الفضلِ بن الربيع : إنّا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ، ونحن نحسب أَنّها من بابَتِنا[1] وليست كما ظننتُها ، وما قَربتُها ، وقد ثقُل عليّ الثمنُ وبينك وبينه ما بينكما ، فاذهب إليه فسَلْه أَن يَحُطَّنا من ثمنها ستّةَ آلاف دينار ؛ قال : فصار الفضلُ إليه فاستأذن عليه فخرج جدّي فتلقّاه ؛ فقال : دَعْني من هذه الكرامة التي لا مُؤْنة بيننا فيها ، لستُ ممّن يُخدع ، وقد جئتُك في أَمرٍ أُصْدُقُك عنه ، ثم أَخبره الخبرَ كلّه ؛ فقال له إبراهيم : إنّه أَراد أَن يبلوَ قَدْرَك عندي ؛ قال : ذاك أَراد ! قال : فمالي كلُّه صدقةٌ في المساكين إن لم أُضعِّفه لك ، قد حَطَطْتُك اثني عشر أَلف دينار ؛ فرجع الفضلُ إليه بالخبر ؛ فقال : وَيْلَك ؛ ادفعْ إلى هذا مالَه ، فما رأَيتُ سُوقةً قطُّ أَنبلَ نفساً منه . قال أَبي : وكنتُ قد أَتيتُ جدَّك فقلتُ : ما كان لحطيطةِ هذا المال معنىً وما هو بقليل ، فتغافَل عنّي وقال : أَنت أَحمقُ ، أَنا أَعرَفُ الناسِ به ، والله لو أَخذتُ المالَ منه كَمَلاً[2] ما أَخذتُه إلاّ وهو كاره ، ويحقِد ذلك عليّ وكنتُ أَكون عنده صغيرَ القَدْر ، وقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفضل ، وانبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قَدْري عنده ، وإنّما اشتريتُ الجاريةَ بأَربعين أَلف درهم ، وقد أَخذتُ بها أَربعة وعشرين أَلف دينار ، فلمّا حُمِل المالُ إليه بلا حَطيطة دعاني فقال لي : كيف رأَيتَ يا إسحاقُ ! مَنِ البصيرُ أَنا أَم أَنت ؟ فقلتُ : بل أَنت جعلني الله فداءك .

[وفاؤه للفضل بن يحيى والفضل بن الربيع]

حدّثني وَكيع قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أَبي قال[3] : لَقِي الفضل بن يحيى أَبي وهو خارج

1 من بابتنا : ممّن يصلح لنا .
2 كملاً : كاملاً .
3 التذكرة الحمدونية 3 : 21 .

من عند الفضل بن الرَّبيع ، وكانا متجاورَيْن في الشَّمّاسيّة[1] ، فقال : من أَين يا أَبا إسحاق ؟ أَمِن عند الفضل بن الربيع ؟ قلت : نعم ، غيرَ معتذرٍ من ذلك ؛ فقال : خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى ؟ هذان والله أَمران لا يجتمعان لك ؛ فقال : والله لئن لم يكن فيَّ ما يتَّسع لكما حتى يكونَ الوفاءُ لكما جميعاً واحداً ما فيَّ خيرٌ ، والله لا أَترك واحداً منكما لصاحبه ، فمن قَبِلني على هذا قَبِلَني ، ومَن لم يقبلني فهو أَعلم ؛ فقال له الفضل بن يحيى : أَنت عندي غير متَّهم ، والأَمرُ كما قلتَ ، وقد قَبِلتُك على ذلك .

[من الحبس إلى مجلس الرشيد]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال حدّثني أَبي : أَنّ الرشيد غضِب عليه فقيّده وحبسه بالرَّقَّة ، ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زيّنه وحسّنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ ؟ قال : نعم ، غَيْبةُ إبراهيمَ الموصليِّ عنه ؛ فأَمر بإحضاري فأُحضِرتُ في قيودي ، ففُكَّتْ عنّي بين يديه ، وأَمرهم فناولوني عُودا وقال : غنّني يا إبراهيم ؛ فغنّيته : [من الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ أَنْ مشتْ ... بِهِ زينبٌ في نِسْوةٍ خَفِراتِ[2]

فاستعاده وشرِب وطرِب ، وقال : هَنَأْتَني يومي وسأُهْنِئُك بالصِّلة ، وقد وهبتُ لك الهنيءَ والمَرِيءَ ؛ فانصرفتُ ، فلمّا أَصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتي أَلف درهم .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَضَوَّع مِسكاً بطنُ نَعْمانَ أَنْ مشتْ ... بِهِ زينبٌ في نِسْوةٍ خَفِراتِ
مَرَرْنَ بفَخٍّ رائحاتٍ عَشِيَّةً ... يُلَبِّين للرّحمن مُعْتَمِراتِ
يُخَمِّرن أَطرافَ البَنان من التُّقى ... ويَقتُلْنَ بالأَلحاظ مُقْتَدِراتِ[3]
ولَمّا رأَت ركبَ النُّمَيْريِّ أَعرضتْ ... وكنَّ مِنَ أن يَلْقَيْنَه حَذِراتِ

الشعر للنُّمَيْريّ الثَّقفيّ . والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن

1 الشماسيّة : محلّة ببغداد .
2 بطن نعمان : واد بين مكّة والطائف . ونسوةٍ خَفِرات في ل : نسوة عطرات .
3 رواية هذا البيت في الكامل للمبرد (الدالي) : 771
يخبئن أطراف البنان من التقى ... ويخرجن شطر الليل مختمرات

إسحاق ويحيى المَكّيّ وعمرو بن بانة . وذكر حبشٌ أن فيه لعَزَّةَ المَيْلاء لحناً من الثقيل الأوّل .

[أنشده يحيى بن خالد بيتاً فثناه وغنى فيه]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد وأحمد بن جعفر جَحْظة قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال ، وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمّد جميعاً عن إسحاق عن أبيه قال : رأيت يحيى بن خالد خارجاً من قصره الذي عند باب الشَّماسيّة يريد قصرَه الذي بباب البَرَدان[1] وهو يتمثّل : [من الوافر]

صوت

هَوىً بِتِهامةٍ وهـوىً بنجـدٍ فأبلتْنـي التَّهائِـمُ والنُّجودُ[2]

قال أبي : فزِدْتُه عليه : [من الوافر]

أُقِيم بذا وأذْكُـر عهـدَ هذا فَلي مـا بين ذَيْن هوىً جديدُ

قال : وصنعت فيه لحناً ، قال الصُّوليّ في خبره : وهو من خفيف الثَّقيل ، ثم صِرتُ إليه فغنّيته إيّاه ، فأمر لي بألف دينار وبدابّته التي كانت تحته يومئذٍ بسَرْجها ولجامها ؛ فقلت له : جزاك الله من سيِّد خيراً ، فإنّك تأتي الأَنفُسَ وهي شواردُ فتُقِرّها ، والأهواءَ وهي سَقيمة فتُصِحّها ؛ فأمر لي بألف دينار أُخرى .

قال إبراهيم : ثم ضرَب الدهرُ من ضَرْبه ، فبينا أنا أسير معه إذ لقِيه العبّاس بن الأحنف ، وكان ساخِطاً عليه لشيء بلغه عنه ، فترجَّل له وأنشده[3] : [من السريع]

صوت

بالله يـا غضبانُ إلاّ رَضِيتْ أذاكـرٌ للعهدِ أم قـد نسِيتْ

فقال : بل ذاكرٌ يا أبا الفضل ؛ فأضفتُ إلى هذا البيت : [من السريع]

لو كنتُ أبغي غيرَ مـا تشتهي دعوتُ أن تُبْلى كما قـد بُلِيتْ

وصنعت فيه لحناً ، قال الصُّولي في خبره : هو ثقيل أوّل ، قال : وغنّيتُه به ، فأمر لي بألفيْ دينار وضحِك ؛ فقلت : من أيّ شيء تَضْحك يا سيّدي ؟ لا زلتَ ضاحكاً مسروراً ! فقال : ذكرتُ ما جرى في الصوت الأوّل وأنّه كان مع الجائزة دابّةٌ بسرجه ولجامه ، ولن تنصرف الليلةَ إلاّ على مثله ، فقمتُ فقبّلت يدَه ؛ فأمر لي بألفيْ دينار آخرين ، وقال : تلك الكرّة شكَرْتَ على الجائزة بكلام فزدناك ، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة ، ولولا أنّي مُضيقٌ

1 البردان : من قرى بغداد آنئذٍ .

2 فأبلتني في ل : فأبكتني .

3 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 87 .

في هذا الوقت لضاعفتُها ، ولكنّ الدهرَ بيننا مستأنَفٌ جديد .

[غنّى الرشيد بشعره]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أَبيه قال : لمّا نَزل الرشيدُ في طريقه إلى طُوس بشِبْداز[1] جلس يشرب عنده ، فكان إبراهيمُ الموصليّ أَوّلَ مَن غنّاه ، فابتدأ بهذا الصوت ، والشعرُ له : [من الهزج]

صوت

رأيتُ الدِّيـنَ والدُّنيا مُقيمَيْـــن بشِبْـــدازِ
أَقامــا بـــين حَجّاجٍ وغـــازٍ أَيّما غـــازِ[2]

وهو من الثقيل الأول ، فأَمر له بأَلف دينار ، ولم يَستحسن الشعرَ ، وقال له : يا إبراهيم صَنْعتُك فيه أَحسن من شعرك ؛ فخجِل وقال : يا سيّدي شغَل خاطري الغناءُ فقلت لوقتي ما حضَرني ؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له : صدقتَ .

[كثير الأصدقاء]

أَخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن حَمّاد عن أَبيه قال : كان جدُّك محبّاً للأَشراف كثيرَ الأَصدقاء منه ، حتى إنْ كان الرشيدُ لَيَقولُ كثيراً : ما أَعرف أَحداً أَكثَر أَصدقاءَ من إبراهيم .

[كاتب وشاعر وخطيب]

قال إسحاق : وما سمعتُ أَحسنَ غناءٍ من أربعة : أَبي ، وحَكَم الوادي ، وفُلَيْح بن أَبي العَوْراء ، وسِيَاط ؛ فقلت له : وما بلغ من حِذْقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون ، ويؤدّون غناءَ غيرِهم فيُحسنون ؛ فقلت : فأَيّهم كان أَحذق ؟ قال : كانوا بمنزلة خطيبٍ أَو كاتب أَو شاعر يُحسن صناعته ، فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلُغ منها ما يبلُغ من صناعته ، وكان جدُّك كرجل مفوَّه ، إن خطب أَجْزل ، وإن كتب رسالة أَحْسن ، وإن قال شعراً أَحْسن ، ولم يكن فيهم مثلُه .

[أوّل مَن علّم الجواري الغناء]

أَخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حَمّاد عن أَبيه ، وأَخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبه ، وأَخبرني إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شَبّة جميعاً عن إسحاق قال[3] : لم يكن الناس يعلّمون الجاريةَ الحسناء الغناءَ ، وإنّما كانوا يعلّمونه الصُّفْرَ والسُّودَ ؛ وأَوّل مَن علّم

1 طوس وشبداز : مدينتان في خراسان ، وفي الأولى دفن الرشيد .
2 حجاج هنا : كثير الحجّ .
3 أورد ابن حمدون هذه الفقرة في التذكرة 9 : 27 (رقم 49) عن الأغاني .

الجواريَ المُثَمَّناتِ أبي ، فإنّه بلغ بالقِيان كلَّ مَبلغ ، ورفَع من أقدارهنّ . وفيه يقول أبو عُيَيْنة بن محمّد بن أبي عُيَيْنة المهلَّبيّ وقد كان هوِي جاريةً يقال لها أمان فأغلى بها مولاها السَّوْمَ ، وجعل يردّدها إلى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما ، فكلّما زادت في الغناء زاد في سَوْمِه ، فقال أبو عُيَينة : [من الخفيف]

قلتُ لمّا رأيتُ مولى أمانٍ قد طَغى سومُه بها طُغْيانا
لا جَزى الله المَوْصليّ أبا إسـ ـحاقَ عنّا خيراً ولا إحسانا
جاءنا مُرسَلاً بوَحْيٍ من الشيـ ـطانِ أغلى به علينا القِيانا
من غِناءٍ كأنّه سَكَرات الـ ـحبّ يُصْبي القُلوبَ والآذانا

[مديح ابن سيابة له]

وقال فيه ابن سيابةَ : [من مجزوء الرمل]

صوت

ما لإبراهيمَ في العِلْـ ـم بهذا الشأن ثاني
إنّما عُمْر أبي إسـ ـحاق زَيْنٌ للزمانِ
جَنّة الدُّنْيا أبو إسـ ـحاق في كلّ مكانِ
فإذا غَنّى أبو إسحا ق أجابَتْه المَثاني
منه يُجْنى ثَمَرُ اللهـ ـو وريحانُ الجِنانِ

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان : خفيفُ ثقيل بالبنصر ، وخفيفُ رَمَل بالوسطى عن عمرو والهِشاميّ .

[شعر أبي العتاهية فيه وهو محبوس]

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامةَ قال : كان سَلْم الخاسر عند أبي العتاهية ، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبَس إبراهيم الموصليّ في المُطبِق ؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال[1] : [من الخفيف]

سَلْمُ يا سَلْمُ ليس دونك سِترُ حُبِس المَوْصليُّ فالعيشُ مُرُّ
ما استطابَ اللذّاتِ مُذْ سَكَن المُطْـ ـبِقَ رأسُ اللذّات في الناس حُرُّ

1 ديوان أبي العتاهية : 535 عن الأغاني .

تركَ الموصـــليُّ مَـــنْ خلَـــق الـ ـــلهُ جميعـــاً وعيشُهم مُقْشَعِرُّ
حُبِس اللهوُ والسرور فمـا في الـ ـأرض شيءٌ يُلْهـى بـه أو يَسُرُّ

وأنشدني بعضُ أصحابنا عن ابن المَرْزُبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فَنَن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصليّ لمّا حُبس[1] : [من الوافر]

أيا غَمِّـي لغمِّك يـا خليلي ويا وَيْـلي عليك ويـا عَوِيلي
يَعِـزُّ علـيّ أنّك لا تـراني وأنّـي لا أراكَ ولا رسولي
وأنّك في محـلِّ أذىً وضَنْكٍ وليس إلى لقائـك مـن سبيلِ
وأنّي لستُ أملِك عنك دفعاً وقد فُوجئتَ بالخَطْبِ الجليلِ

[إبراهيم بن المهديّ يدّعي لحناً له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن عمر قال حدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمّد عن القَطرانيّ المغنّي عن محمّد بن جبر ، وكان المهديّ ربّاه ، قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال[2] : انصرفتُ ليلةً من الشَّمّاسيّة فمررتُ بدار إبراهيمَ الموصليّ ، وإذا هو في رَوْشَن له وقد صنَع لحنه : [من الطويل]

ألا رُبّ نَدمـانٍ عـليّ دموعُـه تَفِيضُ على الخدَّين سَحّاً سُجُومُها

وهو يُعيده ويلعَب به بنَغَمه ويُكرِّره لتَسْتَوي له أجزاؤه ، وجواريه يضربْن عليه ، فوقفتُ تحت الرَّوْشَن حتى أخذتُه ثم انصرفت إلى منزلي ، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغايةَ ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّمّاسيّة واجتمعنا عند الرشيد ، فاندفع إبراهيم فغنّاه أوّلَ شيء غنّى ، فلمّا سمعه الرشيد طرِب واستحسنه وشرب عليه ، ثم قال له : لمن هذا يا إبراهيم ؟ قال : لي يا سيِّدي ، صنعتُه البارحة ؛ فقلت : كذَب يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت قديمٌ وأنا أُغنِّيه ؛ فقال لي : غَنِّه يا حبيبي ، فغنَّيتُه كما غنّاه ؛ فبُهِت إبراهيمُ وغضِب الرشيد ، وقال له : يا ابن الفاجرة ! أتكْذِبني وتدّعي ما ليس لك ؟ . قال : فظلَّ إبراهيمُ بأسوأ حال ؛ فلمّا صلّيتُ العصر قلت للرشيد : يا أمير المؤمنين ، الصوتُ وحياتِك له وما كذَب ، ولكنّي مررتُ به البارحةَ وهو يردّده على جارية له فوقفتُ حتى دار لي واستوى فأخذتُه منه ؛ فدعا به الرشيد ورضي عنه ، وأمر له بخمسة آلاف دينار .

1 ديوان أبي العتاهية : 626 عن الأغاني .
2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 28 (رقم 50) .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

أَلا رُبَّ نَدْمـانٍ عـلـيّ دموعُــه تَفيضُ على الخَدَّيْن سَحّاً سُجومُها
حَلِيمٌ إذا ما الكأسُ دارتْ وهَرَّها رجالٌ لديها قد تَخِفّ حُلومُها[1]

الغناء لإبراهيمَ رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

[بينه وبين إبراهيم بن المهديّ وابن جامع]

أَخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أَبي عن طَيّاب بن إبراهيم الموصليّ قال : كان إبراهيم بن المهديّ يُقدِّم ابنَ جامع ولا يُفضِّل عليه أَحداً ، فأَخبرني إبراهيم بن المهديّ قال : كنّا في مجاس الرشيد وقد غلَب النبيذُ على ابن جامع ، فغنّى صوتاً فأَخطأَ في أَقسامه ؛ فالتفتَ إليّ إبراهيمُ فقال : قد خَزي أُستاذك فيه ! وفهمتُ صدْقَه فيما قال ؛ قال : فقلت له : انتبه أَيّها الشيخ وأَعِدِ الصوتَ ، ففَطِن وأَعاده وتحفّظ فيه وأَصاب ؛ فغضب إبراهيم وأَقبل عليّ فقال : [من الوافر]

أُعلِّمــهُ الرِّمايَةَ كلَّ يومٍ فلمّا استَدّ ساعدُه رماني[2]

وتنكّر لي وحلَف أَلاّ يكلِّمني ؛ فقلت للرشيد بعد أَيّام : إن لي حاجةً ؛ قال : وما هي ؟ قلت : تأمر إبراهيمَ الموصليّ أَن يرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه ؛ فقال : ومَن إبراهيم حتى يُطلبَ رضاه ! فقلت : يا أَمير المؤمنين ، إنّ الذي أُريده منه لا يُنال إلاّ برضاه ؛ فقال : قم إليه يا إبراهيم فقبِّلْ رأسه ؛ فقام إليّ ليقبِّل رأسي ، فلمّا أَكبَّ عليّ قال : تَعُود ؟ قلت : لا ؛ قال : قد رضيتُ عنك رِضىً صحيحاً ، وعاد إلى ما كان عليه .

[غنّى الرشيد في الحيرة]

أَخبرني أَبو الحسن أَحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى قال : سمعتُ جدّي عليّاً يحدِّث عن إسحاق قال : قال أَبي : خرجتُ مع الرشيد إلى الحيرة ، فساعةَ نَزل بها دعا بالغَداء فتغدّى ثم نام ، فاغتنمتُ قائلتَه فذهبتُ فركبت أَدُور في ظهر الحِيرة ، فنظرتُ إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه ، فاستأذنته في الدخول فأَذِن لي ، فدخلت فإذا جَنّة من الجِنان في أَحسن تُرْبة وأَغزرِها ماءً ، فخرجتُ فقلت له : لمن هذا البستان ؟ فقال : لبعض الأَشاعِثة ؛ فقلت له : أَيُباع ؟ فقال : نعم وهو على سَوْم ؛ فقلت : كم بلغ ؟ فقال : أَربعةَ عشرَ أَلفَ دينار ؛ قلت : وما يُسَمَّى هذا الموضع ؟ قال : شُمارى ؛ فقلت : [من الطويل]

---

1 هرّ الكأس : كرهها .

2 استدّ : استقام . ويُروى اشتدّ .

صوت

جِنانَ شُمارى ليس مثلَك مَنْظَرٌ لذِي رَمَدٍ أُعيا عليه طبيبُ
تُرابُكِ كافور ونَوْرُكِ زهرةٌ لها أَرَجٌ بعد الهُدُوِّ يطيبُ[1]

قال : وحَضَرتْني فيه صَنْعةٌ حسنة ؛ فلمّا جلس الرشيد وأُمر بالغناء غنّيته إيّاه أوّلَ ما غنَّيتُ ؛ فقال : وَيْلَك ! وأين شُمارَى ؟ فأُخبرته القصّة ؛ فأمر لي بأربعةَ عشرَ ألفَ دينار ؛ وغَمَزني جعفر بن يحيى فقال : خذ توقيعَه بها إليّ ؛ وتشاغل الرشيدُ عنّي ، فأعدتُ الصوتَ ، فقال : وَيْلكم ! أَعْطُوا هذا دنانيره ؛ فوثبتُ وقلت : يا سيّدي ، وَقِّع لي بها إلى جعفر بن يحيى ؛ فقال : أُفعلُ ، ووقَّع لي بها إليه ؛ فلمّا حصَلَ التوقيعُ عند جعفر أُطلق لي المالَ وخمسةَ آلاف دينار من عنده ؛ فلمّا حصَلَ المالُ عندي كان أُحبَّ إليّ وأَحسنَ في عَيْني من شُمارَى .

[غنّى في أبيات طلب الرشيد إجازتها]

أُخبرني جعفر بن قُدامة قال أَخبرني أَبو العَيْناء قال : خرج الفضلُ بن الرَّبيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رقْعةٌ فيها أربعة أَبيات ، فقال : إنّ أمير المؤمنين يأمر كلَّ مَن حضَر ممّن يقول الشعر أن يُجيزها ، وهي : [من الكامل]

أَهْدى الحبيبُ مع الجَنُوب سلامَه فارْدُدْ إليه مع الشَّمال سلاما
واعرِفْ بقلبك ما تَضمَّن قلبُه وتداولاَ بهواكما الأيّاما
وإذا بكيتَ له فأَيْقِنْ أنّه ستجود أَدْمُعه عليك رِهَاما[2]
فاحبِس دموعَك رحمةً لدموعه إن كنتَ تحفظُ أَو تَحُوط ذِماما

فلم يوجد مَن يُجيزها ، فأمر إبراهيمَ فغنّى فيها لحناً من خفيف الثقيل .

[تأخّر عن ركب الرشيد ليبقى عند خمّار]

أَخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني أَبو العبّاس البصريّ قال حدّثني عبد الله بن الفَضْل بن الرَّبيع قال سمعت أبي يقول : لمّا خرج الرشيدُ إلى الرَّقّة أَخْرَج معه إبراهيمَ الموصليّ ، وكان به مشغوفاً ، ففقده في بعض المنازل أيّاماً وطلبه فلم يُخبره أَحد بقصّته ؛ ثم أتاه ، فقال له : وَيْحَك ؛ ما خبرُك وأين كانت غَيْبتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، حديثي عجيب ، نزلنا بموضع كذا وكذا ، فوُصِف لي خَمّارٌ ، من ظَرْفه ومن نظافة منزله كيت وكيت ، فتقدّمتُ

---

1 ونَوْرُك في ل : ونبتك .
2 الرهام : المطر الضعيف .

أمام ثَقَلي[1] وأتيته مُخِفّاً ، فوافيتُ أطيب منزل وأوسعَ رَحْل وأطيبَ طعام وأسخى نفْسٍ ، من شابٍّ حسن الوجه ظريف العِشْرة ، فأقمت عنده ، فلمّا أردتُ اللِّحاق بأمير المؤمنين أقْسم عليّ وأخرجَ لي من الشراب ما هو أطيبُ وأجود ممّا رأيت ، فأقمت ثلاثاً ، ووهبتُ له دنانير كانت معي وكُسوةً ، وقلت فيه : [من البسيط]

صوت

سَقْيـاً لمنـزل خَمّـارٍ قَصَفْتُ به ... وَسْط الرُّصافة يومـاً بعد يومينِ
مـا زلـتُ أرهَنُ أثوابي وأشْرَبُهـا ... صفراءَ قد عُتِّقتْ في الدَّنّ حَوْلينِ
حتى إذا نَفِـدَت منّـي بأجمعها ... عاودتُـه بالرِّبـا دَنّـاً بدَنَّـينِ
فقـال «إزَلْ بشِين» حين ودَّعني ... وقـد لَعَمْرُك زُلْنا عنـه بالشَّيْنِ

الشعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رمل بالبنصر . قوله : «إزَلْ بشِين» كلمة سريانية ، تفسيرها : إمْضِ بسلام ، دعا له بها لما ودّعه ، قال إبراهيم : فقال لي الرشيد : غَنِّني هذا الصوتَ ، فغنّيتُه إيّاه وزمَر عليه بَرْصُوما ، فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضَيْعة ، وبعث إليّ الخَمّارِ فأُحْضِر ، وأهْدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصَله ؛ ووهَب له إبراهيمُ عشرةَ آلاف درهم .

[رؤيا ابن جامع]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمّد بن مَزْيَد ووكيع قالوا جميعاً حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال : قال ابن جامع يوماً لأبي : رأيتُ في منامي كأنّي وإيّاك راكبان في مَحْمِل ، فَسَفُلْتَ حتى كِدتَ تَلْصَق بالأرض ، وعلا الشِّقُّ الذي أنا فيه ، فَلأَعْلُونَّك في الغناء ؛ فقال إبراهيم : الرؤيا حقٌّ والتأويل باطل ، إنّي وإيّاك كنّا في ميزان ، فرجحتُ بك وشالتْ كِفّتُك وعلوتَ فلَصِقتُ بالأرض ، فلأَبْقَيْنّ بعدك ولتموتنّ قبلي : قال إسحاق : فكان كما قال أبي ، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده ، ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده .

[ابن جامع يأخذ لحناً له عن جارية]

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع الرَّبيعيّ قال حدّثتني خَديجة بنت هارون بن عبد الله بن الرَّبيع قالت حدّثتني خمار جارية أبي ، وكانت قُنْدُهارِيّة[2] ، اشتراها جدّي عبد الله وهي صَبِيّة رَيِّض[3] من آل يحيى بن مُعاذ بمائتي ألف درهم ، قالت : ألقى عليّ إبراهيمُ الموصليّ لحنَه في

1 ثقل المسافر : متاعه .
2 قندهارية : نسبة إلى قندهار مدينة في أفغانستان .
3 ريض : الدابة أوّل ما تراض ، يطلق على الذكر والأنثى .

هذين البيتين : [من الطويل]

صوت

إذا سَرّها أمرٌ وفيه مَساءتي قضيتُ لها فيما تريد على نفسي
وما مَرّ يومٌ أرتجي فيه راحةً فأذكُرَه إلاّ بكيتُ على أمسِ

الشعر لأبي حَفْص الشِّطْرَنْجيّ[1] ، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، فسمعني ابن جامع يوماً وأنا أُغنّيه ، فسألني : ممّن أخذتِه ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : أعِيديه ، فأعدتُه مِراراً ، وما زال ابن جامع يتنغّم به معي حتى ظننت أنّه قد أخذه ، ثم كان كلّما جاءنا قال لي : يا صَبِيّةُ ، غنّي ذلك الصوت ، فكان صوتَه عليّ .

[قصّته مع مخارق في أخذه دراهم من يحيى البرمكيّ وأولاده]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبَّة قال قال مخارق : أَذِن لنا أمير المؤمنين الرشيدُ أن نُقيم في منازلنا ثلاثةَ أيّام ، وأعلمنا أنّه مشتغل فيها مع الحُرَم ، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم ، وأخبرني وَسْواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ[2] بهذا الخبر فقال حدّثني أبي عن أبيه عن مُخارق قال : اشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحُرَم وقد أصبحتِ السماء مُتغيِّمة ، فانصرفنا إلى منازلنا . ولم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شبّة ممّا قدمتُ ذكره ، واتّفقا هاهنا في أكثر الحكايات ، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصليّ ، قال مخارِق : وأصبحت السماء مُتغيِّمة تَطِشّ طَشّاً خفيفاً ، فقلت : والله لأذهبنّ إلى أستاذي إبراهيمَ فأعرف خبره ثم أعود ، فأمرتُ مَنْ عندي أن يُسَوُّوا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي ؛ فجئت إلى إبراهيمَ الموصليّ فإذا البابُ مفتوح والدِّهليز قد كُنِس والبوّاب قاعد ؛ فقلت : ما خبر أستاذي ؟ فقال : ادخُل ، فدخلت فإذا هو جالس في رِواق له وبين يديه قُدورٌ تُغَرْغِر وأباريق تَزْهَر ، والستارة منصوبة والجواري خَلْفَها ، وإذا قُدَّامَه طَسْتٌ فيه رِطْلِيّة وكوزٌ وكأس ، فدخلت أترنّم ببعض الأصوات ، وقلت له : ما بالُ الستارة لستُ أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعُد وَيْحَك ! إنّي أصبحت على الذي ظننتَ ؛ فأتاني خبرُ ضَيْعة تجاورني ، قد والله طلبتُها زماناً وتمنّيتها فلم أملكها ، وقد أُعْطِيَ بها مائةُ ألف درهم ؛ فقلت : وما يمنعك منها ؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعافَ هذا المال وأكثر ؛ قال : صدقتَ ، ولكن لستُ أطِيب نَفْساً أن أُخرِج هذا المال ؛ فقلت : فمن يُعطيك الساعةَ مائة ألف درهم ؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد ، فكيف بمن دونه ؟ فقال : اجلس ، خذ هذا الصوت ، ونَقَر بقضيب معه

1 سيترجم أبو الفرج لأبي حفص الشطرنجي في الأغاني فيما بعد .
2 تقدّم هذا الاسم على أنّه أحمد بن أحمد وأحمد بن محمّد وهذه صيغة ثالثة .

على الدواة وألقى عليّ : [من البسيط]

صوت

نام الخَلِيُّون مــن هَمٍّ ومن سَقَمِ ... وبِتُّ مــن كَثْرة الأحزان لم أَنَمِ
يا طالبَ الجود والمعروفِ مُجتهداً ... اعْمِدْ ليحيى حليفِ الجود والكرم

الشعر لأبي النضير[1] ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالبنصر . قال : فأخذتُه فأحكمتُه ؛ ثم قال لي : امضِ الساعةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد ، فإنّك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ ، فاستأذِنْ عليه قبل أن يَصِلِ إليه أحد ، فإنّه سيُنكِر عليك مجيئك ويقول : من أين أقبلتَ في هذا الوقت ؟ فحدِّثْه بقصدك إيّاي وما ألقيتُ إليك من خبر الضَّيْعة ، وأَعْلِمْه أنّي صنعتُ هذا الصوت وأعجبني ، ولَم أَرَ أحداً يستحقّه إلاّ فلانةَ جاريتَه ، وأنّي ألقيتُه عليك حتى أحكمْتَه لتطرحَه عليها ؛ فسيدعو بها ويأمر بالسِّتارة أن تُنْصَب ويُوضع له كرسيّ ويقول لك : اطْرَحْه عليها بحضرتي ، فافعل وأْتِني بالخبر بعد ذلك . قال : فجئتُ بابَ يحيى فوجدتُه كما وَصف ، وسألني فأعلمتُه ما أمرني به ، ففعل كلَّ شيء قاله لي إبراهيم ، واحضَر الجارية فألقيتُه عليها ؛ ثم قال لي : تُقيم عندنا يا أبا المهنّأ أو تنصرف ؟ فقلت : أنصرف أطال الله بقاءك فقد علمتَ ما أُذِن لنا فيه ، قال : يا غلام ، احمِلْ مع أبي المهنّأ عشرة آلاف درهم ، واحمِلْ إلى أبي إسحاق مائةَ ألف درهم ثمنَ هذه الضَّيْعة ، فحُمِلَتِ العشرةُ الآلاف الدرهم إليّ ، وأتيتُ منزلي فقلت : أُسَرّ يومي هذا وأُسِرّ من عندي ، ومضى الرسول إليه بالمال ؛ فدخلتُ منزلي ونَثرتُ على من عندي من الجواري دراهمَ من تلك البَدْرة ، وتوسّدتُها وأكلتُ وشرِبت وطرِبت وسُرِرت يومي كلَّه ؛ فلما أصبحتُ قلتُ : والله لآتِينّ أُستاذي ولأعرِفنّ خبره ، فأتيتُه فوجدت البابَ كهيئته بالأمس ، ودخلتُ فوجدته على مثل ما كان عليه ، فترنّمت وطَرِبت فلم يتلقَّ ذلك بما يجب ؛ فقلت له : ما الخبر ؟ ألَم يأتك المال ؟ قال : بلى ، فما كان خبرُكَ أنت بالأمس ؟ فأخبرتـه بما كان وُهب لي وقلـت : ما ينتظر من خلف الستارة ، فقال : ارفع السَّجْف فرفعتُه فإذا عشر بِدَر ؛ فقلت : وأيّ شيء بقي عليك في أمر الضيعة ؟ قال : وَيْحَك ! ما هو والله إلاّ أن دخلتْ منزلي حتّى شَحَحْتُ عليها فصارت مثلَ ما حَويتُ قديماً ؛ فقلت : سبحان الله العظيم ؛ فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى أُلقِي عليك صوتاً صنعتُه يفوق ذلك الصوت ؛ فقمتُ وجلستُ بين يديه ، فألْقى عليّ : [من الطويل]

---

1 سيترجم أبو الفرج لأبي النضير فيما بعد .

صوت

وَيَفْرَح بالمولــودِ مــن آلِ بَرْمَـكٍ بُغاةُ النَّدَى والسيفُ والرمحُ ذو النصلِ[1]
وتَنْبسطُ الآمــالُ فيـــه لفضلــه ولا سيّما إن كان مــن وَلَدِ الفَضْلِ

الشعرُ لأبي النَّضير . والغناءُ لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهِشاميّ ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لإسحاق ، وهو الصحيح . وفيه خفيف ثقيلٍ ، أظنّه لحنَ إبراهيم . أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شَبّة عن إسحاق أنّ أباه صنع هذا الصوت في طريقة خفيف الثقيل وعَرَضه على الفَضْل ، فاستحسنه وأمر مخارقاً بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش[2] وقَضِيبَ فأخذتاه عنه . قال مُخارِق : فلمّا ألقى عليّ الصوتَ سمعتُ ما لم أسمع مثلَه قطُّ ، وصغُر عندي الأوّل فأحكمْتُه ؛ ثم قال : انهض الساعةَ إلى الفَضْل بن يحيى ، فإنّك تَجدُه لم يأذن لأحد بعدُ ، وهو يريد الخَلْوة مع جواريه اليوم ، فاستأذِنْ عليه وحدِّثه بحديثنا أمس ، وما كان من أبيه إلينا وإليك ، وأعلمه أنّي قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندي أرفعَ منزلةً من الصوت الذي صنعتُه بالأمس ، وأنّي ألقيته عليك حتى أحكمْتَه ووَجَّهْتُ بك قاصداً لتلقيه على فلانةَ جاريته ؛ فصِرتُ إلى باب الفَضْل فوجدتُ الأمر على ما ذكرَ ، فاستأذنتُ فوصلتُ ؛ وسألني : ما الخبر ؟ فأعلمتُه بخَبَري في اليوم الماضي وما وصل إليّ واليه من المال ؛ فقال : أخزى الله إبراهيمَ فما أبخله على نفسه ! ؛ ثم دعا خادماً فقال : اضرب السِّتارة فضربها ، فقال لي : ألْقِه ، فلمّا غَنّيتُه لم أُتِمّه حتى أقبَل يَجُرّ مِطْرفَه ، ثم قعد على وِسادة دون السّتارة ، وقال : أحْسَنَ والله أستاذُك وأحسنتَ أنتَ يا مخارق ؛ فلم أخرج حتى أخذَتْه الجاريةُ وأحكمتْه ، فسُرّ بذلك سروراً شديداً ؛ وقال : أقِم عندي اليوم ؛ فقلت : يا سيّدي إنّما بقي لنا يومٌ واحد ، ولولا أنّي أحبّ سرورَك لم أخرج من منزلي ؛ فقال : يا غلام احمِلْ مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم واحمل إلى إبراهيم مائتي ألف درهم ؛ فانصرفتُ إلى منزلي بالمال ، ففتحتُ بَدْرة فنثرت منها على الجواري وشربت وسُررت أنا ومن عندي يومَنا ؛ فلمّا أصبحتُ بكّرتُ إلى إبراهيمَ أتَعَرَّف خبرَه وأعرِّفه خَبَري ، فوجدتُه على الحال التي كان عليها أوّلاً وآخِراً ، فدخلتُ أترنّم وأصفّق ؛ فقال لي : ادْنُ ؛ فقلت : ما بقي ؟ فقال : اجلس وارفعْ سَجْف هذا الباب فرفعته فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر ؛ فقلت : ماذا تنتظر الآن ؟ فقال : وَيْحَك ، ما هو والله إلاّ أن حصلتْ حتى جرتْ مجرى ما تقدّم ؛ فقلتُ : والله ما أظنّ أحداً نال في هذه الدولة ما نلتَه ، فلِمَ تَبْخل على نفسك بشيء تمنّيتَه دهراً وقد ملّكك اللهُ أضعافَه ؟ ثم قال : اجلس فخُذ هذا الصوتَ ؛

---

1 ل : والنصل وكذا ورد في نهاية الأرب 4 : 354 وشطر البيت الثاني فيه «ولا سيّما إن كان والده الفضل» .

2 ل : براقش .

وألْقى عليّ صوتاً أنساني واللهِ صوتَيَّ الأوّلَيْن : [من الطويل]

صوت

أفي كلّ يومٍ أنتَ صبٌّ وليلةٍ إلى أمّ بكـرٍ لا تُفيق فتَقْصِرُ
أُحِبّ على الهِجران أكنافَ بيتها فيا لَكَ من بيتٍ يُحَبُّ ويُهْجَرُ
إلى جعفرٍ سارت بنا كلُّ جَسْرةٍ طَواها سُراهـا نحـوَه والتهجُّرُ
إلى واسعٍ للمُجْتَدِيـن فِناؤه تَـروحُ عطايـاه عليهم وتَبْكُرُ

الشعر لمروانَ بن أبي حَفْصَة يمدح به جعفر بن يحيى . والغناء لإبراهيم ، ولم تقع إلينا طريقتُه . قال مُخارِق : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟ فقلت : ما سمعتُ قطُّ مثلَه . فلم يَزَلْ يُرَدِّده عليّ حتّى أخذتُه ، ثم قال لي : امضِ إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيه ؛ قال : فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك وخبّرته ما كان منهما وعرَضْتُ عليه الصوت ، فسُر به ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة وأُحضِرَ الجارية وقعد على كرسيّ ، ثم قال : هاتِ يا مُخارِق ؛ فاندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه ؛ فقال : أحسنتَ والله يا مُخارق وأحسنَ أُستاذُك ، فهل لك في المُقام عندنا اليومَ ؟ فقلت : يا سيِّدي هذا آخر أيّامنا ، وإنّما جئتُ لموقع الصوت منّي حتى أُلقيته على الجاريـة ؛ فقال : يا غلام احمِل معه ثلاثين ألف درهم وإلى المَوصلّي ثلثمائة ألف درهم ؛ فصرتُ إلى منزلي بالمال ، فأقمتُ ومَن معي مسرورين نشرَبُ بقيّةَ يومنا ونطرَب ، ثم بكّرتُ إلى إبراهيم فتلقّاني قائماً وقـال لي : أحسنتَ يـا مُخارق ؛ فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس فجلستُ ، فقال لِمَن خلف الستارة : خذوا فيما أنتم فيه ، ثم رفع السَّجْف فإذا المال ؛ فقلت : ما خبر الضّيعة ؟ فأدخل يده تحت مِسورة هو مُتّكيء عليها فقال : هذا صَكُّ الضيعة ، سئل عن صاحبها فوُجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد ، وكتب إليّ : قد علمتُ أنّك لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مـال يحصُل لك ولو حِيزتْ لك الدّنيا كلُّها ، وقد ابتعتُها لك من مالي ووجّهتُ لك بصَكّها ؛ ووجّه إليّ بصكّها وهذا المال كما ترى ؛ ثم بكى وقال لي : يا مخارِق إذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء ، وإذا خنكرت فخنكر[1] لمثلِ هـؤلاء ؛ هذه ستُّمائـة ألف وضَيْعةٌ بمائة ألف وستّون ألفَ درهم لك ، حصّلنا ذلك أجمعَ وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه ، فمتى يُدْرَك مثل هؤلاء ! .

[طلب إليه موسى الهادي أن يغنّيه وله حكمه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي عن إسحاق قال : كان موسى الهادي شَكِسَ

1 أي إذا غنَّيت فغنِّ لمثل هؤلاء (أصل الكلمة فارسي) ، المغني المضحك .

الأَخلاق صَعْبَ المِزاج ، مَن توقّاه وعرَف أَخلاقه أَعطاه ما أَمَّل ، ومن فَتح فاه فاتّفق له أَن يفتحه بغير ما يهواه أَقصاه واطّرَحَه ، فكان لا يحتجب عن نُدَمائه ولا عن المغنّين ، وكان يُكثر جوائزَهم وصِلاتِهم ويُواتِرها ؛ فتغنّى أَبي عنده يوماً ؛ فقال له : يا إبراهيم غنِّني جِنْساً من الغناء أَلَذَّهُ وأَطْرَب له ولك حُكمُك ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إن لم يقابلني زُحَلُ ببَرْده رَجَوْتُ أَن أُصيب ما في نفسك . قال : وكنت لا أَراه يُصغي إلى شيء من الأَغاني إصغاءَه إلى النَّسيب والرَّقيق منه ، وكان مذهبُ ابن سُرَيْج عنده أَحمدَ من مذهب مَعْبَد ، فغنَّيته : [من الطويل]

وإنّــي لتَعْروني لذِكــراكِ هِزّةٌ كما انتفضَ العصفورُ بلّله القَطْرُ[1]

فضرب بيده إلى جَيْب دُرَّاعته فحطَّها ذراعا ، ثم قال : أَحسنتَ والله ؛ زِدْني ، فغنّيتُ : [من الطويل]

فيا حُبَّها زدني جَوىً كلَّ ليلةٍ ويا سَلوةَ الأَيّام موعدُكِ الحشرُ

فضرب بيده إلى دُرّاعته فحطّها ذراعاً آخر أَو نحوَه ، وقال : زِدْني وَيْلَك ! أَحسنتَ والله ، ووجب حكمُك يا إبراهيم ؛ فغنّيت : [من الطويل]

هجرتُكِ حتى قِيل لا يعرِف الهَوى وزُرتُكِ حتى قيل ليس لـه صَبْرُ

فرفع صوتَه وقال : أَحسنتَ ، لله أَبوك ؛ هات ما تريد ؛ قلت : يا سيّدي ، عَيْن مرْوان بالمدينة ؛ فدارتْ عيناه في رأسه حتى صارتا كأنّهما جمرتان ، وقال : يا ابن اللَّخْناء أَردتَ أَن تَشْهَرني بهذا المجلس فيقول الناس : أَطْرَبه فحكّمه ، فتجعلني سَمَراً وحديثاً ! يا إبراهيم الحَرّاني : خُذْ بيد هذا الجاهلِ إذا قمتُ ، فأَدْخِله في بيت مال الخاصّة ، فإن أَخذ كلَّ ما فيه فَخَلِّه وإيّاه ؛ فدخلتُ فأَخذت خمسين أَلفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

صوت[2]

[من الطويل]

عَجِبتُ لسعي الدَّهرِ بيني وبينها فلمّا انقضى ما بيننا سَكَن الدّهرُ
فيــا حُبَّها زِدْني جَــوىً كلَّ ليلــة ويــا سَلْوةَ الأَيّامِ موعــدُك الحَشْرُ
ويا هجَر ليلي قد بلغتَ بي المَدى وزِدْتَ على مــا ليس يبلُغه الهجرُ

1 هزة في ل : فترة ، أي ضعف .

2 قارن بما جاء في شرح أشعار الهذليين ص 956–959 ، فهناك اختلاف شديد في الرواية والترتيب ، وبما جاء في أمالي القالي 1 : 148 والرواية فيها أقرب إلى ما في الأغاني . وانظر ديوان مجنون ليلى (فراج) : 130–132 .

وإنّي لتَعْروني لذكراكِ هِزّةٌ ... كما انتفض العصفورُ بلّلَه القَطرُ
هجرتُكِ حتى قيل لا يَعرف الهوى ... وزُرْتُكِ حتى قيل ليس له صبرُ
أما والذي أبْكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمْرُه أمْرُ
لقد تركتني أحسُد الوحشَ أنْ أرى ... أليفيْن منها لا يروعهما الذُّعرُ[1]

الشعر لأبي صَخْر الهُذَليّ . والغناء لمَعْبد ، وأوّل لحنه «ويا هجر ليلى» وبعده الثاني ثم الأوّلُ من الأبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولابن سُرَيْج في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . ولعَرِيبَ في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ أيضاً ، وللواثق فيها رَمَل ، وهو ممّا صنعه الواثق قبلها فعارضَتْه بلحنها . وقد نَسَب قومٌ لحنَ مَعْبد إلى ابن سُرَيج ولحنَ ابن سريج إلى معبد .

[استكثر جعفرُ بن يحيى ثمن جارية اشتراها له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : اشترى جدّك إبراهيمُ لجعفر بن يحيى جاريةً مغنّيةً بمال عظيم ، فقال جعفر : أيَّ شيء تُحسنُ هذه الجاريةُ حتى بلغتَ بها هذا المالَ كلَّه ؟ قال : لو لم تُحسن شيئاً إلاّ أنّها تَحْكي قولي : [من الكامل]

لِمَنِ الدّيارُ ببُرْقَة الرَّوْحان[2]

لكانت تساويه وزيادةً ؛ فضحك جعفر وقال : أفرطتَ !

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لمنِ الديارُ ببُرْقَة الرَّوْحانِ ... إذ لا نبيعُ زمانَنا بزمانِ
صدَع الغواني إذ رَمَيْن فؤادَه ... صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدانِ
إن زرتُ أهلَكِ لم أُنوَّلْ حاجةً ... وإذا هجرتِكِ شَفَّني هِجْراني

الغناء لمعْبد ، فيما ذكره الهشاميّ وأحمد بن المكّيّ ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، ونَسَبه غيرُهما إلى حُنَين ، وقال آخرون : إنّه للغَرِيض ، وذكر حَبَش أنّه ليَزِيد حَوْراء . وفيه لإبراهيمَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .

---

1 لا يروعهما الذعرُ في ل : لم يفزعهما ذعر .

2 برقة الروحان : روضة باليمامة .

[عدد أصواته]

أخبرني الحُسين عن حَمّاد قال قال لي أبي : صنَع جدُّك تِسعَمائةِ صوتٍ ، منها دِيناريّة ، ومنها دِرْهَميّة ، ومنهما فَلْسِيّة ، وما رأيت أكثرَ من صنعته ؛ فأمّا ثلثُمائةٍ منها فإنّه تقدّم الناسَ جميعاً فيها ، وأمّا ثلثُمائةٍ ، فشاركوه وشاركهم فيها ، وأمّا الثلثُمائة الباقية ، فلَعِبٌ وطَرَب ؛ قال : ثم أسقط أبي الثلثَمائةِ الآخرةَ بعد ذلك من غناء أبيه ، فكان إذا سُئل عن صنعة أبيه قال : هي سِتّمائةِ صوت .

وقال أحمد بن حَمْدون قال لي إسحاق : من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوتُه في شعر العبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

أبْكي ومثلي بكى من حُـــبِّ جاريةٍ

فما أعلم له فيه معنىً إلاّ استحسانَه للشعر ، فإنّ العبّاس أحسنَ فيه جدّاً .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من البسيط]

أبكي ومثلي بكى من حُبِّ جاريةٍ لم يَخلُقِ اللهُ لي في قلبهـــا لِينَا
هل تذكرين وُقُـــوفي عند بابكمُ نصفَ النهار وأهـلُ الدّار لاهُونا

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

[تعرّضه لابن عائشة]

أخبرني جَحْظة قال أخبرني حَمّاد بن إسحاق قال : قال رجل لأبي : أخْبِرني عنك ، لِمَ طعنتَ على أبيك في صنعته : [من المديد]

قـــال لي فيهـــا عَتِيـــقٌ مقـــالاً فجـــرتْ ممّـــا يقـــول الدموعُ

قال : لأنّه تعرّض لابن عائشةَ وله في هذا الشعر صنعةٌ ، وابن عائشة ممّن لا يُعارَض فلم يقاربه ، وعلى أنّ صنعة أبي من جَيّد الغناء لو كان صنَعها في غير هذا الشعر ، ولكنّها اقترنتْ بصنعة ابن عائشة فلم تقاربْها ، فسقط عندي لذلك .

1 ديوان العبّاس بن الأحنف (صادر) : 285–286 ورواية البيت الثاني فيه :
هل تنكرون وقوفي عنـد داركم نصف النهار وأهل البيت هادونا

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المديد]

قال لي فيهــا عَتِيقٌ مقــالاً فجَرتْ ممّا يقول الدموعُ
قال لي وَدِّعْ سُلَيمى ودَعْها فأجـاب القلبُ لا أستطيعُ

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناءُ لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنّه لابن عائشة . وفيه ثاني ثقيلٍ يُنْسَب إلى الهُذليّ . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى ابن عائشة وإلى إبراهيم .

[لقاؤه جارية من تلميذاته في الريّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ الرَّيَّ فكنتُ آلَفُ فِتْياناً من أهل النِّعم بها وهم لا يعرفونني ، فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلةً إلى منزله فبِتُّ عنده ، فأخرج جاريةً له ومدّ لها ستارةً فتغنّتْ خَلْفها ، فرأيتُها صالحةَ الأداء كثيرةَ الرواية ، فشوّقتْني إلى العراق وذكّرتْني أيّامي بها ، فدعوتُ بعُود ، فلمّا جيء به اندفعتُ فغنّيتُ صوتي في شعري : [من مجزوء الرمل]

أنــا بالـرَّيِّ مُقيـــم في قُــرى الرَّيّ أهِيمُ

وقد كنتُ صنعتُ هذا اللحن قديماً بالرَّيّ ؛ فخرجت الجارية من وراء السّتارة مُبادِرةً إليّ ، فأكبّتْ على رأسي وقالت : أُستاذي والله ؛ فقال لها مولاها : أيّ أُستاذِيك هذا ؟ قالت : إبراهيم الموصليّ ؛ فإذا هي إحدى الجواري اللاّتي أخذْن عنّي وطال العهدُ بها ؛ فأكرمني مولاها وبَرّني وخلَع عليّ ، فأقمت مدّة بعد ذلك بالرَّيّ وانتشر خبري بها ، ثم كتب بحَمْلي إلى والي البلد فأشْخِصتُ .

[أطلقه المهديّ لمّا سمع شعره]

أخبرني الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمّد قال حدّثني القَطِرانيّ عن محمّد بن جَبْر عن يحيى المكّيّ قال : كنّا يوماً بين يديّ المهديّ وقد حَبَس إبراهيمَ الموصليّ وضرَبه وأمر بأن يُلْبَسَ جُبّةَ صوفٍ ، وكان يخرج على تلك الحال فيَطْرح على الجواري ؛ فكتب إلينا ذاتَ يوم ، ونحن مُصْطبِحون وقد جادت السماءُ بمطرٍ صَيِّف[1] ، وبحضرتنا شيء من ورد مُبكّر : [من الهزج]

ألا مَــن مُبْلغٌ قوماً من اخواني وجيراني

1 المطر الصيف : الذي يجيء في الصيف .

هنيئاً لكـمُ الشُّربُ عـلى وَرْدٍ وتَهْتـانِ[1]
وأنّـي مُفـرَدٌ وحدي بـأَشجاني وأَحـزاني
فمَن جَفَّ لـه جفنٌ فجَفْنـاي يَسيـلانِ

قال : فوقف المهديُّ على رُقعته وقرأَها فرَقّ له وأَمر بطلبه في الوقت ، ثم أُطلقه بعدُ أيّام .

[شغفه بجارية عليّ اليماني]

أَخبرني الحسن قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن المكّيّ عن أَبيه قال : كانت لعليٍّ اليَمانيّ جاريةٌ مغنِّية ، فهَوِيَها إبراهيمَ واستُهيم بها زماناً ، وقال فيها : [من الخفيف]

صوت

كنتُ حُرّاً فصرتُ عبدَ اليماني مـن هـوى شادنٍ هـواه بَراني
وهو نِصْفان من قضيبٍ ودِعْصٍ زانَ صدرَ القضيب رُمّانتانِ[2]

اللحنُ لإبراهيمَ في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وقد زعَم قوم أَنّ الشعر للحسين بن الضّحاك .

[أعجبه أُدب النهيكي فعلّمه الغناء]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق قال : كان بعض أَهل نَهيك قد تعاطى الغناء ، فلمّا ظنَّ أَنّه قد أَحكمـه شاورني وأَبي حاضرٌ ، فقلتُ له : إن قَبِلتَ منّي فلا تُغنِّ فلستَ فيه كما أُرضي ؛ فصاح أَبي عليّ صيحةً شديدةً ثم قال لي : وما يُدريك يا صبيّ ! ثم أَقبل على الرجل فقال : أَنت يا حبيبي بضدّ ما قال ، وإن لَزِمتَ الصِّناعةَ برعتَ فيها ؛ فلمّا خلا بي قال لي : يا أَحمق ! ما عليك أَن يُخزي الله مائة أَلف مثل هذا ؟ هؤلاء أَغنياء ملوك ، وهم يُعيِّروننا بالغناء ، فدعهم يتهتّكوا به ويُعَيِّروا ويَفْتَضحُوا ويحتاجوا إلينا فنَنتفع بهم ، ويَبين فضلُنا لـدى الناس بأَمثالهـم . قـال : ولَزِمه النَّهِيكيّ يأخذ عنه ويَبَرُّه فيُجزل ، فكان إذا غَنّى فأَحسن قال له : بارك الله فيك ، وإذا أَساء قال : بارك الله عليك ؛ وكثُر ذلك منه حتّى عرَف النَّهِيكيّ معناه فيه ، فغنَّى يوماً وأَبي ساهٍ عنه فسكتَ ولم يقل له شيئاً ؛ فقال له : جُعلت فداك ، يا أُستاذيّ ، أَهذا الصوت من أَصوات «فيك» أَم «عليك» ؟ فضحك أَبي ولم يكن علم أَنّه قـد فَطِن لقوله ، ثم قال له : والله لأُقْبِلنّ عليك حتّى تصيرَ كما تشتهي ، فإنّك ظريفٌ أَديب ؛ وعُني به حتى حَسُن غناؤه وتقدّم . وفيه يقول أَبي : [من مجزوء الرمل]

1 تهتان السماء : انصباب المطر .

2 الدِعص : كثيب الرمل .

أوجب اللهُ لك الحـــ ـــقَّ على مثلي بظَرْفِكْ
لن تراني بعـد هـذا ناطقـاً إلاّ بوصفكْ
وتـرى القـوّةَ فيما تَشتهيه بعـد ضعفكْ

[حكم لابنه إسحاق على مُخارق]

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عُمر بن شَبّة عن إسحاق ، أخبرني به الصُّوليّ عن عَوْن بن محمّد عن إسحاق قال : غنّى مُخارِقٌ بين يدَيّ الرشيد صوتاً فأخطأ في قِسْمته ؛ فقلت له : أعِدْ فأعاده ، وكان الخطأ خفيّاً ، فقلت للرشيد : يا سيِّدي ، قد أخطأ فيه ؛ فقال لإبراهيم بن المهديّ : ما تقول فيما ذكره إسحاق ؟ قال : ليس الأمرُ كما قال ، ولا هاهنا خطأ ؛ فقلتُ له : أترضى بأبي ؟ قال : إي والله ، وكان أبي في بقايا عِلّة ؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره ولو محمولاً ، فجيء به في مِحَفّة ؛ فقال لُمخارق : أعِدِ الصوتَ ، فأعاده ؛ فقال : ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت ؟ فقال : قد أخطأ فيه ؛ فقال له : هكذا قال ابنك إسحاق ، وذكر أخي إبراهيم أنّه صحيح ؛ فنظر إليّ ثم قال : هاتُوا دواةً ، فأُتي بها وكتب شيئاً لم يَقِف عليه أحد ثم قطعه ووَضعه بين يديّ الرشيد ، وقال لي : اكتُب بذكر الموضع الفاسد من قِسْمة هذا الصوت ، فكتبتَه وألقيتُه فقرأه وسُرّ ، وقام فألقاه بين يديّ الرشيد ، فإذا الذي قلناه جميعاً متّفق ؛ فضحك وعجب ، ولم يَبْقِ أحدٌ في المجلس إلاّ قَرّظ وأثنى ووصَف ، ولا أحدٌ خالَف إلاّ خَجِل وذَلّ وأذْعن . وقال أبي في ذلك : [من مجزوء الرمل]

ليتَ من لا يُحسن العـ ـــلمَ كفانـا شَرَّ عِلْمِهْ
فاخْبُرِ الحـــقَّ ابتـــداءً وقِسِ العلـــمَ بفهمـهْ
طيِّبُ الرَّيْحان لا تعـــ ـرفـــه إلاّ بشَمِّـــهْ

[بين إسحاق والرشيد]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبَةُ الله ، وحدّثني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنّى أبي يوماً بحضرة الرشيد : [من الطويل]

سَلي هل قَلاني من عَشيرٍ صَحِبتُه وهل ذمّ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ

فطرِب واستعاده وأمر له بعشرين ألفَ درهم ، فلمّا كان بعد سنين ، خطر ببالي ذلك الصوتُ وذكرتُ قصّته ، فغنّيتُه إيّاه ؛ فطرب وشرب ، ثم قال لي : يا إسحاق ، كأنّي في نفسك ذكرتَ حديثَ أبيك وأنّي أعطيتُه ألف دينار على هذا الصوت فطمِعتَ في الجائزة ! ؛ فضحكتُ ثم قلت : والله يا سيِّدي ما أخطأتَ ؛ فقال : قد أخذ ثمنَه أبوك مرّةً فلا تطمع ؛ فعجبتُ من

قوله ، ثم قلت : يا سيِّدي ، قد أخذ أبي منك أكثر من مائتيْ ألفِ دينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غيرَ هذا الألف على بختـي أنـا ؛ فقال : وَيْحَك أكثر من مائتي ألف دينار ! قلت : إي والله ! ؛ فوجَم وقال : أستغفر الله من ذلك ، وَيْحَك ! فما الذي خلّف منها ؟ قلت : خلّف عليّ ديوناً مبلغها خمسةُ آلاف دينار قضيتُها عنه ؛ فقال : ما أدري أيّنا أشدُّ تضييعاً ! والله المستعان .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

سَلِي هل قلاني مِنْ عَشيرٍ صَحِبتُه وهل ذَمّ رَحْلي في الرِّفـاق رفيقُ
وهل يَجْتوِي القومُ الكرامُ صَحابتي إذا اغبرّ مَخْشيٌّ الفجاج عميقُ[1]
ولـو تَعلمين الغيبَ أيقنتِ أنّني لكمُ والهَدايـا المُشْعَراتِ صديقُ[2]

الشعر يُنسب إلى مُضَرِّس بن قُرط[3] الهِلاليّ وإلى قيس بن ذَرِيح ، وفيه بيت يقال : إنّه لجَرير . والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين ، ونِسْبتُه تأتي في أخبار قيس بن ذَرِيح ، إلاّ أنّ الغناء في هذه الثلاثة الأبيات لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[سنورتان تغنّيان]

أخبرني عمِّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثتني نَشْوة الأُشْنانية[4] قالت أخبرني أبو عثمان يحيى المكيّ قال : تشوّق يوماً إبراهيمُ الموصليّ إلى سرداب له ، وكانت فيه بِرْكة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان ، فقال : أشتهي أن أشربَ يومي وأبيتَ ليلتي في هذا السرداب ففعل ذلك ، فبينا هو نائم في نصف الليل فإذا سِنَّوْرَتان قد نزلتا من درجة السِّرْداب ، بيضاء وسوداء ، فقالت إحداهما : أتـراه نائماً ؟ فقالت السوداء : هو نائم ؛ فاندفعت السوداءُ فغنّت بأحسن صوت : [من مجزوء الوافر]

عَفـا مُـــزْج إلى لَصَقٍ إلى الهَضَبـاتِ مـن هكرِ
إلى قـاع النَّقيـر إلى قـرار حِلاَل ذي حَدَرِ[5]

---

1 عميقُ في ل : سحيق .
2 الهدايا : ما يُهدى إلى البيت الحرام للنحر . والمشعرات : المعلمات .
3 ل : قرظة .
4 ل : نشرة الأشناسية .
5 جميع هذه مواضع .

قال : فمات إبراهيم فرحاً[1] وقال : يا ليتهما أعاداه ! فأعاداه مراراً حتى أخذه ، ثم تحرّك فقامت السِّنَّوْرَتانِ ، وسمع إحداهما تقول للأخرى : والله لا طَرَحه على أحد إلاّ جُنّ ، فطرحه من غدٍ على جارية له فجُنَّتْ .

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن يحيى المَكّي وعَمْرو بن بانة .

[الفضل بن يحيى يحتال له للحصول على المال]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال : أتيتُ الفضلَ بن يحيى يوماً ، فقلت له : يا أبا العبّاس ، جُعِلتُ فداك ! هَبْ لي دراهمَ فإنّ الخليفة قد حبَس يدَه ؛ فقال : وَيْحَكَ يا أبا إسحاق ؛ ما عندي مال أرضاه لك ، ثم قال : هَاه ! إلاّ أنّ هاهنا خَصْلَةً أتانا رسولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه ، ووجّه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبَّتنا[2] ؛ فما فعلتْ ضِياءُ جاريتُك ؟ قلتُ : عندي ، جُعِلت فداك ؛ قال : فهو ذا ، أقول لهم يشترونها منك فلا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار ؛ فقبَّلتُ رأسه ثم انصرفتُ فبكّر عليَّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ لي ، فقال : جاريتُك فلانةُ عندَك ؟ فقلت : عندي ؛ فقال : اعرِضْها عليّ ، فأخرجتُها ؛ قال : بكم ؟ قلت : بخمسين ألفَ دينار ولا أنقُص منها ديناراً واحداً ، وقد أعطاني بها الفضلُ بن يحيى أمس هذه العطيّة ؛ فقال لي : أُريدها له ؛ فقلت له : أنت أعلم ، إذا اشتريتَها فصيِّرها لمن شئت ؛ فقال لي : هل لك في ثلاثين ألفَ دينار مسلَّمةٍ لك ؟ قال : وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار ، فلمّا وقع في أذني ذِكْرُ ثلاثين ألفاً أُرْتِج عليّ ولَحقني زَمَعٌ[3] ، وأشار عليّ صديقي الذي معه بالبيع ، وخِفْتُ والله أن يحدُث بالجارية حَدَثٌ أو بي أو بالفَضْل بن يحيى ، فسلّمتُها وأخذتُ المال ؛ ثم بكّرتُ على الفضل بن يحيى ، فإذا هو جالس وحدَه ؛ فلمّا نظر إليّ ضحِك ، ثم قال لي : يا ضَيِّق الحَوْصلة[4] ! حرَمتَ نفسك عشرين ألفَ دينار ؛ فقلت له : جُعِلتُ فداك ، دَعْ ذا عنك ، فوالله لقد دخَلني شيء أعجَز عن وصفه وخِفت أن تَحدُث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك ، أعاذكَ الله من كلّ سوء ، فبادرتُ بقَبول الثلاثين ألف دينار ؛ فقال : لا ضَيْر ، يا

1 ل : فزعاً ، وهو أولى بمَن يسمع هرتين تغنّيان .

2 أي ما نحبّ .

3 زمع : رعدة .

4 ضيق الحوصلة : المتسرّع الحريص .

غلام جيء بالجارية ، فجاء بجاريتي بعينها ؛ فقال : خُذْها مباركاً لك فيها ، فإنّما أردنا منفعتك ولم نُرِدِ الجارية ؛ فلمّا نهضتُ ، قال لي : مكانَك ، إنّ صاحب إرْمِينِيَة قد جاءنا فقضيْنا حوائجه ونفّذْنا كُتُبَه ، وذكر أنّه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نُحِبّ ، فاعرض عليه جاريتَك هذه ولا تَنْقُصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فانصرفتُ بالجارية ، وبكَّر إليّ رسول صاحب إرْمِينية ومعه صديقٌ لي آخر ، فقاوَلَني بالجارية ، فقلتُ : لستُ أنقصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فقال لي : معي على الباب عشرون ألفَ دينار تأخذها مُسلَّمة ، بارك الله لك فيها ؛ فدخلني والله مثلُ الذي دخلني في المرّة الأولى وخِفت مثلَ خوفي الأوّل ، فسلّمتُها وأخذتُ المال ؛ وبكّرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحدَه ؛ فلمّا رآني ضحك وضرب برجله الأرض وقال : ويحك ! حَرَمتَ نفسك عشرةَ آلاف دينار ؛ فقلت : أصلحك الله ، خِفتُ والله ما خفتُ في المرّة الأولى ؛ قال : لا ضَيْر ، أخرجْ يا غلام جاريتَه ؛ فجاء بجاريتي بعينها ، فقال : خذها ، ما أردناها ولا أردنا إلاّ منفعتك ؛ فلمّا ولّتِ الجارية صِحْتُ بها : ارجعي فرجعتْ ؛ فقلت : أُشهدكَ ، جُعلت فِداك ، أنّها حُرَّة لوجه الله وأنّي قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم ، كَسَبَتْ لي في يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلاّ هذا ؛ فقال : وُفّقتَ إن شاء الله .

[خمار يبهره الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي : كنت في شبابي أُلازِم أصحابَ قُطْرُبُّل وبارِي وبِنّى[1] وما أشبه هذه المنازل[2] ، فأتّخذ فيهم الخَمّارَ اللطيفَ ، يحسبوني بالشراب الجيّد ويَخْبَؤه لي ، فجئت إلى باري يوماً فلَقِيني خمَّاري ، فقال لي : يا أبا إسحاق عندي شيء من بابَتِك ، وقد كنت عملتُ لَحْني هذا : [من مجزوء الرمل]

صوت

اشرَبِ الرَّاح وكُنْ في ... شُرْبِك الرّاحَ وَقُورا
فاشربِ الرّاح رَواحاً ... وظلاماً وبُكورا

الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لمنصور زَلْزَل الضاربِ خفيفُ رَمَلٍ عن حَبَش . قال : فدخلتُ بيته وبَزَلْتُ[3] دَنّه وجعلتُ أُرَجِّع الصوتَ ؛

1 قطربل وباري وبنّى : قرى كانت قريبة من بغداد .
2 ل : المواضع .
3 بزل الدن : ثقبه ليسيل منه الخمر .

فبُهِت ينظر إليّ والنبيذُ يجري حتى امتلأ الإناء وفاض ؛ فقلت له : وَيْحَك ! شرابُك قد فاض ؛ فقال : دَعْني من شرابي ، بالله مات لك إنسان في هذه الأيّام ؟ فقلت : لا ؛ قال : فما بالُ حَلْقِك هذا حزيناً ؟ .

[أخذ مخارق عنه صوتاً فبكى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن عمّه طَيّاب بن إبراهيم قال : دخلتُ على أبي يوماً وعنده مُخارِق وأبي يُلْقِي عليه هذا الصوت[1] : [من الوافر]

طَرِبْـتَ وأنت مَعْنِـيٌّ كئيبُ ... وقد يَشتاق ذو الحَزَنِ الغريبُ
وشاقَك بالمُوَقَّـر أهـلُ خاخٍ ... فـلا أَمَـمٌ هناكَ ولا قريبُ[2]
وكم لكَ دونها من عُرْضِ أرضٍ ... كأنّ سَرابَها الجـاري سَبيبُ
لَعَمْـرُك إنّنـي برَقيـم قَيْس ... وجارةِ أهلِهـا لأنا الحَريبُ[3]

الشعر للأحوص ، والغناء لإبراهيمَ ماخُورِيٌّ بالبنصر عن عمرو ، قال : فلمّا أخذه مخارِق جعل أبي يبكي ، ثم قال له : يا مخارق ، نِعمَ وسيلة إبليس أنت في الأرض ، أنت والله بعدي صاحب اللّواء في هذا الشأن .

[تفاخر الأب وابنه في الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : لمّا صنع أبي لحنَه في : [من الرمل]

ليـتَ هنـداً أنجزتنا ما تَعِدْ ... وشَفَـتْ أنفُسَنا ممّا تَجِـدْ

خاصَمتُه وعِبْتُه في صنعته ، وقلت له : أما بإزائك مَن ينتقد أنفاسك ويَعيب محاسنك وأنت لا تفكّر ؟ تجيء إلى صوت قد عمل فيه ابنُ سُرَيج لحناً فتُعارضه بلحن لا يقاربه والشعرُ أوسعُ من ذلك ! فدَعْ ما قد اعتَوَرَته[4] صناعة القدماء وخُذْ في غيره ؛ فغضِب ، وكنت لا أزال أُفاخِره بصنعتي وأعيب ما يُعاب من صنعته ، فإن قَبِل منّي فذلك ، وإن غضِب داريتُه وترضَّيتُه ؛ فقال لي : ما يعلم الله أنّي أدعك أو تفاخرني بخير صوتٍ صنعتَه في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت ؛ فلمّا رأيتُ الجدّ منه اخترت صنعتي في هذا اللّحن : [من مجزوء الخفيف]

---

1 ديوان الأحوص : طبعة دار صادر ، ص 25 .
2 الموقر : في البلقاء بالأردن . وخاخ : موضع بالحجاز .
3 رقيم قيس : موضع قرب البلقاء .
4 اعتورته : تداولته .

قـل لمَـنْ صَدّ عاتباً ونـأى عنـك جانِبا
قـد بلغتَ الذي أُرِدْ تَ وإن كنـتَ لاعبا

وكان ما تَجاريْناه ونحن نَتَساير خارجَيْن إلى الصحراء نقطع فَضْلَةَ خُمارٍ كان بنا ؛ فقال : مَن تُحِبّ أن يحكم بيني وبينك ؟ فقلت : مَن تُرى أن يحكم هاهنا ؟ قال : أوّلُ مَن يطلعُ علينا أُغنّيه لحني وتُغنّيه لحنَك ؛ فطمعتُ فيه وقلت نعم ؛ فأقبلَ شيخ نَبَطِيٌّ يحمل شوكاً على حمار له ، فأقبل عليه أبي فقال : إنّي وصاحبي هذا قد تراضيْنا بك في شيء ؛ قال : وأيّ شيء هو ؟ فقلنا : زعَم كلٌّ واحد منّا أنّه أحسنُ غناءً من صاحبه ، فتسمَع منّي ومنه وتحكُم ؛ فقال : على اسمِ الله ؛ فبدَأ أبي فغنّى لحنَه ، وتبِعتُه فغنّيتُ لحني ، فلمّا فرَغتُ أقبل عليّ فقال لي : قد حكمتُ عليك عافاك الله ومضى ؛ فلَطَمني أبي لَطْمةً ما مرَّ بي مثلُها منه قطُّ ، وسكتُّ فما أعدتُ عليه حرفاً ولا راجعتُه بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقْنا .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الرمل]

ليت هنداً أنْجزتْنا مـا تَعِدْ وشَفَـتْ أنفُسَنـا ممّـا تَجدْ
واستبـدّتْ مـرّةً واحـدةً إنّما العاجـز مَـن لا يَسْتَبِدّ
زعموهـا سألـتْ جاراتهـا ذاتَ يـومٍ وتعـرّتْ تَبْتَرِدْ
أَكَمـا يَنْعَتُنـي تُبْصِرْنَنِـي عَمْرَكُـنّ اللهَ أم لا يقتصِدْ
فتضاحَكْن وقـد قُلْـن لهـا حسَنٌ في كلِّ عـينٍ مَـن تَوَدّ
حسداً حُمِّلْنَـه مـن أَجْلِها وقَديماً كان في الناس الحَسدْ[1]

الشعر لعمر بن أبي رَبيعة . ولحنُ إبراهيم فيه ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لابن سُرَيج رَمَلٌ بالخنصر في مجرى البنصر . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المَكّي ، وذكره إسحاقُ في هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحد ، وقال الهشاميّ : أدَلُّ شيء على أنّه لمالكٍ شَبَهُه للحنه :

اسْلَمي يـا دارُ مِن هندِ

وفيه لمُتَيَّم ثقيلٌ أوّل . وأمّا لحن إسحاقَ الذي فاخر به صنعةَ أبيه ، فقد كُتب شعرُه والصنعةُ فيه ، وهما جميعاً لإسحاق ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، في أخبار إسحاق .

1 حملنه في ل : يحملنه .

[يخرج زلزل من الحبس]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ حَمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال : كان الرشيد قد وَجَد على منصور زَلْزَل لشيء بلغه عنه ، فحبسه عشرَ سنين أو نحوَها ؛ فقام الرشيد يوماً لحاجته ، فجعل إبراهيمُ يغنّي صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زَلْزَل ، وهو : [من الكامل]

هل دهرُنا بك راجعٌ يا زَلْزَلُ ... أيّــامَ يَبْغِينا العــدوُّ المبطِلُ
أيّامَ أنــتَ مــن المَكاره آمِنٌ ... والخيــرُ مُتّسِعٌ علينـــا مُقْبِلُ
يا بؤسَ مَنْ فقَد الإمامَ وقُرْبَه ... مــاذا بــه مـــن ذِلّة لو يَعْقِلُ
ما زلتُ بعدك في الهموم مُرَدَّداً ... أبكـــي بأربعــةٍ كأنّي مُثْكِلُ

الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . قال : ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلس في مجلسه ، ثم قال : يا إبراهيم ، أيّ شيء كنتَ تقول ؟ فقال : خيراً يا سيّدي ؛ فقال : هاته فتلكّأ ، فغضب الرشيد وقال : هاته فـلا مكروهَ عليك ، فردّ الغناء ؛ فقال له : أتُحِبُّ أن تراه ؟ فقال : وهل يُنْشَر أهلُ القبور ؟ فقال : هاتوا زَلْزَلاً ، فجاءوا به وقد ابيضّ رأسُه ولحيته فسُرّ به إبراهيم ؛ وأمرَه فجلس ، وأمر إبراهيمَ فغنّى وضرب عليه فزَلْزَلا الدنيا ، وشرب الرشيدُ على ذلك رِطلاً ، وأمر بإطلاق زَلْزَل وأسْنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله . قال : وزَلْزَلٌ أوّلُ مَن أحدث هذه العيدانَ الشَّبابِيط[1] ، وكانت قديماً على عمل عيدان الفُرْس ، فجاءت عَجَباً من العَجَب . قال : وكانت أُخْتُ زلزل تحت إبراهيمَ ، وقد وَلَدت منه .

[أوّل أُستاذ له في الغناء]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أوّلُ مَن تعلّمتُ منه الغناءَ مجنونٌ ، كان إذا صِيح به : يا مُضَر ، يصيح ويهيج ويرجُم ؛ فبلغني أنّه يغنّي أصواتاً فيُجيدها ، أخذها عن قدماء أهل الحجاز ، فكنت أُدْخِله إليّ فأُطْعِمُه وأَسقيه وأخدَعه حتى آخذَ عنه ، وكان حاذقاً ؛ فأوّلُ صوت أخذتُه عنه[2] : [من الخفيف]

أرْسِلِي بالسّلام يــا سَلْم إنّي ... منــذُ عُلِّقْتُكــم غنــيٌّ فقيرُ
فالغِنى إن ملكتُ أمرَكِ والفقـ ... ـــرُ بأنّي أزورُ مَـــن لا يزورُ
وَيْحَ نفسي تسلو النفوسُ ونفسي ... في هَوى الرِّيم ذكرُها ما يَحُورُ

1 العيدان الشبابيط : العيدان الشبيهة بالشبوط وهو سمك يعيش في نهر دجلة .

2 شعر الوليد بن يزيد : 44 .

مَنْ لنفسٍ تَتُوق أنتِ هواها وفؤادٍ يكاد فيكِ يطيرُ

ثم مكثتُ زماناً آخذ عنه ، وكان إذا عاد إليه عقلُه من أحذقِ الناس وأقْوَمِهم على ما يؤدّيه ؛ ثم غاب عنّي فما أعرِف خبره .

وهذا الشعر للوليد بن يَزيد . والغناء ليونس خفيفُ رَمَلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر غيره أنّه لعمرَ الواديّ ، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

[إحسان الرشيد إليه في الشام]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدِّه قال : خرجتُ مع الرشيد إلى الشام لّما غزا ، فدعاني يوماً فدخلت إليه إلى مجلس لَم أَرَ أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرُّخام ، فأكل وأمرني فأكلتُ معه ، وجعلتُ أتولّى خدمتَه إلى العصر ، ثم دعا بالنبيذ فشرِب وسقاني معه ، ثم خلع عليّ خِلعةَ وَشْيٍ من ثيابه وأمر لي بألف دينار ، ثم قال : انظر يا إبراهيم ، كم من يَدٍ أَوْليتُك إيّاها اليومَ ! نادمتَني مفرداً ، وآكلتَني ، وخلعتُ عليك ثيابي من بدني ، ووصلتُك ، وأجلستُك في إيوان مَسْلمة بن عبد الملك تشرب معي ؛ فقلت : يا سيِّدي ، ما ذهب عليّ شيء من تفضّلك ، وإنّ نِعَمَك عندي لأكثرُ من أن تُحصى ، وقبّلتُ رِجلَه والأرضَ بين يديه .

[أوّل مَن غنّى الرشيد في خلافته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال قال دِعْبِل بن عليّ : لّما وَلي الرشيدُ الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنّون ، كان أوّل مَنْ غنّاه إبراهيمُ الموصليّ بشعره فيه ، وهو : [من الوافر]

صوت

إذا ظُلَمُ البلادِ تَجَلَّلَتْنا فهارونُ الإمامُ لها ضياءُ

بهارونَ استقام العدلُ فينا وغاض الجَوْر وانفسح الرجاءُ

رأيتُ الناسَ قد سكنوا إليه كما سكنتْ إلى الحَرَمِ الظِّباءُ

تَبِعْتَ من الرسول سبيلَ حقٍّ فشأنُك في الأمورِ به اقتداءُ

فقال له الخادم من خَلْفِ الستارة : أحسنتَ يا إبراهيم في شِعرك وغنائك ، وأمر له يومئذٍ بعشرين ألف درهم . لحنُ إبراهيمَ في هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة والوسطى عن أحمد بن المكّي .

[دخل على قوم يقصفون في بستان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني يَزِيد بن محمّد المُهَلَّبيّ قال حدّثني أبي قال : كنتُ أنا وأبو

سَعيد النَّهْديّ وهاشم بن سليمان المغنّي يوماً مجتمعين في بُستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنّينا ؛ فلمّا توسّطْنا أمرَنا إذا نحن برجلٍ قد دخل علينا البستانَ جميل الهيئة حسنِ الزيّ ، فلمّا بصُرنا به من بعيد ، وثَب هاشمٌ يعدو حتى لَقِيَه ، فقبّل يدَه وعانقه ، ولم يعرفه أحدٌ منّا ، فجاء وسلّم سلامَ الصّديق على صديقه ، ثم قال : خذوا في شأنكم ، فإنّي اجتزتُ بكم فسمعتُ غناء أبي القاسم فاستخفّني وأطربني ، فدخلت إليكم واثقاً بأنّه لا يُعاشر إلاّ فتىً ظريفاً يستحسن هذا الفعلَ ويسرّه ، ولي في هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فإنّه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال : إنّما أدخلني عليكم مغنّيكم لمّا غنّى : [من المنسرح]

قُــلْ لكــرامٍ ببابِنــا يَلِجُوا ما في التّصابي على الفتى حَرَجُ

وأنا أعلم أنّ نفوسكم متعلّقة بمعرفتي ، فمَن عرفني فقد اكتفى ، ومن جَهِلَني فأنا إبراهيم الموصليّ ؛ فقُمنا فقبّلنا رأسه وسُرِرنا به أتمّ سرور ، وانعقدتْ بيننا وبينه يومئذٍ مودّة ، ثم غاب عنّا غيبةً طويلة ، وإذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رُقعةً فيها : [من الطويل]

أهاشمُ هل لي مِنْ سبيل إلى التي تُفرِّق همَّ النفس في كلّ مَذْهبِ
مُعَتَّقــةً صرْفــاً كأنّ شُعاعَها تَضَرُّم نــارٍ أو تَوَقُّدُ كوكبِ
ألا ربّ يــومٍ قــد لهوتُ وليلةٍ بها والفتى النَّهْدِيُّ وابن المُهَلَّبِ
نُديــر مُدامــاً بيننــا بِتَحِيَّة وتَفْدِيَــةٍ بالنفس والأمّ والأبِ

[عقعق يسرق خاتمه]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان لي وأنا صبيّ عَقْعَقٌ قد ربّيته وكان يتكلّم بكلّ شيء سمعه ، فسرق خاتَمَ ياقوتٍ كان لأبي قد وضعه على تُكَأَته[1] ودخل الخلاءَ ثم خرج ولم يجده ، فطلبه وضرب غلامه الذي كان واقفاً ، فلم يَقِف له على خبر ؛ فبينا أنا ذاتَ يوم في دارنا إذ أبصرتُ العقعقَ قد نَبش تراباً فأخرج الخاتمَ منه ولعب به طويلاً ، ثم ردّه فيه ودفَنه ، فأخذتُه وجئت به إلى أبي ، فسُرّ بذلك وقال يهجو العقعق : [من المتقارب]

إذا بــارك اللهُ في طائــرٍ فـلا بـارك الله في العقعقِ
طويل الذُّنابى قصير الجناح متى مـا يجد غَفْلَةً يسرقِ
يُقلّــب عينــين في رأسه كأنّهمـا قَطْرتـا زِئْبَــقِ

[بينه وبين ابن جامع بين يديّ الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن المَكّيّ ، قال أبو

---

1 ل : بركانه .

الفرج : وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظة بهذا الخبر فقال حدّثني به محمّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ المرتجل عن أبيه عن جدّه ، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمّد بن نصر عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل فجمعت الرواياتِ كلَّها[1] : أنَّ الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابةَ على اختلاط الأمر فيها فهلمَّ أُقاسِمْك إيّاها وأُخايِرْك ، فاقتسما المغنِّين ، على أن جعلا بإزاء كلّ رجل نظيرَه ، وكان ابن جامع في حيِّز الرشيد وإبراهيم في حيِّز جعفر بن يحيى ، وحضر الندماءُ لمحنة المغنِّين ، وأمر الرشيدُ ابنَ جامع فغنّى صوتاً أحسن فيه كلَّ الإحسان وطرِب الرشيد غايةَ الطرب ، فلمّا قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوتَ فغنِّه ؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه ، وظهر الانكسار فيه ؛ فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد ، ثم قال لإسماعيل بن جامع : غنّ يا إسماعيل ، فغنّى صوتاً ثانياً أحسن من الأوّل وأرضى في كلّ حال ، فلمّا استوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ؛ فقال : هذان اثنان ، غنّ يا إسماعيل ، فغنّى ثالثاً يتقدّم الصوتين الأوّلين ويفضُلُهما ، فلمّا أتى على آخره ، قال : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضاً ؛ فقال له جعفر : أخزيتَنا أخزاك الله . قال : وأتمّ ابنُ جامع يومَه والرشيدُ مسرور به ، وأجازه بجوائزَ كثيرةٍ وخلعَ عليه خِلَعاً فاخرة ، ولم يزَل إبراهيمُ مُنخذِلاً مُنكسِراً حتى انصرف . قال : فمضى إلى منزله ، فلم يستقرّ فيه حتّى بعث إلى محمّد المعروف بالزّف ، وكان محمّد من المغنّين المحسنين ، وكان أسرعَ مَن عُرِف في أيّامه في أخْذ صوت يريد أخْذَه ، وكان الرشيد قد وجَد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيتَه وتناساه ؛ فقال إبراهيم للزّف : إنّي اخترتك على مَن هو أحبّ إليّ منك ، لأمرٍ لا يصلحُ له غيرك ، فانظُر كيف تكون ! قال : أَبلُغ في ذلك محبّتك إن شاء الله تعالى ؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أُريد أن تمضي الساعة إلى ابن جامع ، فتُعلمه أنّك صِرت إليه مُهَنِّئاً بما تَهَيّأ له عليّ ، وتَتَنقّصُني وتَثْلِبُني وتَشْتُمُني ، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه ، ولك ما تُحبّه من جِهَتي من عَرَض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله . قال : فمضى من عنده واستأذن على ابن جامع فأذِن له ، فدخل وسلّم عليه وقال : جئْتك مهنِّئاً بما بلغني من خبرك ، والحمد لله الذي أخزى ابنَ الجُرْمُقانيّة[2] على يدك ، وكشف الفضل في محلّك من صناعتك ؛ قال : وهل بلغك خبرُنا ؟ قال : هو أشهر من أن يخفى على مثلي ؛ قال : وَيْحَك ! إنّه يقصرُ عن العِيان ؛ قال : أيّها الأُستاذ ، سُرَّني بأن أسمعه من فِيك حتى أرْوِيَه عنك ، وأَسْقِطْ بيني وبينك الأسانيدَ ؛ قال : أقِم عندي حتى أفعلَ ؛ قال : السمع والطّاعة ؛ فدعا له ابن جامع بالطعام

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 59 (رقم 51) .

2 الجرمقانية : نسبة إلى الجرامقة ، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام .

فأكلا ودعا بالشراب ، ثم ابتدأ فحدّثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأوّل ؛ فقال له الزّف : وما هو أيّها الأستاذ ؟ فغنّاه ابن جامع إيّاه ، فجعل محمّد يُصفّق وينعَر ويشرب وابن جامع مجتهدٌ في شأنه حتى أخذه عنه . ثم سأله عن الصوت الثاني ، فغنّاه إيّاه ، وفعل مثلَ فعله في الصوت الأوّل ، ثـم كذلك في الصوت الثالث ؛ فلمّا أخذ الأصوات الثلاثة كلّها وأحكمها قال له : يا أستاذ ، قد بلغتُ ما أُحبّ ، فتأذن لي في الانصراف ؟ قال : إذا شئتَ ؛ فانصرف محمّد من وجهه إلى إبراهيم ؛ فلمّا طلع من باب داره قال له : ما وراءك ؟ قال : كلّ ما تحبّ ، أُدع لي بعُود ، فدعا له به ، فضرب وغنّاه الأصوات ؛ قال إبراهيم : وأبيك هي بصُوَرها وأعيانها ، رَدِّدها عليّ الآن ، فلم يزل يُردّدها حتى صحّتْ لإبراهيم ، وانصرف الزّف إلى منزله ، وغدا إبراهيم إلى الرشيد ، فلمّا دعا بالمغنّين دخل فيهم ، فلمّا بُصر به قال له : أوَقد حضرت ؟ أما كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لَقِيتَ من ابن جامع ؟ قال : ولِمَ ذلك يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءك ! والله لئن أذِنتَ لي أن أقول لأقولنّ ؛ قال : وما عساك أن تقول ؟ قل ؛ فقال : إنّه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطاً لشيء فيُعارِضَك ، ولا أن تكونُ مُتعصّباً لحيِّزٍ وجَنْبَةٍ[1] فيغالبَك ، وإلاّ فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه ، قال : دَعْ ذا عنك ، قد أقررتَ أمسِ بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا ، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليومَ ، فليس هاهنا عصبيّة ولا تمييز ، فاندفع فأمَرّ الأصوات كلّها ، وابن جامع مُصْغٍ يسمع منه ، حتى أتى على آخرها ؛ فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المُحْرِجة أنّه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هي إلاّ من صَنْعته ، ولم تخرج إلى أحد غيره ؛ فقال له : وَيْحَك ؛ فما أحدثتَ بعدي ؟ قال : ما أحدثت حدَثاً ؛ فقال : يا إبراهيم بحياتي اصدُقني ! فقال : وحياتِك لأصْدُقنّك ، رميته بحَجَره[2] ، فبعثت له بمحمّد الزّف وضمِنتُ له ضماناتٍ ، أوّلها رضاك عنه ، فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليّ ، وقد سقط الآن اللّوم عنّي بإقراره ، لأنّه ليس عليّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس ، وهذا بابٌ من الغيب ، وإنّما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا ، وإلاّ فلو لزمني أن أرويَ صنعته للزمه أن يروي صنعتي ، ولزم كلّ واحدٍ منّا لسائر طبقته ونظرائه مثلُ ذلك ، فمن قصّر عنه كان مذموماً ساقطاً ؛ فقال له الرشيد : صدقتَ يا إبراهيم ، ونَضَحتَ[3] عن نفسك ، وقمت بحجّتك ؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال له : يا

1 جنبة : جانب .

2 المثل رمي فلان بحجره (أي بقرنه الذي هو مثله في الصلابة) مجمع الميداني 1 : 287 (رقم 1525) وجمهرة العسكري 1 : 480 ومستقصى الزمخشري 2 : 103 .

3 نضحت : دفعت بالحجّة .

إسماعيل ، أُتِيتَ أُتيتَ ! دُهِيتَ دُهِيتَ ! أَبطل عليكَ الموصليّ ما فعلتَه به أمسِ وانتصف اليومَ منك ؛ ثم دعا بالزَّفّ فرضي عنه .

[الأصوات التي غنّى بها ابن جامع]

قال عليّ بن محمّد : سألت خالي أبا عبد الله بن حَمْدون وقد تجارَيْنا هذا الخبَر : هل تعرف أُصوات ابن جامع هذه ؟ فأَخبرني أنّه سمع إسحاقَ يحكي هذه القصّة ، وذكر أنّ الصوت الأَوّل منها : [من الوافر]

صوت

بكيتُ نعمْ بكيتُ وكلّ إلْفٍ إذا بانــتْ قرينتُــه بكاهــا
ومــا فارقتُ لُبْنى عــن تَقالٍ ولكن شِقْوةٌ بلغــتْ مَداهــا[1]

الشعر لقَيْس بن ذَريح . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه ليحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ آخرُ بالخنصر والبنصر من كتابه . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ .

قال : والثاني منها : [من المتقارب]

صوت

عفت دارَ سَلْمى بمُفْضى الرَّغام ريــاحٌ تَعاقَبُهــا كلَّ عــامِ
خِلافَ الحلولِ بتلك الطّلول وسَحْبِ الذُّيول بـذاك المقامِ[2]
وأُنس الديــار وقـرب الجِــوار وطيب المَــزار وردّ السلامِ[3]
ودهر غَرِيــر وعيش السّرور ونأي الغَيــور وحُسن الكلامِ

الشعر لحَمّاد الرّاوية . والغنـاء لابن جامع ثقيل أَوّل بالبنصر ؛ ذكر ذلك الحَزَنْبَـلُ عـن عمـرو بن أَبي عمرو . قال ابن حَمْدون : وهذا الصوت عجيب الصنعة ، كثير النَّغَم ، مُحكَم العمل ، من صدور أَغاني ابن جامع ومتقدِّم صنعته ، وكان المعتصم مُعجباً به ، وكثيراً ما كان يُسْكِت المغنِّين إذا غُنِّي بحضرته فلا يَسمع سائرَ يومه غيرَه .

قال : والثالث منها[4] : [من الكامل]

1 التقالي : التباغض .
2 خلاف في ل : أحب .
3 وأنس الديار وقرب الجوار في ل : وأنس الجوار وقرب الديار .
4 ديوان العبّاس بن الأحنف (صادر) : 138-139 .

صوت

نَزَف البكاءُ دموعَ عينك فاستَعِرْ   عينـاً لغيرك دمعُهـا مِـدْرارُ
مَـنْ ذا يُعيرك عينَـه تبكـي بها   أرأيـتَ عينـاً للبكـاء تُعـارُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ؛ وقال ابن حمدون : وعارَضَه إبراهيم بعد ذلك في هذا الشعر ، فصنع فيه لحناً من الرَّمَل بالبنصر في مجراها ، فلَم يَلْحَقه ولا قاربه . قال : وقد صُنع أيضاً في هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدَث ليس ينبغي أن يُذكر هاهنا .

حدّثني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني أبو عبد الله الحَزَنْبَلُ قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال : أُنْشِد بشّارٌ قولَ العبَّاس بن الأحنف : [من الكامل]

نَزف البكاءُ دموعَ عينك فاستعِرْ   عينـاً لغيرك دمعُهـا مِـدْرارُ

فقال بشّار : لحِق والله هذا الفتى بالمحسنين ، وما زال يُدخل نفسَه معنا ونحن نُخرجه حتى قال هذا الشعر .

حدّثني محمّد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال : أُنشد الرشيدُ قولَ العبّاس : [من الكامل]

مَن ذا يُعيركَ عينَه تبكي بها   أرأيـتَ عينـاً للبكـاء تُعـارُ

فقال : يُعيره مَنْ لا حَاطَه الله ولا حفِظه .

وممّا يُغَنّى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائيّة التي هذا الصوت الأخير منها قولُه : [من الكامل]

صوت

الحبُّ أوّلُ مـا يكون لَجاجةً   تأتـي بـه وتسوقُـه الأقدارُ
حتى إذا سلكَ الفتى لُججَ الهوى   جاءت أُمـورٌ لا تُطـاق كِبارُ

غنّاه ابن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر . وفيه لِشاطرةَ امرأةِ منصورٍ زَلْزَل ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر ابن المكّيّ المرتجِلُ أنّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقةُ من ابن جامع : [من الكامل]

يـا قبرُ بين بيـوت آل مُحَرِّقٍ[1]

---

1 آل محرق : هم ملوك الحيرة اللخميين . ومحرق لقب يطلق على امرىء القيس بن عمرو بن عدي (المحرق الأكبر) وعمرو بن هند (المحرق الثاني) من ملوكهم ويطلق أيضاً على الحارث بن عمرو بن أبي شمر من الغساسنة ـ اللسان (حرق) .

و : [من الوافر]

عفـا طَـرَفُ القُرَيَّـةِ فالكثيبُ[1]

وأسقط منها قوله : [من الكامل]

نزف البكاء دموع عينك فاستعر

و : [من الوافر]

بكيتُ نعـم بكيتُ وكلُّ إلفِ

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الكامل]

يا قبرُ بـين بيوتِ آلِ مُحرِّقٍ جادت عليك رَواعِـدٌ وبُروقُ
أمّا البكاء فقَـلَّ عنك كثيرُه ولئن بكيـتُ فالبكاء حقيقُ

الشعر لرجل من بني أسد يَرثي خالد بن نَضْلة[2] ورجلاً آخر[3] من بني أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء ، فقتلهما في سُخْطه عليهما ؛ وخبرُ ذلك مشهور في أخبار ابن[4] جامع . والغناء لابن جامع ، وله فيه لحنان : ثقيل أوّل بالوسطى ، ورمل بالبنصر ، وقيل : إنّ الرَّمَل لابن سُرَيج . وذكر حَبَشٌ أنّ لمحمّد صاحب البِرام فيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى .

ومنها[5] : [من الوافر]

صوت

عفـا رَسْمُ القُرَيّـة فالكثيبُ إلى مَلْحاء ليس بهـا عَرِيبُ[6]
تأبّد رسمُهـا وجـرى عليها سَفِـيّ الريح والتُّربُ الغريبُ

1 القرية : تطلق على عدّة مواضع ، ولعلّ المقصودة هنا قرية اليمامة .
2 هكذا في الشعر والشعراء وسيرة ابن هشام ومعجم البلدان لياقوت : (الغريان) . وفي ديوان عبيد : خالد بن نضلة الفقعسي . وسيورد أبو الفرج في ترجمة عبيد بن الأبرص روايتين لمقتل عبيد ، وفيهما «خالد بن المضلل» .
3 هو عمرو بن مسعود . وفي سيرة ابن هشام أنّ التي رثتهما هي هند بنت معبد بن نضلة ، فيكون خالد بن نضلة عمّها ، ممّا يقوّي الرواية هنا .
4 هذا سهو من أبي الفرج . فقصة النديمين والمنذر بن ماء السماء سترد في ترجمة عبيد بن الأبرص ولم ترد في أخبار ابن جامع .
5 ديوان ابن هرمة : 58–59 .
6 ملحاء : واد في اليمامة . عريب : أحد .

فإنّكَ واطّراحَك وصلَ سُعْدى ... لأُخــرى في مودّتها نُكوبُ
كثاقبـــةٍ لِحَلْــيٍ مستعـــار ... بأُذنَيْهـــا فشانَهمـــا الثُّقـــوبُ
فردّت حَلْيَ جارتهـــا إليهـــا ... وقد بَقيـــتْ بأُذنَيْهـــا نُدوبُ

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . عن إسحاق . وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو . وقال عمرو : فيه لحنٌ للهذليّ ، ولم يُجنِّسه .

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني عيسى بن أيّوب القُرَشيّ قال حدّثني غَيْث بن عبد الكريم عن فُلَيْح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حَرْب عن أبيه قال : مررتُ بابن هَرْمة وهو جالسٌ على دُكّان[1] في بني زُرَيق ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، ما يُجلسك[2] هاهنا ؟ قال : بيت كنت قلته ثم انقطع عليّ الرويّ فيه وتعذّر عليّ ما أشتهيه ، فأبغضته وتركته ؛ قلت : ما هو ؟ قال : [من الوافر]

فإنّك واطّراحَك وصلَ سُعْدى ... لأُخـرى في مودّتهـا نُكـوبُ

قال : قلته ثم انقُطِع بي فيه ؛ فمرّت بي جُوَيْريّة صفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبداً وأُكلّمها إذا مرّت بي ، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد وَرِم وجهها وتغيّر خَلْقُها ، عمّا أعرف ، فسألتُها عن خبرها فقالت : كان في بني فلان عُرْسٌ أردت حضوره فاستعار لي أهلي حَلْياً وثَقبوا أُذني لألبسَه فورِم وجهـي وأُذناي كما ترى ، فردّوه ولم أشهد العُرْس ؛ قال ابن هَرْمة : فاطَّرَد لي الشعرُ فقلت : [من الوافر]

كثاقبـــةٍ لِحَلْــيٍ مستعارٍ ... بأُذنيهـا فشانَهمـا الثقوبُ
فردّت حَلْـي جارتها إليها ... وقـد بقيت بأُذنيهـا نُدوبُ

[سرق إبراهيم بن المهديّ شِعره ولحنه]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني العبّاس بن الفَضْل قال حدّثني أبي قال : قال الرشيد لإبراهيم بن المهديّ وإبراهيم الموصليّ وابنِ جامع وابن أبي الكَنّات : باكِروني غداً ، وليكن كلّ واحد قد قال شعراً إن كان يقدِر أن يقولَه ، وغنّى فيه لحناً ، وإن لم يكن شاعراً غنّى في شعر غيره . قال إبراهيم بن المهديّ : فقمتُ في السَّحَر وجَهَدت أن أقدِر على شيء أصنعه فلم يتّفق لي ، فلمّا خِفْتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلماني وقلت لهم : إنّي أُريد أن أمضي

1 دكان : دكة تبنى للجلوس عليها .
2 ل : يحبسك .

إلى موضع ولا يَشعرُ بي أحد حتى أصير إليه ، وكانوا في زبيديات لي يَبيتون فيها على باب داري ، فقمت فركبت في إحداها وقصدتُ دارَ إبراهيمَ الموصليّ ، وكان قد حدّثني أنّه إذا أراد الصنعة لم يَنَمْ حتى يُدبّر ما يحتاج إليه ، وإذا قام لحاجته في السَّحَر اعتمد على خشبة له في المُسْتَراح ، فلم يزل يَقرَع عليها حتى يَفْرُغَ من الصوت ويرسَخَ في قلبه ، فجئت حتى وقفت تحت مُستَراحه ، فإذا هو يُردّد هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

إذا سُكِبتْ في الكأسِ قبل مِزاجها ... تَرى لونَها في جِلدة الكأس مُذْهَبا
وإن مُزِجتْ راعت بلــون تخاله ... إذا ضُمّنته الكأسُ في الكأسِ كوكبا
أبوهــا نِجاء المُــزْن والكَرْمُ أمّها ... فلَم أرَ زَوْجاً منــه أشهى وأطيَبا[1]
فجاءتك صَفْرا أشبهت غير جنسها ... ومــا أشبهت في اللون أمّاً ولا أبا

قال : فما زِلتُ واقفاً أستمع منه الصوتَ حتى أخذتُه ؛ ثم غدَوْنا إلى الرشيد ، فلمّا جلسنا للشّرب خرج الخادمُ إليّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : يا ابنَ أمّ غنّني ؛ فاندفعتُ فغنّيتُ هذا الصوت والموصليّ في الموت حتى فرَغتُ منه ، فشرب عليه وأمر لي بثلثمائة ألف درهم ؛ فوثب إبراهيم الموصليّ فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أنّ الشّعر له قاله البارحة وغنّى فيه ، ما سبقه إليه أحدٌ ؛ فقال إبراهيم : يا سيّدي ، فمن أين هو لي أنا لولا كذبُه وبُهْتُه ! وإبراهيم يضطرب ويضِجّ ؛ فلمّا قضيتُ أرَباً من العَبَث به قلتُ للرشيد : الحقُّ أحقّ أن يُتّبع ، وصَدَقْته ؛ فقال للموصليّ : أمّا أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى ردّه ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً ممّا جرى عليه ، فلو بدأتَ أنتَ بالصوت لكان هذا حظَّكَ ؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه .

[عند محمد بن يحيى في يوم مهرجان]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مُخارق قال : أتى إبراهيمُ الموصليّ محمّدَ بن يحيى بن خالد في يوم مِهْرجان ، فسأله محمّدٌ أن يقيمَ عنده ؛ فقال : ليس يمكنني لأنّ رسول أمير المؤمنين قد أتاني ؛ قال : فتمرّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندي كلُّ ما يُهْدى إليّ اليومَ ؟ فقال : نعم ، وترك في المجلس صديقاً له يُحصي ما يُبعث به إليه ؛ قال : فجاءت هدايا عجيبةٌ من كلّ ضَرْب ؛ قال : وأُهدِيَ إليه تِمْثالُ فيلٍ من ذهب عَيْناه ياقوتتان ؛ فقال محمّد للرجل : لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به إلى فلانة ففعل ؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال : أحضِرني ما أهدي لك ، فأحضره ذلك كلَّه إلاّ التمثالَ ، وقال : لا بدّ من صِدْقك ، كان من الأمر كذا وكذا ؛

1 النجاء : جمع نجو وهو السحاب الذي نزل ماؤه أو السحاب أوّل ما ينشأ .

فقال : لا ! إلاّ على الشّريطة وكما ضَمِنْتَ ، فجيء بالتمثال ؛ فقال إبراهيم : أليس الهديّةَ لي فأعملَ فيها ما أُريد ؟ قال : بلى ، قال : فرُدَّ التمثال على الجارية ؛ وجعل يُفرِّق الهدايا على جلساء محمّد شيئاً شيئاً ، وعلى جميع مَن حضر من إخوانه وغلمانه ، وعلى مَن في دُور الحُرَم من جواريه حتى لم يبقَ منها شيء ، ثم أخذ من المجلس تُفّاحتين لمّا أراد الانصراف وقال : هذا لي ، وانصرفَ ؛ فجعل محمّد يَعْجَب من كِبَر نفسه ونُبْله .

[زاره الرشيد ليلاً وغنّته جواريه]

وقال أحمد بن المَرْزُبان حدّثني بعض كتّاب السلطان[1] : أنّ الرشيد هبَّ ليلةً من نومه ، فدعا بحمار كان يركبه في القَصْر أسودَ قريبٍ من الأرض فركبه ، وخرج في دُرّاعة وَشْيٍ مُتلثّماً بعمامة وشي ملتحفاً بإزارِ وَشْي ، بين يديه أربعُمائة خادم أبيضَ سوى الفرّاشين ، وكان مسرورٌ الفَرْغانيّ جريئاً عليه لمكانه عنده ، فلمّا خرج من باب القصر قال : أين يريد أميرُ المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزل الموصليّ . قال مسرورٌ : فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ؛ فخرج فتلقّاه وقبّل حافرَ حماره وقال له : يا أمير المؤمنين ، أفي مثل هذه الساعة تظهر ! قال : نعم ، شوقٌ طرَق لك بي ؛ ثم نزل فجلس في طَرَف الإيوان وأجلسَ إبراهيم ؛ فقال له إبراهيم : يا سيّدي أتنشَط لشيء تأكله ؟ فقال : نعم ، خاميز[2] ظبي ، فأُتي به كأنّما كان مُعَدّاً له ، فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشراب حُمِل معه ؛ فقال الموصليّ : يا سيّدي ، أوُأغنّيك أم تغنّيك إماؤك ؟ فقال : بل الجواري ؛ فخرج جواري إبراهيمَ فأخذْنَ صدرَ الإيوان وجانبيه ؛ فقال : أيضرِبْن كلُّهنّ أم واحدة ؟ فقال : بل تَضرِب اثنتان اثنتان وتُغنّي واحدة فواحدة ، ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيدُ يسمع ولا ينشَط لشيء من غِنائهنّ ، إلى أن غنّت صبيّةٌ من حاشيته : [من البسيط]

يا مُورِيَ الزَّند قـد أعيتْ قوادحُه اقْبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمقباسِ
ما أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجَهم إذا نظرتُ فلـم أُبصرك في الناس

قال : فطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً ، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ ، فاستدناها فتقاعَسَت ، فأمَر بها فأُقيمت حتى وُقِفتْ بين يديه ، فأخبرته بشيء أسرّته إليه ؛ فدعا بحماره فركبه وانصرف ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضَرّك ألاّ تكونَ خليفة ! ؛ فكادت نفسُه تخرج ، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك . قال : وكان الذي خبّرتْه به أن

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 31–32 (رقم 52) .

2 خاميز : اسم أعجمي لطعام من اللحم بجلده .

الصنعة في الصوت لأُخته عُلَيّة بنت المهديّ ، وكانت الجارية لها وجّهتْ بها إلى إبراهيم يُطارحها فغار الرشيد . ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل .

[شعره في ابنة خمارة]

أَخبرني محمّد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان أَبي يألف خمّارة بالرّقة يقال لها بِشرة تنزِل الهنيء والمَريء ، وكانت لها بنت من أَحسنِ الناس وجهاً فكان أَبي يتحلاّها ، ثم رحل الرشيد عن الرّقة إلى بلاد الروم في بعض غزواته ، فقال أَبي فيها : [من المتقارب]

أَيـا بنــتَ بِشْرةَ مـا عاقَنِي عن العهـدِ بَعْـدَكِ من عائِـقِ
نَفـى النَّومَ عنّـي سنا بارق وأَشهقنــي في ذُرى شاهــقِ[1]

قال : وفيها يقول أَيضاً من أَبيات له ، وله فيها صنعة من الرَّمَل الأَوّل : [من الكامل]

صوت

وزعمــتِ أَنّي ظـالمٌ فهجرتِنـي ورَمَيـتِ في قلبـي بسهـمٍ نافـذِ
ونَعَمْ ظلمتُكِ فاغفري وتجاوَزِي هــذا مَقــامُ المستجيــر العائــذِ

ذكر حمّاد في هذا الخبر أَنّ لحن جدّه من الرَّمَل . ووجدتُ في كتاب أَحمد بن المكّيّ أَنّ له فيهما لحنين : أَحدهما ثقيل أَوّل والآخر ثاني ثقيل .

[أَغانيه في السجن]

حدّثني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثني عبد الله بن أَبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : حبس الرشيدُ إبراهيمَ الموصليّ عند أَبي العبّاس (يعني أَباه عبد الله بن مالك) فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرّره حتى يستوي له : [من الخفيف]

يا أَخِلاّءِ قــد مَلِلْتُ مكاني وتذكّرتُ ما مضى من زماني
شُرْبــيَ الراحَ إذ تقـوم علينا ذاتُ دَلٍّ كأَنّهــا غصنُ بانِ

قال : وغنّى في الحبس أَيضاً : [من المتقارب]

أَلا طـال ليـلي أُراعي النّجوم أُعالج في السّاق كَبْلاً ثَقيلا[2]

[يترنّم أثناء مرضه الذي مات به]

حدّثني عيسى قال حدّثني عبد الله قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني

1 أشهقني في ل : أسهدني .

2 الكبل : القيد .

علّويه الأعسر قال : دخلتُ على إبراهيم الموصليّ في عِلّته التي توفّي فيها وهو في الأَبْزَن[1] وبه القُولَنْج[2] الذي مات فيه ، وهو يترنّم بهذا الصوت : [من الطويل]

صوت

تغيّر منّـــي كلُّ حُسْنٍ وجِدّةٍ وعاد على ثَغْري فأصبح أَثْرَما
ومَحّلَ أُطرافي فزالتْ فصوصُها وحنَّى عظامي عُوجَها والمُقَوَّما

قال محمّد : فحدّثتُ بهذا الحديث إسحاقَ الموصليّ ، فقال : كَذَب ابنُ الزانية ! والله ما كان يَجترىء أن يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلاّ بعد جَهْد ، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأَبْزَن .

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان ماخُورِيّ بالوسطى عن عمرو ، وثاني ثقيلٍ عن ابن المكّيّ .

[غنّت المقتدر إحدى جواريه لحناً له]

حدَّثني جَحْظة قال : كان المقتدر يدعونا في الأحايـين ، فكان يحضُر من المغنِّين إبراهيمُ بن أبي العَنْبَس وكُنَيْز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووَصِيف الزّامر ، وكان أكثر ما نُدْعى له أنّ جواريَه كنّ يطالبْنه بإحضارنا ليأخذْن منّا أصواتاً قد عرفْنها ويسمَعْننا ، فنُغنّي فيأخذْنَ ما يستحسِنّه ، فإذا انصرفنا أُمر لكلّ واحد من إبراهيم وكُنَيْز دُبّة وإبراهيمَ بثلاثمائة دينار ، ولي بمائتَي دينار ، ولوَصيف بمائتي دينار ، ولسائر مَن لعلّه أن يَحْضُر معنا بمائتين إلى المائة الدّينار إلى الألف الدّرهم ، فيكون إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجواري ، فإذا أراد اقتراح شيء جاءَنا الخدم فأمرونا أن نغنّيَه ، وبين يَدَيْ كلّ واحد منّا قِنّينةٌ فيها خمسة أرطال نبيذٍ وقدحٌ ومَغْسِلٌ وكوزُ ماءٍ ؛ فغنَّتْ يوماً صَلِفَةُ جارية زِرْياب بصنعة إبراهيم الموصليّ : [من الطويل]

تغيَّر منِّـــي كلُّ حُسن وجِـدَّةٍ وعادَ على ثَغْري فأصبح أَثْرَما

فشَرِبتُ عليه ، فاستعاده المقتدر مراراً وأنا أشرب عليه ؛ فأخذ إبراهيم بن أبي العَنْبَس بكَتِفَيْ وقال : يا مجنون ! إنّما دُعيتَ لتُغَنِّيَ لا لتُغنَّى وتَطْرَب وتَشرَبَ ، فلعلّك تسْكَر ، حَسْبُك ! ؛ فأمسكتُ طمعاً أن تردّه بعد ذلك ، فما فعلتْ ولا اجتمعنا بعدها ، وما سمعتُ قبل ذلك ولا بعده أحداً غنّى هذا الصوتَ أحسنَ ممّا غنّته . قال : وكان المقتدر ابتاعها من زِرْياب .

---

1 الأبزن : حوض مستطيل يعالج فيه المريض بالماء الحار والأدوية الساخنة .
2 القولنج : التهاب القولون .

[ردّ زوجاً إلى زوجته]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن عليّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن أبيه قال : بينا أنا بمكّة أجول في سِكَكِها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ ، فأنكرتُ حالها وأدْمَنْتُ النظر إليها ؛ فبكَتْ وقالت : [من المتقارب]

أعمرُو عَـــلامَ تجنَّبتَنـــي أخذتَ فـؤادي وعَذَّبْتَني
فلو كنتَ يا عمرُو خبّرتَني أخذتُ حِذاري فما نِلْتَني

فقلتُ لها : يا هذه ، مَن عمرٌو ؟ قالت : زوجي ؛ قلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرني أنّه يَهْواني وما زال يطلبني حتّى تزوّجته ، فلبث معي قليلاً ثم مضى إلى جُدَّةَ وتركني ؛ فقلتُ لها : صِفِيه لي ؛ قالت : أحسنُ مَن أنت رائيهِ سُمرةً وأحلاهم حلاوةً وقَدّاً ؛ قال : فركِبتُ رواحلي مع غِلماني وصرتُ إلى جُدَّةَ ، فوقفتُ في موضع المَرْفأ أتبصَّرُ مَن يحمل مِن السفن ، وأمرتُ مَن يُصوِّت : يا عمرُو يا عمرُو ، وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صَنٌّ[1] فيه طعامٌ ، فعرفتُه بصفتِها ونعتِها إيّاه ، فقلتُ : [من المتقارب]

أعمرُو عَـــلامَ تجنَّبتَنـــي أخذتَ فـؤادي وعذَّبتَني

فقال : هِيه ! أرأيتَها وسمعتَ منها ؟ فقلتُ : نعم ، فأطرق هُنَيهةً يبكي ، ثم اندفع فغنّى به أملحَ غناء سمعتُه ، وردّده عليّ حتى أخذتُه منه ، وإذا هو أحسنُ الناسِ غناءً ؛ فقلتُ له : ألا ترجع إليها ؟ فقال : طلبُ المعاش يمنعُني ؛ فقلت : كم يكفيكَ معها في كلّ سنةٍ ؟ فقال : ثلثُمائةِ درهم قال إسحاقُ : قال لي أبي : فوالله يا بُنيّ لو قال ثلثمائة دينارٍ لطابتْ نفسي بها فدعوتُ به فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهم ، وقلتُ له : هذا لعشر سنين على أنْ تُقيمَ معها ، فلا تَطلب المعاشَ إلاّ حيثُ هي مقيمةٌ معك ، ويكون ذلك فضلاً ؛ ورددتُه معي إليها .

[يغنّي الرشيد على انفراد]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال حدّثنا صالح بن عليّ (يعني الأَضْجَم) عن إبراهيم الموصليّ ، قال : وكان صالح جارَه ، قال : بينا أنا عَشيَّةً في منزلي إذ أتاني خادم من خدَم الرشيد فاستحثّني بالركوب إليه فخرجتُ شبيهاً بالراكِض ، فلمّا صرتُ إلى الدّار عُدِل بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها ، فانتُهِي بي إلى دارٍ حديثةِ البناء ، فدخلتُ صَحْناً واسعاً ، وكان الرشيد يشتهي الصّحونَ الواسعة ، فإذا هو جالسٌ على كرسيّ في وسط ذلك الصَّحْن ، ليس عنده أحد إلاّ خادمٌ يسقيه ، وإذا هو في لِبْسَتِهِ التي كان يلبَسُها في الصيف : غِلالةٌ

---

1 الصن : وعاء يشبه السلّة يوضع فيه الخبز والطعام .

رقيقة مُتَوشّح عليها بإزار رَشيديّ عرِيض العَلَم مُضرَّج ؛ فلمّا رآني هَشَّ لي وسُرّ ، وقال : يا مَوصِلِيّ ، إنّي اشتهيتُ أن أجلس في هذا الصّحن فلم يتّفق لي إلاّ اليوم ، وأحببتُ ألاّ يكونَ معي ومعك أحدٌ ، ثم صاح بالخُدّام ، فوافاه مائةُ وَصِيفٍ ، وإذا هم بالأروقة مستترون بالأساطين حتّى لا يراهم ، فلمّا ناداهم جاءوا جميعاً ، فقال : مُقطَّعة لإبراهيم ، وكان هو أوّل مَن قطع المُصَلّيات ، فأتِيتُ بمقعد فأُلقي لي تُجاه وجهه بالقرب منه ؛ ودعا بعود فقال : بحياتي أطرِبني بما قَدَرْتَ ؛ قال : ففعلتُ واجتهدتُ في ذلك ونشطتُ ورجوتُ الجائزةَ في عشيَّتي ؛ فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ ، فقام مَقامَه الذي كان إذا قامه علِم الرشيدُ أنّه يريد أن يُسارَّه بشيء ، فأَومأ إليه بالدنوّ ، فدنا فألقى في أُذنه كلمةً خفيفةً ثم تنحَّى ، فاستشاط غضباً واحمرّتْ عيناه وانتفختْ أوداجُه ، ثم قال : حَتَّامَ أصبِرُ على آل بني أبي طالب ! والله لأقتلنَّهم ولأقتلنَّ شِيعَتَهم ولأفعلنّ ولأفعلنّ ! ؛ فقلتُ : إنّا لله ؛ ليس عند هذا أحدٌ يُخرِجُ غضبَه عليه ، أحسِبه والله سيُوقِعُ بي ، فاندفعتُ أغنّي : [من الخفيف]

صوت

نِعـمَ عَوْناً على الهمومِ ثلاثُ ... مُتْرَعاتٌ مـن بعدهنّ ثلاثُ
بعدهـا أربـعٌ تَتِمَّـةُ عشرٍ ... لا بِطـاءٌ لكنّهـنّ حِثـاثُ
فـإذا ناولَتْكَهُـنّ جَـوارٍ ... عَطِراتٌ بيضُ الوجوهِ خِناثُ
تمّ فيها لك السرورُ وما طَيَّـ ... ـبَ عَيْشاً إلاّ الخِناثُ الإناثُ

قال : وَيْلَك ! اسقِني ثلاثاً لا أُمِتْ همّاً ؛ فشرب ثلاثاً متتابعة ، ثم قال : غَنِّ فغنَّيتُ ، فلمّا قلتُ : [من الخفيف]

ثلاث * مُترعاتٌ مـن بعدهنّ ثلاثُ

قال : هاتِ وَيْلك ثلاثاً ! ، ثم قال لي : غنِّ ، فلمّا غنّيتُه قال : حُثَّ عليّ بأربع تتمةِ العشر ، ففعل ؛ فوالله ما استوفى آخرَهنّ حتى سَكِر ، فنهض ليدخل ، ثم قال : قم يا موصليّ فانصرِفْ ؛ يا مسرورُ ، أقسمتُ عليك بحياتي وبحقّي إلاّ سَبقتَه إلى منزله بمائة ألف درهم ، لا أستأمَر فيها ولا في شيء منها ؛ فخرجتُ والله وقد أمِنتُ خوفي وأدركتُ ما أمّلتُ ، ووافيتُ منزلي وقد سبَقتني المائةُ الألفِ الدّرهمِ إليه .

[يأخذ صوتاً عن ابن جامع]

أخبرني عمِّي قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثني عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع قال : خرج رسول الرشيد ذاتَ ليلةٍ إلى

المغنّين فقال : غنّوا[1] : [من الخفيف]

يا خليلِيَّ قد مَلِلتُ ثَوائِي بالمُصَلَّى وقد سَئِمتُ البَقِيعا[2]
بلِّغاني ديارَ هندٍ وسُعْدَى وارجِعاني فقد هَوِيتُ الرجوعا[3]

قال : فغنّاه ابنُ جامع ، فلمّا فرَغ منه طرِب الرشيدُ وشرِب ؛ فقال له إبراهيم الموصليّ : يا سيِّدي ، فاسمعه من نُبَيْطيِّك فغنّاه ، فجعل ابنُ جامع يزحَف من أوّل البيت إلى آخره ، وطَرِب هارونُ فقال : ارفعُوا الستارةَ ؛ فقال له ابن جامع : مِنّي واللهِ أخذه يا أمير المؤمنين ؛ فأقبل على إبراهيمَ فقال : بحياتي صَدَق ؟ قال : صدق وحياتِك يا سيّدي ؛ قال : وكيف أخذتَه وهو أبخل الناس إذا سُئِل شيئاً ؟ قال : تركتُه يغنّيه وكان إذا سكِرَ يَسترسلُ فيه فيغنّيه مستوياً ولا يتحرّز منّي ، فأخذتُه على هذا منه حتى وفَيتُ به .

[حدّث الرشيد عن جارية زلزل فاشتراها وأعتقها]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال[4] : كان بَرْصُوما الزّامرُ وزَلزَلٌ الضاربُ من سواد أهل الكوفة من أهل الخُشْنَة والبَذاذَة[5] والدناءة ، فقدِم بهما أبي معه سنة حجٍّ ، ووقَفَهما على الغناء العربيّ وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقّفهما حتى بلغا المبلغَ الذي بلغاه من خدمة الخليفة ، وكانا أطبعَ أهلِ دهرهما في صناعتهما ؛ فحدّثني أبي قال : كان لِزَلزَل جاريةٌ قد ربّاها وعلّمها الضربَ وسألني مطارحتَها فطارحتُها ، وكانت مطبوعةً حاذقة ؛ قال : فكان يَصُونُها أن يسمعها أحدٌ ؛ فلمّا مات بلغني أنّها تُعْرَض في ميراثه للبيع ، فصرتُ إليها لأعترِضَها ؛ فغنّتْ : [من السريع]

أقفرَ من أوتاره العودُ فالعودُ للأوتار معمودُ
وأوحش المزمارُ من صوته فما له بعدكَ تغريدُ
مَنْ للمزامير وعِيدانِها وعامرُ اللّذاتِ مفقودُ
الخمرُ تبكي في أباريقها والقَيْنةُ الخَمْصانةُ الرُّودُ

قال : وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقّة[6] ؛ قال : فأبكت واللهِ عيني وأوْجعت قلبي .

---

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 249 .
2 سئمتُ في ل : شنيت .
3 وارجعاني في الديوان : وارجعا بي .
4 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 3 : 31 (رقم 52) .
5 الخشنة : الخشونة . ورجل ذو خشنة : لا يطاق . البذاذة : رثاثة الهيئة .
6 ل : يألفه .

فدخلتُ على الرشيد فحدّثته بحديثها ، فأمر بإحضارها فحضرتْ ؛ فقال لها : غَنّي الصوتَ الذي حدّثني إبراهيم عنك أنّك غنّيتِه ، فغنّته وهي تبكي ؛ فرقّ الرشيدُ لها وتَغَرْغَرت عيناه ، وقال لها : أتحبّين أن أشتريَك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لقد عرَضتَ عليّ ما يقصُر عنه الأملُ ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيِّدي فينتفعَ بِي ؛ فازداد رِقّةً عليها ، وقال : غَنّي صوتاً آخر ، فغنّت : [من البسيط]

العينُ تُظهِر كتمـــاني وتُبديـهِ والقلبُ يكتم مــا ضَمَّنُــه فيهِ
فكيــف ينكتم المكتــومُ بينهما والعينُ تُظهِــره والقلبُ يُخفيهِ

فأمر بأن تُبتاعَ وتُعتَقَ ، ولم يزل يُجْرِي عليها إلى أن ماتت .

[غضب عليه الرشيد لتعريضه بجارية له]

أخبرنا محمّد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال : قال لي الرشيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بَكِّرْ عليَّ غداً حتى نَصْطبحَ ؛ فقلتُ له : أنا والصبحُ كَفَرَسَيْ رِهانٍ ؛ فبكَّرْتُ فإذا أنا به خالياً ، وبين يديه جاريةٌ كأنّها خُوطُ بانٍ أو جَدْلُ عِنان ، حُلْوَةُ المنظَر ، دَمِثَةُ الشمائل ، وفي يدها عودٌ ؛ فقال لها : غنِّي ، فغنّتْ في شعر أبي نُواس وهو[1] : [من الطويل]

تَوَهّمَـــه قلبـي فأصبح خــدُّه وفيه مكانَ الوَهْم من نظري أثْرُ[2]
ومرَّ بفكري خاطــراً فجرحتُــه ولم أرَ جِسماً قطُّ يَجرَحُه الفِكرُ
وصافَحـــه قلبــي فآلَــم كفَّــه فمِنْ غَمْزِ قلبــي في أنامِلهِ عَقْرُ[3]

قال إبراهيم : فذهبتْ والله بعقلي حتى كِدتُ أن أفتضحَ ، فقلتُ : مَنْ هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه التي يقول فيها الشاعر : [من الوافر]

لهــا قلبــي الغداةَ وقلبُهــا لي فنحن كذاك في جَسَدَيْنِ رُوحُ

ثم قال لها : غنِّي ، فغنَّتْ : [من الطويل]

صوت

تقول غــداةَ البَيْنِ إحدى نسائهم لِيَ الكَبِدُ الحرّى فسِرْ ولكَ الصَّبْرُ
وقــد خنَقَتْهـــا عَبْرةٌ فدموعُهـــا على خدِّها بِيضٌ وفي نحرِها صُفْرُ

---

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 730 عن الأغاني .
2 أثر : أثَر الجرح بعدما يبرأ .
3 قلبي في ل : كفي .

الشعرُ لأبي الشِّيص . والغناء لعمرِو بن بانةَ ، خفيفُ رَمَل بالوسطى من كتابه . وفيه لُمتَيَّم ثاني ثقيلٍ وخفيفُ رَمَلٍ آخر قال : فشرِب وسقاني ثم سقاها ، ثم قال : غنِّ يا إبراهيم ؛ فغنَّيتُ حسبَ ما في قلبي غيرَ مُتحفِّظٍ من شيء : [من الطويل]

تَشَرَّبَ قلبي حبَّها ومشى به ... تَمَشِّيَ حُمَيّا الكأس في جسم شاربِ
ودبَّ هواها في عِظامي فشفَّها ... كما دبَّ في المَلْسوع سمُّ العقاربِ

قال : ففَطِن بتعريضي ، وكانت جهالةً منّي ؛ قال : فأمرني بالانصراف ، ولم يدعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسَه ؛ فلمّا كان بعد شهر[1] دَسَّ إليّ خادماً معه رُقعةٌ ، فيها مكتوب : [من الخفيف]

قد تخوّفتُ أن أموتَ من الوَجْـ ... ـد ولَم يَدْرِ مَنْ هَوِيتُ بما بِي
يا كتابي فاقرَ السَّلامَ على مَنْ ... لا أُسمّي وقل له يا كتابي
إنَّ كفّاً إليكَ قد بعثتني ... في شَقاءٍ مُواصَلٍ وعذابِ[2]

فأتاني الخادمُ بالرقعة ؛ فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التي غنَّتك بين يدَي أمير المؤمنين ؛ فأحسستُ القصَّة فشتمتُ الخادمَ ووثبتُ عليه وضربتُه ضرباً شَفَيْتُ به نفسي وغَيظي ، وركِبتُ إلى الرشيد من فَوْري فأخبرتُه القصَّةَ وأعطيته الرقعةَ ؛ فضحك حتى كاد يستلقي ، ثم قال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لأمتحِنَ مذهبَك وطريقتَك ، ثم دعا بالخادم ؛ فلمّا خرج رآني فقال لي : قطع الله يديك ورجليك ، وَيْحَك ! قتلتَني ؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حقّك لِمَا وردت به عليّ ، ولكن رَحِمتُك فأبقيتُ عليك ، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتيَ في عقوبتك بما تستحقّه . فأمر لي الرشيدُ بِصلةٍ سنيّةٍ ؛ والله يعلم أنّي ما فعلتُ الذي فعلتُ عَفافاً ولكن خوفاً .

[كيفيّة صنعه الألحان]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال : أخبرني أبي أنّه سمع الرشيدَ وقد سأل جَدِّي إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغَ الألحانَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أُخرجُ الهمّ من فكري وأُمثّل الطربَ بين عينيّ ، فتسوغ لي مسالكُ الألحان التي أريد فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مُصيباً ظافراً بما أُريد ؛ فقال : يَحِقُّ لك يا إبراهيم أن تُصيبَ وتظفَر ، وإنّ حُسْن وصفك لُمشاكِلٌ حُسْنَ صنعتك وغنائك .

1 ل : شهرين .
2 بعثتني في ل : كتبتني .

[فراسة يونس الكاتب فيه]

أخبرني ابن المَرْزُبان قال حدّثني حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال : أدركتُ يونس الكاتبَ وهو شيخ كبير فعرَضت عليه غنائي ؛ فقال : إن عشتَ كنتَ مُغَنِّيَ دهرِك .

[تصرّفه في مذاهب الغناء]

قال حَمّاد قال لي محمّد بن الحسن : كان لكلّ واحد من المغنّين مذهب في الخفيف والثقيل ، وكان مَعْبد ينفرد بالثقيل ، وابنُ سُرَيج بالرَّمَل ، وحَكَمٌ بالهَزَج ، ولم يكن في المُغنّين أحد يتصرّف في كلّ مذهب من الأغاني إلاّ ابنُ سريج وإبراهيمُ جدّك وأبوك إسحاق .

[ثمامة بن أشرس يُعجب بغنائه مع يزيد حوراء]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطَّيِّب السَّرْخسيّ قال حدّثني أحمد بن ثابت العَبْديّ عن أبي الهُذَيل العَلاّف رأسِ المعتزلة عن ثُمامة بن أشْرس قال : مررتُ بإبراهيم الموصليّ ويزيدِ حَوْراء وهما مُصطبِحان ، وقد أخذا بينهما صوتاً يُغنّيانه : هذا بيتاً وهذا بيتاً ، وهو : [من الطويل]

صوت

أيا جَبَلَيْ نَعْمان بالله خَلِّيا ... سبيلَ الصَّبا يَخْلُص إليّ نسيمُها

فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمتْ ... على نفس مهمومٍ تجلّت همومُها

قال ثُمامة : فوالله ما خِلْتُ أن شيئاً بقي من لذّات الدنيا بعدما كانا فيه .

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال : سألتُ الرشيد أن يهَب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب ، لأخلوَ فيه بجَواريّ وإخواني ، فأذن لي في يوم السبت ، وقال لي : هو يوم أستثقله ، فالْهُ فيه بما شئتَ ؛ فأقمتُ يوم السبت بمنزلي وتقدّمتُ في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجتُ إليه ، وأمرتُ بوّابي فأغلقَ الأبوابَ وتقدّمتُ إليه ألاّ يأذنَ عليّ لأحد ؛ فبينا أنا في مجلسي والخدمُ قد حَفّوا بي وجَواريّ يتردّدن بين يديّ ، إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه خُفّان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ لاطئة[1] ، وبيده عُكّازة مُقَمَّعة بفضّة ، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيتَ والدار ؛ فداخلني بدخوله عليّ مع ما تقدّمت فيه غيظٌ ما تداخلني قطّ مثلُه ، وهممتُ بطرد بوّابي ومَنْ حجبني لأجله ؛ فسلَّمَ عليَّ أحسنَ سلام فرددت عليه ، وأمرته بالجلوس فجلس ، ثم أخذ بي في أحاديث الناس وأيّام العرب وأحاديثها وأشعارها حتّى سَلَّى ما بي من الغضب ، وظننت أنّ غلماني تَحَرَّوْا مَسَرّتي بإدخالهم مثلَه عليّ لأدبه وظَرْفه ؛ فقلتُ : هل لك في الطعام ؟ فقال : لا

1 لاطئة : لاصقة بالرأس .

حاجة لي فيه ؛ فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك إليك ، فشربتُ رطلاً وسقيتُه مثلَه ؛ فقال لي : يا أبا إسحاق ، هل لك أن تُغنّي لنا شيئاً من صَنْعتك وما قد نَفَقْتَ به عند الملوك والخاصّ والعامّ ؟ فغاظني قولُه ، ثم سهَّلتُ على نفسي أمرَه فأخذتُ العود فجسستُه ثم ضربت فغنَّيتُ ؛ فقال : أحسنت يا إبراهيم ؛ فازداد غيظي وقلت : ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن أُغنّيه حتى سمَّاني ولم يُكنّني ولم يُجمِل مخاطبتي ! . ثم قال : هل لك أن تزيدنا ؟ فتذمّمتُ فأخذتُ العود فغنّيتُ ؛ فقال : أجدتَ يا أبا إسحاق ! فأَتِمَّ [هزازك][1] حتى نكافئك ونُغنّيَك ؛ فأخذت العودَ وتغنّيت وتحفّظتُ وقمتُ بما غنّيته إيّاه قياماً تامّاً ما تحفَّظت مثلَه ولا قمتُ بغناء كما قمتُ به له بين يَدَيْ خليفة قطُّ ولا غيره ، لقوله لي : أُكافئك ؛ فطرِب وقال : أحسنتَ يا سيِّدي ويا أوثَقَ عُدَدي ، ثم قال : أتأذن لعبدك بالغناء ؟ فقلت : شأنَك ، واستضعفتُ عقلَه في أن يغنّيني بحضرتي بعد ما سمعه منّي ؛ فأخذ العود وجسّه وحبسه ، فوالله لخِلتُه ينطِق بلسانٍ عربيّ لحسن ما سمعتُه من صوته ، ثم تغنّى[2] : [من الطويل]

صوت

ولي كَبِدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعني بها كِبداً ليستْ بذاتِ قُروحِ
أباها علَيّ الناسُ لا يشترونها ومَنْ يشتري ذا عِلّةٍ بصحيحِ[3]
أئِنّ من الشوق الذي في جوانبي أنينَ غَصيصٍ بالشراب جَريحِ[4]

قال إبراهيمُ : فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما في البيت يجيبه ويُغنّي معه من حسن غنائه ، حتى خِلتُ والله أنّي أسمعُ أعضائي وعظامي وثيابي تجاوبه ، وبقيتُ مبهوتاً لا أستطيعُ الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ لِما خالط قلبي ؛ ثم غنّى[5] : [من الطويل]

صوت

أَلا يا حماماتِ اللِّوى عُدْنَ عَوْدةً فإنّي إلى أصواتكنّ حزينُ
فعُدْنَ فلمّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَني وكدتُ بأسراري لهنّ أُبينُ
دَعَوْنَ بتَرْداد الهَدير كأنّما سُقِينَ حُمَيّا أو بهنّ جُنونُ

---

1 زيادة من ل . وهي كلمة فارسية ومعناها الأنشودة .
2 تنسب هذه الأبيات لابن الدمينة ومجنون ليلى ويزيد بن الطثرية وغيرهم (انظر ديوان المجنون : 95) .
3 علةٍ في ل : عورة .
4 جوانبي في ل : جوانحي .
5 تنسب هذه الأبيات لكثير وابن الدمينة ومجنون ليلى . (انظر ديوان المجنون : 263) .

فلم تَـرَ عينـي مثلَهنّ حمائمـاً بكـينَ ولم تَدْمَـع لهـنّ عيونُ

لم أعرف في هذه الأبيات لحناً يُنسب إلى إبراهيم ، والذي عرفته لمحمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر خفيفُ رمل ، فكاد ، والله أعلم ، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعتُ ؛ ثم غنّى[1] : [من الطويل]

صوت

ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ لقد زادني مَسْراكِ وَجْداً على وَجدِ
أإنْ هتفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحى على فَنَنٍ غضٍّ النّبـات من الرَّنْدِ
بكيتَ كما يبكي الحزيـنُ صبابةً وذُبْتَ من الحزن المبرِّحِ والجَهْدِ[2]
وقـد زعمـوا أنّ المحبَّ إذا دنا يَمَلُّ وأنّ النأي يَشْفي مِن الوَجْدِ
بكلٍّ تداوينا فلـم يُشْفَ مـا بنا على أنّ قرب الدّار خيرٌ من البعدِ

ثم قال : يا إبراهيم ، هذا الغناء الماخُوريّ فخذه وانحُ نحوَه في غنائك وعلّمْه جَوارِيَك ؛ فقلتُ : أعِدْه عليّ ، فقال : لست تحتاج ، قد أخذتَه وفرغتَ منه ، ثم غاب من بين يديّ ؛ فارتعتُ وقمت إلى السيف فجرّدته ، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغْلقةً ، فقلتُ للجواري : أيّ شيء سمعتنّ عندي ؟ فقلن : سمِعنا أحسنَ غناء سُمِع قَطّ ؛ فخرجتُ متحيِّراً إلى باب الدار فوجدتُه مُغلَقاً ، فسألتُ البوّابَ عن الشيخ ؛ فقال لي : أيّ شيخ هو ؟ والله ما دخل إليك اليومَ أحـد ؛ فرجَعـتُ لأتأمّـل أمري ، فإذا هو قد هَتَف بي من بعض جوانب البيت : لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق ، أنـا إبليس وأنـا كنت جليسَك ونديمَك اليومَ ، فلا تُرَعْ . فركبت إلى الرشيد وقلت : لا أطرفه أبداً بطُرْفة مثلِ هذه ، فدخلتُ إليه فحدّثته بالحديث ؛ فقال : وَيْحَك ! تأمَّلْ هذه الأصوات[3] ، هل أخذتَها ؟ فأخذت العود أمتحنها ، فإذا هي راسخة في صدري كأنّها لم تزل ؛ فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزَم على الشراب ، وأمر لي بصلةٍ وحُمْلانٍ[4] وقال : الشيخ كان أعلمَ بما قال لك من أنّك أخذتَها وفرغتَ منها ، فليتَه أمتعَنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك .

---

1 تنسب هذه الأبيات إلى ابن الدمينة ويزيد بن الطثرية والمجنون (انظر ديوان المجنون : 112) .
2 رواية شرح الحماسة لهذا البيت :
بكيت كما يبكي الوليـد ولم تكـن جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي
3 ل : الأبيات .
4 الحملان : ما يحمل عليه من الدواب .

نسبة هذه الأصوات

أمّا الصوت الأوّل فالذي أعرفه فيه خفيفُ رَمَلٍ لمحمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ولم يقَع إليّ فيه صنعةٌ لإبراهيم . والصوت الثاني الذي أوّله : [من الطويل]

أَلا يا صبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ

فشعرُه ليزيدَ بن الطَّثَرِيَّةِ ، والغناءُ لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمحمّد بن الحسن بن مصعَب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو . وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لدَحْمان ولحناً لابنه الزُّبير ، ولم يَذْكر في أيّ طريقةٍ هما .

[إرشاد إلى شعر ذي الرمّة في المنام]

هكذا حدّثنا ابن أبي الأزهر بهذا الخبر ؛ وما أدري ما أقول فيه ، ولعلّ إبراهيمَ صنع هذه الحكاية ليتنفّق بها ، أو صُنعتْ وحُكيتْ عنه . إلاّ أنّ للخبر أصلاً الأشبهُ بالحقّ منه ما حدّثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عَمّار قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه قال : صنعتُ لحناً فأعجبني ، وجعلت أطلب له شعراً فعَسُر ذلك عليّ ، ورأيتُ في المنام كأنّ رجلاً لَقِيَني فقال : يا إبراهيم ، أأعياك شعرٌ لغنائك هذا الذي تُعْجَب به ؟ قلت نعم ؛ قال : فأين أنت من قول ذي الرُّمَّة حيث قال[1] : [من الطويل]

أَلا يا اسلَمي يـا دار مَيّ على البِلَى ولا زال مُنْهَلاً بجَرْعائِك القَطْرُ[2]
وإن لم تكـوني غير شام بقَفْرةٍ تَجُرُّ بهـا الأذيـالَ صَيْفِيّة كُدْرُ[3]

قال : فانتبهتُ وأنا فَرِحٌ بالشعر ، فدعوتُ مَنْ ضرب عليّ وغنّيتُه فإذا هو أوفقُ ما خلق الله ، فلمّا علمتُ ذلك ، وعملتُ هذا الغناء في شعر ذي الرمّة ، تنبّهتُ عليه وعلى شعره فصنعتُ فيه ألحاناً ماخُورِيَّةً ، منها[4] : [من الطويل]

صوت

أَمَنْزِلَتَـيْ مَـيٍّ سلامٌ عليكمـا هـل الأزمُـنُ اللائـي مَرَرْنَ رواجعُ
وهل يَرجعُ التسليمَ أو يكشِفُ العَمى ثـلاثُ الأثـافي أو رسومٌ بلاقِعُ[5]

---

1 ديوان ذي الرمة : 206– 207 .
2 الجرعاء : الرملة المستوية لا نبات فيها .
3 شام : جمع شامة . الصيفية : رياح الصيف . الكدر : جمع كدراء وهي التي في لونها غبرة .
4 ديوان ذي الرمّة : 332 .
5 أو رسومٌ بلاقِعٌ في ل والديوان : والرسوم البلاقع .

صنعةُ إبراهيمَ في هذين الشعرين جميعاً من الماخُورِيّ بالوسطى ، وهو خفيف الثقيل الثاني . وأخباره كلّها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرُّمّة مشروحةً .

[اختصاصه بالغناء في شعر ذي الرّمّة]

حدّثني محمّد بن مَزْيد قال حدّثني حَمّاد عن أبيه قال قال لي أبي : قال لي جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أنّ الرشيد أذِن لي وللمغنِّين في الانصراف يومئذٍ : صِرْ إليّ حتى أَهَبَ لك شيئاً حسناً ؛ فصِرْتُ إليه فقال لي : أيّما أحبُّ إليك : أَهَبُ لك الشيء الحسن الذي وعدتُك به ، أم أُرشدك إلى شيء تَكسِب به ألفَ ألفِ درهم ؟ فقلت : بل يرشدني الوزير ، أعزَّه الله ، إلى هذا الوجه فإنّه يقوم مقام إعطائه إيّاي هذا الحَسَن ؛ فقال : إنّ أمير المؤمنين يحفَظ شعر ذي الرُّمّة حفظ الصِّبا ويُعجبه ويؤثره ، فإذا سَمِع فيه غناءً ، أطربه أكثر ممّا يُطربه غيره ممّا لا يحفظ شعره ؛ فإذا غنَّيتَه فأطربتَه وأمر لك بجائزة ، فقُم على رجليك قائماً وقبِّل الأرض بين يديه وقُل له : لي حاجة غيرُ هذه الجائزة أُريد أن أسألها أميرَ المؤمنين ، وهي حاجة تقوم عندي مقامَ كلّ فائدة ولا تَضُرّه ولا تَرْزَؤه ؛ فإنّه سيقول لك : أيّ شيء حاجتُك ؟ فقل : قَطِيعةٌ تُقْطِعُنيها سهلةٌ عليك لا قيمةَ لها ولا منفعةَ فيها لأحد ؛ فإذا أجابك إلى ذلك ، فقل له : تُقْطعني شعرَ ذي الرمّة أُغنّي فيه ما أختاره وتحظُر على المغنِّين جميعاً أن يُداخلوني فيه ، فإنّي أُحِبّ شعره وأستحسنه فلا أحبّ أن يُنغّصه عليّ أحدٌ منهم ، وتَوَثَّقْ منه في ذلك ؛ فقبِلتُ ذلك القولَ منه ، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلاّ بجائزة ؛ وتوخّيتُ وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدتُه ، فقمت فسألت كما قال لي ، وتبيّنتُ السرور في وجهه ، وقال : ما سألتَ شَطَطاً ، قد أقطعتك سُؤْلتك ؛ فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون : لقد استضخمتَ القطيعة وهو ساكت ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في التوثُّق ؟ قال : تَوَثَّقْ كيف شئت ؛ فقلت : بالله وبحقّ رسوله وبتُربة أمير المؤمنين المهديّ إلاّ جعلتَني على ثقَة من ذلك بأنّك تحلف لي أنّك لا تُعطي أحداً من المغنِّين جائزة على شيء يُغنِّيه في شعر ذي الرُّمّة فإنّ ذلك وثيقتي ؛ فحلف مجتهداً لهم لئن غنَّاه أحدٌ منهم في شعر ذي الرُّمّة لا أثابه بشيء ولا بَرّه ولا سمع غناءه ؛ فشكرتُ فعله وقبّلت الأرضَ بين يديه وانصرفنا . فغنَّيت مائة صوت وزيادة في شعر ذي الرُّمّة ، فكان إذا سمع منها صوتاً طَرِب وزاد طربُه ووصلني فأجزَل ، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيري ؛ فأخذتُ منه والله بها ألفَ ألفِ درهم وألفَ ألفِ درهم .

أخبرني جعفر بن قُدامة بن زِياد الكاتب قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو خالد الأَسْلَميّ قال حدّثني محمّد بن عمر الجُرْجانيّ قال : قال إبراهيم الموصليّ : أُرْتِج عليّ فلم أجد شعراً أصُوغ فيه غناءً أُغنّي فيه الرشيدَ ، فدخلتُ إلى بعض حُجَر داري

مغموماً ، فأسْبلتُ الستورَ عليّ وغلبتْني عيني ، فتمثَّل لي في البيت شيخٌ أشْوَهُ الخِلْقة ، فقال لي : يا موصليّ ، مالي أراك مغموماً ؟ قلت : لم أُصِبْ شِعْراً أُغنّي فيه الرشيدَ الليلةَ ؛ قال : فأين أنت عن قول ذي الرُّمّة : [من الطويل]

ألا يا اسْلَمي يا دارَ مَــيَّ على البِلَى ولا زال مُنْهَلاً بجَرْعائِـك القطرُ
وإن لم تكـوني غيرَ شام بقَفْـرةٍ تَجُرّ بهـا الأذيـالَ صَيْفيّةٌ كُدْرُ
أقامت بها حتّى ذَوى العودُ في الثّرى وساق الثريّـا في مُلاءتـه الفجرُ[1]
وحتّى اعتلى البُهْمى من الصيف نافِضٌ كما نَفَضَتْ خيـلٌ نواصيَهـا شُقْرُ[2]

قال : وغنّاني فيه بلحن وكرّره حتى علِقتُه[3] فانتبهت وأنا أُديره ، فناديت جاريةً لي وأمرتُها بإحضار عود ، وما زِلتُ أترنَّم بالصوت وهي تضرب حتى استوى لي ؛ ثم صرتُ إلى هارون فغنَّيته إيّاه ، فأسكتَ المغنِّين ، ثم قال : أعِد فأعدتُ ، فما زال ليلَته يستعيدُنيه ، فلمّا أصبح أمَر لي بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذي كنّا فيه . وقال : عليك بشعر ذي الرُّمّة فغنِّ فيه ؛ فصنعتُ فيه غناءً كثيراً ، فكنتُ أُغنّيه به فيُعجبه ويُجْزل صِلتي .

[غنّى الرشيد ومعه زلزل وبرصوما فأطربوه]

أخبرني عمّي وابن المَرزُبان والحسن بن عليّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمّد بن عبد الله السُّلَميّ قال حدّثنا أبو غانم مولى جَبَلة بن يزيد السُّلَميّ قال : اجتمع إبراهيم الموصليّ وزَلْزَلٌ وبَرصوما بين يَدَي الرشيد ، فضرب زلزلٌ وزَمَر بَرْصوما وغنَّى إبراهيم[4] : [من الوافر]

صوت

صَحـا قلبـي وراعَ إليّ عقــلي وأقْصَر باطلي ونَسِيتُ جهلي[5]
رأيتُ الغانياتِ وكُــنَّ صُورا إليّ صَرَمْنَــي وقَطعْــنَ حبلي[6]

فطرِب هارون حتى وثَب على رجليه وصاح : يا آدم ، لو رأيتَ مَن يحضُرُني من ولدك اليومَ لسرّك ! ، ثم جلس وقال : أستغفر الله .

1 الثرى في ديوان ذي الرمّة : والتوى . ملاءة الفجر : بياضه .
2 اعتلى في الديوان ول : واعترى . البهمى : نبات تحبّه الغنم وهو أخضر . والنافض : يبس ينفض هذا النبات .
3 ل : عقلته .
4 ديوان أبي العتاهية : 617 .
5 راع : هنا بمعنى رجع .
6 وكن صوراء : أي يملنَ أعناقهنّ إليه .

الشعر الذي غنّى فيه إبراهيم لأبي العتاهية . والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

[الرشيد يترضّى جارية غاضبها]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال[1] : كان الرشيد يَجِد بماردةَ وَجْداً شديداً ؛ فغضبت عليه وغضب عليها ، وتمادى بينهما الهجرُ أيّاماً ؛ فأمر جعفرُ بن يحيى العبّاسَ بن الأحنف فقال[2] : [من الكامل]

راجعْ أحبّتك الذين هجرتَهم إنّ المُتَيَّم قلّما يَتَجَنّبُ
إنّ التجنُّبَ إن تطاوَل منكما دَبَّ السُّلُوُّ له فعَزَّ المطلبُ[3]

وأمر إبراهيمَ الموصليّ فغنّى فيه الرشيد ؛ فلمّا سمعه بادر إلى ماردةَ فترضّاها ؛ فسألتْ عن السبب في ذلك فعرفتْه ، فأمرت لكلّ واحد من العبّاس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألتِ الرشيدَ أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

[نال أوّل جائزة لشاعر من الرشيد]

أخبرني جعفر بن قُدامة عن حَمّاد عن أبيه قال : أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا وَلِيَ الخلافةَ جائزةٌ لإبراهيم ، فإنّه قال يمدحه لَمّا وَلِي : [من الطويل]

صوت

ألَم تَرَ أنّ الشمسَ كانت مريضةً فلمّا وَلِي هارونُ أشرق نُورُها
فألبستِ الدّنيا جمالاً بوجهه فهارونُ وَاليها ويحيى وزيرُها

وغنّى فيه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم .

[قامر الرشيد بالنرد]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ : أنّ أباه لَعِب يوماً مع الرشيد بالنَّرْد في الخلْعة التي كانت على الرشيد والخِلعة التي كانت عليه هو ، فتقامَرَ للرشيدِ ، فلمّا قَمَره قام إبراهيم فنزع ثيابه ، ثم قال للرشيد : حُكْم النَّرد الوفاءُ به ، وقد قُمِرْتُ ووفَّيتُ لك ، فالبس ما كان عليّ ؛ فقال له الرشيد : وَيْلَك ! أنا ألبس ثيابك ! ؛ فقال : إي والله إذا أنصفتَ ، وإذا لم تُنصف قدَرتَ وأمكنك ؛ قال : ويلك ! أو أفتدي منك ؟ قال : نعم ؛ قال : وما الفداء ؟ قال : قُل أنتَ يا أمير المؤمنين فإنّك أولَى بالقول ؛ فقال : أعطيك كلّ ما عليّ ؛ قال : فمُرْ به يا أمير المؤمنين وأنا

---

1 وردت هذه الحكاية في التذكرة الحمدونية 6 : 209 (رقم 548) .

2 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 44 .

3 ل : دب السلو فعز منك المطلبُ .

أستخير الله في ذلك ؛ فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزَع ما كان عليه فدفَعه إلى إبراهيم .

[فطنة ابن جامع وإبراهيم في صناعة الموسيقى]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عُمَر بن شَبّة قال حدّثني عليّ بن عبد الكريم قال[1] : زار ابنُ جامع إبراهيمَ الموصليّ ؛ فأخرج إليه ثلاثين جارية فضربْنَ جميعاً طريقةً واحدة وغنّيْن ؛ فقال ابن جامع : في الأوتار وَتَرٌ غير مستوٍ ؛ فقال إبراهيم : يا فلانةُ شُدّي مَثْناكِ ، فشدَّتْه فاستوى ؛ فعجبتُ أوّلاً من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وتراً غير مستو ، ثم ازداد عَجَبي من فِطْنة إبراهيم له بعينه .

[غناؤه عند خمار بالرقّة]

أخبرني إسماعيل بن يونس وحَبِيب بن نَصْر المُهَلَّبي قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني أبي قال[2] : كنّا مع الرشيد بالرّقّة وكان هناك خَمّار أقصِده أشتري منه شراباً حسناً طيّباً ؛ وربّما شربت في حانته ، فأتيته يوماً فبزَل لي دَنّاً في باطِيَة له ، فرأيت لونه حسناً صافياً ، فاندفعتُ أُغنّي : [من مجزوء الرمل]

صوت

اسْقِني صَهْباءَ صِرْفاً لم تُدَنَّسْ بمِزاجِ
اسْقِني والليلُ داجٍ قبلَ أصواتِ الدَّجاجِ
يا أبا وَهْب خليلي كلُّ هَمٍّ لانفراجِ
حين تَوَهَّتَ بقلبي في أعاصير الفِجاجِ

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيمَ هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسياط ثاني ثقيلٍ بالخِنْصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق ، قال : فدَهِش الخمّار يسمع صوتي ، فقلت له : وَيْحَك ! قد فاض النبيذ من الباطِيَة ؛ فقال : دَعْني من النبيذ يا أبا إسحاق ، مالي أرى صوتك حزيناً حَرِيقاً ، مات لك بالله إنسان ؟ فلمّا جئتُ إلى الرشيد حدّثته بذلك فجعل يضحك .

[قصّته مع الجواري اللاتي عقنه عن موعد الرشيد]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ المدائنيّ حدّث قال : قال إبراهيم الموصليّ قال لي الرشيد يوماً : يا إبراهيم ، إنّي قد جعلت غداً للحَريم ، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال ، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنّين ، فلا تشْتغل غداً بشيء ، ولا تشرب نبيذاً ، وكُن بحضرتي في وقت العشاء الآخرةِ ؛ فقلت : السمعُ والطاعةُ لأمير المؤمنين ؛ فقال : وحقِّ أبي لئن تأخّرتَ أو

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 21 (رقم 41) .

2 قد تقدّم مثل هذا الخبر في هذه الترجمة عن شربه وغنائه عند خمار في باري .

اعتلَلْتَ بشيء لأَضربنّ عنقك ، أَفهمتَ ؟ فقلت : نعم ، وخرجتُ فما جاءني أَحد من إخواني إلاّ احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأَحد ، حتى إذا صُلِّيتِ المغرب ركبتُ قاصداً إليه ، فلمّا قرُبت من فِناء داره مررت بفناء قصر ، وإذا زَنْبيلٌ كبير مُستوثَق منه بحبال وأَربع عُرى أَدَمٍ وقد دُلِّيَ من القصر ، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وُعِد ليجلس فيه ، فنازعتْني نفسي إلى الجلوس فيه ، ثم قلت : هذا خطأ ، ولعلّه أَن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاكُ ، فلم أَزل أُنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتْني ، فنزلت فجلست فيه ، ومُدّ الزنبيل حتى صار في إلى القصر ، ثم خرجت فنزلت ، فإذا جوارٍ كأَنهنّ المَها جلوسٌ ، فضحِكْنَ وطَرِبْنَ ، وقلن : قد جاء والله مَن أُردناه ؛ فلمّا رأَيْنَني من قريب تَبادرْنَ إلى الحِجاب وقُلْن : يا عدوّ الله ، ما أَدخلك إلينا ؟ فقلت : يا عدوّاتِ الله ، ومَن الذي أُردْتُنّ إدخالَه ؟ ولِمَ صار أَولى بهذا منّي ؟ فلم يزَل هذا دَأْبنا وهنّ يضحكن وأَضحك معهنّ ؛ ثم قالت إحداهنّ : أَمّا مَن أُردناه فقد فات ، وما هذا إلاّ ظريف ، فهلمّ نعاشرْه عشرةً جميلة ؛ فأُخرج إليّ طعام ودُعيت إلى أَكله ، فلم يكن فيّ فَضْلٌ إلاّ أَنّي كرِهت أَن أُنسب إلى سوء العشرة ، فأَصبتُ منه إصابة مُعَذِّر ، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب ، وأُخْرجن إليّ ثلاث جَوارٍ لهنّ فغنّين غناء مليحاً ، فغنَّتْ إحداهنّ صوتاً لَمَعْبد ، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر : أَحسنَ إبراهيمُ ، هذا له ؛ فقلت : كَذَبتِ ليس هذا له ، هذا لمعبد ؛ فقالت : يا فاسقُ ، وما يُدْريك الغناءَ ما هو ! ؛ ثم غنّت الأُخرى صوتاً للغَريض ، فقالت تلك : أَحسن إبراهيم ، هذا له أَيضاً ؛ فقلت : كذبتِ يا خبيثةُ ، هذا للغريض ؛ فقالت : اللهمّ أَخْزِه ، ويلك ! وما يُدريك ؟ ثم غنّت الجارية صوتاً لي ، فقالت تلك : أَحسن ابنُ سُرَيج ، هذا له ؛ فقلت : كذبتِ هذا لإبراهيم ، وأَنتِ تَنسُبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم ؛ فقالت : وَيْحَك وما يُدريك ! ؛ فقلت : أَنا إبراهيم ، فتباشرْنَ بذلك جميعاً وطرِبْنَ كلُّهنّ وظهرْنَ كلُّهنّ لي وقُلْنَ : كتمتَنا نفسَك وقد سررتنا ؛ فقلت : أَنا الآن أَستودعكنّ الله ؛ فقلن : وما السبب ؟ فأَخبرتهنّ بقصّتي مع الرشيد ؛ فضحكن وقُلن : الآن والله طاب حبسك ، علينا وعلينا إن خرجتَ أَسبوعاً ؛ فقلت : هو والله القتل ؛ قلن : إلى لعنة الله . فأَقمت والله عندهنّ أَسبوعاً لا أَزول ، فلمّا كان بعد الأَسبوع ودَّعْنَني وقُلن : إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا ، قلت نعم ؛ فأَجلسنَني في الزنبيل وسُرِّحتُ ؛ فمضيت لوجهي حتى أَتيت دارَ الرشيد ، وإذا النداء قد أُشيع ببغدادَ في طلبي وأَنّ مَن أَحضرني فقد سُوِّغ ملكي وأُقْطِع مالي ؛ فاستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أَدخلوني على الرشيد ؛ فلمّا رآني شتمني وقال : السيف والنِّطْع ! إيهٍ يا إبراهيم ، تهاونتَ بأَمري وتشاغلتَ بالعوامّ عمّا أَمرتك به وجلستَ مع أَشباهك من السفهاء حتى أَفسدتَ عليّ لذّتي ! ؛ فقلت : يا أَمير المؤمنين ، أَنا

بين يديك ، وما أُمرتَ به غيرُ فائت ، ولي حديث عجيب ما سُمع بمثله قطُّ ، وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختياراً ، فاسمعْه ، فإن كان عذراً فاقبلْه وإلاّ فأنت أعلم ؛ قال : هاتِه فليس يُنجيك ؛ فحدّثته ، فوجَم ساعةً ثم قال : إنّ هذا لعَجبٌ ، أفتُحْضِرني معك هذا الموضع ؟ قلت : نعم ، وأُجلسك معهنّ إن شئتَ قبلي حتى تحصل عندهنّ ، وإن شئت فعلى موعد ؛ قال : بل على موعد ؛ قلت : أفعل ؛ فقال : انظُر ؛ قلت : ذلك حاصلٌ إليك متى شئت ؛ فعدَل عن رأيه فيّ وأجلسني وشرب وطرِب ؛ فلمّا أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهنّ ؛ فمضيت إليهنّ في وقت الوعد ، فلمّا وافيتُ الموضعَ إذا الزنبيل معلّق ، فجلست فيه ومدّه الجواري فصعِدت ، فلمّا رأيْنَني تباشرْنَ وحَمِدْنَ الله على سلامتي ، وأقمتُ ليلتي[1] ، فلمّا أردت الانصراف قلت لهنّ : إن لي أخاً هو عِدْلُ نفسي عندي ، وقد أحَبّ معاشرتكنّ ووعدتُه بذلك ؛ فقلن : إن كنتَ ترضاه فمرحباً به ؛ فوعدتهنّ ليلةَ غدٍ وانصرفتُ وأتيت الرشيدَ وأخبرته ؛ فلمّا كان الوقتُ خرج معي متخفّياً حتى أتينا الموضع ، فصعِدت وصعِد بعدي ونزلْنا جميعاً ، وقد كان الله وفّقني لأَن قلتُ لهنّ : إذا جاء صديقي فاستترِنَ عنّي وعنه ولا يسمعْ لكُنّ نَطْقة ، وليكن ما تَخْتَرْنَه من غناء أو تَقُلْنَه من قولٍ مُراسَلَةً ؛ فلم يتعدّيْنَ ذلك وأَقَمْنَ على أتمّ سِتْر وخَفَر ، وشربنا شرباً كثيراً ، وقد كان أمرني ألاّ أُخاطبَه بأمير المؤمنين ، فلمّا أخذ منّي النبيذُ قلت سهواً : يا أمير المؤمنين ، فتواثَبْنَ من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتهنّ ؛ فقال لي : يا إبراهيم لقد أفْلَتَّ من أمر عظيم ، والله لو برزتْ إليك واحدة منهنّ لضربتُ عنقك ، قم بنا ، فانصرفنا ؛ وإذا هنّ له ، قد كان غضِب عليهنّ فحبسهنّ في ذلك القصر ؛ ثم وجّه من غد بخَدَم فردّوهنّ إلى قصره ، ووَهب لي مائة ألف درهم ، وكانت الهدايا والألْطاف تأتيني بعد ذلك منهنّ .

[غنّى الرشيد فأجزل صلته]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبي قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال لي : أنا اليوم كسلانُ خاثِر ، فإن غَنّيْتَني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك ؛ فغنّيته : [من الطويل]

ولَم يُـرَ في الدنيـا مُحبّان مثلُنا ... على ما نلاقي من ذَوِي الأعين الخُزْرِ
صَفِيّانِ لا نرضى الوُشاةَ إذا وَشَوْا ... عفيفانِ لا نَغْشى من الأمر ما يُزْري

فطرِب ، ودعا بالطعام فأكل وشرب ، وأمر لي بخمسين ألف درهم .

---

1 ل : ليلتين .

[امتحانه صوتاً لدنانير]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال قال لي أَبي قال لي يحيى بن خالد : إنّ ابنتك دَنانِيرَ قد عمِلتْ صوتاً أَعجبني وأُعجبتْ أَيضاً هي به ، فقلتُ لها : لا تُعجَبي به حتّى أَعْرِضَه على أَبيك أَبي إسحاق ؛ فقلتُ له : والله ما في معرفة الوزير ، أَعزّه الله ، به ولا بغيره من الصنائع مَطْعَن ، وإنّه لأَصحُّ العالَم تمييزاً وأَثقبُه فِطْنَةً ، وما أَعجبه إلاّ وهو صحيحٌ حَسَن ؛ فقال : إن كنتُ كما تقول أَيضاً ، فإنّ أَهلَ كلّ صناعة يُمارسونها أَفهمُ بها ممّن يَعْلَمها عن عُرُض من غير مُمارسة ، ولو كنّا في هذه الصناعة متساويَيْن لكان الاستظهارُ برأيك أَجْوَد ، لأَنّ مَيْلي إلى صانعة الصوت ربّما حسَّن عندي ما ليس بالحسن ، وإنّما يتمّ سروري به بعد سماعك إيّاه واستحسانك له على الحقيقة ؛ فمضيتُ فوجدتُ ستارةً منصوبة وأَمراً قد تُقدّم فيه قبلي ؛ فجلستُ فسلَّمت على الجارية ، وقلتُ لها : تغنِّيني الصوتَ الذي ذكره لي الوزير أَعزّه الله ؛ فقالت : إنّ الوزير قال لي : إنِ استجاده فعرِّفيني ليتمّ سروري به ، وإلاّ فاطوِ الخبرَ عنّي لئلاّ تَزول رُتبته عندي ؛ فقلتُ : هاتيه حتى أَسمعه ؛ فغنّت تقول : [من الكامل]

نفسي أَكنتُ عليكِ مدَّعياً ... أَم حين أَزْمَعَ بينهُم خُنْتِ
إن كنتِ هائمةً بذكرهمُ ... فعلى فراقهمُ أَلا حُمْتِ[1]

قال : فأَحسَنَتْ والله وما قصَّرتْ ، فاستعدتُه لأَطلبَ فيه موضعاً لأُصلحه[2] فيكون لي فيه معنى فما وَجدتُ ؛ قلت : أَحسنْتِ والله يا بُنيّة ما شئتِ ؛ ثم عدتُ إلى يحيى فحلفتُ له بأَيمان رضيها أَنّ كثيراً من حُذّاق المغنِّين لا يُحسنون أَن يصنعوا مثله ، ولقد استعدتُه لأَرى فيه موضعاً يكون لي فيه عملٌ فما وجدت ؛ فقال : وصفُكَ لها من أَجله يقومُ مقامَ تعليمك إيّاها ، فقد والله سررتَني وسأَسرُّك ، فلمّا انصرفتُ أَتبعني بخمسين أَلف درهم .

[قصّته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد]

حدّثني عمِّي وابن المَرزُبان قالا حدّثنا ابن أَبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله السُّلَميّ قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق ، ولَم يقُل عن أَبيه ، قال : والله إنّي لَفِي منزلي ذاتَ يوم وأَنا مفكِّرٌ في الرّكوب مرّةً وفي القعود مرّة ، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم للرشيد يأمرني بالحضور من وقتي ، فركِبتُ وصرتُ إليه ؛ فقال لي : اجلس يا إبراهيم حتى أُريكَ عجباً ، فجلستُ ؛ فقال : عليَّ بالأَعرابيّة وابنتها ؛ فأُخرِجَتْ إليَّ إعرابيّة ومعها بُنَيّة لها عشرٌ أَو أَرجح ؛ فقال : يا إبراهيم ، إنّ هذه الصَّبِيّة تقول الشعر ؛ فقلتُ لأُمّها : ما يقول أَمير المؤمنين ؟ فقالت :

---

1 حُمت في ل : مت .

2 ل : أصلحه .

هِي هذه قدّامَك فسَلْها ؛ فقلت : يا حبيبة ، أتقولين الشعر ؟ فقالت نعم ؛ فقلت : أنشديني بعضَ ما قلتِ ؛ فأنشدتْني : [من الطويل]

صوت

تقـول لأتراب لهـا وهـي تَمْتَري دموعاً على الخدَّيْن من شدّة الوجدِ[1]
أكلُّ فتـاةٍ لا محالـةَ نـازلٌ بهـا مثلُ مابي أم بُليتُ بـه وحدي
بَـراني لـه حـبٌّ تَنشَّبَ في الحشا فلم يُبْقِ من جسمي سوى العظمِ والجلدِ
وجَدتُ الهـوى حُلْـواً لذيذاً بَدِيئُه وآخـرُه مـرٌّ لصاحبـه مُـرْدِي[2]

قال الشَّبّيّ[3] في خبره : قال إسحاق : وكان أبي حاضراً ، فقال : والله لا تَبرَحْ يا أمير المؤمنين أوْ نصنعَ في هذه الأبيات لحناً ؛ فصُغْتُ فيها أنا وأبي وجميعُ مَن حضر . وقال الآخرون : قال إبراهيم : فما بَرِحتُ حتّى صنعتُ فيه لحناً وتَغَنّيتُ به وهي حاضرة تسمع . قال ابن المَرزُبان في خبره ، ولم يذكره عمِّي ، : فقالت : يا أمير المؤمنين ، قد أحسنَ رِوايةَ ما قلتُ ، أفتأذَنُ لي أن أكافئه بمدح أقوله فيه ؟ قال : افعلي ؛ فقالت[4] : [من مجزوء الرمل]

صوت

مـا لإبراهيم في العلـ ـم بهذا الشأنِ ثاني
إنّمـا عُمْـرُ أبي إسـ ـحاقَ زيـنٌ للزمانِ
منـه يُجْنـى ثَمَرُ اللّهـ ـو ورَيْحـانُ الجِنانِ
جنّـة الدّنيـا أبو إسـ ـحاق في كلّ مكـانِ

قال : فأمر لها الرشيد بجائزة ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، فوهبتُ لها شَطْرَها .

اللحن الذي صنعه إبراهيم في شِعر الاعرابيّة ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وفيه لعلّويه ثاني ثقيل . وأمّا الشعر الثاني فهو لابن سيابَةَ لا يُشَكّ فيه . ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل .

[الرشيد يجيز المغنّين ويغضب على علّويه]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كنت أخذتُ بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوتَ ، وغَنَّيْته الرشيدَ وقلتُ :

---

1 تمتري دموعاً : تستدرها .
2 بديء الشيء : أوّله .
3 الشبيّ : عمر بن شبّة .
4 تقدّم هذا الشعر منسوباً لابن سيابة ، ص 112 .

صوت

[من البسيط]

همـا فتاتانِ لَمّـا تَعرِفـا خُلُقي ... وبالشَّبـابِ عـلى شَيْبي تُدِلاّنِ
رأيتُ عِرْسَيَّ لَمّـا ضَمَّني كِبَري ... وشِخْتُ أَزمعتا صرمي وهِجْراني
كلُّ الفَعال الذي يفعلْنَـه حَسَنٌ ... يُصْبي فؤادي ويُبْدي سِرّ أَشْجاني
بَلِ احذَرا صَوْلةً من صَول شيخكما ... مَهْلاً على الشيخ مَهْلاً يـا فتاتانِ

فطَرِب وأَمر لي بظَبْية كانت مُلْقاةً بين يديه ، فيها أَلفُ دينار مسيَّفة[1] ؛ وكان ابن جامع حاضراً ، فقال : اسمع يا أَمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين ، وكان أَشدَّ خَلْقِ الله حسداً ، فغنّاه : [من الرمل]

صوت

ولقـد قالـت لأَتراب لهـا ... كالمَها يَلْعَبْـن في حُجْرتها
خُذْن عنّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُني ... ومَضَـتْ سَعْياً إلى قُبّتها[2]

فطَرِب وشَرِب ، وأَمر له بأَلفٍ وخمسمائة دينار . ثم تَبِعه محمّد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة فغنّى : [من المنسرح]

صوت

يَمْشُون فيهـا بكـلِّ سابغـةٍ ... أُحكِم فيهـا القَتِيرُ والحَلَقُ[3]
يُعـرَفُ إنصافُهـم إذا شهِدوا ... وصبْرُهم حين تَشْخَص الحَدَقُ

فاستحسنه وشرِب عليه ، وأَمر له بخمسمائة دينار . ثم غنّى علّويه : [من الكامل]

صوت

يَجْحَدْنَ دَيْنـي بالنّهار وأَقتضي ... دَيْني إذا وَقَـذَ النُّعـاسُ الرُّقَّدا[4]
وأرى الغَـوانيَ لا يُواصِلْـنَ امـرأً ... فَقَـدَ الشَّبابَ وقد يَصِلن الأَمْرَدا

فدعا به الرشيد وقال له : يا عاضَّ بظْرِ أُمّه ! أَتغنّي في مدح المُرْد وذمّ الشَّيب وسِتارتي منصوبة وقد شِبْتُ وكأَنّك تعرّض بي ؟ ثم دعا مسروراً فأَمره أن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين

---

1 الدينار المسيف : الذي جوانبه نقيّة من النقش . والظبية : الجراب .
2 ديوان عمر : 75 وفيه «تسعى إلى قبتها» .
3 القتير : رؤوس المسامير في الدرع .
4 وقذه النعاس : غلبه .

دِرّة ويُخرجَه من مجلسه ، ففعل ؛ وما انتفعنا به بقيّة يومنا ولا انتفع بنفسه ، وجفا علّويه شهراً ، ثم سألناه فيه فأذِن له ؛ ولهذه الأغاني نسب قد ذُكرت في موضعها .

قال أبو الفرج لإبراهيم أخبارٌ مع خُنْث المعروفة بذات الخال ، وكان يهواها ، جعلتُها في موضع آخر من هذا الكتاب ، لأنّها منفردة بذاتها مستغنيةٌ عن إدخالها في غمار أخباره . وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره ؛ وقد شرَطْتُ أنَّ الشيءَ من أخبار الشعراء والمغنّين إذا كانت هذه سبيلَه أُفْرِده ، لئلاّ يَقطعَ بين القرائن والنظائر ممّا تُضاف إليه وتدخلُ فيه .

[مرضه وزيارة الرشيد له]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاقَ الموصليّ يقول : لمّا دخلتْ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدّ أمر القُولَنْج على أبي ولزِمه ، وكان يعتاده أحياناً ، فقعد في الأبزن عن خدمة الخليفة وعن نَوْبته في داره ؛ فقال في ذلك : [من مجزوء الرمل]

صوت

مَـــلَّ والله طبيبـي من مُقاساةِ الذي بي
سوف أُنْعى عن قريب لعـــدوٍّ وحبيـــبِ

وغنّى فيه لحناً من الرَّمَل ، فكان آخرَ شعرٍ قاله وآخِرَ لحنٍ صنعه .

أخبرني الصُّوليّ عن محمّد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ الرشيد ركب حماراً ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو في الأَبزَن جالس ، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيِّدي كما قال الشاعر : [من الوافر]

سَقيمٌ مَـلَّ منـه أقربوه وأَسْلَمه المُداوي والحميمُ

فقال الرشيد : إنّا لله ، وخرج ، فلم يَبْعُد حتى سمِع الواعية[1] عليه .

[وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبّة قال : مات إبراهيم الموصليّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، ومات في ذلك اليوم الكِسائيّ النحويّ والعبّاس بن الأحنف الشاعر وهُشَيمة الخَمّارة ، فرُفع ذلك إلى الرشيد ، فأمر المأمونَ أن يصلّيَ عليهم ، فخرج فصُفُّوا بين يديه ؛ فقال : مَنْ هذا الأوّل ؟ قيل : إبراهيم ؛ فقال : أخِّروه وقدّموا العبّاسَ بن الأحنف ، فقُدِّم

1 الواعية : الصراخ على الميت .

فصلَّى عليهم ؛ فلمّا فرغ وانصرف ، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ فقال : يا سيِّدي ، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على مَن حضر ؟ قال : لقوله[1] : [من الكامل]

وسَعى بهـا نــاسٌ فقالوا إنّها لهـي التي تَشْقى بها وتُكابِدُ[2]
فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم إنِّي ليُعجبني المحبّ الجاحدُ

ثم قال : أتحفظها ؟ قلت نعم ؛ فقال : أنشدني باقيها ؛ فأنشدتُه : [من الكامل]

لمّا رأيتُ الليلَ سدّ طَريقَه عنّي وعذّبني الظلام الراكدُ
والنَّجم في كَبِد السماء كأنّه أعمى تحيَّر ما لديه قائدُ
ناديتُ مَنْ طَرَد الرُّقادَ بصدِّه عمّا أُعالج وهو خِلوٌ هاجدُ
يا ذا الذي صدَع الفؤادَ بهجره أنت البَلاءُ طريفُه والتّالدُ
أَلقيتَ بين جفون عيني حُرْقةً فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقدُ

فقال المأمون : أليس مَن قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة ؟ فقلتُ : بلى والله يا سيِّدي .

[بكاء برصوما الزامر عليه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال : قال لي بَرْصُوما الزامر : أما في حقّي وخدْمتي وميْلي إليكم وشكري لكم ما أستوجِبُ به أن تَهَب لي يوماً من عُمْرك تَفعل فيه ما أُريد ولا تخالفني في شيء ؟ فقلتُ : بلى ووعدتُه بيوم ؛ فأتاني فقال : مُرْ لي بخِلْعة ، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبّةَ وَشْي ؛ فلبِسها ظاهرةً وقال : امضِ بنا إلى المجلس الذي كنتُ آتي أباك فيه ؛ فمضينا جميعاً إليه وقد خَلّقتُه وطيّبتُه ؛ فلمّا صار على باب المجلس رَمى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ في التّراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوحُ في زَمْره ويدور في المجلس ويقبّل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكي ويَزْمِرُ حتّى قضى من ذلك وَطَرا ، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقّها ، وجعلت أُسكّته وأَبكي معه ، فما سَكَنَ إلاّ بعد حين ، ثم دعا بثيابه فلبِسها وقال : إنّما سألتك أن تخلعَ عليّ لئلاّ يقال : إنّ برصوما إنّما خرَق ثيابه ليُخْلَع عليه ما هو خير منها ؛ ثم قال : امضِ بنا إلى منزلك فقد اشتفَيْتُ ممّا أردت ؛ فعُدت إلى منزلي وأقام عندي يومه ، وانصرف بخلعة مجدّدة .

---

1 ديوان العباس بن الأحنف : 102 .

2 «وسعى بها ناسٌ فقالوا إنّها» في الديوان : «سمّاك لي قوم وقالوا إنّها» .

[المراثي التي قيلت فيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني القاسم بن يزيد قال : لمّا مات إبراهيم الموصليّ دخلت على إبراهيم بن المهديّ وهو يشرب وجواريه يُغنّين ، فذكرنا إبراهيم الموصليّ وحذقه وتقدّمه ، فأفضْنا في ذلك وإبراهيم مُطْرِق ، فلمّا طال كلامنا وقال كلّ واحد منّا مثلَ ما قاله صاحبه ، اندفع إبراهيم بن المهديّ يُغَنّي في شعر لابن سيابة يرثي به إبراهيمَ ، ويقال : إنّ الأبيات لأبي الأسد : [من الوافر]

تولّى الموصليُّ فقـد تولّتْ ... بشاشاتُ المَزاهِرِ والقِيـانِ
وأيُّ بشاشةٍ بَقِيَـتْ فتبقَى ... حياةُ الموصليّ عـلى الزمانِ
ستَبْكيه المَزاهِـر والمَلاهـي ... وتُسْعِدُهـنّ عاتقـةُ الدِّنانِ
وتَبْكيـه الغَويّـة إذ تولّى ... ولا تبكيه تاليـةُ القُرانِ[1]

قال : فأبْكى مَن حضر ؛ وقلت أنا في نفسي : أفتُراه هو إذا مات مَن يبكيه : المحرابُ أم المصحف ؟! قال : وكان كالشامتِ بموته .

أخبرني يحيى بن عليّ قال قال أنشدني حَمّاد قال : أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه ، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته : [من الطويل]

أقـول لـه لمّـا وقفـتُ بقبـره ... عليك سلامُ الله يـا صاحبَ القبرِ
أيـا قبرَ إبراهيم حُيِّيـتَ حُفْـرةً ... ولا زِلتَ تُسْقى الغيثَ من سَبَل القَطْرِ[2]
لقـد عزّني وَجْدي عليكَ فلم يَـدَع ... لقلبي نصيباً مـن عَـزاء ولا صبرِ[3]
وقـد كنتُ أبكي مـن فِراقك ليلةً ... فكيف وقـد صار الفِراقُ إلى الحشرِ

أخبرني أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقّب بَوسْواسةَ قال : أنشدني حَمّاد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصلّي : [من الطويل]

سلامٌ على القبرِ الذي لا يُجيبنـا ... ونحـن نُحيـي تُربَـه ونخاطبُهْ
سَتَبْكيه أشرافُ المُلوك إذا رَأَوْا ... مَحَلّ التصابي قد خلا منـه جانبُهْ
ويَبكِيه أهلُ الظَّرْف طُرّاً كما بكى ... عليـه أمير المؤمنـين وحاجبُهْ

1 القران : القرآن .
2 سبل القطر : ما سال من المطر .
3 عزّني : غلبني .

ولمّا بـدا لي اليأسُ منـه وأُنْزِفت عيـونٌ بواكيـه وملّـتْ نوادبُهْ[1]
وصار شفاءُ النفس من بعض ما بها إفاضـةَ دمـع تَستهِـلّ سواكبُهْ
جعلتُ علـى عينـيّ للصبح عَبرةً ولِلّيل أُخـرى مـا بدتْ لي كواكبُهْ

قال : وأنشدني أيضاً حَمّاد لأبيه يَرثي أباه : [من الطويل]

عليك سلامُ الله مـن قبرِ فاجع وجادك مـن نَوْء السِّماكين وابلُ
هَلَ انْتَ مُحيّي القبرِ أم أَنت سائل وكيف تُحيَّـا تُربـةٌ وجَنادلُ
أظَـلُّ كأنّي لم تُصبنـي مصيبةٌ وفي الصَّدْرِ من وَجْدٍ عليك بلابلُ
وهَوَّنَ عنـدي فَقْدَه أَنّ شخصه على كلّ حال بـين عينـيَّ ماثلُ

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال أنشدني إبراهيم بن عليّ بن هشام لرجل يرثي إبراهيم الموصليّ : [من الخفيف]

أَصبح اللهو تحت عَفْر الترابِ ثاوِيـاً في مَحَلّـة الأَحبابِ
إذ ثوى الموصليّ فانقرض اللّهـ ـو بخير الإخوان والأَصحابِ
بكـت المُسْمِعاتُ حُزْناً عليه وبكاه الهوى وصَفْوُ الشرابِ
وبكـتْ آلـةُ المجالسِ حتّى رحِم العـودُ دمعـةَ المِضرابِ

[لن تفقد من أبيك إلاّ شخصه]

أَخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : دخلتُ إلى الرشيد بعَقِب وفاة أبي ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلمّا جلستُ ورأيتُ موضعه الذي كان يجلس فيه خالياً دَمَعتْ عيني ، فكفَفتُها وتصبّرتُ ؛ ولمحني الرشيد فدعاني إليه وأدناني منه ، فقبّلتُ يدَه ورجلَه والأرض بين يديه ، فاستعبر ، وكان رقيقاً ؛ فوثبت قائماً ثم قلت : [من الخفيف]

في بقـاء الخليفـة الميمـون خَلَـفٌ مـن مُصيبة المحزونِ
لا يَضير المصابَ رُزْءٌ إذا مـا كان ذا مَفْـزَعٍ إلى هـارونِ

فقال لي : كذاك والله هو ، ولن تَفْقِد من أَبيك ما دمتُ حيّاً إلاّ شخصَه ؛ وأَمر بإضافة رزقه إلى رزقي ؛ فقلت : بل يأمر أميرُ المؤمنين به إلى ولده ، ففي خدمتي إيّاه ما يُغْنِيني ؛ فقال : اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأَضْعِفوا رزق إسحاق .

1 أنزفت العين : نفد ماؤها .

صوت
من المائة المختارة

[من المنسرح]

يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَلِ   حُيِّيتِ من دِمْنةٍ ومن طَلَلِ[1]
إنِّـي إذا مـا البخيلُ أمَّنها   باتت ضَمُوزاً منِّي على وَجَلِ[2]
لا أُمتِـع العُوذَ بالفِصالِ ولا   أبتـاعُ إلاّ قَرِيبـةَ الأَجَـلِ

العوذ : الإبل التي قد نُتجتْ ، واحدتها عائذ . يقول : أَنحرُها وأَولادَها للأَضياف فلا أُمتِّعها ، والضَّمُوز : الممسكة عن أن تَجْتَرّ . ضمَز الجملُ بجِرَّته إذا أُمسك عنها ، ودَسَع بها إذا استعملها . يقول : فهذه الناقة من شدّة خوفها على نفسها ممّا رأت من نَحْر نظائرها قد امتنعتْ من جِرّتها فهي ضامِزَةٌ .

الشعر لابن هَرْمة . والغناء في اللحن المختار لمَرْزوق الصرّاف[3] ثقيلٌ أَوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، ويقال إنّه ليحيى بن واصِل . وذكر عمرو بن بانةَ أَنّ فيه لدَحْمانَ لحناً من الثقيل الأَوّل بالبنصر ، وأَنّ فيه لابن مُحْرز لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر في الثالث ثم الثاني ، ووافقه ابن المكيّ . قال : وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الأَوّل والثالث ؛ وذكر الهِشاميّ أَنّ هذا اللحن بعينه ليونس وأَنّ الثقيل الثاني لإبراهيم ، وأَنّ لَمعْبد فيه لحناً من الثقيل الأَوّل بالوسطى ، وأَنّ فيه للهُذَليّ خفيفَ ثقيل ، وأَنّ فيه رَمَلاً ينسب إلى ابن مُحْرِز أَيضاً .

---

1 ديوان ابن هرمة : 182–183 . ملل : منزل على طريق المدينة إلى مكّة .

2 ناقة ضموز : تضمّ فاها لا تسمع لها رغاء .

3 ل : الضرّاب .

[70] ـ شيء من ذكر ابن هَرْمة أَيضاً[1]

[جوده أفنى ماله]

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْريّ ونَوْفل بن ميمون عن يحيى بن عُروة بن أُذَينة قال[2] : خرجتُ في حاجة لي ، فلمّا كنت بالسَّيالة[3] وقفتُ على منزل إبراهيم بن عليّ بن هَرْمة ، فصِحتُ : يا أَبا إسحاق ، فأَجابتني ابنتُه : مَن هذا ؟ فقلت : انظُري ، فخرجتْ إليّ فقلت : أَعلمي أَبا إسحاق ؛ فقالت : خرج والله آنفاً ؛ قال : فقلت : هل من قِرىً ؟ فإنّي مُقْوٍ من الزاد ؛ قالت : لا والله ، ما صادفتَه حاضراً ؛ قلت : فأَين قولُ أَبيك : [من المنسرح]

لا أُمْتِع العُوذَ بالفِصال ولا أَبتاع إلاّ قريبةَ الأَجلِ

قالت : بذاك والله أَفناها ، أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه عن أَيّوب بن عَبايَة بمثل هذا الخبر سواء ، وزاد فيه : قال : فأَخبرت إبراهيم بن هَرْمة بقولها ، فضمّها إليه وقال : بأَبي أَنت وأُمّي ! أَنتِ والله ابنتي حقّاً ، الدارُ والمَزْرعةُ لك .

[نهب غنمه الناس وكان بخيلاً]

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني نَوْفل بن ميمون قال حدّثني مُرَقَّع قال : كنتُ مع ابن هَرْمة في سَقيفة أُمّ أُذَيْنة ، فجاءه راعٍ بقطعة[4] من غنم يشاوره فيما يبيع منها ، وكان قد أَمره ببيع بعضها ؛ قال مُرَقَّع : فقلت : يا أَبا إسحاق ، أَين عزَب عنك قولك ؟ [من المنسرح]

لا غنمي مُدّ في الحياة لها إلاّ لدَرْك القِرَى ولا إبلي

وقولُك فيها أَيضاً : [من المنسرح]

لا أمتع العُوذَ بالفصال ولا أَبتاع إلاّ قَرِيبةَ الأَجلِ

---

1 لإبراهيم بن هرمة ترجمة في الخزانة 1 : 424–426 والشعر والشعراء 639–640 والسمط : 398 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وطبقات ابن المعتزّ : 20 والموشح : 223 .

2 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 199 .

3 السيالة : أوّل مرحلة للذاهب من المدينة إلى مكّة .

4 ل : بقطيعة .

فقال لي : مالك أخزاك الله ؟ مَن أخذ منها شيئاً فهو له ؛ فانتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء .

وحدّثنا بهذا الخبر أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ عن أبيه : أنّ ابن هَرمة كان اشترى غنماً للربح ، فلقيه رجلٌ فقال له : ألستَ القائل : [من المنسرح]

لا غنمي مُـدّ في الحياة لها إلاّ لدَرْك القِـرى ولا إبلي

قال : نعم ؛ قال : فوالله إنّي لأحسَبك تدفع عن هذه الغنم المكروهَ بنفسك ، وإنّك لكاذب ؛ فأحفظه ذلك فصاح : مَن أخذ منها شيئاً فهو له ؛ فانتهبها الناسُ جميعاً ؛ وكان ابنُ هَرْمة أحدَ البخلاء .

[أوّل شعر قاله ابن هرمة]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني نوفل بن ميمون قال حدّثني زُفَر بن محمّد الفِهْري : أنّ هذه القصيدة أوّلُ شعر قاله ابن هرمة .

[مزبد يسخر من كرمه]

أخبرنا محمّد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي : حدّثنا عبد الله بن الوَليد الأَزْدِيّ قال حدّثني جعفر بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين قال[1] : سمع مزبد قول ابن هَرْمة : [من المنسرح]

لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفصال ولا أبتـاعُ إلاّ قريبـةَ الأَجَـلِ

قال : صدَق ابن الخبيثة ، إنّما كان يَشتري الشاة للأَضْحَى فيَذْبحها من ساعته .

[يقول ما لا يفعل]

أخبرنا وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمّد بن زيد عن أبيه قال : اجتمع قوم من قريش أنا فيهم ، فأحببْنا أن نأتي ابنَ هَرْمة فنعبَثَ به ، فتزوّدنا زاداً كثيراً ثم أتيناه لنقيم عنده ، فلمّا انتهينا إليه خرج إلينا فقال : ما جاء بكم ؟ فقلنا : سمعنا شعرك فدعانا إليك لمّا سمعناك قلت : [من الكامل]

إنّ امرأ جعـل الطريقَ لبيته طُنُباً وأنكـرَ حقّـه للئيم

وسمعناك تقولُ : [من الكامل]

وإذا تنـوّر طارق مُسْتنبحٌ نَبَحتْ فدلّتـه عليّ كلابي

1 انظر التذكرة الحمدونية 7 : 250 .

وعَوَيـنَ يَستعجِلْنه فلقِينّــه ... يَضربْنـه بشَراشِرِ الأَذنابِ[1]

وسمعناك تقول : [من المنسرح]

كم ناقـةٍ قد وجأْتُ مَنْحَرَها ... بمُسْتَهَلّ الشُؤْبُـوب أو جَمَلِ

لا أُمتع العُوذَ بالفِصال ولا ... أَبتــاعُ إلاّ قريبـةَ الأَجلِ

قال : فنظَر إلينا طويلاً ثم قال : ما على وجه الأَرض عصابةٌ أَضعفُ عقولاً ولا أَسخفُ دِيناً منكم ؛ فقلنا له : يا عدوَّ الله يا دعيّ ، أَتيناك زائرين وتُسمِعُنا هذا الكلام ؟ ؛ فقال : أَما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء :﴿وأنّـَهُمْ يَقولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ أفيُخْبِرُكم الله أنّي أقول ما لا أفعلُ وتريدون منّي أن أفعلَ ما أقول ؟ قال فضحِكنا منه وأخرجناه معنا ، فأقام عندنا في نزهتنا يَشْرَكُنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة .

[إعجاب الأصمعيّ به]

أَخبرنا عمّي قال حدّثني محمّد بن سعيد الكُرانيّ عن عبد الرحمن بن أَخي الأَصمعيّ عن عمّه قال : الحَكَم الخُضْريّ ، وابن مَيّادة ، ورُؤْبة ، وابن هَرْمة ، وطُفَيل الكِنانيّ ، ومَكين العُذْرِيّ ، كانوا على ساقة[2] الشعراء ، وتقدّمهم ابن هَرْمة بقوله : [من المنسرح]

لا أُمتع العُوذَ بالفِصالِ ولا ... أُبتـاع إلاّ قريبـة الأَجـلِ

قال عبد الرحمن : وكان عمّي مُعْجَباً بهذا البيت مُستحسِناً له ، وكان كثيراً ما يقول : أَما تَرَوْن كيف قال ؟ والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً ؛ ثم يقول : ما يؤخّره عن الفحول إلاّ قُرْبُ عهده . انتهى .

[تفضيل مروان بن أبي حفصة له]

أُخبرني محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى ووَكِيع عن حَمّاد عن أَبيه قال : قلت لمروان بن أَبي حَفْصة : مَنْ أَشعر المُحْدَثين من طبقتكم عندك ؟ لا أُعْنيك ؛ قال : الذي يقول : [من المنسرح]

لا أُمتع العوذَ بالفصال ولا ... أُبتــاع إلاّ قريبــةَ الأَجلِ

[يصرّ على أن يؤتى بغريمه مربوطاً]

أُخبرنا يحيى بن علـيّ قال حدّثنا أَبو أَيّوب المَدينيّ عن أَبي حُذافة قال : لمّا قال ابن هَرْمة : [من المنسرح]

---

1 شراشر الأذناب : أطرافها .

2 ساقة الشعراء : مؤخّرتهم .

لا أُمتع العوذَ بالفِصال ولا أَبتـاع إلاّ قريبـةَ الأَجلِ

قال ابن الكَوْسَج مولى آل حُنَين يجيبه : [من المنسرح]

ما يشربُ الباردَ القَراحَ ولا يذبح من جَفْرةٍ ولا حَملِ
كأنّـه قِـرْدةٌ يلاعبُهـا قردٌ بأعلى الهِضاب من مَلَلِ

قال : فقال ابن هَرْمة : لئن لم أُوتَ به مربوطاً لأَفعلنّ بآل حُنَين ولأَفعلنّ ؛ فوهبوا لابن الكَوْسج مائة درهم وربطوه وأَتَوْا به ابن هَرْمة فأَطلقه ؛ فقال ابن الكوسج : والله لئن عاد لمثلها لأَعودنّ[1] .

[إبراهيم يعلّم مخارقاً لحناً يتفوّق به على ابن جامع]

أُخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني هارون بن مُخارِق عن أَبيه قال : كنّا عند الرشيد في بعض أَيّامنا ومعنا ابن جامع ، فغنّاه ابن جامع ونحن يومئذٍ بالرّقّة : [من الخفيف]

هاج شوقاً فِراقُـك الأَحبابـا فتناسيـتَ أَو نَسِيـتَ الرَّبابا
حين صاح الغرابُ بالبَيْن منهم فتصامَمْتَ إذ سمعـتَ الغُرابا
لـو علمنا أنّ الفِـراق وَشيكٌ مـا انتهينا حتى نزورَ القِبابا
أَو علمنا حين استقلَّتْ نَواهم مـا أُقمنا حتّى نَـزُمّ الرِّكابا

الغناء لابن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أَيضاً ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن عمرو . وذكرتْ دَنانِيرُ عن فُلَيح أَنّ فيه لابن سريج وابن مُحْرِز لَحنَين . قال : فاستحسنه الرشيد وأُعجب به واستعاده مراراً وشرِب عليه أَرطالاً حتى سكر ، وما سَمع غيرَه ولا أَقبل على أَحد ، وأُمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار ؛ فلمّا انصرفنا قال لي إبراهيم : لا تَرِمْ[2] منزلَك حتى أُصير إليك ؛ فصرت إلى منزلي ، فلم أُغيِّر ثيابي حتى أَعلمني الغلام بموافاته ، فتلقّيتُه في دِهْليزي ، فدخل وجلس وأَجلسني بين يديه ثم قال لي : يا مُخارِق ، أَنت فَسِيلةٌ[3] منّي وحَسَني لك وقبيحي عليك ، ومتى تركنا ابنَ جامع على ما ترى غَلَبَنا على الرّشيد ، وقد صنعتُ صوتاً على طريقة صوته الذي غنّاه أَحسنَ صنعةً منه وأَجود وأَشجى ، وإنّما يَغلبني عند هذا الرجل بصوته ، ولا مَطْعَنَ على صوتك ، وإذا أَطربتَه وغلبتَه

---

1 إلى هنا انتهى أبو الفرج من أَخبار ابن هرمة وعاد إلى إبراهيم الموصليّ .

2 لا ترم مكانك : لا تبرحه .

3 فسيلة : شتلة .

عليه بما تأخذه منّي قام ذلك لي مقام الظَّفَر ؛ وسيُصبح أَمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضُر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابنَ جامع فيردّ الصوتَ الذي غنّاه ويشرب عليه رِطلاً ويأمر له بجائزة ، فإذا فعل فلا تنتظره أَكثر من أَن يردّ رَدّته حتى تُغَنِّي ما أُعلّمك إيّاه الساعةَ ، فإنّه يُقبل عليك ويَصلك ، ولستُ أُبالي أَلاّ يصلني بعد أَن يكون إقبالُه عليك ؛ فقلت : السمع والطاعة ؛ فأَلقى عليّ لحنَه : [من المنسرح]

يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَلِ حييتِ من دمنةٍ ومن طللِ

وردّده حتى أَخذتُه وانصرف ؛ ثم بكّر عليّ فاستعاد الصوت فَرَدَّدْتُه حتى رَضِيَه ، ثم ركبنا وأَنا أُدرسه حتى صِرْنا إلى دار الرشيد ؛ فلمّا دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً ، وكان إبراهيم أَعلمَ الناس به ، ثم أَمر ابنَ جامع فردّ الصوت ودعا برِطل فشربه ، ولّما استوفاه واستوفى ابن جامع صوتَه لم أَدَعْه يتنفَّس حتى اندفعتُ فغنَّيت صوتَ إبراهيم ، فلم يَزَلْ يُصغي إليه وهو باهتٌ حتى استوفيتُه ؛ فشرب وقال : أَحسنتَ والله ، لَمن هذا الصوت ؟ فقلت : لإبراهيم ؛ فلم يزل يستدنيني حتى صِرتُ قُدّامَ سريره ، وجعل يستعيد الصوت فأُعيده ويشرب عليه رِطلاً ، فأَمر لإبراهيم بجائزة سنيّة وأَمر لي بمثلها ؛ وجعل ابنُ جامع يَشْغَب ويقول : يجيء بالغناء فيَدُسّه في أَسْتاه الصّبيان ، إن كان محسناً فليُغنّه هو ، والرشيد يقول له : دع ذا عنك ، فقد والله استقاد منك وزاد عليك .

صوت

من المائة المختارة

[من المتقارب]

تَوَلّى شبابُكَ إلاّ قليلا وحلَّ المَشيبُ فصبراً جميلا
كفى حَزَناً بفِراقِ الصِّبا وإنْ أَصبح الشَّيبُ منه بَدِيلا

الشعر والغناء لإسحاق . ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق بن عمرو .

[71] ـ أَخبار إسحاقَ بنِ إبراهيم[1]

[نسبه]

قد مضى نسبه مَشروحاً في نسب أُبيه ؛ ويُكْنى أَبا محمّد ، وكان الرشيد يُولَع به فيَكْنِيه أَبا صَفْوان ، وهذه كُنية أُوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب مَزْحاً .

[منزلته في العلوم وتقدير الخلفاء له]

وموضعُه من العِلم ، ومكانُه من الأَدب ، ومَحَلّه من الرواية ، وتقدُّمه في الشعر ، ومنزلته في سائر المحاسن ، أَشهرُ من أَن يُدَلّ عليه فيها بوصف ؛ وأَمّا الغناء فكان أَصغرَ علومه وأَدنى ما يُوسم به وإن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنه ؛ فإنّه كان له في سائر أَدَواته نُظَراءُ وأَكْفاء ولم يكن له في هذا نظير ؛ فإنّه لَحِق بمَن مضى فيه وسبَق مَن بقي ، ولَحَبَ[2] للناس جميعاً طريقَه فأَوضحها ، وسهّل عليهم سبيلَه وأَنارها ؛ فهو إمامُ أَهل صناعته جميعاً ، ورأسهم ومعلّمهم ؛ يَعْرِف ذلك منه الخاصُّ والعامّ ، ويشهدُ به الموافق والمفارق ؛ على أَنّه كان أَكرهَ الناس للغناء وأَشدَّهم بغضاً لأَن يُدعى إليه أَو يُسمَّى به . وكان يقول : لوَدِدْتُ أَن أُضربَ كلّما أَراد مريدٌ منّي أَن أُغنّيَ وكلّما قال قائل إسحاق الموصليّ المغنّي ، عشرَ مَقارع ، لا أُطِيق أَكثرَ من ذلك ، وأُعفى من الغناء ولا ينسُبني مَن يذكرني إليه . وكان المأمون يقول : لولا ما سبَق على أَلسنة الناس وشُهِر به عندهم من الغناء لولّيتُه القضاءَ بحضرتي ، فإنّه أَولى به وأَعفُّ وأَصدق وأَكثر دِيناً وأَمانةً من هؤلاء القضاة .

[شيوخه]

وقد روى الحديثَ ولقي أَهلَه : مثل مالِك بن أَنس ، وسفيان بن عُيَيْنة ، وهُشَيم بن بَشِير ، وإبراهيم بن سَعْد ، وأَبي معاوية الضَرير ، ورَوْح بن عُبادة ، وغيرِهم من شيوخ العراق والحجاز . وكان مع كراهته الغناءَ أَضنَّ خلق الله وأَشدَّهم بُخلاً به على كلّ أَحد حتى على جواريه وغِلْمانه ومَن يأخذ عنه مُنتسباً إليه مُتَعَصّباً له فضلاً عن غيرهم .

---

1 ترجمة إسحاق الموصلي في معجم الأدباء (تحقيق إحسان عباس) : 594–616 ووفيات الأعيان 1 : 202–205 وتاريخ بغداد 6 : 338 وتهذيب ابن عساكر 2 : 414 ونزهة الألباء : 116 ونور القبس : 316 وطبقات ابن المعتزّ : 260 وفي التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلاً عن الأغاني .

2 لحب الطريق : سلكها وأوضحها .

[صحّح أجناس الغناء بطبعه]

وهو الذي صحّح أجناسَ الغناء وطرائقَه وميَّزه تمييزاً لم يقدِر عليه أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده ، ولم يكن قديماً مميّزاً على هـذا الجنس ، إنّما كان يقال الثقيل ، وثقيل الثقيل ، والخفيف ، وخفيف الخفيف . وهذا عمرو بن بانة ، وهو من تلاميذه ، يقول في كتابه : الرمل الأوّل ، والرمل الثاني ؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر ، ولا يعرف المجاريَ التي ذكرها إسحاق في كتابه ، مثلَ ما ميّز الأجناس ، فجعل الثقيل الأوّل أصنافاً ، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها ، ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر ، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة ؛ ثم جعل الثقيلَ الأوّل صنفين ، الصنف الأوّل منهما هذا الذي ذكرناه ، والصنف الثاني القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل ، وأجراه المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري ، وألحق جميعَ الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب . ثمّ لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلاً عن أن يُصنّفه في كتابه ؛ فقد ألّف جماعةٌ من المغنّين كُتباً ، منهم يحيى المكّي ، وكان شيخَ الجماعة وأستاذهم ، وكلُّهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز ، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة ، وقد كان إبراهيم الموصليّ وابن جامع يضطرّان إلى الأخذ عنه ، ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق فيه ابنهُ الغناءَ المُحدَث إلى آخر أيّامه ، فأتيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم ، حتى جعلا أكثر ما جنّساه من ذلك مختلطاً فاسداً ، وجعلا بعضه ، فيما زعما ، تشترك الأصابع كلّها فيه ؛ وهذا محال ؛ ولو اشتركت الأصابع لَما احتيج إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومةً على صنفين : الوسطى والبنصر . والكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا ؛ وقد ذكرته [في رسالـة عمِلتُها لبعض إخواني][1] ممّن سألني شرحَ هذا ، فأثبتّه واستقصيتُه استقصاءً يُستغنى به عن غيره . وهذا كلّه فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه ، حتى أتى على كلّ ما رسمَته الأوائلُ مثل إقْلِيدس ومَنْ قبلَه ومَنْ بعده من أهل العلم بالموسِيقى ، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنَوْا فيه الدهورَ ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه .

[بين إسحاق الموصليّ وإسحاق المصعبيّ]

فأخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال : كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فسأل إسحاقَ الموصليّ ، أو سأله محمد بن الحسن بن مُصعب بحضرتي ، فقال له : يا أبا محمّد ، أرأيتَ لو أنّ الناس جعلوا للعود وتراً خامساً للنّغمة الحادّة التي هي العاشرة على مذهبك ، أين كنت تخرج منه ؟ فبقي إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكّراً ،

---

1 هذه العبارة سقطت من ل .

واحمرّت أُذُناه وكانتا عظيمتين ، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما ؛ فقال لمحمّد بن الحسن : الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنّما يكون بالضرب ، فإن كنتَ تضرب أريتُك أين تخرج ! ؛ فخجِل وسكت عنه مُغْضَباً ، لأنّه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يَحْسُن ، فحلُم عنه . قال عليّ بن يحيى : فصار إليّ به وقال لي : يا أبا الحسن ، إنّ هذا الرجل سألني عمّا سمعتَ ، ولم يبلُغ علمُه أن يستنبط مثلَه بقريحته ، وإنّما هو شيء قرأه من كتب الأوائل ، وقد بلغني أنّ التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى ، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطِنيه ؛ فوعدته بذلك ، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها . وإنّما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله ، لأنّه من أعجب شيء يُؤْثَر عنه : أنّه استخرج بطبعه عِلماً رسمته الأوائل لا يُوصَل إلى معرفته إلاّ بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى ، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه واستنبطه بقريحته ، فوافق ما رسمه أولئك ، ولم يَشِذّ عنه شيء يحتاج إليه منه ، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ إليه ولا عَرَفه ، ثم تبيَّنْ بعد هذا ، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته ، فضلَه على أهلها كلِّهم وتميُّزه عنهم ، وكونَه سماءً هم أرضُها ، وبحراً هم جَداوله .

[اسم أمّه وجنسها]

وأمّ إسحاق امرأة من أهلِ الرَّيّ يقال لها شاهك ؛ وذكر قوم أنّها دُوشار التي كانت تُغنّي بالدُّفّ ، فهوِيَها إبراهيم وتزوّجها . وهذا خطأ ، تلك لم تلِد من إبراهيم إلاّ بنتاً ، وإسحاقُ وسائرُ ولد إبراهيم من شاهكَ هذه .

[برنامج دراسته اليوميّ]

أخبرني يحيى بن عليّ المنجّم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال : بقيتُ دهراً من دهري أُغلّس في كلّ يوم إلى هُشَيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكِسائيّ أو الفرّاء أو ابن غَزالة فأقرأ عليه جزءاً من القرآن ، ثم آتي منصوراً زلزلاً فيضاربني طَرْقين[1] أو ثلاثة ، ثم آتي عاتكةَ بنت شُهْدَة فآخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتي الأصمعيّ وأبا عُبَيدة فأناشدهما وأحدّثهما فأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعتُ ومَنْ لقيت وما أخذتُ وأتغدّى معه ، فإذا كان العشاء رُحت إلى أمير المؤمنين الرشيدِ .

[تعلّم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أخَذ منّي منصورُ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

---

1 طرق : نغم .

[جاء إلى ابن عائشة فأكرمه]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمة قال : كنت عند ابنِ عائشة فجاءه أبو محمّد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فرحَّب به وقال : هاهنا يا أبا محمّد إلى جَنْبي ، فلئن بعُدَتْ بيننا الأَنساب ، لقد قرّبتْ بيننا الآداب .

[تقدير المأمون له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا يَزيد بن محمّد المهلّبيّ قال حدّثنا ابن شَبِيب من جلساء المأمون عنه : أنّه قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه : لولا ما سَبَق على أَلسِنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لَوَلَّيته القضاء ، فما أعرف مثلَه ثقةً وصدقاً وعفّةً وفقهاً . هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفتِه .

[شهادة سفيان بن عيينة فيه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدّثنا الفَضْل بن العبّاس الورّاق قال حدّثنا المُخرِّميّ عن أبيه قال : سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول : صِرتُ إلى سُفيان بن عُيَينة لأَسمعَ منه ، فتعذَّر ذلك عليّ وصعُب مَرامُه ، فرأيته عند الفضل بن الرَّبيع ، فسأَلتُه أَن يعرّفه موضعي من عنايته ومكاني من الأَدب والطلب وأَن يتقدّم إليه بحديثي ؛ ففعل وأَوصاه بي فقال : إنّ أَبا محمّد من أَهل العلم وحَمَلتِه . قال : فقلت : تَفرِضُ لي عليه ما يحدّثني به ؛ فسأَله في ذلك ، ففرَض لي خمسةَ عشرَ حديثاً في كلّ مجلس ؛ فصِرت إليه فحدّثني بما فرض لي ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدّثتَني به ؟ قال : نعم ، وعقَد بيده شيئاً ؛ قلت : أفأَرْويه عنك ؟ قال نعم وعقد بيده شيئاً آخر ، ثم قال : هذه خمسة وأربعون حديثاً ، وضحك إليّ وقال : قد سَرّني ما رأَيتُ من تَقَصّيك في الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك ، فصِرْ إليّ متى شئتَ حتى أُحدّثك بما شئتَ .

[تقدير أبي معاوية الضرير له]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّولي قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الجُمان وعَوْن بن محمّد الكنْديّ قالا : سمعنا إسحاق الموصليّ يقول : جئتُ يوماً إلى أبي معاوية الضَّرير ومعي مائة حديث ، فوجدتُ حاجبَه يومئذٍ رجلاً ضريراً ؛ فقال لي : إنّ أَبا معاوية قد ولاّني اليوم حِجْبتَه لينفعني ؛ فقلت : معي مائةُ حديث وقد جعَلتُ لك مائة درهم إذا قرأْتُها ؛ فدخل واستأذن لي فدخلت ؛ فلمّا عرَفني أبو معاوية دعاه فقال له : أَخطأتَ ، وإنّما جعلتُ لك مثلَ هذا من ضعفاء أَصحاب الحديث فأمّا أبو محمد وأَمثاله فلا ؛ ثم أَقبل عليَّ يُرَغّبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفَه وعنايتَه به ؛ فقلتُ له : احتكِمْ في أَمره ، فقال : مائة دينار ؛ فأمرتُ بإحضارها الغلامَ ، وقرأْتُ عليه ما أَردت وانصرفت .

[ثناء ابن الأعرابيّ عليه]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن محمّد الأَسَديّ قال حدّثني أحمد بن يحيى الشَّيْبانيّ ثَعْلَب قال : وقف أبو عبد الله بن الأعرابيّ على المَدائنيّ ، فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر : [من المنسرح]

نَحمِلُ أَشباحَنا إلى مَلِكٍ نأخذُ من ماله ومن أَدبِهْ

فقال له : ومَنْ ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : أبو محمّد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ . قال أبو بكر : والبيت لأبي تَمّام الطائيّ .

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثَعْلَب محمد بن القاسم الأنباريّ فقال فيه : كان إسحاقُ يُجْرِي على ابن الأعرابيّ في كلّ سنة ثلثَمائة دينار ، وأَهْدى له ابن الأعرابيّ شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطّه ؛ فمرَّ ابنُ الأعرابيّ يوماً على باب دار الموصليّ ومعه صديق له ؛ فقال له صديقه : هذه دار صديقك أبي محمّد إسحاق ؛ فقال : هذه دارُ الذي نأخذ من ماله ومن أدبه .

[جرير يورثه الشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المُهلَّبيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : رأَيتُ في منامي كأَنّ جريراً جالس يُنشد شعرَه وأنا أسمع منه ، فلمّا فرَغ أخذ بيده كُبّة شَعر فأَلقاها في فمي فابتلعتها ؛ فأَوّلَ ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنّه ورّثني الشعرَ . قال يزيد ابن محمّد : وكذلك كان ، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه .

[تعلّم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ومحمّد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : قال لي أبي : أعطيتُ منصوراً زَلْزلاً من مالي خاصّة حتّى تعلّمتُ ضربَه بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذْتُه له من الخلفاء ومن أبي . قال : وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوتَ ويَفهَمَه بلادةٌ أوّلَ ما يسمعه ، حتى لو ضَرَب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكان غلامه أقوى منه ؛ فإذا تَفَهّمه جاء فيه من الضرْب بما لا يتعلّق به أحد ألبتّةَ .

[ثناء أبي زياد الكلابي عليه]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمِّي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به الأَخْفَش عن الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلَّبيّ عن إسحاق قال : قال لي أبو زياد الكِلابيّ : أَوْلَم جارٌ لي يُكنى أَبا سُفيان وليمةً ودعاني لها ، فانتظرتُ رسوله حتى تصرَّم يومي فلم يأت ، فقلت لامرأتي : [من الطويل]

إنّ أَبا سفيان ليس بمُولِمٍ فقُومي فهاتي فِلْقةً من حُوارِكِ[1]

قال إسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا ؟ فقال : لا ، إنّما أُرسلتُه يتيماً ؛ فقلت أفلا أُجيزه ؟ قال : شأنَك ؛ فقلت له : [من الطويل]

فبيتُكِ خيرٌ من بُيوتٍ كثيرةٍ وقِدْرُكِ خيرٌ من وَليمة جارِكِ

قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبي أنت وأُمّي ، جئتَ والله به قَبَلاً[2] ما انتظرتَ به القَرَبَ ، وما أَلُوم الخليفةَ أَن يجعلك في سُمّاره ويتملَّحَ بك ، وإنّك لمن طِراز ما رأيتُ بالعراق مثلَه ، ولو كان الشباب يُشتَرى لابتعتُه لكَ بإحدى عينيّ ويُمْنى يديّ ، وعلى أَن فيكَ بحمد الله ومَنِّه بقيّةً تسرّ الوَدود ، وتُرْغِم الحسود . هذا لفظ يزيد المُهلَّبيّ والأَخفش . وأَخبرني بهذا الخبر محمّد[3] بن عبد الله بن عَمّار فقال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال قال لي إمّا شَدّاد بن عُقْبة وإمّا أَبو مُجيب : قالت امرأةُ القَتّال الكلابيّ له : هل لكَ في فِلْقة من حُوار نطبُخها لك ؟ فقال : لا والله ، نحن على وليمة أَبي سُفْيان ودَعْوته ، وكان أَبو سفيان رجلاً من الحيّ زُفَّت إليه امرأتُه تلك الليلةَ ؛ فجعل يَنظر دُخاناً فلا يراه ، فقال : [من الطويل]

إنّ أَبا سفيان ليس بمُولِمٍ فقُومي فهاتي فِلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله .

[ثناء أعرابيّ على شعره]

أَخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أَبي قال حدّثني إسحاق قال : أَنشدتُ أَعرابيّاً فَهِماً شِعراً لي ، فقال : أَقْفَرْتَ والله يا أَبا محمّد ؛ قلتُ : وما أَقفرت ؟ قال : رعيتَ قَفْرة لم تُرْعَ قبلك . (يريد : أَبدَعْتَ) .

[يتبيّن خطأً في الغناء لم يفطن إليه أحد حضر]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش وعمّي قالا حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض أَصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول : دخلتُ على المأمون يوماً وعَقِيدٌ يغنّيه ارتجالاً وغيرُه يضرب عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تَسمع مغنّينا هذا ؟ فقلتُ : هل سأَل أَمير المؤمنين عن هذا غيري ؟ قال : نعم ، سأَلتَ عمّي إبراهيمَ فوصفه وقرّظه واستحسنه ؛ فقلتُ له : يا أَمير المؤمنين ، أَدام الله سرورك ، وأَطاب عيشك ، إنّ الناس قد أَكثروا

---

1 الحوار : ولد الناقة حتى يفصل . وسيورد أبو الفرج هذا الخبر بنصّه في ترجمة القتال الكلابي ولكن دون إشارة إلى أبي زياد الكلابي .

2 القَبَل : الارتجال دون استعداد للقول .

3 ل : أحمد .

في أمري حتى نَسَبَتْني فرقة إلى التَّزيُّد في علمي ؛ فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحقّ إذا لَزِمك ؛ فقلت لعَقيد : أُردُد هذا الصوتَ الذي غنَّيتَه آنفاً ، وتحفَّظ فيه وضرَب ضاربُه عليه ؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ : كيف رأيتَه ؟ فقال : ما رأيتُ شيئاً يُكره ولا سمعتُه ؛ فأقبلتُ على عَقيد فقلت له حين استوفاه : في أيّ طريقةٍ هذا الصوتُ الذي غنَّيتَه ؟ قال : في الرَّمَل ؛ فقلت للضارب : في أيّ طريقةٍ ضربتَ أنت ؟ قال : في الهَزَج الثقيل ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عسَيتُ أن أقول في صوت يغنّي مغنّيه رَمَلاً ويضرب ضاربُه هزَجاً ، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه ! . قال : وتفهّمه إبراهيمُ بن المهديّ بعدي ، فقال : صدَق يا أمير المؤمنين ، الأمرُ فيه الآن بَيِّن ؛ فغاظني ، فقلت له : بأيِّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بَيِّناً قبلُ ؟ أتُوهِم أنّك استنبطتَ معرفة هذا ؟ وإنّما قلتَه لمّا علمتَه من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائر مَن حضر اتّباعاً لي واقتداء بقولي . فقال له المأمون : صدَق ؛ فأمسك ؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كلّ مَن حضر ، وكنّاني في ذلك اليوم مرّتين .

[إعجاب الأصمعيّ ببيتين له في الفخر]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال حدّثني أبي : أنّ الأصمعيّ أُنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزَيْمةَ بنِ خازم : [من الطويل]

إذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومَنْصِبي ودافَعَ ضَيْمي خـازِمٌ وابنُ خازمِ
عَطَستُ بأنـفٍ شامخٍ وتناولتْ يـدايَ الثريّـا قاعـداً غيرَ قائمِ

قال : فجعل الأصمعيّ يَعْجَب منهما ويستحسنهما ، وكان بعد ذلك يذكرهما ويُفضِّلهما ويستجيدهما .

[سبب ولائه لخزيمة بن خازم]

قال ابن حَمْدون : وكان السبب في تولّي إسحاقَ خُزَيمة بن خازم ، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا ، فقال له ابن جامع : يا مَن إذا قلتُ له يا ابنَ زانية لم أخَفْ أن يكذّبني أحد ؛ فمضى إلى خزيمة بنِ خازم ، فتولاّه وانتمى إليه ، فقبِل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

[يميّز صنعة النساء بالسماع]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال : قال إسحاق : كانت عندي صَنّاجة كنت بها مُعجبَاً ؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ؛ فبينا أنا ذاتَ يوم في منزلي إذا ببابي يُدَقّ دقّاً شديداً ، فقلت : انظروا مَن هذا ؛ قالوا : رسول أمير المؤمنين ؛ فقلت : ذهبتْ صَنّاجتي ، تجده ذَكَرها له ذاكر فبعث إليّ فيها ؛ فلمّا مَضى بي الرسول انتهيتُ

إلى الباب وأنا مُثْخَن[1] ، فدخلتُ فسلّمت ، فردَّ السلام ، ونظر إلى تغيّر وجهي فقال : اسكُن فسكنتُ ؛ وسألني عن صوت وقال : أتدري لِمَن هو ؟ فقلت : أَسْمَعُه ثم أُخْبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك ؛ فأمر جاريةً من وراء الستارة فغنّته وضربتْ ، فإذا هي قد شبّهتْه بالقديم ؛ فقلت : زِدْني معها عُوداً آخر فإنّه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت مُحْدَث لامرأة ضاربة ؛ فقال : من أين قلتَ ذلك ؟ فقلت : لمّا سمعته وسمعتُ لِينَه عرفتُ أنّه من صَنْعة النساء ؛ ولمّا رأيت جودة مَقاطعه علمتُ أنّ صاحبته ضاربة ؛ فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لأنّها قد حَفِظتْ مقاطعه وأجزاءه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ليكونَ أثبتَ لي فلم أشكُكْ ؛ فقال : صدقتَ ، الغناء لعَرِيب .

[يميّز اللحن الرومي في الشعر العربي]

نسختُ من كتاب ابن أبي سعيد : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الطّاهِريّ[2] قال : حدّثتْني مُخارِقُ مولاتُنا قالت[3] : كان لمولاي الذي علّمني الغناءَ فرّاش رُوميّ ، وكان يغنّي بالروميّة صوتاً مليحَ اللحن ؛ فقال لي مولاي : يا مُخارق ، خُذي هذا اللحنَ الروميّ فانقُليه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحنَ به إسحاق الموصليّ فأعلمَ أين يقع من معرفته ، ففعلتُ ذلك ؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي ، فأقام وبعث إليّ أن أدخِلي اللحنَ الروميّ في وسط غنائكِ ؛ فغنّيته إيّاه في دَرْج أصوات مرّتْ قبله ، فأصغى إليه إسحاق ، وجعل يتفهّمه ويُقَسّمه ويتفقّد أوزانَه ومقاطعَه ويُوقع عليه بيده ، ثم أقبل على مولاي فقال : هذا صوت روميّ اللحن ، فمن أين وقع إليك ؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول : ما رأيتُ شيئاً أحسن من استخراجِه لحناً روميّاً لا يعرفه ولا العلّةَ فيه ، وقد نُقل إلى غناء عربيّ وامتزجتْ نَغَمُه حتى عرَفه ولم يَخْفَ عليه .

[فضّل زلزلاً على ملاحظ فتحدّاه]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمّد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن عمرو عن محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني عَلّويه الأعسر ، ووجدتُ هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمّد بن نصر الشاميّ عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال[4] : تناظرَ المغنّون يوماً عند الواثق ، فذكروا الضُّرّاب وحِذقَهم ، فقدّم إسحاقُ زَلْزَلاً على مُلاحِظ ، ولملاحِظ في ذلك الرياسة على

1 مثخن : مهموم محزون .
2 هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد أيّام المأمون والمعتصم والواثق ، وهو من قرابة طاهر بن الحسين فنُسب إليه .
3 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 22 (رقم 42أ) .
4 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 22–24 (رقم 47) .

جميعهم ؛ فقال له الواثق : هذا حَيْف وتَعَدٍّ منك ؛ فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اجمع بينهما وامتحنْهما ، فإنّ الأمر سينكشف لكَ فيهما ؛ فأمَر بهما فأُحضِرا ؛ فقال له إسحاق : إنّ للضُّرّاب أصواتاً معروفة ، أفأمتحنهما بشيء منها ؟ قال : أجلْ ، افعلْ ؛ فسمَّى ثلاثة أصوات كان أوّلها : [من السريع]

عُلِّق قلبي ظبيةَ السِّيب[1]

فضربا عليه ، فتقدّم زَلْزَل وقصّر عنه ملاحظ ؛ فعجِب الواثق من كَشْفه عمّا ادّعاه في مجلس واحد . فقال له ملاحظ : فما بالُه يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ؟ ولِم لا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه لم يكن أحد في زماني أضربَ منّي إلاّ أنّكم أعفيتموني ، فَتَفلَّتَ منّي ؛ وعلى أن معي بقيّةً لا يتعلّق بها أحد من هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا مُلاحِظ ، شَوِّشْ عودَك وهاته ، ففعل ذلك ملاحظ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يخلّط الأوتار تخليط متعنِّت فهو لا يألو ما أفسدها ، ثم أخذ العودَ فجسّه ساعةً حتى عرف مواقعه ، ثم قال : يا مُلاحِظ ، غنِّ أيّ صوت شئتَ ، فغنَّى مُلاحظ صوتاً ، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرة واحدة ، ويَدُه تصعَد وتنحدر على الدَّساتين ؛ فقال له واثق : لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به ؛ إطرحْ هذا على الجواري ؛ فقال : هيهاتَ يا أمير المؤمنين ، هذا شيء لا تعرفه الجواري ولا يصلحُ لهنّ ، إنّما بلغني أنّ الفهليذ ضرب يوماً بين يديْ كِسرى أبرويز فأحسن ، فحسده رجل من حُذّاق أهل صنعته ، فترقّبه حتّى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعضَ أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تُصْلَح في مجالسها العيدانُ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة ، فامتحن العودَ فعرف ما فيه ، ثم قال : «زِهْ وزِهْ وزهَانْ زِهْ» ، ووصَله بالصِّلة التي كان يصِل بها مَن خاطبه هذه المخاطبة ؛ فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذتُ نفسي ورُضْتُها عليه وقلت : لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّي ، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلاّ وأنا أعرف نغمته كيف هي ، والمواضع التي يخرج النغم كلّها منه فيها ، من أعاليها إلى أسافلها ، وكلَّ شيء منها يجانس شيئاً غيرَه ، كما أعرف ذلك في مواضع الدَّساتين ؛ وهذا شيء لا تَفي به الجواري . قال له الواثق : صدقتَ ، ولئن متَّ لتموتنّ هذه الصناعة معك ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم .

---

1 قلبي في ل : القلب . السيب : كورة من سواد الكوفة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

عُلِّقَ قلبي ظبيةَ السَّيْبِ ... جهلاً فقد أُغْرِي بتعذيبي
نَمَّتْ عليها حين مرَّتْ بنا ... مَجاسِدٌ يَنْفَحْنَ بالطِّيبِ[1]
تَصُدُّها عنّا عَجُوزٌ لها ... مُنْكَرةٌ ذاتُ أَعاجيبِ[2]
فكلَّما هَمْتُ بإتيانها ... قالت : تَوَقَّيْ عَدْوةَ الذِّيبِ[3]

الشعر والغناء لإبراهيم ، هَزَجٌ ثقيلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر .

[كان بخيلاً بالغناء]

حدّثني عليّ بن هارون قال حدّثني محمّد بن موسى اليَزيديّ قال حدّثَتْني دِمْن جاريةُ إسحاقَ الموصليّ ، وكانت من كبار جواريه وأَحْظى مَنْ عنده ، ولقيتُها فقلت لها : أيَّ شيء أخذتِ عن مولاكِ من الغناء ؟ فقالت : لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتاً قطُّ ؛ كان أَبخلَ بذلك ، وما أَخذتُ منه قطُّ إلاّ صوتاً واحداً ، وذلك أَنّه انصرف من دار الخليفة وهو مُثْخَنٌ سكراً ، فدخل إلى بيتٍ كان ينام فيه ، فرأى عوداً معلَّقاً فأَخذه بيده ، وقال لخادمه : يا غلام ، صِحْ لي بدِمْن ؛ فجاءني الغلام فخرجتُ ، فلمّا بلغتُ البابَ إذا هو مُسْتَلْقٍ على فراشه والعودُ في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده ، وقد اسْحَنْفَرَ[4] في نَغَمِه وتنوق فيها حتى استقام له ، وهو : [من الهزج]

صوت

أَلا ليلُكِ لا يَذهَبْ ... ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ
وهذا الصّبحُ لا يأتي ... ولا يدنو ولا يَقرُبْ

فلمّا سمعتُه علمتُ أنّي إن دخلتُ إليه أَمْسَكَ ، فوقفتُ أَستمعه حتى فرغ منه وأَخذته عنه ؛ فلمّا فرغ منه وضع العودَ من يده ، وذكر أنّه قد طلبني فقال : يا غلام ، أين دِمْن ؟ فقلت : هأَنَذِي ؛ فقال : مذ كم أَنتِ واقفة ؟ فقلت : منذ ابتدأتَ بالصوت وقد أَخذته ؛ فنظر إليّ نَظَرَ مُغْضَب أَسِفٍ ، ثم قال : غَنِّيه ، فغنّيته حتى استوفيتُه ؛ فقال لي وقد فَتَر وخجِل : قد

---

1 مجاسد : قمصان .
2 منكرة : مبغضة مكروهة .
3 همت : هممت حذفت الميم للضرورة . وقد أجاز بعضهم ذلك . عدوة في ل : عذرة .
4 اسحنفر في الشيء : مضى فيه . وتنوق في الشيء : جوده وتأنق فيه .

بقِيتْ عليكِ فيه بقيّة أنا أُصلحها لكِ ؛ فقلت : لستُ أُحتاج إلى إصلاحكَ إيّاه ، وقد والله أخذتُه على رَغْمِك ؛ فضحك .

لحنُ هذا الصوت من الهَزَج بالبنصر ، والشعر والغناء لإسحاق .

[يبيّن خطأ إبراهيم بن المهديّ في صوت لابن جامع]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال قال لي أبي قال قال لي إسحاق : كنتُ عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ ، فغنّى إبراهيمُ صوتاً لابن جامع أَخَلّ ببعضه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ترك ابنُ جامع الناسَ يحجلُون خلفَه ولا يلحَقونه . وفي هذا الصوت خاصّة ؛ فقلتُ : والله يا أمير المؤمنين ، ما صدَق ، وما هذا الصوت بتامّ الأجزاء ؛ فقال : كذَب والله يا أمير المؤمنين ؛ فقلت : يا سيِّدي ، أنا أُوقِفه على نُقصانه ، فمُرْه فليُعِدْ يا أمير المؤمنين ؛ فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمِع في الإصابة ؛ فقلت : آفتُه في البيت الثاني ، فليردُدْه ؛ فردَّه فنقَص من أجزائه وقِسمته ، فعرّفتُه فأقرّ به ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلّمني فيها ، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة ؛ فقال : أوَيُعْفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟ فأعفاه .

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ عن إسحاق ؛ فذكر نحواً ممّا ذكره يحيى ، وذكر أنّ القصّة كانت بين يديّ المعتصم ؛ وزاد فيها فقال : أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأُوقفه على خطئه فيها ، فإن لم يُقِرّ بذلك أقرّ به مُخارِقٌ وعَلّويه ؛ فقال : أوَيُعْفيني أميرُ المؤمنين من كلامه ؛ فإنّه يَعْدِل عندي البُخْتُج[1] ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، وما يفعل البُخْتُج ؟ قال : يُسْلِح ؛ قلت : قد والله فعل ذلك كلامي به ، ومنه هرب ؛ فضحك وغطّى فاه وقام ؛ فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المصعبيّ أنّي قد أغضبته ، فضرب بيده إلى السيف ؛ فقلت له : لا تحسَبْ أنّي أغضبتُه ؛ فما كنت لأُكلّم عمّه بين يديه بهُزْء من غير إذنه ، فأمسك ؛ وكان لا يُقْدِم أحد أن يكلّم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن إلاّ بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له .

[يكشف خطأً في وتر بين ثمانين وتراً]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم الهاشميّ عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال[2] : دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أُجْلس عَشْراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهنّ العيدانُ يضرِبنَ بها ؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأً فأنكرتُه ؛ فقال المأمون : يا

---

1 البختج : عصير مطبوخ .

2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 21 (رقم 42) .

إسحاق ، أتسمع خطأ ؟ فقلت : نعم والله يا أمير المؤمنين ؛ فقال لإبراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فقال : لا ؛ فأعاد عليّ السؤال ، فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وإنّه لفي الجانب الأيسر ؛ فأعاد إبراهيم سَمْعَه إلى الناحيـة اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما في هذه الناحية خطأ ؛ فقلت يا أمير المؤمنين : مُرِ الجواريَ اللواتي على اليمين يُمْسِكْنَ ، فأمرهنّ فأمسكْنَ ؛ فقلت لإبراهيم : هل تَسمع خطأ ؟ فتسمّع ثم قال : ما هاهنا خطأ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، يُمْسِكْنَ وتضرب الثامنةُ . فأمسكْنَ وضربتِ الثامنة ، فعرف إبراهيمُ الخطأ ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هاهنا خطأ ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم : يا إبراهيم ؛ لا تُمَارِ إسحاقَ بعدها ؛ فإن رجلاً فَهِم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حَلْقاً لجديرٌ ألاّ تماريَه ؛ فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين . وقال الحسين بن يحيى في خبره : وكان في الأوتار كلِّها مَثْنىً فاسدُ التسوية . وقال فيه : فطرِب أمير المؤمنين المأمون ، وقال : لله درُّك يا أبا محمّد ؛ فكنَّاني يومئذٍ .

[ثناء الواثق عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثني أحمد بن حَمْدُون قال : سمعتُ الواثق يقول : ما غنَّاني إسحاق قط إلاّ ظننتُ أنّه قد زِيدَ لي في مُلْكي ، ولا سمعته يغنّي غناءَ ابن سُرَيج إلاّ ظننت أنّ ابن سريج قد نُشِر ، وإنّه ليحضُرني غيرُه إذا لم يكن حاضراً ، فيتقدّمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت ، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص ؛ وإنّ إسحاق لنعمةٌ من نِعَم المُلْك لم يُحْظَ بمثلها ؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط ممّا يُشْتَرى لاشتريتهنّ له بشَطْر ملكي .

[يدخل إلى الخليفة مع العلماء والفقهاء]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال : سأل إسحاقُ الموصليّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المغنّين ، فإذا أراده للغناء غنّاه ؛ فأجابه إلى ذلك ؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء ؛ فأذن له . قال : فحدّثني محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أنّه كان هو ومُخارِق وعَلّويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده ، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سَوادُهُ وطَويلتُه ، ويدُه في يد إسحاق يماشيه ، حتى جلس معه بين يدي المأمون ، فكاد عَلّويه أن يُجنّ ، وقال : يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هذا ؟ يدخل قاضي القضاة ويدُه في يد مغنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة ! . ثم مضت على ذلك مدّة ، فسأل إسحاق المأمونَ أن يأذن له في لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة ؛ قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق ، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ؛ وأمر له بها .

[امتيازه في مجلس الواثق]

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله بن حَمْدون قال : كان المغنّون جميعاً يحضُرون مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلاّ إسحاقَ ، فإنّه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمَرَه الخليفة أن يغنّي أُحضر له عوداً ، فإذا غنّى وفرَغ سُلّ من بين يديه إلى أن يطلبه . وكان الواثق كثيراً ما يكنّيه ، رَفْعاً له من أن يدعوه باسمه ؛ وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناءَ ولم يُعِد منه حرفاً إلاّ أن يكون في بعض بيت فيُتِمّه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه في خبر ذَكَر إسحاقَ فيه ، فقال : وعارض مَعْبَداً وابن سُرَيج فانتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته ، ولم يَبلُغه ؛ وما رأيت بعد إسحاق مثلَه .

[عابه إبراهيم بن المهديّ بترك التحريك في الغناء]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمّد بن راشد الخنّاق : سمعتُ عَلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ : إنّ إبراهيم بن المهديّ يَعِيبك بتركك تحريكَ الغناء ؛ فقال له إسحاق : ليتنا نَفِي بما علمناه ، فإنّا لا نحتاج إلى الزيادة فيه . ثم قال له : فإنّه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكه ، وتحريكُه عنده أن يكون كثيرَ النَّغَم ، وليس يفعل ذلك ، إنّما يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه ، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأَسْكدار[1] للكِتاب ، وهو حينئذٍ بأن يُسمَّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المحرِّكَ ؛ فضحك عَلّويه ثم قال : فإنّ إبراهيم يسمِّي غناءكم هذا المسلك المِداديّ ؛ قال إسحاق : هذا من لغات الحاكَة ؛ لأنّهم يسمّون الثوبَ الجافي[2] الكثير العرض والطول المداديّ ؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمّي غناءه المحرّك الضِّرابيّ ، وهو الخفيف السخيف[3] من الثياب في لغة الحاكة ، حتى نُدخل الغناءَ في جملةِ الحِياكة ونخرجه عن جملة الملاهي ؛ ثم قال لعَلّويه : بحياتي عليك إلاّ ما أعدتَ عليه ما جرى ؛ فقال له : لا وحياتِك لا فعلتُ ؛ فإنّه يعلم مَيْلي إليكم ، ولكن عليك بأبي جعفر محمّد بن راشد الخنّاق ؛ فكلّمه إسحاق وأقسم عليه أن يُؤدِّيه ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره ، فجعل كلّما أخبره شيئاً تغيَّظ وشتم إسحاقَ بأقبحِ شتم ؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره ؛ فجعل كلّما أخبره بشيء من ذلك

1 الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد .
2 الثوب الجافي : الغليظ .
3 الثوب السخيف : القليل الغزل .

ضحك وصفّق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله .

[يغايظ إبراهيم بن المهديّ]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال أُخبرني محمّد بن راشد الخنّاق قال : إنّي لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ ، فسُرِرتُ بمكانه ؛ فقال : قد جاءت بي إليك حاجة ؛ قال قلت : قل ما شاء الله ؛ قال : دَعْني في بيتك ، ودَعْ غلامَيْك عندي : بُدَيحاً وسليمانَ ـ وكانا خادمين مغنِّيَين ـ ومُرْهما أن يغنِّياني ، وأْتني بفلان ليغنِّيني أيضاً ، بحياتي عليك ، وانطلِقْ إلى إبراهيم بن المهديّ ، فإنّه سيُسَرّ بمكانك ، فاشرب معه أقداحاً ، ثم قل له : يا سيِّدي ، أَسألك عن شيء ، فإذا قال : سَلْ ، فقل له : أخبرني عن قولك : [من الوافر]

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّي

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأَنت تعلم أنّه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلاّ أن تقول : «ذهبتو» بالواو ، فإن قلتَ : «ذهبتُ» ولم تَمُدَّها انقطع اللحن والشعر ، وإن مددتَها قُبِّح الكلام وصار على كلام النَّبَط ؛ فقلت له : يا أَبا محمّد ، كيف أُخاطب إبراهيم بهذا ؟ فقال : هو حاجتي إليك وقد كلّفتك إيّاها ؛ فإن استحسنتَ أَن تردّني فأَنت أَعلم ؛ قال : أَفعل ذلك لموضعك على ما فيه عليّ ، ثم أَتيتُ إبراهيم ، وجلست عنده مليّاً ، وتجارَيْنا الحديثَ إلى أَن خرجْنا إلى ذكر الغناء ، فخاطبته بما قال لي إسحاق ، فتغيَّر لونه وانكسر ، ثم قال : يا محمّد ، ليس هذا من كلامك ، هذا من كلام الجُرْمُقانيّ ابن الزانية ؛ قُل له عنِّي : أَنتم تصنعون هذا للصناعة ، ونحن نصنعه للّهو واللعب والعبَث . قال : فخرجتُ إلى إسحاق فحدّثته بذلك فقال : الجُرْمَقانيّ والله منّا أَشبهُنا بالجَرامِقة لغةً وهو الذي يقول : «ذهبتو» ؛ وأَقام عندي يومَه فرِحاً بما بلّغته إبراهيمَ عنه من توقيفه على خطئه .

[نقل عنه محمّد بن راشد حديثاً لابن المهديّ ففسد ما بينهما]

قال عليّ بن محمّد قال لي أَبي : كان محمّد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما ؛ فإنّه طابق إبراهيمَ بن المهديّ عليه ، وبلغه عنه من توقيعه أنّه يذكره . وكان في محمّد بن راشد رداءة ونقلٌ للأَحاديث ؛ فقال فيه إسحاق : [من الطويل]

وَنَدْمان صِدْقٍ لا تُخاف أَذاتُه ... ولا يلفِظ الأَخبارَ لفظَ ابن راشدِ
دعاني إلى ما يشتهي فأَجبتُه ... إجابةَ محمود الخلائق ماجدِ
فلا خيرَ في اللذّات إلاّ بأَهلها ... ولا عيشَ إلاّ بالخليل المُساعدِ

قال : فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأَمرهم بهجاء إسحاق ؛ فهجَوْه بأَشعار لم تبلغ

مرادَه ، فلم يُظهرها . وبلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه : [من الطويل]

وأَبيـات شعـر رائعـات كأنّـها إذا أُنشدت في القوم من حُسنها سِحْرُ
تحفّـزَ وٱقْلَـوْلَى لـردّ جوابهـا أَبو جعفر يَغْـلي كما غَلَتِ القِدْرُ[1]
فلم يستطعها غيرَ أَنْ قـد أَعانـه عليهـا أُناس كي يكون لـه ذكرُ
فيـا ضيعةَ الأَشعار إذ يَقْرِضونها وأَضيعُ منها مَـن يَرى أَنّها شعرُ

قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاقَ واستكفَّه وصالحه ، فرجع إليه .

[أخذ إبراهيم بن المهديّ صوتاً له فغضب]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثني عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ قال حدّثني منصور بن محمّد بن واضح : أَنّ إبراهيم بن المهديّ طرَح في منزل أَبيه : [من المتقارب]

صوت

أَمِـن آلِ لَيْلى عرفـتَ الطُّلولا بـذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثولا[2]
بَلِـينَ وتحسَب آياتِهـ ـنَّ عن فرط حَوْلين رَقّا مُحيلا[3]

الشعر لكعب بن زُهير[4] والغناء لإسحاق ، وله فيه لحنان : ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر ، وماخُوريّ بالوسطى . وفيه للزُّبَير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيل قال : فجاءنا إسحاق يوماً ، وأَقام عند أَبي ، وأَخرجنا إليه جوارينا ، ومرّ الصوت الذي طرحه إبراهيم بن المهديّ من غنائه ؛ فقال إسحاق : من أَين لك هذا ؟ قال : طرحه أَبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أَعزّه الله تعالى ؛ فقال إسحاق : وما لأَبي إسحاقَ أَعزّه الله ولهذا الصوت ؟ هذا أَنا صنعتُه ، وليس هو كما طرَحه . قال : فسأَله أَبي أَن يغنّيه ، فغنّاه وردّده حتى صحّ لمن عنده ؛ فقال لي أَبي : اكتب إلى أَبي إسحاق أَنّ أَبا محمّد أَعزّه الله صار إليَّ فاحتبستُه ، وأَنّه غنّى بحضرتي الصوتَ الذي أَلقيتَه في منزلك الذي أسكنه ، فزعَم أَنّه صنَعه ، وأَنّه ليس على ما أُخذه الجواري عنك ، فأَحببت أَن أَعلم مَا عندك ، جعلني الله فداك . قال : فكتبت الرُّقعة وأَنفذتها إلى إبراهيم . فكتب : نعم ، جُعلت فداك ، صدَق أَبو محمّد أَعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما

---

1 تحفّز واقلولى : تهيّأ للوثوب .
2 ذو حرض : موضع . ماثلات : منتصبات .
3 فرط حولين : مضي سنتين . محيل : أُتي عليه حول .
4 هذان البيتان لم يردا في ديوان كعب وإنّما في ديوان زهير أبيه ، وهما من قصيدة في مدح سنان بن أُبي حارثة . وفي الديوان (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب) ص 193 : رواها أبو عمرو والمفضل وزعم الأصمعيّ أنّها مولدة . وسيردان في ترجمة زهير منسوبين إليه .

ذكره ، لكنّي لعِبت في وسطه لعباً أعجبني . قال : فقرأ إسحاقُ الرقعة فغَضِب غضباً شديداً ، ثم قال لي : أكتب إليه : «إذا أردت يا هذا أن تلعبَ فالعَبْ في غناء نفسك لا في غناء الناس ، وما حاجتُك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فاصنعْ أنت إن كنت تُحسن ، والعبْ في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غيرَ مُشارِك في جِدّ الناس بلعبك ومُفْسد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أيّدك الله ، ليس هذا الصوت ممّا يتهيّأ لك أن تُمَخْرِق فيه وتقول : «جَنْدَرْتُه»[1] . قال : وكان إبراهيم يقول : إنّه يُجَنْدِر صنعةَ القدماء ويحسِّنها .

[مناظرته إبراهيم بن المهديّ عند المعتصم]

قال عليّ بن محمّد حدّثني جدّي حَمْدُون : أنّ إسحاق قال لإبراهيم بن المهديّ بحضرة المعتصِم : ما تقول فيمن يزعُم أنّ ابن سُرَيج وابن مُحْرِز ومَعْبداً ومالكاً وابنَ عائشة لم يكونوا يُحْسنون تَمام الصّنعة ولا استيفاءَ الغناء ، ويعجِزون عمّا به يكمُل ويتِمّ ويحسُن ، وأنّه أقدر على الصنعة منهم ؟ قال : أقول : إنّه جاهل أحمق ؛ قال : فأنت تزعم أنّه قد كانت بَقِيَتْ عليهم أشياءُ لم يهتدوا لها ولم يحسنوها ، فتنبّهتَ عليها أنت وتَمَمْتَها وحسَّنْتَها بجَنْدَرتك ؛ قال : فضحِك المعتصم وبقي إبراهيمُ واجماً مُطْرِقاً ، ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه ؛ وما سمعتُه أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدّمين ، حتى يُطنِب في صنعته ويُشتَهى استماعُه منه ، كما كان يَدّعي قديماً . قال : وكان حَمْدون يقول : كان إبراهيم يأكل المغنّين أكلاً ، حتى يحضُر إسحاق ، فيُداريه إبراهيم ويطلب مكافأتَه ، ولا يَدعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَه ؛ وكان إسحاقُ آفتَه ، كما أنّ لكلّ شيء آفة .

[غنّى المأمون بشعر ذي الرمّة]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجتُ يوماً من داري وأنا مَخْمورٌ أتنسّم الهواء ، فمررتُ برجل يُنشد رجلاً معه لذي الرُّمّة[2] : [من الطويل]

صوت

أَلم تعلمــي يــا مــيّ أنّي وبيننَــا ... مَهاوٍ لطَرْف العـين فيهنّ مَطْرَحُ
ذكرتك أن مرّتْ بنــا أُمُّ شادنٍ ... أمــامَ المَطايــا تَشْرئبّ وتَسْنَحُ[3]

---

1 مخرق : موه . وجندر الشيء : أصلحه وصقله .
2 ديوان ذي الرمّة (مكارتني) : 79–86 .
3 الشادن : ولد الظبية الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمّه . وتشرئب : ترفع رأسها لتنظر . وتسنح : تأتي عن الشمال .

مِـنَ المؤلفاتِ الرمَـلِ أدماءُ حُرَّةٌ ... شُعاعُ الضّحى في مَتْنها يتوضّحُ[1]
هي الشِّبْهُ أَعطافـاً وجِيداً ومُقلةً ... ومَيَّةُ منهـا بَعْـدُ أبهـى وأملَحُ[2]
كأن البُرَى والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُه ... على عُشَرٍ نَهّى بـه السيلَ أبطحُ[3]
لئن كانت الدنيـا علـيّ كما أرى ... تَباريحَ مِـن مَـيٍّ فَلَلموتُ أَرْوحُ

فأعجبني ، فصنعت فيه لحناً غنّيتُ به المأمونَ ، فأخذتُ به منه مائة ألف درهم . لحنُ إسحاقَ في هذه الأبيات أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر .

[دسّ إليه أبو أحمد غلامين ليعلّمهما]

حدّثني يحيى بن محمّد الطَّاهِرِيّ قال حدّثني ينشو[4] مولى أبي أحمد بن الرشيد قال : اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد ، واشترى رَفيقي محموماً[5] ، فدَفعَنا إلى وكيل له أعجميّ خُراسانيّ ، وقال له : انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصليّ ؛ ودفع إليه مائة ألف درهم . وشِهْرِيّاً[6] بسَرْجه ولِجامه ، وثلاثة أدراجٍ[7] من فِضّة مملوءة طِيباً ، وسبعةَ تُخُوتٍ من بَزٍّ خُراساني ، وعشرةَ أسفاطٍ من بَزّ مصر ، وخمسةَ تخوتِ وَشْي كوفيّ ، وخمسة تخوتِ خَزٍّ سُوسيّ ، وثلاثين ألف درهم للنفقة ؛ وقال للرسول : عرِّفْ إسحاقَ أنّ هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان ، وَجَّه بهما إليه ليتفضّل ويعلّمهما أصواتاً اختارها ، وكتبها له في دَرْج ، وقال له : كلّما علّمهما صوتاً ادفع إليه ألف درهم ، حتّى يتعلّما بها مائة صوت ، فإذا علّمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشِّهْريّ ، ثم إذا علّمهما الثلاثة التي بعد الصوتين ، فادفع إليه بكلّ صوت دُرْجاً من الأدراج ، ثم لكلّ صوت بهد ذلك تَخْتاً وسَفَطاً ، حتّى يَنْفَد ما بعثتُ به معك ؛ ففعل ، وانحدرْنا إلى بغداد ، فأتينا إسحاق ، وغنّينا بحضرته ، وبلّغه الوكيلُ الرسالةَ ؛ فلم يزل يُلقي علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمرَنا سيّدُنا . ثم سِرنا إلى سُرّ مَنْ رأى ، فدخلنا إليه وغنّيناه جميعَ ما أخذْناه فسَرّه ذلك . وقدِم إسحاقُ سُرّ مَنْ رأى ، ولقيه مولانا ، فدعا بنا وأوصانا بما أراد ، وغدا بنا إلى الواثق وقال : إنّكما ستَرَيان

---

1 أدماء : بيضاء .
2 رواية الديوان : «ومية أبهى بعد منها وأملح» .
3 البرى : الخلاخيل . العاج : اسورة من العاج . عيجت : لويت . العشر : نوع من الشجر . نهى : بلغ نهايته . أبطح : بطن الوادي . أي أنّ ساقيها ومعصميها كشجر العشر الذي يقيه السيل نضراً ريّاناً .
4 ل : بيشق .
5 ل : يحموما .
6 الشهري : ضرب من البراذين .
7 الأدراج : جمع درج وهو صندوق صغير توضع فيه الحلي والطيب .

إسحاقَ بين يديه ، فلا تُسلِّما عليه ولا تُوهِماه أنّكما رأيتماه قطّ ، وألبسَنا أقْبيةً خُراسانيّة ومضينا معه ؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له : يا سيِّدي ، هذان غلامان اشتُريا لي من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة ؛ فقال : غنِّيا ، فضربنا ضرباً فارسيّاً وغنّينا غناءً فهليذِيّاً ؛ فطَرِب الواثق وقال : أحسنتما ، فهل تغنّيان بالعربيّة ؟ قلنا : نعم ، واندفعنا نغنّي ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه ، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه ؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق : وحياتِك يا سيِّدي وبَيْعتِك ، وإلاّ كلّ مِلْكٍ لي صدَقة وكلّ مملوك لي حُرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومِن قصتّهما كيت وكيت ؛ فقال له أبو أحمد : ما أدري ما تقول ؛ هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراسانيّ ؛ فقال له : بَلَغ وَلْعُكَ[1] إليّ ! ونَخّاس خراسانيّ من أين يحسن [أن] يختار مثلَ تلك الأغاني ! ؛ فضحك أبو أحمد ثم قال للواثق : صدَق ، أنا احتلتُ عليه ، ولو رُمْتُ أن يعلِّمهما ما أخذاه منه إذا علِم أنّهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيته لَما فعل ؛ فقال له إسحاق : قد تَمَّت عليّ حيلتُه . وقال أبو أحمد للواثق : إن أردتَهما فخذهما ؛ فقال : لا أفجَعُك بهما يا عمّ ، ولكن لا تمنعني حضورَهما ؛ فقال له : قد بذلتُ لك المِلْك فلم تُؤْثِرْه ، أفتُراني أمنعك الخدمةَ ؟ فكنّا نخدِمُه بنَوْبة .

[لم يكن يحضر عُوده ترفّعاً]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله بن حَمْدون قال حدَّثني ابن فيلا الطُّنْبُوريّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه ، قال : قال الواثق في بعض العَشايا : لا يبرحُ أحدٌ من المغنّين الليلةَ ، فقد عزمتُ على الصَّبُوح في غد ؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلاّ إسحاقَ فإنّه قال له : لا وحياتِك ما أبِيتُ ؛ قال : فلا والله ما كان له عند الواثق معارضةٌ أكثر من أن قال له : فبحياتي إلاّ بَكَّرتَ يا أبا محمّد . قال : فرأيت مخارقاً وعَلّويه قد تقطّعا غيظاً ؛ وبِتنا في بعض الحُجَر ، فقالا لي : اجلس على باب الحجرة ، فإذا جاء إسحاق فعرِّفنا حتى ندخل بدخوله ؛ فلم نلبث أن جاء إسحاقُ مع أحمد بن أبي دُواد يماشيه في زِيِّه وسَوادِه وطَويلتُهُ مثل طويلته ، فدخلت عليهما فأعلمتهما ؛ فقامت على عَلّويه القيامة وقال : يا هؤلاء ، خِيناكر[2] يَدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة ؟ أسمعتم بأعجبَ من هذا البَخْت قطّ ؟ فقال له مُخارِق : دَعْ هذا عنك ، فقد والله بلغ ما أراد . ولم نلبث أن خرج ابن أبي دُواد ودُعيَ بنا فدخلنا ، فإذا إسحاق جالسٌ في صف الندماء لا يخرج منه ، فإذا أمره الواثق أن يُغنّي خرج عن صفّهم قليلاً وأُتي بعُود فغنّى الصوتَ الذي يأمره به ؛ فإذا فرَغ من القَدَح قطع الصوتَ الذي يأمره به حيث بلغ

1 الولع : الكذب .
2 الخيناكر : المغني .

ولم يُتِمَّه ، ورجع إلى صفّ الجلساء .

[مع إبراهيم بن المهديّ في مجلس الرشيد]

أخبرني محمّد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقَّب بوَسْواسة قال حدّثني حَمّاد قال : قال لي أبي : كنت عند الرشيد يوماً ، وعنده ندماؤه وخاصّته وفيهم إبراهيم بن المهديّ ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق تَغَنَّ : [من الوافر]

شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أُخرى ... وراح المُنتشون وما انتشيتُ

فغنّيته ؛ فأقبل عليَّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي : ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت ؛ فقلت له : ليس هذا ممّا تُحسنه ولا تعرفه ، وإن شئتَ فغنِّه ، فإن لم أجدْك أنّك تُخطىء فيه منذُ ابتدائك إلى انتهائك فدَمي حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة أبي ، وهي التي قرّبَتْنا منك واستخدمتْنا لك وأوطأتنا بساطَك ؛ فإذا نازَعَناها أحدٌ بلا علم لم نجِد بُدّاً من الإيضاح والذبّ ؛ فقال : لا غَرْوَ ولا لومٌ عليك ؛ فقام الرشيد ليبول ؛ فأقبل إبراهيم بن المهديّ عليّ وقال : وَيْلَك يا إسحاق أتجترىء عليّ وتقول ما قلتَ يا ابنَ الفاعلة ؟ لا يَكْني ؛ فداخلني ما لم أملك نفسي معه ؛ فقلت له : أنت تشتِمُني ، وأنا لا أقدِر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك كنت أقول لك : يا ابنَ الزّانية ؛ أوَ ترى أنّي كنت لا أحسن أن أقول لك : يا ابنَ الزانية ؛ ولكن قولي في ذَمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأَعْلَم[1] ، ولولاك لذكرتُ صناعتَه ومذهبه ، قال إسحاق : وكان بَيْطاراً ، قال : ثم سكتُّ ، وعلمتُ أنّ إبراهيم يشكوني وأنّ الرشيد سوف يسأل مَن حضر عمّا جرى فيخبرونه ، فتلافيتُ ذلك ، ثم قلت : أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدني بذلك وتعاديني كما تُعادِي سائرَ أولياء أخيك حَسَداً له ولولده على الأمر ؛ فأنت تضعُف عنهم وتستخِفّ بأوليائهم تَشَفِّياً ؛ وأرجو ألاّ يُخرجها الله عن يَدِ الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ؛ فإن صارت إليك ، وبالله العِياذ ، فحرامٌ عليّ العيشُ يومئذٍ ، والموت أطيب من الحياة معك ، فاصنع حينئذٍ ما بدا لك . قال : فلمّا خرج الرشيد وثَب إبراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ، شتَمني وذكر أمّي واستخفّ بي ؛ فغضِب وقال : ما تقول ؟ وَيْلَك ؛ قلت : لا أعلم ، فسَلْ مَنْ حضر ؛ فأقبل على مسرورٍ وحُسَين ؛ فسألهما عن القصّة ، فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربّد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرِّي عنه ورجع لونُه ، وقال لإبراهيم : ما له ذنب ، شتمتَه فعرّفك أنّه لا يقدِر على جوابك ، إرجعْ إلى موضعك وأمسِك

1 الأعلم : الذي بشفته العليا شق .

عن هذا . فلمّا انقضى المجلسُ وانصرف الناس ، أمر بألاّ أبْرَح ، وخرج كلُّ مَن حضر حتى لم يبقَ غيري ؛ فساءَ ظنّي وأهمّتْني نفسي ؛ فأقبل عليّ وقال : ويلك يا إسحاق ! أتُراني لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنّيتَه[1] ثلاث مرّات ، أتُراني لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبت ؟ ويلك ، لا تَعُدْ ؛ حدِّثْني عنك ، لو ضربك إبراهيم ، أكنتُ أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل ؟! أتُراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنتُ أقتله بك ؟! فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد والله قتلتَني بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنّي ، وما أشكّ في أنّه قد بلغه الآن ؛ فصاح بمسرور الخادم وقال : عليّ بإبراهيم الساعة فأُحضر ، وقال : قم فانصرف ؛ وقلت لجماعة من الخدَم ، وكلّهم كان لي مُحبّاً وإليّ مائلاً ولي مُطيعاً : أخبروني بما يجري ، فأخبروني مِن غد أنّه لمّا دخل وبّخَه وجهَّله وقال له : أتستخفُّ بخادمي وصَنيعتي ونَديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي ، وتُقْدم عليّ وتستخفّ بمجلسي وحضرتي ؟ هاه هاه ! أتُقدِم على هذا وأمثالِه ! وأنت ما لَكَ وللغِناء ، وما يُدريك ما هو ؛ ومَنْ أخذك به وطارحك إيّاه حتى تتوهّم أنّك تبلُغ منه مبلغَ إسْحاق الذي غُذي به وعُلّمه وهو صناعته ؟ ثم تظنّ أنّك تُخطِّئه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجّة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشَتْمه ؟ أليس هذا ممّا يدُلّ على السقوط وضعفِ العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وغَلَبةِ لذّتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إيّاه ولم تُحكمه ، وادّعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناسُ إلى الجهل المُفْرط ! ألا تعلم ، وَيْلَك ، أنّ هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلّة مُبالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح ؟ . ثم قال : والله العظيم وحقِّ رسوله ، وإلاّ فأنا نَفيٌّ[2] من المهديّ ، لئن أصابه أحدٌ بسوء ، أو سقط عليه حجرٌ من السماء ، أو سقط من على دابّته ، أو سقط عليه سقفُه ، أو مات فجأة ، لأقتلنّك به ؛ والله ؛ ، والله ، والله ، فلا تعرِض له وأنت أعلم ، قُم الآنَ فاخرج ؛ فخرج وقد كاد أن يموت . فلمّا كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده ، فأعرضتُ عن إبراهيم ؛ وجعل ينظر إليه مرّة وإليّ مرّة ويضحك ، ثم قال له : إنّي لأعلم محبَّتك في إسحاق وميلَك إليه وإلى الأخذ عنه ، وإنّ هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلاّ بعد أن يرضَى ، والرضى لا يكون بمكروه ، ولكن أحسِن إليه وأكرمه واعرِف حقَّه وبِرّه وصِلْه ، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتَه بيد منبسطة ولسان منطلق ؛ ثم قال لي : قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقبِّلْ رأسه ، فقمت إليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا .

---

1 زناه : نسبه إلى الزنا .

2 ل : بريء .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الوافر]

أعاذلُ قـد نَهَيْتِ فما انتهيتُ   وقد طال العتابُ فما ارعويتُ
أعاذلُ مـا كبرتُ وفيّ مَلْهىً   ولـو أدركتُ غايتكِ انتهيتُ
شَرِبتُ مُدامةً وسُقيت أُخرى   وراح المنتشون ومـا انتشيتُ
أبِيـتُ مُعذَّبـاً قَلِقـاً كئيباً   لِما أُلقـاه مـن أَلَم وفَوْتِ[1]

الغناء لابن مُحْرِزٍ ثقيلٌ عن ابن المَكّيّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى .

[الرشيد يستدعيه ليلاً للمنادمة]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أرسل إليّ الرشيد ذاتَ ليلة ، فدخلتُ إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُوَرَّد وسَراويلُ مورَّدة وقِناعٌ مورَّد كأنّها ياقوتة على وردة ؛ فلمّا رآني قال لي : اجلس ، فجلستُ ؛ فقال لي : غنّ ، فغنّيت : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجرى لما جَهَدتُه   وبيَّن لـو يَسطيـعُ أن يتكلّمـا

فقال : لَمن هذا اللحن ؟ فقلت : لي يا أمير المؤمنين ؛ فقال : هاتِ لحنَ ابن سُرَيج ، فغنَّيتُه إيّاه ؛ فطرِب وشرِب رِطْلاً وسقى الجاريةَ رِطلاً وسقاني رِطلاً ؛ ثم قال : غنِّ ، فغنَّيته : [من مجزوء الرمل]

صوت

هاجَ شَوْقي بَعْدَ ما أن شاب   أصداغـي بُـرُوقُ
مَوْهِنـاً والبَـرْقُ مِمّـا   ذا الهـوى قِدْمـاً يَشُوقُ

فقال : لَمن هذا الصوت ؟ فقلت : لي ؛ فقال : قد كنتُ سمعت فيه لحناً آخر ؛ فقلت : نعم ، لحن ابن مُحْرِز ؛ قال : هاته ، فغنّيته فطرب وشرب رطلاً ، ثم سقى الجارية رِطلاً وسقاني رِطلاً ؛ ثم قال : غنِّ ، فغنَّيته : [من الطويل]

أفاطـمُ مهـلاً بعضَ هذا التدلُّلِ   وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ صرمي فأجملِي

فقال لي : ليس هذا اللحنَ أُريد ، غَنِّ رَمَل ابن سُرَيج ؛ فغنَّيته وشرب رطلاً وسقى الجارية

---

1 في هذا البيت إقواء .

رِطلاً ، ثم قال : حدّثني ، فجعلتُ أُحدّثه بأحاديث القِيان والمغنّين طَوْراً ، وأحاديث العرب وأيّامها وأخبارها تارة ، وأُنشِده أشعار القدماء والمحدَثين في خلال ذلك ، إذ دخل الفضلُ بن الرّبيع ، فحدَّثه حديثَ ثلاث جوارٍ مَلَكَهنَّ ووَصفهنّ بالحُسْن والإحسان والظَّرْف والأدب ؛ فقال له : يا عَبّاسيّ ، هل تَسخُو نفسُك بهنّ ؟ وهل لك من سَلْوةٍ عنهنّ ؟ فقال له : والله يا أمير المؤمنين ، إنّي لأسخو بهنّ وبنفسي ، فبها فَداك الله ؛ ثم قام فوجّه بهنّ إليه ، فغَلَبْن على قلبه ، وهنّ سِحْر وضياء وخُنْث ذات الخال ؛ وفيهنّ يقول : [من الرمل]

إنّ سِحْراً وضياءً وخُنُثْ ... هنّ سِحْرٌ وضياءٌ وخُنُثْ
أخذتْ سحرٌ ولا ذنبَ لها ... ثُلُثَيْ قلبي وتِرْباها الثُّلُثْ

[مع عبيد الله بن محمّد بن عائشة بالبصرة]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني مَيْمون بن هارون عن إسحاق قال : أتيتُ عُبَيد الله بن محمّد بن عائشة بالبصرة ، فلمّا دخلتُ إليه حَصِرْتُ ؛ فقال لي : إنّ الحَصَر رائدُ الحياء ، والحياء عَقيدُ الإيمان ، فانبسِطْ وأزِلِ الوحشة ، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب ، لقد قرّبتْ بيننا الآداب ؛ فقلت له : والله لقد سررتَني بخطابك ، وزِدْتَني ببِرّك عجزاً عن جوابك ؛ ولله دَرّ القُطاميّ حيث يقول : [من البسيط]

أمّا قريشٌ فلــن تلقاهمُ أبداً ... إلاّ وهم خيرُ من يَحْفَى ويَنتعِلُ

[أهدى له أحمد بن هشام زعفراناً]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدّثني أَبو هِفّان قال : وجّه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رَطْب وكتب إليه : [من البسيط]

إشربْ على الزعفرانِ الرَّطْبِ مُتّكئاً ... وانْعَمْ نَعِمْتَ بطول اللّهو والطَرَبِ
فحُرْمة الكأس بـين الناس واجبةٌ ... كحرمـةِ الوُدّ والأرحام والأدبِ

قال : فكتب إليه إسحاق : [من البسيط]

أُذكـرْ أبا جعفرٍ حقّاً أمُتّ به ... أنّي وإيّاك مَشْغوفان بالأدبِ
وأنّنا قـد رضعنا الكأسَ دِرَّتَها ... والكأسُ حرمتُها أولى من النَّسبِ

[وداعه الفضل بن يحيى في خروجه إلى خراسان]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثني محمّد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لمّا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعتُه ، ثم أنشدته بعد التوديع : [من المتقارب]

فِراقُـك مثـلُ فـراق الحيـاةِ وفقـدُك مثـلُ افتقـاد الدِّيَمْ
عليك السلامُ فكم مـن وفاء أُفـارقُ فيـك وكم مـن كَرَمْ

قال : فضمّني إليه ، وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : يا أبا محمّد ، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتَهما مَن يَصلُح من الخارجين معنا ، لأهدَيتَ بذلك إليّ أُنْساً وأذكرتَني بنفسك ؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين فأمر لي بألف دينار ؛ فكان كتابه لا يزال يَرِد عليّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُني بذلك كلّما غُنّي بهذا الصوت . قال الصُّوليّ : وهو من طريقة الرَّمَل .

[حمل الأصمعيّ من الكتب إلى الرّقّة]

أخبرني عمّي قال حدّثني عمر بن شبّة عن إسحاق قال : قال لي الأصمعيّ : لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الرّقّة قال لي : هل حملتَ معك شيئاً من كتبك ؟ فقلت : نعم ، حملتُ منها ما خفّ حملُه ؛ فقال : كم ؟ فقلت : ثمانيةَ عشرَ صُندوقاً ؛ فقال : هذا لمّا خفّفْتَ ، فلو ثقّلتَ كم كنتَ تحمل ؟ فقلت : أضعافَها ؛ فجعل يَعْجَب .

[شعر إسحاق في المعتصم حين ولي الخلافة]

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال : لمّا ولي المعتصم دخلتُ إليه في جملة الجلساء والشعراء ؛ فهنّأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مُسْتنطِقاً ؛ فأنشدتُه : [من المديد]

صوت

لاحَ بالمَفْـرِق منـــك القَتِيرُ وذَوى غصنُ الشّبابِ النَّضِيرُ[1]
هزِئتْ أسمـــاءُ منّي وقالتْ أنـت يا ابنَ الموصـــليّ كبيرُ
ورأت شيْباً برأسي فصـــدّتْ وابـنُ ستّـين بشَيْب جديرُ
لا يَرُوعَنّـكِ شَيْبـي فإنّـي مع هـذا الشَّيب حُلْوٌ مَزيرُ[2]
قـد يُفَلّ السيفُ وهو جُرازٌ ويَصُول الليـثُ وهـو عَقِيرُ[3]
يـا بنـي العبّاس أنْتم شفاءٌ وضيـاءٌ للقُلـــوب ونـورُ
أنتمُ أهـل الخلافـةِ فينـا ولكـم مِنبرُهـــا والسريرُ

1 القتير : الشيب أو أوّل ما يظهر منه .

2 مزير : ظريف .

3 يفل : يثلم . جراز : ماضٍ قاطع . عقير : مجروح أو مقطوع القوائم .

لا يزال المُلك فيكم مَدى الدَّهْـ ـــرِ مُقيمـاً مـا أقـام ثَبِيرُ[1]
وأبـو إسحـاق خير إمـامٍ مـا لــه في العالمــين نظيرُ
مـا لـــه فيمـــا يَريش ويَبْري غير توفيـــق الإلــه وزيــرُ
واضح الغـرّة للخير فيـــه حـين يبـدو شاهـدٌ وبشيرُ
زانـــه هَــديٌ تُقـىً وجلالٌ وعفـــافٌ ووقــارٌ وخِيرُ
لـو تُباري جـودَه الريحُ يوماً نَزَعَـتْ وهـي طَلِيحٌ حَسيرُ[2]

[شعره في المعتصم يوم مقدمه من غزاة]

قال : فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة . ثم دخلتُ إليه يوم مقدمه من غَزاته ، فأنشدتُه قولي فيه : [من المتقارب]

صوت

لأسمـاءَ رسمٌ عفـا باللِّوَى أَقـامَ رهينـاً لطـول البلى
تعـاوَرَه الدَّهـرُ في صَرْفـه بكَرِّ الجديديـن حتـى عفا
إذ البـينُ لم تُخْشَ رَوْعاتـه ولم يصرفِ الحيَّ صَرْفُ الرَّدى
وإذ مَيْعـة اللهو تجري بنـا وحبلُ الوصال متـينُ القُوى
فذلـك دهـرٌ مضى فابْكِـهِ ومَنْ ضاق ذَرْعـاً بأمرٍ بكى
وهــل يَشْفِينَّك مـن غُلَّـة بكاؤكَ في إثْـر مـا قد مضى
إلى ابن الرشيد إمـامِ الهدى بعثنا المطـيَّ تَجُـوبُ الفَلا
إلى مَلِك حَـلّ مـن هاشمٍ ذُؤابـةَ مجـدٍ مُنيفِ الذُّرى
إذا قيـل أيُّ فتـى هاشمٍ وسيِّدُهـا كان ذاك الفتـى
بـــه نَعَشَ اللهُ آمالَنـــا كما نَعَشَ الأرضَ صَوْبُ الحَيا
إذا ما نـــوى فِعْـلَ أُكْرُومةٍ تجـاوز من جُوده مـا نَوى
كساه الإلــهُ رداءَ الجمـــال ونورَ الجلال وهَـدْيَ التقى

قال : فأمر لي بجائزة ، وقال : لستُ أحسُب هذا لك إلاّ بعد أن تَقْرِن صناعتَك فيه بالأُخرى يعني أن أُغنّي فيه وفي : «هَزِئتْ أسماءُ منى» ؛ فصنعتُ في : [من المديد]

---

1 ثبير : من جبال مكّة .

2 طليح : تعب هزيل .

هزئت أسماء منّي . . . . . .

لحناً ، وفي : [من المتقارب]

لأسمـــاء رسم عفـا باللـّوى

لحناً آخر وغنّيته بهما ، فأمر لي بألفَيْ دينار .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

هزِئتْ أسماءُ منّي وقالت أنت يـا ابنَ الموصليّ كبيرُ

لحنُ إسحاقَ في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى . والآخر : [من المتقارب]

لأسماءَ رسمٌ عفـا باللّوى أقـامَ رَهِينـاً لطُولِ البِلَى

الغناء لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[مخارق يصحّح مغنّياً في لحن لإسحاق]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن أبي العلاء قال : غنّيتُ يوماً بين يدَي الواثق لحنَ إسحاق في : [من المديد]

هَزِئتْ أسماءُ منّي وقالت أنت يـا ابنَ الموصلّي كبيرُ

قال : فنظر إليّ مخارقٌ نظراً شَزْراً وعضّ شَفَته عليّ ؛ فلمّا خرجنا من بين يَدَي الواثق قلت : يا أستاذ ، لِمَ نَظَرتَ إليّ ذلك النظرَ ؟ أأنكرتَ عليّ شيئاً أم أخطأتُ في غنائي ؟ فقال لي : وَيْحَكَ ! أتدري أيَّ صوت غَنَّيتَ ! إنّ إسحاق جعل صَيْحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيّق وَعْر صعِب المُرْتَقى ، أحدُ جانبيْ ذلك الطريق حرفُ الجبل ، وعن جانبه الآخر الوادي ؛ فإن مال مُرْتقِيه عن مَحَجّتـه إلى جانب الوادي هَوى ، وإن مال إلى الجانب الآخر نَطَحه حرفُ الجبل فتكسّر ؛ صِر إليّ غداً حتّى أُصحّحه لك .

[لحن له على الأذان]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفش قال حدّثنا محمّد بن يزيد قال حُدّثت من غير وجه : أنّ إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير ، فسمع لحناً لعبد الوهّاب المؤذّن أذّن به على باب المعتصم ، فأصْغى إليه فأعجبه ، فأعاد المَبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحن ؛ فبنى عليه لحنَه : [من المديد]

هَزِئـتْ أسمـاءُ منّي وقالتْ

[غلامه يغني إبراهيم بن المهديّ عندما فصد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ : أنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِد يوماً ، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف خبرَه ويدعو له بالسلامة وحسن العُقبى ، وكتب إليه : إنّي سأُهدي إليك هديَّةً للفَصْد حسنةً ؛ فوجَّه إليه بُدَيحاً غلامَه ، فغنّاه لحنَه في : [من المديد]

هَزِئتْ أسمــاءُ منّي وقالتْ

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبِلنا الهديّة ، فإن كان أُذِن لك في طَرْحه على الجواري فافعلْ ؛ فقال له : بذلك أمرني ، وقال لي : إنّك ستقول لي هذا القول ، فقال : إن قاله لك فقُل له : لو لم آمُرْك بطرحه لم يكن هديّة ؛ فضحك إبراهيم ، وألقاه بُدَيح على جواريه . وقد ذكر عليّ بن محمّد بن نصر هذا الخبر ، فذكر أنّه كتب إلى أبيه بهذه الهديّة ؛ وهذا خطأ ، لأنّ الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة ، وإبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد ، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت ! .

[مخارق يخرج ابن بسخنر]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن أبي العلاء قال : اندفع محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً يغنّي هذا الصوت ؛ فالتفتَ إلينا مُخارِق فقال : خرج[1] ابن الزانية ! .

[لماذا استحقّ البرامكة شكره]

حدّثني عمّي قال حدّثني أبو جعفر محمّد بن الدِّهْقانة النَّديم قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : دعاني الفَضْل بن الرَّبيع ودعا عَلّويه ومُخارِقاً ، وذلك في أيّام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلاّ أنّ حاله كانت ناقصة متضعضِعة ؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاقَ الموصليّ يسأله أن يصير إليه ويُعْلِمَه الحالَ في اجتماعنا عنده ؛ فكتب إليهم : لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة ؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُب العصر ، ثم وافى إسحاقُ فجلس ، وجاء غلامه بقَطْرَميز[2] نبيذ فوضعه ناحيةً ، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منه ، وكان عَلّويه يغنّي الفضلَ بن الرَّبيع في لحنٍ لِسياط اقترحه الفضل عليه وأعجبه ، وهو : [من الطويل]

فإن تَعْجَبي أو تُبصري الدَّهرَ طَمَّني ... بأحداثــه طَــمَّ المقصَّص بالجَلَمْ[3]

---

1 خرج : نبغ .
2 القطرميز : قُلّةٌ كبيرة من الزجاج ويطلقونها في بعض الأماكن على المرطبان .
3 الجلم : المقصّ الذي يجز به الشعر والصوف .

فقد أَترك الأَضيافَ تَنْدَى رِحالُهم وأكرمهم بالمَحْض والتَّامِك السَّنِمْ[1]

ولحنه من الثقيل الثاني ، فقال له إسحاق : أَخطأتَ يا أَبا الحسن في أَداء هذا الصوت ، وأَنا أُصلحه لك ؛ فجُنَّ عَلّويه واغتاظ وقامت قيامته ؛ ثم أَقبل إسحاق على عَلّويه فقال له : يا حبيبي ، ما أَردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك ، وإنّما أَردتُ تهذيبَك وتقويمك ، لأنَّك منسوبُ الصواب والخطأ إلى أَبي وإليّ ، فإن كرِهتَ ذلك تركتك وقلت لك : أَحسنتَ وأَجملتَ ؛ فقال له عَلّويه : والله ما هذا أَردتَ ، ولا أَردتَ إلاّ ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ؛ أَخبِرني عنك حين تجيء هذا الوقتَ لمّا دعاك الأَمير وعرَّفك أنّه قد نشِط للاصطباح : ما حملك على الترفّع عن مُباكرته وخدمته مع صنائعه عندك ، وما كان ينبغي أَن يَشْغَلك عنه شيء إلاّ الخليفة ! ثم تجيئه ومعك قَطْرَميز نبيذٍ ترفُّعاً عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالسته إلاّ كما تشتهي وحين تَنْشَط ، كما تفعل الأَكفاء ، بل تَزيد على فعل الأَكفاء ؛ ثم تَعْمِد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميعُ مَن حضر فما عابه منهم أَحد فتَعِيبه ليتمّ تنغيصُك إيّاه لذَّته ! ؛ أَما والله لو الفضل بن يحيى أَو أَخوه جعفر دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأَمير ، بل بعضُ أَتباعهم ، لبادرت وباكرتَ وما تأَخّرتَ ولا اعتذرتَ ؛ قال : فأَمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلّويه إسحاق ؛ فقال له إسحاق : أَمّا ما ذكرتَه من تأَخُّري عنه إلى الوقت الذي حضرتُ فيه ، فهو يعلم أَنّي لا أَتأَخّر عنه إلاّ بعائق قاطع ، إن وثِق بذلك منّي وإلاّ ذكرتُ له الحجّة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأَمّا ترفّعي عنه ، فكيف أَترفّع عنه وأَنا أَنتسب إلى صنائعه وأَستمنحُه وأَعيش من فضله مذ كنتُ أَنا وأَبي ، وهذا تَضْريب[2] لا أُبالي به منك . وأَمّا حَمْلي النبيذَ معي ، فإنّ لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه ، وإن لم أَجده لم أَقدِر على الشرب وتنغّص عليّ يومئذٍ ، وإنّما حملته ليتمّ نشاطي وينتفعَ بي . وأَمّا طعني على ما اختاره ، فإنّي لم أَطعن على اختياره ، وإنّما أَردتُ تقويمَك ، ولست والله تراني مُتتبّعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقَوّماً شيئاً من خطئك ؛ وأَنا أُغنّي له ، أَعزّه الله ، هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم مَن حضر أنّك أَخطأتَ فيه وقصّرت . وأَمّا البَرامكة وملازمتي لهم فأَشهرُ من أن أَجحده ، وإنّي لحقيقٌ فيه بالمعذرة ، وأَحرَى أَن أَشكرهم على صَنِيعهم وبأَن أُذيعه وأَنشُرَه ، وذلك والله أَقلُّ ما يستحقّونه منّي . ثم أَقبل على الفضلِ ، وقد غاظه مدحُه لهم ، فقال : اسمع منّي شيئاً أُخبرك به ممّا فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أَبي قبلي ؛ فإن وجدتَ لي عذراً وإلاّ فلُمْ : كنت في ابتداء أَمري نازلاً مع أَبي في داره ، فكان لا

---

1 التامك : العظيم السنام من الإبل ، ومثله السنم .

2 التضريب : الاغراء بين القوم .

يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواريَّ وجواريه الخصومة ، كما تجري بين هذه الطبقات ، فيشكونهم إليه ، فأتبيّن الضَّجَر والتنكُّرَ في وجهه ؛ فاستأجرت داراً بقربه وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواريّ ، وكانت داراً واسعة ، فلَم أَرْضَ ما معي من الآلةِ لها ولا لمن يدخل إليّ من إخواني أن يَرَوْا مثلَه عندي ؛ ففكّرت في ذلك وكيف أصنع ، وزاد فِكري حتى خَطَر بقلبي قُبْح الأُحْدوثة من نزول مثلي في دار بأجرة ، وأنّي لا آمَنُ في وقت أن يستأذن عليّ صاحبُ داري ، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي ، فيُقال صاحبُ دارك ، أو يُوجّه في وقت فيطلب أجرة الدّار وعندي مَن أحتشمه ؛ فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامي بأن يُسرِجَ لي حماراً كان عندي لأمضيَ إلى الصحراء أتفرّج فيها ممّا دخل على قلبي ، فأسرجَه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفْضى بي المسيرُ وأنا مفكّر لا أميّز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد ؛ فتواثب غلمانه إليّ : وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير ؛ فدخلوا فاستأذنوا لي ؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيتُ خَجِلاً ، قد وقعت في أمرين فاضحين : إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أنّي قصدته في تلك الحال كان سوءَ أدب ، وإن قلت له : كنت مجتازاً ولم أقصِدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً ؛ ثم عزمتُ فدخلت ؛ فلمّا رآني تبسّم وقال : ما هذا الزِّيّ يا أبا محمّد ! إحتبسنا لك بالبرّ والقَصْد والتفقّد ثم علمنا أنّك جعلتنا طريقاً ؛ فقلت : لا والله يا سيِّدي ، ولكنّي أصْدُقك ؛ قال : هاتِ ؛ فأخبرته القصّة من أوّلها إلى آخرها ؛ فقال : هذا حقّ مستوٍ ، أفهذا شغل قلبك ؟ قلت : إي والله ؛ وزاد فقال : لا تَشغَلْ قلبَك بهذا ، يا غلام ، ردّوا حماره وهاتوا له خِلعة ؛ فجاءوني بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِع النبيذ فشربت وشرب فغنّيتُه ، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربعَ رِقاع ظننتُ بعضَها توقيعاً لي بجائزة ، فإذا هو قد دعا بعضَ وكلائه فدفع إليه الرِّقاع وسارّه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العَتَمة ؛ ثم اتّكأ يحيى فنام ، فقمت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدّم لي حماري ؛ فلمّا تجاوزت الدّارَ قال لي غلامي : إلى أين تمضي ؟ قلت : إلى البيت ؛ قال : قد والله بِيعتْ دارك ، وأُشهِد على صاحبها ، وابتيع الدَّرْبُ كلّه ووُزِن ثمنه ، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك ، وأظنّه اشترى ذلك للسلطان ، لأنّي رأيت الأمر في استعجاله واستحثاثه أمراً سلطانيّاً ؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل ؛ فلمّا نزلتُ على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سَارَّه يحيى قد قام إليّ فقال لي : ادخُل ، أيّدك الله ، دارَك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه ؛ فطابتْ نفسي بذلك ، ودخلتُ ودخل إليّ فأقرأني توقيعَ يحيى : «يُطلَق لأبي

محمّد إسحاقَ مائةُ ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها» . والتوقيع الثاني إلى ابنه الفَضْل : «قد أمرتُ لأبي محمّد إسحاقَ بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره ، فأطلِقْ إليه مثلَها ليُنفقها على إصلاح الدّار كما يريد وبنائها على ما يشتهي» . والتوقيع الثالث إلى جعفر : «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم يُنفقها على بنائها ومَرَمّتها على ما يريد ، فأطلِقْ له أنت مائةَ ألف درهم يَبتاع بها فرشاً لمنزله» . والتوقيع الرابع إلى محمّد : «قد أمرت لأبي محمد إسحاقَ أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة يُنْفقها عليه وفَرش يَبْتذِلُه ، فمُرْ له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته» . وقال الوكيل : قد حملتُ المالَ واشتريتُ كلَّ شيء جاورك بسبعين ألفَ درهم ، وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك ، وهذا المال بُورِك لك فيه فاقبِضه ؛ فقبضتُه وأصبحت أحسنَ حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي ؛ ولا والله ما هذا بأكبرِ شيء فعلوه لي ، أفألام على شكر هؤلاء ؟ فبكى الفضل بن الربيع وكلّ مَن حضر ، وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء . ثم قال الفضل : بحياتي غنِّ الصوت ولا تبخَل على أبي الحسن عَلّويه بأن تُقوِّمه له ؛ فقال : أفعل ؛ وغنّاه ، فتبيّن عَلّويه أنّه كما قال ، فقام فقبّل رأسَه وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كلّ أحد ؛ وردّه إسحاقُ مرّاتٍ حتى استوى لعلّويه .

[أكان ذلك عند علي بن هشام]

ولقد رُوي في هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصّة كانت عند عليّ بن هشام ، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني مَيْمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشميّ قالا : دعا عليّ بن هشام إسحاقَ الموصليّ وسأله أن يصطبح عنده ويُبَكِّر فأجابه ؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخارِق وعَلّويه ؛ فقال له عليّ بن هشام : أين كنتَ الساعةَ يا أبا محمّد ؟ قال : عاقني أمر لم أجد من القيام به بُدّاً ؛ فدعا له بطعام فأصاب منه ، ثم قعدوا على نبيذهم ، وتغنّى عَلّويه صوتاً ، الشعر فيه لابن ياسين ، وهو : [من الطويل]

صوت

إلهي مَنَحـــتَ الوُدّ منِّـي بخيلـةً ... وأنـــت عـلى تغييـر ذاك قديرُ
شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤه ... وإنّ امـرءاً أخفى الهـوى لصَبورُ

الغناء لسليمان أخي أُحَيْحة ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو ، فقال له إسحاق : أخطأتَ وَيْلَكَ ، فوضع عَلّويه العود وشرب رِطلاً وشرب عليّ بن هشام ؛ ثم تناول العود وغنّى : [من المديد]

صوت

ولقـد أَسْمُو إلى غُـرَفٍ   في طريقٍ مُوحِشٍ جُدَدُهْ[1]
حولـه الأَحراسُ تحرُسه   ولديــه جاثمــاً أَسَدُهْ

الغناء لَمعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ، فقال له إسحاق : أخطأْتَ وَيْلَكَ ؛ فوضع العود من يده ثم أَقبل على إسحاق فقال له : دعاك الأَمير ، أَعزّه الله ، لتُبَكّر إليه ، فجئتَه ظُهْراً ، وغنّيتُ صوتين يشتهيهما الأَمير أَعزّه الله عليّ فخطّأتني فيهما ، وزعمتَ أنّك لا تغنّي بين يدي الأَمير ، أَعزّه الله ، ولا تغنّي إلاّ بين يدي خليفة أو وليّ عهد ، ولو دعاك بعض البَرامكة لكنت تُسرع إليه ثم تغنّي مُنْذُ غُدْوةٍ إلى الليل ؛ فقال إسحاق : إنّي والله ما أَردت انتقاصاً منك ، ولا أَقول مثلَه لغيرك ولا أُريد ازدراءً من أَحد ، ولكنّي أَردت بك خاصّةً التقويمَ والتأديب ؛ فإن ساءك ذلك تركتُك في خطئك . ثم أَقبل على عليّ بن هشام ، فقال له : أَعزّك الله ، إنّي أُحدّثك عن البَرامكة بما يُقيم عذري فيما ذكره : دخلت على يحيى بن خالد يوماً ، ولم أَكن أَردت الدخولَ عليه ، وإنّما ركبت متبذِّلاً[2] لهمٍّ أَهمّني ، وكنت نازلاً مع أَبي في داره ، فضِقْتُ صدراً بذلك وأَحببت النُقْلة عنه ، ونظرت فإذا يدي تَقْصُر عمّا يُصْلحني ؛ ثم ذكر الخبرَ نحواً ممّا قلته . وزاد فيه : أنّه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبِح ، فلمّا رآه نعَر وصفّق ، وأنّه وقّع له بمائتيّ أَلف درهم ، ووقّع له كلٌّ من جعفر والفَضْل بمائة وخمسين أَلفاً ، وكلٌّ واحد من موسى ومحمّد بمائة أَلف مائة أَلف . وقال فيه : فبكى عليّ بن هشام ومَن حضر ، وقالوا : لا يُرى والله مثلُ هؤلاء أَبداً ؛ وأَخذ إسحاقُ العودَ فغنّى الصوتين فأَتى فيهما بالعجائب ؛ فقام عَلّويه فقبّل رأسه وقال له : أَنت أُستاذنا وابن أُستاذنا ، وما بنا عن تقويمك غِنيً ؛ ثم غنّى بعد ذلك لحنَه : «تشكّى الكميتُ الجريَ» ، ولم يزل يغنّي بقيّةَ يومه كلّما شرب عليّ بن هشام ؛ ثم انصرف فأَتبعه عليّ بن هشام بجائزة سنيّة .

[رأي عبد الله بن العبّاس الربيعي في غنائه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا عَوْن بن محمّد قال حدّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : أَحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مُصعَب ، فلمّا جلست واطمأننت ، أُخرج إليّ خادمُه رقعةً ، فقال : اقرأ ما فيها واعمل بما رسَمه الأَمير أَعزّه الله ؛ فقرأتها فإذا فيها قوله : [من البسيط]

صوت

يرتاح للدَّجْن قلبي وهو مقتسَمٌ   بين الهموم ارتياحَ الأَرض للمطرِ[3]

---

1 الجدد : المعالم ، جمع جدة .

2 التبذل : ارتداء الملابس التي تلبس عادة في البيت .

3 الدجن : إلباس الغيم الأرض .

إنّي جعلـتُ ليـوم الدَّجْن نِحْلتَه ... ألاّ يزولَ ولي في اللهو من وَطَرِ[1]

وتحت هذين البيتين : «تقدّمْ ، جُعِلت فداك ، إلى مَنْ بحضرتك من المغنّين بأن يُغنّوا في هذين البيتين ، والْقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة ؛ فإذا أخذتْه فأنفِذْها إليّ مع رسولي» ؛ فقلت : السمعُ والطاعة لأمر الأمير أعزّه الله ، فهل صنع فيهما أحد قبلي ؟ فقال : نعمْ ، إسحاق الموصليّ ؛ فقلت : والله لو كُلِّف إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه ، ما قدَر على ذلك ولا بلغ مبلغَه ؛ فضحك حتى استلقى ، وقال : صدقتَ والله ؛ وهكذا يقول مَن يعقل لا كما يقول هؤلاء الحَمْقى ، ولكن اصنعْ فيهما على كلّ حال كما أمر ؛ فقلت : أفعل وقد بَرِئْتُ من العُهدة ؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القَرّادين .

[بكى لظهور الشيب في رأسه]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني ميمون قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال لي المعتصِم أو قال لي الواثِق : لقد ضحِك الشَّيْب في عارضَيْك ؛ فقلت : نعم يا سيِّدي ، وبكيت ؛ ثم قلت أبياتاً في الوقت وغنَّيت فيها : [من المتقارب]

تولَّـى شبابُـك إلاّ قليـلا ... وحَـلَّ المَشيبُ فصبراً جميلاَ

كفـى حَزَنـاً بفِراقِ الصِّبا ... وإن أصبح الشيبُ منه بَدِيلا

ولمّـا رأى الغانيـاتُ المَشيـ ... ـبَ أغضَيْنَ دونك طَرْفاً كَلِيلا

سأنـدُبُ عهـداً مضى للصِّبا ... وأبكي الشبابَ بكاء طويلا

فبكى الواثق وحزِن وقال : والله لو قدَرتُ على ردّ شبابك لفعلتُ بشَطْر مُلكي ؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلاّ تقبيل البساط بين يديه .

[جهد المغنّون أن يأخذوا لحناً له فلم يستطيعوا]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدَّثني حَمْدون بن إسماعيل قال : لمّا صنع أبوك لحنَه في : [من المنسرح]

قِفْ بالديـار التي عَفـا القِدَمُ ... وغيَّرتْهـا الأرواحُ والدِّيَـمُ[2]

رأيتهم (يعني المغنّين) يأخذونه عنه ويَجْهَدون فيه ؛ فتُوُفِّي والله وما أخذوا منه إلاّ رَسْمَه .

---

1 النحلة : المذهب ، ويعني هنا أنّه يجعل ليوم الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو .

2 الأرواح : جمع ريح كأرياح ورياح .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المنسرح]

قِفْ بالديـار التي عَفا القِدَمُ ... وغيَّرتْهـا الأَرواحُ والدِّيَمُ
لّما وقفْنا بهـا نسائِلُها ... فاضت من القوم أعينٌ سُجُمُ
ذِكْراً لعيشٍ مضى إذا ذكَروا ... مـا فـات منه فإنّـه سَقَمُ
وكلّ عيش دامـت غَضارتُه ... منقطِـعٌ مـرّةً ومنصَرِمُ

الشعر والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جميع أغانيه .

حدَّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال حدَّثني هارون اليَتيم قال حدَّثني عُجَيف بن عَنْبَسة قال : كنت عند أمير المؤمنين المعتصِم وعنده إسحاق الموصليّ ، فغنّاه : [من مجزوء الخفيف]

قُلْ لَمن صَدّ عاتبا ... ونأى عنكَ جانِبا

فأمره بإعادته ، فأعاده ثلاثاً ، وشرب عليه ثلاثاً ؛ فقال له إبراهيم بن المهديّ : قد استحسنتَ هذا الصوت يا أمير المؤمنين ، أفنأخذه ؟ قال : نعم ، خذوه فقد أعجبني ؛ فاجتمع جماعةُ المغنِّين : مُخارِقٌ وعَلّويه وعَمْرو بن بانة وغيرهم ، فأمره المعتصم أن يُلقيَه عليهم حتى يأخذوه ؛ فقال عُجَيف : فعددتُ خمسين مرّة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنّون أنّهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه . قال هارون : فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، فقال له عُجَيْف : يا أبا جعفر ، كنت أُحدِّث أبا موسى بحديثنا البارحةَ مع إسحاقَ في الصوت وأنّي عددت خمسين مرّة ؛ فقال محمّد : إي والله ؛ أصلحك الله ، ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّة وما في القوم أحد إلاّ وهو يظنّ أنّه قد أخذه ، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أوّلهم ما قدَرت ، علم الله ، على أخذه على الصحّة وأنا أسرعُهم أخذاً ، فلا أدري : أَلِكثرَة زوائده فيه أم لشدّة صعوبته ؛ ومَن يقدِر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً ؟ . أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني عُجَيْف بن عَنْبَسة بهذا الخبر فذكر مثلَه سواء .

[ينظم شعراً على وزن أعجب المعتصم]

قال أبو أيّوب وحدّثني حَمّاد عن أبيه قال : كنت يوماً عند المعتصم ، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال : وَدِدت أنّه على غير ما هو ؛ فقلت له : أنا لك به على هذا الوزن في أحسنَ من هذا الشعر : [من مجزوء الخفيف]

صوت

قُلْ لمـن صدَّ عاتبا ... ونـأى عنك جانِبا
قد بلغتَ الذي أرد ... ت وإن كنت لاعبا

فأعجبه ، وقال لي : قد والله أحسنت ؛ وأمر لي بألفَيْ دينار ، ووالله ما كانت قيمتهما عندي دَانِقَيْن .

الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاقَ ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

[غضب عليه الأمين فتشفّع إليه بالفضل بن الربيع ثم دخل عليه بالأنبار وغناه فأطربه فأجازه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدَّثني ابن المَكّيّ عن إسحاق قال : غَضِب عليَّ المخلوع[1] فأقصاني وجفاني ، فاشتدّ ذلك عليّ ، قال : وجفاني وهو يومئذٍ بالأنبار ، فحمَلتُ عليه بالفضل بن الربيع ، فطلب إليه فشفّعه المخلوعُ ودعاني وهو مُصْطبِح ، فلم أزل متوقّفاً وقد لبستُ قَباءً وخُفّاً احمرَ واعتصبتُ بعِصابة صفراءَ وشدَدت وسطي بشُقّةٍ حمراء من حرير ؛ فلمّا أخذوا في الأهزاج دخلتُ وفي يديَّ صَفّاقتان وأنا أتغنّى : [من المجتث]

صوت

اسمعْ لصوتٍ طريبٍ   من صَنْعَةِ الأنْباري[2]
صوتٍ مليح خفيف   يطيــرُ في الأوْتــارِ

الشعر والغناء لإسحاقَ ، هزجٌ بالبنصر ، فسُرّ بذلك محمّد ، وكان صوتهم في يومهم ذلك ، وأمر لي بثلثمائة ألف درهم . وأخبرني جَحْظة بهذا الخبر عن محمَّد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ قال حدَّثني أبي أنّ إسحاق حدَّثه بهذا الخبر ، وذكر مثل ما ذكره يحيى ؛ وزاد فيه قال : وكان سبب تسمية محمّد لي بـ«الأنباري» أنّي دخلت عليه يوماً وقد لُثْتُ[3] عمامتي على رأسي لَوْثاً غير مستحسَن ، فقال لي : يا إسحاق ، كأنّ عمامتك من عمائم أهل الأنبار .

[الأصمعيّ يغيّر رأيه في شعرٍ أعجبه]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمّي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني عمّي الفَضْل عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني أبي : قال إسحاق : قلت في ليلة من الليالي : [من الخفيف]

صوت

هــل إلى نظــرةٍ إليــكِ سبيلُ   يُرْوَ منها الصَّدى ويُشْفى الغليلُ[4]
إنّ مــا قــلّ منك يكثُر عنــدي   وكثيرٌ ممّــن تحــبّ القليــلُ

---

1 المخلوع هو محمد الأمين .
2 طريب في ل : طريف .
3 لاث عمامته : لفّها وعصبها .
4 جزم الفعل لضرورة الشعر .

قال : فلمّا أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ ، فقال : هذا الدّيباج الخُسْرُوانيّ ، هذا الوَشْي الإسكندرانيّ ، لَمن هذا ؟ فقلت له : إنّه ابن ليلته ؛ فتبيّنت الحسدَ في وجهه ، وقال : أفسدتَه ، أفسدتَه ، أما إنّ التوليد فيه لبيِّن . في هذين البيتين لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال حدَّثني إسحاق بهذا الخبر ، فذكر مثل ما ذكره مَن قُدِّمت الرواية عنه ، وزاد فيه : فقال لي عليّ بن يحيى بعَقِب هذا الخبر : كان إسحاق يُعْجَب بهذا المعنى ويكرِّره في شعره ، ويرى أنّه ما سُبِق إليه ؛ فمن ذلك قوله : [من مجزوء الرمل]

صوت

أيُّهـا الظّبـيُ الغَريرُ هل لنـا منك مُجِيرُ
إنّ مـا نَوّلتنـي منـ ـكَ وإنْ قـلَّ كثيرُ

لحن إسحاقَ فيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، فقلت : إنّك قد سُبِقت إلى هذا المعنى ، فقال : ما علمتُ أنّ أحداً سبقني إليه ؛ فأنشدته لأعرابيّ من بني عُقَيْل : [من الطويل]

قِفِي وَدِّعينا يـا مليحُ بنظرةٍ فقـد حان منّا يا مليح رحيلُ
أليس قليـلاً نظرةٌ إنْ نظرتُها إليكِ وكَلاَّ ليس منـك قليلُ
عُقَيْلِيّةٌ أمّـا مَـلاثُ إزارها فوَعْثٌ وأمّا خَصْرُها فضئيلُ[1]

صوت

[من الطويل]

أيا جنّةَ الدنيا ويـا غايةَ المُنى ويا سُؤْلَ نفسي هل إليكِ سبيلُ
أراجعةٌ نفسي إليّ فأغتـدي مع الرَّكْب لم يُقْتل عليكِ قتيلُ
فما كلَّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ولا كلَّ يومٍ لي إليكِ رسولُ

قال : فحلف أنّه ما سمِع بذلك قطُّ . قال عليّ بن يحيى : وصدق ، ما سمع بها . الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيليّ .

[حوار لطيف بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسين بن محمّد بن أبي طالب الدِّيناريّ بمكّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : عاتبني إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء إليه ، فقال لي : مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأياً حازماً ، فاجمعْ له مع المحبّة الخالصة طاعةً لازمة ؛ فقلت لـه : جعلنـي الله فـداك ، إذا ثبتتِ الأُصول في القلوب ، نطقتِ الألسنُ

1 «فوعث وأمّا خصرها فضئيلُ» في ل : «فدعص وأما خصرها فنحيل» . ملاث الإزار : ما يلفّه الإزار دون الخصر . الوعث : اللين ، والدعص : كثيب الرمل .

بالفروع ، والله يعلم أنّ قلبي لك شاكر ، ولساني بالثناء عليك ناثر[1] ؛ وما يظهر الودّ المستقيم ، إلاّ من القلب السليم ؛ قال : فأبرِىء ساحتَك عندي بكثرة مجيئك إليّ ؛ فقلت : أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نُوَبًا أتيقّظ لها كتيقّظي للصلوات الخمس ، وأكون بعد ذلك مقصّراً ؛ فضحك وقال : مَن يقدِر على جواب المغنّين ؟ ؛ فقلت : مَن اتّخذ الغناءَ لنفسه ولم يتّخذه لغيره ؛ فضحك أيضاً ، وأمر لي بخِلَع ودنانير وبِرْذَوْن وخادم . وبلغ الخبرُ المعتصَم ، فضاعف لإبراهيم ما أعطاني ، فرُحتُ[2] وقد ربِحت وأربحتُ .

[عتب عليه الفضل بن الربيع]

حدَّثنا الحِرْميّ قال حدّثنا الدِّيناريّ قال حدَّثني إسحاق قال : عتَب عليَّ الفضلُ بن الرَّبيع في شيء بلغه عني ؛ فكتبت إليه : «إنّ لكلّ ذنب عفواً وعقوبة ؛ فذنوب الخاصّة عندك مستورة مغفورة ، فأمّا مثلي من العامّة فذنبه لا يُغفر ، وكسره لا يُجبر ؛ فإن كنتَ لا بدّ معاقِبي فإعراضٌ لا يؤدّي إلى مقت» .

[جواب الأعرابيّ للفضل بن الربيع]

حدَّثني الحِرْميّ قال حدَّثنا الدِّيناريّ قال حدّثني إسحاق قال : كان يختلف إليّ رجلٌ من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع يقرِّبه ويستظرف كلامَه ، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه ؛ فقال له الفضل : فيم كنتم ؟ قال : كنّا في قِدْرٍ تَفُور ، وكأس تَدُور ، وغناء يَصُور[3] ، وحديثٍ لا يَحُور[4] .

[كان يصنع الشعر وينحله الأعراب]

حدَّثنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الحسين بن طالب قال : كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب ، وينشدناه للأعراب ، وكان يُعايي بذلك أصحابَه ويُغْرب عليهم به ؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابيّ : [من الكامل]

لفَظ الخدورُ عليك حُوراً عِينًا ... أنسَيْن ما جمع الكِناسُ قَطِينا[5]
فإذا بَسَمْنَ فعَنْ كمثل غَمامةٍ ... أو أقْحُوان الرمل بات مَعِينا[6]

---

1 ل : ناطق .
2 ل : فرجعت .
3 يصور : يصوت .
4 لا يحور : لا يرجع أي أنّه متجدّد طلي .
5 لفظ : أخرج .
6 معين : ريّان .

وأصحُّ من رأتِ العيونُ محاجراً ولهـنّ أمرضُ ما رأيت عيونا
وكأنّما تلك الوجوهُ أهِلّةٌ أقْمَرْنَ بين العشْر والعشرينا
وكأنّهـنّ إذا نَهَضْنَ لحاجـةٍ ينهضن بالعَقِداتِ مـن يَبْرِينا[1]

قال : وأنشدني أيضاً ممّا كان ينسُبه إلى الأعراب وهو له : [من الطويل]

ومكحولة العينيْن من غير مـا كُحْلِ مُهَفْهَفَة الكَشْحَيْن ذات شَوىً خَدْلِ[2]
مُنعَّمَـة الأطـراف مُفعَمـة البُرى روادفُها تَحكي الدَّهاس مـن الرملِ[3]
صَيُود لألباب الرجـال ، متى رنتْ إلى ذي نُهىً جَلْد القُوى وافِر العقلِ[4]
تخلّى النُّهـى عنـه وحالفـه الصِّبا وأسلمـه الرأيُ الأصيل إلى الجهلِ
شبيبـة كُثْبـانٍ يَرُوقـك تحتهـا عناقيدُ كـرم جادَهـا غَدَق الوَبْلِ
رمتْني فحلّـت نائطـيَّ ولم تُصِب لهـا نائطَيْ قلـبٍ ولا مَقتـلاً نَبْلي[5]

[رأي الرشيد في شعره]

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمّد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثت عن الأصمعيّ قال : دخلت أنا وإسحاق الموصليّ يوماً على الرشيد فرأيناه لَقِسَ[6] النّفْس ؛ فأنشده إسحاق يقول : [من الطويل]

صوت

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقْصُرِي فذلِكِ شيءٌ مـا إليـه سبيلُ
أرى الناسَ خُلاّنَ الكرامِ ولا أرى بَخيلاً لـه حتّى المماتِ خليلُ
وإنّي رأيتُ البُخـل يُزْرِي بأهله فأكرمتُ نفسي أنْ يُقال بخيلُ
ومن خير حالات الفتى لو علمتِه إذا نـال خيراً أن يكـونَ يُنيلُ[7]
فعالي فعـالُ المُكثِريـن تجمُّلاً ومـالي كما قـد تعلميـن قليلُ
وكيف أخافُ الفقر أو أُحرَمُ الغِنَى ورأيُ أميـر المؤمنيـن جميـلُ

---

1 العقدات : جمع عقدة وهي ما تراكم من الرمل وتعقّد . ويبرين : جانب من الدهناء .
2 الشوى الخدل : الأطراف الممتلئة .
3 البرى : السوار أو الخلخال . الدهاس : المكان اللين السهل .
4 متى رنتْ في ل : إذا رنت .
5 النائط : العرق المستبطن الصلب تحت المتن .
6 لقست نفسه : غثت وخبثت .
7 رواية ل : ومن خير خلات الفتى لو علمته إذا نـال خيـراً أن يقـالَ نبيلُ

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله ؛ ثم قال : لله دَرّ أبيات تأتينا بها ؛ ما أشدَّ أصولَها ، وأحسنَ فُصولها ، وأقلّ فُضولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم ؛ فقال له إسحاق : وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلامَ آخُذ الجائزة ! فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم . قال الأصمعيّ : فعلمتُ يومئذٍ أنّ إسحاق أحذقُ بصيد الدراهم منّي . وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدامة عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريباً ممّا ذكره الأصمعيّ والألفاظ تختلف .

[يرتجل رجزاً في حفيد الفضل]

أخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، وأخبرني به جعفر بن قُدامة ووَكيع عن حَمّاد عن أبيه قال : كنتُ عند الفضل بن الرَّبيع يوماً ، فدخل إليه ابن ابنه عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل وهو طفل ، وكان يَرِقّ عليه لأنّ أباه مات في حياته ، فأجلسه في حِجْره وضمَّه إليه ودمَعتْ عيناه ؛ فأنشأتُ أقول : [من الرجز]

صوت

مَـدَّ لـكَ اللهُ الحيـــاةَ مَـدّاً حتى يكونَ ابنُك هذا جَدَّا
مـؤَزّراً بمجـــده مُـردَّى ثـم يُفـدَّى مثلَ ما تُفَـدَّى
أشبـــه منك سُنّة وخَـــدّا وشِيَمـاً مَرْضيّة ومجـــدا
كأنّـــه أنــت إذا تَبـدَّى شمائـــلاً محمـودةً وقَـــدّا

قال : فتبسّم الفضلُ وقال : أمْتعني الله بك يا أبا محمّد ، فقد عُوّضتُ من الحزن سروراً وتسلّيتُ بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله . قال جعفر بن قُدامة : وحدَّثني بهذا الحديث عليّ بن يحيى ، فذكر أنّ إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حِجْره ابنٌ له .

غنّى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرَّمَل ، يقال : إنّه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدٌ ثم غنَّى به . وأخبرني ذُكاء وجه الرزّة عن بِذْعة الكبيرة : أنّ الرمل لعَرِيبَ ، وأنّ لحن أبي عيسى خفيفُ رملٍ .

[عيادته الفضل بن الربيع]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني الفضل بن محمّد اليَزيديّ عن إسحاق قال : أتيتُ الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛ فقلت في مجلسي ذلك : [من الطويل]

إذا مـا أبو العبّاس عِيدَ ولم يَعُد رأيتَ مَعُوداً أكرمَ الناسِ عائدا

وجـــاء بنـــو العبّاس يبتدرونه مِراضاً لما يشكوه مَثْنى وواحدا
يُفَدُّونـه عند السلامِ وكلُّهـم مُجِلٌّ لـه يدعـوه عَمّـا ووالدا

قال : وكان الفضل مضطجعاً ، فأمر خادماً له فأجلسه ، ثم قال لي : أعِد يا أبا محمّد فأعدتُ ، فأمرني فكتبتُها ، وسُرَّ بها وجعل يردّدها حتى خفِظها .

[استرضاؤه الفضل بن الربيع]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق ، وأخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : جاءَني الزُّبير بن دَحْمان يوماً مسلِّماً فاحتبسته ؛ فقال لي : أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه ؛ فقلت له : [من الطويل]

أَقِمْ يـا أبا العوّام وَيْحك نَشْرَبِ ونَلْـهُ مع اللاّهين يوماً ونَطْرَبِ[1]
إذا مـا رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه فخُذْه بشكرٍ واترِك الفضلَ يغضَبِ

فأقام عندي وسُرِرنا يومَنا ؛ ثم صار إلى الفضل ؛ فسأله عن سببِ تأخره عنه ؛ فحدَّثه الحديثَ وأنشده البيتين ؛ فغضِب[2] وحوّل وجهَه عنّي ، وأمر عوناً حاجبَه بألاّ يُدخلني إليه ولا يستأذنَ لي عليه ولا يُوصِلَ لي رقعةً ؛ فقلت : [من الطويل]

حرامٌ عليّ الكأسُ ما دُمتَ غضبانا ومـا لم يَعُـد عنّي رضاك كما كانا
فأَحسِنْ فإنّي قد أسأتُ ولم تَزَلْ تُعـوّدني عنـد الإساءة إحسانـا

قال : وأنشدته إيّاهما ، فضحك ورضي عنّي وعاد إلى ما كان عليه . وقد أخبرني بهذا الخبر محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه ، فذكر مثلَه وزاد فيه : فقلت في عَوْن حاجبه : [من الخفيف]

عَوْنُ يـا عونُ ليس مثلَك عونُ أنت لي عُـدّةٌ إذا كان كَوْنُ
لك عندي والله إن رَضِيَ الفضـ ـل غلامٌ يُرضيك أو بِـرْذَوْنُ

قال : فأتى عَوْنٌ الفضلَ بالشّعرَيْن جميعاً ؛ فقرأهما وضحك وقال : وَيْحَك ! إنّما عرض لك بقوله : «غلام يُرضيك» بالسَّوءة ؛ قال : قد وعدَني ما سمعت ، فإن شئتَ أن تَحْرمنيه فأنت أعلم ! فأمره أن يُرسل إليّ ؛ فأتاني رسولُه فصِرتُ إليه فرضِي عنّي ؛ ووفيتُ لعونٍ .

أخبرني جَحْظة قال حدَّثني محمّد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ المرتجِل قال حدَّثني أبي قال

1 العوام في : ل : العباس .
2 ل : فعتب عليّ .

حدَّثني الزُّبير بن دَحْمان قال : دخلتُ يوماً على الفضل بن الرَّبيع مُسلِّماً ؛ فقال لي : قد عزمتُ غداً على الصَّبُوح ، فصِر إليّ بُكْرةً ؛ فكنت أنا والصبحُ كفرَسَيْ رِهان ؛ فلمّا أصبحتُ من غدٍ جعلتُ طريقي على إسحاقَ بن إبراهيم فدخلت إليه ، فلمّا جلستُ قال لي : أقِم اليومَ عندي ؛ فعرّفته خبري ؛ فقال : [من الطويل]

أقِم يـا أبا العَوّام وَيْحَك نشربِ ونَلْـهُ مـع اللاَّهين يوماً ونطربِ
إذا مـا رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه فخذه بشكرٍ واترُكِ الفضل يغضبِ

فقلت : إنّي لا آمنُ غضبَه ، وأنا بين يديك ؛ فقال لي : أنت تعلم أنّ صَبوح الفضل أبداً في وقت غَبُوق الناس ، فأقِمْ وارفُقْ بنفسك ثم امضِ إليه ؛ فأجبته إلى ذلك ؛ فلمّا شربنا طاب لي الموضع ، فأقمتُ حتّى سكِرتُ . وذكر باقيَ الخبر نحواً ممّا ذكر إسحاق . انتهى .

[كان يبذّ كلَّ المغنّين]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني محمّد بن المكّيّ المُرْتجِل قال : قلت لزُرْزُور الكبير : كيف كان إسحاق يَنْفُق على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيمُ بن المهديّ ومُخارِقٌ أطيبُ أصواتاً وأحسنُ نَغَمَةً ؟ قال : كنّا والله يا بنيّ نحضُر معه فنجتهد في الغِناء ونُقيم الوَهَجَ[1] فيه ويُقبل علينا الخلفاء[2] ، حتى نطمعَ فيه ونظنَّ أنا قد غَلَبْناه ، فإذا غنّى عمِل في غنائِه أشياء من مُدَراتِه وحِذْقه ولُطْفه حتى يُسقطنا كلّنا ويُقبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويُجيزَه دوننا ويُصغيَ إليه ، ونرى أنفسَنا اضطراراً دونه .

[أوّل مَن أحدث التخنيث في الغناء]

حدَّثنا جَحْظة قال حدّثني محمّد بن أحمد المَكّيّ قال حدَّثني أبي قال : كان المغنُّون يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسنُ صوتاً منه ، ولم يكن فيه عيبٌ إلاّ صوتَه فيطمعون فيه ؛ فلا يزال بلُطفه وحِذْقه ومعرفته حتى يغلِبَهم ويَبُذَّهم جميعاً ويفضُلَهم ويتقدَّمهم . قال : وهو أوّل مَنْ أحدث التخنيثَ ليوافقَ صوتَه ويشاكلَه ، فجاء معه عجباً من العَجَب ؛ وكان في حَلْقه نبوٌّ عن الوتر . أخبرني علي بن يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو العنبس بن حَمْدون : أنّ إسحاق أوّل مَن جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يُعرف ، وإنّما احتال بحذقه لمُنافرة حَلْقه الوتر ، حتّى صار يُجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له في السمع .

[كان المغنّون يتهاونون في غيبته فإذا حضر جدّوا]

أخبرنا جَحْظة قال حدَّثني الهِشاميّ عن أبيه قال : كان المغنّون إذا حضروا وليس إسحاقُ

1 ل : المزج .
2 ل : الخليفة .

معهم غنُّوا هوينا وهم غير مفكِّرين ؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلاّ الجِدّ .

[قصّته مع نافذ حاجب جعفر بن يحيى]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال لي أبي وقد انصرف من دار الرشيد : رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَستبطِئك ويقول : لستُ أراه ولا يَغشاني ؛ فقلت : إنّي لآتيه كثيراً فأُحْجَب عنه ويصرفني نافذٌ حاجبُه ويقول : هو على شُغْل ؛ قال : فبلَّغه أبي ذلك ؛ فقال له : قُل له : أنِكْه أمَّه إذا فعل ؛ فأقمتُ أيّاماً ثم كتبتُ إليه : [من المتقارب]

جُعِلتُ فداءكَ من كلّ سوءٍ ... إلى حُسْن رأيك أشكو أناسا

يَحُولون بيني وبين السلام ... فلستُ أُسلِّم إلاّ اختلاسا

وأنفذتُ أمرك في نافذٍ ... فما زاده ذاك إلاّ شِماسَا

وقد أخبرني بهذا الخبرَ محمدُ بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه ، فذكَر مثلَه وقال : كان خادمٌ يحجُبه يقال له : نافِذ ، فقال : إذا حَجبك فَنِكْه ؛ فلمّا كتبتُ إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني ؛ فلمّا دخلتُ إليه أحضر نافِذاً وقرأ الأبيات عليه ، وقال لي : أفعلتَها يا عدوَّ الله ! فغضِب نافذٌ حتّى كاد يبكي ، وجعل جعفرٌ يضحك ويصفّق ؛ ولم يعد بعد ذلك للتعرّض لي .

[غضب المأمون عليه وشكّ أبي الفرج في ذلك]

حدَّثني الحسين بن أبي طالب قال حدَّثني[1] عبيد الله بن المأمون ، وأخبرنا اليَزيديّ عن عمِّه عُبيد الله عن أبيه قال : غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم ، ثم كُلِّم فيه فرَضي عنه ودَعا به ؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرضَ بين يديه واستقاله ؛ فأجابه المأمونُ جواباً جميلاً ، ثم قال له في أثناء كلامه : [من المتقارب]

فلا أنتَ أعتبتَ من زَلّة ... ولا أنتَ بالغتَ في المَعْذِرهْ

ولا أنتَ ولّيتني أمرَها ... فأغفِرَ ذنبك عن مَقْدِرهْ

هكذا في الخبر ؛ وأظنّه إسحاقَ بن إبراهيم الطاهريّ لا الموصليّ .

[أنشد أبا الأشعث الأعرابيّ شعراً له فأُعجب به]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسينُ بن أبي طالب قال حدَّثني إسحاقُ قال : أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيَّ شعراً لي ، فقال : والذي أصوم له مخافتَه ورجاءَه ، إنّك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه ، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يديّ[2] ، وإنّ في كِبَرك لَما زان الجليسَ وسرّه .

---

1 ل : حدّثني الحرمي قال حدّثنا الديناري قال حدّثنا . . . . .

2 ل : عينيّ .

[حديث له مع زهراء الكلابيّة]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الدِّيناريّ قال حدَّثنا إسحاق قال : قالت لي زَهْراءُ الكِلابيّة : ما فعل عبدُ الله بن خُرْداذْبه ؟ فقلتُ : مات ؛ فقالت : غيرَ ذميم ولا لئيم ، غفر اللهُ لصَدَاه ، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك . قال : فقلتُ لزَهْراء : حدِّثيني عن قول الشاعر : [من الطويل]

أُحِبُّك أَنْ أُخْبِرتُ أَنَّكِ فارِكٌ ... لزوجِك إنّي مُولَعٌ بالفَوارِكِ[1]

ما أَعجبَه من بغضها لزوجها ؟ فقالت : عرَّفتْه أَنَّ في نفسها فَضْلةً من جمال وشَمْخاً بأَنفها وأُبَهةً ، فأَعْجَبَتْه .

[غنّى المعتصم وهو لقس النفس فأطربه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال حدَّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثْتُ عن غير واحد : أنّ إسحاق الموصليّ دخل على المعتصم يوماً من الأَيّام فرآه لقِسَ النَّفْس ، فقال له : أَما ترى يا أَمير المؤمنينَ طِيبَ هذا اليوم وحُسْنَه ؟ ؛ فقال المعتصمُ : ما يدعوني حسْنُه إلى شيءٍ ممّا تريد ولا أَنشَطُ له ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إنّه يومُ أَكلٍ وشُربٍ ؛ فاشرب حتى أُنشِّطَك ؛ قال : أَوَ تفعلُ ؟ قال : نعم ؛ قال : يا غِلْمان ، قدِّموا الطعامَ والشرابَ ومُدُّوا الستارةَ ، وأَحْضِروا الندماءَ والمغنِّين ؛ فأُتي بالطعام فأَكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماءُ والمغنُّون ؛ فغنّاه إسحاق : [من الوافر]

صوت

سُقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السلامِ ... فنِعْم مَحَلّةُ المَلِك الهُمَامِ

لقد نَشَرَ الإلـه عليك نُوراً ... وخصّك بالسَّلامة والسلامِ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ بالسبّابة في مَجْرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أَنّ فيه للزُّبَير بن دَحْمان لحناً من الرَّمَل بالوسطى . قال : فطرِب المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً ، ولم يبقَ أَحدٌ بحضرته إلاّ وصَله وخلَع عليه وحمَله ؛ وفَضّل إسحاقَ في ذلك أَجمع .

[أول جائزة نالها من الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدَّثنا ابن أَبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن إسحاق قال : أَوّل جائزة أَخذتُها من الرشيد أَلفُ دينار في أَوّل يوم دخلتُ إليه فغنّيتُه : [من مجزوء الرمل]

عَلِقَ القلبُ بزَوْعا

فاستحسنه واستعاده ثلاثَ مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أَرطالٍ وأَمر لي بأَلف دينار ؛ فكان أَوّل جائزةٍ أَجازَنِيها .

1 لزوجك في ل : لعمرك . والفارك من النساء : هي الكارهة لزوجها .

[أبى القدح من يد غلام قبيح الوجه]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال[1] : كان أَبي ذاتَ يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعَب ، فلمّا جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسقُون مَنْ حضَر ، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أَبي بقَدَحِ نبيذٍ فلم يأخذه ؛ ورآه إسحاق فقال له : لِمَ لا تشرب ؟ فكتب إليه أبي : [من البسيط]

إصْبَحْ نديمَك أَقداحاً يُسَلْسِلُها ... من الشَّمُول وأَتْبِعْها بأَقداحِ
من كفِّ رِيم مَليح الدَّلّ رِيقته ... بعد الهُجُوع كمِسْك أَو كتُفّاحِ
لا أَشربُ الرَّاح إلاّ من يديْ رَشإٍ ... تقبيلُ راحتِه أَشهى من الرّاحِ

فضحك وقال : صدَقتَ والله ، ثم دعا بوصيفةٍ كأنّها صورةٌ ، تامّةُ الحُسن لطيفةُ الخَصْر في زِيّ غُلام عليها أَقْبِيةٌ ومِنْطَقةٌ ، فقال لها : تَوَلَّيْ سَقْيَ أَبي محمّد ؛ فما زالت تَسقِيه حتى سكر ؛ ثم أَمر بتوجيهها وكلَّ مالَها في دارِه إليه ، فحُمِلتْ معه .

[مودّة بينه وبين زهراء الكلابيّة]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال حدَّثني عليّ بن الصَّبّاح قال : كانت امرأَةٌ من بني كِلاب يُقال لها زَهْراء تحدّث إسحاقَ وتُناشدُه ، وكانت تَميل إليه ، وتَكْني عنه في عشيرتها إذا ذكَرَته بجُمْل ؛ قال : فحدَّثني إسحاقُ أَنّها كتبتْ إليه وقد غابت عنه تقول : [من البسيط]

وَجْدِي بجُمْل على أَنّي أُجَمْجِمُه ... وجدُ السَّقيم ببُرءٍ بعد إدْنافِ[2]
أَو وجدُ ثَكْلى أَصاب الموتُ واحدَها ... أَو وجدُ مُغتربٍ من بين أُلاّفِ

قال : فأَجبتُها : [من البسيط]

أَقرِ السلامَ على الزَّهْراء إذ شَحَطَتْ ... وقُلْ لها قد أَذَقْتِ القلبَ ما خافا
أَما رَثَيْتِ لمن خلّفتِ مكتئباً ... يُذْري مدامعَه سَحّاً وتَوْكافا[3]
فما وَجَدْتُ على إلفٍ أُفارقُه ... وجْدِي عليك وقد فارقتُ أُلاّفا[4]

[يوم الماوشان]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثني عبدُ الله بن أَبي سعد قال حدَّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال

---

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 42 (رقم 62) .
2 أجمجمُه : أكتمه وأخفيه .
3 أما رثيت في ل : أما أويت . توكاف : سيل الدمع قليلاً قليلاً .
4 أفارقه في ل : فجعت به .

أنشدني إسحاقُ لنفسه : [من الطويل]

سقى اللهُ يــوم الماوَشانِ ومَجْلساً ... به كان أَحْلى عندنا من جَنى النَّحلِ[1]
غَداةَ اجتنينا اللَّهــوَ غَضّاً ولم نُبَلْ ... حِجابَ أَبي نصر ولا غَضْبَة الفضلِ[2]
غَدَوْنا صِحاحاً ثــم رُحْنا كأنّنا ... أَطاف بنا شرٌّ شديدٌ مــن الخَبْلِ

فسألتُه أن يكتبها ففعل ؛ فقلت له : ما حديث الماوَشان ؟ فضحك وقال : لو لم أَكْتُبْكَ الأَبياتَ لما سألتَ عمّا لا يَعْنيك ؛ ولم يخبرني .

[كان ابن الأعرابيّ يعجب به وبشعره]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني أَحمد بن الحارث وأَبو مسلم عن ابن الأَعرابيّ : أنّه كان يَصِف إسحاق الموصليّ ويُقرّظه ويُثْني عليه ويذكر أَدبَه وحِفْظَه وعلمَه وصدقَه ، ويَستحسن قولَه : [من الخفيف]

صوت

هــل إلى أَن تنامَ عيني سبيلُ ... إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّي مَن لا أُسمّي فعيْني ... كلَّ يــوم وجْــداً عليه تَسِيلُ

الشعرُ والغناءُ لإسحاق رَمَلٌ بالوُسْطى ، قال : وكان إسحاقُ إذا غنَّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكي أَحرَّ بكاء . وأَخبرنا به يحيى بن عليّ عن أَبيه عن إسحاق . وحديثُ ابن موسى عن حَمّاد أَتمُّ ، واللفظُ له .

[أوّل صوت وآخر صوت صنعه]

أَخبرني الصُّوليّ والحسن بن عليّ قالا حدَّثنا محمّد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق قال : أَوّلُ صوت صنعه أَبي : [من البسيط]

إنّي لأَكْني بأَجبالٍ عَنَ اجبُلِها ... وباسم أَوْدِيــةٍ عن اسم وادِيها

وآخر صوت صنعه مختاراً : [من مجزوء الخفيف]

قِــفْ نُحَــيِّ المَغانيـا ... والطُّلــولَ البوالِيــا

ثم قطع الصنعةَ حتى أَمره الواثقُ بأَن يعارضَ صنعته في : [من الطويل]

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سأَلْتُها

[اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه]

قال حَمّاد وحدَّثني أَبي قال : كان المغنون يحسدونني مُذْ كنت غلاماً فلما مات أبي

---

1 الماوشان : ناحية وقرى في واد بهمذان .
2 غضبة في ل : غضب .

صنعت هذا الصوت فهو أول صوت صنعته بعد وفاته وهو : [من المتقارب]

أَمِنْ آل ليلى عَرَفتَ الطُّلولا ... بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولا

فقالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه فقد انتحله ؛ فقال لي الرشيدُ في ذلك ؛ فقلتُ : هذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم ؛ فقال : اصنع في شعر الأخطل : [من الطويل]

أَعاذِلتيّ اليومَ وَيْحَكما مَهْلا ... وكُفّا الأذى عنّي ولا تُكثِرا العَذْلا

فصنعتُ فيه كما أمرني ؛ فلمّا سمعوا بذلك وما جاء بعده أَذْعنوا ، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بي . وقد ذكر غيرُ حَمّاد أنّ اللحن الذي اختبره به الرشيدُ قولُه : [من الخفيف]

كنت صبّاً وقلبيَ اليومَ سالِ ... عن حبيبٍ يُسيء في كلّ حالِ

وذكر أنّ الفضل بن الرَّبيع قال الشعرَ في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل . وأخبرني بذلك محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق ، وأخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال : اوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبي : [من الوافر]

أَلَم تسأَلْ فتُخبرَك المَغاني ... وكيف وهنّ مُذْ حجَجٍ ثماني

بَرِئتُ من المنازل غيرَ شوق ... إلى الدار التي بِلَوى أَبانِ

ديارٌ للّتي لَجْلَجْتُ فيها ... ولو أَعْرَبتُ لَجَّ بها لساني

فكادَ يَظَلّ للعينين غَرْبٌ ... بَرَبْعَيْ دِمنةٍ لا يَنْطِقانِ

قال : فحدّثني أبي أن المغنّين قالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته فقلت له : أنا أَدَعُ لهم هذا ومائة صوتٍ بعده ؛ ثم نظروا إلى ما جاء به بعد ذلك فأَذْعنوا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قِفْ نُحَيِّ المَغانِيا ... والطُّلولَ البَواليا

وعلى أهلها فنُحْ ... وابكِ إن كنتَ باكِيا

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صوت

[من المتقارب]

أَمِن آلِ ليلى عَرفْتَ الطُّلولا ... بذي حُرُضٍ ماثِلاتٍ مُثولا

بَلِـــين وتحسَبُ آياتهـــ ـــنَّ عن فَرْط حولَيْن رَقّاً مُحِيلا

الشعر لكعب بن زُهَير . والغناء لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

صوت

[من الطويل]

أَعاذِلتـــيَّ اليـومَ وَيْحَكما مَهْلا وكُفّا الأذى عنِّي ولا تُكْثِرا العَذْلا

دعاني تَجُــدْ كفِّـي بمالي فإنّني سأصبح لا أُسْطِيع جُوداً ولا بُخْلا

إذا وضعوا فوق الصَّفيح جنادلاً عـلَيّ وخلَّفتُ المَطِيَّـةَ والرَّحلا

فـلا أنــا مجتـازٌ إذا مـا نزلتُه ولا أنا لاق مـا ثَوَيْتُ بـه أهلا

الشعر للأخطل ، والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صوت

[من البسيط]

إنّي لأَكْني بأَجبال عَنَ اجْبُلِها وبآسم أُوديةٍ عن اسم وادِيها

عَمْداً ليَحْسَبها الواشون غانيةً أُخرى وتحسَب أنّي لا أُباليها

ولا يُغيِّر وُدِّي أن أُهاجرَهـــا ولا فراقُ نَوىً في الدّار أَنْويها

وللقَلُوص ولي منها إذا بَعُدَت بوارحُ الشَّوق تُنْضِيني وأُنضيها

الشعر لأعرابيّ ، والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالبِنصر .

[حديثه مع الواثق بشأن الأهزاج]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال : قال إسحاق للواثق يوماً : الأهزاج من أَمْلح الغناء ؛ فقال الواثق : إذا كانت مثلَ صوتك : [من البسيط]

إنِّي لأَكني بأَجْبال عَنَ اجْبُلِها وباسم أُوديةٍ عن اسم واديها

فهي كذلك .

[غنّى لطلحة بن طاهر مراراً]

قال أحمد بن أبي طاهر حدّثني أحمد بن يحيى الرازيّ عن محمّد بن المُثَنَّى عن الحَجّاج بن قُتَيبة بن مُسْلم قال : قال إسحاق : بعث إليّ طَلْحَةُ بن طاهر وقد انصرف من وقعة للشُّراة وقد أصابته ضربة في وجهه ؛ فقال لي الغلام : أجِبْ ؛ فقلت : وما يعمل ؟ قال : يشرب ؛ فمضيت إليه فإذا هو جالسٌ قد عصَب ضربتَه وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوَة مكّيّة ، فقلت له : سبحانَ الله أيّها الأمير ؛ ما حمَلك على لُبْس هذا ؟ قال : التبرُّم بغَيْره ، ثم قال : غنِّ : [من البسيط]

إنِّي لأَكْني بأَجْبال عَنَ اجْبُلها

قال : فغنّيته إيّاه ، فقال : أحسنتَ والله ! أعِد ! فأعدتُ وهو يشرب حتى صلّى العَتَمة وأنا أغنّيه ؛ فأقبل على خادم له بالحَضْرة وقال له : كم عندك ؟ قال : مقدارُ سبعين ألفَ درهم ؛ قال : تُحْمَل معه . فلمّا خرجتُ من عنده تبِعني جماعةٌ من الغِلْمان يسألوني ، فوزّعتُ المال بينهم ؛ فرُفِع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجّه إليّ ثلاثاً ؛ فجلست ليلاً وتناولت الدَّواةَ والقِرْطاسَ فقلت : [من المنسرح]

علّمنـي جُودُك السَّماحَ فما أبقيتُ شيئاً لديَّ من صِلَتِكْ
لم أبـقِ شيئـاً إلاّ سمحتُ به كأنَّ لي قُـدرةً كمقدرتـكْ
تُتلِف في اليوم بالهباتِ وفي السـ ـاعة مـا تجتنيـه في سَنَتكْ
فلستُ أدري من أين تُنفق لو لا أنّ ربـِّي يَجزي على صِلتكْ

فلمّا كان في اليوم الرابع بعث إليّ ، فصِرتُ إليه ودخلت عليه فسلَّمت ؛ فرفع بصرَه إليَّ وقـال : اسقُوه رِطلاً فسُقِيتُه ، وأمر لي بآخَرَ وآخر فشربتُ ثلاثاً ؛ ثم قال لي : غنِّ : [من البسيط]

إنّي لأكني بأجبال عَنَ اجْبُلها

فغنَّيتُه ثـم أتبعتُه بالأبيات التي قلتها ، وقد كنتُ غنَّيتُ فيها لحناً في طريقة الصوت ؛ فقال : ادْنُ فدنوت ، وقال : اجلس فجلست ، فاستعاد الصوتَ الذي صنعتُه فأعدتُه . فلمّا فهمه وعرَف معنى الشعر قال لخادم له : أحضِرني فلاناً فأحضره ؛ فقال : كم قِبلك من مال الضِّياع ؟ قال : ثمانُمائة ألفِ درهم ؛ فقال : احضرْنيها الساعةَ ؛ فجِيء بثمانين بَدْرة ؛ فقال للخادم : جئني بثمانين غلاماً مملوكاً ، فأُحضِروا ؛ فقال : احملوا هذا المال ؛ ثم قال : يا أبا محمّد ، خُذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تُعطِي لأحد منهم شيئاً .

[مهاجاته محمّد بن راشد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسين بن محمّد بن طالب قال : كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثيرَ الغِشْيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب والحضورِ لسَمَره ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسْني جوائزَه ويُواتِر صِلاتِه ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه ؛ فأُصيب إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين ، فترك زيارةَ إسحاقَ وغيرِه ممّن كان يغشاهم ولَزِم بيتَه . وخرج إسحاق يوماً إلى بستانٍ له بباب قُطْرُبُّل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ بن عَمِيرة ومحمّد بن راشِد الخنّاق والحَرّاني ؛ فجرى ذكرُ إسحاقَ الموصليّ ، فتوجَّع له إسحاق وذكر أُنسَه به وتمنّى حضورَه ، وذكره القومُ فأطْنبوا في نشر[1] محاسنه وشيّعوا ما ذكره

1 ل : ذكر .

به إسحاقُ بما حَسُن موقعُه لهم عنده ؛ وذكره محمّد بن راشد ذكراً لم يحمَده أصحابه عليه ، وزجره إسحاق ، فأمسك عنه ؛ فلمّا انصرفوا من مجلسهم نُمِي إلى إسحاق الموصليّ ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب إلى موسى بن صالح : [من الطويل]

ألا قُلْ لموسى الخيرِ موسى بنِ صالح ... ومَنْ هو دونَ الخَلْق إلْفي وخُلْصَاني
ومَنْ لو سألت الناسَ عنه لأَجمعوا ... على أنّه أفتى مَعَدٍّ وقَحْطانِ
لعَمْري لئن كان الأميرُ تمنّاني ... بمجلس لذَاتٍ ونُزْهةِ بُستانِ
لقد زادني ما كان منه صَبابةً ... وجَدّدَ لي شوقاً إليه وأبكاني
وما زال ممتنّاً عليّ يَخُصّني ... بما لستُ أُحصي من أيادٍ وإحسانِ
هو السيّد القَرْم الذي ما يُرى له ... من النّاس إن حصّلته أبداً ثاني
نَمَتْه رَوابي مُصْعَب وبَنى له ... كريمُ المساعي في أُرُومته باني
يَعِزّ عليّ أن تفوزوا بقُربه ... ولستُ إليه بالقريب ولا الدّاني
فيا ليتَ شعري هل أُرُوحنّ مَرّةً ... إليه فيلقاني كما كان يلقاني
وهل أَرَيَنْ يوماً غضارة مُلْكه ... وسلطانه لا زال في عزّ سلطانِ
وهل أَسْمَعْن ذاك المُزاحَ الذي به ... إذا جئتُه سلَّيتُ همّي وأحزاني
إذا قال لي «يا مَرْدَ مَيْ خَرْ» وكَرّها ... عليّ وكنّاني مُزاحاً بصَفْوانِ

(هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل آشرب النبيذ)

فيا لكَ من مَلْهىً أنيقٍ ومجلسٍ ... كريمٍ ومن مَزْح كثيرٍ بألوانِ
وهل يَغْمِزَنْ بي ذو الهَناتِ ابنُ راشد ... وذاك الكريمُ الجدِّ من آل حَرّانِ
وهل أَرَيَنْ موسى الكريم ابنَ صالح ... يُنازعني صوتاً إذا هو غنّاني

(يريد الغناء في : [من الطويل]

فلم أرَ كالتَّجمير مَنْظَرَ ناظرٍ ... ولا كليالي النَّفْرِ أَفْتَنَّ ذا هوى)

إذا صاح بالتجمير ثمّ أعاده ... بتبيين إعراب صحيح وتِبْيانِ
أُولئك إخواني الذين أُحِبّهم ... وأُوثرهم بالودّ من بين إخواني
وما منهمُ إلاّ كريمٌ مهذَّبٌ ... حبيبٌ إلى إخوانه غيرُ خَوّانِ

فأجابه محمّد بن راشد : [من الطويل]

بعثتَ بشعر فيه أنّ رسالةً ... أتتك لموسى عن جماعة إخوانِ

بشوق وذكـرٍ للجميل ولم يكن لموسى لعَمْـري في سَلامته ثاني
ولكن نَطَقْنـا بـالذي أنت أهلُه وما تستحقّ مـن صديقٍ ونَدْمانِ
وموسى كريمٌ لم يُحِطْ بك خُبْره كخُبْرِ نَدامَى قـد بلَوْكَ وإخوانِ
ولو قد بلاك قال فيك كقول مَنْ فسَدْتَ عليه من خليل وخُلْصانِ
ولم يَعْرُه شوقٌ إليكَ ولم يَجِدْ لِفَقْدِكَ مَسّاً عنـد نُزهـة بستانِ
حَمِدتَ النَّدامى كلَّهم غيرَ إنسان ألا إنّما يَجْنِي على نفسه الجاني
فلا تَعْتِبِ الإخوانَ من بعدها فما تَنَقُّصُ إخـوانِ المودّة مـن شاني

قال : فأجابه إسحاق : [من الطويل]

عجبتُ لمخـذولٍ تَعرَّض جانيـاً لِلَيْثٍ أبي شِبْلين من أُسُدِ خَفّانِ[1]
أتانـا بشعر قالـه مثـلِ وجهـه تَزَخْـرَفَ فيـه واستعانَ بأعوانِ
فجـاء بألفاظ ضِعـافٍ سخيفةٍ ومَضَّغها تمضيغَ أهـوجَ سكرانِ
دَعُوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه وإلاّ وُسِمتـم أو رُميتـم بشُهبانِ
فإنّكـمُ والشعـرَ إذ تدّعونـه كمُعتسِفٍ في ظلمة الليل حَيْرانِ
صَـهٍ لا تعودوا للجواب فإنّما ترومون صَعْباً من شماريخ ثَهْلانِ
أنـا الأسَد الوَرْد الذي لا يَفُلّه تظاهُـرُ أعـداءٍ عليـه وأقرانِ
ومن قـد أردتم جاهدين سِقاطَه فأعياكُـم في كلّ سرٍّ وإعلانِ
لَعَمْرِي لئن قلتم بمـا أنـا أهلُه ليستنفدنّ القولَ تعظيمُكم شاني
وجَحْدُكُم إيّـايَ مـا تعلمونه وإقرارُكم عنـدي بذلـك سيّانِ
ألا يزجُـرُ الجُهّـالَ عنّـا أميرُنا وموسى وذاك الشيخُ من آل حَرّانِ
ولا سيّما مَنْ بـانَ للناس شرُّه فمـا يَتَمارى في مذاهبـه اثنانِ

[محمد بن عمر الجرجاني يثني عليه]

حدَّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قَرْقارَةُ قال : قال لي محمّد بن عمر[2] الجُرْجانيّ وقد تذاكرْنا إسحاقَ يوماً بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفَه . كان والله إسحاق غُرَّةً في زمانه ، وواحداً في دهره عِلماً وفقهاً وأدباً

1 خفان : موضع كان مأسدة .
2 ل : عمران .

ووَقاراً ووفاءٍ وجودةَ رأي وصحّةَ مودّة . كان والله يُخرِس الناطقَ إذا نطق ، ويُحيّر السامعَ إذا تحدّث ، لا يمَلّ جليسُه مَجلِسَه ، ولا تَمُجّ الآذانُ حديثَه ، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته . إن حدّثك ألهاك ، وإن ناظرك أفادك ، وإن غنّاك أطربك . وما كنتَ ترى خَصْلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلّم فيه إسحاقُ فيُقدِم أحدٌ على مُساجلته ومباراته .

[أمره المأمون أن يغنّي في شعر رآه مكتوباً في بساط]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال حدَّثني أحمد بن يحيى المكّيّ قال : أمر المأمون يوماً بالفَرْش الصَّيْفيّ أن يُخرَج ؛ فأُخرج فيما أُخرِج منه بِساطٌ طَبَرِيّ أو أُصبُهْبُذانيّ ، مكتوب في حواشيه : [من مجزوء الخفيف]

صوت

لَجّ بالعـين واكِفُ ... مِن هَوىً لا يُساعِفُ
كلّمـا جَـفَّ دمعُه ... هيّجتْـــه المعـازِفُ
إنّما المــوتُ أن تفا ... رقَ مَــنْ أنت آلِفُ
لك حُبّــان في الفؤا ... دِ تَليـــدٌ وطـارِفُ

قال : فاستحسن المأمون هذه الأبيات ، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّل به ؛ فصنع فيها الهَزَج الذي يُغنّى به اليومَ . قال أحمد : وسمعها أبي منه فقال : لو كان هذا الهَزَج لِحَكَم الوادي لكان قد أحسن . يريد أنّ حكَماً كان صاحبَ الأهزاج .

[اعجاب يحيى المكّي به]

أخبرني الحسن قال حدَّثني يزيد بن محمّد قال حدَّثني ابن المكّي قال : تذاكرْنا يوماً عند أبي صنعَة إسحاق ، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحناً صنعه في شعر ابن ياسين : [من مجزوء الخفيف]

صوت

الطُّلــول الـدَّوارِسُ ... فارقتْهــــا الأوانِسُ
أوْحشت بعــد أهلها ... فهـــي قَفْـرٌ بَسابِسُ

الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر . قال : فقال أبي : لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى ، «الطلول الدوارس» كلمتان ، و«فارقتها الأوانس» كلمتان ، وقد غنّى فيهما استهلالاً وبسيطاً وصاح وسَجَح ورجَّع النغمةَ واستوفى ذلك كلَّه في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله ؛ فمَن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربْه . ثم قال : إسحاق والله في زماننا فوق ابن سُرَيْج والغَرِيض ومَعْبَد ، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعَرفوا فضلَه واعترفوا له به . وأخبرني عمّي

عن يزيد بن محمّد المهلّبيّ : أنّه كان عند الواثق فغنّته شَجا هذا الصوتَ ؛ فقال الواثق مثلَ هذا القول . والمذكور أنّ ابن المكّيّ قاله ؛ فلا أدري أهذا وَهْمٌ من يزيد ، أو اتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى ، أو اتّفقت عليه قريحتاهما .

[أعجب هو والزبير بن دحمان بغناء خباز]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال : أرسل إليّ الفضلُ بن الرَّبيع يوماً وإلى الزُّبَيْر بن دَحْمان ، فوافق مجيئنا شغلاً كان له ، فصِرْنا إلى بعض حُجَره ، فنَعَستُ فنِمتُ فإذا زُبَير يحرّكني فانتبهتُ فإذا خبّازٌ في مطبخ الفضل يضرب بالشُّوبَق يُغنّي : [من الهزج]

صوت

بِدَيْــر القائم الأقصَى غـزالٌ شَفَني أحْوَى
بَرَى حُبّي له جسمي وما يَدري بمـا ألقى
وأخفي حبَّـه جُهْدِي ولا والله مـا يَخفى

الشعر والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيل بالبنصر . قال : فقال لي الزُّبير : تَضَنّ بهذا وانظرْ مَن يبتذله ! ؛ فقلت : لا أضَنّ بغناء بعد هذا .

[المأمون يستحسن أصواتاً من مغنّين دون إسحاق]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني أحمد بن الطيّب السَّرَخْسيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد : كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين ، فيهم إسحاق وعَلّويه ومُخارِق وعمرو بن بانة ؛ فغنّى مخارق في الثقيل الأوّل : [من الطويل]

صوت

أعــاذلُ لا آلــوكِ إلاّ خَليقتــي فـلا تجعـلي فوقـي لسانَك مِبْرَدا
ذَريني أكنْ للمالِ ربّــاً ولا يكن لِيَ المـالُ ربّاً تَحْمَدِي غِبَّــه غدا
ذَريني يكــن مالي لعِرْضي وقايــةً يَقِي المـالُ عِرْضي قبــل أن يتبدّدا
ألم تعلمــي أنّي إذا الضيفُ نابنــي وعَزَّ القِرَى أَقْرِي السَّدِيفَ المُسَرْهَدا[1]

فقال له المأمون : لَمن هذا اللحن ؟ قال : لهذا الهِزَبْر الجالس (يعني إسحاق) ؛ فقال المأمون لمخارق : قم فاقعد بين يديّ وأعِدِ الصوت ؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده ، وشرب المأمون عليه رِطلاً ؛ ثم التفت إلى إسحاق فقال له : غَنِّ هذا الصوت ؛ فغنّاه فلم

1 السديف : السنام ، والمسرهد : المقطع أو السمين .

يستحسنه كما استحسنه من مخارق ؛ ثم دار الدورُ إلى عَلّويه ، فقال له : غنِّ فغنّى في الثقيل الأوّل أيضاً : [من الوافر]

صوت

أَريتُ اليومَ نارَكِ لم أُغَمِّضْ بَواقِصةٍ ومَشْرَبُنا بَـرُودُ[1]
فلم أَرَ مثلَ موقِدها ولكن لأَيّة نظـرةٍ زَهَـر الوَقُودُ
فبِتُّ بليلةٍ لا نـومَ فيها أُكابدُها وأَصحابي رُقودُ
كأَنّ نجومَها رُبِطتْ بصَخْرٍ وأَمْـراسٍ تـدور وتستزيدُ

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت ؟ فقال : لهذا الجالس وأشار إلى إسحاق فقال لعَلّويه : أعِدْه فأعاده ، فشرب عليه رطلاً ؛ ثم قال لإسحاق : غَنِّه فغنّاه فلم يطرَب له طَرَبَه لعَلّويه . فالتفتَ إليّ إسحاق ثم قال لي : أيّها الأمير ، لولا أنّه مجلسُ سرور وليس مجلس لَجاجٍ[2] وجِدال لأَعلمتُه أنّه طرِب على خطأ ، وأنّ الذي استحسنه إنّما هو تزايدٌ منهما[3] يُفسد قسمةَ اللحن وتجزئتَه ، وأنّ الصوت ما غنّيتُه لا ما زادا . ثم أَقبل عليهما فقال : يا مخنّثان ، قد علمتُ أنّكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رِفعتي ، وأنا على مكافأتكما قادر ؛ فضحك المأمون وقال له : ما كان ما رأيته من طَرَبي لهما إلاّ استحساناً لأَصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك .

[غناؤه للمعتصم بعد رحلة صيد]

حدّثني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدّثني إسحاق قال : دخلتُ يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظِباء مذبَّحة[4] وطيرُ ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب ؛ فأمرني بالجلوس والغناء ؛ فجلستُ وغنّيته : [من الرمل]

صوت

اشتهيْنـا في ربيـعٍ مـرّةً زَهَمَ الوحشِ على لحم الإبِلْ[5]
فغدَونـا بطُـوالٍ هَيْكَـلٍ كَعَسِيب النخل مَيَّاد خَضِلْ[6]

1 واقصة منزل بطريق مكّة ، والبرود : البارد . ومشربنا بُرود في ل : ومشرقنا زرود .
2 ل : حجاج .
3 تزايد وتزيد : تكلف زيادة لا داعي لها .
4 ل : مذبوحة .
5 زهم : شحم الوحش دون أن تكون فيه زهومة أي كراهة ريح .
6 هيكل : الضخم من الحيوان .

الشعر يقال : إنّه لأعشى هَمْدان ، والغناء لأحمد النَّصْبِيّ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، فتبسّم وقال : وأين رأيت لحم الإبل ؟ فغنّيته : [من مجزوء الكامل]

صوت

ليس الفتـى فيهم إذا شَرِب الشرابَ مُؤَنَّبا
لكـن يـروحُ مُرَنَّحاً حسنَ الثيـابِ مُطَيَّبا
يسقونـه صِرْفـاً على لحـم الظباء مُضَهَّبا[1]

فقال : هذا أشبه ، وشَرِب . ثم غنّيته بشعر وَضَّاح اليمن ، قال : والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلٌ[2] : [من الهزج]

صوت

أبـى القلـبُ اليمانيّ الـ ـذي تُحْمَـدُ أخلاقُـهْ
ويَرْفَضُّ لـه اللحــنُ فمـا تُفْتَـق أرْتاقُـهْ
غــزالٌ أدعـجُ العين رَبيـبُ خَدَلَّج ساقُـهْ[3]
رمـاني فسبَى قلبـي وأرميــه فأشتاقُـهْ

فطرِب وقال : هذا والله أحسن صيد وألَذُّه ، وشرِب عليه بقيَّةَ يومه وخلَع عليّ وأمر لي بجائزة . هكذا ذُكِر في هذا الخبر أنّ الثقيل الأوّل لابن مُحْرِز وقد قيل ذلك . وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل بالبنصر لابن طُنْبورة ، وأنّ لحن ابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ .

[دِقّته في الوصف]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني فَضْل اليَزيديّ قال : قال لي إسحاق يوماً في عُرْض حديثه : دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصٌ دَبيقيّ[4] كأنّما قُدّ من جِرْم الزُّهَرة[5] ؛ فضحِكتُ ؛ فقال : ما أضحكك . فقلت : من مبالغتك في الوصف ، فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدّثاً قطُّ ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً .

[تبرّمه بالغناء وبالتسمية به]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك قال :

---

1 لحم مضهب : مقطّع .
2 ديوان وضّاح اليمن (صادر) : 69 عن الأغاني .
3 خدلّج في ل : مجدل . والخدلّج : الممتلىء .
4 الدبيقي : المنسوب إلى دبيق وهي بلدة كانت بمصر .
5 الزهرة : ثاني الكواكب السيّارة في القرب من الشمس .

قال لي إسحاق : وَدِدتُ أنّ كلّ يوم قيل لي : غَنّ أو قيل لي عند ذِكْرى : المغنّي ، ضُرِب رأسي خمسةَ عشَر سوطاً ، لا أقوى على أكثر منها ، ولم يُقَلْ لي ذلك .

[صنع لحناً على لحن أذان سميعه]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد قال : صنع أبي لحنه في : «تَشكّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ» على لحن أذانِ سميعه .

[كثرة حفظه لأهزاج القدماء]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد قال : تذاكرنا[1] يوماً الهَزَج عند المأمون ؛ فقال عمرو بن بانة : ما أقلّه في الغناء القديم ! ؛ فقال إسحاق : ما أكثره فيه ! ثم غنّاهم ثلاثين هَزَجاً في إصبع واحدة ومجرى واحد ، ما عرفوا جميعاً منها إلاّ نحو سبعة أصوات .

[تقدير زرزور لقدرته في الغناء]

حدَّثني يحيى قال حدَّثني أخي قال حدَّثني عافية بن شَبيب قال : قلت لزُرْزُور : مالكم تَذِلُّون لإسحاق هذا الذلّ ، وما فيكم أحدٌ إلاّ وهو أطيب صوتاً منه ، وما في صنائعكم وَصْمة ! فقال لي : لا تقلْ ذلك ، فوالله لو رأيتنا معه لرحِمتَنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرَّصاص في النار ! .

[غضب عليه الفضل بن الربيع فترضّاه وحاجبه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدّثني إسحاق قال : لاعَبتُ الفضل بن الربيع بالنَّرْد ، فوقع بيننا خلاف ، فحلف وحلفت ، فغضب عليّ وهجَرني ، فكتبت إليه : [من الطويل]

يقول أناسٌ شامتون وقد رأوْا ... مُقامي وإغبابي الرواحَ إلى الفضلِ
لقد كان هذا خُصَّ بالفضل مرّةً ... فأصبح منه اليومَ مُنصرِمَ الحبلِ
ولو كان لي في ذاك ذنبٌ علِمته ... لَقَطَّعْتُ نفسي بالمَلامة والعذلِ

وعرضتُ الأبيات عليه ؛ فلمّا قرأها ضحِك وقال : أشدّ من ذنبك أنّك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً ؛ والله لولا أنّي أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه ، وأنّ حسنَك وقبيحَك مضافان إليّ لأنكرتني ؛ فأصلِح الآن قلبَ عون ، وكان يَحْجُبه ، فخاطبته في ذلك فكلّمني بما كَرِهت ؛ فقلت : أتدخل بيني وبين الأمير أعزّه الله ! ؛ وكان عون يُرْمى بالأُبنة فقلت فيه : [من الطويل]

وذاكر أمرٍ ضاق ذرعاً بذكره ... وناسٍ لداءٍ منه مُتّسِع الخَرْقِ

قال : ثم علِمت أنّه لا يتمّ لي رضى الفَضْل إلاّ بعد أن يرضى عون ، فقلت فيه :[من الخفيف]

---

1 ل : تذاكروا .

عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مثلَك عونُ أَنت لي عُـدَّةٌ إذا كان كونُ

لك عندي واللهِ إن رَضِيَ الفضـ ـلُ غلامٌ يُرْضيك أَو بِرْذَوْنُ

فدخل إلى الفضل فترضّاه لي فرضي ؛ ثم قال له : ويلك يا عون ! إنّه والله إنّما هجاك وأنت ترى أنّه قد مدحك ، أَلا ترى إلى قوله : «غلام يرضيك» ؟ هذا تعريض بك ؛ قال : فكيف أَصنع به مع محلّه عند الأمير ! .

[شكا إليه المأمون أصحابه]

أَخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن عن إسحاق ، وأخبرني بعضَ الخبر إسماعيلُ بن يونس عن عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، ولفظُ الخبرِ وسِياقُه للصُّولي ، قال : استدناني المأمونُ يوماً وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتي على الفراش ، ثم قال لي : يا إسحاق ، أُشكو إليك أُصحابي : فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدَّد جماعةً من خواصّه ؛ فقلت له : أَنت يا سيِّدي بتفضُّلك عليّ وحسنِ رأيك فيّ ظننتَ أنّي ممّن يُشاوَر في مثل هذا ، فجاوزتَ بي حدِّي ، وهذا رأيٌ يَجِلّ عنّي ولا يبلُغه قدري ؛ فقال : ولِمَ وأنت عندي عالم عاقل ناصح ؟ فقلت : هذه المنزلة عند سيِّدي علّمتني أَلاّ أَقول إلاّ ما أَعرف ولا أَطلبَ إلاّ ما أَنال ؛ فضحِك وقال : قد بلغني أنّك في هذه الأَيّام صنعتَ لحناً في شعر الرّاعي ولم أَسمعه منك ؛ فقلتُ : يا سيِّدي ، ما سمعه أَحدٌ إلاّ جَواريَّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه ؛ فقال : غَنِّه ؛ فقلتُ : الهيبةُ والصَّحْو يمنعاني أَنْ أُؤدِّيه كما تريد ، فلو آنس أَميرُ المؤمنين بشيء يُطربه ويقوّي به طبعه كان أَجود ؛ قال : صدقت ، ثم أَمر بالغداء فتغدّينا ، ومُدّت الستارةُ فغُنّي من ورائها وشربنا أَقداحاً ؛ فقال : يا إسحاق ، أَما جاء أَوانُ ذلك الصوت ؟ فقلت : بلى يا سيِّدي ، وغنّيته لحني في شعر الراعي[1] : [من الوافر]

صوت

أَلَـم تسأَلْ بعارِمَـةَ الديـارا عن الحيّ المُفارِقِ أَين صارا[2]

بـلى ساءلتهـا فأَبَـتْ جواباً وكيف تُسائلُ الدِّمَنَ القِفارا

لحنُ إسحاق في هذين البيتين خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، قال : فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لي : يا إسحاق ، لا طَلَبَ بعد وجود البُغْية ، ما أَشرب بقيّةَ يومي هذا إلاّ على هذا الصوت ؛ ثم وصلني وخلَع عليَّ خِلعةً من ثيابه .

---

1 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : القصيدة رقم 70 وهي فيه 59 بيتاً والبيت الأوّل هنا أوّلها والثاني هو الثامن والخمسون .

2 عارمة : موضع بنجد . صارا : الديوان : سارا .

[مدح أعرابيّة له]

حدّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدّثني إسحاق قال[1] : كانت أعرابيّة تَقْدَم عليّ من البادية فأُفضِل عليها ، وكانت فصيحة ؛ فقالت لي ذات يوم : والذي يعلم مغزى كلّ ناطق لكأنّك في عِلمك وُلدتَ فينا ونشأت معنا . ولقد أَرَيْتَني نجداً بفصاحتك ، وأحللتَني الرَّبيع بسماحتك ؛ فلا اطّرَدَ لي قولٌ إلاّ شكرتك ، ولا نَسَمتْ لي ريحٌ إلاّ ذكرتك .

[أنحل أبا المجيب الربعيّ صداقاً وداعبه بشعر]

حدّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدَّثني المُغِيرة بن محمّد المهلَّبيّ عن إسحاق قال : كان أبو المُجيب الرَّبَعيّ فصيحاً عالِماً ، فقال لي : يا أبا محمّد ، قد عزمتُ على التزوّج فأَعِنّي وقَوِّني ؛ قال : فأعطيتُه دنانيرَ وثياباً . فغاب عنّي أيّاماً ثم عاد ؛ فقلت : يا أبا مُجيب ، هاهنا أبيات فاسمعها ؛ فقال : هاتها ؛ فقلت : [من الرجز]

يا ليتَ شعري عن أبي مُجيبِ إذ بـات في مَجاسِدٍ وطِيبِ
معانقـاً للـرَّشأ الرَّبيـبِ أأحمـدَ المِحفـارُ في القَليبِ[2]
أم كان رِخْواً ذابـلَ القضيبِ

قال : فقال لي : الأخيرُ والله يا أبا محمّد .

[عتاب صديق]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عون بن محمّد قال حدَّثني إسحاق قال : كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشْنا ، فمررتُ ببابه يوماً ، فتذمَّمت أن أجوزَه ولا أدخل إليه ، فدعوتُ بدَوَاةٍ وقِرطاس وكتبتُ إليه : [من الوافر]

رجعنا بالصفاء إلى الخليلِ فليس إلى التَّهاجُر من سبيلِ
عتابٌ في مُراجعةٍ وصفحٌ أحـقُّ بنـا وأشبهُ بالجميلِ

قال : ووجّهت بالرُّقعة وقصدت بابَه ، فخرج إليّ حتى تلقّاني ، ورجعنا إلى ما كنّا عليه .

[ثَبَت صدق روايته الأخبار]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عبد الله بن المعتزّ عن الهشاميّ قال : كان أهلُنا يعتبرون على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره ، بأن يُجلسوا كاتبتين فَهِمتين خَلْف السِّتارة ، فتكتبان ما يقوله وتضبُطانه ، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك

1 انظر التذكرة الحمدونية 4 : 49 .
2 أحمد : أتى بما يحمد . القليب : البئر .

المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنّه يقرؤها من دفتر ؛ فعلموا حينئذٍ أنّه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلاّ الحقّ .

[غنّى عَلّويه لحناً لأبيه فخطأه في مجلس المأمون]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني أحمد بن مَزْيد المهلَّبيّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال : كنّا عند المأمون ، فغنّاه عَلّويه : [من الطويل]

صوت

لعَبْـدةَ دارٌ مـــا تكلِّمنــا الدارُ تَلُـوح مَغانيهــا كما لاح أسطارُ
أسائـــلُ أحجاراً ونُـؤْيــاً مُهَدّمــا وكيف يردُّ القولَ نؤيٌ وأحجارُ

الشعر لبشّار ، والغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، قال : فقال المأمون : لَمن هذا اللحن ؟ فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبي ، وقد أخطأ فيه عَلّويه ؛ قال : فغنِّه أنت فغنّيته ، فاستعادنيه مراراً وشرب عليه أقداحاً ؛ ثم تمثّل قولَ جرير : [من البسيط]

وابنُ اللَّبون إذا ما لُــزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعِيسِ[1]

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم . ووجدتُ هذا الخبر بخطّ أبي العبّاس ابن ثَوابة ، فكان فيه : حدَّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : اجتمعنا بين يدي المعتصم ، فغنَّى عَلّويه : [من الطويل]

لعبدةَ دارٌ مـــا تكلِّمنا الدار

فقال له إسحاق : أخطأت فيه ، ليس هو هكذا ؛ فقال عَلّويه : أُمّ مَن أخذناه عنه هكذا زانية ؛ فقال إسحاق : شتمنا قبحه الله ، وسكت وبان ذلك فيه ؛ وكان عَلّويه أخذه من إبراهيم .

[حواره مع عَلّويه]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو العنبس بن حَمدون عن أبيه عن جدّه قال : كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يُغنّي إلاّ الخليفةَ أو وليَّ عهده أو رجلاً من الطاهِريّة مثلَ إسحاق بن إبراهيم وطبقتِه ؛ فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم ، فاشتهى الواثق أن يُضَرِّب[2] بين مخارق وعَلّويه وإسحاق حاضر ، ففعل حتى تهاترا ؛ ثم قال لإسحاق : كيف هما الآن عندك ؟ فقال : أمّا مُخارق فمُنادٍ طيّبُ الصوت ؛ وأمّا عَلّويه فهو خير

1 ابن اللبون : ولد الناقة في عامه الثاني . لزّ : شدّ . القرن : الحبل الذي يقرن به البعيران . البزل : جمع بازل وهو البعير الذي انشقّ نابه ويكون ذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . القناعيس : جمع قنعاس وهو الجمل الضخم الشديد .

2 التضريب : الاغراء .

حِمارَي العِباديّ[1] ، وهو على كلّ حال شُيَيْء (يريد تصغيره) ؛ فوثَب عَلّويه مُغْضَباً ، ثم قال للواثق : جواريه حرائرُ ونساؤه طوالقُ ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقِّ أبيك ، أن يصدُقَ عمّا أسأله عنه ، لأتوبنَّ عن الغناء ما عِشْتُ ؛ فقال له الواثق : لا تُعَرْبِد يا عليّ ، نحن نفعل ما سألت ؛ ثم حَلّف إسحاق أن يصدُق فحلف ؛ فقال له : من أحسن الناس اليومَ صنعةً بعدك ؟ قال : أنت . قال : فمَن أضربُ الناس بعد ثَقيف ؟ قال : أنت . قال فمَن أطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارق ؟ قال : أنت . قال عَلّويه لإسحاق : أهذا قولُك فيّ وأنت تعلم أنّي مُصَلّي[2] كلّ سابق فاضل ، وأنّي ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلُهم ولا يكون ؟ فما أنت وغناؤك الذي لا يُسمَع انخفاضاً ! ؛ فغضب إسحاقُ ، وانتهر الواثقُ عَلّويه . ثم أخذ إسحاقُ عوداً فنقل مَثْناه إلى موضع البَمّ ، وزيرَه إلى موضع المَثْلَث ، وجعل البمَّ والمثلثَ مكان الزير والمَثْنى ، وضرب وقال : ليغنّ مَن شاء منكم ؛ فغنّى مُخارق عليه : [من الطويل]

تَقَطّع من ظَلاّمَةَ الوصلُ أجمعُ أخيراً على أنْ لم يكن يَتَقَطّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَبِنْ في الأوتار خلافٌ ولا فُقِد من الإيقاع شيء ولا بانَ فيه اختلال ؛ فعظُم عجبُ الواثق من فعله ؛ وقام إسحاق فرقَص طرباً ، فكان والله أحسنَ رقصاً من كُبَيْش وعبد السلام ، وكانا من أرقص الناس ، فقال الواثق : لا يكمُل أحدٌ أبداً في صناعته كمثل كمال إسحاق .

[عبد الله بن طاهر يمدحه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدَّثني إسحاق قال : دخلت على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيمَ بن وَهْب بالشِّطْرَنْج ، فغلبه عبد الله ، وأومأ إليّ بأن أكايده ؛ فقلت : [من الرجز]

قد ذهبتْ منك أبا إسحاقِ مثلَ ذَهابِ الشهرِ بالمُحاقِ[3]

فقال لي عبد الله : إنّ فضائلك يا أبا محمّد لتتكاثر عندنا ، كما قال الشاعر في إبله : [من الرجز]

---

1 المثل : كحماري العبادي ، سئل عبادي : أي حماريك شر ، فقال هذا ثم هذا أو قال هذا هذا . أي لا فضل لأحدهما على الآخر (مجمع الميداني 2 : 161 وجمهرة العسكري 2 : 151 ومستقصى الزمخشري 2 : 215) .

2 المصلي : الذي يلي السابق من الخيل .

3 المحاق : آخر الشهر .

إذا أَتاهــا طالــبٌ يَسْتامُها تكاثَــرتْ في عينــهِ كِرامُها

[صنع لحناً في بيتين وغنّاه الواثق]

أَخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرزُبان قال ذكر عليّ بن الحسن بن عبد الأَعلى عن إسحاق قال : أَنشدتْني أمّ محمّد الأَعرابيّة لنفسها هذين البيتين وأَنا حاجٌّ ، فاستحسنتُهما ، وصنعتُ فيهما لحناً غنَّيته الواثقَ ؛ فاستعاده حتى أَخذه ، وأَمر لي بثلاثين أَلف درهم ؛ وهما : [من الطويل]

عسى اللهُ يا ظَمْياءُ أَن يَعكِسَ الهوى فتَلْقَيْنَ ما قد كنتُ منكِ لَقِيتُ
ثــراء فتحتاجــي إليّ فتعلمي بأنّي قد أُجْزِيــكِ حــين غَنِيتُ

[يضرب بعود مشوّش الأوتار]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني محمّد بن مَرْوان قـال لي يحيى بن مُعاذ : كان إسحاق الموصليّ وإبراهيم بن المهديّ إذا خَلَـوا فهما أَخوانِ ، وإذا التقيا عند خليفة[1] تكاشحا أَقبحَ تكاشح ؛ فاجتمعا يوماً عند المعتصم ؛ فقال لإسحاق : يا إسحاق ، إنّ إبراهيم يَثْلُبك ويَغُضّ منك ويقول : إنّك تقول : إنّ مُخارِقاً لا يُحسن شيئاً ويتضاحك منك ؛ فقال إسحاق : لم أَقُل يا أَمير المؤمنين : إنّ مُخارقاً لا يُحسن شيئاً ، وكيف أَقول ذلك وهو تلميذ أَبي وتخريجُه وتخريجي ؟ ولكن قلت : إنّ مُخارِقاً يملِك من صوته ما لا يملِكه أَحد ، فيتزايد فيه تزايداً لا يُبقي عليه ويتغيّر في كلّ حال ، فهو أَحلى الناس مسموعاً وأَقلّه نفعاً لَمن يأخذ عنه ، لقلّة ثباته على شيء واحد . ولكنّي أَفعل الساعةَ فعلاً إن زَعَم إبراهيمُ أَنّه يُحسنه فلستُ أُحسن شيئاً ؛ وإلاّ فـلا ينبغي لـه أَن يدَّعيَ ما ليس يُحسنه . ثم أَخذ عوداً فشوّش أَوتارَه ، ثم قال لإبراهيم : غَنِّ على هذا أَو يُغنّي غيرُك وتضرِبُ عليه ؛ فقال المعتصم : يا إبراهيم ، قد سمعتَ ، فما عندك ؟ قال : ليفعلْه هو إن كان صادقاً ؛ فقال له إسحاق : غَنِّ حتّى أَضربَ عليك فأَبى ؛ فقال لزُرْزُور : غَنِّ فغنَّى وإسحاقُ يضرِب عليه حتّى فُرِغَ من الصوت ما علِم أَحد أَنّ العود مشوَّش . ثم قال : هاتوا عوداً آخر ؛ فشوّشه وجعل كلّ وترٍ منه في الشدّة واللّين على مقدار العود المشوّش الأَوّل حتى استوفى[2] ؛ ثم قال لزُرْزور : خُذ أَحدَهما فأَخذه ، ثم قال : انظر إلى يدي واعمل كما أَعمل واضرِب ففعل ؛ وجعل إسحاق يغنّي ويضرِب وزُرْزور ينظر إليه ويفعل كما يفعـل ؛ فما ظَـنَّ أَحـدٌ أَنّ في العودَين شيئاً من الفساد لصحّة نَغَمهما جميعاً إلى أَن فُرِغ من الصوت . ثم قال إبراهيم : خُـذ الآن أَحـد العودَيـن ، فاضرب به مبدأً أَو عَمُودَ طريقةٍ أَو كيف

1 ل : الخليفة تكاشفا أَقبح تكاشف .

2 ل : استويا .

شئتَ إن كنت تُحسِن شيئاً ؛ فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً ؛ فقال له المعتصم : أرأيتَ مثل هذا قطُّ ؟ قال : لا ، والله ما رأيتُ ولا ظننتُ أنّ مثله يكون .

[أعجبه يوم فتمثل فيه بشعر]

حدّثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال : دعاني إسحاقُ يوماً ، فمضيتُ إليه وعنده الزُّبَير بن دَحْمان وعَلّويه وحسين بن الضحّاك ، فمَرَّ لنا أحسنُ يوم ؛ فالتفت إليّ إسحاقُ ثم قال : يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر : [من مجزوء الرمل]

أنت والله من الأيّام لَدْنُ الطَّرَفيْنِ
كلّما قلّبتُ عينيَّ ففي قُرَّةِ عَيْنِ

[غناء عند الواثق]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً على الواثق فقال لي : يا إسحاق ، إنّي أصبحت اليوم قَرِماً[1] إلى غنائك فغنّني ، فغنّيته : [من البسيط]

مِن الظباءِ ظِباءٌ همُّها السُّخُبُ ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ[2]
لا يَغْترِبْنَ ولا يَسْكُنَّ باديةً وليس يَدْرين ما ضَرْعٌ ولا حَلَبُ
إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطعُ يلزمها والقطع في سَرَقٍ بالعين لا يَجِبُ

قال : فشرب عليه بقيّةَ يومه وبعضَ ليلته ، وخلع عليَّ خِلْعةً من ثيابه .

[خرج مع الواثق إلى الصالحيّة فحنَّ إلى بغداد]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجتُ مع الواثق إلى الصالحيّة وهو يريد النزهة ، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيتُ ؛ فقال لي : بحياتي أذكرتَ بغدادَ فبكيتَ شوقاً إليها ؟ فقلت : نعم ، وغنَّيتُه : [من الطويل]

صوت

وما زلت أبكي في الديار وإنّما بكائي على الأحباب ليس على الدّارِ

قال : فأمر لي بمائة ألف درهم وصرَفني .

وأخبرني محمّد بن مَزْيد بهذا الخبر عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وحدَّثني به عليُّ بن هارون عن عمّه عن حَمّاد عن أبيه وخبرُه أتمّ ، قال : ما وَصلني أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلني به الواثق . ولقد انحدرتُ معه إلى النَّجَف ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ في

1 القرم : شدّة الشهوة إلى اللحم . ويقال : قرمت إلى لقائك : تشهيت لقاءك .
2 السخب : جمع سخاب وهو القلادة من الزهر أو الجوهر .

النجف قصيدة ؛ فقال : هاتِها ؛ فأَنشدتُه[1] : [من البسيط]

يا راكبَ العِيسِ لا تَعْجَلْ بنا وقِفِ ... نُحَيِّ داراً لسُعْدَى ثم نَنْصرِفِ

حتى أَتيتُ على قولي :

لم يَنزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جَبَلٍ ... أَصْفى هواءً ولا أَعْذى من النَّجَفِ[2]

حُفَّتْ ببَرٍّ وبَحْـرٍ مِـن جوانبها ... فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحر في طَرَفِ

ومـا يـزالُ نسيمٌ مـن يَمانِيَةٍ ... يأتيك منهـا بريّاً رَوْضَةٍ أُنُفِ[3]

فقال : صدقتَ يا إسحاق ، هي كذلك . ثم أَنشدتُه حتى أَتيت على قولي في مدحه : [من البسيط]

لا يحسَبُ الجودَ يُفْني مالَـه أَبداً ... ولا يرى بذلَ ما يَحْوِي من السَّرَفِ

ومضيت فيها حتّى أَتممتُها ؛ فطرِب وقال : أَحسنتَ والله يا أَبا محمّد ، وكنّاني يومئذٍ ، وأَمَر لي بمائة أَلف درهم ؛ وانحدر إلى الصالحيّة التي يقول فيها أَبو نُوّاس :

بالصالحيّة مـن أَكنـافِ كَلْواذِ

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت : [من الطويل]

أَتَبْكـي عـلى بغـدادَ وهي قريبةٌ ... فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعْدَا

لعَمْرُكَ ما فارقتُ بغدادَ عن قِلًى ... لَوَ انّا وجدنـا عن فِراقٍ لها بُدّا

إذا ذكرتْ بغدادَ نفسي تَقَطَّعتْ ... من الشَّوق أَو كادت تموت بها وَجْدا

كفى حَزَناً أَن رُحْتُ لم أَستطع لها ... وَداعاً ولم أُحْدِثْ بساكنها عهدا

قال : فقال لي : يا موصليّ ، أَشتقتَ إلى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أَمير المؤمنين ، ولكن من أَجل الصبيان ، وقد حضرني بيتان ؛ فقال : هاتهما ؛ فأَنشدتُه : [من الوافر]

حَنَنتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغـارِ ... وشاقك منهـمُ قـربُ المَزارِ

وأَبْرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً ... إذا دَنَتِ الدّيـارُ من الديارِ[4]

فقال لي : يا إسحاق ، صِرْ إلى بغداد فأَقِمْ مع عيالك شهراً ثم صِرْ إلينا ، وقد أَمرتُ لك بمائة أَلف درهم .

---

1 يتكرّر هذا الخبر والشعر في ترجمة الواثق فيما بعد ، وكذلك كثير من أخباره مع الواثق .

2 أعذى : أطيب هواء .

3 الروضة الأنف : التي لم يرعها أحد .

4 وأبرحُ ما يكون الشوق يوماً في ترجمة الواثق : «وكلّ مفارق يزداد شوقاً» .

[صنع لحناً أحسن من لحن الواثق]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرني أبي قال : لمّا صنع الواثق لحنَه في : [من الطويل]

أيا مُنْشِرَ المَوْتى أَقِدْني من التي بها نَهِلَتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلَتْ حتّى لَوَ انّي سألتُها قَذى العين من سافي التراب لضَنَّتِ

أُعْجِب به إعجاباً شديداً ؛ فوجّه بالشعر إلى إسحاق الموصليّ وأمره أن يغنّي فيه ؛ فصنع فيه لحنَه الثقيل الأوّلَ ، وهو من أحسن صنعةِ إسحاق ؛ فلمّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُر لحنُه في عينه ، وقال : ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر ، لأنّه قد أفسد علينا لحننا . قال عليّ بن يحيى قال إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بهذا الشأن :

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الطويل]

أيا مُنْشِرَ المَوْتى أَقِدْني من التي بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بخِلتْ حتى لَوَ أنّي سألتُها قَذى العين من سافي التراب لضَنَّتِ

الشعر لأعرابيّ ، والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ في مجرى البنصر . وفيه لمُخارق رَمَلٌ ، ولِعَريبَ رمل . ومن الناس مَن ينسُب هذا الشعر إلى كثيِّر ، وهو خطأ من قائله .

أنشدني هذه الأبياتَ عمّي قال : أنشدني هارون بن عليّ بن يحيى ، وأنشدنيها عليّ بن هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنّه أنشده لأعرابيّ فقال[1] : [من الطويل]

صوت

ألا قاتلَ اللهُ الحمامةَ غُدْوةً على الغصن ماذا هيّجتْ حين غنَّتِ
تَغنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهيّجتْ من الشوق ما كانت ضلوعي أجَنَّتِ

غنّى في هذين البيتين عمرو بن بانة ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . [من الطويل]

فلو قَطَرتْ عينُ امرىء من صَبابةٍ دماً قطرتْ عيني دماً فألَمَّتِ
فما سكتتْ حتى أَوَيْتُ لصوتها وقلت تُرى هذي الحمامةُ جُنَّتِ[2]

1 قارن بديوان مجنون ليلى (فراج) : 85–87 وفيه تخريج كثير . وسترد هذه الأبيات في ترجمة الواثق فيما بعد منسوبة لأعرابيّ برواية محمد بن العبّاس اليزيديّ عن ثعلب . وقد وردت في التذكرة الحمدونية 6 : 57 (رقم 146) منسوبة لأعرابي .

2 ترى في ل : أرى .

ولي زَفَراتٌ لو يَدُمْنَ قتلْنني ... بشوق إلى نأي التي قد تولَّتِ
إذا قلت هذي زَفْرةُ اليوم قد مضتْ ... فمَنْ لي بأُخرى في غدٍ قد أظلَّتِ
فيا مُحْيِيَ المَوْتى أَقِدْني من التي ... بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سأَلْتُها ... قَذى العينِ من سافي التراب لضَنَّتِ
فقلتُ ارحَلا يا صاحبيّ فليتني ... أرى كلّ نفسٍ أُعْطِيتْ ما تمنَّتِ
حلفتُ لها بالله ما أُمُّ واحدٍ ... إذا ذكرتْه آخِرَ الليلِ حَنَّتِ
وما وَجْدُ أعرابيّة قذَفتْ بها ... صُرُوفُ النَّوى من حيث لم تَكُ ظَنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العِضاهِ وطِيبَه ... وبَرْد الحِمى من بطن خَبْتٍ أَرَنَّتِ[1]
بأكثرَ منّي لوعةً غيرَ أنّني ... أُجَمْجِمُ أحشائي على ما أَجَنَّتِ[2]

وأمّا لحن إسحاقَ فإنّه غنّى في : [من الطويل]

لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سأَلْتُها

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر ، وهو : [من الطويل]

فإن بخِلتْ فالبخلُ منها سجيّةٌ ... وإن بذَلتْ أعطت قليلاً وأَكْدَتِ

قال : ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

[غضب الواثق على مخارق]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبي ، وحدّثني به عمّي عن أبي جعفر بن دِهْقانةَ النّديم عن أبيه قالا : كان الواثق إذا صنع صوتاً[3] قال لإسحاق : هذا وقع إلينا البارحةَ فاسمعْه ، فكان ربّما أَصلح فيه الشيءَ بعد الشيء . فكاده مخارق عنده وقال له : إنّما يستجيد صنعتَك إذا حضر ليُقارِبَك ويستخرجَ ما عندك ، فإذا فارق حضرتَك قال في صنعتك غيرَ ما تسمع ؛ قال الواثق : فأَنا أُحبُّ أن أَقِفَ على ذلك ؛ فقال له مخارق : فأنا أُغنّيه «أَيا منشر الموتى» فإنّه لم يعلم أنّه لك ولا سمعه من أحد ؛ قال : فافعلْ . فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجَهْده ، وفعل ذلك في مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته ؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق : كيف تَرى هذا الصوتَ ؟ قال له : فاسدٌ غير مَرْضيّ ؛ فأمر

1 العضاه : شجر له شوك . الخبت : الوادي العميق ، ويطلق أيضاً على صحراء بين مكّة والمدينة . أرنت المرأة : صاحت مع البكاء .
2 جمجم : أخفى .
3 ل : صوتاً في غناء .

به فسُحِب من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأمر بنفيه إلى بغداد . ثم جرى ذكرهُ يوماً . فقالت له فَريدةُ : يا أمير المؤمنين ، إنّما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنّه زاد فيه بحذقه نَغَماً وجودةً ، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحقّ في كلّ شيء ساءه أو سَرّه ، ويفهم من غامض عِلل الصنعة ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحضِرْه أمير المؤمنين ويحلّفه بغليظ الأيمان أن يَصْدُقَه عمّا يسمع ، وأغنّيه إيّاه حتى يقف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسداً فصدَق عنه لم يكن عليه عتب ، ووافقناه عليه حتى يستوي ، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد ؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده ؛ فأمر بالكتاب بحمله فحُمِل وأُحضِر ، فأظهر الرضى عنه ولزمه أيّاماً ؛ ثم أحْلفه ليَصْدُقنّ عمّا يمرّ في مجلسه فحلف له . ثم غنّى الواثقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده ؛ ثم غنّتْه فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه ، فرضِيه واستجاده ، وقال له : ليس على هذا سمعتهُ في المرّة الأولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مُخارِق إيّاها ؛ فسكن غضبُه ووصَل إسحاقَ وتنكّر لمُخارِقٍ مدّة .

[قصّة له مع الواثق بشأن الغناء والألحان]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ : أنّه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطَّاهِريّ ، وقد كان تكلّم له في حاجةٍ فقُضيت ، فقال له : أعطاك الله أيّها الأمير ما لم تُحِط به أمنيّةٌ ولا تبلغه رغبة . قال : فاشتهى هذا الكلامَ واستعاده منّي فأعدتُه . ثم مكثنا ما شاء الله ، وأرسل الواثق إلى محمّد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أُغنّي فيه ، وهو : [من الطويل]

لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ انّي سألتُها

فغنَّيته إيّاه ، فأمر لي بمائة ألفِ درهم . فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر أن يأخذ هذا الغناءَ منّي . فلمّا طال مُقامي قلت له : يا أمير المؤمنين ، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هذا الصوت منّي ؛ فقال لي : ولِمَ ؟ وَيْحَك ! فقلت : لأنّي لا أصَحّحه ولا تسخو نفسي به لهم ؛ فما فعلت الجارية التي أخذتَها منّي ؟ (يعني شجا ، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعَمِل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغنّيه ، وهو الذي في أيدي الناس إلى اليوم) ؛ فقال : وكيف ؟ قال : لأنها تأخذه منّي ويأخذونه هم منها ؛ فأمر بها فأُخرجتْ وأخذتْه على المكان ؛ فأمر لي بمائة ألف درهم وأذِن لي في الانصراف ؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً ، فقلت للواثق عند وَداعي له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لَم تُحِطْ به أُمْنيّةٌ ولم تبلُغه رغبة ؛ فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : أيْ إسحاقُ أتُعِيد الدعاء ! فقلت : إي والله أُعيده قاضٍ أنا أو مغنّ . وقدِمتُ بغداد ، فلمّا وافى إسحاقُ جئته

مسَلِّماً عليه ؛ فقال لي : وَيْحَكَ يا إسحاق ؛ أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا أيّها الأمير ؛ قال قال لي : ويحك ! كنّا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحنِنا حتى أفسده علينا . قال عليّ بن يحيى : فحدّثني إسحاق قال : استأذنْتُ الواثقَ عدّة دَفَعات في الانحدار إلى بغدادَ فلم يأذن لي ، فصنعتُ لحناً في : [من الطويل]

خليليّ عُوجا من صدور الرَّواحلِ

ثم غنَّيته الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قِسْمته ومُكْث صوتِه أيّاماً ، ثم قال لي : يا إسحاقُ ، قد صنعتُ لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته ، وأَمَر من وراء السّتارة فَغَنَّوه ؛ فقلت : قد والله يا أمير المؤمنين بغّضتَ إليّ لحني وسمَّجتَه عندي ؛ وقد كنتُ استأذنتُه في الانحدارِ إلى بغداد فلم يأذَن لي ؛ فلمّا صَنَع هذا اللّحنَ وقلتُ له ما قلتُ ، أتبعتُه بأن قلت له : قد والله يا أمير المؤمنين اقتصَصْتَ منّي في «لقد بخِلت» وزدتَ ؛ فأَذِن لي بعد ذلك .

نسبة هذا الصوت[1]

صوت

[من الطويل]

خليليّ عُوجا من صدور الرَّواحلِ بجَرْعاءِ حُزْوَى فابكيا في المنازلِ[2]
لعـلّ انحـدار الدَّمع يُعقب راحةً من الوَجْدِ أو يَشفي نَجيَّ البَلابلِ[3]

الشعر لذي الرُّمّة ، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى في البيتين . وللواثق في البيت الثاني وحدَه رَمَلٌ بالبنصر .

[تأسي ابن عيّاش بشعر ذي الرمّة]

أخبرني أحمد بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدَّثني كَثِير بن أبي جعفر الحِزاميّ الكُوفيّ عن أحمد بن[4] جَوّاس الحَنَفيّ عن أبي بكر بن عَيّاش قال : كنتُ إذا أصابتني المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء ، فأجد ذلك يشتدّ عليّ ، حتّى مررتُ ذات يوم بالكُنّاسة[5] ، فإذا أنا بأعرابيٍّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشِد : [من الطويل]

1 ديوان ذي الرمّة (مكارتني) : 492–493 .
2 بجرعاء حُزوى في الديوان : بجمهور حزوى ، ويروى ببرقة حزوى . والجمهور : الرملة العظيمة ، والجرعاء : الأرض ذات الحزونة أو الرملة السهلة المستوية ، وحزوى : موضع بنجد .
3 البلابل : الهموم في الصدور .
4 ل : أحمد بن أبي جواس .
5 الكناسة : محلّة بالكوفة .

خليليّ عُوجا منْ صُدور الرَّواحلِ بجَرْعاءِ حُزْوَى فابكيا في المنازلِ
لعلّ انحــدار الدَّمع يُعْقِب راحةً من الوجدِ أو يَشفي نَجِيَّ البَلابلِ

فسأَلتُ عنه فقيل لي : هذا ذو الرُّمَّة ؛ فكنتُ بعدُ إذا أَصابتني مصيبة بكيتُ فأَجِد لذلك راحة ؛ فقلت : قاتل الله الأَعرابيَّ ! ما كان أَعلمَه وأَفصَح لهجتَه ! .

[مفاضله بين لحنه ولحن والواثق]

أَخبرنا يحيى بن عليّ عن أَبيه قال : قلت لإسحاق : أَيّما أَجودُ ، لحنُك في «خليليّ عوجا» أَم لحن الواثق ؟ فقال : لحني أَجوَدُ قِسْمةً وأَكثر عملاً ، ولحنُه أَطرَبُ ، لأَنّه جعل رَدّتَه من نفس قِسْمته ، وليس يقدِر على أَدائه إلاّ متمكّن من نفسه . قال عليّ بن يحيى : فتأَمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لي إسحاق : ما كان بحضرة[1] الواثق أَعلمُ منه بالغناء .

[فضّل ابن المعتزّ لحناً للواثق على لحنه]

أَخبرني عليّ بن هارون قال : كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أَنّ الواثق ظلم نفسَه في تقديمه لحنَ إسحاق على لحنه في «لقد بَخِلَتْ» . قال : ومن الدَّليل على ذلك أَنّه قلّما غُنّي في صوت واحد بلحنين فسقَط أَجودُهما وشُهِر الدُّون ، ولا يُشْهَر من اللحنيْن إلاّ أَجودُهما ، ولحنُ الواثق أَشهرُهما ، وما يَرْوي لحنَ إسحاقَ إلاّ العجائزُ ومَن كَثُرَتْ[2] روايتُه .

[كان الواثق يعرض عليه صنعته]

حدَّثني جَحْظة عن ابن المَكّيّ المرتَجِل عن أَبيه أَحمد بن يحيى قال : كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاقَ فيُصلِح فيها الشيءَ بعد الشيء .

[آخر صوت صنعه]

أَخبرنا حسين بن يحيى عن حَمّاد : أَنّ آخر صوت صنعه أَبوه : «لقد بَخِلَتْ» ، ثم ما صنع شيئاً حتى مات .

[غنّى المعتصم بشعر أَبي القنافذ]

أَخبرنا هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثني أَبو زيد عمر بن شَبّة قال حدَّثني إسحاق قال : دخل أَعرابيّ من بني سُلَيْم سُرَّ مَنْ رأَى ، وكان يُكْنى أَبا القَنافِذ ، فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأُذِن له ؛ فلمّا مَثَل بين يديه أَنشده : [من المتقارب]

مِراضُ العيونِ خِماصُ البطونِ طِـوالُ المتــونِ قصارُ الخُطَا

---

1 ل : ما كان يحضر مجلس الواثق .
2 ل : من كثرة .

عِتــاق النّحورِ رِقــاق الثغورِ لِطاف الخصورِ خِدَال الشَّوى[1]
عَطابيــل مــن كلّ رَقْراقــةٍ تَلُـوثُ الإزارَ بـدِعْص النَّقا[2]
إذا هُــنّ مَنَّيْنَنـا نائــلاً أبى البُخلُ منهـنّ ذاك المُنَى
إلى النَّفَر البيضِ أهـلِ البِطاح وأهلِ السَّماحِ طَلَبنا النَّدَى
لهـم سَطَـواتٌ إذا هُيِّجـوا وحلمٌ إذا الجهلُ حَلَّ الحُبا[3]
يَبِين لــك الخيرُ في أوجهٍ لهم كالمصابيحِ تَجْلُو الدُّجى
سَعى الناسُ كي يُدركوا فضلَهم فقصَّر عــن سعيهم مَنْ سَعى
سعــى للخلافــةِ فاقتادَهـا وبــرَّز في السَّبْق لمّا جرى

قال : فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنَّيت فيها ، وأمَر للأعرابيّ بعشرين ألفَ درهم ولي بثلاثين ألفَ درهم ؛ وما خرج الناسُ يومئذٍ إلاّ بهذه الأبيات .

[طلب من علي بن هشام نبيذاً]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : كتبتُ إلى عليّ بن هشام أطلب منه نبيذاً ، فبعث إليّ جُمانَ بما التمستُ ، وكتب إليّ : قد بعثتُ إليك بشَرابٍ أصْلَبَ من الصَخْر ، وأعْتَقَ من الدَّهر ، وأصْفى من القَطْر .

[عبد الله بن طاهر يكلّف لميس أن تسرق لحناً له وتذيعه]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله الهِشاميّ عن أحمد المَكّيّ قال : لمّا صنَع إسحاقُ لحنَه في الرَّمَل[4] : [من الطويل]

أمــاوِيَّ إنّ المــالَ غــادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكْرُ
وقــد علــم الأقوامُ لو أنّ حاتماً يريــد ثَــراءَ المال كان لــه وَفْرُ

وهو رَمَل نادرٌ ، ابتداؤه صِياح ، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على سَجْحة ، وكان كثيرَ الملازمةِ لعبد الله بن طاهر ، ثم تخلَّف عنه مدّة وذلك في أيّام المأمون ؛ فقال عبد الله لِلَمِيسَ جاريته : خُذِي لحنَ إسحاق في : [من الطويل]

أماوِيَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ

---

1 عتاق النحور : جميلاتها . خدال الشوى : مستديرات الأطراف .

2 عطابيل : جمع عطبول وهي الفتية الطويلة العنق . والرقراقة : هي التي كأن الماء يجري في وجهها . تلوث : تلف . دِعص النقا : كثيب الرمل .

3 إذا الجهل حلّ الحبا : إذا الجهل استفزّ الرجال فحلوا أثوابهم استعداداً للفعل .

4 هذا الشعر ممّا ينسب لحاتم الطائي وسيرد في ترجمته فيما بعد ، والمخاطب فيه زوجته ماوية .

فاخلعيه على : [من الطويل]

وهبّتْ شَمالٌ آخِرَ اللّيل قَرّةٌ ... ولا ثوبَ إلاّ بُرْدُها ورِدائيا[1]

وأَلْقِيه على كلّ جارية تُعلِّمينها واشْهَريه وأَلْقِيه على مَن يختلف إليك من جواري زُبَيدة ، وقولي : أَخذتُه من بعض عجائز المدينة ؛ ففعلتْ ، وشاع أَمْرُه حتّى غُنِّي به بين يديّ المأمون ؛ فقال المأمون للجارية : ممّن أَخذتِ هذا ؟ فقالت : من دار عبد الله بن طاهر من لَمِيسَ جاريته ، وأَخبرتني أنّها أَخذتْه من بعض عجائز المدينة . فقال المأمون لإسحاقَ : وَيْلَك ؛ قد صرتَ تسرِق الغِناءَ وتدّعيه ، اسمعْ هذا الصوتَ ، فسمعه فقال : هذا وحياتِك لحني ، وقد وقَع عليّ فيه نَقْب من لصٍّ حاذق ، وأنا أغوص عليه حتّى أَعرفَه ؛ ثم بَكَّرَ إلى عبد الله بن طاهر فقال : أَهذا حقّي وحُرْمتي وخدمتي ! تأخذ لَمِيسُ لحني في :

أَماويّ إنّ المال غادٍ ورائحٌ

فتغنّيه في : «وهبَتْ شَمال» ؟ وليس بي ذلك ، ولكن بي أنّها فضحَتْني عند الخليفة وادّعتْ أنّها أَخذتْه من بعض عجائز المدينة ؛ فضحِك عبد الله وقال : لو كنتَ تُكْثِر عندنا كما كنتَ تفعل لم تُقْدِم عليك لَمِيسُ ولا غيرُها ؛ فاعتذَر فقبِل عذرَه ، وقال له : أَيّ شيء تريد ؟ قال : أُريد أن تُكَذِّب نفسَها عند مَن أَلقتْه عليها حتّى يعلم الخليفة بذلك ؛ قال : أَفعل ؛ ومضى إسحاقُ إلى المأمون وأَخبره القصّة ؛ فاستكشفها من لَمِيس حتى وقف عليها ، وجعل يعبَث بإسحاق بذلك مدّة .

[سخاء الأمين]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال حدّثني شَهَواتُ الصنّاجة التي كان إسحاق أَهداها إلى الواثق : أَنّ محمّداً الأَمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذي صنعه في شعره وهو الثقيل الأوّل : [من المنسرح]

صوت

يـا أيُّها القائمُ الأَمين فدَتْ ... نفسَك نفسي بالمـال والوَلَدِ

بَسَطْـتَ للنّاسِ إذ وَلِيتَهُـمُ ... يـداً من الجود فـوق كلِّ يدِ

فأَمر له بألف أَلفِ درهم ؛ فرأَيتُها قد وصلتْ إلى داره يحمِلها مائةُ فرّاش .

[فهمه لدقائق الشعر]

حدّثني جَحْظة ومحمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : غنّيتُ الواثقَ : [من الوافر]

1 بُرْدُها في ل : درعها .

صوت

عَفَـا طَرَفُ القُرَيّـةِ فالكَثِيبُ إلى مَلْحاءَ ليس بهـا عَرِيبُ
تأبَّد رسمُهـا وجـرى عليهـا سَوافي الريح والتُّـربُ الغريبُ

ولحنه ثقيلٌ ثان قال : فقال لي : يا إسحاق ، قد أحسن ابنُ هَرْمَة في البيتين ، فأيّ شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟ قال قلت : قوله : «التراب الغريب» ، يريد أنّ الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضعٍ بعيد ؛ فقال : صدقتَ وأحسنتَ ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم .

[ابن المدبر يزيد بيتاً على لحن له]

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمّد بن الحسن بن الحَرُون قال : كنّا يوماً عند أحمد بن المُدَبّر ، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ إسحاقَ : [من الطويل]

صوت

فأصبحتُ كالحَوْمانِ يَنظرُ حسرةً إلى الماءِ عطشاناً وقد مُنِع الوِرْدَا[1]

وقال أخوه إبراهيم ابن المُدَبّر : زِد فيه : [من الطويل]

وأمسيتُ كالمسلوبِ مهجةَ نفسه يرى الموتَ في صدّ الحبيب إذا صَدّا

لحنُ إسحاق في هذا البيت من الثقيل الأوّل بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر .

[ذهل مروان بن أبي حفصة لسماع شعره]

حدَّثني الأخفش قال حدَّثني محمّد بن يزيد الأَزْديّ قال حدّثني شيخ من وَلَد المهلَّب قال : دخل مَرْوانُ بن أبي حَفْصة يوماً على إبراهيم الموصليّ ، فجعلا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أبي حَفْصة لنفسه[2] : [من الطويل]

إذا مُضَرُ الحمراء كانت أُرُومَتي وقام بنصري خازمٌ وابنُ خازمِ
عطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ يدايَ الثُّريّـا قاعداً غيرَ قائمِ

قال : وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول ، فقال له : ما لَكَ لا تجيبني ؟ قال : إنّك والله لا تدري ، ما أفرَغ ابنُك هذا في أُذني .

---

1 الحومان : العطشان .

2 تقدّم هذان البيتان في أوّل هذه الترجمة ورواية الأوّل منهما هناك ، ص 179 :

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خـازم

[طرب لشعر أعرابيّ]

حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بِشْر[1] : كنتُ مع إسحاق الموصليّ في نُزْهة ، فمرَّ بنا أعرابيّ ، فوجّه إسحاقُ خَلْفَه بغلامه زِياد الذي يقول فيه : [من الطويل]

وقُـولا لساقِينا زِيـادٍ يُرِقّهـا ... فقد هَدَّ بعضَ القوم سَقْيُ زِيادِ

قال : فوافانا الأعرابيّ ، فلمّا شَرِب وسمِع حَنين الدّواليب قال : [من منهوك الكامل]

صوت

بَكَرتْ تَحِنُّ وما بها وَجْدي ... وأَحِنُّ مـن وَجْدٍ إلى نَجْدِ

فدموعُها تَحْيـى الرِّياضُ بهـا ... ودموعُ عَيْني أَقْرَحَتْ خَدِّي[2]

وبساكِني نجـدٍ كَلِفْتُ ومـا ... يَعني لهم كَلَفي ولا وَجْدي[3]

لـو قِيس وجدُ العاشقين إلى ... وَجْدي لزاد عليه مـا عندي

قال : فما انصرف إسحاق إلى بيته إلاّ محمولاً سُكْراً ، وما شرب إلاّ على هذه الأبيات . والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبِنْصَر .

[بساطُ الفضل بن الربيع]

أخبرني محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعْد عن محمّد بن عبد الله عن إسحاق قال : دخلتُ على الفَضْل بن الرَّبيع وهو على بساط سُوسَنْجِردِيّ[4] ستيني مُذهَّب يلمع عليه مكتوب : «ممّا أَمَر بصنعته حَمّاد عَجْرَد» ؛ فقال لي : أتدري مَنْ حَمّاد عَجْرَد ؟ قلت : لا ؛ قال : حَمّاد عجرد قد كان والِيَ تلك الناحية ؛ أفرأيتَ مثلَه قطُّ ؟ قلتُ : لا ، فسكتَ ، ثمّ قلتُ : أهكذا يفعل الناس ؟ قال : أيّ شيء يفعلونه ؟ قلت : تَهَبُه لي ؛ قال : لا أفعل ؛ قلت : إذاً أغضَبُ ؛ قال : ما شئتَ إفْعَلْ ؛ فخرجتُ مُتغاضباً ؛ فلمّا وافيتُ منزلي إذا برسوله قد لَحِقني بالبساط ؛ فكتبتُ إليه بيتين لحَمْزة بن مُضَر : [من الكامل]

ولقد عدَدْتُ فلستُ أُحصي كلَّ ما ... قـد نِلْتُ منك من المتاع المُونِقِ

---

1 ل : بشير .

2 أقرحت في ل : أحرقت .

3 يعني في ل : يغني .

4 سوسنجرد : قرية من قرى بغداد .

بخديعتـي فـأراك مُنخدعـاً لهـا وفُكاهتـي وتَغَضُّبـي وتملُّقـي

قال ابن أبي سعد في خبره : فلمّا دخلتُ عليه ضحِك وقال لي : البيتان خير من البساط ، فالفضلُ الآن لك علينا .

[مناظرة مع إبراهيم بن المهديّ]

أخبرني يحيى بن عليّ وأحمد بن جعفر جَحْظة عن أبي العَنبس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال : رأيتُ إبراهيم بن المهديّ يناظر إسحاقَ في الغناء ، فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه شيئاً ؛ فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .

[شعره في الواثق]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدَّثني إسحاق قال : قدِمتُ على الواثق في بعض قَدَماتي ، فقال لي : أما اشتقتَ إليّ ؟ فقلتُ : بَلى والله يا أمير المؤمنين ، وأنشدتُه : [من البسيط]

أشكو إلى الله بُعدِي عن خليفته ومـا أُعالج من سُقْمٍ ومن كِبَرِ
لا أستطيعُ رحيلاً إن هَمَمتُ به يومـاً إليه ولا أَقوى على السَّفَرِ
أَنْوِي الرَّحِيـلَ إليه ثـمّ يمنعني ما أَحدَثَ الدَّهرُ والأيّامُ في بَصَري

قال : وقال وقد أشخصه إليه قصيدتَه الداليّة : [من البسيط]

صوت

ضَنّتْ سعادُ غَداةَ البَيْن بالزادِ وأخلفتْـكَ فمـا تُـوفي بميعادِ
ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها إذ تُودِّعُنا والحزنُ منها وإن لم تُبْدِه بادي

لإسحاقَ في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى ، يقول فيها : [من البسيط]

لّمـا أَمَرتَ بإشخاصي إليك هَفا قلبـي حنينـاً إلى أهـلي وأولادي
ثـم اعتزمتُ ولم أُحْفِـل بِبَيْنِهِمُ وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحَمّادِ
كَمْ نِعمـةٍ لأبيك الخيرِ أفردَني بهـا وعَمَّ بأُخـرى بَعْـد إفرادِ
فلـو شكرتُ أياديكم وأنعُمَكم لمـا أحاط بهـا وَصْفي وتَعْدادي
لأشكرنّكَ مـا نـاح الحَمامُ وما حَدا على الصبح في إثْرِ الدُّجى حادي

قال عليّ بن يحيى : قال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، لو قال الخليفة لإسحاق : أحْضِرني فَضْلاً وحَمّاداً أليس كان قد افتضح من دَمامة خَلْقهما وتخلّف شاهِدِهما .

[ابن المهديّ يأسف لفقدان مَن يحكم بينهما]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني هبة الله بن إبراهيمَ بن المهديّ قال : كتب أبي إلى إسحاق في شيء خالفه فيه من التجزئة والقسمة : «إلى مَن أُحاكمك والنّاس بيننا حَمِير ؟» .

[ذهابه إلى تلّ عزاز]

أخبرني محمّد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيّوب قال حدَّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدّثنا إسحاقُ قال : كنتُ مع الرشيد حين خرج إلى الرَّقّة ، فدخل يوماً إلى النساء ، وخرجتُ فمضيتُ إلى تَلّ عَزاز ، فنزلتُ عند خَمّارة هناك فسقتني شَراباً لم أَرَ مثلَه حُسْناً وطيباً وطِيبَ رائحةٍ في بيت مرشوش ورَيْحانٍ غَضّ ، وبرزتْ بنتٌ لها كأنّها خُوط[1] بانٍ أو جَدْل عِنان ، لم أَرَ أحسنَ منها قَدّاً ، ولا أَسْيَلَ خَدّاً ، ولا أَعتَقَ وجهاً ، ولا أَبرعَ ظَرْفاً ، ولا أَفْتن طَرْفاً ، ولا أَحسن كلاماً ، ولا أَتمّ تماماً ؛ فأقمتُ عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدِر عليّ ؛ ثم انصرفتُ فذهبتْ بي رُسُله ، فدخلتُ عليه وهو غضبان ؛ فلمّا رأيتُه خطَرْتُ في مِشْيتي ورقَصْتُ ، وكانت فيّ فضلةٌ من السُّكْر كبيرة ، وغَنَّيْتُ : [من الخفيف]

صوت

إنّ قلبي بالتَّلِّ تَلِّ عَزازِ ... عند ظبي من الظِّباء الجَوازِي[2]
شادنٍ يَسكُنُ الشّآمَ وفيه ... مع دَلّ العِراق ظَرْفُ الحجازِ
يا لَقومي لبِنت قَسٍّ أَصابتْ ... منك صفوَ الهوى وليست تُجازِي
حلفتْ بالمسيح أَن تُنجز الوعـ ... ـدَ وليست تجود بالإنجازِ

الغناء لإسحاقَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة ، قال إسحاق : فسكَن غضبُه ، ثم قال لي : أين كنتَ ؟ فأخبرتُه ؛ فضحك وقال : إنّ مثلَ هذا إذا اتّفق لَطيِّبٌ ، أَعِدْ غناءك ، فأعدته ، فأُعجِب به ، وأمرني أن أُعيده ليلةً من أوّلها إلى آخرها ؛ وأَخذها[3] المغنّون منّي جميعاً وشَرِبنا إلى طلوعِ الفجر ، ثم انصرفنا فصلَّيت الصبحَ ونمْت ؛ فما استقْررنا حتى أُتى إليّ[4] رسول الرشيد فأمرني بالحضور ، فركبتُ ومَضَيت ؛ فلمّا دخلتُ وجدت ابنَ جامع قد طرَح نفسَه يتمرّغ على دُكّان في الدار لغَلَبة السُّكْر عليه ، ثم قال : أتدري لِمَ دُعينا ؟ فقلت : لا والله ؛ قال : لكنّي أدري ، دُعينا بسبب نَصْرانيّتك الزانية ، عليكَ وعليها لعنةُ الله ؛ فضحكتُ . فلمّا دخلتُ على الرشيد أخبرتُه بالقصّة ، فضحك وقال : صدَق ، عُودوا فيه فإنّي اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني ؛ فعُدْنا فيه يومَنا كلَّه حتى انصرفنا .

---

1 خوط : غصن ناعم .
2 الظباء الجوازي : التي اجتزأت بالرطب من البقل والشجر فاستغنت عن الماء .
3 لعلّها وأخذه ، أي الغناء .
4 ل : وافاني .

[شعره إلى المأمون حين وجد عليه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا يَزيد بن محمّد المُهلَّبيّ قال : كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زِيَّه واحتَجَرَ[1] من حضور دار السلطان . فبلغه أنّ المأمون وَجَد عليه من ذلك وتنكَّر ؛ فكتب إسحاقُ إليه وغنّى فيه بعد ذلك : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عـمِّ النبيّ سمعاً وطاعهْ قـد خلعنـا الرِّداءَ والدُّرّاعهْ
ورجعنـا إلى الصِّناعـة لـمّـا كان سُخْطَ الإمام تركُ الصِّناعهْ

الغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو ، وقد ذكر الغَلابيّ أنّ هذا الشعر لأبي العَتاهية ، قاله لمّا حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر ، وذكر حبش أنّ هذا اللحن لإبراهيم .

[تفضيل لحنين له على لحنَيْ ابن سريج ومعبد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبي قال : قال لي محمّد بن الحسن بن مُصعَب ، وكان بصيراً بالغناء والنَّغَم ، : لحنُ إسحاق في «تَشكّى الكميتُ الجريَ» أحسنُ من لحن ابن سُرَيج ، ولحنُه في «يوم تُبْدي لنا قُتَيْلة» أحسنُ من لحن مَعْبد ، وذلك من أجود صنعة ابن سُرَيج ، وهذا من أجود صنعة معبد . قال : فأخبرتُ إسحاقَ بقوله ، فقال : قد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وزَعْزعتُهما[2] وأنَخْتُ بهما فما بلغتُهما . فأخبرتُ بذلك محمّد بن الحسن ؛ فقال : هو والله يعلم أنّه بَرّز عليهما ، ولكنّه لا يدعُ تعصُّبه للقدماء .

وأخبرني جَحْظة قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق : أنّ رجلاً سأل أباه فقال له : إنّ الناسَ قد كثّروا في صوتيك : «تشكّى الكُمَيتُ الجريَ» و«يوم تُبدي لنا قُتَيْلة» ، وقالوا : إنّهما أجود من لَحْنَي ابن سُريج ومَعْبد ؛ قال أبي : وَيْحَك رُمِيت في هذين الصوتين بمعبد وابن سُريج وهُما هُما ، فقربت ووقع القياسُ بيني وبينهما ، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وانتصفتُ منهما .

[تحليل غنائه]

قرأتُ في بعض الكتب أنّ محمّد بن الحسن ، أظنّه ابن مصعَب ، ذكَر إسحاقَ الموصليّ فقال : كانت صنعتُه مُحكمةَ الأُصول ، ونغمتُه عجيبةَ الترتيب ، وقسمتُه مُعدَّلةَ الأوزان ، وكان يتصرّف في جميع بُسُط الإيقاعات ، فأيّ بِساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك البِساط لحُذّاق القدماء فعارَضَه : وقد كان يذهب مذهبَ الأوائل ،

---

1 احتجر : امتنع .

2 زعزعهما : ساقهما سوقاً عنيفاً .

ويسلُك سبيلَهم ، ويقتحم طُرُقَهم ؛ فيَبْني على الرَّسْم فيصيبه ، ويحتذي على المِثال فيَحْكيه[1] ، فتأتي صنعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين : القوّةَ في الطَّبْع وسهولةَ المسلك ، وخُنْثاً بين كثرة النَّغَم وترتيبها في الصِّياح والإسجاح ؛ فهي بصنعة الأَوائل أَشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات ؛ فأَمّا المتأخّرون فأَحسَنُ أَحوالهم أَن يَرْوُوها فيردّوها . وكان حسنَ الطبع في صياحه ، حسنَ التلطُّف ، لتنزيله من الصّياح إلى الإسجاح على ترتيب بنَغَم يشاكله ، حتّى تعتدلَ وتتّزن أَعجازُ الشعر في القسمة بصدوره . وكذلك أَصواتُه كلُّها ، وأَكثرها يبتدىء الصوت فيصيح فيه ، وذلك مذهبه في جُلّ غنائه ؛ حتى كان كثير من المغنّين يلقّبونه الملسوعَ ؛ لأنّه يبدأ بالصّياح في أَحسن نغمة فتَح بها أَحدٌ فاه ، ثم يردّ نغمتَه فيرجّحها ترجيحاً وينزّلها تنزيلاً حتى يَحُطّها من تلك الشدّة إلى ما يوازيها من اللين ، ثم يَعُود فيفعل مثل ذلك ، فيخرج من شدّة إلى لين ومن لين إلى شدّة ؛ وهذا أَشدُّ ما يأتي في الغناء وأَعزّ ما يُعرف من الصَّنعة . قال يحيى بن عليّ بن يحيى وقد ذكر إسحاقَ في صدر كتابه الذي أَلّف في أَخباره وزاد في بعض ما صنعه : «وكان إسحاق أَعلمَ أَهل زمانه بالغناء ، وأَنفذَهم في جميع فنونه ، وأَضربَهم بالعود وبأَكثر آلات الغناء ، وأَجودَهم صنعةً ، وقد تشبّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارَض ابنَ سُريج ومعبداً فانتصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهديّ ينازعه في هذه الصناعة ولم يَبْلُغه فيها ، ولم يكن بعدَ إسحاقَ مثلُه» .

[تشبيهه لصوت له]

أَخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثنا أبو أَيّوب المَدينيّ قال حدَّثني إبراهيم بن عليّ بن هشام : قال إسحاق وذكر صوته : [من منهوك الكامل]

صوت

كان افتتــاحَ بلائـــيَ النَّظــرُ فــالحَيْنُ سبَّــب ذاك والقَدَرُ
قــد كان بــابُ الصَّبر مُفْتَتَحاً فاليــومَ أُغْلَـقَ بابَــهُ النَّظـرُ

الشعر والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر . وفيه لأَحمد بن المكّيّ خفيفُ ثقيلٍ ، ولِعَريبَ ثاني ثقيلٍ ، جميعاً عن الهشاميّ ، قال إسحاق : ما شبّهتُ صوتي هذا إلاّ بإنسان أَخذ الكُرَةَ على الطَّبْطابة[2] وأُهلُ الميدان جميعاً خَلْفَه ، فلمّا بلغ أَقصى ضربها أَحجزها[3] .

1 ل : فيحكمه .
2 الطبطابة : خشبة يلعب بها بالكرة .
3 ل : أخرجها .

[مع يحيى بن معاذ والأمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن يزيد المُهلَّبيّ قال حدّثني إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المَدينيّ عن ابن المكّيّ عن إسحاق قال : صنعتُ هذا الصوت في آخر أيّام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ ؛ فلمّا كان في أيّام محمّد الأمين غنّيته ، فاشتهاه واشتَهَر به ، وبعث إليّ يحيى بن مُعاذ وأنا أُغنّيه : [من مجزوء الرمل]

اسقِنـي وابـنَ نَهِيكٍ وابنَ يحيـى بـنِ مُعاذِ

فلمّا حضر يحيى غنّيت : [من مجزوء الرمل]

فاسقِني واسقِ نَهِيكـاً واسقِ يحيـى بـنَ مُعاذِ

فبعث إليه محمّد فأحضره فقال : لتشربنّ أو لأُعاقبنّك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً ، وغلّفه[1] وأمر له بمال ، وسُرّ بذلك محمّد ووهب لي عليه مالاً ، وانصرفتُ إلى البيت ؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصِرتُ إليه ، فلم يزل يستحلفني ألاّ أعودَ في هذا الصوت قُدّامَ محمّد أبداً ، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله ، ولم أَعُدْ فيه .

[شعر عليّ بن هشام الذي غنّى فيه]

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الرمل]

يومُنـا يـومُ رَذاذِ واصطبـاحٍ والتـذاذِ
فاسقني وابنَ نَهِيكٍ وابنَ يحيـى بن مُعاذِ
من كُمَيْتٍ عُتِّقت للشـ ـيخِ كسرى بن قُباذِ
ليس للمـرء من الهـ ـمّ سواهـا من مَلاذِ

الشعر لعليّ بن هِشام ، والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو .

أخبرني بقوله عليّ بن هشام والحسن بن عليّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم الهاشميّ[2] قال حدّثني أبو عبد الله الهلاليّ قال : كنتُ عند عليّ بن هشام يوماً إذ رَشّت السماءُ رشّاً وطَشّت ؛ فأنشأ عليّ يقول : [من مجزوء الرمل]

يومُنا يـومُ رذاذِ واصطبـاحٍ والتذاذِ

1 غلفه : طيّبه بالطيب .

2 ل : الهشاميّ .

وذكر الأبيات الأربعة ، ثم قال لغلامه : اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقُل له : يقول لك أخوك : هذا يوم طيّب ، فتعالَ أنت وغلاماك بُنَان وعثعث ؛ فجاء إلى بابه الرسولُ وعليه غُرَماءُ له ، فمنعوه الدخولَ عليه ؛ فقال لهم : كم لكم عليه ؟ قالوا : مائتا ألف درهم ؛ فرجع الغلام إلى عليّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدَّيْن ؛ فقال له : احملْ إليه مائتي ألفِ درهم وجيء به وبغلامَيْه الساعةَ فحملها ؛ فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه ، فقال لعليّ بن هشام : لِمَ تَحمَّلت هذا لي ؟ أنا والله مُنتظر مالاً يجيء فأعطيهم ؛ فقال له : مالي ومالُك واحدٌ . فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء ؛ فقال : أُكثِر من الحلواء فلستَ تدخل معنا في ديواننا (يعني الشُّرْبَ) ؛ فأكلتُ وغسلتُ يديّ ؛ فقال لغلامه سِراج : احمِلْ مع أبي عبد الله الهلاليّ ثلاثين ألفَ درهم ؛ فانصرفتُ وهي معي .

[تذكَّر في كبره شعراً له فبكى]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا سليمانُ المَدائنيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال حدّثني إسحاق قال : تعشّقتُ جاريةً فقلت فيها : [من الخفيف]

هــل إلى أن تنامَ عيني سبيلُ إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّي مَنْ لا أُسمّي فعَيْني كلَّ يــوم عليـــه حُزْناً تَسِيلُ

الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَرِيب خفيفُ رَمَلٍ آخر . وفيه لمحمّد بن حمزةَ وَجْه القَرْعة خفيفُ ثقيلٍ ، وقيل : إنّه لابن المَكّي . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى عَلّويه وإلى حسين مُحْرِز ، قال إسحاق : ثم ملكتُها ، فكنت مشغوفاً بها ، حتى كَبِرتُ واعتلّتْ عليَّ عيناي ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيّامَه المتقدّمة ، فما زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولّى . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن يزيد المُهَلّبيّ عن إسحاق ؛ وليس هذا على التمام .

[حكم يحيى المكّي على لحن له]

أخبرني جَحْظة عن محمّد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ عن أبيه قال : دعا المأمونُ بإسحاق فأحْضِرَه ، فأمره أن يُغنّي في هذا الصوت : [من الخفيف]

هل إلى أن تَنامَ عَيْني سبيلُ

فغنّاه ؛ وكنتُ حاضراً فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، وما عدا بلحنه معنى شعره ؛ فقال المأمون : فإنّا نُردّ الحُكمَ إلى مَنْ هو أعلم بذلك منك ؛ فبعث إلى أبي (يعني يحيى المكّيّ) فجيء به ، فخبَّره بما قلتُ وما قال ، وأمَر إسحاقَ بردّ الصوت فردَّه ؛ فقال يحيى : أحسنَ إسحاقُ في غنائه وأحسَنَ ابني في استحسانه ، إلاّ أنّ هذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غير حَلْق إسحاق ؛ فضحِك المأمون ، وأمر لإسحاقَ بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله . قال : ولم يكن

في إسحاق شيء يُعاب إلاّ حَلْقُه ، وكان يغلب الناسَ جميعاً بطبعه وحِذْقه .

[سبب ضعف بصره]

قال : وأمّا السبب في علّة عين إسحاق وضعفِ بصره ، فأخبرني به محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني به أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ : أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة الوَصِيف نازَع إسحاقَ في شيء بين يدي الرشيد من الغناء ، فردّ عليه ، فشتَمه ، فردّ عليه إسحاقُ وأَرْبى في الردّ ؛ فقال له إبراهيم : أتردّ عليّ وأنا مولى أمير المؤمنين ! فقال لـه : اسكُـتْ فإنّك من مَوالي العِيدينِ[1] ؛ فقال له الرشيد : وأيُّ شيء موالي العيدين ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، يُشْتَرى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ في العبيد للعتق ؛ فيكون فيهم الحَجّامُ والحائك والسائس ؛ فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتُ . قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه ، فلمّا جاز عليه مُنْصَرِفاً ضرب رأسَه بِمِقْرَعةٍ فيها مِعْوَلٌ ؛ فكان ذلك سببَ ضعف بصر إسحاق . وبلغ الرشيدَ الخبرُ ، فأمر بأن يُحجَبَ عنه إبراهيمُ ، وحلف ألاّ يدخلَ عليه ؛ فدَسّ إلى الرشيدِ من غنّاه : [من الخفيف]

صوت

مَـنْ لعبـدٍ أذلَّـه مـولاهُ	ما لـه شافـعٌ إليه سواهُ
يشتكي مـا به إليه ويخشا	هُ ويرجوه مثلَ ما يخشاهُ

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ابن أُخي سَلَمة الوَصيف خفيفُ رَمَلٍ . وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ . وقيل : إنّ لابن جامع فيه خفيفَ رملٍ آخر ، فلمّا غُنّي الرشيدُ بهذه الأبياتَ ، سأل عن صاحب لحنها فعُرِّفَه ، فحلف ألاَّ يرضى عنه حتى يرضى إسحاقُ ؛ فقام إسحاق فقال : قد رَضِيتُ عنه يا سيّدي رضاءً حسناً ، وقبَّل الأرضَ بين يديه شكراً لما كان من قوله ؛ فرضِي عنه وأُحْضِر وأَمره بتَرَضِّي إسحاقَ ففعل .

[بينه وبين إبراهيم ابن أخي سلمة]

وأخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : جاء إبراهيم ابن أُخي سَلَمة إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّي أُحبّ أن تشرّفني بأن تكون نَوْبتي ونوبةُ إسحاقَ الموصليّ في مكان واحد ، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان ، فإنْ رأيتَ أن تجعلَ ذلك كما سألتُ فعلتَ ؛ قال : قد فعلتُ ؛ ولم أكن حاضراً لمسألته . فلمّا كان يومُ دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقَّ بابي دقّاً عنيفاً وعرّفني الغلامُ خبرَه ؛ فقلتُ له : يدخل ؛ فأبى وقال له : قُل له اخرج أنت ؛ فساء ظنّي واغتممتُ ، فخرجتُ إليه فقلت له : ما الخبر ؟ قال : إنّ أمير

---

1 ل : العيرين .

المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألاّ تدخلَ الدارَ إلاّ معي بعد أن أُوجِّه إليك فتركب إليّ وتمضي معي ؛ فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر ، وكنت بقيّةَ يومي على تلك الحال . ثم ركبت إلى الفضل بن الرَّبيع فشكوتُ ذلك إليه ؛ فقال : ما أرى أميرَ المؤمنين يُحِلُّك هذا المحلَّ ، قم بنا إليه ؛ فقمتُ معه ، فدخل إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاقُ وخدمتُه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهديّ تضع مقدارَه أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سَلَمة ؟ قال : لا والله ما فعلتُ هذا ؛ قال : إنّه قد جاءني يبكي ويحلِف إن جرى عليه هذا تاب من الغِناء وتركَه جملةً ، ثم لو قُتل لم يَعُدْ إليه ؛ فقال : ويحك ؛ والله ما جرى من هذا شيء ، إلاّ أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة جاء فقال : تشرّفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت ؛ فقل له : يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامةً ؛ فأخبرني فرجعت . فلمّا كانت نوبتي جاء إبراهيم إليّ ففعل مثلَ فعله ؛ فقلت لغلامي : اخرج إليه فقُل له : ولا كرامةَ لك يا زاني يا ابنَ الزانية ، لا أجيء معك ولا أَدَعُك تجيء معي أيضاً ، وشَتَمه أقبحَ شتم ؛ فخرج الغلام فأدّى إليه الرسالة ؛ فعلم أنّ هذا لم يتجرّأ عليه إلاّ بعدَ تَوثُّق فخجِل ، فقال له : قُل له : ومَن أكرهك على هذا ! إنّما أحببتُ أن نصطحبَ ونتَأنّس في طريقنا ، فإن كَرِهتَ هذا فلا تفعلْه ؛ وانصرَفَ ولم يعاودْني بعدها .

[صوت إذا غنّاه بكى]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال : كان إسحاق إذا غَنّى هذا الصوتَ يأخذ بلِحْيته ويبكي : [من الطويل]

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضَّ رأسُه ... وثُلِّم تثليمَ الإناء جوانبُهْ
فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ خَسيسةٍ ... تُباعده طوراً وطوراً تُقاربهْ

الشعر لزبّان بن سَيَّار الفَزاريّ ، حدّثني بذلك الحِرْميّ بن أبي العَلاء عن الزُّبَير بن بَكَّار عن عمّه . والغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالوسطى .

[جفاه المأمون فأمر عَلّويه أن يغنّيه بشعرٍ له]

أخبرنا محمّد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال[1] : أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني ، فكان أوّلَ مَن تَغَنَّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واظب على السماع متستّراً متشبِّهاً في أوّل أمره بالرشيد ، فأقام كذلك أربعَ حِجَج ، ثم ظهر إلى النُّدماء والمغنّين . وكان حينَ أحبَّ

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 5 : 43–44 (رقم 65) .

السماعَ سأَل عنّي ، فجُرِحتُ بحضرته ، وقال الطاعن عليّ : ما يقول أَمير المؤمنين في رجل يَتيه على الخلافة[1] ؟ قال المأمون : ما أَبقى هذا من التّيه شيئاً إلاّ استعمله . فأَمسك عن ذكري ، وجفاني مَن كان يصلني ، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ ؛ فأضرّ ذلك بي ؛ حتّى جاءني عَلّويه يوماً فقال لي : أَتأذَن لي في ذكرك ؟ فإنّا قد دُعينا اليوم ؛ فقلت : لا ولكن غَنِّه بهذا الشعر ، فإنّه سيبعثه على أَن يسأَلك : لِمَن هذا ؛ فإذا سأَلك انفتح لك ما تريد ، وكان الجوابُ أَسهلَ عليك من الابتداء ؛ فقال : هات ، فأَلقيتُ عليه لَحْني في شعري : [من البسيط]

صوت

يا سَرْحةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُه ... أَما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ[2]
لحائمٍ حامَ حتّى لا حِيامَ له ... مُحلأٍ عن طريقِ الماء مطرودِ[3]

الغناء لإسحاق' رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو قال : فمضى عَلّويه ، فلمّا استقرَّ به المجلس ، غنّاه بالشعر الذي أَمرتُه ؛ فما عدا المأمون أَن يسمع الغناء حتى قال : ويحك يا عَلّويه ، لِمَن هذا ؟ قال : يا سيِّدي ، لعبد من عبيدك جفوتَه واطّرحتَه من غير جُرْم ؛ فقال : أَإسحاقَ تَعْني ؟ قال : نعم ؛ قال : يحضر الساعةَ ؛ فجاءني رسوله فصرت إليه . فلمّا دخلتُ عليه قال : ادنُ فدنوت ، فرفع يديه مادَّهما ، فانكببتُ عليه ، واحتضنني بيديه ، وأَظهر من برّي وإكرامي ما لو أَظهره صديق مؤانس لصديقه لَبَرَّه .

[المعتضد يثني على غناه بشعره]

أَخبرني محمّد بن إبراهيم الجُرْجانيّ قُرَيْض قال : قال لي أَحمد بن أَبي العَلاء : غنّيت المعتضدَ يوماً وهو أَميرٌ صوتَ إسحاق : [من البسيط]

يا سرحةَ الماء قد سُدَّتْ موارِدُه ... أَما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

فطرب واستعاده مراراً ، وقال : هذا والله الغناء الذي يُخالط الرُّوحَ ويُمازِجُ اللحمَ والدم .

[صوته في شعر له كان الناس يتهادونه كالطرف]

أَخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أَبو العَنبس بن حَمْدون قال أَخبرني أَبي قال : لمّا غَنّى إسحاقُ في شعره هذا : [من المتقارب]

---

1 ل : الخليفة .
2 سرحة الماء : كنى بها عن امرأة .
3 المحلأ : الممنوع من ورود الماء .

صوت

لأَسماءَ رَسْمٌ عفا باللِّوَى أَقامَ رَهينـاً لطُول البِلَى
تَعاورَه الدَّهـرُ في صَرْفِه بكَرِّ الجديدَيْن حتّى عفا

الشعر لإسحاقَ من قصيدة مدَح بها الرشيدَ ، والغِناء له ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لسُلَيم ثقيلٌ أَوّلُ من رواية الهِشاميّ ، وذكر حَبَشٌ أنّه لإبراهيمَ بنِ المهديّ ، قال : فكان الناس يتهادَوْنه كما يتهادَوْن الطُّرْفةَ والباكورةَ . وقال أَبو العَنبس حدّثني ابن مُخارِق[1] : أَنّ الواثق بعث إلى أَبيه مُخارق لمّا صنع إسحاقُ هذا الصوتَ ليُلقيَه عليه ، فصادفه عليلاً ، ولم يكن أَحد يَلْقَنُ عن إسحاق طَرْحَ الغناء كما يَلْقَنُه مُخارِق ، فأَعاد إليه الرسولَ ومعه مِحَفّة ، وقال : لا بدّ أَن يجيء على كلّ حال ؛ فتحامل وصار إليه حتى أَخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع .

[يتحلّى الشجاعة والفروسيّة]

وذكر محمّد بن الحسين الكاتب عن أَبي حارثَة الباهليّ عن أَخيه أَبي معاوية[2] : أَنّ إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفُروسيّة ويحبّ أَن يُنسَبَ إليهما ، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول . وكان قد شهِد بعضَ مشاهد الحروب فأَصابه سهم فنكَصَ على عَقِبَيْه ؛ فقال أَخوه طَيّاب فيه : [من المتقارب]

وأَنت تكلّفتَ مـا لا تُطيق وقلتَ أَنـا الفـارسُ المَوْصِلي
فلمّـا أَصابتــك نُشّابـةٌ رجعــتَ إلى سنّــك الأَوّلِ

[حديث حمزة الزيّات معه]

أَخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أَبيه عن إسحاق قال : قال لي حمزة الزيّات القارىء[3] : يا موصليّ ، إنّ لي فيك رأياً ، أفترضَى مع فهمك وأَدبك ورأيك أَن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مَطعَم على مَطْعَم ! .

[شعر الأَصمعيّ أَو ابن المنذر العروضي فيه]

حدَّثني عليّ بن سليمان الأَخفش قال أَنشدني أَبو سعيد السُّكَّريّ قال أَنشدني عبد الرحمن ابن أَخي الأَصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق : [من البسيط]

أَئنْ تَغنَّيتَ للشَّربِ الكرامِ «أَلا ردّ الخليطُ جمالَ الحيّ فانفرقوا»

---

1 ل : هارون بن مخارق .

2 قارن بالتذكرة الحمدونية 7 : 272 (رقم 1168) .

3 هذا خبر مستغرب . فحمزة القارىء توفّي سنة 156 في خلافة المنصور ، وإسحاق ولد سنة 150 .

وقيل أُحسنتَ فاستدعاك ذاك إلى ... ما قلتَ ويحك لا يَذهَبْ بك الخَرَقُ
وقيل أنــت حُسانُ الناسِ كلِّهمُ ... وابنُ الحُسانِ فقد قالوا وقد صدَقوا
فما بهــذا تقــوم النادبـــاتُ ولا ... يُثْنَى عليك إذا ما ضَمَّك الخِرَقُ

قال يحيى بن عليّ : إنّ هذه الأَبيات تُرْوَى لابن المُنْذِر العَرُوضيّ وللأَصمعيّ .

[فساد ما بينه وبين الأَصمعيّ]

قال مؤلّف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأَصمعيّ ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلَبه وكشَف للرشيد معايبَه ، وأخبره بقلّة شكره وبُخْله وضِعَة نفسه وأَنّ الصَّنيعة لا تَزْكُو عنده ، ووصف له أَبا عُبَيدة مَعْمَر بنَ المُثَنَّى بالثقة والصدق والسماحة والعلم ؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضْل بن الربيع واستعان به ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبةَ الأَصمعيّ وأَسقطه عندهم ، وأَنفذوا إلى أَبي عُبَيدة مَنْ أَقدمه .

أَخبرني أَبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : أُنشدتُ الفضلَ بن الرَّبيع أَبياتاً كان الأَصمعيّ أَنشدنيها في صفة فرس : [من الرجز]

كأَنّه في الجُــلِّ وهو سامي ... مُشتمِلٌ جــاءَ مـــن الحَمّامِ[1]
يَسُور بــين السَّرْج واللِّجامِ ... سَوْر القَطامِـــيّ إلى اليَمامِ[2]

قال : ودخل الأَصمعيّ فسمعني أُنْشدها ، فقال : هاتِ بقيّتها ؛ فقلت له : أَلم تقل إنّه لم يبقَ منها شيء ؟ فقال : ما بقي منها إلاّ عيونها ، ثم أَنشد بعد هذه الأَبيات ثلاثين بيتاً منها ، فغاظني فعله ؛ فلمّا خرج عرّفت الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لعارفة[3] وبخلَه بما عنده ؛ ووصفتُ له فضلَ أَبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى وعلمَه ونزاهتَه وبذلَه لما عنده واشتمالَه على جميع علوم العرب ، ورَغَّبتُه فيه ، حتى أَنفذَ إليه مالاً جليلاً واستقدمه ؛ فكنتُ سببَ مجيئه به من البصرة .

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : جاء عطاءُ المُلْك[4] بجماعة من أَهل البَصْرة إلى قُرَيْب أَبي الأَصمعيّ ، وكان نَذْلاً من الرجال ، فوجده ملتفّاً في كِسائه نائماً في الشمس ، فركَضه برجله وصاح به : يا قُرَيْب ، قُم ويلك ؛ فقال له : هل لقيتَ أَحداً من أَهل العلم قطُّ أَو من أَهل اللغة أَو من العرب أَو من الفقهاء أَو من المحدِّثين ؟ قال : لا والله ؛ قال : ولا سمعتَ شيئاً تَرويه لنا أَو تُنشدناه أَو نكتبه عنك ؟ قال : لا والله ؛ فقال لمن حضر : هذا أَبو

1 الجل : غطاء للدابة .
2 يسور : يثب ويثور . القطامي : الصقر .
3 العارفة : المعروف .
4 ل : الملط .

الأصمعيّ ، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه ، لا يَقُلْ لكم غداً أو بعده : حدّثني أبي أو أنشدني أبي ؛ ففضَحه . قال الفضل : ثم مرِض الأصمعيّ ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصليّ انفرجتْ ؛ فعاده أبو رَبيعة ، وكان يرغب في الأدب ويَبَرّ أهلَه ؛ فقال له الأصمعيّ : أقرِضْني خمسة آلاف درهم ؛ فقال : أفعل . فقال له أبو ربيعة : فأيّ شيء تشتهي سوى هذا ؟ فقال : أشتهي أن تُهدِي إليّ فصّاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبُرْداً[1] حسناً وسرجاً مُحَلًّى ؛ فقال : أفعل ، وبعث بذلك إليه لمّا عاد إلى منزله . وبلغ ذلك إسحاق فقال : [من الوافر]

أليس مــن العجائب أنّ قِرْداً أُصَيْمِعَ باهِليّــاً يستطيــلُ
ويزعمُ أنّــه قــد كان يُفتي أبا عمــرٍو ويسألُه الخليلُ[2]
إذا مــا قال قال أبي عجبنا لِما يأتــي بــه ولِما يقولُ
ومــا إن كان يَدْرِي ما دَبيرٌ أبــوه إن سألتَ وما قَبِيلُ[3]
وجَلَّلــه عطــاءُ المُلْكِ عاراً تــزول الراسياتُ ولا يزولُ[4]
نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهْدِي وبعضُ النصــح أحيانــاً ثقيلُ
فقُــل لأبي رَبيعةَ إذ عصاني وجارَ بــه عن القصد السبيلُ
لقد ضاعتْ برودُك فاحتسبْها وضاع الفَصُّ والسيفُ الصقيلُ
وسرجٌ كان للبِرذَوْنِ زَيْنــاً لــه في إثْره جَزَعــاً صهيلُ
وأمّا الخمسةُ الآلافِ فاعلمْ بأنّــك غَبْنَهـــا لا تستقيلُ
وأنّ قضاءها فتَعَــزَّ عنهــا سيأتي دونــه زمــنٌ طويــلُ

[الواثق يهبه وصيفة أعجبته فأنشده شعراً للمرّار وعناه فيه فوهبها له]

حدَّثني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كنت جالساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد ، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأنّها خُوطُ بانٍ ، أحسنُ مَنْ رأتْه عيني قطُّ ، تَقْدُمُ عدّةَ وصائفَ بأيديهنّ المَذابُّ والمناديل ونحوُ ذلك ، فنظرتُ إليها نَظَر دَهِشٍ وهو يَرْمُقُني . فلمّا تبيّن إلحاحَ نظري قال : مالكَ يا أبا محمّد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ

1 ل : وبرذوناً .
2 يقصد أبا عمرو بن العلاء إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة والشعر ، والخليل بن أحمد النحوي العروضي .
3 إشارة إلى المثل : ما يعرف قبيلاً من دبير (مجمع الميداني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 286 ومستقصى الزمخشري 2 : 337 .
4 الملك في ل : الملط .

فيك ؟ فتلجلجتُ ؛ فقال لي : رمْتك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبَك ! ؛ فقلت : غيرُ ملوم ؛ فضحك ثم قال : أنشدْني في هذا المعنى ؛ فأنشدتُه قولَ المَرّار[1] : [من الطويل]

أَلِكْني إليها عَمْرَكَ اللهَ يـا فتى ... بآية مـا قالت متى هـو رائحُ[2]
وآيــةِ مــا قالــت لهــنّ عَشيَّةً ... وفي السِّتر حُرّاتُ الوجوه مَلائحُ
تَخَيَّرْنَ أَرْماكُـنّ فارْمِـينَ رميــة ... أخا أسدٍ إذ طرّحتْه الطوارحُ
فلَبَّسْنَ مِسْلاَسَ الوِشاحِ كأنّهـا ... مَهاةٌ لهــا طِفْلٌ برُمَّــانَ راشِحُ[3]

فقال له الواثق : أحسنتَ بحياتي وظَرُفتَ ، اصنعْ فيها لحناً ؛ فإن جاء كما نريد وأطربَنا فالوصيفةُ لك ؛ فصنعتُ فيه لحناً وغنّيته إيّاه ، فاصطبح عليه وشرب بقيَّةَ يومه وليلته حتى سكِر ، ولم يقترح عليّ غيرَه ، وانصرفتُ بالجارية .

[غنّى الواثق وهو لقس النفس فأطربه]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : دخلت على الواثق يوماً وهو خاثر النفس ، فأخذتُ عوداً من الخِزانة ووقفتُ بين يديه فغنّيته : [من البسيط]

من الظباء ظبــاءٌ هَمُّها السُّخُبُ ... ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
أهوَى الظباءَ اللواتي لا قُرونَ لها ... وحليُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ
لا يَغْتَرِبْــنَ ولا يسكُنَّ باديــةً ... وليس يَعْرِفنَ ما صَرٌّ ولا حَلَبُ
وفي الذين غَدَوْا ، نفسي الفداء لهم ، ... شمسٌ تَبرقــعُ أحيانــاً وتَنتقبُ
يا حسنَ ما سَرَقتْ عيني وما انتهبتْ ... والعــينُ تَسرِق أحيانــاً وتنتهبُ
إذا يــدٌ سَرَقتْ فالقطعُ يلزمها ... والقطعُ في سَرَق العينين لا يَجبُ

قال : فهَشّ إليّ ونشِط ودعا بطعام خفيف وأكلْنا واصطبح وأمر لي بمائة ألـف درهم . وأخبرني به الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرويه عن عليّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمّد الكَرْخيّ عن إسحاق ، فذكر مثلَه ؛ وقال فيه : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

[طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن أخيه محمّد قال : كان إسحاق الموصليّ يدخل في مُبَطَّنة وطَيْلَسان مثل زِيّ الفقهاء على المأمون ؛ فسأله أن يأذَن له في

---

1 هو المرّار الفقعسي وستأتي ترجمةٌ له .
2 ألكني : تحمل إليه رسالتي .
3 رمان : قصر بنواحي واسط . والراشح : الصغير الذي أخذ يمشي مع أمّه أو خلفها .

دخول المقصورة يوم الجمعة بدُرّاعة سوداءَ وطَيْلَسان أَسود ؛ فتبسّم المأمون وقال له : ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق ، ولكن قد اشترينا منكَ هذه المسأَلة بمائة أَلف درهم حتى لا تغتمّ ، وأَمر بحملها إليه فحُملت .

[أبو خالد الأسلميّ يمدحه ويقدّم شعره]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عُبَيد الله بن عبد الله قال حدَّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيَّات عن أَبي خالد الأَسْلَميّ : أَنّه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضِّله ويعظِّم شأنه ويقدّمه في الشعر تقديماً مُفْرِطاً ، فقال : ما قولكم في رجل محدَث تَشَبَّه بذي الرُّمّة وقال على لسانه شعراً وغنّى فيه ونَسَبه إليه ، فلم يَشكُكْ أَحدٌ سمعه أَنّه له ولا فَطِن لما فعل أُحد إلاّ مَنْ حَصَّل شعرَ ذي الرمّة كلَّه ورواه ؛ فسئل أَبو خالد عن هذا الشعر فقال : [من الطويل]

ومَدْرَجةٍ للـريح تَيْهـاءَ لم تكن ... لِيَجْشَمَهـا زُمَّيْلـةٌ غيـرُ حازمِ
يَضِلّ بها الساري وإن كان هادياً ... وتَقْطَعُ أَنفـاسَ الريـاح النواسمِ
تَعَسَّفتُ أُفْري جَوْزَهـا بشِمِلَّةٍ ... بعيدةِ مـا بـين القَرَا والمَناسمِ[1]
كأَنَّ شِرارَ المَرْوِ من نَبْذِها بـه ... نجومٌ هَوَتْ أُخرى الليالي العواتمِ[2]

[غنّى المأمون بشعر في اللذات]

حدَّثني عمّي وأَحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : غنَّيتُ المأمونَ يوماً هذين البيتين : [من الطويل]

لأَحسنُ مـن قَرْعِ المَثاني ورجعِها ... تَواتُـرُ صوتِ الثغـر يُقـرَعُ بالثغرِ
وسكرُ الهـوى أُروَى لعظمي ومَفْصِلي ... من الشُّرب في الكاسات من عاتق الخمرِ

فقال لي المأمون : أَلا أُخبركَ بأَطيبَ من ذلك وأَحسن ؟ الفراغُ والشباب والجِدَة .

[أعتق غلامه لحسن جوابه]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني الحسين بن يحيى قال : كان لإسحاق غلام يقال له فَتْح ، يستقي الماءَ لأَهل داره على بغلين من بغاله دائماً ؛ فقال إسحاق : قلت له يوماً : أَيُّ شيء خبرُك يا فَتْح ؟ قال : خبري أَنّه ليس في هذه الدار أَحدٌ أَشقى منّي ومنك ؛ قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أَنت تُطعم أَهل الدار الخبز وأَنا أُسقيهم الماء ؛ فاستظرفتُ قولَه وضحكتُ منه ، ثم قلت له : فأَيَّ شيء تحبُّ ؟ قال : تُعتقني وتَهب لي البغلين أَستقي عليهما ؛ فقلت له : قد فعلت .

---

1 جوز الشيء : وسطه ومعظمه . والشملة : الناقة السريعة . والقرا : الظهر ، والمناسم : الأخفاف .

2 المرو : حجارة بيض رقاق .

[شعره في أبي البصير]

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمّد الأَسَديّ قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : كان لأبي البَصير الشاعر قِيانٌ ، وكان يتكلّم في الغناء بغير علم ولا صواب فيُضْحَك منه ، فقال أبي فيه : [من الوافر]

سكتُّ عن الغناء فما أُماري بصيراً لا ولا غيـرَ البصيرِ
مخافةَ أن أُجنَّن فيـه نفسي كما قد جُـنَّ فيه أبـو البصيرِ

[نهاه الرشيد عن الغناء إلاّ له أو لجعفر بن يحيى]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : نهاني الرشيدُ أن أُغنّي أحداً غيرَه ، ثم استوهبني جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذنَ لي في أن أُغنّيه ففعل ، واتّفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل ، والرشيدُ يومئذٍ بعَقِب علَّة قد عُوفي منها وليس يشرَب ؛ فقال لي الفضل : انصرفْ إليّ الليلة حتى أَهَبَ لك مائة ألف درهم ؛ فقلت له : إنّ الرشيد قد نهاني ألاّ أُغنّي إلاّ له أو لأخيك ، وليس يخفى عليه خبري ، وأنا متّهم عنده بالمَيل إليكم ، ولستُ أتعرّض له ولا أُعرِّضك ، ولم أُجبه . فلمّا نكَبهم الرشيد قال : إيهٍ يا إسحاق ، تركتني بالرَّقّة وجلستَ ببغداد تغنّي للفضل بن يحيى ! فحلفتُ بحياته أنّي ما جالستُه قطُّ إلاّ على المذاكرة والحديث ، وأنّه ما سمعني قطّ أُغنّي إلاّ عند أخيه جعفر ، وحلفت بتربة المهديّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَنْ في الدار من نسائه ؛ فسأل عنه فحدّثنَه بمثل ما ذكرتُه له ، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتُها عليه . فلمّا دخلت عليه ضحِك إليّ ثم قال : قد سألتُ عن أمرِكَ فعَرفتُ منه مثل ما عرّفتني ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً ممّا بذله لك الفضل .

[تحدّث بحديث لا إسناد فيه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون[1] عن إسحاق أنّه كان يقول : الإسناد قيدُ الحديث ؛ فتحدَّث مرّةً بحديث لا إسنادَ له ، فسئل عن إسناده ، فقال : هذا من المُرْسَلاتِ عُرْفاً .

[أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون عن أبيه ، وحدَّثني عمّي عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبي الجَحْناء نُصَيْبٍ مولى المهديّ فيهم : [من الكامل]

1 ل : حدّثني عمّي قال حدّثنا فضل اليزيدي . . . .

صوت

عنـد الملـوكِ مَضَرَّةٌ ومنافعٌ   وأرى البَرامِـكَ لا تَضُرُّ وتنفعُ
إنْ كان شرٌّ كان غيرُهم لـه   أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمعُ
إنّ العروقَ إذا استَسرَّ بها الثّرى   أَشِرَ النباتُ بها وطابَ المَزْرَعُ
فإذا جَهِلْتَ من امرىء أعراقَه   وقديمَـه فانظـر إلى مـا يصنعُ

قال فقال : كأنّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ ، قد كنّا وصلْناه بثلاثين ألف درهم ، وإذاً نُجَدِّد له الساعةَ صلة له ولك معه لحفظك الأبياتَ ؛ فوصلَنا بثلاثين ألفَ درهم .

[عتب عليه المأمون في شيء فاسترضاه]

وأخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمّاز قال[1] : عتَب المأمونُ على إسحاق في شيء ؛ فكتب إليه رُقعةً وأوصلها إليه من يده ؛ ففتحها المأمون فإذا فيها قولُه :   [من البسيط]

لا شيءَ أعظمُ من جُرْمي سوى أملي   لحسن عفوكَ عن ذنبي وعن زَلَلي
فإنْ يكن ذا وذا في القَدْر قد عَظُما   فأنت أعظمُ من جُرْمي ومن أملي

فضحِك ثم قال : يا إسحاقُ ، عذرُك أعلى قدراً من جُرمك ، وما جال بفكري ولا أُخْطِرْتُهُ بعد انقضائه على ذكري .

[بينه وبين ابن بانة في مجلس الواثق]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني يزيد بن محمّد المهلَّبي قال : خرجنا مع الواثق إلى القاطُول[2] للصيد ، ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنِّين وفيهم عمرو بن بانة وعَلّويه ومُخارِق وعَقِيد ، وقدِم إسحاقُ في ذلك الوقت فأخرجه معه ؛ فتصيّد على القاطُول ثم عاد فأكل وشرب أقداحاً ، ثم أَمَر بالبُكور إلى الصَّبُوح فباكرْنا واصطبحْنا . فغنَّى عمرُو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصليّ :   [من الطويل]

صوت

بلوتُ أُمورَ الناس طُرّاً فأصبحتْ   مُذَمَّمةً عندي بَـراءً مـن الحمدِ
وأصبح عندي مـن وَثِقتُ بغيْبه   بَغِيضَ الأيادِي كلُّ إحسانه نَكْدُ[3]

ولحنـه خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى ، فغنّاه على ما أُخذه من إبراهيمَ بن المهديّ وقد غيّره . فقال الواثق لإسحاق : أتعرف هذا اللحنَ ؟ فقال : نعم ، هذا لحنُ أبي ولكنّه ممّا زعمَ إبراهيمُ بن

1 هذا الخبر ممّا ورد في التذكرة الحمدونية 4 : 116 (رقم 340) .
2 القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة .
3 في هذا البيت إقواء .

المهديّ أنّه جَنْدَره وأصلحه فأفسده ودَمَر[1] عليه ؛ فقال له : غَنِّه أنت ، فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدّاً ؛ فغمّ ذلك عمرَو بن بانة فقال لإسحاق : أفأنت مثلُ إبراهيمَ بن المهديّ حتّى تقول هذا فيه ؟ ؛ قال : لا والله ما أنا مثله ، أمّا على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه ، وليس هذا ممّا نحن فيه ؛ وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ؟ ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلاً عن أن تغنّي ، ولا قمتَ بأداء غناءٍ عن أن تميّز بين المحسنين ؛ وإلاّ فغنِّ أيَّ صوت شئت ممّا أخذتَه عنه وعن غيره كائناً مَنْ كانَ ، فإن لم أُوضح لك ولمن حضر أنّه لا يَسلَم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفساد صنعةٍ فدمي به رهنٌ ؛ فأساء عمرو الجوابَ وأغلظ في القول ؛ فأمضَّه الواثق وشتَمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأُقيم . فلمّا كان من الغدّ دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده : [من الرجز]

ومجلسٍ باكرتُــــه بُكــورا والطيرُ مــا فارقتِ الوُكُورا
والصبحُ لم يَستنطقِ العُصفورا على غَديـرٍ لم يكـن دُعْثُورا[2]
لم تَـرَ عينـي مثلَـه غَديرا يجري حَبابُ مائه مَسْجُورا[3]
على حصىً تَحْسَبُه كافـورا تسمع للمـاء بـه خَريرا
يَنْسِجُ أعـلى مَتْنِـه سطورا نسيمُ ريحٍ قـد وَنَتْ فُتورا
حتى تخـالَ متنَـه حَصيرا والشَّربُ قد حَفُّوا به حُضورا
وأمـروا الساقـيَ أن يُديـرا كأسَهـمُ الأصغـرَ والكبيرا
وأعملوا البَـمَّ معـاً والزِّيرا وجاوبـتْ عيدانُهـم زَميرا
وقرّبـوا المُغنّـيَ النِّحْريـرا مُقَدَّمـاً في حِذْقِـه مشهورا
فهـم يطيرون بـه سرورا ولا تـرى في شُربهم تقصيرا
ولا لِصفْو عيشهم تكديرا ولا لخُلْـقِ منهـمُ نظيرا
إلاّ رُجَيْـلاً منهـمُ سِكِّيرا مُعَرْبِـداً مُوَضِّحـاً شِرِّيرا
مُدَّعِيــاً للعلــم مستعيرا يـروم سعيـاً كاذبـاً مغرورا
وأن يكــون عالمــاً بصيرا مُفَضَّـلاً بعلمــه مذكورا
غَمَزْتُـه ولم يكـن صَبـورا فعـاذ منّـي هاربـاً مذعورا
بمَعْشَرٍ تحسَبُهــم حَميـرا أشدَّ منهــم حُمُقــاً كثيرا

1 دمر عليه : إذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشرّ .
2 الدعثور : الحوض المثلّم أو الذي لم تُحكم صنعته ولم يوسع .
3 المسجور : المنظوم المسترسل

لا ينطِقون الدهرَ إلاّ زُورا حتّى إذا كَسَّرْتُه تكسيرا
كالليث لمّا ضَغَم الخِنْزِيرا وَلّى انهزاماً خاسئاً مدحورا[1]
معترفاً بذُلِّه مقهورا وكنتُ قِدْماً ضيغماً هَصُورا
معتلياً لقِرْنِه عَقُورا وما أَخاف الزمنَ العَثُورا
إذ كنتُ بالواثق مستجيرا قد عَزَّ مَنْ كان له نصيرا
إمامُ عدلٍ دبَّر الأُمورا برأيه ولم يُرِدْ مُشيرا
ترى من الحقّ عليه نورا تَقَيَّل المَهْدِيَّ والمنصورا[2]
وَجدَّه الأَدنى تُقىً وخيرا وَرَّثه المعتصمُ التدبيرا
فأَصبح الملكُ به مُنيرا وأَصبح العدلُ به منشورا
قد أُمِنَ الناسُ به المحظورا إذا علا المِنْبَرَ والسريرا
رأيتُ بدراً طالعاً منيرا بحراً ترى الغَنِيَّ والفقيرا
يرجون منه نائلاً غزيرا واللهِ لا زلتُ له شَكورا
لا جاحِدَ النُّعْمى ولا كَفُورا وكنتُ بالشكر له جديرا

[أنشده الأصمعيّ جملة أشعار في الفروسيّة]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاقَ يقول : أَنشدني الأَصمعيّ قولَ الأَعشى : [من البسيط]

إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

ثم قلت : أيَّ شيء تحفظ في هذا المعنى ؟ وكان مع بخله بالعلم لا يبخَل بمثل هذا ، فأَنشدني لرَبيعة بنِ مَقْروم الضبِّيّ : [من الكامل]

ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرادِها بسَلِيم أَوْظِفَةِ القوائم هَيْكَلِ[3]
فدَعَوْا نَزالِ فكنتُ أَوّلَ نازل وعلامَ أَركبُه إذا لم أَنزِلِ

[سرّه غناء ملاحظ فمدحها]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني محمّد بن محمّد بن مروان قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال : اجتمعنا يوماً إمّا قال في منزلي أو في منزل

1 ضغم : عضّ ملء فيه .
2 تقيل الرجل أباه : أشبهه .
3 أوظفه : جمع وظيف وهو ما فوق الحافر .

محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصليّ وعندنا ملاحظُ تُغنّينا وقد قامت الصلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم ومَنْ عندكم ؟ فأخبرناه بخبرها ؛ فقال : لا تُعرِّفوها مَن أنا فيُخرِجها التصنُّع لي والتحفُّظ منّي عن طبعها ، ولكن دعوها وهواها حتّى ننتفعَ بها ؛ وخرجتْ وهي لا تعرفه وجلستْ كما كانت أوّلاً ، وابتدأت وغنّت والصنعة لفُلَيح بن أبي العَوْراء ، ولحنُه رَمَلٌ . هكذا أخبرنا إسحاق ليلتئذٍ أنّ الغناء لفليح : [من البسيط]

صوت

إنّي تَعلَّقْتُ ظبياً شادناً خَرِقاً عُلِّقْتُه شِقوةً منّي وما عَلِقَا

قال : فطرب إسحاق وشرب حتى والَى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها ؛ فأخذ إسحاق دواةً وكتب : [من الطويل]

سأشربُ ما دامت تغنّي ملاحظُ وإن كان لي في الشَّيْبِ عن ذاك واعِظُ
ملاحــظُ غنّينا بعيشكِ وليكن عليك لما استحفظتُه منكِ حافظُ
فأقسم مـــا غنّى غِناءَكِ مُحْسِنٌ مُجيدٌ ولم يَلْفِـظ كلَفْظك لافظُ
وفي بعض هذا القولِ منّي مَساءةٌ وغيظٌ شديــد للمغنّـين غائظُ

[حدّث الرشيد عن البرامكة فزجره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال حدّثني إسحاق قال : قال لي الرشيد يوماً : بأيّ شيء يتحدّث الناس ؟ قلت : يتحدّثون بأنّك تَقْبِضُ على البرامكة وتُولّي الفضلَ بن الرَّبيع الوزارة ؛ فغضب وصاح بي : وما أنت وذاك وَيْلَك ! فأمسكتُ . فلمّا كان بعدَ أيّامٍ دعا بنا ؛ فكان أوّل شيء غنّيته : [من الهزج]

صوت

إذا نحــن صَدَقْنــاكَ فضَرّ عنــدك الصدقُ
طلَبنا النفــعَ بالباطِــلِ إذ لم يَنفع الحقُّ
فلــو قَــدَّم صبّاً في هــواه الصبرُ والرِّفقُ
لقُدّمــتُ عـلى الناس ولكــنَّ الهـوى رزقُ

في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى يُنسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع ، والصحيح أنّه لإسحاق . وقيل : إنّ الشعر لأبي العتاهية . قال : فضحك الرشيد وقال لي : يا إسحاق ، قد صِرتَ حَقُودا .

[المعتصم يجيزه وعلّويه دون مُخارق]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا يزيد بن محمّد قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ على المعتصم يوماً بسُرَّ مَنْ رأى ، فإذا الواثقُ بين يديه وعنده عَلّويه ومُخارِقٌ ؛ فغنّاه صوتاً فلم يَنشَط له ، ثم غنّاه عَلّويه فأطربه . فلمّا رأيتُ طربَه لغناء عَلّويه دون غناء مُخارق اندفعتُ فغنَّيته لحني : [من الطويل]

صوت

تَجَنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بـك الهوى ... وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لي بألف دينار ولعَلّويه بخمسمائة دينار ، ولم يأمر لمخارق بشيء .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَجَنَّبتَ ليـلى أن يَلِجَّ بك الهوى ... وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

ألا إنّمـا غـادرتِ يـا أُمَّ مالكٍ ... صَدىً أينما تَذهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ

الشعر للمجنون[1] . والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وغنّى ابنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر ، هَزَجاً بالبنصر . والبيتان المضافان : [من الطويل]

بَرى اللَّحمَ عن أحناءِ عظمي ومَنْكِبي ... هَـوىً لسُلَيمى في الفـؤادِ المعذَّبِ

وإنّـي سعيـدٌ أنْ رأتْ لـكِ مـرّةً ... مـن الدَّهـرِ عيني منزلاً في بَني أبي

[الواثق يجيزه على غناء علّويه بلحنه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال : غَنّى عَلّويه بين يدَي الواثق يوماً : [من مجزوء الوافر]

صوت

خليـلٌ لي سأهجُرُه ... لذنـبٍ لستُ أذكُرُهُ

ولكنّـي سأرعـاه ... وأكتُمـه وأستُرهُ

وأُظهِـرُ أنّني راضٍ ... وأَسكُـتُ لا أُخبِّرُهُ

لكـي لا يعلمَ الواشي ... بمـا عندي فأكسِرُهُ

---

1 ديوان المجنون : 79 .

الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى ، قال : فطرب الواثقُ طرباً شديداً ، واستحسن اللحن ، وأمر لعلّويه بألف دينار ؛ ثم قال : أهذا اللحنُ لك ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، هو لهذا الهِزَبْرِ[1] (يعني إسحاق) قال : وكان إسحاقُ حاضراً ، فضحِك الواثق وقال : قد ظلمناه إذاً ، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم .

[عارض ثقيلاً بهزج]

أخبرنا عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبد الله بن خُرْداذْبه عن أبيه قال : كان إسحاق عند الفَتْح بن الحَجّاج الكَرْخيّ وعَلّويه حاضرٌ ؛ فغنّاه عَلّويه : [من مجزوء الوافر]

عَلِقتُكِ ناشئاً حتّـى ... رأيـتِ الرأسَ مُبْيَضّا
عـلى يُسْرٍ وإعسارٍ ... وفَيْض نوالِكم فَيْضا
ألا أحبِبْ بأرضٍ كنـ ... ـتِ تحتَلِينَهــا أرضا
وأهلُكِ حبّذا ما هــم ... وإن أبدَوْا ليَ البُغضَا

الشعر لابن أُذينةَ . والغناء لابن سُرَيج ثقيـلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، عن إسحاق أيضاً . وفيه للأبْجَر ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لإسحاق الموصليّ هزج خفيف مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً ، وفيه للأبجر ثقيل أوّل آخر ، ولإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ ، جميعُ ذلك عن الهشاميّ . قال : فغنّاه إيّاه في الثّقيل ، ثم غنّاه هَزَجاً ؛ فقال له الفتحُ : لَمِن الثقيلُ ؟ فقال : لابن سُرَيج ، قال : فلِمَنِ الهَزَجُ ؟ قال : لهذا الهِزَبرِ[2] (يعني إسحاقَ) ؛ فقال له الفتحُ : وَيْلَكَ يا إسحاق ! أتُعارِضُ ثقيلَ ابن سُرَيج بهَزَجِكَ ؟ قال : فقبَض إسحاقُ لِحيته ثم قال : على ذلك فوالله ما فاتني إلاّ بتحريكه الذَّقَنَ .

[تصويبه المعتصم في شعر لأبي خراش]

أخبرني الحسن قال حدَّثني يزيد بن محمّد قال حدَّثني إسحاق قال : دخلتُ يوماً على المعتصم وعنده إسحاقُ بن إبراهيم بن مصعَب ، واستدناني فدنوتُ منه ، واستدناني فتوقّفتُ خوفاً من أن أكون مُوازِياً في المجلس لإسحاق بن إبراهيم ؛ ففطِنَ المعتصم لذلك فقال : إنّ إسحاق لكريمٌ ، وإنّك لم تَستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه . ثم تحدّثْنا وأفضتْ بنا المذاكرةُ إلى قول أبي خِراش الهُذَليّ[3] : [من الطويل]

---

1 ل : الهربذ وهو أحد خدماء النار عند المجوس أو أحد عظماء الهند أو علمائها (فارسية) .

2 ل : الهربذ .

3 شرح أشعار الهذليين : 1230 والحماسية رقم 262 .

حَمِدتُ إلهي بعــد عُرْوَةَ إذ نجا خِراشٌ وبعضُ الشرّ أهونُ من بعض

فأنشدها المعتصمُ إلى آخرها ، وأنشد فيها : [من الطويل]

ولم أدْرِ مَــنْ أَلْقــى عليــه رِداءه سوى أنّه قد حُطّ عن ماجدٍ مَحْضِ[1]

والروايةُ «قد بُزّ عن ماجدٍ محض» ؛ فغلِطتُ وأسأتُ الأدبَ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه رواية الكُتّاب وما أُخِذ عن المعلّم ؛ والصحيح «بُزّ عن ماجدٍ محض» ؛ فقال لي : نعم صدقتَ ، وغمَزني بعينه ، يحذّرني من إسحاق ؛ وفَطِنتُ لغَلَطي فأمسكتُ ، وعلمتُ أنّه قد أشفق عليّ من بادرة تبدُر من إسحاق ، لأنّه كان لا يحتمل مثلَ هذا في الخلفاء من أحد حتى يُعظِمَ عقوبتَه ويُطيلَ حبسَه ، كائناً مَن كان ؛ فنبّهني ، رحمه الله ، على ذلك حتى أمسكتُ وتنبّهت .

[غنّى المأمون ثلاثين صوتاً من أهزاج القدماء]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة : كنّا عند المأمون ، فقال : ما أقلَّ الهزَج في الغناء القديم ! ؛ وقال إسحاق : ما أكثره ! ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتاً في الهزَج القديم . فقلت لأصحابي : هذا الذي تزعمون أنّه قليل الرواية ! .

[أثنى عليه العبّاس بن جرير]

أخبرنا يحيى قال حدَّثنا أبي عن إسحاق قال : قال لي العبّاس بن جَرير : قاتَلَك الله ! مذكَّرُ فِطْنةٍ ، ومؤنَّث طبيعة ، ما أمكرك ! .

[أعرابيّ يعجب بشعره]

حدَّثنا يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبي عن إسحاق قال ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا يزيد بن محمّد عن إسحاق قال : أنشدتُ بعضَ الأعراب شعراً لي أقول فيه : [من الكامل]

أَجرَتْ سوابقُ دمعِك المُهْراقِ لمّا جــرى لــك سانحٌ بفِراقِ
إنّ الظعائنَ يومَ ناصِفةِ اللِّوَى هاجتْ عليك صبابةَ المُشتاقِ[2]
لم أنْسَ إذ أَلْمَحْنَنا في رِقْبــةٍ منهــنّ بيضَ ترائــبٍ وتَراقِ
وأشَرْنَ إذ ودَّعْنَــا بأنامِلٍ حُمْرٍ كهُدّاب الدِّمَقْسِ رِقاقِ
ورَمَتْك هندٌ يوم ذاك فأقْصَدَت بأغَــرَّ عَــذْبٍ بــاردٍ بَرّاقِ[3]
وتنفّست لـمّـا رأتــك صبابــةً نَفَساً تصعَّد في حَشاً خَفّاقِ

1 في الديوان والحماسة : ولكنه قد سل .
2 الناصفة : الرحبة في الوادي .
3 أقصدت : أصابت .

ولقد حَذِرتُ فما نجوت مُسلَّما حتى صُرِعتُ مَصارعَ العُشّاقِ
إنّ الخلافــة أُثبتتْ أوتادُها لمّا تحمّلهــا أبــو إسحاقِ
مَلِكٌ أغرُّ يلوحُ فــوق جَبينه نورُ الخلافة ساطعَ الإشراقِ
كُسيِ الجلالَ مع الجمال وزانَه هَدْيُ التُّقى ومكارمُ الأخلاقِ
صَحَّتْ عروقُك في الجِياد وإنّما يجري الجوادُ بصحّة الأعراقِ
ذخرَ الملوكُ فكان أفضل ذُخْرهم للمُلك ما جمعوا من الأوراقِ
وذخَرتَ أبناءَ الحروب كأنّهم أُسْدُ العَرينِ على مُتونِ عِتاقِ
كم من كريمةِ مَعْشَرٍ قد أُنكِحتْ بسيوفهــم قَسْراً بغير صَداقِ
وعزيــزةٍ في أهلهــا وقَطِينها قد فارقــتْ بَعْلاً بغير طلاقِ

قال فقال لي : أَفْلَيْتَ والله يا أبا محمّد ؛ فقلت له : وما أفليت ؟ قال : رَعَيْت فلاةً لم يرعَها أحدٌ غيرك .

[كان المغنون يتلاشون أمامه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب قال : قلت لزُرْزور بن سعيد : حدّثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطعٌ ذاهِبٌ وحلوقُكم ليس مثلُها في الدنيا ؟ فقال : كان والله لا يزال بحِذْقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أقلَّ من التراب .

[شعره للفضل بن الربيع في الشيب]

أخبرنا يحيى قال حدَّثني أبي قال حدَّثنا إسحاق قال : دخلتُ على الفضل بن الرَّبيع فقال لي : يا إسحاق ، كثُر والله شَيْبُك ؛ فقلت : أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثَقيف : [من الكامل]

الشيبُ إن يَظْهَرْ فإنّ وراءه عمراً يكون خِلالَــه مُتَنَفَّسُ
لم يَنْتَقِصْ منّــي المشيبُ قُلامةً ولَنَحْنُ حِين بدا أَلَبُّ وأكيسُ

قال : هاتِ يا غلام دواةً وقرطاساً ، أُكتُبْهما لي لأتسلّى بهما .

[قصّته مع الفضل بن يحيى ونافذ حاجبه]

أخبرنا يحيى قال حدَّثني أبي قال حدَّثني إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمّد بن عبد الملك عن إسحاق وأخبرني وكيع عن أبي أيّوب المديني عن محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : قال الفضل بن يحيى لأبي :

مالي لا أرى إسحاقَ ، عرِّفني ما خبرهُ ؟ فقال : خير . ورأى في كلامه شيئاً يُشكِّك ، فقال : أعليلٌ هو ؟ فقال : لا ، ولكنّه جاءك مرّاتٍ فحجَبه نافذٌ الخادم ولحِقته جَفْوةٌ ؛ فقال له : فإن حَجَبه بعدها فَلْيَنِكْهُ . فجاءني أبي فقال لي : إلْقَه ، فقد سأل عنك ؛ وخبَّرني لما جرى . وجئتُ فحجبت أيضاً ؛ وخرج الفضل ليركبَ ؛ فوثبتُ إليه برُقْعة وقد كتبتُ فيها : [من المتقارب]

جُعِلتُ فـداءَك من كلّ سوءٍ إلى حسن رأيك أشكو أناسا
يحولون بينـي وبـين السلام فمـا إن أُسلّم إلاّ اختلاسا
وأنفَـذتُ أمـرَك في نافـذٍ فمـا زاده ذاك إلاّ شِماسا

فلمّا قرأها ضحك حتى غُلِب ، ثم قال : أَوَقَدْ فعلتَها يا فاسق ؟ فقلت : لا والله يا سيّدي ، وإنّما مَزَحتُ ؛ فخجِل نافذٌ خجلاً شديداً ، ولم يَعُدْ بعد ذلك لَمساءتي .

[سأل المعتصم عن رجل غائب ماذا يعمل]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني إسحاق قال : ذكر المعتصمُ يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالَوْا حتى نقولَ ما يصنع في هذا الوقت ؛ فقال قوم : يلعب بالنَّرْد ، وقال قوم : يغنّي ؛ فبلغتْني النوبةُ ، فقال : قُل يا إسحاق ؛ قلت : إذاً أقول وأُصيب ؛ قال : أتعلم الغيبَ ؟ قلت : لا ، ولكنّي أفهم ما يصنع وأقدِرُ على معرفته ؛ قال : فإن لم تُصِبْ ؟ قلت : فإن أصبتُ ؟ قال : لك حُكمك ، وإن لم تُصِبْ ؟ قلتُ : لك دمي ؛ قال : وجَبَ ؛ قلت : وجَبَ ؛ قال : فقل ؛ قلت : يتنفّس ؛ قال : فإن كان ميتاً ؟ قلت : تُحفظ الساعةُ التي تكلّمتُ فيها ، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قَمَرْتَني ؛ فقال : قد أنْصفتَ ؛ قلت : فالحُكْم ؛ قال : احتكم ما شئتَ ؛ قلت : ما حُكْمي إلاّ رضاك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنّ رضاي لك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ، أترى مَزِيداً ؟ فقلت : ما أوْلاكَ بذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنّها مائتا ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ قلتُ : ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنها ثلثُمائة ألف ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : يا صفيقَ الوجه ، ما نزيدك على هذا شيئاً .

[مدح سفينة للأمين فأجازه]

أخبرنا يحيى قال حدَّثني أبو أيّوب قال حدَّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني إسحاق قال : عمِل محمّد المخلوعُ سفينةً فأُعجب بها ، وركِب فيها يريد الأنبارَ . فلمّا أمْعَنَ وأنا مُقبلٌ على بعض أبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق ! فوثبتُ فدنوتُ منه ؛ فقال لي : كيف ترى سفينتي ؟ فقلت : حَسَنة يا أمير المؤمنين ، عمّرها الله ببقائك . فقام يريد الخلاءَ وقال لي : قُلْ فيها أبياتاً ، فقلت ، وخرج فقمتُ بالأبيات ؛ فاشتهاها جدّاً وقال لي : أحسنتَ يا

إسحاق ، وحياتِك لأَهَبَنّ لك عشرة آلاف دينار ؛ قلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسَّع الله عليك ؟ فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات هاهنا .

[عرض للواثق بتشوّقه إلى أهله]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنَّيتُ الواثقَ في شعر قلته وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامي واشتقتُ إلى أهلي ، وهو : [من الكامل]

صوت

يـا حَبّذا ريحُ الجَنوبِ إذا بدَتْ ... في الصبح وهي ضعيفةُ الأنفاسِ
قـد حُمِّلتْ بردَ النَّدَى وتَحمَّلَتْ ... عَبَقـاً مـن الجَثْجاثِ والبَسْباسِ

فشرب عليه واستحسنه وقال لي : يا أبا محمّد ، لو قلتَ مكان «يا حَبّذا ريحُ الجنوب» : «يا حَبّذا ريحُ الشّمال» ، أَلَم يكن أرقَّ وأَعْذى وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وخامةً وأطيبَ للأنفس ؟ فقلت : ما ذهب عليَّ ما قاله أميرُ المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعدُ ؛ فقال : قُل ؛ فقلت : [من الكامل]

ماذا تَهِيجُ من الصَّبابة والهـوى ... للصَّبِّ بعـد ذهولـه والياسِ

فقال الواثق : إنّما استطبتَ ما تجيء به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ ، وإليهم اشتقتَ لا إليها ؛ فقلت : أَجَلْ يا أمير المؤمنين ؛ وقمتُ فقبّلتُ يده ؛ فضحك وقال : قد أذِنتُ لك بعد ثلاثة أيّام ، فامضِ راشداً ؛ وأمر لي بمائة ألفِ درهم . لحنُ إسحاقَ هذا من الثقيل الأوّل .

[جعفر بن يحيى البرمكيّ وعبد الملك بن صالح الهاشميّ]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال : لم أَرَ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ؛ كانت له فُتُوّةٌ وظَرْفٌ وأَدَبٌ وحسنُ غِناء وضربٌ بالطبل ، وكان يأخذ بأجزلِ حظٍّ من كلّ فنّ من الأدب والفتوّة . فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد ، فقيل لي : إنّه نائمٌ ، فانصرفت ؛ فلَقِيَني جعفرُ بن يحيى فقال لي : ما الخبر ؟ فقلت : أمير المؤمنين نائمٌ ؛ فقال : قِفْ مكانَك ؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنّه نائم ؛ فخرج إليّ وقال لي : قد نام أمير المؤمنين ، فسِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلوَ جميعاً بقيّةَ يومنا وتغنّيني وأغنّيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت نعم ، فصِرْنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا ، ودعا بالطعام فطعِمنا ، وأمر بإخراج الجواري وقال : لِتَبْرُزْنَ ؛ فليس عندنا من تَحْتَشِمْنَ منه . فلمّا وُضِع الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلُوق فتخلّق به ، ثم دعا لي بمثل ذلك ، وجعل يغنّيني وأغنّيه ؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بألاّ يـأذن لأحـدٍ من الناس كلّهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أَعْلَمَه أنّه مشغول ؛

واحتاط في ذلك وتقدّم فيه إلى جميع الحُجّاب والخَدَم ؛ ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأْذَنوا له يعني رجلاً كان يأنَس به ويمازِحُه ويحضُر خَلَواتِه ثم أخذْنا في شأننا ؛ فوالله إنّا لعلى حالة سارّة عجيبةٍ إذ رُفع السِّتْر ، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ قد أقبل ، وغلِط الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذي يأنَس به جعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ من جلالة القَدْر والتقشّف وفي الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل ، وكان أميرُ المؤمنين قد اجتهد به أن يشربَ معه أو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رَفْعاً لنفسه . فلمّا رأيناه مقبلاً ، أقبل كلُّ واحد منّا ينظر إلى صاحبه ، وكاد جعفر أن ينشقّ غيظاً . وفهِم الرجلُ حالَنا ، فأقبل نحوَنا ، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذي نحن فيه نزَع قَلَنْسِيَتَه فرمى بها مع طَيْلَسانه جانباً ؛ ثم قال : أطعِمونا شيئاً ؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخٌ غضباً وغيظاً فطَعِم ، ثم دعا برِطل فشرِبه ، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعِضادَتي الباب ثم قال : اشركونا فيما أنتم فيه ؛ فقال له جعفر : ادخل ؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلُوقٍ فلبِس وتخلّق ، ثم دعا برِطل ورِطل حتى شرِب عدّة أرطال ، ثم اندفع ليغنّينا ، فكان والله أحسنَنا جميعاً غناءً . فلمّا طابت نفسُ جعفر وسُرِّيَ عنه ما كان به التفتَ إليه فقال له : ارفع حوائجَك ؛ فقال : ليس هذا موضعَ حوائجَ ؛ فقال : لَتَفعلنّ ، ولم يَزل يُلحّ عليه حتى قال له : أمير المؤمنين عليّ واجدٌ ؛ فأُحِبّ أن تترضّاه ؛ قال : فإنّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنك ، فهاتِ حوائجَك ؛ فقال : هذه كانت حاجتي ؛ قال : ارفع حوائجك كما أقول لك ؛ قال : عليَّ دَينٌ فادِحٌ ؛ قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإن أحببتَ أن تقبضها فاقبِضها من منزلي الساعة ، فإنّه لم يمنعني من إعطائك إيّاها إلاّ أنّ قَدْرَك يَجِلّ على أن يصلِك مثلي ، ولكنّي ضامنٌ لها حتى تُحمَل من مال أمير المؤمنين غداً ؛ فسَلْ أيضاً ؛ قال : ابني ، تُكلِّمُ أميرَ المؤمنين حتى ينوِّه باسمه ؛ قال : قد ولاّه أميرُ المؤمنين مصرَ وزوّجه ابنته العالية ومهرَها عنه ألفَيْ ألفِ درهم . قال إسحاق : فقلت في نفسي : قد سَكِر الرجل (أعني جعفراً) . فلمّا أصبحتُ لم تكن لي هِمّةٌ إلاّ حضورَ دار الرشيد ؛ وإذا جعفر بن يحيى قد بَكّر ، ووجدتُ في الدّار جَلَبة ، وإذا أبو يوسفَ القاضي ونظراؤه قد دُعِي بهم ، ثم دُعي بعبد الملك بن صالح وابنِه فأُدْخِلا على الرشيد ؛ فقال الرشيد لعبد الملك : إنّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رضِيَ عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم ، فاقبِضها من جعفر بن يحيى الساعةَ . ثم دعا بابنه فقال : اشهدوا عليَّ أنّي قد زوّجتُه العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفيْ ألفِ درهم من مالي وولّيتُه مصرَ . قال : فلمّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر ؛ فقال : بَكّرتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منّا وما كنّا فيه حرفاً حرفاً ، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنعَ ؛ فعَجِب لذلك وسُرَّ به ؛ ثم قلتُ له : قد

ضَمِنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَماناً ؛ فقال : ما هو ؟ فأعلمتُه ؛ قال : أَوْفِ له بضمانك ، وأمر بإحضاره ؛ فكان ما رأيتَ .

[حمل علّويه لحناً له إلى أبيه فأعجب به]

أخبرني عمّي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : لمّا صنعتُ لحني في : [من الخفيف]

هــل إلى نظرةٍ إليكِ سبيلُ

أَلقيتُه على عَلّويه ، وجاءني رسول أبي بطَبَق فاكهة باكُورةٍ ؛ فبعثتُ إليه : برّك الله يا أَبَةِ ووصَلَكَ ، الساعة أبعث إليك بأحسنَ من هذه الباكورة ؛ فقال : إنّي أظنّه قد أتى بآبِدةٍ[1] ؛ فلم يلبث أن دخل عليه علّويَه فغنّاه الصوتَ ؛ فعَجِب منه وأُعجب به ، وقال : قد أخبرتكم أنّه قد أتى بآبدةٍ . ثم قال لولده : أنتم تلومونني على تفضيل إسحاق ومحبّتي له ، والله لو كان ابنَ غيري لأُحببتُه لفضله فكيف وهو ابني ؛ وستعلمون أنّكم لا تعيشون إلاّ به . وقد ذكر أبو حاتم الباهليّ عن أخيه أبي معاوية بن سعيد بن سَلْم أنّ هذه القصّة كانت لمّا صنع إسحاق لحنَه في :

غَيّضْنَ مــن عَبَراتهن وقلنَ لي

وقد ذكرتُ ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه .

[رأيه في إبراهيم بن المهديّ]

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال : سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ، فقال : دَعْني منه ، فليست له روايةٌ ولا دِراية ولا حكاية .

[رثاؤه هشيمة الخمارة]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : كانت هُشَيْمةُ الخَمّارة جارتي ، وكانت تَخُصّني بأطيب الشراب وجيِّدِه ؛ فماتت فقلت أرثيها : [من الكامل]

أضحتْ هُشَيْمةُ في القبور مقيمةً وخلتْ منازلُهــا مــن الفِتيانِ
كانت إذا هجَرَ المحبَّ حبيبُه دَبّـــت لــه في السرّ والإعلانِ
حتى يَلِـينَ لما تُريــد قيادُه ويصيرَ سيِّئُــه إلى الإحسانِ

[قضى حاجة لإدريس بن أبي حفصة]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألني إدريسُ بن أبي حَفصة حاجة ، فقضيتُها له وزدت فيما سأل ؛ فقال لي : [من الرجز]

---

1 الآبدة : الغريبة .

إذا الرجـــالُ جَهِلُوا المكارمَا كان بهـــا ابنُ الموصليّ عالمَا
أَبقاك ذو العرش بقـاءً دائماً فقـــد جُعِلتَ للكــرام خاتما
إسحاقُ لو كنتَ لقيتَ حاتماً كان نَـــداه لنَـــداك خادما

قال حَمّاد : وقال لي أَبي : كان إدريسُ سخيّاً من بين آل أَبي حَفْصة ؛ فنزل به ضيفٌ ، فتنمّرت امرأتُه عليه ؛ فقال لها : [من البسيط]

مِن شرّ أَيّامك اللاّتي خُلِقْتِ لها إذا فقدتِ نَدَى صوتي وزُوّاري[1]

[تشاغل عن دعوة علي بن هشام]

أَخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد عن أَبيه قال : كان عليّ بن هشام قد دعاني ودعا عبد الله بن محمّد بن أَبي عُيَيْنة ، فتأخّرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً ، وتشاغلتُ عنه برجل من الأَعراب كان يَجيئني فأَكتب عنه وكان فصيحاً ؛ وكان عند عليّ بن هشام بعضُ مَن يُعاديني ؛ فسأَلوا ابنَ أَبي عُيَيْنة أَن يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه إلى الخُلْفِ ؛ فكتب إليّ : [من الخفيف]

يا مَلِيّاً بالوعد والخُلْف والمَطْـ ـل بَطيئاً عن دعوةِ الأَصحابِ
لَهِجــاً بالأَعراب إنّ لدينـــا بعضَ ما تشتهي من الأَعرابِ
قد عرَفنا الذي شُغِلت به عنّا وإن كان غيرَ مـــا في الكتابِ

قال : فكتبتُ إلى الذي حمل ابن أَبي عيينة على هذه الأَبيات ، قال حَمّاد : وأَظنّه إبراهيم بن المهديّ : [من الخفيف]

قد فَهِمتُ الكتابَ أَصلحك اللّـ ـهُ وعندي عليه رَدُّ الجوابِ
ولعَمْري ما تُنصفون ولا كا ن الذي جاءَ منكمُ في حسابي
لستُ آتِيك فاعلمنَّ ولا لي فيك حظٌّ من بعد هذا الكتابِ

[عاتب علي بن هشام لأنّه مرض ولم يعده]

قال حَمّاد : قال أَبي : وكتبت إلى عليّ بن هشام وقد اعتللتُ أَيّاماً فلم يأتني رسولُه : [من السريع]

أَنــا عليلٌ منذُ فارقتَني وأَنتَ عمَّن غاب لا تسأَلُ
ما هكذا كنتَ ولا هكذا فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ

فلمّا وصلتْ إليه رُقْعتي ركِب إليّ وجاءَني عائداً .

---

1 ندى الصوت : صداه .

[شعره حين عودته من البصرة]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد قال : لمّا خرج أبي إلى البصرة خَرْجتَه الأُولى وعاد ، أنشدني في ذلك لنفسه : [من البسيط]

صوت

ما كنتُ أعرِف ما في البين من حَزَنِ حتى تَنادَوْا بأن قد جِيء بالسُّفُنِ
قامتْ تودّعني والعينُ تَغْلِبها فجَمْجَمتْ بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ
مالت عليَّ تُفدِّيني وتَرشُفُني كما يَميل نسيمُ الرِّيح بالغُصُنِ
وأعرضتْ ثم قالت وهي باكيةٌ يا ليت معرفتي إيّاك لم تكُنِ
لمّا افترقنا على كُرهٍ لفُرقتها أيقنتُ أنّي رهينُ الهمِّ والحَزَنِ

[يزيد على شعرٍ لجميل]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أنشدني شَدّاد بن عُقْبة لِجَميل[1] : [من الطويل]

قِفِي تَسْلُ عنكِ النفسُ بالخُطّةِ التي تُطيلين تخويفي بها ووعيدي[2]
فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ رضِينا بحكمٍ منكِ غيرِ سديدِ

قال : فانشدتُ الزُّبَير بن بَكّار هذين البيتين ، فقال : لو لم أُنصرف من العراق إلاّ بهما لرأيتُهما غُنْما . وأنشدني شدّاد لجميل أيضاً[3] : [من الطويل]

بُثَيْن سَلِيني بعضَ مالي فإنّما يُبيَّن عند المال كلُّ بخيلِ
فإنّي وتَكراري الزيارةَ نحوَكم لَبَيْن يَدَيْ هَجْرٍ بُثَيْن طويلِ

قال أبي : فقلت لشَدّاد : فهلا أُزيدك فيهما ؟ فقال : بلى ؛ فقلت : [من الطويل]

فيا ليتَ شِعْري هل تقولين بعدنا إذا نحن أزْمَعنا غداً لرَحيلِ
ألا ليت أيّاماً مَضَيْنَ رواجعٌ وليت النَّوَى قد ساعدتْ بجميلِ

فقال شدّاد : أحسنتَ والله ، وإن هذا الشعر لضائعٌ ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟

قال : نفيتَه عن نفسك بتَسْميتك جميلاً فيه ، ولم يَلْحَق بجميل ، فضاع بينكما جميعاً .

---

1 ديوان جميل : 50 .
2 تخويفي في ل : تسويفي .
3 ديوان جميل : 111 .

[عند إسحاق المصعبي]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المُنَجِّم قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذٍ ، فوجّه إليّ فحضرتُ وحضَر عَلّويه ومخارقٌ وغيرُهما من المغنِّين ؛ فبينا هم على شرابهم وهم أسرُّ ما كانوا ، إذ وافاه رسولُ المأمون فقال له : أَجِبْ أَمير المأمون فقال : السمع والطاعة ؛ ودعا بثيابه فلبِسها . ثم التفت إلى محمّد بن راشد الخَنّاق فقال له : قد بلغني أنّك أحفظ الناس لِما يدور في المجالس ، فاحفظْ لي كلَّ صوت يمرّ وما يشربه كلُّ إنسان ، حتى إذا عدتُ أَعدتَ عليّ الأَصوات وشربتُ ما فاتني ؛ فقال : نعم ، أَصلح الله الأَمير . ومضى إلى المأمون ، فأَمره بالشخوص إلى بابك[1] من غدٍ ، وتقدَّم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده . فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال : يا محمّد ، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك ؟ قال : قد أَحكمتُه أَعزّك الله ؛ ثم أَخبره بما شرِب القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده ؛ فأَمر أَن يُجمعَ له أَكثرُ ما شربه واحدٌ منهم في قدح ، وأَن يُعاد عليه صوتٌ صوتٌ ممّا حفظه له حتى يَستوفيَ ما فاته القومُ به ، ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذَ والأَصواتَ . ثم قال لي : يا أَبا محمد ، إنّي قد عمِلتُ في مُنْصَرَفي من عند أَمير المؤمنين أَبياتاً فاسمعها ؛ فقلت : هاتِها أَعزّ الله الأَمير ؛ فأَنشدني : [من الطويل]

صوت

أَلا مَـنْ لقلبٍ مُسْلَمٍ للنوائـبِ ... أَحاطت به الأَحزانُ من كلّ جانبِ
تَبَيَّن يـــومَ البـين أَنَّ اعتزامــه ... على الصبر من بعض الظنون الكواذبِ

صوت

[من الطويل]

حرامٌ على رامي فـؤادِي بسهمه ... دمٌ صبّه بـين الحَشا والترائبِ
أَراق دمـاً لولا الهـوى ما أَراقه ... فهل بدَمـي من ثائـرٍ أَو مُطالِبِ

قال : فقلت له : ما سمعتُ أَحسنَ من هذا الشعر قطّ ؛ فقال لي : فاصنعْ فيه لحناً ؛ فصنعت فيه لحناً ؛ وأَحْضَرني وصيفةً له ، فأَلقيتُه عليها حتى أَخذَتْه ؛ وقال : إنّما أَردتُ أَن أَتسلّى به في طريقي وتُذكّرني به الجاريةُ أَمرَكَ إذا غنّته . فكان كلّما ذكر أَتاني برُّه ، إلى أَن قَدِم ، عدّةَ دفعات . لم أَجد لإسحاق صنعةً في هذا الشعر ، والذي وجدتُ فيه لعبد الله بن طاهر خفيف رَمَلٍ ، ذكره ابنه عُبيد الله عنه . ولمُخارِق لحنٌ من الرمل . ولعمرو بن بانة هَزَجٌ بالوسطى . ولمخارِق والطاهريّة خفيفُ ثقيل .

---

1 هو بابك الخرمي خرج على الدولة العباسية وقتل في أيّام المعتصم .

[سأل عنه المتوكّل عندما كفّ بصره]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله محمّد بن حَمْدون قال : سأل المتوكّل عن إسحاق الموصليّ ، فعرف أنّه قد كُفَّ وأنّه في منزله ببغداد ؛ فكتب في إحضاره . فلمّا دخل عليه رفعَه حتى أجلسه قُدّامَ السرير ، وأعطاه مِخَدّة ، وقال له : بلغني أنّ المعتصم دفع إليك مخدّة في أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال : إنّه لا يُستجلب ما عند حُرّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم ؛ فأمر أن يُسقى ؛ فلمّا شرب أقداحاً قال : هاتوا لأبي محمّد عوداً فجيء به ؛ فاندفع يغنّي بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له : [من البسيط]

صوت

مـا علّةُ الشيخ عيناه بأربعــةٍ　　تَغْرَوْرِقان بدَمـع ثم يَنْسكِبُ

قال أبو عبد الله : فوالله ما بقي غلامٌ من الغِلمان الوقوفِ على الحَير[1] إلاّ وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل ، فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لي المتوكّل : يا ابن حَمْدُون ، أتُحسن أن تغنّيني هذا الصوت ؟ فقلت نعم ؛ قال : غنّه ؛ فترنّمت به ؛ فقال إسحاق : مَن هذا الذي يَحْكيني ؟ فقال : هذا ابنُ صديقك حمدون ؛ فقال : وَدِدتُ أنّه يُحسن أن يَحْكيني ، فقلت له : أنت عرَّضتني له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكّل إلى رَقَّةِ بُوصَرا[2] ؛ وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها ، فغنّى إسحاقُ : [من الطويل]

صوت

أإن هتَفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحى　　على غُصُنٍ غَضٍّ الشباب من الرَّنْدِ[3]

بكيــت كما يبكي الحزيــن صبابةً　　وشوقاً وتابعــتَ الحَنِينَ إلى نجدِ[4]

فضحك المتوكّل وقال لـه : يا إسحاق ، هـذه أختُ فَعْلتك بالواثق لمّا غنّيتَه بالصالحيّـة[5] : [من الوافر]

طَربــتُ إلى الأُصَيْبِيّة الصِّغار　　وذكَّرني الهـوى قربُ المَزارِ[6]

---

1 الحير : مشبه الحظيرة للحيوانات البريّة ، والمقصود هنا هو قصر المتوكّل بسامراء والذي كان له مثل تلك الحظيرة .

2 الرقة : أرض إلى جانب الوادي ينبسط فيها الماء . بوصرا : إحدى قرى بغداد .

3 ل : على فنن غض النبات من الرند .

4 رواية ل :

بكيت كما يبكي الوليد ولم تزل　　وأبديت الذي لم تكـن تبـدي

5 الصالحية : إحدى قرى الجزيرة .

6 الأصَيبية في ل : أصيبة .

فكم أَعطاك لمّا أَذِن لك في الانصراف ؟ قال : مائة أَلف درهم ؛ فأَمر له بمائة أَلف درهم ، وأَذِن له بالانصراف إلى بغداد . وكان هذا آخرَ عهدنا به ، لأَنّ إسحاق توفّي بعد ذلك بشهرين .

[تطيَّر من اقتراح الواثق شعراً للغناء]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : دخلت على الواثق أَستأذِنه في الانحدار إلى بغدادَ فوجدته مصطبحاً ؛ فقال : بحياتي غنّ[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا إنّ أَهلَ الدار قد ودّعوا الدارا وإن كان أَهلُ الدّارِ في الحيّ أَجْوارا
وقد تركوا قلبي حزيناً متيَّماً بذكرهمُ ، لو يَستطيع لقد طارا

فتطيّرتُ من اقتراحه له وغنَّيته إيّاه ؛ فشرب عليه مراراً ، وأَمر لي بثلاثين أَلفَ درهم وأَذِن لي فانصرفت ؛ ثم كان آخرَ عهدي به . الشعر لمُطِيع بن إيّاس . والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن عمرو .

[استسقى نبيذاً ولكن الدن انكسر]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثنا عبد الله بن الفرج قال حدّثنا أَحمد بن معاوية قال : كنت في بيتي وعَلّويه يُغنيني : [من البسيط]

صوت

أَعْرَضْنَ من شَمَطٍ في الرأس لاح به فهُنّ عنه إذا أبصرْنَه حِيدُ
قد كُنَّ يَعهَدْنَ منّي مَنظَراً حَسَناً وجُمّةً حَسَرتْ عنها العناقيدُ

فوردتْ عليّ رُقعة من إسحاقَ الموصليّ يستسقيني نبيذاً ؛ فبعثت إليه بدَنّ مع غلام لي ؛ فلمّا توسّطَ الغلامُ به الجَسرَ زُحِم فكُسِر ؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأَخبره الخبرَ وسأَله مسأَلتي التجافيَ عنه ؛ فكتب إليّ : [من مجزوء الكامل]

يا أَحمدُ بنَ معاويَهْ إنّي رُميت بداهيَهْ
أَشكو إليك فأَشْكِني كَسْرَ الغلامِ الخابيَهْ
يا ليتها سلمتْ وكا ن فداءَها ابنُ الزانيَهْ

فبعثت إليه بأَربعة أَدنان ، وأَعتقتُ الغلام بشفاعته في أَمره .

---

1 ل : غنني .

[صنع صوتاً أعجب به المعتصم والواثق]

أخبرني جعفر بن قُدامة ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق الموصليّ قال قال لي حمدون بن إسماعيل رحمه الله : لمّا صنع أبوك رحمه الله هذا الصوتَ : [من المنسرح]

صوت

قِـفْ بالديار التي عفى القِدَمُ وغيّرَتْهـا الأرواحُ والدِّيَـمُ
لمّـا وقَفْنـا بهـا نُسائلهـا فاضتْ من القوم أعيُنٌ سُجُمُ[1]
ذِكْراً لعيشٍ مضى إذا ذكرت مـا فـات منـه فذكره سَقَمُ
وكلُّ عيشٍ دامَـتْ غَضارتُه مُنقطِـعٌ مـرّةً ومُنْصَرِمُ

ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ ، أُعجب به المعتصم والواثق جميعاً ؛ فقال له المعتصم : بحياتي اردُدْه على مُخارِق وعَلّويه والجماعة ليأخذوه عنك ، وانصَحْهم فيه ؛ فإنّهم إن أحسنوا فيه نُسبَ إليك إحسانُهم ، وإن أساءوا بان فضلُك عليهم ؛ فردّه عليهم أكثرَ من مائتي مرّة ، وكانوا يقصِدون إلى منزله ويَرُدّه عليهم ، ومات وما أخذوا منه علم الله إلاّ رَسْمَه . الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه ثقيل أوّل .

[في دير القائم وتلّ عزاز]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد عن أبيه قال[2] : خرجنا مع أمير المؤمنين الرشيد يريد الرَّقّة ؛ فلمّا صِرْنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلْنا ، وخرج يتصيّد وخرجنا معه ، فأبْعد في طلب الصيد ؛ ولاح لي دَيْر فقصدته وقد تعبتُ ، فأشرفتُ على صاحبه ؛ فقال : هل لك في النزول بنا اليوم ؟ فقلت : إي والله ، وإنّي إلى ذلك لمحتاج ؛ فنزل ففتَح لي البابَ وجلس يحدّثني ، وكان شيخاً كبيراً وقد أدرك دولة بني أميّة ، فجعل يحدّثني عمّن نزل به من القوم ومَواليهم وجيوشِهم ؛ وعرَض عليَّ الطعامَ فأجبتُه ؛ فقدَّم إليَّ طعاماً من طعام الدِّيارات نظيفاً طيّباً ، فأكلتُ منه ، وأتاني بشرابٍ ورَيحان طَرِيّ فشربتُ منه ، ووَكَّل بي جاريةً تخدِمُني راهبةً لم أرَ أحسن وجهاً منها ولا أشْكَل ؛ فشربتُ حتى سَكِرتُ ، ونمتُ وانتبهتُ عِشاءً ؛ فقلتُ في ذلك : [من الهزج]

صوت

بدَيْـر القائِـم الأقصَى غـزالٌ شادِنٌ أحْوَى
بَـرى حُبِّي له جِسْمِي ولا يَعْلَـمُ مـا ألقى

---

1 أعين في ل : أدمع .

2 هذه أخبار مكرّرة .

وأَكتُمُ حبَّــه جُهدِي ولا واللهِ مــا يَخفَى

ورَكِبتُ فلحِقتُ بالمعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أُوجَد . وأُخبِرتُ بذلك ، فغنَّيتُ في الأَبيات ودخلتُ إليه ؛ فقال لي : أَين كنتَ ؟ وَيْحَك ! فأَخبرته بالخبر وغنَّيته الصوتَ ؛ فطرِب وشرب عليه حتى سَكِر ، وأَخَّر الرحيلَ في غدٍ ، ومَضَيْنا إلى الدَّيْر ونزله ، فرأَى الشيخَ واستنطقه ، ورأَى الجاريةَ التي كانت تخدِمُني بالأَمس ؛ فدعا بطعام خفيف فأَصاب منه ، ودعا بالشراب ، وأَمر الجاريةَ التي كانت بالأَمس تخدِمُني أَن تتولَّى خدمتَه وسَقْيَه ففعلتْ ، وشرب حتى طابت نفسه ؛ ثم أَمر للدَّيْر بأَلف دينار ، وأَمر باحتمال خراج مزارع كانت له سَبْعَ سنين ؛ فرحَلْنا .

قال حَمّاد : فحدّثني أَبي قال : فلمّا صِرنا بتلّ عَزاز من دابِق[1] خرجتُ أَنا وأُصحاب لي نتنزّه في قرية من قُراها ، فأَقمنا بها أَيّاماً ، وطلَبني الرشيدُ فلم يَجدني . فلمّا رجَعتُ أَتيتُ الفضلَ بن الربيع ؛ فقال لي : أَين كنت ؟ طلَبك أَميرُ المؤمنين ؛ فأَخبرته بنُزْهتنا فغضِب . وخِفتُ من الرشيد أَكثر ممّا لقيتُ من الفضل ؛ فقلت : [من الخفيف]

صوت

إنّ قلبــي بالتَّــلِّ تــلِّ عَزازِ عنـد ظَبْيٍ مــن الظِّباء الجَوازِي
شادِنٍ يسكُــنُ الشآمَ وفيــه مع ظَرْف العراقِ شَكْلُ الحجازِ
يــا لَقَومي لبنت قَسٍّ أَصابتْ منك صفوَ الهوى وليست تُجازي
حَلَفتْ بالمسيح أَن تُنْجِـزَ الوعـ ـــدَ وليستْ تَهُــمُّ بــالإنجازِ

وغنَّيتُ فيه ؛ ثم دخلتُ على الرشيد وهو مُغْضَبٌ ؛ فقال : أَين كنت ؟ طلبتُك فلم أَجِدْك ؛ فاعتذرتُ إليه وأَنشدتُه هذا الشعرَ وغنَّيته إيّاه ؛ فتبسَّم وقال : عذرٌ وأَبيك وأَيُّ عذر ! وما زالَ يشربُ عليه ويَستَعِيدُنيه ليلتَه جَمْعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر . فلمّا وصلتُ إلى رَحْلي إذا برسول أَمير المؤمنين قد أَتانا يَدْعونا ؛ فوافَيْتُ فدخلتُ ، وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكّان في الدار وهو سَكْرانُ يتململ ؛ فقال لي : يا ابنَ الموصليّ ، أَتدري ما جاء بنا ؟ فقلت : لا والله ما أَدري ؛ فقال : لكنّي والله أَدري دِرايةً صحيحةً ، جاءت بنا نَصرانيَّتُك الزانية ، عليك وعليها لعنة الله . وخرج الآذِنُ فأَذِنَ لنا ، فدخلنا . فلمّا رأَيتُ الرشيد تبسَّمتُ ؛ فقال لي : ما يُضحكك ؟ فأَخبرته بقول ابن جامع ؛ فقال : صَدَق ، ما هو إلاّ أَن فقدتُكم فاشتقتُ إلى ما كنّا فيه ، فعُودوا بنا ، فعُدْنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا .

---

1 دابق : من قرى حلب .

لحن إسحاق الأوّل : [من الهزج]

بدَيــر القائــمِ الأقصى

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلُ . ولحنه في : [من الخفيف]

إنّ قلبي بالتّلّ تلّ عَزازِ

خفيفُ رَمَلٍ .

[دخل على الرشيد ضارباً مغنّياً]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثني حَمّاد عن أبيه قال : دخلتُ على الرشيد يوماً في عمامة قد كَوَّرتُها على رأسي ؛ فقال : ما هذه العمامة ! كأنّك من الأنبار . فلمّا كان من غدٍ دعا بنا إليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنُون جميعاً قبلي ، ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطي بمِشَدّة حرير أحمر ، ولبِستُ لباساً مُشْتَهِراً ، وأخذتُ بيدي صَفّاقتَيْن وأقبلتُ أخْطِر وأضرب بالصَّفّاقَتَيْن وأُغنّي : [من المجتث]

إسمعْ لصوتٍ مليــحٍ ... مــن صنعــة الأنباري

صوتٍ خفيفٍ ظريفٍ ... يطيــرُ في الأوتــارِ

فبسط يده إليَّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتي ! أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيَّةَ يومه ، وما استعاد غيرَه ، وأمر لي بعشرين ألف درهم . لحنُ إسحاق في هذا الشعر هَزَج .

[لحن لذلك الشيطان إسحاق]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال حدَّثني أحمد بن يحيى المَكّيّ قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغنّى بعضُ مَنْ كان عنده : [من الرمل]

صوت

كلُّ شيء منكِ في عيني حَسَنْ ... ونَصِيبي منــكِ هــمٌّ وحَزَنْ

لا تَظُنّــي أنّــه غيَّــرني ... قِدَمُ العهــد ولا طولُ الزمنْ

فقال لي : أتدري لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطُّنْبُوريِّين ؛ فقال : لا ولكنّه لذلك الشيطان إسحاق . لحنُ إسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه .

[شعره في جارية سقته في الطريق إلى طوس]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : لمّا خرجنا مع الرشيد إلى طُوس كنتُ معه أُسايِرُه ، فاستسقَيتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَحْنة[1] ، فخرجتْ إلينا جاريةٌ

---

1 موضع .

كأنّها ظبيةٌ ، فسقَتْني ماء ؛ فقلتُ هذا الشعر : [من الوافر]

غـزالٌ يَرْتَعِـي جَنَبات وادِ بسَحْنَةَ قـد تمكَّنَ في فؤادِي

سقاني شَرْبـةً كانـت شِفاءً لِعِلَّةِ حائِـمٍ حَـرّانَ صادِي[1]

وغنّيته الرشيدَ ؛ فقال لي : أتحبُّ أن أزوِّجكها ؟ فقلتُ : نعم والله يا سيّدي . قال : فاخطُبها والمهرُ عليّ وما يُصلحها ؛ فخطبتُها ، فأبى أهلها أن يُخرجوها من بلدها . لحنُ إسحاقَ في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لعَلّويه خفيفُ رَمَلٍ .

[أحد العامّة يأخذ صوتاً عنه]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : قال لي أبي : ما اغتممتُ بشيء قطّ مثلَ ما اغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعته في هذا الشعر : [من المديد]

صوت

كان لي قلبٌ أعيشُ بـه فاكتَـوى بالنـارِ فاحتَرَقا

أنـا لم أُرزَقْ مَحَبّتهـا إنّمـا للعبـد مـا رُزِقا

مَنْ يكن ما ذاقَ طعمَ رَدىً ذاقـه لا شكَّ إن عَشِقا

فإنّي صنعتُ فيه لحناً وجعلتُ أُردّده في جَناحٍ لي سَحَراً ؛ فأظنّ أنّ إنساناً من العامّة مرَّ بي فسمعه فأخذه ؛ فبكّرتُ من غدٍ إلى المعتصم لأُغنّيه ، فإذا أنا بسَوّاط يَسُوط[2] الناطِفَ وهو يُغنّي اللحنَ بعينه إلاّ أنّه غناء فاسدٌ . فعجبتُ وقلتُ : تُرى من أين لهذا السَّوّاط هذا الصوت ! ولعلّي إذا غنّيتُه أن يكون قد مرَّ بي هذا فسمعني أغنّيه ؛ وبقيتُ مُتحيِّراً ، ثم قلت : يا فتى ، ممّن سمعت هذا الصوت ؟ فلم يجبني والتفتَ إلى شريكه ، وقال : هذا يسألني ممّن سمعته ! هذا غنائي ، والله لو سمِعه إسحاق الموصليّ لَخَرِىء في سَراويله ؛ فبادرتُ والله هارباً خوفَ أن يمرَّ بي إنسانٌ فيسمع ما جرى عليّ فأفتضِح ؛ وما علم الله أنّي نطقت بذلك الصوتِ بعدها .

[جوابه في أحجية]

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال : كتب إبراهيمُ بن المهديّ إلى أبي : أيّ شيء تصحيفُ : «لا يُريحُ مثلُ الأسِنّة» . فكتب إليه أبي : تصحيفُه : «لا يَرِثُ جمِيلٌ إلاّ بُثَينة» ؛ فكتب إليه : وَيْ منك ! .

[مديحه جعفر بن يحيى]

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال : دخلتُ يوماً على جعفر بن يحيى ، فرأى

1 حائم : عطشان .

2 يسوط : يخلط .

شَفَتيَّ تتحرّكانِ بشيء كنتُ أعمله ؛ فقال : أتدعو أم تَصنع ماذا ؟ فقلتُ : بل أمدح ؛ قال : قُل ؛ فقلت : [من الطويل]

صوت

وكنتُ إذا إذنٌ عليك جَرى لنا ... تجلَّى لنا وجهٌ أغرُّ وسيمُ
علانِيّةٌ محمودةٌ وسريرةٌ ... وفِعلٌ يَسُرُّ المُعْتَفِينَ كريمُ

فاحتبَسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ ، وقال : زِدِ البيتين حُسناً بأن تصنع فيهما لحناً ؛ فصنعتُ لحناً من الثقيل الثاني ؛ فلم يزل يَشربُ عليهما حتى سَكِر .

[طفيلي ومقترح]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه أنّه حدّثه قال : غدوتُ يوماً وأنا ضَجِرٌ من ملازمةِ دار الخلافةِ والخدمةِ فيها ؛ فخرجتُ وركِبتُ بُكرةً ، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرَّجَ ؛ فقلتُ لغلماني : إن جاء رسول الخليفة أو غيرُه فعرِّفوه أنّي بكَّرتُ في بعض مُهمّاتي ، وأنّكم لا تعرِفون أينَ توجّهتُ ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي ، ثم عُدتُ وقد حَمِي النهارُ ؛ فوقفتُ في الشارع المعروف بالمخرِّم في فناءٍ ثَخين الظلّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ . فلم ألبَثْ أن جاء خادمٌ يقودُ حماراً فارِهاً عليه جاريةٌ راكبة ، تحتها مِنديلٌ دَبِيقيّ وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده ، ورأيتُ لها قَواماً حسناً وطَرْفاً فاتِراً وشمائلَ حسنةً ؛ فَخَرَصْتُ[1] عليها أنّها مُغنّية ، فدخلتِ الدار التي كنتُ واقفاً عليها . ثم لم ألبث أن جاء رجلانِ شابّانِ جميلانِ ، فاستأذنا فأُذِن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ ؛ فظنا أنّ صاحبَ الدار دعاني وظنّ صاحبُ الدار أنّي معهما ؛ فجلسنا ، وأُتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضِع ، وخرجتِ الجاريةُ وفي يدها عودٌ فغنَّتْ وشرِبنا ؛ وقمتُ قومةً ، وسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنّي فأخبراه أنّهما لا يعرفاني ؛ فقال : هذا طُفَيليٌّ ، ولكنّه ظريفٌ ، فأَجْمِلوا عِشْرتَه . وجئتُ فجلستُ ؛ وغنّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي : [من الطويل]

ذَكَرتُكِ أن مرّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ ... أمامَ المطايا تشرئِبُّ وتَسْنَحُ
من المؤلفاتِ الرمل أدْماءُ حُرَّةٌ ... شُعاعُ الضُّحى في مَتْنِها يَتوضَّحُ

فأدّتْه أداء صالحاً وشَرِبت . ثم غنَّت أصواتاً شتّى ، وغنَّتْ في أضعافها من صنعتي : [من مجزوء الخفيف]

---

1 فخَرَصْتُ : قدرتُ .

الطُّلُــــولُ الدوارِسُ فارقَتْهـــــا الأَوانِسُ
أَوْحشتْ بعــد أَهلها فهــي قَفْــرٌ بَسابِسُ

فكان أَمرُها فيه أَصلحَ منه في الأَوّل . ثم غنَّتْ أَصواتاً من القديم والحديث ، وغنَّتْ في أَثنائها من صنعتي : [من مجزوء الخفيف]

قُــل لِمن صَــدَّ عاتِباً ونـأَى عنــكَ جانبَا
قــد بلَغْتَ الذي أَرَد تَ وإن كنــتَ لاعِبا

فكان أَصلحَ ما غنَّته ؛ فاستَعَدْتُه منها لأُصحِّحه لها ؛ فأَقبل عليّ رجل من الرجلين وقال : ما رأيتُ طُفَيليّاً أَصفقَ وجهاً منك ! لم تَرْضَ بالتطفيل حتى اقترحْتَ ، وهذا غايةُ المثل [1] «طُفَيليٌّ ومُقْترِحٌ» ؛ فأَطرَقْتُ ولم أُجبه ؛ وجعل صاحبُه يَكُفُّه عنّي فلا يَكُفُّ . ثم قاموا للصلاة وتأَخّرتُ قليلاً ، فأَخذتُ العود من الجارية ، ثم شددتُ طبقتَه وأَصلحتُه إصلاحاً محكماً ، وعُدتُ إلى موضعي فصلَّيتُ ، وعادوا ؛ ثم أَخذ ذلك الرجلُ في عَرْبَدتِه عليّ وأَنا صامتٌ ؛ ثم أَخذتِ الجاريةُ العودَ فجَسَّته وأَنكرتْ حالَه وقالت : مَنْ مَسَّ عُودي ؟ قالوا : ما مسَّه أَحدٌ ! قالت : بلى ، والله لقد مسَّه حاذقٌ متقدّم وشَدّ طبقتَه وأَصلحه إصلاحَ مُتَمكّن من صناعته ؛ فقلتُ لها : أَنا أَصلحتُه ؛ قالت : فبالله عليك خُذْه واضرِب به ؛ فأَخذتُه وضربتُ به مَبدَأً صحيحاً ظريفاً عجيباً صَعْباً ، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ ؛ فما بقي أَحدٌ منهم إلاّ وَثَبَ على قدميه وجلس بين يديّ ؛ ثم قالوا : بالله يا سيّدَنا أَتُغنّي ؟ فقلتُ : نعم ، وأُعرِّفُكم نفسي ، أَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصليّ ، ووالله إنّي لأَتِيهُ على الخليفة إذا طلبني وأَنتم تُسمِعُونَني ما أَكره منذ اليوم لأَنّي تملَّحتُ معكم ؛ فوالله لا نَطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرِجوا هذا المُعَرْبِدَ المَقِيتَ الغَثَّ ؛ فقال له صاحبه : مِن هذا حَذِرتُ عليك ؛ فأَخذ يَعتذِرُ ؛ فقلتُ : والله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يُخْرَجَ ؛ فأَخذوا بيده فأَخرجوه وعادوا . فبدأتُ وغنَّيتُ الأَصواتَ التي غنّتها الجاريةُ من صنعتي ؛ فقال لي الرجلُ : هل لك في خَصْلةٍ ؟ قلتُ : ما هي ؟ قال : تُقيمُ عندي شهراً ، والجاريةُ والحِمارُ لك مع ما عليها من حُليّ ؛ قلت : أَفعل ، فأَقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يَدري أَحدٌ أَين أَنا ، والمأمونُ يَطلُبني في كلّ موضع فلا يعرفُ لي خبراً . فلمّا كان بعد ثلاثين يوماً أَسلم إليّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ ؛ فجئتُ بذلك إلى منزلي ، وركِبتُ إلى المأمون من وقتي ؛ فلمّا رآني قال : إسحاقُ ! وَيْحَك ، أَين تكون ؟ فأَخبرتُه بخبري ؛ فقال : عليّ بالرجل الساعةَ ؛ فدللتُهم على بيته فأُحضِر ؛ فسأَله المأمونُ عن القصّة فأَخبره ؛ فقال له : أَنت رجلٌ ذو

1 المثل : «طفيلي ومقترح» في مجمع الميداني 1 : 442 .

مروءةٍ وسَبيلُكَ أَن تُعاوَنَ عليها ، وأَمر له بمائة أَلف درهم ، وقال : لا تُعاشِرنّ ذلك المعربِدَ النَّذْلَ أَلبتَّةَ ؛ وأَمر لي بخمسين أَلف درهم ، وقال : أَحضِرْني الجاريةَ ، فأَحضرتُها فغنَّته ؛ فقال لي : قد جعلتُ لها نوبةً في كلّ يوم ثُلاثاء تُغنِّيني وراءَ الستارة مع الجواري ؛ وأَمر لها بخمسين أَلف درهم . فربحتُ والله بتلك الرَّكْبةِ وأَربَحْتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

ذكرتكِ أَن مرَّتْ بنا أُمّ شادِنٍ أَمامَ المطايـا تشرئبّ وتَسْنَحُ
من المؤلفاتِ الرمل أَدماءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في مَتنِها يَتوضَّحُ

الشعرُ لذي الرُّمّة . والغناءُ لإسحاقَ ثقيل أَوّلٌ بالسبابة والوسطى ، عن ابن المكّيّ . ومن أَغاني إسحاق : [من مجزوء الخفيف]

صوت

قُـل لِمَـن صَدَّ عاتِباً ونـأَى عنـك جانِبَا
قـد بلَغْتَ الذي أَرد تَ وإن كنـتَ لاعِبا

الشعرُ والغناء لإسحاقَ . وقد تقدَّم خبره قبل هذه الأَخبار . [من مجزوء الخفيف]

الطُّلُـــولُ الدَّوارِسُ فارقَتْهـــا الأَوانِسُ
أَوْحشتْ بعــد أَهلها فهي قَفْــرٌ بَسابِسُ

الشعرُ لابن ياسين ، شاعر مجهول قليل الشعر ، كان صديقاً لإسحاق . والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ . وهذا الصوت من أَوابد إسحاق وبدائعه . وقد ذكرنا ما كان من فعله فيه قبل هذا .

[إعجاب الواثق بصوت له]

أَخبرني عمِّي قال حدّثني يزيدُ بن محمّد المهلَّبيّ قال : كنتُ عند الواثق ؛ فغنَّته «شجى» التي وهبها له إسحاقُ هذا الصوتَ ؛ فقال لمخارق وعَلّويه : والله لو عاش مَعْبدٌ ما شقَّ غبارَ إسحاقَ في هذا الصوتِ ؛ فقالا له : إنّه لحسنٌ يا أَمير المؤمنين ؛ فغضب وقال : ليس عندكما فيه إلاّ هذا ! ثم أَقبل على أَحمدَ بن المكّيّ فقال : دعني من هذين الأَحمقين ؛ أَوّلُ بيتٍ في هذا الصوت أَربعُ كلمات : «الطلول» كلمة ، و«الدوارس» كلمة ، و«فارقتها» كلمة ، و«الأَوانس» كلمة ؛ فانظر هل ترك إسحاقُ شيئاً من الصنعة يَتصرَّفُ فيه المغنِّي لم يُدخِلْه في هذه الكلمات الأَربع ! بدأَ بهـا نشيداً ، وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صِياحاً ، وإسجاحاً ، وترجيحاً للنَّغَم ، واختلاساً

فيها ، وعمِل هذا كلَّه في أربع كلمات ، فهل سمِعتَ أحداً تقدّم أو تأخّر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ ! فقال : صدق أميرُ المؤمنين ، قد لحِق مَنْ قبله وسبقَ مَنْ بعده .

[شعره في دير مريم]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني ميمونُ بن هارون قال حدّثني إسحاق قال : لمّا خرجتُ مع الواثق إلى النَّجَف دُرْنا بالحِيرة ومرَرْنا بدِياراتِها ؛ فرأيتُ ديرَ مريمَ[1] بالحِيرة ، فأعجبني موقعُه وحسنُ بنائه ؛ فقلتُ : [من البسيط]

نِعمَ المحـلُّ لمـن يسعَى لِلَذّته ... ديرٌ لمريمَ فوقَ الظهر معمورُ
ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذي أسَنٍ ... وقاصِراتٌ كأمثال الدُّمى حُورُ

فقال الواثقُ : لا نَصطبِحُ والله غداً إلاّ فيه ؛ وأمر بأن يُعدَّ فيه ما يَصلُحُ من الليل ؛ وباكرناه فاصطبَحْنا فيه على هذا الصوتِ ؛ وأمر بمالٍ ففُرِّق على أهل ذلك الدَّيرِ ، وأمر لي بجائزة .

لحنُ إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

[غناؤه بشعر على بساط طاهر]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال : أخرج إليّ عبدُ الله بن طاهر يوماً بيتَيْ شعرٍ في رُقْعة وقال : هذان البيتان وجدتُهما على بِساطٍ طَبَرِيّ أصْبَهْبُذِيّ أُهدي إليَّ من طَبَرِسْتانَ ، فأُحبُّ أن تُغنِّيني فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هما : [من مجزوء الخفيف]

لَـجَّ بالعـين واكفُ ... مِن هَوىً لا يُساعِفُ
كلَّما كـفَّ غَرْبُها ... هَيَّجتْـه المعـازِفُ

قال : فغنّيت فيهما وغدَوتُ بهما إليه ، فأُعجِب بالصوت ووصلني بصِلة سنيّةٍ ، وكان يَشتهيه ويَقترحه ، وطرحتُه على جميع جواريه ، وشاع خبر إعجابه به . فبينا المعتصمُ يوماً جالسٌ يُعْرَضُ عليه فرشُ الربيع ، إذ مرَّ به بِساطُ ديباجٍ في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما : [من مجزوء الخفيف]

إنّما المـوتُ أن تفـا ... رقَ مَـنْ أنت آلِفُ
لـك حُبّانِ في الفـؤا ... د تَلِيـدٌ وطـارِفُ

فأمرَ بالبساطِ فحُمِل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول : قل له : إنّي قد عرفتُ شغفكَ بالغناء في هذا الشعر ، فلمّا وقع هذا البساط أحبَبْتُ أن أُتِمَّ سرورَك به . فشكر عبدُ الله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقدارَه ، وقال لي : والله يا أبا محمّد لسَرُوري بتمام الشعرِ أشدُّ من

1 دير مريم : المقصود هنا هو الدير الذي بناه المنذر . وهناك دير آخر بهذا الاسم بالشام .

سروري بكلّ شيء ، فألحِقهما في الغناء بالبيتين الأوّلين ، فألحقتهما .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لجَّ بـالعين واكـفُ مِن هوىً لا يُساعِفُ
كلّما كـفَّ غَرْبُها هيَّجتْـــه المعـازِفُ
إنّمـا المـوتُ أن تُفا رِقَ مَـنْ أنتَ آلِفُ
لــك حُبَّانِ في الفؤا دِ تَلِيــدٌ وطــارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرتُه في هذا الخبر . والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالوسطى .

[مقدار صنعته]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال : قلت لإسحاق يوماً : يا أبا محمّد ، كم تكونُ صنعتُك ؟ فقال : ما بلغت مائتين قطّ .

[مرضه ووفاته]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : قال لي وكيل بن الحَرُونيّ : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمّد ، كم يكون غناؤك ؟ قال : نحواً من أربعمائة صوت . قال : وقال له رجل بحضرتي : مالك لا تُكثر الصنعةَ كما يُكثر الناس ؟ قال : لأنّي إنّما أنقُر في صخرة .

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحَشْو ، طرحتُها لذلك ؛ وله أخبار أُخَر حسَن ذكرها في مواضع تليق بها فأخّرتها واحتبستها عليها ؛ وفيما ذكرتُه هاهنا منها مقنع .

وتوفّي إسحاق ببغداد في أوّل خلافة المتوكّل . فأخبرني الصُّوليّ قال ذكرَ إبراهيمُ بن محمّد الشّاهِينيّ :

أنّ إسحاق كان يسأل اللهَ ألاّ يبتليه بالقُولَنْج لما رأى من صعوبته على أبيه ؛ فرأى في منامه كأنّ قائلاً يقول له : قد أُجيبت دعوتُك ولستَ تموت بالقولنج ، ولكنّك تموت بضدّه ، فأصابه ذَرَبٌ في شهر رمضان سنةَ خمسٍ وثلاثين ومائتين ؛ فكان يتصدّق في كلّ يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ؛ ثم ضعُف عن الصوم فلم يُطِقْه ومات في شهر رمضان .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال : نُعِي إسحاقُ إلى المتوكّل في وسط خلافته ، فغَمّه وحَزِن عليه ، وقال : ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمال الملك وبهائه وزينته ؛ ثم نُعِي إليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال : تكافأت الحالتان ، وقام الفتح بوفاة أحمد وما كنت آمَنُ وَثْبَته عليّ مقامَ الفَجيعة بإسحاق ؛

فالحمد لله على ذلك .

حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني رجل من الكتّاب من أهل قُطْرُبُّل قال حدّثني أبي عن أبيه قال : رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي : [من مجزوء الكامل]

مات الحُسان ابن الحُسا　　نِ ومات إحسانُ الزمانِ

فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي ، فتلقّاني خبر وفاة إسحاق الموصليّ .

[ما رثاه به الشعراء]

وقال إدريس بن أبي حَفْصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : [من الطويل]

سقى اللهُ يا ابنَ الموصليّ بوابِلٍ　　من الغيث قبراً أنت فيه مقيمُ
ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ فمايَنِي　　بعَبْرتـه يَبْكـي عليـك كريـمُ
إلى الله أشكو فقدَ إسحاق إنّني　　وإن كنـت شيخاً بالعراق يَتيمُ

وقال محمّد بن عمرو الجُرجانيّ يرثيه : [من الطويل]

على الجَدَثِ الشرقيّ عُوجا فسلِّما　　ببغدادَ لَمّا ضَـنّ عنـه عوائدُهْ
وقُولا لـه لـو كان للموت فِدْيةٌ　　فَداك من الموت الطَّريفُ وتالِدُهْ
أإسحاقُ لا تَبْعَدْ وإن كان قد رمى　　بك الموتُ وِرْداً ليس يَصْدُر وارِدُهْ
إذا هزَل اخضرّتْ فنونُ حديثه　　ورقَّتْ حَواشِيه وطابت مَشاهدُهْ
وإن جَدَّ كان القول جِدّاً وأقسمتْ　　مَخارجُــه ألاّ تَلـينَ مَعاقِدُهْ
فبَـكِّ على ابن الموصـليّ بعَبْرةٍ　　كما ارْفَضَّ من نَظْم الجُمان فرائدُهْ

وقال مصعَب بن عبد الله الزُّبيريّ يرثيه ، نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قُدامة ، وذكر أنّ حَمّاد بن إسحاق أنشده إيّاها ، ونسختُه أيضاً من كتاب الحِرْميّ بن أبي العَلاء يذكر فيه عن الزُّبير عن عمّه مصعَب أنّه أنشده لنفسه يرثي إسحاق : [من الطويل]

أتَدْرِي لَمن تَبْكي العيونُ الذَّوارفُ　　وينهلّ منها واكِفٌ ثـم واكِفُ
نعمْ لامرىء لم يبقَ في الناس مثلُه　　مفيدٌ لعلم أو صديـقٌ مُلاطِفُ
تجهَّـز إسحاقٌ إلى الله غاديـاً　　فللّه مـا ضُمَّتْ عليه اللفائفُ
وما حَمَـل النعشَ المزجَّـى عشيَّةً　　إلى القبر إلاّ دامعُ العـين لاهِفُ
صدورهمُ مَرْضى عليـه عَميدةٌ　　لها أزْمةٌ مـن ذكره وزَفازِفُ

تـــرى كلَّ محزون تَفيض جفونُه ... دموعاً على الخدّين والوجهُ شاسِفُ[1]
جُزِيتَ جــزاءَ المحسنين مضاعفاً ... كما كان جَدْواك النَّدى المتضاعِفُ
فكم لك فينا مــن خلائقَ جَزْلةٍ ... سَبَقتَ بها منها حديثٌ وسالفُ
هي الشّهدُ أو أحلى إلينــا حلاوةً ... من الشهد لم يمزُج به الماءَ غارِفُ
ذهبتَ وخلّيتَ الصديــق بعَوْلةٍ ... به أسفٌ مــن حزنــه مترادِفُ
إذا خَطَراتُ الذكر عــاودْنَ قلبَه ... تتابــع منهــنّ الشؤونُ النوازفُ
حبيبٌ إلى الإخوان يَرْزُون مالَه ... وآتٍ لما يأتي امرؤ الصدقِ عارفُ
هــو المَــنّ والسَّلْوى لمن يستفيده ... وسمٌّ على من يشرب السمّ زاعِفُ
بكت دارُه مــن بعده وتنكّرتْ ... مَعالِمُ مـــن آفاقِهـــا ومعارفُ[2]
فما الدار بالدار التي كنت أعترِي ... وإنّي بها لولا افتقادِيك عارفُ
هـــي الدار إلاّ أنّها قد تخشّعتْ ... وأظْلم منها جانبٌ فهو كاسِفُ
وبَـــانَ الجمال والفَعال كلاهما ... من الدار واستَنَّتْ عليها العواصفُ[3]
خلت دارُه مــن بعــده فكأنّما ... بعاقبةٍ لم يَغْــنَ في الدار طارفُ
وقـــد كان فيها للصديق مُعَرَّسٌ ... وملتمسٌ إن طاف بالدار طائفُ[4]
كرامـــةُ إخوانِ الصفاء وزُلفـــةٌ ... لمن جـــاء تُزْجيه إليه الرَّواجِفُ
صَحابتُه الغُرّ الكـــرام ولم يكن ... ليَصْحبَه السُّودُ اللئـــام المَقارِفُ[5]
يَؤول إليــه كلّ أبلــجَ شامــخٍ ... ملـــوكٌ وأبناء الملوك الغَطارِفُ
فلُقِّيتَ في يمنى يديْك صحيفةً ... إذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحائفُ
يَسرُّ الذي فيهــا إذا ما بـــدا له ... ويَفْتَرُّ منهــا ضاحكاً وهو واقفُ
بما كان ميموناً على كلّ صاحب ... يُعـــين على مـــا نابـــه ويُكانِفُ[6]
سريـــعٌ إلى إخوانـــه برضائـــه ... وعن كلّ ما ساء الأَخِلاّءَ صارِفُ

---

1 شاسف : يابس ضمراً وهزالاً .
2 بعده في ل : فقده . آفاقها في ل : آياتها .
3 استنت : انصبت .
4 المعرس : المكان الذي ينزل فيه المسافر آخر الليل للاستراحة .
5 المقارف : الأنذال .
6 نابه في ل : ناله .

أرى الناسَ كالنَّسْناس لم يبق منهمُ خلافَـــكَ إلاّ حُشوةٌ وزَعانِفُ[1]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : أنشدني أبو أيّوبَ لأحمد بن إبراهيم يَرْثِي إسحاقَ في قصيدة له : [من الوافر]

لقد طاب الحِمامُ غداةَ أَلْوَى بنفس أبـي محمّـــدِ الحِمـامُ
فلـو قُبِـلَ الفِدَاءُ إذاً فَدَتْهُ ملـوكٌ كان يألفهـا كـرامُ
فلا تَبْعَد فكلُّ فتـىً سيَثْوِي عليـه التُّرْبُ يُحْثى والرِّجامُ

قال وقال أيضاً يرثيه : [من الكامل]

لله أيُّ فتـىً إلى دار البِلَى حَمَل الرجالُ ضُحىً على الأعوادِ
كم من كريم ما تَجِفُّ دموعُه من حاضرٍ يبكي عليـه وبادِ
أمسى يؤبِّنـه ويعرف فضلَه من كان يَثْلِبـه مـن الحُسّادِ
فسقتْكَ يا ابنَ الموصليّ روائحٌ تُرْوِي صداكَ بصَوْبها وغَوادِ

قال الأصفهاني : وقد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثلُ أخباره مع بني هاشم ، وأخباره مع إبراهيم بن المهديّ وغيرها ، فإنّها كثيرة ، ولها مواضع ذُكِرت فيها وحسُن ذكرها هنالك ، فأخّرتُها لذلك عن أخباره التي ذُكرت هاهنا ، حَسْبما شرَطنا في أوّل الكتاب .

وممّا في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

صوت

[من الطويل]

ألا قاتلَ اللهُ اللِّوَى من مَحَلَّةٍ وقاتلَ دُنْيانا بها كيف ذَلّتِ
غَنِينا زماناً باللِّوَى ثم أصبحتْ عِراصُ اللِّوَى من أهلها قد تخلَّتِ

عَرُوضه من الطويل . الشعرُ للصِّمَّة القُشَيْريّ ، والغِناء لإسحاق ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى في مجراها .

* * * *

1 الحشوة والزعائف : أراذل الناس قليلو القدر .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد السادس

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

6

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[72] ـ أخبار الصِّمَّة القُشيريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو الصِّمَّةُ بن عبد الله بن الطُّفَيْل بن قُرّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار ، شاعرٌ إسلاميّ بَدَوِيٌّ مُقِلّ ، من شعراء الدولة الأُمويّة .

[هو شاعر مُقل من شعراء الدولة الأُموية]

ولجَدّه قُرّة بن هُبَيرة صحبة بالنبيّ ﷺ ، وهو أَحد وفود العرب الوافدين عليه ﷺ وآله .

[وفد جدّه قُرّة على النبيّ ﷺ]

أَخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمّد الرَّازي وعمِّي قالا حدَّثنا أَحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أَبي بكر الهُذَليّ وابن دَأْب وغيرِهما من الرُّواة قالوا : وفد قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سَلَمةِ الخير بن قُشَيْر بن كعب بن رَبيعة إلى النبيّ ﷺ فأَسلمَ ، وقال له : يا رسول الله ، إنّا كنّا نعبد الآلهةَ[2] لا تنفعنا ولا تضرّنا ؛ فقال له رسول الله ﷺ : «نِعْم ذا عقلاً» .

[قصّته في حبّه وزواجه]

وقال ابن دَأْب : وكان من خبر الصِّمَّة أَنّه هَوِي امرأةً من قومه ثم من بنات عمِّه دِنْيةً[3] يُقال لها العامريّة بنت غُطَيْف بن حَبيب بن قُرّة بن هُبَيرة ؛ فخطبها إلى أَبيها فأَبى أَن يزوّجه إيّاها ؛ وخطبها عامر بن بشر بن أَبي بَراء بن مالك بن مُلاعِب[4] الأَسنّة بن جعفر بن كِلاب ، فزوّجه إيّاها . وكان عامر قصيراً قبيحاً ؛ فقال الصِّمَّة بن عبد الله في ذلك : [من الطويل]

فإنْ تُنْكِحوها عامراً لاطّلاعكم إليـه يُدَهْدِهْكـم برجليه عامرُ

شبّهه بالجُعَل الذي يُدَهْدِهُ البعرةَ برجليه .

قال : فلمّا بَنَى بها زوجُها ، وجَد الصِّمَّةُ بها وَجْداً شديداً وحزِن عليها ؛ فزوّجه أَهلُه امرأةً

---

1 انظر أَخبار الصِّمَّة القشيريّ في ديوانه جمع وتحقيق د . عبد العزيز محمّد الفيصل ، النادي الأَدبي ـ الرياض 1981 وفي سبائك الذهب 45 وإصلاح المنطق 404 وجنى الجنتيْن 62 ومعجم البلدان 348/3 .

2 ل : آلهة .

3 دنية : أي لاصقة النّسب .

4 مُلاعب الأَسنة : كنية أبو براء ، واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب .

منهم يقال لها جَبْرة بنت وَحْشيّ بن الطُّفَيل بن قُرّة بن هُبيرة ؛ فأَقام عليها مُقاماً يسيراً ، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه ، وخلّف امرأتَه فيهم ، وقال لها : [من الطويل]

كُلي التمرَ حتّى تَهْرَمَ النخلُ واضفِري خِطامَك ما تدرين ما اليومُ من أَمسِ

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

لَعَمْري لئن كنتم على النأي والقِلَى بكم مثلُ ما بي إنّكم لصديقُ
إذا زَفَراتُ الحبّ صَعَّدن في الحَشا رُدِدن ولم تُنْهَجْ لهنّ طريقُ

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

إذا ما أَتتنا الريحُ من نحو أَرضِكم أَتتنا بريّاكم فطاب هُبوبُها
أَتتنا بريح المسكِ خالَطَ عنبراً وريحِ الخُزامَى باكرتْها جَنُوبُها

وقال فيها أيضاً : [من الكامل]

هل تَجْزِينّي العامريّةُ موقفي على نسوةٍ بين الحِمَى وغَضَى الجمرِ[1]
مَرَرْنَ بأسباب الصِّبا فذكَرْنُها فأَومأْتُ إذ ما من جوابٍ ولا نُكْرِ

[موته بطبرستان]

وقال ابن دَأْب : وأَخبرني جماعة من بني قُشَير أَنّ الصِّمَّة خرج في غَزِيٍّ من المسلمين إلى بلد الدَّيْلم فمات بطَبَرِسْتان .

قال ابن دَأب : وأَنشدني جماعة من بني قُشَير للصِّمَّة : [من الطويل]

صوت

أَلا تسأَلانِ اللهَ أَن يَسقِيَ الحِمَى بَلى فسَقَى اللهُ الحِمَى والمَطاليَا[2]
وأسأَلُ مَن لاقيتُ هل مُطِر الحِمَى فهل يسأَلنْ عنّي الحِمَى كيف حاليا

الغناء في هذين البيتين لإسحاق ، ولحنه فيهما من الثقيل الأَوّل بالوسطى ، وهو من مختار الأَغاني ونادرها .

أَخبرني محمّد بن خَلَف وَكِيع وعمّي قالا حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال قال عبد الله بن محمّد بن إسماعيل الجعفريّ حدّثنا عبد الله بن إسحاق الجعفريّ عن

1 الجمر : وفي ل : الحجر .
2 المطالي : جمع مطلاة (يمدّ ويقصر) وهو مسيل ضيّق من الأُرض ، أَو هو أَرض سهلة ليّنة تنبت العضاه . وقيل : المطالي روضات ، واحدها مطلى بالقصر لا غير .

عبد العزيز بن أَبي ثابت قال حدّثني رجل من أَهل طَبَرِسْتانَ كبيرُ السنّ قال : بينا أَنا يوماً أَمشي في ضَيْعة لي فيها أَلوانٌ من الفاكهة والزعفران وغيرِ ذلك من الأَشجار ، إذ أَنا بإنسان في البستان مطروحٍ عليه أَهدامٌ خُلْقانٌ ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم ، فأَصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خَفِيّ : [من الطويل]

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَـدِّك لا تَـرى ... بَشامَ الحِمَى أُخرى الليالي الغَوابرِ[1]

كأَنّ فـؤادي من تذكُّـرِه الحِمَى ... وأَهلَ الحِمَى يَهْفُو بـه ريشُ طائرِ

قال : فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضت نفسُه ؛ فسأَلت عنه فقيل لي : هذا الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيريّ .

[كان ابن الأَعرابي يستحسن شعراً له]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا الخَرّاز أَحمد بن الحارث قال : كان ابن الأَعرابيّ يستحسن قول الصِمَّة : [من الطويل]

صوت

أَما وجَـلالِ الله لو تذكُرينني ... كذِكْرِيكِ ما كَفْكفتِ للعين مَدْمَعا

فقالتْ بَـلى واللهِ ذكراً لَـو انّه ... يُصَبُّ على صُـمِّ الصَّفا لتصدّعا

غنّى في هذين البيتين عُبيد الله بن أَبي غَسّان ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . وفيهما لِعَريبَ خفيفُ رَمَل : [من الطويل]

ولّما رأَيتُ البِشْرَ قـد حـال بيننا ... وجالتْ بناتُ الشوق في الصدر نُزَّعَا[2]

تَلَفَّتُ نحـوَ الحـيّ حتـى وجدتُني ... وَجِعتُ مـن الإصغاء لِيتاً وأَخْدَعا[3]

[مدح إبراهيم بن محمّد بن سليمان في شعره]

أَخبرني أَبو الطيِّب بن الوَشّاء قال : قال لي إبراهيم بن محمّد بن سليمان الأَزْديّ : لو حلَف حالفٌ أَنّ أَحسنَ أَبياتٍ قِيلت في الجاهليّة والإسلام في الغزل قولُ الصِّمَّة القُشيريّ ما حَنِث : [من الطويل]

حَنَنتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدتْ ... مَـزارَك من رَيّـا وشَعْباكُما مَعا

1 البشام : شجر طيّب الريح والطعم يستاك به .

2 البشر : جبل .

3 الليت (بالكسر) : صفحة العنق . والأخدع : عرق في العنق موضع الحجامَة .

فما حَسَنٌ أن تأتـــيَ الأمرَ طائِعاً   وتجزَعَ أنْ داعي الصبابة أسْمعا
بكتْ عيني اليُمنـــى فلمّا زجرتُها   عن الجهل بعد الحلم أسْبلتا معا[1]

صوت

[من الطويل]

وأذكُر أيّامَ الحِمَـــى ثـــم أنثني   على كَبِدي من خشيةٍ أن تَصدَّعا
فليست عشيّاتُ الحِمى برَواجع   عليكَ ولكن خَلِّ عينيك تَدْمَعا

غنّت في هذين البيتين قُرَشِيَّة الزّرقاءِ لحناً من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ .

وهذه الأبيات التي أوّلها «حننت إلى ريّا» تُروى لقَيْس بن ذَرِيح في أخباره وشعرِه بأسانيدَ قد ذُكرت في مواضعها ، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذُكرت أيضاً في أخباره . والصحيح في البيتين الأوّلين أنهما لقَيْس بن ذَريح وروايتهما [له] أثْبت ، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق ؛ والأُخَر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصِّمَّة .

[كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره]

أنشدنا محمّد بن الحسن بن دُرَيد عن أبي حاتم للصِّمَّة القُشَيريّ قال : وكان أبو حاتم يستجيدهما ، وأنشدنيهما عمِّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم ، وأنشدنيهما الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي حاتم :

[من البسيط]

إذا نـــأتْ لم تُفارِقْنـــي عَلاقتُهـــا   وإن دنتْ فصدود العاتب الزّارِي
فحال عينـــيَ من يومَيْكِ واحدةٌ   تبكي لفَرْطِ صدودٍ أو نَوَى دارِ

[تذكَّر محبوبته وبكى وذكر شعره فيها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدَّثنا عبيد الله بن إسحاق بن سَلاَّم قال حدَّثني أبي عن شُعيب بن صَخْر عن بعض بني عُقَيل قال : مررتُ بالصِّمَّة بن عبد الله القُشَيريّ يوماً وهو جالس وحدَه يبكي ويخاطب نفسه ويقول : لا والله ما صدَقَتْكَ فيما قالت ؛ فقلت : مَن تَعني بهذا وَيْحك ! أجُننتَ ؟ قال : أعْني التي أقول فيها :

[من الطويل]

أمـــا وجلالِ اللهِ لـــو تذكُرينني   كذِكْرِيكِ ما كفكفتِ للعين مدمعا
فقالت بـــلى والله ذكراً لـــو انّه   يُصَبُّ عـــلى صُمِّ الصَّفا لتَصدَّعا

أُسلي نفسي عنها وأخبرها أنّها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي .

---

1 اليمنى في الديوان : اليسرى .

[قصّته في خِطبة ابنة عمّه ورحلته إلى ثغر من الثغور وشعره في ذلك]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العَبْدي عن موسى بن عبد الله التَّيْميّ قال : خطب الصِّمَّة القُشيريّ بنتَ عمِّه وكان لها مُحِبّاً ، فاشتطّ عليه عمُّه في المهر ؛ فسأَل أَباه أَن يعاونه وكان كثيرَ المال فلم يُعِنْه بشيء ؛ فسأَل عَشِيرتَه فأَعطَوْه ؛ فأَتى بالإبل عمَّه ؛ فقال : لا أَقبل هذه في مهر ابنتي ، فاسأَل أَباك أَن يُبْدِلَها لك ، فسأَل ذلك أَباه فأَبى عليه ؛ فلمّا رأَى ذلك من فعلهما قطع عُقُلَها وخَلاَّها ، فعاد كلّ بعير منها إلى أُلاّفه . وتحمَّل الصِّمَّةُ راحلاً . فقالت بنت عمِّه حين رأَته يتحمَّل : تاللهِ ما رأَيت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأَبْعِرة . ومضى من وجهه حتى لَحِق بالثغر ؛ فقال وقد طال مُقامه واشتاقها ونَدِم على فعله : [من الطويل]

أَتبكي على رَيّا ونفسُك باعدتْ ... مَزاركَ من رَيّـا وشَعْباكُما معا

فما حسنٌ أَن تأتـي الأَمرَ طائعاً ... وتجزَعَ أَنْ داعـي الصبابة أَسمعا

وقد أَخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدَامة قـال حدَّثـني حَمّـاد بن إِسحاق عن أَبيه عن الهَيْثم بن عَدِيّ : أَن الصِّمَّة خطَب ابنة عمِّه هذه إلى أَبيها ؛ فقال له : لا أُزوِّجكها إلاّ على كذا وكذا من الإبل ؛ فذهب إلى أَبيه فأَعلمه بذلك وشكا إليه ما يَجِد بها ؛ فساق الإبلَ عنه إلى أَخيه ؛ فلمّا جاء بها عدَّها عمُّه فوجدها تنقُص بعيراً ، فقال : لا آخذها إلاّ كاملةً ؛ فغضِب أَبوه وحلف لا يَزيده ما جاءَ به شيئاً . ورجع إلى الصِّمَّة ؛ فقال له : ما وراءك ؟ فأَخبره ؛ فقال : تاللهِ ما رأَيت قطُّ أَلأَمَ منكما جميعاً ؛ وإنِّي لأَلأَم منكما إن أَقمتُ بينكما ؛ ثم ركب ناقتَه ورحل إلى ثغر من الثغور ، فأَقام به حتى مات . وقال في ذلك : [من الطويل]

أَمِنْ ذكر دارٍ بالرَّقاشَيْن أَصبحتْ ... بها عاصفاتُ الصيف بَدْءاً ورُجَّعا[1]

حننتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدت ... مزارَك من رَيّـا وشعباكُما معا

فما حسنٌ أَن تأتي الأَمرَ طائعاً ... وتجزَع أَن داعـي الصبابة أَسمعا

كأَنَّـك لم نشهَـد وَداعَ مُفارِق ... ولم تَـرَ شَعَبَـيْ صاحبين تقطَّعا

بكت عينيَ اليُسرى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعـد الحلم أَسبَلَتا معا

1 الرقاشان : جبلان بأَعلى الشريف في ملتقى دار كعب وكلاب . ورواية البيت في معجم ما استعجم لأَبي عبيد البكريّ وقد نسبه ليزيد بن الطثرية :

أمن أَجل دار بالرقاشين أعصفتْ ... عليها رياح الصّيف بـدءاً ورجّعا

وفي الديوان (أمن أَجل) .

تحمَّل أهلي مـــن قنـين وغادروا ... به أهــلَ ليلى حين جِيدَ وأُمْرِعا[1]
ألا يـــا خليـــليّ اللذيْن تَواصيا ... بلوميَ إلاّ أن أُطيـــع وأسمعا
قِفا إنّه لا بـــدّ مـــن رَجْع نظرة ... يَمانيّة شتّى بهـــا القـــومُ أو معا
لِمُغتصَبٍ قـــد عزّه القومُ أمرَه ... حياءٍ يَكُـــفّ الدَّمعَ أن يتطلّعا
تَبرَّضُ عينيـــه الصَّبابـــةُ كلَّمـــا ... دنا الليل أو أوْفى من الأرض مَيْفَعا[2]
فليستْ عشيّاتُ الحِمَـــى برواجعٍ ... إليكَ ولكن خــلِّ عينيْك تَدْمَعا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن عليّ

[من الخفيف]

قُـــلْ لأسماء أنْجزِي المِيعـــادا ... وانظري أن تُزوِّدي منكِ زادا
إن تكوني حللتِ رَبْعاً من الشأ ... م وجـاورتِ حِمْيراً أو مرَادا
أو تناءتْ بكِ النَّوَى فلقد قُدْ ... تِ فـــؤادي لحَيْنــه فانقادا
ذاك أنّي عَلِقتُ منكِ جَوَى الحـ ... ـبّ وَليداً فزدتُ سِنّاً فزادا

الشعر لداود بن سَلْم . والغناء لدَحْمان ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالوسطى . وقد كنّا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقّش ، وطلبناه في أشعار المرقِّشَيْن[3] جميعاً فلم نجده ، وكنّا نظنّه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم ، وفي خبرٍ أنا ذاكره في أخبار داود . وإنّما نذكر ما وقع إلينا عن رُواته ؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحّته أثبتناه وأبطلنا ما فَرَط منّا غيرَه ، وما لم يَجْرِ هذا المجرى فلا ينبغي لقارىء هذا الكتاب أن يُلزمنا لومَ خطأً لم نتعمّده ولا اخترعناه ، وإنّما حكيناه عن رواته واجتهدنا في الإصابة . وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه ، فإنّ ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله .

1 جيد : أصابه الجود وهو المطر الغزير .
2 تبرّض : أي تأخذ الصّبابة ماء عينيه شيئاً فشيئاً .
3 يعني بالمرقِّشَيْن : المرقّش الأكبر والمرقِّش الأصغر .

[73] ـ أخبار داود بن سَلْم ونسبه

[نسبه]

داود بن سَلْم[1] مولى بني تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ ؛ ثم يقول بعضُ الرواه ؛ إنّه مولى آل أبي بكر ، ويقول بعضهم : إنّه مولى آل طَلْحة . وهو مخضرَم من شعراء الدولتين الأُمويّة والعبّاسيّة ، من ساكني المدينة ، يُقال له داود الآدم[2] وداود الأرمك .

[رآه والي المدينة يخطِر في مشيته فضربه فمدحه ابن رهيمة لذلك]

وكان من أقبح الناس وجهاً . وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله ؛ فرآه ذاتَ يوم يخطِر خَطْرةً منكَرة فدعا به ، وكان يتولّى المدينةَ ، فضربه ضرباً مبرِّحاً ؛ وأظهر أنّه إنّما فعل ذلك به من أجل الخَطْرة التي تخايل فيها في مِشيته . فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنّه ابنَ رُهَيمة : [من مجزوء الرمل]

ضربَ العادلُ سعــدٌ ابنَ سلم في السَّماجَهْ
فقضَى اللهُ لسعـــدٍ مـن أميرٍ كلَّ حاجَـهْ

[مدح آل معمر لأنّ أمّه من مواليهم]

أخبرني محمّد بن سليمان الطُّوسيّ قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال : سألت محمّدَ بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلْم ، هل هو مولاهم ؟ فقال : كذلك يقول الناسُ هو مولانا ، أبوه رجل من النَّبَط ، وأمّه بنتُ حَوْط مولى عمر بن عبيد الله بن مَعْمر ؛ فانتسب إلى ولاء أمّه . وفي ذلك يقول ويمدح ابنَ مَعْمَر : [من الكامل]

وإذا دعــا الجاني النصيرَ لنصره وارتْنــيَ الغُــرَرُ النصيرةُ مَعْمَرُ
مُتَخــازِرين كأنّ أُسْدَ خَفِيّــة بمقامهـــا مستبسِلاتٌ تَــزْأَرُ[3]
متجاسِرين بحمـــل كلّ مُلِمَّــة متجبِّريــن عــلى الــذي يتجبَّرُ

1 داود بن سلم : انظر أخباره في ربيع الأبرار 13/2 والمستطرف 1 : 117 ، 1 : 164 وأمالي القالي 1 : 242 ومحاضرات الراغب الأصفهاني 1 : 653 وشرح نهج البلاغة 11 : 223 والكامل 2 : 144–145 وسراج الملوك : 161 ، والتذكرة الحمدونية 199/2 .

2 وفي ل : الأدلم .

3 تخازر الرجل : ضيّق جفنه ليحدّد النظر . الخفية : غيضة ملتفّة يتّخذها الأسد عرينه ، وهي علم لموضع بعينه .

عُسُلُ الرِّضى فإذا أردتَ خصامَهم ... خلَط السِّمامَ بفِيك صابٌ مُمْقِرُ[1]
لا يَطْبَعون ولا تَرى أخلاقهم ... إلاَّ تطيبُ كما يطيب العنبرُ
رفَعوا بِنايَ بعِتقِ حَوْطٍ دِنْيَةً ... جَدِّي وفضلِهم الذي لا يُنْكَرُ

[كان أسود بخيلاً وله شعر في الكرَم كذّبه فيه قوم ضافوه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال: كان داود بن سَلْم مولى بني تَيْم بن مرّة، وكان يقال له: الآدم[2] لشدّة سواده، وكان من أبخلِ الناس؛ فطَرَقه قوم وهو بالعَقِيق، فصاحوا به: العَشاءَ والقِرَى يا ابنَ سَلْم؛ فقال لهم: لا عَشاء لكم عندي ولا قِرى؛ قالوا: فأين قولُك في قصيدتك إذ تقول فيها: [من البسيط]

يا دار هندٍ ألاَ حُيِّيتِ من دارِ ... لم أقْضِ منكِ لُباناتي وأوطاري
عُوِّدتُ نفسي إذا ما الضيفُ نبَّهني ... عَقْرَ العِشار على يُسْرِي وإعساري

قال: لستم من أولئكَ الذين عنيتُ.

[عزّى السري بن عبد الله عن ابنه]

قال: ودخل على السَّرِيّ بن عبد الله الهاشميّ، وقد أُصيب بابنٍ له؛ فوقف بين يديه ثم أنشده: [من البسيط]

يا مَن على الأرض من عُجْم ومن عَرَبٍ ... استرْجِعُوا خاستِ الدنيا بعَبّاسِ[3]
فُجِعت من سبعة قد كنتُ آمُلُهم ... من ضِنْء والدهم بالسيِّد الرّاسِ[4]

قال: وداود بن سلم الذي يقول: [من الخفيف]

قُلْ لأسماءَ أنْجزي الميعادا ... وانظُري أن تزوِّدي منكِ زادَا
إن تكوني حَلَلْتِ ربعاً منَ الشأ ... م وجاورتِ حِميراً أو مُرادا
أو تناءت بكِ النَّوَى فلقد قُدْ ... تِ فؤادي لحَينه فانقادا
ذاكِ أنّي عَلِقتُ منكِ جَوى الحـ ... ـبّ وَليداً فزدتُ سِنّاً فزادا

قال أبو زيد: أنشدنيها أبو غَسّان محمّد بن يحيى وإبراهيم بن المُنْذِر لداود بن سَلْم.

---

1 عُسُل: جمع عاسل وعسول أي حلو. والممقر: الشديد المرارة.
2 ل: الأدلم.
3 خاست: غدرت.
4 الضنء: الولد ويطلق على الأصل أيضاً.

نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء
صوت

[من البسيط]

يا دارَ هنـــد ألاَ حُيِّيـتِ من دارِ ... لم أقضِ منـكِ لُباناتي وأوطاري

يُتَم ويُنسب .

[مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره]

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدَّثنا الزبيرَ قال أخبرني مُصْعَب بن عثمان قال : دعا الحسن بنُ زيد إسحاقَ بنَ إبراهيم بنِ طلحةَ بنِ عمر بنِ عُبَيد الله بن مَعْمَر التَّيْميّ أيّامَ كان يلي المدينة إلى ولاية القضاء فأبى عليه فحبسه ، فدعا مسرقين يسرقون له مغسلاً في السجن ، وجاء بنو طلحة فآنسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد ، فأرسل إليه فأُتي به ؛ فقال : إنّك تلاجَجْتَ عليّ ، وقد حلفتُ ألاّ أُرْسِلك حتى تعملَ لي ، فأبرِرْ يميني ، ففعل ؛ فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه ؛ فجاءه داود بن سَلْم فوقف عليه فقال : [من الخفيف]

طلبـــوا الفقــه والمــروءةَ والحِلْـ ... ـمَ وفيــكَ اجتمعنَ يا إسحاقُ

فقال : ادفعوه ، فدفعوه ، فنُحِّي عنه ؛ فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ؛ فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء ؛ فلمّا سار إلى منزله أرسل إلى ذاود بن سلم بخمسين ديناراً ، وقال للرسول : قُل له : يقول لك مولاك : ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه ؟ استعن بهذه على أمرك .

[ضربه سعد بن إبراهيم في المسجد والقصّة في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني مُحرِز بن سعيد قال : بينما سعد بن إبراهيم في مسجد النبيّ ﷺ يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ، ومعه داود بن سَلْم مولى التَّيْميِّين ، وعليهما ثياب ملوَّنة يجرّانها ؛ فأومأ أن يُؤتَى بهما فجاءا إليه ، فأشار إلى زيد أن اجلس ، فجلس بالقرب منه ، وأومأ إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثلُه ، ثم قال لعَوْن من أعوانه : ادعُ لي نوحَ بن إبراهيم بن محمّد بن طلحة بن عُبيد الله ، فدُعي له فجاء أحسنَ الناس سَمْتاً وتشميراً ونقاءَ ثياب ؛ فأشار إليه فجلس ؛ ثم أقبل على زيد فقال له : يا ابنَ أخي ؛ تَشبه بشيخك هذا وسَمْتِه وتشميره ونقاء ثوبه ، ولا تَعُد إلى هذا اللبس ، قُمْ فانصرف . ثم أقبل على ابنِ سَلْم وكان قبيحاً ، فقال له : هذا ابنُ جعفر أحتمل هذا له ، وأنت لأيِّ شيء أحتمل هذا لك ؟ أَلِلؤم أصلِك ، أم لسماجة وجهك ؟ جَرِّده يا غلام ؛ فجُرّد فضرَبه أسواطاً . فقال ابنُ رُهَيمة : [من مجزوء الرمل]

جلــد العادلُ سعــدٌ ابنَ سَلْم في السَّماجَهْ
فقَضـى اللهُ لسعـدٍ من أَمير كلَّ حاجَـهْ

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني يعقوب بن حُميد بن كاسِب قال حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشُون عن يوسف بن الماجِشُون قال : قال لي أَبي وقد عُـزِل سعد بن إبراهيم عن القضاء يا بنيّ تعجَّلْ بنا عسى أَن نروحَ مع سعد بن إبراهيم ، فإنّ القاضي إذا عُزل لم يزل الناسُ ينالون منه ؛ فخرجنا حتى جئنا دارَ سعد بن إبراهيم ، فإذا صوتٌ عالٍ ؛ فقال لي أَيُّ شيء هذا ؟ أُرى أنّه قد أُعْجِلَ عليّ ؛ ودخلنا فإذا داود بن سَلْم يقول له : أَطال الله بقاءك يا أَبا إسحاق وفعل بك ؛ وقد كان سعدٌ جلَد داودَ بنَ سلم أَربعين سوطاً ، فأَقبل عليّ سعدٌ وعلى أَبي ، فقال : لم تَرَ مثلَ أَربعين سوطاً في ظهر لئيم . قال : وفيه يقول الشاعر : [من مجزوء الرمل]

ضرب العادلُ سعـدٌ ابنَ سَلْم في السماجَهْ
فقضـى اللهُ لسعـدٍ مـن أَميرٍ كلَّ حاجَهْ

[كان يمدح الحسن بن زيد وقد غضب منه لمدحه جعفر بن سليمان]

أُخبرني محمّد بن خَلَف وَكِيع قال قال الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني أَبو يحيى الزُّهْرِي واسمه هارون بن عبد الله قال حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أَبيه قال : كان الحسنُ بن زيد قد عوَّد داودَ بن سَلْم مـولى بنـي تَيْـم إذا جاءتـه غَلَّـة من الخانِقِين[1] أَن يَصِلَه . فلمّا مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد ، أُغضب ذلك الحسنَ ؛ فقدِم من حجٍّ أَو عُمْرة ، ودخل عليه داودُ مسلّما ، فقال له الحسن : أَنت القائل في جعفر : [من الطويل]

وكنّا حديثاً قبلَ تأمير جعفرٍ وكان المُنَى في جعفر أَن يُؤمَّرا
حَوى المِنْبَرَيْنِ الطاهرَيْنِ كليْهما إذا مـا خطا عن مِنبرٍ أَمَّ مِنْبرا
كأن بني حَـوَّاء صُفُّوا أَمامَـه فَخُيِّرَ مـن أَنسابهـم فتَخيَّرا ؟

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداءكم ، فكنتم خِيرَة اختياره ؛ وأَنا الذي أَقول : [من الطويل]

لعَمْرِي لئن عاقبتَ أَو جُدْتَ مُنعِماً بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعْذِرَا
لأَنتَ بما قدّمتَ أَولى بمِدْحـةٍ واكرمُ فرعاً إن فخرتَ وعُنْصُرا
هو الغُرَّةُ الزَّهْراءُ من فرع هاشمٍ ويدعو عليّـاً ذا المعالي وجعفرا

---

1 خانقين : بلدة من نواحي السّواد في طريق همذان من بغداد .

وزيدَ النَّدَى والسِّبْطَ سِبْطَ محمّدٍ   وعمَّك بالطَّفِّ الزَّكـيَّ المطهَّرا[1]
وما نال مِن ذا جعفرٌ غيرَ مجلسٍ   إذا مـا نفـاه العزلُ عنه تأخّرا
بحقِّكـم نالـوا ذُراهـا فأَصبحوا   يَرَوْن بـه عـزّاً عليكم ومَفْخَرا

قال : فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه ، ولم يزل يَصِلُه ويُحْسِن إليه حتى مات . قال أَبو يحيى : يعني بقوله : «وإن كان مُعْذِرا» أَن جعفراً أَعطاه بأَبياته الثلاثةِ أَلفَ دينار ، فذكر أَن له عذراً في مدحه إيّاه بجزالة إعطائه .

[إعجاب أبي السائب المخزوميّ بشعرٍ له]

أَخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن الواقِديّ عن ابن أَبي الزِّناد قال : كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببَطْحاءِ ابنِ أَزْهَر (على ستّة أَميال من المدينة ، حِيالَ ذي الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوساً في القمر ، وأَبو السائب المخزوميّ معنا ؛ وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسَّماع والغزَل ، وبين أَيدينا طَبَقٌ عليه فَرِيك[2] فنحن نُصيب منه ، والحسن يومئذٍ عاملُ المنصور على المدينة ؛ فأَنشد الحسنُ قولَ داود بن سَلْم وجعل يَمُدّ به صوتَه ويُطَرِّبه : [من الوافر]

صوت

فعرَّسْنا ببطــنِ عُرَيْتِنــاتٍ   ليَجْمَعَنــا وفاطمــةَ المَسيرُ[3]
أَتَنْسى إذ تَعَـرَّض وهـو بادٍ   مُقلَّدُهــا كما بَــرَق الصَّبِيرُ[4]
ومَن يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه   وقـد يُنْبيك بالأَمــر الخبيرُ
على أَنّي زَفَرْتُ غَداةَ هَرْشى   فكاد يَريبهــم منّــي الزَّفيرُ[5]

الغناءُ للغَريض ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه للهُذَليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وأَظنّه هذا اللحنَ . قال : فأَخذ أَبو السائب الطبَقَ ، فوَحَّش به إلى السماء ، فوقع الفَريكُ على رأس الحسن بن زيد ؛ فقال له : ما لَك ؟ وَيْحَك ! أَجُننتَ ؟ فقال له أَبو السائب : أَسأَلُك بالله وبقرابتك من رسول الله ﷺ إلاّ ما أَعدتَ إنشادَ هذا الصوتِ ومدَدْتَه كما فعلتَ ، قال : فما مَلَك الحسنُ نفسَه ضحكاً ، وردّ الحسنُ الأَبياتَ لاستحلافه إيّاه . قال ابنُ

1 يعني به زيد بن علي بن الحسين بن أَبي طالب ، والسبط الحسن بن علي ، وعمّه الحسين بن علي .
2 الفريك : طعام يفرك ويلت بسمن وغيره .
3 عريتنات : اسم واد .
4 الصّبير : السحاب الأَبيض لا يكاد يمطر .
5 هرشى : ثنية قرب الجُحفة في طريق مكّة يُرى منها البحر .

أبي الزِّناد : فلمّا خرج أبو السائب قال لي : يا ابنَ أبي الزِّناد ، أمَا سمعتَ مَدَّه : [من الوافر]

ومَن يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه

فقلت نعم ؛ قال : لو علمتُ أنّه يقبل مالي لدفعتُه إليه بهذه الثلاثة الأبيات . أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمّد الرازيّ وعمّي قالا حدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ .

[ما وقع بين ضبيعة العبسيّ وظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثتني ظَبْيةُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب قالت : أرسلتني مولاتي فاطمةُ في حاجة ، فمررتُ برَحْبة القضاء ، فإذا بضُبَيعةَ العَبسيّ خليفةِ جعفر بن سليمان يَقضي بين الناس ؛ فأرسل إليّ فدعاني ، وقد كنتُ رَطَّلْتُ[1] شَعْري وربطت في أطرافه من ألوان العِهْن ؛ فقال : ما هذا ؛ فقلت شيء أتملَّح به ؛ فقال : يا حَرَسيّ قنِّعْها بالسَّوْط . قالت : فتناولتُ السوط بيدي وقلت : قاتلك الله ! ما أبينَ الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم ! سعدٌ يجلِد الناس في السَّماجة ، وأنت تجلِدهم في المَلاحة ؛ وقد قال الشاعر : [من مجزوء الرمل]

جلَـــد العادلُ سعــدٌ ابنَ سَلْم في السماجَهْ
فقضــى اللهُ لسعـــدٍ من أميرٍ كلَّ حاجَهْ

قالت : فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه ، وقال : خَلِّ عنها . قالت : فكان يَسُوم بي ، وكانت مولاتي تقول : لا أبيعها إلاّ أن تهوى ذلك ، وأقول : لا أُريد بأهلي بدلاً ؛ إلى أن مررت يوماً بالرَّحْبة وهو في مَنْظَرة دارِ مَرْوان ينظر ؛ فأرسل إليَّ فدعاني ، فوجدتُه من وراء كِلَّة وأنا لا أشعر به ، وحازمٌ وجَرير جالسان ؛ فقال لي حازم : الأمير يريدكِ ؛ فقلت : لا أُريد بأهلي بدلاً ؛ وكُشِفتِ الكِلَّة عن جعفر بن سليمان ، فارتعتُ لذلك فقلت : آه ؛ فقال : ما لَكِ ؟ فقلت : [من الطويل]

سمعتُ بذكر الناس هنداً فلم أَزَلْ أخا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هندِ

قال : فأبصرتِ ماذا ؟ وَيْحَكِ ! فقلت : [من الطويل]

فأبصرتُ هنداً حُرَّةً غيرَ أنّها تَصَدَّى لقتل المسلمين على عَمْدِ

قالت : فضحك حتى استلقى ، وأرسل إلى مولاتي ليبتاعَني ؛ فقالت : لا والله لا أبيعها حتى تَسْتبيعَني ؛ فقلت : والله لا أَستبيعُكِ أبداً .

1 رطّل شعره : ليّنه وكسره ومشّطه وأرسله .

[أرسل شعراً لقثم بن العبّاس يذكّره بجارية كان يهواها]

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا يونس بن عبد الله عن داود بن سَلْم قال : كنت يوماً جالساً مع قُثَمَ بنِ العبّاس قبل أَن يُملَّكوا بفنائه ، فمرَّت بنا جارية ، فأُعْجِب بها قُثَم وتمنَّاها فلم يُمكِنْه ثمنُها . فلمّا وَلِي قُثَم اليمامةَ اشترى الجاريةَ إنسانٌ يُقال له صالح . قال داود بن سَلْم : فكتبتُ إلى قُثَمَ : [من مجزوء البسيط]

يا صاحبَ العِيسِ ثم راكبَها أَبلغْ إذا مـا لقيتَـه قُثَما
أَنَّ الغـزال الذي أَجـاز بنا مُعارِضـاً إذ توسَّط الحَرَما
حَوَّلـه صالحٌ فصار مـع الإ نْسِ وخَلَّى الوحوشَ والسَّلَما

قال : فأَرسل قثمٌ في طلب الجارية ليشترِيَها ، فوجدها قد ماتت .

[وفد على حرب بن خالد ومدحه فأجازه]

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا عبد الله بن محمّد بن موسى بن طَلْحة قال حدَّثني زُهَير بن حسن مولى آل الرَّبيع بن يونس : أَن داود بن سَلْم خرج إلى حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فلمّا نزل به حَطّ غلمانُه متاعَ داودَ وحلّوا عن راحلتِه ؛ فلمّا دخل عليه أَنشأ يقول : [من المتقارب]

ولـمّـا دُفِعْـتُ لأَبوابهـم ولاقيتُ حَرْباً لَقِيتُ النجاحا
وجدنـاه يَحْمَـده المُجْتدُون ويأبى على العسر إلاّ سَماحا
ويُغْشَوْن حتى يُـرَى كلبُهم يَهابُ الهَرِيـر ويَنْسى النُّباحا

قال : فأَجازه بجائزة عظيمة ، ثم استأذنه في الخروج فأَذِن له وأَعطاه أَلفَ دينار . فلم يُعِنْه أَحد من غلمانه ولم يقوموا إليه ؛ فظنَّ أَنّ حَرْباً ساخطٌ عليه ، فرجع إليه فأَخبره بما رأَى من غلمانه ؛ فقال له : سَلْهم لِمَ فعلوا بك ذلك . قال : فسأَلهم ، فقالوا : إنّا نُنْزِل مَن جاءنا ولا نُرْحِل مَن خرج عنّا . قال : فسمع الغاضِريّ حديثَه فأَتاه فحدَّثه فقال : أَنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمانُ أَحسنَ من شعرك .

وذكر محمّد بن داود بن الجرّاح أَنّ عمر بن شَبّة أَنشده ابن عائشة لداود بن سَلْم ، فقال : أَحسَنَ والله داود حيث يقول : [من الرجز]

لَجِجْتُ من حبـِّيَ في تقريبه وعُمِّيتْ عينـايَ عـن عيوبهِ
كذاك صرفُ الدَّهر في تقليبه لا يلبَـث الحبيبُ عـن حبيبهِ
أَو يغفـرَ الأعظـمَ من ذنوبه

قال : وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شَبيب لداود بن سَلْم قال : [من الطويل]

وما ذَرّ قَرْنُ الشمسِ إلاّ ذكرتُها ... وأذكُرهـا في وقت كلّ غروبِ
وأذكرها مـا بـين ذاك وهذه ... وبالليـل أحلامـي وعنـد هُبوبي
وقد شَفَّني شَوْقي وأبعدني الهوى ... وأعيا الذي بـي طِبَّ كلُّ طبيبِ
وأعْجَبُ أنّي لا أموتُ صَبابةً ... ومـا كَمَدٌ مـن عاشقٍ بعجيبِ
وكلُّ محـبٍّ قـد سلا غيرَ أنّني ... غريبُ الهوى ، يا وَيْحَ كلِّ غريبِ
وكم لام فيها من أخٍ ذي نصيحةٍ ... فقلـت لـه أقْصِر فغيرُ مُصيبِ
أتأمـر إنسانـاً بفُرْقـة قلبـه ... أتصلُـح أجسامٌ بغير قلـوبِ

[شعر له في مدح قثم بن العبّاس]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعي قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني أبو غَسّان قال : كان داود بن سَلْم منقطعاً إلى قُثَم بن العبّاس ، وفيه يقول : [من السريع]

عَتَقْتِ من حِلِّي ومن رِحْلَتِي ... يا نـاقُ إن أدْنيتِني من قُثَمْ
إنّـك إن أدْنيتِ منـه غداً ... حالفني اليسر ومـات العدمْ
في وجهـه بـدرٌ وفي كفّـه ... بحـرٌ وفي العِرْنين منـه شَمَمْ
أصمُّ عن قِيـل الخَنـا سمعُـه ... وما عن الخير بـه من صَمَمْ
لم يدرِ ما «لا» و«بَلى» قد دَرى ... فعافها واعتاضِ منها «نَعَمْ»

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شَبَّة قال لي إسحاق : لنَظْم العَمْياء في هذه الأبيات صنعةٌ عجيبة ، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها) .

[74] ـ أَخبار دَحْمان ونسبُه[1]

[كان مغنّياً صالحاً مقبول الشهادة ملازماً للحجّ]

دَحْمان لقبٌ لُقِّب به ، واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مَوْلى بني لَيث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنَانة . ويُكنَى أَبا عمرو ، ويقال له دَحْمان الأَشقر . قال إسحاق : كان دَحْمان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدَّل الشهادة مُدمِناً للحجّ ؛ وكان كثيراً ما يقول : ما رأَيتُ باطلاً أَشبه بحقّ من الغناء .

قال إسحاق : وحدَّثني الزُّبيريّ أَنّ دَحْمان شَهِد لرجلٍ عند عبد العزيز[2] بن المطَّلِب [بن عبد الله] بن حَنْطَب [المَخزوميّ] ، وهو يَلِي القضاءَ لرجلٍ من أَهل المدينة على رجل من أَهل العراق بشهادة ، فأَجازها وعَدّله ؛ فقال له العِراقيّ : إنّه دَحْمان ؛ قال : أَعرفه ، ولو لم أَعرفه لسأَلتُ عنه ؛ قال : إنّه يغنّي ويعلّم الجواري الغناء ؛ قال : غفر الله لنا ولك ، وأَيُّنا لا يتغنّى ! اخرُج إلى رجل عن حقّه .

[مدح أَعشى سُلَيم غناءه]

وفي دحمان يقول أَعشى بني سُلَيم : [من الهزج]

إذا ما هَزَّج الوادِ ... يُّ أَو ثَقَّل دَحْمانْ
سمعتَ الشَّدْوَ من هذا ... ومن هذا بميزانْ
فهذا سيِّد الإنس ... وهذا سيِّد الجانّ

وفيه يقول أَيضاً : [من البسيط]

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم ... لمّا انبرى لهمُ دَحْمانُ خِصْيانا
فأَبْلِغُوه عن الأَعشى مقالتَه ... أَعشى سُلَيم أَبي عمرٍو سليمانا
قولوا يقول أَبو عمرو لصُحْبته ... يا ليت دَحْمانَ قبل الموت غَنّانا

[كان من تلاميذ معبد وأَحد رواته]

أَخبرني رِضْوان بن أَحمد الصَّيْدلانيّ قال حدَّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهديّ أَنّه حدَّثه عن ابن جامع وزُبَير بن دَحْمان جميعاً : أَنّ دَحْمان كان معدَّلاً مقبولَ الشهادة عند

1 انظر أُخبار دحمان في نهاية الأرب 4 : 241–243 وفي التذكرة الحمدونية 9 : 24 .
2 ولي عبد العزيز قضاء المدينة في زمن المنصور ثم المهدي ، وولي قضاء مكّة .

القضاة بالمدينة ، وكان أَبو سعيدٍ مولى فائد أَيضاً ممّن تُقبل شهادته . وكان دَحْمان من رُواة مَعْبَد وغلمانِه المتقدّمين . قال : وكان معبد في أَوّل أَمره مقبولَ الشهادة ، فلمّا حضر الوليدَ بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَات وغنّى له سقطتْ عدالته ، [لا لأَن شيئاً بَانَ عليه من دخول في محظور ، ولكن] ، لأَنّه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

[منزلته في الغناء عند إبراهيم الموصليّ]

أَخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثنا أَبو أَيّوب المَدينيّ قال قال إسحاق : كان دحمان يُكنى أَبا عمرو ، مولى بني لَيْث ، واسمُه عبد الرحمن ، وكان يَخضِبُ رأسَه ولحيته بالحِنّاء ؛ وهو من غلمان معبد . قال إسحاق : وكان أَبي لا يضعه بحيث يضعه الناس ، ويقول : لو كان عبداً ما اشتريته على الغناء بأَربعمائة درهم . وأَشبهُ الناس به في الغناء ابنُه عبد الله ، وكان يفضِّل الزُّبَير ابنَه تفضيلاً شديداً على عبد الله أَخيه وعلى دَحْمان [أَبيه] .

[كان المهديّ يجزل صلته]

أَخبرني يحيى عن أَبي أَيّوب عن أَحمد بن المَكّيّ عن عبد الله بن دَحْمان قال : رجع أَبي من عند المَهْديّ وفي حاصِله مائةُ أَلفِ دينار . أَخبرنا إسماعيل بن يونُس وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : بلغني أَنَّ المهديَّ أَعطى دَحْمان في ليلة واحدة خمسين أَلفَ دينار ؛ وذلك أَنّه غنّى في شعر الأَحْوص : [من الهزج]

قَطُــوفُ المَشْي إذ تمشي ... تَــرَى في مشيهــا خرَقا[1]

فأَعجبه وطرِب ، واستخفّه السرور حتى قال لدَحْمان : سَلْني ما شئت ؛ فقال : ضَيْعتان بالمدينة يقال لهما رَيّان وغالِب ؛ فأَقْطعه إيّاهما . فلمّا خرج التوقيع بذلك إلى أَبي عبيد[2] الله وعمر بن بَزِيع راجعا المهديَّ فيه وقالا : إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلاّ خليفة ، وقد استقطعهما ولاةُ العهود في أَيّام بني أُميّة فلم يُقْطَعُوهما ؛ فقال : والله لا أَرجع فيهما إلاّ بعد أَن يرضى ؛ فصُولح عنهما على خمسين أَلفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الوافر]

سَرى ذا الهمُّ بل طرَقا ... فَبِــتُّ مسهَّــداً قَلِقا
كذاك الحُــبّ ممّا يُحـ ... ـدِث التسهيدَ والأَرقا

1 قطوف المشي : بطيئته . وخرقاً : تحيّراً ودهشاً .

2 هو أَبو عبيد الله بن عبيد الله الأَشعريّ الكاتب الوزير .

قَطُوف المشيِ إذ تمشي   تَرى في مشيهـــا خرَقا
وتُثْقِلهـــا عَجِيزتُهـــا   إذا ولَّـــت لتنطلقـــا

الشعر للأَحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ؛ وذكر الهِشاميّ أنّه لابن سُرَيج .

[سئل عن ثمن ردائه فأجاب]

أخبرني إسماعيل بنُ يُونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : مرَّ دَحْمان المغنّي وعليه رداء جيّد عَدَنيّ ؛ فقال له مَنْ حضر : بكم اشتريتَ هذا يا أبا عمرو ؟ قال : [من مجزوء البسيط]

* مـــا ضَرَّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا *

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء البسيط]

ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا   لو أنَّهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا[1]
أَحْمَوْا على عاشقٍ زيارتَه   فهْو بهِجْران بينهِم قُطَعُ[2]
وهْـــو كأنَّ الهُيَام خالطه   وما بـــه غير حبِّها ذَرَعُ[3]
كأَنّ لُبْنَـــى صَبِيرُ غادِيـــةٍ   أو دُمْيةٌ زُيِّنَتْ بهـــا البِيَعُ[4]
اللهُ بينـــي وبـــين قيِّمها   يَفِـــرّ عنّـــي بهـــا وأتّبِعُ

[اشترى منه الوليد جارية وهو لا يعرفه فلمّا عرفه أرسل إليه وأكرمه]

أخبرني وَكيع عن أبي أيُّوب المَدينيّ إجازةً عن أبي محمّد العامريّ الأُوَيْسيّ قال : كان دَحْمان جَمَّالاً يُكْرِي إلى المواضع ويَتَّجرَ ، وكانت له مروءةٌ ؛ فبينا هو ذاتَ يوم قد أكْرَى جمالَه وأخَذ مالَه إذ سمِع رَنّة ، فقام واتّبع الصوتَ ، فإذا جاريةٌ قد خرجت تَبْكي ؛ فقال لها : أمملوكةٌ أنتِ ؟ قالت : نعم ؛ فقال : لمَن ؟ فقالت : لامرأة من قريش ، وسمّتها له ؛ فقال : أتبيعك ؟ قالت : نعم ، ودخلتْ إلى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشتريني ؛ فقالت : ائذني له ، فدخل ، فسامها حتى استقرّ أمرُ الثمن بينهما على مائتي دينار ، فنقَدها إيّاها وانصرف بالجارية . قال دَحْمان : فأقامت عندي مدّةً أطرَح عليها ويطرَح عليها مَعْبَد والأبجَر

1 ربعُوا : تمهّلوا وانتظروا .
2 أحموا : حظروا ومنعوا . قُطع : في الديوان فَظِع ص 85 .
3 في ل : ردع .
4 صبير : السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجاً . والغادية السحابة تنشأ غدوة .

ونظراؤهما من المغنّين ؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشام وقد حَذِقتْ ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أُنْزِل الأَكْرِياء[1] ناحيةً ، وأنزل معتزِلاً بها ناحيةً في مَحْمِل وأُطرَح على المَحْمِل من أَعْبِية[2] الجَمّالين ، وأَجلس أنا وهي تحت ظلّها ، فأُخرج شيئاً فنأكله ، ونضع رِكْوة[3] فيها لنا شراب ، فنشرب ونتغنّى حتى نَرحل . ولم نزل كذلك حتى قرُبنا من الشام . فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلْقي عليها لحني : [من الكامل]

صوت

لـو رَدّ ذو شَفَـق حِمامَ منيّةٍ   لرددتُ عن عبد العزيز حِمامَا
صلّى عليكَ اللهُ من مستودَعٍ   جاورتَ بُوماً في القبورِ وهاما[4]

الشعر لكُثيِّر[5] يَرثي عبدَ العزيز بن مَرْوان . وزعم بعضُ الرواة أنّ هذا الشعر ليس لكثيّر وأنّه لعبد الصمد بن عليّ الهشاميّ يرثي ابناً له . والغناء لدَحْمان ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البِنصر .

قال : فرددتُه عليها حتى أَخذتْه واندفعتْ تغنّيه ، فإذا أنا براكبٍ قد طلَع فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السلام ؛ فقال : أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعةً ؟ قلنا نعم ، فنزل ؛ وعرضتُ عليه طعامنا وشرابنا فأجاب ، فقدّمْنا إليه السُّفْرةَ فأكل وشرب معنا ، واستعاد الصوت مراراً . ثم قال للجارية : أتغنّين لدَحْمان شيئاً ؟ قالت نعم . قال : فغنَّته أصواتاً من صنعتي ، وغمزتُها ألاّ تُعرّفَه أنّي دَحْمان ؛ فطَرِب وامتلأَ سروراً وشرب أقداحاً والجاريةُ تُغنِّيه حتى قـرُب وقتُ الرحيل ؛ فأقبل عليَّ وقال : أتبيعني هذه الجاريةَ ؟ فقلت نعم ؛ قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار ؛ قال : قد أخذتُها بها ، فهلمَّ دواةً وقِرْطاساً ، فجئته بذلك ؛ فكتب : «ادفعْ إلى حامل كتابي هذا حينَ تقرؤه عشرةَ آلافِ دينار ، واستوصِ به خيراً وأعلمني بمكانه» وختَم الكِتابَ ودفعَه إليّ ؛ ثم قال : أتدفَع إليّ الجاريةَ أم تَمضي بها معك حتى تقبضَ مالكَ ؟ فقلت : بل أدفعها إليك ؛ فحملها وقال : إذا جئتَ البَخْراءَ[6] فسَلْ عن فلان وادفعْ كتابي هذا إليه واقبضْ منه مالكَ ؛ ثم انصرف بالجارية . قال : ومضيتُ ، فلمّا وردتُ البَخْراءَ سألت عن اسم الرجل ، فدُللتُ عليه ،

---

1 الأكرياء : جمع كريّ وهو المكاري .
2 الأعبية : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية .
3 الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء وفي ل : زكرة .
4 الهام : طير الليل وهو الصدى ، واحده هامة .
5 نُسب هذا الشعر في تجريد الأغاني لإسماعيل بن يسار .
6 البخراء : أرضٌ وماءة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

فإذا دارُه دارُ مُلْك ، فدخلتُ عليه ودفعت إليه الكتابَ ، فقبّله ووضعه على عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إليّ ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، وقال لي : اجلس حتى أُعلِم أميرَ المؤمنين بك ؛ فقلتُ له : حيثُ كنتُ فأنا عبدُك وبين يديك ، وقد كان أمر لي بأنزال[1] وكان بخيلاً ، فاغتنمتُ ذلك فارتحلتُ ؛ وقد كنت أُصِبت بجملين ، وكانت عِدّةُ أجمالي خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشرَ . قال : وسأل عنّي الوليدُ ، فلم يَدْرِ القَهْرَمانُ أين يطلُبني ؛ فقال له الوليد : عِدّةُ جماله خمسةَ عشرَ جملاً فارْدُدْه إليّ ؛ فلم أُوجَد ، لأنّه لم يكن في الرُّفْقة مَن معه خمسةَ عشرَ جملاً ، ولم يَعْرِف اسمي فيَسألَ عنّي . قال : وأقامت الجارية عنده شهراً لا يَسأل عنها ، ثم دعاها بعد أن استبرئت[2] وأُصلح من شأنها ، فظلّ معها يومَه ، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها : غنّيني لدَحْمان فغنّت ؛ وقال لها : زيديني فزادت . ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين ، أوَما سمعتَ غناءَ دَحْمان منه ؟ قال لا ؛ قالت : بلى والله ؛ قال : أقول لك لا ، فتقولين بلى والله ؛ فقالت : بلى والله لقد سمعتَه ؛ قال : وما ذاك ؟ وَيْحَكِ ! قالت : إنّ الرجل الذي اشتريتني منه هو دَحْمان ؛ قال : أوَذلكَ هو ؟ قالت : نعم ، هو هو ؛ قال : فكيف لم أعلم ؟ قالت : غمَزني بألاّ أُعلمك . فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحْمان ، فحُمل فلم يزل عنده أثيراً[3] .

[دحمان في مجلس أمير من أمراء المدينة]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا ابن جامع قال : تذاكروا يوماً كِبَر الأيور بحضرة بعض أُمراء المدينة فأطالوا القولَ ؛ ثم قال بعضهم : إنّما يكون كبر أيْر الرجل على قَدْرِ حِرِ أُمّه ؛ فالتفتَ الأميرُ إلى دَحْمان فقال : يا دَحْمان ، كيف أيرك ؟ فقال له : أيّها الأمير ، أنت لم تُرِد أن تعرف كبر أيري ، وإنّما أردتَ أن تعرف مقدار حِرِ أُمّي . وكان دَحْمان طيّباً ظريفاً .

[ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه]

أخبرني إسماعيل بن يُونس قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني إسحاق قال : أوّل ما عُرف من ظَرْف دَحْمان أنّ رجلاً مرَّ به يوماً ، فقال له : أيْر حماري في حِرِ أُمّكَ يا دُحَيم ؛ فلم يفهم ما قاله ، وفَهِمه رجل كان حاضراً معه فضحك ؛ فقال : ممَّ ضحكت ؟ فلم يُخْبِره ؛ فقال له : أقسمتُ عليك إلاّ أخبرتَني ؛ قال : إنّه شتمك فلا أُحبّ استقبالك بما قاله لك ؛ فقال : والله لتخبرنّي كائناً ما كان ؛ فقال له : قال : كذا وكذا من حماري في حِرِ أُمّك ؛ فضحك ثم قال :

---

1 الأنزال جمع نُزُل ، وهو ما هيىء للضيف أن ينزل عليه .

2 استبراء الرجل الجارية : ألاّ يمسّها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبيّن حالها أهي حامل أم لا .

3 الأثير : المكرّم .

أعجبُ والله وأغلظ عليّ من شَتْمه كِنايَتُك عن أيْر حمارِه وتصريحُك بحِرِ أُمّي لا تَكْني .

[جعفر بن سليمان أمير المدينة والمغنون]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني أبو خالد يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال حدّثنا عبد الله بن الرَّبيع المَديني قال حدّثني الرَّبَعِيّ المغنّي قال : قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة : اغْدُوا على قصري بالعَقيق غدا ؛ وكنت أنا ودَحْمان وعَطَرَّد ، فغدوتُ للموعد ، فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة[1] ، فإذا هو وعَطَرّد قد اجتمعا على قِدْرٍ يطبُخانها ، وإذا هما عزما على الصبوح والسماء تَبْغَش[2] ، فأذكرتُهما الموعدَ ، فقالا : أما ترى يومَنا هذا ما أطيبَه ! اجلس حتى نأكلَ من هذه القِدْر ونُصيبَ شيئاً ونستمتعَ من هذا اليوم ؛ فقال : ما كنت لأفعلَ مع ما تقدّم الأمير به إليّ ؛ فقالا لي : كأنّا بالأمير قد انحلَّ عزمُه ، وأخذك المطرُ إلى أن تبلغ ، ثم ترجع إلينا مبتلاً فتقرَع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذٍ . قال : فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت ، وإذا جعفرٌ مُشرِف من قصره والمَضارِب تُضرَب ، والقدور تُنصَب ؛ فلمّا كنت بحيث يسمع تغنّيتُ : [من الطويل]

وأستصحبُ الأصحابَ حتى إذا وَنَوْا ... ومَلُّوا من الإدْلاج جئتكُم وَحْدِي

قال : وما ذاك ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : يا غلام ، هات مائتي دينار أو أربعمائة دينار الشك من إسحاق الموصلي فانثرها في حِجْر الرَّبَعيّ ، اذهبْ الآن فلا تَحُلّ لها عُقْدةً حتى تُرِيَهما إيّاها ؛ فقلتُ : وما في يدي من ذلك ؟ يأتيانكَ غداً فتُلحِقهما بي ؛ قال : ما كنتُ لأفعل ؛ قلتُ : فلا أمضي حتى تحلَف لي أنّك لا تفعل ، فحلَفَ . فمضيتُ إليهما ، فقرَعتُ الباب فصاحا وقالا : ألم نقل لك إنّ هذه تكون حالَك ؛ فقلت : كلاّ فأرَيتُهما الدنانيرَ ؛ فقالا : إنّ الأمير لَحيِيٌّ كريم ، ونأتيه غداً إن شاء الله تعالى فنعتذرُ إليه فيدعوه كرمُه إلى أن يُلْحِقَنا بك ؛ فقلت : كذَّبَتكُما أنفسكما ، والله إنّي قد أحكمتُ الأمر ووكّدتُ عليه الأيمانَ ألاّ يفعل ؛ فقالا : لا وصلتْك رَحِم .

[غنّى هو وابن جندب بالعقيق]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن منصور بن أبي مُزاحِم قال أخبرني عبد العزيز بن الماجِشُون قال : صلّينا يوماً الصبحَ بالمدينة ، فقال قوم : قد سال العَقيق ، فخرجنا من المسجد مُبادرِين إلى العقيق ، فانتهينا إلى العَرْصة[3] ، فإذا مِن وراء الوادي قُبالتَنا دَحْمانُ

---

1 جهينة : قرية من نواحي الموصل على دجلة .

2 بغشت السماء : أمطرت البغشة وهي المطرة الضعيفة .

3 العرصة : بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

المغنّي وابن جُنْدَب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو : [من الخفيف]

أَسكُنُ البَدْوَ ما سكنْتِ ببدوٍ فإذا ما حضرتِ طاب الحضورُ

وإذا أُطيبُ صوتٍ في الدنيا . قال : وكان أَخي يَكره السَّماع ؛ فلمّا سمعه طرِب طرباً شديداً وتحرّك ؛ وكان لغناء دَحْمانَ أَشدَّ استحساناً وحركة وارتياحاً ؛ فقال لي : يا أَخي ، اسمع إلى غناء دحمان ، والله لكأَنّه يسكُب على الماء زيتاً .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

أَوْحشَ الجُنْبُذانِ فالدَّيْرُ منها فقُرَاهــا فــالمنزلُ المحظــورُ[1]
أَسكنُ البدوَ مــا أَقمتِ ببدوٍ فإذا ما حضرتِ طاب الحضورُ
أَيُّ عيش أَلَــذُّه لستِ فيــه أَوْ تُــرى نَعْمــةٌ بــه وسُرورُ

الشعر لحَسّان بن ثابت . والغناء لابن مِسْجَح رَمَلٌ مطلَق في مجرى البنصر عن إسحاق .

[دحمان والفضل بن يحيى]

أَخبرنا محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أَحمد بن عبد الرحمن عن أَبي عثمانَ البَصْريّ قال : قال دَحْمان : دخلتُ على الفضل بن يحيى ذات يوم ؛ فلمّا جلسنا ، قام وأَومأَ إليَّ فقمتُ ، فأَخذ بيدي ومضى بي إلى مَنْظَرة له على الطريق ، ودعا بالطعام فأَكلنا ، ثم صِرنا إلى الشرابِ ؛ فبينا نحن كذلك إذ مرَّت بنا جارية سوداء حِجازيّة تغنّي : [من مجزوء الرمل]

اهْجُرينــي أَو صِلِينــي كيفمــا شئتِ فكوني
أنـــتِ والله تُحْبيـــ ـــني وإن لم تُخبريني

فطَرِب وقال : أَحسنتِ ! أدخلي فدخلتْ ، فأَمر بطعام فقُدِّم إليها فأَكلتْ ، وسقاها أَقداحاً ، وسأَلها عن مواليها فأَخبرته ؛ فبعث فاشتراها ، فوجدها من أَحسن الناس غناءً وأَطيبِهم صوتاً وأَملحِهم[2] طبعاً ؛ فغلبتْني عليه مدّةً وتناساني ؛ فكتبتُ إليه : [من السريع]

أَخرجتِ السَّوداء ما كان في قلبــك لي مــن شدّة الحُبِّ
فإن يدُم ذا منــك لا دام لي متُّ مــن الإعراض والكَرْبِ

قال : فلمّا قرأَ الرُّقعة ضحك ، وبعث فدعاني ووصلني ، وعاد إلى ما كان عليه من الأُنس .

1 الجنبذ : معرَّب كنبذ بالفارسيّة ، ومعناه : الأزجّ المدوّر كالقبة . وهو مكان بعينه .
2 في ل : وأَصلحهم .

قال مؤلِّف هذا الكتاب : هكذا أَخبرنا ابنُ المَرْزُبان بهذا الخبر ، وأَظنّه غلطاً ؛ لأَنّ دَحْمان لم يُدرك خلافةَ الرشيد ، وإنّما أَدركها ابناهُ زُبَير وعبد الله ؛ فإمّا أَن يكون الخبر لأُحدهما أَو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى .

[وممّا في المائة المختارة من صنعة دَحْمان]

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من الطويل]

وإنّي لآتي البيتَ ما إن أُحِبُّه ... وأُكثِرُ هجرَ البيت وهو حَبِيبُ
وأُغْضِي على أشياءَ منكم تَسُوءني ... وأُدْعَى إلى مــا سَرّكم فأجيبُ
وأحبِس عنكِ النّفسَ والنفسُ صَبّةٌ ... بقُرْبِك والمَمْشى إليكِ قريبُ

الشعر للأَحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أَوّلُ . وقد تقدَّمَتْ أَخبارُ الأَحوص ودَحْمان فيما مضى من الكتاب .

صوت

من المائة المختارة

[من الرمل]

حَيِّيـا خَوْلـةَ منّـي بالسلامِ ... دُرّةَ البحرِ ومِصْباحَ الظلامِ[1]
لا يكُن وَعْـدُكِ برقـاً خُلَّباً ... كاذباً يلمع في عُرْض الغمامِ[2]
واذكري الوعـدَ الذي واعدتنا ... ليلةَ النصف من الشّهر الحرامِ

الشعر لأَعشى هَمْدان . والغناء لأَحمد النَّصْبي ، ولحنه المختار من القدر الأَوسط من الثقيل الأَوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وعروضه من الرَّمَل . والخُلَّب من البرق : الذي لا غيث معه ولا يُنتفع بسحابه . وتَضرِبُ المثلَ به العربُ لَمن أُخلف وعدَه ؛ قال الشاعر : [من الرمل]

لا يكنْ وعـدك برقـاً خُلَّباً ... إنّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ مَعَهْ

وعرض السحابة : الناحية منها .

1 في الديوان : خولة ، ص 339 .
2 في الديوان «أو تكوني مثل برق . خلَّب : خادع ، ص 339 .

[75] ـ أخبار أعشى هَمْدان ونسبه[1]

[نسبه]

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نِظَام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ بن جُشم بن حاشد بن جُشَم بن خَيْران بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زيد بن نِزار بن أَوْسِلة بن رَبيعة بن الخِيار بن مالِك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ، ويُكنى أَبا المصَبّح ، شاعرٌ فصيح ، كوفيّ ، من شعراء الدولة الأُمويّة . وكان زوجَ أُخت الشَّعبيّ الفقيه ، والشعبيُّ زوجَ أُخته . وكان أَحَد الفقهاء القُرّاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ ، وآخى أَحمد النَّصْبي بالعَشيرِيّة[2] والبَلَديّة ، فكان إذا قال شعراً غنّى فيه أَحمدُ . وخرج مع ابن الأَشْعث ، فأُتِي به الحَجّاجُ أَسيراً في الأَسرى ، فقتله صَبْراً .

[قصّ رؤياه على صهره الشعبيّ]

أَخبرني بما أَذكره من جملة أَخباره الحَسَنُ بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ عن محمّد بن معاوية الأَسَديّ أنّه أَخذ أَخباره هذه عن ابن كُناسة عن الهَيْثَم ابن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية وعن غيرهم من رُواة الكوفيّين . قال حدَّثنا عمر بن شَبّة وأَبو هِفّان جميعاً عن إسحاقَ الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ . قال العَنزيّ : وأَخذت بعضَها من رواية مسعود بن بشر عن الأَصمعيّ . وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرتُه مفرداً .

أَخبرني المهلَّبيّ أَبو أَحمد حبيب بن نصر وعليّ بن صالح قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة وأَبو هِفّان جميعاً عن إسحاق الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال : كان الشَّعبيّ عامرُ بنُ شَراحيل زوجَ أُخت أَعشى هَمْدان ، وكان أَعشى هَمْدان زوجَ أُخت الشَّعبيّ ، فأَتاه أَعشى همدان يوماً ، وكان أَحدَ القُرّاء للقرآن ، فقال له : إنّي رأيت كأنّي أُدخلت بيتاً فيه حِنْطة وشعير ، وقيل لي : خُذ أَيّهما شئتَ ، فأَخذتُ الشَّعير ؛ فقال : إن صدقتْ رؤياك تركتَ القرآن وقراءتَه وقلت الشعر ؛ فكان كما قال .

[أُسر في الدَّيلم فأَحبّته ابنة الأَمير وهربت معه]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ عن محمّد بن معاوية الأَسديّ عن

---

1 انظر أخبار أعشى همدان في العقد 3 : 208 وزهر الآداب : 620 وبهجة المجالس 1 : 348 ونهاية الأرب 3 : 83 والتذكرة الحمدونية 3 : 120 ، 4 : 215 ، 231 ، 5 : 203 ، 7 : 373 ، 8 : 179 ، 318 .

2 العشيريّة : نسبة إلى العشير أو العشيرة .

ابن كُنَاسة ، قال العَنزيّ وحدَّثني مسعود بن بِشر عن أَبي عُبيدة والأَصمعيّ قالا ، وافق روايتَهم الهيْثمُ بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال : كان أَعشى هَمْدان أَبو المُصَبّح ممّن أَغزاه الحَجّاجُ بلدَ الدَّيْلم ونواحيَ دَسْتَبى[1] ، فأُسِر ، فلم يزل أَسيراً في أَيدي الدَّيلم[2] مدّة . ثم إنّ بنتاً للعِلْج الذي أَسَره هَوِيته ، وصارت إليه ليلاً فمكّنته منْ نفسها ، فأَصبح وقد واقعها ثمانيَ مرّات ؛ فقالت له الدَّيلميّةُ : يا معشرَ[3] المسلمين ، أَهكذا تفعلون بنسائكم ؟ فقال لها : هكذا نفعل كلّنا ؛ فقلت له : بهذا العمل نُصرتم ؛ أفرأَيتَ إن خلّصتُك ، أَتصطفيني لنفسك ؟ فقال لها نعم ، وعاهدها . فلمّا كان الليلُ حلّت قيودَه وأَخذتْ به طُرُقاً تعرفها حتى خلّصته[4] وهرَبتْ معه . فقال شاعر من أَسْرى المسلمين : [من الطويل]

فمَنْ كانَ يَفْديه مِن الأَسْر مالُه ... فهَمْدانُ تَفْدِيها الغـداةَ أُيورُها

وقال الأَعشى يذكر ما لحقه من أَسْر الدَّيلم : [من الكامل]

صوت

لَمِن الظَّعائـنُ سيرُهـنّ تَرَجُّفُ ... عَوْمَ السَّفين إذا تقاعس مِجذَفُ[5]
مرَّتْ بذي خُشُب كأَنّ حُمولَها ... نَخْـلٌ بيَثْـرِبَ طَلْعُـه مُتضعِّفُ[6]

غنّى في هذين البيتين أَحمد النَّصْبي ، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكّي . وفيهما لمحمّد الزَّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو : [من الرجز]

عُولِـينَ ديبـاجاً وفاخرَ سُنْدُسٍ ... وبخَـزِّ أَكسية العـراق تُحفَّفُ
وغدتْ بهم يومَ الفراقِ عَرامِسٌ ... فُتْـلُ المَرافـق بـالهوادج دُلَّفُ[7]
بـانَ الخليـطُ وفاتنـي برحيله ... خَوْدٌ إذا ذُكرت لقلبك يُشْغَفُ[8]
تجلـو بِمِسْواكِ الأَراك مُنَظَّماً ... عَذْباً إذا ضحكتْ تهلّلَ يَنْطُفُ

---

1 دَسْتَبى : كورة كانت مقسومة بين الريّ وهمذان .
2 في ل : بلد .
3 في ل : معاشر .
4 في ل : تخلّصته .
5 الترجّف : الاضطراب الشديد . في ل : يُجذّفُ .
6 ذو خُشُب : وادٍ على مسيرة ليلة في المدينة . متضعّف في ل : متعطّف وفي الديوان أيضاً ص 334 .
7 العرامس : جمع عرمس وهي الناقة الصّلبة . دُلَّف : جمع دالف وهو الماشي بالحمل الثقيل مقارباً للخطو .
8 يُشْغَف : في ل : تُشْغَفُ .

وكأنّ ريقتَها على عَلَــلَ الكَرى عَسَلٌ مصفًّى في القِلال وقَرْقَفُ[1]
وكأنّما نظــرتْ بعينــيْ ظبيــةٍ تحنو عـلى خشْف لهـا وتَعَطَّفُ
وإذا تنــوء إلى القيـام تدافعتْ مثلَ النَّزيف ينـوء ثُمَّتَ يَضْعُفُ
ثقُلَــتْ روادفُها ومال بخَصْرها كَفَلٌ كما مـال النَّقـا المتقصِّفُ
ولهـا ذراعـا بَكْــرةٍ رحبيّــة ولها بَنــانٌ بالخِضاب مُطَرَّفُ[2]
وعــوارضٌ مصقولــةٌ وترائــبٌ بيضٌ وبطنٌ كالسَّبيكـة مُخْطَفُ[3]
ولهـا بَهـاءٌ في النساء وبَهْجةٌ وبها تَحُلّ الشمسُ حـين تُشرِّفُ
تلك التي كانت هوايَ وحاجتي لــو أنّ داراً بالأحبّـة تُسْعِفُ
وإذا تُصِبْك مــن الحوادث نكبةٌ فاصبر فكــلُّ مصيبةٍ ستَكَشَّفُ
ولئن بكيتُ مــن الفراق صَبابةً إنّ الكبيـر إذا بكـــى لَيُعَنَّفُ
عجباً مــن الأيّام كيف تَصَرَّفَتْ والدّارُ تدنـــو مَــرّةً وتقذّفُ
أُصبحتُ رَهْنــاً للعُـداة مكبَّلاً أُمْسي وأُصْبح في الأداهم أَرْسُفُ
بين القليسم فالقيــول فحامــن فاللهزمين ومضجعــي مُتكنَّفُ[4]

هذه أسماء مواضع من بلد الدَّيلم تكنَّفته الهموم بها .

فجِبَالُ ويمــة مـا تزالُ مُنِيفـةً يــا ليتَ أنّ جبالَ ويمة تُنسَفُ

ويمة وشلبة : ناحيتان من نواحي الريّ .

ولقــد أُراني قبــل ذلك ناعماً جَــذْلانَ آبــى أن أُضام وآنفُ
واستنكرتْ ساقي الوَثاقَ وساعِدي وأنا امرؤٌ بادِي الأشاجع أَعْجَفُ[5]
ولقد تُضرِّسني الحــروبُ . وإنّني أُلفَــى بكــلِّ مخافــة أتعسَّفُ
أتسربل الليــلَ البهيمَ وأستري في الخَبْت إذ لا يَسْتَرُونَ وأُوجِفُ[6]

---

1 القلال : جمع قلّة وهي الجرّة العظيمة ، وقيل الكوز الصغير . القرقف : الخمر .
2 طرّفت المرأة بنانها : خضب أطراف أصابعها بالحناء .
3 مخطف : ضامر .
4 فالقيول فحامن في ل : فالقبول فحازر .
5 الأشاجع : أصول الأصابع أو عروق الكفّ .
6 يسترون في الديوان : وأشتدي . . . . يشتدون ص 335 .

مـا إن أزال مقنَّعـاً أو حاسراً سَلَفَ الكتيبة والكتيبةُ وُقَّفُ
فأصابني قـومٌ فكنتُ أُصيبهم فـالآن أصبِر للزمـانِ وأعرِفُ
إنّي لطَـلاّبُ التِّراتِ مطلَّـبٌ وبكـلّ أسباب المنيّـة أشرِفُ
باقٍ على الحِدْثـان غيرُ مكذَّبٍ لا كاسفٌ بـالي ولا متأسّفُ
إن نلـتُ لم أفـرح بشيء نِلتُه وإذا سُبِقتُ بـه فـلا أتلهّفُ
إنّي لأَحْمِي في المَضِيق فَوارِسي وأكُرّ خَلْفَ المُسْتضاف وأعطِفُ[1]
وأشُدّ إذ يكبو الجبـان وأَصْطَلي حَرَّ الأَسنّـة والأَسنّـةُ تُرْعُفُ[2]

صوت

فلئـن أصابتْنـي الحروبُ فربّما أُدْعَى إذا مُنع الرِّدافُ فأُردِفُ
ولربّمـا يَـرْوَى بِكفّي لَهْذَمٌ مـاض ومُطَّرِدُ الكُعوب مُثقَّفُ[3]
وأُغير غـاراتٍ وأَشْهَد مَشهداً قلبُ الجبانِ بـه يَطير ويَرجُفُ
وأرى مغانـمَ لـو أَشاء حويتُها فيُصدّني عنهـا غِنـىً وتَعفّفُ

غنّى في هذه الأبيات دَحْمانُ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن الهشاميّ . قال الهشاميّ : فيها لمالكٍ خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى ، ووافقه في هذا ابن المكّيّ .

[خرج مع جيش الحجّاج إلى مكران فمرض وقال شعراً]

قالوا جميعاً : ثم ضُرِب البَعْثُ على جيش أهل الكوفة إلى مُكْران[4] ، فأخرجه الحجّاج معهم ، فخرج إليها وطال مُقامه بها ومرِض ، فاجتواها وقال في ذلك ، وأنشدني بعضَ هذه القصيدة اليزيديّ عن سليمان بن أبي شيخ : [من المتقارب]

طلبـتَ الصِّبا إذ علا المَكْبَرُ وشاب القَـذال ومـا تُقصِرُ
وبـانَ الشبـابُ ولذّاتـه ومثلُك في الجهـل لا يُعذَرُ
وقـال العواذلُ هـل يَنْتهي فيَقْدَعَـه الشيـبُ أو يُقصِرُ[5]

1 المستضاف : من يفزع إليه غيره ويلتجىء به ، يريد بـه الكميّ الشجاع وفي الديوان : المستضاق ص336 .
2 يكبو في ل : ينبو .
3 مطرد الكعوب : الرمح ، واطراد كعوبه : تتابعها .
4 مُكْران : ولاية واسعة بين كرمان غرباً وسجستان شمالاً والبحر جنوباً والهند شرقاً .
5 يقدعه : يكفّه .

وفي أربعــــينَ تَوَفّيتُهــــا وعَشْرٍ مضــتْ لِيَ مُستبصَرُ
وموعظــةٌ لامــرىء حــازمٍ إذا كان يَسمــع أو يُبْصِــرُ
فــلا تأسفنَّ على مــا مضى ولا يَحزُنَنَّــك مــــا يُدْبِرُ
فإنّ الحــوادثَ تُبـلي الفتى وإنّ الزمــان بــــه يعثُــرُ
فيَوْمــاً يُساء بمــــا نابَــه ويومــــاً يُسَرّ فيَستبشِــرُ
ومِــنْ كلّ ذلك يَلْقــى الفتى ويُمْنَى لــه منــه مـا يُقدَرُ
كأنّــــيَ لم أرْتحــلُ جَسْرةً ولم أُجْفِها بعد مــا تضمرُ[1]
فأُجْشِمَهــا كلَّ دَيْمُومــــةٍ ويَعرفهــا البلـــدُ المُقفــرُ[2]
ولم أشهدِ البأسَ يــومَ الوَغى عــليّ المُفاضــــةُ والمِغْفَــرُ[3]
ولم أخرق الصفَّ حتى تَميــ ـل دَارِعــةُ القومِ والحُسَّرُ[4]
وتحتَــي جَــرْداءُ خَيْفانــةٌ من الخيــل أو سابحٌ مُجفَرُ
أُطاعِــنُ بـالرمح حتــى اللَّبا نُ يَجــري بــه العَلَق الأحمرُ
وما كنت في الحرب إذ شَمَّرت كمَــنْ لا يُذيــب ولا يُخثِرُ
ولكنّنــــي كنــتُ ذا مــرَّة عَطوفــاً إذا هتــفَ المَحْجرُ
أُجيب الصَّريخ إذا ما دعا وعنــد الهِيــاج أنــا المِسْعَرُ
فإن أُمْس قــد لاح فيَّ المَشيـ ـبُ أُمَّ البنين ، فقــد أذكُرُ
رَخــاءً منَ العيش كنَّا بِــه إذِ الدَّهــرُ خــالٍ لنا مصْحِرُ
وإذ أنــا في عُنفــوان الشبا ب يُعجبني اللَّهــو والسُّمَّرُ
أُصيــد الحسانَ ويَصْطَدْنني وتعجبنـــي الكاعبُ المُعصِرُ
وبيضاءُ مثــلُ مَهــاة الكَثيـ ـب لا عَيْبَ فيهـا لمَن ينظُرُ
كأنّ مُقلَّدَهـــــا إذ بــدا بـــه الدُّرّ والشَّذْرُ والجوهرُ[5]

---

1 الجسرة : الناقة العظيمة الطويلة . أجفاها : أتعبها .

2 الدّيمومة : الفلاة الواسعة .

3 المفاضة : الدرع الواسعة ، المغفر : زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به .

4 الدارعة : الفرقة اللابسة الدّروع .

5 الشّذر : اللؤلؤ الصغير ؛ وقيل خرز يفصل به بين الجواهر في النظم ؛ أو هو قطع من الذهب تلقط من معدنه دون إذابة الحجارة .

مُقَلَّــدُ أُدْمــاءَ نَجْدِيّـــةٍ يَعِـــنُّ لهـا شادِنٌ أَحْـورُ[1]
كأَنّ جَنَـى النحل والزنجبيـ ـــلَ والفارسيَّـــةَ إذ تُعْصَرُ[2]
يُصَـــبّ على بَـرْدِ أنيابهـا مُخالِطُـــه المسـكُ والعنبرُ
إذا انصرفـتْ وتَلَـوَّتْ بها رِقـاقُ المَجـاسِدِ والمِئزرُ[3]
وغَصَّ السِّوارُ وجـال الوِشاح عــلى عُكَـنٍ خَصْرُها مُضْمَرُ
وضاق عــن الساق خَلْخالُها فكـــاد مُخَدَّمهـــا يَنْدُرُ[4]
فَتُـورُ القيـام رخيـمُ الكلا م يُفزِعها الصوتُ إذ تُزْجَرُ
وتُنْمَـــى إلى حَسَبٍ شامـخ فليستْ تُكـــذِّب إذ تَفْخَرُ
فتلـك التـي شَفَّنـي حبُّهـا وحمَّلنـــي فـوق مـــا أَقدِرُ
فــلا تعذُلانِـــيَ في حبِّهـا فإنّـــي بمعـذرةٍ أَجْـــدَرُ

ومن ها هنا رواية اليزيديّ :

وقُولا لـذي طَرب عاشقٍ : أَشطَّ المـزارُ بمَـن تَذْكُرُ ؟
بكوفيّـــة أَصلُهـا بالفُـرا ت تبـدو هنالك أَو تَحضُرُ
وأَنت تسير إلى مُكَّــــران فقـد شحَط الوِرْدُ والمَصْدَرُ
ولم تَـكُ من حاجتي مُكْران ولا الغـزوُ فيهـا ولا المَتْجَرُ
وخُبِّرتُ عنهـــا ولم آتِهـــا فما زِلتُ مـن ذكرها أُذْعَرُ
بـأَنّ الكثيرَ بهـا جائـعٌ وأَنّ القليـل بهـا مُقْتِرُ
وأَنّ لِحَـى الناسِ مـن حَرِّها تطـولُ فتُجْلَـم أَو تُضْفَرُ[5]
ويزعـمُ مَـنْ جاءَها قَبْلَنا بأَنّــا سَنَسْهَـم أَو ننجرُ[6]
أَعـوذ بربِّـــي مـن المُخزيا ت فيمـا أُسِرّ ومـا أُجهَرُ

---

1 الأُدماء من الظباء : البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة . والشادن : ولد الظبية .

2 الفارسية : الخمر .

3 وتلوّت بها في الديوان : وتلوث بها ص 327 . المجاسد : الأثواب التي تلي البدن . جمع مِجْسَد .

4 المخدم : موضع الخلخال ، ويندر : يسقط .

5 تجلم : تقطع بالجلم ، وهو المقصّ .

6 سَهَم الرجل : تغيّر لونه وبدنه . نَجِرَ الرجل : أُصابه عطش شديد .

وحُدِّثـتُ أَنْ مالنـا رَجْعَةٌ سنينَ ومِـنْ بعدهـا أَشهرُ
إلى ذاك مـا شاب أَبناؤنـا وبـادَ الأَخِـلاّء والمَعْشَرُ
ومـا كان بي مـن نشاطٍ لها وإنّي لـذو عُـدّة مُوسِرُ
ولكـنْ بُعِثتُ لهـا كارهـاً وقيـل انطلـق كالذي يُؤمَرُ[1]
فكـان النَّجـاء ولم أَلتفـت إليهـمْ وشرّهـمُ مُنكَرُ[2]
هو السيف جُـرِّد من غمده فليس عـن السيف مستأخَرُ
وكم مـن أَخٍ ليَ مستأنِس يَظلّ بـه الدمـعُ يَسْتحسرُ
يودّعنـي وانتحـتْ عبـرةٌ لـه كالجـداول أَو أَغزرُ
فلستُ بلاقِيـه مـن بعدها يَدَ الدَّهر ما هبّت الصَّرْصَرُ[3]
وقـد قيـل إنّكـمُ عابرو ن نجـراً لهـا لم يكن يُعْبَرُ
إلى السّند والهنـد في أَرضهم هـمُ الجـنّ لكنَّهم أَنْكَرُ
ومـا رام غـزواً لهـا قبلَنا أَكابـرُ عـادٍ ولا حِمْيَرُ
ولا رام سابورُ غـزواً لهـا ولا الشيخُ كِسْرى ولا قيصرُ
ومِـنْ دونهـا مَعْبَـرٌ واسعٌ وأَجـرٌ عظيـم لمـن يؤجَرُ

[قصّته مع جارية خالد بن عتاب الرياحي]

وذكر محمّد بن صالح بن النّطّاح أَنّ هشام بن محمّد الكلبيّ حدَّث عن أَبيه : أَنّ أَعشى هَمْدان كان مع خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء الرِّياحِيّ بالرَّيّ ودَسْتبى ، وكان الأَعشى شاعرَ أَهلِ اليمن بالكوفة وفارسَهم ، فلمّا قدِم خالدٌ من مَغزاه خرج جَواريه يتلقَّيْنه وفيهنّ أُمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدْر عنده ، فجعل الناسُ يَمُرّون عليها إلى أَن جاز بها الأَعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً[4] من النُّعاس ؛ فقالت أُمُّ ولدَ خالد بن عتّاب لجواريها : إنّ امرأَة خالد لَتُفاخرني بأَبيها وعمِّها وأَخيها ، وهل يَزيدون على أَن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش . وسمعها الأَعشى فقال : مَنْ هذه ؟ فقال له بعضُ الناس : هـذه جاريـة خالد ؛ فضحك وقال لها : إليكِ عنّي يا لَكْعاء ؛ ثم أَنشأَ يقول : [من الطويل]

1 كالذي في الديوان للذي ص 328 .
2 النجاء : السرعة في السير .
3 يد الدهر : كناية عن الأبد .
4 في ل : وشمالاً .

وما يُدْرِيكِ ما فرسٌ جَرُورٌ وما يدريكِ ما حَمْلُ السّلاحِ[1]
وما يدريكِ ما شيْخٌ كبيرٌ عَداه الدَّهرُ عن سَنَن المِراحِ
فأُقْسِمُ لو ركبتِ الوَرْد يوماً وليلتَه إلى وَضَح الصَّباحِ
إذاً لنظرتُ منكِ إلى مكان كسَحْقِ البُرْد أو أثَرِ الجِراحِ[2]

قال : فأصبحت الجاريةُ فدخلَتْ إلى خالد فشكَتْ إليه الأعشى ؛ فقالت : والله ما تُكْرَم ، ولقد اجترِىء عليك فقال لها : وما ذاكِ ؟ فأخبرتْه أنّها مرَّت برجل في وجه الصبح ، ووصفتْه له وأنّه سبَّها ؛ فقال : ذلك أعشى هَمْدان ؛ فأيّ شيء قال لكِ ؟ فأنشدته الأبيات . فبَعث إلى الأعشى ، فلمّا دخل عليه قال له : ما تقول ؟ هذه زَعَمتْ أنّك هجوْتَها ؛ فقال : أساءت سمعاً ، إنّما قلتُ : [من الوافر]

مررتُ بنسوة متعطِّرات كضوء الصبح أو بَيض الأداحي[3]
على شُقْر البغال فَصِدْنَ قلبي بحسن الدَّلّ والحَدَق المِلاحِ
فقلتُ مَنِ الظباءُ فقُلن سِرْبٌ بدا لك من ظِباء بَني رِياحِ

فقالت : لا والله ، ما هكذا قال ، وأعادت الأبياتَ ؛ فقال له خالد : أما إنّها لولا أنّها قد وَلَدتْ منّي لوهبتُها لك ، ولكنّي أفتدي جنايتَها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألاّ تُعيدَ في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرَط منك .

وذكر هذا الخبر العَنزيُّ في روايته التي قدّمتُ ذكرَها ، ولم يأتِ به على هذا الشرح .

[خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي]

وقال هو وابنُ النَّطّاح جميعاً : وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمنّيه إيّاه ويَعِدُه به : إن وُلِّيتُ عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً ، فمتى استُعمِلتُ فخُذ خاتَمي واقْضِ في أُمور الناس كيف شئتَ . قال : فاستُعمِل خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى فلمّا وصل إلى عمله جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه : [من الوافر]

تُمنِّيني إمارتَها تَميم وما أُمِّي بأُمّ بني تَميمِ
وكان أبو سليمان أخاً لي ولكنّ الشِّراكَ من الأديمِ[4]

---

1 جرور في ل : حرون .
2 السحق : الثوب البالي ، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة .
3 الأداحي : جمع أُدحية وهي بيض النّعام في الرمل .
4 الشراك : أحد سيور النعل التي تكون على وجهها .

أتينـا أصبهـانَ فهزّلتنـا وكنّا قبـلَ ذلـك في نعيمِ
أتذكرنـا ومُـرّةَ إذ غزونا وأنتَ على بُغَيْلك ذي الوُشُومِ
ويركَب رأسَه في كلِّ وَحْلٍ ويعثُـر في الطريـق المستقيم
وليس عليـك إلاّ طَيْلسانٌ نَصيبيـيٌّ وإلاّ سَحْـقُ نِيمِ[1]
فقد أصبحتَ في خـزٍّ وقـزٍّ تَبَخْتر مـا تَرى لك من حميمِ
وتحسب أن تلقّاهـا زمانـاً كذبتَ وربِّ مكّـة والحطيمِ

هذه رواية ابن النطّاح ، وزاد العَنزيّ في روايته :

وكانت أصبهانُ كخير أرضٍ لمُغتَـرِب وصُعلـوكٍ عديمِ
ولكنّـا أتيناهـا وفيهـا ذوو الأضغان والحقـد القديمِ
فأنكرتُ الوجـوهَ وأنكرتْني وجوهٌ مـا تُخبِّر عـن كريمِ
وكان سفاهةً منّـي وجهلاً مَسِيري لا أسيـر إلى حميمِ
فلـو كان ابنُ عتابٍ كريماً سما لروايـة الأمـرِ الجسيمِ
وكيف رجاءُ من غلَبتْ عليه تنائـي الدارِ كالرَّحم العقيمِ

قال ابنُ النّطاح : فبعث إليه خالد : مَن مُرّة هذا الذي ادّعيتَ أنّي وأنت غزَوْنا معه على بغلٍ ذي وُشُوم ؟ ومتى كان ذلك ؟ ومتى رأيتَ عليَّ الطَّيْلسان والنِّيمَ اللذيْن وصفتَهما ؟ فأرسل إليه : هذا كلام أردتُ وصفَك بظاهره ، فأمّا تفسيره ، فإنّ مُرّةَ مرارةُ ثمرةٍ ما غرسْتَ عندي من القبيح . والبغل المَركَبُ الذي ارتكبتَه منّي لا يزال يعثُر بكَ في كلّ وَعْثٍ وجَدَد ووَعْر وسَهْل . وأمّا الطيلسان فما أُلبِسك إيّاه من العار والذمّ ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميلَ فراجعتُه لك ؛ فقال : لا ، بل أُراجع الجميلَ وتُراجعه ؛ فوصَله بمالٍ عظيم وترضّاه . هكذا روى من قدّمتُ ذكره .

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : لمّا ولي خالدُ بنُ عتّاب بن وَرْقاء أصبهانَ ، خرج إليه أعشى هَمْدان ، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة ، فلم يَجِد عنده ما يحبّ ؛ وأعطى خالدٌ الناسَ عطايا فجعله في أقلّها وفضَّل عليه آلَ عُطارد ؛ فبلغه عنه أنّه ذمَّه فحبسه مدّةً ثم أطلقه ؛ فقال يهجوه : [من الطويل]

وما كنتُ ممّن أُلجأْته خَصاصةٌ إليـكَ ولا ممّـن تَغـرّ المواعدُ

---

1 النيم : الفرو ، أو هو ثوب يُنام فيه من القطيفة .

ولكنّها الأطماعُ وهي مُذِلَّةٌ دنتْ بي وأنت النازح المتباعدُ
أتَحْبِسُني في غير شيء وتارةً تلاحظني شَزْراً وأَنفُك عاقِدُ
فإنّك لا كَابْنَيْ فَزارة فاعْلَمنْ خُلِقْتَ ولم يُشبِهْهما لك والدُ
ولا مُدْرِكٌ ما قد خلا من نَداهما أبوكَ ولا حوضَيْهما أنت وارد
وإنّك لو ساميتَ آلَ عُطارِدٍ لَبذَّتْك أعناقٌ لهم وسواعدُ
ومأثُرةٌ عاديّةٌ لن تنالَها وبيتٌ رفيعٌ لم تَخُنْه القواعدُ
وهل أنت إلاّ ثعلبٌ في ديارهم تُشَلُّ فتَعْساً أو يقودُك قائدُ[1]
أرى خالداً يختالُ مشياً كأنّه من الكبرياء نَهْشَلٌ أو عُطارِدُ[2]
وما كان يَرْبُوعٌ شبيهاً لدارِمٍ وما عَدَلَتْ شمسَ النهار الفَراقدُ

[مدح ابن الأشعث وحرّض أهل الكوفة للقتال معه ضد الحجّاج]

قالوا: ولمّا خرج ابنُ الأشْعَث على الحَجّاج بن يوسف حشَد معه أهل الكوفة، فلم يَبْقَ من وجوههم وقرّائهم أحدٌ له نَباهة إلاّ خرج معه لِثِقَل وطأة الحَجّاج عليهم. فكان عامر الشَّعْبيّ وأعشى هَمْدان ممّن خرج معه، وخرج أحمد النَّصْبي أبو أسامة الهَمْداني المغنّي مع الأعشى لإلفته إيّاه، وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يحرِّض أهلَ الكوفة بأشعاره على القتال، وكان ممّا قاله في ابن الأشعث يمدحه: [من الكامل]

يأبى الإلهُ وعِزّةُ ابن محمّدٍ وجدودُ مَلْك قبلَ آل ثَمودِ
أن تأنسوا بمذمَّمين، عروقُهم في الناس إنْ نُسبوا عروقُ عَبيدِ
كم من أبٍ لك كان يعقِد تاجَه بجبين أبلجَ مِقْوَلٍ صِنْديدِ
وإذا سألتَ: المجدُ أين محلُّهُ فالمجدُ بين محمّدٍ وسعيدِ
بين الأشجّ وبين قيسٍ باذخٌ بَخْ بَخْ لوالده وللمولودِ
ما قصَّرَتْ بكَ أن تنال مَدى العُلا أخلاقُ مَكْرُمةٍ وإرثُ جدودِ
قَرْمٌ إذا سامى القُرُومَ ترى له أعراقَ مجدٍ طارفٍ وتَليدِ
وإذا دعا لعظيمةٍ حُشِدَتْ له هَمْدان تحت لوائه المعقودِ
يَمْشُون في حَلَق الحديد كأنّهم أُسْد الإباء سمعنَ زأرَ أسودِ

1 تُشَلّ: تُطرَد.

2 نهشل وعطارد: قبيلتان من قبائل العرب.

وإذا دعوتَ بآل كِنْـدةَ أجْفَلوا بكهـولِ صـدقٍ سيِّد ومَسُودِ
وشبابِ مـأسَدةٍ كأنّ سيوفَهـم في كلِّ مَلْحَمـةٍ بـروقُ رعودِ
ما إن ترى قيساً يقاربُ قيسَكم في المَكْرُمات ولا ترى كسعيدِ

[طلب من ابن الأشعث في سجستان زيادة عطائه فردّه فقال شعراً]

وقال حَمّاد الراوية في خبره : كانت لأعشى هَمْدان مع ابن الأشعث مواقفُ محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورة ؛ وكان الأعشى من أخواله ، لأنّ أُمَّ عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث أُمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهَمْداني . قال : فلمّا صار ابنُ الأشعثِ إلى سجِسْتانَ جَبى مالاً كثيراً ، فسأله أعشى همدان أن يُعطيَه منه زيادةً على عطائه فمنعه ؛ فقال الأعشى في ذلك : [من السريع]

هل تعـرف الدارَ عفا رسمُها بالحَضْر فالروضـةِ من آمِدِ[1]
دارٌ لخَـوْدٍ طَفْلـةٍ رُودةٍ بانَتْ فأمسى حبُّهـا عامِدِي
بيضاءَ مثـلِ الشمس رَقْراقةٍ تَبسِم عـن ذي أُشُر بـاردِ
لم يُخْطِ قلبي سهمُها إذ رمتْ يا عجبـاً من سهمها القاصِدِ
يـا أيُّها القَرْمُ الهِجانُ الذي يَبْطِش بطشَ الأسَدِ الـلاَّبدِ[2]
والفاعلُ الفعلَ الشريفَ الذي يُنْمـى إلى الغائب والشاهدِ
كم قد أُسَدِّي لك من مِدْحةٍ تُـرْوى مع الصادر والواردِ
وكم أجبنـا لكَ مـن دَعوةٍ فاعرفْ فما العارفُ كالجاحدِ[3]
نحـن حَمَيْناكَ ومـا تَحتمي في الرَّوْع من مَثْنىً ولا واحدِ
يومَ انتصرنا لك مِـن عابد ويـومَ أنجيناك مـن خالدِ[4]
ووقعـة الرَّيّ التـي نِلْتَهـا بجَحْفـلٍ مـن جَمْعنا عاقدِ
وكم لَقينـا لـك مـن واترٍ يصرِف نابَيْ حَنِـق حاردِ[5]

---

1 الحَضْر : مدينة بالقرب من تكريت بالعراق . آمد : مدينة في ديار بكر .
2 الهجان : الخالص وخيار كلّ شيء .
3 كالجاحد في الديوان الجامد ص 324 .
4 عابد في ل : غامد .
5 الحارد : الغاضب .

ثـــم وَطِئنـــــاه بأقدامنـــا وكان مثـــلَ الحيَّـــةِ الراصدِ
إلى بـــلاء حسنٍ قـــد مضى وأنـــتَ في ذلـــك كالزاهدِ
فاذكُـــر أياديـنـــا وآلاءنـــا بعـــودةٍ من حِلْمك الراشدِ
ويـــومَ الاهـــواز فـــلا تَنْسَه ليس النَّثـــا والقـــولُ بالبائدِ[1]
إنّـــا لنرجـــوك كما نَرْتجي صوبَ الغمام المُبرقِ الراعدِ
فانفَحْ بكفَّيْك وما ضَمَّنا وافعـــل فَعـــالَ السيِّد الماجدِ
مـــا لكَ لا تُعطي وأنتَ امرؤٌ مُثْرٍ مـــنَ الطـــارف والتالدِ
تَجْبي سِجِسْتانَ ومـــا حولها مُتّكئـــاً في عيشك الراغدِ[2]
لا ترهـــبُ الدَّهـــرَ وأيّامَـــه وتَجْـــرُد الأرضَ مـــع الجاردِ
إن يـــكُ مكـــروهٌ تَهِجْنا له وأنتَ في المعـــروفِ كالراقدِ
ثـــم تَـــرى أنّا سنرضى بذا كلاَّ وربِّ الراكـــعِ السَّاجدِ
وحُرمـــةِ البيت وأستـــارِه ومَنْ بـــه مِـــنْ ناسكٍ عابدِ
تلـــك لكـــم أمنيّـــةٌ باطلٌ وغفـــوةٌ مـــن حُلُم الراقدِ
ما أنا إنْ هاجك مِنْ بعدها هَيْـــجٌ بآتيـــكَ ولا كابـــدِ
ولا إذا ناطُـــوك في حَلْقـــة بحامـــلٍ عنـــك ولا فاقدِ[3]
فأعْطِ مـــا أعطيتَـــه طيِّباً لا خيرَ في المَنْكود والناكدِ[4]
نحـــن ولدنـــاك فـــلا تَجْفُنا واللهُ قـــد وصّـــاك بالوالدِ
إن تكُ مـــن كِنْدةَ في بيتهـــا فإنّ أخوالـــكَ مـــن حاشدِ[5]
شُمُّ العرانـــين وأهـــلُ النَّدى ومُنتَهـــى الضِّيفـــان والرائدِ
كم فيهمُ مـــن فـــارس مُعْلَم وسائسٍ للـــجيش أو قـــائدِ
وراكـــبٍ للهَـــوْل يجتابُـــه مثـــلَ شِهـــاب القَبَس الواقدِ

1 النَّثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيىء وفي الديوان : الثنا ص 324 .
2 مُتكئا في ل : ممكناً .
3 فاقد في ل : ذائد . وفي الديوان : ناقد ص 325 .
4 المنكود : الذي يُلحُّ عليه في المسألة . والناكد الملح .
5 حاشد : حيّ من همدان .

أو مـلإٍ يُشفَـى بأحلامهـم مــن سَفَــه الجاهل والماردِ
لم يجعــلِ اللهُ بأحسابنــا نقصاً ومــا الناقص كالزائدِ
وربّ خــالٍ لك ، في قومه فرعٌ طويــلُ الباع والساعدِ
يَحتضِر البأسَ ومــا يبتغــي سوى إسار البَطَل الناجدِ[1]
والطعــنِ بالرايــة مستمكِناً في الصفِّ ذي العادِية الناهدِ[2]
فارتَــحْ لأخوالك واذكرهمُ وارحمهــمُ للسَّلَــف العائدِ
فإنّ أخوالَــك لم يَبْرحوا يُرْبُون بالرِّفــد عــلى الرَّافدِ
لم يَبْخَلوا يومــاً ولم يَجْبُنوا في السَّلف الغازِي ولا القاعدِ
ورُبَّ خــالٍ لــكَ في قومه حمّــال أَثقــال لهـا واجــدِ
مُعْتَرفٍ للــرزء في مالــه والحــقِّ للسائــل والعامدِ

[مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له في عطاء]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيْد الأَزْديّ قال حدَّثني عمِّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكَلْبيّ ، وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثم بن عديّ ، وذكره العَنزيّ عن أصحابه ، قالوا جميعاً : خرج أعشى هَمْدان إلى الشام في وِلاية مَرْوان بنِ الحكَم ، فلم يَنَل فيها حظّاً ؛ فجاء إلى النعمان بن بشِير وهو عاملٌ على حِمْص ، فشكا إليه حالَه ؛ فكلَّم له النعمانُ بنُ بشير اليمانية وقال لهم : هذا شاعرُ اليمن ولسانُها ، واستماحَهم له ؛ فقالوا : نعمْ ، يعطيه كلّ رجل منّا دينارين مِنْ عطائه ؛ فقال : لا ، بل أَعْطُوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعجَّلاً ؛ فقالوا : أعطِه إيّاه من بيت المال واحتسبْها على كلّ رجل من عطائه ؛ ففعل النُّعمان وكانوا عشرين أَلفاً فأَعطاه عشرين أَلف دينار وآرتجعها منهم عند العَطاء . فقال الأَعشى يمدح النعمان : [من الطويل]

ولَمْ أَرَ للحاجاتِ عند التماسها كنُعْمانَ نُعمانِ النَّدَى ابن بَشيرِ
إذا قال أَوْفَى ما يقولُ ولم يكن كمُدْلٍ إلى الأَقــوام حبلَ غُرُورِ
متى أُكفرِ النعمانَ لم أُلْفَ شاكراً ومــا خيرُ من لا يقتدي بشَكُورِ
فلولا أخو الأنصار كنتُ كنازلٍ ثَــوى مــا ثَوى لم يَنْقلِبْ بنَقيرِ

[شعره في حرب نصيبين بين المهلّب ويزيد بن أبي صخر]

وقال الهيثم بن عديّ في خبره : حاصَرَ المُهلَّبُ بن أبي صُفْرَة نَصيبينَ ، وفيها أبو قارِب

---

1 إسَار في ل : نزال . وفي الديوان : الماجد بدل الناجد ص 325 .
2 ناهد : الأسد .

يَزيد بن أَبي صَخْر ومعه الخَشَبِيّة[1] ؛ فقال المهلَّب : يا أيّها الناس ، لا يَهُولنّكم هؤلاء القومُ فإنّما هم العَبيد بأَيديها العِصيّ . فحمَل عليهم المهلّبُ وأَصحابُه فلَقُوهم بالعِصيّ فهزموهم حتى أَزالوهم عن موقفهم . فدَسّ المهلّبُ رجلاً من عبد القيس إلى يزيد بن أَبي صَخْر ليغتالَه ، وجعل له على ذلك جُعْلاً سَنِيّاً ، قال الهيثم : بلغني أنّه أَعطاه مائتي أَلف درهم قبلَ أَن يمضيَ ووعَده بمثلها إذا عاد ، فاندسّ له العَبْديُّ فاغتاله فقتله وقُتِل بعده . فقال أَعشى هَمْدان في ذلك : [من الطويل]

يُسمَّوْن أَصحابَ العِصيّ وما أَرى ... مع القوم إلاّ المَشْرفيّةَ مِن عَصا
أَلا أَيُّها اللّيثُ الذي جاء حاذِراً ... وأَلقى بنا جرمى الخيامَ وعَرّصا[2]
أَتحسَب غزوَ الشأم يوماً وحربَه ... كبِيضٍ يُنَظِّمن الجُمان المفصَّصا
وسيرِك بالأَهْواز إذ أَنت آمنٌ ... وشربِك أَلبانَ الخَلايا المُقَرَّصا[3]
فأَقسمتُ لا تَجْبِي لك الدَّهرَ درهماً ... نَصيبُون حتَّى تُبْتَلى وتُمَحَّصا
ولا أَنتَ من أَثوابها الخُضْرِ لابسٌ ... ولكنَّ خُشباناً شِداداً ومِشْقَصا[4]
فكم ردَّ من ذي حاجةٍ لا ينالُها ... جُذَيْع العَتيك ردّه الله أَبْرَصا
وشيّد بنياناً وظاهَر كسوةً ... وطال جُذَيْع بعد ما كان أَوقَصا

[تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة] . والأَبيات التي كان فيها الغناء المذكورُ معه خبر الأَعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من هَمْدان يقال لها جَزْلة ، هكذا رواه الكوفيّون ، وهو الصحيح . وذكرَ الأَصمعيّ أَنّها خَوْلة ، هكذا رواه في شعر الأَعشى .

[طلّق زوجته أمّ الجلال وتزوّج غيرها وشعره في ذلك]

فذكر العَنزيّ في أَخبار الأَعشى المتقدّم إسنادُها : أَنّها كانت عند الأَعشى امرأةٌ من قومه يُقال لها أُمُّ الجَلال ، فطالت مدّتها معه وأَبغضها ، ثم خطب امرأةً من قومه يقال لها جَزْلة ، وقال الأَصمعيّ : خولة . فقالت له : لا ، حتى تُطلِّق أُمّ الجلال ؛ فطلَّقها ؛ وقال في ذلك : [من المتقارب]

---

1 الخشبية : أتباع المختار بن أبي عبيد .

2 حاذراً : متأهّباً مستعدّاً ، وفي الديوان : خادراً ص 333 . بنا جرمى في ل : ببا جرمى وفي الديوان أيضاً ص 333 .

3 الخلايا : الإبل المخلاّة للحلب ، الواحدة خلية . والمقرّص : اللّبن الذي يجعل في المقارص ليصير قارصاً أي حامضاً . والمقارص : الأوعية التي يقرّص فيها اللبن .

4 المشقص : نصل عريض ، وقيل : سهم فيه ذلك يُرمى به الوحش .

تقادَم وُدِّكِ أُمَّ الجَلالِ ... فطاشت نبالُكِ عند النِّضالِ
وطال لزومُك لي حِقْبةً ... فرَثَّتْ قُوَى الحبل بعد الوِصالِ
وكان الفؤاد بها مُعجَباً ... فقد أُصبح اليومَ عن ذاك سالي
صحا لا مُسيئاً ولا ظالماً ... ولكن سَلا سَلْوةً في جمالِ
ورُضْتِ خلائقَنا كلَّها ... ورُضْنا خلائقَكم كلَّ حالِ
فأعْيَيْتِنا في الذي بيننا ... تَسُومِينني كلَّ أمرٍ عُضالِ
وقد تأمُرينَ بقَطع الصديق ... وكان الصديقُ لنا غيرَ قالي
وإتيانِ ما قد تجنَّبْتُه ... وليداً ولُمتُ عليه رجالي
أَفَالْيَوْمَ أركبُه بعد ما ... علاَ الشَّيبُ مني صَمِيمَ القَذالِ
لعمرُ أبيكِ لقد خِلْتِني ... ضعيفَ القُوى أو شديدَ المِحالِ
هلُمِّي اسألي نائلاً فانظُري ... أأحرِمُكِ الخيرَ عند السؤالِ[1]
ألَمْ تعلمي أنّني مُعْرِقٌ ... نَماني إلى المجد عمِّي وخالي
وأنِّي إذا ساءَني منزلٌ ... عزمتُ فأوشكْتُ منه ارتحالي
فبعضَ العتاب ، فلا تَهْلكي ... فَلا لَكِ في ذاكِ خيرٌ ولا لي
فلمّا بدا ليَ منها البَذا ... ءُ صبَّحتُها بثلاثٍ عِجالِ
ثلاثاً خرجْنَ جميعاً بها ... فخلَّيْنها ذاتَ بيْتٍ ومالِ
إلى أهلها غيرَ مخلوعةٍ ... وما مَسَّها عندنا من نَكالِ
فأمستْ تَحِنُّ حنينَ اللِّقا ... حِ من جَزَعٍ إثْرَ مَن لا يُبالي
فحِنِّي حنينَكِ واستيقني ... بأنّا اطَّرَحْناكِ ذاتَ الشمالِ
وأن لا رجوعَ فلا تُكْذَبيـ ... ـنَ ما حنَّت النِّيبُ إثْرَ الفِصالِ
ولا تحسبيني بأنِّي ندِمـ ... ـتُ كَلاّ وخالِقنا ذي الجَلالِ

فقالت له أُمّ الجلال : بئس والله بعلُ الحُرّة وقرينُ الزوجة المسلمةِ أنت ! وَيْحَك ؛ أعَدَدْتَ طولَ الصحبة والحرمة ذنباً تسبّني وتهجوني به ! ثم دعتْ عليه أن يُبغِضه الله إلى زوجته التي اختارها ، وفارقته . فلمّا انتقلت إلى أهلها ؛ وصارت جزلة إليه ، ودخل بها لم

1 أأحرِمُكِ في ل : هل أُحرمك .

يَحْظَ عندها ، ففَرِكته وتنكّرت له واشتدَّ شغفُه بها ؛ ثم خرج مع ابن الأَشعث فقال فيها : [من الرمل]

حَيِّيا جَزْلةَ منّي بالسَّلامِ دُرّةَ البحرِ ومصباحَ الظلامِ
لا تَصُدّي بعد وُدّ ثابتٍ واسمَعي يا أمَّ عيسى من كلامي
إنْ تَدُومي لي فوَصْلي دائمٌ أَو تَهُمّي لي بهَجْرٍ أَو صِرامِ
أَو تكوني مثلَ برقٍ خُلَّبٍ خادعٍ يلمَع في عُرْض الغمامِ
أَو كتخييلِ سَرابٍ مُعْرِضٍ بفَلاةٍ أَو طُروقٍ في المنامِ
فاعلمي إن كنتِ لمّا تعلمي ومتى ما تفعلي ذاك تُلامي
بعد ما كان الذي كان فلا تُتْبِعي الإحسانَ إلاّ بالتمامِ
لا تَنَاسَيْ كلَّ ما أَعطيْتِني مِنْ عهودٍ ومواثيقَ عِظامِ
واذكري الوعدَ الذي واعدْتِني ليلةَ النِّصف من الشهر الحرامِ
فلئن بَدّلْتِ أَو خِسْتِ بنا وتجرَّأتِ على أمِّ صَمامِ[1]

[أُمّ صمام : الغدر والحنث] .

لا تُبالِينَ إذاً مِنْ بعدِها أَبداً تَركَ صلاةٍ أَو صيامِ[2]
راجعي الوصلَ ورُدّي نظرةً لا تَلِجّي في طِمَاحٍ وأَثامِ
وإذا أَنكرتِ منّي شيمةً ولقد يُنكر ما ليس بذامِ[3]
فاذكريها لي أَزُلْ عنها ولا تُسْفِحي عينيكِ بالدمعِ السِّجامِ
وأَرى حبلَكِ رَثّاً خَلَقاً وحبالي جُدُداً غيرَ رِمامِ[4]
عَجِبتْ جزلةُ منّي أن رأَتْ لِمَّتي حُفَّتْ بشَيْبٍ كالثَّغامِ[5]
ورأَت جسمي علاه كَبْرةٌ وصروفَ الدَّهرِ قد أَبلتْ عظامي
وصَلِيتُ الحربَ حتى تركتْ جسدي نِضْواً كأَشْلاء اللِّجامِ[6]

1 أمّ في ل : أمر . صمام : الداهية الشديدة .
2 ترك في ل : أجْرَ .
3 ولقد أنكرتْ في ل : فلقد أنكرت .
4 حبل رمام : بالٍ .
5 الثغام : نبت يكون في الجبل ينبتُ أخضر ثم يبيضّ إذا يبس فيشبه به الشيب .
6 أشلاء اللجام : حدائده بلا سيور .

وهـي بيضاءُ عـلى مَنْكِبِها قَطَطٌ جَعْـدٌ ومَيَّال سُخامُ[1]
وإذا تضحـكُ تُبـدي حَبَباً كرُضاب المسك في الرَّاح المُدامِ
كَمَلَتْ مـا بـين قَرْنٍ فإلى موضعِ الخَلْخالِ منها والخِدامِ[2]
فأراها اليومَ لي قـد أَحدثتْ خُلُقاً ليس على العهـدِ القُدامِ

[تمثّل الشعبيّ بشعرٍ له فخر به على البصريين في حضرة الأحنف]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا محمّد بن سعيد الكُراني قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن مُجالِد عن الشَّعْبيّ : أنّه أتى البصرةَ أيّامَ ابن الزُّبير ، فجلس في المسجد إلى قوم من تَميم فيهم الأَحنفُ بن قَيْس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأَهلَ البصرة وفاخروا بينهم ، ولم تزل المفاخرة بينهم إلى أن قال قائل مِنْ أَهل البصرة : وهل أَهل الكوفة إلاّ خَوَلُنا ؟ استنقذناهم من عَبيدهم ، (يعني الخوارج) . قال الشعبيّ : فهجس في صدري أَن تمثّلتُ قولَ أَعشى همدان : [من الرمل]

أفخرتـم أَنْ قتلتـمْ أَعبُـداً وهزمتـمْ مَـرّةً آلَ عُـزَلْ[3]
نحـن سُقناهمْ إليكم عَنْـوةً وجمعنـا أَمرَكم بعـد فشلْ
فـإذا فاخرتمونـا فاذكروا مـا فعلنا بكمُ يـومَ الجَمَلْ
بـين شيخ خاضبٍ عُثْنونَـه وفتـىً أَبيضَ وَضّاحٍ رِفَلّ[4]
جاءنـا يرفُـلُ في سابغـةٍ فذبحناه ضحىً ذبـحَ الحَمَلْ[5]
وعَفَونـا فنَسِيتـم عفوَنـا وكفرتـم نعمـةَ اللهِ الأَجلّ

قال : فضحك الأَحنف ، ثم قال : يا أَهل البصرة ، قد فخَر عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف ، فأَحْسِنوا مجالسته .

[شعر له في هزيمة الزُّبير الخثعميّ بجَلُولاء]

أَخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن أَبي مُحلِّم[6]

---

1 القطط : الشعر القصير . والسخام : الشعر اللّين الحسن .
2 قرن في ل : فرق . الخدام : الخلاخيل ، واحده خدمة . وفي الديوان : الحزام ص 340 .
3 آل في ل : قوماً . العزل : الاعتزال والتنحّي . ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .
4 الرّفل من النّاس : الطويل الذّيل .
5 يرفلُ في الديوان : يهدج ص 337 .
6 أبو محلم الشيباني : واسمه محمّد بن سعد ، ويقال محمّد بن هشام بن عوف السعدي . وكان يسمّي محمّداً وأحمد . أعرابي ، أعلم الناس بالشعر واللغة . توفّي سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين . وله من الكتب كتاب الأنواء ، وكتاب الخيل ، وكتاب خلق الإنسان .

عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال : بعث بِشْرُ بن مروان الزُّبَير بنَ خُزَيمة الخَثْعَميّ إلى الريّ ؛ فلقيه الخوارج بجَلُولاء[1] ، فقتلوا جيشَه وهزموه وأبادوا[2] عسكره ، وكان معه أعشى هَمْدان ، فقال في ذلك : [من الخفيف]

أُمِّرتْ خَثْعمٌ على غير خَيْرِ ثـم أوصاهمُ الأميرُ بسيرِ
أين مـا كنتـمُ تَعيفون للنا س وما تزجُرون من كلّ طيرِ
ضلّت الطيرُ عنكمُ بجَلُولا ءِ وغَرّتكـمُ أمـاني الزُّبيرِ
قدرٌ ما أُتيح لي من فلسطيـ ـنَ عـلى فالج ثَقال وعَيْرِ[3]
خَثْعمـيّ مغصّص جرجمانـ ـيّ محـلّ غزا مع ابن نميرِ[4]

[مدح الأصمعيّ شعره وفضله]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أبو حاتم قال : سألت الأصمعيّ عن أعشى هَمْدان فقال : هو من الفحول وهو إسلاميّ كثير الشعر ؛ ثم قال لي : العَجَبُ من ابن دَأْب حين يزعمُ أنّ أعشى همدان قال : [من مجزوء الخفيف]

مَن دعـا لي غُزَيِّلي أربـح اللهْ تجارتُـــه

ثم قال : سبحان الله ، أمِثلُ هذا يجوز على الأعشى ؟ أن يجزم اسمَ الله عزّ وجلّ ويرفَع تجارتَه وهو نصب . ثم قال لي خَلَفٌ الأحمر : والله لقد طَمِع ابنُ دأب في الخلافة حين ظنّ أنّ هذا يُقبَل منه وأن له من المحلِّ مثلَ أن يجوِّز مثلَ هذا . قال ثم قال : ومع ذلك أيضاً إن قوله : [من مجزوء الخفيف]

مَن دعـا لي غُزيِّلي

لا يجوز ، إنّما هو : مَن دعا لغزيِّلي ، ومَن دعا لبعيرٍ ضالّ .

[مدح خالد بن عتاب فأجازه]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق ومحمّد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : أمْلق أعشى هَمْدان فأتى خالدَ بنَ عَتّاب بن وَرْقاء فأنشده : [من الطويل]

1 جلولاء : ناحية حدثتْ فيها موقعة بين المسلمين والفرس .
2 في ل : وأباحوا .
3 الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة . الثقال : البطيء من الدواب والناس .
4 مغصص في الديوان : مغضّض ص 331 .

رأيــتُ ثناءَ الناس بالقول طيباً ... عليكَ وقالوا ماجدٌ وابنُ ماجدِ[1]
بَني الحارثِ السامِين للمجد ، إنّكم ... بنيتــم بنــاءً ذكــرُه غيرُ بائدِ
هَنيئاً لِمـا أعطاكُم اللهُ واعلموا ... بأنّي سأُطْرِي خالداً في القصائدِ
فإن يــكُ عَتّــابٌ مضى لسبيله ... فما مات من يبقى لـه مثلُ خالدِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

[أنشد سابق البربري من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاه]

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غَسّان دماذ عن أبي عبيدة عن يونس [قال] : قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربريّ ، ودخل عليه : أنشدْني يا سابقُ شيئاً من شعركَ تذكِّرني به ؛ فقال : أوَخيراً من شعري ؟ فقال : هاتِ ؛ قال قال أعشى همدان : [من البسيط]

وبينما المـرءُ أمسى ناعماً جَذِلاً ... في أهلـه معجَباً بالعيشِ ذا أنَقِ[2]
غِـرّاً ، أُتيح له من حَيْنه عَرَضٌ ... فما تلبَّث حتى مــات كالصَّعِقِ[3]
ثُمَّتَ أضحى ضُحيً من غبِّ ثالثةٍ ... مقنَّعــاً غير ذي رُوح ولا رَمَقِ
يُبكــى عليــه وأدْنَوْه لمُظْلِمــةٍ ... تُعْلى جوانبُهــا بالتُّربِ والفِلَقِ
فمــا تــزوَّدَ ممّــا كان يَجْمعه ... إلاّ حَنُوطاً وما واراه من خِرَقِ[4]
وغيرَ نفحــةِ أعــوادٍ تُشَبّ لــه ... وقَــلَّ ذلـك مــن زادٍ لمُنطلِقِ

قال : فبكى عمر حتى اخضلَّتْ لحيتُه .

[هجا شجرة العبسي بشعر أجازه عليه الحجّاج]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسين بن محمَّد بن أبي طالب الدينارىّ قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال : سأل أعشى همدان شَجَرةَ بن سليمان العَبْسيّ حاجةً فردَّه عنها ، فقال يهجوه : [من الطويل]

لقد كنتَ خيّاطاً فأصبحتَ فارساً ... تُعَدّ إذا عُـدَّ الفوارس من مُضَرْ
فإن كنتَ قد أنكرتَ هذا فقُلْ كذا ... وبيِّن لِيَ الجُرحَ الذي كان قد دَثَرْ

1 بالقول في الديوان : بالغيب ص 322 .
2 الأنق : الفرح والسرور .
3 غِرّا في الديوان : غدا ص 336 .
4 الحنوط : طيب يخلط للميت خاصّة .

وإصبُعكَ الوسطى عليـه شَهيدةٌ ... وما ذاك إلاّ وَخزُها الثوبَ بالإبرِ

قال وكان يقال : إنّ شجرة كان خيّاطاً ، وقد كان ولي للحجّاج بعضَ أعمال السواد . فلمّا قدم على الحجّاج قال له : يا شجرة ، أرِني إصبعَك أنظُرْ إليها ؛ قال : أصلح الله الأمير ، وما تصنع بها ؟ قال : أنظر إلى صِفَة الأعشى ؛ فخجِل شجرة . فقال الحجّاج لحاجبه : مُرِ المُعْطِيَ أن يُعطيَ الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا . يا شجرة ، إذا أتاك امرُؤٌ ذو حَسَب ولسان فاشترِ عِرضَك منه .

[أسره الحجّاج وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمّد بن يزيد الأزْديّ قال حدّثنا أحمد بن عمرو الحنفيّ عن جماعة قال المبرّد : أحسَب أنّ أحدهم مؤرِّج بن عمرو السَّدُوسيّ قالوا : لمّا أُتيَ الحجّاجُ بن يوسف الثقفيّ بأعشى همدان أسيراً ، قال : الحمدُ لله الذي أمْكَن منك ، ألستَ القائلَ : [من الرجز]

لّمـا سَمَوْنـا للكَفُور الفتّانْ ... بالسيّد الغِطْريف عبد الرحمنْ[1]
سار بجَمْعٍ كالقَطا من قَحْطان ... ومن مَعَدّ قد أتـى ابن عَدْنانْ[2]
أمكن ربِّي من ثَقيف هَمْدان ... يوماً إلى الليل يُسَلّي مـا كانْ
إنّ ثقيفـاً منهـم الكَذّابان ... كَذّابُها الماضي وكـذّابٌ ثانْ

أولستَ القائل : [من مجزوء الكامل]

يا ابـنَ الأشجّ قَريـعِ كِنـ ... ـدَةَ لا أُبـالي فيـك عَتْبا[3]
أنـتَ الرئيسُ ابـنُ الرئيـ ... ـس وأنت أعلى الناس كعبا[4]
نُبِّئـتُ حَجّـاجَ بـن يـو ... سفَ خَـرّ مِـن زَلَـقٍ فتَبّا
فانهـضْ فُدِيـتَ لعلّـه ... يجلـو بـك الرحمنُ كَرْبا
وابعـث عطيّـةَ في الخيـو ... ل يَكُبّهـنّ عليـه كَبّـا[5]

1 سفا : خفّ وأسرع وفي الديوان : إنّا سمونا ص 342 .
2 كالقطا في الديوان : كالدبي ص 342 .
3 الأشجّ : هو الأشعث بن قيس الكنديّ جدّ عبد الرحمن بن محمّد المعني في هذا الشعر ، وفي الديوان : لابن الأشج ص 312 . لا أُبالي في الديوان : لا أبيّن ص 312 . والقريع : السيّد .
4 الناس في الديوان : القوم ص 312 .
5 هو عطيّة بن عمرو العنبري ، وكان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق . وقد بعث إليه الحجاج بالخيل فجعل عطيّة لا يلقى خيلاً إلاّ هزمها .

كلاّ يا عدوَّ الله ، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرّ من زَلَقٍ فتَبّ ، وحار وانكبّ ، وما لقي ما أحب ؛ ورفع بها صوته واربدّ وجهُه واهتزّ منكباه ، فلم يبقَ أحد في المجلس إلاّ أهمّته نفسُه وارتعدت فرائصُه . فقال له الأعشى : بل أنا القائل أيّها الأمير : [من الطويل]

أبى اللهُ إلاّ أن يتمم نورَه ... ويُطفىء نارَ الفاسقين فتخمُدَا
ويُنزل ذُلاًّ بالعراق وأهلِه ... كما نقضوا العهدَ الوَثيق المؤكّدا
وما لبث الحجّاجُ أن سَلّ سيفه ... علينا فولّى جمعُنا وتبدّدا[1]
وما زاحَف الحجّاجُ إلاّ رأيتَه ... حساماً مُلَقّى للحروب مُعَوَّدا[2]
فكيف رأيتَ الله فرّق جمعَهم ... ومزّقهم عُرْضَ البلاد وشَرّدا
بما نكَثوا من بَيْعة بعد بيعة ... إذا ضَمِنوها اليومَ خاسُوا بها غدا[3]
وما أحدثوا من بِدعة وعَظيمة ... من القول لم تصعَدْ إلى الله مَصْعَدا
ولّما دَلَفْنا لابن يوسفَ ضِلَّةً ... وأبرق منّا العارضان وأرعدا[4]
قطعنا إليه الخندقين وإنّما ... قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرْصَدا[5]
فصادَمَنا الحجّاجُ دون صفوفنا ... كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا[6]
بجندِ أميرِ المؤمنينَ وخيلِه ... وسلطانِهِ أمسى مُعاناً مؤيَّدا[7]
ليهنىءْ أميرَ المؤمنين ظهورُه ... على أُمّةٍ كانوا بُغاةً وحُسَّدا[8]
وجدنا بني مروانَ خيرَ أئمّةٍ ... وأعظمَ هذا الخَلْقِ حلماً وسُؤدَدا[9]
وخيرَ قريشٍ في قريشٍ أرُومَةً ... وأكرَمهم إلاّ النبيَّ محمَّدا
إذا ما تدبَّرنا عواقبَ أمرنا ... وجدنا أميرَ المؤمنين المُسَدَّدا
سيغلِبُ قوماً غالبوا اللهَ جَهْرةً ... وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا

---

1 وتبدّدا في ل : متبدّدا .
2 حساماً في الديوان : معلناً ص 320 .
3 نكثوا في الديوان : وما نكثوا ص 320 . خاس : غدر ونكث .
4 في الديوان : ولّما زحفنا لابن يوسف عذوة ص 320 .
5 مُرْصدا : مُترقّبا .
6 فصادمنا في الديوان : فكافحنا ص 320 .
7 بجند في الديوان : جُنود ص 320 . معانا : في الديوان : عزيزاً ص 320 .
8 ليهنىءْ في الديوان : فيهني ص 321 .
9 وأعظم في الديوان : أفضل ص 321 . الخلق في الديوان : الناس ص 321 .

كذاكَ يُضِلُّ اللهُ مَن كان قلبُه ضعيفاً ومن والى النفاقَ وألْحدا[1]
فقد تركوا الأموالَ والأهلَ خلفَهم وبيضاً عليهنَّ الجلابيبُ خُرَّدا
يناديِنهم مستعبراتٍ إليهمُ ويُذْرينَ دمعاً في الخدودِ وإثْمِدا
وإلاَّ تَناولْهُنّ منك برحمة يكُنَّ سَبايا والبُعولةُ أعبُدا
تَعطَّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ فقد تركوا أمرَ السفاهةِ والرَّدى
لعلّهمُ أن يُحدثوا العامَ توبةً وتعرفَ نُصحاً منهمُ وتودُّدا
لقد شَمْتَ يا ابن الأشعث العامَ مصرَنا فظلّوا وما لاقوا من الطير أسْعُدا[2]
كما شاءم اللهُ النُّجَيْرَ وأهلَه بجَدِّك مَنْ قد كان أشقى وأنكدا[3]

فقال مَن حضر من أهل الشام : قد أحسَن أيّها الأمير ، فخلِّ سبيلَه ؛ فقال : أتظنّون أنّه أراد المدح ؟ لا والله ؛ لكنّه قال هذا أسفاً لغلبتكم إيّاه وأراد به أن يحرّض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال له : أظننتَ يا عدوَّ الله أنّك تخدّعني بهذا الشعر وتنفلتَ من يدي حتى تنجوَ ؟ ألستَ القائل ، ويحك ! : [من الكامل]

وإذا سألتَ : المجدُ أين محلُّه فالمجدُ بين محمّدٍ وسعيدِ
بين الأغرِّ وبين قيس باذخٌ بَخْ بَخْ لوالدِه وللمولودِ[4]

والله لا تبخبخ بعدها أبداً . أولستَ القائل : [من الكامل]

وأصابني قومٌ وكنتُ أصيبهم فاليوم أصبِر للزمانِ وأعرِفُ[5]

كذبتَ والله ، ما كنت صبوراً ولا عروفاً . ثم قلت بعده : [من الكامل]

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ فاصبرْ فكلّ غَيابة ستكشَّفُ[6]

أما والله لتكونَنَّ نكبةٌ لا تنكشفُ غَيابتُها عنكَ أبداً ، يا حَرَسيّ ، اضربْ عنقه ؛ فضرب عنقه .

---

1 ضعيفاً في الديوان : مريضاً ص 321 .
2 شمْتَ : من شأمت بتسهيل الهمزة وفي الديوان :
لقد شأم المصرين فرخ محمد بحقٍّ وما لاقى من الطير أسعدا
3 النُّجير : حصن باليمن قرب حضرموت منيع ، لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس .
4 الأغرّ في الديوان : الأشجّ ص 323 .
5 فاليوم في الديوان : فالآن ص 335 .
6 غيابة في الديوان : مصيبة ص 335 .

وذكر مُؤرِّج السَّدُوسيّ أنّ الأعشى كان شديدَ التحريض على الحَجّاج في تلك الحروب ، فجال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا ، فنزل عن سرجه ونزَعه عن فرسه ، ونزع درعه فوضعها فوق السرج ، ثم جلس عليها فأحدث والناس يرَوْنه ، ثم أقبل عليهم فقال لهم : لعلّكم أنكَرتم ما صنعتُ ؛ قالوا : أوَليس هذا موضعَ نكير ؟ قال : لا ، كلُّكم قد سَلَح في سرجه ودِرْعه خوفاً وفرَقاً ، ولكنّكم سترتموه وأظهرتُه ؛ فحَمِيَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومَهم إلى الليل ، وشاعت فيهم الجِراح والقتلى ، وانهزم أهل الشام يومئذٍ ، ثم عاودوهم من غدٍ وقد نَكأْتهم الحرب ؛ وجاء مَدَدٌ من أهل الشام ، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتِل ابن الأشعث . وقد حُكِيَتْ هذه الحكاية عن أبي كَلَدة اليَشْكريّ أنّه فعلها في هذه الوقعة ، وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ في أخبار أبي كَلَدة ، وقد ذُكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من هذا الكتاب .

[76] ـ أخبار أَحمد النَّصْبي ونسبه

[نسبه ، وهو مغنٍ طنبوري كان ينادم عبيد الله بن زياد]

النَّصْبيّ هو صاحبُ الأنصاب . وأَوّلُ مَن غنَّى بها وعنه أُخِذ النَّصْب[1] في الغناء هو أَحمد بن أُسامة الهَمْداني ، من رَهْط الأَعشى الأَدنين . ولم أَجِد نسبَه متّصلاً فأَذكرَه . وكان يغنّي بالطُّنْبور ومرتجلاً ، ويقال إنّه أَوّل مَن غنّى بالطنبور في الإسلام . وكان ، فيما يُقال ، ينادم عُبَيد الله بن زياد سرّاً ويغنّيه . وله صنعةٌ كثيرةٌ حسنة لم يَلْحَقها أَحد من الطُّنبوريّين ولا كثير ممّن يغنّي بالعود .

[حديث جحظة عنه]

وذكَره جَحْظة في كتاب الطُّنْبوريّين فأَتى من ذكره بشيء ليس من جنس أَخباره ولا زمانه ، وثَلَبه فيما ذكره . وكان مذهبُه عفا الله عنّا وعنه ، في هذا الكتاب أَن يَثْلِب جميعَ مَن ذكره من أَهل صناعته بأَقبحِ ما قَدَر عليه ، وكان يجب عليه ضدُّ هذا ، لأَنّ مَن انتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدِّمي أَهلِها ، كان الأَجملَ به أَن يذكر محاسنَ أَخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عرفه منهم لا أَن يثلِبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أَخبارُ أَحمد النَّصْبيّ ، وبه صَدَّر كتابَه فقال : أَحمد النَّصْبيّ أَوّلُ مَن غنَّى الأَنصاب على الطنبور وأَظهرها وسيَّرها ؛ ولم يخدمُ خليفة ولا كان له شعر ولا أَدب .

[كان بخيلاً مرابياً ومات بفالوذجة حارّة]

وحدَّثني جماعةٌ من الكوفيّين أَنّه لم يكن بالكوفة أَبخلُ منه مع يساره ، وأَنّه كان يُقْرِض الناس بعِينةٍ[2] ، وأَنّه اغتَصّ في دعوة دُعي إليها بفالُوذَجةٍ حارّة فبلعها فجمَعت أَحشاءه فمات . وهذا كلُّه باطل . أَمّا الغناء فله منه صنعة في الثقيل الأَوّل وخفيف الثقيل والثقيل الثاني ، ما ليس لغيره مثلُها . منها الصوت الذي تقدّم ذكره وهو قوله : [من الرمل]

حيِّيا خولةَ منّي بالسلامِ

ومنها : [من الطويل]

سَلَبتَ الجواري حَلْيَهنّ فلم تَدَعْ سِواراً ولا طَوْقاً على النحرِ مُذْهَبا

1 النصب : ضرب من الغناء أرقّ من الحداء .

2 عِينة : الرِّبا .

وهـو مـن الثقيل الثاني ، والشعر للعُدَيْـل بن الفُـرْخ[1] ، وقد ذكرتُ ذلك في أخباره .
ومنها : [من السريع]

يــا أيـُّها القلبُ المطيعُ الهـوى   أنَّى اعتراكَ الطَّــربُ النازحُ

وهو أيضاً من الثقيل الثاني ، وأصوات كثيرةٌ نادرة تدلّ على تقدّمه .

وأمّا ما وصَفه من بخله وقَرْضِهِ للناس بالرِّبا وموتِه من فالوذجة حارّة أكلها ، فلا أدري مَنْ مِنَ الكوفيّين حدَّثه بهذا الحديث ، ليس يخلو من أن يكون كاذباً ، أو نَحَل هو هذه الحكايةَ ووضعها هنا ، لأنّ أحمد النَّصْبيّ خرج مع أعشى هَمْدان وكان قرابته وإلفَه في عسكرِ ابن الأشعث ، فقُتل فيمن قُتل . رَوى ذلك الثِّقاتُ من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس ، وذلك يُذكر في جملة أخباره .

[اتّصاله بأعشى همدان وغناؤه بشعره في سليم بن صالح إذ نزلا عليه]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وذكره العَنزيّ في أخبار أعشى هَمْدان المذكورة عنه عن رجاله المُسَمَّيْن قال :

كان أحمد النَّصْبيّ مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له ، فأكثرُ غنائه في أشعاره مثلُ صنعته في شعره : [من الرمل]

حيِّيا خولــةَ منِّي بالسلامِ

و : [من الكامل]

لِمَن الظّعائن سيرُهنّ ترَجُّفُ

و : [من السريع]

يا أيُّها القلبُ المطيعُ الهوى

وهذه الأصوات قلائدُ صنعته وغُرَر أغانيه . قال : وكان سبب قوله الشعرَ في سَليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنْبريّ ، وكان منزلُ سَلِيم ساباط[2] المدائن ، أن أعشى هَمْدان وأحمدَ النَّصْبيّ خرجا في بعض مغازيهما ، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابّهما بعُلُوفة وقَضِيم[3] ، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا ، فعرض عليهما الشرابَ فأنْعَما به وطلباه

1 العديل بن الفرخ هو العديل بن الفرخ العجليّ ، ولقبه العبّاب ، وكان العبّاب كلباً له ، وهو من رهط أبي النجم (العجليّ) . وكان هجا الحجّاج فطلبه ، فهرب منه إلى قيصر ملك الروم ، انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 413 ، وفي الاشتقاق 208 والخزانة 2 : 367–368 .

2 ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

3 القضيم : شعير الدابة .

فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ؛ فقال أحمد النَّصْبيّ للأَعشى : قُل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أُغنّيَ فيه ؛ فقال الأَعشى يمدحه : [من السريع]

يا أيُّها القلبُ المطيع الهوى ... أَنَّى اعتراك الطَّرَبُ النازحُ
تذكُر جُمْلاً فإذا ما نأَتْ ... طار شَعاعاً قلبُكَ الطامحُ
هَلاّ تناهيتَ وكنتَ امرأً ... يزجُرك المُرشِد والنّاصحُ
ما لك لا تتركُ جهلَ الصِّبا ... وقد علاك الشَّمَط الواضحُ
فصار مَن ينهاكَ عن حبّها ... لم تَرَ إلاّ أنّه كاشحُ
يا جُمْل ما حُبّي لكم زائلٌ ... عنّي ولا عن كَبِدي نازحُ[1]
حُمّلت وُدّاً لكمُ خالصاً ... جِدّاً إذا ما هزَل المازحُ
ثم لقد طال طِلابيكُم ... أسعى وخيرُ العملِ النّاجحُ
إنّي توسَّمت امرأً ماجداً ... يصدُق في مِدْحته المادحُ
ذؤابةَ العنبرِ فاخترتُه ... والمرء قد يُنْعِشُه الصالحُ
أَبْلَجَ بُهْلولاً وظنّي به ... أنّ ثنائي عنده رابحُ[2]
سَلِيمُ ما أُنتَ بِنِكْسٍ ولا ... ذمك لي غادٍ ولا رائحُ
أُعطيتَ وُدّي وثنائي معاً ... وخَلّةً ميزانُها راجحُ
أَرعاك بالغيب وأَهوى لك الـ ... ـرّشد وجَيْبي فاعلمنْ ناصحُ[3]
إنّي لِمَن سالمتَ سِلمٌ ومَن ... عاديتَ أُمْسي وله ناطحُ
في الرأس منه وعلى أَنفه ... من نَقَماتي مِيسَمٌ لائحُ
نِعْم فتى الحيّ إذا ليلةٌ ... لم يُورِ فيها زَندَهُ القادحُ
وراح بالشَّوْل إلى أهلها ... مغبّرةً أَذقانُها كالحُ[4]
وهَبّت الرِّيحُ شآميّةً ... فانجَحَر القابسُ والنابحُ

---

1 نازح في ل : بارح .

2 أبلج في ل : أبيض . البهلول : السيّد الجامع لكلّ خير .

3 الجيب : القلب والصّدر .

4 الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجفّ لبنها . الكالح : الأمر الشديد .

قَـد علِـم الحَـيّ إذا أَمْحلوا أنَّـك رَفّـادٌ لهـم مـانحُ
في الليلة القـالي قِراهـا التي لا غابِـقٌ فيهـا ولا صابحُ
فالضيفُ معـروفٌ لـه حقُّه لـه عـلى أبوابكـم فاتحُ
والخيلُ قد تعلمُ يـومَ الوغى أنّكَ مـن جَمْرتهـا ناضحُ[1]

قال : فغنّى أحمد النَّصْبيّ في بعض هذه الأبيات ، وجاريةٌ لسَليم في السطح ، فسمعت الغناءَ ، فنزلتْ إلى مولاها وقالت : إنّي سمعتُ من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسنَ منه ؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهِم ، ثم نزل فدخل عليهما ، فقال لأحمد : لَمن هذا الشعر والغناء ؟ ومَن أنتما ؟ فقال : الشعر لهذا ، وهو أبو المصبّح أعشى همدان ، والغناء لي ، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهَمْداني ، فانكبَّ على رأس أعشى هَمْدان فقبّله وقال : كتمتُماني أنفسَكما ، وكِدْتُما أن تفارقاني ولم أعرفكما ، ولم أعلم خبركما ، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسيْن ، وقال : خلِّفا عندي ما كان من دوابّكما ، وارجعا من مَغْزاكما إليّ . فمضيا إلى مغزاهما ، فأقاما حيناً ثم انصرفا ، فلمّا شارفا منزلَه قال أحمد للأعشى : إنّي أرى عجباً ، قال : وما هو ؟ قال : أرى فوق قصر سَليم ثعلباً ؛ قال : لئن كنتَ صادقاً فما بقي في القرية أحد . فدخلا القرية ، فوجدا سَليماً وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون ، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم . هكذا ذكر إسحاق ، وذكر غيره : أنّ الحجّاج طالبَ سَليماً بمال عظيم ، فلم يخرجُ منه حتى باع كلَّ ما يملكه ، وخَرِبتْ قريتُه وتفرّق أهلها ؛ ثم باعه الحجّاج عبداً ، فاشتراه بعضُ أشرافِ أهـل الكوفة ، إمّا أسْماءُ بنُ خارجةَ وإمّا بعض نظرائه ، فأعتقه .

نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعرَه وصنع أحمد النَّصبيُّ لحنَه في سَليم

صوت

[من السريع]

يا أيـُّها القلبُ المطيع الهوى أنّـى اعتراك الطربُ النازحُ
تذكـرُ جُمْلاً فإذا مـا نأت طار شَعاعاً قلبُك الطامحُ

---

1 الجمرة : القبيلة فيها ثلاثمائة فارس وقيل : ألف . أو هي كلّ قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمّون إلى أحد ، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبرُ لقراع القبائل . الناضح : المدافع الرامي .

أُعْطِيتَ ودِّي وثنائي معاً ... وخَلَّـةً ميزانها راجـحُ
إنِّـي تخيَّرت امرأً ماجداً ... يصدُق في مِدْحته المادحُ
سَلِيم مـا أَنت بنِكس ولا ... ذَمَّـك لي غادٍ ولا رائحُ
نِعْم فتـى الحـيّ إذا ليلةٌ ... لم يُـورِ فيها زَنْدَه القادحُ
وراح بالشَّوْل إلى أهلهـا ... مُغْبَـرَّةً أذقانُهـا كالِحُ
وهَبَّتِ الرِّيـحُ شآميّـةً ... فانجَحَـر القابسُ والنابحُ

الشعر لأعشى همدان . والغناء لأحمد النَّصْبيّ ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لمالِكٍ لحناً ولسنان الكاتب لحناً آخر .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

تَنَكَّر من سُعْدَى وأقفر مـن هندِ ... مُقامُهما بـين الرَّغامـين فالفردِ[1]
محلٌّ لسُعْدَى طالما سكنتْ بـه ... فأوحشَ ممّـن كان يسكنه بَعْدي

الشعر لحَمّاد الراوية . والغناء لعَبادِل ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه للهُذَليّ ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لعَبادِل بن عطيّة[2] .

1 الرغام : اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة بالوشم ، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر . الفرد : موضعان يطلق عليهما الاسم نفسه .

2 سترد ترجمته في هذا الجزء ص 71 .

[77] ـ أخبار حمّاد الراوية ونسبه[1]

[نسبه وولاؤه وعلمه بأخبار العرب وأيّامها]

هو حمّاد بن مَيْسرة ، فيما ذكره الهَيْثم بن عَدِيّ ، وكان صاحبَه وراويتَه وأعلمَ الناس به ، وزعم أنّه مولى [بني] شَيْبان . وذكر المَدائنيّ والقَحْذَميّ أنّه حمّاد بن سابور ، وكان من أعلم الناس بأيّام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بني أميّة تقدّمه وتؤثره وتستزيره ، فيَفِد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيّام العرب وعلومها ويُجزلون صلته .

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ وعمّي وإسماعيل العَتَكيّ قالوا حدَّثنا الرِّياشيّ قال : قال الأصمعيّ : كان حَمّاد أعلَم الناس إذا نَصَح . قال وقلت لحمّاد : ممّن أنتم ؟ قال : كان أبي من سَبْيِ سَلْمان بن رَبيعة ، فطرَحَتْنا سَلْمانُ لبني شَيْبان ، فولاؤنا لهم . قال : وكان أبوه يُسمَّى مَيْسرة ، ويُكنى أبا ليلى . قال العَتَكيّ في خبره : قال الرِّياشيّ : وكذلك ذكر الهَيثم بن عَدِيّ في أمر حَمّاد .

[سأله الوليد عن سبب تلقيبه بالراوية فأجابه]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ والهَيْثم بن عَدِيّ ولَقيط[2] قالوا : قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية : بِمَ استحققتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأنّي أروي لكلّ شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به ، ثم أروي لأكثر منهم ممّن تعرف أنّك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أُنشَد شعراً قديماً ولا محدَثاً إلاّ ميّزتُ القديم منه من المحدَث ؛ فقال : إنّ هذا لعلمٌ وأبيك كثير ! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكنّي أُنشِدك على كلّ حرف من حروف المعجم مائةَ قصيدة كبيرة سوى المقطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ؛ قال : سأمتحنك في هذا ، وأمَره بالإنشاد ؛ فأنشد الوليدَ حتى ضَجِر ، ثم وكّل به مَن استحلفه أن يصدُقه عنه ويستوفيَ عليه ؛ فأنشده ألفين وتسعَمائة

1 حمّاد الراوية : انظر أخباره في معجم الأدباء 3 : 1201—1205 وفي التذكرة الحمدونية 3 : 55—56 ، طبقات ابن المعتز : 69 والمعارف 451 والفهرست : 104 ومراتب النحويين : 72 وطبقات الزبيدي 209 وأمالي المرتضى 1 : 131 ومصورة ابن عساكر : 5 : 273 وتهذيب ابن عساكر : 4 : 430 ومختصر ابن منظور : 70 : 244 وابن خلكان 2 : 206 وسير الذهبي 7 : 157 والوافي 13 : 137 ولسان الميزان : 2 : 352 وبغية الوعاة : 1 : 549 والخزانة : 4 : 129 .

2 هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي من بني محارب ، من الرواة للعلم المصنفين للكتب . كان شاعراً سيىء الخلق ، عاش إلى سنة تسعين ومائة .

قصيدة للجاهليّين ، وأخبر الوليدَ بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

[ما كان بينه وبين مروان بن أبي حفصة في حضرة الوليد]

أخبرني يحيى بن عليّ المنجّم قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن مَرْوانَ بن أبي حَفْصة ، وأخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأَثْرَم[1] عن مَروان بن أبي حَفْصة قال : دخلتُ أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفيّ والحسين بن مُطَير الأَسَديّ في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجلٌ عنده ، كلّما أنشد شاعرٌ شعراً ، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ؛ فقلت : مَن هذا ؟ فقالوا : حَمّاد الراوية . فلمّا وقفت بين يديّ الوليدِ أُنشده قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لُحنَة لَحّانة ؛ فأقبل الشيخ عليّ وقال : يا ابن أخي ، إنّي رجل أُكلِّم العامّة فأتكلّم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عنّي الشعرُ كلّه إلاّ شعرَ ابن مُقْبِل ؛ فقلت له : نعم ، شعرَ ابن مُقبل ؛ قال : أَنشِدْ ، فأنشدتُه قوله : [من الطويل]

سلِ الدارَ من جَنْبيْ حِبِرٍّ فواهبٍ ... إذا ما رأى هَضْبَ القَليب المُضَيَّحُ[2]

ثم جُزْتُ ؛ فقال لي : قف فوقفت ؛ فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدرِ ما يقول !

فقال لي حمّاد : يا ابن أخي ، أنا أعلَم الناس بكلام العرب . يقال : تراءى الموضعان إذا تقابلا .

[سأل الهيثم بن عديّ عن معنى شعر فعجز]

حدّثني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ قال : قلت لحمّاد الراوية يوماً : أَلْقِ عليّ ما شئتَ من الشعر أفسّره لك ؛ فضحك وقال لي : ما معنى قولِ ابن مُزاحِم الثُّماليّ : [من البسيط]

تَخوَّف السيرُ منهـا تامكاً قَرِداً ... كما تَخوّف عُـودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ ؟[3]

فلم أدْرِ ما أقول ؛ فقال : تخوَّف : تنقَّص . قال الله عزّ وجلّ : ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ 47/16 أي على تنقُّص .

قال الهيثم : ما رأيتُ رجلاً أعلَمَ بكلام العرب من حَمّاد .

---

1 الأثرم : هو أبو الحسن علي بن المغيرة صاحب الأصمعي وأبي عبيدة ، روى عن جماعة من العلماء وعن فصحاء العرب ، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين .

2 جنبي حِبِرّ فواهبِ في ل : خبتي خبير فذاهب . المُضَيَّح : ماء لبني البكّاء .

3 التامك : السنام . والقرد : المتلبّد الصوف . والسّفن : الحديدة التي تُبرد بها القِسيّ .

[كذب الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقرّ]

حدَّثني محمّد بن خَلَف وَكِيع قال حدَّثني الكُراني محمّد بن سعد عن النَّضْر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال : أنشدني الفرزدق وحمّادٌ الراوية حاضر : [من الطويل]

وكنتَ كذئب السَّوْء لمّا رأى دماً بصاحبه يومـاً أحـال على الدمِ[1]

فقال له حمّاد : آنت تقوله ؟ قال : نعم ؛ قال : ليس الأمر كذلك ، هذا لرجل من أهل اليمن ؛ قال : ومَن يعلم هذا غيرُك ! أفأردت أن أتركه وقد نَحَلنيه الناسُ ورَوَوْه لي لأنّك تعلمه وحدَك ويجهله الناسُ جميعاً غيرَك ! .

[كان هو وأبو عمرو كلّ منهما يقدم الآخر على نفسه]

حدَّثني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني الفَضْل قال حدَّثني ابن النَّطّاح قال حدَّثني أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال : ما سألت أبا عمرو بنَ العَلاء قطُّ عن حَمّاد الراوية إلاّ قدّمه على نفسه ، ولا سألتُ حَمّاداً عن أبي عمرو إلاّ قدّمه على نفسه .

[هو أحد الحمّادين الثلاثة]

حدَّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم ، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثَّقَفيّ عن إبراهيم بن عُمَر [و] العامريّ قالا : كان بالكوفة ثلاثةُ نفر يقال لهم الحَمّادون : حمّاد عَجْرد ، وحمّاد بن الزِّبْرِقان ، وحمّاد الراوية ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنّهم نفسٌ واحدة ، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة جميعاً .

[كان بخيلاً فداعبه مطيع وابن زياد عن سراجه]

أخبرني الحسن بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل مُطِيع بن إياس ويحيى بن زِياد على حمّاد الراوية ، فإذا سِراجه على ثلاث قَصَبات قد جُمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين ، فقال له يحيى بن زياد : يا حمّاد ، إنّك لَمُسْرِف مبتذِل لحُرّ المتاع ؛ فقال له مُطيع : ألا تبيعُ هذه المنارة وتشتري أقلَّ ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتّسع به ؟ فقال له يحيى : ما أحسنَ ظنَك به ! ومن أين له مثلُ هذه ؟ إنّما هي وديعة أو عارية ؛ فقال له مطيع : أمَا إنّه لعظيم الأمانة عند الناس ! قال له يحيى : وعلى عظيم أمانته فما أجهل مَن يُخرِج مثلَ هذه من داره ويأمَن عليها غيرَه ! قال مطيع : ما أظنّها عاريةً ولا وديعة ولكنّي أظنّها مرهونة عنده على مال ، وإلاّ فمن يُخرج مثلَ هذه من بيته ! فقال لهما حمّاد : قوما عنّي يا ابنَي الزانيتيْن واخرُجا من منزلي ، فشرٌّ منكما مَن يُدخلكما بيتَه .

---

1 أحال على الدم : أقبل عليه .

[كان منقطعاً ليزيد فجفاه هشام]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن عُبيد أبو عَصيدة قال حدَّثني محمّد بن عبد الرحمن العَبْديّ عن حُميد بن محمّد الكُوفيّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن القُرَشيّ عن محمّد بن أنس ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَديّ عن حَمّاد الراوية ، وخبر حَمّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له .

قال حمّاد الراوية : كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أُميّة في أيّام يزيد ، فلمّا مات يزيد وأفْضَت الخلافةُ إلى هشام خِفتُه ، فمكثت في بيتي سنةً لا أخرج إلاّ لمَن أثق به من إخواني سرّاً ؛ فلمّا لم أسمع أحداً يذكرني سنةً أمِنتُ فخرجت فصلّيت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شُرَطِيّان قد وقفا عليّ فقالا لي : يا حَمّاد ، أجِب الأمير يوسفَ بن عمر ، فقلت في نفسي : مِنْ هذا كنت أحذَر[1] ، ثم قلت للشُّرَطِيَّيْن : هل لكما أن تَدَعاني آتي أهلي فأودّعهم وداع مَن لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل . فاستسلمتُ في أيديهما وصِرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر ، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلامَ ، ورمى إليّ كتاباً فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أمّا بعد ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فابعث إلى حمّاد الراوية مَن يأتيك به غيرَ مُرَوَّع ولا مُتعتَع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مَهْرِيّاً يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق» . فأخذتُ الخمسمائة الدينار ، ونظرتُ فإذا جمل مَرْحول ، فوضعت رجلي في الغَرْز[2] وسرتُ اثنتي عشرةَ ليلةً حتى وافيتُ بابَ هشام ، فاستأذنتُ فأُذن لي ، فدخلت عليه في دارٍ قَوْراء[3] مفروشة بالرُّخام ، وهو في مجلس مفروش بالرخام ، وبين كلّ رخامتين قضيبُ ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراءَ وعليه ثيابَ خَزٍّ حُمْر وقد تضمَّخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحه ، فسلّمتُ فردَّ عليّ ، واستدناني فدنوت حتى قبّلتُ رجلَه ، وإذا جاريتان لم أرَ قبلهما مثلَهما ، في أُذُنَيْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقّدان ؛ فقال لي : كيف أنت يا حمّاد وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ؛ قال : أتدري فيم بعثتُ إليك ؟ قلت : لا ؛ قال : بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدرِ مَنْ قاله ؛ قلت : وما هو ؟ فقال : [من الخفيف]

---

1 في ل : يرجع .

2 الغرز : ركاب الرحل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب .

3 قوراء : واسعة .

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنـــةٌ في يمينهـــا إبريـــقُ

قلت : هذا يقوله عَدِيّ بن زيد في قصيدة له ؛ قال : فأنشدْنيها ، فأنشدتُه :

بكَـــر العاذلـون في وَضَح الصبـ ـــح يقولـون لي أَلا تستفيـقُ
ويلومون فيـك يـا ابنـةَ عبـدا لله والقلـبُ عنـدكم مَوْهـوقُ[1]
لست أدري إذا أكثروا العذلَ عندي أعـــدوٌّ يلومنـــي أو صديـــقُ[2]
زانهـــا حسنُهـــا وفَرْعٌ عَمِيم وأثيـــثٌ صَلْـتُ الجبـــين أنيقُ
وثنايـــا مُفَلَّجـات عـــذاب لا قِصارٌ تُــرى ولا هُنّ رُوقُ[3]
فدعَـوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنـــةٌ في يمينهـــا إبريـــقُ
قدّمتْـــه على عُقــار كعـين الــ ــدِّيك صَفَّى سُلافَهـا الرَّاووقُ
مُـــزّة قبـــل مزجهـــا فإذا مـــا مُزجـت لـذّ طعمَها مَن يذوقُ
وطفَـت فوقهـــا فقاقيـعُ كالد رّ صغـــار يُثيرهـــا التَّصْفيقُ[4]
ثـــم كان المِـزاجُ مـــاءَ سمـــاء غيرَ مـــا آجـــنٍ ولا مَطْـروقُ

قال : فطرب ، ثم قال : أحسنتَ والله يا حَمّاد ، يا جاريةُ اسقيه ، فسقتني شَرْبة ذهبت بثلث عقلي . وقال : أعِد ، فأعدتُ ، فاستخفّه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه ، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي . فقلت : إن سقتني الثالثةَ افتضحت ، فقال : سَلْ حوائجَك ، فقلت : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم ؛ قلت : إحدى الجاريتين ؛ فقال لي : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأولى : اسقيه ، فسقتْني شَرْبةً[5] سقطتُ معها ، فلم أعقِل حتى أصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسي ، وإذا عِدّة من الخدم مع كلّ واحد منهم بَدْرة ، فقال لي أحدهم : أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها ، فأخذتُها والجاريتين وانصرفت . هذا لفظ حَمّاد عن أبيه . ولم يقل أحمد بن عُبيد في خبره أنّه سقاه شيئاً ، ولكنّه ذكر أنّه طرِب لإنشاده ، ووهب له الجاريتين لمّا طلب إحداهما ، وأنزله في دار ، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أعدَّه له ، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لَهما وكلَّ ما يحتاج إليه ، وأنّه أقام عنده مدّة فوصل إليه مائةُ ألف درهم ، وهذا هو

1 الموهوق : المشدود بالوهق : وهو الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .
2 عندي في معجم الأدباء : فيها ، 1203/3 .
3 روق : طوال .
4 فقاقيع في ل : فواقع .
5 في ل : عشرة .

الصحيح ؛ لأنّ هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكِراً ، وكان يُنكِر ذلك ويَعيبه ويعاقبُ عليه .

في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناءٌ ، نِسْبته : [من الخفيف]

صوت

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولون ما لـه لا يُفيقُ
ويلومون فيكِ يا ابنـةَ عبد الله والقلبُ عنـدكم مَوْهوقُ
ثم نادوا إلى الصَّبُوح فقامتْ قَيْنـةٌ في يمينهـا إبريقُ[1]
قدّمتْه على عُقـار كعين الدِّ يـك صفَّى سُلافها الراووقُ

في البيتين الأوّلين لحن من الثقيل الأوّل مختلَفٌ في صانعه ، نسَبه يحيى بن المكِّي إلى معبد ، ونسبه الهشاميّ إلى حُنين . وفي الثالث وهو «ثم نادوا» والرابع لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ رَمَلٌ ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنسب إلى مالك وخفيف ثقيل ، ذكر حَبَش أنّه لحُنَين .

[أجازه يوسف بن عمر بأمر الوليد وأرسله إليه مكرّماً]

أخبرني محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعيّ قال : قال حمّاد الراوية : كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر : احمِلْ إليّ حماداً الراويـة على ما أَحَبَّ من دوابّ البريد ، وأعطِه عشرة آلاف درهم مَعُونة له ؛ فلمّا أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إليّ ، فقلتُ : السمع والطاعة ، فقال : يا دُكَين بن شَجَرة ، أعطه عشرة آلاف درهم ، فأخذتُها . فلمّا كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودِّعاً ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفتَ من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائك ، فقلـت : أصلح الله الأمير : «إنّ العـوانَ لا تعلَّم الخِمْرة»[2] . فخرجتُ حتى أتيتُ الوليد بن يزيد وهو بالبَخْراء[3] فاستأذنتُ فأَذِن لي ، فإذا هو على سريرٍ ممهَّد وعليه ثوبان : إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ، وإذا عنده معبَد ومالكٌ وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ، ثم قال : أنشِدْني : [من الكامل]

أَمِـنَ المنـونِ وريْبِها تتوجّعُ

فأنشدتُه إيّاها حتى أتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقه يا سَبْرة أكؤساً ، فسقاني ثلاث أكؤس خدَّرَتْ ما بين الذؤابة والنعل . ثم قال : يا معبد غنِّني : [من الهزج]

1 نادوا في ل : ثاروا .
2 مثل .
3 البخراء : ماءة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

أَلا هــل جــاءك الأظعــا نُ إذ جــاوزن مُطّلَحــا

فغنّاه . ثم قال : غنّني : [من الوافر]

أتنسى إذ تودّعنا سُلَيمـــى بفرع بَشامةٍ ، سُقِيَ البَشامُ[1]

فغنّى . ثم قال : غنّني : [من البسيط]

جَــلا أُميّـــة عنّــا كلَّ مَظْلِمـة سهلُ الحجابِ وأَوْفَى بالذي وَعَدا

فغنّاه . ثم قال : اسقني يا غلام بزُبّ فرعونُ ، فأتاه بقدح معوَجٌ فيهِ طول فسقاه به عشرين قدحاً . ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجلُ الذي طلبتَ بالباب ؛ فقال : أدخله ، فدخل غلام شابٌّ لم أَرَ أحسن منه وجهاً في رجله فَدَع[2] ، فقال : يا سَبْرة اسقه كأساً ، فسقاه ، ثم قال له : غنّني : [من الرمل]

وهْي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيتُ جَوار من لُعَبْ

فغنّاه ، فنبذ إليه أحد ثوبيه ، ثم قال : غنّني : [من مجزوء الكامل]

طَــرَق الخيــالُ فمرحَبا أَلفــاً برؤيـــة زينبَـــا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا مُقْبلون إليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنّك تتركنا بمَزْجر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبي ؛ فقال : والله يا أبا عبّاد ما جهلتُ قدرَك ولا سِنّك ، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطّياجِن من حرارة غنائه . فسألتُ عن الغلام ؟ فإذا هو ابن عائشة .

[كان في حانة فطلبه المنصور فجاءه وأنشده من شعر هفّان بن همام]

حدّثني الحسن بن محمّد المادَرانيّ الكاتب قال حدّثني الرياشيّ عن العُتْبيّ ، وأخبرني به هاشم بن محمّد عن الرياشي ، وليس خبره بتمام هذا ، قال : طلب المنصور حمّاداً الراوية ، فطُلب ببغداد فلم يوجد ، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنّه بالبصرة ، فوجّهوا إليه برسول يُشخِصُه . قال الرسول : فوجدته في حانة وهو عُريان يشرب نبيذاً من إجّانة[3] وعلى سوأته رأس دَسْتَجة[4] ، فقلت : أَجب أمير المؤمنين . فما رأيتُ رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من تلك . فأجاب ، فأشخصتُه إليه . فلمّا مَثَل بين يديه ، قال له : أنشدني شعرَ هِفّان بن همّام بن نَضْلة يرثي أباه ؛ فأنشده : [من الطويل]

1 البشام : شجر طيّب الريح والطعم يُستاك به .
2 فَدَع : عوج وميل في المفاصل كلّها خلقة أو داء .
3 الإجّانة : آنية تغسل فيها الثياب .
4 الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج .

خليليّ عُوجا إنّها حاجةٌ لنا ... على قبر هَمّامٍ سقتْه الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبتَغى ... جَداه إذا لم يَحمَدِ الأَرضَ رائدُ
كريم النَّثا حلو الشمائل بينه ... وبين المزجَّى نَفْنفٌ متباعدُ[1]
إذا نازع القومَ الأَحاديثَ لم يكن ... عَيِيًّا ولا ثِقْلاً على مَن يقاعدُ
صبورٌ على العِلاّت يُصبح بطنُه ... خَميصاً وآتِيه على الزاد حامدُ
وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حَفِيرة ... بحُرِّين قد راحتْ عليه العوائدُ[2]
صريعاً كنصل السيف تضرِبُ حوله ... ترائبَهنّ المُعْوِلاتُ الفواقدُ

قال : فبكى أبو جعفر حتى اخضلَّت لحيتُه ، ثم قال : هكذا كان أَخي أَبو العبّاس رضي الله عنه .

[ذكره ابن إياس لابن الكرديّة فطلبه واستنشده فأنشده شعراً أغضبه فضربه]

أَخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان جعفر بنُ أَبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يَستخفُّ مُطيع بن إيّاس ويحبّه ، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلة حسنة ، فذكَرَ له حمّاداً الراوية ، وكان صديقَه ، وكان مطَّرَحاً مجفوّاً في أَيّامهم ، فقال : ائتنا به لنراه . فأَتى مطيع حمّاداً فأَخبره بذلك وأَمره بالمَسير معه إليه ؛ فقال له حمّاد : دعني فإنّ دولتي كانت مع بني أميّة ومالي عند هؤلاء خير ، فأَبى مطيعٌ إلاّ الذهابَ إليه ، فاستعار حمّاد سَواداً وسيفاً ثم أَتاه ، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر . فلمّا دخل عليه سلّم عليه سلاماً حسناً وأَثنى عليه وذكر فضلَه ؛ فردّ عليه وأَمره بالجلوسِ فجلس . فقال جعفر : أَنشدْني ؛ فقال : لمَن أَيّها الأَمير ؟ أَلشاعر بعينه أَم لمَن حَضَر ؟ قال : بل أَنشدني لجَرير . قال حَمّاد : فسُلِخ والله شعر جرير كلُّه من قلبي إلاّ قولَه : [من الكامل]

بَانَ الخليطُ برامتيْن فودَّعوا ... أَو كلَّما اعتزموا لبَيْنٍ تجزَعُ

فاندفعتُ فأَنشدتُه إيّاه ، حتى انتهيتُ إلى قوله : [من الكامل]

وتقول بَوْزَعُ قد دبَبْتَ على العصا ... هلاَّ هَزِئتِ بغيرنا يا بَوْزَعُ

قال حمّاد : فقال لي جعفر : أَعِد هذا البيت ، فأَعدته ؛ فقال : بَوْزع ، أَيُّ شيء هو ؟ فقلت : اسم امرأَة ؛ فقال : أَمرأة اسمها بَوْزع ! هو بريء من الله ورسوله ونفيٌ من العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بَوْزع إلاّ غُولا من الغِيلان ؛ تركتَني والله يا هذا لا أَنام الليلةَ من فزع

1 المزجّى : الضعيف . النفنف : الهوة بين الجبلَيْن .
2 حُرِّين : بلد قرب آمد .

بَوْزع ؛ يا غلمان ! قَفاه ؛ فصُفِعتُ واللّه حتى لم أدرِ أين أنا ، ثم قال : جُرُّوا برجله : فجَرُّوا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً ، فتخرّق السواد وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً ممّا جرى عليّ ؛ وكان أغلظَ من ذلك كلّه وأشدّ بلاءً إغرامي ثمنَ السَّواد وجفنِ السيف ؛ فلمّا انصرفتُ أتاني مُطيع يتوجّع لي ؛ فقلت له : ألم أُخبرك أنّي لا أُصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع بني أُميّة ! .

[حديثه مع مأبون]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : بلغني أنّ رجلاً تحدَّث في مجلس حمّاد الراوية فقال : بلغني أنّ المأبون له رحم كرحم المرأة ، قال : وكان الرجل يُرمى بهذا الداء فقال حمّاد لغلامه : اكتب هذا الخبرَ عن الشيخ ، فإنّ خير العلم ما حُمل[1] عن أهله .

[كتب إلى بعض الأشراف شعراً يسأله جبّة فأرسلها إليه]

قال : وكتب حمّاد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال : [من الخفيف]

إنّ لي حاجـــةً فرأيَك فيهـا لك نفسي فِدىً من الأوصابِ
وهي ليست ممّـا يبلِّغها غيـ ـري ولا يستطيعها في كتابِ
غيرَ أنّي أقولها حـين ألقا ك رُوَيْداً أُسِرُّها في حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتب إليّ بحاجتك ولا تَشْهَرني بشعرك ؛ فكتب إليه حمّاد: [من الخفيف]

إنّني عاشق لجُبّتـك الدَّكْـ ـناء عشقاً قد حال دون الشرابِ
فاكسُنِيها فدتْك نفسي وأهلي أتباهَى بهـا على الأصحابِ
ولك الله والأمانـة أن أجـ ـعلهـا عمرَهـا أميرَ ثيابي

فبعث إليه بها . وقد رُويتْ هذه القصّة لمُطيع بن إياس .

[هو والخزيمي وغلام أمرد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني أبو يعقوب الخُرَيميّ[2] قال : كنت في مجلس فيه حمّاد عَجْرَد وحمّاد الراوية ومعنا غلام أمردُ ، فنظر إليه حمّاد الراوية نظراً شديداً وقال لي : يا أبا يعقوب ، قد عزمت الليلةَ على أن أدِبّ على هذا الغلام ؛ فقلت : شأنَك به : ثم نِمْنا ، فلم أشعُر بشيء إلاّ وحمّاد ينيكني ، وإذا أنا قد غَلِطت ونمْت في موضع الغلام ، فكرهت أن أتكلّم فينتبه الناس فأفتضحَ وأُبطلَ عليه ما أراد ، فأخذت بيده فوضعتها

1 في ل : أخذ .
2 الخزيمي : هو إسحاق بن حسّان يكنى أبا يعقوب .

على عيني العوراء ليعرفَني ؛ فقال : قد عرفتُ الآن ، فيكون ماذا ؟ وفديناه بذبحٍ عظيم . قال : وما بَرِح علم الله وأنا أُعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل .

[أهدى إلى صديق له غلاماً]

قال إسحاق : وأهدى حمّاد إلى صديقٍ له غُلاماً وكتب إليه : قد بعثت إليك غلاماً تتعلّم عليه كَظْم الغيظ .

[استهدى نبيذاً من صديق له فأجابه]

قال : واستهدى من صديق له نبيذاً فأهدى إليه دُسَيتِجة نبيذٍ تمريّ . فكتب إليه : لو عرفتَ في العدد أقلَّ من واحد ، وفي الألوان شرّاً من السواد ، لأَهديتَه إليّ .

[ردّ على مغنّيه أخطأت في شعر]

قال : وسمع مغنّيةً تغنّي : [من الخفيف]

عـــاد قلبي من الطويلة عاد[1]

فقال : وثمود ، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفرِّق بينهما . والشعر : [من الخفيف]

عـــادَ قلبي من الطويلة عِيد

[أنشده رجل شعراً فأنكره عليه وقال اهجني فهجاه]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثني أبو عثمان اللاحِقي ، وأخبرني به محمّد بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه عن محمّد بن سَلاّم عن بشْر بن المفضَّل بن لاحِق قال : جاء رجل إلى حَمّاد الراوية فأنشده شعراً وقال : أنا قلته ؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا ، هذا ليس لك ، وإن كنتَ صادقاً فاهْجُني . فذهب ثم عاد إليه فقال له : قد قلتُ فيك : [من الطويل]

سيعلم حَمّاد إذا ما هجوتُه ... أأنتحلُ الأَشعـــارَ أم أَنا شاعرُ
أَلَـم تَــرَ حمّـاداً تقدَّم بطنُه ... وأُخّـر عنـه مـا تُجـنّ المآزرُ
فليس بــراءٍ خُصْيتيْه ولو جَثا ... لركبته ، مـا دام للزيت عاصرُ
فيا ليتــه أَمْسَى قعيـــدةَ بيتــه ... له بعـــلُ صدقٍ كَوْمــه متواتِرُ[2]
فحمّاد نعم العِرْسُ للمرء يبتغي الـ ... ـنّكاح وبئس المرء فيمن يفاخِرُ

فقال حمّاد : حسبُنا ، عافاك الله ، هذا المقدارُ وحسبُك ؛ قد علمنا أنّك شاعر وأنّك قائل

---

1 الطويلة : روضة بالصمّان .

2 الكوم : النكاح .

الشعر الأوّل وأجودَ منه ، وأُحبّ أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعَه فتفضَحَني ؛ فقال له : قد كنتَ غنيّاً عن هذا . وانصرف الرجل وجعل حمّاد يقول : أسمعتم أعجبَ ممّا جرَرْتُ على نفسي من البلاء ! .

[عاب شعراً لأبي الغول فهجاه]

حدَّثني الأسَديّ أبو الحَسَن قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا أبو عبد الله الفَهْميّ قال : عاب حمّاد الراوية شعراً لأبي الغُول فقال يهجوه : [من الكامل]

نِعم الفتى لـو كان يعرف ربَّه ... ويُقيمُ وقـتَ صلاتـه حمّادُ
هَدَلتْ مشافرَه الدِّنان فأنفُه ... مثـل القَـدُوم يَسُنّها الحدّادُ
وأبيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يـومَ الحساب سوادُ
لا يُعجبنّك بَـزُّه وثيابُـه ... إن اليهود تُـرى لهـا أجْلادُ
حمّاد يا ضَبُعاً تَجُرّ جِعارَها ... أخنى لهـا بالقريتـين جِرادُ[1]
سبعاً يلاعبهـا ابنهـا وبناتها ... ولهـا من الخرق الكبار وسادُ

قال معنى قوله : [من الكامل]

أخنى لهـا بالقريتين جرادُ[2]

هو مثل قول العرب للضَّبُعُ : خامِري[3] أمَّ عامر ، أبْشِري بجرادٍ[4] عِظال وكَمَرِ رجال ؛ فإنّ الضبعَ تجيء إلى القتيل وقد استلقى على قفاه ، وانتفخ غُرْمُوله فكان كالمُنعِظ ، فتَحْتَكّ به وتَحيض من الشهوة ، فيَثِبُ عليها الذئب حينئذٍ فتلِد منه السِّمْع ، وهو دابة ، لا يولد له مثل البغل . وفي مثل هذا المعنى يقول الشَّنْفَرى الأزْدي . [من الرمل]

تضحَك الضَّبْع لقَتْلى هُذَيْـلٍ ... وتـرى الذئـبَ لها يَسْتهلّْ[5]

تضحَك : تحيض .

[كان لصاً ثم تاب وطلب الأدب والشعر]

وقال ابنُ النطّاح : كان حمّاد الراوية في أوّل أمره يتشطّر ويصحَب الصعاليكَ واللصوص ، فنقَب ليلةً على رجل فأخَذ مالَه وكان فيه جزءٌ من شِعْر الأنصار ، فقرأه حمّاد

---

1 الجعار : جمع جَعْر ، والجَعْر : نجو كل ذات مخلب من السِّباع . وجعار : اسم الضبع لكثرة جعرها .
2 أخنى الجراد : كثر بيضه .
3 خامري : استتري .
4 الجراد العظال الذي ركب بعضه بعضاً كثرة .
5 يستهلّ : يصيح ويستغوي الذئاب . اختلف المفسّرون حول تضحك ، وأغلبهم على أنّها تكشّرُ .

فاستحلاه وتحفَّظه ، ثم طلب الأدبَ والشعر وأيّامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ .

[استنشده المهديّ أحسن أبيات في السكر ثم أجازه]

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمّي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حَمّاد الراوية قال : دخلتُ على المهديّ فقال : أنشِدْني أحسنَ أبيات قيلت في السُّكْر ، ولك عشرة آلاف درهم وخِلعتان من كُسْوة الشتاء والصيف ؛ فأنشدتُه قولَ الأخطل : [من البسيط]

تَرى الزُّجاجَ ولم يُطْمَث يُطيف به ... كأنّه من دم الأجواف مُختضَبُ[1]
حتى إذا افتَضَّ ماءُ المُزن عُذرتَها ... راحَ الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ
تَنْـزو إذا شجّها بالمـاء مازجُها ... نَزْوَ الجنادب في رَمْضاءَ تلتهبُ
راحوا وهم يحسَبون الأرضَ في فُلُك ... إن صُرِّعوا وقتَ الرّاحاتُ والرُّكَبُ

فقال لي : أحسنتَ وأمر لي بما شَرَطه ووعدني به فأخذتُه .

[مدح بلال بن أبي بردة فأنكر ذو الرمّة أنّه شعره]

حدَّثني اليَزيديّ قال حدَّثني عمّي عبيدُ الله قال حدَّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدَّثني صالح بن سليمان قال : قدم حَمّاد الراوية على بلال بن أبي بُرْدة البصرةَ ، وعند بلال ذو الرُّمَّة ، فأنشده حَمّادٌ شعراً مدحه به ؛ فقال بلال لذي الرُّمَّة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيّداً وليس له ؛ قال : فمَن يقوله ؟ قال : لا أدري إلاّ أنّه لم يقله ؛ فلمّا قضى بلالٌ حوائجَ حَمّاد وأجازه ، قال له : إن لي إليكَ حاجةً ؛ قال : هي مقضيّةٌ ؛ قال : أنت قلت ذلك الشعرَ ؟ قال : لا ؛ قال : فمَن يقوله ؟ قال : بعضُ شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيري ؛ قال : فَمن أينَ علم ذو الرمّة أنّه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلامَ أهلِ الجاهليّة من كلام أهل الإسلام .

[أنشد بلالاً شعراً في مدح أبي موسى نسبه للحطيئة]

قال صالح : وأنشد حَمّاد الراوية بلالَ بن أبي بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالها ونحلها الحطيئةَ يمدح أبا موسى الأشعريّ يقول فيها : [من البسيط]

جَمَعْتَ من عامرٍ فيها ومن جُشَم ... ومن تَميم ومن حَاء ومن حامِ
مُسْتحقِبـات روايـاها جحافلَها ... يسمو بها أشْعَرِيٌّ طَرْفُه سامي

فقال له بلال : قد علمتُ أنّ هذا شيء قلتَه أنت ونسبتَه إلى الحطيئة ، وإلاّ فهل كان

---

1 يطمث هنا : يريد لم يمسّه إنسان .

يجوز أن يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ! ولكن دَعْها تذهب في الناس وسيِّرها حتى تشتهرَ ، ووصَله .

[يرى المفضل الضَّبّي أنّه أفسد شعر العرب بتخليطه ونحله شعره للقدماء]

أخبرني محمّد بن خلَف وَكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخَرّاز يقول سمعت ابن الأعرابيّ يقول سمعت المفضَّل الضبِّي يقول : قد سُلِّط على الشعر من حَمّاد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطىء في روايته أم يلحَن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإنّ أهل العِلم يردّون مَن أخطأ إلى الصواب ، لا ولكنّه رجل عالِم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهبَ رجل ويُدخله في شعره ، ويُحمَل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميّز الصحيح منها إلاّ عند عالِم ناقد ، وأين ذلك ؟

[اجتمع مع المفضل الضّبّيّ عند المهديّ فأجازه لجودة شعره وأبطل روايته]

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانيّ قال حدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدَّثني السَّعِيديّ الراوية وأبو إيّاد[1] المؤدِّب ، وكان مؤدِّبي ثم أدَّب المعتصمَ بعد ذلك وقد تعالت سنّه ، وحدَّثني بنحوٍ من ذلك عبد الله بن مالك وسَعيد بن سَلْم[2] وحدَّثني به ابن غَزالة أيضاً واتّفقوا عليه : أنّهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهديّ بعيساباذ[3] ، وقد اجتمع فيها عدّةٌ من الرواة والعلماء بأيّام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضَّل الضبّيّ الراوية فدخل ، فمكث مليّاً ثم خرج إلينا ومعه حَمّاد والمفضَّل جميعاً وقد بَانَ في وجه حَمّادٍ الانكسارُ والغمّ ، وفي وجه المفضَّل السرور والنشاط ، ثم خرج حُسين الخادم معهما ، فقال يا معشر مَن حضر من أهل العلم : إنّ أمير المؤمنين يُعْلِمكم أنّه قد وصل حَمّاداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضَّلَ بخمسين ألفاً لصدقةّ وصحّة روايته ، فمَن أراد يسمع شعراً جيِّداً محدثاً فليسمع من حَمّاد ، ومَن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضَّل ؛ فسألْنا عن السبب فأُخبِرنا أنّ المهديّ قال للمفضل لّما دعا به وحدَه : إنّي رأيتُ زُهَيرَ بن أبي سُلْمَى افتتح قصيدته بأن قال : [من السريع]

دَع ذا وعــدِّ القولَ في هَرِم

ولم يتقدّم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمَر نفسَه بتركه ؟ فقال له المفضَّل : ما سمعتُ يا أمير

---

1 في ل : أبان .

2 لعلّه سعيد بن سلم الباهليّ أبو عمرو وقد كان معاصراً لعبد الله بن مالك الخزاعي .

3 محلّة كانت شرقي بغداد كانت إقطاعاً لعيسى بن المهدي .

المؤمنين في هذا شيئاً إلاّ أنّي توهمته كان يفكّر في قول يقوله ، أو يُرَوِّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال دع ذا ، أو كان مفكّراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا ، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعَدّ القولَ في هرم ؛ فأمسك عنه . ثم دعا بحمادٍ فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضَّل ، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ يا أمير المؤمنين ؛ قال فكيف قال ؟ فأنشده : [من الكامل]

لِمَـن الديـارُ بقُنّـة الحَجْـر … أَقْوَيْنَ مُـذْ حجَج ومُذْ دَهْرِ
قفـرَ بمُندَفَـع النحائت من … ضَفْوَى أُولات الضَّالِ والسِّدْرِ[1]
دَعْ ذا وعَـدِّ القولَ في هرم … خيرِ الكهـول وسيِّد الحَضْرِ

قال : فأطرق المهديُّ ساعةً ، ثم أقبل على حمّاد فقال له : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بدّ من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البَيعة وكلّ يمين مُحْرِجة ليَصْدُقَنّه عن كلّ ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثّق منه . قال له : اصدُقني عن حال هذه الأبيات ومَن أضافها إلى زُهير ؛ فأقرّ له حينئذٍ أنّه قائلُها ؛ فأمر فيه وفي المفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه .

[سأله الوليد عن مقدار روايته واستنشده شعراً في الخمر وأجازه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدَّثنا أحمد بن عُبيد قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : قال حَمّاد الراوية : أرسل إليّ أميرُ الكوفة فقال لي : قد أتاني كتابُ أمير المؤمنين الوليدِ بن يزيد يأمرني بحملك . فحُملت فقَدِمت عليه وهو في الصَّيد . فلّما رجع أذِن لي ، فدخلت عليه وهو في بيت منجَّد[2] بالأَرْمَنيّ[3] أرضُه وحيطانُه ؛ فقال لي : أنت حمّاد الراوية ؟ فقلت له : إنّ الناس ليقولون ذلك ؛ قال : فما بلغ من روايتك ؟ قلت : أروي سبعمائة قصيدة أوّلُ كلٍّ واحدة منها : بانت سعاد ؛ فقال : إنّها لرواية ؛ ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبَّت في الكأس ثم مزجتْه حتى رأيتُ له حَبابا ؛ فقال : أنشدْني في مثل هذه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هي كما قال عديّ بن زيد : [من الخفيف]

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ … ـح يقولـون لي ألا تستفيقُ
ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت … قَيْنَـةٌ في يمينهـا إبريـقُ
قدّمته على سُلافِ كريح الـ … ـمسك صفّى سُلافَها الرَّاوُوقُ

1 النحائت : آبار في موضع معروف . ضَفْوَى : مكان دون المدينة .
2 المنجَّد : المزيَّن .
3 لعلّه نوع من الحرير منسوب إلى أرمن بأذربيجان .

فترى فوقَهـا فقاقيـعَ كاليـا قوت يَجْري خلالَها التصفيقُ[1]

قال : فشربها ولم يزل يستعيدني الأبياتَ ويشرب عليها حتى سكِر ؛ ثم قام فتناول مِرفَقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى : مَن يَشتري لحومَ البقر ؟ ثم قال لي : يا حمّاد ، دونك ما في البيت فهو لك ؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثّلته .

[حمقه خلف الأحمر وطعن في روايته]

حدّثني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدّثنا دَماذ[2] عن أبي عُبيدة قال : قال خَلَف : كنت آخذ من حَمّاد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأُعطيه المنحول ، فيقبل ذلك منّي ويدخله في أشعارها . وكان فيه حمق .

[أنشد زياداً شعراً للأعشى فيه اسم أمّه فغضب]

أخبرني محمّد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَديّ قال حدّثني المِسْوَر العَنزيّ ، وكان من رُواة العرب وكان أسنَّ من سِماك بن حَرْب ، [عن حمّاد] قال : دخلتُ على زياد فقال لي : أنشدْني ؛ فقلت : مِنْ شعر مَنْ أيّها الأمير ؟ قال : من شعر الأعشى ؛ فأنشدتُه : [من الكامل]

بكَرتْ سُميّةُ غُـدْوةً أجمالُها

قال : فما أتممتُ القصيدةَ حتى تبيّنت الغضبَ في وجهه ؛ وقال الحاجب للناس : ارتفعوا ؛ فقاموا ؛ ثم لم أعُد والله بعدها إليه . قال حَمّاد : فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أنشدَه لئلاّ يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة .

[سأله الوليد عن سبب تسميته بالراوية فأجابه]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية : لِمَ سُمّيتَ الراوية ؟ وما بلغَ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً ، أنا أنشدك على كلّ حرف منها مائةَ قصيدة ؛ فقال : إنّ هذا لحفظ ؛ هاتِ ، فاندفع يُنشد حتى ملَّ الوليد ، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال ؛ فأحسن الوليد صلتَه وصرَفه .

[أمر الوليد يوسف بن عمر بإرساله إليه واستنشده شعراً في الخمر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الحُسين بن محمّد بن أبي طالب الدِّيناريّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال : قال حمّاد الراوية : أُرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار ، وأمر يوسفَ بن

1 فقاقيع : في ل : فواقع .

2 دماذ : هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة . ودماذ لقب كان يُنبزُ به .

عمر بحملي إليه على البريد . قال فقلت : لا يسألني إلاّ عن طرفَيْه قريش وثَقيف ، فنظرت في كتابَيْ قريش وثقيف . فلمّا قَدِمت عليه سألني عن أشعار بَلِيّ ، فأنشدته منها ما استحسنه ؛ ثم قال : أنشدني في الشراب ، وعنده وجوه من أهل الشام ، فأنشدته : [من مجزوء الخفيف]

اصْبَحِ القـومَ قهوةً ... في أباريــق تُحتذى
مــن كُميتٍ مُدامــةٍ ... حبّـذا تلــك حبّـذا
يترك الأُذْنَ شربُهــا ... أُرْجُوانــاً بهــا خُذا

فقال : أعدْها ، فأعدتها ؛ فقال لخدمه : خذوا آذان القوم ، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما دَرَيْنا متى نُقلنا ؛ قال : ثم حُملنا وطُرحنا في دار الضِّيفان ، فما أيقظَنا إلاّ حرُّ الشمس . وجعل شيخ من أهل الشام يشتُمني ويقول : فعَل الله بك وفعل ، أنت الذي صنعت بنا هذا .

[أنشده الطرماح شعراً فزاد فيه وادّعاه لنفسه]

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غَسّان دَماذ قال حدَّثني أبو عُبيدة قال حدَّثني يحيى بن صُبيرة بن الطِّرِمَّاح بن حَكيم عن أبيه عن جدِّه الطِّرِمَّاح قال : أنشدتُ حمّاداً الراوية في مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناس وأحفظَهم . قَوْلي : [من الكامل]

بَـانَ الخليطُ بسُحْرةٍ فتبدَّدُوا[1]

وهي ستّونِ بيْتاً ، فسكتَ ساعةً ولا أدري ما يريد ثم أقبل عليّ فقال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ؛ قال : ليس الأمر كما تقول ، ثم ردّها عليّ كلَّها وزيادةَ عشرين بيتاً زادها فيها في وقته ؛ فقلت له : وَيْحك ! إنّ هذا الشعر قلته منذ أيّام ما اطّلع عليه أحد ؛ قال : قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلاّ فَعَليّ وعَلَيّ ؛ فقلتُ : لله عليّ حِجّة حافياً راجِلاً إن جالستُكَ بعد هذا أبداً ؛ فأخذ قبضةً من حَصى المسجد وقال : لله عليّ بكلّ حَصاة من هذا الحصى مائةُ حِجّة إن كنتُ أُبالي ؛ فقلت : أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم انصرفتُ . قال دَماذ : وكان أبو عبيدة والأصمعيّ يُنشدان بيتَي الطِّرِمَّاح في هذه القصيدة وهما : [من الكامل]

مُجتاب حُلّـة بُرْجدٍ لسَراته ... قِدَداً وأَخلَفَ ما سواه البُرجدُ[2]
يبـدو وتُضمره البـلاد كأنّـه ... سَيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ

وكانا يقولان : هذا أشعر الناسِ في هذين [البيتين] .

1 السُّحْرَة : السّحر الأعلى أيّ أوّل السحر .

2 هذان البيتان في وصف ثور . اجتاب القميص : لبسه . البرجد : كساء من صوف أحمر ، وقيل : كساء غليظ ، أو كساء مخطّط يصلح للخباء . سراته : ظهره .

[78] ـ أَخبار عبادل ونسبه

[نسبه ومنزلته من الغناء]

هو عَبادِل بن عطيّة مولى قريش ، مَكِّيّ ، مغنٍّ مُحسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التي منها يونُس الكاتب وسِياطٌ ودَحْمان . وكان حسنَ الوجه ، نظيفَ الثياب ظريفاً ، ولم يفارق الحجاز ولا وفَد إلى الملوك من بني أُميّة كما وفد غيرُه من طبقته ومَنْ هو فوقها . ويقال إنّه كان مقبولَ الشهادة .

[صفته ، وكان يغنّي مشيخة قريش وله صنعة كثيرة]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدَّثنا حَمّاد عن ابن أُبي جَناح قال : كان عَبادِل بن عطيّة سَرِيّاً نبيلاً نظيفاً[1] ساكنَ الطَّرْف حسنَ العشرة ، وكان يعاشر مَشْيخةَ قريش وجِلّة أُحداثها ، فإذا أُرادوا الغناء منه غنَّى فأَحسن وأُطرب . وكانت له صنعة كثيرة .

منها : [من البسيط]

تقـول يا عَمَّتا كُفِّي جوانبَه ... وَيْلي بَلِيتُ وأُبْلى جِيديَ الشَّعَرُ

ومنها : [من المتقارب]

أَمِـن حَـذَرِ البين مـا ترقُدُ ... ودمعُك يجـري فما يَجمُدُ

ومنها : [من الكامل]

إنّي استحيتُكَ أَن أُفوه بحاجتي ... فإذا قـرأتَ صحيفتي فتفهّمِ

ومنها : [من البسيط]

قُولا لنائلَ ما تَقْضِين في رجلٍ ... يَهْوَى هواكِ وما جَنّبتِه اجتَنبا

ومنها : [من الطويل]

علامَ تَرَيْنَ اليومَ قَتْلِي لديكمُ ... حلالاً بلا ذَنبٍ وقتلي محرَّمُ

[قال] : وكانوا يقولون له : أَلا تُكثر الصنعة ؟ فيقول : بأَبي أَنتم ، إنّما أَنحتُه من صخرٍ ، ومَنْ أَكثَر أَرْذل .

---

1 في ل : ظريفاً .

نسبة هذه الأصوات

صوت

[من المتقارب]

أمِن حَــذَرِ البَيْن مــا ترقــدُ ودمعُك يجري فمــا يجمُدُ
دعاني إلى الحَيْن فاقتادني فــؤادٌ إلى شِقْوتي يَعْمِدُ
فلــو أنّ قلبي صحا وارْعَوى لكان لــه عنكـــمُ مَقْعَدُ
يَبِيــدُ الزّمــانُ وحُبّي لكم يَزيــد خَبــالاً ومــا يَنفَدُ

الغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة والوسطى عن ابن المَكّيّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل .

ومنها : [من الكامل]

صوت

إنّي استحيتُكَ أن أفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتــي فتفهَّمِ
وعليكَ عهــدُ الله إن أنبأتَــه أهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لَمِ

هكذا قال ابن هَرْمة ، والمغنّون يغنّونه : [من الكامل]

وعليكَ عهــدُ الله إن أخبرتَه أحــداً وإن أظهرتــه بتكلُّمِ

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لعَبادِل .

[طلب ابن هرمة بشعره من الحسن بن حسن خمراً فوشى به إلى الوالي ففرّ هو وصحبه]

أخبرني عمّي قال حدَّثني هـارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني عبد الله بن محمّد بن إسماعيـل الجَعْفَريّ عن أبيه : أنّ حسن بن حسن بن علـيّ كان صاحـبَ شراب ، وفيـه يقـول ابنُ هَرْمة : [من الكامل]

إنّي استحيتُك أن أفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهَّمِ
وعليك عهــد الله إن أنبأتَه أحــداً ولا أظهرتَــه بتكلُّمِ

قال عبدُ الله بن محمّد الجَعْفَريّ : وكان ابن هرمة كما حدَّثني أبي يشرب هو وأصحابٌ له بشَرَف[1] السَّيالة عند سَمُرَةٍ بالشَّرَف يُقال لها سَمُرَةُ جرانة فنفِدَ شرابُهم ؛ فكتب إلى حسن بن حسن بن عليّ يطلب منه نبيذاً ، وكتب إليه بهذين البيتين . فلمّا قرأ حسنٌ رقعتَه قال : وأنا عليَّ عهدُ الله إن لم أُخبر به عامل السَّيالة ، أمِنّي يطلب الدعيُّ الفاعل نبيذاً ؟ وكتب إلى عامل

1 شرف السّيالة : منزل بين ملل والرّوحاء .

السيالة أن يجيء إليه فجاء لوقته ، فقال له : إنّ ابنَ هرمة وأصحابَه السفهاء يشربون عند سَمُرَةِ جرانة ، فاخرج فخُذْهم ؛ فخرج إليه العامل بأهل السيّالة ، وأُنذِرَ بهم ابنُ هرمة فسبَقهم هَرَباً ، وتعلّق هو وأصحابُه بالجبل ففاتوهم . وقال في حسن : [من الوافر]

كتبتُ إليـكَ أَسْتَهدِي نبيذاً وأُدْلي بالجِـوار وبالحقـوقِ
فخبَّرتَ الأميرَ بـذاك غَـدْراً وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ[1]

ومنها : [من الطويل]

صوت

علامَ تَرَيْـن اليـومَ قَتْلي لديكمُ حـلالاً بـلا ذنـب وقتلي مُحرَّمُ
لكِ النفسُ ما عاشت وِقاءٌ من الرَّدى ونحـن لكم فيمـا تَجنَّبتِ أظلمُ

وأمّا صنعته في : [من البسيط]

قولا لنائلَ ما تَقْضين في رجلٍ

فإنّ الشعر لمَسْعَدة بن البَخْتَريّ ابن أخي المهلَّب بن أبي صُفْرة . والغناء لعَبادِل . وقد ذكرتُ ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد ، لأنّ نائلة[2] التي عُنِيَتْ بهذا الشعر هي بنت المَيْلاء ، ولها أخبار ذُكرت في موضع منفرد صَلَحت له .

ومنها : [من البسيط]

صوت

تقول يا عَمَّتا كُفّي جوانبَه وَيْلي بَليتُ وأبلى جِيدِيَ الشَّعَرُ
مثلُ الأساوِد قـد أعيا مَواشطَه تَضِلُّ فيـه مَدارِيها وتنكسرُ[3]
فإن نشرْتَ على عَمْدٍ ذوائبَها أبصرتَ منه فَتِيتَ المِسك يَنتثرُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى دَحْمان وإلى الغَرِيض وإلى عَبادل أيضاً .

1 الموق : الحمق .
2 نائلة : هي بنت عمر بن يزيد الأسيدي أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم . وكان أبوها سيِّداً شريفاً ، وكان على شرط العراق من قبل الحجّاج .
3 الأساود : الحيّات .

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

ليستْ نَعَمْ منكَ للعافين مُسْجَلةً — من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ[1]

يكاد بابُك من عِلْم بصاحبه — من دون بوّابه للناس يَنْدَلِقُ[2]

[شعران متشابهان لابن هرمة وطريح بن إسماعيل الثقفيّ]

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو. وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أنّ الشعر لطُرَيح. وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنّه لابن هَرْمة. والغناء في اللحن المختار لشهيّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر في مجراها. فمن روى هذه الأبيات لابن هَرْمة ذكر أنّها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان بن عبد الملك؛ ومن ذكر أنّها لطُرَيح ذكر أنّها من قصيدة له يمدح بها الوليدَ بن يزيد. والصحيح من القولين أنّ البيتَ الأوّل من البيتين لطُرَيح والثاني لابن هَرْمة. فبيت طُرَيح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة، يقول في تشبيبها: [من البسيط]

تقول والعِيسُ قد شُدّتْ بأرحُلِها — ألحقَّ أنّكَ منّا اليومَ منطلقُ؟

قلتُ نعمْ فاكظِمي قالت وما جَلَدِي — ولا أظنّ اجتماعاً حين نفترقُ

فقلت إن أَحْيَ لا أُطوِل بِعادَكُم — وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غَلَقُ[3]

فارقتُها لا فؤادي من تذكُّرها — سالي الهمومِ ولا حَبْلِي لها خَلَقُ

فاضت على إثْرِهم عيناكَ دمعُهما — كما تَتابَعَ يجري اللؤلؤُ النَّسَقُ

صوت

[من البسيط]

فاستبقِ عينك لا يُودِي البكاءُ بها — واكفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تَستبقُ

ليس الشؤونُ وإن جادت بباقيةٍ — ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو، يقول فيها في مدح

---

1 ليست في ل: وما. مسجّلة: مبذولة أو مرسلة.

2 اندلاق الباب: انفتاحه سريعاً.

3 غَلِقَ الرّهن غلقاً: استحقّه المرتهن.

الوليد : [من البسيط]

وما نَعَمْ منكَ للعافِين مُسْتَجَلة من التخلّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ
ساهمتَ فيها وفي لا فاختصصتَ بها وطار قومٌ بلا والذمِّ فانطلَقوا
قوم همُ شَرَف الدنيا وسُودَدُها صَفْوٌ على الناس لم يُخْلَط بهم رَنَقُ
إن حاربوا وَضَعوا أو سالموا رَفَعُوا أو عاقدوا ضَمِنوا أو حَدَّثوا صدَقوا[1]

وأمّا قصيدة إبراهيم بن هَرْمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها ، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها . ومِنْ أبي أحمد[2] رحمه الله سمِعْنا ذلك أجمع . ولكنّه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق . ولعلّه لم يتفقّد ذلك ، أو لعلّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله .

[ابنُ هرمة ومدحه عبد الواحد بن سليمان وتعريضه بالعبّاس بن الوليد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ، وحدَّثني به وَكيع قال حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك عن حمّاد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة وخبره أتم قال : قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، وكان بخيلاً لا يحبّ أن يُعطِي أحداً شيئاً ، ما بالُ الشعراء تمدح أهلَ بيتي أجمع ولا تمدحني ؟ . فبلغ ذلك ابنَ هَرْمة ، وكان قد مدحه فلم يُثبه ، فقال يعرّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان : [من البسيط]

ومُعجَب بمديح الشِّعر يمنعه من المديح ثوابُ المدح والشَّفَقُ
يا آبيَ المدح مِنْ قولٍ يُحبِّره ذو نِيقة في حواشي شعره أنُقُ[3]
إنّك والمدحَ كالعذراء يُعجبها مسُّ الرجال ويَثني قلبَها الفَرَقُ
لكنْ بمَدْيَنَ من مفضى سُوَيمرةٍ مَن لا يُذَمّ ولا يُشْنا له خُلُقُ[4]
أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه والمادحون إذا قالوا له صَدَقوا

يعني عبد الواحد بنَ سليمان :

لا يستقرّ ولا تخفى علامته إذا القَنا شالَ في أطرافها الحرَقُ[5]

---

1 ضمنوا في ل : أحكموا .
2 هو أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجّم من شيوخ أبي الفرج .
3 النيقة : اسم من التنوّق . يقال تنوق فلان في منطقه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالغ . الأنق : الروعة والحسن .
4 مدْين : مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام ، وسويمرة : موضع في نواحي المدينة .
5 شال : ارتفع . والحرق : لهب النّار .

في يـومٍ لا مـالَ عند المرء ينفعه إلاّ السِّنانُ وإلاّ الـرمح والدَّرَقُ
يَطعن بـالرمح أحيانـاً ويضربهم بالسيف ثـم يُدانِيهـم فيَعتنقُ

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زُهَير ومن مُهلهل جميعاً ، فإنّهما سبقا إليه . قال مُهلهل وهو أقدمهما : [من الخفيف]

أنْبَضوا مَعْجِسَ القِسيّ وأَبرقـ ـنا كما تُوعِد الفُحولُ الفحولاَ[1]

يعني أنّهم لمّا أخذوا القِسِيّ ليرموهم من بعيد انتَضوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها .

وقال زهير وهو أَشرح من الأوّل : [من البسيط]

يَطعنُهم مـا ارتَمَوْا حتى إذا اطّعنوا ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره .

رجع إلى شعر ابن هرمة : [من البسيط]

يكاد بابُك من جود ومن كرم من دون بَوّابه للنـاس يَنْدلقُ

ويُروى : «إذا أُطاف به الجادون» . و«العافون» أيضاً . ويروى : «ينبلق» .

إنّي لأَطْوِي رجـالاً أن أَزورَهمُ وفيهمُ عَكَـر الأنعـامِ والوَرَقُ[2]
طيَّ الثياب التي لو كُشِّفت وُجِدتْ فيها المَعاوِز في التفتيش والخِرَقُ[3]
وأترك الثوبَ يوماً وهْو ذو سَعة وألْبَس الثوب وهو الضيِّق الخَلَقُ
إكـرامَ نفسي وأنّي لا يوافقني ولو ظَمِئتُ فَحُمتُ المَشْرَبُ الرَّنِقُ[4]

قال هارون[5] بن الزيّات في خبره : فلمّا قال ابن هرمة هذه القصيدةَ أَنشدها عبدَ الواحد بن سليمان وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز ، فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشّيّة من ثيابه ، وحَمَله على فرس وأَعطاه ثلاثين لَقْحة ومائةَ شاة ، وسأَله عمّا يكفيه في كلّ سنة ويكفي عياله من البُرّ والتمر ، فأخبره به ؛ فأمر له بذلك أَجمعَ لسَنَةٍ ، وقال له : هذا لك عليّ ما دمتُ ودمتَ في الدنيا ، واقتطعه لنفسه وأنِس به ، وقال له : لستُ بمُحوجك إلى غيري أبداً .

1 أنبض الرامي القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوّت . المعْجِس : مقبض القوس . أبرق الرجل : لمع بسيفه .
2 العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل ، والورق : المال من الإبل والغنم .
3 المعاوز : خلقان الثياب المبتذلة ، واحدها معوز وفي ل : العواوير .
4 الرنق : الكدر .
5 هو هارون بن محمّد بن عبد الملك .

[مدح والي المدينة بعد عبد الواحد فجفاه ثم رضي عنه بشفاعة عبد الله بن الحسن]

فلمّا عُزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة ، تصدّى للوالي مكانَه وامتدحه . ولم يلبث أن ولي عبدُ الواحد بعد ذلك وبلغه الخبرُ ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه ، حتى تحمّل[1] عليه بعبد الله بن الحسن [بن الحسن] ، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبّه .

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثَعْلب عن الرياشيّ وخبره أتم قال الرياشيّ حدّثني أبو سَلَمة الغِفّاريّ قال قال ابن رُبَيْح راوية ابن هرمة قال حدّثني ابن هرمة قال : أوّل مَن رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فأخذ عليّ ألاّ أمدح أحداً غيرَه ، وكان والياً على المدينة ، وكان لا يدع برّي وصلتي والقيام بمؤونتي . فلم ينشَب أن عُزل ووُلّي غيرُه مكانَه ، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب . فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يَهَب لي كما كان عبد الواحد يهب لي ، فمدحته فلم يصنع بي شيئاً كما ظننت . ثم قَدِم عبد الواحد المدينةَ ، فأُخبرَ أنّي مدحتُ الذي عُزل به ، فأمر بي فَحُجبت عنه ، ورُمْت الدخولَ عليه فمُنِعتُ ، فلم أدَع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلاّ سألته أن يشفعَ لي في أن يُعيدني إلى منزلتي عنده ، فيأبى ذلك فلا يفعله . فلمّا أعوزتني الحيل أتيت عبدَ الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه وعليهم فقلت : يا ابن رسول الله ، إنّ هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألاّ أمدحَ غيرَه ، فأعطيتُه بذلك عهداً ، ثم دعاني الشَّرَه والكَدّ إلى أن مدحت الوالي بعده . وقصصت عليه قصّتي وسألته أن يشفع لي ، فركب معي . فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أنّ عبد الله بن حسن لمّا دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه ، ثم قال : أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله ؟ قال نعم ؛ قال : كلّ حاجة لك مقضيّة إلاّ ابنَ هرمة ؛ فقال له : إن رأيتَ ألاّ تستثني في حاجتي فافعل ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : فحاجتي ابن هرمة ؛ قال : قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلته ؛ قال : فتأذن له أن يُنشدك ؛ قال : تُعفيني من هذه ؛ قال : أسألك أن تفعلَ ؛ قال ائتوا به ؛ فدخلتُ عليه وأنشدته قولي فيه : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوكَ قادمةَ الجناحِ

قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه[2] ثم وثب مُغضَباً وتجوّزتُ في الإنشاد ثم لَحِقتُه فقلت له : جزاك الله خيراً يا ابن رسول الله ؛ فقال : ولكن لا جزاك اللهُ خيراً يا ماصّ

1 تحمّل بفلان على فلان : تشفّع به إليه .

2 الرزّ : الصوت .

بَظْر أمه ، أتقول لابن مروان : [من الوافر]

وكانَ أبـوك قادمةَ الجَناحِ

بحضرتي وأنا ابنُ رسول الله ﷺ ، وابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقلت : جعلني الله فداك ، إني قلت قولاً أخدَعُه به طلباً لدنياه ، ووالله ما قِسْت بكم أحداً قطُّ . أفلم تسمعني قد قلتُ فيها : [من الوافر]

وبعضُ القول يذهبُ بالرياحِ

فضحك عبد الله وقال : قاتلك الله ، ما أظرفكَ ! .

[حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد]

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً ، وأوّلُها : [من الوافر]

صَرَمتَ حبائلاً من حبّ سَلْمَى ... لهندٍ مـا عَمَـدتَ لُمستراحِ
فإنّك إن تُقِم لا تلـقَ هنداً ... وإن ترحل فقلبُك غيرُ صاحي
يظَـلّ نهـارَه يَهْـذِي بهند ... ويـأرَق ليلَـه حتـى الصباحِ
أعبـدَ الواحـد المحمودَ إنّي ... أغَصُّ حـذارَ سخطكَ بالقَراحِ
فشَلَّتْ رَاحَتايَ وجال مُهْري ... فألقـاني بمُشتجَـر الرماحِ
وأقعدني الزمـانُ فبتّ صِفْراً ... مـن المـال المُعـزَّب والمُراحِ
إذا فَخَّمـتُ غيرَك في ثنائي ... ونصحي في المَغيبة وامتداحي
كأنّ قصائدي لك فاصطنعني ... كرائمُ قد عُضِلن عن النكاحِ
فإن أكُ قـد هفوتُ إلى أمير ... فعَـنْ غير التطـوّع والسماحِ
ولكـنْ سَقْطةٌ عِيبتْ علينـا ... وبعضُ القول يذهب في الرياحِ
لعمـرك إنّني وبَنـي عَدِيٍّ ... ومَنْ يهوى رشادي أو صلاحي[1]
إذا لم تـرضَ عنّي أو تَصِلْني ... لفـي حَيْـن أعالجـه مُتاحِ
وإنّي إن حططتُ إليك رحلي ... بغربيّ الشَّراة لـذو ارتياحِ[2]

1 بنو عديّ : هم قوم ابن هرمة .

2 الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة .

هششتَ لحاجة ووعدتَ أخرى ... ولم تبخل بناجزة السَّراحِ
وجَدنا غالباً خُلقتْ جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناحِ
إذا جعَل البخيلُ البخلَ تُرساً ... وكان سلاحَه دون السلاحِ
فإنّ سلاحَك المعروفُ حتى ... تفوزَ بعِرْض ذي شِيَمٍ صِحاحِ

[سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدَّثني إبراهيم بن إسحاق العُمريّ قال حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال : قلت لابن هرمة : أتمدح عبدَ الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به أحداً غيرَه فتقول فيه هذا البيت : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناحِ[1]

ثم تقول فيها :

أعبدَ الواحد الميمون إنّي ... أغَصّ حِذَارَ سخطك بالقَراحِ

فبأيِّ شيء استوجب ذلك منك ؟ فقال : إنّي أخبرك بالقصّة لتعذرني : أصابتني أزمة وقحمة[2] بالمدينة ، فاستنهضتني بنتُ عمِّي للخروج ؛ فقلت لها : ويحك ! إنّه ليس عندي ما يُقِلّ[3] جناحي ؛ فقالت : أنا أُنهضك بما أمكنني ، وكانت عندي نابٌ لي فنهضتُ عليها نُهجِّد النوّام ونؤذي السمّار ، وليس من منزل أنزله إلاّ قال الناس : ابن هرمة ! حتى دَفَعتُ[4] إلى دمشق ، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل ، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر ، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنّه البدر ، فدنا فأذّن ثم صلّى ركعتين ، وتأمّلته فإذا هو عبد الواحد ، فقمتُ فدنوتُ منه وسلّمت عليه ؛ فقال لي : أبو إسحاق ! أهلاً ومرحباً ؛ فقلت لَبَّيك ، بأبي أنت وأمِّي ! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه ؛ فقال : أمَا آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق ، فما وراءك ؟ قلت : لا تسلني بأبي أنت وأمِّي ، فإنّ الدّهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيرَك ؛ فقال : لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحبّ إن شاء الله . فوالله إنّي لأخاطبه فإذا بثلاثة فِتْية قد خرجوا كأنّهم الأشْطان ، فسلّموا عليه ، فاستدنى الأكبرَ منهم فهَمَس إليه بشيء دوني ودون أخويه ، فمضى إلى البيت ثم

1 كانت في ل : خلقت .
2 القحمة : السنة الشديدة والقحط .
3 في ل : يصل .
4 في ل : أويت .

رجع ، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى ، فلم يلبَث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[1] يحمل عِبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ ؛ ثم همس إليه ثانيةً فعاد ؛ وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك ، فضرب به بين يديّ . فقال لي عبد الواحد : ادْنُ يا أبا إسحاق ، فإنّي أعلم أنّك لم تَصِر إلينا حتى تفاقم صَدْعُك ، فخُذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سَلَلنا لك هذا إلاّ من أشداق عيالنا ؛ ودفع إليّ ألفَ دينار ، وقال لي : قُمْ فارحل فأَغِثْ مَنْ وراءك ؛ فقمت إلى الباب ، فلمّا نظرتُ إلى ناقتي ضِقتُ[2] ؛ فقال لي : تعال ، ما أرى هذه مُبلغتَك ، يا غلامُ ، قَدِّم له جملي فلاناً . فوالله لقد كنتُ بالجملِ أشدَّ سروراً منّي بكلّ ما نِلْته ؛ فهل تلومني أن أَغَصّ حِذارَ سخط هذا بالقَراح ؟ ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتاً واحداً .

[مدح المنصور فعاتبه لمدحه بني أميّة ثم أكرمه]

أخبرني محمّد بن خلف وَكيع قال حدَّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثني محمّد بن عمر الجُرْجانيّ قال حدَّثني عثمان بن حَفص الثَّقَفيّ قال حدَّثني محمّد بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين ﷺ قال : دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان ، فلمّا اجتمع الناس قام ابنُ هَرْمة فقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذَنَ لي في الإنشاد ؛ قال هاتِ ؛ فأنشده قولَه : [من الطويل]

سَرَى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ[3]

حتى انتهى إلى قوله :

له لَحَظاتٌ عن حِفافَيْ سريره ... إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فأُمُّ الذي آمنتَ آمنةُ الرَّدى ... وأُمُّ الذي خوّفتَ بالثُّكل ثاكلُ

فقال له المنصور : أمَا لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولكَ فيه : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جَناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجَناحِ

قال : فقُطع بابنِ هرمة حتى ما قدَر على الاعتذار ؛ فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طالبُ خير ، وكلّ ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار . فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ ابن هرمة رجل مِنْفاق مِتْلاف لا يُليق شيئاً[4] ، فإن رأى أمير المؤمنين

---

1 ضابط : قويّ شديد .
2 في ل : صمتّ .
3 سرى عنه الثوب : كشفه .
4 لا يليق شيئاً : أي ما يمسكه ولا يلصق به .

أن يأمر له بها يُجرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتبَ بذلك إلى صاحب الجاري أن يُجريَها عليهم فعل ؛ فقال : افعلوا ذلك به . قال : وإنّما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنّه كان مُغضَباً عليه لقوله يمدح عبدَ الله بن حسن : [من البسيط]

مـــا غَيّرتْ وجهَه أُمٌّ مُهجَّنة   إذا القتامُ تَغَشّى أَوْجُهَ الهُجُنِ

حدَّثني يحيى بن عليّ بن يحيى ، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجَحْظة قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى ، ولم يقله الآخران : دخل ابن هرمة على المنصور وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله قال : وما عسى أن تقولَ فيّ بعد قول كعب الأشقريّ[1] في المهلّب : [من الوافر]

براك اللهُ حــين بــراك بحراً   وفَجّر منـك أنهـاراً غِـزارا

فقال له : قد قلتُ أحسنَ من هذا ؛ قال : هات ، فأنشده قولَه : [من الطويل]

له لَحَظات عن حِفافَيْ سَرِيره   إذا كَرّهـا فيهـا عِقابٌ ونائلُ

قال : فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال له المهديّ : يا أمير المؤمنين ، قد تكلّف في سفره إليك نحوَها ؛ فقال له المنصور : يا بُنيّ ، إنّي قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك ، وهبتُ له نفسَه ، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان : [من المتقارب]

إذا قيـل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتَجى   لُمعتــرٍّ فِهْــرٍ ومحتاجِها[2]
ومن يُعْجِل الخيلَ يومَ الوغى   بإلجامهـا قبـلَ إسراجها
أشارت نساءُ بنـي غالـب   إليـكَ بـه قَبْـلَ أزواجها

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة ، وأوّلُها :

أجارتَنــا رَوِّحــي نَغْمــةً   على هائــم النفس مُهتاجِهـا
ولا خيرَ في وُدِّ مستكــرِهٍ   ولا حاجــةٍ دون إنضاجها

يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

كأنّ قُتــودي على خاضبٍ   زَفُــوفِ العَشيّاتِ هَدّاجِها[3]

---

1 هو كعب بن معدان ، من الأزد وأمّه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلّب .

2 المعترّ : الفقير والمتعرّض للمعروف من غير أنْ يسأل .

3 الخاضب : ذكر النعام . وزفوف حسن المشي سريعه . والهدّاج : الذي في مشيه أو عدْوه أو سعيه ارتعاش .

إلى مَلِـكٍ لا إلى سُوقَـة كستَـه الملـوك ذُرا تاجها
تَحُـلّ الوفـود بأبوابـه فتَلْقى الغِنـى قَبْـلَ إرتاجها
بقَـرّاعِ أبـوابِ دور الملـو كِ عنـدَ التحيّـة وَلاّجها
إلى دار ذي حسبٍ ماجـدٍ حَمُـول المَغـارم فَرّاجها
رَكُودِ الجِفـان غداةَ الصَّبا ويـومَ الشَّمـال وإرهاجها[1]
وقفتُ بمَدْحِيه عنـد الجِما رِ أُنشده بـين حُجّـاجها[2]

[دسّ المنصور إليه مَن يسمع منه مدحه لعبد الواحد]

أخبرني محمّد بن جعفر النحويّ صهرُ المبرِّد قال حدَّثني أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحيّ قال حدَّثني محمّد بن سليمان بن المنصور قال: وجّه المنصور رسولاً قاصداً إلى ابن هرمة ودفع إليه ألفَ دينار وخِلعة، ووصفه له وقال: امض إليه؛ فإنّك تراه جالساً في موضع كذا من المسجد، فانتسبْ له إلى بني أُميّة أو مواليهم، وسَلْه أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التي يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان: [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقَه وجئني براسه؛ وإن أنشدك قصيدته اللاميّة التي يمدحني بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة، وما أُراه يُنشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية. قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد؛ فقال: ما قلت هذه القصيدةَ قطُّ ولا أعرفها وإنّما نحلها إيّاي مَنْ يُعاديني، ولكنْ إن شئتَ أنشدتك ما هو أحسنُ منها؛ قال: قد شئتُ فهات؛ فأنشده: [من الطويل]

سَرَى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ

حتى أتى على آخرها؛ ثم قال له: هاتِ ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ؛ فقال: أيُّ شيء تقول يا هذا وأيّ شيء دَفع إليّ؟ فقال: دَعْ ذا عنك، فوالله ما بعثك إلاّ أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إليّ، وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إيّاها ضربتَ عنقي وحملتَ رأسي إليه، وإن أنشدتك هذه اللاميّة دفعتَ إليّ ما حمّلك إيّاه؛ فضحك الرسول ثم قال: صدقتَ لعمري، ودفع إليه الألف الدينار والخِلعة. فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما.

---

1 الركود من الجفان: الثقيل المملوء. الإرهاج: الإمطار.

2 الجمار: اسم موضع بمنى.

[استقلّ المهديّ على المنصور جائزته له فأجابه]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثنا عمِّي عن جدِّي قال : لمّا أنشد ابنُ هرمة المنصورَ قصيدتَه اللاميّة التي مدحه بها أمر له بألف درهم ؛ فكلّمه فيه المهديّ واستقلّها ؛ فقال يا بُنيّ ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً ... وكان أبوكَ قادمةَ الجناحِ

لاستكثرتَ له ما استقللتَه ، ولرأيتَ أنّ حياته بعد ذلك القول ربح كثير . والله إنّي يا بُنيّ ما هممتُ له منذُ يومئذٍ بخير فذكرتُ قولَه إلاّ زال ما عرض بقلبي إلى ضدّه حتّى أَهُمَّ بقتله ثم أعفوَ عنه . فأمسك المهديّ .

[بعض شعره الذي يغنّى فيه]

وممّا يُغنّى فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قولُه من قصيدةٍ أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات ، على أنّ المغنّين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره : [من الوافر]

صوت

ولمّا أنْ دنا منّا ارتحالٌ ... وقُرِّب ناجياتُ السير كُومُ[1]
تَحاسَرَ واضحاتُ اللون زُهْر ... على ديباج أوجهها النعيمُ
أتَيْنَ مودِّعاتٍ والمطايا ... لدَى أكوارها خوصٌ هُجومُ[2]
فكم من حُرّة بين المُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى ما حاز رِيمُ[3]

ويروى :

فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى[4]

وهو أجود .

إلى الجَمّاء من خدٍّ أسيل ... نقيِّ اللون ليس به كُلُومُ[5]

1 الكوم : النوق الضخمة السنام .
2 خوص : جمع أخوص وخوصاء ، والخُوص : ضيّق العيون وصغرها وغؤورها . وهجمت العين هجوماً : غارت ودخلت في موضعها .
3 المنقّى : طريق بين أُحد والمدينة . الريم : واد لمزينة قرب المدينة .
4 الأقرع : جبل بين مكّة والمدينة .
5 الجمّاء : جبل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق . وقيل : هي إحدى هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكّة ، وقيل : الجمّاوات ثلاث بالمدينة .

كأنّي من تذكُّر ما أُلاقي إذا مـا أظلم الليلُ البهيمُ
سَلِيمٌ مَـلّ منـه أقربوه وأسلمـه المُداوِي والحميمُ

ذكر الزُّبير بن بكّار أنّ هذا الشعر كلّه لأبي المِنْهال نُفَيلة الأشجعي . قال : وسمعتُ بعض أصحابنا يقول : إنّه لمَعْمَر بن العَنْبر الهُذَلِيّ . والصحيح من القول ، أنّ بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان مخفوضة الميم ، ولمّا غُنّي فيها وفي أبيات نُفَيْلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غُيّر إلى ما أوجب رفعها . فأمّا ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أوّلها : [من الوافر]

أجارتَنـا بـذي نَفَـر أقيمِي فما أبكي على الدَّهر الذميمِ[1]
أقيمي وجهَ عامك ثم سيري بـلا واهي الجِوار ولا مُليمِ
فكم بـين الأقارع فالمُنقَّى إلى أُحُـدٍ إلى أكناف رِيمِ
إلى الجمّاء مِـنْ خـدٍّ أسيلٍ نقـيّ اللون ليس بذي كُلومِ
ومن عـينٍ مكحَّلـة الأماقي بلا كُحْل ومن كَشْح هَضيمِ
أرِقتُ وغـاب عنّي من يلوم ولكـنْ لم أنَمْ أنا للهمومِ
أرِقـتُ وشفّني وَجَعٌ بقلبي لزينـبَ أو أُميمَـة أو رَعُومِ
أُقاسي ليلـةً كالحَـوْل حتى تبدَّى الصبحُ مُنقطعَ البَرِيمِ[2]
كأنّ الصبح أبلقُ في حُجُول يَشُبّ ويتّقي ضربَ الشَّكيمِ
رأيتُ الشَّيب قد نزلتْ علينا روائعُـه بحجّـة مستقيـمِ
إذا ناكرتُـه ناكـرتُ منـه خصومـةَ لا أَلـدَّ ولا ظَلُومِ
وودّعني الشباب فصِرتُ منه كـراض بالصغير من العظيمِ
فدَعْ ما لا يَـرُدّ عليك شيئاً من الجارات أو دِمَن الرسومِ
وقُـلْ قـولاً تُطَبِّق مِفْصَلَيْه بمِدْحة صاحب الرأي الصَّرُومِ[3]
لعبـد الواحـد الفَلْجُ المعلَّى علا خُلُقَ النُّفُورة والخُصومِ[4]

---

1 نفر في ل : بقرٍ .
2 البريم : ضوء الشمس مع بقيّة سواد الليل .
3 تطبّق مفصليه : تصيب فيه الحجّة . الصروم : القاطع .
4 الفلج : الظفر والغلب . نفورة الرجل : نافرته وهي أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه .

دعتــه المَكْرُمــاتُ فناولتــه ... خِطامَ المجــد في سِنّ الفَطِيمِ

وهي طويلة . فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعةُ أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة ؛ وإنّما غُيِّرت حتى صارت مرفوعةً ، فاتّفقت الأبياتُ وغُنّي فيها . وأمّا أبيات نُفيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له . ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قولُه : [من الوافر]

يُضيء دجى الظلام إذا تبدَّى ... كضوء الفجر منظـرَه وَسيمُ

وقائلــةٍ ومُثْنيـــةٍ علينـــا ... تقول ومــا لهــا فينـا حميمُ

وأُخــرى لُـبُّها معنـا ولكنْ ... تَصَبَّرُ وهــي واجمةٌ كَظومُ

تَعُــدّ لنــا الليــالي تحتصيها ... متى هـــو حائنٌ منه قُدومُ[1]

متى تَــرَ غفلةَ الواشين عنها ... تَجُدْ بدموعها العينُ السَّجومُ[2]

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد ، ولحنه الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو ويونس . وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الوابِصيّ . وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج .

---

1 منه في ل : منا .

2 عنها في ل : يوماً .

79 ـ [الوابصي وأخباره]

[أخباره وسبب تنصره]

وهذا الوابصيّ هو الصَّلْت بن العاصي بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. كان تنصَّر ولحق ببلاد الروم؛ لأنّ عمر بن عبد العزيز فيما ذُكر حدّه في الخمر، وهو أمير الحجاز، فغضب فلحقَ ببلاد الروم وتنصَّر هناك، ومات هنالك نصرانيّاً.

[رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفكّ الأسرى]

فأخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدَّثني عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء، أظنّه أبا عمرو أو أخاه، عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكيم، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا سعيد بن عامر[1] عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكيم، وقد جمعت الروايتين، قال اليزيديّ في خبره: إنّ إسماعيل حدَّث: أن عمر بن عبد العزيز بَعث به في الفِداء. وقال عمر بن شَبّة: إنّ إسماعيل حدَّث قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينيّة فحدّثه قال: بينا أنا أجُول في القسطنطينيّة إذ سمعتُ رجلاً يغنّي بلسان فَصيح وصوت شَجٍّ: [من الوافر]

فكــم مــن حُــرَّة بين المُنَقَّى ... إلى أُحــدٍ إلى جَنَبــاتِ رِيمِ

فسمعتُ غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه. فلمّا سمعت الغناء وحُسنَه، لم أدرِ أهو كذلك حَسَنٌ، أم لغربته وغربة العربيّة في ذلك الموضع. فدنوت من الصوت، فلمّا قرُبت منه إذا هو في غرفة، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صَعِدت إليه فقمت على باب الغرفة، فإذا رجل مُسْتلقٍ على قَفاه يغنّي هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى، فإذا فرَغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء. ففعل ذلك مراراً؛ فقلت: السلام عليكم؛ فوثب ورَدّ السلام؛ فقلت: أبشِر فقد فَكّ الله أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغية في فداء الأسارى. ثم سألته: مَن أنت؟ فقال: أنا الوابصيّ، أخذت فعُذِّبت حتى دخلت في دينهم؛ فقلت له: أنت والله أحبُّ مَنْ أفتديه إلى أمير المؤمنين وإليّ إن لم تكن دخلتَ في الكفر؛ فقال: قد والله دخلت فيه؛ فقلت: أنشُدك اللهَ إلاّ أسلمتَ؛ فقال: أأسلم وهذان ابناي وقد تزوّجت امرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دخلتُ المدينةَ قيل لي يا نصرانيّ وقيل مثل ذلك لولديّ وأمّهما؛ لا والله لا أفعل. فقلت له: قد كنتَ قارئاً للقرآن فما بقي معك منه؟ قال: لا شيء إلاّ هذه الآية ﴿رُبَّما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ

---

1 في ل: سعد بن عبّاس. وهو سعيد بن عامر الضُّبَعيّ أبو محمّد البصري وهو ابن أخت جويرية بن أسماء.

كانُوا مُسْلِمِينَ﴾ . قال : فعاودته وقلت له : إنّك لا تُعَيَّر بهذا ؛ فقال : وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحانَ الله ! أما تقرأ : ﴿إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ﴾ فجعل يُعيد عليّ قولَه : فكيف بما فعلت ؟ ولم يجبني إلى الرجوع . قال : فرفع عمر يده وقال : اللهمّ لا تُمتني حتى تمكّنني منه . قال : فوالله ما زلتُ راجياً لإجابة دعوة عمَر فيه . قال جويرية في حديثه : وقد رأيت أخا الوابصيّ بالمدينة .

[لقيه رجل بصري فأخبره أنّ سبب تنصّره عشقه لامرأة منهم]

وقال يعقوب بن السّكّيت في هذا الخبر . أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أنسيت اسمَه قال : نزلنا في ظلّ حصن من الحصون التي للروم ، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن : [من الوافر]

فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى ميقاتِ رِيمِ[1]
إلى الزَّوْراء من ثغر نَقيٍّ ... عوارضه ومن دَلٍّ رخيمِ
ومن عين مُكَحَّلَة الأماقي ... بلا كُحْل ومن كَشْح هضيمِ

وهو يُنشد بلسان فصيح ويبكي ، فناديته : أيّها المنشد ، فأشرف فتىً كأحسن الناس . فقلت : مَن الرجل وما قصّتك ؟ فقال : أنا رجل من الغزاة من العرب نزلتُ مكانَك هذا ، فأشرفتْ عليّ جارية كأحسن الناس فعشقتُها فكلّمتها ؛ فقالت : إن دخلتَ في ديني لم أخالفك ؛ فغلبَ عليّ الشيطان فدخلتُ في دينها ، فأنا كما ترى . فقلت : أكنتَ تقرأ القرآن ؟ فقال : إي والله لقد حفظته . قلت : فما تحفظ منه اليوم ؟ قال : لا شيء إلاّ قوله عزّ وجلّ : ﴿رُبَّما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو كانُوا مُسْلِمِينَ﴾ . قلت : فهل لك أن نُعطيَهم فداءك وتخرج ؟ قال : ففكّر ساعة ثم قال : انطلقْ صَحِبك اللهُ .

صوت من المائة المختارة

ومّما في الأخبار من شعر ابن هرمة : [من البسيط]

في حاضرٍ لَجِبٍ بالليل سامرُه ... فيه الصواهلُ والرايات والعَكَرُ[2]
وخُرّد كالمَها حُور مدامعُها ... كأنّهـا بين كُثْبان النَّقا البَقَرُ

الشعر لابن هرمة . والغناء في اللحن المختار لحُنين ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . قال إسحاق : وفيه لأبي هَمْهَمَة لحن من الثقيل الأوّل أيضاً . وأبو هَمْهَمة هذا مغنٍّ أسودُ من أهل المدينة ، ليس بمشهور ولا ممّن نادم الخلفاء ولا وجدتُ له خبراً فأذكره .

---

1 ميقات في ل : أكناف .

2 في : في ل : من . الحاضر : الحيّ العظيم . والسّامر : المتسامرون .

80 ـ [عودٌ إلى أخبار نصيب]

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

بزينب أَلِمْ قبل أن يرحلَ الركبُ وقُلْ إنّ تَمَلِّينا فما مَلَّك القلبُ
وقُل في تَجَنِّيها لكَ الذنبَ : إنّما عتابُكَ مَنْ عاتبتَ فيما لــه عَتْبُ

الشعر لنُصَيب . والغناء في اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشاميّ ودَنانِيرَ . وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأوّل ذكره الهشاميّ .

[بعض أخبار لنصيب]

وقد تقدّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية ، وإنّما تأخّر منها ما له موضع يصلُح إفرادُه فيه ، مثل أخبار هذا الصوت .

[ذكر عن نفسه أنّه قال شعراً فعلِم أنّه شاعر]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عمّي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن ابن كُناسة قال : قال نصيب : ما توهّمت أنّي أُحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت : [من الطويل]

بزينبَ أَلمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

[سمع جميل وجرير من شعره فتمنّيا لو أنّهما سبقاه إليه]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ عن محمّد بن مَعْن الغِفاريّ قال أخبرني ابن الربيح قال : مرّ بنا جَميل ونحن بضَرِيّة[1] ، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول : لأن أكونَ سَبقتُ الأسودَ إلى قوله : [من الطويل]

بزينبَ أَلمْ قبل أن يرحل الركبُ

أحبُّ إليّ مِنْ كذا وكذا لشيء قاله عظيم .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزّبير قال حدّثني سعيد بن عمرو عن حَبيب بن شَوذب الأَسَديّ قال : مَرَّ بنا جَرير بن الخَطَفى ونحن بِضَرِيّة ، فاجتمعنا إليه فسمعتُه يقول : لأن

1 ضَرِيَّة : قرية في طريق مكّة من البصرة من بلاد نجد . وقيل هي صقع واسع بنجد .

أكونَ سَبقتُ العبدَ إلى هذا البيت أحبُّ إليّ من كذا وكذا ؛ يعني قولَه : [من الطويل]

بزينبَ أَلمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

[أنشده الكميت من شعره وبكى]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق الموصليّ عن ابن كُناسة قال : اجتمع الكُميت بن زيد ونُصيب في الحمّام ، فقال له الكميت : أنشدني قولك : [من الطويل]

بزينبَ أَلمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

فقال : والله ما أحفظها ؛ فقال الكميت : لكنّي أحفظها ، أفأُنشدك إيّاها ؟ قال نعم ، فأقبل الكميت يُنشده وهو يبكي .

[كان مع زوجته فمرّ به ابن سريج يتغنّى بشعرٍ له فيها فلامتْهُ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال ذكر ابن أبي الحُوَيرث عن مولاة لهم ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت : إنّا لبِمنىً إذ نظرتُ إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة ، فلم أدْرِ لَمن هي ، حتى أُنيخ بعير ، فنزل عنه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع ، ومَرّ راكب يتغنّى غناء الركبان : [من الطويل]

بزينبَ أَلمْ قَبلَ أن يرحل الركبُ

فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له : شهّرتني وأذعت في الناس ذكري ؛ فإذا هو نُصيب وزوجته . قال إسحاق في خبره : وكان الذي اجتاز بهم وتغنّى ابن سريج .

[كان ابن سريج يغنّي لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرّف بهنّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمّد بن كُناسة عن أبيه قال : [قال] نُصيب : والله إنّي لأسير على راحلتي إذ أدركت نسوةً ذواتِ جمال يتناشدنَ قولي : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يرحل الركبُ

وإذا معهنّ ابن سُريج ؛ فقلن له : يا أبا يحيى ، غَنّنا في هذا الشعر ، فغنّاهنّ فأحسن ؛ فقلن : وَدِدْنا والله يا أبا يحيى أنّ نُصيباً معنا فيتمّ سرورنا ؛ فحرّكتُ بعيري لأتعرّف بهنّ وأنشدهنّ ؛ فالتفتت إحداهنّ إليّ فقالت حين رأتني : والله لقد زعموا أنّ نُصيباً يشبه هذا الأسود لا جرَم ؛ فقلت : والله لا أتعرّف بهنّ سائرَ اليوم ، ومضيتُ وتركتهنّ . قال : وكان الذي تغنّى به ابنُ

سُريج من شعري : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أَن يرحل الركبُ ... وقُل إن تَملَّينا فما ملَّك القلبُ
وقُلْ إن تُنَلْ بالحبّ منكِ مودّةٌ ... فما مثلُ ما لُقِّيت من حُبّكم حُبُّ
وقُلْ في تَجَنِّيها لكَ الذنبَ إنّما ... عتابكَ مَن عاتبتَ فيما لـه عَتْبُ
فمَن شاء رام الوصلَ أَو قال ظالماً ... لذي ودّه ذنبٌ وليس لـه ذنبُ

[سأله جدّ جمال بنت عون أن ينشده قصيدته في زينب فأنشده]

أَخبرني الحرميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله السَّعْديّ عن جدّته جَمال بنت عَوْن عن جدّها قال : قلت للنُّصَيب : أَنشدني يا أَبا مِحْجَن من شِعرك شيئاً ؛ فقال : أَيَّه تريد ؟ قلت : ما شئتَ ؛ قال : لا أُنشدك أَو تقترحَ ما تريد ؛ فقلت : قولك : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبلَ أَن يرحلَ الركبُ

قال : فتبسَّم وقال : هذا شعرٌ قلته وأَنا غلام ؛ ثم أَنشدني القصيدةَ . قال الزُّبَير : وهي أَجود ما قال .

[لامه عمر على تشهيره بالنساء فأخبر أنّه تاب واستجازه فأجازه]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا المَدائنيّ عن أَبي بكر الهُذَليّ قال حدَّثني أَيّوب بن شاس ، ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن أَبي بكر الهذليّ عن أَيّوب بن شاس ، وروايته أَتمّ من رواية عمر بن شَبّة ، قال أَيّوب : حدَّثني عبد الله بن سعيد : أَنّ النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمّا وَلِي الخلافة ؛ فقال له : هِيه يا أَسوَد : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أَن يرحَل الركبُ ... وقُلْ إن تَملَّينـا فما ملَّكِ القلبُ

آأَنت الذي تَشْهَر النساء وتقول فيهنّ ؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إني قد تركت ذلك وتُبْت من قول الشعر ، وكان قد نَسك ؛ فأَثنى عليه القومُ وقالوا فيه قولاً جميلاً ؛ فقال له : أَمّا إذْ أَثنى عليك القوم فسَلْ حاجتكَ ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين لي بُنَيّاتٌ سويداوات أَرغَب بهنّ عن السودان ويرغب عنهنّ البيضان ، فإن رأَيتَ أَن تفرض لهنّ فافعل ؛ ففعل .

[رأى عثمان بن الضحّاك امرأة فتمثّل بشعره في زينب فكانت هي وأخبرته أنّه آت لزيارتها]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن شَبيب عن محمّد بن المؤمّل بن طالوت عن أَبيه عن عثمان بن الضحّاك الحِزاميّ قال : خرجت على بعير لي أُريد الحجّ ، فنزلت في فِناء

خيمة بالأبواء[1] ، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها ، فأستلهاني حسنُها ، فتمثَّلتُ قولَ نُصَيب : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يرحلَ الركبُ وقُـل إن تملَّينا فما ملّكِ القلبُ

فقالت الجارية : أتعرف قائلَ هذا الشعر ؟ قلت : نعم ، ذاكِ نصيب ؛ قالت : أفتعرف زينبَ هذه ؟ قلت : لا ؛ قالت : فأنا والله زينبُه ، وهو اليومُ الذي وعدني فيه الزيارة ، ولعلّك لا ترحَل حتى تراه . فوقفتُ ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريباً منها ، ثم نزل فسلَّم عليها وسلَّمتْ عليه ؛ فقلت : عاشقان التقيا ولا بدّ أن يكون لهما حاجة ، فقمت إلى راحلتي فشددتُ عليها ؛ فقال : على رِسْلك ، أنا معك ؛ فلبث ساعةً ثم رحل ورحلت معه ؛ فقال لي : كأنّك قلت في نفسك كذا وكذا ؛ قلت : قد كان ذاك ؛ فقال لا ، وربِّ الكعبة البَنِيّة المستورة ما جلستُ معها مجلساً قطُّ هو أقربُ من هذا .

[شبَّه حمّاد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرىء القيس]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة : لو لم تكن هذه القصيدة : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يرحل الركبُ

لنُصيب ، شِعْرَ مَنْ كانت تُشبه ؟ فقلت : شعر امرىء القيس ، لأنّها جزلة الكلام جيّدة . قال : سبحانَ الله ؛ قلت : ما شأنك ؟ فقال : سألت أباك عن هذا فقال لي مثلَ ما قلتَ ، فعجبتُ من اتّفاقكما .

[منقذ الهلالي وطربه بشعر نصيب]

قال هارون وحدَّثني حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفيّ عن رجل سمّاه قال : أتاني مُنقذ الهلالي ليلةً وضرب عليّ البابَ ، فقلت : مَن هذا ؟ فقال : منقذ الهلاليّ ؛ فخرجت فزِعاً ، فقلت : فيمَ السُّرَى ، أي ما جاء بك تسري إليّ ليلاً ، في هذه الساعة ؟ قال : خير ، أتاني أهلي بدجاجة مشويّة بين رغيفين ، فتغذّيت بها معهم ، ثم أُتيتُ بقنّينة نبيذ قد التقى طرفاها ، فشرِبتُ وذكَرْت قول نُصَيْب : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يَرحَلَ الرّكبُ

فأنشدتُها فأطربَتْني ، وفكَّرت في إنسان يفهم حُسْن ذلك ويعرف فضله فلم أجِد غيرَك

---

1 الأبواء : قرية من أعمال الفُرْع من المدينة ، وقيل هي جبل على الطريق من المدينة إلى مكّة . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أمّ النبيّ ﷺ .

فأتيتك . فقلت : ما جاءَ بك إلاّ هذا ؟ قال : لا ، وانصرف .

قال حمّاد : معنى قوله «التقى طرفاها» أي قد صَفَت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء في الصفاء .

وممّا يُغنّى فيه من قصيدة نُصيب البائيّة المذكورة قولُه : [من الطويل]

صوت

خليليّ مـن كَعْبٍ أَلِمّا هُدِيتُما   بزينب لا يَفْقِدْكُما أبداً كعبُ
مِنَ اليومِ زُوراها فإنّ رِكابَنا   غداةَ غدٍ عنها وعن أهلِها نُكْبُ

الغناء لمالك خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة .

صوت
من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه

[من السريع]

النَّشْرُ مِسكٌ والوجوهُ دنا   نيرٌ وأطـرافُ الأكفّ عَنَمْ
والدّار وَحْشٌ والرسوم كما   رَقَّش في ظهـر الأديمِ قَلَمْ
لستُ كأقــوام خلائقُهم   نَثُّ أحاديث وهتكُ حُرَمْ[1]

نَثُّ الحديث : إشاعته . والعَنَم : شجر أحمر ، وقيل : بل هو دود أحمر كالأَسَاريع يكون في البقل في أيّام الربيع . والأديم : الجلد . وجلد كلّ شيء أديمه . ورقَّشَ : زيَّن . الشعر[2] لمرقِّش الأكبر[3] ، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها .

---

1 أحاديث وهتكُ في ل : الأحاديث ونهكة .

2 هذا الشعر من قصيدة المرقّش يرثي بها ابن عمّه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة ، قتله مهلهل ، وكان معه مرقّش فأفلت ، ثم إنّه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلاً من تغلب يُقال له عمرو بن عوف . (انظر ديوان المرقشين ، تحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .

3 في ل : الأصغر .

[81] ـ أَخبار المرقِّش الأَكبر ونسبه[1]

[نسبه وسبب تسميته بالمرقِّش وقرابته للمرقِّش الأَصغر]

المرقِّش لقب غلب عليه بقوله : [من السريع]

الدَّار وَحْشٌ والرسومُ كما   رقَّش في ظهـر الأَديم قَلَمْ

وهو أَحد مَن قال شعراً[2] فلُقِّب به . واسمُه ، فيما ذكر أَبو عمرو الشَّيْباني ، عمرو . وقال غيره : عَوْف[3] بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصن[4] بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . وهو أَحد المتيَّمين . كان يهوى ابنةَ عمِّه أَسماءَ بنت عوف بن مالك بن ضُبَيعة ، وكان المرقِّش الأَصغر ابنَ أَخي المرقِّش الأَكبر . واسمه فيما ذكر أَبو عمرو ، ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك . وقال غيره : هو عمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك . وهو أَيضاً أَحد المتيَّمين ، كان يهوى فاطمة بنت المنذِر الملك ويتشبّب بها . وكان للمرقِّشَيْن جميعاً موقع في[5] بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأْسٌ وشجاعة ونجدة وتَقَدُّم في المَشاهد ونكايةٌ في العدوّ وحسنُ أَثره وكان عوف بن مالك بن ضُبَيعة عمُّ المرقِّش الأَكبر من فرسان بكر بن وائل .

[عوف بن مالك المعروف بالبرك]

وهو القائل يوم قِضَة : يا لَبكر بن وائل ، أَفي كلّ يوم فرار ! أَما ومَحْلوفي لا يمرُّ بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلاّ ضربتُه بسيفي . وبَرَك يقاتل ، فسمِّي البُرَكَ يومئذٍ .

[عمرو بن مالك وأسره لمهلهل]

وكان أَخوه عَمْرو بنُ مالكٍ أَيضاً من فُرسان بكر ، وهو الذي أَسَر مُهلهِلاً ، التقيا في خَيْلين من غير مُزاحفة في بعض الغارات بين بَكْر وتَغْلب ، في موضع يُقال له نَقَا الرَّمْل ، فانهزمتْ خيلُ مهلهل وأَدركه عمرو بن مالك فأَسَره فانطلق به إلى قومه ، وهم في نواحي هَجَر[6] ، فأَحسَنَ إسارَه . ومرَّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هجر ، وكان صديقاً لمهلهل

---

1 المرقش الأكبر : انظر أخباره في : في الشعر والشعراء 1 : 210 . وفي الأنباري 457–460 ، 484 .

2 في ل : الشّعر .

3 قيل سُمّي عوفاً باسم عمّه والد أسماء التي كان يهواها ويتشبّب بها .

4 في ل : بن الحصن .

5 في ل : موقف .

6 هجر : اسم يطلق على أكثر من موضع . ولعلّه يقصد به هجر التي قصبتها الصّفا باتّجاه اليمامة والبصرة .

يشتري منه الخمر ، فأهدى إليه وهو أسيرٌ زِقَّ خمر ؛ فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بَكْراً وشرِبوا عند مهلهل في بيته ، وقد أفرد له عمرٌو بيتاً يكون فيه ، فلمّا أخَذ فيهم الشّرابُ تغنَّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب ، فسمع ذلك عمرُو بن مالك فقال[1] : إنّه لريّانُ ، والله لا يشرب ماء حتى يَرِد رَبِيبٌ يعني جملاً كان لعمرو بن مالك ، وكان يتناول الدَّهاس[2] من أجواف هجر فيرعى فيها غِبّاً بعد عشر في حَمّارة القَيْظ فطلبت رُكْبانُ بني مالك ربيباً وهم حِراص على ألاّ يُقتَل مهلهل ، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً . ونحر عمرو بن مالك يومئذٍ ناباً فأشرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه . وكانت بنتُ خال مهلهل امرأته بنتُ المُحلِّل أحدِ بني تغلب قد أرادت أن تأتيَه وهو أسير ؛ فقال يذكرها : [من الخفيف]

ظَبْيــةٌ مــا ابنــةُ المحلِّل شَنْبا ء لَعُوب لذيــذةٌ في العِناقِ[3]

فلمّا بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات . فكان هَبَنَّقَةُ القيسيّ أحدُ بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثَرْوان يقول وكان مُحمَّقاً وهو الذي تَضرِب به العربُ المثلَ في الحمق : لا يكون لي جمل أبداً إلاّ سمّيته رَبِيباً (يعني أنّ ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهلاً) . ذكر ذلك أجمعَ ابنُ الكلبيّ وغيرُه من الرواة . والقصيدة الميميَّة التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقّش يقولها في مَرْثِيَة ابن عمٍّ له . وفيها يقول : [من السريع]

بل هل شجَتْك الظُّعْن باكرةً كأنّهــا النخيــلُ مــن مَلْهَم[4]

[عشق المرقّش أسماء بنت عوف]

قال أبو عمرو ووافقه المفضّل الضبي : وكان من خبر المرقّش الأكبر أنّه عشِق ابنة عمِّه أسماءَ بنتَ عوف بن مالك ، وهو البُرَك ، عشِقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها ؛ فقال : لا أزوِّجك حتى تُعرَف بالبأس ، وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن ، وكان يَعِده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقّش إلى ملكٍ من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه . وأصاب عوفاً زمانٌ شديد ؛ فأتاه رجل من مُراد أحدُ بني غُطَيْف ، فأرغبه في المال فزوّجه أسماءَ على مائةٍ من الإبل ، ثم تنحَّى عن بني سعد بن مالك .

1 في ل : فلمّا سمع عمرو بن مالك ذلك قال .
2 الدهّاس : المكان السّهل ليس برملٍ ولا تراب .
3 الشّنباء : التي في أسنانها ماء ورقة وبرد وعذوبة .
4 مَلْهم : أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل .

[أخبره أهله بموت أسماء ولمّا علم بزواجها من المرادي رحل إليها ومات عندها]

ورجع مرقّش ، فقال إخوته : لا تخبروه إلاّ أنّها ماتت ؛ فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفّوها في مِلْحَفة ثم قبَروها . فلمّا قدِم مرقّش عليهم أخبروه أنّها ماتت ، وأتَوْا به موضعَ القبر ؛ فنظر إليه وصار[1] بعد ذلك يعتاده ويزوره . فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطّى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين[2] لهما إذ اختصما في كعب ، فقال أحدُهما : هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقّش أخبرناه أنّه قبرُ أسماء . فكشَف مرقّشٌ عن رأسه ودعا الغلام ، وكان قد ضَنيَ ضَنَاً شديداً ، فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادي أسماء ؛ فدعا مرقّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيْلة كان عسيفاً[3] لمرقّش ، فأمرها بأن تدعوَ له زوجَها فدعته ، وكانت له رواحلُ فأمره بإحضارها ليطلب المراديَّ عليها فأحضره إيّاها ، فركبها ومضى في طلبه ، فمرض في الطريق حتى ما يُحمَل إلاّ معروضاً . وإنّهما نزلا كهفاً بأسفل نَجْران ، وهي أرض مراد ، ومع الغُفَليّ امرأتُه وليدةُ مرقّش ؛ فسمع مرقّش زوجَ الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هَلَك سقماً وهلكنا معه ضُرّاً وجُوعاً . فجعلت الوليدةُ تبكي من ذلك ؛ فقال لها زوجها : أطيعيني[4] ، وإلاّ فإنّي تاركُكِ وذاهب . قال : وكان مرقّش يكتب ، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْملة ، وكانا أحبّ ولده إليه ، إلى نَصرانيّ من أهل الحيرة فعلّمهما الخطَّ . فلمّا سمع مرقّش قولَ الغُفَليّ للوليدة كتب مرقّش على مؤخّرة الرحل هذه الأبيات[5] : [من الكامل]

يـا صاحبيّ تَلَبّثا لا تعجَلا ... إنّ الرواح رهـينُ ألاّ تفعَلا
فلعـلّ لُبثكمـا يُفـرّط سَيِّئـاً ... أو يَسبِقُ الإسراعُ سَيْباً مُقْبِلا[6]
يـا راكباً إمّـا عرضتَ فبلِّغَنْ ... أنَسَ بن سعدٍ إن لَقِيتَ وحَرْمَلا[7]
لله دَرُّكمـا ودَرُّ أبيكمـا ... إن أفلتَ العَبْـدان حتى يُقتَلا[8]
مَنْ مُبْلغُ الأقـوامِ أنّ مرقّشاً ... أضحى على الأصحابِ عبئاً مُثْقِلا

---

1 في ل : وكان .
2 في ل : بكعاب .
3 العسيف : الأجير والعبد والمُستعان به .
4 في ل : إنْ أطعتني .
5 في ل : هذا الشعر .
6 يُفَرّطُ : يُقدّم .
7 أنس بن سعد وحرملة : هما أخوا مرقّش .
8 العبدان : في ل : الغفليّ .

وكأنّما تَـرِدُ السباعُ بشِلْـوه ... إذْ غـاب جمعُ بني ضُبَيْعَة مَنْهَلا

قال : فانطلق الغُفَليّ وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقِّش . ونظر حرملةُ إلى الرَّحْل وجعل يُقلّبه فقرأ هذه الأبيات ؛ فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا ، فقتلهما . وقد كانا وصفا له الموضعَ ، فركب في طلب المرقِّش حتى أتى المكانَ ، فسأل عن خبره فعَرف أنّ مرقِّشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها . فلمّا بَصُر به قال له : مَن أنت وما شأنُك ؟ فقال له مرقِّش : أنا رجلٌ من مُراد ، وقال للراعي : مَن أنت ؟ قال : راعي فلان ، وإذا هو راعي زوج أسماءَ . فقال له مرقِّش : أتستطيع أن تكلّم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريتُها كلَّ ليلة فأحلِبُ لها عنزاً فتأتيها بلبنها . فقال له : خُذ خاتمي هذا ، فإذا حلبتَ فألقه في اللبن ، فإنّها ستعرفه ، وإنّك مُصيبٌ به خيراً لم يُصبه راعٍ قطُّ إن أنتَ فعلت ذلك . فأخذ الراعي الخاتم . ولمّا راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنزَ طرح الخاتم فيه ، فانطلقتْ الجارية به وتركته بين يديها . فلمّا سكنت الرّغوة أخذته فشربته ، وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثَنِيّتَها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ؛ فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ قالت : ما لي به علم ؛ فأرسلتْها إلى مولاها وهو في شَرَفٍ[1] بنَجْران ؛ فأقبل فَزِعاً ؛ فقال لها : لِمَ دعوتِني ؟ قالت له : ادْعُ عبدَك راعيَ غنمك فدعاه ؛ فقالت : سَلْه أين وجد هذا الخاتم ! قال : وجدتُـه مع رجلٍ في كهف خَبّان[2] : قال : ويقال كهف جبار ، فقال : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنّك مصيبٌ به خيراً ، وما أخبرني مَنْ هـو ، ولقـد تركتـه بآخر رَمَق . فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقِّش ، فأعجِلِ السّاعةَ في طلبه . فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرَقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما ، فمات عند أسماء . وقال قبل أن يموت : [من الوافر]

سَرى ليـلاً خيالٌ من سُلَيْمَى ... فأرّقنـي وأصحابـي هُجودُ
فبِتّ أديـر أمـري كلّ حالٍ ... وأذكر أهلَهـا وهـمُ بعيدُ
على أنْ قـد سمـا طَرْفي لنارٍ ... يُشَبّ لها بذي الأرْطى وَقودُ[3]
حَوالَيْهـا مَهـاً بِيضُ التَّراقِي ... وآرامٌ وغِـزلانٌ رُقـودُ
نواعـمُ لا تُعالج بـؤسَ عيش ... أوانسُ لا تـروح ولا تَرُودُ

---

1 في ل : شرب .
2 في ل : حيّان .
3 الأرْطَى : شجر ينبت بالرمل وهو شبيه الغضى .

يَرُحْن معــاً بِطاءَ المشي بُدّاً … عليهــنّ المجـاسد والبُــرُودُ[1]
سَكَــنّ ببلدة وسكنتُ أُخرى … وقُطِّعــتِ المواثــقُ والعهــودُ
فما بــالي أَفي ويُخان عهدي … ومـا بـالي أُصاد ولا أُصيـدُ
ورُبّ أَسيلــة الخدّين بكرٍ … مُنَعَّمَـــةٍ لهـا فــرعٌ وجِيدُ
وذو أُشُرٍ شَتِيتُ النبتِ عذبٌ … نقــيُّ اللـــون بَـــرّاقٌ بَرودُ
لهوتُ بهـــا زمانـاً في شبابي … وزارتهـــا النجائــب والقَصيدُ
أُناسٌ كلّمـــا أُخلقت وصلاً … عنـاني منهـــمُ وصلٌ جديدُ

ثم مات عند أَسماء ، فدُفِن في أَرض مُراد .

[خرج لقتل زوج أَسماء فردّه أُخواه وعذلاه فمرض وقال شعراً]

وقال غيرُ أَبي عمرو والمفضَّل : أَتى رجل من مُراد يُقال له قرنُ الغَزال ، وكان مُوسِراً ، فخطب أَسماء وخطبها المرقِّش وكان مُمْلِقاً ؛ فزوّجها أَبوها من المراديّ سرّاً ؛ فَظَهر على ذلك مرقّش فقال : لئن ظفرتُ به لأَقتلنّه . فلمّا أَراد أَن يَهتديها[2] خاف أَهلُها عليها وعلى بعلها من مرقّش ، فتربّصوا بها حتى عَزَب مرقّش في إبله ، وبنى المراديُّ بأَسماء واحتملها إلى بلده . فلمّا رجع مرقّش إلى الحيّ رأَى غلاماً يتعرّق عظماً ؛ فقال له : يا غلام ، ما حدث بعدي في الحيّ ؟ وأَوجس في صدره خيفةً لِمَا كان ؛ فقال الغلام : اهتدى المراديُّ امرأَتَه أَسماء بنت عوف . فرجع المرقّش إلى حيّه فلبس لأُمته وركب فرسه الأَغرّ ، واتّبع آثارَ القوم يريد قتلَ المراديّ . فلمّا طلع لهم قالوا للمراديّ : هذا مرقّش ، وإن لقيك فنفسُك دون نفسه . وقالوا لأَسماء : إنّه سيمرّ عليك ، فأَطلعي راسَك إليه واسْفِري ؛ فإنّه لا يرميك ولا يضرّك ، ويلهو بحديثك عن طلب بعلك ، حتى يلحقَه إخوته فيردّوه . وقالوا للمراديّ : تقدّم فتقدّم . وجاءهم مرقّش . فلمّا حاذاهم أَطْلَعَت أَسماءُ من خِدْرها[3] ونادته ، فغَضّ[4] من فرسه وسار بقربها ، حتى أَدركه أَخواه أَنَسٌ وحَرْمَلة فعَذَلاه وردّاه عن القوم . ومضى بها المُراديّ فأَلحقها بحيّه . وضَنيَ[5] مرقّش لفراق أَسماء . فقال في ذلك : [من الطويل]

1 بُدّ : جمع أَبد والأُنثى بداء وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكّا .
2 اهتدى الرجل امرأته : إذا جمعها إليه وضمّها .
3 في ل : حدجها .
4 غض من فرسه : إذا نقص من غربه وحدته .
5 ضنى : مرض مرضاً مخامراً كلّما ظنّ برؤه نكس .

أَمِنْ آلِ أَسماءَ الرسومُ الدّوارسُ ... تُخطِّط فيها الطيرُ قَفْرٌ بسابسُ

وهي قصيدة طويلة . وقال في أسماء أيضاً : [من الطويل]

أَغالِبُكَ القلبُ اللَّجوجُ صبابةً ... وشوقاً إلى أَسماءَ أَم أَنتَ غالبُهْ
يَهيم ولا يعيا بأَسماءَ قلبُه ... كذاك الهوى إمرارُه وعَواقِبُهْ
أَيُلْحَى امرؤ في حبّ أَسماء قد نأى ... بغَمْزٍ من الواشين وازوَرّ جانبُهْ
وأَسماءُ هَمُّ النَّفس إن كنتَ عالِماً ... وبادي أَحاديثِ الفؤادِ وغائبُهْ
إذا ذكَرَتْها النفسُ ظَلْتُ كأَنّني ... يُزعزعني قَفْقافُ وِرْدٍ وصالبُهْ[1]

[كان مع المجالد بن ريّان في غارته على بني تغلب وقال شعراً]

وقال أبو عمرو : وقع المجالدِ بن رَيّان بيني تَغْلِب بجُمْران[2] فَنَكى فيهم وأَصاب مالاً وأَسرى ، وكان معه المرقِّش الأَكبر ، فقال المرقِّش في ذلك : [من المتقارب]

أَتتني لسانُ بني عامرٍ ... فجَلّى أَحاديثُها عن بَصَرْ[3]
بأَنّ بني الوَخْم ساروا معاً ... بجيشٍ كضوء نجوم السَّحَرْ[4]
بكلِّ خَبُوبِ السُّرى نَهْدَةٍ ... وكلّ كُمَيْتٍ طُوالٍ أَغرّ
فما شَعَر الحيُّ حتّى رأَوْا ... بريقَ القَوانِيسِ فوقَ الغُرَرْ[5]
فأَقبلنَهم ثم أَدبرنهم ... وأُصدرنهم قبلَ حينِ الصَّدَرْ
فيا رُبَّ شلْوٍ تَخَطْرفَنَه ... كريمٍ لَدى مَزْحَفٍ أَو مَكَرّ[6]
وكائن بجُمْرانَ من مُزْعَف ... ومن رجلٍ وجهُه قد عُفِرْ[7]

---

1 وقفقافة : اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه . الورد : من أسماء الحمى . وصالبه : شدّة حرارته مع رعدة .

2 في ل : بنجران ، وجمران : موضع ببلاد الرباب ، أو هو ماء .

3 اللسان هنا : الرسالة . وجلّى أحاديثها عن بصر : أي كشفت أحاديثها العمى .

4 الوخم في ل : الوجم ، وبنو الوخم : بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة .

5 القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد . والغرر : السادة من الرجال ، ويقال الغرر : الوجوه .

6 تخطرفنه : استلبنه ، وقيل : جاوزنه وخلّفنه .

7 بجمران في ل : بنجران . مُزْعف : زعفه وأزعفه : رماه أو ضربه فمات مكانه سريعاً .

[82] ـ وأمّا المرقِّش الأَصغر[1]

[نسبه وعشقه لفاطمة بنت المنذر وأخباره في ذلك وشعره]

فهو على ما ذكر أبو عمرو : رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة . والمرقِّش الأكبر عمّ الأصغر ، والأصغر عمّ طَرَفة بن العبد . قال أبو عمرو : والمرقِّش الأصغر أشعر المرقّشَين وأطولهما عُمراً . وهو الذي عشِق فاطمةَ بنت المنذر ، وكانت لها وليدةٌ يقال لها بنت عَجْلان ، وكان لها قَصْر [بكاظمة][2] وعليه حَرَس . وكان الحرس يَجُرّون كلّ ليلة حولَه الثياب فلا يطؤه أحد إلاّ بنت عجلان . وكان لبنت عجلان في كلّ ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها . فقال عمرو بن جَناب بن مالك لمرقِّش : إنّ بنت عَجلان تأخذ كلَّ عشيّة رجلاً ممّن يُعجبها فيبيت معها . وكان مرقِّش تَرْعِيةً[3] لا يفارق إبلَه ، فأقام بالماء وترك إبلَه ظمأى ، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شَعْراً . وكانت فاطمة بنتُ المنذر تقعدُ فوق القصر فتنظر إلى الناس . فجاء مرقِّش فبات عند ابنة عَجْلان ؛ حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها . فقالت لها : ما هذا بفخذيك ؟ وإذا نُكَتٌ كأنّها التين وكآثار السِّياط من شدّة حَفْزه إيّاها عند الجماع ، قالت : آثار رجل بات معي الليلةَ . وقد كانت فاطمةُ قالت لها : لقد رأيتُ رجلاً جميلاً راح نحوَنا بالعشيّة لم أره قبلَ ذلك ؛ قالت : فإنّه فتىً قعِد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميل الذي رأيته ، وهو الذي بات معي فأثر فيّ هذه الآثار . قالت لها فاطمة : فإذا كان غدٌ وأتاك فقدِّمي له مِجمَراً ومُريه أن يجلس عليه وأعطيه سواكاً ، فإن استاك به أو ردّه فلا خير فيه ، وإن قعد على المجمر أو ردّه فلا خير فيه . فأتته بالمجمر فقالت له : اقعُد عليه ؛ فأبى وقال : أدنيه منّي ، فدخّن لِحيته وجُمّته وأبى أن يقعد عليه ، وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به . فأتت ابنةُ عجلان فاطمةَ فأخبرتها بما صنع ؛ فازدادت به عجباً وقالت : ائتيني به . فتعلّقتْ به كما كانت تتعلّق ، فمضى معها وانصرف أصحابه . فقال القوم حين انصرفوا : لشَدَّ ما علِقتْ بنتُ عَجْلان المرقِّشَ ! وكان الحرسُ ينثرون الترابَ حول قُبّة فاطمة بنت المنذر ويَجُرُّون عليه ثوباً حين تُمسي ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلاّ ابنةُ عجلان ؛ فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقافَة فينظرون أثَر مَن دخل إليها ويعودون فيقولون

1 المرقِّش الأصغر : انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 1 : 214 وفي الأنباري : 498–499 .

2 كاظمة : على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، وهي مدينة الكويت الآن .

3 تَرْعِية : يجيد رعية الإبل أو صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل .

له : لم نَرَ إلاّ أَثَر بنتِ عجلان . فلمّا كانت تلك الليلة حملتْ بنتُ عجلان مرقّشاً على ظهرها وحزَمته إلى بطنها بثوب ، وأَدخلته إليها فبات معها . فلمّا أَصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا : نظرنا أَثر بنت عجلان وهي مُثْقَلة . فلبث بذلك حيناً يدخل إليها . فكان عمرو بن جَناب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه . فقال له : أَلَم تكن عاهدتَني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أَكتمك ولا نتكاذب ؟! فأَخبره مرقّشٌ الخبرَ ؛ فقال له : لا أَرضى عنك ولا أُكلّمك أَبداً أَو تُدخلَني عليها ، وحلف على ذلك . فانطلق المرقّش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنتَ عجلان فأَجلسه فيه وانصرف وأَخبره كيف يصنع ، وكانا متشابهين غير أَنّ عمرو بن جناب كان أَشْعر ، فأَتته بنت عجلان فاحتملته وأَدخلته إليها وصنع ما أَمره به مرقّش . فلمّا أَراد مباشرتها وجدتْ مسَّ شعرٍ فخذيه فاستنكرته ، وإذا هو يُرْعَد ؛ فدفعته بقدمها في صدره وقالت : قبّح الله سرّاً عند المُعَيْدي . ودعت بنتَ عجلان فذهبت به ، وانطلق إلى موضع صاحبه . فلمّا رآه قد أَسرع الكَرَّةَ ولم يلبث إلاّ قليلاً ، علِم أَنّه قد افتضح ، فعَضّ على إصبعه فقطعها . ثم انطلق إلى أَهله وترك المال الذي كان فيه ، يعني الإبل التي كان مقيماً فيها ، حياءً ممّا صنعَ . وقال مرقّش في ذلك : [من الطويل]

أَلاَ يا اسلَمي لا صُرمَ لي اليوم فاطمَا ... ولا أَبداً مـــا دام وصلُكِ دائما
رمتكَ ابنةُ البَكْريّ عن فرع ضالَةٍ ... وهُنّ بنـــا خُوصٌ يُخَلْن نعائما[1]
تـراءت لنـا يـومَ الرحيل بِواردٍ ... وعـذبِ الثنايـا لم يكن متراكِما[2]
سقـــاه حَبـاب المُزن في متكلل ... من الشمس رَوّاه ربابـاً سَواجِما
أَرَتْك بذات الضّالِ منها معاصماً ... وخـدّاً أَسيـلاً كالوذِيلـة ناعما[3]
صحا قلبُـه عنهـا على أَنّ ذِكرةً ... إذا خطَرت دارت به الأَرضُ قائما
تَبَصَّرْ خليلي هـل ترى من ظَعائن ... خَرَجْن سِراعاً واقتعدنَ المفائما[4]
تحمّلن من جـوّ الوَريعـة بعد ما ... تعالى النهـارُ وانتجعن الصَّرائما[5]

---

1 الخوص : الإبل الغائرة العيون من جهد السفر . والنعائم جمع نعامة .
2 الوارد من الشعر : الطويل . والفمُ المتراكِم : المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضاً .
3 الوذيلة : سبيكة الفضّة .
4 المفائم : العظام من الإبل ، وقيل هي المراكب الوافية الواسعة ، واحدها مفأم .
5 الوريعة : حزم لبني فقيم بن جرير بن دارم والحزم : ما غلظ من الأرض وكثرتْ حجارته وأُشرف . الصرائم : جمع صريمة وهي قطعة الرمل التي تنقطع من معظم الرمل .

تَحلَّين ياقوتاً وشَذْرا وصيغة　　وجَزْعاً ظَفاريّاً ودُرّاً تَوَائما[1]
سلكن القُرى والجزعَ تُحدى جمالها　　وورّكن قَوّاً واجتزعن المخارما[2]
ألا حبّذا وجهٌ تُريك بياضَه　　ومُنْسَدِلاتٌ كالمثاني فواحما[3]
وإنّي لأستحيي فُطَيْمةَ جائعاً　　خميصاً وأستحيي فُطَيمة طاعما
وإنّي لأستحييك والخَرْق بيننا　　مخافةَ أن تَلْقَيْ أخاً لِيَ صارما[4]
وإنّي وإن كلّت قَلُوصي لَراجمٌ　　بها وبنفسي يا فُطَيمَ المَراجما
ألا يا اسلمي بالكوكب الطَّلْق فاطما　　وإن لم يكن صَرْفُ النَّوى متلائما[5]
ألا يا اسلمي ثم اعلمي أنّ حاجتي　　إليك فرُدِّي من نوالك فاطما
أفاطمَ لو أنّ النساء ببلدةٍ　　وأنت بأُخرى لابتغيتك هائما[6]
متى ما يشأْ ذو الودّ يَصرِمْ خليلَه　　ويَغْضَبْ عليه لا محالةَ ظالما
وآلى جَنابٌ حِلفةً فأطعتَه　　فنفسَك ولِّ اللَّوْمَ إن كنتَ نادما
فمَن يَلقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أمرَه　　ومَن يَغْوِ لا يعدَم على الغَيِّ لائما
ألَم تَرَ أنّ المرءَ يَجْذِمُ كفَّه　　ويَجْشَمُ من لوم الصديق المَجاشما[7]
أمِن حُلُم أصبحتَ تَنكُتُ واجماً　　وقد تعتري الأحلامُ مَن كان نائما[8]

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

إذا قلتُ تَسْلو النفسُ أو تنتهي المُنى　　أبى القلبُ إلاّ حبَّ أُمِّ حَكيمِ

---

1 الجزع : الخرز .
2 جمالها في ل : جمالهم . ورّكن : عدلن . قوّ : منزل للقاصد من المدينة إلى البصرة ، وثمّة أماكن أخرى بهذا الاسم . اجتزعن : قطعن . المخارم : جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طرق .
3 المثاني : الحبال .
4 الخرق : ما اتّسع من الأرض .
5 الطلق في ل : الفرد . والطلق : الذي لا حرّ فيه ولا قرّ ولا شيء يؤذي .
6 لابتغيتك في ل : لاتبعتك .
7 يجشم : يركب المكروه .
8 نكت في الأرض : خطّط فيها بعود .

مُنعَّمَــةٌ صَفْـراء حُلْـوٌ دلالُهـا أَبِيـتُ بهـا بعـدَ الهُـدُوء أَهِيمُ[1]
قَطُوفُ الخُطا مَحْطوطةُ المَتْنِ زانها مع الحُسنِ خَلْقٌ في الجَمال عَمِيمِ[2]

الشعر مُختلَف في قائله ، فمن الرواة مَن يرويه لصالح بن عبد الله العَبْشَميّ ، ومنهم مَن يرويه لقَطَرِيّ بن الفُجاءة المازِنيّ ، ومنهم مَن يرويه لعبيدة بن هِلال اليَشْكُريّ . والغناء لسِياط ، وله فيه لحنان : أَحدهما ، وهو المختار ، ثقيلٌ أَوّل بالوسطى ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إِسحاق . ولبعض الشُّراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية ، وفيها ذِكْرٌ لأُمِّ حَكيم هذه أَيضاً ، تُنسب إلى هؤلاء الشُّعراء الثلاثة ، ويُختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه . وفيها أَيضاً غناء وهو في هذه الأَبيات منها : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّـي في الحيـاة لزاهـدٌ وفي العيشِ ما لَم أَلْقَ أُمَّ حَكيمِ
ولو شهدتني يومَ دُولاب أَبصرَتْ طِعانَ فتـىً في الحرب غيرِ ذَميمِ

ذكَر المبرّد أنّ الشعر لقَطَرِيّ بن الفُجاءة ، وذكر الهَيثم بن عَدِيّ أنّه لعَمْرو القَنا ، وذكر وَهْب بن جَرير أنّه لحَبِيب بن سهم التَّميميّ ، وذكر أَبو مِخْنَف أنّه لعبيدة بن هلال اليَشْكُريّ ، وذكر خالد بن خِدَاش أنّه لعمرو القنا أَيضاً . والغناء لَمَعْبد ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس .

1 الهدوء : الهزيع من الليل . في هذا الشعر إقواء .
2 قطوف الخطا : ضيقتها . محطوطة المتنين : أي ممدودتهما .

[83] ـ خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران وهي وقعة دولاب وشيء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أُمّ حكيم هذه

[وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة]

هذان الشعران قِيلا في وقعة دُولاب ، وهي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحوٌ من أربعة فراسخ ، كانت بها حربٌ بين الأزارقة وبين مُسْلم بن عُبَيس بن كُرَيز خليفةِ عبد الله بن الحارث بن نَوْفل بن عبد المطّلب ، وذلك في أيّام ابن الزُّبَير . أُخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة عن المدائنيّ ، وأخبرني بها عُبيد الله بن محمّد الرازي عن الخَرّاز عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير بن حَرْب عن خالد بن خِداش : أنّ نافعَ بنَ الأزرق ، لمّا تفرّقتْ آراءُ الخوارج ومذاهبُهم في أُصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترضُ الناسَ ، وقد كان متشكّكاً في ذلك . فقالت له امرأته : إن كنتَ قد كفَرت بعد إيمانك وشككتَ فيه ، فدع نِحْلتك ودَعْوتك ، وإن كنتَ قد خرجتَ من الكفر إلى الإيمان[1] فاقتل الكفّار حيثُ لقيتَهم وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح ﴿لا تَذَرْ عَلى الأَرْضِ مِنَ الكافِرينَ دَيّاراً﴾ . فقَبِل قولَها واستعرض[2] الناسَ وبَسَط سيفَه ، فقتل الرجالَ والنساء والولِدان ، وجعل يقول : إنّ هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم . وإذا وطيء بلداً فعل مثلَ هذا به إلى أن يُجيبَه أهلُه جميعاً ويدخلوا ملّته ، فيرفع السيفَ ويضع الجباية فيجبي الخراجَ . فعظم أمرُه واشتدّت شوكته وفشا عمّاله في السواد . فارتاع لذلك أهلُ البصرة ومشَوْا إلى الأحنف بن قيس فشكَوْا إليه أمرَهم وقالوا له : ليس بيننا وبين القوم إلاّ ليلتان ، وسِيرتُهم كما ترى ؛ فقال لهم الأحنف : إنّ سيرتَهم في مصركم إن ظَفِروا به مثلُ سيرتهم في سوادكم ، فخذوا في جهاد عدوِّكم . وحرّضهم الأحنفُ ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح . فأتاه عبدُ الله بن الحارث بن نَوْفل ، وسأله أن يؤمِّر عليهم أميراً ، فاختار لهم مُسلم بنَ عُبَيس بن كُرَيز بن رَبيعة ، وكان فارساً شجاعاً دَيِّناً ، فأمَّره عليهم وشيَّعه . فلمّا نَفَذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال : إنّي ما خرجتُ لامتيار ذهب ولا فضّة ، وإنّي

1 في ل : الإسلام .
2 استعرض الناس : قتلهم ولم يبالِ من قتل مسلماً أو كافراً من أيّ وجه أمكنه .

لأُحاربُ قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلاّ سيوفُهم ورماحهم . فمَن كان مِن شأنِه الجهادُ فلينهَض ، ومَن أُحبَّ الحياةَ فليرجع . فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه ؛ فلمّا صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسّرت الرّماحُ وعُقِرتْ الخيلُ وكثُرت الجراحُ والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد ؛ فقُتل في المعركة ابن عُبيس وهو على أهل البصرة ، وذلك في جُمادى الآخرة سنة خمس وستّين ، وقُتِل نافعُ بن الأزرق يومئذٍ أيضاً ؛ فعجب الناسُ من ذلك ، وأنّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير ، وقُتل رئيسَا العسكرَيْن ، والشُّراةُ يومئذٍ ستُمائة رجل ، فكانت الحدّة يومئذٍ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سَدُوس . وأُتي ابن عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عمرو الغُدانيّ ، وكان يقال له الأجْذم ، كانت يده أُصيبت بكابلُ مع عبدِ الرحمن بن سَمُرة . واستخلف نافعُ ابن الأزرق عُبيدَ الله بن بَشير بن الماحوز أحدَ بني سَلِيط بن يَرْبوع . فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يَرْبوع ، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يَرْبوع ، ورئيس الشُّراة من بني سليط بن يربوع ، فاتّصلَتِ الحربُ بينهم عشرين يوماً . قال المدائنيّ في خبره : وادّعى قتلَ نافع بن الأزرق رجلٌ من باهِلة يقال له سَلامة . وتحدَّث بعد ذلك قال : كنتُ لمّا قتلته على برذون وَرْدٍ فإذا أنا برجلٍ ينادِي ، وأنا واقف في خُمْسٍ من بني تميم ، فإذا به يَعْرِض عليَّ المبارزةَ فتغافلتُ عنه ، وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خُمْس إلى خُمْس وليس يُزايلني ، فصِرْتُ إلى رَحْلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة ، فلمّا أكثر خرجتُ إليه ، فاختلفنْا ضربتين فضربته فصرَعتُه ، ونزلتُ فأخذتُ رأسَه وسلبتَه ، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلتُ نافعاً ، فخرجتْ لتثأر به . قالوا : فلمّا قُتل نافع وابن عُبيس ووُلِّي الجيش إلى رَبيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشُّراة نيّفاً وعشرين يوماً ، ثم أصبح ذاتَ يوم فقال لأصحابه : إنّي مقتول لا محالة ؛ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : إنّي رأيت البارحةَ كأنّ يدي التي أُصيبتْ بكابلُ انحطّتْ من السماء فاستَشْلَتْنِي . فلمّا كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقُتل يومئذٍ ، قال : استشلاه : أخذه إليه . يقال : استشلاه واشتلاه ، قال : فلمّا قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَب إذ لم يكن لهم رئيس ؛ ثم أجمعوا على الحَجّاج بن باب الحِمْيَريّ . وقد اقتتل النّاسُ يومئذٍ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثلَه ، تطاعنوا بالرماحَ حتى تقصّفتْ ، ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوّة ، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغني شيئاً من الإعياء ، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة ويتكادمون[1] بالأفواه . فلمّا تدافع القومُ الراية وأبَوْها

1 تكادموا بالأفواه : تعاضوا .

واتّفقوا على الحَجّاج بن باب امتنع من أخذها . فقال له كُرَيب بن عبد الرحمن : خذها فإنّها مَكْرُمة ؛ فقال : إنّها لرايةٌ مشئومة ، ما أخذها أحد إلاّ قُتل . فقال له كُرَيب : يا أعور ، تقارعتِ العربُ على أمرِها ثم صيّروها إليك فتأبى خوفَ القتل ؛ خُذ اللواءَ ويحك ! فإن حضر أجلُك قُتلتَ إن كانت معك أو لم تكن . فأخذ اللواءَ وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضتِ الصفوفُ وصاروا كَرادِيس ، والخوارجُ أقوى عُدّة بالدروع والجواشن[1] . وجعل الحجّاجُ يُغمض عينيه ويحمل حتّى يغيبَ في الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنّه قد قُتل ، ثم يرفع رأسَه وسيفُه يقطر دماً ، ويفتح عينيه فيَرى الناسَ كراديسَ يقاتل كلٌّ قوم في ناحية . ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمْران بن الحارث الراسبيّ ، فاختلفا ضربتين كلُّ واحدٍ منهما قتل صاحبه ، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا ؛ وأصبح أهل البصرة ، وقد هرب عامّتُهم ، وولّوْا حارثةَ بن بدر الغُدَانيّ ، أمْرَهم ليس بهم طِرْق ولا بالخوارج . فقالت امرأة من الشُّراة ، وهي أمّ عِمْران قاتِل الحجّاج بن باب وقَتيلِه ، ترثي ابنَها عِمْران : [من البسيط]

اللهُ أيَّد عِمْرانــاً وطَهَّـــره وكان عمرانُ يدعو اللهَ في السَّحَرِ
يدعوه سِرّاً وإعلاناً ليرزقَـه شهادةً بيـدَيْ مِلْحادة غُدَرِ[2]
ولّى صحابتُه عن حَرّ مَلْحَمةٍ وشدّ عِمْرانُ كالضِّرغامة الذكرِ

قال : فلمّا عَقَدوا لحارثةَ بن بدر الرياسةَ وسلّموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبُتوا ، فإذا فَتَح اللهُ عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالي زيادةُ فريضة ؛ فنَدب الناسَ فَٱلتقَوْا وليس بأحدٍ منهم طِرق ، وقد فَشَت فيهم الجراحاتُ فلهم أنين ، وما تطأُ الخيل إلاّ على القتلى . فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمعٌ من الشُّراة يقول المُكثِّر إنّهم مائتان والمقلِّل إنّهم أربعون فاجتمعوا وهم مُرِيحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبةً[3] واحدة ، فحملوا على المسلمين . فلمّا رآهم حارثة بن بَدْر نكَص برايته فانهزم وقال : [من مجزوء الرجز]

كَرْنِبـــوا ودَوْلِبـــوا وحيثُ شئتم فاذهبُوا[4]

وقال : [من الكامل]

أيــرُ الحمـار فريضةٌ لعبيدكم والخُصيتان فريضةُ الأعـرابِ

1 الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر .
2 الملحادة : مفعال من الإلحاد والهاء للمبالغة . غُدَر : كثير الغدر .
3 الكبكبة : الجماعة .
4 كَرْنِبوا : انزلوا كرنبى وهي موضع بالأهواز . ودولبوا : انزلوا دولاب .

وتتابع الناسُ على أَثره منهزمين ، وتبعتهم الخوارجُ ، فأَلْقوا أَنفسهم في دُجَيْل[1] فغرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيّتُهم . وكان ممّن غرق دَغْفَل بن حنظلة أَحد بني عمرو بن شيبان . ولحقتْ قِطعةٌ من الشُّراة خيلَ عبد القيس فأكبُّوا عليهم ، فعطفت عليهم خيلٌ من بني تَميم فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشَفوهم وانصرفوا إلى أَصحابهم ، وعبَرتْ بقيّةُ الناسِ ، فصار حارثةُ ومَن معه بنهر تِيرى[2] والشُّراة بالأهواز ، فأَقاموا ثلاثةَ أَيّام . وكان على الأزد يومئذٍ قَبيصَة بن أَبي صُفْرة أَخو المُهلَّب ، وهو جدّ هَزارُمَرْد . قال : وغرِق يومئذٍ من الأَزد عدد كثير . فقال شاعر الأَزارقة : [من الوافر]

يَرى مَـنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ شيـوخَ الأَزْد طافيـةً لحالَها

وقال شاعر آخر منهم : [من الكامل]

شَمِتَ ابنُ بدر ، والحوادثُ جمّةٌ ، والظالمـون بنافـع بـن الأَزرقِ
والمـوت حَتْـمٌ لا محالـةَ واقعٌ مَنْ لا يُصَبِّحْـهُ نهـاراً يَطْرُقِ
فلئـن أَميـرُ المؤمنـين أَصابـه ريـبُ المنون فمَـنْ تُصبْه يَغْلقِ[3]

قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة ، فيما ذكر المبرّد ، وقال المدائنيّ في خبره : إنّ صالح بن عبدِ الله العَبْشَميّ قائلُ ذلك ؛ وقال خالد بن خِدَاش : بل قائلها عمرو القَنا ؛ قال وهب بن جرير عن أَبيه فيما حدَّثني به أَحمد بن الجَعْد الوَشّاء عن أَحمد بن أَبي خَيْثمة عن أَبيه عن وَهْب بن جَرير عن أَبيه : إنّ حَبيب بن سَهْم قائلُها : [من الطويل]

لعمرُك إنّي في الحيـاة لزاهـدٌ وفي العيش مـا لم أَلْقَ أُمَّ حَكيمِ[4]
مِنَ الخَفِـرات البيض لم أَرَ مثلَها شِفاءٌ لِـذِي بَـثٍّ ولا لِسَقِيمِ
لعمرُك إنّي يـومَ أَلْطِمُ وجهَها على نائبـاتِ الدَّهـرِ غيرُ حليمِ
ولو شَهِدتْني يوم دُولاب أَبصرتْ طِعانَ فتـىً في الحرب غيرِ لئيمِ[5]
غَداةَ طَفَتْ عَلماءِ بكرُ بن وائل وأُلاَّفُهـا مِـنْ حِمْيـر وسَليمِ[6]

---

1 دُجَيْل : نهر بالأهواز .
2 تيرى : بلد من نواحي الأهواز .
3 أمير المؤمنين : يريد به نافع بن الأزرق . ويغلق : أي لا ينفلت ولا ينجو من غلق الرهن في يد المرتهن .
4 معجم البلدان ، 2 : 485 .
5 غير لئيم في ل : مليم .
6 علماء : يريد على الماء . وسليم : يريد سُلَيْم .

ومــالَ الحجازيّــون نحــوَ بلادهم وعُجْنا صدورَ الخيلِ نحـو تَميمِ
وكان لعبـد القَيْس أوّلُ جدّهــا وولّتْ شيوخُ الأَزْدِ فهـي تَعُومُ[1]
فلَــم أرَ يومــاً كان أكثرَ مُقْعَصاً يَمُجّ دمــاً مــن فائظٍ وكَليمِ[2]
وضاربــةً خدّاً كريماً على فتــىً أغــرَّ نجيــبِ الأُمّهـات كريمِ
أُصيبَ بدُولابٍ ولم تــكُ موطناً له أرضُ دولابٍ ودَيْــرُ حَميمِ[3]
فلــو شَهِدتنا يــومَ ذاك وخيلُنا تُبيح مــن الكُفّــارِ كلَّ حريمِ
رأت فتيــةً باعـوا الإلهَ نفوسَهم بجنّــاتِ عَـدْنٍ عنـده ونَعيمِ

حدَّثني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا خَلاّد[4] الأرقط قال : كان الشُّراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدِّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يَهيج بعضُهم بعضاً . فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليَشْكُريّ وأبو حُزابَة[5] التَّميمي وهما في الحرب ؛ فقال عبيدة : يا أبا حُزابة ، إنّي سائلُك عن أشياء ، أفتصْدُقني في الجواب عنها ؟ قال : نعم ، إن تَضمّنتْ لي مثلَ ذلك ؛ قال : قد فعلتُ . قال : سل عمّا بدا لك . قال : ما تقول في أئمّتكم ؟ قال : يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفَرْج الحرام . قال : وَيْحَك ؛ فكيف فعلُهم في المال ؟ قال : يَجْبونه من غير حِلّة ، ويُنفقونه في غير حقّه . قال : فكيف فعلُهم في اليتيم ؟ قال : يظلمونه مالَه ، ويمنعونه حقّه ، وينيكون أُمّه . قال : ويلك يا أبا حُزابة ! أفمثلَ هؤلاء تتّبع ؟! قال : قد أجبتُ ، فاسمع سؤالي ودع عنكَ عتابي على رأيي ؛ قال : قل . قال : أيُّ الخمر أطيبُ : أخمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال : ويلك ؛ أتسأل مثلي عن هذا ؟ قال : قد أوْجبتَ على نفسك أن تُجيب ؛ قال : أمّا إذ أبَيْتَ فإنّ خمر الجبل أقوى وأسكر ، وخمرَ السهل أحسنُ وأسلس . قال أبو حُزابة : فأيّ الزَّواني أفْره : أزواني رامَهُرْمُز[6] أم زواني أرَّجان ؟ قال : ويلك ! إنّ مثلي لا يُسأل عن مثل هذا ؛ قال : لا بدّ من الجواب أو تغدُر ؛ فقال : أمّا إذ أبيتَ فزواني رامَهُرْمُز أرقّ أبشاراً ، وزواني أرَّجَان أحسن أبداناً . قال : فأيّ الرجلَيْن أشعر : أجرير أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ؛ أيّهما الذي يقول : [من الكامل]

---

1 في هذا البيت إقواء .

2 أكثر في ل : أحسن . ومقعص : يقال أقعصه بالرمح إذا طعنه فمات مكانه . والفائظ : الميت .

3 دير حميم : موضع بالأهواز .

4 هو خلاد بن يزيد الباهلي البصري صهر يونس بن حبيب النحوي .

5 هو الوليد بن حنيفة أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأمويّة .

6 رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

وطَوى الطِّرادُ مع القِياد بطونَها ... طَيَّ التِّجار بحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا

قال : جرير ؛ قال : فهو أشعرهما . قال : وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلَّب محكِّمين له في ذلك ؛ فقال : أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني ! ما كنتُ لأحكم بينهما ، ولكنّي أدلُّكم على مَن يحكم بينهما ثم يَهون عليه سِبابُهما ، عليكم بالشُّراة فسَلُوهم إذا تواقفتم . فلمّا تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : حُدِّثت أنّ امرأةً من الخوارج كانت مع قَطَرِيّ بن الفُجاءة يقال لها أمّ حَكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملِهم وجهاً وأحسنِهم بدينهم تمسُّكاً ، وخَطبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِب إلى ذلك ؛ فأخبرني من شهدها أنّها كانت تحمل على الناس وترتجز : [من الرجز]

أحمِلُ رأساً قد سئمتُ حَمْلَهْ ... وقد مَلِلْتُ دَهْنَه وغسلَهْ

ألا فتىً يحملُ عنّي ثِقْلَهْ

قال : وهم يُفَدّونها بالآباء والأمّهات ، فما رأيت قبلَها ولا بعدها مثلَها .

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال : كان عبيدة بن هلال إذا تكافَّ الناسُ ناداهم : ليخرجْ إليّ بعضُكم ؛ فيخرج إليه فِتْيان من العسكر ؛ فيقول لهم : أيّما أحبُّ إليكم : أقرأ عليكم القرآن أو أنشدُكم الشعر ؟ فيقولون له : أمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك ، فأنشدْنا ؛ فيقول لهم : يا فَسَقةُ ، والله قد علمتُ أنّكم تختارون الشعرَ على القرآن ، ثم لا يزال يُنْشِدهم ويستنشدهم حتى يَمَلّوا ثم يفترقون .

[84] ـ أخبار سياط ونسبه

[نسبه وتلامذته]

سِيَاطٌ لقبٌ غلب عليه ، واسمُه عبد الله بن وهب ، ويُكْنى أبا وهب ، مكيّ مولى خُزاعة . وكانَ مقدَّماً في الغِناء روايةً وصنعةً ، ومقدَّماً في الضرب معدوداً في الضُّرّاب . وهو أُستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصليّ ، وعنه أخذا ونَقَلا ونقل نظراؤهما الغناءَ القديم ، وأخذه هو عن يونس الكاتب . وكان سياط زوجَ أُمِّ ابن جامع . وفيه يقول بعض الشعراء : [من الخفيف]

مـا سمعتُ الغناءَ إلاّ شَجاني ... مِـنْ سياطٍ وزادَ في وَسْواسي
غَنِّني يا سياطُ قد ذهبَ الليـ ... ـلُ غناءً يَطير منـه نُعاسي
مـا أُبـالي إذا سمعـتُ غناءً ... لسياطٍ مـا فاتنـي للرُّؤاسي

والرؤاسيّ الذي عَناه هو عبّاس بن مِنْقار ، وهو من بني رُؤاس . وفيه يقول محمّد بن أبان الضبّيّ : [من الهزج]

إذا واخيـتَ عبّاساً ... فكُن منـه على وَجلِ
فتـىً لا يقبل العـذرَ ... ولا يرغب في الوصلِ
ومـا إن يتغنّى مَـنْ ... يُواخيـه مـن النُّبْلِ

[سبب تلقيبه بسياط]

قال حَمّاد بن إسحاق : لقّب سِيَاطٌ هذا اللقب لأنّه كان كثيراً ما يتغنّى : [من الوافر]

كأنّ مَزاحِـفَ الحيّـاتِ فيه ... قُبيـلَ الصبح آثـارُ السِّياطِ

[مدح إبراهيم الموصليّ غناءه]

وأخبرني محمَّد بن خَلَف قال حدَّثني هارون بن مخارق[1] عن أبيه ، وأخبرني به عبد الله بن عبّاس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسواسة الموصليّ ، ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة ، عن حمّاد عن أبيه ، قالا :

[طلبه المهدي مع حبال وعقاب فظنّ الحاضرون أنّه يريد الإيقاع بهم]

غنّى إبراهيمُ الموصليّ يوماً صوتاً لسياط ؛ فقال له ابنه إسحاق : لَمن هذا الغنـاء يا أبتِ ؟ قال : لَمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله : لسياط . قال : وقال المهديّ يوماً وهو يشرب

---

1 في ل : مخالف .

لسَلاّم الأبرش[1] : جئني بسِياط وعقاب وحِبال ؛ فارتاع كلُّ مَن حضر وظنّ جميعهم أنّه يريد الإيقاعَ بهم أو ببعضهم ؛ فجاءه بسياط المغنّي وعقاب المدني ـ وكان الذي يُوقِع عليه ـ وحبال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهديّ يضحك .

[مرَّ بأبي ريحانة المدنيّ وهو في الشمس من البرد فغنّى له فشقّ ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني أبو أيوب المدنيّ قال حدّثني حماد ابن إسحاق عن أبيه قال : مرَّ سياط على أبي ريحانة المدنيّ في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه سَمَلُ ثوبٍ رقيق رَثّ ؛ فوثب إليه أبو ريحانة وقال : بأبي أنت يا أبا وهب ، غنّني صوتَك في شعر ابن جُنْدَب : [من الطويل]

فؤادي رَهينٌ في هواكِ ومهجتي   تذوب وأجفاني عليك هُمولُ

فغنّاه إيّاه ، فشقَّ قميصَه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجَهداً . فقال له رجل : ما أغنى عنك ما غنّاك من شقِّ قميصك ! فقال له يا ابن أخي ، إنّ الشعر الحسنَ من المغنّي الحسنِ ذي الصوتِ المُطرِب أدفأ للمقرور من حَمّام مُحمًّى . فقال له رجل : أنت عندي من الذين قال الله جلّ وعزّ : ﴿فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا من الذين قال الله تبارك وتعالى : ﴿الذينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾ . وقد أخبرني بهذا الخبر عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه فذكر قريباً من هذا ؛ ولفظُ أبي أيّوب وخبرُه أتمّ .

وأخبرني إسماعيل بن يُونس الشِّيعيّ ، المعروف بابن أبي اليَسَعْ ، قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة : أنّ سِياطاً مَرَّ بأبي رَيْحانة المَدَنيّ ، فقال له : بحقّ القبر ومَنْ فيه غَنّني بلَحْنك في شعر ابن جُنْدب : [من الطويل]

لكلّ حَمامٍ أنت بـاكٍ إذا بكى   ودمعُك منهـلٌّ وقلبـك يخفِـقُ
مخافةَ بُعْـدٍ بَعْـدَ قُرْبٍ وهجرةٍ   تكونُ ولمّا تـأتِ والقلبُ مُشْفِقُ
ولي مهجةٌ ترفضُّ من خوف عَتْبها   وقلبٌ بنار الحبّ يَصْلَى ويُحْرَقُ
أظلُّ خَلِيعاً بـين أهـلي متيَّمـاً   وقلبـي لِما يرجـوه منهـا معلَّقُ

فغنّاه إيّاه ؛ فلمّا استوفاه ضرب بيده على[2] قميصه فشقّه حتى خرج منه وغُشي عليه .

فقال له رجل لمّا أفاق : يا أبا ريحانة ، ما أغنى عنك الغناء ! ثم ذكر باقيَ الخبر مثلَ ما تقدّم .

---

1 سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية أيّام البرامكة .

2 في ل : إلى .

[سمع أبو ريحانة جارية تغنّي فشقّ قربتها واشترى لها عوضها]

أخبرني إسماعيل قال حدَّثني عمر بن شبّة قال : مرّت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قِربةٌ وهي تغنّي وتقول : [من الطويل]

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صبابةٍ   إليّ ولا ليلى لـذي الودّ تبذُلُ
وأخنع بالعُتْبى إذا كنتُ مُذنِباً   وإن أذنبت كنتُ الذي أتنصّلُ

فقام إليها فقال : يا سيِّدتي أعيدي ؛ فقالت : مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري ؛ فقال : أنا أحملها عنكِ ؛ فدفعتها إليه فحملها ، وغنّته الصوتَ ، فطرِب فرمى بالقربة فشقّها . فقالت له الجارية : أمِن حقّي أن أغنّيك وتشقّ قربتي ؟ فقال لها : لا عليك ، تعالَيْ معي إلى السّوق ؛ فجاءت معه فباع مِلْحَفته واشترى لها بثمنها قربةً جديدة . فقال له رجل : يا أبا ريحانة ، أنت والله كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿الَّذين يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾ .

[مرَّ بأبي ريحانة المدنيّ وهو في الشمس من البرد فغنَّى له فشقّ ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال حدَّثني أبو العَيْناء قال قال إسحاق الموصليّ : بلغني أنّ أبا رَيْحانة المدنيّ كان جالساً في يوم شديد البرد وعليه قميصٌ خَلَق رَقيق ؛ فمَرَّ به سِيَاط المغنّي فوثب إليه وأخذ بِلجامه وقال له : يا سيِّدي ، بحقّ القبر ومَنْ فيه غنّني صوتَ ابن جُنْدب ، فغنّاه : [من الطويل]

فؤادي رهينٌ في هَواكِ ومُهجتي   تَذُوبُ وأجفاني عليك هُمولُ

فشقّ قميصَه حتى خرج منه وبقي عارياً وغُشي عليه ، واجتمع الناسُ حولَه وسِياطٌ واقفٌ متعجِّب ممّا فعل . ثم أفاق وقام إليه ؛ فرحمه سِياط وقال له : ما لك يا أبا مشئوم ؟ أيَّ شيء تريد ؟ قال : غنّني بالله عليك : [من الكامل]

وَدِّعْ أُمامةَ حـان منكَ رَحِيلُ   إنّ الوداع لمـن تحبّ قليلُ
مثلُ القَضيب تمايلـتْ أعطافُه   فالريح تجـذِب مَتْنـه فيَمِيلُ
إنْ كان شأنكُم الدّلال فإنّه   حَسَنٌ دلالكِ يـا أُميمَ جَميلُ

فغنّاه إيّاه ؛ فلطَم وجهَه حتى خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً . ومضى سياط ، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس . فلمّا أفاق قيل له : ويحك ؛ خرقتَ قميصَك وليس لك غيره ؛ فقال : دعوني ، فإنّ الغناء الحسن من المغنّي المطرب أدفأ للمقرور من حَمّام المهديّ إذا أوقِد سبعةَ أيّام . قال : ووجّه له سِياط بقميص وجُبّة وسَراويلَ وعِمامة .

[زاره إبراهيم الموصليّ وابن جامع في مرضه فأوصى بالمحافظة على غنائه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني أبو أيُّوب المدنيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله الخُزاعيّ وحَمّاد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال : كان سياطٌ أُستاذَ أبي وأُستاذَ ابن جامع ومَن كان في ذلك العصر . فاعتلّ علّةً ، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه . فقال له أبي : أعْزِزْ عليّ بعلّتك أبا وهب ! ولو كانت ممّا يُفتدى لفديتُك منها . قال : كيف كنتُ لكم ؟ قلنا : نِعْم الأُستاذ والسيِّد . قال : قد غنَّيتُ لنفسي ستّين صوتاً فأُحبّ ألاّ تغيّروها ولا تنتحلوها . فقال له أبي : أفعلُ ذلك يا أبا وهب ، ولكن أيّ ذلك كرهتَ : أن يكون في غنائك فضلٌ فأُقصّر عنه فيُعرَف فضلُك عليّ فيه ، أو أن يكونَ فيه نقصٌ فأُحسنه فيُنسب إحساني إليك ويأخذه الناس عنّي لك ؟ [قال] : لقد استعفيتَ من غير مكروه . قال الخزاعيّ في خبره : ثم قال لي إسحاق : كان سياط خُزاعيّاً ، وكان له زامر يقال له حِبال ، وضارب يقال له عقاب . قال حمّاد قال أبي : أدركتُ أربعةً كانوا أحسنَ الناس غناء ، سِياطٌ أحدُهم . قال : وكان موتُه في أوّل أيّام موسى الهادي .

[زاره ابن جامع في مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غنائه]

أخبرني يحيى قال حدَّثنا أبو أيّوب عن مصعَب قال : دخل ابن جامع على سِياط وقد نزل به الموتُ ؛ فقال له : ألَكَ حاجة ؟ فقال : نعم ، لا تَزِد في غنائي شيئاً ولا تنقُص منه ، دعه رأساً برأس ، فإنّما هو ثمانيةَ عشرَ صوتاً .

[دعاه إخوان له فمات عندهم فجأة]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حمّاد قال حدَّثني محمَّد بن حَديد أخو النَّصْر بن حديد : أنَّ إخواناً لسياط دعَوْه ، فأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميّتاً في منزلهم ، فجاءوا إلى أمِّه وقالوا : يا هذه ، إنّا دعونا ابنَك لنُكرمه ونَسَرَّ به ونأنَس بقربه فمات فجأة ، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئتِ ، ونَشَدْناكِ الله ألاّ تعرّضينا للسلطان أو تَدّعي فيه علينا ما لَم نفعلْه . فقالت : ما كنتُ لأفعل ، وقد صَدَقتم ، وهكذا مات أبوه فجأة . فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته . وقد ذُكرت هذه القصّةُ بعينها في وفاة نُبَيْه المغنّي ، وخبره في ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى .

[غنّى أحمد بن المكّيّ إبراهيم بن المهديّ صوتاً فاستحسنه]

أخبرنا يحيى بن عليّ وعيسى بن الحسين الزيّات ، واللفظ له ، قالا حدَّثنا أبو أيّوب قال حدَّثنا أحمد بن المَكّيّ قال : غَنَّيتُ إبراهيمَ بن المهديّ لسياط : [من الخفيف]

ضافَ قلبي الهوى فأكْثر سَهْوِي

فاستحسنه جدّاً ، وقال لي : ممّن أخذتَه ؟ قلت : من جارية أبيك قُرَشيَّةَ الزَّبّاء ؛ فقال : أشعرتُ أنّه كان لأبي ثلاثُ جوارٍ مُحسنات كلُّهنّ تسمّى قرشيّةً ، منهنّ قرشيّة الزبّاء وقرشيّة السوداء وقرشيّة البيضاء ، وكانت الزبّاء أحسنَهنّ غناء ، يعني التي أخذتُ منها هذا الصوت ، قال : وكنت أسمعها كثيراً تقول : قد سمعت المغنّين وأخذت عنهم وتفقّدتُ أغانيَهم ، فما رأيتُ فيهم مثلَ سِياط قطُّ . هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

ضاف قلبي الهوى فأكْثر سَهْوِي   وجَوَى الحبِّ مُفظِعٌ غيرُ حُلْوِ
لـو عـلا بعضُ ما علاني ثَبيراً   ظَلَّ ضَعْفاً ثبيرُ مِن ذاك يَهْوِي
مَن يكن من هوى الغواني خَلِيّاً   يـا ثِقاتـي فإنّنـي غيرُ خِلْوِ

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يـا أُمَّ عمرو لقد طالبتُ ودّكُم   جُهدي وأَعْذرتُ فيـه كلَّ إعذارِ
حتى سَقِمتُ ، وقد أصبحتِ سالمةً   ممّـا أُعالـج مـن هـمٍّ وتَذكارِ

لم يُسَمَّ قائلُ هذا الشعر . والغناء للرَّطّاب . والرَّطّاب مدنيٌّ قليل الصنعة ليس بمشهور . وقيل له الرَّطّاب لأنّه كان يبيع الرُّطَب بالمدينة . ولحنُه المختار هزجٌ بالوسطى .

صوت

من المائة المختارة

[من مخلّع البسيط]

تَصَدّع الأُنسُ الجميـعُ   أَمْسى فقلبي به صُدوعُ[1]
في إثرهم وجفونُ عيني   مُخْضَلّـةٌ كلّهـا دُموعُ

---

1 الأُنسُ : الحي المقيمون .

لم يُسمّ لنا قائل هذا الشعر ولا عرَفْناه . والغناء لدُكَين بن يزيد الكُوفيّ . ولحنه المختار من خفيف الثقيل بالوسطى ، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للواثق . وذكر هذا الصوتَ في مُجَرَّد شجا فنسبه إلى دَكين ، وجنّسه في الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر أيضاً فيه لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، فزعم أنّه ينسب إلى مَعْبد وإلى الغَرِيض . وفيه بيتان آخران وهما :

فالقلبُ إن سِيمَ عنكِ صبراً ... كُلِّـفَ مـا ليس يستطيعُ

عاصٍ لمن لام في هواكـمْ ... وهْـوَ لكـمْ سامعٌ مطيعُ

ولم أجد لدكين بن يزيد هذا خبراً ولا له شهرة غيره من المغنّين .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

يا أيُّها الرجلُ الذي ... قـد زان منطقَه البيانُ

لا تَعتبنّ على الزمـا ... نِ فليس يُعْتِبك الزمانُ

الشعر لعبد الله بن هارون العَرُوضيّ . والغناء لنُبَيه المُغَنّي ، ولحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر .

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنّه وقع إليّ له خبرٌ إلاّ ما شُهر من حاله في نفسه . وهو عبد الله بن هارون بن السَّمَيْدع ، مولى قريش ، من أهل البصرة . وأخذ العروضَ من الخليل بن أحمد ، فكان مقدَّماً فيه . وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدَّب أولادَهم ، وكان يمدحهم كثيراً ، فأكثرُ شعره فيهم . وهو مُقِلّ جدّاً . وكان يقول أوزاناً من العروضِ غريبةً في شعره ، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضيّ فأتى فيه ببدائعَ جَمّة ، وجعل أكثَر شعره من هذا الجنس . فأمّا عبد الله بن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرتُه .

[85] ـ ذكر نُبيه وأَخباره

[نسبه وأصله وشعره وسبب تعلّمه الغناء]

زعم ابن خُرْدَاذْبه أنّه رجل من بني تَميم صَلِيبةٌ ، وأَنّ أَصلَه من الكوفة ، وأنّه كان في أوّل أمره شاعراً لا يغنّي ، ويقول شعراً صالحاً . فهوِيَ قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها وجعله سبباً للدخول عليها ؛ ولم يزل يتزيّد حتى جَادَ غناؤه وصنَع فأَحسن واشتهر ، ودُوِّن غناؤه وعُدّ في المُحسِنين . فممّا قاله في هذه الجارية وغنّى فيه قولُه : [من الكامل]

صوت

يا ربِّ إنّي ما جفوتُ وقد جفتْ فإليـك أشكو ذاكَ يـا ربّـاهْ
مولاةُ سَوْءٍ مـا تَـرِقُّ لعبدهـا نِعْـم الغـلامُ وبئستِ المـولاهْ
يـا ربِّ إن كانت حياتي هكذا ضرراً عـليَّ فمـا أُريـدُ حيـاهْ

الغناء لنُبَيه ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . ومن الناس مَن يَنسِب الشعر والغناء إلى عُلَيّة بنت المهديّ .

[سمع مخارق مدح إبراهيم الموصليّ لغنائه]

أُخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قلت لمخارق ، وقد غنّى هذا الصوت يوماً : [من الطويل]

متى تجمع القلبَ الذكيّ وصارماً وأنفـاً حَميّـاً تَجْتنِبْك المظالمُ[1]

فسأَلته لمَن هو ؛ فقال : هذا لنُبَيه التَّميميّ ؛ وكان له أَخوان يقال لهما مُنبِّه ونَبْهان ، وكان ينزل شَهارْسُوج[2] الهيثم في درب الرَّيْحان . قال أَبو زيد : وسمعتُ مخارقاً يحدِّث إسحاق بن إبراهيم قال سمعتُ أَباك إبراهيم بن مَيْمون يقول وقد ذكر نُبَيْهاً : إن عاش هذا الغلام ذهب خَبرُنا . قال : وكنتُ قد غنّيته صوتاً أَخذته عنه ، وهو : [من الطويل]

شكوتُ إلى قلبي الفراقَ فقال لي مِن الآن فايْأَس لا أُغُرّك بالصبرِ

1 هذا البيت من قصيدة لعمرو بن براق الشّاعر .
2 شهارسوج الهيثم : محلّة من محال بغداد .

إذا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وأسلمني العزا ففرقة مَن أَهـوى أَحرُّ من الجمرِ

أَخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني ابن أَبي سعد[1] عن محمَّد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني عليّ بن المفضَّل قال : اصطبحنا يوماً أَنا ونُبَيْه عند عبيد الله بن أَبي غسّان ، فغنّانا نُبَيه لحنَه : [من مجزوء الكامل]

يا أَيُّها الرجل الذي قـد زان منطقَه البيانُ

فما سمعت أَحسنَ منه ، وكان صوتُنا عليه بقيّةَ يومنا . ثم أَردنا الانصراف ، فسأَلَنا عُبيد الله أَن نَبيتَ عنده ونصطبح من غدٍ فأَجبناه . وقال لنُبَيْه : أَيَّ شيء تشتهي أَن يُصلح لك ؟ قال : تشتري لي غزالاً فتُطعمني كبدَه كَباباً ، وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحبّ ؛ فقال : أَفعل . فلمّا أَصبحنا جاءه بغزال فأَصلحه كما أَحبّ . فلمّا استوفى أَكْلَه استلقى لينام ، فحرّكناه فإذا هو ميت ، فجزعْنا من ذلك . وبعث عبيدُ الله إلى أُمّه فجاءت فأَخبرها بخبره . فلمّا رأَته استرجَعَتْ[2] ثم قالت : لا بأس عليكم ؛ هو رابع أَربعة ولدتُهم كانت هذه مِيتَتهم جميعاً ومِيتةَ أَبيهم من قبلهم ؛ فسكنّا إلى ذلك . وغُسِّل في دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلّي عليه ، ومضينا به إلى مقابرهم فدُفن هناك .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

وقفتُ على رَبْعٍ لسُعْدَى وعَبْرتي تَرَقْـرَقُ في العينـين ثـم تَسِيلُ
أَسائل ربعـاً قـد تعفّـتْ رسومُه عليـــه لأَصنافِ الريـاحِ ذُيولُ[3]

لم يُسمَّ لنا قائل هذا الشعر . والغناء لسُلَيم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 هو عبد الله بن أَبي سعد .

2 استرجع في المصيبة : استعاذ وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

3 الذّيول من الريح : ما تتركه في الرّمل كأَثر ذيل مجرور .

[86] ـ أَخبار سُلَيْم

[انقطع إلى إبراهيم الموصليّ وهو أمرد فأحبّه وعلّمه]

هو سُلَيم بن سَلاّم الكُوفيّ ، ويُكنى أَبا عبد الله . وكان حسنَ الوجه حسنَ الصوت . وقد انقطع وهو أَمردُ إلى إبراهيمَ الموصليّ ، فمال إليه وتعشّقه ، فعلّمه وغنّاه وناصحه ، فبرُع وكثُرت روايتُه ، وصنع فأَجاد . وكان إسحاق يهجوه ويطعنُ عليه . واتّفق له اتّفاقٌ سيىء : كان يخدُم الرشيدَ فيتّفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنِه إسحاق وفُلَيح بن العَوْراء وحَكَم الواديّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط . وكان من أَبخل الناس ، فلمّا مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال ؛ فقبضها السلطان عنه .

أَخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أَبيه : أَنّ إسحاق قال في سُلَيم : [من الطويل]

سُليمُ بنُ سَلاّم على بَرْدِ خَلْقه أَحرُّ غِناءً من حُسين بنِ مُحْرِزِ

[سأل الرشيد برصوما عنه وعن أربعة من المغنّين فأجابه]

وأَخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأَخبرنا يحيى بن عليّ عن أَبيه عن إسحاق : أَنّ الرشيد قال لبَرصُوما الزامر وكانت فيه لُكْنة ما تقولُ في ابن جامع ؟ قال : زِقٌّ من أَسَل (يريد من عسل) . قال : فإبراهيم ؟ قال : بستان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيَزيد حَوْراء ؟ قال : ما أَبْيدَ أَسنانه ! (يريد ما أَبيض) . قال : فَحُسين بن مُحْرِز ؟ قال : ما أَهسن خظامه ! (يريد ما أَحسن خضابَه) . قال : فسُلَيم بن سَلاّم ؟ قال : ما أَنظف ثيابه !

[نصحه برصوما في موضع غناء فضحك الرشيد]

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شَبّة عن إسحاق : وغَنَّى سُلَيم يوماً وبَرْصُوما يزمِرُ عليه بين يديّ الرشيد ، فقصرَّ سُلَيم في موضع صيحة ، فأَخرج برصوما الناي من فِيه ثم صاح به وقال له : يا أَبا عبد الله ، صَيهة أَشدّ من هذا ، صيهة أَشدّ من هذا ؛ فضحك الرشيد حتى استلقى . قال : وما أَذكر أَنّي ضحكت قطُّ أَكثرَ من ذلك اليوم .

[كان يجيد الأهزاج فغنّى الرشيد فوصله]

أَخبرني محمَّد بن مَزيد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال قال محمَّد بن الحسن بن مصعَب : إنّما أَخَّر سُلَيماً عن أَصحابه في الصنعة وَلَعُه بالأَهزاج ، فإن ثُلُثَي صنعته هَزَج ، وله من ذلك ما ليس لأَحدٍ منهم . قال : ثم قال محمَّد : غَنَّى سُلَيم يوماً بين يديّ الرشيد ثلاثةَ أَصواتٍ من الهَزَج وِلاءً ، أَوّلها : [من الرمل]

مُتْ على مَن غبتَ عنه أَسَفا

والثاني : [من السريع]

أسرفتَ في الإعراض والهَجْر

والثالث : [من مخلّع البسيط]

أَصبح قلبي به نُدوبُ

فأَطربه وأَمر له بثلاثين أَلف درهم ، وقال [له] : لو كنتَ الحَكَم الوادي ما زِدْتَ على هذا الإحسان في أَهزاجك . (يعني أَنّ الحكم كان منفرداً بالهزج) .

نسبة هذه الأَصوات

صوت

[من الرمل]

مُتْ على مَن غبتَ عنه أَسفا ... لستَ منه بمصِيب خَلَفا
لن تَرى قُرَّة عينٍ أَبداً ... أَوْ ترى نحوَهمُ مُنْصَرفا
قلتُ لمّا شفَّني وجدي بهم ... حَسْبِيَ اللّهُ لِمَا بي وكفى
بَيّن الدمعُ لِمَن أَبصرني ... ما تضمّنتُ إذا ما ذَرَفا

الشعر للعبّاس بن الأَحنف . والغناء لسُلَيم ، وله فيه لحنان ، أَحدهما في الأَوّل والثاني هَزَج بالوسطى ، والآخر في الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق . وفيهما لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

أسرفتَ في الإعراض والهجرِ ... وجُزْتَ حدَّ التِّيه والكبرِ
الهجرُ والإعراضُ من ذي الهوى ... سُلَّمُ ذي الغدر إلى الغدرِ
مالي وللهِجْران حَسْبي الذي ... مرَّ على رأسي من الهجرِ
ودون ما جَرّبتُ فيما مضى ... ما عرّف الخيرَ من الشرِّ

الغناء لسُلَيم هزج بالبنصر .

ومنها : [من مخلّع البسيط]

صوت

أصبح قلبي بـه نُدوبُ أَنْدَبَـه الشادِنُ الرَّبيبُ
تَمادِياً منـه في التّصابي وقد عـلا رأسيَ المَشِيبُ
أظنّنـي ذائقـاً حِمامي وأنّ إلمامَـه قريـبُ
إذا فؤادٌ شجاه حـبٌّ فقلَّمـا ينفَـعُ الطبيبُ

الشعر لأبي نُواس . والغناء لسُلَيم ، وله فيه لحنان : خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق ، وهزج بالوسطى عن الهشاميّ . وزعَمتْ بَذْلُ أنّ الهزج لها .

[كان أبوه من دُعاة أبي مسلم]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثني هارون بن مخارق عن أبيه قال : كان سُلَيم بن سَلاّم كوفيّاً ، وكان أبوه من أصحاب أبي مُسلم صاحب الدولة ودُعاتِه وثِقاته ، فكان يكاتبُ أهلَ العراق على يده . وكان سُلَيم حسنَ الصوت جَهيرَه ، وكان بخيلاً .

[دعا صديقين ولمّا جاعا اشتريا طعاماً فأكل معهما]

قال أحمد بن أبي طاهر وحدَّثني أبو الحواجب الأنصاريّ ، واسمه محمَّد ، قال : قال لي سُلَيم يوماً : امض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادْعُه وَوافِياني مع الظهر ؛ فجئناه مع الظهر ، فأخرج إلينا ثلاثين جارية مُحْسِنة ونبيذاً ، ولم يُطْعمنا شيئاً ، ولم نكن أكلنا شيئاً . فغمز موسى غلامَه فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً ، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل ؛ فدخل علينا ، فلمّا رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال : أهكذا يفعل الناس ؟ تأكلون ولا تُطعمونني ؟ وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منّا حتى فَنِي الخبز والبيض .

[طلب من محمَّد اليزيديّ نظم شعر يغنّي به الخليفة ففعل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني الفضل بن محمَّد اليزيديّ قال حدَّثني أبي قال : كان سُلَيم بن سَلاَّم صديقي وكان كثيراً ما يغشاني . فجاءَني يوماً وأعلمني الغلامُ بمجيئه ، فأمرتُ بإدخاله ، فدخل وقال : قد جئتك في حاجة ؛ فقلت : مقضيّة . فقال : إنّ المِهْرجان بعد غد ، وقد أُمرنا بحضور مجلس الخليفة ، وأريد أن أُغنّيه لحناً أصنعه في شعرٍ لم يعرفه هو ولا مَنْ بحضرته ، فقُلْ أبياتاً أُغنّي فيها مِلاحاً ؛ فقلتُ : على أن تُقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن ؛ قال : أفعل . فردُّوا دابّته وأقام عندي ، وقلت : [من مجزوء الكامل]

أتيتُك عائـذاً بـك مِنْـ ـك لمّـا ضاقت الحِيَلُ
وصيّرني هـواك وبـي لِحَيْنـي يُضرب المثلُ

فإن سَلِمتْ لكم نفسي فمـا لاقيتُـه جَلَـلُ
وإنْ قَتل الهـوى رجلاً فإنّـي ذلـك الرجـلُ

فغنّى فيه وشرِبنا يومئذٍ عليه ، وغنّانا عدّةَ أصوات من غنائه ، فما رأيته مذ عرفته كان أنشطَ منه يومئذٍ .

[سرق محمّد اليزيديّ معنيين من شعر مسلم بن الوليد]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني محمَّد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثني عبد الله بن محمَّد اليزيديّ قال حدَّثني أخي محمَّد قال : سمعت أبي يقول : ما سَرَقت من الشعر قطُّ إلاّ معنيين : قال مسلم بن الوليد : [من الخفيف]

ذاكَ ظبيٌ تحيَّر الحسنُ في الأر كانِ منـه وجـال كلَّ مكانِ
عرضتْ دونَه الحجالُ فما يَلْـ ـقاك إلاّ في النَّومِ أو في الأماني

فاستعرت معناه فقلت : [من مجزوء الرمل]

صوت

يـا بعيدَ الدّارِ موصو لاً بقلبـــي ولساني[1]
ربّمـا باعَـدَك الدهــ ـرُ فأدنتْـك الأمـاني

الغناء في هذين البيتين لسُلَيم هزج بالبنصر عن الهشاميّ .

قال : وقال مسلم أيضاً : [من الوافر]

متى ما تسمعي بقتيلِ أرضٍ فإنّي ذلـك الرجـل القتيلُ

ويُروى : «أُصيبَ فإنّني ذاك القتيل» فقلت : [من مجزوء الكامل]

أتيتُكَ عائذاً بـك مِنْـ ـك لمّا ضاقت الحِيَلُ
وصيّرني هـــواك وبي لِحَيْنـي يُضـرب المثلُ
فإن سَلِمتْ لكم نفسي فمـا لاقيتُـه جَلَـلُ
وإن قَتـل الهـوى رجلاً فإنّـي ذلـك الرجـلُ

[غنّى مخارقاً صوتاً ، فلمّا بلغ ابن المهديّ طلبه وغنّاه إيّاه]

وجدت في كتاب عليّ بن محمّد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل ، ولم أسمعه من أحد : أنّ إبراهيمَ بن المهديّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنده ، قال حمدون : وكنتُ فيهم ،

1 نسبت هذه الأبيات ليحيى بن المبارك اليزيديّ في وفيات الأعيان لابن خلّكان 344/2 .

وكان فيمَن دعا مُخارِق ، فسار إليه وهو سكران لا فضلَ فيه لطعام ولا لشراب ، فاغتمَّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع ؛ فقال : لا والله أيّها الأمير ، ما كان آفتي إلاّ سُلَيم بن سلاّم ؛ فإنّه مرَّ بي فدخل عليَّ فغنّاني صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه إلى السَّحَر حتّى لم يبقَ فيَّ فضلٌ وأخذتُه . فقال له إبراهيم : فَغنِّناه إملالاً[1] ، فغنّاه : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ نَدْماني فباكِرْ مُدامةً ... معتَّقةً زُفَّتْ إلى غيرِ خاطبِ
إذا عُتِّقَت في دَنِّها العامَ أقبلتْ ... تَردّى رداءَ الحسنِ في عين شاربِ[2]

الغناء لسُلَيم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر قال فبعث إبراهيم إلى سُلَيم فأحضره ، فغنّاه إيّاه وطرَحه على جواريه وأمر له بجائزة ، وشربنا عليه بقيَّةَ يومنا حتى صِرْنا في حالة مُخارق وصار في مثل أحوالنا .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

عَتَق الفؤادُ من الصِّبا ... ومن السَّفاهة والعلاقِ
وحَطَطتُ رحلي عن قَلو ... ص الحبّ في قُلُصٍ عِتاقِ
ورفعتُ فضلَ إزاريَ الْـ ... ـمجرور عن قدمي وساقي
وكففتُ غربَ النفسِ حتّى ... ما تَتُوق إلى مَتاقِ

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لابن عَبّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنّه لغيره ، بل قِيل : إنّه لعمرو .

---

1 يريد : غنّنا إيّاه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص .

2 تردّى فلان : لبس الرداء .

[87] ـ أخبار ابن عبّاد

[نسبه وكنيته وصناعته]

هو محمَّد بن عَبّاد ، مولى بني مخزوم ، وقيل : إنّه مولى بني جُمَح ، ويُكْنى أبا جعفر . مكّي ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم . وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أَخَذ عنه الغناء ، مُتقِن الصنعة كثيرُها . وكان أبوه من كتّاب الدّيوان بمكّة ؛ فلذلك قيل ابنُ عبّاد الكاتب .

[قابله مالك وطلب منه الغناء ففعل فذمّه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفص الثَّقَفيّ عن أبي خالد الكِنانيّ عن ابن عبّاد الكاتب قال : والله إنّي لأمشي بأعلى مكّة في الشّعب[1] ، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة ، فظننتُ أنّهم قالوا له : هذا ابن عبّاد ؛ فمال إليّ فمِلْتُ إليه ؛ فقال لي : أنت ابن عبّاد ؟ قلت : نعم ؛ قال : مِلْ معي هاهنا ، فملت معه ؛ فأدخلني شعبَ ابن عامر ثم أدخلني دِهليز ابن عامر وقال : غنّني ؛ فقلت : أُغنّيك هكذا وأنت مالِك ! وقد كان يبلغني أنّه يثلِبُ أهلَ مكّة ويتعصّب عليهم ، فقال : بالله إلاّ غَنَّيتَني صوتاً من صنعتك . فاندفعتُ فغنَّيته : [من الوافر]

صوت

ألاَ يا صاحبيّ قِفا قليلاً ... على ربع تقادمَ بالمُنيفِ[2]
فأمستْ دورهم شَحِطَت وبانت ... وأضحى القلبُ يخفِقُ ذا وجيفِ

وما غنَّيته إيّاه إلاّ على احتشام . فلمّا فرغتُ نظر إليَّ وقال لي : قد والله أحسنتَ ! ولكنّ حَلْقكَ كأنّه حلقُ زانية . فقلت : أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ . وهذا اللحنُ من صدور غناء ابنِ عبّاد . ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

1 في ل : العشر .
2 المنيف : موضع وهو ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز وقيل : حصن باليمن .

[وفاته ببغداد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيّوب المَديني قال حدّثني جماعة من أهلِ العلم : أنّ ابنَ عبّاد الكاتب توُفّي ببغداد في الدولة العبّاسيّة ودُفن بباب حرب[1] . وقال أبو أيّوب : أظنّه فيمَن قدِم من مُغنّي الحجاز على المهديّ .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

يـا طلـلاً غَيَّره بَعـدِي   صوبُ رَبيع صادق الرعدِ
أراكَ بعد الأُنسِ ذا وَحْشَةٍ   لستَ كما كنتَ على العهدِ[2]
مـا لي أُبكّـي طلَلاً كلّما   ساءلتُـه عَـيَّ عـن الردِّ
كان بـه ذو غُنُج أهْيَفٌ   أحْـورُ مطبـوعٌ على الصَّدِّ

لم يُسمِّ أبو أحمد[3] قائلَ هذا الشعر . والغناء ليحيى المكّيّ ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى .

1 باب حرب : موضع ببغداد .
2 ذا في ل : في .
3 أبو أحمد هو يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم .

[88] ـ أخبار يحيى المكّيّ ونسبه

[اسمه وكنيته وكتمانه ولاءه لبني أُميّة لخدمته الخلفاء من بني العبّاس]

هو يحيى بن مرزوق، مولى بني أُميّة، وكان يَكتُم ذلك لخدمته الخلفاءَ من بني العبّاس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه؛ فإذا سُئل عن وَلائه انتمى إلى قريش ولم يَذْكر البطنَ الذي ولاؤه لهم، واستعفى مَن سأله عن ذلك. ويُكنى يحيى أبا عثمان. وذكر ابن خُرْدَاذْبهْ أنّه مولى خُزاعة. وليس قولُه ممّا يحصَّل، لأنّه لا يَعْتمد فيه على رواية ولا دِرَاية.

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع أبو بكر الرَّبيعي صديقنا رحمه الله قال حدَّثني وَسْواسة بن الموصليّ، وقد لقيتُ وسواسة هذا، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلّماً، ولم أسمع هذا منه فكتبتُه وأشياءَ أُخَر عن أبي بكر رحمه الله، قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال قال لي أبي: سألت يحيى المكّيّ عن ولائه، فانتمى إلى قريش؛ فاستزدتُه في الشَّرح فسألني أن أُعفيَه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدَّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال: كان يحيى المكّيّ يُكنى أبا عثمان، وهو مولى بني أُميّة، وكان يكتم ذلك ويقول: أنا مولى قريش.

[مدحه أبان اللاحقي وعارض الأعشى في مدح دحمان]

ولمّا قال أعشى بني سُلَيم يمدحُ دَحْمان: [من البسيط]

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم لمّا انبرى لهمُ دَحْمان خِصيانا
فأبلِغوه عن الأعشى مقالتَه أعشى سُلَيم أبي عمرو سُليمانا
قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبته يا ليتَ دحمانَ قبل الموت غنّانا[1]

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ، ويقال إنّ ابنه حَمْدان بن أبان قالها. والأشبه عندي أنّها لأبان، وما أظنّ ابنه أدرك يحيى: [من البسيط]

يا مَنْ يُفضّل دحماناً ويمدحه على المغنّين طُرّاً قلتَ بهتانا
لو كنتَ جالستَ يحيى أو سمعتَ به لم تمتدحْ أبداً ما عشتَ إنسانا

1 الموت في ل: اليوم.

ولم تقُل سَفَهاً في مُنيةٍ عَرَضتْ   يا ليت دحمانَ قبل المـوت غنّانا
لقـد عجبـتُ لدحمانٍ ومادِحه   لا كان مـادحُ دحمانٍ ولا كانا
مـا كان كابن صغير العين إذ جرَيا   بل قام في غاية المجرى وما دانَى
بـذّ الجيـادَ أبو بكـرٍ وصيّرها   من بعدِ ما قَرِحتْ جُذْعاً وثُنْيانا[1]

يعني بأبي بكر ابنَ صغير العين ، وهو من مغنّي مكّة . وله أخبار تُذكَر في موضعها إن شاء الله تعالى .

[منزلته في الغناء وتلاميذه]

وعُمّر يحيى المكّي مائةً وعشرين سنة ، وأصاب بالغناء ما لَم يُصبه أحد من نظرائه ، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قدِم مع الحجازيين الذين قدموا على المهديّ في أوّل خلافته ، فخرج أكثرُهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده يَخدِمون الخلفاء إلى أن انقرضوا . وكان آخرهم محمَّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ ، وكان يغنّي مرتجلاً ، ويحضُر مجلسَ المعتمد مع المغنّين فيُوقِع بقضيب على دواة . ولَقِيَه جماعة من أصحابنا ، وأخذ عنه جماعةٌ ممّن أدركنا من عجائز المغنّيات ، منهم قمريّة العَمْريّة ، وكانت أمَّ ولد عمرو بن بانة . وممّن أدركه من أصحابنا جَحْظة ، وكتبنا عنه عن ابن المكّيّ هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفُلَيْح يفزَعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه ، ويعايي بعضُهم بعضاً بما يأخذه منه ويُغرب به على أصحابه ؛ فإذا خرجتْ لهم الجوائز أخذوا منها ووفّروا نصيبَه . وله صنعةٌ عجيبة نادرة متقدّمة . وله كتابٌ في الأغاني ونسَبها وأخبارها وأجناسها كبيرٌ جليل مشهور ، إلاّ أنّه كان كالمطَّرِح عند الرّواة لكثرة تخليطه في رواياته . والعملُ على كتاب ابنه أحمد ، فإنّه صحّح كثيراً ممّا أفسده أبوه ، وأزال ما عرَفه من تخاليط أبيه ، وحقّق ما نسبه من الأغاني إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

[عمل كتاباً في الأغاني وأهداه لعبد الله بن طاهر فصحّحه ابنه لمحمّد بن عبد الله]

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع قال حدّثني وَسْواسة بن الموصلي قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّي قال : عَمِل جدِّي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذٍ شابٌّ حديثُ السنّ ، فاستحسنه وسُرَّ به ؛ ثم عرَضه على إسحاق فعرّفه عواراً كثيراً في نِسَبه ، لأنّ جدِّي كان لا يصحّح لأحد نسبه صوت ألبتّة ، وينسِبُ صنعته إلى المتقدّمين ، وينحل بعضَهم صنعةَ بعض ضنّاً بذلك على غيره ، فسقط من عين عبد الله وبقي في خِزانته ؛ ثم وقع إلى

1 قرح الفارس : صار قارحاً وهو الذي شقّ نابه وطلع . الجذع : ما كان في الثانية من سنه . وثنيان جمع ثني وهو ما كان في الثالثة من سنه .

محمَّد بن عبد الله ، فدعا أبي ، وكان إليه محسناً وعليه مُفْضِلاً ، فعَرضه عليه ؛ فقال له : إنّ في هذه النِّسب تخليطاً كَثيراً ، خلّطها أبي لضنّه بهذا الشأن على الناس ، ولكنّي أعمل لك كتاباً أصحّح هذا وغيرَه فيه . فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه ، فوصله محمَّد بثلاثين ألف درهم . وصحّح له الكتابَ الأوّل أيضاً فهو في أيدي الناس . قال وَسْواسة : وحدَّثني حمّاد أنّ أباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكّيّ تقديماً كثيراً ويفضّله ويناضل أباه وابنَ جامع فيه ، ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يَرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحدٌ منكم من أحد أمرين : إمّا أن يكون مُحقّاً [فيه] كما يقول ، فقد علم ما جهلتم ، أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدّمين ، كما تقولـون ، فهو أفضل [له] وأوضح لتقدّمه عليكم . قال : وكان أبي يقول : لولا ما أفسد به يحيى المكّيّ نفسَه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدّمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلّة ثَباته على ما يَحكيه من ذلك ، لَمَا تقدّمه أحد . وقال محمَّد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخلّط في نِسَب الغناء تخليطاً كثيراً ، ولا يزال يصنع الصوتَ بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة وبمعبد أخرى وبابن سُريج وابن مُحرز ، ويجتهد في إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه ؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أحدث [فيه] من ذلك ، فيأتي بأحسن صنعة وأتقنها ، وليس أحد يعرفها ؛ فيُسأل عن ذلك فيقول : أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل ، فلا يُشَكّ في قوله ، ولا يَثْبُت لمباراته أحد ، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها ؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مَظانّه ودوّنه ، وكشف عَوار يحيى في منحولاته وبيّنها للناس .

[أظهر إسحاق غلطه فأرسل له هدايا وعاتبه]

أخبرني عمّي [قال] سمعتُ عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمد بن سعيد المالكيّ ، وكان مغنّياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القوّاد ، قال : حضرتُ يحيى المكّيّ يوماً وقد غنى صوتاً فسُئل عنه فقال : هذا لمالك ، ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوتَ ، ثم غنّى لحناً لمالك فسُئل عن صانعه فقال : هذا لي ؛ فقال له إسحاق : قلتَ ماذا ؟ فديتُك ، وتضاحك به . فسئل عن صانعه فأخبر به ، ثم غنّى الصوتَ . فخجل يحيى حتى أمسك عنه ؛ ثمّ غنّى بعد ساعة في الثقيل الأوّل ، واللحن : [من مخلّع البسيط]

صوت

إنّ الخَليـطَ أَجَـدّ فاحتَملا ... وأراد غيظَـك بالذي فعـلا
فظَلِلْتَ تأمُـل قـربَ أوْبتهم ... والنفسُ ممّـا تأمُـل الأمـلا

فسُئل عنه فنسبه إلى الغَريض ، فقال له إسحاق : يا أبا عثمان ، ليس هذا من نَمَط الغَريض ولا طريقته في الغناء ، ولو شئتَ لأخذتَ مالَكَ وتركتَ للغريض مالَه ولم تَتْعَب . فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه . فلمّا انصرف بعثَ إلى إسحاق بألطافٍ كثيرة وبِرٍّ واسع ، وكتب إليه يعاتبه ويستكفُّ شرَّه ويقول له : لستُ من أقْرانك فتُضادَّني ، ولا أنا ممّن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدَني ، ولأنت إلى أن أُفيدَك وأُعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتَسْمو به على أكفائك أحوجُ منك إلى أن تباغضني ، فأُعطي غيرَك سلاحاً إذا حَمَله عليك لم تقم له ، وأنت أولى وما تختار . فعرف إسحاقُ صدْقَ يحيى ، فكتب إليه يعتذر ، وردّ الألطافَ التي حملها إليه ، وحلَف لا يعارضه بعدها ، وشَرط عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائد ؛ فوفّى له بها ، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدّمين . وكان إذا حَزَبه أمرٌ في شيء منها فَزِع إليه فأفاده وعاونه ونصَحه ؛ وما عاود إسحاق معارضتَه بعد ذلك . وحَذِره يحيى ، فكان إذا سُئل بحضرته عن شيء صَدَق فيه ، وإذا غاب إسحاق خلّط فيما يُسأل عنه . قال : وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أعطاه إيّاه وأفاده وناصحه ، ويقول لابنه أحمد : تعالَ حتى تأخذَ مع أبي محمّد ما الله يعلم أنّي كنتُ أبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك ؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق . قال : وكان إسحاق بعد ذلك يتعصّب ليحيى تعصّباً شديداً ، ويَصفه ويقدّمه ويعترف برياسته ، وكذلك كان في وَصْف أحمدَ ابنه وتقريظه .

[عدد أصواته التي صنعها]

قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى . قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلافِ صوت ، منها زُهاءُ ألف صوت لم يُقاربْه فيها أحد ، والباقي متوسِّط . وذكر بعضُ أصحاب أحمد بن يحيى المكّيّ عنه أنّه سُئل عن صنعة أبيه فقال : الذي صحّ عندي منها ألف وثلثمائة صوت ، منها مائة[1] وسبعون صوتاً غَلَب فيها على الناس جميعاً مَنْ تقدّم منهم ومَن تأخّر ، فلم يُقم له فيها أحد .

[كان ينسب الأصوات عمداً لغير أصحابها فافتضح أمره]

وقال حمّاد بن إسحاق قال لي أبي : كان يحيى المكّيّ يُسأل عن الصوت ، وهو يعلم لمَن هو ، فينسبُه إلى غير صانعه ، فيُحمل ذلك عنه كذلك ، ثم يسأله آخرون فينسبُه غيرَ تلك النسبة ؛ حتى طال ذلك وكثُر منه وقلّ تحفّظه ، فظهر عَواره ، ولولا ذلك لما قاومه أحد .

1 في ل : ثلاثمائة .

[أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد]

وقال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبره : قال إسحاق يوماً للرشيد ، قبل أن تَصْلُح الحال بينه وبين يحيى المكّيّ في ما ينسبه من الغناء : أتحبّ يا أمير المؤمنين أن أريه كذبَ يحيى فيما يدعيه من روايته ؟ قال نعم . قال : أعطني أيَّ شعر شئتَ حتى أصنع فيه ، واسألني بحضرة يحيى عن نِسْبته فإنّي سأنسبه إلى رجل لا أصْلَ له ، واسأل يحيى عنه إذا غنّيته ، فإنّه لا يمتنع من أن يدّعي معرفته . فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغنّاه الرشيد ؛ ثم قال له : يسألني أمير المؤمنين عن نِسْبته بين يديه . فلمّا حضر يحيى غنّاه إسحاقُ فسأله الرشيدُ : لَمن هذا اللحن ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المديني . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنتَ لقيتَ غناديس المديني ؟ قال : نعم ، لقيتُه وأخذتُ عنه صوتين ؛ ثم غنّى صوتاً وقال : هذا أحدهما . فلمّا خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق [ثلاثاً] وعِتْقِ جواريه : أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس ، ولا سُمع به في المغنّين ولا غيرهم ، وأنّه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره .

[علم إسحاق صوتاً غنّاه للرشيد فأهدى إليه تخت ثياب وخاتم]

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني محمّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ المرتجل قال : غنّى جدّي يوماً بين يدي الرشيد : [من الطويل]

صوت

هــل هَيّجتكَ مَغاني الحيّ والدُّورُ   فاشتقْتَ إنّ الغريبَ الدارِ معذورُ
وهــل يَحُـلّ بنـا إذ عيشُنا أَنِقٌ   بِيضٌ أوانسُ أمثــالُ الدُّمَى حُورُ

والصنعة له خفيفُ ثقيلٍ ، فسار إليه إسحاق وسأله أن يُعيده إيّاه ؛ فقال : نعم ، حبّاً وكرامةً لك يا ابن أخي ، ولو غيرُك يروم ذلك لبَعُد عليه ؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق . فلمّا انصرف بعث إلى جدّي بتَخْتٍ[1] ثياب وخاتم ياقوت نَفيس .

[دسّ له إبراهيم بن المهديّ مَن أخذ عنه صوتاً بثمنٍ غالٍ]

حدّثني جَحظة قال حدّثني القاسم بن زُرْزُور عن أبيه عن مولاه عليّ بن المارِقيّ قال : قال لي إبراهيم بن المهديّ : وَيْلَك يا مارقيّ ؛ إنّ يحيى المكّيّ غنّى البارحةَ بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكرُ زينبَ ، وقد كان النبيذ أخذ منّي فأنسيتُ شعرَه ، واستعدتُه إيّاه فلم يُعده ، فاحتَلْ لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك عليّ سَبَق[2] . فقال لي المارقيّ ، وأنا يومئذٍ غلامُه ،

1 التخت : وعاء تصان فيه الثياب .
2 السبق : الخطر يوضع في السّباق مَن سبق أخذه .

اذهب إليه فقل لـه إنّي أسأله أن يكونَ اليومَ عندي ؛ فمضيت إليه فجئته به . فلمّا تغدَّوْا وُضع النبيذ ؛ فقال له المارقيّ : إنّي كنت سمعتك تغنّي صوتاً فيه زينب وأنا أحبّ أن آخذه منك ، وكان يحيى يوفّي هذا الشأنَ حقَّه من الاستقصاء ، فلا يخرج عنه إلاّ بحذر ، ولا يدع الطلبَ والمسألةَ ، ولا يُلقي صوتاً إلاّ بِعَوض . قال لي جحظة في هذا الفصل : هذا فديتُك فعلُ يحيى مع ما أفاده من المال ، ومع كرم مَنْ عاشره وخدَمه من الخلفاء مثلِ الرشيد والبرامكة وسائر الناس ، لا يُلام ولا يعاب ، ونحن مع هؤلاء السُّفَل إن جئناهم نكارمهم[1] تغافلوا عنّا ، وإن أعطَوْنا النَّزْر اليسير مَنُّوا به علينا وعابونا ، فمن يلومني أن أشتِمهم ؟ فقلتُ : ما عليك لوم . قال : فقال له يحيى : وأيّ شيء العِوَض إذا ألقيتُ عليك هذا الصوتَ ؟ قال : ما تريد ؛ قال : هذه الزِّرْبيّة[2] الأرمينيّة ، كم تقعد عليها ! أمَا آن لك أن تملّها ؟ قال : بلى ، وهي لك . قال : وهذه الظباء الحرميّة ، وأنا مكّيّ لا أنت ، وأنا أولى بها ؛ قال : هي لك ، وأمر بحملها معه . فلمّا حصَلت له ، قال المارقيّ : يا غلام ، هات العود ؛ قال يحيى : والميزانَ والدراهم ، وكان لا يغنّي أو يأخذَ خمسين درهماً ، فأعطاه إيّاها ؛ فألقى عليه قولَه : [من الطويل]

بزينبَ ألِمْ قبلَ أن يَرْحَلَ الركبُ وقُلْ إن تَمَلّينا فمـا ملّكِ القلبُ

ولحنه لكَرْدَم ثقيلٌ أوّل ، فلم يشكّ المارقيّ أنّه قد أخذ الصوتَ الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجتَه . فبكّر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوتَ ، فقال له : قد جئتك بالحاجة . فدعا بالعود فغنّاه إيّاه ؛ فقال له : لا والله ما هو هذا ، وقد خدعك ، فعاود الاحتيال عليه . فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً . فلمّا دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى : قد واليتَ بين دَعَواتك لي ، ولم تكن بَرّاً ولا وَصولاً ، فما هذا ؟ قال : لا شيء والله إلاّ محبّتي للأخذ عنك والاقتباس منك ؛ فقال : سَرّك الله ، فَمَهْ . قال : تذكّرتُ الصوتَ الذي سألتك إيّاه فإذا ليس هو الذي ألقيتَ عليّ . قال : فتريد مـاذا ؟ قال : تذكر الصوت . قال : أفعل ، ثم اندفع فغنّاه : [من البسيط]

ألِمْ بزينبَ إنّ البيـنَ قـد أفِدا قَلّ الثَواءُ لئن كان الرحيلُ غدَا[3]

والغناء لمعبد ثقيل أوّل فقال له : نعم ، فديتـك يا أبا عثمان ، هذا هو ، ألْقِه عليّ ؛ قال : العِوَضَ ؛ قال : ما شئتَ ؟ قال : هذا المِطْرَف الأسود ؛ قال : هو لك . فأخذه وألقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له ، وبكّر إلى إبراهيم ؛ فقال له : ما وراءك ؟ قال : قد قضيتُ

1 في ل : مكارمة .

2 الزربية : واحدة الزرابيّ وهي البُسط .

3 أفد : دنا .

الحاجةَ ؛ فدعا له بعود فغنّاه ؛ فقال : خدعك والله ، ليس هذا هو ؛ فعاودْ الاحتيال عليه ، وكلُّ ما تعطيه إيّاه ففي ذمّتي . فلمّا كان اليومُ الثالث بعث بي إليه ، فدعوتُه وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس . فقال له يحيى : فما لك أيضاً ؟ قال له : يا أبا عثمان ، ليس هذا الصوتُ هو الذي أردتُ ؛ فقال له : لستُ أعلم ما في نفسك فأذكرَه ، وإنّما عليّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمستَ حتى لا يبقى عندي زينب ألبتّةَ إلاّ أحضرتها ؛ فقال : هاتِ على اسم الله ؛ قال : اذكرِ العِوَضَ ؛ قلت : ما شئتَ ؛ قال : هذه الدُّرّاعة الوَشْيُ التي عليك ؛ قال فخذها والخمسين الدرهم ، فأحضرَها . فألقى عليه والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل : [من الطويل]

لزينبَ طيفٌ تعتريني طوارقُه هدوءاً إذا النجمُ ارجحَنّت لواحقُه[1]

فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم ، فصادفه يشرب مع الحُرَم ؛ فقال له حاجبه : هو متشاغل ؛ فقال : قل له : قد جئتك بحاجتك . فدخل فأعلمه ؛ فقال : يدخلُ فيغنّيه في الدار وهو قائم ، فإن كان هو وإلاّ فليخرج ، ففعل ؛ فقال : لا والله ما هو هذا ، ولقد خدعك ، فعاود الاحتيالَ عليه . ففعل مثل ذلك بيحيى ؛ فقال له يحيى وهو يضحك : أما ظَفِرتَ بزينبك بعدُ ؟ فقال : لا والله يا أبا عثمان ، وما أشكّ في أنّك تَعتمدني بالمنع ممّا أريده ، وقد أخذتَ كلّ شيء عندي معابثةً . فضحك يحيى وقال : قد استحييتُ منك الآن ، وأنا ناصحك على شريطة ؛ قال : نعم ، لك الشريطة ؛ قال : لا تَلُمني في أن أعابثك لأنّك أخذت في معابثتي ، والمطلوبُ إليه أقدرُ من الطالب ، فلا تعاود أن تحتال عليّ فإنّك تظفر منّي بما تريد ، إنّما دسّك إبراهيم بن المهديّ عليّ لتأخذ منّي صوتاً غنّيته ، فسألني إعادتَه فمنعتُه بخلاً عليه لأنّه لا يلحقني منه خير ولا بركة ، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً ، وطَمِع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد ؛ لا والله إلاّ بأوفر ثمن وبَعْد اعترافك ، وإلاّ فلا تطمع في الصوت . فقال له : أمّا إذ فطنتَ فالأمرُ وَاللهِ على مَا قلتُ ، فتغنّيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هُوَ هُوَ وإلا فعليكَ إعادتُه ، ولو غنّيتني كلَّ شيء تعرفه لم أحتسب لك إلاّ به ؛ قال : اشتره . فتساوما طويلاً ومَاكَسهُ حتى بلغ الصوتُ ألفَ درهم ، فدفعها إليه ، وألقى عليه : [من الكامل]

صوت

طَرَقتْك زينبُ والمَزار بعيدُ بمنى ونحن مُعرِّسون هجودُ
فكأنّما طَرَقتْ بريّا روضةٍ أُنُفٍ تُسَحْسِح مُزنَها وتَجُودُ

لحنه خفيف ثقيل . قال : وهو صوت كثير العمل ، حلو النَّغَم ، مُحكم الصَّنْعة ، صحيح

1 ارجحنّت : اهتزّت ومالت .

القسمة ، حسن المقاطع فأخذه وبكّر إلى إبراهيم بن المهديّ ، فقال له : قد أفقرني هذا الصوت وأعراني ، وأبلاني بوجه يحيى المكّيّ وشحّه وطلبه وشَرَهه ، وحدَّثه بالقصّة ؛ فضحك إبراهيم . وغنّاه إيّاه ، فقال : هذا وأبيك هو بعينه . فألقاه عليه حتى أخذه ، وأخلف عليه كلّ شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسةَ آلاف درهم ، وحمَله على برذون أشهبَ فارِهٍ بسرجه ولجامه . فقال له : يا سيِّدي ؛ فغلامُك زُرْزُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظَلَعَ ، هَبْ له شيئاً ، فأمر له بألف درهم .

[غنّى للأمين لحناً أراد المغنّون أخذه عنه فأبى]

حدَّثني جحظة قال حدَّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدَّثتني رَيِّق وشارِية جميعاً قالتا : كان مولانا ، تعنيان أبي ، في مجلس محمَّد الأمين يوماً والمغنّون حضور ، فغنّى يحيى المكّيّ ، واللحن له خفيف ثقيل : [من مجزوء الوافر]

صوت

خليلٌ لي أهيمُ بـه   فما كافـا ولا شَكَرا
بلى يُدْعَى لـه باسمي   إذا مـا رِيعَ أو عثَرا

فاستردّه سيّدنا وأحبّ أن يأخذه ، فجعل يحيى يُفسده . وفطن الأمينُ بذلك ، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره بردّه وتَرْكِ التخليط فيه ، فدعا له وقبّل الأرضَ بين يديه وردّ الصوت وجوّده ؛ ثم استعاده . فقال له يحيى : ليست تَطيبُ لك نفسي به إلاّ بعوَض من مالك ، ولا أنصحك والله فيه ، فهذا مال مولاي أخذته ، فلِمَ تأخذ أنت غنائي ! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها . فقبّل يحيى يدَه وأعاد الصوت وجوّده ، فنظر إلى مُخارق وعَلّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت ؛ ثم أقبل عليهما وقال : قطعة من خُصْية الشيخ تغطي أستاه عدّة صبيان ، والله لا أعدتُه بحضرتكما . ثم أقبل على مولانا تعنيان إبراهيم بن المهدي فقال : يا سيِّدي ، إنّي أصير إليك حتى تأخذَه عنّي متمكّناً ولا يَشْرَكَك فيه أحد . فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه ، وأخذناه معه .

[غنّى للرشيد بتل دارا فأكرمه]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثنا أبو أيّوب المَديني قال حدَّثني أحمد بن يحيى المكّيّ عن أبيه قال : أرسل إليّ هارونُ الرشيد ، فدخلت إليه وهو جالس على كرسيّ بَتَلّ دارَا[1] ، فقال : يا يحيى ، غنّني : [من الطويل]

---

1 دارا : بلدة من بلاد الجزيرة .

متى تلتقي الأُلاّفُ والعيسُ كلَّما تَصعَّدْنَ مِـن وادٍ هَبطنَ إلى وادِ

فلم أزل أُغنِّيه إيّاه ويتناول قدحاً إلى أن أمْسى . فعددتُ عشرَ مرّات استعاد فيها الصوت ، وشرب عليه عشرةَ أقداح ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ، وأمرني بالانصراف .

[مدح إسحاق غناءه وذكر أصواتاً له]

وقال محمّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ في خبره حدَّثني أبي أحمدُ بن يحيي قال : قال لي إسحاق : يا أبا جعفر ، لأبيك مائةٌ وسبعون صوتاً ، مَنْ أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابح . فقلت لأبي : أيَّ شيء تعرف منها ؟ فقال : لحنَه في شعر الأخطل : [من البسيط]

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منكَ وابتكروا وأزعجتْهم نَـوىً في صَرْفِها غِيَرُ

كأنَّنـي شاربٌ يَـومَ استُبِدّ بهم من قَهْوةٍ عتّقتها حِمْصٌ أو جَدَرُ[1]

لحن يحيى المكّيّ في هذين البيتين ثقيل أوّل ، هكذا في الخبر ، ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أوّل آخر ، ولابن سُرَيج رمل .

قال : ومنها : [من الكامل]

صوت

بَـانَ الخليــطُ فمـا أُؤمِّلـه وعفـا مِـن الرَّوْحاء منزِلُـهُ[2]

مـا ظَبيــةٌ أدمـاءُ عاطلـة تحنـو عـلى طِفـلٍ تُطَفِّلُـهُ

لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقيل بالبنصر . قال أحمد : قال لي إسحاق : وَدِدْتُ أنّ هذا الصوت لي أو لأبي وأني مُغرَّم عشرة آلاف درهم . ثم قال : هل سمعتم بأحسن من قوله : «على طفل تطفّله» .

قال : ومنها : [من الطويل]

صوت

وَكفٍّ كَعوّاذ النقا لا يَضيرها إذا برزتْ ألاّ يكونَ خِضابُ

أناملُ فُتْـخٌ لا تـرى بأصولها ضُموراً ولم تَظْهَر لهن كِعابُ[3]

ولحنه من الثقيل الثاني .

---

1 جدر قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر .

2 الروحاء : قرية قرب المدينة .

3 فتخ : رخصة ليّنة .

قال : ومنها : [من المنسرح]

صوت

صادَتْكَ هنـدٌ وتلك عادتها فالقلـب ممّـا يَشُفّـه كَمِـدُ
كم تشتكي الشوقَ من صبابتها ولا تبـالي هنـدٌ بمـا تَجِـدُ

ولحنه من خفيف الثقيل .

قال : ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

أَعَسيتَ مِـن سَلْمى هـوا كَ اليـومَ محتـلاً جديـدا
ومَرابِـطَ الخيـلِ الجيـا دِ ومنزلاً خَلَقـاً هَمُودا

ولحنه خفيف ثقيل أَيضاً .

قال : ومنها : [من المتقارب]

صوت

أَلا مرحبـاً بخيـالٍ أَلـمّ وإن هاج للقلب طـولَ الأَلَمْ
خيـالٌ لأَسمـاءَ يَعتـادني إذا الليـلُ مَـدَّ رُواقَ الظُّلَمْ

ولحنه ثقيل أَوّل .

قال : ومنها : [من الكامل]

صوت

كم ليلةٍ ظلماءَ فيـكِ سَرَيْتُها أَتْعبتُ فيهـا صُحْبتي وركابي
لا يُبصر الكلبُ السَّرُوق خِباءَها ومواضعَ الأَوتـاد والأَطناب

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغَريض . قال ابن المكّيّ : غنّى أَبي الرشيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأَطربه ، ثم قال له : قُم يا يحيى فخُذ ما في ذلك البيت ؛ فظنّه فرشاً أَو ثياباً ، فإذا فيه أَكياس فيها عَيْن ووَرِق ؛ فحُمِلتْ بين يديه فكانت خمسين أَلفَ درهم مع قيمة العَيْن .

قال : ومنها : [من الكامل]

صوت

إنّي امرؤٌ مـا لي يَقي عِرْضي ... ويَبيت جـاري آمنـاً جَهْـلي
وأرى الذّمامـة للرَّفيـق إذا ... أُلقَـى رِحالتَـه إلى رَحْـلي[1]

ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ. قال ابن المكّيّ غنّى ابنُ جامع الرشيدَ يوماً البيتَ الأوّل من هذين البيتين ولم يَزِد عليه شيئاً؛ فأعجب به الرشيدُ واستردّه مراراً، وأَسْكت لابن جامع المغنّين جميعاً، وجعل يسمعه ويشرب عليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتِيـمَ وعشر خِلَع، وانصرف. فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكّيّ فاستأذن عليه، فأذِن له، فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع واستغاث به. فقال له يحيى: أفَزاد على البيت الأوّل شيئاً؟ قال لا؛ قال أفرأيتَ إن زِدْتُك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أُنسيه، وطرحتُه عليك حتى تأخذَه ما تجعلُ لي؟ قال: النصف ممّا يصل إليّ بهذا السبب؛ قال: والله؟! فأخذ بذلك عليه عهداً وشرطاً واستحلفه عليه أيماناً مؤكّدة؛ ثم زاده البيتَ الثاني وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف. فلمّا حضر المغنّون من غد ودُعي به كان أوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هذا الصوتُ، وجاء بالبيت الثاني وتحفَّظ فيه فأصاب وأحسن كلَّ الإحسان، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكِر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خِلَع؛ فحَمَل ذلك كلَّه، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله. وانصرف ابنُ جامع إليه من دار الرشيد، وكان يحيى في بقايا علّة فاحتجب عنه؛ فدفَع ابنُ جامع في صدر بوّابه ودخل إليه، فقال له: إيه يا يحيى، كيف صنعتَ! أُلقيتَ الصوت على الجُرْمُقاني[2]! لا رفع الله صَرْعتَك ولا وهب لك العافية. وتشاتما ساعةً، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مُدَوَّخ.

[مدحه إسحاق الموصليّ في جمع من المغنّين عند الفضل بن الربيع]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني محمَّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ عن أبيه قال قال لي إسحاق: كنت أنا وأبوك وابن جامع وفُلَيح بن أبي العَوْراء وزُبَير بن دَحْمان يوماً عند الفضل بن الربيع؛ فانبرى زُبير بن دحمان لأبيك (يعني يحيى)، فجعلا يُغنّيان ويُباري كلٌّ واحد منهما صاحبَه، وذلك يعجب الفضل، وكان يتعصّب لأبيك ويُعجب به. فلمّا طال الأمر بينهما قال له الزبير: أنت تنتحل غناءَ الناس وتدّعيه وتَنحَلهم ما ليس لهم. فأقبل الفضل عليّ وقال: احكم أيّها الحاكم بينهما، فلم يخفَ عليك ما هما فيه؛

1 الذّمامة: الحرمة والحقّ.

2 الجرمقاني: واحد الجرامقة من العجم.

فقلتُ : لئن كان ما يرويه يحيى ويغنِّيه شيئاً لغيره فلقد روى ما لم يَرْووه وما لم نَرْوِه ، وعَلِم ما جهِلناه وجهلوه ، ولئن كان من صنعته إنّه لأحسن الناس صنعةً ، وما أُعرف أَحداً أَروى منه ولا أَصحَّ أَداءً للغناء ، كان ما يغنّيه له أَو لغيره . فسُرّ بذلك الفضلُ وأَعجبه . وما زال أَبوك يشكره لي .

صوت

من المائة المختارة

[من الوافر]

أَهاجتْك الظعائنُ يـوم بانوا بذي الزِّيّ الجميلِ من الأَثاثِ
ظعائنُ أُسلِكتْ نَقْـبَ المُنَقَّى تُحَثّ إذا ونتْ أَيَّ احتثاثِ[1]

الشعر للنُّمَيريّ . والغناء للغريض ، ولحنه المختار ثقيلٌ أَوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 نقبَ المنقّى : موضع .

[89] ـ أخبار النُّمَيريّ ونسبه

[نسبه]

هو محمّد بن عبد الله بن نُمَير بن خَرَشَة بن رَبيعة بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِيّ ؛ وقَسِيّ هو ثَقيف . شاعر غَزِل ، مولده ومنشؤه بالطائف ، من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان يهوَى زينبَ بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجّاج بن يوسف ، وله فيها أشعار كثيرة يتشبَّب بها[1] .

[كان يهوى زينب أُخت الحجّاج بن يوسف ، وسياق أُحاديثه مع الحجّاج بشأنها]

حدّثني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثم قال حدَّثنا العُمَريّ عن لَقِيط بن بكر المُحاربيّ ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا حدَّثنا عمر بن شبّة : أنّ النميريّ كان يَهوَى زينبَ بنتَ يوسف أختَ الحجّاج بنِ يوسف بن الحكم لأبيه وأمّه . وأمّهما الفارعة بنت هَمّام بن عُرْوة بن مَسعود الثَّقَفيّ ؛ وكانت عند المغيرة بن شُعْبة ؛ فرآها يوماً بُكْرةً وهي تَتخلَّل ، فقال لها : والله لئن كان من غَداء لقد جشِعت ، ولئن كان من عَشاء لقد أنتنتِ ، وطلقها . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعلُ المرأة الحرّة أنت ؛ والله ما هو إلاّ من شَظيّة من سواكي استمسكتْ بين سِنَّيْن من أسناني . قال حَبيب بن نصر خاصّةً في خبره : قال عمر بن شبّة حدّثنا بذلك أبو عاصم النَّبِيل .

أخبرني حَبيب بن نصر قال حدَّثنا عمر بن شبّة عن يعقوب بن داود الثَّقَفيّ ، وحدّثنا به ابن عَمّار والجوهريّ عن عمر بن شَبّة ، ولم يذكرا فيه يعقوبَ بن داود ، قالوا جميعاً : قال مُسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ وكان قاضي الجماعة بالمدينة : إنّي لمع محمّد بن عبد الله بن نُمَيْر بنَعْمان[2] وغلامٌ يسير خَلْفَه يشتمه أقبح الشتيمة : فقلت : مَن هذا ؟ فقال : هذا الحجّاج بن يوسف ، دَعْه فإنّي ذكرتُ أُختَه في شعري ، فأحفظه ذلك .

قال عمر بن شبّة في خبره : وولدت الفارعة أمُّ الحَجّاج من المُغيرة بن شُعْبة بنتاً فماتت ؛ فنازع الحجّاجُ عروةَ بن المُغيرة إلى ابن زياد في ميراثها ؛ فأغلظ الحجّاج لعُروة ، فأمر به ابنُ زياد فضُرب أسواطاً على رأسه وقال : ألأبي عبد الله تقول هذه المَقالة ! وكان الحجّاج حاقداً

1 في ل : يُنسب .

2 نعمان : هو نعمان الأراك ، وادٍ بينه وبين مكّة نصف ليلة .

على آل زياد يَنفيهم من آل أَبي سفيان ويقول : آل أَبي سفيان سُتة[1] حُمْش[2] ، وآل زياد رُسْحٌ حُدْل[3] .

وكان يوسف بن الحَكَم اعتلّ علّة فطالت عليه ؛ فنَذَرت زينب إن عُوفي أَن تمشي إلى البيت ؛ فعُوفي فخرجت في نسوة فقطعنَ بطنَ وَجّ[4] ، وهو ثلثمائة ذراع ، في يوم جعلتْه مرحلةً لِثِقَل بدنها ، ولم تقطع ما بين مكّة والطائف إلاّ في شهر . فبينا هي تسير [إذ] لقِيها إبراهيم بن عبد الله النُّمَيريّ أَخو محمَّد بن عبد الله منصرفاً من العمرة . فلمّا قدم الطائفَ أَتى محمّداً يسلّم عليه ؛ فقال له : أَلك عِلْمٌ بزينب ؟ قال : نعم ، لقيتها بالهَماء[5] في بطن نَعْمان ؛ فقال : ما أَحسبك إلاّ وقد قلت شيئاً ؛ قال : نعم ، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهةَ أَن يَنْشَبَ بيننا وبين إخوتنا شرّ . فقال محمّد هذه القصيدةَ وهي أَوّل ما قاله : [من الطويل]

صوت

تَضَوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان إذ مشتْ ... بـه زينـبٌ في نسوة عَطِـراتِ
فأَصبح مـا بـين الهَماء فحزوة ... إلى الماء ماء الجِزْع ذي العُشَرَاتِ[6]
لـه أَرَجٌ من مِجْمَر الهند ساطع ... تَطلّـعُ رَيّـاه مـن الكَفِراتِ[7]
تهادَين ما بين الُمحَصَّب من مِنىً ... وأَقبلـن لا شُعْثـاً ولا غَبِراتِ
أَعان الذي فوق السموات عرشُه ... مـواشيَ بالبَطْحـاء مُؤْتجِراتِ
مَرَرْن بفَـخٍّ ثـم رُحْـن عشيّةً ... يُلَبِّـين للرحمـن معتمِـراتِ[8]
يُخبِّئن أَطـرافَ البنان مـن التُّقى ... ويقتلـن بـالأَلحاظ مقتدراتِ
تَقَسَّمن لُبّي يـومَ نَعْمانَ إنّني ... رأَيتُ فؤادي عـارِمَ النظراتِ[9]

1 سُتة : عظام الأستاه .
2 حمش : دقاق السوق .
3 الحدل : جمع أحدل وهو الذي أشرف أحد عاتقيه على الآخر .
4 وَجّ : اسم واد بالطائف .
5 الهماء : موضع بنعمان بين الطائف ومكّة .
6 العشرات : جمع عُشَر ، وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو .
7 الكفرات جمع كَفِر وهو العظيم من الجبال .
8 فخ : موضع بينه وبين مكّة ثلاثة أميال .
9 لُبّي في ل : قلبي . عارم : شارد النظرات حائرها .

جَلَوْنَ وجوهـاً لم تَلُحْها سَمائمٌ ... حَـرُورٌ ولم يُسْفَعن بالسَّبَراتِ[1]
فقلـتُ يَعافِيرُ الظبـاءِ تناولـتْ ... نِيـاعَ غصون المَرْد مُهْتَصِراتِ[2]
ولـمّـا رأتْ ركبَ النُّمَيريّ راعَها ... وكُـنَّ مِـنَ آنْ يَلْقَيْنَه حَذِراتِ
فأُدْنَيْن ، حتى جاوز الركبُ ، دونها ... حجابـاً مـن القَسِّيِّ والحِبَراتِ[3]
فكـدتُ اشتياقاً نحوَهـا وصَبابةً ... تَقَطَّعُ نفسي إثْرَهـا حَسَراتِ
فراجعتُ نفسي والحفيظةَ بعد ما ... بَلَلـتُ رداءَ العَصْب بالعَبَراتِ[4]

غنّى ابن سُرَيج في الأوّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان» ، ولحنه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، قال أبو زيد : فبلغتْ هذه القصيدةُ عبدَ الملك بنَ مروان ، فكتب إلى الحجّاج : قد بلغني قول الخبيث في زينب ، فالْهُ عنه وأَعْرِض عن ذكره ، فإنّك إن أدنيتَه أو عاتبتَه أطمعته ، وإن عاقبته صدّقته .

أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبي قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أبو سَلَمة الغِفاريّ قال : هَرَب النُّمَيريّ من الحجّاج إلى عبد الملك واستجار به ؛ فقال له عبد الملك : أنشدني ما قلتَ في زينب فأنشده . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الطويل]

ولمّا رأتْ ركبَ النميريّ أعرضتْ ... وكُـنَّ مِـنَ آنْ يَلْقَيْنه حَـذِراتِ

قال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميريّ ؟ قال : أربعة أَحْمِرة لي كنت أَجلُب عليها القَطِران ، وثلاثة أَحْمِرة صحبتي تحمل البعر . فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكاً ، ثم قال : لقد عظَّمتَ أمرَك وأمرَ ركبك ؛ وكتب له إلى الحجّاج أن لا سبيل له عليه . فلمّا أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه ، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له : أنا بريء من بَيْعة أمير المؤمنين ، لئن لم يُنشدني ما قال في زينب لآتينَّ على نفسه ، ولئن أنشدني لأعفونّ عنه ، وهو إذا أنشدني آمن . فقال له يزيد : ويْلَكَ ! أنشده ؛ فأنشده قولَه : [من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعمان إذ مشتْ ... بـه زينـبٌ في نسوة خَفِـراتِ

فقال : كذبت والله ، ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ إلى

1 السَّبرات : جمع سبْرة وهي شدّة برد الشتاء .
2 النياع من الغصون : التي تحرّكها الرّياح فتتمايل .
3 القسّيّ : ضرب من الثياب ، وهو منسوب إلى قسّ ، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتّان مخلوط بالحرير .
4 العصب : ضرب من البرود .

قوله : [من الطويل]

ولمّا رأتْ ركبَ النُّمَيْريّ راعها وكنّ مِنَ آنْ يلقينه حَذِراتِ

قال له : حقّ لها أن ترتاع لأنّها من نسوة خَفِرات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

مَرَرْن بفَخّ رائحاتٍ عشيّةً يُلبّين للرحمن معتمِراتِ

فقال : صدقتَ ، لقد كانت حَجّاجةً صَوّامة ما علمتُها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يُخمِّرن أطرافَ البنان من التُّقى ويخرجن جنحَ الليل مُعْتجِراتِ

فقال له : صدقتَ ، هكذا كانت تفعل ، وهكذا المرأة الحرّة المسلمة . ثم قال له : ويحك ! إنّي أرى ارتياعَك ارتياعَ مُريب ، وقولَك قولَ بريء ، وقد أمّنتك ، ولم يَعْرِض له . قال أبو زيد[1] : وقيل : إنّه طالب عريفَه به وأقسم لئن لم يَجِئْه به ليضربنّ عنقَه ، فجاءه به بعد هرب طويل منه ؛ فخاطبه بهذه المخاطبة :

[من شعره في زينب]

قال أبو زيد : وقال النُّميريّ في زينب أيضاً : [من الطويل]

صوت

طَرِبتَ وشاقتك المنازلُ من جَفْن ألاَ ربّما يعتادك الشوقُ بالحُزْنِ[2]
نظرت إلى أظعان زينبَ باللِّوى فأعولْتها لو كان إعوالُها يُغني
فوالله لا أنساكِ زينبُ ما دعتْ مُطوَّقةٌ ورقاءُ شجواً على غُصنِ
فإنّ احتمال الحيّ يومَ تحمّلوا عَناك وهل يَعنيك إلاّ الذي يَعني
ومُرْسِلة في السرّ أن قد فضحتَني وصرّحتَ باسمي في النَّسيبِ فما تَكْني
وأشمتَّ بي أهلي وجُلَّ عشيرتي ليَهْنِئْك ما تهواه إن كان ذا يَهْني
وقد لامني فيها ابنُ عمّيَ ناصحاً فقلتُ له خُذ لي فؤاديَ أو دَعْني

غنّى ابنُ سُريج في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات لحناً من الرمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، قال أبو زيد : فيقال : إنّه بلغ زينبَ بنت يوسف قولُه هذا فبكتْ ؛ فقالت لها خادمتها : ما يُبكيكِ ؟ فقالت : أخشى أن يسمعَ بقوله هذا

1 أبو زيد : هو أبو زيد بن عمرو بن شبة النميري البصري ، كان شاعراً إخباريّاً فقيهاً .

2 جفن : اسم واد بالطائف لثقيف .

جاهلٌ بي لا يَعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقاً .

قال : وقال النميريّ فيها أيضاً : [من الوافر]

أَهاجتْك الظعائنُ يوم بانوا بذي الزِّيّ الجميل من الأَثاثِ
ظعائنُ أُسلكتْ نَقْبَ المُنَقَّى تُحَثّ إذا ونتْ أَيَّ احتثاثِ
تُؤَمِّل أَن تُلاقيَ أَهلَ بُصْرَى فيا لك من لقاء مستراثِ[1]
كأَنّ على الحدائج يوم بانوا نِعاجاً ترتعي بَقْل البِراثِ[2]
يُهَيِّجني الحمامُ إذا تَداعَى كما سجَع النوائحُ بالمَراثِي[3]
كأن عيونَهنّ من التبكّي فصوصُ الجَزْع أَو يُنْع الكَباثِ[4]
أَلاَقٍ أَنت في الحِجَج البواقي كما لاقيتَ في الحِجَجِ الثلاثِ

[طلب أبو الحجّاج إلى عبد الملك ألاّ يجعل للحجّاج عليه سبيلاً فلقيه الحجّاج ولم يعرض له]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أَبي حدَّثنا عثمان بن حَفْص وغيره : أَنّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مَرْوان لمّا بعث بالحجّاج لحرب بن الزبير ، وقال له : يا أَمير المؤمنين ، إنّ غلاماً منّا قال في ابنتي زينبَ ما لا يزال الرجلُ يقول مثلَه في بنت عمّه ، وإنّ هذا (يعني ابنَه الحَجّاج) لم يزل يَتَتوَّق إليه ويَهُمُّ به ، وأَنت الآن تبعثه إلى ما هناك ، وما آمنه عليه . فدعا بالحَجّاج فقال له : إنّ محمّداً النُّمَيريّ جارِي ولا سلطانَ لك عليه ، فلا تعرِض له .

قال إسحاق فحدَّثني يعقوب بن داود الثَّقَفيّ قال : قال لي مسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ : كنتُ مع النُّمَيريّ وقد قتل الحجّاجُ عبدَ الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة ، فتأخَّر النُّميريّ حتى كان في آخرهم ، فدعا به ثم قال له : إنّ مكانك لم يخفَ عليّ ، ادْنُ فبايعْ . ثم قال له : أَنشِدْني ما قلتَ في زينب ؛ قال : ما قلتُ إلاّ خيراً ؛ قال : لَتُنشِدَنّي . فأَنشده قولَه : [من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ به زينبٌ في نسوة عَطِراتِ
أَعان الذي فوقَ السموات عرشُه مَواشيَ بالبَطْحاء مؤتجِراتِ

---

1 مستراث : مستبطأ .
2 الحدائج : جمع حديجة . والحديجة من مراكب النساء نحو الهودج والمحفّة . البِراث : الأماكن السهلة الرمل ، واحدها بَرْث .
3 النوائح في ل : النوادب .
4 الكباث : ثمر الأراك .

يخمِّرن أطرافَ الأكُفّ من التُّقى ... ويخرُجْن جُنْحَ الليل معتجراتِ[1]

فما ذكرتُ أيّها الأمير إلاّ كرماً وخيراً وطيباً . قال : فأنشدْ كلمتَكَ كلَّها فأنت آمن ؛ فأنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

ولمّا رأتْ ركبَ النُّميريّ راعها ... وكُنَّ منَ آن يَلْقَيْنه حَذِراتِ

فقال له : وما كان ركبُك ؟ قال : واللهِ ما كان إلاّ أربعة أحْمِرة تحمل القَطِران . فضحك الحجّاج وأمره بالانصراف ولم يَعرِض له .

[تهدّده الحجّاج فهرب وقال شعراً]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ عن الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن عَطاء عن عاصم بن الحَدَثان قال : كان ابن نُمير الثَّقفيّ يشبِّب بزينبَ بنتِ يوسف بن الحكَم ؛ فكان الحَجّاج يتهدّده ويقول : لولا أن يقولَ قائلٌ صدَق لقطعتُ لسانَه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحرَ عَدَن ، وقال في هربه : [من الطويل]

أتَتْني عن الحَجّاج والبحرُ بيننا ... عقاربُ تَسْري والعيونُ هواجعُ[2]

فضِقْتُ بها ذَرْعاً وأجهشتُ خِيفةً ... ولم آمَنِ الحَجّاجَ والأمرُ فاظعُ

وحلَّ بي الخطبُ الذي جاءني به ... سميعٌ فليستْ تستقرّ الأضالعُ

فبتُّ أديرُ الأمرَ والرأيَ ليلتي ... وقد أخضلتْ خدّي الدموعُ التوابعُ

ولَم أرَ خيراً لي من الصبر إنّه ... أعفُّ وخيرٌ إذ عَرَتْني الفواجعُ

وما أمِنتْ نفسي الذي خفتُ شرَّه ... ولا طاب لي ممّا خَشِيتُ المضاجعُ

إلى أن بدا لي رأس إسْبِيلَ طالعاً ... وإسبيلُ حصن لم تَنَلْه الأصابعُ[3]

فلي عن ثَقيفٍ إن هممتُ بنَجْوة ... مَهامِهُ تهوِي بينهنّ الهَجارعُ[4]

وفي الأرض ذاتِ العَرْضِ عنك ابنَ يوسف ... إذا شئتُ مَنْأىً لا أبا لَكَ واسعُ

فإن نِلْتَني حَجّاجُ فاشتفِ جاهداً ... فإنّ الذي لا يحفظ اللهُ ضائعُ

فطلبه الحَجّاج فلم يقدِر عليه . وطال على النُّمَيريّ مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحَجّاج ؛ فقال له : إيه يا نُميريّ ! أنت القائل : [من الكامل]

1 الأكُفّ في ل : البنان .

2 بيننا في ل : دوننا .

3 إسبيل : جبل في مخلاف ذمار .

4 تهوي في ل : تعمى . الهجارع : جمع هجرع وهو الخفيف من الكلاب السّلوقيّة .

فإن نلتَني حَجَّاجُ فاشْتَفِ جاهداً

فقال : بل أنا الذي أقول : [من الطويل]

أخافُ من الحَجّاج ما لستُ خائفاً ... من الأَسدِ العِرْباض لم يَثْنِه ذُعْرُ[1]

أخافُ يَدَيْه أن تنالا مَقاتلي ... بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ

وأنا الذي أقول : [من الطويل]

فهأنذا طَوَّفْتُ شَرْقاً ومَغْرِباً ... وأُبْتُ وقد دوّختُ كلَّ مكانِ[2]

فلو كانت العَنْقاء منكَ تَطير بي ... لخِلْتُك إلاّ أن تَصُدَّ تراني

قال : فتبسّم الحجّاج وأمّنه ، وقال له : لا تعاود ما تعلم ؛ وخلّى سبيلَه .

ويروى :

فلو كنت بالعنقاء أو بأسومها ... لخلتك إلاّ أن تصدَّ تراني

[زواج زينب أخت الحجّاج وتولية كَرِّيها شرطة البصرة]

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق

قال حمّاد فحدّثني أبي قال ذكر المدائنيّ وغيره : أنّ الحجّاج عرض على زينبَ أن يزوّجها محمّدَ بن القاسم بن محمّد بن الحكم بن أبي عَقِيل ، وهو ابن سبعَ عشرةَ سنة ، وهو يومئذٍ أشرفُ ثقفيّ في زمانه ، أو الحكم بن أيّوب بن الحكم بن أبي عَقيل ، وهو شيخ كبير ، فاختارت الحكم ، فزوّجها إيّاه ، فأخرجها إلى الشام . وكان محمّد بن رياط كَرِيَّها ، وهو يومئذٍ يُكْرِي . فلمّا ولي الحجّاجُ العراقَ استعمل الحكَم بن أيّوب على البصرة ، فكلّمته زينبُ في محمّد بن رياط فولاّه شرطته بالبصرة . فكتب إليه الحجّاج : إنّك ولّيتَ أعرابيّاً جافياً شرطتَك ، وقد أجزنا ذلك لكلام مَنْ سألك فيه . قال : ثم أنكر الحكَمُ بعضَ تَعَجْرُفه فعزله . ثم استعمل الحجّاجُ الحكمَ بن سعد العُذْريّ على البصرة وعزل الحكم بن أيّوب عنها واستقدمه لبعضِ الأمر ، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة ، وجهّزه من ماله . فلمّا قدِم البصرةَ هيّأتْ له زينبُ طعاماً وخرجت متنزّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة . فقيل لها : إنّ فيهن امرأة لم يُرَ أحسن ساقاً منها . فقالت لها زينب : أريني ساقَكِ ؛ فقالت : لا ، إلاّ بخلوة ؛ فقالت : ذاك لكِ ، فكشفتْه لها ، فأعطتها ثلاثين ديناراً وقالت : اتّخذي منها خَلخالاً . قال :

1 العرباض : الأسد الثقيل العظيم .

2 دوّخت في ل : طوّفت .

وكان الحجّاج وجّه بزينب مع حُرَمه إلى الشام لّما خرج ابنُ الأشعث خوفاً عليهنّ . فلمّا قُتل ابنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح ، وكتب مع الرسول كتاباً إلى زينبَ يُخبرها الخبرَ ، فأعطاها الكتابَ ، وهي راكبة على بغلة في هودج ، فنشرته تقرؤه ، وسمعت البغلة قعقعةَ الكتاب فنفرَت ، وسقطت زينبُ عنها فاندقّ عَضُداها وتَهَرّأ جوفُها فماتت . وعاد إليه الرسول ، الذي نفَذ بالفتح ، بوفاة زينب . فقال النميريّ يرثيها : [من الطويل]

صوت

لزينبَ طيفٌ تعتريني طوارقُه هُدوءاً إذا النجم ارْجَحنّتْ لواحقُهْ
سيَبكيكِ مِرْنانُ العشيّ يُجيبه لَطيفُ بنان الكفِّ دُرْمٌ مَرافقُهْ[1]
إذا ما بِساطُ اللهو مُدّ وأُلقيتْ لِلَذّاتِه أنماطُه ونمارقُهْ

غنّاه معبد ، ولحنه ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وما بقي من شعره من الأغاني في نَسيب النميريّ لم نذكر طريقتَه وصانعَه لنذكر أخباره معه .

[غنّى ابن سريج من شعره لعبد الله بن جعفر]

صوت

[من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أَنْ مشتْ بــه زينــبٌ في نسوة خَفِـراتِ
مَـرَرْن بفَـخٍّ رائحـاتٍ عشيّـةً يُلبِّـين للرحمـن مُعتمِـراتِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمّد بن مزيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ[2] عن عبد الله بن مُسْلم الفِهْريّ[3] قال : خرج عبد الله بن جعفر متنزّهاً ، فصادف ابنَ سُرَيج وعَزّة المَيْلاء متنزّهَيْن ، فأناخ ابنُ جعفر راحلتَه وقال لعَزّة : غَنِّيني فغنّتْه ، ثم قال لابن سُريج : غنّني يا أبا يحيى ، فغنّاه لحنَه في شعر النميريّ : [من الطويل]

---

1 مرنان العشيّ : كنى به عن الصنج ذي الأوتار . درم : جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه .
2 المدائنيّ : (135–225هـ) : هو أبو الحسن علي بن محمّد بن عبد الله بن أبي سيف المدائنيّ مولى شمس بن عبد مناف ، من رواة الأخبار المشهورين .
3 الفهريّ (125–197هـ) : أبو محمّد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري راوٍ مشهور وله مصنفات كثيرة .

تَضَوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أَن مشتْ

فأمر براحلته فنُحرت ، وشقّ حُلّته فألقى نصفَها على عَزّةَ والنصفَ الآخر على ابن سريج . فباع ابنُ سريج النصفَ الذي صار إليه بمائة وخمسين ديناراً . وكانت عزّة إذا جلست في يوم زينة أو مباهاة ألقت النصفَ الآخرَ عليها تتجمّل به .

[سمع سعيد بن المسيّب شعراً له فأعجبه وزاد عليه]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني الحسن بن عليّ بن منصور قال أخبرني أبو عَتّاب عن إبراهيم بن محمّد بن العبّاس المُطّلبيّ : أنّ سعيد بن المُسيَّب مرّ في بعض أَزِقّة مكّة ، فسمع الأخضرَ الحَرْبيّ يتغنّى في دار العاص بن وائل : [من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نعمانَ إذ مشت ... بــه زينــبٌ في نسوة خَفِــراتِ

فضرب برجله وقال : هذا والله ممّا يَلَذّ استماعه ، ثم قال : [من الطويل]

وليست كأُخرى أوسعت جيبَ دِرْعِها ... وأبـدت بنـانَ الكـفّ للجَمَراتِ

وعَلّت بَنـان المسكِ وَحْفـاً مرجّلا ... على مثـل بَـدْرٍ لاح في الظلماتِ[1]

وقامتْ تَراءَى يــومَ جَمْـعٍ فأفْتنتْ ... برؤيتهــا مَــنْ راح مــن عَرَفاتِ[2]

قال : فكانوا يرون أنّ هذا الشعر لسعيد بن المُسيّب .

[مرّ على عائشة بنت طلحة فاستنشدته شعره في زينب]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله أخي الأصمعيّ عن عبد الله بن عِمْران الهَرَويّ ، وأخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني المُغيرة بن محمّد المهلَّبيّ قال حدَّثني محمّد بن عبد الوهّاب عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عِمْران الهَرَويّ قال : لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكّة سنةً وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزّه فيه ، وتجلس بالعشيّات ، فيتناضل بين يديها الرُّماة . فمرَّ بها النُّمَيريّ الشاعر ؛ فسألت عنه فنُسب لها ، فقالت : ائتوني به ، فأتَوْها به . فقالت له : أنشِدْني ممّا قلتَ في زينبَ ؛ فامتنع عليها وقال : تلك ابنة عمّي وقد صارت عظاماً بالية . قالت : أقسمتُ عليك بالله إلاّ فعلتَ ؛ فأنشدها قولَه : [من الطويل]

تضوّعَ مسكاً بطنُ نعمان أنْ مشتْ

الأبيات . فقالت : والله ما قلتَ إلاّ جميلاً ، ولا ذكرتَ إلاّ كرماً وطيباً ، ولا وصفتَ إلاّ

1 الوحف : الشّعر الغزير الأسود .

2 جمع : علم للمزدلفة .

دِيناً وتُقىً ، أَعطوه أَلفَ درهم . فلمّا كانت الجمعة الأُخرى تعرّض لها ؛ فقالت : عليّ به ، فأُحضِر[1] . فقالت له : أنشِدْني من شعرك في زينبَ ؛ فقال لها : أَوَ أُنشِدُك من شعر الحارث بن خالد[2] فيكِ ؟ فوثب مواليها إليه ؛ فقالت : دَعُوه فإنّه أَراد أن يَستقيد لبنت عمّه ، هاتِ ممّا قال الحارثُ فيّ ؛ فأَنشدها : [من الكامل]

ظَعَـنَ الأَميرُ بأَحسن الخَلْـقِ وغَـدَوْا بلبّـك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فقالت : والله ما ذكر إلاّ جميلاً ، ذكر أنّي إذا صبّحتُ زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطَّلْق ، وأنّي غدوتُ مع أَميرٍ تزوّجني إلى الشرق ، وأنّي أَحسن الخَلْق في البيت ذي الحسب الرفيع ؛ أَعطوه أَلف درهم واكْسُوه حُلَّتين ، ولا تَعُدْ لإتياننا بعد هذا يا نُمَيْريّ .

[غنّى إبراهيم الموصليّ للرشيد من شعره وكان غاضباً عليه فرضي عنه]

أَخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه : أَنّ الرشيد غضب على إبراهيم أَبيه بالرقّة فحبسه مدّةً ، ثم اصطبح يوماً ، فبينا هو على حاله إذ تذكّره ، فقال : لو كان الموصليّ حاضراً لانتظم أَمرُنا وتَمَّ سرورنا . قالوا : يا أَمير المؤمنين ، فَجِيء به ، فما له كبيرُ ذنب . فبعث فجِيء به . فلمّا دخل أَطرق الرشيد فلم ينظر إليه ، وأَومأَ إليه مَنْ حضر بأَن يغنّي ؛ فاندفع فغنّى : [من الطويل]

تَضوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أَن مشتْ بـه زينـبٌ في نِسْوة خَفِراتِ

فما تمالك الرشيد أَن حَرّك رأسَه مراراً واهتزّ طرباً ، ثم نظر إليه وقال : أَحسنتَ والله يا إبراهيم ! حُلّوا قيودَه وغَطُّوه بالخِلَع ، ففُعِل ذلك . فقال : يا سيِّدي ، رضاك أَوّلاً ؛ قال : لو لم أَرْضَ ما فعلتُ هذا ، وأَمر له بثلاثين أَلفَ درهم .

وممّا قاله النُّمَيْريّ في زينبَ وغُنّي فيه : [من مجزوء الكامل]

صوت

تَشْتو بمكّـة نَعْمـةً ومَصيفُهـا بالطائفِ
أَحْبِبْ بتلك مواقفـاً وبزينبٍ مِـنْ واقفِ
وعَزيـزة لم يَغْذُهـا بؤسٌ وجفوةُ حائفِ
غَـرّاء يَحْكيها الغزا لُ بمُقلـةٍ وسَوالفِ

1 في ل : فجاء .
2 الحارث : هو الحارث بن خالد المخزوميّ .

الغناء ليحيى المكّيّ خفيفُ رَمَل عن الهشاميّ ، وذكر عمر بن بانة أنّه لابن سُرَيج وأنّه بالبنصر . وزعم الهشاميّ أنّ فيه لابن المكّيّ أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل .

ومن الغناء في أشعاره في زينبَ : [من المتقارب]

صوت

ألاَ مَـنْ لقلـبٍ مُعَنَّـى غَزِلْ ... يُحِـبّ المُحِلّـةَ أختَ المُحِلّ

تراءتْ لنـا يـومَ فرعِ الأرا ... ك بـين العِشاء وبين الأُصُلْ

كأنّ القَرَنْفُـلَ والزّنجَبيـلَ ... وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العسلْ

يُعَـلّ بـه بَـرْدُ أنْيابِهــا ... إذا مـا صفا الكوكبُ المعتدلْ

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر يونس أنّ لمالك فيه لحناً في : [من المتقارب]

كأنّ القرنْفُـلَ والزّنجبيل

والبيت الذي بعده وبيتين آخرين وهما : [من المتقارب]

وقالـت لجارتهـا هـل رأيـ ... ـتِ إذْ أعرَض الركبُ فِعْلَ الرجلْ

وأنّ تَبَسُّمَـه ضاحكـاً ... أجَـدّ اشتياقـاً لقلـب غَـزِلْ

وذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيها للهُذَليّ لحناً ، ولم يذكر طريقته .

المُحِلّ الذي عناه النميريّ هاهنا : الحَجّاج بن يوسف ؛ سُمّي بذلك لإحلاله الكعبة ، وكان أهل الحجاز يُسمُّونه بذلك . ويُسمّي أهلُ الشام عبدَ الله بن الزبير المُحلّ لأنّه أحلّ الكعبة ، زعموا أنّه بمُقامه فيها ، وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاءوا بها .

فأخبرني الحُسين بن يحيى المِرْداسيّ قال قال حَمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي : وبلغني أنّ إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس تزوّج أسماءَ بنت يعقوب (امرأة من ولد عبد الله بن الزبير) فزفّت إليه من المدينة وهو بفارس ، فمرّتْ بالأهواز على السيّد الحِمْيريّ ؛ فسأل عنها فنُسبت له ؛ فقال فيها قولَه : [من المتقارب]

مَـرّتْ تُزَفّ على بغلة ... وفـوق رِحالتهـا قُبّهْ

زُبيريّةٌ من بنات الذي ... أحلّ الحرامَ مـن الكعبهْ

تُـزفُّ إلى ملكٍ ماجدٍ ... فلا اجتمعا وبها الوَجْبهْ

وقد قيل بأنّ الأبيات اللاميّة التي أوّلها : [من المتقارب]

أَلاَ مَنْ لقلبٍ مُعنًّى غَزِلْ

لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلَة بنت الزُّبَير ، وقيل : إنّها لأبي شَجَرة السُّلَميّ .

[استنشد رجل ابن سيرين فأنشده للنميريّ وقام إلى الصلاة]

حدَّثني الحسين بن الطيِّب البَلْخيّ الشاعر قال حدَّثنا قُتَيبةُ بن سَعيد قال حدَّثنا أبو بكر بن شُعَيب بن الحَبْحاب المَعْوَليّ[1] قال : كنتُ عند ابن سيرينَ ، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر ، فأنشده ابنُ سيرين : [من المتقارب]

كأنّ المُدامــةَ والزنجبيــلَ وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العَسلْ
يُعَـــلُّ بـــه بَــرْدُ أنيابهـــا إذا النجم وَسْطَ السماء اعتدلْ

وقال : اللهُ أكبرُ ، ودخل في الصلاة .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يا قلبُ ويحكَ لا يذهبْ بك الخُرُق إنّ الألُى كنتَ تَهْواهم قد انطلقوا[2]

[ويُروى : يذهب بك الحُرَق] :

مـــا بالهـــم لم يُبالوا إذ هَجَرْتَهمُ وأنت من هجرهم قد كدتَ تحترقُ

الشعر لوضّاح اليمن . والغناء لصَبَّاح الخيّاط ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها . وفي أبيات من هذه القصيدة ألحانٌ عدّة ، فجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرْمة ؛ فأخّرتُ ذكرَها إلى أن تنقضي أخبارُ وَضّاح ، ثم أذكرها[3] بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

1 المعولي : نسبة إلى بني مَعْوِلة بن شمس بن عمرو .
2 الخُرُق : نقيض الرِّفق .
3 لم يذكرها أبو الفرج كما وعد هنا .

[90] ـ أخبار وضّاح اليمن[1] ونسبه

[نسبه]

وَضّاح لقبٌ غلب عليه لجماله وبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد . ثم يُختلف في تحقيق نسبه ، فيقول قوم : إنّه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليمَن مع وَهْرِز لنُصرة سَيْف بن ذي يَزَن على الحبشة . ويزعمُ آخرون أنّه من آل خَولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن العَرَنْجَج[2] وهو حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعف بن قَحْطان . فممّن ذكر أنّه من حمير خالد بن كُلْثوم ، قال : كان وضّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ بن أبي جَمد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحِمْيَري فمات أبوه وهو طفل ، فانتقلت أمّه إلى أهلها ، وانقضتْ عدّتها فتزوّجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس . وشبّ وضّاح في حجر زوج أمّه . فجاء عمُّه وجدّته أُمُّ أبيه ، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذي قَيْفان ثم من آل ذي جَدَن يطلبونه ، فادّعى زوج أمّه أنّه ولده . فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنّه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء[3] في أمره وحضر معهم . فلمّا حكم به الحاكم للحميريين ، مسح يدَه على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له : اذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا من أتباع ذي يَزَن (يعني الفُرْس الذين قدم بهم ابنُ ذي يَزَن لنصرته) فعَلِقت به هذه الكلمة منذ يومئذٍ ، فلُقّب وضّاح اليمن . قال خالد : وكانت أمّ داذ بن أبي جَمَد جدّة وضّاح كِنْديّةً ؛ فذلك حيث يقولُ في بنات عمّه : [من الخفيف]

إنّ قلبـي مُعَلَّـق بنساء ... واضحاتِ الخدود لَسْنَ بهُجْنِ
مِنْ بناتِ الكريم دَاذَ وفي كنـ ... ـدةَ يُنسبن من أُباة اللَّعْنِ

وقال أيضاً يفتخر بجَدّه أبي جَمَد : [من الخفيف]

بَنـى لِيَ إسماعيلُ مجداً مُؤثَّلاً ... وعبـدُ كُـلال بعده وأبو جَمَدْ

---

1 وضاح اليمن ، انظر أخباره في : التذكرة الحمدونية 9 : 232–233 .

2 كان يقال لحمير العرنجج ، والعرنجج في الأصل : العتيق .

3 الأبناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن .

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثني عمِّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال: كان وضّاح اليمن والمُقنَّع الكِنْديّ وأبو زُبَيد الطائي يَرِدون مواسمَ العرب مُقنَّعين يسترون وجوهَهم خوفاً من العين وحَذَراً على أنفسهم من النساء لجمالهم. قال خالد بن كلثوم: فحدّثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى حاضرٌ ذلك، وكان يزعم أنّ وضّاحاً من الأبناء؛ فقال أبو عُبيدة: داذ اسم فارسيّ. فقلت له: عبدكلال اسم يَمانٍ، وأبو جَمَد كنية يمانية، والعجم لا تكتني، وفي اليمن جماعة قد تسمَّوْا بأَبْرَهة، وهو اسم حبشيّ، فينبغي أن تنسبُهم إلى الحبشة. وأيّ شيء يكون إذا سُمّي عربيّ باسم فارسيّ! وليس كلّ مَن كُني أبا بكر هو الصدِّيق، ولا مَن سُمِّي عُمَراً هو الفاروق، وإنّما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه. قال: فوجَم أبو عبيدة وأُفحم فما أجاب.

وممّن زعم أنّه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمّد بن زِياد الكِلابيّ.

وقال خالد بن كلثوم: إنّ أُمّ إسماعيل أبي الوضّاح بنتُ ذي جَدَن، وأُمّ أبيه بنت فُرْعان ذي الدّروع الكِنْديّ من بني الحارث بن عمرو.

[أحبّ روضة ولم يتزوّجها وقال فيها شعراً]

وكان وضّاحٌ يهوى امرأةً من أهل اليمن يُقال لها رَوْضة.

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: ذكر هشام بن الكلبيّ أنّها رَوْضة بنت عمرو، من ولد فُرْعانَ ذي الدروع الكِنْديّ.

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني محمّد بن سَعيد الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثَم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش: أنّ وضّاحاً هَوِي امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة؛ فذهبت به كلّ مذهب. وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إيّاها؛ وعاتبه أهلُه وعشيرته. فقال في ذلك: [من البسيط]

صوت

يا أيُّها القلبُ بعضَ ما تجدُ	قد يعشَق المرءُ ثم يَتَّئدُ
قد يكتم المرءُ حبّه حِقَباً	وهْو عَميدٌ وقلبُه كَمِدُ
ماذا تريدينَ من فتىً غَزِلٍ	قد شَفّه السُّقْمُ فيكِ والسَّهَدُ
يهدِّدوني كَيْما أخافَهمُ	هيهاتَ أنّى يُهَدَّد الأَسدُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها لحن لابن عَبّاد، من كتاب إبراهيمَ، غير مجنّس.

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني سالم بن زيد قال أخبرني التَّوَّزِيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ عن الخليل بن أحمد قال : كان وَضّاح يهوى امرأةً من كِنْدة يقال لها رَوْضة . فلمّا اشتهر أمرُه معها خطبها فلم يُزوَّجها ، وزُوِّجتْ غيرَه ، فمكثت مدّة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها فأسرّ إليه شيئاً فبكى . فقال له أصحابه : مالك تبكي ؟ وما خبرك ؟ فقال : أخبرني هذا أنّ روضةَ قد جُذمت ، وأنّه رآها قد أُلقيت مع المجذومين . ولم نجد لهما خبراً يرويه أهلُ العلم إلاّ لُمَعاً يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره ، فأمّا خبرٌ متّصل فلم أجده إلاّ في كتاب مصنوع غَثّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثلُه . وأصابها الجُذام بعد ذلك ، فانقطع ما بينهما . ثم شبّب بأُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان زوجةِ الوليد بن عبد الملك ، فقتله الوليد لذلك . وأخبارهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية .

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال حدَّثنا مصعَب بن عبد الله قال : كان وَضّاح اليمن يَهوى امرأةً يقال لها روضة ويشبِّب بها في شعره ، وهي امرأة من أهل اليمن . وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا رَوضة الوضّاح قــد ... عَنَّيــتِ وضّـاحَ اليمنْ
فاسقي خليلَــك مِنْ شرا ... بٍ لم يُكــدِّره الدَّرَنْ
الريــحُ ريح سَفَرْجَـــلٍ ... والطعمُ طعم سُلافِ دَنّ
إنّــي تُهيِّجنـــي إليـــ ... ــكِ حمامتـان على فَنَنْ

قال مُصعَب : فحدَّثني بعض أهل العلم ممّن كان يعرف خبر وَضّاح مع روضةَ من أهل اليمن : أنّ وضّاحاً كان في سفر مع أصحابه . فبينا هو يسير إذ استوقفهم وعدَل عنهم ساعةً ، ثم عاد إليهم وهو يبكي . فسألوه عن حاله ؛ فقال : عدلتُ إلى روضة ، وكانت قد جُذمت فجُعِلتْ مع المجذومين ، وأخرجت من بلدها ، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْراً[1] من نفقتي . وجعل يبكي غمّاً بها .

الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات ؛ فإن في جميعها غناء .

وممّا قاله وضّاح في روضةَ المذكورة وفيه غناء ، وأنشدَنا حِرْمِيٌّ عن الزُبَير عن عمِّه : [من الطويل]

1 الصّدر : الطائفة من الشيء .

صوت

أيا روضةَ الوَضّاح يا خيرَ رَوضةٍ لأَهلكِ ، لـو جادوا علينا بمنزلِ
رهينُـك وَضّاحٌ ذهبـتِ بعقلـه فإن شئتِ فاحييه وإن شئت فاقتلي
وتُوقـد حِيناً باليَلَنْجُوج نارَهــا وتوقِـد أَحيانـاً بمسك ومَنْدَلِ[1]

والأَبيات الأُوَل النونيّة فيها زيادة على ما رواه مصعب ، وفي سائرها غناء . وتمامُها بعد قوله : [من مجزوء الكامل]

«إنّــي تُهيّجنــي إليــ ـــكِ حمامتان على فَنَنْ»
الـزوج يدعــو إلفَــه فتطاعمـا حُـبَّ السكنْ
لا خيرَ في نَـثّ الحديـ ـث ولا الجليس إذا فَطَنْ
فاعْصِـي الوُشاةَ فإنّمـا قـول الوشاة هـو الغَبَنْ
إنّ الـوُشاة إذا أَتـو كِ تَنَصّحوا ونَهَوْكِ عنّ[2]
دَسَّت حُبَيبــةُ مَوْهِنـاً إنّي وعيشكِ يـا سَكَنْ
أُبلغــتُ عنـكِ تبـدُّلاً وأَتـى بذلـك مُؤْتَمَنْ
وظننــتُ أَنّكِ قـد فعلـ ـتِ فكِدْتُ من حَزَن أُجنّ
ذَرَفتْ دموعــي ثـم قلـ ـت بمَـنْ يبادلني بمنْ
اسكُتْ فلستَ مُصدَّقـاً مـا كان يفعـل ذا أُظنْ
إنّي وجَــدِّكَ لـو رأَيــ ـــت خليلَنـا ذاك الحسنْ
يجفــوه ثــم يحبنـا والله مِـتُّ مـن الحَـزَنْ
أُخبــرْه إمّـا جئتَــــه أَنّ الفـؤادَ بـه يجَنّ
أُبغضتَ فيــه أَحبّتــي وقَلَيْت أَهــلي والوطنْ
أَتركتَنــــي حتّــى إذا عُلّقــت أَبيـض كالشَّطَنْ
أَنشأْتَ تطلــب وَصْلَنـا في الصيف ضَيَّعتِ اللبنْ

هكذا قال ، وغيره يرويه : «في الصيف ضيحت اللبن» أي مذقته . قال[3] :

---

1 اليلنجوج : عود البخور .
2 يريد : عنّي .
3 الظاهر أنّ كلمة «قال» من عمل النسّاخ .

لـو قيل يـا وضّاح قـم فاختـر لنفسك أو تَمَنّ
لم أعْـدُ رَوْضَـةَ والذي ساق الحجيج لـه البُدُنْ

الغناء في الأوّل من القصيدة وهو «يا روضة الوضّاح» يُنسب إن شاء الله . وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعةٌ ، وبعضها لم يَقَع إليّ أنّه صُنِع فيه . فمن قوله فيها : [من السريع]

صوت

يـا روضُ جيرانكـم الباكرُ فالقلـبُ لا لاهٍ ولا صابـرُ
قالـت ألا لا تَلِجَـنْ دارَنـا إنّ أبانـا رجـلٌ غـائرُ
قلـت فإنّـي طالـبٌ غِرّةً منـه وسَيفـي صارمٌ بـاترُ
قالت فإن القَصْرَ مِـنْ دوننا قلتُ فإنّـي فوقـه ظـاهرُ
قالت فإن البحرَ مِـنْ دوننا قلت فإنّـي سابحٌ مـاهرُ
قالت فحَـوْلي إخـوةٌ سبعةٌ قلت فإنّـي غالـبٌ قـاهرُ
قالت فليـثٌ رابضٌ بيننـا قلت فإنّـي أسدٌ عـاقرُ
قالت فـإن اللهَ مـن فوقنا قلت فربّـي راحـمٌ غـافرُ
قالت لقـد أعييتَنـا حُجّةً فـأْتِ إذا مـا هَجع السامرُ
فاْسقُط علينا كسقوط النَّدَى ليلـةَ لا نـاهٍ ولا زاجـرُ

الغناء في هذه الأبيات هَزَجٌ يمنيّ ، وذكر يحيى المكّيّ أنّه له .

وقال في روضةَ وهو بالشام : [من الوافر]

أبَتْ بالشام نفسي أن تطيبا تذكّـرتُ المنـازلَ والحبيبا
تذكّرتُ المنازلَ مـن شَعُوب وحَيّاً أصبحوا قُطِعوا شُعوبا[1]
سَبَوا قلبـي فحَلّ بحيث حَلّوا ويُعظم إن دَعَـوْا ألاّ يُجيبا
ألا ليت الريـاحَ لنا رسولٌ إليكم إنْ شَمـالاً أو جَنُوبا
فتأتِيَكـم بمـا قلنـا سريعـاً ويبلُغَنـا الذي قلتـم قريبا
ألا يا رَوْض قـد عَذّبتِ قلبي فأصبح مـن تذكُّركم كئيبا

1 شعوب : موضع قريب من صنعاء ، وكان به قصر معروف بالارتفاع وحواليه بساتين بظاهر صنعاء .

ورقّقني هـواكِ وكنتُ جَلْداً وأبْـدى في مَفارِقـيَ المَشيبا
أما يُنسيكَ روضةَ شحطُ دارٍ ولا قـربٌ إذا كانت قريبا

وممّا قال فيها أيضاً : [من الكامل]

طَرِب الفؤاد لطَيْفِ روضةَ غاشي والقومُ بـين أباطِـح وعِشاشِ[1]
أنّى اهتديتِ ودون أرضِك سَبْسبٌ قَفْرٌ وحَـزْنٌ في دُجىً ورِشاشِ
قالـت تكاليفُ المحبّ كَلِفتُهـا إنّ المُحبّ إذا أُخيـف لَماشي
أدعوكِ روضة رحب واسمك غيرُه شَفَقاً وأخشى أن يَشي بكِ واشي
قالت فزُرْنا قلـتُ كيف أزورُكم وأنـا امرؤ لخُروج سرّك خاشي
قالت فكُنْ لعُمومتي سَلماً معـاً والطُفْ لإخوتـيَ الذين تُماشي
فتزورنـا معهـم زيـارةَ آمـنٍ والسرُّ يـا وضّاح ليس بفاشي
ولَقِيتُها تمشي بأبطَـحَ مـرّةً بخلاخـلٍ وبحُلّـةِ أكْباشِ[2]
فظلِلْتُ معمـوداً وبـتّ مُسَهَّداً ودمـوع عيني في الرداء غَواشي
يا روض حبُّك سَلَّ جسمي وانتحى في العظم حتى قد بلغتِ مُشاشي[3]

وممّا قال فيها أيضاً : [من الكامل]

طرَق الخيـالُ فمرحباً سهلا بخيال مَنْ أهدى لنا الوصْلاَ[4]
وسَرى إليّ ودون منزله خمسٌ دوائمُ تُعمِل الإبْلا
يـا حبّـذا مَنْ زار معتسفاً حَـزْنَ البـلاد إليّ والسَّهْلا
حتى ألـمّ بنـا فبـتُّ بـه أغْنـى الخلائقِ كلِّهـم شَمْلا
يا حبّذا هي قَدْكَ حسبك قد واللهِ مـا أبقيـتِ لي عقلا
واللهِ مـالي عنـكِ مُنْصَرَفٌ إلاّ إليكِ فأجْمـلي الفِعْلا

[حجّت أمّ البنين ورأته فهويته]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا القاسم بن الحسن المَرْوَزيّ قال حدَّثنا

1 العشاش : جمع عَشّة ، وهي الأرض القليلة الشجر ، وقيل هي الأرض الغليظة .
2 الأكباش : من برود اليمن .
3 المشاش : النّفس ، والمشاش أيضاً : رؤوس العظام واحدها مشاشة .
4 طرق في ل : طاف .

العُمَريّ عن لَقيط والهَيْثم بن عَديّ : أنّ أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك في الحجّ فأذِن لها ، وهو يومئذٍ خليفة وهي زوجته . فقدمت مكّةَ ومعها من الجواري ما لم يُرَ مثلُه حسناً . وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر أحداً ممّن تبِعها . وقدِمتْ ، فتراءت للناس ، وتصدّى لها أهلُ الغزَل والشعر ، ووقعتْ عينُها على وَضّاح اليمن فهَوِيتْه .

فحدَّثنا الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدَّثني إبراهيم بن محمَّد بن عبد العزيز الزُّهري عن محمَّد بن جعفر مولى أبي هُرَيرة عن أبيه عن بُدَيح قال : قَدِمتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً ، والوليدُ يومئذٍ خليفة . فبعثتْ إلى كُثَيِّر وإلى وضّاح اليمن أنِ انسُبا بي . فأمّا وضّاح اليمن فإنّه ذكرها وصرّح بالنَّسيب بها ؛ فوجَد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله . وأمّا كُثيِّر فعدَل عن ذكرها ونَسب بجاريتها غاضِرة فقال[1] : [من الوافر]

صوت

شجا أظْعانُ غاضرةَ الغَوادي ... بغير مَشُورة عَرَضاً فؤادي
أغاضر لو شهدتِ غداةَ بِنْتم ... حُنُوَّ العائدات على وِسادي
أوَيْتِ لعاشق لم تشكُميه ... بواقدةٍ تلذَّعُ كالزنادِ[2]

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ وحَبَش . قال بُدَيح : فكنتَ لّما حجّتْ أمّ البنين لا تشاء أن تَرى وجهاً حسناً إلاّ رايتَه معها . فقلت لعُبيد الله بن قيس الرُّقَيات : بمَن تشبَّب من هذا القَطين ؟ فقال لي : [من الهزج]

وما تصنع بالسرّ ... إذا لم تك مجنونا
إذا عالجتَ ثِقْل الحـ ... ـبّ عالجتَ الأمَرِّينا[3]
وقد بُحتَ بأمرٍ كا ... ن في قلبيَ مكنونا
وقد هِجْتَ بما حاولْـ ... ـتَ أمراً كان مدفونا

قال : ثم خلا بي فقال لي : اكتُم عليّ ، فإنّك موضع للأمانة ؛ وأنشدني :[من مجزوء الكامل]

1 هذا الشعر من قصيدة قالها كثير في رثاء خندف الأسديّ لّما قتل .
2 أوَيتِ في ل : رنيت .
3 الأمرُّون : الدواهي .

صوت

أصحوتَ عـن أُمّ البنيـ ـنَ وذكرِهـا وعَنائها
وهجرتَها هجـرَ امرىء لم يَقْلُ صفـوَ صفائها
قُرشيّـةٌ كالشمس أَشـ ـرق نورُهـا ببهـائها
زادتْ على البِيض الحِسا ن بحسنهـا ونقـائها
لّمـا اسبكرَّتْ للشبـا ب وقُنّعـت بـردائها
لم تلتفـت لِلداتهـا ومضـتْ عـلى غُـلوائها
لولا هَـوى أُمِّ البنيـ ـنَ وحاجتـي للقائها
قـد قرّبـت لي بغلـةً محبـوسةً لنَجـائها

قال بُدَيح : فلمّا قَتل الوليدُ وضّاحَ اليمن ، حجّتْ بعد ذلك أُمُّ البنين محتجبةً لا تكلِّم أَحداً ؛ وشخصت كذلك ، فلقيني ابنُ قيس الرُّقيّات ، فقال : يا بديح ،

صوت

[من مجزوء البسيط]

بَـانَ الحبيبُ الذي بـه تَثِـقُ واشتـدّ دون الحبيبـة القَـلَـقُ
يـا مَـن لصَفْراء في مفاصلها لِينٌ وفي بعض بطشها خُرُقُ

وهي قصيدة قد ذُكرت مع أَخبار ابن قيس الرقيّات .

الغناء في الأَبيات الأُوَل التي أَوّلها : [من مجزوء الكامل]

أَصحوتَ عـن أُمّ البنـين

يُنسب في موضع آخر إن شاء الله .

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن أَبي بكر المؤَمَّلي عن عبد الله بن أَبي عُبيدة قال حدَّثني كُثَيِّر قال : حججتُ مع أُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك ، فأَرسلت إليّ وإلى وضّاح اليمن أَن انسُبا بي ؛ فهِبْتُ ذلك ونسَبت بجاريتها غاضرة ، فقلت : [من الوافر]

شجا أَظعانُ غاضرة الغَوادِي بغير مَشُورة عَرَضـاً فؤادي
أَغاضر لو شهدتِ غداةَ بِنْتم حُنُوّ العائـدات على وسادي
أَوَيْـتِ لعـاشقٍ لم تشكُميه بواقـدةٍ تلـذّع كالـزنادِ

وأمّا وضّاح فنَسب بها ، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله .

أخبرني عمّي قال حدَّثني محمَّد بن سعد الكُرانيّ قال حدَّثني أبو عمر العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك ، وهو يومئذٍ خليفة ، ووعدتْه أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده عنده وتقوِّيَ أمره . فقَدِم عليه وضّاح وأنشده قولَه فيه : [من الوافر]

صوت

صبا قَلبي ومـال إليكِ مَيْلا وأرّقنــي خيالُـكِ يا أُثَيْلاَ[1]
يَمانِيَـةٌ تُلـمّ بنـا فتُبْدي دقيـقَ محاسنٍ وتُكـنّ غَيْلا[2]
دَعِينَا مـا أُممتُ بنـاتِ نَعْشٍ من الطَّيْف الذي يَنتاب ليلا[3]
ولكـنْ إن أردتِ فصَبِّحينا إذا أُمَّـتْ ركائبُنـا سُهَيلا
فإنّك لـو رأيتِ الخيلَ تعدو سِراعـاً يتّخذن النَّقْعَ ذَيْلا[4]
إذاً لرأيتِ فوقَ الخيـل أُسْداً تُفيـد مغانمـاً وتُفيـت نَيْلا
إذا سار الوليـدُ بنـا وسِرْنا إلى خيـل نُلـفّ بهـنّ خَيْلا
ونَدخل بالسرور ديـارَ قـومٍ ونُعقِـب آخريـن أذىً ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صلتَه[5] ومدحه بعدّة قصائد . ثم نُمي إليه أنّه شَبّب بأمّ البنين ، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه ، ودبر في قتله .

ومدحه وَضّاح بقوله أيضاً : [من الطويل]

مـا بـال عينكَ لا تَنام كأنّـما طلب الطبيبُ بها قَذىً فأضلَّهُ
بـل ما لقلبك لا يـزالُ كأنّه نَشوانُ أنْهلـه النديـمُ وعَلَّـهُ
ما كنتُ أحسَب أنْ أبيتَ ببلدةٍ وأخي بأُخْرى لا أُحُلُّ مَحلَّهُ

---

1 أُثيل : ترخيم أثيلة ، وهو اسم امرأة .

2 وتكنّ في ل : وتُجنّ . الغيل : السّاعد الريّان الممتلىء . وفي شرح الحماسة في التعليق على هذا البيت : «دقيق محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم . وتكنّ غيلا : أي تستر ما جلّ منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ» .

3 بنات نعش : من الكواكب الشامية .

4 سراعاً في ل : عوابس .

5 في ل : جائزته .

كنّا لعَمْرُك ناعمـــين بغبطـةٍ مـع مــا نُحبّ مَبيتَـه ومَظَلَّهُ
فـأرى الذي كنّـا وكان بِغِرّة نلهـو بِغِرّتـه ونهـوَى دَلَّهُ
كالطيف وافق ذا هوىً فلَها به حتى إذا ذهب الرقـاد أَضلَّهُ
قُـل للذي شعَف البلاءُ فؤادَه لا تهلكنّ أخاً فـربّ أخ لهُ
والقَ ابن مَروان الذي قد هزّه عِـرق المكـارم والنّدى فأَقلَّهُ
واشْكُ الذي لاقيته من دونه وانشُرْ إليـه داءَ قلبـك كلَّهُ[1]
فعلى ابن مَرْوانَ السلامُ من امرىء أُمسى يـذوق مـنَ الرُّقاد أَقلَّهُ
شوقاً إليك فمـا تنالك حالُه وإذا يَحِـلّ البابَ لم يُؤذن لهُ
فإليك أُعملـتُ المطايا ضُمَّراً وقطعـتُ أَرْواحَ الشتـاء وظِلَّهُ
ولياليـاً لــو أنّ حاضرَ بَثّهــا طــرف القضيب أصابـه لأَشلَّهُ

فلم يزل مجفُوّاً حتى وجَد الوليد له غِرّة ، فبعث إليه مَن اختلسه ليلاً فجاءه به ، فقتله ودفنه في داره ، فلم يُوقف له على خبر .

[قتل الوليد له]

وقال خالد بن كلثوم في خبره : كان وضّاح قد شبّب بأُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان امرأة الوليد بن عبد الملك ، وهي أُمّ ابنه عبد العزيز بن الوليد ، والشرفُ فيهم . فبلغ الوليدَ تشبُّبه بها ، فأمر بطلبه فأُتي به ، فأمر بقتله . فقال له ابنه عبد العزيز : لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقِّقَ قولَه ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأَبي دَهْبَل ؛ فإنّه لمّا شبّب بابنته شكاه يزيد وسأَله أن يقتله ؛ فقال : إذاً تُحقّق قولَه ، ولكن تَبَرُّه وتحسن إليه فيستحيي ويَكُفُّ ويكذّب نفسه . فلم يقبل منه ، وجعله في صندوق ودفنه حيّاً . فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد فَخارٌ خرجا فيه إلى أن أَغْلظا المُسابَّةَ ، وذلك في دولة بني العبّاس ؛ فوضع الشُّعُوبيّ عليهم كتاباً زعم فيه أنّ أُمَّ البنين عشِقتْ وَضّاحاً ، فكانت تُدخله صندوقاً عندها . فوقف على ذلك خادم الوليد فأَنهاه إليه وأَراه الصندوق ، فأَخذه ووضّاح فيه فدفنه . هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبَير بن بَكّار جميعاً .

وأَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش في كتاب المغتالين قال حدَّثنا أبو سَعيد السُّكَّريّ قال حدَّثنا محمَّد بن حَبيب عن ابن الكَلْبيّ قال : عَشِقتْ أُمُّ البنين وَضّاحاً ، فكانت تُرسِل إليه فيدخل إليها ويُقيم عندها ؛ فإذا خافت وارتْه في صندوق عندها وأَقفلتْ عليه . فأَهدي

1 دونه في ل : جفوة .

للوليد جَوْهر له قيمة فأعجبه واستحسنه ، فدعا خادماً له فبعث به معه إلى أُمّ البنين وقال : قُل لها : إنّ هذا الجوهر أعجبني فآثرتُكِ به . فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها ، فأدخلتْه الصندوقَ وهو يَرى ، فأدّى إليها رسالةَ الوليد ودفع إليها الجوهر ، ثم قال : يا مولاتي ، هَبيني منه حجراً ؛ فقالت : لا ، يا ابنَ اللَّخْناء ولا كرامة . فرجع إلى الوليد فأخبره ؛ فقال : كذبتَ يا ابن اللخناء ، وأَمَر به فوُجِئتْ عنقُه . ثم لبس نعليه ودخل على أُمّ البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أُدخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا أُمّ البنين ، ما أَحبَّ إليكِ هذا البيتَ من بين بيوتك ! فلِمَ تختارينه ؟ فقالت : أجلسُ فيه وأختاره لأنّه يجمع حوائجي كلَّها فأتناولها منه كما أُريد من قرب . فقال لها : هَبِي لي صندوقاً من هذه الصناديق ؛ قالت : كلُّها لك يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما أُريدها كلَّها وإنّما أُريد واحداً منها ؛ فقالت له : خُذ أيَّها شئتَ ؛ قال : هذا الذي جلستُ عليه ؛ قالت : خُذ غيرَه فإن لي فيه أشياءَ أحتاج إليها ؛ قال : ما أُريد غيره ؛ قالت : خُذْه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخَدَم وأمرهم بحمله ، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عَبيداً له فأمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقةً ، فنُحّي البِساط وحُفرت إلى الماء . ثم دعا بالصندوق فقال : [يا هذا] إنّه بلغنا شيء إن كان حقّاً فقد كفّنّاك ودفنّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدّهر ، وإن كان باطلاً فإنّا دفنّا الخشب ، وما أهونَ ذلك ! ثم قُذِف به في البئر وهِيل عليه الترابُ وسُوِّيت الأرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليدُ عليه . ثم ما رُئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم . قال : وما رأتْ أمّ البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما .

[مرضت أمّ البنين وهو في دمشق فقال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال حدَّثني مصعب بن عبد الله قال : مَرِضت أُمّ البنين ووضّاحٌ مُقيم بدمشق ، وكان نازلاً عليها ؛ فقال في علّتها : [من الكامل]

حتّامَ نَكتُم حزنَنا حتّاما ... وعَلامَ نستبقي الدموعَ علاما
إنّ الذي بي قد تفاقم واعتلى ... ونما وزاد وأَوْرَث الأسقاما
قد أصبحت أُمُّ البنين مريضةً ... نَخشى ونُشفق أن يكونَ حِماما
يا ربِّ أَمتِعْني بطول بقائها ... واجبرُ بها الأرمالَ والأيتاما
واجبر بها الرجلَ الغريبَ بأرضها ... قد فارق الأخوالَ والأعماما
كم راغبين وراهبين وبُؤّسٍ ... عُصموا بقرب جَنابها إعصاما

بجنـابِ ظاهـرةِ الثّنا محمودةٍ لا يُستطـاعُ كلامُهـا إعظـاما

الغناء في الأوّل والثاني والثالث والرابع والخامس لحَكَمٍ الواديّ خفيفُ رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ وعبدِ الله بن موسى . وممّا وجد في روايتي هارون بن الزيّات وابن المكّيّ في الرابع ثم الخامس ثم الأوّل والثاني لعمر الواديّ خفيفُ رمل ، من رواية الهشاميّ .

[شبّب بفاطمة بنت عبد الملك فدفنه الوليد في بئر وهو حيّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال حدَّثنا مصعب قال : بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبُّبُ وَضّاح بأمّ البنين فهَمّ بقتله . فسأله عبد العزيز ابنُه فيه ، وقال له : إن قتلته فضحتَني وحقّقتَ قولَه ، وتوهّم الناسُ أن بينه وبين أمّي ريبة . فأمسكَ عنه على غيظٍ وحَنَق ، حتى بلغ الوليدَ أنّه قد تعدّى أمَّ البنين إلى أُخته فاطمةَ بنت عبد الملك ، وكانت زوجةَ عمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ، وقال فيها : [من الكامل]

بنتُ الخليفة والخليفة جَـدُّها أخـتُ الخليفـة والخليفة بعلُها

فَرِحتْ قوابلُها بهـا وتباشرتْ وكذاك كانوا في المسَرّة أهلُها

فأحْنق واشتدّ غيظه وقال : أمَا لهذا الكلب مُزْدَجَرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا ، ولا له عنّا مذهب ؛ ثم دعا به فأحضر ، وأمر ببئر فحُفِرتْ ودفَنه فيها حيّاً .

[شعر له]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشُون قال : أنشدتُ محمَّدَ بن المنكدِر قولَ وَضّاح : [من الطويل]

فمـا نوّلتْ حتى تَضَرَّعتُ عندها وأعلمتُهـا ما رخَّص اللهُ في اللَّمَمْ

قال : فضحك وقال : إن كان وضّاح إلاّ مُفْتِياً لنفسه . وتمام هذه الأبيات : [من الطويل]

ترجَّـل وَضّاحٌ وأُسْبِـل بعدما تَكهَّل حيناً في الكهول وما احتلَمْ

وعُلِّق بيضاءَ العـوارض طَفْلـةً مُخضَّبة الأطـراف طيّبـةَ النَّسَمْ

إذا قلـتُ يومـاً نَوّليني تبسّمتْ وقالت مَعاذَ اللهِ مِن فِعْلِ ما حَرُمْ

فما نَوّلتْ حتى تضرّعتُ عندها وأعلمتُها مـا رَخَّص اللهُ في اللَّمَمْ

[رثى أباه وأخاه بشعر وهو عند أمّ البنين]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبي في خبره الأوّل المذكور من أخبار وَضّاح مع أمّ البنين قال : كان وَضّاح مقيماً عند أمّ البنين ، فورد عليه نعيُ أخيه وأبيه ؛ فقال يرثيهما : [من الوافر]

أراعكَ طائرٌ بعد الخُفُوقِ بفاجعةٍ مُشنَّعة الطُّروقِ
نعمْ وَلَهاً على رجل عَميد أظَلُّ كأنّني شَرِقٌ بريقي
كأنِّي إذ علمتُ بها هُدُوّاً هوتْ بي عاصفٌ من رأس نِيقِ[1]
أُعَلُّ بزَفْرة من بَعْد أُخرى لها في القلب حَرٌّ كالحريقِ
وتَردُف عَبْرةٌ تهتانَ أُخرى كفائض غَرْب نَضّاح فَتيقِ
كأنّي إذ أُكَفْكِفُ دمعَ عيني وأَنْهاها أَقول لها هَريقي
أَلاَ تلك الحوادث غِبْتُ عنها بأَرض الشام كالفرد الغريقِ
فما أَنفكُّ أَنظر في كتاب تُداري النفسُ عنه هوًى زَهوقِ[2]
يُخبِّر عن وفاة أخٍ كريم بعيدِ الغور نَفّاع طَليقِ
وقَرْمٍ يُعرِض الخصماءُ عنه كما حاد البِكارُ عَنِ الفَنِيقِ[3]
كريم يملأُ الشِّيزى ويَقْري إذا ما قلّ إيماضُ البُروقِ[4]
وأَعظم ما رُميتُ بهِ فَجُوعاً كتابٌ جاءَ من فَجٍّ عميقِ
يُخبِّر عن وفاة أخٍ فصبراً تَنجَّزْ وعدَ مَنّان صَدوقِ
سأَصبر للقضاء فكلُّ حيّ سيلقى سَكرة الموت المَذوقِ
فما الدنيا بقائمةٍ وفيها مِن الأَحياء ذو عين رَموقِ
وللأَحياء أَيّامٌ تَقَضّى يَلُفّ ختامُها سُوقاً بسُوقِ
فأَغناهم كأَعدمهم إذا ما تقضّتْ مُدّةُ العيشِ الرقيقِ
كذلك يُبعثون وهم فُرادى ليوم فيه تَوْفيةُ الحُقُوقِ
أَبعدَ هُمام قومك ذي الأَيادي أَبي الوضّاح رَتّاق الفُتوقِ
وبعد عُبيدةَ المحمودِ فيهم وبَعدَ سَماعَة العَوْد العَتيقِ
وبعد ابن المفضَّل وابن كافٍ هما أُخواك في الزمن الأَنيقِ
تؤمِّل أن تعيشَ قريرَ عينٍ وأَنت أَمامَ طَلاّبٍ لَحُوقِ

---

1 النّيق : أعلى موضع في الجبل .
2 الزّهوق : الهالك .
3 البكار : جمع بكر وهو الفتى من الإبل ، والفنيق : الفحل المكرّم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يُركب .
4 الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع . وقد يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان شيزى .

ودنيـاك التـي أمسيتَ فيهـــا مزايلـةُ الشقيــق عـــن الشقيقِ

وممّا قاله في مَرْثِيَة أهله وذكْر الموت وغُنّي فيه ، وإنّما نذكر منها ما فيه غناء لأنّها طويلة : [من الرجز]

صوت

ما لــكَ وَضّاحُ دائـمَ الغَزَلِ ألستَ تخشى تَقارُبَ الأجلِ
صلِّ لذي العرش واتَّخِذْ قَدَماً تُنجيك يـوم العِثـار والزَّلَلِ
يا موتُ ما إن تزال معترضاً لأمـلٍ دون منتهـى الأمـلِ
لو كان مَـنْ فـرَّ منك منفلتاً إذاً لأسرعتُ رحلـةَ الجَملِ
لكــنّ كفَّيْك نـال طولُهما مــا كَلَّ عنـه نجائبُ الإبلِ
تنــال كفَّـاك كلَّ مُسْهِلة وحُوتَ بحــر ومَعْقِلَ الوَعِلِ
لولا حِذاري من الحُتُوف فقد أصبحتُ من خوفها على وَجَلِ
لكنتُ للقلبِ في الهوى تَبَعاً إنّ هــواه ربائـــبُ الحَجَلِ
حِرْمِيّـة تسكن الحجــازَ لهـا شيخٌ غَيــور يعتـــلُّ بالعِلَلِ[1]
عُلّق قلبــي ربيبَ بيت ملو كٍ ذاتَ قُرطين وَعْثَةَ الكَفَلِ[2]
تَفْتَـــرُّ عـــن مَنْطِقٍ تَضِنّ بـه يَجري رُضاباً كذائب العسلِ

[قال شعراً يشبّب بحبابة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني سليمان بن أبي أيّوب عن مُصْعب قال : قال وَضّاح اليمن في حَبابة جاريةِ يزيد بن عبد الملك ، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير إليه ، وسمع غناءها فأعجب بها إعجاباً شديداً : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا مَــنْ لقلــبٍ لا يُطيــ ـع الزاجريـن ولا يُفيقْ
تسلو قلوبُ ذوي الهـوى وهـــو المكلّــف والمَشوقْ

1 حِرْمِيّة : نسبة إلى الحَرَم .
2 امرأة وعثة : كثيرة اللحم .

تَبَلَــت حَبابَــةُ قلبَــه بالــدَّلّ والشكــل الأَنيقْ[1]
وبعــين أَحــورَ يرتعــي سَقْط الكثيب مــن العقيقْ[2]
مكحولــةٌ بالسَّحــر تُنْـ ـشي نشوةَ الخمــر العَتيقْ
هيفــاء إن هِيَ أَقبلــتْ لاحت كطالعــة الشروقْ
والردفُ مثــلُ نقــاً تلــ ـبّد فهْــو زُحلــوق زَلُوقْ
في درّة الأَصــداف معــ ـتنقاً بهــا رَدْع الخَلوقْ[3]
داوِي هــوايَ وأَطْفئــي مــا في الفؤاد من الحريقْ
وترفَّقــي أَمــلي فقــد كلّفتِنــي مــا لا أُطيقْ
في القلب منك جوى المُحـ ـبّ وراحةُ الصبٌ الشفيقْ
هــذا يقــود برُمّتــي قوداً إليــك وذا يسوقْ
يــا نفسُ قــد كلّفتنــي تَعبَ الهوى منهــا فذوقْ[4]
إن كنــتِ تائقــةً لحــ ـرّ صبابــة منهــا فَتُوقْ

[شعر له في روضة]

وممّا قال في روضة وفيه غناء قوله : [من الخفيف]

صوت

يــا لَقومــي لِكثرة العــذّالِ ولطَيفٍ سرى مليحِ الدّلالِ
زائر في قصور صنعاءَ يَسْري كلَّ أَرض مخوفــةٍ وجبــالِ

والغناء لابن عبّاد عن الهشاميّ رمل ، وهذه الأَبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيّدة يقول فيها : [من الخفيف]

يقطع الحَزْن والمَهامِهَ والبيـ ـد ومِنْ دونــه ثَمــانُ ليالي
عاتبٌ في المنــام أَحْبِبْ بعُتْبا ه إلينــا وقولــهِ مِــنْ مَقالِ
قلتُ أهلاً ومرحباً عَددَ القَطْـ ـر وسهلاً بطَيف هذا الخَيالِ

1 قلبه في ل : لبّه .
2 سَقْط الكثيب : منقطعه .
3 ردْع : أثر الطيب في الجسد ، والخلوق : ضرب من الطيب .
4 فذوقِ وتوقِ أصلهما ذوقي وتوقي .

حبَّذا مَـنْ إذا خلونا نَجيّـاً … قال : أهلي لك الفِداء ومالي
وهي الهمّ والمُنى وهوى النفْـ … ـس إذا اعتلّ ذو هوىً باعتلالِ
قِسْتُ ما كان قبلنا من هوى النا … س فمـا قِسْتُ حبَّها بمثالِ
لم أجِـد حبَّها يُشاكله الحـ … ـبّ ولا وَجْدَنا كوَجْد الرجالِ
كلّ حـبٍّ إذا استطال سيبلَى … وهوى روضةِ المُنى غيرُ بالي
لم يَـزِدْه تقادُمُ العهـدِ إلاّ … جِدّةً عندنـا وحسنَ احتلالِ
أيُّها العاذلـون كيف عتابي … بعـد ما شاب مَفْرِقي وقَذالي
كيف عَذْلي على التي هي منّي … بمكان اليَمين أُختِ الشِّمالِ
والذي أَحْرمـوا لـه وأحلّوا … بمِنىً صُبْحَ عاشراتِ الليالي
ما ملكتُ الهوى ولا النفسَ منّي … مُنـذ عُلِّقتُها فكيـف احتيالي
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفاً … أو دنتْ لي فثَمّ يبدو خَبالي
يا ابنةَ المالكيّ يـا بَهْجة النفـ … ـس أفي حبّكم يَحِلُّ اقتتالي
أيّ ذنب عليّ إن قلتُ إنّي … لأُحِبّ الحجازَ حـبَّ الزُّلالِ
لأُحِبّ الحجازَ مِنْ حبّ مَنْ فيـ … ـه وأهوى حِلالَه من حِلالِ[1]

وممّا فيه غناء من شعر وضّاح : [من المديد]

صوت

أيُّها النّاعِـبُ مـاذا تقولُ … فكِلانـا سائـلٌ ومَسولُ
لا كساك الله ما عشتَ ريشاً … وبخـوفٍ بـتَّ ثـم تَقيلُ
ثم لا أَنْقَفْتَ في العُشّ فرخاً … أبـداً إلاّ عليـك دليلُ[2]
حين تُنبـي أنّ هنداً قريبٌ … يبلُغ الحاجاتِ منهـا الرسولُ
ونـأت هنـد فَخَبَّرْتَ عنها … أنّ عهـد الودّ سوف يزولُ

ومنها : [من الكامل]

1 الحلال : جمع حِلّة وهي المحلّة أو القوم النزول فيهم كثرة .

2 أنقف الفرخ : استخرجه من البيضة .

صوت

حـــيٌّ التي أَقْصى فؤادِكَ حَلّتِ علمـــتْ بأنّـــك عاشقٌ فأدلّتِ
وإذا رأتــك تقلقلتْ أحشاؤُها شوقــاً إليـــك فأكثرتْ وأَقَلَّتِ
وإذا دخلـــتَ فأُغلِقـــتْ أبوابُها عزم الغيـــورُ حجابَهـــا فاعتلّتِ
وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً حتى تَبُـــلّ دموعُهـــا مـــا بَلّتِ
إن كنتَ يا وضّاح زرتَ فمرحباً رَحُبَت عليك بلادُنـــا وأظلّتِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها خفيف رمل بالوسطى يماني عن عمرو وفيها ليحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، من كتابه . ولابنه أحمدَ فيها هزج . وذكر حَبَش أنّ ليحيى فيها أيضاً خفيفَ ثقيل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أتعـــرف أطلالاً بمَيْسرة اللِّوَى إلى أَرْعب قد حالفتك به الصَّبا[1]
فأهـــلاً وسهلاً بالتي حـــلّ حبُّها فؤادي وحلّت دارَ شَحْط من النَّوى

الغناء فيه هَزَجٌ يَمنيّ بالبنصر عن ابن المكّيّ ، وهذه أبيات يقولها لأخيه سَماعةَ ، وقد عتَب عليه في بعض الأمور . وفيها يقول : [من الطويل]

أُبـــادر دُرْنـــوكَ الأمير وقُرْبَه لأُذْكَرَ في أهْل الكرامة والنُّهى[2]
وأتّبِع القُصّاصَ كلَّ عشيّـــةٍ رجاءَ ثواب الله في عَدد الخُطا
وأمستْ بقصر يضربُ الماءُ سورَه وأصبحتُ في صنعاءَ ألتمس النَّدى
فمـــن مُبْلِغٌ عنّـــي سماعـــةَ ناهياً فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقْطَع السَّلَى[3]
وإن شئتَ وصلَ الرَّحْم في غير حيلة فعلنـــا وقُلْنا للذي تشتهي بَلى
وإن شئتَ صُرْماً للتفرُّق والنَّوى فبُعْـــداً ، أدام الله تفرقةَ النّوى

ومنها : [من الكامل]

---

1 أرعب : موضع .
2 الدُّرنوك : الطنفسة وضرب من البُسط أو الثياب .
3 السَّلى : الجلدة التي يكون فيها الجنين ، فإن انقطع في البطن هلكت الأمّ والجنين .

صوت

طــرَق الخيــالُ فمرحباً أَلْفَا | بالشاغفــاتِ قلوبَنـــا شَغْفا
ولقــد يقول ليَ الطبيبُ ومــا | نَبَّأتُــه مــن شأننــا حَرفــا :
إنّــي لأَحسب أنّ داءك ذا | مِــن ذي دَمالجَ يخضِب الكفّا
إنّــي أنـــا الوضّاح إنْ تَصِلي | أُحسِنْ بك التشبيبَ والوَصْفا
شطّتْ فشفّ القلبَ ذِكْرُكَها | ودنتْ فما بذلــتْ لنــا عُرْفا

ومنها :

صوت

ويروى لبشّار : [من مجزوء الكامل]

يــــا مرحبــاً أَلفــاً وأَلفَا | بــالكاسِراتِ إلـيّ طَرْفا
رُجُــح الرَّوادِف كالظِّبا | ء تعرّضت حُــوّاً ووُطْفا
أَنكــرنَ مركبــيَ الحِمــا | رَ وكنّ لا يُنكرن طِرْفا
وسألنَنــي أيـــنَ الشبا | بُ فقلتُ بَانَ وكان حِلْفا
أَفْنى شبابــي فانقضــى | حِلْفُ النساء تَبِعن حِلْفا
أَعطيتهــــنّ مودَّتـــــي | فجزيننَـــي كذبــاً وخُلْفا
وقصائــدٌ مثـــلُ الرُّقى | أَرسلتُهـــنّ فكـــنّ شَغْفا
أَوجعــــن كلَّ مُغــازِلٍ | وعَصَفْن بالغَيران عَصْفا
مـــن كلِّ لــذّاتِ الفتى | قـــد نلـــتُ نائلةً وعُرْفا
صِيــدتُ الأَوانسَ كالدُّمى | وسقيتُهـــنّ الخمــرَ صِرْفا

ومنها : وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمَن ذكر وفخرَه بأَبيه وجدّه أَبي جَمَد : [من الطويل]

صوت

أُعنّي عـــلى بيضاءَ تَنْكلّ عــن بَرَدْ | وتمشي على هَوْنٍ كمِشْية ذي الحَرَدْ[1]

---

1 تنكل : تفتر وتبسم . الحَرَد : ثقل الدرع على المدرع أو هو داء يأخذ الإبل في اليدين دون الرجلين فتسترخي أيديها .

وتلبَس مِن بَزّ العراق مَناصِفاً وأبرادَ عَصْبٍ من مُهَلْهَلَةِ الجَنَدْ[1]
إذا قلت يوماً نَوّليني تبسّمتْ وقالت لعمرُ الله لو أنّه اقتصدْ
سموتُ إليها بعدَ ما نام بعلُها وقد وسّدته الكفّ في ليلة الصَّرَدْ
أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً ستُعطى الذي تهوى على رغم مَنْ حسدْ
ألستَ ترى مَنْ حولنا مِنْ عدوِّنا وكلّ غلام شامخ الأنف قد مَرَدْ
فقلتُ لها إنّي امرؤٌ فاعلمِنّه إذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِل العَدَدْ
بَنى ليَ إسماعيلُ مجداً مُؤثّلاً وعبدُ كُلالٍ قبله وأبو جَمَدْ
تُطيف علينا قهوةٌ في زجاجةٍ تُريك جبانَ القوم أمضى من الأسدْ

ومنها : [من مجزوء البسيط]

صوت

يا أيُّها القلبُ بعضَ ما تجدُ قد يعشَقُ القلبُ ثم يتَّئِدُ
قد يكتُم المرءُ حبَّه حِقَباً وهو عَميدٌ وقلبُه كَمِدُ
ماذا تُراعون من فتىً غَزِلٍ قد تيّمتْه خَمْصانةٌ رُؤُدُ
يهدّدوني كيما أخافَهمُ هيهاتَ أنَّى يُهدَّد الأسدُ

ومنها : [من الخفيف]

صوت

صدَع البَيْنُ والتفرُّقُ قلبي وتولَّت أُمُّ البنين بلُبِّي
ثَوتِ النفسُ في الحُمول لديها وتولَّى بالجسم منّيَ صَحْبي
ولقد قلتُ والمدامعُ تَجري بدموع كأنّها فَيْضُ غَرْبِ
جزعاً للفراق يومَ تولّت : حَسْبيَ الله ذو المَعارج حسبي

ومنها : [من السريع]

صوت

يا أمةَ الواحد جودي فما إن تَصْرِميني فَبِما أو لِمَا
جُودِي علينا اليومَ أو بَيِّني فِيمَ قتلتِ الرجلَ المُسلِما

---

1 وأبراد في ل : وأكباش . العصْب : ضرب من برود اليمن ، واحده وجمعه سواء . الجَند : مدينة باليمن .

إنّي وأيـــدِي قُلُص ٍ ضُمَّــرٍ وكلٌّ خِــرْق وَرَد المَــوْسما[1]
مـا عُلّــق القلبُ كتعليقها واضعةً كفّـاً علَتْ مِعْصما
رَبَّــةُ محـرابٍ إذا جئتُهـــا لم أَلْقَهـــا أو أرتقـــي سُلّما
إخوتُهـــا أربعـــة كلُّهـــم ينفـون عنهـا الفارسَ المُعلَما
كيــف أُرجِّيها ومِنْ دونها بَوّابُ سَوء يُعجــل المَشْتما
أسودُ هَتّـاك لأَعراضِ مَنْ مـرَّ على الأَبــواب أَو سَلّما
لا مِنّـــةً أعْلَـــمُ كانت لهـا عنـدي ولا تطلُب فينـا دما
بل هـــي لمّا أن رأت عاشقاً صبّاً رمتْه اليومَ فيمن رَمى
لمّــا ارتمينــــا ورأت أنّها قــد أثبتتْ في قلبـه أسهُما
أعجبهـــا ذاك فأبْدت لـــه سُنّتَهـــا البيضـــاءَ والمِعْصَما[2]
قامت تراءَى لي على قَصْرها بــين جَــوارٍ خُــرَّد كالدُّمى
وتَعقِــد المِــرْطَ على جَسْرةٍ مثــلِ كَثيب الرمل أو أعْظَما

ومنها : [من مخلّع البسيط]

صوت

دعاكَ من شوقك الدَّواعي وأنـــت وضّاحُ ذو اتباعِ
دعتْــك مَيّالــةٌ لَعُوبٌ أَسيلـةُ الخــدِّ بـاللّماعِ
دلالُـكِ الحُلْـو والمشهِّي وليس سرِّيــك بالمُضاعِ
لا أَمنعُ النفسَ عن هواها وكلُّ شيء إلى انقطـاعِ

ومنها : [من الطويل]

صوت

أَلاَ يا لقَومـــي أَطْلِقوا غُلَّ مرتَهَنْ ومُنّوا على مُستشعِرِ الهمّ والحَزَنْ
تذكَّر سَلْمى وَهْي نازحةٌ فحَنّ وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطنْ
أَلَم تَرَهــا صفراءَ رُوْداً شبابُهـــا أَسيلةَ مجرى الدمع كالشّادن الأَغَنّ

1 الخِرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة .

2 السُّنّة : الوجه ، وقيل الجبهة والجبينان .

وأَبصرتُ سَلْمى بين بُرْدَيْ مَراجِلٍ وأَبراد عَصْب من مُهلهَلة اليمنْ[1]
فقلتُ لها لا تَرتقي السطحَ إنّني أُخاف عليكم كلَّ ذي لِمَّة حَسَنْ

الغناء لابن سُريج ، وله في هذا الشعر لحنان : ثقيل أُوّل بالبنصر عن عمرو ، ورمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وأُوّل الرمل قولُه : [من الطويل]

أَلا يــا لَقومي أُطلقوا غلَّ مرتهَن

وأُوّل الثقيل الأُوّل : «تذكَّر سلمى» . وفي هذه الأَبيات هَزَج يمنيّ بالبنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أَغدوتَ أَمْ في الرائحين تَرُوحُ أَم أَنت من ذِكْر الحسانِ صحيحُ
إذ قالت الحسناءُ مــا لصديقنا رثُّ الثيــاب وإنّــه لمليــحُ
لا تسأَلِنّ عــن الثياب فإنّنــي يومَ اللقاء على الكُمــاة مُشيحُ
أَرْمي وأَطعَــن ثم أُتبِـع ضربةً تَدَعُ النساءَ على الرجـالِ تنوحُ

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

يا صاحِ إنّي قد حَججـ ـتُ وزُرت بيتَ المَقْدسِ
وأَتيــتُ لُــدّاً عامــداً في عيــد مَرْيـا سَرْجَسِ[2]
فرأَيــتُ فيــه نِسوةً مثــلَ الظبــاء الكُنّسِ

الشعر والغناء للمُعَلَّى بن طَريف مولى المَهْديّ . ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر . وكان المُعلّى بن طَريف وأَخوه ليث مملوكين مولَّدين من مولَّدي الكوفة لرجل من أُهلها ، فاشتراهما عليّ بن سليمان وأَهداهما إلى المنصور ، فوهبهما المنصور للمهديّ فأَعتقهما . ونهر المعلَّى ورَبَض المعلَّى ببغداد منسوب إلى المعلَّى هكذا ذكر ذلك ابن خُرْدَاذْبهْ ، وكان ضارباً محسِناً طيّبَ الصوت حسنَ الأَداء صالح الصنعة ، أُخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع

1 المراجل : ضرب من برود اليمن عليها تصاوير .
2 لُدّ : هي مدينة الله بفلسطين .

وحَكَم الوادي . ووُلّي أخوه ليثٌ السِّنْدَ ، ووُلّي هو الطِّرازَ[1] والبريدَ بخراسان ، وقاتل يوسف البَرْم فهزمه ، ثم وُلّي الأهوازَ بعد ذلك . فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه اللّيثَ ويهجو عليَّ بن صالح صاحبَ المُصَلَّى : [من الخفيف]

يا عليَّ بنَ صالح ذا المصلّى أنت تَفْدي لَيْثاً وتفدي المعلَّى
سَدّ ليثٌ ثغراً ووُلّيت فاختُنْـ ـتَ فبئس المَولى وبئس الموَلّى

وعليّ بن سليمان هذا الذي أهدى المُعَلَّى وأخاه إلى المهديّ هو الذي يقول فيه أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن الأَسَديّ ؛ وكان خرج مع المهديّ إلى الصيد ، فرمى المهديّ وعليّ بن سليمان ظبياً سنَح لهما ، وقد أُرسلت عليه الكلاب ، بسهمين ، فأصاب المهديّ الظبيَ وأصاب عليّ بن سليمان الكلبَ فقتلاهما . فقال أبو دُلامة : [من مجزوء الرمل]

قـد رمى المهديُّ ظبياً شكّ بالسهـم فـؤادَهْ
وعـليُّ بـنُ سُليمـا نِ رَمـى كَلْباً فصادهْ
فهنيئـاً لهمـا كـ ـلّ امرىء يأكل زادَهْ

حدَّثنا بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مصعَب ، وعن أحمد بن سعيد عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه .

صوت

من المائة المختارة

[من الوافر]

ألاَ طَرَد الهوى عنّـي رُقادِي فحسبي ما لَقِيتُ من السُّهادِ
لعبـدةَ إنّ عبـدةَ تَيّمتْنـي وحلَّت من فؤادي في السّوادِ

الشعر لبشّار . والغناء المختار في هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر ، ذكر يحيى بن عليّ أنّه يمنيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه لسُلَيم .

1 الطراز : يريد ديوان الطراز وهو الذي تُنسج فيه الثياب .

[91] ـ أخبار بشّار وعَبْدة خاصة

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدّمت[1]

[حبّه لعبدة وشعره فيها]

أخبرني محمَّد بن خَلَف وكيع قال حدَّثنا أبو أيّوب المَديني عمَّن حدَّثه عن الأَصمعيّ هكذا قال ، وأخبرني به عمِّي عن عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بن مسرور عن الأَصمعيّ قال : كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرَدان . فبينا هو في مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه ، إذ سمع كلامَ امرأة يقال لها عَبْدة في المجلس ، فدعا غلامَه فقال : إنّي قد عُلّقت امرأة ، فإذا تكلّمتْ فانظر مَنْ هي واعرفْها ، فإذا انقضى المجلسُ وانصرف أهلُه فاتبَعها وكلّمها وأعْلمها أنّي لها محبّ وأَنْشدْها هذه الأبياتَ وعرِّفْها أنّي قلتُها فيها : [من البسيط]

صوت

قالوا بمَنْ لا ترى تَهْذِي فقلتُ لهم ... الأذْنُ كالعين تُوفي القلبَ ما كانا
مـا كنتُ أوّلَ مشغوفٍ بجارية ... يَلْقَى بِلُقْيانها رَوْحاً ورَيْحانا

ويروى : هل من دواء لمشغوف بجارية .

يا قـوم أُذْني لبعض الحيّ عاشقةٌ ... والأُذن تعشقُ قبلَ العين أحيانا

غنّى إبراهيم في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيها لِسيَاطٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، عن عمرو . وفيها لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه ، قال : فأبلَغها الغلامُ الأبياتَ ، فهَشّتْ لها ، وكانت تزوره مع نسوة يَصْحَبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدّثها ويُنشدَها ولا تُطمعه في نفسها . قال : وقال فيها : [من البسيط]

قالت عُقَيل بنُ كعـب إذ تعلّقها ... قلبي فأضحى بـه من حبّها أثَر[2]
أنّى ولم ترها تَهذِي ؟ فقلتُ لهم ... إنّ الفؤاد يَرى ما لا يرى البَصر[3]

1 تقدّمت أخباره في الجزء الثالث ، ص 94 من هذا الكتاب .
2 عقيل بن كعب : قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها .
3 تهذي في الديوان : تصبو 3 : 159 .

أصبحتُ كالحائـم الحَرّان مُجتَنباً لم يَقضِ ورْداً ولا يُرجى له صَدَر[1]

قال : وقال فيها أيضاً وهو من جيّد ما قال فيها : [من الطويل]

يُزَهِّدني في حـبّ عبدةَ معشرٌ قلوبُهـمُ فيهـا مخالفـةٌ قلبـي
فقلتُ دَعُوا قلبي وما اختار وارتضَى فبالقلب لا بالعين يُبصِرَ ذو الحبِّ[2]
فما تُبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمعُ الأذْنان إلاّ من القلبِ[3]
وما الحسْنُ إلاّ كلّ حُسْنٍ دعا الصِّبا وألّف بين العشق والعاشِق الصبِّ

قال : وقال فيها : [من مجزوء البسيط]

يـا قلـبُ مـا لي أراك لا تَقِرُ إيّـاكَ أعْنـي وعنـدك الخبرُ
أضِعْتَ بـين الأُلى مَضَوْا حُرَقاً أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا ؟
فقـال بعضُ الحديـث يَشْغَفُني والقلبُ راءٍ ما لا يَـرى البصرُ

[عابه الحسن البصري وهتف به فهجاه]

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمَّد الأسديّ قال حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ قال حدَّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جَرير عن أبيه بمثل هذه القصّة ، وزاد فيها : أنّ عَبْدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحداهنّ قريب فسألنه أن يقول شعراً يَنُحْن عليه به ، فوافَيْنَه وقد احتجم وكان له مجلسان : مجلس يجلس فيه غُدوةً يسمِّيه «البَرْدان» ومجلس يجلس فيه عشيَّةً يسمِّيه «الرَّقيق» وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه : أمسِكْ عليّ بابي واطبُخْ لي وهيّىء طعامي وطَيّبْه وصَفِّ[4] نبيذي . قال : فإنّه لكذلك إذا قُرِع الباب عليه قرعاً عنيفاً ؛ فقال : وَيْحَك يا غلام ! انظر مَن يدقّ الباب دقَّ الشُّرَط ؛ فنظر الغلام وجاءه فقال : خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعراً يَنُحْن فيه ؛ فقال : أدخلهنّ . فلمّا دخلن نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى في قَنانِيِّه ؛ [في جانب بيته] فقالت إحداهنّ : خمر ؛ [وقالت الأخرى : زبيب] ؛ وقالت الأخرى : معسَّل . فقال : لستُ بقائل لكُنّ حرفاً أو تَطْعَمن من طعامي وتشربن من شرابي . فتماسكْنَ ساعةً ، وقالت إحداهنّ : فما عليكنّ من ذلك ! هذا أعمى ، كُلْن من طعامه واشربْنَ من شرابه وخُذْنَ شعرَه ، ففعلن . وبلغ ذلك الحسنَ البصريّ فعابه وهتَف به . فبلغ ذلك بشّاراً ، وكان الحسنُ يُلقَّب القَسّ ، فقال فيه بشّار : [من مجزوء الكامل]

---

1 مجتنبا في الديوان : محتسباً 3 : 159 .

2 ذو الحبّ في الديوان : ذو اللب 4 : 12 .

3 تبصر في ل : تنظر .

4 في ل : وصبَّ .

لَمّا طلعنَ من الرَّقيـ ـق عليّ بالبَرَدان خَمْسا
وكأنّهنّ أهلّة تحت الثياب زَفَفن شمسا
باكَرْنَ طِيبَ لَطيمةٍ وغُمِسْن في الجاديّ غَمسا
فسألنني مَنْ في البيو ت فقلتُ ما يحوين إنْسا
ليت العيونَ الناظرا تِ طُمِسن عنّا اليوم طَمْسا
فأصبن من طَرَف الحديـ ـث لذاذةً وخرجن مُلْسا
لولا تَعَرُّضهنّ لي يا قَسُّ كنتُ كأنت قَسّا

[لامه مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس]

أخبرني الأَسَديّ ويحيى بن عليّ بن يحيى ومحمّد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قالوا حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثنا علي بن محمَّد عن جعفر بن محمّد النَّوْفَليّ قال: أَتيت بشّاراً ذات يوم، فقال لي: ما شَعرت منذُ أيّام إلاّ بقارع يقرَع بابي مع الصبح؛ فقلت: يا جارية، انظري مَنْ هذا؛ فقالت: ما لك بن دينار؛ فقلت: ما لي ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالي! ائذَني له. فدخل فقال لي: يا أبا معاذ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائهم! فلم يكن عندي إلاّ دفعُه عن نفسي بأن قلت: لا أعاود؛ فخرج من عندي. وقلت في إثره: [من المتقارب]

غدا مالكٌ بمَلاماته عليّ وما باتَ مِن باليَهْ
[على حبِّ خُود مقيم الحشا من الحور محطوطة عاليهْ]
فقلتُ دَعِ اللوم في حُبِّها فقبلك أعييتُ عُذاليهْ
وإنّي لأكتُمهم سِرَّها غداةَ تقولُ لها الجاليهْ
أعبدةَ ما لكِ مَسْلوبةً وكنتِ مُقرطَقةً حاليهْ[1]
فقالت على رِقْبةٍ: إنّني رهنتُ المرعَّث خَلْخاليهْ
بمجلسِ يومٍ سأوفي به وإن أنكر الناسُ أحواليهْ

[أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فردّ عليها بشعر فيها]

أخبرني وَكيع قال حدَّثني عمرو بن محمّد بن عبد الملك قال حدَّثني الحسن بن جمهور قال حدَّثني هشام بن الأحنف، راوية بشّار، قال: قال: إنّي لعند بشّار ذاتَ يوم إذ أتته امرأة فقالت: يا أبا معاذ، عبدة تُقرئك السلامَ وتقول لك: قد اشتدّ شوقُنا إليك ولم نرك منذُ

1 مقرطقة: لابسة القُرْطق وهو القباء.

أيّام ؛ فقال : عن غير مَقْلِية والله كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هشام ، خُذ الرقعةَ واكتب فيها ما أقولُ لك ثم ادفعه للرسول . قال هشام : فأملى عليّ : [من الخفيف]

عبـد إنّـي إليـكِ بالأشواقِ لِتَـلاق وكيـف لي بالتلاقي
أنـا والله أشتهي سحـرَ عينيْـ ـك وأخشى مَصارعَ العشّاقِ
وأهاب الحَرْسيّ مُحتسِبَ الجُنْـ ـد يَلُـفّ البريءَ بالفُسّاقِ[1]

وممّا يغنّى فيه من شعر بشّار في عبدة قولُه : [من الطويل]

صوت

لعبـدةَ دارٌ مـا تكلّمنا الدارُ تَلُـوح مَغانيهـا كما لاح أسطارُ
أسائـل أحجاراً ونُؤْيـاً مُهَدَّماً وكيف يُجيب القولَ نؤيٌ وأحجارُ
ومـا كلّمتْنـي دارُها إذ سألتُها وفي كبدي كالنِّفْط شُبَّت به النارُ
وعند مَغاني دارهـا لو تكلّمتْ لِمكتئب بـادِي الصَّبابـة أخبارُ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ . ومن هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

تحمَّـل جيراني فعينـي لِبَيْنهـم تَفيض بتَهتانٍ إذا لاحـتِ الدارُ
بكيتُ على مَن كنتُ أحظى بقربه وحقَّ الذي حاذرتُ بالأمس إذ ساروا[2]

الغناء ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر .

ومن الأغاني في شعره في عبدةَ : [من الخفيف]

صوت

مَسَّني مـن صدود عبـدةَ ضُرُّ فبنـاتُ الفـؤادِ مـا تستقرُّ
ذاك شيء في القلب من حبّ عبـ ـدةَ بـادٍ وباطـنٌ يَستَسِرُّ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإسحاق رمَل بالبنصر عن عمرو . وفيه لحَكَم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم . وفيه لفَريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق . وفيه ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرز رَمَل عن الهشاميّ .

---

1 الحَرَسي : واحد حرس السّلطان وسُكّن للضرورة .
2 ساروا : في الديوان صاروا ، ص 448 (طبعة دار صادر) .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد إنّي قد ظلمتُ وإنّني ... مُبْدٍ مقالةَ راغبٍ أو راهبِ
وأتوبُ ممّا تكرَهين لِتقْبَلي ... واللهُ يقبل حُسنَ فعلِ التائبِ

الغناء لحَكَم خفيفُ ثقيل عن إسحاق . وفيه ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرِز رمل عن الهشاميّ .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد حبُّك شفَّني شَفّا ... والحبُّ داءٌ يُورث الحَتْفا
والحبُّ يُخفيه المحبّ ، لكي ... لا يُستراب به ، وما يخفَى

الغناء لِسِيَاط خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

يا عبد بالله فَرِّجي كُرَبي ... فقد براني وشفَّني نَصَبي
وضِقْتُ ذَرْعاً بما كَلِفْتُ به ... من حُبّكم والمحبُّ في تعبِ
ففرِّجي كُرْبةً شَجيتُ بها ... وحَرَّ حُزْنٍ في الصدر كاللَّهَبِ
ولا تَظُنّي ما أشتكي لَعِباً ... هيهاتَ قد جلّ ذا عن اللعبِ

غنّاه سِيَاطٌ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبد زُوريني تَكُنْ مِنَّةً ... لله عندي يومَ أَلْقاكِ
واللهِ ثُمّ اللهِ فاستيقني ... إنّي لأَرجوكِ وأخشاكِ
يا عبد إنّي هالكٌ مُدْنَفٌ ... إنْ لم أَذُقْ بَرْدَ ثناياكِ
فلا تَرُدّي عاشقاً مُدْنَفاً ... يرضى بهذا القدر من ذاكِ

الغناء لحَكَم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد قد طال المِطالُ فأنْعِمي   واشفي فؤادَ فتىً يَهيم مُتَيَّمِ

الغناء ليزيدِ حَوْراءَ غيرُ مجنَّس عن إبراهيم .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

يا عبد هلْ لِلّقاء مِنْ سَبَبِ   أَوْلاَ فأَدعو بالويلِ والحَرَبِ

الغناء ليزيد حوراء غير مجنَّس .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد هلْ لي منكمُ مِنْ عائِد   أَمْ هل لديكِ صلاحُ قلب فاسدِ

الغناء لابن عَبّاد عن إبراهيم غير مجنّس .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا عبد حيِّي عن قريبِ   وتأَمَّلي عينَ الرقيبِ
وارعَيْ وِدادي غائبا   فلقد رَعَيتُكِ في المَغيبِ
أَشكو إليكِ وإنّما   يشكو المُحبّ إلى الحبيبِ
غَرَضي إليك من الهوى   غَرَض المريضِ إلى الطبيبِ

الغناء لحَكَم مطلق في مجرى البنصر .

ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبد بالله ارْحمي عَبْدكِ   وعَلِّليه بمُنَى وَعْدِكِ
يُصبح مكروباً ويُمسي به   وَليس يَدري ما له عندك
ماذا تقولين لربّ العُلا   إذا تخلّيتِ به وحدكِ

الغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أَغانيه . وفيه ليزيدِ حَوْراءَ لحنٌ ذَكَره إبراهيم ولم يجنِّسه . وذكر حَبَشٌ أَنّ الثقيل الثاني لِسيّاط .

ومنها : [من المجتث]

صوت

يا عَبْد جَلِّـي كروبي وأَسْعِفــي وأثيبــي[1]
فقــد تَطــاول هَمِّــي وزَفْرتــي ونَحيــي

الغناء لابن سُكّرة عن إبراهيم ولم يجنسه .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

يــا عبد أَنتِ ذخيرتي نفسي فَدَتْكِ وجِيرتي
اللهُ يعلــم فيكـــمُ يــا عبد حسنَ سريرتي
نفسي لنفسِك خُلَّــةٌ وكذاك أنــت أميرتي[2]

الغناء لحَكَم الوادي خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبــد حُبِّــي لكِ مستورُ وكلّ حــبّ غيــره زُورُ
إنْ كان هجري سَرَّكم فاهجروا إنّــي بمــا سَرّك مسرورُ

الغناء لحَكَم هَزَج[3] بالوسطى عَنْ ابن المكّيّ .

ومنها : [من الرمل]

صوت

لم يَطُلْ لَيْلي ولكــنْ لم أَنَمْ ونَفَى عنّي الكَرى طيفٌ أَلَمّ
وإذا قلتُ لهــا جُــودي لنا خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ
رَفِّهي يــا عَبْدَ عنّي واعلمي أنّني يــا عبــد مــن لحم ودمْ
إن في بُرْديّ جسماً ناحــلاً لــو تَوَكّأتِ عليــه لأنهدمْ
خَتَم الحــبُّ لهــا في عُنقي موضعَ الخاتم مــن أَهل الذممْ

الغناء لحَكَم هَزَجٌ بالسبّابة والوسطى عن ابن المكيّ . وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسبُه إلى أحد . وفيه لعَثْعَث الأَسود خفيفُ رمل في الأوّل والخامس . وكان بشّار يُنكر هذا

1 وأثيبي في الديوان : وأنيبي ، ص 437 ، طبعة دار صادر .
2 خُلَّة : خليلة .
3 في ل : خفيف رمل .

البيتَ الأخير وهو : [من الرمل]

خَتَم الحبّ لهــا في عُنقي

[أنشده رجل بيتاً له فأنكره]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثني أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدَّثني مَنْ أنشد بشاراً قولَه : [من الرمل]

لم يَطُل لَيْلي ولكنْ لم أَنم

حتى بلغ إلى قوله : [من الرمل]

ختــم الحــبُّ لهــا في عُنقي　　　موضع الخاتم من أهل الذممْ

فقال بشّار : عمّن أخذتَ هذا ؟ قلتُ : عَنْ راويتك فلان ؛ فقال : قبّحه الله ؛ والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ ، أما ترى إلى أثره فيه ؟ ما أقبحَه وأشدَّ تميُّزَه عن مذهبي ! فقال له بعضُ من حضر : نَعم ، هو ألْحقه بالأبيات .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

عَبْـد إنّي قــد اعترفتُ بذَنْبي　　　فاغفِري واعْرُكي خَطايَ بجَنْبِ[1]
عبـد لا صبر لي ولستُ فمهلاً　　　قائلاً قــد عَتَبتِ في غير عَتْبِ
ولقد قلــتُ حـين أنْصبني الحـ　　　ـبُّ فأبْلى جِسْمي وعذّب قلبي
ربِّ لا صبرَ لي على الهجر حَسْبي　　　فأقِلْني حَسْبي لكَ الحمدُ حسبي

الغناء لِسِيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لسُلَيم هَزَجٌ من كتاب ابن المكّيّ .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

عبـد مُنّـي وأنْعمي　　　قــد مَلَكْتــم قِيادِيَـهْ
شابَ رأسي ولم تَشبْ　　　وابَلائـــي لِدَاتِيـــهْ

الغناء لِسياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَرِيبَ هزج .

ومنها : [من الخفيف]

---

1 واعركي في ل : واعدلي .

صوت

عبد يـا هِمّتي عليك السلامُ — فيـم يُجْفى حبيبُك المستهامُ[1]
نــزل الحبّ منزلاً في فؤادي — ولــه فيــه مجــلسٌ ومقامُ

الغناء لأبي زَكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ[2] .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

عبــد يـا قُـرّةَ عيني — أنصفي ، رُوحي فداكِ
عاشق ليس لــه ذِكـ — ـر ولا هـــمٌّ سواكِ

الغناء لعَرِيبَ هَزَجٌ . وفيه لحن ليزيدِ حَوْراء غير مجنّس .

ومنها : [من الرمل]

صوت

يا عَبْـد يـا جافيةً قاطعه — أَمَا رَحِمتِ المُقْلَةَ الدامعهْ
يا عبد خافي اللّهَ في عاشقٍ — يهـواكِ حتـى تَقَع الواقعهْ

الغناء لأبي زَكّار هَزَجٌ بالبنصر عن عمرو .

صوت

من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَرْسَلَتْ أُمُّ جعفــر لا تــزورُ — ليتَ شعري بالغيب مَنْ ذا دهاها
أأتاهـــا محــرِّش بنَميـــمٍ — كاذبٌ مــا أَراد إلاّ رَدَاها

عروضه من الخفيف ، الشعر للأحوص . والغناء لأُمّ جعفر المدنيّة مولاة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر ، فلا أعلم أهذا يعني أم غيره . وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكّيّ وإسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو الهشاميّ .

---

1 الهمّة : الهوى .

2 في ل : رمل .

[92] ـ أَخبار الأَحوص مع أُمّ جعفر

[أُمّ جعفر التي كان يشبّب بها الأحوص ونسبها]

وقد ذُكِرتْ أَخبارُ الأَحوص مُتَقَدِّماً إلاّ أَخبارَه مع أُمّ جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنّها أُخِّرت إلى هذا الموضع . وأُمّ جعفر هذه امرأة من الأَنصار من بني خَطْمة[1] ، وهي أُمّ جعفر بنت عبد الله بن عُرْفُطة بن قَتادة بن مَعَدّ[2] بن غِياث بن رِزاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك بن الأَوْس . وله فيها أَشعار كثيرة .

[تشبيب الأَحوص بأُمّ جعفر وتوعّد أُخيها أيمن له]

أُخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني يعقوب بن القاسم ومحمّد بن يحيى الطَّلْحيّ عن عبد العزيز بن أَبي ثابت ، وأَخبرني عمّي قال حدَّثني محمّد بن داود بن الجَرّاح قال حدَّثني أَحمد بن زُهَير عن مصعَب ، وأَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُبَير بن بَكّار قال حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن المُحْرِز بن جعفر الدَّوْسيّ ، قالوا جميعاً : لمّا أَكثر الأَحوصُ التشبيب بأُمّ جعفر وشاع ذكرُه[3] فيها توعّده[4] أَخوها أَيْمَنُ وهدَّده فلم يَنْته ، فاستعدى عليه واليَ المدينة ، وقال الزُبَير في خبره : فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز ، فربَطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما : تجالدا ؛ فتجالدا فغلَب أَخوها . وقال غير الزُبَير في خبره : وسلَح الأَحوصُ في ثيابه وهرَب وتَبِعه أَخوها حتى فاته الأَحوص هرباً . وقد كان الأَحوص قال فيها : [من الطويل]

لقد منعتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ ... وإنّي إلى معروفها لفقيرُ
وقد أَنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتي ... وقد وَغِرتْ فيها عليّ صدورُ
أَدُورُ ولولا أَنْ أَرى أُمَّ جعفرٍ ... بأَبياتكم ما درتُ حيث أَدورُ
أَزورُ البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها ... وقلبي إلى البيت الذي لا أَزورُ
وما كنتُ زَوّاراً ولكن ذا الهوى ... إذا لم يُزَرْ لا بُدّ أَن سيزورُ

---

1 لقب خطمة لأنّه ضرب رجلاً على أنفه فخطمه .
2 في ل : معبد .
3 في ل : شعره .
4 في ل : أوعده .

أَزورُ على أَن لستُ أَنفكُّ كلَّما أَتيتُ عدوّاً بالبنان يُشيرُ

فقال السائب بن عمرو ، أحد بني عمرو بن عَوْف ، يعارضُ الأحوصَ في هذه الأبيات ويعيِّره بفراره : [من الطويل]

لقد منع المعروفَ من أُمِّ جعفر أَخو ثقةٍ عند الجلاد صَبورُ
عَلاك بمَتْنِ السوطِ حتى اتّقيتَه بأَصفرَ من ماء الصِّفاق يفورُ[1]

فقال الأَحوص : [من الطويل]

إذا أنا لم أَغفِر لأَيْمَنَ ذنبَه فمَن ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي
أُريد انتقامَ الذنب ثم تَرُدّني يدٌ لأَدانيه مباركةٌ عندي

وقال الزبير في خبره خاصّة : وإنما أَعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطيْن وأَمرهما أَن يتضاربا بهما اقتداءً بعثمان بن عفّان ؛ فإنّه كان لمّا تَهاجى سالم بن دارة ومُرّة بن واقع الغَطَفانيّ الفَزاري لَزّهما عثمان بحبل وأَعطاهما سوطيْن فتجالدا بهما .

وقال عمر بن شَبّة في خبره : وقال الأحوص فيها أيضاً ، وقد أَنشدني علي بن سليمان الأَخفش هذه الأَبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شَبّة بيتين فأَضفتهما إليها : [من الطويل]

وإنِّي ليدعوني هوى أُمِّ جعفر وجاراتها من ساعةٍ فأُجيبُ
وإنّي لآتي البيتَ ما إن أحبُّه وأُكثر هجرَ البيت وهو حبيبُ
وأُغْضي على أَشياء منكم تسوءني وأُدعى إلى ما سَرّكم فأُجيبُ
هَبيني امرأً إمّا بريئاً ظلمتِه وإمّا مُسيئاً مذنباً فيتوبُ
فلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنّها منَ الحزن قد كادت عليك تذوبُ
لك اللهُ إنّي واصلٌ ما وصلتِني ومُثنٍ بما أُوليتني ومُثيبُ
وآخذُ ما أعطيتِ عفواً وإنّني لأَزْوَرُ عمّا تكرهين هَيوبُ

هكذا ذكره الأَخفش في هذه الأَبيات الأَخيرة ، وهي مروية للمجنون في عدّة روايات ؛ وهي بشعره أَشبه . وفي هذه الأَشعار التي مضت أَغانٍ نسبتها : [من الطويل]

صوت

أَدورُ ولولا أن أَرى أُمَّ جعفر بأَبياتكم ما درتُ حيث أَدورُ

---

1 الصّفاق : جمع صَفَق وهو الأديم الجديد الذي يصب عليه الماء فيخرج منه ماء أصفر يسمّى صَفَق .

أدورُ عــلى أن لستُ أُنفكَّ كلّما أتيــتُ عــدوّاً بالبَنــــانِ يُشيرُ

الغناء لِمَعْبد ، وله فيه لحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وخفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ولإسحاقَ فيهما وفي قوله : [من الطويل]

أُزور البيوتَ اللاّصقاتِ ببيتها

وبعده : [من الطويل]

أُدورُ ولولا أن أُرى أُمَّ جعفر

لحن من الرمل . وفي البيتين اللذين فيهما غناء معبد ، للغريض ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ ، ولإبراهيم خفيف ثقيل . وفيه لحن لشارِيَة عن ابن المعتزّ ولم يذكر طريقتَه .

ومنها : [من الطويل]

صوت

إذا أنــا لم أغفِــر لأيْمَــنَ ذنبَه فمَنْ ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي

أُريــدُ مكافــاةً لــه وتَصُــدّني يــدٌ لأدانيــه مباركــةٌ عنــدي

الغناء لِمَعْبد ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكّيّ ، وذكر غيرُه أنّه من منحول يحيى إلى معبد . وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إلى عَرِيب ورَونق .

ومنها وهو : [من الطويل]

صوت
من المائة المختارة

وإنّي لآتــي البيتَ مــا إن أُحِبُّه وأُكثر هجــرَ البيت وهو حبيبُ

وأُغضي على أشياءَ منكم تسوءني وأُدعى إلى مــا سرّكم فأُجيبُ

وما زلتُ من ذكراكِ حتى كأنّني أُميم بأفْيــاء الديــار سَلِيبُ[1]

أبُــثُّك ما أَلقَى وفي النفس حاجةٌ لهــا بــين جِلْدي والعظام دَبيبُ

لكِ اللهُ إنّي واصلٌ ما وصلتني ومُثْــنٍ بمــا أوليتنــي ومُثيبُ

وآخُــذ مــا أَعطيتِ عفواً وإنّني لأَزْوَر عمّــا تكرهــين هَيوبُ

فــلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنّها من الحزن قد كادت عليك تذوبُ

1 أميم : في ل : لهيم . سليب : مستلب العقل .

الشعر للأحوص . ومن الناس مَن ينسُب البيت الخامسَ وما بعده إلى المجنون . والغناء في اللحن المختار لدَحْمان . وهو ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر . وذكر الهشاميّ أنّ في الأبيات الأربعة لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الأوّل ، فلا أعلم ألحنَ دَحْمانَ عَنَى أم ثقيلاً آخر . وفي : [من الطويل]

لكِ اللهُ إنّي واصلٌ ما وصلتني ومُثْنٍ بما أوليتني ومُثيبُ

لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

[لمّا أكثر من ذكر أمّ جعفر عرضت له في أمر فحلفَ أمام الناس أنّه لا يعرفها]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني محمّد بن حسن ؛ قال الزُّبَير وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن مُحرِز : أنّ أمّ جعفر لمّا أكثر الأحوصُ في ذكرها جاءت منتقِبة ، فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها ، وكانت امرأةً عفيفة ؛ فقالت له : اقضِ ثمنَ الغنم التي ابتعتَها منّي ؛ فقال : ما ابتعتُ منكِ شيئاً . فأظهرتْ كتاباً قد وضعتْه عليه وبكتْ وشكت حاجةً وضُرّاً وفاقةً وقالت : يا قوم ، كلّموه . فلاَمه قومُه وقالوا : اقضِ المرأةَ حقَّها ؛ فجعل يحلفُ أنّه ما رآها قطُّ ولا يعرفها . فكشفتْ وجهَها وقالت : ويْحك ! أما تعرفني ؟ فجعل يحلف مجتهداً أنّه ما يعرفها ولا رآها قطُّ . حتى إذا استفاض قولُها وقولُه واجتمع الناسُ وكثُروا وسمعوا ما دار وكثُر لَغَطُهم وأقوالُهم ، قامت ثم قالت : أيّها الناس ، اسكتوا . ثم أقبلت عليه وقالت : يا عدوَّ الله ؛ صدقتَ ، والله ما لي عليك حقّ ولا تعرفني ، وقد حلفتَ على ذلك وأنت صادق ، وأنا أمّ جعفر وأنت تقول : قلت لأمّ جعفر وقالت لي أمّ جعفر في شعرك ! فخجِل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئتْ عندهم .

[سمع أبو السائب المخزوميّ شعراً له فطرب]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبَير ، وأخبرني به محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا ثَعْلَب قال حدّثنا الزُّبَير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال : أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ الأحوص : [من الطويل]

لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفر وإنّي إلى معروفها لفقيرُ

فلمّا انتهيتُ إلى قوله : [من الطويل]

أزورُ على أن لستُ أنفكُّ كلّما أتيتُ عدوّاً بالبنان يُشيرُ

أعجبه ذلك وطَرِب وقال : أتدري يا ابنَ أخي كيف كانوا يقولون ! الساعةَ دخل ، الساعةَ خرج ، الساعةَ مرّ ، الساعةَ رَجع ، وجعل يُومىء بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسبّابته إلى حِيال وجهه ويقلبها ، يحكي ذهابَه ورجوعَه .

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الخفيف]

صاحِ قـد لُمْتَ ظالمًا　　　فانظرِ آنْ كنتَ لائمَا
هل تـرى مثلَ ظَبْيةٍ　　　قَلَّدوهـــا التمائما

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء في اللحن المختار لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبرني ذُكَاء وجه الرزّة أن فيه لِعَريبَ رملاً بالبنصر ، وهو الذي فيه سَجْحة . وفيه لابن المَكِّيّ خفيفُ ثقيل آخرُ بالوسطى . وزعم الهشاميّ أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيج ، وقد سمعها ممّن يغنّيه . وذكر حَبَش أنّ فيه رمَلاً آخر للغَريض . ولعاتكة بنت شُهْدة فيه خفيفُ ثقيل ، وهو من جيِّد صنعتها ، وذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحنها الرمَلَ وهو اللحن المختار ، وأنّ إسحاق كان يقدّمها ويستجيده ، ويزعم أنّه أخذه عنها . وقال ابن المعتزّ : حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ : أنّ عَرِيب صنعتْ فيه لحنها الرمَل بعد أن أفضت الخلافةُ إلى المعتصم ، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه ، ولم أسمع بَشَراً قطُّ غنّاه أحسنَ من خِشْف الواضحيّة .

وكلّ أخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرتْ ، أوْ لها موضع تُذكر فيه ، إلاّ عاتكة بنت شُهْدة فإنّ أخبارَها تذكر هاهنا ؛ لأنّه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكرَه غير هذا . وقد ذكر جَحْظة عن أصحابه أنّ لحنَها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أُسوةَ غيرها .

[93] ـ [عاتكة بنت شُهدة]

[عاتكة بنت شُهدة وشيء من أخبارها]

كانت عاتكة بنت شُهدة مدنيّة . وأُمُّها شُهْدة جارية الوليد بن يزيد ، وهو الصحيح . وكانت شُهدة مغنّية أيضاً .

[غنّى ابن داود الرشيد صوتاً لأمها فطرب]

حدَّثني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا العَلاء[1] قال حدَّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ عن بعض المغنِّين قال : كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصليّ وغيرُهما ، وعنده في تلك الليلة محمّد بن داود بن إسماعيل بن عليّ ؛ فتغنّى المغنّون ، ثم اندفع محمّد بن داود فغنّاه بين أضعافهم : [من الرمل]

صوت

أمَّ الوليـد سَلَبْتِني حِلْمِـي ... وقتلتِنـي فتخـوّفي إثمـي

بـاللهِ يـا أُمَّ الوليـد أمَـا ... تخشَيْنَ في عواقـبَ الظلـمِ

وتركتنـي أبغـي الطبيبَ وما ... لطبيبنـا بالـداء مـن عِلْـمِ

خافي إلهكِ في ابن عمِّكِ قد ... زوّدتِـه سُقْمـاً عـلى سُقمِ

قال : فاستحسن الرشيد الصوتَ واستحسنه جميعُ مَن حضره وطرِبوا له . فقال له الرشيد : يا حبيبي ، لِمَن هذا الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، سَلْ هؤلاء المغنّين لمَن هو . فقالوا : والله ما ندري ، وإنّه لغَريبٌ . فقال : بحياتي لِمَن هو ؟ فقال : وحياتِك ما أدري إلاّ أنّي أخذتُه من شُهْدة جاريةِ الوليد أُمِّ عاتكة بنت شُهْدة . هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقيّات ، والغناء لابن مُحْرِز ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمالك ثاني

1 في ل : الغلابي .

ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيه لسُليم خفيف رمل بالبنصر . ولحُسين بن مُحْرز ثقيل أوّل عن الهشاميّ وحَبَش .

[كانت ضاربة مجيدة وعنها أخذ إسحاق الموصليّ]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّه ذكر عاتكة بنت شُهْدة يوماً فقال : كانت أضربَ مَنْ رأيتُ بالعود ؛ ولقد مكثتُ سبعَ سنين أختلفُ إليها في كلّ يوم فتُضاربني ضرباً أو ضربين[1] ، ووصل إليها منّي ومن أبي بسببي أكثرُ من ثلاثين ألف درهم : دراهمَ وهدايا .

[ماتت بالبصرة ، وقصّتها مع ابن جامع عند الرشيد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال : كانت عاتكة بنت شُهْدة أحسنَ خَلْق الله غناءً وأرْواهم ، وماتت بالبصرة . وأمّها شُهْدة نائحة من أهل مكّة . وكان ابن جامع يَلُوذ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له : إلى أين يا أبا القاسم ! ما هذا الترجيع الذي لا معنى له ! عُدْ بنا إلى معظم الغناء ودعنا من جنونك . فأضجرتْه يوماً بين يديّ الرشيد فقال لها : أي أمّ العبّاس : إنّي أشتهي ، عَلِم الله ، أنْ تحتكّ شِعْرتي بشعرتك . فقالت : اخسأْ ، قطع الله ظهرَك ! ولم تَعُد لأذاه بعدها .

[غنّت جارية بشعر فعارضتها هي وذمّت بنداراً الزيّات]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال : قال لي عليّ بن جعفر بن محمّد : دخلت على جواري المروانيّ المغنّيات بمكّة ، وعاتكة بنت شُهْدة تطارحهنّ لحنَها : [من الكامل]

يـا صاحبيّ دَعـا الملامةَ واعلَما أنّ الهـوى يَـدَع الكِرامَ عَبيدا

فجعلتْ واحدةٌ منهنّ تقول : «يدعُ الرجالَ عَبيداً» . فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهْدة : ويلكِ ! بُنْدارٌ الزيات العاضُّ بظرَ أمّه رجل ! أفمِنَ الكرام هو ؟ . قال : فكنتُ إذا مرَّ بي بُندار أو رأيتُه غلبني الضحك فأستحيي منه وآخُذ بيده وأجعل ذلك بشاشةً ؛ حتى أوْرث هذا بيني وبينه مقاربةً ؛ فكان يقول : أبو الحسن عليٌّ بن جعفر صديقٌ لي .

[علّمت مخارقاً الغناء وهو مولى لها]

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة ، وهي علّمتْه الغناء ووضعت يده على العود ، ثم باعته ؛ فانتقل من مِلْك رجل إلى مِلك آخر حتى صار إلى الرشيد . وقد ذُكر ذلك في أخباره .

---

1 في ل : طرقاً أو طرقين .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

ولو أنّ ما عندَ ابنِ بُجْرَةَ عندها   من الخمر لم تَبْلُلْ لَهاتي بناطِلِ
لعمري لأنتَ البيتُ أُكـرِمُ أهلَه   وأقعُـد في أفيائـه بـالأصائلِ[1]

عروضه من الطويل . الشعر لأبي ذُؤَيب الهُذليّ . والغناء لحَكَم الواديّ ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها . ابن بُجْرة هذا ، فيما ذكره الأصمعيّ ، رجل كان يَبِيع الخمرَ بالطائف ، وزعم أنّ الناطل كوزٌ تُكال به الخمر . وقال ابن الأعرابيّ : ليس هذا بشيء ، وزعم أنّ الناطل : الشيء ؛ يقال : ما في هذا الإناء ناطل ، أي ليس فيه شيء . وقال أبو عمرو الشّيْبانيّ : سمعتُ الأعراب يقولون : الناطل : الجُرْعة من الماء واللبن والنبيذ . انتهى .

---

1 لأنت في ل : لآتي .

[94] ـ ذكر أَبي ذُؤَيب[1] وخبره ونسبه

[نسبه]

هو خُوَيْلِد بن خالد بن مُحرِّث[2] بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تميم[3] بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مضَر بن نِزار . وهو أَحد المخضرَمين ممّن أَدرك الجاهليّة والإسلام ، وأَسلم فحسُن إسلامُه . ومات في غَزاة إفْرِيقية .

[رأي ابن سلام فيه وشهادة حسّان له]

أَخبرني أَبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال : كان أَبو ذُؤَيب شاعراً فَحْلاً لا غَميزة[4] فيه ولا وَهْن .

وقال ابن سَلاّم : قال أَبو عمرو بن العلاء : سُئِل حسّان بن ثابت : مَنْ أَشعر الناس ؟ قال : أَحَيّاً أَم رجلاً ؟ قالوا : حيّاً ؛ قال : اشعرُ الناسِ حيّاً هُذَيل ، وأَشعر هذيل غيرَ مُدافع أَبو ذُؤَيب . قال ابن سلاّم : ليس هذا من قول أَبي عمرو ونحن نقوله .

[اسمه بالسريانية مؤلف زورا]

أَخبرني أَبو خَليفة قال حدَّثنا محمّد بن سَلاّم قال أَخبرني محمّد بن مُعاذ العُمَريّ قال : في التّوراة : أَبو ذؤيب مؤلّف زوراً ، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زورا» . فأَخبرتُ بذلك بعضَ أُصحاب العربيّة ، وهو كثير بن إسحاق ، فعجب منه وقال : قد بلغني ذاك . وكان فصيحاً كثيرَ الغريب متمكّناً في الشعر .

[تقدّم شعراء هذيل بقصيدته العينية]

قال أَبو زيد عمر بن شَبّة : تقدّم أَبو ذؤيب جميعَ شعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التي يَرثي فيها بَنِيه . يعني قولَه : [من الكامل]

---

1 انظر أَخباره في : الشعر والشعراء : 457 وطبقات ابن سلام : 131 والمؤتلف : 173 ومصورة ابن عساكر 5 : 690 ومختصر ابن منظور 8 : 92 وتهذيب ابن عساكر 5 : 182 وأُسد الغابة 5 : 188 والإصابة 7 : 63 والوافي 13 : 437 . والخزانة 1 : 203 وشرح شواهد المغني : 10 والعيني 1 : 295 ومعاهد التنصيص 2 : 165 والدميري 2 : 47 ومعجم الأدباء : 3 : 1275–1277 والتذكرة الحمدونية 8 : 28–29 .

2 في ل : محرز .

3 في ل : غنم .

4 غميزة : مطعن .

أَمِــنَ المَنــون ورَيْبــه تتوجّــعُ والدَّهرُ ليسَ بمُعْتِب مَن يَجْزَعُ[1]

وهذه يقولها في بنينَ له خمسة أُصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها . وسنذكر جميع ما يُغَنَّى فيه منها على أَثر أَخباره هذه .

[خرج مع عبد الله بن سعد لغزو إفريقية وعاد مع ابن الزُّبَير فمات في مصر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن مصعَب الزُّبَيريّ ، وأَخبرني حِرْميُّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمِّي قال : كان أَبو ذؤيب الهُذَليّ خرج في جُند عبد الله بن سَعْد بن أَبي سَرْح أَحد بني عامر بن لؤيّ إلى إفريقية سنة ستّ وعشرين غازياً إفْرَنْجَةَ في زمن عثمان . فلمّا فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبدَ الله بن الزُّبَير وكان في جنده بشيراً إلى عثمان بن عفّان ، وبعث معه نفراً فيهم أَبو ذؤيب . ففي عبد الله يقول أَبو ذؤيب : [من المتقارب]

فصاحبَ صدقٍ كسِيدِ الضَّرا ء يَنْهض في الغزو نهضاً نَجيحا[2]

في قصيدة له . فلمّا قدِموا مصرَ مات أَبو ذؤيب بها . وقدِم ابنُ الزُّبَير على عثمان ، وهو يومئذٍ ، في قول ابن الزُّبَير ، ابنُ ستّ وعشرين سنة ؛ وفي قول الواقِديّ ابن أَربع وعشرين سنة . وبُشِّر عبد الله عند مَقْدَمه بخُبَيْب بن عبد الله بن الزُّبَير وبأَخيه عُرْوة بن الزُّبَير ، وكانا وُلدا في ذلك العام ، وخُبيب أَكبرهما .

[وصف ابن الزبير لحرب إفريقية]

قال مصعب : فسمعتُ أَبي والزُّبَيرَ بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَير يقولان : قال عبد الله بن الزُّبَير : أَحاط بنا جُرْجِير صاحبُ إفريقية وهو ملك إفْرِنْجة في عشرين أَلفاً ومائة أَلف ونحن في عشرين أَلفاً ؛ فضاق بالمسلمين أَمرُهم واختلفوا في الرأي ، فدخل عبد الله بن سعد فُسْطاطه يخلو ويفكِّر . قال عبد الله بن الزبير : فرأَيتُ عَوْرة من جُرْجير والناسُ على مَصافّهم ، رأَيته على بِرْذَوْن أَشهبَ خَلْفَ أَصحابه مُنقطِعاً منهم ، معه جاريتان له تُظِلاّنه من الشمس بريش الطَّواويس . فجئت فُسطاطَ عبد الله فطلبت الإِذنَ عليه من حاجبه ؛ فقال : إنّه في شأنكم وإنّه قد أَمرني أَن أُمسك الناسَ عنه . قال : فدُرتُ فأَتيت مؤخَّر فُسطاطه فرفعتُه ودخلتُ عليه ، فإذا هو مُستلْقٍ على فراشه ؛ ففزِع وقال : ما الذي أَدخلك عليّ يا ابن الزُّبَير ؟ فقلت : إيه وإيه ! كلّ أَزَبَّ[3] نَفورٌ ! إنّي رأَيت عورةً من عدوّنا فرجوت الفرصةَ فيه وخَشِيتُ فواتَها ، فاخرُجْ فَانْدُب

1 وريبه في ل : وريبها .
2 الضَّرا في ل : الغضا .
3 الأزب من الإبل : الذي يكثر شعر حاجبيه .

الناسَ إليّ . قال : وما هي ؟ فأخبرته ؛ فقال : عورةٌ لعمري ! ثم خرج فرأى ما رأيت ؛ فقال : أيّها الناس ، انتدِبوا مع ابن الزُّبَير إلى عدوّكم . فاخترتُ ثلاثين فارساً ، وقلت : إنّي حاملٌ فاضربوا عن ظهري فإنّي سأكفيكم مَنْ ألقى إن شاء الله تعالى . فحملتُ في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذبّوا عنّي حتى خرَقتُهم إلى أرض خالية ، وتبيّنته فصمَدْتُ[1] صَمْدَه ؛ فوالله ما حسِب إلاّ أنّي رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلاّ ذاك ، حتى رأى ما بي من أثر السلاح ، فثنى بِرْذَوْنَه هارباً ، فأدركتُه فطعنته فسقط ، ورميتُ بنفسي عليه ، واتّقتْ جاريتاه عنه السيفَ فقُطعت يد إحداهما . وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسَه في رُمحي ، وجال أصحابُه وحمَل المسلمون في ناحيتي وكبّروا فقتّلوهم كيف[2] شاؤوا ، وكانت الهزيمة . فقال لي عبد الله بن سعد : ما أحدٌ أحقّ بالبشارة منك ، فبعثني إلى عثمان .

[اشترى مروان خُمس فيْء إفريقية بمال فوضعه عنه عثمان]

وقَدِم مروانُ[3] بعدي على عثمان حين اطمأنّوا وباعوا المَغنم وقسّموه . وكان مروان قد صفَق[4] على الخُمس بخمسمائة ألف ، فوضعها عنه عثمان ، فكان ذلك ممّا تُكلِّم فيه بسببه . فقال عبد الرحمن بن حَنْبل[5] بن مُلَيل وكان هو وأخوه كَلَدة أخوي صَفْوان بن أُميّة بن خَلَف لأُمّه ، وهي صَفيّة بنت مَعْمَر بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، وكان أبوهما ممّن سقط من اليمن إلى مكّة : [من المتقارب]

أحْلِفُ بالله جهد اليميـ ـن ما ترك الله أمراً سُدَى
ولكنْ خُلقتَ لنا فتنةً لكي نُبتلى فيكَ أو تُبتلى
دعوتَ الطَّرِيدَ فأدنيتَه خلافاً لسنّة مَنْ قد مضى[6]
وأعطيتَ مَرْوان خُمسَ العبا د ظلماً لهم وحَمَيْتَ الحمى
ومالاً أتاكَ بـه الأشعريّ من الفيء أعطيتَه مَنْ دنا
وإنّ الأمينَيْنْ قد بَيّنا منارَ الطريق عليه الهُدى

---

1 صمد صمد الأمر : قصد قصده .
2 في ل : حيث .
3 هو الخليفة مروان بن الحكم .
4 الصفق : التبايع ، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع .
5 في ل : حسان .
6 الطريد : الحكم بن العاص بن أُميّة .

فمـــا أخـــذا درهماً غِيلةً ولا قسّما درهماً في هوى

قال : والمال الذي ذكر أنّ الأشعريّ جاء به مالٌ كان أبو موسى قَدِم به على عثمان من العراق ، فأعطى عبدَ الله بن أسِيد بن أبي العِيص منه مائة ألف درهم ، وقيل : ثلثمائة ألف درهم ؛ فأنكر الناسُ ذلك .

[ذكر ابن بُجرة وخمره في قصيدة غنّي في أبيات منها]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن محمّد بن يحيى عن عبد العزيز ، أظنّه ابن الدّراوَرْدي ، قال : ابن بُجرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عُبيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب من قُرَيش ، ولم يسكنوا مكّة ولا المدينة قَطّ ، وبالمدينة منهم امرأة ، ولهم موالٍ أشهرُ منهم ، يقال لهم بنو سجفان . وكان ابن بُجرة هذا خمّاراً . وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حَكَم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة . فممّا يغنّى فيه منها : [من الطويل]

صوت

أساءلتَ رَسْمَ الدار أم لم تُسائل عن الحيّ أم عن عهده بالأوائلِ
عفا غيرَ رسم الدار مـــا إن تُبينه وعفرِ ظباءٍ قد ثَوَتْ في المنازلِ[1]
فلو أنّ مـــا عند ابن بُجْرةَ عندها من الخمر لم تَبْلُل لَهاتـي بناطلِ
فتلك التي لا يَذهبُ الدَّهرَ حُبُّها ولا ذِكرُها مـا أرْزَمَتْ أمُّ حائلِ

غنّاه الغَريض ثقيلاً أوّلَ بالوسطى . ويقال : إن لَمَعْبد فيه أيضاً لحناً .

قوله : «أساءلتَ» يخاطب نفسه . ويروى : «عن السُّكْن أو عن أهله» . والسُّكْن . الذي كانوا فيه . وقال الأصمعيّ : السكن : سكن الدار . والسكن : المنزل أيضاً . ويروى : «عفا غير نُؤْيِ الدار» . والنُّؤْي : حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلاّ يَصِل المطر إليها . ويروى وهو الصحيح :

وأقطاع طُفْي قـــد عَفَتْ في المعاقلِ[2]

والطُّفْي : خُوص المُقْل . والمعاقل : حيث نزلوا فامتنعوا ، واحدها مَعْقِل . وواحد الطُّفْي : طُفْية . وأرْزمتْ : حَنّت . والحائل : الأنثى . والسَّقْب : الذكر .

ومنها : [من الطويل]

1 تبينه في ل : أبينه .

2 أقطاع : جمع قِطع وهو كالقطيع الغصن تقطعه من الشجرة .

صوت

وإنّ حديثـاً منكِ لـو تَبْذُلينه ... جَنى النحلِ في ألبان عُوذٍ مَطافلِ
مَطافل أَبْكـار حَديـث نِتاجهـا ... تُشاب بماءٍ مثـلِ مـاء المفاصلِ

غنّاه ابن سُريج رملاً بالوسطى . جنى النحل : العسل . والعُوذ : جمع عائذ ، الناقة حين تضع فهي عائذ ، فإذا تَبعها ولدُها قيل لها مُطْفِل . والمَفاصل : مُنْفَصل السهل من الجبل حيث يكون الرَّضْراض[1] ، والماء الذي يَسْتنقِع[2] فيها أطيبُ المياه . وتُشاب : تُخلط .

وأخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ : أن أبا ذؤيب إنّما عَنى بقوله : «مَطافل أَبْكار» أنّ لبن الأبكار أطيبُ الألبان ، وهو لبنُها لأوّل بَطْن وضعتْ . قال : وكذلك العسل فإنّ أطيبَه ما كان من بِكر النحل . قال : وحدَّثني كُرْدين قال : كتب الحجّاج إلى عامله على فارس : إبعثْ إليّ بعَسل من عسل خُلاَّر[3] ، من النحل الأبكار ، من الدستفشار[4] ، الذي لم تمسَّه النار .

[صوت من قصيدته العينية]

فأمّا قصيدته العينية التي فُضِّل بها ، فممّا يغنَّى به منها : [من الكامل]

صوت

أَمِـنَ المَنـون ورَيْبهـا تتوجّعُ ... والدَّهرُ ليس بمُعْتبٍ مـن يَجزَعُ
قالت أُمامة مـا لجسمكَ شاحباً ... منـذُ ابتُذلتَ ومثـلُ مالك يَنْفعُ
أم مـا لجنبك لا يُلائم مضجعاً ... إلاّ أقضَّ عليـك ذاك المضجَعُ
فأجبتُهـا أنْ مـا لجسمي أنّه ... أودى بَنـيّ مِـن البلاد فودّعوا

عروضه من الكامل . غنّاه ابن مُحرِز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها . قال الأصمعيّ : سُمِّيت المَنون منوناً لأنّها تذهب بمُنَّة كلّ شيء وهي قوّته . ورَوى الأصمعيّ : «ورَيْبه» فذكَّر المَنون . والشاحب : المُغيَّر المهزول . يقال : شَحُبَ يشحُب . ابتُذِلتَ : امتَهَنْتَ نفسَك وكَرِهتَ الدعةَ والزينة ولَزِمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغْنيك عن هذا ، فاشْتَرِ لنفسكَ مَنْ يكفيك ذلك ويقوم لك به . ويلائم : يوافق . أقضّ عليك أي

---

1 الرضراض : ما دقّ من الحصى .

2 يستنقع : يجتمع .

3 خلار (كرمان) موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيّد .

4 الدستفشار : لفظة فارسية ، معناها : ما عصرته الأيدي وعالجته .

خشِن فلم تستطع أن تضطجع عليه . والقَضَض : الرمل والحصى . قال الراجز : [من الرجز]

إنّ أُحَيحاً مـات من غير مَرَضْ ووُجْدَ في مَرْمَضه حيث ارتمضْ[1]

عَساقلٌ وجِبـأ فيهـا قَضَضْ[2]

وودّعوا : ذهبوا . استُعمل ذلك في الذهاب لأنّ من عادة المفارق أن يودّع .

[طلب المنصور قصيدته العينيّة فلم يعرفها أحد من أهله وعرفها مؤدّب فأجازه]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدَّثني أحمد بن عمر النحويّ قال حدَّثني أبي عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن ابن عياش قال : لمّا مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور في جنازته من المدينة[3] إلى مقابر قريش ، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دَفَنه ، ثم انصرف إلى قصره . ثم أقبل على الربيع[4] فقال : يا ربيع انظر مَنْ في أهلي يُنشدني : [من الكامل]

أمِـنَ المنـون ورَيْبهـا تتوجّع

حتى أتسلّى بها عن مُصيبتي . قال الربيع : فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور ، فسألتُهم عنها ، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها ، فرجعتُ فأخبرته ، فقال : والله لمصيبتي بأهل بيتي ألاّ يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقِلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشدّ عليّ من مُصيبتي بابني . ثم قال : انظرْ هل في القوّاد والعَوامّ من الجند مَنْ يعرفها ، فإنّي أُحبّ أن أسمعها من إنسانٍ يُنشدها . فخرجتُ فاعترضت الناسَ فلم أجد أحداً يُنشدها إلاّ شيخاً كبيراً مؤدِّباً قد انصرف من موضع تأديبه ، فسألته : هل تحفظ شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم ، شِعْر أبي ذُؤَيب . فقلت : أنْشِدْني . فابتدأ هذه القصيدةَ العينيّة . فقلت له : أنت بُغْيتي . ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إيّاها . فلمّا قال : [من الكامل]

والدَّهرُ ليس بمُعتِـب مَـنْ يَجْزَعُ[5]

قال : صدق والله ، فأنشِدْني هذا البيتَ مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ ؛ فأنشدَه ، ثم مرّ فيها . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الكامل]

والدَّهرُ لا يَبْـقى على حَدَثانه جَـوْنُ السَّراة له جدائدُ أربعُ[6]

---

1 ارتمض الرجل من كذا : أي اشتدّ عليه وأقلقه .

2 العساقل : ضرب من الكمأة . والجبء : الكمأة السّود .

3 يريد بغداد .

4 هو الربيع بن يونس مولى المنصور .

5 أعتبه : رجع إلى ما يُرضيه وترك ما يُسخطه .

6 جون السّراة يقصد الحمار . والجدائد : الأتن التي لا لبن لها .

قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول . ثم أمَر الشيخَ بالانصراف . فاتّبعتُه فقلت له : أأمرَ لك أميرُ المؤمنين بشيء ؟ فأراني صُرّةً في يده فيها مائةُ درهم .

[خانه خالد بن زهير في امرأة يهواها كان خان هو فيها عويم بن مالك]

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأَصمعيّ قال : كان أبو ذؤيب الهُذَليّ يهوَى امرأةً يقال لها أُمّ عمرو ، وكان يُرسِل إليها خالد[1] بن زُهير فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذُؤَيب فعل برجلٍ يقال له عُوَيم بن مالك بن عويمر وكان رسولَه إليها . فلمّا علِم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرَمها . فأَرسلتْ تترضّاه ، فلم يفعلْ ، وقال فيها : [من الطويل]

تُريدين كيما تجمعيني وخالداً وهل يُجمَع السيفانِ وَيْحكِ في غِمْدِ
أخالدُ ما راعيْتَ مِني قرابةً فتحفَظَني بالغيب أو بعضِ ما تُبدي[2]
دعاكَ إليها مُقْلتاها وجيدُها فمِلتَ كما مال المُحبّ على عَمْدِ
وكنتَ كرَقْراق السَّراب إذا بدا لقوم وقد باتَ المطيُّ بهم يَخْدي[3]
فآليتُ لا أَنفكّ أَحْدو قصيدةً تكون وإيّاها بها مثلاً بعدي

غنّاه ابن سريج خفيفَ رمل بالبنصر . الغيب : السرّ . والرقراق : الجاري . ويروى : «أحذو قصيدة» . فمن قال : «أحذو» بالذال المعجمة أراد أصنع ، ومن قال : «أحدو» أراد أغنّي .

وقال أبو ذؤيب في ذلك : [من الطويل]

ومـا حُمِّـل البُخْتيُّ عامَ غِياره عليه الوُسوقُ بُرُّها وشَعيرُها[4]
أتى قريةً كانت كثيراً طعامُها كَرَفْغ التراب كلُّ شيءٍ يَميرها[5]

الرفغ من التراب : الكثير اللين .

فقيل تَحَمَّلْ فوق طوقك إنّها مُطَبَّعة مَنْ يأْتها لا يَضيرُها

1 خالد بن زهير الهذلي ، ابن أخت أبي ذؤيب .
2 مني في ل : من ذي .
3 خدى البعير : أسرع وزج بقوائمه .
4 الغِيار : مصدر غارهم يُغيرهم إذا مارهم أي أتاهم بالميرة . الوسوق : جمع وسَق : وهو حمل البعير ، وقيل الحمل عامة .
5 أتى قرية في ل : إلى قرية .

بأعظمَ ممّا كنتُ حَمَّلتُ خالداً وبعضُ أماناتِ الرجالِ غُرورها
ولو أنّني حَمّلته البُزْلَ ما مشتْ به البزلُ حتى تَتْلَئِبَّ صدورها

تتلئب : تستقيم وتنتصب وتمتدّ وتتتابع .

خليلي الذي دلى لغَيٍّ خليلتي جِهاراً فكلٌّ قد أُصابَ عُرورها[1]

يقال : عَرّه بكذا أي أصابه [به] .

فشأنَكها ، إنّي أمينٌ وإنّني إذا ما تَحالَى مثلُها لا أَطُورها

تَحالى : من الحلاوة . أَطورها : أَقْرَبُها :

أُحاذر يوماً أن تَبِين قَرينتي ويُسْلمها أَحْرازُها ونَصيرها

الأحراز : الحصون . قرينتي : نفسي .

وما أنفُس الفتيانِ إلاّ قرائنٌ تَبِينُ ويبقى هامُها وقُبورها
فنفسَك فاحفظْها ولا تُفشِ للعِدا من الشرّ ما يُطوى عليه ضَميرُها
وما يُحْفظُ المكتومُ من سرّ أهله إذا عُقَدُ الأَسرار ضاع كبيرُها
مِنَ القوم إلاّ ذو عَفافٍ يُعينه على ذاك منهُ صِدْقُ نفس وخِيرُها
رَعى خالدٌ سرّي ليالِيَ نفسُه تَوالى على قَصْد السبيل أُمورُها
فلمّا تراماه الشبابُ وغَيُّه وفي النفس منه فِتْنةٌ وفُجورها[2]
لَوى رأسَه عنّي ومال بودّه أَغانيجُ خَوْد كان فينا يَزُورها[3]
تَعلَّقه منها دَلالٌ ومُقلةٌ تَظَلّ لأَصحاب الشَّقاء تُديرها
فإنّ حراماً أنْ أخون أَمانةً وآمَنَ نفساً ليس عندي ضميرها

فأجابه خالد بن زهير :

لا يُبعدنّ اللهُ لُبَّك إذ غَزا وسافرَ والأَحلامُ جَمٌّ عُثُورُها

غزا وسافر لبّك : ذهب عنك . والعثور : من العثار وهو الخطأ .

وكنتَ إماماً للعشيرة تنتهي إليك إذا ضاقتْ بأمرٍ صُدورها

1 دلّى فلان فلاناً في الشر : أوقعه وصيّره فيه . العُرور : المعرّة والعيب .

2 تراماه الشباب : أي تم شبابه فقذف به إلى الغي كما تترامى الفلاة براكبها .

3 الأغانيج : جمع أُغنوجة .

لعلّك إمّا أمُّ عمرو تبدّلت ... سِواكَ خليلاً شاتمي تَسْتخيرها

الاستخارة : الاستعطاف .

فإنّ التي فينا زعمتَ ومثلَها ... لَفِيكَ ولكنّي أُراك تَجُورها

تجورها : تُعرض[1] عنها .

أَلم تَنْتقذها من عويم بن مالك ... وأَنت صفيٌّ نفسِه وسَجيرها[2]

فلا تَجْزَعَنْ من سُنّةٍ أَنت سِرْتَها ... فأَوّلُ راضٍ سُنّةً مَنْ يسيرها

ويروى [قد] أُسرتَها ، أي جعلتها سائرة . ومن رواه هكذا روى «يُسيرها» لأَنّ مستقبل أَفعل أَسارها يسيرها . و«يَسِيرها» مستقبل سار السيرة يسيرها .

فإن كنتَ تشكو من خليلٍ مخانَةً ... فتلك الجَوازي عَقْبها ونُصُورها

عَقْبها : يريد عاقبتها . ونُصورها أي تُنصر عليك ، الواحد نصر .

وإن كنتَ تَبْغي للظُّلامة مَرْكباً ... ذَلُولاً فإنّي ليس عندي بَعيرها

نشأْتُ عَسيراً لا تَلين عَريكتي ... ولم يَعْلُ يوماً فوق ظهري كُورها[3]

متى ما تشأْ أُحمِلْك والرأسُ مائلٌ ... على صَعْبةٍ حَرْفٍ وَشِيكٍ طُمورها[4]

فلا تَكُ كالثور الذي دُفنتْ له ... حديدةُ حَتْفٍ ثم أَمسى يُثيرها

يُطيل ثَواءً عندها ليَرُدَّها ... وهيهاتَ منه دارها وقُصورها

وقاسمها باللهِ جَهْداً لأَنتمُ ... أَلذُّ من السَّلْوى إذا ما نَشُورها

نشورها : نجتنيها . السلوى هاهنا : العسل .

فلم يُغن عنه خَدْعُه يوم أَزْمَعتْ ... صَريمتَها والنفسُ مُرٌّ ضميرُها[5]

ولم يُلْفَ جَلْداً حازماً ذا عَزيمة ... وذا قوّة يَنفي بها من يَزورها

فأَقْصِرْ ولم تأخذْك منّي سحابةٌ ... يُنَفِّر شاءَ المُقْلِعين خَرِيرُها

المقلعين : الذين أُصابهم القَلَع وهو السحاب .

---

1 في ل : تعدل .

2 السّجير : الخليل الصفيّ .

3 الكور : الرّحل .

4 الرأس : مائل من المرح والنشاط . والحرف : الضامرة . ووشيك طمورها : سريع وثوبها .

5 مُرٌّ ضميرها : أي نفسها خبيثة كارهة .

ولا تَسْبِقنّ الناسَ منّــي بخَمْطةٍ   مِنَ السمّ مَذْرُورٍ عليها ذَرُورها[1]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا السَّكَن بن سَعيد قال حدَّثنا العبّاس بن هشام قال حدَّثني أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهُذَليّ من أهل المدينة قال : خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخٍ له يقال له أبو عُبيد[2] ، حتى قَدِموا على عمر بن الخَطّاب رضي الله عنه . فقال له : أيُّ العمل أفضلُ يا أمير المؤمنين ؟ قال : الإيمان بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فأيُّه أفضلُ بعده ؟ قال : الجهادُ في سبيل الله . قال : ذلك كان عليّ وإنّي لا أرجو جنّة ولا أخاف ناراً . ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين . فلمّا قَفَلوا أخذه الموت ؛ فأراد ابنه وابنُ أخيه أن يتخلّفا عليه جميعاً ؛ فمنعهما صاحبُ الساقة وقال : ليتخلّفْ عليه أحدُكما وليعلمْ أنّه مقتول . فقال لهما أبو ذؤيب : اقترِعا ، فطارت القُرعة لأبي عُبيد ، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس . فكان أبو عُبيد يُحدّث قال قال لي أبو ذؤيب : يا أبا عُبيد ، احفِر ذلك الجُرُف برمحك ثم اعضِد[3] من الشجر بسيفك ثم اجرُرْني إلى هذا النهر فإنّك لا تفرُغ حتى أفرُغ ، فاغسِلْني وكفّنّي ثم اجعلني في حَفيري وانثِلْ[4] عليّ الجُرُف برمحك ، وألقِ عليّ الغصونَ والشجر ، ثم اتبَع الناس فإن لهم رَهْجةً[5] تراها في الأُفق إذا مشيتَ كأنّها جَهامة . قال : فما أخطأ ممّا قال شيئاً ، ولولا نَعْتُه لم أهتدِ لأثر الجيش . وقال وهو يجود بنفسه : [من الرجز]

أبــا عُبَيــد رُفِع الكتابُ   واقترب الموعدُ والحسابُ
وعند رَحْلي جملٌ نُجاب   أحمــرُ في حاركه انصباب[6]

ثم مضيتُ حتى لحقتُ الناسَ . فكان يُقال : إنّ أهلَ الإسلام أبعدوا الأثرَ في بلد الروم ، فما كان وراء قبر أبي ذُؤَيب قبر يُعرف لأحد من المسلمين .

1 الخمطة : الطرية التي أخذت طعماً ولم تستحكم ، أو هي التي أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد .
2 في ل : عقيل .
3 عضد الشجر : قطعه .
4 نثل الركية ينثلها : أخرج ترابها .
5 الرهجة : ما أثير من غبار .
6 الحارك : أعلى الكاهل .

[95] ـ ذكر حَكَم الواديّ وخبره ونسبه

[نسبه وأصله وصناعته]

هو الحَكَم بن مَيْمون مولى الوليد بن عبد الملك . وكان أبوه حَلاّقاً يحلِقُ رأس الوليد ، فاشتراه فأعتقه . وكان حَكَمٌ طويلاً أَحْوَلَ ، يُكْرِي الجِمالَ ينقُل عليها الزيت من الشام إلى المدينة . ويُكنى أبا يحيى . وقال مصعَب بن عبد الله بن الزُّبَير : هو حكم بن يحيى بن ميمون ، وكان أصله من الفُرْس ، وكان جَمّالاً ينقلُ الزيتَ من وادي[1] القُرَى إلى المدينة .

[غنّى الوليد بن عبد الملك وعاش إلى زمن الرشيد]

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّه كان شيخاً طويلاً أحولَ أَجْنأ[2] يخضِب بالحِنّاء ، وكان جَمّالاً يحمل الزيتَ من جُدّة إلى المدينة ، وكان واحدَ دهره في الحِذْق ، وكان ينقُر بالدفّ ويغنّي مرتجِلاً ، وعُمّر عمراً طويلاً ، غنّى الوليدَ بن عبد الملك ، وغنّى الرشيدَ ومات في الشَّطْر من خلافته ، وذكر أنّه أخذ الغناء من عُمَر الوادي . قال : وكان بوادي القُرَى جماعةٌ من المغنّين فيهم عمر بن زاذان ، وقيل : ابن داود بن زاذان ، وهو الذي كان يسمّيه الوليد جامعَ لذّتي ، وحكم بن يحيى ، وسليمان ، وخُلَيْد بن عَتِيك ، وقيل : ابن عبيد ، ويعقوب الوادي . وكلّ هؤلاء كان يصنع فيُحسن .

[مدح إسحاق الموصليّ غناءه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني حمّاد قال قال لي أبي : أحذقُ من رأيتُ من المغنّين أربعة : جدّك وحَكَم وفُليح بن العوراء وسِيَاط . قلت : وما بلغ من حذقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون ، ويؤدّون غناء غيرهم فيحسنون . قال إسحاق : وقال لي أبي : ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أَطْبع من حَكَم وابن جامع ، وفُليحٌ أدرى منهما بما يخرج من رأسه .

[غنّى الوليد بن يزيد بشعر مطيع بن إياس فأجازه]

وذكر هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات أنّ أحمد بن المكّيّ حدّثه عن أبيه قال حدّثني حكم الواديّ ، وأخبرني به محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكّيّ عن أبيه عن حكم الواديّ قال : أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد ، وهو

---

1 وادي القُرى : وادٍ بين الشام والمدينة .
2 أجنأ : أحدب .

على حمار ، وعليه جُبّة وَشْي ورداء وشي وخُفّ وشي ، وفي يده عِقْد جوهر ، وفي كُمِّه شيء لا أدري ما هو . فقال : مَنْ غنّاني ما أشتهي فله ما في كُمّي وما عليّ وما معي وما تحتي ؛ فغنَّوْه كلُّهم فلم يَطْرَب ؛ فقال لي : غَنِّ يا غلام ، فغنَّيتُ : [من مجزوء الرجز]

صوت

إكليلُها أَلوانُ ووجهُها فَتّانُ
وخالُها فريدٌ ليس لـه جيرانُ
إذا مشتْ تَثنّتْ كأنَّها ثعبانُ

الشعر لمُطيع بن إيّاس . والغناء لحَكَم الوادي هَزَجٌ بالوسطى . وفيه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى فطرب وأخرج ما كان في كمّه ، وإذا كيسٌ فيه ألفُ دينار ، فرمى به إليّ مع عقد الجوهر ؛ فلمّا دخل بعث إليّ بالحمار وجميع ما كان عليه . وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه في أخبار مُطيع بن إيّاس .

[مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتاً]

وفي حكم الوادي يقول رجل من قريش : [من الوافر]

صوت

أبو يحيى أخو الغَزَلِ المغنّي بَصيرٌ بالثّقال وبالخِفافِ
على العيدان يُحسِنُ ما يُغنّي ويُحسنُ ما يقول على الدِّفافِ

غنّاه حكم الوادي هزجاً بالبنصر .

قال هارون بن محمد بن عبد الملك قال أبو يحيى العِبَادِيّ قال حدَّثني أحمد البارد قال : دخلتُ على حَكَم يوماً فقال لي : يا قِصَافيّ[1] ، إنّ رجلاً من قريش قال فيّ هذا الشعرَ : [من الوافر]

أبو يحيى أخو الغَزَل المغنّي

وقد غنّيتُ فيه ، فخُذ العودَ حتى تسمعه منّي ؛ فأخذتُ العود فطربتُ عليه وغنّانيه ، فكنتُ أوّلَ مَن أخذ من حَكَم الواديّ هذا الصوت .

[سئل عن صوت فقال ما يكون إلاّ لي]

قال أبو يحيى قال إسحاق : سمعتُ حكماً الواديّ يغنّي صوتاً فأعجبني ، فسألته لمَن هو ؟ فقال : ولِمَن يكون هذا إلاّ لي .

1 بنو قصاف : بطن من العرب .

[فغضب من شيخ قال له أحسنت]

وقال مُصْعَب : حدَّثني شيخ أنّه سمع حَكَماً الواديَّ يغنّي ، فقال له : أحسنتَ ؛ فألقى الدُّفّ وقال للرجل : قبّحكَ اللهُ ، تراني مع المغنّين منذ ستّين سنةً وتقول لي أحسنتَ ! .

[قصّته هو وفليح مع ابن جامع عند يحيى بن خالد]

وقال لي هارون حدّثني مُدْرِك بن يزيد قال قال لي فُلَيح : بعث إليّ يحيى بنُ خالد وإلى حَكَم الواديّ ، وابنُ جامع معنا ، فأتيناه . فقلت لحكم الواديّ أو قال لي إنّ ابنَ جامع معنا ، فعاونِّي عليه لنكسِرَه . فلمّا صرنا إلى الغِناء غنّى حَكَمٌ ، فصِحْتُ وقلت : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنّيت ففعل بي حَكَمٌ مثلَ ذلك ، وغنّى ابنُ جامع فما كنّا معه في شيء . فلمّا كان العَشيُّ أرسل إلى جاريته دَنانيرَ : إن أصحابَكِ عندنا ، فهل لكِ أن تخرجي إلينا ؟! فخرَجتْ وخرج معها وصائفُ لَها ، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظنّ أنّا لا نسمع : ليس في القوم أنزهُ نفساً من فُلَيح ، ثم أشار إلى غلام له : أنِ ائت كلَّ إنسان بألفيْ درهم ، فجاء بها . فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها في كمّه ، ولحَكَم مثلَ ذلك فطرحها في كمّه ، ودفع إليّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّي النبيذُ فاحتبسيها لي عندك ، فأخذت الدراهمَ منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها مثلَها ، وأرسلتْ إليّ : قد بعثتُ إليك بوديعتكَ وبشيء أحببتُ أن تفرّقه على أخَواتي (تعني جواريّ) .

[بلغ في الهزج مبلغاً قصّر عنه غيره]

قال هارون بن محمّد قال حَمّاد بن إسحاق قال أبي : أربعةٌ بلغوا في أربعة أجناسٍ من الغناء مبلغاً قصَّر عنه غيرُهم : معبد في الثقيل ، وابن سُرَيج في الرَّمَل ، وحَكَمٌ في الهَزَج ، وإبراهيمُ في الماخُوريّ .

[كتب له الرشيد بصلة إلى إبراهيم بن المهديّ فوصله هو أيضاً وأخذ عنه ثلثمائة صوت]

قال هارون وحدَّثني أبي قال حدَّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال : زار حَكَمٌ الوادي الرشيد ، فبرّه ووصَله بثلثمائة ألف درهم ، وسأله عمّن يختار أن يكتب له بها إليه ؛ فقال : اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهديّ ، وكان عاملاً له بالشام ، قال إبراهيم : فقدِم عليّ حَكَمٌ بكتاب الرشيد ، فدفعتُ إليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وصله ، إلاّ أنّي نقصته ألفاً من الثلثمائة وقلت له : لا أصِلُكَ بمثل صلة أمير المؤمنين . فأقام عندي ثلاثين يوماً أخذتُ منه فيها ثلثمائة صوت ، كلُّ صوت منها أحبُّ إليّ من الثلثمائة الألف التي وهبتُها له .

[أهانه ابن شقران ولمّا عرفه اعتذر]

وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خُرْدَاذْبه قال قال مصعَب بن عبد الله : بينا حَكَمٌ الواديّ بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون : لو ذهبنا إلى جارية ابن شُقران ، فإنّها حسنة

الغناء ! فمضوا إليها ، وتبِعهم حكم وعليه فروة ، فدخلوا ودخل معهم ، وصاحبُ المنزلِ يظنّ أنّه معهم وهم يظنّون أنّه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه . فغنّتِ الجارية أصواتاً ثم غنّت صوتاً ثم صوتاً . فقال حَكَمٌ الوادي : أحسنتِ واللهِ ! وصاح . فقال له ربُّ البيت : يا ماصَّ كذا وكذا من أمّه ؛ وما يُدرِيك ما الغناء ؟ فوثَب عليه يُتعتِعه وأراد ضربَه . فقال له حَكَمٌ : يا عبد الله ، دخلتُ بسَلام وأخْرجُ كما دخلت ، وقام ليخرج . فقال له ربُّ البيت : لا أو أضربَك . فقال حَكَم : على رِسْلك ، أنا أعلم بالغناء منك ومنها ، وقال : شُدِّي موضع كذا وأصلحي موضع كذا ، واندفع يغنّي . فقالت الجارية : إنّه والله أبو يحيى ؛ فقال ربُّ المنزل : جُعلتُ فداك ! المعذرةُ إلى الله وإليك ؛ لم أعرفك ! فقام حَكَمٌ ليخرج فأبى الرجلُ ؛ فقال : والله لأخرجنّ ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك .

[لامَه ابنه على غنائه الأهزاج فأجابه]

وذكر أحمد بن المكّيّ عن أبيه : أنّ حكماً لم يُشْهَر بالغناء ويذهب له الصَّوْتُ[1] به حتى صار الأمر إلى بني العبّاس ؛ فانقطع إلى محمّد بن أبي العبّاس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور ؛ فأعجب به واختاره على المغنّين وأعجبته أهزاجهُ . وكان يقال : إنّه من أهْزج الناس . ويقال : إنّه غنّى الأهزاجَ في آخر عمره ، وإنّ ابنه لامَه على ذلك ، وقال له : أبعدَ الكِبر تغنّي غناء المخنّثين ! فقال له : اسكت فإنّك جاهلٌ ، غنَّيتُ الثقيلَ ستّين سنةً فلم أنَلْ إلاّ القوت ، وغنّيت الأهزاج منذ سُنَيّات[2] فأكسبتُك[3] ما لم تَرَ مثلَه قطُّ .

[شهد له يحيى بن خالد بجودة الأداء]

قال هارون بن محمّد وقال يحيى بن خالد : ما رأينا فيمن يأتينا من المغنّين أحداً أجود أداءً من حَكَم . وليس أحد يسمع منه غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلاّ وهو يغيّره ويَزيد فيه ويَنقُص إلاّ حَكَماً . فقيل لحكم ذلك فقال : إنّي لست أشرب ، وغيري يشرب ، فإذا شرب تغيَّر غناؤه .

[استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رأيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال : كان خبرُ حَكَم الوادي يتناهى إلى المنصور ويَبْلُغه ما يصله به بنو سليمان بن عليّ ، فيَعْجَب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلاّ أنْ حسَّن شعراً بصوته وطرَّب مستمعيه ، فماذا يكون ؟ وعَلامَ يُعطونه هذه العَطايا المُسْرِفة ؟ إلى أن جلس يوماً في مُسْتشرَف له ، وقد كان حَكَمٌ دخل إلى رجل من قوّاده ،

1 والصوت والصيت الحسن : الذكر الحسن الذي ينتشر بين الناس .

2 في ل : سنتين .

3 في ل : فاكتسبت ما لم تره .

أُراه قال : عليُّ بن[1] يَقْطين أو أبوه ، وهو يراه ؛ ثم خرج عشيّاً وقد حَمله على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثياباً يعرفها لـه . فلمّـا رآه المنصور قال : مَن هذا ؟ فقيل : حَكَمٌ الوادي . فحرّك رأسَه مَلِيّاً ثم قال : الآنَ علمتُ أنّ هذا يستحقّ ما يُعطاه . قيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه ؟ قال : لأنّ فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يَضعه إلاّ في حقّه .

[اعترض المهديّ في الطريق وغنّاه فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن أبي سعد قال حدَّثنا قَعْنب بن المُحْرِز الباهليّ عن الأصمعيّ قال : رأيت حَكَماً الوادي حين مضى المهديّ إلى بيت المَقْدِس ، وقد عارضه في الطريق وأخرج دُفّه ونَقَر فيه وله شُعَيْرات على رأسه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل : [من مجزوء الخفيف]

ومتـى تَخـرجُ العرو سُ فقد طـال حبسُها

فتسرّع إليه الحَرَسُ ؛ فقال : دعوه وسأل عنه فأُخبر أنّه حَكَم الوادي ؛ فوصَله وأحسن إليه .

لحنُ حَكَمٍ في هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر . وفيه ألحان لغيره ، وقد ذُكِرتْ في أخبار الوليد بن يزيد .

[أطرب الهادي دون غيره من المغنّين فأعطاه ثلاث بدر]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مَهْرويه قال حدَّثنا عليّ بن محمّد النَّوْفليّ عن صالح[2] الأضجَم عن حَكَمٍ الوادي قال : كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسَّط وقلّ ترجيعُه ولم يبلغْ أن يُسْتَخَفّ جدّاً ؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بِدَر وقال : مَن أطربني فهي له . فغنّاه ابن جامع وإبراهيم الموصليّ والزُّبَير بن دَحْمان فلم يصنعوا شيئاً ، وعرفتُ ما أراد فغنّيته لابن سرَيج : [من المنسرح]

صوت

غَـرّاءُ كالليلة المباركة الْـ ـقَمْراء تَهْـدي أوائلَ الظُّلَمِ
أُكْني بغير اسمها وقد علم اللّـ ـه خَفِيّـاتِ كلِّ مُكتتـمِ
كأنّ فاهـا إذا تُنُسِّم عـن طَيـب مَشَمٍّ وحسن مُبْتَسَمِ

1 علي بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة وكان والده يقطين بن موسى البغدادي من وجوه الدّعاة ، وطلبه مروان فهرب .

2 هو صالح بن علي بن عطيّة الأضجم الراوي .

يُسَنُّ بالضَّرْوِ من بَراقِشَ أو هَيْلانَ أو يانـعٍ من العُتُمِ[1]

الشعر في هذا الغناء للنابغة الجَعْديّ ؛ والصنعة لابن سُرَيج رمل بالبنصر ، فوثَب عن فراشه طرباً وقال : أَحسنتَ أَحسنتَ أَحسنتَ والله ! إسْقُوني فسُقي . ووثِقتُ بأَنّ البِدَرَ لي ، فقمتُ فجلستُ عليها . فأَحسن ابنُ جامع المَحْضَر وقال : أَحسن والله كما قال أَمير المؤمنين ، وإنّه لَمُحْسِن مُجْمِل . فلمّا سكن[2] أَمَرَ الفرّاشين بحملها معي . فقلت لابن جامع : مثلُك يفعل ما فعلتَ في شَرَفك ونسبِك ! فإن رأَيتَ أَن تشرّفني بقبول إحداها فعلتَ . فقال : لا والله لا فعلتُ ، والله لوَدِدْتُ أَنّ الله زادك ، وأَسأل الله أَن يُهنِّيَك ما رزقك . ولحقني المَوْصليّ فقال : آخذُ يا حكَمَ من هذا ؟ فقلت : لا والله ولا درهماً واحداً لأنّك لم تُحْسِنِ المَحْضَرَ .

[موته وشعر الدارميّ فيه]

ومات حَكَمٌ الوادي من قُرحة أَصابته في صدره . فقال الدارميّ فيه قبلَ وفاته : [من السريع]

صوت

إنّ أَبـا يحيـى اشتكى عِلّـةً أَصْبَحَ منهـا بـين عُوّادِ
فقلـتُ والقلبُ بـه مُوجَعٌ يا رَبّ عـافِ الحَكَمَ الوادي
فـرُبَّ بِيضٍ قـادةٍ سادةٍ كأنصُلٍ سُلّـت مِـنَ اغْماد
نادمَهـم في مجلس لاهيـاً فَأَصْمَـتَ المُنشِدَ والشادي

غنّى فيه حَكَمٌ الوادي هَزَجاً بالبنصر .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

أَمعـارِفَ الدِّمَـنِ القِفَار تَوَهّمُ ولقـد مضى حـولٌ لهنّ مُجَرَّمُ[3]
ولقـد وقفتُ على الديـار لعلّها بجـواب رَجْـعِ تحيّـةٍ تتكلّمُ

---

1 يُسنُّ في ل : يستنّ . الضّرو : شجرة الكمكام . هيلان في ل : هَمْلان . العتم : شجر الزيتون .

2 في ل : سكر .

3 مجرم : منقطع ومنصرم .

عن عِلْم ما فعل الخليطُ ، فما دَرَتْ أَنَّى توجّــهَ بالخَليــط المَوْسِمُ
ولقــد عهِدتُ بهــا سُعادَ وإنّها بــالله جاهــدةَ اليمين لتُقسِمُ
إنّي لأُوْجَــهُ مَــنْ تكلّم عندها بأَلِيّـــةٍ ومخالــفٌ مَــن يَزْعُمُ
فلها لدينــا بــالذي بذَلتْ لنا وُدٌّ يطــول لــه العَنــاء ويَعْظُمُ

عروضه من الكامل . الشعر لنصيْب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان . والغناء لابن جامع . له فيه لحنان ذكرهما إسحاق ، أُحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى والآخر خفيف ثقيل أُول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم في البيتين الأَوّلين ثقيل أَوّل مطلق في مجرى الوسطى . ولإسحاقَ وسِيَاطٍ فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو .

[96] ـ ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

[نسبه]

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلِب بن أَبي[1] وَداعة بن ضُبَيرة [بن سُعَيد] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو] بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤيّ بن غالِب .

[ضبيرة السهمي جدّ ابن جامع وشيء من أخباره]

أَخبرني الطُّوسيّ عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه مصعَب ، وأَخبرنا محمّد بن جَرير الطَّبَريّ قال حدَّثنا محمّد بن حُمَيد عن سَلَمة عن ابن إسحاق قالا جميعاً : مات ضُبيرة السَّهْميّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لِحْيته شَيْب . فقال بعض شعراء قريش يَرثيه : [من مجزوء الكامل]

حُجّـاجَ بيـتِ الله إ نّ ضُبَيرة السَّهْمِيّ ماتَا
سبَقـتْ منيّتُـه المَشيـ ـبَ وكان مِيتتُهُ افتلاتا
فتـزوّدوا لا تَهْلِكـوا من دون أَهلكُم خُفاتا[2]

قال : وأُسِرَ أَبو وَداعة كافراً يوم بَدْر ففَداه ابنُه المطَّلِب ، وكان المطَّلب رجلَ صدق . وقد روى عن النبيّ ﷺ الحديث .

[كنية ابن جامع وشيء من أخبار أمّه]

ويُكنى ابنُ جامع أَبا القاسم . وأُمّه امرأَة من بني سَهم ، وتزوّجَتْ بعد أَبيه رجلاً من أَهل اليمن . فذكر هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أَبيه عن بعض أَصحابه عن عَوْن حاجب مَعْن بن زائدة قال : رأَيتُ[3] أُمّ ابن جامع مَعْن بن زائدة وابن جامع معها وهو صغير وهو ضعيف[4] . يَتْبعُها ويَطأ ذيلَها وكانت من قريش ، ومَعْن يومئذٍ على اليمن . فقالت : أَصْلَحَ الله الأَميرَ ، إنّ عمِّي زَوّجني زوجاً ليس بكُفْء ففرِّقْ بيني وبينه . قال : مَن هو ؟ قالت : ابنُ ذي مناجب . قال : عليَّ به . قال : فدخل أَقبحُ مَنْ خلق اللهُ وأشوهُه خَلْقاً . قال : مَنْ هذه منكَ ؟ قال : امرأَتي . قال : خلِّ سبيلَها ، ففعل . فأَطرق مَعْنٌ ساعةً ثم رفع رأسه فقال : [من الطويل]

---

1 اسم أَبي وداعة : الحارث .
2 خفت الرجل خفاتاً : مات فجأة .
3 في ل : أنت .
4 في ل : صغير .

لعمري لقد أُصبحتَ غيرَ محبَّب ... ولا حَسَنٍ في عينها ذا مناجِبِ
فما لُمتُها لَمّا تبيّنتُ وجهَه ... وعيناً له حَوْصاءَ من تحت حاجبِ
وأنفاً كأنفِ البَكْرِ يقطُر دائباً ... على لِحية عَصْلاءَ شابتْ وشارِبِ[1]
أُتيتَ بها مثلَ المَهاةِ تسوقها ... فيا حُسْنَ مجلوب ويا قُبح جالبِ

وأَمَر لها بمائتي دينار وقال لها : تجهزي بها إلى بلادك .

[سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصليّ]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني حَمّاد عن أبيه : أنّ الرشيد سأل ابنَ جامع يوماً عن نسبه وقال له : أيُّ بَنِي الإنس وَلَدَك يا إسماعيل ؟ قال : لا أدري ، ولكن سَلِ ابنَ أخي (يعني إسحاق) ، وكان يُماظّ[2] إبراهيمَ الموصليّ ويَميل إلى ابنه إسحاق ، قال إسحاق : ثم التفتَ إليّ ابنُ جامع فقال : أخبرْه يا ابنَ أخي بنسب عمّك . فقال له الرشيد : قبَّحك الله شيخاً من قريش ! تَجْهل نسبك حتى يخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم ! .

[شيء من ورعه وتقواه]

قال هارون حدَّثني عبد الله بن عمرو قال حدَّثني أبو هشام محمّد بن عبد الملك المخزوميّ قال أخبرني محمّد بن عبد الله بن أبي فَرْوة بن[3] أبي قُراد المخزوميّ قال : كان ابن جامع من أحفظ خَلْقِ الله لكتاب الله وأعلمِه بما يحتاجُ إليه ، كان يخرج من منزله يوم الجمعة مع الفجر فيصلّي الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تَطلع الشمس ، ولا يصلّي الناسُ الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .

[وقف معه أبو يوسف القاضي بباب الرشيد ولم يعرفه]

قال هارون وحدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال حدَّثني صالح بن عليّ بن عطيّة وغيرُه من رجال أهل العسكر قالوا : قدِم ابنُ جامع قَدْمةً له من مكّة على الرشيد ، وكان ابنُ جامع حسنَ السَّمْت كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جبهتَه ، وكان يَعْتَمُّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة طويلة ، ويلبس لباسَ الفقهاء ، ويركبُ حماراً مِرِّيسيّاً[4] في زيّ أهل الحجاز . فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذنَ عليه ، فوقف على ما كان يقفُ الناسُ عليه في القديم حتى يأذَنَ لهم أو يَصرفَهم ، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهلِ القَلانِس ؛ فلمّا هجم على

1 عصلاء : معوجة .
2 ماظظتُ فلاناً : شاررته ونازعته .
3 في ل : عن .
4 مريسي : نسبة إلى مريسة : قرية بمصر من ناحية الصعيد .

الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعتْ عينُه على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته ، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال لـه : أَمْتع الله بك ، توسَّمتُ فيك الحِجازيّة والقُرَشيّة ؛ قال : أُصبتَ . قال : فمن أيِّ قريش أنت ؟ قال : من بني سَهْم . قال : فأيُّ الحرمين منزلُك ؟ قال : مكّة : قال : ومن لقيتَ من فقهائهم ؟ قال : سَلْ عمّن شئت . ففاتحه الفقهَ والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ فأُعجب به . ونظر الناسُ إليهما فقالـوا : هذا القاضي قد أقبل على المغنّي ، وأبو يوسف لا يعلم أنّه ابنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ؛ ثم قالـوا : لا ، لعلّه لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم ، فلِمَ نَغُمّه . فلمّا كان الإذنُ الثاني ليحيى غَدا عليه الناسُ وغدا عليه أبو يوسف ، فنظر يطلبُ ابنَ جامع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويـلاً كما فعل في المرّة الأولى . فلمّا انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيّها القاضي ، أتعرف هذا الذي تُواقِف وتحادث ؟ قال : نعم ، رجلٌ من قريش من أهل مكّة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغنّي ؛ قال : إنّا لله ! . قالوا : إنّ الناس قد شَهَروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك . فلمّا كان الإذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه ، وعرف ابنُ جامع أنّه قد أُنذِر به ، فجاء فوقف فسلَّم عليه ، فردّ السلامَ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جامع ، وعرف الناسُ القصّة ، وكان ابنُ جامع جَهيراً فرفع صوتَه ثم قال : يا أبا يوسف ، ما لك تنحرف عنّي ؟ أيَّ شيءٍ أنكرتَ ؟ قالوا لك : إنّي ابنُ جامع المغنّي فكرِهتَ مواقفتي لك ! أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئتَ ؛ ومال الناس فأقبلوا نحوَهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أنّ أعرابيّاً جِلْفاً وقفَ بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال : [من البسيط]

يـا دار مَيّـة بالعَلْيـاء فالسَّنَـد أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأَبدِ

أكنتَ ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا ، قد رُوي عن النبيّ ﷺ في الشعر قولٌ ، وروي في الحديث . قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا ، ثم اندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه ؛ ثم قال : يا أبا يوسف ، رأيتني زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله ، أعْفِنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف ، أنت صاحب فُتْيا ، ما زدتُه على أن حسّنته بألفاظي فحسُنَ في السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحّى عنه ابن جامع .

[سأل سفيان بن عيينة عن السبب الذي أصاب به مالاً فأجيب]

قال : وحدَّثني عبد الله بنَ شبيب قال حدَّثني إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفْيان بن عُيَينة ، ومرّ به ابنُ جامع يسحَب الخزّ ، فقال لبعض أصحابه : بلغني أنّ هذا القرشيّ أصاب مالاً من بعض الخلفاء ، فبأيّ شيء أصابه ؟ قالـوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعضَ ذلك ؟ فأنشد بعضُ

أصحابه ما يغنّي فيه : [من المتقارب]

وأُصحَبُ بالليل أهلَ الطّوافِ وأرفع من مِئزَري المُسْبَلِ

قال : أُحْسنَ ، هيه ! قال :

وأسجدُ بالليل حتى الصباح وأتلو من المُحْكَم المُنْزَلِ

قال : أُحسن ، هيه ! قال :

عَسى فارجُ الكرب عن يوسفٍ يُسخِّر لي ربّة المَحْمِلِ

قال : أمّا هذا فدعْه .

[كان يعدّ صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن]

وحدَّثني محمَّد بن الحسن العَتّابيّ قال حدَّثني جعفر بن محمّد الكاتب قال حدَّثني طيّب بن عبد الرحمن قال : كان ابن جامع يُعِدّ صيحةَ الصوت قبل أن يصنع عمودَ اللحن .

[اشتغاله بالقمار وحبّ الكلاب]

وحدَّث محمَّد بن الحسن قال حدَّثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سَلْم عن أخيه أبي معاوية بن عبد الرحمن قال : قال لي ابن جامع : لولا أنّ القِمار وحبَّ الكِلاب قد شغلاني لتركتُ المغنِّين لا يأكلون الخبز .

[دعا كلباً أهدى إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبه قال : أُهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال : ما اسمُه ؟ فقال : لا أدري ، فدعا بدفتر فيه أسماءُ الكلاب فجعل يدعوه بكلّ اسم فيه حتى أجابه الكلب .

[ألقى على ابنه هشام صوتاً سمعه من الجنّ]

قال هارون بن محمّد حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال حدَّثني محمَّد بن أحمد المَكّيّ قال حدَّثتني حَوْلاءُ مولاةُ ابن جامع قالت : انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال : عليَّ بهشام (يعني ابنَه) ادعُوه لي عجِّلوه ، فجاء مسرِعاً . فقال : أيْ بُنَيّ ، خذ العودَ ، فإنّ رجلاً من الجنّ ألقى عليَّ في قائلتي صوتاً فأخاف أن أنساه . فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملاً لم أسمع له رملاً أحسن منه ، وهو : [من المنسرح]

صوت

أمستْ رُسوم الديار غيَّرها هوجُ الرِّياح الزَّعازعِ العُصُفِ

وكلُّ حَنّانة لها زَجَلٌ مثلُ حَنين الرَّوائم الشُّعُفِ

فأخذه عنه هشام ، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسُبه إلى الجنّ . وفي هذا الصوت للهُذَليّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه للغَريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو ، وقيل : إنّ هذا اللحن لعَبادِلَ . وفيه لابن جامع الرمل المذكور .

[أخذ ببيتين غنّى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار]

قال هارون وحدَّثني أحمد بن بِشْر بن عبد الوهاب قال حدَّثني محمَّد بن موسى[1] بن فُلَيح الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد المكّيّ قال : قال لي ابن جامع : أخذتُ من هارون ببيتَيْن غنّيتُهُ بهما عشرةَ آلاف دينار : [من مجزوء البسيط]

صوت

لا بـدَّ للعاشقِ مـن وَقْفةٍ   تكون بـين الوَصْل والصَّرمِ
يَعْتِـب أحيانـاً وفي عَتْبـه   إظهارُ مـا يُخفي مـن السُّقْمِ
إشفاقُـــه داعٍ إلى ظَنّـــه   وظنُّـه داعٍ إلى الظلـــمِ
حتى إذا مـا مَضّه هجـره   راجَع مَنْ يَهْـوَى على رَغْمِ[2]

هكذا رُوِّيته . الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وذكر ابن بانة أنّ هذا اللحن لسُلَيم . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، قال : ثم قال لي ابنُ جامع : فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئاً !

[صادفه جماعة من القرشيين بفخّ وهو يغنّي]

وقال هارون حدَّثني أحمد بن زُهَير قال حدَّثني مُصْعَب بن عبد الله قال : خرج ابنُ أبي عمرو الغِفاريّ وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرُهما من القرشيّين عُمّاراً يريدون مكّة ؛ فلمّا كانوا بفَخّ[3] نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها : قال : فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوتَ غناء ؛ فقلنا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم ! فأتيناهم ، فإذا ابنُ جامع وأصحاب له يغنّون وعندهم فَضِيخ[4] لهم يشربون منه ؛ فقالوا[5] : تقدّموا يا فِتْيان ، فتقدّم ابنُ أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسَهم ، فجلسنا نشرب ؛ وطرِب ابن أبي قباحة فغنّى . فقال ابن جامع : وابأبي وأُمّي ! ابنُ أبي قباحة وإلاّ فهو ابن الفاعلة . فقام ابنُ أبي

1 في ل : عيسى .
2 مضّه هجره في ل : تمادى به .
3 فخّ : وادٍ بمكّة .
4 فضيخ : عصير العنب ، وشراب يُتّخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ) .
5 في ل : فقال ابن جامع .

عمرو فأخرج من وسطه هِمياناً فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابنِ أبي قباحة . فقال ابنُ جامع : امضوا بنا إلى المنزل ، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرحُ ونحن على إحرامنا ذلك .

[غنّت جاريته الحولاء صوتاً له في جارية سوداء يحبّها]

قال هارون بن محمّد بن عبد الملك حدَّثني عليّ بن سليمان عن محمَّد بن أحمد النَّوْفليّ عن جارية ابن جامع الحولاء قال : وكانت تَتَبنّاني فتغنَّت يوماً وطربتْ وقالت : يا بُنيّ ، ألا أُغنّيك هزجاً لسيِّدي في عَشيقة له سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنَّت هزجاً ما سمعتُ أحسنَ منه ، وهو : [من السريع]

صوت

أُشْبِهُـك المسكُ وأُشبهتِـه قائمـةً في لونـه قاعـدهْ

لا شكّ إذ لونُكما واحـدٌ أنّكمـا مـن طينـةٍ واحدهْ

وقد رُوِي هذا الشعر لأبي حَفْصٍ[1] الشِّطْرَنْجيّ يقوله في دَنانيرَ[2] مولاةِ البَرامكة . ونُسب هذا الهَزَج إلى إبراهيم وابن جامع وغيرِهما .

[شبّهه برصوما الزامر بزق عسل]

قال عبد الله بن عمرو حدَّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزُّهْريّ قال حدَّثني محمَّد بن جعفر بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكان يلقَّب الأَبْلَه ، قال : قال بَرْصوما الزَّامِر ، وذكر إبراهيمَ الموصليّ وابنَ جامع ، فقال : الموصليّ بستانٌ تَجِدُ فيه الحُلوَ والحامضَ وطريّاً لم يَنْضَج ، فتأكل منه مِن ذا وذا . وابن جامع زِقّ عسلٍ ، إن فتحتَ فمَه خرج عسل حلو ، وإن خرَقتَ جَنْبه خرج عسلٌ حلو ، وإن فتحتَ يدَه خرج عسل حلو ، كلُّه جيّد .

[غنّى عند الرشيد وهو سكران فأخطأ]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه وحَمّاد عن إبراهيم بن المهديّ ، وكان إبراهيم يفضِّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحداً ، وابنُ جامع يَميل إليه ، قال : كنّا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذُ ، فغنّى صوتاً فأخطأ في أقسامه ؛ فالتفتَ إليّ إبراهيمُ الموصليّ فقال : قد خرِيَ فيه ؛ وفهمتُ صِدقه قال : فقلت لابن جامع : يا أبا القاسم ، أعِدِ الصوتَ وتَحفَّظْ فيه ؛ فانتبه وأعاده فأصاب . فقال إبراهيم : [من الوافر]

---

1 أبو حفص : عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس . وكان أبو حفص لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به ، فلقّب به لغلبته عليه .

2 دنانير : مولاة يحيى بن خالد البرمكيّ .

أُعلِّمُه الرِّمايـــةَ كلَّ يومٍ فلمّا اسْتَدَّ ساعده رماني

وتنكَّر لي لَمْيْلي مع ابن جامع عليه . فقلتُ للرَّشيد بعد أيّام : إن لي حاجةً إليك . قال : وما هي ؟ قلت : تسألُ إبراهيمَ الموصليّ أن يَرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه . فقال : إنّما هو عبدُك ، وقال له : قُم إليه فقبِّلْ رأسَه . فقلتُ : لا ينفعني رِضاه في الظاهرِ دون الباطن ، فسَلْه أن يصحِّح الرِّضا . فقام إليَّ ليُقبِّل رأسي كما أُمِر ، فقال لي وقد أكبَّ عليَّ ليقبِّل رأسي : أتعود ؟ قلتُ لا . قال : قد رضيتُ عنك رِضاً صحيحاً . وعاد إلى ما كان عليه .

[غنّى بعد إبراهيم الموصليّ عند الرشيد فأجاد]

وقال حمّاد عن أبي يحيى العِبَاديّ قال : قدِم حَوْراءُ غلام حَمّاد الشّعْراني وكان أحَد المغنّين المُجيدين قال حدَّثني بعض أصحابنا قال : كنّا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنّين : من فيكم يعرف : [من المتقارب]

وكَعْبَـةُ نَجْـرانَ حَتـمٌ عليـ ـكِ حتـى تُناخِي بأبوابها ؟

الشعر للأعشى ، فبدَرهم إبراهيمُ الموصليّ فقال : أنا أُغنّيه ، وغنّاه فجاء بشيء عجيب . فغضِب ابنُ جامع وقال لزَلْزَل : دَع العودَ ، أنا من جِحاش وَجْرة[1] لا أحتاج إلى بَيْطار ؛ ثم غنّى الصوتَ ؛ فصاح إليه مسرورٌ[2] : أحسنتَ يا أبا القاسم ؛ ثلاث مرّات .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المتقارب]

وكعبةُ نَجْرانَ حتمٌ عليـ ـكِ حتى تُناخِي بأبوابِها
نَزور يزيـدَ وعبدَ المَسيح وقيساً هُـمُ خيرُ أربابها
وشاهدُنا الجُـلّ والياسِميـ ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصّابها[3]
وبَرْبَطنـا دائـمٌ مُعْمَـل فـأيُّ الثلاثـةِ أزْرى بها
تنازِعني إذ خَلَتْ بُرْدَها معطَّـرةً غيـرَ جِلْبابِها
فلمّـا التقينـا على آلـةٍ ومَـدّتْ إليّ بـأسبابها

1 وجرة : على بعد نحو أربعين ميلاً من البصرة في طريق مكّة .
2 مسرور : أبو هاشم خادم الرشيد ، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولّى له قتل جعفر بن يحيى البرمكيّ .
3 الجُلّ : الورد أبيضه وأحمره وأصفره واحده جلّة . القصابة : المزمار والجمع القُصّاب وأراد الأعشى الأوتار .

الشعر للأعشى أعشى بني قَيْس بن ثَعْلبة . وهؤلاء الذين ذكرهم أساقِفةُ نَجْران ، وكان يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقبَ والسيِّد ، وهما ملكا نجران ، ويقيم عندهما ما شاء ، يَسْقونه الخمرَ ويُسمِعونه الغناءَ الرُّوميّ ، فإذا انصرف أجْزَلوا صلتَه .

أخبرنا بذلك محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمِّه عُبيد الله عن محمَّد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكَر في مواضعها إن شاء الله . والغناء لحُنَين الحِيريّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مَجْراها عن إسحاق في الأربعة الأُوَل . وذكر عمرو أنّه لابن مُحرِز . وذكر يونُس أن فيها لحناً لمالك ولم يُجنِّسه . وذكر الهشاميّ أن في الخامس والسادس ثم الأوّل والثاني خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكّيّ .

[استحضره الفضل بن الربيع لمّا ولّى الهادي]

وقال حَمّاد عن مصعَب بن عبد الله قال حدَّثني الطرّاز وكان بَريدَ الفضل بن الرَّبيع قال : لمّا مات المهديّ ومُلِّك موسى الهادي أعطاني الفضلُ دنانيرَ وقال : الْحَقْ بمكّةَ فأْتني بابن جامع واحْمِلْه في قبّة ولا تُعلِمَنّ بذا أحداً ؛ ففعلت فأنزلتُه عندي واشتريت له جاريةً ، وكان ابنُ جامع صاحبَ نَساء . فذكره موسى ذاتَ ليلة ، وكان هو والحَرَّاني[1] منقطعَيْن إلى موسى أيّام المهديّ فضربهما المهديّ وطردهما ، فقال لجلسائه : أما فيكم أحدٌ يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعَه منّي ! فقال له الفضل بن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ الذي أردتَ . وبعَثَ إليه فأتي به في الليل . فوصَل الفضلَ تلك الليلةَ بعشرة آلاف دينار وولاّه حِجابتَه .

[غنّى هو وإبراهيم الموصليّ الرشيد بشعر السَّعْديّفمدحه وذم الموصلي]

قال إسحاق عن بعض أصحابه : كنّا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة : يا ابنَ جامع ، تغنَّ ببيتَ السَّعْديّ[2] : [من الوافر]

فلو سألَتْ سَرَاةَ الحيِّ سَلْمى ... على أن قد تَلوّن بي زماني
لخبَّرها ذوو الأحساب عنّي ... وأعدائي فكلٌّ قد بَلاني
بذبِّي الذمَّ عن حسبي بمالي ... وزَبُّوناتِ أشْوسَ تَيّحانِ[3]

---

1 الحراني : هو إبراهيم الحراني من ندماء الهادي وكان قيماً على خزائن الأموال في أيّامه .

2 هو سوّار بن المضرب السّعدي .

3 زبونات : دفوعات ، واحدها زبونة ، يعني بذلك أحسابه ومفاخره أي أنّها تدفع غيرها . تيّحان : الذي يتعرّض لكلّ مكرمة وأمر شديد .

وأنّي لا أزالُ أخا حُروبٍ … إذا لم أجْنِ كنتُ مِجَنَّ جاني

قال : فحرّك ابنُ جامع رأسه ، وكان إذا اقترح عليه الخليفةُ شيئاً قد أحسنه وأكمله طار فرحاً ، فغنّى به ؛ فاربدّ وجهُ إبراهيم لمّا سمعه منه ، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل ؛ فقال له صاحبُ الستارة : أحسنتَ والله يا أميري ! أعِدْ فأعاد ؛ فقال : أنت في حَلْبة لا يَلْحَقُكَ أحدٌ فيها أبداً . ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم : تغنَّ بهذا الشعر فتغنّى ؛ فلمّا فرَغ قال : «مَرْعىً ولا كالسَّعْدان»[1] ! أخطأتَ في موضع كذا وفي موضع كذا . فقال : نُفِي إبراهيمُ من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفاً ، وقد علمتُ أنّي أغفلتُ في هذين الموضعين .

قال إبراهيم : فلمّا انصرفنا قلت لابن جامع : والله ما أعلم أنّ أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناءَ معرفةَ أمير المؤمنين . قال : حقٌّ والله ، لهو إنسانَ يَسمع الغناءَ منذ عشرين سنةً مع هذا الذكاء الذي فيه .

[صوت كان إذا غنّاه في مجلس لم يتغنّ بغيره]

قال إسحاق : كان ابن جامع إذا تغنّى في هذا الشعر : [من المجتث]

صوت

مَنْ كان يَبْكي لِما بي … مِنْ طول سُقمٍ رَسِيسِ[2]
فالآنَ مِن قبلِ موتي … لا عِطْرَ بعد عَرُوسِ[3]
بَنَيْتُم في فؤادي … أوكارَ طيرِ النّحوسِ
قلبي فَريسُ المَنايا … يا ويحه من فَرِيسِ

الشعر لرجل من قريش ، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل ، لم يتغنَّ في ذلك المجلس بغيره . وكان إذا أراد أن يتغنّى سأل أن يَزمُر عليه بَرْصوما .

[سئل عن تفضيله برصوما فأجاب]

فلمّا كَثُر ذلك سألوه إن كان يعلّمه ما يريد أن يغنّيه قبل ذلك فقال : لا والله ، ولكنّي إذا ابتدأتُ فغنّيتُ في الشعر عرف الغرضَ الذي يصلُح فما يجاوزه ، وكنتُ معه في راحة ؛ وذلك أنّ المغنّي إذا تغنّى بزَمْر زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنّه لا يقفو الأثر ؛ فإذا زَمَر بَرْصوما فأنا في راحة وهو في تعب ، وإذا زَمَر عليّ غيره فهو في راحة وأنا في تعب . فإن

1 مَثَل يُضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله .
2 الرسيس : الثابت الذي قد لزم مكانه .
3 هذا مَثَل يُضرب لَمن لا يدّخر عنه نفيس .

شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلْزَل . فسألوهما عمّا قال ، فقالا : صدق .

[همَّ المهديُّ بضربه لاتّصاله بالهادي]

قال وحدَّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال : سمعت مُصعب بن عبد الله يقول : بلغ المهديَّ أنّ ابن جامع والموصليّ يأتيان موسى [1] ، فبعث إليهما فجيء بهما ، فضرب الموصليّ ضرباً مبرّحاً ، وقال له ابن جامع : ارحم أمّي ! فرقَّ له وقال له : قبّحك الله ! رجل من قريش يغنّي ! وطرده . فلمّا قام موسى ، وجّه الفضلُ خلفَه بريداً حتى جاء به ؛ فقال له موسى : ما كان ليفعلَ هذا غيرك .

[غنّى عند الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار]

قال وحدَّثني الزُّبَير بن بكّار قال قال لي فلفلة : تمنّى يوماً موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع ، فدفع إليّ الفضلُ بن الربيع خَمْسَمائة دينار وقال : امض حتى تحملَ ابنَ جامع ، وبعث إليه بما يُصلحه ، فمضيتُ فحملتُه . فلمّا دخلنا أدخله الفضلُ الحمّامَ وأصلح من شأنه . ودخل على موسى فغنّاه فلم يُعجبْه . فلمّا خرج قال له الفضلُ : تركتَ الخفيفَ وغنّيتَ الثقيل ، قال : فأدْخِلْني عليه أخرى ؛ فأدخله فغنّى الخفيفَ ؛ فقال : حاجتك فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار .

[غنّى عند الرشيد بين برصوما وزلزل بعد إبراهيم الموصليّ فأجاد]

قال وحدَّثني عبد الرحمن بن أيّوب قال حدَّثنا أبو يحيى العِبَاديّ قال حدَّثني ابن أبي الرجال قال حدَّثني زَلْزَل قال : أبطأ إبراهيم الموصليّ عن الرشيد ، فأمر مسروراً الخادمَ يسأل عنه ، وكان أمير المؤمنين قد صيّر أمْرَ المغنّين إليه ، فقيل له : لم يأت بعدُ . ثم جاء في آخر النهار ، فقعد بيني وبين بَرْصوما ، فغنّى صوتاً له فأطربه وأطرب واللهِ كلَّ مَن كان في المجلس . قال : فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال : أمَا والله يا نَبَطيّ ما أحسن إبراهيمُ وما أحسن غيرُكما . قال : ثم غنّى فنسينا أنفسَنا ، والله لكأنّ العودَ كان في يده .

[شهد له إبراهيم الموصليّ بجودة الإيقاع]

قال وحدَّثني عمر بن شبّة قال حدَّثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نَهيك قال : دعا أبي الرشيدُ يوماً ، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى ، فأقاما عنده ، وأتاهما ابنُ جامع فغنّاهما يومَهما . فلمّا كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام جعفر . قال : فدخل عليهم إبراهيم الموصليّ فسأل جعفراً عن يومهم ؛ فأخبره وقال له : لم يزل ابن جامع يغنّينا إلاّ أنّه كان يخرج من الإيقاع ، وهو في قوله يريد أن يطيّب نفسَ إبراهيم الموصليّ ، قال : فقال له إبراهيم : أتريد أن تطيّب نفسي بما لا تَطِيب به ؟ لا والله ، ما ضَرِط ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلاّ بإيقاع ، فكيف يخرج من الإيقاع ؟ .

1 هو موسى الهادي بن المهدي .

[احتال في عزل العثماني عن مكّة أيّام الرشيد]

قال وحدَّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدَّثني أبي قال : كان سبب عزل العثمانيّ[1] أنّ ابن جامع سأل الرشيدَ أن يأذَنَ له في المُهارشة بالدُّيوك والكلاب ولا يُحَدّ في النبيذ ، فأذن له وكتب له بذلك كتاباً إلى العثمانيّ . فلمّا وصل الكتاب قال : كذَبتَ ؛ أميرُ المؤمنين لا يُحِلّ ما حَرَّم اللهُ ، وهذا كتاب مزوّر . والله لئن ثَقِفْتك على حال من هذه الأحوال لأؤدِّبَنَّك أدبَك . قال : فحذِره ابنُ جامع . ووقع بين العثمانيّ وحمّاد اليزيديّ ، وهو على البريد ، ما يقع بين العمّال . فلمّا حجّ هارون ، قال حمّاد لابن جامع : أعِنّي عليه حتى أعزِله ؛ قال : أفعل . قال : فابدأ أنت وقُل : إنّه ظالم فاجر واستشهدْني . فقال له ابن جامع : هذا لا يُقبل في العثمانيّ ، ويفهم أميرُ المؤمنين كذبَنا ، ولكنّي أحتال من جهة ألطفَ من هذه . قال : فسأله هارون ابتداءً . فقال له : يا ابن جامع ، كيف أميركم العثمانيّ ؟ قال : خيرُ أميرٍ وأعدلُه وأفضلُه وأقومه بحقّ لولا ضعفٌ في عقله . قال : وما ضعفه ؟ قال : قد أفنى الكلاب . قال : وما دعاه إلى إفنائها ؟ قال : زعم أنّ كلباً دنا من عثمان بن عفّان يوم أُلقي على الكناس فأكل وجهَه ، فغَضِب على الكلاب فهو يقتلها . فقال : هذا ضعيف ، اعزلوه ! فكان سببَ عزله .

[أخبره إبراهيم بن المهديّ بموت أمّه كذباً ليحسن غناؤه]

قال هارون بن محمّد وحدَّثني الحسن بن محمّد الغِياثي[2] قال حدَّثني أبي عن القَطِرانيّ قال : كان ابن جامع بارّاً بوالدته ، وكانت مقيمةً بالمدينة وبمكّة . فدعاه إبراهيم بن المهديّ وأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نَعْيُ والدته . قال : فجزِع لذلك جزعاً شديداً ، وجعل أصحابُه يُعزّونه ويؤنسونه ؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طَعِم وشرب ، وسألوه الغناءَ فامتنع . فقال له إبراهيم بن المهديّ : إنّك ستبذل هذا لأمير المؤمنين ، فابذُله لإخوانك ؛ فاندفع يُغنّي : [من البسيط]

صوت

كم بالدُّروب وأرض الرومِ مِنْ قَدَم ... ومِنْ جماجم صَرْعى ما هم قُبِرُوا
بقُنْدُهَارَ ومَنْ تُقْدَر منيّته ... بقُنْدُهَار يُرَجَّم دونه الخبرُ[3]

الشعر ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ . والغناء لابن جامع رمل . وفيه لابن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشاميّ قال : وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له . ثم قال : لا والله ما كان ممّا

1 العثماني : هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفّان .
2 في ل : العتابي .
3 قندهار : مدينة في أفغانستان الآن .

خبّرناك شيء إنّما مزحْنا بك . قال : ثم قال له : رُدّ الصوتَ ؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الأوّل في شيء . فقال له إبراهيم : خذه الآن عليّ ، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل . فقال له ابن جامع : أحبّ أن تطرحه أنت على كذا .

[هوّم في مجلس الرشيد ثم انتبه من نومه وغنّاه فأعجب به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عليّ بن الحسن الشَّيْبانيّ عن أحمد بن يحيى المكّيّ قال : كان أبي بين يديّ الرشيد وابنُ جامع معه يغنّي بين يديّ الرشيد . فغنّاه : [من مجزوء البسيط]

خليفـةٌ لا يَخيبُ سائلُـه   عليـه تـاجُ الوقارِ مُعْتَدلُ

قال : وغنّى مَن يتلوه . وهَوَّم[1] ابنُ جامع سكراً ونُعاساً . فلمّا دار الغناءُ على أصحابه وصارت النوبةُ إليه ، حرّكه مَنْ بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغنّي : [من مجزوء البسيط]

إسْلَمْ وحُيِّيتَ أيُّها الطَّلَلُ   وإن عَفَتْك الرياحُ والسَّبَلُ[2]

قال : وهو يتلو البيت الأوّل ، فعجِب أهلُ المجلس من ذكائه وفَهْمه ، وأعجب ذلك الرشيد .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المنسرح]

إسلمْ وحُيِّيـت أيُّها الطَّلَلُ   وإن عَفَتْك الرياحُ والسَّبَلُ
خليفـةٌ لا يَخيـبُ سائلُـه   عليه تـاجُ الوقـارِ مُعْتَدلُ

الشعر لأشجع أو لسَلْم الخاسر يمدح به موسى الهادي . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، من روايَة الهشاميّ وأحمد بن يحيى المكّيّ .

[أخبره الرشيد بموت أمّه كذباً ليحسن غناؤه]

قال هارون وقد حدَّثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيّوب قال حدَّثني أحمد بن يحيى المكّيّ قال : كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً إذا حَزِن حَسُنَ صوتُه . فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال ، فقال للفضل بن الربيع : ابعَثْ خريطةً فيها نَعْيُ أمّ ابن جامع وكان بارّاً بأمّه ففعل . فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه ،

1 هوّم : هزّ رأسه من النعاس ، وقيل : نام قليلاً .
2 السَّبَل : المطر .

فقال : يا ابنَ جامع ، جاء في هذه الخريطة نعيُ أُمِّك . فاندفع ابن جامع يغنّي بتلك الحُرْقة والحزن الذي في قلبه : [من البسيط]

كَم بالدّروب وأرض السِّند من قَدَم ومن جماجم صَرْعى ما بها قُبِروا
بقُنْدُهَار ومن تُكتب مَنِيّته بقُنْدُهَار يُرَجَّم دونه الخبرُ

قال : فوالله ما ملكنا أنفسنا ، ورأيتُ الغِلْمانَ يضربون برؤوسهم الحيطانَ والأساطين ، قال هارون : لا أشكُّ أنّ ابن المكّيّ قد حدَّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيّوب ، قال : ثم غنّى بعد ذلك : [من مجزوء الرجز]

يا صاحب القبر الغريب

وهو لحنٌ قديم . وفيه لحن لابن المكّيّ ، فقال له الرشيد : أحسنتَ ! وأمر له بعشرة آلاف دينار .

نسبة هذا الصوت الأخير

صوت

[من مجزوء الكامل]

يا صاحبَ القبر الغريبِ بالشام في طَرَف الكَثِيبِ
بالحِجْرِ بين صفائح صُمٍّ تُرَصَّف بالجَبُوبِ[1]
رَصْفاً ولحدٍ مُمْكِنٍ تحت العَجاجة في القليبِ
فإذا ذكرتُ أنينَهُ ومغيبَه تحت المغيبِ
هاجتْ لواعجُ عَبْرةٍ في الصدرِ دائمة الدَّبيبِ
أسفاً لحسن بلائه ولمصرع الشيخ الغريبِ
أقبلتُ أطلب طِبَّه والموت يُعْضِل بالطبيبِ[2]

الشعر لمَكِين العُذريّ يرثي أباه ، وقيل : إنّه لرجل خرج بابنه إلى الشام هرباً به من جارية هَوِيها فمات هناك . والغناء لحكم الوادي ، رمل في مجرى البنصر . وقيل : إنّ هذا الشعر لسَلاَّمة[3] ترثي الوليدَ بن يزيد .

1 الحِجر : قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز . الجَبُوب : الطّوب المفتّت .

2 أعضل به : أعياه وأعجزه .

3 هي سلامة القس .

[سمعته أمّ جعفر مع الرشيد فأمرت له بمائة ألف درهم لكلّ بيت غنّى فيه وعوضها الرشيد بكل درهم ديناراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرويه قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني الحسن بن محمَّد قال حدَّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدَّثني عبد الله بن عليّ بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدِّث : أنّ أمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين ؛ فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين ، إنّي لم أرَك منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع . فأرسل إليها : عندي ابنُ جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أنّي لا أتهَنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلاّ أن تَشرْكَني فيه ، فما كان عليك أن أشْرَكك في الذي أنت فيه ! فأرسل إليها : إنّي سائر إليكِ الساعةَ . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع ، وقال لحسين الخادم : امضِ إليها فأعلمها أنّي قد جئت . وأقبل الرشيد ، فلمّا نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنّها قد قامت تستقبله ، فوجَّه إليها : إن معي ابنَ جامع ؛ فعدلتْ إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصيَّر ابنَ جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم . وجاءت أمّ جعفر فدخلت على الرشيد وأهوَتْ لتنكَبَّ على يده[1] ؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها واعتنقتْه . ثم أمر ابنَ جامع أن يغنّي فاندفع فغنّى : [من المنسرح]

صوت

مـا رَعَدَتْ رَعْـدةً ولا بَرَقَتْ   لكنّهـا أنشئـت لنـا خَلِقهْ[2]
المـاء يجـري على نظـامٍ له   لو يَجِدُ المـاءُ مَخْرِقاً خَرَقَهْ
بِتنـا وباتـتْ على نَمارقهـا   حتى بـدا الصبحُ عَيْنُها أرِقَهْ
أنْ قيل إنّ الرحيلَ بعـدَ غـدٍ   والدارُ بعـدَ الجميـع مُفترِقَهْ

الشعر لعَبيد بن الأبرص . والغناء لابن جامع[3] ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه ، عن إسحاق . وفيه لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه . وفيه لحَكَم هزج بالوسطى عن عمرو والهشاميّ . ولمخارق في هذه الأبيات رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ . وذكر حبش أنّ الثقيل الأوّل للغريض . وذكر الهشاميّ أن لُمتَيّم فيها ثاني ثقيل بالوسطى ، قال : فقالت أمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما اشتهيت والله يا أمير المؤمنين ! . ثم قالت لُمسلم خادمها : ادفع إلى ابن جامع لكلِّ بيت مائةَ ألف درهم . فقال

1 على يده في ل : عليه .
2 يقال : نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أي فيها أثر المطر .
3 في ل : عائشة .

الرشيد : غلبتِنا يا بنتَ أبي الفضل وسبقتِنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا . فلمّا خرج ، حمل إليها مكان كلّ درهم ديناراً .

[أخذ صوتاً من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار]

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدَّثني محمَّد بن ضُوين الصَّلْصال التَّيْميّ قال حدَّثني إسماعيل بن جامع السَّهْميّ قال : ضَمّني الدَّهر[1] ضمّاً شديداً بمكّة ، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة ، فأصبحتُ يوماً وما أملك إلاّ ثلاثةَ دراهم . فهي في كُمّي إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جَرَّة تريد الرَّكِيّ[2] تسعى بين يديّ وتُرنِّم بصوت شَجِيّ تقول : [من الطويل]

شكونا إلى أحبابنا طــولَ ليلنا فقالوا لنــا مــا أقصرَ الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النــوم يَغْشى عيونَهم سِراعاً وما يغشى لنا النــومُ أعْيُنا
إذا ما دنا الليلُ المُضِرّ لذي الهوى جَزِعْنا وهــم يَستبشرون إذا دنا
فلــو أنّهم كانوا يلاقون مثــلَ ما نلاقي لكانــوا في المضاجع مثلَنا

قال : فأخذ الغناءُ بقلبي ولم يَدُرْ لي منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدري أوَجهُكِ أحسن أم غناؤك ! فلو شئتِ أعدتِ ؛ قالت : حُبّاً وكرامةً . ثم أسندتْ ظهرَها إلى جدار قُرْب[3] منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتْها على الأُخرى ، ووضعت الجرّة على ساقيها ثم انبعثتْ تغنيه ؛ فوالله ما دار لي منه حرف ؛ فقلتُ : أحسنتِ ! فلو شئتِ أعدتيه مرّةً أُخرى ؛ ففَطِنَتْ وكَلَحتْ وقالت : ما أعجب أمرَكم ! أحدُكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضَّريبة فيشغلها ! فضربتُ بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتُها إليها ، وقلت : أقيمي بها وجهَكِ اليومَ إلى أن نلتقي . قال : فأخذَتْها كالكارهة وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ منّي صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألفَ دينار وألفَ دينار . قال : وانبعثتْ تغنّي ؛ فأعملتُ فكري في غنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمتُه ، وانصرفتُ مسروراً إلى منزلي أردِّده حتى خفَّ على لساني . ثم إنّي خرجتُ أُريد بغداد فدخلتها ، فنزل بي المكاري على باب مُحَوَّل[4] ، فبقيتُ لا أدري أين أتوجَّه ولا مَنْ أقصِد . فذهبتُ أمشي مع الناس ، حتى أتيت الجسر فعبرتُ معهم ، ثم انتهيت إلى شارع المدينة ، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً ؛

---

1 يريد ضغطني واشتدّ عليّ ، من شدّة الفقر والحاجة .
2 الركي : جنس للركية وهي البئر .
3 في ل : قريب .
4 باب محوَّل : محلّة كبيرة من محال بغداد كانت متّصلة بالكرخ .

فقلت : مسجد قوم سَراة ؛ فدخلتُه وحضرتُ صلاةَ المغرب وأَقمتُ بمكاني حتى صلّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعب . وانصرف أَهلُ المسجد وبقي رجل يصلّي ، خلفه جماعة خدم وخَوَل ينتظرون فراغَه ؛ فصلَّى مليّاً ثم انصرف ؛ فرآني فقال : أَحسبك غريباً ؟ قلت : أَجل . قال : فمتى كنتَ في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفاً ، وليس لي بها منزل ولا معرفة ، وليستْ صناعتي من الصنائع التي يُمَتّ بها إلى أَهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : أَتَغَنّى . قال : فوثب مبادراً ووكَّل بي بعضَ مَن معه . فسأَلتُ الموكَّل بي عنه فقال : هذا سَلام[1] الأَبرش . قال : وإذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة ، وجاوز بي مقصورةً إلى مقصورة ، ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز ؛ ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأَكلتُ حتى امتلأت . فإنّي لكذلك إذ سمعتُ رَكْضاً في الدهليز وقائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو هذا . قال : ادعوا له بغَسول[2] وخِلْعة وطِيب ، ففُعل ذلك بي . فحُملت على دابّة إلى دار الخلافة ، وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران ، فجاوزتُ مقاصيرَ عدّة ، حتى صِرتُ إلى دارٍ قَوْراء[3] فيها أَسِرّة في وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض . فأَمرني الرجل بالصعود فصعدتُ ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار في حجورهنّ العيدان ، وفي حجر الرجل عود . فرحّب الرجل بي ، وإذا مجالسُ حِيالَه كان فيها قوم قد قاموا عنها . فلم أَلبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل : تَغَنَّ ؛ فانبعث يغنّي بصوت لي وهو : [من البسيط]

لم تَمشِ مِيلاً ولم تركب على قَتَبٍ ... ولم تَرَ الشمسَ إلاّ دونها الكِلَلُ
تمشي الهُوَيْنَى كأَن الريحَ تَرْجِعها ... مَشْيَ اليَعافير في جيآتها الوَهَلُ[4]

فغنَّى بغير إصابة وأَوتار مختلفة ودَساتِينَ[5] مختلفة . ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تَغنَّيْ ، فغنَّتْ أَيضاً بصوت لي كانت فيه أَحسن حالاً من الرجل ، وهو قوله : [من البسيط]

يا دار أَضْحتْ خلاءً لا أَنيسَ بها ... إلاّ الظباءُ وإلاّ النّاشطُ الفَرِدُ[6]

1 سلاّم الأَبرش : خدم المنصور وتولّى المظالم للمهديّ وعاصر الهادي والرشيد .
2 الغسول : الماء يغتسل به .
3 الدار القوراء : الواسعة الجوف .
4 اليعافير : الظباء . والوهل : الفزع .
5 الدساتين : هي الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان .
6 الناشط : الثور الوحشي وكذلك الحمار الوحشي . والفرد : المنفرد .

أين الذين إذا ما زرتُهم جَذِلوا وطار عن قلبيَ التَّشْواقُ والكَمَدُ

[ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنّت به] ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبعثتْ تغنّي بصوت لحَكَم الوادي وهو : [من الطويل]

فواللهِ ما أدري أيَغلبني الهوى إذا جدَّ وَشْكُ البَيْن أم أنا غالبُهْ
فإن أستطع أغلِبْ وإن يغلب الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَب صاحبُهْ

قال : ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنّت بصوتٍ لحُنَيْن وهو قوله : [من الطويل]

مَرَرْنا على قَيْسيّةٍ عامريّة لها بَشَرٌ صافي الأديم هِجانِ[1]
فقالت وألقتْ جانبَ السِّتر دونها مِنَ آيّة أرضٍ أو مَنِ الرُجلانِ
فقلتُ لها أمّا تميمٌ فأسرتي هُديتِ وأمّا صاحبي فيَمانِ
رفيقان ضَمّ السَّفْرُ بيني وبينه وقد يَلْتقي الشتّى فيأتلفانِ

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتاً فشبّه[2] فيه . والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله : [من البسيط]

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معمودا إذا أقول صحا يعتاده عِيدا
كأنّ أحورَ من غِزْلان ذي بَقَر أعارها شَبَهَ العينين والجيدا[3]
بمُشْرِقٍ كشُعاع الشمس بهجتُه ومُسْبَكِرٍ على لَبّاتها سودا[4]

ثم عاد إلى الجارية فتغنّت بصوت لحكم الوادي : [من الطويل]

تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَدِيدُنا فقلتُ لها إنّ الكرام قليلُ
وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ
وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وسَلولُ
يُقرّب حبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتَكرهُهُ آجالُهم فتطولُ

وتغنّت الثانية : [من الطويل]

وَدِدْتُكِ لما كان وُدُّك خالصاً وأعرضتُ لما صِرْتِ نهباً مُقَسَّما

---

1 الهجان : الأبيض الخالص في كلّ شيء .
2 يريد : خلط فيه ولم يحسن أداءه .
3 ذو بقر : وادٍ بين أخيلة الحِمى حمى الربذة ، وقرية في ديار بني أسد .
4 بمُشرق في ل : وشرقاً . ومسبكرّ في ل : ومسبطرا .

ولا يَلبث الحوضُ الجديـدُ بناؤه   إذا كَثُر الـــوُرّاد أن يَتهدَّمـــا

وتغنّت الثالثة بشعر الخَنْساء : [من الطويل]

وما كَـرَّ إلاّ كان أوّلَ طاعنٍ   ولا أبصرتْه الخيلُ إلاّ اقشعرّتِ
فيُدركُ ثأراً وهو لم يُخْطِه الغنى   فمثلُ أخي يوماً بـه العين قرّتِ
فلستُ أُرَزّا بعـــده برزيّـــة   فأذكـرَه إلاّ سَلَــتْ وتجلّتِ

وغنّى الرجل في الدور الثالث : [من الطويل]

لَحى الله صُعلوكاً مُناه وهمّـه   من الدَّهرِ أن يلقى لَبُوساً ومطعمَا
يَنام الضُّحى حتى إذا ليلُه انتهى   تنبّـــه مثلوجَ الفـؤاد مُوَرّما
ولكنّ صعلوكاً يساور همّـــه   ويمضي على الهيجاء ليثاً مقدّما
فذلك إن يَـلْقَ الكريهة يَلْقَها   كريماً وإن يَستغن يوماً فربّما

قال : وتغنّت الجارية : [من الطويل]

إذا كنتَ رَبّاً للقَلوصِ فـلا يكن   رفيقُك يمشي خلفَها غيرَ راكبِ
أنِخْها فأردفـــه فـــإن حملتكما   فذاك وإن كان العِقابُ فعاقِبِ[1]

قال : وتغنّت الجارية بشعر عمرو بن معد يكرب : [من الطويل]

ألَم تَـــرَ لّمــا ضمّني البلدُ القَفْرُ   سمعتُ نداءً يصدَع القلبَ يا عمرُو
أغِثْنـــا فإنّـــا عُصْبـةٌ مَذْحِجيّـة   نُزار على وَفْــر وليس لنـــا وَفْرُ

قال : وتغنّت الثالثة بشعر عمرَ بنِ أبي ربيعة : [من الطويل]

فلمّـــا تَواقفْنـــا وسلّمتُ أسْفرتْ   وجـــوهٌ زَهاها الحسنُ أن تَتقنّعا
تَبالَهْـــنَ بالعرفـــانِ لّمـا عرفْنني   وقُلْنَ امـــرؤٌ باغٍ أكلّ وأوْضعا[2]
ولّمـــا تنازعن الأحاديثَ قُلْنَ لي   أخِفْتَ علينـــا أن نُغَــرّ ونُخدَعا

قال : وتوقّعتُ مجيءَ الخادم إليّ ، فقلت للرجل : بأبي أنت ! خُذِ العود فشُدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحُطَّ دُسْتانَ كذا ؛ ففعل ما أمرتُه . وخرجَ الخادم فقال لي : تَغَنَّ عافاك الله ؛ فتغنّيتُ بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه ، فإذا جماعةٌ من الخدم يحضُرون حتى استندوا إلى الأسِرَّة وقالوا : وَيْحَك ؛ لَمن هذا الغناء ؟ قلت : لي ؛ فانصرفوا عنّي بتلك السرعة ، وخرج إليّ

1 العقاب : أن تركب الدابة مرّة ويركبها صاحبك مرّة .
2 أكل : أعيا . وأوضع : أسرع .

الخادم وقال : كذبتَ ؛ هذا الغناء لابن جامع . ودار الدورُ ؛ فلمّا انتهى الغناءُ إليّ قلتُ للجارية التي تَلي الرجلَ : خذي العود ، فعلمْت ما أريد فسَوّتِ العود على غنائها للصوت الثاني فتغنَّيتُ به . فخرجتْ إليّ الجماعة الأولى من الخدم فقالوا : ويحك ؛ لَمن هذا ؟ قلت : لي ؛ فرجعوا وخرج الخادم . فقال كذبتَ ، هذا لابن جامع ، ودار الدورُ ، فلمّا انتهى الغناء إليَّ قلت للجارية الأخرى سوِّي العود على كذا وكذا ، فعلمت ما أردت ، وخرج الخادم فقال لي : تغنَّ فتغنَّيتُ بصوت لي فلا يُعرف إلاّ بي ، وسقَوْني ، فتزيّدت ، وهو : [من الكامل]

عُوجي عليّ فسلِّمي جَبْرُ فيـمَ الصدود وأنتمُ سَفْرُ
ما نلتقي إلاّ ثلاثَ مِنـىً حتى يُفـرِّقَ بيننا الدَّهرُ

قال : فتزلزلتْ والله الدار عليهم . وخرج الخادمُ فقال : وَيْحَكَ ! لَمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فرجع ثم خرج فقال : كذبتَ ! هذا غناء ابنِ جامع . فقلت : فأنا إسماعيل بن جامع . فما شَعَرتُ إلاّ وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم . فقال لي الفضلُ بن الربيع : هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليكَ . فلمّا صَعِد السريرَ وثَبتُ قائماً . فقال لي : أبنُ جامع ؟ قلت : ابن جامع ، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين . قال : وَيْحَك ؛ متى كنتَ في هذه البلدة ؟ قلت : آنِفاً ، دخلتُها في الوقت الذي علِم بي أمير المؤمنين . قال : اجلس وَيْحَك يا ابنَ جامع ؛ ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس ، وقال لي : أبْشِر وابسُط أمَلَك ؛ فدعوتُ له . ثم قال : غنّني يا ابنَ جامع . فخطر بقلبي صوتُ الجارية الحُمَيراء فأمرت الرجلَ بإصلاح العود على ما أردتُ من الطبقة ، فعرف ما أردتُ ، فوَزَن العودَ وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعَها ، وانبعثتُ أغنّي بصوت الجارية الحُمَيْراء . فنظر الرشيد إلى جعفر وقال : أسمعتَ كذا قطُّ ؟ فقال : لا والله ما خرَق مسامعي قطُّ مثلُه . فرفع الرشيد رأسَه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار فجاء به فرمى به إليّ ، فصيّرتُه تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين . فقال : يا ابنَ جامع ، رُدّ على أمير المؤمنين هذا الصوتَ ، فرددتُه وتزيّدت فيه . فقال له جعفر : يا سيِّدي ، أمَا تراه كيف يتزيّد في الغناء ؟ هذا خلاف ما سمعناه أوّلاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً . قال : فرفع الرشيدُ رأسَه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار ، فجاءني به فصيّرته تحت فخذي . وقال : تغنَّ يا إسماعيل ما حَضَرك . فجعلتُ أقْصِد الصوتَ بعد الصوت ممّا كان يبلغني أنّه يشتري عليه الجواري فأغنّيه ؛ فلم أزَلْ أفعل ذلك إلى أن عَسْعَس الليلُ . فقال : أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلةَ بغنائك ، فأعِدْ على أمير المؤمنين الصوتَ (يعني صوتَ الجارية) فتغنَّيتُ . فدعا الخادمَ وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألفُ دينار . قال :

فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسَّمتُ ، ولَحَظني فقال : يا ابن الفاعلة ، ممّ تبسّمتَ ؟ فجثوتُ على ركبتيّ وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصدقُ مَنْجاة . فقال لي بانتهار : قُل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فلمّا استوعبه قال : صدَقَتْ ، قد يكونُ هذا وقام . ونزلتُ من السرير ولا أدري أين أَقْصِد . فابتدرني فرّاشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أميرُ المؤمنين ؛ ففُرِشتْ وأُعِدَّ فيها جميعُ ما يكونُ في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ، ومن كلّ آلة وخَوَل إلى جوارٍ ووُصَفاء . فدخلتها[1] فقيراً وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم .

وذكر لي هذا الخبرَ عبدُ الله بن الرَّبيع عن أبي حَفْص الشَّيْبانيّ عن محمَّد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال : ضمّني الدَّهرُ بمكّة ضَمّاً شديداً فانتقلت إلى المدينة . فبينا أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدّث ، إذ قال لي رجل حَضَرَنا : والله لقد بلغَنا يا ابن جامع أنّ الخليفة قد ذكرك ، وأنت في هذا البلد ضائع ! فقلت : والله ما بي نهوض . قال بعضهم : فنحن نُنهضك . فاحتلتُ في شيء وشَخَصت إلى العراق ، فقدِمتُ بغدادَ ، ونزلت عن بغل كنت اكتريتُه . ثم ذكر باقي الحديث نحوَ الذي قبله في المعاني ، ولم يذكر خبر السوداء التي أخذ الصوتَ عنها . وأحسبُه غَلِط[2] في إدخاله هذه الحكاية هاهنا ، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا . قال في هذا الخبر : إنّ الدَّوْر دار مرّةً أخرى حتى صار إليّ ؛ فخرج الخادم فقال : غنِّ أيُّها الرجل ؛ فقلت : ما أنتظر الآن ؟! ثم اندفعتُ أُغنّي بصوت لي وهو : [من الطويل]

فلو كان لي قلبانِ عِشْتُ بواحدٍ وخَلّفْتُ قلباً في هواكِ يُعذَّبُ
ولكنّما أحيا بقلب مُروَّعٍ فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يقرُبُ
تعلّمْتُ أسبابَ الرضا خوفَ سُخْطها وعلّمها حبِّي لها كيف تغضبُ
ولي ألف وجهٍ قد عرفتُ مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهبُ

فخرج الرشيد حينئذٍ .

نسبة ما في هذه الأصوات من الأغاني

صوت

[من الطويل]

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغْشى عيونَهم سِراعاً وما يغشى لنا النومُ أعينا

1 يريد بغداد .

2 يريد به محمد بن ضوين الصلصال التميمي .

إذا ما دنا الليلُ المضرّ بذي الهوى جَزِعْنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنّهم كانوا يُلاقون مثلَ ما نُلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا

عروضه من الطويل . وذكر الهشاميّ أنّ الغناء لابن جامع هزج بالوسطى ، وفي الخبر أنّه أخذه عن سوداء لقيها بمكّة .

ومنها : [من البسيط]

صوت

يا دار أضحت خلاءً لا أنيسَ بها إلاّ الظباءُ وإلاّ النّاشطُ الفَرِدُ
أين الذين إذا ما زرتُهم جَذِلوا وطار عن قلبيَ التشواقُ والكمدُ

في هذا الصوت لحنٌ لابن سريج خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حبش . ولحن ابن جامع رمل .

ومنها : [من البسيط]

صوت

لم تَمْشِ مِيلاً ولم تركب على جَمل ولم تَرَ الشمسَ إلاّ دونها الكِلَلُ
أقولُ للركب في دُرْنا وقد ثَمِلوا شِيموا وكيف يَشيم الشاربُ الثَّمِلُ[1]

الشعر للأعشى . والغناء لابن سُريج رَمَلٌ بالبنصر ، وقد كُتب فيما يُغنّى فيه من قصيدة الأعشى التي أوّلها : [من البسيط]

وَدِّعْ هُرَيْرةَ إن الركبَ مُرْتحلُ

ومنها : [من الطويل]

صوت

مَرَرْنا على قَيْسيّةٍ عامريّةٍ لها بَشَرٌ صافي الأديمِ هِجانِ
فقالت وألقت جانبَ السترِ دونها مِنَ آيّة أرض أو مَنِ الرجلان
فقلتُ لها أمّا تميمٌ فأسرتي هُديتِ وأمّا صاحبي فَيَماني
رفيقان ضمّ السَّفْرُ بيني وبينه وقد يَلْتقي الشتّى فيأتلفانِ

غنّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر .

ومنها : [من البسيط]

1 درنا : ناحية باليمامة وكانت تسمّى هكذا في الجاهلية .

صوت

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معمودا إذا أَقــول صحــا يعتاده عِيدا
أَجْرِي على موعــد منها فتُخلفني فمــا أمَــلّ ولا تُــوفي المواعيدا
كأنّني حــين أُمْسي لا تكلّمني ذو بُغْية يَبتغي ما ليس موجودا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، وله فيه ثقيل أوّل [بالبنصر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أوّل] بالوسطى على مذهب إسحاق .

ومنها : [من الطويل]

صوت

فوالله مــا أدرى أيغلبني الهوى إذا جدّ وَشْكُ البين أم أنا غالبُهْ
فإن أستطع أَغْلِبْ وإن يَغْلِبِ الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَب صاحبهْ

عروضه من الطويل . الشعر لابن مَيّادة ، والغناء للحَجَبيّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش .

ومنها : [من الطويل]

صوت

تُعيِّرنــا أنــا قليــلٌ عديدُنــا فقلتُ لهــا إنّ الكرامَ قليلُ
وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيــزٌ وجــارُ الأكثرين ذليلُ
وإنّا لقومٌ مـا نرى القتلَ سُبّةً إذا مــا رأته عامــرٌ وسَلُولُ
يقرِّب حبُّ الموت آجالَنا لنا وتكرهــه آجالُهـــم فتطــولُ

عروضه من مقبوض الطويل . والشعر للسّموأل بن عَادِياء اليهوديّ . والغناء لحكَم الوادي .

ومنها : [من الطويل]

صوت

وَدِدْتُك لمّــا كان ودُّك خالصاً وأعرضتُ لمــا صار نَهْباً مقسَّمَا
ولن يلبَثَ الحوضُ الجديــدُ بناؤه عــلى كثــرة الورّادِ أن يتهدّما

عروضه من الطويل . وفيه خفيفُ ثقيل قديم لأهل مكّة . وفيه لِعَريب ثقيلٌ أوّل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

وما كَـبـرَّ إلاّ كان أوّلَ طاعـن ولا أبْصرتْه الخيلُ إلاّ اقشعرّتِ
فيُدركَ ثـأراً ثم لم يُخْطِهِ الغِنى فمثلُ أُخي يوماً بـه العين قرّتِ
فـإن طلبوا وِتـراً بَـدا بِتِراتِهم ويَصبر يحميهم إذا الخيـل وَلّتِ

عروضه من الطويل . الشعر للخَنْساء ، والغناء لابن سُريج ثقيل أوّل بالبنصر وذكر علي بن يحيى أنّه لمَعْبد في هذه الطريقة .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لحـــا الله صُعلوكاً مُناه وهَمُّه من الدَّهرِ أن يلقى لَبوساً ومَطْعما
ينام الضُّحى حتى إذا ليلُه انتهى تنبّـه مثلـوجَ الفـؤاد مُوَرَّما[1]
ولكـنَّ صعلوكاً يُساور هَمَّـه ويَمضي على الهَيْجاء ليثاً مصمِّما
فذلك إن يلــقَ الكريهةَ يلقَها كريماً وإن يَستغنِ يومـاً فربَّما

عروضه من الطويل . الشعر يقال إنّه لعُرْوة بن الوَرْد ، ويقال : إنّه لحاتم الطائيّ وهو الصحيح . والغناء لطُوَيس خفيفُ رملٍ بالبنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ ربّاً للقَلوص فـلا يكن رفيقُك يَمْشي خلفَها غيرَ راكبِ
أنِخْهـا فأردفـه فإنْ حملتْكمـا فذاك وإن كان العِقـابُ فعاقبِ

عروضه من الطويل . والشعر لحاتم طيىء .

ومنها : [من الطويل]

صوت

ألَـم تَـرَ لمّا ضَمَّني البلــد القَفْرُ سمعتُ نداءً يصدع القلبَ يا عمرُو
أغِثنـا فإنّـا عُصْبــةٌ مَذْحِجيّـة نُـزار على وَفْـر وليس لنا وَفْرُ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو بن معد يكرب . والغناء لحُنَين رمل بالوسطى عن حَبَش .

ومنها : [من الطويل]

---

1 مثلوج في ل : مسلوب .

صوت

فلمّا تواقفْنا وسلّمتُ أقبلتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تَبالَهْنَ بالعِرفانِ لما رأيْنَني وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكَلّ وأوْضعا
ولما تَنازعن الأحاديثَ قلن لي أخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْدَعا
وقرّبن أسبابَ الهوى لمتيَّم يَقيسُ ذراعاً كلّما قِسْن إصبعا

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدّة ألحان ، قد كُتبتْ مع الخبر في موضع غير هذا .

ومنها : [من الكامل]

صوت

عُوجي عليّ فسلّمي جَبْرُ فيمَ الصدودُ وأنتم سَفْرُ
ما نلتقي إلاّ ثلاثَ مِنىً حتى يُفرّق بيننا النَّفْرُ[1]
الحول ثم الحول يتبعه ما الدهر إلاّ الحول والشهرُ

الشعر للعَرْجيّ . والغناء للأبجر ثقيل أوّل عن الهشاميّ ، ويقال إنّه لابن محرز ، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر . وفيه رمل يقال إنّه لابن جامع ، وهو القول الصحيح ، وذكر حبش أنّه لابن سريج ، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

فلو كان لي قلبان عشتُ بواحد وخلّفتُ قلباً في هواك يعذَّبُ
ولكنّما أحْيا بقلب مُروّع فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرُبُ[2]
تعلّمتُ أسباب الرِّضا خوفَ هجرها وعلّمها حبّي لها كيف تغضبُ
ولي ألف وجه قد عرفتُ مكانَه ولكن بلا قلب إلى أين أذهبُ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو الورّاق . والغناء لابن جامع خفيف رمل ، ويقال إنّه لعبد الله بن العبّاس . وفيه لعَريب ثقيلٌ أوّل . وفيه لرَذاذ خفيفُ ثقيل . وفيه هَزَجٌ يقال إنّه لعَريب ، ويقال إنّه لنمرة ، ويُقال إنّه لأبي فارة ، ويقال إنّه لابن جامع .

---

1 النَّفر في ل : الدَّهر .
2 مروّع في ل : معذّب .

[سمعه مصعب الزُبَيريّ يغنّي في بساتين المدينة فمدحه]

حدَّثني مصعب الزُّبَيريّ قال : قَدِم علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً في أيّام الرشيد ؛ فسمعته يوماً يغنّي في بعض بساتين المدينة : [من الطويل]

ومـا لِيَ لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَـدَر الرُّعيانُ وِرْدَ المناهلِ
وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقي رَحَلْتها فسارت بمحـزون كثير البَلابلِ[1]

وكان رجلاً صيِّتاً[2] ، فكاد صوته يذهب بي كلَّ مذهب ، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ومـا لي لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَر الرُّعيـانُ وِرْدَ المناهلِ
وكنتُ إذا ما اشتدَّ شوقي ركبتها فسارتْ بمحـزون كثير البلابلِ

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن الهشاميّ وابن المكّيّ .

[أهدى الربيع للمنصور فكان يستخفّه وأعتقه]

أخبرني وكيع قال حدَّثني هارون بن محمَّد الزيّات قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كنتُ في خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور ، فَفُرِّقْنا في خدمته ، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه . فكنتُ أراه يفعل شيئاً أعلم أنّه خطأ : يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح . وقال لي يوماً : كُن مكاني في آخر المستراح . فكنت أعطيه الإبريق وأخرج مبادراً ، فإذا سمعتُ حركته بادرت إليه . فقال لي : ما أخفّك على قلبي يا غلام ؛ ويحك ؛ ثم دخل قصراً من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها . فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد ، فقرأه فإذا هو : [من الطويل]

ومـا لِيَ لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صـدَر الرّعيـانُ نحـوَ المَناهِـلِ
وكنتُ إذا ما اشتدَّ شوقي رَحَلْتها فسارتْ بمحزون طويل البلابـلِ

وتحته مكتوب : آه آه ، فلم يَدْرِ ما هو . وفطَنتُ له فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عرفتُ ما هو . فقال : قُل ؛ فقلت : قال الشعر ثم تأوّه فقال : آه آه ، فكتب تأوُّهَه وتنفُّسه وتأسُّفه . فقال : ما لك قاتلك الله ؛ قد أعتقتُكَ وولّيتكَ مكانَ ياسر .

1 كثير في ل : طويل . البلابل : جمع بلبال : شدّة الهمّ والوسواس في الصدر وحديث النفس .
2 الصيّت : الجهير الصوت .

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرّقة [في] الأخبار وإنّما افردتها عنها لئلاّ تنقطع

خبر

[من البسيط]

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا

[خرج الغريض مع نسوة فتبعه الحارث بن خالد مع ابن أبي ربيعة]

أخبرني الحُسين بن يحيى قال حمّاد : قرأت على أبي ، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكّيّ قال حدَّثني المخزوميّ (يعني الحارثَ بن خالد) قال : بلغني أنّ الغريضَ خرج مع نِسْوة من أهل مكّة من أهل الشَّرَف ليلاً إلى بعض المتحدَّثات من نواحي مكّة ، وكانت ليلة مقمرة ؛ فاشتقتُ إليهنّ وإلى مجالستهنّ وإلى حديثهنّ ، وخِفتُ على نفسي لجنايةٍ كنت أُطالَب بها ، وكان عمر مَهيباً معظَّماً لا يُقدِم عليه سلطان ولا غيره ، وكان منّي قريباً ؛ فأتيتُه فقلت له : إنّ فلانة وفلانة وفلانة حتى سمّيتهنّ كُلَّهنّ قد بعثْنني ، وهنّ يَقرأْنَ عليك السلامَ ، وقُلن : تشوّقن إليك في ليلتنا هذه لصوتٍ أنشَدَناه فُوَيسِقُك الغريض وكان الغريض يغنّي هذا الصوتَ فيُجيده ، وكان ابن أبي رَبيعة به مُعْجَباً ، وكان كثيراً ما يسأل الغريضَ أن يُغنّيه ، وهو قولُه : [من البسيط]

أَمْسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا ... إذا أَقولُ صَحا يعتادُه عِيدَا
كأنّ أحورَ من غِزْلانِ ذي نفر ... أَهدى لها شَبَهَ العينين والجِيدا
قامت تراءَى وقد جَدَّ الرَّحيلُ بنا ... لتنكأ القرحَ من قلب قد اصطيدا
كأنّني يومَ أُمسي لا تكلّمني ... ذو بُغْيةٍ يبتغي ما ليس مَوْجودا
أجري على موعدٍ منها فتُخلفني ... فما أَمَلُّ وما تُوفي المواعيدا
قد طال مَطْلي ، لَوَ انَّ اليأسَ يَنْفعني ... أَوْ أن أُصادِفَ من تِلْقائها جُودَا
فليس تَبْذُلُ لي عفواً وأُكرِمُها ... من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا

فلمّا أخبرتُه الخبرَ قال : لقد أزعجتَني في وقت كانت الدَّعَةُ أَحبَّ فيه إليَّ ؛ ولكنّ صوتَ الغريض وحديثَ النّسوة ليس له مُتْرَك ولا عنه مَحِيص . فدعا بثيابه فلبسها ، وقال : امضِ ؛ فمضينا نمشي العجلَ حتى قَرُبنا منهنّ . فقال لي عمر : خَفِّضْ عليك مَشْيَك ففعلتُ ، حتى وقفنا عليهنّ وهنّ في أطيب حديث وأحسن مجلس ؛ فسلّمنا ، فتهيّبْننا وتخفَّرن منّا . فقال الغريض : لا عليكنَّ ! هذا ابن أبي ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوّقيْن إلى حديثكنّ

وغنائي . فقالت فلانة : وعليك السلامُ يا ابنَ أبي ربيعة ، والله ما تمّ مجلسُنا إلاّ بك ، إجلِسا . فجلسنا غيرَ بعيدٍ ، وأخذْنَ عليهنّ جلابيبَهنّ وتقنّعن بأَخْمِرتهنّ وأقبلن علينا بوجوههنّ وقُلْن لعمر : كيف أحْسَسْتَ بنا وقد أخفينا أمرَنا ؟ فقال : هذا الفاسقُ جاءَني برسالتكنّ وكنتُ وَقيذاً[1] من علّة وجدتُها ، فأسرعت الإجابةَ ، ورجوتُ منكنّ على ذلك حسنَ الإثابة . فردَدْن عليه : قد وجب أجْرُك ، ولم يَخِبْ سعيُك ، ووافقَ منّا الحارثُ إرادةً . فحدَّثهنّ بما قلتُ له من قصّة غناء الغريض ؛ فقال النّسوة : والله ما كان ذلك كذلك ، ولقد نبّهتنا على صوت حسن ، يا غريضُ هاتِه . فاندفع الغريضُ يغنّي ويقول : [من البسيط]

أمسى بأسْماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا ... إذا أقولُ صَحا يَعْتاده عِيدَا

حتى أتى على الشعر كلّه إلى آخره ، فكلٌّ استحسنه . وأقبل عليَّ ابنُ أبي ربيعة فجزاني الخيرَ ، وكذلك النّسوة . فلم نَزَلْ بأنعمِ ليلةٍ وأطيبِها حتى بدأ القمرُ يغيب ، فقُمنا جميعاً ، وأخذ النّسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريضُ معنا .

وقال عمر في ذلك : [من المنسرح]

صوت

هل عند رَسْم برامةٍ خبرُ ... أم لا فأيَّ الأشياء تَنتظرُ
قد ذكَّرتْني الديارُ إذ دَرَستْ ... والشوقُ ممّا يَهيجه الذِّكَرُ
مَمْشى رسولٍ إليّ يُخبرني ... عنهم عِشاءً ببعض ما ائتمروا[2]
ومجلسَ النّسوة الثلاث لدى الْـ ... ـخَيْمات حتى تبَلَّج السَّحَرُ
فيهنّ هِنْدٌ والهَمُّ ذِكْرتُها ... تلك التي لا يُرى لها خَطَرُ
ثم انطلقنا وعندنا ولنا ... فيهنّ لو طال ليلُنا وطرُ
وقولَها للفتاة إذ أزِف الْـ ... ـبينُ أغادٍ أم رائحٌ عُمَرُ
عَجْلانَ لم يَقْضِ بعضَ حاجته ... هلا تأنّى يوماً فينتظرُ
اللهُ جارٌ له وإن نَزَحَتْ ... دارٌ به أو بدا له سفرُ

غنّاه الغريض ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى . وفيه لعبد الرحيم الدّفّاف ثقيلٌ أوّل بالبنصر في البيتين الأوّلين . وبعدهما : [من مجزوء البسيط]

---

1 الوقيذ : المريض .

2 رسول في ل : فتاة .

هل من رَسول إليّ يُخبرني بعد عشاءٍ ببعض ما ائتمروا
يـومَ ظَلِلْنا وعندنـا ولنا فيهنَّ لـو طال يومُنا وَطَرُ

فلمّا كانت الليلةُ القابلةُ بعث إليّ عمر فأَتيتُه وإذا الغريضُ عنده . فقال له عمر : هاتِ ؛ فاندفع يغنّي : [من المنسرح]

هـل عنـد رَسْمٍ برامـةٍ خبرُ أَم لا فـأَيَّ الأَشيـاء تنتظرُ
ومجلسَ النّسوة الثلاثِ لدى الْـ ـخيمات حتـى تبلّج السحرُ

فقلتُ في نفسي : هذا والله صفةُ ما كنّا فيه ، فسكتُّ حتى فرَغ الغريضُ من الشعر كلّه ؛ فقلت : يا أَبا الخَطّاب ، جُعِلتُ فِداك ؛ هذا والله صفةُ ما كنّا فيه البارحةَ مع النّسوة . فقال : إنّ ذلك ليُقال .

[أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عمّاله فأجابه بالمثل وفرّ]

وذكر أَحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن عليّ بن مجاهد قال : إنّ موسى بن مُصْعَب كان على المَوْصل ، فاستعمل رجلاً من أَهل حَرّان على كُورة باهُذْرا ، وهي أَجلّ كُوَرِ الموصل ، فأَبطأَ عليه الخراجُ ؛ فكتب إليه : [من المنسرح]

هـل عنـد رسمٍ برامةٍ خبرُ أَم لا فـأَيَّ الأَشيـاء تنتظرُ

إحْمِلْ ما عندك يا ماصَّ بَظْرِ أُمّه ، وإلاّ فقد أَمرتُ رسولي بشدّك وَثاقاً ويأْتي بك . فخرج الرجل وأَخذ ما كان معه من الخراج فلَحِق بحَرّان ، وكتب إليه : يا عاضّ بَظْرِ أُمّه ! إليّ تكتب بمثل هذا ! [من الخفيف]

وإذا أَهـلُ بلـدةٍ أَنكروني عرفتنـي الدَّوِيَّـةُ المَلْساءُ

فلمّا قرأَ موسى كتابَه ضَحِك وقال : أَحسنَ يعلم الله الجوابَ ، ولا والله لا أُطلبه أَبداً . وفي غير هذه الرواية أَنّه كتب إليه في آخر رقعة : [من البسيط]

إنّ الخليطَ الأُلَى تهوى قد ائتمروا للبَيْن ثم أَجَدّوا السيرَ فانشمروا

يا ابن الزّانية ؛ والسلام . ثم هرب ، فلم يَطْلُبه .

[إسحاق الموصليّ ولحن للغريض]

أَخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال قال أَبي : غنّاني رجلٌ من أَهل المدينة لحنَ الغريض : [من المنسرح]

هـل عند رَسْمٍ برامـةٍ خبرُ أَم لا فـأَيَّ الأَشيـاء تنتظـرُ

فسأَلتُه أَن يُلْقيه عليّ ، فقال : لا إلاّ بأَلف درهم ؛ فلم أَسمح له بذلك . ومضى فلم أَلْقَه .

فوالله يا بنيّ ما نَدِمْتُ على شيء قطُّ نَدَمي على ذلك ، ولَوَدِدْت أنّي وجدتُه الآن فأخذتُه منه كما سمعته وأخذَ منّي ألفَ دينار مكانَ الألف الدرهم .

خبر

[من الطويل]

تُعيِّرنـا أنّا قليـلٌ عديدُنـا

الشعر لشُرَيْح بن السَّمَوْأل بن عَادِياء . ويقال : إنّه للسموأل . وكان من يهود يَثربَ ؛ وهو الذي يُضرب به المثلُ في الوفاء فيقال : «أوفى من السّموأل» .

وكان السببُ في ذلك فيما ذكر ابن الكلبيّ وأبو عُبيدة وحدَّثني به محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدَّثنا يحيى بن سعيد الأمويّ عن محمَّد بن السائب الكَلْبيّ قال : كان امرؤ القيس بن حُجْر أَوْدع السموألَ بن عَادِياء أدراعاً ؛ فأتاه الحارثُ بن ظالم ، ويقال : الحارث بن أبي شَمِر الغَسّانيّ ، ليأخذَها منه ؛ فتحصّن منه السموألُ ؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه : إمّا أن تُسلّم الأدراع وإمّا أن قتلتُ ابنَك ؛ فأبى السموألُ أن يُسَلِّم الأدراعَ إليه ؛ فضرب الحارثُ وسَطَ الغلام بالسيف فقطَعه اثنين . فقال السموألُ : [من الوافر]

وفَيْتُ بأدْرُع الكنْديّ إنّي ... إذا مـا خان أقوامٌ وَفيْتُ
وأوصى عَادِيـا يومـاً بألاّ ... تُهدِّمَ يـا سموألُ مـا بنيتُ
بَنى لي عادِيا حصناً حصيناً ... وماءً كلّما شئتُ استقيتُ

وفي هذه القصيدة يقول : [من الوافر]

صوت

أعاذِلتــي ألاَ لا تَعذُلِينــي ... فكَمْ مِنْ أمْر عاذلةٍ عَصَيْتُ
دَعيني وارْشُدِي إن كنتُ أغوى ... ولا تَغْوَيْ زعمتِ كما غَوَيْتُ
أعاذلَ قـد طلبتِ اللَّومَ حتى ... لَـوَ آنّي مُنتَهٍ لقـد انتهيتُ
وصفــراء المعاصم قد دَعَتْني ... إلى وَصْلٍ فقلتُ لهـا أبَيْتُ
وزِقٌّ قـد جَرَرْتُ إلى النَّدامَى ... وزِقٌّ قـد شربتُ وقد سقيتُ
وحتى لـو يكونُ فتى أُنـاسٍ ... بكى مـن عذل عاذلة بكيتُ

عروضُه من الوافر . والشعرُ للسَّمَوْأل بن عادِياء . والغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني

والرابع والخامس خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وغنّى فيها مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر في الأوّل والثاني . وغنّى دَحْمانُ أيضاً في الأوّل والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى . وغنّى عبد الرحيم الدَّفّاف في الأوّل والثاني رملاً بالبنصر . وفي هذه الأبيات لابن سُرَيْج لحنٌ في الرابع وما بعده . ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم يَنْسُبه[1] . ولإبراهيم الموصليّ فيها لحن غيرُ منسوب أيضاً .

[أسر الأعشى رجل من كلب وهو لا يعرفه]

حدَّثني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني سليمان بن أبي شَيْخ قال حدَّثنا يحيى بن سَعيد الأُمويّ قال حدَّثني محمَّد بن السائب الكلبيّ قال : هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال : [من الوافر]

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ... ولستَ من الكرام بني عُبَيْدِ
ولا من رهط جبّار بن قُرْط ... ولا من رهط حارثةَ بن زيدِ

قال : وهؤلاء كلّهم من كلب ، فقال الكلبيّ : أنا ، لا أبا لك ، أشرفُ من هؤلاء . قال : فسبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى ، وكان متغيّظاً عليه . فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأسَرَ منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه ؛ فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السموأل بن عَادِياء الغَسّانيّ صاحب تَيْماء[2] بحصنه الذي يقال له الأَبلَق[3] . فمرَّ شريح بالأعشى ، فنادى به الأعشى بقوله : [من البسيط]

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنّي بعد ما عَلِقتْ ... حبالَك اليومَ بعد القِدّ أظْفاري[4]
قد جُلْتُ ما بين بانِقيا إلى عَدَنٍ ... فطال في العُجْمِ تَرْدادي وتَسياري[5]
فكان أكرمَهم عهداً وأوثقَهم ... عَقْداً أبوك بعُرف غير إنكارِ
كالغيث ما استمطروه جادَ وابلُه ... وفي الشدائد كالمستأسِد الضّاري
كُنْ كالسموأل إذ طاف الهمامُ به ... في جَحْفَل كسواد الليل جَرّارِ
إذ سامه خُطّتَيْ خَسْفٍ فقال له ... قُلْ ما تشاء فإنّي سامعٌ حارِ

1 في ل : يجنسه .
2 تيماء : بليدة في أطراف الشام على طريق حاج الشام ودمشق .
3 قيل له الأبلق لأنّه كان في بنائه بياض وحمرة ، وقيل : لأنّه بُني من حجارة مختلفة الألوان .
4 القدّ : القيد .
5 بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . تردادي في ل : تكراري .

فقـال غَـدْرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما فاخترْ ومـا فيهما حـظٌّ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويـلٍ ثم قـال له أقْتُلْ أسيرَك إنّي مانـعٌ جاري
وسوف يُعْقِبُنيه إن ظفِرتَ بـه ربٌّ كريـمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهارِ
لا سِرُّهنّ لدينـا ذاهبٌ هَدَراً وحافظات إذا استُوْدِعن أسراري
فاختار أدراعَه كـي لا يُسَبَّ بها ولم يكن وعـدُه فيهـا بَخَتَّارِ[1]

قال : فجاء شُرَيح إلى الكَلْبيّ فقال له : هَبْ لي هذا الأسيرَ المَضْرورَ ؛ فقال : هو لك ، فأطلَقه . وقال له : أقِمْ عندي حتى أُكرمَك وأَحْبُوَك ؛ فقال له الأعشى : إن من تمام صنيعك إليّ أن تُعْطِيني ناقةً ناجية وتُخَلِّيَني الساعةَ . قال : فأعطاه ناقةً ، فركِبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيَّ أن الذي وَهَب لشُرَيح هو الأعشى ، فأرسل إلى شُرَيح : ابعث إليّ بالأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوَه وأُعْطيَهُ ؛ فقال قد مضى . فأرسل الكلبيُّ في أثرَه فلم يَلْحَقه .

وأمّا خبر : [من الطويل]

وما كرَّ إلاّ كان أوّلَ طاعنٍ

والشعر للخنساء ، فإنّه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع ؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مُفرداً عن المائة الصوتِ المختارةِ في أخبار الخنساء ، إن شاء الله تعالى .

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع

[دفع في صوت أخذه عن سوداء أربعة دراهم وغناه الخليفة فأعطاه أربعة آلاف دينار]

وأمّا خبرُ الجارية التي أخذ عنها ابنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أنّه وقع في حكاية محمّد بن ضوين الصَّلْصال فيها خطأً ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمّاد ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي محمّد العامريّ قال حدَّثني عُكّاشة اليزيديّ بجُرْجان قال حدَّثني إسماعيل بن جامع قال : بَيْنا أنا في غُرْفة لي باليمن وأنا مُشرِف على مَشْرَعةٍ[2] ، إذ أقبلت أَمَةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ ، فملأتْها ووضعتْها على المَشْرعة لتستريح ، وجلستْ فغنّتْ : [من الطويل]

صوت

فَرُدِّي مُصابَ القلب أنتِ قَتَلتِه ولا تُبعِدي فيما تجشّمتِ كُلْثُما

ويُروى «ولا تَتْركيه هائمَ القلب مُغرما» .

---

1 الختّار : الغادر .

2 المشرعة : مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون .

إلى الله أَشكو بخلَها وسماحتي لها عسلٌ منّي وتبذُل عَلْقَما
أَبى اللهُ أَن أُمسي ولا تذكُرينني وعَيْناي من ذكراكِ قد ذَرَفَتْ دَما
أَبيتُ فما تنفكّ لي منكِ حاجةٌ رمى الله بالحبِّ الذي كان أَظْلَما

غنّاه سِيَاطٌ خفيفَ ثقيل أَوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة قال : ثم أَخذتْ قِرْبَتَها لتمضيَ . فاستفزّني من شهوة الصوت ما لا قِوامَ لي به ، فنزلتُ إليها فقلتُ لها : أَعِيدِيه . فقالت : أَنا عنك في شغل بخَراجي . قلتُ : وكم هو ؟ قالت : درهمان في كلّ يوم . قلتُ : فهذان درهمان ، ورُدِّيه عليّ حتى آخذه منك ، وأَعطيتُها درهمين ؛ فقالت : أَمّا الآن فنعم . فجلستْ ، فلم تَبْرح حتى أَخذتُه منها وانصرفت ؛ فلهوتُ يومي به ، وأَصبحتُ من غدٍ لا أَذكر منه حرفاً ، فإذا أَنا بالسوداء قد طلعتْ ففعلتْ كفعلها بالأَمس . فلمّا وضعتِ القِربةَ تغنّت غيرَه ، فَعَدَوْتُ في أَثرها وقلت : يا جارية ، بحقّي عليك رُدّي عليَّ الصوتَ فقد ذهبتْ عنّي منه نَغَمةٌ . فقالت : لا والله ، ما مثلُك تذهب عنه نغمةٌ ، أَنتَ تَقيسُ أَوّلَه على آخره ، ولكنّك قد أُنْسِيتَه ، ولستُ أَفعل إلاّ بدرهمين آخرين . فدفعتُهما إليها وأَعادته عليّ حتى أَخذتُه ثانيةً . ثم قالت : إنّك تَسْتكثر فيه أَربعةَ دراهم ، وكأنّي بك قد أَصبتَ به أَربعة آلاف دينار . فكنتُ عند هارون يوماً وهو على سريره ؛ فقال : مَن غنّاني فأَطربني فله أَلفُ دينار ، وقدّامَه أَكياسٌ في كلّ كيس أَلفُ دينار . فغنّى القوم وغنّيتُ فلم يطرَبْ ، حتى دار الغِناء إليّ ثانيةً فغنّيتُ صوتَ السوداء ؛ فرمى إليّ بكيس فيه أَلفُ دينار ، ثم قال : أَعِدْه فغنّيتُه ؛ فرمى إليّ بثانٍ ثم قال : أَعِدْه فرمى إليّ بثالث وأَمسك . فضحِكتُ ؛ فقال : ما يُضحكك ؟ فقلت : لهذا الصوت حديثٌ عجيبٌ يا أَمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فحدَّثته به وقصصتُ عليه القصّةَ ؛ فرمى إليّ برابع وقال : لا نكذّب قولَها .

خبر

[من الكامل]

عُوجِي عليَّ فسلِّمي جَبْرُ

الشعر للعَرْجيّ وقد ذكرنا نسبة الصوت .

[قصّة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنّه أفسد نساء المدينة]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه عن الواقِديّ عن ابن أَبي الزِّناد قال حدَّثني محمّد بن إسحاق قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : إنّ بالمدينة مُخنّثاً قد أَفسد نساءَها . فكتب إلى عامله بالمدينة أَن يحملَه . فأُدخِل عليه ، فإذا شيخٌ خضيبُ اللّحية والأَطرافِ مُعْتَجِرٌ بِسَبَنيّة[1] قد

1 السبنية : منسوبة إلى سَبَن : بلدة ببغداد ، وهي إزار أَسود متّخذ من الحرير يلبسه النّساء .

حمل دُفّاً في خريطته . فلمّا وقف بين يَديّ عمر صعّد بصرَه فيه وصوَّبه وقال : سوأةً لهذه الشَّيْبةِ وهذه القامةِ ! أتحفظُ[1] القرآن ؟ قال : لا والله يا أبانا ؛ قال : قبّحك اللهُ ! وأشار إليه مَنْ حضَره فقالوا : اسكُتْ فسكتَ . فقال له عمر : أتقرأُ[2] من المفصَّل شيئاً ؟ قال : وما المُفصَّل ؟ قال : ويلك ؛ أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، أقرأ ﴿الحمد لله﴾ وأُخطىء فيها في موضعين أو ثلاثة ، وأقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس﴾ وأُخْطىء فيها ، وأقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مثلَ الماء الجاري . قال : ضَعوه في الحبس ووكّلوا به مُعَلِّماً يعلّمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطَّهارة والصلاة وأجْرُوا عليه في كلّ يوم ثلاثةَ دراهم وعلى معلّمه ثلاثة دراهمَ أُخَر ، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظَ القرآن أجمعَ . فكان كلَّما عُلِّم سورةً نَسي التي قبلها . فبعث رسولاً إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، وجِّه إليَّ مَن يحمل إليك ما أتعلّمه أوّلاً فأوّلاً ، فإنّي لا أقدِر على حمله جملةً واحدةً . فيئس عمرُ من فلاحه وقال : ما أرى هذه الدّراهمَ إلاّ ضائعةً ، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها عُرْياناً لكان أصلحَ . ثم دعا به ، فلمّا وقف بين يديه قال له : اقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّها الكافِرونَ﴾ . قال : أسأل اللهَ العافيةَ ! أدخلتَ يَدكَ في الجراب فأخرجتَ شرّ ما فيه وأصعبَه . فأمر به فُوجِئَتْ عنقُه ونفاه . فاندفع يغنّي وقد توجّهوا به : [من الكامل]

عُوجِي عليَّ فَسَلِّمي جَبْرُ ... فيمَ الوقوفُ وأَنْتُـم سَفْرُ
ما نَلْتقي إلاّ ثـلاثَ منىً ... حتى يفـرِّق بيننا النَّفْرُ

فلمّا سمِع المُوكَّلون به حسنَ تَرنّمه خلَّوْه وقالوا له : اذهب حيث شئتَ مُصاحَباً بعد استماعهم منه طرائفَ غنائه سائرَ يومهم وليلتهم .

[حجّ محمّد بن خالد بن عبد الله وسمع جارية محمّد بن عمران فطرب وأراد شراءها فردّه]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ قال : أحَجّ خالد بن عبد الله ابنه محمَّداً وأصحبه رِزاماً[3] مولاه وأعطاه مالاً ، وقال : إذا دخلتَ المدينةَ فاصرفه فيما أحبَبْتَ . فلمّا صِرْنا بالمدينة سأل محمَّد عن جاريةٍ حاذقةٍ ؛ فقيل : عند محمَّد بن عِمْران التَّيْميّ القاضي . فصلّينا الظهرَ في المسجد ثم مِلنا إليه فاستأذنّا عليه فأذِن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْد[4] ونعلاه في آخر اللِّبْد ؛ فسلّمنا عليه فردَّ ؛ ونَسَب محمّداً فانتسب له ، فقال : خيراً . ثم قال : هل من حاجة ؟ فلَجْلَج الفتى . فقال : كأنّك ذكرتَ فلانة ! يا جاريةُ اخرُجي ؛

---

1 في ل : أتقرأ .
2 في ل : أتحفظ .
3 رزام : هو رزام بن مسلم أدرك أبا جعفر المنصور .
4 اللبد : بساط من صوف .

فخرجتْ فإذا أُحسنُ الناس ، ثم تغنَّت فإذا أُحذقُ الناس ؛ فجعل الشيخُ يذهب مع حركاتها ويجيء ، إلى أن غنَّت قوله : [من الكامل]

عوجِـي عـليّ فسلِّمي جَبْرُ

فلمّا بلغتْ : [من الكامل]

حتـى يفـرّق بيننـا النَّفْرُ

وثبَ الشيخُ إلى نعله فعلَّقها في أُذنه وجثا على ركبتيه وأَخذ بطرف أُذنه والنّعل فيها وجعل يقول : أَهدوني أَنا بَدَنَةٌ ، أَهدوني أَنا بَدَنَةٌ . ثم أَقبل عليهم فقال : كَمْ قيل لكم إنّها تساوي ؟ قالوا : ستّمائة دينار . قال : هي وحقِّ القبر خيرٌ من ستّة آلاف دينار ، ووالله لا يملِكها عليّ أَحدٌ أَبداً ، فانصرِفوا إذا شئتم .

[كان ابن جريج في حلقة يحدّث فمرّ به ابن تيزن فسأله أن يغنّيه بغناء ابن سريج]

أَخبرنا وَسْواسةُ بن الموصليّ ، وهو أَحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : وجدتُ في كتب أَبي عن عثمان بن حَفص الثَّقَفيّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال حدَّثني سُلَيْم الحساب عن داود المكّيّ قال : كنّا في حَلْقة ابن جُرَيْج وهو يحدِّثنا وعنده ابنُ المبارَك وجماعةٌ من العراقيّين ، إذ مرَّ به ابن تَيْزن قال حمّاد : ويقـال ابن بيرن[1] ، وقد ائتزر بمئزرة على صدره ، وهي إزْرَةُ الشُّطّار عندنا . فدعاه ابن جُرَيج ؛ فقال له : إنّي مستعجِل ، وقد وعدتُ أَصحاباً لي فلا أَقدِر أَن أَحتبس عنهم . فأَقْسم عليه حتى أَتاه ، فجلس وقال له : ما تريد ؟ قال : أُحبّ أَن تُسمعني . قال : أَنا أَجيئك إلى المنزل ، فلِمَ تُجْلِسني مَع هؤلاء الثقلاء ! . قال : أَسأَلك أَن تفعل ؛ قال : امرأَتُه طالقٌ إن غنّاك فوق ثلاثة أَصوات . قال : ويحك ؛ ما أَعجلَكَ باليمين ؟! قال : أُكره أَن أَحتبس عن أَصحابي . فالتفت ابن جريج إلى أَصحابه فقال : اعْقِلوا رحمكم الله . ثم قال له : غنِّني الصوتَ الذي أَخبرتني أَنّ ابنَ سريج غنّاه في اليوم الثالث من أَيّام مِنىً على جمرة العَقَبة فقطع الطريقَ على الذاهب والجائي حتى تكسّرت المحاملُ . فغنّاه: [من الكامل]

عوجـــي عـليّ فسلِّمي جبرُ

فقال ابن جُرَيج : أَحسنتَ والله ؛ ثلاثَ مرّات ، ويحك أَعِدْه . قال : أَمِن الثلاثة ؟ فإنّي قد حَلفتُ . قال : أَعِدْه فأَعاده ؛ فقال : أَحسنت ؛ أَعِده من الثلاثة ؛ فأَعاده وقام فمضى . فقال ابن جريج لأَصحابه : لعلّكم أَنكرتم ما فعلتُ ! قالوا : إنّا لنُنْكِره بالعراق . قال : فما تقولون في الرَّجَز ؟ (يعني الحُداء) قالوا : لا بأس بـه . قـال : فما الفرق بينهما ؟ .

---

1 في ل : تبزن .

[أحسن الناس حلوقاً في الغناء]

وذكر هارون بن محمَّد بن عبد الملك عن أبي أيّوب المَدينيّ قال : ثلاثةٌ من المُغنِّين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقاً : ابن تَيْزن ، وابن عائشة ، وابن أبي الكنّات .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

سَقاني فرَوّاني كُمَيْتاً مُدامـةً على ظمأٍ منّي سَلامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُـه أهـلَ المدينة واحداً سِواهمْ فلم أُغْبَن ولم أَتَندّمِ

عروضُه من الطويل . والشعر لأبي سفيان بن حرب . والغناء لسليمان أخي بابويه الكوفيّ مولى الأشاعثة[1] ، خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

1 الأشاعثة : منسوبون إلى الأشعث بن قيس الكندي الصحابي .

[97] ـ ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف . وأُمُّ حَرب بن أُميّة بنتُ أبي هَمْهَمَةَ بن عبد العُزّى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة . وأُمّ أبي سفيان صفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزم[1] بن رُوَيْبة[2] بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعة ، وهي عمّة ميمونة أُمّ المؤمنين وأُمِّ الفضل بنت الحارث بن حَزْن أُمّ بني العبّاس بن عبد المطّلب . وقد مضى ذكرُ أكثر أخبارِ ولد أُميّة والفَرْقُ بين الأعياص والعَنابس منهم وجُمَلٌ من أخبارهم في أوّل هذا الكتاب .

وكان حربُ بن أُميّة قائدَ بني أُميّة ومَن مالأهم في يوم عُكاظ . ويقال : إنّ سبب وفاته أنّ الجنّ قتلته وقتلت مِرْداسَ بن أبي عامر السُّلَميّ لإحراقهما شجرَ القُرَيّة[3] وازدراعِهما إيّاها . وهذا شيء قد ذكرته العربُ في أشعارها وتواترت الرّوايات بذكره فذكرتُه ، والله أعلم .

[أراد حرب بن أُميّة ومرداس بن أبي عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيّات فماتا]

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مُصْعَب ، وأخبرنا محمَّد بن الحسين بن دُرَيْد عن عمِّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانيّ : أنّ حربَ بن أُميّة لمّا انصرف من حرب عكاظ هو إخوتُه مرَّ بالقُرَيّة ، وهي إذ ذاك غَيضةُ شجرٍ ملتَف لا يُرام . فقال له مرداسُ بن أبي عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال بلى . قال : نِعْمَ المُزْدَرَعُ هو ، فهل لك أن نكونَ شريكين فيه ونُحرِّق هذه الغَيْضةَ ثم نَزْدَرِعه بعد ذلك ؟ قال نعم . فأضرما النّار في الغَيْضة . فلمّا استطارت وعلا لَهبُها سُمِع من الغَيْضة أنينٌ وضجيجٌ كثيرٌ ، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بِيضٌ تطير حتى قَطَعَتْها وخرجت منها . وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك : [من البسيط]

إنّي انتخبتُ لها حرباً وإخوتَه ... إنّي بحَبْلٍ وثيقِ العَقْد دسّاسُ

1 في ل : الهرم .
2 في ل : رويثة .
3 القُرَيّة : موضع في ديار بني سليم .

إنّي أُقَـوِّمُ قبل الأمر حُجَّتَه كيما يقالَ وليُّ الأمرِ مِرداسُ

قال : فسمِعوا هاتفاً يقول لمّا احترقت الغَيْضَةُ : [من مجزوء الرجز]

ويـلٌ لحـربٍ فارسا مُطاعِنـاً مُخالِسا
ويـل لعمـرو فارساً إذ لبسـوا القَوانِسا[1]
لَنَقْتُلَـنْ بقتلـه جَحاجحـاً عنـابِسا

ولم يلبث حربُ بن أُميّة ومرداسُ بن أبي عامر أن ماتا . فأمّا مرداسٌ فدُفن بالقُرَيّة . ثم ادّعاها بعد ذلك كليبُ بن أبي عَهْمة السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ . فقال في ذلك عبّاس بن مرداس : [من الكامل]

أكليبُ مـا لكَ كلَّ يوم ظالماً والظلمُ أنكـدُ وجهُه ملعونُ
قد كان قومُك يحسبونك سيِّداً وإخـال أنّـك سيِّدٌ معيونُ

المعيونُ : الذي أصابته العين ، وقيل : المعيون : الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقلَ له .

فإذا رجَعتَ إلى نسائك فادَّهِنْ إن المُسالِـمَ رأسُه مـدهونُ
وافعـل بقومك ما أراد بوائلٍ يومَ الغديـر سَمِيُّك المطعونُ[2]
وإخال أنّك سوف تلقى مثلَها في صَفْحَتَيْك سِنانُهـا المسنونُ
إن القُرَيَّـةَ قـد تبيَّن أمرُهـا إن كان ينفـع عنـدك التَّبيينُ
حيث انطلقتَ تخطُّها لي ظالمـاً وأبـو يزيـدَ بجوِّها مدفـونُ

أبو يزيد : مرداس بن أبي عامر .

[منزلته في قريش وفقء عينيه]

وكان أبو سفيان سيِّداً من سادات قريش في الجاهليّة ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله ﷺ في حياته وكَهْفاً للمنافقين في أيّامه ، وأسلم يوم الفَتْح . وله في إسلامه أخبارٌ نذكرها هنا . وكان تاجراً يجهِّز التجار بماله وأموالِ قريش إلى أرضِ العجم . وشهِد مع رسول الله ﷺ مُشاهَدَةَ الفتح ، وفُقِئَتْ عينُه يومَ الطائف[3] ، فلم يزل أعْورَ إلى يوم اليَرْموك ، ففُقِئَت عينُه الأخرى يومئذٍ فعَمِي .

1 القوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .
2 يشير إلى تحكّم كليب في الماء .
3 يعني غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفي فأصاب عينه .

[مازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أمّ حبيبة]

أخبرنا الطُّوسيّ والحِرْميّ قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عليّ بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكيّ عن أبي الهيثم عمّن أخبره : أنّه سمع أبا سفيان يُمازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أمّ حبيبة ويقول : والله إنْ هو إلاّ أن تركتُكَ فتركتْك العربُ فما انتطحت جمّاء[1] ولا ذاتُ قَرْنٍ ، ورسول الله ﷺ يضحك ويقول : «أنت تقول ذاك يا أبا حَنْظَلة[2] !» .

[سئل وهو مشرك عن زواج بنته برسول الله ﷺ فمدحه]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمِّي مصعب : أنّ رسول الله ﷺ تزوّج أمّ حَبِيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذٍ مُشرِكٌ يحارب رسولَ الله ﷺ ، وقيل له : إنّ محمّداً قد نكح ابنتَك ؛ فقال : ذلك الفحلُ لا يُقْدَع[3] أنفُه . واسم أمّ حبيبة رملة ، وقيل : هند[4] ، والصحيح رملة .

[أبطأ رسول الله ﷺ بإذنه فعاتبه فأرضاه]

أخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز قال حدَّثنا المدائنيّ عن مَسْلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جَوْشَن قال : أَذِن رسولُ الله ﷺ يوماً للناس ، فأبطأ بإذن أبي سفيان ، فلمّا دخل قال : يا رسولَ الله ، ما أَذِنْتَ لي حتى كِدْتَ تأذَنُ للحجارة . فقال له : يا أبا سفيان «كلُّ الصيد في جوف الفَرا» .

حدَّثنا محمَّد بن العبّاس قال حدَّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجاني قال حدَّثنا عطاء بن مُصْعَب قال حدَّثني سفيان بن عُيَيْنة عن جعفر بن[5] يحيى البرمكيّ قال : أَذِن رسول الله ﷺ للناس ، فكان آخرُ مَن دخل عليه أبا سفيان بن حرب . فقال : يا رسول الله ، لقد أَذِنْتَ للناس قبلي حتى ظننتُ أنّ حجارةَ الخَنْدَمةِ[6] ليُؤذن لها قبلي . فقال رسول الله ﷺ : «أما والله إنّك والناسَ لكما قال الأوّلُ : «كلُّ الصيدِ في بطن الفَرَا» . أيّ كلّ شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لكَ وحدك مثل مالهم كلّهم .

[خرج إلى الشام في تجارة ، فسأله هرقل عن أحوال النبيّ ﷺ فأجابه وصدقه]

حدَّثني عمر بن إسماعيل بن أبي غَيْلان الثَّقفيّ قال حدَّثنا داود بن عمرو الضَّبيّ قال حدَّثنا

1 الجماء : الشاة التي لا قرن لها .
2 حنظلة : ابن كان لأبي سفيان قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .
3 يقدع : يضرب .
4 في ل : صفيّة .
5 في ل : عند .
6 الخندمة : جبل بمكّة .

المثنّى بن زُرْعَة أبو راشد عن محمَّد بن إسحاق قال حدَّثني الزُّهْريّ عن عبد الله بن عبد الله عن عُتْبة عن ابن عبّاس قال حدَّثني أبو سفيان بن حرب قال : كُنّا قوماً تِجاراً ، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حصَرتْنا حتى نَهكتْ[1] أموالَنا . فلمّا كانت الهدنةُ [هدنة الحُدَيْبِيَة] بيننا وبين رسول الله ﷺ ، خرجتُ في نفر من قريش إلى الشام ، وكان وجهُ مَتْجَرنا منه غَزّة ، فقدِمناها حين ظهَر هِرَقْلُ على مَن كان بأرضه من الفرس ، فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبَه الأعظمَ وكانوا قد استلبوه إيّاه . فلمّا بَلغه ذلك منهم وبلَغه أنّ صليبَه قد استُنْقِذ منهم ، وكانت حمص منزلَه ، خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حين رَدّ عليه ما ردَّ ليصلِّيَ في بيت المقدس تُبسَط له البُسُطُ وتُلْقى عليها الرّياحين . فلمّا انتهى إلى إيليا فقضى فيها صلاتَه وكان معه بطارقتُه وأشرافُ الروم ، أصبح ذاتَ غُدْوة مهموماً يقلِّب طرفَه إلى السماء . فقال له بطارقتُه : والله لكأنّك أصبحتَ الغداةَ مهموماً . فقال : أجل ؛ رأيتُ البارحةَ أن مُلْك الختان ظاهر . فقالوا : أيّها الملك ، ما نعلَم أمّةً تَختَتِن إلاّ اليهود ، وهم في سلطانك وتحت يدك ، فابعث إلى كلّ مَن لك عليه سلطانٌ في بلادك فمُره فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدِك منهم من يَهُود واستَرِح من هذا الهمّ . فوالله إنّهم لفي ذلك من رأيهم يدبِّرونه إذ أتاه رسولُ صاحبِ بُصْرَى برجلٍ من العرب يقوده ، وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم ، فقال : أيّها الملك ، إنّ هذا رجلٌ من العرب من أهلِ الشّاء والإبل يحدِّث عن أمر حدَث فاسأله . فلمّا انتهى به إلى هرقل رسولُ صاحب بُصرى ، قال هرقلُ لِمَن جاء به : سَلْه عن هذا الحديث الذي كان ببلده ؛ فسأله : فقال : خرج بين أظْهُرنا رجلٌ يزعمُ أنّه نبيٌّ ، وقد اتّبعه ناسٌ فصدّقوه ، وخالفَه آخَرون ، وقد كانت بينهم مَلاحِمُ في مواطنَ كثيرةٍ ، وتركتهم على ذلك . فلمّا أخبره الخبرَ قال : جرِّدوه فإذا هو مختونٌ ؛ فقال : هذا والله النبيّ الذي رأيت لا ما تقولون ، أعطوه ثيابه ويَنْطلق . ثم دعا صاحبَ شُرْطته فقال له : اقلبِ الشامَ ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل . فإنّا لَبِغَزّةَ إذ هجم علينا صاحبُ شُرْطته فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : انطلِقوا إلى الملك ، فانطلقوا بنا . فلمّا انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجلِ الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : فأيُّكم أمَسُّ به رَحِماً ؛ قال : قلت أنا . قال أبو سفيان : وايمُ الله ما رأيتُ رجلاً أرى أنّه أنكر من ذلك الأغلِف (يعني هِرَقل) ثم قال : أدْنِه ، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي ، وقال : إنّي سأسأله ، فإن كذَب فرُدّوا عليه . قال : فوالله لقد علِمتُ أن لو كذَبتُ ما ردّوا عليّ ، ولكنّي كنتُ امرأً سيِّداً أتبرّم عن الكذب ؛ وعرفت أنّ أيسر ما في ذلك إن أنا كذَبْتُه أن يَحفظوه عليّ ثم يحدِّثوا به

1 في ل : تهتكت .

عنّي ، فلم أكْذِبه قال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يَدّعي ما يَدّعي . فجعلتُ أزَهِّد له شأنَه وأصغِّر له أمورَه ، وأقول له : أيّها الملك ، ما يهمّك من شأنه ! إنّ أمرَه ما بلغَك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك منّي . ثم قال : أنبِئْني فيما أسألُك عنه من شأنه . قال : قلت : سَلْ عمّا بدا لك . قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت : محضٌ ، هو أوْسَطنا[1] نسباً . قال : أخبرني هل كان أحدٌ في أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبّه به ؟ قال : قلت لا . قال : هل كان له فيكمُ مُلك فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث لتَردّوا عليه مُلكَه ؟ قال : قلت لا . قال : أخبِرْني عن أتباعه منكم من هُمْ ؟ قال : قلت : الضعفاءُ والمساكينُ والأحداثُ من الغِلْمان والنساء ، فأمّا ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يَتْبعه منهم أحدٌ ؛ قال : فأخبرني عمَّن يتبعه أيُحِبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه ويفارقه ؟ قال : قلت : قلَّما يتبعه أحدٌ[2] فيفارقه . قال : فأخبرني كيف الحربُ بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سجالٌ يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يَغْدِر ؟ فلم أجِد شيئاً سألني عنه أغتمِز فيه غيرَها . قال : قلت : لا ، ونحن منه في مُدّة[3] ولا نأمَن غدرَه . قال : فوالله ما التفت إليها منّي . ثم كرَّر عليّ الحديث فقال : سألتُك عن نسبه فيكم ، فزعمتَ أنّه محضٌ من أوسطكم نسباً ؛ فكذلك يأخذ اللهُ النبيَّ لا يأخذه إلاّ من أوسط قومه نسباً . وسألتُك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلَ قوله فهو يتشبّه به ، فزعمتَ أن لا . وسألتُك هل كان له مُلْكٌ فيكم فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكَه ، فزعمتَ أنْ لا . وسألتُك عن أتباعه ، فزعمتَ أنّهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنّساء ، وكذلك أتباعُ الأنبياء في كلّ زمان . وسألتُك عمّن يتبعه أيُحِبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه ويفارقه ، فزعمتَ أنّه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ، فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرجُ منه . وسألتُك عن الحرب بينكم وبينه فزعمتَ أنّها سِجالٌ تُدالون عليه ويُدلّ عليكم ، وكذلك حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقِبةُ . وسألتُك هل يَغْدِر ، فزعمتَ أن لا . فلئن كنتَ صَدَقتَني عنه فَلَيَغْلِبَنَّ على ما تحت قَدَميّ هاتين ، ولَوَدِدْتُ أنّي عنده فأغسِلُ قدميه ؛ إنطلِقْ لشأنك . فقمتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يَديّ على الأخرى وأقول : يا لعبادِ الله ! لقد أمِرَ[4] أمْرُ ابن أبي كَبْشة[5] ! أصبحتْ ملوكُ بني الأصفر يَهابُونه في ملكهم وسلطانِهم .

---

1 أي خيرنا وأفضلنا نسباً .

2 في ل : رجل .

3 أي مدّة صلح الحديبية .

4 أمر : عظم .

5 أبو كبشة رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور وسمّى المشركون الرسول ﷺ بابن أبي كبشة .

[كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل وما كان بين هرقل وبطارقته]

قال ابن إسحاق : فقدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ مع دِحْيَةَ[1] بن خليفة الكلبيّ ، فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمَّد رسول الله ﷺ إلى هِرَقْل عظيم الروم . السلامُ على مَن اتّبع الهُدى . أمّا بعد ، فأَسْلِم تَسْلَم يُؤْتِك الله أجرَك مرَّتين ، وإن تتولّ فإنّ إثمَ الأكابر عليك» .

قال ابن شهاب : فأخبرني أُسْقُفُّ النصارى في زمن عبد الملك زعمَ أنّه أدرك ذلك من أمر رسول الله ﷺ وأمرِ هرقل وعَقَله ، قال : فلمّا قَدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ من قِبَل دِحْيَة بن خليفة ، أخَذه هرقلُ فجعله بين فخذيه وخاصِرته ، ثم كتب إلى رجل برُومِيَة[2] كان يقرأ العبرانيّة ما تقرؤونه ، فذكر له أمرَه ووصفَ له شأنه وأخبره بما جاء منه . فكتب إليه صاحبُ رُومِيَة : إنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره لا شكّ فيه ، فاتّبعْه وصدِّقه . قال : فأمر هرقلُ ببطارقة الرّوم فجُمِعُوا له في دَسْكَرة[3] ملكه ، وأمر بها فأغلِقت[4] عليهم أبوابُها ، ثم اطّلع عليهم من عِلِّيّةٍ وخافهم على نفسه فقال : يا معشر الرّوم ، قد جمعتكم لخبر[5] ، أتاني كتابُ هذا الرجل يدعو إلى دينه ، فوالله إنّه النبيُّ الذي كنّا ننتظره ، ونجده في كتابنا ، فهلمّ فلنبايعه ولنصدِّقه فتسلم لنا دنيانا وآخِرتُنا . قال : فنخَرَتِ الرّومُ نَخْرَةَ رجلٍ واحد وابتدروا أبوابَ الدَّسْكَرة ليخرجوا فوجدوها قد أُغْلِقَت دونهم . فقال : كُرُّوهم عليَّ وخافهم على نفسه ؛ فكرُّوهم عليه . فقال : يا معشَر الرّوم ، إنّما قلتُ لكم المقالةَ التي قلتُ لأنظُرَ كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدَث ؛ فقد رأيتُ منكم الذي أُسَرُّ به ؛ فَخَرّوا سُجَّداً . وأمر بأبواب الدَّسْكرة ففُتحت لهم فانطلقوا .

[حديثه مع العبّاس حين بلغتهما بعثة النبيّ ﷺ وهما باليمن وحديث الحبر اليهوديّ معهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدَّثني أبو بكر الهُذَليّ عن عِكْرِمة عن ابن عبّاس قال قال لي العبّاس : خرجتُ في تِجارة إلى اليمن في رَكْب منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدِمتُ اليمن . فكنتُ أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالنَّفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك . فقال لي في يومي الذي كنتُ أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ إلى بيتي وتُرسلَ إلى غدائك ؟ فقلتُ : نعم . فانصرفتُ أنا والنَّفرُ إلى بيته

---

1 دحية : صحابي مشهور كان من أجمل الناس وأحسنهم صورة .
2 رومية : أي روما .
3 الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم .
4 في ل : فأسريت .
5 في ل : لخير .

وأرسلت إلى الغداء . فلمّا تغدّى القومُ قاموا واحتبسني فقال لي : هل علمتَ يا أبا الفضل أن ابنَ أخيك يزعمُ أنّه رسول الله ؟ قلت : وأيُّ بني أخي ؟ قال أبو سفيان : إيّاي تكتُم ؟ وأيُّ بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلاّ رجلٌ واحد ! قلت : وأيُّهم هو على ذلك ؟ قال : محمَّد بن عبد الله . قلتُ : ما فَعل ؟ قال : بلى قد فعل . ثم أخرج إليّ كتاباً من ابنه حَنْظلة بن أبي سفيان : إنّي أُخبرك أنّ محمّداً قام بالأبطح[1] غُدْوةً فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . قال : قلت : يا أبا حنظلة ، لعلّه صادق . قال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أُحِبّ أن تقولَ مثلَ هذا ، وإنّي لأخشى أن تكون على بَصَر من هذا الأمر ، وقال الحسن بن عليّ في روايته : على بصيرة من هذا الحديث ثم قال : يا بَني عبد المطَّلب ، إنّه والله ما بَرِحتْ قريشٌ تزعمُ أن لكم يُمْنَةً وشؤمَةً كلّ واحدة منهما عامّةٌ ، فنشدتُك اللهَ يا أبا الفضل هل سمِعتَ ذلك ؟ قلت نعم . قال : فهذه والله إذاً شُؤْمتُكم . قلت : فلعلّها يُمْنتنا . فما كان بعد ذلك إلاّ ليالٍ حتى قدِم عبد الله بن حُذافة السَّهْميّ بالخبر وهو مؤمِنٌ ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها . وكان أبو سفيان يجلس إلى حَبْر من أحبار اليمن ؛ فقال له اليهوديّ : ما هذا الخبر الذي بلغني ؟ قال : هو ما سمعتَ . قال : أين فيكم عَمُّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صَدَقوا وأنا عمّه . قال اليهوديّ : أأخو أبيه ؟ قال نعم . قال : حَدِّثني عنه . قال : لا تسألْني ، فما كنتُ أحسبُ أن يَدّعي هذا الأمر أبداً ، وما أُحِبُّ أن أُعيبَه ، وغيرُه خيرٌ منه . قال اليهوديّ : فليس به أذىً ، ولا بأس على يهودَ وتوراة موسى منه . قال العبّاس : فتأدّى إليَّ الخبرُ فحَمِيتُ ، وخرجتُ حتى أجلسَ إلى ذلك المجلس من غَدٍ وفيه أبو سفيان والحبرُ . فقلت للحبر : بلَغني أنّك سألتَ ابن عمّي هذا عن رجل منّا يزعمُ أنّه رسول الله ، فأخبرَك أنّه عمُّه ، وليس بعمِّه ولكنّه ابن عمّه ، وأنا عمّه أخو أبيه . فقال : أأخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : أصَدَق ؟ قال : نعم صدَق . قال فقلت : سلْني عنه ، فإن كذَبتُ فليردد عليّ . فأقبل عليّ فقال : أنشُدُك الله ، هل فشَتْ لابن أخيك صَبْوة أو سَفْهةٌ ؟ قال قلت : لا وإله عبد المطّلب ولا كذَب ولا خان ، وإن كان اسمُه عند قريش الأمينَ . قال : فهل كتب بيده ؟ قال عبّاس : فظننتُ أنّه خيرٌ له أن يكتب بيده ، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكانَ أبي سفيان وأنّه مُكَذِّبي ورادٌّ عليّ ، فقلت : لا يكتب . فذهب الحبرُ وترك رداءه وجعل يَصيح : ذُبِحتْ يهود ! قُتِلت يهود !

قال العبّاس : فلمّا رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إنّ اليهوديّ لفَزِعٌ من ابن أخيك . قال قلت : قد رأيتَ ما رأيتَ ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمِن به ، فإن

---

1 أبطح مكّة : مسيل واديها .

كان حقّاً كنتَ قد سَبَقت ، وإن كان باطلاً فمعك غيرُك من أُكفائك ؟ قال : لا والله ما أُومِن به حتى أُرى الخيلَ تطلعُ من كَداء (وهو جبل بمكّة) . قال قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمةٌ والله جاءت على فمي ما أُلقيتُ لها بالاً ، إلاّ أنّي أُعلم أنّ الله لا يترك خيلاً تطلعُ من كَداء . قال العبّاس : فلمّا فتح رسول الله ﷺ مكّةَ ونظرنا إلى الخيل قد طَلعت من كَداء ، قلتُ : يا أبا سفيان ، أتذكر الكلمةَ ؟ قال لي : واللهِ إنّي لذاكرُها ، فالحمدُ لله الذي هداني للإسلام .

[حديث استئمان العبّاس له وإسلامه في غزاة الفتح]

حدَّثنا محمَّد بن جرير الطَّبَريّ قال حدَّثنا البَغَويّ قال حدَّثنا الغَلابيّ أبو كُرَيْب محمَّد بن العلاء قال حدَّثنا يونس بن بُكَير عن محمَّد بن إسحاق قال حدَّثني الحسين بن عبيد الله بن العبّاس عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال : لمّا نزل رسول الله ﷺ مَرّ[1] الظَّهْرانِ (يعني في غَزاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطّلب وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة : يا صَباحَ قريش ! والله لئن بَغَتَها رسولُ الله ﷺ إنّها لهلاكُ قريش آخر الدَّهر . فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وقال : أخْرُج إلى الأَراك[2] ، لعلّي أرى حطّاباً أو صاحبَ لَبَن أو داخلاً يدخل مكّةَ فيُخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيَسْتأمِنونه . فوالله إنّي لأطوفُ في الأراك ألتمس ما خرجتُ له إذ سمِعتُ صوتَ أبي سفيان وحَكيم[3] بن حِزام وبُدَيْل[4] بن وَرْقاء يتجسّسون الخبرَ عن رسول الله ﷺ ؛ فسمعتُ أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيتُ كالليلة قطُّ نِيراناً . فقال بُدَيْل بن ورقاء : هذه والله نيرانُ خُزاعة حَمَشَتها[5] الحربُ . فقال أبو سفيان : خزاعةُ أَلأَمُ من ذلك وأَذَلّ . فعرَفتُ صوتَه فقلت : أبا حنظلَة ! فقال : أبا الفضل ! قلت نعم ؛ فقال : لبَّيْك ، فِداؤك أبي وأُمّي ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسولُ الله ﷺ قد دلف[6] إليكم بما لا قِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرني ؟ فقلت : تركب عَجُزَ هذه البغلة فأستأمِنُ لك رسولَ الله ﷺ ، فوالله لئن ظفِر بك ليَضْرِبنّ عنقُك . فرَدِفَني فخرجتُ به أُرْكُض بغلةَ رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ . فكلّما مررتُ بنار من نِيران المسلمين فنظَروا إليّ قالوا : عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله ﷺ ؛ حتى مَرَرْنا بنار عمر بن الخطّاب

1 مرّ الظهران : واد قرب مكّة .
2 الأراك : واد قرب مكّة .
3 هو حكيم بن خويلد ابن أخي خديجة زوج الرسول ﷺ .
4 رجل من خزاعة .
5 حمش الشيء : جمعه وفلاناً هيّجه .
6 دلف : تقدّم .

رضي الله تعالى عنه فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد ؛ ثم اشتدّ نحو النبيّ ﷺ ، وركَضتُ البغلةَ وقد أردفتُ أبا سفيان قال العبّاس : حتى اقتحمتُ على باب القبّة وسبَقتُ عمر بما تَسْبِقُ به الدّابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيء . فدخل عمرُ على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن اللهُ منه بغير عهد ولا عقد ، فدعني أضْرِبْ عنقَه . قلت : يا رسول الله ، إنّي قد أجَرْتُه . ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ وأخذتُ برأسه وقلت : والله لا يُناجِيه اليومَ أحدٌ دوني . فلمّا أكثر فيه عمرُ قلت : مَهْلاً يا عمر ؛ فوالله ما تصنع هذا إلاّ لأنّه رجل من عبد مَناف ، ولو كان من بني عَدِيّ بن كعب ما قلتَ هذا ؛ قال : مهلاً يا عبّاسُ ؛ فوالله لإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطّاب لو أسلَم ؛ وذلك لأنّي أعلم أنّ إسلامَك أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطّاب لو أسلَم . فقال رسول الله ﷺ : «إذهبْ فقد أمّنّاه حتى تَغْدُوَ به عليّ الغَداةَ» فرجَع به إلى منزله . فلمّا أصبح غدا به رسول الله ﷺ . فلمّا رآه قال : «ويحك يا أبا سفيان ألَم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إله إلاّ الله» ! فقال : بأبي أنتَ وأمّي ! ما أوْصَلَك وأحلَمَك وأكْرمَك ! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيرُه لقد أغنى عنّي شيئاً . فقال : «ويحك تشهّد بشهادة الحقّ قبلَ والله [أن] تُضْرَب عنقُك» . قال : فتشهّد . فقال رسول الله ﷺ للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان : «إنصرفْ يا عبّاس فاحْتَبِسْه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادي حتى يمرّ عليه جنود الله» . فقلت : يا رسول الله ، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبُّ الفخر ، فاجعلْ له شيئاً يكون في قومه . فقال : «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ ومَن دخل المسجد فهو آمنٌ ومَن أغلَق عليه بابَه فهو آمنٌ» . فخرجتُ به حتى أجلستُه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادي ، فمرّت عليه القبائل ، فجعل يقول : مَنْ هؤلاء يا عبّاس ؟ فأقول : سُلَيْمٌ ، فيقول : ما لي ولسُلَيْم ! ثم تمرّ به قبيلة فيقول : مَن هؤلاء ؟ فأقول : أسْلَم ، فيقول : ما لي ولأسْلَم ! وتمرّ به جُهَيْنة فيقول : مَن هؤلاء ؟ فأقول : جهينة ، فيقول : ما لي ولجهينة ! حتى مرَّ رسول الله ﷺ في الخَضْراء ، كَتِيبَةِ رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرى منهم إلاّ الحَدَقُ ، فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلتُ : هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلْك ابنِ أخيك عظيماً . فقلت : ويحك ! إنّها النبوّة ؛ قال : نعم إذاً . فقلتُ : إلْحَقْ الآن بقومك فحذّرْهم . فخرج سريعاً حتى أتى مكّةَ فصَرخ في المسجد : يا معشَر قريش ، هذا محمّدٌ قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به . قالوا : فَمَهْ ! قال : مَنْ دخل داري فهو آمن . فقالوا : ويحك ما تُغْنى عنّا دارُك ؟ قال : ومَن دخل المسجدَ فهو آمن ومَن أغلق عليه بابَه فهو آمن .

[بعض ما أُسند إليه من أخبار تدلّ على عدم إخلاصه]

حدَّثنا محمَّد بن جرير وأحمد بن الجَعْد قالا حدَّثنا محمد بن حُمَيد قال حدَّثنا سلَمةُ بن الفضل عن محمَّد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبد الله بن الزُّبَير قال : لمّا كان يومُ اليَرْموك خلّفني أبي ، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفتُ معهم ، فكانت الرّومُ إذا هزَمَتِ المسلمين قال أبو سفيان : إيه بَني الأَصْفَر ، فإذا كشفَهم المسلمون قال أبو سفيان : [من الخفيف]

وبَنُو الأَصفر الكرامُ ملوكُ الرّ ... وم لم يبـقَ منهـمُ مَذْكُـورُ

فلمّا فتح الله على المسلمين حدّثتُ أبي فقال : قاتله الله ؛ يأبَى إلاّ نِفاقاً ؛ أَوَلَسْنا خيراً له من بني الأصفر ؟ ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله ﷺ يقول : حدِّثهم ، فأحدِّثهم فيَعْجبون من نفاقه .

حدَّثني أحمد بن الجَعْد قال حدَّثني ابن حميد قال حدَّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفَّ بصرُه ، فقال : هل علينا من عَيْن ؟ فقال له عثمانُ : لا . فقال : يا عثمان ، إنّ الأمر أمرُ عالَميّة ، والملكَ ملكُ جاهليّة ، فاجعل أوتاد الأرضِ بَني أميّة .

حدَّثني محمَّد بن حَيّان الباهليّ قال حدَّثنا عمر بن عليّ الفَلاّس قال حدَّثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مِغْوَل عن أشعث بن أبي الشَّعْثاء عن مَيْسَرة الهَمْدانيّ عن أبي الأبجَر الأكبر قال : جاء أبو سفيان إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلّها ! فوالله لئن شئتَ لأملأنّها عليهم خيلاً ورَجْلاً . فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أبا سفيان ، طالما عادَيْتَ اللهَ ورسولَه ﷺ والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئاً ، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

أخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لمّا ولي أبو بكر قال : [من الطويل]

وأضحت قريش بعـد عـزّ ومَنْعةٍ ... خُضُوعاً لتَيْمٍ لا بضربِ القَواضبِ[1]
فيا لهفَ نفسي للذي ظَفِرتْ به ... ومـا زال منهـا فائزاً بالرّغائبِ

وحدَّثني أحمد بن الجعد قال حدَّثني محمَّد بن حُمَيد قال حدَّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : لمّا ولي عثمانُ الخلافةَ ، دخل عليه أبو سفيان فقال : يا معشر بني

1 هو تيم بن مرّة بن كعب ، وبه سُمّيتْ القبيلة التي ينتسب إليها أبو بكر الصديق .

أميّة ، إنّ الخلافةَ صارت في تَيْم وعَدِيّ[1] حتى طمِعَتْ فيها ، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تَلَقُّفَ الكُرَةِ ، فوالله ما من جنّة ولا نار هذا أو نحوه فصاح به عثمان : قُمْ عنّي فعل الله بك وفعل . ولأبي سفيان أخبارٌ من هذا الجنس ونحوه كثيرةٌ يطول ذكرُها ، وفيما ذكرتُ منها مَقْنَع .

[شعره في ابن مشكم حين نزل عليه في غزوة السويق]

والأبياتُ التي فيها الغِناء يقولها في سَلام بن مِشْكَم اليهوديّ ويُكنى أبا غُنْم ، وكان نزل عليه في غزوة السَّويق ، فقَرَاه وأحسنَ ضيافتَه . فقال أبو سفيان فيه : [من الطويل]

سقاني فرَوَّاني كُمَيْتاً مُدامةً ... على ظمأ منّي سَلامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُه أهلَ المدينة واحداً ... سواهم فلم أُغْبَن ولم أَتَنَدَّمِ
فلمّا تقضّى الليلُ قلتُ ولم أكن ... لأُفْرِحَه أَبْشِرْ بعُرف ومَغْنَمِ
وإنّ أبا غُنْم يجود ودارُه ... بيَثْرِبَ مأوى كلّ أبيضَ خِضْرَمِ[2]

1 هو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، وبه سُمّيتْ القبيلة التي ينتسب إليها عمر بن الخطّاب .

2 الخضرم : الجواد الكثير العطيّة وأصله البحر الكثير الماء .

[98] ـ ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيق ونزول أَبي سفيان على سَلام بن مِشْكَم

[خبر غزوة السويق ونزوله على ابن مشكم]

كانت هذه الغَزاةُ بعد وقعة بَدْر . وذلك أَنّ أَبا سفيان نَذَر أَلاّ يَمَسَّ رأسَه ماء من جَنابة ولا يشربَ خمراً حتى يغزو رسولَ الله ﷺ . فخرج في عِدّة من قومه ولم يصنع شيئاً ؛ فعيّرته قريشٌ بذلك وقالوا : إنّما خرجتم تشربون السَّوِيقَ ؛ فسُمِّيت غزوةَ السَّوِيق[1] .

حدَّثنا محمَّد بن جرير ، قرأْتُه عليه ، قال حدَّثنا محمَّد بن حُمَيْد قال حدَّثنا سَلَمة بن الفضل عن محمَّد بن إسحاق عن محمَّد بن جعفر بن الزُّبَير ويزيد بن رُومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أَعلَم الأَنصار ، قال : كان أَبو سفيان حين رجَع إلى مكّة ورجَع قبل قريش من بَدْر ، نذر أَلاّ يمسَّ ماء من جنابة حتى يغزوَ محمَّداً ﷺ . فخرج في مائتي راكب من قريش لِيُبِرّ يمينه ، فسلَك النَّجديّةَ حتى نزل بصدر قَناةٍ إلى جبل يقال له تيت (من المدينة على بريد أَو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أَتى بَني النَّضير تحت الليل ، فأَتى حُيَيّ بن أَخْطَب بيَثْرب فدقّ عليه بابَه فأَبى أَن يفتح له وخافه ؛ وانصرف إلى سَلاَم بن مِشْكم وكان سيّدَ بني النَّضِير في زمانه ذلك وصاحبَ كَنْزهم فاستأذن عليه فأَذِن له ، فقَراه وسقاه ونظر له خبرَ الناس . ثم خرج في عِقب ليلته حتى جاء أَصحابه ؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأَتَوْا ناحيةً منها يقال لها العُرَيْض ، فحرّقوا في أَصْوارٍ[2] من نخل لها ، وأَتوا رجلاً من الأَنصار وحليفاً له في حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فنذِر[3] بهم الناسُ ؛ فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى بلغ قَرْقَرة[4] الكُدْر ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أَبو سفيان وأَصحابُه ، وقد رأَوْا من مَزاوِد القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخفَّفُون منه للنَّجاء . فقال المسلمون حين رجَع بهم رسول الله ﷺ : أَنطمَع أَن تكون غزوةً ، قال «نعم» . وقد كان أَبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجاً من مكّة إلى المدينة أَبياتاً من شعر يحرِّض فيها قريشاً فقال : [من مجزوء الرجز]

---

1 السّويق : شراب يُتّخذ من الحنطة والشعير .
2 الصور : الجماعة من النخل .
3 نذر : علم .
4 قرقرة الكدر : موضع على ستّة أميال من خيبر .

كُــرّوا على يَثْرِب وجمعِهِمُ ... فإنّ مـا جمَّـوا لكم نَفَلُ
إن يكُ يــومُ القَلِيب كان لهم ... فإن مــا بعــده لكــم دَوَلُ
آليتُ لا أقــرَبُ النساءَ ولا ... يَمسّ رأسي وجلديَ الغُسُلُ
حتى تُبيدوا قبائلَ الأَوْسِ والـ ... ـخَزْرَج إن الفــؤادَ مُشْتعِلُ[1]

فأجابه كَعْبُ بن مالك :

يــا لَهْفَ أُمّ المسبِّحِين على ... جيش ابن حرب بالحَرّة الفَشِلِ[2]
أتَطرحون الرجال من سَنَم الظَّهـ ... ـر تَرَقَّـى في قُنّـة الجبلِ
جاءوا بجَمْعٍ لــو قِيس منزلُه ... مـا كان إلاّ كمُعْرَس الدُّئِلِ[3]
عارٍ مــن النصر والثراء ومِنْ ... نَجْدة أهــل البَطْحاء والأَسَلِ

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدَّثنا سليمان[4] بن سعد عن الواقِديّ : أن غَزْوة السَّوِيق كانت في ذي القعدة من سنة ثِنْتين من الهجرة .

[اشتدّ قيس بن الخطيم على حسّان وهم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسّان]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدَّثنا ابن سعد عن الواقِدِيّ عن أبي الزِّناد عن عبد الله بن الحارث قال : شرِب حسّان بن ثابت يوماً مع سَلام بن مِشْكَم ، وكان له نديماً ، معهم كعبُ بن أَسد وعبد الله بن أُبيّ وقيسُ بن الخَطيم ؛ فأَسرع الشرابُ فيهم وكانوا في مُوادَعةٍ وقد وضعت الحربُ أوزارَها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسّان : تَعالَ أُشارِبْك ؛ فتشارَبا في إناء عظيم فأَبقى حسّانُ من الإناء شيئاً ؛ فقال له قيس : اشرب . فقال حَسّان وعرَف الشرّ في وجهه : أَوَخَيْراً من ذلك أجعلُ لك الغَلَبَة . قـال : لا ، إلاّ أَن تشربه ؛ فأَبى حسّان . وقال له سَلاَم بن مِشْكم : يا أَبا يزيد ، لا تُكرِهه على ما لا يَشتَهي ، إنّما دعوتَه لإكرامه ولم تَدْعُه لتَسْتخِفّ به وتُسيِءَ مجالستَه . فقال لـه قيس : أفتدعـوني أنت على أن تُسيِيء مجالستي ؟ فقال له سَلام : ما في هذا سوء مجالسة ، وما حملتُ عليك إلاّ لأنّك منّي وأنّي حليفك ، وليست عليك غضاضةٌ في هذا ، وهذا رجلٌ من الخَزْرَج قد أَكرمتُه وأَدخلته منزلي ؛ فيجب أن تُكرم لي مَن أَكرمتُه . ولعمري إن في الصحو لَمّا تَكْتَفُون به من حروبكم ؛

1 تبيدوا في ل : تبيروا .
2 الفَشِل : الضعيف الجبان .
3 المعرس : الموضع الذي يعرس فيه أيّ ينزل القوم . الدئل : دويبة كالثعلب ، وقيل : هي شبيهة بابن عرس .
4 في ل : محمّد .

فافترقوا . وآلى سَلامُ بن مِشْكم على نفسه ألاّ يشرب سنةً ؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً .

صوت
من المائة المختارة

[من السريع]

مَــنْ مُبلغ عنّي أبــا كاملٍ　　　أنّي إذا ما غــاب كالهامِلِ
قــد زادني شوقاً إلى قربه　　　مَعْ ما بدا من رأيه الفاضِلِ

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لأبي كاملٍ . ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَش أنّ لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق
الدكتور إحسان عباس
الدكتور إبراهيم السعافين
الأستاذ بكر عباس

المجلد السابع

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

7

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعَة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعَة الثالثة

1429 هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Işphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[99] ـ أخبار الوليد بن يزيد ونسبه[1]

[نسبه]

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ، ويُكْنَى أبا العبّاس . وأُمّه أُمّ الحَجَّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عَقيل الثَّقَفِيّ ، وهي بنت أخي الحَجَّاج . وفيه يقول أبو نُخَيلة[2] : [من الرجز]

بين أبي العاصي وبين الحَجَّاجْ يا لَكُمَا نُـورًا سَراجٍ وَهَّاجْ
عليه بعـد عَمِّه عُقِد التَّاجْ

وأُمّ يزيدَ بن عبد الملك عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حَرْبْ بن أُميّة . وأُمّها أُمّ كُلْثوم بنت عبد الله بن عامر . وأُمّ عبد الله بن عامر أُمّ حَكيم البَيْضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ؛ ولذلك قال الوليد بن يزيد[3] : [من الطويل]

نَبِيُّ الهُدَى خالي ومن يَكُ خالُه نبيَّ الهُدى يَقْهَرْ بـه من يُفاخرُ

[كان شاعراً خليعاً مرمياً بالزندقة]

وكان الوليد بن يزيد من فِتْيان بني أُميَّة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأَشِدَّائهم ، وكان فاسقاً خليعاً متَّهماً في دينه مرميّاً بالزندقة ؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقُتل . وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره . ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ، ويقول : إنّه نُحِلَه وأُلْصِقَ إليه . والأغلب الأشهر غير ذلك .

[ولاية العهد بعد هشام]

أخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيُّوب القُرَشيّ وجُوَيْرِيَةَ بن أسماء وعامر بن الأسود والمِنْهالِ بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك وسُحَيْم بن حَفْص وغيرهم : أن يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوشَ إلى يزيد بن المهلّب

---

1 ترجمة الوليد بن يزيد في المصادر التاريخية التي تتناول فترة الدولة الأموية : تاريخ الطبري (7 : 209–262) ، والكامل لابن الأثير (5 : 287–298) ، والمسعودي (مروج الذهب : 2236–2253) ، والتنبيه والإشراف (325–333) ، ونهاية الأرب (21 : 473–487) . وقد جمع شعره غابريلي ، دار الكتاب الجديد ؛ وأيضاً جمع د . واضح الصمد ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ومنه نشير .

2 سيترجم أبو الفرج لأبي نخيلة فيما بعد .

3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 45 .

وعقَد لَمسْلَمةَ بن عبد الملك على الجيش وبعث العبّاسَ بن الوليد بن عبد الملك وعقَد له على أهل دمَشْق ، قال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إنّ أهل العراق أهلُ غَدْرٍ وإرْجَافٍ ، وقد وجهتَنا محاربين والأحداثُ تحدُث ، ولا آمَنُ أن يُرْجِفَ أهلُ العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ولم يعهَد ، فيَفُتُّ ذلك في أعضاد أهل الشام ؛ فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ! قال : غداً . وبلغ ذلك مَسْلَمَةَ بن عبد الملك ، فأتى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، أيُّما أحبُّ إليك : ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولدُ عبد الملك . قال : أفأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابنُ أخيك ؟ قال : إذا لم تكن في ولدي فأخي أحقُّ بها من ابن أخي . قال : فابنُكَ لم يَبْلُغ ، فبايعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام ، قال : والوليدُ يومئذ ابن إحْدَى عشرةَ سنة ، قال : غداً أبايعُ له . فلما أصبح فعل ذلك وبايعَ لهشام ، وأخذ العهدَ عليه ألاّ يَخْلَعَ الوليدَ بعده ولا يغيِّر عهدَه ولا يحتالَ عليه . فلما أدرك الوليدُ نَدِم أبوه ، فكان ينظر إليه ويقول : اللهُ بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك . وتُوفّي يزيد سنةَ خمسٍ ومائةٍ وابنُه الوليد ابنُ خمسَ عشرةَ سنة . قالوا : فلم يزل الوليد مكرَّماً عند هشام رفيعَ المنزلة مدّة ، ثم طمِع في خَلْعه وعقدِ العهدِ بعده لابنه مَسْلَمة بن هشام ، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتهتُّكَه وإدمانَه على الشراب ، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به ، وولاّه الحَجَّ ليظهَرَ ذلك منه بالحرمين فيسقُطَ ؛ فحجَّ وظهر منه فعلٌ كثير مذموم ، وتشاغَل بالمغنّين وبالشّرّاب ، وأمر مولىً له فحجَّ بالناس . فلمّا حجَّ طالبه هشامٌ بأن يخلع نفسَه فأبى ذلك ؛ فحرمه العطاء وحَرَم سائرَ مَوَاليه وأسبابَه وجفاه جفاء شديداً . فخرج مُتبدِّياً[1] وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه ، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشامٌ الناسَ إلى خلعه والبَيْعةِ لَمسْلمة بن هشام ، وأُمُّه أمّ حكيم بنت يحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي . وكان مَسْلَمةُ يُكْنى أبا شاكر ؛ كُني بذلك لمولًى كان لمروان يُكْنى أبا شاكر ، كان ذا رأيٍ وفضلٍ وكانوا يعظِّمونه ويتبركون به ، فأجابه إلى خَلْع الوليد والبيعة لَمسْلمة بن هشام محمدٌ وإبراهيمُ ابنا هِشام بن إسماعيل المَخزوميّ والوليدُ وعبد العزيز وخالد بن القَعقاع بن خُوَيْلد العَبْسيّ وغيرُهم من خاصّة هشام . وكتب إلى الوليد : ما تَدَع شيئاً من المنكر إلا أتيتَه وارتكبتَه غيرَ مُتْحاشٍ ولا مستترٍ ، فليت شعري ما دِينُك ؟ أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب إليه الوليد بن يزيد ، ويقال : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأَعْلى ونَحَله إيّاه : [من السريع]

1 التبدي : سكنى البادية بعد الحاضرة وقد عدّه النبيّ من الكبائر .

صوت

يـا أَيُّها السائـلُ عن دِيننا نحن على ديـن أبي شاكرِ
نشرَبُها صِرْفـاً وممزوجةً بالسُّخْـنِ أحياناً وبالفاتِرِ

غنّاه عمرُ الوادِي رَمَلاً بالبنصر، فغضب هشام على ابنه مسلمة، وقال: يعيِّرني بك الوليدُ وأنا أرشِّحك للخلافة! فالْزَم الأدبَ، وأحضُر الصلوات. وولاّه المَوْسَم سنةَ سبع عشرةَ ومائة، فأظهر النُّسْكَ وقسَم بمكّة والمدينة أموالاً. فقال رجل من موالي أهل المدينة: [من السريع]

يـا أيُّها السائـلُ عن دِيننا نحن على دين أبـي شاكرِ
الواهـب البُزْلَ بـأَرْسانِها ليس بزنديـقٍ ولا كافرِ

قال المدائنيّ: وبلغ خالداً القَسْريَّ ما عزمَ عليه هشام، فقال: أنا بريء من خليفة يُكْنَى أبا شاكر؛ فبلغتْ هشاماً عنه هذه، فكان ذلك سببَ إيقاعه به.

[تساب هو والعباس بن الوليد في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِيُّ المؤدِّب قال حدّثني أبي عن العباس بن هشام قال: دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلسَ هشام بن عبد الملك وقد كان في ذِكْره قبل أن يدخل، فحمَّقَه من حضَر من بني أُميَّة. فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد: كيف حبُّك يا وليد للروميّات، فإنّ أباك كان بهنّ مشغوفاً؟ قال: إني لأُحِبهنّ؛ وكيف لا أحبهنّ ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهَجين مثلك، وكانت أُمّ العباس روميّة، قال: اسكتْ فليس الفحلُ يأتي عَسْبُهُ بمثلي؛ فقال له الوليد: اسكتْ يا ابنَ البَظْراء! قال: أتفخَر عليّ بما قُطِع من بَظْر أمك. وأقبل هشام على الوليد فقال له: ما شَرَابُك؟ قال: شَرَابُك يا أمير المؤمنين؛ وقام مغضَباً فخرج. فقال هشام: أهذا الذي تزعمون أنّه أحمقُ! ما هو أحمق، ولكني لا أظنّه على الملّة.

[عبثه بوجوه بني أمية في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدَائنيّ قال: دخل الوليد بن يزيد مجلسَ هشام بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزُّبير مولى مَرْوان وليس هشام حاضراً؛ فجلس الوليدُ مجلسَ هشامٍ، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له: من أنت؟ وهو به عارف؛ قال: سعيد ابن أمير المؤمنين؛ قال: مرحباً بك. ثم نظر إلى أبي الزبير فقال: من أنت؟ قال: أبو الزبير مولاك أيها الأمير؛ قال: أَنِسْطَاسٌ أنت؟ مرحباً بك. ثم قال لإبراهيم بن هشام: مـن أنـت؟ قال: إبراهيم بن هشام. قال: مَنْ إبراهيم بن هشام؟ وهو

يعرفه ؛ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . قال : مَنْ إسماعيل ؟ وهو يعرفه ؛ قال : إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغِيرة . قال : مَنْ الوليد بن المغيرة ؟ قال : الذي لم يكن جدُّك يُرَى أنه في شيء حتى زوَّجه أبي وهو بعضُ ولدِ ابنته . قال : يا ابن اللَّخْناء ! أتقول هذا ! وائتخذا[1] . وأقبل هشامٌ ؛ فقيل لهما : قد جاء أميرُ المؤمنين ، فجلسا وكفَّا . ودخل هشامٌ ؛ فما كاد الوليد يتنحَّى له عن صدر مجلسه ، إلاّ أنّه زحَل له قليلاً ؛ فجلس هشام وقال له : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالحٌ . قال : ما فعلتْ بَرَابِطُك ؟ قال : مُعْمَلَة أو مُسْتعملة . قال : فما فعل ندماؤك ؟ قال : صالحون ، ولعنَهم اللهُ إن كانوا شرّاً ممّن حضرَك ؛ وقام ؛ فقال له هشام : يا ابن اللَّخْناء ! جئوا عنقَه ؛ فلم يفعلوا ودفعوه رُوَيْداً . فقال الوليد[2] : [من الطويل]

أنا ابنُ أبي العاصي وعثمانُ والدي ... ومروانُ جَـدِّي ذو الفَعَال وعامرُ
أنا ابنُ عظيـم القريتـين وعِزِّها ... ثَقِيـفٌ وفِهْـرٌ والعُصَاةُ الأكابرُ[3]
نَبِيُّ الهُدى خالي ومن يَكُ خالُـه ... نبيَّ الهُـدَى يَقْهَر بـه من يُفاخرُ

[رثاء مسلمة بن عبد الملك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : كان هشام بن عبد الملك يُكْثِر تَنَقُّصَ الوليد بن يزيد ؛ فكان مَسْلمةُ يعاتب هشاماً ويَكُفّه ؛ فمات مَسْلمةُ ؛ فغُمَّ الوليدُ ورثاه فقال[4] : [من المتقارب]

صوت

أتانـا بَريـدانِ من واسِطٍ ... يَخُبَّـانِ بـالكُتُب المُعْجَمَهْ
أقولُ ومـا البعدُ إلاّ الرَّدَى ... أَمَسْلَـمُ لا تَبْعَـدَنْ مَسْلَمَهْ
فقد كنتَ نوراً لنا في البلاد ... تُضِيء فقد أصبحتْ مُظْلِمَهْ
كَتَمْنا نَعِيَّك نَخْشَى اليقينَ ... فجَلَّى اليقينُ عن الجَمْجَمَهْ
وكم مـن يَتيـم تلافيتَـه ... بأرض العـدوّ وكم أيِّمَـهْ
وكنتَ إذا الحربُ دَرَّتْ دَماً ... نصبْتَ لهـا رايةً مُعْلَمَـهْ

غنّى في هذه الأبيات التي أوّلها :

---

1 ائتخذا : تصارعا .
2 ديوان الوليد : ص 46 ، رقم 45 .
3 القريتان : مكّة والطائف .
4 ديوان الوليد : ص 78 ، رقم 87 .

أقــول ومــا البعدُ إلاّ الرَّدَى

يونسُ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشاميّ أنّ فيه ثقيلاً أوّلَ يُنسَب إلى أبي كامل وعمر الوادِي . وذكر حَبَش أن ليونُسَ فيه رَمَلاً بالبِنْصَر .

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العَلاَء قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني موسى بن زُهير بن مُضَرّس بن مَنْظُور بن زبّان بن سَيَّار عن أبيه قال : رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم تُوفِّي مسلمةُ بن عبد الملك وهشامٌ في شُرطَته ، إذ طلع الوليدُ بن يَزيد على الناس وهو نَشْوَانُ يَجُرُّ مِطْرَفَ خزٍّ عليه ؛ فوقف على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عُقْبَى من بقِي لحوقُ من مضَى ؛ وقد أَقْفَر بعد مَسْلمةَ الصيدُ لمن يرى ، واختلَّ الثغرُ فوَهَى ، وعلى أَثَرِ مَنْ سَلَف يمضي من خَلَف ؛ فتزوّدوا ، فإنّ خير الزاد التَّقْوى . فأعرض عنه هشامٌ ولم يَرُدّ[1] جواباً ؛ ووجَمَ الناسُ فما همَس أحدٌ بشيء . قال : فمضى الوليد وهو يقول[2] : [من الوافر]

أَهيْنَمَةٌ حَديثُ القومِ أم هُمْ ... سُكُوتٌ بعدَ ما مَتَع النهارُ[3]

عَزيــزٌ كان بَينَهــمُ نبيّــاً ... فقَولُ القومِ وَحْيٌ لا يُحارُ

كأنّا بعــد مَسْلَمَةَ المُرجَّى ... شُرُوبٌ طوَّحتْ بهمُ عُقَارُ

أَوُ آلأَفٌ هِجَانٌ في قيــودٍ ... تَلفَّــتُ كلّما حَنّتْ ظُؤارُ[4]

فليتَك لم تَمُتْ وفَدَاك قومٌ ... تُرِيح غبيَّهم عنّــا الدِّيَــارُ

سَقيمُ الصَّدْرِ أو شَكِسٌ نَكِيدٌ ... وآخــرُ لا يَزورُ ولا يُــزَارُ

يَعني بالسَّقِيم الصدر يزيدَ بن الوَليد ، ويعني بالشَّكِس هشاماً ، والذي لا يزور ولا يُزار مروان بن محمد .

[هشام يحاول خلعه من ولاية العهد]

قال الزُّبَير وحدّثني محمد بن الضَّحّاك عن أبيه قال : أراد هشام أن يخلَع الوليد ويجعل العهدَ لولده ؛ فقال الوليد[5] : [من الطويل]

كفرتَ يداً من مُنْعِمٍ لو شكرتَها ... جَزَاك بها الرحمنُ ذو الفَضْل والمَنِّ

1 ل : يحر .

2 ديوان الوليد : ص 44 ، رقم 43 .

3 الهينمة : الكلام الخفيّ غير المفهوم . ومتع النهار : طال وامتدّ .

4 ظؤار : جمع ظئر وهي الناقة التي تعطف على غير ولدها .

5 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 98 بترتيب مختلف .

رأيتك تَبْنــي جاهــداً في قَطِيعتي ولو كنتَ ذا حَزْم لهدّمتَ ما تَبْني
أراك على الباقــين تَجْنــي ضَغِينةً فيا وَيْحَهم إن مُتَّ من شَرِّ ما تَجْني [1]
كأنّي بهــم يومــاً وأكثرُ قولِهم أيا ليتَ أنّا ، حين ، يا ليت ، لا تُغْني [2]

[أمر هشام بطرد عبد الصمد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدائنيّ قال : عَتَب هشام على الوليد وخاصَّته . فخرج الوليد ومعه قوم من خاصَّته ومواليه فنزل بالأُبْرَق بين أرض بُلْقَيْن وفَزارة على ماء يقال له الأَغْدَف ، وخلّف بالرصافة كاتبَه عِياضَ بن مُسْلِم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدُث ، وأخرج معه عبدَ الصمد بن عبد الأعلى . فشربوا يوماً ، فقال له الوليد : يا أبا وَهْب ، قل أبياتاً نُغَنّي فيها ؛ فقال أبياتاً ، وأمَر عمرَ الوادي فغَنَّى فيها وهي : [من المتقارب]

صوت

ألَـمْ تَـرَ للنَّجْــم إذ سَبَّعــا يُبَــادِر في بُـرْجِــه المَرْجِعَا
تحيَّــر عــن قَصْد مَجْراتِـــه إلى الغَـــوْرِ والتمس المَطْلَعَا
فقلــتُ وأعجبنـــي شأنُـــه وقـد لاح إذ لاح لي مُطمِعا
لعــلَّ الوليــدَ دنا ملكُــه فأمسى إليــه قــد استجمَعا
وكنّــا نؤمِّـــل في مُلْكـــه كتأميل ذي الجَدْب أن يُمْرِعا
عَقَدْنا لــه مُحْكَماتِ الأمــو رِ طَوْعــاً وكان لهــا مَوْضِعا

فرُوِي هذا الشعرُ ، وبلغ هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يُجْرِي عليه وعلى أصحابه وحرَمهم ؛ وكتب إلى الوليد : قد بلَغني أنك اتّخذتَ عبدَ الصمد خِدْناً ومحدِّثاً ونديماً ؛ وقد حقَّق ذلك ما بلغني عنك ، ولن أُبرّئكَ من سوء ؛ فأخْرِج عبدَ الصمد مذموماً . قال : فأخرجه الوليدُ وقال[3] : [من الوافر]

لقد قذَفوا أبا وَهْبٍ بأمرٍ كبيرٍ بل يزيد على الكبيرِ
وأشهَدُ أنهم كذَبـوا عليه شهادةَ عالـمٍ بهـمُ خبيرِ

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد ، واعتذر إليه من منادمته ، وسأله أن

1 الشطر الأول في الديوان : تثير على الباقين مجنى ضغينة .
2 الشطر الثاني في الديوان : ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغني .
3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 46 .

يأذَن لابن سُهَيْل في الخروج إليه ، وكان من خاصّة الوليد ، فضرب هشامٌ ابنَ سهيل ونفاه وسيَّره . وكان ابنُ سهيلٍ من أهل النَّباهةِ ، وقد وَلِي الولاياتِ ، ولي دمَشْقَ مراراً وولي غيرَها ، وأخذ عِيَاضَ بن مُسْلِم كاتبَ الوليد فضربه ضرباً مبرِّحاً وألبسه المُسُوحَ وقيَّده وحبسه ، فغَمّ ذلك الوليدَ فقال : من يثق بالناس ؟ ومن يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبي على ولده وأهل بيته وولاّه وهو يصنَع بي ما تَرَوْن ، ولا يعلم أنّ لي في أحدٍ هَوًى إلاّ أَضَرّ به ؛ كتب إليّ بأن أُخرِجَ عبدَ الصمد فأخرجتُه ، وكتبتُ إليه في أن يأذَن لابن سُهَيل في الخروج إليّ فضربَه وطَرده وقد علم رأيي فيه ؛ وعرَف مكانَ عِياضٍ منّي وانقطاعَه إليّ فضربَه وحبَسه ، يُضارُّني بذلك ؛ اللهمّ أجِرْني منه . ثم قال الوليد[1] : [من البسيط]

صوت

أنا النَّذيــرُ لُمسْدِي نعمــةٍ أبداً ... إلى المَقاريــفِ لَمّا يَخْبُرِ الدَّخَلاَ[2]
إن أنتَ أكرمتَهــم ألفيتَهم بَطِروا ... وإن أهنتَهمُ ألفيتهـــــم ذُلُــلا
أتشمَخُون ومنّــا رأسُ نعمتكــم ... ستعلَمــون إذا أبصرتُــمُ الدُّوَلا
انْظُــرْ فإن أنت لم تقــدِر على مَثَلٍ ... لهم سِوَى الكلبِ فاضربْه لهم مَثَلا
بَيْنَــا يسمِّنــه للصيــــد صاحبُه ... حتى إذا ما استوى من بعد ما هُزِلا
عــدا عليــه فلــم تَضْرُره عَدْوتُه ... ولو أطــاق لــه أكلاً لقد أكلا

غنّاه مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ من رواية الهشاميّ :

[فخره على هشام]

قال : وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام[3] : [من البسيط]

صوت

أنا الوليدُ أبو العباس قــد علِمتْ ... عُلْيــا مَعَــدٍّ مَدَى كَرِّي وإقْدامي
إني لَفــي الذِّروةِ العُليا إذا انتسبوا ... مُقَابَــلٌ بــين أخــوالي وأعمامي
بَنى ليَ المجدَ بانٍ لم يكن وكِلاً ... على مَنــارٍ مُضيئــاتٍ وأعــلامِ
حللتُ من جوهر الأَعْياص قد علِموا ... في باذخ مشمخرٍّ العــزّ قَمْقامِ

1 ديوان الوليد : ص 66 ، رقم 70 .
2 المقاريف : الأنذال . لما في الديوان : ما لم .
3 ديوان الوليد : ص 81 ، رقم 92 عن الأغاني .

صَعْبِ المَرام يُسامي النَّجمَ مطلعُه يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حرب قال حدّثني مصعَب الزُّبَيريّ قال : بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويتَه فأنشده قوله : [من البسيط]

أنا الوليد أبو العباس قد علِمتْ عُليا مَعَدّ مَدَى كَرّي وإقدامي

فقال هشام : والله ما علِمتْ له مَعَدٌّ كرّاً ولا إقداماً ، إلاّ أنّه شرِب مرّة مع عمّه بَكّار بن عبد الملك فعَرْبَد عليه وعلى جواريه ؛ فإن كان يَعْني ذلك بكرّه وإقدامه فعسى .

[عابه هشام والزهري فحقد عليهما]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حُدِّثت أنّ أبا الزِّنَاد قال : دخلتُ على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهْرِيّ وهما يَعيبانِ الوليدَ ، فأعرضتُ ولم أدخل في شيء من ذكره . فلم ألبَثْ أن استُؤْذن للوليد فأذِن له ، فدخل وهو مُغْضَبٌ فجلس قليلاً ثم نهض . فلما مات هشام ووليِ الوليدُ كتب إلى المدينة فحُمِلتُ فدخلتُ عليه ؛ فقال : أتذكر قولَ الأحول والزهريّ ؟ قلتُ : نعم ، وما عَرَضتُ في شيء من أمرك ؛ قال : صدقتَ ؛ أتدري من أبلغني ذلك ؟ قلت لا ؛ قال : الخادم الواقف على رأسه ، وايم اللهِ لو بَقِي الفاسقُ الزهريّ لقتلتُه . ثم قال : ذهب هشام بعمري ؛ فقلت : بل يُبْقيك اللهُ يا أمير المؤمنين ، وقام وصلّى العصر . ثم جلس يتحدّث إلى المغرب ثم صلّى المغرب ودعا بالعشاء فتعشّيت معه ثم جلس يتحدّث حتى صلّى العَتَمةَ ، ثم تحدّثْنا قليلاً ثم قال : اسقِينني فأتينه بإناء مغطًّى ، وجاء جَوَار فقُمْنَ بيني وبينه فشرب وانصرفن ؛ ومكث قليلاً ثم قال : اسقِينني ففعلن مثلَ ذلك . وما زال والله ذلك دأبَه حتى طلع الفجرُ ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً .

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مصعَب عن أبي الزِّناد قال : أجمع الزُّهْريُّ على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولي الوليدُ بن يزيد ؛ فمات الزهريّ قبل ذلك .

قال المدائنيّ : وبلغ الوليدَ أنّ العباس بن الوليد وغيرَه من بني مروان يَعيبونه بالشّراب ؛ فلعنهم وقال : إنّهم ليَعيبون عليّ ما لو كانت لهم فيه لذّةٌ ما تركوه ، وقال هذا الشعر ، وأمر عمرَ الوادي أن يغنّي فيه ، وهو من جيّد شعره ومُختاره . وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي غيرَ مجنَّسٍ : [من الكامل]

صوت

ولقد قضيتُ وإن تَجَلَّل لِمّتي ... شيب على رغم العِدَا ، لذَّاتي[1]
مـن كاعباتٍ كالدُّمَى ومَناصِفٍ ... ومراكـبٍ للصيد والنَّشَواتِ[2]
في فِتيةٍ تأبـى الهـوانَ وجوهُهم ... شُمٌّ الأنوف جحاجح ساداتِ
إن يَطلبوا بِتراتِهم يُعْطَوْا بهـا ... أو يُطلَبـوا لا يُدْرَكـوا بتراتِ

[بينه وبين هشام]

حدّثني[3] المِنْهال بن عبد الملك قال : كتب الوليد إلى هشام : «قد بلغني ما أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قطع عنّي ومَحْو من محا من أصحابي ، وأنّه حَرَمني وأهلي . ولم أكن أخاف أن يبتلي اللهُ أمير المؤمنين بذلك فيّ ولا ينالني مثلُه منه ، ولم يبلغ استصحابي لأبن سُهيل ومسألتي في أمره أن يَجْري عليّ ما جرى . وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين ، فبحَسْب العَيْر أن يقرُب من الذئب . وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبّب لي من الرزق ما لا يقدِر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنّي دون مدّته ولا صَرْفِه عن مواقعه المحتومة له . فقدَرُ الله يجري على ما قدّره فيما أحبّ الناسُ وكرِهوا ، لا تعجيلَ لآجلِه ولا تأخير لعاجله ؛ والناسُ بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يَستوجبون العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحقٌّ بالنظر في ذلك والحفظِ له . والله يوفّق أميرَ المؤمنين لطاعته ، ويُحسن القضاءَ له في الأمور بقدرته . وكتب إليه الوليد في آخر كتابه[4] : [من الطويل]

أليس عظيماً أن أرى كلَّ واردٍ ... حِياضَك يوماً صادراً بالنّوافلِ
فأرْجِـعَ محمودَ الرَّجاء مصرَّداً ... بتحلِئةٍ عـن وِرْد تلك المناهلِ
فأصبحتُ مما كنتُ آمُلُ منكُم ... وليس بلاقٍ مـا رجا كلُّ آملِ
كمُقْتَبِضٍ يوماً على عُرْض هَبْوةٍ ... يَشُدُّ عليهـا كفَّه بالأناملِ[5]

فكتب إليه هشام : «قد فهم أمير المؤمنين مـا كتبتَ به من قطْع ما قطع وغير ذلك . وأميرُ المؤمنين يستغفر اللهَ من إجرائه ما كان يُجري عليك ، ولا يتخوّف على نفسه اقترافَ

1 ديوان الوليد : ص 24 ، رقم 14 .
2 الديوان : ونواصف (طبعة دار الكتاب الجديد) .
3 قارن نصّ الكتابين بما جاء في الطبريّ .
4 ديوان الوليد : ص 69 ، رقم 73 عن الأغاني .
5 الهبوة : الغبرة .

المآثم في الذي أحدث مِنْ قطع ما قطع ومحو مَنْ محا مِنْ صحابتِك ، لأمرين : أمّا أحدهما فإنّ أمير المؤمنين يعلم مواضعَك التي كنتَ تصرِف إليها ما يُجْريه عليك . وأما الآخرُ فإثبات صحابتك وأرزاقُهم دارَّةٌ عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البُعوثِ عليهم وهم معك تَجولُ بهم في سَفَهك . وأميرُ المؤمنين يرجو أن يكفِّر اللهُ عنه ما سلَف من إعطائه إيّاك باستئنافه قَطْعَه عنك . وأما ابنُ سُهَيل ، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً . وهل زاد ابنُ سُهَيل ، لله أبوك ، على أن كان زَفّاناً[1] مغنّياً قد بلغ في السَّفَه غايته ! وليس مع ذلك ابنُ سهيل بشَرٍّ ممّن كنتَ تستصحبُه في الأمور التي ينزه أميرُ المؤمنين نفسَه عنها مما كنتَ لعَمْري أهلاً للتوبيخ فيه . وأما ما ذكرتَ ممّا سبَّبه الله لك ، فإن الله قد ابتدأ أميرَ المؤمنين بذلك واصطفاه له ، والله بالغ أمره . ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلاّ أنه لا يملِك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضَرّاً ولا نفعاً ، وإنّ الله وَليّ ذلك منه وإنه لا بدّ له من مفارقته ، وإنّ الله أرأفُ بعباده وأرحمُ من أن يولّي أمْرَهم غيرَ من يَرْتضيه لهم منهم . وإنّ أمير المؤمنين مع حسن ظنّه بربّه لعلى أحسنِ الرجاء لأن يولّيه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرِّضا به لهم ؛ فإنّ بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغَه ذكرُه أو يوازيَه شكره إلاّ بعونٍ منه . ولئن كان قد قَدّر الله لأمير المؤمنين وفاةَ تعجيلٍ ، فإن في الذي هو مُفْضٍ وصائرٌ إليه من كرامة الله لَخَلَفاً من الدنيا . ولعمري إن كتابك لأمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مُسْتنكَرٍ من سَفَهك وحُمْقك ، فأبْقِ على نفسك وقصِّر من غُلَوائها وارْبَعْ على ظَلْعِك[2] ؛ فإنّ لله سَطَواتٍ وغِيَراً يصيبُ بها من يشاء من عباده . وأميرُ المؤمنين يسأل اللهَ العصمةَ والتوفيقَ لأحبِّ الأمور إليه وأرضاها له . وكتب في أسفل الكتاب : [من الطويل]

إذا أنتَ سامحتَ الهوى قادك الهوى ... إلى بعض ما فيه عليك مقالُ

والسلام» .

[تبشيره بالخلافة بعد موت هشام]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ؛ وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة عن المدائني عن جُوَيريةَ بن أسماء عن المِنْهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيّوب كلّهم عن أبي الزُّبَير المنذِر بن عمرو ، قال : وكان كاتباً للوليد بن يزيد ، قال : أرسل إليّ الوليدُ صَبيحةَ اليوم الذي أتته فيه الخلافةُ فأتيتُه ؛ فقال لي : يا أبا الزُّبَير ، ما

1 الزفان : الراقص .

2 المثل اربع على ظلعك ويروى «ارق على ظلعك»في مجمع الميداني 1 : 293 ، وفصل المقال : 456 ومستقصى الزمخشري 1 : 142 .

أتت عليّ ليلةٌ أطولُ من هذه الليلة ، عَرَضَتْني أمورٌ وحدّثتْ نفسي فيها بأمور ، وهذا الرجل قد أُولِع بي ، فاركبْ بنا نتنفَّس . فركِب وسرتُ معه ، فسار ميلين ووقف على تَلّ فجعل يشكو هشاماً ، إذ نظر إلى رَهْج[1] قد أقبل ، قال عمر بن شَبّة في حديثه ، وسمع قَعْقعةَ البَريد ، فتعوّذ بالله من شرّ هشام ، وقال : إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وحِيٍّ[2] أو بمُلك عاجل . فقلتُ : لا يسوءك اللهُ أيها الأمير بل يسرُّك ويُبقيك ، إذ بدا رجلانِ على البريد يُقبِلان ، أحدُهما مولًى لآل أبي سفيان بن حَرْب ؛ فلما قرُبا رأيا الوليدَ فنزلا يَعْدُوان حتى دَنوَا فسلَّما عليه بالخلافة فوجَم ، وجعلا يكرران عليه التسليمَ بالخلافة ؛ فقال : وَيْحكم ! ما الخبر ؟ أمات هشام ؟ قالا نعم ؛ قال : فمرحباً بكما ! ما معكما ؟ قالا : كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن ؛ فقرأ الكتابَ وانصرفنا . وسأل عن عِيَاض بن مُسْلِم كاتِبه الذي كان هشام ضربه وحبسه ، فقالا : يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمرُ الله ، فلمّا صار إلى حالٍ لا تُرْجَى الحياةُ لمثله معها ، أرسل عياضٌ إلى الخُزَّان : احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلَنّ أحدٌ إلى شيء . وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فمُنِعَه ، فقال : أرانا كنّا خُزّاناً للوليد ؛ وقضى من ساعته . فخرج عياضٌ من السجن ساعةَ قَضَى هشامٌ ، فختم الأبوابَ والخزائن ؛ وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفنوه من الخزائن ، فكفّنه غالبٌ مولى هشام ، ولم يجدوا قُمْقُماً[3] حتى استعاروه . وأمر الوليدُ بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك ؛ فقال الوليد : ما أُراه إلاّ قد نجا ؛ فقال له يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير وأخوه عبد الله : إن الله لم يجعل قبر أبيك مَعَاذاً للظالمين ، فخُذْه بردِّ ما في يده من مال الله ؛ فقال : صدقتَ ، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وكتب إليه أن يَبْسُط عليهما العذابَ حتى يَتْلَفا ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضَوْا منه المظالمَ .

وقال عمر بن شَبّة في خبره : إنّه لّما نعي له هشام قال : والله لأتلقّينَ هذه النعمةَ بسَكْرة قبل الظهر ؛ ثم أنشأ يقول[4] : [من الخفيف]

طاب يومي ولذّ شربُ السُّلاَفه ... إذ أتاني نَعيُّ من بالرُّصَافَــهْ

1 رهج : غبار .

2 الوحي : السريع .

3 القمقم : وعاء من نحاس يسخن فيه الماء .

4 ديوان الوليد : ص 58 ، رقم 61 .

وأتانا البريدُ ينعَى هشاماً ... وأتانا بخاتَم للخلافهْ
فاصطبحنا من خمر عانَةَ صِرْفاً ... وَلَهَوْنا بقَيْنةٍ عَزّافهْ

ثم حلَف ألاّ يبرحَ موضعَه حتى يُغنَّى في هذا الشعر ويشربَ عليه ؛ فغُنِّي له فيه وشرب وسكر ، ثم دخل فبويع له بالخلافة .

قال : وسَمِع صياحاً ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا من دار هشام يبكيه بناتُه ؛ فقال[1] : [من المجتث]

إني سمعتُ بليلٍ ... وَرَا المُصلَّى برَنَّهْ[2]
إذا بناتُ هشامٍ ... يندُبْنَ والدَهُنّهْ
يندُبْنَ قَرْماً جَليلاً ... قد كان يَعْضُدُهنّهْ[3]
أنا المخنَّث حقّاً ... إن لم أُنِيكَنْهُنَّهْ

وقال المدائنيّ في خبر أحمد بن الحارث : وشرِب الوليد يوماً ، فلمّا طابت نفسُه تذكّر هشاماً ، فقال لعمر الوادي غنِّني :

إنّي سمعتُ بليلٍ ... وَرَا المصلَّى برَنّهْ

فغنّاه فيه ، فشرب عليه ثلاثةَ أرطال ، ثم قال : والله لئن سمعه منك أحد أبداً لأقتلنّك . قال : فما سُمع منه بعدها ولا عُرف .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

طاب يومي ولَذَّ شُرْبُ السُّلاَفه ... إذ أتانا نَعِيُّ مَن في الرُّصافَهْ

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو غسّان قال قال حَكَم الوادي كنّا عند الوليد بن يزيد وهو يشرب ، إذ جاءنا خَصيٌّ فشَقَّ جيبَه وعزّاه عن عمّه هشام وهنّأه بالخلافة وفي يده قضيب وخاتَم وطُومار[4] ؛ فأمسكنا ساعةً ونظرنا إليه بعين الخلافة ؛ فقال : غَنُّوني ، غنِّياني : قد طاب شربُ السلافه . . . البيتين ؛ فلم نزل نغنّيه بهما الليلَ كلّه .

---

1 ديوان الوليد : ص 84 ، رقم 96 .
2 صدر البيت الأول في الديوان : إنّي سمعت خليلي (طبعة دار الكتاب الجديد) .
3 صدر البيت في الديوان : يندبن شيخاً كبيراً (طبعة دار الكتاب الجديد) .
4 طومار : صحيفة .

[سؤال الرشيد عنه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبتُ أتزحزح ، فقال : إنّ أمير المؤمنين لا يُنكر ما تقول فقُلْ ؛ قلت : كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس . فقال : أتَرْوي من شعره شيئاً ؟ قلتُ : نعم ، دخلت عليه مع عُمومتي وفي يده قَضيب ولي جُمّةٌ فَيْنانة فجعل يُدخل القضيبَ في جُمّتي وجعل يقول : يا غلام ، ولدتْك سُكّر (وهي أُمّ ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال : فسمعته يومئذ يُنشد[1] : [من السريع]

ليتَ هشاماً عاش حتى يرى ... مكيالَه الأوفرَ قد أُتْرِعا[2]
كِلْنا له الصاعَ التي كالَها ... فما ظلمناه بها أصْوُعا
لم نأتِ ما نأتيه عن بدعة ... أحلّه القرآن لي أجمعا[3]

قال : فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت .

وللوليد أشعار جِيادٌ فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان . فمنها ، وهو ما برّز فيه وجوده وتبِعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه ، قوله في صفة الخمر ، أنشدنيه الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فَهْم قال أنشدني عمر بن شَبّة قال أنشدني أبو غَسّان محمد بن يحيى وغيره للوليد . قال : وكان أبو غَسّان يكاد يرقص إذا أنْشدها[4] : [من المنسرح]

إصدَعْ نجيَّ الهموم بالطربِ ... وانعَمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبلِ العيشَ في غَضارته ... لا تَقْفُ منه آثارَ معتقِبِ
من قهوةٍ زانها تقادُمها ... فهي عجوز تعلو على الحِقبِ
أشهى إلى الشَّرْب يوم جَلْوتها ... من الفتاة الكريمة النّسبِ
فقد تجلّت ورَقّ جوهرها ... حتى تبدّت في منظَر عجَبِ
فهي بغيرِ المِزاج من شَرَر ... وهي لدى المزج سائلُ الذهبِ

---

1 ديوان الوليد : ص 53 ، رقم 54 .
2 مكياله في الديوان : محلبه .
3 لم نأتِ ما نأتيه في الديوان : وما أتينا ذاك .
4 ديوان الوليد : ص 18 ، رقم 7 .

كأنّهـا في زجاجهـا قَبَسٌ ... تذكو ضياءً في عين مرتقِبِ
في فتيـةٍ مـن بني أميّة أهـ ... ـلِ المجدِ والمأثُرات والحسبِ
ما في الورى مثلُهم ولا فيهم ... مثـلي ولا مُنْتَمٍ لمثـل أبـي

قال المدائني في خبره : وقال الوليد حين أتاه نَعْي هشام[1] : [من الخفيف]

طـال ليلي فبتُّ أُسقَى المداما ... إذ أتـاني البريد ينعَى هشاما
وأتـاني بحُلّـة وقضيـب ... وأتـاني بخاتـم ثـم قاما
فجعلتُ الوليّ من بعد فقدي ... يفضُـل الناسَ ناشئـاً وغلاما
ذلك ابنـي وذاك قَرْم قريشٍ ... خيرُ قَـرْمٍ وخيرُهـم أعماما

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير قال قال لي عمر الوادي : كنت يوماً أغنِّي الوليدَ إذ ذَكر هشاماً ؛ فقال لي : غنِّني بهذه الأبيات ؛ قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ فأنشأ يقول[2] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

هلَك الأحـول المَشُو ... مُ فقـد أُرسل المطرْ
ثُمّتَ استُخْلِف الوليـ ... ـد فقد أُورق الشجرْ

[أخذ الشعراء معانيه]

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم ، سلَخوا معانيها ، وأبو نواس خاصّة فإنّه سلخ معانيه كلَّها وجعلها في شعره فكرّرها في عدّة مواضع منه . ولولا كراهةُ التطويل لذكرتُها ها هنا ، على أنّها تنبيء عن نفسها .

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن عليّ قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شَبَّة قال أنشدني أبو غَسّان وغيرُه للوليد ، وكان أبو غسّان يكاد أن يرقص إذا أُنشدها : [من المنسرح]

إصْدَعْ نجيَّ الهموم بالطرب ... وانعَمْ على الدهر بابنة العنبِ

الأبيات التي مضت متقدّماً . وهذا من بديع الكلام ونادره ؛ وقد جوّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم . وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما .

ومن جيّد معانيه قوله : [من الطويل]

---

1 ديوان الوليد : ص 77 ، رقم 85 .
2 ديوان الوليد : ص 40 ، رقم 36 .

رأيتُك تَبنــي جاهــداً في قطيعتي ... ولو كنتَ ذا حزم لهدَّمتَ ما تبني

وقد مضت في أخباره مع هشام .

وأنشدني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمر وللوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال : [من الطويل]

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تَجِدْ ... نصيحاً ولا ذا حاجَةٍ حين تفزَعُ

وكانوا إذا هَمُّوا بإحدى هَنَاتِهم ... حسَرتُ لهـم رأسي فلا أتقنّعُ

ومن نادر شعره قوله لهشام[1] : [من الوافر]

فإن تــك قــد مَلِلتَ القربَ منّي ... فسوف تَـرى مُجانبتي وبعدي

وسوف تَلـوم نفسَك إن بقِينا ... وتبلـو الناسَ والأحـوالَ بعدي

فتنــدَمُ في الذي فرّطـتَ فيـه ... إذا قايستَ في ذمّـــي وحمدي

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا ابن مَهْرويه وعبد الله بن عمرو بن أبي سعد قالا حدّثنا عبد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدّثنا محمد بن عائذ قال حدّثني الهَيْثم بن عمران قال سمعتُه يقول : لما بويع الوليد سمعته على المنبر يقول بدمشق : [من الطويل]

ضمِنتُ لكم إن لم تَرُعْنِي منيَّتي ... بـأنّ سمـاء الضرّ عنكـم ستُقلِعُ

[رسالة إلى أهل المدينة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لمّا ولي الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة والشعر له[2] : [من الطويل]

مُحَرَّمُكُم ديوانُكم وعطاؤكـــم ... بـه يكتب الكتّاب والكُتْب تُطبَعُ

ضمِنتُ لكم إن لم تصابوا بمهجتي ... بأنّ سمـاء الضـرّ عنكم ستُقلِعُ[3]

وأوّل هذه الأبيات : [من الطويل]

ألاَ أيّها الركـب المُخبّون أبلغوا ... سلامـيَ سُكّانَ البـلاد فأسمِعوا

وقولـوا أتاكم أشبهُ الناس سنّةً ... بوالـــده فاستبشِروا وتوقّعــوا

---

1 ديوان الوليد : ص 36 ، رقم 30 .

2 ديوان الوليد : ص 54–55 ، رقم 56 .

3 . . . تصابوا بمهجتي في الديوان : ضمنت لكم إن لم تَعُقْني عوائق .

سيُوشِك إلحاقٌ بكم وزيادة ... وأعطِيةٌ تأتي تِباعاً فتُشْفَعُ

وكان سبب مكاتبته أهلَ الحرمين بذلك أنّ هشاماً لّما خرج عليه زيد بن عليّ رضي الله عنه منع أهلَ مكّة وأهل المدينة أعْطِياتِهم سنةً . فقال حمزة بن بَيْض يردّ على الوليد لّما فعل خلافَ ما قال : [من الطويل]

وصلتَ سماءَ الضرّ بالضرّ بعد ما ... زَعمتَ سماء الضرّ عنّا ستُقلِعُ

فليت هشاماً كان حيّاً يسوسنا ... وكنّا كما كنّا نُرجّي ونطمعُ

[اجتماعه مع أهله يوم بيعته]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال روى جَرير بن حازم عن الفضل بن سُويد قال : بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لّما ولي الخلافة فقال : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟ قالوا لا ؛ قال : ليَقُلْ قائلُكم ؛ فقال رجل منهم : أردتَ يا أمير المؤمنين أن تُرِيَنا ما جدَّد الله لك من نعمته وإحسانِه ؛ فقال : نعم ، ولكنّي[1] : [من الخفيف]

أُشهِد اللهَ والملائكةَ الأبـ ... ـرار والعابدين أهلَ الصلاحِ

أنني أشتهي السَّماعَ وشربَ الـ ... ـكأس والعضَّ للخدود الملاحِ

والنديمَ الكريم والخادمَ الفا ... رِهَ يسعى عليّ بالأقداحِ

قوموا إذا شئتم .

[اشترى جارية غنته]

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال : عُرِضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيّة مولّدة يقال لها سعاد ، فقال لها : أيّ شيء تُحسنين ؟ فقالت : أنا مغنّية ؛ فقال لها : غنّيني ، فغنّت : [من السريع]

صوت

لولا الذي حُمّلتُ من حبّكم ... لكان في إظهاره مَخْرَجُ

أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ ... أجَلْ ومن حَجَّت له مَذْحِجُ

لكن سباني منكم شادنٌ ... مُرَبَّبٌ ذو غُنّة أدعجُ

أغرُّ مَمكورٌ هَضِيمُ الحَشَى ... قد ضاق عنه الحِجْل والدُّمْلُجُ

الشعر للحارث بن خالد . والغناء لابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر . وفيه لدَحْمانَ

---

1 ديوان الوليد : ص 30 ، رقم 22 .

هَزَج بالوسطى ؛ وذكر الهشاميّ أن الهزج ليحيى المكّيّ ، فطرب طرباً شديداً وقال : يا غلام اسقني ، فسقاه عشرين قدحاً وهو يَستعيدها . ثم قال لها : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للحارث بن خالد . قال : وممَّن أخذتيه ؟ قالت : من حُنَيْن . قال : وأين لقِيتِه ؟ قالت : رُبيتُ بالعراق وكان أهلي يَجيئون به فيُطارحني . فدعا صاحبَه فقال : اذهب فابتعْها بما بلغتْ ولا تُراجعني في ثمنها ففعل ؛ ولم تزل عنده حَظِيَّةً .

[شرب مع محمد بن سليمان بجرن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدّثنا العبّاس بن الوليد قال حدّثنا ضَمْره قال : خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الدِّيارات فنزل فيه وهو والٍ على الرّملة ؛ فسأل صاحبَ الدَّيْر : هل نزل بك أحدٌ من بني أميّة ؟ قال : نعم ، نزل بي الوليد ابن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك . قال : فأيّ شيء صنعا ؟ قال : شربا في ذلك الموضع ، ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هلمَّ نشرب بهذا الجُرْن ، وأومأ إلى جرنٍ عظيم من رخام ، قال : أفعَلُ ؛ فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثمِلا . فقال عبد الوهاب لمولًى له أسود : هاتِه . قال ضمرة : وقد رأيتُه وكان يوصف بالشدَّة ، فذهب يحرِّكه فلم يقدر . فقال الراهب : والله لقد رأيتهما يتعاطيانِه وكلٌّ واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غيرَ مكترث .

[سعد بن مرة يمدحه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غَسَّان محمد بن يحيى قال : وفَد سعد بن مُرَّة بن جُبَيْر مولى آل كَثير بن الصَّلْت ، وكان شاعراً ، على الوليد بن يزيد ، فعرَض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزَّه له ، فصاح به ، يا أمير المؤمنين ، وافدُك وزائرك ومؤمِّلُك ؛ فتبادر الحرسُ إليه ليصدّوه عنه ، فقال : دَعوه ، أُدْنُ إليّ فدنا إليه ؛ فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ؛ قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع منّي أربعة أبياتٍ ؛ قال : هاتِ .

صوت

[من الكامل]

شِمْنَ المَخَايِلَ نحوَ أرضِك بالحيَا ... ولَقِـين ركباناً بعُرْفك قُفّلا

قال : ثم مَهْ ؛ قال :

فعمَدن نحـوَك لم يُنخْن لحاجة ... إلاّ وقـوعَ الطير حتى ترْحلا

قال : إن هذا السير حثيث ؛ ثم ماذا ؟ قال :

يعمِدن نحو مُوطِّيءٍ حجراتِه كَرَماً ولم تعدِل بذلك مَعْدِلا

قال : فقد وصلتَ إليه ، فَمَهْ ؛ قال :

لاحت لها نيرانُ حَيَّيْ قَسْطلٍ فاخترن نارَك في المنازلِ منزلا[1]

قال : فهل غيرُ هذا ؟ قال لا ؛ قال : أنْجحتْ وِفادتُك ، ووجبتْ ضيافتك ؛ أعطوه أربعة آلاف دينار ؛ فقبضها ورحل .

الغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

[مسلمة بن هشام وزوجته]

رجعتِ الرواية إلى حديث المدائنيّ قال : لمّا قدِم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هِشَام وولدِه سوى مَسْلَمة بن هشام فإنه كان كثيراً ما يَكُفّ أباه عن الوليد ويكلّمه فيه ألاّ يعرضَ له ولا يدخل منزله . وكانت عند مسلمة أمُّ سَلَمة بنت يعقوب المَخْزوميّة ، وكان مَسْلمة يشرب . فلمّا قدم العبّاسُ لإحصاء ما كتب إليه الوليدُ ، كتبتْ إليه أُمّ سَلَمة : ما يُفِيق من الشّراب ولا يهتمّ بشيءٍ مما فيه إخوتُه ولا بموت أبيه . فلمّا راح مسلمة بن هشام إلى العباس قال له : يا مسلمة ، كان أبوك يرشّحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك ، وأنَّبه وعاتبه على الشراب ، فأنكر مسلمة ذلك وقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : كتبتْ إليّ به أُمّ سَلَمة ؛ فطلّقها في ذلك المجلس ، فخرجت إلى فِلَسطين ، وبها كانت تنزل ، وتزوّجها أبو العبّاس السفّاح هناك .

[طلق زوجته سعدة وهام بأختها سلمى]

وسَلْمى التي عناها الوليدُ هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ؛ وأُمّها أُمُّ عمرو بنت مروان بن الحكَم ، وأُمّها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ .

فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم وعن المدائنيّ عن جُويرية بن أسماء : أنّ يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قُرَيْن[2] مُتَبدِّياً به ، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ؛ وكانت بنته أُمّ عبد الملك ، واسمها سَعْدة ، تحت الوليد بن يَزيد . فمرض سعيدٌ في ذلك الوقت ، وجاءه الوليدُ عائداً ، فدخل فلمَح سَلْمى بنت سعيد أختَ زوجته ، وسترها حواضِنُها وأختها فقامت ففرَعتْهنّ طولاً ، فوقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه طلّق أُمَّ عبد الملك زوجتَه وخطب سلمى إلى أبيها .

---

1 قسطل في ل : فاصطلى . قسطل : قرية في البلقاء .

2 قرين : موضع باليمامة .

وكانت لها أخت يقال لها أُمّ عثمان تحت هشام بن عبد الملك ؛ فبعثتْ إلى أبيها ، وقيل : بعث إليه هشام : أتريد أن تستفحلَ الوليدَ لبناتك يطلّق هذه وينكِح هذه ؟ فلم يزوِّجه سعيد وردّه أقبحَ ردّ . وهوِيها الوليد ورام السلوَّ عنها فلم يَسْلُ ؛ وكان يقول : العجب لسعيد ، خطبتُ إليه فردّني ، ولو قد مات هشام ووَلِيتُ لزوّجني ؛ وهي طالق ثلاثاً إن تزوّجتها حينئذ وإن كنت أهواها . فيقال : إنّه لما طلّق سَعْدة ندِم على ذلك وغَمّه . وكان لها من قلبه محلٌّ ولم تحصُل له سَلْمَى ؛ فاهتمّ لذلك وجزِع . وراسل سَعْدة ، وقد كانت زُوِّجت غيرَه فلم ينتفع بذلك .

[توسط أشعب عند سعدة]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ والحسن بن عليّ قالا حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجَهْم قال حدّثنا المدائني قال : بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلّق امرأته ، فقال : يا أشعب ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلّغَ رسالتي سَعْدَةَ ؛ فقال : أحضِرِ العشرةَ الآلاف الدرهم حتى أنظر إليها ؛ فأحضرها الوليد ؛ فوضعها أشعبُ على عنقه وقال : هات رسالتك ؛ قال : قل لها يقول لك أمير المؤمنين[1] : [من الوافر]

أسَعْدةُ هـل إليكِ لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامةِ من تَلاَقي
بَلَـى ولعـلَّ دهراً أن يُؤاتي ... بموت من حَليلك أو طلاقِ
فأُصبِحَ شامتاً وتَقَـرَّ عيني ... ويُجمعَ شملُنا بعـد افتراقِ

فأتى أشعبُ البابَ فأُخبِرتْ بمكانه ، فأمرت بفُرُش لها ففُرشت وجلست وأذِنتْ له . فلما دخل أنشدها ما أمره ؛ فقالت لخَدَمها : خذوا الفاسقَ ! فقال : يا سيّدتي إنّها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلنك أو تبلّغه كما بلّغتني ؛ قال : وما تَهَبين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي ؛ قال : قومي عنه ؛ فقامت فطواه وجعله إلى جانبه ، ثم قال : هات رسالتك جُعِلتُ فِداك ؛ قالت : قل له[2] : [من الطويل]

أتبكي على لُبْنَى وأنت تركتَها ... فقد ذهبتْ لبنى فما أنت صانعُ

فأقبل أشعب فدخل على الوليد ؛ فقال : هِيه ، فأنشده البيت : فقال : أوَّهْ قتلتني يا ابن الزانية ! ما أنا صانع ، فاختر أنت الآن ما أنت صانع يا ابن الزانية ، إمّا أن أُدَلِّيَكَ على رأسك

1 ديوان الوليد : ص 108 ، رقم 7 وفيه أنّها تنسب أيضاً إلى غيره .
2 سيأتي هذا البيت في ترجمة قيس بن ذريح برواية مختلفة ، 9 : 151–152 .

منكَّساً في بئر أو أرمي بك منكّساً من فوق القصر أو أضربَ رأسكَ بعمودي هذا ضربةً ، هذا الذي أنا صانع ، فاختَرْ أنت الآن ما أنت صانع ؛ فقال : ما كنتَ لتفعلَ شيئاً من ذلك ؛ قال : ولِمَ يا ابن الزانية ؟ قال : لم تكن لتعذّب عينين نظرتا إلى سَعْدة . قال : أَوَّهْ ! أفلتَّ والله بهذا يا ابن الزانية ! أُخرجْ عنّي . وقال الحسن في روايته : إنها قالت له أنشِدْه : [من الطويل]

أتبكـي على لُبْنى وأنت تركتها وأنت عليهـا بالمَـلاَ كنتَ أقدرُ[1]

وفي هذه الأبيات غناءٌ هذه نسبتُه :

صوت

أرى بيت لُبْنَى أصبح اليومَ يُهجرُ وهِجرانُ لبنى يا لكَ الخيرُ مُنْكَرُ
فـإن تكـن الدنيـا بلُبْنى تغيّرت فلِلدّهــر والدنيـا بطـونٌ وأَظْهُرُ
أتبكـي على لُبْنَى وأنــت تركتَها وأنت عليهـا بالحَـرَا كنتَ أقدرُ

عروضُه من الطويل . والشعر لقَيْس بن ذَرِيح . والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقيل أوّلُ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ . وفيهما لعَريب رملٌ بالبنصر . وفيه لشاريةَ خفيفُ رمل بالوسطى عن الهِشاميّ . وفي الأوّل خفيفُ ثقيلٍ مجهول .

[تزيا بزي زيات ليرى سلمى]

قال ابن سَلاَّم والمدائنيّ في خبرهما : وخرج الوليد بن يزيد يريد فَرْتَنى لعلّه يراها ؛ فلقِيه زيّات معه حمار عليه زيت ؛ فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتُعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيّات ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكِّراً حتى دخل قصرَ سعيد ، فنادى : من يشتري الزيت ؛ فاطّلع بعضُ الجواري فرأينه فدخلن إلى سَلْمى وقُلْنَ : إنّ بالباب زيَّاتاً أشبهَ الناس بالوليد ، فاخرجي فانظري إليه ؛ فخرجت فرأته ورآها ، فرجعت القَهْقَرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ! وقد رآني ! فقلن له : لا حاجةَ بنا إلى زيتك ؛ فانصرف وقال[2] : [من مجزوء الرمل]

إننــي أبصرتُ شيخاً حسنَ الوجــه مليحْ
ولِباسي ثوب شيخٍ مــن عباءٍ ومُسوحْ[3]

---

1 الملا : اسم موضع .
2 ديوان الوليد : ص 28 ، رقم 19 .
3 ديوان الوليد : لابساً أثواب سوء (طبعة دار الكتاب الجديد) .

وأبيعُ الزيت بيعاً خاسراً غيرَ رَبيحْ

وقال أيضاً[1] : [من الوافر]

فما مِسْكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللِّقاحِ
بأشهى من مُجاجة ريقِ سلمى ولا ما في الزِّقاق من القَراحِ
ولا والله لا أنسى حياتي وَثاقَ الباب دوني واطِّراحي

قال : فلما ولي الخلافةَ أَشْخص إلى المغنّين : فحضَروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووهما . فقال لابن عائشة : يا محمد ، إن غنّيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم ؛ فغنّاه قولَه :

إنني أبصرتُ شيخاً

وغنّاه :

فما مسكٌ يُعلُّ بزنجبيل

الأبياتَ ، فقال الوليد : ما عدوتَ ما في نفسي ؛ وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخِلَع ، وأمر لسائر المغنّين بدون ذلك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الوافر]

فما مسكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللِّقاحِ
بأطيبَ من مُجاجة ريق سلمى ولا ما في الزِّقاق من القَراحِ

غنّاه ابن عائشة ، ولحنُه ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحماد بن إسحاق .

[تزوج سلمى بعد ولايته الخلافة]

قال المدائني وابن سَلاَّم : فلمّا طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد : [من الوافر]

أبا عثمان هل لك في صنيع تُصيبُ الرشدَ في صلتي هُدِيتا
فأشكرَ منك ما تُسدي وتُحيي أبا عثمان مَيِّتةً ومَيْتا[2]

قالوا : فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولي الخلافةَ ، فلما وليها زوّجه إياها ؛ فلم يلبث إلاّ مدّة يسيرةً حتى ماتت . وقال فيها ليلةَ زُفّت إليه[3] : [من مجزوء الخفيف]

1 ديوان الوليد : ص 31 ، رقم 23 .
2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 11 . الديوان : فأشكر منك ذا المسدى وتحيي .
3 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

خـفٌّ من دار جيرتي يـا ابـن داود أُنْسُهـا

وهي طويلة . وفيها ممّا يغنّى به :

أَوَ لا تخـرج العـرو سُ فقد طـال حبسُها
قـد دنا الصبح أو بَدا وهـي لم يُقْضَ لُبْسُها
بـرزت كالهـلال في ليلـةٍ غـاب نحسُها[1]
بـين خمس كواعبٍ أكرمُ الخمسِ جنسُها

غناءُ ابنِ سُريج ، فيما ذكره حَبَش ، رملٌ بالبنصر ، أوّله :

خَـفٌّ من دار جيرتي

وغناء معبد فيه خفيفُ ثقيلٍ ، أوّله :

ومتى تخرج العرو سُ

في رواية الهشاميّ وابن المكيّ . وغناء عمر الواديّ في الأربعة الأبيات الأخَر خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشاميّ أنّ فيه هَزَجاً بالوسطى ينسب إلى حَكَم وإلى أبي كامل وإلى عمر .

[غنى حكم الوادي بشعره للمهدي]

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال : رأيت حَكَماً الوادي قد تعرّض للمهديّ وهو يريد الحجّ ، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة ، فأخرج دفّاً له فنقر فيه وقال : أنا ، أطال الله بقاءك ، القائل[2] : [من مجزوء الخفيف]

ومتى تخرج العـرو سُ فقد طـال حبسُها
قد دنا الصبحُ أو بـدا وهـي لم يُقْضَ لُبْسُها

قال : فتسرّع إليه الحرس ، فصِيحَ بهم ، وإذا هو حكم الوادي ؛ فأُدخل إليه المَضْرِبَ فوصله وانصرف .

نسبة أوَلا تخرج العروس . قال : الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الواديّ . وفيه لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر في مجرى البنصر وخفيفُ رملٍ بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق ؛ وذكر حكم الواديّ أنّ الهزج له ؛ وذكر إسحاق أن لحن حَكَم خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى . وقال في كتاب يحيى : إنّ هذا اللحن لعمر الواديّ .

1 برزت كالهلال في الديوان : خرجت كالمهاة (طبعة دار الكتاب الجديد) .
2 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

وذكر الهشاميّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمعبد ورملاً لابن سريج . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه للدّلال خفيفَ ثقيل أوّل بالبنصر .

[رثاؤه سلمى]

وقال المدائني : مكثتْ عنده سَلْمَى أربعين يوماً ثم ماتت ؛ فقال : [من الوافر]

أَلَمّا تعلَما سَلْمى أقامت مُضَمَّنةً من الصحراء لحدا

لعمرك يا وليدُ لقد أجَنّوا بها حَسَباً ومَكرُمَةً ومجدا

ووجهاً كان يقصرُ عن مداه شعاعُ الشمس أهْلٌ أن يُفدَّى

فلم أرَ ميّتاً أبْكَى لعينٍ وأكثر جازعاً وأجلَّ فقدا

وأجدرَ أن تكونَ لديه مِلْكاً يُريك جَلادَةً ويُسِرّ وَجْدا

[شعره في سلمى]

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنّى المغنّون فيها منها[1] : [من الهزج]

صوت

عرفتُ المنزلَ الخالي عفا من بعد أحوالِ

عفَاه كلُّ حَنّانٍ عَسُوفِ الوَبْلِ هَطّالِ

لسلمى قُرّةِ العين وبنتِ العمّ والخالِ

بذلتُ اليومَ في سلمى خِطاراً أتلفتْ مالي[2]

كأنّ الريق من فِيها سَحيقٌ بين جِرْيالِ[3]

غنّاه عمر الواديّ هزجاً بالوسطى عن عمرو . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ هذا اللحن للوليد بن يزيد . وفيه رَمَلٌ ذكر الهشاميّ أنّه لابن سريج .

ومنها وهو الصوت الذي غنّاه أبو كامل فأعطاه الوليدُ قَلَنْسِيته[4] : [من الوافر]

صوت

منازلُ قد تَحُلّ بها سليمى دوارسُ قد أضرّ بها السِّنونُ

---

1 ديوان الوليد : ص 71 ، رقم 76 عن الأغاني .

2 الخطار : جمع خَطَر وهو ما يتراهن عليه .

3 السحيق : المسك . والجريال : صفوة الخمر .

4 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 97 .

أُمِيتُ السرَّ حفظاً يا سليمى إذا ما السرّ باح به الحَزُونُ[1]

غنّاه أبو كامل من الثقيل الأوّل . وفيه لابن سريج ، ويقال للغريض ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وقيل : إنّه لحكم أو لعمر الوادي .

ومنها[2] : [من الهزج]

صوت

أراني قد تصابيتُ وقد كنت تناهيتُ
ولو يتركني الحبُّ لقد صمت وصلّيتُ
إذا شئتُ تصبّرتُ ولا أصبر إن شيتُ
ولا والله لا يصبـ ـر في الدّيمومة الحُوتُ[3]
سليمى ليس لي صبر وإن رخّصتِ لي جيتُ
فقبّلتُكِ ألفين وفدّيت وحيّيْتُ
ألا أحْبِبْ بزَوْرٍ زا ر من سلمى ببيروتِ[4]
غزالٌ أدْعَجُ العين نقيُّ الجيدِ واللِّيتِ

غنّاه ابنَ جامع في البيتين الأوّلين هزجاً بالوسطى ، وغنّاه أبو كامل في الأبيات كلّها على ما ذكرت بَذْلُ ولم تجنسه . وغنّى حَكَم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيفَ رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشاميّ .

ومنها[5] : [من المديد]

صوت

عتَبتْ سَلْمى علينا سَفاها أن سَبَبْتُ اليوم فيها أباها
كان حقٌّ العتب يا قومُ منّي ليس منها كان قلبي فِداها
فلئن كنتُ أردتُ بقلبي لأبي سلمى خلافَ هواها
فثكِلتُ اليومَ سلمى فسلمى ملأت أرضي معاً وسماها

---

1 الحزون : الكثير الحزن .

2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 12 عن الأغاني .

3 الديمومة : الصحراء البعيدة .

4 في هذا البيت والبيت الذي يليه إقواء . رواية معجم البلدان (1 : 525) :
ألا يا حبّذا شخص حمت لقياه بيروتُ

5 ديوان الوليد : ص 91 ، رقم 105 عن الأغاني .

غير أني لا أظـن عـدوّاً   قـد أتاهـا كاشحاً بأذاها
فلها العُتْبَى لدينا وقَلّتْ   أبـداً حتـى أنـال رضاها

غنّاه أبو كامل خفيفَ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ليحيى المكيّ ثقيل أوّل من رواية عليّ بن يحيى . وفيه رمل يقال : إنّه لابن جامع ، ويقال : بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضاً .

[خطب سلمى إلى أبيها وهو سكران]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو قال : لقي سعيد بن خالد الوليدَ بن يزيد وهو ثَمِلٌ ؛ فقال له : يا أبا عثمان ؛ أتَرُدُّني على سلمى ! وكأني بك لو قد وَلِيتُ الخلافة خطبتَني فلم أجِبْك ؛ وإن تزوّجتُها حينئذ فهي طالق ثلاثاً . فقال له سعيد : إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيقٌ بأكثر مما قلت ؛ فأمصَّه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا . وبلغ الوليدَ أنّ سلمى جزِعت لِما جرى وبكتْ وسبّت الوليد ونالت منه ؛ فقال : [من المديد]

عتبتْ سلمى علينا سفاهـا   أن هجوتُ اليوم فيها أباها

وذكر الأبيات . وقال أيضاً في ذلك[1] : [من الوافر]

صوت

على الدُّور التي بَلِيتْ سَفَاهـا   قِفَـا يـا صاحبـيّ فسائِلاها
دعتك صبابةٌ ودعاك شوقٌ   وأخضل دمـعُ عينك مأْقِياها
وقالـت عند هجوتنـا أباهـا   أردتَ الصُّرمَ فانتَـدِه انتِداها
أردتَ بعادَنَا بهجـاء شيخي   وعندك خُلّـةٌ تبغـي هواها
فإن رضيتْ فذاك وإن تمادتْ   فهَبْها خُطّـةً بلغـت مَداها

غنّاه مالك بن أبي السَّمْح خفيفَ رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وللهُذَلي فيه ثاني ثقيل بالوسطى عن يونس والهشاميّ ؛ وذكر حبش : أنّ الثقيل الثاني لإسحاق ، يعني بقوله : [من الوافر]

أردتَ بعادنـا بهجـاء شيخي

أنّه كان هجا سعيد بن خالد ، فقال[2] : [من الطويل]

1 ديوان الوليد : ص 90 ، رقم 104 .
2 ديوان الوليد : ص 36 ، رقم 31 .

ومن يك مفتاحاً لخير يريده ... فإنّك قُفْلٌ يا سعيد بن خالدِ

قال المدائني : لمّا غضِبْت سلمى من هجائه أباها قال يعتذر إليه بقوله[1] : [من مجزوء الوافر]

ألا أَبْلِــغْ أبــا عثما ... ن عِذْرةَ مُعْتِبٍ أسفا
فلستُ كمن يودّك بالـ ... ـلسان ويُكثِــر الحَلِفا
عَتبتَ عــليّ في أشيا ... ء كانت بيننــا سَرَفَا
فلا تُشمِتْ بي الأعدا ... ء والجيــرانَ ملتهِفا
تـودّ لَوَ انّنــي لحمٌ ... رأتــه الطير فاختُطفا
ولا ترفــعْ به رأسا ... عفــا الرحمن ما سَلَفا

ومنها وهو من سخيف شعره[2] : [من مجزوء الرمل]

صوت

خبَّــروني أن سلمــى ... خرجــتْ يــومَ المُصَلَّى
فــإذا طيــرٌ مليــحٌ ... فـوق غصن يتفلّــى
قلتُ مـن يعرف سلمى ... قــال هــا ثــم تعلّى
قلتُ يــا طير ادْنُ منّي ... قــال هــا ثــم تدلّى
قلتُ هل أبصرتَ سلمى ... قــال لا ثــم تولّــى
فنكــا في القلــب كَلْماً ... باطنــاً ثــم تعلّــى[3]

فيه ثقيل أوّل بالبنصر مطلق ، ذكر الهشاميّ أنه لأبي كامل ولعمر الوادي ، وذكر حبش أنه لدَحْمان .

ومنها[4] : [من الخفيف]

صوت

اسقِني يا ابن سالم قد أنـارا ... كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا
اسقِني من سُلاف ريق سليمى ... واسق هذا النديمَ كأساً عُقارا

---

1 ديوان الوليد : 58 ، رقم 60 عن الأغاني .
2 ديوان الوليد : ص 67 ، رقم 71 .
3 نكا : مسهل نكأ . ونكأ : قشر مكان الجرح قبل التئامه .
4 ديوان الوليد : ص 42 ، 39 .

غنّاه ابن قندح ثانيَ ثقيل بالوسطى من رواية حبش .

[شعر ملك]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله قال حدّثني أبي : أنّ المأمون قال لمن حضره من جلسائه : أنشدوني بيتاً لملك يدلّ البيتُ وإن لم يُعرف قائلُه أنه شعر مَلِكٍ ؛ فأنشده بعضهم قولَ امرىء القيس :

أمِن أجل أعرابيّة حــلّ أهلُها جَنُوبَ المَلاَ عيناكَ تَبْتدِرانِ

قال : وما في هذا مما يدلّ على مُلْكه ! قد يجوز أن يقول هذا سُوقةٌ من أهل الحَضَر ، فكأنه يؤنّب نفسه على التعلّق بأعرابيّة ؛ ثم قال : الشعر الذي يدُلّ على أنّ قائله مَلِكٌ قولُ الوليد : [من الخفيف]

اسقِني من سُلاف ريق سليمى واسقِ هذا النديمَ كأساً عقارا

أمَا ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك . ومثل قوله : [من مجزوء المتقارب]

ليَ المحضُ من ودّهم ويغمُرهم نائلي

وهذا قول من يقدِر بالمُلْك على طَوِيّات الرجال ، يبذل المعروف لهم ويُمكنه استخلاصُها لنفسه .

وفي هذا البيت مع أبيات قبله غناءٌ وهو قوله[1] : [من مجزوء المتقارب]

صوت

سقَيْتُ أبا كامـلٍ مـن الأصفـر البابلي

وسقَّيتُهـا معبـداً وكلَّ فتـى بـازلِ

لي المحضُ من ودّهم ويغمُرهـم نائـلي

فمـا لامنـي فيهـمُ سوى حـاسدٍ جاهلِ

غنّاه أبو كامل ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

ومنها وهو من مُلَح شعره[2] : [من الوافر]

صوت

أراني اللهُ يـا سلمى حياتـي وفي يـوم الحساب كما أراكِ

1 ديوان الوليد : ص 72 ، رقم 78 .

2 ديوان الوليد : ص 62 ، رقم 66 .

ألاَ تَجْزِين مَنْ تيّمتِ عصراً ... ومــن لو تطلبين لقد قضاكِ[1]
ومَنْ لو مُتِّ مات ولا تموتي ... ولـو أُنْسي لــه أجـلٌ بكاكِ[2]
ومَنْ حَقّاً لَوُ اعْطِي ما تمنّى ... من الدنيا العريضة مـا عداكِ
ومَنْ لَوْ قُلْتِ مُتْ فأطاق موتاً ... إذاً ذاق المماتَ ومـا عصاكِ
أثِيبِــي عاشقـاً كَلِفـاً مُعنًّى ... إذا خدِرت لـه رِجلٌ دعاكِ

كانت العرب تقول : إنّ الإنسان إذا خدِرتْ قدمه دعا باسم أحبِّ الناس إليه فسكنتْ . في الخبر أنّ رِجْل عبد الله بن عمر خدِرتْ ؛ فقيل له : ادع باسم أحبّ الناس إليك ؛ فقال : يا رسولَ الله ، صلّى الله على رسول الله وعلى آله وسلم . ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لسِنَان الكاتب ، وذكرت دَنَانِيرُ أنّه لحكم ولم تجنّسه .

ومنها[3] : [من مجزوء الرمل]

صوت

وَيْحَ سَلْمى لــو تَراني ... لَعَنَاهـا مــا عَنـاني
مُتلِفاً في اللهــو ما لي ... عاشقاً حُــورَ القِيانِ
إنّمـا أحــزن قلبــي ... قــولُ سلمى إذ أتاني
ولقـد كنـتُ زمانــاً ... خـاليَ الذّرعِ لشاني
شاق قلبــي وعنـاني ... حبُّ سلمـى وبراني
ولَكَــمْ لام نصيحٌ ... في سليمـى ونهـاني

غنّته فَريدة خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيل أوّل ينسب إلى معبد ؛ وهو فيما يذكُر إسحاق يُشْبه غناءه وليس تُعرف صحّتُه له ، وذكر كَثير[4] الكبير أنّه له ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن المكيّ . وفيه لحَكَم هَزَجٌ صحيح .

ومنها[5] : [من مجزوء الرمل]

1 عصراً في الديوان : عمراً (طبعة دار الكتاب الجديد) .
2 أُنسي في الديوان : وإن ينسأ (طبعة دار الكتاب الجديد) .
3 ديوان الوليد : ص 86 ، رقم 99 .
4 ل : كنيز .
5 ديوانه : ص 77 ، رقم 86 عن الأغاني .

صوت

بلِّغا عنِّي سليمى ... وسلاها ليَ عمّا
فعلتْ في شأن صبٍّ ... دَنِفٍ أُشْعِرَ هَمّا
ولقد قلت لسلمى ... إذ قتلتُ البينَ علما
أنتِ همِّي يا سليمى ... قد قضاه الربُّ حتما
نزلت في القلب قَسْراً ... منزلاً قد كان يُحمى

غنّاه حَكَمٌ خفيفَ ثقيلٍ . ولعمرَ الوادي فيه خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

يا سُلَيْمَى يا سليمى ... كنتِ للقلبِ عذابا
يا سليمى ابنةَ عمّي ... بَرد الليلُ وطابا
أيُّما واشٍ وشَى بي ... فاملَئي فاهُ ترابا
ريقُها في الصبح مسك ... باشَر العذْب الرُّضابا

غنّاه عمر الوادي هزَجاً بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر ابن المكيّ أنّه لمعان . وفي كتاب إبراهيم أنه لعَطَرَّد .

ومنها[2] : [من الهزج]

صوت

أَسَلْمَى تلك حُيِّيتِ ... قِفي نُخْبِرْكِ إن شِيتِ
وقِيلِي ساعةً نَشْكُ ... إليك الحبَّ أو بِيتي
فما صهباءُ لم تُكْسَ ... قَذًى من خمر بيروتِ
ثوَتْ في الدَّنّ أعواماً ... ختيماً عند حانوتِ

غنّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها[3] : [من الكامل]

---

1 ديوان الوليد : ص 14–15 ، رقم 3 عن الأغاني .
2 ديوانه : ص 24–25 ، رقم 15 عن الأغاني .
3 ديوانه : ص 37 ، رقم 32 .

صوت

يا مَن لقلب في الهوى مُتشعِّبِ   بل مَنْ لقلب بالحبيب عميدِ
سَلْمَى هواه ليس يعرف غيرَها   دون الطَّريف ودون كلِّ تليدِ
إنّ القرابــة والسعادة ألَّفـا   بين الوليــد وبين بنت سعيدِ[1]
يا قلب كم كلِف الفؤادُ بغادةٍ   مَمْكورةٍ رَيّــا العظام خَريدِ

غنّاه عمر الوادي رملاً بالبنصر عن عمرو .

ومنها[2] : [من الرمل]

صوت

قــد تمنّى معشرٌ إذ أُطرِبوا   مــن عُقَــار وسَوَامٍ وذَهَبْ
ثــم قالــوا لي تَمَنَّ واستمِعْ   كيف ننحو في الأماني والطلبْ
فتمنّيــتُ سليمــى إنهـــــا   بنت عمّي من لَهَامِيم العربْ[3]

فيه للهذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشاميّ أنّ هذا الخفيف الثقيل لخالد صامَةَ . وذكر ابن المكيّ أن فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها[4] : [من مجزوء الرمل]

صوت

هــل إلى أمِّ سعيــدٍ   مــن رسول أو سبيلِ
ناصحٍ يُخبــر أنّــي   حافـظٌ وُدَّ خليـــلِ
يَبـذُل الــودَّ لغيري   وأُكافــي بالجَميـــلِ
لستُ أرضى لخليلي   مــن وصالي بالقليلِ

غنّاه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبّابة في مجرى الوسطى .

ومنها[5] : [من مجزوء الرمل]

1 السعادة في الديوان : والمودّة (طبعة دار الكتاب الجديد) .
2 ديوان الوليد : ص 14 ، رقم 2 عن الأغاني .
3 اللهاميم : جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيل .
4 ديوانه : ص 72 ، رقم 77 عن الأغاني .
5 ديوان الوليد : ص 26–27 ، رقم 18 عن الأغاني .

صوت

طاف من سلمى خيالٌ ... بعد ما نِمتُ فهاجا
قلت عُجْ نحوي أُسائِلْ ... ـك عن الحبّ فعاجا
يا خليلي يا نديمي ... قم فأُنفُثْ لي سراجا[1]
بفلاةٍ ليس تُرعَى ... أنبتَتْ شِيحاً وحاجا[2]

غنّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيه خفيفُ رمل بالوسطى عن حَبَش . ولأبي سلمى المدنيّ ثقيل أوّل عن ابن خُرْدَاذْبه .

ومنها[3] : [من الرمل]

صوت

أُمَّ سَلاَّمٍ أثيبي عاشقاً ... يعلم اللهُ يقيناً ربُّه
أنّكم من عَيْشه في نفسه ... يا سليمى فاعلَميه حَسْبُه
فارحميه إنه يَهْذي بكم ... هائمٌ صبٌّ قَدَ اَوْدَى قلبه
أنتِ لو كنتِ له راحمةً ... لم يُكدَّر يا سليمى شِرْبُه

غنّاه حَكَمٌ رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لابن سريج رملاً بالوسطى .

ومنها[4] : [من الخفيف]

صوت

ربّ بيتٍ كأنّه متن سهم ... سوف نأتيه من قُرى بيروتِ
من بلادٍ ليست لنا ببلاد ... كلما جئت نحوها حُيِيتِ
أمَّ سلاّمَ لا بَرِحْتِ بخير ... ثم لا زلتِ جنّتي ما حَيِيتِ
طرباً نحوَكم وتَوْقاً وشوقاً ... لاَدّكاريكُمُ وطيبِ المبيتِ
حيثما كنتِ من بلادٍ وسرتم ... فوقاك الإله ما قد خَشِيتِ

في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشاميّ ،

1 أنفث : قطع همزة الوصل للضرورة .
2 الحاج : نبت من الحمض .
3 ديوانه : ص 18 ، رقم 6 عن الأغاني .
4 ديوانه : ص 25 ، رقم 16 عن الأغاني .

وذكر غيره أنّه لإبراهيم . وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطى ، ولابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر . وقيل : إنّ الرّمل لعمر الوادي ، وهو أن يكونَ له أشبه .

ومنها[1] : [من المديد]

صوت

طرَقَتْني وصِحابـي هُجُـوعٌ   ظبيةٌ أدْمـاءُ مثـلُ الهـلالِ
مثلُ قرن الشمس لمـا تبدّت   واستقلّـت في رؤوس الجبالِ
تقطع الأهوالَ نحوي وكانت   عندنـا سلمى ألُوفَ الحِجالِ
كم أجازت نحوَنـا من بـلاد   وَحْشةٍ قَتّالـةٍ للـرجالِ

لابن محرز فيه ثقيل أوّل مطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث . ولابن سريج في الأوّل وما بعده خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لابن عائشة ذكر الهشاميّ أنه رمل بالوسطى . وفيه خفيف رملٍ يُنسب إلى ابن سريج وعمر الوادي .

ومنها[2] : [من المنسرح]

صوت

أنـا الوليـدُ الإمـامُ مفتخِراً   أُنْعِم بـالي وأتْبَـع الغَـزَلا
أهوَى سُلَيمى وهي تصرِمني   وليس حَقّـاً جَفاء من وصلا
أسحَب بُـرْدي إلى منازلهـا   ولا أُبـالي مقـالَ من عذَلا[3]

غنّى فيه أبو كامل رملاً بالبنصر . وغنّى عمر الوادي فيه خفيفَ رملٍ بالوسطى ، ويقال إنّ هذا اللحن للوليد .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قال الوليد على لسان سلمى[4] : [من الخفيف]

صوت

إقْـرَ منّـي على الوليد السلاما   عـدَدَ النجم قـلْ ذا للوليدِ
حسداً ما حسَدتْ أختي عليه   ربَّنـا بيننـا وبـين سعيدِ

غنّاه الهذليّ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالوسطى عن ابن المكيّ .

1 ديوان الوليد : ص 73 ، رقم 79 عن الأغاني .
2 ديوان الوليد : 68 ، رقم 72 .
3 أسحب بُردي إلى منازلها في الديوان : أنقلُ رجلي إلى مجالسها (طبعة دار الكتاب الجديد) .
4 ديوانه : ص 37 ، رقم 33 .

[غضب على جاريته صدوف ثم صالحها]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدّثنا خالد بن النَّضْر القُرَشيّ بالبصرة قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدّثنا العتبيّ قال : كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صَدُوف ؛ فغَاضَبها ، ثم لم يُطِعه قلبه فجعل يتسبّب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشيّ من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبرَه ، فَبرِم به ؛ فأنشده : [من الكامل]

أعَتَبْتَ أن عتبتْ عليك صَدُوفُ وعتابُ مثلِك مثلُها تشريفُ
لا تَقعُدَنَّ تلوم نفسك دائماً فيها وأنت بحبّها مَشغوفُ
إن القَطيعة لا يقوم لمثلها إلا القويّ ، ومن يحبّ ضعيفُ
الحبّ أملَكُ بالفتى من نفسه والذلّ فيه مَسْلَك مألوفُ

قال : فضحِك وجعل ذلك سبباً لصلحها ، وأمر بقضاء حوائج القرشيّ كلّها .

[استقدم حمادا الراوية ليسأله عن شعر]

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال حمّاد الرَّاوِيةُ : إستدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفيْن لنفقتي وألفين لعيالي ، فقدِمتُ عليه ، فلما دخلتُ داره قال لي الخدم : أميرُ المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلّمت بالخلافة ؛ فقال لي : يا حَمّاد ؛ قلت : لَبَّيْك يا أمير المؤمنين ؛ قال : «ثم ثاروا» ؛ فلم أدر ما يَعْني فقال : وَيْحَك يا حَمّاد ! «ثم ثاروا» ؛ فقلتُ في نفسي : راوِية أهل العراق لا يدري عمّا يُسأل ! ثم انتبهتُ فقلت : [من الخفيف]

ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ
قدّمتْه على عُقارٍ كعين الـ ـدّيك صفّى سُلافَها الرَّاوُوقُ
ثمّ فُضَّ الخِتامُ عن حاجب الدَّ نّ وقامت لَدَى اليهوديّ سُوقُ
فسباها منه أشمُّ عزيز أريحيٌّ غذَاه عيش رقيقُ

الشعر لعديّ بن زيد . والغناء لحُنَين خفيف ثقيل أوّل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف رمل . ولعبد الله بن العباس الرَّبيعيّ رمل ، كل ذلك عن الهشاميّ . قال : فإذا جارية قد أخرجتْ كفّاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح ، والله ما أدري أيُّهما أحسن الكفُّ أم القدح ؛ فقال : رُدِّيه فما أنصفناه ! تغدّينا ولم نُغَدِّه ! فأُتيتُ بالغداء ، وحضر أبو كامل مولاه فغنّاه[1] : [من مجزوء الرمل]

1 ديوان الوليد : ص 48–49 ، رقم 48 .

صوت

أَدِرِ الكـــأسَ يمينـــا لا تُدِرْهـــا ليَسارِ
إسْقِ هــذا ثــم هذا صاحبَ العُود النُّضارِ
مــن كُمَيْت عتَّقوهــا منــذُ دهــر في جِــرَارِ
خَتموهـــا بالأَفَاويـــــه وكافــورٍ وقــارِ
فلقـــد أيقنـــتُ أنّـــي غيرُ مبعـــوث لنــارِ
سأروضُ الناسَ حتـــى يركبوا أَيْـــرَ الحمارِ[1]
وذَرُوا من يطلب الجـ ـــنة يَسعـــى لِتَبَارِ[2]

فيه هزجانِ بالوسطى والبنصر لعمر الوادي وأبي كامل ، فطرِب وبرَز إلينا وعليه غِلالة موردَّةٌ ، وشرب حتى سكر . فأقمت عنده مدّة ثم أذِن بالانصراف ؛ وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

[حكايات تروى عن تهتكه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال : لما ولي الوليدُ بن يزيد لَهِج بالغِناء والشَّراب والصيد ، وحمَل المغنّين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشْعب فجاء به ، فألْبَسه سراويلَ من جلد قرد له ذَنب ، وقال له : ارقُصْ وغنّني شعراً يُعجبني ؛ فإن فعلتَ فلكَ ألفُ درهم ؛ فغنّاه فأعجبه فأعطاه ألف درهم .

ودخل إليه يوماً ، فلمّا رآه الوليد كشف عن أيْره وهو مُنعِظٌ ، قال أشعب : فرأيتُه كأنّه مزمار آبِنُوس مدهون ، فقال لي : أرأيتَ مثلَه قطّ ؟ قلت : لا يا سيّدي ؛ قال : فاسجُدْ له ، فسجدت ثلاثاً ؛ فقال : ما هذا ؟ قلت : واحدةٌ لأيْرك وثِنْتيْن لخُصْيَتيك . قال : فضحك وأمر لي بجائزة .

قال : وتكلم بعضُ جلسائه والمغنية تغنّي ، فكرِه ذلك وأضجَره ؛ فقال لبعض جلسائه : قُمْ فَنِكْهُ ، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك .

وذكرت جاريةٌ أنّه واقعها يوماً وهو سكرانُ ، فلمّا تنحَّى عنها آذنه المؤذّنُ بالصلاة ، فحلف ألاّ يصلّيَ بالناس غيرُها ؛ فخرجت متلثِّمةً فصلّت بالناس .

---

1 أير في ل والديوان : دين الحمار .
2 رواية الديوان : واتركا من طلب الجـ ـنّة يسعى في خسار
(طبعة دار الكتاب الجديد) .

قال : ونزل على غدير ماء فاستحسنه . فلمّا سكِر حلف ألاّ يبرحَ حتى يشربَ ذلك الغدير كلَّه ونام ، فأمر العلاءُ بن البُنْدار بالقِرَب والرَّوَايا فأُحضرت ، فجعل ينزَحه ويصبّه على الأرض والكُثُبِ التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء ؛ فلمّا أصبح الوليد رآه قد نشِف فطرِب وقال : أنا أبو العباس ! ارتحِلوا . فارتحل الناس .

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال النَّضْر بن حديد حدَّثني ابن أبي جَنَاح قال أخبرني عمر بن جَبَلة : أنّ الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدتْه المبيتَ ؛ فقال حين انصرف[1] : [من البسيط]

قامـــت إليّ بتقبيـــل تعانِقنـــي ... رَيَّـا العظامِ كأن المسك في فِيها
أُدْخُل فديتُك لا يشعُرْ بنـا أحدٌ ... نفسي لنفسك مـــن داء تُفدِّيها
بتنـــا كذلك لا نـــومٌ على سُرُرٍ ... من شدّة الوجـد تُدْنيني وأُدنِيها
حتى إذا ما بدا الخَيْطان قلت لها ... حان الفِراقُ فكاد الحزن يُشجيها
ثم انصرفتُ ولم يشعر بنـا أحدٌ ... واللهُ عنّـــي بحسن الفعل يَجْزِيها

[استسقى من بني كلب]

وحدّثني النَّضْر بن حَديد قال حدّثنا هشام بن الكلبيّ عن خالد بن سعيد قال : مرَّ الوليد بن يزيد وهو متصيّدٌ بنسوة من بني كلب من بني المِنْجاب ، فوقف عليهن واستسقاهنّ وحدّثهنّ وأمر لهنّ بصلة ، ثم مضى وهو يقول[2] : [من الكامل]

ولقـــد مـــررتُ بِنسْوة أعشيْنَني ... حُورِ المدامعِ مـن بنـي المِنْجابِ
فيهـــنّ خَرْعبـــةٌ مليـــحٌ دلُّها ... غَرْثَـى الوِشاح دقيقـة الأنيابِ[3]
زَيْنُ الحواضر ما ثَوَتْ في حَضْرِها ... وتَزيـــنُ باديَهـــا مـــن الأعرابِ

[أطلق غزالاً صاده]

قال النَّضْر وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبيه : أنّ الوليد خرج يتصيّد ذات يوم ، فصادت كلابه غزالاً ، فأُتِي به فقال : خلُّوه ، فما رأيت أشبهَ منه جيداً وعينين بسَلْمَى . ثم أنشأ يقول[4] : [من الرمل]

1 ديوان الوليد : ص 92 ، رقم 108 عن الأغاني .
2 ديوان الوليد : ص 20 ، رقم 9 عن الأغاني .
3 الخرعبة : اللينة الرخصة الحسنة الخلق . وغرثى الوشاح : دقيقة الخصر .
4 ديوانه : ص 29 ، رقم 20 .

ولقـد صِدْنَـا غـزالاً سانحاً   قـد أردنـا ذبحَـه لما سَنَحْ
فـإذا شِبْهُـك مـا نُنكره   حين أزجى طَرْفَـه ثم لَمَحْ[1]
فتركنـاه ولـولا حبُّكـم   فاعلمي ذاك لقد كان انذبحْ
أنـتَ يـا ظبيُ طليقٌ آمِن   فاغْدُ في الغِزْلانِ مسروراً وَرُحْ

[مماجنته شراعة بن الزندبوذ]

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد الدمشقي قال : بعث الوليد بن يزيد إلى شُراعة[2] بن الزَّنْدَبُوذ ؛ فلمّا قدم عليه قال : يا شُرَاعة ، إني لم أستحضِرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيَك في الفقه ولا لتحدّثني ولا لتقرئني القرآن ؛ قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً . قال : فكيف علمُك بالفتوّة ؟ قال : ابنُ بَجْدَتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فسَلْ عما شئتَ . قال : فكيف علمك بالأَشْرِبة ؟ قال : ليسألني أمير المؤمنين عمّا أُحبّ . قال : ما قولُك في الماء ؟ قال : هو الحياة ، ويَشْرَكني فيه الحمار . قال : فاللّبن ؟ قال : ما رأيته قطّ إلاّ ذكرت أمّي فاستحييتُ . قال : فالخمر ؟ قال : تلك السارّة البارّة وشرابُ أهل الجنة . قال : لله درّك ! فأيّ شيء أحسن ما يُشرب عليه ؟ قال : عجبتُ لمن قدَر أن يشرب على وجه السماء في كِنّ من الحرّ والقُرّ كيف يختار عليها شيئاً !

[الوليد وحادثة المصحف]

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سُليم قال : دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف ؛ فلمّا فتحه وافق ورقةً فيها : ﴿واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ . فقال : أسْجَعاً سَجْعا ! علِّقوه ؛ ثم أخذ القوس والنّبل فرماه حتى مزّقه ؛ ثم قال[3] : [من الوافر]

أتُوعِـد كلَّ جَبّـارٍ عنيدٍ   فهـا أنا ذاك جبار عنيدُ
إذا لاقيتَ ربَّك يوم حشرٍ   فقـل لله مزّقنـي الوليدُ[4]

قال : فما لبِث بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى قتل .

1 أزجى لعلّها أرخى .
2 كان أحد المجان الندماء وسيتكرّر ذكره في الأغاني .
3 ديوان الوليد : ص 35 ، رقم 29 .
4 مزقني في ل والديوان : خرقني .

[غضب على جارية لم تغن كما أمرها]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عيّاش المَرْوزيّ (من أهل ذي المَرْوة) أنّ أباه حمل عدّةَ جَوارٍ إلى الوليد بن يزيد ؛ فدخل إليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسنَ الوجه والشّعَرة وفيًّها ؛ فأمر الوليد جاريةً منهنّ أن تغنّي[1] : [من البسيط]

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد ... أو عبد شمس أَوَ آصحاب اللّوا الصِّيدِ

وأمرها أخوه أن تغنّي[2] : [من الوافر]

أتعجَبُ أن طربتُ لصوت حادٍ ... حـدا بُـزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ

فغنّت ما أمرها به الغمر[3] ؛ فغضب الوليد واحمرّ وجهه ، وظنّ أنّها فعلت ذلك ميلاً إلى أخيه ، وعرفت الشرَّ في وجهه ، فاندفعتْ فغنّت[4] : [من الخفيف]

صوت

أيُّها العاتبُ الذي خاف هجري ... وبِعـادي ومـا عَمَـدْتُ لذاكا
أتُـرَى أنّنـي بغيـرك صـبٌّ ... جعـل الله مـن تظـنُّ فداكا
أنت كنتَ الملـولَ في غير شيء ... بئس مـا قلت ليس ذاك كذاكا
ولَـوَ آنّ الذي عتبـتَ عليـه ... خُيِّر الناسَ واحـداً مـا عداكا
فارْضَ عنّـي جُعلتُ نعليك إنّي ... والعظيم الجليل أهـوى رضاكا

الشعر لعمر . والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق ، ولحنُه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً . قال : فسُرّي عن الوليد وقال لها : ما منعك أن تغنّي ما دعوتك إليه ؟ قالت : لم أكن أُحْسِنه ، وكنتُ أحسن الصوتَ الذي سألنيه ، أخذتُه من ابن عائشة ؛ فلمّا تبيّنتُ غضبَك غنّيتُ هذا الصوتَ وكنت أخذته من معبد . تعني الذي اعتذرت به إليه .

---

1 البيت لحسّان بن ثابت في ديوانه : 349 .
2 البيت لجميل بن معمر . ديوانه : 49 .
3 ذكر أبو الفرج في الخبر أنّ أخاه الذي كان عنده هو عبد الجبّار .
4 أبيات عمر في ديوانه : 288 مع اختلاف في اللفظ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أوَ اصحاب اللِّوا الصِّيدِ
أو من بنـي نوفَلٍ أو آل مُطَّلِبٍ أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاَعِيدِ
أو من بني زُهْرَةَ الأبطالِ قد عُرِفوا لله دَرُّك لم تَهْمُـمْ بتهـديدِ

الشعر لحسّان بن ثابت ، يقوله لُمسافِع بن عِياض أحدِ بني تَيْم بن مُرّة ، وخبرُه يذكر بعد هذا . والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر ، وقيل : إنّه لمالك .

ومنها : [من البسيط]

صوت

أتعجَب أن طرِبتُ لصوت حادِ حـدا بُزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ
فـلا تعجَبْ فإن الحبّ أمسى لبثْـة في السّواد من الفؤادِ

الشعر لجميل . والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر .

[يشتري جارية غنته بشعر المخزومي]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : عُرِضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ مغنّية ، فقال لها : غنِّي ، فغنَّتْ[1] : [من السريع]

صوت

لولا الذي حُمِّلتُ من حُبّكم لكـان من إظهـاره مَخرْجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ أجَلْ ومن حَجّتْ له مَذْحِجُ
لكـن سباني منهـمُ شادنٌ مربَّـبٌ بينهـمُ أدْعَـجُ
أغـرُّ ممكـورٌ هَضِيمُ الحَشَى قد ضاق عنه الحَجْل والدُّمْلُجُ

فقال لها الوليد : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للوليد بن يزيد المَخْزوميّ . قال : فمِمَّن أخذتِ الغناء ؟ قالت : من حُنَيْن . فقال : أعِيدِيه ، فأعادته فأجادت ؛ فطرِب الوليد ونعَر وقال : أحسنتِ وأبي وجمعتِ كلَّ ما يُحتاج إليه في غنائك ، وأمر بابتياعها ، وحَظِيَتْ عنده .

غنّى في هذا الصوت ابن سريج ، ولحنُه رمل بالبنصر . وغنّى فيه إسحاق فيما ذكر

1 تقدّم هذا الخبر في هذه الترجمة ، وهناك نسب الشعر إلى الحارث بن خالد المخزوميّ (صفحة 20) .

الهشاميّ خفيفَ ثقيلٍ .

وممّا يغنّى به من هذه القصيدة : [من السريع]

صوت

قد صـــرّح القوم وما لَجْلَجُوا　　لَجُّوا علينا ليـــت لم يَلْجَجُوا
باتـــوا وفيهـــم كالمَهَـــا طَفْلَةٌ　　قد زانهـــا الخلخـــال والدُّمْلُجُ

غنّاه صباح الخَيّاط خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر . وغنّى فيه ابن أبي الكنّات خفيفَ ثقيل بالوسطى .

[حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض]

فأمّا خبر الشعر الذي قاله حَسّان بن ثابت لمُسَافِع بن عِيَاض أحد بني تَيْم بن مُرّة ، فأخبرني به الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن : أنّ عبيد الله بن مَعْمَر وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز اشتريَا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقيقاً ممّن سُبِي ، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم ؛ فأمر بهما عمر أن يُلْزَما . فمرّ بهما طلحة بن عُبيد الله وهو يريدُ الصلاةَ في مسجد رسولِ الله ﷺ فقال : ما لابن مَعْمَرٍ يُلازَم ؟ فأُخْبر خبرَه ؛ فأمر له بالأربعين ألفاً التي عليه تُقضى عنه . فقال ابن معمر لابنِ عامر : إنّها إن قُضيتْ عنّي بقِيتَ مُلازَماً ، وإن قضيتْ عنك لم يتركني طلحة حتى يقضيَ عنّي ؛ فدفع إليه الأربعين ألفاً درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخُلِّيت سبيلُه . فمرّ طلحة منصرفاً من الصلاة فوجد ابنَ معمر يلازَم فقال : ما لابن معمر ؟ ألم آمُرْ بالقضاء عنه ! فأُخْبر بما صنع ؛ فقال : أمّا ابن معمر فعلم أنّ له ابن عمّ لا يُسْلِمه ، إحمِلوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه ، ففعلوا وخُلِّي سبيلُه . فقال حَسّان بن ثابت لُمسافِع بن عِيَاض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة : [من البسيط]

يـــا آلَ تَيْـــم ألاَ تَنْهَوْن جاهلَكم　　قبـــلَ القِـــذاف بصُـــمٍّ كالجلاميدِ
فَنَهْنِهُـــوه فإنّـــي غيـــرُ تارككم[1]　　إن عاد ما اهتزّ ماءٌ في ثَرَى عودِ
لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد　　أو عبد شمس أو آصحاب اللِّوا الصِّيدِ
أو مـــن بنـــي نوفل أو آل مُطَّلِبٍ　　أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاعيدِ[2]

---

1 نهنهوه : ازجروه وكفوه .

2 الجلاعيد : الشداد الصلاب .

أو من بني زُهْرةَ الأبطال قد عُرِفوا ... لله دَرُّك لم تَهْمُمْ بتهديدِ
أو في الذُّؤابة من تَيْم إذا انتسبوا ... أو من بني الحارث البيض الأماجيدِ
لكن سأصرفها عنكم وأعدِلُها ... لطلحةَ بن عبيد الله ذي الجودِ

رجع الخبر إلى سياقة أخبار الوليد

[الوليد وأبو الأقرع]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهَيْثم حدّثني ابن عَيّاش قال : دخل أبو الأقرع[1] على الوليد بن يزيد ؛ فقال له : أنشِدْني قولَك في الخمر ؛ فأنشده قولَه : [من الطويل]

كُميْتٌ إذا شُجَّتْ وفي الكأس وَرْدةٌ ... لها في عظام الشاربين دبيبُ
تُرِيك القَذَى من دونها وهي دونَه ... لوجه أخيها في الإناء قُطوبُ

فقال الوليد : شربتَها يا أبا الأقرع وربِّ الكعبة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لئن كان نَعْتي لها رابك لقد رابني معرفتُك بها .

[إعجابه بأم حبيب]

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو قال قال المدائنيّ : نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عَوْف وقد مرّوا بين يديها بالشمع ليلاً ، فلمّا رآها أعجبتْه وراعه جمالُها وحسنها ؛ فسأل عنها فقيل له : إن لها زوجاً ؛ فأنشأ يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنّما هاج لقلبي ... شَجْوَه بعد المَشِيبِ
نظرةٌ قد وقَرَتْ في الـ ... ـقلب من أمّ حبيبِ
فإذا ما ذقتُ فاها ... ذقت عذباً ذا غُروبٍ[3]
خالط الراحَ بمسك ... خالصٍ غير مشوبِ

غنّاه ابن محرز خفيفَ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ ؛ وذكر عمرو بن بانة أنّه للأبجر ، وهو الصحيح .

1 سيترجمُ له أبو الفرج فيما بعدُ .
2 ديوان الوليد : ص 19–20 ، رقم 8 عن الأغاني .
3 الغروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وبلله . وغروب الأسنان : مناقع ريقها .

[الوليد بن يزيد في آخر دولته]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن العُتْبيّ قال : لمّا ظهرت المُسوِّدَةُ[1] بخُرَاسان كتب نصر بن سَيَّار إلى الوليد[2] يستمدّه ، فتشاغَل عنه ؛ فكتب إليه كتاباً وكتب في أسفله يقول : [من الوافر]

أرى خَلَلَ الرَّماد وَمِيضَ جمرٍ وأَحْرِ بأن يكونَ لــه ضِرامُ
فإن النــار بالعوديــن تُذْكَى وإنّ الحــرب مبدؤها الكلامُ
فقلتُ من التعجّب ليتَ شعري أأيقــاظٌ أُميّــةُ أم نِيــامُ

فكتب إليه الوليد : قد أقطعتُك خراسانَ ، فاعمل لنفسك أو دَعْ ، فإنّي مشغول عنك بابن سريج ومعبد والغريض .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن حَمّاد الراوية قال : دخلتُ يوماً على الوليد وكان آخرَ يوم لقِيتُه فيه ، فاستنشدني فأنشدتُه كلَّ ضرب من شعر أهل الجاهليّة والإسلام ؛ فما هَشّ لشيء منه حتى أخذتُ في السُّخف فأنشدته لعَمّار ذي كناز[3] مجنبذا[4] : [من مجزوء الخفيف]

أشتهي مِنْكِ منك منـ ـــك مكانــاً مُجَنْبذا
فأجَـا فيــه فيـ ـــه بأيْــر كمثــل ذا
ليت أيْري وحِرَك يو مــاً جميعــاً تَجابَذَا
فأخـــذ ذا بشعـر ذا وأخـــذ ذا بقعـــر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب ، ودعا بالشراب فشرب ؛ وجعل يَستعيدني الأبياتَ فأُعيدها حتى سكِر وأمر لي بجائزة ؛ فعلمتُ أنّ أمره قد أدبر . ثم أُدخلتُ على أبي مُسْلمٍ فاستنشدني فأنشدتُه ، قولَ الأفوه[5] :

لنـا معاشرُ لم يـبنوا لقومهمُ

---

1 المسودة : دعاة بني العبّاس .

2 في الطبري (أحداث سنة 129) وغيره من كتب التاريخ أنّه بعث بهذه الأبيات إلى مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أُميّة .

3 شاعر ماجن سيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

4 لعلّ المقصود الأبيات التي ترِد هذه الكلمة في مطلعها والمجنبذ : المرتفع .

5 هو الأفوه الأودي صلاءة بن عمرو وسيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

فلمّا بلغتُ إلى قوله : [من البسيط]

تُهدَى الأمورُ بأهلِ الرشد ما صَلَحَتْ وإن تولّت فبالأشرار تَنقادُ

قال : أنا ذلك الذي تنقاد به الناس ؛ فأيقنت حينئذ أنّ أمره مُقْبِل .

[خطب يوماً خطبة الجمعة بشعر]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال : وجدتُ في كتاب عن عبيد الله بن سعيد الزُّهْريّ عن عمر عن أبيه قال : خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب ؛ فقيل له : إنّ اليوم الجمعة ؛ فقال : والله لأخطبنّهم اليوم بشعر ؛ فصعِد المِنبَر فخطب فقال[1] : [من الرجز]

الحمد لله وليّ الحمدِ أحْمَدُه في يُسْرنا والجَهْدِ
وهو الذي في الكرب أستعينُ وهو الذي ليس له قرينُ
أشهد في الدنيا وما سواها أن لا إله غيره إلها
ما إن له في خَلْقه شَريكُ قد خضَعتْ لملكه الملوكُ
أشهد أنّ الدّين دينُ أحمدِ فليس من خالَفه بمهتدِي
وأنّه رسولُ ربِّ العرشِ القادرِ الفردِ الشديدِ البطشِ
أرسله في خَلْقه نذيرا وبالكتاب واعظاً بشيرا
ليُظهِرَ اللهُ بذاك الدّينا وقد جُعِلْنا قبلُ مُشركِينا
من يُطِعِ اللهَ فقد أصابا أو يَعْصِه أو الرسولَ خابا
ثم القُرانُ والهدى السبيلُ قد بقِيا لمّا مضى الرسولُ
كأنّه لما بقي لديكُم حيٌّ صحيحٌ لا يزال فيكم
إنّكم من بعدُ إن تَزِلُّوا عن قصده أو نَهْجِه تَضِلُّوا
لا تَتْركنْ نصحي فإنّي ناصحُ إنّ الطريق فاعلمنّ واضحُ
من يَتَّق اللهَ يَجِد غِبَّ التّقى يوم الحساب صائراً إلى الهدى
إن التُّقى أفضلُ شيءٍ في العمل أرَى جِمَاعَ البرّ فيه قد دخلْ
خافوا الجحيمَ إخوتي لعلّكم يومَ اللقاء تعرِفوا ما سرَّكُمْ
قد قيل في الأمثال لو علمتُم فانتفِعوا بذاك إن عَقَلْتُم

1 ديوان الوليد : ص 99 – 100 ، رقم 115 .

ما يزرعُ الزارعُ يوماً يحصدُهْ　　　وما يقدِّم من صلاح يَحمَدُهْ
فاستغفِروا ربَّكُم وتوبـوا　　　فالموتُ منكم فاعلموا قريبُ

ثم نزل .

[الوليد بن يزيد والوليد البندار]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه عن الوليد البُنْدار[1] قال : حَججتُ مع الوليد بن يزيد ؛ فقلت له لما أراد أن يخطبَ الناسَ : أيها الأمير ؛ إنّ اليومَ يومٌ يشهَدُهُ الناسُ من جميع الآفاق ، وأريد أن تشرّفني بشيء .

قال : وما هو ؟ قلتُ : إذا علوتَ المنبر دعوتَ بي فيتحدّث الناس بذلك وبأنك أَسْرَرْتَ إليّ شيئاً ؛ فقال : أَفْعلُ . فلما جلس على المنبر قال : الوليد البُنْدار ؛ فقمتُ إليه ، فقال : ادْنُ مني فدنوتُ ؛ فأخذ بأُذُني ثم قال : البُندار ولدُ زنا ، والوليدُ ولدُ زنا ، وكلٌّ من ترى حولنا ولدُ زِنا ، أفهمتَ ؟ قلتُ : نعم ؛ قال : انزل الآن ، فنزلتُ .

[نادرة مع أشعب]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن أشْعَب قال : دخلتُ على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذاً ، فقال لي : تَمَنّ ؛ فقلت : يتمنَّى أميرُ المؤمنين ثم أتمنَّى ؛ قال : فإنما أردتَ أن تَغلِبَني ، فإنّي لأتمنّى ضعفَ ما تتمنّى به كائناً ما كان ؛ قلت : فإنّي أتمنّى كِفْلَيْن[2] من العذاب ؛ فضحك ثم قال : إذاً نوفّرهما عليك . ثم قال لي : ما أشياءُ تبلُغني عنك ؟ قلتُ : يكذبون عليّ . قال : متى عهدُك بالأصمّ ؟ قلتُ : لا عهدَ لي به . فأخرج أيرَه كأنّه نايٌ مدهون ، فسجدتُ له ثلاثَ سجدات ؛ فقال : وَيْلَكَ إنّما يسجُد الناسُ سَجدةً واحدةً ؛ فقلت : واحدةً للأصمّ واثنتين لخُصْيَتيك .

[يغالي بالجوهر]

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال حدّثني عبد الصمد بن موسى الهاشميّ قال : إنّما أَغْلَى الجوهرَ بنو أميَّة ؛ ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقودَ ويغيّرها في اليوم مراراً كما تُغيِّر الثياب شغفاً ؛ فكان يجمعه من كلّ وجه ويُغالي به .

[برز للناس راكباً فرساً]

قال : وكان يوماً في داره على فرس له وجاريةٌ تضرِب بطبل قدّامَه ؛ فأخذه منها ووضعه على رقبته ، ونفَر الفرسُ من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة ، وكان خليعاً .

1 البندار : الخازن .
2 الكفل : النصيب .

[قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ عن جُوَيرية بن أسماء قال : قدِم الوليد بن يزيد المدينةَ ؛ فقلتُ لإسماعيل بن يَسار : أَحْذِنا[1] ممّا أعطاك الله ؛ فقال : هَلُمَّ أُقاسِمْك إن قبلتَ ، بعَث إليّ براويةٍ[2] من خمر .

[أمر بإسكار حاجبه وكان لا يشرب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصعَب قال حدّثني رجل قال : كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يومَ الاثنين تغدّى وشرِب رِطْلين ثم جلس للناس . قال : فحدّثني عمر الوادي قال : دخلتُ عليه وعنده أصحابُه وقد تغدّى وهو يشرب ؛ فقال لي : اشرب فشرِبت ، وطرب ، وغنّى صوتاً واحداً وأخذ دَفّافة فدفف بها ، فأخذ كلٌّ واحد منا دفافة فدفف بها ، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجبِ ؛ فلمّا رآنا الحاجب صاح بالناس : الحُرَم الحُرَم ؛ اخرُجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلني الله فداءك ، اليومَ يحضُر فيه الناس ؛ فقال له : اجلس واشرب ؛ فقال : إنّما أنا حاجب فلا تحمِلْني على الشّراب فما شربته قطّ ؛ قال : اجلس فاشرب ، فامتنع ؛ فما فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقِمع وقام وهو سكران .

[افتري عليه افتراعه ابنته]

أخبرني أحمد بن عُبيد بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن شَريك قال حدّثني عمّي علي بن عمرو قَرْقارة قال حدّثني أُنَيْف بن هشام بن الكلبيّ ومات قبل أبيه قال حدّثني أبي قال : خرج الوليد بن يزيد من مقصورةٍ له إلى مقصورةٍ ؛ فإذا هو ببنت له معها حاضِنتُها ، فوثب عليها فافترعها ؛ فقالت له الحاضِنة ؛ إنها المجوسيّة ؛ قال : اسكتي ! ثم قال : [من مخلع البسيط]

مَن رَاقب الناسَ مات غَمّاً وفــازَ باللــذّةِ الجَسورُ

وأحسب أنا أنّ هذا الخبر باطلٌ ؛ لأنّ هذا الشعر لسَلْم الخاسر ، ولم يُدرك زمن الوليد .

[تمنى غلاء الخمر وعزة النساء]

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مَسْلَمة بن سَلْم الكاتب قال : قال الوليد بن يزيد : ودِدْتُ أن كل كأس تُشْرَبُ من خمر بدينار ، وأن كلّ حِرٍ في جبهة أسد ، فلا يَشرب إلاّ سخيّ ، ولا ينكِح إلاّ شجاعٌ .

[شرب شرب الفرس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال :

---

1 أحذنا : أعطنا .

2 الراوية : القربة .

سمعتُ رجلاً يحدّث أبي بالكوفة قال : أرسلت إلى الوليد جَفْنةً مملوءةً قواريرَ فِرْعَوْنيّة لم يُرَ مثلُها قطّ . فلما أمسينا صبَبْنا فيها الشراب في ليلة أربعَ عشرةَ ، حتى إذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد : في أيّ منزلةِ القمرُ الليلةَ ؟ فقال بعضهم : في الحَمَل ، وقال بعضهم : في منزلة كذا وكذا من منازل القمر ؛ فقال بعض جلسائه : القمرُ في الجفنة ؛ قال : قاتَلك الله ! أصبتَ ما في نفسي ! لتَشْربنَّ الهفتجنّة[1] . فقال مصعب : فسأل أبي عن الهفتجنّة فقال : شُرْب كانت الفرسُ تشربه سبعةَ أسابيع . فشرب تسعةً وأربعين يوماً .

[رثاء ابن أذينة لأخيه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ عن عبد الله بن عِمْران بن أبي فَرْوة قال أخبرني خالد صامة المغنّي وكان من أحسن الناس غناءً على عودٍ قال : بعث إليّ الوليد بن يزيد ، فقدِمتُ عليه ، فوجدتُ عنده معبداً ومالكاً والهُذليّ وعمر الوادي وأبا كامل ؛ فغنّى القوم ونحن في مجلس يا لَه من مجلس ! وغلامٌ للوليد يقال له سَبْرة يَسقي القومَ الطِّلاءَ ، إذ جاءت نَوْبةُ الغناء إليّ ، فأخذتُ عودي فغنّيت بأبيات قالها عُروة بن أُذينة يرثي أخاه بكراً : [من الوافر]

صوت

سَرَى همّي وهمُّ المرء يَسري — وغـار النجـمُ إلاّ قِيـدَ فِتْرِ
أُرَاقب في المَجَـرّة كلّ نجم — تعرّض في المجرّة كيف يَجري
بحُـزْن مـا أزال لـه مُدِيماً — كأنّ القلب أُسعر حـرَّ جمرِ
على بكـر أخـي ولّـى حميداً — وأيُّ العيش يحسُن بعـد بكرِ

غنّاه ابن سريج ثانيَ ثقيل بالوسطى . وغنّى فيه ابن عَبّاد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ ، قال خالد : فقال لي الوليد : أعِدْ يا صَامُ فأعدتُ ؛ فقال : من يقوله ويحك ؟ قلتُ : ابن أذينة ؛ قال : هذا والله العيشُ الذي نحن فيه على رغم أنفه ، لقد تحجَّر[2] واسعاً . قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله بن أبي فَرْوة : وأنشدها ابنُ أذينة ابنَ أبي عتيق ؛ فضحك ابن أبي عتيق وقال : كلّ العيش يحسُن حتى الخبز والزيت ؛ فحلَف ابنُ أذينة لا يكلّمه أبداً ؛ فمات ابن أبي عَتيق وابنُ أذينة مهاجِرٌ له .

---

1 الهفتجنة : كلمة فارسية مركّبة من «هفت» : سبعة و«جنة» : مرح .

2 تحجر واسعاً : ضيقه .

[أنشدت سكينة بنت الحسين شعر ابن أذينة فاعترضت عليه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغني أنّ سكينة بنت الحسين رضي الله عنها أُنْشِدَتْ ، وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير عن مصعب قال : أُنشدتُ سكينةُ ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عبّاد عن أبيه عن أبي يحيى العِبادي : أنّ سكينة أُنشدت أبياتَ عروة بن أذينة في أخيه بكر ؛ فلما انتهت إلى قوله : [من الوافر]

على بكر أخـي ولّـى حميداً وأيُّ العيش يحسُن بعد بكر

قالت سكينة : ومن أخوة بكر ! أليس الدَّحْدَاحَ الأُسيِّدَ القصير الذي كان يمرّ بنا صباحاً ومساءً ؟ قالوا : نعم ؛ قالت : كلّ العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ عن إسحاق قال : قدِم سليمان بن عبد الملك المدينةَ ، فجمع المغنّين وسَبَّق بينهم ببَدْرة ، وقال : أيُّكم كان أحسن غناءً فهي له ؛ فاجتمعوا . فبلغ الخبرُ ابنَ سريج ، فجاء وقد أُغلِق الباب ؛ فقال للحاجب : استأذِن لي ؛ قال : لا يُمكن وقد أُغلق الباب ، ولو كنتَ جئت قبل أن يُغلقَ الباب لاستأذنتُ لك . قال : فدعني أغنّ من شقّ الباب ؛ قال نعم . فسكتَ حتى فرغ جميعُ المغنّين من غنائهم ثم اندفع فغنّى :

سرى همّي وهمُّ المرء يسري

فنظر المغنّون بعضُهم إلى بعض وعرفوه ؛ فلما فرغ قال سليمان : أحسن والله ! هذا والله أحسنُ منكم غناءً ، أُخرج يا غلام إليه بالبَدْرة ، فأخرجها إليه .

[الوليد بن يزيد وفرسه السندي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن جُعْدُبَة : أنّ رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً ، فكان فيها فرس مرْبُوعٌ قريبُ الرّكاب ؛ فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام ، فنهَر الرجلَ وشتَمه وقال : أتَجيء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين ! رُدّوه عليه ، فردّوه . فلما خرج وجّه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه ؛ فهو فرسه الذي يسمّيه السِّنْديّ .

فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيّد وحده ؛ فانتدَب إليه مولًى لهشام يريد الفتك به . فلمّا بَصُر به الوليد حاوَله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله . وقال في ذلك[1] : [من الطويل]

ألم تَـرَ أنّي بـين ما أنا آمِنٌ يَخُبّ بـي السِّنْديُّ قفراً فَيافِيَا
تطلّعتُ من غَوْرٍ فأبصرتُ فارساً فأوجستُ منه خِيفـةً أن يرانيا

1 ديوان الوليد : ص 94–95 ، رقم 111 عن الأغاني .

ولما بــدا لي أنما هــو فارسٌ وقفتُ لـــه حتى أتى فرمانيا
رمـــاني ثلاثـــاً ثم إنّي طعنته فروّيْتُ منـــه صَعْدتي وسِنانيا

غنّاه أبو كامل لحناً من الماخُوريّ بالبنصر . ولإبراهيم فيه ثقيل أوّل ، وقيل : إن له فيه ماخُوريّاً آخر . وفيه لعمر الوادي ثاني ثقيل . ولمالك رَمَلٌ من رواية الهشاميّ .

قال : وقال الوليد أيضاً في فرسه السِّنْديّ[1] : [من الرجز]

قد أَغْتدِي بذي سَبِيبٍ هَيْكلِ مُشَرَّب مثـلِ الغرابِ أرْجَلِ[2]
أعددتـــه لحَلَبـــاتِ الأحـــولِ وكلٌ نَقْـــع ثائـــرٍ لجَحْفَلِ
وكلّ خَطْب ذي شؤون مُعْضِلِ

فقال هشام : لكنّا أعددنا له ما يسوءه ، نخلَعه ونُقْصيه ، فيكون مهاناً مدحوراً مُطَّرَحاً .

[رثاؤه سلمى]

نسختُ من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدّثني أبو الحسن العَقِيليّ : أنّ الوليد لمّا ولي الخلافةَ خطَب سَلْمَى التي كان يَنْسِبُ بها ، فزُوِّجها لمّا مضى صدرٌ من خلافته ؛ فقامت عنده سبعةَ أيّام فماتت ؛ فقال يرثيها[3] : [من الكامل]

يا سلم كنتِ كجنّةٍ قد أُطْعِمتْ أفنانُهـــا دانٍ جَناهـا مُوَضَّعُ
أربابُهـــا شَفَقاً عليها نومُهم تحليـل موضعها ولّمـا يَهْجَعوا
حتى إذا فسح الربيعُ ظنونَهم نَثَر الخريفُ ثمارَها فتصدّعوا

[أمر بقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالية ، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سَعيد عن الزُّبَير بن بكّار عن عمّه : أنّ الوليد بن يزيد لمّا انهمك على شربه ولذّاته ورفَض الآخرةَ وراء ظهره وأقبل على القَصْف والعسف[4] مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم ، كان نديمُه القاسمَ بن الطويل العباديّ ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً ، فكان لا يصبر عنه ؛ فغنّاه معبد ذات يوم شعر عديّ بن زيد العَباديّ : [من الخفيف]

---

1 ديوان الوليد : ص 73–74 ، رقم 80 .

2 السبيب من الفرس : شعر الذنب والعُرف والناصية . الهيكل من الخيل : الكثيف العبل اللين . مشرب : امتزج لونه بحمرة . الأرجل : الذي في إحدى رجليه بياض .

3 ديوان الوليد : ص 56 ، رقم 58 عن الأغاني .

4 ل : والعصف .

صوت

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولـون لي ألا تَستفيقُ
لستُ أدْري وقد جفاني خليلي أعـدوٌّ يلومنـي أم صديـقُ
ثـم قالـوا ألا اصْبَحونا فقامت قينـةٌ في يمينهـا إبريـقُ
قدّمتْه على عُقـار كعين الـ ـدّيـكِ صَفّى سُلافَها الرّاووقُ

فيه لمعبد ثقيل أوّل ويقال إنّه لحُنَين . وفيه لمالك خفيف رمل . وفيه لعبد الله بن العبّاس رَمَلٌ كلٌّ ذلك عن الهشاميّ قال : فاستحسنه الوليد وأُعْجِبَ به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه ، فانصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه ، فعُرِّف حين انصرافه ؛ فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سَبْرة : ائتني برأسه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقَه وأتاه برأسه فجعله في طَسْت بين يديه ؛ فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعُرِّفَه فاسترجَع وندم على ما فرط منه ، وجعل يقلِّب الرأسَ بيده . ثم قال يرثيه[1] : [من مجزوء الكامل]

صوت

عَيْنَيّ للحَـدَث الجليل جُـودَا بأَرْبعـةٍ هُمُولِ
جـودا بدمـع إنّه يشفي الفؤادَ من الغَليلِ
لله قبـرٌ ضُمِّنـت فيـه عظامُ ابن الطويلِ
مـاذا تضمَّن إذ ثَوَى فيـه مـن اللّبّ الأصيلِ
قـد كنتُ آوِي من هوا ك إلى ذَرى كَهْفٍ ظَلِيلِ[2]
أصبحتُ بعدك واحـداً فرداً بمَدْرَجـة السيولِ

غنّاه الغَريض ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو . وغنّى فيه سُلَيم لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر غيره أنّ لحن الغريض لدَحْمَان ، وذكر حبشٌ أنّه لأبي كامل ، وذكر غيرُه أنّ لحن الغريض لدَحمان . قال : ثم دخل إلى جواريه فقال : والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل . فيقال : إنّه لم يَعِشْ بعده إلاّ مُدَيدةً حتى قُتل . والله أعلم .

[أجاز حماداً الراوية على إنشاده]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال رَوى الهيثم بن عديّ عن ابن عَيَّاش عن

---

1 ديوان الوليد : ص 70–71 ، رقم 75 عن الأغاني .
2 الذرى : كلّ ما استتر به . يقال أنا في ظلّ فلان وذراه ، أي في كنفه وستره .

حَمَّاد الراوية قال : دعاني الوليد يوماً من الأيّام في السَّحَر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح ؛ فقال : أنشدني في النَّسيب ؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة ، فلم يَهَشَّ لشيء منها ، حتى أنشدته قولَ عمّار ذي كناز : [من مجزوء الخفيف]

إصْبَحِ القـومَ قهـوةً   في الأباريـق تُحْتَـذَى
مـن كُمَيْت مُدامـةٍ   حَبّـذا تلـك حبّـذا

فطرب . ثم رفع رأسَه إلى خادم وكان قائماً كأنّه الشمس ، فأومأ إليه فكشف سِتْراً خلفَ ظهره ، فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفةً كأنّهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريقُ والمناديل ؛ فقال : اسْقُوهم ، فما بَقي أحد إلاّ أُسْقِي ، وأنا في خلال ذلك أُنشِده الشعر ؛ فما زال يشرب ويسقي إلى طلوع الفجر . ثم لم نخرج عن حضرته حتى حَملنا الفرّاشون في البُسُط فألقَوْنا في دار الضيافة ، فما أَفَقْنا حتى طلعت الشمس . قال حَمّاد : ثم أحضرني فخلَع عليّ خِلعاً من فاخر ثيابه وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحمَلني على فرس .

[خاصم وكيله في أرض لدى هشام فلم ينصفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدَائنيّ عن أبي بكر الهُذَلِيّ قال : كان بين الحكَم بن الزُّبَير أخي أبي بكر بن كلاب وبين بكر بن نَوْفل أحدِ بني جعفر بن كلاب شيءٌ في وَكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفريّ في الرَّحبة[1] من أرض دمشق ، وكان الجعفريُّ قد استولى عليها فقطع شَفْرَه الأعلى ، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه ؛ فقال الوليد في ذلك[2] : [من الطويل]

صوت

أيَا حَكَمُ المَتْبولُ لو كنتَ تَعْتَزي   إلى أُسرةٍ ليسوا بسُود زعانِـفِ[3]
لأيقنتَ قد أدركتَ وَتْرَك عَنْوةً   بلا حُكْم قاضٍ بل بضرب السوالفِ

غنّاه الهُذَلِيّ ثقيلاً أوّل عن الهشاميّ ويونس . قال : فلما استُخلِف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجَعْفَريّ فقال : ألا تعطي حَكَمَ بن الزُّبَيْر حقَّه ! قال : لا ؛ فأمر به فشُتِرت[4] عينُه . ثم قال[5] : [من الرجز]

1 الرحبة : قرية قرب دمشق .
2 ديوان الوليد : ص 59 ، رقم 62 عن الأغاني .
3 المتبول : الذي به تبل ، وهو الذحل والعداوة . تعتزي : تنتسب .
4 شتر عينه : شقّها وقلب جفنها .
5 ديوانه : ص 73 ، رقم 80 .

يا ربَّ أمرٍ ذي شؤون جَحْفلٍ   قاسيتُ فيه جَلَبات الأحْوَلِ[1]

[مات ابنه مؤمن ونعاه إليه سنان الكاتب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : خرج الوليد إلى متصيَّد له فأقام به ، ومات له ابنٌ يقال له مؤمِن بن الوليد ، فلم يقدر أحدٌ أن يَنعاه إليه ، حتى ثَمِل فنعاه إليه سِنانٌ الكاتب وكان مغنياً ؛ فقال الوليد وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي اختيرت للواثق والرشيد قبله[2] : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أتاني سِنَانٌ بالوَدَاع لمؤمنٍ   فقلتُ له إني إلى الله راجِعُ
ألاَ أيّها الحاثِي عليه ترابَه   هُبِلْتَ وشَلَّتْ من يديك الأصابعُ
يقولون لا تجزَعْ وأظهِرْ جَلادةً   فكيفَ بما تُحْنَى عليه الأضالعُ

عروضُه من الطويل . غنّاه سِنان الكاتب ، ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لأبي كامل خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وقيل : إنّ فيه لحناً لعبد الله بن يونس صاحب أَيْلَة .

[كتب له مؤدبه شعراً ينصحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني عَقيل بن عمرو قال : قال يزيد بن أبي مُساحِق السُّلَميّ مؤدِّب الوليد شعراً وبعث به إلى النَّوَار جارية الوليد ، فغنّته به ، وهو : [من الوافر]

مَضى الخلفاءُ بالأمر الحميدِ   وأصبحت المذَمَّةُ للوليدِ
تشاغل عن رعيَّته بلهو   وخالف فعلَ ذي الرأي الرشيدِ

فكتب إليه الوليد[3] : [من مجزوء الرمل]

ليت حظّي اليومَ من كـ   ـلّ مَعاشٍ لي وزادِ
قهوةٌ أبذُل فيها   طارفي ثم تِلادي

---

1 الجلبات : جمع جلبة ، وهي الشدّة والجهد . والأحول : هو هشام بن عبد الملك .
2 ديوان الوليد : ص 54 ، رقم 55 .
3 ديوان الوليد : ص 38 ، رقم 34 .

فيَظَلّ القلب منها هائماً في كلّ وادِ
إن في ذاك صلاحي وفلاحي ورشادي

[نهى بني أمية عن الغناء]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني إبراهيم بن الوليد الحِمْصيّ قال حدّثنا هارون بن الحسن العَنْبَريّ قال : قال الوليد بن يزيد : يا بني أُميّة ، إيّاكم والغناءَ فإنّه ينقُص الحياءَ ويَزيدُ في الشهوة ويهدِم المروءَةَ ويُثوِّر على الخمر ويفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين ، فجنّبوه النساء فإنّ الغناء رُقْيةُ الزِّنا . وإنّي لأقول ذلك فيه على أنّه أحبُّ إليّ من كل لذّة وأشهى إليّ من الماء البارد إلى ذي الغُلّة ، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يقال .

[أنكر الناس عليه البيعة لابنيه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال حدّثني بعضُ موالي الوليد قال : دخلتُ إليه وقد عقد لابنيه بعده وقدَّم عثمان ؛ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أقول قولَ الموثوقِ بنصيحته أو يَسَعُني السكوت ؟ قال : بل قُلْ قولَ الموثوق به ؛ فقلت : إنّ الناس قد أنكروا ما فعلتَ وقالوا : يُبايع لمن لم يَحْتلِمْ ؛ وقد سمعتُ ما أكره فيك ؛ فقال : عَضُّوا ببظور أُمّهاتكم ، أفأُدْخِل بيني وبين ابني غيري ؛ فيَلْقَى منه كما لَقِيتُ من الأحول بعد أبي ! ثم أنشأ يقول[1] : [من المتقارب]

صوت

سَرَى طيفُ ذا الظبي بالعاقِدا ن ليلاً فهيَّج قلباً عميدا
وأرّق عيني على غِرّة فباتت بحزنٍ تقاسي السُّهودا
نؤمل عثمان بعد الوليـ ـد للعهد فينا ونرجو سعيدا[2]
كما كان إذ كان في دهره يزيدُ يرجِّي لتلك الوليدا
على أنّها شَسَعتْ شَسْعَةً فنحن نرجِّي لها أن تعودا[3]
فإن هي عادت فعاصِ القريـ ـبَ منها لتؤيِسَ منها البعيدا[4]

---

1 ديوانه : ص 104 ، رقم 3 . وقد ذكر المحقّق أنّ الأبيات منسوبة في الطبري لشاعر مجهول وفي تهذيب ابن عساكر 6 : 177 لشاعر اسمه أبو معدان .

2 رواية هذا البيت في الطبري : نبايع عثمان بعد الوليد أو حكماً ونرجو يزيدا

3 شسعت : بعدت .

4 عاص القريب : أي جافه ولا توص بولاية العهد له . وفي الديوان : فأوص القريب .

غنّاه أبو كامل ثانيَ ثقيل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوريّ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أنّ فيه خفيفَ رمل لحَكَم ، وذكرت دنانيرُ عن حكم أنّه لعمر الوادي ، وذكر حبش أنّ الثقيل الثاني لمالك وأنّ فيه لفَضْل النجّار رَمَلاً بالبنصر ، أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَير بن بَكّار قال : هو

سرى طيفُ ظبي بأعلى الغُوَيْر

ولكن هذا تصحيف سليمان السَّوَادي أو قال : خُلَيد .

[حبس يزيد الناقص ولدي الوليد وقتلهما]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق قال : كان الوليد قد بايع لأبنيه الحَكَم وعثمان ، وهو أوّل من بايع لابن سُرِّيَّةٍ أَمَةٍ ، ولم يكونوا يفعلون ذلك ، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص ، فحبَسهما ثم قتلهما ؛ وفيهما يقول ابنُ أبي عَقِب : [من الطويل]

إذا قُتــل الخَلْــف المُدِيمُ لسُكره بقَفْر مــن البَخْراء أُسِّس في الرَّملِ[1]
وسِيق بلا جُرْم إلى الحَتْف والرَّدَى بُنيّاه حتى يُذْبحـا مَذْبحَ السَّخْلِ
فويــلُ بنـــي مـــروان ماذا أصابهم بأيدي بني العباس بالأَسْر والقتلِ

[تبع الكلبي الزنديق في القول بالمثنوية]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني علي بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أبي عن العَلاَء البندار قال : كان الوليد زِنديقاً ، وكان رجلٌ من كَلْب يقول بمقالته مقالةِ الثَّنويّة ؛ فدخلتُ على الوليد يوماً وذلك الكلبيُّ عنده ، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريرٌ أخضرُ ؛ فقال : ادْنُ يا عَلاَء فدنوتُ ، فرفع الحريرةَ فإذا في السَّفَط صورة إنسان وإذا الزئبقُ والنوشادِر قد جُعلا في جفنه فجفنُه يَطْرِف كأنّه يتحرّك ؛ فقال : يا عَلاء ، هذا مانِي[2] ، لم يَبْعثِ اللّهُ نبيّاً قبله ولا يبعثُ نبيّاً بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين ، اتَّقِ الله ولا يَغُرَّنّك هذا الذي ترى عن دينك . فقال له الكلبيّ : يا أمير المؤمنين ، ألم أَقُلْ لك : إن العلاء لا يَحتمل هذا الحديث . قال العلاء : ومَكثتُ أيّاماً ، ثم جلستُ مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبيّ عنده ، إذ نزل من عنده وقد كان الوليدُ حَمَله على بِرذَوْن هِمْلاج[3]

1 البخراء : أرض بالشام شديدة النتن والعفونة .
2 هو ماني بن فاتك الحكيم اتّخذ ديناً بين المجوسيّة والنصرانية .
3 الهملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة .

أشقرَ من أُفْرَهِ ما سُخِّر ، فخرج على بِرْذَوْنه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر ؛ فما شَعَر إلاّ وأعرابٌ قد جاؤوا به يحملونه منفسِخةٌ عنقُه ميِّتاً وَبِرذونُه يُقاد حتى أسلموه . فبلغني ذلك ، فخرجتُ متعمِّداً حتى أتيتُ أولئك الأعرابَ ، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه في أرض البَخْراء لا حجرَ فيها ولا مَدَر فقلت لهم : كيف كانت قصّة هذا الرجل ؟ قالوا : أقبل علينا على برذون فوالله لكأنّه دُهْنٌ يسيل على صَفَاة من فَراهته ، فعجِبنا لذلك ؛ إذ انقضّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضَبْعَيْه فآحتمله ثم نكَسه وضرب برأسه الأرضَ فدَقَّ عنقَه ثم غاب عن عيوننا ؛ فاحتملناه فجئنا به .

[قصة الخارجين عليه ومقتله]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ قال : لما أكثر الوليد بن يزيد التهتّكَ وآنهمك في اللّذّات وشُرْب الخمر وبسَطَ المكروهَ على ولَد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيِّه ، ملّ الناسُ أيّامَه وكرِهوه . وكان قد عقَد لأبنيه بعده ولم يكونا بلَغا ؛ فمشى الناسُ بعضُهم إلى بعض في خَلْعه ، وكان أقواهم في ذلك يزيدَ الناقصَ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فمشى إلى أخيه العباس ، وكان امرأً صدقٍ ولم يكن في بني أُميّة مثلُه ، كان يتشبّه بعمر بن عبد العزيز ، فشكا إليه ما يَجري على الناس من الوليد ؛ فقال له : يا أخي ، إن الناس قد ملّوا بني مروان ، وإنْ مَشَى بعضُكم في أمر بعض أُكِلْتم ، ولله أجَلٌ لا بدّ أن يَبْلُغه فانتظِرْه . فخرج من عنده ومشى إلى غيره ، فبايعه جماعةٌ من اليمانيّة الوجوه ؛ فعاد إلى أخيه ومعه مولًى له وأعاد عليه القولَ وعرَّض له بأنَّه قد دُعِي إلى الخلافة فقال له : والله لولا أني لا آمَنُه عليك من تحامُله لوجّهتُ بك إليه مشدوداً ؛ فنشَدتُك الله ألاّ تَسعى في شيء من هذا . فانصرف من عنده وجعل يدعو الناسَ إلى نفسه . وبلغ الوليدَ ذلك فقال يذكر قومَه ومَشْيَ بعضهم إلى بعض في خلعه[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

سَلِّ همَّ النفس عنها بعَلَنْداةٍ عَلاَةِ[2]
تتّقي الأرضَ وتَهوِي بخِفَافٍ مُدْمَجَاتِ
ذاك أمْ ما بال قومي كسَروا سِنَّ قَنَاتي
واستخفّوا بي وصاروا كقُرودٍ خاسئاتِ

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لأبي كامل غُزَيِّل الدِّمَشْقيّ ماخُوريّ

1 ديوان الوليد : ص 23 ، رقم 13 .

2 العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة ، ومثلها العلاة .

بالبنصر . وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد : [من مجزوء الرمل]

أصبح اليـومَ وليدٌ هائمـاً بالفَتَياتِ
عنـده راح وإبريـ ـقٌ وكأسٌ بالفَلاةِ
ابعثوا خيـلاً لخيل ورُمـاةً لرُمـاةِ

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدّثني المدائنيّ عن جُوَيريةَ بن أسماء ، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جُويرِيّة بن أسماء قال : قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك : لمّا أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالَى بين الشرب وانهمك في اللذّات ، سئمه الناس ووَعظه من أشفق عليه من أهله ؛ فلمّا لم يُقلِع دَبُّوا في خَلْعه . فدخل أبي بشر بن الوليد على عمّي العباس بن الوليد وأنا معه ، فجعل يكلّم عمّي في أن يخلع الوليدَ بن يزيد ومعه عمي يزيدُ بن الوليد ، فكان العبّاسُ يَنْهاه وأبي يردّ عليه ؛ فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترىء أن يكلّم عمّي ويردّ عليه ؛ فقال العباس : يا بني مروان ، أظنّ أنّ الله قد أذِن في هلاككم . ثم قال العبّاس : [من البسيط]

إني أُعيذكُـم بالله مـن فِتَـنٍ مثلِ الجبـال تَسامَى ثـم تندفعُ
إنّ البريّة قـد ملّـت سياسَتكم فاستَمسِكوا بعمود الدّين وارتَدِعوا
لا تُلْحِمُنّ ذئابَ الناس أنْفُسَكم إنّ الذئابَ إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعوا
لا تَبْقُـرُنّ بأيديكم بطونَكـمُ فَثمَّ لا فِدْيَـةٌ تُغْني ولا جَزَعُ

قال المدائنيّ عن رجاله : فلمّا استجمع ليزيد أمرُه وهو مُتَبَدٍّ أقبل إلى دمشق ، وبين مكانه الذي كان مُتَبَدِّياً فيه وبين دمشق أربعُ ليالٍ ، فأقبل إلى دمشق متنكِّراً في سبعة أنفس على حُمُر وقد بايع لـه أكثرُ أهـلِ دمشق وبايع له أكثرُ أهلِ المِزَّةِ . فقال مولًى لعَبَّاد بن زِيَاد : إنّي لَبِجَرُودَ ، وبين جَرُودَ ودمشق مرحلةٌ ، إذ طلع علينا سبعةٌ مُعْتَمُّون على حُمُر فنزلوا ، وفيهم رجل طويل جسيم ، فرمَى بنفسه فنام وألقَوْا عليه ثوباً ، وقالوا لي : هل عندك شيء نَشتريه من طعام ؟ فقلت : أمّا بيعٌ فلا ، وعندي من قِرَاكم ما يُشْبِعكم ؛ فقالوا : فعجِّله ؛ فذبحتُ لهم دجاجـاً وفراخاً وأتيتُهم بما حضر من عسل وسمن وشَوَانِيز[1] ، وقلت : أيقظوا صاحبَكم للغداء ؛ فقالوا : هو محمومٌ لا يأكل ؛ فسفَروا للغداء فعرَفتُ بعضَهم ، وسفَر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد ، فعرَفته فلم يكلمني . ومضَوْا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مُشاةٍ إلى

1 الشوانيز : التوابل .

معاوية بن مَصَاد وهو بالمِزّة ، وبينها وبين دمشق ميل ، فأصابهم مطر شديد ، فأتوْا منزلَ معاوية فضربوا بابَه وقالوا : يزيد بن الوليد ؛ فقال له معاويةُ : الفِراشَ ، ادخل أصلحك اللهُ ؛ قال : في رجلي طين وأكره أن أفسدَ عليك بساطَك ؛ فقال : ما تُريدني عليه أفْسَدُ . فمشى على البِساط وجلس على الفراش ، ثم كلّم معاوية فبايَعه . وخرج إلى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمان الخَشَنِيّ مستخفياً ، وعلى دمشق عبدُ الملك بن محمد بن الحَجّاج بن يوسف ، فخاف عبدُ الملك الوَباءَ فخرج فنزل قَطَنا ، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى شُرْطته أبو العاج كَثِيرُ بن عبد الله السُّلَميّ . وتَمّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : إنّ يزيد خارجٌ فلم يصدّق . وأرسل يزيدُ إلى أصحابه بين المغرب والعِشاء في ليلة الجمعة من جُمادَى الآخرة سنةَ سبع[1] وعشرين ومائة ، فكمَنوا في مِيضَأةٍ عند باب الفراديس[2] ؛ حتى إذا أُذِّنوا العَتَمَةَ دخلوا المسجد مع الناس فصلَّوْا . وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل ؛ فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبوابَ ، ودخل الدارَ من باب المقصورة فيَدْفعُ المفاتيحَ إلى من يحفظها ويخرُج . فلما صلّى الناسُ العَتَمَةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا ، وتَباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يخرجونهم من باب ويَدخلون من باب ، حتى لم يَبْق في المسجد إلاّ الحرسُ وأصحابُ يزيد ، فأخذوا الحرسَ . ومضى يزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيّ إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قُمْ يا أمير المؤمنين وأبْشِرْ بعون الله ونصره ؛ فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً . فلما كنّا عند سوق القمح لَقِيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضَوْا حتى دخلوا المسجدَ وأَتَوْا بابَ المقصورة ، وقالوا : نحن رسل الوليد ، ففتح لهم خادمٌ البابَ ، ودخلوا فأخذوا الخادم ، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خُزّان البيت[3] وصاحبَ البريد ؛ وأرسل إلى كلّ من كان يحذَرُه فأخذه . وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَعْلَبَكّ ، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحَجّاج فأخذهما . وبعث أصحابَه إلى الخَشَبِيّة[4] فأتَوْه ؛ وقال للبوّابين : لا تفتحوا الأبوابَ غُدْوةً إلاّ لمن أخبركم بشِعار كذا وكذا . قال : فتركوا الأبواب في السلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قدِم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، فلم يكن الخُزّان قبضوه ، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه وأصبحوا ، وجاء أهلُ المِزّة مع حُرَيْث بن أبي

1 في كتب التاريخ ستّة وعشرين ومائة .

2 باب الفراديس : أحد أبواب دمشق .

3 أي بيت المال .

4 الخشبية : أصحاب المختار بن أبي عبيد كما سيأتي .

الجَهْم . فما انتصف النهارُ حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثّل قولَ النابغة : [من الطويل]

إذا استُنْزِلـوا عنهنّ للطعن أُرْقَلوا إلى الموتِ إرقَال الجمال المَصاعبِ

فجعل أصحابُه يتعجّبون ويقولون : انظروا إلى هذا ! كان قُبَيْلَ الصبح يسبِّح وهو الآن يُنشد الشعر . قال : وأمر يزيدُ عبدَ العزيز بن الحَجّاج بن عبد الملك بن مَرْوان فوقف بباب الجابية فنادَى : من كان له عطاءٌ فليأتِ إلى عطائه ، ومن لم يكن له عَطَاء فله ألف درهم مَعُونةً ؛ فبايع له الناسُ وأمَر بالعطاء . قال : وندَب يزيدُ بن الوليد الناسَ إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز ، وقال : من انتَدب معه فله ألفانِ ، فانتدب ألفا رجلٍ ؛ فأعطاهم وقال : موعدُكم ذَنَبَةُ[1] ؛ فوافى ذَنَبَةَ ألف ومائتا رجل ؛ فقال : ميعادُكم مَصْنعةٌ بالبَرّيّة وهي لبني عبد العزيز بن الوليد ؛ فوافاه ثَمَانُمائة رجـل ، فسار فوافاهم[2] ثَقَلُ[3] الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسانٌ منهم منصور بن جُمْهور ويعقوب بن عبد الرحمن السُّلَمِيّ والأَصْبَغُ بن ذُؤالةَ وشَبيبُ بن أبي مالك الغَسَّانيّ وحُمَيْد بن نصر اللَّخْميّ ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد . فقال الوليد : أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعِد عليه . وأتاه خبرُ العباس بن الوليد : إنّي أجيئك . وأُتِي الوليدُ بفرسين الذائد والسِّنْديّ ؛ وقال : أعليّ يتواثَبُ الرجال وأنا أثبُ على الأسد وأتخَصّر[4] الأفاعي ! . وهم ينتظرون العباس أن يأتيَهم ولم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ، فقُتل عثمان الخَشَبيّ ، وكان من أولاد الخَشَبيّة الذين كانوا مع المختارِ . وبلغ عبدَ العزيز بن الحَجّاج أنّ العبّاسَ بن الوليد يأتي الوليدَ ؛ فأرسل منصورَ بن جُمْهور في جَريدة خيل وقال : إنّكم تَلْقَوْن العبّاس بن الوليد ومعه بنوه في الشِّعْب فخُذُوه . وخرج منصور في تلك الخيل وتقدّموا إلى الشِّعْب ، وإذا العبّاسُ ومعه ثلاثون قد تقدّموا أصحابَه ؛ فقال له : اعْدِل إلى عبد العزيز ، فشتَمهم ؛ فقال له منصور : والله لئن تقدّمتَ لأُنْفُذَنّ حِضْنَيْك بالرّمح ؛ فقال : إنا لله ! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز . فقال له عبد العزيز : بايِعْ ليزيد ؛ فبايَعَ ووقف ؛ ونصبوا رايةً وقالوا : هذا العباس قد بايَعَ . ونادى منادي عبد العزيز ؛ من لَحِق بالعباس بن الوليد فهو آمِنٌ ؛ فقال العباس : إنا لله ! خُدْعَةٌ من خُدَع الشيطان ! هلك والله بنو مروان ! . فتفرّق الناسُ عن الوليد وأُتوا العباسَ . وظَاهَر الوليدُ في درعين وقاتلهم . وقال الوليد : من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء جماعةٌ بِعدّة رؤوسٍ ، فقال : اكتبوا أسماءهم ؛ فقال له رجل من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامَل فيه بالنَّسيئة .

1 ذنبة : موضع من أعمال دمشق .

2 ل : فتلقاهم .

3 الثقل : المتاع .

4 ل : وأعض .

ونادَاهم رجالٌ : اقْتلُوا اللُّوطِيَّ قِتلةَ قوم لوط ، فرمَوْه بالحجارة فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال[1] : [من الطويل]

صوت

دَعُوا لي سُلَيْمَى والطِّلاَءِ وقَيْنةً ... وكأساً ألا حَسْبي بذلك مالا

إذا ما صفا عيش برَمْلةِ عالجٍ ... وعانقتُ سلمى لا أُريد بِدالا

خذوا مُلْككم لا ثبّت الله ملككم ... ثباتاً يساوي ما حَييتُ عِقالا

وخَلُّوا عِناني قبل عَيْرٍ وما جَرَى ... ولا تَحسُدوني أن أموتَ هُزالا[2]

غنّاه عمرُ الوادي رملاً بالوسطى عن حَبَش ، ثم قال لعمر الوادي : يا جامع لذتي ، غنِّني بهذا الشعر . وقد أحاط الجندُ بالقصر ؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب : أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحياءٌ أكلِّمه ؟ فقال له يزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيّ : كلِّمني ؛ فقال له الوليد : يا أخا السَّكَاسِك ، ما تنقِمُون منّي ؟! ألم أزِد في أعْطِياتِكم وأعْطِية فقرائكم وأخدَمْتُ زَمْناكم ودفعتُ عنكم المؤنَ ؟ فقال : ما نَنْقِمُ عليك في أنفسنا شيئاً ، ولكن نَنْقِمُ عليك انتهاكَ ما حرّم الله وشُرْبَ الخمور ونِكاحَ أمّهات أولاد أبيك واستخفافَك بأمر الله . قال : حَسْبُك يا أخا السَّكَاسِك ! فلعمري لقد أغرقتَ[3] فأكثرتَ ، وإنّ فيما أحلَّ الله لسَعَةً عمّا ذكرتَ . ورجَع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال : يومٌ كيوم عثمان ، ونشر المصحفَ يقرأ ؛ فَعَلَوُا الحائطَ ؛ فكان أوّلُ من علا الحائطَ يزيدَ بن عنبسة ، فنزل وسيفُ الوليد إلى جنبه ؛ فقال له يزيد : نَحِّ سيفَك ، فقال الوليد : لو أردتُ السيفَ لكانت لي ولك حالةٌ غيرُ هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدخِله بيتاً ويُؤامِرَ فيه ، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصورُ بن جُمْهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّرِيّ بن زياد بن أبي كَبْشة ، فضربه عبد الرحمن السُّلَميّ على رأسه ضربةً وضربه السَّرِيّ بن زياد على وجهه ، وجَرُّوه بين خمسة ليُخرجوه ؛ فصاحت امرأةٌ كانت معه في الدار فكفّوا عنه فلم يُخرجوه ، واحتزّ رأسَه أبو عِلاَقة القُضَاعيّ وخاط الضربةَ التي في وجهه بالعَقَب[4] ، وقُدِم بالرأس على يزيد ، قَدِم به

---

1 ديوان الوليد : ص 64–65 ، رقم 69 .

2 المثل : جاء فلان قبل عير وما جرى . قالوا : خصّ العير لأنّه أحذر ما يقنص وأسرع جرياً ، فضرب به المثل في السرعة . وقيل العير : إنسان العين . فيكون معناه قبل لحظة عين . فصل المقال : 300 . ومجمع الميداني 1 : 350 و2 : 96 ومستقصى الزمخشري 2 : 187 .

3 أغرقت : تجاوزت الحدّ في القول .

4 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

رَوْح بن مُقْبِل ، وقال : أَبْشِر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق ، فاستتمّ الأمرُ له وأحسن صِلَتَه . ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضعَ ذكره .

قال : ولما قُتل الوليد بن يزيد جعل أبو مِحْجَن مولى خالد القَسْريّ يُدخل سيفه في آست الوليد وهو مقتول . فقال الأَصْبَغ بن ذُؤالة الكلبيّ في قتل الوليد وأخذهم آبنيه : [من الطويل]

مـن مُبْلِـغٌ قيساً وخِنْدِفَ كلَّها وساداتِهم من عبد شمس وهاشمِ
قتلنـــا أميـــرَ المؤمنـــين بخالد[1] وبِعْنـــا وليّـــيْ عهـــدِهِ بالدراهِمِ

وقال أبو مِحْجَن مولى خالد : [من البسيط]

لو شاهدوا حدَّ سيفي حين أُدخله في آسْتِ الوليد لماتوا عنده كَمَدا

[كان عمر الوادي يغنّيه حين قتل]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن هشام بن الكَلْبيّ عن جرير قال : قال لي عمر الوادي : كنت أغنِّي الوليدَ أقول : [من الكامل]

صوت

كَذَبَتْكَ نفسُكَ أم رأيتَ بواسِطٍ غَلَسَ الظلامِ من الرَّبـابِ خيالا

قال : فما أتممتُ الصوتَ حتى رأيتُ رأسَه قد فارق بدنَه ورأيتُه يتشحَّط في دمه . يقال : إنّ اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي ، ويقال : لابن جامع .

[حبس يزيد الحكم وعثمان وليي عهد الوليد]

قالوا : وكان عثمان والحكَم ابنا الوليد قد بايَعَهما بالعهد بعده ، فتغيّبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبَسهما في الخَضْراء[2] ودخل عليهما يزيدُ الأفقَمُ بن هشام فجعل يشتمُ أباهما الوليدَ وكان قد ضرَبه وحلَقه ، فبكى الحكَم ، فقال عثمان أخوه : اسكت يا أخي ؛ وأقبل على يزيد فقال : أتشتُم أبي ! قال : نعم ؛ قال : لكني لا أشتُم عمّي هشاماً ، ووالله لو كنتَ من بني مروان ما شتمتَ أحداً منهم ، فانظر إلى وجهك فإن كنتَ رأيتَ حَكَمِيّاً[3] يُشْبِهك أو له مِثلُ وجهك فأنت منهم ، لا والله ما في الأرض حَكَمِيّ يشبهك .

[ندم أيوب السختياني لمقتله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدائنيّ عن مَسْلمة بن مُحارِب

1 المقصود خالد بن عبد الله القسري كان الوليد قد سلّمه إلى يوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله .
2 الخضراء : يطلق على أكثر من موضع .
3 حكمي : نسبة إلى الحكم بن أبي العاص والد مروان .

قال : لما قُتل الوليدُ قال أيّوب السَّختِيانيّ : ليت القوم تركوا لنا خليفتَنا لم يقتلوه . قال : وإنّما قال ذلك تخوُّفاً من الفتنة .

[لعن الرشيد قاتليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ ابناً للغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد ، فقال : ممَّن أنت ؟ قال : من قريش ، قال : من أيِّها ؟ فأمسكَ قال : قُلْ وأنت آمن ، ولو أنّك مَرْواني ، قال : أنا ابن الغَمْر بن يزيد . قال : رحم الله عمّك ولعن يزيدَ الناقص وقَتَلَةَ عمّك جميعاً ، فإنّهم قتلوا خليفةً مُجْمَعاً عليه ، إرفع إليّ حوائجكَ ، فقضاها .

[رمي عند المهدي بالزندقة فدافع عنه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلاَبِيّ قال حدّثنا العَلاَء بن سُوَيْد المِنْقَرِيّ قال : ذكر ليلةً المهديُّ أميرُ المؤمنين الوليدَ بن يزيد فقال : كان ظريفاً أديباً . فقال له شَبيب بن شَيْبة : يا أمير المؤمنين إن رأيتَ ألاّ تُجرِيَ ذكْرَه على سمعك ولسانك فافعلْ فإنّه كان زنديقاً ؛ فقال : اسكت ، فما كان الله ليضعَ خلافته عند من يكفر به . هكذا رواه الصُّوليّ .

[دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدي]

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال أخبرنا عَقيل بن عمرو قال أخبرني شَبيب بن شَيْبة عن أبيه قال : كنّا جلوساً عند المهديّ فذكروا الوليد بن يزيد ، فقال المهديّ : أحسَبه كان زنديقاً ، فقام ابن عُلاَثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، اللهُ عزّ وجلّ أعظمُ من أن يولّي خلافةَ النبوّة وأمرَ الأُمَّة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصَلاته ، وحدّثني أنّه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مُطيَّبةٍ ومصبَّغةٍ ثم يتوضّأ فيُحسن الوضوء ويُؤْتَى بثيابٍ بيضٍ نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلّي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولهوه ؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال له المهديّ : صدقتَ باركَ اللهُ عليك يا ابنَ عُلاَثة .

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدّةُ أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها هاهنا مع أخباره ، والله أعلم .

صوت[1]
من المائة المختارة

[من الخفيف]

أُمَّ سَلاَّمَ مــا ذكرتُكِ إلاّ شَرِقَتْ بالدمـوع منّي المآقي
أُمَّ سَلاَّمَ ذِكْرُكُمْ حيث كنتم أنتِ دائي وفي لسانِك راقي
ما لقلبي يَجُول بــين التَّراقي مُسْتَخِفّـاً يَتُـوق كلَّ مَتَــاقِ[2]
حَــذَراً أن تَبـين دارُ سُلَيْمَى أو يصيحَ الداعـي لها بِفــراقِ[3]

غنّاه عمر الوادي ، ولحْنُه المختارُ خفيف رملٍ مطلَقٌ في مجرى البنصر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لسَلاّمةِ القَسِّ فيه خفيفَ رمل بالوسطى ، ولعلّه بمعنى هذا . ومن الناس من يروي هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبي عَمّار الجُشَمِيّ في سَلاَّمةِ القَسّ ، وليس ذلك له ، هو للوليد صحيح ، وهو كثيراً ما يذكر سَلْمى هذه في شعره بأُمّ سَلاّم وبسَلْمى ، لأنّه لم يكن يتصنّع في شعره ولا يُبالي بما يقوله منه . ومن ذلك قوله فيها[4] : [من الخفيف]

صوت

أُمَّ سَلاَّمَ لو لقِيتِ من الوجـ ـد عَشِيرَ الذي لَقِيتُ كفاكِ
فأثِيبي بالوصل صَبّــاً عميداً وشفيقاً شجاه مــا قد شجاكِ

غنّاه مالكٌ خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ .

---

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 60 ، رقم 63 .
2 رواية هذا البيت في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :
من لقلب أمسى كئيباً حزيناً مستهاماً بين اللهـا والتراقـي
3 في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :
وتجيء الدنيا لها بفراق
4 ديوان الوليد : ص 63 ، رقم 67 .

[100] ـ ذكر أَخبار عمر الواديّ ونسبُه

[نسبه وإعجاب الوليد به]

هو عمر بن داود بن زَاذَان . وجَدُّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عَفّان . وكان عمر مهندساً . وأَخذ الغناء عنه حَكَمٌ وذووه من أَهل وادي القُرَى . وكان قدِم إلى الحَرَم فأَخذ من غناء أَهله فحذِق وصنَع فأَجاد وأَتقن . وكان طيّبَ الصوت شجيَّه مُطرِباً . وكان أَوّلَ مَن غنّى من أَهل وادي القُرى ؛ واتّصل بالوليد بن يزيد في أَيّام إمارته فتقدَّم عنده جدّاً ، وكان يسمِّيه جامع لَذّاتي ومُحْيِي طربي ، وقُتل الوليد وهو يغنّيه ، وكان آخرَ عهده به من الناس . وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء[1] : [من المديد]

صوت

إنّني فكَّـرتُ في عمـرٍ حين قال القولَ فاختَلجا
إنّـه للمُستَنِير بـه قمر قـد طمّس السُّرُجا
ويغنّـي الشعـر يَنْظِمُـه سيِّدُ القـوم الذي فلَجا
أَكمَـل الواديُّ صنعتَـه في لُباب الشعر فاندمجا

الشعر للوليد بن يزيد . والغناءُ لعمر الوادي هَزَج خفيفٌ بالبنصر في مَجْراها .

[الوليد يقدّمه على المغنّين]

أُخبرني الحسين بن يحيى ومحمَّد بن مَزْيد قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنّين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورُهم من تقديمه والإصغاءِ إليه والاختصاصِ له . وبلغني أَنّه كان لا يضرِب وإنّما كان مرتَجِلاً ، وكان الوليد يسمِّيه جامعَ لذّاتي . قال : وبلغني أَن حَكَماً الواديّ وغيرَه من مُغَنّي وادي القُرى أَخذوا عنه الغناء وانتحلوا أَكثَر أَغانيه .

[استرضى الوليد على أبي رقية]

قال إسحاق وحدَّثني عبد السلام بن الرَّبيع : أَنّ الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأَبو رُقَيّة ، وكان ضعيفَ العقل وكان يُمسك المصحفَ على أُمّ الوليد ؛ فقال الوليد لعمر الوادي وقد غنّاه صوتاً : أَحسنتَ واللّه ، أَنت جامع لذّاتي ، وأَبو رقيّة مضطجعٌ

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 26 ، رقم 17 عن الأغاني .

وهم يحسَبونه نائماً ، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له : وأنا جامع لذّات أُمّكَ ، فغضب الوليد وهَمّ به ؛ فقال له عمر الوادي : جعلني الله فِداك ؛ ما يَعْقِل أبو رقيّة وهو صاح ، فكيف يعقل وهو سكران ؟ فأمسك عنه .

[يأخذ غناء من راعٍ]

قال إسحاق : وحُدِّثتُ عن عمر الوادي قال : بينا أنا أسير ليلةً بين العَرْج[1] والسُّقْيا سمعت إنساناً يغنّي غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه وهو[2] : [من الطويل]

صوت

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها

من الخَفِراتِ البيضِ وَدّ جليسُها إذا ما انقضتْ أُحْدوثةٌ لو تُعيدها

فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً ؛ فقلت : والله لألتمسنّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبَطتُ من الشَّرَف[3] ، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو صاحب الصوت ، فأعلمتُه الذي أقْصَدني إليه وسألته إعادتَه عليّ ؛ فقال : والله لو كان عندي قِرىً ما فعلتُ ، ولكنّي أجعله قِراك ، فربَّما ترنّمتُ به وأنا جائعٌ فأشبَع ، وكسلانُ فأنْشَط ومستوحِشٌ فآنَسُ ؛ فأعاده عليَّ مراراً حتى أخذته ، فوالله ما كان لي كلام غيرُه حتى دخلتُ المدينة ، ولقد وجدتُه كما قال . حدَّثني بهذا الخبر الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثني الزُبَير بن بَكّار قال حدَّثني المؤمَّل بن طالوت الواديّ قال حدَّثني مَكِين العُذْريّ قال : سمعت عمر الواديّ يقول : بينا أنا أسير بين الرَّوْحاء والعَرْج ، ثم ذكر مثله ، وقال فيه : فربّما ترنّمْتُ به وأنا غَرْثانُ فيُشْبِعني ، ومستوحِشٌ فيؤنسني ، وكسلانُ فينشّطني . قال : فما كان زادي حتى ولَجْتُ المدينةَ غيره ، وجرَّبْتُ ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

لقد هَجَرتْ سُعْدى وطال صدودُها وعـاوَد عَيْنـي دمْعُهـا وسهودُها

وكنتُ إذا ما زرتُ سُعْدى بأرضها أرى الأرضَ تُطْوى لي ويدنو بعيدُها

منعَّمَــةٌ لم تَلْــقَ بــؤسَ مَعيشةٍ هي الخُلْد في الدنيا لِمَن يَستفيدُها

1 العرج : عقبة بين مكّة والمدينة .

2 ديوان كثير (تحقيق إحسان عبّاس) 200–202 .

3 الشرف : المكان العالي .

هي الخلدُ مـــا دامتْ لأهلك جارةً وهل دام في الدنيا لنفس خلودُها

الشعر لكثيِّر . والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق بالبنصر عن يحيى المكّيّ . وذكرَ الهشاميُّ أنّ فيه ليزيدِ حَوْراء ثانيَ ثقيل . وفيه خفيفُ رَمَل يُنْسَب إلى عمر الوادي ، وهو بعضُ هذا اللحن الذي حكاه عن الرّاعي ولا أعلم لَمن هو . وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ لكثيِّر سائرُها في الغزل وهي من جيّد غَزَله ومختاره . وتمامُ الأبيات بعد ما مضى منها : [من الطويل]

فتلـكَ التـي أصفيتُهـا بمودَّتي وليداً ولمّـا يَسْتَبِنْ لي نهودُها
وقـد قتلـتْ نفساً بغير جَريـرة وليس لهـا عَقْـل ولا من يُقِيدُها
فكيف يَـودُّ القلبُ مـن لا يودّه بلى قد تُريد النفسُ من لا يُريدها
ألا ليت شِعري بعدنا هل تغيَّرتْ عن العهد أم أمست كعهدي عهودُها
إذا ذكرتْها النفسُ جُنّتْ بذكرها وريعَتْ وحَنَّتْ واستُخِفّ جَلِيدها
فلو كان مـا بي بالجبال لَهدَّها وإن كان في الدنيا شديداً هُدُودُها
ولستُ وإن أُوعِدْتُ فيها بمُنْتَهٍ وإن أُوقِدَتْ نـارٌ فشَبَّ وَقُودُها
أَبِيتُ نجيّـاً للهمـوم مُسَهَّـداً إذا أُوقدتْ نحـوي بليل وَقُودُها
فأصبحتُ ذا نفسيْن نفسٌ مريضةٌ من اليأسِ مـا ينفكُّ همٌّ يعودُها
ونفسٌ إذا ما كنتُ وحدي تقطّعتْ كما انسَلّ من ذات النّظام فريدُها
فلم تُبْدِ لي يأساً ففي اليأس راحة ولم تُبْـدِ لي جُوداً فينفعَ جودُها

[طلب منه الوليد أن يصنع لحناً في شعر له]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : قال عمر الوادي : خرج إليّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتمع من شُعاعه ؛ فقال لي : يا جامع لذّتي ، أتحِبّ أن أهَبَه لك ؟ قلت : نعم والله يا مولاي ؛ فقال : غنّ في هذه الأبيات التي أُنشِدك فيها واجْهَدْ نفسَك ، فإن أصبتَ إرادتي وهبتُه لك ؛ فقلت : أجتهد وأرجو التوفيق . [من مجزوء الوافر]

صوت[1]

ألا يُسلِيكَ عـن سَلْمى قَتِيرُ الشَّيْـب والحِلْمُ[2]

---

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 80 ، رقم 90 .

2 قتير الشيب : أوّل ما يظهر منه .

وأنّ الشكَّ ملتبِسٌ … فلا وصلٌ ولا صُرْمُ
فلا والله ربِّ النا … سِ ما لكِ عندنا ظُلْمُ
وكيف بظلم جاريةٍ … ومنها اللِّين والرُّحْمُ

فخلوتُ في بعض المجالس ، فما زلتُ أُديره حتى استقام ، ثم خرجتُ إليه وعلى رأسه وصيفةٌ ، بيدها كأسٌ وهو يروم أن يشربها فلا يقدِر خُماراً ؛ فقال : ما صنعتَ ؟ فقلتُ : فرَغْتُ ممّا أمرتَني به ؛ وغنّيته ، فصاح : أحسنتَ والله ؛ ووثَب قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدناني فوضع يده اليسرى عليّ متّكئاً والكأسُ في يده اليمنى ؛ ثم قال لي : أعِدْ بأبي أنت وأمّي ! فأعدتُه عليه فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً ؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحُلّة التي كانت عليه ، فقال : والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكَر ؛ فما زلت أُعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكراً فنام .

[عبد المطّلب بن عبد الله يسبق بين المغنّين]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حمَّاد عن أبيه عن غُرَيْر بن طَلْحة الأَرْقَمي عن أبي الحَكَم عبد المطَّلب بن عبد الله بن يزيد بن عبد الملك قال : والله إنّي لبالعَقِيق في قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وعندي أشْعَبُ وعمر الوادي وأبو رقيّة ، إذ دعوتُ بدينار فوضعتُه بين يَدَيّ وسبَّقتُهُمُوه في رَجَزٍ فكان أوّلَ مَن خسَقَ[1] عمرُ الوادي فقال : [من الرجز]

أنا ابن داود أنا ابن زَاذَانْ … أنا ابن مولى عمرو بن عثمان[2]

ثم خسَق أبو رقيّة فقال : [من الرجز]

أنا ابن عامر القاري … أنا ابن أوّل أعجمي

تقدّم في مسجد رسول الله ﷺ . ثم خسَق أشعبُ فقال : [من الرجز]

أنا ابن أُمّ الخلنداج … أنا ابن المحرِّشة بين أزواجِ

النبيّ ﷺ . قال أبو الحكَم . فقلت له : أي أخزاك الله ، هل سمعتَ أحداً قطُّ فخر بهذا ؟ فقال : وهل فخر أحدٌ بمثل فخري ! لولا أنّ أُمّي كانت عندهنّ ثقةً ما قَبِلْنَ منها حتى يغضَب بعضُهنّ على بعض .

---

1 الخسق : الرمي بالسهم .

2 الأرجاز الثلاثة غير متّزنة عروضيّاً ، وليس بين الثلاثة من كان شاعراً .

[101] ـ أخبار أبي كامل

[مغنّ محسن ومضحك]

اسمُه الغُزَيِّل ، وهو مولى الوليد بن يزيد ، وقيل : بل كان مولى أبيه ، وقيل : بل كان أبوه مولى عبد الملك . وكان مغنّياً محسناً وطيّباً مضحكاً . ولم أسمع له بخبر بعد أيّام بني أُميّة ؛ ولعلّه مات في أيّامهم أو قُتل معهم .

[غنّى الوليد فأطربه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ : أنّ أبا كامل غنّى الوليدَ بن يزيد ذات يوم فقال[1] : [من الرمل]

صوت

نــام مَن كان خليّاً مِن أَلَمْ ... وبدائـي بـتُّ ليـلي لم أَنَمْ
أَرقُــب الصبحَ كأنّي مُسْنَدٌ ... في أكفّ القوم تَغْشاني الظُّلَمْ
إنّ سلمـى ولنا مــن حبّهـا ... دَيْدَنٌ في القلب ما اخضَرّ السَّلَمْ
قــد سَبَتْنـي بشَتِيتٍ نَبْتُــه ... وثنايـــا لم يَعِبْهــنّ قَضَــمْ[2]

قال فطرِب الوليد وخلَع عليه حتى قَلَنْسِيةَ وَشْيٍ مُذْهَبة كانت على رأسه . فكان أبو كامل يصونها ولا يلبَسها إلاّ من عيد إلى عيد ويمسَحها بكمّه ويرفعها ويبكي ويقول : إنّما أرفعها لأنّي أجِدُ منها ريح سيّدي (يعني الوليد) .

الغِناء في هذا الصوت هَزَج بالوسطى ، نسبه عمرو بن بانة إلى عمر الوادي ، ونسبه غيرُه إلى أبي كامل ، وزعَم آخرون أنّه لحَكَم ، هكذا نسبه ابنُ المكّي إلى حكم وزعم أنّه بالبنصر .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني الأصمعيّ عن صفوان ابن الوليد المُعَيْطيّ قال : غنّى أبو كامل ذات يوم الوليدَ بن يزيد في لحنٍ لابن عائشة ، وهو : [من الخفيف]

جنِّبـاني أذاةَ كلّ لئيـم ... إنّه ما علمتُ شرُّ نديمِ[3]

---

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 76 ، رقم 84 .
2 القضم : انصداع في السنّ أو تكسّر وتثلّم في أطراف الأسنان .
3 ديوان الوليد : ص 83 ، رقم 95 . جنباني في الديوان : جنّبوني .

[للوليد فيه أشعار كثيرة]

فخلَع عليه ثيابه كلَّها حتى قَلَنْسِيتَه . ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه ؛ وزاد فيه أنّه أوصى أن تُجعل في أكفانه . وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة . فمنها ممّا يغنّى به : [من مجزوء المتقارب]

صوت

سقَيْتُ أبا كامِلٍ من الأصفرِ البابِلي
وسقَّيْتُها معبداً وكلَّ فتىً فاضلِ

وقال أيضاً فيه[1] : [من الهزج]

وزِقٍّ وافرِ الجنبيـ ـن مثل الجمل البازلْ
بـه رُحْتُ إلى صَحْبي ونَدماني أبي كاملْ
شرِبناه وقد بِتْنا بأعلى الدَّيْر بالساحِلْ
ولم نَقْبَل من الواشي قبولَ الجاهل الخاطلْ[2]

الغناءُ لأبي كامل خفيفُ رملٍ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى المكّيّ وأنّه نُحِلَه أبو كامل . وذكر أنّ لعمر الواديّ أو لحَكَم فيه رَمَلاً بالوسطى وهو القائم .

وأخبرني أبو الحسن محمَّد بن إبراهيم قريش ، رحمه الله ، أنّ لِيَنْشُو فيه خفيفَ رملٍ .

ومنها في قول الوليد : [من مجزوء المتقارب]

صوت

سَقَيْتُ أبا كامِلٍ من الأصفر البابلي
وسقّيتُها معبداً وكلَّ فتىً فاضلِ
لِيَ المحضُ من ودّهم ويَغْمُرهم نائلي
وما لامني فيهمُ سوى حاسدٍ جاهلِ

فيه هَزَجٌ يُنسب إلى أبي كامل وإلى حكم . وفيه لِيَنْشُو ثقيلٌ أوّل . أخبرني بذلك قريشٌ ووجّه الرُّزّة جميعاً .

[كان المعتضد يمدح شعر الوليد]

وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال : كان للمعتضد علَيَّ صوتانِ من شعر الوليد ،

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 64 ، رقم 68 من الأغاني .

2 الجاهل في ل : العاجل .

أحدهما : [من مجزوء المتقارب]

سقَيْـتُ أبـا كامـلٍ مـن الأصفر البابلي

والآخر[1] : [من مجزوء الرمل]

إن في الكأس لمسكاً أو بكَفّـيْ مَن سقاني

وكان يُعْجَب بهما ويقول لجلسائه : أما تـرَوْن شمائلَ الملوك في شعره ، ما أبْيَنها : [من مجزوء المتقارب]

ليَ المَحضُ من ودّهم ويغمُرهـم نائـلي

وحين يقول : [من مجزوء الرمل]

كلِّـلاني توِّجـاني وبشعـري غنِّيـاني

وقد نُسِب إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين ؛ لأن ذكر سُلَيْمى في أحدهما ، ولأنّ الصنعة في الآخر لأبي كامل ؛ فذكرتُ من ذلك هاهنا صوتين ، أحدهما :

صوت
من المائة المختارة

[من الهزج]

سُلَيْمى تلـك في العِيرِ قِفـي نُخْبِرْكِ أو سيري
إذا مـا أنـتِ لم تَرْثي لصَبّ القلـب مغمورِ
فلمّـا أن دنـا الصبحُ بأصـواتِ العصافيرِ
خرجنا نُتْبِـع الشمسَ عيونـاً كالقَـواريرِ
وفينـا شادنٌ أحْـوَ رُ مـن حُـورِ اليَعافِيرِ

الشعر ليزيد بن ضَبّة . والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهِرْبذ ، ولحنه رَمَلٌ مطلَق في مجرى الوسطى . هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهربذ ؛ وذكَر في موضع آخر أن فيه لحناً لابن زُرْزُور الطائفي رملاً آخر بالسبّابة في مجرى البنصر . وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لأبي كامل ولم يجنِّسه . وذكر حبش أنّ فيه لعَطَرَّد هَزَجاً بالوسطى .

1 شعر الوليد بن يزيد : ص 87 ، رقم 100 .

[102] ـ أخبار يزيد بن ضبّة ونسبُه

[نسبه وولاؤه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدَّثني أحمد بن الهَيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سَعْدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يَزيد بن ضَبّة الثَّقَفيّ قال: كان جدِّي يزيد بن ضَبّة مولىً لثَّقيف. واسم أبيه مِقْسم؛ وضَبَّةُ أمّه غلبَتْ على نسبه؛ لأنّ أباه مات وخلّفه صغيراً، فكانت أمّه تحضُن أولاد المُغِيرة بن شُعْبة ثم أولاد ابنه عُرْوة بن المغيرة، فكان جَدّي يُنسب إليها لشهرتها. قال: وولاؤه لبني مالك بن حُطَيْط ثم لبني عامر بن يَسار. قال عبد العظيم: وكان جدّي يزيد بن ضَبّة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متّصلاً به لا يفارقه.

[لم يقبل هشام تهنئته بالخلافة]

فلمّا أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدّي مهنّئاً بالخلافة. فلمّا استقرّ به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تُثني عليه والشعراء تمدحه، مثَل جدّي بين السِّماطين فاستاذنه في الإنشاد، فلم يأذَن له، وقال: عليك بالوليد فامدحه وأنشِدْه، وأمَر بإخراجه. وبلغَ الوليدَ خبرُه، فبعث إليه بخمسمائة دينار، وقال له: لو أمِنتُ عليك هشاماً لما فارقتَني، ولكن اخرج إلى الطائف، وعليك بمالي هناك؛ فقد سوّغتُك جميعَ غلّته، ومهما احتجتَ إليه من شيء بعد ذلك فالتمِسْه منّي. فخرج إلى الطائف، وقال يذكر ما فعله هشام به: [من الوافر]

أرى سلمى تَصُدّ وما صدَدْنا ... وغيرَ صدودِها كنّا أرَدْنا
لقد بخِلتْ بنائلها علينا ... ولو جادت بنائلها حَمِدنا
وقد ضنَّتْ بما وعدتْ وأمستْ ... تغيِّر عهدَها عمّا عهِدنا
ولو علمتْ بما لاقيتُ سلمى ... فتُخبرني وتعلم ما وجدنا
تُلِمّ على تنائي الدّار منّا ... فيُسهرنا الخيالُ إذا رقَدْنا
ألم تَرَ أنّنا لمّا وَلِينا ... أموراً خُرّقَت فوهَتْ سَدَدنا
رأينا الفَتْقَ حين وهَى عليهم ... وكم من مثله صَدْع رَفَأْنا

إذا هـاب الكريهةَ من يَلِيها ... وأعظَمها الهَيُوبُ لهـا عمَدنا
وجبّـارٍ تركنـاه كَلِيـلا ... وقائـدِ فتنـةٍ طـاغٍ أزَلْنا
فـلا تنسَوْا مواطِنَنا فإنّـا ... إذا مـا عـاد أهل الجُرم عُدْنا
وما هِيضتْ مَكاسِرُ من جبَرْنا ... ولا جُبِرتْ مصيبةُ من هدَدْنا
ألا مـن مُبلِغٌ عنّـي هشاماً ... فمـا منّـا البَلاءُ ولا بَعُدْنا
وما كنّا إلى الخلفاء نُفْضي ... ولا كنّـا نؤخَّـر إن شَهِدنا
ألَم يـكُ بالبلاء لنـا جَزاءٌ ... فنُجْـزى بالمحاسن أم حُسِدنا
وقد كان الملوك يروْن حقّـاً ... لوافِدنـا فنُكْـرَمُ إن وفَدْنا
ولِينـا الناسَ أزمانـاً طِـوالا ... وسُسْناهـم ودُسْناهـم وقُدْنا
ألَـم تَـرَ من ولَدْنا كيف أشْبَى ... وأشبَيْنا ومـا بهـمُ قعَدْنا[1]
نكون لِمَـن ولدْنـاه سمـاءً ... إذا شِيمتْ مَخايِلُنـا رعَدنا
وكان أبوك قـد أسدى إلينا ... جسيمةَ أمـره وبـه سَعِدنا
كذلك أوّلُ الخلفـاء كانوا ... بنا جَـدّوا كما بهـم جدَدْنا
هُـمُ آباؤنـا وهُـمُ بنونـا ... لنـا جُبِلـوا كما لهـم جُبِلنا
ونَكْوِي بالعداوة مَـن بَغانـا ... ونُسْعِـد بالمـودّة مـن وَدِدْنا
نـرى حقّـاً لسائلنـا علينا ... فنحبوه ونُجـزِل إن وعَدنا
ونضمَن جارَنـا ونـراه منّا ... فنَرفِـدُه فنُجـزل إن رفَدْنا
وما نعتـدّ دون المجـد مالاً ... إذا يُغْـلَى بمكرُمـةٍ أفَدْنا
وأتلَـدُ مجدِنـا أنّا كِـرامٌ ... بحـدّ المَشْرفِيّـة عنـه ذُدْنا

[هنّأ الوليد بالخلافة فأعطاه لكلّ بيت ألف درهم]

قال : فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ، فوفَد إليه . فلمّا دخل عليه والناسُ بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنّأه بالخلافة ؛ فأدناه الوليد وضمّه إليه ، وقبّل يزيدُ بن ضَبّة رجليه والأرضَ بين يديه ؛ فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحول لصُحْبته إيّاي وانقطاعِه إليّ . فاستاذنه يزيد في الإنشاد وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذي نهاني عمُّك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغتُه بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذِن له ،

1 أشبى الرجل : إذا ولد له ولد ذكي .

فأُنشده : [من الهزج]

سُلَيْمى تلــك في العِيرِ قِفي أُسأَلْك أَو سيري
إذا مــا بنتِ لم تأوي لصَــبّ القلــبِ مَغْمورِ
وقــد بانــت ولم تَعْهَد مهــاةٌ في مَهــاً حُورِ
وفي الآل حُمُــولُ الحـ ـيّ تُزْهَــى كالقَراقيرِ[1]
يُواريهـــا وتبــدو منـ ـــه آلٌ كالسَّماديرِ[2]
وتطفو حــين تطفو فيـ ـــه كالنَّخــل المَواقِيرِ[3]
لقد لاقيتُ مــن سَلْمى تباريـــحَ التّنـــاكِيرِ[4]
دعتْ عيني لهــا قلبي وأَسبـــابُ المقـــاديرِ
وما إنْ مَنْ بــه شيبٌ إذا يصبـــو بمعـــذورِ
لسلمــى رسمُ أَطــلالٍ عفَتْهــا الرِّيحُ بــالمُورِ[5]
خَرِيــقٌ تنخُــل التُّربَ بأذيـــالِ الأَعــاصيرِ[6]
فأَوْحِشْ إذ نأتْ سلمى بتلك الدُّورِ مــن دُورِ
سأَرمي قانصاتِ البيـ ـد إن عِشْتُ بعُسْبورِ[7]
مــن العِيسِ شَجَوْجاةٍ طواها النِّسْعُ بالكُورِ[8]
إذا مــا حَقَــبٌ منها قرَنّـــــاه بتَصْدِيــرِ[9]

---

1 الآل : السراب ، وقيل إنّه من الضحى إلى زوال الشمس والسراب من الزوال إلى العصر . القراقير : جمع قرقور ، وهي السفينة الطويلة .

2 الآل هنا : الشخوص التي تظهر في الآل . السمادير : الأشياء التي تتراءى للإنسان في ضعف بصره من السكر أو النعاس أو الدوار .

3 المواقير : جمع ميقار ، والنخلة الميقار : التي عليها حمل ثقيل .

4 التباريح : الشدائد . التناكير : الأمور المنكرة .

5 المور : الغبار تثيره الريح .

6 الخريق : الريح الشديدة الهبوب .

7 العسبور : الناقة الشديدة .

8 الشجوجاة : الطويلة جدّاً أو طويلة الرجلين أو طويلة الظهر .

9 الحقب : حبل يشدّ به الرحل . والتصدير : الحزام .

زجرْنا العِيسَ فارقَدّتْ بإعصافٍ وتَشْميرِ[1]
تُقاسيها على أيْنٍ بإدلاجٍ وتَهْجيرِ
إذا ما اعْصَوْصَبَ الآلُ ومال الظِّلُّ بالقُورِ[2]
وراحت تَتَّقي الشمسَ مطايا القوم كالعُورِ
إلى أن يُفْضِح الصبحُ بأصوات العصافيرِ[3]
لِتَعْتامَ الوليدَ القَرْمَ أهلَ الجود والخِيرِ[4]
كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ مع الخُورِ الجَراجِيرِ[5]
تُراعِي حين تُزْجيها هَوِيّاً كالمزاميرِ[6]
كما جاوبَتِ النِّيبُ رِباعَ الخُلَّجِ الخُورِ[7]
ويُعطي الذهبَ الأحمرَ وَزْناً بالقناطيرِ
بَلَوْناه فأحمدناه في عُسْرٍ وميسورِ
كريمُ العُودِ والعُنْصرِ غَمْرٌ غير منزورِ
له السَّبْق إلى الغاياتِ في ضَمّ المَضاميرِ
إمامٌ يُوضِح الحقَّ له نورٌ على نورِ
مقالٌ من أخي ودّ بحفظ الصدق مأثورِ
بإحكامٍ وإخلاصٍ وتفهيمٍ وتَحْبيرِ

قال : فأمر الوليدُ بأن تُعَدّ أبيات القصيدة ويُعطَى لكلّ بيت ألفَ درهم ؛ فعُدَّتْ فكانت خمسين بيتاً فأُعْطِيَ خمسين ألفاً . فكان أوّلَ خليفة عَدّ أبياتَ الشعر وأعطى على عددها لكلّ بيت ألفَ درهم ؛ ثم لم يفعل ذلك إلاّ هارون الرشيد ، فإنّه بلغه خبر جدّي مع الوليد فأعطى مروانَ بن أبي حَفْصة ومنصوراً النَّمَرِيّ لمّا مدحاه وهَجَوا آلَ أبي طالب

1 أرقدت : أسرعت . الإعصاف : السرعة في السير . التشمير : الجدّ في الأمر .
2 اعصوصب : اشتدّ . القور : جمع قارة ، وهي الجبل الصغير المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة .
3 أفضح الصبح : بدا .
4 اعتام : اختار واصطفى ، أي تقصده مختارة له .
5 الخور : النوق الغزيرة اللبن . الجراجير : الكرام من الإبل .
6 الهوي : الدوي في الأذن .
7 رباع : ما ولد من الإبل في أوّل النتاج . الخلج : جمع خلوج وهي الناقة الكثيرة اللبن .

لكلّ بيت ألفَ درهم .

[أمره الوليد بمدح فرسه السندي وكانا قد خرجا إلى الصيد]

قال عبد العظيم وحدَّثني أبي وجماعةٌ من أصحاب الوليد : أنّ الوليد خرج إلى الصيد ومعه جَدّي يزيد بن ضَبّة ، فاصطاد على فرسه السِّنْديّ صيداً حسناً ، ولحِق عليه حماراً فصرَعه ؛ فقال لجدّي : صِفْ فرسي هذا وصيدَنا اليوم ؛ فقال في ذلك : [من الهزج]

وأحْـوَى سَلِسُ المَرْسِـ ـنِ مثلُ الصَّدَع الشَّعْبِ[1]
سمـا فـوق مُنِيفـاتٍ طـوال كالقَنـا سُلْبِ[2]
طويـلُ الساق عُنْجُوجٌ أشقُّ أصمـعُ الكَعْبِ[3]
على لأمٍ أصـمَّ مُضَمَّـ ـرِ الأشْعَـرِ كالقَعْبِ[4]
تَـرى بـين حَوامِيـه نُسُوراً كنَـوَى القَسْبِ[5]
مُعَالـىً شَنِـجُ الأنْسا ء سامٍ جُـرْشُعُ الجَنْبِ[6]
طَـوى بـين الشَّراسيفِ إلى المَنْقَـب فالقُنْبِ[7]
يغـوص الملحـمَ القائِـ ـمَ ذو حَـدّ وذو شَغْبِ
عَتِيـدُ الشَّدّ والتَّقْريـ ـب والإحضار والعَقْبِ[8]
صليـبُ الأُذْن والكاهـ ـلِ والمَوْقِف والعَجْبِ[9]
عريضُ الخـدّ والجَبْهـ ـة والبِرْكَـةِ والهُلْبِ[10]

---

1 الصدع : الفتيّ القوي من الأوعال . والشعب : تباعد ما بين القرنين . وسكن العين للضرورة .

2 القنا السلب : الرماح الطويلة ومفرده «سَلِب» .

3 العنجوج : الرائع من الخيل . الأشق : الطويل . الكعب الأصمع : اللطيف المستوي .

4 اللأم : الشديد من كلّ شيء . الأشعر : ما استدار بالحافر من الشعر . القعب : القدح الصغير .

5 الحوامي : ميامن الفرس ومياسره . لحمة النسر : لحمة صلبة في باطن الحافر . القسب : تمر يابس صلب النواة .

6 الأنساء : جمع نسا وهو عِرق يخرج من الورك حتى يبلغ الحافر . وفرس شنج النسا : منقبضه . جرشع الجنب : منتفخه .

7 الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . المنقب : الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة . القنب : جراب قضيب الدابة .

8 عتيد الشدّ : شديد الخلق مُعدّ للجري . التقريب والاحضار والعقب : أنواع من العدو .

9 الموقف : نقرة الخاصرة . العجب : أصل الذنب .

10 البركة : الصدر . الهلب : شعر الذنب .

إذا ما حَثَّه حاثٌ ... يُباري الرِّيحَ في غَرْبِ[1]
وإن وجَّهَه أسْرِ ... ع كالخُذْرُوفِ في الثَّقْبِ[2]
وقَفَّاهُنّ كالأَجْدَ ... لِ لما انضمّ للضَّرْبِ
ووالى الطعنَ يَختار ... جَواشِنَ بُدَّنٍ قُبٍّ[3]
تَرى كلَّ مُدِلٍّ قا ... ئماً يَلْهَثُ كالكلبِ[4]
كأنّ الماء في الأعطا ... فِ منه قِطَعُ العُطْبِ[5]
كأن الدَّمَ في النَّحْرِ ... قَذالٌ عُلّ بالخَضْبِ
يَزينُ الدَّارَ موقوفاً ... ويَشْفي قَرَمَ الرَّكْبِ

قال : فقال له الوليد : أُحسنت يا يزيد الوصفَ وأَجدته ، فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأَعْطِه الغُزَيِّلَ وعمر الوادي حتى يغنّيا فيه ؛ فقال : [من الهزج]

صوت

إلى هندٍ صبا قلبي ... وهندٌ مثلُها يُصْبِي
وهندٌ غادةٌ غَيْدا ... ءُ من جُرْثومةٍ غُلْبِ
وما إنْ وجَد الناسُ ... من الأدواء كالحبِّ
لقد لَجَّ بها الإعرا ... ضُ والهجرُ بلا ذنبِ
ولّما أَقْضِ من هندٍ ... ومن جاراتها نَحْبِي[6]
أرى وجدِي بهندٍ دا ... ئماً يَزْدادُ عن غِبٍّ
وقد أطْوَلْتُ إعراضاً ... وما بغضُهمُ طِبِّي[7]
ولكن رِقْبَةُ الأعـ ... ـين قد تحجُزُ ذا اللُّبِّ

1 غرب الفرس : حدّته ونشاطه .
2 الخذروف : شيء يدوره الصبي فيسمع له دوي .
3 الجوشن : الصدر .
4 المدل : الجريء .
5 العُطب : القطن .
6 النحب : الحاجة .
7 الطب هنا : العادة .

ورَغْـمُ الكاشح الراغــ ـم فيهـا أيْسَرُ الخَطْبِ

قال : ودفَع هذه الأَبيات إلى المغنِّين فغنّوْه فيها .

[فصيح يطلبُ الحُوشيّ من الشعر]

أَخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن الأَصمعيّ ، وحدَّثني به محمَّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أَبو حاتم قال حدَّثنا الأَصمعيّ قال : كان يزيد بن ضَبّة مولى ثَقيف ، ولكنّه كان فصيحاً ، وقد أُدركتُه بالطائف ، وقد كان يَطلب القوافيَ المعتاصةَ والحُوشيّ من الشعر .

[قيل له ألف قصيدة انتحلتها الشعراء]

قال أَبو حاتم في خبره خاصّة وحدَّثني غسّان بن عبد الله بن عبد الوهّاب الثقفيّ ، عن جماعة من مشايخ الطائفيِّين وعلمائهم قالوا : قال يزيد بن ضبّة ألفَ قصيدة ، فاقتسمتها شعراء العرب وانتحلتها ، فدخلتْ في أشعارها .

[103] ـ أَخبار إسماعيل بن الهِرْبِذ

[ولاؤه]

إسماعيل بن الهِرْبِذ مكيٌّ مولىً لآل الزُّبَير بن العَوّام ، وقيل : بل هو مولى بني كِنانة . أدرك آخرَ أيّام بني أُميّة وغنّى للوليد بن يزيد ، وعُمِّر إلى آخر أيّام الرشيد .

[يطرب الرشيد دون كبار المغنّين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن أبي سعد عن محمَّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن أبيه : أنّ إسماعيل بن الهِرْبِذ قدِم على الرشيد من مكّة ، فدخل إليه وعنده ابنُ جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُلَيْح وغيرُهم والرشيد يومئذٍ خاثِرٌ به خُمار شديد ؛ فغنّى ابنُ جامع ثم فُلَيْح ثم إبراهيم ثم إسحاق ، فما حرّكه أحد منهم ولا أطربه ؛ فاندفع ابن الهِرْبِذ يغنّي ، فعَجِبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد ، فغنّى : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـا راكبَ العيس التي ... وفدَت من البلد الحَرامِ[1]
قُـل للإمـام ابن الإما ... م أخي الإمام أبي الإمامِ
زيـنِ البريّـة إذ بدا ... فيهـم كمصباح الظلامِ
جعل الإلـهُ الهِرْبِـذيَّ ... فِداك مـن بـين الأَنامِ

الغناء لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . قال : فكاد الرشيد يرقص ، واستخفّه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم . فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ لهذا الصوت حديثاً ، فإن أذِن مولاي حدَّثته به ؛ فقال : حدِّث . قال : كنت مملوكاً لرجل من ولد الزُّبَير ، فدَفَع إليّ درهمين أبتاع له بهما لحماً ، فرُحْتُ فلقِيتُ جاريةً على رأسها جَرّةٌ مملوءةٌ من ماء العَقيق وهي تغنّي هذا اللحنَ في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويِّه ؛ فسألتها أن تُعلِّمَنيه ؛ فقالت : لا وحقِّ القبرِ[2] إلاّ بدرهمين ؛ فدفعتُ إليها الدرهمين وعَلّمَتْنيه ؛ فرجَعتُ إلى مولاي بغير لحم فضربني ضرباً مبرِّحاً شُغِلتُ معه بنفسي فأُنْسِيتُ الصوت . ثم دفع إليّ درهمين آخرين بعد أيّام أبتاع له بهما لحماً ؛ فلقِيَتْني الجاريةُ فسألْتُها أن تُعيد الصوتَ عليّ ؛

1 وفدَت في ل : وخدت .
2 تقصد قبر النبيّ .

فقالت : لا والله إلاّ بدرهمين ؛ فدفعتُهما إليها وأعادته عليَّ مراراً حتى أخذتُه . فلمّا رجَعتُ إلى مولاي أيضاً ولا لحمَ معي قال : ما القصّة في هذين الدرهمين ؟ فصدَقتُه القصّة وأعَدْتُ عليه الصوت ، فقبّل بين عينيّ وأعتقني . فرحلتُ إليك بهذا الصوت ، وقد جعلتُ ذلك اللحن في هذا الشعر ؛ فقال : دَع الأوّلَ وتَناسَه ، وأَقِمْ على الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر ؛ فأمّا مولاك فسأدفع إليه بدل كلّ درهم ألفَ دينار ؛ ثم أمر له بذلك فحُمِل إليه .

[شعر نسب الوليد وليس له]

وممّا نُسب إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له[1] : [من الرمل]

صوت
من المائة المختارة

امدَحِ الكأسَ ومـــن أعْمَلها واهْجُ قومــاً قتلونا بالعطشْ
إنّمــا الكــأس ربيــعٌ باكــرٌ فإذا مــا غــاب عنّــا لم نَعِشْ

الشعر لنابغة بني شَيْبان . والغناء لأبي كامل ، ولحنُه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى ، وهو الذي تسمّيه الناسُ اليومَ الماخوريّ . وفيه لأبي كامل أيضاً خفيفُ رمل بالبنصر عن عمرو . وذكر الهشاميّ أن فيه لمالك لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى ، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر .

1 البيتان من قصيدة طويلة في ديوان نابغة بني شيبان : 83–89 .

[104] ـ نسب نابغة بني شَيْبان

[نسبه]

النابغة اسمه عبد الله بن المُخارِق بن سُلَيْم بن حصرة[1] بن قَيْس بن سِنَان بن حَمّاد بن حارثة بن عمرو بن أبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثَعْلبةَ بن عُكابة بن صَعْبِ بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْميّ بن جَدِيلة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار . شاعرٌ بدويّ من شعراء الدولة الأُمويّة . وكان يفِد إلى الشام إلى خلفاء بني أُميّة فيمدحهم ويُجْزِلون عطاءه . وكان فيما أرى[2] نَصْرانيّاً لأنّي وجدته في شعره يَحلِف بالإنجيل والرُّهْبان وبالأَيمان التي يحلِف بها النّصارى . ومدَح عبدَ الملك بن مروان ومَنْ بعده مِنْ ولَده ؛ وله في الوليد مدائحٌ كثيرة .

[مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه]

أخبرني عمّي قال حدَّثني محمَّد بن سعد الكُرانيّ قال حدَّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : لمّا همّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتَوْلِية الوليدِ ابنِه العهدَ ، كان نابغة بني شيبان منقطِعاً إلى عبد الملك مَدّاحاً له ؛ فدخل إليه في يوم حَفْل والناسُ حواليه وولدُه قُدّامَه ، فمَثل بين يديه وأنشده قوله[3] : [من المنسرح]

أشتقتَ وانهلَّ دمعُ عينك أنْ ... أضحى قِفاراً من أهلـه طَلَحُ[4]

حتى انتهى إلى قوله :

أَزَحْتَ عنّـا آلَ الزُّبَير ولـو ... كانوا هُمُ المالكين ما صَلَحوا[5]

---

1 ل : حضيرة وفي الديوان : خصيرة .

2 لقول أبي الفرج هذا ما يبرّره في شعر النابغة ، كقوله مثلاً :

يظـلّ يتلـو الإنجيـل يـدرسه ... مـن خشيـة الله قلبـه طفـحُ

غير أنّ في شعره نفساً إسلامياً لا يخطئه القارىء ، بل إنّه يصرّح بإسلامه كقوله :

وتعجبني اللـذات ثـم يعوجني ... ويسترني عنهـا مـن الله ساتـرُ

ويزجرني الإسلامُ والشيب والتُقى ... وفي الشيب والإسلام للمرء زاجـرُ

فهل كان النابغة نصرانيّاً في مبدئه ثم أسلم ؟ .

3 ديوان نابغة بني شيبان (دار الكتب) : 101–108 .

4 طلح : اسم موضع مختلف على تعيينه .

5 الشطر الثاني في رواية الديوان : كان إمام سواك ما صلحوا .

إن تَلْـقَ بَلْوَى فأنت مُصْطَبِرٌ ... وإن تُـلاقِ النُّعْمَى فـلا فرِحُ
ترمي بعينَيْ أَقْنى على شَرَف ... لم يُـؤذه عائـرٌ ولا لَحَحُ[1]
آلُ أَبـي العـاصِ آلُ مَأْثُرةٍ ... غُـرٌّ عِتَاقٌ بالخير قـد نفَحوا
خيرُ قـريشٍ وهـم أفاضلُها ... في الجِدّ جِدٌّ وإن هُمُ مَزَحوا
أَرْحَبُهـا أَذْرُعـاً وأَصبرُها ... أَنتم إذا القوم في الوَغى كلَحوا[2]
أَمّـا قريشٌ فأنـتَ وارثُها ... تكُفّ من صعبهم إذا طمَحوا
حفِظْتَ مـا ضَيّعوا وزَنْدَهم ... أَوريْتَ إذ أَصلدوا وقد قدحوا
آليتُ جَهْداً ، وصادقٌ قسمي ، ... بربِّ عبـدٍ تجنُّـه الكُرُحُ[3]
يَظلّ يتلـو الإنجيـلَ يدرسُه ... مـن خَشْيَة الله قلبُه طَفِحُ[4]
لابنُـك أولَى بمُلْـك والده ... ونجمُ من قـد عصاك مُطَّرِحُ
داود عَـدْلٌ فاحكم بسيرته ... ثم ابنُ حَرْب فإنّهم نصَحوا[5]
وهم خيـارٌ فاعمل بسنّتهم ... واحْيَ بخير واكْدَحْ كما كدَحوا

قال : فتبسّم عبد الملك ولم يتكلّم في ذلك بإنذار[6] ولا دفع ؛ فعلم الناس أَنّ رأيه خلعُ عبد العزيز . وبلغ ذلك من قول النابغة عبدَ العزيز ، فقال : لقد أَدْخل ابنُ النّصرانيّة نفسه مُدْخَلاً ضيّقاً فأوردها مورداً خطراً ؛ وبالله عليّ لئن ظفِرتُ به لأَخْضِبنّ قدمَه بدمه .

[هنأ يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب]

وقال أَبو عمرو الشّيبانيّ : لمّا قُتل يزيد بن المهلّب دخل النابغة الشّيبانيّ على يزيد بن عبد الملك بن مروان ، فأَنشده قولَه في تهنئته بالفتح[7] : [من الوافر]

أَلا طـال التنظُّـر والثَّـوَاءُ ... وجاء الصيف وانكشف الغِطاءُ
وليس يُقيـم ذو شَجَنٍ مُقِيـمٍ ... ولا يَمْضي إذا ابتُغي المَضاءُ

1 والأقنى : الصقر . والعائر : الرمد . واللحح : لصوق الأجفان بوسخ أبيض جامد . ولا لَحح في ل : ولا لحوا .
2 كلحوا : تغيّرت وجوههم .
3 تجنُّه الكرح في ل : لله يتنصح . والكرح والأكيراح : بيوت صغار بأرض الكوفة كان يسكنها الرهبان .
4 الديوان : قفح : أي وجع .
5 نصحوا في ل : نُصُح .
6 في ل : بإقرار .
7 ديوان النابغة : 40–51 .

طَوالَ الدَّهرِ إلاّ في كتابٍ ومقدارٍ يُوافِقه القضاءُ
فما يُعطى الحريصُ غنىً لِحِرْصٍ وقد يَنْمي لذي الجود الثَّراءُ
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بحيٍّ سيتبعُها إذا انتهت الرَّخاءُ

يقول فيها : [من الوافر]

أؤمُّ فتىً من الأعياصِ مَلْكاً أغرَّ كأن غُرّته ضياءُ
لأُسْمِعه غريبَ الشعرِ مدحاً وأُثْني حيث يتّصِل الثناءُ
يزيد الخيرِ فهو يزيد خيراً وينمي كلّما ابتُغي النَّماءُ
فضَضتَ كتائبَ «الأزديّ» فَضّاً بكبشك حين لَفّهما اللقاءُ
سَمكْتَ المُلْكَ مقتبَلاً جديداً كما سُمِكَتْ على الأرض السماءُ [1]
نرجِّي أن تدومَ لنا إماماً وفي مُلك الوليد لنا رَجاءُ
«هشامٌ» و«الوليد» وكلُّ نفسٍ تُريد لك الفناءَ لك الفِداءُ

وهي قصيدة طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب وأن تُوقَر له بُرّاً وزَبيباً ، وكساه وأجزل صلته .

[وفد على هشام مادحاً فطرده]

قال : ووفَد إلى هشام لَمّا وَلِي الخلافة ؛ فلمّا رآه قال له : يا ماصَّ ما أُبقتِ المَواسي من بَظْرِ أُمّه ! ألستَ القائلَ : [من الوافر]

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تريدُ لك الفناءَ لك الفِداء

أخرِجوه عنّي ! والله لا يَرْزَؤُني شيئاً أبداً وحَرمه . ولم يزل طولَ أيّامه طريداً ؛ حتى ولي الوليدُ بن يزيد ؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته .

[الخمر ومدحها]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدَّثني عُبيد الله بن محمَّد الكوفيّ عن العُمَريّ الخَصّاف عن الهَيثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية أنّه أنشده لنابغة بني شَيْبان : [من الرمل]

أيُّها الساقي سقتْكَ مُزْنَةٌ من رَبيعٍ ذي أهاضيبَ وطَشّ [2]

1 رواية الديوان : سمكت لهم بإذن الله ملكاً . وسمك الشيء : رفعه .
2 الطشّ : المطر الضعيف . والأهاضيب : المطر المتوالي .

امدحِ الكأس ومن أعملها ... واهْجُ قوماً قتلونا بالعطشْ
إنّما الكأسُ ربيعٌ باكرٌ ... فإذا ما غاب عنّا لم نَعِشْ
وكأنّ الشَّرْبَ قوم مُوِّتوا ... من يَقُمْ منهم لأمر يَرْتَعِشْ
خُرُس الألسُن ممّا نالهم ... بين مصروع وصاحٍ منتعشْ
من حُميّا قَرْقَفٍ حُصِّيَّةٍ ... قهوةٍ حَوْليّةٍ لم تُمْتَحَشْ[1]
ينفع المزكومَ منها ريحُها ... ثم تَنفي داءه إن لم تُنشّ[2]
كلّ من يشربها يألفُها ... يُنفق الأموالَ فيها كلُّ هَشّ

[أنشد الوليد شعراً في الفخر]

أخبرني محمَّد بن مزيد بن أبي الأَزْهر قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمَحِيّ ، قال ابن أبي الأزهر : وهو محمَّد بن سَلاّم : غنَّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد : [من الرمل]

امدَحِ الكأسَ ومن أعملها ... واهْجُ قوماً قتلونا بالعطشْ

فسأل عن قائلِ هذا الشعر فقيل : نابغة بني شيبان ؛ فأمر بإحضاره فأُحْضِر ؛ فاستنشده القصيدةَ فأنشده إيّاها ؛ وظنّ أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم ؛ فقال له الوليد : لو سَعِد جَدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شَيْبان ، ولسنا نُخْليك على ذلك من حظّ ؛ ووصله وانصرف . أوّل هذه القصيدة قوله[3] : [من الرمل]

خَلّ قلبي من سُلَيمى نبلُها ... إذ رمتني بسهام لم تَطِشْ[4]
طَفْلَةُ الأعطافِ رُؤْدٌ دُمْيةٌ ... وشَواها بَخْتَرِيّ لم يُحَشْ
وكأنّ الدُّرّ في أَخْراصها ... بَيْضُ كَحْلاء أَقرّته بعُشّ[5]
ولها عينا مَهاةٍ في مهاً ... تَرْتعي نبتَ خُزامى ونَتَش[6]
حُرّةُ الوجه رخيمٌ صوتُها ... رُطَبٌ تَجْنيه كفُّ الْمُنْتقِش[7]

1 الحميا : سَورة الخمر وشدّتها . والقرقف : الخمر ، سمِّيت كذلك لأنّها تصيب شاربها بالرعدة .
2 لم تنش : النشوة أي لم تُسكرْ.
3 ديوان بني شيبان 83–89 .
4 خل : نفذ وثقب .
5 الأخراص : جمع خرص وهو القرط . والكحلاء : طائر .
6 النتش : أوّل ما يظهر من النبات .
7 المنتقش : المتخيّر .

وهي في الليل إذا ما عُونِقَتْ مُنْيَةُ البعل وهمٌّ المُفْتَرِشْ

وفيها يقول مفتخراً : [من الرمل]

وبنو شَيْبان حولي عُصَبٌ منهمُ غُلْبٌ وليست بالقَمِشْ[1]
ورَدوا المجدَ وكانوا أهلَه فرَوُوا والجودُ عافٍ لم يَنِشّ[2]
وتَرى الجُرْدَ لدى أبياتهم أرِناتٍ بين صَلْصال وجُشّ[3]
ليس في الألوان منها هُجْنَةٌ وَضَحُ البُلْقِ ولا عيبُ البَرَش[4]
فبها يَحْوُون أموالَ العِدَا ويَصيدون عليها كلَّ وحشْ
دَمِيَتْ أكفالُها من طعنهم بالرُّدَيْنيّات والخيلِ النُّجُشْ[5]
نُنْهِل الخَطِّيّ من أعدائنا ثم نَفْرِي الهامَ إن لم نَفْتَرِشْ[6]
فإذا العِيسُ من المحل غَدَتْ وهي في أعينها مثلُ العَمَشْ
حُسَّرَ الأوبار ممّا لَقِيتْ من سَحاب حاد عنها لم يُرِشّ[7]
خُسَّفَ الأعين تَرْعى جُوفةً هَمَدتْ أوبارُها لم تَنْتَفِشْ[8]
نَنْعَشُ العافي ومن لاذ بنا بسجال الخير من أيْدٍ نُعُشْ[9]
ذاك قولي وثنائي وهُمُ أهْلُ ودِّي خالصاً في غير غِشّ
فسَلُوا شَيْبانَ إن فارقتُهم يومَ يمشون إلى قبري بنعشْ
هل غَشِينا مَحْرَماً في قومنا أو جَزَينا جازياً فُحْشاً بفُحْشْ

[بعض شعره الذي غُني به]

وممّا يُغنَّى فيه من شعر نابغة بني شيبان : [من مجزوء الرمل]

1 القمش : زعانف الناس وأرذالهم .
2 العافي : الوافي .
3 أرنات : نشيطات . الصلصال : الحمار المصوّت . جش : جمع أجشّ وهو الغليظ الصوت .
4 الهجنة : العيب . البرش : البرص .
5 النجش : المستثارة المسرعة .
6 نفترش : نصرع .
7 لم يرش : لم ينزل ما به من مطر .
8 خسف الأعين : غائرتها . الجوفة : النبتة الفارغة الجوف .
9 العافي في ل : العاني . نعش : تنتعش للكرم وفِعل الخير .

صوت

ذَرَفتْ عينـي دموعـاً مـــن رسوم بحَفيرِ
مُوحِشاتٍ طامساتٍ مثـلِ آيـــاتِ الزَّبُورِ
وزِقـــاقٍ مُتْرَعـــاتٍ من سُلافات العَصِيرِ[1]
مُجْلَخِـدّات مِـلاءٍ بطّنوهـــنّ بقِيـــرِ[2]
فإذا صارت إليهـم صُيِّرتْ خيـرَ مَصيرِ[3]
من شبابٍ وكُهـولٍ حكَّمـوا كأسَ المُديرِ
كم تـرى فيهم نديماً مـــن رئيس وأميـرِ

ذكر يونس أنّ فيه لمالك لحناً ولابن عائشة آخر ، ولم يذكر طريقتهما ؛ وفيه خفيفُ رملٍ معروف لا أدري لحن أيّهما هو .

صوت
من المائة المختارة[4]

[من الكامل]

يـا عَمْـرُ حُـمّ فراقُكـم عَمْرا وعَزَمْـتِ منّـا النـأيَ والهجرا
إحـدى بنـي أَوْدٍ كَلِفتُ بهـا حَمَلت بـلا تِـرَةٍ لنـا وتْرا
وتَـرى لهـا دَلاًّ إذا نطقـتْ تركـت بنـاتِ فـؤاده صُعْرا[5]
كتساقط الرُّطَبِ الجَنيِّ من الأفنا ن لا بَثْـراً ولا نَـــزْرا[6]

الشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ . والغناء لفَزار المَكّي ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

---

1 رواية هذا البيت في الديوان :

في زقاق كلّ حجليـ ـن أضـرّا ببعيـر

والحجل : هو السقاء العظيم .

2 مجلخدات : مستلقيات . بطنوهن في ل : طينوهن .

3 رواية هذا البيت والذي بعده في الديوان :

فـإذا صرتَ إليهـم صرت في خيرِ مصير
عنـد شبان وشيـب أعملـوا كأس المدير

4 ديوان أبي دهبل : 109–110 .

5 صعر : مائلة .

6 رواية الديوان : كتساقط الرطب الجنيّ من الاقناء لا نشراً ولا نزرا

الاقناء : جمع قنو وهو العذق بما فيه من رطب . والبثر : الكثير وكذلك النشر .

[105] ـ أخبار أَبي دَهْبَل ونسبه[1]

[نسبه]

نسبه ـ فيما ذكر الزُّبَير بن بَكّار وغيره ، وَهْب بن زَمْعة[2] بن أُسَيْد بن أُحَيْحَةَ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤيّ بن غالب . ولخلف بن وَهْب يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى أو غيرُه : [من الكامل]

خَلَفُ بن وَهْب كلَّ آخرِ ليلةٍ ... أَبــداً يكثِّــر أهلَــه بعيــالِ

سَقْياً لوَهْب كَهْلِهـا ووليدها ... مــا دام في أبياتهــا الذيّــالِ

نعم الشبابُ شبابُهم وكهولُهم ... صُيّابــة ليسوا مــن الجُهّالِ[3]

وأمّ أَبي دَهْبل امرأة من هُذَيل . وإيّاها يَعْني بقوله : [من المتقارب]

أَنــا ابن الفروعِ الكرامِ التي ... هُذَيــلٌ لأبياتهــا سائِلَــهْ

هُــمُ ولــدوني وأشبَهتُهــم ... كما تُشْبِــه الليلــة القابلــهْ

واسمها ، فيما ذكر ابن الأَعرابيّ ، هذيلة بنت سَلَمة .

[كان شاعراً جميلاً عفيفاً]

قال المدائني : كان أَبو دهبل رجلاً جميلاً شاعراً ، وكانت له جُمّة يُرسلها فتضرِب مَنْكِبيه ، وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه ، ومدَح معاويةَ ، وعبدَ الله بن الزُّبَير ، وقد كان ابنُ الزُّبَير ولاّه بعضَ أَعمال اليمن .

[عدّه راهب أشعر الناس]

حدَّثنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أَسد قال حدَّثنا العُمَريّ عن الكَلْبيّ عن أَبي مِسْكين ، وأَخبرني به محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أَحمد بن الهيْثم بن فِراس قال حدَّثني العبّاس بن هشام عن أَبيه عن أَبي مِسْكين : أَنّ قوماً مَرّوا براهب ، فقالوا له : يا راهب ، مَنْ أَشعرُ الناس ؟ قال : مكانَكم حتى أَنظرَ في كتاب

1 لأبي دهبل الجمحيّ ترجمة في الشعر والشعراء : 512–514 والمؤتلف : 168 وانظر بروكلمان 1 : 198 . وقد جمع كرنكو شعره سنة 1910 ثم عثر الأستاذ عبد العظيم عبد المحسن على مخطوطة له في النجف فنشرها عام 1972 ، وإليه نشير .

2 ل : ربيعة وهو تحريف .

3 الصيابة : الخيار من كلّ شيء .

عندي ، فنظر في رَقّ له عَتيق ثم قال : وَهْبٌ من وَهْبين ، من جُمَح أو جُمَحين .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا عليّ بن صالح عن عبد الله بن عُرْوة قال : قال أبو دَهْبل يفخَر بقومه[1] : [من البسيط]

قومي بنو جُمَح قوم إذا انحدرَتْ شَهْباءُ تُبصر في حافاتهـا الزَّغَفا[2]
أهـلُ الخلافة والمُوفُون إن وعَدوا والشاهِدو الروع لا عُزْلاً ولا كُشُفا[3]

قال الزُّبَير وأنشدني عمّي قال أنشدني مصعَب لأبي دَهْبل يفخَر بقومه بقوله[4] : [من الرجز]

أنا أبـو دَهْبـلَ وَهْـبٌ لِوَهَبْ من جُمَحٍ في العزِّ منها والحَسَبْ
والأُسرةِ الخَضْراء والعِيصِ الأشِبْ ومن هُذَيل والدي عالي النَّسَبْ[5]
أورثني المجدَ أبٌ مـن بعد أبْ رمحي رُدَيْنـيّ وسيفـي المستلبْ
وبَيْضتـي قَوْنَسُها مـن الذَّهبْ دِرْعي دِلاصٌ سَرْدُها سردٌ عَجَبْ[6]
والقوس فَجّاءُ لهـا نَبْـلٌ ذَرِبْ محشورةٌ أُحْكِـم منهـن القُطَبْ[7]
ليوم هَيْجاءَ أُعِـدّت للرَّهَبْ

[كادوا له عند من كان يهواها]

أخبرني محمَّد بن خَلَف قال حدَّثنا محمَّد بن زُهَير قال حدَّثنا المدائنيّ : أنّ أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة ، وكانت امرأةً جَزْلَة[8] يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشادِ الشعر والأخبار ، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسَها مع كلّ من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً مُحبَّة له . وكان أبو دهبل رجلاً سيِّداً من أشراف بني جَمح ، وكان يحمل الحَمالات ويُعطي الفقراء ويَقْري الضيف . وزعمتْ بنو جمح أنّه تزوّج عمرةَ هذه بعد ذلك ، وزعم غيرُهم أنّه لم يصل إليها . وكانت عمرةُ تُوصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه ، فضمِنَ لها ذلك واتّصل ما بينهما . فوقفت عليه زوجته فدسَّتْ إلى عمرة امرأةً داهيةً من عجائز أهلها ؛

---

1 ديوان أبي دهبل : 64–65 .
2 الشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح . والزغف : الدروع .
3 كشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس له في الحرب . وقيل من ينهزم في الحرب .
4 ديوانه : 47–48 .
5 العيص : الأصل . والأشب : الملتفّ .
6 قونسها : أعلاها . والدرع الدلاص : اللينة الملساء . وسردها سرد في الديوان : شكّها شكّ .
7 القوس الفجاء : ارتفعت سيتها فبان وترها عن مقبضها . والقطب : النصال .
8 الجزلة : الأصيلة الرأي .

فجاءتها فحادثتها طويلاً ثم قالت لها في عُرْض حديثها : إنِّي لأَعْجَبُ لك كيف لا تتزوّجين أبا دهبل مع ما بينكما ! قالت : وأيُّ شيء يكون بيني وبين أبي دهبل ؟ قال : فتضاحكت وقالت : أتستُرين عنّي شيئاً قد تحدّثتْ به أشرافُ قريش في مجالسها وسُوقةُ أهل الحجاز في أسواقها والسُّقاةُ في مواردها ! فما يتدافع اثنان أنّه يهواكِ وتَهْوَيْنه ؛ فوثَبتْ عن مجلسها فاحتجبتْ ومنعت كلَّ من كان يجالسها من المصير إليها . وجاء أبو دهبل على عادته فحجَبَتْه وأرسلت إليه بما كرِه . ففي ذلك يقول[1] : [من الطويل]

صوت

تطاوَلَ هذا الليل ما يتبلّجُ وأَعيَتْ غَواشي عَبْرتي ما تَفرّجُ
وبتُّ كئيباً ما أَنام كأنّما خِلالَ ضلوعي جمرةٌ تتوهّجُ
فطوْراً أُمَنّي النفسَ من عَمْرَةَ المُنى وطوراً إذا ما لَجّ بي الحزنُ أَنْشِجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ

الغناء في البيت الأوّل وبعده بيت في آخر القصيدة : [من الطويل]

أُخَطِّط في ظهر الحصير كأنّني أسيرٌ يَخاف القتلَ ولهان مُلْفَجُ

لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر حَمّاد عن أبيه في أخبار مالك أنّه لحائد بن جَرْهَد وأنّ مالكاً أخذه عنه فنسَبه الناسُ إليه ، فكان إذا غنّاه وسُئل عنه يقول : هذا والله لحائد بن جَرْهَد لا لي . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش . وفي «لقد قطع الواشون» وقبله «فطوراً أُمَنّي النفس» لمالك ثقيلٌ أوّل بالسبّابة . في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيل بالوسطى عن حبش : [من الطويل]

رأوا غِرّةً فاستقبلوها بأَلْبهم فراحوا على ما لا نُحِبّ وأَدْلجوا[2]
وكانوا أُناساً كنتُ آمَنُ غَيْبَهم فلم يَنْهَهم حلمي ولم يتحرّجوا
فليت كوانيناً مِنَ آهلي وأهلها بأجمعهم في قعر دِجْلة لَجَّجُوا[3]
هُمُ منعونا ما نُحبّ وأوقدوا علينا وشَبّوا نار صُرم تَأَجَّجُ

---

1 ديوان أبي دهبل : 52–57 .

2 ألبهم : جمعهم .

3 الكوانين : الثقلاء أو الذين يتقصّون الأخبار لنقلها . ولججوا : وقعوا في اللجة . وفي الديوان :

بأجمعهم في لجة البحر لججوا

ولو تركونا لا هَدَى اللهُ سعيَهم ... ولم يُلْجِموا قولاً من الشرّ يُنْسَجُ
لأوشك صرفُ الدَّهر يفرُق بيننا ... ولا يَسْتقيم الدَّهر والدَّهرُ أعوجُ[1]
عسى كُرْبةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً ... يكونُ لنا منها نجاةٌ ومَخْرجُ
فيُكْبَتَ أعداءٌ ويَجْذَل آلِفٌ ... له كَبِدٌ من لوعة الحبّ تُلْعَجُ[2]
وقلت لعَبّاد وجاء كتابُها ... لهذا وربِّي كانت العين تَخلُجُ
وإنّي لمحزونٌ عشيّةَ زرتُها ... وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرِّجُ
أُخطِّط في ظهر الحصير كأنّني ... أسيرٌ يخاف القتل وَلْهان مُلْفجُ

الملفج: الفقير المحتاج.

وأشفَقَ قلبي من فراق خليلةٍ ... لها نَسبٌ في فرَع فِهرٍ متوَّجُ
وكفٌّ كهُدّاب الدِّمَقْس لطيفةٌ ... بها دَوْسُ حِنّاء حديثٌ مُضَرَّجُ[3]
يَجُول وشاحاها ويَغتَصّ حَجْلها ... ويَشْبَع منها وَقْفُ عاج ودُمْلُجُ[4]
فلمّا التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَجُ

[شعره في عمرة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أنشدني عمِّي ومحمَّد بن الضحّاك عن أبيه محمَّد بن خَشْرم ومن شئتَ من قريش لأبي دهبل في عَمْرة: [من الكامل]

يا عَمْر حُمّ فراقُكم عمرا ... وعزَمْتِ منّا النأيَ والهجرا
يا عمر شيخُك وهو ذو كرم ... يَحْمي الذِّمار ويُكرم الصِّهرا
إن كان هذا السحرُ منكِ فلا ... تُرْعِي عليّ وجدِّدي السِّحرا[5]
إحدى بني أَوْد كلِفتُ بها ... حَمَلتْ بلا وِترٍ لنا وِتْرا[6]
وتَرى لها دَلاًّ إذا نطقتْ ... تركتْ بناتِ فؤاده صُعْرا

1 لا يستقيمُ في الديوان: ولا يستتم...
2 الديوان: له كبد من لوعة الحزن تنضج.
3 الدوس: التزيين. مضرج: مصبوغ.
4 يغتصّ: يمتلىء. الوقف: سوار من عاج.
5 لا ترعي علي: لا تبقي علي.
6 تقدّم هذا البيت (صفحة 86) برواية «بلا ترة» وهي رواية الديوان.

كتساقُطِ الرُّطَب الجَنيّ من الأفـ ـنان لا بَثْرا ولا نَزْرا
أُقسمتُ ما أُحببتُ حبَّكم لا ثَيِّباً خُلقتْ ولا بِكْرا
ومقالةٌ فيكم عرَكْتُ بها جَنْبي أُريد بها لك العذرا[1]
ومُريد سرّكم عدَلْتُ به فيما يحاول مَعْدِلاً وَعْرا
قالت يُقيم بنا لنَجْزِيَه يوماً فَخيَّم عندها شهرا
ما إن أُقيم لحاجةٍ عرَضَتْ إلاّ لأُبْلَي فيكمُ العذرا

قالوا : وفيها يقول[2] : [من الطويل]

صوت

يلومونني في غير ذنب جنيتُه وغيريَ في الذنب الذي كان أُلومُ
أمِنّا أُناساً كنتِ تأتمنينهم فزادوا علينا في الحديث وأوهموا[3]
وقالوا لنا ما لم يُقَلْ ثم كثَّروا علينا وباحوا بالذي كنت أكتُمُ

غنّى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالبنصر .

[من الطويل]

وقد مُنِحتْ عيني القَذَى لفراقهم وعاد لها تَهْتانُها فهي تَسْجُمُ
وصافيتُ نِسْواناً فلم أَرَ فيهمُ هوايَ ولا الوُدَّ الذي كنتُ أعلمُ
أليس عظيماً أن نكون ببلدة كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

[أبو السائب المخزوميّ يطرب لشعره]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني أبو غسّان قال : سمع أبو السائب المخزوميّ رجلاً ينشد قول أبي دهبل : [من الطويل]

أليس عجيباً أن نكون ببلدة كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمْ

فقال له أبو السائب : قف يا حبيبي فوقف ؛ فصاح بجارية : يا سلامة اخرجي فخرجت ؛ فقال له : أعِدْ بأبي أنتَ البيت فأعاده ؛ فقال : بلى والله إنّه لعجيبٌ عظيم وإلاّ فسلامة حرّة لوجه الله ؛ اذهبْ فدَيْتك مُصاحَباً . ثم دخل ودخلت الجاريةُ تقول له : ما لَقِيتُ منك ! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني ! .

1 عركت بها جنبي : احتملتها . والمثل : عركت ذلك بجنبي في مجمع الميداني 2 : 8 ومستقصى الزمخشري 2 : 160 .
2 ديوان أبي دهبل : 112–114 .
3 أوهموا : نقصوا .

[تمثل متحابين بشعره]

وحدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : كنّا نختلف إلى أبي العبّاس المبرّد ونحن أحداثٌ نكتب عن الرُّواة ما يروُونه من الآداب والأخبار ، وكان يصحبنا فتىً من أحسن الناس وجهاً وأنظفِهم ثوباً وأجملِهم زِيّاً ولا نعرف باطنَ أمره ؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العبّاس المبرّد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحّح المجلسَ الذي شهِدناه ؛ فإذا بجارية قد اطّلَعَتْ فطرحتْ في حَجْر الفتى رقعةً ما رأيتُ أحسنَ من شكلها مختومةً بعنبر ؛ فقرأها منفرِداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية . فلم نَلْبَثْ أن خرج خادمٌ من الدار في يده كَرِش ، فدخل إلينا فصفع الفتى به حتى رحِمناه وخلّصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً . فلمّا تباعَدْنا سألناه عن الرقعة ، فإذا فيها مكتوب : [من الطويل]

كفى حَزَناً أنّا جميعاً ببلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

فقلنا له : هذا ابتداءٌ ظريف ، فبأيّ شيء أجبْتَ أنت ؟ قال : هذا صوت سمعته يُغنّى فيه ، فلمّا قرأته في الرقعة أجبتُ عنه بصوت مثله . فسألناه ما هو ؟ فقال : كتبتُ في الجواب :

أراعك بالخابُور نُوقٌ وأجمال

فقلنا له : ما وفّاك القومُ حقّك قطّ ، وقد كان ينبغي أن يُدْخلونا معك في القصّة لدخولك في جُملتنا ، ولكنّا نحن نُوَفِّيك حقّك ؛ ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يَدْرِ أيَّ طريق يأخذ ؛ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا .

رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دَهْبَل

[أبو دهبل وعاتكة بنت معاوية]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَديّ قال حدَّثنا صالح بن حَسّان قال ، وأخبرني بهذا الخبر محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني محمَّد بن عمر قال حدَّثني محمَّد بن السَّريّ قال حدَّثنا هشام بن الكلبيّ عن أبيه ، يزيد أحدُهما على الآخر في خبره ، واللفظُ لصالح بن حسّان وخبرُه أتمّ ، قال : حجّتْ عاتِكةُ بنت معاوية بن أبي سفيان ، فنزلت من مكّة بذي طُوىً . فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ وانقطع الطريق ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرتْ جواريها فرفعن السّترَ وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شُفُوفٌ لها تنظر إلى الطريق ، إذ مرَّ بها أبو دهبل الجمحيّ ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً ؛ فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه ؛ فلمّا فطِنت له سترَتْ وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتَمته . فقال أبو دهبل[1] : [من السريع]

---

1 ديوان أبي دهبل : 90–91 .

إنّي دعــاني الحَيْــن فاقتادني   حتــى رأيتُ الظبــيَ بالبابِ
يــا حسنَه إذ سبّني مُدْبِــراً   مستتِــراً عنّــي بجلْبابِ
سبحان مــن وقّفهــا حسرةً   صُبّت على القلــب بأوصابِ
يــذود عنهـــا إن تطلّبتُها   أبٌ لهـــا ليس بـــوهّابِ
أحلّهـــا قصراً منيــعَ الذُّرَى   يُحْمى بأبـــواب وحُجّابِ

قال : وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه ، فشاعت بمكّة وشُهرتْ وغنّى فيها المُغنّون ، حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناء ؛ فضحكت وأعجبتها وبعثتْ إليه بكُسوةٍ ، وجرَتِ الرسلُ بينهما . فلمّا صدَرت عن مكّة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها ، فكانت تَعاهَدُه بالبرّ واللَّطَفِ حتى وردتْ دمشقَ وورد معها ، فانقطعتْ عن لقائه وبَعُد من أن يراها ، ومرِض بدمشق مرضاً طويلاً . فقال في ذلك[1] : [من الخفيف]

طــال ليــلي وبِــتّ كالمحزون   ومَلِلــتُ الثَّــواءَ في جَيْرونِ[2]
وأطلتُ المُقـــام بالشام حتى   ظنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظّنونِ[3]
فبكتْ خشيةَ التفــرّق جُمْلٌ   كبكاء القريــن إثْــرَ القرينِ[4]
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغَوّا   صِ ميزتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا مــا نسبْتَها لم تَجِدْهـــا   في سَناء مــن المكارم دونِ
ثم خاصرتُها إلى القُبّة الخَضْـ   ـراء تمشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ[5]
قُبّــةٌ مــن مَراجــل ضربوها   عند بَـرْد الشتاء في قَيْطونِ[6]
عن يَساري إذا دخلتُ من البا   ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمي   وتَقَلّبــتُ ليلتـــي في فنـــونِ

---

1 ديوان أبي دهبل : 68–72 مع اختلاف في الترتيب واللفظ . وسيرِد هذا الشعر منسوباً إلى عبد الرحمن بن حسّان (في خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسّان وعبد الرحمن بن الحكم) . وقد ورد في الكامل للمبرد (الدالي) 1 : 387 منسوباً إلى أبي دهبل ثم أضاف : «والذي كأنّه إجماع أنّه لعبد الرحمن بن حسّان في بنت معاوية» .

2 جيرون في الديوان : بالماطرون .

3 الديوان : فلتلك اغتربت في الشام حتى . . .

4 ورواية الديوان :

فبكت خشية التفرق للبين   بكـاء الحزين نحو الحزيـن

5 مسنون : مصبوب على استواء .

6 المراجل : ضرب من برود اليمن . القيطون : المخدع .

ليت شعري أَمِنْ هوىً طار نومي أم بَراني الباري قصيرَ الجفونِ[1]

قال : وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاويةَ فأمسك عنه ؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناسُ وفيهم أبو دهبل ؛ فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد أبو دهبل الخروجَ فامنعه واردُده إليّ ؛ وجعل الناس يسلّمون وينصرفون ، فقام أبو دهبل لينصرفَ ؛ فناداه معاوية : يا أبا دهبل إليّ ؛ فلمّا دنا إليه أجلسه حتى خلا به ، ثم قال له : ما كنتُ ظننتُ أنّ في قريش أشعر منك حيث تقول . [من الخفيف]

ولقــد قلــتُ إذ تطاول سُقْمِي وتقلّبــتُ ليلتـي في فنــونِ
ليت شعري أمن هوىً طار نومي أم براني الباري قصيرَ الجفونِ

غير أنّك قلتَ :

وهي زهراءُ مثل لؤلؤة الغوّا صِ مِيزتْ من جوهر مكنونِ
وإذا مـا نسبْتَها لم تَجدْهـا في سَناء من المكـارم دُونِ

والله إنّ فتاةً أبوها معاويةُ وجَدُّها أبو سفيان وجدّتها هند بنت عُتْبة لكما ذكرتَ ؛ وأيَّ شيء زدتَ في قَدْرها ! ولقد أسأتَ في قولك :

ثم خاصرتُها إلى القبّة الخضـ ـراء تَمشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما قلتُ هذا ، وإنّما قيل على لساني . فقال له : أمّا من جهتي فلا خوف عليك ، لأنّي أعلم صيانةَ ابنتي نفسَها ، وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيبَ في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلَّ مَن لم يَجُز ، وإنّما أكره لكَ جِوارَ يزيد ، وأخاف عليك وثَباته ، فإن له سَوْرَةَ الشباب وأَنَفَةَ الملوك . وإنّما أراد معاويةُ أن يهرُبَ أبو دهبل فتنقضي المقالةُ عن ابنته ؛ فحذِر أبو دهبل فخرج إلى مكّة هارباً على وجهه ، فكان يكاتب عاتكةَ . فبينا معاويةُ ذاتَ يوم في مجلسه إذ جاءه خَصيٌّ له فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد سقَط إلى عاتكة اليوم كتاب ، فلمّا قرأتْه بكَت ثم أخذتْه فوضعتْه تحت مُصَلاّها ، وما زالت خاثرةَ النفس منذ اليوم . فقال له : اذهب فالطُفْ لهذا الكتاب حتى تأتيني به . فانطلق الخَصيّ ، فلم يزل يَلْطُف حتى أصاب منها غِرّةً فأخذ الكتابَ وأقبل به إلى معاوية ، فإذا فيه : [من الطويل]

أعاتِكُ هـلاّ إذ بخِلْتِ فلا تَرَيْ لذي صَبْوة زُلْفى لديك ولا حَقّا

---

1 الباري في ل : ربي .

رَدَدْتِ فؤاداً قــد تولّى به الهوى — وسكّنْتِ عيناً لا تَمَلّ ولا تَرْقا[1]
ولكن خلعتِ القلبَ بالوعد والمُنى — ولم أرَ يوماً منكِ جُوداً ولا صدقا
أتَنْسَيْن أيّامــي برَبْعــك مُدْنَفــاً — صريعاً بأرض الشام ذا سَقَم مُلْقى
وليس صديــقٌ يُرتَضى لوصيّةٍ — وأدعو لدائي بالشَّراب فما أُسْقَى
وأكبرُ همِّــي أن أرى لك مُرْسَلاً — فطولَ نهاري جالسٌ أَرْقُبُ الطُّرقا
فواكبِدي إذ ليس لي منك مجلسٌ — فأشكو الذي بي من هواك وما أَلْقى
رأيتُــك تزداديــن للصَبِّ غِلظةً — ويزداد قلبي كلَّ يــوم لكم عشقا

قال : فلمّا قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية ، فأتاه فدخل عليه فوجد معاويةَ مطرِقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمرُ الذي شجاك ؟ قال : أمر أمْرَضَني وأقلقني منذ اليوم ، وما أدري ما أعمَل في شأنه . قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الفاسق أبو دَهْبل كتب بهذه الأبيات إلى أُختك عاتكة ، فلم تزل باكيةً منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما تَرى فيه ؟ فقال : والله إنّ الرأي لهيِّنٌ[2] . قال : وما هو ؟ قال : عبدٌ من عبيدك يكمُن له في أزِقّة مكّة فيُريحنا منه . قال معاوية : أفٍّ لك ! والله إنّ امرءاً يُريد بك ما يُريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغيرُ ذي رأيٍ ، وأنتَ قد ضاق ذَرْعُك بكلمة وقَصُر فيها باعك حتى أردتَ أن تقتل رجلاً من قريش ؟ أَو ما تعلم أنّك إذا فعلتَ ذلك صدّقتَ قولَه وجعلتنا أُحدوثةً أبداً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنّه قال قصيدة أُخرى تَناشَدَها أهلُ مكّة وسارت حتى بلغتْني وأوجعتْني وحملتْني على ما أشرتُ به فيه . قال : وما هي ؟ قال قال[3] : [من الطويل]

ألا لا تَقُــلْ مهلاً فقد ذهب المَهْلُ — وما كلّ من يَلْحى محبّــاً له عقلُ
لقــد كان في حولَيْن حالا ولم أزُرْ — هواي وإن خُوِّفتُ عن حبّها شغلُ
حمــى الملكُ الجبّار عنّي لقاءَها — فمن دونها تُخْشَى المَتالِفُ والقتلُ
فــلا خيرَ في حبٍّ يُخاف وباله — ولا في حبيبٍ لا يكون له وصلُ
فواكَبِــدي إنّي شُهِــرتُ بحبّها — ولم يــك فيما بيننا ساعــةً بَذْلُ
ويــا عجبــاً إنّي أُكاتــم حبَّهــا — وقد شاع حتى قُطّعت دونها السُّبْلُ

---

1 ترقى : تجفّ .
2 ل : لبيّن .
3 ديوان أبي دهبل : 99–100 .

قال : فقال معاوية : قد والله رفّهتَ عنّي ، فما كنتُ آمَنُ أنّه قد وصل إليها ؛ فأمّا الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير ، قُمْ عنّي ؛ فقام يزيد فانصرف . وحجّ معاويةُ في تلك السنة ؛ فلمّا انقضت أيّام الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائِهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل ، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صِلاتٍ سنيّةً وأجازهم جوائز كثيرةً . فلمّا قبض أبو دَهْبَل جائزته وقام لينصرفَ دعا به معاويةُ فرجَع إليه ؛ فقال له : يا أبا دهبل ، مالي رأيتُ أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قَوارِضَ تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد نطقتَ به وأنفذتَه إلى خُصَمائنا وموالينا ، لا تَعْرِضْ لأبي خالد . فجعل يعتذِر إليه ويحلِف له أنّه مكذوبٌ عليه . فقال له معاويةُ : لا بأسَ عليك ، وما يضرّك ذلك عندنا ؛ هل تأهّلتَ ؟ قال : لا . قال : فأيّ بنات عمّك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة ؛ قال : قد زوّجتُكها وأصدقتُها ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار . فلمّا قبضها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عمّا مضى ؛ فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبَق منّي فقد أبحتُ به دمي وفلانةُ التي زوّجتَنيها طالقٌ ألبتّةَ . فسُرَّ بذلك معاويةُ وضمِن له رضا يزيدَ عنه ووعده بإدْرار ما وصله به في كلّ سنة ؛ وانصرف إلى دمشق . ولم يَحْجُجْ معاويةُ في تلك السنة إلاّ من أجل أبي دهبل .

[قصّته مع شامية تزوّجها وشعره فيها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مصعب قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله قال : خرج أبو دهبل يريد الغزو ، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً . فلمّا كان بجَيْرون جاءته امرأةٌ فأعطته كتاباً فقالت : اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها ، ثم ذهبتْ فدخلت قصراً ثم خرجتْ إليه فقالت : لو بلغتَ القصر فقرأتَ الكتاب على امرأة كان لك فيه أجرٌ إن شاء الله ، فإنّه من غائب لها يَعْنيها أمرُه ؛ فبلغ معها القصر ؛ فلمّا دخلا إذا فيه جَوارٍ كثيرة ، فأغلقن القصرَ عليه ، وإذا فيه امرأة وضيئة ، فدعَتْه إلى نفسها فأبى ، فأمرتْ به فحُبس في بيت في القصر وأُطْعِم وسُقي قليلاً حتى ضَعُف وكاد يموت ، ثم دعَتْه إلى نفسها فقال : لا يكون ذلك أبداً ، ولكنّي أتزوَّجُك ؛ قالت : نعم ، فتزوّجها ؛ فأمرتْ به فأُحْسِن إليه حتى رجَعتْ إليه نفسُه ، فأقام معها زماناً طويلاً لا تدَعُه يخرج ، حتى يَئِس منه أهلُه وولدُه ، وتزوّج بنوه وبناتُه واقتسموا ماله ، وأقامت زوجتُه تبكي عليه حتى عَمِشتْ ولم تقاسمهم مالَه . ثم إنّه قال لامرأته : إنّك قد أثِمْتِ فيّ وفي ولدي وأهلي ؛ فأْذَني لي أُطالِعهم وأعود إليك ؛ فأخذتْ عليه أيماناً ألاّ يقيم إلاّ سنةً حتى يعودَ إليها . فخرج من عندها يجرّ الدنيا[1] حتى قدِم على أهله ،

1 أي أنّه خرج بخير كثير .

فرأى حالَ زوجته وما صار إليه ولدُه . وجاء إليه ولدُه ؛ فقال لهم : لا والله ما بيني وبينكم عمل ، أنتم قد ورِثتموني وأنا حيّ فهو حظّكم ؛ والله لا يَشْرَك زوجتي فيما قدِمتُ به أحد ؛ ثم قال لها : شأنَك به فهو لك كلّه . وقال في الشاميّة : [من الخفيف]

صاحِ حيّا الإلـهُ حيّـاً ودُوراً عنـد أُصل القناة مـن جَيْرونِ
عن يَساري إذا دخلت من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
فبذاك اغتربتُ في الشام حتى ظنّ أهلي مُرَجَّمـاتِ الظُّنونِ
وهي زهـراءُ مثـلُ لؤلؤة الغـ ـوّاص مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا مـا نسبتَهـا لم تَجدْهـا في سَنـاء مـن المكارم دونِ
تجعل المسك واليَلَنْجُوجَ والنَّـ ـدَّ صِلاءً لهـا عـلى الكانونِ[1]
ثـم ماشيتُها إلى القبّة الخضـ ـراء تمشي في مَرْمَـرٍ مَسْنونِ
وقبابٍ قـد أُسْرِجَتْ وبيوت نُظِّمـتْ بالرَّيْحان والزَّرَجُونِ
قبّـة مـن مراجـل ضربوهـا عنـد حـدّ الشتاء في قَيْطونِ
ثـم فارقتُها على خير مـا كا ن قريـنٌ مُفـارِقٌ لقرينِ
فبكـتْ خَشيةَ التفـرّق للبيـ ـن بكاءَ الحزين إثْـرَ الحزينِ
واسألي عن تذكّري واطمئنّي لأُناسي إذا هُـمُ عذلـوني

فلمّا حلّ الأجلُ أراد الخروج إليها ، فجاءه موتها فأقام .

[وفوده على ابن الأزرق]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مصعب قال : وفد أبو دهبل الجُمَحيّ على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأزرق والهِبْرِزِيّ ، وكان عاملاً لعبد الله بن الزُّبَير على اليمن ؛ فأنكره ورأى منه جفوةً ، فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم ، وهو عامل لعبد الله بن الزُّبَير على حَضْرَمَوْت ، فقال يمدحه ويعرِّض بابن الأزرق[2] : [من مجزوء الكامل]

يـا رَبَّ حيٍّ بخير ما حيَّيْتَ إنسانـاً عمارَهْ

1 اليلنجوج : عود البخور .
2 ديوان أبي دهبل : 49–50 .

أعطـــى فأسْنانـــا ولم يلك من عطيّته الصَّغارَهْ
ومــن العطيّة مــا تُرى جَذْماءَ ليس لهــا نَزارَهْ[1]
حجـــراً تقلّبـــه وهـل تُعْطِي على المدح الحجارَهْ
كالبغــل يُحمد قائمــاً وتَــذُمّ مِشْيَتَه المُصارَهْ

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدِم ؛ فقال لـه حُنَيْن مولى ابن الأزرق في السرّ : أرى أنّك عَجِلتَ على ابن عمّك وهو أجودُ الناس وأكرمُهم ، فعُدْ إليه فإنّه غيرُ تاركك ، واعلم أنّا نخاف أن يكون قد عُزل فلازِمْه ولا يفقدك ؛ فإنّي أخاف أن ينساك ؛ ففعل وأعطاه وأرضاه . فقال في ذلك[2] : [من البسيط]

يــا حُنَّ إنّي لِمَا حدّثتني أُصُلاً مُرَنَّح مــن صميم الوجد معمودُ
نخاف عزلَ امرىء كنّا نعيش به معروفُه إن طلبنا الجودَ موجودُ
اعلمْ بأنّي لَمَــن عاديتَ مُضْطَغِنٌ ضَبّاً وأنّي عليك اليــوم محسودُ[3]
وأنَّ شكرَك عندي لا انقضاءَ له ما دام بالهَضْب من لُبْنانَ جُلْمودُ
أنــتَ الممدَّح والمُغْلي بــه ثمنــاً إذ لا تُمدَّح صُمُّ الجندل السُّودُ
إنْ تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَجْرانَ مُرْتَحِلاً يَرْحَلْ من اليمن المعروفُ والجودُ[4]
مــا زلتَ في دَفَعات الخيرِ تفعلها لمّا اعترى النــاسَ لأواءٌ ومجهودُ
حتى الذي بين عُسْفانٍ إلى عَدَنٍ لَحْبٌ لَمن يطلب المعروفَ أُخْدودُ[5]

قال : وأنشدنيها محمَّد بن الضحّاك بن عثمان قال سمعتُها من أبي .

[تعسّر نظم بيت]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال أخبرني الزُّبَير بن بكّار ، وحدَّثني حمزة بن عُتْبة قال : قال أبو دهبل الجُمَحيّ : لما قلت أبياتي التي قلت فيها : [من البسيط]

اعْلَــمْ بأنّي لَمَن عاديتَ مُضْطَغِنٌ ضَبّاً وأنّي عليك اليــوم محسود

قلتُ فيها نصف بيت ، وأنّ شكرك عندي لا انقضاءَ له ، ثم أُرْتِجَ عليّ ، فأقمتُ حولين

---

1 الجذماء : المقطوعة . والنزارة : القلّة .
2 ديوان أبي دهبل : 104– 105 .
3 الضب : الحقد والغيظ .
4 المنقل : الطريق في الجبل .
5 اللحب : الواضح . والأخدود : الشق في الأرض .

لا أَقَعُ على تمامه ، حتى سمعتُ رجلاً من الحاجّ في الموسم يذكر لبنان ، فقلت : ما لُبنان ؟ فقال : جبل بالشام ؛ فأتممتُ نصف البيت : [من البسيط]

ما دام بالهَضْب من لبنانَ جُلْمودُ

[تفضيل شعره على شعر نصيب]

قال الزُّبير وحدَّثني محمَّد بن حَبَش المخزوميّ قال : دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها ؛ فقال إبراهيم بن هشام : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال : [من البسيط]

إن تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَجْرانَ مرتحِلاً ... يَبِنْ من اليمن المعروفُ والجودُ

فغضِب نُصَيْبٌ فحَمِي فنزع عمامتَه وطرَحها وبرَك عليها ؛ ثم قال : إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتِكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل .

قال الزُّبير وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزّهريّ قال حدَّثني إسماعيل بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيْميّ قال : كان إبراهيم بن هشام جبّاراً وكان يُقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهَر . فإذا أَذِن للناس أَذِن معهم لشاعر ، فيُنشد قصيدةَ مديحٍ لهشام بن عبد الملك وقصيدةَ مديح لإبراهيم بن هشام . فأَذِن لهم يوماً ، وكان الشاعرُ الذي أُذِن له معهم نصَيْباً وعليه جُبَّةُ وَشْي ؛ فاستأذنه في الإنشاد فأَذِن له ؛ فأنشده قصيدةً لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام ، وقصيدةُ هشام أَشعرُ ، فأَراد الناسُ مماحلةَ نُصَيْب فقالوا : ما أَحسنَ هذا يا أَبا مِحْجَن ! أَعِدْ هذا البيت . فقال : إبراهيم : أَكثرتم ، إنّه لشاعرٌ ، وأَشعرُ منه الذي يقول في ابن الأَزرق : [من البسيط]

إن تُمْسِ من مَنْقَلَيْ نَجْران مرتحِلاً ... يَبِن من اليمــن المعروفُ والجودُ

مــا زلتَ في دَفَعات الخير تفعلها ... لمـا ٱعترى الناسَ لأْوَاءٌ ومجهودُ

وحَمِي نصيبٌ فقال : إنّا والله ما نصنع المديحَ إلاّ على قَدْر الرجال ، كما يكون الرجلُ يُمدح . فعمَّ الناسَ الضّحِكُ وحَلُم عنه ، وقال الحاجب : ارتفعوا ، فلمّا صاروا في السَّقيفة ضَحِكوا وقالوا : أَرأَيتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجبّار ! وحَلُم من غير حلم .

[مدح ابن الأزرق بعد عزله]

قال الزُّبير وحدَّثني عمِّي مصعب قال : خرج أَبو دهبل يريد ابن الأَزرق فلَقِيه معزولاً ، فشقَّ ذلك عليه واسترجَع ، فقال له ابن الأَزرق : هوِّن عليك ؛ لم يَفُتْك شيءٌ ، فأَعطاه مائتي دينار . فقال في ذلك أَبو دهبل : [من البسيط]

أعطى أَميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ ... عنــه المكارمُ تَغْشاه ومــا نَزَعا

وحدَّثني محمَّد بن الضحّاك مثلَ ذلك وأنشدني البيت .

وأخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أبو تَوْبَة صالح بن محمَّد بن دُرّاج قال حدَّثنا أبو عمرو الشَّيْباني قال : ولَّى عبدُ الله بن الزُّبَير ابناً لسعد بن أبي وقّاص يقال له إبراهيم مكانَ الثَّبَت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق ، فخرج حتى نزل بزَبِيد ، فقال لابن الأزرق : هَلُمّ حسابَك ؛ فقال : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينَك عملٌ ، وخرج متوجِّهاً إلى مكّة . فاستأذنه أبو دهبل في صحبة الوَقّاصيّ فأذِن له فرجع معه ، حتى إذا دخلوا صنعاء لَقِيَهم بَحِير بن رَيْسان في نفرٍ كثير من الفُرْس وغيرِهم ، ومضى ابنُ الأزرق ومعه ما احتمله من أموال اليمن ؛ فسار يوماً ثم نزل فضرب رِواقَه ودعا الناسَ فأعطاهم ذلك المالَ حتى لم يَبْقَ منه درهم . فقال أبو دهبل : [من البسيط]

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ عنه المكارمُ تَغشاه وما نَزَعا

وأقام أبو دهبل مع الوَقّاصيّ ، فلم يَصنع به خيراً . فقال أبو دهبل[1] : [من البسيط]

ماذا رُزِئْنا غَداةَ الخَلّ من رِمَعٍ عند التفرّق من خِيم ومن كرمِ[2]
ظلَّ لنا واقفاً يُعطي فأكثر ما سمّى وقال لنا في قولهِ نعمِ

نعم حرف موقوف فإذا حُرِّك أُجْرِيَتْ حركتُه إلى الخَفْض لأنّه أولى بالساكن :

ثم انتحى غيرَ مذمومٍ وأعيُننا لما تولَّى بدمع واكفٍ سَجِمِ
تَحْمِلُه الناقةُ الأدماءُ مُعْتَجِراً بالبُرد كالبدر جَلّى ليلةَ الظُّلَمِ
وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدَمِ
حتى لقينا بَحِيراً عند مَقْدَمِنا في موكب كضِياع الجِزْع مُرْتكِمِ
لما رأيتُ مُقامي عند بابهمُ وَدِدْتُ أنّي بذاك الباب لم أقِمِ

[مدحه بحير بن ريسان]

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهبل : [من الطويل]

صوت

بَحِير بن ريسان الذي سكن الجَنَدْ يقول له الناسُ الجوادُ ومن وَلَدْ[3]

---

1 ديوان أبي دهبل : 101-103 .

2 الخل ورمع : موضعان باليمن .

3 الجند : موضع باليمن .

لـه نفحاتٌ حين يُذكر فضلُه كسيل ربيع في ضَحاضِحَةِ السَّنَدْ[1]

في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانة أنّه ليمان ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن جامع .

[مدائحه في ابن الأزرق]

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ قال : كان ابن الزُّبَير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن ، فمدّ يدَه إلى أموالها وأعطى أعطية سنيّة وبثّ في قريشٍ منها أشياء جزيلةً فأثْنَتْ عليه قريش ووفدوا إليه فأسْنى لهم العطايا . وبلغ ذلك عبدَ الله بن الزُّبَير فحسَده وعزَله بإبراهيم بن سعد بن أبي وَقّاص . فلمّا قدِم عليه أراد أن يحاسبَه ، فقال له : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل ، وقدِم مكّةَ ؛ فخافت قريشٌ ابنَ الزُّبَير عليه أن يفتّشه أو يَكشِفَه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه ؛ فلمّا لَقِيَهم نزلتْ إليه قريشٌ فسلّمتْ عليه وبسَطتْ له أَرْدِيَتَها وتلقّتْه إماؤهم وولائدهم بمجامر الألُوّة[2] والعود المَنْدَليّ يبخّرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت ، ثم جاء إلى ابن الزُّبَير فسلَّم عليه وهم معه مُطِيفون به . فعلِم ابنُ الزُّبَير أنّه لا سبيل له إليه فما عرّض ولا صرّح له بشيء . ومَضى إلى منزله . فقال أبو دهبل[3] : [من الطويل]

فمن يك شان العزلُ أو هدّ ركنَه لأعدائه يومـاً فمـا شانكَ العزلُ

ومـا أصبحتْ مـن نعمة مُستفادةٍ ولا رَحِـمٍ إلاّ عليهـا لك الفضلُ

وقال أبو دهبل أيضاً فيه ، أخبرني بذلك ابن المَرْزُبان عن أبي تَوْبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ ؛ وأخبرني به الحِرْميّ عن الزُّبَير عن عمّه[4] : [من الكامل]

عَقـم النساءُ فلم يَلِدْنَ شبيهَه إن النساء بمثلـه عُـقْـمُ

متهلِّلٌ بنَعَـمْ بـلا مُتَباعِـدٌ سيّـانِ منـه الوفـر والعُدْمُ

نَزْرُ الكلام مـن الحياء تخاله ضَمِنـا وليس بجسمه سُقْمُ[5]

[وفد على سليمان بن سليمان فلم يحسن وفادته]

أخبرني محمَّد بن خلف قال حدَّثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال : قال أبو دهبل يمدح ابن

1 الضحضاح : الماء القليل . والسند : ما ارتفع عن سفح الجبل .
2 الألوة : العود يتبخّر به .
3 ديوان أبي دهبل : 75 .
4 ديوانه : 66–67 .
5 الضمن : المريض .

الأزرق[1] : [من الكامل]

بأبـي وأمّي غيرَ قول الباطلِ الكاملُ ابن الكامل ابن الكاملِ
والحازمُ الأمر الكريمُ برأيـه والواصلُ الأرحام وابنُ الواصلِ
جمع الرياسَة والسماحَ كليهما جَمْعَ الجَفير قِداحَ نبل النابلِ

أخبرني محمَّد بن خلف قال حدَّثني محمَّد بن عمر قال حدَّثني سليمان بن عَبّاد قال حدَّثني أبو جعفر الشُّوَيْفِعي (رجل من أهل مكّة) قال : قدِم سليمان بن عبد الملك مكّة في حرّ شديد ، فكان يُنَقَّلُ سريره بفِناء الكعبة وأعطى الناسَ العطاء . فلمّا بلغ بني جُمَح نُودي بأبي دهبل ؛ فقال سليمان : أين أبو دهبل الشاعر ؟ عليّ به ؛ فأُتي به ؛ فقال سليمان : أنت أبو دهبل الشاعر ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنت القائل[2] : [من الرمل]

فِتنــةٌ يُشْعلهــا وُرَّادُهــا حطبَ النار فدعها تَشْتَعِلْ
فـإذا مــا كان أمنٌ فأْتهمْ وإذا ما كان خوفٌ فاعتزلْ

قال : نعم . قال : وأنت القائل[3] :

يدعون مروانَ كيما يَستجيبَ لهم وعند مروانَ خار القومُ أو رقدوا[4]
قد كان في قوم موسى قبلهم جَسَد عجلٌ إذا خار فيهم خَوْرةً سجدوا[5]

قال : نعم . قال : أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا ، لا والله ولا كرامةَ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قوماً فُتِنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجْلَبوا عليكم بخيلهم ورَجْلهم ثم أدالكم الله منهم فعفوتم عنهم ، وإنّما فُتِنْتُ فقلت بلساني ، فلِمَ لا يُعْفى عنّي ! فقال سليمان : قد عفونا عنك وأقطعه قطيعةً بحاذان باليمن . فقيل لسليمان : كيف أقطعتَه هذه القطيعةَ ! قال : أردتُ أنّ أُميتَه واميتَ ذكرَه بها .

[أبو دهبل وعمرة]

أخبرني محمَّد بن خلف قال حدَّثنا أحمد بن زهير قال حدَّثنا المدائنيّ عن جماعة من الرّواة : أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة وكانت امرأةً جَزْلَةً يجتمع الرجالُ عندها

1 ديوانه : 106 .
2 ديوانه : 83 .
3 ديوانه : 80 .
4 خار في ل : حار .
5 الجسد : الذي لا يعقل . والبيت إشارة إلى الآية : ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ .

لإنشاد الشعر والمحادثة ، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسها مع كلّ من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً محبّةً له . وكان أبو دهبل من أشراف بني جُمَح ، وكان يحمل الحَمالة وكان مُسوَّدا ؛ وزعمتْ بنو جمح أنّه تزوّجها بعد ، وزعم غيرُهم من الرّواة أنّه لم يصل إليها ولم يَجْر بينهما حلال ولا حرام . قال : وكانت عمرة تتقدّم إلى أبي دهبل في حفظ ما بينهما وكتمانه ، فضمن ذلك لها . فجاء نسوةٌ كنّ يتحدّثن إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهبل وقُلْنَ : قد علِق امرأةً ؛ قالت : وما ذاك ؟ قلن : ذكر أنّه عاشق لكِ وأنّك عاشقة له . فرفعتْ مجلسَها ومُجالسةَ الرجال ظاهرةً وضربتْ حجاباً بينهم وبينها ، وكتبتْ إلى أبي دهبل تَعْذِلُه وتخبره بما بلغها من سوء صَنيعه . فعند ذلك يقول : [من الطويل]

تطاوَل هـذا الليـلَ مـا يتبلّج ... وأَعْيَتْ غواشي عَبْرتي مـا تَفرّجُ
وبـتُّ كئيباً مـا أنـام كأنّما ... خـلالَ ضلوعي جمـرةٌ تتوهّجُ
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرةَ المنى ... وطوراً إذا ما لَجّ بي الحزن أَنْشِجُ
لقـد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصل الحبلُ أحوجُ
رأَوْا غِـرّةً فاستقبلوهـا بألْبهم ... فراحوا على ما لا نُحبّ وأدْلجوا
وكانوا أُناساً كنتُ آمَنُ غيَهـم ... فلم يَنْهَهم حلـم ولم يتحرّجوا
هـمُ منعونا مـا نحبُّ وأوقدوا ... علينـا وشبُّوا نـار صُرْم تَأجّجُ
ولو تركونـا لا هَدَى اللهُ سعيَهم ... ولم يُلْحِموا قولاً من الشرّ يُنْسَجُ
لأوشك صرفُ الدّهر يفرُق بيننا ... وهل يَستقيم الدّهرُ والدّهرُ أعوجُ
عسى كربـةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً ... يكون لنا منهـا نجـاة ومَخْرجُ
فيُكْبَت أعـداءٌ ويَجْـذَل آلِفٌ ... لـه كبد من لوعـة الحبّ تَنْضَجُ
وقلـتُ لعَبّادٍ وجـاء كتابُهـا ... لهذا وربّـي كانت العـين تخلجُ
وخطّطتُ في ظهر الحَصير كأنّني ... أسيرٌ يَخاف القتلَ ولْهان مُلْفجُ
فلمّـا التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَجُ
وإنّـي لمحجـوبٌ عشيّـةَ زرتُهـا ... وكنتُ إذا مـا جئتُها لا أُعرِّجُ
وأعيا عليَّ القـولُ والقولُ واسعٌ ... وفي القـول مُسْتَنٌّ كثيرٌ ومَخْرَجُ

[جارية تغنّي أبا السائب وأبا جندب بشعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني خالد بن بكر الصوّاف قال : أتيتُ ابنَ أبي العراقيب فسألتُه أن يُدْخِلني على جارية مغنّية لم يَر أحدٌ مثلَها

قطّ ؛ فقال لي : إنّ في البيت والله شيخين كريمين عليّ ، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما ، فلو أقمتَ حتى أُطّلِعَ رأْيَهما في ذلك ، فدخل ثم خرج إليّ فقال : ادخل فدخلتُ ، فإذا أبو السائب المخزوميّ وأبو جُنْدَب الهُذَليّ ؛ وخرجتْ علينا الجاريةُ قاطبةً عابسةً ؛ فلمّا وُضع العودُ في حجرها اندفعتْ تغنّي وتقول : [من الطويل]

عسى كربــةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً يكون لنا منهــا نَجــة ومَخْرَجُ
وإنّي لمحجــوبٌ غــداةَ أَزورهــا وكنتُ إذا مــا زرتُهــا لا أُعرِّجُ

قال : ثم بكت ؛ فوثبا عليه جميعاً فقالا له : لعلّك أَرَبْتها بشيء ، عليك وعلينا إن لم تَقُمْ إليها حتى تقبّل رأسَها وتترضّاها ، ففعل .

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

[من الطويل]

تطــاوَل هــذا الليــلُ مــا يتبلّــج وأُعْيَتْ غواشي عَبرتي مــا تَفَرَّجُ
أُخطِّط في ظهــر الحصير كأنّنــي أَسيرٌ يَخاف القتــل وَلْهان مُلْفَجُ

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لمالك ذكره حمّاد عن أبيه في أخبار مالك ولم يُجنسه . وحُكي أنّ مالكاً كان إذا سُئِل عنه يذكر أنّه أخذه من حائد بن جَرْهَد فقوّمه وأصلحه . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش والهشاميّ .

صوت

[من الطويل]

لقــد قطع الواشون مــا كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرَة المنى وطوراً إذا ما لَجَّ بي الهــمّ أَنْشِجُ

الغناء لمالك ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أنّ فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى .

[شعره في رثاء الحسين بن علي]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب قال : قال أبو دهبل في قتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وزكواتُه[1] : [من الطويل]

1 ل : ورضوانه . الأبيات في ديوان أبي دهبل : 86–87 .

تَبِيتُ سُكارى مــن أُميّة نُــوَّماً وبالطَّفّ قتلى مــا يَنام حَميمُها
ومــا أفسد الإسلامَ إلاّ عصابــةٌ تأمّـــر نَوْكاهـا ودام نعيمُهـــا[1]
فصارت قناةُ الدِّين في كــفّ ظالمٍ إذا اعوجَّ منهــا جانبٌ لا يُقيمها

[قصيدته الدالية]

قال الزُّبَير وحدَّثني يحيى بن مِقْداد بن عِمْران بن يعقوب الزَّمْعي قال حدَّثني عمِّي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قصيدته التي يقول فيها[2] : [من الطويل]

سقى اللهُ جازانــاً فمن حــلَّ وَلْيَه فكــلَّ فَسِيلٍ مــن سَهام وسُرْدُدِ[3]
ومحصولَه الدارَ التــي خيَّمَتْ بها سقاها فأَرْوى كلَّ ربــع وفَدْفدِ[4]
فأنتِ التــي كلَّفتِني البِرْكَ شاتياً وأَوْرَدْتِنِيــه فانظــري أَيّ مَوْردِ[5]

صوت

فوانَدَمــي أن لم أَعُجْ إذ تقول لي تقــدَّمْ فشيِّعنا إلى ضَحــوة الغَدِ
تكن سكناً أو تقدرُ العــين أنّها ستبكي مراراً فاسْلُ من بعد واحْمَدِ
فأصبحتُ ممّــا كان بينــي وبينها سوى ذكرهـا كالقابض الماء باليدِ

الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لبَذْل الكبير رملٌ عن الهشاميّ : [من الطويل]

لعلّك أن تلقــى محبّاً فتشتفي برؤيـــة رِيــم بَضَّــةِ المُتَجَــرِّدِ
بلاد العــدا لم تأتها غيرَ أنّها بها همُّ نفسي من تَهامٍ ومُنْجِدِ
وما جعلت ما بين مكّة ناقتي إلى البِرْك إلاّ نومــةَ المتهجِّدِ
وكانت قُبَيلَ الصبح تَنْبِذ رحلَها بدُومَة من لَغْط القَطَا المتبدِّدِ

قال فقلت : يا عمّي فما يمنعك أن تكتري دابّةً بدرهمين فتشيِّعها وتصبحُ معك ؛

---

1 وما أفسدَ في الديوان : وما ضيّع .
2 ديوانه : 114 .
3 جازان : هي اليوم مدينة في جنوب المملكة العربية السعودية . ووليه : قربه . وسهام : موضع باليمامة . وسردد : واد بتهامة اليمن .
4 الفدفد : الفلاة .
5 البرك : ناحية باليمن .

فضحك وقال : نفع الله بك يا ابن أخي ، أما علمتَ أنّ النّدم توبةٌ ، وعمّك كان أشغل ممّا تحسب .

[أنشد أبو السائب شعراً له فتهكّم به]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمِّي مصعب بن عبد الله قال : أُنشد رجل أبا السائب المخزوميّ قصيدةَ أبي دهبل : [من الطويل]

سقى الله جازاناً فمن حلّ وَلْيَه فكلَّ فسيلٍ من سَهام وسُرْدُدِ

فلمّا بلغ قولَه :

فواندمي أن لم أُعُجْ إذ تقول لي تقدّم فشيِّعنا إلى ضحوة الغدِ

قال أبو السائب : ما صنع شيئاً ! ألا اكترى حماراً بدرهمين فشيَّعهم ولم يقل «فواندمي» أو اعتذر ! وإنّي أظنّ أنّه قد كان له عذرٌ . قال : وما هو ؟ قال : أظنّه كان مثلي لا يجد شيئاً .

[قصيدته الميمية]

فقال الزُّبَير وحدَّثني ابنُ مِقْداد قال حدَّثني عمِّي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دَهْبَل قولَه[1] : [من الطويل]

صوت

ألا عَلِــقَ القلــبُ المتيَّمُ كُلْثُما لَجاجاً ولم يَلْزَم من الحبِّ مَلْزَما
خرجتُ بها من بطنِ مكّةَ بعدما أصات المنــادي بالصلاة فأَعْتَما
فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامــرٌ من الحيّ حتى جاوزتْ بي يَلَمْلَما[2]
ومرّتْ ببطن اللِّيـثِ تَهْوِي كأنّـما تُبــادِر بالإدلاج نَهْبــاً مقسَّما[3]

غنَّى في هذه الأبيات ابنُ سريج خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ . قال : وفيه هزجٌ يمانٍ بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنّ خفيفَ الثقيل هو اليمانيّ . وفيه لِقيل مولى العَبَلات رَمَلٌ صحيح عن حمّاد عن أبيه عن الهشاميّ . وقال الهشاميّ : فيه لَحَكم ثقيلٌ أوّلُ . وذكر أبو أيّوب المَدِينيّ في أغاني ابن جامع أنّ فيه لحناً ولم يجنّسه : [من الطويل]

1 ديوان أبي دهبل : 106–109 . وقد تقدّم هذا الخبر وشعر أبي دهبل وبشامة بن الغدير في ترجمة قيل مولى العبلات .
2 يلملم : موضع ميقات أهل اليمن .
3 الليث : موضع بالحجاز .

وجازَتْ على البَزْواء والليلُ كاسرٌ جناحيْن بـالبَزْواء وَرْداً وأَدْهَما[1]
فمـا ذَرّ قرنُ الشمس حتى تبيَّنَتْ بعُلَيْبَ نخـلاً مشرفاً أو مخيِّما[2]
ومرّت على أَشطانِ رَوْنق بالضُّحى فما خَزَّرت للماء عيناً ولا فما[3]
ومـا شربتْ حتـى ثنيتُ زمامَها وخِفـتُ عليهـا أن تَخِرّ وتُكْلما
فقلت لهـا قـد بنتِ غيرَ ذميمةٍ وأُصبح وادي البِرْك غَيثاً مُدَيِّما

قال : فقلت له : ما كنتَ إلاّ على الرِّيح ؟ ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنّ عمَّك كان إذا همَّ فعلَ ، وهي الحاجةُ . أما سمعتَ قولَ أخي بني مُرّة[4] : [من المتقارب]

إذا أُقبلتْ قلـتَ مشحونةٌ أطاعَتْ لها الرِّيحُ قِلْعاً جَفُولا[5]
وإن أُدبرتْ قلـتَ مذعـورةٌ من الرُّبْد تتبع هَيْقـاً ذَمُولا[6]
وإن أُعرضتْ خال فيها البصيـ ـر مـا لا تكلّفـه أن يَميلا
يـدا سُرُحٍ مائـلٍ ضَبْعُهـا تسوم وتُقْدم رجـلاً زَحُولا[7]
فمـرَّتْ على خُشُب غُـدْوةً ومرَّتْ فُوَيق أُرَيْـكٍ أَصِيلا[8]
تخبِّـط باللیـل حُزّانَـه كَخبْطِ القويِّ العزيزِ الذليلا[9]

[استحسن ريّان السوّاق شعره وقال ليس بعده شيء]

وأخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني جعفر بن الحسن اللّهبيّ قال : أُنشدت رَيّان السوّاق قولَ أبي دهبل : [من الطويل]

أليس عجيباً أن نكـون ببلدة كلانا بهـا ثـاوٍ ولا نتكلَّمُ
ولا تَصْرِميني أن تَرَيْني أُحبّكم أَبـوء بذنـبٍ إنّني أنـا أُظْلمُ

1 البزواء : موضع في طريق مكّة .
2 عليب : واد بتهامة . وفي الديوان : نخلاً مشرفاً ومخيما . وفي ل: جاء هذا البيت ثالثاً .
3 خزرت عيناً : ضيّقتها .
4 هو بشامة بن الغدير .
5 أطاعت في ل : أقلت .
6 الربد : النعام فيه سواد وغبره . والهيق : ذكر النعام . والذمول : السريع .
7 وتقدم في ل : وتقحم .
8 ذو خشب : موضع قرب المدينة . وأريك : واد .
9 حزان : ما غلظ من الأرض مع ارتفاع قليل .

فقال : أَحسن ، أَحسن اللهُ إليه ؛ ما بعد هذا شيءٌ .

وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

صوت

أمِنّـا أُناساً كنتِ قـد تأْمَنِينَهم فزادوا علينا في الحديث وأَوْهَموا
وقالوا لنا مـا لم يُقَل ثم كثّروا علينا وباحوا بالذي كنتُ أَكتمُ
لقد كُحِلتْ عيني القَذَى لفراقكم وعاودهـا تَهْتانها فهـي تَسْجُمُ
وأَنكرتُ طيبَ العيش منّي وكُدِّرتْ عـليَّ حياتـي والهـوى متقسَّمُ

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن زُرْزور الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيفا رملٍ أَحدُهما بالوسطى لمتيَّمَ والآخر بالبنصر لعَريب .

[بين القاسم بن المعتمر وأبو السائب]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَير قال حدَّثني عمّي قال حدَّثني القاسِمَ بن المعتمِر الزُّهْريّ قال : قلتُ لأَبي السائب المخزوميّ : يا أَبا السائب ، أَما أَحسن أَبو دهبل حيث يقول[1] : [من الطويل]

صوت

أأَتْرُك ليـلى ليس بيني وبينهـا سوى ليلـةٍ إنِّـي إذاً لصبورُ
هَبُوني امـرءاً منكم أَضَلَّ بعيرَه لـه ذمّـة إن الذِّمـام كبيرُ
ولَلصَّاحبُ المتروكُ أَفضلُ ذمّـةً على صاحبٍ مـن أَن يَضِلّ بعيرُ

قال : فقال لي : وبأَبي أَنت ! كنتُ والله لا أُحبّك وتَثْقُل عليَّ ، فأَنا الآن أُحبّك وتخِفّ عليَّ .

وفي هذه الأَبيات غناءٌ لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَلّويه رملٌ بالوسطى من جامع أَغانيه . وفيه للمازنيّ خفيفُ ثقيلٍ آخر من رواية الهشاميّ وذُكاء وغيرِهما . وأَوّلُ هذا الصوت بيت لم يُذكر في الخبر ، وهو : [من الطويل]

عفا اللهُ عن ليـلى الغَداةَ فإنّها إذا وَلِيَتْ حُكْماً عـليَّ تجورُ

1 ديوان أَبي دهبل : 77–78 . وقد تقدّمت هذه الأَبيات في ترجمة مجنون بني عامر منسوبة إليه 2 : 49 .

[ردّه على توعّد عبد الله بن صفوان لعمّه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثني الزُّبير قال حدَّثني عمِّي مصعب ومحمَّد بن الضحّاك عن أبيه : أنّ أبا رَيْحانة عمَّ أبي دهبل كان شديدَ الخلاف على عبد الله بن الزُّبير ، فتوعّده عبد الله بن صفوان ، فلحِق بعبد الملك بن مروان ، فاستمدّه الحَجّاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف ؛ فأشرف أبو رَيْحانة على أبي قُبَيْسَ فصاح أبو ريحانة : أليس قد أخزاكم الله يا أهل مكّة ! فقال له ابن أبي عتيق : بلى والله قد أخزانا الله . فقال له ابن الزُّبير : مهلاً يا ابن أخي ؛ فقال : قلنا لك ائذَن لنا فيهم وهم قليل فأبيتَ حتى صاروا إلى ما ترى من الكَثْرة . قال : وقال أبو دهبل في وعيد عبد الله بن صفوان عمَّه أبا ريحانة ، واسمه عليّ بن أسيد بن أُحَيْحَة[1] : [من الوافر]

ولا تُوعِد لتقتله عليّاً ... فإن وعيدَه كلأٌ وَبِيلُ
ونحن ببطن مكّةَ إذ تَداعى ... لرهطك من بني عمرو رَعِيلُ
أولو الجمعِ المقدّم حين ثابوا ... إليك ومن يودّعهم قليلُ
فلمّا أن تفانَيْنا وأوْدَى ... بثروتنا الترحّلُ والرَّحيلُ
جعلتَ لحومَنا غرضاً كأنا ... لتهلكنا عروبَةُ أو سَلُولُ

[رثى ابن الأزرق وأوصى أن يُدفن بجانبه]

أخبرني محمَّد بن خَلَف قال حدَّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ قال : مات ابنُ الأزرق وأبو دهبل حيّ فدُفن بعُلْيَب ، فلمّا احتُضِر أبو دهبل أيضاً أوصى أن يُدْفن عنده . وفيه يقول أبو دهبل يَرثيه ، عن أبي عمرو الشيبانيّ[2] : [من الطويل]

لقد غال هذا اللحدُ من بطن عُلْيَبٍ ... فتىً كان من أهل الندى والتكرّمِ
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطارق المتيمِّمِ
أألْحَقُّ أنّي لا أزال على منىً ... إذا صدَر الحُجّاجُ عن كلّ مَوْسِمِ[3]
سقى اللهُ أرضاً أنتَ ساكنُ قبرها ... سِجالَ الغَوادِي من سَحِيلٍ ومُبْرَمِ[4]

---

1 ديوان أبي دهبل : 98 مع بعض اختلاف .
2 ديوانه : 65 .
3 أزال في ل : أراك .
4 السحيل : الخيط غير المفتول . والمبرم : الخيط المفتول . وهذا كناية عن التعميم ، أي مهما يكن السحاب المار بها .

[خرج إلى مصر لطلب ميراث]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَير قال حدَّثني عمِّي قال حدَّثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال : وقع لأبي دهبل مِيراثٌ بمصر فخرج يُريده ؛ ثم رجع من الطريق فقال[1] : [من الخفيف]

اسْلَمِي أُمَّ دهبلٍ بعد هَجْرِ وتقَضٍّ من الزمان وعُمْرِ
واذكُرِي كَرّيَ المطيِّ إليكم بعد ما قد توجّهتْ نحو مصرِ
لا تَخالي أنّي نسيتُك لمّا حال بِيشٌ ومن به خلف ظهري
إن تكوني أنت المقدّم قبلي وأُطِعْ يَثْوِ عند قبرك قبري

قال إبراهيم : فوقفتُ على قبره إلى جانب قبرها بعُلْيَبٍ .

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من المتقارب]

ألا أيُّها الشادنُ الأكحلُ إلى كم تقول ولا تفعلُ
إلى كم تجود بما لا نريـ ـد منك وتمنع ما نَسألُ

الشعر للحسين بن الضحّاك . والغناء لأبي زَكّارٍ الأعمى ، ولحنُه المختار هَزَجٌ بالبنصر .

1 ديوان أبي دهبل : 116 .

[106] ـ أخبار حسين بن الضَّحَّاك ونسبه[1]

[منشؤه وشعره]

الحسين بن الضَّحَّاك باهليٌّ صَلِيبةً[2] ، فيما ذكر محمَّد بن داود بن الجَرّاح ، والصحيح أنّه مولى لباهِلة . وهو بَصريّ المولد والمَنْشأ ، من شعراء الدولة العبّاسيّة ، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم . ويقال : إنّه أوّلُ مَن جالس منهم محمّدٌ الأمين . شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرّف في الشعر حلو المَذْهب ، لشعره قبول ورونق صافٍ . وكان أبو نُواس يأخذ معانيَه في الخمر فيُغير عليها . وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسَبه الناس إلى أبي نواس . وله معانٍ في صفتها أبدع فيها وسبَق إليها ، فاستعارها أبو نواس ، وأخبارُهما في هذا المعنى وغيرِه تُذكر في أماكنها . وكان يلقّب الخليعَ والأشقرَ ، وهاجى مُسْلِمَ بن الوليد فانتصف منه . وله غزل كثير جيّد . وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارُهم ومذاهبهم جملةً من التكلّف . وعُمِّرَ عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة ، ومات في خلافة المُستعين أو المنتصر .

وحدَّثني جعفر بن قُدَامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كان حسين بن الضحّاك بن ياسِر مولىً لباهلة ، وأصلُه من خُراسان ؛ فكان ربَّما اعترف بهذا الولاء وربَّما جَحَده ، وكان يلقّب بالأشقر ، وهو ومحمَّد بن حازم الباهليّ ابنا خالة .

وحدَّثني الصُّوليّ عن إبراهيم بن المعلَّى الباهليّ : أنَّه سأله عن نسب حسين بن الضحّاك فقال : هو حسين بن الضحّاك بن ياسر ، من موالي سليمان بن ربيعة الباهليّ . قال الصوليّ : وسألتُ الطيِّبَ بن محمَّد الباهليّ عنه فقال لي : هو الحسين بن الضَّحَّاك بن فلان بن فلان بن ياسر ، قديم الولاء ، ودارُه في بني مُجاشِع وفيها وُلِد الحسين ، أرانِيها صاحبُنا سعيد بن مسلم .

[قصيدة له نُسبت إلى أبي نواس]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة الكاتب ومحمَّد بن يحيى الصُّوليّ قالا : حدَّثنا المُغيرة بن محمَّد المهلَّبيّ قال حدَّثنا حسين بن الضحّاك قال : أنشدتُ أبا نواس لمّا حَجَجْتُ قصيدتي التي

1 ترجمة حسين بن الضحاك في وفيات الأعيان 2 : 162–168 وتاريخ بغداد 8 : 54 وطبقات ابن المعتز : 268–271 ومعجم الأدباء (إحسان عبّاس) : 1063–1070 وتاريخ ابن عساكر 4 : 672 وتهذيب 4 : 300 وشذرات الذهب : 2 : 123 والوافي 12 : 379 . وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستّار فراج (دار الثقافة ـ بيروت 1960) وإذا تعدّدت المصادر واختلفت الروايات فإنّه يعتمد رواية الأغاني .

2 صليبة : خالص النسب .

قلتُها في الخمر وهي[1] : [من البسيط]

بُدِّلْتَ من نَفَحات الورد بالآءِ ... ومن صَبُوحك دَرَّ الإبل والشاء[2]

فلمّا انتهيتُ منها إلى قولي :

حتى إذا أُسنِدَتْ في البيت واحتُضِرَتْ ... عندَ الصَّبوح ببسّامين أَكْفاء

فُضَّتْ خواتمُها في نَعْت واصفها ... عن مثل رَقْراقةٍ في جفن مَرْهاء[3]

قال : فصَعِقَ صعقةً أفزعني ، وقال : أحسنتَ والله يا أشقر ؛ فقلتُ : ويلك يا حسن ؛ إنّك أفزعْتني والله فقال : بلى والله أفزعتَني ورُعْتَني ، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بُدّ أن ينتهي إليها وأغوص عليها وأقولَها فسبَقْتني إليه واختلسته منّي ، وستعلم لَمن يُروَى أَلي أم لك ؛ فكان والله كما قال ، سمعتُ من لا يعلم يَرويها له .

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله مولى بني هاشم أبو جعفر قال : سمعت الحسينَ بن الضحّاك يقول : لما قلت قصيدتي : [من البسيط]

بُدِّلْتَ من نفحات الورد بالآء

أنشدتُها أبا نواس ؛ فقال : ستعلم لَمن يَرويها الناسُ ألي أم لك ؛ فكان الأمرُ كما قال ، رأيتُها في دفاتر الناس في أوّل أشعاره .

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أحمد بن أبي طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين بن الضحّاك ، فذكر نحواً منه .

[حجبه المأمون لشعره في الأمين]

أخبرني الصّوليّ قال حدَّثني عبد الله بن محمّد الفارسيّ عن ثُمامة بن أَشْرس ، قال الصّوليّ وحدَّثنيه عَوْن بن محمَّد عن عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال : لمّا قدِمَ المأمونُ من خُراسان وصار إلى بغداد ، أمر بأن يُسمَّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذُكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضحّاك ، وكان من جلساء محمَّد المخلوع ؛ فقرأ أسماءَهم حتى بلغَ إلى اسم حسين ، فقال : أليس هو الذي يقول في محمَّد[4] : [من الكامل]

---

1 انظر أشعار الخليع : 19–21 .

2 الآء : الدفلى .

3 الرقراقة : الدمعة التي تترقرق في العين دون أن تسيل . والمرهاء : التي لم تكتحل .

4 انظر أشعار الخليع : 79 ورواية البيت الثاني فيها :

قد كان فيك لَمن مضى خلف ... ولسوف يعوز بعدك الخلف

هــلاّ بَقِيــتَ لسَدّ فاقَتِنا أبـداً وكان لغيـرك التَّلَفُ
فلقد خلَفتَ خلائفاً سَلفوا ولَسَوْفَ يُعْوِز بعدك الخَلَفُ

لا حاجةَ لي فيه ، والله لا يراني أبداً إلاّ في الطريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هِجائه له وتعريضِه به . قال : وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طولَ أيّام المأمون .

أخبرني عمّي والكوكبيّ بهذا قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عبد الله بن الحارث المَرْوَزيّ عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السِّنديّ بن شاهك ، فذكر مثلَه سواء .

قال ابن أبي طاهر فحدَّثني محمَّد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال : دخلتُ يوماً على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضحّاك ، فقلت يا أمير المؤمنين ، أحبّ أن تَسمعَ منّي بيتين ؛ فقال : أنْشِدْهما فأنشدتُه[1] : [من الوافر]

حَمِدنــا اللهَ شكْرا إذ حبانا بنصـرك يــا أميـر المؤمنينا
فأنــت خليفــةُ الرَّحمن حقّــاً جمعتَ سماحــةً وجمعتَ دِينا

فقال : لَمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلتُ : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحّاك ؛ قال : قد أحسن . فقلتُ : وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا ؛ فقال : وما هو ؟ فأنشدتُه قوله[2] : [من الطويل]

أَيَبْخَل فرْدُ الحسن فَرْدُ صفاتِه عليَّ وقــد أفردتُه بهــوىً فَردِ
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عبــاده فملّكــه واللهُ أعلــمُ بــالعبدِ

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تَطِيبُ نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمَّد وقال .

قال أبو الفرج : وهذه الأبيات تُروى لابن البوّاب ، وستُذكر في أبوابه إن شاء اللهُ تعالى ، وعلى أنّ الذي رواها غلِط في روايته غلَطاً بيّناً ، لأنّها مشهورةٌ من شعر حسين بن الضحّاك . وقد رُوي أيضاً في أخباره أنّه دفعها إلى ابن البوّاب فأوصلها إلى ابن المأمون ، وكان له صديقاً . ولعلَّ الغَلَط وقع من هذه الجهة .

الغناء في الأبيات المذكورةِ المنسوبةِ إلى حسين بن الضحّاك وإلى ابن البوّاب الدّاليّة لإبراهيم بن المهديّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر . وفيها لعبيد الله بن موسى الطائفيّ رمل بالبنصر .

1 أشعار الخليع : 119 .
2 أشعار الخليع : 46 .

[أمر المأمون عمرو بن بانة بالغناء في شعره في الأمين]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا أحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أبيه عن عمرو بن بانة أنَّهم كانوا عند صالح بن الرشيد ، فقال : لستَ تطرَح على جَواريّ وغلْماني ما أستجيده ! فقال له : ويلك ! ما أبغضك ابعثْ إلى منزلي فجِيءْ بالدفاتر واخترْ منها ما شئتَ حتى أُلقيَه عليهم ؛ فبعث إلى منزلي فجِيء إليه بدفاتر الغِناء فأخذ منها دفتراً ليتخيَّر ممّا فيه ، فمرَّ به شعر الحسين بن الضّحّاك يرثي الأمينَ ويهجو المأمون وهو[1] : [من الطويل]

أَطِلْ حَزَناً وابْكِ الإمامَ محمَّداً ... بحزن وإن خِفتَ الحُسامَ المهنّدا
فـلا تَمّتِ الأشياءُ بعد محمَّدٍ ... ولا زال شملُ الملك منها مُبَدَّدا
ولا فرِح المأمونُ بالملك بعده ... ولا زال في الدنيا طريداً مشرَّدا

فقال لي صالح : أنت تعلم أنَّ المأمونَ يَجيء إليّ في كلّ ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تُراهُ يكون فاعلاً ! ثم دعا بسِكّين فجعل يحُكّه ؛ وصعِد المأمونُ من الدَّرَجَة ورمى صالح الدفترَ . فقال المأمون : يا غلام الدفترَ ، فأُتي به ، فنظَر فيه ووقف على الحَكّ فقال : إن قلت لكم : ما كنتم فيه تَصْدُقُوني ؟ قلنا : نعم . قال : ينبغي أن يكون أخي قال لك : ابعثْ فجِيءْ بدفاترك ليتخيّر ما تطرح ، فوقف على هذا الشعر فكرِه أن أراه فأمر بحكّه ؛ قلنا كذا كان . فقال : غنّه يا عمرو ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحسين بن الضّحّاك والغناء لسعيد بن جابر ؛ فقال : وما يكون ! غنّه فغنَّيتُه ؛ فقال : ارْدُده فرددتُه ثلاث مرّات ؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، قال : حتى تعلم أنّه لم يَضْرُرْك عندي .

قال : وسعيـد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحّاك ، وكان نديمَه وصديقَه :

يـا سَعيد وأين منّي سعيد

[مراثيه في الأمين]

ولحسين بن الضّحّاك في محمَّد الأمين مَراثٍ كثيرةٌ جياد ، وكان كثيرَ التحقّق[2] به والمُوالاةِ له لكثرة أفضاله عليه وميْلِه إليه وتقدِيمه إيّاه . وبلغ من جَزَعه عليه أنّه خُولِط ؛ فكان يُنكر قتلَه لمّا بلغه ويدفعه ويقول : إنّه مُستَتِر وإنّه قد وقف على تفرّق دُعاته في الأمصار يدعون إلى مُراجَعة أمره والوفاء ببيْعته ضنّاً به وشفقةً عليه . ومن جيّد مراثيه إيّاه قولُه[3] : [من الخفيف]

1 أشعار الخليع : 50 .
2 لعلّها التعلّق .
3 أشعار الخليع : 150 .

صوت

سألونا أن كيـف نحـن فقلنا مَنْ هَوَى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قومٌ أصابنا حَدَثُ الدَّهـ ـر فظَلْنـا لرَيْبـه نَستكينُ
نتمَنّـى مـن الأمـين إيابـاً لَهْفَ نفسي وأين منّي الأَمينُ

في هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقيل بالوسطى . وفيها لعَريبَ خفيف ثقيلٍ .

ومن جيّد قوله في مراثيه إيّاه[1] : [من الوافر]

أعزّي يـا محمَّد عنك نفسي مَعـاذَ الله والأَيـدي الجِسامِ
فهـلاّ مـات قـوم لم يموتوا ودُوفع عنك لي يـوم الحِمامِ
كأن الموتَ صادف منك غُنْما أو استشفى بقُربك من سَقامِ

[إعجاب المأمون بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثنا عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال قال لي محمد بن عبّاد : قال لي المأمون وقد قدِمت من البصرة : كيف ظريف شعرائكم وواحد مِصْركم ؟ قلتُ : ما أعرفه ؛ قال : ذاك الحسين بن الضّحّاك ، أشعرُ شعرائكم وأظرفُ ظرفائكم . أليس هو الذي يقول : [من الطويل]

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عبـاده فملّكـه والله أعلـم بـالعبدِ

قال : ثم قال لي المأمون : ما قال فيّ أحد من شعراء زماننا بيتاً أبلغَ من بيته هذا ؛ فاكتب إليه فاستَقْدِمْه ؛ وكان حسين عليلاً وكان يَخاف بوادرَ المأمون لما فرَط منه ؛ فقلت للمأمون : إنّه عليل يا أمير المؤمنين ، علّته تمنعه من الحركة والسفر . قال : فَخُذْ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيَه ثلاثين ألف درهم ؛ فأخذتُ الكتاب بذلك وأنفذتُه إليه فقبض المال .

[أشعر المحدَثين]

حدَّثنا عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعتُ أبا العبّاس محمَّد بن يزيد الأزديّ يقول : حسين بن الضّحّاك أشعرُ المُحْدَثين حيث يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

أيُّ ديباجـةِ حُسْنٍ هيَّجَـتْ لوعـةَ حزني

1 أشعار الخليع : 103–104 .
2 أشعار الخليع : 152 .

إذ رمـاني القمـر الزا ... هـر عـن فَترة جفـنِ
بأبـي شمسُ نهـارٍ ... بَـرَزَتْ في يـوم دَجْنِ
قرّبتنـي بـالمنى حـ ... ـتى إذا مـا أخلفَتْني
تركتنـي بـين ميعا ... د وخُلْـفٍ وتَجَنّـي
مـا أراني لي من الصبـ ... ـوة إلاّ حسنُ ظنّـي
إنّما دامـت على الغـد ... رِ لِمَـا تعـرِف منّـي
أستعيـذُ اللهَ مـن إعـ ... ـراض من أعْرض عنّي

[استقدمه المعتصم من البصرة]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدّثني أبو الفيض بن سوادة عن جدّي قال : لمّا ولي المعتصمُ الخلافةَ سألني عن حسين بن الضحّاك ، فأخبرتُه بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه ؛ فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدِم . فلمّا دخل وسلّم استاذن في الإنشاد فأذِن له ؛ فأنشده قولَه[1] : [من الكامل]

هـلاّ سألـت تلـذُّذَ المُشتاقِ ... ومَنَنْت قبـل فراقـه بتَلاقِ[2]
إنّ الرقيـب ليَسْترِيب تنفُّساً ... صُعُداً إليك وظاهـرَ الإقلاقِ
ولئن أرَبْتُ لقد نظرتُ بمقلةٍ ... عَبْرى عليـك سخينةِ الآماقِ
نفسي الفِداءُ لخائفٍ مترقّبٍ ... جعـل الوَداعَ إشارةً بعِناقِ
إذ لا جـوابَ لمُفْحَـمٍ متحيّرٍ ... إلاّ الدموعُ تُصان بالإطراقِ

حتى انتهى إلى قوله :

خيرُ الوُفـودِ مبشّرٌ بخلافـةٍ ... خَصَّتْ ببهجتهـا أبـا إسحاقِ
وَافتْه في الشهرِ الحـرام سليمـةً ... مـن كلّ مُشْكلـة وكلّ شِقاقِ
أعطتـه صفقتَها الضمائرُ طاعـةً ... قبـل الأكُـفّ بأوكـد الميثاق
سكن الأنـامُ إلى إمـام سلامةٍ ... عـفٌ الضّمير مهـذَّبِ الأخلاقِ
فحمـى رعيَّتـه ودافـع دونها ... وأجـار مُمْلِقَهـا مـن الإملاقِ

حتى أتمّها . فقال له المعتصم : أُدْن منّي فدنا منه ؛ فملأ فَمه جوهراً من جوهر كان بين

1 أشعار الخليع : 83–84 مع بعض اختلاف .
2 الشطر الأول في أشعار الخليع : هلاّ رحمت تلدد المشتاق . والتلدد : الحيرة والدهش .

يديه ، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه ، وأمر بأن يُنْظَمَ ويُدفَعَ إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعلَه . فكان أحسنَ ما مُدح به يومئذٍ .

وممّا قدّمه أهلُ العِلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضّحّاك حيث قال : [من الكامل]

قل للأُلى صرَفوا الوجوه عن الهدى — متعسِّفين تعسّفَ المُرّاقِ
إنّي أُحذِّركم بوادرَ ضَيْغَمٍ — دَربٍ بِحَطْم مَوائِل الأَعناقِ
متأهّبٍ لا يستفِزّ جَنانَه — زَجَلُ الرُّعُود ولامعُ الإبراقِ
لم يَبْقَ من متعرِّمين توثّبوا — بالشام غيرُ جماجمٍ أفْلاقِ[1]
من بين مُنْجَدِلٍ تمُجّ عروقُه — عَلَقَ الأَخادع أو أَسيرِ وَثاقِ[2]
وثَنى الخيولَ إلى معاقل قيصرٍ — تختال بين أحزّةٍ ورقاقِ
يحمِلن كلَّ مُشمِّرٍ مُتَغَشِّمٍ — ليثٍ هِزَبْرٍ أهْرَت الأَشداقِ
حتى إذا أَمَّ الحصونَ منازلاً — والموتُ بين ترائبٍ وتَراقِ
هَرّت بطارقُها هريرَ قَساوِرٍ — بُدِهَتْ بأكْرَهِ منظَرٍ ومَذاقِ
ثم استكانت للحصار ملوكُها — ذُلّاً وناط حلوقها بخِناقِ
هرَبتْ وأَسلمتِ الصليبَ عشيّةً — لم يَبْقَ غيرُ حُشاشَةِ الأَرْماقِ

قال : فأمر له المعتصم لكلّ بيت بألف درهم ، وقال له : أَنت تعلم يا حسين أنّ هذا أكثر ما مدحني به مادحٌ في دولتنا . فقبّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه .

[أعجب الرياشي لبيتين له في الخمر]

حدَّثني عليّ قال حدَّثني عثمان بن عمر الآجُرِّي قال : سمعت الرِّياشيّ ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدّاً وهما[3] : [من مجزوء الوافر]

إذا ما الماءُ أمكنني — وصفوُ سُلافةِ العِنَبِ
صبَبتُ الفضّةَ البيضا — ءَ فوق قُراضةِ الذَّهبِ

فقلت له : من يقولهما يا أبا الفضل ؟ قال : أرَقُّ الناس طبعاً وأكثرهم مُلَحاً وأكملُهم ظَرْفاً حسين بن الضحّاك .

1 المتعرّم : ذو العرامة وهي الشراسة والحدّة في الخُلق .
2 العلق : الدم . والأخادع : عروق في العنق .
3 أشعار الخليع : 30 .

[أخذ أبو نواس معنى له في الخمر]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدَّثني أبي عن حسين بن الضحّاك قال : أنشدتُ أبا نُواس قصيدتي[1] : [من المنسرح]

وشاطِـريّ اللسان مختلِق التكـ ـريه شاب المُجُـونَ بالنُّسُكِ[2]

حتى بلغتُ إلى قولي : [من المنسرح]

كأنّمـا نُصْـبَ كأسِه قمـرٌ يكـرَعُ في بعض أنْجُمِ الفِلكِ[3]

قال : فأنشدني أبو نواس بعد أيّام لنفسه : [من الطويل]

إذا عَبّ فيها شاربُ القومِ خِلتَه يُقبِّـل في داجٍ من الليـل كوكبا

قال : فقلت له : يا أبا عليّ هذه مُصالَتةٌ[4] . فقال لي : أتظنّ أنّه يُروى لك في الخمر معنى جيّد وأنا حيّ ! . أخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن محمَّد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضّحّاك فذكر مثله .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مهرويه قال : أنشدتُ إبراهيم بن المدبّر قولَ حسين بن الضحّاك : [من المنسرح]

كأنّما نُصْبَ كأسِه قمـرٌ حاسده بعض أنْجُم الفلكِ
حتـى إذا رنّحتْه سوْرتها وأبدلتْـه السكونَ بالحَرَكِ
كشفتُ عـن وَزَّة مسنَّمة في لـين صِينيّة من الفَلَكِ[5]

فقال لي إبراهيم بن المدبِّر : إنّ الحسين كان يزعم أنّ أبا نواس سرَق منه هذا المعنى حين يقول : يقبِّل في داج من الليل كوكبا . فإن كان سرَقه منه فهو أحقّ به لأنّه قد برَّز عليه ، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصَّر عنه .

[مدح الواثق حين ولي الخلافة]

أخبرني محمَّد بن يحيى الخُرَاسانيّ قال حدَّثني محمَّد بن مُخارِق قال : لمّا بُويع الواثقُ

1 أشعار الخليع : 87–88 .
2 الشاطري : نسبة إلى الشاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدّبه خبثاً . وكان هذا الاسم يُطلق في الدولة العبّاسية على أهل البطالة والفساد .
3 كأنما . . . . . قمرٌ في ل : تخالها . . . كاسها قمراً .
4 المصالتة : أخذ البيت لفظاً ومعنى . والصلت : اللص .
5 الفلك : التلّ من الرمل .

بالخلافة دخل عليه الحسين بن الضّحّاك فأنشده قصيدتَه التي أوّلها[1] : [من الطويل]

صوت

أَلَم يَـرُعِ الإسلامَ موتُ نصيرِه بَلَى حَقّ أن يرتاعَ مَن مات ناصرُهْ
سيُسْلِيك عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ أوائلُـــه محمـــودةٌ وأواخــرُهْ
ثنـــى اللّهُ عِطْفَيْه وألّف شخصَه على البرِّ مُـذْ شُدّت عليه مآزِرُهْ
يَصَبُّ ببَذْلِ المـالِ حتـى كأنّمـا يرى بذلَـه للمال نَهْبـاً يُبادرُهْ[2]
ومـا قـدّم الرحمـنُ إلاّ مقدَّماً مــوارِدُه محمـــودةٌ ومصـادرُهْ

فقال الواثق : إن كان الحسين ليَنطِق عن حسن طويّة ويمدح بخلوص نيّة . ثم أمر بأن يُعطى لكلّ بيت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . فأعجبته الأبيات ، حتى أمر فصُنعت فيها عدّة ألحان ، منها لعَريبَ في طريقة الثقيل الأوّل .

[سرق من شعر أبي العتاهية في الرشيد]

وأخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني عَوْن بن محمَّد قال حدَّثني محمَّد بن عمرو الرُّوميّ قال : لمّا ولي الواثقُ الخلافةَ أنشده حسين بن الضحّاك قصيدةً منها : [من الطويل]

سيُسْلِيك عمّا فات دولـةُ مُفْضِـلِ أوائلُـــه محمـــودةٌ وأواخــرُهْ
ومـا قـدّم الرحمـنُ إلاّ مقدَّمـا مـــوارِدُه محمـــودةٌ ومصـادرُهْ

قال : فأنشدتُ إسحاقَ الموصليّ هذا الشعر ؛ فقال لي : نقل حسين كلامَ أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول[3] : [من الطويل]

جَرى لك من هارونَ بالسعد طائرُه إمـامُ اعتزام لا تُخـافُ بوادرُهْ
إمـامٌ لـه رأيٌ حميـدٌ ورحمـةٌ مـــوارِدُه محمـــودةٌ ومصـادرُهْ

قال : فعجبتُ من رواية إسحاق شعرَ المُحدَثين ، وإنّما كان يروي للأوائل ويتعصَّب على المحدَثين وعلى أبي العتاهية خاصّةً .

في هذين الشعرين أغاني نسبتها :

1 أشعار الخليع : 58 .
2 صبّ بالشيء : كلف به وولع .
3 ديوان أبي العتاهية : 540 .

صوت

[من الطويل]

جرى لك من هارون بالسعد طائرُه إمـامُ اعتزامٍ لا تخـاف بوادرُهْ
إمـامٌ لـه رأي حميـدٌ ورحمـةٌ مـواردُه محمـودة ومصـادرُهْ
هو الملكُ المجبولُ نفساً على التُّقَى مُسَلَّمةٌ مـن كلّ سوء عساكرُهْ
لِتُغْمَدْ سيوفُ الحرب فاللهُ وحده وليُّ أميرِ المؤمنـين وناصـرُهْ

الشعر لأبي العتاهية ، على ما ذكره الصُّوليّ . وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسَلْمٍ الخاسِر . والغناءُ لإبراهيم ، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ .

صوت

[من الطويل]

سَيُسْلِيكَ عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ أوائلُـه محمـودةٌ وأواخـرُهْ
ثنـى اللهُ عِطْفَيْه وألّف شخصَه على البِرّ مُـذ شُدَّت عليه مآزِرُهْ

الشعر لحسين بن الضّحّاك . والغناء لعَريبَ ثقيل أوّل مطلق . وفيه لقَلَم الصالحيّة خفيفُ رمل ، وهو أغرب اللحنين ولَحن عَريبَ المشهور .

[مدح الواثق وهو في الصيد فأجازه]

أخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني عليّ بن الصبّاح قال حدَّثني عليّ بن صالحٍ كاتب الحسن بن رَجاء قال حدَّثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال : كنّا مع الواثِق بالقاطُولِ[1] وهو يتصيّد ؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزَّوّ[2] من الإوَزّ والدُّرّاج وطيرِ الماء وغير ذلك ؛ ثم رجع فتغدّى ، ودعا بالجلساء والمغنّين وطرِب ، وقال : من يُنشدنا ؟ فقام الحسين بن الضّحّاك فأنشده[3] : [من الطويل]

سقى اللهُ بالقاطُول مَسْرَحَ طرفكا وخَصَّ بسُقْياه مناكـبَ قصرِكا

حتى انتهى إلى قوله : [من الطويل]

تَحيَّـن للـدُّرَّاج في جَنباتـه وللغُـرّ آجـالٌ قُـدِرْن بكفِّكا

---

1 القاطول : نهر حفره الرشيد متفرّعاً من دجلة وبنى عليه قصراً سمّاه أبا الجند .
2 الزوّ : نوع من السفن .
3 أشعار الخليع : 89 .

حُتوفـاً إذا وجَّهْتَهـنَّ قواضِيـاً عِجَـالاً إذا أغريتهـنَّ بزجركا
أبحتَ حَمامـاً مُصْعِـداً ومُصوِّباً وما رِمْتَ في حاليك مجلسَ لهوكا[1]
تصرّفُ فيـه بين نـايٍ ومُسْمِعٍ ومشمولةٍ من كفِّ ظبي لسَقْيكا[2]
قضيتَ لُبَانـاتٍ وأنـت مخيِّمٌ مُريحٌ وإن شَطَّتْ مسافـة عَزْمكا
ومـا نال طِيبَ العيشِ إلاّ مُودَّعٌ وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدِّكا[3]

فقال الواثق : ما يعدِل الراحةَ ولذَّةَ الدَّعَة شيء . فلمّا انتهى إلى قوله :

خُلِقـتَ أمينَ الله للخَلْـق عصْمةً وأمْنـاً فكـلٌّ في ذَرَاك وظِلّكا
وثِقْـتَ بمَن سمَّاك بالغيبِ واثِقاً وثَبَّـت بالتأييـد أركانَ مُلْككا
فأعطاك مُعْطيك الخلافةَ شكرَها وأسْعَـد بالتّقوى سريـرةَ قلبكا
وزادك مـن أعمارنا ، غيرَ مِنَّـةٍ عليك بها ، أضعافَ أضعافِ عمركا
ولا زالت الأقدارُ في كلّ حالـةٍ عُداةً لمَـن عاداك سَلْما لسلمكا
إذا كنتُ من جَدْواك في كلّ نعمةٍ فلا كنتُ إن لَم أفْنِ عمري بشكركا

فطرِب الواثق فضرب الأرضَ بمِخْصَرةٍ كانت في يده ، وقال : لله درّك يا حسين ! ما أقربَ قلبَك من لسانك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، جودُك يُنطِق المُفْحَمَ بالشعر والجاحدَ بالشكر . فقال له : لن تنصرفَ إلاّ مسروراً ؛ ثم أمر له بخمسين ألف درهم .

[الواثق يشرب في يوم غيم]

حدَّثنا عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدَّثنا أبو العبّاس الرِّياشيّ قال حدَّثنا الحسين بن الضحّاك قال : دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لَطْخ[4] غيم ، فقال لي : ما الرأي عندك في هذا اليوم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حَكَم به وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف ؛ فإنّه أشار بصواب لا يردّ وجعله في شعرٍ لا يُعارَض . فقال : وما قال ؟ فقلت قال : [من الوافر]

أرى غيماً تؤلّفه جَنُوبٌ وأحسَبه سيأتينـا بهَطْـلِ
فعينُ الرأي أن تدعو بِرطلٍ فتشربه وتدعو لي برِطلِ

فقال : أصبتما ؛ ودعا بالطّعام وبالشراب والمغنّين والجلساء واصطبحنا .

---

1 رام المكان : زال عنه وفارقه .
2 مشمولة : الخمر الباردة .
3 المودع : المرفه .
4 لطخ غيم : قليل غيم .

[وصف ليلة للواثق]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني الحسين بن عُلْوان قال حدَّثني العبّاس بن عُبيد الله الكاتب قال : كان حسين بن الضّحّاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثُلُثٌ من الليل ، فأمر بأن يبيتَ مكانَه . فلمّا أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون ، فقال لحسين : هل وصفتَ ليلتنا الماضية وطيبَها ؟ فقال : لم يمضِ شيء وأنا أقول الساعة ؛ وفكّر هنيهةً ثم قال[1] : [من المنسرح]

حَثّتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاّهي وطـاب يومي بقرب أشباهي
فاسْتَثِرِ اللهـوَ مـن مكامنه مـن قبل يـومٍ منغِّصٍ ناهي
بابنة كِـرمٍ مـن كفّ مُنْتَطِقٍ مـؤزَّر بالمُجُـون تَيّـاهِ
يَسقيكَ من طرفـه ومن يده سقيَ لطيف مجـرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربهـا حيرانُ بـين الذّكور والساهي

قال : فأمر الواثق بردّ مجلسه كهيئته ، واصطبح يومَه ذلك معهم ؛ وقال : نحقّق قولك يا حسين ونقضي لك كلَّ أرَب وحاجة .

[غضبت جارية للواثق عليه]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّولي قال حدَّثني محمَّد بن مُغيرة المهلَّبي قال حدَّثنا حُسين بن الضّحّاك قال : كانت لي نَوْبةٌ في دار الواثق أحضُرها جَلَس أو لم يجلس . فبينا أنا نائم ذاتَ ليلةٍ في حُجرتي ، إذ جاء خادم من خَدَم الحُرَم فقال : قُمْ فإنّ أمير المؤمنين يدعوك . فقلت له : وما الخبر ؟ قال : كان نائماً وإلى جَنْبه حَظِيَّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمةً ، فألمّ بجارية له أخرى ولم تكن ليلةَ نوبتها وعاد إلى فراشه ؛ فغضِبتْ حَظِيَّتُه وتركتْه حتى نام ، ثم قامت ودخلت حجرتَها ؛ فانتبه وهو يرى أنّها عنده فلم يجدها ، فقال : اختُلِستْ عزيزتي ، ويحكم أين هي ! فأُخبِر أنّها قامت غَضْبَى ومضتْ إلى حجرتها ، فدعا بك . فقلت في طريقي[2] : [من الرمل]

غضِبَتْ أنْ زُرْتُ أُخرى خِلْسةً فلهـا العُتْبَـى لديْنـا والرِّضا
يـا فَدَتْك النفسُ كانت هفوةً فاغفِريها واصفَحي عمّا مضى
واتركي العـذلَ على من قاله وانسُبي جَوْرِي إلى حكم القضا

---

1 أشعار الخليع : 122–123 .
2 أشعار الخليع : 70 .

فلقد نبَّهتِني من رَقْدتي ... وعلى قلبي كنيرانِ الغَضا

قال : فلمّا جئتُه خبَّرني القصّة وقال لي : قُلْ في هذا شيئاً ؛ ففكَّرتُ هنيهةً كأنّي أقول شعراً ثم أنشدتُه الأبيات . فقال : أحسنتَ وحياتي ! أعِدْها يا حسين ؛ فأعدتُها عليه حتى حفِظها ، وأمر لي بخمسمائة دينار ، وقام فمضى إلى الجارية وخرجتُ أنا إلى حجرتي .

[شعره في لقاء الواثق جاريته في النوم]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال حدَّثني الغلابيّ قال حدَّثني مهديّ بن سابِق قال قال لي حسين بن الضّحّاك : كان الواثق يتحظَّى جاريةً له فماتت فجزِع عليها وترك الشربَ أيّاماً ثم سَلاها وعاد إلى حاله ؛ فدعاني ليلة فقال لي : يا حسين ، رأيتُ فلانة في النوم ؛ فليت نومي كان طال قليلاً لأتمتّع بلقائها ؛ فقل في هذا شيئاً . فقلت[1] : [من الرمل]

ليتَ عينَ الدَّهر عنّا غَفَلتْ ... ورقيبَ الليل عنّا رَقَدا
وأقام النَّومُ في مدّته ... كالذي كان وكنّا أبدا
بأبي زَوْرٌ تَلَفَّتُّ له ... فتنفَّسْتُ إليه الصُّعَدا[2]
بينما أُضحكُ مسروراً به ... إذ تقطَّعتُ عليه كَمَدا

قال : فقال لي الواثق : أحسنتَ ، ولكنّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ للّيل وإنّما رأيتُ الرؤيا نهاراً . ثم عاد إلى منامه فرقَد .

[سرق منه أبو نواس معنى في الخمر]

أخبرني جَحْظة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك ، وأخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى عن حسين بن الضّحّاك قال : لقيني أبو نُواس ذاتَ يوم عند باب أمّ جعفر من الجانب الغربيّ ، فأنشدته[3] : [من الكامل]

أخَوَيَّ حيّ على الصَّبوح صباحا ... هُبَّا ولا تَعِدا الصباحَ رَواحا
هذا الشَّمِيط كأنّه متحيّرٌ ... في الأُفْق سُدّ طريقُه فألاحا[4]
ما تأمرانِ بسكْرة قَرَويّة ... قَرَنَتْ إلى درك النجاح نجاحا

هكذا قال جَحْظة . والذي أحفظه :

1 أشعار الخليع : 50 .
2 الزور : الخيال يرى في النوم .
3 أشعار الخليع : 38 وانظر قصيدة أبي نواس : 39 .
4 الشميط : الصبح .

مـا تأمـران بقهوة قَرَوِيّـة

قال : فلمّا كان بعد أيّام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول : [من الكامل]

ذكر الصَّبُوحَ بسُحْرة فارتاحا وأمَلّه ديـكُ الصَّباح صِياحا

فقلت له : حسنٌ يا ابن الزانية ؛ أفعلتها ؟ فقال : دع هذا عنك ، فوالله لا قلتَ في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلاّ نُسِب لي .

[إبراهيم بن المهديّ يعربد عليه]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن سعيد قال حدَّثني أبو أُمامة الباهليّ عن الحسين بن الضّحّاك ، قال محمَّد بن يحيى وحدَّثني المغيرة بن محمَّد المهلَّبيّ : أنّ الحسين بن الضّحّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهديّ ، فجرت بينهما مُلاحاةٌ في أمر الدِّين والمذهب ؛ فدعا له إبراهيمُ بِنطْع وسيف وقد أخذ منه الشّرابُ ؛ فانصرف وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه . فكتب إليه[1] : [من الهزج]

نديمـي غيـرُ منسوب إلى شيء مـن الحَيْفِ

سقـاني مثلَ مـا يشر ب فعلَ الضّيفِ بالضيفِ

فلمّـا دارت الكـأسُ دعـا بالنِّطْـع والسيفِ

كذا مـن يشربُ الخمرَ مـع التِّنِّينِ في الصيفِ

قال : ولم يعد إلى منادمته مدّة . ثم إنّ إبراهيم تحمّل عليه ووصله فعاد إلى منادمته .

[نشأته واتّصاله بالأمين]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كنت أنا وأبو نواس تِرْبين ، نشأنا في مكان واحد وتأدّبنا بالبصرة ، وكنّا نحضُر مجالسَ الأُدباء متصاحبَيْن ، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدّة ، واتّصل بي ما آل إليه أمرُه ، وبلغني إيثارُ السلطان وخاصّتِه له ؛ فخرجتُ عن البصرة إلى بغداد ولَقِيتُ الناسَ ومدحتُهم وأخذتُ جوائزَهم وعُدِدْتُ في الشعراء ، وهذا كلُّه في أيّام الرشيد ، إلاّ أنّي لم أصِل إليه واتّصلتُ بابنه صالح فكنتُ في خدمته . فغنّي يوماً بهذا الصوت : [من الطويل]

أإن زُمّ أجمالٌ وفـارق جيرةٌ وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

فقال لي صالح : قُل أنت في هذا المعنى شيئاً ؛ فقلت[2] : [من الطويل]

---

1 أشعار الخليع : 81 .

2 أشعار الخليع : 26 .

أإن دَبَّ حُسَّادٌ ومـلّ حبيب وأورق عودُ الهجر أنت حبيبُ[1]
لِيَبْلُغْ بنا هجرُ الحبيب مرامَه هلِ الحبُّ إلاّ عَبْرةٌ ونحيبُ
كأنّـك لم تسمع بفرقة أُلْفةٍ وغَيْبةِ وَصْلٍ لا تـراه يؤوبُ

فأمر بأن يُغنَّى فيه . واتّصلتُ بمحمَّد ابن زُبيدة في أيّام أبيه وخدمتُه ، ثم اتّصلَتْ خدمتي له في أيّام خلافته .

[ترضّى صالح بن الرشيد]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أبو العَيْناء عن الحسين بن الضّحّاك قال : كنتُ يوماً عند صالح بن الرشيد ، فجرى بيننا كلامٌ على النّبيذ وقد أخذ منّي الشّرابُ مأْخَذاً قويّاً ، فرَدَدْتُ عليه ردّاً أنكره وتأوّله على غير ما أردتُ ، فهاجَرني ؛ فكتبتُ إليه[2] : [من الكامل]

صوت

يـا ابنَ الإمـام تركتني هَمَلا أبكي الحيـاةَ وأنـدُب الأملا
مـا بالُ عينِك حـين تلحَظُني مـا إن تَقِـلُّ جُفُونَهـا ثِقَلا
لـو كان لي ذنبٌ لُبحْتُ به كي لا يقـال هجرتَني مَلَلا
إن كنتُ أعرف زَلَّةً سَلَفَتْ فرأيتُ مِيتَـةَ واحدي عجَلا[3]

فيه خفيفُ ثقيل يُنسب إلى عبد الله بن العَلاء وإلى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ . قال : فكتب إليّ : قد تلافى لسانُك بشعرك ، ما جناه في وقت سكرك . وقد رَضِيتُ عنك رِضاً صحيحاً ؛ فصِرْ إليّ على أتمّ نشاطِك ، وأكمِلْ بِساطك . فعُدْتُ إلى خدمته فما سكِرتُ عنده بعدها . قال : وكانت في حسين عربدةٌ .

[أنشد ابن البوّاب شعره للمأمون]

وأخبرني ببعضه محمَّد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان ، وألفاظهما تزيد وتنقص . وأخبرني ببعضه محمَّد بن خَلَف وَكيع عن آخره وقصّةٍ وصولِه إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك . قال : وحدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، ولم يقل وَكيع : عن أبيه ، واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثُه أتمّ ، قال : كنت بين يديّ المأمون واقفاً ، فأدخل إليه ابنُ البوّاب رقعةً فيها أبيات وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذَنَ لي في إنشادها ؛ فظَنّها له

1 حبيب في الديوان : جنيب .
2 أشعار الخليع : 94 .
3 يدعو على ولده الواحد بالموت العاجل إذا كان يعرف له زلّة سلفت .

فقال : هاتِ ؛ فأنشده[1] : [من الطويل]

أَجِرْني فإنّي قد ظَمِئْتُ إلى الوعدِ متى تُنجزُ الوعدَ المؤكَّـدَ بالعهدِ
أُعِيذُك مـن خُلْف الملوكِ وقد بدا تقطُّعُ أَنفاسي عليك من الوجدِ[2]
أَيَبْخَلُ فَـرْدُ الحسن عنّي بنائـلٍ قليـلٍ وقـد أَفردتُـه بهـوىً فردِ

إلى أن بلغ إلى قوله :

رأى اللهُ عبـدَ الله خيرَ عبـاده فملّكـه والله أَعلـمُ بالعبـدِ
أَلا إنّمـا المأمـونُ للناس عصمةٌ مميِّزةٌ بـين الضَّلالـة والرُّشْدِ

فقال المأمون : أحسنتَ يا عبد الله ! فقال : يا أَمير المؤمنين ، أَحسن قائلُها ؛ قال : ومن هو ؟ فقال : عبدُك حسين بن الضحّاك ؛ فغضِب ثم قال : لا حيّا الله من ذكرتَ ولا بيّاه ولا قرّبه ولا أنْعَمَ به عيناً ! أَليس القائلَ[3] : [من الطويل]

أَعينيَّ جُـودا وابكيا لي محمَّدا ولا تَذْخَرا دمعـاً عليه وأَسْعِدا
فـلا تَمَّتِ الأَشياءُ بعد محمَّد ولا زال شملُ الملك فيه مبدَّدا
ولا فـرِح المأمونُ بالمُلك بعده ولا زال في الدّنيا طريداً مشرَّدا

هذا بذاك ؛ ولا شيء له عندنا . فقال له ابن البوّاب : فأَين فضلُ إحسان أَمير المؤمنين وسَعَةُ حلمه وعادتُه في العفو ؟ فأَمره بإحضاره . فلمّا حضَر سلّم ، فردَّ عليه السلام ردّاً جافياً ؛ ثم أَقبل عليه فقال : أَخبِرْني عنك : هل عرفتَ يومَ قُتل أَخي محمَّد هاشميّةً قُتلت أَو هُتكت ؟ قال لا . قال : فما معنى قولك[4] : [من الطويل]

وسِرْب ظباءٍ من ذُؤابةِ هاشمٍ هَتَفْنَ بدعوى خير حيٍّ وميِّتِ
أَرُدّ يداً منّـي إذا مـا ذكرتُه على كبـدٍ حَرَّى وقلبٍ مفتَّتِ
فلا بـات ليلُ الشامتين بغِبْطةٍ ولا بلَغتْ آمالُهـم مـا تمنّتِ

فقال : يا أَمير المؤمنين ، لوعةٌ غلَبتني ، وروعةٌ فاجأتني ، ونعمةٌ فقدتُها بعد أَن غمرتْني ؛ وإحسانٌ شكرتُه فأَنطقني ، وسيّد فقدتُه فأَقلقني . فإن عاقبتَ فبحقّك ، وإن عفوتَ فبفضلك .

1 أشعار الخليع : 46 .
2 وقد بدا في ل : وقد ترى .
3 تقدّم هذا الخبر والأبيات برواية أُخرى (ص 114) ، وانظر أُشعار الخليع : 50 .
4 أشعار الخليع : 32 .

فدَمَعتْ عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها ، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك .

[يشفع عمرو بن مسعدة لدى المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبي قال : لمّا أعيتْ حسينَ بنَ الضحّاك الحيلةُ في رضا المأمون عنه ، رمى بأمره إلى عمرو بن مَسْعَدة وكتب إليه[1] : [من الخفيف]

أنتَ طَوْدي من بين هذي الهِضابِ ... وشِهابي من دون كلِّ شِهابِ
أنتَ يا عمرو قوّتي وحياتي ... ولساني وأنت ظُفْري ونابي
أتُراني أنسى أياديَكَ البيـ ... ـضَ إذ اسودَّ نائلُ الأصحاب
أين عطف الكرام في مأقِطِ الحا ... جة يَحْمُون حَوْزَةَ الاداب[2]
أين أخلاقُك الرضيّة حالت ... فيّ أم أين رِقّة الكُتّاب[3]
أنا في ذمّة السَّحاب وأظما ! ... إنّ هذا لوصمةٌ في السّحابِ
قُمْ إلى سيِّد البريّة عنّي ... قومةً تَسْتَجِرُّ حسنَ خطابِ
فلعلَّ الإلهَ يُطفىء عنّي ... بك ناراً عليّ ذاتَ الْتِهابِ

قال : فلم يزل عمرو يَلْطُفُ للمأمون حتى أوصله إليه وأدرّ أرزاقَه .

[غضب عليه المعتصم]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عَوْن بن محمَّد قال حدَّثني الحسين بن الضحّاك قال : غضب المعتصم عليّ في شيء جرى على النبيذ ، فقال : والله لأؤدِّبَنّه ؛ وحجَبني أيّاماً . فكتبت إليه[4] : [من الكامل]

غَضَبُ الإمام أشَدُّ من أدَبِهْ ... وقد استجرْتُ وعُذْتُ من غَضَبِهْ
أصبحتُ معتصِماً بمعتصِمٍ ... أثْنى الإلهُ عليه في كُتُبِهْ
لا والذي لم يُبْقِ لي سبباً ... أرجو النجاةَ به سوى سببهْ

1 أشعار الخليع : 27 .
2 المأقط : المضيق في الحرب .
3 حالت : تحوّلت من حال إلى حال .
4 أشعار الخليع : 31 .

مـا لي شفيـعٌ غيرُ حُرْمتِـه ولكلّ مـن أُشْفـى على عَطَبْ

قال : فلمّا قُرِىء عليه التفت إلى الواثق ثم قال : بمثلِ هذا الكلام يُستَعْطَف الكرام ؛ ما هو إلاّ أن سمعتُ أبياتَ حسين هذه حتى أزالتْ ما في نفسي عليه . فقال له الواثق : هو حقيقٌ بأن يُوهَب له ذنبه ويُتجاوَز عنه . فرضي عنّي وأمر بإحضاري .

[هجا العبّاس بن المأمون]

قال الصُّوليّ فحدَّثني الحسين بن يحيى أنّ هذه الأبيات إنّما كتب بها إلى المعتصم ؛ لأنّه بلَغه عنه أنّه مدَح العبّاسَ بن المأمون وتمنّى له الخلافةَ ، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يَدَي الواثق فأوصلها وشفَع له فرضي عنه وأمّنه فظهر إليه ، وهجا العبّاسَ بن المأمون فقال[1] : [من مجزوء الكامل]

خَلِّ اللَّعِينَ ومـا اكتَسَبْ لا زال منقطـعَ السَّبَبْ
يـا عُـرَّةَ الثَّقَلَيْـن لا دِينـاً رَعَيتَ ولا حَسَبْ
حَسَدُ الإمـام مكانَـه جهلاً حَذاكَ على العَطَبْ[2]
وأبـوك قدّمـه لهـا لمـا تخيَّـر وانتخبْ
مـا تستطيع سوى التنـ ـفّس والتجرُّع للكربْ
مـا زلتَ عنـد أبيك مُنْـ ـتَقَصَ المـروءة والأدَبْ

[شعره في مجلس صالح بن الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات وابن مهرويه قالا : كنّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضحّاك وذلك في خلافة المأمون ، وكان صالح يهوَى خادماً له ؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنحّى عنه ، وكان جالساً في صَحْنٍ حوله نَرْجِس في قمر طالع حسنٍ ؛ فقال للحسين : قُلْ في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنِّي فيها عمرو بن بانة . فقال الحسين[3] : [من الخفيف]

صوت

وصف البدرُ حسنَ وجهك حتى خِلْـتُ أنّـي ومـا أراكَ أراكا
وإذا مـا تنفّس النـرجسُ الغَـ ـضّ توهّمتـه نسيـمَ شَذاكا

1 أشعار الخليع : 25 .

2 حذاك على العطب : قادك إليه وأوقعك فيه .

3 أشعار الخليع : 88–89 مع بعض اختلاف .

خُـدَعٌ للمُنـى تعلّلنـي فيـ ـك بإشراق ذا ونفحـة ذاكا
لأدُومـنّ يـا حبيبي على العـ ـهد لهـذا وذاك إذ حَكَيـاكا

قال عمرو : فقال لي صالح : تغنَّ فيها ، فتغنَّيتُ فيها من ساعتي .

لحنُ عمرو في هذه الأبيات ثقيلٌ بالبنصر من روايته .

[شعره في خادم أبي عيسى بن الرشيد]

وقد حدَّثني بهذا الخبر عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدَّثني عُبيد الله بن زكريا الضَّرير قال حدَّثنا الجَمّاز عن أبي نُواس قال : كنت أتعشّق ابناً للعلاء يقال له محمَّد ، وكان حُسين يتعشَّق خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يُسْر ؛ فزارني يوماً فسألتُه عنه فقال : قد كاد قلبي أن يسلُوَ عنه وعن حبّه . قال : وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليّ وفي يده نرجسٌ ، فجلسنا نشرب وطلع القمر ؛ فقلت له : يا حسين أيّما أحسن القمر أم محمَّد ؟ فأطرق ساعةً ثم قال : اسمع جوابَ الذي سألتَ عنه : [من الخفيف]

وصَف البدرُ حسنَ وجهك حتى خِلْـتُ أنّـي ومـا أراك أراكا
وإذا مـا تنفّس النّـرجِسُ الغـ ـضّ توهّمتُـه نَسيـمَ شَذاكا
وإخـال الذي لثَمـتَ أنيسي وجليسي مـا باشرَتْـه يـداكا
فـإذا مـا لثمتُ لَثْمَك فيـه فكأنّي بـذاك قبّلـتُ فـاكا
خُـدَعٌ للمُنـى تعلّلنـي فيـ ـك بإشراق ذا ونَفْحـة ذاكا
لأُقِيمنَّ مـا حَيِيتُ على الشكـ ـر لهـذا وذاك إذ حَكَيـاكا

قال : فقلت له : أحسنتَ والله ما شئتَ ؛ ولكنّك يا كَشْخان[1] هو ذا تَقْدِر أن تقطع الطريق في عملي ؟ فقال : يا كشخان أوَ شعري الذي سمعتَه في حاضرٍ أمْ بذكر غائب ! واللهِ لَلنَّعْلُ التي يطأ عليها يُسْرٌ أحسنُ عندي من صاحبك ومن القمر ومن كلّ ما أنتم فيه .

[مدح المتوكّل شعره]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني أحمد بن سعيد بن عَنْبَسَة القُرَشيّ الأُمويّ قال حدَّثني عليّ بن الجَهْم قال : دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس في صحن خُلْده[2] وفي يده غصنُ آسٍ وهو يتمثّل بهذا الشعر[3] : [من البسيط]

1 كشخان : ديوث .
2 الخلد : قصر بناه المنصور على شاطىء دجلة .
3 أشعار الخليع : 114–115 .

بالشَّطّ لي سَكَنٌ أَفْدِيه من سَكَنِ ... أَهْدى من الآس لي غصنين في غُصُنِ
فقلتُ إذ نُظما إلفين والتبسا ... سَقْياً ورَعْياً لفأْلٍ فيكما حسنِ
فالآسُ لا شَكَّ آسٍ من تشوّقنا ... شافٍ وآسٍ لنا يبقى على الزمنِ
أَبْشَرتُماني بأسبابٍ ستجمعنا ... إن شاء ربِّي ومهما يَقْضِه يَكُنِ

قال : فلمّا فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أَنْشَقّ حسداً : لِمَن هذا الشعر يا عليّ ؟ فقلت : للحسين بن الضّحّاك يا سيِّدي . فقال لي : هو عندي أشعر أَهل زماننا وأملحُهم مذهباً وأظرفُهم نَمَطاً . فقلت وقد زاد غيظي : في الغزل يا مولاي . قال : وفي غيره وإن رَغِمِ أَنفُك ومتَّ حسداً . وكنتُ قد مدحتُه بقصيدة وأُردت إنشادَها يومئذٍ فلم أفعل ، وعلمتُ أنّي لا أَنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة ، فأخّرتُها إلى وقت آخر .

[مع شفيع خادم المتوكّل]

أَخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني أَحمد بن يزيد المهلَّبيّ قال حدَّثني أَبي قال : أَحَبّ المتوكّل على الله أَن يُنادمه حسينُ بن الضّحّاك وأَن يرى ما بَقِي من شهوته لما كان عليه ؛ فأَحضره وقد كبِر وضَعُف ، فسقاه حتى سكِر ، وقال لخادمه شَفيع : اسْقِه ، فسقاه وحيّاه بوردةٍ ، وكانت على شفيع ثيابٌ مورَّدة ؛ فمدَّ الحسينُ يدَه إلى ذراع شَفيع . فقال له المتوكّل : يا حسين ، أَتُجَمِّشُ أَخصَّ خَدَمي عندي بحَضْرتي ؟ فكيف لو خلوتَ ؟ ما أَحوجك إلى أَدب ! وقد كان المتوكّل غمَز شفيعاً على العَبَث به . فقال الحسين : يا سيِّدي ، أُريد دواةً وقرطاساً ، فأَمر له بذلك ، فكتب بخطِّه[1] : [من الطويل]

وكالوردةِ الحَمْراء حيّا بأَحمرٍ ... من الورد يمشي في قَراطِقَ كالوردِ[2]
له عَبَثاتٌ عند كلِّ تحيّةٍ ... بعينيه تَستدعي الحليمَ إلى الوجدِ
تمنَّيتُ أَن أُسقى بكفَّيْه شَرْبةً ... تذكِّرني ما قد نَسيتُ من العهدِ
سقى الله دهراً لم أَبِتْ فيه ليلةً ... خَلِيّاً ولكن من حبيب على وعدِ

ثم دفع الرقعةَ إلى شفيع وقال له : ادفَعْها إلى مولاك . فلمّا قرأَها استملحها وقال : أَحسنتَ والله يا حُسين ؛ لو كان شفيع ممّن تجوز هبتُه لوهبتُه لك ، ولكن بحياتي إلاّ كنتَ ساقيه باقيَ يومه هذا واخدُمْه كما تخدُمني ؛ وأَمر له بمال كثير حُمِل معه لمّا انصرف . قال

1 أشعار الخليع : 43 .
2 في مجموع أشعاره :
وكالـدرّة البيضـاء حيّـا بعنبـرٍ ... وكالورد يسعى في قراطقَ كالورد

أحمد بن يَزيد فحدَّثني أبي قال : صرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكّل بأيّام ، فقلت له : وَيْلَك ! أتدري ما صنعتَ ؟! قال : نعم أدري ، وما كنتُ لأَدَعَ عادتي بشيء ؛ وقد قلتُ بعدك[1] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

لا رأى عَطْفَةَ الأحبّـــ ـــة مَـــن لا يُصَـــرِّحُ
أصغـرُ الساقِيَيْـنِ أشـــ ـــكلُ عنـدي وأمْلَحُ
لـو تـراه كالظَّبْي يَســ ـنَـح حينـاً ويبـرَحُ
خِلْـتَ غصناً على كَثِيـ ـــبٍ بنَـــوْرٍ يـــوشَّحُ

غنّى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر .

[حيّاه شفيع بتفّاحة عنبر]

وقد أخبرني بهذا الخبر محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ وقال حدَّثني محمَّد بن أبي عَوْن قال : حضرتُ المتوكّل وعنده محمَّد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضحّاك للمنادمة ، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه ، فسقاه وحيّاه بتفّاحة عنبر . وقال لحسين : قُل في هذا شيئاً ؛ فقال[2] : [من الطويل]

وكالدُّرّةِ البيضـاءِ حيّـا بعنبرٍ وكالورد يَسْعى في قَراطِقَ كالوَرْدِ
لـه عَبَثـاتٌ عنـد كلِّ تحيّـةٍ بعينيه تَستدعي الحليمَ إلى الوجدِ[3]
تمنّيتُ أن أُسقى بكفّيـه شربةً تُذكّرني ما قد نسيتُ من العهدِ[4]
سقى الله عيشاً لم أبِتْ فيـه ليلةً من الدّهرِ إلاّ من حبيب على وعدِ

فقال المتوكّل : يُحمل إلى حسين لكلِّ بيت مائةُ دينار . فالتفتَ إليه محمَّد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجِّب وقال : لِمَ ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله لقد أجاب فأسرع ، وذكّر فأوجع ، وأطرَب فأمتع ؛ ولولا أنّ يدَ أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاءَ ولو أحاط بالطارف والتالد . فخجل المتوكّل وقال : يُعطى حسين بكلِّ بيت ألفَ دينار . وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكَوْكَبيّ قال حدَّثنا بِشْر بن محمَّد قال وحدَّثني علي بن الجَهْم : أنّه حضر المتوكّلَ وقد أمر شفيعاً أن يسقيَ حسينَ بن الضحّاك ؛ وذكر باقيَ الخبر نحوَ ما مضى من رواية غيره .

1 أشعار الخليع : 35 .
2 رواية الأبيات هنا كما وردت في مجموع أشعار الخليع ص 43 وفيه تخريجها .
3 بعينيه في ل : بكفّيه .
4 بكفّيه في ل : بعينيه .

[شعره في مقحم خادم ابن شغوف]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمَّد بن يزيد المبرّد ، وحدَّثني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمّد بن مروان عن محمَّد بن عمرو الرُّوميّ قال : اجتمع حسين بن الضّحّاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشميّ فاحتبسهما عنده . وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مُقْحم ، وكان عمرو بن بانة يتعشَّقه ويُسِرّ ذلك من ابن شغوف . فلمّا أكلوا ووُضع النبيذُ قال عمرو بن بانة للحسين : قُل في مُقْحمٍ[1] أبياتاً أُغَنِّ فيها الساعةَ . فقال الحسين[2] : [من المنسرح]

صوت

وابأبــي مُقْحــمٌ لعزَّتــه قلتُ له إذ خلوتُ مُكتتِما
تحبّ بالله من يخصّك بالودّ فمــا قــال لا ولا نَعَما

[تعريض إسحاق الموصليّ بعمرو بن بانة]

وغنَّى فيه عمرو . قال : فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الموصليّ بالباب ؛ فقال له عمرو : أَعْفِنا من دخوله ولا تنغّص علينا ببُغْضِه وصَلَفه وثِقَلِه ففعل ؛ وخرج الحاجب فاعتلّ على إسحاق حتى انصرف ، وأقاموا يومَهم وباتوا ليلَتهم عند ابن شغوف . فلمّا أصبحوا مضى الحسينُ بن الضّحّاك إلى إسحاق فحدَّثه الحديثَ بنصّه . فقال إسحاق : [من المنسرح]

يا ابنَ شغوفٍ أما علمتَ بما قــد صار في الناس كلُّهم عَلَما
دعــوتَ عمــراً فبــات ليلتَه في كلّ مــا يَشتهــي كما زعما
حتــى إذا مــا الظلامُ أَلبسه سَرى دَبيباً فضاجَــع الخَدَما
ثَمّتَ لم يَرْضَ أن يُضاجِعهم سِرّاً ولكن أَبْدى الذي كتما
ثــم تغنّــى لفــرط صَبْوتــه صوتاً شفى مــن غَليله السَّقَما
«وابأبــي مُقْحــم لعزّتـــه قلتُ لــه إذ خلوت مكتتما»
«تحــبّ بالله مــن يخصّك بــالودّ فمــا قــال لا ولا نَعَما»

قال : وشاعت الأبياتُ في الناس وغنَّى فيها إسحاق أيضاً فيما أظنّ ؛ فبلغت ابنَ شغوف

---

1 ويروى أيضاً «مفحم» بالفاء .
2 مجموع شعره : 107 .

فحلَف ألاّ يُدخلَ عمراً دارَه أبداً ولا يكلِّمه ، وقال : فضَحني وشهَرني وعرّضني للسان إسحاق ؛ فمات مهاجراً له . وقال ابن أبي سعد في خبره : إنّ إسحاق غنّى فيها للمعتصم ، فسأله عن خبرها فحدَّثه بالحديث ، فضحك وطرِب وصفّق ؛ ولم يزل يَستعيد الصوتَ والحديثَ وابنُ شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام .

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مُقْحم من الثقيل الثاني بالوسطى .

[رأي أبي نواس في غزله]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال حدَّثني محمّد بن موسى بن حمّاد قال سمعت مَهْدِيَّ بن سابِق يقول : التقى أبو نواس وحسين بن الضّحّاك ، فقال أبو نواس : أنت أشعر أهل زمانك في الغزل ؛ قال : وفي أيّ ذلك ؟ قال : ألا تعلم يا حسين ؟ قال لا ؛ قال : في قولك : [من المنسرح]

وابأبــي مُقْحـم لعزّتـه قلت له إذ خلوتُ مكتتما
تحبّ بالله مَن يَخُصّك بالو دّ فما قـال لا ولا نعما
ثم تولّـى بمقلتَيْ خَجِـلٍ أراد رَجْعَ الجوابِ فاحتشما
فكنـتُ كالمبتغـي بحيلته بُرءاً من السُّقْم فابتدا سَقَما

فقال الحسين : وَيْحَكَ يا أبا نواس ؛ فأنت لا تفارق مذهبَك في الخمر ألبتّةَ ؛ قال : لا والله ، وبذلك فضَلْتُك وفضَلْتُ الناسَ جميعاً .

[ثعلبٌ يثني على شعره]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال أنشدنا أبو العبّاس ثَعْلَب قال أنشدني حمّاد بن المبارَك صاحبُ حسين بن الضحّاك قال أنشدني حسين لنفسه[1] : [من مجزوء الخفيف]

لا وحُبّيـكَ لا أُصا فِـح بالدّمْـع مَدمَعـا
مَن بَكى شَجْوَه استرا ح وإن كان مُوجَعـا
كَبِدي مـن هواكَ أَسـ ـقمُ مـن أن تَقَطّعـا
لم تَـدَعْ سَوْرَةُ الضّنى فيَّ للسُّقْـم مَـوْضِعـا

قال : ثم قال لنا ثَعْلَب : ما بَقِي من يُحسن أن يقول مثل هذا .

[رأي ابن الرومي في غزله]

أخبرني عليّ قال حدَّثني محمّد بن الفَضْل الأَهْوازيّ قال سمعت عليّ بن العبّاس الروميّ

1 شعره : 76–77 .

يقول : حسين بن الضحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم . فقلت : حين يقول ماذا ؟ فقال : حين يقول[1] : [من الكامل]

يا مستعيرَ سَوالفِ الخِشْفِ اسْمَعْ لِحَلْفةِ صادقِ الحَلْفِ
إنْ لم أصِحْ ليلي ويا حَرَبي من وجنتيكَ وفَتْرةِ الطَّرْفِ
فجَحدتُ ربِّي فضلَ نعمته وعبدتُه أبداً على حَرْفِ

[شعره في فتن]

أخبرني عليّ بن العبّاس الرومي قال حدَّثني قتيبة عن عمرو السّكونيّ بالكوفة قال حدَّثني أبي قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كانت تألفني مغنّية ، وتجيئني دائماً ، وكنت أميل إليها وأستملحها ، وكان يقال لها فِتَنُ . فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمّى نُجْحا ، وكان بغيضاً شَرِسَ الخُلُق ، فإذا جاء معها توقّيْتُه ؛ فمرض ، فجاءتني ومعها غيره ، فبلغتُ منها مُرادي وتفرَّجتُ يومي وليلتي ؛ فقلت[2] : [من مجزوء الخفيف]

لا تَلُمْني على فِتَنْ إنّها كاْسمِها فِتَنْ
فإذا لم أهِمْ بها فبمَن ، لا بمَن إذَنْ
أين ، لا أين ، مثلُها في جميع الوَرى سَكَنْ
طِيبُ نَشْرٍ إذا لثَمْـ ـتَ وغُنْج ومُحتَضَنْ
وَالِ عَشْراً من الصَّبُو حِ على وجهها الحسنْ
وعلى لفظها المُنَوَّ نِ للامّ بالغُنَنْ
لست أنسى من الغَرِيـ ـرة إذ بُحت بالشَّجَنْ
قولَها إذ سلبتُها عن كَثيبٍ وعن عُكَنْ
ليس يُرضيكَ يا فتى من هوىً دون أن تَهِنْ
فامتزجنا معاً مُما زَجةَ الرُّوح للبدنْ
وكُفِينا من أن نُرا قِبَ نُجْحاً إذا فَطَنْ
وأمِنّاه أن يَنِـ ـمّ وما كان مؤتَمَنْ
كلّ ما كان من حبيـ ـبك مستظْرفٌ حسنْ

---

1 شعره : 80 .

2 شعره : 108 عن الأغاني .

[مناظرته مخارق في أبي نواس وأبي العتاهية]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ : أنّ مُخارقاً وحسين بن الضحّاك تَلاحَيا في أبي العتاهية وأبي نُواس أيُّهما أشعر ؛ فاتّفقا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخايران فيه ، فاختار الحسينُ بن الضحّاك شيئاً من شعر أبي نواس جيّداً قويّاً لمعرفته بذلك ، واختار مخارقٌ شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزَلاً كان يُغَنَّى فيه لا لشيء عرَفه منه إلاّ لأنّه استملحه وغنّى فيه ، فخايَر به لقلّة علمه ولما كان بينه وبين أبي العَتاهية من المودّة ؛ وتخاطَرا[1] على مالٍ ، وتحاكَما إلى مَن يَرْتضيه الواثقُ بالله ويختاره لهما ؛ فاختار الواثقُ لذلك أبا مُحَلِّم ؛ وبعث فأَحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكَم لحسين بن الضحّاك . فتَلَكّأ مخارق وقال : لم أحْسِنِ الاختيارَ للشعر ولَحُسَيْنٌ أعلم منّي بذلك ، ولأبي العتاهية خيرٌ ممّا اخترتُ ، وقد اختار حسينٌ أجودَ ما قدَر عليه لأبي نُواس لأنّه أعلم منّي بالشعر ، ولكنّا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدالُ ؛ فتحاكما فَحَكَم لأبي نواس ، وقال : هو أشعرُ وأذهبُ في فنون الشعر وأكثرُ إحساناً في جميع تصرّفه . فأمر الواثقُ بدفع الخَطَر إلى حسين ، وانكسر مخارق فما انْتَفِع به بقيَّةَ يومه .

[شعره في الحسن بن سهل]

أخبرني ابنُ أبي طَلْحَة قال حدَّثني سَوادةُ بن الفَيْض قال حدَّثني أبي قال : لمّا ٱطّرح المأمونُ حسينَ بن الضحّاك لهواه ، كان ، في أخيه محمَّد وجفاه ، لاذ الحسينُ بن الضحّاك بالحسن بن سَهْل وطمع أن يُصْلحه له ؛ فقال يمدحه[2] : [من الوافر]

أرى الآمـالَ غيرَ مُعرِّجـاتٍ ... على أحدٍ سوى الحسن بن سَهْلِ
يُباري يومَـه غـدُه سَماحاً ... كِلا اليومين بـانَ بكلّ فضلِ
أرى حَسَنـاً تقـدّم مستبِدّاً ... ببَعْـدٍ مـن رياستـه وقَبْلِ
فإن حضرَتْك مشكلةٌ بشَكٍّ ... شفاكَ بحِكْمةٍ وخطابِ فَصْلِ
سليلُ مَرازبٍ بَرَعُـوا حلومـاً ... وراع صغيرُهـم بسداد كهلِ
ملوكٌ إن جريتَ بهـم أَبَرّوا ... وعَـزّوا أن تُوازِنَهـم بعِدْلِ
ليَهْنِك أنّ مـا أَرجأتَ رشدٌ ... وما أَمضيتَ من قـول وفعلِ

---

1 تخاطرا : تراهنا .

2 شعره : 93 .

وأنّك مؤثِـرٌ للحـقّ فينـا أراك الله مـن قطـع ووصلِ
وأنّك للجميـع حَيـا ربيـعٍ يَصُوب على قَرارة كلّ مَحْلِ

قال : فاستحسنها الحسن بن سهل ، ودعا بالحسين فقرّبه وآنسه ووصَله وخلَع عليه ووعَده إصلاحَ المأمون له ، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه ولِما عاجل الحسنَ من العلّة .

[سؤال الحسن بن سهل وجوابه]

قال عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة وحدَّثني أبو العبّاس أحمد بن الفضل المَرْوَزِيّ قال : سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضّحّاك : ما عنَيْتَ بقولك[1] : [من المديد]

يـا خَليّ الذَّرْع من شَجَني إنّمــا أشكـو لترحَمَنـي

قال : قد بيّنتُه ؛ قال : بأيّ شيء ؟ قال : قلت :

منعُـك الميسورَ يُـؤْيِسُني وقليــلُ اليأس يقتلنـي

فقال له أبو محمَّد : إنّك لتُضيع بالخلاعة ، ما أُعطِيتَه من البَراعة .

[الحسن بن سهل يهبه غلاماً]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني أحمد بن القاسم المُرّيّ قال حدَّثنا أبو هفّان قال : سألت حسينَ بن الضّحّاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه وبات عنده وكيف كان ابتداؤه ، فقلت له : إنّي أشتهي أن أسمعَه منك . فقال لي : دخلتُ على الحسن بن سهل في فصل الخَريف وقد جاء وَسْميٌّ من المطر فَرَشّ رَشّاً حسناً ، واليومُ في أحسن منظَر وأطيبِه ، وهو جالس على سرير آبَنوس وعليه قُبّةٌ فوقها طارِمة[2] ديباجٍ أصفر وهو يُشْرِف على بستان في داره ، وبين يديه وصائفُ يتردّدن في خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدِّينار ؛ فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام ، ونظر إليّ كالمستنطِق ؛ فأنشأتُ أقول[3] : [من المتقارب]

ألستَ تـرى ديمةً تَهْطِلُ وهذا صباحُــك مُسْتَقبَلُ

فقال : بَلى . فقلت :

وتلك المُدامُ وقــد شاقنا برؤيتــه الشادنُ الأكحــلُ

فقال : صدقت فمَهْ ؛ فقلتُ :

---

1 شعره : 115 .
2 الطارمة في الأصل : بيت من خشب كالقبّة ، والمراد هنا ستر رقيق من الديباج كأنّه طارمة .
3 شعره : 91–92 ورواية الخبر والأبيات فيه عن الأغاني .

فعـاد بــه وبنــا سَكْرةٌ تُهوِّن مكـروهَ مـا نَسألُ

فسكت . فقلت :

فإنّي رأيـت لــه نظـرةً تُخبِّـرني أنّـــه يفعــلُ

ثم قال : مَهْ ؛ فقلت :

وقد أُشْكل العيشُ في يومنا فيـــا حبّذا عيشُنا المُشْكِلُ

فقال : العيش مشكِل ، فما ترى ؟ فقلت : مبادَرَةُ القَصْف وتقريبُ الإلْف . قال : على أن تقيم معنا وتبيتَ عندنا . فقلت له : لك الوفاءُ وعليك مثلُه لي من الشرط . قال : وما هو ؟ قلت : يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني . فضحك ثم قال : ذلك لك على ما فيه . ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحاً . ولَمْ أرَ الغلامَ ، فسألتُ عنه فقال لي : الساعةَ يَجيء ، فلم نلبث أن وافاني ؛ فسألْتُه أين كان ؟ فقال : كنت في الحَمّام وهو الذي حبسني عنك . فقلتُ لوقتي[1] : [من السريع]

وابأبي أبيضُ في صُفرةٍ كأنّـه تِبْـرٌ على فضّهْ

جرّده الحمّامُ عن دُرّةٍ تلوح فيهـا عُكَنٌ بَضّهْ

غصنٌ تبدَّى يتثنّى على مَـأكَمة مُثْقَلةِ النَّهْضَهْ[2]

كأنّما الرَّشُّ على خدّه طَـلٌّ على تُفّاحةٍ غَضّهْ

صفاتُــه فاتنــة كلُّهــا فبعضُه يُذْكِـرُني بعضَهْ

يــا ليتني زوّدني قُبْلةً أو لا فمِنْ وَجْنته عَضّهْ[3]

فقال لي الحسن : قد عمِل فيك النبيذُ ؛ فقلتُ : لا وحياتِك ؛ فقال : هذا شرٌّ من ذلك . فقلت[4] : [من مجزوء الخفيف]

اسْقِيـــاني وصرِّفـــا بنــتَ حولــين قَرْقَفا[5]

واسْقِيا المُرْهَـفَ الغَريـ ـــر سقَـى اللهُ مُرْهَفا

1 شعره : 180 .
2 المأكمة : العجيزة .
3 يا ليتني ، لعلّها يا ليته ، وكذا هي في شرح المقامات .
4 شعره : 81–82 .
5 القرقف : الخمر لأنّها ترعد شاربها .

لا تقـولا نـراه أكـ ـلَـفَ نِضْـواً مخفّفا[1]
نِعْـم ريحانـةُ النديـ ـم وإن كان مُخْطَفا[2]
إن يكـن أكلفـاً فـإ نّي أرى البـدرَ أكْلَفـا
بأبـي ماجـنُ السريـ ـرة يُبْـدي تَعَفُّفـا
حَـفَّ أصداغَه وعَقْـ ـربهـا ثـم صفّفـا
وحَشا مَـدْرَجَ القُصا صِ بمسك ورصّفـا[3]
فـإذا رُمـتَ منـه ذا كَ تأبّـى وعنّفـا
ليس إلاّ بـأنْ يُـر نِّحـه السُّكْرُ مُسْعِفا
باكِـرا لا تسوِّفـا ني عدِمـتُ المُسوِّفـا
أعْجِـلاه وبـالفُضا ضةِ في السَّقْي فاعْنُفا[4]
واحمِـلا شَغْبَـه وإن هـو زنّـى وأُفَّفـا[5]
فـإذا هَـمَّ للمنـا مِ فقُومـا وخَفِّفـا

فتغاضَب الغلامُ وقام فذهب ، ثم عاد فقال لي : أَقْبِلْ على شرابك ودَعِ الهَذَيان . وناوَلَني قدحاً . وقام أبو محمَّد ليبولَ ، فشربتُ وأَعطاني نُقْلا فقلتُ : اجعلْ بدلَه قبلةً ؛ فضحك وقال : أَفْعلُ ، هذا وقتُه فبَدا له وقال : لا أفعل ؛ فعاودتُه فانتهرني . فقال له خادم للحسن يقال له فَرَج : بحياتي يا بنيّ أَسْعِفْه بما طلب ؛ فضحك ثم دنا منّي كأنّه يناولني نُقْلا وتغافل فاختلستُ منه قبلةً ؛ فقال لي : هي حرام عليك فقلت[6] : [من الرمل]

وبديـع الدَّلّ قَصْـرِيّ الغَنَـجْ مَـرِه العـين كَحِيـلٍ بالدَّعَجْ[7]
سُمْتُـه شيئـاً وأُصْغيـتُ لـه بعـد مـا صرَّف كأساً ومَزَجْ
واستخفّتْـه علـى نَشْوتِـه نَبَـراتٌ مـن خفيـفٍ وهَزَجْ

1 الكلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم .
2 المخطف : قليل لحم الجنب .
3 القصاص : منبت الشعر .
4 الفضاضة : آخر الشيء .
5 زنّى : قذف وسبّ .
6 شعره : 34 .
7 مره العين : لم يكتحل .

فتأبَّـى وتثنَّـى خَجَـلاً وذَرا الدَّمـعَ فنونـاً ونَشَجْ
لجَّ في «لولا» وفي «سوف تَرى» وكـذا كَفْكَـفَ عنّي وخَلَجْ[1]
ذهـب الليـلُ ومـا نَـوَّلَني دون أن أَسْفَـرَ صبـحٌ وانْبَلَجْ
هـوّن الأَمـرَ عليـه فـرجٌ بتأتّيـه فَسقْيـاً لفَـرَجْ
خَمِـرُ النَّكهـة لا مـن قهـوةٍ أَرَّجَ الأَصـداغَ بالمسك أَرِجْ[2]
وبنفسي نفسُ مَن قـال ، وقـد كان مـا كان ، حـرامٌ وحَرَجْ

قال : ثم أَسفر الصبح . فانصرفتُ وعُدْت من غدٍ إلى الحسن ؛ فقال لي : كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك ؟ فقلت له : أأَصِفُ ذلك نثراً أم نظماً ؟ فقال : بل نظماً فهو أَحسن عندي ، فقلت[3] : [من المتقارب]

تألّفتُ طيـفَ غـزال الحَرَم فواصَلَني بعـد مـا قـد صَرَمْ
ومـا زلـتُ أَقنع مـن نَيْله بمـا تَجْتنيـه بَنـانُ الحُلُمْ
بنفسي خيـالٌ عـلى رِقْبَـةٍ أَلَمّ بـه الشوقُ فيمـا زَعَمْ
أتـاني يُجـاذب أَردافـه من البُهْر تحت كسوف الظُّلَمْ
تمُـجّ سوالفُـه مِسْكـةً وعنبـرةً ريقُـه والنَّسَمْ
تضمّخ مـن بعـد تجميره فطاب مـن القَرْن حتى القَدَمْ[4]
يقـول ونازعتُـه ثوبَـه على أَن يقـولَ لشيء نعمْ
فغَضّ الجفـونَ عـلى خَجْلَـةٍ وأَعـرضَ إعراضـة المُحْتَشِمْ
فشبّكتُ كفّـي على كفّـه وأَصغيـتُ أَلْثِـمُ دُرّاً بفَـمْ
فَنَهْنَهني دَفْـعَ لا مـؤيسٍ بجِـدّ ولا مُطْمِـعٍ مُعْتزِمْ
إذا مـا هَممْـتُ فأَدنيتُـه تَثَنّـى وقـال لي الوَيْـلُ لِمْ
فمـا زلـتُ أَبسُطه مازحـاً وأُفْرِط في اللهـو حتى ابتسمْ
وحكّمنـي الرِّيـمُ في نفسه بشيء ولكنّـه مُـكْتَتَمْ

---

1 كفكف : كفّ وأعرض . خلج : جذب وانتزع ، أي دفعه وانتزع نفسه منه .
2 في رواية : المسك الأرج أي الذي تفوح منه رائحة طيّبة .
3 شعره : 94–96 .
4 التجمير : التبخير بالطيب .

فواهـاً لذلك مـن طـارقٍ على أن مـا كان أبقـى سَقَمْ

قال : فقال لي الحسن : يا حسين يا فاسق ؛ أظنّ ما ادّعيتَه على الطَّيْف في النوم كان في اليَقَظَة مع الشَّخص نفسه ، وأصلحُ الأشياء لنا بعد ما جرى أن نَرْحَض[1] العارَ عن أنفسنا بهبة الغلام لك ، فخذه لا بُورك لك فيه ؛ فأخذته وانصرفت .

[شعره في غلام للحسن بن سهل]

حدَّثني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني أبو العَيْناء قال : أنشدني الحسين بن الضّحّاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن ، ثم لقيه بعد ذلك فسلّم عليه فلم يكلّمه الغلام ؛ فقال[2] : [من الوافر]

فديتُك ما لوجهك صدَّ عنّي وأبديـتَ التّنـدُّم بالسَّلامِ
أحينَ خلبتني وقَرَنْتَ قلبـي بطَرْفِـك والصَّبابـةَ في نِظامِ
تَنَكَّـر مـا عهِدتُ لِغبّ يوم فيا قربَ الرَّضاع من الفِطامِ
لأَسْرعَ مـا نهيتَ إلى همومي سروري بالزيـارة واللِّمـامِ

[اختلاط جبتين]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك الخليع قال : كنت في المسجد الجامع بالبصرة ، فدخل علينا أبو نُواس وعليه جُبّةُ خَزّ جديدة . فقلت له : من أين هذه يا أبا نواس ؟ فلم يخبرني ، فتوهّمت أنّه أخذها من موسى بن عِمْران لأنّه دخل من باب بني تميم ؛ فقُمت فوجدتُ موسى قد لبس جُبّة خَزّ أخرى ؛ فقلت له[3] : [من الخفيف]

كيف أصبحتَ يا أبا عمران

فقال : بخير صبّحك الله به . فقلت :

يـا كريـم الإخاء والإخوان

فقال : أسمعك الله خيراً . فقلت :

إن لي حاجـةً فرأيك فيهـا إنّنـا في قضائهـا سِيّـان

فقال : هاتِها على اسم الله وبركته . فقلت :

---

1 نرحض : نغسل .
2 شعره : 104 .
3 شعره : 111 .

جُبّةٌ من جِبابك الخزّ حتى لا يَراني الشتاءُ حيث يراني

قال : خذها على بركة الله ، ومَدَّ كمَّه فنزعتُها[1] وجئتُ وأبو نواس جالس ؛ فقال : من أين لك هذه ؟ فقلت : من حيث جاءتك تلك .

[المعتصم يجيز محمّد بن عمرو لأنّه جاء مع الحسين]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمّد بن موسى بن حمّاد قال أخبرني عبد الله بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضّحّاك قال : دخلت أنا ومحمّد بن عمرو الروميّ دارَ المعتصم ، فخرج علينا كالحاً . قال : فتوهّمنا أنّه أراد النِّكاح فعجز عنه . قال : وجاء إيتاخُ فقال : مخارِقٌ وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب ؛ فقال : اعْزُبْ عنّي ، عليك وعليهم لعنة الله ! . قال : فتبسَّمتُ إلى محمّد بن عمرو ؛ وفهم المعتصم تبسّمي فقال لي : ممّ تبسّمتَ ؟ فقلت : من شيء حضَرني ؛ فقال : هاتِه ؛ فأنشدتُه[2] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

انْفِ عن قلبك الحَزَنْ باقترابٍ من السَّكَنْ
وتمتَّعْ بكَرٌ طَرْ فك في وجهه الحَسَنْ
إنّ فيه شفاءَ صد رك من لاعِجِ الحَزَنْ

قال : فدعا بألفي دينار : ألفٍ لي وألفٍ لمحمَّد ، فقلتُ : الشعر لي ، فما معنى الألف لمحمَّد بن عمرو ؟ قال : لأنّه جاءنا معك . ثم أذِن لمُخارِق وعَلّويه فدخلا ، فأمرهما بأن يغنّيا فيه ففعلا ، فما زال يعيد هذا الشعر ، ولقد قام ليبولَ فسمعتُه يردّده .

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعَلّويه وهو من الثقيل الأوّل بالبنصر .

[أحبَّ غلام أبي كامل المهنّد]

أخبرني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مروان قال : كان الحسين بن الضّحّاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر ، فرأى خادماً فاستحسنه وأعجبه . فقال له بعض أصحابه : أتحبّه ؟ قال : نعم والله ؛ قال : فأعلِمْه ؛ قال : هو أعلم بحبّي له منّي به . ثم قال[3] : [من المقتضب]

1 ل : فتدرعتها .
2 شعره : 109 .
3 شعره 123 عن الأغاني .

عالـــــمٌ بحبِّيــهِ مُطْرِقٌ مــن التِّيــهِ
يوسفُ الجمالِ وفـر عــونُ في تَعَدِّيــهِ
لا وحقِّ مـا أَنا مِنْ عَطْفِــه أُرَجِّيــهِ
مـا الحيـاة نافعةٌ لي عـلى تأبِّـيـهِ
النعيـــمُ يشغَلُــه والجمــالُ يُطْغِيـهِ
فهــو غير مُكتــرثٍ للـــذي أُلاقِيـــهِ
تائـــهٌ تُزهِّـــدُه فيَّ رغبتـــي فيـهِ

قال محمَّد بن محمَّد: وغنَّى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعَريبٌ وسُلَيمٌ وجماعةٌ من المغنِّين.

[شعره في أمرىء ينتف لحيته]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال: كان للحسين بن الضّحّاك صديق وكان يتعشَّق جاريةً مغنِّيةً، فزاحمَه فيها غلامٌ كان في مُرُودته حسنَ الوجه؛ فلمّا خرجتْ لحيتُه جعل ينتِف ما يَخْرج منها؛ ومالت القَيْنةُ إليه لشَبابه؛ فشكا ذلك إلى الحسين بن الضّحّاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال[1]: [من البسيط]

خَلِّ الذي عنكَ لا تَسْطيعُ تدفعُه يا مَن يُصارِع من لا شكَّ يَصْرَعُه
جاءت طرائقُ شَعْرٍ أَنت ناتفُها فكيف تَصْنَع لو قد جاء أَجْمعُه[2]
اللّهُ أكبرُ لا أنْفَكُّ مِــن عَجَبٍ أأنت تحصُد ما ذو العرشِ يزرعه
تَبّاً لسعيك بـل تَبّاً لأُمِّك إذ تَرْعى حِمىً خالقُ الأَحْماءِ يَمنعُه

وقال فيه أيضاً[3]: [من مجزوء الكامل]

ثَكِلَتْكَ أُمّكَ يـا ابن يوسفْ حَتَّامَ وَيْحَـك أَنـت تَنْتِفْ
لــو قــد أَتـى الصيفُ الذي فيـه رؤوس النـاس تُكْشَفْ
فكشفــتَ عــن خدَّيـكَ لي لكشفتَ عن مثـلِ المُفَوَّفْ[4]

---

1 شعره: 72.
2 ناتفها في مجموع شعره: تنتفها.
3 شعره: 78.
4 المفوف: الذي فيه خطوط بيض على الطول.

أو مثـــلِ زَرْعٍ نالــه الـــ ـيرَقانُ أو نَكْبـاءُ حَرْجَفْ[1]
فغـــدا عليـــــه الزارعـو ن ليَحْصُدوه وقـد تقصَّفْ
فظَلِلْـتَ تـأَسَف كالأُلـــى أَسِفـوا ولم يُغْـنِ التأسُّفْ

[صالح بن الرشيد يشتري غلاماً]

حدَّثني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني عُمَيْر بن أحمد بن نَصْر الكُوفيّ قال حدَّثني زيد بن محمَّد شيخنا قال : قلت لحسين بن الضحّاك وقد قدِم إلينا الكوفةَ : يا أبا عليّ شهَّرتَ نَفسَك وفضحتها في خادم ، فألاّ اشتريتَه ! فقال : فديتُك ؛ إنّ الحبَّ لَجاجٌ كلّه ، وكنتُ أُحبِبتُ هذا الخادم ووافقني على أن يَسْتبيع لأشتريَه . فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلسه منّي ولم أَقدِر على الانْتصاف منه ، وآثَره الخادمُ واختاره ، وكِلانا يحبُّه إلاّ أنّ صالحاً يُناك ولا أُناك والخادمُ في الوسط بلا شغل . فضحكتُ من قوله ، ثم سألتُه أن يُنْشدَني شيئاً من شعره ، فأنشدني[2] : [من الخفيف]

إنّ مَــن لا أرى وليس يَراني نُصْبَ عينـي مُمَثَّـلٌ بالأماني
بأبي مَــن ضميرُه وضميري أبَـــداً بالمَغيـــبِ يَنْتجيـانِ
نحن شخصانِ إن نظرتَ ورُوحا نِ إذا مـا اختبرتَ يمتزجانِ
فإذا مـا همَمتُ بالأمر أو هَمّ بشيء بدأتُـــــه وبَـــداني
كان وَفْقاً مـا كان منه ومنّي فكأنِّـي حَكَيتُـــه وحكاني
خطراتُ الجفون منّـا سَواءٌ وسواءٌ تحـــرُّكُ الأبـــدانِ

فسألته أن يحدِّثني بأسرِّ يومٍ مرَّ له معه ، فقال : نعم اجتمعنا يوماً فغنَّى مغنٍّ لنا بشعر قلتُه فيه فاستحسنه كلُّ مَن حضر ، ثم تغنّى بغيره ؛ فقال لي : عارِضْه ؛ فقلتُ : بقُبلةٍ فقال : هي لك ، فقبّلتُه قبلة وقلت[3] : [من المنسرح]

فدّيتُ من قـــال لي على خَفَرِهْ وغضَّ مــن جَفْنِه على حَوَرِهْ :
سمِّـع بـي شعرُك المَليحُ فما ينفكُّ شادٍ بـــه على وَتَرِهْ
حسبُك بعضُ الذي أذعتَ ولا حَسْبَ لصَبٍّ لم يَقْضِ من وَطَرِهْ

1 النكباء الحرجف : الريح الباردة .
2 شعره : 112 .
3 شعره : 63 من الأغاني .

وقلتُ يا مستعيرَ سالفةِ الخِشْـ ـفِ وحسنِ الفُتُورِ من نَظَرِهْ
لا تُنكِرنّ الحَنِـينَ من طَرِبٍ عـاودَ فيكَ الصِّبا على كِبَرِهْ

[ملاطفة غلام أبي عيسى]

حدَّثني الصُّوليّ وعليّ بن العبّاس قالا حدَّثنا المغيرة بن محمَّد المهلّبيّ قال : كان حسين بن الضحّاك يتعشَّق خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه ؛ فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم ، فجعل حسينٌ يشكو إليه ما به فلا يسمع به[1] ويكذِّبه ؛ ثم سكَن نِفارُه وضحك إليه وتحدّثا ساعة . فأنشدنا حسين قولَه فيه[2] : [من البسيط]

سائلْ بطَيْفِكَ عن ليلي وعن سَهَري وعن تَتابُع أنفاسي وعن فِكَري
لم يَخْلُ قلبي من ذِكراكَ إذ نظرتْ عيني إليكَ على صَحْوي ولا سَكَرِي
سَقْياً لـيـوم سروري إذ تُنازِعني صفوَ المدامةِ بـين الأُنْسِ والخَفَرِ
وفضـلُ كأسك يأتينـي فأشربُه جَهْراً وتشربُ كأسي غيرَ مستترِ
وكيف أُشْمِلُـه لَثْمـي وأُلْزِمـه نحري وترفَعـه كفٌّي إلى بصري
فليتَ مدّةَ يومي إذ مضى سلَفــاً كانت ومـدّةَ أيّامي عـلى قَدَرِ
حتى إذا مـا انطوتْ عنّا بشاشتُه صِرْنا جميعاً كذا جارَيْن في الحُفَرِ

[صالح بن الرشيد وغلام أخيه]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مروان قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كان صالح بن الرشيد يتعشَّق غلاماً يسمَّى يُسْراً خادمَ أخيه أبي عيسى ، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدُه ولا يَفي له . فأرسله أبو عيسى ذاتَ يومٍ إلى صالحٍ أخيه في السَّحَر يقول له : يا أخي إنِّي قد اشتهيتُ أن أَصْطَبِحَ اليوم ، فبحياتي لَما ساعدتَني وصرْتَ إليّ لنصطبحَ اليوم جميعاً . فسار يُسْرٌ إلى صالح أخيه في السَّحَر وهو مُنْتَشٍ قد شرب في السَّحَر ، فأبلغه الرسالةَ ؛ فقال : نعم وكَرامة ، اجلسْ أوّلاً فجلس ؛ فقال : يا غلام أحضِرني عشرة آلاف درهم فأحضرها ؛ فقال له : يا يُسْر دَعْني من مواعيدك ومَطْلك ، هذه عشرةُ آلاف درهم فخُذْها واقْضِ حاجتي ، وإلاّ فليس هاهنا إلاّ الغَصْب ؛ فقال له : يا سيِّدي ؛ إنِّي أقضي الحاجةَ ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراد وطاوَعه ، فقضى حاجتَه ، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه . قال الحسين :

1 لعلّها : له .
2 شعره : 62–63 عن الأغاني .

ثم خرج إليّ صالح من خَلْوته فقال : يا حسين ، قد رأيتَ ما كنّا فيه ، فإن حضرك شيءٌ فقُل ؛ فقلت[1] : [من الهزج]

صوت

أيا مَــنْ طَرْفُــه سِحْرُ ومَــنْ ريقتُــه خمــرُ
تجاســرتُ فكاشفتُــك لمّــا غُلِب الصبرُ
ومــا أَحْسنَ في مثلــك أن يَنهتِك السِّتْرُ
وإنْ لامنــيَ النّــاسُ ففــي وجهك لي عذرُ
فدَعْني مــن مَواعِيــدِك إذ حيَّنــك الدَّهرُ
فــلا واللهِ لا تبــرحُ أو ينقضــيَ الأمرُ
فإمّــا الغضْبُ والــذمّ وإمّــا البــذلُ والشكرُ
ولــو شئــتَ تيسَّرتَ كما سُمِّيتَ يــا يُسْرُ
وكن كاسمــك لا تَمْنَعُكَ النَّخْــوةُ والكِبْرُ
فــلا فُــزْتُ بحَظّــي منك إن ذاع لــه ذكرُ

قال الحسين : فضحك ثم قال : قد لعَمْري تيسَّر يُسْرٌ كما ذكرتَ . فقلت : نعم ومَنْ لا يتيسَّر بعد أخذه الدِّيَةَ ؟ لو أردتَني أيضاً بهذا لتيسَّرتُ . فضحك ثم قال : نُعطيك يا حسين الدِّيَةَ لحضورك ومساعدتِك ، ولا نُريدك لما أردنا له يُسْراً ، فبئسَتِ المطيّةُ أنت ؛ وأمر لي بها . ثم أمر عَرِيبَ بعد ذلك فغنَّتْ في بعض هذا الشعر .

[شعره في غلام عبد الله بن العبّاس الربيعيّ]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مَرْوان قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع وهو مصطبِحٌ وخادمٌ له يَسْقِيه ؛ فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنتُ سَقْيَ هذا الغلام ، فإن حضرك شيءٌ في قصّتنا هذه فقُل ؛ فقلتُ[2] : [من المنسرح]

أحْيَتْ صَبُوحي فُكاهةُ اللاّهي وطاب يومــي لقرب أشباهي

1 شعره : 54–55 عن الأغاني وتنسب هذه الأبيات مع بعض اختلاف وزيادات إلى أبي نواس ، ديوانه (الغزالي) : 336 .

2 شعره : 122–123 وسترِد هذه الأبيات فيما بعد من الأغاني في قصّة مع الواثق ثم في ترجمة عبد الله بن العبّاس الربيعيّ .

فاستَثِرِ اللهوَ من مَكامِنه ... من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهي
بابنةِ كَرْمٍ من كفّ مُنْتَطِقٍ ... مؤتزرٍ بالمُجُون تَيَّاهِ[1]
يَسْقيكَ من طَرْفِه ومن يده ... سَقْيَ لطيفٍ مجرِّبٍ داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربَها ... حيرانُ بين الذُّكُور والساهي

قال : فاستحسنه عبد الله ، وغنّى فيه لحناً مليحاً ، وشربنا عليه بقيَّةَ يومنا .

[سكر فجمش يسراً فهدّده بخنجره فقال شعراً]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني سَوادةُ بن الفَيْض المَخْزوميّ قال حدَّثني أبي قال : خرج حسين بن الضّحّاك إلى القُفْص[2] متنزهاً ومعه جماعةٌ من إخوانه ظرفاءُ . وبلَغ يُسْراً الخادمَ خروجُه ، فشدَّ في وسَطه خِنْجَراً وخرج إليه فجاءه وهو على شرابه على غَفْلة ؛ فسُرَّ به حسين وتلقّاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان . فلمّا سكِرا جمَّشَه حسين ؛ فأخرج خنجَره عليه وعَرْبَد ؛ فأمسك حسينٌ وعاد إلى شرابه ، وقال في ذلك[3] : [من المنسرح]

جَمّشتُ يُسْراً على تسكُّرِه ... وقد دَهاني بحُسْن منظَرِه
فهَمَّ بالفَتْك بي فناشَده ... فيَّ كريمٌ من خيرِ مَعْشَرِه
يا مَنْ رأى مثلَ شادِنٍ خَنِثٍ ... يَصُول في خِدْره بزُوَّرِه
يسحَب ذيلَ القميص صَعْتَرَه ... وواردات من هُدْب مِئْزَرِه[4]
ولا يُعاطي نديمَه قدحاً ... إلاّ بإبهامِه وخِنْصَرِه
أخاف من كِبْره بوادرَه ... أدالني الله من تكَبُّرِه
قد قلتُ للشَّرْب إذ بَدا فُضُلاً ... في رَيْطَتَيْه وفي مُمَصَّرِه[5]
وَيْلي على شادنٍ توعَّدني ... بسَلِّ سِكِّينِه وخَنْجَرِه
أما كفاه ما حَزَّ في كبدي ... بسِحْر أجفانِه ومَحْجِرِه
إذا نسيمُ الرِّياح قابَلَنا ... بالطِّيبِ من مسكه وعنبره
هَزَّ قَواماً كأنّه غُصُنٌ ... وارتَجَّ ما انحطَّ من مُخَصَّرِه

---

1 بالمجون في ل : بالسكون .
2 القفص : إحدى قرى بغداد .
3 شعره : 63–64 عن الأغاني .
4 صعتره : زينته . واردات : متدلّيات .
5 الريطة : الملاءة . الممصر : مصبوغ بحمرة خفيفة .

[شعر له في يسر مرّة أخرى]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض قال حدّثني أبي قال : حضرتُ حسينَ بن الضحّاك يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدَّث مَلِيّاً ثم غازله حسينٌ ، فقال له يسر : إيّاك والتعرّضَ لي ، وارْبَحْ نفسَك ؛ فقال حسين[1] : [من المديد]

صوت

أيُّها النَّفَّــاثُ في العُقَدِ ... أنــا مَطْــوِيٌّ على الكَمَدِ
إنّما زَخْرَفْــتَ لي خُدَعاً ... قدَحتْ في الرُّوحِ والجَسَدِ
هاتِ يــا خَدَّاعُ واحدةً ... مــن كثيرٍ قلتَــه وقَدِي[2]
ليت شِعري بعد حَلْفك لي ... بوفــاء العهــد بعــد غــدِ
مــا الذي بــالله صيَّره ... بعــد قربٍ في مَدى الأبدِ
مـــا لأُنْسٍ كان مُبْتــذَلاً ... منــك لي بالأمس لم يَعُدِ
إيهِ قُــلْ لي غيرَ مُحتَشِمٍ ... هل دَهاني فيك مــن أحدِ
حبَّـــذا والكــأسُ دائــرةٌ ... لَهْوُنـــا والصَّيْــدُ بالطَّرَدِ
وحديـــثٌ في القلوب لـــه ... أُخَــذٌ يَصْدَعْنَ في الكبدِ[3]
يـــومَ تُعْطِيني وتأخذهـــا ... دون نَدْمـــاني يـــداً بيدِ
فـــإذا أُلويـــت هيَّجنـــي ... تَـلَـعٌ مـــن ظبيـــة البلـــدِ
وإذا أُصغيـــتُ ذكَّـــرني ... نَشْرَ كافـــورٍ عـــلى بَـــرَدِ
ذاك يـــومٌ كان حاسدُنـــا ... فيـــه معذوراً على الحَسَدِ

[المعتصم يسكر على شعره]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثنا يزيد بن محمَّد المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمرو بن بانة قال : خرجنا مع المعتصم إلى الشام لّما غزا ؛ فنزلنا في طريقنا بدَيْر مُران[4] ، وهو دير على تَلْعةٍ مُشْرِفة عالية تحتها مُروجٌ ومياهٌ حسنة ، فنزل فيه المعتصم فأكل ونشِط للشرب ودعا بنا ؛ فلمّا شربنا أقداحاً قال لحسين بن الضحّاك : أين هذا المكان من ظهر بغداد ؟ فقال : لا أين يا أمير المؤمنين ؛ والله

1 شعره : 48–49 .
2 قدي : حسبي .
3 أخذ : جمع أخذه وهي الرقية .
4 دير مران : قرب دمشق .

لبعضُ الغِياض والآجام هناك أحسنُ من هنا ؛ قال : صدقتَ والله ، وعلى ذلك فقل أبياتاً يُغَنِّ فيها عمرٌو ؛ فقال : أمّا أن أقولَ شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسَب لساني ينطِق به ، ولكنّي أقول متشوِّقاً إلى بغداد ، فضحك وقال قلْ ما شئتَ[1] : [من البسيط]

صوت

يا دَيْرَ مِدْيانَ لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ ... هيَّجْتَ لي سَقَماً يا دَيْرَ مِدْيانا[2]
هل عند قَسِّك من علم فيخبرَنا ... أم كيف يُسْعِفُ وجهُ الصبر من بانا
حُثَّ المُدامَ فإنّ الكأسَ مُتْرَعةٌ ... مِمّا يَهِيجُ دَواعي الشوقِ أحيانا
سَقْياً ورَعْياً لكَرْخايا وساكِنِها ... وللجُنينة بالرَّوْحاء مَنْ كانا[3]

فاستحسنها المعتصم ، وأمرني ومخارِقاً فغنَّينا فيها وشرِب على ذلك حتى سكِر ، وأمر للجماعة بجوائز .

لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رَمَل ، ولحن مُخارِق هَزَجٌ ، ويقال : إنّه لغيره .

[مع خادم أبي عيسى]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا يزيد بن محمَّد قال : كان حسين بن الضّحّاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد ؛ فعبِث به يوماً على سكر ؛ فأخذ قِنِّينةً فضرب بها رأسه فشَجَّه شَجَّةً مُنْكَرَةً ؛ وشاع خبرُه وتوجَّع له إخوانه وعُولج منها مدّةً ، فجفا الخادمَ واطّرحه وأبغضه ولم يَعْرِض له بعدها . فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبِث به الخادمُ وغازَله . فلمّا أكثر ذلك قال له الحسين[4] : [من الطويل]

صوت

تَعَزَّ بيأسٍ عن هواي فإنّني ... إذا انصرفتْ نفسي فهيهات عن رَدّي
إذا خُنْتُمُ بالغيب ودّي فما لكم ... تُدِلّون إدْلالَ المُقيم على العهدِ
ولي منك بُدٌّ فاجتنبْني مُذَمَّماً ... وإن خلتَ أنّي ليس لي منك من بُدِّ

الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانة ، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل .

---

1 شعره : 185–186 مع أبيات أخرى لم ترد هنا .

2 مديان في ل : مران . سكن في ل : سقم . وإن قرأت «سقم» كان الخطاب منصرفاً إلى دير مران ، وإلاّ فإنّ الخطاب تشوق إلى دير مديان قرب بغداد على نهر كرخايا الذي كان يصبّ في دجلة قبل جفافه .

3 الروحاء : من قرى بغداد .

4 شعره : 45–46 وهي قصيدة طويلة (عن الموشى) اجتزأ منها أبو الفرج هذه الأبيات الثلاثة .

[هنّأ الواثق بالخلافة فأجازه]

حدّثني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني عبد الله بن المؤمّل العسكريّ قال : لمّا ولِيَ الواثقُ الخلافةَ جلس للناس ودخل إليه المهنّئون والشُّعراءُ فمدحوه وهنّأوه ؛ ثم استأذن حسينُ بن الضّحّاك بعدهم في الإنشاد ، وكان[1] من الجُلَساء فترفّع عن الإنشاد مع الشعراء ، فأذِن له ؛ فأنشده قوله[2] : [من المتقارب]

أُكاتِم وَجْـدِي فما يَنْكَتِمْ ... بِمَنْ لـو شكوتُ إليه رَحِمْ
وإنّـي على حسن ظنّـي بـه ... لأَحْذَر إن بُحْتُ أن يَحْتَشِمْ
ولي عنـد لَحْظتـه رَوْعـةٌ ... تُحقّـق مـا ظنّـه المُتّهِمْ
وقـد علِـم الناسُ أنّي لـه ... مُحِـبٌّ وأَحسَبه قـد عَلِمْ

وفي هذا رَمَلٌ لعبد الله بن العبّاس بن الرَّبيع .

وإنّـي لَمُغضٍ عـلى لوعـةٍ ... من الشّوقِ في كَبِدي تضْطَرِمْ
عشيّةَ ودَّعـتُ عـن مقلـةٍ ... سَفُوحٍ وزفرةِ قلـبٍ سَدِمْ[3]
فمـا كان عند النّوى مُسْعِدٌ ... سوى العينِ تمزُج دمعاً بدَمْ[4]
سيذكر مَـنْ بَـان أُوطانَـه ... ويَبْكي المقيمـين مـن لم يُقِمْ

وقال فيها يصف السفينة :

إلى خـازنِ الله في خَلْقـه ... سراج النّهـار وبَـدْرِ الظُّلَمْ
رحلنـا غَرابيـبَ زفّافـةً ... بدِجْلـةَ في مَوْجهـا المُلْتَطِمْ[5]
إذا مـا قصدْنـا لقاطُولِها ... ودُهْـمُ قَراقِيرهـا تَصْطَدِمْ[6]
سكنـاً إلى خير مسكونـةٍ ... تيمَّمهـا راغـبٌ مـن أَمَمْ[7]

1 ل : وكانّه .
2 شعره : 96–98 وانظر معجم الأدباء (عباس) 3 : 1068–1069 .
3 السدم : الندم والحزن .
4 شعره : «سوى الدمع يغسل طرفاً قد كلم» وكذا في معجم الأُدباء .
5 الغرابيب : نوع من القوارب السوداء . زفافة : مسرعة .
6 القراقير : السفن الطويلة .
7 من أمم : من قرب . وفي معجم الأُدباء «يتممها راغب أو ملمّ» .

مباركـــةٌ شاد بنيانَهـــا بخير المواطـــنِ خيرُ الأُمَمْ
كأنّ بهـا نَشْرَ كافـــورةٍ لبَرْد نَداهـا وطِيـبِ النَّسَمْ
كظهر الأَديم إذا مـا السحا بُ صاب على مَتْنِها وانسَجَمْ
مُبَرَّأة مـن وُحُـول الشتـاء إذا مـا طَمى وحلُـه وارتَكَمْ
فمـا إنْ يـزال بهـا راجـلٌ يمـرّ الهُوَيْنـى ولا يلتطِـمْ
ويَمشي عـلى رِسْلـه آمنـاً سليـمَ الشِّراك نقـيَّ القدمْ
ولِلنُّـون والضَّبّ في بطنها مراتـعُ مسكونـةٌ والنَّعَـمْ[1]
غـدوتُ على الوَحْش مغترّةً رواتـعَ في نَوْرِهـا المنتظمْ
ورُحـتُ عليهـا وأسرابُهـا تحُـوم بأكنافهـا تبْتَسِمْ

ثم قال يمدح الواثق :

يَضيق الفضاءُ بـه إن غدا بطَوْدَيْ أعاريبـه والعجمْ
تـرى النصرَ يقـدُم راياتِـه إذا مـا خفقْن أمـام العلمْ
وفي الله دوخ أعـــداءه وجـرّد فيهـم سيوفَ النِّقَمْ
وفي الله يكظِم مـن غيظـه وفي الله يصفح عمَّن جَرَمْ[2]
رأى شِيَمَ الجـودِ محمودةً ومـا شِيَمُ الجود إلاّ قِسَمْ
فـراح على «نَعَمٍ» واغتدى كأنْ ليس يُحسن إلاّ نعـمْ

قـال : فأمر لـه الواثـق بثلاثين ألف درهم ، واتّصلت أيّامُه بعد ذلك ، ولم يزل من نُدَمائـه .

[أرتج عليه عند الواثق ثم قال]

حدَّثني أحمد بن العبّاس قال حدَّثنا محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدَّثني مهديّ بن سابق قال : قال الواثق لحسين بن الضّحّاك : قُل الساعةَ أبياتاً مِلاحاً حتى أَهَبَ لك شيئاً مليحاً ؛ فقال : في أيّ معنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : امْدُدْ طَرْفك وقُل فيما شئت ممّا ترى بين يديك وصِفْه . فالتفتُّ فإذا ببساط زهرُه قد تفتّحتْ أنواره وأشرق في نُور الصبح ؛ فأُرْتِج عَليّ ساعةً حتى خجِلْتُ وضِقْتُ ذَرْعاً . فقال لي الواثقُ : ما لك وَيْحَك ! ألستَ ترى نُورَ صَباح ، ونَوْر

1 النون والضب : كناية عن حاصلات البحر والبرّ .
2 معجم الأدباء : عمن ظلم .

أقاح ! فانفتح القولُ فقلت[1] : [من المتقارب]

ألستَ ترى الصبحَ قد أسْفرا ومُبْتكِرَ الغيث قد أمْطرا
وأسفرتِ الأرضُ عن حُلّة تُضاحِكُ بالأحمر الأصفرا
ووافاكَ نَيْسانُ في ورده وحَثّك في الشُّرْب كي تَسْكَرا
وتُعْمِل كأسين في فِتْيةٍ تُطارِد بالأصغر الأكبرا
يَحُثُّ كؤوسَهمُ مُخْطَفٌ تُجاذِبُ أردافُه المِئْزَرا
ترجَّل بالبانِ حتى إذا أدار غدائرَه وفَّرا[2]
وفضَّضَ في الجُلَّنارِ البَهارَ والآبنُوسةَ والعَبْهرا
فلمّا تمازَج ما شَذَّرتْ مَقارِيضُ أطرافِه شذّرا
فكلٌّ يُنافِس في بِرِّه ليفعل في ذاتِه المُنْكَرا

قال : فضحك الواثقُ وقال : سنستعمل كلَّ ما قلتَ يا حُسَين إلاّ الفِسقَ الذي ذكرتَه فلا ولا كرامةَ . ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه . ثم قال : قوموا بنا إلى حانَة الشَّطّ فقاموا إليها ، فشرب وطرِب ، وما ترك يومئذٍ أحداً من الجلساء والمغنِّين والحَشَم إلاّ أمر له بصلة . وكانت من الأيّام التي سارت أخبارها وذُكرت في الآفاق .

[شعره في حانة الشط]

قال حسين : فلمّا كان من الغد غدوتُ إليه ؛ فقال : أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلتَه في يومنا الماضي ، فقد كان حسناً ؛ فأنشدته[3] : [من البسيط]

صوت

يا حانةَ الشَّطِّ قد أكرَمْتِ مَثْوانا عُودِي بيومٍ سرورٍ كالذي كانا
لا تُفْقِدينا دُعاباتِ الإمام ولا طِيبَ البَطالةِ إسراراً وإعلانا
ولا تَخالُعَنا في غير فاحشةٍ إذا يطرِّبنا الطُّنْبورُ أحيانا
وهاج زَمْرُ زُنامٍ بين ذاك لنا شَجْواً فأهْدى لنا رَوْحا ورَيْحانا[4]

1 شعره : 65–66 .
2 ترجل : تمشط . وفّر : أرسل شعره على أذنيه .
3 شعره : 167 .
4 زنام : اسم زمار حاذق خدم كلاً من الرشيد والمعتصم والواثق .

وسَلْسَلَ الرّطلَ عمرٌو ثم عمَّ به الشُّقَيا فألْحَقَ أُولانا بأُخرانا
سَقْياً لشكلِكَ من شكل خُصِصتِ به دون الدَّساكر من لَذّات دنيانا
حَفَّتْ رياضَك جَنّاتٌ مجاوِرةٌ في كلِّ مُخْتَرَقٍ نهراً وبستانا
لا زلتِ آهلةَ الأوطان عامرةً بأكرم الناس أَعْراقاً وأغصانا

قال : فأمر له الواثق بصلة سنيّة مجدَّدَة ، واستحسن الصوتَ ، وأمر فَغُنِّي في عدّة أبيات منها . غنّت فَريدة في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات ، ولحنُها هَزَج مطلَقٌ .

[مخاصمته أبا شهاب]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال : اجتمعتُ أنا وحسين بن الضّحّاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذي يقول : [من المتقارب]

لقد كنتُ ريحانةً في النَّدِيّ وتُفّاحةً في يد الكاعِبِ

وعمرو بن بانة يُغَنِّيها . فتذاكرْنا الدَّوابَّ ، واتّصل الحديثُ إلى أن تلاحى حسين وأبو شهاب في دابّتيهما وتراهنا على المسابقة بهما ، فتسابقا فسبَقَه أبو شهاب . فقال حسين في ذلك[1] : [من المديد]

كُلُوا واشربوا هُنِئْتُم وتمتَّعوا وعيشوا وذُمّوا الكَودَنين جميعاً
فأقسم ما كان الذي نال منهما مَدى السبق إذ جَدّ الجِراءُ سريعا

وهي قصيدة معروفة في شعره . فقال أبو شهاب يجيبه : [من المديد]

أيا شاعر الخُصْيانِ حاولتَ خُطَّةً سُبِقْتَ إليها وانكفأتَ سريعا
تُحاول سبقي بالقَريض سَفاهةً لقد رمتَ ، جهلاً ، من حِمايَ مَنيعا

وهي أيضاً قصيدة . فكان ذلك سبَب التباعد بينهما . وكنّا إذا أردنا العبثَ بحسين نقول له : أيا شاعر الخُصْيان ، فيُجَنّ ويشتُمنا .

[يفسد بين أحد جند الشام وعشيقته]

حدَّثني جعفر قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كان يألفني إنسانٌ من جُنْد الشام عجيب الخِلْقة والزّيّ والشكل غليظٌ جِلْفٌ جافٍ ، فكنتُ أحتمل ذلك كلّه له ويكون حظّي التعجّبَ به ، وكان يأتيني بكتب من عشيقة له ما رأيتُ كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغَ ولا أشْكَلَ من معانيها ، ويسألني أن أُجيبَ عنها ؛

1 شعره : 77 وفيه أيضاً بيتا أبي شهاب عن الأغاني .

فأُجْهَد نفسي في الجوابات وأصرفُ عنايتي إليها على علمي بأنّ الشاميَّ بجهله لا يميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب . فلمّا طال ذلك عليّ حسدتُه وتنبّهتُ إلى إفساد حاله عندها . فسألتُه عن اسمها فقال : «بَصْبَص» . فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به[1] : [من السريع]

أَرْقَصني حبُّـك يـا بَصْبَصُ والحـبُّ يـا سيِّدتي يُرْقِصُ
أَرْمَصْتِ أجفاني بطول البكـا فمـا لأجفانـك لا تَرْمَصُ[2]
وابأبـي وجهُـك ذاك الذي كأنّـه مـن حسنه عُصْعُصُ

فجاءني بعد ذلك فقال لي : يا أبا عليّ ، جعلني الله فداءك ، ما كان ذنبي إليك وما أردتَ بما صنعتَ بي ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ فقال : ما هو إلاّ أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثتْ إليّ : إنّي مشتاقة إليك ، والكتابُ لا ينوب عن الرؤية ، فتعالَ إلى الرَّوْشن[3] الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحياله حتى أراك ؛ فتزيّنتُ بأحسن ما قدَرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع . فبينا أنا واقفٌ أنتظر مكلِّماً أو مشيراً إليَّ إذا شيءٍ قد صُبَّ عليّ فملأني من قَرْني إلى قدمي وأفسد ثيابي وسَرْجي وصيَّرني وجميعَ ما عليّ ودابّتي في نهاية السَّواد والنَّتْن والقَذَر ، وإذا به ماءٌ قد خُلط ببول وسواد سِرْجين[4] ، فانصرفتُ بخزيٍ . وكان ما مرَّ بي من الصبيان وسائرِ من مررتُ به من الضحك والطَّنْز[5] والصّياح بي أغلظَ ممّا مرَّ بي ؛ ولحقني من أهلي ومَنْ في منزلي شرٌّ من ذلك وأوجعُ . وأعظَمُ من ذلك أنّ رُسُلَها انقطعتْ عنّي جملةً . قال : فجعلتُ أعتذر إليه وأقول له : إنّ الآفةَ أنّها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته ، وأنا أحمد الله على ما ناله وأُسِرُّ الشَّماتةَ به .

[يفضّل الذهاب إلى ابن بسخنر على الحسن بن رجاء]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضّحّاك قال : كتب إليَّ الحسن بن رَجاء في يوم شَكّ وقد أمر الواثقُ بالإفطار ، فقال : [من الوافر]

هَزَزْتك للصَّبوح وقـد نهاني أميرُ المؤمنـين عـن الصّيـامِ

1 شعره : 69 .
2 أرمص العين : جعل فيها قذى أبيض .
3 الروشن : النافذة .
4 السرجين : الزبل .
5 الطنز : السخرية .

وعندي من قِيان المصر عَشْرٌ تَطِيب بهنّ عاتقةُ المُدامِ
ومن أمثالهنّ إذا انتشينا تَرانا نجتني ثمرَ الغرامِ
فكُن أنتَ الجوابَ فليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من حذف الكلامِ

قال: فوردت عليَّ رقعتُه وقد سبقه إليَّ محمَّد بن الحارث بن بُسْخُنّر ووجَّه إليَّ بغلام نظيف الوجه كان يَتحظَّاه، ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعةٌ قد كتبها إليّ كما تُكتَب المناشير، وختَمها في أسفلها وكتب فيها يقول[1]: [من مجزوء الرمل]

سِرْ على اسم الله يا أشـ ـكلَ من غصن لُجَينِ
في ثلاثٍ من بني الرو م إلى دار حسينِ
فاشْخِصِ الكهلَ إلى مو لاك يا قُرّةَ عيني
أرِه العُنْفَ إذا استعـ ـصى وطالِبْه بدَيْنِ
ودَعِ اللفظَ وخاطِبْـ ـه بغمز الحاجبَيْنِ
واحْذَرِ الرَّجعة من وجـ ـهك في خُفَّيْ حُنَيْنِ

قال: فمضيت معهم، وكتبتُ إلى الحسن بن رَجاء جواب رقعته[2]: [من الوافر]

دعوتَ إلى مماحكة الصّيامِ وإعمالِ المَلاهي والمُدامِ
ولو سبق الرسولُ لكان سعيي إليكَ ينوب عن طول الكلامِ
وما شوْقي إليك بدون شوقي إلى ثَمرِ التَّصابي والغرامِ
ولكن حلَّ في نفر عَسُوفٌ بمنشورٍ محلَّ المستهامِ
حسينٍ، فاستباحَ له حريماً بطَرْف باعثٍ سبَب الحِمامِ
وأظهر نخوةً وسَطاً وأبْدى فَظاظتَه بتركٍ للسلامِ
وأزعجني بألفاظ غِلاظٍ وقد أعطيتُه طَرَفَيْ زِمامي
ولو خالفتُه لم يَخْشَ قتلي وقنّعني سريعاً بالحُسامِ

[لاعب الواثق بالنّرد وغازل خاقان خادمه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال حدَّثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدَّثني أبي قال: كان الواثق يلاعب حسين بن الضّحّاك بالنَّرْد وخاقانُ غلامُ الواثق واقفٌ على رأسه،

1 انظر شعره: 102–103.
2 شعره: 103.

وكان الواثق يتحظّاه ، فجعل يلعبُ وينظر إليه . ثم قال للحسين بن الضّحّاك : إن قلتَ الساعةَ شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرَح به . فقال الحسين[1] : [من الطويل]

صوت

أُحبُّـك حبّـاً شابه بنصيحةٍ   أبٌ لك مأمونٌ عليك شفيقُ
وأُقسم مـا بيني وبينك قُرْبةٌ   ولكـنّ قلبـي بالحسان عَلُوقُ

فضحك الواثق وقال : أُصبتَ ما في نفسي وأَحسنت . وصنع الواثق فيه لحناً ، وأَمر لحسين بأَلفَي دينار . لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأَوّل بالوسطى .

[فضل نفسه على أبي نواس]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أَحمد بن خَلاّد قال : أَنشدني حسين بن الضّحّاك لنفسه[2] : [من البسيط]

بُدِّلتَ من نفحـات الورد بالآء   ومن صَبُوحك دَرَّ الإبْلِ والشاء[3]

حتى أَتى على آخرها ، وقال لي : ما قال أَحد من المُحْدَثين مثلَها . فقلت : أَنت تحوم حول أَبي نُواس في قوله : [من البسيط]

دَعْ عنك لومي فإنّ اللوم إغراءُ   وداوِني بالتـي كانت هي الدَّاءُ[4]

وهي أَشعر من قصيدتك . فغضِب وقال : أَلي تقول هذا ! عليَّ وعليَّ إن لم أَكن نِكْتُ أَبا نواسٍ ! فقلت له : دعٍ ذا عنك ، فإنّه كلام في الشعر لا قَدْحٌ في نسب ، لو نِكتَ أَبا نواس وأُمَّه وأَباه لم تكن أَشعَر منه . وأُحِبّ أَن تقول لي : هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غيرُ قولك : [من البسيط]

فُضّت خَواتِمُها في نعـت واصفها   عن مثل رَقْراقـةٍ في عين مَرْهاء

وهذه قصيدة أَبي نواس يقول فيها : [من البسيط]

دارتْ على فِتْيةٍ ذَلّ الزمـانُ لهم   فمـا أَصابهـمُ إلاّ بمـا شاءوا

---

1 شعره : 83 .
2 انظر القصيدة في شعره : 19–23 وفيه تخريج لها .
3 الآء : نبات .
4 القصيدة في ديوانه .

صفراءُ لا تَنْزِل الأحزانُ ساحتَها لـو مَسَّها حَجَـرٌ مسَّـه سَرَّاءُ
فأُرسِلتْ من فـم الإبريق صافيةً كأنّـمـا أخذُهـا بالعقـل إغفاءُ

والله ما قدرت على هذا ولا تقدِر عليه ؛ فقام وهو مغضَب كالمُقِرّ بقولي .

[ابن مناذر يحكم له على أبي نواس]

حدَّثني الحسن قال حدَّثنا ابن مهرويه قال حدَّثني إبراهيم بن المدبّر قال حدَّثني أحمد بن المعتصم قال : حجَّ أبو نواس وحسين بن الضّحّاك فجمعهما الموسم ، فتناشدا قصيدتيهما : قولَ أبي نواس : [من البسيط]

دَعْ عنك لومي فإنّ اللّومَ إغراءُ وداوِنـي بالتي كانت هـي الدَّاءُ

وقصيدةَ حسين : [من البسيط]

بُدِّلتَ من نَفَحات الورد بالآء

فتنازعا أيُّهما أشعر في قصيدته ؛ فقال أبو نواس : هذا ابن مُناذر حاضرٌ الموسمَ وهو بيني وبينك . فأنشده قصيدته حتى فرغ منها ؛ فقال ابن مناذر : ما أحسب أنّ أحداً يجيء بمثل هذه وهَمَّ بتفضيله ؛ فقال له الحسين : لا تَعْجَلْ حتى تسمع ؛ فقال : هات ؛ فأنشده قوله : [من البسيط]

بُدِّلتَ مـن نَفَحات الورد بالآء ومـن صَبُوحك دَرَّ الإبل والشاء

حتى انتهى إلى قوله :

فُضَّتْ خواتمُها في نعت واصفها عن مثل رَقْراقةٍ في عـين مَرْهاء

فقال له ابن مناذر : حَسْبُك ، قد استغنيتَ عن أن تزيد شيئاً ، والله لو لم تقل في دهرك كلِّه غيرَ هذا البيت لفضّلتُك به على سائر من وصف الخمر ؛ قم فأنت أشعر وقصيدتُك أفضلُ . فحكم له وقام أبو نواس منكسِراً .

[كثير بن إسماعيل يسترضي المعتصم بشعره]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد قال حدَّثني كثير بن إسماعيل التّحتكار قال : لمّا قدِم المعتصم بغداد ، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهم أبو الواسع وقِنِّينة وحسين بن الضّحّاك وحاتم الرّيش وأنا ، فأُدخلنا عليه . فلشُؤْمي وشقائي كتبت بين عينيّ : «سيِّدي هَـبْ لي شيئاً» . فلمّا رآني قال : ما هذا على جبينك ؟! فقال حمدون بن إسماعيل : يا سيّدي تطايَبَ بأن كتب على جبينه : «سيِّدي هب لي شيئاً» ! . فلم يَسْتطِبْ لي ذلك ولا استملحه ، ودعا بأصحابي من غد ولم يَدْعُ بي . ففزِعتُ إلى حسين بن

الضّحّاك ؛ فقال لي : إنّي لم أحْلُلْ من أنسه بعدُ بالمحلّ الموجِبِ أن أشفع إليه فيك ، ولكنّي أقول لك بيتين من شعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما ، فإنّ ذلك أبلغ . فقلتُ : أفْعَلُ . فقال حسين[1] : [من الرمل]

قُلْ لدنيا أصبحتْ تلعب بي سلَّط الله عليك الآخرهْ
إن أكن أبردَ من قِنّينةٍ ومنْ الرِّيش فأمّي فاجرهْ

قال : فأخذتهما وعرَّفتُ حمدون أنّهما لي وسألته إيصالَهما ففعل ؛ فضحك المعتصم وأمر لي بألفيْ دينار واستحضرني وألحقني بأصحابي .

[ابن بسخنر والصبوح]

أخبرني عمّي قال حدَّثني هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال قال لي أحمد بن حمدون : كان محمَّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر لا يرى الصَّبُوحَ ولا يُؤْثِر على الغَبُوق شيئاً ، ويحتجّ بأن من خدم الخلفاء كان اصطباحُه استخفافاً بالخدمة ، لأنّه لا يأمن أن يُدعى على غفلة والغبوقُ يُؤمِّنه من ذلك ، وكان المعتصم يحبُّ الصبوح ؛ فكان يُلقَّب ابنَ بُسْخُنَّر الغَبُوقيَّ . فإذا حضر مجلسَ المعتصم مع المغنّين منعه الصَّبُوح وجمع له مثلَ ما يشرب نظراؤه ، فإذا كان الغبوقُ سقاه إيّاه جملةً غيظاً عليه ؛ فيَضجُّ من ذلك ويَسأل أن يُترك حتى يشرب مع النّدماء إذا حضروا فيمنعه ذلك . فقال فيه حسين بنِ الضّحّاك وفي حاتم الرِّيش الضَّرَّاط وكان من المضحكين[2] : [من المتقارب]

حُبّ أبي جعفر للغَبُوق كقُبْحِك يا حاتِمٌ مُقْبِلا
فلا ذاك يُعْذَر في فعله وحقُّك في الناس أن تُقتلا
وأشبه شيء بما اختاره ضُراطُك دونَ الخَلا في المَلا

[يستعطف أبا أحمد بن الرشيد]

حدَّثني محمَّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثنا محمَّد بن عليّ بن حمزة قال : مزَح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضّحّاك مُزاحاً أغضبه ، فجاوبَه حسين جواباً غضِب منه أبو أحمد أيضاً . فمضى إليه حسين من غَدٍ فاعتذر إليه وتنصّل وحلف ؛ فأظهر له قبولاً لعذره . ورأى ثِقَلاً في طَرْفه وانقباضاً عمّا كان يعهده منه ؛ فقال في ذلك[3] : [من الكامل]

1 شعره : 68 .
2 شعره : 94 عن الأغاني .
3 شعره : 57 .

لا تَعْجَبَـنّ لِمَلّةٍ صرفَـتْ وجـهَ الأمير فإنّـه بشرُ
وإذا نبـا بـك في سَريرته عَقْدُ الضمير نبا بك البصرُ

[صحبته للأمين وإكرامه له]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني أبو محمَّد بن النشار قال : كان أبي صديقاً للحسين بن الضّحّاك وكان يعاشره ؛ فحملني معه يوماً إليه ، وجعل أبي يحادثه إلى أن قال له : يا أبا عليّ ، قد تأخّرتْ أرزاقُك ، وانقطعت موادّك ونفقتُك كثيرة ، فكيف يمشي أمرك ؟ فقال له : بلى والله يا أخي ، ما قِوامُ أمري إلاّ ببقايا هِباتِ الأمين محمَّد بن زُبَيدة وذخائره وهِباتِ جاريةٍ له ، لم يُسمِّها ، أغنتني للأبد لشيءٍ ظريف جرى على غير تعمُّد ؛ وذلك أنّ الأمين دعاني يوماً فقال لي : يا حسين ، إنّ جليسَ الرجل عشيرُه وثقتُه وموضعُ سرّه وأَمْنِه ، وإنّ جاريتي فلانةَ أحسنُ الناس وجهاً وغناء ، وهي منّي بمحل نفسي ، وقد كدّرتْ عليّ صفوَها ونغّصت عليّ النعمةَ فيها بعُجْبها بنفسها وتجنيها عليَّ وإدلالِها بما تعلم من حبّي إيّاها . وإنّي مُحْضِرُها ومحضرٌ صاحبةً لها ليست منها في شيء لتغنّي معها . فإذا غنَّتْ وأومأتْ لك إليها ، على أنّ أمرها أبيَنُ من أن يخفى عليك ، فلا تَسْتحسِنِ الغناءَ ولا تشرب عليه ؛ وإذا غنّت الأخرى فاشرب واطرَب واستحسن واشقُق ثيابك ، وعليّ مكانَ كلّ ثوب مائةُ ثوب . فقلت : السمعُ والطاعة . فجلس في حُجْرة الخَلْوة وأحضرني وسقاني وخلع عليّ ، وغنَّت المحسنةُ وقد أخذ الشرابُ منّي ، فما تمالكتُ أن استحسنتُ وطرِبتُ وشربتُ ، فأومأ إليّ وقطّب في وجهي . ثم غنَّتِ الأخرى فجعلتُ أتكلّف ما أقوله وأفعله . ثم غنَّتِ المحسنةُ ثانيةً فأتت بما لم أسمع مثلَه قطّ حُسْناً ، فما ملكتُ نفسي أن صِحتُ وشرِبت وطرِبت ، وهو ينظر إليّ ويَعَضُّ شفتَيْه غيظاً ، وقد زال عقلي فما أفكّر فيه ، حتى فعلتُ ذلك مراراً ؛ وكلّما ازداد شربي ذهب عقلي وزدتُ ممّا يكره ؛ فغضِب فأمضّني وأمر بجَرّ رجلي من بين يديه وصَرْفي فجُرِرْتُ وصُرِفتُ ، فأمر بأن أُحْجَب . وجاءني الناس يتوجّعون لي ويسألونني عن قصّتي فأقول لهم : حمل عليّ النبيذُ فأسأتُ أدبي ، فقوَّمني أمير المؤمنين بصَرْفي وعاقَبني بمنعي من الوصول إليه . ومضى لِما أنا فيه شهرٌ ، ثم جاءتني البِشارةُ أنّه قد رضي عنّي ، وأمر بإحضاري فحضَرتُ وأنا خائف . فلمّا وصلتُ أعطاني الأمين يدَه فقبّلتُها ، وضحك إليّ وقام وقال : اتبعني ، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري . وغنَّتِ المحسنةُ التي نالني من أجلها ما نالني فسكتُّ فقال لي : قُلْ ما شئتَ ولا تخَفْ ؛ فشربتُ واستحسنتُ . ثم قال لي : يا حسين ، لقد خار اللهُ لك بخِلافي وجرى القدرُ بما تحبّ فيه . إنّ هذه الجاريةَ عادت إلى الحال التي أُريد منها ورضيتُ كلَّ أفعالها ؛ فأذكرتْني بك وسألتني الرّضا عنك والاختصاص لك ؛ وقد فعلتُ

ووصلتك بعشرة آلاف دينار ، ووصلَتْك هي بدون ذلك . والله لو كنتَ فعلتَ ما قلتُ لك حتى تعودَ إلى مثل هذه الحال ثم تحقِدَ ذلك عليك فتسألني ألاّ تَصِلَ إليّ لأجبتُها . فدعوتُ له وشكرتُه وحمِدت الله على توفيقه ، وزِدتُ في الاستحسان والسرورِ إلى أن سكِرتُ وانصرفتُ وقد حُمِل معي المال . فما كان يمضي أسبوع إلاّ وصِلاتُها وألطافُها تصل إليّ من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين ؛ وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلاّ سألتْه أن يصلَني . فكلُّ شيء أنفقتُه بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالِها وما ذَخَرتُ من صِلاتها . قال ابن النشّار : فقال له أبي : ما سمعتُ بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب ممّا وفّقه الله لك فيه .

[هنّأ الأمين بظفر جيشه بطاهر بن الحسين]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبي قال : دخل حسين بن الضّحّاك على محمّد الأمين بعَقِبِ وقعةٍ أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم ؛ فهنَّأه بالظَّفَر ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذِن له فأنشده[1] : [من الهزج]

أمِينَ اللهِ ثِقْ باللـ ـهِ تُعْطَ العزَّ والنُّصْرَهْ
كِلِ الأمرَ إلى الله كَلاكَ الله ذو القُدْرَهْ
لنا النصرُ بإذنِ اللـ ـهِ والكَرَّةُ لا الفرَّهْ
وللمُرَّاق أعدائـ ـك يومُ السَّوْءِ والدَّبْرَهْ[2]
وكأسٌ تُورِدُ الموت كريهٌ طعمُها مُرَّهْ
سَقَوْنا وسَقيناهم فكانت بهمُ الحَرَّهْ[3]
كذاك الحربُ أحياناً علينا ولنا مَرَّهْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ولم يزل يتبسّم وهو يُنشِده .

[عابثه الأمين وركب ظهره]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال : قال لي الحسين بن الضّحّاك : شربنا يوماً مع الأمين في بستانٍ ، فسقانا على الرِّيق ، وجدّ بنا في الشرب ، وتحرَّزَ من أن نذوقَ شيئاً . فاشتدّ الأمرُ عليّ ، وقمتُ لأبول ، فأعطيتُ خادماً من الخدم ألفَ درهم على أن يجعلَ لي تحت شجرةٍ أومأتُ إليها رُقاقةً فيها لحمٌ ، فأخذ الألف وفعل ذلك . ووثب محمَّد فقال : من

1 شعره : 66–67 .
2 الدبرة : الهزيمة .
3 الحرة : العذاب الموجع . وبكسر الحاء : العطش .

يكون منكم حِماري ؟ فكلٌّ واحد منهم قال له : أنا ، لأنّه كان يركب الواحدَ منّا عَبَثاً ثم يصله ؛ ثم قال : يا حسين ، أنت أَضْلَعُ[1] القوم . فركِبني وجعل يطوف وأنا أَعْدِل به عن الشجرة وهو يمرّ بي إليها حتى صار تحتها ، فرأى الرُّقاقة فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري ، وقال : هذه جُعِلَتْ لبعضكم ؛ ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء . فقلت لأصحابي : أنا أشقى الناس ، ركِب ظهري وذهب ألفُ درهمٍ منّي وفاتني ما يُمسك رَمَقي ولم يَصِلْني كعادتي ، ما أنا إلاّ كما قال الشاعر : [من البسيط]

ومُطْعِمِ الصيدِ يومَ الصيد مَطْعَمَه ... أنَّى توجَّــه والمحرومُ محرومُ

[يستوهب جارية لأمّ جعفر]

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمَّد بن يزيد النحويّ المبرّد قال : كان حسين بن الضّحّاك الأشقر ، وهو الخليع ، يهوى جاريةً لأُمّ جعفر ، وكانت من أجمل الجواري ، وكان لها صُدْغانِ مُعَقْرَبان ، وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له : ما قلتَ فينا ؟ أنْشِدنا منه شيئاً ؛ فيُخرج إليها الصحيفةَ ، فتقول له : اقرأ معي ، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفةَ . فشكا ذلك إلى عاصم الغَسّانيّ الذي كان يمدحه سَلْم الخاسر وكان مَكِيناً عند أُمّ جعفر ، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها ، فأبتْ عليه أمّ جعفر ؛ فوجَّه إلى الخليع بألف دينار وقال : خُذْ هذا الألفَ ؛ فقد جَهَدتُ الجَهْدَ كلَّه فيها فلم تُمكنّي حيلة . فقال الحسين في ذلك[2] : [من الطويل]

رمَتْك غَداةَ السبت شمسٌ من الخُلْدِ ... بسهم الهوى عَمْداً وموتُك في العَمْدِ[3]
مــؤزَّرةُ السِّربــالِ مهضومةُ الحَشا ... غُلاميّـــةُ التقطيــع شاطــرة القَدّ[4]
مُحَنّـــأة الأطــراف رُوْدٌ شَبابُها ... مُعَقْرَبَـــةُ الصُّدْغيــن كاذبــة الوعدِ
أقــولُ ونفسي بــين شَوْقٍ وزَفْـرةٍ ... وقد شخَصتْ عيني ودمعي على الخدّ
أجيزي على مَــن قــد تركتِ فؤادَه ... بلحظتـــه بــين التــأسُّف والجهدِ
فقالت عــذابٌ بالهــوى مع قربكم ... وموتٌ إذا أقرحـــتُ قلبـكَ بالبعدِ
لقــد فَطِنَــت للجوْر فطنــةَ عاصمٍ ... لصُنْع الأيادي الغُــرّ في طلب الحمدِ

1 أضلع القوم : أشدّهم .
2 شعره : 44 .
3 الخلد : قصر للمنصور على دجلة .
4 الشاطر : هو الذي أعيا أهله ومؤدّبه خبثاً .

سأشكوك في الأشعـــار غيرَ مُقَصِّرٍ إلى عاصمٍ ذي المَكْرُمات وذي المجدِ
لعــلّ فتـــى غسّان يَجمــع بيننــا فيأمــنَ قلبــي منكُــم رَوْعــة الصَّدِّ

[يستقطع المعتصم داراً]

حدَّثني محمَّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني هارون بن مُخارِق قال : أقطع المعتصمُ الناسَ الدُّورَ بسُرَّ من رأى وأعطاهم النفقاتِ لبنائها ، ولم يُقْطِع الحسين بن الضّحّاك شيئاً . فدخل عليه فأنشده قوله[1] : [من الرمل]

يــا أمـينَ الله لا خِطَّـــةَ لي ولقــد أفردتَ صَحْبي بخِطَطْ
أنا في دَهْيــاءَ مـــن مُظْلِمـــةٍ تحمِــل الشيخَ على كلّ غلَطْ
صعبـــةِ المَسْلَك يرتاع لهـــا كلُّ من أصْعَد فيهـــا وهَبطْ
بَوِّئَنـــي منـــك كما بوَّأتَـهم عَرْصةً تبسُط طَرْفي ما انبسطْ
أبتنـــي فيهـــا لنفسي موطِناً ولعَقْبِـــي فَرَطـاً بعـــد فَرَطْ
لم يــزَل منكَ قريباً مسكني فأعِدْ لي عــادةَ القربِ فقطْ
كلُّ مَـــن قرّبتَـــه مُغْتَبِـــطٌ ولمن أبعــدتَ خِــزْيٌ وسَخَطْ

قال : فأقطعهُ داراً وأعطاه ألفَ دينار لنفقته عليها .

[أجاز شعراً لأبي العتاهية]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال أخبرني عمِّي الفضل عن الحسين بن الضحّاك قال : كنتُ أمشي مع أبي العتاهية ، فمررت بمقبرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شَجٍ على ابنٍ لها . فقال أبو العتاهية[2] : [من الوافر]

أمـــا تنفَــكّ باكيـــةٌ بعـين غَزِيــرٌ دمعُهـــا كَمِـدٌ حشاها

أجِزْ يا حسين ؛ فقلت[3] : [من الوافر]

تُنــادي حفـــرةً أعْيَتْ جواباً فقد وَلِهَتْ وصَمَّ بها صَداها[4]

[نصحه أبو العتاهية بألاّ يرثي الأمين]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى قال حدَّثني الحسين بن الضّحّاك قال :

---

1 شعره : 71 عن الأغاني .
2 ديوان أبو العتاهية : 67 عن الأغاني .
3 شعره : 124 .
4 صم الصدى : كناية عن الهلاك .

كنتُ عازماً على أن أَرثي الأَمين بلساني كلّه وأُشفي لوعتي . فلقيني أَبو العتاهية فقال لي : يا حسين ، أَنا إليك مائلٌ ولك محبٌّ ، وقد علمتُ مكانك من الأَمين ، وإِنّه لحقيقٌ بأَن ترثيه ، إلاّ أَنّك قد أُطلقتَ لسانك من التلهُّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره وثَلْباً له وتحريضاً عليه ، وهذا المأمون مُنْصَبٌّ إلى العراق قد أَقبل عليك ؛ فأَبْقِ على نفسك ؛ يا وَيْحَك ؛ أَتجسُرُ على أَن تقول[1] : [من الكامل]

تركـوا حريـمَ أَبيهمُ نَفَـلاً ... والمُحْصَنـاتُ صـوارخٌ هُتُفُ
هيهاتَ بعـدَك أَن يدومَ لهـم ... عـزٌّ وأَن يـبقى لهـم شَرَفُ

أُكْفُفْ غَرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فَرَط منك . فعلِمتُ أَنّه قد نَصحني فجزيتُه الخيرَ ، وقطعتُ القولَ فنجوتُ برأيه وما كِدْتُ أَن أَنجو .

[شعره في فتى جميل أعرض عنه]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أَبو العَيْناء قال : وقف علينا حسين بن الضَحّاك ومعنا فتىً جالسٌ من أَولاد الموالي جميلُ الوجه ، فحادثنا طويلاً وجعل يُقبِل على الفتى بحديثه والفتى مُعْرِضٌ عنه حتى طال ذلك ؛ ثم أَقبل عليه الحسين فقال[2] : [من الطويل]

تَتِيـه علينا أَن رُزِقْتَ ملاحةً ... فمَهْلاً علينا بعضَ تِيهك يا بدرُ
لقد طالما كنّا مِلاحـاً وربّما ... صَدَدْنا وتِهْنا ثم غيّرنا الدَّهرُ

وقام فانصرف .

[عربدته في مجلس الأمين]

أَخبرني الحسن بن القاسم الكوفيّ[3] قال حدَّثني ابن عَجْلان قال : غنَّى بعضُ المغنِّين في مجلس محمَّدٍ المخلوع بشعر حسين بن الضَحّاك ، وهو : [من المتقارب]

صوت

أَلستَ تَرى دِيمـةً تَهْطِلُ ... وهـذا صباحُك مُسْتقبَلُ
وهذي العُقار وقـد راعنا ... بطلعتـه الشادنُ الأَكحـلُ

1 البيتان من قصيدة طويلة في رثاء الأمين . انظر مجموع شعره : 78–80 وفيه ثبت بمصادر القصيدة . وفي البيت الثاني : «لنا» بدلاً من «لهم» .
2 شعره : 53 وينسب البيتان أيضاً لأبي نواس .
3 لعلّ المقصود الحسين بن القاسم الكوكبيّ الذي يروي عنه أبو الفرج كثيراً .

فعــادَ بــه وبنــا سكرةٌ   تُهــوِّن مكروهَ مــا نسألُ
فإنّــي رأيــتُ لــه نظرةً   تخبِّرنــا أنّــه يفعــلُ

قال : فأمر بإحضار حسين فأُحْضِر ، وقد كان محمّد شرب أرطالاً . فلمّا مَثل بين يديه أمر فسُقي ثلاثةَ أرطالٍ ، فلم يَستوفِها الحسينُ حتى غَلَبه السكر وقَذَف ، فأمر بحمله إلى منزله فحُمل . فلمّا أفاق كتب إليه[1] : [من المتقارب]

إذا كنــتُ في عُصبَــةٍ   مــن المَعْشرِ الأخيَــبِ
ولم يَــكُ لي مُسْعِــدٌ   نديــمٌ سوى جُعْــدُبِ
فأشْرَبُ مــن رَمْلَــةٍ   وأسهـرُ مــن قُطْرُبِ[2]
ولمّــا حبــاني الزمــا   ن من حيث لم أحسبِ
ونادمــتُ بــدرَ السمــا   ء في فَلَــكِ الكوكبِ
أبَــتْ لي غُضُوضيَّتي   ولــؤمٌ مــن المَنصِبِ[3]
فأسكـــرني مسرعــاً   قــويٌّ مــن المَشْربِ
كذا النــذلُ يَنْبو بــه   منادمـــةُ المُنْجـــبِ

قال : فردّه إلى منادمته وأحسن جائزته وصلَته .

[شعره في غلام أبي أحمد بن الرشيد]

أخبرني الكوكبيّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر عن خالد بن حَمْدون : أنّ الحسين بن الضحّاك أنشده ، وقد عاتبه خادم من خُدّام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشَّقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانة ؛ فقال حسين فيه[4] : [من المنسرح]

صوت

فَدّيــتُ مَن قــال لي على خَفَرِهْ   وغَضَّ جفنــاً لــه علـى حَوَرِهْ
سمَّــع بــي شعرُك المليــح فمــا   ينفــكّ شادٍ بــه عــلى وَتَــرِهْ

---

1 شعره : 30 عن الأغاني .

2 المثل : أشرب من عقد الرمل : الميداني 1 : 391 والزمخشري 1 : 195 والعسكري 1 : 538 . المثل : أسهر من قطرب : الميداني 1 : 355 والزمخشريّ 1 : 175 والعسكريّ 1 : 509 . وقُطربُ : طائر يجول الليل كلّه لا ينام .

3 الغضوضية : غضاضة الشباب ونضارته والمقصود هنا طيش الشباب .

4 شعره : 63 عن الأغاني .

فقلتُ يـا مستعيرَ سالفـةِ الـ ـخِشفِ وحسنِ الفتور من نَظَرهْ
لا تُنْكـرنّ الحنـينَ مـن طَرِبٍ عـاود فيـك الصِّبـا على كِبَرهْ

وغنّى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً .

[شعره على قبر أبي نواس]

أخبرني الكوكبيّ قال حدَّثني أبو سَهْل بن نُوبَخْت عن عمرو بن بانة قال : لمّا مات أبو نواس كتب حسين بن الضحّاك على قبره[1] : [من المنسرح]

كابَرَنِيكَ الزمـانُ يـا حسنُ فخـاب سَهْمي وأفلَح الزمنُ
ليتك إذ لم تكن بقيـتَ لنـا لم تَبْقَ روحٌ يَحُوطُها بدنُ

[هجا جراحاً مخنّثاً اسمه نصير]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدَّثني محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبي قال : كان في جوار الحسين بن الضّحّاك طبيب يُداوي الجِراحات يقال له نُصَير ، وكان مُخنَّثاً ؛ فإذا كانت وليمة دخل مع المخنَّثين ، وإذا لم تكن عالج الجِراحاتِ . فقال فيه الحسين بن الضّحّاك[2] : [من السريع]

نُصَيرُ ليس المُـرْدُ مـن شأنه نصيـرُ طَـبٌّ بـالنَّكاريش[3]
يقـول للنِّكْرِيش في خَلوة مقـالَ ذي لُطْف وتَجْمِيش
هـل لك أن نلعبَ في فرشنا تقلُّـبَ الطيـرِ المَـراعِيش[4]

يعني المبادلة . فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان : «يا نصير نلعب تقلُّبَ الطير المراعيش» فيشتُمهم ويرميهم بالحجارة .

[عبث ابن مناذر بشعر له]

حدَّثني جعفر قال حدَّثني عليّ بن يحيى عن حسين بن الضّحّاك قال : أُنشدتُ ابنَ مُناذر قصيدتي التي أقول فيها :

لفَقْـدِك ريحانـةَ العسكر

وكانت من أوّل ما قلته من الشعر ؛ فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقّاه برجله وجعل

---

1 شعره : 109 عن الأغاني .
2 شعره : 68–69 عن الأغاني .
3 النكاريش : جمع نكريش وهو الملتحي .
4 المراعيش : نوع من الحمام .

يردّد هذا البيت . فقلنا لحسين : أَتُراه فعل ذلك استحساناً لما قلت ؟ فقال لا ؛ فقلنا : فإنّما فعله طَنْزاً بك ؛ فشتَمه وشتمنا . وكنّا بعد ذلك نسأله إعادةَ هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدِّد شتمَ ابن مناذر بأَقبح ما يقدِر عليه .

[اجتماع اللؤم]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أَحمد بن أَبي كامل قال : مررتُ بباب حسين بن الضّحّاك ، وإذا أَبو يزيد السَّلُوليّ وأَبو حَرْزَةَ الغَنَويّ وهما ينتظرانِ المُحاربيّ وقد استُؤذن لهم على ابن الضّحّاك ؛ فقلت لهما : لِمَ لا تدخلان ؟ فقال أَبو يزيد : ننتظر اللؤم أَن يجتمع ، فليس في الدنيا أَعجبُ ممّا اجتمع منّا ، الغَنَويّ والسَّلُوليّ ينتظران المُحارِبيّ ليدخلوا على باهليّ .

[دعوة الفتح بن خاقان للصبوح]

أُخبرني محمَّد بن مزيد بن أَبي الأَزهر البُوشَنْجِيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك قال : كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنَس به وهو يومئذٍ غلام ، وكان الفتح ذكيّاً جيِّد[1] الطبع والفِطنة . فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أَبيه خاقان عُرْطُوج : يا فتح أَيّما أَحسن : داري أَو دار أَبيك ؟ فقال له وهو غير متوقّفٍ وهو صبيّ له سبع سنين أَو نحوها : دار أَبي إذا كنتَ فيها ؛ فعجِب منه وتبنّاه . وكان الواثق له بهذه المنزلة ، وزاد المتوكّل عليهما . فاعتلَّ الفتح في أَيّام الواثق علّةً صعبة ثم أَفاق وعُوفي ، فعزَم الواثقُ على الصَّبوح ، فقال لي : يا حسين ، اكتب بأَبيات عنّي إلى الفتح تدعوه إلى الصَّبوح ؛ فكتبتُ إليه[2] : [من البسيط]

لمّا اصطبحتُ وعينُ اللهو ترمُقُني ... قد لاح لي باكراً في ثوب بِذْلَته
ناديتُ فتحاً وبَشَّرتُ المدامَ به ... لمّا تخلَّص من مكروه عِلَّته
ذبُّ الفتى عن حريم الراح مَكْرُمةٌ ... إذا رآه امروءٌ ضِدّاً لِنِحْلَته
فاعْجَلْ إلينا وعَجِّل بالسرور لنا ... وخالِس الدَّهر في أُوقات غَفْلته

فلمّا قرأَها الفتح صار إليه فاصطبح معه .

[غزله في غلام عبد الله بن العبّاس بن الربيعي]

أَخبرني عمّي[3] قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيْم وعبد الله بن أَبي سعد قالا حدَّثنا محمَّد بن محمَّد

---

1 ل : حاد .

2 شعره : 33 .

3 تقدّم هذا الخبر بنصّه في هذه الترجمة .

الأنباريّ قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال: كنتُ عند عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع وهو مُصْطَبِحٌ وخادم له يسقيه؛ فقال لي: يا أبا عليّ، قد استحسنتُ سقيَ هذا الخادم؛ فإن حضرك شيء في قصّتنا هذه فقُل؛ فقلت: [من المنسرح]

أحيَتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاهي   وطاب يومي بقــرب أشباهي
فاستَثِر اللهــوَ مــن مكامِنه   من قبـل يــوم منغِّص ناهي
بابنةِ كَــرْم من كفٍّ مُنْتَطِقٍ   مؤتَــزِر بالُمجـــون تيّـــاهِ
يَسْقِيك من طَرْفه ومــن يده   سَقْيَ لطيفٍ مُجــرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربَهـــا   حيرانُ بين الذّكُور والسَّاهي

قال: فاستحسنه عبد الله وغنّى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقيّةَ يومنا.

[يستنجز وعداً بالسكر قبل رمضان]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني سَوادة بن الفَيْض عن أبيه قال: اتّفق حسين بن الضحّاك ويُسْرٌ مرّةً عند بعض إخوانهما وشرِبا وذلك في العشر الأواخر من شعبان. فقال حسين ليُسْرٍ: يا سيِّدي، قد هجم الصوْمُ علينا، فتفضَّل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك؛ فقال له: قد سكرتَ وأخشى أن يبدوَ لك؛ فحلَف له يسرٌ أنّه يَفِي. فلمّا كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء، فجحَد الوعدَ وأنكره. فكتب إليه يقول[1]: [من الهزج]

تجاسرتَ عـلى الغــدر   كعاداتــك في الهجـرِ
فأخلفتَ وما استخلفـ   ـتَ من إخوانك الزُّهْرِ
لئـن خِسْتَ لَمَا ذلــ   ــكَ مـن فعلك بالنُّكْرِ
ومـا أقنعنـــي فعلُــ   ـك يــا مختلِقَ العذرِ
بنفسي أنت إن سُؤْتَ   فـلا بُـدَّ مــن الصبرِ
وإن جرّعنـــي الغيــظَ   وإن خَشّن بـــالصدرِ
ولــولا فَرَقـي منــك   لسمَّيتُــك في الشعرِ
وعنّفتُــك لا آلُـــو   وإن جُزْتُ مدى العُذْرِ
أمَا تخرج مِن إخلاف   ميعـــادك في العَشْرِ

1 شعره: 60–61 عن الأغاني.

غـداً يفطِمنـا الصومُ　　عـن الـرّاح إلى الفِطْرِ

قال : فسألتُ الحسينَ بن الضحّاك عمّا أثّر له هذا الشعرُ وما كان الجواب ؛ فقال : كان أحسنَ جواب وأجملَ فعل ، كان اجتماعُنا قبل الصوم في بستان لمولاه ، وتَمّمْنا سرورَنا وقضيْنا أوطارَنا إلى الليل ، وقلتُ في ذلك[1] : [من الطويل]

سقى اللهُ بطنَ الدَّيْرِ من مستوى السَّفْح　　إلى ملتقـى النَّهريـن فالأَثْلِ فالطَّلْحِ
مَلاعِبُ قُدْنَ القلبَ قَسْراً إلى الهوى　　ويَسَّرْنَ مـا أمّلتُ مـن دَرَك النُجْحِ
أتنسْى فـلا أنسى عتابَـك بينهـا　　حبيبَك حتـى انقاد عفواً إلى الصلحِ
سمحتُ لَمـن أهْـوى بصفو مودَّتـي　　ولكنّ مـن أهواه صِيـغ على الشُّحّ

[يصف أيّامه مع يسر في البصرة والقفص]

قال عليّ بن العبّاس : وأنشدني سَوادةُ بن الفَيْض عن أبيه لحسين بن الضّحّاك يصف أيّاماً مضَتْ له بالبصرة ويومَه بالقُفْص ومجيء يُسْرٍ إليه ، وكان يسرٌ سأله أن يقول في ذلك شعراً[2] : [من المنسرح]

تَيَسَّري للِّمـام مـن أَمَـمِ　　ولا تُراعِـي حمامـةَ الحَـرَمِ
قـد غـاب لا آب من يُراقبنا　　ونـام لا قـام سامـرُ الخَدَمِ
فاستَصْحِبـي مُسْعِـداً يفاوضُنا　　إذا خَلَوْنـا في كلِّ مُكْتَتَـمِ
تَبَذَّلي بِذْلـةً تَقَـرُّ بهـا الـ　　ـعينُ ولا تَخْصَري وتحتشمي
ليـت نجومَ السماء راكـدةٌ　　عـلى دُجـى ليلِنـا فلم تَرِمِ
مـا لسروري بالشكِّ ممتزجاً　　حتـى كأنّـي أراه في حُلُمِ
فَرِحْتُ حتى استخفّني فرحي　　وشُبْتُ عـين اليقـين بالتُهَمِ
أمسحُ عيني مُسْتَثبِتاً نظـري　　أخالُنـي نائمـاً ولم أنَمِ
سَقْيـاً لليـلٍ أفنيتُ مدّتَـه　　بـبارد الرِّيـق طيِّـبِ النَّسَمِ
أبيضَ مُرْتَجَّـةٍ روادفُـه　　مـا عِيب من قَرنه إلى القدمِ
إذ قَصَبـاتُ العَريش تجمعنا　　حتى تجلَّـت أواخـرُ الظُّلَمِ

1 شعره : 35 عن الأغاني .
2 شعره : 104-105 .

وليلـــةٍ بتّهـــــا محسَّدَةٍ محفوفـةٍ بالظنـون والتُّهَـمِ
أَبَـثُّ عَبْراتــه على غَصَصٍ يَـرُدّ أنفـاسَه إلى الكَظَمِ[1]
سَقْيـاً لقَيْطُونهـــا ومُخْدَعِها كم مـن لِمام بـه ومن لَمَمِ[2]
لا أكفُـر السَّيْلَحِين أزْمِنـةً مطيعـةً بالنَّعيـم والنِّعـمِ[3]
وليلة القُفْص إن سألتَ بهـا كانت شفاءٌ لعلّـة السَّقَـمِ
بـات أنيسي صريـعَ خمرتِه وتلك إحدى مصارع الكرم
وبتّ عـن مَوْعِدٍ سبَقتُ بـه ألثَـمِ دُرّاً مُفَلَّجـاً بفَـمِ
وابأبي مـن بدا بروْعةِ «لا» وعاد مـن بعدها إلى «نَعَمِ»
أباحنـــي نفسَه ووسَّــدني يُمْنى يديـه وبات مُلْتزِمي
حتى إذا اهتاجت النوافسُ في سُحْرةِ أحْـوى أحَمّ كالحُمَمِ
وقلتُ هُبَّـا يا صاحبيَّ ونبَّـ ــهتُ أبانـاً فهَـبَّ كالزَّلَمِ
فاستنّها كالشّهـاب ضاحكةً عن بارقٍ في الإنـاء مُبْتَسِمِ
صفـراءَ زيْتيّـةً موشَّحـةً بأرْجـوانٍ مُلَمَّـع ضَـرِمِ
أخـذتُ ريحانـةً أراحُ لهـا دبَّ سروري بها دبيبَ دَمي[4]
فراجعِ العذرَ إن بدا لك في الـ ـعُذر وإن عُـدْتَ لائماً فَلُمِ

[احتجاب يسر]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدَّثني المُعْتَمِر بن الوليد المخزوميّ قال : قال لي الحسين بن الضّحّاك وهو على شراب له : ويحكم أحدّثكم عن يُسْرٍ بأعجوبة ؟ قلنا : هات . قال : بلغ مولاه أنّه جَرى له مع أخيه سببٌ ، فحجَبه كما تُحْجَب النساء ، وأمر بالحَجْر عليه ، وأمره ألاّ يخرجَ عن داره إلاّ ومعه حافظٌ له موكَّل به . فقلتُ في ذلك[5] : [من مجزوء الرمل]

1 الكظم : مخرج النفس من الحلق .
2 القيطون : البيت أو المخدع .
3 السيلحين : موضع قرب الحيرة .
4 دب سروري في ل : دب فنومي .
5 شعره : 122 .

ظنّ مَــن لا كان ظنّاً | بحبيبـــي فحَمــــاهُ
أرْصَدَ البـابَ رقِيبيـ | ـــن لــه فــاكتَنَفاهُ
فإذا مــا اشتاق قربي | ولقائـــي مَنَعـــاهُ
جعــل الله رقيبيــ | ــه مــن السوء فِداهْ
والذي أقرح في الشا | دن قلبـــي ولَـــواهْ
كلُّ مشتـاق إليـــه | فمــن السوء فِــداهْ
سِيّما من حالت الأحـ | ـــراسُ من دون مُناهْ

[سأل أبا نواس إصلاح أمره مع يسر]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثنا أحمد بن العبّاس الكاتب قال حدَّثني عبد الله بن زكريّا الضَّرير قال : قال أبو نواس : قال لي حسين بن الضحّاك يوماً : يا أبا عليّ ، أما ترى غضبَ يُسْرٍ عليّ ؟ فقلت له : وما كان سبب ذلك ؟ قال : حالٌ أردتُها منه فمنَعنيها فغضبتُ ؛ فأسألك أن تُصلِحَ بيني وبينه . فقلت : وما تحبّ أن أُبْلِغه عنك ؟ قال : تقول له[1] : [من السريع]

بحُرْمـــة السُّكْرِ ومــا كانا | عزَمْتَ أن تقتل إنسانا !
أخاف أن تهجُرني صاحياً | بعد سروري بك سكرانا
إنّ بقلبــي روعـةً كلّمــا | أضمر لي قلبُــك هِجرانا
يــا ليت ظنّي أبداً كاذبٌ | فإنّـــه يصــدُق أحيــانا

قال : فقلت له : وَيْحَك ! أتجتنبه وتريد أن تترضّاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة ! فقال لي : أنا أعْرَف به ، وهو كثير التبذّل ، فأبْلِغه ما سألتُك ؛ فأبلغتُه فرضي عنه وأصلحتُ بينهما .

[زائرة على غفلة]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال : جاءَني يوماً حسين بن الضحّاك ، فقلت له : أيّ شيء كان خبرُك أمسِ ؟ فقال لي : اسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن ؛ فقلت : هات يا سيّدي ؛ فقال[2] : [من السريع]

زائـــرةٌ زارت عـــلى غفلـةٍ | يـــا حبّـذا الزَّوْرةُ والزائرهْ
فلـــم أزَلْ أخدَعُهـــا ليلتي | خديعـــةَ السَّاحـــرِ للسَّاحِرهْ

---

1 شعره : 116 عن الأغاني .
2 شعره : 67 .

حتى إذا ما أَذعَنَتْ بالرِّضا وأَنعَمَتْ دارتْ بها الدائرهْ
بتُّ إلى الصُّبح بها ساهراً وباتت الجوزاءُ بي ساهرهْ
أَفعل ما شئتُ بها ليلتي ومِلءُ عيني نعمةٌ ظاهرهْ
فلم ننم إلاّ على تسعة من غُلْمة بي وبها ثائرهْ
سَقْياً لها لا لأُخي شِعْرة شِعْرتُه كالشّعرة الوافِرهْ
وبين رجليه له حَرْبةٌ مشهورةٌ في حَقْوه شاهرهْ
وفي غدٍ يتبعها لحيةٌ تُلحقه بالكَرَّة الخاسرهْ

قال : فقلت له : زنيتَ يعلم الله إن كنتَ صادقاً . فقال : قُل أَنت ما شئتَ .

[أغرى الواثق بالصبوح]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أَبو العَيْناء قال : دخل حسين بن الضّحّاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيّب ، فحثّه على الصَّبُوح فلم ينشَط له . فقال : اسمع ما قلتُ ؛ قال : هات ؛ فأَنشده[1] : [من المنسرح]

إسْتثِرِ اللهوَ من مكامنه من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهي
بابنة كرْم من كفّ مُنْتطِقٍ مُؤْتَزِرٍ بالمُجون تيّاهِ
يَسقيك من لحظه ومن يده سقيَ لطيفٍ مجرِّب داهي
كأساً فكأساً كأَنّ شاربها حيرانُ بين الذَّكور والسّاهي

قال : فنشِط الواثق وقال : إنّ فرصةَ العيش لحقيقةٌ أَن تُنْتهز ؛ واصطبح ووصَل الحسين .

[ضيعة الاثنين]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أَبو الشِّبْل عاصمُ بن وَهْب البُرْجُميّ قال : حجّ الحسين بن الضّحّاك ، فمرَّ في مُنْصَرَفه على موضع يعرف بالقَرْيَتَيْن ، فإذا جارية تَطَّلع في ثيابها وتنظُر في حِرِها ثم تضربه بيدها وتقول : ما أَضيعني وأَضيعك ! فأَنشأ يقول[2] : [من المنسرح]

مررتُ بالقريتين مُنصرِفاً من حيث يقضي ذوو النُّهَى النُّسُكا
إذا فتاةٌ كأَنّها قمرٌ للتَّمّ لَمّا توسَّط الفَلَكا

1 تقدّمت هذه الأَبيات في خبر مختلف مع الواثق مرّتين .
2 شعره : 91 عن الأَغاني .

واضعــةٌ كفَّهــا عــلى حِرِهــا ... تقــول يــا ضَيْعتــي وضَيْعَتكا

قال : فلمّا سمعتْ قولَه ضحكتْ وغطَّتْ وجهَها وقالتْ : وافضِيحتاه ! أَوَقد سمعتَ ما قلتُ ؟ .

[في شفيع خادم المتوكّل]

حدَّثني محمَّد الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : كان الحسين بن الضّحّاك صديقاً لأَبي ، وكنت أَلقاه معه كثيراً ، وكانت نفسه قد تتبّعتْ شَفيعاً بعد انصرافه من مجلس المتوكّل ؛ فأَنشَدنا لنفسه فيه[1] : [من الطويل]

وأَبيض في حُمْــر الثيــاب كأَنّه ... إذا مــا بــدا نِسْرِينَةٌ في شقائقِ
سقاني بكفَّيْــه رحيقــاً وسامَني ... فسُوقاً بعينيــه ولستُ بِفاسقِ
وأُقسم لولا خشيةُ الله وحــدَه ... ومــن لا أُسمِّي كنتُ أَوّلَ عاشقِ
وإنّــي لمعــذورٌ عــلى وَجَناته ... وإن وسَمَتْنــي شيبةٌ في المَفارقِ
ولا عِشْقَ لي أَو يُحْدِثَ الدَّهرُ شِرَّةً ... تعــود بعاداتِ الشبــاب المُفارقِ
ولــو كنتُ شكلاً للصِّبا لاتّبعتُه ... ولكن سنّــي بالصِّبــا غيرُ لائقِ

[طلب من المتوكّل إجراء أرزاق ابنه على زوجته وأولاده]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قال : كان للحسين بن الضّحّاك ابن يسمَّى محمَّداً ، له أَرزاق ، فمات فقُطِعتْ أَرزاقه . فقال يخاطب المتوكّل ويسأله أَن يجعلَ أَرزاقَ ابنه المتوفَّى لزوجته وأَولاده[2] : [من مجزوء الكامل]

إنّــي أَتيتُــك شافعــاً ... بــوليِّ عهــد المسلمينا
وشبيهِــك المعتــزّ أَو ... جــهِ شافــع في العالَمينا
يا ابن الخَلائــف الأَوّليـ ... ـن ويــا أَبــا المتأخِّرينا
إنّ ابن عبدك مــات والأَ ... يّــامُ تختَــرِم القَرينا
ومضــى وخلَّــف صبيةً ... بعِراصِــه مُتَلَــدّدينا[3]
ومُهَيْرةً عَبْــرى خِــلا ... فَ أَقــاربٍ مُسْتَعْبِرينا

---

1 شعره : 85- 86 .
2 شعره : 120 .
3 المتلدّد : المتحيّر .

أصبحنَ في رَيـبِ الحوا دث يُحسنون بك الظُّنونا
قطَـع الـوُلاةُ جِرايـةً كانـوا بهـا مُسْتَمْسِكينا
فامنُنْ بـردّ جميع مـا قطعـوه غيـرَ مـراقِبينا
أعطاك أفضلَ مـا تؤمِّـ ـل أفضـلُ المتفضِّلينا

قال : فأمر المتوكّل له بما سأل . فقال يشكره[1] : [من البسيط]

يا خيرَ مُسْتَخْلَفٍ من آلِ عبّاسِ اسْلَمْ وليس على الأيّام مـن باسِ
أحييْتَ مـن أملي نِضْواً تعاوَرَه تَعاقُبُ اليأسِ حتى مـات بالياسِ

[هجا مغنية فهربت وانقطع خبرها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن مالك قال : كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضّحّاك ونحن على نبيذ ؛ فعبث بالمغنّية وجَمَّشها ؛ فصاحت عليه واستخفّتْ به . فأنشأ يقول[2] : [من مجزوء الوافر]

لهـا في وجهِها عُكَـنُ وثُلْثـا وجههـا ذَقَـنُ
وأسنـانٌ كريشِ البَـ ـطّ بين أصولها عَفَنُ

قال : فضحكنا وبكت المغنّيةُ حتى قلتُ قد عَمِيَتْ ؛ وما انتفعنا بها بقيَّة يومنا . وشاع هذان البيتان فكَسَدَتْ من أجلهما . وكانت إذا حضرتْ في موضع أُنشدوا البيتين فتُجَنّ . ثم هربتْ من سُرَّ من رأى ، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً .

قال جعفر وحدَّثنا أبو العَيْناء أنّه حضر هذا المجلس ، وحكى مثلَ ما حكاه محمَّد .

[سنّه]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني يزيد بن محمَّد المهلَّبيّ قال : سألتُ حسين بن الضّحّاك ونحن في مجلس المتوكّل عن سنّه ؛ فقال : لستُ أحفظ السنةَ التي وُلِدتُ فيها بعينها ، ولكنّي أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعْبَة بن الحجّاج سنة ستّين ومائة .

[اعتذاره للمتوكّل بكبر السنّ]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر قال حدَّثني خالي (يعني أحمد بن حمدون) قال : أمر المتوكّل أن يُنادمه حسين بن الضّحّاك ويلازمَه ؛ فلم يُطِقْ ذلك لكِبَر

---
1 شعره : 68 .
2 شعره : 109 عن الأغاني .

سنّه . فقال للمتوكّل بعضُ مَن حضر عنده : هو يُطيق الذّهابَ إلى القُرَى والمَواخيرِ والسكرَ فيها ويعجِز عن خدمتك ؛ فبلغه ذلك ، فدفع إليّ أبياتاً قالها وسألني إيصالها ؛ فأوصلتُها إلى المتوكّل ، وهي[1] : [من المتقارب]

أمَـا في ثمانيـن وفّيتُهـا عَذِيـرٌ وإن أنـا لم أعْتَـذرْ
فكيف وقـد جُزتُها صاعداً مع الصّاعديـن بتِسْع أُخَرْ
وقـد رفـع اللهُ أقلامَـه عن ابـن ثمانين دون البشرْ
سوى مـن أصرّ على فتنـةٍ وألْحَـد في دينـه أو كفـرْ
وإنّـي لَمـن أسَراء الإلــ ـه في الأرض نُصْبَ صروفِ القدرْ
فإن يَقْضِ لي عمـلاً صالحاً أثـاب وإن يَقضِ شرّاً غَفَرْ
فـلا تَلْـحَ في كِبَرٍ هـدَّني فلا ذنبَ لي أنْ بَلَغتُ الكِبَرْ
هو الشيبُ حلّ بعَقْب الشباب فأعقبنـي خَـوَراً مـن أشَرْ
وقـد بسَط اللهُ لي عـذرَه فمـن ذا يلوم إذا مـا عذَرْ
وإنّـي لَفـي كَنَفٍ مُغْـدِقٍ وعـزٌ بنصر أبـي المنتَصِرْ
يُباري الريـاحَ بفضل السما ح حتـى تَبَلَّدَ أو تَنْحسِرْ
لـه أكّـد الوحـيُ ميراثَه ومن ذا يُخالف وَحْيَ السُّوَرْ
ومـا للحسود وأشياعِـه ومَنْ كذَّب الحـقَّ إلاّ الحَجَرْ

قال ابن حمدون : فلمّا أوصلتُها شيّعتُها بكلامي أعذِره ، وقلت : لو أطاق خدمةَ أمير المؤمنين لكان أسعدَ بها . فقال المتوكّل : صدَقتَ ، خُذْ له عشرين ألف درهم واحملْها إليه ؛ فأخذتُها فحملتُها إليه .

[ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر قال حدَّثني خالي عن حسين بن الضّحّاك قال : ضربني الرشيد في خلافته لصُحْبَتي ولدَه ، ثم ضربني الأمينُ لُمايَلة ابنه عبد الله ، ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمَّد ، ثم ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العبّاس بن المأمون ، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكّل ، وكلّ ذلك يَجري مجرى الوَلَع بي والتحذير لي . ثم أحضرني المتوكّل وأمَر شفيعاً بالوَلَع بي ، فتغاضب المتوكّل عليّ . فقلت له :

---

1 شعره : 52–53 .

يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك ، فاعلم أنّ آخر ضَرْب ضُرِبتُه بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن إليك يا حسين وأصونك وأُكرمك .

[حاله في أواخر أيّامه]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مروان الأبزاريّ[1] قال : دخلت على حسين بن الضّحّاك ، فقلت له : كيف أنت ؟ جعلني الله فداءك ! فبكى ثم أنشأ يقول[2] : [من البسيط]

أصبحتُ من أُسَراء الله مُحتَبَساً ... في الأرض نحو قضاء الله والقَدَرِ
إنّ الثمانين إذ وفّيْتُ عِدّتها ... لم تُبْقِ باقيةً منّي ولم تَذَرِ

1 نسبة إلى الأبزار وهي قرية قريبة من نيسابور وقد تقدّم «الأنباري» .
2 شعره : 62 .

[107] ـ أخبار أبي زكّار الأعمى[1]

[مغنٍّ بغداديّ قديم انقطع لآل برمك]

قال أبو الفرج : أبو زكّار هذا رجلٌ من أهل بغداد من قدماء المُغنِّين ، وكان منقطِعاً إلى آل برمك ، وكانوا يُؤْثِرونه ويُفضِلون عليه إفضالاً .

[قتل جعفر البرمكيّ وهو يغنّيه]

فحدَّثني محمَّد بن جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : سمعت مسروراً يحدِّث أبي قال : لمّا أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى ، دخلتُ عليه وعنده أبو زكّار الأعمى وهو يغنّيه بصوت لم أسمع بمثله : [من الوافر]

فـلا تَبْعَـدْ فكـلُّ فتىً سيأتي عليه الموتُ يَطرُق أو يُغادي[2]

وكلّ ذخيرةٍ لا بـدّ يومـاً وإن بَقِيَـتْ تصير إلى نَفادِ

ولو يُفْدَى من الحدثان شيءٌ فديتُـك بالطَّريـف وبالتِّلادِ

فقلت له : في هذا والله أتيتُك ! فأخذت بيده فأقمتُه وأمرت بضرب عنقه .

[طلب أن يقتل مع جعفر]

فقال لي أبو زكّار : نَشَدتُك اللهَ إلاّ أَلحقتَني به . فقلتُ : وما رغبتُك في ذلك ؟ قال : إنّه أغناني عمَّن سواه بإحسانه ، فما أُحبُّ أن أبقى بعده . فقلت : أَسْتأمِرُ أميرَ المؤمنين في ذلك . فلمّا أتيتُ الرشيدَ برأس جعفر أخبرته بقصّة أبي زكّار ؛ فقال لي : هذا رجل فيه مُصْطَنَعٌ ، فاضْمُمْه إليك وانظر ما كان يُجريه عليه فأتْممْه له .

[صوت معرق في العمى]

حدَّثني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال : غنَّى عَلّويه يوماً بحضرة أبي ؛ فقال أبي : مَهْ ! هذا الصوت مُعْرِقٌ في العَمَى . الشِّعر لبشّار الأعمى ، والغناء لأبي زكّار الأعمى ، وأوّلُ الصوت «عميت أمري» .

---

1 يذكر أبو زكار الأعمى في جميع كتب التاريخ التي تتحدّث عن نكبة البرامكة . أنظر الطبري (أبو الفضل إبراهيم 8 : 295) ، ووفيات الأعيان 1 : 338 .

2 فلا تبعد : هذا دعاء .

صوت
من المائة المختارة
من رواية جحظة عن أصحابه[1]

[من الخفيف]

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ على القلب منّي   فيكِ إلاّ استتَرْتُ عن أُصحابي
من دموعٍ تجري ، فإن كنتُ وحدي   خاليـاً أسعدتْ دموعـي انتحابي
إن حبِّـي إيّاكِ قـد سَلّ جسمي   ورمـاني بالشيب قبـل الشبابِ
لو مَنَحْتِ اللقا شَفى بك صبّاً   هائمَ القلب قـد ثوى في الترابِ

الشعر في الأبيات للسيّد الحِمْيَريّ . والغناء لمحمَّد نَعْجة الكوفيّ ، مُغَنّ غير مشهور ولا ممّن خدم الخلفاء وليس له خبر . ولحنه المختارُ ثاني ثقيل مطلَق في مجرى البنصر . وذكر حبش أنّ لمحمَّد نعجة فيه أيضاً خفيفَ رمل بالبنصر .

1 ديوانه : 118–119 عن الأغاني .

[108] ـ أَخبار السيّد الحِمْيرِيّ[1]

[نسبه]

السيّد لقبُه . واسمه إسماعيل بن محمَّد بن يزيد بن رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيَريّ . ويكنى أَبا هاشم . وأُمّه امرأة من الأَزْد ثم من بني الحُدّان . وجدُّه يزيد بن رَبيعة ، شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً[2] وبنيه ونفاهم عن آل حرب ؛ وحبسه عُبَيْد الله بن زياد لذلك وعذَّبه ، ثم أَطلقه معاوية . وخبرُه في هذا طويـل يُذكـر في موضعه مع سائر أُخباره ؛ إذ كان الغرض هاهنا ذكرَ أَخبارِ السيّد .

ووجدتُ في بعض الكتب عن إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ قال : سمعتُ ابن عائشة والقَحْذَميّ يقولان : هو يزيد بن مُفَرِّغ ، ومَن قال : إنّه يزيد بن معاوية فقد أَخطأ . ومفرِّغ لقب ربيعة ؛ لأَنّه راهن أَن يشرب عُسّاً من لبن فشربه حتى فرَّغه ؛ فلُقِّب مفرِّغاً . وكان شَعَّاباً بسَيالة[3] ، ثم صار إلى البصرة .

[ترك شعره لذمّه الصحابة]

وكان شاعراً متقدِّماً مطبوعاً . يقال : إنّ أَكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشّار ، وأَبو العتاهية ، والسيِّد ؛ فإنّه لا يُعْلم أَنّ أَحداً قدر على تحصيل شعر أَحد منهم أَجمع .

وإنّما مات ذكرُه وهجَر الناسُ شعرَه لما كان يُفرِط فيه من سَبّ أَصحاب رسول الله ﷺ وأَزواجِه في شعره ويستعمله من قذفِهم والطعنِ عليهم ، فتُحُومي شعرُه من هذا الجنس وغيرِه لذلك ، وهجره الناس تخوُّفاً وتراقُباً . وله طِراز من الشعر ومذهبٌ قلَّما يُلْحَقُ فيه أَو يُقَاربه . ولا يُعرف له من الشعر كثيرٌ وليس يخلو من مدح بني هاشم أَو ذمّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم . ولولا أَنّ أَخباره كلّها تجري هذا المَجْرى ولا تَخرج عنه لوجب أَلاّ نذكر منها شيئاً ؛ ولكنّا شَرَطنا أَن نأتي بأَخبار مَنْ نذكره من الشعراء ؛ فلم نجد بُدّاً من ذكر أَسلمِ ما وجدناه له وأَخلاها من سيّىء اختياره على قلّة ذلك .

---

1 للسيد الحميري ترجمة في طبقات ابن المعتزّ : 32 وابن خلكان 6 : 343 وفوات الوفيات 1 : 188–193 والوافي 9 رقم 5003 وقد جمع ديوانه شاكر هـادي شكر (منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت) .

2 المقصود زياد بن أَبيه والي معاوية على العراق .

3 الشعـاب : الذي يصلح شعب الإناء أَي صدعه . والسيالة : أَوّل مرحلة بعد المدينة في طريق الذاهب إلى مكّة .

[كان أبواه إباضيين ولمّا تشيّع همّا بقتله]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيِّد ، قال ابن عمَّار وحدَّثني أحمد بن سليمان بن أبي شَيْخ عن أبيه : أنّ أبَوَي السيّد كانا إباضِيّين ، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضَبّة ، وكان السيّد يقول : طالما سُبَّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة . فإذا سُئِلَ عن التشيُّع من أين وقع له ، قال : غاصَتْ عليّ الرحمةُ غَوْصاً .

ورُوي عن السيِّد أنّ أبويه لمّا علِما بمذهبه هَمَّا بقتله ؛ فأتى عُقْبَةَ بن سَلْم الهُنائيّ فأخبره بذلك ، فأجاره وبَوَّأه منزلاً وهَبه له ، فكان فيه حتى ماتا فورِثهما .

[على مذهب الكيسانية]

وقد أخبرني الحسن بن علي البُزّيّ عن محمَّد بن عامر عن القاسم بن الرَّبيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالحنزق راوية السيّد الحِمْيريّ قال : ما مضى والله إلاّ على مذهب الكَيسانية . وهذه القصائدُ التي يقولها[1] الناس مثل : [من الطويل]

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ

و تجعفرتُ باسم الله فيمَن تجعفرا

وقوله[2] : [من الطويل]

أيــا راكبـاً نحو المدينة جَسْرةً عُذافِرةً تهوِي بها كلَّ سَبْسَبِ[3]

إذا ما هداك اللهُ لاقيتَ جعفراً فقل يا أمينَ الله وابنَ المهذَّبِ[4]

لغلام للسيّد يقال له قاسم الخيّاط ، قالها ونَحَلها للسيّد ، وجازت على كثير من الناس ممّن لم يعرف خبرَها ، بمحل قاسم منه وخدمتِه إيّاه .

[أوصافه ومواهبه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوفليّ قال حدَّثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفُضَيل بن بَشّار قال : كان السيِّدُ أسمَر ، تامَّ القامة ، أشنَب[5] ، ذا وَفْرةٍ ،

---

1 ل : ينشدها .

2 ديوانه : 114–117 ولم يشر إلى كونها لغلامه قاسم الخيّاط .

3 تهوي في الديوان : يطوي .

4 رواية هذا البيت في الديوان :

إذا ما هداك الله عاينت جعفراً فقـل لـولي الله وابن المهذّب

5 الشنب : بياض الأسنان وبريقها .

حسنَ الألفاظ ، جميلَ الخطاب ، إذا تحدّث في مجلس قومٍ أعطى كلَّ رجل في المجلس نصيبَه من حديثه .

[رأي الفرزدق فيه وفي عمران بن حطّان]

أخبرني أحمد قال حدَّثني محمَّد بن عَبّاد عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن لَبْطة بن الفرزدق قال : تذاكرنا الشعراءَ عند أبي ، فقال : إنّ هاهنا لرجلين لو أخَذا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء . فسألناه من هما ؟ فقال : السيّد الحميريّ وعِمْران بن حِطّان السَّدوسيّ ، ولكنّ الله عزّ وجلّ قد شغَل كلَّ واحد منهما بالقول في مذهبه .

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال حدَّثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشّار قال : كان السيّد أسمر ، تامَّ الخلقة ، أشْنَب ، ذا وَفْرة ، حسنَ الألفاظ ، وكان مع ذلك أنْتَن الناس إبطين ، لا يقدِر أحدٌ على الجلوس معه لنَتْن رائحتهما .

[رأي الأصمعيّ]

قال حدَّثني التَّوَّزِيّ قال : رأى الأصمعيّ جزءاً فيه من شعر السيِّد ، فقال : لمَن هذا ؟ فسترتُه عنه لعلمي بما عنده فيه ؛ فأقسم عليّ أن أخبِره فأخبرتُه ؛ فقال : أنْشِدْني قصيدةً منه ؛ فأنشدتُه قصيدةً ثم أخرى وهو يَسْتزيدني ، ثم قال : قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول ! لولا مذهبُه ولولا ما في شعره ما قدّمتُ عليه أحداً من طبقته .

[رأي أبي عبيدة]

أخبرني محمَّد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم قال : سمعتُ أبا عبيدة يقول : أشعر المُحْدَثين السيّد الحميريّ وبشّار .

[مذهبه]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ عن أبي شُراعة القَيْسيّ عن مسعود بن بِشر : أنّ جماعةً تذاكروا أمرَ السيّد ، وأنّه رجَع عن مذهبه في ابن الحَنَفيّة وقال بإمامة جعفر بن محمَّد[1] . فقال ابنُ الساحر راوِيته : والله ما رجع عن ذلك ولا القصائدُ الجَعْفريّات إلاّ منحولةٌ له قيلتْ بعده . وآخرُ عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمِع رجلاً يروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام : «إنّه سيُولد لك بعدي ولدٌ وقد نَحَلته اسمي وكُنْيتي» فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها[2] : [من الوافر]

1 أي أنّه تحول عن الكيسانية إلى مذهب الإمامية .

2 ديوانه : 181–184 .

أشاقَتْـكَ المنازلُ بعـد هند ... وتِرْبيهـا وذاتِ الـدَّلِّ دَعْدِ
منـازل أقفرتْ منهنّ مَحّتْ ... معالمُهـنّ مـن سَبَلٍ ورَعْدِ[1]
وريح حَرْجَـفٍ تَسْتَنُّ فيهـا ... بسافي التُّرْب تُلْحِم ما تُسَدِّي[2]
أَلَـم يَبْلُغك والأنباءُ تَنْمِي ... مقـالُ محمَّـدٍ فيمـا يؤدِّي
إلى ذي علمـه الهـادي علي ... وخَوْلَةُ خادمٌ في البيت تَرْدِي[3]
أَلَمْ تَـرَ أنّ خولَةَ سوف تأتي ... بواري الزَّند صافي الخِيم نَجْدِ[4]
يفـوز بكنيتي واسمـي لأنّي ... نَحَلْتُهمـاهُ والمهـديّ بعدي
يُغَيَّب عنهـمُ حتـى يقولوا ... تضمَّنـه بطَيْبـةَ بطـنُ لَحْدِ
سنينَ وأشهراً ويُرى برَضْوى ... بشِعْـب بـين أنْمـار وأُسْدِ
مقيـم بـين آرامٍ وعِـينٍ ... وحَفَّانٍ تروح خِـلالَ رُبْدِ[5]
تُراعيهـا السِّباع وليس منهـا ... ملاقيهـنّ مفتـرساً بحَـدِّ
أَمِنّ بـه الرَّدى فرتَعْن طوراً ... بلا خوف لدى مَرْعىً ووِرْدِ
حلَفْتُ بربّ مكّـةَ والمُصَلَّى ... وبيتٍ طاهـرِ الأركان فَرْدِ
يطوفُ بـه الحَجيجُ وكلَّ عامٍ ... يَحُلّ لديه وفـدٌ بعـد وفدِ[6]
لقد كان ابنُ خَوْلَةَ غيرَ شكٍّ ... صَفاءَ ولايتي وخُلُوصَ وُدِّي
فمـا أحـدٌ أحبّ إليّ فيما ... أُسِرّ ومـا أبوح بـه وأُبدي
سوى ذي الوحي أحمد أو عليٍّ ... ولا أزكى وأطيب منه عندي
ومن ذا يا ابنَ خولة إذ رمتني ... بأسْهُمها المنيّةُ حـين وعدي
يُذَبِّـبُ عنكـمُ ويَسُدّ ممّـا ... تَثَلّم مـن حصونكم كسَدِّي
وما لي أن أُمَـرَّ بـه ولكن ... أؤمِّل أن يؤخَّـر يـومُ فقدي

1 محّت : عفت . السبل : المطر .
2 الريح الحرجف : الريح الباردة . تستن : تسرع . بسافي في ل : بهاري .
3 تردي : تلعب .
4 الخيم : الطبيعة والسجية .
5 حفان : صغار النعام .
6 يطوف في ل : يطيف .

فأُدرك دولةً لك لستَ فيها بجبَّار فتوصَف بالتَّعدِّي
على قوم بَغَوْا فيكم علينا لتُعْدِي منكم يا خيرَ مُعْدِ[1]
لِتَعْلُ بنا عليهم حيث كانوا بغَوْرٍ من تِهامة أو بنجدِ
إذا ما سِرتَ من بلد حرامٍ إلى مَن بالمدينة من مَعَدٍّ
وماذا غرَّهم والخيرُ منهم بأشْوَسَ أعْصَلِ الأنيابِ وَرْدِ[2]
وأنت لِمَن بغى وعَدا وأذكى عليك الحربَ واسترداك مُرْدِ

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة غناء ؛ نسبته : [من الوافر]

صوت

أشاقتك المنازلُ بعد هندِ وترْبُيْها وذاتِ الدَّلّ دعدِ
منازلُ أقفرت منهنّ مَحَّتْ معالمَهُنّ من سَبَلٍ ورعدِ

عروضُه من الوافر . الشعر للسيّد الحِميريّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن يحيى المكّيّ . وذكر الهشاميّ أنّه لكَرْدَم . وذكر عمرو بن بانة أنّ اللّحن لمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيّد : كنتُ عنده يوماً في جَناح له ، فأجال بصرَه فيه ثم قال : يا إسماعيل ، طال والله ما شُتِم أميرُ المؤمنين عليٌّ في هذا الجناح . قلت : ومَن كان يفعل ؟ قال : أبواي . وكان يذهب مذهبَ الكَيْسانيّة ويقول بإمامة محمَّد بن الحنفيّة ، وله في ذلك شعر كثير . وقد روى بعضُ مَن لم تَصِحَّ روايتُه أنّه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإماميّة ، وله في ذلك[3] : [من الطويل]

تجعفرتُ باسم الله واللهُ أكبر وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفِرُ

وما وجدنا ذلك في رواية مُحَصِّل ، ولا شعرُه أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب ، لأنّ هذا شعر ضعيفٌ يتبيّن التوليدُ فيه ، وشعرُه في قصائده الكيسانيّة مُباينٌ لهذا جزالةً ومتانةً ،

---

1 المعدي : الناصر .

2 أعصل الأنياب : معوجها .

3 هكذا رواية البيت في طبقات ابن المعتزّ وفي الديوان :

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا
وناديتُ باسم الله والله أكبرُ وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفر

ولم يُشر جامعه إلى الأغاني مع أنّه من مصادره .

وله رونق ومعنى ليسا لِما يُذكر عنه في غيره .

[رأي الأصمعيّ مرّة أُخرى]

أخبرني[1] عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمَّد بن يزيد الثُّماليّ قال حدَّثني التَّوَّزيّ قال قال لي الأصمعيّ : أُحِبّ أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحميريّ فَعَل الله به وفعل ؛ فأتيته بشيء منه ؛ فقرأه فقال : قاتَله الله ! ما أطْبَعه وأسلكه لسبيل الشعراء ! والله لولا ما في شعره من سبّ السَّلَف لَما تقدّمه من طبقته أحد .

[رأي أبي عبيدة مرّة أُخرى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال : أتيتُ أبا عبيدة مَعْمَر بن المُثَّى يوماً وعنده رجلٌ من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً ؛ فلمّا رآني أطبقه . فقال له أبو عبيدة : إنّ أبا زيد ليس ممّن يُحْتشم منه ، فاقرأ . فأخذ الكتاب وجعل يقرؤه ، فإذا هو شعر السيّد . فجعل أبو عبيدة يَعجَبُ منه ويستحسنه . قال أبو زيد : وكان أبو عبيدة يَرويه . قال : وسمعتُ محمَّد بن أبي بكر المُقَدَّميّ يقول : سمعت جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ يُنشد شعر السيّد .

أخبرني ابن دُرَيْد قال : سُئل أبو عبيدة مَنْ أشعرُ المولَّدِين ؟ قال : السيّد وبشَّار .

[عدم الإحاطة بشعره]

وقال الموصليّ حدّثني عمِّي قال : جمعتُ للسيّد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة ؛ فخِلْتُ أنْ قد استوعبتُ شعرَه ، حتى جلس إليّ يوماً رجلٌ ذو أطمارٍ رَثَّةٍ ، فسمعني أُنشد شيئاً من شعره ، فأنشدني له ثلاثَ قصائد لم تكن عندي . فقلت في نفسي : لو كان هذا يعلم ما عندي كلَّه ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجيباً ، فكيف وهو لا يعلم وإنّما أنشد ما حَضَره ؛ وعرفتُ حينئذٍ أنّ شعره ليس ممّا يُدرك ولا يُمكن جمعُه كلّه .

[رأي بشّار فيه]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني الكُرانيّ عن ابن عائشة قال : وقف السيّد على بشّار وهو يُنشد الشعر ؛ فأقبل عليه وقال[2] : [من الخفيف]

أيّها المـادحُ العبـادَ ليُعْطى ... إنَّ لله مـا بأيـدي العبـادِ
فاسأل اللهَ مـا طلبتَ إليهم ... وارْجُ نفـعَ المُنـزِّل العَـوَّادِ

1 تقدّم الكلام على رأي الأصمعيّ وأبي عبيدة في شعره .

2 ديوان السيّد الحميري : 180 وسترِد هذه الأبيات في ترجمة عمران بن حطّان مع الفرزدق ، وانظر ديوان شعر الخوارج ، القطعة (203) .

لا تَقُلْ في الجَواد ما ليس فيه وتُسَمِّي البخيـلَ باسم الجَوادِ

قال بَشَّار : مَن هذا ؟ فعُرِّفَه ؛ فقال : لولا أنّ هذا الرجلَ قد شُغِل عنّا بمدح بني هاشم لشغلَنا ، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا . ورُوي في هذا الخبر أنّ عِمران بن حطّان الشَّارِي[1] خاطب الفرزدَق بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب .

[سبه السلف]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيّب عن أبي سعيد السكّريّ عن الطُّوسيّ قال : إذا رأيتَ في شعر السيّد «دَعْ ذا» فدعه ؛ فإنّه لا يأتي بعده إلاّ سَبُّ السّلف أو بَلِيَّةٌ من بَلاياه .

[تفسير ابن سيرين لرؤياه]

وروى الحسن بن علي بن المعتزّ الكوفيّ عن أبيه عن السيّد قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم وكأنّه في حديقةٍ سَبِخةٍ فيها نخل طِوالٌ وإلى جانبها أرض كأنّها الكافورُ ليس فيها شيء ؛ فقال : أتَدْري لِمَن هذا النخل ؟ قلت : لا يا رسول الله ؛ قال : لامرىء القيس بن حُجْر ، فاقلَعْها واغْرِسها في هذه الأرض ففعلتُ . وأتيْتُ ابنَ سِيرينَ فقَصَصْتُ رؤيايَ عليه ؛ فقال : أتقول الشعر ؟ قلت : لا ؛ قال : أما إنّك ستقول شعراً مثلَ شعر امرىء القيس إلاّ أنّك تقوله في قوم بَرَرة أطهار . قال : فما انصرفتُ إلاّ وأنا أقولُ الشعر .

[شهد جماعة بأنّه مطبوع]

قال الحسن وحدَّثني غانم الورّاق قال : خرجت إلى بادية البصرة فصِرتُ إلى عمرو بن تميم ، فأثبتني بعضُهم فقال : هذا الشيخُ والله راوية . فجلسوا إليّ وأنِسوا بي ، وأنشدتُهم ، وبدأتُ بشعر ذي الرمّة فعَرفوه ، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما ؛ ثم أنشدتُهم للسيّد[2] : [من الطويل]

أتعرِف رسمـاً بالسّويّيْن قـد دَثَـرْ عَفَتْـه أهاضِيبُ السحائب والمطـرْ[3]
وجرَّتْ بـه الأذيالَ ريحـان خِلْفةً صَبـاً ودَبُـورٌ بالعَشيّاتِ والبُكَرْ
منازلُ قـد كانـت تكونُ بجوّها هضيمُ الحشا ريّا الشَّوى سِحرُها النظرْ

---

1 الشاري : أحد الشُّراة وهم طائفة من الخوارج باعوا أنفسهم لله . إشارة إلى الآية ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنّة﴾ .

2 ديوانه : 253 .

3 السّويّين في بعض المصادر ونسخ الأغاني : الثويين . أهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر .

قَطُوفُ الخُطَا خَمْصانةٌ بَخْتَرِيّةٌ كأنّ مُحيّاها سَنا دارة القمرْ
رمَتْني ببُعْد بعد قرب بها النّوى فبانت ولّما أَقْضِ من عَبْدَةَ الوَطَرْ
ولّما رأتني خشيةَ البين مُوجَعاً أُكَفْكِف منّي أدمُعاً فَيْضُها دِرَرْ
أشارتْ بأطرافٍ إليّ ودمعُها كنَظْم جُمانٍ خانه السِّلكُ فانتثرْ
وقد كنتُ ممّا أحدث البينُ حاذِراً فلم يُغْنِ عنّي منه خوفيَ والحذرْ

قال : فجعلوا يُمرِّقون[1] لإنشادي ويطرَبون ، وقالوا : لَمن هذا ؟ فأعلمتهم ؛ فقالوا : هو والله أحدُ المطبوعين ، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثلُه .

[شعر تجوز قراءته على المنابر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشقيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال : سمعتُ عمّي يقول : لو أنّ قصيدةَ السيّد التي يقول فيها[2] : [من الخفيف]

إنَّ يومَ التطهيرِ يومٌ عظيم خُصَّ بالفضل فيه أهلُ الكِساء[3]

قُرِئَتْ على مِنبر ما كان فيها بأسٌ ، ولو أنّ شعره كلَّه كان مثْلَه لرويناه وما عيَّناه .

وأخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال حدّثنا نافع عن التَّوَّزِيّ بهذه الحكاية بعينها فإنّه قالها في : [من الخفيف]

إنّ يوم التّطْهير يوم عظيم

[أعرابيّ يفضّله على جرير]

قال : ولم يكن التوَّزيّ متشيّعاً . قال عليّ بن المغيرة حدَّثني الحسين بن ثابت قال : قدِم علينا رجل بدويٌّ وكان أروى الناسِ لجرير ، فكان يُنشدني الشيءَ من شعره ، فأنْشِد في معناه للسيّد حتى أكثرتُ . فقال لي : ويحك ؛ مَن هذا ؟ هو والله أشعر من صاحبنا .

[مدح السفاح]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثني الحسن بن عُلَيْل العنَزيّ عن ابن عائشة قال : لّما استقام الأمر لبني العبّاس قام السيِّد إلى أبي العبّاس السفّاح حين نزل عن المِنبر فقال[4] : [من السريع]

دُونكُموها يا بني هاشمٍ فجَدِّدوا من عهدها الدّارسا

---

1 يمرقون : يغنون .
2 لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع .
3 أهل الكساء : هم علي وفاطمة والحسن والحسين كما في بعض الروايات .
4 ديوانه : 258–259 مع بعض اختلاف في بعض الأبيات .

دُونَكُموها لا عـلا كعبُ مَنْ　　كان عليكـم مُلكَهـا نافسا
دونَكُموهـا فالْبَسوا تاجَها　　لا تَعْدَمـوا منكم لـه لابسا
لـو خُيِّـر المِنبـرُ فُرسانَـه　　مـا اختار إلاّ منكُـم فارسا
قـد ساسها قبلكُـم ساسةٌ　　لم يتركـوا رَطْبـاً ولا يابسا
ولستُ من أن تَمْلِكوهـا إلى　　مَهْبِـط عيسى فيكـمُ آيسا

فسُرَّ أبو العبّاس بذلك ، وقال له : أحسنتَ يا إسماعيل ! سَلْني حاجتَك ؛ قال : تُوَلّي سليمان بن حبيب الأهواز ، ففعل .

[جعفر بن محمَّد يبكي لسماع شعره]

وذكر التَّميميّ ، وهو علي بن إسماعيل ، عن أبيه قال : كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمَّد إذ استأذن آذِنُه للسيِّد ، فأمره بإيصاله ، وأقعد حُرَمَه خلف سترٍ . ودخل فسلّم وجلس . فاستنشده فأنشده قولَه[1] : [من مجزوء الكامل]

أُمْرُرْ على جَدَث الحسيـ　　ـن فَقُل لأَعْظُمِه الزكيّهْ[2]
آأعْظُما لا زِلْـتِ مـن　　وَطْفـاءَ ساكبةٍ رَوِيّـهْ[3]
وإذا مـررتَ بقبـره　　فأَطِلْ بـه وَقْـفَ المطِيّهْ
وابْـكِ المُطَهَّـرَ للمطهَّـ　　ـر والمطهَّـرة النَّقيّـهْ[4]
كبُكـاءِ مُعْولـةٍ أتـت　　يومـاً لواحدهـا المنيّـهْ[5]

قال : فرأيتُ دموعَ جعفر بن محمَّد تتحدّر على خدّيه ، وارتفع الصُّراخ والبكاء من داره ، حتى أمره بالإمساك فأمسك . قال : فحدّثت أبي بذلك لمّا انصرفت ؛ فقال لي : ويلي على الكَيْساني الفاعل ابن الفاعل ! يقول : [من مجزوء الكامل]

فـإذا مـررتَ بقبـره　　فأَطِل بـه وقْـفَ المطيَّهْ

فقلت : يا أبتِ ، وماذا يصنع ؟ قال : أوَلا يَنحر ! أوَلا يقتُل نفسَه ! فثَكِلَته أُمُّه ! .

1　ديوانه : 470 .
2　فَقُل في الديوان : وقل .
3　آأعظما في الديوان : يا أعظماً . وطفاء : ثقيلة لكثرة مائها .
4　النقية في الديوان : الزكيّة .
5　أتت في الديوان : غدت .

[من أفضل الناس بعد النبيّ !]

حدّثني أبو جعفر الأعرج ، وهو ابن بنت الفُضَيل بن بَشّار ، عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيّد ، وهو الذي يقول فيه السيّد في بعض قصائده[1] : [من الوافر]

وإسماعيلُ يَبْرُز من فلانٍ ويزعمُ أنّه للنّارِ صالي

قال : تلاحى رجلانِ من بني عبد الله بن دارِم في المُفاضلة بعد رسول الله ﷺ وآله ؛ فرضِيا بحكم أوّل من يطلُع . فطلع السيّدُ ، فقاما إليه وهما لا يعرفانه ، فقال له مُفضِّل عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه منهما : إنّي وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، فقلت : عليّ بن أبي طالب . فقطع السيّدُ كلامَه ثم قال : وأيَّ شيء قال هذا الآخَرُ ابنُ الزانية ؟ فضحك مَنْ حضر ووجَم الرجلُ ولم يُحِرْ جواباً .

[ما يغفره الله لحبّ علي !]

وقال التَّميميّ وحدَّثني أبي قال قال لي فُضَيل الرسان : أُنْشِد جعفرُ بن محمَّد قصيدةَ السيِّد[2] : [من السريع]

لأُمِّ عمرو باللِّوَى مَرْبَعُ دارسةٌ أعلامُه بَلْقَعُ

فسمِعتُ النَّحيبَ من داره . فسألني لَمن هي ، فأخبرتُه أنَّها للسيِّد ، وسألني عنه فعرَّفتُه وفاتَه ؛ فقال : رحمه الله . قلت : إنّي رأيتُه يشرب النبيذَ في الرُّسْتاق[3] ؛ قال : أتعني الخمر ؟ قلت نعم . قال : وما خطرُ ذنْبٍ عند الله أن يغفِره لُمحِبٍّ عليٍّ ! .

[قوله بالرجعة]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن موسى قال : جاء رجلٌ إلى السيِّد فقال : بلغني أنّك تقول بالرَّجْعة[4] ؛ فقال : صدق الذي أخبرك ، وهذا دِيني . قال : أفتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرَّجْعة ؟ قال السيِّد : نعم وأكثر من ذلك إن وثَّقْتَ لي بأنّك تَرْجع إنساناً . قال : وأيَّ شيء أرجع ؟ قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خِنْزِيراً فيذهب مالي ؛ فأفحمه .

[جعفر بن عفان الطائي ومهره]

أخبرني[5] الحسن بن عليّ قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال قال جعفر بن عفّان الطائيّ

---

1 لم يرِد هذا البيت في ديوانه .

2 ديوانه : 261 .

3 الرستاق : كلّ موضع فيه مزدرع وقرى .

4 الرجعة : مذهب من يقول بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت .

5 هذه حكاية مقحمة على ترجمة السيّد الحميري . ولعلّ الذي دعا أبا الفرج إلى إدراجها هنا هو النيل من عمر في الأبيات الأربعة الأخيرة من الشعر جرياً على طريقة الحميري في سبّ السلف .

الشاعر : أهدى إليّ سليمان بن عليّ مُهْراً أعجبني وعزَمْتُ تربيتَه . فلمّا مضت عليّ أشهرٌ عزَمتُ على الحجّ ، ففكّرت في صديق لي أُودِعه المهرَ ليقومَ عليه ، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حَفْص ، فصِرْتُ إليه فسألته أن يأمر سائسَه بالقيام عليه وخبّرتُه بمكانه من قلبي ؛ ودعا بسائسه فتقدّم إليه في ذلك ؛ ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيتُه به ، ومضيتُ إلى الحجّ . ثم انصرفتُ وقلبي متعلّق به ، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حالَ المهر ، فإذا هو قد رُكِبَ حتى دَبِرَ ظهرُه وعَجِفَ من قلّة القيام عليه . فقلت له : يا أبا حفص ، أهكذا أوصيتُك في هذا المهر ! فقال : وما ذنبي ! لم يَنْجَع فيه العَلَفُ . فانصرفتُ به وقلت : [من البسيط]

مَنْ عاذري من أبي حفص وثِقْتُ به ... وكان عندي لـه في نفسه خطرُ
فلـم يكن عند ظنّـي في أمانته ... والظنّ يُخْلَـف والإنسانُ يُخْتَبَرُ
أضاع مهري ولم يُحسن ولايتَه ... حتى تبيّن فيـه الجَهْدُ والضَّررُ
عاتبتُه فيـه في رفق فقلتُ لـه ... يا صاحِ هل لكَ من عذر فتعتذِرُ
فقال داءٌ بـه قِدْمـاً أضَرّ بـه ... وداؤه الجوعُ والإتعابُ والسفرُ
قد كان لي في اسمه عنـه وكُنْيتِـه ... لـو كنـتُ مُعْتبِراً نـاهٍ ومُعْتَبَرُ
فكيف ينصحني أو كيف يحفظني ... يوماً إذا غِبتُ عنـه واسمه عمرُ
لـو كان لي وَلَدٌ شتّى لهم عددٌ ... فيهم سَمِيُّوه إن قَلُّوا وإن كثُروا
لم ينصحوا لي ولم يُبْقُوا عليّ ولو ... ساوى عديدَهمُ الحَصْباءُ والشجرُ

[هجاء بني عدي وبني تيم]

قال وحدَّثني أبو سليمان النّاجي قال : جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صِلات لهم وهو وليُّ عهدٍ ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قُريش . فجاء السيّد فرفع إلى الرَّبيع[1] رقعةً مختومة وقال : إن فيها نصيحة للأمير فأَوْصِلْها إليه ، فأوصلها ، فإذا فيها[2] : [من الكامل]

قُـل لابـن عَبّاسٍ سَمِيِّ محمَّدٍ ... لا تُعْطِينَّ بني عَـدِيٍّ درهما[3]
احْرِمْ بني تَيْم بـن مُـرَّةَ إنّهم ... شرُّ البريّـة آخـراً ومُقَدَّما[4]

1 هو الربيع بن يونس حاجب المنصور .
2 ديوانه : 377–378 .
3 بنو عدي : رهط عمر بن الخطّاب .
4 بنو تيم : رهط أبي بكر الصديق .

إن تُعْطِهِمْ لا يشكروا لك نعمةً ويكافئوك بأن تُذَمّ وتُشْتَما
وإن ائتمنتهمُ أو استعملتَهم خانوك واتّخذوا خَراجك مَغْنما
ولئن منعتَهمُ لقد بَدءوكُم بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تُراثَ محمّدٍ أعمامَه وابْنَيْهِ وابنتَه عَدِيلةَ مَرْيما
وتأمّروا من غير أن يُسْتَخْلَفوا وكفى بما فعلوا هنالك مَأْثَما
لم يشكروا لمحمّد إنعامَه أفيشكرون لغيره إن أنْعما
والله منّ عليهمُ بمحمَّد وهداهمُ وكَسا الجُنوبَ وأطْعما
ثم انبرَوْا لوصيِّه ووليّه بالمُنْكَرات فجرَّعوه العلْقَما

وهي قصيدةٌ طويلة حُذف باقيها لقبح ما فيه . قال : فرمى بها إلى أبي عُبيد الله[1] ثم قال : اقطع العطاءَ فقطَعه ؛ وانصرف الناس ؛ ودخل السيّد إليه ، فلمّا رآه ضحك وقال : قد قبِلنا نصيحتَك يا إسماعيل ، ولم يُعطهم شيئاً . أخبرني به عمّي عن محمَّد بن داود بن الجرّاح عن إسحاق النَّخَعيّ عن أبي سليمان الرِّياحيّ مثلَه .

[مناظرة شيطان الطاق له في الإمامة]

أخبرني الحسن بن محمَّد بن الجمهور القُمّيّ قال حدَّثني أبي قال حدَّثني أبو داود المسترِق راويةُ السيّد : أنّه حضر يوماً وقد ناظره محمَّد بن عليّ بن النعمان المعروف بشيطان الطّاق في الإمامة ، فغلبَه محمَّد في دفع ابن الحنفيّة عن الإمامة ؛ فقال السيّد[2] : [من الوافر]

ألا يا أيّها الجَدِلِ المعنّي لنا ، ما نحن وَيْحَك والعَناءُ[3]
أتُبْصِر ما تقول وأنت كهلٌ تُراك عليك من وَرَع رِداءُ
ألا إنّ الأئمّةَ من قريشٍ ولاةُ الحقِّ أربعةٌ سَواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بَنِيه هُمُ أسْباطُه والأوصياءُ
فأنّى في وصيّته إليهم يكونُ الشكّ منّا والمِراءُ
بهم أوصاهُم ودعا إليه جميعَ الخلق لو سُمِع الدّعاءُ
فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وحِلْمٍ وسبطٌ غيّبَته كَرْبَلاءُ

1 هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري كاتب المهدي .
2 ديوانه : 50–51 وانظر أبيات منسوبة لكثير في ديوانه (جمع إحسان عباس) : 521–522 .
3 الجدل : الشديد الخصومة .

سقـى جَدَثـاً تضمّنه مُلِثٌّ ... هَتُوفُ الرَّعـدِ مُرْتَجِزٌ رِواءُ[1]
تَظَـلُّ مُظِلَّـةٌ منهـا عَـزالٍ ... عليه وتَغْتَدي أُخـرى مِلاءُ[2]
وسِبْط لا يذوق الموتَ حتى ... يقودَ الخيلَ يَقْدُمهـا اللواءُ
مـن البيت المحجَّبِ في سَراةٍ ... شُراةٍ لَـفّ بينهـمُ الإخاءُ
عصائبُ ليس دونَ أَغرَّ أجلى ... بمكّـــةَ قائـمٍ لهـمُ انتهاءُ

[رؤيا العبديّ]

وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثيِّر ، ذكر ذلك ابنُ أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عليّ بن محمَّد النَّوْفَليُّ قال حدَّثني إبراهيم بن هاشم العَبْديّ البصريّ قال : رأيت النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه السيّدُ الشاعر وهو يُنشد[3] : [من الوافر]

أَجَدّ بآل فاطمـةَ البُكورُ ... فدمـعُ العين مُنْهَمِرٌ غزيرُ

حتى أنشده إيّاها على آخرها وهو يسمع . قال : فحدّثتُ هذا الحديثَ رجلاً جمعتْني وإيّاه طُوسُ عند قبر عليّ بن موسى الرِّضا ، فقال لي : والله لقد كنتُ على خلافٍ فرأيت النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه رجل يُنشد : [من الوافر]

أَجَـدّ بـآل فاطمـة البُكورُ

إلى آخرها ؛ فاستيقظتُ من نومي وقد رسَخ في قلبي من حبّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنتُ أعتقِدُه .

أخبرني وَكيع قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد قال حدَّثنا أبو سليمـان النَّاجـي ومحمَّـد بن حَليم الأعرج قالا : كان السيّد إذا استُنْشِد شيئاً من شعره لم يَبْدأ بشيء إلاّ بقوله : [من الوافر]

أَجَدّ بآل فاطمـةَ البُكُورُ ... فدمعُ العين مُنْهمـر غزيرُ

[رأي العتبيّ في شعره]

قال إسحاق : وسمعتُ العُتْبيُّ يقول : ليس في عصرنا هنا أحسنُ مذهباً في شعره ولا أنقى ألفاظاً من السيّد ، ثم قال لبعض مَن حضر : أَنْشِدْنا قصيدتَه اللاّميّة التي أَنْشَدْتَناها اليوم ؛ فأنشدَه قولَه[4] : [من السريع]

---

1 الملث : المطر الذي يدوم أيّاماً . ارتجاز الرعد : تتابع صوته . رواء : كثير يروي .
2 العزالي : مصبّ الماء من القربة . ويعني هنا المطر الكثير .
3 ديوانه : 197 .
4 ديوانه : 321–322 .

هــل عنـد مَن أَحببتَ تَنْوِيلُ أم لا فــإنّ اللَّــومَ تَضْليلُ
أم في الحشى منك جوىً باطِنٌ ليس تُداويــــه الأَبــاطيلُ
عُلِّقتَ يــا مغرورُ خَدّاعــةً بالوعــد منهــا لــك تَخْييلُ
رَيَّــا رَداح النوم خَمْصانــة كأنّهــا أُدْمــاءُ عُطْبــولُ[1]
يَشفيك منهــا حينَ تخلو بها ضَــمٌّ إلى النحــر وتَقْبيــلُ
وذَوْقُ ريــقٍ طيّبٍ طعمُــه كأنّــه بــالمسك مَعْلــولُ
في نِسوةٍ مثــلِ المَهَــا خُــرَّدٍ تَضيــقُ عنهــنَّ الخــلاخيلُ

يقول فيها :

أُقسم بــــالله وآلائِــــه والمرءُ عمّــا قــال مسؤولُ
إنّ عــليّ بــن أَبــي طالب على التُّقــى والبِــرِّ مَجْبــولُ

فقال العتبيّ : أَحسن والله ما شاء ، هذا والله الشعرُ الذي يهجُم على القلب بلا حجاب .

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة لُمخارِق رَمَلٌ بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر حَبَش أنّه للغَريض . وفيه لحنٌ لسليمان من كتب بَذْل غيرُ مجنّس .

[لا يستعمل الغريب في شعره]

أَخبرني عمّي قال حدَّثني محمَّد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن إسحاق بن ثابت العطّار قال : كنّا كثيراً ما نقول للسيّد : ما لك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال : لأَنْ أَقول شعراً قريباً من القلوب يَلَذُّه مَنْ سمِعه خيرٌ من أن أَقول شيئاً متعقّداً تَضِلّ فيه الأَوهام .

[سب محارب بن دثار وترحم على أبي الأسود]

أَخبرني أَحمد بن عَمّار قال أَخبرنا يعقوب بن نُعيم قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحيّ راويةُ الشعراء[2] بالكوفة قال حدَّثنا أَبو مسعود عمرو بن عيسى الرَّباح ومحمَّد بن سَلَمة ، يزيد بعضُهم على بعض : أنّ السيّد لمّا قَدِم الكوفةَ أَتاه محمَّد بن سهل راويةُ الكميت ؛ فأَقبل عليه السيّد فقال : مَن الذي يقول : [من الوافر]

يَعِيــبُ عــليَّ أَقــوامٌ سَفاهاً بأَن أُرْجِــي أَبا حسن عليّا

1 الأدماء : كالظبية . العطبول : الطويلة العنق .
2 ل : الشعر .

وإرجائي أبـا حسن صوابٌ ... عن العُمَرَيْنِ بَـرّاً أو شَقِيّا[1]
فإن قدَّستُ قوماً قـال قومٌ ... أسأتَ وكنتَ كذّابـاً رَدِيّا
إذا أيقنــتُ أنّ الله ربٌّــي ... وأرْسل أحمـداً حقّـاً نبيّا
وأنّ الرُّسْلَ قـد بُعِثوا بحـقّ ... وأنّ الله كان لهـم وليّـا
فليس عـليّ في الإرجاء بأسٌ ... ولا لَبْسٌ ولست أخاف شيّا ؟

فقال محمَّد بن سهل : هذا يقوله مُحارِب بن دِثار الذُّهْليّ . فقال السيّد : لا كان الله وليّاً للعاضٍّ بَظْرَ أمّه ! مَن يُنشدنا قصيدة أبي الأسود : [من الوافر]

أحِبّ محمَّـداً حبّـاً شديـداً ... وعبّـاساً وحمـزَةَ والوصيّـا

فأنشده القصيدة بعض مَن كان حاضراً ؛ فطفِق يَسُبّ محارب بن دِثار ويترحّم على أبي الأسود . فبلغ الخبرُ منصوراً النَّمريّ فقال : ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته ، ثم قال : [من الوافر]

يَوَدُّ محارِبٌ لـو قـد رآها ... وأبصرهـم حَوالَيْهـا جُثِيّا
وأنّ لسانَه مـن ناب أفعـى ... ومـا أرْجا أبـا حسن عليّا
وأنَّ عَجُوزَه مَصَعَتْ بكلب ... وكان دمـاءُ ساقَيْها جَرِيّا[2]
متـى تُرْجِىء أبا حسن عليّاً ... فقـد أرجَيْـتَ يا لُكَـعٌ نبيَّا

[كان جعفر بن سليمان ينشد شعره]

أخبرني محمَّد بن جعفر النحويّ قال حدَّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ قال حدَّثني إبراهيم بن الحسن الباهليّ قال : دخلتُ على جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ ومعي أحاديثُ لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم ، وكان كثيراً ما يُنشد شعرَ السيّد ، فمن أنكره عليه لم يحدّثه ؛ فسمعتُه يُنشدهم[3] : [من الكامل]

مـا تعدِلُ الدُّنيا جميعاً كلُّها ... من حوض أحمدَ شَرْبَةً من ماءِ

ثم جاءه خبر فقام . فقلت للذين كانوا عنده : مَن يقول هذا الشعر ؟ قالوا : السيّد الحميريّ .

---

1 الإرجاء : التأخير . وهو هنا تأخير الإمام علي إلى الدرجة الرابعة .
2 مصعت : رمت .
3 ديوانه : 52 .

[هجاء زبيرية]

حدَّثني عمِّي والكُرانيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد عن عبد الله بن الحسين عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن الحارث بن صَفْوان ، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ السيّد كان بالأهواز ؛ فمرَّت به امرأة من آل الزُّبَير تُزَفّ إلى إسماعيل بن عبد الله بن العبّاس ، وسمِع الجَلَبَة فسأل عنها فأُخبر بها ؛ فقال[1] : [من المتقارب]

أتتنا تُزَفّ على بغلة　　　وفوق رحالتها قُبّهْ
زُبَيْرِيّةٌ من بنات الذي　　　أحلَّ الحرامَ من الكعبهْ
تُزَفّ إلى ملك ماجد　　　فلا اجتمعا وبها الوَجْبهْ[2]

روى هذا الخبرَ إسماعيلُ بن الساحر فقال فيه : فدخلتْ في طريقها إلى خَرِبَةٍ للخَلاء ، فنَهشَتْها أفعى فماتت ؛ فكان السيّد يقول : لَحِقَتْها دعوتي .

[يدعو على الذين خرجوا للاستسقاء]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجَعْفَريّ ، وهو محمَّد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر ، قال أخبرني أبي قال : خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيّدُ وعليه ثيابُ خَزّ وجُبّةٌ ومِطْرَفٌ وعِمامة ؛ فجعل يَجُرّ مِطْرَفَه ويقول[3] : [من السريع]

اهْبِطْ إلى الأرض فخُذْ جَلْمداً　　　ثم ارْمِهم يا مُزْنُ بالجَلْمَدِ
لا تَسْقِهم من سَبَلٍ قطرةً　　　فإنّهم حَرْبُ بني أحمدِ

[تعريضه برواة الحديث]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا محمَّد بن إسحاق البَغَويّ قال حدَّثنا الحِرْمازِيّ قال حدَّثني رجل قال : كنت أختلفُ إلى ابني قيس ، وكانا يرويان عن الحسن ؛ فلقيني السيّد يوماً وأنا منصرِف من عندهما ، فقال : أرِني ألواحَك أكتب فيها شيئاً وإلاّ أخذتُها فمحوت ما فيها . فأعطيتُه ألواحي فكتب فيها[4] : [من البسيط]

لَشَرْبَةٌ من سَوِيقٍ عند مَسْغَبَةٍ　　　وأكْلَةٌ من ثَرِيدٍ لحمُه وارِي

---

1 ديوانه : 137 .
2 الوجبة : الوقعة أو صوت السقوط . وفي المثل : بجنبه فلتكن الوجبة .
3 ديوانه : 180 .
4 ديوانه : 234 .

أَشَدُّ مِمّـا روى حُبّـاً إليّ بنـو قيس ومِمّا رَوى صَلْتُ بن دِينارِ[1]
مِمّـا رواه فـلانٌ عـن فلانِهمُ ذاك الذي كان يدعوهم إلى النارِ

[إنشاده في النبي شعراً في المنام مرة أخرى]

أخبرني أحمد بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طَباطَبا قال : سمعت زيدَ بن موسى بن جعفر يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم وقُدّامَه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ ؛ فنظرتُ إليه فلم أعْرِفْه ، إذ التفتَ إليه رسول الله ﷺ فقال : يا سيّد ، أنشدني قولَك : [من السريع]

لأُمِّ عمـرو في اللِّـوَى مَرْبَـعُ

فأنشده إيّاها كلَّها ما غادر منها بيتاً واحداً ، فحفظتُها عنه كلَّها في النوم . قال أبو إسماعيل : وكان زيد بن موسى لَحَّانَةً رديءِ الإنشاد ، فكان إذا أُنشد هذه القصيدةَ لم يَتَتَعْتَعْ فيها ولم يَلْحَن .

[تزل قدم وتثبت أُخرى]

وقال[2] محمَّد بن داود بن الجرّاح في روايته عن إسحاق النَّخَعيّ حدَّثني عبد الرحمن بن محمَّد الكُوفيّ عن عليّ بن إسماعيل الهَيْثَميّ عن فُضَيْل الرسان قال : دخلت على جعفر بن محمَّدٍ أُعَزّيه عن عَمّه زيد ، ثم قلت له : ألا أُنشِدُك شعرَ السيّد ؟ فقال : أَنْشِد ؛ فأنشدتُه قصيدةً يقول فيها : [من السريع]

فالناسُ يـومَ البعْث راياتُهم خمسٌ فمنهـا هالكٌ أربَعُ
قائدُهـا العجل وفِرعَونهم وسامِـريّ الأُمّـةِ المُفْظِعُ
ومـارِقٌ مـن دينـه مُخْرَج أسودُ عبْـدٌ لُكَعٌ أَوْكَعُ[3]
ورايـةٌ قائدُهـا وجهُـه كأنّـه الشمسُ إذا تطلُـعُ

فسمعتُ مُجيباً من وراء الستور فقال : من قائل هذا الشعر ؟ فقلت : السيّد ! فقال : رحمه الله . فقلت : جُعِلت فِداك ! إنّي رأيتُه يشرب الخمر . فقال : رحمه الله ؛ فما ذنبٌ على الله أن يغفِره لآل عليّ ! إنّ محبَّ عليّ لا تَزِلّ له قَدَمٌ إلاّ تَثْبُتُ له أُخرى .

حدَّثني الأَخْفَش عن أبي العَيْناء عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن

1 كان ضعيف ، متهم الرواية وينتقص الإمام علي .
2 تقدّم بمثل هذا الخبر عن فضيل الرسان .
3 أوكع : لئيم .

محمَّد أنّه ذكر السيّد فترحّم عليه وقال : إن زلّتْ له قَدَمٌ فقد ثَبَتَتِ الأُخرى .

[غرّق رجلاً ماراه في تفضيل علي]

نسختُ من كتاب الشّاهِيني حدَّثني محمَّد بن سهل الحِمْيَريّ عن أبيه قال : انحدر السيّد الحميريّ في سفينة إلى الأهواز ، فماراه رجلٌ في تفضيل عليّ وباهلَه[1] على ذلك . فلمّا كان الليل قام الرجل ليبولَ على حرف السفينة ، فدفَعه السيّد فغرَّقه ؛ فصاح الملاّحون : غرِق والله الرجلُ ؛ فقال السيّد : دعوه فإنّه باهلني .

[هجا قوماً لم ينصتوا لشعره]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخْفَش قال حدَّثني محمَّد بن يزيد المبرّد قال حدَّثني التّوَّزيّ قال : جلس السيّدُ يوماً إلى قوم ، فجعل يُنشدهم وهم يَلْغَطُون ؛ فقال[2] : [من البسيط]

قد ضيّع اللهُ ما جمّعتُ من أدب ... بين الحَمير وبين الشّاء والبقرِ
لا يَسمعون إلى قول أجيءُ به ... وكيف تَستَمِعُ الأنعامُ للبَشَرِ
أقول ما سكتوا إنْسٌ فإن نطقوا ... قلتُ الضفادعُ بين الماء والشجرِ

[اغتابه رجل فهجاه]

أخبرني محمَّد بن جعفر النّحويّ قال حدَّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ قال حدَّثنا إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ عن محمَّد بن الرَّبيع عن سُوَيد بن حَمْدان بن الحُصَيْن قال : كان السيّدُ يختلفُ إلينا ويَغْشانا ، فقام من عندنا ذاتَ يوم ، فخلفه[3] رجل وقال : لكم شرفٌ وقَدْر عند السلطان ، فلا تجالسوا هذا فإنّه مشهور بشرب الخمر وشتمِ السلف . فبلغ ذلك السيّدَ فكتب إليه[4] : [من المتقارب]

وصَفْتُ لك الحوضَ يا ابنَ الحُصَيْن ... على صِفَةِ الحارث الأعْوَرِ[5]
فإن تُسْقَ منه غداً شَرْبَةً ... تَفُزْ من نصيبك بالأوفرِ
فما ليَ ذنبٌ سوى أنّني ... ذكرتُ الذي فرَّ عن خيبرِ[6]

---

1 باهله : لاعنه .
2 ديوانه : 237 .
3 ل : فتخلّفه .
4 ديوانه : 229 .
5 الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب من مقدمي أصحاب الإمام علي مات بالكوفة سنة 65هـ .
6 إشارة إلى عمر بن الخطّاب الذي تقول الرواية إنّه لم يستطع فتح خيبر وفتحها علي .

ذكرتُ امْرءاً فرَّ عن مِرْحَبٍ فِرارَ الحمار من القَسْوَرِ[1]
فأنكر ذاك جليسٌ لكم زَنيمٌ أخو خُلُقٍ أعورِ
لَحاني بحبِّ إمام الهدى وفاروقِ أُمَّتنا الأكبرِ
سأحلِق لحيتَه إنّها شهودٌ على الزّور والمُنْكرِ

قال : فهجر والله مشايخُنا جميعاً ذلك الرجلَ ولزِموا محبّة السيّد ومجالستَه .

[ردّ سوّار بن عبد الله شهادته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدَّثنا مهديّ بن سابق . أنّ السيّد تقدّم إلى سَوّار القاضي ليشهدَ عنده ، وقد كان دافع المشهودَ له بذلك وقال : أعفني من الشهادة عند سوّار ، وبذَل له مالاً فلم يُعْفِه . فلمّا تقدّم إلى سوّار فشهد قال : ألستَ المعروفَ بالسيّد ؟ قال : بلى ؛ قال : استغفر اللهَ من ذنب تجرَّأتَ به على الشهادة عندي ، قُمْ لا أرضى بك . فقام مُغْضَباً من مجلَسه وكتب إلى سوّار رقعةً فيها يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

إنّ سوّار بن عبد الله من شرِّ القضاة

فلمّا قرأها سوّار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذٍ نازل بالجسر ، فسبقه السيّد إليه فأنشده[3] : [من البسيط]

قُل للإمام الذي يُنْجي بطاعته يومَ القيامة من بُحْبُوحة النارِ[4]
لا تَسْتَعِينَنْ جزاك الله صالحةً يا خيرَ من دَبّ في حكمٍ بسَوّارِ
لا تَسْتَعِنْ بخبيث الرأي ذي صَلَفٍ جَمّ العيوب عظيمِ الكِبْر جبّارِ
تُضْحِي الخصومُ لديه من تجبّره لا يَرفعون إليه لحظَ أبصارِ
تِيهاً وكِبْراً ولولا ما رفعتَ له من ضَبْعه كان عينَ الجائع العاري[5]

ودخل سوّارٌ ؛ فلمّا رآه المنصور تبسّم وقال : أما بلغكَ خبرُ إيّاس بن معاوية حيث قَبِل شهادةَ الفرزدق واستزاد في الشهود[6] ! فما أحوجكَ للتعريض للسيّد ولسانه ؟ ثم أمر السيّدَ بمصالحته .

---

1 مرحب هو اليهودي صاحب حصن خيبر قتله محمّد بن مسلمة في رواية أو علي بن أبي طالب في رواية أخرى . القسور : الأسد . وهنا إشارة إلى الآية : ﴿كأنّهم حُمرٌ مستنفرة . فرّتْ مِن قسْورة﴾ (المدثر : 50–51) .
2 ديوانه : 139 وهي فيه مقطوعة من 13 بيتاً .
3 ديوانه : 232–233 .
4 بحبوحة المكان : وسطه .
5 الضبع : وسط العضد ويُطلق أيضاً على الإبط .
6 سيرد خبر إياس مع الفرزدق في ترجمة الثاني .

[مدح المنصور لمّا ولّى ابنيه العهد]

وقال إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ حدَّثني عبد الله بن محمَّد الجَعْفَريّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله الحِمْيَريّ قال[1] : دخل السيّد على المهديّ لمّا بايع لابنَيْه موسى وهارون ، فأنشأ يقول : [من السريع]

ما بالُ مَجْرَى دمْعِكَ الساجِمِ ... أمِنْ قَذىً بات بها لازِمِ
أمْ مِن هوىً أنتَ له ساهر ... صبابةً من قلبك الهائمِ
آليتُ لا أمدحُ ذا نائلٍ ... من مَعْشرٍ غيرَ بني هاشمِ
أوْلَتْهُمُ عندي يدُ المصطفى ... ذي الفضل والمَنّ أبي القاسمِ
فإنّها بيضاءُ محمودةٌ ... جزاؤها الشّكرُ على العالَمِ
جزاؤها حفظُ أبي جعفرٍ ... خليفةِ الرحمن والقائمِ
وطاعةُ المهديّ ثم ابنِه ... موسى على ذي الإرْبةِ الحازمِ
وللرشيد الرّابع المُرْتَضى ... مُفْتَرَضٌ من حقّه اللاّزمِ
ملكُهُمُ خمسون معدودةً ... برَغْم أنف الحاسدِ الرّاغمِ
ليس علينا ما بَقُوا غيرَهم ... في هذه الأمّة من حاكمِ
حتى يَردّوها إلى هابط ... عليه عيسى منهمُ ناجمِ

[الأعمش يكتب عنه فضائل عليّ بن أبي طالب]

وقال عليّ بن المُغيرة حدَّثني عليّ بن عبد الله السَّدُوسيّ عن المَدائنيّ قال : كان السيّد يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائلَ عليٍّ رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً . فخرج ذاتَ يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمَله على فرس وخلَع عليه ؛ فوقف بالكُناسة ثم قال : يا معشرَ الكوفيّين ، مَن جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أقُل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عَلَيّ . فجعلوا يُحدّثونه ويُنشدهم ؛ حتى أتاه رجل منهم وقال : إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب ؛ فلبِس ثيابَه وأراد لُبْسَ الخُفّ فلبِس أحدَ خُفّيْه ، ثم أهوى إلى الآخَر ليأخذه فانقضّ عُقّابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسْودُ[2] وانساب فدخل جُحْراً ؛ فلبس عليٌّ رضي الله عنه الخُفّ . قال : ولم يكن قال في ذلك شيئاً ؛ ففكّر هنيهةً ثم قال[3] : [من الوافر]

---

1 ديوانه : 406–407 عن الأغاني .
2 الأسود : العظيم من الحيّات .
3 من قصيدة في ديوانه : 120– 127 تتألّف من 27 بيتاً .

أَلا يـا قومِ للعَجَبِ العُجابِ لخُفّ أَبي الحسين وللحُبابِ[1]
أَتـى خُفّـاً لـه وآنساب فيـه لِيَنْهشَ رِجلَـه منـه بنـابِ
فخَـرّ مـن السماء لـه عُقابٌ من العِقْبـان أَو شِبْهُ العُقابِ
فطار بـه فحلّق ثـم أَهْوى به للأَرض من دون السّحابِ
إلى جُحْـرٍ لـه فانساب فيـه بعيـدِ القَعْرِ لم يُرْتَـجْ بِبابِ
كريهُ الوجه أَسودُ ذو بَصيصٍ حديدُ النّـابِ أَزْرقُ ذو لُعابِ
ودُوفِعَ عـن أَبي حسن عليٌّ نَقِيعُ سِمامـه بعـد آنسيابِ

ثم حرّك فرسَه ومضى وجعل تَشْبيبها بعد ذلك : [من الوافر]

صبوتُ إلى سُلَيْمى والرَّبـاب وما لأَخي المَشيبِ وللتَّصابي

أَخبرني أَحمد بن محمَّد بن محمَّد بن سعيد قال حدَّثني عبد الله بن أَحمد بن مُسْتورد قال : وقف السيّد يوماً بالكوفة ، فقال : مَن أَتاني بفضيلة لعليّ بن أَبي طالب ما قلتُ فيها شعراً فلَهُ دينارٌ ، وذكر باقي الحديث . فأَمّا العُقاب الذي انقضّ على خفّ عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه فحدَّثني بخبره أَحمد بن محمَّد بن سعيد الهَمْدانيّ قال حدَّثني جعفر بن عليّ بن نجيح قال حدَّثنا أَبو عبد الرحمن المسعوديّ عن أَبي داود الطَّهَويّ عن أَبي الزِّعْل المُراديّ قال : قام علي بن أَبي طالب رضي الله عنه فتطهّر للصلاة ، ثم نزع خُفّه فانساب فيه أَفعى ، فلمّا عاد لِيَلْبسَه انقضّتْ عقابٌ فأَخذته فحلّقت به ثم أَلقته فخرج الأَفعى منه . وقد رُوي مثل هذا لرسول الله ﷺ .

حدَّثني به أَحمد بن محمَّد بن محمَّد بن سعيد قال حدَّثني محمَّد بن عبيد بن عُقْبة قال حدَّثنا محمَّد بن الصَّلْت قال حدَّثنا حيّان بن عليّ عن أَبي سعيد عن عِكْرمة عن ابن عبّاس قال : كان النبيّ ﷺ إذا أَراد حاجةً تَباعَد حتى لا يَراه أَحدٌ ، فنَزَع خُفّه فإذا عُقابٌ قد تدلّى فرفعه فسقط منه أَسودُ سالخ . فكان النبيّ ﷺ يقول : «اللهمّ إنِّي أَعوذ بك من شرّ ما يمشي على بطنه ومن شرّ ما يمشي على رجليه ومن شرّ ما يمشي على أَربع ومن شرّ الجنّ والإنس» .

قال أَبو سعيد وحدَّثنا محمَّد بن إسماعيل الرَّاشِديّ قال حدَّثنا عثمان بن سعيد قال حدَّثنا حَيّان بن عليّ عن سعد بن طَريف عن عِكرمة عن ابن عبّاس مثلَه .

[نعم المطي والراكبان]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا حاتم بن قَبيصة قال : سمِع السيّد محدِّثاً يحدِّث أَنّ النبيّ ﷺ كان ساجداً ، فركِب الحسنُ والحسينُ على ظهره ؛

1 الحباب : الحيّة .

فقال عمرُ رضي الله عنه : نِعْمَ المطيُّ مطيُّكُما ! فقال النبيّ ﷺ : «ونِعْمَ الراكبانِ هما» . فانصرف السيّد من فَوره فقال في ذلك[1] : [من المتقارب]

أتــى حسناً والحسينَ النبيُّ وقــد جلسا حَجْـرةً يلعبانِ
ففَدّاهمـــا ثـــم حَيّاهمـا وكانا لديـه بـذاك المكانِ
فرَاحَـا وتحتَهمـا عاتِقـاه فنعـم المَطِيَّـةُ والـراكبانِ
وليـدان أمُّهمـا بَـرّةٌ حَصانٌ مُطَهَّـرةٌ للحَصانِ
وشيخُهما ابـنُ أبي طالـب فنِعْـمَ الوَليـدانِ والـوالدانِ
خليـليّ لا تُرْجِيـا واعلمـا بأنّ الهُـدى غيرُ مـا تزعُمانِ
وأنّ عَمى الشكّ بعـدَ اليقين وضَعْفَ البَصيرة بعـد العِيانِ
ضلالٌ فـلا تَلْجَجا فيهمـا فبئستْ لعَمْـرُكما الخَصْلتانِ
أيُرْجَـى عـليٌّ إمـامُ الهُدَى وعثمانُ مـا أعنـد المُرْجِيانِ
ويُرْجى ابنُ حَـرْبٍ وأشياعُه وهُـوجُ الخَوارج بالنَّهْروانِ
يكـون إمامَهـمُ في المَعـاد خبيثُ الهوى مؤمن الشَّيْصَبانِ[2]

[مدح المنصور وعنده سوّار فعارضه فهجاه]

وذكر إسماعيل بن السَّاحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ قال حدَّثني محمَّد عن أبيه قال حدَّثني أبي وعمِّي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حدَّثنا الحارث بن عبد المطَّلب قال : كنتُ جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دِجْلة بالبصرة وسَوّار بن عبد الله العَنْبَريّ قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيّد بن محمّد بين يديه يُنْشد قولَه[3] : [من البسيط]

إنّ الإلـه الذي لا شيءَ يُشْبهه أعطاكمُ الملـكَ للدّنيـا وللدِّينِ
أعطاكمُ اللهُ مُلكـاً لا زوالَ لـه حتى يُقادَ إليكم صاحبُ الصِّينِ
وصاحـبُ الهنـد مأخوذاً برُمَّته وصاحبُ التُّرْك محبوساً على هُونِ

والمنصورُ يضحك سروراً بما يُنشده ؛ فحانت منه التفاتةٌ فرأى وجهَ سَوّارٍ يتربَّد غيظاً

1 ديوانه : 451–452 .
2 الشيصبان : الشيطان .
3 ديوانه : 444 .

ويَسْوَدّ حَنَقاً ويدلُك إحدى يديه بالأُخرى ويتحرّق ؛ فقال له المنصور : ما لك ؟ أرابَك شيءٌ ؟ قال : نعم ، هذا الرجلُ يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه ، واللهِ يا أَمير المؤمنين ما صَدَقك ما في نفسه ، وإنّ الذين يواليهم لغَيرُكم . فقال المنصور : مهلاً ! هذا شاعرُنا ووليُّنا ، وما عرفتُ منه إلاّ صدقَ محبَّة وإخلاصَ نيّة . فقال له السيّد : يا أَمير المؤمنين ، والله ما تحمَّلتُ غَضَّكم لأَحد ، وما وجدتُ أَبَوَيّ عليه فافتتنتُ بهما ، وما زلتُ مشهوراً بموالاتكم في أَيّام عدوّكم . فقال له : صدقت . قال : ولكن هذا وأَهْلُوه أَعداءُ الله ورسوله قديماً والذين نادَوْا رسولَ الله ﷺ من وراء الحُجُرات[1] ، فنزلت فيهم آيةٌ من القرآن ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (الحجرات : 4) . وجرى بينهما خطابٌ طويل . فقال السيّدُ قصيدتَه التي أَوّلُها : [من مجزوء الرمل]

قِفْ بنا يا صاحِ وارْبَعْ ... بالمَغـاني المُـوحِشاتِ

أَنشدها أَحمد بن عُبيد الله بن عَمّار عن النَّوْفليّ . وأَخبرنا محمَّد بخبره مع سَوّار بالقصّة من هاهنا إلى آخرها ؛ وقال فيها : [من مجزوء الرمل]

يـا أَمينَ اللهِ يـا منـ ... ـصورُ يـا خيرَ الوُلاةِ
إنّ سوّار بـن عبد الله ... مـن شرّ القُضـاةِ
نَعْثَـلِيٌّ جَمَـلِيٌّ ... لكـمُ غيرُ مُـواتِ[2]
جَـدُّه سارقُ عَنْزٍ ... فَجْرَةً مـن فَجَراتِ
لـرسول الله والقـا ... ذِفـه بالمُنْكَـراتِ
وابنُ مَـن كان ينادي ... مـن وراء الحُجُـراتِ
يـا هَناةُ اخرُج إلينا ... إنّنـا أَهـلُ هَنـاتِ
مَدْحُنا المدحُ ومَنْ نَرْ ... مِ يُصَـبْ بالزَّفَـراتِ
فاكْفِنِيـه لا كفـاه الـ ... ـله شَرَّ الطارِقـاتِ[3]

[اعتذر إلى سوّار فلم يعذره]

فشكـاه سَوّار إلى أَبي جعفـر ، فأَمـرَه بـأَن يصير إليـه معتذراً ؛ ففعل فلم يَعْذِره ؛ فقال[4] : [من المتقارب]

1 يعني وفد بني تميم المعني في سورة الحجرات .
2 نعثلي : يهودي من أهل المدينة وقيل رجل من مصر كان يشبه به عثمان من قبيل النيل منه . جملي : نسبة إلى وقعة الجمل .
3 فاكفنيه في ل : فاكفناه .
4 ديوانه : 233–234 .

أتيتُ دعِيَّ بني العَنْبر ... أروم اعتذاراً فلم أُعْذَرِ
فقلتُ لنفسي وعاتبتُها ... على اللؤم في فعلها أَقْصِري
أَيَعْتذر الحرُّ ممّا أتى ... إلى رجل من بَني العَنْبرِ
أبوك ابنُ سارق عَنْز النبيّ ... وأمُّك بنت أَبي جَحْدَرِ
ونحن على رَغْمِك الرّافضو ... ن لأهل الضّلالة والمُنْكَرِ

[شكا سوّاراً إلى المنصور]

قال : وبلغ السيّدَ أنّ سَوّاراً قد أعدَّ[1] جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليَقْطَعه ؛ فشكاه إلى أبي جعفر ؛ فدعا بسوّارٍ وقال له : قد عزلتُك عن الحكم للسيّد أو عليه . فما تعرّض له بسوء حتى مات .

[بينه وبين أبي الخلال]

ورَوى عبد الله بن أبي بكر العَتَكيّ أن أبا الخَلاّل العَتَكيّ دخل على عُقْبة بن سَلْم والسيّدُ عنده وقد أمر له بجائزة ، وكان أبو الخَلاّل شيخَ العَشيرة وكبيرَها ، فقال له : أيّها الأمير ، أتُعْطي هذه العطايا رجلاً ما يَفتُرُ عن سَبّ أبي بكر وعمر ؟ فقال له عُقْبة : ما علمتُ ذاك ولا أعطيتُه إلاّ على العشرة والمودّة القديمة وما يُوجبه حقُّه وجوارُه مع ما هو عليه من مُوالاة قومٍ يَلْزَمنا حَقُّهم ورعايتُهم . فقال له أبو الخَلاّل : فمُرْه إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمرَ حتى نعرفَ براءتَه ممّا يُنْسَب إليه من الرَّفْض . فقال : قد سمِعك ، فإن شاء فعل . فقال السيّد[2] : [من الطويل]

إذا أنا لم أحفَظ وَصاةَ محمَّدٍ ... ولا عهدَه يومَ الغديرِ المؤكّدا
فإنّي كمن يَشْري الضّلالةَ بالهُدَى ... تنصَّر من بعد التُّقى وتَهوّدا[3]
وما لي وتَيْمَ أو عَدِيَّ وإنّما ... أُولو نعمتي في الله من آل أحمدا[4]
تَتِمّ صلاتي بالصلاة عليهمُ ... وليستْ صلاتي بعد أن أتشهّدا
بكاملةٍ إن لم أُصَلِّ عليهمُ ... وأَدْعُ لهم ربّاً كريماً ممجَّدا
بذلتُ لهم وُدّي ونُصحي ونُصرتي ... مدى الدَّهر ما سُمِّيتُ يا صاح سيّدا

1 ل : لقن .
2 ديوانه : 164–165 .
3 عجز البيت في الديوان : من بعد الهدى أو تهودا .
4 وتيمَ أو عديَّ في الديوان : تيماً أو عدياً .

وإنّ امرءاً يَلْحى على صدق وُدّهم   أحـقُّ وأولَـى فيهـمُ أن يُفَنَّدا
فإن شئتَ فاختَرْ عاجلَ الغَمّ ضِلّةً   وإلاّ فأَمْسِك كـي تُصانَ وتُحْمَدا

ثم نهض مُغْضَباً . فقام أبو الخَلاّل إلى عُقْبة فقال : أَعِذْني من شرّه أعاذك الله من السوء أيّها الأمير ؛ قال : قد فعلتُ على ألاّ تَعْرِضَ له بعدها .

[تزوّج تميميّة إباضيّة]

وممّا يحكى أنّه اجتمع في طريقه بامرأة تميميّة إباضيّة ، فأعجبها وقالت : أريد أن أتزوّج بك ونحن على ظهر الطريق . قال : يكون كنِكاح أُمِّ خارجةَ[1] قبل حضور وَليٍّ وشهودٍ . فاستَضْحَكتْ وقالت : ننظر في هذا ؛ وعلى ذلك فمَن أنت ؟ فقال[2] : [من البسيط]

إن تَسأليني بقومـي تسألي رجـلاً   في ذِرْوة العزّ مـن أحياء ذي يمنِ
حَـوْلي بهـا ذو كَلاعٍ في منازلهـا   وذو رُعَيْـنٍ وهَمْـدانٌ وذو يَزَنِ
والأَزْدُ أزْدُ عُمَـانَ الأكْرَمون إذا   عُدَّت مآثِرُهـم في سالـف الزمنِ
بانـت كريمتُهـم عنّـي فدارُهمُ   داري وفي الرَّحْب من أوطانهم وطني
لي منـزلان بلَحْـجٍ منزلٌ وَسَطٌ   منهـا ولي منـزلٌ للعـزّ في عدنِ
ثـمَّ الوَلاء الذي أرجو النجاة بـه   مـن كَبّة النار للهـادي أبي حسنِ

فقالت : قد عرفناك ، ولا شيءَ أعجبُ من هذا : يمانٍ وتميميّةٌ ، ورافِضيٌّ وإباضيّة ، فكيف يجتمعان ؟ . فقال : بحسن رأيك فيّ تسخو نفسُك ، ولا يذكر أحدُنا سَلَفاً ولا مذهباً . قالت : أفليس التزويجُ إذا عُلِم انكشف معه المستور ، وظهرت خَفِيّاتُ الأمور ؟ . قال : فأنا أَعْرِضُ عليك أخرى . قالت : ما هي ؟ قال : المُتعة التي لا يعلم بها أحد . قالت : تلك أختُ الزِّنا . قال : أعيذك بالله أن تكفُري بالقرآن بعد الإيمان ! . قالت : فكيف ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ﴾ . فقالت : أَستخير اللهَ وأُقلِّدك أن كنتَ صاحبَ قِياس . ففعلت . فانصَرفتْ معه وبات مُعْرِساً بها . وبلغ أهلَها من الخوارج أمرُها ، فتوعَّدوها بالقتل وقالوا : تزوّجتِ بكافر ! فجَحَدَتْ ذلك ولم يعلموا بالمُتْعة . فكانت مدّةً تختلف إليه على هذه السبيل من المُتْعة وتُواصِله حتى افترقا .

---

1 المثل : أسرع من نكاح أُمّ خارجة في الميداني 1 : 348 والدرة الفاخرة 1 : 224 وفصل المقال : 500 والضبي : 58 .

2 ديوانه : 439–440 .

[بينه وبين ابن لسليمان بن علي]

وقال الحسن بن عليّ بن المُغيرة حدَّثني أَبي قال: كنتُ مع السيِّد على باب عُقْبة بن سَلْم ومعنا ابنٌ لسليمان بن عليّ[1] ننتظره وقد أُسْرِج له لِيَرْكَبَ، إذ قال ابنُ سليمان بن عليّ يعرِّض بالسيِّد: أشعرُ الناسِ واللهِ الذي يقول: [من البسيط]

محمَّدٌ خيرُ مَن يمشي على قَدمٍ　　وصاحِباه وعثمانُ بن عفَّانا

فوثَب السيّد وقال: أشعرُ واللهِ منه الذي يقول[2]: [من البسيط]

سائِلْ قريشاً إذا ما كنتَ ذا عَمَهٍ　　مَنْ كان أَثبتَها في الدِّين أوتادا

مَن كان أَعلَمها عِلماً وأَحلَمها　　حلماً وأَصدقَها قَولاً وميعادا

إن يَصْدُقوك فلن يَعْدُوا أَبا حسنٍ　　إن أَنتَ لم تَلْقَ للأبرار حُسّادا

ثم أَقبل على الهاشميّ فقال: يا فتى، نعمَ الخَلَفُ أَنت لشرف سَلَفِك! أَراك تَهْدِم شرفَك، وتَثْلِب سَلَفك، وتَسعى بالعداوة على أَهلك، وتُفَضِّل من ليس أَصلُك من أَصله على مَنْ فضلُك من فضله؛ وسأخبر أميرَ المؤمنين عنك بذا حتى يَضَعَك. فوثب الفتى خَجِلاً ولم ينتظر عُقْبةَ بن سَلْم. وكتب إليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرَّكُوبةِ حتى خرجت الجائزةُ للسيِّد.

[يكره إطالة الجلوس إذا لم يمدح آل محمَّد]

أَخبرني محمَّد بن جعفر النَّحويّ قال حدَّثنا ابن القاسم البَزّيّ عن إسحاق بن محمَّد النَّخعيّ عن عقبة بن مالك الدِّيلي عن الحسن بن عليّ بن أَبي حرب بن أَبي الأسود الدُّؤَليّ قال: كنّا جلوساً عند أَبي عمرو بن العلاء، فتذاكرنا السيّدَ، فجاء فجلس، وخُضْنا في ذكر الزرع والنخلِ ساعةً فنَهض. فقلنا: يا أَبا هاشم، مِمّ القيامُ؟ فقال[3]: [من الكامل]

إنّي لأَكره أن أُطيل بمجلس　　لا ذكرَ فيه لفضل آل محمَّد

لا ذكرَ فيه لأَحمد ووصيّه　　وبَنِيه ذلك مجلسٌ نَطِفٌ ردِي[4]

إنّ الذي ينساهُمُ في مجلس　　حتّى يفارقَه لغيرُ مسدَّد

---

1 عم أبي جعفر المنصور.

2 من أبيات في ديوانه: 160–162 والبيت الثاني فيه:

مَن كان أقدمها سلماً وأكثرها　　علماً وأطهرها أهلاً وأولادا

3 ديوانه: 177–178.

4 النطف: السيّيء الفاسد والمتّهم بريبة.

[سكره بالأَهواز وحبسه]

وروى أَبو سليمان النَّاجي : أَنّ السيّد قدِم الأَهوازَ وأَبو بُجير بن سِماك الأَسديّ يتولاّهما ، وكان له صديقاً . وكان لأَبي بجير مولىً يقال له يزيد بن مَذعور يحفَظ شعرَ السيّد يُنشده أَبا بجير ، وكان أَبو بجير يتشيَّع . فذهب السيّد إلى قوم من إخوانه بالأَهواز فنزل بهم وشرِب عندهم ؛ فلمّا أَمسى انصرف ، فأَخذه العَسَس فحُبِس . فكتب مِن غده بهذه الأَبيات وبَعث بها إلى يزيد بن مَذعور . فدخل على أَبي بُجير وقال : قد جَنى عليك صاحبُ عَسَسك ما لا قِوامَ لك به . قال : وما ذلك ؟ قال : اسمع هذه الأَبيات ، كتبها السيّدُ من الحبس ؛ فأَنشده يقول[1] : [من الكامل]

قِف بالدِّيـار وحيِّهـا يا مَرْبَعُ ... واسأَل وكيف يُجيبُ من لا يَسمعُ
إنّ الدِّيـارَ خلَتْ وليس بجوِّها ... إلاّ الضَّوابـحُ والحَمـامُ الوُقَّعُ[2]
ولقد تكونُ بهـا أَوانسُ كالدُّمى ... جُمْلٌ وعَـزَّةُ والرَّبـابُ وبَوْزَعُ
حورٌ نواعـمُ لا تُـرى في مثلها ... أَمثالُهـنّ مـن الصيانـة أَربَـعُ
فَعَرِيـنَ بعـد تأَلُّفٍ وتَجمُّـع ... والدَّهْرُ ، صاحِ ، مُشَتِّتٌ ما تَجمعُ
فاسلَم فإنّك قـد نزلتَ بمنزل ... عنـد الأَمير تَضرُّ فيـه وتَنْفَعُ
تُؤْتى هـواك إذا نطقتَ بحاجـةٍ ... فيـه وتَشْفَـع عنـده فيُشَفَّعُ
قُـلْ للأَمير إذا ظفِرتَ بخَلْوة ... منـه ولم يكُ عنـده مَن يَسمعُ
هَـبْ لي الذي أَحببته في أَحمـد ... وبَنِيه إنّـك حاصدٌ مـا تَزْرَعُ
يَخْتَـصّ آلَ محمَّـد بمحبّـة ... في الصَّدر قد طُوِيَتْ عليها الأَضْلُعُ

في هذا الغناءِ لسعيد[3] .

[يهجو سوار القاضي بعد موته]

وحَكى ابن الساحر : أنّ السيّد دُعِي لشهادة عند سَوّار القاضي ؛ فقال لصاحب الدَّعوى : أَعْفِني من الشهادة عند سوّارٍ ؛ فلم يُعْفِه صاحبُها منها وطالبَه بإقامتها عند سَوّار . فلمّا حضر عنده وشهِد قال له : أَلَمْ أَعْرِفْك وتعرِفني ؟ وكيف مع معرفتك بي تُقْدِم على الشهادة عندي ؟

1 ديوانه : 268–272 وقد ضمّ إليها الأَبيات العينية التي سترد فيما بعد .
2 الضوابح : الثعالب .
3 يبدو أنّ الخبر لم يتمّ ، وسيأتي تمامه مع بقيّة القصيدة بعد قليل . وقوله «في هذا الغناء لسعيد» ناقص أيضاً ولم يكمله .

فقال له : إنّي تخوّفتُ إكراهَه ، ولقد افتديتُ شهادتي عندك بمال فلم يقبل منّي فأقمتُها ؛ فلا يَقْبَل اللهُ لك صَرْفاً ولا عَدْلاً إن قبِلْتَها ، وقام من عنده ؛ ولم يقدِر سوّارٌ له على شيء لِما تقدَّم به المنصورُ إليه في أمره ، واغتاظ غيظاً شديداً وانصرف من مجلسه فلم يَقضِ يومئذٍ بين اثنين . ثم إنّ سوّاراً اعتلّ علّته التي مات فيها فلم يقدِر السيّدُ على هجائه في حياته لِنَهْي المنصور إيّاه عن ذلك . ومات سوّار فأُخْرج عَشِيّاً وحُفِر له . فوقع الحفر في موضع كَنِيف . وكان بين الأَزْد وبين تَمِيم عداوةٌ ، فمات عَقِب موته عبّادُ بن حبيب بن المهلَّب ؛ فهجا السيّدُ سوّاراً في قصيدة رثى بهـا عبّـاداً ودفعها إلى نوائح الأزد لِما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوّار يَنُحْنَ بها ، وأوّلُها[1] : [من البسيط]

يا مَـــنْ غدا حاملاً جُثمانَ سوّارِ من داره ظاعنـاً منهـا إلى النارِ
لا قدّس اللهُ رُوحـاً كان هيكلَها فقد مضتْ بعظيم الخِزْي والعارِ
حتى هوَتْ قَعْرَ بُرْهُوتٍ مُعَذَّبةً وجسمُه في كَنيف بـين أقذارِ[2]
لقـد رأيـتُ مـن الرحمن مُعْجِبةً فيـه وأحكامُـه تجـري بمقدارِ
فاذهَبْ عليك مـن الرحمن بَهْلَتُه يا شرَّ حـيٍّ براه الخالقُ الباري[3]

[مازح صديقاً زنجيّاً]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد البقّال قال حدَّثنا شَيْبان بن محمَّد الحَرَّانيّ ، وكان يُلَقَّب بَعُوضةَ وصار من سادات الأَزد . قال : كان السيّد جاري ، وكان أَدْلَم[4] ، وكان يُنادم فتياناً من فتيان الحيّ فيهم فتىً مثلُه أَدْلَمُ غليظُ الأنف والشَّفتين مُزَنَّج الخلْقة . وكان السيّد من أَنْتَن الناسِ إبطين . وكانا يتمازحان ، فيقول له السيّد : أَنت زِنجيّ الأنفِ والشّفتين ، ويقول الفتى للسيّد : أنت زَنجيّ اللون والإبطين . فقال السيّد[5] : [من الوافر]

أعــارَكَ يــومَ بِعْنــاه رَبــاحٌ مشافـرَه وأنفَـك ذا القبيحا[6]

1 ديوانه : 230–232 مع بعض اختلاف وخمسة أبيات أُخرى .
2 برهوت : بئر في حضرموت قيل إنّ فيها أرواح الكافرين .
3 البهلة : اللعنة .
4 أدلم : شديد السواد .
5 ديوانه : 148 .
6 رباح : من أسماء العبيد .

وكانت حِصّتي إبطَــيٌّ منــه ولونــاً حالكاً أُمسى فَضُوحا
فهــل لك في مُبادَلَتِيكَ إبْطِي بأنفــك تَحمــدُ البيعَ الرَّبيحا
فإنّــك أقبــحُ الفتيانِ أنْفاً وإبطــي أنتــنُ الآبــاط رِيحا

[هجا امرأة صديقه]

أخبرني أحمد قال حدَّثني شَيْبان قال : مات منّا رجلٌ موسِرٌ وخلَف ابناً له فورِث مالَه وأتلفه بالإسراف ، وأقبل على الفَساد واللهو ، وقد تزوّج امرأةً تسمَّى ليلى ، واجتمع على السيّد وكان من أظرف الناس ، وكان الفتى لا يصبر عنه ، وأنفق عليه مالاً كثيراً ؛ وكانت ليلى تعذِلُه على إسرافه وتقول له : كأنّي بك قد افتقرت فلم يُغنِ عنك شيئاً . فهجاها السيّد . وكان ممّا قال فيها[1] : [من البسيط]

أقولُ يا ليتَ ليلى في يَدَيْ حَنِقٍ من العداوة منْ أعــدى أعاديها
يعلو بها فوق رَعْنٍ ثم يَحْدِرها في هُــوّة فَتَدهْدى يومَهــا فيها
أوْ ليتَها في عِمار البحر قد عصفت فيه الرِّياح فهاجت مــن أواذِيها[2]
أوْ ليتَها قُرِنَت يومــاً إلى فرسي قــد شُدَّ منها إلى هادِيــه هادِيها
حتى يُرى لحمُها من حُضْرِه زِيَماً وقد أتى القومَ بعد الموتِ ناعيها[3]
فمَنْ بكاها فــلا جفَّتْ مدامعُه لا أسْخن اللهُ إلاّ عــينَ باكيها

[يشكر والي الكوفة على رداء أهداه له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ وعبد الحميد بن عُقْبة قالا حدَّثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسلان عن محمَّد بن كُناسة قال : أهدى بعضُ ولاة الكوفة إلى السيّد رداءً عَدَنيّاً ؛ فكتب إليه السيّد فقال[4] : [من البسيط]

وقــد أتانــا رداءٌ مــن هَدِيّتكم فلا عَدِمتُك طولَ الدَّهر مِنْ والِ
هــو الجمالُ جزاكَ اللهُ صالحــةً لــو أنّه كان موصولاً بسِرْبالِ

فبعث إليه بخِلعة تامّةٍ وفرسٍ جواد وقال : يُقطع عتابُ أبي هاشمٍ واستزادتُه إيّانا .

1 ديوانه : 467 .
2 الأواذي : الأمواج واحدها آذيّ .
3 الزيم : القطع المتفرّقة .
4 ديوانه : 343 .

[يسبّ الشيخين عندما سمع قاصّاً يمدحهما]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ عن بعض البَصريّين عن سليمان بن أَرْقَم قال : كنتُ مع السيّد ، فمرَّ بقاصٍّ على باب أَبي سفيان بن العَلاء وهو يقول : يُوزَن رسولُ الله ﷺ يومَ القيامة في كِفَّة بأُمّته أَجمع فيَرْجَحُ بهم ، ثم يُؤْتى بفلان فيوزن بهم فيَرجَح ، ثم يُؤتى بفلان فيُوزن بهم فيرجح . فأَقبل على أَبي سفيان فقال : لعَمْري إنّ رسول الله ﷺ ليَرجَح على أمّته في الفضل ، والحديث حقّ : وإنّما رجَح الآخَران الناسَ في سيّئاتهم ؛ لأَنّ مَن سَنّ سُنَّة سيّئة فعُمِل بها بعده كان عليه وِزْرُها ووِزر مَن عَمِل بها . قال : فما أَجابه أَحدٌ . فمضى فلَم يَبقَ أَحدٌ من القوم إلاّ سَبّه .

[يتغزّل ببنت الفجاءة]

وقال أَبو جعفر الأَعرج حدَّثني إسماعيل بن السّاحر قال : خرجتُ من منزل نصر بن مسعود أَنا وكاتب عقبة بن سَلْم والسيّد ونحن سكارى . فلمّا كنّا بزَهْران لَقِيَتْنا بنتُ الفُجاءَة بن عمرو بن قَطَرِيّ بن الفُجاءة ، وكانت امرأَةً بَرْزَةً حسناءَ فصيحةً ، فواقفها السيّد وتخاطب عليها وأَنشدها من شعره بتجميش ، فأَعجب كلٌّ واحد منهما صاحبَه . فقال السيّد[1] : [من الكامل]

. . . . من ناكِثين وقاسطين الأَرْوَعُ
. . . . حول الأَمين وقال هاتِ لِيَسمعوا
قم يا ابن مَذْعورٍ فأَنْشِد نكّسوا خُضُعَ الرّقاب بأَعين لا تُرْفعُ
لولا حِذارُ أَبي بجير أَظهروا شنآنهم وتفرّقوا وتصدّعوا
لا تجزَعوا فلقد صبَرْنا فاصبروا سبعين عاماً والأُنوفُ تُجدَّعُ
إذ لا يزال يقوم كلَّ عَرُوبةٍ منكم بصاحبنا خطيبٌ مِصْقَعُ[2]
مُسحَنْفِرٌ في غيّه مُتَتايعٌ في الشَّتم مثّله بخيل يسجعُ[3]
لِيَسُرَّ مخلوقاً ويُسْخِط خالقاً إنّ الشقيّ بكلّ شرٍّ مُولَعُ

فلمّا سمِعها أَبو بجير دعا صاحبَ عَسَسِه فشتَمه وقال : جنيتَ عليّ ما لا يَد لي به ؛ اذهبْ صاغراً إلى الحبس وقل : أَيّكم أَبو هاشم ؛ فإذا أَجابك فأَخرِجه واحمِله على دابّتك وامشِ معه

1 لا ارتباط بين هذا الخبر والشعر . ويبدو أَنّ الأَبيات التالية وما بعدها تتمّة لخبر حبسه على السكر في الأَهواز .
2 عروبة : يوم الجمعة .
3 مسحنفر : سريع . متتايع : متهافت .

صاغراً حتى تأتيني به ففعل . فأبى السيّدُ ولم يُجبه إلى الخروج إلاّ بعد أن يُطلِق له كلَّ مَن أخذ معه . فرجع إلى أبي بُجَير فأخبره ، فقال : الحمدُ لله الذي لم يَقُل أَخْرِجْهم وأَعْطِ كلَّ واحدٍ منهم مالاً ، فما كنّا نقدِر على خلافه ؛ افعلْ ما أَحَبَّ برغم أنفك الآن . فمضى فخلّى سبيلَه وسبيلَ كلّ مَن كان معه ممّن أُخِذ في تلك الليلة ، وأُتي به إلى أبي بجير . فتناوله بلسانه وقال : قدِمتَ علينا فلم تأتِنا وأتيتَ بعض أصحابك الفسّاق وشربتَ ما حُرِّم عليك حتى جرى ما جرى ؛ فاعتذر من ذلك إليه ؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سنيّة وحمَله وأقام عنده مدّةً .

[أبو بجير والتشيّع]

قال النَّوْفليّ وحدَّثني أبي : أنّ جماعة من أهل الثغور قدِموا على أبي بجير بتسبيب بهم فأطلقهم ، ثم جاءوه فعاتَبوه على التشيّع وسألوه الرجوعَ ؛ فغضِب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال : أنشِدْني وَيْلَك لأبي هاشم . فأنشده قولَه[1] : [من الكامل]

يــا صاحبيّ لدِمْنَتَيْن عفاهمــا ... مَـرُّ الرّيــاحِ عليهما فمحاهما

حتى فرغ . ثم قال : هاتِ النُّونيّة ؛ فأنشده[2] : [من الكامل]

يــا صاحبيَّ تَرَوَّحــا وذَراني ... ليس الخليُّ كمُسْعَر الأَحزانِ

فلمّا فرغ قال : أنشدني الدمَّاغةَ الرائيّة ، فأنشده إيّاها . فلمّا فـرغ أقبل عليه الثَّغْريُّون فقالـوا له : ما أَعْتَبْتَنا فيما عاتَبناك عليه . فقال : يا حَمير ! هل في الجواب أكثر ممّا سمِعتم ؟ والله لولا أنّي لا أعلم كيفَ يَقع فعلي من أمير المؤمنين لضربتُ أعناقَكم ! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا . وبلغ السيّدَ الخبرُ فقال[3] : [من الوافر]

إذا قــال الأميــر أبــو بجيرٍ ... أخـــو أسدٍ لمنشده يَزيــدا
طَرِبتُ إلى الكرام فهاتِ فيهم ... مديحــاً من مديحـك أو نشيدا
رأيتَ لَمــن بحضرته وجُوهــاً ... مــن الشُّكّاك والمُرْجين سُودا
كأنّ يزيــد يُنْشِد بامتــداحٍ ... أبــا حسنٍ نَصــارى أو يهودا

[أشعر الناس أبو العبدي]

ورَوى أبو داود المسترِق : أنّ السيّد والعبديّ اجتمعا ؛ فأنشد السيّد[4] : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 385 .
2 ديوانه : 445 .
3 ديوانه : 163 عن الأغاني .
4 ديوانه : 418 ورواية صدر البيت الثاني فيه : وما به دان يوم النهر دنت به

إنّي أُدِين بما دان الوَصيّ بــه ... يوم الخُرَيْبَةِ من قتل المُحلِّينا[1]
وبالذي دان يومَ النهروان بــه ... وشاركت كفَّــه كفّــي بصِفِّينا

فقال له العَبْديّ : أخطأت ، لو شاركتْ كفُّك كفّه كنتَ مثله ؛ ولكن قُل : تابعت كفّي كفّه لتكونَ تابعاً لا شريكاً . فكان السيّد بعد ذلك يقول : أنا أشعر الناس إلاّ العبديّ .

[سكر وسبّ الشيخين]

وقال إسحاق النَّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل بن الساحر قال : كنتُ مع السيّد وقد اكترينا سفينة إلى الأهواز ؛ فجلس فيها معنا قومٌ شُراةٌ ، فجعلوا يَنالون من عثمان . فأخرج السيّد رأسه إليهم وقال[2] : [من البسيط]

شَفَيْتَ مــن نَغْلٍ في نَحْت أَثْلتــه ... فاعْمِد هُدِيتَ إلى نَحْتِ الغَوِيَّيْنِ[3]
اعمِدْ هُدِيتَ إلى نحت اللّذيْن هما ... كانا عــن الشرّ لــو شاءا غنيَّيْنِ

قال إسماعيل : فلمّا قَدِمنا الأهوازَ قدِم السيّد وقد سكِر ، فأتي به أبا بجير بن سمّاك الأَسَديّ ؛ وكان ابنُ النّجاشيّ عند ابن سمّاك بعد العِشاء الآخِرة ، وكان يعرفه باسمه ولم يعرِفه . فقال له : يا شيخ السّوء ، تخرج سكرانَ في هذا الوقت ! لأُحْسِنَنَّ أدَبَكَ . فقال له : والله لا فعلتَ ، ولتُكْرِمنّي ولتَخْلَعنّ عليّ وتَحْمِلَني وتُجيزَني . قال : أَوَتَهْزَأ أيضاً ! قال : لا والله ؛ ثم اندفع يُنشده فقال[4] : [من البسيط]

مَن كان معتذِراً مــن شتْمه عمراً ... فابــنُ النَّجاشيّ منــه غيرُ مُعْتذِرِ
وابنُ النجاشي بَراءٌ ، غيرَ محتشم ، ... في دينه مــن أبي بكر ومن عمرِ

ثم أنشده قوله[5] : [من الكامل]

إحداهما نَمَّتْ عليــه حديثَــه ... وبَغَــتْ عليــه نفسه إحداهما[6]
فهما اللتان سمِعتُ ربَّ محمَّد ... في الذكر قصَّ على العباد نَباهما[7]

فقال : أبو هاشم ؟ فقال نعم . قال : ارتَفِعْ . فحمَله وأجازه ، وقال : والله لأُصدِّقنّ قولك في جميع ما حلَفتَ عليه .

---

1 الخريبة : موضع ، بالبصرة كانت به وقعة الجمل .
2 ديوانه : 441 عن الأغاني .
3 نحت أثلته : ذمه وتنقصه .
4 ديوانه : 238 عن الأغاني .
5 أنظر ديوانه : 386 .
6 يقصد حفصة وعائشة .
7 إشارة إلى ما جاء في سورة التحريم : ﴿وإذْ اسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجِهِ حديثاً . . .﴾ .

[أباح له أبو بجير شرب النبيذ]

قال إسماعيل : رأى أبو بجير السيّدَ متغيِّر اللّونِ ، فسأله عن حاله ؛ فقال : فقَدْتُ الشرابَ الذي أَلِفتُه لكراهةَ الأمير إيّاه ؛ قال : فاشرَبْه ، فإنّنا نحتمله لك . قال : ليس عندي . قال لكاتبه : اكتُب له بمائتي دَوْرق مِيبختَج[1] . فقال له السيّد : ليس هذا من البلاغة . قال : وما هي ؟ قال : البلاغة أن تأتي من الكلام بما يُحتاج إليه وتَدَعَ ما يُستغنى عنه . قال : وكيف ذلك ؟ قال : اكتب بمائتي دَوْرق «مِي» ولا تكتب «بَخْتج» ، فإنّك تَستغني عنه . فضحك ، ثم أمر فكُتِبَ له بذلك . قال : والمِي : النبيذ .

[شماتة المرجئة بأبي بجير]

قال إسماعيل : وبلغ السيّدَ وهو بالأهواز أنّ أبا بجير قد أشرف على الموت ، فأظهرت المُرْجئةُ الشّماتةَ به . فخرج السيّد متحرِّقاً حتى اكترى سفينةً وخرج إليها ، وأنشأ يقول[2] : [من الوافر]

تَباشَرَ أهلُ تَدْمُرَ إذ أتاهم ... بأمرِ أميرنا لهمُ بَشيرُ
ولا لأميرِنا ذنبٌ إليهم ... صغيرٌ في الحياة ولا كبيرُ
سوى حبِّ النبيّ وأقْرَبِيه ... ومولاهم بحُبِّهمُ جديرُ
وقالوا لي لكيما يُحزِنوني ... ولكن قولهم إفْكٌ وزورُ
لقد أمسى أخوك أبو بجير ... بمنزله يُزار ولا يَزورُ
وظلّت شيعةُ الهادي عليٍّ ... كأنّ الأرضَ تحتهمُ تَمورُ
فبِتُّ كأنّني ممّا رَمَوْني ... به في قِدّ ذي حَلَقٍ أسيرُ
كأنّ مدامعي وجفونَ عيني ... تُوَخَّز بالقَتاد فهنّ عُورُ
أقولُ عليَّ للرحمن نَذْرٌ ... صحيحٌ حيث تُحْتَبَسُ النّذورُ
بمكّةَ ، إن لقيتُ أبا بُجَيْرٍ ... صحيحاً واللّواءُ له يسيرُ

وهي قصيدة طويلة .

[أنشد النبيّ في النوم قصيدته العينية]

وروى محمَّد بن عاصم عن أبي داود المسترِق عن السيّد : أنه رأى النبي ﷺ في النوم ، فاستنشده فأنشده قوله : [من السريع]

1 ميبختج : كلمة فارسية مركّبة من «مي» ومعناها النبيذ و«بختج» ومعناها المطبوخ .
2 ديوانه : 207–208 عن الأغاني .

لأُمّ عمرو باللّـوى مَرْبَعُ   طامِسةٌ أعلامُـــه بَلْقَـعُ

حتى انتهى إلى قوله :

قالوا لـه لو شئتَ أَعْلَمْتنا   إلى مَـنِ الغايَــةُ والمَفْزعُ

فقال : حسبُك ! ثم نفَض يدَه وقال : قد واللهِ أعلمتُهم .

[مرضه ووفاته]

وروى أبو داود وإسماعيل بن السّاحر : أنّهما حَضَرا السيّدَ عند وفاته بواسِط وقد أصابه شَرىً وكربٌ ؛ فجلس ثم قال : اللهمّ أهكذا جَزائي في حبّ آل محمَّد ! قال : فكأنّها كانت ناراً فطَفِئتْ عنه .

[يتبرأ من عثمان والشيخين وهو يحتضر]

وأخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ بإسنادٍ له لم يحضُرني وأنا أُخَرِّجه إن شاء الله تعالى قال : حدَّثني مَن حضر السيِّد وقد احتُضِر فقال[1] : [من السريع]

بَرئتُ إلى الإله من ابـنِ أرْوَى[2]   ومن دِين الخوارج أجمعينا

ومـن فُعَـلٍ بَرِئتُ ومن فُعَيْلٍ   غـداةَ دُعِـي أميرَ المؤمنينا[3]

ثم كأن نفسه كانت حَصاةً فسقطتْ .

[أهل واسط لا يدفنونه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن أبي الهُذَيْل العَلاّف عن أبي جعفر المنصور قال : بلَغني أنّ السيِّد مات بواسط فلم يَدفِنوه . والله لئن تحقّق عندي لأُحرِقنّها ! .

[محبو آل محمَّد لا يموتون إلاّ تائبين]

ووجدتُ في بعض الكتب : حدَّثني محمَّد بن يحيى اللّؤلئيّ قال حدَّثني محمَّد بن عباد بن صُهَيْب عن أبيه قال : كنتُ عند جعفر بن محمَّد ، فأتاه نعْيُ السيّد ، فدعا له وترحَّم عليه . فقال رجلٌ : يابنَ رسول الله ، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمِن بالرَّجْعة ؟ فقال : حدَّثني أبي عن جَدّي أنّ مُحِبّي آلِ محمَّد لا يموتون إلاّ تائبين وقد تاب ، ورفَع مُصَلّىً كانت تحته ، فأخرج كتاباً من السيّد يعرِّفه فيه أنّه قد تاب ويسأله الدعاء له .

---

1 ديوانه : 427 .

2 ابن أروى : عثمان بن عفّان .

3 يعني أبا بكر وعمر .

[عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه]

وذكر محمَّد بن إدريس العُتْبيّ أنّ مُعاذ بن يزيد الحِمْيَريّ حدَّثه أنّ السيّد عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيّامه مات ، وأنّه مدَحه بقصيدتين فأمر له ببَدْرتيْن ففرَّقهما . فبلغ ذلك الرشيدَ فقال : أحسب أبا هاشم تورَّع عن قبولِ جوائزنا .

[لمّا مات أُحضر له سبعون كفناً]

أخبرني ابن عمَّار قال حدَّثنا يعقوب بن نُعَيْم قال حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد بن بَشير بن عَمّار الصَّيْرفيّ عن جدّه بشير بن عمّار قال : حضرت وفاة السيّد في الرُّميلة ببغداد ، فوجّه رسولاً إلى صفّ الجَزّارين الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته ؛ فغلِط الرسولُ فذهب إلى صفّ السموسين ، فشتموه ولعنوه ؛ فعلِم أنّه قد غَلِط ، فعاد إلى الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته ؛ فوافاه سبعون كفناً . قال : وحضرناه جميعاً وإنّه ليتحسَّر تحسّراً شديداً[1] وإن وجهه لأسودُ كالقار وما يتكلّم ، إلى أن أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القِبلة ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعلُ هذا بوليّك ؟ قالها ثلاث مرّات مرّةً بعد أخرى . قال : فتجلّى والله في جبينه عِرْقُ بياض ، فما زال يتّسع ويَلْبَس وجهَه حتى صار كلُّه كالبدر[2] ، وتوفّي فأخذنا في جِهازه ودفنّاه في الجُنينة ببغداد ، وذلك في خلافة الرشيد .

---

1 ل : لينخر نخيراً .

2 ل : كالبرد .

109 ـ [أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة]

صوت من المائة المختارة[1]

[من الطويل]

فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها ... إلى بلدٍ نــاءٍ قليــلِ الأصادقِ

ولا ذَنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ ... أَثيبي بــوُدٍّ قبــل إحدى البوائقِ

عروضُه من الطويل .

قوله : «فلا زلن حسرى» : دعاء على الإبل التي ظعَنتْ بها وأبعدتْها عنه . وحسرى : قد حَسِرن أي بَلَغ منهن الجَهْدُ فلم يُبْقِ فيهنّ بقيَّةً ، يقال : حسَر ناقتَه فهو يَحسِرُها ، وهي حَسْرى ، والذَّكر حسير[2] ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خاسِئاً وهُوَ حَسِيرٌ﴾ . وفي الحديث «فإن أتْعبتها حسَرْتها» . والظَّلْعُ في كلّ شيء : أن تألم رجلُه فلا يقدر أن يمشي عليها فيَغْمِز في مَشْيه كالأعرج إذا مشى ، ويقال : ظلَع فهو ظالِعٌ . والنائي : البعيد ، والنيّة : الناحية التي تنوي إليها ، والنَّوى : البعد ، والتنائي : التباعد . والبوائق : الحوادث التي تأتي بما يُحْذَر بغتَةً ، وهي مثل المصائب والنوائب .

البيت الأوّل من الشعر لكُثيِّر ، ويقال : إنّه لأبي جُنْدَب الهذليّ . والبيت الثاني لرجل من كِنانة ثم من بني جَذِيمة ، وزعم ابن دَأْبٍ أنّه عبد الله بن عَلْقَمة أحدُ بني عامر بن عبد مَناةِ بن كِنانة ، وقيل أيضاً : إنّه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مَغازِيه التي وجّهه رسول الله ﷺ فيها .

الغناء في اللحن المختار لُمتَيَّمَ مولاةِ عليّ بن هشام وأُمِّ أولاده . ولحنُها رمل بالبنصر ، من رواية إسحاق وعمرو ؛ وهو من الأرمال النادرةِ المختارةِ . وفيه خفيفُ ثقيلٍ ، يقال : إنّه لحسين بن مُحْرِز ، ويقال : إنّه قديم من غِناء أهل مكّة .

1 انظر ديوان كثير عزّة (جمع إحسان عبّاس) : 533 .

2 في اللسان (حسر) : الذكر والأنثى سواء والجمع حسرى مثل قتيل قتلى .

[أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن زكريا الغَلابيّ قال حدَّثنا العباس بن بكّار قال حدَّثنا ابن دَأْب قال : كان من حديث عبد الله بن عَلْقَمة أُحدِ بني عامر بن عبد مَناة بن كِنانة أنّه خرج مع أُمّه وهو مع ذلك غلامٌ يَفَعَةٌ دون المُحْتَلِم لتزورَ جارةً لها ، وكان لها بنت يقال لها حُبَيْشة بنت حُبَيْش أُحدِ بني عامر بن عبد مناة بن كِنانة . فلمّا رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه ، وانصرف وترك أُمَّه عند جارتها ، فلبِثتْ عندها يومين . ثم أتاها عبد الله بن علقمة ليَرْجِعها إلى منزلها ، فوجد حُبَيشة قد زُيِّنت لأمرٍ كان في الحَيّ ، فازداد بها عَجَباً ، وانصرف بأُمّه في غَداةٍ تُمطر ، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

وما أدري بَلى إنّي لأدري ... أصَوْبُ القَطْرِ أحسنُ أم حُبَيْشُ
حُبَيْشَةُ والذي خلق الهَدايا ... وما عن بُعْدها للصَّبّ عيشُ

فسمِعتْ ذلك أُمُّه فتغافَلَتْ عنه وكرِهت قولَه . ثم مَشَيا مَلِيّاً ، فإذا هو بظبي على رَبْوةٍ من الأرض ، فقال : [من البسيط]

يا أُمَّتا أَخْبِريني غيرَ كاذبةٍ ... وما يُريد مَسُولُ الحقّ بالكذبِ
أتلك أحسنُ أم ظبيٌ برابيةٍ ... لا بل حُبَيْشةُ في عيني وفي أَرَبي

فزجرتْه أُمُّه وقالت له : ما أنتَ وهذا ؟ نُزوّجك بنتَ عمّك فهي أجملُ من تلك . وأتت امرأةَ عمّه فأخبرتْها خبرَه ، وقالت : زيّني ابنتَك له ، ففعلتْ وأدخلتْها عليه . فلمّا رآها أطرق . فقالت له أُمّه : أيُّهما الآن أحسن ؟ فقال : [من الطويل]

إذا غُيِّبتْ عنّي حُبيشةُ مرّةً ... من الدَّهر لم أَمْلِك عزاءً ولا صبرا
كأنّ الحشى حَرُّ السَّعير يَحُشّه ... وَقود الغضى والقلبُ مسْتعِرٌ [جمرا][1]

وجعل يُراسل الجاريةَ وتُراسله حتى علِقْته كما علِقها ، وكثُر قولُه للشعر فيها . فمن ذلك قال : [من الطويل]

حُبَيشةُ هل جَدّي وجَدُّك جامعٌ ... بشَمْلِكُمُ شَمْلي وأَهلِكُمُ أهلي
وهل أنا ملتفٌّ بثوبك مَرّةً ... بصَحْراء بين الأَلْيَتَيْن إلى النخلِ

---

1 يحشه : يوقده .

وهل أَشْتفي من رِيق ثغرِكِ مَرّةً كراحٍ ومسكٍ خالطا ضَرَبَ النَّحْلِ

فلمّا بلغ أَهلَها خبرُهما حجبوها عنه مُدّة ، وهو يزيد غراماً بها ويُكثر قولَ الشعر فيها . فأَتَوْها فقالوا لها : عِدِيهِ السَّرْحةَ ، فإذا أَتاك فقولي له : نَشَدتُك اللهَ إن كنتَ أَحببتني فواللهِ ما على الأَرض شيءٌ أَبغض إليّ منك ، ونحن قريبٌ نستمع ما تقولين . فوعدتْه وجلسوا قريباً يستمعون ، وجلستْ عند السَّرْحة ، وأَقبل عبد الله لوعدها . فلمّا دنا منها دَمَعتْ عينُها والتفتت إلى حيث أَهلُها جلوسٌ ، فعرَف أَنّهم قريب فرجَع . وبلَغه ما قالوا لها أَن تقولَه فأَنشأَ يقول : [من الطويل]

لو قلتِ ما قالوا لَزِدتُ جَوىً بكم على أَنّه لم يَبْقَ سِتر ولا صبرُ
ولم يـكُ حبِّـي عن نوالٍ بذلتِه فيُسْلِيَني عنـه التجهُّـمُ والهجـرُ
وما أنسَ مِ الأَشياء لا أَنسَ دمعَها ونظرتَهـا حتـى يُغَيِّبنـي القبرُ

[سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة]

وبعث النبيّ ﷺ على أَثَر ذلك خالدَ بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مَناة بن كِنانة وأَمره أَن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أَجابوه وإلاّ قاتلَهم . فصبَحَهم[1] خالد بن الوليد بالغُمَيْصاء[2] وقد سمِعوا به فخافوه فظَعَنوا ، وكانوا قتلوا أَخاه الفاكهَ بن الوليد وعمَّه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية ، وكانوا من أَشدّ حيّ في كنانة بأساً يُسمَّوْن «لَعَقَة الدَم» . فلمّا صبَحَهم خالدٌ ومعه بنو سُلَيْم ، وكانت بنو سليم طَلَبتْهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشَّرِيد وإخوتِه كُرْزٍ وعمرو والحارث ، وكانوا قتلوهم في موطن واحد . فلمّا صبَحَهم خالدٌ في ذلك اليوم ورأَوْا معه بني سُلَيْم زادهم ذلك نفوراً . فقال لهم خالد : أَسلِموا تَسْلَموا . قالوا : نحن قومٌ مسلمون . قال : فأَلْقُوا سلاحَكم وانزِلوا . قالوا : لا والله . فقال جَذِيمةُ بن الحارث أَحدُ بني أَقْرَم : يا قوم ، لا تَضعوا سلاحَكم ، والله ما بعد وضعِ السلاح إلاّ القتل . قالوا : لا والله لا نُلْقي سلاحنا ولا نَنْزل ، ما نحن منك ولا لَمن معك بآمِنين . قال خالدٌ : فلا أَمانَ لكم إن لم تَنزلوا . فنزلتْ فرقةٌ منهم فأَسَرهم ، وتفرَّق بقيّةُ القوم فرقتين ، فأَصعَدتْ فرقةٌ وسفَلَتْ فرقةٌ أُخرى .

[رواية أُخرى]

قال ابنُ دَأْب : فأَخبرني مَن لا أَتَّهم عن عبد الله بن أَبي حَدْرَد الأَسْلميّ قال : كنتُ

1 قارن بسيرة ابن هشام 2 : 429 وما بعدها وفي الشعر والرواية اختلاف غير يسير ، والرواية هنالك هي أيضاً عن عبد الله بن أَبي حدرد الأسلميّ .
2 الغميصاء : موضع قرب مكّة .

يومئذٍ في جند خالد ، فبَعَثنا في أَثَر ظُعُن[1] مُصْعدةٍ يسوقُ بهنَّ فِتيةٌ ، فقال : أَدْرِكوا أُولئك . قال : فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضَوْا ، ووقف لنا غلام شابٌّ على الطريق . فلمّا انتهينا إليه جعل يقاتلنا وهو يقول : [من الرجز]

بَيِّنَّ أَطرافَ الذُّيول وارْبُعْنْ   مَشْيَ حَيِيَّاتٍ كأن لم يَفزَعْنْ
إن يُمْنَعِ اليومَ نساءٌ تُمْنَعْنْ

فقاتَلَنا طويلاً فقتلناه ، ومضينا حتى لحِقْنا الظُّعنَ ، فخرج إلينا غلام كأنّه الأوّل ، فجعل يقاتلنا ويقول : [من الرجز]

أُقسم مـا إن خادِرٌ ذو لِبْدَه   يـزأر بـين أَيْكةٍ ووَهْدَهْ[2]
يفرِس شُبّانَ الرجـالِ وَحْدَه   بأصدقَ الغـداةَ منّـي نَجْدَهْ

فقاتَلنا حتى قتلناه ، وأدركنا الظُّعْن فأخذناهنّ ، فإذا فيهن غلامٌ وضيءٌ به صفرةٌ وفي لونه كالمنهوك ، فربَطْناه بحبل وقدّمناه لنقتله ؛ فقال لنا : هل لكم فيّ خير ؟ قلنا : وما هو ؟ قال : تُدركون بي الظُّعنَ أسفلَ الوادي ثم تقتلونني ؛ قلنا : نفعل . فخرجنا حتى نُعارضَ الظُّعُنَ أسفلَ الوادي . فلمّا كان بحيث يَسْمعن الصوتَ ، نادى بأعلى صوته : اسْلَمي حُبَيش ، عند نَفاد العيش . فأقبلت إليه جاريةٌ بيضاء حُسَّانة فقالت : وأنتَ فاسلم على كثرة الأعداء ، وشدّة البلاء . فقال : سلامٌ عليكم دهراً ، وإن بقيت عصراً . قالت : وأنت سلامٌ عليك عشراً ، وشَفْعاً تَتْرى ، وثلاثاً وِتْرا . فقال : [من الطويل]

إن يَقْتلوني يا حبيشُ فلم يَدَعْ   هواك لهم منّي سوى غُلّة الصدرِ
وأنتِ التي أخليتِ لحميَ من دمي   وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحري

فقالت له : [من الطويل]

ونحن بكينا من فراقـك مـرّةً   وأُخرى وآسيْناك في العسر واليسرِ
وأنت ، فلا تَبْعَدْ فنعم فتى الهوى ،   جميلُ العفافِ في المودّة والسّترِ

فقال لها : [من الطويل]

أَرَيْتَكِ إن طالبتُكـم فوجدتُكم   بحَلْيـةَ أو أدركتُكـم بالخَوانِقِ[3]

---

1 ظُعن : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج .
2 الأسد الخادر : المقيم في عرينه .
3 الخوانق : جمع خانق وهو موضع بتهامة . حلية : واد بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة .

أَلَمْ يكُ حقّـاً أن يُنـوَّل عاشقٌ تكلَّف إدلاجَ السُّرَى والودائقِ[1]

فقالت : بَلى والله . فقال :

فلا ذنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ أَثِيبي بودٌّ قبـل إحـدى البوائِقِ
أَثِيبي بودّ قبل أن تَشْحَط النّوى ويَنـأَى خليـطٌ بالحبيبِ المفارقِ

قال ابن أَبي حَدْرَد : فضربنا عُنقَه ، فتقحّمت الجاريةُ من خِدْرِها حتى أَتت نحوَه فالتقمتْ فاه ، فنزعنا منها رأسَه وإنّها لتَكْسَع[2] بنفسها حتى ماتت مكانَها . وأَفلت من القوم غلامٌ من بني أَقْرَم يقال له السَّمَيْدع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ فأَخبره بما صنع خالد وشكاه .

[علي يصلح خطأ خالد]

قال ابنُ دأب : فأَخبرني صالح بن كَيْسان أَنّ رسول الله ﷺ سأَله «هل أَنكر عليه أَحدٌ ما صنع» ؟ فقال : نعم ، رجلٌ أَصفرُ رَبْعةٌ ورجل أَحمرُ طويلٌ . فقال عمر : أَنا والله يا رسول الله أعرفهما ، أَمّا الأَوّل فهو ابني وصفتُه ، وأَمّا الثاني فهو سالم مولى أَبي حُذَيْفة . وكان خالد قد أَمر كلَّ من أَسَر أَسيراً أَن يضربَ عنقه ، فأَطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أَبي حُذيفة أَسيرين كانا معهما . فبعث رسول الله ﷺ عليّاً رضي الله عنه بعد فَراغه من حُنَيْن وبعث معه بإبلٍ وورِقٍ وأَمره أَن يَدِيَهم فوادَهم ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ، فسأَله فقال عليّ : قدِمتُ عليهم فقلتُ لهم : هل لكم أَن تَقْبَلوا هذا الجملَ بما أُصيب منكم من القَتْلى والجَرْحى وتُحَلّلوا رسولَ الله ﷺ ؟ قالوا نعم . فقلتُ لهم : فهل لكم أَن تقبَلوا الثاني بما دخلكم من الرَّوْع والفَزَع ؟ قالوا نعم . فقلتُ لهم : فهل لكم أَن تقبَلوا الثالثَ وتُحَلِّلوا رسولَ الله ﷺ ممّا عَلِمَ وممّا لَم يَعْلَم ؟ قالوا نعم . قال : فدفعتُه إليهم ، وجعلتُ أَدِيهم ، حتى إنّي لأَدِي ميلغةَ الكلب ، وفضَلَتْ فَضْلَةٌ فدفعتُها إليهم . فقال رسول الله ﷺ : «أَفَقَبِلوها ؟» قال نعم . قال : «فوالذي أَنا عبده لهي أَحبُّ إليّ من حُمْر النَّعَم» .

وقالت سَلْمى بنت عُمَيْس[3] : [من الطويل]

وكم غادروا يومَ الغُمَيْصاء من فتىً أُصِيب فلم يَجْرَح وقد كان جارحا
ومـن سيّـدٍ كهل عليـه مَهابةٌ أُصيب ولمّـا يَعْلُه الشيبُ واضحا

1 الودائق : جمع وديقة وهي شدّة الحرّ في الهاجرة .
2 تكسع : تضرب .
3 انظر سيرة ابن هشام 2 : 432 وفي الشعر اختلاف كبير .

أَحاطت بخُطّابِ الأيامى وطلَّقت غَداتَئذٍ من كان منهنّ ناكحا
ولولا مقالُ القومِ للقوم أسلِموا للاقَتْ سُلَيْمٌ يوم ذلك ناطحا

[إيقاع بني عامرٍ بن عبد مناة برجال قريش في الجاهلية]

قال ابنُ دِأب : وأمّا سببُ قتلهم القرشيّين ، فإنّه كان نَفرٌ من قريش بضعةَ عشرَ أُقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مَناة بن كنانة ، وكان يقال لهم «لَعَقَةُ الدّم» وكانوا ذوي بأسٍ شديد . فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيّين : إيّاكم أن يكونَ معكم رجل من فَهْم ؛ لأنّه كان له عندهم ذَحْل . قالوا : لا والله ما هو معنا ، وهو معهم . فلمّا راحوا أدركهم العامِريّون ففتّشوهم فوجدوا الفَهْمِيّ معهم في رِحالهم ، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالَهم . فقال راجزهم : [من الرجز]

إنّ قريشاً غَدَرتْ وعادَهْ نحن قتلنا منهمُ بِغادَهْ[1]
عشرينَ كهلاً ما لهم زيادَهْ

وكان فيمن قُتل يومئذٍ عفّان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عفّان ، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف ، والفاكه بن المُغيرة ، والفاكه بن الوليد بن المُغيرة . فأرادت قريشٌ قتالَهم حتى خَذَلَتْهم بنو الحارث بن عبد مَناة فلم يفعلوا شيئاً . وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مَناة فيمن حضر الوَقْعةَ هو وضِرار . فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطّاب[2] بقوله : [من المتقارب]

دعوتُ إلى خُطّةٍ خالداً من المجد ضيَّعها خالدُ
فوالله أدري أضاهى بها بَني العَمّ أم صدرُه باردُ
ولو خالدٌ عاد في مثلها لتابَعه عُنُقٌ وارِدُ[3]

وقال ضِرارٌ أيضاً : [من الطويل]

أرى ابنَيْ لُؤَيٍّ أسرَعا أن تَسالما وقد سلكت أبناؤها كلَّ مَسْلَكِ
فإن أنتم لم تَثْأَروا برجالكم فَدُوكوا الذي أنتم عليه بِمدْوَكِ[4]

---

1 غادة : موضع في ديار كنانة .
2 هو ضرار بن الخطاب الفهري من الأشراف والشعراء المعدودين من مسلمة الفتح .
3 عنق وارد : أي متدلٍّ ، كناية عن موته .
4 دوكوا : اسحقوا .

فإنّ أداةَ الحرب ما قــد جمعتُم ومــن يَتّــقِ الأقوامَ بالشرّ يُتْرَكِ

[سرايا النبيّ إلى قبائل كنانة]

فلمّا كان يومُ فتح مكّة بعث رسولُ الله ﷺ بالجيوش إلى قبائلِ بني كنانة حولَه ، فبعث إلى بني ضَمْرة نُمَيْلَةَ بن عبد الله اللَّيثيّ ، وإلى بني الدُّئِل عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ ، وبعث إلى بني مُدْلج عيّاشَ بن أبي رَبيعة المخزوميّ ، وبعث إلى بني بَغِيض ومحارب بن فهر عبدَ الله بن نَهيك أحدَ بني مالك بن حِسْل ، وبعث إلى بني عامر بني عبد مَناة خالداً . فوافاهم خالدٌ بماء يقال له الغُمَيْصاء ؛ وقد كان خبرُه سقط إليهم ، فمضى منهم سَلَفٌ قتله بقوم منهم ، يقال لهم بنو قيس بن عامر وبنو قُعَيْن بن عامر وهم خيرُ القوم وأشرفُهم ، فأُصيب مَن أُصيب . فلمّا أقبل خالد ودخل المدينةَ قال له النبيّ ﷺ : «يا خالدُ ما دعاك إلى هذا» ! قال : يا رسول الله آيات سَمِعتُهنّ أُنزلت عليك . قال : «وما هي» ؟ قال : قولُ الله عزّ ذكرُه : ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وجاءَني ابنُ أمّ أصْرَمَ فقال لي : إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تقاتِلَ . فحينئذٍ بعث رسول الله ﷺ فوَداهم .

أخبرنا محمَّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثنا سعد بن أبي نصر قال حدَّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق عن رجل من مُزَيْنة يقال له ابن عاصم عن أبيه قال : بعَثَنا رسول الله ﷺ في سَرِيّةٍ وأمَرَنا ألاّ نقتلَ أحداً إن رأينا مسجداً أو سمِعنا أذاناً ، قال وَكيع وأخبرني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدَّثنا إبراهيم بن بَشّار الرَّماديّ قال حدَّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نَوْفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال : فبينا نحن نسير إذا بفتىً يسوق ظعائنَ ؛ فعرَضْنا عليه الإسلامَ فإذا هو لا يعرِفه ؛ فقال : ما أنتم صانعون بي إن لم أسْلِم ؟ قلنا : نحن قاتِلُوك . قال : فدَعُوني أَلْحَقْ هذه الظعائنَ ، فتركناه ؛ فأتى هودجاً منها وأدخل رأسه فيه وقال : اسْلَمي حُبَيْش ، قبل نَفاد العيش . فقالت : وأنتَ فاسلم تِسْعاً وترا ، وثمانياً تَتْرى ، وعشراً أُخرى . فقال لها : [من الطويل]

فلا ذنبَ لي قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ أثِيبي بــودٌّ قبل إحــدى البوائقِ
أثيبي بودّ قبل أن تَشْحَط النَّوى ويَنْــأى أميرٌ بــالحبيبِ المُفارقِ

قال : ثم جاء فضربنا عنقَه . فخرجَتْ من ذلك الهودج جاريةٌ جميلة فَجَنَأتْ[1] عليه ، فما زالت تبكي حتى ماتت .

1 جنأت : أكبت .

[حديث خالد للنبيّ عن غزوته بني جذيمة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وعمرو بن عبد الله العَتكيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : يُروى أنّ خالد بن الوليد كان جالساً عند النبيّ ﷺ ، فسُئل عن غزوته بَني جَذِيمة فقال : إنْ أذِن رسولُ الله ﷺ تحدّثتُ . فقال : «تحدّثْ» . فقال : لقِيناهم بالغُمَيْصاء عند وجه الصبح ، فقاتلناهم حتى كاد قرنُ الشمس يَغِيبُ ، فمنَحنا اللهُ أكتافَهم فتبِعْناهم نطلبهم ، فإذا بغلام له ذوائبُ على فرس ذَنُوب[1] في أُخْرَيات القوم ، فبوَّأتُ[2] له الرمح فوضعتُه بين كتفيه ؛ فقال : لا إله ، فقبضتُ عنه الرّمح ؛ فقال : إلاّ اللاّت أحسنتْ أو أساءتْ . فهمَسْتُه[3] هَمْسةً أذْرَيْتُه وَقِيذاً[4] ؛ ثم أخذتُه أسيراً فشددتُه وَثاقاً ؛ ثم كلّمته فلم يكلّمني ، واستخبرتُه فلم يُخبرني . فلمّا كان ببعض الطريق رأى نِسوةً من بني جَذيمة يسوقُ بهنّ المسلمون ، فقال : أيا خالد ، قلتُ : ما تشاء ؟ قال : هل أنت واقِفي على هؤلاء النِّسوة ؟! فأتيتُ على أصحابي ففعلتُ ، وفيهن جارية تُدْعى حُبَيْشة ؛ فقال لها : ناوليني يدَك فناولته يدَها في ثوبها ؛ فقال : اسلمي حبيش ، قبل نَفاد العيش . فقالت : حُيِّيتَ عشراً ، وتسعاً وتراً ، وثمانياً تَتْرى . فقال : [من الطويل]

أَرَيْتكِ إن طالبتُكم فوجدتكم ... بحَلْيَةَ أو أدركتُكم بالخَوانِقِ
ألَم يَكُ حقّاً أن يُنَوَّل عاشقٌ ... تكلَّف إدلاجَ السُّرى والودائِقِ
وقد قلتُ إذ أهلي لأهلِك جيرةٌ ... أثِيبي بودٌّ قبل إحدى الصّعائقِ
أثِيبي بوُدٍّ قبل أن تَشْحَط النَّوى ... وينأى أميرٌ بالحبيب المفارقِ
فإنّيَ لا ضيّعتُ سرَّ أمانتي ... ولا راقَ عيني بعد عينك رائقُ[5]
[سوى أنّ ما نال العشيرةَ شاغلٌ ... عن الوُدّ إلاّ أن يكونَ التَّوامُقُ]

فلمّا جاءَ على حاله تلك قدَّمتُه فضربتُ عنقه . فأقبلت الجاريةُ ووضعتْ رأسَه في حِجْرها وجعلت تَرْشُفُه وتقول : [من الطويل]

لا تَبْعَدنْ يا عمرو حيّاً وهالكاً ... فحقّ بحسن المدح مثلُك من مثلي

---

1 ذنوب : وافر الذنب .
2 بوأ الرمح : سدّده .
3 همسه : عصره .
4 الوقيذ : المشرف على الموت .
5 في هذا البيت والذي يليه إقواء فلعلّهما أضيفا إلى الأبيات المتقدّمة .

لا تَبْعَدن يا عمرو حيّـاً وهالكاً ... فقد عشتَ محمودَ الثّنا ماجدَ الفعلِ
فمَنْ لِطِرَاد الخيلِ تُشْجَر بالقنا ... وللفخـرِ يومـاً عند قَرْقَرة البُزْلِ

وجعلت تبكي وتُردّد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسَه لفي حِجْرها . فقال رسول الله ﷺ : «لقد رُفِعتَ لي يا خالد وإن سبعين مَلَكاً لَمُطِيفون بك يحضُّونك على قتل عمرو حتى قتلتَه» .

[طرب أبي السائب المخزوميّ]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عبد الله بن المُنْذِر عن صفيّة بنت الزُّبَير بن هشام قالت : كان أبو السائب المخزوميّ رجلاً صالحاً زاهداً متقلّلاً يصوم الدَّهرَ ، وكان أرقَّ خلق الله وأشدَّهم غزَلاً . فوجَّه ابنَه يوماً يأتيه بما يُفْطر عليه ، فأبطأ الغلامُ إلى العَتَمَة . فلمّا جاءَ قال له : يا عدوَّ نفسه ، ما أخَّرك إلى هذا الوقت ؟ قال : جُزْتُ بباب بني فلان فسمِعتُ منه غناءً فوقفتُ حتى أخذتُه . فقال : هاتِ يا بُنيّ ، فوالله لئن كنتَ أحسنتَ لأحْبُونّك ، ولئن كنتَ أسأتَ لأضْربنّك . فاندفع يغنّي بشعر كثيّر : [من الطويل]

ولّمـا عَلَـوْا شَغْبـاً تبيّنتُ أنّه ... تقطَّع مـن أهـل الحجازِ علائقي
فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها ... إلى بلـدِ نـاءٍ قليـلِ الأصادِقِ

فلم يَزَل يغنّيه إلى نصف الليل . فقالت له زوجتُه : يا هذا ، قد انتصف الليلُ وما أفْطَرنا . قال لها : أنتِ طالقٌ إن كان فَطُورُنا غيرَه . فلم يزل يغنّيه إلى السَّحَر . فلمّا كان السَّحَرُ قالت له زوجتُه : هذا السَّحرُ وما أفْطَرْنا ؛ فقال : أنتِ طالقٌ إنْ كان سَحُورُنا غيرَه . فلمّا أصبح قال لابنه : خُذْ جُبّتي هذه وأعْطِني خَلَقَك ليكون الحِباءُ فَضْلَ ما بينهما . فقال له : يا أبتِ ، أنت شيخٌ وأنا شابٌّ وأنا أقوى على البرد منك . قال : يا بنيّ ، ما ترك صوتك هذا للبرد عليّ سبيلاً ما حَيِيتُ .

[شعر لسليمان بن أبي دباكِل]

أخبرني وَكيع قال أنشدنا أحمد بن يَزيد الشَّيبانيّ عن مصعَب الزُّبَيريّ لسليمان بن أبي دُباكِل قال : [من الطويل]

فهَلاّ نظرتَ الصبحَ يا بَعْلَ زينبٍ ... فتقْضَي لُبانـاتُ الحبيب المفارقِ
يَروح إذا يُمسي حنيناً ويَغْتدي ... وتهجيرُه عنـد احتدام الودائقِ
فَطِرْ جاهداً أو كُن حليفاً لصخرةٍ ... مُمنَّعـةٍ في رأس أرْعَـنَ شاهقِ

فما زال هذا الدَّهرُ من شؤم صَرْفِه يُفرِّق بين العاشقين الأوامِقِ
فَيُبْعِدنا ممَّن نُريد اقترابَه ويُدْني إلينا من نُحبّ نُفارِقُ[1]
ولمّا عَلَوْا شَغْباً تبيَّنتُ أنّه تقطَّع من أهل الحجازِ علائِقي
فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادِقِ

1 في هذا البيت إقواء.

[110] ـ ذكر مُتَيَّم الهشاميّة وبعض أخبارها

كانت متيَّمُ صفراءَ مولَّدةً من مُولَّدات البصرة ، وبها نشأتْ وتأدَّبتْ وغنَّتْ . وأَخذتْ عن إسحاق وعن أَبيه من قَبْله وعن طبقتهما منَ المغنِّين .

[مغنّية شاعرة]

وكانت من تخريج بَذْل وتعليمها . وعلى ما أَخذتْ عنها كانت تَعْتَمد . فاشتراها عليّ بن هشام بعد ذلك ، فٱزدادتْ أَخْذاً ممّن كان يغشاه من أَكابر المغنّين . وكانت من أَحسن الناس وجهاً وغناءً وأَدباً . وكانت تقول الشعر ليس ممّا يُستجاد ، ولكنّه يُستحسن من مثلها . وحَظِيَتْ عند عليّ بن هشام حُظوةً شديدة ، وتقدّمتْ على جَواريه جُمَعَ عنده ، وهي أُمّ وَلَدِه كلِّهم .

وقال عبد الله بن المعتزّ فيما أَخبرني عنه محمَّد بن إبراهيم قُرَيْش قال أَخبرني الحسن بن أَحمد المعروف بأَبي عبد الله الهشاميّ قال :

[كانت مولاة للبانة]

كانت مُتَيَّمُ لِلُبانةَ بنت عبد الله بن إسماعيل المَراكِبيّ مولى عَريب ، فاشتراها عليّ بن هشام منها بعشرين أَلف درهم وهي إذ ذاك جُوَيْريّة ، فوَلَدَت له صفيَّة وتُكْنى أُمَّ العبّاس ، ثم ولَدت محمَّداً ويُعرف بأَبي عبد الله ، ثم ولَدتْ بعده ابناً يقال له هارون ويُعرف بأَبي جعفر ، سمّاه المأمونُ وكنّاه لمّا وُلِد بهذا الاسم والكُنْية . قال : ولمّا تُوفِّي عليّ بن هشام عَتَقَتْ .

[كانت تغنّي المأمون والمعتصم]

وكان المأمونُ يبعث إليها فتَجيئه فتُغنِّيه . فلمّا خرجَ المعتصمُ إلى سُرَّ مَنْ رأَى أَرسل إليها فأَشخصها وأَنزلها داخلَ الجَوْسَق في دار كانت تُسمّى الدِّمشْقيّ وأَقطعَها غيرَها . وكانت تستأذن المعتصمَ في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورُهم وترجع ، ثم ضمَّها لمّا خرجتْ قَلَمُ . وقَلَمُ جاريةٌ كانت لعليّ بن هشام . وكانت متيَّمُ صفراءَ حلوةَ الوجه .

[فضلها عبد الله بن العبّاس على نفسه]

فذكر محمَّد بن الحسن الكاتب أنّ الحسين بن يحيى بن أَكثَم حدَّثه عن الحسن بن إبراهيم بن رِياح قال : سأَلتُ عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ : مَنْ أَحسنُ من أَدركتَ صَنْعَةً ؟

قال : إسحاق . قلت : ثم من ؟ قال : عَلّويَه . قلت : ثم مَن ؟ قال : متيَّم . قلت : ثم مَن ؟ قال : ثم أنا . فعجِبتُ من تقديمه متيَّمَ على نفسه ؛ فقال : الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع .

أخبرني محمَّد بن الحسن قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : سُئِل عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ عن أحسن الناس غناءً . فذكر مثل هذه الحكاية ، وزاد فيها أن قال له : ما أُحْسِن أن أصنع كما صنعتْ متيَّم في قوله : [من الطويل]

فـلا زِلْن حَسْرى ظُلّعا لِمْ حَمَلْنَها

ولا كما صنع عَلّويه في قول الصِّمّة : [من الطويل]

فواحَسْرتي لم أَقْضِ منكِ لُبانـةً ولم أتمتَّـع بالجِـوارِ وبالقُرْبِ

قال : فأين عمرو بن بانةَ ؟ قال : عمرو لا يَضَع نفسه في الصنعة هذا الموضع ، ولكنّه صنع لحناً في هذا الغناء .

نسبة صوت عَلّويه

صوت

[من الطويل]

فواحسرتي لم أقْضِ منـكِ لُبانـةً ولم أتمتَّـع بالجـوارِ وبالقربِ
يقولون هـذا آخـرُ العهـد منهم فقلت وهذا آخر العهـد من قلبي
ألا يا حمامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مراهق سقتك الغوادي من حمامٍ ومن شِعْبِ

الشعر للصِّمَّة بن عبد الله القُشَيْريّ . والغناء فيه لعلّويَه ، ثقيل أوّل مطلَق في مجرى الوسطى . وفيه لمخارق خفيفُ رمل بالوسطى ، أوّله : «ألا يا حمامَ الشعب» ثم الثاني ثم الأوّل . وذكر حبشٌ أنّ فيه لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر .

[أخذ إبراهيم بن المهديّ منها صوتاً]

وقال ابن المعتزّ أخبرني الهشاميّ قال : كانت متيّمُ ذاتَ يوم جالسةً بين أيدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهديّ حاضرٌ ؛ فغنَّت متيّمُ في الثقيل الأوّل : [من الطويل]

لزينـب طيـفٌ تَعْتريني طوارقُـهْ هُدُوّاً إذا ما النّجمُ لاحتْ لواحقُهْ

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده ؛ فقالت متيّم للمعتصم : يا سيّدي ، إبراهيم يَستعيدني الصوتَ وكأنّه[1] يُريد أن يأخذه ؛ فقال لها : لا تُعِيديه . فلمّا كان بعد أيّام كان إبراهيم حاضراً

1 ل : وأظنّه .

مجلسَ المعتصم ومتيّمُ غائبةً ، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومتيّم في منزلها بالمَيْدان[1] وطريقه عليها وهي في مَنْظَرة لها مشرفةٍ على الطريق وهي تغنّي هذا الصوت وتَطْرَحُه على جواري عليّ بن هشام ؛ فتقدّم إلى المَنْظَرة وهو على دابّته فتطاول حتى أُخذ الصوت ، ثم ضرب بابَ المنظَرة بمِقْرعته وقال : قد أُخذناه بلا حَمْدِكِ .

[طلبها المأمون من عليّ بن هشام فلم يرض]

وقال ابن المعتزّ : وحُدِّثتُ أنّ المأمون سأل عليّ بن هشام أن يهَبَها له وكان بغنائها مُعْجَباً ؛ فدافعه بذلك ولم يكن له منها ولدٌ . فلمّا ألَحَّ المأمونُ في طلبها حَرَص عليٌّ على أن تَعْلَق منه حتى حبِلتْ ويئس المأمونُ منها . فيقال إنّ ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله .

وحدّثني سليمان الطَّبَّال أنّه رأى متيّمَ في بعض مجالس المعتصم يُمازحها ويَجْبِذ بردائها .

[أراد إسحاق انتحال صوت لها]

وحكى عليُّ بن محمَّد الهِشاميُّ قال : أُهْدِيَ إلى عليّ بن هشام بِرْذَوْنٌ أشْهبُ قِرْطاسيّ[2] وكان في النهاية من الحسن والفَراهة ، وكان عليٌّ به مُعْجَباً ، وكان إسحاقُ يَشتهيه شهوةً شديدة ، وعَرّض لعليّ بطلبه مراراً فلم يَرضَ أن يُعطيَه له . فسار إسحاقُ إلى عليّ يوماً بعَقِب صنعة مُتيّم «فلا زِلْن حَسْرَى» فاحتبسه عليٌّ وبعث إلى متيّم أن تجعل صوتَها هذا في صدر غِنائها ففعلتْ ، فأطربَ إسحاقَ إطراباً شديداً ، وجعل يَستردّه ، فتَردُّه وتَسْتوفيه ليزيدَ في إطرابه إسحاقَ وهو يُصغي إليها ويتفهّمه حتى صحَّ له . ثم قال لعليّ : ما فعل البِرْذَونُ الأشهب ؟ قال : على ما عهِدتَ من حسنه وفراهته . قال : فاختر الآن منّي خَلّةً من اثنتين : إمّا أنْ طِبْتَ لي نفساً به وحملتَني عليه ، وإمّا أن أبيْتَ فأدَّعي والله هذا الصوتَ لي وقد أخذتُه ، أفتُراك تقول : إنّه لمتيَّم وأقول : إنه لي ويُؤْخذ قولُك ويُترك قولي ؟ ! قال : لا والله ما أظنّ هذا ولا أراه ؛ يا غلام قُدِ[3] البرذونَ إلى منزل أبي محمَّد بِسَرْجه ولجامه ، لا بارك اللهُ له فيه ! .

قال عليّ بن محمَّد وحدَّثني أحمد بن حمدون : أنّ إسحاق قال لمتيَّم لمّا سمِع هذا الصوتَ منها : أنتِ أنا فأنا مَنْ يريد أنّها قد حلّت محلّه وساوَته .

---

1 الميدان : محلّة ببغداد .

2 قرطاسي : خالص البياض .

3 ل : قدّم .

قال عليّ بن محمَّد وقال جدِّي أبو جعفر : كانت متيّمُ تقول : [من الطويل]

صوت

فـــلا زِلْن حسرى ظُلّعـاً لم حملنها

الرّمل كلّه .

[علي بن هشام وعتابه بذل جاريته]

وحدَّثني الهشاميّ قال مدّ عليٌّ بن هشام يده إلى بَذْل جاريته في عتابٍ يعاتبها ؛ ثم ندِم على فعله ذلك ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

فليتَ يدي بانت غَداةَ مدَدْتُها إليكِ ولم تَرْجع بكفٍّ وساعدِ

وغنّت متيّمُ جاريتُه فيه في الثقيل الأوّل ؛ فكان يقال لبذل جاريةِ عليٍّ بذل الصغيرة .

[ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها]

وحدَّثني الهشاميّ قال : كان سببُ موت بذل هذه أنّها كانت ذاتَ يوم جالسةً عند المأمون فغنّته ، وكان حاضراً في ذلك المجلس مُوَسْوِسٌ يُكْنى بأبي الكَرْكَدَنّ من أهل طَبَرِسْتان يضحك منه المأمونُ ، فعبثوا به فوثَب عليهم وهرَب الناسُ من بين يديه فلم يَبْقَ أحدٌ حتى هرب المأمونُ ، وبقيت بذلُ جالسةً والعودُ في حِجْرها ، فأخذ العودَ من يدها وضرب به رأسَها فشَجّها في شابورتها اليمنى ؛ فانصرفتْ وحُمّت ، وكان سببَ موتها .

[تزوّج المعتصم بذل الصغيرة]

وحدَّثني الهشاميّ قال : لمّا مات عليّ بن هشام ومات المأمونُ ، أخذ المعتصمُ جَواريَ عليّ بن هشام كلَّهنّ فأدخلهنّ القصر ، فتزوّج ببَذْل المغنّية وبقيتْ عنده إلى أن مات ؛ فخرجت بذلُ الكبيرة والباقون إلاّ بذلَ الصغيرة لأنّها كانت حُرْمَتَه فلم يُخرجوها .

ويقال : إنّه لم يكن في المغنّين أحسن صنعةً من عَلّويه وعبد الله بن العبّاس ومتيَّم .

[شعر ابن الجهم في متيّم الهشامية وأولادها]

وفي أولادها يقول عليّ بن الجهم : [من البسيط]

بَني مُتيَّمَ هــل تَدْرون مــا الخبرُ وكيف يُسْتَرُ أمــرٌ ليس يَسْتَتِرُ
حاجيْتُكم مَنْ أبوكم يا بَني عُصَبٍ شتّى ولكنّمــا للعاهِــر الحَجَرُ[1]

---

1 إشارة إلى الحديث : «الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحَجر» .

[غضبت من علي بن هشام وصالحها بشعر]

قال : وحدَّثني جدِّي قال : كلّم عليُّ بن هشام متيَّمَ فأَجابته جواباً لم يَرْضَه ، فدفع يدَه في صدرها ، فغضِبتْ ونهضتْ ، فتَثاقلتْ عن الخروج إليه . فكتب إليها : [من الطويل]

صوت

فليتَ يدي بانتْ غداةَ مَدَدْتُها إليك ولم تَرْجع بكـفٍّ وساعدِ
فإن يَرْجعِ الرحمنُ مـا كان بيننا فلستُ إلى يـومِ التَّنادي بعائدِ

غنَّته متيَّمُ خفيفَ رملٍ بالبنصر .

[خصام بينها وبين عليّ بن هشام]

قال : وعَتَبت عليه مرّةً فتَمادى عَتْبُها ، وترضّاها فلَم تَرْضَ ؛ فكتب إليها : الإدلال يدعو إلى الإملال ، وربّ هجرٍ دعا إلى صبر ، وإنّما سُمِّي القلبُ قلباً لتقلُّبه . ولقد صدق العبّاسُ بن الأحنف حيث يقول[1] : [من الخفيف]

مـا أُراني إلاّ سأَهجُر مـن ليـ ـسَ يَراني أَقْوَى على الهِجرانِ
قـد حَـدَا بي إلى الجفاء وفائي مـا أَضرَّ الوفـاءَ بالإنسانِ[2]

قال : فخرجتْ إليه من وقْتها ورضيتْ .

[تهدي للهشاميّ نبقاً يحبّه]

وحدَّثني الهشاميّ قال : كانت متيَّمُ تُحبّني حبّاً شديداً يَتجاوز محبّةَ الأُخت لأَخيها ، وكانت تعلم أنّي أُحِبّ النَّبِق ، فكانت لا تزال تبعث إليّ منه . فإنِّي لأَذكرُ في ليلة من الليالي في وقت السَّحَر إذا أَنا ببابي يُدَقّ . فقيل : مَن هذا ؟ فقالوا : خادمُ متيَّم يريد أَن يدخل إلى أَبي عبد الله . فقلتُ : يَدْخل . فدخل ومعه إليّ صِينيّة فيها نَبِقٌ ؛ فقال لي : تُقْرئك السلام وتقول لك : كنتُ عند أَمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءوه بِنَبِقٍ من أَحسن ما يكون ؛ فقلتُ له : يا سيِّدي ، أَطلُب من أَمير المؤمنين شيئاً ؟ فقال لي : تَطْلُبين ما شئتِ . قالت : يُطْعمني أَميرُ المؤمنين من هذا النَّبِق . فقال لسمانة[3] : اجعل من هذا النَّبق في صينيّة واجعلوها قدّام مُتيّم ؛ فأَخذتْه وذلَّلته لك وقد بعثتْ به إليك معي ، ثمّ دفعتْ إليّ دراهم وقالت : هَبْ للحُرّاس هذه الدّراهمَ لكي يَفْتَحوا الدُّروبَ لك حتى تصيرَ به إليه .

1 ديوان العبّاس بن الأَحنف (صادر) : 298 .
2 رواية صدر البيت في الديوان : * ملّني واثقاً بحسن وفائي *
3 هو سمانة الخادم ويدعى مسرور سمانة كما في الطبري .

ثم حدَّثنا الهشاميّ قال[1] : بعث عليّ بن هشام إلى إسحاق فجاء ، فأخرج مُتيَّمَ جاريتَه إليه ؛ فغنَّتْ بين يديه : [من الطويل]

فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنَها إلى بلـدٍ نـاءٍ قليـل الأَصادقِ

فاستعاده إسحاق واستحسنه ، ثم قال له : بكم تَشْتري منّي هذا الصوتَ ؟ فقال له عليّ بن هشام : جاريتي تَصنع هذا الصوتَ وأَشتريه منك ؟ قال : قد أَخذتُه الساعةَ وأَدَّعيه ، فقول مَن يُصَدَّق ، قولي أو قولُك ! فافتداه منه ببِرْذَوْن اختاره له .

[صوت بمائة ألف دينار]

وحدَّثني الهشاميّ قال : سمع عليّ بن هشام قُدّامَ المأمون من قَلَم جاريةِ زُبَيْدة صوتاً عجيباً ، فرشا لَمن أخرجه من دار زبيدة بمائة أَلف دينار حتى صار إلى داره وطُرِح الصوتُ على جَواريه . ولو علمت بذلك زُبَيْدة لاشتدّ عليها ، ولو سألها أن توجِّهَ به ما فعلتْ .

[متيَّم في كتاب إسحاق]

وحدَّثني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن أَبيه قال : لّما صنعت متيَّمُ اللّحنَ في قوله : [من الطويل]

فـلا زلن حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها

أُعجب به عليّ بن هشام ، وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال : من أَين لك هذا ؟ فقال : من بعض الجواري . فقال : إنّه لِعريبَ ؛ ولم يَزَلْ يَستعيده حتى قال : إنّه لمتيَّمَ ؛ فأَطرق . وكان متحاملاً على المغنِّين شديدَ النَّفاسة عليهم كثيرَ الظلم لهم مُسْرِفاً في حَطّ درجاتِهم ، وما رأَيتَه في غِنائه ذكر لعَلّويه ولا مخارِق ولا عمرو بن بانة ولا عبد الله بن عبّاس ولا محمَّد بن الحارث صوتاً واحداً ترفُّعاً عن ذكرهم مُنْتَصِباً[2] لهم ، وذكر في آخر الكتاب قولَه : [من الطويل]

فلا زلنَ حَسْرى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنَها إلى بلـدٍ نـاءٍ قليـل الأَصادقِ

ووقَّع تحته «لُمتيَّم» . وذكر آخر كلّ صوت في الكتاب ونسَب إلى كلّ مغنٍّ صوتَه غير مُخَارِقٍ وعَلّويه وعمرو بن بانة وعبد الله بن عبّاس فما ذكرهم بشيء .

[أعجبت بها شاهك جدّة عليّ بن هشام]

أُخبرنا أَحمد بن جعفر جحْظة قال حدَّثني ابن المكيّ عن أَبيه قال قال لي عليّ ابن هشام :

1 تقدّم هذا الخبر مفصّلاً برواية الهشامي أيضاً .

2 منتصباً لهم : مظهراً العداوة .

لمّا قدِمتْ عليّ شاهِك جَدّتي من خَراسان ، قالت : اعْرِض جَواريَك عليّ ، فعَرضْتُهنّ عليها . ثم جلسنا على الشَّراب ، وغنّتنا مُتَيَّمُ . وأطالت جدّتي الجلوسَ فلم أنْبَسِط إلى جَواريّ كما كنتُ أفعل ؛ فقلت هذين البيتين : [من الطويل]

صوت

أَنُبْقَـى على هذا وأَنتِ قريبةٌ ... وقـد مَنَع الزُّوّارُ بعضَ التَّكلُّمِ
سلامٌ عليكـــم لا سلامَ مُودِّعٍ ... ولكـــن سلامٌ من حبيبٍ متيَّمِ

وكتبتُهما في رُقْعة ورميتُ بها إلى متيَّم ؛ فأَخذَتْها ونهضتْ إلى الصلاة ، ثم عادت وقد صنعتْ فيه اللحنَ الذي يُغَنَّى فيه اليوم ، فغنَّتْ . فقالت شاهك : ما أُرانا إلاّ قد ثَقَّلنا عليكم اليوم ؛ وأَمرت الجواريَ فحمَلْنَ مِحَفَّتَها ، وأَمرتْ بجوائز للجَواري وساوت بينهنّ ، وأَمرتْ لمتيَّمَ بمائة أَلف درهم .

[أوّل مَن عقد زناراً]

وأَخبرني قال : أَوّلُ مَن عقَد من النساء في طَرَف الإزار زنّاراً وخَيْطَ إِبْرَيْسَم[1] ثم تجعله في رأسها فيثْبُت الإزارُ ولا يتحرّك ولا يزول متيّمُ .

[رثاؤها مولاها]

أَخبرني أَحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : مرّت متيَّمُ في نسوة وهي مُسْتَخْفيةٌ بقصر عليّ بن هشام بعد أن قُتِل ، فلمّا رأَت بابَه مُغْلَقاً لا أَنيسَ عليه ، وقد علاه الترابُ والغُبْرةُ ، وطُرِحتْ في أَفْنِيته المَزابِلُ ، وقفتْ عليه وتمثّلتْ : [من السريع]

صوت

يا منزلاً لم تَبْلَ أَطلالُــهُ ... حاشا لأَطلالِكَ أَن تَبْلَى
لم أَبْكِ أَطلالَك لكنّني ... بكيتُ عيشي فيك إذ وَلّى
قد كان لي فيك هوىً مرّةً ... غيّبــه التربُ ومــا مُلاّ
فصرتُ أَبْكي جاهداً فقدَه ... عنـد آذكاري حيثما حلاّ
فالعيشُ أَولَى ما بكاه الفتى ... لا بدّ للمحزون أَن يَسْلَى

---
1 الابريسم : الحرير .

فيه رمل بالوسطى لابن جامع . قال : ثم بكتْ حتى سقطتْ من قامتها ، وجعل النِّسوةُ يُناشِدْنها ويَقُلْنَ : اللهَ اللهَ في نفسكِ ! فإنّكِ تُؤْخذينَ الآن ، فبعد لأيٍ ما حُمِلت تَتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضعَ .

[أمرها المعتصم بالغناء فعرّضت بمولاها]

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّريّ : حدَّثني الحارث بن أبي أُسامة قال حدَّثني محمَّد بن الحسن عن عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : قالت لي متيَّمُ : بعث إليّ المعتصمُ بعد قدومه بغدادَ ، فذهبتُ إليه ، فأمرني بالغناء فغنَّيتُ : [من المجتث]

هل مُسعدٌ لبكاء بعَبْرة أو دماء

فقال : اعْدِلي عن هذا البيت إلى غيره ؛ فغنَّيْته غيرَه من معناه ؛ فدَمَعتْ عيناه وقال : غنِّي غيرَ هذا . فغنَّيتُ في لحني : [من الطويل]

أولئكَ قومي بعد عزٍّ ومَنْعَةٍ تفانَوْا وإلاّ تَذْرِف العينُ أَكْمَدِ

فبكى وقال : وَيْحِك لا تُغنِّيني في هذا المعنى شيئاً ألبتّة . فغنَّيتُ في لحني[1] : [من البسيط]

لا تأمَنِ الموتَ في حِلٍّ وفي حَرَمٍ إنّ المنايا تَغَشّى كلَّ إنسانِ
واسلُكْ طريقَكَ هوناً غيرَ مكترِثٍ فسوفَ يأتيكَ ما يَمْني لك الماني[2]

فقال : واللهِ لولا أنّي أعلم أنّك إنّما غنَّيتِ بما في قلبك لصاحبك وأنّك لم تُريديني لَمَثّلْتُ بك ؛ ولكن خذوا بيدها فأخرِجوها ، فأخذوا بيدي فأُخْرِجتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من المجتث]

هل مُسعِدٌ لبكاءٍ بعَبْرة أو دماء
وذا لفقد خليلٍ لسادةٍ نُجَباء

الشعر لُمرادَ شاعرةِ عليّ بن هشام تَرْثيه لّما قتله المأمونُ . والغناء لمتيَّم . ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى .

1 رواية البيتين في اللسان :
لا تأمن الموت في حلّ وفي حَرمٍ إن المنايا توافي كلّ إنسان
واسلك طريقك فيها غير محتشم حتى تلاقي ما يمني لك الماني
2 يمني لك الماني : يقدر لك المقدّر .

منها :

* ذهبتُ من الدّنيا وقد ذهبتْ منّي[1] *

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهديّ لأنّه من غنائه وشعره ، وشُرِحَتْ أخبارُه فيه . ولحنه رملٌ بالوسطى .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أُولئكَ قومــي بعد عــزّ ومَنْعةٍ تفانَوْا وإلاّ تَذْرِفِ العــينُ أَكْمَدِ

وقد أُخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعَبْليّ وغنّيا فيه من مراثيهما في بني أُميّة . ولحنُ متيَّم هذا الذي غنّت فيه المعتصمَ ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها : [من البسيط]

صوت

* لا تأمَنِ الموتَ في حلٍّ وفي حَرَمٍ *

ذكر الهشاميُّ أنّه ممّا وجدَه من غناء متيَّم ، غير أنّ لها لحناً فيه يُذكر في موضع غير هذا على شرح إن شاء الله تعالى ، وإنّما وَلهتْ صوتاً تولّعتْ به وغنّته فنسبه إليها .

[. . . . . أحمد بن هشام يقال لها عواذل اشتراها من إنسان مدني . . . ، . . . فيه صوتيْن فاشتهيهما منهما فأخذتهما بحضرتي ، ثم سمعتُ . . . بيتين هما لها أحدهما : [من السريع]

يا منــزلاً لم تبــلَ أطلالُه حاشا لأطلالِـكَ أن تبـلَى
لم أبــكِ أطلالــك لكنّني بكيتُ عيشي فيك إذ ولّى

والآخر :

أمسح الربــع بخدّي إذ مشى فيــه الخليلُ
وعلى مثلــك يبكي أيُّها الربــعُ المحيــلُ
عرفــتْ عينــي الطلول فلهـا دمعــي يسيلُ
وبكــتْ لي إذ رأتني خاليـاً فيهـا أجولُ][2]

1 لم يذكر هذا الصوت فيما تقدّم .

2 ما بين معكوفين زيادة من ل . وما زال الخبر ناقصاً من أوّله .

[تغنّي لنفسها]

وأخبرني قال : كنّا في مجلسنا نياماً . فلمّا كان مع الفجر إذا متيّمُ قد دخلت علينا وقالت : أطْعموني شيئاً ؛ فأخرجوا إليها شيئاً تأكله ، فأكلتْ ، ودعَتْ بنبيذٍ وابتدأتِ الشّربَ ، ودعَتْ بعودٍ فاندفعت تغنّي لنفسها وتشرب . وكان ممّا غنّتْ : [من البسيط]

كيف الثّواءُ بأرض لا أراك بها يا أكثَرَ الناس عندي مِنّةً ويدا

خفيف رمل . وقال : ما رأيتُ أحداً من المُغَنّين والمغنّيات إذا غنّوْا لأنفسهم يكادون يغنّون إلاّ خفيفَ رمل .

[نوحها على سيِّدها]

وأخبرني قال حدَّثني بعضُ أهلِها قال : لمّا أُصبنا بعليّ بن هشام ، جاء النوائحُ ، فطرح بعضُ مَن حضر من مُغنّياته عليهنّ نوحاً من نَوح متيَّم ، وكان حسناً جيِّداً ، فأبطأ نَوحُ النوائح اللاّتي جئن لحسنه وجَوْدته . وكانت زين حاضرةً فاستحسنتْه جدّاً ، وقالت : رضي اللهُ عنكِ يا متيَّم ! كنتِ علَماً في السرور ، وأنت علم في المصائبِ .

وأخبرني قال : إنّي لأذكر من بعض نَوْحها : [من الخفيف]

لعـلـيٍّ وأحمـــد وحسينٍ ثم نصر وقبلَه للخليلِ

هزَجٌ .

[أرسلت لها مؤنسة هديّة يوم حجامتها]

قال ابنُ المعتزّ : وأخبرني الهشاميُّ قال : وجّهتْ مؤنسةُ جاريةُ المأمون إلى متيَّم جاريةِ عليّ بن هشام في يومٍ احتجمتْ فيه مِخْنَقةً[1] في وسطها حبّةٌ[2] لها قيمة جليلة كبيرة وعن يمين الحبّة ويسارها أربعُ يواقيتَ وأربع زُمُرّدات وما بينها من شُذُور الذّهب ، وباقي المِخْنَقة قد طُيِّب بغاليةٍ .

وأخبرني قال : كانت متيَّمُ يُعْجبها البَنَفْسَج جدّاً ، وكان عندها آثَرَ من كلّ ريْحان وطِيبٍ ، حتى إنّها من شدّة إعجابها به لا يكاد يخلو من كُمِّها الرّيحان ولا نراه إلاّ كما قُطِف من البستان .

[عرس في الجنّة]

وقد أخبرني رحمه الله قال حدَّثنا أبو جعفر بن الدِّهْقانة : أنّ جاريةً للمعتصم قالت له لمّا ماتت متيَّمُ وإبراهيمُ بن المهديّ وبَذْلُ :يا سيِّدي ، أظنّ أنّ في الجنّة عُرْساً ، فطلبوا هؤلاء إليه . فنهاها المعتصمُ عن هذا القول وأنكرَه . فلمّا كان بعد أيّام ، وقع حريقٌ في حجرة هذه القائلة

1 المخنقة : القلادة .

2 ل : حبةٌ حندارةٌ ، والحندارة : الحدقة .

فاحترق كلُّ ما تَمْلِكه . وسمِع المعتصمُ الجَلَبةَ فقال : ما هذا ؟ فأُخْبِر عنه ؛ فدعا بها فقال : ما قصتُّك ؟ فبكت وقالت : يا سيِّدي ، آحترق كلُّ ما أملِكه . فقال : لا تَجْزَعي ، فإنّ هذا لم يحترق وإنّما استعاره أصحابُ ذلك العرس .

[أمرها المأمون بأن تجيز شعراً]

وقد ذكرتُ في متقدَّم أخبار متيَّم أنّها كانت تقول الشعرَ ولم أذكر شيئاً . فمن ذلك ما أخبرنا به الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الدِّيناريّ قال حدَّثني الفضل بن العبّاس بن يعقوب قال حدَّثني أبي قال : قال المأمون لمتيَّم جارية عليّ بن هشام : أجيزي لي هذين البيتين : [من الطويل]

تعالَيْ تكون الكُتْبُ بيني وبينكم ... ملاحَظَةً نُومي بها ونُشيرُ
ورُسْلي بحاجاتي وهنّ كثيرةٌ ... إليكِ إشاراتٌ بها وزَفيرُ

صوت
من المائة المختارة[1]

[من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها مرضَ ... قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا
يَصْرَعْن ذا اللُّبَّ حتى لا حَراكَ له ... وهنّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ أرْكانا

عروضه من البسيط . والشعر لجرير . والغِناء لابن مُحْرِز . ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل . وفي هذه القصيدة أبياتٌ أُخَر تُغَنَّى فيها أَلحانٌ سوى هذا اللحن ، منها قوله :

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

أتْبَعْتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ ... هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا
إنّ العيونَ التي في طرفِها مَرَضٌ ... قتلننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

[الغناء في هذين البيتين ثقيلٌ] أوّلُ مطلَق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 من قصيدة جرير التي مطلعها (ديوان جرير ص 490 ط . صادر) :
بَانَ الخليط ولو طوعتَ ما بانا ... وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

ومنها أَيضاً : [من البسيط]

صوت

بَانَ الأُخِلاّ وما ودَّعتُ مَنْ بانا وقطّعوا من حبال الوصلِ أُركانا
أُصبحتُ لا أُبتغي من بعدهم بَدَلاً بالدّار داراً ولا الجِيران جيرانا
وصرتُ مذ ودَّع الأُظعانُ ذا طَرَبٍ مروَّعاً من حِذارِ البين مِحْزانا

في الأُوّل والثاني والثالث من الأُبيات خفيفُ رمل بالبنصر . وفيها للغَريض ثاني ثقيل بالبنصر ، من رواية عمرو بن بانة والهشاميّ . وذكر حبشٌ أَنّ فيه لمالك خفيفَ رملٍ بالوسطى ، ولابن سرجس في الأُوّل والثاني وبعدهما : [من البسيط]

أتبعتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ

رمَلٌ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أَنّ لابن محرز في الأُوّل والثاني بعدهما «أُتبعتُهم مقلة» لحناً من الثقيل الأُوّل بالبنصر ، وذكر المكّيّ أَنّه لمعبد .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثامن

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

8

الطبعَة الأولى

1423هـ - 2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[111] ـ نسب جرير[1] وأخباره

[نسبه]

جَرير بن عطيّة بن الخَطَفَى . والخَطَفَى لقبٌ ، واسمه حُذَيفة بن بَدْر بن سَلَمة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . ويُكنى أبا حَزْرة . ولُقِّب الخَطَفَى لقوله : [من الرجز]

يَرْفَعْنَ للّيل إذا مـا أَسْدَفا ... أَعناقَ جِنّانٍ وهامـاً رُجَّفا[2]

وعَنَقاً بعـد الكَلال خَيْطَفا

ويُروى : خَطَفَى .

وهـو والفَـرَزْدَقُ والأَخْطل المقدَّمـون على شعـراء الإسلام الذين لم يُـدْركوا الجاهلية جميعاً . ومختلَفٌ في أيُّهم المتقدّمُ ؛ ولم يَبْقَ أَحد من شعراء عصرهم إلاّ تعرَّض لهم فافتَضح وسقَط وبَقُوا يتصاولون ؛ على أنّ الأَخطل إنّما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أَسَنّ ونفِد أكثرُ عمره . وهـو وإن كان لـه فضلُه وتقدُّمه فليس نَجْره[3] من نِجَار هذين في شيء ؛ وله أَخبار مفردة عنهما[4] ستُذكر بعد هذا مع ما يُغَنَّى من شعره .

أَخبرني أَبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب الجُمَحيّ قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم الجُمَحيّ ، وأَخبرني محمَّد بن العبّاس اليزيديّ وعليّ بن سليمان الأَخفش قالا حدَّثنا أَبو سَعيد السُّكّريّ عن محمَّد بن حَبِيبَ وأَبي غَسّان دَماذ وإبراهيـم بن سَعْدان عن أَبيه جميعاً عن أَبي عُبَيدة مَعْمَر بن المثنَّى ، بنسب جرير على ما ذكرتُه وسائِر ما أَذكره في الكتاب من أَخباره فأَحكيه عن أبي عبيدة أَو عن محمَّد بن سَلاّم . قالوا جميعاً : وأُمّ جَريـر أُمّ قَيْس بنتُ مُعَيْد بن عُمَير بن مسعود بن حارِثـة بن عَـوْف بن كُلَيـب بـن يَرْبـوع . وأُمّ عطيّـة النَّوار بنت يَزيـد بن عبد العُزّى بن

1 انظر أخباره في : طبقات ابن سلام 75/1 والمحبر 146 ، 340 والشعر والشعراء 464/1–470 ، والطبري ومعجم البلدان وابن الأثير 164/1 ، 165 ، 155/5 ووفيات الأعيان 321/1 وتاريخ الإسلام 95/4 ومرآة الجنان 334/1 والنجوم الزاهرة 211/1 وشرح شواهد المغني 45/1 ؛ 762/2 ومعاهد التنصيص 262/2 والشذرات 140/1 وخزانة الأدب 75/1 وبروكلمان 215/1 والأعلام 11/2 .

2 أسدف الليل : أظلم . الجنان : جنس من الحيات .

3 النجر والنجار : الأصل والحسب .

4 في ل : معهما .

مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيْب .

قال أبو عُبَيدة ومحمّد بن سَلاّم ووافقهما الأصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة عنه : اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهلِ الإسلام ثلاثة : جريرٌ والفرزدق والأخطل ، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض . قال محمّد بن سَلاّم : والراعي معهم في طبقتهم ولكنّه آخرهم ، والمخالِف في ذلك قليل . وقد سمعتُ يونسَ يقول : ما شهدتُ مَشْهَداً قطّ قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهلُ المجلس على أحدهما . وكان يونس فَرَزْدقيّاً .

قال ابن سَلاّم : وقال ابنُ دأب : الفرزدق أشعرُ عامّةً وجرير أشعرُ خاصّةً . وقال أبو عُبيدة : كان أبو عمرو يشبِّه جريراً بالأعشى ، والفرزدقَ بزُهَير ، والأخطلَ بالنابغة . قال أبو عبيدة : يحتجُّ مَنْ قدّم جريراً بأنّه كان أكثرَهم فنونَ شعر ، وأسهلَهم ألفاظاً ، وأقلَّهم تكلّفاً ، وأرقَّهم نَسيباً ، وكان ديّناً عفيفاً . وقال عامر بن عبد الملك : جرير كان أشْبَهَهما وأنسَبَهما .

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْباني : قال خالد بن كُلْثوم : ما رأيت أشعرَ من جرير والفرزدق ؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين ، قال : [من الطويل]

عجبتُ لعِجْلٍ إذ تُهاجِي عبيدَها ... كما آلُ يَرْبُوعٍ هَجَوْا آلَ دارِمِ

يَعْني بعبيدها بني حَنيفة . وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة : [من الكامل]

إنّ الفرزدق والبَعيثَ وأُمَّه ... وأبا البَعيث لشَرُّ ما إسْتارِ[1]

قال : وقال جرير : لقد هجوتُ التَّيْمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنَّ شاعر شاعراً قبلي ، قلتُ : [من الوافر]

من الأَصلاب يَنْزِل لؤمُ تَيْمٍ ... وفي الأرحام يُخلَقُ والمَشِيم

وقال محمّد بن سَلاّم : قال العلاء بن جرير العَنْبريّ وكان شيخاً قد جالس الناس : إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيْتٌ[2] ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكّيتاً ، وجرير يجيء سابقاً ومُصلّياً وسكّيتا . قال محمّد بن سلاّم : ورأيت أعرابيّاً من بني أَسَد أعجبني ظَرْفُه وروايته ، فقلت له : أيُّهما عندكم أشعرُ ؟ قال : بيوت الشعر أربعة : فخرٌ ومديح وهجاء ونَسيب ، وفي كلِّها غلَب جرير ؛ قال في الفخر : [من الوافر]

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميمٍ ... حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

والمديح : [من الوافر]

---

1 الإستار : من العدد : الأربعة .

2 سكيت : الذي يجيء آخر الخيل في السباق .

أَلستُم خيرَ من ركب المطايا وأنْدَى العالَمــين بطونَ راحِ

والهِجاء : [من الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّــك من نُمَيرٍ فــلا كَعْباً بلغــتَ ولا كِلابا

والنَّسيبِ : [من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ قتلْنــا ثــم لم يُحْيِــين قَتْلانا[1]

قال أبو عبد الله محمّد بن سَلاّم : وبيتُ النَّسيب عندي : [من الطويل]

فلمّا التقى الحيَّانِ أُلْقيتِ العصا ومات الهوى لمّا أُصيبتْ مَقاتِلُهْ

[جرير وطبقته من الشعراء]

قال كَيْسان : أمَا والله لقد أُوجعكم (يعني في الهجاء) . فقال : يا أَحمق ! أَوَذاك يمنعه أَن يكون شاعراً ! .

[فضّله عبيدة بن هلال على الفرزدق]

أخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني عمر بن شبّة قال قال أَبو عُبَيدة ، وأَخبرنا أَبو خَليفة قال حدَّثني محمَّد بن سَلاّم الجُمَحيّ قال حدَّثني أَبانُ بن عثمان البَلْخِيّ قال : تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلَّب ، فارتفعا إليه وسألاه ؛ فقال : لا أَقول بينهما شيئاً ولكنّي أُدلُّكما على مَن يَهُون عليه سُخْطُهما : عُبَيدةَ[2] بنِ هِلال اليَشْكُرِيّ ، وكان بإزائه مع قَطَرِيّ[3] وبينهما نهر . وقال عمر بن شبّة : في هؤلاء الخوارج من تَهُون عليه سِبَالُ كلّ واحد منهما ، فأَمّا أَنا فما كنتُ لأُعرِّض نفسي لهما . فخرج أَحد الرجلين وقد تراضَيا بحكم الخوارج ؛ فبدَر من الصفّ ثم دعا بعُبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه . فقال : إنّي أَسألكَ عن شيء تحاكمنا إليك فيه ؛ فقال : وما هو ؟ عليكما لعنة الله . قال : فأيّ الرجلين عندك أَشعرُ : أجريرٌ أَم الفرزدق ؟ فقال : لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق ؛ أمثلي يُسأَل عن هذين الكلبين ! قالا : لا بدّ من حكمك . قال : فإنّي أسائلُكم قبل ذلك عن ثلاث . قالوا : سَلْ . قال : ما تقولون في إمامكم إذا فجَر ؟ قالوا : نُطيعه وإن عصى الله عزّ وجلّ . قال : قَبَحكم الله ؛ فما تقولون في كتاب الله وأَحكامه ؟ قالوا : نَنْبِذه وراء ظهورنا ونُعطّل أَحكامه . قال : لعنكم الله إذاً ؛ فما تقولون في اليتيم ؟ قالوا : نأكل ماله وننيك أُمّه . قال : أَخزاكم الله إذاً ؛ والله لقد زِدْتُموني فيكم بَصيرةً . ثم ذهب لينصرف ؛ فقالوا له : إنّ الوفاء يَلْزَمكَ ، وقد

1 في الديوان : مرض 163/1 .

2 أحد زعماء الخوارج .

3 هو قطريّ بن الفجاءة .

سألتَنا فأَخبرناك ولم تُخبرنا ، فرجع فقال : مَن الذي يقول : [من الكامل]

إنّـا لنَذْعَـر يـا قُفَيْرُ عدوَّنـا بالخيـل لاحقـةَ الأَياطِـلِ قُودا
وتَحُوطُ حَوْزَتَنـا وتَحْمي سَرْحَنا جُـرْدٌ تَـرى لُمغارِها أُخْدُودا[1]
أَجْـرَى قلائدَهـا وقـدَّد لحمَها أَلاّ يَذُقْـنَ مـع الشّكائـم عُودا
وطَوى القِيادُ مـع الطِّراد مُتونَها طَـيَّ التِّجـار بحَضْرَمَوْتَ بُرودا[2]

قالا : جريرٌ ؛ قال : فهو ذاك ، فانصرفا .

[حديث الأَصمعيّ وغيره عنه]

أَخبرني عمّ أَبي عبدُ العزيز بن أَحمد قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال قال الأَصمعيّ وذكر جريراً فقال : كان يَنْهَشُه ثلاثةٌ وأَربعون شاعراً فيَنْبِذُهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً ، ومنهم من كان يَنْفَحه[3] فيرمي به ، وثبَت له الفرزدقُ والأَخطل . وقال جرير : واللّٰه ما يهجوني الأَخطل وحدَه وإنّه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلُّهم عزيزٌ ليس بدون الأَخطل ، وذلك أَنّه كان إذا أَراد هجائي جَمعهم على شراب ، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً ، وينتحل هو القصيدةَ بعد أَن يُتمِّموها .

قال ابن سَلاّم : وحدَّثني أَبو البَيْداء الرِّياحيّ قال قال الفرزدق : إنِّي وإيّاه لنغترفُ من بحر واحد وتضطرب دِلاؤه عند طول النهر .

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أَبيه قال حدَّثني زيرك بن هُبَيرة المنانيّ قال : كان جريرٌ مَيدانَ الشعر ، مَن لَم يَجْرِ فيه لم يَرْوِ شيئاً ، وكان مَنْ هاجى جريراً فغلَبه جرير أُرجحَ عندهم ممّن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغلَب .

أَخبرنا أَبو خليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال : تذاكروا جريراً والفرزدق في حَلْقة يونس بن معاوية بن أَبي عمرو بن العَلاء وخَلَف الأَحمر ومِسْمَع وعامر ابنا عبد الملك المِسْمَعِيّان ، فسمعتُ عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول : كان جرير واللّٰه أَنسَبهما وأَسبَّهما وأَشبَهُهما .

[سمع الراعي شعره فأقرّ بأنّه جدير بالسبق]

قال ابن سَلاَّم : وحدَّثني أَبو البَيْداء قال : مرّ راكبٌ بالراعي وهو يغنِّي بيتين لجرير ، وهما : [من الطويل]

---

1 المغار : الإغارة .

2 القياد في الديوان : الطراد 339/1 .

3 نفحه بالسيف أي ضربه ضربة خفيفة .

وعاوٍ عَوى من غير شيء رميتُه ... بقارعةٍ أنْفاذُها تَقْطُرُ الدَّما
خَرُوجٍ بأفواه الرُّواةِ كأنَّها ... قَرا هُنْدوانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّما

فأتْبَعه الراعي رسولاً يسأله لَمن البيتان ؟ قال : لجرير . قال : لو اجتمع على هذا جميعُ الجنّ والإنس ما أغنَوْا فيه شيئاً . ثم قال لمَن حضر : وَيْحَكم أألام على أن يغلبني مثلُ هذا ! .

[رأي بشّار فيه وفي صاحبيه ورثاؤه ابنه]

قال ابن سَلاّم : وسألت بَشّاراً المرعَّث : أيُّ الثلاثةِ أشعرُ ؟ فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ولكنَّ رَبِيعةَ تعصَّبتْ له وأفْرطتْ فيه . قلت : فهذان ؟ قال : كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النَّوار فقاموا يَنوحون عليها بشعر جرير . فقلتُ لبَشّار : وأيُّ شيء لجريرٍ من المَراثي إلاّ التي رَثَى بها امرأتَه ! فأنشدني لجرير يَرْثي ابنَه سَوادةَ ومات بالشام : [من البسيط]

قالوا نَصيبَك من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشبالي
فارقتَني حين كَفَّ الدَّهرُ من بصري ... وحين صِرْتُ كعظم الرِّمّة البالي
أمْسَى سَوادةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبإ العالي[1]
قد كنتُ أعرفه منّي إذا غَلِقتْ ... رُهْنُ الجياد ومَدّ الغايةَ الغالي[2]
إنّ الثَّوِيّ بذِي الزَّيْتُون فاحتسبي ... قد أسرعَ اليوم في عقلي وفي حالي
إلاّ تكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن مُعْوِلَةٌ ... فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْلِ مِعْوالِ[3]
كأُمّ بَوٍّ عَجُولٍ عند مَعْهَدِه ... حَنَّتْ إلى جَلَدٍ منه وأوْصالِ
حتى إذا عرَفتْ أن لا حياةَ به ... رَدّتْ هَماهِم حَرَّى الجوفِ مِثْكالِ
زادتْ على وَجْدِها وَجْداً وإن رجَعتْ ... في الصدر منها خُطوبٌ ذاتُ بَلْبالِ[4]

أخبرني عبد الواحد بن عُبيد عن قَعْنَب بن المُحْرِز الباهليّ عن المُغيرة بن حَجْناء وعمارة بن عُقَيل قالا : خرج جرير إلى دِمَشْقَ يَؤُمُّ الوَليدَ ، فمرضَ ابنٌ له يقال له سَوادة ، وكان به مُعْجَباً ، فمات بالشام ، فجزِع عليه ورثاه جرير فقال : [من البسيط]

أوْدَى سَوادةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبإ العالي

1 أمسى في الديوان : لكن 2 : 584 . اللحم : البازي الذي يأكل اللحم أو يشتهيها .
2 الغالي : الرامي بالسهام .
3 معولة في الديوان باكية 584/2 .
4 زادت في الديوان : زدنا 584/2 .

[حديث الفرزدق عنه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني أحمد بن معاوية قال حدَّثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدَّثني أبو نصر اليَشْكُريّ عن مولىً لبني هاشم قال : امْتَرى أهلُ المجلس في جرير والفرزدق أيُّهما أشعرُ ، فدخلتُ على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال : يا نَوار ، أدركتْ بَرْنِيّتُكِ ؟ قالت : قد فعلتْ أو كادتْ . قال : فابعثي بدرهم فاشتري لحماً ، ففعلتْ وجعلت تشرِّحه وتُلْقِيه على النار ويأكل . ثم قال : هاتي بَرْنِيّتَكِ ، فشرب قَدَحاً ثم ناولني ، وشرب آخرَ ثم ناولني . ثم قال : هاتِ حاجتَكَ يا ابنَ أخي ، فأخبرتُه ؛ قال : أعَنِ ابنِ الخَطَفَى تَسألني ؟ ثم تنفَّس حتى قلتُ : انشقَّتْ حَيازِيمُه[1] ، ثم قال : قاتلَه الله ! فما أخْشنَ ناحيتَه وأشْرَدَ قافيتَه ! والله لو تركوه لأبكى العجوزَ على شبابها ، والشابَّةَ على أحبابها ، ولكنّهم هَرُّوه فوجدوه عند الهِراش نابحاً وعند الجِراء قارِحاً ، وقد قال بيتاً لأنْ أكونَ قلتُه أحبُّ إليّ مما طلعتْ عليه الشمس : [من الوافر]

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميم حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

[أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيدة ، قالا : نزل الفرزدق على الأحوص حين قدِم المدينةَ . فقال الأحوص : ما تَشتهي ؟ قال : شِواء وطِلاء[2] وغِناء . قال : ذلك لك ؛ ومضى به إلى قَيْنة بالمدينة ؛ فغنّته : [من الوافر]

صوت

ألاَ حَـيِّ الديـارَ بسُعْدَ إنِّي أُحِبُّ لحبِّ فاطمـةَ الدّيارا[3]
إذا مـا حَلَّ أهلُكِ يا سُلَيْمَى بدارةِ صُلْصلٍ شحَطوا مَزارا[4]
أراد الظاعنـون ليَحْزُنُـوني فهاجُوا صَدْعَ قلبي فاستطارا

غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . فقال الفرزدق : ما أرَقَّ أشعارَكم يا أهلَ الحجاز وأمْلَحَها ! قال : أو ما تَدْرِي لَمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله . قال : فهو والله لجريرٍ يَهْجُوك به .

1 الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر والبطن .
2 الطلاء : من أسماء الخمر .
3 سُعْد : موضع بنجد .
4 دارة صلصل : لعمرو بن كلاب وهي بأعلى دارها بنجد .

فقال : وَيْلُ ابنِ المَراغة ! ما كان أَحْوجَه مع عفافه إلى صلابة شعري ، وأَحْوَجَني مع شَهَواتي إلى رِقَّة شعره ! .

[قدم المدينة وتحدّث مع الأحوص حتى أخزاه وأقبل على أشعب وأجازه]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق المَوْصليّ ، وأخبرني محمّد بن مَزْيد عن حَمّاد عن أبيه قال [قال] إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدِم علينا جريرٌ المدينةَ فحشَدْنا له . فبَيْنا نحن عنده ذاتَ يوم إذ قام لحاجته ، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام آنفاً ، ما تريد منه ؟ قال : أُخْزِيه ، والله إنّ الفرزدق لأشعر منه وأشرفُ . فأقبل جريرٌ علينا وقال : مَنِ الرجلُ ؟ قلنا : الأحوصُ بن محمَّد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَح . قال : هذا الخَبيث ابنُ الطيِّب . ثم أقبل عليه فقال : قد قلتَ : [من الطويل]

يَقَرُّ بعَيْني ما يَقَرُّ بعينها وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

فإنّه يَقَرُّ بعينها أن يدخُل فيها مثلُ ذراع البَكْر ، أفيَقَرُّ ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوصُ يُرمى بالأُبْنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمرٍ وفاكهة . وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخّر البيت وأشْعبُ عند الباب ؛ فأقبل أشعبُ يسأله ؛ فقال له جرير : والله إنّك لأقبحُهم وجهاً ولكنّي أراك أطولَهم حَسَباً ، وقد أبْرمتني . فقال : أنا والله أنفعُهم لك . فانتبه جريرٌ فقال : كيف ؟ قال : إنّي لأُملِّح شعرَك ؛ واندفع يغنيه قولَه : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجِيةَ السَّلامُ عليكمُ قبلَ الفراقِ وقبل لَوْم العُذّلِ[1]

لو كنتُ أعلم أنّ آخرَ عهدكم يوم الفراقِ فعلتُ ما لم أفعلِ[2]

قال : فأدناه جريرٌ منه حتى ألْصق رُكبتَه بركبتِه وجعله قريباً منه ؛ ثم قال : أجَلْ ! والله إنّك لأنفعُهم لي وأحسنُهم تزييناً لشعري ، أعِدْ ؛ فأعاده عليه وجرير يبكي حتى اخضلَّت لِحْيته ، ثم وهَب لأشعبَ دراهمَ كانت معه وكَساهُ حُلَّةً من حُلَلِ الملوك . وكان يُرسِل إليه طولَ مُقامه بالمدينة فيغنِّيه أشعبُ ويُعْطيه جريرٌ شعرَه فيغنِّي فيه . قال : وكان أشعبُ من أحسنِ الناسِ صوتاً . قال حمّاد : والغناء الذي غنّاه فيه أشعبُ لابن سُرَيج .

[وفد على الحكم بن أيّوب فبعث به إلى الحجّاج فحدّثه عن معارضيه من الشعراء]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر

1 أخت في الديوان : أم 939/2 . الفراق في الديوان : الرواح 939/2 .

2 الفراق في الديوان : الرحيل 939/2 .

المغيرةُ بن حَجْناء قال حدَّثني أَبي عن أَبيه عن جدّه يحيى بن أَعْيَن ، وذكر ذلك هشامُ بن الكَلْبيّ قال حدَّثني النَّهْشَلِيّ من بني مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعِيّ بن سَلْمَى بن جَنْدَل قال حدَّثني مِسْحَل بن كُسَيب بن عِمْران بن عَطاء بن الخَطَفى ، وأُمّه الرَّبْداءُ بنتُ جرير . وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ مُحْتَوٍ على سائر أَخبار مَنْ ناقَض جريراً أَو اعْتَنَّ[1] بينه وبين الفرزدق وغيرِه ، فذكرتُه هاهنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار : أَنّ جريراً قدِم الكوفة على الحَكَم بن أَيّوب بن يحيى بن الحَكَم بن أَبي عُقَيل ، وهو خليفة للحَجّاج يومئذٍ ، فمدحه جرير فقال : [من الرجز]

أَقْبلتُ من ثَهْـلانَ أَو جَنْبَيْ خِيَمْ على قِـلاَصٍ مثلِ خِيطانِ السَّلَمْ[2]

ثَهْلانُ : جبلٌ كان لباهِلةَ ثم غلَبتْ عليه نُمَيْرٌ . وخِيَم : جبلٌ يُناوِحُه من طَرَفِه الأَقْصى فيما بين رُكْنِه الأَقصى وبين مَطْلِع الشمس ، به ماء ونخل :

قــد طُويــتْ بطونُها طَيَّ الأَدَمْ يَبْحثْنَ بحثـاً كمُضلاَّتِ الخَدَمْ
إذا قَطعْـنَ عَلَمـاً بَـدا عَلَـمْ حتـى تناهَيْنَ إلى بـاب الحَكَمْ
خليفــةِ الحَجّــاج غيرِ المُتَّهَـمْ في مَعْقِدِ العِـزّ وبُؤْبُـوء الكَرَمْ[3]
بعد انفضاجِ البُدْنِ واللحمُ زِيَمْ[4]

فلمّا قدِم عليه استنطقه فأَعجبه ظَرْفُه وشعره ؛ فكتَب إلى الحَجّاج : إنّه قدِم عليَّ أَعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين . فكتب إليه أَن ابعثْ به إليّ ، ففعل . فقدِم عليه فأَكرمه الحَجّاج وكَساه جُبّة صَبَرِيَّةً[5] وأَنزله فمكَث أَيّاماً . ثم أَرسل إليه بعد نومه فقالوا : أَجِبِ الأَمير ؛ فقال : أَلبَس ثيابي ؟ فقالوا : لا ، والله لقد أُمِرنا أَن نأتيه بك على الحالِ التي نجدُك عليها ؛ ففزِع جرير وعليه قميصٌ غليظ ومُلاءة صَفْراء . فلمّا رأى ما به رجلٌ من الرُّسُلِ دنا منه وقال : لا بأسَ عليك ، إنّما دَعاك للحديث . قال جرير : فلمّا دخلتُ عليه قال : إيه يا عدوَّ الله ؛ عَلامَ تشتُم الناسَ وتظلِمُهم ؟ فقلتُ : جعلني الله فداءَ الأَمير ، والله إنّي ما أَظلِمهم ولكنّهم يظلِمُونني فأَنتصر . ما لي ولابنِ أُمّ غَسّان ؟ وما لي وللبَعِيث ؟ وما لي وللفرزدق ؟ وما لي وللأَخْطَل ! وما لي وللتَّيْمِيّ ! حتى عَدّدهم واحداً واحداً . فقال الحجّاج : ما أَدْري مالك

---

1 اعتنّ بينه وبينه : اعترض .
2 الشطر الأول في الديوان : أقبلن من جَنبي فتاخ وإضمْ ، 512/1 .
3 معقد : موضع العقد .
4 الانفضاج : السّمن والضخم ، والزيم : المتفرّق على رؤوس الأعضاء .
5 صبرية : نسبة إلى صبر وهو الجبل الشامخ المطلّ على قلعة تعز .

وهم ؟ قال : أُخبِرُ الأميرَ أعزّه الله : أمّا غَسَّانُ بن ذُهَيْل فإنّه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عَشيرتي وكان شاعراً . قال : فقال لك ماذا ؟ قال : قال لي : [من الطويل]

لعَمْري لئن كانت بَجيلةُ زانَها جَريرٌ لقد أخْزى كُلَيْباً جَريرُها[1]

رميتَ نِضالاً عن كُلَيبٍ فقَصَّرتْ مَراميكَ حتى عاد صِفراً جَفيرُها[2]

ولا يَذبَحون الشاةَ إلاّ بمَيْسِرٍ طويلٌ تَناجيها صِغارٌ قُدُورُها

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْري عن سليطٍ ألم تَجِدْ سَليطٌ سِوى غَسّانَ جاراً يُجيرُها[3]

فقد ضمَّنوا الأحسابَ صاحبَ سَوْءَةٍ يُناجي بها نفساً خبيثاً ضميرُها

كأنَّ سَلِيطاً في جَواشِنِها الخُصَى إذا حَلَّ بينَ الأَمْلَحَيْنِ وَقِيرُها[4]

أَضِجُّوا الرَّوايا بالمَزادِ فإنّكم ستُكْفَوْنَ رَكْضَ الخيلِ تَدْمَى نحورُها

كأنّ السَّلِيطيّاتِ مَجْنَاةُ كَمْأَةٍ لأوّلِ جانٍ بالعَصا يَسْتثِيرها[5]

عَضارِيطُ يَشْوُون الفَراسِنَ بالضُّحَى إذا ما السَّرايا حَثّ رَكْضاً مُغيرها[6]

فما في سليطٍ فارسٌ ذو حَفيظةٍ ومَعْقِلُها يومَ الهِياجِ جُعُورِها

عجبتُ من الدّاعي جُحَيشاً وصائداً وعَيْساءُ يسعَى بالعِلاب نَفيرُها[7]

قال : ثم مَنْ ؟ قال : البَعيث . قال : ما لك وله ؟ قال : اعترض دونَ ابنِ أمّ غَسّان يفضِّله عليّ ويُعِينه . قال : فما قال لك ؟ قال قال لي : [من الطويل]

كُلَيبٌ لئامُ الناسِ قد تَعْلمونه وأنتَ إذا عُدَّتْ كُلَيْبٌ لئيمُها

أترجو كُلَيبٌ أن يجيء حديثُها بخيرٍ وقد أعيا كُلَيباً قديمُها

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

---

1 جرير بن عبد الله البجلي كان من أفاضل الكوفة ، توفّي سنة 51 هجرية .

2 الجفير : جعبة السهام .

3 سليط : قبيلة غسّان بن ذهيل .

4 الجواشن : الصدور . وفي جواشنها الخُصى أي هي عظام الصدور . والأملحان : ماءان ، ويقال هما جبلان لبني سليط . والوقير : الغنم فيها حماران أو أحمرة ولا تسمّى الغنم وقيراً إلاّ بحمرها .

5 السليطيّات مجناة في الديوان : السليطيين أنقاض ، 893/2 .

6 العضاريط : الأتباع ، والواحد عضروط ، والفراسن : أخفاف الإبل واحدها فرسن .

7 يسعى بالعلاب نفيرُها في ل : يدعي بالفلاة نصيرها .

أَلَم تَرَ أنّي قـد رميتُ ابنَ فَرْتنى ... بصَمَّاءَ لا يرجـو الحياةَ أَمِيمُها[1]
لـه أُمّ سَوْءٍ بئس مـا قَدَّمتْ له ... إذا فَرَطُ الأَحسابِ عُدّ قديمُها[2]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الفَرَزْدقُ . قال : وما لك وله ؟ قلتُ : أَعانَ البعيثَ عليّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

تمنّى رجالٌ من تَميمٍ لِيَ الرَّدَى ... وما ذادَ عن أَحسابِهم ذائدٌ مِثْلي
كأنَّهــمُ لا يعلمــونَ مَواطنــي ... وقـد جرَّبوا أنّي أَنا السابقُ المُبْلي
فلو شاء قومي كان حِلْمِيَ فيهمُ ... وكان على جُهّالِ أعدائهم جَهْلي
وقـد زعَمـوا أَنّ الفرزدقَ حَيَّةٌ ... ومـا قَتَل الحيّاتِ مـن أحدٍ قَبْلي[3]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الأَخْطَل . قال : ما لك وله ؟ قلتُ : رَشاه محمَّد بن عُمَير بن عُطارِدٍ زِقّاً من خمر وكَساه حُلّةً على أن يفضِّل عليَّ الفَرَزْدَقَ ويَهْجُوني . قال : فما قال لك ؟ قال قال : [من الكامل]

إخسَأْ إليكَ كُلَيبُ إنّ مُجاشِعاً ... وأَبـا الفَـوارسِ نَهْشَلاً أَخَوانِ
وإذا ورَدْتَ المـاءَ كان لدارمٍ ... جُمَّاتُـه وسُهُولـةُ الأَعْطانِ
وإذا قذَفْتَ أَبـاك في ميزانِهمْ ... رجَحُوا وشالَ أَبوك في الميزانِ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يا ذا العَباءَةِ إنّ بِشْراً قد قضَى ... أَلاّ تَجُـوزَ حكـومةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لَسْتُمُ من أَهلِها ... إنَّ الحكومةَ في بنـي شَيْبانِ
قَتلوا كُلَيبَكُمُ بِلِقحةِ جارِهـم ... يـا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بهِجانِ[4]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عمر بن لَجَأ التَّيْميّ . قال : ما لك وله ؟ قال : قلت بيتاً من شعر فقبَّحه وقاله على غيرِ ما قلتُه ؛ قلت : [من الطويل]

لَقَوْمِيَ أَحْمَى للحقيقةِ منكـمُ ... وأَضْرَبُ للجبّار والنَّقْعُ ساطِعُ[5]

---

1 الفرتنى : الزانية . والأميم : المشجوج الرأس .
2 فرط الأحساب : يعني أوائلها . فرَط في الديوان : فارط ، 987/2 .
3 قبلي في ل : قتلي .
4 الهجان : البيض الكرام . يشير إلى كليب بن ربيعة ومقتله .
5 للحقيقة في الديوان : في الحقيقة ، 924/2 .

وأُوثِقُ عند المُرْهَفاتِ عشيّةً ... لَحاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامعُ[1]

فزعَم أنّي قلتُ : [من الطويل]

وأَوْثَقُ عند المُرْدَفات عشيّةً ... لَحَاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامعُ

فقال : لحِقتُهنّ عند العَشيّ وقد أُخِذْنَ غُدوَةً ، والله ما يُمْسِينَ حتى يُفْضَحْنَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلت : [من البسيط]

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيّ لا أَبا لكمُ ... لا يُوقِعنَّكُمُ في سَوءةٍ عُمَرُ

خَلِّ الطريقَ لمَن يَبني المنارَ به ... وابرُزْ بِبَرْزَةَ حيثُ اضطرَّك القَدَرُ[2]

حتى أَتى على الشعر . قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : سُراقةُ بن مِرْداس البارِقيّ . قال : ما لك وله ؟ قال قلتُ : لا شيء ، حمَله بِشْر بن مَرْوان وأَكرهه على هجائي ، ثم بَعث إليّ رسولاً وأَمرني أن أُجيبَه . قال . قال : فما قال لك ؟ قال قال : [من الكامل]

إنّ الفَرَزْدَقَ بَرَّزتْ أَعراقُه ... عَفْواً وغُودِر في الغُبارِ جريرُ

ما كنتَ أَوَّلَ مِحْمَرٍ قعدتْ به ... مسْعاتُه إنّ اللئيم عَثُورُ[3]

هذا قضاءُ البارقيّ وإنّه ... بالمَيْلِ في ميزانكم لبَصيرُ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يا بِشْرُ حَقَّ لوجهك التبشيرُ ... هَلاّ غضِبتَ لنا وأَنتَ أميرُ

بِشْرٌ أَبو مَرْوانَ إن عاسَرْتَه ... عَسِرٌ وعند يَساره مَيْسورُ

إنّ الكريمةَ ينصرُ الكرمَ ابنُها ... وابنُ اللئيمةِ للّئامِ نَصُورُ

قد كان حقُّك أن تقولَ لبارِقٍ ... يا آلَ بارقَ فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ

وكسَحْتَ باستِك للفَخَارِ وبارِقٌ ... شَيْخانِ أَعْمَى مُقْعَسدٌ وكَسِيرُ[4]

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : البَلْتَع وهو المُسْتنيرُ بن سَبْرَةَ العَنبريّ . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليّ ابنَ لَجَأ . قال : فما قال لك ؟ قلت قال : [من الكامل]

إنّ التي رَبَّتْكَ لمّا طُلِّقتْ ... قعَدتْ على جَحْشِ المَراغةِ تَمْرَغُ

---

1 اللامع : المشير بالسيف منذراً .

2 برزة : اسم أمّ عمرو بن لجأ .

3 محمر : اللئيم .

4 وكسحت في الديوان : أكسحت . كسير في الديوان : فقير ، 368/1 .

[أَتَعِيبُ مَنْ رضيتْ قريشٌ صِهْرَه ... وأبــوك عبــدٌ بالخَوَرْنَقِ أَذْلَغُ][1]

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

فما مستنيرُ الخُبْثِ إلاّ فَراشةٌ ... هَوَتْ بين مُؤْتَجّ الحَرِيقَيْن ساطِعِ
نهيتُ بناتِ المستنيرِ عن الرُّقَى ... وعن مشيهنّ الليلَ بين المَزارعِ

ويروى :

. . . بين مؤتجٍّ من النارِ ساطِعِ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : راعِي الإبل . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : قدِمْتُ البصرةَ وكان بلغني أنّه قال لي : [من الكامل]

يا صاحبيَّ دنـــا الرَّواحُ فسِيرا ... غَلَب الفَرَزْدقُ في الهجاءِ جَرِيرا

وقال أيضاً : [من الوافر]

رأيتُ الجَحْشَ جحشَ بني كُلَيبٍ ... تَيَمَّـم حوضَ دِجْلـةَ ثـــم هابا

فقلت : يا أبا جَنْدل ، إنّك شيخُ مُضَرَ وشاعرُها ، وقد بلغني أنّك تُفضِّل عليّ الفرزدقَ ، وأنت يُسمع قولُك ، وهو ابنُ عمِّي دونك ؛ فإن كان لا بدّ من تفضيلٍ فأنا أحقُّ به لمدحي قومَك وذِكري إيّاهم . قال : وابنه جَنْدَلٌ على فرسٍ له ، فأقبل يسيرُ بفرسه حتى ضربَ عَجُزَ دابّتي وأنا قائم فكاد يقطَع أصبعَ رِجْلي وقال : لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كُلَيب ؛ فمضى ، وناديته : أنا ابن يربُوع ! إنّ أهلَك بعثوك مائراً من هَـبُود[2] وبئس المائرُ ، وإنّما بعثني أهلي لأقعدَ على قارِعة هذا المِرْبَدِ فلا يَسُبُّهم أحدٌ إلاّ سبَبْتُه ، وإنّ عليّ نذراً إن جعلتُ في عيني غُمْضاً حتى أُخزِيَك . قال : فما أصبحتُ حتى هجوتُه فقلت : [من الوافر]

فغُضّ الطَّــرْفَ إنّك من نُمَيرٍ ... فــلا كعباً بلغــتَ ولا كِلابا

قال فَغَدوْتُ عليه من الغَدِ فأخذتُ بعِنانه ، فما فارقتُه حتى أنشدتُه إيّاها . فلمّا مررتُ على قولي : [من الوافر]

أَجَنْــدَلُ ما تقـول بنو نُمَيرٍ ... إذا ما الأَيْرُ في اسْتِ أبيك غابا

قال : فأرسَل يَدِي وقال : يقولون والله شرّاً .

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : العبّاس بن يَزيد الكِنْديّ قال : ما لك وله ؟ قال لمّا قلتُ : [من الوافر]

---

1 الأذلغ : غليظ الشفتين وهو أيضاً الأقلف .

2 هبود : اسم موضع ببلاد بني نمير .

إذا غَضِبتْ عليكَ بنــو تَميم حسِبتَ الناسَ كلَّهــمُ غِضابا

قال : [من الوافر]

ألا رَغِمَتْ أُنوفُ بنـي تَميمٍ فُساةِ التمرِ إن كانــوا غضابا
لقد غضِبتْ عليك بنـو تميم فمــا نَكَــأَتْ بغَضْبَتِها ذُبابا
لــو اطَّلع الغــرابُ على تَمِيم وما فيها مــن السَّوْءات شابا

قال : فتركتُه خمسَ سِنِينَ لا أهجوه ، ثم قدِمتُ الكوفةَ فأتيتُ مجلسَ كِنْدَةَ ، فطلبتُ إليهم أن يكفُّوه عنِّي ؛ فقالوا : ما نَكُفُّه وإنّه لشاعرٌ وأَوْعدوني ؛ فقلت : [من الوافر]

ألا أَبْلِغْ بني حُجْرِ بن وَهْــبٍ بــأنّ التمــرَ حُــلْوٌ في الشتاءِ
فَعُــودُوا للنَّخِيــــل فأَبِّرُوهــا وعِيشُــوا بالمُشَقَّــــر فالصَّفاءِ[1]

قال : فمكثتُ قليلاً ، ثم بعثوا إليّ راكباً فأخبروني بمَثالِبه وجوارِه في طَيِّىءٍ حيث جاور عَتّاباً ، وحَبَّل أُخته هُضَيْبَةَ حيث حَبَلتْ . قال : فقلتَ ماذا ؟ قال قلتُ : [من الوافر]

إذا جهِــل الشَّقيُّ ولم يُقَدِّرْ لبعضِ الأَمرِ أَوْشَكَ أَن يُصابا[2]
أَعبْداً حَــلَّ في شُعَبَــى غريباً أَلُــؤمــاً لا أَبالــكَ واغترابا[3]
فما خفِيتْ هُضَيبة حين جُرّتْ ولا إطعــامُ سَخْلَتِها الكِلابا[4]
تُخَــرِّقُ بالمَشاقِصِ حالِبَيْهــا وقــد بَلَّتْ مَشِيمَتُها التُّرابا[5]
فقــد حمَلــتْ ثمانيــةً وأَوْفتْ بتاسِعِهـــا وتَحْسَبُهـــا كَعابا

قال : ثم مـن ؟ قلـت : جَفْنة الهِزّانيّ بن جعفر بن عَبايةَ بن شَكْس من عَنزة . قال : وما لكَ ولـه ؟ قال : أَقْبَلَ سائلاً حتى أَتاني وأنا أُمدرُ[6] حوضاً لي ، فقال : يا جَرير ، قُمْ إليّ هاهنا ؛ قلـت نعـم . ثم أُتيته فقلتُ : ما حاجتُك ؟ قـال : مدحتـك فاستمعْ منِّي . قلتُ : أُنشِدْني فأَنْشَد ؛ فقلـتُ : قـد واللهِ أحسنتَ وأجملتَ ؛ فما حاجتُك ؟ قال : تَكْسُوني الحُلَّةَ التي كَساكَها الوليـدُ بن عبد الملك العامَ . فقلت : إنِّي لم أَقِفْ فيها بالموسم ، ولا بدّ من أن أُقِفَ فيها العامَ ، ولكنِّي أَكْسُوك حلّة خيراً منها كان كَسانيها الوليدُ عاماً أَوّلَ . فقال : ما أَقْبَلُ غيرَها بعينها .

1 المشقر : حصن بالبحرين لعبد القيس .
2 الشقي في الديوان : اللئيم 650/2 .
3 شعبى : موضع في جبل طيىء .
4 خفيت في ل : تخفى . جرت في ل : تمسي .
5 المشقص من النصال ما طال وعرض .
6 المدر : تطيين وجه الحوض بالطين المتماسك لئلاّ يخرج منه الماء .

فقلت : بَلى ، فاقبَلْ وأَزيدُكَ معها دنانيرَ نفقةً . فقال : ما أَفعَل ؛ ومضَى فأَتى المَرَّارَ بنَ مُنْقِذ أَحَدَ بني العَدَوِيَّة ، فحمَله على ناقةٍ له يقال لها القَصْواءُ . فقال جَفْنة : [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ لَلْمـرَّارُ يـومَ لَقِيتُـهُ على الشَّحْطِ خيرٌ من جريرٍ وأَكرمُ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لقـد بَعثتْ هِـزّانُ جَفْنـةَ مائراً فـآب وأَحْذَى قومَه شَرَّ مَغْنَمِ[1]
فيا راكبَ القَصْواءِ مـا أَنت قائلٌ لِهِـزَّانَ إذ أَسْلَمْتَها شَرَّ مُسْلَمِ[2]
أَظنُّ عِجانَ التَّيْسِ هِـزَّانَ طالباً عُلالـةَ سَبّاقِ الأَضاميمِ مِرْجَمِ[3]
كأنّ بنـي هِـزَّانَ حينَ رَدَيْتُهم وبِتـارٌ تَضاغَتْ تحتَ غارٍ مهدَّمِ[4]
بَنـي عَبْدِ عمرٍو قد فَرَغْتُ إليكمُ وقد طال زَجْري لو نَهاكُمْ تقدُّمي
ورَصْعاءَ هِزَّانِيَّـةٍ قـد تَحَفَّشَتْ على مِثْلِ حِرْبـاءِ الفَلاةِ المعمَّمِ[5]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : المَرَّارُ بن مُنْقِذ . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أَعان عليَّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

بَني مُنْقِذٍ لا صُلْحَ حتى تَضُمَّكُمْ مـن الحربِ صَمَّاءُ القَناةِ زَبُونُ[6]
وحتى تَذُوقوا كأسَ مَنْ كان قبلَكم ويَسْلَح منكـم في الحِبـال قَرينُ
فإن كنتُم كَلْبـى فعندي شفاؤكم وللجِنِّ إن كان اعتـراكَ جنونُ[7]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : حَكيم بن مُعَيَّةَ من بني رَبيعة بنِ مالك بن زيد مَناةَ بن تَميم . قال : وما لك وله ؟ قلتُ : بلغني أنّه أَعان عليَّ غسَّانَ السَّلِيطيّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال وقلتُ : [من الطويل]

إذا طلَعَ الرُّكْبانُ نَجْداً وغَوَّرُوا بها فارْجُزا يا ابنَيْ مُعَيَّةَ أَو دَعا[8]

---

1 مائراً في الديوان : وافداً 271/1 .
2 قائل في الديوان : صانع 271/1 .
3 العلالة : الجري بعد الجري . والأضاميم : الجماعات ، واحده إضمامة . والمرجم : الشديد .
4 الوبار : مفرده وبره ، وهي دويبة . تضاغت : صوّتت .
5 ثمّة اختلاف عن الديوان وتغيير في الأشطار 271/1 .
6 حرب زبون : يدفع بعضها بعضاً من الكثرة .
7 الكلبى : جمع كَلِب .
8 في هذا الشطر الأوّل اختلاف شديد عمّا في الديوان 458/1 .

أَتَسْمَنُ أَسْتاهُ المَجَرِّ وقد رأَوْا ... مَجَرّاً بوَعْساوَيْ رُماحَ وَمَصْرَعا[1]
أَلا إِنّما كانت غَضُوبُ مُحامِياً ... غَداةَ اللِّوى لم تَدْفَعِ الضَّيْمَ مَدْفَعا[2]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ [ثَوْر بن] الأَشْهَب بن رمَيلة النَّهْشَليّ . قال : وما لكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

سيَخْزى إذا ضَنَّتْ حَلائبُ مالكٍ ... ثُوَيرٌ ويَخْزَى عاصِمٌ وجَمِيعُ[3]
وقَبْلَك ما أَعْيا الرُّماةَ إذا رَمَوْا ... صَفاً ليس في قاراتهنّ صُدُوعُ[4]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الدَّلَهْمَسُ أَحدُ بني رَبيعةَ بنِ مالك بن زيد مَناة . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لقد نَفَخَتْ منكَ الوَرِيدَيْنِ عِلْجَةٌ ... خَبيثةُ رِيحِ المَنْكِبَيْنِ قَبوعُ[5]
ولو أَنْجَبَتْ أُمُّ الدَّلَهْمَسِ لم يَعِبْ ... فَوارِسَنا لا عاش وهو جميعُ[6]
أليس ابنَ حَمْراء العِجانِ كأنّما ... ثلاثةُ غِرْبانٍ عليه وُقوعُ
فلا تُدْنِيا رَحْلَ الدَّلَهْمَسِ إنّه ... بصيرٌ بما يأتي اللئامُ سَميعُ[7]
هو النَّخْبَةُ الخَوّارُ ما دونَ قلبِه ... حِجابٌ ولا حولَ الحجابِ ضُلوعُ[8]

قال : ثم مررتُ على مجلسٍ لهم فاعتذرتُ إليهم فلم يقبلوا عذري ، وأنشدوني شعراً لم يُخبروني مَن قاله : [من الطويل]

غضِبتَ علينا أَن عَلاكَ ابنُ غالبٍ ... فهَلاّ على جَدّيْكَ في ذاكَ تغضَبُ[9]
هُما إذْ عَلا بالمرء مَسْعاةُ قومِه ... أَناخا فشَدّاك العِقالُ المؤرَّبُ[10]

---

1 بنو المجرّ : من ربيعة من بني مالك بن زيد مناة . الوعساء : الأرض اللينة ذات الرمل .
2 غضوب : امرأة من بني المجرّ كانت شاعرة بذية ، قتلها بنو طهية في هجاء لها هجتهم به .
3 عاصم وجميع : رجلان من بني عامر .
4 القارة : الصخرة العظيمة . قاراتهن في الديوان : عاديهن 596/1 .
5 القبوع في الديوان : المنكبين 596/1 والقبوع : التي تقبع السقاء وهو أن تثني رأس الشقاء إلى داخله ثم تشدّه فيكون أحفظ لما فيه .
6 عاش في ل : مات .
7 سميع : يريد أنّه محكم في اللؤم .
8 النّخبة : الجبان .
9 ابن غالب : الفرزدق .
10 المؤرب : المحكم .

قال : فعلمتُ أنّه شِعْر قَبْضة الكلب . قال : فجمعتُهم في شعري فقلت : [من الطويل]

[و] أكثرُ ما كانت رَبيعةُ أنّها — خِباءانِ شَتّى لا أنيسٌ ولا قَفْرُ

مُحالِفُهم فَقْرٌ شديدٌ وذِلّةٌ — وبئس الحَليفانِ المَذَلّةُ والفقْرُ

فصَبْراً على ذُلّ ربيعَ بنَ مالكٍ — وكلُّ ذليلٍ خيرُ عادتِه الصبرُ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : هُبيرَةُ بن الصَّلْتِ الرَّبَعِيّ من ربيعة بن مالكٍ أيضاً ، كان يَرْوِي شعرَ الفرزدق . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يَمْشي هُبَيرةُ بعد مَقْتَل شَيْخِه — مَشْيَ المُراسِلِ أوذِنَتْ بطَلاقِ[1]

ماذا أردتَ إليَّ حينَ تَحَرَّقتْ — ناري وشُمِّرَ مِئْزَري عن ساقِي[2]

إنّ القِرافَ بمَنْخَرَيْكَ لَبَيِّنٌ — وسواد وجهِك يا ابن أمِّ عِفاقِ[3]

سِيرُوا فرُبَّ مُسَبّحِينَ وقائلٍ — هذا شَقاً لِبَني رَبيعةَ باقي

أَبَني رَبيعةَ قد أخسّ بحَظِّكُمْ — لؤمُ الجُدودِ ودِقّةُ الأخلاقِ[4]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عِلْقَةُ والسَّرَنْدى من بني الرِّبابِ كانا يُعِينان ابنَ لَجأ . قال : فما قلتَ لهما ؟ قال قلتُ : [من البسيط]

عَضَّ السَّرَنْدى على تَثْليم ناجذه — من أمِّ عِلْقَةَ بَظْراً غَمَّه الشَّعَرُ[5]

وعَضَّ عِلْقَةُ لا يَألُو بعُرْعُرَةٍ — من بَظْرِ أمّ السَّرَنْدى وهو منتصِرُ[6]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الطُّهَوِيّ ، كان يَرْوي شعر الفرزدق . قال : ما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

أتَنْسَوْنَ وَهْباً يا بَني زَبَدِ اسْتِها — وقد كنتُم جِيرانَ وَهْب بنِ أبْجَرا[7]

---

1 المراسل : التي أحسّت من زوجها أنّه يريد تطليقها فهي تزيّن لآخر ، وهي التي مات عنها زوجها ، وهي التي طلقتْ مرّات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه .

2 تحرّقت في الديوان : تسعّرت 434/1 .

3 القراف : المخاط اليابس الذي يلزق بالأنف . عفاق : اسم لرجل .

4 الدقة : الخسة وفي البيت في الديوان اختلاف شديد 434/1 .

5 غمّه : غطّاه .

6 عرعرة : رأس كلّ شيء وأعلاه .

7 أتنسون في الديوان : أتنعون 475/1 . أبجر : هو وهب بن أبجر بن جابر العجليّ ، وكان خرج مع يزيد بن المهلّب ، فلمّا هزم آل المهلّب لحق بأخوال بني طهية ، فبعث مسلمة بن عبد الملك قميراً المازنيّ فأخذ وهباً فقتله .

فمـا تَتَّقُونَ الشرَّ حتّى يُصيبَكم ولا تَعْرِفـونَ الأمـرَ إلاّ تدبُّرا
ألا رُبَّ أَعْشى ظـالمٍ متخمِّطٍ جعلتُ لعينيـه جِـلاءً فأَبصرا[1]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عُقْبة بن السُّنَيع الطُّهَوِيّ وكان نذَر دَمي . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من البسيط]

يا عُقْبَ يا ابنَ سُنَيْعٍ ليس عندكمُ مَأْوى الرِّفاقِ ولا ذو الرايةِ الغادِي
يا عُقْبَ يا ابنَ سُنَيْعٍ بعضَ قولِكمُ إنّ الوِثابَ لكم عندي بمِرْصادِ
مـا ظَنُّكم ببَني مَيْثاءَ إن فَزِعُوا ليـلاً وشَدّ عليهم حَيّـةُ الوادي
يَغْـدُو عـليّ أبـو لَيْلَى ليقتلَني جَهْـلاً عـليّ ولم يَثْأَر بشَدّادِ[2]
إرْوُوا عليَّ وأرْضُوا بي صديقَكمُ واسْتسمِعُوا يا بَني مَيْثاءَ إنشادِي

مَيْثاءُ هي بنت زُهَير بن شَدّاد الطُّهَوِيّ وهي أُمّ عَوْف بن أبي سُود بن مالك بن حَنْظلة .

وقال أيضاً لبني مَيْثاء : [من البسيط]

نُبِّئتُ عُقْبَـةَ خَصّافـاً تَوَعَّـدَني يـا رُبَّ آدَرَ من مَيْثاءَ مَأْفُونِ[3]
لَـوْ في طُهَيَّةَ أحلامٌ لما اعترضُوا دونَ الذي كنتُ أرْمِيه ويَرْمِيني

قال : ثم مَنْ ؟ قلت : سُحْمَةُ[4] الأعْورُ النَّبْهانيّ ، كانت له امرأة من طيّيء وُلِدتْ في بَني سَلِيط فأعطَوْه وحَمَلُوه عليّ . فسألني فاشْتَطَّ ، ولم يكن عندي فحرَمْتُه ، فقال : [من الطويل]

أقـولُ لأصحابـي النَّجـاءَ فإنّه كَفى الذَّم أن يأتي الضيوفَ جَريرُ
جَرِيرُ ابنَ ذاتِ البَظْرِ هل أنت زائلٌ لِقِـدْرِك دونَ النازلـين سُتُورُ
وهل يُكْرِمِ الأضيافَ كلبٌ لكلبةٍ لهـا عنـد أطْنابِ البيوت هَرِيرُ
فلو عندَ غَسَّانَ السَّلِيطيّ عَرَّسَتْ رَغـا قَرَنٌ منهـا وكاسَ عَقِيرُ[5]
فَتىً هـو خيرٌ منكَ نفساً ووالداً عليـكَ إذا كان الجِـوار يُجِيرُ

1 المتخمّط : المتكبّر الشديد الغضب والجلبة . الجلاء : الكحل .

2 يغدو في الديوان : يعدو 433/1 . بشدّاد : هو شدّاد الميثاوي ، كان يتحدّث إلى امرأة من ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، فألقاه أهلها في بئر .

3 توعدّني في الديوان : تعيبني 559/2 . الخصاف : الكذاب . والآدر : الذي أصابه فتق في إحدى خصيتيه .

4 قال ابن الكلبيّ : اسمه سحمة بن نعيم بن الأخنس بن هوذة ، وقال أبو عبيدة في النقائض : يُقال له العناب واسمه سحيم بن شريك .

5 القرن : البعير المقرون بآخر . وكاس عقير ، يريد أنّه عقر له بعير فقام على ثلاث .

فقال جرير : [من الطويل]

وجَدْنا بَنـي نَبْهانَ أذنابَ طيّىء ... وللناسِ أذنـابٌ تُـرى وصُدورُ
تغنَّـى ابنُ نَبْهانِيَّةٍ طـال بَظْرُها ... وبـاعُ ابنِها عنـد الهِياج قَصيرُ[1]
وأعْـورَ مـن نَبْهانَ أمّا نَهـارُه ... فأعْمـى وأمّا ليلُـه فبَصيرُ
ستأتي بَني نَبْهـانَ منّـي قصائدٌ ... تَطَالَعُ مـن سَلْمَى وهنَّ وُعُورُ[2]
تَـرى قَزَمَ المِعْزَى مُهُـورَ نسائهم ... وفي قَـزَمِ المِعْـزى لهـنَّ مُهُورُ[3]

قال : وطلع الصبحُ فنهَض ونهَضتُ . قال : فأخبرني مَن كان قاعداً معه أنّه قال : قاتله الله أعرابيّاً ! إنّه لِجرْوُ هِراش .

[قصّته مع الراعي وابنه جندل]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثنا أبو سعيد السُّكّريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر المُغِيرة بن حَجْناء قال حدَّثني أبي عن أبيه قال : كان راعي[4] الإبل يَقْضي للفرزدق على جرير ويفضِّله ، وكان راعي الإبل قد ضخُم أمرُه وكان من شعراء الناس . فلمّا أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال : هَلاّ تَعْجَبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومَه وأنا أمدحهم ؟ قال جرير : فضرَبتُ رأيي فيه . ثم خرج جرير ذاتَ يومٍ يمشي ولم يركب دابّتَه ، وقال : والله ما يسرُّني أن يعلم أحد . وكان لراعي الإبل والفرزدقِ وجلسائهما حَلْقةٌ بأعلى المِرْبَد بالبصرة يجلسون فيها . قال : فخرجتُ أتعرّضُ له لألقاه من حِيالٍ حيثُ كنت أراه يمرُّ إذا انصرف من مجلسه ، وما يسُرُّني أن يعلم أحد ، حتى إذا هو قد مَرَّ على بغلة له وابنُه جَنْدَلٌ يَسير وراءه على مُهْرٍ له أحْوَى محذوفِ[5] الذَّنَبِ وإنسانٌ يمشي معه يسأله عن بعض السَّبَب ، فلمّا استقبلتُه قلتُ : مَرْحباً بك يا أبا جَنْدل ؛ وضربتُ بشِمالي على مَعْرفة بغلتِه ، ثم قلت : يا أبا جَنْدل ! إنّ قولَك يُستمع وإنّك تُفضِّل الفرزدقَ عليّ تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومَك وهو يهجوهم وهو ابن عمّي ، ويَكْفِيكَ من ذاك هيِّـنٌ : إذا ذُكِرنا أن تقولَ كِلاهما شاعرٌ كريم ، ولا تحتملُ منّي ولا منه لائمةً . قال : فبَيْنا أنا وهو كذاكَ واقفاً عليّ ، وما رَدّ عليّ بذلك شيئاً حتى لَحِق ابنُه جَنْدلٌ ، فرفَع كَرْمانيّةً معه فضرَب بها عَجُزَ بغلتِه

1 الهياج في الديوان : الفضال 877/2 .
2 سلمى : اسم جبل لطيىء ، وهو لبني نبهان خاصة .
3 القزم : الصغار العليلة واحدتها قزمة .
4 الراعي : عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، ويكنى أبا جندل .
5 الحذف : قطف الشيء من الطرف ، يقال : حذف شعره وذنب فرسه إذا قطع طرفه .

ثم قال : لا أَراك واقفاً على كلب من بني كُلَيب كأَنّك تَخْشى منه شَرّاً أَو ترجو منه خيراً ! وضرَب البغلةَ ضربةً ، فَرَمَحَتْني رَمْحةً وقعتْ منها قَلَنْسُوتي ، فوالله لو يعرِّج عليّ الراعي لقلتُ سَفِيهٌ غَوَى ، يَعْني جَنْدَلاً ابنَه ، ولكن لا واللهِ ما عاجَ عليّ ، فأَخذتُ قَلَنْسُوَتي فمسَحْتُها ثم أَعَدْتُها على رأسي ثم قلتُ : [من الوافر]

أَجَنْـدلُ مـا تقـول بنـو نُمَيْرٍ إذا مـا الأَيْرِ في استِ أَبيك غابا

فسمعتُ الرّاعيَ قال لابنه : أَما واللهِ لقد طرحتَ قَلَنْسُوَتَه طَرْحةً مشؤومة . قال جريرٌ : ولا واللهِ ما القلنسوةُ بأَغْيَظِ أَمرِه إليّ لو كان عاجَ عليّ . فانصرف جريرُ غضبانَ حتى إذا صلَّى العِشاءَ بمنزله في عِلِّيَّةٍ له قال : ارفَعوا إليّ باطِيَةً من نبيذ وأَسْرِجُوا لي ، فأَسْرَجُوا له وأَتَوْه بباطيةٍ من نبيذ . قال : فجعَل يُهَمْهِمُ ؛ فسمعتْ صوتَه عجوزٌ في الدّار فاطَّلَعَتْ في الدَّرَجة حتى نظرتْ إليه ، فإذا هو يَحْبُو على الفراش عُرْياناً لما هو فيه ، فانحدرتْ فقالت : ضيفُكم مجنون ! رأَيت منه كذا وكذا ؛ فقالوا لها : اذهبي لطيَّتِك ، نحن أَعلم به وبما يُمارِس . فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ ، ثم إذا هو يكبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُمَير . فلمّا ختمها بقوله : [من الوافر]

فغُض الطَّـرْفَ إنّـكَ من نُمَيرٍ فـلا كَعْباً بلغـتَ ولا كِلابا

كَبَّر ثم قال : أَخزيتُه وربِّ الكَعْبة . ثم أَصْبح ، حتى إذا عرَف أَنّ الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبَد ، وكان يعرِف مجلسَه ومجلسَ الفرزدَق ، دعا بدُهْنٍ فادَّهَنَ وكَفَّ[1] رأسَه ، وكان حسنَ الشَّعر ، ثم قال : يا غلام ، أَسْرِجْ لي ، فأَسْرَجَ له حِصاناً ، ثم قصد مجلسَهم ؛ حتى إذا كان بمَوْضِع السلام قال : يا غلامُ ، ولم يسلِّم ، قل لعَبيدٍ : أَبعَثك نِسْوَتُك تَكْسِبهُنّ المالَ بالعراق ؟ أَما والذي نفسُ جريرٍ بيده لتَرْجِعَنّ إليهنّ بمَيْرٍ يَسُوءهنّ ولا يَسُرُّهنّ ؛ ثم اندفع فيها فأَنشدها . قال : فنكَس الفرزدقُ وراعي الإبلِ وأَرَمّ[2] القومُ ، حتى إذا فرَغ منها سار ، وثبَت راعي الإبلِ ساعةً ثم ركب بغلتَه بشَرٍّ وعُرٍّ وخَلَّى المجلسَ حتى ترقَّى[3] إلى منزله الذي ينزله ، ثم قال لأَصحابه : رِكابَكم رِكابَكم ، فليس لكم هاهنا مُقام ، فضَحَكم واللهِ جريرٌ ؛ فقال له بعضُ القوم : ذاك شؤمُك وشؤمُ ابنِك . قال : فما كان إلاّ ترحُّلُهم . قال فسِرْنا إلى أَهلنا سيراً ما ساره أَحد ، وهُمْ بالشُّرَيْفِ وهو أَعلى دارِ بني نُمَيرٍ . فيحلفُ باللهِ راعي الإبل إنّا وجَدْنا في أَهلنا : [من الوافر]

1 كفّ شعره : جمعه وضمّ أطرافه .
2 وأرّم القوم : سكتوا .
3 ترقّى في ل : أتى .

فغُضّ الطَّرْفَ إنّك من نُمَيرٍ

وأقسَم بالله ما بلَّغه إنْسيٌّ قَطّ ، وإنّ لجريرٍ لأشياعاً من الجِنّ . فتشاءمتْ به بنو نُمَير وسَبُّوه وابنَه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن .

[قال قصيدته في هجو الراعي عند رجل من أنصاره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ عن أبيه قال حدَّثني مَوْلًى لبني كُلَيب بن يَرْبوع كان يبيع الرُّطَبَ بالبصرة أُنسِيتُ اسمَه قال : كنت أُجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأَرْوِيَه . فجاءَني ليلةً فقال : إنّ راعي الإبلِ النُّمَيريَّ قد هجاني ، وإنّي آتيك الليلةَ فأَعِدَّ لي شِواءً[1] رَشْراشاً ونبيذاً مُخْفِساً[2] ؛ فأعْددتُ له ذلك . فلمّا أَعْتَمَ جاءَني فقال : هَلُمَّ عَشاءَك ، فأتيتُه به ، فأكل ثم قال : هَلُمّ نبيذَك ، فأتيتُه به ، فشرب أقداحاً ثم قال : هات دَواةً وكَتِفاً[3] ؛ فأتيتُه بهما ، فجعل يُمْلي عليَّ قولَه : [من الوافر]

أقِلّي اللومَ عاذِلَ والعتابا وقُولي إن أصبْتُ لقد أصابا

حتى بلغَ إلى قوله : [من الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُمَيرٍ

فجعل يردِّده ولا يَزيد عليه حتى حَمَلتْني عيني ، فضربتُ بذَقَني صَدْري نائماً ، فإذا به قد وثَب حتى أصاب السَّقْفَ رأسُه وكبَّر ثم صاح : أخزيتُه والله ! اكتُبْ : [من الوافر]

فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابَا

غَضَضْتُه وقدَّمتُ إخوتَه عليه ؛ والله لا يُفلِح بعدها [أبداً] . فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نُمَيْرِيّ بعدها .

[أنشد الفرزدق أشطار شعر له فأخبر بتواليها]

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعي قال حدّثنا أبو غَسّان دَماذ عن أبي عُبيدة قال : أقْبل راكبٌ من اليَمامة ؛ فمرَّ بالفرزدق وهو جالس في المِرْبَد ؛ فقال له : من أين أقبلتَ ؟ قال : من اليمامة . فقال : هل رأيت ابنَ المَراغة ؟ قال نعمْ . قال : فأيَّ شيء أحْدث بعدي ؟ فأنشده : [من الكامل]

هاجَ الهوى لفؤادك المُهتاجِ

فقال الفرزدق : [من الكامل]

---

1 شواء رشراش : خضل ندٍ يقطر سُمّاً .

2 المخفس : السريع الإسكار .

3 كانوا يكتبون في عظم الكتف لقلّة القراطيس .

فانظُر بتُوضِحَ باكِرَ الأَحْداجِ

فأنشده الرجل : [من الكامل]

هـذا هَـوىً شغَف الفؤادَ مبرِّحٌ

فقال الفرزدق : [من الكامل]

ونَوىً تَقاذَفُ غيرُ ذاتِ خِلاجِ[1]

فأنشده الرجل : [من الكامل]

إنّ الغـرابَ بما كرهتَ لَمُولَعٌ

فقال الفرزدق : [من الكامل]

بِنَوَى الأَحبّـةِ دائـمُ التَّشْحاجِ[2]

فقال الرجل : هكذا واللهِ ، قال أفسمعتَها من غيري ؟ قال : لا ؛ ولكن هكذا ينبغي أن يقال ؛ أَوَ ما علمتَ أنّ شيطاننا واحد ؟ ثم قال : أَمَدَح بها الحَجّاجَ ؟ قال نعمْ . قال : إيّاه أراد .

[أجاب الفرزدق في الحجّ جواباً حسناً]

أخبرني محمَّد بن خَلَفٍ وَكِيع قال حدَّثنا محمَّد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم المَوْصِليّ قال حدَّثني أبو عُبَيدة قال : التقى جريرٌ والفرزدقُ بمِنىً وهما حاجّانِ ؛ فقال الفرزدقُ لجرير : [من الطويل]

فإنّـك لاقٍ بالمنـازلِ من مِنىً فَخاراً فخبِّرْني بمَن أَنت فاخرُ

فقال له جريرٌ : بلَبَّيْكَ اللهم لبيك . قال إسحاق : فكان أصحابُنا يستحسنون هذا الجوابَ من جرير ويَعْجَبون منه .

[هجا التَّيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم]

أخبرني أبو خَلِيفةَ عن محمَّد بن سَلاّم ، وأخبرني وَكِيعٌ عن محمَّد بن إسماعيل [عن ابن سَلاّم] قال حدَّثنا أبو الخَطّاب عن أبيه عن حَجْناء بنِ جَرير قال : قلتُ لأَبي : يا أَبتِ ، ما هجوتَ قوماً قطُّ إلاّ أفسدتَهم سِوَى التَّيْمِ . فقال : إنّي لم أجِد حَسَباً أَضَعُه ، ولا بناء أهدمُه .

[حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء]

قال ابن سَلاّم أخبرني أبو قيس عن عِكْرِمةَ بن جَرير قال : قلت لأَبي : يا أَبتِ ، مَن أَشعرُ الناس ؟ فقال : الجاهليّةَ تريد أَم الإسلامَ ؟ قلتُ : أَخْبِرني عن الجاهليّة . قال : شاعرُ الجاهليّة

1 غير ذات خلاج : أي نوى مقطوع بها لا يخالج فيها الشكّ والريب .

2 تشحاج الغراب : صومه .

زُهَيْر . قلت : فالإسلام ؟ قال : نَبْعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صفةَ الملوك ويُصيبُ نَعْتَ الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : دَعْني فإنّي نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً .

[سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقّع فيها نصف بيت فيه هجو له فكان كما ظنّ]

أخبرني هاشم بن محمّد قال حدَّثني الحَسَن بن عُلَيل قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله العَبْديّ عن عُمارة بن عُقَيل عن جدِّه قال : وقف الفرزدقُ على أبي بِمرْبَد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الرّاعي ؛ فلمّا بلَغ إلى قوله : [من الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُمَيرٍ فــلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

أقبل الفرزدقُ على روايتِه فقال : غَضَّه واللهِ فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلِحُ بعدها . فلمّا بلَغ إلى قوله : [من الوافر]

بهــا بَرَصٌ بجانــبِ إسْكَتَيْها

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغطّى عَنْفَقَتَه[1] ؛ فقال أبي : [من الوافر]

كعَنْفَقَـةِ الفرزدقِ حــين شابا

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول : اللهمّ أخْزِه ؛ والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنّه لا يقولُ غيرَ هذا ، ولكن طَمِعتُ ألاَّ يَأْبَهَ فغطَّيتُ وجهي ، فما أغناني ذلك شيئاً . قال العَنزيّ حدَّثني مسعود بن بِشْر عن أبي عُبَيدة قال قال يونُس : ما أُرَى جَرِيراً قال هذا المِصْراعَ إلاّ حينَ غطَّى الفرزدقُ عَنْفقتَه ، فإنّه نبَّهه عليه بتغطيته إيّاها .

[سئل الفرزدق عمّن يجاريه في الشعر فلم يَعترفُ إلاّ به]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا المَدائنيّ عن أبي بَكْر الهُذَليّ قال : قال رجل من بني دارِم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فِراس ، هل تعلم اليومَ أحداً يَرْمي معك ؟ فقال : لا ؛ والله ما أعرف نابحاً إلاّ وقد استكان ولا ناهشاً إلاّ وقد انْجَحَر إلاّ القائلَ : [من الطويل]

فإنْ لم أجِدْ في القُرْب والبعدِ حاجتي تَشأَّمتُ أو حَوّلتُ وجهي يمانَيا
فــرُدِّي جِمالَ الحيِّ ثــم تَحَمَّلِي فما لَكِ فيهم مــن مُقامٍ ولا لِيا[2]

---

1 العنفقة : شعيرات بين الشفّة السّفلى والذقن .

2 الحي في الديوان : البين 35/1 .

فإنِّـي لمغـرورٌ أُعلِّـل بالمُنـى ... ليـاليَ أرجـو أنّ مـا لَـكَ ماليا
وقائلـةٍ والدمـعُ يَحْـدِرُ كَحْلَها ... أبعـدَ جريـرٍ تُكرِمـون المَوَاليا
بأيٍّ نِجـادٍ تحمِـل السيفَ بعدما ... قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا
بـأيٍّ سنانٍ تطعُنُ القَـرْمَ بعدما ... نزَعْتَ سِنانـاً مـن قَناتِك ماضيا
لساني وسيفي صارمـانِ كلاهما ... ولَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعةً من لسانيا[1]

قال : وهذا الشعر لجرير .

[وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفش قال حدَّثني محمَّد بن يَزيد عن عُمارةَ بنِ عُقَيل عن أبيه قال : قال جرير : وفدتُ إلى يزيدَ بنِ معاوية وأنا شابٌّ [يومئذٍ] ؛ فاستُؤذن لي عليه في جملة الشعراء ؛ فخرج الحاجبُ إليّ وقال : يقول لك أمير المؤمنين : إنّه لا يَصِلُ إلينا شاعر لا نعرِفه ولا نسمع بشيء من شعره ، وما سمعنا لك بشيء فنأذَن لك على بَصِيرة . فقلت له : تقولُ لأمير المؤمنين : أنا القائل : [من الطويل]

وإنِّـي لَعَفُّ الفقـر مُشْتَرَكُ الغِنى ... سريعٌ إذا لم أَرضَ داري انتقاليا
جريءُ الجَنانِ لا أَهاب مِن الردى ... إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنانِيا[2]
وليس لسيفــي في العظـامِ بَقِيّـةٌ ... ولَلسَّيْفُ أَشْوى وقعـةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ ؛ ثم خرج إليّ وأذِن لي ، فدخلت وأنشدته وأخذتُ الجائزةَ مع الشعراء ؛ فكانت أوّلَ جائزة أخذتُها من خليفة ، وقال لي : لقد فارق أبي الدنيا وما يظنّ أبياتَك التي توسَّلْتَ بها إليّ إلاّ لي .

[موازنة حمّاد الراوية بينه وبين الفرزدق]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني الكُرّانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن حَمّادٍ الراوية قال : أتيتُ الفرزدق فأنشدني ، ثم قال لي : هل أتيتَ الكلبَ جريـراً ؟ قلت نعم . قال : فأنا أشعر أو هو ؟ فقلت : أنت في بعض الأمر وهو في بعض . فقـال : لم تُناصِحْني . فقلت : هو أشعرُ إذا أَرْخى في خِناقه ، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رجوتَ . فقال : وهل الشعر إلاّ في الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ ؟ .

---

1 يقال : رماه فأشواه إذا أصاب شواه ولم يصب مقتله . والشّوى : الأطراف .
2 أهاب في الديوان : أهال 36/1 .

[حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته]

أخبرني عمّي قال حدَّثني أحمد بن الحارث قال حدَّثنا المدائنيّ عن يحيى بن عَنْبَسة القُرَشيّ وعَوانةَ بنِ الحَكَم : أنّ جريراً والفرزدق اجتمعا عند بِشْر بن مَرْوان ؛ فقال لهما بشر : إنّكما قد تقارضتُما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار وتقاولتُما الفخار وتهاجيتُما . فأمّا الهجاء فليست بي إليه حاجة ، فجدِّدا بين يَدَيّ فخراً ودَعاني ممّا مضى . فقال الفرزدق : [من الطويل]

نحن السَّنامُ والمَناسِمُ غيرُنا فمَنْ ذا يُساوي بالسَّنامِ المناسِما !

فقال جرير : [من الطويل]

على موضع الأَسْتاهِ أنتم زعمتُمُ وكلُّ سَنامٍ تابعٌ للغَلاصِمِ[1]

فقال الفرزدق : [من الطويل]

على مَحْرَثٍ للفَرْثِ أنتم زعمتُمُ ألا إنّ فوق الغَلْصَمات الجَماجِما

فقال جرير : [من الطويل]

وأنبأتُمونا أنّكم هامُ قومِكم ولا هامَ إلاّ تابعٌ للخَراطمِ

فقال الفرزدق : [من الطويل]

فنحن الزِّمامُ القائدُ المقتدَى به من الناسِ ، ما زِلنا ولسنا لَهازِما[2]

فقال جرير : [من الطويل]

فنحن بَني زيد قطعنا زِمامَها فتاهت كسارٍ طائِشِ الرأسِ عارِمِ[3]

فقال بشر : غلبتَه يا جريرُ بقطعِك الزِّمام وذَهابِك بالناقة . وأحسن الجائزةَ لهما وفضَّل جريراً .

[جرير وسكينة بنت الحسين]

قال المدائنيّ وحدَّثني عَوانة بن الحَكَم قال : جاء جرير إلى باب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام ، يستأذن عليها فلم تأذن له ، وخرجت إليه جاريةٌ لها فقالت : تقول لك سيِّدتي : أنت القائل : [من الكامل]

طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا حينَ الزيارةِ فارْجِعي بسلامِ

---

1 الغلصمة : رأس الحلقوم .

2 اللهازم : جمع لهزمة ، واللهزمتان ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدّين .

3 العرام : الشدّة والقوّة والشراسة .

قال نعم . قالت : فألاّ أخذتَ بيدها فرحّبْتَ بها وأدنيتَ مجلسَها وقلتَ لها ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيفٌ وفيك ضعف ، فخُذ هذين الألفيْ الدرهم فالحَقْ بأهلِك .

[تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق]

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدَّثني أبو يعقوب الثَّقفيّ عن الشَّعْبيّ : أنّ الفرزدق خرج حاجّاً ؛ فلمّا قضى حجَّه عدَل إلى المدينة فدخل إلى سُكينة بنتِ الحسين عليهما السلام فسلَّم . فقالت له : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناسِ ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ! أشعرُ منك الذي يقول : [من الوافر]

بنفسي مَــنْ تَجَنُّبُه عزيــزٌ عــليّ ومَــنْ زِيارتُـــه لِمَامُ
ومَــنْ أُمسي وأُصبحُ لا أَراه ويَطْرُقُنــي إذا هجَــع النِّيامُ

فقال : والله لو أذنتِ لي لأَسمعتُكِ أحسنَ منه . قالت : أقيموه فأُخرج . ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ؛ صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول : [من الكامل]

لـولا الحياءُ لعادني استعبــارُ ولَزُرْتُ قبــرَك والحبيبُ يُزارُ
كانت إذا هجَر الضَّجيعُ فِراشَها كُتِمَ الحديثُ وعَفّتِ الأسرارُ[1]
لا يَلْبَثُ القُرَنــاءُ أَنْ يتفرّقوا ليــلٌ يَكُــرّ عليهــمُ ونهارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لي لأَسمعنَّك أحسنَ منه ، فأمرتْ به فأُخرج . ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحَوْلَها مولَّداتٌ لها كأنّهنّ التماثيل ؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ فأُعْجِب بها وبُهِت ينظرُ إليها . فقالت له سُكَينة : يا فرزدق ، مَنْ أَشعرُ الناس ؟ قـال : أنا . قالت : كذبتَ ؛ صاحبُك أَشعر منك حيث يقول : [من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ قتلْنَنا ثــم لم يُحْيِينَ قَتْلانــا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ به وهــنّ أَضعفُ خَلْــقِ الله أَركانا
أَتْبعتُهم مُقْلــةً إنسانُها غَــرِقٌ هل مــا ترى تاركٌ للعين إنسانا

فقال : والله لئن تركتني لأَسمعنَّك أَحسنَ منه ؛ فأمرت بإخراجه . فالتفت إليها وقال : يا بنتَ رسول الله ، ﷺ ، إنّ لي عليكِ حقّاً عظيماً . [قالت : وما هو ؟ قال :] ضربتُ إليكِ [آباطَ الإبلِ] من مكّةَ إرادةَ التسليم عليكِ ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطَرْدِي

1 الضجيع في الديوان : الخليل ؛ كتم في الديوان : خُزِن 865/2 .

وتفضيلَ جرير عليّ ومنعَكِ إيّاي أن أُنْشِدَكِ شيئاً من شعري ، وبي ما قد عِيلَ منه صبري ، وهذه المَنايا تَغدُو وتَرُوح ، ولعلّي لا أُفارق المدينةَ حتى أَموتَ ؛ فإذا أنا مِتُّ فمُرِي بي أن أُدْرَج في كَفَني وأُدْفَنَ في حِرِ هذه (يَعْني الجاريةَ التي أعجبتْه) . فضحكتْ سكينة وأمرتْ له بالجارية ، فخرج بها آخذاً برَيْطَتِها[1] ؛ وأمرتْ الجواريَ فدَفَعْن في أَقْفِيتهما ، ونادتْه . يا فرزدقُ احتفظ بها وأَحْسِن صحبتَها فإنّي آثرتُك بها على نفسي .

[حضر أعرابي مائدة عبد الملك بن مروان ووصف له طعاماً أشهى من طعامه]

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدَّثني أبو عِمْرانَ بنُ عبد الملك بن عُمَير عن أبيه ، وحدّثنيه عَوانَةُ أيضاً قالا : صنع عبدُ الملك بن مروان طعاماً فأكْثر وأطاب ودعا إليه الناسَ فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيبَ هذا الطعامَ ! ما نرى أنّ أحداً رأى أكثَر منه ولا أكل أطيَبَ منه . فقال أعرابيّ من ناحية القوم : أمّا أكثرُ فلا ، وأمّا أطيبُ فقد واللهِ أكلتُ أطيبَ منه ، فطفِقوا يضحكون من قوله . فأشار إليه عبد الملك فأُدْنِيَ منه ؛ فقال : ما أنت بمُحِقٍّ فيما تقول إلاّ أن تُخبرني بما يَبِينُ به صدقُك . فقال : نعمْ يا أميرَ المؤمنين ؛ بَيْنا أنا بهَجَر في بَرْثٍ[2] أحمر في أقْصَى حَجر[3] ، إذ تُوُفّي أبي وترك كَلاًّ[4] وعِيالاً ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظُر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أخْفافُ الرِّباع[5] لم يُرَ تمرٌ قطُّ أغلظُ ولا أصلبُ ولا أصغرُ نَوىً ولا أحْلى حلوةً منه . وكانت تَطْرُقها أتانٌ وَحشيّةٌ قد أَلِفتْها تأوي الليلَ تحتها ، فكانت تُثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتَعْطُو[6] بفِيها فلا تترك فيها إلاّ النَّبِيذَ[7] والمتفرّقَ ؛ فأعظَمَني ذلك ووقَع منّي كلَّ موقع ، فانطلقتُ بقوسي وأسهُمي وأنا أظنّ أنّي أرجع من ساعتي ؛ فمكثتُ يوماً وليلةً لا أراها ، حتى إذا كان السَّحَرُ أقبلتْ ، فتهيّأتُ لها فرشَقْتُها فأصبتُها وأجْهزتُ عليها ، ثم عَمَدْتُ إلى سُرَّتها فاقْتَدَدْتُها ، ثم عمَدْتُ إلى حطب جَزْل فجمعتُه إلى رَضْفٍ[8] وعَمدْتُ إلى زَنْدِي فقدَحْتُ وأضرمتُ النارَ في ذلك الحطب ، وألقيتُ سُرَّتَها فيه ؛ وأدركني نومُ الشَّباب فلم يُوقِظْني إلاّ حَرُّ الشمس في ظهري ؛ فانطلقتُ إليها

1 الريطة : الملاءة .

2 في ل : ترب .

3 أي في أبعد ناحية .

4 الكلّ : الثقل .

5 الرباع : جمع رُبَع وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أوّل النتاج .

6 تعطو : تتناول .

7 النبيذ : المنبوذ .

8 الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

فكشفتُها وألقيتُ ما عليها من قَذىً وسواد ورَماد ، ثم قلبتُ [منها] مثلَ المُلاءة البَيْضاء ، فألقيتُ عليها من رُطَبِ تلك النخلةِ المُجَزّعةَ[1] والمُنَصِّفةَ ، فسمعتُ لها أَطِيطاً[2] كتَداعي عامرٍ وغَطَفانَ ، ثم أقبلتُ أتناول الشَّحْمة واللحمةَ فأَضعُها بين التمرتين وأَهْوي إلى فَمي ، فبما أحلِف إنّي ما أكلتُ طعاماً مثلَه قَطُّ . فقال له عبد الملك : لقد أكلتَ طعاماً طيِّباً ، فمَن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتْني عَنْعنةُ تَميمٍ وأَسَدٍ وكَشْكَشة رَبيعةَ وحُوشيُّ أهلِ اليمن وإن كنتُ منهم . فقال : من أيِّهم أنت ؟ قال : من أخوالِك من عُذْرةَ . قال : أولئك فصحاءُ الناس ؛ فهل لك علمٌ بالشعر ؟ قال : سلْني عمّا بدا لكَ يا أمير المؤمنين . قال : أيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح ؟ قال : قول جرير : [من البسيط]

ألستم خيرَ مَــنْ ركِب المطايا وأَنْدَى العالمــين بطــونَ راحِ

قال : وكان جرير في القوم ، فرفع رأسَه وتَطاول لها . ثم قال : فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر ؟ قال : قولُ جرير : [من الوافر]

إذا غضبتْ عليك بنــو تَميم حسبتَ الناسَ كلَّهــمُ غِضَابا

قال : فتحرّك [لها جريرٌ] . ثم قال له : فأيُّ بيتٍ أَهْجى ؟ قال : قولُ جرير : [من الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّــك من نُمَيرٍ فــلا كَعْبــاً بلغتَ ولا كِلابا

قال : فاستَشْرَف لها جريرٌ . قال : فأيُّ بيتٍ أَغْزَل ؟ قال : قول جرير : [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ قَتَلْننا ثــم لم يُحْيِــين قَتْلانــا

قال : فاهتزَّ جريرٌ وطرِب ، ثم قال له : فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أحسنُ تشبيهاً ؟ قال : قولُ جرير : [من الطويل]

سَرَى نحوَهم ليلٌ كأنّ نجومَه قَنادِيــلُ فيهنّ الذُّبــالَ المفتَّلُ

فقال جرير : جائزتي للعِذْريّ يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلُها من بيت المال ، ولكَ جائزتك يا جرير لا تُنْتَقَصُ منها شيئاً . وكانت جائزةُ جريرٍ أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الحُمْلان والكُسْوة . فخرَج العُذْرِيّ وفي يده اليمنى ثَمانيـة آلاف درهم وفي اليسرى رِزْمةُ ثياب .

---

1 جزع البسر : بلغ الإرطاب نصفه ، وقيل : بلغ الإرطاب من أسفله إلى نصفه وقيل : إلى ثلثيه وقيل : بلغ بعضه من غير أن يحد .

2 أطيط كلّ شيء : صوته .

[تفضيل عبيدة بن هلال لجرير على الفرزدق]

أخبرنا هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا المَدائنيّ عن أبي عبد الرحمن[1] عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال : بَيْنا المهلَّبُ ذاتَ يوم [أو ليلةٍ] بفارسَ وهو يقاتل الأزارِقةَ إذ سمع في عسكره جَلَبَةً وصياحاً ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : جماعةٌ من العرب تَحاكموا إليكَ في شيء . فأذِن لهم فقالوا : إنّا اختلفنا في جرير والفرزدق ؛ فكلّ فريق منّا يزعمُ أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر ، وقد رَضِينا بحكم الأمير . فقال : كأنّكم أردتم [أن] تُعرِّضُوني لهذين الكلبين فيمزّقا جِلْدتي ! لا أحكمُ بينهما ، ولكنّي أدلُّكم على مَن يَهُون عليه سِبالُ جرير وسِبالُ[2] الفرزدق ، عليكم بالأزارقة ، فإنّهم قومٌ عربٌ يُبْصِرُون بالشعر ويقولون فيه بالحقّ . فلمّا كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هِلال اليَشْكُريّ ودعا إلى المبارزةِ ، فخرج إليه رجل من عسكر المهلَّب كان لقَطَرِيٍّ صديقاً ؛ فقال له : يا عُبيدة ، سألتُك اللهَ إلاّ أخبرتَني عن شيء أسألُك عنه . قال : سَلْ . قال : أوَ تُخْبِرُني ؟ قال : نعم إن كنتُ أعلمه . قال : أجريرٌ أشعرُ أم الفرزدقُ ؟ قال : قبحك الله ؛ أتركتَ القرآنَ والفقه وسألتَني عن الشعر ! قال : إنّا تشاجرْنا في ذلك ورَضِينا بك . فقال من الذي يقول : [من الكامل]

وطَوَى الطِّرادُ مــع القِيادِ بطونَها طَــيَّ التِّجــارِ بحَضْرَمَوتَ بُرُودا

فقال : جرير . قال : هذا أشعرُ الرجلَيْن .

[لم ينزع في شعره إلى الغزل ولا إلى الرجز]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال : قال جرير : ما عشِقتُ قَطُّ ، ولو عشقتُ لنَسَبْتُ نَسِيباً تَسْمَعه العجوز فتَبكي على ما فاتها من شبابها ، وإنّي لأري من الرَّجَزِ أمثالَ آثارِ الخيلِ في الثَّرَى ، ولولا أنّي أخاف أن يَسْتفرِغَني لأكثرتُ منه .

[جرير في ضيافة عبد العزيز بن الوليد]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ وعمّي قالا حدَّثنا ابن الأعرابيّ قال حدَّثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بَيْهَس بن صُهَيْب الجَرْميّ [عن عامر بن شِبْل الجَرْميّ] قال : قدِم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدَيْر مُرّانَ[3] ؛ فكنّا نغدو إليه بَكَراً ، فيخرج إلينا ويجلس في بُرْنُس خَزٍّ له لا يكلّمنا كلمةً حتى يجيءَ طَبّاخُ عبد العزيز إليه بقَدَحٍ من طِلاءٍ مسخَّن يَفُور ، وبكُتْلةٍ من سمن كأنّها هامةُ رجل فيَخُوضها فيه ، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه ،

1 أبو عبد الرحمن كنية الهيثم بن عديّ .
2 السِّبال : الشوارب .
3 دير مرّان : قرب دمشق .

ويُقْبِل علينا ويحدّثنا في كلّ فنّ ، ويُنشدنا لنفسه ولغيره ، حتى يحضَر غَداء عبد العزيز فنقومَ إليه جميعاً . وكان يختِم مجلسَه بالتسبيح فيُطيل . فقال له رجل : ما يُغْني عنك هذا التسبيحُ مع قَذْفك للمُحْصَنات ! فتبسّم وقال : يا ابنَ أخي ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسى اللهُ أَنْ يَتوبَ عَلَيْهِم﴾ إنّهم والله يا ابنَ أخي يَبْدَءُونِي ثم لا أَحْلُم .

[وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بني حنيفة]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن أبي سَعْد قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمَّد بن موسى قال حدَّثني الأَخْفَش عن أبي مَحْذُورةَ الوَرَّاق عن أبي مالكٍ الراويةِ قال سمعت الفرزدقَ يقول ، وأخبرني بهذا الخبر محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني إبراهيم بن محمَّد الطائفيّ قال حدَّثني محمَّد بن مَسْعَدَةَ[1] الأَخْفَش عن أبي مَحْذُورةَ الورّاق عن أبي مالك الراوية قال : سمعتُ الفرزدقَ يقول : أَبَقَ غلامان لرجلٍ منّا يقال له الخَضِرُ ، فحدَّثني قال : خرجتُ في طلبهما وأنا على ناقةٍ لي عَيْساءَ[2] كَوْماءَ[3] أُريد اليمامةَ ؛ فلمّا صِرْتُ في ماءٍ لبني حَنِيفةَ يقال له الصَّرْصَرانُ ارتفعتْ سحابةٌ فرعَدتْ وبرَقتْ وأَرْخَتْ عَزالِيَها[4] ؛ فعدَلتُ إلى بعض ديارهم وسألتُ القِرَى فأجابوا ؛ فدخلتُ داراً لهم وأَنَخْتُ الناقةَ وجلستُ تحت ظُلَّة لهم من جَريد النخل ، وفي الدار جُوَيرِيَّةٌ لهم سَوْداءُ ، إذ دخلتْ جاريةٌ كأنّها سَبيكةُ فضّة وكأنّ عينيها كوكبان دُرِّيّانِ ؛ فسألتِ الجاريةَ : لِمَن هذه العَيْساءُ ؟ (تَعْني ناقتي) فقالت : لضيفِكم هذا . فعدَلتْ إليّ فقالت : السلام عليكم ، فرددتُ عليها السلام . فقالت لي : مِمّن الرجل ؟ فقلت : من بني حَنْظَلةَ . فقالت : من أيِّهم ؟ فقلت : من بني نَهْشَل . فتبسَّمَتْ وقالت : أنت إذاً مِمّن عَناه الفرزدقُ بقوله : [من الكامل]

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بَنى لنا ... بيتاً دعائمُه أَعزُّ وأَطولُ
بيتاً بناه لنا المليكُ وما بَنى ... مَلِكُ السماءِ فإنّه لا يُنْقَلُ
بيتاً زُرارةُ مُحْتَبٍ بفِنائه ... ومُجاشِعٌ وأبو الفَوارسِ نَهْشَلُ

قال : فقلت نعم جُعِلتُ فِداكِ ؛ وأَعْجبني ما سمعتُ منها . فضحكتْ وقالت : فإنّ ابنَ الخَطَفَى قد هدَم عليكم بيتكم هذا الذي فخَرتم به حيث يقول : [من الكامل]

1 ليس من الأخافش المعروفين .
2 العيساء : التي يضرب لونها إلى الأدمة ، وقيل : هي التي يخالط بياضها شيء من الشقرة .
3 كوماء : عظيمة السنام طويلة .
4 العزالي : جمع عزلاء ، والعزلاء في الأصل : مصبّ الماء من الراوية والقربة .

أَخزى الذي رفَع السماءَ مُجاشِعاً ... وبَنى بِناءَك بالحَضيضِ الأسفلِ[1]
بيتاً يُحَمِّمُ قَيْنُكم بفِنائه ... دَنِساً مَقاعِدُه خبيثَ المَدْخَلِ[2]

قال : فوجَمْتُ . فلمّا رأتْ ذلك في وجهي قالت : لا عليكَ ؛ فإنّ الناس يُقال فيهم ويقولون . ثم قالت : أين تَؤُمُّ ؟ قلت : اليمامةَ . فتنفَّسَتِ الصُّعَداءَ ثم قالت : ها هي تلك أمامَك ؛ ثم أنشأت تقول : [من الوافر]

تُذكِّرُني بلاداً خيرُ أهلي ... بها أهلُ المروءةِ والكَرامهْ
ألا فَسقى الإلهُ أَجَشَّ صَوْباً ... يَسُحُّ بدَرِّه بلدَ اليَمامهْ
وحَيّا بالسَّلام أبا نُجَيدٍ ... فأَهلٌ للتحيّة والسلامهْ

قال : فأَنِسْتُ بها وقلت لها : أذاتُ خِدْنٍ أم ذاتُ بَعْلٍ ؟ فأَنشأتْ تقول : [من الوافر]

إذا رقَد النِّيامُ فإنّ عمراً ... تؤرِّقه الهمومُ إلى الصباحِ
تُقطِّع قلبَه الذِّكْرَى وقلبي ... فلا هو بالخَليِّ ولا بِصاحِ
سَقَى اللهُ اليمامةَ دار قوم ... بها عمرٌو يَحِنُّ إلى الرَّواحِ

فقلتُ لها : مَن عمرو هذا ؟ فأنشأتْ تقول : [من الوافر]

سألتَ ولو علمتَ كفَفْتَ عنه ... ومن لكَ بالجوابِ سِوَى الخبيرِ
فإن تَكُ ذا قَبولٍ إن عَمْراً ... هو القَمَرُ المُضيءُ المستنيرُ[3]
وما لي بالتبعُّلِ مُسْتَراحٌ ... ولو رَدّ التبعُّلُ لي أَسِيري

قال : ثم سكتتْ سكتةً كأنّها تتسمَّع إلى كلامٍ ، ثم تهافتتْ وأَنشأتْ تقول : [من الوافر]

يخيَّل لي هَيَا عمرُو بنَ كَعْبٍ ... كأنّك قد حُمِلْتَ على سريرِ
يَسير بك الهُوَيْنَى القومُ لما ... رَماك الحبُّ بالعَلَق العَسيرِ[4]
فإن تَكُ هكذا يا عَمْرُو إنّي ... مُبكِّرةٌ عليك إلى القبورِ

ثم شَهَقتْ شَهْقة فخرَّتْ ميّتةً . فقلتُ لهم : مَن هذه ؟ فقالوا : هذه عَقِيلةَ بنتُ الضحّاك بن عمرو بن مُحرِّق بن النُّعْمان بن المُنْذِر بن ماء السماء . فقلت لهم : فمن عمرٌو هذا ؟ قالوا : ابنُ عمّها عمرو بن كعب بن محرِّق بن النعمان بن المنذر ؛ فارتحلتُ من عندهم . فلمّا دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا فإذا هو قد دُفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت .

1 رفع في الديوان : سمك 940/2 .
2 يُحمّم : يسخن .
3 في هذا البيت إقواء .
4 العَلَق : الهوى يكون للرجل في المرأة .

[قصّته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدَّثنا محمَّد بن الحَكَم ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو الهَيْثم بدر بن سعيد العَطّار قال حدَّثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لمّا استُخْلف عمرُ بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يَصِلُون إليه ؛ فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود وعليه عِمامةٌ قد أرْخى طرَفَيْها فدخل ؛ فصاح به جرير : [من البسيط]

يا أيُّها القارىءُ المُرخي عِمامتَه هذا زمانُك إنّي قد مَضى زَمَني
أبلِغ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَه أنّي لَدَى البابِ كالمَصْفودِ في قَرَنِ[1]

قال : فدخل على عمر فاستأذن له ، فأدخله عليه . وقد كان هيَّأ له شعراً ، فلمّا دخل عليه غيَّره وقال : [من البسيط]

إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أخلفَنا من الخليفةِ ما نرجو من المطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَراً كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ
أأذكر الجَهْدَ والبَلْوَى التي نزلتْ أم تكْتفي بالذي بُلِّغْتَ من خبَري
ما زِلْتُ بعدكَ في دارٍ تَعَرَّقُني قد طالَ بعدك إصعادي ومُنحدَري[2]
لا ينفَعُ الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا ولا يجود لنا بادٍ على حَضَرِ
كم بالمواسمِ من شَعْثاءَ أرْمَلةٍ ومن يَتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ
يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنّ به خَبْلاً من الجنّ أو مَسّاً من النُّشَرِ[3]
ممّن يَعُدُّك تَكْفي فَقْدَ والدِه كالفَرْخ في العُشِّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ[4]

قال : فبكى عمرُ ثم قال : يا ابنَ الخَطَفَى ، أمِنْ أبناءِ المهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم ، أم من أبناء الأنصار فيَجبَ لكَ ما يجبُ لهم ، أم من فقراء المسلمين فنأمرَ صاحبَ صدقاتِ قومِك فَيصِلَكَ بمثل ما يَصِلُ به قومَك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء ، وإنّي لَمِن أكثرِ قومي مالاً ، وأحسنِهم حالاً ، ولكنّي أسألك ما عَوَّدَتْنيه الخلفاءُ : أربعةَ آلافِ درهم وما يَتْبعها من كُسْوةٍ وحُمْلانٍ . فقال له عمر : كلُّ امرىءٍ يَلْقَى فعلَه ، وأمّا أنا فما أرى

1 أبلغ خليفتنا في الديوان : قل للخليفة إمّا 738/2 .
2 أصل معنى التعرّق أخذ ما على العظم من اللحم نهشاً بالأسنان .
3 النشر : جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض .
4 ينهض في الديوان : يدرج 415/1 .

لك في مال حقّاً ، ولكن انتظرْ ، يَخرُجُ عَطائي ، فأنظرُ ما يَكْفي عيالي سنةً منه فأدَّخِرُه لهم ، ثم إن فضَل فَضْلٌ صرَفناه إليك . فقال جرير : لا ، بل يوفَّر أميرُ المؤمنين ويُحمَد وأخرُج راضياً ؛ قال : فذلك أحبُّ إليّ ؛ فخرج . فلمّا ولّى قال عمر : إنّ شَرّ هذا ليُتّقى ، رُدّوه إليّ ، فردّوه . فقال : إنّ عندي أربعين ديناراً وخِلْعتين إذا غُسِلتْ إحداهما لبِستُ الأخرى ، وأنا مُقاسِمُك ذلك ، على أنّ الله جَلّ وعزّ يعلم أنّ عمر أحْوجُ إلى ذلك منك . فقال له : قد وَفَّرك الله يا أمير المؤمنين وأنا واللهِ راضٍ . قال : أمّا وقد حلَفْتَ فإن ما وَفَّرْتَه عليّ ولم تضيِّق به معيشتَنا آثرُ في نفسي من المدح ، فامْضِ مُصاحَبا ؛ فخرج . فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ : ما صَنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرةَ ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراءَ ويُباعِدُ الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ ؛ ثم وضع رِجْلَه في غَرْزِ راحلتِه وأتى قومَه . فقالوا له : ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حَزْرة ؟ فقال : [من الطويل]

تركتُ لكم بالشام حَبْلَ جماعةٍ أمِينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ العَقْدِ باقيا
وجدتُ رُقى الشيطانِ لا تستفِزُّه وقد كان شيطاني من الجنّ راقيا

هذه رواية عمر بن شبّة . وأمّا اليَزيديّ فإنّه قال في خبره : فقال له جريرٌ يا أميرَ المؤمنين ، فإنّي ابنُ سَبيل . قال : لك ما لأبناء السبيل ، زادُكَ ونفعةٌ تبلِّغكَ وتُبدِّل راحلتَك إن لم تحملْك . فألَحَّ عليه ؛ فقالت له بنو أميّة : يا أبا حَزْرَة ، مَهْلاً عن أمير المؤمنين ، ونحن نُرْضِيكَ من أموالنا عنه ، فخرج . وجَمعتْ له بنو أميّة مالاً عظيماً ؛ فما خرج من عند خليفةٍ بأكثر ممّا خرج من عند عمر .

[رؤيا أمّه وهي حامل به]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة قال : رأتْ أمُّ جَريرٍ وهي حاملٌ به كأنّها ولدتْ حَبْلاً من شَعَرٍ أسود ، فلمّا سقَط منها جعَل يَنْزُو فيقع في عُنُقِ هذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ ، فانتبهتْ فَزِعةً فأوّلتِ الرُّؤيا فقيل لها : تَلِدينَ غلاماً شاعراً ذا شَرٍّ وشدّةِ شَكيمة وبلاءٍ على الناس . فلمّا ولدتْه سمّتْه جَريراً باسم الحبل الذي رأت أنّه خرج منها . قال : والجرير : الحبل .

[قال إنّه أشعر الناس لأنّه فاخر بأبيه وهو دنيء]

قال إسحاق وقال الأصمعيّ حدَّثني بِلال بن جرير ، أو حُدِّثتُ عنه : أنّ رجلاً قال لجرير : مَن أشعرُ الناس ؟ قال له : قُمْ حتى أعرِّفكَ الجواب ؛ فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيّةَ وقد أخذ عنْزاً له فاعتقلها وجعل يَمَصُّ ضَرْعَها ، فصاح به : اخرجْ يا أبتِ ؛ فخرج شيخٌ دَميمٌ رَثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العَنْز على لِحْيته ؛ فقال : ألا ترى هذا ؟ قال نعم . قال : أوَ

تعرفه ؟ قال لا . قال : هذا أبي ، أفتَدْري لِمَ كان يشرب من ضَرْع العَنْز ؟ قلت لا . قال : مَخافةَ أن يُسمع صوتُ الحَلْب فيُطلبَ منه لبن . ثم قال : أشعرُ الناس مَنْ فاخَر بمثلِ هذا الأَبِ ثمانينَ شاعراً وقارَعهم به فغلبَهم جميعاً .

[إخوته]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني عبد الله بن محمَّد بن موسى مولى بني هاشم قال حدَّثني عُمارة بن عُقَيل عن المُغِيرة بن حَجْناءَ عن أَبيه قال : وُلد جريرٌ لسبعةِ أَشهر ؛ فكان الفرزدقُ يعيِّره ذلك ، وفيه يقول : [من الطويل]

وأنــت ابنُ صُغْرى لم تَتمَّ شهورُها

قال وولَد عطيّةُ جريراً ، وأُمّه أُمُّ قَيْس بنتُ مُعيد من بني كُلَيب ، وعَمْراً وأَبا الوَرْد . فأَمّا أَبـو الورد فكان يحسُد جريـراً ؛ فذهبتْ لجرير إبـلٌ فشَمِتَ بـه أَبو الورد فقال له جريرٌ : [من الطويل]

أبا الورْدِ أَبْقَى اللهُ منهـا بَقِيَّةً كَفَتْ كلَّ لَوّامٍ خَذولٍ وحاسِدِ

وأَمّا عمرٌو فكان أَكبَر من جرير ، وكان يُقارِضُه الشعر . فقال له جريرٌ : [من الوافر]

وعمرو قد كرِهتُ عتابَ عمرٍو وقــد كثُـر المَعاتِبُ والذُّنوبُ
وقد صَدّعتُ صخرةَ مَنْ رماكم وقد يُرْمَى بـيَ الحجرُ الصَّليبُ
وقـد قطَع الحديدَ فلا تُماروُا فِرِنْــدٌ لا يُفَــلّ ولا يَــذُوبُ

[شعر قاله ليزيد بن معاوية يعاتب به أباه]

قال : وأَوّل شعر قاله جرير في زمن معاوية ، قاله لابنه : [من الطويل]

فــرُدِّي جِمالَ البَينِ ثم تَحَمَّلي فَما لكِ فيهـم من مُقامٍ ولا لِيا
لقد قــادَني الجِيرانُ يوماً وقُدْتُهم وفارقتُ حتّى ما تَصُبُّ جِمَاليا[1]
وإنِّــي لمغــرورٌ أُعلَّــلُ بالمُنَــى ليــاليَ أَرجــو أن مالــكَ ماليا
بــأيّ سِنانٍ تَطْعُــنُ القَــرْمَ بعدَما نَزَعْتَ سِنانــاً مــن قَناتِك ماضيا
بأيّ نِجادٍ تحمِـل السيفَ بعدَما قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا

قال : وكان يزيد بن معاوية عاتَب أَباه بهذه الأَبيات ونسَبها إلى نفسه ؛ لأنّ جريراً لم يكن شعرُه شُهر حينئذٍ ؛ فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستُؤْذِن له مع الشعراء ، فأَمَر يزيدُ أَلّا يدخلَ

1 يقال : صبّ في الوادي إذا انحدر .

عليه شاعر إلاّ مَن عَرَف شعرَه ؛ فقال جرير : قولوا له : أنا القائل : [من الطويل]

فـرُدِّي جِمالَ الحـيِّ ثـم تَحَمَّلي   فما لكِ فيهـم من مُقامٍ ولا لِيا

فأمر بإدخاله . فلمّا أنْشده قال يَزيد : لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلاّ أنّي قائلها ، وأمَر له بجائزة وكُسْوة .

[استعار من أبيه فحلاً ولمّا استردّه منه عرّض به]

أخبرني أبو الحسن الأسَدِيّ قال حدَّثنا محمَّد بن صالح بن النطّاح قال قال أبو عُبيدة قال أبو عمرو : استعار جرير من أبيه فحلاً يُطرِقه في إبلِه ، فلمّا استغنَى عنه جاءه أبوه في بَتٍّ[1] خَلَقٍ يَستردُّه ؛ فدفَعَه إليه وقال : يا أبتِ ، هذا «تُرَدّ إلى عطيّةَ تُعْتَلُ» . يعرِّض بقول الفرزدق فيه : [من الكامل]

ليسَ الكِــرامُ بناحِلِيكَ أباهمُ   حتى تُـرَدَّ إلى عَطِيّــةَ تُعْتَلُ[2]

[اتّعاظه بجنازة مرّت عليه]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ وعمر بن شَبّة قالا حدَّثنا الأصمعيّ قال أخبرنا أبو عَمْرو بن العلاء قال : جلس جرير يُملي على رجل قوله : [من الكامل]

وَدِّعْ أُمامةَ حـانَ منكَ رحيلُ   إنّ الوَداعَ لِمَن تحبّ قليـلُ[3]

فمرّوا عليه بجنازة ؛ فقطع الإنشادَ وجعل يَبْكي ، ثم قال : شيّبتني هذه الجنازة . قال أبو عمرو : فقلت له : فَعَلامَ تَقْذِف المُحْصَناتِ منذ كذا وكذا ؟ فقال : إنّهم يَبْدءونَني ثم لا أعْفو .

[قيل إنّه فضل لمقاومته الفرزدق]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا يزيد بن محمَّد المهلّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن المُعَذّل قال : كان أبي وجماعةٌ من علمائنا يقولون : إنّما فُضِّل جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ ، وأفضل شعرٍ قاله جرير : [من البسيط]

حَـيِّ الهِدَمْلَـةَ مـن ذات المَواعِيسِ[4]

1 البتّ : كساء غليظ مهلهل مربّع أخضر ، قيل : هو من وبر وصوف .
2 تعتل : تساق قسراً .
3 لمن تحب في الديوان : إلى الحبيب 91/1 .
4 الهدملة : موضع بعينه . والمواعيس : موضع .

[هجا بني الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد في مسجدهم]

أخبرني أبو خليفة قال حدَّثنا محمّد بن سَلاّم قال حدّثنا أبو الغَرّاف قال : أتى الفرزدقُ مجلسَ بني الهُجيم[1] في مسجدهم فأنشدهم ؛ وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغدِ ليُنْشِدَهم كما أنْشدهم الفرزدق . فقال له شيخ منهم : يا هذا اتّقِ الله ! فإنّ هذا المسجد إنّما بُني لذكرِ الله والصلاة . فقال جرير : أقررتُم للفرزدق ومنعتموني ؟ وخرج مُغْضَباً وهو يقول : [من الكامل]

إنّ الهُجَيْمَ قبيلةٌ ملعونةٌ حُصُّ اللِّحَى متشابهو الألوانِ[2]
هم يتركون بَنِيهمُ وبناتهم صُعْرَ الأُنوفِ لريح كلِّ دُخَانِ[3]
لو يَسمعون بأكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمانَ أصبح جَمْعُهم بعُمَانِ

قال : وخفّة اللِّحَى في بني هُجَيم ظاهرة . وقيل لرجل منهم : ما بالكم يا بني الهُجَيم حُصَّ اللحى ؟ قال : إنّ الفحل واحد .

[حديثه مع عبد الملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه]

أخبرني محمَّد بن عِمْرانَ الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن آدم قال سمعتُ عُمارةَ بن عُقَيل يحدِّث عن أبيه عن جدّه قال : قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير : مَنْ أشعر الناسِ ؟ قال فقال : ابنُ العِشْرين[4] . قال : فما رأيك في ابْنَيْ[5] أبي سُلْمَى ؟ قال : كان شعرهما نيِّرا يا أمير المؤمنين . قال : فما تقول في امرىء القيس ؟ قال : اتّخذ[6] الخبيثُ الشعر نَعْلين ، وأقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذَلاذِلَه[7] . قال : فما تقول في ذي الرُّمّة ؟ قال : قَدَر من ظريفِ الشعر وغريبه وحَسَنِه [على] ما لم يقدِر عليه أحد . قال : فما تقول في الأَخْطَل ؟ قال : ما أخرج لسانُ ابنِ النَّصْرانيّة ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قال : في يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعةٌ من الشعر قد قَبَض عليها . قال : فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً ! قال : بلى واللهِ يا أمير المؤمنين ! إنّي لَمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود ،

1 بنو الهجيم : بطنان من العرب .
2 ملعونة في الديوان : مخسوسة 439/1 . حص : جمع أحصى وأحصى اللحية : قليل شعرها . وفي الديوان : ثط 91/1 .
3 هم يتركون في الديوان : متورّكين 439/1 .
4 ابن العشرين : يعني طرفة بن العبد .
5 يعني زهيراً وابنه كعباً .
6 في ل : جعل امروٌ القيس .
7 ذلاذل القميص : ما يلي الأرض من أسافله .

نسبتُ فأطربتُ ، وهجوتُ فأرديتُ ، ومدحتُ فسنَّيت[1] ، وأَرْملتُ فأَغْزرت ، ورجَزتُ فأَبْحرت ؛ فأَنا قلت ضروبَ الشعر كلَّها ، وكلٌّ واحد منهم قال نوعاً منها . قال : صدقتَ .

[طلبت جارية له أن يبيعها فعيره الفرزدق ذلك]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال : كانت لجرير أَمَةٌ وكان بها معجَباً ، فاستخفَّتِ المَطْعَم والمَلْبس والغِشْيانَ واستقلَّتْ ما عنده ، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد ، أَهلُ خِصْب ونَعْمة ، فسامتْه أَن يبيعها وأَلَحَّتْ[2] في ذلك ؛ فقال فيها : [من الوافر]

تكلِّفُنــــي معيشةَ آلِ زيـــدٍ ومَــنْ لي بالمُرَقَّــقِ والصِّنابِ[3]
تقــول أَلا تَضُمّ كضَمِّ زيــدٍ وما ضَمِّي وليس معي شَبَابِي

فقال الفرزدق يعيِّره ذلك : [من الوافر]

فإن تُفقِــرْك عِلْجةُ آلِ زيــدٍ ويُعْجِزْك المرقَّــقُ والصِّنابُ[4]
فقِدْمــاً كان عيشُ أَبيك مُــرّاً يَعيشُ بما تعيشُ بــه الكلابُ

[قصّته مع ذي الرمّة عند المهاجر بن عبد الله]

أَخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا العبّاس بن مَيْمون قال حدَّثنا التَّوَّزيّ عن أَبي عُبيدة عن أَيُّوب بن كُسَيب قال : دخل جرير على المهاجِر بن عبد الله وهو والي اليَمامة وعنده ذو الرُّمَّة يُنْشِده . فقال المهاجِر بن عبد الله لجرير : كيف تَرى ؟ قال : لقد قال وما أَنْعم . فغضب ذو الرُّمَّة ونَهض وهو يقول : [من الرجز]

أَنا أَبو الحارثِ واسْمي غَيْلانْ

فنَهض جرير وقال : [من الرجز]

إنّي امــرؤٌ خُلِقتُ شَكْساً أَشْوَسا إن تَضْرِساني تَضْرِسا مُضَرَّسا[5]

---

1 سنّى الشيء : سهّله وفتحه .
2 في ل : ولجت .
3 المرقّق : الأرغفة الواسعة الرقيقة . وفي الديوان بالصلائق 812/2 . والصناب : أدم يتّخذ من الخردل والزبيب .
4 ويعجزك في ل : ويعوزك .
5 الشكس : الصعب الخلق : والأشوس : الجريء القتال الشديد والمتكبّر . وضرسه : عضّه وعجمه ليختبره . وثمّة اختلاف بين في رواية هذا الرجز في الديوان 564/2 .

قــد لبِس الدَّهـرَ وأَبْقى مَلْبَسا من شاء من نـارِ الجحيم اقتَبَسا

قال : فجَلس ذو الرُّمَّة وحاد عنه فلم يُجِبْه .

أَخبرني أَبو الحَسَن الأَسَدِيّ قال حدَّثنا ابن النَّطَّاح عن أَبي عُبَيدة قال : كان ذو الرُّمَّة ممّن أَعان على جرير ولم يُصْحِرْ[1] له ؛ فقال جرير فيه : [من الوافر]

أَقولُ نَصاحةً لبَنِـي عَدِيٍّ ثيابَكُـمُ ونَضْحَ دمِ القَتِيلِ

وهي قصيدة . قال : وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصْحِرُون له .

[حديثه مع ذي الرمّة وهشام المرئيّ]

أَخبرنا أَبو خليفةَ الفَضْلِ بن الحُباب قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أَبو الغَرّاف قال : قال الفرزدق لذي الرُّمَّة : أَلْهاكَ البكاءُ في الديار وهذا العبد يَرْجُز بك (يَعْني هشاماً المَرَئِيَّ) بمَقْبرةِ بَني حِصْن . قال : وكان السبب في الهجاء بين ذي الرّمة وهشام أَن ذا الرمّة نزل بقرية لبني امرىء القيس يقال لها : مَرْأَة[2] ، فلم يَقْرُوه ولم يَعْلِفُوا له ، فارتحل وهو يقول : [من الطويل]

نزلنا وقــد طـال النهارُ وأَوْقدتْ علينـا حَصَى المِعْزاء شمسٌ تَنالُها
أَنَخْنـا فظلَّلْنـا بأَبْـرادِ يُمْنَـةٍ رِقــاقٍ وأَسيافٍ قديـمٍ صِقالُها[3]
فلمّـا رآنـا أَهـلُ مَـرْأَةَ أَغْلَقُوا مَخـادِعَ لم تُرْفَـع لخيرٍ ظِلالُها
وقد سُمِّيتْ باسم امرىء القَيْس قَرْيةٌ كِرامٌ صَوادِيهـا لئـامٌ رجالُها[4]
يَظَـلُّ الكِـرامُ المُرْمِلُونَ بجَوّها سواءٌ عليهـم حَمْلُهـا وحِيالُها[5]
ولو وُضِعتْ أَكوارُها عند بَيْهَسٍ على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّسْ رِحالُها

فقال جرير لهشام ، وكان يتَّهم ذا الرُّمَّة بهجائه التَّيْمَ وهم إِخوة عَدِيّ : عليكَ العبدَ (يعني ذا الرمّة) . قال : فما أَصنع يا أَبا حَزْرة وهو يقول القَصيدَ وأَنا أَقول الرَّجَزْ ، والرجز لا يقوم للقصيد ؟ فلو رَفَدْتَني ! قال : قل له : [من الطويل]

عَجِبتَ لِرَحْلٍ من عَدِيٍّ مُشَمَّسٍ وفي أَيِّ يـومٍ لم تُشَمَّسْ رحالُها[6]

1 لم يصحر له : لم يبرز له ، من قولهم : أَصحر الرجل إذا برز إلى الصحراء .
2 مرأة : قرية بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم وهي باليمامة .
3 اليمنة : ضرب من برود اليمن .
4 الصّوادي : النخل التي لا تُسقى وإنّما تشرب بعروقها ، الواحدة صادية .
5 أرملَ القوم : فني زادهم .
6 في الديوان اختلاف بيّن 1034/2 .

وفِيمَ عَدِيٌّ عنـد تَيْم مـن العُلاَ ... وأيّامِنــا اللاّتـــي يُعَــدّ فَعالُها
مدَدْتَ بكفٍّ من عـديٍّ قصيرةٍ ... لِتُدْرِكَ مـن زيد يـداً لا تنالُها
وضَبّةُ عَمِّي يا ابنَ جَلٍّ فلا تَرُمْ ... مساعيَ قومٍ ليس منك سِجالُها[1]
يُماشي عَدِيّـاً لؤمُهــا مـا تُجنّه ... من الناس ما ماشَتْ عَدِيّاً ظِلالُها
فقــل لعَـدِيٍّ تَستعِـنْ بنسائهـا ... عليَّ فقـد أعْيَـا عَدِيّـاً رجالُها
إذا الرُّمِّ قــد قَلَّدتُ قومَك رُمَّةً ... بطيئاً بأيــدي المُطلِقـين انحلالُها
تَرَى اللُّؤم ما عاشتْ عديٌّ مُخلَّداً ... سَرابيلُهــــا منــه ومنــه نِعالُها

قال : فلَجَّ الهجاءُ بين ذي الرمّة وهشام . فلما أنْشد المَرَئِيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرّمّة قال : كذبَ العَبدُ السَّوْءُ ؛ ليس هذا الكلام له ، هذا كلامٌ نَجْدِيٌّ حَنْظَلِيّ ، هذا كلام ابنِ الأتان[2] . قال : ولم يزل ذو الرمّة مستعلياً على هشام حتى لقيه جرير فرفَده هذه الأبياتَ .

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدْنانَ قال حدَّثني أبو صَخْر من ولد حَجْناءَ بنِ نُوح بن جرير قال : سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال : أتى هشامُ بن قيس المَرَئِيّ أبي (يعني جريراً) فاسترفَده على ذي الرمّة ، وقد كانا تهاجَيا دهراً ، وكان سبب ذلك أنّ ذا الرُّمّة نزل على أهل قرية لبني امرىء القيس فلم يُدْخِلوا رحله ، فذمَّهـم في القِرَى ، ومـدح بَيْهَساً صاحبَ ذات غِسْل ، وهو مَرَئيّ . وذات غِسْل : قرية لـه . فقال ذو الرُّمَّة : [من الطويل]

ولّمـا وردْنا مَرْأَةَ اللُّؤمِ أُغلِقتْ ... دَساكِــرُ لم تُفْتَحْ لخيرٍ ظِلالُها
ولـــو عُرِّيتْ أَصلابُها عند بَيْهَسٍ ... على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّس رِحالُها[3]
إذا ما امرؤ القيس ابنُ لؤمٍ تَطَعَّمتْ ... بكأسِ الندامَـى خَبَّثْهـا سِبالُها

فقال جرير للمَرَئيّ : قل له : [من الطويل]

غَضِبتَ لرَحْلٍ من عديٍّ مُشَمَّسٍ ... وفي أيِّ يـومٍ لم تُشمَّس رحالُها

وذكر الأبياتَ الماضية المذكورة في رواية أبي خَليفة . قال : فلقي ذو الرُّمّة جريراً فقال له : تعصّبتَ للمَرَئِيّ وأنا خالُك ! . قال : حين قلتُ ماذا ؟ قال : حين قلتَ له أن يقولَ

1 هو جلّ بن عدي بن مضر رهط ذي الرمّة العدويّ .
2 ابن الأتان : لقب كان ينبز به جرير .
3 الأصلاب : جمع صلب وهو عظم من لدن الكاهل إلى العجب .

لي : [من الطويل]

عجبتَ لرَحْلٍ من عَدِيٍّ مشمَّسٍ

فقال له جرير : لا ! بل أَلْهاك البكاءُ في دارمَيّة حتى أُبيحت مَحارمُك . قال : وكان قد بلغ جريراً مِيلُ ذي الرُّمّة عليه ، فجعل يعتذر إليه ويحلِف له . فقال له جرير : اذهب الآن فقُل للمَرَئيّ : [من الوافر]

يَعُدّ الناسبون إلى تَميم بيوتَ المجدِ أربعةً كِبارا
يَعُدُّون الرِّبابَ وآلَ سَعْدٍ وعَمْراً ثم حَنْظلةَ الخِيارا
ويَهْلِكُ بينها المَرَئيُّ لَغْواً كما أُلغيتَ في الديَّةِ الحُوَارا[1]

فقال ذو الرمّة قصيدتَه التي أوّلها : [من الوافر]

نَبَتْ عيناكَ عن طَلَلٍ بحُزْوَى عَفَتْهُ الرِّيحُ وامتُنِحَ القِطارا[2]

وأَلحقَ فيها هذه الأبياتَ . فلمّا أُنشدها وسمعها المَرَئيّ جعل يلطِم رأسَه ووجهه ويدعو بوَيْلِه وحَرَبه ويقول : ما لي ولجَرير ؟ فقيل له : وأين جريرٌ منك ؟ هذا رجل يُهاجيك وتُهاجِيه ؛ فقال : هيهاتَ ؛ لا واللهِ ما يُحْسِن ذو الرُّمَّة أن يقول : [من الوافر]

ويذهَب بينها المَرَئيُّ لَغْواً كما أُلغيتَ في الدِّيَّة الحُوارا

هذا والله كلام جرير ما تعدّاه قطّ . قال : ومرَّ الفرزدق بذي الرُّمّة وهو يُنشد هذه القصيدة ؛ فلمّا أَنْشد الأبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق : أَعِدْ يا غَيْلان ، فأَعاد ؛ فقال له : أأَنت تقول هذا ؟ قال : نعم يا أَبا فِراس . قال : كذَب فُوكَ ! والله لقد نَحَلَكَها أَشدُّ لَحْيَيْنِ منك ، هذا شعر ابن الأَتان . قال : وجاء المَرَئيُّون إلى جرير فقالوا : يا أَبا حَزْرة ، قد استعلى علينا ذو الرمّة ، فأَعنّا على عادتك الجميلة . فقال : هيهات ؛ قد والله ظلمتُ خالي لكم مرّةً وجاءني فاعتذر وحلَف ، وما كنتُ لأُعِينكم عليه بعدها . قال : ومات ذو الرُّمّة في تلك الأيّام .

[أقرّ له نصيب بالسبق عليه وعلى جميل]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثني الكراني قال حدَّثني العُمَريّ عن لَقِيط قال حدَّثني أَبو بكر بن نَوْفَل قال حدَّثني مَن سأل النُّصَيْبَ قال : قلت له : يا أَبا مِحْجَن ، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ ، فأُحِبّ أن تخبرني أيُّكم فيه أَشعرُ ؟ قال : وما هو ؟ قلتُ قولُك : [من الطويل]

1 الحوار : ولد الناقة ، وقيل : هو الفصيل أوّل ما ينتج .
2 حزوى : موضع في ديار تميم .

أضَرَّ بهـا التهجيرُ حتى كأنّها أكَبّ عليهـا جـازِرٌ مُتَعَرِّقُ

وقال جميل : [من الطويل]

أضَرَّ بها التهجيرُ حتـى كأنّـها بقايا سُلاَلٍ لم يَدَعْها سُلالُها[1]

وقال جرير : [من الوافر]

إذا بلغـوا المنـازلَ لم تُقَيَّـدْ وفي طُـول الكَلالِ لهـا قيودُ

فقال نُصَيْب : قاتل الله ابنَ الخَطَفَى ما أشعرَه ! . قال . فقال له الرجل : أمّا أنتَ فقد فضلتَه ؛ فقال : هو ما أقول لك .

[قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عبد الرحمن ابن القاسم العِجْليّ قال حدَّثني الحسن بن عليّ المِنْقَرِيّ قال قال مسعود بن بِشْر : قلت لابن مُناذِر بمكّة : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : من إذا شئت لَعِب ، وإذا شئتَ جَدّ ؛ فإذا لعب أطمعك لَعِبُه فيه ، وإذا رُمْتَه بَعُد عليك ؛ وإذا جدَّ فيما قصَد له أيأسَك من نفسه . قلتُ : مثلُ مَنْ ؟ قال : مثل جرير حين يقول إذا لَعِب : [من الكامل]

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غادروا وَشَلاً بعينكَ ما يـزالُ مَعينا

ثم قال حين جَدّ : [من الكامل]

إنّ الذي حَـرَم المكارِم تَغْلِباً جعـل الخلافـةَ والنبـوّةَ فينا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوكِ فهل لكم يـا آلَ تَغْلِبَ من أبٍ كأبينا[2]
هذا ابنُ عمِّي في دِمَشْقَ خليفةً لـو شئـتُ ساقكُم إليَّ قَطينا[3]

[اعترض عليه عبد الملك بن مروان في هذا الشعر]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثني الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال : لمّا بلغ عبدَ الملك قولُ جرير : [من الكامل]

هذا ابن عمِّي في دمشق خليفةً لـو شئتُ ساقكُم إليّ قَطينا

قال : ما زاد ابنُ المراغة على أن جعلني شُرْطيّاً ! أما لَوْ أنّه قال :

لـو شاء ساقكُم إليّ قطينا

لسقتُهم إليه كما قال .

1 السلال : مثل السل ، وهو داء معروف .
2 يا آل في ل : خزر . وفي الديوان 388/1 .
3 القطين : الخدم والحشم .

[فضّله بشّار على الأخطل وعلى الفرزدق]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاَّم قال : سألت بَشّاراً العُقَيْليّ عن الثلاثة فقال : لم يكن الأخطلُ مثلَهما ، ولكنّ رَبِيعةَ تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه . قلت : فجريرٌ والفرزدقُ ؟ قال : كان جريرٌ يُحْسِن ضروباً من الشعر لا يُحسنها الفرزدق ، وفضَّل جريراً عليه .

[مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق]

وقال ابن سَلاّم : قال العَلاء بن جَرير ، وكان قد أدرك الناسَ وسمع : كان يقال : الأخطلُ إذا لم يَجِيءْ سابقاً فهو سُكَّيْت ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً فهو بمنزلة المصلِّي أبداً ، وجرير يجيء سابقاً ومصلّياً وسُكَّيتاً . قال ابن سَلاّم : وتأويل قوله : إنّ للأخْطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طِوالاً روائعَ غُرَراً جِياداً هو بهنّ سابق ، وسائرُ شعره دون أشعارهما ، فهو فيما بقي بمنزلة السُّكَّيت ، والسكّيت : آخر الخيل في الرِّهان ، والفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقَه في بقيّة شعره ، فهو كالمصلِّي أبداً ؛ وهو الذي يجيء بعد السابق وقبل السكّيت . وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق ، وأوساطٌ هو بهنّ مصلٍّ ، وسَفسَافاتٌ هو بهنّ سُكَّيت .

[مناقضة بينه وبين الفرزدق]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثني محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني حاجِب بن زيد بن شَيْبان بن عَلْقَمة بن زُرارة قال : قال جرير بالكوفة : [من الطويل]

لقد قادَني من حُبِّ ماوِيَّةَ الهَوَى ... وما كنتُ تَلْقاني الجَنِيبةُ أَقْوَدا[1]
أُحِبُّ ثَرى نَجْدٍ وبالغَوْرِ حاجةٌ ... فغارَ الهَوى يا عبدَ قَيْسٍ وأَنْجَدا
أقول له يا عبدَ قَيْسٍ صَبابةً ... بأيٍّ تَرى مستوقِد النارِ أَوْقدا
فقال أَرى ناراً يُشَبُّ وُقُودها ... بحيثُ استفاض الجِزع شِيحاً وغَرْقَدا[2]

فأعجبتِ الناسَ وتناشدوها . قال : فحدّثني جابر بن جَنْدل قال : فقال لنا جريرٌ : أعجبتْكم هذه الأبياتُ ؟ قالوا : نعم . قال : كأنّكم بابنِ القَيْن[3] وقد قال : [من الطويل]

أَعِدْ نَظَراً يا عبدَ قَيْسٍ لعلَّما ... أَضَاءتْ لكَ النارُ الحِمارَ المقيَّدا[4]

قال : فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده : [من الطويل]

1 في الديوان اختلاف 848/2 . والجنيبة : التي تجنب معه . والأقود : المنقاد المطيع .

2 الغرقد : كبار العوسج .

3 ابن القين : لقب كان ينبز به الفرزدق .

4 لعلّما في ل : فإنّما .

حمـــارٌ بمَرُّوتِ السُّحامَةِ قاربتْ وَظِيفيْه حَوْلَ البيتِ حتى تَردَّدا[1]
كُلَيْبِيَّــةٌ لم يجعــلَ اللّهُ وجهَهـــا كريماً ولم يَسْنَحْ بها الطيرُ أَسْعُدا

قال : فتناشدها الناسُ . فقال الفرزدق : كأنّكم بابنِ المَراغةِ قد قال : [من الطويل]

وما عِبْتَ مــن نارٍ أَضاء وُقُودُها فِراساً وبِسْطامَ بـــنَ قَيْسٍ مقيَّدا[2]

قال فإذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه : [من الطويل]

وأَوْقَـــدتَ بـــالسيِّدّانِ نـــاراً ذَليلةً وأُشهِدْتَ من سَوْءاتِ جِعْثِنَ مَشْهَدا[3]

[جرير والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان]

أَخبرني محمَّد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قـال حدَّثنـا الحسن بن عُلَيـل العَنزيّ قـال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن آدَم بن جُشَم عن عمارة بن عُقَيل عن أَبيه قال : وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأَخطلُ داخلٌ عنده ، وقد كانا تَهاجَيا ولم يَرَ أحدٌ منهما صاحبَه ، فلمّا استاذنوا عليه لجرير أُذِن له فدخل فسلَّم ثم جلس وقد عرفه الأَخطل ، فطمَح طَـرْفُ جريـرٍ إلى الأَخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له : مَن أَنت ؟ فقال : أَنا الذي منعتُ نومَك وتهضَّمتُ قومَك . فقال له جرير : ذلك أَشْقى لك كائناً من كنتَ . ثم أَقبل على عبد الملك بن مروان فقال : مَنْ هذا يا أَمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءَك ؛ فضحك ثم قال : هذا الأَخطلُ يا أَبا حَزْرة . فردَّ عليه بصرَه ثم قال : فلا حَيّاك الله يا ابنَ النصرانيّة ! أَمّا منعُك نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك . وأَمّا تهضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأَنت ممّن ضُربتْ عليه الذِّلّة وباء بغضبٍ من الله وأَدّى الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغِرٌ . وكيف تتهضَّم لا أُمّ لكَ قوماً فيهم النبوّة والخلافةُ وأَنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم . ثم أَقبل على عبد الملك فقال : ائذنْ لي يا أَميرَ المؤمنين في ابنِ النَّصْرانيّة ؛ فقال : لا يجوز أَن يكونَ ذلك بحَضْرتي .

[تحاكم هو وبنو حمان إلى إبراهيم بن عدي في بئر فحكم له]

أَخبرني أَبو خليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أَبو يحيى الضَّبّيّ قال : نازَع جريرٌ بَني حِمّانَ[4] في رَكِيَّةٍ لهم ؛ فصاروا إلى إبراهيم بن عربي باليَمامة يتحاكمون إليه ؛

---

1 المروت : موضع لبني حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد . والسحامة : ماءة لبني كليب باليمامة . والقينان : الوظيفان أو موضع القيد منهما .

2 يريد فراس بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير وكان أسيراً مع بسطام بن قيس بن مسعود .

3 السيدان : موضع . وأشهدت في الديوان : وعُرّفت 851/2 .

4 بنو حمان : حي من تميم أحد حي بني سعد بن زيد مناة .

فقال جرير[1] : [من الرجز]

أَعُــوذ بــالأَمير غيرِ الجَبّــارْ مــن ظُلْمِ حِمَّان وتحويـلِ الدارْ
مــا كان قبلَ حَفْرِنا من مِحْفارْ وضَرْبِـيَ المِنْقـار بعــد المِنْقارْ[2]
في جَبَــلٍ أَصــمَّ غيرِ خَــوَّارْ يَصيحُ بالجُبِّ صيــاحَ الصَّرَّارْ
لــه صَهيــلٌ كصَهيـلِ الأَمْهارْ فاسأل بني صَحْبٍ ورَهْطَ الجَرّارْ[3]
والسَّلَمِيِّـــينَ العِظــامَ الأَخْطارْ والجارُ قــد يُخْبِرُ عن دار الجارْ[4]

فقال الحِمَّانيّ : [من الرجز]

ما لِكُلَيْبٍ منْ حِمىً ولا دارْ غيرُ مُقــامِ أُتُنٍ وأَعْيـــارْ
قُعْسِ الظهورِ داميـاتِ الأَثْفارْ[5]

قال فقال جرير : فعن مُقامِهنّ ، جُعِلتُ فِدَاك ، أُجادِل . فقال ابن عربي للحِمّانيّ : قد أَقْررتَ لخَصْمك ؛ وحكم بها لجرير .

[نزل ببني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم]

قـال ابن سَلاّم وأَخبرني أَبـو يحيـى الضَّبِّيّ قـال : بينا جريرٌ يسير على راحلته إذ هجَم على أَبـياتٍ من مازِن وهِلال ، وهما بطنان من ضَبّة ، فخافهم ، لسوء أَثَرِه في ضَبّة ، فقـال : [من الوافر]

فلا خوفٌ عليكِ ولن تُراعِي بعَقْوةِ مــازِنٍ وبنــي هِلالِ[6]
همــا الحَيّانِ إن فَزِعــا يَطِيرا إلى جُــرْدٍ كأَمثـال السَّعالي
أَمازِنُ يــا ابنَ كعبٍ إنّ قلبي لكم طـولَ الحيــاةِ لغيرُ قالي
غَطارِيفٌ يَبيتُ الجــارُ فيهم قريــرَ العــينِ في أَهلٍ ومالِ

قال : أَجَلْ يا أَبا حَزْرة فلا خوف عليك .

1 في الديوان اختلاف بيّن في الأشطار 1/445–446 .
2 المنقار : حديدة يحفر بها .
3 بني صحب في ل : أبا عصم .
4 السلميون : أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
5 القعس : جمع أقعس وقعساء . والقعس : خروج الصدر ودخول الظهر خلقة . والثفر لجميع ضروب السباع ولكلّ ذات مخلب : كالحياء للناقة .
6 العقوة : ساحة الدار .

[وفد على عبد الملك في دمشق فالتفّ الناس حوله في المسجد دون الفرزدق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال قال شُعَيب بن صخر حدَّثني هارون بن إبراهيم قال : رأيت جريراً والفرزدقَ في مسجد دمشق وقد قَدِماها على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ[1] واحد على جرير : [قيس وموالي بني أُميّة] يسلّمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرة في مَسيرك ، وكيف أهلُك وأسبابُك . وما يُطِيف بالفرزدق إلاّ نَفَرٌ من خِنْدِف جلوسٌ معه . قال شُعيبٌ : فقلت لهارون : ولِمَ ذلك ؟ قال : لمدحه قَيْساً وقوله في العجم : [من الطويل]

فيجمعُنــا والغُــرَّ أولادَ سَارَةٍ أَبٌ لا نُبالي بعدَه مَــن تعذَّرا

قال شُعيب : بلغني أنّه أُهْدِيتْ له يومئذٍ مائـةُ حُـلَّة ، أَهداها إليه الموالي سوى غيرهم . وأخبرني بهذا الخبر أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم عن شُعيب بن صَخْر ، فذكر نحواً من حكاية أبي زيد ، إلاّ أنّها أتـمُّ من حكايـة ابن سَلاّم . وقال أبـو خَليفـة في خبره : سمعت عُمارة بن عُقَيل بن بِلال يقول : وافتْه في يومه ذلك مائةُ حُلّة من بني الأحرار[2] .

[رأى الأحوص في قباء فعرّض به لئلاّ يعين عليه]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أحمد بن الهَيْثم الفِراسيّ قال : بينا جريرٌ بقُباءَ إذ طلع الأحوصُ وجريرٌ يُنْشِد قولَه : [من الكامل]

لــولا الحيــاءُ لعادني استعبارُ ولــزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

فلمّا نظر إلى الأحوص قطع الشعرَ ورفع صوتَه يقول : [من الوافر]

عَـوَى الشعراءُ بعضُهمُ لبعضٍ علـيّ فقــد أصابهــمُ انتقامُ
إذا أرسلــتُ قافيــةً شَرُوداً رأوْا أُخرى تحـرِّق فاستداموا[3]
فمُصْطَلَمُ المَسامعِ أو خَصِــيٌّ وآخــرُ عظـمُ هامتِــه حُطامُ[4]

ثم عاد من حيث قطَع . فلمّا فرَغ قيل له : ولِمَ قلتَ هذا ؟ قال : قد نهيتُ الأحوصَ أن يُعِين عليّ الفرزدقَ ، فأنا والله يا بني عمرو بنَ عَوْف ما تعوّذتُ من شاعر قطُّ ، ولولا حقُّكم ما تعوّذت منه.

1 العنق : الجماعة الكثيرة .
2 بنو الأحرار : أبناء الموالي من الفرس .
3 ثمّة اختلاف كبير في الديوان 1/280–281 .
4 الاصطلام : القطع .

[أوفده الحجّاج على عبد الملك مع ابنه محمّد وأوصاه به]

أخبرنا علي بن سليمان الأَخْفش قال حدَّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال قال عُمارة بن عُقَيل حدَّثني أبي عن أبيه : أنّ الحَجّاج أوفد ابنَه محمّد بن الحجّاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسئلة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه . فلمّا وردوا استأذن له محمَّد على عبد الملك ، فلم يأذَنْ له ، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا ياذنُ لهم ، لأنّهم كانوا زُبَيْرِيّةً . فلمّا استاذن له محمَّد على عبد الملك ولم ياذَن له أعلمه أنّ أباه الحجّاج يسأله في أمره ويقول : إنّه لم يكن ممَّن والَى[1] ابنَ الزُّبَير ولا نصَره بيده ولا لسانه ، وقال له محمَّد : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ العربَ تتحدّث أنّ عبدَك وسيفَك الحَجّاجَ شفَع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلَته ثم ردَدْتَه ؛ فأذِن له فدخل فاستأذن في الإنشاد ؛ فقال له : وما عساكَ أن تقولَ فينا بعد قولك في الحجّاج ! ألستَ القائلَ : [من الكامل]

من سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عليكــم أم من يَصُول كصوْلةِ الحجاجِ

إنّ الله لم ينصرني بالحجّاج وإنّما نصر دينه وخليفته . أولستَ القائل : [من الكامل]

أم مَنْ يَغارُ على النساء حَفِيظَةً إذ لا يَثِقْــنَ بغَيْــرةِ الأزواجِ

يا عـاضَّ كذا وكذا مـن أُمّه ؛ والله لَهَمَمْتُ أن أطِير بـك طَيْرةً بطيئاً سُقوطُها ، اخرُجْ عنّي ، فأُخرِج بشَرٍّ . فلمّا كان بعدَ ثلاثٍ شفَع إليه محمَّدٌ لجرير وقـال له : يا أميرَ المؤمنين ، إنّي أدَّيت رسالةَ عبدِك الحَجّاج وشفاعتَه في جرير ، فلمّا أذِنْتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأشْمتَّ به عدوَّه ، ولو لم تأذن له لكان خيراً له ممّا سمع . فإن رأيتَ أن تَهَـب كلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج وَلِي فافعلْ ، فـأذِن لـه . فاستأذنـه في الإنشاد ؛ فقـال : لا تُنشِدني إلاّ في الحجّـاج ، فإنّما أنت للحجّاج خاصّةً . فسأله أن يُنْشِدَه مديحَه فيه ، فأبى وأقسم ألاّ يُنْشِده إلاّ من قوله في الحجّاج ؛ فأنشده وخرج بغير جائزة . فلمّا أزِف الرَّحِيلُ قال جرير لمحمَّد : إن رحَلتُ عن أمير المؤمنين ولم يَسْمَع منّي ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدَّهر ، ولستُ بارحاً بابَه أو يأذنَ لي في الإنشاد . وأمسك عبد الملك عن الإذن له . فقال جرير : ارحَلْ أنت وأقيم أنـا . فدخل محمَّد على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له وسأله أن يسمعَ منه وقبَّل يدَه ورجلَه ، فأذِن له . فدخل فاستأذن في الإنشاد ، فأمسك عبد الملك . فقال له محمَّد : أنْشِدْ وَيْحَك ؛ فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الوافر]

---

1 في ل : ملأ .

أَلستُم خيرَ مَـنْ ركبَ المطايا وأَنْدَى العالَمينَ بطـونَ راحِ

فتبسَّم عبد الملك وقال : كذلك نحن وما زِلْنا كذلك . ثم اعتمد على ابنِ الزُّبَير فقال : [من الوافر]

دعوتَ المُلْحِدِيـنَ أَبـا خُبَيْب جِماحاً هل شُفِيتَ من الجِماحِ[1]
وقـد وجـدوا الخليفةَ هِبْرِزِيّاً أَلفَّ العِيصِ ليس من النَّواحي[2]
وما شجراتُ عِيصِكَ في قريش بعَشّاتِ الفُروع ولا ضَواحي[3]

قال : ثم أُنشده إيّاها حتى أَتى على ذكر زوجته فيها فقال : [من الوافر]

تَعَـزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثـم قالت رأَيتُ المُورِدِيـن ذوي لِقاحِ
تُعَلِّـل وهـي ساغبـةٌ بَنِيها بأَنفـاسٍ مـن الشَّبـِم القَراحِ[4]

فقال عبد الملك : هل تُرْويها مائة لِقْحة ؟ فقال : إن لم يُرْوِها ذلك فلا أَرْواها الله ! فهل إليها ، جعلني الله فِداكَ يا أَمير المؤمنين ، من سبيل ؟ فأَمر له بمائة لِقْحة وثمانيةٍ من الرِّعاء . وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب ؛ فقال له جرير : يا أَميرَ المؤمنين ، تأمرُ لي بواحدة منهنّ تكون مِحْلَبا ؟ فضحك ونَدس[5] إليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال : خذها لا نفعتْك ؛ فأَخذها وقال : بَلى والله يا أَمير المؤمنين لَينفعنِّي كلُّ ما منحْتَنِيه ، وخرج من عنده . قال : وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال يمدح يزيدَ بنَ عبد الملك : [من الكامل]

أَعطَوْا هُنَيْـدَةَ يَحْدُوها ثمانيةٌ ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ[6]

[هجا سراقة البارقي بأمر بشر بن مروان لأنّه فضّل الفرزدق عليه]

أَخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذُ أَبو غَسّانَ عن أَبي عُبيدة قال : بذل محمَّد بن عُمَير بن عُطارِد بن حاجِب بن زُرارة أَربعةَ آلافِ درهم وفرساً لِمَن فضّل من الشعراء الفرزدقَ على جرير ، فلم يُقْدِم عليه أَحد منهم إلاّ سُراقة البارِقيّ فإنّه قال يفضّل الفرزدق : [من الكامل]

1 أبو خبيب : هو عبد الله بن الزُّبَير .
2 الهبرزيّ : الخالص . الألف : الملتفّ . العيص : الأصل ، وهو أيضاً الشجر .
3 العشّة : الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت . والضواحي : البادية العيدان لا ورق عليها .
4 الأنفاس : جمع نَفَس وهو جرعة الماء . والشبم : البارد .
5 الندس : في الأصل : الطعن الخفيف .
6 هنيدة : اسم للمائة من الإبل وغيرها .

أَبْلِغ تَميماً غثَّها وسَمِينَها ... والحكم يَقصِد مرّةً ويَجُورُ
أنّ الفرزدقَ بَرّزَتْ أعراقُه ... سَبْقاً وخُلِّف في الغُبار جَرِيرُ
ذهبَ الفرزدقُ بالفضائل والعُلا ... وابن المَراغةِ مُخْلَفٌ محسورُ[1]
هذا قضاءُ البارِقيّ وإنّني ... بالمَيْل في ميزانهم لبَصِيرُ

قال أبو عُبَيدة فحدَّثني أيّوب بن كُسَيب قال حدَّثني أبي قال : كنتُ مع جرير ، فأتاه رسول بِشْر بن مَرْوان فدفع إليه كتابَه ، وقال له : إنّه قد أمرني أن أُوصلَه إليك ولا أبْرَحَ حتى تُجيبَ عن الشعر في يومك إن لقيتُك نهاراً أو ليلتِك إن لقِيتُك ليلاً ، وأخْرج إليه كتابَ بشْر وقد نسَخ له القصيدة وأمره بأن يُجيب عنها . فأخذها ومكث ليلَته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه ؛ فهتَف به صاحبُه من الجنّ من زاوية البيت فقال له : أزعمتَ أنّك تقول الشعر ؟ ما هو إلاّ أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحْسِن أن تقول شيئاً ! فهَلاّ قلتَ : [من الكامل]

يا بِشْرُ حَقَّ لوجهِك التبشيرُ ... هَلاّ قضيتَ لنا وأنت أميرُ[2]

فقال له جرير : حَسْبُك كُفِيتُكَ . قال : وسمع قائلاً يقول لآخر : قد أنار الصبحُ ؛ فقال جرير : [من الكامل]

يا صاحبيَّ هل الصباحُ مُنِيرُ ... أم هل للومِ عواذلي تَفْتِيرُ

إلى أن فرَغ منها . وفيها يقول :

قد كان حَقُّكَ أن تقول لبارقٍ ... يا آلَ بارِقَ فِيمَ سُبَّ جرِيرُ
يُعْطى النساءُ مهورَهنّ كَرامةً ... ونساءُ بارقَ مالهنَّ مُهورُ[3]

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بِشْر ، فقُرئتْ بالعراق وأُفْحِم سُراقةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُناقضتِه .

[مناقضته عمر بن لجأ وسبب ذلك]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثني محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال : كان الذي هاج الهجاءَ بين جرير وعمرَ بنِ لَجَأ أنّ عمر كان يُنشِدُ أرْجوزةً له يصف فيها إبلَه وجريرٌ حاضرٌ ، فقال فيها : [من الرجز]

1 بالفضائل في ل : بالقصائد .
2 قضيت في ل : غضبت .
3 ثمّة اختلاف بيّن في الديوان 367/1 .

قـد وردتْ قبل إنَا ضَحائِها   تُفرِّسُ الحَيّـاتِ في خِرْشائِها[1]
[جَـرَّ العَجُـوزِ الثِّنْيَ من رِدائِها]

فقال له جرير : أخْفقتَ . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول : [من الرجز]

جَـرَّ العَرُوسِ الثِّنْـيَ مِـن رِدائِهـا

فقال له التَّيميّ أنت أسوأ قولاً منّي حيث تقول : [من الطويل]

وأَوْثَـقُ عند المُرْدَفاتِ عَشِيَّـةً   لَحاقاً إذا ما جَرّد السيفَ لامِعُ

فجعلتهنّ مُرْدَفاتٍ غُدْوةً ثم تَدار كْتهنّ عَشيّةً . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول : [من الطويل]

وأَوثَقُ عند المُرْهَفاتِ عَشيّةً

فقال جرير : والله لهذا البيتُ أحبُّ إليّ من بِكْرِي حَزْرَةَ ، ولكنّك مُجْلِبٌ للفرزدق . وقال فيه جرير : [من البسيط]

هَلاّ سِوانا ادَّرأْتم يـا بَني لَجَإٍ   شيئاً يُقارَبُ أو وَحشاً لها غِرَرُ[2]
أحينَ كنتُ سِماماً يـا بَني لَجَإٍ   وخاطرتْ بيَ عن أحسابها مُضَرُ !
خَلِّ الطريقَ لَمِن يَبْنِـي المَنارَ به   وابرُزْ ببَرْزَةَ حيث اضطرَّكَ القَدَرُ[3]
أنت ابنُ بَرْزَةَ منسوبـاً إلى لجإٍ   عند العُصارةِ والعيـدانُ تُعْتصَرُ[4]

ويروى : [من البسيط]

ألستَ نَزْوةَ خَـوّارٍ عـلى أَمَـةٍ   عنـد العُصارةِ والعِيـدانُ تُعْتَصَرُ

فقال ابن لَجَأ يردّ عليه : [من البسيط]

لقـد كذَبْتَ وشَرُّ القولِ أكْذَبُه   ما خاطرتْ بكَ عن أحسابها مُضَرُ
بـل أنـتَ نَزْوةُ خَـوّارٍ على أَمَةٍ   لا يَسبِقُ الحَلَباتِ اللـؤمُ والخَوَرُ
مـا قلتَ مِـن هذه إلاّ سأنقُضُها   يا ابنَ الأتـانِ بمثلي تُنْقَضُ المِرَرُ

وقال عمر بن لجأ : [من الطويل]

عجبتُ لما لاقتْ رِياحٌ من الأذَى   وما اقتَبَسُوا منّـي وللشرِّ قابِسُ[5]

---

1 الأنا : الوقت في الديوان : تقرّش 151 . والخرشاء : جلد الحيّة .
2 شيئاً في الديوان : أمراً 210/1 . ادرأتم : ختلتم . وغرر : غفلات ، واحدها غرّة .
3 برزة : أم عمر بن لجأ .
4 عند في الديوان : عبد 213/1 .
5 رياح : هو ابن يربوع وهو أحد أجداد جرير .

غِضاباً لكلبٍ من كُلَيْبٍ فَرَسْته ... هَــوَى ولشَدَّاتِ الأُسُودِ فَرائِسُ
إذا مــا ابنُ يَرْبُوعٍ أتاكَ لمأكَلٍ ... على مجلسٍ إن الأكِيلَ مُجالِسُ[1]
فقــل لابنِ يَرْبوعٍ ألستَ براحضٍ ... سِبالَــكَ عنّــا إنّهــنّ نَجائِسُ
تُمَسِّحُ يَرْبــوعٌ سِبــالاً لئيمــةً ... بها من مَنــيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابِسُ

قال : ثم اجتمع جرير وابن لَجَإ بالمدينة وقد ورَدها الوليدُ بن عبد الملك ، وكان يتألّه[2] في نفسه ، فقال : أتَقْذِفان المُحْصَناتِ وتُغْضِبانهنّ ؟ ثم أمر أبا بكر محمَّد بن حَزْم الأنصاريّ ، وكان والياً له بالمدينة ، بضربهما فضربهما وأقامهما على البُلُسِ[3] مقرونَيْن ، والتَّيْميُّ يومئذٍ أشَبُّ من جرير ، فجعل يَشُولُ[4] بجريرٍ وجريرٌ يقول وهو المَشُولُ به : [من الوافر]

فلستُ مُفارِقاً قَرَنَــيَّ حتــى ... يَطُولَ تصعُّدي بكَ وانحداري

فقال ابن لَجَأ : [من الوافر]

ولَمّــا أن قُرِنــتُ إلى جريــرٍ ... أبى ذو بَطْنِــه إلاّ انحــدارا[5]

فقال له قُدامةُ بنُ إبراهيمَ الجُمَحِيّ : وبِئسَما قلتَ ! جعلتَ نفسَكَ المقرونَ إليه ! قال : فكيف أقول ؟ قال تقول : [من الوافر]

ولَمَّا لُــزَّ في قَرَني جريرٌ

فقال : جُزيتَ خيراً ، لا أقوله والله أبداً إلاّ هكذا .

[هو والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان]

حدَّثني محمَّد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قال حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله العَبْديّ قال حدَّثني عُمارة بن عُقَيل عن أبيه قال : وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخْطل داخلٌ عنده ، وقد كانا تَهاجَيا ولم يَلْقَ أحدُهما صاحبَه . فلمّا استأذنوا لجرير أذِن له فسلَّم وجلس ، وقد عرَفه الأخطل ، فطمَح بصرُ جرير إليه فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا الذي منعتُ نومَك وهضَمتُ قومك . فقال له جريرٌ : ذاك أشْقى لك كائناً مَن كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك فقال : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فضحِك وقال : هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرةَ . فـرَدّ بصرَه إليـه وقال :

1 في الديوان اختلاف بيّن ص 113 .
2 التألّه : المتنسّك .
3 البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .
4 يشول به : يرتفع به .
5 ذو البطن : الرجيع .

فلا حَيّاك الله يا ابنَ النصرانية ؛ أمّا منعُك نومي فلو نِمْتُ عنك لكان خيراً لك . وأمّا تهضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأنت ممّن ضُرِبتْ عليهم الذِّلّةُ والمَسْكنة وباءوا بغضبٍ من الله ؛ إيذَنْ لي يا أميرَ المؤمنين في ابن النصرانيّة . فقال : لا يكون ذلك بين يديّ . فوثَب جريرٌ مُغْضَباً . فقال عبد الملك : قُم يا أخطَل واتبَعْ صاحبَك ؛ فإنّما قام غضباً علينا فيك ؛ فنَهض الأخطلُ . فقال عبد الملك لخادمٍ له : انظر ما يَصْنَعان إذا برَز له الأخطل . فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حِصاناً له أدْهَم فركبه وهدَر والفرسُ يهتزُّ من تحته ، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتَوارَى خَلْفَه ، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير . فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره ؛ فضحك وقال : قاتل الله جريراً ! ما أفحله ! أمَا والله لو كان النصرانيّ برَزَ إليه لأكله .

[سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب]

أخبرني هاشم بن محمّد قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال : سُئِل جرير أيُّ الثلاثةِ أشعرُ ؟ فقال : أمّا الفرزدق فيتكلّف منّي ما لا يُطِيقه ؛ وأمّا الأخطلُ فأشدُّنا اجتراءً وأرْمانا للغرض[1] ؛ وأمّا أنا فمدينةُ الشعر . وقد حدّثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شَبَّة عن الأصمعيّ فذكر نحو ما ذكره الرِّياشيّ ، وقال في خبره : وأمّا الأخطل فأنعتُنا للخمر وأمْدحُنا للملوك .

[فضّله أبو مهديّ على جميع الشعراء]

أخبرنا عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَرِيّ عن عَطاء بن مُصْعَب قال : قلت لأبي مَهْدِيّ الباهليّ وكان من علماء العرب : أيّما أشعرُ أجريرٌ أم الفرزدقُ ؟ فغضب ثم قال : جريرٌ أشعرُ العربِ كلِّها ؛ ثم قال : لا يزالُ الشعراءُ موقوفين يومَ القيامة حتى يجيءَ جريرٌ فيحكمَ بينهم .

[لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم في قصيدة الراعي فجزعوا]

أخبرني هاشم بن محمّد قال حدّثني العبّاس بن مَيْمون قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول : قال جرير : هجوتُ بني طُهَيَّة أنواعَ الهجاء ، فلم يَحْفِلُوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي : [من الوافر]

كأنّ بني طُهَيَّــةَ رهطَ سَلْمَى حجــارةُ خارِىءٍ يَرمِي كلابا

فجزِعوا حينئذٍ ولاذُوا بي .

[كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا المَدائنيّ قال :

---

1 في ل : للفرائض .

كان جرير من أعَقّ الناس بأبيه ، وكان بلالٌ ابنه أعقَّ الناسِ به . فراجع جريرٌ بلالاً الكلامَ يوماً ؛ فقال له بلال : الكاذبُ منّي ومنكَ ناك أُمَّه . فأقبلتْ أُمّه عليه وقالت له : يا عدوّ الله ! أتقول هذا لأبيك ؟ فقال جرير : دَعِيه ، فوالله لكأنّه سمِعها منّي وأنا أقولها لأبي .

[هجا عمر بن يزيد لتعصّبه للفرزدق عليه]

أخبرني محمَّد بن خلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم قال حدَّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال : كان عمر بن يزيد بن عُمَير الأسَديّ يتعصَّب للفرزدق على جرير . فتزوّج امرأةً من بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم ؛ فقال جرير : [من الوافر]

نكحتَ إلى بني عُدُسِ بن زيدٍ فقد هَجَّنْتَ خيلَهمُ العِرابا
أتَنْسَى يومَ مَسْكِنَ إذ تُنادِي وقد أخطأْتَ بالقَدَمِ الرِّكابا[1]

وهي قصيدة ، فاجتمعوا على عمر بنِ يزيد . ولم يزالوا به حتى خلَعوا المرأةَ منه .

[استشفع عنبسة بن سعيد إلى الحجّاج ثم أنشده فأجازه]

أخبرني محمَّد بن خلَف قال حدَّثني محمَّد بن الهَيْثم قال حدَّثني عمِّي أبو فراس قال حدَّثني وَدْقَةُ بنُ معروف قال : نزل جريرٌ على عَنْبَسةَ[2] بن سَعِيد بواسِط ، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلاّ بإذن الحَجّاج . فلمّا دخل على عَنْبَسةَ ، قال له : وَيْحَك ؛ لقد غَرّرتَ بنفسك ؛ فما حَمَلك على ما فعلتَ ؟ قال : شعرٌ قلتُه اعتلَجَ في صدري وجاشتْ به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأمير . قال : فعنَّفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال : لا تُطْلعنّ رأسَك حتى ننظرَ كيف تكونُ الحِيلة لك . قال : فأتاه رسول الحَجّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظٍ ، وهو قاعدٌ في الخَضْراء[3] وقد صُبّ فيها ماء استنْقَع[4] في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌّ موضوعٌ ناحيةً . قال عَنْبَسة : فقعدتُ على الكرسيّ ، وأقبل عليّ الحجّاج يحدِّثني . فلمّا رأيتُ تَطَلُّقَه وطِيبَ نفسِه قلتُ : أصلح الله الأميرَ ؛ رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه ، فاستخفّه عَجَبُه به حتى دعاه إلى أن رحَل إليك ودخل مدينتَك من غير أن يُستأذنَ له . قال : ومَن هو ؟ قلتُ : ابن الخَطَفَى . قال : وأين هو ؟ قلت : في المنزل . قال : يا غلام ؛ فأقبل الغِلْمانُ يتسارَعون . قال : صِفْ لهم موضعَه من دارك ؛ فوصفتُ لهم البيتَ الذي هو فيه ،

---

1 مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة 71هـ ، وفيها قتل مُصعب .

2 هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشراف بني أُميّة ، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق .

3 المراد بها خضراء واسط ، وتعرف بالقبّة الخضراء ، بناها الحجّاج مع قصره والمسجد الجامع بهذه المدينة .

4 استنقع الماء : اجتمع .

فانطلقوا حتى جاؤوا به ، فأُدخل عليه وهو مأخوذٌ بِضَبْعَيهِ حتى رُمِي به في الخضراء ، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفَّش كما يتنفّش الفَرْخ . فقال له : هِيه ؛ ما أقدمَك علينا بغير إذننا لا أمّ لك ؟ قال : اصلحِ اللهُ الأمير ! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثلَه أَحدٌ ، فجاش به صدري وأحببتُ أن يسمعه منّي الأمير ، فأقبلت به إليه . قال : فتطلّق الحَجّاجُ وسكن ، واستنشده فأنشده . ثم قال : يا غلام ؛ فجاؤوا يسعَوْن . فقال : عليَّ بالجارية التي بعَث بها إلينا عاملُ اليَمامة ؛ فأتي بجارية بيضاءَ مَدِيدةِ القامةِ . فقال : إنْ أصبتَ صفتَها فهي لك . فقال : ما اسمُها ؟ قال : أمامَة ؛ فأنشأ يقول : [من الكامل]

وَدِّعْ أمامةَ حانَ منك رحيلُ ... إنّ الوَداعَ لِمَن تُحِبّ قليلُ
مثلُ الكَثِيبِ تهيَّلتْ أعطافُه ... فالريحُ تَجْبِرُ مَتْنَه وتَهِيلُ
تلكَ القلوبُ صوادياً تيَّمْتِها ... وأَرَى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال : خُذ بيدها . فبكت الجارية وانتَحَبَتْ . فقال : ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورِحالها .

[أمره الحجّاج وأمر الفرزدق بأن يدخلا عليه بلباس آبائهما في الجاهلية]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو الغَرّاف قال : قال الحَجّاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بحَزِيز[1] البصرة : ائتِياني في لباس آبائكما في الجاهليّة . فلبِس الفرزدقُ الدِّيباجَ والخَزَّ وقعد في قُبّة . وشاور جريرٌ دهاة بني يَرْبوع فقالوا له : ما لباسُ آبائنا إلاّ الحديد ؛ فلبس جرير دِرْعاً وتقلَّد سيفاً وأخذ رُمْحاً وركِب فرساً لعَبّاد بن الحُصَين يقال له المِنْحاز وأَقْبل في أربعين فارساً من بني يَرْبوع ، وجاء الفرزدقُ في هيئته ؛ فقال جرير : [من الطويل]

لبِستُ سلاحي والفرزدقُ لُعْبةٌ ... عليه وِشاحَا كُرَّجٍ وجَلاجِلُهْ[2]
أَعِدُّوا مع الحَلْي المَلابَ فإنّما ... جريرٌ لكم بَعْلٌ وأنتم حَلائِلُهْ

ثم رجعا ، فوقف جرير في مَقْبُرة بني حِصْن ووقف الفرزدق في المِربَد . قال : فأخبرني أبي عن محمَّد بن زِياد قال : كنتُ أختلف إلى جرير والفرزدق ، وكان جريرٌ يومئذٍ كأنّه أصغرُهما في عيني .

[هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثنا أبو اليَقْظان عن جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماء

1 حزيز : موضع بالبصرة بين العقيق وأعلى المربد .
2 سلاحي في الديوان : أداتي 969/2 . الكرج : شيء يتّخذ بهيئة المهر يلعب عليه .

قال : قدِم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجرُ بنُ عبد الله الكِلابيّ فقال : لو دخلتُ على هذا فأصبتُ منه شيئاً ولم يعلمْ بي جرير ؛ فلم تستقرَّ به الدارُ حتى قال جرير : [من الطويل]

رأيتُـك إذ لم يُغْنِـكَ اللهُ بالغِنَى رجعتَ إلى قيسٍ وخَـدُّك ضارِعُ
وما ذاك إن أُعْطَى الفرزدقُ باسْتِه بـأوّل ثغـرٍ ضيّعَتْـه مُجاشِعُ

فلمّا بلغَ ذلك الفرزدقَ قال : لا جَرَمَ واللهِ لا أُدخل عليه ولا أَرْزَؤُه شيئاً ولا أُقيم باليَمامة ، ثم رحَل .

[انتصار الفرزدق له على التيميّ ثم صلحه مع التيميّ]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال قال أبو البَيْداء : لقي الفرزدقُ عمر بن عطيّة أخا جرير ، وهو حينئذٍ يُهاجي ابنَ لَجَأ ، فقال له : وَيْلَك ؛ قُل لأخيك : ثَكِلَتْك أمُّك ! إيتِ التَّيْمِيَّ مِنْ عَلُ كما أصنع أنا بك . وكان الفرزدقُ قد أَنِفَ لجريرٍ وحَمِيَ من أن يتعلَّق به التيميُّ . قال ابن سَلاّم : فأنشدني له خَلَفٌ الأحمرُ يقوله للتَّيْمِيّ : [من الطويل]

ومـا أنت إن قَرْمـا تَميمٍ تَسامَيا أخا التَّيْمِ إلاّ كالوَشِيظةِ في العَظْمِ[1]
فلـو كنتَ مَـوْلى العِزّ أو في ظلالِه ظُلِمْتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظلمِ

فقال له التَّيميّ : [من الطويل]

كذَبْـتَ أَنا القَرْمُ الذي دَقّ مالكاً وأَفْنـاءَ يَرْبُـوعٍ ومـا أنتَ بالقَرمِ

قال ابن سَلاّم فحدَّثني أبو الغَرّاف : أنّ رجال تَميم مشتْ بين جريرٍ والتَّيْمِيّ وقالوا : والله ما شعراؤنا إلاّ بَلاءٌ علينا ينشُرون مساوينا ويَهْجُون أحياءَنا ومَوْتانا ؛ فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلَّظة ألاّ يَعُودا في هجاء . فكَفّ التَّيْمِيّ ، وكان جريرٌ لا يزال يَسُلُّ الواحدةَ بعد الواحدة فيه ؛ فيقول التَّيْمِيّ : والله ما نَقَضْتُ هذه ولا سمعتُها ؛ فيقول جرير : هذه كانت قبل الصلح .

قال ابن سَلاّم فحدَّثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حَرْملةَ قال : لمّا ورَد علينا هجاءُ جرير والتَّيْميّ ، قال [لي] سَعيد بن المُسَيَّب تَرَوَّ شيئاً ممّا قالا ؛ فأتيتُه وقد استقبل القبلةَ يريد أن يكبِّر ، فقال لي : أَرَوَيْتَ ؟ قلتُ نعم . فأَقبل عليّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيميّ وهو يقول : هِيهِ هِيهِ ؛ ثم أنْشدتُه لجرير ، فقال : أَكَلَه أَكَلَه ! .

[لم يؤثر هجاؤه في التَّيم للؤمهم]

قال ابن سَلاّم وحدَّثني الرازيّ عن حَجْناء بنِ جرير قال : قلتُ لأبي : يا أبتِ ، ما

1 الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم .

هجوتَ قوماً قَطُّ إلاّ فضحتَهم إلاّ التَّيْمَ . فقال : يا بُنَيّ ، لم أَجِد بناءً أَهْدِمُه ولا شرفاً أُضَعُه . وكانت تَيْمٌ رِعاءَ غنم يَغْدُون في غنمِهم ثم يَرُوحون ، وقد جاء كلُّ رجل منهم بأبيات فينتحلُها ابنُ لَجَأ . فقيل لجرير : ما صنعتَ في التَّيْم شيئاً ؛ فقال : إنّهم شعراءُ لِئامٌ .

[هو أشعر عند العامّة والفرزدق عند الخاصّة]

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثنا عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثني ابن النطَّاح قال حدَّثني أبو اليَقْظان قال : قال جرير لرجل من بني طُهَيَّةَ : أيُّما أشعرُ أنا أم الفرزدقُ ؟ فقال له : أنت عند العامّة والفرزدقُ عند العلماء . فصاح جرير : أنا أبو حَزْرةَ ! غلَبتُه وربِّ الكعبة ! والله ما في كلّ مائة رجل عالِمٌ واحد .

[هو وعديّ بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك]

حدَّثنا أحمد بن عمّار قال حدَّثني عمر بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني ابن النطّاح قال ، وحدَّثني أبو الأخْضَر المُخارِق بن الأخضَر القَيْسيّ قال : إنّي كنتُ والله الذي لا إله إلاّ هو أخصَّ الناسِ بجرير ، وكان ينزل إذا قدِم على الوليد بن عبد الملك عند سَعيد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد ، وكان عَدِيّ بن الرقاع خاصّاً بالوليد مَدّاحاً له ، فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يُجالس أحداً من النِّزاريّة ولا يجلس إلاّ إلى رجل من اليَمَنِ بحيثُ يقرُب من مجلس ابنِ الرِّقاع إلى أن ياذَن الوليدُ للناس فيدخلَ . فقلت له : يا أبا حَزْرة ، اختصصْتَ عدوَّك بمجلسك ؛ فقال : إنّي والله ما أجلس إليه إلاّ لأُنشِدَه أشعاراً تُخْزِيه وتُخْزِي قومَه . قال : ولم يكن يُنْشِده شيئاً من شعره ، وإنّما كان يُنْشِدُه شعرَ غيره ليُذِلَّه ويخوّفَه نفسَه . فأذِن الوليدُ للناس ذاتَ عشيّة فدخلوا ودخلْنا ، فأخذ الناسُ مجالسَهم ، وتخلَّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم واطمأنُّوا فيها . فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثَل بين السِّماطَيْن يقول : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله ، إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لي في ابن الرِّقاعِ المتفرِّقةِ أُؤلِّفُ بعضَها إلى بعض ! قال : وأنا جالسٌ أسمع . فقال الوليد : والله لهمَمْتُ أن أُخرِجَه على ظهرك إلى الناس .

فقال جرير وهو قائم كما هو : [من الطويل]

فإن تَنْهَني عنه فسمعاً وطاعةً وإلاّ فإنّي عُرْضَةٌ للمَراجِمِ[1]

قال فقال له الوليد : لا كثَّر اللهُ في الناس أمثالَك . فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ، إنّما أنا واحدٌ قد سعرْتُ الأمّةَ[2] ، فلو كثُر أمثالي لأكلوا الناسَ أكلاً . قال : فنظرتُ والله إلى الوليد

1 المراجم : الكلم القبيحة .

2 سعرت الأمّة ، يريد أوقدت فيها الشرّ .

تبسَّم حتى بدتْ ثَناياه تعجُّباً من جرير وجَلَدِه . قال : ثم أَمره فجلس .

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثني عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثنا ابن النطّاح عن أبي عُبَيدة قال : كان جرير عند الوَليد وعَدِيٌّ بن الرِّقاع يُنْشِده . فقال الوليد لجرير : كيف تَسمع ؟ قال : ومن هو يا أَميرَ المؤمنين ؟ قال : عَدِيٌّ بنُ الرِّقاع . قال : فإن شَرّ الثيابِ الرِّقاعُ ، ثم قال جرير : (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلَى ناراً حامِيَةً)[1] ؛ فغضِب الوليدُ وقال : يا ابنَ اللَّخْناء ؛ ما بقي لك إلاّ أن تتناول كتابَ الله ! والله لَيَرْكبَنّك ! يا غلام أَوْكِفْه[2] حتى يركبَه . فغمَز عمرُ بن الوليد الغلامَ الذي أَمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف . فلمّا سكَن غضبُ الوليد قام إليه عمرُ فكلَّمه وطلَب إليه وقال : هذا شاعرُ مُضَر ولسانُها ، فإن رأى أَميرُ المؤمنين ألاّ يَغضّ منه ؛ ولم يزل به حتى أَعْفاه ، وقال له : والله لئن هجوتَه أو عرّضتَ به لأَفعلنَّ بك ولأَفعلنَّ ! . فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها : [من الطويل]

أَقْصِرْ فإن نزاراً لن يفاخرهـا فرعٌ لئيمٌ وأَصلٌ غيرُ مغروسِ

وذكر وقائعَ نِزارٍ في اليمن ؛ فعلِمنا أنّه عَنَاه . ولم يُجبْه الآخر بشيء .

[وصف شبّة بن عقال وخالد بن صفوان له وللفرزدق والأخطل]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن العُتْبيّ قال : قال هشام بن عبد الملك لشَبَّةَ بن عِقَال وعنده جرير والفرزدق والأَخطل ، وهو يومئذٍ أَميرٌ : أَلا تخبرني عن هـؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضَهم وهتكوا أَستارَهم وأَغْرَوْا بين عَشائرهم في غير خير ولا بِرّ ولا نفع أيـُّهم أشعرُ ؟ فقال شَبّة : أما جرير فيَغْرِف من بحر ، وأمّا الفرزدق فيَنْحَت من صخر ، وأمّا الأَخطل فيُجيد المدح والفخر . فقال هشام : ما فسَّرْتَ لنا شيئاً نُحصِّله . فقال ما عندي غيرُ ما قلت . فقال لخالد بن صَفْوان : صِفْهم لنا يا ابنَ الأَهْتَم ؛ فقال : أَما أَعظمُهم فخراً ، وأَبعدُهم ذكراً ، وأحسنُهم عذراً ؛ وأَسْيَرهُم مَثَلاً ، وأَقلُّهم غزَلاً ، وأَحْلاهم عِلَلاً ؛ الطامِي إذا زخَر ، والحامي إذا زأَر ، والسامي إذا خطَر ؛ الذي إن هـدَر قال ، وإن خطَر صال ؛ الفصيحُ اللسان ، الطويـلُ العِنـان ؛ فالفرزدق . وأمّا أحسنُهم نَعْتاً ، وأَمدحُهم بَيْتـاً ، وأَقلُّهم فَوْتاً ؛ الذي إن هجا وضَع ، وإن مدح رفَع ، فالأَخْطَل . وأَمّا أغزرهُم بَحْراً ، وأَرقُّهم شِعْراً ، وأَهتكُهم لعدوِّه سِتْراً ؛ الأَغَرُّ الأَبْلَق ، الذي إن طَلَب لم يُسبْق ، وإن طُلِب لم يُلْحَق ؛ فجَرير . وكلُّهم ذَكيّ الفـؤاد ، رَفيع العِماد ، وارِي الزِّناد . فقال له مَسْلَمةُ بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالدُ في الأوّلين ولا رأينا في الآخرين ؛ وأشهَد أنّك أَحسنُهم وصفاً ، وأَلينُهـم عِطْفاً ؛ وأَعفُّهم مَقالاً ، وأَكرمُهم فَعـالاً .

---

1 يريد التعريض بعاملة قبيلة عدي بن الرقاع .

2 أوكف الدابة : وضع عليها الإكاف ، وهو البرذعة .

فقال خالد : أَتَمَّ اللهُ عليكم نِعَمَه ، وأَجْزَل لديْكم قِسَمَه ؛ وآنسَ بكم الغُرْبة ، وفرَّج بكم الكُرْبة . وأنت ، واللهِ ما علمتُ أيّها الأميرُ ، كريمُ الغِراس ، عالمٌ بالناس ؛ جَوادٌ في المَحْل ، بَسّامٌ عند البَذْل ؛ حَليمٌ عند الطَّيْش ، في ذِرْوة قُرَيش ؛ ولُبابِ عبد شَمس ، ويومُك خيرٌ من أمْس . فضحك هشامٌ وقال : ما رأيت كتخلُّصِكَ يا ابنَ صَفْوان في مدح هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم جميعاً وسلِمْتَ منهم .

[جرير وابن لجأ وقد قرنهما عمر بن عبد العزيز حين تقاذفا]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدَّثني مصْعَب الزُّبَيْريّ قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله مَوْلى بني زُهْرةَ قال : حضرتُ عمرَ بن لَجَأ وجرير بن الخَطَفَي موقوفين للناس بسوق المدينة لمّا تَهاجَيا وتَقاذَفا وقد أَمَر بهما عمرُ بن عبد العزيز فقُرِنا وأُقِيما . قال : وعمرُ بن لَجأ شابٌّ كأنّه حِصان ، وجريرٌ شيخٌ قد أَسَنَّ وضعُف . قال فيقول ابنُ لَجأ : [من الوافر]

رأَوْا قَمَراً بساحتهم مُنيراً وكيف يُقارِنُ القمرُ الحِمارا

قال : ثم يَنْزُو به وهما مقرونانِ في حبْلٍ فيسقُطان إلى الأرض ، فأمّا ابن لَجَأ فيقع قائماً ، وأمّا جرير فَيخِرُّ لركبتيه ووجهه ، فإذا قام نفَض الغُبارَ عنه . ثم قال بُغنّتِه قولاً يُخرِج الكلامَ به من أنفه ، وكان كلامُه كأنّ فيه نُوناً : [من الوافر]

فلستُ مفارِقاً قَرَنِيّ حتّى يَطُولَ تصعُّدي بكَ وانحداري

قال فقال رجل من جُلساء عمرَ له حين حضَر غَداؤه : لو دعا الأميرُ بأسيريْه فغدّاهما معه ؛ ففعل ذلك عمر . وإنّما فعله بهما لأنّهما تَقاذَفا ، وكان جريرٌ قال له : [من البسيط]

تقول والعبدُ مِسْكِينٌ يُجَرِّرُها ارْفُقْ فَدَيْتُك أَنت الناكحُ الذَّكَرُ[1]

قال : وهذه قصيدتُه التي يقول فيها : [من البسيط]

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيّ لا أَبا لكمُ لا يُوقِعنَّكُمُ في سوْءةٍ عمرُ

[قال ابنه : أجود شعره قصيدته الداليّة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني علي بن محمّد النَّوْفليّ قال حدَّثني أبي قال : كنت باليَمامة وأنا وَالِيها فكان ابنٌ لجريرٍ يُكثِر عندي [الدخول] وكنت أُوثِرُه فلم أَقل له قَطُّ أنشدْني أجودَ شعرٍ لأبيك إلاّ أنشدني الداليّة : [من الكامل]

---

1 يجرّرها في ل : يزحرها .

أَهَــوىً أَراكَ بَرامَتَيْنِ وُقُــودا أَم بالجُنَيْنَةِ مِــن مَدافِعِ أُودا[1]

فأقولُ له : وَيْحَكَ ؛ لا تَزيدُني على هذه !؟ فيقولُ : سألتَني عن أجود شعر أبي وهذه أجودُ شعره ، وقد كان يقدّمها على جميعه .

[ذهب إلى الشام ونزل على نميريّ فأكرمه]

حدَّثني ابن عَمّار قال حدَّثني النَّوْفليّ قال حدَّثني علي بن عبد الملك الكَعْبيّ من ولد كَعْب مَوْلى الحَجّاج قال حدَّثني فلانٌ العَلاّمةُ التَّميميّ يَرْويه عن جَرير قال : ما ندِمْتُ على هجائي بني نُمَيرٍ قَطُّ إلاّ مرّةً واحدة ، فإنّي خرجتُ إلى الشام فنزلت بقوم نُزُولٍ في قَصْرٍ لهم في ضَيْعة من ضِياعهم ، وقد نظرتُ إليه من بين القصور مشيَّداً حَسَناً ، وسألتُ عن صاحبه فقيل لي : هو رجل من بني نُمَير . فقلت : هذا شَآمٍ وأنا بَدَوِيٌّ لا يعرفُني ، فجئت فاستضفتُ . فلمّا أُذِن لي ودخلتُ عليه عرَفني فقَراني أحسنَ القِرَى ليلتين ، فلمّا أصبحتُ جلستُ ، ودعا بُنَيّةً له فضمّها إليه وتَرَشَّفَها ، فإذا هي أحسنُ الناسِ وجهاً ولها نَشْرٌ أَشَمَّ أطيبَ منه . فنظرتُ إلى عينيها فقلتُ : تاللهِ ما رأيتُ أحسنَ من عينيْ هذه الصبيّة ولا من حَوَرِها قَطّ ، وعَوَّذْتُها : فقال لي : يا أبا حَزْرَةَ ، أَسَوْداءُ المَحاجِرِ[2] هي ؟ فذهبتُ أَصِفُ طِيبَ[3] رائحتها . فقال : أَصَنٌّ وَبْرٍ[4] هيَ ؟ فقلت : يَرْحَمُكَ الله ؛ إنّ الشاعر ليقولُ ، ووالله لقد ساءني ما قلتُه ، ولكن صاحبكم بَدَأَني فانتصرتُ ، وذهبتُ أعتذر . فقال : دَعْ ذا عنك أبا حَزْرة ، فوالله ما لك عندي إلاّ ما تحبّ . قال : وأحسنَ واللهِ إليّ وزوَّدَني وكَساني ، فانصرفتُ وأنا أندمُ الناسِ على ما سلَف منّي إلى قومه .

[كان المفضل من أنصار الفرزدق فحاجه محاج بقصيدته السينية]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدَّثني ابنُ أبي عَلْقَمَةَ الثَّقَفيّ قال : كان المفضَّل يقدِّم الفرزدقَ ، فأنشدتُه قولَ جرير : [من البسيط]

حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَواعِيسِ فالحِنْوُ أَصْبَح قَفْراً غيرَ مأنوسِ[5]

---

1 الجنينة : روضة نجديّة بين ضرية وحزن بني يربوع . والمدافع : مجاري السّيول . وأود : موضع في ديار تميم ثم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحزن .

2 يشير إلى قول جرير في القصيدة البائيّة التي هجا بها الراعي وذكر فيها نساء بني نمير :

وخضراء المغابن من نمير يشين سواد محجرها النقابا

3 في ل : رائحة طيبها .

4 وبر : دويبة صنة بوله منتن جداً ،

5 الهدملة والمواعيس والحنو : مواضع .

وقلتُ أنْشدْني لغيرِه مثلَها فسكَت . قال : وكان الفرزدق إذا أنْشِدَها يقول : مِثْلَها فلْيَقلِ ابنُ اللَّخْناء .

[رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه]

أخبرنا أبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب قال حدَّثنا محمَّد بن سَلام قال حدَّثني عبد الجبّار بن سَعيد بن سليمان المُساحِقيّ عن المُحَرَّر[1] بن أبي هُرَيرة قال : إنّي لفي عسكرِ سليمانَ بن عبد الملك وفيه جريرٌ والفرزدقُ في غَزاةٍ ، إذ أتانا الفرزدقُ في غَداةٍ ، ثم قال ، اشهدوا أنّ محمَّد ابن أخي ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

فبِتُّ بدَيْرَيْ أَريحاءَ بلَيْلةٍ   خُدارِيَّةٍ يزدادُ طُولاً تَمامُها[2]
أُكابِدُ فيها نفسَ أقْربِ مَنْ مَشى   أبوه بأمٍّ غابَ عنها نِيامُها
وكنّا نَرى من غالبٍ في محمَّد   شمائلَ تَعْلُو الفاعلين كِرامُها
وكان إذا ما حَلَّ أرضاً تزيَّنَتْ   بزينتِها صحراؤها وإكامُها
سَقى أَرْيحاءَ الغيثُ وهي بَغِيضةٌ   إلينا ولكن بي لتُسْقاه هامُها

قال : ثم انصرف . وجاء جرير فقال : قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه ؛ وما ابنُ أخيه ، فعَل اللهُ به وفعَل ! قال : ومضى جرير ، فواللهِ ما لبثْنا إلاّ جُمَعاً حتى جاءنا جريرٌ فقام مقامَه ونعى ابنَه سَوادةَ فقال : [من البسيط]

أَوْدَى سَوادةُ يَجْلُو مُقلتَيْ لَحِمٍ   بازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرْبأ العالي[3]
فارقتَني حين كَفَّ الدَّهرُ من بَصَري   وحينَ صِرْتُ كعَظْمِ الرِّمَّة البالي
إلاّ تكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن باكيةٌ   فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْلِ مِعْوالِ
قالوا نَصِيبَك من أجر فقلتُ لهم   كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشْبالي[4]

[هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني حاجب بن زيد وأبو الغَرّاف قالا : تزوّج الفرزدقُ حَدْراءَ بنتَ زِيق بن بِسْطام بن قَيْس على حُكْم أبيها ، فاحتكم مائةً من الإبل . فدخل على الحَجّاج يسأله ذلك ؛ فعذله وقال له : أتتزوّج امرأةً على حكمها ؟ . فقال

1 هو المحرر بن أبي هريرة الدوسيّ ، تابعي .
2 أريحاء هي أريحا بفلسطين . وخدارية : شديدة الظلمة .
3 المربأ في الديوان : المرقب 548/2 .
4 كيف العزاء في الديوان : من للعرين 584/2 .

عَنْبَسةُ بن سَعيد وأَراد نفعَه : إنّما هي من حَواشي إبل الصَّدَقة ، فأَمر له الحجَّاج بها . فوثَبَ جريرٌ فقال : [من البسيط]

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيْبانَ في حَسَبٍ — يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يا زِيقُ[1]
أَنكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً باستِه حَمَمٌ — يا زِيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بك السُّوقُ
غابَ المُثنّى فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكُما — والحَوْفَزانُ ولم يَشْهَدْكَ مَفْروقُ[2]
يا رُبّ قائلةٍ بعد البِناء بها — لا الصِّهْرُ راضٍ ولا ابنُ القَيْنِ معشوقُ
أين الأُلَى استنزَلُوا النُّعْمانَ ضاحيةً — أم أينَ أبناءُ شَيْبانَ الغَرانِيقُ[3]

قال : فلم يُجِبْه الفرزدقُ عنها . فقال جريرٌ أيضاً : [من الطويل]

فلا أَنا مُعْطِي الحكمِ عن شِفٍّ مَنْصِبٍ — ولا عن بَناتِ الحَنْظَلِيِّين راغبُ[4]
وهُنّ كماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدى — وكانت مِلاحاً غيرَهنّ المَشارِبُ[5]
فلو كنتَ حُرّاً كان عَشْراً سِياقُكم — إلى آلِ زِيقٍ والوصيفُ المُقارِبُ[6]

فقال الفرزدق : [من الطويل]

فنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم لُمْهُمُ — على دارِميٍّ بين لَيْلى وغالِبِ
همُ زوَّجوا قبلي لَقيطاً وأَنْكَحُوا — ضِراراً وهم أكفاؤنا في المَناسِبِ
ولو قبِلوا منّي عَطِيَّةَ سُقْتُه — إلى آلِ زِيقٍ من وَصيفٍ مُقارِبِ
ولو تُنْكِحُ الشمسُ النجومَ بَناتِها — إذاً لنكحناهنّ قبلَ الكواكبِ

قال ابن سلاّم فحدَّثني الرّازيّ عن أَبيه قال : ما كانت امرأة من بني حَنْظلةَ إلاّ ترفَعُ لجريرٍ اللَّويّة في عظمِها لتُطْرِفَه بها لقوله : [من الطويل]

وهُنّ كماءِ المُزْنِ يَشْفي به الصَّدَى — وكانت مِلاحاً غيرَهنّ المَشارِبُ

---

1 في الديوان اختلاف بيّن في الشطر الأوّل وما يليه من الأبيات 191/1 .
2 يريد المثنى بن حارثة الشيباني . الحوفزان : اسم الحارث بن شريك الشيباني . مفروق : هو النعمان بن عمرو الشيباني .
3 الغرانيق : جمع غرنوق وهو الشاب الناعم الجميل .
4 فلا أنا معطي في الديوان : لست بمعطي 809/2 . الشف هاهنا : النقصان ، وقد يكون الشفّ الفضل والزيادة .
5 وهن في الديوان : أراهن 809/2 . ملاح : جمع ملح وهو ضد العذب .
6 السياق : المهر . المقارب : الدون ، وقيل هو الوسط بين الجيّد والرديء .

فقلتُ للرّازي : ما اللَّوِيّة ؟ قال : الشَّرِيحة من اللحم ، أو الفِدْرة[1] من التمر ، أو الكُبَّة من الشحم ، أو الحَفْنة من الأَقِط ؛ فإذا ذهب الأَلبانُ وضاقتْ المعيشةُ كانت طُرْفةً عندهم .

قال : وقال جرير أيضاً في شأن حَدْراءَ : [من الطويل]

أَثائــرةٌ حَدْراءُ مَنْ جُـرَّ بالنَّقا وهل لأَبي حَدْراءَ في الوِتْرِ طالبُ
أَتَثْأَرُ بِسْطاماً إذا ابتلَّــتِ استُهــا وقــد بَوّلتْ في مِسْمَعَيْه الثعالبُ[2]

قال ابن سلاّم : والنَّقا الذي عَناه جريرٌ هو الموضع الذي قَتَلتْ فيه بنو ضَبّة بِسْطاماً ، وهو بِسْطام بن قَيْس . قال : فكرهتْ بنو شَيْبان أن يَهْتِكَ جريرٌ أعراضَهم . فلمّا أَراد الفرزدقُ نقلَ حَدْراء اعتلُّوا عليه وقالوا له إنّها ماتت . فقال جرير : [من الطويل]

فأُقْسِمُ مــا ماتتْ ولكنّما الْتَوَى بحَدْراءَ قــومٌ لم يروْك لهـا أَهْلا
رأَوْا أَنّ صهر القَيْنِ عــارٌ عليهــم وأنّ لِبِسْطامٍ على غالــبٍ فضْلا

[مدح قوماً عادوه في مرضه]

أَخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا ابن أَبي سَعْد قال حدَّثنا محمَّد بن إدريسَ اليَماميّ قال حدَّثنا عليّ بن عبد الله بن محمَّد بن مهاجِر عن أَبيه عن جدّه قال : دخلنا على جرير في نَفَرٍ من قريش نَعُوده في عِلّته التي مات فيها ، فالتفتَ إلينا فقال : [من البسيط]

أَهــلاً وسهلاً بقوم زيّنوا حَسَبي وإن مَرِضْتُ فهم أَهلي وعُوّادي[3]
إن تَجْــرِ طَيْرٌ بأَمر فيــه عافيةٌ أَو بالفــراق فقــد أحسنتمُ زادي
لــو أَنّ ليثاً أَبــا شِبْلَيْن أَوْعَدَني لم يُسْلِمُوني لليثِ الغابة العادي[4]

[نعي الفرزدق إليه فشمَت به ثم رثاه]

أَخبرني أَبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثنا محمَّد بن صالح بن النطّاح قال حدَّثني أَبو جَناح أَحد بني كَعْب بن عمرو بن تميم قال : نُعِي الفرزدقُ إلى المهاجِر بن عبد الله وجريرٌ عنده فقال : [من الكامل]

مات الفرزدقُ بعد مــا جدَّعتُه ليتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئسَ لعَمْرُ اللهِ ما قلتَ في ابن عمّك ؛ أَتَهجو ميتاً ! أَمَا واللهِ لو رَثَيْتَه

1 الفدرة : القطعة .
2 كناية عن أنّه قتل ورمى به فالثعالب تبول عليه .
3 في الديوان اختلاف كبير 806/2 .
4 في الديوان اختلاف كبير 806/2 .

لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرَها . فقال : إن رأى الأمير أن يكتُمَها عليّ فإنّها سَوْءة ؛ ثم قال من وقتِه : [من الطويل]

فلا وضَعَتْ بعد الفرزدقِ حامـلٌ ولا ذاتُ بَعْلٍ من نِفاسٍ تَعَلّتِ[1]
هــو الوافدُ الميمونُ والراتِقُ الثأى إذا النعل يومـاً بالعَشيرة زَلَّتِ[2]

قال : ثم بكى ثم قال : أمَا واللهِ إنّي لأعلم أنّي قليلُ البقاء بعده ، ولقد كان نجمُنا واحداً ، وكلّ واحد منّا مشغول بصاحبه ، وقلّما مات ضدّ أو صديق إلاّ تبعه صاحبه . فكان كذلك ، مات بعد سنة . وقد زاد الناس في بيتيْ جريرٍ هذين أبياتاً أُخَر ، ولم يقل غيرَهما وإنّما أضيف إلى ما قاله .

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

[من الكامل]

رحَـل الخَليطُ جِمالَهم بسَوادِ وحَدا على إثْـرِ البخيلة حادي
ما إن شَعَرْتُ ولا علِمتُ بِبَيْنهم حتى سمعتُ بـه الغرابَ يُنادي

الشعر لجميل . والغناء لإبراهيمَ ، ولحنُه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسْطَى .

1 تعلّت المرأة من نفاسها : برئت منه وخرجت .
2 الثأى : الفتق والفساد .

[112] ـ نسب جميل وأخباره[1]

[نسبه]

هو جَميل بن عبد الله بن مَعْمَر بن الحارث بن ظَبْيانَ وقيل ابن مَعْمَر بن حُنّ[2] بن ظَبْيان بن قَيْس بن جَزْء بن رَبِيعة بن حَرام بن ضِنَّةَ بن عَبْد بن كَثِير بن عُذْرة بن سعْد ، وهو هُذَيم ، وسمّي بذلك إضافة لاسمِه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه ، ابن زيد بن سُود بن أَسْلَم بن الحاف بن قُضاعة . والنسّابون مختلفون في قُضاعة ، فمنهم مَن يزعمُ أنّ قُضاعة ابن مَعَدّ وهو أخو نِزار بن مَعَدّ لأبيه وأُمّه ، وهي مُعانة بنت جَوْسَم بن جُلْهُمة بن عامر بن عَوْف بن عَدِيّ بن دُبّ بن جُرْهُم ؛ ومنهم مَن يزعمُ أنّهم من حِمْيَر . وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب مَعَدِّياً فقال : [من الرجز]

أنــا جميــلٌ في السَّنامِ من مَعَدّ ... في الأُسْرَةِ الحَصْداءِ والعِيصِ الأَشَدّ[3]

وقال راجز من قُضاعة ينسُبهم إلى حِمْيَر : [من الرجز]

قُضاعةُ الأَثْـرَوْنَ خيرُ مَعْشَرِ ... قضاعةُ بنُ مالــكِ بن حِمْيَرِ

ولهم في هذا أراجيزُ كثيرةٌ . إلاّ أنّ قُضاعة اليومَ تُنسب كلُّها في حِمْيَرَ ، فتزعمُ أنّ قُضاعةَ ابنُ مالك بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . وقال القَحْذَميّ : اسم سَبَأ عامر ؛ وإنّما قيل له سَبَأ لأنّه أوّلُ مَن سَبَى النساءَ . وكان يقال له عَبُ[4] الشمس ، أي عَديل الشمس ؛ سُمِّي بذلك لحسنه . ومَنْ زعم مِنْ هؤلاء أنّ قُضاعة ليس ابن مَعَدّ ذكرَ أنّ أُمّه عُكْبُرة (امرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل ، فخلَفه عليها مَعَدُّ بن عَدْنانَ ، فولَدت قُضاعةَ على فراشه . وقال : مُؤرِّج بن عمرو : هذا قولٌ أحدثوه بعدُ وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصحِّحوا هذا القول ، وهو : [من السريع]

يا أيُّها الدّاعِــي ادْعُنا وأَبشِرِ ... وكُــنْ قُضاعِيّــاً ولا تَنَـزَّرِ
قضاعةُ الأَثْـرَوْنَ خيرُ مَعْشَرِ ... قضاعةُ بــنُ مالــك بنِ حميرِ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 434–444 ، والمؤتلف 72 واللآلي 29–30 وابن خلكان 1 : 143–146 والخزانة 1 : 190–192 .

2 في ل : ابن خيبري .

3 الحصداء : القوية وفي البيت اختلاف بيّن في الديوان 56 .

4 عب الشمس : ضوءها .

النسبُ المعـروفُ غير المُنْكَرِ

قال مؤرِّج : وهذا شيء قيل في آخر أيّام بني أُميّة . وشعراءُ قُضاعة في الجاهليّة والإسلام كلّها تنتمي إلى مَعَدّ . قال جميل : [من الطويل]

وأيُّ مَعَــدٍّ كان فَــيْءَ رِماحِهِـمْ كما قــد أفأنـــا والمُفاخِرُ مُنْصِفُ

وقال زيادة بن زيد يهجو بني عمّه عامر رَهْطَ هُدْبَةَ بن خَشْرَم : [من الكامل]

وإذا مَعَـــدٌّ أَوْقَـدتْ نِيرانَهـــا للمجدِ أغْضَتْ عامرٌ وتضعضعوا

[كان راوية هدبة بن خشرم وكان كثير راويته]

وجميل شاعرٌ فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية ، كان راويةَ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم ، وكان هُدْبَةُ شاعراً راويةً للحُطَيْئة ، وكان الحطيئةُ شاعراً راوية لزُهَيْر وابنه . وقال أبو مُحَلِّم : آخِرُ مَن اجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر ، وكان راويةَ جَميل ، وجميلٌ راويةَ هُدْبة ، وهُدْبةُ راوية الحطيئة ، والحطيئة راوية زهير .

[نسب بثينة عشيقته]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَميّ قال : كان جميلٌ يهوى بُثَيْنة بنت حَبَأ بن ثعلبة بن الهَوْذ بن عمرو بن الأَحَبِّ بن حُنّ بن رَبيعة [تلتقي هي وجميل في حنّ من ربيعة[1]] في النسب .

[كان كثير راويته يقدّمه على نفسه]

حدَّثني أبو الحَسَن أحمد بن محمَّد الأَسَدِيّ وهاشم بن محمَّد أبو دُلَف الخُزاعيّ قالا حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأَصمعيّ عن ابن أَبي الزِّناد قال : كان كُثَيِّر راويةَ جميل ، وكان يقدّمه على نفسه ويتّخذه إماماً ، وإذا سئل عنه قال : وهل عَلَّم اللهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إلاّ منه ! .

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه عن صَباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية الزُّبَيريّ قال : كان كُثَيِّر إذا ذُكِر له جميلٌ قال : وهل علَّم الله ما تسمعون إلاّ منه ؟ .

[مرّ على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشدهم فمدحوه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني محمَّد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن المِسْوَر بن عبد الملك عن نُصَيْب مَوْلَى عبد العزيز بن مَرْوان قال : قَدِمتُ المدينةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر ، فقيل لي : الوليد بن سعيد بن أبي سِنان الأَسْلَميّ ، فوجدتُه بشِعْب سَلْع[2] مع عبد الرحمن بن حَسّان وعبد الرحمن بن أَزْهَر . فإنّا لجلوسٌ إذ طلَع

1 التكملة عن تجريد الأغاني .

2 سلع : موضع بقرب المدينة .

علينا رجلٌ طويلُ بين المَنْكِبَيْنِ طُوالٌ يقود راحلةً عليها بزّةٌ حسنة . فقال عبد الرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أَزْهر : يا أَبا جُبَيْر ، هذا جميلٌ ، فادعُه لعلَّه أن يُنشِدَنا . فصاح به عبد الرحمن : هَيا جميلُ هَيا جميل ! فالتفت فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا عبد الرحمن بن أَزهر . فقال : قد علمتُ أنّه لا يجترىء عليّ إلاّ مثلُك . فأتاه فقال له أنشِدْنا ، فأنشدهم : [من الطويل]

نحـنُ مَنَعْنا يـومَ أَوْلٍ نساءَنـا ... ويـومَ أُفَـيٍّ والأَسِنّـةُ تَرْعُفُ[1]

ويومَ رَكايا ذِي الجِذاةِ ووقعةٍ ... ببَنْيانَ كانت بعضَ ما قد تَسَلَّفُوا[2]

يُحِبّ الغَـواني البِيضُ ظِلَّ لِوائنا ... إذا مـا أَتانـا الصارخُ المُتَلَهِّفُ

نَسيرُ أَمـامَ الناس والناسُ خَلْفَنا ... فإن نحن أَوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفُوا[3]

فأَيُّ مَعَـدٍّ كان فَـيْءُ رِماحِهِ ... كما قـد أَفَأْنـا والمُفاخِرُ يُنْصِفُ

وكنّا إذا مـا مَعْشَرٌ نَصَبُوا لنـا ... ومرَّتْ جَوارِي طَيْرِهم وتَعَيَّفُوا[4]

وضَعْنا لهم صاعَ القِصَاصِ رهينةً ... بما سوف نُوفِيها إذا الناسُ طَفَّفُوا

إذا استبق الأَقوامُ مجـداً وجدتَنا ... لنا مِغْرَفـا مَجْـدٍ وللناسِ مِغْرَفُ

قال : ثم قال له : أنشِدْنا هَزَجاً . قال : وما الهَزَج ؟ لعلّه هذا القصير ؟ قال نعم ، فأنشده ، قال الزُّبير : لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهَزَج سوى بيتين ، وأَنشدَنا باقِيَها بُهْلُول بن سليمان بن قِرضاب البَلَوِيّ : [من الخفيف]

صوت

رَسْمِ دارٍ وقفـتُ في طَلَلِهْ ... كِدتُ أقضِي الغَداة من جَلَلِهْ[5]

مُوحِشاً ما تَرَى بـه أَحداً تَنْـ ... ـتَسِجُ الريحُ تُـرْبَ مُعْتَدِلِهْ

وصَرِيعـاً مـن الثُّمامِ تَـرَى ... عارِمـاتِ المَـدَبِّ في أَسَلِهْ[6]

1 أول : واد بين الغيل وأكمة على طريق اليمامة . أُفيّ : موضع في شعر نصيب .

2 ذو الجذاة : موضع . وركايا : جمع ركية ، وهي البئر ذات الماء . بنيان : موضع .

3 في الديوان اختلاف بيّن 138 .

4 نصبوا في الديوان : أجحفوا 138 .

5 من جلله : من أجله ، أو من عظمه في عيني .

6 التمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص . والعارمات : القوية الشديدة . والمدب : مجرى السيل . والأسل : نبات له أغصان كثيرة ، واحده أسلة .

بين عَلْياءِ وابِشٍ فبُلَيٍّ ... فالغَميمِ الذي إلى جَبَلِهْ[1]
واقفاً في ديارِ أُمِّ جُسَيرٍ ... من ضُحَى يَومِه إلى أُصُلِهْ[2]
يا خليلَيَّ إن أُمَّ جُسَيرٍ ... حين يدنو الضجيعُ من غَلَلِهْ[3]
روضةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزامَى ... جادَ فيها الربيعُ من سَبَلِهْ[4]
بينما هُنَّ بالأراكِ معاً ... إذ بدا راكبٌ على جَمَلِهْ
فتأطَّرْنَ ثم قلنَ لها ... أكْرِميهِ حُيِّيتِ في نُزُلِهْ[5]
فظَلِلْنا بنَعْمةٍ واتّكأنا ... وشَرِبنا الحلالَ من قُلَلِهْ[6]
قد أصُون الحديثَ دونَ خليلٍ ... لا أخافُ الأذاةَ من قِبَلِهْ
غيرَ ما بِغْضَةٍ ولا لاجتنابٍ ... غيرَ أنّي ألحتُ من وَجَلِهْ
وخليلٍ صاقَبْتُ مُرْتضياً ... وخليلٍ فارقتُ من مَلَلِهْ[7]

قال : فأنشده إيّاها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلتَه مولّياً . فقال ابن الأزْهر : هذا أشعرُ أهلِ الإسلام . فقال ابن حَسّان : نعمْ واللهِ وأشعرُ أهلِ الجاهليّة ، والله ما لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نَسيبه . فقال عبد الرحمن بن الأزهر : صدقتَ . قال نُصَيب : وأنشدتُ الوليدَ فقال لي : أنت أشعرُ أهلِ جِلْدتك ، والله ما زاد عليها . فقلت : يا أبا مِحْجَن ، أفَرَضيتَ منه بأن تكونَ أشعرَ السُّودان ؟ قال : وَدِدْتُ والله يا ابنَ أخي أنّه أعطاني أكثرَ من هذا ، ولكنّه لم يفعل ، ولستُ بكاذِبك .

[كان صادق الصبابة وكان كثيّر يتقوّل]

أخبرني أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاَّم قال : كان لكثيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر ، وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب ؛ وكان كثيِّر راويةَ جميل ، وكان جميل صادقَ الصَّبابة والعشق ، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنّه كان يتقوّل . وكان الناس يستحسنون بيتَ

1 وابش : واد أو جبل بين وادي القرى والشام . بلي : تل قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق . الغميم : موضع بالحجاز .
2 أم جسير : أخت بثينة صاحبة جميل .
3 الغلل : داء وقيل هو الماء بين الأشجار ، وقيل من معاني الغلل العطش وحرارته .
4 الحنوة : نبات سهلي طيّب الريح . والسبل : المطر .
5 التأطّر : التثنّي : والنُزُل : ما يهيّأ للضيف أن ينزل عليه .
6 اتّكأنا : معناه طعمنا وأكلنا .
7 صاقبته : قاربته .

كثيِّر في النسيب : [من الطويل]

أُريد لأنْسَى ذكرَها فكأنَّما   تمثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

قال : ورأيتُ مَن يفضِّل عليه بيتَ جميل : [من الطويل]

خليليّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما   قَتِيلاً بَكى من حبِّ قاتِله قَبْلي

قال ابن سَلاّم : وهذا البيت الذي لكثيِّر أخذه من جميل حيث يقول : [من الطويل]

أُريد لأنْسَى ذكرَها فكأنّما   تَمثَّلُ لي لَيْلَى على كلِّ مَرْقَبِ

[عرض الفرزدق لكثيِّر بأنّه سرق منه فردّ عليه بمثله]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن محمَّد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن محمَّد بن عبد العزيز عن أبي شِهاب عن طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف قال : لقي الفرزدقُ كثيِّراً بقارعة البَلاط[1] وأنا وهو نمشي نريد المسجد ؛ فقال له الفرزدق : يا أبا صَخْر ، أنت أنْسَبُ العرب حين تقول : [من الطويل]

أُريد لأنْسَى ذكرَها فكأنّما   تَمثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

يعرِّض له بسرقته من جميل . فقال له كثيِّر : وأنت يا أبا فِراس أفخرُ[2] الناس حين تقول : [من الطويل]

تَرى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خَلْفَنا   وإن نحن أوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفُوا

قال عبد العزيز : وهذا البيت أيضاً لجميل سرقَه الفرزدقُ . فقال الفرزدق لكثيِّر : هل كانت أُمُّك مَرَّتْ بالبصرة ؟ قال : لا ؛ ولكن أبي ، فكان نَزِيلاً لأُمِّك . قال طَلْحَةُ بن عبد الله : فوالذي نَفْسي بيده لَعَجِبْتُ من كثيِّر وجوابه ، وما رأيتُ أحداً قطُّ أحمقَ منه ، رأيْتُني دخلتُ عليه يوماً في نَفَرٍ من قريش وكنّا كثيراً ما نتهزَّأُ به ، فقلنا : كيف تَجِدُك يا أبا صَخْر ؟ قال : بخيرٍ ، أما سمعتم الناسَ يقولون شيئاً ؟ قلنا : نعمْ ، يتحدّثون أنّك الدجّال . فقال : والله لئن قلتم ذاك إنّي لأجد في عيني هذه ضَعْفاً منذ أيّام .

[كان كثيِّر يفضّله على نفسه ويبدأ بإنشاد شعره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال كتب إليّ أبو محمَّد إسحاقُ بن إبراهيم يقول حدَّثني أبو عُبيدة عن جُوَيْرِيَةَ بن أسْماء قال : كان أبو صَخْر كثيِّر صديقاً لي ؛ وكان يأتيني كثيراً ، فقلَّما استنشدتُه إلاّ بدأ بجَميل وأنْشد له ثم أنْشد لنفسه ، وكان يفضِّله ويتَّخذه إماماً .

---

1 موضع معروف بالمدينة .

2 في ل : أشعر .

قال الزُّبَير وكتب إليّ إسحاقُ يقول حدَّثني صَباح بن خاقانَ عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المُنْذِر بن الزُّبَير قال : ذُكِر جميلٌ لكثيِّر ، فقالوا : ما تقول فيه ؟ فقال : منه علَّم اللهُ عزّ وجلّ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال حدَّثني أبو يحيى الزُّهريّ عن إسحاق بن قَبِيصَةَ الكُوفيّ عن رجل سمّاه قال : سألت نُصَيباً : أَجَمِيلٌ أَنْسَبُ أم كثيِّر ؟ فقال : أنا سألتُ كثيِّراً عن ذاك فقال : وهل وَطّأ لنا النَّسِيبَ إلاّ جَميل ! .

قال عمر بن شبّة وقال إسحاق حدَّثني السَّعِيديّ عن أبي مالك النَّهْدِيّ قال : جلَس إلينا نُصَيب فذكرنا جميلاً ، فقال : ذاك إمامُ المحبِّين ، وهل هَدَى اللهُ عزّ وجلّ لما تَرى إلاّ بجميل .

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عُبَيدة عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال : ما استنشدتُ كثيِّراً قَطّ إلاّ بدأ بجَميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه ، وكان يفضّله ويتّخذه إماماً .

[أوّل عشقه بثينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني بُهْلُول بن سليمان بن قِرْضاب البَلَوِيّ قال : كان جميل يَنْسُب بأمّ الجُسَير ، وكان أَوَّلَ ما علِق بُثَيْنَةَ أنّه أقبل يوماً بإبِلِهِ حتى أَوْردها وادياً يقال له بَغيض ، فاضطجع وأرسل إبلَه مُصْعِدةً ، وأهلُ بثينة بذَنَب الوادي ؛ فأقبلتْ بثينةُ وجارةٌ لها واردتَيْن الماءَ ، فمرّتا على فِصالٍ له بُرُوكٍ فَعَرَمَتْهنّ[1] بثينةُ ، يقول : نَفَّرَتْهنّ ، وهي إذ ذاك جُوَيْرِيَةٌ صغيرة ؛ فسبّها جميلٌ ، فافترتْ عليه ، فملُح إليه سِبابُها فقال : [من الطويل]

وأوّلُ ما قادَ المودّةَ بيننا ... بوادِي بَغيضٍ يا بُثَيْنَ سِبابُ
وقلنا لها قَوْلاً فجاءت بمثله ... لكلِّ كلامٍ يا بُثَيْنَ جوابُ

قال الزُّبَير وحدَّثني محمَّد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نُبَيه بن الأسود العُذْرِيّ وكانت بثينةُ عند أبيه نُبَيه بن الأسْود ، وإيّاه يَعْنِي جَميلٌ بقوله : [من الطويل]

لقد أنْكَحُوا جَهْلاً نُبَيهاً ظَعِينةً ... لَطِيفةَ طَيِّ الكَشْحِ ذاتَ شَوىً خَدْلِ[2]

قال الزُّبَير وحدَّثني أيضاً الأَسْباطُ بن عيسى بن عبد الجَبّار العُذْرِيّ أنّ جميلَ بنَ مَعْمَر

1 عرمتهن : أصابتهن بشرّ وأذى .
2 الخدل : الممتلىء .

خرج في يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزيَّنَّ ويَبْدُو بعضُهنّ لبعضٍ ويَبْدُونَ للرجال ، وأنّ جميلاً وقف على بُثينة وأختها أمِّ الجُسَير في نساء من بني الأَحَبّ وهنّ بناتُ عمّ عُبيد الله بن قُطْبة أخي أبيه لَحّاً ، فرأى منهنّ منظراً وأعْجبنه وعشِق بُثَينة وقعد معهنّ ، ثم راح وقد كان معه فِتْيانٌ من بني الأَحَبّ ، فعلِم أنّ القوم قد عَرفوا في نظره حبَّ بُثَينة ووجَدوا عليه ، فراح وهو يقول : [من الكامل]

عَجِلَ الفِراقُ ولَيْتَه لم يَعْجَلِ   وجرتْ بوادرُ دَمْعِك المُتَهَلِّلِ
طَرَباً وشاقَك ما لَقِيتَ ولم تَخَفْ   بَيْنَ الحبيبِ غداةَ بُرْقةِ مِجْوَلِ
وعرفتَ أنّك حين رُحْتَ ولم يكن   بعدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشْكِلِ
لن تَستطيعَ إلى بثينة رَجْعَةً   بعد التفرُّق دون عامٍ مُقبِلِ

قال : وإنّ بُثَينة لمّا أُخبرتْ أنّ جميلاً قد نسَب بها حَلَفَتْ بالله لا يأتيها على خَلاءٍ إلاّ خَرَجتْ إليه ولا تَتوارى منه ، فكان يأتيها عند غَفَلاتِ الرجال فيتحدّث إليها ومع أخواتها ، حتى نُمِيَ إلى رجالها أنّه يتحدّث إليها إذا خلا منهم ، وكانوا أَصْلافاً غُيُراً ، أو قال غَيارى ، فرصَدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضعةَ عَشَرَ رجلاً وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بُثَينةَ وأُمّ الجُسَير وهما يحدِّثانه وهو يُنْشِدُهما يومئذٍ : [من الطويل]

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنىً   هُوِيَّ القَطا يَجْتَزْنَ بطنَ دَفِينِ[1]
لقد ظَنّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً   سُلَيْمَى ولا أُمَّ الجُسَيْرِ لِحِينِ
فليتَ رجالاً فيك قد نذَرُوا دَمي   وهَمُّوا بقَتْلي يا بُثَينَ لَقُوني

فبينا هو على تلك الحال إذ وثَب عليه القومُ فرماهم بها فسبقَتْ به وهو يقول : [من الطويل]

إذا جمع الإثنان جمعاً رميتُهم   بأركانها حتى تُخَلَّى سبيلُها

فكان هذا أوّلَ سببِ المُهاجاةِ بينه وبين عُبيد الله بن قُطْبة .

[واعدته بثينة فمنعها أهلها فقرّعه نساء الحيّ ، وشعره في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال : حدّثني بهلول بن سليمان عن مشيخة من عذرة وبلي : أن رهط بثينة نذروا دمَ جميل وسمعوا أنه أمسى بوادي القرى ، وهو يريد طريق مكة ، فخرج منهم ركبان فتقدموا فوجدوه على مضيق من الطريق بسند الوادي ، فأخذوا جانبي القرى يأخذه السيل ، وهو جهد ما تخرج منه الراحلة ، فعرفوا أنه جميل وصاحباه فحرسوا

1 دفين : اسم موضع .

بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده ، فلما أسفر له الصبح انصرف كئيباً سيىء الظن بها ، ورجع إلى أهله ، فجعل نساء الحي يُقرِّعنه بذلك ، ويقلن له : إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرُها أولى بوَصْلك منها ، كما أنَّ غيرَك يحظَى بها . فقال في ذلك : [من الكامل]

صوت

أَبُثَيْن إنّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحِي وخُذِي بحَظكِ من كريمٍ واصلِ
فأجبتُها في القول بعد تَستُّرٍ حُبِّي بثينةَ عن وِصالِكِ شاغِلِي
فلربَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها بالجِدّ تَخْلِطه بقولِ الهازلِ
لو كان في صدري كقَدْرِ قُلامةٍ فَضْلاً وصلتُكِ أو أَتتكِ رسائلي

الغناء ليحيى المكّيّ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه : [من الكامل]

صوت

ويَقُلْنَ إنّكَ قد رَضِيتَ بباطلٍ منها فهل لكَ في اجتنابِ الباطلِ
ولَباطِلٌ ممّا أُحِبُّ حديثَه أشهَى إليّ من البَغيضِ الباذلِ
لِيُزِلْنَ عنك هوايَ ثم يَصِلْنَني وإذا هَوِيتُ فما هوايَ بزائلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ، وذكر في نسخته الثانية أنّه ليزيد حَوْراء . وروى حَماد عن أبيه في أخبار ابن سُرَيج أنّ لابن سُرَيج فيه لحناً ولم يجنِّسه : [من الكامل]

صادتْ فؤادي يا بُثَيْنَ حِبالكُم يومَ الحَجُونِ وأخطأتْكِ حبائلي
مَنَّيْتِني فلَوَيْتِ ما مَنَّيْتني وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ
وتثاقلتْ لمّا رأت كَلَفِي بها أَحْبِبْ إليّ بذاكَ من متثاقلِ
وأطعتِ فيَّ عواذِلاً فهجرتني وعَصَيْتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذلي
حاولنني لأَبُتَّ حبلَ وِصالكم منّي ، ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعلِ
فرددتُهن وقد سَعَيْنَ بهجرِكم لمّا سَعَيْنَ له بأفْوَقَ ناصِلِ[1]
يَعْضَضْنَ من غيظٍ عليّ أناملاً ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنادِلِ
ويقلن إنّكِ يا بُثَيْن بخيلةٌ نفسي فداؤكِ من ضَنِينٍ باخلِ

قالوا : وقال جميل في وَعْد بثينةَ بالتَّلاقي وتأخُّرِها قصيدةً أوّلها : [من الكامل]

---

1 السهم الأفوق : الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زنمتيه . والفُوق : مشتقّ رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرفاه : زنمتاه . وناصل : لا نصل له .

يا صاحِ عن بعض المَلامةِ أَقْصِرِ إنّ المُنَى لِلِقاءِ أُمِّ المِسْوَرِ

فممّا يغنَّى فيه منها قوله : [من الكامل]

صوت

وكأنّ طارقَها على عَلَلِ الكَرى والنجمُ وَهْناً قد دنا لتَغَوُّرِ
يَسْتافُ ريحَ مُدامةٍ معجونةٍ بذَكيٍّ مِسْكٍ أو سَحيقِ العَنْبَرِ[1]

الغناء لابن جامعٍ ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية الهشاميّ . وذكر عمرو بن بانةَ أنّه لابن المكّيّ .

ومّما يغنّى فيه منها قوله : [من الكامل]

صوت

إنّي لأَحفظُ غَيْبَكم ويسرُّني إذ تَذْكُرِينَ بصالحٍ أن تَذْكُري
ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلاً أو نَلْتَقِي فيه عليّ كأَشْهُرِ
يا ليتني أَلْقَى المنيَّةَ بغتةً إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
أو أَستطيعُ تَجَلُّداً عن ذكرِكم فيُفيقَ بعضُ صبابتي وتَفكُّري

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه يقول : [من الكامل]

أَلو قد تُجِنّ كما أُجِنّ مِنَ الهوى لَعَذَرْتَ أو لظلمتَ إن لم تَعْذِرِ
واللهِ ما للقلبِ من علمٍ بها غيرُ الظنونِ وغيرِ قولِ المُخْبِرِ
لا تحسَبي أنّي هجرتُكِ طائعاً حَدَثٌ لعمرُكِ رائعٌ أن تُهْجَري
فَلْتَبْكِيَنَّ الباكياتُ وإن أَبُحْ يوماً بسرِّكِ مُعْلِناً لم أُعْذَرِ
يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإن أَمُتْ يَتْبَعْ صَدايَ صداكِ بين الأَقْبُرِ

صوت

[من الكامل]

إنّي إليكِ بما وعدتِ لناظرٌ نظرَ الفقيرِ إلى الغنيِّ المُكْثِرِ
يَعِدُ الديونَ وليس يُنْجِزُ موعداً هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِرِ
ما أنتِ والوَعْدَ الذي تَعِدِينَني إلاّ كبرق سحابةٍ لم تُمْطِرِ[2]

---

1 يستاف : يشمّ . معجونة في ل : معلولة .

2 سحابة في ل : سحائب .

قلبي نصحتُ له فرَدّ نصيحتي فمَتى هَجَرْتِيهِ فمنــه تَكَثُّري[1]

الغناء في هذه الأَبيات لسُلَيم رَمَلٌ عن الهِشاميّ . وفيه قدحٌ طُنبوريّ أظنّه لِجَحْظة أو لعليّ بن مودة . قالوا : وقال في إخلافها إيّاه هذا الموعدَ : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ رَيْعانَ الشبابِ جديدُ ودهراً تولَّى يــا بُثَيْنَ يَعُودُ[2]

فنَغْنَــى كما كنّا نكــونُ وأَنتمُ قريبٌ وإذ مــا تَبْذُلِينَ زَهِيدُ[3]

ويروى :

ومـمّــا لا يَزيــد بعيدُ

وهكذا يغنَّى فيه : الغناء لسُلَيم خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وممّا يغنَّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ شعري هل أَبيتنّ ليلةً بوادِي القُرَى إنّي إذاً لسَعِيدُ

وهــل أَلْقَيَنْ فَــرْداً بثينةَ مرّةً تَجُــود لنا مــن ودّها ونَجُودُ[4]

عَلِقْتُ الهَوى منها وليداً فلم يَزَلْ إلى اليــوم يَنْمِــي حُبُّها ويَزِيدُ

وأَفنيْتُ عُمْرِي بانتظاريَ وَعْدَها وأَبْلَيتُ فيها الدَّهرَ وهــو جديدُ

فلا أَنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حبُّهـا فيمـا يَبِيــدُ يَبِيدُ

الغناء لَمَعْبدٍ ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى . وممّا يغنَّى فيه منها : [من الطويل]

صوت

وما أَنْسَ مِ الأَشياءِ لا أَنْسَ قولَها وقـــد قُرِّبَتْ نضوي أَمصرَ تُرِيدُ

ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى لزُرْتُكَ فاعذِرْني فَدَتْك جُدُودُ[5]

خليليّ مـا أَلْقى مـن الوجد قاتلي ودَمْعي بمــا قلتُ الغَداةَ شَهِيدُ[6]

يقولون جاهـدْ يــا جميلُ بغَزْوةٍ وأيَّ جهـــادٍ غيرَهــنّ أُرِيــدُ

---

1 هجرتيه فمنه تكثّري في ل : اسمه هجرة فتكثّري .

2 ريعان الشباب في الديوان أيّام الصفا 61 .

3 قريبٌ في الديوان صديق 62 .

4 في البيت اختلاف بيّن في الديوان 65 .

5 لزرتك في الديوان : أتيتك 62 .

6 ثمّة اختلاف بيّن في الديوان في هذا الشطر 62 .

لكــلِّ حديــثٍ بينهــنّ بَشاشةٌ　　وكلُّ قَتيــلٍ عندهــنّ شَهيــدُ

الغناء للغَريض خفيفُ ثقيلٍ من رواية حَمّاد عن أبيه . وفي هذه القصيدة يقول :

إذا قلتُ مـا بـي يـا بثينةُ قاتلي　　مـن الحبّ قالت ثابتٌ ويَزيدُ

وإن قلتُ رُدّي بعضَ عقلي أُعِشْ بـه　　مـع الناسِ قالت ذاكَ منكَ بعيدُ

ألا قــد أرى واللهِ أن رُبَّ عَبْرةٍ　　إذا الدّارُ شَطَّــتْ بيننا سترُودُ[1]

إذا فكَّرتْ قالت قد ادركتُ ودَّه　　ومـا ضَرَّني بُخْــلي فكيف أجُودُ

فلو تُكْشَفُ الأَحْشاءُ صُودِفَ تحتَها　　لبَثْنَــةَ حــبٌّ طـارِفٌ وتَلِيدُ

تُذَكِّرُنِيهـا كلُّ ريحٍ مَريضــةٍ　　لهـا بالتِّــلاعِ القاويــاتِ وَئيدُ[2]

وقـد تَلْتقِي الأَشْتاتُ بعد تفرُّقٍ　　وقـد تُـدْرَكُ الحاجاتُ وهي بعيدُ[3]

[عاتبته بثينة لشعر قاله فيها]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدَّثني عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : لقي جميلٌ بثينةَ بعد تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدّتُه ، فتعاتبا طويلاً فقالت له : وَيْحَكَ يا جميل ! أتزعم أنّك تَهْواني وأنت الذي تقول : [من الطويل]

رَمى اللهُ في عينــيْ بُثَينةَ بالقَذَى　　وفي الغُرّ من أنْيابِها بالقَوادِحِ !

فأطْرق طويلاً يبكي ثم قال : بل أنا القائلُ : [من الطويل]

ألا ليتَني أَعْمَى أَصمُّ تَقُودُني　　بثينةُ لا يَخْفَــى عليّ كلامُها

فقالت له : وَيْحك ؛ ما حملك على هذه المُنى ! أوليس في سعةِ العافية ما كفانا جميعاً ! .

[تجسّس أبوها وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة]

قال إسحاق وحدَّثني أيُّوب بن عَباية قال : سَعَتْ أَمَةٌ لبُثَيْنةَ بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما : إنّ جميلاً عندها الليلةَ ؛ فأتياها مشتملين على سيفين ، فرأياه جالساً حَجْرةً منها يحدّثها ويشكو إليها بَثّه ، ثم قال لها : يا بُثَيْنة ، أرأيتِ وُدّي إيّاكِ وشَغَفي بكِ ألا تَجْزِينيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابّين . فقالت له : يا جميل ، أهذا تَبْغي ! واللهِ لقد كنتَ عندي بعيداً منه ، ولئن عاودْتَ تعريضاً بريبةٍ لا رأيتَ وجهي أبداً . فضحك وقال : واللهِ ما قلتُ لكِ هذا إلاّ لأعلمَ ما عندَك فيه ، ولو علمتُ أنّك تُجيبينني إليه لعلمتُ أنّك

1 ترود أي تذهب وتجيء .
2 القاويات : الخاليات . والوئيد : الصوت العالي الشديد .
3 الأشتات في ل : الأسباب بعد إياسها . وفي الديوان اختلاف بيّن 65 .

تُجبين غيري ، ولو رأيتُ منك مساعدةً عليه لضربتُك بسيفي هذا ما استَمْسَكَ في يدي ، ولو أطاعتْني نفسي لهجرتُكِ هِجْرَةَ الأَبَدِ ؛ أَوَ ما سمعتِ قولي : [من الطويل]

وإنّـي لأَرْضَى مـن بُثَيْنَةَ بالذي ... لـو ابْصَرَه الواشي لقرّتْ بَلابِلُهْ
بَـلا وبـأن لا أستطيعَ وبالمُنَى ... وبالأملِ المرجوِّ قـد خاب آملُهْ
وبالنَّظْرَةِ العَجْلَى وبالحَوْل تَنْقضي ... أواخـرُه لا نَلْتَقـي وأوائلُهْ

قال فقال أبوها لأخيها : قُمْ بنا ، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها ، فانصرفا وتركاهما .

[قابلها مرّة بسعي صديق له]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب بن عَبايةَ عن رجل من عُذْرة قال : كنتُ تِرْباً لجميل وكان يَألَفُني ، فقال لي ذاتَ يوم : هل تساعدني على لقاء بُثينة ؟ فمضيتُ معه ، فكَمن لي في الوادي وبعَث بي إلى راعي بُثينة بخاتَمِه ، فدفعتُه إليه ، فمضى به إليها ثم عاد بمَوْعِد منها إليه . فلمّا كان الليلُ جاءته فتحدّثا طويلاً حتى أصْبحا ثم ودّعها وركب ناقته . فلمّا استوَى في غَرْزِها[1] وهي باركةٌ قالت له : ادْنُ منّي يا جميل .

صوت

[من الكامل]

إنّ المنـازلَ هيَّجـتْ أطْرابـي ... واستَعْجَمَـتْ آياتُهـا بجَوابـي
قَفْراً تَلُوحُ بـذي اللُّجَين كأنّها ... أنْضاءُ رَسْمٍ أو سُطورُ كتابِ
لمـا وَقَفْتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ ... منّـي الدموعُ لفُرْقـة الأَحبابِ
وذكرتُ عصراً يـا بثينةُ شاقَني ... وذكرتُ أيّامـي وشَرْخَ شبابي[2]

الغناء في هذه الأبيات للهُذَليّ ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[أرسل كثيِّراً إلى بثينة ليستجدّ منها موعداً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا إسحاق الموصليّ عن السَّعيديّ ، وأخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد عن أبيه قال حدّثنا أبو مالكٍ النَّهْدِيّ قال : جلس إلينا كثيِّر ذاتَ يوم فتذاكرْنا جميلاً ؛ فقال : لقيني مرّةً فقال لي : من أين أقبلت ؟ قلتُ : من عند أبي الحبيبة (أعني بثينة) . فقال : وإلى أين تمضي ؟ قلت : إلى

1 الغرز : ركاب الرحل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب .
2 في الديوان اختلاف بيِّن 32 .

الحبيبة (أعني عَزّة) . فقال : لا بدّ من أن ترجع عَوْدك على بَدْئك فتستجدّ لي موعداً من بُثَينـة . فقلت : عهدي بها الساعةَ وأنا أستحيـي أن أرجِع . فقـال : لا بـدّ من ذلك . فقلت لـه : فمتى عَهْدُك ببُثينة ؟ فقال : في أوّل الصيد وقد وقعتْ سحابةٌ بأسفل وادي[1] الدَّوْم فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تَغسِل ثيابَهـا ؛ فلمّا أبصرتْني أنكرتْنـي ، فضربتْ بيديها إلى ثوب في الماء فالتَحفتْ به ، وعرَفتني الجاريةُ ، فأعادت الثوب في الماء ، وتحدّثْنا حتى غابت الشمس . وسألتُها الموعد فقالت : أهلي سائرون ؛ وما وجدتُ أحداً آمَنُه فأُرسلَه إليها . فقال له كُثيِّر : فهل لك في أن آتيَ الحيّ فأنْزِعَ[2] بأبياتٍ من شعرٍ أذكرُ فيها هذه العَلامة إن لم أقدِر على الخَلْوة بها ؟ . قال : ذلك الصوابُ ، فأرسله إليها ؛ فقال له : انتظرْني . ثم خرج كثيِّر حتى أناخ بهم . فقال له أبوها : ما رَدّكَ ؟ قال : ثلاثةُ أبياتٍ عرَضتْ لي فأحببتُ أن أعْرِضها عليكَ . قال : هاتِها . قال كثيِّر : فأنشدته وبُثَيْنةُ تسمَع : [من الطويل]

فقلتُ لها يـا عـزَّ أُرْسِلُ صاحبي ... إليـكِ رسولاً والمُوَكَّـلُ مُرْسَلُ
بأن تجعَـلي بَيْني وبَيْنَكِ موعِداً ... وأنْ تأمُريني ما الذي فيــه أفعلُ
وآخِــرُ عهــدي منكِ يومَ لقيتني ... باسفلِ وادي الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ

قال : فضربتْ بُثينة جانبَ خِدْرها وقالت : إخْسَأ إخْسَأ ! فقال أبوها : مَهْيَمْ[3] يا بُثَينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نَوّم الناسُ من وراء الرّابية . ثم قالت للجارية : ابْغِينا من الدَّوْماتِ حطباً لنذبحَ لكثيِّر شاةً ونشويَها له . فقال كثيِّر : أنا أعجَلُ من ذلك . وراح إلى جميلٍ فأخبره . فقال له جميل : الموعدُ الدَّوْماتُ . وقالت لأُمّ الحسين ولَيْلَى ونُجَيّا بناتِ خالتها وكانت قد أنِسَتْ إليهنَّ واطمأنّتْ بهنّ : إنّي قد رأيتُ في نحو نشيدِ كثيِّر أنّ جميلاً معه . وخرج كثيِّر وجميلٌ حتى أتَيا الدَّوْماتِ ، وجاءت بُثَيْنة ومَن معها ، فما برِحوا حتى بَرَق الصبحُ . فكان كثيِّر يقول : ما رأيتُ مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثل علمِ أحدهما بضمير الآخر ! ما أدْرِي أيُّهما كان أفْهمَ !

[وصف صالح بن حسّان بيتاً من شعره]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخَليل بن أسَد قال حدَّثنا العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ ، وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال قال لي

1 وادي الدوم : واد معترض من شمال خيبر إلى قبليها ، وهو يفصل بين خيبر والعوارض .
2 نزع الشعر : تمثّل به .
3 مهيم : كلمة يمانية معناها : ما أمركِ ، وما شأنكِ ، وما الذي أرى بك ؟ ونحو هذا من الكلام .

صالح بن حَسّان : هل تعرف بيتاً نصفه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخرُه مخنَّثٌ من أهل العَقيق يتقصَّف تقصُّفاً ؟ قلتُ : لا . قال : قد أجَّلتُك حَوْلاً . قلتُ : لا أَدْرِي ما هو ؛ فقال قولُ جميل : [من الطويل]

ألاَ أيُّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا

كأنّه أعرابيّ في شَمْلة . ثم أدركه ما يدرك العاشقَ فقال : [من الطويل]

أُسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحبُّ

كأنّه من كلام مُخنَّثي العَقيق .

[أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال أخبرنا عبد الله بن أبي كَريم عن أبي عمرو وإسحاقَ بن مَروان قال : عشق جميلٌ بثينة وهو غلام ، فلمّا بلغ خطبَها فمُنع منها ، فكان يقول فيها الأشعارَ ، حتى اشتهَر وطُرِد ، فكان يأتيها سِرّاً ثم تزوّجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خُفْية إلى أن استُعمل دَجاجةُ بن رِبعِيّ على وادي القُرَى فشكوْه إليه فتقدّم إليه ألاّ يُلِمَّ بأبياتها وأهْدَر دمَه لهم إن عاود زيارتَها ، فاحتَبس حينئذٍ .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدَّثنا أحمد بن أبي العَلاء قال حدَّثني إبراهيم الرَّمّاح قال حدَّثنا جابر أبو العَلاء التَّنوخيّ قال : لمّا نذَر أهلُ بُثَينة دمَ جميل وأهدَره لهم السلطان ضاقتْ الدنيا بجميل ، فكان يَصْعَد بالليل على قُورٍ[1] رملٍ يتنسَّم الريحَ من نحو حَيّ بُثينة ويقول : [من الوافر]

أيـا ريحَ الشَّمالِ أما تَرَيْني ... أَهِيمُ وأنّني بـادِي النُّحُولِ
هَبي لي نَسْمةً من ريح بَثْنٍ ... ومُنّي بالهُبُـوبِ إلى جَميلِ
وقولي يا بُثَينةُ حَسْبُ نَفْسي ... قليلُكِ أو أَقَـلُّ من القليلِ

فإذا بدا وَضَحُ الصبح انصرف . وكانت بثينة تقول لجَوارٍ من الحيّ عندها : وَيْحَكنّ ! إنّي لأَسمع أَنِينَ جميل من بعض القِيرانِ ؛ فيقلن لها : اتَّقي الله ؛ فهذا شيء يخيِّله لك الشيطانُ لا حقيقةَ له .

[تذاكر هو وكثيِّر شعريهما في العشق وبكيا]

حدَّثني أحمد بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدَّثني أحمد بن يَعْلَى قال حدَّثني سُوَيد بن عِصام قال حدَّثني رَوْح أبو نعيم قال : التقى جميلٌ وكثيِّر فتَذاكرا النَّسيبَ ؛ فقال

1 القور : الآكام العظيمة ، واحدها قارة .

كثيِّر : يا جميل ، أترى بُثَينة لم تسمع بقولك : [من الطويل]

يقيلكِ جميل كلَّ سُوءٍ ، أمـا لـه لديكِ حديـثٌ أو إليكِ رسولُ
وقد قلـتُ في حبِّي لكم وصَبابتي مَحاسِنَ شعـرٍ ذِكْرُهـنّ يَطُولُ
فـإن لم يكـن قولي رضاكِ فعَلِّمِي هُبوبَ الصَّبا يـا بَثْن كيف أقولُ
فما غاب عن عيني خيالُكِ لحظةً ولا زال عنهـا ، والخيالُ يَزُولُ

فقال جميل : أترى عَزَّة يا كثيِّر لم تسمع بقولك : [من الطويل]

يقول العِدا يا عَزّ قـد حال دونكم شجاعٌ على ظهر الطريق مصَمِّمُ
فقلتُ لها واللهِ لـو كان دونكم جهنّمُ مـا راعـتْ فؤادِي جهنّمُ
وكيف يَرُوع القلبَ يا عـزّ رائعٌ ووجهكِ في الظّلْماء للسَّفْر مَعْلَمُ
وما ظلمتْكِ النفسُ يا عَزّ في الهوى فـلا تَنْقِمِي حُبِّي فما فيه مَنْقَمُ

قال : فبكيا قطعةً من الليل ثم انصرفا .

[واعد بثينة وعرف ذلك أهلُها فلم تذهب]

وقال الهيثم بن عديّ ومن ذكَر روايتَه معه من أصحابه : زار جميلٌ بُثَنَةَ ذاتَ يومٍ ، فنزل قريباً من الماء يترصّد أَمَةً لها أو راعية ، فلم يكن نزولُه بعيداً من ورود أَمَة حبشيّة معها قِربةٌ ، وكانت به عارفةً وبما بينها وبينه . فسلَّمتْ عليه وجلست معه ، وجعل يحدِّثها ويسالها عن أخبار بُثَينة ويحدِّثها بخبره بعدها ويُحمِّلُها رسائلَه . ثم أعطاها خاتَمه وسألها دَفْعَه إلى بُثَينة وأخْذَ موعدٍ عليها ، ففعلتْ وانصرفتْ إلى أهلها وقد أبطأتْ عليهم . فلقيها أبو بُثَينة وزوجُها وأخوها فسألوها عمّا أبطأ بها ، فالتوتْ عليهم ولم تُخبرهم وتعلَّلتْ ؛ فضربوها ضرباً مبرِّحاً ؛ فأعلمتْهم حالَها مع جميل ودفعتْ إليه خاتَمه . ومرَّ بها في تلك الحال فَتَيان من بني عُذْرة فسمعا القصّة كلَّها وعرَفا الموضعَ الذي فيه جميل ، فأحبّا أن يُثبِّطا عنه فقالا للقوم : إنّكم إن لقيتُم جميلاً وليستْ بُثَينةُ معه ثم قتلتُموه لزمكم في ذلك كلُّ مكروه ؛ وأهلُ بُثَينة أعزُّ عُذْرَةَ ، فدَعُوا الأمَةَ تُوصِّل خاتَمه إلى بُثَينة ، فإذا زارها بيَّتُوهما جميعاً ؛ قالوا : صدَقتما لعَمْري إنّ هذا الرأيُ . فدفعوا الخاتم إلى الأمَةَ وأمروها بإيصاله وحذَّرُوها أن تُخبر بثينة بأنّهم علِموا القِصّة ، ففعلتْ . ولم تُعلم بثينةُ بما جَرى . ومضى الفَتَيانِ فأنذرا جميلاً ؛ فقال : واللهِ ما أرْهَبهم ، وإن في كِنانتي ثلاثين سهماً والله لا أخطأ كلُّ واحد منها رجلاً منهم ، وهذا سيفي والله ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبانُ الجَنان . فناشداه اللهَ وقالا : البقيَّة[1] أصلح ، فتُقيم

1 البقية كالبقيا وهي أن تبقي على عدوٍ له ولا تستأصله .

عندنا في بيوتنا حتى يَهْدأ الطلب ، ثم نبعثُ إليها فتزورُك وتَقْضي من لقائها وَطَراً وتنصرفُ سليماً غير مُؤبَّن[1] . فقال أمّا الآنَ فابعثا إليها مَن يُنذرها ؛ فأتياه براعيةٍ لهما وقالا له : قُلْ بحاجتك ؛ فقال : ادخلي إليها وقُولي لها : إنّي أردتُ اقتناصَ ظبي فحذره ذلك جماعةٌ اعْتَوَرُوه من القُناص ففاتَني الليلةَ . فمضتْ فأعلمتْها ما قال لها ؛ فعرَفتْ قصّته وبحثتْ عنها فعرفتْها ؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصَدوها فلم تَبْرَحْ مكانَها ومَضَوْا يَقْتصُّون أثَره فرأوْا بعرَ ناقته فعرفوا أنّه قد فاتهم ، فقال جميل في ذلك : [من الطويل]

خليليّ عُوجا اليومَ حتى تسلّما ... على عَذْبةِ الأنيابِ طيّبة النَّشْرِ
ألِمّا بها ثم اشفَعا لي وسلّما ... عليها سقاها اللهُ من سَبَلِ القَطْرِ[2]

* * *

إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتياقاً وإن نأت ... جَزِعْتُ لنأي الدار منها وللبُعْدِ[3]
أبى القلبُ إلاّ حبَّ بَثْنةَ لم يُرِدْ ... سِواها وحبُّ القلب بَثْنَةَ لا يُجْدِي

قال : وقال أيضاً : ومن الناس من يُضيف هذه الأبيات إلى هذه القصيدة ؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القَوافي تدلّ على أنّها مفردةٌ عنها ، وهي : [من الطويل]

ألم تَسْألِ الدارَ القديمةَ هل لها ... بأمّ جُسَيْرٍ بعد عهدكَ من عهدِ

وفيها يقول : [من الطويل]

صوت

سَلي الرَّكْبَ هل عُجْنا لِمَغْناكِ مَرّةً ... صدورَ المطايا وهي مُوقَرَةٌ تَخْدِي
وهل فاضتِ العينُ الشَّرُوقُ بمائها ... مِنَ آجْلِكِ حتى أخْضَلَ من دمعها بُرْدِي

الغناء لأحمد بن المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى :

وإنّي لأسْتَجْرِي لكِ الطيرَ جاهداً ... لتجري بيُمْنٍ من لقائكِ من سعدِ
وإنّي لأسْتَبْكي إذا الركبُ غَرَّدُوا ... بذكراكِ أن يحيا بكِ الركبُ إذ يَخْدِي
فهل تَجْزِيَنّي أمُّ عمرٍو بودّها ... فإنّ الذي أخْفِي بها فوقَ ما أبْدِي
وكلُّ محبٍّ لم يَزِدْ فوقَ جَهْدِه ... وقد زدتُها في الحبّ منّي على الجَهْدِ

---

1 غير مؤبن : غير معيب . يريد لم تصب بمكروه .

2 سبل في الديوان : سائغ 103 .

3 دنت في الديوان : صقبت 74 .

[قصّته مع أُمّ منظور وقد أَبت عليه أَن تريه إيّاها]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن إبراهيم وغيره وبُهْلول بن سليمان البَلَوِيّ : أَنّ رهط بُثَينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يَثِقُون بها يقال لها أُمّ منظور . فجاءها جميل فقال لها : يا أُمّ منظور ، أَريني بثينةَ . فقالت : لا ؛ واللهِ لا أَفعل ، قد ائتمنوني عليها . فقال : أَما واللهِ لأَضُرَّنَّكِ ؛ فقالت : المَضَرَّةُ واللهِ في أَن أُرِيكَها . فخرج من عندها وهو يقول : [من الطويل]

ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها نظرةً سَلَفَتْ ... بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمُّ منظورِ[1]

ولا انسِلابَتَها خُرْساً جبائرُها ... إليَّ من ساقِط الأَرْواقِ مستورِ[2]

قال : فما كان إلاّ قليلٌ حتى انتهى إليهم هذان البيتان . قال : فتعلَّقوا بأُمّ منظور فحلَفتْ لهم بكلِّ يمينٍ فلم يقبلوا منها ؛ هكذا ذكَر الزُّبَير بن بَكّار في خبر أُمّ منظور ، وقد ذُكر فيه غير ذلك .

[استدعى مصعب أمّ منظور وسألها عن قصّتها مع جميل وبثينة]

أُخبرني محمَّد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدَّثنا أَحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدَّثني العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ ، وأَخبرني به ابنُ أَبي الأَزهر عن حَمّاد عن أَبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ : أَنّ رجلاً أَنْشد مُصْعَبَ بنَ الزُّبَير قولَ جميل : [من الطويل]

ما أَنْسَ لا أَنسَ منها نظرةً سلَفتْ ... بالحِجْر يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ

فقال : لودِدْتُ أَنّي عرفتُ كيف جَلَتها . فقيل له : إنّ أُمّ منظور هذه حَيّة . فكتب في حَمْلِها إليه مكرَّمة فحُمِلتْ إليه . فقال لها : أَخبريني عن قول جميل : [من الطويل]

ما أَنْس لا أَنْس منها نظرةً سلَفتْ ... بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ

كيف كانت هذه الجَلْوة ؟ قالت : أَلبستُها قِلادَةَ بَلَح ومِخْنَقةَ بَلَح واسطتُها تفّاحةٌ ، وضفَرتُ شعرَها وجعلت في فَرْقِها شيئاً من الخَلُوق . ومَرّ بنا جميلٌ راكباً ناقته فجعل ينظر إليها بمُؤْخِرِ عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنّا . فقال لها مُصْعَب : فإنّي أُقْسِم عليكِ إلاّ جَلَوْتِ عائشةَ بنت طَلْحة مثلَ ما جَلَوْتِ بثينةَ ، ففعلتْ . وركب مُصْعَبٌ ناقتَه وأَقبل عليهما وجعل ينظرُ إلى عائشةَ بمُؤْخِرِ عينِه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع .

---

1 الحجر : اسم موضع .

2 انسلب في الأصل : أسرع ، كأنّه لسرعته يخرج من جلده ، وهو في الأصل أكثر ما يستعمل في الناقة . الجبائر : الأساور . الأرواق : الفساطيط .

[زارها مرّة متنكّراً في زيّ سائل]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني بُهْلول عن بعض مشايخه : أنّ جميلاً جاء إلى بُثينة ليلةً وقد أخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحَيّ ، فوجد عندها ضِيفاناً لها ، فانتبَذ ناحيةً ، فسألْته : مَن أنت ؟ فقال : مسكينٌ مُكاتَب ، فجلس وحدَه ، فعَشّتْ ضيفانَها وعشّتْه وحدَه . ثم جَلَسَتْ هي وجاريةٌ لها على صِلائهما واضطَجع القومُ مُنْتَحِين . فقال جميلٌ : [من البسيط]

هــل البائسُ المَقْرورُ دانٍ فمُصْطَلٍ   مِـنَ النارِ أو مُعْطىً لِحافاً فلابسُ

[واعدته مرّة وأحسّ أهلها فمنعوها فقال في ذلك شعراً]

فقالت لجاريتها : صوتُ جميلٍ والله ؛ اذهبي فانظري ! . فرجعتْ إليها فقالت : هو والله جميل ! فشهَقت شَهْقةً سمعها القومُ فأقبلوا يَجْرُون وقالوا ما لكِ ؟ فطرحتْ بُرْداً لها من حِبَرَةٍ في النار وقالت : احترق بُرْدِي ، فرجع القومُ . وأرسلتْ جاريتَها إلى جميل ، فجاءتها به ، فحبسته عندها ثلاثَ ليالٍ ، ثم سلَّم عليها وخرج .

وقال الهَيْثَم وأصحابه في أخبارهم : كانت بُثَينةُ قد واعدتْ جميلاً للالتقاء في بعض المواضع ، فأتى لوَعْدها . وجاء أعرابيٌّ يَسْتضيف القومَ فأنزلُوه وقَرَوْه ، فقال لهم : إنّي قد رأيتُ في بطن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتَوارِينَ في الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يَسُلّوا بعضَ إبلِكم . فعرفوا أنّه جميلٌ وصاحباه ، فحرَسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده . فلمّا أسْفَرَ له الصبحُ انصرف كئيباً سيِّء الظنّ بها ورجَع إلى أهله ، فجعل نساءُ الحيِّ يُقَرِّعْنَه بذلك ويقلن لـه : إنّما حصَلتَ منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرُها أولى بوَصْلِك منها ، كما أنّ غيرك يَحْظى بها . فقال في ذلك : [من الكامل]

أبُثَين إنّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحِي   وخُذِي بحظِّكِ مـن كريم واصلِ

صوت

فلـرُبَّ عارضةٍ علينـا وصلَهـا   بالجِــدّ تَخْلِطُــه بقـول الهـازلِ
فأجبتُهـا بالقــول بعــد تستُّرٍ   حُبِّـي بثينةَ عن وصالكِ شاغلي
لــو كان في قلبـي كقَدْر قُلامـةٍ   فضلاً وصلتُك أو أتَتْـكِ رسائلي

الغناء ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية أحمد .

ويَقُلْنَ أنّكَ قـد رضيتَ بباطلٍ   منها فهل لك في اجتناب الباطلِ
ولباطــلٌ ممّــن أحــبُّ حديثَــه   أشْهَـى إليّ مــن البَغِيضِ الباذلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر عمر أنّه ليزيد حَوراء .

[قصّته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل في ذلك من الشعر]

وذكر الهَيْثَم بن عَدِيّ وأصحابُه أنّ جماعةً من بني عُذْرَةَ حَدّثوا أنّ جميلاً رصد بثينة ذاتَ ليلةٍ في نُجْعةٍ لهم ، حتى إذا صادف منها خَلْوةً سكِر ودنا منها وذلك في ليلةٍ ظَلماءَ ذاتِ غَيْم وريح ورعد ، فحذَفها بحَصاةٍ فأصابتْ بعضَ أترابها ، ففزِعتْ وقالت : واللهِ ما حذَفَني في هذا الوقت بحصاةٍ إلاّ الجنُّ ! فقالت لها بثينةُ وقد فطِنتْ : إنّ جميلاً فعل ذلك فانصرفي ناحيةً إلى منزلكِ حتى ننام ، فانصرفتْ وبقيتْ مع بُثَينةَ أُمُّ الجُسَيْر وأُمُّ منظور ، فقامت إلى جميل فأدخلتْه الخِباءَ معها وتحدّثا طويلاً ، ثم اضطَجع واضطجعتْ إلى جَنْبه فذهبَ النومُ بهما حتى أَصْبحا وجاءها غلامُ زوجِها بصَبُوح من اللبن بعث به إليها ، فرآها نائمةً مع جَميل ، فمَضى لوجهِه حتى خبَّر سيِّدَه . ورأَتْه لَيْلى والصَّبُوحُ معه وقد عَرفتْ خبرَ جميلٍ وبُثينة فاستوقفتْه كأنّها تسأله عن حاله وبعَثتْ بجارية لها وقالت حَذِّري بثينةَ وجميلاً ، فجاءت الجاريةُ فنبّهَتْهما . فلمّا تبيَّنَتْ بثينةُ الصبحَ قد أضاءَ والناسَ منتشرين ارتاعتْ وقالت : يا جميلُ ! نفسَكَ نفسَكَ ! فقد جاءني غلام نُبَيْهٍ بصَبُوحي من اللبن فرآنا نائمَيْن ؛ فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لما خَوّفَتْه منه : [من الطويل]

لعَمْرُكِ مــا خَوَّفْتِني مــن مَخافةٍ ... بُثَيْن ولا حَذَّرْتِني موضعَ الحَذَرْ
فأُقْسِمُ لا يُلْفَــى لِيَ اليومَ غِـرَّةٌ ... وفي الكَفِّ منِّي صارمٌ قاطِعٌ ذَكَرْ

فأقسمتْ عليه أن يُلْقيَ نفسَه تحت النَّضَدِ[1] وقالت : إنّما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك ، ففعل ذلك ونامت كما كانت ، واضطَجعتْ أُمّ الجُسَير إلى جانبها وذهبتْ خادمُ لَيْلَى إليها فأخبرتْها الخبرَ فتركتِ العبدَ يمضي إلى سيِّده فمضَى والصَّبُوح معه وقال له : إنِّي رأيتُ بثينة مُضْطَجعةً وجميلٌ إلى جَنبها . فجاءَ نُبَيه إلى أُخيها وأَبيها فأَخذ بأَيديهما وعرَّفهما الخبرَ وجاءوا بأَجمعهم إلى بُثينة وهي نائمة فكشَفوا عنها الثوبَ فإذا أُمُّ الجُسَير إلى جانبها نائمة . فخجِل زوجُها وسَبَّ عبدَه وقالت لَيْلَى لأُخيها وأَبيهـا : قبّحكما اللهُ ! أَفي كلِّ يوم تَفضَحان فَتاتَكما ويَلْقاكما هذا الأَعور فيها بكلِّ قبيح ؛ قبّحه اللهُ وإيّاكما ! وجعَلا يَسُبّان زوجَها ويقولان له كلَّ قول قبيح . وأَقام جميلٌ عند بثينةَ حتى أَجَنَّه الليلُ ثـم ودَّعهـا وانصرف . وحَذِرَتْهـم بُثَيْنةُ لِمَا جَرى من لقائه إيّاها فَتَحامَتْه[2] مـدّةً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

---

1 النضد : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض .

2 في ل : وحذرته عدة .

صوت

أَإِن هتَفتْ وَرْقــاءُ ظَلْتَ سَفاهةً … تُبَكّي على جُمْلٍ لوَرْقــاءَ تَهتِفُ
فلو كان لي بالصرم يا صاحِ طاقةٌ … صرَمتُ ولكنّي عن الصرم أَضعُفُ[1]

للهُذَليّ في هذين البيتين لحنانِ أَحدهما ثقيلٌ أَوّلُ بالسبّابة في مجرى البِنْصَر عن إسحاق ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وذكَر غيرُه أَنّه لابن جامع . وفيه لبَذْل الكُبْرى خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن أَحمد بن المَكّيّ . وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدةِ قولُه : [من الطويل]

صوت

لهــا في سَواد القلبِ بالحُــبّ مَيْعةٌ … هي الموتُ أَو كادتْ على الموت تُشْرِفُ
وما ذكرتْكِ النفسُ يــا بَثْنَ مــرّةً … مــن الدَّهــرِ إلاّ كادتِ النفسُ تَتْلَفُ
وإلاّ اعترتْنـــي زَفْـــرةٌ واستكانــةٌ … وجاد لهــا سَجْلٌ من الدَّمعِ يَذْرِفُ[2]
ومــا استَطْرفتْ نفسي حديثاً لخُلّةٍ … أُسَرُّ بــه إلاّ حديثُــكِ أَطْــرَفُ

الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أَوّلُ بالوُسْطى عن الهِشاميّ . وأَوّل هذه القصيدة :

أَمِــنْ منزلٍ قَفْــرٍ تَعَفَّــتْ رُسُومَــه … شَمالٌ تُغادِيــه ونَكْبــاءُ حَرْجَفُ[3]
فأَصبح قَفْراً بعــد مــا كان آهِلاً … وجُمْــلُ المُنَــى تَشْتُو بــه وتُصَيِّفُ
ظَلِلتُ ومُسْتَنٌّ مــن الدَّمعِ هامِلٌ … مــن العينِ لما عُجْتُ بالدّارِ يَنْزِفُ[4]
أَمُنْصِفَتــي جُمْــلٌ فتَعْـدِلَ بيننــا … إذا حكمتْ والحاكمُ العَدْلُ يُنْصِفُ
تعلَّقْتُهــا والجسمُ منّــي مصحَّحٌ … فما زال يَنْمي حُبُّ جُمْلٍ وأَضْعُفُ[5]
إلى اليومِ حتى سَلَّ جسمِي وشَفَني … وأَنكرتُ من نفسي الذي كنت أَعرِفُ
قَناةٌ مــن المُرّانِ مــا فــوقَ حَقْوِها … ومــا تحتَــه منهــا نَقــاً يتقصَّفُ

1 يا صاح في الديوان يا بثنُ 132 .
2 زفرة في الديوان : عبرة ، في الديوان اختلاف 132 .
3 الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
4 مستنّ : منصب .
5 في الديوان اختلاف 133 .

لهـا مُقْلَتـا رِيـم وجِيـدُ جِدايةٍ وكَشْحٌ كطَـيِّ السابِريَّـةِ أَهْيَفُ[1]
ولستُ بنـاسٍ أهلَهـا حـينَ أقْبَلُوا وجالُـوا علينـا بالسيوفِ وطَوَّفُوا
وقالوا جَميلٌ بـات في الحَيِّ عندها وقـد جَـرَّدوا أسيافَهم ثـم وَقَّفُوا
وفي البيت لَيْثُ الغابِ لـولا مَخافةٌ على نفس جُمْـلٍ والإلـهِ لأُرْعِفُوا[2]
همَمْتُ وقـد كادتْ مِراراً تطلَّعتْ إلى حَرْبِهم نفسي وفي الكفِّ مُرْهَفُ
ومـا سَرَّني غيرُ الذي كان منهـمُ ومنِّـي وقـد جـاءوا إليّ وأَوْجَفُوا
فكـم مُرْتَـجٍ أمراً أُتِيحَ لـه الرَّدَى ومـن خائـفٍ لم يَنْتَقِصْه التخوُّفُ

[له بيت نصفه أعرابيّ ونصفه مخنث]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَرِيّ ، وأخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخَليل بن أَسَد قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال ، قال لي صالح بن حَسّان : هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخِرُه مخنَّث يتفكَّك من مخنَّثي العَقِيق . فقلتُ : لا أَدْري . قال : قد أَجَّلْتُك فيه حَوْلاً . فقلت : لو أَجَّلْتَني حولَيْن ما علمتُ . قال : قولُ جميل : [من الطويل]

أَلاَ أَيُّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا

هذا أعرابيٌّ في شَمْلة . ثم قال : [من الطويل]

نسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ

كأنّه واللهِ من مخنَّثي العَقيق . في هذا الشعر غناء ؛ نسبتُه وشَرحُه : [من الطويل]

صوت

أَلاَ أَيُّها النُّـوّام وَيْحَكُمُ هُبُّوا نسائلُكم هل يقتُـل الرجلَ الحُبُّ
أَلا رُبَّ رَكْبٍ قد دفَعتُ وَجِيفَهم إليكِ ولولا أَنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة والوُسْطى عن يحيى المكّيّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبه إلى أَحد . وفيه لسُلَيم ماخُوريٌّ عن الهِشاميّ . وفيه لمالك ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مَجْرى الوسطى عن إسحاق ، وقيل : إنّه لمَعْبَد . وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ من رواية ابن

1 الجداية : الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغت ستّة أشهر . السابري : الرقيق من الثياب ، وهو أيضاً الدرع الدقيقة النسج .
2 أرعفه : أعجله .

المعتزّ . وذكر عبد الله بن موسى أنّ لحن مالك من الثقيل الأوّل وأنّ خفيف الرَّمَل لابن سُرَيج وأنّ الهزج لحَمْدونةَ بنتِ الرَّشِيد .

[جفا بثينة لما علقت حجنة الهلالي]

أخبرنا الحُسَين بن يحيى المِرْداسيّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب بن عَباية المُحْرِزيّ عن شيخ من رَهْطِ جميلٍ من عُذْرَةَ : أنّ بُثينة لما علِقَتْ حُجْنة الهِلاليّ جَفاها جميلٌ . قال : وأنشدني لجميلٍ في ذلك : [من الطويل]

صوت

بَيْنـــا حِبـالٌ ذاتُ عَقْدٍ لِبَثْنةٍ أُتِيحَ لهـا بعضُ الغـواةِ فحلَّها
فعُدْنا كأنّا لم يكن بيننا هَوىً وصار الذي حَلّ الحبالَ هَوىً لها
وقالوا نَراها يـا جميلُ تبدَّلتْ وغيَّرهـا الواشي فقلتُ لعلَّها

الغناء للهُذليّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبَع ولم ينسُبْه إلى أحد ؛ وفيه لسليمٍ ماخوريّ .

[تمثّل إفريقيّ بشعر له يعرّض فيه بفتى من آل عثمان]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا أبو عَوْف عن عبد الرحمن بن مُقَرِّن قال : بعَثني المنصور لأبتاعَ له جارية من المدينة وقال لي : اعمَلْ برأي ابن نُفَيْس ؛ فكنت أفعل ذلك ، وأغشى ابنَه ، وكانت له جارية مغنِّيَة قد كَلِفَ بها فتىً من آل عثمانَ بنِ عَفّان ، فكان يبيع عُقْدةً[1] عقدة من ماله وينفق ثمنَها عليها . وابتُلِي برجل من أهل إفْريقيَّةَ ومعه ابن له ، فغَشِيَ ابنُ الإفْريقيّ بيتَ ابن نُفَيْس فجعل يَكسو الجاريةَ وأهلَها ويَبَرُّهم حتى حَظِيَ عندهم وغلَب عليهم وتثاقلوا العثمانيّ . فقُضِيَ أن اجتمعْنا عشيّةً عندها وحضر ابنُ الإفريقيّ والعثمانيُّ ؛ فنزع ابنُ الإفريقيّ خُفَّه فتناثر المِسْكُ منه ، وأراد العثمانيُّ أن يَكِيدَه بفعله . فجلسا ساعةً ؛ فقال لها ابن الإفريقيّ : غنِّي : [من الطويل]

بَيْنـــا حِبـالٌ ذاتُ عَقْـدٍ لِبَثْنـــةٍ أُتِيـــح لهـا بعضُ الغُـــواةِ فَحَلَّها

يعرِّض بالعثمانيّ . فقال لها العثمانيّ : لا حاجة لنا في هذا ، ولكن غنِّي : [من الطويل]

ومن يَرْعَ نَجْداً يُلْفِنِي قـد رَعَيْته بجَنْبَيْه الأولى ويُـورِدْ على وِرْدِي

قال : فنكَس ابنُ الإفريقيّ رأسَه وخرج العثمانيُّ فذهب ، وحَمِد أهلُ البيت فما انتفعوا بقيَّة يومهم .

---

1 العقدة : الضيعة .

[شعره حين زوّجت بثينة نبيهاً]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّليّ وبُهْلُول بن سليمانَ البَلَويّ : أنّ جميلاً قال لما زُوِّجتْ بُثَيْنةُ نُبَيهاً : [من الطويل]

صوت

أَلا نـادِ عِيراً مـن بُثَينــةَ تَرْتَعي ... نودِّعْ على شَحْطِ النَّوَى ونُودَّعِ[1]

وحُثُّوا على جمْع الرِّكابِ وقَرِّبُوا ... جِمالاً ونُوقـاً جِلّـةً لم تَضَعْضَعِ

في هذين البيتين رَمَلٌ لابن سُرَيج عن الهِشاميّ . وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

أُعِيذُكِ بالرحمن من عَيْشِ شِقْوةٍ ... وأَن تَطْمَعي يومـاً إلى غير مَطْمَعِ

إذا مـا ابنُ ملعونٍ تَحَدَّرَ رَشْحُهُ ... عليكِ فمُوتي بعد ذلك أو دَعِي

مَلِلْنَ ولم أَمْلَلْ ومـا كنتُ سائماً ... لأَجمال سُعْدَى ما أَنَخْنَ بجَعْجَعِ[2]

وحُثُّوا على جَمْعِ الرِّكابِ وقَرِّبوا ... جِمـالاً ونُوقـاً جِلّـةً لم تَضَعْضَعِ

أَلا قـد أَرى إلاّ بُثَينـةَ هاهنـا ... لنـا بعـد ذا المُصْطافِ والمتربَّعِ

لَمعْبد في الثالث والرابع من هذه الأَبيات ثقيلٌ أَوّلُ بالخِنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن سُرَيج في الأَوّل والثاني والخامس خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وللأَبْجَر في الأَوّل والخامس والثالث والرابع رَمَلٌ بالبِنْصَر . وفي الأَوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ يُنْسَب إلى معبد وغيره ، ولم تُعْرَف صحّتُه من جهةٍ يُوثَقُ بها .

[شعره لما أبعده السلطان عن بثينة]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال أَنشدنا بُهْلُول بن سليمان لجَميل لما بعُد عن بُثَينة وخاف السلطانَ ، وكان بُهْلُولٌ يُعْجَب به : [من الطويل]

أَلا قـد أَرى إلاّ بُثَينــةَ للقلبِ ... بَوادِي بَداً لا بِحِسْمَى ولا الشَّغْبِ[3]

ولا بِبُصاقٍ قد تَيمَّمْتَ فاعترفْ ... لما أَنت لاقٍ أَو تَنَكَّبْ عن الرَّكْبِ[4]

---

1 العير : القافلة .

2 جعجع : موضع بعينه ، وهو في الأصل المتطامن من الأرض ، وهو أيضاً المكان الخشن الغليظ .

3 بدا : موضع بوادي عذرة قرب الشام . وحِسمى : موضع وراء وادي القرى مّما يلي بلاد فلسطين من أرض الشام . وشغب : ضيعة خلف وادي القرى .

4 بصاق : موضع قريب من مكّة ، وقيل : هو جبل بين أيلة والتّيه .

أفي كلِّ يـومٍ أنت مُحْدِثُ صَبْوةٍ تموت لها بُدِّلْتُ غيرَك من قلبِ

[حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا أبي عن يعقوب بن محمَّد الزُّهْرِيّ عن سليمانَ بن صَخْر الحَرَشيّ قال حدَّثنا سليمان بن زِياد الثَّقفيّ : أنّ بُثَينة دخلتْ على عبد الملك بن مَرْوان . فرأى امرأةً خَلْفاءَ[1] مولِّية ؛ فقال لها : ما الذي رأى فيكِ جميلٌ ؟ قالت : الذي رأى فيكَ الناسُ حين استخلفوك . فضحك عبد الملك حتى بَدَتْ له سِنٌّ سَوْداءُ كان يستُرها .

[شعره في جمله «جديل»]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن إبراهيم العُوَيْثيّ : أنّ جَمَل جميلٍ الذي كان يزور عليه بثينةَ يقال له «جَديل» وفيه يقول : [من الطويل]

أُنَخْتَ جَدِيلاً عنـد بَثْنةَ ليلةً ويوماً أطال اللهُ رَغْـمَ جَدِيلِ

أليس مُناخُ النِّضْوِ يومـاً وليلةً لبَثْنةَ فيمـا بيننـا بقليـلِ ؟

[مهاجاته قومها بني الأحب وإهدار السلطان لهم دمه]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قـال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني أبو غَسّان محمَّد بن يحيى المَكّيّ : أنّ جميلاً لَمّا اشتَهَرَتْ بثينةُ بحبّه إيّاها اعترضه عُبَيد الله بن قُطْبة أحد بني الأَحَبّ وهو من رَهْطِها الأَدْنَيْنَ فهجاه ؛ وبلغ ذلك جَمِيلاً فأجابه ، وتطاولا فغلبَه جميـل وكَـفّ عنه ابن قُطْبة ، واعترضه عُمَير بن رَمْل (رجـلٌ من بَني الأَحَبّ) فهجـاه . وإيّاه عَنى جميلٌ بقوله : [من الطويل]

إذا الناسُ هابُوا خِزْيَةً ذهبتْ بها أَحَـبُّ المَخازي كَهْلُهـا ووَليدُها

لعَمْرُ عَجُـوزٍ طَرّقتْ بـكَ إنّني عُمَير بنَ رَمْلٍ لابنُ حَرْبٍ أَقُودُها[2]

بنَفْسي فـلا تَقْطَعْ فؤادك ضَـلّةً كذلك حَزْنـي وعْثُهـا وصَعُودُها

قال : فاستعدوْا عليه عامرَ بن رِبْعِيّ بن دَجاجة ، وكانت إليه بلادُ عُذْرة ، وقالوا : يهجونا ويَغْشى بيوتَنا وينسُب بنسائنا ؟ فأباحهم دمَه ، وطُلِب فهرَب منه . وغضبتْ بُثَيْنةُ لهجائه أهلَها جميعاً . فقال جميل : [من الطويل]

ومـا صائبٌ من نابلٍ قذفتْ بـه يـدٌ ومُمَـرُّ العُقْدتيْـن وَثِيـقُ[3]

1 الخلفاء : الحمقاء .

2 طرقت بك : حملت بك .

3 ممر العقدتين يعني وتراً . والممر : الشديد الفتل .

لـــه من خَوافي النَّسْرِ حُمٌّ نَظائِرٌ ونَصْـــلٌ كنَصْــلِ الزَّاعِبيِّ فَتِيقُ[1]
على نَبعـــةٍ زَوْراءَ أمّــا خِطامُها فمَتْـــنٌ وأمّا عُودُهـــا فعَتِيقُ[2]
بأوشَكَ قتلاً منك يـــوم رَميتِني نَوافِــذَ لم تَظْهَــرْ لهــنّ خُــروقُ
تَفَــرَّقَ أَهْلانــا بُثَيْن فمنهـــمُ فريــقٌ أقامــوا واستَمـــرّ فــريقُ
فلو كنتُ خَوّاراً لقد باح مضمَري ولكنّنـــي صُلْــبُ القَنــاةِ عَريقُ[3]
كأنْ لم نُحــارِبْ يا بُثَينَ لو انّه تَكَشَّفُ غُمَّاهـــا وأنــتِ صديقُ

قال ويدلّ على طلب عامر بني رِبْعِيّ إيّاه قوله : [من الطويل]

أضَرّ بأخفـــافِ البُغَيْلــةِ أنَّها حِذارَ ابنِ رِبْعِيٍّ بهنّ رُجومُ[4]

[لمّا أهدر دمه هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشام]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدَّثنا محمَّد بن عبد الله الحَزَنْبَل الأصبهانيّ قال حدَّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه قال حدَّثني بعضُ رُواة عُذْرة : أنّ السلطان أهدر دمَ جَميلٍ لرَهْط بُثَينة إن وجدوه قد غَشِي دُورَهم . فحذِرهم مدّة ، ثم وجدوه عندها ، فأعْذَروا إليه وتوعَّدوه وكرِهوا أن يَنْشَب بينهم وبين قومه حربٌ في دمِه ؛ وكان قومُه أعزَّ من قومها ، فأعادوا شكواه إلى السلطان ، فطلبه طلباً شديداً ، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدّة . وأنشدني له في ذلك : [من الطويل]

ألَـــمَّ خَيـــالٌ مـــن بُثَينـــةَ طارقُ عـــلى النَّـــأي مُشْتـــاقٌ إليّ وشائقُ
سَرَتْ من تِلاعِ الحِجرِ حتى تخلَّصتْ إليّ ودُوني الأشْعَـــرُون وغـــافِقُ[5]
كأنّ فَتِيتَ المِسك خالـــط نَشْرَها تُغَـــلُّ بـــه أرْدانُهـــا والمَـــرافِقُ[6]
تقوم إذا قامـــت بـــه عـــن فِراشها ويَغْدُو بـــه مـــن حِضْنِها من تُعانِقُ

قال أبو عمرو وحدَّثني هذا العُذرِيّ : أنّ جميلاً لم يزلْ باليمن حتى عُزِل ذلك الوالي عنهم ، وانتجعوا ناحيةَ الشام فرحَل إليهم . قال : فلَقِيتُه فسألتُه عمّا أحْدث بعدي ؛

---

1 الفتيق : الحاد الرقيق .
2 خطام القوس : وترها .
3 مضمري في ل : ميسمي .
4 الرجوم : اضطرام العدو أي شدّة السّير .
5 الأشعرون : جمع أشعري ، نسبة إلى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . غافق : قبيلة .
6 غلّ الدهن في رأسه وفي ثوبه : أدخله فيه .

فأنشدني : [من الطويل]

سقَى منزلَيْنا يا بُثَينَ بحاجرٍ على الهَجْرِ منّا صَيِّفٌ ورَبيعُ
ودُورَكِ يا لَيْلَى وإن كُنّ بَعْدنا بَلِينَ بِلىً لم تَبْلَهُنّ رُبُوعُ
وخَيْماتِكِ اللاّتي بمُنْعَرَجِ اللِّوَى لقُمْرِيِّها بالمَشْرِقَيْن سجيعُ
تُزَعْزِعُ منها الريحُ كلَّ عشيَّةٍ هَزِيمٌ بسُلافِ الرياح رَجيعُ
وإنِّيَ أن يَعْلى بِكِ اللَّوْمُ أو تُرى بدارِ أذىً من شامتٍ لَجَزُوعُ
وإنِّي على الشيء الذي يُلْتَوَى به وإن زَجَرَتْني زَجْرَةً لَوريعُ[1]
فَقَدْتُكِ من نَفْسٍ شَعاعٍ فإنّني نَهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ
فقَرَّبتِ لي غيرَ القريبِ وأَشرفتْ هناكَ ثَنايا ما لهنّ طُلُوعُ
يقولون صَبٌّ بالغَواني مُوَكَّلٌ وهل ذاك من فعل الرجالِ بَديعُ
وقالوا رعيتَ اللَّهْوَ والمالُ ضائعٌ فكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضِيعُ

الغناء لصالح بن الرشيد رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ وابن خُرْداذبهْ وإبراهيم . وذكر حَبَشٌ أنّ في هذه الأبيات لإسحاقَ لحناً من الثقيل بالوسطى ؛ ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلاّ في كتابه . ومن الناس مَن يُدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على رَوِيِّ وقافيةِ هذه القصيدة ، وليست له .

[أنشد كثيّر من شعره وقال هو أشعر الناس]

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّليّ عن أبي عُبيدة عن أبيه قال : دخل علينا كُثَيِّر يوماً وقد أخذ بطَرَف رَيْطَته وألقى طرَفَها الآخر وهو يقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول : [من الطويل]

وخَبَّرْتُماني أنّ تَيْماء منزلٌ لليلَى إذا ما الصَّيْفُ ألقى المَراسيا[2]
فهذِي شهورُ الصيفِ عنّي قد انقضتْ فما للنَّوَى ترمي بليلى المَراميا

ويَجُرّ رَيْطتَه حتى يبلُغَ إلينا ، ثم يولِّي عنّا ويَجُرّها ويقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :

وأنتِ التي إن شئتِ كدَّرْتِ عِيشتي وإن شئتِ بعد الله أنْعمتِ باليا

---

1 وريع : كاف .
2 في الديوان اختلاف 220 .

وأَنتِ التي ما مِنْ صديقٍ ولا عِداً ... يَرى نِضْوَ مـا أَبْقيتِ إلاَّ رَثى لِيا

ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أَشعر الناس . فقلنا : مَنْ تَعْني يا أَبا صَخْر ؟ فقال : ومَنْ أَعني سِوَى جميل ؟ هو والله أَشعر الناس حيث يقول هذا ؟ . وتَيْماءُ خاصّةً : منزلٌ لبني عُذْرة ، وليس من منازل عامر ؛ وإنّما يَرْويه عن المجنون مَنْ لا يعلمه .

وفي هذه القصيدة يقول جميل : [من الطويل]

ومـا زِلْتُمُ يـا بَثْنَ حتّى لَوَ آنَّني ... من الشوق أستبكي الحمامَ بَكَى ليا[1]

إذا خَدِرتْ رجـلِي وقيل شفاؤها ... دعـاءُ حبيبٍ كنتِ أنـتِ دُعائيا

ومـا زادني النّـأيُ المُفرِّق بعدَكم ... سُلُوّاً ولا طـولُ التلاقـي تَقاليا

ولا زادني الواشون إلاّ صَبابـةً ... ولا كثـرةُ الناهـين إلاّ تَمادِيا

أَلم تعلمي يـا عَذْبـةَ الرّيقِ أنّني ... أَظَلُّ إذا لم أَلْـقَ وجهَكِ صادِيا

لقد خِفـتُ أنْ أَلقـى المنيَّةَ بَغْتةً ... وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا

أَخبرنا الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني بعض أَصحابنا عن محمَّد بن مَعْن الغِفاريّ عن الأَصْبَغ بن عبد العزيز قال : كنت عند طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف ؛ فدخل عليه كُثَيِّر ؛ فلمّا دخل من الباب أَخذ برِجْله فثناها ثم حجَل حتى بلَغ الفِراشَ وهو يقول : جميلٌ والله أَشعر العرب حيث يقول : [من الطويل]

وخَبَّرْتُماني أَنّ تَيْمـاءَ منزلٌ

ثم ذكر باقيَ الخبر الذي رواه محمَّد بن مَزْيَد .

[يوم ذي ضال]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثني الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن إبراهيم السَّعْديّ . أَنّ رهط بُثينة قالوا إنّما يَتْبَعُ جميلٌ أَمَةً لنا . فواعد جميلٌ بُثينةَ حين لقيها ببَرْقاء ذِي ضال ، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أَسْحرا . ثم قال لها : هل لكِ أَن ترقُدي ؟ قالت : ما شئتَ ، وأَنا خائفةٌ أَن نكون قد أُصبحْنا . فوسَّدها جانبَه ثم اضطجعا ونامت ؛ فانسلَّ واستوى على راحلته فذهب ، وأَصبحتْ في مَضْجَعها ، فلم يُرَع الحيُّ إلاّ بها راقدةً عند مُناخ راحلة جميل . فقال جميل في ذلك : [من الطويل]

فَمَنْ يَكُ في حُبِّي بُثَيْنةَ يَمتَري ... فبَرْقـاءُ ذي ضالٍ عليَّ شهيدُ

1 وما زلتم في الديوان : وما زلت بي 221 .

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن شَبيب عن الحِزاميّ عن فُلَيْح بن إسماعيل بمثل هذه القصّة ، وزاد فيها : فلمّا انتبهتْ بثينةُ علمت ما أراده جميل بها ، فهجرتْه وآلتْ ألاّ تَظْهَر له ، فقال : [من الطويل]

ألا هــل إلى إلمامــةٍ أن أُلِمَّها بُثَيْنةُ يومــاً في الحيــاةِ سَبيــلُ ؟
فإن هــي قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها عَنــاءٌ على العُذْريّ منــكِ طويلُ
على حين يسلو الناسُ عن طَلَب الصِّبا وينسَى اتِّباعَ الوصلِ منــه خليلُ

[شكاه أهلها إلى قومه فلاموه ، وشعره في ذلك]

وقال الهَيْثَمُ وأصحابُه في أخبارهم : تَشَكَّى زوج بُثينةَ إلى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها . فوجّهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشَكَوْه إلى عَشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعَّدوه ، وأتاهم فلامه أهلُه وعنّفوه وقالوا : إنّا نَسْتحلِفُ إليهم ونتبرأ منك ومن جَريرتك . فأقام مدّة لا يُلِمّ بها ، ثم لقي ابنَيْ عمِّه رَوْقاً ومسعوداً ، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قولَه : [من الطويل]

وإنِّي على الشيءِ الذي يُلْتَوَى بــه وإنْ زَجَرَتْنــي زَجْــرةً لَوَريــعُ
فَقَدْتُكِ مــن نَفْسٍ شَعــاعٍ فإنّني نهيتُكِ عن هــذا وأنــتِ جميعُ
فقَرّبْــتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ هنــاك ثَنايــا مــا لهــنّ طُلُوعُ
يقولونَ صَــبٌّ بــالغَواني مُوَكَّلٌ وهلْ ذاكَ من فعلِ الرجالِ بديعُ
وقالوا رَعَيْتَ اللَّهْــوَ والمالُ ضائعٌ فكالنّاسِ فيهـــم صالحٌ ومُضيعُ

[تمثّل محمّد بن عبد الله بن حسن بشعره لزوجته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهَير قال حدَّثني مُصْعَب بن عبد الله قال : كانت تحت محمَّد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزُّبَير يقال لها فُلَيْحة ، وكانت لها صبيّةٌ يقال لها رخيّة ، قد رَبَّتْها لغير رِشْدة ، وكانت من أجمل النساء وجهاً . فرأتْ محمّداً وقد نظر إليها ذاتَ يوم نظراً شديداً ، ثم تمثّل قولَ جميل : [من الطويل]

بُثَيْنةُ مــن صِنفٍ يُقَلِّبْنَ أيديَ الرُّ ماة ومــا يَحْمِلْنَ قوساً ولا نَبْلا
ولكنّما يَظْفَــرْنَ بــالصيد كلّمــا جَلَوْنَ الثّنايا الغُرَّ والأَعيُنَ النُّجْلا
يُخالسْنَ مِيعــاداً يُرَعْــنَ لقولهــا إذا نطقــتْ كانت مقالتُها فَصْلا
يَرَيْنَ قريبــاً بيتَها وهــي لا تَرى سوى بيتها بيتاً قريبــاً ولا سَهْلا

فقالت له فُلَيْحة : كأنّك تريد رخيّة ؛ قال : إي والله ؛ قالت : إنّي أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشْدة . فقال لها : إنّ الدَّنَس لا يَلْحَق الأعقاب ولا يضرُّ الأحساب . فقالت

له : فما يضرُّ إذاً ؟ والله ما يضرّ إلاّ الأعقاب والأحساب ، وقد وهبتُها لك . فسُرّ بذلك وقال : أمَا والله لقد أعطيتُكِ خيراً منها . قالت : وما هو ؟ قال : أبيات جميلٍ التي أنشدتُكِ إيّاها ؛ لقد مكثتُ أسعَى في طلبها حَوْلَيْن . فضَحِكتْ وقالت : ما لي ولأبياتِ جميلٍ ؟ والله ما ابتغيتُ إلاّ مَسَرَّتك . قال : فولدتْ منه غلاماً . وكانت فُلَيحةُ تدعو الله ألاّ يُبقيَه . فبينا محمَّدٌ في بعض هَرَبِهِ من المنصور والجاريةُ وابنُها معه إذ رَهِقهما الطلبُ ، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطَّع . فكان محمَّد بعد ذلك يقول : أُجيب في هذا الصبيّ دعاءُ فُلَيحة .

[نصح أبوه له فردّ عليه ردّاً أبكاه وأبكى الحاضرين وشعره في ذلك]

وقال الهيثم بن عَدِيّ وأصحابُه في أخبارهم : لمّا نذَر بُثَيْنة دمَ جميل وأباحهم السلطانُ قَتْلَه ، أَعْذَروا إلى أهله . وكانت منازلهم متجاورة ، إنّما هم بُيُوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطونُ والأفخاذ والقبائل غيرَ متباعدين ؛ ألَم تَرَ قول جميل : [من الطويل]

أبيتُ مـع الهُـلاَّكِ ضَيْفاً لأَهلها وأَهْلِي قريبٌ مُوسِعونَ أُولُو فَضْلِ[1]

فمشتْ مَشْيَخةُ الحيّ إلى أبيه ، وكان يُلَقَّب صُباحاً وكان ذا مالٍ وفضل وقَدْر في أهله ، فشكَوه إليه وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ وسألوه كَفَّ ابنِه عمَّا يتعرَّض له ويفضَحهم به في فَتاتهم ؛ فوعدهم كَفَّه ومَنْعَه ما استطاع ، ثم انصرفوا . فدعا به فقال له : يا بُنَيّ ! حتى متى أنت عَمِهٌ في ضلالك ، لا تأنف من أن تتعلّق بذات بَعْل يخلو بها ويَنْكِحها وأنت عنها بمَعْزِل ثم تقوم من تحته إليك فتَغُرُّك بخِداعها وتُرِيك الصفاءَ والمودّة وهي مُضْمِرةٌ لبعلها ما تُضمره الحُرّة لِمَن مَلَكها ، فيكون قولُها لك تعليلاً وغروراً ، فإذا انصرفتَ عنها عادتْ إلى بَعْلها على حالتها المبذولة ؛ إنّ هذا لَذُلٌّ وضَيْمٌ ؛ ما أعرِف أخْيَبَ سَهْماً ولا أضْيَعَ عُمْراً منك . فأَنشُدُك اللهَ إلاّ كفَفْتَ وتأمّلتَ أمرَك ؛ فإنّك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ ، ولو كان إليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملِكه فيها ، ولكنَّ هذا أمر قد فات واستَبَدَّ به مَنْ قُدِّر له ، وفي النساء عِوَضٌ . فقال له جميل : الرأيُ ما رأيتَ ، والقولُ كما قلتَ ؛ فهل رأيتَ قبلي أحداً قدَر أن يدفع عن قلبه هَواه ، أو مَلَك أن يُسْلِيَ نفسَه ، أو استطاع أن يَدْفَعَ ما قُضِي عليه ؟ والله لو قَدَرتُ أن أمْحُو ذكرَها من قلبي أو أُزيلَ شخصَها عن عيني لفعلتُ ، ولكن لا سبيلَ إلى ذلك ، وإنّما هو بلاءٌ بُليتُ به لحَيْنٍ قد أُتيح لي ، وأنا أمتنع من طُروق هذا الحيّ والإلمام بهم ولو متّ كَمَداً ؛ وهذا جَهْدي ومبلغُ ما أقدِر عليه . وقام وهو يبكي ؛ فبكى أبوه ومَنْ حضر جَزَعاً لما رأَوْا منه . فذلك حين يقول جميل : [من الطويل]

1 الهلاّك : الصعاليك .

صوت

أَلا مَــنْ لقَلْبٍ لا يَمَــلُّ فَيَذْهَلُ   أفِــقْ فالتَّعَزِّي عــن بُثَيْنَةَ أَجمَلُ
سَلا كلُّ ذي ودٍّ علمتُ مكانَه   وأنتَ بهــا حتى الممــاتِ مُوَكَّلُ
فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها   ولا هكذا فيما مضى كنتَ تفعلُ

الغناء لمالك ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

فيــا قلبُ دَعْ ذِكْرى بُثَيْنَةَ إنّها   وإن كنتَ تَهْواهــا تَضَنّ وتبخلُ
وقد أيأستْ من نَيْلِهــا وتجهَّمتْ   ولَلياسُ إن لم يُقْــدَرِ النَّيْــلُ أَمثلُ
وإلاّ فسَلْهــا نائــلاً قبــلَ بَيْنِها   وأَبْخِلْ بها مسؤولةً حــين تُسْأَلُ
وكيف تُرَجِّي وصلَها بعد بُعْدِها   وقــد جُذَّ حبلُ الوصلِ ممّن تؤمِّلُ
وإنّ التي أحببتَ قــد حِيل دونها   فكُــنْ حازمــاً ، والحازِمُ المُتَحَوِّلُ
ففي اليأسِ ما يُسْلي وفي الناسِ خُلَّةٌ   وفي الأرض عمّن لا يُواتِيك مَعْزِلُ
بــدا كَلَــفٌ منّي بهــا فتثاقلتْ   وما لا يُرَى من غائب الوجد أفضَلُ
هَبِينــي بريئــاً نِلْتِــهِ بظُلامَةٍ   عَفاهــا لكــم أو مُذْنِبــاً يتنصَّلُ
قَناةٌ من المُرّانِ مــا فوق حَقْوِها   ومــا تحتــه منهــا نَقــاً يتهيَّلُ

قال وقال أيضاً في هذه الحال : [من الطويل]

صوت

أعَنْ ظُعُنِ الحيّ الأُلَى كنتَ تَسأَلُ   بليــلٍ فــرَدُّوا عِيرهــم وتحمَّلوا
فأمسَوْا وهم أهلُ الديار وأصبحوا   ومن أهلها الغِربانُ بالدارِ تَحْجُلُ

في هذين البيتين لِسِياطٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو :

على حينَ ولَّى الأمرُ عنّا وأَسْمحتْ   عَصا البَيْنِ وانبَتَّ الرجــاءُ المؤمَّلُ
فما هــو إلاّ أن أَهِيمَ بذكرِها   ويحظَى بجَدْواهــا سوايَ ويَجْذَلُ
وقد أبقتِ الأيّامُ منّــي على العِدا   حُساماً إذا مَسّ الضريبةَ يَفصِلُ
ولستُ كمَن إن سِيمَ ضَيْماً أطاعَه   ولا كامرىءٍ إن عضّه الدّهرُ يَنْكُلُ
لعمري لقد أبْدى لِيَ البينُ صَفْحَه   وبَيّن لي ما شئتُ لو كنت أعقلُ

وآخــرُ عهــدي من بُثَينة نظـرةٌ ... على موقفٍ كادت من البين تَقتُلُ
فلِلّــه عَيْنا مَنْ رأَى مثـلَ حاجةٍ ... كَتَمْتُكِهــا والنفسُ منهــا تَمَلْمَلُ
وإنّي لأَسْتبكي إذا ذُكِـر الهَـوَى ... إليكِ وإنّي مــن هــواكِ لأَوجَلُ
نظرتِ ببِشْرٍ نظرةً ظَلْتُ أَمْتَري ... بها عَبْرةً والعينُ بالدَّمع تُكْحَلُ
إذا ما كرَرْتُ الطَّرْفَ نَحْوَكِ ردّه ... من البعد فيّاضٌ من الدَّمع يَهْمِلُ

[ودع بثينة حين خروجه إلى الشام]

أَخبرني محمَّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن أَيّوب بن عَبايةَ قال : لمّا أَراد جميلٌ الخروج إلى الشام ، هجم ليلاً على بُثَينة وقد وجد غفلةً . فقالت له : أَهلكتَني والله وأَهلكتَ نفسك ؛ وَيْحَكَ ! أَما تخاف ؟ فقال لها : هذا وجهي إلى الشام ، إنّما جئتكِ مودِّعاً . فحادثها طويلاً ثم ودّعها ، وقال : يا بُثينة ، ما أُرانا نلتقي بعد هذا ، وبكيا طويلاً . ثم قال لها وهو يبكي : [من الطويل]

أَلاَ لا أُبالي جفوةَ الناس مــا بَدا ... لنــا منــك رأيٌ يا بُثَيْنَ جميلُ
ومــا لم تُطيعي كاشحاً أَو تَبَدَّلي ... بنــا بَــدَلاً أَو كان منك ذُهولُ
وإنّي وتَكْــراري الزيــارةَ نحوَكم ... بُثَيْن بــذي هجــر بُثَـين يطولُ
وإن صَباباتــي بكــم لكثيــرةٌ ... بُثَيْــن ونسْيانِيكـــمُ لقليــلُ

[أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعراً في الفخر]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني شيوخٌ من عُذْرة : أَنّ مَرْوان بن الحكَم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعْمَر وجَوّاسُ بن قُطْبة أَخو عُبيد الله بن قُطبة . فقال مروان لجَوّاس : انزل فارْجُزْ بنا ، وهو يريد أَن يمدحه . فنزل جوّاس وقال : [من الطويل]

يقول أَميري هــل تَسُوق رِكابَنا ... فقلت لــه حــادٍ لهــنّ سَوائيا
تَكَرّمتُ عن سَوْقِ المَطِيِّ ولم يكن ... سِيــاقُ المطــيِّ همّتــي ورَجائيا
جعلتَ أَبي رَهْناً وعِرْضيَ سادراً ... إلى أَهــل بيت لم يكونوا كِفائيا
إلى شرِّ بيتٍ مــن قُضاعةَ مَنْصِبا ... وفي شرِّ قــومٍ منهمُ قــد بَدَا ليا

فقال مروان : اركَبْ لا ركِبْتَ ؛ . ثم قال لجميل : انزل فارجُزْ بنا ، وهو يريد أَن يمدحه . فنزل جميل فقال : [من الرجز]

أنــا جميــلٌ في السَّنامِ الأعظمِ الفــارِعِ الناسَ الأعــزِّ الأكرمِ
أحْمي ذِمارِي ووجدتُ أقْرُمي كانوا على غــاربِ طَوْدٍ خِضْرِمِ
أعيا على الناس فلم يُهَدَّمِ

فقال: عَدِّ عن هذا. فقال جميل: [من الرجز]

لَهْفــا على البيت المَعَــدِّي لهفا من بعدِ مــا كان قد استكَفّا
ولــو دعــا اللهَ ومَــدّ الكَفّا لَرَجَفَتْ منــه الجبــالُ رَجْفا

فقال له اركَبْ لا ركبتَ.

[أمره الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعراً في الفخر، ولم يمدح أحداً قطّ]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّليّ قال: كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليدُ على نجيب؛ فرجَز به مَكِين العُذْرِيّ فقال: [من الرجز]

يــا بَكْــرُ هل تعلَم مَنْ عَلاكا خليفـــةُ الله عـــلى ذُراكا

فقال الوليد لجميل: انزل فارْجُز، وظنَّ الوليد أنّه يمدَحه. فنزل فقال: [من الرجز]

أنــا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ في الذِّرْوةِ العَلْياء والرُّكْنِ الأشَدّ
والبيتِ من سَعْدِ بن زيد والعَدَدْ مــا يَبْتغي الأعداءُ منّي ولقدْ
أضْرِيَ بالشَّتْــمِ لِساني ومَــرَدْ أقودُ مَنْ شِئتُ وصَعْبٌ لم أقَدْ[1]

فقال له الوليد: اركب لا حَمَلك الله؛. قال: وما مدَح جميل أحداً قطّ.

[هدّده الحزين الديلي فهجاه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا يونس بن عبد الله بن سالم قال: وقف جميلٌ على الحَزِين الدِّيليّ والحزينُ يُنشد الناسَ. فقال له الحزين وهو لا يعرفه: كيف تَسْمع شعري؟ قال: صالحٌ وَسَط. فغضب الحزين وقال له: مِمّن أنت؟ فوالله لأهجونَّك وعشيرتَك!. فقال جميل: إذاً تَنْدَم. فأقبل الحزين يُهَمْهِم يريد هجاءه. فقال جميل: [من البسيط]

الدِّيلُ أذنابُ بَكْرٍ حــين تنسبُهم وكلُّ قومٍ لهــم من قومِهم ذَنَبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه اللهَ إلاّ كَفَّ عنهم، ولم يزالوا به حتى أمْسك وانصرف.

[راجز جوّاس بن قطبة حين ذكر أخته فغلبه]

أخبرني الحِرْميّ ومحمَّد بن مَزْيَد، واللفظ له، قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني محمَّد بن

1 ضرى بالشيء: لهج به، وأضراه بالشيء ألهجه به.

الضحّاك عن أبيه قال : لمّا هاجى عُبَيدُ الله بن قُطْبة جميلاً واستعلَى عليه جميلٌ ، أعرض[1] عنه ، واعترضه أخوه جَوّاس بن قُطْبة فهجاه وذكر أختاً لجميل . وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا يَنْصِب له ، حتى هجا أخته فقال فيما ذكرها به من شعره : [من الطويل]

إلى فَخذيْهــا العَبْلَتَيْنِ وكانتــا بعَهْدِيَ لَفَاوَيْنِ أُرْدِفتـا ثِقْـلا

فغضِب جميلٌ حينئذٍ فواعده للمراجـزة . قـال الزُّبير فحدَّثني بعضُ آلِ العبّاس بن سَهْل بن سعد عن عبّاس قـال : قَدِمـتُ من عند عبد الملك بن مَرْوان وقد أجازني وكساني بُرْداً ، كان ذلك البردُ أفضلَ جائزتي ، فنزلتُ واديَ القُرَى فوافقتُ الجمعةَ بها فاستخرجتُ بردِي الذي من عند عبد الملك وقُمْتُ أُصلّي مع الناس ؛ فلقيني جميلٌ ، وكان صديقاً لي ، فسلَّم بعضُنا على بعضٍ وتساءلْنا ثم افترقنا . فلمّا أمسيتُ إذا هو قد أتاني في رَحْلي فقال : البُرْد الذي رأيتُه عليك تُعِيرُنيهِ حتى أتجمّل به ؛ فإنّ بيني وبين جَوّاس مُراجَزَةً ، وتحضُر فتسمعُ . قال قلت : لا ؛ بل هو لكَ كُسْوة ، فكسوتُه إيّاه ، وقلت لأصحابي : ما من شيء أحَبُّ إليّ من أن أسمع مُراجزتهما . فلمّا أصبحْنا جعل الأعاريبُ يأتون أرْسالاً حتى اجتمع منهم بَشَرٌ كثيرٌ ، وحضرتُ وأصحابي ، فـإذا بجميل قـد جاء وعليه حُلّتان مـا رأيت مثلَهما على أحد قـطٌّ ، وإذا بُرْدِي الذي كسوتُه إيّاه قد جعله جُلاًّ لجمله ؛ فتَراجَزا فرجَز جميل ، وكانت بُثَينة تُكْنى أمّ عبد الملك ، فقال : [من الرجز]

يـا أمّ عبـد الملك اصْرِميني فبَيِّنِـي صرمِـيَ أو صِلِيني
أبْكِي وما يُدْرِيكِ ما يُبْكيني أبكـي حِـذارَ أنْ تُفارقيني
وتجعـلي أبعَـدَ منّـي دُوني إنّ بنـي عَمِّـكِ أوْعدوني
أن يقطعوا رأسي إذا لَقُوني ويقتلـوني ثـم لا يَدُوني[2]
كلاّ وربِّ البيتِ لـو لَقوني شَفْعـاً ووَتْـراً لَتَواكَلُوني[3]
قـد عِلـم الأعداءُ أنّ دُوني ضَرْباً كإيزاغ المخاضِ الجُونِ[4]
ألا أسُبُّ القـومَ إذ سَبُّوني بَلَـى ومـا مَـرَّ على دَفِينِ[5]

---

1 في ل : عرّد .
2 وداه بديه : دفع ديته .
3 أي وكلني بعضهم إلى بعض خوفاً منّي وجبناً .
4 الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة .
5 دفين : موضع .

وسابحـاتٍ بِلِـوى الحَجُـونِ قـد جَرَّبُوني ثـم جرّبوني[1]
حتـى إذا شابـوا وشيّبوني أَخزاهـمُ اللهُ ولا يُخـزيني
أَشباهُ أَعْيـارٍ عـلى مَعِـينِ أَحْسَسْنَ حِسَّ أَسَدٍ حَـرُونِ[2]
فهـنّ يَضْرِطْـنَ مـن اليقينِ أَنـا جميـلٌ فتَعَرّفـوني
ومـا تَقَنّعـتُ فتُنْكِـروني ومـا أُعَنِّيكـم لتَسْألـوني
أُنْمـى إلى عاديّـةٍ طَحُـونِ يَنْشقّ عنها السَّيلُ ذو الشؤونِ
غَمْـرٌ يَـدُقّ رُجُـحَ السَّفِينِ ذو حَدَبٍ إذا يُـرى حَجُونِ[3]
تَنْحلّ أَحقـادُ الرجـالِ دُوني

قال : ورجَز جميل أَيضاً : [من الرجز]

أَنـا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ

وقد تقدّمت هذه الأُرْجوزة . ثم رجَز بعده جَوّاسٌ فلم يصنع شيئاً . قال : فما رأَيتُ غَلَبةً مثلَها قطُّ .

[هجا خوّاتاً العذريّ وبنى الأحب]

أَخبرنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا بُهْلول بن سليمان عن العَلاء بن سعيد البَلَويّ وجماعةٍ غيره من قومه : أَنّ رجلاً من بني عُذْرة كان يقال له خَوّاتٌ ، أُمّه بَلَوِيّة ، وكان شاعراً ، وكان جميل ابنَ جُذاميّة . فخرج جميل إلى أَخواله بجُذام وهو يقول : [من الطويل]

جُذامُ سيوفُ اللهِ في كلِّ موطنٍ إذا أَزَمَـتْ يـومَ اللِّقـاء أَزامِ[4]
هُمُ منعوا ما بين مِصْرَ فذي القُرَى إلى الشام مِـنْ حِلٍّ بـه وحَرامِ
بضربٍ يُزيل الهـامَ عن سَكِناتِه وطَعْـنٍ كإيـزاغِ المَخاضِ تُؤامِ[5]
إذا قَصُرتْ يومـاً أَكُـفُّ قبيلـةٍ عـن المجـدِ نالتـه أَكُفُّ جُذامِ

فأَعطَوْه مائة بَكْرة . قال : وخرج خَوّاتٌ إلى أَخواله من بَليّ وهو يقول : [من الطويل]

إنّ بَلِيّـاً غُـرّةٌ يُهْتَـدَى بهـا كما يَهْتدِي الساري بمُطَّلَعِ النجمِ

1 الحجون : جبل بأعلى مكّة .
2 الأعيار : الحمر .
3 الرجح من السفن : الثقيلة الموقرة . حدب السيل : ارتفاعه . حجون : بعيد .
4 أزام : شدّة .
5 السَّكِنة : مقرّ الرأس من العنق .

هُمُ ولدوا أُمِّي وكنتُ ابنَ أُختهم ... ولم أَتَخَوَّلْ جِذْمَ قـومٍ بلا علمِ[1]

قال : فأعطَوْه مائة غُرَّة ما بين فرس إلى وَليدة ؛ ففخَر على صاحبه ، وذكر أن الغُرّة الواحدةَ ممّا أتى به ممّا معه تَعْدِل كلَّ شيء أتى به جميل . فقال عُبَيْد الله بن قُطْبة : [من الوافر]

ستَقْضِي بيننا حكماءُ سَعْـدٍ ... أَقُطْبَـةُ كان خيراً أم صُبـاحُ

قال : وكان عبد الله بن مَعْمَر أبو جميلٍ يلقَّب صُباحاً . وكان عُبَيد الله بن قُطْبة يلقَّب حماطا . فقال النَّخّار العُذْريّ أحد بني الحارث بن سعد : قُطْبةُ كان خيراً من صُباح . فقال جميل يهجو بني الأَحَبّ رهطَ قُطْبة ويهجو النَّخّار : [من الرجز]

إنّ أَحَـبَّ سُفَّـلٌ أَشرارُ ... حُثالـةٌ عُودُهـمُ خَـوّارُ[2]
أَذَلُّ قومٍ حـين يُدْعَى الجارُ ... كما أَذَلَّ الحـارِثَ النَّخّـارُ

وقال الأُبَيْرِق العُتْبي : قُطْبة كان خيراً من صُباح . فقال جميل : [من البسيط]

يا ابنَ الأُبَيْرِق وَطْبٌ بِتَّ مُسْنِدَه ... إلى وِسادِك من حُمّ الذُّرى جُونِ
وأكلتان إذا مـا شئت مرتفقـاً ... بالسير مـن نعـل الدَّفين مدهونِ
اذكُـرْ وأُمِّك منّي حـين تَنْكُبني ... جِنِّـي فيَغْلِب جِنِّـي كلَّ مجنونِ

وقال جماعةٌ من شعراء سَعْد في تفضيل قُطْبة على صُباح أقوالاً أجابهم عنها جميل فأفحمهم ؛ حتى قال له جعفر بن سُراقة أحدُ بني قُرّة : [من الطويل]

نحن مَنَعْنا ذا القُرَى مـن عَدُوّنا ... وعُذْرَةَ إذ نلقَـى يَهُوداً ويعشرا
مَنَعْنـاه مـن عُلْيـا مَعَدٍّ وأنتمُ ... سَفاسِيفُ رَوْحٍ بين قُرْحَ وخَيْبَرا[3]
فريقانِ رُهْبانٌ بأسفَلِ ذي القُرَى ... وبالشام عَرَّافـون فيمـن تَنَصَّرا

فلمّا بلغتْ جميلاً اتّقاه وعلِم أنّه سيعلو عليه ؛ فقال جميل : [من الطويل]

بَنـي عامـرٍ أنَّى انتجعتمْ وكنتمُ ... إذا حُصِّل الأقوامُ كالخُصْية الفَرْدِ
فأنتم ولأيٌ موضعَ الذُّلّ حَجْرةً ... وقُـرَّةُ أَوْلى بالعَـلاء وبالمجدِ

فأعرض عنه جعفر . قال الزُّبَير : بنو عامر بن ثَعْلَبَةَ بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد رهطُ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم بن كُرْز بن أَبي حَيّة بن الكاهن وهو سَلَمة بن أَسْحَم بن عامر بن ثَعْلبة بن

---

1 تخوّل : اتّخذ خالاً .

2 سفل في ل : قزم .

3 السفساف : التراب الدقيق . والروّح : الريح . وقرح : سوق وادي القرى وقصبتها .

عبد الله بن ذُبْيان بن سعد هُذَيم بن زيد . وزِيادَةُ بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن خنبس بن عمرو بن ثَعْلبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سَعْد هُذَيم . ولأْي ابن عبد مَناة بن الحارث بن سعد هُذَيم . قال : فدخل جميل على هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم السجنَ وهو محبوسٌ بدم زِيادةَ بن زيد ، وأَهدى له بُرْدين من ثياب كساه إيّاهما سعيد بن العاصي ، وجاءه بنفقةٍ ؛ فلمّا دخل عليه عرَض ذلك عليه ؛ فقال هُدْبة : أَنت يا ابنَ قَمِيئة الذي تقول : [من الطويل]

بنـي عامـرٍ أنّى انتجعتم وكنتـمُ ... إذا عُدِّد الأَقوامُ كالخصْية الفَرْدِ

أَمَا والله لئن خَلّص الله لي ساقَيَّ لأَمُدّنّ لك مضمارَك ؛ خذ بُرْدَيْكَ ونفقتَك . فخرج جميل ؛ فلمّا بلغ بابَ السجن خارجاً قال : اللهمّ أَغْنِ عنّي أَجْدَعَ بني عامر ! . وكانت بنو عامر قد قَلُّوا فحالفوا لأْياً .

[لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضّله على نفسه]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء ومحمَّد بن مَزْيَد بن أَبي الأَزْهر قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم المَخْزُوميّ قال حدَّثني شيخ من أَهلي عن أَبيه عن الحارث مولى هشام بن المُغيرة الذي يقول له عمر بن أَبي ربيعة : [من الرمل]

يـا أَبـا الحارثِ قلبي طائرٌ

قال : شهدتُ عمرَ بن أَبي رَبيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمَر وقد اجتمعا بالأَبطَح ؛ فأَنشد جميلٌ قصيدته : [من الطويل]

لقـد فَرِح الواشون أَن صَرَمتْ حَبْلي ... بُثَيْنةُ أَو أَبدتْ لنـا جانـبَ البُخْلِ
يقولـون مَهْـلاً يـا جميلُ وإنّني ... لأُقسم مـا بـي عن بُثَيْنة من مَهْلِ
أَحِلْماً فقبـل اليـوم كان أَوانُه ... أَمَ اخْشَى فقبل اليومِ أُوعِدتُ بالقتلِ
لقـد أَنْكَحُوا حَرْبـي نُبَيْهاً ظَعِينةً ... لطيفةَ طَيِّ البَطْنِ ذاتَ شَوىً خَدْلِ
وكم قـد رأَينـا ساعيـاً بنَميمـةٍ ... لآخـرَ لم يَعْمِـدْ بكـفٍّ ولا رجلِ
إذا مـا تراجعْنـا الذي كان بيننـا ... جَرى الدمعُ من عَيْنَيْ بُثَيْنةَ بالكحلِ

صوت

[من الطويل]

كلانا بكـى أو كاد يَبْكِـي صَبابةً ... إلى إلْفِـهِ واستعجلـتْ عَبْـرةً قبلي
فلو تركـتْ عَقْلي معي مـا طلبتُها ... ولكنْ طِلابِيها لِما فات مـن عقلي
فيا وَيْحَ نفسي حَسْبُ نفسي الذي بها ... ويا وَيْحَ أَهلي مـا أُصِيب بـه أَهلي

وقالــت لأَتْرابٍ لهــا لا زَعانِــفٍ ... قصــارٍ ولا كُسٍّ الثّنايــا ولا ثُعْــلِ[1]
إذا حَميــتْ شمسُ النّهــارِ اتَّقَيْنَها ... بأكسية الديباج والخزِّ ذي الخَمْلِ
تَداعَيْنَ فاستَعْجَمْنَ مَشْياً بذي الغَضا ... دَبيبَ القَطا الكُدْرِيّ في الدَّمِثِ السَّهْلِ
إذا ارْتَعْـنَ أو فُزِّعْـنَ قُمْنَ حَوالَها ... قيامَ بناتِ الماءِ في جانب الضَّحْلِ[2]
أَجِــدِّيَ لا أَلْقــى بُثَيْنــةَ مــرّةً ... من الدَّهرِ إلاّ خائفاً أو على رِجْلِ[3]
خليــليّ فيمــا عِشْتُما هــل رأيْتُما ... قتيلاً بكى مــن حــبِّ قاتِله قبلي

قال : وأنشده عمرُ قوله : [من الطويل]

جــرى ناصحٌ بالــودِّ بيني وبينَها ... فقرَّبَنــي يــوم الحِصــاب إلى قتلي
فما أَنْسَ مِ الأَشياءِ لا أنْسَ مَوْقِفِــي ... وموقفَهــا وَهْنــاً بقارعــةِ النخــلِ
فلمّــا توافَقْنــا عرفــتُ الذي بهــا ... كمثل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ
فقُلْــنَ لهــا هــذا عِشاءٌ وأَهلُنــا ... قَرِيبٌ أَلَمّا تَسْأَمي مَرْكَــبَ البغلِ[4]
فقالت فمــا شِئتُنّ قُلْــنَ لهــا انزلي ... فللأَرْضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ
فأَقبَلْــنَ أَمثــالَ الدُّمَــى فاكتَنَفْنَها ... وكُــلٌّ يُفَــدِّي بالمَــودّةِ والأَهلِ
نُجــومٌ دَرارِيٌّ تكَنَّفْــنَ صــورةً ... من البدرِ وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا ثُجْلِ[5]
فسلَّمْتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَــرَى ... عــدوٌّ مكاني أو يــرى كاشِحٌ فعلي
فقالــت وأَلْقَتْ جانــبَ السِّتْرِ إنّما ... معــي فتحدَّثْ غيرَ ذي رِقْبــةٍ أهلي
فقلتُ لهــا مــا بي لهم من ترقُّبٍ ... ولكــنَّ سِرِّي ليس يحمِلُــه مِثْــلي
فلمّــا اقتصرْنــا دونَهــنّ حديثَنــا ... وهُــنّ طَبيباتٌ بحاجــة ذي التَّبْلِ
عرَفْــنَ الذي نَهْوَى فقُلْنَ ائذَني لنا ... نَطُفْ ساعةً في بَــرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ
فقالــت فــلا تَلْبَثْنَ قُلْــنَ تحدَّثي ... أَتيناكِ وانسَبْنَ انسيابَ مَهــا الرملِ

1 الزعانف : جمع زعنفة وهي القصيرة . والكسّ : جمع كساء ، والكسّ : قصر الأسنان وصغرها . والثعل : جمع ثعلاء ، والثعل : زيادة سنّ أو دخول سن تحت أخرى .
2 بنات الماء : الطيور التي تلازم الماء .
3 الرِّجل : الخوف أو الفزع من فوت الشيء .
4 مركب في ل : موقف .
5 ثجل : جمع ثجلاء ، وصف من الثّجل وهو عظم البطن واسترخاؤه .

وقُمْـنَ وقـد أُفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنّما ... أَتَيْنَ الذي يأْتِينَ مـن ذاك من أَجْلي

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أَبا الخَطّاب : لا أَقولُ واللهِ مثلَ هذا سَجِيسَ[1] الليالي ؛ وما خاطب النساءَ مخاطبتَك أَحد ؛ وقام مشمِّراً .

نسبة ما في هذا الخبر من الأَغاني

صوت

[من الطويل]

خليـلَيَّ فيمـا عشتُما هل رأَيتُما ... قتيلاً بَكى مـن حبّ قاتله قبلي

أَبيتُ مـع الهُلاّك ضيفـاً لأَهلِها ... وأَهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فَضْلِ

فلو تركـتْ عقلي معي ما طلبتُها ... ولكن طِلابِيها لِمَا فات من عقلي

الغناء للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وذكر حمّاد والهشاميّ أَنّ فيه لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحناً من الثقيل الأَوّل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أَلا أَيّها البيتُ الذي حِيلَ دونَه ... بنا أَنت من بيتٍ وأَهْلُكَ من أَهلِ

ثلاثـةُ أَبيـاتٍ فبَيْـتٌ أُحِبُّـه ... وبيتانِ ليسا من هوايَ ولا شكلي

كِلانا بَكى أَو كاد يَبْكِي صَبابةً ... إلى إلْفِـه واستَعْجَلتْ عَبْرةٌ قبلي

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلِ الثاني بالبنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لقد فرِح الواشُونَ أَن صَرَمَتْ حبلِي ... بثينةُ أَو أَبْدَتْ لنا جانبَ البخلِ

يقولـون مَهْـلاً يـا جميلُ وإنّني ... لأُقْسِمُ ما بي عن بُثَينةَ من مَهْلِ

الغناء لابن مُحْرِز من كتاب يونُسَ ولم يجنِّسْه ، وذكر إسحاقُ أَنّه ممّا ينسَب إلى ابن مُحْرِز وابن مِسْجَح ، ولم يصحَّ عنده لأَيِّهما هو ولا ذكر طريقتَه .

[غنّى نافع الخير يزيد بن معاوية من شعره]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه قال حدَّثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حَسّان قال أَخبرني نافعٌ مولى عبد الله بن جعفر ، وما رأَيتُ أَحداً قطُّ كان أَشكلَ ظَرْفاً ولا

---

1 سجيس الليالي : طول اللّيالي .

أزيـنَ في مجلسٍ ولا أحسنَ غناءً منه . قال : قدِمْنا مع عبد الله بن جعفر مرّة على معاوية ؛ فأرسل إليّ يزيدُ يَدْعوني ليلاً ؛ فقلت : أكرَه أن يعلم أميرُ المؤمنين مكاني عندك فيشكُوَني إلى ابن جعفر . قال فامْهَلْ حتى إذا سمَر أميرُ المؤمنين فإنّ ابن جعفر يكون معه فلا يَفْتَقِدُكَ ونَخلُو نحن بما نريد قبل قيامِهما . فأتيتُه فغنّيْتُه ؛ فواللهِ ما رأيتُ فتىً أشرفَ أَرْيحيّةً منه ؛ والله لألْقى عليّ من الكُسا الخزّ والوَشْي وغيرِه ما لم أستطعْ حمْلَه ، ثم أمر لي بخمسمائة دينار . قال : وذهب بنا الحديث وما كنّا فيه ، حتى قام معاويةُ ونهَض ابنُ جعفر معه ، وكان باب يزيدَ في سَقيفة معاوية ؛ فسمع صوتي ، فقال لابن جعفر : ما هذا يا ابنَ جعفر ؟ قال : هذا والله صوتُ نافع . فدخل علينا ؛ فلمّا أحسّ به يزيدُ تَناوم . فقال له معاوية : ما لك يا بُنيّ ؟ قال : صُدِعْتُ فرجوتُ أن يَسْكُنَ عنّي بصوتِ هذا . قال : فتبسّم معاويةُ وقال : يا نافع ، ما كان أغْنانا عن قُدومِك ! . فقال له ابن جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ هذا في بعض الأحايين يُذْكي القلبَ . قال : فضحك معاويةُ وانصرف . فقال لي ابن جعفر : وَيْلَك ؛ هل شرِب شيئاً ؟ قلت : لا والله . قال : والله إنّي لأرجو أن يكونَ من فِتْيانِ بني عبد مَناف الذين يُنتفع بهم . قال نافع : ثم قدِمْنا على يزيدَ مع عبد الله بن جعفر بعد ما استُخْلِف ، فأجلسه معه على سريره ودخلتْ حاشيتُه تسلّم عليه ودخلتُ معهم . فلمّا نظَر إليّ تبسّم . ثم نهَض ابنُ جعفر وتبِعْناه . فقيل له : نظَر إلى نافعٍ وتبسّم . فقال ابنُ جعفر : هذا تأويلُ تلك الليلة . فقضى حوائجَ ابن جعفر وأضْعف ما كان يَصِلُه به معاويةُ . فلمّا أراد الانصراف أتاه يودّعه ونحن معه ؛ فأرسل إليّ يزيدُ فدخلتُ عليه . قال : وَيْحَك يا نافع ؛ ما أخّرْتُك إلاّ لأتفرّغ لك . هاتِ لَحْنَك : [من الطويل]

خليليَّ فيما عشتُما هـل رأيتُما ... قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتلِه قبلي

فأسمعتُه ؛ فقال : أعِدْ وَيْلَك ؛ فأعدتُه ، ثم قال : أعِدْ فأعدْتُه ثلاثاً . فقال : أحسنتَ ؛ فسَلْ حاجتَك . فما سألتُه في ذلك اليوم شيئاً إلاّ أعْطانِيه . ثم قال : إن يَصْلُحْ لنا هذا الأمرُ من قِبَل ابن الزُّبير فلعلّنا أن نَحُجّ فتَلْقانا بالمدينة ؛ فإنّ هذا الأمرَ لا يصلُح إلاّ هناك . قال نافع : فمَنَعَنا والله من ذلك شُؤْمُ ابن الزُّبَير .

[سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة فذهب إليها وحدّثها]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجَعْفَرِيّ قال حدَّثنا القاسم بن أبي الزِّناد قال : خرج عمرُ بن أبي رَبيعة يريد الشامَ ، فلمّا كان بالجَناب[1] لقيه جميلٌ ؛ فقال له عمرُ : أنشِدْني ، فأنشده : [من الطويل]

1 الجناب : موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام .

خليليّ فيما عشتُما هل رأيتُما قتيلاً بَكى من حبِّ قاتله قبلي

ثم قال جميل : أنشِدْني يا أبا الخَطّاب ، فأنشده : [من الطويل]

أَلم تَسْأَلِ الأَطـلالَ والمُترَبَّعا ببطنِ حُلَيّـاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا

فلمّا بلغ إلى قوله :

فلمّا تواقَفْنا وسلّمتُ أَشْرقتْ وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنّعا

تَبالَهْنَ بالعِرْفـانِ لمّـا عرفْنَني وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعا

وقرّبْــنَ أَسبابَ الهــوى لمتيَّم يقيسُ ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصْبَعا

قال : فصاح جميلٌ واستَخْذى وقال : أَلا إنّ النَّسيب أُخذ من هذا ، وما أنشده حرفاً . فقال له عمر : اذهبْ بنا إلى بُثينة حتى نسلِّم عليها . فقال له جميل : قد أَهْدر لهم السلطانُ دَمي إن وجدوني عندها ، وهاتِيكَ أبياتُها . فأَتاها عمرُ حتى وقف على أبياتها وتأنّس حتى كُلِّم ؛ فقال : يا جارية ، أَنا عمرُ بن أَبي ربيعة ، فأَعْلِمي بثينة مكاني . فخرجتْ إليه بثينةُ في مَباذِلِها وقالت : والله يا عمرُ لا أَكونُ من نسائك اللاّتي يزعُمْنَ أن قد قتلهنّ الوجدُ بك ؛ فانكسر عمر ؛ قال وإذا امرأةٌ أَدْماءُ طُوالَةٌ .

وأَخبرني بهذا الخبر عليّ بن صالح عن أَبي هِفّان عن إسحاق عن المسيَّبيّ والزُّبَير فذكر مثلَ ما ذكره الزُّبَير وزاد فيه قال : فقال له قولَ جميل : [من الخفيف]

وهُما قالتـا لَـوَ انّ جميلاً عـرَض اليـومَ نَظرةً فرآنا

بَيْنَما ذاك منهما وإذا بـي أُعمِـلُ النَّصَّ سَيْرةً زَفَيانا[1]

نظرتْ نحوَ تِرْبها ثم قالت قـد أَتانا ، وما علمنا ، مُنانا

فقالت : إنّه استَمْلَى منك فما أَفْلح ؛ وقد قيل : اربط الحمار مع الفرس ، فإن لم يتعلّم من جَرْيه تعلّم من خُلُقه .

[لقي بثينة ورصده أهلها فهدّدهم ثم هجرته بثينة وشعره في ذلك]

وذكر الهَيثم بن عَدِيّ وأُصحابه في أَخبارهم : أَنّ جميلاً طال مُقامُه بالشام ثم قدِم ، وبلغ بثينةَ خبرُه فراسلتْه مع بعض نساء الحيّ تذكُر شوقَها إليه ووَجْدَها به وطلبَها للحيلة في لقائه ، وواعدتْه لموضع يلتقيان فيه ؛ فسار إليها وحدّثها طويلاً وأَخبرها خبره بعدها . وقد كان أَهلُها رصَدوها ، فلمّا فَقدوها تبعها أَبوها وأَخوها حتى هجما عليهما ، فوثب جميلٌ فانْتضَى سيفَه وشَدّ عليهما فاتّقياه بالهرب ؛ وناشدتْه بثينةُ اللهَ إلاّ انصرف ، وقالت له : إن أَقمتَ فضَحْتَني ،

1 النصّ : السّير الشّديد . وزفياناً : سريعاً .

ولعلّ الحَيّ أَن يَلْحقوك . فأَبى وقال : أَنا مقيمٌ وامْضي أنتِ ولْيَصْنَعوا ما أَحبُّوا . فلم تزل تُناشده حتى انصرف . وقال في ذلك وقد هجرتْه وانقطع التلاقي بينهما مدّة : [من الطويل]

أَلَم تَسْأَلِ الربعَ الخَـلاء فينطقُ ... وهل تُخبِرنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ[1]
وقفتُ بهـا حتى تجلَّتْ عَمايتي ... ومـلَّ الوقوفَ الأَرْحَبـيُّ المنوَّقُ[2]
تَعَـزَّ وإن كانت عليكَ كريمةً ... لعلّـكَ مـن رِقٍّ لَبَثْنَـةَ تُعْتَقُ
لعَمْرُكُـم إنّ البِعـاد لشائقـي ... وبعضُ بِعاد البَيْنِ والنأي أَشْوَقُ[3]
لعلّـكَ محـزونٌ ومُبْدٍ صَبابةً ... ومُظْهِرُ شكوى من أُناسٍ تفرَّقوا[4]
وبيضٍ غَريراتٍ تَثَنّـي خُصورَها ... إذا قُمْـنَ أَعجازٌ ثِقال وأَسْوُقُ[5]
غَرائِـرَ لم يَلْقَيْـنَ بـؤسَ معيشةٍ ... يُجَـنّ بهـنّ الناظـرُ المتنوِّقُ[6]
وغَلْغَلْتُ من وَجْـدٍ إليهنّ بعدما ... سَرَيْتُ وأَحْشائي من الخوف تَخفِقُ[7]
معي صارِمٌ قد أَخلص القَيْنُ صقْله ... لـه حـين أُغْشِيه الضَّرِيبةَ رَوْنَقُ
فلـولا احتيالي ضِقْن ذرْعاً بزائرٍ ... بـه مـن صَباباتِ إليهنّ أَوْلَقُ[8]
تَسُوكُ بقُضْبـانِ الأَراكِ مفلَّجـاً ... يُشَعْشِعُ فيـه الفارسيُّ المروَّقُ[9]
أبثنةُ لَلْوَصْـلُ الذي كان بيننَـا ... نَضا مثلَ ما يَنْضُو الخِضابُ فَيَخْلُقُ
أَبُثْنَـةُ مـا تَنْأَيْنَ إلاّ كأنّنـي ... بنجـم الثُّرَيّا مـا نأيـتِ مُعَلَّقُ

[أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره في العتاب]

أَخبرني محمَّد بن مَزْيَد بن أَبي الأَزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال لي : يا إسحاق ، أَنْشِدْني أَحسنَ ما تعرِف في عِتاب محبٍّ وهو ظالم مُتَعَتِّب[10] . فقلت : يا أَمير المؤمنين قول جميل : [من الطويل]

1 سملق : مقفرة لا نبات فيها .
2 الأرحبيّ : النجيب من الإبل ، ينسب إلى قبيلة بني أرحب . والمنّوق : الذّلول .
3 لشائقي في الديوان : يشوقني 145 .
4 محزون في الديوان : مشتاق 145 .
5 غريرات في الديوان : رعابيب 147 .
6 تنوّق في أموره : جوّد وبالغ .
7 غلغل الرجل : دخل في تعب وشدّة ، وفي الديوان تنضّيت 148 .
8 احتيالي في الديوان : جدالي 148 وفي البيت اختلاف بيّن . الأولق : الجنون .
9 الفارسيّ : من أسماء الخمر .
10 متعتّب : متجن .

رِدِ الماءَ مـا جاءتْ بصَفْوٍ ذَنائبُهْ ... ودَعْهُ إذا خِيضَتْ بطَرْقٍ مَشارِبُهْ[1]
أُعاتِبُ مَــنْ يحلو لـديَّ عتابُـه ... وأترك مَــنْ لا أَشتهي وأُجانِبُهْ
ومن لذّة الدنيا وإن كنتَ ظالماً ... عِناقُـكَ مظلومـاً وأنـت تُعاتِبُهْ

فقال : أَحْسنَ والله ؛ أَعِدْها عليَّ ؛ فأَعدتُها حتى حفظها ، وأَمر لي بثلاثين أَلف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحُرَم .

[ذهب معه صديق له إلى بثينة فطارده أهلها فرجع]

أَخبرني محمَّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن السَّعِيديّ قال : حدَّثني رجلٌ كان يصحَب جميلاً من أَهل تَيْماء قال : كنتُ يوماً جالساً مع جميل وهو يحدِّثني وأُحدِّثه ، إذ ثار وتربّد وجهُه ، فأَنكرتُه ورأَيتُ منه غيرَ ما كنتُ أَرى ، ووثب نافراً مُقْشَعِرًّا الشعر متغيِّر اللون ، حتى أُتي بناقةٍ له قريبةٍ من الأَرض مُجْتَمِعةٍ مُوَثَّقةِ الخَلْق فشَدّ عليها رَحْلَه ، ثم أُتي بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربه ، ثم ثَنّى فشربت حتى رَوِيت ؛ ثم قال لي : اشْدُد أَداةَ رَحْلِكَ واشرَبْ واسْقِ جَمَلك فإنِّي ذاهبٌ بك إلى بعض مَذاهِبي ، ففعلتُ . فجال في ظهر ناقته وركِبتُ ناقتي ، فسِرْنا بياضَ يومنا وسوادَ ليلتنا ، ثم أَصبحنا فسِرْنا يومَنا كلَّه ، لا والله ما نزلنا إلاّ للصَّلاة ، فلمّا كان اليومُ الثالثُ دَفَعْنا إلى نسوةٍ فمال إليهنَّ ، ووجدنا الرجالَ خُلُوفاً[2] ، وإذا قِدْرُ لبن ثَمَّ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطَشاً . فلمّا رأَيتُ القِدْرَ اقتحمتُ عن بعيري وتركتُه جانباً ، ثم أَدخلتُ رأسي في القِدْر ما يَثْنِيني حَرُّها حتى رَوِيت ؛ فذهبتُ أُخرِجُ رأسي من القِدْر فضاقت عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنْسِية ، فضَحِكْن مِنّي وغَسَلْنَ ما أَصابني . وأُتِي جميلٌ بقِرىً فوالله ما التفتَ إليه . فبينا هو يحدِّثهنّ إذا رَواعِي الإبلِ ، وقد كان السلطان أَحلَّ لهم دمَه إن وجدوه في بلادهم ؛ وجاء الناسُ فقالوا له : وَيْحَكَ ! انْجُ وتَقَدَّمْ ؛ فوالله ما أَكبَرَهم كلَّ الإكبار . وغَشِيَه الرجالُ فجعلوا يرمُونه ويطرُدونه ، فإذا قَرُبوا منه قاتلهم ورمَى فيهم . وهامَ بِي جَمَلي ، فقال لي يَسِّرْ لنفسك مَرْكَباً خلفي ، فأَرْدَفَني خَلْفَه . ولا والله ما انكسر ولا انحلَّ عن فِرْصَته[3] حتى رجع إلى أَهله ، وقد سار ستَّ ليالٍ وستّة أَيّام وما التفت إلى طعام .

[لامه فيها روق ابن عمّه ولمّا رأى ما به احتال في زيارته لها وشعره في ذلك]

وشكا زوجُ بُثَينة إلى أَبيها وأَخيها إلْمامَ جميلٍ بها ؛ فوجّهوا إلى جميلٍ فأَعْذَروا إليه وشكَوْه إلى عَشيرته وأَعْذَروا إليهم وتوعّدوه وإيّاهم . فلامه أَهلُه وعنَّفوه وقالوا : اسْتَخْلِصْ

1 الطَّرق : أَن تبول الإبل في الماء وتبعّر فتكدره .
2 خُلُوفاً : غُيَّباً .
3 الفِرصة : القطعة من الصوف والقطن .

إليهم ونبرأ منك ومن جَريرتك . فأَقام مدّةً لا يُلِمّ بها . ثم لقي ابنَيْ عمِّه رَوْقاً ومسعدةَ ، فشكا إليهما ما به وأَنشدهما قوله : [من الكامل]

صوت

زُورَا بُثَيْنــةَ فالحبيبُ مَـزُورُ إنّ الزيـــارةَ للمحبِّ يسيرُ
إنّ الترحُّلَ ، إن تلبَّس أمرُنــا واعتاقَنا قَــدَرٌ أُحِمَّ ، بكورُ

الغناءِ لغَرِيبَ رَمَلٌ بالوسطى .

صوت

[من الكامل]

إنِّي عشيّةَ رُحْتُ وهي حزينةٌ تشكــو إليّ صَبابــةً لَصَبُورُ
وتقول بِتْ عندي فَدَيْتُكَ ليلةً أَشكو إليــكَ فإنّ ذاك يسيرُ

الغناء لسُلَيْم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيلٌ أَوّل بالبنصر ذكر الهِشاميّ أَنّه لمُخارِق ، وذكر حبش أنّه لإبراهيم . وذكر حبش أَنّ لحن مخارق خفيفُ رملٍ .

غَــرّاءُ مِبْسامٌ كأنّ حديثَها دُرٌّ تَحَـدّرَ نَظْمُــه منثــورُ
محطوطةُ المَتْنَيْنِ مُضْمَرةُ الحَشَى رَيَّا الرّوادِف خَلْقُهــا ممكورُ
لا حُسْنِها حُسْنٌ ولا كَدَلالِها دَلٌّ ولا كَوقارِهـــا تــوقيرُ
إنّ اللسانَ بذكرهــا لَمُوَكَّلٌ والقلبُ صادٍ والخواطِرُ صُورُ[1]
ولئــن جَزَيْتِ الودَّ منّي مثلَه إنِّي بذلــكَ يــا بُثَيْنَ جديرُ

فقال له رَوْق : إنّك لعاجزٌ ضعيف في استكانتكَ لهذه المرأة وتَرْكِكَ الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَنْ هو أَجملُ منها ، وإنّك منها بين فجورٍ أُرفَعُك عنه ، أَو ذُلٍّ لا أُحِبّه لك ، أَو كَمَدٍ يُؤَدِّيك إلى التَّلَف ، أَو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تَعَرّضتَ لها بعد إعذارهم إليك . وإن صرفتَ نفسَك عنها وغلبتَ هواك فيها وتجرّعتَ مرارةَ الحَزْم حتى تأْلَفَها وتَصبِر نفسك عليها طائعةً أَو كارهة أَلِفْتَ ذلك وسَلَوْتَ . فبكى جميل وقال : يا أُخي ، لو ملكتُ اختياري لكان ما قلت صواباً ، ولكنّي لا أُملك الاختيار ولا أَنا إلاّ كالأَسير لا يملك لنفسه نفعاً ، وقد جئتُك لأمرٍ أَسألك أَلاّ تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلَوْم ، وأَن تَحْمِلَ على نفسك في مساعدتي . فقال له : فإن كنتَ لا بدّ مُهْلِكاً نفسَك فاعمَلْ على زيارتها ليلاً ؛ فإنّها تخرج مع بنات عمٍّ لها إلى مَلْعَب لهنّ ، فأجيءُ معك حينئذٍ سرّاً ، ولي أَخٌ من رَهْط بُثَيْنة من بني

1 صور : مائلات .

الأَحَبّ ، نَأوِي عنده نهاراً ، وأسأله مساعدتكَ على هذا ، فتقيم عنده أيّاماً نهارَك وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقضِيَ أَرَبَك ؛ فشكره . ومضى رَوْق إلى الرجل الذي من رهط بُثَينة ، فأخبره الخبرَ واستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه . فقال له : لقد جئتَني بإحدى العظائم ؛ وَيْحَك ؛ إنّ في هذا مُعاداتي الحيَّ جميعاً إن فُطِن به . فقال : أنا أَتحرّز في أمره من أن يَظهر ، فواعَدَه في ذلك ؛ ومضى إلى جميلٍ فأخبره بالقصّة ، فأَتيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده . وأرسل إلى بُثينة بوليدةٍ له بخاتم جميل فدفعتْه إليها ؛ فلمّا رأته عرفتْ ، فتَبِعتْها وجاءته فتحدّثا ليلَتهما . وأقام بموضعه ثلاثة أيّام ثم ودّعها ، وقال لها : عن غيرِ قِلى والله ولا مَلَلٍ يا بُثينةَ كان وَداعي لكِ ، ولكنّي قد تذمّمت من هذا الرجل الكريم وتعريضِه نفسَه لقومه ، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك ، ثم انصرف . وقال في عَذْل رَوْقٍ ابنِ عمّه إيّاه : [من الطويل]

لقد لامني فيهـا أخٌ ذو قرابـةٍ حبيبٌ إليــه في مَلامتِـه رُشْدِي[1]
وقال أفِــقْ حتى متى أنت هائمٌ ببَثْنَةَ فيها قــد تُعِيدُ وقـد تُبْدِي
فقلتُ له فيها قضَى اللهُ ما ترى عليّ وهلْ فيما قضَى اللهُ من رَدِّ
فإن يـكُ رُشْداً حُبُّها أو غَوايةً فقد جئتُه ما كان منّي على عَمْدِ

صوت

[من الطويل]

لقد لَــجَّ ميثاقٌ مِــن الله بيننا وليس لَمن لم يُــوفِ لله من عَهْدِ
فلا وأبيها الخيرِ ما خُنْتُ عهدَها ولا لِيَ عِلمٌ بالذي فعلتْ بعدي
ومــا زادها الواشون إلاّ كرامـةً عليّ ومــا زالت مودّتُهـا عندي

الغناء لمتيَّمَ ثَقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ ، وذكر ابن المعتزّ أنّه لشاريةَ ، وذكر ابن خُرْداذبه أنّه لقَلَم الصالحيّة .

أفي الناسِ أمثــالي أحَــبَّ فحالُهم كحاليَ أَمْ أَحببتُ من بينهم وحدي[2]
وهل هكذا يلقى المحبّون مثلَ مــا لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحدٌ وَجْدِي[3]

وقال جميل فيها : [من الطويل]

1 ملامته في الديوان : نصيحته 73 .
2 كحالي في الديوان : فحبّهم كحبّي 74 .
3 في البيت اختلاف بيّن في الديوان 74 .

خليليّ عُوجـا اليـومَ حتى تُسلِّما ... على عَذْبـةِ الأنياب طَيِّبة النَّشْرِ
أَلِمَّا بهـا ثـم اشفَعا لي وسَلِّما ... عليها سَقاها الله من سائغ القطرِ
وبُوحا بذكري عنـد بَثْنَةَ وانظُرا ... أَترتاح يوماً أم تَهَشُّ إلى ذكري
فإن لم تَكُنْ تَقْطَعْ قُوى الودِّ بيننا ... ولم تَنْسَ ما أسلفتُ في سالف الدَّهرِ
فسوف يُرى منها اشتياقٌ ولَوْعةٌ ... ببَيْنٍ وغَرْبٌ مـن مدامِعها يجري
وإن تكُ قد حالتْ عن العهد بَعْدَنا ... وأَصغتْ إلى قول المُؤَنِّبِ والمُزْري
فسوف يُرى منها صدودٌ ولم تكن ... بنَفْسِيَ من أهـل الخِيانة والغَدْرِ
أعوذُ بك اللّهمَّ أن تَشْحَطَ النَّوَى ... ببثنةَ في أدنى حياتي ولا حَشْرِي
وجاوِرْ إذا مـا مِتُّ بيني وبينها ... فيا حَبَّذا موتِي إذا جاورتْ قبري
عَدِمتُكَ مـن حبٍّ أَما منك راحةٌ ... وما بـك عنّي من تَوانٍ ولا فَتْرِ
أَلاَ أَيُّها الحبُّ المبرِّح هل ترى ... أخا كَلَفٍ يُغْرِي بحبٍّ كما أُغْرِي
أَجِدَّكَ لا تَبْلى وقـد بَلِي الهوى ... ولا ينتهـي حبِّـي بُثَيْنةَ للزَّجْرِ

صوت

هي البدرُ حسناً والنساءُ كواكبٌ ... وشَتّانَ ما بين الكواكبِ والبدرِ
لقد فُضِّلتْ حسناً على الناسِ مثلَما ... على ألفِ شهر فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرِ

غَنَّتْ شاريةُ في هذين البيتين خفيفَ رملٍ من رواية ابن المعتزّ .

[تهاجرا مدّة ثم اصطلحا]

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنا إسحاق بن محمَّد بن أَبان قال حدَّثني الرحّال بن سعد المازنيّ قال : وقع بين جميل وبُثَيْنةَ هجرٌ في غَيْرةٍ كان غارها عليها من فتىً كان يتحدَّث إليها من بني عمّها ، فكان جميل يتحدّث إلى غيرها ، فيَشُقُّ ذلك على بُثَينةَ وعلى جميل ، وجعل كلُّ واحدٍ منهما يَكْرَه أن يُبْدِيَ لصاحبه شأنَه . فدخل جميلٌ يوماً وقد غلَبه الأمرُ إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بُثينة . فلمّا رأته بُثينة جاءت إلى البيت ولم تبرُز له ؛ فجزِع لذلك جميل ؛ وجعل كلٌّ واحد منهما يُطالع صاحبَه ؛ وقد بلَغ الأَمر من جميل كلَّ مبلغ ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

لقد خِفتُ أن يغتالني الموتُ عَنْوةً ... وفي النَّفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هِيا[1]

1 في الديوان اختلاف بيّن 220 .

وإنّـي لتَثْنِينـي الحَفِيظـةُ كلّمـا لَقِيتُكِ يوماً أن أُبُـثَّـكِ ما بيا[1]
أَلَم تعلمي يــا عذبــةَ الرِّيقِ أنّني أَظَلّ إذا لم أُسْقَ رِيقَــكِ صادِيا

قال : فرَقَّتْ له بُثينة ، وقالت لمولاةٍ لها كانت معها : ما أَحسنَ الصدقَ بأَهله ! ثم اصطلحا . فقالت له بُثينة : أَنشِدْنِي قولَك : [من الطويل]

تَظَلُّ وراء السِّتْرِ تَرْنُو بلَحْظِها إذا مـرَّ من أَترابها مَن يَرُوقُها

فأَنشدها إيّاها ؛ فبكت وقالت : كلاَّ يا جميل ! ومَنْ ترى أنَّه يَرُوقُني غيرُك ! .

[نعي جميل وحزن بثينة عليه]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصْر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال ذكرَ أَيّوب بن عَباية قـال : خرجتُ من تَـيْماء في أَغْباش السَّحَر ، فرأَيت عجوزاً على أَتان ، فتكلّمتْ فإذا أَعرابيـّةٌ فصيحة . فقلت : ممّن أنتِ ؟ فقالت : عُذْريّة . فأَجريتُ ذكر جميلٍ وبُثينة ؛ فقالت : والله إنّا لعلى ماءٍ لنا بالجَناب وقد تنكّبْنا الجادّةَ لجيوشٍ كانت تأتينا من قِبَل الشام تُريدُ الحجازَ ، وقد خرج رجالُنا لسَفَرٍ وخلّفوا معنا أحداثاً ؛ فانحدروا ذاتَ عشيَّة إلى صِرمٍ[2] قريبٍ منّا يتحدّثون إلى جَوارٍ منهم ، فلم يبقَ غيري وغيرُ بثينة ، إذ انحدر علينا منحدرٌ من هَضْبَةٍ تلْقاءنا ، فسلَّم ونحن مُستوحشون وَجِلون . فتأمّلتُه ورددتُ السلامَ فإذا جميلٌ . فقلت : أَجميل ؟ قال : إي والله ؛ وإذا به لا يتماسك جوعاً ، فقمت إلى قَعْبٍ لنا فيـه أَقِـطٌ[3] مطحون وإلى عُكَّةٍ[4] فيها سَمْـن ورُبٌّ[5] فعصَرْتها على الأَقِط ثم أَدنيتُها منه وقلتُ : أَصِبْ من هذا ، فأَصاب منه ؛ وقمتُ إلى سِقاءٍ فيه لبنٌ فصَبَبْتُ عليه ماءً بارداً فشرِب منه وتراجعتْ نفسُه . فقلت له : لقد بلغتَ ولقِيتَ شَرّاً ، فما أَمرُك ؟ قال : أَنا والله في هذه الهَضْبَةِ التي تَرَيْن منذ ثلاثٍ ما أَرِيمُها أَنتظر أَن أَرى فُرْجةً ، فلمّا رايتُ مُنْحَدَرَ فتيانكم أَتيتُكم لأُوَدِّعكم وأنا عامدٌ إلى مِصْر , فتحدّثنا ثم ودّعَنا وشخَص ؛ فلم تَطُلْ غيبتُه أَن جاءَنا نَعْيُه . فزعموا أنّه قال حين حضرتْه الوفاة : [من الكامل]

صَدَعَ النَّعيُّ وما كنى بجميلِ وثَوَى بمِصْرَ ثَواءَ غيرِ قُفولِ

---

1 لتثنيني في الديوان : لتنسيني 221 .
2 الصِّرم : الجماعة من الناس ليسوا بالكثير .
3 الأَقِط : لبن مجفّف يابس مستحجر يُطبخ به .
4 العُكّة : زقيق صغير للسّمن .
5 الرُّبّ : ما يُطبخ من التمر .

ولقد أجُرّ الذَّيْلَ في وادي القُرَى ... نَشْوانَ بين مزارعٍ ونخيلِ
قُومِي بُثَينةُ فاندبي بعَوِيل ... وابكي خليلَكِ دون كلّ خليلِ

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدَّثني محمَّد بن القاسم عن الأصمعيّ قال : حدَّثني رجلٌ شهِد جميلاً لمّا حضرتْه الوفاة بمِصْر أنّه دعاه فقال : هل لك في أن أُعطيَك كلَّ ما أُخلِّفه على أن تفعل شيئاً أعهَده إليك ؟ فقال قلت : اللهمّ نعم . قال : إذا أنا متُّ فخُذْ حُلَّتي هذه التي في عَيْبَتي فاعْزِلها جانباً ثم كلُّ شيء سواها لك ، وارْحَلْ إلى رَهْط بني الأَحَبّ من عُذْرة ، وهم رَهْط بُثينة ، فإذا صرتَ إليهم فارتحلْ ناقتي هذه واركَبْها ، ثم البَسْ حُلَّتي هذه واشقُقْها ثم اعْلُ على شَرَفٍ وصِحْ بهذه الأبيات وخَلاك ذَمٌّ . ثم أنشدني هذه الأبيات : [من الكامل]

صَدَع النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ ... وثوى بمِصْرَ ثَواء غيرِ قُفولِ

وذكر الأبيات المتقدِّمة . فلمّا قَضَى وواريتُه أتيتُ رَهْطَ بُثينةَ ففعلتُ ما أمرني به جميل ، فما استتممْتُ الأبيات حتى بَرَزتْ إليَّ امرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فَرَعَتْهُنّ طُولاً وبَرَزتْ أمامهنّ كأنّها بدرٌ قد بَرز في دُجُنَّةٍ وهي تتعثّر في مِرْطِها حتى أتتني ، فقالت : يا هذا ، والله لئن كنتَ صادقاً لقد قتلتَني ، ولئن كنتَ كاذباً لقد فَضَحْتَني . قلت : والله ما أنا إلاّ صادق ، وأخرجتُ حُلَّتَه . فلمّا رأتها صاحت بأعلى صوتها وصَكَّتْ وجهَها ، واجتمع نساءُ الحيِّ يبكين معها ويَنْدُبْنَه حتى صَعِقتْ فمكثتْ مَغشيّاً عليها ساعةً ، ثم قامت وهي تقول : [من الطويل]

وإنّ سُلُوِّي عن جميلٍ لَساعةٌ ... من الدَّهْرِ ما حانتْ ولا حانَ حِينُها
سواءٌ علينا يا جميلُ بن مَعْمَرٍ ... إذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولِينُها

قالَ : فلم أرَ يوماً كان أكثر باكياً وباكيةً منه يومئذٍ .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظَة عن أصحابه

[من الكامل]

أمسى الشبابُ مُوَدَّعاً محمودا ... والشيبُ مُؤْتَنِفَ المحلِّ جديدا[1]
وتغيَّر البِيضُ الأوانسُ بعدما ... حَمَّلْتُهُنّ مَواثِقاً وعُهودا

عروضه من الكامل . الشعر ليزيد بن الطَّثْرِيّة ، والغناء لإسحاق ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر . وفيه لبابويه خفيف ثقيلٍ بالوسطى ، كلاهما من رواية عمرو بن بانة .

1 ائتنف الشيء واستأنفه : استقبله ، أو أخذ أوّله وابتداه .

[113] ـ ذكر يزيد بن الطَّثْريّة[1] وأخباره ونسبه

[نسبه ونسب أمّه]

ذكر ابن الكَلْبيّ أنّ اسمه يزيد بن الصِّمَّة أحد بني سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر. وذكر البصريّون أنّه من ولد الأعْوَر بن قُشَير. وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: اسمه يزيد بن سَلَمة بن سَمُرَة بن سَلَمةِ الخير بن قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة. وإنّما قيل له سَلَمةُ الخَيْر لأنّه كان لقُشَير ابنٌ آخر يقال له سَلَمةُ الشَّرّ. قال: وقد قيل: إنّه يزيد بن المنتشِر بن سَلَمة.

والطَّثْريّة أمّه، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمّد بن حَبِيبَ، امرأةٌ من طَثْر، وهم حيٌّ من اليمن عِدادُهم في جَرْم. وقال غيره: إنّ طَثْراً من عَنْز بن وائل إخوةِ بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزار. وكان أبو جَراد أحدُ بني المنتفِق بن عامر بن عُقَيْل أَسَر طَثْراً فمكث عنده زماناً ثم خَلاّه وأخذ عليه إصْراً ليَبْعَثنَّ إليه بفدائه أو ليَأتينّه بنفسه وأهله فلم يجد فِداءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جَراد فوسَمه سِمَةَ إبله، فهم حُلَفاء لبني المُنْتَفِق إلى اليوم نَحْوٌ من خمسمائة رجلٍ متفرّقين في بني عُقَيْل يُوالُون بني المنتفق، وهم يُعَيِّرون ذلك الوَسْمَ. وقال بعضُ مَنْ يهجوهم: [من الوافر]

عليــه الوَسْمُ وسمُ أبي جَرادِ

وفيهم يقول يزيد بن الطَّثْريّة: [من الطويل]

ألا بئسما أن تَجْرِمُـوني وتغضَبوا عليّ إذا عاتبتُكم يـا بنـي طَثْرِ[2]

وزعم بعض البصريين: أنّ الطَّثْريّة أُمَّ يزيدَ كانت مُولَعةً بإخراج زُبْد اللَّبن، فسُمِّيت الطَّثْريّة. وطَثْرةُ اللبن: زبدته.

[كان يلقّب مودّقاً لجماله، وكان كثير التحدّث إلى النساء]

ويُكْنى يزيدُ أبا المَكْشوح[3]. وكان يلقَّب مِوَدِّقاً؛ سُمِّي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون: إنّه إذا جلس بين النساء ودّقهنّ[4].

1 انظر أخباره في: الجمحي 150–152 والشعر والشعراء 1: 427–428 واللآلي 103–104 وابن خلكان 2: 395–399 ومعجم الأدباء 7: 299–300 والحيوان 6: 137.

2 الجرم: القطع والصرّم.

3 كنّي بذلك لأنّه كان على كشحه كيّ نار.

4 يقال: ودقت المرأة واستودقت وأودقت إذا مالت إلى الفحل. والأصل فيه لذوات الحوافر ثم نقل إلى الإنسان.

أخبرني محمّد بن خَلَف عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يقول : مَن أُفْحِم عند النساء فيُنْشِد من شعري . قال : وكان كثيراً ما يتحدّث إلى النساء ، وكان يقال : إنّه عِنِّين .

[ما جرى بين جرم وقشير وما كان من ميّاد الجرمي ويزيد بن الطثرية]

وروى عنه عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحدِ بني عمرو بن كِلاَب عن سُعاد بنت يزيد بن زُرَيْق امرأةٍ منهم : أنّ يزيد بن الطَّثْرِيّة كان من أحسن مَنْ مضى وجهاً وأطْيَبِهُ حديثاً ، وأنّ النساء كانت مفتونةً به ، وذكر الناسُ أنّه كان عنيناً ، وذلك أنّه لا عَقِبَ له ، وأنّ الناس أمْحَلُوا حتى ذهبت الدقيقةُ من المال ونُهكت الجليلةُ ؛ فأقبل صِرمٌ من جَرْم ساقته السَّنَةُ والجَدْبُ من بلاده إلى بلاد بني قُشَيْر ، وكان بينهم وبين بني قُشَير حربٌ عظيمة ؛ فلم يجدوا بُدّاً من رَمْي قشيرٍ بأنفسهم لِمَا قد ساقهم من الجَدْب والمَجَاعة ودِقّة الأموال وما أشْرفوا عليه من الهَلَكة . ووقع الربيعُ في بلاد بني قُشيْرٍ فانتجعها الناسُ وطلبوها ؛ فلم يَعْدُ أنْ لقيتْ جَرْمٌ قُشيراً ، فنَصَبَتْ قشيرٌ لهم الحربَ . فقالت جَرْم : إنّما جئنا مُستجيرين غيرَ محاربين . قالوا : ممّا ذا ؟ قالوا : من السَّنَة والجَدْب والهَلَكة التي لا باقيةَ لها . فأجارتْهم قشيرٌ وسالمتْهم وأرْعَتْهم طَرَفاً من بلادها . وكان في جَرْمٍ فتىً يقال له مَيّاد ، وكان غَزِلاً حسنَ الوجه تامَّ القامةِ آخِذاً بقلوب النساء . والغزلُ في جَرْمٍ جائزٌ حسن ، وهو في قُشَيْرٍ نائرة . فلمّا نازلتْ جَرْمٌ قشيراً وجاورتْها أصبح مَيّادٌ الجَرْميّ فغدا إلى القُشَيْرِيّات يطلبُ منهنّ الغزَل والصِّبا والحديثَ واستبرازَ الفتَيات عند غَيْبة الرِّجال واشتغالِهم بالسَّقْي والرِّعْية وما أشبه ذلك ؛ فدفَعْنَه عنهنّ وأسمعنَه ما يكره . وراحت رجالُهنّ عليهنّ وهنّ مُغْضَبات ؛ فقال عجائزُ منهنّ : والله ما ندري أرْعَيْتُم جَرْماً المَرْعى أم أرْعيتموهم نساءَكم ! فاشتدّ ذلك عليهم فقالوا : وما أدْراكُنّه ؟ قُلْنَ : رجلٌ منذُ اليومِ ظلّ مجحراً[1] لنا ما يطلعُ منّا رأسُ واحدةٍ ، يَدُور بين بيوتنا . فقال بعضهم : بَيِّتُوا جَرْماً فاصْطَلِموها . وقال بعضهم : قبيح ؛ قومٌ قد سَقَيتُموهم مِياهَكم وأرعيتُموهم مَراعِيَكم وخَلَطتموهم بأنفسكم وأجَرْتُموهم من القَحْط والسَّنَة تفتاتـون عليهـم هـذا الافتيات ؟ لا تفعلوا ، ولكن تُصْبِحوا[2] وتَقَدَّموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل ، فإنّه سفيهٌ من سُفَهائهم فليأخذوا على يَدَيْه . فإن يفعلوا فأتِمُّوا لهم إحسانَكم ، وإن يمتنعوا ويُقِرّوا ما كان منه يَحِلَّ لكم البَسْطُ عليهم وتَخرُجوا من ذِمَّتهم ؛ فأجْمعوا على ذلك . فلمّا أصبحوا غدا نفرٌ منهم إلى جَرْمٍ فقالوا : ما هذه البِدْعة التي قد جاورتُمونا بها ؟ إن

1 مجاحر القوم : أماكنهم .

2 أي لتصبحوا ، فالفعل مجزوم بلام محذوفة .

كانت هذه البدعة سجيّةً لكم فليس لكم عندنا إرعاءٌ ولا إسقاء ، فبرِّزُوا عنّا أنفسَكم وأْذَنوا بحرب . وإن كان افتناناً فغيِّروا على مَنْ فعله . وإنّهم لم يَعْدُوا أن قالوا لجَرْمٍ ذلك . فقام رجالٌ مِنْ جَرْمٍ وقالوا : ما هذا الذي نالكم ؟ قالوا : رجلٌ مِنكم أمسِ ظلَّ يَجُرُّ أذيالَه بين أبياتنا ما ندري عَلامَ كان أمرُه ؛ فقَهْقهتْ جرمٌ من جَفاء القُشَيريّين وعَجْرَفيّتِها وقالوا : إنّكم لَتُحِسُّون من نسائكم ببلاءٍ ؛ ألاَ فابعَثوا إلى بيوتنا رجلاً ورجلاً . فقالوا : والله ما نُحِسُّ من نسائنا ببلاء ، وما نعرف منهنَّ إلاّ العفّة والكرم ، ولكن فيكم الذي قلتم . قالوا : فإنّا نبعثُ رجلاً إلىٰ بيوتكم يا بني قُشَيْر إذا غدتِ الرجالُ وأُخْلِف النساء ، وتبعثون رجلاً إلى البيوت ، ونتحالف أنّه لا يتقدّم رجلٌ منّا إلى زوجةٍ ولا أخت ولا بنت ولا يُعْلمها بشيء ممّا دار بين القوم ؛ فيَظَلّ كلاهما في بيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عَشِيّاً الماءَ وتُخْلى لهما البيوت ، ولا تبرُز عليهما امرأةٌ ولا تُصادِق منهما واحداً فيُقْبَلُ منهما صَرْفٌ ولا عَدْلٌ إلاّ بمَوْثِقٍ يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها . قالوا : اللهمّ نعمْ . فظَلّوا يومَهم ذلك وباتوا ليلتَهم ، حتى إذا كان من الغد غَدَوْا[1] إلى الماء وتحالفوا أنّه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل . وغدا مَيَّاد الجَرْميّ إلى القُشَيْريّات ، وغدا يزيد بن الطَّثْريّة القُشَيريّ إلى الجَرْميّات ؛ فظلّ عندهنّ بأكرم مَظَلٍّ لا يصير إلى واحدةٍ منهنّ إلاّ افْتَتَنَتْ به وتابعتهْ إلى المودّة والإخاء وقَبَض منها رَهْناً وسألته ألاّ يدخلَ من بيوت جَرْمٍ إلاّ بيتَها ، فيقول لها : وأيَّ شيء تخافين وقد أخذْتِ منّي المواثيقَ والعهود وليس لأحد في قلبي نصيبٌ غيرِكِ ؛ حتى صُلِّيت العصرُ . فانصرف يزيد بفَتَخ[2] كثيرٍ [وذَبْلٍ][3] وبَراقِعَ وانصرف مَكحولاً مدهوناً شبعانَ رَيّانَ مُرَجَّلَ اللِّمَّة[4] . وظلّ مَيّادٌ الجَرْميّ يدور بين بيوت القُشَيْريّات مرجوماً مُقْصىً لا يتقرّب إلى بيت إلاّ استقبلتْه الولائدُ بالعَمَد والجَنْدَل ، فتهالك لهنّ وظنَّ أنّه ارتيادٌ منهنّ له ، حتى أُخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأسَ منهنّ وجَهَده العطشُ ، فانصرف حتى جاء إلى سَمُرَةٍ[5] قريباً إلى نصف النهار ، فتوسَّد يدَه ونام تحتها نُوَيْمةً حتى أُفرجتْ عنه الظَّهيرةُ وفاءت الأَظلالُ وسكن بعضُ ما به من ألَم الضرب وبَرد عطشُه قليلاً ، ثم قَرُب إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد ، فوجد أُمَةً تذُود

1 في ل : تواعدوا .

2 الفتخ : واحده فتخة ، وهي حلقة من فضّة لا فصّ لها ، فإذا كان فيها فصّ فهي الخاتم .

3 الذبل : جلد السلحفاة البرية ، وقيل البحرية ، وقيل عظام ظهر دابة من دواب البحر تتّخذ النساء منه الإسورة والأمشاط .

4 اللمّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فإذا بلغ المنكبين فهو الجمّة .

5 السمرة : شجرة من العضاه .

غَنماً في بعض الظُّعْن[1] ، فأَخذ بُرْقُعَها فقال : هذا برقُع واحدةٍ من نسائكم ، فطرَحه بين يديّ القوم ؛ وجاءت الأَمَةُ تَعْدو فتعلّقتْ ببُرْقعها فرُدّ عليها وخجل مَيّادٌ خَجلاً شديداً . وجاء يزيد مُمْسياً وقد كاد القوم أَن يتفرّقوا ، فنثَر كُمَّه بين أَيديهم ملآنَ براقِعَ [وذَبْلاً] وفَتَخاً ، وقد حلَف القومُ أَلاّ يعرِفَ رجلٌ شيئاً إلاّ رفعه . فلمّا نثَر ما معه اسودّتْ وجوهُ جَرْمٍ وأَمْسكوا بأَيديهم إمساكةً . فقالت قُشَيْر : أَنتم تعرِفون ما كان بيننا أمسِ من العهود والمواثيق وتحرُّج الأَموال والأَهل ، فمَن شاء أَن ينصرف إلى حرام فليمسك يده ؛ فبسط كلٌّ رجل يده إلى ما عرف فأَخذه . وتفرّقوا عن حرب ؛ وقالوا : هذه مَكِيدةٌ يا قُشَير . فقال في ذلك يزيد بن الطَّثْرِيّة : [من الطويل]

فإنْ شئتَ يا مَيَّادُ زُرْنا وزُرْتُمُ ... ولم ننفَسَ الدنيا على مَن يُصيبُها[2]
أَيذهبُ مَيّادٌ بأَلْبابِ نِسْوَتي ... ونسوةُ مَيَّادٍ صحيحٌ قُلوبها

وقال مَيّاد الجَرْميّ : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ إنّ جَمْعَ بني قُشَيْرٍ ... لِجَرْمٍ في يزيدَ لظالمونا
أَليس الظلمُ أَنّ أَباك مِنّا ... وأَنّك في كَتيبةِ آخرينا
أَحالفةٌ عليك بنو قُشَيْرٍ ... يمينَ الصَّبْرِ أَمْ مُتَحَرِّجونا[3]

[أحبّ وحشيّة ومرض لبعدها فأعانه ابن عمّه على رؤيتها فبرىء]

قال : وبُلي يزيدُ بعشق جاريةٍ من جَرْم في ذلك اليوم يقال لها وَحْشيّة ، وكانت من أَحسن النساء . ونافرتْهم جَرْمٌ فلم يجد إليها سبيلاً ، فصار من العشق إلى أن أُشْرف على الموت واشتَدَّ به الجَهْد ؛ فجاء إلى ابن عمّ له يقال له خَليفة بن بوزل ، بعد اختلاف الأطبّاء إليه ويأسهم منه ، فقال [له] : يا ابنَ عمّ ، قد تَعْلم أنّه ليس إلى هذه المرأة سبيل ، وأَنّ التعزّيَ أَجملُ ، فما أَرَبُك في أَن تقتل نفسَك وتأثَم بربِّك ؟ . قال : وما هَمّي يا ابنَ عَمّ بنفسي وما لي فيها أَمر ولا نهيٌ ، ولا هَمّي إلاّ نفسُ الجَرْمِيّة ؛ فإن كنتَ تريد حياتي فأَرِنيها . قال : كيف الحيلة ؟ قال : تحملني إليها . فحمله إليها وهو لا يطمع في الجرميّة ، إلاّ أنّهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وَحْشيّة أَبلّ قليلاً وراجعَ وطَمِع ، وإذا أَيِس منها اشتدّ به الوجع . فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلّل به اليمنَ ، حتى إذا دخل في قبيلةٍ انتسب إلى أُخرى ويخبر أنّه

1 في ل : العطن ، والعطن : المناخ حول الورد ، فأمّا في مكان آخر فمراح ومأوى .
2 نَفِس عليه الشيء : لم يره أهلاً له .
3 يمين الصبر : هي التي يحبس المرء حتى يحلفها .

طالبُ حاجة . وأَبَلَّ حتى صلَح بعضَ الصَّلاح ، وطَمِع فيه ابنُ عمّه ، وصارا بعد زمانٍ إلى حيّ وَحْشيّة فلقيا الرُّعْيان وكَمَنا في جبل من الجبال . فجعل خليفةُ ينزل فيتعرّض لرُعيان الشَّاء فيسألهم عن راعي وحشيّة ، حتى لقي غلامَها وغنمَها ؛ فواعدهم موعداً وسألهم ما حالُ وحشيّة ؟ فقال غلامها : هي والله بشرٍّ ؛ لا حفِظ الله بني قُشَيْر ولا يوماً رأيناهم فيه ؛ فما زالت عَليلةً منذ رأيناهم ، وكان بها طَرَفٌ ممّا بابن الطَّثْرِيّة ، فقال : وَيْحك ؛ فإنّ هاهنا إنساناً يداويها ، فلا تقل لأحدٍ غيرِها . قال : نعم إن شاء الله تعالى . فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها . فقالت له : وَيْحَكَ ؛ فجِئ به . ثم إنّه خرج فلقيه بالغدّ فأعلمه ، وظلّ عنده يرعَى غنمَه ، وتأخّر عن الشاء حتى تقدمتْه الشاء وجنَح الليلُ ، وانحدر بين يديْ غَنَمِه حتى أَراحها . ومشى فيها يزيد حتى قَرُبَتْ من البيت على أَربع وتجلّل شَمْلةً سوداءَ بلون شاةٍ من الغنم ؛ فصار إلى وَحْشِيّة ، فسُرّتْ به سروراً شديداً ، وأدخلته سِتْراً لها وجمعتْ عليه من الغد مَنْ تَثِق به من صَواحِباتها وأَترابها . وقد كان عَهِد إلى ابن عمّه أَن يُقيم في الجبل ثلاثَ ليال ، فإن لم يَرَه فلينصرِفْ . فأقام يزيدُ عندها ثلاثَ ليال ورجع إلى أَصحِّ ما كان عليه ، ثم انصرف فصار إلى صاحبه . فقال : ما وراءك يا يزيد ؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه . فقال : [من الطويل]

لَوَ ٱنَّكَ شاهدتَ الصِّبا يا ابنَ بَوْزَلٍ   بفَرْع الغَضَى إذ راجعتْني غَياطِلُهْ[1]
لشاهدتَ لهواً بعد شَحْطٍ من النَّوَى   على سَخَطِ الأَعداء حُلْواً شَمائلُهْ[2]

صوت

ويومــاً كإبهــامِ القَطاةِ مُزَيَّناً   لِعيني ضُحاهُ غالباً لِيَ باطلُهْ[3]

غنّى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني ، وروايته : [من الطويل]

تُشاهد لهواً بعد شحطٍ من النَّوى

مُخارِقٌ ثانيَ ثقيل بالوسطى عن حَبَش .

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني عليّ بن الصبَّاح قال : قال أَبو محضة الأَعرابيّ وأُنْشِد هذه الأَبياتَ ليزيد بن الطَّثْرِيّة ، فلمّا بُلِغ إلى قوله : [من الطويل]

1 الغياطل : جمع غيطلة وهي الظلمة المتراكمة .
2 في الديوان اختلاف 54 .
3 يضرب المثل في القصر بإبهام القطا .

بِنَفْسِي مَنْ لو مَـرّ بَرْدُ بنانِهِ على كَبِدي كانت شِفاءً أنامِلُهْ
ومَنْ هابني في كلّ أمرٍ وهِبْتُه فلا هو يُعطيني ولا أنـا سائلُهْ

طَرِب لذلك وقال : هذا والله من مغنج الكلام .

[كتب إلى وحشية شعراً فأجابته]

ونسختُ من كتاب الحسن بن عليّ : حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني هشام بن محمّد بن موسى قال حدَّثنا عبد الله بن إبراهيم الطائيّ قال حدَّثني عبد الله ابن رَوْح الغَنَويّ قال حدَّثتني ظَبْية بنت وزير الباهيّة قالت : كتب يزيد بن الطَّثْريّة إلى وحشيّة : [من الطويل]

أُحِبُّـكِ أطرافَ النهـارِ بشاشةً وباللّيلِ يدعوني الهـوى فأُجيبُ
لئن أُصبحـتْ ريحُ المـودّةِ بيننا شَمالاً لَقِدْماً كنتِ وهي جَنُوبُ

فأجابته بقولها : [من الطويل]

أُحِبّكَ حبَّ اليأس إن نفع الحيا وإن لم يكن لي من هواك طبيبُ

[يزيد بن الطَّثريّة وابن بوزل برملة حائل]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني هانيء بن سعد : أنّ ابن الطَّثْريّة وابن بَوْزَل ، وهو قَطَرِيّ بن بوزل ، خرجا يسيران حتى نزلا برَمْلة حائل[1] بين قِفار المِلْح ؛ فقال يزيد لابن بوزل : اذهَبْ فاسقِ راحلتَك واسْقِنا . فلمّا جاوز أوْفى يزيدُ على أجْـرَعَ[2] ، فـرأى أشباحاً فأتاها . فقيل له : هذه والله فلانة وأهلها عجيبةٌ بها (أي مُعْجَبون بها) . فأتاها فظَلّ عشيَّته وبات ليلتَه وأقام الغدَ حتى راح عَشِيّاً وقد لَقِيَ ابنَ بوزل كلَّ شرٍّ ومات غيظاً . فلمّا دنا منه قال : [من الطويل]

لَوَ انَّكَ شاهدتَ الصِّبا يا ابنَ بوزلٍ بجزْع الغَضَى إذ راجعتْني غَياطِلُهْ
بأسفَل خَلِّ المِلْح إذ دَيْنُ ذِي الهَوى مُؤَدًّى وإذ خيرُ الوصـال أوائلُهْ
لشاهدْتَ يوماً بعد شَحْطٍ من النَّوى وبعـد تَنائـي الدّارِ حُلْواً شَمائلُهْ

وقد رُوِي :

وغَيْمَ الصِّبا إذ راجعتْني غَياطِلُهْ

---

1 حائل : موضع .

2 الأجرع : الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

فاخترط[1] سيفَه ابنُ بَوْزَل ، وحاوَطه[2] يزيدُ بعَصاه ، ثم اعتذر إليه وأخبره خبرَه فقَبِل منه .
وقد رَوى هذه الأبياتَ أبو عمرو الشَّيْباني وغيرُه فزاد فيها على إسحاقَ هذه الأبياتَ: [من الطويل]

ألا حَبَّــذا عينــاكِ يــا أُمَّ شَنْبَلٍ إذا الكُحْلُ في جَفْنَيْهما جال جائلُهْ
فَداكِ مــن الخُــلاَّنِ كلُّ مُمَزَّجٍ تكون لأدنى مَنْ يُلاقي وسائلُهْ[3]
فَرُحْنــا تَلَقَّانــا بــه أُمُّ شَنْبَــلٍ ضُحَيّــاً وأبكتْنــا عَشِيّــاً أُصائلُهْ
وكنتُ كأنّي حــينَ كان كلامُها وَداعاً وخَلَّى مَوْثِـقَ العهدِ حاملُهْ
رَهِــينٌ بنفسٍ لم تُفَــكَّ كُبُولُــه عن السّاقِ حتى جَرد السيفَ قاتلُهْ
فقال دَعُوني سَجْدَتَيْنِ وأُرْعِدَتْ حِذارَ الرَّدى أحشاؤه ومَفاصِلُهْ[4]

[بنو سدرة ويزيد بن الطثريّة]

قال إسحاق وقال أبو عثمان سَعيد بن طارق : نزلتْ ساريةٌ[5] من بني سِدْرَةَ على بني قُشير بمالهم ؛ فجعلتْ فِتْيانُ قُشير تترجَّل وتتزيَّن وتزور بيوتَ سِدْرة . فاستَنْهَوْهم ؛ فقال يزيد بن الطَّثْريّة : وما في هذا عليكم ! زُوروا بيوتنا كما نزور بيوتَكم ، وقال : [من الطويل]

دعوهــنَّ يَتْبَعْنَ الصِّبا وتبادلوا بِنــا ليس بأسٌ بيننا بالتَّبادُلِ[6]

ثم إنّ بني سِدْرة قالوا لنسائهم : وَيْحَكُنّ فضَحْتُنَّنا ! نأتي نساءَ هؤلاء فلا نقدِر عليهنّ ويأتونكنّ فلا تَحْتَجِبْنَ عنهم . فقالت كَهْلَةٌ منهنّ : مُرُوا نساءَكم يجتمعْنَ إلى بيتي ، فإذا جاءوا لم يجدوا امرأة إلاّ عندي ، فإنْ يزيدُ أتاني لم يَعُدْ في بيوتكم ففعلوا . فجاء يزيدُ فقال : [من الطويل]

سلامٌ عليكــنّ الغَــداةَ فمالنا إليكــنّ إلاّ أن تَشَأْنَ سبيلُ

فقالت الكهلةُ : ومَن أنت ؟ فقال : [من الطويل]

أنا الهائم الصَّبُّ الذي قاده الهوى إليكِ فأمْسى في حبالِــكِ مُسْلَما
بَرَتْهُ دَواعي الحبّ حتى تركْنَــه سقيماً ولم يَتْرُكْنَ لحمــاً ولا دَما

فقالت : اخترْ إحدى ثلاثِ خِصال : إمّا أن تمضي ثم ترجعَ علينا فإنّا نرقُب عيونَ الرجال

---

1 اخترط السيف : سلّه من غمده .
2 حاوطه : داوره .
3 الممزّج : الكذّاب المخلط ، والذي لا يثبت على خلق .
4 مفاصله في ل : وخصائله . والخصيلة كلّ لحمة استطالت وخالطت عصباً ، أو كلّ عصبة فيها لحم غليظ .
5 السارية : الجماعة تسري .
6 الصبا في الديوان : الهوى 52 .

فإنّهم قد سبُّونا فيك ؛ وإمّا أن تختار أحَبَّنا إليك ، وأن تطلبَ امرأةً واحدةً خيرٌ من أن يَشْهَرَك الناسُ ، ونسي الثالثة . فقال : سآخذ إحداهنّ ، فاختاري أنت إحدى ثلاثِ خصال . قالت : وما هنّ ؟ قال : إمّا أن أحمِلَكِ على مَرْضُوفٍ من أمري فتركبيه ، وإمّا أن تحمِليني على مَشْروج[1] من أمركِ فأركبَه ، وإما أن تَلُزّي بَكْرِي بين قَلُوصَيْك . قالت : لو وقع بَكْرُك بين قَلوصيّ لَطَمَرَتا به طَمْرةً يتطامن عنقُه منها . قال : كلاّ ! إنّه شديد الوَجيف ، عارِمُ الوَظيف[2] ، فغلَبها . فلمّا أتاها القوم قالت لهم : إنّه أتاني رجلٌ لا تمتنع عليه امرأةٌ . فإمّا أن تُغمِضوا له ، وإمّا أن تَرْحَلوا عن مكانكم هذا ؛ فرحَلوا وذهبوا . فقال حَكيم بن أبي الخِلاف السِّدْريّ في قصيدة له يذكر أنّه إنّما ارتحلوا عنهم لأنّهم آذوْهم بكثرة ما يصنعون بهم : [من الطويل]

فكان الذي تُهْدُون للجار منكم بخاتـِج حبّـاتٍ كثيراً سُعالُها[3]

[يزيد بن الطَّثريّة وأُسماء الجعفريّة]

قال إسحاق فأخبرني الفَزاريّ : أنّ قوماً من بني نُمَيْر وقوماً من بني جَعْفَر تزاوروا ؛ فزار شُبّانٌ من بني جعفر بيوتَ بني نُمَير ، فقُبِلوا وحُدِّثوا ، وزار بنو نُمَير بني جعفر فلم يُقْبَلوا ؛ فاستَنجدوا ابنَ الطَّثْريّة فزار معهم بيوتَ بني جعفر ، فأنشدهنّ وحدَّثهنّ فأُعْجِبْنَ به واجتمعْنَ إليه من البيوت . فتوعَّد بنو جعفر ابنَ الطَّثْريّة فتاركُوا وأمسكَ بعضُهم عن بعض . فأرسلتْ أسماءُ الجَعْفَريّة إلى ابنِ الطثريّة أن لا تَقْطَعْني ، وإن مُنِعتُ فإنّي سأتخلّص إلى لقائك . فأنشأ يقول : [من الطويل]

خَلِيلَيَّ بـين المُنْحَنى من مُخَمّرٍ وبين اللِّوَى مـن عَرْفَجاءَ المُقابِلِ[4]
قِفَـا بـين أعنـاقِ اللِّوَى لمُرِيَّةٍ جَنُوبٍ تُداوِي غُلَّ شَوْقٍ مُماطِلِ
لكَيْمـا أرى أسمـاءَ أو لِتَمَسَّني ريـاحٌ بريَّاهـا لِـذاذُ الشَّمائلِ
لقد حادَلتْ أسماءُ دونَك باللِّوَى عيونَ العِدا سَقْياً لها من مُحادِلِ[5]
ودسَّتْ رسولاً أنّ حَـوْلي عِصابةً هُمُ الحَرْبُ فاسْتَبْطِنْ سلاحَ المُقاتِلِ
عشيّةَ ما لي مـن نصيرٍ بأرضها سوى السَّيْفِ ضَمَّتْهُ إليَّ حَمائلي

1 المشروج : المشقوق .
2 الوظيف لكلّ ذي أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق .
3 البخاتج : جمع بُختُج : العصير المطبوخ .
4 مُخَمَّر : واد لبني قشير . عرفجاء : ماء لبني قشير أو لبني جعفر بن كلاب مطوية في غرب الحمى .
5 حادل : راوغ .

فيـــا أيُّها الواشون بـالغِشِّ بيننا فُرادى ومَثْنى مـن عـدوٍّ وعاذلِ
دَعُوهنّ يَتْبَعْـنَ الهـوى وتبادَلوا بنـا ، ليس بـأسٌ بيننا بالتَّبادُلِ
تَرَوْا حـينَ نأتيهنّ نحـنُ وأنتمُ لِمَنْ وعلى مَـنْ وَطْـأةُ المُتثاقِلِ
ومَنْ عُرِّيـتْ للّهو قِدْمـاً رِكابُه وشاعت قَـوافي شعرِه في القبائلِ
تُبرِّزْ وجـوهُ السابقـين ويَختَلِطْ على المُقْرِفِ الكافي غبارُ القنابلِ[1]
فإنْ تمنَعوا أسماءَ أو يَـكُ نَفعُها لكـم أو تَدِبُّـوا بيننا بالغوائلِ
فلن تمنعوني أنْ أُعَلِّـل صُحْبَتي على كلّ شيءٍ من مدى العينِ قابلِ

[حبسه لديون لزمته وما وقع في ذلك بينه وبين عقبة بن شريك]

قال إسحاق وحدّثني أبو زِياد الكِلابيّ : أنّ يزيد بن الطَّثْريّة كان شريفاً مِتْلافاً يغشاه الدَّيْن ؛ فإذا أُخِذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر ؛ ثم إنّه كَثُر عليه دَيْنٌ لمولىً لعُقْبَةَ بن شَرِيك الحَرَسيّ يقال لـه البربـريّ فحبسه له عُقْبة بالعَقِيق من بلاد بني عُقَيْل ، وعُقْبة عليها يومئذٍ أميرٌ . وقـال المُفضَّل بن سَلَمة قـال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : كان يزيد قـد هَرَب منه ، فرجع إليه من حبٍّ أسماء ، وكانت جارةَ البربريّ ، فأخذه البربريّ . ويقال : إنّه أعطاه بعيراً من إبل ثَوْر أخيه . فقال يزيد في السجن : [من الطويل]

قضى غُرَمائي حبُّ أسماءَ بعد ما تَخَوّنَنـي ظلمٌ لهـم وفجورُ[2]
فلو قَلَّ دَيْـنُ البربريّ قضيْتُه ولكـنّ دَيْنَ البربريّ كثيرُ
وكنتُ إذا حَلّتْ عليّ ديونُهم أَضُمّ جَناحـي منهـمُ فأطيرُ
عليّ لهـم في كلّ شهرٍ أَدِيَّـةٌ ثمانون وافٍ نَقْدُها وجَزورُ[3]
نَجِيءُ إلى ثَـوْرٍ ففيمَ رحيلُنا وثَوْرٌ علينا في الحيـاةِ صَبُورُ
أشُدّ على ثَوْرٍ وثورٌ إذا رأى بنا خَلَّـةً جَزْلُ العطاء غفورُ
فذلك دَأْبي ما بَقِيتُ وما مَشَى لِثـوْرٍ على ظهـر البِلاد بعيرُ

ويُروى : «فهذا له ما دمتُ حيّاً» ثم إنّ عُقْبة حَجّ على جمل له يقال له ابن الكُمَيْت أنْجب ما ركِب الناسُ ، وثبَت ابنُ الطَّثْريّة في السجن حتى انصرف عُقْبة بن شَرِيك من

1 المقرف : النذل ، والكافي : الخادم . والقنابل : جمع قنبلة وهي الطائفة من الناس أو الخيل .
2 الشطر الثاني في ل : تجردتْ مِن مطلٍ لهم وغرورُ .
3 أديَّة : المال القليل .

مكّة ، فأرسل ابنَ الكميت في مخاضه[1] مستقبِلةَ الرَّبيع وهي حاضرة العَقيق ، تأكل الغَضَى وتشرب بأَحْسائه[2] ، وانحدر عُقْبة نحو اليَمامة وعليها المُهاجِر بن عبد الله الكِلابيّ . فلمّا ضاقت بابن الطَّثْريّة المَخارِج قال له صاحبٌ له : لا أُعلم لك أنجَى إن قَدَرتَ على الخروج من السجن إلاّ أن تركَب ابنَ الكُمَيْت فيُنْجيَك نحو بلد من البلاد . فلم يزل حتى جعل للحَدّاد[3] ، على أن يُرسله ليلةً إلى ابن عمّه ، جُعْلا ؛ فشكا إليه وَجْدَه بها فأرسله . فمضى يزيدُ نحوَ الإبل عشاءً فاحتكم ابنَ الكُمَيْت حتى جلس عليه فوجّهه قَصْدَ اليَمامة يريد عُقْبةَ بن شَريك ؛ وقال في طريقه : [من الطويل]

لَعَمْرِيَ إن ابنَ الكُمَيْتِ على الوَجا ... وسَيْرِيَ خَمْساً بعد خَمْسٍ مُكَمَّلُ
لَطَلْقُ الهَوادِي بالوَجيف إذا وَنَى ... ذواتُ البَقايا والعَتِيقُ الهَمَرْجَلُ[4]

فورد اليَمامةَ فأناخ بابنِ الكُمَيت على باب المهاجر ، فكان أَوّل مَن خرج عليه عُقْبة بن شريك . فلمّا نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال : وَيْحَك ؛ أيزيدُ أنت ؟ قال نعم . وهذا ابن الكُمَيت ؟ قال نعم . قال : ويحك ؛ فما شأنك ؟ قال : يا عقبة ، فارٌّ منك إليك ؛ وأنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الكامل]

يا عُقْبَ قد شُذِبَ اللِّحاءُ عن العصا ... عنّـي وكنـتُ مُـؤَزَّراً محمودا
صِلْ لي جَناحي واتَّخِذْني عُـدَّة ... ترمـي بـيَ المُتَعاشِيَ الصِّنْدِيدا

فقال له عقبة ، وكانت من خير فَعْلةٍ علمناه فعلَها ، أُشهِدكم إنِّي قد أبرأته من دَيْن البربريّ وأن له ابنَ الكُمَيْت ؛ وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله . وهذان البيتان من القصيدة التي أوّلها : [من الكامل]

أَمسى الشبابُ مُوَدَّعاً محمودا

وهي من جيِّد شعره ، يقول فيها : [من الكامل]

ومُدِلَّـةٍ عنـد التبذُّل يَفْتَري ... منها الوِشاحُ مُخَصَّراً أُملودا[5]
نازعتُها غُنْمَ الصِّبا إنَّ الصِّبا ... قـد كان منِّي للكواعبِ عِيدا

---

1 المخاض : الحوامل من النوق .
2 الأحساء : جمع الحسى وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .
3 الحداد : السجان .
4 ذوات البقايا من الخيل : التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل . والعتيق : الرائع . والهمرجل : السريع .
5 التبذّل : ترك التزيّن . يفتري : يكسو وأصلها من لبس الفروة . الأملود : النّاعم الغضّ .

يا لَلرِّجالِ وإنّما يشكو الفتى مَــرَّ الحوادثِ أو يكونَ جليدا
بَكَرتْ نَوارُ تَجُذُّ باقيةَ القُوى يومَ الفِراق وتُخْلِف الموعودا[1]
ولَرُبَّ أمرِ هَوىً يكون نَدامةً وسبيلِ مَكْرَهَةٍ يكون رشيدا

ثم قال يفخَر :

لا أتَّقي حَسَكَ الضَّغائنِ بالرُّقى فِعْلَ الذَّليلِ وإن بَقِيتُ وحيدا[2]
لكنْ أُجَــرِّد للضغائن مثلَها حتى تموتَ وللحُقودِ حُقودا

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبّاح قال : قال أبو محضة الأعرابيّ وأنْشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْريّة : هي والله من مغنج الكلام : [من الطويل]

بِنَفْسيَ مَنْ لو مَــرّ بَرْدُ بَنانِهِ على كبدي كانت شفاءً أنامِلُهْ
ومَنْ هابَني في كلّ شيء وهِبْتُه فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وَحْشيّةَ الجَرْمِيّة التي مضى ذكرها .

[تبعه أعداء له فترك راحلته وفرّ ، وشعره في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُبَير بن بَكّار قال حدَّثتني ظَبْية قال : مرّ يزيد بن الطَّثْريّة بأعداء له ؛ فأرادوه وهو على راحلته فركَضها وركَضوا الإبلَ على أثره ؛ فخشي أن يُدركوه وكانت نفسُه عنده أوثقَ من الراحلة ، فنزل فسبَقهم عَدْواً ، وأدركوا الراحلةَ فعقَروها . فقال في ذلك : [من الطويل]

ألا هل أتى لَيْلَى على نَأْي دارِها بأن لم أُقاتِلْ يومَ صَخْرٍ مُذَوِّدا[3]
وأنّيَ أُسلمتُ الرِّكابَ فعُقِّرتْ وقــد كنتُ مِقْداماً بسيفيَ مُفْرَدا
[أثرتُ فلم أسْطِعْ قتالاً ولا ترى أخا شيعةٍ يومــاً كآخر أوْحَدا]
فهــل تَصرِمَــنّ الغانياتُ مودّتي إذا قيل قــد هــاب المنونَ فعَرَّدا

[هاجى فديكاً الجرميّ لأنه عذب وحشيّة بالنار ليصدّها عنه]

أخبرني يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زِياد قال : كان يزيد بن الطَّثْريّة

1 تجذّ : تقطع .
2 حَسَك الضغائن : الحقد والعداوة .
3 مُذوِّد : ذائد .

يتحدّث إلى نساء فُدَيْك بن حَنْظَلة الجَرْميّ ، ومنزلهما بالفلج[1] . فبلغ ذلك فُدَيْكاً فشَقّ عليه فزجَر نساءه عن ذلك ، فأَبَيْنَ إلاّ أن يدخل عليهنّ يزيد . فدخل عليهنّ فُدَيْك ذاتَ يوم وقد جمعهنّ جميعاً أَخَواتِه وبناتِ عمّه وغيرَهنّ من حُرَمه ، ثم قال لهنّ : قد بلغني أنّ يزيد دخل عليكنّ وقد نهيتُكنّ عنه ، وإنّ لله عليّ نَذْراً واجباً ، واخترَط سيفَه ، إن لم أَضرب أعناقكنّ به . فلمّا ملأهـنّ رُعْباً ضرب عنقَ غلامٍ له مُوَلَّدٍ يقال له عِصام فقتله ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

جعلتُ عصاماً عِبْرةً حين رابَني أَناسيُّ مـــن أَهلي مِراضٌ قلوبُها

ثم إنّ فُدَيكاً رأى يزيدَ قائماً عند باب أَهله ، فظنّ أنّه يُواعد بعضَ نسائه ، فارتَصده على طريقه وأمر بزُبْيَةٍ[2] فحُفِرتْ على الطريق ثم أَوْقد فيها ناراً ليِّنةً ثم اختبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما : تَبَصَّرا هل تَرَيانِ أحداً ؛ فلم يَلبَثا إلاّ قليلاً حتى خرجتْ بنت أَخي فُدَيْك ، وكان يقال لها وَحْشِيّة ، تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد ؛ فأيقظه العبدان ؛ ومضت حتى وقعتْ على الزبية فاحترق بعضُها ، وأَمَر بها فأُخرجتْ ، واحتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره . فقال فُدَيْك : [من الطويل]

شفى النفسَ من وَحْشِيّةَ اليومَ أنّها تَهادَى وقد كانت سريعاً عَنِيقُها[3]
فإلاّ تَدَعْ خَبْطَ المَواردِ في الدُّجَى تكُنْ قَمَناً مـن غَشْيةٍ لا تُفِيقُها
دواءُ طبيبٍ كان يعلـمُ أنّـه يُـداوي المجانـينَ المُخلَّى طريقُها

فبلغ ذلك يزيدَ فقال : [من الطويل]

سَتَبْرَأُ من بعدِ الضَّمانةِ رجلُها وتأتي الذي تَهْوى مُخَلّىً طريقُها[4]
عليّ هَدايـا البُدْنِ إن لم أُلاقِها وإن لم يكـن إلاّ فُدَيْكٌ يسوقها
يُحَصِّنُها منّـي فديـكٌ سَفاهـةً وقد ذهبتْ فيها الكُباسُ وحُوقُها[5]
تُذيقونهـا شيئاً مـن النّار كلّما رأَتْ من بني كعبٍ غلاماً يَرُوقها

قال : وإنّما كانت وضعت رجلَها فأحرقتْها النار .

وقال يزيد أيضاً : [من البسيط]

1 الفلج : موضع .
2 الزُّبية : الحفرة التي يُصاد بها الأسد والذئب .
3 العنيق : السّير المنبسط .
4 الضمانة : الزمانة والعاهة .
5 الكُباس : الكمرة الضخمة . والحوق : ما استدار من حروفها .

يا سُخْنَةَ العينِ لِلجَرْميّ إذ جمعَتْ   بيني وبين نَوارٍ وحشةُ الدارِ
خبَّرتُهمْ عذَّبوا بالنار جارتَهم   ومَنْ يُعذِّبُ غيرَ اللهِ بالنارِ

فبلغ ذلك فُدَيْكاً فقال : [من الوافر]

أحالفةٌ عليك بنو قُشَيْرٍ   يمينَ الصَّبرِ أم متحرِّجونا

ويروى : يمين الله .

فإنْ تَنْكُلْ قُشَيرٌ تقْضِ جَرْمٌ   وتقض لها مع الشبه اليقينا
أليس الجَوْرُ أنّ أباك منّا   وأنّك في قبيلةِ آخرينا
لَعَمْرُ اللهِ إنّ بني قُشَيْرٍ   لِجَرْمٍ في يزيدَ لظالمونا
فإلاّ يحلِفوا فعليك شَكْلٌ   ونَجْرٌ ليس ممّا يعرفونا[1]
وأعرِفُ فيكَ سِيَما آلِ صَقْرٍ   ومِشْيَتَهم إذا يتخيَّلونا

قال : وكانت جَرْمٌ تدّعيه ، وقُشَيرٌ تدّعيه ؛ فأراد أن يُخبر أنّه دَعِيّ .

وقال فُدَيْك بن حَنْظلة يهجوه : [من الطويل]

وإنّا لسيّارون بالسُّنّة التي   أُحِلّتْ وفينا جَفْوةٌ حين نُظْلَمُ
ومنّا الذي لاقتْه أُمُّك خالياً   فلم تدرِ ما أيّ الشهورِ المحرَّمُ

فال يزيد يهجو فُدَيْكاً : [من الرجز]

أنعَتُ عَيْراً من عُيُورِ القَهْرِ   أَقْمَرَ من شرِّ حَميرِ قُمْرِ[2]
صبّح أبياتَ فُدَيْكٍ يجري   منزلةَ اللُّؤمِ ودارَ الغَدْرِ
فلَقيتُهُ عند باب العَقْرِ   يَنْشِطها والدِّرْعُ عند الصَّدْرِ[3]
نَشْطَكَ بالدَّلْوِ قَراحَ الجَفْرِ[4]

[حاور حسناء عرفته من حديثه]

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو الحارث هانىء بن سَعْد الخَفاجيّ قال : ذُكرتْ ليزيد بن الطَّثْريّة امرأةٌ حَدَثَةٌ جميلةٌ ؛ فخرج حتى يَدْفَعَ إليها ،

1 النّجر : اللون .
2 القَمْر : موضع ، والقُمْر : لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة .
3 العَقْر : موضع . وينشطها : يرفعها .
4 الجفر : البئر .

فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدّثان ، فسلّم عليهم ؛ فأَوْجستْ أنّه يزيد ولم تَتَثَبَّتْ ، ورأَتْ عليه مَسْحة . فقالت : أيُّ ريح جاءت بك يا رجل ؟ قال : الجَنُوبُ . قالت : فأيّ طيرٍ جرتْ لكَ الغَداة ؟ قال : عنزٌ[1] زَنِمةٌ رأَيتُها يُداوِرُها ثَعْلبانِ ؛ فانقضَّ عليها سِرْحانٌ فراغ الثعلبانِ . قال : فطَفَرَتْ وراء سِتْرِها ، وعرفتْ أنّه يزيد .

[ذهب معه قطريّ لرؤية نساء يحتجبن عنه ، وشعره في ذلك]

قال إسحاق وحدّثني عَطَرَّد قال : قال قَطَرِيّ بن بَوْزَل ليزيد بن الطَّثْريّة : انْطَلِقْ معي إلى فلانةَ وفلانة فانهنّ يَبْرُزْنَ لك ويستترْنَ عنّي ، عسى أَن أَراهنّ اليومَ على وجهك . فذهب به معه ، فخرج عليهما النِّسوةُ وظَلاَّ يتحدّثان عندهنّ حتى تَرَوّحا . وقال يزيد في ذلك : [من الطويل]

على قَطَرِيٍّ نعمةٌ إن جزى بها يزيدَ وإلاّ يَجْزِهِ اللهُ لي أَجْرا
دنوتُ به حتّى رَمى الوحشَ بعدما رأَى قَطَرِيٌّ من أَوائلها نَفْرا

[قصّته مع رجل من صداء أحبّ خثعمية فأعانه عليها]

أَخبرنا يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن عَطَرَّد قال : نزل نَفَرٌ من صُداء[2] بناحية العَقِيق ، وهو منزلُ ابن الطَّثْريّة ، نصفَ النهار فلم يأتهم أَحد ؛ فأبصرهم ابن الطَّثْريّة فمرّ عليهم وهو منصرفٌ وليسوا قريباً من أَهله . فلمّا رآهم مُرْمِلِين أَنْفَذ إليهم هديّةً ومضَى على حِياله ولم يراجعْهم . فسألوا عنه بعدُ حتى عرفوه ، فَحَلا عندهم وأَعجبهم . ثم إنّ فتىً منهم وادَّه فآخاه فأَهدى له بُرْداً وجُبَّة ونَعْلَين . ثم أَغار المقدَّمُ بن عمرو بن هَمَّام بن مُطَرِّف بن الأَعلم بن رَبيعة ابن عُقَيْل على ناس من خَثْعَم . وفي ذلك يقول الشاعر : [من الطويل]

مُغار ابنِ هَمَّامٍ على حَيِّ خَثْعَما

فأَخذ منهم إبلاً ورَقيقاً ، وكانت فيهنّ جاريةٌ من حِسان الوجوه ، وكان يهواها الذي آخى يزيدَ ، فأَصابه عليها بلاءٌ عظيم حتى نَحِل جسمُه وتغيرتْ حالُه ؛ فأَقبل الفتى حتى نزل العَقِيقَ متنكِّراً ؛ فشكا إلى يزيدَ ما أَصابه في تلك الجارية . فقال : أَفيك خير ؟ قال نعم . قال : فإنّي أدفعها إليك . فَخبَأه في عَرِيشٍ له أَيّاماً حتى خَطِف الجاريةَ فدفعها إليه . فبعث إليها قَطَرِيَّ بن بَوْزَل ، فاعترَض لها بين أَهلها وبين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وَطَّن له ناقةً مُفاجّةً[3]

---

1 عنز زنمة : لها لحمتان متدليتان من حلقها .
2 صُداء : مخلاف باليمن وفي ل : كداء .
3 المفاجة : التي تفرّج في المشي بين رجليها .

فقال : النَّجاةَ فإنّك لن تُصْبِح حتى تخرجَ من بلاد قُشَيْر وتصيرَ إلى دار نَهْد فقد نجوتَ ؛ وأنا أُخْفي أثرَك فعفَّى أثرَه ، وقال لابنة خَمّارة كان يشرب عندها : اسْحَبي ذيلَكِ على أثره ففعلتْ . ثم بُحِثَ على ذلك حتى قيل : قد كان قَطَرِيٌّ أَحْدَثَ الناسِ بها عهداً ؛ فاستُعْدِيَ عليه فظُفر بيزيد فأُخذ مكانه فحُبِس بحُجْرٍ [1] ، حبسه المُهاجِر . ففي ذلك يقول يزيد : [من الطويل]

ألا لا أُبالي إن نجا لي ابنُ بَوْزَلٍ ... ثَوائي وتَقْييدي بحُجْرٍ لَياليا
إذا حُمَّ أمرٌ فهو لا بدَّ واقعٌ ... له لا أُبالي ما عليّ ولا ليا
هو العَسَلُ الماذِيُّ طوراً وتارةً ... هو السّمُّ والذّيفان واللَّيْث عاديا[2]

[نحر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبّه فقال شعراً]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب عن محمّد بن سَلاّم الجُمَحِيّ قال حدَّثني أبو الغرّاف قال : كان يزيد بن الطَّثْريّة صاحب غَزَلٍ ومُحادثةٍ للنساء ، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلِّهم شعراً ، وكان أخوه ثَوْرٌ سيِّداً كثيرَ المال والنَّخْل والرَّقيق ، وكان متنسِّكاً كثير الحجّ والصَّدَقة كثيرَ المُلازمة لإبله ونخله ، فلا يكاد يُلِمُّ بالحيّ إلاّ الفَلْتة[3] والوَقْعة ، وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِّعاء على أخيه يزيد بن الطَّثْريّة فتُسْقَى على عَيْنه . فبينا يزيدُ مارٌّ في الإبل وقد صدَر عن الماء إذ مرّ بخِباءٍ فيه نسوةٌ من الحاضر ؛ فلمّا رأَيْنَه قلن : يا يزيد ، أطعِمْنا لحماً . فقال : أعطينَني سِكِّيناً فأعطينه ، ونحرَ لهنّ ناقةً من إبل أخيه . وبلغ الخبرُ أخاه ؛ فلمّا جاءه أخذ بشَعْره وفسَّقه وشتَمه . فأنشأ يزيد يقول : [من البسيط]

يا ثَوْرُ لا تشتُمَنْ عِرْضي فداكَ أبي ... فإنّما الشتمُ للقوم العَواويرِ[4]
ما عَقْرُ نابٍ لأمثال الدُّمَى خُرُدٍ ... عِينٍ كِرامٍ وأبكارٍ مَعاصيرِ
عَطَفْنَ حَوْليَ يسألْنَ القِرَى أُصُلاً ... وليس يَرْضَيْنَ منّي بالمَعاذيرِ
هَبْهُنّ ضيفاً عَراكم بعد هَجْعَتِكم ... في قِطْقِطٍ من سَقيطِ اللّيلِ منثورِ[5]
وليس قُرْبَكُمُ شاءٌ ولا لبنٌ ... أيرحَلُ الضيفُ عنكم غيرَ مجبورِ

---

1 حُجْر : قرية باليمن .
2 الماذيّ : العسل الأبيض ، والذَّيفان : السمّ الناقع .
3 يريد الوقت بعد الوقت .
4 العواوير : الجبناء .
5 القطقط : المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر ، وقيل : هو دون الرذاذ . السقيط : الندى والثلج ، وفي ل : سواد .

مـا خيرُ واردةٍ للمـاء صادرةٍ لا تنجلي عن عَقِيرِ الرِّجْل منحورِ[1]

[أحبّ امرأة وعلم أنّ سبعة يحبونها فقال شعراً]

أخبرني أبو خَليفة قال قال ابن سَلاّم : كان يزيد بن الطَّثْريّة يتحدّث إلى امرأة ويُعجَبُ بها . فبينما هو عندها إذ حدَث لها شابٌّ سِواه قد طلع عليه ، ثم جاء آخرُ ثم آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تَمُّوا سبعةً وهو الثامن ؛ فقال : [من الطويل]

أرى سبعةً يَسْعَوْنَ للوصلِ كلُّهم لـه عنـد ليـلَى دِينـةٌ يستدينُها
فألقَيْتُ سهمي وسْطَهم حين أَوْخَشُوا فمـا صار لي من ذاك إلاّ ثَمِينُها[2]
وكنتُ عَزُوفَ النَّفْسِ أَشْنأُ أن أرى على الشِّرْك من وَرْهاء طَوْعٌ قَرِينُها[3]
فيومـاً تراهـا بالعهـود وَفِيّـةً ويوماً على دِيـن ابن خاقانَ دينُها
يَـداً بِيَـدٍ مَـنْ جـاء بالعَين منهمُ ومَنْ لم يجيء بالعين حِيزَتْ رُهونُها

وقال فيها وقد صارَمها : [من الطويل]

ألا بأبِي مَـنْ قـد بَرى الجسمَ حُبُّهُ ومَـنْ هـو موموقٌ إليّ حبيبُ
ومـن هـو لا يـزداد إلاّ تَشَوُّقاً وليس يُـرى إلاّ عليـه رقيبُ
وإنّـي وإن أَحْمَـوْا عليَّ كلامَها وحالت أعـادٍ دونهـا وحُروبُ[4]
لَمُثْـنٍ عـلى ليـلى ثنـاءً يزيدها قَـوافٍ بأفـواهِ الـرُّواةِ تَطِيبُ
أليلَى احْذَري نَقْضَ القُوى لا يَزَلْ لنا على النـأْي والهِجرانِ منكِ نصيبُ
وكُـوني على الواشين لَـدّاءَ شَغْبَةً كما أنـا للواشي ألَـدُّ شَغُـوبُ
فإنْ خِفْتِ ألا تُحْكِمي مِرَّةَ القُوى فـرُدِّي فـؤادي والمَـزارُ قريبُ

[كتب والي اليمامة إلى أخيه ليؤدّبه فحلق لمته فقال شعراً]

أخبرنا محمّد بن الحسن بم دُرَيْد قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه عن رجل من بني عامر ثم من بني خَفاجةَ قال : استعدت جَرْمٌ على ابن الطَّثْريّة في وَحْشيّة (امرأةٍ منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثَوْر أخي يزيد بن الطَّثْريّة وأمره بأدبه ، فجعل عقوبتَه حَلْق لِمّته فحلَّقها ، فقال يزيد : [من الطويل]

---

1 عقير في ل : عقيل .
2 أوخشوا : خلطوا وصاروا إلى الوخاشة أي الرذالة .
3 الورهاء : الحمقاء .
4 أحمى : حرّم ومنع .

أقولُ لِثَوْرٍ وهـوَ يَحْلِقُ لِمّتي　　بِجَجْنـاءَ مـردودٍ عليهـا نِصابُها

قال عبد الرحمن : كان عمّي يحتجّ في تأنيث المُوسَى بهذا البيت .

تَرَفَّقْ بهـا يـا ثورُ ليس ثوابُها　　بهـذا ولكـن غيرُ هـذا ثوابُها

ألا ربَّما يا ثَوْرُ قـد غَلّ وَسْطَها　　أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابُها[1]

وتَسْلُك مِدْرى العاج في مُدْلَهِمّةٍ　　إذا لم تُفَرَّجْ مـات غَمّاً صُؤابُها

فـراح بهـا ثَـوْرٌ تَرِفُّ كأنّها　　سلاسلُ دِرْعٍ خِيرُها وانسكابُها[2]

مُنَعَّمةٌ كالشَّرْيَةِ الفَـرْدِ جادَهـا　　نِجاءُ الثُّريَّـا هَطْلُهـا وذِهابُها[3]

فأصبحَ رأسي كالصُّخَيْرة أشْرفتْ　　عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها[4]

[أخبار من حلقهم رؤوسهم]

ونظير هذا الخبر أخبار مَنْ حُلِقَتْ جُمَّتُه فرثاها ، وليس من هذا الباب ، ولكن يُذكر الشيء بمثله : أخبرني محمَّد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عبد الرحمن عن عمّه قال : شَرِب طُخَيْمٌ الأَسَدِيّ بالحِيرة ، فأخذه العبّاس بن مَعْبَد المُرِّيّ ، وكان على شُرَط يوسف بن عمر ، فحلَق رأسَه ؛ فقال : [من الطويل]

وبالحِيرةِ البَيْضاء شيـخٌ مُسَلَّطٌ　　إذا حَلَـف الأيمـانَ بالله بَرّتِ

لقـد حَلَقُوا مِنّـا غُدافاً كأنّها　　عَناقيـدُ كَـرْمٍ أيْنعتْ فاسْبَطَرَّتِ[5]

يَظَـلّ العَذارى حـين تُحْلَقُ لِمَّتي　　على عَجَلٍ يَلْقُطْنَها حـين جُزَّتِ

أخبرني محمَّد عن عبد الرحمن عن عمِّه عن بعض بني كِلاب قال : أُخِذَ فتىً منّا مع بعض فَتَياتِ الحيّ ، فحُلِق رأسُه فقال : [من الكامل]

يـا لِمَّتِي ولقد خُلِقْـتِ جَميلـةً　　وكرُمْتِ حين أصابـكِ الجَلَمانِ

أمستْ تَرُوق الناظرين وأصبحتْ　　قَصَصاً تكـون فواصلَ المَرْجانِ[6]

1 غلّ شعره بالطيب : أي أدخله في أصوله .

2 الخير : الهيئة وفي البيت اختلاف في الديوان .

3 كالشريّة في الديوان : خدارية ص 26 . الشَّرْية : شجرة الحنظل ، والنِّجاء : جمع نجو كبحر وبحار ، وهو السحاب الذي هراق ماءه . والذهاب : جمع ذِهبة وهي المطرة الضعيفة .

4 رأسي في الديوان : ورحت برأس 26 .

5 اسبطرت : طالت وامتدت .

6 القصص : ما قصّ من الشَّعر .

[شعره في أخيه ثور]

أخبرني وَكيع قال حدَّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعْلى قال حدَّثنا أبو مُحَلِّم قال : كان ليزيد بن الطَّثْريّة أخٌ يقال له ثَوْر أكبرُ منه ، فكان يزيد يُغير على ماله ويُتْلفه ، فيتحمّله ثَوْر لمحبّته إيّاه . فقال يزيد في ذلك : [من الطويل]

نُغِيرُ على ثَـوْرٍ وثـورٌ يَسُرُّنا ... وثـورٌ علينا في الحياةِ صَبُورُ
وذلك دَأبِي ما حَيِيتُ وما مَشَى ... لثـورٍ على عَفْرِ التُّرابِ بعيرُ

[الحرب بين عقيل وبني حنيفة ومقتل يزيد وما رثاه به الشعراء]

وقُتِل يزيد بن الطَّثْريّة في خلافة بني العبّاس ، قتلتْه بنو حَنيفة .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكّريّ عن محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل بن سَلَمة عن أبي عُبيدة وابن الكَلْبيّ ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجَرّاح العُقَيليّ قال : أغارتْ بنو حَنيفة على طائفة من بني عُقَيْل ومعهم رجلٌ من بني قُشَيْر جارٌ لهم ؛ فقُتِل القُشَيريّ ورجلٌ من بني عُقَيْل واطَّرَدتْ إبلٌ من العُقَيْليّين ؛ فأتى الصَّرِيخُ عُقَيلاً فلحِقوا القومَ فقاتلوهم فقتَلوا من بني حَنِيفةَ رجلاً وعقَروا أفراساً ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا ، فلبِثوا سنةً . ثم إنّ عُقَيْلاً انحدرتْ منتجعةً من بلادها إلى بلاد بني تَميم ، فذُكِر لحَنيفةَ وهم بالكوكَبةِ والقيضاف ، فغزتْهم حَنيفةُ ، وحَذِر العُقَيْليّون وأتتْهم النُّذُرُ من نُمَير فانكشفوا فلم يقدِروا عليهم ؛ فبلغَ ذلك من بني عُقَيْل وتلهّفوا على بني حنيفة ، فجمعوا جمعاً ليَغْزُوا حنيفةَ ، ثم تشاوروا : فقال بعضهم : لا تغزوا قوماً في مَنازلهم ودُورهـم فيتحصّنُـوا دونكـم ويمتنعوا منكم ، ولا نأمنُ أن يفضحوكم ، فأقاموا بالعَقيق . وجاءت حنيفةُ غازيةً كَعْباً لا تتعدّاها حتى وقعت بالفَلَج ، فتطاير النـاسُ ، ورأسُ حَنِيفـة يومئـذٍ المُنْدَلِفُ ، وجـاء صَرِيخُ كَعْب إلى أبي لَطِيفةَ بنِ مُسْلم العُقَيْليّ وهو بالعَقيق أميرٌ عليها ؛ فضاق بالرسول ذَرْعاً وأتاه هولٌ شديد ، فأرسل في عُقَيْل يستمدّها ؛ فأتته ربيعـةُ بن عُقَيْل وقُشَيْر بن كعب والحَرِيشُ بن كعب وأفناءُ خَفاجةَ ، وجاش[1] إليه النـاسُ ؛ فقال : إنّي قد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجيء ونعلمَ ما تُشير به . قال أبو الجَرّاح : فأصبح صُبْح ثالثـةٍ على فـرس لـه يَهْتِف : أعزّ الله نصرَكم وأمتعَنا بكم ؛ انصرِفوا راشدين فلم يكن بأسٌ ؛ فانصرف الناسُ ؛ وصار في بني عمِّه ورَهْطِه دِنْيةً . وإنّما فعل ذلك لتكونَ له السُّمْعةُ والذِّكر . فكان فيمن سار معه

1 جاش إليه الناس : ساروا إليه ليلاً .

القُحَيْف بن خُمَيْر ويزيد بن الطَّثْريّة الشاعران ؛ فساروا حتى واجهوا القومَ ، فواقعوهم فقتلوا المُنْدَلِفَ ، رَمَوْه في عينه ، وسَبَوْا وأَسَرُوْا ومَثَّلوا بهم وقطعوا أيديَ اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليَمامة وصَنعوا ما أرادوا . ولم يُقتل مِمّن كان مع أبي لَطِيفةَ غيرُ يزيدَ بن الطَّثْريّة ، نَشِب ثوبُه في جِذْلٍ[1] من عُشَرَةٍ[2] فانقلب ، وخبَطه القومُ فقُتل . فقال القُحَيْف يرثيه : [من الوافر]

أَلا تَبْكي سَراةُ بني قُشَيْرٍ على صِنْدِيدِها وعلى فَتاها

فإنْ يُقْتَلْ يزيدُ فقد قَتَلْنا سَراتَهُمُ الكهولَ على لِحاها

أَبا المَكْشوحِ بَعْدَكَ مَنْ يُحامي ومَنْ يُزْجِي المَطِيَّ على وَجاها

وقال القُحَيْف أيضاً يرثيه : [من الرجز]

إن تقتُلوا منّا شهيداً صابرا فقد تركنا منكُمُ مَجازِرا

عشرين لمّا يدخُلوا المقابرا قَتْلى أُصيبتْ قَعَصاً نَحائرا[3]

نعجا تَرى أرجُلَها شَواغِرا[4]

وهذه من رواية ابن حَبِيبَ وحدَه . وقال القُحَيْف أيضاً ولم يَرْوِها إلاّ ابن حبيبَ : [من الرجز]

يا عينُ بَكِّي هَمَلاً على هَمَلْ على يَزيد ويزيدَ بنِ حَمَلْ

قَتّال أبطالٍ وجَرّار حُلَلْ

قال : ويزيد بن حَمَل قُشَيْريّ قُتِل يومئذٍ أيضاً . وقالت زينب بنت الطَّثْريّة ترثي أخاها يزيد . وعن أبي عمرو الشَّيْبانيّ أنّ الأبيات لأُمّ يزيد ، قال : وهي من الأَزْد . ويقال : إنّها لوَحْشيّة الجَرْمِيّة : [من الطويل]

أَرى الأَثْلَ من بطن العَقِيق مُجاوِرِي مُقِيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ

فَتىً قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضائلٌ ولا رَهِلٌ لَبّاتُه وبآدِلُهْ[5]

---

1 الجِذل : أصل الشجرة .

2 العُشَرَة : شجرة من العضاه وهي من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض .

3 القعص : القتل المعجل والموت الوحيّ .

4 نعج الرجل : ربا وانتفخ . شواغر : مرفوعات .

5 البآدل : جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والتّرقوة .

فتىً لا تَرى قَـدَّ القميص بخَصْره ... ولكنّما تُوهِـي القميصَ كواهلُهْ
إذا نـزل الضِّيفانُ كان عَـذَوَّراً ... على الحـيِّ حتى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُهْ[1]
يَسُرُّك مظلوماً ويُرضيك ظالماً ... وكلُّ الذي حَمَّلتَه فهـو حامِلُهْ
إذا جَـدَّ عند الجِدّ أرضاك جِدُّه ... وذو باطلٍ إن شئت ألْهاكَ باطلُهْ
إذا القومُ أمُّوا بيتَه فهـو عامِـدٌ ... لأفضل مـا أمُّوا لـه فهو فاعِلُهْ
مضَى ووَرِثْنـاه دَرِيسَ مُفاضَةٍ ... وأبيضَ هِنْدِيّـاً طويـلاً حمائلُهْ[2]
وقد كان يَحْمي المَحْجِرين بسيفه ... ويبلغُ أقْصَى حَجْـرةِ الحيِّ نائلُهْ[3]
فتىً ليس لابن العمّ كالذئب إن رأى ... بصاحبه يومـاً دمـاً فهـو آكِلُهْ
سيَبْكِيه مـولاه إذا مـا ترفَّعتْ ... عن الساقِ عند الرَّوْع يوماً ذَلاذِلُهْ

الذَّلْذُل : هُدْب الثياب .

وقد أخبرنا الحِرْميّ عن الزُّبَير عن عمر بن إبراهيم السَّعْديّ عن عبّاس بن عبد الصمد قال : قال هشام بن عبد الملك للعُجَيْر السَّلُوليّ : أصدقتَ فيما قلتَ في ابن عمّك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ألا إنّي قلتُ : [من الطويل]

فتىً قُدّ قَدّ السيفِ لا متضائلٌ ... ولا رَهِـلٌ لَبّاتُـه وأباجِلُهُ[4]

فذكر هذا البيتَ وحدَه ونسبه إلى العُجَيْر السَّلُوليّ من الأبيات المنسوبة إلى أُخت يزيد بن الطَّثْرِيّة أو إلى أمّه وأتى بأبياتٍ أُخَر ليست منها ، وسيُذكر ذلك في أخبار العُجَيْر مشروحاً إن شاء الله تعالى .

ومّما يُغنّى فيه من شعر يزيد بن الطَّثْرِيّة قولُه : [من الطويل]

صوت

بنفسيَ مَـنْ لا بـدّ أنّيَ هاجِرُهْ ... ومن أنا في الميسور والعُسْرِ ذاكِرُهْ
ومن قـد رماه الناسُ بي فاتّقاهمُ ... ببغضيَ إلاّ مـا تُجِـنُّ ضمائرُهْ

عروضُه من الطويل . غنّى في هذين البيتين عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ لحناً من خفيف

1 العذَوّر : السيء الخُلق القليل الصبر .
2 الدريس : الخلق من الدروع وغيرها ، المفاضة : الدراع الواسعة .
3 المَحْجِر : الحرم وما يمنعه القوم . الحَجْرة : الناحية .
4 الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ في الرجل ، وقيل في باطن الذراع .

الثقيل بالبنصر . وغنّتْ فيه عَرِيبُ وفي أبيات أضافتْها إليها لحناً من خفيف الثقيل الأوّل آخرَ . وغنّت عُلَيَّةُ بنت المهديّ فيها خفيفَ رَمَلٍ . وذكر الهِشاميّ أنّ لإبراهيم فيها لحناً ماخُورِيّاً . والأبياتُ المُضافةُ : [من الطويل]

بنفسيَ مـن لا أُخبِرُ الناسَ باسمه ... وإن حَمَلتْ حِقْـداً عليّ عشائرُهْ
بأهلي ومالي مـن جلَبتُ له الأذى ... ومَنْ ذكرُه منّـي قريبٌ أسامِرُهْ
ومَنْ لو جرت شَحْناءُ بيني وبينه ... وحـاوَرَني لم أَدْرِ كيـف أُحاوِرُهْ

صوت

من المائة المختارة

[من المتقارب]

شأَتْـكَ المنـازلُ بالأَبْـرَقِ ... دوارسَ كالعـين في المُهْرَقِ
لآلِ جَميلـةَ قـد أَخْلَقتْ ... ومهما يَطُـلْ عهـدُه يُخلِقِ
فـإن يُقِـلِ الناسُ لي عاشِقٌ ... فأيـن الذي هـو لم يَعْشَقِ
ولم يَبْـكِ نُؤْيـاً على عَبْرةٍ ... بـداء الصَّبابـة والمَعْـلَقِ

شأَتْك : بعُدتْ عنك . والشأو : البعد . يقال : جرى الفرسُ شَأْواً ، يريد طَلَقاً . والمُهْرَق : الصحيفة ، والجمع المَهارق . يريد أنّ الدّار قد بَقِيتْ منها طرائقُ كالصّحف وما فيها .

الشعر للأحوص . والغناءُ لجَميلة ، ولحنُها المختار خفيفُ رملٍ بالوسطى عن إسحاق . وفيه لعَطَرَّد ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ عن حَبَش : وفيه رمل يقال : إنّه لفَريدة ، ويقال : إنّه لمالك . وقيل : إنّ الثقيلَ الأوّل لابن عائشة . وذكر عمرو بن بانة أنّ خفيف الرمل لعَطَرّد أيضاً .

[114] ـ ذكر جميلة وأخبارها[1]

[ولاء جميلة وشعر عبد الرحمن بن أرطاة فيها]

هي جميلة مولاةُ بني سُلَيْم ثم مولاةُ بطن منهم يقال لهم بنو بَهْز ، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخَزْرج ، وكانت تنزِل فيهم ، فغلَب عليها ولاءُ زوجها ، فقيل : إنّها مولاة للأنصار ، تَنْزِل بالسُّنْح[2] وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصِّدّيق ؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زِياد الأنصاريّ الأُمَويّ السَّعِيديّ . وذكر عبد العزيز بن عِمْران أنّها مولاةٌ للحَجّاج بن عِلاط السُّلَميّ . وهي أصل من أصول الغناء ، وعنها أخذ معبدٌ وابن عائشة وحَبابةُ وسَلاّمة وعقيلة العَقِيقيّة والشَّماسيَّتان خُلَيْدة ورُبَيْحة . وفيها يقول عبد الرحمن بن أَرْطاة : [من المتقارب]

صوت

إنّ الـدَّلالَ وحسنَ الغنا ... ءِ وَسْطَ بيوت بني الخَزْرجِ
وتلكـم جميلةُ زينُ النساء ... إذا هي تَـزْدان للمَخْرجِ
إذا جئتَها بذَلتْ وُدَّها ... بوجـه مُنيرٍ لهـا أَبْلَجِ

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاة . والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى الوسطى ، ويقال : فيه للدّلال وجَميلة لحنانِ .

[كانت أعلم خلق الله بالغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي جعفر القُرَشيّ عن المُحْرِزيّ قال : كانت جميلة أعلمَ خلق الله بالغناء ؛ وكان معبد يقول : أصلُ الغناء جميلة وفرعُه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغنّين .

[كيف تعلّمت الغناء]

قال إسحاق وحدّثني أيّوب بن عَبَاية قال حدّثني رجل من الأنصار قال : سُئِلت جميلة : أنّى لكِ هذا الغناء ؟ قالت : والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنتُ أسمعه يغنّي ويضرب بالعود فلا أفهمه ، فأخذتُ تلك النّغمات فبنيتُ عليها

1 انظر خبراً عنها في التذكرة الحمدونية 9 : 36 ، 37 .
2 السُّنْح : موضع قرب المدينة .

غِنائي ، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء ، فعلِمتُ وألقيتُ ، فسمعني مَوالِياتي يوماً وأنا أُغنّي سرّاً ففهِمْنَني ودخلْنَ عليّ وقُلْنَ : قد علِمنا فما تكْتُمينا . فأقسمْنَ عليّ ، فرفعتُ صوتي وغنّيتهُنّ بشعر زُهير بن أبي سُلْمَى : [من البسيط]

وما ذكرتُكِ إلاّ هِجْتِ لي طَرَباً   إنّ المحبَّ ببعضِ الأمرِ معذورُ
ليس المحبّ بمَن إن شَطَّ غيَّره   هجرُ الحبيب وفي الهِجران تغييرُ

صوت

[من البسيط]

نامَ الخليّ فنومُ العين تَعْذِيرُ   ممّا ادَّكرتُ وهمُّ النفسِ مذكورُ[1]
ذكرتُ سَلْمَى وما ذِكْرِي براجِعها   ودونها سَبْسَبٌ يَهْوِي به المُورُ[2]

الشعر لزُهَير . والغناء في هذين البيتين لجَميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حَبَش . فحينئذٍ ظهَر أمري وشاع ذكري ، فقَصَدني الناسُ وجلستُ للتعليم ؛ فكان الجواري يتكاوَسْنَني[3] ، فربّما انصرف أكثرُهنّ ولم يأخُذْنَ شيئاً سوى ما سمِعْنَني أُطارِحُ لغيرهنّ ، ولقد كَسبتُ لَموالِيَّ ما لم يخطُرِ لهنّ ببال ، وأهلُ ذلك كانوا وكنتُ .

[إجماع الناس على تقدّمها في الغناء]

وحدَّثني أبو خليفة قال حدَّثني ابن سَلاّم قال حدَّثني مَسْلَمة بن محمّد بن مَسْلَمة الثَّقَفيّ قال : كانت جميلةُ ممّن لا يُشَكُّ في فَضيلتها في الغناء ، ولم يَدَّعِ أحدٌ مقارَبَتَها[4] في ذلك ، وكلّ مدنيّ ومكّيّ يشهد لها بالفضل .

[وصف مجلس من مجالسها غنّت فيه وغنّى فيه مغنّو مكّة والمدينة]

قال إسحاق وحدَّثني هشام بن المُرِّيَّة المدنيّ قال حدَّثني جرير المدنيّ . قال إسحاق : وكانا جميعاً مغنِّيَيْن حاذقَين شيخَين جليلَين عالِمَين ظريفَين ، وكانا قد أسنّا ، فأمّا هشام فبلغ الثمانين ، وأمّا جرير فلا أدري . قال جرير : وفَد ابنُ سُرَيج والغريض وسَعيد بن مِسْجَح ومُسْلِم بن مُحرِز المدينةَ لبعضِ من وفَدوا عليه ، فأجمع رأيُهم على النزول على جَميلة مولاةِ بَهْزٍ ، فنزلوا عليها . فخرجوا يوماً إلى العَقِيق متنزِّهين ، فوردوا على مَعْبَد وابن عائشة فجلسوا إليهما فتحدّثوا ساعةً ؛ ثم سأل معبدٌ ابنَ سُرَيج وأصحابَه أن يَعْرِضوا عليهم بعضَ ما ألَّفوا . فقال ابن عائشة : إنّ للقوم

1 تعذير : قليل .
2 المور : الغبار المتردّد ، وقيل : التراب تثيره الريح .
3 يتكاوسنني : يتكنفنني ويتزاحمن حولي .
4 في ل : مقارنتها .

أعمالاً كثيرةً حسنةً ولك أيضاً يا أَبا عَبّاد ، ولكن قد اجتمع علماء مكّة ، وأنا وأنت[1] من أَهل المدينة ، فلْيَعْمَل كلٌّ واحد منّا صوتاً ساعتَه ثم يغنِّ به . قال معبد : يا ابنَ عائشة ، قد أعجبَتْك نفسُك حتى بلَّغتْك هذه المرتبةَ ؛ قال ابن عائشة : أَوَ غَضِبْتَ يا أَبا عَبّاد ! إنّي لم أَقُل هذا وأَنا أُريد أن أتنقَّصك فإنّك لأنت المُفادُ منه . قال معبدٌ : أمّا إذ قد اختلفْنا وأصحابُنا المَكِّيّون سكوتٌ فلنجعل بيننا حَكَماً . قال ابن عائشة : إنّ أصحابنا شركاءُ في الحكومة . قال ابن سُرَيج : على شَريطةٍ ؛ قال : على أَن يكونَ ما نُغَنّي به من الشعر ما حُكِّمت فيه امرأةٌ . قال ابن عائشة ومَعْبَد : رَضينا ، وهي أُمّ جُنْدَب . فأجمع رأيهُم على الاجتماع في منزل جَميلة من غَدٍ . فلمّا حضروا قال ابن عائشة : ما تَرى يا أَبا عبّاد ؟ قال : أَرى أَن يبتدىء أَصحابُنا أَو أَحدُهم . قال ابن سُرَيج : بل أَنتما أَوْلى . قالا : لم نكن لنفعلَ . فأقبل ابن سُرَيج على سَعيد بن مِسْجَح فسأله أن يبتدىء فأَبَى . فأَجْمع رأيُ المكّيّين على أَن يبتدىء ابنُ سُرَيج . فغنّى ابن سريج : [من الطويل]

صوت

ذهبتَ من الهِجْرانِ في غير مَذْهبِ ... ولم يَكُ حقّـاً كلُّ هذا التجنُّبِ
خليليّ مُـرّا بـي على أُمّ جُنْدَب ... أُقَضِّ لُبانـاتِ الفـؤاد المُعَذَّبِ
فإنّكمـا إن تُنْظِـرانيَ ساعـةً ... من الدَّهرِ تَنْفَعْني لدى أُمّ جُنْدَبِ
أَلم تَريـاني كلَّمـا جئتُ طارقاً ... وجدتُ بهـا طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ

الشعر لامرىء القيس . ولابن سُرَيج فيه لحنان ثاني ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى ، وخفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى جميعاً عن إسحاق . وغنّى مَعْبَد : [من الطويل]

صوت

فَلِلَّهِ عينـا مَنْ رأى مِـنْ تَفَرُّقٍ ... أَشَتَّ وأَنْأَى من فِراق المُحَصَّب[2]
عَلَـوْنَ بأَنطاكيّةٍ فـوق عِقْمَةٍ ... كجِرْمَةِ نخـلٍ أَو كجَنّة يَثْرِب[3]
فريقـانِ منهم سالكٌ بطـنَ نَخْلَةٍ ... وآخَرُ منهم جازِعٌ نَجْدَ كَبْكَب[4]

---

1 في ل : وإيّاك .

2 المحصب : موضع رمي الجمار بمنى .

3 العقمة : ضرب من الوشي . والجرمة : ما جرم من البسر ، والجنة : البستان . يريد نخل المدينة .

4 في البيت اختلاف في الديوان 43 . بطن نخلة : موضع . والجازع : القاطع . نجد في ل : قصد . كبكب : هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفة .

فَعَيْناكَ غَرْبــا جَدْوَلٍ في مُفاضَةٍ كمَــرٍّ خَلِيجٍ في سَنِيحٍ مُثَقَّبِ[1]

وغنّى ابن مِسْجَح : [من الطويل]

صوت

وقالت فإن يُبْخَــلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ يَسُؤْكَ وإن يُكْشَفْ غرامُك تَدْرَبِ[2]

وإنّــك لم يَفْخَــرْ عليك كفاخِرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلِبْك مثــلُ مُغَلَّبِ

وإنّــك لم تَقْطَــعْ لُبانــةَ عاشقٍ بمثلِ بُكُــورٍ أو رَواحٍ مُؤَوِّبِ[3]

بأدْمــاءَ حُرْجُــوجٍ كأنّ قُتودَها على أَبْلَقِ الكَشْحَيْن ليس بمُغْرَبِ[4]

يغرِّد بــالأَسْحارِ في كلّ سُدْفــةٍ تَغَرُّدَ مَيّــاحِ النَّدامَى المُطَرِّبِ[5]

وغنّى ابنُ عائشة :

صوت

وقــد أغْتَدِي والطيرُ في وُكُناتِها وماءُ النَّدَى يَجْرِي على كلِّ مِذْنَبِ[6]

بمُنْجَرِدٍ قَيْــدِ الأَوابدِ لاحَــهُ طِرادُ الهَــوادِي كلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ[7]

إذا ما جَرى شَأْوَيْنِ وابتَلَّ عِطْفُه تقولُ هَزِيــزُ الرِّيحِ مَرّتْ بأثْــأَبِ[8]

لــه أيْطَــلا ظَبْــيٍ وساقا نَعامةٍ وصَهْوَةُ عَيْرٍ قائــمٍ فوقَ مَرْقَبِ[9]

وغنّى ابن مُحْرِز : [من الطويل]

صوت

فلِلسَّوْطِ أُلْهُــوبٌ وللساق دِرَّةٌ وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ[10]

---

1 الخليج : الخيط الذي يتناثر منه اللؤلؤ ، والسنيح : اللؤلؤ . وفي الديوان : صفيح ص 44 . مثقّب في ل : مصوّب .

2 تدرب : من الدربة وهي التجربة .

3 المؤوب : المردّد المتكرّر .

4 الأدماء : الناقة البيضاء . والحرجوج : الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . القتود : جمع قتد وهو أداة الرحل . وأبلق الكشحين : أبيض الخاصرتين . والإغراب : بياض الأشفار والوجه .

5 يغرّد : يطرّب . وسدفة الليل : طائفة من الليل ، ومياح : متبختر .

6 المِذْنب : مسيل الماء إلى الروضة .

7 المنجرد : قصير الشعر . الهوادي : السوابق المتقدّمات . المغرّب : البعيد المدى .

8 أثأب : شجر تصدر الريح فيه حفيفاً عظيماً وشدّة صوت .

9 الأيطل : الخاصرة والعَيْر : حمار الوحش .

10 الإلهاب واللهوب : شدّة العدو الذي يثير اللهب وهو الغبار . الدرّة : زيادة في العدو . والأخرج : الذكر من النعام الذي اختلف ريشه في لونه . المهذِب : الشديد العدو ، وفي البيت اختلاف في الديوان ص 51 .

فــأَدْرك لم يَجْهَــدْ ولم يُبْلِ شَدَّه يَمُــرُّ كخُذْرُوفِ الوَليدِ المُثقَّبِ[1]
تَــذُبُّ لــه طَــوْراً وطَوْراً تُمِرُّه كَذَبِّ البَشيرِ بــالرِّداء المُهَدَّبِ[2]
إذا ما ضربتُ الدَّفَّ أو صُلْتُ صَوْلَةً تَرَقَّــبُ منِّــي غيرَ أَدْنى تَرَقُّبِ[3]

وغنّى الغريض :

صوت

أخائقــةٍ لا يَلْعَــنُ الحيُّ شخصَه صبوراً على العِلاّتِ غيرَ مُسَبَّبِ[4]
رأينــا شِياهــاً يَرْتَعِــينَ خَمِيلــةً كَمَشْيِ العَذارَى في المُلاء المُجَوَّبِ[5]
ومــا أنت أَمْ مــا ذِكْرُهــا رَبَعِيَّةً تَحُلّ بإيــرٍ أو بأَكنافِ شُرْبُبِ[6]
أطعــتُ الوُشاةَ والمُشاةَ بصُرْمِها فقــد أَنْهَجَتْ حِبالُهــا للتقضُّبِ[7]

فقالت جميلةُ : كلُّكم مُحسِنٌ وكلّكم مُجيد في معناه ومذهبه . قال ابن عائشة : ليس هذا بمُقْنِع دون التفضيل . فقالت : أمّا أنت يا أبا يحيى[8] فتُضْحِك الثَّكْلى بحُسْن صوتك ومشاكلتِه للنفوس . وأمّا أنت يا أبا عَبّاد فنَسِيجُ وَحْدِك بجودة تأليفك وحسن نَظْمك مع عذوبة غِنائك . وأمّا أنت يا أبا عثمان فلك أوّليَّةُ هذا الأمر وفضيلته . وأمّا أنت يا أبا جعفر فمع الخُلفاء تصلُح . وأمّا أنت يا أبا الخَطّاب فلو قَدّمتُ أحداً على نفسي لقدّمتُك . وأمّا أنت يا مَوْلى العَبَلاتِ فلو ابتدأتَ لقدّمتُك عليهم . ثم سألوها جميعاً أن تغنّيهم لحناً كما غَنَّوْا ؛ فغنّتْهم بيتاً لامرىء القيس وأربعةَ أبيات لعَلْقَمة وهي : [من الطويل]

خَلِيليَّ مُرّا بــي على أُمِّ جُنْدَبِ أُقَضِّ لُبانــاتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ
لَيــاليَ لا تَبْلَــى نصيحةُ بَيْنِنــا لياليَ حَلُّــوا بالسِّتارِ فغُرَّبِ[9]

1 الخذروف : الدوّارة التي يلعب بها الصبيان .
2 تمرّه في ل : تبزّه . المهدّب : ذو الهدب .
3 الدفّ : الجنب .
4 غير مسبب : غير مسبوب .
5 شياه : بقر من الوحش . المجوّب : المصنوع له جيب .
6 إير : جبل لبني غطفان غربيّ جبل طيىء . شربب : واد في ديار بني ربيعة بن مالك بن يزيد بن مناة بن تميم في شمال اليمامة .
7 أُنهجت : خلقت وبليت . التقضّب : التقطّع .
8 أبو يحيى : كنية ابن سريج ، وأبو عباد كنية معبد ، وأبو عثمان كنية سعيد بن مسجح ، وأبو جعفر كنية ابن عائشة ، وأبو الخطاب كنية ابن محرز ، ومولى العبلات لقب الغريض .
9 السّتار : جبل بعالية الحجاز ، وغرب جبل تلقاءه .

مُبَتَّلَــةٌ كأنّ أَنْضاءَ حَلْيِهــا على شادنٍ من صاحَةٍ مُتَربِّبِ[1]
مَحــالٌ كأجْوازِ الجَرادِ ولؤلؤٌ من القَلَقــيِّ والكَبِيسِ المُلَوَّبِ[2]
إذا أُلْحِم الواشون للشرّ بيننا تبلَّغ رَسُّ الحبّ غيرُ المُكَذَّبِ[3]

فكلُّهم أقرُّوا لها وفضَّلوها . فقالت لهم : ألا أُحدِّثكم بحديث يتمُّ به حسنُ غِنائكم وتَمامُ اختياركم ؟ قالوا : بَلى والله . قال الغريض : قد والله فهمتُه يا سيِّدتي . قالت : لعنك الله يا مخنَّث ؛ ما أُجودَ فهمَك وأحسنَ وجهَك ، وما يُلام فيك أبو يحيى إذ عرفتَه ؛ فهاته حدِّثنا . قال : يا سيّدتي وسيّدةَ مَنْ حضر ، والله لا نطقتُ بحرف منه وأنت حاضرةٌ ، ولكِ الفضلُ والعُتْبى . قالت : نازع امرؤ القيس عَلْقَمَةَ بنَ عَبَدَةَ الفحلَ الشعرَ ؛ فقال له : قد حَكَّمتُ بيني وبينك امرأتَك أُمَّ جُنْدَب ؛ قال : قد رَضِيتُ . فقالت لهما : قُولا شعراً على رَوِيٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيلَ . فقال امرؤ القيس : [من الطويل]

خَليليّ مُرَّا بي على أمّ جُنْدَبِ أُقَضِّ لُباناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ

وقال عَلْقمة : [من الطويل]

ذهبتَ من الهِجْرانِ في غير مَذْهبِ ولم يَكُ حقّاً كلُّ هــذا التجنُّبِ

وأَنشداهــا ، فغلَّبــتْ عَلْقمــةَ . فقــال لهــا زوجُهــا : بــأيّ شيء غلَّبتِــه ؟ قالت : لأنّك قلت : [من الطويل]

فللسَّوْطِ أُلْهــوبٌ وللساق دِرَّةٌ وللزَّجْــرِ منــه وَقْعُ أَهْوجَ مِنْعَبِ[4]

فجَهَـدْتَ فرسَك بسَوْطِـك ، ومَرَيْتَـه[5] بساقِـك وزَجْـرك ، وأتْعبتَه بجَهْدك . وقال علقمةُ : [من الطويل]

فولَّــى على آثارهـــنَّ بحاصِبٍ وغَبْيَةِ شُؤْبُوبٍ من الشَّدِّ مُلْهِبِ[6]

---

1 المبتلّة : المكتنزة اللحم الضامرة الكشح . وأنضاء الحَلْي : ما دقّ منه ولطف . وصاحة : جبل أحمر بين الركاء والدخول وقيل هضبتان .

2 المحال : ضرب من الحلي يصاغ مُفقَراً . الجوز : وسط الشيء . القَلَقيّ : ضرب من القلائد المنظومة من اللؤلؤ . الكبيس : حلى يصاغ مجوّفاً ثم يُحشى طيباً ثم يكبس . الملوّب : المعطّر بالملاب .

3 ألحم : أدخل . الرسّ : الثابت الراسخ . غير المكذّب : غير المنقطع الزّائل .

4 المنعب : الأحمق المصوّت ، والذي يمدّ عنقه في العدو .

5 مرى الفرس : استخرج جريه .

6 الغبية : المطرة التي تجيء شديدة .

فأدركهنّ ثانياً من عِنانه ... يَمُرّ كمَرّ الرائح المُتحلِّبِ[1]

فلم يضرب فرسَه بسوط ، ولم يَمْرِه بساق ، ولم يُتعبْه بزَجْر . فقال ابن عائشة : جُعِلتُ فِداكِ ؛ أتاذَنِينَ أن أُحدِّث ؟ قالت : هِيه . قال : إنّما تزوّج أُمَّ جُنْدَب حين هرَب من المُنْذِر بن ماء السماء فأتى جَبَلَيْ طيِّىء ، وكان مُفرَّكاً[2] . فبينا هو معها ذاتَ ليلةٍ إذ قالت له : قُمْ يا خيرَ الفِتيان فقد أصبحتَ ، فلم يقم ؛ فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجرَ لم يطلُع ، فرجع فقال لها : ما حملكِ على ما صَنَعتِ ؟ فأمسكتْ . وألحّ عليها فقالت : حملني أنّك ثقيلُ الصدر ، خفيفُ العَجيزة ، سريعُ الإراقة ، بطيءُ الإفاقة . فعرف تصديقَ قولها وسكتَ . فلمّا أَصْبح أتى علقمةَ وهو في خَيْمته وخَلْفَه أمّ جُنْدَب ، فتذاكروا الشعر ، فقال امرؤ القيس : أنا أشعر منك ، وقال عَلْقمة مثلَ ذلك ، فتحاكما إلى أُمّ جُنْدَب ، ففضّلت أُمُّ جندب عَلْقمةَ على امرىء القيس . فقال لها : بِم فَضَّلتِه عليّ ؟ قالت : فرسُ ابن عَبَدَةَ أجودُ من فرسك . زجرتَ وضربتَ وحرّكتَ ساقَيْك ، وابنُ عَبَدَةَ جامدٌ لا مقتدر . فغضب من قولها وطلّقها ، وخلَف عليها عَلْقمةُ . فقالت جميلة : ما أحسنَ مجلسَنا لو دام اجتماعُنا ! ثم دعتْ بالغَداء فأتي بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة . ثم قالت : لولا شَناعةُ مجلسنا لكان الشراب مُعَدّاً ولكنّ الليل بيننا . فلم يزالوا يومَهم ذلك بأطيب مجلس وأحسنِ حديث . فلمّا جَنّهم الليلُ دعتْ بالشراب ودعت لكلِّ رجلٍ منهم بعود ، وأخذتْ هي عُوداً فضربتْ ، ثم قالت : اضربوا فضربوا عليها بضربٍ واحد ، وغنّتْ بشعر امرىء القيس : [من المتقارب]

أأذْكَرْتَ نفسَكَ ما لن يَعُودا ... فهاج التَذَكُّرُ قلباً عَمِيدا
تَذَكَّرتَ هنداً وأترابَها ... وأيّامَ كنتَ لها مُستقيدا[3]
ويُعجبك اللّهْوُ والمُسْمِعاتُ ... فأصبحتَ أزمعتَ منها صُدودا
ونادمتُ قَيْصَرَ في مُلكه ... فأوجهني ورَكِبتُ البَريدا[4]

فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك . ثم قالت : تَغَنّوا جميعاً بلحنٍ واحد ؛ فغنّوْها هذا الشعر والصوتَ بعينه كما غنّته . وعلِم القوم ما أرادتْ بهذا الشعر ؛ فقال ابن عائشة : جُعِلتُ فِداكِ ؛ نرجو أن يدوم مجلسنا ، ويُؤثِرَ أصحابنا المُقامَ بالمدينة فنُواسيَهم من كلّ ما نَملكه . قال أبو عَبّاد : وكيف بذاك ؟ فباتوا بأنعمِ ليلة وأحسنها . قال إسحاق قال أبي قال

1 الرائح : يعني السحاب الذي يأتي بالعشيّ ، والسحاب أغزر ما يكون بالعشيّ . المتحلّب : المتساقط المتتابع .
2 المفرّك : الذي تبغضه النساء .
3 استقاد له : أعطاه مقادته أي أطاعه وذلّ له .
4 أوجهه : شرفه وجعله وجيهاً .

لي يونس : قال أبو عبّاد : لا أعرف يوماً واحداً منذُ عقَلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيرِه مثلَ ذلك اليوم ، ولا أحسبَه يكون بعدُ . قال يونس : ولا أدركْنا نحن مثلَ ذلك اليوم ولا بلَغْنا . قال إسحاق : ولا أنا ، ولا أحسب ذلك اليومَ يكون بعُد .

[زارها عبد الله بن جعفر فصرفت من عندها وأقبلت عليه تلاطفه]

وحدَّثني أبي قال حدَّثنا يونس قال قال لي أبو عَبّاد : أتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ أنّي سبَقْتُ الناسَ إليها ، فإذا مجلسُها غاصٌّ ؛ فسألتُها أن تُعَلّمني شيئاً ؛ فقالت لي : إنّ غيرَك قد سبقَك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَن سواك . فقلتُ : جُعِلتُ فِداكِ ؛ إلى متى تَفرُغِينَ مِمّن سبقَني ؟ قالت : هو ذاك ، الحقُّ يَسَعُك ويَسَعُهم . فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جعفر ، وإنّه لأوّل يومٍ رأيتُه وآخرُه وكنتُ صغيراً كَيِّساً ، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقَّتْه وقبّلتْ رجليْه ويديْه ، وجلس في صدر المجلس على كَوْمٍ لها وتحوَّق أصحابُه حَوْلَه ، وأشارت إلى مَن عندها بالانصراف ، وتفرَّق الناسُ ، وغمَزتْني أن لا أبرحُ فأقمتُ . وقالت : يا سيِّدي وسيِّدَ آبائي ومَواليَّ ، كيف نَشِطْتَ إلى أن تنقل قدميك إلى أمَتِك ؟ قال : يا جَميلة ، قد علمتُ ما آليتِ على نفسِكِ ألاّ تغنّي أحداً إلاّ في منزلكِ ، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً مادّاً فَسيحاً . قالت : جُعِلتُ فداكَ ؛ فأنا أصيرُ إليكَ وأُكفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك ، وبلغني أنّكِ تُغنّين بيتين لامرىء القيس تُجيدين الغناءَ فيهما ، وكان اللهُ أنْقذَ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت : يا سيّدي نعم ؛ فاندفعتْ تغنّي فغنَّتْ بعُودها ، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ إلى أن ماتت مثلَ ذلك الغناء ؛ فسبَّح عبدُ الله بن جعفر والقوم معه . وهما : [من الطويل]

ولمّـا رأتْ أنَّ الشَّريعــةَ هَمُّها ... وأنّ البَياضَ مـن فَرائِصها دامي[1]
تَيَمَّمَتِ العـينَ التي عنـد ضارجٍ ... يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامي[2]

[حديث عبد الله بن جعفر عن جماعة ضلّوا الطريق]

ولابنِ مِسْجَحٍ في هذا الشعر صوتٌ وهذا أحسنُهما ، فلمّا فرغتْ قالت جميلة : أيْ سيِّدي أَزيدُكَ ؟ قال : حَسْبي . فقال بعضُ مَن كان معه : بأبي جُعلت فداكَ ؛ وكيف أنْقذ اللهُ من المسلمين جماعةً بهذين البيتين ؟ قال : نعمْ ، أقبل قومٌ من أهل اليمن يريدون النبيَّ ﷺ فضَلُّوا الطريقَ ووقعوا على غيرها ومكَثوا ثلاثاً لا يقدِرون على الماء ، وجعَل الرجلُ منهم

1 الشريعة : مورد الماء الذي تشرع فيه الدواب .

2 ضارج : موضع في بلاد بني عبس . العرمض : الطحلب .

يَسْتَذْري[1] بفَيْءِ السَّمُر والطَّلْح يائساً من الحياة ، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له ، وأنشد بعضُ القوم هذين البيتين فقال : [من الطويل]

ولمّا رأتْ أنّ الشَّرِيعةَ همُّها وأنّ البياضَ من فَرائِصها دامي
تَيمَّمَتِ العينَ التي عند ضارِجٍ يَفيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامي

فقال الراكبُ : مَنْ يقول هذا ؟ قال : امروُ القَيْس . قال : والله ما كذَب ؛ هذا ضارِجٌ عندكم ، وأشار لهم إليه ؛ فحَبَوْا على الرُّكَب فإذا ماءٌ عَذْبٌ وإذا عليه العَرْمَضُ والظلُّ يَفيءُ عليه ، فشربوا منه رِيَّهم وحَملوا ما اكتفَوْا به حتى بلَغوا الماءَ ، فأتوا النبيّ ﷺ فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أحيانا الله عزّ وجلّ ببيتين من شعر امرىء القيس ، وأنشدوه الشعرَ . فقال رسول الله ﷺ : «ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها ، منسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها ، يجيءُ يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار» . فكلٌّ استحسن الحديثَ . ونَهض عبدُ الله بن جعفر ونَهض القومُ معه . فما رأيتُ مجلساً كان أحسنَ منه .

[سئل عمر بن الخطّاب عن الشعراء فقدّم امرأ القيس]

قال إسحاق : حدَّثني بعض أهل العلم عن ابن عَيّاش عن الشَّعْبيّ قال : رأيت دَغْفَلاً النسّابةَ يحدِّث أنّه رأى العبّاس بنَ عبد المطَّلب سأل عمرَ بنَ الخَطّاب عن الشعراء ، فقال : امرؤ القيس سابقُهم خسَف لهم عينَ الشعر فافتَقر عن معانٍ عُورٍ أصحَّ بَصَراً . قال إسحاق : معنى خسَف : احتفَر . وهو من كِندةَ من اليمن ، وليست لهم فصاحةُ مُضَر ، ولا شعرُهم بجيِّد . فجعَل معانيَ اليمن معانيَ عُوراً وما قاله : أصحَّ بصراً أي أجودَ شعراً . ومعنى افتقَر : احتفر . والفَقِيرة : الحَفِيرة تُحفر للفَسِيلة لتُغْرَس . وكلّ ما ابتدأتَ حَفْرَه فهو فَقِير . والمعنى أنّه قال شعراً جيّداً وليس هو في معنى شعر مُضَر .

[حديث جرير عن طرفة وامرىء القيس وزهير وذي الرمّة]

وقال عُمارة بن عُقيل بن بِلال بن جَرير بن الخَطَفَى : سمعتُ أبي يقول : دخل جدِّي على بعض ملوك بني أُميّة ؛ فقال : ألا تخبرُني عن الشعراء ؟ قال بَلَى . قال : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : ابنُ العشرين (يعني طَرَفة) . قال : فما تقول في امرىء القَيْس ؟ قال : اتّخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين ، فأقسِم بالله لو أدركتُه لرفعتُ له ذَلاذِلَه[2] . قال : فما رأيُك في ابن أبي سُلْمَى ؟ قال : كان يَبْرِي الشعرَ . قال : فما رأيُك في ذي الرُّمّة ؟ قال : قدَر من طريف الكلام وغَريبِه وحَسَنِه على ما

1 يستذري : يستظلّ .
2 الذلاذل : أسافل القميص الطويل ، الواحد ذلذل .

لم يقدِر عليه أحد حتى صنَّف الشعر[1] .

[زيارة معبد ومالك لجميلة وغناء معبد وجميلة على طريقة واحدة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدَّثني أيّوب بن عَباية عن رجل من الأنصار قال : زار معبدٌ مالكَ بنَ أبي السَّمْح ؛ فقال له : هل لك أن نصير إلى جَميلة ؟ فمضيا جميعاً فقصداها ؛ فأذِنتْ لهما فدخلا ، فأخرجتْ إليهما رُقْعة فيها أبيات ، فقالت لمعبد : بَعث بهذه الرقعة إليّ فلان أُغنّي فيها . فقال مَعْبد : فابتدئي ؛ فابتدأتْ جميلةُ فغنَّت : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنّما الذَّلْفاءُ همِّي ... فلْيَدَعْني من يَلُومُ

فغنّى معبد : [من مجزوء الرمل]

أحسنُ الناسِ جميعاً ... حين تمشي وتقوم

فغنَّت جميلة : [من مجزوء الرمل]

حبّب الذَّلْفاءَ عندي ... مَنْطِقٌ منها رَخِيمُ

فغنّى معبد : [من مجزوء الرمل]

أَصِلُ الحبلَ لترضى ... وهي للحبل صَرُومُ

فغنَّت جميلة : [من مجزوء الرمل]

حبُّها في القلب داءٌ ... مستكنٌّ لا يَرِيمُ

طريقة واحدة . الشعر للأَحْوَص . وذكر ابنُ النَّطاح أنّه للبَخْتَرِيّ العِبادِيّ . والغِناء لَمعْبد ، وله فيه لحنانِ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى البِنْصَر عن ابن المكّيّ ، وثقيل أوّل بالوسطى عن عَمْرو . وذكر أحمدُ بن سَعيد المالكيّ أنّ له فيه خفيفَ ثقيلٍ آخَر . وذكر حَمّاد بن إسحاق أنّ فيه لمالكٍ وجَميلةَ لحنين . وقالت لَمعْبد ولمالك : يغنّي كلٌّ واحد منكما لحناً ممّا عمله . فغنّاها مَعْبَد بشعر قاله فيها الأحوصُ يصفها به ، وكان مُعْجَباً بها ، وكانت هي له مُكْرِمة ، وهو قوله : [من المتقارب]

شَأَتْكَ المنازلُ بالأَبْرَقِ ... دوارسَ كالعين في المُهْرَقِ
لآلِ جَمِيلةَ قد أَخلقتْ ... وَمهما يَطُلْ عهدُه يُخلِقِ
فإن يقلِ الناسُ لي عاشقٌ ... فأين الذي هو لم يَعْشَقِ

1 في ل : الشعراء .

ولم يَبْكِ نُوْيـاً على عَبْـرةٍ بـداء الصَّبابـةِ والمَعْلَـقِ

في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى ، ذكر إسحاق أنّه لعَطَرَّد ، وذكر ابن المكّيّ أنّه لجَميلة . وفيها خفيفُ رملٍ بالوسطى في مَجْراها ، ذكر إسحاق أنّه لعَطرَّد أيضاً وعمرو ، وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الأوّل لابن عائشة . وذكر حَبَش أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمَعْبد وأنّ خفيفَ الرَّمَل لمالك . قال معبد : فسُرَّتْ جميلةُ بما غنّيتُها به وتبسَّمتْ وقالت : حَسْبُك يا أبا عَبّاد ! ولم تَكْنِني قبلها ولا بعدها . ثم قالت لمالك : يا أخا طيىء هاتِ ما عندك وجنّبنا مثلَ قول عَبْدِ ابن قَطَن[1] ؛ فاندفع وغنّى بلحنٍ لها ، وقد تغنّى به أيضاً معبدٌ لها . واللحنُ : [من الطويل]

أَلا مَـنْ لقلبٍ لا يَمَـلُّ فيذْهَلُ أَفِقْ فالتعـزِّي عـن بُثينةَ أجملُ
فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها ولا هكذا فيما مضى كنت تفعلُ
فإنّ التي أَحْببتَ قـد حيلَ دونها فكُـن حازمـاً والحازم المتحوِّلُ

لحنُ جَمِيلة هكذا ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه ألحان عِدّةٌ مع أبيات أُخرَ من القصيدة ، وهي لجميل . فقالت جميلة : أحسنتَ والله في غنائك وفي الأداء عنّي . أمّا قوله : «شَأَتْك» فأراد بَعُدتْ عنك . والشَّأْوُ : البعد ، يقال : جرى الفرس شَأْواً أو شأوين أي طَلَقاً أو طَلَقين . والمُهْرَق : الصحيفة بما فيها من الكتاب ، والجمع مَهارِق ؛ قال ذو الرمّة : [من الطويل]

كمُسْتَعْبِـرٍ في رَسْم دارٍ كأنّهـا بوَعساءَ تَنْضُوها الجماهيرُ مُهْرَقُ[2]

[الذلفاء التي شبّب بها الأحوصُ]

والعين أن تتعيَّن الإداوة أو القِرْبةُ التي تُخْرَز ويَسِيل الماء عن عيون الخَرْز . فشبَّه ما بقي من الدّار بتعيُّن القربة وطرائق خروقها التي ينزل منها الماء شيئاً بعد شيء . فأمّا الذَّلفاء التي ذُكرت فيها فهي التي فُتن بها أهلُ المدينة . وقال بعض مَن كانت عنده بعد ما طلّقها : [من البسيط]

لا بارَكَ اللهُ في دار عـدَدْتُ بها طلاقَ ذَلْفاءَ مـن دارٍ ومن بلدِ
فـلا يقولَنْ ثلاثـاً قائـلٌ أبداً إنّي وجـدتُ ثلاثـاً أَنكَد العددِ

فكان إذا عَدّ شيئاً يقول : واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة .

[حديث بثينة لها عن عفّة جميل وعن حالها لمّا سمعت نعيه]

وقالت جميلة : حدَّثتني بُثَينة ، وكانت صَدُوقةَ اللسان جملةَ الوجه حسنةَ البيان عفيفة البطن والفرج ؛ قالت : والله ما أرادني جَميلٌ رحمةُ الله عليه بريبةٍ قطّ ولا حَدّثت أنا نفسي بذلك

1 تعني معبداً ، إذ هو مولى ابن قطن .
2 الوعساء : الرملة اللينة . الجمهور : الرمل الكثير المتراكم الواسع .

منه . وإنّ الحيّ انتجعوا موضعاً ، وإنّي لفي هَوْدج لي أسيرُ إذا أنا بهاتفٍ يُنْشِد أبياتاً ، فلم أتمالكُ أن رميتُ بنفسي وأهلُ الحيّ ينظرون ، فبقيت أطلب المُنْشِدَ فلم أقِف عليه ، فناديتُ : أيّها الهاتفِ بشعر جميل ما وراءَك منه ؟ وأنا أحسَبه قد قضَى نَحْبَه ومضى لسبيله ، فلم يُجِبْني مُجيب ؛ فناديت ثلاثاً ، وفي كلّ ذلك لا يردُّ عليّ أحدٌ شيئاً . فقال صَواحِباتي : أصابكِ يا بُثَينة طائفٌ من الشيطان ؟ فقلت : كَلاّ ! لقد سمعتُ قائلاً يقول ؛ قُلْنَ : نحن معكِ ولم نسمعْ ؛ فرجعتُ فركبت مطيّتي وأنا حَيْرى والهةُ العقل كاسفةُ البال ، ثم سرْنا . فلمّا كان في الليل إذا ذلك الهاتفُ يَهْتِف بذلك الشعر بعينه ، فرميتُ بنفسي وسعيتُ إلى الصوت ، فلمّا قَرُبت منه انقطع ؛ فقلت : أيّها الهاتف ، ارحمْ حَيْرتي وسكِّن عَبْرتي بخبر هذه الأبيات ؛ فإن لها شأناً ! فلم يردّ عليّ شيئاً . فرجعتُ إلى رَحْلي فركبت وسِرْتُ وأنا ذاهبة العقل ؛ وفي كلّ ذلك لا يُخْبرني صَواحِباتي أنّهنّ سمِعْنَ شيئاً . فلمّا كانت الليلةُ القابلةُ نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين ، فإذا الهاتف يهتِف بي ويقول : يا بُثَينة ، أقْبلي إليّ أنبئْك عمّا تريدين . فأقبلتُ نحوَ الصوت ، فإذا شيخٌ كأنّه من رجال الحيّ ، فسألْته عن اسمه وبَيْته . فقال : دَعي هذا وخُذِي فيما هو أهمُّ عليك[1] . فقلتُ له : وإن هذا لَمِمَّا يَهُمُّني . قال : اقنَعي بما قلتُ لكِ . قلت له : أنت المنشدُ الأبيات ؟ قال نعمْ . قلتُ : فما خبرُ جميل ؟ قال : نعمْ فارقْته وقد قَضى نَحْبَه وصار إلى حُفْرته رحمة الله عليه . فصَرختُ صَرْخةً آذنتُ منها الحيَّ ، وسقطتُ لوجهي فأُغْمي عليّ ، فكأنّ صوتي لم يسمَعْه أحد ، وبقيتُ سائرَ ليلتي ، ثم أَفَقْتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي ، ورفعتُ صوتي بالعَويل والبكاء ورجعتُ إلى مكاني . فقال لي أهلي : ما خبرُكِ وما شأنُكِ ؟ فقصَصْتُ عليهم القصّة . فقالوا : يَرْحَم الله جميلاً . واجتمع نساءُ الحيّ وأنشدتُهنّ الأبياتَ فأَسْعدنَني بالبكاء ، فأقمنَ كذلك لا يفارقْنني ثلاثاً ، وتحزَّن الرجالُ أيضاً وبَكَوْا ورَثَوْه وقالوا كلُّهم : يَرْحَمُه الله ، فإنّه كان عفيفاً صَدُوقاً ! فلم أكتحلْ بعده بإثْمِدِ ولا فرَقتُ رأسي بمَخيط ولا مُشْط ولا دهنْتُه إلاّ من صُداع خِفْتُ على بصَرِي منه ولا لبِستُ خِماراً مصبوغاً ولا إزاراً ولا أزال أُبْكِيه إلى الممات . قالت جميلة : فأنشدتْني الشعرَ كلَّه وهذا الغناءُ بعضُه ، وهو : [من الطويل]

أَلا مَنْ لقلبٍ لا يَمَـلُّ فيَذْهَلُ ... أَفِقْ فالتعزِّي عن بُثَينةَ أجملُ

[مدحها ابن سريج فردّت عليه مدحه]

قال ابن سَلاّم حدَّثني جرير قال : زار ابنُ سُرَيج جميلةَ ليسمعَ منها ويأخذَ عنها .

---

1 أي فيما هو أجدى عليك .

فلمّا قدِم عليها أنزلته وأكرمته وسألته عن أخبار مكّة فأخبرها . وبلغ معبداً الخبرُ . [وكانت تُطارِحه وتسأله عن أخبار مكّة فيخبرها] . وكانت عندها جاريةٌ مُحْسِنةٌ لَبِقةٌ ظريفةٌ ، فابتدأتْ تُطارِحها . فقال ابن سُرَيج : سبحانَ الله ؛ نحن كنّا أحقَّ بالابتداء . قالت جميلة : كلُّ إنسانٍ في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمّر عليه . فقال ابنُ سُرَيج : صدقتِ جُعلت فداءكِ ؛ وما أدْري أيُّهما أحسنُ أدبُكِ أم غناؤكِ ! . فقالت له : كُفَّ يا عُبَيد ، فإنّ النبيّ ﷺ قال : «احثُوا في وجوه المَدّاحينَ الترابَ» . فسكت ابنُ سُرَيج . وطارحت الجاريةَ بشعر حاتم الطائيّ : [من الطويل]

أتعرفُ آثارَ الديار توهُّما ... كَخَطِّك في رَقٍّ كتاباً مُنَمنَما
أذاعتْ به الأرواحُ بعد أنيسها ... شهوراً وأيّاماً وحَوْلاً مجرَّما[1]
فأصبَحْنَ قد غَيَّرْنَ ظاهرَ تُرْبِه ... وغيَّرتِ الأنواءُ ما كان مَعْلَما
وغيَّرها طولُ التقادُم والبِلَى ... فما أعرفُ الأطلالَ إلاّ توهُّما

قال : فحُدِّثْتُ أنّه حضر ذلك المجلسَ جماعةٌ من حُذّاق أهل الغناء ، فكلُّهم قال : مَزاميرُ داود ! . قال ابنُ سُرَيج لها : أفأُسْمِعُكِ صوتاً لي في هذا الشعر ؟ قالت : هاتِه ؛ فغنَّى : [من الطويل]

ديار التي قامت تُريكَ وقد عَفَتْ ... وأقْوتْ من الزُّوّار كَفّاً ومِعْصَما
تَهادَى عليها حَلْيُها ذاتَ بهجةٍ ... وكَشْحاً كطَيِّ السابريَّة أهْضَما[2]
فبانتْ لِطَيَّاتٍ لها وتبدَّلتْ ... به بَدَلاً مَرَّتْ به الطيرُ أشْوُما[3]
وعاذلتانِ هبّتا بعد هَجْعةٍ ... تَلُومانِ مِتْلافاً مُفِيداً ملوَّما

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا عُبيد ، وقد غفرْنا لك زلّتَك لحسنِ غنائك . قال مَعْبد : جُعلت فداءكِ ؛ أفلا أُسْمِعُكِ أنا أيضاً لَحْناً عملته في هذا الشعر ؟ قالت : هاتِ وإنّي لأعلم أنّك تُحْسِن . فاندفع فغنَّى : [من الطويل]

فقلتُ وقد طال العتابُ عليهما ... وأوْعَدتاني أن تَبِينا وتَصرِما
ألا لا تَلُوماني على ما تَقدَّما ... كَفى بصُرُوف الدَّهرِ للمرء مُحكِما
تَلُومانِ لما غَوّر النجمُ ضَلَّةً ... فَتىً لا يَرى الإنفاقَ في الحقِّ مَغْرَما

---

1 حولاً مجرّماً : تامّاً كاملاً .
2 السابرية : الثياب الرقيقة . الأهضم : اللطيف الكشح .
3 لطيّات في ل : لآيات .

قالت جميلةُ : ما عدوتَ الظنَّ بك ولا تجاوزتَ الطريقةَ التي أنت عليها . قال مالكٌ : أفلا أُغنّيكَ أنا أيضاً ؟ قالت : ما علمتُكَ إلاّ تُجيد الغناء وتُحْسِن ، فهات . فاندفع فغنّى في هذا الشعر : [من الطويل]

يضيء لنا البيتُ الظَّلِيلَ خَصاصُه إذا هي ليلاً حاولتْ أن تَبَسَّما[1]
إذا انقلبتْ فوقَ الحَشِيّة مَرّةً ترَنَّمَ وَسْواسُ الحُليِّ ترنُّما[2]
ونَحْراً كفاثُورِ اللُّجَيْنِ يزِينه توقُّدُ ياقوتٍ وشَذْرٍ منظَّما[3]
كجَمْرِ الغَضى هبَّتْ به بعد هَجْعةٍ من الليل أَرْواحُ الصَّبا فتنسَّما

فقالت : جميلٌ ما قلتَ وحَسَنٌ ما نظَمْتَ ، وإنّ صوتَك يا مالكُ لِمَّا يَزيد العقلَ قوّةً والنفسَ طِيباً والطبيعةَ سُهولة ، وما أحسَبُ أنّ مجلسَنا هذا إلاّ سيكون عَلَماً وفي آخر الزمان متواصَفاً ؛ والخبرُ ليس كالمشاهدة ، والواصف ليس كالمعايِن وخاصّة في الغناء .

[زارها ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص فغنّتهم]

وحدَّثني الحسن بن عُتْبة اللَّهَبيّ قال حدّثني مَن رأى ابنَ أبي عَتيق وابنَ أبي ربيعة والأحوصَ بنَ محمّد الأنصاريّ ، وقد أتَوْا منزلَ جميلة فاستأذنوا عليها فأَذِنتْ لهم ، فلمّا جلسوا سألت عمرَ وأَحْفتْ ؛ فقال لها : إنّي قصدتُكِ من مكّة للسلام عليكِ . فقالت له : أهلُ الفضل أنتَ . قال : وقد أحببتُ أن تُفَرّغي لنا نفسَكِ اليومَ وتُخْلي لنا مجلسَكِ ؛ قالت : أفعل . قال لها الأحوص : أُحبُّ ألاّ تُغنّي إلاّ ما أَسألكِ . قالت : ليس المجلس لكَ ، والقومُ شركاؤكَ فيه . قال : أجَلْ . قال عمر : إن تُرِدْ أن تفعل ذلك بك يكُنْ . قال الأحوص : كَلاّ . قال عمر : فإنّي أرى أن نجعل الخيارَ إليها . قال ابنُ أبي عَتيق : وفّقكَ الله . فدعتْ بالعود وغنّتْ : [من البسيط]

تَمْشي الهُوَيْنَى إذا مشتْ فُضُلاً مَشيَ النَّزيفِ المخمور في الصُّعُدِ[4]
تَظَلُّ من زَوْرِ بيت جارتِها واضعةً كفَّها على الكَبِدِ
يا مَن لقلبٍ متيَّمٍ سَدِمٍ عانٍ رهينٍ مكلَّمٍ كَمِدِ[5]

1 الخصاص : المنافذ .
2 انقلبت في ل : انصرفت .
3 الفاثور : الخوان الذي يتّخذ من فضة ، وبه يشبّه الصدر الواسع . الشذر : اللؤلؤ الصغير والخرز يفصل بين الجواهر في النظم .
4 تمشي فضلاً : أي تمشي متبذلة في ثوب واحد . النزيف : السكران .
5 السدم : الشديد العشق المهموم الحزين . والمكلّم : المجرّح .

أزجُـــرُه وهــو غيرُ مُزْدَجِـرٍ عنهـا وطَـرْفي مكحَّـلُ السَّهَدِ

فلقد سُمِعتْ للبيت زَلْزلةٌ وللدار هَمْهمةٌ . فقال عمر : لله دَرُّكِ يا جَميلة ! ماذا أُعْطِيتِ ؟ أنت أوّلُ الغناء وآخره ؛ ثم سكتتْ ساعة وأخذوا في الحديث ، ثم أخذت العودَ وغنَّتْ : [من البسيط]

شَطَّتْ سُعادُ وأَمْسى البَيْنُ قد أَفِدا وأَوْرثوكَ سَقامـاً يَصْدَع الكَبِدا
لا أَستطيع لهـا هَجْـراً ولا تِـرَةً ولا تَـزال أَحاديثي بهـا جُدُدا

الغناء فيه لسياطٍ خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطَى عن إسحاق . ولم يذكر حبش لحن جَميلة . وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لحكَم الوادي . وذكر الهِشاميّ وابن خُرْداذبه أنّه من ألحان عمرَ بن عبد العزيز بن مَرْوان في سُعاد وأنّ طريقتَه من الثقيل الثاني بالوسطى . وذكر إبراهيمُ أنّ لابن جامع فيه أيضاً صَنْعةً ، فاستخَفَّ القومَ أجمعين ، وصفَّقوا بأيديهم وفحَصوا بأرجلهم وحرَّكوا رؤوسَهم ، وقالوا : نحن فِداؤكِ من السوء ووِقاؤكِ من المكروه ، ما أحسنَ ما غنَّيتِ وأجملَ ما قلتِ ! . وأُحْضِر الغَداءُ فتغدَّى القومُ بأنواع من الأطعمة الحارّة والباردة ومن الفاكهة الرَّطْبةِ واليابسة ، ثم دعتْ بأنواعٍ من الأشربة . فقال عمر : لا أَشرب ، وقال ابن أَبي عَتيق مثلَ ذلك ؛ فقال الأحوص : لكنّني أشرب ؛ وما جزاءُ جَميلة أن يُمتنَع من شرابها ؛ . قال عمر : ليس ذلك كما ظننتَه . قالت جميلة : مَن شاء أن يَحْمِلَني بنفسه ويَخْلِطَ رُوحي بروحه شكرناه ، ومن أبى ذلك عذرناه ، ولم يمنعْه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنْس بمحادثته . قال ابن أبي عَتيق : ما يحسُن بنا إلا مساعدتُكِ . قال عُمر : لا أكون أخسَّكم ، افعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً . فشرب القوم أجمعون . فغنَّت صوتاً بشعر لعُمَر : [من الرمل]

ولقـد قالـت لجاراتٍ لها كالمَهـا يلعبْـنَ في حُجْرَتِها
خـذْنَ عنّي الظِّـلَّ لا يتبعُني ومضـتْ تَسْعـى إلى قُبَّتها
لم تُعانِقْ رجـلاً فيما مضى طَفْلَـةٌ غَيْـداءُ في حُلَّتها[1]
لم يَطِشْ قَطُّ لهـا سَهْمٌ ومَنْ تَرْمِـه لا يَنْـجُ مـن رَمْيتِها

لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت . وذكر الهِشاميّ أنّ فيه لابن المكّيّ رَمَلاً بالبنصر . وذكر علي بن يحيى أنّ فيه لابن سُرَيج رَمَلاً بالوسطى . فصاح عمر : وَيْلاه ! ويلاه ! ثلاثاً ثم عمَد إلى جَيْب قميصِه فشقَّه إلى أسفلِه فصار قَباءً ، ثم آب إليه عقلُه فندِم واعتذر وقال : لم أملكْ من نفسي شيئاً . قال القوم : قد أصابنا كالذي أصابك وأُغمي علينا ، غير أنّا فارقْناك في

1 تعانق في ل : تعاين .

تخريق الثياب . فدعت جميلةُ بثيابٍ فخلَعتْها على عمرَ ، فقبِلها ولبسها ، وانصرف القومُ إلى منازلهم . وكان عمر نازلاً على ابن أبي عَتيق ، فوجّه عمر إلى جَميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه ، فقبِلتْها جميلةُ . وانصرف عمرُ إلى مكّة جَذْلانَ مَسْروراً .

[حجّت ومعها الشعراء والمغنّون والمغنّيات]

قال إسحاقُ وحدّثني أبي عن سِياط وابنُ جامع عن يونس قالا : حجَتْ جميلةُ ، وأخبرني إسماعيلُ بن يونس قال حدَّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني أبي عن سِياطٍ وابنُ جامع عن يونُسَ الكاتِب ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمِّي مُصْعَب قالوا جميعاً : إنّ جَميلة حَجَّتْ ، وقد جمعتُ رواياتِهم لتقارُبها ، وأحسَب الخبر كلَّه مصنوعاً وذلك بيِّنٌ فيه ، فخرج معها من المغنِّين مشيِّعين حتى وافَوْا مكّةَ ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذّاقِ بالغناء هِيتٌ وطُوَيْسٌ والدَّلال وبَرْدُ الفؤاد ونَوْمةُ الضُّحَى وفِنْدٌ ورَحْمةُ وهِبَةُ الله ، هؤلاء مَشايخُ وكلُّهم طيِّب الغناء ، ومَعْبَدٌ ومالِكٌ وابنُ عائشة ونافِعُ بن طُنْبورَةَ وبُدَيْحٌ المَليح ونافعُ الخير ، ومن المغنِّيات الفَرِهَةُ [و] عَزَّةُ المَيْلاء وحَبابَةُ وسَلاَّمةُ وخُلَيدة وعُقَيلة والشَّمَّاسِيَّة وفَرْعةُ وبُلْبُلة ولَذّةُ العيش وسُعَيدة والزَّرْقاء ، ومن غير المغنِّين ابنُ أبي عَتِيق والأَحْوَص وكثيِّر عَزّةَ ونُصَيب وجماعةٌ من الأشراف ، وكذلك من النساء من مَواليها وغيرِهنّ . وأمّا سِياطٌ فذكَر أنّه حَجّ معها من القِيانِ مشيِّعاتٍ لها ومعظِّماتٍ لقَدْرها ولحقَها زُهاءُ خمسين قَيْنةً ، وجّه بهنّ مَواليهنّ معها فأعطَوْهنّ النفقاتِ وحَملوهنّ على الإبل في الهوادجِ والقِبابِ وغير ذلك ؛ فأبتْ جميلةُ أن تنفق واحدةٌ منهنّ درهماً فما فوقَه حتى رجَعْنَ . وأمّا يونس فذكر أنّه حَجّ معها من الرجال المغنِّين مع من سَمَّينا زُهاءُ ثلاثين رجلاً ، وتخايروا في اتّخاذ أنواع اللِّباس العَجيب الظَّريف وكذلك في الهوادج والقِباب . وقيل ، فيما قال أهلُ المدينة : إنّهم ما رأوْا مثلَ ذلك الجَمْع سَفْراً طِيباً وحُسْناً ومَلاحةً . قالوا : ولمّا قارَبُوا مكّةَ تلقّاهم سَعِيدُ بن مِسْجَح وابنُ سُرَيج والغَرِيض وابنُ مُحْرِز والهُذَلِيُّون وجماعةٌ من المغنِّين من أهل مكّة وقِيانٌ كثيرٌ لم يُسَمَّيْن لنا ، ومن غير المغنِّين عمرُ بن أبي رَبيعة والحارثُ بن خالدٍ المَخْزُوميّ والعَرْجِيّ وجماعةٌ من الأشراف . فدخلتْ جَميلةُ مكّةَ وما بالحجاز مُغَنٍّ حاذقٌ ولا مغنِّيةٌ إلاّ وهو معها وجماعةٌ من الأشراف ممّن سمّينا وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهلِ مكّةَ من الرجال والنساء ينظُرون إلى جَمْعِها وحُسْنِ هيئتهم . فلمّا قضتْ حجَّها سألها المكيّون أن تجعل لهم مجلساً . فقالت : للغناء أم للحديثِ ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلِطَ جِدّاً بهَزْل ، وأَبتْ أن تجلسَ للغناء . فقال عمرُ بن أبي ربيعة :

أقسمْتُ على من كان في قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إلاّ خرج معها إلى المدينة ، فإنّي خارج . فعزَم القومُ الذين سمَّيناهم كلّهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممّن نشِط ، فخرجتْ في جَمْع أكثرَ من جَمْعِها بالمدينة . فلمّا قَدِمتِ المدينةَ تلقَّاها أهلُها وأشرافُهم من الرجال والنساء ، فدخلتْ أحسنَ ممّا خرجتْ به منها ، وخرج الرجالُ والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دُورِهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلمّا دخلتْ منزلَها وتفرّق الجمعُ إلى منازلهم ونزل أهلُ مكّة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلّمين ، وما استَنْكَف من ذلك كبيرٌ ولا صغير .

[وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحجّ]

فلمّا مضى لَمَقْدَمِها عشرةُ أيّام جلستْ للغناء ؛ فقالت لعمرَ بنِ أبي رَبيعة : إنّي جالسةٌ لك ولأصحابك ، وإذا شئتَ فعِدِ الناسَ لذلك اليوم ، فغَصَّتِ الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء . فابتدأتْ جميلةُ فغنَّتْ صوتاً بشعر عمر : [من البسيط]

هيهاتَ مِــن أمَةِ الوَهّابِ منزِلُنا ... إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ
واحتلَّ أهْلُكِ أجْيــاداً فليس لنا ... إلاّ التذكُّر أو حَظٌّ مِــن الحَزَنِ[1]
لو أنَّها أبْصرتْ بالجِزْع عَبْرَتَه ... وقــد تَغَــرّد قُمْـريٌّ على فَنَنِ
إذاً رأتْ غيرَ مــا ظَنّتْ بصاحبها ... وأيْقَنتْ أنّ عَكّاً ليس من وَطَني[2]
ما أنْسَ لا أنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها ... ومَوْقِفِي وكِلانا ثَــمّ ذو شَجَنِ
وقولَهــا للثُّريّــا وهــي باكيــةٌ ... والدَّمعُ منها على الخدّين ذو سُنَنِ
بــالله قُــولي لــه في غير مَعْتَبَةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْثِ في اليَمَنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نَعِمْتَ بها ... فما أصبْتَ بتركِ الحجّ من ثَمَنِ[3]

فكلُّهم استحسن الغناءَ ، وضَجّ القومُ من حُسْنِ ما سمعوا . ويقال : إنّهم ما سمعوا غناءً قَطّ أحسنَ من غنائها ذلك الصوتَ في ذلك اليوم . ودمَعتْ عينُ عمرَ حتى جرَى الدَّمعُ على ثيابه ولِحْيتِه . وإنّه ما رُئيَ عمرُ كذلك في مَحْفِل غيره قَطٌّ .

[غنّى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر]

ثـم أقبلـتْ عـلى ابـن سُرَيـج فقالـت : هـاتِ ؛ فاندفـع يغنّـي ورفـع صوتَـه بشعـر

---

1 أجياد : موضع بمكّة يلي الصّفا .
2 عكّا في ل : لحجاً ، ولحج مخلاف باليمن .
3 نعمت في ل : ظفرت .

عمر : [من مجزوء الوافر]

أليستْ بالتي قالـت ... لَمـوْلاةٍ لهـا ظُهُرا
أشِيري بالسلام لـه ... إذا هـو نحوَنـا نظَرا
وقُـولي في مُلاطفـةٍ ... لزينبَ نَـوِّلي عُمَرا
وهذا سِحْرُكَ النَّشْوا ... نَ قـد خبَّرَني الخبَرا

فسُمِع من ابن سُرَيج في هذا اللَّحْن من الحُسْن ما يقال إنّه ما سُمع مثلُه .

[غناء ابن مسجح]

ثم قالت لسَعيد بن مِسْجَح : هاتِ يا أبا عثمان ؛ فاندفع فغنَّى : [من الطويل]

قـد قلتُ قبـل البَيْنِ لمّا خَشِيتُه ... لتُعْقِبَ وُدّاً أو لتعلمَ مـا عندي
لكِ الخيرُ هل من مَصْدَرٍ تَصْدُرينَهُ ... يُريحُ كما سَهَّلْتِ لي سُبُـلَ الورْدِ
فلمّا شكوتُ الحبَّ صَدّتْ كأنّما ... شَكوتُ الذي ألْقى إلى حَجَرٍ صَلْدِ
تولَّتْ فأبْدَتْ غُـلَّةً دونَ نَقْعِها ... كما أرْصدتْ من بُخْلِها إذ بَدا وَجْدي

[غناء معبد]

فاستُحْسِن ذلك منه وبرَع فيه . ثم قالت : يا مَعْبَد هاتِ ؛ فغنَّى : [من الطويل]

أُحارِبُ مَنْ حاربتَ من ذي عَداوةٍ ... وأحْبِس مالي إن غرمتَ فأعْقِلُ[1]
وإنّي أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أحُلْ ... إنَ ابْزاكَ خَصْمٌ أو نبابكَ منزلُ[2]
ستقطَع في الدنيا إذا مـا قطعتَني ... يمينَك فانظـرْ أيَّ كـفٍّ تَبَدَّلُ

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا مَعْبَد اختيارَ الشعر والغناء ، هذا الشعر لَمعْن بن أوْس . ثم قالت : هاتِ يا ابنَ مُحْرِز ؛ فإنّي لم أؤخِّرْك لخَساسةٍ بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة ، ولكنّني رأيتُك تحبّ من الأمور كلّها أوسطَها وأعدلَها ، فجعلتُك حيث تحبُّ واسطةً بين المكّيِّين والمدنيِّين . فغنَّى : [من الطويل]

وقفتُ برَبْـعٍ قد تحمَّـلَ آهلُـه ... فأذْرَيْتُ دمعاً يسبق الطَّرْفَ هامِلُهْ
بسائلة الرَّوْحـاءِ أو بَطْـنِ مَثْغَرٍ ... لها الضاحكاتُ الرابياتُ سواهِلُهْ[3]

1 يريد فأعقل عنه : يقال : عقل عنه إذا عزم ما لزمه من دية . وأمّا عقلته فمعناه دفعت ديته .
2 ابزاك خصم : يحتمل أن يكون معناه قهرك وغلبك .
3 مَثْغر : ماء لجهينة .

هـو الموتُ إلاّ أَن للموتِ مـدّةً   متى يَلْـقَ يوماً فارِغاً فهو شاغِلُهْ

فقالت جميلة : يا أَبا الخَطّاب ، كيف بَدا لك في ثلاثةٍ وأَنت لا ترى ذلك ؟ قال : أحببتُ أَن أُواسيَ مَعْبداً . قال معبدٌ : واللهِ ما عَدَوت ما أَردت .

[غناء الغريض]

ثم قالت للغَرِيض : هاتِ يا مَوْلى العَبَلاتِ فاندفع يغنِّي : [من الطويل]

فـوا نَدَمـي على الشَّبابِ ووا نَدَمْ   نَدِمتُ وبانَ اليومَ منِّي بغيرِ ذَمّ

وإذ إخوتي حَوْلي وإذ أَنا شائخٌ   وإذ لا أُجِيبُ العاذلاتِ من الصَّمَمْ

أَرادتْ عراراً بالهَـوانِ ومن يُرِدْ   عراراً لعَمْرِي بالهَوانِ فقد ظَلَمْ[1]

قالت جميلة : أَحْسنَ عمرو بن شأْس ولم تُحْسِن إذ أفسدتَ غناءَك بالتعريض . واللهِ ما وَضَعْناك إلاّ موضعَك ولا نقَصْنا من حظِّك ؛ فبماذا أَهنَّاكَ ! . ثم أَقبلتْ على الجماعة فقالت : يا هؤلاء ، اصدُقوه وعرِّفوه نفسَه ليَقْنَع بمكانه . فأَقبل القومُ عليه وقالوا له : يا يزيد قد أخطأْتَ إن كنت عَرَّضْتَ . فقال : قد كان ذلك ، ولستُ بعائدٍ . وقام إلى جميلة فقبَّل طَرَفَ ثوبها واعتذر فقبِلتْ عذرَه وقالت له : لا تَعُدْ .

[غناء ابن عائشة]

ثم أَقبلتْ على ابن عائشة فقالت : يا أَبا جَعْفر هاتِ ؛ فتغنَّى بشعر النابغة : [من الطويل]

سقَى الغيثُ قبراً بين بُصْرَى وجاسِمٍ   عليـه من الوَسْميّ جَوْدٌ ووابِلُ[2]

وأَنبـتَ حَـوْذاناً وعَوْفـاً مُنـوِّراً   سأُتْبِعُه مـن خيرِ مـا قال قائلُ[3]

بكَى حارثُ الجَوْلانِ من هُلْكِ ربِّه   فحَـوْرانُ منـه خـاشعٌ مُتضائلُ

ومـا كان بَيْني لو لَقِيتُك سالماً   وبـين الغِنَـى إلاّ ليـالٍ قلائلُ[4]

[غناء نافع وبديح]

قالت جميلةُ : حَسَنٌ ما قلتَ يا أَبا جَعْفر . ثم أَقبلتْ على نافع وبُدَيح فقالت : أُحِبُّ أَن تغنِّياني صوتاً واحداً ؛ فغنَّيا جميعاً بصوتٍ واحد ولَحْنٍ واحد : [من الوافر]

أَلا يـا مَنْ يَلُومُ على التصابي   أَفِـقْ شيئاً لتسمعَ من جوابي

---

1 عِرار بن عمرو بن شأس .

2 الشطر الأول في ل : فلا زال قبر بين بثنى وجلّقٍ . بصرى وجلق : موضعان .

3 الحوذان : نبت . العوف : نبت طيّب الرائحة .

4 هذا البيت من قصيدة للحطيئة يرثي بها علقمة بن علاثة والي حوران من قبل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

بَكَرْتَ تَلُومُني في الحبِّ جَهْلاً ... وما في حبِّ مثلي من مَعابِ
أليسَ منَ السعادةِ غيرَ شَكٍّ ... هَوى متواصلين على اقترابِ
كريمٌ نال وُدّاً في عَفافٍ ... وسترٍ من مُنعَّمةٍ كَعابِ

فقالت جميلة : هواكما والله واحد وغناؤكما واحد ، وأنتما نُحِتُّما من بقيَّة الكرم وواحدِ الشرف : عبدِ الله بن جعفر بنِ أبي طالب .

[غناء الهذليين الثلاثة]

ثم أَقْبلتْ على الهذليِّين الثلاثة فقالت : غَنُّوا صوتاً واحداً ؛ فاندفعوا فغنَّوْا بشعر عَنْترةَ العَبْسِيّ : [من الكامل]

حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقادم عهدُه ... أَقْوى وأَقْفَر بعد أُمِّ الهَيْثَمِ
كيف المَزارُ وقد تربَّع أَهلُها ... بعُنَيْزَتَيْن وأَهلُنا بالغَيْلَمِ[1]
إن كنتِ أَزْمعتِ الفِراقَ فإنّما ... زُمَّتْ رِكابُكُم بلَيْلٍ مُظْلِمِ
شَرِبتْ بماء الدُّحْرُضَيْنِ فأَصْبحتْ ... زَوْراءَ تَنْفِر عن حِياضِ الدَّيْلَمِ[2]

[غناء نافع بن طنبورة]

قالت : ما رأيتُ شيئاً أشبهَ بغنائكم من اتّفاق أرواحكم . ثم أَقبلتْ على نافع بن طُنْبورةَ فقالت : هاتِ يا نَقْشَ الغَضار[3] ويا حَسَن اللسان ؛ فاندفع يغنّي : [من مجزوء البسيط]

يا طُولَ ليلي وبتُّ لم أَنمِ ... وِسادِيَ الهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمي
أَنْ قمتُ يوماً على البَلاطِ فأَبْـ ... ـصرتُ رَقاشاً وليت لم أَقُمِ

[غناء مالك بن أبي السمح]

فقالت جميلة : حَسَنٌ والله ، ولابن سُرَيج في هذا اللحن أربعةُ أبياتٍ في صَوْت ، ثم قالت : يا مالكُ هاتِ ؛ فإنّي لم أُؤخِّرْك لأنّك في طبقة آخرِهم ، ولكنّي أَردتُ أن أَختِمَ بك يومَنا تبرُّكاً بك وَكَيْ يكون أَوّلُ مجلسنا كآخرِه ووَسَطُه كطَرَفِهِ ، وإنّك عندي ومَعْبداً لفي طريقة واحدة ومذهبٍ واحد ، لا يدفع ذلك إلاّ ظالمٌ ولا ينكره إلاّ عاضِل . الحقَّ أَقولُ ، فمَن شاء فَلْيُنكِر ؛ فسكتَ القومُ كلُّهم إقراراً لما قالت . واندفع يغنّي : [من الطويل]

---

1 الغيلم : موضع في ديار بني عبس .
2 الدحرضان : اسم موضع . وقيل هما وسيع ودحرض ، ماءان . الديلم : الأعداء .
3 الغضار : الطين اللازج الأخضر ، وهو لقب له .

عَـدُوٌّ لِمَـن عادَتْ وسِلْمٌ لسَلْمِها ومن قرَّبـتْ سَلْمَى أحبَّ وقَرَّبا
هَبِيني امــرءاً إمّــا بريئـاً ظلمتِه وإمّــا مُسيئاً تــاب بعـد وأَعْتبا
أَقول التماسَ العُذْرِ لمّـا ظلَمْتني وحمَّلْتني ذنبـاً ومـا كنتُ مُذْنِبا
ليَهْنِئْكِ إشماتُ العـدوّ بهَجْرِنـا وقَطْعُك حبلَ الوصلِ حتى تقضَّبا

قالت جميلة : ليت صوتَك يا مالك قد دام لنا ودمنا له . وقطعت المجلسَ وانصرف عامّةُ الناس وبقي خواصُّهم .

[اليوم الثاني من أيّام المدينة وغناء طويس]

فلمّا كان اليومُ الثاني حضَر القومُ جميعاً . فقالت لطُوَيس : هـاتِ يا أبا عَبْد النَّعيم . قال : فأَنْكر ما فعلتْ جميلةُ في اليوم الأوّل ؛ لأَنّ طُوَيساً لم يكن يرضَى بذلك . فأَخبرني ابني جامع أَنّ جميلةَ صَنَّفَتْهم طويساً وأَصحابَه وابنَ سُرَيج وأَصحابَه ، ثم أَقْرعتْ بينهم ؛ فخرجت القرعةُ الأُولى لابن سُرَيج وأَصحابِه والثانيةُ لطُوَيسٍ وأَصحابه . فابتدأ طويسٌ فغنَّى : [من الرجز]

قـدْ طالَ لَيْلي وعــادَ لي طَرَبي منْ حــبِّ خَوْدٍ كريمةِ الحَسَبِ
غَـرّاءَ مثـلِ الهـلال آنسةٍ أَو مثــلِ تِمْثالِ صُورة الذَّهبِ
صادت فـؤادي بجيــد مُغْزِلةٍ تَرْعــى رِياضــاً ملتفَّةَ العُشُبِ[1]

[غناء الدلال]

فقالت جميلة : حسنٌ والله يا أَبا عبد النَّعِيم . ثم قالت للدَّلال : هات يا أَبا يَزيد ؛ فاندفع فغنَّى : [من الكامل]

قــد كنتُ آمُــلُ فيكمُ أَملاً والمــرء ليس بمـدرِكٍ أَمَلَهْ
حتى بَــدا لي منكمُ خُلُـفٌ فزجَرْتُ قلبي فارْعَوَى جَهَلَهْ
ليس الفتــى بمخلَّـد أَبـداً حَيّـاً وليس بفائــتٍ أَجلَهْ
حَـيٌّ البَغُومَ ومَنْ بعَقْوتها وقَفا العَمُودِ وإن خَلا أَهَلُهْ[2]

[غناء برد الفؤاد ونومة الضحى]

قالت : حسن والله يا أَبا يزيد . ثم قالت لِهيتٍ : إنّا نُجِلُّك اليومَ لكِبَر سِنِّك ورِقّة عَظْمِك . قال : أَجل يا ماما . ثم قالت لبَرْدِ الفؤاد ونَوْمةِ الضُّحَى : هاتيا جميعاً لَحْناً واحداً ؛ فغنَّيا : [من المتقارب]

1 المغزلة : الظبية ذات الغزال .

2 العقوة : ساحة الدار . العمود : هضبة مستطيلة عندها ماء لبني جعفر .

إنّـي تذكّـرتُ فـلا تَلْحَني لؤلــؤةً مكنونـــةً تَنْطِقُ
مسكنُهـا طَيْبةُ لم يَغْذُهـــا بـؤسٌ ولا والٍ بهـا يَخْرُقُ
قـد قلت والعِيسُ سِراعٌ بنا تُرْقِـلُ إرقـالاً ومـا تُعْنِقُ[1]
يا صاحبي شَوْقي أرى قاتلي ومُورِدِي منهـا جَـوىً يُقْلِقُ

[غناء فند ورحمة وهبة الله]

قالت جميلة : أحسنتُما . ثم قالت لفِنْد ورَحْمة وهبة الله : هاتُوا جميعاً صوتاً واحداً فإنّكم متّفقون في الأصوات والألحان ؛ فاندفعوا فغَنَّوْا : [من الطويل]

أشاقكَ من نحـو العَقيق بُروقُ لوامعُ تَخْفَى تـارةً وتَشُوقُ
وما لِيَ لا أهْوَى جواريَ بَرْبَرٍ ورُوحي إلى أرْواحِهنّ تَتُوقُ
لهـنّ جمـالٌ فائقٌ ومَلاحةٌ ودَلٌّ على دَلِّ النساء يَفوقُ

وكان بَرْبَرٌ حاضراً ، فقال : جواريّ والله على ما وصَفْتُم ، فمَن شاء أقرّ ومَن شاء أنكر .

[غناء جميلة]

فقالت جميلة : صدَق . ثم غنَّت جميلة بشعر الأعشى . ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها : [من البسيط]

بانت سُعادُ وأمْسى حبلها انقطعا واحتلَّتِ الغَوْر فالجَدَّيْنِ فالفَرَعا[2]
واستنكرتْني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحوادثِ إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا
تقول بِنْتِي وقـد قَرَّبْتُ مرتحلاً يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأوْصابَ والوَجَعا
وكان شيءٌ إلى شيء فغيَّـــره دهـرٌ مُلِحٌّ على تفريقِ مـا جَمعا

فلم يُسْمَعْ شيءٌ أحسنُ من ابتدائها بالأمس وخَتْمِها في اليوم الثاني . وقطعت المجلسَ فانصرف القومُ وأقام آخرون .

[اليوم الثالث من أيّام المدينة]

فلمّا كان اليومُ الثالث اجتمع الناسُ ، فضربتْ سِتارة وأجلست الجواريَ كلَّهنّ فضَرَبْنَ وضرَبتْ فضرَبْنَ على خمسين وتراً فتزلزلتِ الدارُ ؛ ثم غنَّت على عُودها وهنّ يضربْنَ على ضربها بهذا الشعر : [من الطويل]

1 الإرقال : السّير السريع . الإعناق : السير المنبسط .
2 الجدان : موضع . الفرع : موضع بين الكوفة والبصرة .

فـإن خَفِيَتْ كانت لعينكَ قُـرّةً وإن تَبْدُ يومـاً لم يُعمِّمْك عارُها
من الخَفِراتِ البِيضِ لم تَرَ غِلْظَةً وفي الحَسَبِ الضَّخْمِ الرَّفِيعِ نِجارُها
فما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طيّبـةُ الثَّرى يَمُجُّ النَّـدا جَثْجاثُها وعَرارُها[1]
بأطيبَ من فيها إذا جئتَ طارقاً وقد أوقِدتْ بالمَنْدَل الرَّطْبِ نارُها

[غناء عزّة الميلاء]

فدمَعت أعينُ كثير منهم حتى بَلّ ثوبَه وتنفّس الصُعَداءَ وقال: بنفسي أنتِ يا جميلةُ! . ثم قالت للجواري: اكفُفْنَ فكفَفْنَ؛ وقالت: يا عَزّ غنّي؛ فغنّت بشعر لعمَر: [من المتقارب]

تذكّـرتَ هنـداً وأعْصارَها ولم تَقـضِ نفسُك أوطارَها[2]
تذكّرتِ النفسُ مـا قد مضى وهاجـتْ على العينِ عُوّارَها[3]
لتمنـحَ رامـةَ منّـا الهوى وتَرْعَـى لرامـةَ أسرارَها
إذا لم نَـزُرْهـا حِـذارَ العِدا حسَدْنـا على الزَّوْرِ زُوّارَها

فقالت جميلة: يا عَزّ، إنّكِ لباقيةٌ على الدَّهر، فهنيئاً لكِ حسنُ هذا الصوت مع جَوْدة هذا الغناء .

[غناء حبابة وسلامة]

ثم قالت لحَبابةَ وسَلاّمةَ: هاتِيا لَحْناً واحداً؛ فغنَّتا:

كفَـى حَزَنـاً أنّي أغِيبُ وتَشْهَدُ وما نَلْتَقي والقلبُ حَرّانُ مُقْصَدُ
ومن عَجَبٍ أنّي إذا الليلُ جَنّني أقومُ مِـنَ الشوق الشديدِ وأقعُدُ
أحِنُّ إليكم مثلَ مـا حَـنَّ تائقٌ إلى الوِرْد عَطْشانُ الفؤادِ مصرَّدُ[4]
ولي كَبِـدٌ حَرّى يعذّبهـا الهَوَى ولي جسدٌ يَبْـلَـى ولا يتجـدَّدُ

[غناء خليدة]

فاستُحْسِن غناؤهما . ثـم أقبلـتْ على خُلَيـدةَ فقالـت لها: بنفسي أنـت! غنّي؛ فغنّـتْ: [من الوافر]

1 الجثجاث: من أحرار الشجر ينبت بالقيظ تأكله الإبل إذ لم تجد غيره .
2 الأعصار: جمع عصر .
3 العوّار: ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها .
4 التّصريد: سقي دون الريّ .

أَلاَ يا مَنْ يَلُوم على التَّصابي أَفِـقْ شيئاً لتسمعَ من جوابي
بَكَرْتَ تَلُومُني في الحبّ جَهْلاً ومـا في حبٍّ مثلي من مَعابِ
أليس مــن السعادة غيرَ شَكٍّ هَــوى مُتواصلين على اقترابِ
كريــمٌ نــالَ وُدّاً في عَفافٍ وسِتْـرٍ مــن منعَّمــةٍ كَعابِ

[غناء عقيلة والشماسية]

فاستُحْسِن منها ما غنّتْ ، وهو بلَحْنِها حسنٌ جدّاً . ثم قالت لعُقَيلة والشَّماسِيّة : هاتِيا ، فغنَّتا : [من الطويل]

هجرتِ الحبيبَ اليومَ في غير ما اجتَرَمْ وقطَّعْتِ من ذي وُدّكِ الحبلَ فانصرمْ
أطعت الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ مقالةَ واشٍ يَقْرَع السنَّ من نَدَمْ

[غناء فرعة وبلبلة ولذّة العيش]

ثم قالت لفَرْعة وبُلْبُلَةَ ولذّةِ العَيْش : هاتِينَ فغنِّينَ ؛ فاندفَعْنَ بصوتٍ واحد : [من الطويل]

لعَمْري لئن كان الفؤادُ من الهوى بَغَــى سَقَمــاً إنّـي إذاً لسَقِيمُ
عليّ دِماءُ البُدْنِ إن كان حبُّها على النأيِ في طول الزمان يَرِيمُ
تُلِــمُّ مُلِمّاتٌ فيُنْسَيْنَ بَعْدَهــا ويُذْكَر منها العهــدُ وهــو قديمُ
فأُقْسِمُ مــا صافيتُ بعدِك خُلَّةً ولا لكِ عنــدي في الفؤاد قَسِيمُ

[غناء سعدة والزرقاء]

قالت : أحسنتُنّ ؛ وهو لعَمْرِي حَسَنٌ . وقالت لسُعْدَة والزَّرْقاء : غنِّيا ؛ فغنَّتا : [من الطويل]

قــد أرسلوني يُعَزّوني فقلتُ لهم كيف العَزاءُ وقد سارتْ بها الرُّفَقُ
استَهْدَتِ الرِّيــمَ عينيــه فجادلها بمُقْلَتَيْــه ولم تَـتْـرُكْ لــه عُنُقُ

فاستُحْسِن ذلك . ثم قالت للجماعة فغنَّوْا ، وانقضى المجلسُ وعاد كلُّ إنسانٍ إلى وطنه . فما رُئي مجلسٌ ولا جَمْعٌ أحسنُ من اليوم الأوّل ثم الثاني ثم الثالث .

[طلب إبراهيم الموصليّ الغناء لسماعه صوتاً لها]

وحدَّثتْني[1] عمّتي ، وكانت أسنَّ من أبي وعُمِّرتْ بعده ، قالت : كان السبب في طلب أبيك الغناءَ والمواظبةِ عليه لحناً سمعه لجميلةَ في منزل يونُسَ بن محمّد الكاتب ، فانصرف وهو كئيبٌ حَزين مغمومٌ لم يَطْعَم ولم يُقْبِلْ علينا بوجهه كما كان يفعل . فسألته عن السبب

1 المتحدّث : هو إسحق بن إبراهيم الموصلّي .

فأمسك ، فألححتُ عليه فانتهرني ، وكان لي مُكْرِماً ، فغضبتُ وقمتُ من ذلك المجلس إلى بيت آخر ، فتبِعَني وترضّاني وقال لي : أُحدِّثكِ ولا كتمانَ منكِ : عَشِقْتُ صوتاً لامرأة قد ماتت ، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركْني اللهُ منه برحمته . فقالت : أتظنُّ أنّ الله يُحْيي لك ميِّتاً ! قال : بل لا أشُكّ . قالت : فما تعليقُك قلبَك بما لا يُعْطاه إلاّ نبيٌّ ولا نبيٌّ بعد محمّد ﷺ . وأمّا عشقُك الصوتَ فهو أن تَحْذِقَه وتُغَنِّيَه عشرَ مِرارٍ ، فتَمَلَّه ويذهبَ عشقُك له ؛ فكأنه ارْعَوى ورجعَ إلى نفسه ، وقام فقبّل رأسي ويدي ورجْلي وقال لي : فرَّجْتِ عنّي ما كنتُ فيه من الكَرْب والغَمّ ، ثم تمثَّل : «حبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمّ» ولزِم بيتَ يونسَ حتى حذَق الصوتَ ، ولم يمكث إلاّ زمناً يسيراً حتى مات يونس وانضمّ إلى سِياطٍ ، وكان من أحذقِ أهلِ زمانه بالغناء وأحسنِهم أداءً عمّن مضَى . قالت عمّتي : فقلت لإبراهيم : وما الصوتُ ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يُحسِن أداءَ الغناء : [من المتقارب]

مــن البَكَــراتِ عِراقيّـــةٌ تُسَمّـــى سُبَيعـــةَ أطْــريْتُها
مــن الِ أبي بَكْرَةَ الأكرمين خَصَصْتُ بــودِّي فــأصْفيتُها
ومن حبّها زرتُ أهلَ العراق وأسْخطْــتُ أهــلي وأرضيْتُها
أمــوتُ إذا شَحَطَتْ دارُهــا وأحْيـــا إذا أنـــا لاقيتُها
فأقْسِم لــو أنّ مــا بــي بها وكنــتُ الطبيـــبَ لداويتُها

قالت عمّتي : هذا شعرٌ حَسَنٌ ، فكيف به إذا قُطِّع ومُدِّد تمديدَ الأطْرِبة وضُرب عليها بقُضْبان الدِّفْلى على بطون المِعْزَى ؟ فما مضت الأيّامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدًّى ، فما خَرق مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه ؛ ولقد أذكرني بما يُؤْثَر من حسن صوت داودَ وجمالِ يوسفَ . فبَيْنا أنا يوماً جالسةٌ إذ طَلَع عليّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً ؛ فقال لي : ألا أُحدِّثكِ بعَجَبٍ ؟ قلت : وما هو ؟ قال : إنّ لي شريكاً في عشق صوت جميلة . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنت عند سِياطٍ في يومنا هذا وأنا أُغنّيه الصوتَ وقد وقَّفني فيه على شيء لم أكن أحكمتُه عن يونسُ ، وحضر عند سِياطٍ شيْخٌ نبيلٌ فسبَّح على الصوت تسبيحاً طويلاً ، فظننتُ أنّه فعل ذلك لاستحسانه الصوت . فلمّا فرغتُ أنا وسِياطٌ من اللحن قال الشيخ : ما أعْجب أمرَ هذا الشعر وأحْسَنَ ما غُنّي به وأحسن ما قال قائله ! . فقلت له دون القوم : وما بلغَ من العَجَب به ؟ قال : نعم .

[قال ابن أبي ربيعة شعراً في سبيعة فلحّنته وعلّمته جارية من جواريه]

حَجّتْ سُبَيعةُ من ولد عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ ، وكانـت من أجملِ النساء ، فأبصرها عمـرُ بن أبي رَبيعة ، فلمّا انحدرتْ إلى العراق اتَّبعها يُشيِّعها حتى بلغَ معها موضعاً يقال له

الخَوَرْنَقُ . فقالت له : لو بلغتَ إلى أَهلي وخطبتَني لزوّجوك . فقال لها : ما كنتُ لأُخلِطَ تشييعي إيّاكِ بخِطْبةٍ ، ولكن أَرجعُ ثم آتيكم خاطباً ؛ فرجع ومَرّ بالمدينة فقال فيها : [من المتقارب]

من البَكَراتِ عِراقيّـةٌ تُسمَّى سُبَيعةَ أَطريْتُها

ثم أَتى بيتَ جميلة فسأَلها أَن تُغنّيَ بهذا الشعر ففعلتْ . فأَعجبه ما سمع من حسن غنائها وجَوْدة تأليفها ، فحسُن موقعُ ذلك منه ، فوجَّه إلى بعض مَوالِياتِه ممّن كانت تطلبُ الغناء أَن تأتيَ جميلةَ وتأخذَ الصوت منها ؛ فطارحتْها إيّاه أَيّاماً حتى حذَقَت ومهَرتْ به . فلمّا رأَى ذلك عمر قال : أَرى أَن تَخرُجي إلى سُبَيعة وتغنّيها هذا الصوتَ وتُبلّغيها رسالتي ؛ قالت : نعم جعلني الله فداكَ . فأتتها فرحَّبتْ بها ، وأعلمتْها الرسالةَ ، فَحيَّتْ وأَكرمتْ ، ثم غَنَّتْها فكادت أَن تموتَ فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر .

[حجّ سبيعة ثانية وسؤالها جميلة أن تغنّيها بشعر عمر فيها]

ثم عادت رسولُ عمر فأعلمتْه ما كان وقالت له : إنّها خارجة في تلك السنة . فلمّا كان أَوانُ الحجّ استأذنتْ سُبَيعةُ أَباها في الحجّ ، فأَبى عليها وقال لها : قد حَجَجْتِ حِجّةَ الإسلام . قالت له : تلك الحِجّةُ هي التي أَسْهرتْ ليلي وأَطالت نهاري وتوقّتْني إلى أَن أَعود وأَزُور البيتَ وذلك القبرَ ؛ وإن أَنت لم تأذَنْ لي متُّ كَمَداً وغَمّاً ؛ وذلك أَنّ بقائي إنّما كان لحضور الوقت ، فإن يئستُ فالموتُ لا شكَّ نازلٌ بي . فلمّا رأَى ذلك أَبوها رَقّ لها وقال : ليس يَسَعُني منعُها مع ما أَرى بها ، فأَذِن لها . ووافَى عمرُ المدينةَ ليعرفَ خبرَها ؛ فلمّا قدِمتْ علم بذلك . وسأَلها أن تأتيَ منزلَ جميلة ، وقد سبقَ إليه عمرُ ، فأكرمتْها جميلةُ وسُرَّتْ بمكانها . فقالت لها سُبَيعة : جعلني الله فِداكِ ! أَقْلقني وأَسْهرني صوتُكِ بشعر عمرَ فيَّ ، فأَسْمعيني إيّاه . قالت جميلةُ : وعَزازةً لوجهِك الجميل ؛ فغَنَّتْها الصوتَ ، فأُغْميَ عليها ساعةً حتى رُشَّ على وجهها الماءُ وثاب إليها عقلُها . ثم قالت : أَعيدي عليّ ، فأَعادت الصوتَ مراراً في كلّ مرّة يُغْشى عليها . ثم خرجتْ إلى مكّة وخرج معها . فلمّا رجعتْ مَرّتْ بالمدينة وعمرُ معها ، فأتت جميلةَ فقالت لها : أَعيدي عليّ الصوتَ ففعلتْ ، وأَقامتْ عليها ثلاثاً تسأَلها أَن تُعيدَ الصوتَ . فقالت لها جميلة : إنّي أُريد أَن أُغنّيكِ صوتاً فاسمعيه . قالت : هاتِيه يا سيّدتي ؛ فغَنّتْها : [من الكامل]

أَبتِ المليحةُ أَن تُواصلَني وأَظـنُّ أَنّي زائـرٌ رَمْسي
لا خيرَ في الدنيـا وزينتِها مـا لم تُوافِقْ نفسُها نفسي
لا صبرَ لي عنها إذا حسَرتْ كالبدر أَو قَرْنٍ من الشمسِ

ورمتْ فؤادَك عند نظرتها بمَلاحــةِ الإيثارِ والأنسِ

قالت سُبَيعة : لولا أنّ الأوّل شعر عمرَ لقدّمتُ هذا على كلّ شيء سمعتُه . فقال عمر : فإنّه والله أحسنُ من ذلك ، فأمّا الشعرُ فلا . قالت جميلةُ : صدقتَ والله . قالت عمّتي قال لها أبي : لعَمْرِي إنّ ذلك على ما قالا .

ولابن سريج في هذا الشعر لَحْنٌ عن جَميلة وربّما حُكي بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلاً بمثل .

[جمعتْ الناسَ في دارها وقصّتْ عليهم رؤياها واعتزامها ترك الغناء]

أخبرني من يفهم الغناء قال : بلغني أنّ جميلة قعدتْ يوماً على كرسيٍّ لها وقالت لآذنتِها : لا تحجُبي عنّا أحداً اليوم ، واقعدي بالباب ، فكلّ مَن يمرّ بالباب فاعْرِضي عليه مجلسي ؛ ففعلتْ ذلك حتى غَصّتِ الدّارُ بالناس ؛ فقالت جميلةُ : اصعَدوا إلى العَلاليّ ؛ فصعِدتْ جماعةٌ حتى امتلأتِ السطوحُ . فجاءتها بعض جواريها فقالت لها : يا سيّدتي ، إن تمادَى أمرُكِ على ما أرى لم يَبْقَ في دارِك حائطٌ إلاّ سقط ، فأظْهِري ما تريدين . قالت : اجلسي . فلمّا تعالى النهارُ واشتدّ الحرّ استسقى الناسُ الماءَ فدَعَتْ لهم بالسَّوِيق ، فشرب مَن أراد ؛ فقالت : أقسمتُ على كلّ رجل وامرأة دخل منزلي إلاّ شرب ، فلم يبق في سُفْلِ الدار ولا عُلْوِها أحد إلاّ شرب ، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديلِ والمَراوح الكبار ، وأمرتْ جواريَها فقُمْنَ على كراسيّ صِغارٍ فيما بين كلّ عشرةِ نَفَرٍ جاريةٌ تروِّح . ثم قالت لهم : إنّي قد رأيتُ في منامي شيئاً أفْزَعني وأرْعَبني ، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك ، وقد خِفتُ أن يكونَ قُرْبَ أجَلي ، وليس ينفعني إلاّ صالحُ عملي ، وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةَ أن يَلْحَقني منه شيء عند ربّي . فقال قوم منهم : وفّقكِ الله وثبّت عَزْمكِ ؛ وقال آخرون : بل لا حَرَجَ عليكِ في الغناء . وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقة وتجربة : قد تكلّمت الجماعةُ ، وكلّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون ، ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شَرِكْتُهم في رأيهم ، فاستمِعوا الآن لقولي وأنصِتُوا ولا تَشْغَبُوا إلى وقت انقضاء كلامي ؛ فمن قَبِل قولي فالله موفِّقُه ، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنتُ في طاعة ربّي . فسكت القومُ جميعاً . فتكلّم الشيخ فحمِد اللهَ وأثنى عليه وصلّى على محمَّد النبيّ ﷺ ثم قال : يا معشرَ أهلِ الحجاز ، إنّكم متى تخاذلتم فَشِلتم ووثَب عليكم عدوّكُم وظفِر بكم ولا تُفلِحوا بعدها أبداً . إنّكم قد انقلبتُم على أعقابكم لأهل العِراق وغيرِهم ممّن لا يزالُ يُنْكِر عليكم ما هو وارثُه عنكم ، لا ينكره عالمكم ولا يدفَعه عابدُكم بشهادة شريفكم ووَضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزّكم . فأكثرُ ما يكونُ عند عابدكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهدِ في الدنيا ؛ لأنّ الغناء من أكبر اللذات وأسَرُّ للنفوس من جميع الشهوات ، يُحْيي القلبَ ويزيد في العقل ويَسُرّ النفسَ ويَفْسَحُ في

الرأي ويتيسَّر به العَسير وتفتح به الجيوش ويذلّل به الجبّارون حتى يمتهنوا أنفسَهم عند استماعه ، ويُبْرِىءُ المَرضى ومن مات قلبُه وعقله وبصره ، ويزيد أهلَ الثروة غِنىً وأهل الفقر قناعةً ورِضاً باستماعه فيَعْزِفون عن طلب الأموالِ . من تمسَّك به كان عالِماً ومن فارقه كان جاهلاً ؛ لأنّه لا منزلةَ أرفعُ ولا شيءَ أحسنُ منه ؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ وجلّ . وكلامٌ كثيرٌ غيرُ هذا ذهب عن المحدِّث به ، فما رَدَّ عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بَشَرٌ ، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه وأقرّ بالحقّ له . ثم قال لجميلة : أوَعَيْتِ ما قلتُ ووقع من نفسِك ما ذكرتُ ؟ قالت : أجلْ وأنا أستغفر اللهَ . قال لها : فاختِمي مجلَسنا وفرِّقي جماعتَنا بصوت فقط ؛ فغنَّتْ : [من الطويل]

أَفي رسمِ دارٍ دمعُـك المترقـرِقُ سَفاهاً ! وما استنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ
بحيثُ التقى جَمْعٌ وأقْصَى مُحَسِّرٍ مَغانِيه قد كادتْ عن العهد تَخْلُقُ[1]
مُقـامٌ لنـا بعـد العِشاء ومنزلٌ بـه لم يكـدِّرْه علينـا مُعَوِّقُ
فأحسنُ شيء كان أوّلُ ليلنـا وآخـرُه حـزنٌ إذا نتفـرَّقُ

فقال الشيخ : حَسَنٌ واللهِ ؛ أمثلُ هذا يترك ؟ فيمَ تَتَشاهدُ الرجالُ ؟ لا واللهِ ولا كرامةَ لمَن خالف الحقّ . ثم قام وقام الناس معه ، وقال : الحمد لله الذي لم يفرّق جماعتَنا على اليأس من الغناء ولا جحودِ فَضيلته ، وسلامٌ عليكِ ورحمةُ الله يا جميلة .

[وصف مجلس لها غنّت فيه ورقصت وغنّى المغنّون ورقصوا]

وقال أبو عبد الله : جلستْ جميلة يوماً ولبست بُرْنُساً طويلاً ، وألبستْ مَن كان عندها برانسَ دون ذلك ، وكان في القوم ابنُ سُرَيج ، وكان قَبيحَ الصَّلَع قد اتّخذ وَفْرَةَ شعر يضعها على رأسه ، وأحبَّتْ جميلةُ أن ترى صَلْعتَه . فلمّا بلَغ البرنُس إلى ابن سُرَيج قال : دبَّرْتِ عليّ وربِّ الكعبة ! وكشَف صَلْعتَه ووضع القَلَنْسِيَةَ على رأسه ، وضحك القومُ من قُبْح صَلْعتِه ؛ ثم قامت جميلةُ ورقَصتْ وضربتْ بالعود وعلى رأسها البُرْنُس الطويل وعلى عاتقها بُرْدَةٌ يمانِيَةٌ وعلى القوم أمثالُها ، وقام ابنُ سُرَيج يرقُص ومَعْبَد والغَريض وابنُ عائشة ومالكٌ وفي يد كلّ واحد منهم عود يضرِب به على ضرب جميلة ورَقْصِها ؛ فغنَّت وغنَّى القومُ على غنائها : [من الكامل]

ذهب الشبابُ وليتَـه لم يَـذْهبِ وعَلا المَفارِقَ وَقْعُ شيبٍ مُغْرَبِ[2]

1 جمع : علم للمزدلفة . وادي محسر : موضع بين منى والمزدلفة .

2 مغرب : أبيض .

والغانياتُ يُـرِدْنَ غيرَك صاحبـاً ... ويَعِدْنَكَ الهِجْـرانَ بعــد تقرُّبِ
إنِّــي أقــولُ مقالــةً بتجارِبٍ ... حقّـاً ولم يُخْبِرْكَ مثــلُ مجرِّبِ
صافِ الكريمَ وكُنْ لعِرْضِكَ صائناً ... وعــن اللّئيــمِ ومِثْلِــه فتَنَكَّبِ

ثم دعتْ بثياب مُصَبَّغة ووَفْرة شعر مثل وفرة ابن سُرَيج فوضعتْها على رأسها ، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبِسوا ، ثم ضربتْ بالعود وتمشّتْ وتمشّى القوم خَلْفَها ، وغنّتْ وغنَّوْا بغنائها بصوتٍ واحد : [من الطويل]

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطا البِطاحِ تَـأَوُّداً ... قُبَّ البطـون رواجـحَ الأكفالِ
فيهــــنّ آنسةُ الحديــثِ حَيِيّــةٌ ... ليستْ بفـاحشةٍ ولا مِتْفــالِ[1]
وتكــون رِيقتُهـــا إذا نَبَّهْتَهـــا ... كالمسكِ فوقَ سُلافــة الجِرْيالِ[2]

ثم نعَرتْ ونعَر القوم طرباً ، ثم جلستْ وجلسوا وخلعوا ثيابَهم ورجعوا إلى زِيِّهم ، وأَذِنتْ لَمن كان ببابها فدخلوا ؛ وانصرف المغنّون وبقي عندها من يُطارحها من الجواري .

[استزارت عبد الله بن جعفر لمجلس غناء هيّأته له فزارها]

وحدَّثتني عمّتي قالت : سمعت سِياطاً يحدّث أباك يوماً بأحاديثِ جميلةَ فقال : بنفسي هي وأُمِّي ! فما كان أحسن وجهَها وخَلْقَها وغناءَها ! ما خلّفتِ النساءُ مثلَها شبيهاً ؛ فأعجبني ذلك . ثم قال سياط : جلستْ جميلةُ يوماً للوِفادة عليها ، وجعلت على رؤوس جواريها شعوراً مُسْدَلَةً كالعناقيد إلى أعجازهنّ ، وألبستهنّ أنواع الثيابِ المصبَّغة ووضعتْ فوق الشعور التيجانَ ، وزيّنتهنّ بأنواع الحليّ ، ووجّهتْ إلى عبد الله بن جعفر تستزيره ، وقالت لكاتب أَمْلتْ عليه : «بأبي أنت وأُمّي ! قَدْرُك يَجِلّ عن رسالتي وكَرَمُك يحتمل زَلّتي ؛ وذنبي لا تُقال عَثْرَته ولا تُغفَر حَوْبَته . فإن صَفَحْتَ فالصفحُ لكم مَعْشَرَ أهلِ البيت يُؤْثر ، والخيرُ والفضلُ كلّه فيكم مُدَّخر ، ونحن العبيد وأنتم المَوالي . فطُوبى لمَن كان لكم مُقارِباً وإلى وجوهكم ناظراً ! وطُوبى لمَن كان لكم مُجاوراً ، وبعِزِّكم قاهراً ، وبضيائكم مبصراً ! والويل لمَن جهِل قَدْرَكم ولم يعرِف ما أوجبه الله على هذا الخَلْق لكم ! فصغيرُكُم كبير بل لا صغيرَ فيكم ، وكبيرُكُم جليلٌ بل الجلالةُ التي وَهَبها الله عزّ وجلّ للخلق هي لكم ومقصورةٌ عليكم . وبالكتاب نسألُك وبحقّ الرسولِ ندعوك إن كنتَ نشيطاً لمجلس هَيّأتُه لك لا يحسُن إلاّ بك ولا يتمّ إلاّ معك ، ولا يصلُح أن يُنْقَل عن موضعه ، ولا يُسْلَكُ به غيرُ

1 المتفال : المتغيّرة الريح لترك التطيّب والادّهان .
2 الجريال : من أسماء الخمر .

طريقه» . فلمّا قرأ عبد الله الكتاب قال : إنّا لنعرفُ تعظيمَها لنا وإكرامَها لصغيرنا وكبيرنا . وقد علمتُ أنّها قد آلتْ أَلِيّةً ألاّ تغنّيَ أحداً إلاّ في منزلها . وقال للرسول : والله قد كنتُ على الركوب إلى موضع كذا وكان في عَزْمي المرورُ بها . فأمّا إذ وافق ذلك مُرادَها فإنّي جاعلٌ بعد رجوعي طريقي عليها . فلمّا صار إلى بابها أدخل بعضَ مَنْ كان معه إليها وصرَف بعضَهم . فنظر إلى ذلك الحُسنِ البارع والهيئة الباذّة[1] ، فأعجبه ووقع من نفسه ؛ فقال : يا جميلةُ ؛ لقد أُوتيتِ خيراً كثيراً ، ما أحسنَ ما صنعتِ ! . فقالت : يا سيِّدي ، إنّ الجميل للجميل يصلُح ، ولك هيّأتُ هذا المجلس . فجلس عبد الله بن جعفر وقامتْ على رأسه وقامت الجَوارِي صَفَّيْنِ ؛ فأقسم عليها فجلستْ غيرَ بعيد . ثم قالت : يا سيِّدي ، ألا أُغَنِّيك ؟ قال : بلى ! فغَنَّتْ : [من الطويل]

بَنِي شَيْبَةِ الحمدِ الذي كان وجهُه ... يُضيء ظلامَ اللّيلِ كالقمر البَدْرِ[2]
كُهُولُهُمُ خيرُ الكهولِ ونَسْلُهم ... كنسل الملوكِ لا يَبُورُ ولا يحري[3]
أبو عُتْبةَ المُلْقي إليك جَمالَه ... أغرُّ هِجانُ اللَّوْن من نَفَر زُهْرِ
لساقي الحجيج ثم للخَيْرِ هاشمٍ ... وعبدِ منافٍ ذلك السيِّدِ الغَمْرِ[4]
أبوكم قُصَيٌّ كان يُدْعى مُجَمِّعاً ... به جمَّع اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

فقال عبد الله : أحسنتِ يا جميلةُ وأحسنَ حُذافةُ ما قال ! بالله أَعِيديه عليّ فأعادته ، فجاء الصوت أحسنَ من الارتجال . ثم دعت لكلِّ جاريةٍ بعودٍ وأمرتْهنّ بالجلوس على كراسيّ صغارٍ قد أعدّتها لهنّ ، فضربن وغنَّتْ عليهنّ هذا الصوتَ وغنّى جواريها على غِنائها . فلمّا ضربنَ جميعاً قال عبد الله : ما ظننتُ أنّ مثلَ هذا يكون ! وإنّه لَمِمّا يَفتِن القلبَ ؛ ولذلك كَرِهه كثيرٌ من الناس لِما علموا فيه . ثم دعا ببَغْلته فركبها وانصرف إلى منزله . وقد كانت جميلةُ أعدّتْ طعاماً كثيراً ، وكان أراد المُقام ، فقال لأصحابه : تَخَلَّفوا للغداء ، فتَغَدَّوْا وانصرفوا مسرورين . وهذا الشعر لحُذافة بن غانم بن عُبَيد الله بن عُوَيْج بن عَدِيّ بن كَعْب يمدح به عبد المطّلب .

[أراد العرجيّ أن ينزل عليها حين فرّ من مكّة]

قال وحدّثني بعض المكّيّين قال : كان العَرْجِيّ (وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان) شاعراً

1 الهيئة الباذّة : الغالبة الفائقة .
2 شيبة الحمد : لقب عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف .
3 يبور : يهلك . يحري : ينقص .
4 ساقي الحجيج : عبد المطّلب الذي حفر زمزم .

سَخِيّاً أَدِيباً ظريفاً . ويشبَّه شعرُه بشعر عُمَر بن أَبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدِّما عليه ؛ وقد نُسِبَ كثيرٌ من شعره إلى شعرهما ، وكان صاحبَ صَيْد . فخرج يوماً متنزِّهاً من مكّة ومعه جماعةٌ من غِلْمانه ومَواليه ومعه كِلابُه وفُهوده وصُقُوره وبوازيه نحوَ الطائف إلى مالٍ له بالعَرْج ، وبهذا الموضع سُمّي العَرْجيّ ، فجرى بينه وبين مولىً لبني أُميّة كلامٌ ، فأمضّه المولَى فكفَّ عنه العرجيّ حتى أَوَى إلى منزله ، ثم هجَم عليه ومعه غِلْمانه فأَمَرهم أن يُوثِقوه ، ثم أَمرهم أَن ينكِحوا امرأتَه وهو يراهم ففعلوا ، ثم أَخرجه فقتله . فبلغ أَميرَ مكّة ما فعل فطلَبه ، فخرج من منزله وأَخرج معه غِلمانه ومَوالِيَه وآلة الصَّيْد وتوجّه نحو المدينة وقد ركِب أفراسَه وأعدّ عُدّتَه . فلم يزل يتصيَّد ويَقْصِف في طريقه حتى دخل المدينةَ ليلاً ، وأَراد المُقام في منزل جميلة ، وكانت آلت ألاّ تغنّي بشعره ، ولا تُدخلَه منزلَها لكثرة عَبَثه وسَفَهه وحَداثةِ سِنّه . فلمّا أُعْلِمتْ بمكانه ليلاً قالت : طارقٌ ! إن له لشأناً ! فاستخبرت خبرَه فقيل لها : إنّه قدِم مُسْتَخفِياً ، ولم يرَ بالمدينة موضعاً هو أَطيبُ له من منزلك ، والأَيمانُ تكفَّر ، والأَشرافُ لا يُرَدُّون . فقالت لرسولها إليه : منزلي منزلُ جَوارٍ ، ولا يمكن مثلَك الاستخفاءُ فيه ، فعليك بالأَحوص ، وكان الأَحوص مُجانباً له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة ، فقال : أنَّى لي بالأَحوص مع الذي كان بيننا ؟ قالت : ائتِه عنّي وقُل له : قد غنّينا بذلك الشعر ؛ فإنْ أَحببتَ أن تظهر وتبقى مودّتنا لك ، فأصلح ما بينك وبين عبد الله ، إذ أُصْلِح ما بيننا ، وأَنزِلْه منزلك . قال لها : ليس هذا بمُقْنعي ؛ أَمّا إذ أَبَيْتِ أَن أُقيم بمنزلك فوَجّهي معي رسولاً إلى الأَحْوَص ؛ فإنّ منزله أحبُّ المنازل إليّ بعد منزلك . فوجّهت معه إلى الأَحوص بعضَ مَوْلَياتها ؛ فأنزله الأَحوص وأَكرمه وأَحسن جِوارَه وستَر أَمرَه . فقال شعراً ووَجَّه به إلى جميلة : [من الطويل]

أَلا قاتَـل اللهُ الهَوى كيـف أَخلَقا … فلـم تُلْفِـهِ إلاّ مَشُوبـاً مُمَذَّقا[1]
ومـا مـن حبيبٍ يستزير حبيبه … يُعاتبـــه في الـودّ إلاّ تَفَـرَّقا
أَمَـرّ وصالُ الغانياتِ فأصبحت … مَضاضتُه يشجَى بها مَنْ تَمطَّقا[2]
تعلّـق هـذا القلبُ للحَيْن مَعْلَقاً … غَـزالاً تحلَّـى عقْدَ دُرٍّ ويارَقا[3]
إذا قلتُ مهـلاً للفـؤاد عن التي … دعتْك إليها العينُ أَغضَى وأَطْرَقا

1 ممذَّقاً : مخلوطاً .
2 تمطّق : تذوّق وتمضّغ .
3 اليارق : السوار .

دعانا فلم نَسْتَبْقِ حُبّاً بما نَرى فما منك هذا العذلُ إلاّ تَخَرُّقا
فقد سنَّ هذا الحبَّ مَنْ كان قَبلَنا وقاد الصِّبا المرءَ الكريمَ فأعنقا

فلمّا قرأتْ شعرَه رقّتْ له وقالت : كيف لي بإيلائي ألاّ يدخل منزلي ولا أُغَنّيه بشعره ؟! فقيل لها : يدخل منزلك وتغنِّين وتكفِّرين عن يمينك . فوجّهتْ إليه أنْ صِرْ إلينا والأَحْوَصَ في تلك الليلة فجاءاها ؛ وعرّفت الأحوصَ تكفير اليمين ؛ فقال لها : وأنا والله شفيعُه إليكِ ؛ ففَرِّجي ما به من غَمٍّ فقد فارق من يحبّ ويهوى ، فتُؤْنسينه وتَسُرِّينه وتغنينه بشعره . فغنَّت : [من الطويل]

ألا قاتَلَ اللهُ الهَوى كيف أخلَقا فلم تُلْفِهِ إلاّ مشوباً مُمَذَّقا

[كان الأحوص معجباً بها وملازماً لها فصار إليها بغلام له جميل فأخرجته خوف الفتنة]

وحدَّثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمَّد : كان الأحوصُ مُعْجَباً بجميلة ، ولم يكن يكاد يُفارق منزلها إذا جلستْ . فصار إليها يوماً بغلام جميل الوجه يفتِن مَنْ رآه ، فشغَل أهلَ المجلس ، وذهبت اللحونُ عن الجواري وخلَطن في غنائهنّ . فأشارت جميلةٌ إلى الأحوص أن أَخْرِج الغلام ؛ فالخَلَلُ قد عمّ مجلسي وأفسد عليّ أمري . فأبى الأحوصُ وتغافل ، وكان بالغلام مُعْجَباً ، فآثر لَذّته بالنظر إلى الغلام مع السماع . ونظر الغلامُ إلى الوجوه الحِسان من الجواري ونظرن إليه ، وكان مجلساً عامّاً . فلمّا خافت عاقبةَ المجلس وظهورَ أمره أمرتْ بعضَ مَنْ حضر بإخراج الغلام فأُخْرِج ؛ وغضب الأحوصُ وخرج مع الغلام ولم يقلّ شيئاً ؛ فأحمد أهلُ المجلس ما كان من جميلة ، وقال لها بعضهم : هذا كان الظنَّ بك ، أكرمكِ الله ! فقالت : إنّه والله ما استأذنني في المجيء به ولا علمتُ به حتى رأيته في داري ، ولا رأيتُ له وجهاً قبل ذلك ؛ وإنّه لَيعِز عليّ غضبُ الأحوص ، ولكن الحقّ أولى ، وكان ينبغي له ألاّ يُعَرِّض نفسَه وإيّايَ لما نكَره مثلَه . فلمّا تفرّق أهلُ المجلس بعثتْ إليه : الذنبُ لك ونحن منه بُرءَاءُ ؛ إذ كنتَ قد عرفتَ مذهبي ، فلِمَ عَرّضتَني للذي كان ؛ فقد ساءني ذلك وبلَغ منّي ؛ ولكن لم أَجِد بُدّاً من الذي رأيت ما إمّا حياءً وإمّا تصنُّعاً . فردّ عليها : ليس هذا لك بعذر إن لم تجعلي لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تَمْحِينَ به ما كان منك . قالت : أفعلُ ذلك سرّاً ؛ قال الأحوص : قد رَضِيتُ . فجاءاها ليلاً فأكرمتهما ، ولم تُظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلاّ عجائزَ من مواليها . وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنّيه من شعره : [من الطويل]

وبالقَفْرِ دارٌ من جميلةَ هيجتْ سوالفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنْصِبِ

وكانت إذا تنأى نوىً أو تفرّقتْ شِدادُ الهَوَى لم تدرِ ما قولُ مِشْغَبِ[1]
أسيلةُ مَجْرى الدَّمْعِ خُمْصانةُ الحَشا بَرُودُ الثَّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ[2]
ترى العينُ ما تَهوى وفيها زيادةٌ من الحسنِ إذ تبدو ومَلْهىً لِمُلْعِبِ[3]

قال يونس : ما لها صوتٌ أحسنُ منه ، وابنُ مُحْرِزٍ يغنّيه وعنها أخذه ، وأنا أُغَنّيه فتُعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النَّخْوة والتِّيه . وقال المحدِّث لي بهذا الحديث عن يونس : إنّ هذا للأحوص في جميلة . والذي عندي أنّه لطُفَيْل الغَنَويّ قاله في ابن زيد الخيل ، وهو زيد بن المُهلْهِل بن المُخْتَلِس بن عبد رُضاً أحدُ بني نَبْهان ، ونَبْهان لقبٌ له ، ولكنّه سُودان بن عمرو بن الغَوْث بن طيىء ، أغار على بني عامر فأصاب بني كِلاب وبني كَعْب ، واستحرّ القتل في غَنِيِّ بن أَعْصُر ومالك بن أعْصُر ؛ وأعصر هو الدخان ، ولذلك قيل لهما ابنا دخان ، وأخوهما الحارث وهو الطُّفاوةُ وهو مالك بن سعد بن قيس بن عَيْلان ، وغَطفان بن سعد عمُّهم . وكانت غَنيّ مع بني عامرٍ في دارهم موالي لنمير ، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء . ثم إنّ غَنِيّاً أغارتْ على طيِّىء وعليهم سيار بن هريم ؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة : [من الطويل]

وبالقفرِ دارٌ من جميلةَ هيّجتْ سوالفَ شوقٍ في فؤادكَ مُنْصِبِ

[لَحْنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطّاب لحناً جميلاً]

وحدَّثني أيّوب بن عَباية قال : كان عمرو بن أحمر بن العَمَرّد بن عامر بن عبد شمس بن فَرّاص بن مَعْن بن مالك بن أعْصُر بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر من شعراء الجاهليّة المعدودين ، وكان ينزل الشام ، وقد أدرك الإسلامَ وأسلم ، وقال في الجاهليّة والإسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم : عمرَ بنِ الخطّاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان ، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالداً إلى الشام ؛ ولم يأتِ أبا بكر . وقال في خالد رحمه الله : [من الطويل]

إذا قال سيفُ الله كُرُّوا عليهمُ كَرَرْتُ بقلبٍ رابطِ الجأش صارمِ

وقال في عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيِّدة : [من البسيط]

أدركتُ آل أبي حَفْصٍ وأُسْرَتَه وقبلَ ذاك ودهراً بعده كَلِبا
قد ترتمي بقوافٍ بيننا دُوَلٌ بين الهناتين لا جِدّاً ولا لَعِبا

---

1 المِشْغَب : المشاغب والمعاند عن الحقّ .
2 المشرعب : الطويل .
3 ألعب المرأة : جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به .

اللهُ يعلــمُ مــا قــولي وقولُهــمُ إذ يركبــون جَناناً مُسْهَباً وَرِبا[1]

وقال في عثمان بن عفّان رضي الله عنه : [من البسيط]

حُثّــي فليس إلى عثمــانَ مُرْتَجَعٌ إلاّ العــداء وإلاّ مُكْنِــعٌ ضررُ[2]

إخالُها سَمِعت عَزْفاً فتحسَبــه إهابــةَ القَسْرِ ليلاً حين تنتشرُ[3]

وقال في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : [من البسيط]

مَنْ مُبْلِغٌ مَألُكاً عنّي أبا حَسَنٍ فارتَحْ لخَصْمٍ هداكَ اللهُ مظلومِ

فلمّا أُنشدتْ جميلةُ قصيدتَه في عمر بن الخطّاب ، قالت : والله لأعملنّ فيها لحناً لا يسمعه أحدٌ أبداً إلاّ بكى . قال إبراهيم : وصدَقتْ ؛ والله ما سمعتُه قَطُّ إلاّ أبكاني ؛ لأنّي أجِد حين أسمعه شيئاً يضغَط قلبي ويَحْرِقه فلا أملك عيني ، وما رأيتُ أحداً قطُّ سمعه إلاّ كانت هذه حالَه .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

يــا دارَ عَبْلةَ من مَشارِقِ مَـأْسَلِ دَرَس الشؤونُ وعهدُهــا لم يَنجلِ

فاستبدلــتْ عُفْــرَ الظِّباء كأنّما أبعارُها في الصَّيفِ حَــبُّ الفُلْفُلِ

تمشي النَّعامُ بــه خــلاءً حولَــه مَشْيَ النَّصارى حولَ بيت الهيكلِ

احذَرْ مَحَلَّ السّوء لا تَحْلُــلْ بــه وإذا نَبَــا بــكَ منــزلٌ فتَحَوَّلِ

الشعر ، فيما ذكر يحيى بن عليّ عن إسحاق ، لعَنْتَرة بن شَدّاد العَبْسيّ . وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة ، ولعلّه من رواية لم تقع إلينا ؛ فذكر غير أبي أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خُفاف البُرْجُميّ ، إلاّ أنّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشَكّ فيه . والغناء لأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْليّ ، ولحنه المختار ، على ما ذكره أبو أحمد ، من الثقيل الأوّل . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ لحن أبي دُلَف خفيفُ ثقيل بالوسطى . وذكر إسحاق أنّ فيه لمعبد لحناً من الثقيلِ الأوّل المطلق في مجرى الوسطى ، وأن فيه لأبي دُلَف لحناً ولم يجنّسه . وذكر حبش أن فيه لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالوسطى ، وأن لابن سُرَيج في البيت الثاني ثقيلاً أوّل ، وذكر ابن خرداذبه أنّ خفيف الثقيل لمالك ، وليس ممّن يعتمد على قوله . وقد ذكر يونس أيضاً أنّ فيه غناء لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته .

---

1 الجَنان : الأمر الخفيّ . الوَرِب : الفاسد .

2 المكنع : الذليل الحقير .

3 العزف : الصوت . القَسر : اسم راعي لابن أحمر .

[115] ـ ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره[1]

[نسبه]

هو عَنْتَرةُ بن شَدّاد ، وقيل : ابن عمرو بن شدّاد ، وقيل : عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن ربيعة ، وقيل : مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بنِ غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلْحاء ؛ وذلك لتشقّق شَفتيه .

[أمّه أمَة حبشيّة ، وكان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه]

وأُمّه أَمَةٌ حبشيّة يقال لها زَبيبة ، وكان لها ولدٌ عَبيدٌ من غير شدّاد ، وكانوا إخوته لأُمّه . وقد كان شدّاد نفاه مرّةً ثم اعترف به فأُلحق بنسبه . وكانت العرب تفعل ذلك ، تستعبد بني الإماء ، فإن أنجب اعترفتْ به وإلاّ بقي عبداً .

[حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً]

فأخبرني عليّ بن سليمان النحويّ الأخفش قال أخبرنا أبو سَعيد الحسن بن الحسين السكّريّ عن محمّد بن حَبيبَ ، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ ، قالا : كان عنترة قبل أن يدّعيه أبوه حرّشتْ عليه امرأة أبيه وقالت : إنّه يُراودني عن نفسي ؛ فغضِب من ذلك شدّاد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرِّحاً وضربه بالسيف ؛ فوقعت عليه امرأة أبيه وكفّته عنه . فلمّا رأت ما به من الجِراح بكتْ ، وكان اسمها سُمَيّة وقيل : سُهَيّة ، فقال عَنْترة : [من البسيط]

صوت

أَمِــنْ سُمَيَّةَ دمعُ العين مذروفُ ... لو أَنّ ذا منكِ قبل اليوم معروفُ[2]
كأنّها يــوم صدَّتْ ما تكلِّمني ... ظَبْيٌ بعُسْفانَ ساجي العَين مطروفُ[3]
تَجَلّلتنيَ إذ أُهــوى العَصا قِبَلي ... كأنّها صَنَــمٌ يُعتــادُ معكــوفُ
العبــدُ عبدُكُــم والمــالُ مالُكُـم ... فهــل عذابُك عنّي اليوم مصروفُ
تنسَى بلائي إذا ما غارةٌ لَحِقتْ ... تخرُج منهــا الطُّوالاتُ السَّراعِيفُ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 250–254 والخزانة 1 : 59–62 .
2 مذروف في الديوان : تذريف 270 .
3 عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكّة . مطروف في الديوان : الطرف 270 .

يخرُجن منها وقـد بُلّتْ رَحائلها بالماء تركِضهـا الشُّمُّ الغطاريفُ[1]
قد أطعُن الطعنةَ النَجْلاء عن عُرُضٍ تَصْفَرُّ كَـفُّ أُخيها وهـو منزوفُ

غنّى في البيت الأوّل والثاني عَلّويه ، ولحنه من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر ، وقيل : إنّه لإبراهيم . وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال : إنّه لابن سُرَيج ، وهو من منحول ابن المكيّ .

قوله «مذروف» : من ذَرَفت عينُه ، يقال : ذَرَفت تَذْرِفُ ذَرِيفاً وذَرْفاً ، وهو قَطْرٌ يكاد يتّصل . وقوله : «لو أنّ ذا منك قيل اليوم معروف» . أيّ قد أنكرتُ هذا الحنوّ والإشفاقَ منك ، لأنّه لو كان معروفاً قبل ذلك لم يُنكره . «ساجي العين» : ساكنها . والساجي : الساكن من كلّ شيء . «مطروف» : أصابت عينَه طَرْفةٌ ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه . «تجللتني» : ألقت نفسها عليّ . و«أُهوى» : اعتمد . «صنم يعتاد» أي يُؤْتى مرّةً بعد مرّة . و«معكوف» : يُعْكَفُ عليه . و«السَّراعيف» : السِّراع ، واحدتها سُرْعوفة . و«الطُّوالات» : الخيل . والرحائل : السروج . والشمم : ارتفاع في الأنف . و«الغطاريف» : الكرام والسادة أيضاً . والغطرفة : ضرب من السير والمشي يُختال فيه . و«النجلاء» : الواسعة ، يقال : سِنانٌ مِنْجَلٌ : واسع الطعنة : «عن عُرُض» أي عن شِقٍّ وحَرْف . وقال غيره : أَعْتَرِضه اعتراضاً حين أقتُله .

[سبب ادّعاء أبيه إيّاه]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال ابن الكلبيّ : شَدّادٌ جَدُّ عنترةَ غلَب على نَسَبه ، وهو عنترة بن عمرو بن شدّاد ؛ وقد سمعتُ مَن يقول : إنّ شدّاداً عمُّه ، كان نشأ في حِجْرِه فنُسب إليه دون أبيه . قال : وإنّما ادّعاه أبوه بعد الكِبَر ؛ وذلك لأنّ أُمّه كانت أَمَةً سوداء يقال لها زَبِيبة . وكانت العربُ في الجاهليّة إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أَمَةٍ استعبدوه . وكان لعنترة إخوةٌ من أُمّه عبيدٌ . وكان سببُ ادّعاء أبي عنترةَ إيّاه أنّ بعضَ أحياء العرب أغاروا على بني عَبْس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً ، فتبِعهم العَبْسيّون فلَحِقُوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترةُ يومئذٍ فيهم ؛ فقال له أبوه : كُرَّ يا عنترةُ . فقال عنترة : العبدُ لا يُحْسِنُ الكَرّ ، إنّما يُحْسِن الحِلابَ والصَرّ . فقال : كُرّ وأنت حرّ . فكَرّ وهو يقول : [من الرجز]

أنـا الهجـينُ عَنْتَرَهْ كلُّ امرىء يحمِي حِرَهْ
أسودَه وأحمـرَه والشَّعَراتِ [المُشْعَره]

1 تركضها في ل : يقدمها . الشمّ في الديوان : المرد 271 .

الواردات مِشْفَــره

وقاتلَ يومئذٍ قتالاً حسناً ، فادّعاه أبوه بعد ذلك وألحَقَ به نسبَه .

وحكى غير ابن الكلبيّ أنّ السببَ في هذا أنّ عبساً أغاروا على طيّىء ، فأصابوا نَعَماً ، فلمّا أرادوا القِسْمة قالوا لعنترة : لا نَقسِم لك نصيباً مثلَ أنصبائنا لأنّك عبد . فلمّا طال الخَطْبُ بينهم كرّتْ عليهم طيّىء ؛ فاعتزلهم عنترة وقال : دُونَكم القومَ ، فإنّكم عَدَدُهم . واستنقذت طيّىء الإبل . فقال له أبوه : كرّ يا عنترةُ . فقال : أوَ يُحْسِنُ العبد الكرّ ؟ فقال له أبوه : العبدُ غيرُك ، فاعترف به ، فكرّ واستنقذ النَّعَم ، وجعل يقول : [من الرجز]

أنـــا الهجـــينُ عَنْتَرهْ كلُّ امرىء يحمي حِرَهْ

الأبياتَ .

قال ابنُ الكلبيّ : وعنترةُ أحدُ أغرِبة العرب ، وهم ثلاثة : عنترة وأُمّه زَبيبة ، وخُفاف بن عُمَيْر الشَّرِيديّ وأُمّه نُدْبة ، والسُّلَيْك بن عُمَيْر السَّعْديّ وأُمّه السُّلَكةُ ، وإليهنّ يُنسبون . وفي ذلك يقول عنترة : [من الكامل]

إنّـي امـرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِي وأحمـــي سائري بالمُنْصُلِ
وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظت أُلفِيـــتُ خيراً مـن مُعَـمٍّ مُخْوَلِ

يقول : إنّ أبي من أكرم عَبْس بشطري ، والشطرُ الآخر ينوب عن كرم أُمّي فيه ضَرْبي بالسيف ، فأنا خيرٌ في قومي ممّن عَمُّه وخالُه منهم وهو لا يُغني غَنائي . وأحسب أنّ هذه القصيدة هي التي يُضاف إليها البيتان اللذان يُغنَّى فيهما ، وهذه الأبيات قالها في حرب داحِس والغَبْراء .

[حامى عن بني عبس حين انهزمت أمام تميم ، فسبّه قيس بن زهير فهجاه]

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : غزتْ بنو عَبْس بني تميم وعليهم قَيْس بن زُهَيْر ، فانهزمت بنو عَبْس وطلبتْهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترة ، ولحِقتهم كَبْكَبةٌ من الخيل ، فحامَى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِرٌ . وكان قيس بن زُهَير سيِّدَهم ، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذٍ ، فقال حين رجع : والله ما حَمى الناسَ إلاّ ابنُ السوداء . وكان قيس أكولاً . فبلغ عنترةَ ما قال ؛ فقال يعرّض به قصيدتَه التي يقول فيها : [من الكامل]

صوت

بَكَرتْ تُخوِّفُني الحُتوفَ كأنّني أصبحتُ عن عَرَض الحُتوف بمَعْزِلِ
فأجبتُهـــا أنّ المنيّـــةَ مَنْهَـــلٌ لا بُـدّ أن أُسْقى بكـأسِ المنهلِ

فاقْنَــيْ حياءَكِ لا أباللكِ واعلمي   أنّي امــرؤ سأمــوت إن لم أُقْتَلِ
إنّ المنيّــة لــو تُمَثَّــلُ مُثّلتْ   مِثْــلي إذا نزلــوا بضَنْكِ المنزلِ
إنّي امــرؤ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً   شَطْرِي وأحمــي سائري بالْمُنْصُلِ
وإذا الكتيبةُ أَحْجمتْ وتلاحظتْ   أُلْفِيــتُ خيراً مــن مُعَمٍّ مُخْوَلِ
والخيلُ تعلــم والفوارسُ أنّنــي   فرّقــتُ جَمْعَهمُ بضربةِ فيصلِ[1]
إذ لا أُبــادِر في المَضِيقِ فوارسي   أو لا أُوَكِّــلُ بالرَّعِيــلِ الأَوّلِ
إن يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وإن يُستَلْحَمُوا   أَشْدُدْ وإن يُلْفَــوْا بضَنْكٍ أنزلِ[2]
حــين النزولُ يكون غايــةَ مثلنا   ويَفِــــرّ كلُّ مُضلَّــلٍ مُسْتَوْهِلِ[3]
والخيلُ ساهمــةُ الوجوهِ كأنّما   تُسْقَى فوارسُهــا نقيــعَ الحنظلِ
ولقــد أبيتُ على الطَّــوى وأَظَلُّه   حتى أنــالَ بــه كريــمَ المأكلِ

عَرُوضه من الكامل . غنّت في الأربعة الأبيات الأُوَل والبيت الثاني عَرِيبُ خفيفَ رمل بالبنصر من رواية الهشاميّ وابن المعتزّ وأبي العَنْبس .

«الحتوف» : ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف . «عن عَرَض» أي ما يعرض منها . «بمعزل» أي في ناحية معتزلة عن ذلك . و«منهل» : مورد . وقوله : «فَاقني حياءك» أي احفظيه ولا تضيِّعيه . و«الضَّنْك» : الضيق . يقول : إنّ المنيّة لو خُلِقتْ مِثالاً لكانت في مثل صورتي . و«المَنْصِب» : الأصل . و«المُنْصُل» : السيف ، ويقال مُنصَل أيضاً بفتح الصاد . وأحجمت : كَعَّت[4] . و«الكتيبة» : الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر . و«تلاحظت» : نظرتْ مَنْ يُقْدِم على العدوّ . وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمُؤْخِرِ العين . و«الفيصل» : الذي يفصِل بين الناس . وقوله : «لا أُبادر في المضيق فوارسي» أيّ لا أكون أوّل منهزم ولكنّي أكون حاميتهم . و«الرعيل» : القطعة من كلّ شيء . و«يُسْتَلْحَموا» : يُدْرَكوا . والمُسْتَلْحَم : المُدْرَكِ ؛ وأنشد الأصمعيّ : [من البسيط]

نَجّــى علاجاً وبِشْراً كلُّ سَلْهَبَةٍ   واستلحم الموتُ أصحابَ البَراذِينِ[5]

1 بضربة : في الديوان بطعنة 250 .
2 استُلْحِمَ : روهق في القتال ، واستلحم الرجل : إذا احتوشه العدو في القتال .
3 المستوهل : الضعيف الفزع .
4 كَعَّ : جبن وضعف .
5 السلهبة : الفرس الطويل الذكر والأنثى .

و«ساهمة» : ضامرة متغيّرة ، قد كَلَحَ فوارسُها لشدّة الحرب وهَوْلها . وقوله : «ولقد أبيت على الطوى وأظلّه» . قال الأصمعيّ : أبيت بالليل على الطَّوى وأَظَلّ بالنهار كذلك حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ أي ما لا عيبَ فيه عليّ ، ومثله قوله : إنّه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقُهما طعاماً ولا شراباً أي لا أذوق فيهما . والطَّوى : خَمَصُ البطن ، يقال : رجل طَيّان وطاوِي البطن .

[أنشد النبيّ ﷺ بيتاً من شعره فود لو رآه]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا ابن عائشة قال : أُنْشِد النبيُّ ﷺ قولَ عَنْتَرَةَ : [من الكامل]

ولقد أَبيتُ على الطَّوَى وأَظَلُّه حتّى أَنـالَ بـه كريمَ المأكلِ

فقال ﷺ : «ما وُصِف لي أعرابيٌّ قَطُّ فأَحببتُ أَن أَراه إلاَّ عنترةَ» .

[كيف ألحق إخوته لأمّه بنسب قومه]

أُخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثنا أُبو سعيد السكّريّ عن محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأَعرابيّ وأَبي عُبَيدة : أنّ عنترة كان له إخوة من أُمّه ، فأحبّ عنترةُ أن يدّعيَهم قومه ؛ فأَمر أَخاً له كان خيرَهم في نفسه يقال له «حنبل» ، فقال له : أَرْوِ مُهْرَك من اللَّبن ثم مُرَّ به عليَّ عشاءً . فإذا قلت لكم : ما شأنُ مُهْرِكم مُتَخَدِّداً[1] مهزولاً ضامراً ، فاضرب بطنَه بالسيف كأنّك تُريهم أنّك قد غَضِبتَ ممّا قلتُ . فمرّ عليهم ، فقال له : يا حنبل ، ما شأنُ مهركم متخدّداً أَعجرَ[2] من اللبن ؟ فأهوَى أُخوه بالسيف إلى بطن مُهْره فضربه فظهر اللبن . فقال في ذلك عَنْتَرةُ : [من الكامل]

أَبَنـي زَبِيبةَ مـا لِمُهْرِكُـمُ مُتَخَـدِّداً وبطونُكـم عُجْـرُ
أَلكم بإيغـال الوليـدِ عـلى أَثَـرِ الشِّيـاه بشدّةٍ خُبْرُ[3]

وهي قصيدة . قال : فاستلاطه[4] نفرٌ من قومه ونفاه آخرون . ففي ذلك يقول عنترة : [من الكامل]

أَلا يـا دارَ عَبْلـةَ بالطَّوِيِّ كرَجْعِ الوَشْمِ في كَفّ الهَدِيّ[5]

وهي طويلة يُعدِّد فيها بلاءه وآثاره عند قومه .

1 المتخدّد : المهزول .
2 بطن أعجر : ملآن .
3 في الديوان اختلاف كبير في رواية البيت 316 .
4 استلاطه قومه : ألصقوه بهم وادّعوه .
5 الطَّوِيّ : موضع ، والهديّ : العروس .

[جوابه حين سئل أنت أشجع العرب]

أَخبرني عمّي قال أَخبرني الكُرانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال : قيل لعنترة : أنت أَشجَعُ العربِ وأشدُّها ؟ قال لا . قيل : فبما ذا[1] شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أُقْدِمُ إذا رأيتُ الإقدام عَزْماً ، وأُحجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حَزْماً ، ولا أُدخلُ إلاّ موضعاً أَرى لي منه مَخْرَجاً ، وكنتُ أَعتمِد الضعيفَ الجبانَ فأَضربُه الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشُّجاع فأُثنّي عليه فأَقتله .

أَخبرني حبيب بن نَصْر وأَحمد بن عبد العزيز قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال عمر بن الخطّاب للحُطَيْئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنّا أَلفَ فارس حازمٍ . قال : وكيف يكون ذلك ؟ قال : كان قيس بن زُهَيْر فينا وكان حازماً فكنّا لا نعصيه . وكان فارسنا عنترةَ فكنّا نحمِل إذا حمل ونُحْجِم إذا أَحجم . وكان فينا الرَّبيع بن زِياد وكان ذا رَأْي فكنّا نستشيره ولا نُخالِفه . وكان فينا عُرْوة بن الوَرْد فكنّا نأتمّ بشعره ، فكنّا كما وصفتُ لك . فقال عمر : صدَقتَ .

[موته واختلاف الروايات في سببه]

أَخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثنا أَبو سعيد السكريّ قال قال محمّد بن حَبيبَ عن ابن الأَعرابيّ عن المفضَّل عن أَبي عبيدة وابن الكلبيّ قالا : أَغار عنترةُ على بني نَبْهان من طيّىء فطَرَد لهم طريدةً وهو شيخ كبير ، فجعل يرتجز وهو يطرُدها ويقول : [من الرجز]

آثارُ ظُلْمـانٍ بقـاعٍ مُحْرِب

قال : وكان زِرّ[2] بن جابر النَّبْهانيّ في فُتُوّة ، فرماه وقال : خذها وأَنا ابن سَلْمَى ، فقطع مَطاه[3] ؛ فتحامَل بالرَّمْيَة حتى أَتى أَهلَه ؛ فقال وهو مجروح : [من الطويل]

وإنّ ابـنَ سَلْمَى عنده فاعلموا دَمي ... وهيهاتَ لا يُرْجَى ابن سلمى ولا دَمِي
يحـلُّ بأَكنـاف الشِّعاب وينتمـي ... مكـانَ الثُّرَيّـا ليس بـالمُتَهَضَّمِ[4]
رمـاني ولم يَدْهَشْ بـأزرقَ لَهْـذَمٍ ... عشيّة حلُّوا بـين نَعْـفٍ ومَخْرِمِ[5]

1 في ل : فيم إذن .
2 في ل : وزر .
3 مطاه : ظهره .
4 يحلُّ بأَكنافِ الشعاب ينتمي في ل : إذا ما تمشّى بين أَجبال طيّىء .
5 النعف : ما انحدر من السّفح وغلظ . المخرم : منقطع أنف الجبل .

قال ابن الكلبيّ : وكان الذي قتله يلقّب بالأسد الرهيص[1] . وأمّا أبو عمرو الشّيْبانيّ فذكر أنّه غزا طيّئاً مع قومه ، فانهزمت عَبْسُ ، فخرّ عن فرسه ولم يَقْدِرْ من الكِبرَ أن يعود فيركبَ ؛ فدخل دَغَلاً ، وأبصره ربيئة[2] طيّيء فنزل إليه ، وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه وقتله .

وذكر أبو عبيدة أنّه كان قد أسنَّ واحتاج وعجز بِكِبَر سِنّه عن الغارات ، وكان له على رجل من غَطَفان بَكْرٌ ، فخرج يتقاضاه إيّاه ؛ فهاجت عليه ريحٌ من صَيْف وهو بين شَرَجٍ[3] وناظرة ، فأصابته فقتلتْه .

[كان أحد الذين يباليهم عمرو بن معد يكرب]

قال أخبرني أبو خليفة عن محمّد بن سلاّم قال : كان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالي مَنْ لَقِيتُ من فُرْسان العرب ما لم يلقَني حُرَّاها وهَجيناها . يعني بالحُرَّيْنِ عامرَ بن الطُّفَيْل وعُتَيْبة بن الحارث بن شِهاب ، وبالعَبْدَيْن عنترةَ والسُّلَيْكَ بن السُّلَكة .

هذه أخبار عنترة قد ذكرتُ فيها ما حضَر .

---

1 الأسد الرهيص : الذي لا يبرح مكانه .

2 الربيئة : الطليعة .

3 شرج وناظرة : ماءان لبني عبس .

116 ـ [ذكر عبد قيس بن خفاف البرجميّ]

[نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجميّ]

وأمّا عبد قَيْس بن خُفاف البُرْجُميّ فإنّي لم أَجِد له خبراً أذكره إلاّ ما أخبرني به جعفر بن قُدامة قال : قرأت في كتاب لأَبي عثمان المازنيّ : كان عبد قَيْس بن خُفاف البُرْجُميّ أتى حاتمَ طيّيء في دِماء حمَلها عن قومه فأسلموه فيها وعجزَ عنها ، فقال : واللهِ لآتينّ مَنْ يحمِلها عنّي ، وكان شريفاً شاعراً شُجاعاً ؛ فقدِم على حاتم وقال له : إنّه قد وقعت بيني وبين قومي دماءٌ فتواكلوها ، وإنّي حملتها في مالي وأهلي ، فقدّمتُ مالي وأخّرتُ أُهلي ، وكنتَ أوثقَ الناس في نفسي . فإن تحمّلتَها فكَمْ من حَقٍّ قَضَيْتَه وهَمٍّ كَفَيْتَه ، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُمْ يومَك ولم أنسَ غدَك ؛ ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

حملتُ دماءً للبَراجِمِ جَمَّةً ... فجئتُك لمّا أسلمتْني البراجِمُ
وقالوا سَفاهاً لِمْ حَمَلتَ دماءَنا ... فقلتُ لهم يكفي الحَمالةَ حاتمُ
متى آتِه فيها يَقُلْ لِيَ مرحباً ... وأهلاً وسهلاً أخطأتْكَ الأَشائمُ
فيحملها عنّي وإن شئتُ زادَني ... زيادةَ مَنْ حِيزَتْ إليه المكارمُ
يعيش النَّدى ما عاش حاتمُ طَيّيءٍ ... وإن مات قامت للسخاء مآتِمُ
يُنادِينَ مات الجودُ مَعْك فلا نَرَى ... مُجيباً له ما حامَ في الجوِّ حائِمُ
وقال رجال أنهبَ العامَ مالَه ... فقلتُ لهم إنّي بذلك عالِمُ
ولكنّه يُعطي مِنَ اموال طيٍّءٍ ... إذا حلَق المالَ الحقوقُ اللّوازِمُ
فيُعْطِي التي فيها الغِنَى وكأنّه ... لتصغيره تلك العطيّةَ جارمُ
بذلك أوصاه عَدِيٌّ وحَشْرَجٌ ... وسَعْدٌ وعبدُ اللهِ تلكَ القَماقِمُ

فقال له حاتم : إنّي كنتُ لأُحِبّ أن يأتيني مثلُك من قومك ، وهذا مِرْباعي[1] من الغارة على بني تميم فخذه وافراً ، فإنْ وَفَى بالحَمالة وإلاّ أكملتُها لك ، وهي مائتا بعير سوى نيبِها

1 المرباع : ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة .

وفِصالها ، مع أنّي لا أُحِبّ أن تُؤَبِّس[1] قومَك بأموالهم . فضحِك أبو جُبَيْل[2] وقال : [لكم ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا منكم] ، وأيّ بعير دفعتَه إليّ وليس ذَنَبُه في يد صاحبه فأنت منه بريء . فأخذها وزاده مائةَ بعير ، وانصرف راجعاً إلى قومه . فقال حاتم : [من الوافر]

أتـاني البُرْجُمـيّ أبو جُبَيْلٍ ... لِهَـمٍّ في حَمالتِه طويلِ
فقلتُ لـه خُذِ المرباعَ منها ... فإنّي لستُ أرضَى بالقليلِ
على حالٍ ولا عوّدتُ نفسي ... على عِلاّتهـا عِلَلَ البخيلِ
فخُذْهـا إنّها مائتا بعيرٍ ... سوى النابِ الرذِيَّة والفصيلِ
ولا مَـنٌّ عليك بها فإنّي ... رأيتُ المَنَّ يُزْرِي بالجميلِ
فـآبَ البُرْجُميُّ وما عليه ... مِنَ اعْباء الحَمالةِ من فتيلِ
يَجُرّ الذّيْـلَ ينفُضُ مِذْرَوَيْهِ ... خفيفَ الظهر من حملٍ ثقيلِ[3]

1 تؤبّس : توبّخ وتؤنّب .
2 أبو جبيل : كنية عبد قيس بن خفاف .
3 جاء فلان ينفض مِذْرويه : إذا جاء باغياً يتهدّد . المذرى : طرف الألية .

[117] ـ ذكر أبي دُلَفَ ونسبه وأَخباره

[نسبه ومكانته]

هو القاسم بن عيسى بن إدريس ، أحد بني عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . ومَحَلُّه في الشجاعة وعُلُوِّ المحلّ عند الخلفاء وعِظَم الغَناء في المَشاهد وحُسْنِ الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد من نُظَرائه . وذكرُ ذلك أجمع ممّا لا معنى له لطُوله ؛ وفي هذا القدر من أخباره مَقْنَع . وله أشعارٌ جِيادٌ ، وصنعةٌ كثيرة حسنة . فمن جيِّد شعره وله فيه صنعة قولُه : [من الوافر]

صوت

بنفسي يـا جِنانُ وأنتِ منّي محلَّ الروح من جَسَد الجَبانِ
ولـو أنّي أقولُ مكانَ نفسي خَشِيتُ عليكِ بـادرةَ الزمانِ
لإقدامي إذا مـا الخيلُ حامتْ وهـابَ كُمَاتُها حَـرَّ الطِّعانِ

وله فيه لحن . وهذا البيت الأوّل أخذه من كلام إبراهيم النَّظّام .

[أخذ معنى من محاورة إبراهيم النظام لغلام]

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمّد بن الحسن بن الحَرُون قال : لقي إبراهيم النظّام غلاماً حسنَ الوجه ، فاستحسنه وأراد كلامَه فعارضه ، ثم قال له : يا غلام ، إنّك لولا ما سَبَق من قول الحكماء ممّا جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم : لا ينبغي لأحد أن يكبُر عن أن يَسأل ، كما إنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُر عن أن يقول ، لمَا أَنَبْتُ[1] إلى مُخاطبتك ولا انشرح صدري لمحادثتك ، لكنّه سببُ الإخاء وعَقْد المودّة ، ومحلُّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان . فقال له الغلام وهو لا يعرفه : لئن قلتَ ذلك أيّها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظّام : الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة ، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة ؛ وكِياني مائلٌ إلى كِيانك بكُلِّيّتي . ولو كان الذي انطوى عليه عَرَضاً لم أَعتَد به وُدّاً ، ولكنّه جوهر جسمي ؛ فبقاؤه ببقاء النفس ، وعَدَمُه بعَدَمها ؛ وأقول كما قال الهذليّ : [من الكامل]

فَتَيقَّني أَنْ قَـد كَلِفتُ بكـم ثـم افعَلي مـا شئتِ عن عِلمِ

---

1 أَنَبْتُ : رجعتُ .

فقال له النظّام : إنّما كلّمتك بما سمعتَ وأنت عندي غلام مُسْتَحْسَن ؛ ولو علمتُ أنّ محلّك مثلُ محلّ مَعْمَرٍ[1] وطَبَقتِه في الجَدَل لَمَا تعرّضتُ لك . قال أبو الحسن : ومن هذا أخذ أبو دُلَفَ قولَه : [من الوافر]

أُحِبُّكِ يا جِنــانُ وأَنتِ منّي … محــلَّ الرُّوح من جسد الجبانِ

ومن جيِّد شعره وله فيه صنعة قوله : [من البسيط]

صوت

في كلِّ يــومٍ أرى بيضاءَ طالعةً … كأنّمــا أُنبِتتْ في ناظــر البَصَرِ
لئن قَصَصْتُكِ بالمِقْراضِ عن بَصَرِي … لَمَا قطعتُكِ عن هَمِّي وعن فِكَري

[بلغه طروق الشراة وهو بالسرادن مع جارية له]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب قال حدَّثني أبي قال سمعت عبد العزيز بن دُلَف بن أبي دُلَف يقول : حدَّثتني ظَبْية جارية أبي قالت : إنّي لَمَعَهُ ليلةً بالسَّرادِنِ[2] وهو جالسٌ يشرَب معي وعليه ثيابٌ ممسَّكة ، إذ أتاه الصريخ بطروق الشُّراة أطرافَ عسكره ؛ فلبس الجَوْشَنَ ومضى فقتَل وأَسَر وانصرف إليّ في آخر الليل وهو يغنّي ، قالت : والشعر له : [من مجزوء الخفيف]

صوت

ليلتــي بــالسَّرادِنِ … كُلِّلــتْ بــالمحاسنِ
وجَــوارٍ أوانسٍ … كالظِّبــاءِ الشَّوادِنِ
بُدِّلــتْ بــالمُمَسَّكا … تِ ادِّراعَ الجَــواشِنِ

الشعر لأبي دُلَفَ . والغناء له رملٌ بالسبّابة في مجرى البنصر .

[خرج مع الإفشين لحرب بابك]

وقال أحمد بن أبي طاهر : كان أبو دُلَف القاسم بن عيسى في جملة مَنْ كان مع الإفْشين خَيْذَر بن كاوُوس لمّا خرج لمحاربة بابَك[3] ، ثم تنكّر له ؛ فوجّه يوماً بمن جاء به ليقتله . وبلَغ المعتصمَ الخبرُ ، فبعث إليه بأحمد بن أبي دُواد وقال له : أدْرِكْه ، وما أُراك تلحَقه ، فاحتَلْ في خَلاصه منه كيف شئتَ . قال ابنُ أبي دُواد : فمضيتُ رَكْضاً حتى وافيتُه ، فإذا أبو دُلَفَ واقفٌ بين يديه وقد أخَذ بيديه غلامان له تركيّان ، فرميتُ بنفسي على البِساط ، وكنت إذا

1 هو أبو عبيدة معمر بن المثنى .
2 السردان : موضع ببلاد فارس .
3 هو بابك الخرمي .

جئته دعا لي بمُصَلًّى ، فقال لي : سبحانَ الله ما حملك على هذا ؟ قلت : أنت أجلستني هذا المجلسَ . ثم كلّمتُه في القاسم وسألته فيه وخضعتُ له ، فجعل لا يزداد إلاّ غِلظةً . فلمّا رأيتُ ذلك قلت : هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرِّفْق به فلم ينفع ، وليس إلاّ أخْذُه بالرَّهْبة والصِّدْق ؛ فقمتُ فقلت : كَم تُراك قدَرتَ ! تقتُل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد ، وتُخالف أمره في قائد بعد قائد ؟ قد حملتُ إليكَ هذه الرسالة عن أمير المؤمنين ، فهاتِ الجوابَ ! . قال : فذلَّ حتى لصِق بالأرض وبانَ لي الاضطِرابُ فيه . فلمّا رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبي دُلَفَ وأخذتُ بيده ، وقلت لـه : قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين . فقال : لا تفعلْ يا أبا عبد الله . فقلت : قد فعلتُ . وأخرجتُ القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المعتصمَ . فلمّا بَصُر بي قال : بك يا أبا عبد الله وَرِيَتْ زِنادِي ، ثم ردّ عليّ خبري مع الإفشِين حَدْساً بظَنّـه مـا أخطأ فيه حرفاً ؛ ثم سألني عمّا ذكره لي وهو كما قال ، فأخبرتُه أنّه لم يخطىء حرفاً .

[أنكر عليه أحمد بن أبي دواد الغناء]

وقال عليّ بن محمّد حدَّثني جَدّي قال : كان أحمد بن أبي دواد يُنكر أمرَ الغناء إنكاراً شديداً . فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دُلَفَ يغنّي ؛ فقال : ما أُراه مع عقله يفعل ذلك . فستر أحمدَ بن أبي دُواد في موضع وأحضر أبا دُلَفَ وأمره أن يغنّي ، ففعل ذلك وأطال ؛ ثم أخرج أحمدَ بن أبي دُواد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ في وجهه . فلمّا رآه أحمد قال له : سَوْءةً لهذا من فِعل ! بعد هذه السِّنّ وهذا المحلّ تضع نفسَك كما أرى ؟ فخجِل أبو دُلَفَ وتشوّر[1] ، وقال : إنّهم أكرهوني على ذلك . فقال : هَبْهُم أكرهوك على الغِناء أفاكرهوك على الإحسان والإصابة ! .

[سمع المعتصم غناءه عند الواثق فمدحه]

قال عليّ وحدّثني جَدِّي : أنّ سبب مُنادمته للمعتصم أنّه كان نديماً للواثق ، وكان أبو دُلَفَ قد وُصِف للمعتصم فأحبّ أن يسمعه ، وسأل الواثقَ عنه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا على الفَصْد غداً وهم عندي . فقال له المعتصم : أُحِبّ ألاّ تُخفي عليّ شيئاً من خبركم . وفُصِد الواثق ، فأتاه أبو دُلَفَ وأتته رسل الخليفة بالهدايا ، وأعلمهم الواثق حضورَ أبي دُلَفَ عنده ؛ فلم يلبث أن أقبل الخَدَمُ يقولون : قد جاء الخليفة . فقام الواثق وكلّ مَنْ عنده حتى تَلَقَّوْه حين بـرَز من الدِّهْليز إلى الصَّحْن ؛ فجاء حتى جلس ، وأمَر بندماء الواثق فرُدُّوا إلى مجالسهم . قال حَمْدون[2] : وخَنَستُ عن مجلسي الذي كنتُ فيه لحَداثتي ؛ فنظر المعتصم

1 تشوّر : خجل .

2 هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب ، أوّل مَن نادم الخلفاء من أهله .

إلى مكاني خالياً ، فسأل عن صاحبه فسُمِّيتُ له ، فأمَر بإحضاري فرجعت إلى مكاني ، وأمَر بأن يُؤتَى بِرَطْلٍ من شرابه فأُتِي به ؛ فأقبل على أبي دُلَفَ فقال له : يا قاسم ، غَنِّ أميرَ المؤمنين صوتاً ؛ فما حَصِرَ ولا تثاقلَ وقال : أُغَنِّي أميرَ المؤمنينَ صوتاً بعينه أو ما اخترته ؟ قال : بل غَنِّ صنعتَك في شعر جرير : [من الكامل]

بـــانَ الخليطُ برامَتَيْنِ فودَّعوا

فغنّاه إيّاه . فقال المعتصم : أحسن ، أحسن ، ثلاثاً ، وشرب الرّطل ، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى وَالَى بين سبعة أرطال ،ثم دعا بحمار فركِبه ، وأمَر أبا دُلَفَ أن ينصرف معه ، وأمرني بالانصراف معهما ، فخرجتُ أسعَى مع رِكابه ، فثُبِّتُّ في نُدَمائه من ذلك اليوم ، وأمَر لأبي دُلَفَ بعشرين ألف دينار .

نسبة الصوت الذي غنّاه أبو دلف

صوت

[من الكامل]

بـانَ الخليطُ برامتَيْنِ فودّعوا ... أوَ كُلَّما اعتزموا لبينٍ تَجْزَعُ
كيف العَزاءُ ولم أجِدْ مذ غِبْتُمُ ... قلباً يَقَرُّ ولا شرابــاً يَنْقَــعُ

عَروضه من الكامل . الشعر لجرير ، والغناء لأبي دُلَفَ ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو بن بانة .

[ما كان من جعفر بن أبي جعفر مع حماد الراوية]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يستخفّ مُطِيعَ بن إيّاس ، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلةٌ حسنة . فذكر له مُطِيع بن إياس حمّاداً الراوية ، وكان مُطَّرَحاً مَجْفُوّاً في أيّامهم . فقال له : دَعْني ، فإنّ دولتي كانت في بني أميّة وما لي عنـد هـؤلاء خير . فأبى مُطيع إلاّ الذهابَ به إليه . فاستعار سواداً وسيفاً ؛ ثم أتاه فدخل على جعفر فسلَّم عليه وجلس . فقال له جعفر : أنْشِدْني . فقال : لَمن أيُّها الأمير ؟ قال : لجرير . قال حمّاد : فسلخ الله شعرَه أجمع من قلبي إلاّ قولَه : [من الكامل]

بـــانَ الخليطُ برامتيْن فودّعوا

فاندفعتُ أُنْشِده إيّاه حتى بلغتُ إلى قوله : [من الكامل]

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصَا ... هَـلاَّ هَزِئْـتِ بغيرنـا يـا بَوْزَعُ

قال حمّاد فقال لي جعفر : أعِدْ هذا البيتَ فأعدتُه ؛ فقال : إيش هو بَوْزَع ؟ قلتُ : اسم

امرأة . قال : امرأة اسمُها بَوْزَع ! هو بريءٌ من الله ورسوله ومن العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بَـوْزَع إلاّ غُـولاً من الغِيلان ! تركتَني والله يا هذا لا أنام اللّيل من فزع بَوْزَع ! يا غِلمان ، قَفاه . قال : فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا . ثم قال : جُرُّوا برجله ، فجرُّوا برجلي حتى أُخرِجتُ من بين يديه وقد تَخرَّق السوادُ وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً ممّا جرى من ذلك . وكان أغلظَ من ذلك عليّ غَرامتي السوادَ والسيف . فلمّا انصرف إليّ مُطِيع جعل يتوجّع لي . فقلت له : ألَم أُخبرك أنّي لا أُصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع مَن مضى من بني أُميّة ! .

رجع الحديث إلى أخبار أبي دُلَف .

[كان جواداً ممدّحاً وشعر علي بن جبلة فيه]

وكان أبو دُلَفَ جواداً ممدَّحاً ؛ وفيه يقول عليّ بن جَبَلة : [من الرمل]

إنّمــا الدُّنيــا أبــو دُلَفٍ ... بــين مَغْـزاهُ ومُحْتَضَرِهْ
وإذا وَلَّــى أبــو دُلَفٍ ... وَلَّــتِ الدُّنيــا على أَثَرِهْ

وهي من جيِّد شعره وحَسَن مدائحه . وفيها يقول :

ذادَ وِرْدَ الغَيّ عن صَدَرِهْ ... وارعوَى واللَّهوُ من وَطَرِهْ
نَدَمي أنّ الشَّبابَ مضَى ... لم أُبَلِّغْــهُ مَــدى أَشَرِهْ
حَسَرتْ عنّــي بَشاشتُه ... وذوَى المحمــودُ من ثَمرِهْ
ودَمٍ أهْــدرتُ من رَشَإٍ ... لم يُرِدْ عَقْلاً على هَدَرِهْ
فأَتــتْ دونَ الصِّبا هَنَةٌ ... قلبتْ فُوقـي على وَتَرِهْ[1]
دَعْ جَدا قَحْطانَ أو مُضَرٍ ... في يَمانِيــه وفي مُضَرِهْ
وامْتَدِحْ من وائــلٍ رجلاً ... عُصُرُ الآفـاقِ من عُصُرِهْ
المنايــا في مَقانِبِـــه ... والعطايــا في ذَرا حُجَرِهْ
مَلِــكٌ تنـدَى أناملُــه ... كانبلاجِ النَّوْء عن مَطَرِهْ
مستهلٌّ عـــن مَواهِبِـه ... كابتسام الرَّوْض عن زَهَرِهْ
جَبَـلٌ عـزّتْ مَناكِبُــه ... أمِنتْ عَدْنــانُ في نَفَرِهْ

1 الفوق من السهم : موضع الوتر .

إنّما الدُّنيـا أَبـو دُلَفٍ ... بـين مَغْـزاهُ ومُحتَضَرِهْ
فـإذا ولَّـى أَبو دُلَفٍ ... وَلَّـتِ الدنيـا على أَثَرِهْ
كلُّ مَنْ في الأَرض من عَرَبٍ ... بين بادِيـه إلى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منـه مَكرُمـةً ... يكتسيها يومَ مُفْتَخَـرِهْ

وهذان البيتان هما اللذان أَحفظا المأمونَ على عليّ بن جَبَلة حتى سلَّ لسانَه من قَفاه ، وقولُه في أَبي دُلَف أَيضاً : [من البسيط]

أَنـت الذي تُنزل الأَيّـامَ منزلَها ... وتَنْقُلُ الدَّهرَ مـن حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مَدى طَرْفٍ إلى أَحدٍ ... إلاّ قضيـتَ بـأَرزاقٍ وآجـالِ

وسنذكر ذلك في موضعه من أَخبار عليّ بن جبلة إن شاء الله تعالى ؛ إذ كان القصد هاهنا أَمرَ أَبي دُلَف .

[ذكرت قصّة له في الكرم وأُخرى لأَبي البختريّ]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : كنّا عند أَبي العبّاس المبرّد يوماً وعنده فتىً من ولد أَبي البَخْتَرِيّ وهْب بن وهب القاضي أمردُ حسنُ الوجه ، وفتىً من ولد أَبي دُلَفَ العِجْلِيّ شبيه به في الجمال . فقال المبرّد لابن أَبي البختريّ : أَعرف لجدّك قصّةً ظريفة من الكرم حسنةً لم يُسْبَقْ إليها . قال : وما هي ؟ قال : دُعِي رجلٌ من أَهل الأَدب إلى بعض المواضع ، فسقَوْه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه ؛ فقال فيهم : [من المتقارب]

نَبيـذانِ في مجلسٍ واحـدٍ ... لإيثـار مُثْـرٍ عـلى مُقْتِرِ
فلـو كان فعلُك ذا في الطعامِ ... لَزِمْـتَ قيـاسَك في المُسْكِرِ
ولـو كنتَ تطلبُ شأوَ الكرام ... صنعـتَ صنيعَ أَبـي البَخْتَرِي
تتبَّـعَ إخوانَـه في البـلاد ... فأَغنـى المُقِـلَّ عـن المُكْثِرِ

فبلغت الأَبياتُ أَبا البَخْتَرِيّ فبعث إليه بثلثمائة دينار . قال ابن عمّار : فقلت : قد فعل جَدُّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أَحسنُ من هذا . قال : وما فعل ؟ قلت : بلغه أَنّ رجلاً افتقر بعد ثروة ، فقالت له امرأته : افترضْ في الجند ؛ فقال : [من البسيط]

إليكِ عنّي فقـد كَلَّفْتِني شَطَطاً ... حَمْلَ السلاحِ وقِيلَ الدَّارعين قِفِ
تمشي المنايـا إلى غيرِي فأَكْرَهُها ... فكيف أَمشي إليها عارِيَ الكَتِفِ
حَسِبتِ أَنّ نفـادَ المـال غيّرني ... وأَنّ رُوحِيَ في جَنْبَيْ أَبي دُلَفِ

فأحضره أبو دُلَف ثم قال له : كم أمّلتِ امرأتُك أن يكون رزقُك ؟ قال : مائة دينار . قال : وكم أمّلتَ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك عليّ على ما أمّلت امرأتُك في مالنا دون مال السلطان ؛ وأمر باعطائه إيّاه . قال : فرأيتُ وجهَ ابن أبي دلف يتهلّل ، وانكسر ابن أبي البَخْتَرِيّ انكساراً شديداً .

[عاتب ابن جبلة على انقطاعه عنه فأجابه وردّ عليه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمّد بن يزيد المبرّد قال أخبرني عليّ بن القاسم قال : قال عليّ بن جَبَلة : زرتُ أبا دُلَفَ بالجَبَل [1] ، فكان يُظهر من إكرامي وبِرِّي والتّحفّي بي أمراً مُفْرِطاً ، حتى تأخّرتُ عنه حيناً حياءً . فبعث إليّ مَعْقِلَ بن عيسى ، فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعتَ عنّي ، وأحسبك استقللتَ بِرّي بك ، فلا يُغضبنك ذلك ، فسأزيد فيه حتى ترضَى . فقلت : والله ما قطعني إلاّ إفراطه في البرّ وكتبت إليه : [من الطويل]

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كفر نعمةٍ ... وهل يُرْتَجَى نَيْلُ الزيادة بالكفرِ
ولكنّني لمّا أتيتُك زائراً ... فأفرطتَ في بِرّي عجزتُ عن الشكرِ
فَمِ الانَ لا آتيك إلاّ مُسَلِّماً ... أزورُك في الشهرينِ يوماً أو الشهرِ
فإن زدْتَني بِرّاً تزايدتُ جفوةً ... ولم تلقَني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ

فلمّا قرأها مَعْقِل استحسنها جِدّاً وقال : أحسنتَ والله ؛ أمَا إنّ الأمير لتُعْجبه هذه المعاني . فلمّا أوصلها إلى أبي دُلَف قال : قاتله الله . ما أشعره وأدقّ معانيه ! فأعجبتْه فأجابني لوقته ، وكان حسنَ البديهة حاضر الجواب : [من الطويل]

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسَطتُه ... وآنستُه قبل الضِّيافة بالبِشْرِ
أتاني يرجّيني فما حال دونه ... ودون القِرَى والعُرْفِ من نائلي سِتْري
وجدتُ له فضلاً عليَّ بقَصْدِه ... إليَّ وبِرّاً زاد فيه على بِرِّي
فزوّدته مالاً يَقِلّ بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدومُ على الدَّهرِ

قال : وبعث إليّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليّ بألف دينار ؛ فقلت حينئذٍ : إنّما الدّنيا أبو دُلَفٍ . الأبيات .

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرني إبراهيم بن خَلَف قال : بينا أبو دُلَفَ

1 بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم .

يسير مع مَعْقِل ، وهما إذ ذاك بالعراق ، إذ مَرَّا بقَصْر ، فأشرفتْ منه جاريتان ؛ فقالت إحداهما للأخرى : هذا أبو دُلَفَ الذي يقول فيه الشاعر : [من الرمل]

إنّما الدنيا أبو دُلَفِ

فقالت الأُخرى : أَوَ هذا ؟ قد والله كنتُ أُحِبّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه . فالتفت أبو دُلَفَ إلى مَعْقِل فقال : ما أنصفنْا عليَّ بن جَبَلة ولا وفيناه حقّه ، وإنّ ذلك لمن كبير همّي . قال : وكان أعطاه ألفَ دينار .

صوت
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من البسيط]

أمّا القَطاةُ فإنّي سوف أَنعَتُها نعتاً يُوافق منها بعضَ ما فيها
سَكّاءُ مخطوبةٌ في رِيشها طَرَقٌ صُهْبٌ قَوادِمُها كُدْرٌ خَوافِيها[1]

عروضه من البسيط . والشعر مختلَف في قائله ، ينسب إلى أَوْس بن غَلْفاءَ الهُجَيْميّ والي مُزاحِم العُقَيْليّ إلى العبّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْديّ وإلى العُجَيْر السَّلُوليّ وإلى عمرو بن عُقَيل بن الحَجّاج الهُجَيْميّ وهو أَصحّ الأقوال ؛ رواه ثعلب عن أبي نَصْر عن الأصمعيّ . وعلى أنّ في هذه الروايات أبياتاً ليست ممّا يُغَنّى فيه وأبياتاً ليست في الرواية . وقد رُوِي أيضاً أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبياتَ فقال كلّ واحد منهم بعضاً . وأخبارُ ذلك وما يُحتاج إليه في شرح غريبه يُذْكَر بعد هذا . والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وفي هذين البيتين مع أبيات أُخَر من القصيدة اشتراكٌ كثيرٌ بين المغنّين يتقدّم بعضُ الأبياتِ فيه بعضاً ويتأخّر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيره . والأبياتُ تُكتَب هاهنا ثم تُنْسَب صنعةُ كلِّ صانع في شيء منها إليه ؛ وهي بعد البيتين الأوّلين ، إذ كانا قد مضيا واستُغْني عن إعادتهما : [من البسيط]

لمّا تبدّى لها طارت وقد علمتْ أنْ قد أظلّ وأنّ الحيّ غاشيها
تَشْتَقّ في حيث لم تُبْعِدْ مُصَعِّدةً ولم تُصَوِّبْ إلى أدنى مَهاويها[2]

1 السّكك : صغر الأذن ولصوقها بالرأس . المخطوبة : التي على لون الحنظلة إذا أخطبت أي اصفرّت وصارت فيها خطوط خضر . والطرق في الريش : أن يكون بعضه فوق بعض كأنّ الأعلى يلبس الأسفل .
2 تشتقّ : تقطع .

تَنْتاشُ صفــراءَ مطروقــاً بقيّتُها قد كاد يأزِي عن الدُّعْموصِ آزِيها
ما هاج عينَك أمْ قــد كاد يُبكيها من رَسْمِ دارٍ كسَحْقِ البُرْدِ باقيها[1]
فـلا غنيمة تُوفي بالذي وَعَـدتْ ولا فــؤادُك حتى الموتِ ناسِيها

لنشيط مولى عبد الله بن جعفر خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في «أمّا القطاة» والذي بعده ، و«تنتاش صفراء» خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولإبراهيم الموصليّ في «لما تبدّى لها» و«أمّا القطاة» خفيف رمل عن الهشاميّ . ولعمرَ الواديّ في «أمّا القطاة» ثقيلٌ بالوسطى . ولابن جامع «لما تبدّى لها» وبعده «أمّا القطاة» خفيفُ رمل . ولسِياط في الأوّل والثاني بعدهما «تشتقّ في حيث لم تبعد» خفيفُ ثقيل بالبنصر ، ومن الناس من ينسُب لحنَه إلى عمر الواديّ وينسب لحن عمر إليه . ولعَلّويه في «أمّا القطاة» والذي بعده رَمَلٌ هو من صدور أغانيه ومُقَدَّمِها . فجميع ما وجدتُه في هذه الأبيات من الصنعة أحَدَ عشرَ لحناً .

[تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة]

فأمّا خبر هذا الشعر ، فإن ابن الكلبيّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجَيْر السَّلُوليّ وأوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ ومُزاحِماً العقَيْليّ والعبّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْديّ وحُمَيْد بن ثَوْر الهلاليّ اجتمعوا فتفاخـروا بأشعارهم وتناشدوا وادّعى كلّ واحد منهم أنّه أشعر من صاحبه . ومرَّ بهم سِرْبُ قطاً ؛ فقال أحدهم : تعالَوْا حتى نَصفَ القَطا ثم نتحاكم إلى مَن نتراضى به ، فأيُّنا كان أحسنَ وصفاً لها غلَب أصحابَه ؛ فتراهنوا على ذلك . فقال أوْس بن غَلْفاء الأبيات المذكورة وهي «أمّا القطاة» . وقال حُميد أبياتاً وصف ناقتَه فيها ، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال : [من الطويل]

كما انصَلتتْ كَدْراءُ تسقي فِراخَها بشَمْظَةَ رِفْهــاً والميــاهُ شُعُوبُ[2]
غدتْ لم تُباعِدْ في السماء ودونَها إذا مــا علــتْ أُهْوِيَّــةٌ وصَبُوبُ[3]
قرينــةُ سَبْـعٍ إنْ تَواتَـرن مَـرّةً ضَرَبْــن فصَفّتْ أرؤس وجُنوبُ
فجاءتْ وما جاء القطا ثم قَلّصت بمَفْحَصِهــا والوارداتُ تَنوبُ[4]

1 السحق : الثوب البالي .
2 انصلتت : أسرعت في السّير . شمظة : موضع بعكاظ ، وهو الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيّام الفجار . الرّفه : أقصر الورد ، وهو أن ترد الإبل الماء كلّ يوم أو متى شاءت . الشعوب : البعيدة .
3 الأهوية : الهاوية . الصبوب : منحدر الوادي .
4 قلصت : انضمّت وانزوت . المفحص : مجثم القطاة . الواردات تنوب : أي الواردات للماء ترجع .

وجاءت ومَسْقاها الذي وردتْ به ... إلى الصَّدْرِ مشدودُ العِصامِ كَتِيبُ[1]
تُبادر أُطفالاً مساكينَ دونها ... فَلاً لا تَخَطّاه العيونُ رَغِيبُ[2]
وصَفَنَ لها مُزْناً بأرضٍ تَنُوفةٍ ... فما هي إلاّ نَهْلةٌ وتؤوبُ

وقال العبّاس بن يزيد بن الأسود ، هكذا ذكر ابن الكلبيّ ، وغيره يرويها لبعض بني مُرَّة : [من البسيط]

حَذّاءُ مُدْبِرةً سَكّاءُ مقبلةً ... للماء في النحر منها نَوْطةٌ عَجَبُ[3]
تسقي أُزَيْغِبَ تُرويه مُجاجتها ... وذاك من ظَمْأةٍ من ظِمْئها شَرَبُ[4]
مُنْهَرِت الشِّدقِ لم تَنْبُتْ قَوادِمُه ... في حاجب العين من تسبيده زَبَبُ[5]
تدعو القَطا بقصير الخطوِ ليس له ... قُدّامَ مَنْحَرِها ريشٌ ولا زَغَبُ
تدعو القَطا وبه تُدْعى إذا انتسبتْ ... يا صِدْقَها حين تدعوه وتنتسبُ

وقال مُزاحِم العُقَيليّ : [من الطويل]

أذلكَ أم كُدْرِيّةٌ هاجَ وِرْدَها ... من القيظ يومٌ واقِدٌ وسَمُومُ
غدتْ كَنواةِ القَسْبِ لا مُضْمحِلّةٌ ... وَناةٌ ولا عَجْلَى الفُتور سئومُ[6]
تُواشِكُ رَجْعَ المَنْكِبين وترتمي ... إلى كَلْكَلٍ ، للهاديات قَدُومُ[7]
فما انخفضتْ حتى رأتْ ما يسرُّها ... وفَيْءُ الضُّحَى قد مال فهو ذميمُ
أَباطِح وانتصَّتْ على حيث تستقي ... بها شَرَكٌ للواردات مُقِيمُ[8]
سقَتْها سيولُ المُدْجِناتِ فأَصبحتْ ... عَلاجِيم تَجْري مرّةً وتدومُ[9]
فلمّا استقتْ من بارد الماء وانجلَى ... عن النفس منها لَوْحةٌ وهمومُ[10]

---

1 العصام : حبل تشدّ به القربة . كتيب : مخروز .
2 رغيب : واسع .
3 الحذّاء : القصيرة الذنب . النوطة : الحوصلة .
4 الظمء : ما بين الشربين والوردين .
5 التسبيد : أوّل ظهور ريش الفرخ . الزبب : كثرة الزغب .
6 القسب : تمر يابس يتفتّت في الفم صلب ونواه شديد قوي . الوناة : البطيئة القيام والقعود .
7 الهادية : المتقدّمة .
8 انتصّت العروس إذا جلست على المنصّة لترى .
9 العلاجيم : جمع علجوم وهو الماء الغمر الكثير . وتدوم : تسكن .
10 اللوحة : العطشة .

دعتْ باسمها حين استقتْ فاستقلّها قَوادِمُ حُجْنٌ رِيشُهنّ مليمُ[1]
بجَوزٍ كحُقٍّ الهاجريّة زانَه بأَطراف عود الفارسيّ وُشُومُ[2]

يعني حُقّ الطيب . شبّه حوصلتها به . والوشوم يعني الشِّيّة التي في صدرها :

لتسقيَ زُغْباً بالتَّنوفةِ لم يكن خِلافَ مُوَلاَّها لهنّ حميمُ
تَرائكَ بالأَرضِ الفَلاة ومن يَدَعْ بمنزلها الأَولادَ فهوَ مُلِيمُ
إذا استقبلتْها الريحُ طَمّتْ رفيقةً وهُنَّ بمهْوىً كالكُراتِ جُثُومُ[3]
يُراطِنّ وَقْصاءَ القَفا وَحشةَ الشَّوَى بدعوى القَطا لَحْنٌ لهنّ قديمُ[4]
فبِتْنَ قَرِيراتِ العيونِ وقد جرى عليهنّ شِرْبٌ فاستقَيْن مُنِيمُ[5]
صَبِيبُ سِقاءٍ نِيطَ قد بَرَكَتْ به مُعاوِدةٌ سَقْيَ الفِراخِ رَؤُومُ

وقال العُجَيْر ، فيما روى ابن الكلبيّ ، وقد تروى لغيره : [من الوافر]

سأَغلِبُ والسماءِ ومَنْ بناها قَطاةَ مُزاحِمٍ ومَنِ انتحاها
قَطاةُ مُزاحِمٍ وأَبي المُثَنَّى على حُوزيّةٍ صُلْبٍ شَواها
غدتْ كالقَطْرةِ السَّفْواءِ تَهْوِي أَمامَ مُجَلْجِلٍ زَجِلٍ نَفاها[6]
تَكَفَّأُ كالجُمانةِ لا تُبالي أَبالموماةِ أَضحتْ أم سِواها
نبتْ منها العَجيزةُ فاحزأَلّتْ ونَبّسَ للتقتُّلِ مَنْكِباها[7]
كأنّ كعوبها أَطرافُ نَبْلٍ كساها الرَّازقيّةَ مَنْ بَراها[8]

قال : واحتكموا إلى ليلى الأَخيليّة ، فحكمت لأَوْس بن غَلْفاء .

وأَخبرني أَحمد بن عُبيد بن عَمّار قال حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن مُحْرِزٍ

---

1 حجن : عوج .
2 الهاجرية : المرأة الحضرية .
3 طَمّت : أسرعت . وهن بمهوىً كالكُراتِ جُثُوم في ل : وإن نكبتها الريح فهي سقوم .
4 الوقصاء : القصيرة . وحشة في ل : حمشة .
5 في ل :
دعتهن عجلاً فانتحَين لصوتها وهنّ بمهوى كالكرات جثوم
6 السفواء في ل : السجراء . والسفواء : السريعة . المجلجل من السحاب : الذي فيه صوت الرعد . وغيث زجل : لرعده صوت .
7 احزألت : ارتفعت . نبس : تحرك . التقتّل : التثنّي والتبختر .
8 الرازقية : ثياب كتّان أبيض .

الباهليّ قال حدَّثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حُمَيْد بن ثور والعُجَير السَّلُوليّ ومُزاحِم العُقَيْلِيّ وأوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ أنّهم تحاكموا إلى ليلى الأخيليّة لمّا وصفوا القطاة أيُّهم أحسنُ وصفاً لها : فقالت : [من الطويل]

ألا كلُّ ما قال الرُّواة وأنشدوا ... بها غيرَ ما قال السَّلُوليُّ بَهْرَجُ

وحكمتْ له . فقال حُمَيْد بن ثَوْر يهجوها : [من الطويل]

كأنّكِ وَرْهاءُ العِنانَيْنِ بغلةٌ ... رأت حُصُناً فعارضتْهنّ تَشْحَجُ

ووجدت هذه الحكاية عن أبي عُبيدة مذكورةً عن دَماذ عنه وأنّه سأله عن أبيات العُجَير فأنشده : [من الطويل]

تجوبُ الدُّجَى سَكّاءُ من دون فَرْخِها ... بمَطْلَى أريكٍ نَفْنَفٌ وسُهوبُ[1]
فجاءت وقَرْنُ الشمسِ بادٍ كأنّه ... هِجانٌ بصحراء الخُبَيْبِ شَبُوبُ[2]
لِتسقيَ أفراخاً لها قد تبلّلتْ ... حلاقيمُ أسماطٌ لها وقلوبُ[3]
قِصارُ الخُطا زُغْبُ الرؤوسِ كأنّها ... كُراتٌ تَلَظَّى مرّةً وتَلوبُ[4]

فأمّا ما ذكرتُ من رواية ثَعْلب في الأبيات التي فيها الغناءُ فإنّه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعيّ أنّ أبا الحُضَيْر أنشده لعمرو بن عُقَيْل بن الحَجّاج الهُجيميّ : [من البسيط]

أمّا القطاةُ فإنّي سوف أنعَتُها ... نعتاً يُوافِقُ نعتي بعضَ ما فيها
صفراءُ مطروقةٌ في رِيشها خَطَبٌ ... صُفْرٌ قوادمُها سُودٌ خَوافِيها
مِنْقارُها كنَواة القَسْبِ قَلَّمَها ... بمِبرَد حاذقُ الكفَّين يَبْرِيها
تمشي كمَشْيِ فتاةِ الحيّ مسرعةً ... حذارَ قومٍ إلى سِتْرٍ يُواريها

قال الأصمعيّ : مطروقة يعني أنّ ريشها بعضه فوق بعض . والخَطَب : لون الرماد ، يقال للمشبَّه به أخطب : [من البسيط]

تَنْتاشُ صفراءَ مطروقاً بقيَّتُها ... قد كاد يَأْزِي عن الدُّعْموص آزِيها

---

1 المَطْلى : مسيل ضيّق من الأرض . أريك : واد بديار بني مرّة . النفنف : المفازة . السّهوب : الفلوات .
2 هجان : أبيض . الخبيب : موضع . وشبوب : تجاوز رجلاه يديه في العدْو
3 حلاقيم : أسماط أي لا سمة فيها .
4 تلوب : تعطش .

تنتاش : تتناول بقيّة من الماء . والمطروق : الماء الذي قد خالطه البول . وقوله : يأزي أي يَقِلّ عن الدّعموص فيخرج منه لقلّته . والدّعموص : الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص :

تسقي رَذِيَّيْنِ بالمَوْماةِ قُوتُهما   في ثُغْرةِ النَّحْرِ من أَعلى تَراقِيها

الرذيّ : الساقط من الضعف . يعني فرخيها .

كأنّ هَيْدَبةً من فوق جُؤْجِئها   أو جِرْوُ حَنْظلةٍ لم يعدُ راميها[1]

جرو الحنظل : صغاره . وقوله : لم يعدُ من العَداء ، أي لم يعد عليها فيكسرها .

تَشْتَقّ مـن حيث لم تُبْعِدْ مُصَعِّدة   ولم تُصَوِّبْ إلى أدنـى مَهاويها

حتى إذا استأنسا للوقت واحتَضرت   تَوَجَّسا الوَحْيَ منها عند غاشِيها[2]

ويروى : حتى إذا استأنسا للصوت . وتوجّسا : تسمّعا . وَحْيها أي سُرْعة طيرانها . وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما .

تَرَفَّعـا عـن شؤون غير ذاكيـةٍ   على لَدِيدَيْ أَعالي المَهْدِ أُدْحِيها[3]

الذاكية : الشديدة الحركة . والمهد : أفحوصها . ولديداه : جانباه .

مَـدّا إليهـا بأفـواهٍ مُزَيَّنـةٍ   صُعْداً ليستنزلا الأرزاقَ مِنْ فِيها

كأنّها حـين مَدّاهـا لجَنْأتها   طَـلى بَواطنَهـا بـالوَرْسِ طالِيها

جَنْأتها أي جنأت عليهما بصدرها لتَزُقّهما .

حِثْلَيْن رَضّا رُفاضَ البَيْضِ عن زَغَبٍ   وُرْقٌ أسافلُهـا بيضٌ أعـالِيها[4]

حِثْلَيْنِ : دقيقين ضاويين . رَضّا : كسرا . والرُّفاض : ما ارفضّ وتفرّق .

تَـرَأّدا حـين قامـا ثُمّتَ احتطبا   عـلى نَحائـفَ مُنْـآدٍ مَحانيها

ترأّدا : تثنّيا . واحتطبا . دَنَوا . والمنآد : المنعطف . ومَحانيها : حيث انحنت .

تكـاد مـن لِينها تنـآد أسْؤُقُها   تَـأوُّدَ الرَّبْـل لم تَعـرِمْ نواميها[5]

---

1 الهيدبة : خمل الثوب .

2 احتضرت : حضرت .

3 الأدحى : موضع البيض الذي يفرخ فيه .

4 الورقة : سواد في غبرة .

5 الربل : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطّرت بورق أخضر من غير مطر .

تعرم : تشتدّ . ونواميها : أعاليها :

لا أشتكي نَوْشَةَ الأَيّام من وَرَقٍ ... إلاَّ إلى مَنْ أرى أن سوف يُشْكِيها
لِدِلْهِمٍ مأثُراتٌ قد عُدِدْن له ... إن المآثِرَ معدودٌ مَساعيها
تَنْمِي به في بني لأيٍ دَعائمُها ... ومن جُمانة لم تخضَعْ سَوارِيها
بنَى له في بيوت المجد والدُه ... وليس مَنْ ليس يَبْنِيها كبانيها

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمّد الضُّبعيّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال : وجدتها بخطّ محمّد بن داود بن الجرّاح عن إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ شيخنا رحمه الله عن أُخيه عن أبي محلّم مثل رواية ثعلب وزاد فيها : قال أبو محلّم : جُمانة ابن جرير بن عبد ثَعْلبة بن سَعْد بن الهُجَيْم ، وهم أخوال دِلْهِم هذا الممدوح . ودلهم من بني لأْيٍ ثم من بني يَزيد بن هِلال بن بَذْل بن عَمْرو بن الهَيْثَم ، وكان أَحدَ الشُّجعان ، وهو قتَل الضحّاك[1] بن قيس الخارجيّ بيده مع مروان بن محمّد ليلة كَفَرْتُوثا[2] .

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من الخفيف]

أيُّها القلبُ لا أَراكَ تُفيق ... طالما قد تعلّقتْك العُلوقُ[3]
مَنْ يكن من هوى حبيبٍ قريباً ... فأنا النازحُ البعيدُ السَّحيقُ
قُدِّرَ الحبُّ بيننا فالتقينا ... وكِلانا إلى اللقاء مَشُوقُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره . والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُريج ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه أيضاً لُمخارق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه لعَلّويه رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشاميّ . وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة ، ليس ممّن خدم الخلفاء ولا الأكابر ، ولا أَعلم له خبراً فأذكُرَه[4] .

---

1 أي الضحاك بن قيس الشيباني .
2 كفرتوثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة .
3 العلق : الهوى والحبّ .
4 في ل : ولا مرّ بي في ما أحفظ له خبر فأذكره .

صوت
من المائة المختارة

[من الخفيف]

مَـنْ لِقَلْبٍ أَضحَى بكم مُستهاما ... خائفـاً للوُشاةِ يُخفْـي الكلاما
إنّ طَـرْفي رسولُ نفسي ونفسي ... عن فؤادي تقـرا عليك السلاما

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكُرَ خبره . والغناء لرياض جارية أبي حمّاد خفيف ثقيل بالوسطى . وكان أبو حمّاد هذا أحد القوّاد الخُراسانيّة ومن أولاد الدُّعاة ، وكان يُعاشر إسحاق ويَبَرّه ويُهاديه ، فأخذت رياضُ عنه غناءً كثيراً ؛ وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية ؛ وأحبّ إسحاق أن ينوِّه باسمها ويرفعَ من شأنها ، فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاءً لحقّ مولاها . وليس فيما قلته في هذا لأنّ الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره ؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممّن كان يودّه ويتعصَّبُ له مثل مُتَيَّمَ وفريدة وأبي دُلَفَ وغيرهم . ومن يعلم هذه الصناعة يعرفْ صحّةَ ما قلناه . وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شُهِرت ولا رُوِي لها خبر .

صوت
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من الخفيف]

راح صحبي وعاود القلبَ داءُ ... مـن حبيبٍ طِلابُـه لي عَناءُ
حَسَنُ الرأي والمواعيدِ لا يُلْـ ... ـفَى لشيء ممّـا يقولُ وفاءُ
مَـنْ تَعزّى عمّـن يحبّ فإنّي ... ليس لي مـا حَيِيتُ عنه عزاءُ
أُمَّ عثمان قـد قتلـتِ قتيلاً ... عَمْـدَ عَيْنٍ قتلتِـه لا خَطاءُ

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكرَه . والغناء لنافع بن طُنْبورة ، ولحنه المختار خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وفي هذا الشعر لحنٌ لعبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ من جيِّد صَنْعته ، وكان نسبه إلى لَمِيسَ جاريته ، وله خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا .

[نبذة عن نافع بن طنبورة]

وكان نافع بن طُنبورة يُكنَى أبا عبد الله ، مُغَنٍّ محسنٌ من أهل المدينة ، حسن الوجه نظيف الثوب ، يلقّب نَقْشَ الغَضار لحسنِ وجهه . وجعلتْه جميلة في المرتبة ، لمّا اجتمع المغنّون إليها ، بعد نافع وبُدَيح وقبل مالك بن أبي السَّمْح . وغنّاها يومئذٍ : [من مجزوء البسيط]

يـا طُولَ ليـلي وبِتُّ لم أَنَـمِ وِسادِيَ الهَـمُّ مُبطِـنٌ سَقَمي
أنْ قمتُ يوماً على البَلاطِ وأبـ ـصرتُ رَقاشاً فليـتَ لم أَقُمِ

فقالت جميلة : أحسنت والله يا نَقْش الغَضار ويا حلو اللسان ويا حسنَ البيان ! . ولم يفارق ابن طُنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا انتجعهم بصنعة فخمَل ذكره .

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من مجزوء الكامل]

عَتَق الفـؤادُ مـن الصِّبا ومن السَّفاهـةِ والعَـلاقِ
وحططتُ رحلي عـن قَلُو ص الغـيّ في قُلُص عِتاقِ
ورفعتُ فضلَ إزاريَ الْـ ـمَجرور عن قدمي وساقي
وكَفَفْتُ غَرْبَ النفسِ حتـ ـى مـا تتوقُ إلى مَتاقِ

الشعر لسَعِيد بن عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت . والغناء لابن عَبّاد الكاتب ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنّه لغيره .

[118] ـ أخبار سعيد بن عبد الرحمن

[سعيد بن عبد الرحمن ومنزلته في الشعر]

وقد مضى نسبُه في نسب جَدّه حسّان بن ثابت متقدّماً . وهو شاعر من شعراء الدولة الأُمويّة . متوسِّطٌ في طبقته ليس معدوداً في الفحول . وقد وفد إلى الخلفاء من بني أُميّة فمدحهم ووصَلوه . ولم تكن له نباهةُ أَبيه وجدّه .

[وفد على هشام فلم ينل منه ودعاه الوليد فأكرمه]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أَحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدَّثني أَبو عمرو الخَصّاف عن العُتْبيّ قال : خرج سَعِيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسأَلهم مُعاونتَه ، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً . وكان الوليد بن يزيد قد طلَّق امرأَتَه العثمانيّة ليتزوّج أختَها ، فمنعه هشام عن ذلك ونهـى أباها أَن يزوِّجه . فمرّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركبَ ؛ فلمّا رآه وقف ؛ فأَمر به الوليد فدُعي إليه ؛ فلمّا جاءه قـال : أَنـت ابن عبدِ الرحمن بن حسّان ؟ قال : نعمْ أَيُّها الأَمير . فقال له : ما أَقْدَمَكَ ؟ قال : وفدتُ على أَمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحِبتُهم من أَهله ، فلم أَنلْ منه حُظوةً ولا قبولا . قال : لكنّك تجد عندي ما تُحِبّ ، فأَقِمْ حتى أَعود . فأَقام ببابه حتى دخل إلى هشامٍ . وخرج من عنده ؛ فنزل ودعا بسعيد ، فدخل إليه ، فأَمَر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه ؛ ثم قال له : أَنشِدْني قصيدةً بلغتْني لك فشوّقتْني إليك ، وغُنِّيتُ في بعضها ، فلم أَزَل أتمنَّى لقاءك . فقال : أيّ قصيدة أَيّها الأَمير ؟ قال قولك : [من الطويل]

أَبائنــةٌ سُعْدَى ولم تُــوفِ بالعَهْدِ ولم تَشْفِ قلبــاً تيّمتْه على عَمْدِ
نَعَمْ أَفَمُودٍ أَنت إن شَطّتِ النَّوَى بسُعْدَى وما من فُرقةِ الدَّهرِ من رَدِّ
كأَنْ قد رأَيتَ البينَ لا شيءَ دونه فَمِ الآنَ أَعْلِنْ ما تُسِرّ من الوجدِ
لعلّك منها بعـد أَن تَشْحَطَ النَّوى مُلاقٍ كما لاقى ابنُ عَجْلانَ من هندِ[1]
فوَيْلُ اَمِّ سَلْمَـى خُلَّـةً غيرَ أَنّها تُبَلِّغ منّـي وهـي مازحـةٌ جِدِّي

1 ابن عجلان : هو عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب ، جاهلي يضرب به المثل في العشق . وهند هي بنت كعب بن عمرو بن الليث النهديّ .

وتدنو لنـا في القول وهي بعيدةٌ فما إنْ بسَلْمَى من دُنُوٍّ ولا بُعْدِ
ومهما أكُنْ جَلْداً عليـه فإنّنـي على هَجْرِها غيرُ الصَّبورِ ولا الجَلْدِ
إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ به فجانبتُه فيمـا أُسِرّ ومـا أُبْدي[1]
كأنّي أرى في هجرها ، أيَّ ساعةٍ هَمَمْتُ به ، موتي وفي وصلها خُلْدي
ومن أجلِها صافَيْتُ مَنْ لا تَرُدّني عليه لـه قُرْبَى ولا نعمةٌ عندي
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَذَى يقولون أقوالاً أمَضُّوا بها جِلْدِي
وأقصَيتُ مَنْ قد كنتُ أُدْني مكانَه وأدنيتُ من قد كنتُ أقصيتُه جَهْدِي
فإن يَكُ أمسى وصلُ سَلْمَى خِلابةً فمـا أنا بالمفتونِ في مثلِها وحدي
فأصْبحَ مـا مَنَّتْكَ دَيْنـاً مُسَوَّفاً لواه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جَحْدِ
تجودُ بتقريبِ الذي هـو آجـلٌ مـن الوعد ممطولٌ وتبخَل بالنَّقْدِ
وقد قلـت إذ أهدَتْ إلينا تحيّـةً عليها سلامُ اللهِ من نازح مُهْدِي
سقى الغيثُ ذاك الغورَ ما سكنتْ به ونجداً إذا صارت نَواها إلى نجدِ

قال : فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خَدَّيه حتى فرَغ منها . ثم قال له : لن تحتاجَ إلى رِفْد أحد ولا معونتِه ما بَقِيتُ ، وأمر له بخمسمائة درهم ، وقال : ابعَثْ بها إلى أهلك وأقِم عندي ، فلن تعدَم ما تُحِبّه ما بَقيت . فلم يزل معه زماناً ، ثم استأذنه وانصرف .
وفي بعض هذه الأبيات غناءٌ نِسْبتُه : [من الطويل]

صوت

أبائنةٌ سُعْدَى ولم تُـوفِ بالعهدِ ولم تَشفِ قلباً أقصدتْه على عَمْدِ
ومهما أكـنّ جلـداً عليـه فإنّني على هجرها غيرُ الصَّبور ولا الجَلْدِ

الغناء لمالك خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . ومن هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

وأغضيتُ عيني من رجال على القَذَى يقولون أقوالاً أمَضُّوا بهـا جِلْدي
[وَمِنْ أجلِها صافيتُ مَنْ لا تَردَّني عليه لـه قُرَبى ولا نعمـةٍ عَنْدي]
إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ به فجانبتـه فيمـا أُسِرّ ومـا أُبـدِي

الغناء لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

1 قُطِعت : كلّت وأعيت .

[قصّته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدَّثنا أحمد بن زهَير قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمّي ومحمّد بن الضحّاك بن عثمان قالا : وفَد سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان على هشام بن عبد الملك وكان حسنَ الوجه ؛ فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فأراده على نفسه ، وكان لُوطِيّاً زِنْدِيقاً ؛ فدخل سعيد على هشام مُغْضَباً وهو يقول : [من الرمل]

إنّـــه واللهِ لــولا أنــــتْ لم ... ينجُ منّي سالماً عبــدُ الصَّمَدْ

فقال له هشام : ولماذا ؟ قال :

إنّـــه قـــد رام منّـــي خُطّـــةً ... لم يَرُمْهـــا قبلــه منّـــي أحدْ

فقال : وما هي ؟ قال :

رامَ جهلاً بـــي وجهلاً بأبي ... يُدْخِلُ الأفعى إلى خِيسِ الأَسَدْ

قال : فضحِك هشامٌ وقال له : لو فعلتَ به شيئاً لم أُنكر عليك .

[سأل أبا بكر بن محمّد حاجة لدى سليمان بن عبد الملك فلم يقضها]

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدَّثني عمر بن شَبّة قال أخبرنا ابن عائشة : لا أعلمه إلاّ عن أبيه وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمّد قال حدَّثنا الرياشي عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان صديقاً له حاجةً ، وقال هاشم بن محمّد في خبره : سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْم حاجةً ، يكلّم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يَقْضِها له ، ففَزِع فيها إلى غيره فقضاها ؛ فقال : [من الطويل]

سُئلتَ فلم تفعلْ وأدركتُ حاجتي ... تولّى سواكم حَمْدَها واصطناعَها

أَبى لك كَسْبَ الحمد رأيٌ مُقصِّرٌ ... ونفسٌ أُضاق اللهُ بـالخير باعَها

إذا مـــا أرادته على الخير مـــرّةً ... عصاها وإن هَمَّـــتْ بشرٍّ أطاعها

قال ابن عمّار : وقد أنشَدنا هذه الأبياتَ سليمان بن أَبي شَيْخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبراً .

[مدح عديّ بن الرقاع شعره]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ عن ابن عائشة قال : قال رجلٌ من الأنصار لعَدِيّ بن الرِّقاع : أَكتِبْني شيئاً من شعرك . قال : ومن أيِّ العرب أَنت ؟ قال : أنا رجلٌ من الأنصار . قال : ومَنْ منكم القائل : [من الكامل]

إنّ الحَمامَ إلى الحجازِ يَهيجُ لي ... طَرَباً تَرَنُّمُهُ إذا يَتَرَنَّمُ
والبرقُ حين أَشيمُه مُتيامِناً ... وجنائبُ الأَرواحِ حين تَنَسَّمُ

فقال له : سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . فقال : عليكم بصاحبكم فاكتُبْ شعره ، فلستَ تحتاج معه إلى غيره .

وفي أوّل هذه القصيدة غناءٌ نِسْبَتُه : [من الكامل]

صوت

بَرِحَ الخفاءُ فأيَّ ما بك تَكتُمُ ... والشَّوْقُ يُظْهِرُ ما تُسِرّ فيُعْلَمُ[1]
وحملتَ سُقْماً من علائِقِ حبِّها ... والحبُّ يَعْلَقُه الصحيحُ فيَسْقَمُ

الغناء لحَكَم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكره إبراهيم له ولم يجنّسه . وفي هذه القصيدة يقول :

علويّةٌ أمستْ ودون وِصالِها ... مضمارُ مصرَ وعابِدٌ والقُلْزُمُ[2]
خَوْدٌ تُطِيفُ بها نواعمُ كالدُّمَى ... ممّا اصطفى ذو النِّيقةِ المتوسِّمُ[3]
حُلِّينَ مَرْجانَ البحورِ وجوهراً ... كالجمرِ فيه على النحور يُنَظَّمُ
قالت وماءُ العينِ يغسِلُ كحلَها ... عند الفِراق بمستهلٍّ يَسْجُمُ
يا ليتَ أنّك يا سعيدُ بأرضِنا ... تُلْقي المَراسيَ ثاوياً وتُخيِّمُ
فتُصيبَ لذّةَ عيشِنا ورخاءَه ... فنكون أجواراً فماذا تَنْقِمُ
لا تَرجِعَنّ إلى الحجازِ فإنّه ... بلدٌ به عيشُ الكريمِ مذمَّمُ
وهَلُمَّ جاوِرْنا فقلت لها اقْصِري ... عيشٌ بطَيْبَةَ ويحَ غيرِكِ أَنعَمُ
أيُفارَقُ الوطنُ الحبيبُ لمنزلٍ ... ناءٍ ويُشْرَى بالحديثِ الأَقدَمُ
إنّ الحمامَ إلى الحجازِ يَهيجُ لي ... طَرَباً تَرَنُّمُه إذا يترنَّمُ
والبرقُ حين أشيمُه متيامناً ... وجنائبُ الأَرواحِ حين تَنَسَّمُ
لو لَجّ ذو قَسَمٍ على أنْ لم يكن ... في الناسِ مُشْبِهُها لبَرّ المُقْسِمُ
من أَجلها تَرْكِي القَرارَ وخَفْضَه ... وتَجَشُّمي ما لم أكن أتَجَشَّمُ

---

1 والشوق في ل : ولسوف .
2 عابد : جبل بمصر ، وقيل : موضع أو صقع بها .
3 النيقة : اسم للتفوّق أي التخيّر .

ولقد كتمتُ غداةَ بانتْ حاجـةً ... في الصدر لم يعلـم بهـا متكلِّمُ
تَشفي برؤيتهـا السقيمَ وترتمي ... حَبَّ القلـوب ، رَمِيُّها لا يَسْلَمُ
رَقْراقـةٌ في عُنْفـوان شَبابهـا ... فيها عـن الخُلُـق الدَّنيِّ تَكَرُّمُ
ضَنَّتْ على مُغْـرىً بطولِ سؤالها ... صَـبٌّ كما يَسَلُ الغَنِـيَّ المُعْدِمُ

[سأل عنبسة بن سعيد أن يكلّم له الخليفة فتأخّر فسرق متاعه فقال شعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبو مُسْلِم عن الحِرمازيّ قال : خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك ، فأتى عنبسة بن سَعِيد بن العاصي ، وكان أبوه صديقاً لأبيه ، فسأله أن يرفع أمرَه إلى الخليفة ؛ فوعده أن يفعل ؛ فلم يمكث إلاّ يسيراً حتى طرَقه لِصٌّ فسرَق متاعَه وكلّ شيء كان معه ؛ فأتى عنبسة فتنجَّزه ما وعده ؛ فاعتلَّ عليه ودافَعه ؛ فرجع سعيد من عنده فارتجل وقال : [من المتقارب]

أعَنْبَسُ قـد كنت لا تَعْتَزي ... إلى عِدَةٍ منك كانت ضَلالا[1]
وعدتَ عِـداتٍ لَوَ انجزتَها ... إذاً لحُمِـدْتُ ولم تُرْزَ مالا[2]
وما كان ضَرَّكَ لو قد شفعتَ ... فأعطى الخليفةُ عفواً نَوالا
وقـد يُنْجِـزُ الحـرُّ موعودَه ... ويفعل مـا كان بالأمسِ قالا
فياليتنـي والمُنـى كاسمِهـا ... وقد يصرِف الدَّهرُ حالاً فحالا
قعدتُ ولم ألتمسْ ما وعدتَ ... ويا ليت وعـدَك كان اعتلالا
وكانت نَعَـمْ منكَ مخزونةً ... وقلت مِـنَ اوّل يـومٍ ألالا
أرى كذِبَ القولِ من شرِّ ما ... يُعَدّ إذا الناسُ عَدُّوا الخِصالا
فأبقيـتَ لي عنـكَ مندوحةً ... ونفساً عَزُوفـاً تُقِلّ السؤالا
فإن عـدتُ أرجوكُمُ بعدَها ... فبُدِّلـتُ بعـد العَلاء السَّفالا
أأرجوكَ من بعد ما قد عَزَفْتَ ... لَعَمْري لقد جئتُ شيئاً عُضالا

[لقي الوليد لمّا حجّ فاستأنس به الوليد]

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ يأثُره عن أبيه قال : كان سَعِيد بن عبد الرحمن بن حسّان إذا وفَد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد ، فأحسن نُزُلَهُ وأعطاه وكساه

1 تعتزي : تنتسب .
2 تُرْزَ : أصلها ترزأ .

وشفَع له . فلمّا حَجَّ الوليد لَقِيه سعيد بن عبد الرحمن في أوّل مَنْ لقِيه ، فسلّم عليه ، فردّ الوليد عليه السلامَ وحيّاه وقرّبه وأمر بإنزاله معه وبسَطه ، ولم يأنس بأحد أنسَه به . وأنشده سعيدٌ قولَه فيه : [من الخفيف]

يا لَقَوْمِي لِلهَجْرِ بعد التَّصافي وتَنائـي الجميع بعـد ائتلافِ
ما شجا القلبَ بعد طول اندمال غيرُ هـابٍ كالفَرْخ بين أثافي[1]
ونعيبِ الغراب في عَرْصةِ الدا رِ ونُؤْيٍ تَسْفِي عليـه السَّوافي

وقد رُوي عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان قال : رأى عَلَيّ ابنُ عمر أوضاحاً[2] فقال : ألقِها عنك فقد كَبِرتَ .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة

[من الخفيف]

مـا جرتْ خَطْرَةٌ على القلبِ منّي فيـكِ إلاّ استترتُ عن أصحابي
من دموعٍ تجري فإن كنتُ وحدي خالياً أسعدتْ دموعـي انتحابي
إنّ حُبّي إيّاكِ قـد سَلَّ جِسْمِي ورَمـاني بالشيبِ قبل الشَّبابِ
ارْحَمِـي عاشقاً لكِ اليومَ صبّاً هائمَ العقلِ قـد ثَوى في التُّرابِ

الشعر للسيِّد الحِمْيَريّ ، والغناء لمحمّد نَعْجة خفيفُ رمل أيضاً . ولم أجد لهذا المغنّي خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره . وقد مضت أخبار السيِّد متقدّماً .

صوت

من المائة المختارة

[من الخفيف]

أكرَعُ الكَرْعَـةَ الرويَّـةَ منهـا ثـم أصحو ومـا شَفَيتُ غَلِيلي
كم أتـى دونَ عهـدِ أُمِّ جميلٍ من إنَى حاجـةٍ ولُبْثٍ طويلِ[3]
وصياح الغراب أن سِرْ فأَسْرِعْ سوفَ تحظَـى بنائـلٍ وقَبُولِ

الشعر للأحوص . والغناء للبُرْدان خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر .

---

1 الهابي : الرماد الدقيق أو التراب المنتشر في الجوّ كالهباء .
2 الأوضاح : حلى من الفضّة .
3 إنى حاجة : إدراكها . والإنْي : التأخير وهو المراد .

[119] ـ أخبار البُرْدان

[كان متولي السوق بالمدينة وأخذ عن معبد وجميلة وعزّة الميلاء]

البُرْدانُ لقب غلبَ عليه . ومنَ الناس مَن يقول : بُرْدان من أهل المدينة ، وأخذ الغناءَ عن معبد وقبلَه عن جميلة وعَزّةَ المَيْلاء . وكان مُعَدَّلاً مقبولَ الشَّهادة ، وكان متولِّيَ السّوق بالمدينة .

قال هارون بن الزيّات حدَّثني أبو أيّوب المَدينيّ عن محمّد بن سَلاّم قال : هو بُرْدان بضمّ الباء وتسكين الراء .

أخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر وحُسَين بن يحيى قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه قال قال إسحاق : كان بُرْدانُ متولِّيَ السوق بالمدينة . فقَدّم إليه رجل خَصْماً يدّعي عليه حقّاً ؛ فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس . فقال له الرجل : أنت بغير هذا أعلمُ منك بهذا . فقال : رُدُّوه فرُدّ ؛ فقال : لعلّك تعني الغناء ! إنّي والله به لعارف ؛ ولو سمعتُ شيئاً جاء البارحةَ لازددت علماً بأنّي عارف ، ومهما جَهِلتُ فإنّي بوجوب الحقّ عليك عالِم ؛ اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقّه .

[رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه أصواتاً]

قال وحدَّثني أبو أيّوب عن حَمّاد عن أبيه عن ابن جامع عن سِياط قال : رأيتُ البُرْدانَ بالمدينة يتولّى سوقَها وقد أسنّ ؛ فقلت له : يا عمّ ، إنّي رويت لك صوتاً صنعتَه ، وأحببتُ أن تصحِّحه لي . فضحِك ثم قال : نَعَمْ يا بُنَيّ وحبّاً وكرامةً . لعلّه : [من الخفيف]

كم أتـى دونَ عهدٍ أمّ جميل

فقلت نعم . قال : مِل بنا إلى هاهنا ؛ فمال بي إلى دار في السُّوق ، ثم قال : غَنِّه ؛ فقلت : بل تُتمّ إحسانكَ يا عمّ وتغنّيني به فإنّه أطيب لنفسي ؛ فإن سمعتُه كما أقول غنَّيته وأنا غير متهيِّب ، وإن كان فيه مُسْتَصْلَحٌ استعدته . فضحك ثم قال : أنت لستَ تريد أن تصحِّح غِناءك ، إنّما تُريد أن تقول سمعتني وأنا شيخ وقد انقطعتُ وأنت شابّ . فقلت للجماعة : إن رأيتم أن تسألوه أن يُشَفِّعني[1] فيما طلبتُ منه ! فسألوه ، فاندفع فغنّاه فأعاد ثلاثَ مرّات ؛ فما رأيتُ أحسنَ من غنائه على كِبَر سِنّه ونُقصان صوته . ثم قال : غَنِّه

1 في ل : يسعفني .

الآن فغنَّيته ؛ فطرِب الشيخ حتى بكى ، وقال : اذهب يا بُنَيّ ، فأَنت أُحسن الناس غناءً ، ولئن عِشْتَ ليكوننّ لك شأن . قال : وكان بُرْدانُ خفيفَ الرُّوح طَيِّبَ الحديثِ مليحَ النادرة مقبولَ الشهادة قد لقي الناسَ ، فكان بعد ذلك إذا رآني يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسأَلني أَن أُغنّيه فأَفعل ؛ فإذا طابت نفسُه سأَلته أَن يطرَح عليَّ شيئاً من أَغاني القدماء فيفعل إلى أَن أَخذتُ عنه عِدّة أَصوات .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيـارُ بحائِـلٍ فوُعـالِ دَرَستْ وغَيَّرهـا سِنُونَ خَوالي
دَرَج البَوارِحُ فوقها فتنكَّرَتْ بعـد الأَنيسِ مَعـارِفُ الأَطلالِ[1]
دِمَنٌ تُذَعْذِعهـا الريـاحُ وتارةً تعفـو بمُرْتَجِـزِ السَّحابِ ثِقالِ[2]
فكأنّما هـي مـن تَقادُمِ عهدِها وَرَقٌ نُشِرنَ مـن الكتاب بَوالي

الشعر للأَخطل ، والغناء لسائب خاثر ، ولحنه المختار من الثقيل الأَوّل بالبنصر من أَصوات قليلة الأَشباه . وذكر عمرو بن بانة أَنّ في الثاني والرابع من الأَبيات للأَبجر ثقيلاً أَوّل . وذكر حبش أَنّ لمعبد فيه ثقيلاً أَوّل بالوسطى وأَنّه أُحد السبعة ، وأَن لإسحاق فيه ثانيَ ثقيل ، وذكر الهشاميّ أَنّ لحن الأَبجر خفيف ثقيل .

1 البوارح : الرياح الحارّة الشديدة .
2 تذعذعها : تحرّكها .

[120] ـ ذكر الأخطل وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو غِياثُ بن غَوْث بن الصَّلْت بن الطَّارِقة ، ويقال ابن سَيْحان بن عَمْرو بن الفَدَوْكَس بن عمرو بن مالك بن جشَمَ بنِ بكر بن حَبِيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب . ويكنى أبا مالك . وقال المدائنيّ : هو غِياث بن غَوْث بن سَلَمة بن طارِقة ، قال : ويقال لسَلَمة سَلَمةُ اللّحام[2] . قال : وبَعث النُّعْمان بن المُنْذِر بأربعة أرماح لفُرسان العرب ، فأخذ أبو بَراء عامر بن مالك رُمْحاً ، وسَلَمةُ بن طارِقة اللّحام رمحاً وهو جدّ الأخطل ، وأَنَسُ بن مُدرِك رمحاً ، وعمرُو بن مَعْدِيكَرِبَ رمحاً .

[سبب تلقيبه بالأخطل والهجاء بينه وبين كعب بن جعيل]

والأخطل لقبٌ غلبَ عليه . ذكر هارون بن الزيّات عن ابن النطّاح عن أبي عُبَيدة أنّ السبب فيه أنّه هجا رجلاً من قومه ؛ فقال له : يا غلام ، إنّك لأخطل ، فغلبتْ عليه . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنّ عُتْبة بن الزَّعَل بن عبد الله بن عمر بن عمرو بن حبيب بن الهجرس بن تَيْم بن سَعْد بن جُشَمَ بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب حَمَل حَمالةً ، فأتى قومه يسأل فيها ؛ فجعل الأخطلُ يتكلّم وهو يومئذٍ غلام . فقال عُتْبة : مَنْ هذا الغلام الأخطل ؟ فلُقِّب به .

قال يعقوب وقال غير أبي عُبيدة : إنّ كَعْب بن جُعَيْل كان شاعرَ تَغْلِبَ ، وكان لا يأتي منهم قوماً إلاّ أكرموه وضربوا له قُبّة ؛ حتى إنّه كان تُمَدّ له حبالٌ بين وَتِدَين فتُملأ له غَنَما . فأتى في مالك بن جُشَمَ ففعلوا ذلك به ؛ فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغَنَم وطرَدها ؛ فسبّه عُتْبة وردَّ الغنم إلى مواضعها ؛ فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر إليه ؛ فقال : إنّ غلامكم هذا لأخْطَلُ ، والأخطل : السفيه ، فغلَب عليه . ولَجَّ الهجاء بينهما ؛ فقال الأخطل فيه : [من المتقارب]

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 483/1 ، وطبقات فحول الشعراء 451/2 ، 502 ، ونقائض جرير والأخطل : 207 ، 223 والاشتقاق : 180 ، 203 ، وأنساب الأشراف 5 : 319 ، وسمط اللآلىء : 617 ، والموشح : 132–134 ، والجمهرة : 265 ، والمؤتلف والمختلف : 76 ، وشرح شواهد المغني : 46 ، وتفسير البطري : 84/15 ، 96/20 (بولاق) ، تكملة شعر الأخطل : 34 ، 35 ، والمخصص 65/14 .

2 في ل : اللجام .

سُمِّيتَ كعباً بشرِّ العظام [وكان أبوك يُسَمَّى الجُعَلْ
وإنّ مَحَلَّك من وائلٍ محلُّ القُراد من است الجمل]

فقال كعب : قد كنتُ أقول لا يقهَرني إلاّ رجل له ذكرٌ ونبَأ ، ولقد أعددتُ هذين البيتين لأن أُهْجى بهما منذ كذا وكذا ، فغلَب عليهما هذا الغلام .

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني قَبيصةُ بن مُعاوية المهلَّبيّ قال حدَّثني عيسى بن إسماعيل قال حدَّثني القَحْذَميّ قال : وقع بين ابنَيْ جُعَيْل وأُمِّهما ذَرْءٌ[1] من كلام ، فأدخلوا الأخطل بينهم ؛ فقال الأخطل : [من الوافر]

لَعَمْرُك إنّني وابْنَيْ جُعَيْلٍ وأُمَّهمــا لإستــارٌ لئيمُ[2]

فقال ابن جُعَيْل : يا غلام ، إنّ هذا لَخَطَلٌ من رأيك ؛ ولولا أنّ أُمِّي سَمِيّةُ أُمِّك لتركتُ أُمّك يحدو بها الرُّكبان ؛ فسُمِّي الأخطلَ بذلك . وكان اسم أُمِّهما وأُمّ الأخطل ليلى .

وقال هارون حدَّثني إسماعيل بن مُجَمِّع عن ابن الكلبيّ عن قومٍ من تَغْلِبَ في قصّة كعب بن جُعَيْل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عُبَيدة ممّن لم يسمِّه ، وقال فيها : وكان الأخطل يومئذٍ يُقَرْزِم ، والقرزمة : الابتداء بقول الشعر ؛ فقال له أبوه : أبِقَرْزَمتك تُريد أن تُقاوم ابنَ جُعَيل ؟ وضربه . قال وجاء ابن جُعَيل على تَفِئةِ[3] ذلك فقال : مَنْ صاحبُ الكلام ؟ فقال أبوه : لا تَحْفِل به فإنّه غلام أخطل . فقال له كعب : [من الرجز]

شاهِدُ هــذا الوجه غِبَّ الحُمَّهْ

فقال الأخطل : [من الرجز]

فناك كعــبُ بن جُعَيْـلٍ أُمَّهْ

فقال كعب : ما اسم أُمِّك ؟ قال : ليلى . قال : أردتَ أن تُعيذها باسم أُمِّي . قال : لا أعاذها الله إذاً . وكان اسم أُمِّ الأخطل ليلى ، وهي امرأة من إياد ؛ فسُمِّي الأخطلَ يومئذٍ ، وقال : [من الطويل]

هجا الناسُ ليلى أُمَّ كَعْبٍ فمُزِّقتْ فلم يـبقَ إلاّ نَفْنَفٌ أنـا رافعُهْ[4]

وقال فيه أيضاً : [من الوافر]

---

1 الذّرء : الشيء اليسير من القول .
2 إستار : أربعة .
3 على تفِئة : أي على حينه وزمانه .
4 النفنف : الشيء اليسير .

هجاني المُنْتِنانِ ابنا جُعَيْلٍ وأيُّ الناسِ يقتله الهجاءُ[1]
وُلِدتم بعد إخوتكم منَ آستٍ فهَلاّ جئتُمُ من حيث جاؤوا

فانصرف كعب ، ولجّ الهجاء بينهما .

[طبقته في الشعراء والخلاف فيه وفي جرير والفرزدق]

وكان نَصْرانياً من أهل الجزيرة . ومحلّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف . وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة ، فجعلها ابن سَلاّم أوّلَ طبقات الإسلام . ولم يقع إجماع على أحدهم أنّه أفضل ، ولكلٍّ واحدٍ منهم طبقةٌ تفضّله عن الجماعة .

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمّي الفضل قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عُبَيدة قال : جاء رجلٌ إلى يونس فقال له : مَنْ أشعرُ الثلاثة ؟ قال : الأخطل . قلنا : مِن الثلاثة ؟ قال : أيّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم . قلنا : عَمّنْ تروِي هذا ؟ قال : عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحَضْرَميّ وأبي عمرو بن العَلاء وعَنْبَسَةَ الفِيلِ وميمون الأقْرَن الذين ماشُوا[2] الكلامَ وطرَقوه . أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عُبيدةَ عن يونس ، فذكر مثله وزاد فيه . لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون ولا نحويّون . فقلتُ للرجل : سَلْه وبأيّ شيء فضّلوه ؟ قال : بأنّه كان أكثَرهم عددَ طِوالٍ جِيادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحْش وأشَدَّهم تهذيباً للشعر . فقال أبو وَهْب الدقّاق : أما إنّ حَمّاداً[3] وجَنّاداً كانا لا يفضّلانه . فقال : وما حَمّاد وجَنّاد ! لا نحويّان ولا بدويّان ولا يُبْصِران الكسورَ ولا يُفصِحان ، وأنا أُحَدِّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدَّوْا إلى أمثالهم ماشُوا الكلام وطرَقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تَشِذّ عنهم زِنَةُ كلمة ، وألحقوا السليمَ بالسليمِ والمضاعفَ بالمضاعفِ والمعتلَّ بالمعتلّ والأجوفَ بالأجوفِ وبناتِ الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو ، فلم تَخْفَ عليهم كلمةٌ عربيّة ، وما عِلْمُ حَمّادٍ وجَنّاد ! .

قال هارون حدَّثني القاسم بن يوسف عن الأصمعي : أنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُطَيِّرها .

أخبرنا أبو خَليفة الفضل بن الحُباب قال أخبرنا محمّد بن سَلاّم قال سمعت سَلَمة بن عَيّاش وذكر أهلُ المجلس جريراً والفرزدقَ والأخطلَ ففضّله سلمةُ عليهما . قال : وكان إذا ذُكِر الأخطل يقول : ومَنْ مثل الأخطل وله في كلّ [بيتٍ] شعرٍ بيتان ؛ ثم يُنشِد قوله : [من الكامل]

1 المنتنان في الديوان : الألأمان ابنا جعيل 328 .
2 ماش الكلام : خلطه ، وطرقه : إذا ضربه وخلطه ليستخرج أحسنه .
3 يعني حمّاداً الراوية .

ولقد علمتُ إذا العِشارُ تَروّحتْ ... هَـدَجَ الرِّئال تَكُبُّهُنَّ شَمالا[1]
أنّـــا نُعَجِّـلُ بالعَبِيطِ لضيفِنا ... قبل العِيال ونضرب الأَبطالا[2]

ثم يقول ولو قال : [من مجزوء الكامل]

ولقـد علمـتُ إذا العِشا ... رُ تروّحتْ هَدَجَ الرِّئال

كان شعراً ، وإذا زدتَ فيه تكبهنّ شمالاً ، كان أيضاً شعراً من رَوِيٍّ آخر .

أُخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال : كَعْبُ بن جُعَيْل لَقَّبه الأخطلَ ، سمعه يُنشد هجاءً فقال : يا غلام إنّك لأَخْطَلُ اللِّسان ؛ فلزمته .

[سأل نوح بن جرير عنه أباه فمدحه]

أُخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني أحمد بن معاوية قال حدَّثنا بعض أصحابنا عن رجلٍ من بني سَعْد قال : كنتُ مع نوح بن جرير في ظِلِّ شجرة ، فقلت له : قَبَّحَك الله وقبّح أباك ! أمّا أبوكَ فأفنى عمرَه في مديح عبد ثَقِيف (يعني الحَجّاج) . وأمّا أنت فامتدحتَ قُثَمَ بن العبّاس فلم تهتَدِ لَمناقِبه ومَناقِب آبائه حتى امتدحتَه بقصرٍ بناه . فقال : والله لئن كنتَ سُؤتَني في هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبي : بينا أنا آكل معه يوماً وفي فيه لقمةٌ وفي يده أُخرى ، فقلت : يا أبتِ ، أنت أشعر أم الأخطل ؟ فَجَرِضَ[3] باللُّقمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال : يا بُنيَّ ، لقد سَرَرْتَني وسُؤتَني . فأمّا سرورُك إيّاي فلِتَعَهُّدِكَ لي مثلَ هذا وسؤالِك عنه . وأمّا ما سُؤتَني به فلذِكْرِكَ رجلاً قد مات . يا بُنيّ أدركْتُ الأخطلَ وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُهُ وله نابٌ آخر لأَكَلني به ، ولكنّي أعانتني عليه خَصْلتان : كِبَرُ سِنّ ، وخُبْثُ دِين .

[آراء الأئمّة والشعراء فيه]

أُخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد قال : سُئِلَ حَمّاد الراوية عن الأخطل ، فقال : ما تسألوني عن رجلٍ قد حَبَّبَ شعرُه إليّ النَّصْرانيّةَ ! .

قال إسحاق وحدَّثني أبو عُبيدة قال قال أبو عمرو : لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما قدّمتُ عليه أحداً .

قال إسحاق وحدَّثني الأصمعيّ أنّ أبا عمرو أنشد بيتَ شعر ، فاستجاده وقال : لو كان للأخطل ما زاد .

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت عن الأصمعيّ عن أبي عمرو : أنّ جريراً سُئِل أيّ الثلاثة

1 تروّحت : ذهبت في الرواح . والرئال : أولاد النعام . والهدج : عَدْو متقارب .
2 العبيط من اللحم : الطريّ غير النضيج . ونضرب في الديوان : ونقتل 43 .
3 جرض : غصّ .

أشعر ؟ فقال : أمّا الفرزدق فتكلّف منّي ما لا يُطيق . وأمّا الأخطل فأشدُّنا اجتراءً وأرمانا للفَرائص . وأمّا أنا فمدينة الشعر .

وقال ابن النطّاح حدّثني الأصمعيّ قال : إنّما أدرك جريرٌ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطّم . وكان الأخطل أسَنّ من جرير ، وكان جرير يقول : أدركته وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُ له نابين لأكلني . قال : وكان أبو عمرو يقول : لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما فضّلتُ عليه أحداً .

أخبرني أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال : قال العَلاء بن جَرير : إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيْتٌ ، والفرزدقُ لا يجيء سابقاً [ولا سُكَّيْتاً ، وجرير يجيء سابقاً] ومُصَلِّياً وسُكَّيْتاً .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت قال الأصمعيّ : قيل لجرير : ما تقول في الأخطل ؟ قال : كان أشدَّنا اجتراءً بالقليل وأنعتَنا للحُمُر والخمر .

وروى إسماعيل بن عُبَيد الله عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سِمَاك بن حَرْب : أنّ الفرزدق دخل الكوفةَ ، فلقيه ضَوْءُ بن اللَّجْلاج [1] ؛ فقال له : مَنْ أمدَحُ أهل الإسلام ؟ فقال له : وما تُريد إلى ذلك ؟ قال : تَمارَيْنا فيه . قال : الأخطل أمدَحُ العرب .

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني هارون بن مسلم عن حَفْص بن عمر قال : سَمِعتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حَفْص ، فحدّثه أنّه سأل جريراً عن الأخطل فقال : أمدَحُ الناسِ لكريمٍ وأوصَفُه للخَمْرِ . قال : وكان أبو عُبَيدة يقول : شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق . قال أبو عبيدة : وكان أبو عمرو يشبِّه الأخطلَ بالنابغة لصحّة شعره .

وقال ابن النطّاح حدَّثني عبد الله بن رؤبة بن العجّاج قال : كان أبو عمرو يفضِّل الأخطل .

وقال ابن النطّاح حدَّثني عبد الرحمن بن بَرْزَخ قال : كان حمّاد يفضِّل الأخطلَ على جرير والفرزدق . فقال له الفرزدق : إنّما تفضِّله لأنّه فاسق مثلك . فقال : لو فضّلته بالفسق لفضّلتُك .

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مَرَّار الشَّيْبانيّ : الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة . فقلت : يقال إنّه أمدحُهم ؛ فقال : لا والله ! ولكن أهجاهم . مَنْ منهما يُحْسِن أن يقول : [من الوافر]

ونحن رفعنا عن سَلُولَ رماحَنا وعَمْداً رَغِبنا عن دماء بني نَصْرِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

---

1 في ل : الجلاّح .

قال الأخطل : أشعرُ الناس قبيلةً بنو قَيْس بن ثَعْلَبَة ، وأشعرُ الناسِ بيتاً آلُ أبي سُلْمَى وأشعر الناس رجل في قميصي .

[أنشد عبد الملك بن مروان مدحه فيه فأجازه]

أخبرني الحسن قال حدَّثني محمَّد قال حدَّثني الخرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمّاد . هكذا قال ؛ وأظنّه عليّ بن مجاهد قال : قال الأخطل لعبد الملك : يا أمير المؤمنين ، زعم ابنُ المَراغة أنه يبلُغ مِدْحَتك في ثلاثة أيّام وقد أقمتُ في مِدْحتِك : [من البسيط]

خَفَّ القَطِينُ فراحوا مِنكَ أو بَكَرُوا

سنةً فما بلغتُ كُلّ ما أردتُ . فقال عبد الملك : فأسْمِعْناها يا أخطلُ ؛ فأنشده إيّاها ؛ فجعلتُ أرى عبد الملك يتطاول لها ؛ ثم قال : وَيْحَكَ يا أخطل ! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنّكَ أشعرُ العرب ؟ قال : أكتفي بقول أمير المؤمنين . وأمر له بجَفْنةٍ كانت بين يديه فمُلِئتْ دراهمَ وألقي عليه خِلَعاً ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناسِ يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب .

[أنشد عبد الملك شعراً له وازنه بشعر لكثيّر]

وقال ابن الزيّات حدَّثني جعفر بن محمَّد بن عُيَيْنة بن المِنْهال عن هشام عن عَوانةَ قال : أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثَيِّر فيه : [من الطويل]

فما تركوها عَنْوةً عن مودّةٍ ولكن بحَدِّ المَشْرَفِيّ استقالَها

فأعْجِب به . فقال له الأخطل : ما قلتُ لكَ والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه . قال : وما قلتَ ؟ قال قلت : [من الطويل]

أهَلُّوا من الشهر الحَرامِ فأصبحوا مَوالي مُلْكٍ لا طَريفٍ ولا غَصْبِ[1]

جعلتُه لك حقّاً وجعلك أخذتَه غَصْباً ؛ قال : صدَقتَ .

[حلف باللات أنّه أشعر من جرير والفرزدق]

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شبّة قال أخبرنا أبو دُقاقة[2] الشاميّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال : رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبد الملك ؛ فلمّا انحدر دنوتُ منه فقلت : يا أبا مالك ، مَنْ أشعرُ العرب ؟ قال : هذان الكلبان المتعاقِران من بني تميم . فقلت : فأين أنت منهما ؟ قال : أنا واللاّتِ أشعرُ منهما . قال : فحلَف باللاّتِ هُزؤا واستخفافاً بدِينه .

1 أهَلّوا من الشهر الحرام : خرجوا في استهلاله . وموالي ملك أي يتولونه .

2 في ل : دُفافة .

وروَى هذا الخبرَ أبو أيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ عن عاصم بن شِبْل الجَرْميّ أنّه سأل الأخطل عن هذا ، فذكر نحوَه ، وقال : واللاّتِ والعُزّى .

[نصح له شيباني بألاّ يهجو جريراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكَر الحِرْمازيّ : أنّ رجلاً من بني شَيْبان جاء إلى الأخطل فقال له : يا أبا مالك ، إنّا ، وإن كنّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتّصال الحرب والعداوة ، تجمعنا ربيعةُ ، وإنّ لك عندي نُصْحاً . فقال : هاتِه ، فما كَذَبتَ . فقلت : إنّك قد هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيّما أنّه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويَسُبّ ربيعةَ سبّاً لا تقدِر على سبّ مُضَرَ بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوّة قبله ؛ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارّته ومُهارّته . فقال : صدقتَ في نُصْحك وعرفتُ مُرادَك ، وصَلَتْك رَحِمٌ ؛ فَوالصَّلِيب والقُرْبان لأتخلّصنّ إلى كُلَيْب خاصّةً دون مُضَر بما يَلْبَسُهم خِزيُه ويَشْمَلُهم عارُه . ثم اعلم أنّ العالِمَ بالشعر لا يُبالي وحقِّ الصليبِ إذا مَرّ به البيتُ المُعايَر[1] السائر الجيِّد ، أمُسْلِمٌ قاله أم نَصْراني .

[أنشد عبد الملك من شعره وتخيّله في حانوت بدمشق]

أخبرني وَكيع قال حدَّثني أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي الحسن المدائنيّ قال : أصبح عبد الملك يوماً في غداةٍ باردة ، فتمثّل قولَ الأخطل : [من الوافر]

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يَطُولا
مَشَى قرشيّةً لا شكَّ فيها وأرخَى من مآزِرِه الفُضولا

ثم قال : كأنّي أنظر إليه الساعةَ مُجَلَّلَ الإزار مستقبِلَ الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشْق ؛ ثم بعث رجلاً يطلبه فوجده كما ذكره .

[قال أبو عمر لأبي حيّة وقد أنشده معجباً بنفسه]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني طائع عن الأصمعيّ قال : أنْشد أبو حَيّة النُّمَيْريّ يوماً أبا عمرو : [من الرجز]

يـا لَمَعَدٍّ ويـا لَلنّاسِ كلِّهمُ ويا لَغائبهم يومـاً ومَنْ شَهِدا

كأنّه مُعْجَبٌ بهذا البيت ؛ فجعل أبو عمرو يقول له : إنّك لَتُعْجَبُ بنفسك كأنّك الأخطل .

[عرض عليه عبد الملك الإسلام]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا الغَلابيّ عن عبد الرحمن التَّيْميّ عن هشام بن سليمان

---

1 المعير : المتداول بين الناس .

المخزوميّ : أنّ الأخطل قدِم على عبد الملك ، فنزل على ابن سرحون كاتبه . فقال عبد الملك : على مَنْ نزلتَ ؟ قال : على فلان . قال : قاتلك الله ؛ ما أعلمَكَ بصالح المنازل ! فما تريد أن يُنْزِلك[1] ؟ قال : دَرْمَكٌ[2] من دَرْمَككم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس[3] . فضحك عبد الملك ثم قال له : وَيْلَك ؛ وعلى أيّ شيء اقتتلنا إلاّ على هذا ؟ . ثم قال : ألا تُسْلِمُ فنَفْرِضَ لك في الفَيْء ونُعطيكَ عشرة آلاف ؟ قال : فكيف بالخمر ؟ قال : وما تصنع بها وإنّ أوّلها لَمُرّ وإنّ آخِرَها لَسُكْر ؛ فقال : أمّا إذ قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لَمنزلةً ما مُلْكُكَ فيها إلاّ كعُلْقة ماء من الفراتِ بالإصبع . فضحِك ثم قال . ألاّ تزور الحَجّاجَ ؟ فإنّه كتب يستزيرك . فقال : أطائعٌ أم كاره ؟ قال : بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُرْبَه على قربك ؛ إنّني إذاً لكَما قال الشاعر : [من الوافر]

كَمُبْتاعٍ ليركبَه حماراً تَخَيَّره من الفرس الكبيرِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحَجّاج ؛ فمدحه بقوله :

صَرَمتْ حِبالَكَ زينبٌ ورَعُومُ وبَدا المُجَمْجَمُ منهما المكتومُ[4]

ووجّه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيِّد شعره .

[حاج أبو غسّان بن خاقان ببيتين من شعره]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني محمَّد بن إسماعيل عن أبي غسّان قال : ذكروا الفرزدقَ وجريراً في حَلْقة المدائنيّ ؛ فقلت لصَباح بن خاقان : أنْشِدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما ؟ قال : هاتِ ؛ فأنشدتُه : [من الكامل]

ألَمْ يأتِها أنّ الأراقِمَ فَلّقتْ جَماجِمَ قَيْسٍ بين راذانَ والحَضْرِ[5]
جَماجِم قومٍ لم يَعافوا ظُلامةً ولم يعرِفوا أين الوفاءُ من الغَدْرِ

قال : فسكت .

[حديث يونس النحويّ عن الأخطل وسبقه جريراً والفرزدق]

قال إسحاق وحدَّثني أبو عبيدة أنّ يونس سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل : أيّهم

1 أي يقدّم لله النّزل ، وهو ما يهيّأ للضيف من طعام وغيره .
2 الدرمك : دقيق الحواري .
3 بيت رأس : اسم قرية مشهورة بالخمر موقعها الآن في شمالي الأردن . وقيل هما قريتان .
4 رعوم : اسم امرأة .
5 يأتها في الديوان يخبرنا 135 . الأراقم : حي من تغلب . فلّقت في الديوان : فلقوا 135 . الحضر : مدينة بإزاء تكريت . وراذان : قرية بنواحي نسأ .

أشعر ؟ قال : أجمعتِ العلماء على الأخطل . فقلت لرجل إلى جنبه : سَلْه ومَنْ هم ؟ فقال : مَنْ شئتَ ، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العَلاء وعيسى بن عمر وعَنْبَسة الفِيل وميمون الأَقْرَن ، هؤلاء طرَقوا الكلامَ وماشُوه لا كمَن تحكُمون عنه لا بدويِّين ولا نحويِّين . فقلت للرجل : سَلْه . وبأيّ شيء فُضِّل على هؤلاء ؟ قال : بأنّه كان أكثرهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جيادٍ ليس فيها فُحْش ولا سَقَط . قال أبو عُبيدة : فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عَشْراً بهذه الصفة وإلى جانبها عَشْراً إن لم تكن مثلَها فليست بدونها ؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثاً .

قال إسحاق : فسألت أبا عُبيدة عن الشعر فقال : [من الطويل]

عَفَا واسِطٌ من آل رَضْوَى فَنَبْتَلُ[1]

و تأبّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ[2] [من البسيط]

و خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكَروا [من البسيط]

و كَذَبتْك عينُك أم رأيتَ بواسِطِ [من الكامل]

و دَعِ المُعَمَّرَ لا تسأل بمَصْرَعِه [من البسيط]

و لمن الديارُ بحائلٍ فوُعالِ [من الكامل]

قال إسحاق : ولم أحفظ بقيّة العَشْر . قال : وقصائد جرير : [من البسيط]

حيِّ الهِدَمْلَةَ من ذات المَواعِيسِ

و ألاَ طرقتْكَ وأهلي هُجودُ [من المتقارب]

و أهْوى أراكَ برامَتَيْنِ وُقودا [من الكامل]

قال وقال أبو عُبيدة : الأخطل أشبه بالجاهليّة وأشدُّهم أَسْرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطاً . وأخبرنا الجوهريّ عن عمر بن شَبّة عن أبي عُبَيدة مثلَه .

وفي بعض هذه القصائد التي ذُكِرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها .

منها : [من الطويل]

صوت

تأبّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ وأقْفرتْ من سُلَيْمى دِمْنةُ الدَّارِ

---

1 واسط : في عدّة مواضع ، ومنها واسط الجزيرة ، وهي التي يعنيها الأخطل منازل تغلب قبيلته . رضوى : اسم امرأته . نبتل : موضع بنجد .

2 أحفار : موضع في بلاد بني تغلب .

وقـد تَحُلُّ بها سَلْمَى تُجاذِبُني تَساقُطَ الحَلْيِ حاجاتي وأَسراري

غَنّاه عمر الواديّ هزجاً بالسبّابة في مجرى الوسطى . وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبد الرحمن بن حَسّان لمّا هجاه الأخطل وهجا الأنصار ، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك .

ومنها : [من البسيط]

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتْهم نَـوىً في صَرْفِهـا غِيَرُ
كأنَّني شاربٌ يـوم استُبِـدّ بهـم من قَهْوةٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ[1]
جادتْ بها مـن ذواتِ القارِ مُتْرَعةٌ كَلْفاءُ يَنْحَتُّ عـن خُرْطومها المَدَرُ[2]

غنّاه إبراهيم خفيفَ ثقيل بالبنصر . ولابن سُرَيج فيه رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه رمل آخر يقال : إنّه لعلّويه ، ويقال : إنّه لإبراهيم . وفيه لعَلّويه خفيفُ ثقيلٍ آخر لا يُشَكّ فيه .

[سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني ابن النطّاح عن أَبي عمرو الشَّيْبانيّ عن رجل من كَلْب يقال له مهوش عن أَبيه : أَنّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطلَ عن أَشعر الناس ؛ قال : الذي كان إذا مدَح رفَع ، وإذا هجا وضَع . قال : ومَنْ هو ؟ قال : الأَعشى . قال : ثم مَنْ ؟ قال : ابن العشرين (يعني طَرَفه) . قال : ثم مَن ؟ قال : أَنا .

[أخّر الراعي في حضرة بشر بن مروان]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أَخبرنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أَبو بكر العُلَيْميّ قال حدَّثنا أَبو قُحافَةَ المُرّيّ عن أَبيه قال : دخل الأَخطل على بِشْر بن مَرْوان وعنده الراعي ؛ فقال له بِشْرٌ : أَنت أَشعر أَم هذا ؟ قال : أَنا أَشعر منه وأَكرم . فقال للراعي : ما تقول ! قال : أَمّا أَشعر منّي فعسى ، وأَمّا أَكرم فإن كان في أُمّهاته من ولَدتْ مثلَ الأَمير فنعم . فلمّا خرج الأَخطل قال له رجلٌ : أَتقول لخالِ الأَمير أَنا أَكرم منك ؟ . قال : وَيْلَك ؛ إنّ أَبا نسطوس وضع في رأسي أَكؤساً ثلاثاً ، فوالله ما أَعقِل معها .

[استنشده عبد الملك بن مروان فشرب خمراً ثم أنشده]

قال : ودخل الأَخطلُ على عبد الملك بن مَرْوان ، فاستنشده ؛ فقال : قد يَبِس حَلْقي ، فمُرْ مَنْ يَسقيني . فقال : اسقُوه ماء . فقال : شراب الحمار ، وهو عندنا كثير . قال : فاسقُوه

---

1 جدر : قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر .
2 الكلف : حمرة كدرة .

لبناً . قال : عن اللبن فُطِمتُ . قال : اسقُوه عسلاً . قال : شراب المريض . قال : فتُريد ماذا ؟ قال : خمراً يا أُمير المؤمنين . قال : أَوَعَهِدتَني أسقي الخمرَ لا أمَّ لك ! لولا حُرْمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت ؛ . فخرج فلقي فرَّاشاً لعبد الملك فقال : وَيْلَكَ إنّ أُمير المؤمنين استنشدني وقد صَحِل[1] صوتي ، فاسقِني شربةَ خمر فسقاه ؛ فقال : اعْدِلْه بآخر فسقاه آخر . فقال : تركتَهما يعتركان في بطني ، اسقِني ثالثاً فسقاه ثالثاً . فقال : تركتني أُمشي على واحدة ، اعدِلْ مَيْلي برابع فسقاه رابعاً ؛ فدخل على عبد الملك فأنشده : [من البسيط]

خَفَّ القطينُ فراحوا منك وابتكروا ... وأَزعجتْهم نَـوىً في صرفها غِيَرُ

فقال عبد الملك : خُذْ بيده يا غلام فأَخْرِجْه ، ثم ألقِ عليه من الخِلَع ما يغمُره ، وأُحسِن جائزتَه ، وقال : إنّ لكلّ قوم شاعراً وإنّ شاعر بني أُميّة الأَخطل .

[حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق]

أُخبرني أبو خَليفة إجازةً عن محمَّد بن سَلاّم قال قال أبانُ بن عثمان حدَّثني سِماك بن حَرْب عن ضَوْء بن اللَّجْلاج قال : دخلتُ حمّاماً بالكوفة وفيه الأَخطل ؛ قال فقال : ممّن الرجل ؟ قلت : من بني ذُهْل . أتروِي للفرزدق شيئاً ؟ قلت نعم . قال : ما أَشعرَ خليلي ! على أنّه ما أسرعَ ما رجع في هِبَته . قلت : وما ذاك ؟ قال قوله : [من الكامل]

أَبَني غُدانَــةَ إنّــي حَرَّرتكم ... فوَهبتُكم لعطيّةَ بــن جِعالِ[2]
لولا عَطِيّةُ لاجتدعتُ أُنوفكم ... من بـين ألأم آنُفٍ وسِبالِ[3]

وهبهم في الأوّل ورجع في الآخر . فقلت : لو أَنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت . قال : كيف ؟ قلتُ : هجوتَ زُفَر[4] بن الحارث ثم خوّفتَ الخليفةَ منه فقلتَ : [من البسيط]

بنــي أُميّــةَ إنّي ناصحٌ لكمُ ... فــلا يَبِيتَنَّ فيكــم آمِنــاً زُفَرُ
مفترشاً كافتراش اللَّيث كَلْكَلَه ... لوقعــةٍ كائنٍ فيها لــه جَزَرُ[5]

مدحتَ عِكْرِمةَ بن رِبْعِيّ فقلتَ : [من البسيط]

قــد كنتُ أحسَبه قَيْناً وأُخْبِرُهُ ... فاليومَ طُيِّرَ عن أَثوابه الشَّرَرُ

---

1 صحل صوته : بح .
2 بنو غدانة : بطن من يربوع . وعطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم .
3 اسبلة الرجل : الدائرة التي في وسط الشفّة العليا ، وقيل : السبلة : ما على الشارب من الشعر .
4 هو زفر بن الحارث العامري الكلابي .
5 جزر : قتلى .

قال : لو أردتَ المبالغةَ في هجائه ما زدتَ على هذا . [فقال له الأخطل] : والله لولا أنّك من قوم سبَق لي منهم ما سبَق لهجوتُك هجاءً يدخل معك قبرك . ثم قال : [من البسيط]

ما كنتَ هاجِيَ قومٍ بعد مَدحِهِمُ ... ولا تُكدِّرُ نُعْمَى بعد ما تَجِبُ

اخْرُجْ عنّي .

[هو وزفر بن الحارث في حضرة عبد الملك بن مروان]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْرِيّ عن أحمد بن عبد العزيز بن عليّ بن ميمون عن مَعْن بن خَلاد عن أبيه قال : لمّا استنزَل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ من قِرْقِيسيا[1] ، أقعده معه على سريره ؛ فدخل عليه ابن ذي الكَلاع[2] . فلمّا نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى . فقال له : ما يُبكيك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومي في طاعتهم لك وخِلافِه عليك ، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض ! قال : إنّي لم أجلسه معي أن يكونَ أكرمَ عليَّ منك ؛ ولكنّ لسانه لساني وحديثه يُعْجِبُني . فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال : أمَا والله لأقومَنّ في ذلك مقاماً لم يَقُمْه ابن ذي الكَلاع ! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك . فلمّا ملأ عينَه منه قال : [من الوافر]

وكأسٍ مثلِ عين الدِّيكِ صِرْفٍ ... تُنسِّي الشاربين لها العقولا

إذا شَرِبَ الفتَى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاول أن يَطُولا

مَشَى قُرَشيّةً لا شكَّ فيها ... وأرخَى من مآزره الفُضولا

فقال له عبد الملك : ما أخرجَ هذا منك يا أبا مالك إلاّ خُطَّةٌ في رأسك . قال : أجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تُجْلِس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس : [من الطويل]

وقد يَنْبُتُ المَرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى ... وتبقَى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

قال : فقبض عبد الملك رجلَه ثم ضرب بها صَدْرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال : أذْهَبَ الله حزازاتِ تلك الصدور . فقال : أنشُدُك الله يا أمير المؤمنين والعهدَ الذي أعطيتَني ! . فكان زُفَرُ يقول : ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلاّ تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال .

[قال إنّي فضَلْتُ الشعراء وأنشد من عيون شعره]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني هارون بن مُسْلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حَنْظَلة الشَّيْبانيّ قال : قال الأخطل : فَضَلتُ الشعراءَ في المديح والهجاء والنَّسيب بما لا يُلْحَق بي

---

1 قرقيسيا : بلدة على الفرات قرب رحبة مالك بن طوق .

2 هو ابن ذي الكلاع الحميري ، شهد صفين مع معاوية ، وكان من رجالاته .

فيه . فأمّا النَّسِيب فقولي : [من الطويل]

أَلا يا اسْلَمِي يا هندُ هندَ بني بَدْرِ وإن كان حيّانا عُدىً آخِرَ الدَّهْرِ
من الخَفِراتِ البِيضِ أمّا وِشاحُها فيجري وأمّا القُلْبُ منها فلا يجري[1]
تموتُ وتحيا بالضجيع وتلتوي بمُطَّرِدِ المَتْنَين مُنْبَتِرِ الخَصْرِ

وقولي في المديح : [من البسيط]

نفسي فداءُ أميرِ المؤمنين إذا أبدى النَّواجذَ يوماً عارمٌ ذَكَرُ[2]
الخائضُ الغمرةِ الميمونُ طائرهُ خليفةُ اللهِ يُسْتَسْقى به المَطَرُ

وقولي في الهجاء : [من الوافر]

وكنتَ إذا لَقِيتَ عبيدَ تَيْمٍ وتيماً قلتَ أيُّهمُ العبيدُ
لئيمُ العالَمين يَسُودُ تَيْماً وسيِّدُهم وإن كَرِهوا مَسُودُ

قال عبد الخالق : وصدَق لعَمْرِي ، لقد فَضَلَهم .

[تزوّج مطلّقة أعرابيّ فتذكّرته ، وكان هو طلّق زوجته وشعره في ذلك]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني عمر بن شَبّة عن أحمد بن معاوية عن محمَّد بن داود قال : طَلَّق أعرابيٌّ امرأتَه فتزوّجها الأخطل ؛ وكان الأخطل قد طلَّق امرأته قبل ذلك . فبينا هي معه إذ ذكرتْ زوجَها الأوّل فتنفسَت ؛ فقال الأخطل : [من الطويل]

كِلانا على هَمٍّ يبيتُ كأنّما بجَنْبَيْهِ من مَسِّ الفِراشِ قُروحُ
على زوجِها الماضي تنوحُ وإنّني على زوجتي الأُخْرى كذاك أنوحُ

[حديثه مع عبد الملك بن المهلّب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن زُهَيْر بن حَرْب عن خالد بن خِداش : أنّ الأخطل قال لعبد الملك بن المُهَلَّب : ما نازعتْني نفسي قطُّ إلى مدح أحدٍ ما نازعتني إلى مَدْحِكم ؛ فأعطِني عطيّةً تبسُط بها لساني ؛ فوالله لأُرَدِّيَنّكم أرديةً لا يذهب صِقالُها إلى يوم القيامة . فقال : أعْلَمُ والله يا أبا مالك أنّك بذلك مليء ، ولكنّي أخاف أن يبلُغ أميرَ المؤمنين أنّي أسأَلُ في غُرْم وأُعطي الشعراء فأَهلِك ويظنّ ذلك منّي حيلةً . فلمّا قدِم على إخوته لاموه كلَّ اللَّوْم فيما فعله . فقال : قد أخبرتُه بعُذْري .

1 القلب : السوار .
2 العارم : الشديد الشرس .

[حديث جرير عنه]

أخبرني أبو خليفة عن محمّد بن سَلاّم قال قال أبو الخطّاب حدّثني نوح بن جرير قال: قلت لأبي: أنت أشعرُ أم الأخطلُ؟ فنهَرني وقال: بئس ما قلتَ! وما أنت وذاك لا أمَّ لك! فقلت: وما أنا وغيرَه! قال: لقد أعِنتُ عليه بكُفْر وكِبَر سِنّ، وما رأيتُه إلاّ خَشِيتُ أن يبتلعني.

[حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال: قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل! نَصْرانيّ كافر يهجو المسلمين!. فقال أبو عمرو: يا لُكَع؛ لقد كان الأخطل يجيء وعليه جُبّة خَزّ وحِرْزُ خَزّ، في عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مَرْوان بغير إذن.

[رأي أبي العسكر فيه وفي جرير والفرزدق]

وقال هارون حدّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْريّ عن أحمد بن عبد الله بن عليّ الدَّوْسيّ عن مَعْقِل بن فلان عن أبيه عن أبي العَسْكر قال: كنّا بباب مَسْلَمة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة؛ فقال أصحابي: حَكَّمناك وتراضَيْنا بك. فقلت: نعم، هم عندي كأفراسٍ ثلاثةٍ أرسلتهنّ في رِهانٍ، فأحدُها سابقٌ الدَّهرَ كلَّه، وأحدُها مُصَلٍّ، وأحدُها يجيء أحياناً سابقَ الريح وأحياناً سُكَّيْتاً وأحياناً متخلّفاً. فأمّا السابق في كلّ حالاته فالأخطل. وأمّا المصلّي في كلّ حالاته فالفرزدق. وأمّا الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلّف أحياناً فجرير؛ ثم أنشد له: [من الطويل]

سَرى لهمُ ليلٌ كأنّ نجومَه قناديلُ فيهنّ الذُّبالُ المُفَتَّلُ

وقال: أحسن في هذا وسبَق. ثم أنشد: [من الكامل]

التَّغْلَبِيّةُ مَهْرُها فَلْسانِ والتغلَبيّ جِنازةُ الشَّيْطانِ

وقال: تخلّف في هذه. فخرجنا من عنده على هذا.

[حديثه هو والفرزدق مع فتى من أهل اليمامة]

وقال هارون بن الزيّات حدّثني محمّد بن عمرو الجُرْجانيّ عن أبيه: أنّ الفرزدق والأخطل، بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بِشْر بن مروان إذ دخل عليهما فتىً من أهل اليَمامة؛ فقالا له: هل تَرْوِي لجرير شيئاً؟ فأنشدهما: [من الكامل]

لو قد بعثتُ على الفرزدقِ مِيسَمِي وعلى البَعِيثِ لقد نكحتُ الأخطَلا

فأقبل الفرزدق فقال: يا أبا مالك، أتُراه إنْ وَسَمَني يتورّكك على كِبَر سِنّك! ففزِع الفتى فقام وقال: أنا عائذٌ بالله من شرّكما. فقالا: اجلس لا بأس عليك؛ ونادماه بقيّةَ يومهما.

[الفرزدق في ضيافته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أبو يَعْلى قال حدَّثني عبد السلام بن حَرْب قال: نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرِفه، فجاءه بعَشاءٍ ثم قال له: إنّي نَصْرانيّ وأنت حَنيفٌ، فأيُّ الشراب أحبُّ إليك؟ قال: شرابُك. ثم جعل الأخطل لا يُنْشِد بيتاً إلاّ أتَمَّ الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل بي الليلةَ شَرٌّ، مَنْ أنت: قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجَد لي وسجدتُ له. فقيل للفرزدق في ذلك، فقال: كَرِهتُ أن يفضُلني. فنادى الأخطلُ: يا بني تَغْلِبَ هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلاً كثيرة. فلمّا أصبح فرّقها ثم شخَص.

[كان خبيث الهجاء في عفّة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان ممّا يُقدَّم به الأخطل أنّه كان أخبثَهم هجاءً في عَفافٍ عن الفحش. وقال الأخطل: ما هجوتُ أحداً قطُّ بما تستحيي العذراءُ أن تُنْشِده أباها.

[أجاز بيتاً ليزيد بن معاوية]

أخبرني أحمد وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني محمّد بن عبّاد المَوْصِليّ قال: خرج يزيد بن معاوية معه عامَ حَجَّ بالأخطل. فاشتاق يزيدُ أهلَه فقال: [من الطويل]

بكى كلُّ ذي شَجْوٍ من الشام شاقَهُ تَهامٍ فأنَّى يلتقي الشَّجِيانِ

أجِزْ يا أخطل؛ فقال: [من الطويل]

يغورُ الذي بالشام أو يُنْجِدُ الذي بغَوْرِ تِهاماتٍ فيلتقيانِ

[مدح أبو العبّاس شعراً له في بني أميّة]

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال: قيل لأبي العبّاس أمير المؤمنين: إنّ رجلاً شاعراً قد مدَحك، فتسمع شعرَه؟ قال: وما عسى أن يقول فيَّ بعدَ قول ابن النَّصْرانيّة في بني أميّة: [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

أخبرني به وَكيع عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ بمثله.

[حادثة له مع أمّه]

قال هارون وحدَّثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التَّميميّ عن أبي بُرْدة الفَزاريّ عن رجل من تَغْلِب قال: لَحظ الأخطل شَكْوةً[1] لأمّه فيها لبن وجِراباً فيه تمر وزبيب، وكان

1 الشكوة: وعاء من جلد للماء واللبن.

جائعاً وكان يُضَيِّق عليه ؛ فقال لها : يا أُمَّه ، آلُ فلان يزورونكِ ويقضُون حقَّكِ وأَنتِ لا تأتينهم وعندهم عليلٌ ، فلو أَتيتِهم لكان أَجملَ وأَولى بكِ . قالت : جُزيتَ خيراً يا بُنَيّ ! لقد نبَّهتَ على مَكْرُمةٍ . وقامت فلبِست ثيابها ومضت إليهم . فمضى الأَخطلُ إلى الشَّكوة ففرَّغ ما فيها وإلى الجراب فأَكل التمر والزبيب كلّه . وجاءت فلحَظت موضعَها فرأَته فارغاً ، فعلمتْ أَنّه قد دهاها ، وعمَدت إلى خَشَبة لتضربَه بها ؛ فهرَب وقال : [من المتقارب]

أَلَـمَّ على عِنَبات العجوزِ ... وشَكْوَتهـا من غِياثٍ لَمَمْ

فظلّـتْ تُنـادي أَلا وَيْلَهـا ... وتَلْعَـن واللعنُ منهـا أَمَمْ[1]

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت هذه القصّة ، فحكى أَنّها كانت مع امرأةٍ لأَبيه لها منه بنون ، فكانت تُؤثرهم باللَّبن والتمر والزبيب وتبعَث به يرعَى أَعنُزاً لها . وسائرُ القصّة والشعر متّفق . وقال في خبره : وهذا أَوّل شعر قاله الأَخطل .

[نسب بأمامة ورعوم ابنتي سعيد بن إيّاس]

أَخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهرويه عن عليّ بن فَيْرُوز عن الأَصمعيّ عن أُمامةَ ورَعُومَ اللَّتين قال فيهما الأَخطل : [من الكامل]

صَرَمـتْ أمامـةُ حبلَها ورَعومُ

ورَعُومُ وأُمامةُ بنتا سَعيد بن إياس بن هانىء بن قَبِيصة ، وكان الأَخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جُوَيْريتان فخدمتاه . ثم نزل عليه ثانيةً وقد كَبِرتا فحُجِبتا عنه ؛ فسأَل عنهمـا وقـال : فأَيـنَ ابنتـاي ؟ فـأُخبِر بكبرهما ، فنسَب بهما . قال : والرَّعُوم هي التي كانت عند قُتَيْبة بن مُسْلِم وكان يقال لها أُمّ الأَخماس ، تزوّجتْ في أَخماس[2] البَصْرة محمَّدَ بن المهلَّب وعامرَ بن مِسْمَع وعَبّادَ بن الحُصَيْن وقتيبةَ بن مُسْلِم ؛ وكان يقال لها الجارُود .

[كان حكم بكر بن وائل]

أُخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخَرّاز عن المدائنيّ قال قال أَبو عبد الملك : كانت بكر بن وائل إذا تشاجرتْ في شيء رَضِيتْ بالأَخطل ، وكان يدخل المسجدَ فيَقْدَمون إليه . قال : فرأَيته بالجزيـرة وقـد شُكي إلى القَسّ وقد أَخذ بلِحيته وضربه بعصاه وهو يَصيء[3] كما يَصيء الفَرْخ . فقلت له : أَين هذا ممّا كنت فيه بالكوفة ؟ فقال : يا ابن أَخي ، إذا جاء الدِّين ذَلَلنا .

---

1 أمم : قريب يسير .

2 أخماس البصرة : خمسة . فالخمس الأوّل العالية ، والثاني بكر بن وائل ، والثالث تميم ، والرابع عبد القيس ، والخامس الأزد .

3 يصيء : يصيح .

[استنشده داود بن المساور فأَنشده ثم سأَله عن أَشعر الناس فأَجابه]

وقال يعقوب بن السِّكِّيت زعم غَيْلان عن يحيى بن بِلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المُساوِر قال : دخلتُ إلى الأَخطل فسلّمتُ عليه ، فنسبَني فانتسبت ، واستنشدته فقال : أُنْشِدك حبّة قلبي ، ثم أَنشدني : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقد أَسْريتُ لا ليلَ عاجز بسَلْهَبةِ الخَدَّيْنِ ضاويــةِ القُرْبِ[1]
إليــكَ أَميرَ المؤمنـــين رَحَلْتُهــا على الطائرِ الميمونِ والمنزلِ الرَّحْبِ

فقلت : مَنْ أَشعرُ الناسِ ؟ قال : الأَعشى . قلت : ثمّ مَنْ ؟ قال : ثم أَنا .

[أعطاه هشام فاستقلّ عطاءه وفرّقه في الصبيان]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه عن أَبي أَيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ قال : امتدح الأَخطلُ هشاماً فأَعطاه خمسَمائة درهم ، فلم يرضَها وخرج فاشترى بها تُفّاحاً وفرّقه على الصِّبيان . فبلغ ذلك هشاماً فقال : قبَّحه الله ؛ ما ضرَّ إلاّ نفسَه .

[تمثّل هشام بشطر بيت في ناقة ، فأتمّه جرير والفرزدق وهو فأخذها]

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدَّثني سَلَمة النُّمَيْريّ ، وتُوُفِّي وله مائةٌ وأَربعون سنة ، أنّه حضر هشاماً وله يومئذٍ تسعَ عَشْرَةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأَخطل عنده ؛ فأَحْضر هشامٌ ناقةً فقال متمثّلاً : [من البسيط]

أَنِيخهـا مـا بَـدالي ثــم أَرْحَلُها

ثم قال : أَيّكم أتمَّ البيتَ كما أُريد فهي له . فقال جرير : [من البسيط]

كأَنّهـا نِقْنِـقٌ يَعْدُو بصَحْراءِ[2]

فقال : لم تصنع شيئاً . فقال الفرزدق : [من البسيط]

كأَنّهـا كاسِرٌ بـالدَّوّ فَتْخـاءُ[3]

فقال : لم تُغنِ شيئاً . فقال الأَخطل : [من البسيط]

تُرْخِي المَشافِرَ واللَّحْيينِ إرخاءَ

فقال : اركبها لا حملك الله .

1 بسلهبة في الديوان : بساهمة 17 . القرب : الخاصرة .
2 النقنق : الظَّليم وهو ذكر النعام .
3 الكاسر : العقاب . الفتخاء : اللينة الجناح لأنّها إذا انحطّت كسرت جناحيها وغمزتها .

[هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني الخَرّاز عن المدائنيّ قال: هجتِ الأخطلَ جاريةٌ من قومه؛ فقال لأبيها: يا أبا الدَّلْماء، إنّ ابنتك تعرّضتْ لي فاكْفُفْها. فقال له: هي امرأةٌ مالكةٌ لأمرها. فقال الأخطل: [من الوافر]

أَلاَ أَبْلِغْ أبا الدَّلْماء عنّي ... بـأن سِنانَ شاعـركم قصيرُ
فإنْ يَطْعَنْ فليسَ بذي غَناءٍ ... وإن يُطْعَـنْ فمَطْعَنُه يسيرُ
متى مـا أَلْقَه ومعي سِلاحي ... يخِرَّ على قفـاه فـلا يُحِيرُ

فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه؛ فقال: أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد.

[وصيّته عند موته]

أخبرنا أبو خَلِيفة إجازةً عن محمّد بن سَلاّم قال: لمّا حضرتِ الأخطلَ الوفاةُ قيل له: يا أبا مالك، ألاَ تُوصِي؟ فقال: [من المتقارب]

أُوَصِّي الفرزدق عند المماتِ ... بـأُمِّ جريـرٍ وأعيارِهـا
وزار القبـورَ أبـو مالـكٍ ... برغـم العُـداة وأَوْتارِهـا

[رأي ابن سَلام في شعر له وشعر لجرير]

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمّد بن سَلاّم قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العَلاء: أيُّ البيتين عندك أجودُ: قول جرير: [من الوافر]

ألستم خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا ... وأَنْدَى العالمين بُطُـونَ راحِ

أم قول الأخطل: [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

فقلت: بيتُ جرير أحلى وأَسْيَر، وبيتُ الأخطل أجْزَل وأرْزَن. فقال: صَدَقتَ، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصّة والعامّة.

[رأي حمّاد الراوية في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الحَلَبيّ وجعفر بن سعيد أنّ رجلاً سأل حَمّاداً الراوية عن الأخطل فقال: وَيْحَكم؛ ما أقول في شعر رجلٍ قد والله حَبَّبَ إليّ شعرُه النَّصْرانيّة!.

[فضّله كثير من العلماء على صاحبيه]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو عثمان الأشناندانيّ عن أبي عُبَيْدة قال : كان يونس بن حَبيب وعيسى بن عُمَر وأبو عَمْرو يفضِّلون الأخطل على الثلاثة .

[فضّله عمر بن عبد العزيز على جرير]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني أبو عثمان المازنيّ عن العُتْبيّ عن أبيه : أنّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز : أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ ؟ فقال له : أعْفِني . قال : لا والله لا أعفيك . قال : إنّ الأخطل ضيَّق عليه كفرُه القولَ ، وإنّ جريراً وسّع عليه إسلامُه قولَه ؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيتَ . فقال له سليمان : فضَّلتَ والله الأخطلَ .

[أثنى عليه الفرزدق]

قال هارون وحدَّثني أبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كُلْثوم قال : قال عبد الملك للفرزدق : مَنْ أشعرُ الناسِ في الإسلام ؟ قال : كفاك بابن النَّصْرانيّة إذا مدَح .

[مهاجاته جريراً في حضرة عبد الملك وقصّة أبي سواج]

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : حُدِّثتُ أنّ الحجّاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ . فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعِي له ؛ فلمّا دخل عليه قال له : يا أخطل ، هذا سَبُّك ، يعني جريراً ، وجريرٌ جالسٌ ، فأقبل عليه جريرٌ فقال : أين تركتَ خنازير أمِّك ؟ قال : راعيةً مع أعيارِ أمِّك ؛ وإن أتيتنا قَرَيْناك منها . فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه . قال : صدَق يا أمير المؤمنين ، وما اعتذاري من ذلك ! . [من الوافر]

تَعِيبُ الخمرَ وهي شرابُ كِسْرَى ويشرَبُ قومُكَ العَجَبَ العجيبا[1]
مَنيُّ العبدِ عبدِ أبي سُواجٍ أحَقُّ من المُدامةِ أن تَعِيبا

فقال عبد الملك : دعوا هذا ، وأنْشِدْني يا جرير ، فأنشده ثلاثَ قصائدَ كلُّها في الحجّاج يمدَحه بها ، فأُحْفِظ عبدُ الملك ، وقال له : يا جرير ، إنّ الله لم ينصِرِ الحجّاج وإنّما نَصر خليفته ودينه . ثم أقبل على الأخطل فقال : [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدَروا

فقال عبد الملك : هذه المُزَمِّرة[2] ؛ والله لو وُضِعتْ على زُبَرَ[3] الحديدِ لأذابتها . ثم أمر له

1 في الديوان : الشطر الأوّل : تعيّرني شراب الشيخ كسرى 155 .

2 في ل : المدمرة .

3 الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد .

بخِلَعٍ فخُلِعتْ عليه حتى غاب فيها ، وجعل يقول : إنّ لكلّ قومٍ شاعراً ، وإنّ الأَخطل شاعرُ بني أُميّة .

فأمّا قول الأَخطل : [من الوافر]

مَنيّ العبــدِ عبــدِ أَبي سُواجٍ

فأَخبرني بخبر أَبي سُواجٍ عليّ بن سليمان الأَخفش ومحمَّد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدّثنا أَبو سعيد السُكّريّ قال حدَّثنا محمّد بن حَبيبَ وأَبو غسّان دَماذ عن أَبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثنّى أنّ أَبا سُواجٍ وهو عَبّاد بن خَلَف الضَّبّيّ جاور بني يَرْبوع ، وكانت له فرسٌ يقال لها بَذْوة[1] ، وكان لِصُرَدَ بنِ جَمْرة اليَرْبوعيّ فرس يقال له القَضيب ، فتراهنا عشرين بعشرين ، فسبقت بَذْوةُ فظلمه ابن جَمْرةَ حقَّه ومنعَه سَبَقَه[2] ، وجعل يفجُر بامرأته . ثم إنّ أَبا سُواج ذهب إلى البَحْرَين يمتارُ ؛ فلمّا أَقبل راجعاً ، وكان رجلاً شديداً مُعْجَباً بنفسه ، جعل يقول وهو يَحْدو : [من الرجز]

يا ليتَ شِعْرِي هل بَغَتْ من بَعْدي

فسمِع قائلاً يقول من خَلْفِه : [من الرجز]

نَعَـمْ بمكــوِيٍّ قَفــاهُ جَعْـدِي

فعاد إلى قوله فأَجابه بمثلِ ذلك . وقَدِم إلى منزله فأَقام به مدّةً ، فتغاضَبَ صُرَدُ على امرأة أَبي سُواج وقال : لا أَرضى أَو تَقُدّي من است أَبي سُواج سيراً . فأَخبرتْ زوجَها بذلك فقام إلى نعجةٍ له فذبحها وقَدّ من باطن أَلْيَتَيْها سيراً فدفعه إليها ؛ فجعله صُرَدُ بن جَمْرة في نعله ، فقال لقومه : إذا أَقبلتُ وفيكم أَبو سُواج فسَلُوني من أَين أَقبلت ففعلوا ، فقال : من ذِي بِلِيّان[3] وأُريد ذا بِلِيّان ، وفي نعلي شِراكان ، من اسْتِ إنسان . فقام أَبو سُواج : فطرَح ثوبَه وقال : أَنشُدُكم اللهَ ! هل تروْن بأساً ؟ ثم أَمر أَبو سُواج غلامين له راعيَيْن أَن يأخذا أَمَةً له فيَتراوَحاها ؛ ودفع إليهما عُسّاً وقال : لئن قطرتْ منكما قطرةٌ في غير العُسِّ لأَقتلَنَّكما . فباتا يتراوحانِها ويصُبّان ما جاء منهما في العُسّ ، وأَمرَهما أَن يحلُبا عليه فحلَبا حتى ملأاه ؛ ثم قال لامرأته : واللهِ لَتسقِنّه صُرَدَ أَو لأَقتلنّكِ : واختبأ وقال : ابعثي إليه حتى يأتيكَ ففعلتْ . وأَتاها لعادتها كما كان يأتيها ، فرحّبَتْ به واستبطأَته ثم قامت إلى العُسّ فناولته إيّاه . فلمّا ذاقه رأَى طعماً خبيثاً وجعل يَتَمطّق[4] من اللّبن الذي يشرَب وقال : إنّي أَرى لبنكم خاثراً ، أَحسب إبِلَكم رعَتِ

1 في ل : ندوة .

2 السَّبَق : الخطي الذي يوضع بين أَهل السباق .

3 ذو بليان : موضع وراء اليمن وقال آخرون : من أَعمال هجر .

4 يتمطّق : يتذوّق .

السَّعْدان . فقالت : إنّ هذا من طُول مُكْثه في الإناء ، أقسمتُ عليكَ إلاّ شربتَه . فلمّا وقع في بطنه وجد الموتَ ، فخرج إلى أهله ولا يعلمَ أصحابُه بشيء من أمره . فلمّا جَنّ على أبي سُواج اللّيل أتى أهلَه وغِلمانَه فانصرفوا إلى قومه وخلّف الفرسَ وكلبَه في الدار ؛ فجعل الكلب ينبَح والفرس يصهِلَ ؛ وذلك ليظنّ القومُ أنّه لم يَرْتَحِل . فساروا ليلتَهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبِهِ وفرسِهِ وعُسِّه . فلمّا أصبح رِكب فرسَه وأخذ العُسَّ فأتى مجلسَ بني يَرْبُوع فقال : جزاكم الله من جيرانٍ خيراً ! فقد أحسنتم الجِوار ، وفعلتـم مـا كنتم له أهلاً . فقالوا له : يا أبا سُواج ، ما بَدا لك في الانصراف عنّا ؟ قال : إنّ صُرَدَ بن جَمْرة لم يكن فيما بيني وبينه محسناً ، وقد قلتُ في ذلك : [من الكامل]

إنّ المَنِـــيَّ إذا سَرَى ... في العبـد أصبح مُسْمَغِدًّا[1]
أتُنـــالُ سَلْمَـى باطـلاً ... وخُلِقْتُ يـوم خُلِقتُ جَلْدا
صُرَدَ بـنَ جمرةَ هل لَقِيـ ... ـتَ رثيئةً لبناً وعَصْدا[2]

واعلموا أنّ هذا القَدَح قد أحبَل منكم رجلاً وهو صُرَد بن جَمْرة . ثم رمى بالعُسِّ على صخرةٍ فانكسر وركَضَ فرسَه . وتنادَوْا : عليكم الرجلَ ، فأعجزهم ولَحِق بقومه . وقال في ذلك عمر بن لَجَأ التَّيميّ : [من الطويل]

تُمَسِّحُ يربــوعٌ سِبالاً لئيمــةً ... بها من مَنيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابسُ

وإيّاهُ عَنَى الأخطلُ بقوله : [من الوافر]

ويشرَب قومُك العجبَ العجيبا

[حبسه القسّ ثم أطلقه بشفاعة هاشمي]

أخبرنا أبو خَليفةَ قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال زعم محمَّد بن حَفْص بن عائشة التَّيْميّ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب قال : قَدِمتُ الشامَ وأنا شابٌّ مع أبي ، فكنتُ أطوفُ في كنائسها ومساجدها ؛ فدخلتُ كنيسةَ دِمَشْق ، وإذا الأخطلُ فيها محبوسٌ ، فجعلتُ أنظر إليه . فسأل عَنِّي فأُخْبِر بنسبي ، فقال : يا فتى ، إنّك لرَجلٌ شريفٌ ، وإنّي أسألك حاجةً . فقلت : حاجتُك مقضيَّةٌ . قال : إنّ القَسَّ حبسَني هاهنا فتكلِّمُه لِيُخَلِّيَ عنّي . فأتيتُ القَسَّ فانتسبت له ، فرحَّب وعظَّم ، قلت : إنّ لي إليك حاجةً . قال : ما حاجتك ؟ قلت : الأخطلُ تُخَلِّي عنه . قال : أُعِيذُك بالله من هذا ؛ مثلُك لا يَتكلّم

---

1 مُسْمَغِدًّا : مرتوياً من اللبن .

2 رثيئة : اللبن الحامض ، والعصد : تحريك العصيدة بالمسواك فتنقلب فلا يبقى في الإناء شيء إلاّ انقلب .

فيه ؛ فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم ؛ فلم أزَل أطلُب إليه حتى مضَى معي متّكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه وقال : يا عَدُوَّ الله ! أتعود تشتُمُ الناسَ وتهجوهم وتقذِف المُحْصَناتِ ! وهو يقول : لستُ بعائدٍ ولا أفعل ، ويَسْتَخْذي له . قال : فقلت له : يا أبا مالك ، الناسُ يَهابونك والخليفةُ يُكرمك وقَدْرُك في الناس قَدْرُك ، وأنت تخضَع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذِي له ! . قال : فجعل يقول لي : إنّه الدِّين ؛ إنّه الدِّين ! .

[مرَّ به أسقف فأمر امرأته أن تتمسح به]

أخبرنا اليزيديّ عن عمِّه عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال : كانت امرأة الأخطل حاملاً ، وكان متمسِّكاً بدِينه . فمرَّ به الأُسْقُفّ يوماً . فقال لها : الحَقِيه فتَمَسَّحِي به ؛ فعدَتْ فلم تلحَق إلاّ ذَنَبَ حماره فتمسّحتْ به ورجعتْ . فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

[هنّأه هشام بالإسلام فأجابه]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا ابن سَلاّم قال حدَّثني يونس قال قال أبو الغَرّاف : سمِع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ وهو يقول : [من الكامل]

وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تَجِدْ ذُخْـراً يكـون كصالح الأعمـالِ

فقال : هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام ؛ . فقال له : يا أمير المؤمنين ، ما زلتُ مسلماً في ديني .

[وفد على الغضبان بن القبعثري في حمالة فخيره في عطاءين]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا ابن سَلاّم قال حدَّثني يونُس وعبد الملك وأبو الغَرّاف ، فألّفتُ ما قالوا ، قالوا : أتى الأخطلُ الكوفةَ ، فأتى الغَضْبانَ بن القَبَعْثَرِيَ[1] الشَّيْبانيّ فسأله في حَمالةٍ ؛ فقال : إن شئت أعطيتُك ألفين ، وإن شئتَ أعطيتُك درهمين . قال : وما بالُ الألفين وما بال الدرهمين ؟ قال : إن أعطيتُك ألفين لم يُعْطِكَها إلاّ قليلٌ ، وإن أعطيتُك درهمين لم يبقَ في الكوفة بَكْرِيٌّ إلاّ أعطاك درهمين ؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبَصْرة فلم يبقَ بكريٌّ بها إلاّ أعطاك درهمين ، فخفّتْ عليهم المؤونةُ وكثُر لك النَّيْل . فقال : فهذه إذاً . فقال : نَقْسِمها لك على أن تَرِد علينا . فكتب بالبصرة إلى سُوَيْد بن مَنْجُوف[2] السَّدُوسيّ فقدِم البَصْرَةَ ، فقال يونس في حديثه : فنزل على آل الصَّلْت بن حُرَيْث الحنفيّ ؛ فأخبر مَنْ سمعه يقول : والله لا أزال أفعل ذلك . ثم رجع الحديث الأوّل : فأتى سويداً فأخبره بحاجته . فقال نعم ؛ وأقبل على قومه

1 الغضبان بن القبعثري من أشراف العراق وكان من دُعاة المروانية أيّام حرب عبد الملك بن مروان مصعب بن الزُبَير .

2 سويد بن منجوف : من أشراف البصرة .

فقال : هذا أبو مالكٍ قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا لـه ، وهو الذي يقول : [من الوافر]

إذا ما قلتُ قد صالحتُ بَكْراً أبـى البَغْضاءُ والنَّسبُ البعيدُ
وأيّـامٌ لنـا ولَهُـمْ طِوالٌ يَعَضّ الهـامَ فيهـنّ الحـديدُ
ومُهْـراقُ الدمـاءِ بوارِداتٍ تَبِيـدُ المُخزِيـاتُ ولا تَبِيدُ[1]
هُما أخـوانِ يَصْطلِيانِ نـاراً رِداءُ الحـربِ بينهما جديدُ[2]

فقالوا : فلا والله لا نُعطيه شيئاً . فقال الأخطلُ : [من الوافر]

فإنْ تَبْخَـلْ سَدُوسُ بدِرْهَمَيْها فـإنّ الرِّيحَ طَيِّبـةٌ قَبُـولُ[3]
تَواكَلَني بنـو العَلاّتِ منهـم وغالتْ مالكاً ويزيـدَ غُـولُ[4]
صَرِيعـا وائـلٍ هَلَكـا جميعاً كأنّ الأرضَ بعدهمـا مُحُولُ

وقال في سُوَيد بن مَنْجُوف ، وكان رجلاً ليس بذي منظر : [من الطويل]

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّب السُّوسُ أصلَه لِمَـا حَمّلْتَـهُ وائـلٌ بمُطِيـقِ

[كان مع مهارته وشعره يسقط أحياناً]

أخبرنا أبو خَلِيفة قال قال محمَّد بن سَلاّم : كان الأخطلُ مع مَهارته وشعره يسقُط أحياناً : كان مدح سِماكاً الأسَديّ ، وهو سِماك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد ، وبنو عمرو يلقَّبون القُيُونَ ، ومسجد سِماك بالكوفة معروف ، وكان من أهلها ؛ فخرج أيّامَ عليّ هارباً فلَحِق بالجزيرة ، فمدحه الأخطل فقال : [من البسيط]

نعـم المُجيرُ سِماكٌ من بني أَسَدٍ بالقاعِ إذ قتلـت جيرانَها مَضَرُ
قـد كنـتُ أحسَبه قَيْناً وأُخْبَرُهُ فاليـومَ طُيِّر عـن أثوابـه الشَّرَرُ
إنّ سِماكاً بنـى مجـداً لأُسرته حتى المماتِ وفِعـلُ الخير يُبتدرُ

فقال سِماك : يا أخطلُ ، أردتَ مَدْحي فهجوتَني ، كان الناس يقولون قولاً فحقّقتَه . فلمّا هجا سُويداً قال له سُوَيْد : والله يا أبا مالك ، ما تُحْسِن تهجو ولا تمدح ؛ لقد أردتَ مَدْحَ الأسَديّ فهجوتَه ، يعني قوله : [من البسيط]

---

1 يريد يوم واردات وكان بين بكر وتغلب . المُخْزيات في الديوان : المخزنات 283 .
2 الحرب في الديوان : الموت 283 .
3 القبول : ريح الصّبا .
4 يريد مالك بن شيبان بن الجحدريّ من قيس بن ثعلبة ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيبانيّ صاحب شرطة الحجّاج .

قــد كنتُ أحسَبه قيناً وأُنْبَؤُه ... فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ
إنّ سماكاً بنى مجـداً لأُسرته ... حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدرُ

وأردتَ هجائي فمدحتَني ، جعلتَ وائلاً حَمّلتني أُمورَها ، وما طَمِعتُ في بني تَغْلِب فضلاً عن بكر .

[أبى الصلاة في مسجد بني رؤاس وهجاهم]

أخبرنا أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبانُ البَجَليّ قال : مرَّ الأخطل بالكوفة في بني رُؤاس[1] ومؤذّنهم يُنادي بالصلاة . فقال له بعض فتيانهم : ألاَ تدخل يا أبا مالك فتصلّي ؟ فقال : [من الوافر]

أصَلّي حيثُ تُدركني صَلاتي ... وليس البِـرُّ عنـد بني رُؤاسِ

[خلا في نزهة مع صديق له فطرأ عليهما ثقيل فهجاه]

أخبرنا أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاَّم قال حدَّثني أبو الحُصَيْن الأُمَويّ قال : بينا الأخطلُ قد خلا بخُمَيْرة له في نُزْهةٍ مع صاحب له ، وطرأ عليهما طارىء لا يعرِفانِه ولا يَستخِفّانِه ، فشرِب شرابَهما وثَقُل عليهما . فقال الأخطل في ذلك : [من الطويل]

صوت

وليس القَذَى بالعُودِ يسقُط في الإنا ... ولا بذُبـابٍ خَطْبُــه أيسرُ الأمـرِ
ولكــنّ شخصاً لا نُسَرُّ بقُرْبِــه ... رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لا ندري

ويُرْوَى : [من الطويل]

ولكـن قَذاهـا زائـرٌ لا نُحبّه

وهو الجيّد . الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وقد أخبرنا بهذا الخبر محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسَد قال حدَّثنا العُمَريّ قال حدَّثنا الهَيْثم بن عَدِيّ عن ابن عَيّاش قال : بينا الأخطلُ جالسٌ عند امرأةٍ من قومه ، وكان أهلُ البَدْو إذ ذاك يتحدّث رجالُهم إلى النساء لا يروْن بذلك بأساً ، وبين يديه باطِيةُ شَرابٍ والمرأةُ تُحَدّثه وهو يشرب ، إذ دخل رجلٌ فجلس ، فثَقُل على الأخطل وكرِه أن يقول له قُم استحياءً منه . وأطال الرجلُ الجلوسَ إلى أن أقبل ذُبابٌ فوقع في الباطية في شرابه ؛ فقال الرجل : يا أبا مالك ، الذُّبابُ في شَرابك . فقال : [من الطويل]

---

1 بنو رؤاس : حي من بني عامر بن صعصعة ، وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وليس القَذَى بالعودِ يسقُط في الخمر ولا بذُبــاب نَزْعُــه أيْسرُ الأمرِ
ولكــن قَذاهــا زائــرٌ لا نُحِبّــه رمتْنا به الغيطانُ من حيث لا نَدْري

قال : فقام الرجل فانصرف .

وأخبرني عمّي رحمه الله بهذا الحديث عن الكُرانيّ عن الزِّياديّ عن عليّ بن الحفّار أخي أبي الحجّاج : أنّ الأخطل جاء إلى مَعْبَد في قَدْمةٍ قدِمها إلى الشام . فقال له مَعْبَد : إنّي أُحِبّ محادثتَك . فقال له : وأنا أُحِبّ ذلك . وقاما يتصبّحانِ الغُدْرانَ حتى وقفا على غديرٍ فنزلا وأكلا ؛ فتَبِعهما أعرابيّ فجلس معهما . وذكر الخبر مثل الذي قبله .

[لبّى دعوة شابّ من أهل الكوفة وشعره في ذلك]

أخبرنا أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال قال أبان بن عثمان حدَّثني أبي قال : دعا الأخطلَ شابٌّ من شَباب أهل الكوفة إلى منزله . فقال له : يا ابن أخي ، أنت لا تَحْتمِل المؤونةَ وليس عندك مُعْتَمَدٌ ؛ فلم يزل به حتى انتجعه ، فأتى البابَ فقال : يا شَقْراء ، فخرجتْ إليه امرأةٌ ، فقال لأمِّه : هذا أبو مالك قد أتاني ؛ فباعتْ غَزْلاً لها واشترت له لحماً ونبيذاً ورَيْحاناً . فدخل خُصّاً لها فأكل معه وشرِب ، وقال في ذلك : [من الطويل]

وبيتٍ كظهر الفِيــل جُــلُّ مَتاعِه أباريقُــــه والشاربُ المُتَقَطِّــرُ[1]
ترى فيــه أثلامَ الأصيصِ كأنّها إذا بال فيها الشيخُ جَفْرٌ مُعَوَّرُ[2]
لَعَمْرُك مــا لاقيتُ يــومَ معيشةٍ من الدَّهرِ إلاّ يومُ شقراءَ أقصَرُ
حَوارِيّــةٌ لا يدخــل الذَّمُّ بيتَها مُطَهَّــرةٌ يــأوِي إليهــا مُطَهَّرُ

وذكر هارون بن الزيّات هذا الخبر عن حمّاد عن أبيه أنّه كان نازلاً على عِكْرِمة الفيّاض وأنّه خرج من عنده يوماً ، فمرَّ بفتيان يشربون ومعهم قَيْنةٌ يقال لها شَقْراء . وذكر الخبرَ مثلَ ما قبله ، وزاد فيه : فأقام عندهم أربعة أيّام . وظنَّ عِكرمةُ أنّه غضِب فانصرف عنه . فلمّا أتاه أخبره بخبره ، فبعث إلى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف ، فمضى بها إليهم وقال : استعينوا بهذه على أمركم . ولم يزل ينادمهم حتى رحَل .

[حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان]

أخبرني أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو يحيى الضَّبيّ قال : اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بِشْر بن مَرْوان ، وكان بِشْرٌ يُغْرِي بين الشعراء . فقال للأخطل : احكُمْ

1 المتقطّر : المصروع .
2 الأصيص : أسفل الدن كان يوضع ليبال فيه . المعوَّر : المكبوس بالتراب .

بين الفرزدق وجرير . فقال : أَعْفِني أيّها الأمير . قال : احكم بينهما ، فاستعفاه بجَهْده فأبى إلاّ أن يقولَ ؛ فقال : هذا حكمٌ مشؤومٌ ؛ ثم قال : الفرزدق يَنْحِتُ من صَخْر ، وجريرٌ يغرِف من بحر . فلم يرضَ بذلك جرير ، وكان سببَ الهِجاء بينهما . فقال جرير في حُكومته : [من الكامل]

يا ذا العباءةِ إنّ بِشْراً قد قضَى ... ألاَّ تجـوزَ حكومـةُ النَّشْوانِ

فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أَهلِها ... إنّ الحكومـةَ في بني شَيْبانِ

قَتَلوا كُلَيْبَكُم بِلَقْحـةِ جارِهِمْ ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستمُ بِهِجانِ[1]

فقال الأخطل يردّ على جرير : [من الكامل]

ولقـد تَناسبتمْ إلى أحسابكم ... وجعلتُم حَكَماً من السُّلطانِ

فإذا كُلَيْبٌ لا تُساوي دارِماً ... حتـى يُساوَى حَزْرَمٌ بأَبانِ[2]

وإذا جعلتَ أَباك في مِيزانهم ... رَجَحُوا وشال أَبوك في المِيزانِ

وإذا وردتَ المـاءَ كان لدارمٍ ... عِفْواتُـه وسهولـةُ الأَعطانِ[3]

ثم استطارا في الهجاء .

[مناقضة بينه وبين جرير]

أَخبرني أبو خَليفةَ قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثنا أَبـو الغَرّاف قـال : لّما قال جرير : [من الطويل]

إذا أَخَذتْ قَيْسٌ عليكَ وخِنْدِفٌ ... بأَقطارِهـا لم تَدْرِ من أَين تَسْرَحُ

قال الأخطل . لا أين ؛ سَدّ واللهِ عليَّ الدنيا . فلمّا أُنشد قولَه : [من الطويل]

فما لـك في نَجْدٍ حَصاةٌ تَعُدُّها ... وما لك مـن غَوْرَيْ تهامةَ أَبطَحُ

قال الأخطل : لا أُبالي واللهِ ألاّ يكونَ فُتحَ لي والصَّليبِ القولُ ؛ ثم قال : [من الطويل]

ولكـنْ لنا بَـرُّ العِـراقِ وبَحْرُه ... وحيثُ تَرَى القُرْقُورَ في الماء يَسْبَحُ[4]

[استشهد تغلبيّ بشعر لجرير في محاورة بينه وبين تميميّ]

أُخبرنا أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني محمّد بن الحَجّاج الأُسَيِّديّ قال :

---

1 يشير إلى حادثة كليب وجسّاس بن مرّة الشهيرة . واللقحة : الناقة الحلوب .

2 حزرم : جبيل فوق الهضبة في ديار بني أسد . وأبان : جبل شرقي الحاجز فيه نخل وماء ، ويُعرف بالأبيض ، وهو أيضاً جبل لبني فزارة وهو المعروف بالأسود .

3 عفوة كلّ شيء : صفوته وكثرته . والعطن : مناخ الإبل حول الورد .

4 القرقور : السفينة العظيمة .

خرجتُ إلى الصائفةِ فنزلتُ منزلاً ببني تَغْلِبَ فلم أَجِدْ به طعاماً ولا شراباً ولا عَلَفاً لدوابّي شِرىً ولا قِرىً ولم أَجِد ظِلاً ؛ فقلت لرجلٍ منهم : ما في داركم هذه مسجد يُستَظَلُّ فيه ؟ فقال : ممّن أنت ؟ قلت : من بني تميم . قال : ما كنتُ أرى عمّك جريراً إلاّ قد أخبرك حين قال : [من الكامل]

فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى ... في آل تَغْلِبَ مسجداً معمورا

[لقيه جرير حين خرج إلى الشام فتناشدا وتعارفا]

أخبرني أبو خَليفة قال أنبأنا محمَّد بن سَلاَّم قال حدَّثني شيخ من ضُبَيْعة قال : خرج جريرٌ إلى الشام فنزل منزلاً ببني تَغْلِبَ فخرج متلثّماً عليه ثيابُ سفره ، فلقيه رجلٌ لا يعرفه . فقال : ممّن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : أمَا سمعتَ ما قلتُ لغاوي بني تميم ؟ فأنشده ممّا قال لجرير . فقال : أما سمعتَ ما قال لك غاوي بني تميم ؟! فأنشده . ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ في نَقْضه حتى كثُر ذلك بينهما . فقال التغلَبيّ : مَن أنت ؟ لا حيّاك الله ؛ والله لكأنّك جرير . قال : فأنا جرير . قال : وأنا الأخطل .

[دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط في كلامه وأنشده]

أخبرني عمّي قال أنبأنا الكُرانيّ قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائنيّ قال : دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب ، فكلّمه فخلّط في كلامه . فقال له : ما هذا ؟ فقال : [من الوافر]

إذا شرِب الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاولَ أن يَطُولا
مشى قُرَشِيّةً لا عيبَ فيها ... وأَرخَى من مآزره الفُضولا

[نزل به الفرزدق ضيفاً في طريقه إلى الشام فتناشدا وتعارفا]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمَّد اليزيديّ قال أخبرني أبو محمَّد اليزيديّ قال : خرج الفرزدق يَؤُمّ بعضَ الملوك من بني أميّة ، فرُفِع له في طريقه بيتٌ أحمر من أَدَم ، فدنا منه وسأل فقيل له : [بيت] الأخطل . فأتاه فقال : انزل . فلمّا نزل قام إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلاّ أنّه ضيفٌ ؛ فقعدا يتحدّثان . فقال له الأخطل : ممّن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : فإنّك إذاً من رَهط أخي الفرزدق . فقال : تحفَظ من شعره شيئاً ؟ قال : نعم كثيراً . فما زالا يتناشدان ويتعجّب الأخطل من حفظه شعرَ الفرزدق إلى أن عمِل فيه الشراب ، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك : أنتم معشرَ الحَنِيفيّة لا ترون أن تشربوا من شرابنا . فقال له الفرزدق : خَفِّضْ قليلاً وهاتِ من شرابك فاسْقِنا . فلمّا عمِلت الرّاحُ في أبي فِراس قال : أنا والله الذي أقول في جرير فأنشَده . فقام إليه الأخطل فقبّل رأسه وقال : لا جَزاك الله عنّي خيراً ! لِمَ كتمْتني نفسَك منذ اليوم ؟ وأخذا في شرابهما

وتَناشُدهما ، إلى أن قال له الأخطل : والله إنّك وإيّاي لأشعرُ منه ولكنّه أُوتي من سَير الشعر ما لم نُؤْتَه ؛ قلت أنا بيتاً ما أعلم أنّ أحداً قال أهجَى منه ، قلت : [من البسيط]

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهُمُ   قالــوا لأُمِّهِمُ بُولي على النارِ

فلم يَرْوِه إلاّ حُكماء أهل الشعر . وقال هو : [من الكامل]

والتغلبيّ إذا تنحنح للقِــرَى   حَكّ اسْتَه وتمثّلَ الأمثالا

فلم تبقَ سُقاة ولا أمثالُها إلاّ روَوْه . فقَضَيا له أنّه أسْيَرُ شعراً منهما .

[كان له دار ضيافة فمرّ به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه فأكرمه]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال قال المدائنيّ : كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافـة ، فمـرَّ به عِكْرِمة الفيّاض وهو لا يعرفه ، فقيل له : هذا رجل شريف قد نزل بنـا . فلمّا أمسى بعث إليه فتعشَّى معه ، ثم قال له : أتُصيب من الشراب شيئاً ؟ قال نعم . قال : أيَّه ؟ قـال : كلَّه إلاّ شرابَك . فدعا له بشراب يُوافقه ، وإذا عنده قَيْنتانِ هما خلفَه وبينه وبينهما سِتْرٌ ، وإذا الأخطل أشهب اللِّحية له ضفيرتان ؛ فغمز السترَ بقضيبٍ في يده وقال : غنّياني بأردية الشعر ، فغنّتاه بقول عمرو بن شَأْس : [من الطويل]

وبِيضٍ تَطَلَّــى بـــالعَبيرِ كأنّمــا   يَطَأْنَ وإن أَعْنقنَ في جُدَدٍ وَحْلا[1]
لَهَوْنا بهــا يومـاً ويومـاً بشاربٍ   إذا قلتَ مغلوباً وجدتَ له عقلا

[السبب في مدحه عكرمة بن ربعي الفيّاض]

فأمّا السبب في مدح الأخطل عِكْرِمةَ بن رِبْعيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال : قدِم الأخطل الكوفةَ فأتى حَوْشَبَ بن رُوَيْم الشَّيْبانيّ ، فقال : إنّي تحمّلتُ حَمالتين لأحقِن بهما دماء قومي فنَهَرَه ، فأتى سَيّارَ بن البَزيعة ، فسأله فاعتذر إليه ، فأتى عِكْرِمةَ الفيّاض ، وكان كاتباً لبِشْر بن مَرْوان ، فسأله وأخبره بما رَدّ عليه الرجلان ؛ فقال : أمّا إنّي لا أنهَرُك ولا أعتذر إليك ، ولكنّي أُعطيك إحداهما عيناً والأخرى عَرَضاً . قال : وحدَث أمرٌ بالكوفة فاجتمع له الناسُ في المسجد ، فقيل له : إن أردتَ أن تكافىء عِكرِمة يوماً فاليوم . فلبِس جُبّة خزٍّ وركب فرساً وتقلّد صليباً من ذهب وأتى بابَ المسجد ونزل عن فرسه . فلمّا رآه حَوْشَب وسيّار نَفِسا عليه ذلك ، وقال له عِكْرِمة : يا أبا مالك ، فجاء فوقف وابتدأ يُنشد قصيدته : [من الكامل]

لِمَنِ الدّيــارُ بحائـلٍ فوُعالِ

حتى انتهى إلى قوله :

---

1 الإعناق : سير فسيح سريع . والجدد : الطرق .

إنّ ابنَ رِبْعِـيٍّ كَفاني سَيْبُه ضِغْنَ العدوِّ وغَدْرَةَ المُحتالِ[1]
أَغْلَيْتَ حـين تواكَلَتْني وائلٌ إنّ المكارمَ عنـد ذاك غَوالِ
ولقد مَنَنتَ على ربيعـةَ كلِّها وكَفَيْتَ كلَّ مُواكِلٍ خَذَّالِ
كابن البَزيعـة أو كآخَرَ مثلِه أَوْلَى لك ابنَ مُسِيمةِ الأَجمالِ[2]
إنّ اللَّئيـم إذا سألتَ بَهَرْتَه وترى الكريمَ يَراحُ كالمختالِ[3]
وإذا عدلتَ بـه رجالاً لم تَجِدْ فيضَ الفُرات كراشحِ الأَوشالِ

قال : فجعل عِكْرِمة يبتهج ويقول : هذه والله أحبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم .
وممّا في شعر الأخطل من الأصوات المختارة :

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أَراعَكَ بالخابورِ نـوقٌ وأَجمال ودارٌ عَفَتْها الرِّيحُ بعدِي بأَذيالِ[4]
ومَبْنى قِبـابِ المالكيّـة حَوْلَنـا وجُرْدٌ تَعادَى بـين سَهْلٍ وأَجبالِ

عروضه من الطويل . الشعر للأخطل . والغناء لابن محرز ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكّيّ إلى ابن محرز ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول . وفيه لحُنَين الحِيريّ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ .

1 وغدرة المحتال في الديوان : وبنوة البخّال ، 159 .
2 كابن البزيعة في الديوان : مثل ابن بزعة ، 159 .
3 راح الإنسان إلى الشيء : إذا نشط له وسرّ به .
4 الخابور : نهر بين رأس عين والفرات ، وهو أيضاً واد بالجزيرة .

[121] ـ ذكر سائب خاثر ونسبه

[نسبه]

كان سائب خاثر مولى بني لَيْث . وأَصلُه من فَيْء كِسْرَى ، واشترى عبدُ الله بن جعفر ولاءَه من مواليه ، وقيل : بل اشتراه فأَعتقه ، وقيل : بل كان على وَلائه لبني لَيْثَ ، وإنما انقطع إلى عبد الله بن جعفر فلزمه وعُرِف به . وكان يبيع الطعام بالمدينة . واسم أَبيه الذي أَعتقه بنو ليث «يشا» .

[هو أوّل من عمل العود بالمدينة وغنّى به وأُخذ عنه المغنّون الأوّلون]

قال ابن الكَلْبيّ وأَبو غَسّان وغيرُهما : هو أَوّل مَن عمِل العُود بالمدينة وغنَّى به . وقال ابن خُرْداذْبه : كان عبد الله بن عامر اشترى إماءً صَنّاجاتٍ[1] وأَتى بهنّ المدينة ، فكان لهنّ يومٌ في الجمعة يلعبن فيه ، وسمِع الناسُ منهنّ ، فأَخذ عنهنّ . ثم قدِم رجلٌ فارسيٌّ يسمَّى بِنَشِيطٍ ، فغنَّى فأَعْجِب عبدُ الله بن جعفر به . فقال له سائب خاثر : أَنا أَصنع لك مثلَ غِناء هذا الفارسيّ بالعربيّة ، ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع : [من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيـــارُ رسومُهـا قَفْـرُ

قال ابن الكلبيّ : وهو أَوّل صوت غُنِّي به في الإسلام من الغناء العربيّ المُتْقَن الصنعة . قال : ثم اشترى عبد الله بن جعفر نَشِيطاً بعد ذلك ، فأَخذ عن سائب خاثر الغناء العربيّ وأَخذ عنه ابنُ سُرَيج وجميلةُ ومَعْبَد وعَزَّة المَيْلاءُ وغيرُهم .

[قتل يوم الحرّة]

قال ابن الكلبيّ وحدَّثني أَبو مِسْكين قال : كان سائب خاثر يُكْنى أَبا جعفر ، ولم يكن يضرب بالعود إنّما كان يَقْرَع بقَضِيب ويغنِّي مرتجِلاً ، ولم يزل يغنِّي . وقُتل يومَ الحَرّة . ومرَّ به بعض القُرَشيِّين وهو قتيل ، فضربه برجله وقال : إنّ هاهنا لحنجرةً حسنةً . وكان سائب من ساكني المدينة .

قال ابن الكلبيّ : وكان سائب تاجراً مُوسِراً يبيع الطعامَ ، وكان تحته أَربعُ نسوة ، وكان انقطاعُه إلى عبد الله بن جعفر ، وكان مع ذلك يُخالط سَرَواتِ الناس وأَشرافَهم لظَرْفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى ألاّ يغـنِّيَ أَحداً سوى عبد الله بن جعفر ، إلاّ أَن يكونَ

---

1 الصناجات : اللاعبات بالصنج . وفي ل : نائحات .

خليفةً أو وليَّ عهد أو ابنَ خليفة ؛ فكان على ذلك إلى أن قُتِل . قال : وأَخَذ معبد عنه غناءً كثيراً فنحَل الناسُ بعضَه إليه ، وأَهلُ العِلم بالغناء يعرفون ذلك . وزعم ابن خُرْداذْبه أَنّ أُمّ محمَّد بن عمرو الواقديّ القاضي المحدِّث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر .

[هو أوّل مَن غنَّى بالعربيّة الغناء الثقيل]

وقال ابن الكلبيّ : سائب خاثر أوّل مَن غَنَّى بالعربيّة الغناءَ الثقيل ؛ وأوّل لحنٍ صنعه منه : [من الكامل]

لِمَــنِ الدِّيــارُ رسومُهــا قَفْرُ

قال : فأَلِفتُ هذا الصوتَ الفَرُوحَ .

قال وحدَّثني محمَّد بن يزيد أَنّ أَوّلَ صوت صنعه في شعر امرىء القيس : [من الكامل]

أَفاطِمُ مَهْلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

وأنّ معبداً أَخَذ لحنَه فيه فغنَّى عليه : [من الطويل]

أَمِــنْ آل ليــلى باللِّــوَى مُتَرَبَّعُ

[وفد على معاوية مع عبد الله بن جعفر فسمع منه وأجازه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه عن ابن الكلبيّ عن لَقِيط قال : وفَد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقَّع له في حوائجه ، ثم عرَض عليه حاجةً لسائب خاثر ؛ فقال معاوية : مَنْ سائب خاثر ؟ قال : رجلٌ من أَهل المدينة لَيْثيٌّ يَرْوي الشعر . قال : أَوَكُلُّ من رَوى الشعر أَراد أَن نَصِلَه ؟ قال : إنّه حَسَّنه . قال : وإنْ حَسَّنه ! قال : أَفأُدْخِله إليك يا أَمير المؤمنين ؟ قال نعم . قال : فأَلبستُه مُمَصَّرتين[1] إزاراً ورِداء . فلمّا دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنَّى : [من الكامل]

لِمَــنِ الديــارُ رُسُومُهــا قَفْرُ

فالتفت معاويةُ إلى عبد الله بن جعفر فقال : أَشْهَد لقد حسَّنه ؛ فقضى حوائجه وأَحسن إليه .

نسبة هذا الصوت

[من الكامل]

لِمَــنِ الدِّيــارُ رُسُومُهــا قَفْرُ لَعِبــتْ بهــا الأَرواحُ والقَطْرُ

---

1 المصرّ من الثياب : الذي فيه صفرة خفيفة .

وخَلا لها مِن بعد ساكنِها ... حِجَجٌ مَضَيْنَ ثَمانٍ آوْ عَشْرُ
والزَّعْفَرانُ على تَرائِبِها ... شَرِقٌ به اللَّبّاتُ والنَّحْرُ[1]

الشعر يُنسب إلى أبي بكر بن المِسْوَر بن مَخْرَمة الزُّهْريّ ، وإلى الحارث بن خالد المخزومي ، وإلى بعض القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب . والغِناء لسائب خاثر ثقيلٌ أوّل بالسبّابة عن المكّيّ وحَبَش ، وذكر أنّ لحن سائب خاثر ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، ووافق إسحاق في ذلك ، وذكر أنّ الثقيل الأوّل لنشيط . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه ، وذكر الهشاميّ أنّ لحن معبد خفيفُ ثقيل ، وأنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل .

[سمعه معاوية عند ابنه يزيد فأعجبه وأمر يزيد بصلته]

أخبرنا أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالوا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني قَبيصة بن عمرو قال حدَّثنا محمَّد بن المِنْهال عن رجل حدَّثه ، وذكر ذلك أيضاً ابن الكَلْبيّ عن لَقِيط قال : أشْرف معاويةُ بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيدَ ابنِه ، فسمع صوتاً أعجبه ، واستخفّه السماعُ فاستمع قائماً حتى مَلّ ، ثم دعا بكرسيّ فجلس عليه ، واشتهى الاستزادةَ فاستمع بقيّة ليلته حتى مَلّ . فلمّا أصبح غدا عليه يزيدُ . فقال له : يا بُنَيّ ! مَنْ كان جليسَك البارحةَ ؟ قال : أيّ جليس يا أمير المؤمنين ؟ واستَعْجَم عليه . قال : عَرِّفْني فإنّه لم يخفَ عليّ شيءٌ من أمرك . قال : سائب خاثر . قال : فأخْثِرْ[2] له يا بُنَيّ من بِرّك وصِلَتك ، فما رأيتُ بمجالسته بأساً .

[سمعه معاوية عند ابن جعفر فأعجب به]

قال ابن الكلبيّ : قدم معاويةُ المدينةَ في بعض ما كان يقدَم ؛ فأمر حاجبَه بالإذن للناس ؛ فخرج الآذِنُ ثم رجع فقال : ما بالباب أحدٌ . فقال معاوية : وأين الناس ؟ قال : عند ابن جعفر . فدعا ببغلته فركبها ثم توجَّه إليهم . فلمّا جلس قال بعض القرشيِّين لسائب خاثر : مُطْرَفي هذا لك ، وكان من خزٍّ ، إن أنتَ اندفعتَ تُغنِّي ومشيتَ بين السِّماطَيْن وأنت تُغنِّي . فقام ومشى بين السماطين وغنَّى : [من الطويل]

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دَما

فسمِع منه معاويةُ وطَرِب وأصْغى إليه حتى سكَت وهو مُسْتحسِنٌ لذلك ، ثم قام وانصرف إلى منزله . وأخذ سائب خاثر المُطْرَفَ .

---

1 شرق الجسد بالطيّب : إذا امتلأ .

2 أخثر : أكثر .

[قتله يوم الحرّة وكلام يزيد فيه]

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن الزُّبَيريّ ، وأخبرني أبو بكر بن أبي شَيْبة البَزّاز قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : قُتل سائب خاثر يومَ الحَرّة ، وكان خَشِي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدّثهم ويقول : أنا مُغَنٍّ ، ومن حالي وقصّتي كيتَ وكيتَ ؛ وقد خدَمتُ أمير المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه . قالوا : فغنِّ لنا ، فجعل يغنّي ؛ فقام إليه أحدُهم فقال : أحسنتَ والله ؛ ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيدَ خبرُه ومرَّ به اسمُه في أسماء من قُتِل يومئذٍ فلم يعرفه وقال : مَنْ سائب خاثر هذا ؟ فقيل له : هو سائب خاثر المغنّي . فعرَفه فقال : وَيْلَه ؛ ماله ولنا ؟ ألم نُحْسِنْ إليه ونَصِلْه ونَخْلِطْه بأنفسنا ! فما الذي حمله على عداوتنا ! لا جَرَمَ أنّ بَغْيَه صرَعه . وقال المدائنيّ في خبره : فقال إنّا لله ؛ أو بلغَ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقتِه ؟ ما أرى أنّه بقي بالمدينة أحدٌ . ثم قال : قبّحكم الله يا أهلَ الشام ؛ تَجِدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شبّة قال حدّثني قَبِيصةُ بن عمرو قال حدّثني حاتم بن قَبيصة قال حدّثني ابن جُعْدُبة قال حدّثني مُوَيْلِك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يومَ الحَرّة : هل سمعتَ شيئاً صنعته ؟ فغنّاني صوتاً : [من الطويل]

صوت

لِمَنْ طَلَلٌ بين الكُراعِ إلى القَصْرِ   يُغَيِّب عنّا آيَهُ سَبَلُ القَطْرِ[1]
إلى خالداتٍ ما تَريمُ وهامِدٍ   وأشعثَ تُرْسِيه الوَليدةُ بالفِهْرِ[2]

قال : فسمعتُ عجباً مُعْجِباً ، ثم ذكر أهلَه وولدَه فبكى . فقلت له : وما يمنعك منهم ؟ فقال : أمّا بعدَ شيء سمعته ورأيته من يزيدَ بنِ معاوية فلا ؛ ثم تقدَّم حتى قُتِل .

صوت
من المائة المختارة

[من مخلّع البسيط]

أَقْفَرَ مِنْ أَهلِهِ مَصِيفُ   فبَطْنُ نَخْلَةَ فالعَرِيفُ[3]

---

1 كراع الأرض : ناحيتها وهو أيضاً ما سال من أنف الجبل أو الحرة . وكراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكّة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال .

2 الأشعث : الوتد . الفهر : حجر يملأ الكفّ .

3 بطن نخلة : موضع بين مكّة والطائف . مصيف والعريف : يبدو أنهما اسمان لموضعين .

هــل تُبْلِغَنِّـي دِيـارَ قومي مَهْرِيّــةٌ سَيْرُهــا زَفِيفُ[1]
يــا أُمَّ نُعْمــانَ نَوِّلِينــا قــد ينفــعُ النائــلُ الطَّفِيفُ
أعمامُهــا الصِّيدُ من لُــؤَيٍّ حَقّــاً وأَخوالُهــا ثَقِيفُ

الشعر لأَبي فَرْعَةَ الكِنانيّ ، والغناءِ لجَرادَتَيْ عبد الله بن جُدْعان ، ولحنُه من خفيف الثقيل . وفيه في الثالث والرابع أَوّلُ مطلق .

1 زفيف : سريع .

[122] ـ ذكر جَرادَتَيْ عبد الله بن جُدْعان وخبرهما وشيء من أَخبار ابن جُدْعان

[نسبه]

هو عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالِب .

[كان جواداً فوهب لأُميّة بن أَبي الصّلت أمتيه الجرادتين]

قال ابن الكلبيّ : كانت لابن جُدْعانَ أَمَتانِ تُسمَّيانِ الجَرادتين تتغنَّيان في الجاهليّة . سّماهما بجرادَتَيْ عادٍ . ووهبهما عبدُ الله بن جُدْعانَ لأُميّة بن أَبي الصَّلْت الثَّقَفِيّ ، وقد كان امتدحه . وكان ابنُ جُدْعانَ سيِّداً جَواداً ، فرأَى أُميّةَ ينظر إليهما وهو عنده فأَعطاه إيّاهما .

[سؤال عائشة للنبيّ ﷺ عنه]

وأَخبرني أَبو اللَّيْث نصرُ بن القاسم الفَرائضيّ قال حدّثنا أَبو بكر بن أَبي شَيْبة قال حدَّثنا حَفْص بن غِياث عن داود عن الشَّعْبيّ عن مسروق عن عائشة قالت : قلتُ : يا رسول الله إنّ ابن جُدْعانَ كان في الجاهليّة يَصِلُ الرَّحِمَ ويُطْعِم المسكينَ فهل ذلك نافعُه ؟ قال «لا لم يقل يوماً اغفِرْ لي خَطيئتي يومَ الدِّين» .

[قدم عليه أُميّة وهو عليل فضمنه قضاء دينه ، فمدحه]

أُخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني جعفر بن الحسين قال حدَّثني إبراهيم بن أحمد قال : قدِم أُميّة بن أَبي الصَّلْت على عبد الله بن جُدْعانَ ؛ فلمّا دخل عليه قال له عبد الله : أمرٌ ما أَتى بك ! فقال أُميّة : كلابٌ غُرَماءِ نَبَحَتْني ونَهَشَتْني . فقال له عبدُ الله : قدِمتَ عليّ وأَنا عليلٌ من حقوق لَزِمتْني ونهشتْني ، فانْظِرْني قليلاً ، ما في يدي ، وقد ضَمِنتُك قضاءَ دينك ولا أَسأَل عن مَبْلَغه . قال : فأَقام أُميّةُ أَيّاماً ، فأَتاه فقال : [من الوافر]

أأَذكُر حاجتي أَم قد كَفاني ... حياؤك إن شيمتَك الحَياءُ
وعِلْمُك بالأُمورِ وأَنت قَرْمٌ ... لك الحسبُ المهذَّبُ والسَّناءُ
كريمٌ لا يُغيِّره صباحٌ ... عن الخُلُق السَّنِيّ ولا مَساءُ
تُباري الرِّيحَ مَكْرُمةً وجوداً ... إذا ما الكلبُ أَجْحره الشتاءُ
إذا أَثْنى عليك المرءُ يوماً ... كفاه من تَعَرُّضه الثناءُ

إذا خلّفتَ عبد الله فاعلم ... بأنّ القوم ليس لهم جَزاءُ
فأرضُك كلُّ مَكْرُمةٍ بناها ... بنو تَيْمٍ وأنت لهم سماءُ
فأَبْرزَ فضلَه حقّاً عليهم ... كما بَرَزتْ لناظرها السماءُ
فهل تَخْفى السماءُ على بَصيرٍ ... وهل بالشمسِ طالعةً خَفاءُ

فلمّا أنْشده أُميّةُ هذا الشعرَ كانت عنده قينتانِ فقال : خُذ أيّتَهما شئتَ ؛ فأَخذ إحداهما وانصرف . فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أَخذها وقالوا له : لقد لَقِيتَه عَليلاً ، فلو رددتَها عليه ، فإنّ الشيخ يحتاج إلى خدمتها ، كان ذلك أقربَ لك عنده وأكثرَ من كلّ حقّ ضَمِنه لك ، فوقع الكلامُ من أُميّة موقِعاً وندِم ، ورجع إليه ليردَّها عليه . فلمّا أتاه بها قال له ابن جُدْعانَ : لعلّك إنّما رَدَدتَها لأنّ قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا ، فوصف لأُميّة ما قال له القوم . فقال أُميّة : واللهِ ما أَخطأتَ يا أَبا زُهَير . فقال عبد الله بن جُدْعانَ : فما الذي قلتَ في ذلك ؟ فقال أُميّةُ : [من الطويل]

صوت

عطاؤكَ زَيْنٌ لامرىء إن حَبَوْتَه ... ببَذْلٍ وما كلُّ العطاء يَزِينُ
وليس بشَيْنٍ لامرىء بذلُ وجهه ... إليكَ كما بعضُ السؤال يَشينُ

غنّت فيه جرادتا عبد الله بن جُدْعان . فقال عبد الله لأُميّة : خُذِ الأُخرى ؛ فأَخذهما جميعاً وخرج . فلمّا صار إلى القوم بهما أنشأ يقول ، وقد أَنشدَنا هذه الأَبياتَ أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة وفيها زيادة : [من الوافر]

وما لي لا أُحيِّيه وعندي ... مواهِبُ يَطَّلِعنَ من النِّجادِ
لأَبيضَ من بني تَيْم بن كَعْبٍ ... وهم كالمَشْرَفيّاتِ الحِدادِ
لكلّ قبيلةٍ هادٍ ورأسٌ ... وأَنت الرأسُ تَقْدُم كلَّ هادي[1]
له بالخَيْفِ قد علمتْ مَعَدٌّ ... وإنّ البيت يُرْفَع بالعمادِ
له داعٍ بمكّةَ مُشْمَعِلٌّ ... وآخرُ فوق دارته يُنادي[2]
إلى رُدُحٍ من الشِّيزى مِلاءٍ ... لُبابَ البُرّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ[3]

---

1 الهادي : العنق لأنّها تتقدّم على البدن .
2 اشمعلّ القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرّقوا .
3 ردح : جمع رداح وهي الجفنة العظيمة . الشيزى : خشب أسود تتّخذ منه القصاع .

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الكامل]

ذُكِـر ابــنُ جُدْعــانٍ بخيـ ــرٍ كلّمـا ذُكِـر الكـرامُ
مـن لا يَخُـون ولا يَعُــقُّ ولا تُغَيِّـــره اللئـــامُ[1]
نَجْــبُ النَّجيبــة والنجيبــ ــب لـه الرِّحالـةُ والزِّمامُ[2]

[وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذ فصنعه بمكّة ودعا الناس إليه]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا محمّد بن إسحاق البَغَويّ قال حدّثنا الأَثْرَم عن أبي عُبيدة قال : كان ابنُ جُدْعانَ سيّداً من قريش ؛ فوفَد على كسرى فأَكل عنده الفَالُوذَ ، فسأَل عنه فقيل له : هذا الفالوذُ . قال : وما الفالوذُ ؟ قالوا : لُبابُ البرّ يُلْبَكُ مع عسل النحل . قال : ابغُوني غلاماً يصنعه ؛ فأَتَوْه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدِم به مكّةَ معه ، ثم أَمره فصنع له الفالوذَ بمكّة ، فوضع الموائدَ بالأَبطَح إلى باب المسجد ، ثم نادى مُنادِيه : أَلاَ مَنْ أَراد الفالُوذَ فليَحْضُرْ فحضر الناسُ ؛ فكان فيمن حضَرَ أُميّةُ بن أَبي الصَّلْت ؛ فقال فيه : [من الوافر]

ومــا لي لا أُحيِّيـه وعنـدي مواهــبُ يَطَّلِعْنَ مــن النِّجادِ
إليّ وإنّــه للنــاس نِهْـــيٌ ولا يَعْتلُّ بالكَلِـمِ الصَّوادِي[3]

وذكر باقيَ الأَبيات التي مضت متقدِّماً .

[استشهاد سفيان بن عيينة في تفسير حديث بشعر لأُميّة فيه]

حدَّثنا أَحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال أَخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدَّثني محمَّد بن عِمْران الجُرْجانيّ ، وليس بصاحب إسحاق الموصليّ ؛ قال : وهو شيخ لَقِيتُه بجُرْجان ، قال حدَّثنا الحسين بن الحسن المَرْوَزِيّ قال : سأَلتُ سفيان بن عُيينة فقلت : يا أَبا محمّد ، ما تفسيرُ قول النبيّ ﷺ وعلى آله : «كان من أَكثر دعاء الأَنبياء قبلي لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له لـه المُلك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير» وإنّما هو ذِكْرٌ وليس فيه من الدّعاء شيء ؟ فقال لي : أَعَرفتَ حديث مالك بن الحارث : يقول الله جَلّ ثناؤه : «إذا شَغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسأَلتي أَعطيتُه أَفضلَ ما أُعطي السائلين» ؟ قلت : نعمْ أَنتَ حدّثْتَنيه عن منصور عن مالك بن الحارث . قال : فهذا تفسير ذلك ، ثم قال : أَمَا علمتَ ما قال أُميّةُ بن أَبي الصَّلْت حين خرج إلى ابن جُدْعانَ يطلب نائلَه وفَضْلَه . قلت : لا أَدري ؟ قال قال : [من الوافر]

1 تغيّره في ل : تُبخّله .
2 النَّجْب : السخي الكريم كالنجيب . نجب في ل : يهب .
3 النهي : الغدير ، وهو أيضاً كلّ موضع يجتمع فيه الماء . الصوادي : العطاش .

أأذكُر حاجتي أم قد كَفاني ... حياؤك إنّ شيمتَك الحياءُ
إذا أثْنَى عليك المرءُ يوماً ... كفاه من تعرُّضه الثناءُ

ثم قال سفيان : فهذا مخلوقٌ يُنْسَب إلى الجود فقيل له : يكفينا من مسألتك أن نُثْنِيَ عليك ونسكتَ حتى تأتيَ على حاجتنا ، فكيف بالخالق ! .

[زاره أُميّة في احتضاره وقال فيه شعراً]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا حُمَيْد بن حُمَيْد قال حدَّثني جَبّار بن جابر قال : دخل أُميّةُ بن أَبي الصَّلْت على عبد الله بن جُدْعانَ وهو يجود بنفسه ؛ فقال له أُميّة : كيف تَجِدُك أبا زُهَير ؟ قال : إنّي لَمُدابِر (أي ذاهب) . فقال أُميّةُ : [من الوافر]

عَلِمَ ابنُ جُدْعانَ بنِ عمـ ... ـرو أنّـه يومـاً مُدابِرْ
ومسافِـرٌ سفـراً بعيـ ... ـداً لا يؤوب به المُسافِرْ
فقُـدُورُه بفِنائـه ... للضيف مُتْرَعَـةٌ زَواخِرْ
تبدو الكسورُ من انْضِرا ... جِ الغَلْي فيها والكَراكِرْ[1]
فكأنّهـنّ بمـا حَميـ ... ـنَ وما شُحِنَّ بها ضَرائرْ
بَـذَّ المَعاشِرَ كلَّهـا ... بالفضل قـد علِم المَعاشِرْ
وعـلا عُلُـوَّ الشمس حـ ... ـتّى ما يُفاخِـرُه مُفاخِرْ
دانـت لـه أبنـاءُ فِهْـ ... ـرٍ من بني كعبٍ وعامرْ
أنتَ الجوادُ ابنُ الجوا ... دِ بكم يُنافِـرُ مَنْ يُنافِرْ

[ترك الخمر قبل موته وذمّها بشعر]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفَش قال حدَّثنا أبو سَعيد السُّكّريّ قال أخبرني أبو عبد الرحمن الغَلابيّ عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد قال : ما مات أحد من كبراء قُرَيش في الجاهليّة إلاّ ترك الخمرَ استحياءً ممّا فيها من الدَّنَس ، ولقد عابها ابنُ جُدْعانَ قبل موته فقال : [من الوافر]

شَرِبتُ الخمرَ حتى قال قومي ... ألستَ عـن السَّفَاه بمُستفيقِ
وحتى مـا أُوسَّدُ في مَبيتٍ ... أنام بـه سوى التُّرْبِ السَّحِيقِ

---

1 الكسور : جمع كسر وهو نصف العظم بما عليه من اللحم . الانضراج : الانفراج . الكركرة : كالقهقهة : ويعني بها صوت الماء في غليانه .

وحتى أُغْلَـقَ الحانوتُ رَهْني   وآنَسْتُ الهَوانَ مـن الصديقِ[1]

قال : وكان سببُ تركه الخمرَ أنّ أُميّةَ بن أبي الصَّلْت شرِب معه فأصبحت عين أُميّةَ مُخْضرَّةً يخاف عليها الذَّهاب . فقال له : ما بال عينِك ؟ فسكت . فلمّا أَلحّ عليه قال له : أنت صاحبُها أصبتَها البارحةَ . فقال : أَو بَلَغ منّي الشّراب الذي أَبلُغ معه من جليسي هذا ؟ لا جَرَمَ لأَدِينّها لك دِيتَيْن ؛ فأعطاه عشرةَ آلاف درهـم ، وقـال : الخمرُ عليّ حرام أذوقها أبداً ، وتركها من يومئذٍ .

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الرمل]

قـد لَعَمْري بِتُّ لَيْلي   كأَخـي الـداء الوَجيعِ
ونَجِــيُّ الهـمّ منّــي   بات أَدنى من ضَجيعي
كلّمــا أبصرتُ رَبْعاً   خالياً فاضت دموعي
لا تَلُمْنـا إن خَشَعْنــا   أَو هَمَمْنا بالخشوعِ
إذ فقدْنــا سيِّــداً كا   ن لنــا غيرَ مُضِيــعِ

الشعر للأَحوص . والغناء لسَلاّمةِ القَسّ . ولحنُه المختار من القدر الأَوسط من الثقيل الأَوّل بالوسطى في مَجْراها . وقد قيل : إنّ الشعر والغناء جميعاً لها ، وقد قيل : إنّ الغناء لمعبد وإنّها أَخذتْه عنه .

1 أغلق الرهن : استحقّه . والحانوت : الخمّار .

[123] ـ ذكر سَلاّمةِ القَسّ وخبرها

[نشأة سلامة القسّ ومن أُخذت عنه الغناء ، وسبب تسميتها بذلك]

كانت سَلاّمةُ مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت . وأُخذت الغناءَ عن معبد وابن عائشة وجميلةَ ومالك بن أبي السَّمْح وذويهم فمهَرت . وإنّما سُمِّيت سَلاّمةَ القَسِّ لأنّ رجلاً يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عَمَّار الجُشَميّ من قُرّاء أهل مكّة ، وكان يُلَقَّب بالقَسّ لعبادته ، شُغِف بها وشُهِر ، فغلَب عليه لقبُه . واشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان ، وعاشت بعده ، وكانت إحدى من اتُّهِم به الوليدُ من جواري أبيه حين قال له قَتَلَتهُ : نَنْقِمُ عليكَ أنّك تَطأ جواريَ أبيك . وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتله .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال : كانت حَبابةُ وسَلاّمةُ القَسِّ من قِيان أهل المدينة ، وكانتا حاذقتين ظريفتَيْن ضاربتين ؛ وكانت سَلاّمةُ أحسنَهما غناءً ، وحَبابةُ أحسنَهما وجهاً ، وكانت سَلاّمةُ تقول الشعر ، وكانت حَبابة تتعاطاه فلا تُحْسِن . وأخبرني بذلك المَدائنيّ عن جَرير .

وحدَّثني الزُّبَيْريّ قال حدَّثني مَنْ رأى سَلاّمة قال : ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسنَ غناءً من سَلاّمةَ . وعن جميلةَ أخذتِ الغناءَ .

[كانت لسهيل بن عبد الرحمن ، وشعر ابن قيس الرقيّات فيها]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وإسماعيل بن يونُس قالا حدَّثنا أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدَّثني المَدائنيّ قال : كانت حَبابةُ وسَلاّمةُ قَيْنتين بالمدينة ؛ أمّا سَلاّمةُ فكانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن ، ولها يقول ابنُ قَيْس الرُّقَيّات : [من الطويل]

لقـد فَتَنتْ رَيّـا وسَلاَّمةُ القَسّا فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نَفْسا
فتاتانِ أمّا منهمـا فشبيهةُ الـ ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

وغَنّاه مالكُ بن أبي السَّمْح . وفيها يقول ابن قيس الرُّقيّات :

أُختانِ إحداهما كالشمس طالعـةً في يوم دَجْنٍ وأُخرى تشبه القمرا

قال : وفُتِن القَسُّ بسَلاّمةَ ، وفيها يقول : [من الوافر]

أَهابُكِ أن أَقولَ بذلتُ نفسي ولـو أنّـي أُطيـع القلبَ قالا
حيـاءً منكِ حتى سُلّ جسمي وشَقّ عـليَّ كتماني وطالا

[سبب افتتان عبد الرحمن بن أبي عمّار القسّ بها وشعره فيها]

قال : والقَسّ هو عبد الرحمن بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية ، وكان منزلُه بمكّة . وكان سببُ افتتانه بها فيما حدَّثني خَلاّد الأَرْقَط قال سمعت من شيوخنا أهل مكّة يقولون : كان القسُّ من أعْبَدِ أهل مكّة ، وكان يُشبَّه بعَطاء بن أبي رَباح ، وأنّه سمع غناءَ سَلاّمةِ القَسِّ على غير تعمُّد منه لذلك . فبلغ غِناؤها منه كلَّ مبلغ ؛ فرآه مولاها فقال له : هل لك أن أُخرجَها إليكَ أو تدخلَ فتسمع ؟ فأبى . فقال مولاها : أنا أُقعِدها في موضع تَسمع غناءَها ولا تراها فأبى ؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غِناءها فأعجبه . فقال له : هل لك في أن أُخرجها إليك ؟ فأبى . فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه ، فتغنّت فشُغِفَ بها وشُغِفت به ، وعرَف ذلك أهلُ مكّة . فقالت له يوماً : أنا والله أُحبّك . قال : وأنا والله أُحبّك . قالت : وأُحِبّ أن أضَعَ فمي على فمك . قال : وأنا والله أُحبّ ذاك . قالت : فما يمنعك ! فوالله إنّ الموضع لخالٍ . قال : إنّي سمعتُ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاّ المُتَّقِينَ﴾ وأنا أكره أن تكون خُلّةُ ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة . ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك ؛ وقال من فَوْره فيها : [من الكامل]

إنّ التي طَرَقَتْكَ بين ركائبٍ ... تَمْشي بِمزْهَرِها وأنتَ حَرامُ
لِتَصِيدَ قلبَك أو جزاءَ مودّةٍ ... إنّ الرفيقَ له عليك ذِمامُ
باتت تعلّلنا وتحسب أنّنا ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سطَع الضّياءُ لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أَعذُلُ في السَّفاهة أهلَها ... فاعجَبْ لِما تأتي به الأيّامُ
فاليومَ أعذِرُهم وأعلم أنّما ... سُبُلُ الضّلالةِ والهُدَى أقسامُ

ومن قوله فيها : [من الطويل]

أَلَم تَرَها لا يُبْعِدِ الله دارَها ... إذا رَجّعتْ في صوتها كيف تصنعُ
تَمُدّ نظامَ القولِ ثم تَرُدّه ... إلى صَلْصَلٍ في صوتها يترجّعُ

وفيها يقول : [من الطويل]

أَلا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مُبْصِرُ ... وهل أنت عن سَلاّمَةَ اليومَ مُقْصِرُ
أَلا ليتَ أنّي حين صارتْ بها النَّوَى ... جليسٌ لسَلْمَى كلّما عَجّ مِزْهَرُ

وقال في قصيدةٍ له : [من البسيط]

سَلاّمُ وَيْحَكِ هل تُحيين مَنْ ماتا ... أو تَرْجعينَ على المحزون ما فاتا

وقال أيضاً : [من السريع]

سَلاَّمُ هل لي منكمُ ناصرُ … أم هل لقلبي عنكمُ زاجرُ
قد سمِع الناسُ بوجدي بكم … فمنهمُ اللاّئمُ والعاذرُ

في أشعار كثيرة يطول ذكرها .

[غنّت هي وأختها ريّا في شعر لابن قيس الرقيات وللأحوص]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدَّثني الجُمَحيّ قال : كانت سَلاّمة وريّا أُختَين ، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهنّ غناءً . فاجتمع الأحوَص وابن قَيْس الرقيّات عندهما ؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات : إنّي أُريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأُصدُقَ فيها ولا أكذبَ ؛ فإن أنتما غنّيتماني بذلك وإلاّ هجوتكما ولا أقربكما . قالتا : فما قلتَ ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لقد فتنتْ رَيّا وسَلاّمة القَسَّا … فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نفسا
فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ … ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا
تَكُنّانِ أبشاراً رِقاقاً وأوجُهاً … عِتاقاً وأطرافاً مُخَضَّبةً مُلْسا[1]

فغنّته سَلاّمة واستحسنتاه . وقالتا للأحوص : ما قلتَ يا أخا الأنصار ؟ قال قلت : [من الكامل]

صوت

أَسَلام هل لمتيَّم تنويلُ … أم هل صَرَمْتِ وغالَ ودَّكِ غولُ
لا تَصْرِفي عنّي دلالَكِ إنّه … حَسَنٌ لديّ وإن بَخِلْتِ جميلُ
أزعمتِ أنّ صَبابتي أُكذوبةٌ … يوماً وأنّ زيارتي تعليلُ

الغناء لسَلاّمةِ القَسّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ وحَمّاد . وفيه لإبراهيم لحنان ، أحدهما خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو ، والآخر ثقيل أوّله استهلال عن الهشاميّ ؛ فغنّت الأبياتَ . فقال ابن قيس الرُّقيّات : يا سلاّمة ! أحسنتِ والله ! وأظُنّكِ عاشقة لهذا الحَلَقيّ[2] ! فقال له الأحوص : ما الذي أخرجكَ إلى هذا ؟ قال : حُسْنُ غِنائها بشعرك ، فلولا أنّ لك في قلبها محبّةً مُفْرِطةً ما جاءها هكذا حَسَناً على هذه البديهة . فقال له الأحوص : على قَدْر حُسْن شعري على شعرك هكذا حَسُن الغناءُ به ، وما هذا منك إلاّ حسد ، ونُبيِّن لك الآن ما

1 عتاقا : في الديوان : حساناً 35 .
2 أتان حلقيّة : إذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رحمها .

حسدتَ عليه . فقالت سَلاّمة : لولا أنّ الدخول بينكما يُوجب بِغْضةً لحكمتُ بينكما حكومةً لا يردّها أحدٌ . قال الأحوص : فأنت من ذلك آمنة . قال ابن قيس الرقيّات : كلاّ ؛ قد أمِنتَ أن تكونَ الحكومة عليك ، فلذلك سبقتَ بالأمان لها . قال الأحوص : فرَأْيُك يدلّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم عليه أنت ؛ وتفرّقا . فلمّا صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيّات فقرَع بابه ، فأذِن له وسلّم عليه واعتذر .

وممّا قاله الأحوص في سَلاّمةِ القَسّ وغُنّي به : [من الكامل]

صوت

أسَلامُ إنّكِ قد ملكتِ فأسْجِحِي ... قــد يملِك الحرُّ الكريم فيُسْجِحُ
مُنّــي على عــانٍ أطَلْتِ عَنــاءَه ... في الغُــلّ عنــدكِ والعُناةُ تُسَرَّحُ
إنّــي لأنصَحُكـم وأعلَـمُ أنّه ... سِيّانِ عندكِ مــن يَغُشّ ويَنْصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلامــةَ حُبَّها ... قالت أجِــدٌّ منــك ذا أم تمزَحُ

الشعر للأحوص . والغناء لابن مِسْجَح في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . ولدَحْمانَ في الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر فيه استهلال . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يقال : إنّه لمالك ، ويقال : إنّه لسَلاّمةِ القَسّ .

أخبرني الحسين عن حَمّاد عن أبيه قال قال أيّوب بن عَبابة : كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية ، وكان فقيهاً عابداً من عُبّاد مكّة ، يسمَّى القَسّ لعبادته ؛ وكانت سَلاّمة بمكّة لسُهَيْل ، وكان يدخل عليها الشعراء فيُنشدونها وتُنشدهم وتغنّي مَنْ أحَبّ الغناء ؛ ففُتن بها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار القَسّ ؛ فشاع ذاك وظهر ، فسُمِّيت سَلاّمة القَسِّ بذلك .

[سألها القسّ أن تغنّيه بشعرٍ له]

قال إسحاق وحدّثني أيّوب بن عَباية قال : سألها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار القَسّ أن تغنّيه بشعر مَدَحها به ففعلتْ ، وهو : [من الكامل]

مــا بـالُ قلبِكَ لا يـزال يُهيمُهُ ... ذِكَــرٌ عَواقِــبُ غَيِّهِــنّ سَقامُ
إنّ التــي طرقتْك بـين ركائبٍ ... تمشي بمِزْهرِهـا وأنــت حَرامُ
لِتَصِيدَ قلبَـك أو جــزاءَ مَـودّةٍ ... إنّ الرفيــقَ لــه عليـك ذِمامُ
باتــت تعلّلنـــا وتحسَب أنّنـــا ... في ذاك أيقــاظٌ ونحــــن نِيامُ
حتــى إذا سطَــع الصباحُ لناظرٍ ... فــإذا وذلــك بيننـــا أحلامُ

قـد كنتُ أعذِلُ في السَّفاهة أَهلَها فاعْجَبْ لِمَا تأتي به الأَيّامُ
فاليومَ أعذِرهم وأَعلَمُ أنّما سُبُلُ الغَوايةِ والهُدَى أقسامُ

[أراد يزيد بن عبد الملك شراءها حين قدم مكّة فأمرها أن تغنّي]

قال إسحاق وحدَّثني المدائنيّ قال حدَّثني جَرير قال : لمّا قدِم يزيد بن عبد الملك مكّةَ وأراد شراءَ سَلاّمةِ القَسّ وعُرِضتْ عليه ، أمرَها أن تغنّيه ؛ فكان أوّلَ صوت غنّته : [من الكامل]

إنّ التي طرقتك بين ركائبٍ تمشي بمِزْهَرِها وأنت حرامُ
والبِيضُ تَمْشي كالبُدورِ وكالدُّمَى ونَواعِمٌ يَمْشِين في الأَرْقامِ
لِتَصِيدَ قلبَك أو جزاءَ مودّةٍ إنّ الرفيقَ له عليك ذمامُ

فاستحسنه يزيد فاشتراها . فكان أَوّلَ صوت غنّته لمّا اشتراها : [من الطويل]

أَلا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مبصرُ وهل أَنت عن سَلاّمَةَ اليومَ مُقْصِرُ
أَلا ليتَ أنّي حين صار بها النَّوى جليسٌ لسَلْمى حيث ما عَجّ مِزْهَرُ
وإنّي إذا ما الموتُ زالَ بنَفْسها يُزالُ بنفسي قَبلَها حين تُقْبَرُ
إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسُها يطيرُ إليها قلبُه حين ينظرُ
كأنّ حَماماً راعِبِيّاً مُؤَدِّياً إذا نطقتْ من صدرها يَتَغَشْمَرُ[1]

فقال لها يزيد : يا حبيبتي ، مَنْ قائلُ هذا الشعر ؟ فقصّت عليه القصّة ، فرَقّ له وقال : أَحسنَ وأحسنتِ ! .

[قال الأحوص شعراً وبعث به إليها]

قال إسحاق وحدَّثني المدائنيّ قال : لمّا اشترى يزيدُ بن عبد الملك سَلاّمة ، وكان الأَحوصُ مُعْجَباً بها وبحُسْن غنائها وبكثرة مجالستها ؛ فلمّا أراد يزيد الرِّحْلة ، قال أبياتاً وبعث بها إلى سَلاّمة . فلمّا جاءها الشعر غَنّتْ به يزيدَ وأخبرتْه الخبر ، وهو : [من الخفيف]

صوت

عاودَ القلبَ من سَلامةَ نَصْبُ فلعينيّ من جَوَى الحُبِّ غَرْبُ[2]
ولقد قلتُ أيّها القلبُ ذُو الشو قِ ، الذي لا يُحبّ حُبَّك حِبُّ

1 حمام راعبي : جنس من الحمام ، والترعيب : شدّة الصوت . يتغشمر : يصوّت .
2 النَّصب : الدّاء والبلاء .

إنّــه قــد دنــا فِراقُ سُلَيْمَى وغَدا مَطْلَبٌ عن الوصل صَعْبُ

غنّاه ابن مُحْرِز ثانيَ ثقيل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن عَبّاد وعَلّويه رَمَلان . وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ . هذه الحكايات الثلاث عن الهشاميّ . وذكر حَبَشٌ أنّ لسَلاّمةِ القَسّ فيه ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى .

[عاتبت حبابة حين استخفّت بها لأثرتها عند يزيد]

قال إسحاق وحدَّثني أيّوب عن عَبايةَ قال : كانت سلاّمة وريّا لرجل واحد ، وكانت حَبابة لرجل ، وكانت المقدَّمة منهنّ سَلاّمةَ ، حتى صارتا إلى يزيد بن عبد الملك ، فكانت حَبابةُ تنظر إلى سَلاّمةَ بتلك العين الجليلة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها . فلمّا رأت أُثْرتها عند يزيد ومحبّةَ يزيد لها استخفّتْ بها . فقالت لها سَلاّمةُ : أيْ أُخيَّه ؛ نَسِيتِ لي فضلي عليكِ ؟ ويلك ؛ أين تأديبُ الغناء وأين حقُّ التعليم ! أنسيتِ قولَ جميلة يوماً وهي تُطارحنا وهي تقول لك : خُذي إحكام ما أُطارحكِ من أُختِك سَلاّمةَ ، ولن تَزالي بخيرٍ ما بقيتْ لكِ وكان أمرُكما مؤتلفاً . قالت : صَدَقتِ خليلتي والله لا عدتُ إلى شيء تكرهينه ؛ فما عادت لها إلى مكروه . وماتت حَبابةُ وعاشت سَلاّمة بعدها دهراً .

[احتال ابن أبي عتيق على والي المدينة حتى جعله يسمع منها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمّي مُصْعَب عن عبد الرحمن بن المُغيرة الحِزاميّ الأكبر قال : لمّا قدِم عثمانُ بن حَيّانَ المُرّيّ المدينةَ والياً عليها ، قال له قومٌ من وجوه الناس : إنّك قد وَلِيتَ على كثرةٍ من الفساد ؛ فإن كنتَ تُريد أن تُصْلِح فطَهِّرها من الغِناء والزِّنا . فصاح في ذلك وأجَّلَ أهلَها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة . وكان ابن أبي عَتِيق غائباً ، وكان من أهل الفضل والعَفاف والصلاح . فلمّا كان آخرُ ليلة من الأَجَل قَدِم فقال : لا أدخُل منزلي حتى أدخلَ على سَلاّمةِ القَسّ . فدخل عليها فقال : ما دخلتُ منزلي حتّى جئتكم أُسَلِّم عليكم . قالوا : ما أغفلَكَ عن أمرنا ! وأخبروه الخبر . فقال : اصبِروا عليّ الليلةَ . فقالوا : نخاف ألاّ يُمْكِنكَ شيءٌ ونُنْكَظَ[1] . قال : إن خفتم شيئاً فاخرُجوا في السَّحَر . ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حَيّان فأذِن له ؛ فسلّم عليه وذكر له غَيْبَته وأنّه جاءه ليقضي حَقَّه ، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزِّنا ، وقال : أرجو ألاّ تكونَ عَمِلتَ عملاً هو خيرٌ لك من ذلك . قال عثمان : قد فعلتُ ذلك وأشار به عليّ أصحابُك . فقال : قد أصبتَ ، ولكن ما تقول ، أمتع الله بك ، في امرأةٍ كانت هذه صناعتَها وكانت تُكْرَه على ذلك ثم تركتْه وأقبلتْ على الصَّلاة والصيام والخير ، وأتى رسولُها إليك تقول : أتوجّه إليك وأعوذ بك أن تُخْرِجَني من

1 يقال أنكظه : إذا أعجله عن حاجته .

جِوار رسول الله ﷺ ومسجِده ؟ قال : فإنّي أَدَعُها لك ولكلامِك . قال ابن أَبي عتيق : لا يَدَعُك الناسُ ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها ، فإنْ رأيتَ أَنّ مثلَها ينبغي أن يُتْرَكَ تركتها ؛ قال نعم . فجاءه بها وقال لها : اجعلي معك سُبْحةً وتَخَشّعي ففعلتْ . فلمّا دخلتْ على عثمان حدّثتْه ، وإذا هي من أَعلمِ الناس بالناس وأُعجِبَ بها ، وحدّثتْه عن آبائه وأُمورهم ففكِه لذلك . فقال لها ابن أَبي عتيق : اقْرَئي للأَمير فقرأَتْ له ؛ فقال لها احْدِي له ففعلتْ ، فكَثُر تَعَجُّبه . فقال : كيف لو سَمِعتَها في صِناعتها ؟ فلم يزلْ يُنْزِله شيئاً شيئاً حتى أَمرها بالغِناء . فقال لها ابن أَبي عَتيق : غَنّي ، فغنّتْ : [من الطويل]

سَدَدْنَ خَصاصَ الخَيْمِ لمّا دخَلْنَهُ　　بكلّ لَبانٍ واضحٍ وجبينِ

فغنّته ؛ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال : لا والله ما مِثْلُ هذه تخرج ؛ . قال ابن أَبي عتيق : لا يَدَعُك الناسُ ، يقولون : أَقَرَّ سَلاّمة وأَخرج غيرَها . قال : فدَعُوهم جميعاً ؛ فتركوهم جميعاً .

[لمّا اشتراها رسل يزيد ورحلوا بها غنّت مشيّعيها عند سقاية سليمان بن عبد الملك]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَيْر قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي فَرْوة قال : قَدِمتْ رسلُ يزيدَ بنِ عبد الملك المدينةَ فاشتَرَوْا سَلاّمَةَ المغنّية من آل رُمَّانةَ بعشرين أَلفَ دينار . فلمّا خرجتْ من مِلْك أَهلِها طلبوا إلى الرُّسُلِ أَن يتركوها عندهم أَيّاماً ليجهِّزوها بما يُشْبِهها من حُلِيٍّ وثياب وطِيب وصِبْغ . فقالت لهم الرسل : هذا كلُّه معنا لا حاجةَ بنا إلى شيء منه ، وأَمروها بالرَّحيل . فخرجتْ حتى نزلَتْ سِقايةَ سليمانَ بنِ عبد الملك وشيَّعها الخَلق من أَهل المدينة . فلمّا بلغوا السِّقاية قالت للرسل : قومٌ كانوا يَغْشَوْنَني ويسلّمون عليّ ، ولا بُدّ لي من وَداعهم والسلام عليهم ، فأُذِن للناس عليها فانقَضُّوا حتى ملؤوا رحبةَ القصر[1] ووراءَ ذلك ؛ فوقفتْ بينهم ومعها العود ، فغنّتهم : [من الخفيف]

فارَقُوني وقد علمتُ يقيناً　　ما لِمَنْ ذاقَ مِيتةً من إيابِ
إنّ أَهلَ الحِصابِ قد تركوني　　مُولَعاً مُورَعاً بأَهلِ الحِصابِ
أَهلُ بيتٍ تَتايَعُوا للمنايا　　ما على الدَّهرِ بعدهم من عِتابِ[2]
سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أَبي مُو　　سى إلى النخل من صُفَيِّ السِّبابِ[3]

---

1 لعلّه يريد قصر سعيد بن العاص وهو بجوار المدينة .
2 تتايعوا : تهافتوا .
3 صفيّ السباب : موضع بمكّة .

كَم بذاك الحَجُونِ من حَيّ صِدْقٍ وكُهــولٍ أَعِفَّـــةٍ وشَبـابِ[1]

قال عيسى : وكنتُ في الناس ، فلم تزلْ تُردِّد هذا الصوت حتى راحت ؛ وانتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها ، فما شئتُ أن أرى باكياً إلاّ رأيتُه .

[كلفت الأحوص أن يحتال لدخول الغريض على يزيد حين قدم معه إلى دمشق]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال : وَجّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القُدوم عليه ، وكان الغَريض معه ، فقال له : اخرُجْ معي حتى آخُذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنّيه ؛ فإنّي لا أَحمِل إليه شيئاً هو أَحبُّ إليه منك ، فخرجا . فلمّا قدِم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به . فأنشده مدائحَ فاستحسنها ، وخرج من عنده ؛ فبعثتْ إليه سَلاّمةُ جاريةُ يَزيدَ بلَطَفٍ . فأرسل إليها : إنّ الغريض عندي قَدِمتُ به هديّةً إليك . فلمّا جاءها الجوابُ اشتاقتْ إلى الغَريضَ وإلى الاستماع منه . فلمّا دعاها أميرُ المؤمنين تمارضتْ وبعثتْ إلى الأحوص : إذا دعاكَ أميرُ المؤمنين فاحْتَل له في أَنْ تذكر له الغَرِيض . فلمّا دعا يزيدُ الأحوصَ قال له يزيد : وَيْحَك يا أحوص ؛ هل سَمِعْتَ شيئاً في طريقك تُطْرِفنا به ؟ قال : نعم أمير المؤمنين ، مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أعجبني حسنُه وجودةُ شعره ؛ فوقفتُ حتى استقصَيْتُ خبرَه ، فإذا هو الغريض ، وإذا هو يغنّي بأحسن صوتٍ وأشجاه : [من الوافر]

أَلاَ هــاجَ التَّذَكُّرُ لي سَقامـا ونُكْسَ الدّاءِ والوجـعَ الغَراما[2]
سَلامـــةُ إنّهـــا هَمِّي ودائي وشَرُّ الدّاءِ مـا بَطَـــن العِظاما
فقلتُ لــه ودمعُ العينِ يجرِي على الخَدَّيْـنِ أَربعةً سِجاما[3]
عليكَ لها السلامُ فمَنْ لِصَبٍّ يبيتُ الليـلَ يَهْـذِي مُستهاما

قال يزيد : وَيْلَكَ يا أحوص ؛ أنا ذاك في هوَى خليلتي ؛ وما كنتُ أحسَبُ مثل هذا يتّفق ، وإنّ ذاك لممّا يزيد لها في قلبي . فما صنعتَ يا أحوصُ حين سمعت ذاك ؟ قال : سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ، فما صَبَرتُ حتى أخرجتُ الغريضَ معي وأخفيتُ أمره ، وعلمتُ أنّ أمير المؤمنين يسألني عمّا رأيتُ في طريقي . فقال له يزيد : ائتِني بالغريض ليلاً وأخْفِ أمرَه . فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سَلاّمة بالخبر . فقالت للرسول : قل لـه جُزِيتَ خيراً ، قد

1 الحجون : جبل بأعلى مكّة عند مدافن أهلها .
2 الغرام : الملازم الشديد .
3 أربعة سجام : يريد بها اللحاظين والموقين للعينين .

انتهى إليَّ كلُّ ما قلتَ ، وقد تَلَطَّفتَ وأَحسنتَ . فلمّا وارى الليلُ أَهلَه بعث إلى الأحوصِ أن عَجِّل المجيءَ إليَّ مع ضيفك . فجاء الأَحوصُ مع الغريض فدخلا عليه . فقال غَنِّني الصوت الذي أخبرني الأَحوصُ أنّه سمِعه منك ، وكان الأَحوص قد أَخبر الغريضَ الخبرَ ؛ وإنّما ذلك شعر قاله الأَحوص يُريد يحرِّكه به على سَلاّمةَ ويحتال للغريض في الدخول عليه ، فقال : غَنِّني الصوتَ الذي أَخبرني الأَحوصُ . فلمّا غنّاه الغريضُ دمعتْ عينُ يزيدَ ثم قال : وَيْحَكَ ! . هل يمكن أن تصير إلى مجلسي ؟ قيل له : هي صالحة . فأرسل إليها فأقبلتْ . فقيل ليزيد : قد جاءت ؛ فضُرِب لها حجابٌ فجلستْ ، وأعاد عليه الغريضُ الصوتَ ؛ فقالت : أَحسَنَ واللهِ يا أمير المؤمنين ، فاسمَعْه منّي ؛ فأَخذتِ العودَ فضربتْه وغنّت الصوتَ ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحاً وسُروراً ، وقال : يا أَحوصُ ، إنّك لمبارَك ؛ يا غريض غَنِّني في ليلتي هذا الصوتَ ؛ فلم يزلْ يغنّيه حتى قام يزيد وأَمر لهما بمال ، وقال : لا يُصبح الغريضُ في شيء من دِمَشْق . فارتحل الغريض من ليلته ، وأَقام الأَحوص بعده أيّاماً ثم لَحِق به ؛ وبعثت سَلاّمةُ إليهما بكسوة ولَطَف كثير .

[رثت يزيد وناحت عليه حين مات]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدَّثني عليّ بن محمّد النَّوفليّ قال حدَّثني رجل من أَهلي من بني نَوْفَل قال : قَدِمتُ في جماعةٍ من قريش على يزيدَ بنِ عبد الملك ، فألفَيْناه في عِلّته التي مات فيها بعد وفاة حَبابة ، فنزلْنا منزلاً لاصقاً بقصر يزيد ، فكنّا إذا أَصبحْنا بعثْنا بمولىً لنا يأتينا بخبره ، وربّما أَتينا البابَ فسألنا ؛ فكان يَثْقُل في كلّ يوم . فإنّا لفي منزلنا ليلةً إذ سمعنا هَمْساً من بكاء ثم يزيدُ ذلك ، ثم سمِعْنا صوتَ سَلاّمةِ القَسٍّ وهي رافعةٌ صوتَها تنوح وتقول : [من مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنـا إنْ خَشَعْنا ... أَوْ هَمَمْنـا بخُشوعِ
قد لَعَمْري بِتُّ ليلي ... كأَخـي الدّاءِ الوجيعِ
كلَّمـا أَبصرتُ ربعـاً ... خالياً فاضتْ دموعي
قد خـلا من سيِّدٍ كا ... نَ لنـا غيـرَ مُضيعِ

ثم صاحت وا أَميرَ المؤمنين ! فعلِمنا وفاتَه ، فأَصبحنا فغدَوْنا في جنازته .

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس عن أَبيه قال : قال يزيدُ بن عبد الملك ما يُقِرُّ عيني ما أُوتيتُ من أَمر الخلافة حتى أَشترِيَ سَلاّمةَ جارية مُصْعَب بن سُهَيْل الزُّهْريّ وحَبابةَ جاريةَ آل لاحِقٍ المكيّة ؛ فأَرسل فاشترِيتا له . فلمّا اجتمعتا عنده قال : أَنا الآن كما قال الشاعر : [من الطويل]

فألقتْ عَصاها واستقرّ بها النَّوَى   كما قَـرَّ عينـاً بالإيـابِ المسافرُ

فلمّا تُوُفّي يزيد رثته سَلاّمةُ فقالت وهي تنوحُ عليه هذا الشعر : [من مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنـا إن خَشَعْنا   أو هَمَمْنـا بخُشوعِ
إذ فقدْنـا سَيِّـداً كا   نَ لـنـا غيرَ مُضيعِ
وهـو كاللَّيْثِ إذا مـا   عُـدَّ أصحابُ الدروعِ
يَقْنِصُ الأبطـالَ ضربـاً   في مُضِـيٍّ ورجوعِ[1]

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدَّثنا الزُّبَير والمدائنيّ أنّ سَلاّمة كانت لسُهَيل بن عبد الرحمن بن عَوْف ، فاشتراها يزيدُ بن عبد الملك ، وكانت مغنّيةً حاذقةً جميلةً ظريفةً تقول الشعر ، فما رأيتُ خِصالاً أربعاً اجتمعْنَ في امرأةٍ مثلِها : حُسْن وجهها وحُسن غنائها وحُسن شِعْرها . قال : والشعر الذي كانت تغنّي به : [من مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا   أو هَمَمْنـا بخُشوعِ
للذي حَـلَّ بنـا اليو   مَ مـن الأمـرِ الفظيعِ

وذكر باقيَ الأبيات مثل ما ذكره غيرُه .

قال إسحاق وحدَّثني الجُمَحيّ قال حدَّثنا مَنْ رأى سَلاّمَةَ تندُب يزيدَ بن عبد الملك بمَرْثِيّةٍ رثته بها ، فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك ولا أشْجَى ؛ ولقد أبكت العيونَ وأحرقت القلوبَ وأفتنت الأسماعَ ، وهي : [من مجزوء الكامل]

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ   بالشام في طَرَفِ الكثيبِ
بالشام بـين صفائـحٍ   صُمٍّ تُرَصَّفُ بالجَبُوبِ[2]
لَمّـا سمعـتُ أنينَـه   وبكـاءه عنـدَ المَغيبِ
أقبلـتُ أطلُـبُ طِبَّـه   والدّاءُ يُعْضِـلُ بالطبيبِ

الشعر لرجل من العرب كان خرج بابن له من الحجاز إلى الشام بسبب امرأةٍ هَوِيها وخاف أن يفسُد بحبّها ، فلمّا فقَدها مرِض بالشام وضَني فمات ودُفن بها . كذا ذكر ابن الكلبيّ ، وخبره يُكتَب عَقِبَ أخبار سَلاّمةِ القَسّ . والغناء لسَلاّمَةَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حَبَش . وفيه لحَكَم رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحن لابن غَزْوانَ

1 يقنص في ل : يقعص .
2 الجبوب : المدر المفتّت .

الدِّمَشْقِيّ من كتاب ابن خُرْداذْبه غيرُ مجنَّس .

[سألها الوليد بن يزيد أن تغنيه فيما رثت به أباه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني الجُمَحِيّ قال : حدَّثني مَنْ حضر الوليدَ بن يزيد وهو يسأل سَلاّمةَ أن تغنِّيه شعرَها في يزيد وهي تتنغّص من ذلك وتدمَع عيناها ؛ فأقسم عليها فغنَّتْه ؛ فما سمعتُ شيئاً أحسنَ من ذلك . فقال لها الوليد : رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلاّمة ! . بِمَ كان أبي يقدِّم عليكِ حَبابة ؟ قالت : لا أدري والله ؛ قال لها ، لكنَّني والله أدْرِي ؛ ذلك بما قسَم الله لها . قالت : يا سيِّدي أجَلْ .

[انتحل إسحاق الموصليّ ما ناحت به على يزيد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني عبد الله بن عبد الملك الهَدادِيّ عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : سمعت نائحةً مدنيّةً تنوح بهذا الشعر : [من مجزوء الرمل]

قَدْ لعَمْرِي بِتُّ ليلي   كأخي الدّاء الوَجِيعِ
ونجيُّ الهمّ منِّي   بات أدنى من ضلوعي
كلَّما أبصرتُ رَبْعاً   دارساً فاضتْ دموعي
مُقْفِراً من سيِّدٍ كا   ن لنا غيرَ مُضِيعِ

والشعر للأحوص . والنَّوْح لمعبد ؛ وكان صنَعه لسَلاّمة وناحت به سَلاّمةُ على يزيد . فلمّا سمعتُه منها استحسنتُه واشتهيتُه ولَهِجتُ به ، فكنتُ أترنّم به كثيراً . فسمع ذلك منّي أبي فقال : ما تصنع بهذا ؟ قلت : شعرٌ قاله الأحوصُ وصنَعه معبدٌ لسَلاّمة وناحت به سَلاّمة على يزيد . ثم ضرَب الدّهرُ ؛ فلمّا مات الرشيد إذا رسولُ أمِّ جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور . فسِرتُ إليها ؛ فبعثتْ إليّ : إنّي قد جمعتُ بناتِ الخلفاء وبنات هاشم لننوحَ على الرشيد في ليلتنا هذه ؛ فقُلِ الساعةَ أبياتاً رقيقةً واصنَعْهنّ صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بهنّ . فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً فما حضَرني وجعلتْ تُرسِل إليّ تَحُثُّني ، فذكرتُ هذا النَّوْحَ فأرَيتُ أنّي أصنع شيئاً ، ثم قلت : قد حضَرني القولُ وقد صنعتُ فيه ما أمرتْ ؛ فبعثتْ إليّ بكُنيزةَ وقالت : طارِحْها حتى تُطارحَنِيه . فأخذتْ كُنَيزةُ العود وردَّدَتْه عليها حتى أخذتْه ، ثم دخلتْ فطارحتْه أمَّ جعفر ؛ فبعثتْ إليّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[من الطويل]

لقـد فتنَتْ رَيّا وسَلاَّمةُ القَسّا فلم تَتْرُكا للقَسّ عقلاً ولا نفسا
فتاتـانِ أمّا منهمـا فشبيهةُ الـ ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

الشعر لعبد الله بن قَيْس الرُّقيّات . والغناء لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل عن الهِشاميّ . وزعم عمرو بن بانة أنّ خفيف الثقيل لحُنَين الحِيري . وقيل : إنّ الثقيلَ الأوّل لدَحْمان .

ومنها الشعرُ الذي أوّله : [من الوافر]

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي

صوت

أأثْلـةُ جَـرّ جيرتُكِ الزِّيالا وعـاد ضميرُ ودِّكُم خَبالا[1]
فإنّـي مستقيلُكِ أثْلُ لُبِّي ولُبُّ المرء أفضلُ مـا استقالا
أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي ولـو أنّي أُطيـع القلبَ قالا
حياءً منكِ حتى سُلّ جِسْمِي وشَقّ عـليَّ كِتْمـاني وطالا

الشعر للقَسّ . والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى البنصر . وفيه لمَعْبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، أوّله : [من الوافر]

أهابُـكِ أن أقـولَ بذلـتُ نفسي

[كيف تعلّقَ القس بها وقصّة لها معه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا بَكّار بن رَباح قال : كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية ، وقد كانت أصابتْ جَدَّه مِنّةٌ من صَفْوانَ بنِ أُمَيَّة ، وكان ينزل مكّةَ ، وكان من عُبّاد أهلها ، فسُمِّي القَسَّ من عِبادته . فمرّ ذاتَ يوم بسَلاّمةَ وهي تغنّي فوقف فتسمّع غناءها . فرآه مولاها فدعاه إلى أن يُدخله إليها فيسمَع منها ، فأبى عليه . فقال له : فإنّي أُقْعِدك في مكانٍ تَسْمع منها ولا تَراها . فقال : أمّا هذا فنَعَمْ . فأدخله داره

1 الزيال : الفراق .

وأجلسه حيث يسمع غناءها ؛ ثم أمرها فخرجت إليه . فلمّا رآها عَلِقتْ بقلبه فهامَ بها ، واشتهَر وشاع خبرُه بالمدينة . قال : وجعل يتردّد إلى منزل مولاها مدّةً طويلة . ثم إنّ مولاها خرج يوماً لبعض شأنه وخَلّفه مقيماً عندها ؛ فقالت له : أنا والله أُحِبُّك ! فقال لها : وأنا والله الذي لا إله إلاّ هو . قالت : وأنا والله أشتهي أن أُعانِقَك وأُقبِّلَك ؛ قال : وأنا والله . قالت : وأشتهي والله أن أُضاجِعَك . وأجعلَ بطني على بطنك وصَدْرِي على صدرك ! قال : وأنا والله . قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ فوالله إنّ المكان لخال ؛ قال : يمنعني منه قولُ الله عزّ وجلّ ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاّ المُتَّقِين﴾ فأكره أن تَحُولَ مودَّتي لك عداوةً يوم القيامة . ثم خرج من عندها وهو يبكي ؛ فما عاد إليها بعد ذلك .

[لمّا ملكها يزيد وملك حبابة صار لا يبالي بعدهما شيئاً]

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنيّ قال : لمّا مَلَك يزيدُ بن عبد الملك حَبابَةَ وسَلاّمَةَ القَسِّ تمثَّل : [من الطويل]

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النَّوَى ... كما قَـرَّ عيناً بالإيـابِ المسافرُ

ثم قال : ما شاء بعدُ من أمر الدنيا فليَفُتْنِي .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

وإنّي لَيُرْضِيني قليـلُ نَوالِكمْ ... وإن كنتُ لا أرضى لكم بقليلِ

بحُرْمةِ مـا قد كان بيني وبينكم ... مـن الوصلِ إلاّ عُدْتُمُ بجميلِ

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لسليمان الفَزاريّ . ولحنه المختار من الرَّمَل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ أوّله الثاني ثم الأوّل ، ينسب إلى حَكَم الواديّ وإلى سليمانَ أيضاً . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل يقال : إنّه لمُخارِق ، وذكر حَبَش أنّ لحن مُخارِق ثاني ثقيلٍ .

[124] ـ أخبار العبّاس بن الأحنف ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكر ابن النطّاح ، العبّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن طَلْحةَ بن جَدّانَ بن كَلَدَةَ من بني عَدِيٍّ بن حَنِيفةَ .

وأخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني القاسم بن إسماعيل قال سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يقول : العبّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن قُدامةَ بن هِمْيانَ من بني هَفان بن الحارث بن الذُّهْل بن الدُّول بن حَنيفة . قال : وكان حاجبُ بن قُدامة عمُّ العبّاس من رجال الدّولة .

قال محمَّد بن يحيى وحدَّثني أبو عبد الله الكِنْدِيّ قال حدَّثني محمَّد بن بكر الحَنَفيّ الشاعر قال حدَّثني أبي قال : سمعتُ العبّاس بن الأحنف يذكر أنّ هَوْذَةَ بن عليّ الحنفيّ قد ولَده من قِبَل بعض أمّهاته .

[هو شاعر غزل عفيف لم يهج ولم يمدح]

وكان العبّاس شاعراً غَزِلاً ظريفاً مطبوعاً ، من شعراء الدّولة العبّاسيّة ، وله مذهبٌ حسنٌ ، ولديباجةِ شعره رَوْنَقٌ ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطْفٌ . ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني . وقدّمه أبو العبّاس المبرّد في كتاب الرَّوْضة على نُظَرائه ، وأطنبَ في وصفه ، وقال : رأيتُ جماعةً من الرُّواة للشعر يقدِّمونه . قال : وكان العبّاس من الظُّرفاء ، ولم يكن من الخُلَعاء ؛ وكان غَزِلاً ولم يكن فاسقاً ؛ وكان ظاهرَ النِّعمة مُلوكيّ المَذْهبِ شديدَ التَّتَرُّف ، وذلك بَيِّنٌ في شعره . وكان قصدُه الغَزَلَ وشغلُه النسيب ، وكان حلواً مقبولاً غَزِلاً غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثيرَ التصرُّف في الغَزَل وحدَه ، ولم يكن هَجَّاء ولا مَدّاحاً .

[كان حلو الحديث]

أخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يصفُ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 2 : 827–831 واللآلي 313 وطبقات ابن المعتزّ : 269 والسمط : 313 ، 497 والموشح : 290 وتاريخ بغداد 12 : 127 وابن خلكان 3 : 20 وعبر الذهبي 1 : 312 وسير الذهبي : 9 : 98 والوافي 16 : 638 والبداية والنهاية 10 : 209 والشذرات 1 : 334 ومعاهد التنصيص 1 : 54 ومعجم الأدباء 4 : 1481–1482 .

العبّاسَ بن الأحنف ، فقال : كان واللهِ ممّن إذا تكلّم لم يُحِبَّ سامعُه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً ظريفَ اللِّسان ، لو شئتَ أن تقول كلامُه كلّه شعرٌ لقلتَ .

حدَّثني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : رأيتُ نُسَخاً من شعر العبّاسِ بن الأحنف بخُراسان ، وكان عليها مكتوب : «شعرُ الأمير أبي الفضل العبّاس» .

[هو من عرب خراسان ومنشؤه بغداد]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمَّد بن يزيد قال حدَّثني صالح بن عبد الوهّاب : أنّ العبّاس بن الأحنف كان من عَرَب خُراسان ، ومنشؤه ببغداد ؛ ولم تزل العلماء تقدِّمه على كثير من المُحْدَثين ، ولا تزال قد تَرى له الشيء البارعَ جِدّاً حتى تُلْحِقه بالمحسِنين .

أخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثنا يَمُوت بن المُزَرَّع قال : سمعتُ خالي (يعني الجاحظ) يقول : لولا أنّ العبّاسَ بن الأحنف أحذقُ الناسِ وأشعرُهم وأوسعُهم كلاماً وخاطراً ما قدَر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه ؛ لأنّه لا يهجو ولا يمدَح ولا يتكسَّب ولا يتصرَّف ؛ وما نعلم شاعراً لَزِم فنّاً واحداً لزومَه فأحسنَ فيه وأكثر .

حدَّثني محمَّد بن يحيى قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن خَلّاد قال : أنشد الحِرْمازِيّ أبو عليّ وأنا حاضرٌ للعبّاس بن الأحنف : [من الخفيف]

صوت

لا جَزى اللهُ دمعَ عينيَ خيراً وجـزى اللهُ كلَّ خيرٍ لساني
نَـمَّ دمعـي فليس يكتُم شيئاً ورأيـتُ اللِّسانَ ذا كِتْمـانِ
كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طَيٌّ فاستدلُّـوا عليـه بـالعُنْوانِ

الغناء لعَرِيبَ رَمَلٌ . ثم قال الحِرْمازِيّ : هذا واللهِ طِرازٌ يطلُب الشعراء مثلَه فلا يقدِرون عليه .

[لعنه أبو الهذيل العلاف لشعر قاله فهجاه]

أخبرني محمَّد قال حدَّثني حسين بن فَهْم قال سمعت العَطَوِيّ يقول : كان العبّاس بن الأحنف شاعراً مُجيداً غَزِلاً ، وكان أبو الهُذَيْل العَلّاف يُبْغِضه ويلعَنه لقوله : [من البسيط]

إذا أردتُ سُلُـوّاً كان ناصـرَكم قلبي ، ومـا أنا من قلبي بمنتصرِ
فأكْثِروا أو أقِلُّـوا مـن إساءتكم فكـلٌّ ذلك محمـولٌ على القَدَرِ

قال : فكان أبو الهُذَيْل يلعَنه لهذا ويقول : يعقِد الكفرَ والفجورَ في شِعْره .

قال محمَّد بن يحيى : وأنشدني محمَّد بن العبّاس اليزيديّ شعراً للعبّاس أظنّه يهجو به أبا

الهُذَيل ، وما سمعتُ للعبّاسِ هجاءً غيرَه : [من البسيط]

يا مَنْ يُكَذِّبُ أخبارَ الرسولِ لقد أخطأتَ في كلِّ ما تأتي وما تَذَرُ
كَذَّبْتَ بالقَدَرِ الجاري عليك فقد أتاك منّي بما لا تَشْتهي القدرُ

[سئل الأصمعيّ عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فأنشد من شعره]

حدَّثني محمّد بن يحيى قال حدَّثني محمَّد بن سعيد عن الرِّياشيّ قال : قيل للأصمعيّ ، أو قلتُ له ، ما أحسنُ ما تحفَظ للمُحْدَثين ؟ قال : قول العبّاس بن الأحنف : [من الكامل]

صوت

لو كنتِ عاتبةً لَسكَّنَ رَوْعَتي أَمَلي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُراقِبِ
لكن مَلِلْتِ فلم تكن لِيَ حيلَةٌ صَدُّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

الغناء للعبّاس أخي بَحْرٍ رَمَلٌ .

[معابثته الأصمعيّ في مجلس الرشيد]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ ومحمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قالا ، واللفظ لهاشم ، قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال : دخل عمّي على الرشيد والعبّاسُ بن الأحنف عنده ؛ فقال العبّاس للرشيد : دَعْني أُعبَث بالأصمعيّ . قال له الرشيد : إنّه ليس ممّن يحتمل العَبَثَ . فقال : لستُ أَعبَثُ به عبثاً يَشُقّ عليه . قال : أنت أعلم . فلمّا دخل عمّي قال له : يا أبا سعيد ، مَنِ الذي يقول : [من الهزج]

إذا أحببتَ أن تصنـ ـع شيئاً يُعجِب الناسا[1]
فصَوِّرْ هاهُنا فَوْزاً وصَوِّرْ ثَمّ عَبّاسا
فإنْ لم يَدْنُوَا حتّى ترى رأسَيْهما راسا
فكَذِّبْها بما قاستْ وكَذِّبْه بما قاسى

فقال له عمّي يعرِّض بأنّه نَبَطِيٌّ : قاله الذي يقول : [من الهزج]

إذا أحببتَ أن تُبْصِـ ـرَ شيئاً يُعجب الخَلْقا
فصَوِّرْ هاهنا دورا وصَوِّرْ هاهنا فلقا
فإنْ لم يَدْنُوَا حتّى ترى خَلْقَيْهما خَلْقا

---

1 إذا أحببتَ في الديوان : إذا ما شئت 164 .

فكَذِّبْهـا بمـا لاقـتْ وكَذِّبْـه بمـا يَـلْقَى

قال : فخجِل العبّاس ، وقال له الرشيد : قد نهيتُك فلم تقبَل .

[حديث إبراهيم بن العبّاس مع ابن مهرويه عن شعره]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال أنشدني إبراهيم بن العبّاس للعبّاس بن الأحنف : [من الكامل]

صوت

قالــت ظَلُـومُ سَمِيَّةُ الظُّلْـمِ مـا لي رأيتُـك ناحـلَ الجسمِ

يـا مَـنْ رَمَـى قلبي فأقْصَده أنت العليـمُ بموضع السَّهْمِ[1]

فقلت لـه : إنّ أبا حاتـم السِّجِسْتانيّ حكـى عـن الأصمعيّ أنّه أنْشِد للعبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

صوت

أتَـأْذَنُونَ لِصَـبٍّ في زيارتكـم فعنـدكم شَهَواتُ السمعِ والبَصَرِ

لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به عَـفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظرِ

فقال الأصمعيّ : ما زال هذا الفتى يُدْخِل يده في جِرابه فلا يُخْرِج شيئاً ، حتى أدخلها فأخرج هذا ؛ ومَنْ أدْمَنَ طلب شيء ظفِر ببعضه . فقال إبراهيم بن العبّاس : أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ ، ولكن أنْشِدُك للعبّاس ما لا تدفع أنت ولا غيرُك فضلَه ، ثم أنشدني قولَه : [من الكامل]

واللهِ لـو أنّ القلـوبَ كقلبهـا مـا رَقّ للولـدِ الضعيفِ الوالدُ[2]

وقوله : [من الكامل]

لكن مَلِلْتِ فلم تكـن ليَ حيلةٌ صَدُّ المَلُولِ خِلافُ صدّ العاتبِ

وقوله : [من الكامل]

حتى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوَى جـاءت أُمـورٌ لا تُطَـاقُ كِبارُ

ثم قال : هذا واللهِ ما لا يقدِر أحدٌ على أن يقول مثلَه أبداً .

[طلب الحسن بن وهب من بنان أن تغنّيه بشعر فتندّرت عليه]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : كنّا عند الحسن بن وهب فقال لِبنانَ :

---

1 بموضع في الديوان : بموقع 240 .

2 الضعيف في الديوان : الصغير 81 .

غنّيني : [من البسيط]

أتَـأْذنون لِصَـبٍّ في زيارتكـم ... فعندكُم شَهَواتُ السَّمْعِ والبصرِ
لا يُضْمِرُ السوءَ إن طال الجلوسُ به ... عَفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

قال : فضحكتْ ثم قالت : فأيُّ خيرٍ فيه إنْ كان كذا أو أيّ معنىً ؟ فخجِل الحسن من نادِرتها عليه ، وعجبنا من حدّة جوابها وفطنتها .

[مدح سعيد بن جنيد شعره في إخفاء أمره]

حدَّثني الصُّوليّ قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النَّصيبيني قال سمعتُ سعيد بن جُنَيْد يقول : ما أعْرِف أحسنَ من شعر العبّاس في إخفاء أمرِه حيث يقول : [من الوافر]

أرِيـدُكِ بالسلام فأتَّقِيهـم ... فأعمِـدُ بالسلام إلى سِواكِ[1]
وأُكثِرُ فيهـمُ ضَحِكِي ليَخْفَى ... فسِنّي ضاحـكٌ والقلبُ باكِ

[تمثّل الواثق بشعره إذ كان غضبانَ على بعض جواريه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر قال حدَّثني خالي أحمد بن حَمْدون قال : كان بين الواثق وبين بعض جَواريه شَرٌّ فخرج كسلانَ ؛ فلم أزَلْ أنا والفتحُ بن خاقَانَ نحتال لنَشاطِه ؛ فرآني أُضاحِك الفتح فقال : قاتل اللهُ ابنَ الأحنف حيث يقول : [من البسيط]

عَدْلٌ مـن الله أبكاني وأضحكها ... فالحمدُ لله عدلٌ كلُّ ما صنَعا[2]
اليومَ أبْكي على قلبي وأندُبُـه ... قلبٌ ألحّ عليه الحُبُّ فانصدَعا

فقال الفتح : أنت والله يا أمير المؤمنين في وَضْع التَّمَثُّل موضعَه أشعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ .

[تمثّل بشعره في عتاب جارية له]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أبيه قال : قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جَرى بينهما عَتْبٌ : إن كنتَ تَستطيلُ بعزّ الخلافة فأنا أدلّ بعِزّ الحُبّ . أتُراكَ لم تَسمع بخليفة عِشق قبلَك قطُّ فاستوفى من معشوقه حقَّه ؛ ولكنّي لا أرى لي نظيراً في طاعتك . فقال الواثق : لله درُّ ابن الأحنف حيث يقول : [من المتقارب]

أمَا تَحْسَبيني أرى العاشقينَ ... بَلَى ، ثم لستُ أرى لي نظيرا
لعـلّ الذي بيديـه الأُمـورُ ... سيَجعل في الكُـرْه خيراً كثيرا

1 بالسلام في الديوان : بالكلام 357 .
2 وأضحكها في الديوان : وأضحككم 174 .

[مدح الزُّبير بن بكّار شعره]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني المُغيرةُ بن محمَّد المُهَلَّبيّ قال : سمعتُ الزُّبير يقول : ابن الأحنف أشعرُ الناسِ في قوله : [من البسيط]

تَعْتَـلّ بالشُّغْلِ عَنّا ما تكلِّمنا ... الشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

ويقول : لا أعلم شيئاً من أُمور الدنيا خيرِها وشرِّها إلاّ وهو يصلُح أن يُتَمَثَّلَ فيه بهذا النصف الأخير .

[استظرف إسحاق الموصلي شعره في مجافاة النوم]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن سعيد عن حمّاد بن إسحاق قال : كان أبي يقول : لقد ظَرُف ابنُ الأحنف في قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنَّوْم : [من الطويل]

قِفَا خَبِّراني أيُّها الرجلانِ ... عن النوم إنّ الهجرَ عنه نَهاني

وكيف يكون النومُ أم كيف طَعْمُه ... صِفا النَّومَ لي إن كنتما تَصِفانِ

قال : على قلّة إعجابه بمثل هذه الأشعار .

[كان سلمة بن عاصم معجباً بشعره حتى كان يحمله معه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون بن مَخْلَد قال حدَّثنا أحمد بن إبراهيم قال : رأيتُ سَلَمة بن عاصم ومعه شعر العبّاس بن الأحنف ، فعَجِبتُ منه وقلتُ : مثلُك ، أعزَّك الله ، يحمِلُ هذا ؟ فقال : ألا أحْمِل شعرَ مَن يقول : [من السريع]

صوت

أسأتُ أنْ أحسنتُ ظنّي بكم ... والحَزْمُ سوءُ الظنّ بالنّاسِ

يُقلقنـي الشوقُ فآتيكـمُ ... والقلبُ مملوءٌ من الياسِ

غنّى هذين البيتين حسين بن مُحْرِز خفيفَ رملٍ بالوسطى . وأوّلُ الصوت : [من السريع]

يـا فـوزُ يـا مُنيـةَ عبّاسِ ... واحرَبـا مـن قلبك القاسي

[أعجب أعرابيّ بشعره]

وروى أحمد بن إبراهيم قال : أتاني أعرابيٌّ فصيحٌ ظريف ، فجعلت أكتب عنه أشياء حساناً ؛ ثم قال : أنْشِدْني لأصحابكم الحَضَرِيّين . فأنشدتُه للعبّاس بن الأحْنَف : [من الطويل]

ذكرتُـك بالتُّفّاح لـمّا شَمِمتُه ... وبالرَّاح لمّا قابلتْ أوْجُهَ الشَّرْبِ

تذكّـرتُ بالتفّاح منـكِ سَوالِفاً ... وبالرّاح طعماً من مُقَبَّلكِ العَذبِ

فقال : هذا عندك وأنت تكتب عنّي ! لا أُنشِدك حرفاً بعد هذا .

[فضّل العبّاس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق]

وحدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله بن العبّاس بن الفضل يقول : ما أعرف في العراق أحسنَ من قول ابن الأحنف : [من البسيط]

سبحانَ ربِّ العُلا ما كان أَغْفَلَني عمّا رمَتْني بـه الأَيّـامُ والزمنُ[1]
مَنْ لم يَذُقْ فُرقةَ الأحبابِ ثم يرى آثارَهم بعدهم لم يَدْرِ مـا الحَزَنُ

قال أبو بكر : وقد غنّى عبد الله بن العبّاس فيه صوتاً خفيفَ رملٍ .

[مدح حسين بن الضحاك شعره واستجاده]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قال : سمعتُ حسين بن الضحّاك يقول : لو جاء العبّاس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعُذِر ، وهو قولُه : [من المتقارب]

لَعَمْـرُك ما يستريح المُحِبُّ حتى يَبـوحَ بـأسرارِهِ
فقـد يكتُـم المرءُ أسرارَه فتظهـرُ في بعض أشعارِهِ

ثم قال : أمّا قولُه في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو : [من الكامل]

الحُـبُّ أَمْلَكُ للفـؤاد بقهره من أن يُرَى للسِّتر فيه نصيبُ[2]
وإذا بَـدا سرُّ اللبيـبِ فإنّـه لم يَبْدُ إلاّ والفتـى مغلوبُ

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني الغَلابيّ قال حدَّثني الزُّبَير بن بَكّار قال قال أبو العتاهية : ما حسَدْتُ أحداً إلا العَبّاس بن الأحنف في قوله : [من الوافر]

إذا امتنع القريبُ فلـم تَنَلْـهُ على قُـرْبٍ فذاك هو البعيدُ

فإنّي كنتُ أَولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره . فقلت له : صدقت ، هو يُشبه شعرك .

[استجاد الكندي ضروب شعره]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال : سمعتُ الكِنْدِيّ يقول : العبّاس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جَزْلٌ في شعره ، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ . فكان يُنشد له كثيراً : [من المتقارب]

1 رمَتني في الديوان : دهتني 273 .
2 للستر في الديوان : الستر 60 .

صوت

أَلاَ تَعْجَبون كما أعجَبُ   حبيبٌ يُسيء ولا يُعْتِبُ
وأَبغِي رضاهُ على سُخْطِهِ   فيأَبى عليَّ ويستصعِبُ[1]
فياليتَ حَظِّي إذا ما أَسأْ   تَ أَنَّك ترضَى ولا تَغْضَبُ

[كان إبراهيم الموصليّ مشغوفاً بشعره كثير الغناء فيه]

أَخبرني الصوليّ قال حدَّثنا محمَّد بن الفَضْل قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : كان جَدّي إبراهيم مشغوفاً بشعر العبّاس ، فتَغَنَّى في كثيرٍ من شعره ، فذكر أَشعاراً كثيرةً حَفِظتُ منها : [من الطويل]

صوت

وقد مُلِئتْ ماءَ الشَّبابِ كأَنّها   قضيبٌ من الرَّيْحانِ رَيّانُ أُخضرُ[2]
همُ كتموني سَيْرَهم حين أَزمَعُوا   وقالوا اتَّعَدْنا للرَّواح وبَكَّرُوا

ذكر الهشاميّ أَنّ اللحن في هذين البيتين لعَلّوية رمل ، وفي كتاب ابن المكّيّ أَنّه لابن سُرَيْج وهو غَلطٌ .

[قول المأمون لمّا أُنشد بيتاً له]

وقد أَخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فَهْم قال : أُنْشِد المأمون قولَ عبّاس بن الأَحنف : [من الطويل]

هم كتموني سَيْرَهم حين أُزمعوا   وقالوا اتَّعَدْنا للرَّواح وبَكَّرُوا

فقال المأمون : سَخِروا بأَبي الفضل .

قال : وحفِظْتُ منها : [من الطويل]

صوت

تمنّى رجالٌ ما أَحبُّوا وإنّما   تمنّيتُ أَن أَشكو إليكَ وتَسْمعا
أَرَى كلّ معشوقَيْن غيري وغيرها   قد استعذَبا طولَ الهوى وتمتَّعا

الغناءُ لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه ثقيل أَوّلُ بالوسطى يُنْسَب إلى يزيد حوراء وإلى سُلَيْم بن سَلاّم .

1 على سخطه في الديوان : على جوره 23 .
2 ماء في الديوان : لين 123 .

قال وحفِظتُ منها : [من الهزج]

بكتْ عيني لأنْواعٍ ... من الحزن وأوجاعِ
وأنّي كلَّ يوم عنـ ... ـدكم يَحْظى بيَ السّاعي
أعيشُ الدَّهرَ إن عشتُ ... بقلبٍ منكِ مُرْتاعِ
وإن حلَّ بيَ البعدُ ... سيَنْعاني لكِ النّاعي

الغناء لإبراهيم المَوْصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفي كتاب إبراهيم بن المهديّ الذي رواه الهشاميّ عنه أن لإبراهيمَ بن المهديّ فيه لَحْنَيْن : ثقيلاً أوّل وماخوريّاً . وفيه هَزَجٌ مُحْدَثٌ .

[غنّى إبراهيم الموصليّ في شعره وشعر ذي الرمّة أكثر ممّا غنّى في شعر غيرهما]

أخبرني الصوليّ قال حدَّثنا أصحابُنا عن محمَّد بن الفضل عن حمّاد بن إسحاق قال : ما غنّى جَدّي في شعر أحد من الشعراء أكثرَ ممّا غنّى في شعر ذي الرُّمّة وعبّاس بن الأحنف .

[مدح ابن الأعرابيّ شعراً له غنّى به في حضرة أحد أولاد الرشيد]

أخبرني الصّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله التَّميميّ قال : كنّا في مجلس ابن الأعرابيّ ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يَلْزَم ابنَ الأعرابيّ ، وكان يحبّه ويأنَسُ به ، فقال له : ما أخّرك عنّي ؟ فاعتذر بأشياء ثم قال : كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه به ، فاستكثر ذلك ابنُ الأعرابيّ واستهاله وعجِب منه ، وقال : ما هو ؟ قال : غنّاه بشعر عبّاس بن الأحنف : [من الهزج]

بكتْ عيْني لأنواعٍ ... من الحزنِ وأوجاعِ
وأنّي كلّ يوم عنـ ... ـدكم يَحْظَى بيَ السّاعي

فقال ابنُ الأعرابيّ : أمّا الغناء فما أدْري ما هو ، ولكن هذا والله كلامٌ قريبٌ مليحٌ .

[نوّه الواثق بشعره]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثنا محمَّد بن الهيثم قال حدَّثني محمَّد بن عمرو الرّوميّ قال : كنّا عند الواثق فقال : أريد أن أصنَع لحناً في شعرٍ معناه أنّ الإنسان كائناً مَن كان لا يقدِر على الاحتراس من عدوّه ، فهل تعرفون في هذا شيئاً ؟ فأنْشَدْنا ضروباً من الأشعار ؛ فقال : ما جئتم بشيء مثل قول عبّاس بن الأحنف : [من السريع]

قلبي إلى ما ضرَّني داعي ... يُكثِر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوّي إذا ... كان عدوّي بين أضلاعي
أسْلمني للحبِّ أشياعي ... لمّا سعى بي عندها السّاعي[1]
لقلّما أبْقى على كلّ ذا ... يُوشك أن يَنْعانيَ النّاعي

قال : فعَمِل فيه الواثقُ لحنه الثقيلَ الأوّل ، النّشيد بالوسطى .

[قصّة للمتوكّل وعلى ابن الجهم في صدد شعره]

حدّثني الصّوليّ قال حدَّثني محمّد بن موسى أو حُدِّثتُ به عنه عن عليّ بن الجَهْم قال : انصرفتُ ليلةً من عند المتوكّل ، فلمّا دخلتُ منزلي جاءني رسولُه يطلبُني ، فراعَني ذلك وقلت : بلاءٌ تُتبِّعتُ به بعد انصرافي ، فرجعتُ إليه وَجِلاً ، فأُدْخِلتُ عليه وهو في مَرْقَده . فلمّا رآني ضحِك ، فأيقنتُ بالسلامة ؛ فقال : يا عليّ ، أنا مُذْ فارقتُك ساهرٌ ؛ خطَر على قلبي هذا الشعرُ الذي يُغنّي فيه أخي ، قولُ الشاعر : [من السريع]

قلبي إلى ما ضرَّني داعي

الأبيات . فحَرَصْتُ أن أعمَل مثلَ هذا فلم يَجِئْني ، أو أن أعمل مثلَ اللّحن فما أمكنني ؛ فوجدتُ في نفسي نقصاً ، فقلت : يا سيّدي ، كان أخوك خليفةً يغنّي وأنت خليفةٌ لا تغنّي ؛ فقال : قد والله أهديتَ إلى عيْني نوماً ، أعطوه ألفَ دينار ، فأخذتها وانصرفتُ .

[أنشد أبو الحارث جميز من شعره فقال : إنّه قاله في طبّاخة]

وجدتُ في كتاب الشّاهِيني بغير إسناد : أُنْشِد أبو الحارث جُمَّيْن قول العبّاس بن الأحنف . [من السريع]

قلبي إلى ما ضرّني داعي

الأبيات . فبكى ثم قال : هذا شعرُ رجلٍ جائعٍ في جارية طبّاخَةٍ مليحةٍ ؛ فقلت له : من أين قلت ذاك ؟ قال : لأنّه بَدَأ فقال : [من السريع]

قلبي إلى ما ضرّني داعي

وكذلك الإنسان يدعوه قلبُه وشهوتُه إلى ما يضرُّه من الطّعام والشَّراب فيأكله ، فتكثر عِلَلُه وأوجاعُه ، وهذا تعريض ؛ ثم صرّح فقال : [من السريع]

كيف احتراسي من عدوّي إذا ... كان عدوّي بين أضلاعي

وليس للإنسان عدوٌّ بين أضلاعه إلاّ مَعِدتُه ، فهي تُتلِف مالَه ، وهي سببُ أسقامِه ، وهي مفتاح كلّ بلاء عليه ، ثم قال : [من السريع]

1 للحب أشياعي في الديوان : للوجد أشياعي 179 .

إن دام لي هجرُك يـا مالِكي أَوْشكَ أَنْ يَنعـاني النَّاعِـي

فعلمتُ أنّ الطبّاخةَ كانت صديقته ، وأنّها هجرتْه ففقَدها وفقد الطَّعامَ ، فلو دام ذلك عليه لَمات جوعاً ونَعاه النّاعي .

[تمثّل الحسن بن وهب بشعره في حادثة له مع بنان]

وحدَّثني الصّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن عيسى قال : جاء عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرّبيع إلى الحسن بن وهب ، وعنده بَنان جارية محمَّد بن حمّاد ، وهي نائمةٌ سَكْرى وهو يبكي عندها . فقال له : ما لَك ؟ قال : قد كنتُ نائماً فجاءتني فأَنْبَهتْني وقالت : اجلس حتى تشربَ فجلستُ ، فوالله ما غنّتْ عشرةَ أصوات حتى نامت وما شرِبتُ إلاّ قليلاً ، فذكرتُ قولَ أشعر الناس وأظرفهم ، العبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

أبكـي الذيـن أذاقـوني مودَّتَهم حتى إذا أيقظوني للهـوى رقَدُوا

فأنا أبكي وأُنْشِد هذا البيت .

[كلام ابنه إبراهيم في مدح شعر له وبلاغته وانشاده له]

وحدّثني الصّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال : سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول : ما رأيتُ كلاماً مُحْدَثاً أجزلَ في رقّةٍ ، ولا أصعبَ في سهولةٍ ، ولا أبلغَ في إيجازٍ ، من قول العبّاس بن الأحنف : [من الطويل]

تعالَيْ نُجَـدِّدْ دارسَ العهـد بيننا كلانـا على طـول الجفاء مَلُومُ[1]

قال الصّوليّ : ووجدتُ بخطّ عبد الله بن الحسن : أنشد أبو محمّد الحسن بن مَخْلَد قال : أنشدني إبراهيم بن العبّاس بن الأحنف : [من السريع]

صوت

إن قـال لم يَفْعَل وإن سِيلَ لم يَبْذُل وإن عُوتِـبَ لم يُعْتِبِ
صبٌّ بعِصْياني ولـو قـال لي لا تَشْرب البـاردَ لم أَشْرَبِ
إليك أَشكو ربٌّ ما حلَّ بي مِن صدِّ هذا المُذْنِب المُغْضَبِ[2]

غنّى في هذه الأبيات أحمد بن صَدَقة هزجاً بالوسطى . وفيها لحنٌ آخر لغيره . قال الحسن بن مَخْلَد : ثم قال لي إبراهيم بن العبّاس : هذا والله الكلامُ الحسنُ المَعْنى ، السهلُ

1 العهد في الديوان : الوصل 252 .

2 من صدّ هذا المذنب في الديوان : من ظلم هذا الظالم 22 .

المَوْرِد ، القريبُ المتناوَل ، المليحُ اللفظ ، العذْب المستَمَع .

[مدح علي بن يحيى شعره وقال على رويه شعراً]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال : سمعتُ عليّ بن يحيى يقول : من الشعر المرزوق من المغنِّين خاصّة [شعر] العبّاس بن الأحنف ، وخاصّة قوله : [من المديد]

نـامَ مـن أهْـدى ليَ الأَرَقا مستريحـاً سامَنـي قَلَقـا

فإنّه غنَّى فيه جماعةٌ من المغنِّين ، منهم إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق وغيرهما . قال : وكان يَسْتحسن هذا الشعر ، وأظنّ استحسانه إيّاه حَمَله على أن قال في رَويّه وقافيتِه : [من المديد]

بأبـي واللهِ مَـنْ طرَقـا كابتسام البرق إذ خَفَقا

وعمِل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإصْبع الوسطى . هكذا رواه الصُّوليّ . وأخبرني جَحْظة قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : قال أبي : هذا الصوت . [من المديد]

نـام مَنْ أهـدى ليَ الأَرَقا

[مدح إسحاق شعره وقال إنّه محظوظ من المغنّين]

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصَّنْعة واشتراك المغنِّين في ألحانه . وذكر محمَّد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون أنّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق .

نسبة هذين الصوتين منهما

صوت

[من المديد]

نام مَـن أهْدى ليَ الأَرَقا مستريحـاً زادَني قَلَقـا
لـو يَبيتُ النـاسُ كلُّهم بسهادي بيَّض الحَدَقـا
كان لي قلـبٌ أعيش بـه فاصطلى بـالحبّ فاحترقا
أنـا لم أُرْزَق مودَّتكـم إنّما للعبـد مـا رُزِقـا

لإسحاق في هذا الشعر خفيفٌ بالوسطى في مجراها . ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل آخرُ . ولابن جامع فيه لحنان : رَمَلٌ مُطْلَق في مجرى الوسطى في الأوّل والثالث ، وخفيفُ رملٍ مطلَق في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلّها . وفيه لسُلَيْم هزَجٌ ، وفيه لعَلّويه ثقيلٌ أوّل .

نسبة صوت علي بن يحيى
صوت

[من المديد]

بأبي والله مَنْ طَرَقا كابتسام البرق إذْ خَفَقا
زادني شوقاً بزَوْرَتِه وملا قلبي به حُرَقا
مَنْ لقلبٍ هائمٍ دَنِفٍ كلّما سلّيتُه قَلِقا
زارني طيفُ الحبيب فما زاد أن أغْرى بيَ الأَرَقا

الشعر لعليّ بن يحيى ؛ وذكر الصّوليّ أنّ الغناء له خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وذكَر أبو العَنْبَس ابن حمدون أنّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صنعته . وفيه لعَرِيب ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً .

[مدح عبد الله بن المعتزّ شعره]

حدّثني الصّوليّ قال : سمعتُ عبد الله بن المعتزّ يقول : لو قيل : ما أحسنُ شيء تعرفه ؟ لقلتُ : شعرُ العبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

صوت

قد سحَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفرّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقا
فكاذِبٌ قد رَمى بالحبّ غيرَكُم وصادقٌ ليس يَدْري أنّه صدَقا[1]

قال : وللمَسْدود[2] في هذا الشعر لحن . قال : ولم يُغَنّ المسدودُ أحسنَ من غنائه في شعر العبّاس بن الأحنف . هكذا ذكر الصّوليّ ، ولم يأت بغير هذا . ولإسحاق في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ولابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وليزيد حَوْراء خفيفُ ثقيل عنه . وللمَسْدود رمَلٌ . ولعبد الله بن العبّاس الرّبيعيّ خفيفُ رَمَلٍ .

[شكا الفضل بن الربيع جاريته إلى إبراهيم الموصليّ فأحاله على شعره]

وأخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن سعيد قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غَضِب الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناسِ إليه ، فتأخَّرت عن استرضائه ، فغَمَّه ذلك ، فوجّه إلى أبي يُعْلِمُه ويشكوها إليه . فكتب إليه أبي : لكَ العزّةُ والشرف ، ولأعدائك الذّلّ والرَّغْم . استعْمِلْ قولَ العبّاسِ بن الأحنف : [من الطويل]

---

1 فكاذب في الديوان : فجاهلٌ 200 .

2 المسدود : اسمه الحسن ، وكنيته أبو علي ، وكان أبوه قصّاباً ، وكان هو مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر .

تحمَّلْ عظيمَ الذنب ممّــن تحبّـه ... وإن كنتَ مظلوماً فقُــل أنا ظالمُ

فإنّكَ إلاّ تَغْفِرِ الذنبَ في الهوى ... يُفارِقْك مَنْ تَهوى وأنفُك راغِمُ

فقال : صدقتَ ، وبعث إليها فترضّاها .

[دافع مصعب الزُّبَيري عن شعره]

أخبرني الصّوليّ قال حدَّثني أبو بكر بن أبي خَيْثَمةَ قال : قيل لمُصْعَب الزّبيريّ : إنّ الناس يَسْتبرِدُون شعرَ العبّاس بن الأحنف . فقـال : لقـد ظلموه ، أليس الذي يقول : [من الكامل]

صوت

قالــت ظلــومُ سميّــة الظُّلْم ... ما لي رأيتُــك ناحــلَ الجسمِ

يــا مَـــن رمى قَلبي فأقْصَدَه ... أنــت العليــمُ بموقــع السَّهْمِ

الغناء لأبي العَنْبَس أو ابنه إبراهيم ، ماخُوريّ .

[قال شعراً في البكاء فأجازته أمّ جعفر]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قـال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ الحسن بن أحمد قال حدَّثنا عمرو بن بانَةَ قال : كنّا في دار أمّ جعفر جماعةً من الشعراء والمغنّين ؛ فخرجتْ جاريةٌ لها وكمُّها مملوء دارهم ، فقالت : أيّكم القائل : [من الكامل]

من ذا يُعيرك عينَه تبكــي بهـــا ... أرأيـــت عينـــاً للبكـــاء تُعارُ

فأومىء إلى العبّاس بن الأحنف ؛ فنَثَرَتْ الدراهمَ في حجره فنفضَها فلقَطَها الفرّاشون ؛ ثم دخلتْ ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرّاشين على عُنُق كلّ فرّاش بَدْرةٌ فيها دراهم ، فمَضَوْا بها إلى منزلِ العبّاس بن الأحنف .

[أنشد الرشيد شعره في البكاء فدعا عليه وسخط]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال حدَّثني محمّدُ بن موسى قال : أُنشِد الرشيدُ قولَ العبّاسِ بنِ الأحنف : [من الكامل]

من ذا يُعيرك عينَــه تبكــي بها

فقال : مَنْ لا صَحِبه الله ولا حاطه .

[سرق مخلد الموصليّ من شعره فكشفه عبد الله بن ربيعة الرقي]

حدَّثني الصُّوليُّ قال حدَّثني عَوْنُ بن محمَّد الكِنديّ قال : كنّا مع مَخْلَد المَوْصِليّ في مجلسٍ وكان معنا عبدُ الله بن رَبيعةَ الرَّقيّ ؛ فأنشد مَخْلد المَوْصِليّ قصيدةً له يقولُ فيها : [من الخفيف]

كلُّ شيء أقْوى عليــه ولكــنْ ... ليس لي بالفِراق منــك يَدانِ

فجعل يستحسِنه ويردِّده ، فقال له عبدُ الله : أَنتَ الفِداء لِمَن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول : [من الخفيف]

سلبتْني مِـــن السُّرور ثِيابـا وكسَتني مِـن الهمـومِ ثِيابا
كلّما أَغْلَقتْ من الوصل بابا فتحَـتْ لي إلى المنيّـةِ بابا
عذِّبيني بكلِّ شيء سوى الصـ ـدّ فما ذقتُ كالصدود عذابا

قال : فضحك المَوْصِلِيّ . والشعرُ للعبّاس بن الأحنف .

[مدح الرياشي شعره]

وأخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني أَبو الحسن الأسديُّ قال : سمعت الرِّياشيَّ يقولُ ، وقد ذُكِر عندَه العبّاسُ بنُ الأحنـف : والله لـو لم يقلْ من الشعر إلاّ هذين البيتين لكَفَيا : [من المنسرح]

صوت

أُحْرَمُ منكـم بما أَقـولُ وقد نالَ بـه العاشِقونَ مَن عَشِقُوا
صِرْت كأنّـي ذُبالـةٌ نُصِبَتْ تُضيءُ للنَّاسِ وهـي تحْترقُ

وفي هذين البيتين لحنٌ لعبدِ الله بنِ العبّاس من الثقيل الثاني بالبِنصر . وفيه لخَزْرَج رمَل أوّلُ عن عبد الله بن العبّاس : [من المنسرح]

أنـتِ لا تعلمينَ ما الهمُّ والحُزْ نُ ولا تعلَمـين مـا الأَرَقُ

[اختلف الرشيد وإسحاق الموصليّ في مدحه ومدح أبي العتاهية]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخفش قال حدَّثني محمَّد بن يَزيد المبرِّد قال حدَّثني بعضُ مشايخ الأَزْد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : كان الرشيد يقدِّم أَبا العتاهية حتى يجوز الحدَّ في تقديمه ، وكنت أُقدِّم العبّاس بن الأَحنف ؛ فاغتابني بعضُ الناسِ عند الرشيد وعابني عنده ، وقال عَقِبَ ذلك : وبحَسْبِك يا أَميرَ المؤمنين أنّه يُخالِفُك في العبّاس بن الأَحنف على حداثة سنّه وقلّة حِذْقِه وتجريبه ، ويقدِّمُه على أَبي العتاهية مع ميْلك إليه . وبلغني الخبرُ فدخلت على الرّشيد ؛ فقال لي ابتداءً : أَيّما أَشعرُ عندكَ : العبّاسُ بن الأَحنف أَو أَبو العتاهية ؟ فعلِمتُ الذي يريدُ ، فأَطرقتُ كأنّي مُسْتَثْبِتٌ ثم قلت : أَبو العتاهية أَشعرُ . قال : أنشِدني لهذا ولهـذا ؛ قلت : فبأيّـهما أبـدأ ؟ قال : بالعبّاس . قال : فأنشدتُه أَجودَ ما أَرويه للعبّاس ، وهو قوله : [من المنسرح]

أُحْرَم مِنكم بمـا أَقـولُ وقد نال بـه العاشِقونَ مَنْ عَشِقُوا

فقال لي : أحْسَن ، فأنْشدني لأبي العتاهية ، فأنشدتُه أضعفَ ما أقدِرُ عليه ، وهو قولـه : [من السريع]

كأنَّ عُتَّابَةَ من حُسْنها دُمْيَةُ قَسٍّ فتنتْ قَسَّها
يا رَبِّ لو أُنسيتَنِيها بما في جَنّةِ الفردوسِ لم أنْسَها
إنّي إذاً مثلُ التي لم تزل دائبةً في طحنِها كُدْسَها[1]
حتى إذا لم يبق منها سوى حَفْنةِ بُرٍّ قتلتْ نفسَها

قال : أتعيِّره هذا ؟ فأين أنت عن قوله ؟ : [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حَقّا
فتنفَّستُ ثُمّ قلت نعم حُبّـ ـاً جرى في العروق عِرْقا فعِرْقا

ويحك ، أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا ، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله : «فتنفَّسْتُ ثم قلت كذا وكذا» ! اذهبْ ويحَك فاحفَظْها ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو كنت سمِعتُ بها لحفِظتُها . قال إسحاق : وما أشُكّ أنّي كنت أحفَظَ لها حينئذٍ من أبي العتاهية ، ولكنّي إنّما أنْشَدتُ ما أنْشَدتُ تعصُّباً .

[صحب الرشيد إلى خراسان وعرّض للرجوع بشعر فأذن له]

وحُدِّثتُ من غير وجهٍ أنّ الرشيدَ ألِف العبّاسَ بن الأحنف ؛ فلمّا خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها ، ثم خرج إلى أرْمينيَةَ والعبّاسُ معه ماشياً إلى بغدادَ ، فعارَضه في طريقه فأنشده : [من البسيط]

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ثم القُفولُ فَقد جئنا خراسانا
ما أقدرَ اللهَ أن يُدْنِي على شَحَط سكانَ دَجلَة من سُكّان جَيْحانا[2]
متى الذي كنتُ أرجوه وآمُلُه أمّا الذي كنتُ أخشاه فقد كانا[3]
عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نَظَرتْ وعذَّبتْ بصنوفِ الهجر ألوانا

في هذين البيتين الأخيرين رَمَلٌ بالوسطى يُنسَب إلى مخارق وإلى غيره . قال فقال له الرشيد : قد اشتقتَ يا عبّاسُ وأذِنتُ لك خاصّة ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

1 الكدس : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك .
2 في الديوان اختلاف 279 . جيحان : اسم نهر .
3 متى الذي كنتُ في الديوان : متى يكون الذي 279 .

[لم يبتذل هو ولا العراف شعرهما في رغبة ولا رهبة]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا محمَّدُ بن القاسِم قال : سمعتُ مُصْعَباً الزُّبَيريّ يقول : العبّاسُ بن الأحنف وعمرو العرّاف ما ابتذلا شعرَهُما في رَغْبة ولا رهْبَة ، ولكن فيما أحبّاه ، فلَزِما فنّاً واحداً لو لَزِمه غيرُهما ممّن يُكثر إكثارَهما لضعُف فيه .

ذكر الأصوات التي تجمع النَّغم العشر

منها :

صوت

[من المتقارب]

توهَّمتُ بالخَيْف رسماً مُحِيلا   لعَـزَّةَ تَعْـرِفُ منـه الطُّلولا
تَبَدَّل بـالحيّ صوتَ الصَّدى   ونوحَ الحمامة تدعـو هَدِيلا

عروضُه من المتقاربِ . الخَيْفُ الذي عناهُ كُثَيِّر ليس بخيف مِنىً ، بل هو موضع آخَر في بلاد ضَمْرَة . والطُّلول : جمع طللٍ ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الدّيار . والرَّسم : ما لم يكن له شخص [وجسم] . والصَّدى هاهنا : طائر ، وفي موضع آخر : العطش . ويزعُم أهل الجاهليّة أنّ الصَّدى طائر يخرج من راس المقتول فلا يزال يصيح [أسقوني] حتى يُدرَكَ بثأره . قال طَرَفَةُ : [من الطويل]

كَرِيمٌ يـروِّي نفسَه في حَياتِــه   ستعلمُ إن مِتْنا صَدىً أيُّنا الصَّدِي

والحمام : القماريّ ونحوها من الطير . والهديل : أصواتها .

الشعر لكثيِّر والغناء لعُبَيْدِ الله بن عبد الله بن طاهر ، ونَسَبه إلى جاريته وكَنَى عنها ، فذكر أنّ الصَّنعةَ لبعض من كثرت دُربَتُه بالغناء وعظُم علمُه وأتعب نفسَه حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت ، وذكر أنّ طريقتَه من الثقيل الأوّل ، وأنّه ليس يجوز أن يَنْسُبَه إلى موضع إصْبع مُفْردة ؛ لأنّ ابتداءه على المَثْنى مُطْلَقاً ، ثم بسبَّابة المَثْنى ، ثم وُسْطى المثنى ، ثـم بِنْصر المَثْنى ، ثم خنصر المَثْنى ، ثم سبّابـة الزِّير ، ثم وُسْطاه ، ثم بِنصره ، ثم خِنصره ، ثم النَّغمة الحادَّة ، وهي العاشرة . وفيه لابن مُحرِزٍ ثاني ثقيلٍ مطلَق في مجرى البِنْصر . وفيه لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوُسطى عن عمرو ، وهذا الصوتُ من الثقيل الثاني ، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النَّغم وعِلَلِها أن لحنَ ابن محرز فيه يَجمع ثمانياً من النغم العَشر ، وأنّه لا يعرف صوتاً يجمعها غيرُه ، وأنّه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أن يأتيَ في صوتٍ واحدٍ بالنَّغم العشر ، بعد تعبٍ طويل ومُعاناةٍ شديدة . وذكَر عُبَيْد الله أنّ صانع هذا الصوتِ الذي كَنى عنه فعلَ ذلك

وتلطَّف له حتى أَتى بالنغم العشر في هذا متواليةً من أوّلها إلى آخرها ، وأَتى بها في الصوت الذي بعده متفرّقةً على غير توالٍ إلاّ أنّها كلّها فيه ، وذكر أَنّ ذلك الصوتَ أَحسنُ مسموعاً وأَحلى . وحَكى ذلك أَيضاً عنه يحيى بن عليّ بن يحيى في كتاب النَّغَم . وإذ فرغتُ من حكايةِ ما ذكَره وحكاه عُبَيْد الله في نِسبة هذا الصوتِ فقد ينبغِي أَلاّ أُجريَ الأَمرَ فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه . والذي وصفه من جهة النغم العشر متواليةً في صوت واحد محالٌ لا حقيقة له ، ولا يُمكن أَحداً بتّةً أَن يفعله . وأَنا أُبيِّن العلّةَ في ذلك على تقريب ، إذ كانَ استقصاء شرحها طويلاً . وقد ذكرتُه في رسالة إلى بعض إخواني في عللِ النغم ، وشرحتُ هناك العلَّةَ في أَنْ قُسِّم الغناءُ قسمين وجُعِل على مجريَيْن : الوُسطى والبِنْصر دون غيرهما ، حتى لا يُدْخِل واحدةً منهما على صاحبتها في مجراها قُرْبُ مخرج الصوت ، إذا كان على الوُسطى منه [او] إذا كان على البنصر وشبهه به . فإذا أَراد مُريدٌ إلحاقَ هذا بهذا لم يُمكنه بَتّةً على وجهٍ ولا سببٍ ؛ ولا يُوجد في استطاعة حيوان أَن يتلو إحداهما بالأُخرى . وإذا أُتْبعت إحداهما بالأُخرى في نايٍ أَو آلة من آلات الزمر تَفَصَّلَت إحداهما من الأُخرى . وإنّما قلّت النغمُ في غِناء الأَوائل لأَنّهم قَسَّموها قسمين بين هاتين الإصْبَعين ، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأُخرى في طريقتها لم يكن ذلك إلاّ بعد أَن يُفْصَلَ بينهما بنغم أُخرى للسبَّابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافةُ بينهما ، ثم لا يكون لذلك الغناء ملاحةٌ ولا طِيبٌ للمضادّة في المَجْرَيَيْن ، فتركوه ولم يستعملوه ؛ فإن كان صحَّ لعُبَيد الله عملٌ في النغم العشر في صوت ، فلعلَّه صحَّ له في الصوت الذي ذكر أَنّه فرَّقها فيه ؛ فأَمّا المتوالية ، على ما ذكره هاهنا ، فمحالٌ ، ولستُ أَقدر في هذا الموضع على شرحٍ أَكثرَ من هذا ، وهو في الرسالة التي ذكرتُها مشروح .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد التاسع

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

9

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعَة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعَة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[125] ـ ذكر أخبار كثير ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، أبو صخر كُثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخلَد بن سعيد بن سُبَيع بن جعثِمَةَ بن سعد بن مُلَيح بن عمرو وهو خُزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مُزَيْقِيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البِطريق بن ثعلبة البُهلول [ابن مازن] بن الأزد وهو دِرْء ، وقيل دِراء ممدودا ، بن الغَوث بن نَبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحطان .

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزَّعراء الخُزاعي عن أُمّه ليلى بنت كُثيِّر قالت : هو كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مَخلَد بن سُبَيع بن سعد بن مُلَيح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وأمه جُمُعة بنت الأُشيَم بن خالد بن عُبيد بن مُبَشِّر بن رِياح بن سيالة بن عامر بن جعثِمةَ بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وكانت كنية الأشيمَ جدِّه أبي أمه أبا جُمُعة ؛ ولذلك قيل له ابن أبي جُمُعة .

وكان له ابن يقال له ثَواب من أشعر أهل زمانه ، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له .

ومات كثيِّر سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك . وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى . ولليلى بنته ابنٌ يكنى أبا سلَمة شاعر ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

صوت

وكان عزيــزاً أن تَبيتــي وبيننا ... حجابٌ فقد أمسيتِ منّي على شهرِ
ففي القربِ تعذيبٌ وفي النأي حَسرةٌ ... فيا وَيحَ نفسي كيف أصنعُ بالدهرِ

في هذين البيتين غناء لمقاسة . ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حَبَش .

1 أنظر أخباره في الجمحي 121–125 والاشتقاق 280 والمؤتلف 169 والمرزباني 35 واللآلي ص61–62 وابن خلكان : 1 : 475–550 والمعاهد 241–248 والخزانة 2 : 376–383 والشعر والشعراء 503/1 .

[كنيته وطبقته في الشعراء ونحلته]

ويكنى كثيِّر أبا صخر . وهو من فحول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سَلاّم في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي . وكان غالياً في التشيُّع يذهب مذهب الكَيسانية ، ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحَمَّقاً مشهوراً بذلك . وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محلّه في أنفسهم وعندهم . وكان من أتْيهِ الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد .

[الحديث عنه وعلى شعره]

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزُّهْريّ قال حدّثني سليمان بن فُلَيْح قال : سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصّد القصيدَ ولا نعت الملوكَ مثلُ كثيِّر .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثني الزُّبير بن بكّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني إبراهيم بن سعد قال : إني لأروي لكُثيِّر ثلاثين قصيدة لو رُقي بها مجنون لأفاق .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال : كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس ، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه ويحدّثنا .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤمَّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال : من لم يجمع من شعر كُثيِّر ثلاثين لاميةً فلم يجمع شعرَه . قال الزُّبير قال المؤمَّلي : وكان ابن أبي عُبيدة يُملي شعر كُثيِّر بثلاثين ديناراً . قال وسئل عمِّي مصعب : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : كُثيِّر بن أبي جُمُعة ، وقال : هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم (يعني الشعراء) ، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيِّر .

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب إجازةً قال حدثنا محمد بن سَلاّم الجُمَحِي قال : كان كثيِّر شاعر أهل الحجاز ، وهو شاعر فحل ، ولكنه منقوصٌ حظَّه بالعراق .

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سَلاّم قال سمعت يونس النحويَّ يقول : كُثيِّر أشعرُ أهل الإسلام . قال ابن سلام : وسمعت ابن أبي حفصة يُعجبه مذهبه في المديح جدّاً ، ويقول : كان يستقصي المديح ، وكان فيه مع جودة شعره خَطَلٌ وعُجب .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال : سمعت المِسْوَر بن عبد الملك يقول : ما ضَرَّ مَن يروي شعرَ كثيِّر وجميلٍ ألاّ تكون عنده مغنّيتان مُطرِبتان .

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال : رأيت كثيِّراً يطوف بالبيت ، فمَن حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذّبه ؛ وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول : طأْطِيء رأسك لا يُصبْه السقف .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني ، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جده عن جدّ أبيه عبد العزيز وأُمُّه جُمعة بنت كثيِّر قال : قال [جرير] لكثيِّر : أيُّ رجلٍ أنت لولا دَمامتُك ! فقال كثيِّر : [من الطويل]

إن أكُ قَصداً في الرجالِ فإنني إذا حـلَّ أمرٌ ساحتي لطويلُ[1]

[ما كان بينه وبين الحزين الديلي]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شَبَة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوَقاصي قال ، وأخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدِّيليين قال : التقى كثيِّر والحَزين[2] الدِّيلي بالمدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم ، فضمهما المجلس . فقال كثير للحزين : ما أنت شاعرٌ يا حزين ، إنما تُوصل الشيء إلى الشيء . فقال له الحزين : أتأذن لي أن أهجوَك ؟ قال نعم . وكان كُثيِّر قال قبل ذلك وهو ينتسب إلى بني الصَّلت بن النَّضر بن كِنانة : [من الطويل]

أليس أبي بالنَّضرِ أو ليس إخوتي بكلِّ هِجانٍ من بني الصَّلْت أزهَرا[3]

فإن لم تكونوا من بني الصَّلْت فاتركوا أراكاً بأذيـالِ الخمائـلِ أخضَرا[4]

قال : فلما أذِن كثيِّر للحزين أن يهجوه قال الحزين : [من الطويل]

لقد عَلِقتْ زُبَّ الذُّبابِ كُثَيِّراً أساوِدُ لا يُطنينـــه وأراقمُ[5]

---

1 القصد : الربعة من الرجال ، وفي الديوان قَصراً أي القصير ص 332 .

2 اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك ، والحزين لقبه ، حجازي من شعراء الدولة الأموية .

3 البيت في الديوان :

أليس أبي بالصّلْت أم ليس أسرتـي لكل هجانٍ من بني النضر أزهـرا

4 البيت في الديوان :

فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا أراكاً بأذنـاب الفوائـج أخضـرا

والخميلة : المنهبط الغامض من الرمل ، وهي مكرمة للرمل .

5 الأساود : الحيات ، ولا يطنينه : لا يبقين عليه . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس .

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته ... يَعَضُّ القُرادُ باسته وهوَ قائمُ
ومـا أنتُمُ منـا ولكنكم لنا ... عبيدُ العصا ما ابتلَّ في البحرِ عائمُ
وقد عَلِمَ الأقوامُ أن بني استِها ... خُزاعـةَ أذنابٌ وأنَّا القَوادِمُ
وواللهِ لـولا اللهُ ثـم ضِرابُنا ... بأسيافنا دارتْ عليها المَقاسمُ
ولولا بنو بكر لَذَلَّت وأُهلِكتْ ... بطعنٍ وأفنتْها السيوفُ الصوارمُ

[تهدده أبو الطفيل واستوهبه خندف الأسدي]

قال : فقام كثيِّر فحمل عليه فلَكَزه . وكان الحزين طويلاً أيِّداً . فقال له الحزين : أنت عن هذا أعجز ، واحتمله فكان في يده مثلَ الكُرة ، فضرب به الأرض ، فخلّصه منه الأزهريون . فبلغ ذلك [أبا] الطُّفيل عامر بن واثِلة وهو بالكوفة ؛ فأقسم لئن ملأ عينيه من كثيِّر ليضربنه بالسيف أو ليَطعُنَنه بالرمح . وكان خِندِفٌ الأسدي صديقاً لأبي الطُّفيل ؛ فطلب إلى أبي الطفيل في كثيراً واستوهبه إياه فوهبه له . والتقيا بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن علي بن أبي طالب ، فقال : أمَا والله لولا ما أعطيتُ خِندِفاً من العهد لوَفَيت لك . فذلك قول كثيِّر في قصيدته التي يرثي فيها خِندِفاً : [من الطويل]

ينـالُ رجالاً نفعُه وهـو منهمُ ... بعيـدٌ كعَيُّـوقِ الثُّريـا المُحَلِّقِ

[أنكر على الأحوص ضراعته في الاستجداء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال : قال كثيِّر : في أي شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوصَ عشرةَ آلافِ دينار ؟ قالوا : في قوله فيهم : [من الطويل]

ومـا كان مالي طارفـاً من تجارةٍ ... ومـا كان مِيراثاً مـن المالِ مُتلَدا
ولكن عطايـا مـن إمامٍ مُبارَكٍ ... مَلا الأرضَ معروفاً وجُوداً وسُودَدا

فقال كثيِّر : إنه لَضرِعٌ قَبَحه الله ! ألا قال كما قلتُ : [من المنسرح]

صوت

دَع عنكَ سَلْمَى إذ فاتَ مَطلَبُها ... واذكُرْ خليليْكَ من بني الحَكَمِ
مـا أعطيـاني ولا سألتُهمـا ... إلا وإنِّـي لحاجـزي كَرَمي
إني متـى لا يكـن نوالُهمـا ... عندي بما قـد فعلتُ أحتشمِ

مُبدِي الرِّضا عنهما ومُنصرِفٌ ... عن بعض ما لـو فعلتُ لم أَلَمِ
لا أنــزُر النائــلَ الخليلَ إذا ... مـا اعتلَّ نَزْرَ الظَّؤورِ لم تَرَمِ[1]

عروضه من المنسرح . غنى في هذا الشعر يونس ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنى فيه الغريض ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لحن من الثقيل الأول يُنسب إلى معبد ، وليس بصحيح له . قال الزُّبير بن بكار في تفسير قوله : «لا أنزر النائل الخليل» يقول : لا أُلِحّ عليه بالمسألة ؛ يقال : نَزَرته أنزُره إذا ألححتَ عليه . والظَّؤور : المتعطفة على [غير] أولادها .

[حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضاً له]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثنا المؤمَّلي عن أبي عبيدة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال : دخل كثيِّر على عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أرضاً لك يقال لها غُرَّب[2] ربما أتيتُها وخرجت إليها بولدي وعِيالي فأصبنا من رُطَبها وتَمرها بشراءٍ مرة وطُعمة مرة . فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعَمِّرَنيها فعل . فقال له عبد الملك : ذلك لك . فندَّمه الناس وقالوا له : أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة ، فهلاّ سألتَ الأرض قَطيعةً ! . فأتى الوليدَ فقال : إن لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجلِسني قريباً من البِرذَون . فلما استوى عليه عبد الملك قال له : إيهٍ ! وعلم أن له إليه حاجةً . فقال كثيِّر : [من الطويل]

جزَتكَ الجوازِي عن صديقكَ نَضرةً ... وأدنـاكَ ربِّـي في الرَّفيـقِ المُقَرَّبِ
فإنّــكَ لا يُعطــى عليــكَ ظُلامــةً ... عــدوٌّ ولا تنــأى عـــن المتقــرِّبِ
وإنّــك مـا تَمنَــعْ فإنّـكَ مانــعٌ ... بحــقٍّ ، ومــا أعطيــتَ لم تَتَعقّــبِ

فقال له : أترغبَ غُرَّباً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : اكتبوها له ، ففعلوا .

[هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤمَّلي قال حدثني عبد الله بن أبي عُبيدة قال : كان الحزين الكِناني قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر ، منهم ابنُ أبي عتيق . فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أعجف ، قال : وكثيِّر مع ابن أبي عتيق ، فدعا ابنُ أبي عتيق للحزين بدرهمين . فقال الحزين لابن أبي عَتيق : مَن هذا معك ؟ قال : هذا

1 ترم : تحن وتعطف . وأصله «ترأم» سهلت الهمزة .
2 غُرَّب : ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير . وهو جبل دون الشام في ديار بني كلب .

أبو صخر كثيِّر بن أبي جمعة ، قال : وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزين : أتأذَن لي أن أهجوه ببيت من شعر ؟ قال : لا ! لعمري لا آذَن لك أن تهجو جليسي ، ولكني أشتري عِرضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : لا بدَّ من هجائه ببيت . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ، ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين . فقال له كُثيِّر : ايذَن له ، ما عسى أن يقول في بيت ! فأذِن له ابن أبي عتيق . فقال : [من الطويل]

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته ... يَعَضُّ القُرادُ باستِهِ وهوَ قائمُ

قال : فوثب كثيِّر إليه فلكزَه ، فسقط هو والحمار ، وخلص ابنُ أبي عتيق بينهما ، وقال لكثيِّر قبحك الله ؛ أتأذَن له وتَسفَهُ عليه ! فقال كثيِّر : أوَ أنا ظننتُه أن يبلغ بي هذا كلَّه في بيت واحد ! .

[ادعى أنه قرشي فرده الشعراء وسبه الكوفيون]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه ، وأخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن الخضر الخُزاعي عن ولد جُمعة بنت كثيِّر أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثيِّر : أن عبد الملك ابن مروان قال له : ويحك ! الحَقْ بقومك من خُزاعة ؛ فأخبرَ أنه من كِنانة قريش ، وأنشد كثيِّر قولَه : [من الطويل]

أليس أبي بالصَّلْتِ أم ليس إخوتي ... بكل هِجانٍ من بني النَّضر أزهَرا[1]
فإن لم تكونوا من بني النَّضرِ فاتركوا ... أراكاً بأذنابِ القَوابِلِ أخضرا[2]
أبَيتُ التي قد سُمتَني ونَكِرتُها ... ولو سُمتَها قبلي قَبيصةَ أنكرا
لَبِسنا ثيابَ العَصبِ فاختلطَ السَّدى ... بِنا وبهم والحَضرميَّ المُخَصَّرا[3]

فقال له عبد الملك : لا بُدَّ أن تُنشد هذا الشعر على مِنبَرَي الكوفة والبصرة ، وحمَله وكتب إلى العراق في أمره . قال عمر بن شَبَة في خبره خاصة : فأجابته خُزاعة الحِجازِ إلى ذلك . وقال فيه الأحوص ، ويقال : بل قاله سُراقة البارقي : [من الطويل]

لَعَمرِي لقد جاء العراقَ كُثَيِّرٌ ... بأحدوثةٍ من وَحيِه المُتَكَذِّبِ

---

1 إخوتي في الديوان : أسرتي .
2 القوابل في الديوان : الفوائج
3 العصب : برود يمنية . الحضرمي : النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين .

أيزعمُ أنّي من كِنانةَ أوّلي ... وما ليَ من أمٍّ هناك ولا أبِ
فإن كنتَ حُرّاً أو تخاف مَعَرّةً ... فخُذْ ما أخذتَ من أميركَ واذهبِ

فقال كثيِّر يجيبه ، وفي خبر الزُّبير : قال هذا لأبي علقمة الخُزاعي : [من الطويل]

أيا خُبَثٌ أكرِمْ كِنانةَ إنهم ... مَواليك إن أمرٌ سما بك معلقُ

وفي رواية الزُّبير : «أبا عَلْقَمٍ» .

بنو النَّضرِ تَرمي من ورائك بالحصى ... أُولُو حَسَبٍ فيهم وفاءٌ ومَصدَقُ
يُفِيدونكَ المالَ الكثيرَ ولم تَجِدْ ... لُملكهمُ شِبهاً لَوَ آنك تصدُقُ
إذا ركِبوا ثارتْ عليك عَجاجةٌ ... وفي الأرضِ من وقع الأسِنَّةِ أولَقُ[1]

فأجابه الأحوص بقوله : [من الطويل]

دَعِ القومَ ما حَلُّوا ببطن قُراضِمٍ ... وحيثُ تَفشى بيضُهُ المتفلِّقُ[2]
فإنك لو قاربتَ أو قلتَ شُبهةً ... لذي الحقِّ فيها والمخاصمِ مَعْلَقُ
عذَرناك أو قلنا صدقتَ وإنما ... يُصدَّق بالأقوالِ مَنْ كان يصدُقُ
ستأبى بنو عمرٍو عليك وينتمي ... لهم حسبٌ في جذمِ غَسّانَ مُعرِقُ[3]
فإنّكَ لا عمراً أباك حَفِظتَه ... ولا النَّضرَ إن ضَيعتَ شيخَك تَلحَقُ
ولم تُدرِك القومَ الذين طلبتَهم ... فكنتَ كما كان السِّقاءُ المعلَّقُ
بجِذمة ساقٍ ليسَ منه لِحاؤُها ... ولم يَكُ عنها قلبُه يتعلَّقُ
فأصبحتَ كالمُهْرِيقِ فضلةَ مائه ... لبادِي سَرابٍ بالمَلا يترقرقُ[4]

قال : فخرج كثيِّر فأتى الكوفةَ ، فرُمي به إلى مسجد بارِق . فقالوا له : أنت من أهل الحجاز ؟ قال نعم . قالوا : فأخبِرنا عن رجل شاعر ولدِ زِناً يُدعى كثيِّراً . قال : سبحان الله ؛ أما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان ! قالوا : هو ما قاله لنفسه . فانسلَّ منهم وجاء إلى والي الكوفة حسان بنِ كَيسان ، فطيّره على البريد . وقال عمر بن شَبة في خبره : إن سُراقة البارقي وهو المُخاطِب له بهذه الشتيمة وإنه عرَفه وقال له : إن قلتَ هذا على المِنبر قتلتك

1 الأولق : الجنون .
2 قراضم : موضع بالمدينة .
3 الجذم : الأصل .
4 الملا : الصحراء .

قحطان وأنا أولُهم ؛ فانصرف إلى منزله ولم يَعُد إلى عبد الملك .

[نبذة عن سراقة البارقي وقصته مع المختار حين أسر]

وكان سُراقةُ هذا شاعراً ظريفاً . فأخبرني عمِّي قال حدثني الكُراني عن النَّضر بن عمر عن الهيثم بن عَدِي عن الأعمش عن إبراهيم قال : كان سُراقة البارقي من ظُرفاء أهل العراق ، فأسَره المختار يومَ جَبانة[1] السَّبِيع ؛ وكانت للمختار فيها وقعةٌ مُنكرة ، فجاء به الذي أسرَه إلى المختار فقال له : إني أسرتُ هذا . فقال له سُراقة : كذَب ؛ ما هو الذي أسرني ، إنما أسرَني غلامٌ أسود على بِرذَون أبلَقَ عليه ثيابٌ خضرٌ ، ما أراه في عسكرك الآن ، وسلمني إليه . فقال المختار : أما إن الرجل قد عاين الملائكةَ ؛ خَلُّوا سبيلَه فخَلَّوْه ؛ فهرب فأنشأ يقول : [من الوافر]

ألا أبلِغ أبا إسحاق أنّي ... رأيتُ البُلقَ دُهماً مُصمَتاتِ[2]
أرِي عَيْنيَّ ما لم تُبصِراه ... كِلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
كفرتُ بدينِكم وجعلتُ نذراً ... عليَّ قتالَكم حتى المماتِ

[يرى رأي السيّد في أنّ ابن الحنفية لم يمتْ]

أخبرنا الحِرْميّ قال أخبرنا الزُّبير قال أخبرنا عمرو ومحمد بن الضحاك قالا : كان كثيِّر يتشيع تشيُّعاً قبيحاً ، يزعم أن محمد بن الحنفيَّة لم يمت . قال : وكان ذلك رأيَ السيِّد ؛ وقد قال فيه (يعني السيد) شعراً كثيراً ، منه : [من الوافر]

ألا قُلْ للوَصي فدتْك نفسي ... أطلتَ بذلكَ الجبلِ المُقاما
أضَرَّ بمَعشَرٍ والوكَ منّا ... وسَمَّوْك الخليفةَ والإماما
وعادَوْا فيك أهلَ الأرضِ طُرّاً ... مُقامُك عنهمُ ستِّين عاما
وما ذاق ابنُ خَولةَ طعمَ مَوتٍ ... ولا وارتْ له أرضٌ عِظاما[3]
لقد أُوْفَى بمُورِق شِعبِ رَضْوَى ... تُراجعه الملائكةُ الكلاما
وإنَّ له به لِمَقِيلَ صدقٍ ... وأنديةً تحدِّثُه كِراما

---

1 جبانة السبيع : محلة بالكوفة مضافة إلى السبيع وهي قبيلة ؛ وكانت وقعة المختار بن أبي عبيد الثقفي بها حين خرج للثأر من قتلة الحسين بن علي بن أبي طالب .

2 مصمت : لا يخالط لونه لون آخر .

3 خولة : اسم أم محمد بن الحنفية .

هدانـا اللهُ إذ جُرتُـم لأمـرٍ   بــه ولديــه نَلتمِسُ التَّماما
تمـامَ مَـوَدَّةِ المهـديِّ حتى   تَـرَوْا راياتِنـا تَتـرى نِظاما

وقال كثيِّر في ذلك[1] : [من الوافر]

ألا إنَّ الأئمَّـةَ مـن قُرَيشٍ   وُلاةَ الحـقِّ أربعـةٌ سواءُ
عـليٌّ والثلاثـةُ مـن بَنِيـه   همُ الأسباطُ ليس بهم خَفاءُ[2]
فسِبطٌ سِبطُ إيمـانٍ وبِـرٌّ   وسِبـطٌ غَيَّبتـه كَربَـلاءُ[3]
وسِبطٌ لا تـراه العـينُ حتَّى   يقودَ الخيـلَ يقدُمهـا اللّواءُ[4]
تغيَّب لا يُـرى عنهـم زماناً   برَضْـوَى عنـده عسلٌ وماءُ

[شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن أبي بكر الهُذَلي قال : كان عبد الله بن الزّبير قد أُغرِي ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويُغرِي بهم ويخطُب بهم على المنابر ويصرِّح ويعرِّض بذكرهم . فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم . ثم بدا له فيهم فحبس ابنَ الحنفية في سجن عارمٍ[5] ، ثم جمعه وسائرَ من كان بحضرته من بني هاشم ، فجعلهم في مَحبِس وملأه حطباً وأُضرم فيه النار . وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجَدَلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وافَوا لنُصرته ومحاربة ابن الزُّبير ؛ فكان ذلك سببَ إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبرُ فوافَى ساعةَ أُضرِمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم ، وأخرج ابن الحنفيةِ عن جِوار ابن الزُّبير منذ يومئذٍ . فأنشدنا محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثيِّر يذكر ابن الحنفية وقد حبسه ابن الزُّبير في سجن يقال له سجن عارمٍ : [من الطويل]

مَن يَرَ هذا الشيخَ بالخَيفِ من مِنىً   مـن الناسِ يعلَـمْ أنه غيرُ ظالمِ[6]
سَمِيُّ النبـيِّ المصطفى وابنُ عمِّه   وفَكَّاكُ أغـلالٍ ونفّـاعُ غارمِ[7]

1 تنسب أيضاً إلى السيد الحميري انظر الديوان ص 521 ، وقد وردت في المجلد 7 ، ص 188 .
2 رواية الشطر الثاني في الديوان ص 521 ، هم أسباطه والأوصياء .
3 وبرّ في الديوان : وحلم .
4 الشطر الأول في الديوان : وسبط لا يذوق الموت حتى .
5 سجن عارم : سجن بمكة .
6 مَن في الديوان : ومن .
7 سَمِي في الديوان : وصي . ونفاع غارمٍ في الديوان : وقاضي مغارم .

أبى فهو لا يَشرِي هدىً بضلالةٍ ... ولا يتَّقـي في الله لومـةَ لائمِ
ونحـنُ بحمـدِ اللهِ نتلـو كتابَـه ... حُلُولاً بهذا الخَيفِ خَيفِ المحارمِ
بحيث الحمامُ آمِنُ الرَّوعِ ساكنٌ ... وحيث العدو كالصديـقِ المُسالِمِ
فما فَـرَحُ الدُّنيـا بـبـاقٍ لأهلِهِ ... ولا شِدَّةُ البَلوى بضربـةِ لازِمِ[1]
تُخبِّرُ مَـن لاقيـتَ أنـك عائـذٌ ... بل العائذُ المظلومُ في سجنِ عارمِ[2]

[أنشد عليّ بن عبد الله شعراً له في ابن الحنفية وحديثه معه]

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العَلَوي قال حدثنا الزُّبير بنُ بَكار ، وأخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن سعيد عن عُقبَة الجُهَني عن أبيه قال : سمعت كثيِّراً يُنشد عليَّ بن عبد الله بن جعفر قولَه في محمد بن الحنفية[3] : [من الوافر]

أقَـرَّ اللهُ عينـيَ إذ دعـاني ... أمينُ الله يلطُـف في السؤالِ
وأثنَى في هـوايَ عـليٌّ خيراً ... وساءلَ عن بَنيَّ وكيف حالي
وكيف ذكرت حال أبي خُبَيب ... وزَلَّـةَ فعلِـه عنـدَ السُّؤالِ
هـو المَهـدِي خَبَّرنـاهُ كَعبٌ ... أخو الأحبارِ في الحِقَبِ الخوالي[4]

فقال له علي بن عبد الله : يا أبا صخر ، ما يُثني عليك في هواك خيراً إلا مَن كان على مثل مذهبك . قال : أجَلْ بأبي أنت وأُمي ! . قال : وكان كثيِّر كَيسانِياً[5] يرى الرَّجعة . قال الزُّبير : أبو خبيب عبد الله بن الزُّبير ، كناه بابنه خُبَيب وهو أكبر ولدِه ، وكان كثيِّر سيِّىء الرأي فيه . قال الزُّبير : فأخبرني عمِّي قال : لما قال كثيِّر : [من الوافر]

هـو المهديُّ خَبَّرنـاه كعـبٌ ... أخو الأحبار في الحِقَبِ الخوالي

فقيل له : ألَقِيتَ كعباً ؟ قال : لا . قيل : فلِمَ قلتَ «خبَّرناه كعب» ؟ قال : بالتوهُّم .

[غلوه في التشيع والقول بالرجعة وأخبار له في ذلك]

قال : وكان كثيِّر شِيعِياً غالياً يزعم أن الأرواح تتناسخ ، ويحتج بقول الله تعالى : ﴿في أيِّ

1 فما فرح في الديوان : فما ورق .
2 يريد عبد الله بن الزبير .
3 وردت في الديوان ص 232 .
4 هو كعب الأحبار .
5 ل : خشبياً ، والخشبية : قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم وإن القرآن مخلوق .

صورةٍ ما شاء رَكَّبَكَ﴾ ويقول : ألا تَرى أنّه حوّله من صورة في صورة ؟ .

قال : فحدثني عمر بن أبي بكر المؤمَّلي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال : خِندِفٌ الأسدي الذي أدخل كثيِّراً في الخَشَبِية .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني إبراهيم بن المُنذِر الحِزامي عن محمد بن مَعن الغِفاري قال : كنا بالسَّيالة[1] في مَشيَخةٍ نتحدث ، إذا بكثيِّر قد طلعَ علينا مُتَّكئاً على عصا . فقال : كنا ببَيداء[2] بأشرافِ السَّيالة وبهذه الناحية ، فما بقي موضع ببيداء إلا وقد جئته ، فإذا هو على حاله ما تغيَّر وما تغيَّرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه ، وهذا يكون حتى نَرجع إليه . وكان يُؤمِن بالرَّجعة .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني يحيى بن محمد قال : دخل عبد الله بن حسن على كثيِّر يعوده في مرضه الذي مات فيه . فقال له كثيِّر : أَبشِر ! فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق . فقال له عبد الله بن حسن : ما لك عليك لعنة الله ؛ فوالله لئن متّ لا أشهدُك ولا أعودك ولا أُكلِّمك أبداً .

[كان أبو هاشم يتجسس أخباره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسبَه عن ابن الماجِشون قال : وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي قد وضع الأرصاد على كثيِّر فلا يزال يؤتى بالخبر من خبره ، فيقول له إذا لَقِيَه : كنتَ في كذا وكنت في كذا ؛ إلى أن جرى بين كثيِّر وبين رجل كلامٌ فأُتي به أبو هاشم . فأقبل به على أدراجه ؛ فقال له أبو هاشم : كنتَ الساعةَ مع فلان فقلتَ له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا . فقال له كثيِّر : أشهد أنك رسول الله .

[كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار]

أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد ، وأخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسَب قال : نظر كثيِّر إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال : بأبي أنتم ! هؤلاء الأنبياء الصغار . وكان يرى الرَّجعة . وروى علي بن بشر بن سعيد الرازي عن محمد بن حُمَيد عن أبي زُهير عبد الرحمن بن مَغراء الدَّوسي عن محمد بن عُمارة قال : مرّ كثيِّر بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو في المكتب ، فأكبّ عليه يقبِّله وقال : أنت من الأنبياء الصغار وربِّ الكعبة ! .

1 السيالة : موضع بجوار المدينة .

2 بيداء : يريد موضعاً بعينه .

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قَعنَب بن المُحرِز قال حدثني إبراهيم بن داجَة قال : كان كثيِّر شيعياً ، وكان يأتي ولدَ حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه ، فيهب لهم الدراهم ويقول : وابأبي الأنبياء الصغار ! . وكان يؤمن بالرَّجعة . فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أخوهم لأُمِّهم ، : يا عم هَب لي ؛ فيقول : لا ؛ لستَ من الشجرة .

[كان عمر بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بني هاشم وفسادهم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثَعلَب قال حدثني الزُّبير بن بكار قال حدثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عُبيد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز : إني لأعرف صُلاَّح بني هاشم من فُسَّادهم بحبِّ كثيِّر : من أحبَّه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح ؛ لأنه كان خَشَبِياً يقول بالرَّجعة .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدَّراوَردي عن أبي لَهِيعة عن رَجاء بن حَيوَة قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : إن مما أعتبر به صُلاح بني هاشم وفُسَّادهم حُبَّ كثيِّر ، ثم ذكر مثلَه .

[قال لعمته إنه يونس بن متّى]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا علي بن صالح عن ابن دَأْب قال : كان كثيِّر يدخل على عَمَّة له بَرزةٍ[1] فتُكرمه وتطرحَ له وسادةً يجلس عليها . فقال لها يوماً : لا والله ما تعرفينني ولا تُكرمينني حقَّ كرامتي ؛ قالت : بَلى والله إني لأعرفك . قال : فمَن أنا ؟ قالت : ابن فلان وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأُمه . فقال : قد عرفتُ أنكِ لا تعرفينني . قالت : فمَن أنت ؟ قال : أنا يونس بن مَتَّى .

[كان عاقاً لأبيه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني أبي قال : كان كثيِّر عاقاً لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قُرحَةٌ في إصبع من أصابع يده . فقال له كثيِّر : أتدري لِمَ أصابتك هذه القرحة في إصبعك ؟ قال : لا أدري . قال : مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة .

[ضافه مزني وذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغِفاري عن أبيه وغيره قال حدثني رجل من مُزَينة قال : ضِفتُ كثيِّراً ليلةً وبتُّ عنده ثم تحدثنا ونمنا . فلما طلع الفجر تضوَّر ، ثم قمت فتوضأت وصليت وكثيِّر راقد في لِحافه . فلما طلع قَرن الشمس

1 برزة : المرأة الكهلة التي لا تحتجب وهي عفيفة عاقلة تجلس إلى الناس وتحدثهم .

تضوّر ثم قال : يا جارية اسجُري لي ماء . قال قلتُ : تَبّاً لك سائرَ اليوم ؛ أو هذه الساعة هذا ! وركبتُ راحلتي وتركته . قال الزبير : أسخِني لي ماء .

[كان يهزأ به ويصدّق ما يسمع عن نفسه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طَلحة بن عُبيد الله قال : ما رأيتُ قطُّ أحمقَ من كثيِّر . دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنا كثيراً ما نتهزأ به ، وكان يتشيع تشيُّعاً قبيحاً . فقلت له : كيف تَجِدُك يا أبا صخر ؟ وهو مريض ؛ فقال : أجدني ذاهباً . فقلت : كَلاَّ ؛ فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلت : نعم ؛ يتحدثون أنك الدجال . قال : أما لئن قلتَ ذاك إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام .

[كان تياهاً ويستحمقه فتيان المدينة لذلك]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمران : أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثيِّر فيقولون وهو يسمع : إن كثيِّراً لا يلتفت من تِيهه . فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميص .

[سأله عبد الملك عن شيء وحلفه بأبي تراب]

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مُسلم بن قُتَيبة قال : بلغني أن كثيِّراً دخل على عبد الملك بن مروان ، فسأله عن شيء فأخبره به . فقال : وحقِّ علي بن أبي طالب إنه كما ذكرتَ ؟ قال كثيِّر : يا أمير المؤمنين ، لو سألتني بحقِّك لصدَقتُك . قال : لا أسألك إلا بحقِّ أبي تُراب[1] . فحلف له به فرضي .

[تمثل عبد الملك بشعر له حين منعته عاتكة من الخروج لحرب مصعب]

أخبرنا الفضل بن الحُباب أبو خَليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن ، وأخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحَبيب بن نصر المهلَّبي قالا : حدثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا المُؤَمَّلي عن ابن أبي عُبَيدة ، قالوا جميعاً : لما أراد عبد الملك الخروجَ إلى مُصعَب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وهي أُمّ ابنه يزيد ، وقالت : يا أمير المؤمنين ، لا تخرج السنةَ لحرب مُصعَب ، فإن آل الزُّبير ذكَروا خروجك ، وابعث إليه الجيوش ، وبكت وبكى جواريها معها . وجلس وقال : قاتل الله ابنَ أبي جُمعة ؛ فأين قوله : [من الطويل]

1 أبو تراب : لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

صوت

إذا ما أراد الغَزوَ لم تَثنِ هَمَّه حصانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يَزينُها[1]
نهتْه فلما لم تَــرَ النَّهــيَ عاقَــه بكت فبكى مما شجاها قَطِينها[2]

غناه ابنُ سُرَيج ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، والله لكأنه يراني ويراكِ يا عاتكة ؛ ثم خرج . قال محمد بن جعفر النحوي في خبره ، ووافقه عليه عمر بن شبة : فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثيِّر في ناحية عسكره يسير مُطرِقاً ؛ فدعا به وقال : لأَعلَمُ ما أسكتك وألقى عليك بَثَّك ؛ فإن أخبرتُك عنه أتصدُقني ؟ قال نعم ! قال : قُل وحقِّ أبي تُراب لَتصدُقَنِّي ؛ قال : والله لأصدُقَنَّكَ . قال : لا أو تحلفَ به ، فحلَف به . فقال تقول : رجلان من قريش يلقى أحدُهما صاحبَه فيحاربُه ، القاتل والمقتول في النار ، فما معنى سيري مع أحدهما إلى الآخر ولا آمَن سهماً عائراً لعله أن يصيبَني فيقتلَني فأكونَ معهما ! قال : والله يا أمير المؤمنين ما أخطأتَ . قال : فارجع من قريب ؛ وأمر له بجائزة .

[بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه]

أخبرنا وَكيع قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو تَمام الطائي حَبيب بن أوس قال حدثني العَطاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دِمَشق قال حدثني حَفص الأموي قال : كنت أختلف إلى كثيِّر أتروَّى شعرَه . قال : فوالله إني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال : قُتِل آلُ المُهَلَّب بالعَقر[3] . فقال : ما أجَلَّ الخطبَ ! ضحَّى آلُ أبي سُفيان بالدِّين يوم الطَّفِّ ، وضحَّى بنو مَروان بالكَرَم يوم العَقر ؛ ثم انتضحت عيناه باكياً . فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك فدعا به . فلما دخل عليه قال : عليك لعنةُ[4] الله ! أتُرابية[5] وعَصَبية ؟ وجعل يضحك منه .

[سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد عن أبيه قال : قال عبد الملك بن مروان لكثيِّر : مَن أشعرُ الناس اليومَ يا أبا صخر ؟ قال : مَن يروي أميرُ المؤمنين شعرَه . فقال عبد الملك : أما إنك لمنهم .

1 عقد في الديوان : نظم .
2 القطين : الخدم والأتباع والحشم .
3 العقر : عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة .
4 ل : بهلة .
5 يعني أنه من شيعة أبي تراب .

[جواب عبد الملك له وقد سأله عن شعره]

أخبرنا وَكيع قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حَماد بن إسحاق عن ابن أبي عَوف عن عَوانة قال : قال كثيِّر لعبد الملك : كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين ؟ قال أراه يسبِق السحرَ ، ويغلِب الشعر .

[كان عبد الملك يروي أولاده شعره]

أخبرنا عمِّي عن الكُراني عن النَّضر بن عمر قال : كان عبد الملك بن مروان يُخرِج شعرَ كثيِّر إلى مؤدِّب ولده مختوماً يروِّيهم إياه ويردّه .

[نزل مرعى لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم]

أخبرنا الحِرْميّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدثنا عبد الله بن خالد الجُهَني : أن كثيِّراً شب في حِجر عمٍّ له صالح ، فلما بلغ الحُلُم أشفق عليه أن يَسفَه ، وكان غير جيِّدِ الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور . فاشترى له عمه قطيعاً من الإبل وأنزله فَرش[1] مَلَل فكان به ، ثم ارتفع فنزلَ فَرْعَ المِسوَر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوف من جبل جُهَينة الأصغر ، وكان قبل المسور لبني مالك بن أَفْصَى ، فضيَّقوا على كثيِّر وأساؤوا جِواره ؛ فانتقل عنهم وقال : [من الطويل]

أَبَتْ إبلي ماءَ الرَّداة وشَفَّها ... بنو العَمِّ يحمون النَّضيحَ المُبَرَّدا[2]

وما يمنعونَ الماءَ إلا ضَنانةً ... بأصلابِ عُسريَ شوكُها قد تخدّدا[3]

فعادتْ فلم تَجهَدْ على فضلِ مائه ... رياحاً ولا سُقيا ابن طَلَقِ بنِ أسعدا

قال : ويُروى أنه أوّل شعر قاله .

[روايته عن بدء قوله الشعر]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمِّي قال : قال كثيِّر : ما قلتُ الشعر حتى قُوِّلتُه . قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : بينا أنا يوماً نصفَ النهار أسير على بعيرٍ لي بالغَميم[4] أو بقاع حَمدان[5] ، إذا راكبٌ قد دنا منِّي حتى صار إلى جنبي ؛ فتأملته فإذا هو من صُفر وهو يجر نفسه في الأرض جراً . فقال لي : قُل الشعر وألقاه عليّ . قلت : مَن أنت ؟ قال : أنا

---

1 واد قرب المدينة .
2 الرداة : الصخرة . النضيح : الحوض .
3 العسرى : (بفتح العين وضمها) : البقلة إذا يبست .
4 الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .
5 قاع حمدان : موضع بعينه .

قَرِينك من الجن . فقلتُ الشعر .

[عزة عشيقته وأول عشقه لها]

ونُسِب كثيِّر لكثرة تشبيبه بعَزة الضَّمرِية إليها ، وعُرف بها فقيل كثيِّر عَزة . وهي عزة بنت حُمَيل بن وَقاص . أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن الحسن قال : أبو بَصرة الغِفاري المحدث واسمه حُمَيل[1] بن وَقاص هو أبو عَزة التي كان يُنسب بها كثيِّر . وكان ابتداء عشقه إياها ، على أنه قد قيل : إنه كان في ذلك كاذباً ولم يكن بعاشق ، وذلك يُذكر بعد خبره معها ، فيما أخبرني به الحرمي قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم السعدي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن جَميع الخُزاعي : أنه كان أول عشق كثيِّرٍ عَزةَ أن كثيِّراً مرَّ بنسوة من بني ضَمرة ومعه جَلَبُ غنمٍ ، فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة ؛ فقالت : يقلن لك نسوة : بِعنا كَبشاً من هذه الغنم وأنسِئنا بثمنه إلى أن ترجع ؛ فأعطاها كبشاً وأعجبته . فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه ؛ فقال : وأين الصبية التي أخذت مني الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ! هذه دراهمك . قال : لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعتُ الكبش إليها . وخرج وهو يقول : [من الطويل]

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غَرِيمَه ... وعَزةُ ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها

قال : فكان أولَ لقائه إياها .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عبد الرحمن بن الخضر بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي جندل عن أبيه عبد العزيز الخزاعي ، وأمُّه جُمعة بنت كثيِّر ، عن أمه جمعة عن أبيها كثيِّر : أن أول علاقته بعزة أنه خرج من منزله يسوقُ خَلْفَ غنمٍ إلى الجار[2] ؛ فلما كان بالخَبت وقف على نسوةٍ من بني ضمرة فسألهن عن الماء ، فقلن لعزة وهي جارية حين كَعَب ثدياها : أرشديه إلى الماء ، فأرشدته وأعجبته . فبينا هو يسقي غنمه إذ جاءته عزة بدراهم ، فقالت : يقلن لك النسوة : بِعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك : فأمر الغلام فدفع إليها كبشاً ، وقال : رُدِّي الدراهم وقولي لهن : إذا رحتُ بكنّ اقتضيتُ حقِّي . فلما راح مرَّ بهن ؛ فقلن له : هذا حقُّك فخذه . فقال : عزَّةُ غَريمي ، ولست أقتضي حقِّي إلا منها . فمزحن معه وقلن : ويحك ؛ عزة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقِّك فأحِلْه على إحدانا فإنها أملأُ به منها وأسرع له أداء . فقال : ما أنا بمُحيلٍ حقي عنها . ومضى لوجهه ،

---

1 ل : حميد .

2 الجار : موضع على ثلاث مراحل من المدينة بساحل البحر .

ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جَلَبِه فأنشدهن فيها : [من الطويل]

نظرتُ إليها نظـرةً وهي عاتـقٌ على حـين أن شَبّتْ وبانَ نُهودها
وقد دَرَّعُوها وهـي ذات مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ ولمّا يَلبَس الدِّرعَ رِيدُها[1]
منَ الخَفِراتِ البِيضِ وَدَّ جليسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدُها

في هذا البيت وأبياتٍ أُخَر معه غناءٌ يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه .
وأنشدهن أيضاً : [من الطويل]

قضَى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَه وعَزةُ ممطولٌ مُعَنّىً غريمُها

فقلن له : أبيتَ إلا عزَّةَ ! وأبرزنها إليه وهي كارهة . ثم أحبته عزة بعد ذلك أشدَّ من حبِّه إياها . قال الزُّبير : فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخُزاعي المعروف بأبي جَندَل عن هذا الحديث ، فعرفه وحدثنيه عن أبيه عن جده عبد العزيز بن أبي جندل عن أُمه جمعة بنت كثيِّر عن أبيها .

[سؤال عبد الملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه بها]

وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكُراني قال حدثنا النَّضر بن عمرو قال حدثني عمر بن عبد الله بن خالد المُعيطي ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق الطَّلحيّ ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأَسدي وغيره ، قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال : دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجزُت ؛ فقال لها أنتِ عزة كثيِّر ! فقالت : أنا عزة بنت حُمَيل . قال : أنت التي يقول لك كثيِّر : [من الطويل]

لِعَزة نــارٌ مــا تَبُــوخُ كأنهــا إذا ما رَمَقناها من البعدِ كوكبُ[2]

فما الذي أعجبه منكِ ؟ قالت : كلاَّ يا أمير المؤمنين ! فوالله لقد كنتُ في عهده أحسن من النار في الليلة القرة . وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي : فقالت له : أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيروك خليفة . قال : وكانت له سِنٌّ سوداء يخفيها ؛ فضحك حتى بدت . فقالت له : هذا الذي أردتُ أن أُبديه . فقال لها : هل تروين قول كثيِّر فيك : [من الطويل]

1 المؤصد : صدار تلبسه الجارية فإذا أدركت درّعت . المجوب : مقوّر الجيب . وريدها : تربها أي القرين في السن والند .
2 تبوخ : تسكن .

وقـد زعمتْ أنّي تغيَّرتُ بعدَهـا ومَـن ذا الذي يـا عـزُّ لا يَتَغَيرُ
تغيَّرَ جسمـي والخليقـةُ كالتـي عَهِدْتِ ولم يُخبَرْ بسرِّك مُخبَرُ[1]

قالت [لا] ولكني أروي قوله : [من الطويل]

كأنّي أُنادي صخرةً حين أعرضتْ من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصمُ زَلّتِ
صَفُوحـاً فمـا تلقـاكَ إلا بخيلةً فمَن مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلّتِ[2]

فأمر بها فأُدخلت على عاتكة بنت يزيد ، وفي غير هذه الرواية : أنها أدخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت لها : أرأيتِ قول كثيِّر : [من الطويل]

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَه وعزةُ ممطـولٌ معنّىً غريمُها

ما هذا الذي ذكره ؟ قالت : قبلةٌ وعدتُه إياها . قالت : أنجزيها وعليّ إثمها .

[قصة غلام له مع عزة وإعتاقه بسبب ذلك]

أخبرنا الحسن بن الطيِّب البَجَلي الشُّجاعي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالوا حدثنا عمر بن شَبّة قال روى ابن جُعدُبة عن أشياخه ، وأخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جُعْدُبةُ عن أبيه : أن كثيِّراً كان له غلام تاجر ؛ فباع من عزة بعض سِلَعه ومِطَلته مُدّة وهو لا يعرفها . فقال لها يوماً : أنت والله كما قال مولاي : [من الطويل]

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَه وعـزةُ ممطولٌ معنّىً غريمُها

فانصرفت عنه خَجِلة . فقالت له امرأة : أتعرف عزة ؟ قال : لا والله ؛ قالت فهذه والله عزة . فقال : لا جَرَمَ والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا أقتضيها . ورجع إلى كثيِّر فأخبره بذلك ؛ فأعتقه ووهب له المال الذي كان في يده .

[لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حَكيم السُّلَمي عن قسيمة بنت عِياض بن سعيد الأسلمية ؛ وكنيتها أم البنين ، قالت : سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع وجُهينة ، فسمعنا بها ؛ فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن ؛ فجئناها فرأينا امرأة حلوة حُمَيراء نظيفة ، فتضاءلنا لها ، ومعها نسوة كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال والخَلْق ، إلى أن تحدثت ساعةً فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً ، فما فارقناها إلا ولها

---

1 كالتي في الديوان ص 328 : كالذي .

2 صفوح : معرضة صادة هاجرة وفي الديوان ص 98 : صفوحٌ بتنوين الضم .

علينا الفضلُ في أعيننا ، وما نرى في الدنيا امرأةً تروقها جمالاً وحسناً وحلاوة .

[سأل عبد الملك كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة]

أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر (شيخ له) عن الهيثم بن عَدِي : أن عبد الملك سأل كثيِّراً عن أعجب خبر له مع عزة ؛ فقال : حججتُ سنة من السنين وحج زوج عزة بها ، ولم يعلم أحد منا بصاحبه ، فلما كنا ببعض الطريق أمرَها زوجها بابتياع سمن تُصلح به طعاماً لأهل رُفقته ؛ فجعلت تدور الخيام خيمةً خيمةً حتى دخلت إليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي ، وكنت أبري أسهُماً لي . فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر إليها ولا أعلم حتى بريتُ عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري . فلما تبينت ذلك دخلتْ إليّ فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها ؛ وكان عندي نِحيٌ[1] من سمن ، فحلفتُ لتأخذنَه ، فأخذتْه وجاءت إلى زوجها بالسمن . فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته ، حتى حلف لتصدُقنه فصدقته ؛ فضربها وحلف لتشتمني في وجهي ، فوقفت عليّ وهو معها فقالت لي : يا ابنَ الزانية وهي تبكي ، ثم انصرفا . فذلك حين أقول : [من الطويل]

يُكَلِّفها الخِنزيرُ شَتمي ومـا بها هَواني ولكــن للمليك استذلَّتِ

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء
صوت

[من الطويل]

خليـــليَّ هـــذا رَسمُ عَــزة فاعقِـلا قَلُوصَيْكما ثـم ابكيـا حيثُ حَلّتِ[2]
وما كنتُ أدري قبل عـزةَ ما البكا ولا مُوجِعـاتِ القلبِ حتـى تَولّتِ
فليتَ قَلُوصي عنـد عـزةَ قُيِّدتْ بحبـلٍ ضعيفٍ بَـانَ منهـا فضَلَّتِ[3]
وأصبـحَ في القـومِ المقيمينَ رحلُها وكان لهــا بـــاغٍ سِوايَ فبَـلّتِ[4]
فقلــتُ لهـــا يــا عــزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَـتْ يومـاً لهـا النفسُ ذلتِ
أَسيئي بنــا أو أَحسِني ، لا ملومــةٌ لدينـــا ولا مَقلِيَّـــةٌ إن تَقَلَّـــتِ
هَنيئـــاً مَريئـــاً غيرَ داءٍ مُخامِــــرٍ لِعَـزَّةَ مــن أعراضنا مــا استَحَلتِ

1 نِحي : زق للسمن .
2 رسم في الديوان ص 95 : ربع .
3 بان في الديوان ص 98 : عُز .
4 وأصبح في القوم في الديوان ص 98 : وغُودر في الحي . بلت مطيته : إذا ذهبت في الأرض ضالة .

تَمَنَّيتُهـــا حتـــى إذا مـــا رأيتُهـــا رأيتُ المنايـــا شُرَّعـــاً قـــد أظلتِ[1]
كأنّـي أُنادي صخرةَ حـين أعرضتْ من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصمُ زَلتِ
صَفوحـــاً فمـــا تلقـــاكَ إلا بخيلـــةً فمَنْ مَـلَّ منهـا ذلك الوصل مَلَّتِ
أصاب الرَّدى مَن كان يهوى لكِ الرَّدى وجُـنَّ اللواتـــي قلـن عَـزّةُ جُنتِ[1]

عروضه من الطويل . غنى معبد في الخمسة الأُوَل ثقيلاً أول بالوسطى . وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلاً أول بالبنصر عن عمرو ، وغنى في «هنيئاً مريئاً» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالوسطى . وغنى إبراهيم في الخامس وما بعده ثاني ثقيل . وذكر الهشامي أن لابن سُرَيج في «هنيئاً مريئاً» وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر . وذكر أحمد بن المكي أن لإبراهيم في «كأني أُنادي» والذي بعده وفي «أسيئي بنا أو أحسني» هزجاً بالسبابة في مجرى البنصر ؛ ولإسحاق فيه هزج آخر به . ولِعَريبَ في «كأني أُنادي» أيضاً رمل . ولإسحاق في «وما كنت أدري» ثقيل أول . وله في «أصاب الردى» ثقيل أول آخر ، وقيل : إن لإبراهيم في «فقلت لها يا عزّ» خفيفَ ثقيل ينسب إلى دَحمان وإلى سِياط .

[صديق يصف اجتماعهما ذات ليلة]

أخبرني الحِرْميّ وحبيب بن نَصر قالا حدثنا الزُّبير قال حدثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجُهَني عن أبيه قال : سارت علينا عزة في جماعة من قومها ، فنزلت حِيالَنا . فجاءني كثيِّر ذات يوم فقال لي : أُريد أن أكون عندك اليوم فأذهبَ إلى عزة ؛ فصرتُ به إلى منزلي . فأقام عندي حتى كان العِشاء ، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمه وقال : إذا سلَّمتَ فستَخرُج إليك جارية ، فادفع إليها خاتَمي وأعلمها مكاني . فجئت بيتها فسلمتُ فخرجت إليّ الجارية فأعطيتها الخاتَم . فقالت : أين الموعد ؟ قلت : صَخَراتُ أبي عُبَيد الليلة ، فواعدتها هناك ؛ فرجعتُ إليه فأعلمتُه . فلما أمسى قال لي : انهَض بنا ؛ فنهضنا فجلسنا هناك نتحدث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدثا فأطالا ، فذهبت لأقوم . فقال لي : إلى أين تذهب ؟ فقلت : أُخلّيكما ساعةً لعلكما تتحدثان ببعض ما تكتُمان . فقال لي : اجلس ؛ فوالله ما كان بيننا شيء قطُّ . فجلستُ وهما يتحدثان وإن بينهما لَثُمامةً عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحَرنا ، ثم قامت فانصرفت ، وقمت أنا وهو ؛ فظل عندي حتى أمسى ثم انطلق .

[سامته سكينة بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن

1 لم يرد هذان البيتان في القصيدة التي أثبتها محقق الديوان إحسان عباس الديوان ص 107 .

أبان بن سعيد بن العاصي قال : خرج كثيِّر في الحاجِّ بجمل له يبيعه ، فمر بسُكينة بنت الحسين ومعها عزة وهو لا يعرفها . فقالت سُكينة : هذا كثيِّر فسُومُوه بالجمل ؛ فساموه فاستام مائتي درهم فقالت : ضَع عنا فأبى . فدعت له بتمر وزُبد فأكل ؛ ثم قالت له : ضع عنا كذا وكذا (لشيء يسير) فأبى . فقالوا : قد أكلتَ يا كثيِّر بأكثر مما نسألك . فقال : ما أنا بواضع شيئاً . فقالت سُكينة : اكشِفوا ، فكشفوا عنها وعن عزة . فلما رآهما استحيا وانصرف وهو يقول : هو لكم هو لكم ! .

[قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقاً في عشقه]

مَن ذكر أن كثيِّراً كان يكذِب في عشقه

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سَلام قال : كان كثيِّر مدَّعياً ولم يكن عاشقاً ، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعشق . أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عُبَيدة يقول : كان جميل يصدُق في حبه ، وكان كثيِّر يكذِب . ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يومٍ وهي منتقبة تميس في مِشيتها ؛ فلم يعرِفها كثير ، فاتبعها وقال : يا سيدتي ؛ قِفِي حتى أُكلِّمك فإني لم أرَ مثلك قط ، فمَن أنتِ ويحِك ؟ قالت : ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد ؟ قال : بأبي أنت والله لو أن عزة أمَةٌ لي لوهبتها لك . قالت : فهل لك في المُخالَلة ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ قالت : أنَّى وكيف بما قلتَ في عزة ؟! قال : أقبله فأُحوِّله إليك . فسفَرت عن وجهها ثم قالت : أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا ! فأبلَس[1] ولم ينطق وبُهت . فلما مضت أنشأ يقول : [من الطويل]

ألا ليتني قبل الذي قلتُ شِيبَ لي ... من السمّ جَدحاتٌ بماء الذَرارِحِ[2]
فمتُّ ولم تعلم عليَّ خيانة ... وكم طالبٍ للربح ليس برابحِ[3]
أبوءُ بذنبي إنني قد ظلمتُها ... وإني بباقي سِرِّها غيرُ بائحِ

[لقي عزة في طريقه إلى مصر وتعاتبا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوَّم قال أخبرني سائب راوية كثيِّر قال : خرجتُ معه نريد مصر ، فمررنا بالماء الذي فيه

---

1 أبلس : سكت وتحير .

2 جدحات في الديوان ص 527 : خضخاض .

3 في ابن عساكر (ترجمة كثير) ألا ربّ باغي الربح .

عزة فإذا هي في خِباء ؛ فسلمنا جميعاً ؛ فقالت عزة : وعليك السلام يا سائب . ثم أقبلت على كثيِّر فقالت : ويحك ! ألا تتقي الله ؟ أرأيتَ قولك : [من الوافر]

بآيـة مـا أتيتُـكِ أُمَّ عمرٍو فقمتِ لحاجتي والبيتُ خالي

أخلوتُ معك في بيت أو غير بيت قطُّ ؟ قال : لم أقُله ، ولكنني قلتُ : [من الوافر]

فأُقسم لـو أتيتُ البحرَ يومـاً لأشربَ مـا سقتْني من بِلالِ
وأُقسم إنْ حُبَّـكِ أُمَّ عمـرٍو لَـداءٌ عنـدَ منقطَعِ السُّعالِ[1]

قالت : أما هذا فنعَم . فأتينا عبدَ العزيز ثم عُدنا ؛ فقال كثيِّر : عليكِ السلامُ يا عزة قالت : عليك السلام يا جملُ . فقال كثيِّر : [من البسيط]

صوت

حَيَّتكَ عزةُ بعد الهجر فانصرفتْ فحَيِّ ويحكَ مَن حياك يـا جملُ
لـو كنتَ حييتَها ما زلتَ ذامِقَةٍ عندي وما مَسك الإدلاج والعملُ
ليتَ التحيـةَ كانت لي فأشكُرَها مكانَ يـا جملٌ حُيِّيتَ يا رجلُ

ذكر يونس أن في هذه الأبيات غناءً لِمَعبد . وذكر الهشامي أن فيها لُبُثينة[2] خفيف رمل بالبنصر . وذكر حبش أن فيها للغريض خفيفَ ثقيل أول بالوسطى ، ولإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى .

[قصته مع أم الحويرث الخزاعية وحديث عشقه لها]

أخبرني عمِّي قال حدثني الحسن بن عُلَيل العَنزي قال حدثني علي بن محمد البرمكي قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال : قدِم عليَّ هشام بن محمد الكلبي فسألته عن العشاق يوماً فحدثني قال : تعشَّق كثيِّر امرأةً من خُزاعة يقال لها أم الحُوَيرِث فنسب بها ، وكَرِهت أن يُسَمِّع بها ويفضحها كما سمع بعزة ؛ فقالت له : إنك رجلٌ فقير لا مال لك ؛ فابتغِ مالاً يُعفي[3] عليك ثم تعال فاخطُبني كما يُخطب الكرام . قال : فاحلفي لي ووَثِّقي أنك لا تتزوجين حتى أُقدَم عليك ؛ فحلفت ووثقت له . فمدح عبدَ الرحمن بن إبريق الأزدي ، فخرج إليه ، فلقيته ظباءٌ سوانح ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه ؛ فتطير من ذلك حتى قدِم على حيٍّ من لِهب[4]

1 عند منقطع في الديوان ص 230 : لدى جنْبي .
2 ل : لنبيه .
3 يعفي عليك : أي يُصلحك ويغنيك .
4 لهب : قبيلة يمنية معروفة بالعيافة وزجر الطير .

فقال : أيُّكم يَزجر ؟ فقالوا : كلُّنا ، فمَن تريد ؟ قال : أعلمكم بذاك . قالوا : ذاك الشيخ المنحني الصُّلب . فأتاه فقص عليه القصة ؛ فكره ذلك له وقال له : قد تُوُفِّيت أو تزوجت رجلاً من بني عمها . فأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

تَيممّتُ لِهباً أبتغــي العلمَ عندَهم وقــد رُدَّ علمُ العائفـين إلى لهــبِ
تيممّتُ شيخـاً منهـــمُ ذا بَجالــةٍ بصيراً بزجـر الطيرِ منحنى الصُّلبِ[1]
فقلــت لــه مــاذا تــرى في سَوانحٍ وصوتِ غُرابٍ يفحَص الوجهَ بالتُّربِ
فقــال جــرى الطيرُ السَّنيح ببيْنِها وقــال غرابٌ جَــدَّ مُنهَمِرُ السَّكبِ
فإلا تكــن ماتتْ فقــد حــال دونَها سواكَ خليلٌ باطــنٌ من بني كعبِ

غناه مالك من رواية يونس ولم يجنِّسه ، قال : فمدح الرجلَ الأزدي ثم أتاه فأصاب منه خيراً كثيراً ، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوجت رجلاً من بني كعب ، فأخذه الهُلاس[2] ، فكُشِح[3] جَنباه بالنار . فلما اندمل[4] من علته وضع يده على ظهره فإذا هو برَقمتين ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنه أخذك الهُلاس وزعم الأطباء أنه لا عِلاجَ لك إلا الكشح بالنار فكُشحت بالنار . فأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

عفا الله عن أُمِّ الحُوَيرِثِ ذنبَها علامَ تُعَنِّيني وتَكمِي دَوائيا[5]
فلو آذنوني قبل أن يرقُموا بها لقلتُ لهـم أُمّ الحُوَيرِث دائيا

في هذين البيتين لمالك ثقيلٌ أول بالوسطى . ولابن سريج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمرو والهشامي . وقيل : إن فيهما لمعبد لحناً ، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه : إنه قصد ابن الأزرق بن حَفص بن المُغيرة المخزومي الذي كان باليمن ، وإنه فعل ذلك بعد موت عزة . وسائر الخبر متقارب .

---

1 ذا بجالة : يبجله الناس ويعظمونه .
2 الهلاس : داء يصيب الجسم بالهزال وقد يكون السل .
3 الكشح : الكي بالنار .
4 اندمل : تماثل للشفاء .
5 تكمي : تستر .

[سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه]

وأخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن محمد بن سليمان بن فُلَيح أو فليح بن سليمان ، أنا شككتُ ، عن أبيه عن جده قال : جاء كثيِّر إلى عبد الله بن جعفر وقد نَحِلَ وتغير . فقال لـه عبد الله : ما لي أراك متغيراً يـا أبا صخر ؟ قال : هذا ما عملتْ بي أُم الحويرث ، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القَش وإذا به آثار من كَيٍّ ؛ ثم أنشده : [من الطويل]

عفـا اللهُ عـن أُم الحويرثِ ذنبَها

الأبيات .

[أغرت عزة به بثينة لتتبين حاله]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أُبَيٍّ قال حدثني الحِزامي عمن حدثه من أهل قُدَيد[1] : أن عزة قالت لبُثينة : تَصَدّي لكثيِّر وأطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به . فأقبلت إليه وعزة تمشي وراءها مختفيةً ؛ فعرضت عليه الوصلَ ؛ فقاربها ثم قال : [من الطويل]

رمَتنـي على عَمـدٍ بُثينةُ بعدما ... تولَّى شَبَابيَ وارجَحَنَّ شبابُها[2]

وذكر أبياتاً أُخرَ سقط من الكتاب ذكرُها . فكشفت عزةُ عن وجهها ؛ فبادرها الكلام ثم قال : [من الطويل]

ولكنَّما تَرمِـينَ نفساً مريضةً ... لِعَـزةَ منهـا صَفوُها ولُبابُها

فضحِكت ثم قالت : أُولى لك بها قد نجوتَ ؛ وانصرفتا تتضاحكان .

[قال لأهله إذ بكوا في مرضه سأرجع بعد أيام]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهري قال : بكى بعضُ أهل كثيِّر عليه حين نزل به الموت . فقال له كثيِّر : لا تبكِ ، فكأنك بي بعد أربعين ليلةً تسمع خَشفةَ نَعلي من تلك الشُّعبة راجعاً إليكم .

[مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة 105]

أخبرني الفضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني ابن جُعدُبة وأبو اليَقظان عن جُوَيرية بنِ أسماء قال : مات كثيِّر وعِكرِمةُ مولى ابن عباس في يوم واحد ، فاجتمعت قريش في جنازة كثيِّر ، ولم يوجد لعِكرمة مَن يحمله .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمر بن مُصعب قال حدثني الواقدي قال

1 قديد : اسم موضع قرب مكة .

2 ارجحن شبابها : اهتز نضارة وحسناً .

حدثني خالد بن القاسم البَياضي قال : مات عِكرمة مولى ابن عباس وكثيِّر بن عبد الرحمن الخُزاعي صاحبُ عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة ، فرأيتُهما جميعاً صُلِّي عليهما في يومٍ واحد بعد الظهر في موضع الجنائز ، فقال الناس : مات اليوم أفقهُ الناس وأشعرُ الناس .

[ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر وزينب بنت معيقب]

وقال ابن أبي سعد الوراق حدثني رَجاء بن سهل أبو نصر الصاغاني قال حدثنا يحيى بن غَيلان قال حدثني المُفَضَّل بن فُضالة عن يزيد بن عُروة قال : مات عكرمة وكثيِّر عزة في يوم واحد ، فأُخرجت جنازتاهما ، فما علمتُ تخلَّفتِ امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جنازتيهما . قال : وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلم الناس . قال : وغلَب النساء على جنازة كثيِّر يَبكينه ويذكُرن عزة في نُدبتهن له . قال : فقال أبو جعفر محمد بن علي : افرِجوا لي عن جنازة كثيِّر لأرفَعها . قال : فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهن محمد بن علي بكُمِّه ويقول : تَنَحَّين يا صَواحِبات يوسف . فانتدبت له امرأة منهن فقالت : يا ابن رسول الله لقد صَدَقتَ ، إنا لصواحبات يوسف وقد كنا له خيراً منكم له . قال : فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا . قال : فلما انصرف أُتي بتلك المرأة كأنها شرارة النار . فقال لها محمد بن علي : أنت القائلة إنكن ليوسف خيرٌ منا ؟ قالت : نعم . تُؤْمِنني غضبك يا ابن رسول الله ؟ قال : أنت آمنة من غضبي فأبيني . قالت : نحن يا ابن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتُّع والتنعُّم ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب وبِعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السِّجن . فأيُّنا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟! فقال محمد : لله دَرُّكِ ! ولن تُغالَبَ امرأةٌ إلا غلبتْ . ثم قال لها : أَلَكِ بعلٌ ؟ قالت : لي من الرجال مَن أنا بعله . قال : فقال أبو جعفر : صدقتِ مثلُك من تَملِك بعلَها[1] ولا يملكها . قال : فلما انصرفت قال رجل من القوم : هذه زينب بنت مُعَيقِب[2] .

نسبة ما في هذه الأخبار[3] من الغناء

صوت

[من الطويل]

نظـرتُ إليهـا نَظـرةً وهـي عاتـقٌ على حـينِ أن شَبَّتْ وبـانَ نُهودُها

---

1 ل : زوجها .
2 ل : معيقيب .
3 ل : الأبيات .

نظرتُ إليها نظرة ما يسُرُّني ... بها حُمُرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها
وكنتُ إذا ما جئتُ سُعدى بأرضِها ... أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها[1]
من الخَفِراتِ البِيضِ وَدَّ جَليسُها ... إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدُها

عروضه من الطويل . البيت الأول لكثيِّر ، والثاني والثالث لنُصَيب من قصيدته التي أولها : [من الطويل]

لقد هجرت سُعْدَى وطالَ صدودُها

غنى في البيت الثاني والثالث جَحدَرٌ الراعي خفيفَ رمل بالبنصر . وغنى فيهما الهذلي رملاً بالوسطى . وغنى في الثالث والرابع دِعامة ثقيلاً أول بالبنصر .

[عمر الوادي يأخذ صوتاً عن راعي غنم في شعر له]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال عمر الوادي ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني مَكِينٌ العُذري قال : سمعت عمر الواديَّ يقول : بينا أنا أسيرُ بين الرَّوحاء والعَرج إذ سمعتُ إنساناً يغنِّي غناءً لم أسمع قطُّ مثلَه في بيتَيْ كثيِّر : [من الطويل]

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعدى بأرضِها ... أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها[2]
من الخَفِراتِ البِيضِ وَدَّ جليسُها ... إذا ما انقضت أحدوثةٌ لو تُعيدها

قال : فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً ، وقلت : والله لألتمسن الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي ، فتيمّمتُ سَمتَه[3] فإذا راعٍ في غنم ، فسألته إعادته علي . قال : نعم ! ولو حضرني قِرىً أَقريكَه ما أعدتُه ، ولكنّي أجعله قِراك ، فربما تَرَنمتُ به وأنا غَرثانٌ فأشبَع ، وعطشان فأَروى ، ومستوحشٌ فآنَسُ ، وكَسلانٌ فأنشَط . قال : فأعادهما عليَّ حتى أخذتُهما ، فما كان زادي حتى ولَجتُ المدينة غيرَهما .

---

1 جئتُ في الديوان ص 200 : زُرتُ .
2 جئتُ في الديوان : زُرتُ .
3 سمته : ناحيته وجهته .

[126] ـ أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[1]

[كان عالماً ومغنياً ونسب غناءه لجاريته شاجي ترفعاً]

هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ويكنى أبا أحمد . وله محلٌّ من الأدب والتصرُّف في فنونه وروايةِ الشعر وقوله والعِلم باللغة وأيام الناس وعلومِ الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يَجِلُّ عن الوصف ويكثُر ذكره . وله صنعةٌ في الغناء حسنةٌ مُتقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه هاهنا من توصُّله إلى ما عجزَ عنه الأوائل من جمع النَّغَم كلِّها في صوت واحد تتبَّعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها . وكان المعتضِد بالله ، رحمة الله عليه ، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء وبحضرته أكابرُ المغنِّين مثل القاسم بن زُرزُور وأحمد بن المكي ومَن دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء وطبقتهم ، فيعدِل عنهم إليه فيصنَع فيها أحسنَ صنعة ، ويترفَّع عن إظهار نفسه بذلك ، ويُومىء إلى أنه من صنعة جاريته شاجِي ، وكانت إحدى المُحسنات المبرِّزات المُقدَّمات ؛ وذلك بتخريجه وتأديبه ، وكان بها مُعجباً ولها مُقدِّماً .

[كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله وطلب منه جاريته ليسمع غناءها فأرسلها له]

فأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : لما اختلت حال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان المعتضد يتفقَّده بالصِّلات الفَينة بعد الفينة . واتفق يوماً كان فيه مصطبحاً أن غُنِّي بصوتٍ الصنعة فيه لشاجي جارية عبيد الله ؛ فكتب إليه كتاباً يُقسم أن يأمرها بزيارته ففعل . قال : فحدثني مَن حضر من المغنيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت : دخلت إلينا وما منا إلا من يرفل في الحُليّ والحُلل وهي في أثواب ليست كثيابنا ، فاحتقرناها ؛ فلما غنت احتقرنا أنفسنا . ولم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجبل وصرنا كلا شيء . قال : ولما انصرفت أُمَر لها المعتضد بمال وكسوة . ودخلت إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استظرفت وسمعت مما استغربت . فقالت : ما استحسنتُ هناك شيئاً ولا استغربته من غناء ولا غيره إلا عوداً من عود محفور فإني استظرفته . قال جحظة : فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عوداً ؟ .

1 انظر أخباره في الأغاني المجلد 12 : 68–75 والفهرست لابن النديم ص 117 وتاريخ بغداد للخطيب 10 : 340 ، والمنتظم 6 : 117–118 ، ووفيات الأعيان 1 : 386–388 .

[كانت شاجي جاريته تلحن للمعتضد بعض الشعر]

قال محمد بن الحسن الكاتب وحدثني النُّوشجاني قال : كان المعتضد إذا استحسن شعراً بعث به إلى شاجي جارية عبيد الله بن طاهر فتغنى فيه . قال : وكانت صنعتها تسمى في عصره غناء الدار .

[ماتت شاجي فرثاها]

قال محمد بن الحسن : وماتت شاجي في حياة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلاً ، فقال يرثيها ، وله فيه صنعةٌ من خفيف الثقيل الأول بالوسطى : [من الطويل]

يميناً يقيناً لو بُليتُ بفقدها ... وبي نَبضُ عِرقٍ للحياة أو النُّكسِ
لأَوشكتُ قتلَ النفسِ قبل فِراقها ... ولكنها ماتتْ وقد ذهبتْ نفسي

[له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء]

ومن نادر صنعة عبيد الله وجيِّد شعره قوله ، وله فيه لحنان ثقيل أول وهزجٌ ، والثقيل الأول أجودُهما : [من الطويل]

أَنفِقْ إذا أيسرتَ غيرَ مقتّرٌ ... وأَنفِقْ على ما خَيَّلتْ حين تُعسِرُ
فلا الجُودُ يُفني المالَ والمالُ مقبلٌ ... ولا البخلُ يُبقي المالَ والجَدّ مُدبِرُ

وأشعاره كثيرة جيدة كثيرة النادر والمختار . وكتابه في النَّغَم وعِلَل الأغاني المسمَّى «كتاب الآداب الرفيعة» كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌّ على فضل مؤلِّفه .

[قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها وأمر له بمال]

أخبرني جحظة قال حدثني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون ، فيما أُرى ، قال : كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزُّبير بن بكار فأَعلمه أن المتوكِّل أو المعتز ، وأراه المعتز ، بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء . فقال له الزُّبير بن بكار : قد بلغتُ هذه السِّن وأتولى القضاء ! أو بعد ما رويتُ أن مَن ولي القضاء فقد ذُبح بغير سِكِّين ! فقال له : فتلحَق بأمير المؤمنين بسُر مَن رأى ، فقال له : أفعل . فأمر له بمال ينفقه ، وبظَهرٍ يحمله ويحمل ثَقَلَه . ثم قال له . إن رأيت يا أبا عبد الله أن تُفيدنا شيئاً قبل أن نفترق ! قال : نعم . انصرفتُ من عُمرة المحرَّم ؛ فبينا أنا بأُثاية[1] العَرج ، إذا أنا بجماعة مجتمعة ، فأَقبلتُ إليهم وإذا رجل كان يقنِص الظباء وقد وقع ظبي في حِبالته فذبحه ، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشِب القرن فيه فمات . وأقبلت

1 الأثاية : موضع في طريق الجحفة .

فتاة كأنها المَهاة ، فلما رأت زوجها ميتاً شهِقت ثم قالت : [من البسيط]

يا حُسنُ لـو بَطَلٌ لكنه أجل   على الأُثاية ما أُودى به البطلُ
يا حسنُ جمَّع أحشائي وأُقلقها   وذاك يا حسن لولا غيرُه جَلَلُ
أضحتْ فتاةُ بني نَهدٍ عَلانِيَةً   وبعلُها بين أيدي القــوم محتمَلُ

قال : ثم شهقت فماتت . فما رأيتُ أعجبَ من الثلاثة : الظبي مذبوح ، والرجل جريح ميت ، والفتاة ميتة [حَرَّى] . فأمر له عبيد الله بمال آخر . ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج الزُبير فقال : أما إن الذي أخذناه من الفائدة في خبر حُسن وفي قولها : [من البسيط]

أضحتْ فتـاةُ بني نَهـد علانيةً

تريد ظاهرة ، أكثرُ عندي مما أعطيناه من الحِباء والصِّلة . وقد أخبرني الحسين بن علي عن الدمشقيٌ عن الزُبير بخبر حُسن فقط ، ولم يذكر فيه من خبر عبيد الله شيئاً .

[لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر]

ومن الأصوات التي تجمع النَّغَمَ العشرَ

صوت

وهو يجمع النَّغَم العشر كلَّها على غير تَوالٍ : [من الطويل]

وإنّكِ إذ أطمعتِني منـكِ بالرِّضا   وأيأستِني مــن بعدِ ذلك بالغضبْ
كَمُمكِنَةٍ من ضَرعِها كفَّ حالبٍ   ودافقةٍ مــن بعدِ ذلك مـا حَلَبْ

عروضه من الطويل . الشعر لإبراهيم بن علي بن هرمة . والغناء في هذا اللحن الجامع للنَّغَم لعُبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها وعليها ابتدأ الصوت .

[أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة وشعر لجرير]

وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني بعض أصحابنا عن أبي نُواس أنه قال : شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه . فلو أُخِذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجُعِل مع بيت الآخر ، وأُخِذ بيتُ ذاك فجُعل مع هذا لصار متفقاً معنىً وتشبيهاً . فقلت له : أنَّى ذلك ؟ فقال : قول جرير للفرزدق : [من الطويل]

فإنكَ إذ تهجو تَميماً وترتشي   تَبابِينَ قيس أو سُحوق العمائمِ[1]

---

1 تبابين : جمع تبان وهو سراويل صغير . والسحوق : جمع سحق ، وهو الثوب الخلق البالي .

كمُهرِيقِ مـاءٍ بالفَلاةِ وغَـرَّهُ ... سرابٌ أذاعتْه ريـاحُ السَّمائمِ

وقول ابن هَرمة : [من المتقارب]

وإنّي وتَركي نَـدى الأكرمينَ ... وقَدحي بكَـفّيَّ زَندا شَحاحا[1]

كتاركةٍ بيضَهـا بالعَـراء ... ومُلبِسةٍ بيضَ أُخرى جَناحا

فلو قال جرير : [من الطويل]

فإنك إذ تَهجو تَميماً وتَرتشِي ... تَبابِينَ قَيسٍ أو سُحُوق العمائمِ

كتاركـةٍ بيضَهـا بالعَـراء ... ومُلبِسةٍ بَيضَ أُخـرى جَناحا

لكان أشبه منه ببيته . ولو قال ابنُ هرمة مع بيته : [من المتقارب]

وإني وتركي نـدى الأكرمين ... وقدحي بكفّيَّ زَندا شَحاحا

كمُهريـقِ مـاءٍ بالفلاةِ وغَرَّه ... سرابٌ أذاعتـه رياحُ السمائمِ

كان أشبه به . ثم قال : ولكن ابن هرمة قد تلافى ذلك بعدُ فقال : [من الطويل]

وإنكِ إذ أُطمعتِني منكِ بالرضا ... وأيأستِني من بعدِ ذلك بالغضبْ

كممكنةٍ من ضرعها كفَّ حالب ... ودافقةٍ من بعدِ ذلك مـا حلبْ

وقد أتى عبيد الله بن عبد الله بهذا الكلام بعينه في «الآداب الرفيعة» . وإنما أخذه من أبي نُواس على ما رُوي عنه .

[ومما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب]

ووجدتُ في كتابٍ مؤلَّفٍ في النَّغم غيرِ مسمَّى الصانع : أن من الأصوات التي تجمع النَّغَمَ العشرَ صوتَ ابن أبي مطر المكي في شعر نُصَيب وهو : [من الطويل]

صوت

ألا أيُّها الرَّبـعُ المُقِيـمُ بعُنبُب ... سَقَتكَ السَّواقي من مُراحٍ ومَعزَبِ[2]

بذي هَيدَبٍ أمّا الرُّبى تحت وَدقِه ... فَتَروى وأمّـا كلُّ وادٍ فَيزعَبِ[3]

عروضه من الطويل . ويروى «الربع الخَلاء بعُنبُبِ» أي الخالي . وعُنبُب : موضع ، ويروى «سقتك الغوادي من مَرادِ . والمَراد : الموضع الذي يُرتاد فيُرعى فيه الكلأ . والمُراحُ :

1 وزند شحاح : لا يورى .
2 عُنبُب : موضع .
3 زعب الوادي أو رعب : إذا امتلأ .

الموضعُ الذي تَرُوح إليه المواشي وتَبيت فيه . وفي الحديث أنه رخَّص في الصلاة في مُراحِ الغنم ونَهى عنها في أعطانِ الإبل . والمَعزَب : الموضع الذي يُعزب فيه الرجلُ عن البيوت والمنازل . وأصل العُزوب : البُعد يقال عزَب عنه رأيُه وحلمُه أي بعُد ، والعَزَب مأخوذٌ من ذلك . وهَيدَبُ السماءِ أطرافٌ تراه في أذنابه كأنه معلَّق به . قال أَوسُ بن حَجَر : [من البسيط]

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيقَ الأرضِ هَيدَبُه   يكـاد يدفَعـه مَن قام بالراحِ

ويزعَب : يطفَح ، يقال : زعَبه السيلُ إذا مَلأَه . الشعر لنُصَيب يقوله في عبد العزيز بن مروان .

[وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجازه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني جميع بن علي النُّميري عن عبد الله بن عبد العزيز بن مُحجَن بن النُّصَيب ، قال الزُّبير وكتب إليّ بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصَيب قالت : وفَد أبي على عبد العزيز بن مَروان بمصر ، فوقف على الباب فاستأذن فلم يُؤْذَن له . فأرسلِ إليه حاجبَه فقال : استنشِده ، فإن كان شعره رديئاً فاردُده ، وإن كان جيِّداً فأَدخِله . فقال نُصَيب : قد جلَبنا شيئاً للأَمير ، فإن قبله نشرناه عليه وإلا طويناه ورجعنا به . فقال عبد العزيز : إن هذا لكلامُ رجلٍ ذَهِنٍ ، فأَدخَلَه . فلما واجهه أنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

أَلا هـل أتى الصقرَ بنَ مَروان أنَّني   أُرَدُّ لـدى الأبـوابِ عنه وأُحجَبُ
وأنّي ثَوَيـتُ اليـومَ والأمسِ قبلَـه   على الباب حتى كادت الشمسُ تغرُبُ
وأنّي إذا رمـتُ الدخـولَ تَرُدُّني   مهابـةُ قَيسٍ والرِّتـاجُ المُضبَّبُ[1]

قال : وكان حاجب عبد العزيز يُسمى قيساً . قال : وتشبيب هذه القصيدة : [من الطويل]

أَلا أيهـا الرَّبـعُ المقيـمُ بعُنُبُب   سقتك السواقي من مُراحٍ ومَعزَبِ

قال : فلما دخل على عبد العزيز أُعجِب بشعره وأَوجَهَه[2] ، وقال للفرزدق : كيف تسمع هذا الشعر ؟ قال : حسنٌ إلا من لغته . قال : هذا والله أشعرُ منك ! . قال : وقال نُصيب فيها أيضاً : [من الطويل]

وأهـلي بأرضٍ نازحـون ومـا لهمْ   بهـا كاسبٌ غيـري ولا مُتَقَلَّـبُ

1 رتاج مضبب : مجعولة له ضبة .
2 أوجهه : جعله وجيهاً وشرفه .

فهـلْ تُلحِقَنِّيهِـم بعْبَـلٍ مُواشِكٍ على الأين من نُجب ابن مَروانَ أصهَبِ[1]
أبـو بَكَـراتٍ إن أَردتُ افتحالَـه وذو ثُبَتـاتٍ بالرَّدِيفَـيْن مُتعَـبُ

فقال له عبد العزيز : ادخُلْ على المَهاري فخُذ منها ما شئت ، فلو كنتَ سألت غيره لأُعطِيتَه . فدخل فرده الجمَّال . فقال عبد العزيز : دَعه فإنما يأخذ الذي نَعت ، فأُخذه .

قال الزُّبير وحدثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال : نزل عبد العزيز بن عبد الوهاب على المهدي بعُنُبٍ من وادي السَّراة الذي عنَى نُصَيب بقوله : [من الطويل]

ألا أيُّهـا الرَّبـعُ الخَـلاءُ بعُنُبِ

والمَهدي[2] هو الذي يقول فيه الشاعر : [من مجزوء الرمل]

اسلمي يـا دارُ من هِنـدِ بالسُّوَيقـاتِ إلى المَهدِي[3]

[صوت له يجمع ثماني نغم وقد مدحه إسحاق]

صوت

وهو يجمع من النَّغَم ثمانيا : [من مجزوء الكامل]

يـا مَـن لِقَلبٍ مُقصِرٍ تـرك المُنـى لِفَواتِها
وتظلَّـف النفسَ التـي قـد كان مـن حاجاتِها
وطِلابُكَ الحاجاتِ مِن سَلمـى ومِـن جاراتِها
كَتَطَرُّدِ العَنسِ الذَّمُـو لِ الفَضلَ مـن مَثناتِها

قوله : «يا من لقلب مقصر» تأسُّفٌ على شبابه ؛ ويدل على ذلك قوله : [من مجزوء الكامل]

وتظلَّـف النفسَ التـي قد كان مِـنْ حاجاتِها

يقال : اظلِف نفسَك عن كذا أي امنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه . وهو مأخوذ من ظَلَف الأرض وهو المكان الذي لا أثر فيه . قال عوف بن الأحوص : [من الوافر]

ألم أُظلِفْ عن الشعراء عِرضي كما ظُلِفَ الوَسِيقـةُ بالكُراعِ[4]

الوسيقة : الجماعة من الإبل . يعني أنها تُساق فلا يوجد لها أثر في الكُراع ، وهو مُنقَطَع

1 المواشك : السريع .
2 الظاهر أنه اسم موضع .
3 السويقات : موضع بعينه .
4 أظلف : أي عميت عليهم أثري .

الجبل . قال الشاعر : [من السريع]

أمستْ كُراعُ الغَميمِ مُوحِشةً بعد الذي قد خلا ، من العَجَبِ[1]

وقوله : [من مجزوء الكامل]

كَتَطَرُّدِ العَنسِ الذَّمُو لِ الفضلَ من مَثناتها

يقول : طِلابُك هذه الحاجاتِ ضلالٌ وتتابعٌ كتطرُّد العَنس (وهي الناقة المذكَّرة الخَلْق) الفضلَ من مَثناتها . والتطرُّد : التتبُّع ؛ ومثله قول الشاعر : [من الطويل]

خبَطتُ الصِّبا خَبطَ البعيرِ خِطامَهُ فلم أَنتَبِهْ للشَّيبِ حتى عَلانِيا

الشعر لمُسافر بن أبي عَمرو بن أُمية بن عبد شمس . والغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وهذا الصوت يجمع من النَّغَم ثمانيا ، وكذلك ذكر إسحاق ووصَف أنه لم يجمع شيءٌ من الغناء قديمِه وحديثِه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت ، ووصف أنه لو تلطَّف متلطِّف لأن يجمع النَّغَم العشر في صوت واحد لأمكنه ذلك ، بعد أن يكون فَهِماً بالصناعة طويلَ المُعاناة لها وبعد أن يُتعب نفسَه في ذلك حتى يصح له . فلم يقدر على ذلك سوى عُبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا .

1 كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

[127] ـ ذكر مُسافِر ونسبه

[نسبه]

مسافر بن أبي عمرو بن أُمية ، ويكنى أبا أُمية . وقد تقدم نسبه وأنساب أهله . وأُمه آمنة بنت أَبان بن كُلَيب بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعة ، وهي أُم أبي مُعَيط أَبان بن عمرو بن أُمية . وأبو مُعَيطٍ ومُسافرٌ أخوان لأب وأُم ، وهما أخوا عُمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أُمَية الذين أُمُّهم آمنة ؛ لأن أبا عمرو تزوجها بعد أبيه . وكان سيِّداً جَواداً ، وهو أحد أزواد[1] الركب ؛ وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لا يَدَعون غريباً ولا مارَّ طريقٍ ولا محتاجاً يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يظعَن .

[مناقضاته عمارة بن الوليد]

وهو أحد شعراء قُرَيش ؛ وكان يُناقض عُمارة بن الوليد الذي أمر النَّجاشيُّ السواحر فسحرته . فمن ذلك قول عُمارة : [من الرمل]

خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنــا وجِيــادُ الرَّيــطِ والأُزُرُ
كابِــراً كنــا أحــقَّ به حين صِيغَ الشمسُ والقمرُ

وقال مسافر يرد عليه : [من الرمل]

أعُمارَ بــنَ الوليد وقــد يذكــر الشَّاعِرُ مَن ذَكَرَهْ
هــل أخــو كأسٍ مُحَقِّقُها ومُــوَقٌّ صحبَــه سُكُرَهْ
ومُحَيِّيهــمْ إذا شَرِبــوا ومُقِــلٌّ فِيهــمُ هَـذَرَهْ
خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا وجِيــادُ الرَّيــطِ والحِبَرَهْ
كابِــراً كنــا أحــقَّ بــه كلُّ حَــيٍّ تابــعٌ أَثَرَهْ

[خطب هنداً بنت عتبة]

وله شعر ليس بالكثير . والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان يهواهـا . فخطَبها إلى أبيها بعد فِراقها الفاكِهَ بن المُغيرة ، فلم ترضَ ثروتَه

1 أزواد الركب : ثلاثة من نفر من قريش : مسافر بن أبي عمرو بن أمية ، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . سموا بذلك لأنه لم يكن يتزود معهم أحد في سفره وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد .

ومالَه . فوفد على النُّعمان يستعينه على أمره ثم عاد ؛ فكان أولَ مَن لقيه أبو سُفيان ، فأعلمه بتزويجه من هند . فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن أبـي سَلَمة عن هشام ، قال ابن عَمار وقد حدثناه ابنُ أبي سَعد عن علي بن الصبَّاح عن هشام ، قال ابن عَمار وحدثَنيه علي بن محمد بن سليمان النَّوفَلي عن أبيه ، دخل حديثُ بعضهم في بعض : أن مسافر بنَ أبي عمرو بن أُمية كان من فِتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء . قالوا : فعشِق هنداً بنت عُتبة بن ربيعة وعشِقته ؛ فاتُّهم بها وحملت منه . قال بعض الرواة : فقال معروف بن خَرَّبوذ : فلما بانَ حَملُها أو كاد قالت له : اخرُج ؛ فخرج حتى أتى الحِيرةَ ، فأتى عمرَو بن هند فكان يُنادمه . وأقبل أبو سُفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ، فلقى مُسافراً ، فسأله عن حال قريش والناسِ ؛ فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوجتُ هنداً بنت عُتبة . فدخله من ذلك ما اعتـل معه حتى استَسقى بطنُه . قال ابن خَرَّبوذ : فقال مُسافِرٌ في ذلك : [من الطويل]

ألا إن هنداً أصبحتْ منكَ مَحرَما ... وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَما
وأصبحتَ كالمقمورِ جَفنَ سلاحه ... يقلِّـب بالكَفَّـينِ قوساً وأَسهُما

فدعا له عمرُو بن هند الأطبَّاءَ ، فقالوا : لا دواء له إلا الكَيّ . فقال له : ما ترى ؟ قال : افعَل . فدعا له الذي يُعالجه فأحمى مَكاوِيَه ؛ فلما صارت كالنار قال : ادعُ أقواماً يُمسكونه . فقال لهم مسافر : لستُ أحتاج إلى ذلك . فجعل يضع المكاويَ عليه . فلما رأى صبرَه ضَرَط الطبيب ؛ فقال مسافر :

قـد يَضرِطُ العَيرُ والمِكـواةُ في النارِ

[لما مات رثاه أبو طالب]

فجرت مثلاً ، فلم يَزِده إلا ثِقَلاً . فخرج يُريد مكـة . فلما انتهى إلى موضع يقـال له هُبالة[1] مات فدُفِن بها ، ونُعِي إلى قريش . فقال أبو طالب بن عبد المطَّلب يرثيـه : [من الخفيف]

ليتَ شِعرِي مُسافِرَ بنَ أبي عمـ ... ـرٍو ولَيـتٌ يقولهـا المحزونُ
رجَـع الركبُ سالمِين جميعاً ... وخليـلي في مَرمَسٍ مـدفونُ[2]
بُـورِكَ الميِّـتُ الغريبُ كما بو ... رك نَضـر الرَّيحـانِ والزيتونُ
بيتُ صِدقٍ على هُبالةَ قد حا ... لت فيافٍ من دونـه وحُزونُ

1 هبالة : موضع لبني عقيل .
2 المرمس : القبر .

مِـدرَةٌ يدفَـعُ الخصومَ بأيدٍ وبوجـــهٍ يَزِينُــه العِـــرنِينُ

صوت

[من الخفيف]

كَمْ خليـلٍ رُزِئتُـه وابنِ عَمٍّ وحَميـمٍ قضت عليــه المَنونُ
فتعزَّيتُ بالتَّـأَسِّي وبالصبــ ـرِ وإنِّي بصاحبـي لضنينُ

غنى في هذين البيتين يحيى المكِّي ثاني ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابنه والهشامي .

وأنشدنا الحِرْميّ قال أنشدنا الزُّبير لأبي طالب بن عبد المطلب في مسافر بن أبي عمرو : [من الطويل]

ألا إن خيرَ النـاسِ غيرَ مُدافَـعٍ بسَرِوِ سُحَيـمٍ غيَّبتـه المقابـرُ[1]
تُبَكِّي أباهـا أُمُّ وَهبٍ وقد نأى وريسانُ أمسى دونـه ويُحابِرُ
على خير حافٍ من مَعَدٍّ وناعلٍ إذا الخيرُ يُرجى أو إذا الشرُّ حاضرُ
تَنــادوْا ولا أبــو أُميــة فيهـمُ لقد بُلِغتْ كَظَّ النفوسِ الحناجرُ[2]

قال وقال النَّوفلي : إن البيتين : [من الطويل]

ألا إن هنـداً أصبحتْ منك مَحرَما

والذي بعده لهشام بن المُغيرة ، وكانت عنده أسماء بنت مَخرَمة النَّهشلية ، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث ، ثم غضِب عليها فجعلها مثلَ ظهر أمه ، وكان أول ظِهار كان ، فجعلته قريشٌ طلاقا . فأرادت أسماء الانصراف إلى أهلها ؛ فقال لها هشام : وأين الموعد ؟ قالت : الموسم . فقال لها ابناها : أقِيمِي معنا فأقامت معهما . فقال المغيرة بن عبد الله وهو أبو زوجها : أما والله لأُزوجنكِ غلاماً ليس بدون هشام ؛ فزوجها أبا ربيعة ولدَه الآخر ؛ فولدت له عَياشاً وعبدَ الله . فذلك قول هشام : [من الطويل]

تُحَدِّثنا أسمـاءُ أن سوف نَلتقـي أحاديثَ طَسمٍ ، إنمـا أنت حالمُ

وقوله : [من الطويل]

ألا أصبحت أسماءُ حُجْراً مُحَرَّما وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَما

قال النَّوفلي في خبره وحدثني أبي : أنه إنما كان مسافر خرج إلى النُّعمان بن المنذر يتعرض

1 سر وسحيم : موضع .
2 كظ النفوس : كربها .

لإصابة مال ينكح به هنداً ، فأكرمه النعمانُ واستظرفه ونادمه وضرب عليه قُبَّة من أَدَم حمراء . وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عُرِف قدرُه منه ومكانه عنده . وقدِم أبو سفيان بن حرب في بعض تجاراته ؛ فسأله مسافر عن حال الناس بمكة ؛ فذكر له أنه تزوج هنداً ؛ فاضطرب مسافر حتى مات . وقال بعض الناس : إنه استسقَى بطنُه فكُوِي فمات بهذا السبب . قال النَّوفلي : فهو أحد مَنْ قتله العشق .

[خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة]

فأمّا خبر هند وطلاقُ الفاكهِ بن المُغيرة إيّاها ، فأخبرني به أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أبو السُّكَيْن زكريّا بن يحيى بن عمرو بن حِصْن بن حُمَيْد بن حارثة الطائيّ قال حدثني عمّي زَحْر بن حِصْن عن جدّه حُمَيْد بن حارثة قال : كانت هند بنت عُتْبة عند الفاكِه بن المُغيرة ، وكان الفاكه من فتيان قُريش ، وكان له بيتٌ للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن . فخلا البيتُ ذات يوم ، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته . وأقبل رجلٌ ممّن كان يغشى البيت فولَجه ؛ فلما رآها رجع هارباً ؛ وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال : مَنْ هذا الذي خرج من عندك !؟ قالت : ما رأيت أحداً ولا انتبهتُ حتى أنبهتني . فقال لها : ارجعي إلى أُمّك . وتكلَّم الناس فيها ، وقال لها أبوها : يا بُنَيَّة ! إنّ الناس قد أكثروا فيكِ ، فأنبئيني نَبأكِ ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دَسَستُ عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذباً حاكمتُه إلى بعض كُهّانِ اليمن . فقالت : لا والله ما هو عليّ بصادق . فقال له : يا فاكه ، إنك قد رميتَ بنتي بأمرٍ عظيم ، فحاكِمْني إلى بعض كُهّان اليمن . فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عُتْبة في جماعة من عبد مَناف ومعهم هند ونِسْوة . فلمّا شارفوا البلادَ وقالوا غداً نَرِد على الرجل تنكَّرْت حال هند . فقال لها عُتْبة : إنّي أرى ما حلَّ بك من تنكُّر الحال ، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندكِ . قالت : لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه ، ولكنّي أعرف أنكم تأتون بَشَراً يخطىء ويصيب ، ولا آمنه أن يَسِمَني مِيسَماً يكون عليّ سُبَّةً . فقال لها : إني سوف أختبره لك ؛ فصَفَر بفرسه حتى أدلى ، ثم أدخل في إحليله حبَّة بُر وأوكأ عليها بسَير . فلما أصبحوا قدِموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم . فلما قعدوا قال له عُتبة : جئناكَ في أمرٍ وقد خبأْتُ لك خَبَئاً أختبرك به فانظر ما هو ؟ قال : ثمرةٌ في كَمَرة . قال : إني أريد أبيَنَ من هذا . قال : حبة بُر في إحليل مُهر . قال : صَدَقتَ ؛ أنظر في أمر هؤلاء النسوة . فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول : انهضي ، حتى دنا من هند فقال لها : انهضي غير رَسحاء[1] ولا

1 رسحاء : خفيفة العجيزة .

زانية ، ولَتَلِدِنَّ مَلِكاً يقال له معاوية . فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها ؛ فنثرت يدَها من يده وقالت : إليكَ عنِّي ؛ فوالله لأَحرِصُ أن يكون ذلك من غيرك ؛ فتزوجها أبو سُفيان .

وقد قيل : إن بيتَيْ مسافر بن أبي عمرو أعني : [من الطويل]

ألا إن هنداً أصبحت منك محرما

لابن عجلان[1] .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثني عبد الله بن علي بن الحسن عن أبي نصر عن الأصمعي عن عبد الله بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال : خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال : [من الطويل]

ألا إن هنداً أصبحت منك مَحرما وأصبحت من أدني حُمُوَّتِها حَما
فأصبحتَ كالمقمورِ جَفنَ سلاحِهِ يُقَلِّـبُ بـالكَفَّيْنِ قوساً وأَسهُما

[شعر لمسافر في الفخر]

ثم مَد بهما صوته فمات . قال ابن سيرين : فما سمعتُ أن أحداً مات عشقاً غير هذا . ومما يغنَّى فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيِّد شعره قوله يفتخر : [من الوافر]

صوت

أَلم نَسقِ الحَجيجَ ونَنـ ـحَرِ المِذلاقـةَ الرُّفُدا[2]
وزمـزمُ مـن أُرومتنـا ونفقأُ عينَ مَـن حَسَدا
وإنَّ مناقـبَ الخيرا تِ لم نُسبَق بهـا عَدَدا
فإنْ نَهلِكَ فلـم نملكْ وهـل مـن خالدٍ خَلَدا

غنَّاه ابنُ سُرَيج رَمَلاً بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى من رواية حَماد . وفيه للزَّفِّ ثقيل بالوسطى .

1 هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب ، شاعر جاهلي وهو أحد المتيمين من الشعراء ممن قتلهم الحب

2 المذلاقة : النوق السريعة السير . الرفد : جمع رفود وهي التي تملأ الرفد (وهو بالفتح والكسر القدح الضخم) من النوق في حلبة واحدة .

[128] ـ فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله أمر النجاشي السواحر فسحرته

[ما كان بين عمرو وعمارة لدى النجاشي]

فإن الواقدي ذكره عن عبد الله بن جعفر بن[1] أبي عَون قال : كان عُمارة بن الوليد المخزومي بعد ما مشت قريش بعمارة الى[2] أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السَّهمي ، وكانا كلاهما تاجرين ، إلى النجاشي ، وكانت أرض الحبشة لقريش مَتجراً ووَجهاً ، وكلاهما مُشرِكٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما في جاهليتهما ؛ وكان عُمارة مُعجَباً بالنساء صاحبَ محادثة ؛ فركبا في السفينة لياليَ فأصابا من خمر معهما . فلما انتشى عُمارة قال لامرأة عمرو بن العاص : قبِّليني . فقال لها عمرو : قبِّلي ابن عمك فقبلته . وحذِر عمرو على زوجته فرصَدها ورصدته ، فجعل إذا شرِب معه أقل عمرٌو من الشراب وأَرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ أن يسكر فيغلبه عُمارة على أهله . وجعل عُمارة يُراودها[3] على نفسها فامتنعت منه . ثم إن عَمْراً جلس إلى ناحية السفينة يبول ؛ فدفعه عُمارة في البحر . فلما وقع فيه حتى أخذ بالقَلس[4] فارتفع فظهر على السفينة . فقال له عمارة : أما والله لو علمتُ يا عمرو أنك تُحسن السِّباحة ما فعلتُ . فاضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله . فمضيا على وجههما ذلك حتى قدما أرضَ الحبشة ونزلاها . وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أنِ اخلَعني وتبرَّأ من جَريرتي إلى بني المُغيرة وجميع بني مخزوم . وذلك أنه خشي على أبيه أن يُتبَع بجريرته وهو يَرصُد لعُمارة ما يَرصُد . فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجاج[5] إلى بني المغيرة وغيرِهم من بني مخزوم فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علِمتم ، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شر ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندري ما يكون . وإنِّي أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتُه . فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم : أنت تخاف عَمْراً على عمارة ! وقد خلعنا نحن عُمارةَ وتبرأنا إليك من جريرته ، فخَلِّ بين الرجلين . فقال السَّهميون[6] : قد قبِلنا ، فابعثوا منادياً بمكة أنّا قد خلعناهما .

1 ل : عن .
2 ل : إلى آل .
3 ل : يريدها .
4 القلس : حبل غليظ من حبال السفن .
5 هما نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سهم ، ماتا على الشرك في غزوة بدر .
6 السهميون : قوم عمرو بن العاص .

وتبرأ كلٌّ قوم من صاحبهم ومما جر عليهم ، فبعثوا مناديا ينادي بمكة بذلك . فقال الأسود بن المطَّلب : بَطَل والله دمُ عُمارة بن الوليد آخرَ الدهر ؛ فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يلبث عُمارة أن دب لامرأة النجاشي فأدخلته فاختلف إليها . فجعل إذا رجع من مدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره . فجعل عمرو يقول : ما أُصَدِّقك أنك قدَرتَ على هذا الشأن ، إن المرأة أرفع من ذلك . فلما أكثر على عمرو مما كان يُخبره ، وقد كان صدقه ولكن أحبَّ التثبُّت ، وكان عُمارة يغيب عنه حتى يأتيَه في السَّحَر ، وكان في منزلٍ واحد معه ؛ وجعل عمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو ويقول : إن هذا يشغَلك عن مَدخَلك ، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دَفعَه إن هو رفَعه إلى النجاشي فقال له في بعض ما يُذكر له من أمرها : إن كنتَ صادقاً فقل لها تَدهُنك من دُهن النجاشي الذي لا يَدَّهِنُ به غيرُه فإني أعرفه ، لو أتيتَني به لصدَّقتك . ففعل عُمارة [فجاء] بقارورة من دُهنه ؛ فلما شمَّه عرَفه . فقال له عمرو عند ذلك : أنت صادقٌ ! لقد أصبتَ شيئاً ما أصاب أحدٌ مثلَه قطُّ من العرب ونلتَ من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا ، وكانوا أهلَ جاهلية ، ثم سكت عنه ؛ حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي فقال : أيها الملك ! إن ابن عمِّي سفيهٌ ، وقد خشِيتُ أن يَعُرّني[1] عندكَ أمرُه ، وقد أردتُ أن أُعلمَك شأنَه . [ولم أفعل] حتى استثبتُّ أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر وهذا من دُهنك قد أُعطِيَه ودهَنني منه . فلما شم النجاشيُّ الدُّهن قال : صدَقتَ ، هذا دُهني الذي لا يكون إلا عند نسائي . ثم دعا بعُمارةَ ودعا بالسواحر ، فجردوه من ثيابه فنفَخن في إحليله ، ثم خلَّى سبيلَه فخرج هارباً . فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافةُ عمرَ بن الخطاب . فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان اسمه قبل أن يسلم بَحِيراً فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يَرِدُه مع الوحش ، فورد ؛ فلما وجد رِيحَ الإنس هرَب ؛ حتى إذا أجهده العطشُ ورَد فشرِب حتى تملأ ، وخرجوا في طلبه . فقال عبد الله بن أبي ربيعة : فسعيت إليه فالتزمته ، فجعل يقول لي : يا بَحِيرُ أرسِلني ! يا بَحِير أرسلني ! إني أموت إن أمسكتموني . قال عبد الله : وضغطتُه[2] فمات في يدي مكانَه . فواراه ثم انصرف . وكان شَعره قد غطَّى على كل شيء منه .

قال الواقدي عن ابن أبي الزِّناد : وقال عمرو لعُمارة : يا فائد ، إن كنتَ تحب أن أصَدِّقك بهذا أو أقبَلَه منك فأتني بثوبين أصفرين . فلما رأى النجاشي الثوبين قال له عمرو : أتعرِف الثوبين ؟ قال نعم .

1 عره : لطخه بعيب .

2 ل : وضبطته .

وقال الواقدي عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه ، قال النجاشي لعُمارة : إنِّي أكره أن أقتل قُرَشياً ، ولو قتلتُ قُرَشياً لقتلتك ، فدعا بالسواحر .

[شعر عمرو بن العاص في عمارة]

فقال عمرو بن العاص يذكر عُمارة وما صنع به ، قال الواقدي أخبرني ابن أبي الزِّناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شُعَيب بن عبد الله بن عمرو يذكره لجَدِّه : [من الطويل]

تَعَلَّمْ عُمارُ أنَّ من شرِّ شيمة ... لمثلِك أن يُدْعَى ابنُ عَمٍّ له ابنَما
وإنْ كنتَ ذا بُردَيْنِ أحوى مُرَجَّلاً ... فلستَ براعٍ لابن عمِّك مَحرَما
إذا المرءُ لمْ يترك طعاماً يُحِبُّه ... ولم يَنهَ قلباً غاوياً حيثُ يَمَّما
قضَى وَطَراً منه يسيراً وأصبحتْ ... إذا ذُكِرتْ أمثالُها تملأ الفما
فليس الفتى ولو أُتَمَّتْ عروقُه ... بذي كرمٍ إلا بأن يَتَكرَّما[1]
صَحِبتُ من الأمر الرفيقِ طريقه ... ووليِّتُ غَيَّ الأمرِ مَن قد تَلَوّما
مِن الآن فانزِعْ عن مَطاعِمَ جَمةٍ ... وعالِجْ أمورَ المجدِ لا تتندّما

[شعر خولة بنت ثابت في عمارة]

قال إسحاق وحدثني الأصمعي : أن خَولة بنت ثابت أختَ حسان قالت في عُمارة لما سُحِر : [من المنسرح]

يا ليلتي لم أَنَمْ ولم أَكَدِ ... أقطَعُها بالبكاء والسَّهَدِ
أبكي على فِتيةٍ رُزِئتُهمُ ... كانوا جِبالي فأوهنوا عَضُدِي
كانوا جمالي ونُصرتي وبهم ... أُمنَع ضَيمي وكلَّ مُضطَهِدِ
فبعدَهم أرقُب النجومَ وأُذْ ... رِي الدمعَ والحزنُ والجٌ كَبِدي

قال الأصمعي واجتاز ابنُ سريج بطُوَيس ومعه فِتيةٌ من قريش وهو يغنِّيهم في هذا الصوت ، فوقف حتى سمعه ، ثم أقبل عليهم فقال : هذا والله سيِّد مَن غناه .

هذه الأصوات التي ذكرتها الجامعةُ للنَّغَم العَشرِ والثماني النَّغَمِ منها هي المشهورة المعروفة عند الرُّواة وفي روايات الرُّواة وعند المغنِّين .

[كان عبيد الله يراسل المعتضد على لسان جواريه]

وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يُراسل المعتضد بالله إذا استزار جواريَه على ألسنتهن

1 أتمت عروقه : بلغت تمامها في الكرم .

ومع ذوي الأُنس عنده من رُسله : مع أحمد بن الطَّيب وثابت بن قُرَّة الطائي ، يذكر النَّغم وتفصيلَ مجاريها ومعانيها حتى فَهِم ذلك . فصنع لحناً يجمعُ النَّغَم العشر في قول دريد بن الصِّمة : [من مجزوء الرجز]

يا ليتني فيهـا جَذَعْ أَخُبُّ فيهـا وأَضَعْ

[كان المكتفي يراسله في الغناء]

وصنع صنعةً مُتقنة جيدة ، منها ما سمعناه من المُحسنين والمُحسنات ومنها ما لم نسمعه ، يكون مبلغُها نحو خمسين صوتاً . وقد ذكرتُ من ذلك ما صلَح في أغاني الخلفاء . ثم صنع مثل ذلك للمكتفي بالله لرغبته في هذه الصناعة . فوجدتُ رقعةً بخطه كتب بها إلى المكتفي نسختُها : «قال إسحاقُ بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العباس عبد الله بن طاهر بأمره لحنَه في : [من الخفيف]

يومَ تُبدي لنا قُتَيلةُ عن جيـ ـدِ تَليـعٍ تَزينـه الأطواقُ
وشَتِيتٍ كالأُقحُوانِ جَلاه الطَّـ ـلُّ فيـه عُذوبـةٌ واتِّساقُ

إني نظرتُ مع إبراهيم وتصفحتُ غناءَ العرب كله ، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من : [من الخفيف]

عـادَكَ الهـمُّ ليلـةَ الإيجافِ من غزالٍ مُخَضَّبِ الأطرافِ

ولحنه خفيفُ ثقيلٍ لابن مُحرِز ؛ فإن إيقاعه ستة وخمسون دَوراً . ثم لحن معبد : [من الطويل]

هُريرةَ وَدِّعْها وإن لامَ لائمُ غداةَ غدٍ أَمْ أنتَ للبَينِ واجمُ

وهو أحد سَبعتِه[1] . ولحنُه خفيف ثقيل ، ودور إيقاعه ستةٌ وخمسون دَوراً ، إلا أن صوت ابن مُحرز سُداسيٌّ في العروض من الخفيف ، وصوت معبد ثمانيٌّ من الطويل ؛ فصوتُ ابن محرز أعجبُ لأنه أقصر . وما زلنا حتى تهيأ لنا شعرٌ رباعيٌّ في سيِّدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، دور إيقاعه ستة وخمسون دوراً ، وهو يجمع من النَّغم العشرِ ثمانياً ؛ وهذا ظريف جداً بديع لم يكن مثله . وأما الصوت الذي في تهنئة النَّوروز فلأنفسنا عمِلناه ، إذ لم يكن لنا مَن يدبِّر مثل هذا معه غيره . وقد كتبنا شعره وشعر الآخر ، وإيقاعُ كل واحد منهما خفيف ثقيل ، والصنعة فيهما تُستظرف : [من الكامل]

1 أي أحد أصواته السبعة وهي مدنه المعروفة .

جُمِع الخلائفُ كلهم لجميع ما بلَغوا وأُعطُوا في الإمام المكتفِي
ولـه الهدايـا ألـفُ نَورُوزٍ وهـ ـذا الشعرُ منهـا لحنُـه لم يُعرَفِ

والآخر : [من مجزوء الخفيف]

دولـةُ المكتفِـي الخليـ ـفةِ تُفني مَـدى الدُّوَلْ
يـومُ عِيـدٍ ويـومُ عُر سٍ فمـا بعدَهـا أمَـلْ

الصنعةُ في البيت الأول خاصة تدور على ستة وخمسين إيقاعاً .

هكذا وجدت في الرقعة بخط عبيد الله . وما سمعتُ أحداً يغنّي هذين الصوتين . وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدّمين ومن مغنّيات القصور فما عرَفهما أحدٌ منهن . وذكرتهما في الكتاب لأن شريطته توجب ذكرها .

[129] ـ الأرمال الثلاثة المختارة

[الأرمال المختارة والكلام عنها]

أخبرني يحيى بن علي ومحمد بن خَلَف وكيع والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي ، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرني أبي أيضاً عن إسحاق ، وأخبرنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن خُرداذبه قال قال إسحاق : أجمع العلماء بالغناء أن أحسنَ رَمَلٍ غُنِّي رَمَلُ : [من الطويل]

فلــم أرَ كالتَّجْميرِ مَنظَرَ ناظرٍ

ثم رمل : [من الطويل]

أفاطمُ مَهــلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

ولو عاش ابن سريج حتى يسمع لحني الرمل : [من الطويل]

لعلَّكَ إن طالت حياتُك أن تَرى

لاستحيا أن يصنع بعده شيئاً . وفي روايتَيْ وكيع وعليٍّ بن يحيى «ولعلم أني نعم الشاهد له» .

[الصوت الأوّل من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة]

نسبة الأصوات وأخبارها

صوت

[من الطويل]

فلــم أرَ كالتجْمير منظــرَ ناظــرٍ ... ولا كليالي الحج أُفلَتنَ ذا هَوى

فكم مــن قَتيــلٍ مــا يُباءُ بــه دمٌ ... ومــن غَلِـقٍ رهناً إذا لفَّه مِنَى[1]

ومن مــالىء عينيه من شَيء غيرِه ... إذا راح نحوَ الجمرةِ البيضُ كالدُّمَى

يُسحِّبْنَ أذيــالَ المُرُوطِ بــأسؤقٍ ... خِــدال وأعجــازٍ مآكِمُهــا رِوَا[2]

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر . وقد كان عَلويه فيما بلغنا صنع فيه رملاً ، وفي «أفاطم مهلاً» خفيفَ رملٍ ، وفي «لعلك إن طالت حياتُك» رملاً آخر ، ولم يصنع شيئاً وسقطت ألحانُه فيها فما تكادُ تُعرف . وهذه الأبيات

1 أباء فلان القتيل بالقاتل : قتله به . وغلق الرهن في يد المرتهن : لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط .

2 الأسؤق : جمع ساق . المأكمة : العجيزة .

يقولها عمرُ بن أبي ربيعة في بنت مَروان بن الحَكَم .

[ابن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثنا ابن كُناسة عن أبي بكر بن عياش قال : حجَّت أُمُّ عمرو بنت مروان ، فلما قضت نُسُكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسَها في نساء معها ، فحادثته ثم انصرفت ، وعادت إليه مُنصرَفَها من عرفات وقد أثبتها . فقالت له : لا تذكُرني في شعرِك . وبعثت إليه بألف دينار . فقبِلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطِيباً فأهداه إليها فردته . فقال : إذاً واللهِ أُنهبه الناس فيكون مشهوراً ؛ فقبلته . وقال فيها : [من الخفيف]

أيُّها الرائـحُ المُجِـدُّ ابتكارا … قد قضَى من تِهامةَ الأوطارا
مَن يكن قلبُـه الغـداةَ خلياً … ففؤادي بالخَيفِ أُمسَى مُطارا
ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا … كلَّ يومـين حِجَّـةً واعتمارا

قال ابن كُناسة قال ابن عياش : فلما وَجَّهت منصرفةً قال فيها : [من الطويل]

فكم من قَتيلٍ ما يُباء به دمٌ … ومن غَلِقٍ رهناً إذا لفَّه مِنَى

قال : ويُروى «ومن غَلِقٍ رهنٍ» كأنه قال ومن رهنٍ غلِقٍ ؛ لا يُجعل من نعت الرهن . كأنه جعل الإنسان غَلِقاً وجعله رَهناً ؛ كما يقال : كم من عاشقٍ مُدنَفٍ ، ومن كَلِفٍ صَبٌّ .

قال الزُّبير وحدثني مُسلم بن عبد الله بن مُسلم بن جُندَب عن أبيه قال : أنشِده ابنُ أبي عتيق فقال : إن في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمّال .

قال : وقال عبد الله بن عمر ، وقد أُنشده عمر بن أبي ربيعة شعرَه هذا : يا ابن أخي ! أما اتَّقيتَ اللهَ حيث تقول : [من الطويل]

ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا … كلَّ يومـين حِجَّـةً واعتمارا

فقال له عمر بن أبي ربيعة : بأبي أنت وأُمي ! إني وضعت لَيتاً حيث لا تُغني .

[أمر عمر بن عبد العزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثنا مُصعَب بن عثمان : أن عمر بن عبد العزيز لما وليَ الخلافةَ لم تكن له همّةٌ إلا عمرَ بن أبي ربيعة والأحوصَ . فكتب إلى عامله على المدينة : «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر . فإذا أتـاك كتابي هـذا فاشدُدهما واحمِلهما إليّ» . فلما أتاه الكتاب حملهما إليه . فأقبل على عمر فقال له هِيه ! : [من الطويل]

فلــم أَرَ كالتَّجْمِيرِ منظــرَ ناظــرٍ ولا كليالي الحـجِّ أُفلَتنَ ذا هَوى
وكم مالىءٍ عينيه مــن شيءِ غيرِه إذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى

[نفي الأحوص ولم يطلقه إلا يزيد بن عبد الملك]

فإذا لم يُفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يُفلتون ! أما والله لو اهتممتَ بأمر حَجك لم تنظر إلى شيء غيرك ! ثـم أمر بنفيه . فقـال : يا أمير المؤمنين ، أوَ خيرٌ من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أعاهد الله ألاّ أعودَ إلى مثل هذا الشعر ولا أذكُرَ النساء في شعرٍ أبداً وأُجدّدَ توبةً على يديك . قال : أوَ تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبةٍ وخلاَّه . ثم دعا بالأحوص فقال هِيه ! : [من المنسرح]

اللهُ بيني وبـين قَيِّمِها يهربُ منِّي بهـا وأتَّبعُ

بل اللهُ بين قيِّمِها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى بِيش[1] ، وقيل إلى دَهلَك وهو الصحيح ، فنُفي إليها ، فلم يزل بها . فرحل إلى عمرَ عدةٌ من الأنصار فكلموه في أمره وسألوه أن يُقدِمه وقالوا له : قد عرفتَ نسبه وقِدَمَه[2] وموضعه وقد أُخرج إلى بلاد الشرك ، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله ﷺ ودار قومه . فقال لهم عمر : مَنِ الذي يقول : [من الطويل]

فما هــو إلا أن أراها فُجاءةً فأُبهَتَ حتـى مـا أكاد أُحيرُ

وفي روايـة الزُّبير «أُجيب» مكان «أُحِير» ، قالـوا : الأحوص[3] . قـال : فمن الذي يقول : [من الطويل]

أدُورُ ولــولا أن أرى أُمَّ جَعفَرٍ بأبياتكم مـا دُرتُ حيث أَدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يَــزُرْ لا بـدَّ أن سيزورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول : [من المنسرح]

كأن لُبنَـى صَبِيرُ غاديــةٍ أو دُميــةٌ زُيِّنت بهـا البِيَعُ[4]
اللهُ بينـــي وبــين قَـيِّمِها يهـربُ منِّي بهــا وأتَّبعُ[5]

قالوا : الأحوص : قال : إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول ، والله لا أرده ما كان لي سلطان . فمكث هناك بعد ولاية عمر صدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاَّه . قال : وكتـب إلى

---

1 بيش : من بلاد اليمن قرب دهلك .
2 ل : وقديمه .
3 نسب هذا البيت لعروة بن حزام .
4 الصبير : السحابة البيضاء .
5 يهرب في الديوان : يفر .

عمر بن عبد العزيز من موضعه ، قال الزُّبير : أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجِشون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات : [من الطويل]

أيــا راكبــاً إمّا عَرَضتَ فبلِّغنْ هُدِيــتَ أميرَ المؤمنــين رسائلي
وقُــلْ لأبــي حفصٍ إذا ما لَقِيتَه لقـد كنتَ نفّاعــاً قليلَ الغوائلِ
أفي اللهِ أن تُدنُوا ابنَ حزم وتقطَعوا قُـوى حُرُمـاتٍ بيننا وَوَصائلِ[1]
فكيف تـرى للعيش طِيباً وَلَذةً وخالُك أمسى مُوثَقـاً في الحبائلِ
وما طمِع الحَزميُّ في الجاه قبلها إلى أحدٍ مــن آل مَـروان عادِلِ
وشَى وأطاعــوه بنــا وأعانَه على أمرنـا مَنْ ليس عنـا بغافلِ
وكنتُ أرى أنّ القرابـة لم تَدَعْ ولا الحُرُماتِ في العصورِ الأوائلِ
إلى أحدٍ من آل مَروان ذي حِجىً بأمــرٍ كرهنــاه مقــالاً لقائلِ
يُسَرّ بمــا أنهَــى العـدوُّ وإنّه كنافلةٍ لي مــن خيــار النوافلِ
فهل يَنقُصَنّي القومُ أن كنتُ مُسلِماً بريئـاً بلائـي في ليـالٍ قلائلِ
ألا ربَّ مسرورٍ بنــا سيَغيظه لدى غِــبّ أمــر عضُّه بالأناملِ
رَجا الصُّلحَ منّي آلُ حَزمِ بن فَرتَنَى على دِينهم جهلاً ولستُ بفاعلِ
ألا قــد يُرَجُّون الهـوانَ فإنّهــم بنــو حَبَقٍ نــاء عن الخيرِ فائلِ[2]
على حينَ حَلّ القول بي وتنظَّرت عقوبَتهــم منّــي رؤوسُ القبائلِ
فمَنْ يــك أمسَى سائلاً بشماتةٍ بما حــلَّ بي أو شامتاً غيرَ سائلِ
فقد عَجمتْ منّي العواجمُ ما جداً صبوراً على عضّات تلك التلاتِلِ[3]
إذا نــال لم يَفرَحْ وليس لنَكبةٍ إذا حدثــتْ بالخاضعِ المتضائلِ

قال الزُّبير : وقال الأحوص أيضاً : [من الطويل]

هَــلَ آنــت أميرَ المؤمنين فإنني بــودُّك مــن ودِّ العبـاد لقـانعُ
متمِّمُ أجرٍ قـد مضَى وصنيعةٍ لكم عندنا أو مـا تُعَـدّ الصنائعُ
فكم من عدوٍّ سائل ذي كَشاحَةٍ ومنتظـرٍ بالغيبِ مـا أنتَ صانعُ

1 ووصائل في ل : ووسائلي .
2 الحبق : الضراط .
3 التلاتل : الشدائد .

فلم يُغن عنه ذلك ولم يُخلِ سبيله عمرُ ؛ حتى ولي يزيدُ بن عبد الملك فأقدمه وقد غنته حَبابةُ بصوت في شعره .

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبة قال قال هشام بن حسان : كان السبب في رد يزيد بن عبد الملك الأحوصَ أن جميلة غنته يوماً : [من الطويل]

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذي ... أقــرّتْ لــه بالملكِ كَهلاً وأمرَدا

فطرِب يزيد وقال : وَيحك ! مَن كريمُ قريشٍ هذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين ، ومَن عسى أن يكون ذلك غيرك ! قال : ومَن قائلُ هذا الشعرَ فيّ ؟ قالت : الأحوص وهو منفـيّ . فكتب برده وحَملِه إليه وأنفذ إليه صِلاتٍ سنية . فلما قدِم إليه أدناه وقرّبه وأكرمه . وقال له يوماً في مجلس حافل : والله لو لم تَمتّ إلينا بحقٍّ ولا صِهرٍ ولا رَحِمٍ إلا بقولك : [من الطويل]

وإني لأستحييكـمُ أن يقودَني ... إلى غيرِكم من سائرِ الناسِ مَطمَعُ

لكفاك ذلك عندنا . قال : ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات . وأخبار الأحوص في هذا السبب وغيره قد مضت مشروحةً في أول ما مضى من ذكره وأخباره ؛ لأن الغرض هاهنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللّذين أنكرهما عليهما عمرُ بن عبد العزيز وأُشخِصا من أجلهما .

[سليمان بن عبد الملك ونفيه ابن أبي ربيعة إلى الطائف]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أحمد بن زُهَير قال : قال مصعب بن عبد الله قال : حَج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فأرسل إلى عمرَ بن أبي ربيعة فقال له : ألستَ القائل : [من الطويل]

فكم من قتيلٍ مـا يُباء بــه دمٌ ... ومــن غَلِقٍ رهنـاً إذا لفَّه مِنَى

ومن مالىءٍ عينيه مــن شيء غيره ... إذا راح نحوَ الجمرةِ البيضُ كالدُّمَى

يسحبْن أذيــالَ المُرُوطِ بأسؤقٍ ... خِـدالٍ وأعجــاز مآكمُهـا رِوَا

أوانسُ يسلُبــنَ الحليــمَ فـؤادَه ... فيا طُول ما شوقٍ ويا طول مُجتلَى

قال نعم . قال : لا جرم والله لا تحضُر الحجَّ العامَ مع الناس ! فأخرجه إلى الطائف .

[ابن أبي عتيق وغناء ابن سريج]

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي حدثني ابنُ الكلبي عن أبي مسكين وعن صالح بن حسان قال : قدِم ابنُ أبي عَتيق إلى مكة فسمع غناء ابن سُريج : [من الطويل]

فلــم أرَ كالتجمير مَنظَـرَ ناظـرٍ ... ولا كليـالي الحجِّ أفلتنَ ذا هَوى

فقال : ما سمعت كاليوم قطُّ ، وما كنت أحسَب أن مثل هذا بمكة ، وأمر له بمال وحدَره

معه إلى المدينة ، وقال : لأصغّرنّ[1] إلى معبد نفسه ولأُهدين إلى المدينة شيئاً لم ير أهلها مثلَه حسناً وظَرفاً وطيب مجلس ودماثه خُلق ورقّة منظر ومِقَةً عند كل أحد . فقدِم به المدينة وجمع بينه وبين معبد . فقال لابن سريج : ما تقول فيه ؟ قال : إن عاش كان مغنّي بلاده .

[أبو السائب وابن سريج]

وقال إسحاق وحدثني المدائني عن جرير قال : قال لي أبو السائب يوماً : ما معك من مُرقِصات ابن سريج ؟ فغنيته : [من الطويل]

فلـم أرَ كالتجمير منظـرَ ناظرٍ

فقال : كما أنت حتى أتحرم لهذا بركعتين .

[الوليد بن عبد الملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن سريج]

حدثني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي وحدثني أبو عبد الله الزُّبيري قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخِص إلي ابنَ سُريج . فورد الرسول إلى الوالي ، فمر في بعض طريقه على ابن سريج وهو جالس بين قَرنَيْ بئرٍ وهو يغنّي : [من الطويل]

فلـم أَرَ كالتجمير منظـرَ ناظرٍ

فقال له الرسول : تالله ما رأيتُ كاليوم قطُّ ولا رأيت أحمقَ ممن يتركك ويبعث إلى غيرك . فقال له ابن سريج : أما والله ما هو بقَدَمٍ ولا ساق ، ولكنه بِقسَمٍ وأرزاق . ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب ، وبعث الوالي إلى ابن سريج فأحضره . فلما رآه الرسول قال : قد عجبت أن يكون المطلوب غيرَك .

[عبد الله بن الزُّبير يعجب لسماع غناء ابن سريج]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عمي قال رَقِيَ عبد الله بن الزُّبير أبا قُبَيس[2] ليلاً ، فسمع غناءً فنزل هو وأصحابه يتعجبون وقال : لقد سمعت صوتاً إن كان من الإنس إنه لعجب ، وإن كان من الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً . فاتَّبعوا الصوت فإذا ابن سريج يتغنّى في شعر عمر : [من الطويل]

فلـم أَرَ كالتجمير منظـرَ ناظرٍ

[ثاني الأرمال الثلاثة في شعر امرىء القيس]

ومن هذه الأرمال الثلاثة : [من الطويل]

---

1 ل : لأقصّرن .

2 أبو قبيس : جبل بمكة .

صوت

أفاطمُ مهــلاً بعضَ هــذا التدلُّل وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي
أغــرَّكِ منّــي أنَّ حبَّــكِ قاتـلي وأنّكِ مهما تأمري القلبَ يفعلِ

الشعر لامرىء القيس . والغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر .

[شيء من معلقته وشرحه]

وفي هذين البيتين مع أبيات أُخر من هذه القصيدة ألحانٌ شتى لجماعة نذكرها هاهنا ومن غنّى فيها ، ثم نُتبع ما يُحتاج إلى ذكره منها ، وقد يُجمع سائر ما يغنّى فيه من القصيدة معه : [من الطويل]

قِفا نَبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بِسُقْطِ اللِّوى بين الدَّخُولِ فحَومَلِ
فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يعفَ رسمُهـا لِما نَسَجتْها مـن جَنوبٍ وشَمأَلِ
أفاطمُ مَهـلاً بعضَ هــذا التَّدلُّل وإن كنتِ قد أزمعتِ صُرمِي فأجمِلِي
وإن كنتِ قد ساءتكِ منّي خَليقةٌ فسُلّي ثيابـي مـن ثيابـكِ تَنسُلِ
أغَـرَّكِ منّـي أن حُبَّـكِ قاتـلي وأنكِ مهما تأمُري القلبَ يفعلِ
ومـا ذَرَفتْ عينـاكِ إلا لتضرِبي بسَهمَيكِ في أَعشارِ قلـبٍ مُقَتَّلِ
تسلَّتْ عَماياتُ الرجالِ عن الصِّبا وليس فـؤادي عن هواكِ بمُنسَلي
ألا أيهــا اللَّيلُ الطويـل ألا انجلِ بصبحٍ وما الإصباحُ فيك بأمثَلِ
وَبيضـةِ خِـدْرٍ لا يُـرامُ خِباؤها تمتعتُ مـن لهوٍ بهـا غيرَ مُعجَلِ
تجاوزتُ أحراساً إليهـا ومَعشراً عليَّ حِراصـاً لـو يُسِرُّون مَقتَلي
ألا ربَّ يـوم صالحٍ لـكِ منهما ولا سِيما يـومٌ بـدارةِ جُلجُلِ
ويـوم عقَـرتُ للعَذارى مطيَّتـي فَواعَجبـي مـن رَحلِهـا المتحَمَّلِ
وقـد أغتدي والطيرُ في وُكُناتها بمنجَـردٍ قَيـدِ الأوابـدِ هَيكَلِ
مِكَرٍّ مِفـرٍّ مُقبِـلٍ مُدبِـرٍ معـاً كجُلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ
فقلتُ لهـا سِيري وأرخي زِمامَه ولا تُبعدينا مـن جَنـاكِ المُعَلَّلِ

عروضه من الطويل . وسُقط اللوى مُنقَطَعه . واللِّوى : المستدق من الرمل حيث يستدق فيخرج منه إلى اللِّوى . والدَّخول وحَومَلٌ وتُوضِحُ والمِقراة : مواضع ما بين إمَّرَة إلى أسود[1]

1 إمَّرَة : منزل في طريق مكة من البصرة بعد القريتين إلى جهة مكة ، وبعد رامة وهي منهل . وأسود العين : جبل بنجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة .

العين . وقال أبو عبيدة في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار سَقط وسُقط وسِقط ثلاث لغات . وقال أبو زيد : اللوى : أرض تكون بين الحَزن والرمل فصلاً بينهما . وقال الأصمعي : قوله «بين الدَّخول فحومل» خطأ ولا يجوز إلا بواو «وحومل» ؛ لأنه لا يجوز أن يقال : رأيت فلاناً بين زيد فعمرو ، إنما يقال وعمرو ؛ ويقال : رأيتُ زيداً فعمراً إذا رأى كلَّ واحد منهما بعد صاحبه . وقال غيره : يجوز «فحومل» كما يقال : مُطِرنا بين الكوفة فالبصرة ، كأنه قال : من الكوفة إلى البصرة ، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين ؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو . ويَعفُ رسمُها : يدرُس . ونسجتها : ضربتها مقبلة ومدبرة فعفتها . يعني أن الجنوب تعفي هذا الرسم إذا هبَّت وتجيء الشمأل فتكشفه . وقال غير أبي عبيدة : المِقراة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يُجمع فيه الماء . والرسم : الأثر الذي لا شخص له . ويروى «لما نسجته» يعني الرسم . ويقال عَفا يعفو عُفُواً وعَفاءً ؛ قال الشاعر : [من الوافر]

على آثار مَن ذهب العَفاءُ

يعني محو الأثر . وفاطمة التي خاطبها فقال «أفاطم مهلا» بنت العُبيد بن ثعلبة بن عامر بن عوف بن كِنانة بن عوف بن عُذرة ، وهي التي يقول فيها : [من المتقارب]

لا وأبيك ابنة العامري[1]

وأزمعتِ صُرمي ، يقال أزمعت وأجمعت وعزمت وكله سواء . يقول : إن كنتِ عزمتِ على الهجر فأجمِلي . ويقول الأسير : أجمِلوا في قتلي ، قتلةً أحسنَ من هذه ، أي على رفق وجميل . والصُّرم : القطيعة ، والصَّرم المصدر ؛ يقال : صرمته أصرِمه صَرماً مفتوحٌ إذا قطعته ، ومنه سيف صارم أي قاطع ، ومنه الصِّرام[2] ، ومنه الصرائم وهي القطع من الرمل تنقطع من معظمه . وقوله : «سُلِّي ثيابي من ثيابك» كنايةٌ ، أي اقطعي أمري من أمرك . وقوله تَنسُلِ : تَبِنْ عنها . ويقال للسن إذا بانت فسقطت والنَّصلِ إذا سقَط : نَسَل ينسُل ، وهو النسيل والنُّسال . وقال قوم : الثياب : القلب . وقوله : «وما ذرفت عيناك» أي ما بكيتِ إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مُقَتَّل . قال الأصمعي : يعني أنك ما بكيت إلا لتخرقي قلباً مُعَشَّرا ، أي مُكَسَّرا ؛ شبهه بالبُرمَة إذا كانت قِطَعا ، ويقال : برمةٌ أعشار . قال : ولم أسمع للأعشار واحداً . يقول :

---

1 يريد قوله :

فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر

في قصيدته التي مطلعها :

أحار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء ما يأتمر

2 الصرام : جذاذ النخل أي أوان إدراكه .

لتضربي بسهميك أي بعينيك فتجعلي قلبي مخرَّقا فاسداً كما يُخرِّق الجابر أعشار البرمة ؛ فالبرمة تنجبر إذا أخرقت وأصلحت ، والقلب لا ينجبر . قال : ومثله قوله : [من الطويل]

رمتْك ابنةُ البكريِّ عن فرع ضالةٍ

أي نظرت إليك فأقرحت قلبك . وقال غير الأصمعي وهو قول الكوفيين : إنما هذا مثل أعشار الجَزُور ، وهي تنقسم على عشرة أنصباء ، فضربتِ فيها بسهمَيكِ المُعَلَّى وله سبعة أنصِباء والرقيب وله ثلاثة أنصِباء ؛ فأراد أنها ذهبت بقلبه كلِّه . مقتَّل أي مذلَّل ؛ يقال بعير مقتَّل أي مذلَّل . تسلت : ذهبت . يقال : سلوت عنه وسَلِيتُ إذا طابت نفسُك بتركه . قال رؤبة : [من السريع]

لـو أشرب السُّلوانَ ما سَلِيتُ

والعَمايات : الجَهالات . عدّ الجهل عمي . والصِّبا : اللعب . قال ابن السِّكِّيت : صَبا يصبُو صَبْواً وصُبُوّاً وصَباءً وصِباً . انجلِ : انكشِف . والأمر الجلي : المنكشف . وقوله : أنا ابنُ جَلا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور ؛ ومنه جِلاء العروس وجِلاء السيف . وقوله «فيك بأمثل» يقول : إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل ؛ لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعدُ . يقول : ليس الصبح بأمثل وهو فيك ، أي يريد أن يجيء منكشفاً منجلياً لا سواد فيه . ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال : منك بأمثِل . ومثله قول حُمَيد بن ثَور في ذكر مجيء الصبح والليل باق : [من الطويل]

فلما تجلَّى الصبحُ عنها وأبصرتْ ... وفي غَبش الليلِ الشخوصُ الأباعدُ

غبش الليل : بقيته . هذا قول يعقوب بن السِّكِّيت . «وبيضةِ خِدر» شبه المرأة بالبيضة لصفائها ورقتها . «غير مُعجَل» أي لم يُعجلني أحدٌ عما أُريده منها . والخِباء : ما كان على عمودين أو ثلاثة . والبيت : ما كان ستة أعمدة إلى تسعة . والخيمة : من الشَّعَر . وقوله : «يُسِرُّون مقتلي» ، قال الأصمعي : يُسِرُّونه ؛ وروى غيره : يُشِرُّون بالشين المعجمة أي يظهرونه . وقال الشاعر : [من الطويل]

فما برِحوا حتــى أتى اللهُ نصرَه ... وحتى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ الأصابع

أي أُظهِرت . وقال غيرهما : لو يُسِرونه : من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسروه من الناس وقتلوني . قال أبو عبيدة : «دارة جُلجُل» في الحِمَى ؛ وقال ابن الكلبيِّ : هي عند عين كِندة . ويروى سِيَما مخففة وسِيَّما مشددةً . ويقال : رُبَّ رجل ورُبَ رجل وربَّت رجل . ومن القراء من يقرأ ﴿رُبَما يوَدُّ الذين كفروا﴾ مخفَّفة . وقرأ عليه رجل «ربَّما» فقال له :

أظنُّك يُعجبك الرُّب[1] .

ويروى : [من الطويل]

فيا عجبا من رحلها المُتحمَّل

أي يا عجبا لسفهي وشبابي يومئذٍ . ويروى : [من الطويل]

وقد أغتدي والطير في وَكَراتها

بالراء . قال أبو عبيدة : والأُكُنات في الجبال كالتَّماريد[2] في السهل ، والواحدة أُكنَة وهي الوُقُنات ، والواحدة أُقنَة ، وقد وَقَن يَقِن . وقال الأصمعي : إذا أُوى الطيرُ إلى وَكره قيل وَكَرَ يكِر ووَكَنَ يَكِنُ ، ويقال : إنه جاءنا والطير وُكَّنٌ ما خرجن . والمنجرد : القصير الشَّعَرةِ ، وذلك من العِتق . والأوابد : الوحش ، وتأبدت : توحَّشت ، وتأبد الموضع إذا توحش . وقيد الأوابد : يعني الفرس . يقول : هو قيدٌ لها لأنها لا تفوته كأنها مقيدة . والهيكل : العظيم من الخيل ومن الشجر ؛ ومنه سمِّي بيت النصارى الهيكلَ . وقال أبو عبيدة : يقال : قيد الأوابد وقيد الرِّهان ، وهو الذي كأن طريدته في قيدٍ له إذا طلبها ، وكأن مُسابِقَه في الرِّهان مُقَيَّد . قال أبو عبيدة : وأول من قيدها امرؤ القيس . والمُنجَرِد : القصير الشَّعَرة الصافي الأديم . والهيكل الذكر ، والأنثى هيكلة ، والجمع هياكل ، وهو العظيم العَبل الكثيف اللِّين . وقوله «مِكَرٌّ مِفَرٌّ» يقول : إذا شئتُ أن أكُر عليه وجدته ، وكذلك إذا أردتُ أن أفِر عليه أو أقبِلَ أو أدبِر . والجُلمود : الصخرة . ووصفها بأن السيل حطَّها من عَلٍ لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها . «من عَلِ» : من فوقٍ . ويقال من عَلٍ ومن علُ ومن عَلا ومن عَلْوُ ومن عالٍ ومن عَلوَ ومن مُعالٍ . وقوله «سيري وأرخي زمامه» أي هَوِّني عليك الأمرَ ولا تُبالي أعُقِر أم سَلِم . «وجناك» كلُّ شيء اجتنيته من قُبلَة وما أشبه : ذلك هو الجَنى ، وهو من الإنسان مثل الجَنى من الشجر أي ما اجتُنى من ثمره . والمُعَلَّل : المُلَهِّي .

غَنى في «قفا نبك» و«أفاطم مهلا» و«أغرك» و«وما ذرفتْ عيناكِ» معبد لحناً من الثقيل الأول بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى . وغنى معبد أيضاً في الأول والرابع من هذه الأبيات خفيفَ رمل بالوسطى . وغنَّى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملاً . وغنَّت عَرِيبُ في : [من الطويل]

أغرَّك مني أن حبَّك قاتلي

---

1 الرُّب : ما يطبخ من التمر .

2 التماريد : جمع تِمراد وهو برج صغير للحمام .

وبعده شعر ليس منه وهو : [من الطويل]

فلا تَحرَجِي من سفك مهجة عاشقٍ بَـلى فاقتلي ثـم اقتلي ثـم فاقتلي
فلا تَدَعـي أن تفعلي مـا أردتِـه بنا ، مـا أراك اللهُ من ذاك فافعَلي

ولحنُها فيها خفيفُ رمل . وغنى ابن محرز في «تسلّت عَمايات الرجال» وبعده «ألا أيها الليل الطويل» ثانيَ ثقيل بالوسطى . وغنّى فيهما عبد الله بن العباس الرَّبيعي ثاني ثقيل آخر بالسبَّابة في مجرى البنصر . وغنّت جميلة في «تسلت عَمايات الرجال» وبعده «ألا رب يوم لك» لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي . وغنّت عَزة الميلاء في «تسلّت عمايات الرجال» وبعده «ويوم عقرت للعذارى مطيتي» ثقيلاً أول آخر عن الهشامي . وغنّت حُميدة جارية ابن تُفاحة في «وبيضةِ خِدرٍ» و«تجاوزت أحراساً» لحناً من الثقيل الأول بالوسطى . ولطُوَيس في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» ثقيل أول آخر . وفي «أفاطم مهلا» وأَغَرك مني أن حبك قاتلي» ليزيد بن الرحَّال هزج . ولأبي عيسى بن الرشيد في «وقد أغتدى» و«مِكَرٍّ مِفَرٍّ» ثقيل أول . ولفُليح في «قفا نبك» وبعده «أغرك منّي» رمل . وقيل : إن لمعبد في «وبيضة خدر» لحناً من الثقيل الأول ، وقيل : هو لحن حُميدة . ولعريبَ في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ من رواية أبي العَنْبَس . وغنى سَلام بن الغَسَّال ، وقيل بل عبيدةُ أخوه ، في «وإن كنت قد ساءتكِ مني» وأغرك مني» رملاً بالوسطى . وغنّى في «فقلت لها سيري وأرخي زمامه» سَعدويه بن نصر ثانيَ ثقيل . وغنّى في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» إبراهيم الموصلي ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ . وزعم حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلاً . وغنّى في «أغرك مني» و«وما ذرفت» ابن سُرَيج خفيف رمل بالوسطى من رواية ابن المكّيّ ، وقيل : بل هو من منحوله . وغنى بُدَيح مولى بن جعفر في «وما ذرفت عيناك» بيتاً واحداً ثقيلاً أول مطلقاً في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ . فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر «قفا نبك» من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحناً : منها في الثقيل الأول تسعة أصوات ، وفي الثقيل الثاني ثلاثة أصوات ، وفي الرمل أربعة أصوات ، وفي خفيف الرمل صوتان ، وفي الهزج صوت ، وفي خفيف الثقيل ثلاثة أصوات .

[130] ـ ذكر امرىء القيس ونسبه وأخباره[1]

[نسبه من قبل أبويه]

قال الأصمعي : هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكِلِ المُرار بن معاويـة بن ثَور وهو كِندة . وقال ابن الأعرابي : هو امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كندة . وقال محمد بن حبيب : هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حُجر آكِلِ المُرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَعْرُب بن ثور بن مُرتِع بن معاوية بن كندة . وقال بعض الرُّواة : هو امرؤ القيس بن السِّمط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة . وقالوا جميعاً : كندة هو كندة بن عُفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أُدَد بن زيد بن يَشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بـن يَعـرُب بن قَحطـان بن عابـر بن شالـخ بن أرفَخشَذ بن سام بـن نـوح . وقـال ابن الأعرابي : ثور هو كندة بن مُرتع بن عُفَير بن الحارث بن مُرَّة بن عَدِي بن أُدَدَ بن زيد بن عمرو بن مِسمَع بن عَريب بن عمرو بن زيد بن كهلان .

وأُم امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أُخت كُلَيب ومُهَلهِل ابني ربيعة التغلبيِّين . وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السِّمط . أُمه تَملِك بنت عمرو بن زبيد بن مَذحِج رهط عمرو بن معد يكرب . قال من ذكر هذا وأن أُمه تملك : قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال[2] : [من الطويل]

ألا هـل أتاها والحوادثُ جَمَّةٌ بأن امرأ القيس بن تَملِكَ بَيقَرا

بَيقَرَ أي جاء العراق والحَضَر . ويقال : بيقر الرجل إذا هاجر . وقال يعقوب بن السِّكِّيت : أم حُجر أبي امرىء القيس أُم قَطام بنت سَلَمة امرأة من عَنَزة .

[كنيته ولقبه]

ويُكنى امرؤ القيس ، على ما ذكره أبو عبيدة ، أبا الحارث . وقال غيره : يكنى أُبا وَهب . وكان يقال له الملك الضِّلِّيل ، وقيل له أيضاً ذو القُروح . وإياه عنى الفرزدق بقوله : [من الكامل]

وهَب القصائدَ لي النوابغُ إذ مَضَوْا وأبو يزيـد وذو القروح وجَرَوَلُ

يعني بأبي يزيد المُخَبَّل السَّعدي ، وجَرول الحُطيئة .

1 له ترجمة قصيرة جداً في الشعر والشعراء 105/1 .

2 ورد هذا البيت في ما زاده الطوسي والسكري وابن النحاس وأبو سهل الديوان ص 392 .

[مولده ومنزله سبب تسمية آبائه بأسمائهم]

قال : ووُلد ببلاد بني أسد . وقال ابن حَبيب : كان ينزل المُشقَّر من اليمامة . ويقال : بل كان ينزل في حصن بالبحرين . وقال جميع من ذكرنا من الرواة : إنما سمّي كِندة لأنه كَنَد أباه أي عقَّه . وسمّي مُرتِعٌ بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرتَعاً له ولماشيته . وسمّي حُجْرٌ آكلُ المُرار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جَبَلة كان نائماً في حِجر امرأته هند وهي تَفلِيه جعل يأكل المُرار (وهو نبت شديد المرارة) من الغيظ وهو لا يدري . ويقال : بل قالت هند للحارث وقد سألها : ما تَرَيْنَ حُجراً فاعلاً ؟ قالت : كأنَّكَ به قد أدركك في الخيل وهو كأنه بعيرٌ قد أكل المَرار . قال : وسمّي عمرو المقصورَ لأنه قد قُصِرَ على مُلك أبيه أي أقعد فيه كَرهاً .

[قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ وابنه أنو شروان]

أخبرني بخبره ، على ما قد سُقته ونظَمتُه ، أحمدُ بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَة ولم يتجاوزه ، وروى بعضه عن عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبي ، وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه ، قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي ، قال ابن أبي سعد وأخبرني دارم بن عِقال بن حبيب الغَسَّاني أحدُ ولد السَّمَوءل بن عادِياء عن أشياخه ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرني محمد بن العباس اليزيديُّ قال حدثني عمي يوسف عن عمه إسماعيل ، وأضفت إلى ذلك رواية ابن الكلبي مما لم أسمعه من أحد ورواية الهيثم بن عدِي ويعقوب بن السَكّيت والأثرَم وغيرهم ، لما في ذلك من الاختلاف ، ونسبتُ رواية كل راوٍ إذا خالف رواية غيره إليه ، قالوا : كان عمرو بن حُجر وهو المقصور ملكاً بعد أبيه ، وكان أخوه معاوية وهو الجَون على اليمامة ، وأُمُّهما شُعبة بنت أبي مُعاهر بن حسان بن عمرو بن تُبَّع . ولما مات مَلَك بعده ابنُه الحارث ، وكان شديدَ الملك بعيد الصِّيت . ولما ملك قُباذُ بن فيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مزدك فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحُرَم وألا يمنع أحد منهم أخاه ما يريده من ذلك . وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملاً على الحِيرة ونواحيها . فدعاه قُباذُ إلى الدخول معه في ذلك فأبى . فدعا الحارث بن عمرو فأجابه ؛ فشدَّد له مُلكَه وأطرد المُنذِر عن مملكته وغلَب على ملكه . وكانت أُمُّ أنُوشِروانَ بين يدي قُباذَ يوماً ، فدخل عليه مَزدَك . فلما رأى أُمَّ أنوشروان قال لقباذ : ادفعها لي لأقضيَ حاجتي منها ؛ فقال : دونكها . فوثب إليه أنوشروان فلم يزل يسأله ويَضرَع إليه أن يهَب له أُمَّه حتى قبَّل رجلَه فتركها له ؛ فكانت تلك في نفسه . فهلَك قُباذُ على تلك الحال ، وملك أنُوشِروانُ فجلس في مجلس المُلْك . وبلغ المنذَر هلاكُ قباذَ فأقبل إلى أنوشروان وقد علم خلافه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه . فأذِن أنوشروان للناس ، فدخل عليه مَزدَك ثم دخل عليه المنذر .

فقال أنوشروان : إني كنت تمنّيت أمنيتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي . فقال مَزدَك : وما هما أيها الملك ؟ قال : تمنيت أن أملِك فأستعملَ هذا الرجل الشريفَ (يعني المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال له مزدك : أَوَتستطيع أن تقتل الناس كلَّهم ؟! قال : إنك لهاهنا يا ابن الزانية ! والله ما ذهب نَتنُ ريح جَورَبك من أنفي منذ قبّلتُ رجلكَ إلى يومي هذا ! وأمر به فقُتل وصُلب ، وأمر بقتل الزنادقة فقَتل منهم ما بين جازِر[1] إلى النَّهرَوان إلى المدائن في ضَحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلَبهم ؛ وسُمّي يومئذٍ أنوشروان . وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو ؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار ، وكان بها منزلُه ، وإنما سميت الأنبارَ لأنه كان يكون بها أهراءُ[2] الطعام وهي الأنابير ، فخرج هارباً في هجائنه وماله وولدِه فمرَّ بالثَّوِيَّة[3] ؛ وتبعه المنذرُ بالخيل من تغلب وبَهراءَ[4] وإيادٍ ، فلَحِق بأرض كَلْب فنجا ، وانتهبوا ماله وهجائنه . وأخذت بنو تغلب ثمانيةً وأربعين نفساً من بني آكل المُرار ؛ فقُدِم بهم على المنذر فضرب رقابَهم بجَفَر الأملاك في ديار بني مَرِينا العِباديّين بين ديْر هند والكوفة . فذلك قول عمرو بن كلثوم : [من الوافر]

فآبُوا بالنِّهاب وبالسَّبايا ... وأُبنا بالملوكِ مُصَفَّدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس : [من الوافر]

ملوكٌ من بني حُجرِ بن عمرو ... يُساقون العَشِيةَ يُقتَلونا
فلو في يوم معركةٍ أُصيبوا ... ولكن في ديارِ بني مَرِينا
ولم تُغسَلْ جماجمُهم بغِسلٍ ... ولكن في الدماء مُرَمَّلينا[5]
تَظَلُّ الطيرُ عاكفةً عليهم ... وتنتزِعُ الحواجبَ والعيونا

قالوا : ومضى الحارث فأقام بأرض كَلْب . فكلب يزعمون أنهم قتلوه . وعلماء كِندة تزعم أنه خرج إلى الصيد فألَظَّ[6] بتيسٍ من الظِّباء فأعجزه ، فآلى أليَّةً ألا يأكل أولاً إلا من كبده . فطلبته الخيل ثلاثاً فأُتي بعد ثالثة وقد هلك جوعاً ، فشُوي له بطنه ، فتناول فِلذةً من كبده فأكلها حارة فمات . وفي ذلك يقول الوليد بن عدي الكِندي في أحد بني بَجيلة : [من الكامل]

فشوَوْا فكان شِواؤهم خَبطاً له ... إن المنيَّةَ لا تُجِلُّ جَلِيلا

1 جازر : قرية من نواحي النهروان .
2 الأهراء : الأكوام .
3 الثوية : موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة .
4 بهراء : قبيلة باليمن .
5 مرملين : ملطخين .
6 ألظ به : لزمه وألح عليه ليصطاده .

وزعم ابن قُتَيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قُباذ بن فيروز لم يُملِّك الحارث بن عمرو وأن تُبَّعاً الأخير هو الذي ملَّكه . قال : ولما أقبل المنذر إلى الحِيرة هرب الحارث وتبعته خيلٌ فقتلت ابنَه عَمْراً وقتلوا ابنه مالكاً بهِيتَ . وصار الحارث إلى مُسحُلان[1] فقتلته كلب . وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حَتفَ أنفِه .

[الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب]

وقال الهيثم بن عَدِي حدثني حمَّاد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سَعية[2] بن عَرِيض من يهود تَيماء قال : لما قتل الحارث بن أبي شَمِر الغَساني عمرَو بن حُجر ملَّك بعده ابنه الحارث بن عمرو ، وأمُّه بنت عوف بن مُحَلَّم بن ذُهل بن شيبان ونزل الحيرة . فلما تفاسدت القبائل من نِزار أتاه أشرافهم فقالوا : إنا في دينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدُث بيننا ، فوجِّه معنا بنيك ينزلون فينا فيَكُفُّون بعضنا عن بعض . ففرَّق ولدَه في قبائل العرب ، فملَّك ابنه حُجراً على بني أَسَدٍ وغَطَفان وملّك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكُلاب[3] على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم والرِّباب . وملّك ابنَه مَعدِيكَرِبَ وهو غَلفاء (سُمِّي بذلك لأنه كان يُغَلِّف رأسَه) على بني تغلب والنَّمِر بن قاسط وسعد بن زيد مَناة وطوائف من بني دارم [بن مالك] بن حنظلة والصنائع وهم بنو رُقَيَّة قومٌ كانوا يكونون مع الملوك من شُذّاذ العرب . وملَّك ابنَه عبد الله على عبد القيس ، وملَّك ابنه سَلَمة على قيس .

[مقتل حجر أبي امرىء القيس]

وقال ابن الكلبي حدثني أبي : أن حُجراً كان في بني أسد ، وكانت له عليهم إتاوةٌ في كل سنة مؤقتة ؛ فغَبَر[4] ذلك دهراً . ثم بعث إليهم جابيَه الذي كان يَجبيهم ، فمنعوه ذلك ، وحُجرٌ يومئذٍ بتهامة ، وضربوا رُسله وضرجوهم ضرجاً شديداً قبيحاً . فبلغ ذلك حجراً ؛ فسار إليهم بجند من ربيعة وجند مِن أخيه من قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سَراتَهم ، فجعل يقتِّلهم بالعصا ، فسُمُّوا عبيدَ العصا ، وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألاّ يُساكنوهم في بلد أبداً ، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كِندة بن فزارة الأَسدي وكان سيِّداً ، وعَبِيد بن الأبرص الشاعر . فسارت بنو أسد ثلاثاً . ثم إن عَبِيد بن الأبرص قام فقال :

أيّـها الملك اسمع مقالتي : [من مجزوء الكامل]

1 مُسحُلان : موضع .

2 سعية : أخو السموءل .

3 الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة .

4 غبر : لبث وبقي .

يـا عَينُ فابكي مـا بني أسدٍ فهم أهـلُ النَّدامهْ
أهـلَ القِبابِ الحُمرِ والنَّـ ـعَـمِ المؤبَّـلِ والمُدامهْ[1]
وذوي الجيادِ الجُردِ والأ سَلِ المُثقَّفـةِ المُقـامهْ
حِـلاًّ أبيتَ اللَّعـنَ حِـ ـلاًّ إن فيمـا قلتَ آمهْ[2]
في كلِّ وادٍ بـين يَثـ ـربَ فالقصورِ إلى اليمامهْ
تطريـبُ عـانٍ أو صيـا حِ مُحَرَّقٍ أو صوتُ هامهْ
ومنعتَهـم نجـداً فقـد حَلُّوا على وَجَلٍ تِهامهْ
بَرِمـتْ بنـو أسدٍ كما بَرِمـتْ ببيضتهـا الحمامهْ
جعلتْ لِهـا عُودين مـن نَشمٍ وآخـر مـن ثُمامهْ[3]
إمّا تركـتَ تركتَ عَفـ ـواً أو قتلتَ فـلا مَلامهْ
أنـتَ المليـكُ عليهـمُ وهـمُ العبيدُ إلى القيامهْ
ذَلُّوا لسَوطِك مثـلَ مـا ذلَّ الأُشَيقِر ذُو الخِزامهْ[4]

قال : فرَقَّ لهم حُجر حين سمع قولَه ، فبعث في أثرهم فأقبلوا . حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنُهم ، وهو عوف بن ربيعة بن سوادة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة ، فقال لبني أسد : يا عِبادي ! قالوا : لَبَّيك ربَّنا . قال : مَن الملكُ الأصهب ، الغَلاَّب غير المغلَّب ، في الإبل كأنها الرَّبرب ، لا يعلَق رأسَه الصَّخَب ، هذا دمه ينثعِب ، وهذا غداً أول من يُسلَب . قالوا : مَن هو يا ربنا ؟ قال : لولا أن تجيش نفسٌ جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجرٌ ضاحية . فركبوا كل صعبٍ وذلول ؛ فما أشرق لهم النهار حتى أتَوا على عسكر حُجر فهجموا على قبَّته . وكان حُجابه من بني الحارث بن سعد يقال لهم بنو خدّان بن خنثر منهم معاوية بن الحارث وشبيب ورُقية ومالك وحبيب ، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل . فلما نظروا إلى القوم يريدون قتلَه خيموا عليه ليمنعوه ويُجيروه . فأقبل عليهم عِلباء بن الحارث الكاهلي ، وكان حُجر قد قتل أباه ، فطعنه من خللهم فأصاب نَساه فقتله . فلما قتلوه قالت بنو أسد : يا معشر كِنانة وقيس ، أنتم إخواننا وبنو عَمِّنا ، والرجل بعيدُ النسب منا ومنكم ، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه . فانتهبوهم فشدُّوا على

1 المؤبل : المقتنى .
2 حلاًّ : أي تحلل من يمينك . والآمة : العيب .
3 النشم : شجر جبلي تتخذ منه القسي .
4 الأشيقر : تصغير الأشقر وهو الأحمر من الدواب .

هجائنه فمزّقوها ولفُّوه في رَيطة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق . فلما رأته قيس وكِنانة انتهبوا أسلابه . ووثب عمرو بن مسعود فضم عياله وقال : أنا لهم جارٌ .

قال ابن الكلبي : وعدة قبائل من بني أسد يدّعون قتلَ حُجر ويقولون : إن عِلباء كان الساعي في قتله وصاحب المشورة ولم يقتله هو .

قال ابن حبيب : خَدّان في بني أسد وخَدّان في بني تميم وفي بني جَدِيلة بالخاء مفتوحة ، وخُدان مضمومة في الأزد ، وليس في العرب غير هؤلاء .

قال أبو عمرو الشيباني : بل كان حُجرٌ لما خاف من بني أسد استجار عُوَير بن شَجنة أحد بني عُطارد بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم لبنته هند بنت حُجر وعِياله . وقال لبني أسد لما كَثَرُوه : أما إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحلٌ عنكم ومُخَلّيكم وشأنكم ؛ فواعدوه[1] على ذلك . ومال على خالد بن خَدان أحد بني سَعد بن ثعلبة . فأدركه عِلباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال : يا خالد اقتُلْ صاحبَك لا يُفلت فيُعرَّكَ[2] وإيانا بشرٌ ، فامتنع خالد . ومر عِلباء بقصدة[3] رُمح مكسورة فيها سِنانها ، فطعن بها في خاصرة حُجر وهو غافل فقتله . ففي ذلك يقول الأسدي : [من الطويل]

وقِصدةُ عِلباء بن قَيس بن كاهلٍ مَنِيــةُ حُجْــرٍ في جوارِ ابن خَدانِ

وذكر الهيثم بن عدي أن حُجراً لما استجار عُوَيرَ بن شجنة لبنيه وقَطِينه تحول عنهم فأقام في قومه مدة ، وجمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه وأقبل مُدِلاً بمن معه من الجنود . فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا : والله لئن قهَركم هذا لَيَحكُمن عليكم حكمَ الصبي ، فما خيرُ عيش يكون بعد قهرٍ وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب ؛ فموتوا كراماً . فساروا إلى حُجر وقد ارتحل نحوَهم فلَقُوه فاقتتلوا قتالاً شديداً . وكان صاحب أمرهم عِلباء بن الحارث ؛ فحمل على حُجر فطعنه فقتله ، وانهزمت كِندة وفيهم يومئذٍ امرؤ القيس فهرب على فرسٍ له شقراء وأعجزهم ، وأسروا من أهل بيته رجالاً وقتلوا ومَلؤوا أيديهم من الغنائم ، وأخذوا جواريَ حُجر ونساءه وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم .

وقال يعقوب بن السِّكيت حدثني خالد الكِلابي قال : كان سببُ قتلِ حُجر أنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النِّساء وأساء ولايتَهم ، وكان يُقدِّم بعضُ ثَقَله أمامه ويُهيأ نُزُلُه ثم

---

1 ل : فوادعوه .

2 عرَّ فلان فلاناً بشر : أصابه به .

3 القصدة : القطعة .

يجيء وقد هُيِّىء له من ذلك ما يُعجبه فينزل ، ويُقَدَّم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيُضْرَب له في المنزلة الأخرى . فلما دنا من بلاد بني أسد وقد بلغهم موت أبيه طمِعوا فيه . فلما أظلهم وضُرِبت قِبابُه اجتمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن خدان ؛ فقال : يا بني أسد ! مَن يتلقّى هذا الرجل منكم فيقتطعَه ؟ فإني قد أجمعتُ على الفتك به . فقال له القوم : ما لذلك أحدٌ غيرك . فخرج نَوفل في خيله على وجهين من قومه حتى أغار على الثَّقَل فقتَل مَن وجد فيه ، وساق الثَّقَل وأصاب جاريتين قينتين لحُجر ، ثم أقبل حتى أتى قومه . فلما رأوا ما قد حدث وأتاهم به عرفوا أن حجراً يُقاتلهم وأنه لا بدّ من القتال ، فحشد الناس لذلك . وبلغ حُجراً أمرُهم ، فأقبل نحوهم . فلما غَشِيهم ناهضوه القتالَ وهم بين أبرَقَين من الرمل في بلادهم يُدعيان اليـوم أبرقَي حُجر ، فلم يُلبِثوا حُجراً أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه . وتشاور القوم في قتله ؛ فقال لهم كاهن من كَهَنتهم بعد أن حبَسوه ليَرَوا فيه رأيهم : أي قوم ! لا تعجَلوا بقتل الرجل حتى أزجُرَ لكم . فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله . فلما رأى ذلك عِلباء خشي أن يتواكلوا في قتله ؛ فدعا غلاماً من بني كاهل ، وكان ابن أخته وكان حُجرٌ قتل أباه زوج أخت علباء ، فقال : يا بُنيّ ، أعندك خيرٌ فتثأر بأبيك وتنال شرف الدهر وإن قومك لن يقتلوك ؟! . فلم يزل بالغلام حتى حرّبه[1] ، ودفع إليه حديدة وقد شحذها وقال : ادخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله . فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حُجر في قُبَّته التي حُبس فيها . فلما رأى الغلام غفلةً وثب عليه فقتله ؛ فوثب القوم على الغلام . فقالت بنو كاهل : ثأرُنا وفي أيدينا . فقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبي ، فخلَّوا عنه . وأقبل كاهنُهم المُزدجر فقال : أيْ قومِ ! قتلتموه ! مُلكُ شهر ، وذُلُّ دهر . أما والله لا تَحظَون عند الملوك بعده أبداً .

[وصيته لبنيه عند موته]

قال ابن السكيت : ولما طعن الأسدي حُجراً ولم يُجهز عليه ، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له : انطلق إلى ابني نافع ، وكان أكبرَ ولده ، فإن بكى وجزِع فَآلْهُ عنه ، واستَقرِهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس ، وكان أصغرهم ، فأيُّهم لم يجزع فادفع إليه سِلاحي وخيلي وقُدوري ووصيتي . وقد كان بَيَّن في وصيته مَن قتله وكيف كان خبره . فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه .

[امرؤ القيس يثأر بأبيه]

ثم استقراهم واحداً واحداً فكلُّهم فعل ذلك ، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويُلاعبه بالنَّرد ؛ فقال له : قُتِل حُجر . فلم يلتفت إلى قوله ؛ وأمسك نديمُه . فقال له امرؤ

1 حرّبه : حرشه .

القيس : اضرب فضرب . حتى إذا فرغ قال : ما كنت لأُفسد عليك دَستَك . ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كلّه فأخبره . فقال : الخمر علي والنساء حرامٌ حتى أقتُل من بني أسد مائة وأُجُزَّ نواصيَ مائة . وفي ذلك يقول : [من الطويل]

أرِقتُ ولم يـأرَقْ لِما بـيَ نافعُ　　وهاجَ لي الشوقَ الهمومُ الروادعُ

وقال ابن الكلبي : حدثني أبي عن ابن الكاهن الأسدي : أن حُجراً كان طرد امرأ القيس وآلى ألا يقيمَ معه أَنفة من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنَف من ذلك ، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شُذَّاذ العرب من طيىء وكَلب وبَكر بن وائل ؛ فإذا صادف غديراً أو روضةً أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم ؛ وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنَّته قِيانُه . ولا يزال كذلك حتى يَنفَد ماءُ ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره . فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدَمُّون من أرض اليمن ، أتاه به رجلٌ من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوَصَّاف . فلما أتاه بذلك قال : [من الرجز]

تَطاولَ الليـلُ على دَمُّـونْ　　دَمُّـونُ إنّا معشرٌ يمانونْ
وإنّنـا لأهلها مُحِبُّونْ[1]

ثم قال : ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمَه كبيراً . لا صَحوَ اليوم ولا سُكْرَ غدا . «اليومَ خمرٌ ، وغَداً أمر» فذهبت مثلا . ثم قال : [من الطويل]

خليليَّ لا في اليومِ مَصحىً لشاربٍ　　ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يُشرَبُ

ثم شرِب سبعاً . فلما صحا آلى ألا يأكلَ لحماً ، ولا يشربَ خمراً ، ولا يَدَّهِنَ بدُهن ، ولا يصيبَ امرأةً ، ولا يغسلَ رأسه من جنابة ، حتى يُدرِك بثأره . فلما جَنّه الليل رأى برقاً فقال : [من المتقارب]

أرِقـتُ لبرقٍ بليلٍ أهَلّ　　يُضيء سَناه بأعلى الجبلْ[2]
أتـاني حديـثٌ فكذَّبتُـه　　بأمر تَزَعـزَعُ منه القُلَلْ[3]
بقتـلِ بنـي أَسَدٍ ربَّهـم　　ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلْ[4]
فأيـن رَبيعـةُ عـن ربِّهـا　　وأيـن تميـمٌ وأين الخَوَلْ[5]

---

1 لأهلها في الديوان ص 341 : لأهلنا .
2 أرقتُ في الديوان ص 260 : عجبت .
3 بأمر في الديوان ص 260 : وأمرٌ .
4 بقتل في الديوان ص 260 : لقتل . ربّهم في الديوان ص 260 : ربها .
5 ربها في الديوان ص 260 : ربهم . تميم في الديوان ص 260 : تيمم .

ألاَ يحضُرون لـدى بابـه　　كما يحضُرون إذا ما أكل

وروى الهيثم عن أصحابه أن امرأ القيس لما قُتِل أبوه كان غلاماً قد ترعرع ، وكان في بني حنظلة مقيماً لأن ظِئرَه كانت امرأةً منهم . فلما بلَغه ذلك قال : [من الرجز]

يا لَهفَ هندٍ إذ خَطِئن كاهلا　　القاتلـين المَلِـكَ الحُـلاحِلا

تاللهِ لا يذهـب شيخي باطلا　　يـا خيرَ شيخٍ حَسَباً ونائلا

وخيرَهم ، قد علموا ، فواضلا　　يَحمِلننـا والأَسَلَ النـواهلا

وحيَّ صَعبٍ والوَشِيجَ الذابلا　　مُستَثفِراتٍ بـالحصى جَوافِلا[1]

يعني صعب بن علي بن بكر بن وائل . معنى قوله «مستثفرات بالحصى» : يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدة جريها حتى ارتفع إلى أثفارها[2] فكأنها استَثْفَرَتْ به .

[هند بنت حجر يجيرها عوير بن شجنة]

وقال الهَيْثم بن عَديّ : لّما قُتل حُجْر انحازت بنتُه وقَطينُه إلى عُوَيْر بن شَجْنة . فقال له قومه : كُلْ أموالَهم فإنهم مأكولون ، فأبى . فلما كان الليلُ حمل هنداً وقَطينَها وأخذ بخِطام جملها وأشْأم بهم في ليلة طَخْياء مُدْلَهِمّة . فلما أضاء البرقُ أبدى عن ساقيه وكانتا حَمْشَتين[3] . فقالت هند : ما رأيت كالليلةِ ساقَيْ وافٍ . فسمِعها فقال يا هند : هما ساقا غادِرٍ شرٍّ . فرمى بها النِّجادَ حتى أطلعها نَجْرانَ ، وقال لها : إني لست أُغْني عنكِ شيئاً وراء هذا الموضع ، وهؤلاء قومك ، وقد برئتْ خفَارتي . فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد ، منها قوله في قصيدة له : [من الطويل]

ألا إنّ قومـاً كنتم أمسِ دونَهم　　هـم منعوا جاراتِكم آلَ غُدْرانِ[4]

عُوَيْرٌ ومَنْ مثـلُ العُوَيْر ورَهْطِه　　أبـرَّ بميثـاقٍ وأوْفَـى بجيرانِ

هـم أبلغوا الحـيَّ المُضَيَّع أهلَه　　وساروا بهم بين الفُرات ونَجْرانِ

وقوله : [من الطويل]

ألا قَبـحَ اللهُ البَراجِـمَ كلَّهـا　　وجـدَّعَ يَرْبوعـاً وعفَّـر دارِما

فما فعلـوا فعـلَ العُوَيْر ورهطِه　　لدى باب حُجرٍ إذ تجرّدَ قائما[5]

---

1 الجوافل : المسرعات .

2 الأثفار : جمع ثَفَر وهو السير الذي في مؤخرة السرج تحت ذنب الدابة .

3 حمشتين : دقيقتين .

4 آل غدران : بطن من العرب .

5 ورد في الديوان ص 130 :

وما فعلوا فعل العُوَيـرِ بجاره　　لدى باب هندٍ إذْ تجردّ قائما

وقال ابن قُتَيبة في خبره : إنّ القصة المذكورة عن عُوَير كانت مع أبي حَنْبَل وجارية ابن مُرّ . قال ويقال : بل كانت مع عامر بن جُوَيْن الطائيّ وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حُجْر وعياله ؛ فقام ودخل الوادي ثم صاح : ألا إنّ عامر بن جوين غدر ، فأجابه الصّدى مثلَ قوله ؛ فقال ما أقبح هذا من قول ! ثم صاح : ألا إنّ عامر بن جُوَين وَفَى ، فأجابه الصَّدَى بمثل قوله ؛ فقال : ما أحسن هذا ! ثم دعا ابنتَه بجَذَعةٍ من غنم فاحتلبها وشرب واستلقَى على قفاه وقال : والله لا أغدِرُ ما أجْزَأتْني جَذَعةٌ . ثم نَهض وكانت ساقاه حَمْشَتَين ؛ فقالت ابنته : والله ما رأيتُ كاليوم ساقَيْ وافٍ . فقال : وكيف بهما إذا كانتا ساقَيْ غادرٍ ! هما والله حينئذ أقبح .

[امرؤ القيس يستعدي بكراً وتغلب على بني أسد]

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه ويعقوبُ بن السِّكِّيت عن خالد الكلابيِّ : إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بَكْرا وتَغْلِبَ ، فسألهم النصرَ على بني أسد . فبعث العيونَ على بني أسد فنَذِروا[1] بالعيون ولجؤوا إلى بني كِنانة . وكان الذي أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كان الليلُ قال لهم عِلباءُ : يا معشرَ بني أسد تعلمون ! والله إنّ عيون امرىء القيس قد أتتكم ورجعتْ إليه بخبركم ، فارحَلوا بليل ولا تُعْلِموا بني كنانة ، ففعلوا . وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتَغْلِب حتى انتهى إلى بني كِنانة وهو يحسَبهم بني أسد فوضع السِّلاحَ فيهم وقال : يا لِثارات المِلِك ! يا لِثارات الهُمام ! فخرجت إليه عجوزٌ من بني كِنانة فقالت : أَبَيْتَ اللَّعنَ ! لسنا لك بثأر ، نحن من كنانة ، فدونكَ ثأركَ فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس . فتبع بني أسد ففاتوه ليلتَهم تلك ، فقال في ذلك : [من الوافر]

ألا يا لَهْـفَ هنـدٍ إثْـرَ قوم ... همُ كانوا الشفاءَ فلم يُصابوا
وقاهـم جَدُّهـم ببني أبيهم ... وبالأشْقَيْنَ مـا كان العقابُ
وأفْلتهـنّ عِلْبـاءٌ جَريضـاً ... ولـو أدركْنَه صَفِرَ الوِطابُ[2]

يعني ببني أبيهم بني كنانة ؛ لأن أسداً وكِنانة ابنَى خُزيمة أخَوان .

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال : سمعت رجلاً سأل يونس عن قوله «صفِر الوِطابُ» ، فقال : سألنا رُؤْبَةَ عنه فقال : لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصَفِرتْ وِطابُه من اللَّبن . وقال غيره : صَفِرَ الوطابُ أي إنه كان يُقتَل فيكون جسمه صِفْراً من دمه كما يكون الوطاب صفراً من اللبن .

1 نذروا : علموا فحذروا .
2 أفلتهن جريضاً : أي بعد جهد ومشقة . صفر الوطاب أي هلك وهي في ل : مثل .

قالوا : فلما أصبح امرؤ القيس رأى آثار القوم منطلقين ، فأتبع الأثر فأدركهم ظُهْراً وقد تقطَّعتْ خيلُه وقطع أعناقَهم العطش ، وبنو أسد جامُّون بينهم على الماء ، فنَهَد إليهم فقاتلهم حتى كثُرت الجرحى والقتلى فيهم ، وحجَز اللَّيلُ بينهم ، وهرَبت بنو أسد . فلما أصبحتْ بَكْر وتَغْلِبُ أبَوْا أن يَتّبِعوهم وقالوا له : قد أصبتَ ثأرَك . قال : والله ما فعلتُ ولا أصبتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم . وكرهوا قتالَهم بني كنانة وانصرفوا عنه . ومضى هارباً لوجهه حتى لَحِق بِحمْيَرَ .

[يلجأ إلى عمرو بن المنذر]

وقال ابن السِّكِّيت حدّثني خالد الكلابيّ : أن امرأ القيس لّما أقبل من الحرب على فرسه الشَّقْراء لجأ إلى ابن عمَّته عمرو بن المُنْذر ، وأمّه هند بنت عمرو بن حُجْر بن آكل المُرَار ، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتَفرُّقِ مُلْكِ أهل بيته ، وكان عمرو يومئذ خليفةً لأبيه المنذر ببَقَّة وهي بين الأنبار وهيتَ ، فمدحه وذكر صِهْرَه[1] ورَحِمَه وأنه قد تعلَّق بحباله ولجأ إليه . فأجاره ، ومكث عنده زماناً . ثم بلغ المنذرَ مكانُه عنده فطلبه ، وأنذره عمرو فهرَب حتى أتى حِمْيَرَ .

[يستنصر أزدشنوءة]

وقال ابن الكلبيّ والهَيْثم بن عَدِيّ وعمر بن شَبَّة وابن قُتَيْبة : فلما امتنعتْ بكرُ بن وائل وتَغْلِب من اتّباع بني أسد خرج من فَوْره ذلك إلى اليمن فاستنصر أَزْدَشَنُوءةَ ؛ فأبَوْا أن ينصروه وقالوا : إخواننا وجيرانُنا .

[ومرثد الخير الحميري]

فنزل بقَيْلٍ يُدْعَى مَرْثَد الخير بنَ ذي جَدَن الحِمْيريّ ، وكانت بينهما قَرابة ، فاستنصره واستمدّه على بني أسد ؛ فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْيَرَ ؛ ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس بهم .

[وقرمل بن الحميم]

وقام بالمملكة بعده رجلٌ من حمير يقال له قَرْمَل بن الحميم وكانت أُمُّه سوداء ، فردَّد امرأ القيس وطوّل عليه حتى همّ بالانصراف وقال : [من الطويل]

وإذ نحن ندعو مَرْثَد الخيرِ ربَّنا وإذ نحن لا نُدْعَى عَبيداً لقَرْمَلِ

فأنفذ له ذلك الجيشَ ؛ وتبِعه شُذّاذٌ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فسار بهم إلى بني أسد . ومرّ بتَبالةَ[2] وبها صنم للعرب تعظّمه يقال له ذو

1 ل : عهده .

2 تبالة : موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليالٍ من مكة .

الخَلَصة[1] ؛ فاسْتَقْسم عنده بِقداحه وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربِّص ، فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ؛ فجمعها وكسرها وضرب بها وجهَ الصنم وقال : مَصِصْتَ بَظْرَ أمّك ! لو أبوك قُتِل ما عُقْتني . ثم خرج فظفِر ببني أسد . ويقال : إنه ما آستُقْسِم عند ذي الخَلَصة بعد ذلك بِقدْح حتى جاء أمر الله بالإسلام وهدَمه جَرير بن عبد الله البَجَليّ .

[طلبه المنذر فهرب ونزل بالحارث بن شهاب]

قالوا : وألحّ المنذر في طلب امرىء القيس ووجّه الجيوشَ في طلبه من إياد وبَهْراء وتَنُوخ ولم تكن لهم طاقة ، وأمدّه أنُوشِرْوانُ بجيش من الأسَاورة فسرَّحهم في طلبه . وتفرّقت حِمْيَرُ ومن كان معه عنه . فنجا في عُصْبَة من بني آكل المُرار حتى نزل بالحارث بن شِهاب من بني يَرْبُوع بن حَنْظَلة ، ومع امرىء القيس أدراع خمسٌ : الفَضْفاضة والضافية والمحصِّنة والخربق وأمّ الذيول كُنَّ لبني آكل المرار يتوارثونها مَلِكاً عن ملك . فقلّما لبِثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائةً من أصحابه يُوعِده بالحرب إن لم يُسلم إليه بني آكل المُرار فأسلمهم ؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند (بنت امرىء القيس) والأدْرُع والسلاح ومال كان بقي معه ؛ فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيِّىء .

[ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادي]

وقيل : بل نزل قبلهم على سعد بن الضِّباب الإيَادي سيِّدِ قومه فأجاره .

قال ابن الكلبيّ : وكانت أمّ سعد بن الضِّباب تحت حُجْرٍ أبي امرىء القيس فطلّقها وكانت حاملاً وهو لا يعرف ، فتزوّجها الضِّباب فولَدت سعداً على فراشه ، فلحِق نسبُه به . فقال امرؤ القيس يذكر ذلك : [من الطويل]

يُفاكهنا سعدٌ ويُنْعِمُ بالَنا ... ويغدو علينا بالجِفَانِ وبالجُزُرْ[2]
ونعرفُ فيه من أبيه شمائلاً ... ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُرْ
سماحةَ ذا وبِرَّ ذا ووفاء ذا ... ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سَكِرْ

[والمعلى بن تيم]

ثم تحوّل عنه فوقع في أرض طيِّىء فنزل برجل من بني جَديلةَ يقال له المعلَّى بن تَيْم . ففي

---

1 ذو الخلصة : مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج ، وكان سدنتها بني أمامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن .

2 البيت في الديوان : 94 .

يفاكهنا سعد ويغدو لجمعنا ... بمثنى الزّقاق المترعاتِ وبالجُزُرْ

ذلك يقول : [من الوافر]

كأنّـي إذ نزلـتُ على المُعَلَّـى نزلـتُ عـلي البواذخِ من شَمَامِ[1]
فما مَلِكُ العـراقِ على المُعَلَّـى بمقتـدرٍ ولا مَلِـكُ الشآم
أقرَّ حَشَى امرىء القيس بن حُجْرٍ بنـو تَيْـمٍ مصابيحُ الظلامِ

قالوا : فلبث عنده واتَّخذ إبلاً هناك . فغدا قومٌ من بني جَديلةَ يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل . وكانت لامرىء القيس رواحل مُقَيَّدة عند البيوت خوفاً من أن يَدْهَمه أمرٌ ليسبق عليهن .

[ثم بيني نبهان]

فخرج حينئذ فنزل ببني نَبْهان من طيّىء ، فخرج نفرٌ منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَديلة ، فرجعوا إليه بلا شيء . فقال في ذلك : [من الطويل]

وأعجبني مَشْيُ الحُزُقَّـةِ خالـدٍ كمشي أتـانٍ حُلِّئتْ بالمناهل[2]
فدع عنك نَهْباً صِيحَ في حَجَراتِه ولكن حديثاً ما حديثُ الرَّواحل[3]

ففرّقت عليه بنو نَبْهان فِرْقاً[4] من مِعْزًى يحلبُها . فأنشأ يقول : [من الوافر]

إذا مـا لم تَجِدْ إبلاً فمِعْزىً كأن قُـرون جِلَّتها العِصيُّ[5]
إذا مـا قـام حالبُها أرَنَّتْ كأن القـومَ صبَّحهم نَعِيُّ[6]
فتمـلأُ بيتَنـا أقِطـاً وسَمْناً وحَسبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِيُّ[7]

[ثم نزل بعامر بن جوين]

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَيْن واتخذ عنده إبلا ، وعامرٌ يومئذ أحد الخُلَعاء الفُتَّاك قد تبرَّأ قومه من جرائره ، فكان عنده ما شاء الله ، ثم همَّ أن يغلِبه على أهله وماله ؛ ففطَن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله : [من الطويل]

1 شمام : اسم جبل لباهلة .
2 الحُزقّة : القصير . وحلئت : منعت من الماء وطردت مرة بعد مرة .
3 الحجرات : النواحي .
4 الفِرق : القطيع من الغنم والبقر والظباء .
5 إذا ما لم تجدْ في الديوان ص 163 : «ألا إلا تكنْ» .
6 البيت في الديوان ص 136 :
إذا مُشَّت حوالبهـا أرَنّتْ كأنّ الحـيّ صبحهم نعيّ
7 فتملأ بيتَنا في الديوان ص 137 : «فتوسع أهلها» .

فكم بالصَّعيد مـن هِجَانٍ مؤبَّلَهْ تَسير صِحاحاً ذاتَ قيد ومُرْسَلَهْ
أردتُ بها فَتْكاً فلم أرْتَمِضْ له ونَهْنهتُ نفسي بعدما كدتُ أفعلَه[1]

وكان عامر أيضاً يقول يعرِّض بهند بنت امرىء القيس : [من المتقارب]

ألا حَـيِّ هنـداً وأطلالَها وتَظْعـانَ هندٍ وتَحْلا لَها
هَمَمتُ بنفسي كلَّ الهُمـوم فأوْلَـى لنفسيَ أوْلَـى لها
سأحمِلُ نفسي عـلى آلـةٍ فإمّـا عليهـا وإمّـا لها[2]

هكذا رَوى ابنُ أبي سعد عن دارِم بن عِقال . ومن الناس من يَرْوي هذه الأبياتَ للخَنْساء في قصيدتها : [من المتقارب]

ألا مـا لِعَيْني ألاَ مـا لَها لقـد أخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَها

[ثم نزل بحارثة بن مرّ]

قالوا : فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله ، تغفَّله وانتقل إلى رجل من بني ثُعَل يقال له حارِثة بن مُرّ فاستجار به . فوقعت الحربُ بين عامر وبين الثُّعَليّ ، فكانت في ذلك أمورٌ كَثيرة .

[نزل بعمرو بن جابر فدله على السموءل]

قال دارِم بن عِقال في خبره : فلمّا وقعت الحربُ بين طيِّىء من أجله . خرج من عندهم فنزل برجل من بني فَزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن ، فطلب منه الجوارَ حتى يَرَى ذاتَ غَيْبه[3] . فقال له الفَزاريّ : يا ابنَ حُجْر ، إني أراكَ في خَلَلٍ من قومك وأنا أنْفَسُ[4] بمثلك من أهل الشرف ، وقد كدتَ بالأمس تؤكل في دار طيِّىء ، وأهلُ البادية أهلُ بَرٍّ لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليمن ذُؤبانٌ من قَيْس ، أفلا أدلُّك على بلد فقد جئتُ قَيْصَرَ وجئت النُّعْمانَ فلم أرَ لضيفٍ نازلٍ ولا لمُجْتَدٍ مثلَه ولا مثلَ صاحبه . قال : من هو وأين منزلُه ؟ قال : السَّمَوءلُ بتَيْماءَ ، وسوف أضرب لك مَثَله ، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذاتَ غَيبك ، وهو في حِصْن حَصين وحَسَبٍ كبير . فقال له امرؤ القيس وكيف لي به ؟ قال : أُوصلك إلى من يُوصلك إليه ؛ فصحِبه إلى رجلٍ من بني فَزَارة يقال له الرَّبيع بن ضَبُع الفَزَاري ممن يأتي السموءل فيَحْمِلُه ويُعْطيه . فلمّا صار إليه قال له الفَزَاريّ : إنّ السموءلَ يعجبه الشعر .

1 أرتمض : أحزن .
2 آلة : حالة .
3 ينظر في أمره ويصلح من شأنه .
4 أنفس به : أضنّ به .

فتعالَ نتناشدْ له أشعاراً . فقال امرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع : [من الكامل]

قُـلْ للمنيَّةِ أيَّ حِـينٍ نلتقي بِفناء بيتِك في الحَضِيضِ المَزْلَقِ

وهي طويلة يقول فيها :

ولقد أتيتُ بَني المُصاصِ مُفَاخِراً وإلى السموءل زُرْتُــه بالأبلَقِ
فأتيتُ أفضلَ مَنْ تحمَّل حاجةً إن جئته في غـارمٍ أو مُرْهَقِ
عرفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ وحَوَى المكارمَ سابقاً لم يُسْبَقِ

قال : فقال امرؤ القيس : [من الكامل]

طرَقَتْكَ هندٌ بعد طول تجنُّبٍ وَهْناً ولم تَكُ قبلَ ذلك تَطْرُقُ

وهي قصيدة طويلة ، وأظنُّها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرىء القيس ، والتوليدُ فيها بيِّن ، وما دوّنها في ديوانه أحد من الثِّقات ؛ وأحسَبها مما صنعه دارمٌ لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا . قال فوفَد الفزاريُّ بامرىء القيس إليه . فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرةٍ وحشية مرميَّة . فلما نظر إليها أصحابُه قاموا فذكَّوْها . فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قنَّاصين من بني ثُعَلَ[1] . فقالوا لهم : من أنتم ؟ فانتسبوا لهم ، وإذا هم من جيران السموءل فانصرفوا جميعاً . وقال امرؤ القيس : [من المديد]

رُبَّ رامٍ مِـن بنـي ثُعَلٍ مُخْرِجٍ كَـفَّيْهِ من قُتَرِهْ[2]
عـارضٍ زَوْراءَ من نَشَمٍ مـع بانـاةٍ على وَتَـرِهْ

هكذا في رواية ابن دارِم . ويُرْوى «غير باناةٍ» و«تحت باناةٍ» .

إذ أتتْـه الوحشُ واردةً فتثنَّـى النزعَ في يَسَرِهْ[3]
فرماهـــا في فرائِصِهـــا بإزاء الحـوضِ أو عُقُرِهْ
برَهيشٍ مـــن كِنانتِـه كتلظِّـي الجمرِ في شَرَرِهْ[4]
راشَه مـن رِيشِ ناهضةٍ ثم أمْهـاه على حَجَرِهْ[5]
فهــو لا تَنْمِــي رَمِيَّتُــه ما لَـهُ لا عُـدَّ من نَفَرِهْ

1 ثُعل : قبيلة من طيء .
2 مخرج في الديوان ص 123 : «مُتْلِجٍ» . القتر : جمع قترة وهي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتنفر منه .
3 إذ أتته في الديوان ص 124 : «قد أتته» . فتثنى في الديوان ص 124 : «فتنحّى» .
4 الرهيش : السهم الضامر الخفيف .
5 الناهض : الذي وفر جناحه ونهض للطيران .

[طلب إلى السموءل أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر]

قال : ثم مضى القومُ حتى قدِموا على السَّمَوءل ، فأنشده الشعرَ ، وعرف لهم حقَّهم ، فأنزل المرأةَ في قبّة أدَم وأنزل القومَ في مجلس له بَراحٍ ؛ فكان عنده ما شاء الله . ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغَسّانيّ بالشام ليوصله إلى قيصر ؛ فاستنجد له رجلاً ، واستودع عنده المرأةَ والأدراعَ والمال ، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه .

[لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعها عليه]

فمضى حتى انتهى إلى قيصر ؛ فقبِله وأكرمه وكان له عنده منزلة . فاندسّ رجل من بني أسد يقال له الطمّاح ، وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد ، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً . ثم إن قيصر ضمّ إليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك . فلما فصَل قال لقيصر قوم من أصحابه : إن العرب قومٌ غُدُرٌ ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوَك بمن بعثتَ معه . وقال ابن الكلبيّ : بل قال له الطماح : إنّ امرأ القيس غَوِيٌّ عاهرٌ وإنه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتَك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعاراً يُشَهِّرها بها في العرب فيفضَحُها ويفضحُك . فبعث إليه حينئذ بحُلَّة وَشْيٍ مسمومةٍ منسوجةٍ بالذهب وقال له : إني أرسلت إليك بحُلَّتي التي كنت أَلبَسُها تَكْرِمَةً لك ، فإذا وصلتْ إليك فالبَسْها باليُمْن والبركة ، واكتب إليَّ بخبرك من منزلٍ منزلٍ . فلما وصلتْ إليه لبِسها واشتدّ سرورُه بها ؛ فأسرع فيه السمّ وسقط جلده ؛ فلذلك سمِّي ذا القُروح ، وقال في ذلك : [من الطويل]

لقد طمَح الطمَّاحُ من بُعد أرضه ... لِيُلْبِسَني ممّا يلبِّس أبؤسا[1]

فلو أنها نفسٌ تموتُ سَوِيةً ... ولكنّها نفسٌ تَساقَطُ أنفُسا[2]

قال : فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تُدْعى أَنْقِرةَ احتُضِر بها ؛ فقال : [من منهوك الكامل]

رُبْ خُطْبةٍ مُسْحَنْفِرَهْ ... وطَعْنةٍ مُثْعَنْجِرَهْ

وجَفْنةٍ متحيِّره ... حَلَّتْ بأرضِ أنقِرهْ[3]

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفنتْ في سفح جبل يقال له عَسيب ؛ فسأل عنها فأخبر بقصّتها ، فقال : [من الطويل]

أجارتَنا إنّ المزَارَ قريبُ ... وإنّي مقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ

---

1 الشطر الثاني في الديوان ص 108 : «ليلبسني من دائه ما تلبسّا» .

2 سوية في الديوان ص 107 : جميعة .

3 في الديوان ص 349 : ربّ طعنة مثعنجرة ... وجفنة متحيّرة
وقصيدة مُحَبَّرة ... تبقى غداً بأنقرة

أجارتَنـــا إنّا غريبـانِ هاهنا وكلٌّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة ، فقبرُه هناك .

[عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسرّ به ويجيزه]

أخبرني محمد بن القاسم عن مُجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : قَدِم علينا عمر بن هُبَيْرة الكوفةَ ، فأرسل إلى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمَروا عنده ، ثم قال : ليحدِّثْني كلُّ رجل منكم أحْدوثةً وابدأ أنت يا أبا عمر . فقلت : أصلح الله الأمير ! أحديثَ الحقِّ أم حديثَ الباطل ؟ قال : بل حديثَ الحق . قلت : إنّ امرأ القيس آلَى بأَلِيّة ألاّ يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين ؛ فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهنّ عن هذا قلن أربعة عشر . فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً له صغيرةً كأنها البدر ليلةَ تمامه ، فأعجبتْه ؛ فقال لها : يا جارية ! ما ثمانيةٌ وأربعةٌ واثنتان ؟ ، فقالت : أمّا ثمانيةٌ فأطْباءُ الكلبة . وأمّا أربعةٌ فأخلاف الناقة . وأمّا اثنتان فَثدْيا المرأة . فخطبها إلى أبيها فزوَّجه إيّاها . وشرَطت هي عليه أن تسأله ليلةَ بِنائها عن ثلاثِ خِصَال ، فجعل لها ذلك ، وأن يسوق إليها مائةً من الإبل وعشرةَ أعْبدٍ وعشر وصائف وثلاثةَ أفراسٍ ففعل ذلك . ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نِحْياً من سمن ونِحْياً من عسل وحُلَّةً من عَصْب . فنزل العبد ببعض المياه فنشَر الحُلَّة ولبِسها فتعلَّقت بعُشَرَةٍ فانشقَّت ، وفتح النِّحْيين فطَعم أهلُ الماء منهما فنقصا . ثم قَدِم على حيّ المرأة وهم خُلوف . فسألها عن أبيها وأمِّها وأخيها ودفع إليها هديَّتَها .فقالت له : أعلِمْ مولاك أن أبي ذهب يُقرِّب بعيداً ويُبعِّد قريباً ، وأن أمِّي ذهبت تشقّ النَّفْسَ نفسَين ، وأنّ أخي يراعي الشمس ، وأن سماءكم انشقَّت ، وأنّ وعاءيكم نَضَبا ، فقدِم الغلامُ على مولاه فأخبره . فقال : أمّا قولُها إنّ أبي ذهب يقرِّب بعيدا ويبعِّد قريباً ، فإنه أباها ذهب يُحالف قوماً على قومه . وأمّا قولُها ذهبتْ أمِّي تشقُّ النفس نفسين ، فإنّ أمَّها ذهبتْ تَقْبَل امرأةً نُفَساء . وأمّا قولُها : إنّ أخي يُراعي الشمس ، فإنّ أخاها في سَرْحٍ له يرعاه فهو ينتظر وُجوبَ الشمس ليَرُوحَ به . وأمّا قولُها : إن سماءكم انشقّت ، فإن البُرْد الذي بعثتُ به انشقّ . وأمّا قولُها إن وِعاءيكم نَضَبا ، فإنّ النِّحيين اللّذين بعثتُ بهما نقصا ، فاصْدُقْني فقال : يا مولاي ، إني نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسبي فأخبرتُهم أنـّي ابن عمِّك ، ونشرتُ الحُلّة فانشقّتْ ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهلَ الماء . فقال : أوْلَى لك ! . ثم ساق مائةً من الإبل وخرج نحوَها ومعه الغلامُ ، فنزلا منزلاً . فخرج الغلام يسقي الإبل فعجَز ؛ فأعانه امرؤُ القيس ؛ فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتى أتى المرأةَ بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجُها . فقيل لها : قد جاء زوجكِ . فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا ؟ ولكن انحَروا له جَزُوراً وأطعِموه من كَرِشِها وذَنبها

ففعلوا ، فقالت : اسقوه لبناً حازِراً (وهو الحامض) فسقَوْه فشرب . فقالت : ٱفرُشُوا له عند الفَرْث والدم ، ففرَشوا له فنام . فلما أصبحتْ أرسلتْ إليه : إني أريد أن أسألك . فقال : سَلي عمّا شئتِ . فقالت : مِمَّ تختلج شَفَتاك ؟ قال : لتقبيلي إيّاك . قالت : فمِمّ يختلج كَشْحاك ؟ قال : لالتزامي إيّاك . قالت : فمِمّ يختلج فَخِذاك ؟ قال : لتورُّكي إيّاك . قالت : عليكم العبدَ فشُدُّوا أيديكَم به ، ففعلوا . قال : ومرَّ قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ؛ فرجع إلى حَيِّه ، فاستاق مائةً من الإبل وأقبل إلى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجُك . فقالت : والله ما أدري أهو زوجي أم لا ؟ ولكن انحَروا له جَزُوراً فأطعِموه من كَرِشِها وذَنَبها ففعلوا . فلما أتَوْه بذلك قال : وأين الكبِد والسِّنام والمَلْحاء[1] ! فأبى أن يأكل . فقالت : اسقُوه لبناً حازِراً . فأبى أن يشربه وقال : فأين الصَّرِيف[2] والرَّثِيئة ! . فقالت : افرُشوا له عند الفَرْث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لي فوقَ التَّلْعة الحمراء ، واضربوا عليها خِبَاء . ثم أرسلت إليه : هَلُمَّ شَرِيطتي عليك في المسائل الثلاث . فأرسل إليها أن سَلي عمّا شئتِ . فقالت : ممّ تختلج شَفَتاك قال : لشربي المُشَعْشَعات . قالت : فممّ يختلج كَشْحَاك ، قال : لِلُبْسي الحِبرَات . قالت : فممّ تختلج فَخِذاك ؟ قال : لِرَكْضي المُطَهَّمات . فقالت : هذا زوجي لعَمْري فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن هُبَيْرة : حَسْبُكم ! فلا خيرَ في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ؛ ولن تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا . وأمر لي بجائزة .

[مفاوضات امرىء القيس وقبائل أسد بعد موت حجر]

نسخت من كتاب جَدِّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه رحمه الله حدثني الحسن بن سعيد عن أبي عُبَيْدة قال أخبرني سِيبَوَيْه النحويّ أنّ الخليل بن أحمد أخبره قال : قدِم على امرىء القيس بن حُجْر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بني أسَد كهولٌ وشُبّان ، فيهم المُهَاجِر بن خِدَاش ابن عمّ عَبِيد بن الأبرص ، وقَبيصة بن نُعَيْم ، وكان في بني أسد مقيماً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وِرْداً وإصداراً يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب . فلما علم بمكانهم أمَر بإنزالهم وتقدّم بإكرامهم والإفضال عليهم ، واحتجب عنهم ثلاثاً . فسألوا من حضرهم من رجال كِندة ، فقال : هو في شُغْل بإخراج ما في خزائن حُجْر من السِّلاح والعُدّة . فقالوا : اللهم غَفْراً ، إنما قَدِمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلَف ونستدرك به ما فَرط ، فليُبلَّغ ذلك عنّا . فخرج عليهم في قَباء وخُفٍّ وعمامةٍ سوداء ، وكانت العرب لا تَعْتَمّ

1 الملحاء : لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير .

2 الصريف : الحليب الحار ساعة يصرف من الضرع . والرثيئة : الحليب يصبّ عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته .

بالسَّواد إلا في التِّرات . فلمّا نظروا إليه قاموا له ، وبدَر إليه قَبيصةُ : إنك في المَحَلِّ والقَدْر المعرفة بتصرُّف الدهر وما تُحْدِثه أيّامه وتتنقّل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظٍ ولا تذكِرة مجرِّب . ولك من سؤدُد مَنْصِبك وشَرَف أعراقك وكرمِ أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ يحتمِل ما حُمل عليه من إقالة العَثْرة ، ورجوع عن هفوة . ولا تتجاوز الهِمَمُ إلى غاية إلا رجعتْ إليك فوجدتْ عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخَطْب الجليل الذي عمَّت رَزِيّته نِزَاراً واليمن ، ولم تَخْصُصْ كِنْدةَ بذلك دونَنا للشَّرَف البارع . كان لحُجْرٍ التاجُ والعِمّة فوق الجبين الكريم وإخاءُ الحمد وطِيبُ الشِّيَم . ولو كان يُفْدَى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده لما بَخِلتْ كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه ، ولكن مضى به سبيل لا يَرْجع أولاَه على أُخراه ولا يَلْحَق أقصاه أدناه . فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجبَ عليك في إحدى خلال : إمّا أن اخترتَ من بني أسد أشرفَها بيتاً ، وأعلاها في بناء المَكْرُمات صَوْتاً ، فقُدناه إليك بنِسْعِه تذهبُ مع شَفَراتِ حُسَامك قَصَدَتُه[1] فيقول رجلٌ : آمتُحِن بهُلْك عَزيز فلم تُسْتَلَّ سَخِيمتُه إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداءٍ بما يَرُوح من بني أسد من نَعَمِها فهي أُلُوفٌ تجاوز الحِسْبة فكان ذلك فداءٍ رجعتْ به القُضُب إلى أجفانها لم يَرْدُدْه تسليط الإحَن على البُرءاء ؛ وإما أن تُوادِعَنا حتى تضع الحواملُ فنَسْدُل الأُزُرَ ونعقِد الخُمُرَ فوق الرايات . قال : فبكى ساعةً ثم رفع رأسه فقال : لقد علمتْ العربُ أنْ لا كُفْءَ لحُجْر في دم ، وإني لن أعتاض به جملاً أو ناقةً فأكتسبَ بذلك سُبَّةَ الأبد وفَتَّ العَضُد . وأمَّا النَّظرة فقد أوجبْتها الأجِنَّةُ في بطون أُمهاتها ، ولن أكون لعَطَبها سبباً ، وستعرفون طلائع كِنْدةَ من بعد ذلك ، تحمل القلوب حَنَقا وفوق الأسِنّة عَلَقاً[2] : [من المتقارب]

إذا جالَتْ الخيلُ في مـأزِقٍ ... تُصافِـحُ فيــه المنايا النفوسا

أتُقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار لمكروه وأذيّة ، وحرب وبَلّية . ثم نَهضوا عنه ، وقَبيصةُ يقول متمثّلا : [من الطويل]

لعلكَ أن تستوخمَ الموتَ إن غدتْ ... كتائبُنا في مـأزِقِ الموتِ تَمْطُرُ[3]

فقال امرؤ القيس : لاوالله لا أستوخمه ؛ فرويداً ينكشفْ لك دُجَاها عن فُرسان كِندة وكتائب حِمْيَر . ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنتَ نازلاً برَبْعي ؛ ولكنك قلتَ فأجبتُ . فقال قَبيصة : ما نتوقّع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال امرؤ القيس : فهو ذاك .

1 القصدة : العنق .
2 العلق : الدم .
3 استوخم الشيء : لم يستمرّ .

[131] ـ أصوات معبد المعروفة بألقابها
وهي خمسة

[أصوات معبد الخمسة وألقابها]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن[1] أبي الأزهر قال حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَه عن إسحاق : أن مَعْبداً كان يسمّي صوتَه : [من الطويل]

هُرَيْـرةَ ودِّعها وإن لامَ لائمٌ

الدَّوَّامةَ لكثرة ما فيه من الترجيع . ويسمّي صوتَه : [من الخفيف]

عـاود القلبَ مـن تذكُّرِ جُمْلٍ

المُنَمْنَم . ويسمّي صوتَه : [من الطويل]

أمِـنْ آل ليـلى بالمَـلاَ مُتَرَبَّعُ

معقّصات القُرون أي يحرك خُصَلَ الشعر . ويسمّي صوتَه : [من الخفيف]

[جعـلَ اللهُ جعفراً لكِ بَعْلاً

المتبختر . ويسمّي صوته] : [من الخفيف]

ضوءُ بَرْقٍ بدا لعينيك أم شَبَّـ ـتْ بذى الأثْلِ من سَلامةَ نارُ

[مقطِّع الأثفار] .

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

[من الطويل]

هُرَيْـرةَ وَدِّعْها وإن لامَ لائمٌ غداةَ غـدٍ أم أنتَ للبَيْن واجمُ
لقـد كان في حولٍ ثَوَاءٍ ثَوَيتُه تقضّى لُبانـاتٍ ويسأمُ سائمُ

---

1 ل : عن .

مُبَتَّلَـةٌ هَيْفَـاءُ رُودٌ شبابُهـا لهـا مقلتـا ريمٍ وأسودُ فاحمُ
ووجهٌ نقـيُّ اللَّونِ صافٍ يَزينه مع الحَلْيِ لَـبَّاتٌ لهـا وَمَعاصِمُ

الواجم : الساكت المُطرِق من الحزن ، يقال : وَجَم يَجِم وُجُوماً . وقوله : «لقد كان في حـول ثـواء ثويتـه» : قال الكوفيون : أراد لقد كان ثواء حول ثويته ، فجعل ثواء بدلاً من حول . وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم عن يونس قال : كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى : [من الطويل]

لقـد كان في حولٍ ثواءٍ ثويتُه

جدّاً ويقول : ما أعرِف له معنى ولا وجهاً يصحُّ . قال أبو خليفة : وأمّا أبو عبيدة فإنه قال : معناه لقد كان في ثواء حول ثويته . واللُّبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد . والمبتَّلة : الحسنة الخَلْق . والهَيْفاء : اللطيفة الخَصْر . والرِّئم : الظبي . والفاحم : الشديد السواد . وقال : لبَّاتٌ لها وإنما لها لَبَّة واحدة ولكنّ العرب تقول ذلك كثيراً ؛ يقال : لها لَبَّاتٌ حِسَانٌ ، يراد اللَّبّةُ وما حولها . والمعاصم : موضع الأَسْوِرَة ، وواحدها مِعْصَم .

الشعر للأعشى . والغناء لَمعْبد ، وله فيه لحنان ، أحدهما وهو الملقَّبُ بالدوّامة خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة في مجري الوسطى عن إسحاق ، والآخر ثقيل عن الهشاميّ وابن خُرْداذبَـه .

[132] ـ أخبار الأعشى ونسبه[1]

[نسبه وكنيته]

الأعشى هو ميمون بن قَيْس بن جَنْدل بن شَرَاحِيل بن عَوْف بن سعد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصْن بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط ابنِ هِنْب بن أفْصَى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسَد بن رَبيعة بن نِزار . ويُكنى أبا بَصير .

[لقب أبيه قتيل الجوع]

وكان يقال لأبيه قيس بن جَنْدل قَتيلُ الجوع ؛ سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحرّ ، فوقعتْ صخرة عظيمة من الجبل فسَدّت فمَ الغار فمات فيه جُوعاً . فقال فيه جُهُنَّام واسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوه وكانا يتهاجيان : [من الطويل]

أبوكَ قَتيلُ الجوعِ قَيْسُ بن جَنْدلٍ وخالُكَ عبدٌ من خُمَاعَةَ راضعُ[2]

وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدّم على سائرهم ؛ وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره .

[أشعر الناس إذا طرب]

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم قال سألت يونس النحوي : من أشعرُ الناس ؟ قال : لا أومىءُ إلى رجل بعينه ولكني أقول : امرؤ القيس إذا غَضِب ، والنابغة إذا رهِب ، وزهيرٌ إذا رغِب ، والأعشى إذا طرِب .

أخبرني ابن عَمّار عن ابن مَهْرُوَيْه عن حُذَيفة بن محمد عن ابن سَلاَّم بمثله .

[قبيلته أشعر القبائل عند حسان]

أخبرني عمِّي قال حدّثنا ابن أبي سَعْد قال حدّثنا عليّ بن الصبَّاح عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين .

أن حَسّاناً سُئل : من أشعرُ الناس ؟ فقال : أشاعر بعينه أم قبيلة ؟ قالوا : بل قَبيلة . قال : الزُّرْق من بني قَيْس بن ثَعْلَبَة . وهذا حديث يُروى أيضاً عن غير حسان .

[فاخر ابن شفيع بقبيلته بني ثعلبة عبد العزيز بن زرارة]

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار عن ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثنا عبدة بن عِصْمة عن

---

1 أنظر أخباره في المرزباني 401–402 والمؤتلف 12 واللآلي 83 والخزانة 1 : 83–86 وشعراء الجاهلية 357–399 ، انظر ترجمته في الأغاني 12 : 5 .

2 خماعة : بطن من العرب . الراضع : اللئيم .

فِراس بن خِنْدِف عن عليّ بن شفيع قال : إني لواقفٌ بسُوق حَجْر[1] إذ أنا برجلٍ من هيئته وحاله عليه مُقَطَّعاتُ خزٍّ وهو على نَجيب مَهْرِيّ عليه رَجْل لم أرَ قطُّ أحسنَ منه وهو يقول : من يُفَاخِرني من يُنَافِرني ببني عامر بنِ صَعْصَعة فُرساناً وشعراءَ وعَدداً وفَعالاً ؟! قلت : أنا . قال : بمن ؟ قلت : ببني ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . فقال : أمَا بلغك أنّ رسول الله ﷺ نهى عن المنافرة ؟ ثم ولّى هارباً . قلت : مَنْ هذا ؟ قيل : عبد العزيز بن زُرَارة بن جَزْء بن سُفْيان الكِلابيّ .

[هو صناجة العرب]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيُّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريُّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : قال أبو عُبيدة : مَنْ قدّم الأعشى يَحْتجُّ بكثرة طِواله الجياد وتصرُّفِه في المديح والهِجاء وسائر فنون الشعر ، وليس ذلك لغيره . ويقال : هو أوّل من سأل بشعره ، وانتجع به أقاصَى البلاد . وكان يُغَنّى في شعره ؛ فكانت العرب تُسَمِّيه صَنَّاجةَ العرب .

أخبرني المُهَلَّبيّ والجَوْهَري قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : سمعت خَلاداً الأرْقَطَ يقول سمعت خَلَفاً الأحمرَ يقول : لا يُعرف من أشعرُ الناس كما لا يُعرف من أشجعُ الناس ولا من كذا ولا من كذا ، لأشياء ذكرها خَلَفٌ ونسيتُها أنا . أبو زيد عمر بن شَبَّة يقول هذا .

[كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه]

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف قال حدّثني عمّي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي قال : سمعت أبا عمرو بن العَلاء يقدِّم الأعشى .

[سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره]

وقال هشام بن الكلبيٌّ أخبرني أبو قَبِيصة المُجاشِعيُّ أن مَرْوانَ بن أبي حَفْصة سئل : من أشعرُ الناس ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

كِلاَ أبَوْيكم كان فرعَ دِعَامةٍ ولكنّهم زادوا وأصبحتَ ناقصا[2]

يعني الأعشى .

[قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك]

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ قال حدّثني عمّي قال قال سَلمَة بن نَجَاح أخبرني يحيى بن سُليم الكاتب قال : بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حَمّاد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء . قال : فأتيت بابَ حمّاد فاستأذنت وقلت : يا غلام ! فأجابني إنسانٌ من أقصى بيتٍ في

1 حجر : مدينة باليمامة .

2 فرع في الديوان ص 110 : فرعا .

الدار فقال : من أنت ؟ فقلت : يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين . قال : ٱدخل رَحِمَكَ الله ؛ فدخلتُ أَتَسمَّتُ[1] الصوتَ حتى وقفتُ على باب البيت ، فإذا حَمّادٌ عُرْيانٌ على فَرْجه دَسْتَجةٌ[2] شاهِسْفِرْم . فقلت : إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس . فقال : نعم ؛ ذلك الأعشى صَنَّاجُها .

[أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال سمعت أبا عُبَيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العَلاء يقول : عليكم بشعر الأعشى ؛ فإني شبَّهتهُ بالبازِي يَصيد ما بين العَنْدَلِيب إلى الكُرْكيّ .

[وضعه حتى في المرتبة الثالثة بعد امرىء القيس وطرفة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال سمعت أبا عُبيدة يقول : بلغني أن رجلاً من أهل البَصْرة حجَّ ، وروى هذا الحديثَ ابنُ الكلبيُّ عن شُعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النحويّ عن رجل من أهل البَصْرة أنه حجّ ، قال فإني لأسيرُ في ليلةٍ إضْحِيَانةٍ[3] إذ نظرتُ إلى رجلٍ شابٌّ راكبٍ على ظَلِيم قد زَمّه بخِطامه وهو يذهب عليه ويجيء ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

هــل يُبْلِغَنِّيهم إلى الصَّبَاحْ ... هِقْــلٌ كأن رأسَه جُمَّــاحْ[4]

الجُمّاح : أطراف النبت الذي يسمى الحَلِيّ وهو سُنْبُله ، إلا أنه ليس بخَشِن يُشْبِه أذنابَ الثعالب[5] . قال : والجُمّاح أيضاً سُهَيم يلعب به الصِّبْيان يجعلون مكان زُجِّه طيناً ، قال : فعلمتُ أنه ليس بإنسي ، فاستوحشتُ منه . فتردّد عليّ ذاهباً وراجعاً حتى أنِستُ به ؛ فقلت : مَنْ أشعرُ الناس يا هذا ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلاّ لتضربي ... بسَهْمَيْكِ في أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ

قلت : ومن هو ؟ قال : امرؤُ القيس . قلت : فمن الثاني ؟ قال : الذي يقول : [من الرمل]

تَطْــرُدُ القُــرَّ بِحَــرٍّ ساخنٍ ... وعَكيكَ القَيْظِ إن جاء بِقُرّ[6]

1 تسمّت الشيء : قصد نحوه .
2 الدستجة : الحزمة . والشاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السُّلطاني .
3 إضحيانة : مضيئة .
4 الهقل : الفتى من النعام .
5 ذنب الثعلب : نبات على هيئة أذناب الثعالب .
6 العكيك : صفة من العلك أو العكك وهو شدة الحر في سكون الريح .

قلت : ومن يقوله ؟ قال : طَرَفةُ . قلت : ومن الثالث ؟ قال : الذي يقول : [من المتقارب]

وتبـردُ بـــردَ رِداء العَـرُو س بالصَّيْف رَقْرقْت فيه العَبِيرَا[1]

قلت : ومَنْ يقوله ؟ قال : الأعشى ؛ ثم ذهب به .

[هو أستاذ الشعراء في الجاهلية وجرير أستاذهم في الإسلام]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني أبو عَدْنان قال وقال لي يحيى بن الجَوْن العَبْديُّ راويةُ بشّار : نحن حاكةُ الشّعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به ، أعشى بني قيس بن ثعْلَبَة أستاذ الشعراء في الجاهلية . وجرير بن الخطفى أستاذهم في الإسلام .

[حديث الشعبي عنه]

أخبرني محمد بن العَبّاس اليزيديُّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال : قال الشَّعْبيُّ[2] : الأعشى أغزلُ الناس في بيت ، وأخنث الناس في بيت ، وأشجع الناس في بيت . فأمّا أغزلُ بيتٍ فقوله : [من البسيط]

غَـرَّاءُ فَرْعَـاءُ مصقولٌ عوارضُها تَمْشي الهُوَيْنى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ

وأمّا أخنثُ بيت فقوله : [من البسيط]

قالـت هُرَيْرةُ لَـمّـا جئـتُ زائرَها وَيْـلي عليك ووَيْـلي منك يا رجل

وأمّا أشجعُ بيت فقوله : [من البسيط]

قالـوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتُنـا أوْ تنزلـون فإنـا مَعْشَرٌ نُـزُلُ[3]

[حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجيب من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهَيْثم بن عديّ أن حمّاداً الراوية سُئل عن أشعر العرب ، قال الذي يقول : [من البسيط]

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيْحانِ مُتَّكئاً وقَهْوةً مُزَّةً رَاوُوقُها خَضِلُ[4]

[كان قدرياً وكان لبيد مثبتاً]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدّثنا أبو عليّ العَنزيّ قال حدّثني محمد بن معاوية الأسَديّ قال حدّثني رجلٌ عن أَبانَ بن تَغْلِب عن سِمَاك بن حَرْب قال قال لي يحيى بن مَتَّى راويةُ الأعشى وكان نَصْرانيّاً عَباديّاً وكان مُعَمَّراً قال : كان الأعشى

1 بالصيف رقرقت في الديوان ص 69 : رقرقت بالصيف .
2 ل : الشيعي .
3 قالوا الطراد في الديوان ص 48 : قالوا الركوب .
4 الراووق : الباطية .

قَدَرِياً[1] وكان لَبيدٌ مُثْبِتاً . قال لبيد : [من الرمل]

مَــنْ هَدَاه سُبُلَ الخيرِ اهتدَى ناعــمَ البالِ ومَــنْ شاءَ أضَلّ

وقال الأعشى : [من المجزوء البسيط]

إستأثــرَ اللهُ بالوفـــاءِ وبالـــ ـعَدْلِ ووَلَّــى المَلامــةَ الرَّجُلا

قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبَه ؟ قال : من قِبَل العِباديّين نصارى الحِيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقّنوه ذلك .

[هريرة عشيقته]

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ قال حدّثنا أبو شُرَاعة في مجلس الرَّياشيِّ قال حدّثنا مشايخ بني قَيْس بن ثَعْلَبة قالوا : كانت هُرَيْرة التي يشبِّبُ بها الأعشى أمَةً سَوْدَاءَ لحَسَّان بن عمرو بن مَرْثَد .

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة عن فِراس بن الخِنْدِف قال : كانت هُرَيْرةُ وخُلَيْدةُ أختين قَيْنَتَيْن كانتا لِبشر بن عمرو بن مَرْثَد ، وكانتا تغنّيانه النَّصْبَ[2] ، وقَدِم بهما اليمامةَ لمّا هرَب من النُّعمان . قال ابن دُرَيْد فأخبرني عمّي عن ابن الكَلْبيِّ بمثل ذلك .

[مدح المحلق الكلابي وذكر بناته فتزوّجن]

وأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ عن الرِّياشيِّ مما أجازه له عن العُتْبيِّ عن رجل من قيس عَيْلان قال : كان الأعشي يُوافي سُوقَ عُكَاظ في كلّ سنة ، وكان المُحلَّق الكِلابيُّ مِئْناثاً[3] مُمْلِقاً . فقالت له امرأته : يا أبا كِلاب ، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر ! فما رأيتُ أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً . قال : وَيْحَكِ ! ما عندي إلا ناقتي وعليها الحِمْل ! . قالت : اللهُ يُخْلِفُها عليك . قال : فهل له بُدٌّ من الشَّراب والمُسُوح ؟ قالت : إنّ عندي ذخيرةً لي ولعليٌّ أن أجمعَها . قال : فتلقّاه قبل أن يسبق إليه أحدٌ وابنُه يقوده فأخذ الخِطام ؛ فقال الأعشى : من هذا الذي غلَبنا على خِطَامنا ؟ قال : المحلَّق . قال : شريفٌ كريم ، ثم سلَّمه إليه فأناخه ؛ فنحَر له ناقته وكشَط له عن سَنامِها وكَبِدها ، ثم سقاه وأحاطت بناته به يَغْمِزنه ويَمْسَحْنه . فقال : ما هذه الجواري حَوْلي ؟ قال : بناتُ أخيك وهنّ ثمانٍ شَرِيدتُهن قليلة . قال : وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً . فلما وافى سوقَ عُكَاظ إذا هو بسَرْحةٍ قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى يُنْشِدهم : [من الطويل]

1 القدرية : الذين يجحدون القدر أي أن الله لم يقدر الشر على عباده .

2 النّصب : ضرب من أغاني العرب شبيه بالحداء .

3 المئناث : الذي اعتاد أن يلد الإناث .

لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوء نــار باليَفاع تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْــن يصطليانهــا وباتَ على النارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ
رَضِيعَيْ لِبانِ ثَـدْيِ أُمٍّ تحالفا بأسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ[1]

فسلَّم عليه المحلَّق ؛ فقال له : مَرْحَبا يا سيِّدي بسيِّد قومه . ونادى : يا معاشر العرب ، هل فيكم مِذْكارٌ[2] يزوِّج ابنه إلى الشريف الكريم ؟ قال : فما قام من مقعده وفيهنّ مخطوبةٌ إلا وقد زوَّجها . وفي أول القصيدة غناء وهو : [من الطويل]

صوت

أَرِقْتُ ومــا هــذا السُّهادُ المؤرِّقُ وما بــيَ من سُقْمٍ وما بيَ مَعْشَقُ
ولكــن أُراني لا أزالُ بحـادثٍ أُغادَى بما لم يُمسِ عندي وأُطْرَقُ

غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ ليونس من كتابه غيرُ مجنّس . وفيه لابن سُرَيجْ ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو .

[اسم المحلق الكلابي وسبب كنيته وسبب اتصاله بالأعشى]

أخبرني أبو العباس اليزيديُّ قال حدّثني عمِّي عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيِّ عن المُفَضَّل قال : اسم المحلَّق عبدُ العُزَّى بن حَنْتَم[3] بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبدالله بن عُبيد وهو أبو بكر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة . وإنما سُمِّي مُحَلَّقاً لأن حِصاناً له عضّه في وجنته فحلَّق فيه حَلْقة .

قال : وأنشد الأعشَى قصيدته هذه [كِسْرَى] ففُسِّرت له ؛ فلما سمعها قال : إنْ كان هذا سهِر لغير سُقْم ولا عِشْق فما هو إلا لصّ .

وذكر عليّ بن محمد النَّوْفَليُّ في خبر المحلَّق مع الأعشَى غيرَ هذه الحكايات ، وزعم أن أباه حدَّثه عن بعض الكِلاَبيّين من أهل البادية قال : كان لأبي المحلق شَرَفٌ فمات وقد أتلف مالَه ، وبقي المحلق وثلاثُ أخواتٍ له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وحُلَّتَيْ بُرودٍ حِبرَة كان يشهد فيهما الحقوق . فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزلَه باليمامة ، فنزل الماءَ الذي به المحلَّق ، فقراه أهلُ الماء فأحسنوا قِرَاه . فأقبلت عمّة المحلَّق فقالت : يا ابنَ أخي ! هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد

1 أسحم داج : الليل أو سواد حلمة الثدي وقيل الرحم . وعوض : أبداً .
2 المذكار : الذي اعتاد أن يلد الذكور .
3 ل : خثيم .

قراه أهلُ الماء ، والعرب تزعم أنه لم يمدَح قوماً إلا رفَعهم ، ولم يهجُ قوماً إلا وضَعهم ؛ فانظر ما أقول لك واحتَلْ في زَقٍّ من خمر من عند بعض التُّجّار فأرسِلْ إليه بهذه الناقة والزِّقّ وبُرْدَيْ أبيك ؛ فوالله لئن اعتلج الكَبِدُ والسَّنام والخمرُ في جوفه ونظر إلى عِطْفيه في البردين ، ليقولنّ فيك شعراً يرفَعك به . قال : ما أملِك غير هذه الناقة ، وأنا أتوقّع رِسْلها[1] . فأقبل يدخل ويخرُج وَيهُمّ ولا يفعل ؛ فكلما دخل على عمَّته حضَّتْه ؛ حتى دخل عليها فقال : قد ارتحل الرجلُ ومضَى . قالت : الآنَ والله أحسنُ ما كان القِرَى ! تُتْبِعه ذلك مع غلام أبيك ، مولىً له أسودَ شيخٍ ، فحيثما لحِقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إيّاه ، وأنّك لما وردتَ الماءَ فعلمتَ أنه كان به كرِهتَ أن يفوتك قِرَاه ؛ فإنّ هذا أحسن لموقعه عنده . فلم تزل تحضُّه حتى أتى بعضَ التّجار فكلّمه أن يُقْرِضه ثمن زقّ خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه ؛ فوجَّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه ؛ فكلما مرَّ بماء قيل : ارتحل أمِس عنه ، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحةِ اليمامة فوجد عنده عدّة من الفِتيان قد غدَّاهم بغير لحم وصَبَّ لهم فَضِيخا[2] فهم يشرَبون منه ، إذ قُرِع الباب فقال : آنظروا من هذا ؟ فخرجوا فإذا رسول المحلّق يقول كذا وكذا ، فدخلوا عليه وقالوا : هذا رسول المحلَّق الكلابيّ أتاك بكيت وكيت . فقال : وَيْحَكم ! أعرابيٌّ والذي أرسل إليّ لا قَدْرَ له ! والله لئن اعتلج الكبدُ والسَّنام والخمر في جوفي لأقولنْ فيه شعراً لم أقلْ قطُّ مثلَه . فواثبه الفتيان وقالوا : غبتَ عنّا فأطلتَ الغَيْبة ثم أتيناك فلم تُطعمنا لحماً وسقيتَنا الفَضيخَ واللَّحمُ والخمرُ ببابك ، لا نرضى أبداً منك . فقال : ائذنوا له ؛ فدخل فأدّى الرسالة وقد أناخ الجَزُورَ بالباب ووضع الزِّقّ والبردين بين يديه . قال : أقْرِه السلامَ وقل له : وصَلَتْك رَحِمٌ ، سيأتيك ثناؤنا . وقام الفتيانُ إلى الجزور فنحروها وشقُّوا خاصرتَها عن كبدها وجلَدها عن سَنامها ثم جاؤوا بهما ، فأقبلوا يَشْوُون ، وصَبُّوا الخمر فشربوا ، وأكل معهم وشرب ولبس البُرْدَين ونظر إلى عِطْفيه فيهما فأنشأ يقول : [من الطويل]

أرِقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّقُ

حتى انتهى إلى قوله : [من الطويل]

أبا مِسْمَعٍ سار الذي قد فعلتُم فأنجد أقوامٌ بـه ثـم أعْرَقوا[3]

1 الرِّسل : اللبن .

2 الفضيخ : شراب يتخذ من بسر مفضوخ وهو أن يجعل التمر في إناء ثم يصب عليه الماء الحار حتى تستخرج حلاوته .

3 فعلتم في الديوان ص 149 : صنعتم . الشطر الثاني في الديوان ص 148 : فأنجد أقوام بذاك وأعرقوا ، وأعرق : أتـي العراق .

به تُعْقَدُ الأحمالُ في كلِّ منزلٍ وتُعْقَدُ أطرافُ الحبالِ وتُطْلَقُ[1]

قال : فسار الشِّعر وشاع في العرب . فما أتَت على المحلَّق سنةٌ حتى زَوّج أخواتِه الثلاثَ كلَّ واحدة على مائة ناقة ، فأيْسر وشَرُف .

وذكر الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية عن مَعْقِل عن أبي بكر الهِلاليّ قال : خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيسَ بن معديكرب ، فمرَّ ببني كِلاب ، فأصابه مطرٌ في ليلة ظَلْماء ، فأوَى إلى فتًى من بني بكر بنِ كلاب ، فبَصُر به المحلَّق وهو [عبد العُزَّى بن] حَنْتَم[2] بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبدالله بن عُبَيد بن كِلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذُؤابة ، فأتى أمَّه فقال : يا أمَّهْ ! رأيت رجلاً أخلِقْ به أن يَكْسِبَنا مجداً قالت : وما تريد يا بُنَيّ ؟ قال : نَضيفه الليلةَ . فأعطته جِلْبابَها فاشترَى به عَشيراً[3] من جَزُور وخمراً ؛ فأتى الأعشى ، فأخذه إليه ، فطعِم وشرِب وآصطلى ، ثم اصطبح فقال فيه : [من الطويل]

أرِقتُ وما هذا السُّهَادُ المؤرِّقُ

والرواية الأولى أصح .

[سألته امرأة أن يشبب بناتها فشبب بهنّ فزوّجن]

أخبرني أحمد بن عَمَّار قال حدّثنا يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز عن الأصمعيّ قال حدّثني رجلٌ قال : جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت : إنّ لي بناتٍ قد كسَدن عليّ ، فشبِّبْ بواحدة منهنّ لعلها أن تَنْفُق . فشبَّبَ بواحدة منهنّ ، فما شعَر الأعشى إلا بجزور قد بُعِثَ به إليه . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : زُوِّجتْ فلانةُ . فشبّبَ بالأخرى فأتاه مثلُ ذلك ، فسأل عنها فقيل : زُوِّجتْ . فما زال يُشبِّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوِّجنَ جميعاً .

[أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموءل]

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن أبي سَعيد الأمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال : هجا الأعشي رجلاً من كَلْب فقال : [من الوافر]

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ولستَ من الكِرام بني عُبَيْدِ[4]
ولا من رَهْطِ جبَّارِ بن قُرْطٍ ولا من رَهْطِ حارثةَ بن زيدِ

1 الشطر الأول في الديوان ص 149 : به تُنفض الأحلاس في كل منزلٍ .
2 ل : خثيم .
3 العشير : العُشْر .
4 بني عبيد في الديوان ص 125 : بني العبيد .

قال : وهؤلاء كلُّهم من كلب ، فقال الكلبيّ : لا أبا لك : أنا أشرف من هؤلاء . قال : فسبَّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى إيّاه ، وكان متغيّظاً عليه . فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسَر منهم نَفَراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه ، ثم جاء حتى نزل بشُرَيْح بن السموءل بن عَادِياء الغَسَّانيّ صاحِب تَيْمَاء بحِصْنه الذي يقال له الأبْلَق . فمرّ شُرَيْحٌ بالأعشى ؛ فناداه الأعشى : [من البسيط]

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنّي بعد ما عَلِقَتْ ... حبالَك اليومَ بعد القدّ أظفاري
قد جُلْتُ ما بين بانِقْيا إلى عَدَنٍ ... وطال في العُجْمِ تَرْدَادِي وتَسْيارِي[1]
فكان أكرَمهم عهداً وأوثقَهم ... مجداً أبوك بعُرْفٍ غير إنكارِ[2]
كالغيثِ ما آستمطروه جادَ وابلُه ... وفي الشّدائد كالمُستَأسِدِ الضاري[3]
كُنْ كالسموءل إذ طاف الهُمَامُ به ... في جَحْفَلٍ كهَزِيعِ اللَّيلِ جَرَّارِ[4]
إذ سامه خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقال له ... قل ما تشاء فإني سامعٌ حارِ[5]
فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما ... فاختَرْ وما فيهما حَظٌّ لمختارِ
فشَكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له ... اقتُلْ أسيرَك إنّي مانعٌ جاري[6]
وسوف يُعقِبُنيه إن ظَفِرتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهارِ
لا سِرُّهنَّ لدينا ذاهبٌ هَدَراً ... وحافظاتٌ إذا استُودِعنَ أسراري[7]
فاختار أدراعَه كي لا يُسَبَّ بها ... ولم يكن وعدُه فيها بخَتّارِ[8]

قال : وكان امرؤ القيس بن حُجْر أودع السموءل بن عادياء أدراعاً مائةً ، فأتاه الحارث بن ظالم ، ويقال الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانيّ ، ليأخذها منه ، فتحصّن منه السموءل ؛ فأخذ الحارث ابناً له غلاماً وكان في الصيد ، فقال : إمّا أنْ سلَّمتَ الأدراعَ إليّ وإمّا أنْ قتلتُ ابنَك . فأبى السموءل أن يُسلِم إليه الأدراع ؛ فضرب الحارثُ وَسْطَ الغلام بالسيف فقطعه قطعتين ،

1 بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . ترداي في الديوان ص 126 : ترحالي .
2 فكان أكرمهم . . . . مجداً في الديوان ص 126 : فكان أوفاهم عهداً وأمنعهم جاراً .
3 وفي الشدائد في الديوان ص 126 : وعند ذمّته .
4 إذ طاف الهمامُ به في الديوان ص 126 : إذ سار الهمام له . كهزيع في الديوان ص 126 : كسواد .
5 خسف في الديوان ص 127 : خشف . قل ما تشاء في الديوان ص 127 : مهما تقله .
6 طويل في الديوان ص 127 : قليل . اقتل أسيرك في الديوان ص 127 : اذبح هديَّك .
7 هَدَراً في الديوان ص 127 : ضائع مذق . وحافظات في الديوان ص 127 : وكاتمات .
8 الشطر الأول في الديوان ص 127 : واختار أدراعه أنْ لا يُسَبَّ بها .

فيقال : إن جريراً حين قال للفرزدق : [من الطويل]

بسيفِ أبي رَغْـوانَ سيف مُجَاشِعٍ ضربتَ ولم تَضْرِبْ بسيفِ ابن ظالم[1]

إنما عنى هذه الضربةَ . فقال السموءل في ذلك : [من الوافر]

وَفَيْـتُ بذمّـةِ الكِنْـديّ إنّي إذا مـا ذُمّ أقـوامٌ وَفَيْتُ
وأوصي عَادِيَـا يومـاً بأن لا تُهـدِّم يـا سمـوءلُ مـا بَنَيْتُ
بَنَى لي عَادِيَـا حِصْناً حَصيناً ومـاءً كلَّمـا شئتُ استقيتُ

قال : فجاء شُرَيح إلى الكلبيّ فقال له : هَبْ لي هذا الأسيرَ المضرور . فقال : هو لك ، فأطلقه . وقال : أقم عندي حتى أكرِمَك وأحْبُوَكَ . فقال له الأعشى : إنّ من تمام صنيعتك أن تُعطيني ناقةً نَجيبةً[2] وتُخَلِّيَني الساعة . قال : فأعطاه ناقةً فركِبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيَّ أنّ الذي وهَب لشُرَيح هو الأعشى . فأرسل إلى شُرَيح : ابعثْ إلى الأسير الذي وهبتُ لك حتى أحْبُوَه وأعطيَه . قال : قد مضى . فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يَلْحَقه .

[مدح عامر بن الطفيل وهجا علقمة بن علاثة]

حدّثنا ابن عُلاثةَ عن محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأمويّ عن محمد بن السائب قال : أتى الأعشى الأسودَ العَنْسيَّ وقد امتدحه فاستبطأ جائزتـه . فقـال الأسود : ليس عندنا عينٌ ولكن نُعطيك عَرَضاً ، فأعطاه خمسمائة مثقال دُهْناً[3] وبخمسمائة حُلَلاً وعَنْبَرا . فلمّا مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه ، فأتى عَلْقَمَة بن عُلاثةَ فقال له : أجِرْني ؛ فقال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ والإنس ؟ قال نعم . قال : ومن الموت ؟ قال لا . فأتي عامِرَ بن الطُّفَيْل فقال : أجِرْني ؛ قال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ والإنس ؟ قال نعم . قال : ومن الموت ؟ قال نعم . قال : وكيف تُجيرني من الموت ؟ قال : إنْ متَّ وأنت في جواري بعثتُ إلى أهلك الدِّيَة . فقال : الآن علمتُ أنك قد أجرتَني من الموت . فمدح عامراً وهجا عَلْقمة . فقال علقمة : لو علمتُ الذي أراد كنتُ أعطيته إيّاه .

قال الكلبيّ : ولم يهج علقمة بشيء أشدَّ عليه من قوله : [من الطويل]

تَبيتُون في المَشْتَى مِـلاءً بطونُكم وجاراتُكم غَرْثَـى يَبِتْنَ خَمائصَا[4]

فرفع علقمة يديه وقال : لعنه الله ؛ إن كان كاذباً . أنحن نفعل هذا بجاراتنا ! وأخبار

1 أبو رغوان : لقب مجاشع .
2 ل : ناجية .
3 ل : ذهباً .
4 غرثى في الديوان ص 109 : جوعى .

الأعشى وعَلْقمة وعامر تأتي مشروحةً في خبر مُنَافرتهما إن شاء الله تعالى .

[تزوج امرأة من عنزة ثم طلقها وقال فيها شعراً]

أخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديُّ قال حدّثني عمِّي عُبَيْد الله قال حدّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيٌ عن المفضَّل وغيره من أصحابه : أنّ الأعشى تزوّج امرأة من عَنَزة ثم من هِزَّان ، قال : وعَنَزة هو ابن أسد بن رَبيعة بن نِزَار ، فلم يَرْضَها ولم يستحسن خُلقها ؛ فطلّقها وقال فيها : [من الطويل]

بينــي حَصَانَ الفَـرْجِ غيرَ ذَميمةٍ ... وموموقــةً فينا كــذاك ووامقَهْ
وذُوقي فتَـى قــومٍ فإنّيَ ذائقٌ ... فتاةَ أُناسٍ مثــلَ مــا أنتِ ذائقَهْ
لقــد كان في فِتْيانِ قومِكِ مَنْكَحٌ ... وشُبّانِ هِــزَّانَ الطُّوالِ الغَرَانِقَهْ
فبيني فإنّ البَيْن خيرٌ مــن العصا ... وإلا تَرَىْ لي فــوقَ رأسِك بارقَهْ
ومــا ذاك عِندي أن تكوني دنيئةً ... ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقَهْ[1]
ويــا جارتــا بينــي فإنّك طالقه ... كذاك أمورُ الناس غــادٍ وطارقَهْ

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا الحسين بن إبراهيم بن الحُرّ قال حدّثنا المُبارَك بن سَعيد عن سُفْيان الثَّوْريٌ قال : طلاقُ الجاهلية طلاقٌ . كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومُها فضربوه وقالوا : طلِّقها فقال : [من الطويل]

أيــا جارتــا بيني فإنّك طالقَهْ ... كــذاكَ أمــورُ النّاسِ غادٍ وطارقهْ

وذكر باقيَ الأبيات مثلَ ما تقدّم .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث قال حدّثنا عثمان البَرْقيُّ في إسناد له قال : أخذ قومٌ الأعشى فقالوا له : طلّق امرأتك ؛ فقال : [من الطويل]

أيــا جارتــا بيني فإنّــك طالقهْ ... كذاكَ أمــورُ الناسِ غــادٍ وطارقهْ

ثم ذكر نحوَ الخبر الذي قبله على ما قدّمناه .

في هذه الأبيات غناء نسبته : [من الطويل]

صوت

فبيني فإنَّ البــينَ خيرٌ مــن العصا ... وإلا تَرَيْ لي فوق رأسِك بارقَهْ[2]

---

1 في الديوان ص 183 :

وما ذاك من جرم عظيم جنيته ... ولا أن تكوني جئت فينا ببائقة

2 وإلا ترى في الديوان ص 183 : وإلا تزال .

ومـا ذاكَ عندي أن تكوني دنيئةً ... ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقَهْ
ويـا جارتـا بينـي فإنّكِ طالقهْ ... كذاكَ أمـورُ الناسِ غـادٍ وطارقَهْ

الشعر للأعشى . والغناء للهُذَليِّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن الهشاميِّ . قال الهشاميُّ : وفيه لفُلَيح خفيفُ ثقيل بالوسطى لا يُشَكّ فيه من غنائه . وذكر حَبَشٌ أن الثقيل الثانيَ لابن سُرَيج . وذكر عُبيد الله بن عبدالله بن طاهر أنّ الخفيفَ الثانيَ المنسوبَ إلى فُلَيح لأبيه عبدالله بن طاهر . وهذا الصوت يُغَنّى في هذا الزمان على ما سمعناه : [من الطويل]

أيا جارتا دُومي فإنـك صادقَهْ ... وموموقـةٌ فينـا كذاك ووامِقـهْ
ولم نفترقْ أنْ كنـتِ فينـا دنيئةً ... ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقهْ

وأحسبه غُيِّر في دُور الطاهريّة على هذا .

[فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني سَوَّار بن أبي شُرَاعة قال حدّثني أبي عن مسعود بن بِشْر عن أبي عُبيدة قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مَرْوان وقد شرِب خمراً وتضمّخ بلَخَالخَ[1] وخَلُوقٍ وعنده الشَّعْبيّ . فلما رآه قال : يا شعبيّ ، ناك الأخطلُ أُمّهاتِ الشعراء جميعاً . فقال له الشعبيّ : بأيّ شيء ؟ قال حين يقول : [من الكامل]

وتظـلُّ تَنْصُفنا بهـا قَرَويّـةٌ ... إبريقُهـا برقاعِـه ملثـومُ[2]
فإذا تعاورتِ الأكُفُّ زُجَاجَها ... نَفَحتْ فشَمَّ رياحَهـا المزكومُ

فقال الأخطل : سمعتَ بمثل هذا يا شعبيّ ؟! قال : إن أمِنْتُك قلتُ لك . قال : أنت آمن . فقلت له : أشعرُ والله منك الذي يقول : [من الوافر]

وأدْكنَ عاتِـقٍ حَجْـلٍ رِبَحْلٍ ... صبَحتُ براحِـه شَرْباً كِرَاما[3]
من اللائي حُمِلـن على المَطايَا ... كريحِ المسكِ تستلُّ الزُّكاما[4]

فقال الأخطل : وَيْحَك ! ومن يقول هذا ؟ قلت : الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة . فقال : قُدّوس قُدّوس ! ناك الأعشى أُمّهاتِ الشعراء جميعاً وحقِّ الصليب ! .

1 لخالخ : ضرب من الطيب .
2 تنصفنا : تخدمنا .
3 العاتق : القديم . الحَجل : السقاء الواسع . الربحل : الضخم ، وفي الديوان ص 135 : سِبَحْلٍ .
4 من اللائي حملن على المطايا في الديوان ص 135 : من اللائي حُملن على الروايا .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غسَّان دَمَاذ عن أبي عُبيدة والهَيْثم بن عدِيْ ، وحدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الغَلابيّ عن العُتَّبيّ عن أبيه ، وذكر هارون بن الزيّات عن حمَّاد عن أبيه عن عبدالله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضَّبّيّ ، قالوا جميعاً : قدِم الأخطل الكوفَة ، فأتاه الشعبيّ يسمع من شعره . قال : فوجدته يتغدّى ، فدعاني أتغدَى فأتيته ، فوُضع الشراب فدعاني إليه فأتيته . فقال ما حاجتُك ؟ قلت : أحبّ أن أسمع من شعرك ؛ فأنشدني قوله : [من الكامل]

صَرَمتْ أُمَامةُ حبلَنا ورَعُومُ

حتى انتهى إلى قوله :

فإذا تعاورتْ الأكُفُّ خِتامَها نَفَحَتْ فشَمَّ رياحَها المزكومُ[1]

قال : يا شَعْبيّ ، ناك الأخطل أمّهاتِ الشعراء بهذا البيت . قلت : الأعشى أشعر منك يا أبا مالك . قال : وكيف ؟ قلت : لأنه قال : [من الكامل]

من خمرِ عانةَ قد أتى لخِتامها حَوْلٌ تَسُلُّ غُمَامةَ المزكومِ

فضرب بالكأس الأرضَ وقال : هو والمسيح أشعرُ منّي ! ناك والله الأعشى أمّهات الشعراء إلا أنا .

[مدح سلامة ذا فائش فأجازه]

حدّثني وَكيع قال حدّثني محمد بن إسحاق المَعْوَليّ عن إسحاق الموصليّ عن الهَيْثم ابن عَدِيّ عن حمّاد الراوية عن سِمَاك بن حَرْب قال : قال الأعشى : أتيتُ سَلامةَ ذا فائش فأطلت المُقامَ ببابه حتى وصلت إليه ، فأنشدتُه : [من المجزوء البسيط]

إنّ مَحَلاً وإن مُرْتَحَلاً وإنّ في السَّفْرِ من مَضَى مَهَلاً[2]
استأثَرَ اللهُ بالوفاء وبالـ ـعَدْلِ وولَّى المَلامةَ الرجلا
الشعرُ قَلَّدتُه سَلامةَ ذا فائشَ والشيءُ حيثُ ما جُعلا[3]

فقال : صدقْتَ ، الشيء حيث ما جُعل ، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حُللا وأعطاني كَرِشاً مدبوغةً مملوءةً عنبرا وقال : إياك أن تُخدع عما فيها . فأتيت الحِيرةَ فبعتُها بثلاثمائة ناقة حمراء .

[أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته قريش بجائزة فعثر به بعيره فمات]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة

---

1 فشم في ل : فنال .
2 من مضى في الديوان ص 155 : إذْ مضى .
3 الشعرُ . . . . فائش في الديوان ص 157 : قلدّتُكَ الشّعر يا سلامة ذا التفضال .

قال قال هشام بن القاسم الغَنَوِيّ وكان عَلاَّمةً بأمر الأعشى : إنه وفد إلى النبيّ ﷺ وقد مدحه بقصيدته التي أولها : [من الطويل]

ألم تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرْمَدَا ... وعادكَ ما عادَ السَّليمَ المُسَهَّدَا
وما ذاكَ من عشقِ النساءِ وإنما ... تناسيتَ قبل اليوم خُلَّةَ مَهْدَدَا[1]

وفيها يقول لناقته : [من الطويل]

فآليتُ لا أُرْثي لها من كَلاَلَةٍ ... ولا من حَفاً حتى تَزُورَ محمدا
نبيٌّ يَرى ما لا تَرَوْن وذكرُه ... أغارَ لعَمْري في البلادِ وأَنْجدا
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشمٍ ... تُراحي وتَلْقَيْ من فَوَاضِلِه يدا[2]

فبلغ خبرُه قريشاً فرصَدوه على طريقه وقالوا : هذا صَنَّاجةُ العرب ، ما مدح أحداً قَطُّ إلا رَفع في قدره : فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بَصِير ؟ قال : أردتُ صاحبَكم هذا لأسلم . قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرِّمها عليك ، وكلُّها بك رافِق ولك موافِق . قال : وما هنّ ؟ فقال أبو سفيانَ بنُ حرْب : الزِّنا . قال : لقد تركني الزِّنا وما تركته ؛ ثم ماذا ؟ قال : القِمار . قال : لعلِّي إن لَقِيتُه أن أصيبَ منه عِوَضاً من القِمار ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الرِّبا . قال : ما دِنْتُ ولا ادَّنْتُ ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أوَّهْ ! أرْجع إلى صُبَابةٍ قد بقيتْ لي في المِهْراس[3] فأشربُها . فقال له أبو سفيان : هل لك في خير مما هممتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآنَ في هُدْنة ، فتأخذ مائة من الإبلِ وترجع إلى بلدك سَنَتَك هذه وتنظُر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذت خَلَفاً ، وإن ظهر علينا أتيته . فقال : ما أكره ذلك . فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، هذا الأعشي ! والله لئن أتى محمداً واتّبعه لَيُضرمنّ عليكم نيرانَ العرب بشعره ، فاجمعوا له مائةً من الإبل ، ففعلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع منفوحةَ[4] رمَى به بعيرُه فقتله .

[قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حَفْصة قال : قبر الأعشى بمَنْفُوحةَ وأنا رأيته ؛ فإذا أراد الفِتيانُ أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده

1 مهدد : معشوقة الأعشى .
2 يدا في الديوان ص 103 : ندا .
3 المهراس : حجر منقور يسع كثيراً من الماء .
4 منفوحة : قرية مشهورة من نواحي اليمامة .

وصبّوا عنده فَضَلاتِ الأقداح .

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدّثنا عليّ بن سليمان النَّوْفَلي قال حدّثنا أبي قال : أتيت اليمامة والياً عليها ، فمررتُ بمنفوحةَ وهي منزل الأعشى التي يقول فيها : [من السريع]

بشَطٌ منفوحةَ فالحاجرِ

فقلت : أهذه قرية الأعشى ؟ قالوا نعم . فقلت : أين منزله ؟ قالوا : ذاك وأشاروا إليه . قلت : فأين قبره ؟ قالوا : بفناء بيته . فعدلت إليه بالجيش فانتهيت إلى قبره فإذا هو رَطْبٌ . فقلت : ما لي أراه رطباً ؟ فقالوا : إن الفِتْيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم ، فإذا صار إليه القدح صَبُّوه عليه لقوله :

«أرجعُ إلى اليمامة فأشبَع من الأطيَبَيْن الزنا والخمر» .

[صوت معبد المسمى بالدوامة في شعره]

وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال حدّثنا الأطْروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه : أنّ ابن عائشة غنّى يوماً : [من الطويل]

هُرَيْرةَ ودّعها وإن لام لائمُ

فأعجبتْه نفسُه ورآه ينظر في أعطافه . فقيل له : لقد أُصبحت اليومَ تائهاً ! فقال : وما يمنعني من ذلك وقد أخذتُ عن أبي عَبّاد معبدٍ أحد عشر صوتاً منها : [من الطويل]

هريرةَ ودِّعها وإن لام لائمُ

وأبو عَبَّاد مغنّي أهل المدينة وإمامُهم ! .

قال : وكان مَعْبد يقول والله لقد صنعت صوتاً لا يقدِر أن يغنِّيه شبعانٌ ممتلىء ، ولا يقدر متكيء على أن يُغَنّيه حتى يَجْثُوَ ، ولا قائم حتى يقعُد . قيل : وما هو يا أبا عَبَّاد ؟ قال إسحاق فأخبرني بذاك محمد بن سَلاَّم الجُمَحِيُّ أنه بلغه أن معبداً قاله . وأخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال : قال معبد : والله لأغنيّن صوتاً لا يغنّيه مهموم ولا شبعانٌ ولا حاملُ حِمْلٍ ، ثم غنّى : [من المجزوء الخفيف]

ولقد قلتُ والضمـ ـــرُ كثيـــرُ البلابِلِ
ليـــتَ شعري تَمَنّياً والمُنَـــى غيرُ طائـــلِ
هـل رسولٌ مبلّـــغ فيُـــؤَدّي رسائـــلي

لحنُ معبد هذا خفيفُ ثقيل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه ثقيلٌ أوّلُ ينسب إليه أيضاً ، ويقال : إنه لأهل مكة .

[صوت معبد المسمّى بالمنمنم]

ومنها الصوت المسمّى بالمُنَمْنَم .

صوت

[من الخفيف]

هاجَ ذا القلبَ من تَذَكُّر جُمْلٍ   مـا يَهيـج المتيـمَّ المحزونـا
إذ تـراءتْ على البَلاطِ فلمّا   واجهتْنا كالشمسِ تُغْشي العيونا
ليلةَ السبت إذ نظـرتُ إليها   نظـرةً زادت الفـؤادَ جنونا

الشعر لإسماعيلَ بنِ يَسَار . والغناء لمَعْبدٍ ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لدَحْمانَ ثاني ثقيل بالبنصر ، ذكر الهِشاميّ أنّه لا يَشَكّ فيه من غنائه . وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستُغْني عن إعادتها ها هنا .

[صوت معبد المسمى بمعقصات القرون]

صوت

[من الطويل]

أمِـن آل لَيْلَى بالمَـلا مُتَربَّـعُ   كما لاح وَشْمٌ في الذراع مُرَجَّعُ
سأتْبعُ لَيْلَى حيث سارت وخيَّمتْ   ومـا الناسُ إلا آلِـفٌ ومُوَدِّعُ

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد ، وقيل : إنه للمجنون وإنّ مع هذين البيتين أخرَ وهي :

وقفتُ لليلَي بعد عشرين حِجَّةً   بمنزلـةٍ فانهلّـتِ العينُ تَدْمَعُ
فأمرضَ قلبي حبُّهـا وطِلابُهـا   فيا آلَ ليلَى دعوةً كيف أصْنَعُ
سأتبَع ليلى حيث حلّت وخيمتْ   ومـا الناسُ إلا آلِفٌ ومودِّعُ
كأن زِمامـاً في الفـؤادِ معلّقاً   تَقُودُ بـه حيث استمرتْ وأَتبَعُ

والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى . وقد ذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول إلى معبد وأنه مما يُشبه غناءه . وذكر ابن الكلبيٌ عن محمد بن يزيد أن معبداً أخذ لحن سائب خاثر في : [من الطويل]

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّل

فغنى فيه : [من الطويل]

أمِـن آلِ ليلى بالمَـلا متربَّعُ

[133] ـ نسب عمرو بن سعيد بن زيد أخباره

[نسبه ، وشيء عن أبيه سعيد بن زيد]

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عَدِي بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب . وسعيد بن زيد يُكنى أبا الأعور ، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ على حِراء فرجَف بهم ، فقال : «اثبُت حِراءُ فليس عليك إلا نبيٌّ أو صِدِيق أو شهيد» .

134 ـ [بعض أخبار لمغنين وشعراء]

[معبد وابن عائشة في حضرة الوليد بن يزيد]

أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني الهيثم بن سُفيان عن أبي مِسكين قال : جلس الوليد بن يزيد يوماً للمغنّين وكانوا متوافرين عنده وفيهم مَعبَد وابن عائشة ؛ فقال لابن عائشة : يا محمد . قال : لَبَّيك يا أمير المؤمنين . قال : إني قد قلت شعراً فغَنِّ فيه . قال وما هو ؟ فأنشده إياه ، وترنَّم به محمد ثم غنَّاه فأحسن ، وهو : [من مجزوء الرمل]

صوت

عَلِّــــلاني واسقِيـــــاني ... مـــن شراب أصبهـــاني

من شرابِ الشيخِ كِسرى ... أو شراب القَيـــرَوانِ

إن في الكأس لَمِسكاً ... أو بكفِّـــي مَـــن سَقاني

أوْ لقـــد غُودِرَ فيهـــا ... حـــين صُبَّت في الدِّنانِ

كَلِّـــلاني تَوِّجـــاني ... وبشعـــــري غَنِّيـــاني

أطلِقـــــاني بوَثاقـــي ... واشدُداني بعِنـــــاني

إنمـــا الكأسُ ربيـــعٌ ... يُتَعاطَـــــى بـــالبَنانِ

وحُمَيَّـــا الكأسِ دَبَّـــتْ ... بـــين رِجْـــلي ولِساني

الغِناء لابن عائشة هَزَجٌ بالبنصر من رواية حَبَش ، قال : فأجاد ابن عائشة واستحسن غناءَه مَن حضَر ؛ فالتفت إلى معبد فقال : كيف ترى يا أبا عباد ؟ فقال له معبد : شِنتَ غناءَك بصَلَفِك . قال ابن عائشة : يا أحول ، والله لولا أنك شيخُنا وأنك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك مَنِ الشائنُ لغنائه أنا بصَلَفي أم أنت بقبح وجهك . وفطَن الوليدُ بحركتهما فقال : ما هذا ؟ فقال : خيرٌ يا أمير المؤمنين ، لحنٌ كان معبد طارَحنيه فأُنسيتُه فسألته عنه لأغنّيَ فيه أميرَ المؤمنين . فقال وما هو ؟ قال : [من الطويل]

أمِـــن آلِ ليـــلى بالمَــلا مُتَربَّعُ ... كما لاح وشمٌ في الذِراع مُرَجَّعُ

فقال : هاتِ يا معبد ، فغناه إياه ؛ فاستحسنه الوليد وقال : أنت والله سيِّد مَن غنَّى . وهذا الخبر أيضاً مما يدل على أن ما ذكره حَمَّاد من أن هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له .

[أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه]

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيض قال حدثني أحمد بن أبي العلاء المغنّي قال : غنَّيتُ المعتضدَ صوتاً في شعر له ثم أتبعتُه بشعر الوليد بن يزيد : [من مجزوء الرمل]

كلّلاني توِّجاني وبشِعري غنِّياني

فقال : أحسن والله ! هكذا تقول الملوك المُترَفون ، وهكذا يطرَبون ، وبمثل هذا يُشيرون ، وإليه يرتاحون ! أحسنتَ يا أحمد الاختيار لِما شاكل الحالَ ، وأحسنتَ الغناء ، أعد ؛ فأعدته ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلاً ثم استعاده فأعدتُه ، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ستَّ مَرَّات وشرب ستَّة أرطال وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وقال مرةً أُخرى بستمائة دينار ، ثم سكِر . وما رُئي قبل ذلك ولا بعده أعطى مغنِّياً هذه العطية . وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضع آخر يصلُح له .

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمدَ بن سهل النُّوشَجاني أنه حضر أحمدَ بن أبي العلاء وقد غنَّى المعتضدَ هذا الصوتَ في هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصة كما شرحها أحمد .

[صوت معبد المسمى بالمتبختر]

ومنها صوت وهو المتبختِر

[من الخفيف]

جعَل الله جعفراً لكِ بَعلاً وشِفاءً من حادث الأَوصابِ
إذ تقولين للوَليدة قُومي فانظُري مَن تَرَينَ بالأبوابِ

الشعر للأَحوص . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أُول بالبنصر . وذكر حَماد عن أبيه في كتاب معبد أنه منحول إلى معبد وأنه لكَردَم .

[صوت معبد المسمى مقطع الأثفار]

صوت
وهو المسمى مُقَطِّع الأثفار

[من الخفيف]

ضوءُ نارٍ بدا لعينك أم شَبَّـ ـتْ بذي الأَثْلِ من سَلامةَ نارُ
تلك بين الرِّياض والأَثْلِ والبا ناتِ منَّا ومن سَلامةَ دارُ

وكذاكَ الزمـــانُ يذهبُ بالنا س ِ وتَبقـــى الرُّسومُ والآثارُ[1]

الشعر للأحوص . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادي رَمَلٌ عن الهِشامي . وفيه لعبد الله بن العباس خفيفُ رمل بالوسطى .

[الأحوص وموسى شهوات]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا عمِّي قال : مدَح موسى شَهَوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مَروان بقصيدةٍ أحسن فيها وأجاد وقال فيها : [من الخفيف]

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنا س ِ وتَبقى الديـــارُ والآثارُ

فقام الأحوص ودخل منزلَه وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها . فقال له موسى شهوات : ما رأيت يا أحوصُ مثلَك ! قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأمير فسرقتَ أجودَ بيت فيها وجعلتَه في قصيدتك . فقال له الأحوص : ليس الأمر كما ذكرتَ ، ولا البيت لي ولا لك ، هو للَبيد سرقناه جميعاً منه ، إنما ذكر لبيدٌ قومَه فقال : [من الخفيف]

فعفـــا آخــرُ الزمـانِ عليهم فعـــلى آخـرِ الزمان الدَّبارُ[2]

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنا س ِ وتبقى الرُّسُومُ والآثارُ

قال : فسكت موسى شهوات فلم يُحِرْ جواباً كأنما أُلقِمه حَجَراً .

[حديث سلامة مع الأحوص وعبد الرحمن بن حسان]

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدِّمشقي خبر الأحوص مع سَلامةَ التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشكُّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نَمَطَ الأحوص ، والتوليدُ بَيِّن فيه يشهد على أنه مُحدَث . والقصة أيضاً باطلةٌ لا أصل لها ؛ ولكنّي ذكرتُه في موضعه على ما فيه من سوء العهدة . قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال حدثني أبو محمد الجَزَري قال : كانت بالمدينة سلامةُ من أحسن الناس وجهاً وأتمِّهن عقلاً وأحسنِهن حديثاً قد قرأت القرآنَ وروت الأشعارَ وقالت الشعر ، وكان عبد الرحمن بن حَسَّان والأحوص بن محمد يختلفان إليها فيروِّيانها الشعرَ ويُناشِدانها إيَّاه . فعَلِقَت الأحوصَ وصَدَّت عن عبد الرحمن . فقال لها عبد الرحمن يعرِّض لها بما ظَنَّه من ذلك : [من الوافر]

1 الآثار في الديوان ص 125 : الدّيار .

2 الدبار : الهلاك .

أرى الإقبالَ منكِ على خليلي ... وما لي في حديثكُم نَصيبُ

فأجابته : [من الوافر]

لأن الله علَّقه فؤادي ... فحاز الحبَّ دونَكم الحبيبُ

فقال الأحوص : [من الوافر]

خليلي لا تَلُمها في هواها ... أَلَذُّ العيش ما تَهوى القلوبُ

قال : فأضرب عنها ابنُ حسَّان وخرج ممتدحاً ليزيد بنِ معاوية فأكرمه وأعطاه . فلما أراد الانصراف قال له : يا أميرَ المؤمنين ، عندي نصيحة . قال : وما هي ؟ قال : جارية خلَّفتُها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلحُ أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سُمَّارِه . فأرسل إليها يزيدُ فاشتُريت له وحُملت إليه ؛ فوقعت منه موقعاً عظيماً وفضَّلها على جميع من عنده . وقدِمَ عبدُ الرحمن المدينةَ فمرَّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم ، فأراد أن يَزيده إلى ما به فقال : [من السريع]

يا مُبتَلىً بالحبِّ مفدوحا ... لاقى من الحبِّ تَبارِيحا

أَلجمه الحبُّ فما يَنثَني ... إلا بكأس الشوقِ مَصبوحا

وصار ما يُعجبه مُغلَقاً ... عنه وما يكره مفتوحا

قد حازها من أصبحتْ عنده ... ينالُ منها الشَّمَّ والرِّيحا

خليفةُ اللهِ فسَلِّ الهوى ... وعَزِّ قلباً منكَ مجروحا

فأمسك الأحوصُ عن جوابه . ثم إن شابَّين من بني أُمية أرادا الوِفادةَ إلى يزيدَ ، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتاباً ففعلا . فكتب إليها معهما : [من الكامل]

سَلامُ ذكرُكِ مُلصَقٌ بلساني ... وعلى هواكِ تَعُودُني أحزاني

ما لي رأيتُكِ في المنام مطيعةً ... وإذا انتبهتُ لَجَجتِ في العصيانِ

أبداً محبُّك مُمسِكٌ بفؤاده ... يخشى اللَّجاجةَ منكِ في الهِجرانِ

إن كنتِ عاتبةً فإني مُعتِبٌ ... بعد الإساءة فاقبلي إحساني

لا تقتُلي رجلاً يَراكِ لما به ... مثلَ الشراب لغُلَّة الظمآنِ

ولقد أقولُ لقاطنَين مِنَ آهلنا ... كانا على خُلُقي من الإخوانِ

يا صاحبيَّ على فؤادي جمرةٌ ... وبَرى الهوى جسمي كما تَرَيانِ

أَمُرَقِّيــانِ إلى سَلامــةِ أنتمــا مــا قــد لقيتُ بها وتَحتَسِبانِ[1]

لا أستطيــع الصبرَ عنهــا إنّهــا مــن مهجتي نزلتْ بكــلِّ مكانِ

قال : ثم غلبه جَزَعُه فخرج إلى يزيد ممتدحاً له . فلما قدِم عليه قرَّبه وأكرمه وبلغ لديه كلَّ مبلغ . فدسَّت إليه سلامةُ خادماً وأعطته مالاً على أن يُدخلَه إليها . فأخبر الخادمُ يزيدَ بذلك ؛ فقال : امضِ برسالتها . ففعل ما أمره به وأدخل الأحوصَ ، وجلس يزيدُ بحيث يراهما . فلما بَصُرت الجاريةُ بالأحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فأُلقي له كرسيٌّ فقعد عليه ، وجعل كلُّ واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدةَ الشوق . فلم يزالا يتحدثان إلى السَّحَر ويزيدُ يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما رِيبةٌ . حتى إذا هَمَّ بالخروج قال : [من البسيط]

أمسى فــؤاديَ في هــمٍّ وبلبالِ مــن حبِّ مَــن أَزَلْ منه على بالِ

فقالت : [من البسيط]

صحا المحبُّون بعد النأي إذ يئسوا وقد يئستُ وما أصحو على حالِ

فقال : [من البسيط]

مَن كان يسلو بيأسٍ عن أخي ثِقَةٍ فعــن سَلامةَ مــا أمسيتُ بالسَّالِي

فقالت : [من البسيط]

واللهِ واللهِ لا أنساكَ يــا سَكَنِــي حتى يُفارِقَ منِّــي الرُّوحُ أوصالِي

فقال : [من البسيط]

واللهِ ما خاب مَن أمسى وأنتِ له يا قُرَّةَ العــينِ في أهلٍ وفي مالِ

ثم ودعها وخرج . فأخذه يزيدُ ودعا بها فقال : أخبراني عما كانَ جرى بينكما في ليلتكما واصدُقاني . فأخبراه وأنشداه ما قالاه ، فلم يَخرِما حرفاً ولا غيَّرا شيئاً مما سمعه . فقال له يزيد : أتحبُّها يا أحوص ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين : [من البسيط]

حُبّاً شديداً تليــداً غيرَ مُطَّرِفٍ بين الجوانح مثــلَ النار يَضطَرِمُ

فقال لها : أتحبِّينه ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين : [من البسيط]

حباً شديداً جرى كالرُّوح في جسدي فهــل يُفَــرَّق بــين الرُّوحِ والجسدِ

فقال يزيد : إنكما لَتَصِفانِ حبّاً شديداً ، خُذها يا أحوص فهي لك ؛ ووصله بصلةٍ سنية ، وانصرف بها وبالجارية إلى الحِجاز وهو من أَقَرِّ الناس عيناً . مضى الحديث .

---

1 أمرقيان : أي رافعان إلى سلامة .

135 ـ [مدن معبد]

[مدن معبد أو حصونه]

أصوات

معبد المسماة مُدُنَ معبد وتسمَّى أيضاً حصونَ معبد

أخبرني ابنُ أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال حسين في خبره ، واللفظ له ، عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال : قال معبد وقد سمع رجلاً يقول : إن قُتَيبة بن مُسلِم فتح سبعةَ حصون أو سبعَ مُدُن بخُراسان فيها سبعة حصون صعبة المُرتَقى والمسالك لم يُوصَل إليها قطُّ . فقال : والله لقد صنعتُ سبعةَ ألحان كلُّ لحنٍ منها أشد من فتح تلك الحصون . فسئل عنها فقال : [من الطويل]

لعَمرِي لئــن شَطَّتْ بعَثمــةَ دارُها

و : هُرَيــرةَ ودِّعهــا وإن لام لائــمُ [من الطويل]

و : رأيـــتُ عَرابــةَ الأَوسِــيَّ يَسمُــو [من الوافر]

و : كم بذاك الحَجُونِ مــن حَــيٍّ صِدقٍ [من الخفيف]

و : لــو تعلمــينَ الغَيــبَ أيقنت أنّني [من الطويل]

و : يــا دار عَبلــةَ بــالجِواء تكلَّمِــي [من الكامل]

و : ودِّع هريــرةَ إن الركبَ مُرتحِـلُ [من البسيط]

ومن الناس من يروي مُدُنَ معبد : [من الطويل]

تقطَّــع من ظَلاَّمــةَ الوصلُ أَجمعُ

و : خَمصانـــةٌ قَلِـــقٌ مُوشَّحُهــــا [من الكامل]

و : يـــومَ تُبـــدِي لنـــا قُتَيلـــةُ

مكان كم بـذاك الحَجُونِ من حَي صدقِ [من الخفيف]

و : لـــو تعلمـين الغيــبَ أيقنتِ أنني [من الطويل]

و : يـــا دارَ عَبلـــة بـــالجِواء تكلَّمي [من الكامل]

نسبة هذه الأصوات وأخبارها
صوت

[من الطويل]

لعَمرِي لئن شَطَّت بعَثمةَ دارُها لقد كدتُ من وَشك الفِراق أُلِيحُ
أرُوح بهَـمٍّ ثـم أغـدُو بمثله ويُحسَب أني في الثيابِ صحيحُ

عروضه من الطويل . شَطت : بعُدت . ووَشك الفراقِ : دنوُّه وسرعته . وأليح : أشفِق وأجزَع . الشعر لعُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة الفقيه . والغِناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونُس وإسحاقَ وعمرٍو وغيرِهم . وفيه رمل يقال : إنه لابن سُريج .

[136] ـ ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

[نسبه]

هو عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود بن غافِل بن حَبيب بن شَمخ بن فأر بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نِزار . وهو في حُلفاء بني زُهرة من قريش وعِدادُه فيهم .

وعتبةُ بن مسعود وعبد الله بن مسعود البَدري صاحبُ رسول الله ﷺ أَخَوان ، ولعُتبة صحبةٌ بالنبي ﷺ وليس من البَدريين .

وكان عبد الله أبو عبيد الله بن عبد الله رجلاً صالحاً ، واستعمله عمر بن الخَطاب فأَحمده .

[أخواه عون وعبد الرحمن وشيء عنهما]

ولعبيد الله بن عبد الله أَخَوانِ عَونٌ وعبد الرحمن .

وكان عون من أهل الفقه والأدب ، وكان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه . وقال ، وكان شاعراً : [من الوافر]

فأولُ ما أُفارِقُ غيرَ شَكٍّ ... أُفارِقُ مـا يقولُ المُرجِئونا
وقالوا مؤمنٌ من آل جَورٍ ... وليس المؤمنـون بجائرينا
وقالوا مؤمنٌ دَمُـه حلالٌ ... وقد حَرُمتْ دِماءُ المؤمنينا

وخرج مع ابن الأشعث ، فلما هُزِم هَرب : وطلبه الحجاج ، فأتى محمد بن مروان بن الحَكَم بنَصيبينَ فأَمَّنه وألزمه ابنيه مروان بن محمد وعبدَ الرحمن بن محمد . فقال له : كيف رأَيتَ ابنَي أخيك ؟ قال : أما عبد الرحمن فطفلٌ ، وأما مروان فإني إن أَتيتُه حجَب ، وإن قعدتُ عنه عتَب ، وإن عاتبته صَخِب ، وإن صاحبتُه غضِب . ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يَزَل معه . ذكر ذلك كلَّه ومعانيه الأصمعي عن أَبي نوفل الهُذلي عن أَبيه .

ولعونٍ يقول جرير : [من البسيط]

يا أَيُّها القارىء المُرخِي عمامتَه ... هذا زمانُك إني قد مضى زمني
أَبلِـغْ خليفَتنا إن كنتَ لاقِيَـه ... أني لدى الباب كالمصفودِ في قَرَنِ

وخبرُه يأتي في أَخبار جرير .

وأما عبد الرحمن فلم تكن له نَباهةُ أخويه وفضلُهما فسقَط ذكره .

[كان فقيهاً وهو أحد السبعة بالمدينة]

وأما عبيد الله فإنه أحد وجوه الفقهاء الذين رُوي عنهم الفقه والحديث . وهو أحد السبعة من أهل المدينة ، وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعُروة بن الزُّبير ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن المُسَيَّب ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارِجة بن زيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار . وكان عبيد الله ضريراً . وقد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود عمه وأبي هريرة . وروى عنه الزُّهري وابنُ أَبي الزناد وغيرهما من نُظَرائهما .

[كان يؤثره ابن عباس]

وكان عبد الله بن عباس يقدمه ويُؤْثِره .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا يونُس بن محمد قال حدثنا حَماد بن زيد عن معمر عن الزُّهري قال : كان عبيد الله بن عبد الله يلطُف لابن عباس فكان يُعِزُّه عِزاً .

[حديث الزهري عنه وكان كثير الاتصال به]

أخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أَنس عن ابن شهاب الزُّهري قال : كنت أخدُم عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة حتى إن كنتُ لأستقِي الماء المِلحَ وإن كان ليسأل جاريته فتقول : غلامُك الأَعمش .

أَخبرني وَكيع قال حدثنا محمد بن عبد الملك بن زَنجويه قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزُّهري قال : أدركت أربعة بُحور ، عبيد الله بن عبد أَحدُهم .

أَخبرني وَكيع قال حدثنا محمد قال حدثنا حامد بن يحيى عن ابن عُيَينة عن الزُّهري قال : سمعت من العلم شيئاً كثيراً ، فلما لقيتُ عبيد الله بن عبد الله كأني كنت في شِعب من الشِّعاب فوقعتُ في الوادي ؛ وقال مرَّة : صِرتُ كأني لم أَسمع من العلم شيئاً .

أَخبرني وكيع قال حدثني بشر بن موسى قال حدثنا الحُمَيدِي عن ابن عُيَينة عن علي بن زيد بن جُدعان قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ليت لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بِديَةٍ .

[أثنى عليه عمر بن عبد العزيز]

أَخبرني وَكيع قال حدثنا أَحمد بن عبد الرحمن بن وَهب قال حدثني عمي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهري عن حمزة بنِ عبد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حيّاً ما صدَرتُ إلا عن رأيه ، ولودِدتُ أن لي بيوم من

عُبيد الله غُرماً . قال ذلك في خِلافته .

[ما جرى بين عمر بن عبد العزيز وعروة في شأن عائشة وابن الزُّبير]

أخبرنا محمد بن جَرير الطَّبري وعمٌّ أبي عبدُ العزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليزيدي والطُّوسي ووَكيع والحِرْميّ بن أبي العَلاء وطاهر بن عبد الله الهاشمي ، قالوا حدثنا الزُّبَير بن بَكار قال حدثنا إبراهيم بن طَلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصِّدِّيق وابنُ أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعاً عن عثمان بنِ عمر بن موسى عن الزُّهرِي قال : دخل عُروة بن الزُّبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة على عمَر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة . فقال عروة لشيء حُدِّث به من ذكر عائشة وعبدِ الله بن الزُّبير : سمعتُ عائشةَ تقول : ما أحببت أحداً حبِّي عبدَ الله بن الزُّبير لا أعني رسولَ الله ﷺ ولا أبوي . فقال عمر : إنكم لتنتحلون عائشةَ لابن الزُّبير انتحالَ مَن لا يرى لكلٍّ مسلم معه فيها نصيباً . فقال عُروة : بركةُ عائشة كانت أوسعَ من ألاَّ يُرى لكل مسلم فيها حق ، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعته الرَّحِمُ والمودةُ التي لا يَشرَكُ كلَّ واحد منهما فيه عند صاحبه أحدٌ . فقال عمر : كذبتَ . فقال عُروة : هذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أنِّي غيرُ كاذب ، وإن من أكذب الكاذبين من كذَّب الصادقين . فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء . فأفَّف بهما عمر وقال : اخرجا عنِّي . ثم لم يلبَث أن بعث إلى عبيد الله بن عبد الله رسولاً يدعو لبعض ما كان يدعوه إليه . فكتب إليه عبيد الله : [من الطويل]

لَعَمرُو ابنِ لَيلى وابنِ عائشةَ التي ... لَمروانَ أدتـهُ ، أبٌ غير زُمَّلِ[1]
لَـوَ آنهمُ عمـاً وجَـداً ووالـداً ... تأسَّـوا فسَنُّـوا سُنَّـة المُتعَطِّلِ
عذرتُ أبا حَفص وإن كان واحداً ... من القوم يَهدي هديَهم ليس يأتلي
ولكنهم فاتُـوا وجئتَ مُصَلِّياً ... تقـرُّب إثـرَ السابـق المتمهلِ[2]
وعُمـتَ فإن تَسبِق فضنءٌ مبرِّزٌ ... جوادٍ وإن تُسبق فنفسَك فاعذِلِ[3]
فما لك بالسلطان أن تَحمِلِ القَذى ... جفون عيـونٍ بالقَذى لم تُكَحَّلِ
وما الحقُّ أن تَهوى فتُسعَفَ بالذي ... هَويتَ إذا مـا كان ليس بأعدلِ

1 ابن ليلى : عبد العزيز بن مروان ، وابن عائشة : عبد الملك بن مروان . الزمل : الضعيف الساقط .
2 التقريب : عدو دون الإسراع .
3 عُمت : سرت .

أَبى اللهُ والأَحسابُ أَن تَرأَم الخَنى نفوسٌ كِرامٌ بالخَنا لم تُوكَّلِ[1]

قال الزُّبير في خبره وحدَه : الضِّنء والضَّنء : الولد . قال : وأَنشد الخليلُ بن أَسد قال أَنشدني دَهثَم : [من الرجز]

ابنُ عَجُوزٍ ضَنؤُها غيرُ أَمِرْ لو نحرتْ في بيتها عشرَ جُزُرْ[2]
لأَصبحتْ مِن لحمهنّ تعتذرْ تغدو على الحيِّ بعود من سَمُرْ
حتى يَفِرَّ أَهلُها كلَّ مَفَرّ

[حجبه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعراً ثم اعتذر فعذره]

أَخبرني الحسن بن علي ووكيع قالا حدثنا أَحمد بن زُهير قال حدثنا الزُّبير ، وأَخبرناه الحِرْميّ بن أَبي العلاء إِجازةً قال حدثنا الزُّبير عن ابن أَبي أُوَيس عن بَكار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أَبي الزِّناد عن هشام بن عروة : أَن عبيد الله بن عبد الله جاء إِلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه ، فرده الحاجب وقال له : عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو مُختَلٍ به ، فانصرف غضبان . وكان في صلاحه ربما صنَع الأَبيات ، فقال لعمر : [من الطويل]

أَبِن لي فكُن مِثلي أو ابتغِ صاحباً كمثلكَ إِنّي تابع صاحباً مثلي
عزيزٌ إِخائي لا يَنال مودتي مِن الناس إِلا مسلمٌ كامل العقلِ
وما يَلبَثُ الفِتيانُ أَن يتفرقوا إِذا لم يُؤلَّفْ روحُ شكل إِلى شكلِ

قال : فأُخبِر عمر بأبياته ؛ فبعث إِليه أَبا بكر بنَ سليمان بن أَبي خَيثمة وعِراكَ بن مالك يَعذِرانه عنده ويقولان : إِن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك[3] ولا برد الحاجب إِياك ، فعذَره . قال الزُّبير وقد أَنشدني محمد بن الحسن قال أَنشدني مُحرِز بن جعفر لعبيد الله بن عبد الله هذه الأَبيات وزاد فيها وهو أَولها : [من الطويل]

وإِنّي امرؤٌ من يُصفِني الودَّ يَلفِني وإِن نزَحتْ دارٌ به دائمَ الوصلِ
عزيزٌ إِخائي لا ينال مودتي مِن الناسِ إِلا مسلمٌ كاملُ العقلِ
ولولا اتّقائي اللهَ قلتُ قصيدةً تسيرُ بها الرُّكبانُ أَبرَدُها يَغلي

1 ترأم الخنى : ترضاه .
2 أَمِر : الكثير .
3 ل : بإتيانك .

بهـا تُنقَض الأحلاسُ في كلِّ منزل ويَنفِي الكَرى عنه بها صاحبُ الرَّحلِ
كفـاني يسيرٌ إذ أراكَ بحاجتـــي كَلِيلَ اللسانِ مـا تُمِـرُّ وما تُحلي[1]
تُلاوِذُ بالأبوابِ منِّـي مخافـــةَ الـ ـمَلامة والإخلافُ شرٌّ مـن البخلِ[2]

وذكر الأبياتَ الأُوَلَ بعد هذه .

[شعره في عراك وابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه ولم يسلما]

أخبرني وَكيع قال حدثني علي بن حَرب المَوصِلي قال حدثنا إسماعيل بن رَيَّان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول : كان عِراكُ بن مالك وأبو بكر بن حَزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زماناً . ثم أن ابن حزم ولي إمرتَها وولي عِراكٌ القضاءَ ، وكانا يمران بعُبيد الله فلا يسلِّمان عليه ولا يقفان ، وكان ضريراً فأُخبر بذلك ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

ألا أبلغا عنِّي عِـراكَ بنَ مالك ولا تَدَعـا أن تَثنيا بأبـي بكرِ
فقـد جعلتْ تَبدو شَواكِلُ منكما كأنكما بي مُوقَران مـن الصَّخرِ
وطاوعتُما بـي داعِكاً ذا مَعاكةٍ لعَمرِي لقد أُزرى وما مثله يُزري[3]
ولولا اتِّقائـي ثم بُقيايَ فيكما للمْتُكُما لومـاً أحـرَّ من الجمرِ

صوت

[من الطويل]

فَمَسَّا تُرابَ الأرضِ منها خُلِقتُما ومنها المَعادُ والمَصِيرُ إلى الحَشرِ
ولا تأنَفـا أن تسألا وتسلِّمـا فما خشي الإنسانُ شراً من الكِبرِ
فلو شئتُ أن ألفي عدواً وطاعناً لأَلفَيتُه أو قال عنديَ في السرِّ
فإن أنـا آمُـرْ ولم أنـهَ عنكما ضحكتُ له حتى يَلِجَّ ويستَشرِي

عروضه من الطويل . غُنِّيَ في : [من الطويل]

فمَسّا ترابَ الأرضِ منها خُلِقتُما

والذي بعده لحن من الثقيلِ الأول بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وابن المكِّي ويونسَ وغيرِهم . وزعم ابن شِهاب الزُهري أن عبيد الله قال هذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز

1 ما تُمر وما تُحلي : ما تضر وما تنفع .
2 تُلاوذ : تراوغ
3 الداعك : الأحمق ، والمعاكة : الحمق .

وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، يعني [أن] الأبياتَ الأوَل ليست منها في شيء وإنما أدخِلت فيها لاتفاق الرّوي والقافية .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المُنذِر الحِزامي قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال : جئت عبيد الله بن عبد الله يوماً في منزله فوجدته ينفخُ وهو مغتاظ ؛ فقلت له : مالك ؟ قال : جئت أميرَكم آنفاً ، يعني عمرَ بن عبد العزيز ، فسلَّمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فلم يردَّا عليَّ ، فقلت : [من الطويل]

فمَسَّا ترابَ الأرضِ منها خُلقتما

وذكر الأبيات الأربعة . قال فقلتُ له : رحمكَ الله ، أتقول الشعر في فضلك ونُسكك ! قال : إن المصدور إذا نفَث بَرأ .

قال أبو زيد حدثنا إبراهيم بن المنذر ، وأنشدني هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزّناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو ، وزاد فيها : [من الطويل]

وكيف يُريدانِ ابن تسعين حِجَّةً ... على ما أَتى وهو ابن عشرين أو عشرِ

ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فَحلٌ جيد ليس بالكثير . منه قوله : [من الطويل]

إذا كان لي سِرٌّ فَحدثتُه العِدا ... وضاق به صدري فلَلنَّاسُ أَعذَرُ

وسِرُّك ما استُودعتَه وكتمتَه ... وليس بسرٍّ حين يفشو ويظهرُ

وقوله لابن شهاب الزُّهري : [من الطويل]

إذا قلتُ أمَّا بعدُ لم يُثنَ مَنطِقِي ... فحاذِر إذا ما قلتُ كيف أقولُ

إذا شئتَ أن تَلقى خليلاً مصافِياً ... لقيتَ وإخوانُ الثِّقاتِ قليلُ

[استحسن جامع ابن مرخية شعره فأجازه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المُساحِقي عن ابن أبي الزّناد عن أبيه قال : أُنشد عبيدُ الله بن عبد الله جامعَ بنَ مُرخِيَةَ الكلابي لنفسه : [من الطويل]

لعَمْرُ أبي المُحْصِينَ أيامَ نلتقي ... لَما لا نُلاقِيها من الدَّهرِ أكثرُ

يَعُدُّون يوماً واحداً إن أتيتُها ... ويَنسُونَ ما كانت على الدهرِ تهجرُ

وإن أولعَ الواشون عَمداً بوصلنا ... فنحن بتجديد المودةِ أبصرُ

قال : فأعجبت أبياتُه هذه جامعاً ، فسَرَّ ذلك عبيدَ الله فكساه وحَمله .

جامع بن مُرخِيَة هذا من شعراء الحجاز ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

سألتُ سعيدَ بن المسيَّب مفتيَ الـ ـمدينةِ هل في حبٍّ ظَمياءَ من وِزرِ
فقــال سعيــدُ بــن المسيَّبِ إنما تُلام على مـا تستطيعُ من الأمرِ

فبلغ قوله سعيداً ، فقال : كذَب واللهِ ؛ ما سألني ولا أفتيتُه بما قال . أخبرني بذلك الحِرْميُّ بن أبي العلاء عن الزُّبير .

[مختارات من شعره]

ومن جيِّد شعر عبيد الله وسهلِه : [من المتقارب]

أعــاذلَ عاجـلُ ما أشتهي أحبُّ مـن الآجـل الرائثِ[1]
سأُنفـقُ مـالي على لذتـي وأوثِــر نفسي على الوارثِ
أُبــادِر إهلاكَ مستهلكٍ لمــاليَ أو عبــثَ العابثِ

وقوله يفتخر في أبيات : [من الطويل]

إذا هي حَلَّت وَسط عُوذِ ابن غالبٍ فذلــك ودٌّ نــازحٌ لا أُطالعُهْ[2]
شددتُ حَيازِيمي على قلب حازِمٍ كَتومٍ لمــا ضُمَّت عليه أضالعُهْ[3]
أُداجِي رجالاً لستُ مُطلِعَ بعضِهم على سرِّ بعضٍ إن صدريَ واسعُهْ
بنــى ليَ عبدُ الله في ذِروة العلا وعُتبةُ مجــداً لا تُنــال مصانعُهْ

وقوله وفيه غناء : [من المنسرح]

صوت

إن يَكُ ذا الدهرُ قــد أضرَّ بنــا من غير ذَحــلٍ فربَّمــا نفعا[4]
أبكــي على ذلك الزمانِ ولا أحسَب شيئاً قد فات مُرتَجَعا
إذ نحــن في ظلِّ نعمةٍ سلَفتْ كانت لهــا كلُّ نعمــةٍ تَبَعا

عروضه من المنسرح . غنت فيها عَريبُ خفيفَ رَمَلٍ عن الهشامي .

1 الرائث : البطيء .
2 عوذ : جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الإبل وغيرها .
3 الحيزوم : وسط الصدر .
4 الذحل : الثأر .

[قدمت المدينة مكية ففتنت الناس فشبب بها]

حدثنا محمد بن جرير الطبري والحِرْميّ بن أبي العلاء ووكيع قالوا حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال : قَدِمتِ المدينة امرأة من ناحية مكة من هذيل ، وكانت جميلة فخطبها الناس ، وكادت تذهب بعقول أكثرهم . فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : [من الطويل]

أحِبُّكِ حباً لـو علمتِ ببعضه ... لَجُدتِ ولم يَصعُبْ عليكِ شَدِيدُ
وحُبُّكِ يـا أُمَّ الصبيِّ مُدَلِّهي ... شَهيدي أبو بكـر وأيُّ شَهيد
ويعلمُ وَجدِي القاسمُ بن محمد ... وعُروَةُ مـا ألقى بكم وسَعيدُ
ويعلمُ مـا أُخفِي سليمانُ علمَه ... وخارجةٌ يُبـدِي لنا ويُعِيدُ
متى تَسألي عمَّا أقولُ فَتُخبَري ... فللحبِّ عنـدي طـارفٌ وتَلِيدُ

فبلغت أبياتُه سعيد بن المسيَّب ، فقال : والله لقد أَمِنَ أن تسألَنا وعلم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها .

وقال الزُّبير : أبو بكـر الذي ذكَر والنَّفَرُ المسمَّون معه : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعـروة بن الزُّبير ، وسعيد بن المسيَّب ، وسليمان بن يَسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهل المدينة .

[عتب على زوجته عثمة في بعض الأمر فطلقها ، وشعره فيها]

أخبرني وكيع قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات عن أحمد بن سعيد الفِهري عن إبراهيم بن المنذر بن عبد الملك بن الماجِشون : أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أولها : [من الطويل]

لَعَمرِي لئن شَطَّت بعَثمَـةَ دارُها ... لقد كدتُ من وَشك الفراق أُلِيحُ

قالها في زوجة له كانت تسمَّى عَثمة ، فعتَب عليها في بعض الأمر فطلَّقها . وله فيها أشعار كثيرة ، منها هذه الأبيات ، ومنها قوله يذكر نَدَمَه على طلاقها : [من الطويل]

كتمتَ الهوى حتى أضرَّ بك الكَتمُ ... ولامـك أقـوامٌ ولومُهُـم ظلمُ

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال قال لي عمي : لقيني علي بن صالح فأنشدني بيتاً وسألني مَن قائله ؟ وهل فيه زيادة ؟ فقلت : لا أدري ، وقد قَدِم ابن أخي ، أُعنِيكَ ، وقلما فاتني شيء غلا وجدتُه عنده . قال الزُّبير : فأنشدني عمي البيتَ وهو : [من الطويل]

غُرابٌ وظَبيٌ أعضبُ القَرنِ نادَيا   بصُرمٍ وصِردانُ العَشيِ تَصيحُ[1]

فقلت له : قائله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وتمامها :

لعَمرِي لئِن شَطَّت بعَثمةَ دارُها   لقد كدتُ من وَشك الفِراق أُلِيحُ
أَرُوحُ بهَمٍّ ثم أغدو بمثلهِ   ويُحسَبُ أنّي في الثيابِ صحيحُ

فكتبهما عمي عني وانصرف بهما إليه .

صوت

[من الطويل]

ألا مَن لنفسٍ لا تموت فيَنقضي   عَناها ولا تحيا حياةً لها طعمُ
أأتـرُك إتيانَ الحبيب تأثُّماً   ألا إن هِجرانَ الحبيب هو الإثمُ
فذُقْ هجرَها قد كنتَ تزعمُ أنه   رَشادٌ ألا يا ربما كذَب الزَّعمُ

عروضه من الطويل . غنى يونس في هذه الأبيات الثلاثة لحناً ماخُورياً وهو خفيف الثقيل الثاني من رواية إسحاق ويونس وابن المكّي وغيرِهم . وغنت عريبُ في : [من الطويل]

أأترك إتيانَ الحبيب تأثُّما

لحناً من الثقيل الأول ، وأضافت إليه بعدَه على الوِلاء بيتين ليسا من هذا الشعر وهما : [من الطويل]

وأقبل أقوالَ الوُشاة تَجَرُّمـاً   ألا إن أقوال الوُشاة هي الجُرمُ
وأشتاقُ لي إلفاً على قُرب دارِه   لأن مُلاقاةَ الحَبيب هي الغُنمُ

ومما قاله عبيد الله أيضاً في زوجته هذه وغُنيَ فيه : [من الوافر]

صوت

عَفَت أطلالُ عَثمةَ بالغَميم   فأضحتْ وهي مُوحِشةُ الرُّسُومِ
وقد كُنَّا نَحُلُّ بها وفيها   هَضيمُ الكَشحِ جائلةُ البَريمِ

عروضه من الوافر . عَفَت : درَست . والأطلال : ما شخصَ من آثار الديار . والرُّسُوم : ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر . والهضيم الكشح الخَميص الحَشى والبطن .

1 الأعضب القرن : المكسور القرن . الصردان : جمع صرد وهو طائر أبقع أبيض البطن يتشاءم به .

والبَريم : الخَلخال ، وقيل : بل هو اسم لكل ما يُلبس من الحُلي في اليدين والرجلين . والجائل : ما يجول في موضعه لا يستقر . غنى في هذين البيتين قَفا النجّار ، ولحنُه من القدر الأوسط من الثّقيل الأول بالخِنصر في مجرى البِنصر .

ومما قاله في زوجته عَثمَة وفيها غناء : [من الوافر]

صوت

تغلغلَ حُبُّ عَثمـةَ في فؤادي ... فباديـه مـع الخافي يسيرُ
تغلغل حيـث لم يَبلُغْ شرابٌ ... ولا حُـزنٌ ولم يبلُـغْ سرورُ
صدَعتِ القلبَ ثم ذَرَرتِ فيه ... هـواكِ فَليـمَ والتأمَ الفُطُورُ[1]
أكاد إذا ذَكرتُ العهـد منها ... أطيـر لَـوَ آن إنسانـاً يَطيرُ
غَنِـيٌّ النفسِ أن أزدادَ حبـاً ... ولكنـي إلى صِلَـة فَقيرُ
وأَنفَـذ جارِحـاكِ سوادَ قلبي ... فأنـت علـيَّ مـا عِشنا أميرُ

لَمعبد في الأول والثاني من الأبيات هزج بالبنصر عن حبش ، وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحولٌ من المكي . وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرَّشيد رملٌ .

قال ابن أبي الزناد في الخبر الذي تقدم ذكرُه عن عبيد الله وما قاله من الشعر في عَثمةَ وغيرِها . فقيل له : أتقول في مثل هذا ؟! قال : في اللَّدُود راحةُ المَفئود[2] .

[بلغه أن رجلاً يقع ببعض الصحابة فجفاه]

أخبرني وَكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا ابن وهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال : كان رجل يأتي عبيد الله بن عبد الله ويجلس إليه . فبلغ عبيد الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله ﷺ . فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيد الله . وكان الرجل شديد العقل ، فقال له : يا أبا محمد ، إن لك لشأناً ، فإن رأيتَ لي عذراً فاقبل عذري . فقال له : أتتَّهم اللهَ في علمه ؟ قال : أعوذ بالله . قال : أتتَّهم رسول الله ﷺ في حديثه ؟ قال : أعوذ بالله . قال : يقول الله عز وجل : ﴿لَقَد رَضيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إذ يُبايِعُونَكَ تَحتَ الشَّجَرَةِ﴾ وأنت تقع في فلان وهو ممن بايع ، فهل بلغك أن الله سَخِط عليه بعد أن رضي عنه ؟! قال : والله لا أعود أبداً . قال : والرجل عمر بن عبد العزيز .

1 الفطور : الشقوق .
2 اللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم .

[صوته]

أخبرني وَكيع عن أحمد بن زهير عن يحيى بن مَعِين قال : مات عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة سنة اثنتين ومائة ، ويقال سنة تسع وتسعين .

أخبرني محمد بن جرير الطبري والحسن بن علي عن الحارث[1] عن ابن سعد عن مَعن[2] عن محمد بن هلال : أن عبيد الله توفّي بالمدينة سنة ثمانٍ وتسعين .

[صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن]

ومنها : [من البسيط]

صوت

ودِّع هُرَيرةَ إن الرَّكبَ مُرتَحِلُ وهل تُطيقُ وَداعاً أيُّها الرجلُ
غَرَّاءُ فَرعاءُ مصقولٌ عوارضُها تمشي الهُوَينى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ
تسمع للحَلي وَسواساً إذا انصرفتْ كما استعان بريحٍ عِشرِقٌ زَجِلُ
عُلِّقتُها عَرَضاً وعُلِّقتْ رجُلاً غيري وعُلِّق أُخرى غيرَها الرَّجلُ
قالت هريرةُ لما جئتُ زائرَها وَيلي عليك وويلي منك يا رجلُ
لم تمشِ مِيلاً ولم تركبْ على جملٍ ولم تَرَ الشمس إلا دونها الكِلَلُ
أقول للركب في دُرنَى وقد ثَمِلوا شِيمُوا وكيف يَشيم الشاربُ الثَّمِلُ[3]
كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفلِقَها فلم يَضِرها وأوهى قَرنَه الوَعِلُ
أبلغ يزيدَ بني شَيبانَ مألُكَةً أبا ثُبيتٍ أما تنفَكُّ تأتكِلُ
إن تركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا أو تنزلون فإنا معشرٌ نُزُلُ[4]
وقد غدوتُ إلى الحانوت يَتبَعُني شاوٍ نَشُولٌ مِشَلٌّ شُلشُلٌ شَوِلُ
في فِتيةٍ كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفَع عن ذي الحيلةِ الحِيَلُ
نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحان مُتَّكِئاً وقهوةً مُزَّةً راووقُها خَضِلُ

غنّى معبد في الأول والثاني في لحنه المذكور من مُدُنِ معبد لحناً من القدر الأوسط من الثقيل

1 الحارث بن أبي أسامة وابن سعد هو سليمان بن سعد .
2 معن بن عيسى القزاز .
3 للركب في ل : للشّرب وفي الديوان ص 44 : فقلت للشّرب . درنى : موضع بنواحي اليمامة ، وقيل : بنواحي العراق .
4 الشطر الأول في الديوان ص 48 : قالوا الركوب فقلنا تلك عادتنا .

الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكرت دِنانير أن فيهما لابن سريج أيضاً صنعةً . ولمعبد أيضاً في الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أولُ ، ذكره حَبَشٌ ، وقيل : بل هو لحن ابن سريج ، وذلك الصحيح . ولابن مُحرز في الثقيل في «إن تركبوا» وفي «كناطحٍ صخرةً» ثاني ثقيلٍ مُطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولحُنَينٍ الحِيري في «أبلغ يزيد بني شيبان» و«إن تركبوا» ثاني ثقيلٍ آخر . وذكر أحمد بن المَكّي أن لابن مُحرز في «ودِّع هريرة» و«تسمع للحَلي» ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر . وفي «وقد غدوتُ» وما بعده رملٌ لابن سريج ومخارق عن الهشامي . ولابن سريج في «تسمع للحلي» وقبله «ودِّع هُريرة» رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغريض في «قالت هريرة» و«عُلِّقتها عَرَضاً» رمل . وفي هذه الأبيات بعينها هَزَجٌ ينسب إليه أيضاً وإلى غيره . وفي «تسمع للحلي» و«قالت هريرة» هزج لمحمد بن حسن بن مصعب . وفي «لم تمش مِيلا» و«أقول للركب»[1] لابن سريج خفيف الثقيل الأول بالبنصر عن حبش . وفي «قالت هريرة» و«تسمع للحلي» لحن لابن سريج . وإن لحنين في البيتين الاخرين لحناً آخر . وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في : [من الطويل]

هُرَيـرةَ ودِّعهـا وإن لامَ لائمٌ

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال قلت لأعرابية : ما الغَرَّاء ؟ قالت : التي بين حاجبيها بَلَجٌ وفي جبهتها اتساعٌ تتباعد قُصَّتُها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نَفنَف[2] . وقال أبو عبيدة : الفَرعـاء : الكثيرة الشعر . والعوارض : الأسنان . والهُوَينى تصغير الهُونى ، والهونى : مؤنث الأهون . والوَجِي : الظالع وهو الذي قد حَفِي فليس يكاد يستقلُّ على رجله . والوَحِلُ : الذي قد وقع في الوَحَل . والعِشرِق : نبت يَبِسَ فتحرِّكه الريح ؛ شبَّه صوتَ حَليها بصوته . الزَّجِلُ : المصوِّت من العِشرِق . وعلّقتها : أحببتُها . وعرضا : على غير موعد . والوَعِلُ : التَّيسُ الجبلي ، والجمع أوعال . مَـأْلُكة : رسالة ، والجمع مآلِك . ما تنفكُّ : ما تزال . وتأتكل : تتحرق . وقال أبو عبيدة : الشاوي : الذي يشوي اللحمَ : والنَّشُولُ : الذي ينشُل اللحـمَ من القِدر . ومِشَلٌّ : سوَّاقٌ سريع يسوق به . وشُلشُلٌ : خفيف . وشَوِلٌ : طيِّبُ الرِّيح .

[ما وقع بين بني كعب وبني همام ، وقصيدة الأعشى في ذلك]

الشعر للأعشى وقد تقدم نسبه وأخباره . يقول هذه القصيدة ليزيدَ بنِ مُسهِر أبي ثابت الشَّيباني . قال أبـو عبيدة : وكان من حديـث هذه القصيدة أن رجلاً من بنـي كعب بن سعد بن

---

1 ل : الشرب .

2 النفنف : المهوى بين الشيئين .

مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلبة ، يقال له ضُبَيع ، قتل رجلاً من بني هَمَّام يقال له زاهِر بن سَيار بن أسعد بن هَمَّام بن مُرة بن ذُهل بن شيبان ، وكان ضُبَيع مطروقاً[1] ضعيفَ العقل . فنهاهم يزيد بن مُسهِر أن يقتلوا ضُبَيعاً بزاهر وقال : اقتلوا به سيِّداً من بني سعد بن مالك بن ضُبَيعة ، فحَضَّ بني سَيَّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به . وبلغ بني قيس ما قاله ، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدع بني سَيَّار وبني كَعب ولا يُعِينَ بني سَيَّار ؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائلُ بني قيس بني كعب ، وحذَّرهم أن تَلقى شَيبان منهم مثل ما لَقُوا يوم العين عين محلِّم[2] بهَجَر .

[يوم عين محلم]

قال أبو عبيدة : وكان من حديث ذلك اليوم ، كما زعم عمر بن هلال أحدُ بني سعد بن قيس بن ثعلبة ، أن يزيد بن مُسْهِر كان خالعَ أُصرمَ بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة ، وكان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأُعجَف والضَّيعةُ له وهي قرية باليمامة . فلما خلع يزيد أصرمَ من ماله خالعه على أن يَرهَنه ابنيه أُفلَتَ وشِهابا ابني أصرم ، وأُمُّهما فُطيمة بنت شُرَحبيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس ، وأن يزيد قَمر أُصرمَ فطلب أن يدفع إليه ابنيه رهينةً ؛ فأبت أمُّهما وأبى يزيدُ إلا أخذَهما . فنادت قومَها ، فحضر الناس للحرب ، فاشتملت فطيمة على ابنيها بثوبها ، وفكَّ قومُها عنها وعنهما . فذلك قول الأعشى : [من البسيط]

نحن الفوارسُ يوم العَين ضاحيةً جَنبَيْ فُطَيمةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ[3]

قال : فانهزمت بنو شيبان ؛ فحذِر الأعشى أن يلقيَ مُسهِرٌ مثلَ تلك الحال .

قال أبو عبيدة : وذكر عامر ومِسمَعٌ عن قَتادةَ الفقيه أن رجلين من بني مروان تنازعا في هذا الحديث ، فجرَّدا رسولاً في ذلك إلى العراق حتى قدِم إلى الكوفة فسأل فأُخبِر أن فُطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شيبان ، وكانت له زوجة أُخرى من بني شيبان ، فتعايَرتا فعَمدتِ الشَّيبانية فحلَّت[4] ذوائبَ فُطيمة ، فاهتاج الحَيانِ فاقتتلوا ، فهُزمت بنو شَيبان يومئذٍ .

[مسحل رئي الأعشى]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أحمد بن محمد القصير قال حدثنا محمد بن صالح قال حدثني أبو اليقظان قال حدثني جويرية عن يَشكُر بن وائل اليَشْكُري ، وكان من علماء بكر بن وائل ووُلد أيامِ مُسَيلِمة فجيء به إليه فمسح على رأسه فعَمِيَ ، قال

1 المطروق : الذي به هوج وجنون .
2 عين مُحلِّم : عين فوارة بالبحرين .
3 يوم العين في الديوان ص 48 : يوم الحنو . ضاحية : علانية .
4 ل : فحلفت .

جويرية فحدثني يَشكُرُ هذا قال حدثني جرير بن عبد الله البَجَلي قال : سافرت في الجاهلية فأقبلتُ على بعيري ليلةً أريد أن أسقيَه ، فجعلت أريده على أن يتقدم فوالله ما يتقدم ، فتقدمت فدنوت من الماء وعَقَلته ، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوَّهون عند الماء فقعدت . فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا : هذا شاعرهم . فقالوا له : يا فلان أنشد هذا فإنّه ضيف ؛ فأَنشد : [من البسيط]

ودِّع هريرةَ إن الركبَ مرتحلُ

فلا والله ما خرَم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت : [من البسيط]

تسمع للحَلْي وَسواساً إذا انصرفتْ ... كما استعـان بـريحٍ عِشرِقٌ زَجِلُ

فأعجب به . فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا . قلت : لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشَدَنِيها عامَ أوَّلَ بنَجرانَ . قال : فإنك صادق ، أنا الذي ألقيتُها على لسانه وأنا مِسحَلٌ صاحبه ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس : [من الوافر]

صوت

رأيتُ عَرابةَ الأَوسيِّ يسمو ... إلى الخيراتِ مُنقَطِعَ القَرينِ

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد ... تلقَّاها عَرابةُ باليمينِ

عروضه من الوافر . الشعر للشمَّاخ . والغِناء لمعبد خفيف الثقيل الأول بالوسطى . وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه . وذكر ابن المكي أن له فيه لحناً آخر من خفيف الثقيل . وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شَبَّة عن محمد بن يحيى أبي غَسان قال غنَّى أبو نؤي : [من الوافر]

رأيتُ عرابةَ الأوسيِّ يسمو ... إلى الخيراتِ مُنقطع القَرينِ

فنسبه الناس إلى معبد . ولعلَّه يعني اللحن الآخر الذي ذكره ابن المكي . وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات أخبرني حماد عن ابن أبي جَناح قال : الناس ينسبون هذا الصوت إلى معبد .

[137] ـ ذكر الشماخ ونسبه وخبره[1]

[نسبه من قبل أبويه]

هو ، فيما ذكر لنا أبو خليفة عن محمد بن سَلاَّم ، الشَّمَّاخ بن ضِرار بن سِنان بن أمية بن عمرو بن جِحاش بن بَجالة بن مازِن بن ثَعلبة بن سعد بن ذُبيان . وذكر الموفيون أنه الشماخ بن ضِرار بن حرملة بن صَيفِيٍّ بن إياس بن عبد بن عثمان بن جِحاش بن بَجالة بن مازِن بن ثعلبة بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيث بن غَطَفان . وأُمُّ الشماخ أَنمارية من بنات الخُرشُب ويقال : إنهن أنجبُ نساء العرب ، واسمها مُعاذة بنت بُجَير بن خالد بن إياس .

[مخضرم ، هو أحد من هجا عشيرته]

والشماخ مُخضرَم ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وقد قال للنبي ﷺ : [من الطويل]

تَعَلَّمْ رسولَ الله أنا كأننا أَفأْنا بأَنمارٍ ثعالبَ ذي غِسلِ[2]

يعني أَنمارَ بن بغِيض وهم قومه . وهو أحد من هجا عشيرتَه وهجا أضيافَه ومَنَّ عليهم بالقِرى . والشماخ : لقب واسمه مَعقِل ، وقيل الهيثَم ، والصحيح معقل . قال جَبَل بن جَوال له في قصة كانت بينهما : [من الطويل]

لعَمري لعل الخيرَ لو تعلمانِه يَمُنّ علينا مَعقِلٌ ويزيدُ
مَنيحةَ عنزٍ أو عطاءَ فَطِيمةٍ ألا أنّ نيل الثَّعلبي زهيدُ[3]

[له أخوان جزء ومزرّد]

وللشماخ أخوان من أُمه وأبيه شاعران ، أحدهما مُزَرِّد وهو مشهور ، واسمه يزيد وإنما سمي مُزَرِّداً لقوله : [من الطويل]

فقلتُ تَزَرَّدْها عُبَيدُ فإنني لدُردِ الشيوخِ في السنينَ مُزَرِّدُ[4]

والآخر جَزء بن ضِرار ، وهو الذي يقول يرثي عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه : [من الطويل]

---

1 انظر ترجمته في الشعر والشعراء 1/315–319 وكتب الصحابة والاشتقاق 174 والجمحي 21 والمؤتلف 138 واللآلىء 58–59 والخزانة 1 : 526 .

2 ذو غسل : موضع ، والبيت منسوب في الشعر والشعراء 1/315 لأخيه مزرد ولم يردا في أصل الديوان وإنما وردا في الملحق وبيّن محقق الديوان اعتماداً على الصادر أنه لمزرد . الديوان /454 .

3 المنيحة : الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردها عليك .

4 الشيوخ في ل : الموالي . وقد ورد البيت في الشعر والشعراء 1/310 وورد في الاشتقاق 174 والإصابة 6 : 85 والخزانة 2 : 117 وفي المؤتلف 190 .

عليكَ سلامٌ من أميرٍ وباركَـــتْ ‏ ‏ يـدُ اللهِ في ذاكَ الأَدِيمِ الممزَّقِ[1]
فمن يَسعَ أو يركبْ جَناحَي نَعامةٍ ‏ ‏ ليُدرِكَ ما حاولتَ بالأَمسِ يُسبَقِ

[ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه]

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَة قال حدثنا شِهاب بن عَباد قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا مِسعَر عن عبد الملك بن عُمَير عن الصَّقر بن عبد الله عن عُروة عن عائشة قالت : ناحت الجنُّ على عمر قبل أن يُقتل بثلاث فقالت : [من الطويل]

أبعـدَ قَتيـلٍ بـالمدينة أَظلمـتْ ‏ ‏ له الأَرضُ تهتزُّ العِضاهُ بأسْوُقِ[2]
جزى اللهُ خيراً من إمامٍ وباركتْ ‏ ‏ يـدُ اللهِ في ذاك الأديم الممزَّقِ
فمن يَسعَ أو يركب جَناحيْ نعامةٍ ‏ ‏ ليُدرك ما حاولتَ بالأمس يُسبَقِ
قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها ‏ ‏ بوائـقَ في أكمامهـا لم تُفتَّقِ
وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته ‏ ‏ بكفَّي سَبَنتَى أزرقِ العين مُطرِقِ[3]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزُّهري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصدِّيق : أن عائشة حدثتها أن عمر أذِن لأزواج النبي ﷺ أن يَحْجُجْنَ في آخر حِجَّةٍ حَجَّها عمر . قال : فلما ارتحل عمر من المحصَّب أقبل رجل متلثِّم فقال وأنا أسمع : هذا كان منزله ، فأناخ في منزل عمر ثم رفع عَقِيرتَه يتغنَّى : [من الطويل]

عليك سلامٌ مـن أميرٍ وباركت ‏ ‏ يـدُ الله في ذاك الأديـم الممزَّقِ
فمن يَجرِ أو يركب جناحَي نَعامة ‏ ‏ ليدرك مـا قدَّمتَ بالأمس يُسبَقِ
قضيتَ أموراً ثـم غادرتَ بعدها ‏ ‏ بوائـقَ في أكمامهـا لم تفتَّـقِ

قالت عائشة : فقلت لبعض أهلي : اعلَموا لي علمَ هذا الرجل ، فذهبوا فلم يجدوا في مُناخِه أحداً . قالت عائشة : فوالله إني لأحسبَه من الجنِّ . فلما قُتل عمر نحل الناسُ هذه الأبيات للشمَّاخ بن ضِرار أو جَمَّاع بن ضِرار . هكذا في الخبر ، وهو جَزء بن ضرار .

[وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة]

وجعل محمد بن سَلام في الطبقة الثالثة الشماخ وقرَنه بالنابغة ولَبيد وأبي ذُؤَيب الهُذَلي ،

1 هذا البيت في الشعر والشعراء 319/1 .
2 العضاة : الشجر العظيم الذي له شوك . والأسؤق : جمع ساق .
3 السبنتى : هنا الجريء ، وأزرق العين : يريد به الأعجمي . والمطرق : المسترخي العين .

ووصفه فقال : كان شديدَ متون الشعر أشدَّ كلاما من لبيد ، وفيه كَزازةٌ ، ولبيدٌ أسهلُ منه منطقاً . أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه .

[قال الحُطيئة إنه أشعر غُطفان]

وقد قال الحُطَيئة في وصيته : أبلِغوا الشمَّاخَ أنه أشعرُ غَطَفانَ ، قد كُتب ذلك في شعر الحطيئة .

[هو أوصف الناس للحمير]

وهو أوصف الناس للحَمِير . أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال : أُنشِد الوليدُ بن عبد الملك شيئاً[1] من شعر الشماخ في صفة الحمير فقال : ما أوصفه لها ! إني لأحسبَ أن أحد أبويهِ كان حمَّاراً .

أخبرني إبراهيم بن عبد الملك قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال : كان الشماخ يهجو قومه ويهجو ضيفَه ويَمُنُّ عليه بقِراه . وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرجَز الناس على البديهة .

[حديث الشماخ ومزرّد مع أمهما]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمّه قال : قال مُزَرِّد لأمه : كان كعب بن زهير لا يهابني وهو اليومَ يَهابني . فقالت : يا بُني نَعَم ! إنه يرى جَروَ الهِراش مُوثَقاً ببابك . تعني أخاه الشماخ . وقد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل قال : قالت مُعاذة بنت بُجَير بن خَلَف للشماخ ومُزَرِّد : عرضتُماني لشعراء العرب الحطيئة وكعب بن زُهير . فقال : كَلا ! لا تخافي . قالت : فما يؤمنني ؟ قالا : إنك ربَطتِ بباب بيتك جَروَي هِراشٍ لا يجترىء أحدٌ عليهما . يعنيان أنفسَهما .

[منازعته قوم امرأته إلى كثير بن الصلت]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سَلام قال أخبرني شُعيب بن صخر قال : كانت عند الشماخ امرأةٌ من بني سُلَيم أحدِ بني حَرام بن سِماك ، فنازعته وادَّعتْه طلاقاً وحضر معها قومُها فاختصموا إلى كَثِير بن الصَّلت ، وكان عثمان بن عفان أقعده للنظر بين الناس ، وهو رجل من كِندة وعِدادُه في بني جُمَح [وقد ولدتهم بنو جمح] ثم تحولوا إلى بني العباس فهم فيهم اليوم ، فرأى كَثِيرٌ عليهم يمينا ، فالتوى الشماخ باليمين يحرِّضهم عليها ، ثم حلف وقال : [من الطويل]

أتَتنـــي سُلَيـــمٌ قَضُّها وقَضِيضُها تمسَّح حـــولي بـــالبَقيع سِبالَها[2]

1 ل : شعراً .

2 أتتني في الديوان ص 290 : وجاءت .

يقولونَ لي آحلِفْ ولستُ بحالفٍ ... أُخاتِلهم عنها لكيما أنالَها[1]

ففرجتُ همَّ النفس عنّي بحَلفةٍ ... كما شَقَّتِ الشقْراءُ عنها جِلالَها[2]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزّبير بن بكار قال : قدِم ناسٌ من بَهز المدينة يستَعدُون على الشماخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم ، فجحَد ذلك الشماخ . فأمر عثمان كَثِيرَ بن الصَّلت أن يستحلفه على مِنبَر النبي ﷺ : ما هجاهم . فانطلق به كَثِيرٌ إلى المسجد ثم انتحاه دون بني بَهز ، وبهز : اسمه تَيم بن سُلَيم بن منصور ، فقال له : ويلك يا شَماخ ! إنك لتحلف على منبر رسول الله ﷺ ، ومن حلف به آثِماً يتبوأ مقعدَه من النار ؛ قال : فكيف أفعل فداؤك أبي وأمّي ؟! قال : إني سوف أُحلِّفك ما هجوتَهم ، فاقلِب الكلامَ علي وعلى ناحيتي فقل : والله ما هجوتكم ، فأرِدني وناحيتي بذلك ، وإني سأدفع عنك . فلما وقف حلَف كما قال له وأقبل على كَثِير فقال : ما هجوتكم . فقالت بَهز : ما عنى غيرَكم ، فأعِد اليمين عليه . فقال : ما لي أتاوله ! هل استحلفتُه إلا لكم ! وما اليمين إلا مرةٌ واحدة ! انصرف يا شماخ . فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

أتتني سُلَيم قَضُّها وقَضيضُها ... تمسّح حولي بالبَقيع سِبالَها

يقولون لي آحلِفْ ولستُ بحالفٍ ... أُخادعهم عنها لكيما أنالَها

فلو لا كَثِيرٌ نعَّم اللهُ بالَه ... أزلَّتْ بأعلى حُجَّتَيك نعالَها[3]

ففرجتُ همَّ الموت عنّي بحَلفةٍ ... كما شَقَّتِ الشَّقراءُ عنها جلالَها

[سألته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجه ، وشعره في ذلك]

ونسختُ هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدثني علي بن صالح صاحب المصلَّى قال قال القاسم بن مَعن : كان الشماخ تزوج امرأة من بني سُلَيم ، فأساء إليها وضربها وكسَر يدها . فعرضت امرأةٌ من قومها ، يقال لها أسماءُ ، ذاتَ يوم للطريق تسال عن صاحبتها . فاجتاز الشمَّاخ وهي لا تعرفه : فقالت له : ما فعل الخبيث شَمَّاخ ؟ فقال لها : وما تريدين منه ؟ قالت : إنه فعل بصاحبةٍ لنا كيت وكيت . فتجاهل عليها وقال : لا أعلم له خبراً ، ومضى وتركها وهو يقول : [من الطويل]

تُعارِضُ أسماءُ الرِّفاقَ عشيَّةً ... تسائل عن ضِغنِ النساء النَّواكح[4]

---

1 في الديوان ص 292 : ورد البيت :

يقولون لي : احلف فلست بحالفٍ ... أُخادعهم عنها لكيما أنالها

2 همَّ في الديوان ص 294 : أكرب .

3 أزلت : أزلقت . البيت غير مثبت في متن القصيدة .

4 النواكح في الديوان ص 104 : الطّوامح .

وماذا عليهـا إن قَلُوصٌ تمرَّغتْ بعِدلـين أو ألقتهما بالصَّحاصِحِ[1]
فإنكِ لو أُنكِحتِ دارتْ بكِ الرَّحا وأُلقيتِ رَحـلي سَمحةً غيرَ طامحِ
أأسمـاءُ إنّـي قـد أتـاني مخبِّرٌ بفِيقةَ يُنبِـي منطقـاً غيرَ صـ الحِ[2]
بَعَجتُ إليه البطنَ ثـم انتصحتُه ومـا كلُّ من يُفشى إليه ناصح
وإنيَ مـن قـومٍ على أن ذممتهم إذا أولَموا لم يُولِمـ نافِحِ[3]
وإنكِ مـن قـوم تَحِن نساؤُهم إلى الجانب الأقصـ المَنائحِ

ثم دخل المدينة في بعض حوائجه ، فتعلَّقت به بنو سُلَيم لامة صاحبتهم ، فأنكر . فقالوا : احلف . فجعل يطلبُ إليهم ويغلِّظ عليهم أ وشدتَها عليه ليَرضَوا بها منه حتى رَضُوا ، فحلفَ لهم وقال : [من الطويل]

ألا أصبحت عِرسي من البيت جامحاً بغير بـلاءٍ أيُّ أمـرٍ بَـدا لَها[4]
على خَيرةٍ كانت أم العِرسُ جامحٌ فكيف وقد سُقنا إلى الحيِّ ما لَها
سترجع غَضبى رَثَّةَ الحال عندنا كما قطعت منّـا بلَيـلٍ وصالَها[5]

فذكر بعد هذه الأبيات قوله : [من الطويل]

أتتني سُلَيـم قَضُّهـا وقَضيضُها[6]

إلى آخر الأبيات .

[خطب امرأة فتزوّجها أخوه جزء فماتا متهاجرين]

وقال ابن الكلبي : كان الشماخ يهوى امرأةً من قومه يقال لها كلبةُ بنتُ جَوال أختُ جبل بن جَوال الشاعر ابن صَفوان بن بِلال بن أُصرَم بن إياس بن عبد تَميم بن جِحاش بن بَجالة بن مازِن بن ثعلبة ، وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر ؛ فخطَبها فأجابته وهمَّت أن تتزوجه . ثم خرج إلى سفر له فتزوجها أخوه جَزءُ بن ضِرار ، فآلى الشمَّاخ ألا يكلِّمه أبداً ، وهجاه بقصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

---

1 بعدلين في الديوان ص 104 : بمحكمين .
2 بفيقة ينبي في الديوان بضيقةٍ ينشو . وفيقة الضحى : أولها وارتفاعها .
3 ذممتهم في ل : قصبتهم . الأنافح : جمع إنفَحة وهي كرش الحمل والجدي ما لم يأكلا ، فإذا أكلا فهي كرش .
4 بخير في الديوان ص 287 : على غير شيء .
5 في الديوان جاء البيت ص 288 :
سترجع نَدمى خسَّة الحظ عندنا كما صرَمتْ مِنّـا بليلٍ وصالهـا
6 أتتني في الديوان ص 290 : وجاءت .

لنا صاحبٌ قد خانَ من أجل نَظرةٍ سقيمُ الفــؤادِ حبُّ كَلبةَ شاغلُهْ

فماتا متهاجرين .

[استنشد المهدي بن دأب من أشعر ما قالت للعرب فأنشده من شعره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني أحمد بن محمد بن بكر الزُّبيري قال حدثنا الحسن بن موسى بن رَباح مولى الأنصار عن أبي غُزَيَّةَ الأنصاري قال : كنتُ على باب المهديٍّ يوماً ، فخرج حاجبه فقال : أين ابن دَأب ؟ فقال : هأنذا . فقال : ادخل ؛ فدخل ثم خرج فجلس . فقلت : يا ابنَ دأب ، ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين ؟ قال قال لي : أنشِدني أبياتاً من أشعر ما قالت العرب ؛ فأردت أن أُنشده قولَ صاحبك أبي صِرمةَ الأنصاري التي يقول فيها : [من الوافر]

لنــا صُوَرٌ يــؤول الحقُّ فيها وأخــلاقٌ يَسُود بهـــا الفقيرُ
ونصحٌ للعشيرة حيث كانت إذا مُلئت مــن الغشِّ الصدورُ
وحِلمٌ لا يَصُوب الجهلُ فيــه وإطعــامٌ إذا قَحَـط الصَّبيرُ[1]
بذات يـــدٍ على مـــا كان فيها نجـــودُ بــه قليــلٌ أو كثيرُ

فتركتُها وقلت : إن من أشعر ما قالت العرب قول الشماخ : [من الطويل]

وأشعثَ قد قَــدَّ السِّفارُ قميصَــه يجــرّ شِواءً بالعصا غيرَ مُنضَجِ[2]
دعوتُ إلى مـــا نابنــي فأجابني كريـم مــن الفتيان غير مُزَلَّجِ[3]
فتىً يملأ الشِّيزى ويُروِي سِنانَه ويضرب في رأس الكَمِيِّ المُدَجَّجِ[4]
فتىً ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ولا في بيوت الحــي بالمتولِّجِ[5]

فقال : أحسنتَ ! ثم رفع رأسه إلى عبد الله بن مالك فقال : هذه صفتُك يا أبا العباس . فأكَبَّ عليه عبد الله فقبَّل رأسه وقال : ذكَرك اللهُ بخير الذِّكر يا أمير المؤمنين . قال أبو غُزَيَّةَ فقلت له : الأبياتُ التي تركتَ واللهِ أشعرُ من التي ذكرت .

1 الصبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر .
2 يجرّ شواء في الديوان ص 80 : وجرّ الشّواء .
3 الشطر الأول في الديوان ص 81 : دعوت فلباني على ما ينوبني . المزلج : الملصق بالقوم وليس منهم ، والرجل الناقص المروءة .
4 الشيزي : خشب تتخذ منه القصاع .
5 فتى ليس بالراضي في الديوان ص 82 : أبَلُّ فلا يرضى .

[عرابة الذي مدحه ونسبه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : عَرابةُ الذي عَناه الشمَّاخ بمدحه هو أحد أصحاب النبي ﷺ وهو عرابة بن أوس بن قَيظِي بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزرَج . وإنما قال له الشماخ : عرابة الأوسي ، وهو من الخَزرَج ، نسبةً إلى أبيه أوس بن قَيظِي . ولم يصنَع إسحاقُ في هذا القول شيئاً . عَرابة من الأوس لا من الخزرَج ؛ وفي الأوس رجل يقال له الخَزرَج ليس هذا هو الجدَّ الذي ينتهي إليه الخَزرجيون الذي هو أخو الأوس ، هذا الخَزرَج بن النَّبيت بن مالك بن الأوس ، وهكذا نسبه النسَّابون .

[أتى عرابة النبي في غزاة أُحد مع غلمة فردّهم]

وأخبرني به الحِرْميّ بن أبي العَلاء عن عبد الله بن جعفر بن مُصعَب عن جده مصعَب الزُّبيري عن ابن القَداح : وأتى النبيَّ ﷺ في غَزاة أُحُد ليغزوَ معه ؛ فرده في غِلمة استصغرهم : منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسَيد بن حُضَير والبَراءُ بن عازِب وعَرابة بن أوس وأبو سعيد الخُدري .

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبري عن الحارث بن سعد عن الواقِدي عن محمد بن حُمَيد عن سلَمةَ عن ابن إسحاق .

[قصة أبي عرابة وعمه مع النبي]

وأوس بن قَيظِي أبو عَرابة من المنافقين الذين شهدوا أُحُداً مع النبي ﷺ وهو الذي قال له : ﴿إن بيوتنا عَورةٌ﴾ . وأخوه مِربَع بن قَيظِي الأعمى الذي حَثا في وجه رسول الله ﷺ التراب لما خرج إلى أُحُدٍ وقد مرَّ في حائطه وقال له : إن كنتَ نبياً فما أُحِلُّ لك أن تدخل في حائطي . فضربه سعد بن زيد الأُشهَلي بقوسه فشَجَّه وقال : دَعني يا رسول الله أُقتله فإنه منافق . فقال ﷺ : «دَعُوه فإنه أعمى القلبِ أعمى البصر» . فقال أخوه أوس بن قَيظِي أبو عَرابة : لا والله ولكنها عداوتُكم يا بني عبد الأَشهَل . فقال رسول الله ﷺ : «لا والله ولكنه نِفاقكم يا بني قَيظِي» .

[كان عرابة سيداً في قومه وأبوه من وجوه المنافقين]

أخبرنا بذلك الحِرْميّ عن عبد الله بن جعفر الزُّبيري عن جده مصعب عن ابن القَداح : أن عرابة كان سيِّداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم ، وكان أبوه أوس بن قَيظِي من وجوه المنافقين .

[لقي الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جُعدُبة ، وأخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يَزيد ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم : أن

الشماخ خرج يريد المدينة ، فلقيه عَرابةُ بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة ، فقال : أردت أن أمتارَ لأهلي . وكان معه بعَيران فأوقرهما له بُراً وتمراً وكساه وبَرَّه وأكرمه . فخرج عن المدينة وامتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها : [من الوافر]

رأيت عَرابةَ الأوسيَّ يسمو إلى الخيراتِ منقطعَ القرينِ

[سأله معاوية بأي شيء سدت فأجابه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا الأصمعي قال : قال معاوية لعرابة بن أوس : بأي شيء سُدتَ قومَك ؟ فقال : أعفو عن جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في حاجاتهم ، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي ، ومن قصَّر عنه فأنا خيرٌ منه ، ومن زاد فهو خيرٌ مني . قال الأصمعي : وقد انقرض عَقِبُ عرابة فلم يبق منهم أحد .

[اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر]

أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قال ابن دأب وسمع قولَ الشماخ بن ضِرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : [من الرجز]

إنك يا ابنَ جعفرٍ نِعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى
وجارُ ضيفٍ طرَق الحيَّ سُرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إن الحديثَ طَرَفٌ من القِرى

فقال ابن دأب : العَجَب للشمَّاخ ! يقول مثلَ هذا لابن جعفر ويقول لعَرابة : [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقَّاها عَرابةُ باليمينِ

ابن جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة ! .

[نقد أبو نواس بيتاً له ووازنه بشعر الفرزدق]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثني الكُراني محمد بن سعد قال حدثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكَيِّس قال قال لي أبو نواس : ما أحسن الشماخ في قوله : [من الوافر]

إذا بلغتِني وحملتِ رحلي عَرابةَ فاشرَقي بدم الوَتِينِ[1]

ألا قال كما قال الفرزدق : [من الوافر]

علامَ تَلَفَّتِين وأنتِ تحتي وخيرُ الناس كلِّهم أمامي

1 وحملت في الديوان ص 323 : حططت . الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

فتى تَرِدِي الرُّصافةَ تستريحي ... من التَّهجير والدَّبَرِ الدَّوامي[1]

قلت أنا : وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داودُ بن سَلم في مدحه قُثَمَ بن العباس فأحسن فقال : [من السريع]

نجوتِ من حِلِّي ومن رِحلتي ... يـا نـاقُ إن أدنيتِني من قُثَمْ
إنـكِ إن أدنيـتِ منـه غـداً ... حالفنـا اليُسرُ ومـات العَدَمْ
في كفِّـه بحـرٌ وفي وجهـه ... بـدرٌ وفي العِرنـين منـه شَمَمْ
أصمُّ عـن قِيـل الخَنا سمعُه ... وما عن الخير بـه مـن صَمَمْ
لم يَدرِ ما «لا» و «بلى» قد دَرى ... فعافهـا واعتاض منهـا «نعمْ»

[نقد عبد الملك بن مروان شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخَراز عن المَدائني قال : أُنشد عبد الملك قولَ الشماخ في عَرابة بن أوس : [من الوافر]

إذا بَلَّغتِنـي وحملتِ رحلي ... عرابـةَ فاشرَقي بدم الوَتينِ

فقال : بئست المكافأةُ كافأها ! حملت رحلَه وبلَّغته بُغيتَه فجعل مكافأتها نَحرَها ! .

[المهلب والشعراء]

قال الخَراز : ومثل هذا ما حدثناه المدائني عن ابن دَأْب أن رجلاً لقي المهلَّبَ فنحر ناقته في وجهه ؛ فتطيَّر من ذلك وقال له : ما قصتك ؟ فقال : [من الكامل]

إني نذرتُ لئن لَقِيتُكَ سالماً ... أن تستمر بها شِفارُ الجازرِ

فقال المهلَّب : فأَطعمونا من كَبِد هذه المظلومة ، ووصَلَه .

قال المدائني : ولقِيَته امرأةٌ من الأَزد وقد قدِم من حرب كان نهض إليها ، فقالت : أيها الأمير ، إني نذرتُ إن وافيتك سالماً أن أُقبِّل يدك وأصوم يوماً وتهبَ لي جارية صُغدية وثلثمائة درهم . فضحك المهلَّب وقال : قد وفَينا لكِ بنذرك فلا تعاودي مثله ، فليس كل أحد يفي لك به .

[المهدي وأبو دلامة]

وأخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني بعض أصحابنا عن القَحذَمي : أن أبا دُلامة لقيَ المهديَّ لما قدِم بغداد ، فقال له : [من الكامل]

إني نذرتُ لئن رأيتكَ وارداً ... أرضَ العـراق وأنت ذو وَفرِ

1 التهجير : المشي في الهاجر : والدَّبَر : جمع دَبَرة : قرحة الدابة .

لَتُصَلِّينَّ على النبيِّ محمدٍ ولتملأنَّ دراهماً حِجري

فقال له : أما النبي فصلى الله على النبي محمد وآله وسلَّم ، وأما الدراهم فلا سبيل إليها .

فقال له : أنت أكرمُ من أن تُعطِيَني أسهلَهما عليك وتمنعَني الأخرى . فضحك وأمر له بما سأل . وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يُذكر الشيء بمثله .

[لطيفة الأعرابي على مائدة عبد الملك بن مروان بسبب بيت له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن عيسى العَبدي قال حدثني أحمد بن طالب الكناني (كنانة تَغلب) ، وأخبرني به محمد بن أحمد بن الطَّلاس عن الخَرَّاز عن المدائني لم يتجاوزه به قال : نصَب عبد الملك بن مروان الموائد يُطعم الناسَ ؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد . فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره ، فقال له : أعِراقيٌّ أنت ؟ قال : نعم . قال : أنت جاسوس ؟ قال : لا . قال : بَلى . قال : ويحك ! دَعني أتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغِّصني به . ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال مَن القائل : [من الوافر]

إذا الأَرطى توسَّد أبرَدَيْهِ خدودُ جوازىءٍ بالرَّمل عِينِ[1]

وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزناه ، والخادم يسمع . فقال العراقي للخادم : أتحب أن أشرح لك قائله وفيم قاله ؟ قال : نعم . قال : يقوله عَدِي بن زيد في صفة البِطِّيخ الرَّمسي . فقال ذلك الخادم . فضحك عبد الله حتى سقط . فقال له الخادم : أخطأتُ أم أصبتُ ؟ فقال : بل أخطأتَ . فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا العراقي فعلَ الله به وفعل لقَّنَنِيه . فقال : أيُّ الرجالِ هو ؟ فأراه إياه . فعاد إليه عبد الملك وقال : أنت لقَّنتَه هذا ؟ قال : نعم . قال : أفخطأً لقَّنتَه أم صواباً ؟ قال : بل خطأً . قال : ولِمَ ؟ قال : لأني كنت متحرِّماً بمائدتك فقال لي كيت وكيت ، فأردتُ أن أَكُفَّه عنّي وأُضحككَ . قال : فكيف الصواب ؟ قال : يقوله الشماخ بن ضِرار الغَطَفاني في صفة البقر الوحشيَّة قد جَزَأَت بالرُّطب عن الماء . قال : صدقتَ وأجازه ، ثم قال له : حاجتَك ؟ قال : تُنَحِّي هذا عن بابك فإنه يَشِينُه .

[سأل كثير يزيد بن عبد الملك عن معنى بيت له نسبه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليُّ أن أبا عبيدة حدثه عن غير واحد من أهل المدينة : أن يزيد بن عبد الملك لما قَدِم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم . فأقبل إليه كثيِّر يرجو أكثر من ذلك ، وكان قد عوده مَن

---

1 الأرطى : شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود . الأبردان : الظل والفيء . الجوازىء : الظباء وبقر الوحش . العين : جمع عيناء ، واسعة العين .

كان قبلَ يزيدَ من الخلفاء أن يُلقي عليهم بيوتَ الشعر ويسألهم عن المعاني . فألقى على يزيد بيتاً وقال : يا أمير المؤمنين ، ما يَعني الشمَّاخ بقوله : [من الوافر]

فما أروى وإن كَرُمتْ علينا بأدنى من موقَّفَةٍ حَرُونِ[1]
تُطِيفُ على الرُّماة فتتَّقِيهم بأوعالٍ مُعَطَّفَةِ القُرونِ[2]

فقال يزيد : وما يضرُّ يا ماصَّ بَظرِ أمِّه ألا يعلم أمير المؤمنين هذا ؟ وإن احتاج إلى علمه سأل عبداً مثلَك عنه . فندِم كثيرٌ وسكَّته مَن حضَر من أهل بيته ، وقالوا له : إنه قد عوده مَن كان قبلك من الخلفاء أن يُلقي عليه أشباهَ هذا ، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه ؛ فطَفِيء عنه غضبُه . وكانت جائزته ثلاثين ألفاً ، وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص .

وأخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سَلام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشماخ : [من الوافر]

وقد عَرِقتْ مَغابِنُها وجادتْ بِدرَّتِها قِرى حَجِنٍ قَتِينِ[3]

فسكت عنه يزيد ، فقال يزيد : وما على أمير المؤمنين لا أمَّ لك ألا يعرفَ هذا ! هو القُراد أشبهُ الدوابِّ بك ! .

[تمثل ابن الزُّبير ببيت له في حواره لمعاوية]

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدثنا علي بن صالح صاحب المُصَلَّى قال حدثنا ابن دأب قال : قال معاوية لعبد الله بن الزبير وهو عنده بالمدينة في أناس : يا ابنَ الزُّبير ، ألا تعذِرني في حسن بن علي ؟ ما رأيته مُذْ قَدِمتُ المدينةَ إلا مرَّةً . قال : دع عنك حسناً ، فأنت والله وهو كما قال الشماخ : [من الطويل]

أُجامِلُ أقواماً حياءً وقد أرى صدورَهمُ تَغلي عليَّ مِراضُها

والله لو يشاء حسنٌ أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك ؛ والله لأهلُ العراق أرأمُ له من أمِّ الحُوار لحُوارها . فقال معاوية رحمه الله : أردتَ أن تُغريَني به ! والله لأصِلن رَحِمَه ولأقبلَن عليه ، وقال : [من الطويل]

ألا أيُّها المرءُ المُحَرِّشُ بيننا ألا اقتُلْ أخاكَ لستُ قاتلَ أربَدِ

---

1 موقفة : الأروية التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال . والحرون : التي تحرن في أعلى الجبل فلا تبرح .

2 على في الديوان ص 320 : بها .

3 المغابن : الآباط ، والقتين : مثل الحجن .

أبى قُربهُ منـي وحسنُ بلائه وعلمي بما يأتي به الدهرُ في غدِ

والشعر لعُروة بن قَيس ، فقال ابن الزُّبير : أما واللهِ إنِّي وإيَّاه لَيَدٌ عليك بحِلف الفُضُول . فقال معاوية : من أنت ؟ لا أُعرِض لك وحِلفَ الفُضول ! والله ما كنتَ فيها إلا كالرَّهِينة تُشخَن معنا وتَردى هزيلاً ، كما قال أخو هَمدان : [من الطويل]

إذا مـا بعيرٌ قـام علّقَ رحلـه وإن هـو أبقى بالحيـاةِ مُقَطعا

[صوت معبد في شعر كثير بن كثير بن المطلب]

صوت من مُدُن معبد

وهو الذي أوله : [من الخفيف]

أسعدانِـي بعَبـرةٍ أسرابِ مـن شؤون كثيـرةِ التَّسكابِ
إن أهـلَ الحِصاب قـد تركوني مُوزَعـاً مُولَعاً بأهـل الحِصابِ
كم بذاك الحَجُونِ من حَيٍّ صِدقٍ وكهـولٍ أعِفَّـةٍ وشَبابِ
سَكنوا الجِزعَ جِزعَ بيت أبي مو سى إلى النخلِ من صُفِيِّ السِّبابِ
فارَقـوني وقـد علمـتُ يقيناً مـا لمـن ذاق مِيتـةً مـن إيابِ
فَـلِيَ الويـلُ بعدَهـم وعليهـم صرتُ فـرداً وملَّني أصحابي

عَروضه من الخفيف . الشؤون : الشُّعَب التي يتداخل بعضُها في بعض من عظام الرأس ، واحدها شأن مهموزاً . والجِزع : منعطَف الوادي . وصُفِيُّ السِّباب : جمع صَفاة وهي الحجارة . ولُقِّبت صُفيَّ السِّباب لأن قوماً من قريش ومواليهم كانوا يخرجون إليها بالعَشيَّات يتشاتمون ويذكرون المعايبَ والمثالبَ التي يُرمَون بها ؛ فسمِّيت تلك الحجارةُ صُفيَّ السِّباب .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد النَّوفلي عن أبيه قال يقال : صَفا السِّبابِ وصُفيّ السِّباب بفتح الفاء وكسرها جميعاً ، وهو شِعبٌ من شِعاب مكة فيها صَفاً أي صخرٌ مطروح . وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال ؛ ثم صار ذلك في صدرٍ من الإسلام أيضاً حتى نشأ سُدَيف مولى عُتبة بن أبي سُدَيف وشَبيبٌ مولى بني أُمية ، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في موالي بني أُمية ، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف . وكان يقال لهم السُّدَيفِية والشَّبيبيَّة . وكان أهل مكة مقتسَمين بينهما في العصبية ؛ ثم درَس ذلك فصارت العصبية بمكة بين الجزارين والحناطين ، فهي بينهم إلى اليوم ، وكذلك بالمدينة في القِمار وغيره .

الشعر لكَثِير بن كَثِير بن المطلِب بن أبي وَداعة السَّهمي ، وقيل : بل هو لكثيِّر عَزَّة . وقد رُوي في ذلك خبر نذكره . والغِناء لمعبد ثقيلُ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن فيه ثقيلاً أول بالخنصر للغَريض ولحناً آخر لابن عَبَّاد ولم يجنّسه . ولابن جامع في الخامس والسادس رَمَلٌ بالوسطى . ولابن سُرَيج في الأربعة الأُوَل ثقيلٌ أول بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن أبي دُباكِل الخُزاعي فيها ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وأبي أيوبَ المدَني وحَبَش . فمن روى هذا الشعر لكثير عزة يرويه : [من الخفيف]

إن أهل الخضاب قد تركوني

ويزعم أن كثيِّراً قاله في خِضاب خضبَته عَزةُ به .

[ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير وعزة فيغني بشعره]

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَّة ولم يتجاوزه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الزُبيري قال حدثني بهذا الخبر أيضاً وفيه زيادة وخبرُه أحسن وأكثر تلخيصاً وأدخل في معنى الكتاب ، قال الزبيري حدثني أبي قال : خرجت إلى ناحية فَيد[1] متنزِّهاً ، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزُبير وإحدى يديه على يد هذا والأُخرى على يد هذا ، وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تُجلى على زوجها . فلما رأيتهم دنوت فسلَّمت وكنت أحدثَ القومِ سِناً ، فاشتهيتُ غِناء ابن عائشة فلم أدرِ كيف أصنع . وكان ابن عائشة إذا هيَّجتَـه تحرك . فقلت : رحم الله كثيِّراً وعَزة ؛ ما كان أوفاهما وأكرمَهما وأصونَهما لأنفسهما ! لقد ذكرتُ بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عَزة حين خضبَت كثيِّراً . فقـال ابن عائشة : وكيـف كان حديث ذلك ؟ قلت : حدثني مَن حضره بذلك ، ومِن هاهنا تتفق رواية عمر بن شَبَّة والزُبيري ، قال : خرج كثيِّر يريد عَزة وهي منتجِعة بالصَّواري وهي الأودية بناحية فَدَك ، فلما كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابياً فقال له : اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأةً جسيمةً لَحيمةً تُبالِط الرجـالَ الشعر ، قال إسحاق : المبالطة : أن تُنشِد أولَ الشعر وآخرَه ، فإذا رأيتَها فنادِ : من رأى الجملَ الأحمر ؟ مراراً . ففعل . فقالت له : ويحك قد أسمعتَ فانصَرِف ، فانصرف إليه فأخبره . فلم يلبَث أن أقبلت جارية معها طَستٌ وتَورٌ[2] وقِربـة مـاء حتى انتهت إليه ، ثم جاءت بعد ذلك عزَّة فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته . فقالت له : ما على هذا فارقتُك ! . فركب راحلتَه وهي باركةٌ وقامت إلى لِحيته

1 فَيْد : منزل بطريق مكة .

2 تور : إناء صغير .

فأخذت التَّور فخضبته وهو على ظهر جمله حتى فرغت من خِضابه ، ثم نزل فجعلا يتحدثان حتى عَلِق الخضابٌ ، ثم قامت إليه فغسلت لِحيتَه ودهنَته ، ثم قام فركب وقال : [من الوافر]

إن أهلَ الخِضابِ قد تركوني مُوزعاً مُولَعاً بأهل الخضابِ

وذكر باقيَ الأبيات كلها . وإلى هاهنا رواية عمر بن شَبة . فقال ابن عائشة : فأنا والله أُغنّيه وأُجيده ، فهل لكم في ذلك ؟ فقلنا : وهل لنا عنه مَدفَعٌ ؟ فاندفع يغنّي بالأبيات ، فخُيِّل إليَّ أن الأودية تنطق معه حسناً . فلما رجعنا إلى المدينة قصصت القصة ، فقيل لي : إن ذلك أحسن صوت يغنّيه ابن عائشة ؟ فقلت : لا أدري إلا أنّي سمعت شيئاً وافق محبتي .

[معبد وابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما]

وقال عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الله بن الصَّباح عن هشام بن محمد عن أبيه قال : زار معبدٌ ابنَ سريج والغريض بمكة ؛ فخرجا به إلى التَّنعيم ثم صاروا إلى الثَّنِيَّة العُليا ثم قالوا : تعالَوا حتى نُبكي أهل مكة ؛ فاندفع ابن سُرَيج فغنَّى صوتَه في شعر كَثِير بن كَثِير السَّهمي : [من الخفيف]

أَسْعِديني بعَبرةٍ أَسرابِ من دموعٍ كثيرةِ التّسكابِ

فأخذ أهلُ مكة في البكاء وأنُّوا حتى سُمع أنينُهم . ثم غنَّى معبد : [من الكامل]

صوت

يا راكباً نحوَ المدينة جَسرةً أُجُداً تلاعبِ حَلقةً وزماما
اقرأ على أهل البَقيع من امرىء كَمِدٍ على أهلِ البقيعِ سلاما
كم غيَّبوا فيه كريماً ماجداً شَهماً ومُقتَبِلَ الشبابِ غلاما
ونَفيسةً في أهلها مرجوةً جمعتْ صَباحةَ صورةٍ وتَماما

فنادَوا من الدروب بالويل والحَرَب والسَّلَب ، وبقي الغريض لا يقدِر من البكاء والصُّراخ أن يغنّي .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغِناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي ، وقد غلِط . وذكر حبش أن لعَلويه فيه ثقيلاً أول آخر .

[صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريع]

ومن مُدُن معبد :

صوت

وقد أُضيف إليه غيره من القصيدة : [من الطويل]

سَلي هل قَلاني من عَشيرٍ صَحِبتُه ... وهل ذَمَّ رحلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجتَوِي القومُ الكِرامُ صَحابتي ... إذا اغبرَّ مَخشيُّ الفِجاج عَميقُ
ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهَدايا المُشعَراتِ صديقُ
تكادُ بلادُ الله يا أُمَّ مَعمَرٍ ... بما رَحُبت يوماً عليَّ تَضيقُ
أُذُود سَوامَ الطَّرف عنكِ وهل لها ... إلى أحدٍ إلا إليكِ طريقُ
وحدثتَني يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البَين من لُبنى فسوف تذوقُ
فمُتْ كَمَداً أو عِش سَقيماً فإنما ... تكلِّفني ما لاً أراك تُطيقُ
بلُبنى أُنادِيَ عند أول غَشية ... ولو كنتُ بين العائدات أُفيقُ
إذا ذُكِرت لبنى تَجلَّتكَ زَفرةٌ ... ويَثني لك الدَّاعي بها فتُفيقُ

عروضه من الطويل . الشعر لقيس بن ذَريح . والغناء لمعبد في اللحن المختار المذكور ثقيل أول بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق في الأول والثاني والثالث . وذَكر في موضع آخر وافقته دِنانير أن لمعبد ثقيلاً أول بالبنصر في مجرى الوسطى أوله : [من الطويل]

صوت

أتجمعُ قلباً بالعراقِ فَريقُه ... ومنه بأطلالِ الأَراكِ فريقُ
فكيفَ بها لا الدارُ جامعةُ النَّوى ... ولا أنتَ يوماً عن هواكَ تُفيقُ
ولو تعلمينَ الغيبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهدايا المُشعَراتِ صديقُ

البيتان الأولان يُروَيان لجرير وغيره ، والثالث لقيس بن ذَريح أضافه إليهما مَعبد . وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد الأول في خمسة أبيات أُولى من الشعر . وذكر عمرو بن بانة أن لبَذل الكبيرة خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى في الرابع من الأبيات وبعده : [من الطويل]

دَعَونَ الهوى ثم ارتَمَيْنَ قلوبَنا ... بأعيُن أعداءٍ وهنَّ صديقُ

وبعده الخامس من الأبيات وهو «أُذُود سَوامَ الطَّرف» . وزعم حَبَشٌ أن في لحن معبدٍ الثاني الذي أوله : «أتجمع قلباً» لابن سريج خفيفَ رملٍ بالبنصر . وذكر أيضاً أن للغريض في الأول والثاني والسابع ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر ، ولابن مِسجَح خفيف رملٍ بالبنصر . وفي السادس وما بعده لحَكَم الوادي ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أن للغريض فيها ثقيلاً أول بالوسطى .

[138] ـ ذكر قيس بن ذَريح ونسبه وأخباره[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكر الكلبي والقَحذَمي وغيرهما ، قيس بن ذَريح بن سُنَّة بن حُذافة بن طَريف بن عُتوارةَ بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناةَ وهو علي بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وذكر أبو شُراعة القَيسي انه قيس بن ذَريح بن الحُباب بن سُنَّة ؛ وسائر النسب متَّفق . واحتَجَّ بقول قيس : [من الطويل]

فإن يـكُ تَهيامي بلُبنـى غَوايةً ... فقد يا ذَريحُ بـنَ الحُبابِ غَوَيتُ

وذكر القَحذَمي أن أمه بنتُ سُنة بن الذاهلِ بن عامر الخُزاعي ، وهذا هو الصحيح ؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنة شاعر ، وهو الذي يقول : [من الخفيف]

ضربوا الفِيلَ بالمغمَّس حتى ... ظَـلَّ يحبو كأنـه محمومُ[2]

وفيه يقول قيس : [من البسيط]

أُنبئتُ أن لخـالي هَجمةً حُبُساً ... كأنّهـن بجَنبِ المَشعَرِ النُّصُلُ[3]

قد كنتَ فيما مضى قِدماً تجاورُنا ... لا ناقـةٌ لك ترعاهـا ولا جملُ

مـا ضَرَّ خاليَ عمـراً لو تَقَسَّمها ... بعضُ الحياض وجَمُّ البئر مُحتفِلُ

[هو رضيع الحسين بن علي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى بن حَماد قال حدثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدثني جَزء بن قَطَن قال حدثنا جَساس بن محمد بن عمرو أحدُ بني الحارث بن كعبٍ عن محمد بن أبي السَّرِي عن هشام بن الكلبي قال حدثني عدد من الكنانيين : أن قيس بن ذَريح كان رضيعَ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أرضعته أُم قَيس .

[أول عشقه لبنى ثم زواجه بها]

أخبرني بخبر قيس ولُبنى امرأتِه جماعةٌ من مشايخنا في قِصَصٍ متصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومةٍ ، فألَّفتُ ذلك أجمعَ ليتَّسق حديثُه إلا ما جاء مفرداً وعَسُر إخراجُه عن جملة

1 انظر أخباره في : المؤتلف 120 واللآلىء 739 ، 710–711 .

2 المغمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف .

3 الهجمة من الإبل : أولها أربعون إلى ما زادت ، أو ما بين السبعين إلى المائة . النصل : جمع نصيل ، وهو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة .

النظم فذكرته على حدة . فممن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبّة ولم يتجاوزه إلى غيره ، وإبراهيم بن محمد بن أيوب عن ابن قُتيبة ، والحسنُ بن علي عن محمد بن موسى بن حَماد البَربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جَزء بن قَطَن عن جَساس بن محمد عن محمد بن أبي السَّرِي عن هشام بن الكلبي وعلى روايته أكثر المعوَّل . ونسختُ أيضاً من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القَحذَمي عن رجاله ، وخالدُ بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه ، وخالدُ بن جَمَل ونُتَفاً حكاها اليوسفيّ صاحبُ الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حَماد عن جميل عن ابن أبي جَناح الكعبي . وحكيت كلَّ مُتَّفِقٍ فيه متصلاً ، وكل مختلفٍ في معانيه منسوباً إلى راويه . قالوا جميعاً : كان منزل قومه في ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من حاضِرة المدينة . وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسَرِف[1] ؛ واحتج بقوله : [من البسيط]

الحمـد لله قـد أمستْ مُجاورةً   أهلَ العَقيقِ وأمسَينا على سَرِفِ

قالوا : فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خُزاعة ، فوقف على خيمة منها والحي خُلُوف والخميةُ خيمة لُبنى بنت الحُباب الكَعبية ، فاستسقى ماء ، فسقته وخرجت إليه به ، وكانت امرأةً مَديدةَ القامةِ شَهلاءَ[2] حُلوة المنظر والكلام . فلما رآها وقعت في نفسه ، وشرب الماء . فقالت له : أتنزل فتتبرَّدَ عندنا ؟ قال : نعم . فنزل بهم . وجاء أبوها فنحر له وأكرمه . فانصرف قيس وفي قلبه من لُبنى حَرٌّ لا يَطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوي . ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجدُه بها . فسلم فظهرت له وردت سلامَه وتحفت به ؛ فشكا إليها ما يَجِدُ بها وما يَلقى من حبها ، وشكت إليه مثلَ ذلك فأطالت ، وعرف كلٌّ واحد منهما ما له عند صاحبه . فانصرف إلى أبيه وأعلمه حالَه وسأله أن يزوجه إياها . فأبى عليه وقال : يا بني ، عليك بإحدى بناتِ عمك فهن أحقُّ بك . وكان ذَرِيحٌ كثير المال موسِراً ، فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة . فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به . فأتى أُمَّه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحب . فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابنَ أبي عتيق فشكا إليهما ما به وما رد عليه أبوه . فقال له الحسين : أنا أَكفِيك . فمشى معه إلى أبي لُبنى . فلما بَصُر به أعظمه ووثَب إليه ، وقال له : يا ابنَ رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألا بعثتَ إليّ فأتيتُك ؟ قال : إن الذي جئـتُ فيه يُوجب قصدَك وقد جئتك خاطباً ابنتَك لُبنى لقيس بن ذَريح . فقال : يا ابنَ رسول الله ، ما كنا لنَعصيَ لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن أحَب الأمرِ إلينا أن يخطُبَها ذَريح أبوه علينا وأن يكونَ ذلك عن أمره ، فإنا نخاف إن لم يَسعَ أبوه في هذا أن يكون عاراً وسُبَّةً علينا .

---

1 سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

2 الشهلاء : التي يخالط سواد عينها زرقة .

فأتى الحسين رضي الله عنه ذَريحاً وقومَه وهم مجتمعون ، فقاموا إليه إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخُزاعيين . فقال لذَريح : أقسمتُ عليك إلا خطبتَ لُبنى لابنك قيس . قال : السمعَ والطاعة لأمرك . فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتَوا لُبنى فخطبها ذَريحٌ على ابنه إلى أبيها فزوجه إياها ، وزُفت إليه بعد ذلك . فأقامت معه مدة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئاً .

[أبواه يغريانه بطلاقها ويأبى هو]

وكان أبرَّ الناس بأُمِّه ، فألهته لُبنى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك ، فوجدَت أُمُّه في نفسها وقالت : لقد شغلت هذه المرأةُ ابني عن بِري ؛ ولم تَرَ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرِض مرضاً شديداً . فلما بَرأ من علته قالت أُمُّه لأبيه : لقد خَشِيتُ أن يموتَ قيسٌ وما يتركُ خَلَفاً وقد حُرِم الولدَ من هذه المرأة ، وأنت ذو مال فيصيرُ مالك إلى الكَلالة ، فزوِّجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً ، وألحَّت عليه في ذلك . فأمهلَ قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال : يا قيس ، إنك اعتللتَ هذه العلةَ فخِفتُ عليك ولا ولد لك ولا لي سواك . وهذه المرأة ليست بوَلُود ؛ فتزوَّج إحدى بنات عمِّك لعل الله أن يَهَب لك ولداً تَقَرُّ به عينُك وأعيننا . فقال قيس : لستُ متزوِّجاً غيرها أبداً . فقال له أبوه : فإن في مالي سَعَةً فتسَرَّ بالإماء . قال : ولا أسوءها بشيءٍ أبداً والله . قال أبوه : فإني أقسِم عليك إلاّ طلقتَها . فأبى وقال : الموتُ واللهِ عليّ أسهل من ذلك ، ولكني أُخيِّرك خَصلةً من ثلاث خصال . قال : وما هي ؟ قال : تتزوج أنت فلعلَّ الله أن يُرزقَك ولداً غيري . قال : فما في فَضلة لذلك . قال : فدَعني أرتحلْ عنك بأهلي واصنَع ما كنتَ صانعاً لو متُّ في علتي هذه . قال : ولا هذه . قال : فأدَعُ لُبنى عندك وأرتحِلُ عنك فلعلّي أسلوها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي . قال : لا أرضى أو تطلّقَها ، وحلَف لا يَكُنُّه سقفُ بيت أبداً حتى يطلّق لُبنى ، فكان يخرج فيَقِفُ في حر الشمس ، ويَجيء قيسٌ فيقف إلى جانبه فيُظِله بردائه ويَصْلَى هو بحر الشمس حتى يَفِيء الفيءُ فينصرف عنه ، ويدخل إلى لُبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له : يا قيس ، لا تُطِع أباك فتَهلِك وتُهلِكَني . فيقول : ما كنت لأُطيعَ أحداً فيك أبداً . فيقال : إنه مكث كذلك سنةً . وقال خالد بن كُلثوم : ذكر ابن عائشة أنه أقام على ذلك أربعينَ يوماً ثم طلقها . وهذا ليس بصحيح .

[طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها ، وشعره في ذلك]

أخبرني محمد بن خلَف وَكيع قال حدثني أحمد بن زُهير قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو : أنه سمع قيس بن ذَرِيح يقول لزيد بن سليمان : هجَرني أبواي في لُبنى عشرَ سنين أستأذِنُ عليهما فيَرُداني حتى طلقتُها . قال ابن جُرَيج : وأُخبرت أن عبد الله بن صَفوان الطويل لَقِيَ ذَرِيحاً أبا

قيس فقال لـه : ما حَمَلك على أن فرقتَ بينهما ؟ أما علمتَ أن عمر بن الخطاب قال : ما أُبالي أفرقتُ بينهما أو مشيتُ إليهما بالسيف . وروى هذا الحديث إبراهيم بن يَسار الزّمادي عن سُفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذَريح بن سُنة أبي قيس : أحَلَّ لكَ أن فرقتَ بين قيس ولُبنى ؟! أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول : ما أُبالي أفرقتُ بين الرجل وامرأته أو مشيتُ إليهما بالسيف . قالوا : فلما بانت لُبنى بطلاقه إياها وفُرغ من الكلام ، لم يَلبث حتى استُطير عقلُه وذُهِب به ولحقه مثلُ الجنون . وتذكّر لُبنى وحالَها معه فأسِف وجعل يبكي وينْشج أحرَّ نَشيج . وبلغها الخبرُ فأرسلت إلى أبيها ليحتملها ، وقيل : بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيسٌ يدخل عليها . فأقبل أبوها بهَودَج على ناقة وبإبل تحملُ أثاثها . فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال : ويحك ! ما دهاني فيكم ؟ فقالت : لا تسألني وسَل لُبنى . فذهب ليُلِمَّ بخِبائها فيسألها ، فمنعه قومُها ، فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له : ما لك ويحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل ؟ هذه لُبنى ترتحل الليلةَ أو غداً . فسقط مغشِياً عليه لا يَعقِل ثم أفاق وهو يقول : [من الطويل]

وإني لَمُفـنٍ دمـعَ عينـيَّ بالبكا ... حِذارَ الذي قـد كان أو هو كائنُ
وقالوا غـداً أو بعـد ذاك بليلةٍ ... فـراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتي ... بكفَّيكِ إلا أَن مـا حـان حائنُ

في هذه الأبيات غِناء ولها أخبار قد ذُكرت في أخبار المجنون . قال وقال قيس : [من الطويل]

يقولون لُبنـى فتنةٌ كنـتَ قبلها ... بخيـر فـلا تَنـدَمْ عليهـا وطلّقِ
فطاوعتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي ... وأقررتُ عـين الشامت المُتخلِّقِ[1]
وَدِدْتُ وبيـتِ الله أني عَصَيتُهم ... وحُمِّلت في رِضوانِها كلَّ مُوبِقِ[2]
وكُلِّفتُ خوضَ البحرِ والبحرُ زاخرٌ ... أَبيتُ على أَثبـاجِ مـوجٍ مُغَرِّقِ
كأني أَرى النـاسَ المحبـين بعدها ... عُصـارةَ مـاءِ الحنظـلِ المُتفلِّقِ
فتُنكرُ عينـي بعدهـا كلَّ منظَرٍ ... ويكره سمعـي بعدَهـا كلَّ منطقِ

قال : وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنعَقِ مراراً ، فتطيَّر منه وقال : [من الوافر]

لقـد نادى الغرابُ بِبَين لُبنى ... فطار القلب من حَذرِ الغرابِ

1 المتخلّق : الذي يتكلف ما ليس في خلقته .

2 الموبق : المهلك .

وقـال غـداً تَباعَدُ دارُ لُبنى ... وتَنــأى بعـد ودٍّ واقتــراب
فقلتُ تَعِستَ وَيحَكَ من غراب ... وكان الدهرَ سعيُك في تَبابِ

وقال أيضاً وقد منعه قومه من الإلمام بها : [من الطويل]

صوت

ألا يا غرابَ البَينِ وَيحَكَ نَبِّني ... بعلمك في لُبنى وأنــتَ خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبِرْ بما قد علمتَه ... فلا طِرتَ إلا والجَناح كَسِيرُ
ودُرتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهمُ ... كما قـد تـَراني بالحبيب أدورُ

غنَّى سليمان أخو حَجَبَةَ رملاً بالوسطى .

قالوا : وقال أيضاً وقد أُدخِلت هودجَها ورحلتْ وهي تَبكي ويتبعُها : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البَينِ هل أنت مُخبِري ... بخيرٍ كما خَبَّرتَ بـالنأي والشرِّ
وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعاً ... صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ

غنَّى فيهما ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي . وذكر حبش أن لقَفا النجار فيهما ثقيلاً أول بالوسطى . قالوا : فلما ارتحل قومُها اتَّبَعها مَلِياً ، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها ، فوقف ينظر إليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكَر راجعاً . ونظر إلى أثر خُفِّ بعيرها فأكبَّ عليه يقبِّله ورجع يقبِّل موضعَ مجلسها وأثرَ قَدَمِها . فَلِيمَ على ذلك وعنفه قومُه على تَقبِيل التراب ؛ فقال : [من الوافر]

وما أحببتُ أرضَكمُ ولكن ... أُقبِّلُ إثـر مَن وَطِيء التُّرابا
لقد لاقيتُ من كَلَفِي بلُبنى ... بَلاءً مـا أُسِيغ بـه الشَّرابا
إذا نادى المنادي باسم لُبنى ... عَيِيتُ فما أُطيقُ لـه جوابا

وقال وقد نظر إلى آثارها : [من الوافر]

صوت

ألا يا رَبعَ لُبنى مـا تقـولُ ... أبِنْ لي اليومَ ما فعل الحُلولُ
فلــو أن الديـارَ تُجيب صَبّاً ... لــرد جـوابيَ الربـعُ المُحِيلُ
ولـو أني قدَرتُ غـداةَ قالت ... غــدَرتَ وماءُ مُقلتِها يَسِيلُ
نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها ... مقالتَهـــا وذاك لهـا قليلُ
شَفَيتُ غليلَ نفسي من فِعالي ... ولم أُغبَرْ بـلا عقــلٍ أجُولُ

غنَّى فيه حسين بن مُحرز خفيف ثقيلٍ من روايتَي بَذل وقُرَيض . وتمام هذه الأبيات :

كأنّـي والِـهٌ بفـراقِ لُبنَى ... تَهِيـمُ بفقد واحِدِهـا ثَكُولُ[1]
ألا يا قلبُ وَيحَكَ كن جَلِيداً ... فقد رحَلتْ وفاتَ بها الذَمِيلُ[2]
فإنـك لا تُطيق رجوعَ لُبنى ... إذا رحَلـتْ وإن كثُر العَوِيلُ
وكَم قد عِشتَ كَم بالقربِ منها ... ولكـن الفِـراقَ هـو السبيلُ
فصبـراً كلُّ مؤتَلِفَـينِ يومـاً ... مـن الأيـام عيشُهما يزولُ

قال : فلما جَن عليه الليلُ وانفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرارُ وجعل يتململ فيه تململ السليم ، ثم وثب حتى أتى موضع خِبائها ، فجعل يتمرّغ فيه ويبكي ويقول : [من الخفيف]

صوت

بِـتُّ والهمُّ يا لُبينى ضَجيعي ... وجرت مُذ نأيتِ عنِّي دموعي
وتنفَّستُ إذ ذكرتُـك حتـى ... زالت اليومَ عن فؤادي ضلوعي
أتناساكِ كي يُرِيـغَ فـؤادي ... ثم يشتدُّ عنـد ذاك وَلُوعي[3]
يا لُبينى فَدَتكِ نفسي وأهـلي ... هل لدهرٍ مضى لنا من رجوعِ

غنت في البيتين الأولين شارية خفيف رمل بالوسطى . وغنى فيهما حسين بن محرز ثاني ثقيل ، هكذا ذكر الهشامي ؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان .

أخبرني محمد بن خلَف وكيع قال قال الزُّبير بن بَكار حدثني عبد الجبار بن سعيد المُساحِقي عن محمد بن مَعن الغِفاري عن أبيه عن عجوز لهم يقال لها حَمادة بنت أبي مُسافر قالت : جاورت آلَ ذَرِيحٍ بقَطيع لي فيه الرَّائِمة[4] وذات البوّ والحائلُ والمُتبع . قالت : فكان قيسُ بن ذَريح إلى شَرَفٍ في ذلك القطيع ينظر إلى ما يَلقَين فيتعجب . فقلما لبِث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لُبنى فكاد يموت ، ثم آلى أبوه لئن أقامت لا يُساكِن قيساً . فظعَنتْ فقال : [من الطويل]

أيـا كبـداً طـارتْ صُدوعاً نوافذاً ... ويـا حَسرَتا مـاذا تَغَلغَلَ في القلبِ

1 ثكول في ل : عجول .
2 الذميل : السير اللين .
3 يريغ : يحيد .
4 الرائمة : العاطفة على غير ولدها . والبوّ : جلد الحوار يحشى ثماماً أو تبناً أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر .

فأقسِمُ مـــا عُمشُ العيون شوارفٌ روائـــم بَـــوٍّ حائماتٌ على سَقَبِ[1]
تشمَّمنَـــه لـــو يَستطِعـــن ارتشفنَـــه إذا سُفنَـــه يَزددنَ نَكباً على نَكبِ[2]
رَئِمـــنَ فمـــا تَنحاش منهن شارفٌ وحالَفنَ حبساً في المُحول وفي الجَدبِ
بأَوجَـدَ منّي يـــومَ وَلَّت حُمُولُها وقد طلعتُ أولى الرِّكاب من النَّقبِ
وكلٌّ مُلِمـــاتِ الزمـــانِ وجدتُهـــا سوى فُرقـــةِ الأحبابِ هيِّنَةَ الخَطبِ

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال سمعتُ ابن عائشة يقول : قال إسحاق بن الفضل الهاشمي : لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح : [من الطويل]

وكلٌّ مُصيبات الزمـــانِ وجدتُها سوى فُرقةِ الأحبابِ هيِّنةَ الخَطبِ

[خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها ، وشعره في ذلك]

قال وقال ابن النطاح قال أبو دِعامة : خرج قيسٌ في فِتية من قومه واعتلَّ على أبيه بالصيد ، فأتى بلاد لُبنى ، فجعل يتوقعُ أن يراها أو يرى من يُرسِل إليها . فاشتغل الفتيانُ بالصيد ؛ فلما قضَوا وَطَرَهم منه رجعوا إليه وهو واقف ، فقالوا له : قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وأنك لم تُرِد الصيد وأنما أردتَ لقاء لبنى ، وقد تعذَّر عليك فانصرِف الآن . فقال : [من الطويل]

ومـــا حائماتٌ حُمنَ يومـــاً وليلةً على المـــاء يَغشَين العَصِيَّ حَوانِ
عَوافِـــيَ لا يَصدُرن عنـــه لِوجهةٍ ولا هنّ من بَـــردِ الحِياض دَوانِ[3]
يَرَيـــنَ حَبابَ المـــاء والموتُ دونه فهـــنّ لأصواتِ السُّقـــاةِ رَوانِ
بأجهـــدَ منّي حَـــرَّ شوقٍ ولَوعةٍ عليكِ ولكـــنَّ العـــدوَّ عَـــداني
خليـــليَّ إني ميـــتٌ أو مُكَلِّـــمٌ لُبَينـــى بسرِّي فامضِيـــا وذَراني
أَنَلْ حاجتي وَحدِي ويا رُبَّ حاجةٍ قضيتُ على هَولٍ وخوفِ جَنانِ
فإنَّ أحـــقَّ النـــاسِ ألا تُجاوِزا وتَطَّرِحـــا مَـــن لـــو يشاء شفاني
ومن قادني للموتِ حتى إذا صفَتْ مشاربُـــه السمَّ الذُّعـــافَ سقاني

قال : فأقاموا معه حتى لقيَها ، فقالت له : يا هذا ، إنك متعرضٌ لنفسك وفاضِحي .
فقال لها : [من الوافر]

---

1 الشوارف : جمع شارفة وهي الناقة المسنة . السقب : ولد الناقة .
2 ساف الشيء : شمه . والنكب : ظلع البعير .
3 العوافي : جمع عافية وهي التي ترد الماء .

صدَعتِ القلبَ ثم ذرَرتِ فيه هــواكِ فلِيــمَ فالتأم الفُطورُ[1]
تَغَلغَــلَ حيــثُ لم يبلُغْ شَرابٌ ولا حــزنٌ ولم يـبلغْ سرورُ

[أبو السائب المخزومي وشعر قيس]

وقال القحذمي حدثني أبو الوَردان قال حدثني أبي قال : أنشدتُ أبا السائب المخزومي قول قيس : [من الوافر]

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه هـواكِ فلِيـمَ فالتـأم الفطورُ

فصاح بجارية له سِندية تسمَّى زُبدة ، فقال : أي زبدةُ عجِّلي . فقالت : أنا أعجِنُ . فقال : ويحك ! تعالَيْ ودَعي العجين . فجاءت فقال لي : أنشِد بيتَي قيس ، فأعدتُهما . فقال لها : يا زُبدة ، أحسنَ قيس وإلا فأنت حرة ! ارجعي الآن إلى عجينك أُدرِكيه لا يَبرُد .

[حسرته على فراقها وتأنيبه نفسه]

قالوا : وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه طلاقه لُبنى ويقول : فألا رحلتُ بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يَرَني ؟ فكان إذا فقدني أقلع عما يفعله وإذا فقدتُه لم أتحرج من فعله ؛ وما كان عليّ لو اعتزلتُه وأقمت في حيِّها أو في بعض بَوادِي العرب ، أو عَصَيته فلم أُطِعه ! هذه جنايتي على نفسي فلا لومَ على أحد ! وهأنذا ميِّتٌ مما فعلته ، فمن يردُّ رُوحي إلي ! وهل لي سبيل إلى لبنى بعد الطلاق ؟! وكلما قرَّع نفسَه وأنَّبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحرَّ بكاء وألصق خدَّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال : [من البسيط]

صوت

وَيـلي وعَولي ومـالي حين تُفلِتُني من بعد ما أحرزت كفي بها الظَّفَرا
قد قـال قلبي لطَرفي وهو يعذِلُه هـذا جزاؤك مني فاكدِم الحجرا
قد كنـتُ أنهاك عنها لو تُطاوعُني فاصبرْ فما لكَ فيها أجرُ من صبرا

غناه الغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن حبش . وفي الثالث والأول خفيف رَمَل يقال إنه لابن الهِربِذ .

قالوا وقال أيضاً : [من البسيط]

بانـت لُبَينى فأنـت اليوم متبولُ والرأي عندك بعـد الحزمِ مخبولُ
أستودِع اللّهَ لُبنـى إذ تفارقنـي بالرغمِ مني وقولُ الشيخِ مفعولُ

---

1 الفطور : الشقوق .

وقـد أراني بلبنـى حـقَّ مقتنِعٍ والشملُ مجتمعٌ والحبلُ موصولُ

قال خالد بن كلثوم وقال : [من الطويل]

ألا ليت لُبنـى في خلاءٍ تزورني فأشكو إليهـا لَوعتي ثـم ترجعُ

صحا كلُّ ذي لـبٍّ وكلُّ متيَّم وقلبي بلُبنَـى مـا حَيِيتُ مروَّعُ

فيا مَن لِقلبٍ مـا يُفيقُ من الهوى ويـا مَـنْ لعـينٍ بالصَّبابة تَدمَعُ

قالوا وقال في ليلته تلك : [من البسيط]

قد قلتُ للقلبِ لا لُبناكَ فاعترف واقضِ اللُّبانةَ ما قضَّيتَ وانصرفِ

قد كنتُ أحلفُ جَهداً لا أُفارقها أُفٌّ لكثرة ذاك القِيـل والحَلِفِ

حتى تكنَّفنـي الواشونَ فافْتُلِتَتْ لا تأمَنن أبداً مـن غشٍّ مُكتنِفِ[1]

هيهاتَ هيهاتَ قد أمستْ مُجاورةً أهـلَ العَقيقِ وأُمسيْنا على سَرِفِ

قال : وسَرِف على ستة أميال من مكة . والعَقيق : واد باليمامة[2] .

حَـيٌّ يَمانُونَ والبَطحاءُ منزلُنا هذا لَعمرُك شملٌ غيرُ مؤتلِفِ

[من شعره في لُبَنى وقد سنحتْ له ظبية]

قالوا : فلما أصبح خرج متوجهاً نحو الطريق الذي سلكته يتنسَّم روائحَها ، فسنَحت له ظبيةٌ فقصدها فهربت منه فقال : [من الوافر]

ألا يـا شِبهَ لُبنَـى لا تُراعِـي ولا تتيمَّمِـي قُلَـلَ القِلاعِ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

فـوا كبِدي وعاودني رُداعِي وكان فـراقُ لُبنَى كالخداعِ[3]

تكنَّفنـي الوُشاةُ فأزعجوني فيـاللهِ لِلـواشي المُطـاعِ

فأصبحتُ الغَداةَ ألومُ نفسي عـلى شيءٍ وليسَ بمستطاعِ

كمغبـونٍ يَعَضُّ عـلى يديـه تَبيَّـنَ غَبنَـه بعـد البياعِ

بـدار مَضيعـةٍ تركتك لُبنَى كذاك الحَينُ يُهدى للمُضاعِ

وقـد عِشنا نَلَذُّ العيشَ حِيناً لَـوَ آن الدهرَ للإنسانِ داعِ

---

1 افتُلتت : أُخذت بغتة .

2 ل : بالمدينة .

3 الرداع : النكس ، وقيل : وجع الجسد كله .

ولكــنّ الجميعَ إلى افتــراق ... وأسبابُ الحُتوفِ لهــا دواعِ

غناه الغريض من القَدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو والهشامي . ولشاريَةَ في البيتين الأولين ثقيلٌ أولُ آخر بالوسطى . ولابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشامي في : [من الوافر]

بــدارِ مَضيعــةٍ تركتك لُبنى

وقبله :

فواكبــدِي وعــاودني رُداعِــي

ولسياطٍ في البيتين الأولين خفيفُ رمل بالبنصر عن حبش .

[أغرت أمه فتيات الحي بأن يعبن عنده لبنى ليسلوها فلم يسل]

حدثني عمّي عن الكراني عن العُتبي عن أبيه قال : بعثت أُمُّ قيس ذَريح بفتيات من قومه إليه يعِبنَ إليه لُبنى ويَعِبنَه بجَزَعِهِ وبكائه ويتعرَّضْنَ لوصاله ، فأتيْنَـه فاجتمعنَ حواليه وجعلن يمازحنَه ويَعِبنَ لُبنى عنده ويعيِّرنَه ما يفعله . فلما أَطِلنَ أقبل عليهن وقال : [من الطويل]

صوت

يَقَــرُّ بعينــي قربُهــا ويَزيــدُني ... بها كَلَفــاً مَن كان عندي يَعِيبُها

وكم قائلٍ قــد قــال تُبْ فعصَيتُه ... وتلــك لعَمرِي توبــةٌ لا أتوبها

فيا نفسُ صبراً لستِ واللهِ فاعلمي ... بــأوَّلِ نفسٍ غــابَ عنهــا حبيبُها

غنَّاه دَحمان ثقيلاً أول بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالبنصر لسُليم ، وذكـر حبش أنه لإسحاق ، قال : فانصرفن عنه إلى أُمه فأيأسنها من سَلوته . وقال سائر الرُّواة الذين ذكرتهم : اجتمع إليه النِّسوة فأطلنَ الجلوسَ عنده ومحادثته وهو ساهٍ عنهن ، ثم نادى : يا لُبنى ! فقلن له : ما لكَ ويحك ! فقال : خَدِرت رجلي ، ويقال : إن دعاء الإنسان باسم أحبِّ الناس إليه يُذهب عنه خَدَر الرِّجل فناديتُها لذلك . فقمن عنه ، وقال : [من الطويل]

إذا خدِرت رجلي تذكرتُ مَن لها ... فناديتُ لُبنــى باسمِهــا ودعوتُ

دعوتُ التي لو أن نفسي تُطِيعني ... لفارقتُهــا مــن حبِّهــا وقَضيتُ

بَرَتْ نبلَها للصيدِ لُبنَى وريَّشَت ... وريَّشتُ أُخــرى مِثلَهــا وبَريتُ

فلمــا رمتنــي أَقصدتني بسهمها ... وأخطأتُها بالسَّهمِ حـين رميتُ

وفارقــتُ لبني ضَلــةً فكأنني ... قُرِنــت إلى العَيُــوق ثـم هَوَيتُ

فيـــا ليتَ أنّي مُـــتُّ قبل فراقها ... وهـــل تَرجِعَنْ فوتَ القضية لَيتُ
فصرتُ وشيخي كالذي عثرتْ به ... غَداةَ الوَغى بـــين العُداة كُمَيتُ
فقامتْ ولم تُضرَرْ هناكَ سَوِيَّـــةً ... وفارسُها تحـــتَ السَّنابِكِ مَيتُ
فـــإن يـــك تَهيامي بلُبنى غَوايَـــةً ... فقد يـــا ذَرِيحُ بـــنَ الحُباب غَوَيتُ
فـــلا أنـــت مـــا أمَّلتَ في رأيتَـــه ... ولا أنـــا لُبنَى والحيـــاةَ حَوَيتُ
فوَطِّـــن لهُلكي منـــك نفساً فإنني ... كأنك بي قـــد يـــا ذَرِيحُ قَضَيتُ

[حديثه في مرضه مع عواده ومع طبيبه عن لبنى]

وقال خالد بن كلثوم : مرِض قيس ، فسأل أبوه فتياتِ الحي أن يَعُدنه ويحدِّثنه لعلَّه أن يتسلَّى أو يعلَق بعضَهن ، ففعلن ذلك . ودخل إليه طبيب ليداويَه والفتياتُ معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته ، فقال : [من الخفيف]

صوت

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى ... داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شديدُ
وإذا عـــادني العوائـــدُ يومـــاً ... قالت العينُ لا أرى من أُريدُ
ليت لُبنى تَعُودني ثـــم أَقضي ... إنّهـــا لا تعـــود فيمن يعودُ
وَيحَ قيسٍ لقـــد تضمَّن منها ... داءَ خَبلٍ فالقلبُ منـــه عَميدُ

غنَّاه ابن سُرَيج خفيف رملٍ عن الهِشامي . وفيه للحَجَبي ثقيلٌ أولُ بالوسطى . وفيه ليحيى المكي رمل ، قالوا : فقال له الطبيب : منذُ كم هذه العلة ؟ ومنذُ كم وجَدتَ بهذه المرأة ما وجدتَ ؟ فقال : [من الطويل]

صوت

تعلَّق رُوحي روحَها قبل خَلقِنا ... ومن بعدِ ما كنَّا نِطافاً وفي المهدِ
فـــزادَ كما زِدنـــا فأصبحَ نامياً ... وليس إذا مُتنا بمُنصَرِم العهدِ
ولكنَّه بـــاقٍ على كلِّ حادثٍ ... وزائرنا في ظُلمةِ القبرِ واللَّحدِ

غناه الغريض ثقيلاً أولَ بالوسطى من رواية حَبَش ، قالوا : فقال له الطبيب : إن مما يُسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوىء والمعايب وما تَعافُه النفس من أقذار بني آدم ، فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخف ما بها . فقال : [من الطويل]

إذا عِبتُهـــا شبَّهتُها البـــدرَ طالعاً ... وحَسبُكَ من عيبٍ لها شَبَهُ البدرِ

لقد فُضِّلت لُبنى على الناس مثلَ ما على ألف شهر فُضِّلتْ ليلةُ القدرِ

صوت

[من الطويل]

إذا ما مشت شبراً من الأرض أرجَفت من البُهر حتى ما تَزيدُ على شبرِ

لهـا كَفَلٌ يَرتَجٌّ منها إذا مشتْ ومتنٌ كغصنِ البان مُضطَمِرُ الخَصرِ

غنى في هذين البيتين ابن المكي خفيف رمل بالوسطى. وفيهما رمل يُنسب إلى ابن سُريج وإلى ابن طُنبورة عن الهشاميّ، قالوا: ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنَّبه ولامه وقال له: يا بني! اللهَ اللهَ في نفسِك! فإنك ميِّت إن دمتَ على هذا! فقال: [من الطويل]

وفي عُروةَ العُذرِي إن متُّ أُسوةٌ وعمرِو بن عَجلانَ الذي قتلت هندُ

وبي مثلُ مـا ماتا بـه غيرَ أنني إلى أجـلٍ لم يأتنـي وقتُـه بعدُ

صوت

[من الطويل]

هـل الحبُّ إلا عَبرةٌ بعد زَفـرةٍ وحَـرٌّ على الأحشاء ليس له بَردُ

وفَيضُ دمـوعٍ تَستهـلُّ إذا بـدا لنا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

غنَّى في هذين البيتين زيد بن الخطاب مولى سليمان بن أبي جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن علي، ثقيلاً أولَ بالوسطى عن الهشامي.

[إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له]

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير، وأخبرنا اليَزيدي عن ثعلب عن الزُّبير قال حدثني إسماعيل بن أبي أُوَيس قال: جلستُ أنا وأبو السائب في النبَّالين، فأنشدني قولَ قيس بن ذَريح: [من الخفيف]

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى داءُ قيسٍ والحـب داءٌ شديدُ

ليت لُبنى تعـودني ثم أقضي إنّها لا تعـود فيمـن يعودُ

قال: فأنشدته أنا لقيس: [من الطويل]

تعلّق رُوحِي رُوحَها قبل خَلقِنا ومن بعد ما كنا نِطافاً وفي المهدِ

فـزاد كما زِدنا وأصبح نامياً وليس إذا متنا بمنتَقِضِ العهدِ

ولكنّه بـاقٍ على كل حادثٍ وزائرُنا في ظلمةِ القبرِ واللَّحدِ

فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويَها . فدخل زُقاقَ النبَّالين وجعلتُ أُرَدِّدها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها .

رجع الخبر إلى سياقته .

[زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوّجت لبنى]

وقال خالد بن جَمَل : فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوِّجه امرأةً جميلة فلعلَّه أن يسلو بها عن لُبنى . فدعاه إلى ذلك فأباه وقال : [من الطويل]

لقد خِفتُ ألا تَقنَع النفسُ بعدها ... بشيءٍ من الدنيا وإن كان مَقنَعا
وأزجُر عنها النفسَ إذ حيل دونها ... وتأبَى إليهــا النفسُ إلا تَطلُّعا

فأعلمهم أبوه بما ردَّ عليه . قالوا : فمُره بالمَسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعلَّ عينه أن تقع على امرأةٍ تُعجبه . فأقسم عليه أبوه أن يفعل . فسار حتى نزل بحيٍّ من فَزارة ، فرأى جاريةً حسناء قد حسرَت بُرْقُعَ خزٍّ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تِمِّه ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : لُبنى . فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فنضَحت على وجهه ماء وارتاعت لِما عراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قيسَ بن ذَريح إنه لمجنون ! فأفاق فنَسَبته فانتسب . فقالت : قد علمتُ أنك قيس ، ولكن نَشَدتُك بالله وبحق لُبنى إلا أصبتَ من طعامنا . وقدَّمت إليه طعاماً ، فأصاب منه بإصبعَه . وركب فأتى على أَثَره أخٌ لها كان غائباً ، فرأى مُناخ ناقته ، فسألهم عنه فأخبروه ، فركب حتى ردَّه إلى منزله ، وحلف عليه ليُقيمنَّ عنده شهراً . فقال له : لقد شَقَقتَ عليَّ ، ولكنّي سأتبع هواك ، والفَزاري يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصِّهرَ . فقال له : يا هذا إن فيك لرغبةً ، ولكنّي في شغل لا يُنتفع بي معه . فلم يزل يعاوده والحيُّ يلومونه ويقولون له : قد خشينا أن يصير علينا فعلُك سُبَّة . فقال : دعوني ، ففي مثلِ هذا الفتى يرغب الكرام . فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصِّهرَ بينه وبينه على أخته المسماة لُبنى ، وقال له : أنا أسوق عنك صَداقها . فقال : أنا والله يا أخي أكثر قومي مالاً ، فما حاجتك إلى تكلُّف هذا ؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المَهر . ففعل وأعلم أباه الذي كان منه ، فسَرَّه وساق المهرَ عنه . ورجع إلى الفزاريين حتى أُدخلت عليه زوجته ، فلم يَرَوهُ هشَّ إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها . وأقام على ذلك أياماً كثيرة . ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذِنوا له في ذلك ، فمضى لوجهه إلى المدينة . وكان له صديق من الأنصار بها ؛ فأتاه فأعلمه الأنصاريُّ أن خبر تزويجه بلغ لُبنى فغمَّها وقالت : إنه لغَدَّار ! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أُجيبهم ، وقد كان أبوها شكا قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرُّضَه لها بعد الطلاق . فكتب إلى مروان بن الحكم يُهدِر دمه إن

تعرض لها ، وأمر أباها أن يزوجها رجلاً يعرف بخالد بن حِلِّزة من بني عبد الله بن غَطَفان ، ويقال : بل أمره بتزويجها رجلاً من آل كَثِير بن الصَّلت الكِندِي حليف قريش ، فزوجها أبوها منه . قال : فجعل نساء الحي يقلن ليلة زِفافها : [من الهزج]

لُبَينى زوجُها أصبـ ـح لا حـرَّ بِواديهِ
له فضلٌ على الناس بما باتت تُناجيهِ
وقيسٌ ميتٌ حيٌّ صريعٌ في بَواكيهِ
فلا يُبعِدُه الله وبُعداً لنَواعيهِ

قال : فجزِع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحرَّ ويبكي أحرَّ بكاء . ثم ركب من فَوره حتى أتى مَحلَّة قومها ، فناداه النساء : ما تصنع الآن هاهنا ؟ قد نُقِلت لُبنى إلى زوجها ! . وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضع خِبائِها فنزل عن راحلته وجعل يتمعَّك[1] في موضعها ويُمرِّغ خدَّه على ترابها ويبكي أحرَّ بكاء . ثم قال : [من الطويل]

صوت

إلى اللهِ أَشكو فَقدَ لُبنى كما شكا إلى الله فقدَ الوالدَين يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمُه نَحيلٌ وعهدُ الوالدَين قديمُ
بكت دارُهم من نأيهم فتهللت دموعي فأيَّ الجازِعَين ألومُ
أَمُستعبِراً يبكي من الشوقِ والهوى أَمَ آخرَ يبكي شَجوَه ويَهيمُ

لابن جامع في البيتين الأولين ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن الهشامي . ولعَريب فيهما ثاني ثقيل . وفي الثالث والرابع لمَيَّاسة خفيف رمل بالبنصر عن عمرو وحبش والهشامي . وتمام هذه الأبيات ، وليست فيها صنعة ، قوله : [من الطويل]

تهيَّضَني من حبِّ لُبنى علائقٌ وأصنافُ حبٍّ هَولُهن عظيمُ
ومَن يتعلَّق حبَّ لُبنى فؤادُه يَمُتْ أو يَعِش ما عاش وهو كَليمُ
فإني وإن أجمعتُ عنكِ تجلُّداً على العهد فيما بيننا لَمُقيمُ
وإن زماناً شتَّت الشملَ بيننا وبينكُم فيه العِدا لَمَشُومُ

1 يتمعك : يتمرغ .

أفي الحقّ هـذا أن قلبـكِ فارغٌ صحيحٌ وقلبـي في هواكِ سَقيمُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلطت بشعره ، ولكنّها في هذه الرواية منسوبة إليه .

قال : وقال أيضاً في رحيل لُبنى عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيها : [من البسيط]

صوت

بانت لُبَينى فهاج القلبَ مَن بانا وكان مـا وعدتْ مَطـلاً وليّانا[1]
وأخلفتْك مُنىً قـد كنتَ تأملُها فأصبحَ القلبُ بعـدَ البينِ حَيْرانا
اللهُ يدري ومـا يدري بـه أحدٌ ماذا أُجَمجِم مـن ذكراكِ أحيانا
يا أكملَ الناسِ من قَرنٍ إلى قدمٍ وأحسنَ الناس ذا ثوبٍ وعُريانا
نعـم الضَّجيعُ بُعَيد النـوم تَجلبُه إليـكَ ممتلئـاً نومـاً ويَقظانا

للغَريض في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو . وذكر الهشاميّ أن فيه لابن مُحرِز ثاني ثقيلٍ آخر . وقال أحمد بن عبيد : فيه لحنانِ ليحيى المَكي وعَلويه . وتمام هذه القصيدة : [من البسيط]

لا باركَ اللهُ فيمن كان يحسَبُكم إلا على العهـدِ حتى كان ما كانا
حتى استفقتُ أخيراً بعد ما نُكحت كأنما كان ذاك القلـب حيرانا
قـد زارني طَيفُكم ليلاً فأرَّقني فبِتُّ للشوقِ أُذري الدمعَ تَهتانا
إن تصرِمي الحبلَ أو تُمسي مُفارِقةً فالدهـرُ يُحـدث للإنسان ألوانا
وما أرى مثلَكم في الناسِ من بَشَرٍ فقـد رأيتُ بـه حيـاً ونِسوانا

[شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه ، وشعره في ذلك]

وقال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عَدِي ، ورواه عمر بن شَبَّة أيضاً : أن أبا لُبنى شخَص إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرُّضَه لابنته بعد طلاقه إياها . فكتب معاوية إلى مروان أو سعيد بن العاص يُهدِر دمَه إن أَلَمَّ بها وأن يشتدَّ في ذلك . فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبنى كتاباً وكيداً . ووجَّهت لُبنى رسولاً قاصداً إلى قيس تُعلمه ما جَرى وتحذّره . وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهَّمه وقال له : انتهى بك الأمر إلى أن يُهدر

1 ليّان ومثله لَيّ : مصدر لوى بمعنى مطل .

السلطان دمك ؟ فقال : [من الطويل]

صوت

فإن يَحجُبوها أو يَحُلْ دون وصلها ... مقالــةُ واشٍ أو وَعيــدُ أميرِ
فلن يمنعوا عينيَّ من دائـــم البُكا ... ولن يُذهبوا ما قد أُجَنَّ ضميري
إلى اللهِ أشكو ما أُلاقي من الهوى ... ومــن حُــرَقٍ تعتــادني وزَفيرِ
ومن حَرَقٍ للحبِّ في باطنِ الحشى ... وليلٍ طويــلِ الحزنِ غيرِ قصيرِ [1]
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ ... بكاءَ حَزيــنٍ في الوثاقِ أسيرِ
وكنّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى ... بأنعَـــمِ حالَــيْ غِبطــةٍ وسرورِ
فما برحَ الواشون حتى بَدَتْ لهم ... بطونُ الهــوى مقلوبــةً لظهورِ
لقد كنتِ حَسبَ النفس لو دام وصلُنا ... ولكنّمـــا الدنيــا متــاعُ غرورِ

هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذَريح . وذكر الزُّبير بن بَكّار أنه لجده عبد الله بن مُصْعَب ، غنّى يزيد حوراءَ في الأول والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيف رَمَلٍ بالوسطى . وغنّى إبراهيم في الأول والثاني لحناً من كتابه غير مجنّس . وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى . وفي الخامس وما بعده لعَريب ثقيلٌ أول ابتداؤه نشيد . وقال ابن الكلبي في خبره : قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها : [من الطويل]

إن تك لُبنى قــد أتى دون قربها ... حجــابٌ منيعٌ مــا إليــه سبيلُ
فإنّ نسيم الجــو يجمــعُ بيننا ... ونُبصر قَــرنَ الشمس حين تزولُ
وأرواحنا بالليــلِ في الحيّ تلتقي ... ونعلــمُ أنّــا بالنهـــارِ نَقيلُ
وتجمعنا الأرضُ القَــرارُ وفوقنا ... سماء نَــرى فيهــا النجومَ تجولُ
إلى أن يعودَ الدهرُ سَلْماً وتنقضي ... تــراتٌ بغاهـــا عندنــا وذُحولُ

[شعره فيها حين صادفها في موسم الحج]

ومما وجد في كتاب لابن النطّاح قال العُتبي حدثني أبي قال : حج قيس بن ذَرِيح ، واتّفق أن حجَّت لُبنى في تلك السنة ، فرآها ومعها امرأة من قومها ، فدَهِش وبقي واقفاً مكانَه ومضت لسبيلها . ثم أرسلت إليه بالمرأة تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره فألفته جالساً وحدَه يُنشد ويبكي : [من الطويل]

---

1 الحَرَق : النار أو حُرَق جمع حرقة .

ويومَ مِنىً أعرضتِ عنّي فلم أقل ... بحاجةِ نفسٍ عند لُبنى مقالُها
وفي اليأس للنفسِ المريضة راحةٌ ... إذا النفسُ رامت خُطَّةً لا تَنالُها

فدخلت خباءه وجعلت تحدثه عن لُبنى ويحدثها عن نفسه مَلِياً ، ولم تُعلمه أن لُبنى أرسلتها إليه . فسألها أن تُبلغها عنه السلام ، فامتنعت عليه ؛ فأنشأ يقول : [من الطويل]

إذا طلعتْ شمسُ النهارِ فسلّمي ... فآيةُ تسليمي عليكِ طلوعُها
بعشرِ تحيّاتٍ إذا الشمسُ أشرقتْ ... وعشرٍ إذا اصفرّتْ وحانَ رجوعُها
ولو أبلغتها جارةٌ قوليَ اسلَمي ... بكتْ جزَعاً وارفَضَّ منها دموعُها
وبانَ الذي تُخفي من الوجدِ في الحَشى ... إذا جاءها عنّي حديث يَرُوعها

غنّى في البيتين الأولين عَلويه خفيف رمل بالوسطى ، قال : وقضى الناسُ حجَّهم وانصرفوا . فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أُشفى منه على الموت ، فلم يأته رسولها عائداً لأن قومها رأوه وعلموا به ؛ فقال : [من الطويل]

أَلُبنى لقد جَلَّت عليكِ مصيبتي ... غَداةَ غدٍ إذ حلَّ ما أَتوقَّعُ
تُمنّينني نَيلاً وتَلوينَني بهِ ... فنفسيَ شوقاً كلَّ يوم تَقَطَّعُ
وقلبكِ قطُّ ما يَلين لما يرى ... فوا كبدي قد طال هذا التضرُّعُ[1]
ألومُكِ في شأني وأنتِ مُليمةٌ ... لَعمْري وأجفى للمحبِّ وأقطعُ
أخُبرتِ أني فيكِ مَيّتُ حَسرتي ... فما فاض من عينيكِ للوَجدِ مَدمَعُ
ولكن لعَمري قد بكيتُكِ جاهداً ... وإن كان دائي كلُّه منك أجمعُ
صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدنَني ... فظَلَّت عليَّ العائداتُ تَفَجَّع
فقائلةٌ جئنا إليه وقد قضى ... وقائلةٌ لا ، بل تركْناه يَنزِعُ

وروى القَحذمي هاهنا : [من الطويل]

فما غَشِيتْ عينيكِ من ذاك عَبرةٌ ... وعيني على ما بي بذِكراكِ تدمعُ
إذا أنت لم تبكي عليَّ جنازةً ... لديكِ فلا تبكي غداً حين أُرفَعُ[2]

قال : فبلغتها الأبيات ، فجزِعت جزَعاً شديداً ، وبكت بكاءً كثيراً . ثم خرجت إليه ليلاً على موعد فاعتذرت وقالت : إنما أبقي عليك وأخشى أن تُقتل ، فأنا أتحاماك لذلك ، ولولا

1 قط في ل : فظ .
2 الجنازة (بالكسر والفتح) الميت . والمراد هنا المريض المشرف على الموت .

هذا لما افترقنا . وودعته وانصرفت .

[شعره فيها وقد بلغه أنها كذبتَ مرضه]

وقال خالد بن كلثوم : فبلغه أن أهلها قالوا لها : إنه عليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا . فقالت لهم لتَدفعهم عن نفسها : ما أراهُ إلا كاذباً فيما يدعي ومتعلّلاً لا عَليلاً . فبلغه ذلك فقال : [من الطويل]

تكاد بـلادُ الله يـا أُمَّ مَعمَرٍ ... بما رحُبتْ يوماً علـيّ تَضيقُ
تكذّبني بالودِّ لُبنى وليتَها ... تُكَلَّف منّي مثلَه فتذوقُ
ولـو تعلمين الغَيبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهدايا المُشعِراتِ صديقُ
تتوقُ إليكِ النفسُ ثم أَرُدُّها ... حياءً ومثلي بالحياء حَقيقُ
أذُود سوامَ النفسِ عنكِ وما له ... على أحدٍ إلا عليكِ طريقُ
فإني وإن حاولت صُرمي وهِجرتي ... عليك مِنَ احداثِ الرَّدى لشَفيقُ
ولم أرَ أياماً كأيامنا التي ... مَرَرنَ علينا والزمانُ أنيقُ
ووعدكِ إيانا ولو قلتِ عاجلٌ ، ... بعيدٌ كما قد تعلمين سَحِيقُ
وحدّثتَني يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البين من لُبنى فسوف نذوقُ
فمُت كَمَداً أو عِش سَقِيماً فإنما ... تكلّفني ما لا أراكَ تُطِيقُ
أطعتَ وُشاةً لم يكن لك فيهم ... خليلٌ ولا جارٌ عليك شَفيقُ
فإن تكُ لما تَسلُ عنها فإنني ... بها مُغرَمٌ صَبُّ الفؤاد مَشُوقُ
بلُبنى أُنادى عند أول غَشيَةٍ ... ويَثنِي بها الدّاعي لها فأُفيقُ
شهِدتُ على نفسي بأنكِ غادةٌ ... رَداحٌ وأن الوجه منكِ عَتيقُ[1]
وأنكِ لا تَجزِينَني بصَحابةٍ ... ولا أنا للهجران منكِ مُطِيقُ
وأنّكِ قسَّمتِ الفؤادَ فنصفُه ... رَهينٌ ونصفٌ في الحبالِ وَثيقُ
صَبُوحي إذا ما ذَرَّتِ الشمسُ ذكرُكم ... ولي ذكرُكم عند المساء غَبُوقُ
إذا أنا عَزَّيتُ الهوى أو تركتُه ... أتت عَبَراتٌ بالدموع تَسُوقُ
كأن الهوى بين الحَيازِيم والحَشى ... وبين التَّراقي واللَّهاة حريقُ

1 الرداح : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الكريم .

فإن كنتِ لَمَّا تَعلمي العلمَ فاسألي ... فبعضٌ لبعضٍ في الفَعـــال فَوُوقُ
سَلِي هل قَلاني من عَشيرٍ صحبتُه ... وهل مَلَّ رَحلي في الرِّفـــاق رفيقُ
وهل يَجتَوِي القومُ الكِرامُ صِحابتي ... إذا اغبَرَّ مَخشِيّ الفِجاج عَميقُ
وأَكتُـــم أَسرارَ الهـــوى فأميتها ... إذا بــــاحَ مَـزَّاحٌ بهـــنَّ بَرُوقُ
سعَى الدهرُ والواشون بيني وبينها ... فقُطع حبلُ الوصل وهـــو وَثيقُ
هل الصبرُ إلا أن أَصُدَّ فلا أرى ... بأرضِـــك إلا أن يكـــونَ طريقُ

[قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقة وهو لا يعرفه]

قال : ثم أتى قومَه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويَمتارَ لأهله بثمنها . فعرَف أبوه أنه إنما يريد لُبنى ، فعاتبه وزجَره عن ذلك ؛ فلم يقبل منه ، وأخذ إبلَه وقدِم بهـا المدينةَ . فبينا هـو يَعرِضها إذ ساومه زوجُ لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها . فقال له : إذا كان غَدٌ فأْتني في دار كَثِير بن الصَّلْت فاقبِض الثمن ؛ قال : نعم . ومضى زوج لُبنى إليها فقال لها : إني ابتعتُ ناقـة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها ، فأَعِدِّي له طعاماً ، ففعلت . فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم : قُولي لسيدكِ : صاحب الناقة بالباب . فعرفت لُبنى نَغمتَه فلم تقل شيئاً . فقال زوجها للخادم : قولي له : ادخل ، فدخل فجلس . فقالت لُبنى للخادم : قولي له : يا فتى ، ما لي أراك أشعثَ أغبر ؟ فقالت له ذلك . فتنفس ثم قال لها : هكذا تكون حالُ مَن فارق الأحبَّة واختار الموتَ على الحياة ، وبكى . فقالت لها لُبنى : قولي له : حدِّثنا حديثَك . فلما ابتدأ يحدث به كشفت الحجابَ وقالت : حسبك ؛ قد عرفنا حديثك ! وأسبلتِ الحجابَ . فبُهِت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج . فناداه زوجها : ويحك ؟ ما قصتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك ؛ وإن شئتَ زِدناك . فلـم يكلِّمـه وخـرج فاغتَرز[1] في رَحله ومضى . وقالت لُبنى لزوجها : ويحك ؛ هذا قيس بن ذَرِيح . فما حمَلَك على ما فعلتَ به ؟ قال : ما عرفتُه . وجعل قيس يبكي في طريقه ويندُب نفسه ويوبِّخها على ما فعله ثم قال : [من الطويل]

صوت

أتبكي على لُبنى وأنتَ تركتَها ... وأنت عليهـا بالمَلا أنت أقدَرُ
فإن تكـن الدنيا بلُبنى تقلَّبت ... عليَّ فلِلدنيـا بطـونٌ وأَظهُرُ

---

1 اغترز : أي ركب ، والغرز للجمل مثل الركاب للبغل .

لقد كان فيهـا للأمانةِ موضعٌ وللكَفِّ مُرتـادٌ وللعين مَنظَرُ
وللحائم العطشانِ رِيٌّ بريقِها وللمَرِح المختالِ خمرٌ ومُسكِرُ
كأني لهـا أُرجوحةٌ بين أَحبُلٍ إذا ذُكرةٌ منها على القلبِ تَخطُرُ

للغريض في البيتين الأولين ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيهما لعَرِيبَ رُمَلٌ. ولشاريَة خفيفُ رملٍ من رواية أبي العَنْبَس.

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: تزوج رجل من أهل المدينة يقال له أبو دُرَّة امرأةً كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بُطَينة؛ فلقيه زوجها الأول فضربه ضربة شلَّت يدُه منها. فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له: يا أبا دُرة! أضربكَ أبو بُطَينة في زوجته؟ قال: نعم. قال: أَما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذَرِيح في زوجته لُبنى: [من الطويل]

لقد كان فيها للأمانــة موضعٌ وللكَفِّ مُرتادٌ وللعــين مَنظَرُ
وللحائم العطشان رِيٌّ بريقِها ولَلمَرِح المختالِ خمرٌ ومُسكِرُ

قال: وكانت زوجة أبي دُرَّة هذه سوداء كأنها خُنفَساء.

[مرضه بعد هذه الحادثة]

قال: وعاد إلى قومه بعد رؤيته إيَّاها وقد أنكر نفسه وأسِف ولحقه أمر عظيم؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم؛ ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت. فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلَّموه وعاتبوه وناشدوه الله. فقال: وَيحَكم! أَتَروني أمرضتُ نفسي أو وجدت لها سَلوةً بعد اليأس فاخترتُ الهَمَّ والبلاء، أو لي في ذلك صُنع! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به. فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفرج والسُّلوة. فقال قيس: [من الوافر]

لقد عذَّبتَني يــا حبَّ لُبنى فقَعْ إمـا بمـوتٍ أو حيـاةِ
فإن المـوتَ أَروحُ من حياةٍ تدومُ على التباعدِ والشَّتاتِ
وقـال الأقربون تَعَزَّ عنها فقلت لهم إذاً حانتْ وفاتي

[دست إليه رسولاً يسأله لِمَ تزوّجَ حتّى تزوّجت هي؟]

قال: ودسَّت إليه لُبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له: استنشده، فإن سألك عن نسبتك فانتسِب له خزاعياً؛ فإذا أنشدك فقل له: لِمَ تزوجت بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوج بعدك؟ واحفَظ ما يقول لك حتى تردَّه عليَّ. فأتاه الرسول فسلَّم وانتسب خُزاعياً، وذكر أنه من أهل الشام واستنشده؛ فأنشده قوله: [من الطويل]

فأُقسِمِ ما عُمْشُ العيونِ شوارِفٌ روائمُ بَوٌّ حانياتٌ على سَقبِ

وقد مضت هذه الأبيات ، فقال له الرجل : فلم تزوجتَ بعدها ؟ فأخبره الخبر ، وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها ، وأنه لو رآها في نِسوة ما عرفها ، وأنه ما مد يده إليها ولا كلَّمها ولا كشف لها عن ثوب . فقال له الرجل : فإني جارٌ لها وإنها من الوَجدِ بك على حالٍ قد تمنّى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلُح حالُها بك ؛ فحمِّلني إليها ما شئت أؤدِّه إليها . قال : تعود إليَّ إذا أردتَ الرحيل ، فعاد إليه لما أراد الرحيل . فقال تقول لها : [من الطويل]

أَلا حيِّ لُبنى اليومَ إن كنتَ غادِيا وأَلمِم بها من قبـلِ أن لا تَلاقِيا

وأَهـدِ لهـا منك النصيحةَ إنها قليـلٌ ولا تَخشَ الوُشاةَ الأدانيا

وقل إننـي والراقصاتِ إلى مِنىً بأجبُـلِ جَمـعٍ ينتظرنَ المناديا[1]

أصونُكِ عن بعض الأمور مَضَنَّةً وأخشى عليكِ الكاشحين الأعاديا

تساقَطُ نفسي حـين أَلقاكِ أنفُساً يَرِدنَ فمـا يَصدُرنَ إلا صَوادِيا

فإن أَحيَ أو أَهلِكْ فلستُ بزائلٍ لكم حافظاً مـا بَلَّ ريقٌ لسانيا

أقولُ إذا نفسي من الوَجْدِ أَصعدتْ بها زَفرةٌ تعتادني هـي مـا هيا

وبين الحَشى والنحرِ منّي حرارةٌ ولوعةُ وجدٍ تترك القلب ساهيا :

أَلا ليت لُبنـى لم تكن لِيَ خُلَّةً ولم تَرَني لُبنى ولم أدرِ مـا هيا[2]

سَلي الناسَ هل خبَّرتُ سِرَّكِ منهمُ أخا ثقةٍ أو ظاهـرَ الغِشِّ باديا

يقـولُ لِيَ الواشون لما تَظاهروا عليكِ وأُضحى الحبلُ للبين واهيا :

لعَمري لقبلَ اليومِ حُمِّلتَ ما تَرى وأُنذِرتَ من لُبنى الذي كنتَ لاقيا

خليليَّ ما لي قـد بَلِيتُ ولا أَرى لُبَينـى على الهِجـران إلا كما هيا

أَلا يا غرابَ البَين ما لكَ كلَّمـا ذكرتُ لُبَينى طِرتَ لي عن شِماليا

أعندكَ علمُ الغيبِ أم لستَ مُخبِري عن الحيِّ إلا بالذي قـد بدا ليا

جزعت عليها لو أرى لِيَ مجزعاً وأفنيتُ دمْعَ العـين لو كان فانيا

حياتَـك لا تُغلَـب عليهـا فإنه كفى بالذي تَلقى لنفسِك ناهيا

---

1 جمع : المزدلفة .

2 خُلة : صديقة .

تَمـرُّ الليـالي والشهور ولا أرى ... وَلُوعـي بهـا يزدادُ إلا تماديا
فما عـن نَوالٍ من لُبَينى زيارتي ... ولا قِلـةُ الإلمـامِ أن كنتُ قاليا
ولكنّها صَدَّت وحُمِّلتُ من هوىً ... لها مـا يَؤود الشامخاتِ الرواسيا

وهذه القصيدة تُخلَط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما ، فقلَّما يتميزان .

غنَّى الحسين بن مُحرِز في البيت الأول والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلاً أولَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بَذل والهِشامي .

[أنب لبنى زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت]

حدثني المدائني عن عَوانة عن يحيى بن علي الكِناني قال : شُهِر أمرُ قيس بالمدينة وغَنَّى في شعره الغريض ومعبد ومالك وذووهم ، فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بذلك فأطربه وحزِن لقَيس مما به . وجاءها زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها وقال : قد فضحتِني بذكرك . فغضِبت وقالت : يا هذا ، إني والله ما تزوجتك رغبةً فيك ولا فيما عندك ولا دُلِّس أمري عليك ، ولقد علمتَ أني كنتُ زوجته قبلك وأنه أُكرِه على طلاقي . ووالله ما قبِلت التزويج حتى أُهدِر دمه إن أَلَمَّ بحيِّنا ، فخشيتُ أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيُقتَل ، فتزوجتك . وأمرُك الآنَ إليك ، ففارِقني فلا حاجة بي إليك . فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنينَها بشعر قيس كما يستصلحَها بذلك ؛ فلا تزدادُ إلا تمادياً وبُعداً ، ولا تزال تبكي كلَّما سمعت شيئاً من ذلك أحرَّ بكاءٍ وأشجاه .

رجع الحديث إلى سياقته .

[وسط بريكة في لقائها ، وشعره في ذلك]

وقال الحِرمازيُّ وخالد بن جَمَل : كانت امرأة من موالي بني زُهرة يقال لها بُريكة من أظرف النساء وأكرمِهن ، وكان لها زوج من قريش له دارُ ضيافة . فلما طالت عِلَّةُ قيس قال له أبوه : إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لُبنى فارحَل إلى المدينة . فرحَل إليها حتى أتى دارَ الضيافة التي لزوج بُريكة . فوثَب غِلمانُه إلى رَحل قيس ليحطُّوه . فقال : لا تفعلوا فلستُ نازلاً أو ألقى بُريكة فإنِّي قصدتها في حاجة ؛ فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم وإلا رحلت . فأتوها فأخبروها . فخرجت إليه فسلَّمت عليه ورحَّبت به وقالت : حاجتُك مقضيةٌ كائنةً ما كانت ، فانزِل . فنزل ودنا منها فقال : أذكرُ حاجتي ؟ قالت : إن شئتَ . قال : أنا قيس بن ذَريح . قالت : حيَّاكَ الله وقرَّبك ! إن ذكرك لجديدٌ عندنا في كل وقت . قال : وحاجتي أن أرى لُبنى نظرةً واحدةً كيف شئتِ . قالت : ذلك لك عليّ . فنزل بهم وأقام

عندها وأخفت أمرَه ، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال : لاطفِيها وزوجَها بهذا حتى يأنَس بِك . ففعلت وزارتها مراراً ، ثم قالت لزوجها : أخبِرني عنك : أنت خيرٌ من زوجي ؟ قال : لا . قالت : فلُبنى خير مني ؟ قال : لا . قالت : فما بالي أزورها ولا تزورني ؟ قال : ذلك إليها . فأتتها وسألتها الزيارةَ وأعلمتها أن قيساً عندها . فتسارعت إلى ذلك وأتتها . فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يَتلَفان . ثم جعلت تسأله عن خبره وعِلّته فيخبرُها ، ويسألها فتخبره . ثم قالت : أنشِدني ما قلتَ في علتك ؛ فأنشدها قولَه : [من الطويل]

أعالجُ من نفسي بَقايا حُشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعودُ[1]
فإن ذُكرتْ لُبنى هَشِشتُ لذكرها ... كما هَشَّ للثدي الدَّرُورِ وَليدُ
أجيبُ بلُبنى مَن دعاني تَجَلُّداً ... وبي زَفَراتٌ تنجلي وتعودُ
تُعيدُ إلى روحي الحياةَ وإنني ... بنفسيَ لو عاينتني لأجودُ

قال : وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

صوت

ألا ليتَ أياماً مَضَين تعودُ ... فإن عُدنَ يوماً إنني لسعيدُ
سَقى دارَ لُبنى حيثُ حَلَّتْ وخيَّمتْ ... من الأرضِ مُنهَلُّ الغمامِ رَعودُ

في هذين البيتين لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أول مطلق في مجرى الوسطى ، وقيل : إنه لغيرها .

وتمام هذه القصيدة :

على كلِّ حالٍ إن دَنَت أو تباعدَتْ ... فإن تَدنُ منّا فالدنوُّ مَزيدُ[2]
فلا اليأسُ يُسلِيني ولا القربُ نافعي ... ولُبنى مَنوعٌ ما تكاد تجودُ
كأنّيَ من لُبنى سليمٌ مُسَهَّدٌ ... يَظَلُّ على أيدي الرجال يَميدُ
رمتني لُبَينى في الفؤادِ بسهمها ... وسهمُ لُبينى للفؤادِ صَيُودُ
سَلا كُلُّ ذي شَجوٍ علمتُ مكانَه ... وقلبي للبنى ما حَيِيتُ وَدودُ
وقائلةٍ قد مات أو هو مَيِّتٌ ... وللنفس منّي أن تَفيض رَصيدُ
أُعالِج من نفسي بقايا حشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعودُ

وقال الحِرمازي في خبره خاصة : وعاتبته على تزوُّجه ؛ فحلف أنه لم ينظر إليها ملءَ عينيه

1 الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

2 مزيد في ل : بعيد .

ولا دنا منها ، فصدقته . وقال : [من الطويل]

صوت

ولقد أردتُ الصبرَ عنكِ فعاقَني عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قديمُ
يبقى على حَدَثِ الزمانِ ورَيبِه وعلى جَفائِك ، إنه لكريمُ
فصَرَمتِه وصَحَحت وهو بدائه شَتَّانَ بين مُصَحَّح وسَقِيمُ
وارَبتِه زمناً فعادَ بحلمِه إن المحبَّ عن الحبيبِ حليمُ

لعَريبَ في هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ ، وللدَّارِميٌّ خفيفُ رملٍ من رواية الهشامي . ومن الناس من يَنسُب خفيفَ الثَّقيل إليه وخفيفَ الرمل إليها ، قالوا : فلم يزل يومَه معها يحدثها ويشكو إليها أعفَّ شكوى وأكرمَ حديث حتى أمسى ؛ فانصرفت ووعدته الرجوعَ إليه من غدٍ فلم ترجع . وشاع خبره فلم تُرسل إليه رسولاً . فكتب هذه الأبيات في رُقعة ودفعها إلى بُرَيكة وسألها أن تُوصلها إليها ، ورحَل متوجِّهاً إلى معاوية . والأبياتُ : [من الطويل]

صوت

بنفسيَ مَن قلبي له الدَّهرَ ذاكرُ ومَن هو عنّي مُعرِضُ القلبِ صابرُ
ومَن حُبُّه يزدادُ عنديَ جِدَّةً وحبِّي لديه مُخلَقُ العهدِ داثِرُ

[شكا إلى يزيد ما به وامتدحه فحقن دمه]

غنَّت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رمل ، قالوا : ثم ارتحل إلى معاوية ، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه وامتدحه ؛ فرَقَّ له وقال : سل ما شئت ، إن شئتَ أن أكتب إلى زوجها فأُحتِّم عليه أن يطلِّقها فعلتُ . قال : لا أُريد ذلك ، ولكن أُحب أن أُقيم بحيث تقيم من البلاد ، أُتعرَّفُ أخبارَها وأُقنَعُ بذلك من غير أن يُهدَر دمي . قال : لو سألتَ هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لَما وجب أن تُمنعَه ، فأَقِم حيث شئت ؛ وأخذ كتابَ أبيه له بأن يُقيم حيث شاء وأحبَّ ولا يَعترِضَ عليه أحد ، وأزال ما كان كتب به في إهدار دمه ؛ فقدِم إلى بلده . وبلغ الفَزاريين خبرُه وإلمامُه بلُبنى ، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه . فقال للرسول : قل للفتى (يعني أخا الجارية التي تزوجها) : يا أخي ما غرَرتُك من نفسي ، ولقد أعلمتك أني مشغول عن كل أحد ، وقد جعلتُ أمرَ أُختك إليك فأَمضِ فيه من حكمك ما رأيتَ . فتكرَّم الفتى عن أن يُفرِّق بينهما ، فمكثت في حِباله مدةً ثم ماتت .

[لقيه عياش السعدي ذاهلاً شاردَ اللب وأنشده من شعره فيها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال حدثني سليمان بن عَياش

السَّعدي عن أبيه قال : أقبلتُ ذاتَ يوم من الغابة[1] ؛ فلما كنت بالمَذاد[2] ، إذا رَبعٌ حديثُ العهد بالسكن ، وإذا رجل مجتمعٌ في جانب ذلك الربع يَبكي ويحدِّث نفسَه . فسلَّمتُ فلم يَرُد عليَّ سلاماً . فقلت في نفسي : رجل مُلتَبَسٌ به فولَّيتُ عنه . فصاح بي بعد ساعة : وعليكَ السلام ، هَلُمَّ هلم إليَّ يا صاحب السلام ! فأتيته فقال : أما واللهِ لقد فهمتُ سلامَك ولكنّي رجل مُشتَرَك اللُّب يَضِلُّ عني أحياناً ثم يعود إليَّ . فقلت : ومن أنت ؟ قال : قيس بن ذَريح اللَّيثي . قلت : صاحبُ لُبنى ؟ قال : صاحبُ لُبنى لعَمرِي وقتيلُها ! . ثم أرسل عينيه كأنهما مَزادتان ؛ فما أُنسى حسنَ قوله : [من الطويل]

أبائنةٌ لُبنــى ولم تَقطِـع المَــدى ... بوصلٍ ولا صُرمٍ فييأسَ طامعُ
نهــارِي نهــارُ الواهِين صَبابــةً ... وليــلى تنبــو فيــه عنّي المضاجعُ
وقد كنتُ قبل اليوم خِلواً وإنما ... تُقَسَّم بــين الهالكــين المَصارِعُ
فلولا رجاءُ القلب أن تُسعِف النَّوى ... لَمــا حبسته بينهــنّ الأضالعُ
لــه وَجَباتٌ إِثــرَ لُبنى كأنها ... شَقائقُ بــرقٍ في السماء لَوامِعُ
أبَــى اللهُ أن يَلقــى الرشادَ مُتيَّمٌ ... ألا كلُّ أمرٍ حُــمَّ لا بُــدّ واقعُ
هما بَــرَّحا بــي مُعوِلَــين كِلاهمــا ... فؤادٌ وعــينٌ جفنُها الدَّهــرَ دامعُ

[عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد من شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزُّبير قال ، وأخبرنا به وَكيع عن أبي أيُّوب المَديني ، قال الزُّبير قال حدثتني ظَبية قالت : سمعتُ عبد الله بن مُسلِم بن جُندَب يُنشِد زوجي قولَ قيس بن ذَريح : [من الطويل]

إذا ذُكِرت لُبنى تأوَّه واشتكى ... تــأوُّه محمــوم عليــه البَلابلُ
يَبيت ويُضحِي تحت ظِلِّ منيَّةٍ ... به رَمَقٌ تَبكي عليــه القبائلُ
قتيلٌ للُبنى صدَّع الحبُّ قلبَه ... وفي الحبِّ شغلٌ للمحبِّين شاغلُ

فصاح زوجي : أُوَّه ! واحَرَباه واسَلَباه . ثم أقبل على ابن جُندَب فقال : وَيلَك ! أتُنشد هذا كذا ! قال : فكيف أُنشِدُه ؟ قال : لم لا تتأوه كما يتأوه وتشتكي كما يشتكي ! .

[استنشده ابن أبي عتيق أحرّ ما قال في لبنى]

وقال القَحذمي : قال ابن أبي عَتيق لقيس يوماً : أنشِدني أَحرَّ ما قلتَ في لُبنى . فأنشده

1 الغابة : يريد من المدينة على طريق الشام .
2 المذاد : موضع بالمدينة . وقيل هو وادٍ بين سلع وخندق المدينة .

قولَه : [من الطويل]

وإني لأهوى النَّومَ في غيرِ حِينه لعلَّ لقاءً في المنام يكونُ
تُحَدِّثني الأحلامُ أنّي أراكُمُ فيا ليتَ أحلامَ المنام يقينُ
شهدتُ بأني لم أُحِل عن مَوَدةٍ وأنّي بكم لو تَعلمين ضَنينُ
وأن فؤادي لا يَلين إلى هوى سواكِ وإن قالوا بَلى سيَلِينُ

فقال له ابن أبي عَتيق : لَقَلَّ ما رَضيتَ به منها يا قَيس . قال : ذلك جُهدُ المُقِلِّ . غنّى في البيتين الأولين قَفا النجّار ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

[أنشد ثعلب من شعره وكان يستحسنه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلب لقيس بن ذَريح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره : [من الطويل]

سقَى طَلَلَ الدارِ التي أنتمُ بها حَياً ثم وَبلٌ صَيِّفٌ ورَبيعُ
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي فهل لي إلى لُبنى الغَداةَ شَفيعُ
سأصرِم لُبنى حبلَكِ اليومَ مُجمِلاً وإن كان صَرمُ الحبل منكِ يَرُوعُ
وسوف أُسَلِّي النفسَ عنكِ كما سَلا عن البلد النائي البعيدِ نَزِيعُ[1]
وإن مَسَّني للضُّرِّ منكِ كآبةٌ وإن نال جسمي للفِراق خُشوعُ
يقولون صَبّ بالنساء موكَّلٌ وما ذاك من فعلِ الرجال بَديعُ
نَدِمتُ على ما كان مني ندامةً كما نَدِم المغبونُ حين يَبيعُ
فقَدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ ألم أكن نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جَميعُ
فقربتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفت هناكَ ثَنايا ما لهنَّ طلوعُ
إلى الله أشكو نِيَّةً شَقت العصا هي اليوم شَتّى وهي أمسِ جميعُ
فيا حَجَراتِ الدارِ حيثُ تحمَّلوا بذي سَلَمٍ لا جادكنَّ ربيعُ

صوت

[من الطويل]

فلو لم يَهِجني الظاعنون لهاجَني حمائمُ وُرقٌ في الدِّيار وُقوعُ

---

1 نزيع : غريب .

تَداعَينَ فاستبكَينَ مَن كان ذا هوىً ... نوائح لم تَقطُر لهن دُموعُ

غنّى في هذين البيتين ابنُ سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أول عن الهِشامي .

صوت

[من الطويل]

إذا أمرَتْني العاذلاتُ بهجرها ... أبتْ كَبِدٌ عمّا يَقُلن صَديعُ

وكيف أُطِيع العاذلاتِ وذكرُها ... يؤرِّقني والعاذلاتُ هُجوعُ

غنّى في هذين البيتين إبراهيمُ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو .

[فكاهات لأبي السائب المخزومي في شعره وفي سيرته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : أنشدتُ أبا السائب المَخزومي قولَ قيس بن ذَريح : [من الطويل]

صوت

أُحبُّك أصنافاً من الحبِّ لم أجِدْ ... لها مَثَلاً في سائرِ الناس يُوصَفُ

فمنهنَّ حبٌّ للحبيب ورحمةٌ ... بمعرفتي منه بما يتكلَّفُ

ومنهن ألا يَعرِضَ الدَّهرَ ذكرُها ... على القلب إلا كادتِ النفس تَتلَفُ

وحبٌّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرٌ ... وحبٌّ لدى نفسي من الرُّوحِ ألطفُ

قال أبو السائب : لا جَرَمَ والله لأُخلِصَنَّ له الصَّفاءَ ولأَغضَبَن لغضبه ولأَرضَيَن لرضاه .

غنّى في البيتين الأولين الحسين بن مُحرِز خفيفَ ثقيلٍ عن الهِشامي وبَذل .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن أبي السائب المخزومي أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كَثِير في سَقيفة دار كَثِير ، إذ مُرَّ بجنازة ؛ فقال لي : يا أبا السائب ، جارُك ابن كَلَدة ، ألا تقوم بنا فنصلّيَ عليه ! قال : قلت : بلى والله فديتُك ! . فقمنا حتى إذا كنا عند دار أُوَيس إذ ذكرتُ أن جدَّه كان تزوج لُبنى ونزل بها المدينة ، فرجعتُ فطرحتُ نفسي في السَّقيفة وقلت : لا يراني الله أُصلّي عليه . فرجع الكَثِيري فقال : أكنتَ جُنباً ؟ قلت : لا والله . قال فعلى غيرِ وُضوء ؟ قلتُ : لا والله . قال : فمالك ؟ قلتُ : ذكرتُ أن جده كان تزوج لُبنى وفرّق بينها وبين قيس بن ذَريح لما ظعَن بها من بلادها ، فما كنت لأُصلّيَ عليه .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عبد الله بن شَبِيب قال حدثني هارون بن موسى الفَرَوي قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال : مررتُ بسُوق الطَّير ، فإذا

الناس قد اجتمعوا يركب بعضُهم بعضاً ، فاطَّلعتُ فإذا أبو السائب المخزومي قائم على غراب يُباع وقد أخذ بطَرَف ردائه وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذَريح : [من الطويل]

أَلا يا غرابَ البين قد طِرتَ بالذي ... أُحاذِرُ مـن لُبنى فهل أنت واقعُ

لِمَ لا تقع ! ويضربه بردائه والغراب يصيح . قال : فقال قائل له : أصلحك الله يا أبا السائب ؛ ليس هذا ذاك الغرابَ . فقال : قد علمت ، ولكن آخذ البرىء حتى يقع الجريء[1] .

[آلت لبنى ألا ترى غراباً إلا قتلته لبيت قاله من قصيدة ، وذكر المختار منها]

وقال الحرمازي في خبره : لما بلغ لُبنى قول قيس : [من الطويل]

أَلا يا غرابَ البين قد طِرتَ بالذي ... أُحاذِرُ مـن لبنى فهل أنتَ واقعُ

آلت ألا ترى غراباً إلا قتلته ؛ فكانت كلما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة ابتيع ممن هو معه وذبحته .

وهذه القصيدة العينية أيضاً من جيِّد شعر قيس . والمختارُ منها قوله : [من الطويل]

أتبكي على لُبنـى وأنـت تركتَها ... وكنتَ كآتٍ حَتفَه وهـو طائعُ

فيا قلبُ صبراً واعترافاً لـما تَرى ... ويا حبَّها قَعْ بالذي أنت واقعُ[2]

ويا قلبُ خبِّرني إذا شَطَّتِ النَّوى ... بلُبنى وبانت عنك ما أنتَ صانعُ

أتصبرُ للبَين المُشِتِّ مع الجَوى ... أم آنت امرؤٌ ناسي الحياء فجازعُ

كأنَّك بِدعٌ لم تَرَ الناسَ قبلَها ... ولم يَطَّلِعك الدهرُ فيمن يُطالعُ[3]

أَلا يا غرابَ البَين قد طِرتَ بالذي ... أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقعُ

فليسَ مُحِـبٌّ دائمـاً لحبيبـه ... ولا ثقـةٌ إلا لـه الدهرَ فاجعُ

كأنَّ بـلادَ اللهِ ما لم تكن بها ... وإن كان فيها الناسُ قَفرٌ بَلاقِعُ[4]

فما أنت إذ بانت لُبَينى بهاجعٍ ... إذا ما اطمأنتْ بالنِّيام المَضاجعُ

صوت

أُقَضِّي نهـاري بالحديثِ وبالمُنى ... ويَجمعني والهـمَّ باللَيـلِ جامعُ

نهارِي نهارُ الناس حتى إذا دَجا ... لِيَ الليلُ هَزَّتني إليك المضاجعُ

---

1 ل : النطف وهو المريب .

2 لما ترى في ل : يحبها .

3 البدع : الغمر من الرجال ، وهو الذي لم يجرب الأمور .

4 قفر في ل : وحش .

لقد رسَخت في القلبِ منكِ مَودةٌ كما رسَخت في الراحتين الأصابعُ
أَحالَ عليَّ الهمُّ مِـن كلِّ جانب ودامـت فلم تبرحْ عليَّ الفواجعُ
أَلا إنمـا أبكـي لِما هـو واقعٌ فهل جَزَعِي من وَشكِ ذلك نافعُ
وقد كنتُ أبكي والنَّوى مطمئنةٌ بنا وبكم من عِلمِ ما البينُ صانعُ
وأَهجُركم هجـرَ البَغِيض وحبُّكم على كبدي منـه كلوم صوادعُ[1]
وأَعمِـد للأرضِ التي لا أُريدها لِتَرجِعَني يومـاً إليـكِ الرواجعُ
وأشفِق من هِجرانكم وتَرُوعني مَخافةُ وَشكِ البين والشَّملُ جامعُ
فما كلُّ ما منَّتكَ نفسُك خالياً تُلاقي ولا كلُّ الهـوى أنت تابعُ
لَعَمرِي لَمَن أُمسى ولُبنى ضَجيعُه من الناس ما اختيرت عليه المضاجعُ
فتلك لُبَينى قـد تراخى مَزارُها وتلك نَواهـا غُربـةٌ مـا تُطاوعُ
وليس لأمـرٍ حـاول اللهُ جمعَه مُشِتٌّ ولا مـا فـرَّق اللهُ جامعُ
فلا تَبكِيَن في إثر لُبنـى نَدامةً وقـد نَزَعتهـا من يديك النوازعُ

غنَّى الغريضُ في الثالث والرابع والأول والعشرين وهو «لعمري لَمَن أُمسى ولُبنى ضجيعُه» ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنَّى إبراهيم الموصلي في العاشر وهو : «أقَضِّي نهاري بالحديث وبالمُنى» والحادي عشر والثاني عشر رَمَلاً بالوسطى عن عمرو . وقد قيل : إن ثلاثة أبيات من هذه وهي : «أُقضِّي نهاري بالحديث وبالمنى» [والبيتان اللذان بعده] لابن الدُّمَينة الخثعَمي ؛ وهو الصحيح ؛ وإنما أدخلها الناس في هذه الأبيات لتشابهما .

[مآل قيس ولبنى]

وقد اختُلف في آخر أمر قيس ولُبنى ؛ فذكر أكثر الرُّواة أنهما ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال : إنه مات قبلَها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه . ومنهم من قال : بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها ؛ وممن ذكر ذلك اليوسُفِي عن علي بن صالح صاحب المُصَلَّى ؛ قال قال لي أبو عمرو المَدَني : ماتت لُبنى ، فخرج قيسٌ ومعه جماعة من أهله فوقف على قبرها فقال : [من مجزوء البسيط]

ماتـت لُبَينى فموتُها مَوتِـي هل تنفعَن حَسرتي على الفَوتِ

1 كلوم في ل : شؤون .

وسوفَ أبكـي بكاءَ مكتئبٍ قضى حياةً وَجـداً على مَيتِ

ثم أكبَّ على القبر يبكي حتى أُغمي عليه ؛ فرفعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكلِّماً ثلاثاً حتى مات فدُفن إلى جنبها .

وذكر القَحذمي وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابنَيْ علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش ، فقال لهم : إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّني فيها ، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه . قالوا : ذلك لك مُبتَذَلٌ منا . فاجتمعوا ليوم وعَدهم فيه ، فمضى بهم إلى زوج لُبنى . فلما رآهم أعظم مصيرَهم إليه وأكبره . فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عَتيق . قال : هي مقضية كائنةً ما كانت . قال ابن أبي عَتيق . قد قضيتَها كائنةً ما كانت من مِلك أو مال أو أهل ؟ قال نعم . قال : تَهَب لهم ولي لُبنى زوجتَك وتطلقها . قال : فإني أُشهِدكم أنها طالقٌ ثلاثاً . فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها . وقال ابن عائشة : فعوَّضه الحسنُ من ذلك مائةَ ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه . فلم تزل عنده حتى انقضت عِدَّتُها . فسأل القوم أباها فزوجها قيساً ، فلم تزل معه حتى ماتا .

قالوا : فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق : [من الوافر]

جزى الرحمنُ أفضلَ مـا يُجازي على الإحسان خيراً مـن صديقِ
فقـد جَرَّبـتُ إخواني جميعاً فمـا ألفَيتُ كابـنِ أبـي عتيقِ
سعى في جمع شَملي بعـد صَدعٍ ورَأيٍ حِدتُ فيـه عـن الطريقِ
وأطفـأ لوعـةً كانـت بقلبـي أغصَّتنـي حرارتُهـا بـريقي

قال : فقال له ابن أبي عتيق : يا حبيبي أمسِك عن هذا المديح ؛ فما يسمعه أحد إلا ظنني قَواداً . مضى الحديث .

139 ـ [من مدن معبد]

[صوت من مدن معبد في شعر عنترة]

ومن مُدُن معبد وهو الذي أوله :

يـــا دارَ عَبلـــة بالجِـــواء تكلَّمي

وقد جُمِع معه سائرُ ما يغنَّى فيه من القصيدة .

منها : [من الكامل]

صوت

هل غـادرَ الشعـراءُ مـن مُتَردَّمِ أم هـل عَرَفتَ الدارَ بعد تَوَهمِ

يـا دارَ عَبلــةَ بالجِواء تَكَلَّمي وعِمِي صَبَاحاً دارَ عبلةَ واسلَمي

وتَحُـلّ عبلـةُ بالجِـواء وأهلُنا بالحَـزنِ فـالصَّمَّانِ فالمُتثَلَّمِ[1]

كيف القَرارُ وقـد تربَّع أهلُهـا بعُنَيزَتَـينِ وأهلُنـا بالغَيلَمِ[2]

حُيِّيتَ مـن طَلَلٍ تَقادمَ عهدُه أقـوى وأُقفـرَ بعـد أُم الهَيثَمِ

ولقـد نزلتِ فـلا تَظُنِّـي غيرَه منِّـي بمنزلـةِ المُحَـبِّ المُكرَمِ

ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُر للحرب دائرةٌ على ابنَيْ ضَمضَمِ

الشَّاتِمَيْ عِرضِـي ولم أشتُمْهما والنَّاذِرَيـنِ إذا لَمَ القَهمـا دمي

ولقـد شَفَى نفسي وأبرأَ سُقمَها قِيل الفوارسِ وَيـكَ عنترُ فاقدُمِ

مـا زِلـتُ أرميهم بثُغرة نَحرِه ولَبانِـه حتـى تسَربَـلَ بالدَّمِ[3]

هَلاَّ سألتِ الخيلَ يـا ابنةَ مالكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعلَمي[4]

يُخبِركِ مَـن شَهِـد الوَقِيعةَ أنني أغشى الوَغى وأعفُّ عنـد المَغنَمِ

1 الصمان : موضع . والجواء بنجد ، والحزن لبني يربوع ، والصمان لبني تميم . والمتثلم : مكان .

2 كيف القرار في المعلقات العشر ص 238 : كيف المزار .

3 بثغرة نحره في ل : بغرة وجهه .

4 الخيل في ل : القوم .

يَدعـون عَنترَ والرِّمـاحُ كأنها أشطانُ بئـرٍ في لَبَـان الأدهمِ
فشكَكتُ بالرُّمح الطويـلِ ثيابَه ليس الكريـمُ على القَنا بمحرَّمِ
فـإذا شَرِبـتُ فإننـي مستهلِكٌ مـالي ، وعِرضي وافـرٌ لم يُكلَمِ
وإذا صحوتُ فما أُقَصِّر عن نَدىً وكما علمـتِ شمائـلي وتكرمي

الشعر لعنترة بـن شَدَّاد العَبسي ، وقـد تقدَّمـت أخباره ونسبه . وغنى في البيت الأول ، على ما ذكره ابن المَكي ، إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أول بالوسطى ، وما وجدتُ هذا في رواية غيره . وغنَّى مَعبد في البيت الثاني والثالث خفيفَ ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وهو الصوت المعدود في مُدُن معبد . وغنى سَلاَّم الغَسَّال في السابع والثامن والثالث والعاشر رَمَلاً بالسبَّابة في مجرى البنصر ، ووجدت في بعض الكتب أن له أيضاً في السابع وحده ثانيَ ثقيلٍ أيضاً ، وذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثانيَ بالوسطى لمعبد ووافقه يونس ، وذكر ابن المكي أن هذا الثقيل الثانيَ للهُذَلي ، وذكر غيره أنه لابن مُحرِز . وذكر أحمد بن عبيد أن في السابع ثقيلاً أول للهزليّ ، ووافقه حَبَش . وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيلاً أول ، وأن لابن سُرَيج فيه رملاً آخر غير رمل ابن الغَسَّال ، وأن لابنِ مِسجَح أيضاً فيه خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى . وفي كتاب أبي العَنْبَس : له في الثالث لحن . وفي كتاب أبي أيوب المَدِيني : لابن جامع في هذه الأبيات لحن . ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيفُ ثقيلٍ أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً . ولعَلويه في السادس والرابع ثاني ثقيلٍ ، وله أيضاً في الرابع عشر والثالث عشر رَمَلٌ . وفي كتاب هارون بن الزَّيات لعبد آلٍ في الخامسِ ثقيلٌ أول ؛ وقد نسَب الثقيل الثانيَ المختَلَف فيه لابن مُحرِزٍ . وفي كتاب هارونَ : لأحمد النَّصبي في الرابع والخامس لحن .

«هل غادر الشعراء» البيتَ ، يدفع أكثرُ الرواة أن يكون لعنترة ؛ وممن يدفعه الأصمعي وابن الأعرابي . وأول القصيدة عندهما «يا دارَ عَبلةَ» . فذكر أبو عمرو الشَّيباني أنه لم يكن يَرويه حتى سمع أبا حِزامٍ العُكلي يرويه له .

قوله : «هل غادر الشعراء من متردَّم» يقول : هل تركوا شيئاً يُنظَر فيه لم ينظروا فيه ؟ . والمتردَّم : المتعطَّف ، وهو مصدر . يقول : هل تركوا شيئاً يُتردَّم عليه أي يتعطَّف ؛ ويقال : تردَّمت الناقةُ على ولدها إذا تعطَّفت عليه ، وثوبٌ مردَّم وملدَّم إذا سُدت خروقُه بالرِّقاع . والرَّبع : المنزل ، سُمِّيَ ربعاً لارتباعهم فيه ؛ والرَّبيعة : الصخرة . حكى أبو نصر أنه يقول : هـل تـرك الشعـراء من خَرقٍ لم يرقَعوه وفَتـقٍ لم يرتُقوه ؟ وهو أشبه بقوله من متردَّم . وقال غيره : يعني بقوله من متردَّم البناء وهو الرَّدم ، أي لم يتركوا بناءً إلا بنَوه ؛ قال الله عز وجل :

﴿أجعَل بينكُم وبَيْنَهُم رَدماً﴾ يعني بناء ؛ وردَم فلان حائطَه أي بناه . والجِواء : بلد بعينه ؛ والجواء أيضاً : جمع جَوٍّ وهو البطن الواسع من الأرض . عِمِي صباحاً ، وانعِمِي صباحاً : تحيَّةٌ . تَربع أهلُها : نزلوا في الرَّبيع . وعُنَيزَتَين : أُكَمةٌ سوداء بين البَصرة ومكة . والغَيلم : موضع . والطَّلَل : ما كان له شخص من الدار مثل أُثفِيَّة[1] أو وَتِدٍ أو نُؤْيٍ ؛ وتقول العرب : حيا الله طَلَلَك ، أي شخصَك . وابنا ضَمْضم : حُصَين وهَرِم المُرِّيَّانِ . وثُغرة نحره : موضع لَبته . واللَّبان : مجرى لَبَبِه من صدره وهو الصدر نفسه . ويروى «بُغرة وجهه» . وتَسَربل ، أي صار له سِربال من الدم . وقوله : «هَلاّ سألت الخيلَ» يريد فرسانَ الخيل ؛ كما قال الله تعالى : ﴿واسألِ القَريَةَ﴾ . والوَقيعة : الوَقعةُ . والوَغى والوحى : أصواتُ الناس وجَلَبَتُهم في الحرب ؛ وقال الشاعر : [من الطويل]

وليلٍ كَساجِ الحِميَرِيِّ ادَّرعتُه ... كأنَّ وَغى حافاتِه لَغَطُ العُجمِ[2]

والأشطان : الحبال ، واحدها شَطَن . شبَّه اختلافَ الرِّماح في صدر فرسه بالأشطان . وشككتُ بالرمح : نظمت . وقال أبو عمرو : يعني بثيابه قلبَه . والعِرض : موضعُ المدح والذَّم من الرجل ؛ يقال : طيِّب العِرض أي طيب ريح الجسم . والكُلوم : الجراح . والوافر : التام . وشمائلي : أخلاقي ، واحدها شِمال . يقال : فلان حُلو الشَّمائل والنَّحائت والضَّراب والغرائز .

[عنترة يقول معلقته لأن رجلاً سبه وعيره سواده]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السُّكري قال قال أبو عمرو الشَّيباني : قال عنترةُ هذه القصيدة لأن رجلاً من بني عَبسٍ سابَّه فذكر سوادَه وسوادَ أُمه وإخوته وعيَّره ذلك . فقال عنترة : والله إن الناس لَيَترافَدُون[3] بالطُّعمة ، فوالله ما حضرتَ مَرفِدَ الناس أنت ولا أبوك ولا جَدُّك قَطُّ . وإن الناس لَيُدعَون في الفزع فما رأيتُك في خيلٍ قطُّ ، ولا كنتَ في أول النساء . وإن اللَّبس (يعني الاختلاط) لَيكونُ بيننا فما حضرتَ أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لِخُطةٍ فَيصلٍ قطُّ ، وكنتَ فَقَعاً بقَرقَرة[4] . ولو كنتُ في مَرتَبَتِك ومَغرِسِك الذي أنت فيه ثم ماجَدتُك لَمجدَتُك ، أو طاولتُك لطُلتُك . ولو سألتَ أُمَّك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته[5] . وإني لأحتضِر الوَغى ، وأُوَفي المَغنَم ، وأعِفُّ عن المسألة ، وأجُود بما ملكتُ ، وأفصل الخُطَّة

1 الأثفية : الحجر توضع عليه القدر .
2 الساج : الطيلسان الأسود .
3 يترافدون : يتعاونون .
4 هذا مثل يضرب للضعيف الذليل الذي لا يمتنع على من يضيمه .
5 ل : أن نصحا لك .

الصَّمعاء[1] . فقال له الآخر : أنا أشعرُ منك . فقال : ستعلم ! . وكان عنترة لا يقول من الشّعر إلا البيتَ أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة ويزعمون أنها أول قصيدة قالها . وكانت العرب تسمّيها المُذَهَّبة .

[صوت من بقية مدن معبد في شعر كثيّر عزة]

نسبة الأصوات التي جُعِلَت مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد ، وهنَّ : [من الطويل]

صوت

تَقطّع من ظَلاَّمــةَ الوصلُ أجمَعُ ... أخيــراً عــلى أن لم يكــن يَتَقَطَّعُ

وأصبحتُ قد وَدعت ظَلاَّمةَ التي ... تَضُــرُّ ومــا كانت مع الضُّرِّ تنفعُ

الشعر لكُثيِّر . والغِناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أولُ بالبِنصر عن عمرو ويونس .

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال حدثني سليمان بن عياش السَّعدي قال قال السائبُ راويةُ كُثير ، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المُقَوَّم قال حدثني سائب راوية كُثير قال : كنتُ مع كُثيّر عند ظَلاَّمة فأقمنا أياماً . فلما أردنا الانصرافَ عقدت له في عِلاقة سَوطه عُقَداً وقالت : احفَظها . ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبنى ضَمرة ، فقال : إن في هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذاتَ جمال ، فهل لك أن تستبرزها ؟ فقلت : ذاك إليك . قال : فمِلنا إليهم فخرجت إلينا جاريتها فأخرجتها إلينا ، فإذا هي عَزة ، فجلس معها يحادثها ، وطرح سوطه بينه وبينها إلى أن غلَبته عيناه . وأقبلت عَزة على تلك العُقَـد تَحُلُّها واحدةً واحدةً . فلما استيقظ انصرفنا . فنظر إلى عِلاقة سوطه فقال : أحلَّتها ؟ قلت : نعم ، فلا وصلها الله ، والله إنك لمجنون . قال : فسكت عني طويلاً ثم رفع السَّوط فضرب به واسطةَ رَحله وأنشأ يقول : [من الطويل]

تقطَّعُ من ظَلاَّمــةِ الوصلُ أجمعُ ... أخيراً عــلى أن لم يكــن يتقطَّعُ

وأصبحتُ قد ودّعت ظَلامةَ التي ... تَضُرُّ ومــا كانت مــع الضُّرِّ تنفَعُ

وقــد سُدَّ من أبوابِ ظَلاَّمة التي ... لنا خَلَــفٌ للنَّفس منهــا ومَقنَعُ

ثم وصل عزةَ بعد ذلك وقطع ظَلامة .

ومنها : وهو الذي أوله : «خَمصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها» .

1 الصمعاء : الحازمة .

[صوت من مدنه في شعر الحارث بن خالد]

صوت

[من الكامل]

أقوى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحَزمُ فالغَمرتانِ فأوحَش الخَطمُ[1]
فجنــوبُ أثبِــرةٍ فَمُلحَدُها فالسِّدرتانِ فما حَوى دَسْمُ[2]
وبما أرى شخصاً به حسناً في القـــوم إذ حَيَّتكُمُ نُعمُ
إذ وُدُّهـا صافٍ ورؤيتُهـا أمنيَّــةٌ وكلامُهـــا غُنــمُ
لَفـــاءُ مملـوءٌ مُخَلخَلُهـــا عَجزاءُ ليس لعَظمها حَجمُ[3]
خَمصانةٌ قَلِــقٌ موشَّحُهــا رُؤْدُ الشباب عَلا بهــا عَظمُ
وكأنَّ غاليَــةً تُباشرهــــا تحت الثياب إذا صَغا النَّجمُ[4]
أظُلَيــمُ إن مُصابَكم رجلاً أهــدى السلامَ تحيــةً ظُلمُ
أقصيتِـــه وأراد سَلمَكُــمُ فلْيَهْنِــه إذ جــاءكِ السَّلمُ

عروضه من الكامل . الشعر للحارث بن خالد المخزومي . والغِناء لمعبد ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البِنصر . قال : ولحن معبد : [من الكامل]

خمصانةٌ قَلِــقٌ مُوَشَّحُها

وأول لَحن مالك : [من الكامل]

أقوى مِــنَ آلِ ظُليمةَ الحزمُ

1 أقوى : خلا ، والحزم : موضع أمام خطم الحجول . والغمرة : منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها .
2 أثبرة : عدة جبال بمكة ، واحدها ثبير . والسدرتان : موضع . ودسم : موضع قرب مكة فيه قبر ابن سريج المغني .
3 مملوءٌ في ل : ممكور .
4 الغالية : ضرب من الطيب : صغا النجم : مال للغروب .

[140] ـ ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر

[نسبه]

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المُغِيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ؛ وقد تقدّم ذكره وأخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرُها له وهو : [من السريع]

إن امرءاً تَعتادُه ذِكَرُ

[تزوّج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال : بلغني أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المُغِيرة ، ويقال : بل خالد بن المُهاجِر بن خالد بن الوليد بن المغيرة ، كان تزوج حُمَيدة بنت النُّعمان بن بَشِير بدمشق لما قدِم على عبد الملك بن مروان . فقالت فيه : [من المتقارب]

نكَحتُ المَدينيَّ إذ جاءني فيالَكِ من نَكحَةٍ غاوِيهْ
كهولُ دِمَشقَ وشُبَّانُها أحبُّ إلينا من الجالِيهْ
صُنانٌ لهم كصُنان التُّيو سِ أعيا على المسك والغاليهْ

فقال الحارث يجيبها : [من الخفيف]

صوت

أسَنا ضوء نار ضَمرة بالقَفـ ـرة أبصرتَ أم سَنا ضوء بَرقِ
قاطناتُ الحَجُونِ أشهى إلى قلـ ـبيَ من ساكنات دُورِ دِمَشقِ
يَتَضوعنَ لو تضمَّخنَ بالمسـ ـكِ صُناناً كأنه رِيحُ مَرقِ[1]

غنَّاه مالكُ بن أبي السَّمح خفيفَ ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وفيه لابن مُحرِز[2] لحنٌ من رواية عمرو بن بانة ثقيلٌ أولُ بالوسطى .

[رجعت الرواية إلى خبر الحارث]

قال : وطلَّقها الحارث ؛ فخلَف عليها رَوح بن زِنباع . قال : وكان الحارث خطَب أُمَةَ لمالك بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، وخطبها عبد الله بن مُطِيع . فتزوجها عبد الله ثم طلَّقها

1 المَرق : صوف العجاف والمرضى وهو منتن ، أو هو الجلد المنتن .

2 ل : مسجح .

أو مات عنها ، فتزوجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوج : [من الكامل]

أَقوى مِـنَ آلِ ظُليمةَ الحَـزمُ فالغَمرتـانِ فأَوحَش الخَطمُ

الأبيات التي فيها الغناء .

قال وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدثنا محمد بن الحَكَم عن عَوانة بهذا الخبر فذكر مثلَه ، ولم يذكر أن الحارث هو المتزوِّجُها ، وفسَّر قولَها : [من المتقارب]

أحـبُّ إلينـا مـن الجاليـهْ

وقال : الجاليه أهل الحجاز ، كان أهل الشام يسمُّونهم بذلك لأنهم كانوا يَجلُون عن بلادهم إلى الشام . وقال في الحديث : فبلغ عبدَ الملك قولُها فقال : لولا أنها قدمت الكهولَ على الشبان لعاقبتُها .

[قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار]

قال عَوانة : وكانت لحُمَيدة أختٌ يقال لها عَمرة ، وكانت تحت المختار بن أبي عُبَيد الثَّقَفي ، فأخذها مُصعَب بعد قتله المختار وأخذ امرأتَه الأُخرى وهي بنت سَمُرةَ بنِ جُندَب ، فأمرهما بالبراءة من المختار . أما بنت سَمُرة فبرئت منه ، وأبت ذلك عَمرةُ . فكتب به مُصعَب إلى أخيه عبد الله . فكتب إليه : إن أبت أن تَبرأ منه فاقتُلها . فأبت فحفَر لها حَفِيرةً وأقيمت فيها فقُتلت . فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك : [من الخفيف]

إن من أعجبِ العجائبِ عندي قتـلَ بيضاءَ حُـرَّةٍ عُطبولِ[1]

قُتِلت حُـرَّة على غير جُـرمٍ إن للهِ دَرَّهـا مـن قَتيلِ

كُتِب القتـلُ والقتـالُ علينا وعلى الغانيـاتِ جَـرُّ الذيولِ

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شَبَة

قال أبو زيد وحدثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوِه ، وزاد فيه أن الحارث لما تزوجها قالت فيه : [من المتقارب]

نكَحتُ المَدِينـيُّ إذ جـاءني فيـا لكِ مـن نَكحـةٍ غاويهْ

[تهاجي حميدة مع زوجها روح بن زنباع]

وذكر الأبيات المتقدمة . وقال عمر بن شَبَّة فيه : وتزوجها رَوح بن زِنباع ؛ فنظر إليها

1 العطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .

يوماً تنظر إلى قومه جُذامَ ، وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى إلا جُذامَ ؟ فوالله ما أحِبُّ الحَلالَ منهم فكيف بالحرام ! . وقالت تهجوه : [من الطويل]

بكى الخزُّ من رَوحٍ وأنكر جلدَه وعَجَّت عَجيجاً من جُذامَ المَطارفُ
وقال العَبا قد كنتُ حيناً لباسَكم وأكسيــةٌ كُردِيــةٌ وقَطائِفُ

فقال رَوح : [من الطويل]

إن تَبكِ منّـا تَبكِ ممن يُهينُها وإن تَهوَكم تهوَ اللِّئامَ المَقارِفا[1]

وقال رَوح : [من الكامل]

أثنــي عليَّ بمــا علمتِ فإنَّني مُثنٍ عليكِ لبئسَ حَشوُ المِنطَقِ[2]

فقالت : [من الكامل]

أثني عليكِ بأن باعَكَ ضَيِّقٌ وبأن أصلَكَ في جُذامٍ مُلصَقُ

فقال رَوح : [من الكامل]

أثني عـليَّ بمـا عَلِمتِ فإنني مُثنٍ عليكِ بمثل رِيح الجَورَبِ

فقالت : [من الكامل]

فثناؤنــا شرُّ الثَّنـاءِ عليكــمُ أسوَا وأنتَنُ من سُلاحِ الثَّعلَبِ

وقالت : [من الطويل]

وهــل أنــا إلا مُهــرَةٌ عربيــةٌ سَليلــةُ أفــراس تجلَّلها بَغلُ
فإن نُتِجت مُهراً كريماً فالبحَرى وإن يك إقرافٌ فما أنجب الفحلُ[3]

فقال رَوح : [من الطويل]

فما بالُ مُهــرٍ رائعٍ عَرَضتْ لــه أتانٌ فبالتْ عنــد جَحفَلَة البغلِ[4]
إذا هــو وَلّى جانبــاً ربخَتْ لــه كما ربختْ قَمراءُ في دَمسٍ سهلِ[5]

وقالت عمرة لأخيها أبان بن النُّعمان : [من الوافر]

1 المقارف : الأنذال .
2 المنطق والنطاق : شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به .
3 المقرف : الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك ، ضد الهجين والمقرف أيضاً : النذل .
4 الجحفلة : لذي الحافر كالشفة للإنسان .
5 ربخت : استرخت . قمراء : بيضاء . دمس : دمث .

أَطـالَ اللهُ شأوَك مـن غُـلامٍ ... متـى كانـت مَناكحَنـا جُذامُ
أتَرضـى بـالأكارع والذُّنابَـى ... وقـد كنـا يَقِـرُّ بنـا السَّنامُ[1]

وقال ابن عمٍّ لرَوح : [من الوافر]

رَضِي الأشياخ بالفِطيَوْنِ فَحلاً ... وترغَبُ للحماقـةِ عـن جُذامِ[2]
يهوديٌّ لـه بُضعُ العَـذارى ... فقبحـاً للكهـولِ وللغلامِ
تُـزَفُّ إليه قبـل الزوجِ خَـودٌ ... كأن شَمساً تدلَّـتْ من غَمامِ
فأبقـى ذلكم عـاراً وخِزياً ... بقاءَ الوَحـي في صُمِّ السِّلامِ[3]
يهـودٌ جُمِّعُـوا من كلِّ أُوبٍ ... وليسوا بالغَطاريـفِ الكـرامِ

وقالت : [من الوافر]

سُمِّيتَ رَوحاً وأنت الغمُّ قد عَلِموا ... لا روَّح اللهُ عن رَوح بن زِنباعِ

فقال رَوح : [من البسيط]

لا روَّح الله عمَّن ليس يمنعنا ... مالٌ رَغيبٌ وبعلٌ غيرَ مِمناعِ
كشافعٍ جَونةٍ ثُجلٍ مَخاصِرُها ... دبَّابـةٍ شَثَنةِ الكَفَّيـنِ جُباعِ[4]

قال : والجُبَّاع : القصيرة . والجُبَّاع من السهام : الذي لا نصل له . والجُباع : الرَّصَفُ[5] .

وقالت : [من المتقارب]

تُكَحِّل عينيـكَ بَـردَ العَشي ... كأنـكَ مُومِسةٌ زانيـهْ
وآيـةُ ذلك بعـد الخُفُوقِ ... تَغَلُّـفُ رأسِك بالغاليـهْ
وأن بَنِيـك لرَيبِ الزمـا ... ن أمستْ رقابهـمُ حاليـهْ
فلو كان أُوسٌ لهم حاضراً ... لقال لهـم إن ذا ماليـهْ

---

1 بالأكارع في ل : بالفواسق .
2 الفطيون : رجل فاجر من اليهود كانت اليهود تدين له .
3 الوحي : الكتابة . السِّلام : الحجارة .
4 الشافع من النوق والشاة : التي في بطنها ولد ويتبعها آخر . وثجل : جمع أثجل وثجلاء . والثجل : عظم البطن وسعته . شثنة الكفين : غليظتهما .
5 الرصف : جمع رصفة وهي العصب الذي تصنع منه الأوتار .

وأوس رجل من جُذام يقال : إنه استودَع رَوحاً مالاً فلم يرده عليه . فقال لها رَوح : [من المتقارب]

إن يكن الخُلعُ من بالكم فليس الخلاعةُ من باليهْ
وإن كان مَن قد مضى مثلكم فأُفٌّ وتُفٌّ على الماضيهْ
وما إنْ بَرا اللهُ فاستيقنيـ ـه من ذات بعلٍ ومن جاريهْ
شبيهاً بكِ اليوم فيمن بَقِي ولا كان في الأَعصُر الخاليهْ
فبُعداً لَمحياكِ إذ ما حَييتِ وبُعداً لأَعظُمِك الباليهْ

[تزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم]

وقال رَوح في بعض ما يتنازعان فيه : اللهُم إن بَقِيت بعدي فابتلِها ببعلٍ يلطِم وجهَها ويملأ حِجرَها قيئاً . فتزوجها بعده الفَيض بن محمد بن الحكَم بن أبي عَقِيل وكان شاباً جميلاً يُصيب من الشَّراب فأَحبَّته . فكان ربما أصاب من الشَّراب مُسكِراً فيلطِم وجهَها ويقيءُ في حِجرِها ؛ فتقول : يرحَم الله أبا زُرعة ، قد أجيبت دعوتُه فيَّ . وقالت لفَيض : [من البسيط]

سُمِّيتَ فيضاً وما شيءٌ تَفيضُ به إلا سُلاَحَكَ بين الباب والدارِ
فتلكَ دعوةُ رَوحِ الخيرِ أعرِفُها سقَى الإلهُ صَداه الأَوطَفَ السَّارِي[1]

وقالت لفَيض أيضاً : [من الوافر]

ألا يا فَيضُ كنتُ أراكَ فَيضاً فلا فَيضاً أصبتُ ولا فُراتا

وقالت : [من البسيط]

وليس فيضٌ بفَياضِ العَطاء لنا لكنَّ فيضاً لنا بالقَيء فَياضُ
ليثُ اللُّيوثِ علينا باسلٌ شَرِسٌ وفي الحروب هَيُوبُ الصدرِ جَيَّاضُ[2]

[تزوج ابنتها من الفيض الحجاج بن يوسف]

فولدت من الفَيض ابنة فتزوجها الحَجاج بن يوسف ؛ وقد كانت قبلها عند الحَجاج أُمُّ أَبانٍ بنت النُّعمان بن بَشير . فقالت حُميدة للحَجاج : [من الرجز]

إذا تذكَّرتُ نكاحَ الحَجاجْ من النَّهارِ أو من اللَّيل الداجْ

---

1 الأوطف : السحاب الداني من الأرض .
2 الجياض : الرواغ .

فاضتْ لـه العينُ بدمع ثَجَّاجْ وأُشعِلَ القلـبُ بوَجـدٍ وَهَّاجْ
لـو كان نُعمانُ قتيـلُ الأَعلاجْ مُستَوِيَ الشَّخصِ صحيحَ الأوداجْ
لكنتَ منهـا بمكـان النَّسَّاجْ قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرَّاجْ
أن تَنكِحيه مَلِكـاً أو ذا تاجْ

فقَدِمت حُميدة على ابنتها زائرةً . فقال لها الحَجَّاج : يا حُميدة ، إني كنتُ أحتمل مُزاحَكِ مرَّةً ، وأما اليوم فإني بالعراق وهم قومُ سَوءٍ فإياكِ ! . فقالت : سأَكُفُّ حتى أرحل .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثنا المدائني عن مَسْلَمةَ بن مُحارِب قال : قالت حُمَيدة بنت النُّعمان لزوجها رَوح بن زِنباع ، وكان أسودَ ضخماً : كيف تَسُود وفيك ثلاثُ خِصال : أنت من جُذام ، وأنت جَبانٌ ، وأنت غَيُور . فقال : أما جُذام فأنا في أُرُومتها ، وبحَسبِ الرجلِ أن يكون في أُرُومة قومه . وأما الجُبن فإنما لي نفسٌ واحدة ، ولو كان لي نفسان لجُدتُ بإحداهما . وأمّا الغَيرة فهو أمر لا أُحِب أن أُشارَك فيه ، وإن المرء لحقيقٌ بالغيرة على المرأة مثلِكِ الحَمقاء الوَرهاء لا يأمَنُ أن تأتيَ بولد من غيره فتقذِفَه في حِجره . ثم ذكر باقيَ خبرها مثلَ ما تقدم ، وقال فيه : فخلَّف بعده عليها الفَيضُ بن محمد عمُّ يوسف بن عمر ، فكان يشرب ويلطِمها ويقيءُ في حِجرها ؛ فقالت : [من البسيط]

سُمِّيتَ فَيضاً وما شيءٌ تَفيضُ به إلا سُلاحَكَ بـين البابِ والدارِ

قال المدائني : وتمثَّل فيضٌ يوماً بهذا البيت : [من البسيط]

إن كنتِ ساقيةً يومـاً على كَـرَمٍ صَفوَ المُدامةِ فاسقِيها بنـي قَطَنِ

ثم تحرك فضَرَط . فقالت : واسقِ هذه أيضاً بني قَطَن ! .

[أبو عثمان المازني والواثق]

وهذا الصوت أعنِي : [من الكامل]

أَقـوى مِـن آلِ ظُلَيمةَ الحَزمُ

هو الصوت الذي أَشخَص الواثقُ له أبا عثمان المازِني بسبب بيت منه اختُلف في إعرابه بحضرته ، وهو قوله : [من الكامل]

أظُلَيمُ إن مُصابَكم رجـلاً أَهْدَى السَّلامَ تَحيَّـةً ظُلمُ

وقال آخرون : «رجلٌ» . حدثني بذلك عليُّ بن سليمان الأَخفَش عن أبي العباس محمد بن يَزيد عن أبي عثمان ، وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا القاسم بن إسماعيل وعَونُ بن محمد وعبدُ الواحد بن العباس بن عبد الواحد والطَّيِّبُ بن محمد الباهلي ،

يزيد بعضُهم على بعض ، قالوا حدثنا أبو عثمان المازني قال : كان سبب طلب الواثق لي أن مُخارِقاً غنّى في مجلسه : [من الكامل]

أظُلَيمُ إن مُصابَكم رجــلاً أهْــدَى السَّلامَ تحيــةً ظُلمُ

فغناه مخارق «رجلٌ» ، فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون . فسأل الواثقُ عمَّن بقي من رؤساء النحويين فذكِرت له ، فأمر بحَملي . فلما وصلتُ إليه قال : ممن الرجلُ ؟ قلت : من بني مازِن . قال : أمن مازن تَميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة أم مـازن اليمن ؟ . قلت : من مازن ربيعة . فقال لي باسمُك ؟ (يريد ما اسمُك وهي لغة كثيرة في قومنا) فقلت على القياس : مَكرٌ (أي بكر) . فضحِك فقال : اجلِس واطبَئنّ (يريد : واطمئنّ) فجلست . فسألني عن البيت . فقلت : «إن مصابكم رجلاً» فقال : أين خبرُ «إن» ؟ قلت : «ظلم» وهو الحرف الذي في آخر البيت . وقال الأخفش في خبره : وقلتُ له : إن معنى «مصابِكم» إصابتُكم ، مثل ما تقول : إن قتلكم رجلاً حيَّاكم ظلمٌ . ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إن البيت كله معلَّق لا معنى له حتى يتم بقوله «ظلم» . ألا ترى أنه لو قال : أظُلَيم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلام تحيةً ، لَما احتيجَ إلى «ظلم» ولا كان له معنىً ، إلا أن يجعل التحيةَ بالسلام ظلماً ، وذلك محال ، ويجب حينئذٍ أن يقول : [من الكامل]

أظُليمُ إن مُصابَكم رجــلٌ أهْدَى السَّلامَ تحيــةً ظُلْما

ولا معنى لذلك : ولا هو ، لو كان له وجهٌ ، معنى قولِ الشاعر في شعره . فقال : صدقتَ ، ألك ولدٌ ؟ قلت : بُنَيَّةٌ لا غيرُ . قال : فما قالت حين ودَّعتَها ؟ قال قلتُ : أنشدت شعرَ الأعشى : [من المتقارب]

تقول ابنتي حين جَدَّ الرَّحِيلُ أرانـــا سواءً ومَن قد يَتِمْ
أبانا فـلا رِمتَ من عندِنا فإنـا بخَيــرٍ إذا لم تَرِمْ
أرانا إذا أضمرتك البــلا دُ نُجفى وتُقطَعُ منّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قلتُ لها قولَ جرير : [من الوافر]

ثِقِي باللهِ ليسَ لـه شريكٌ ومِن عندِ الخليفةِ بالنَّجاحِ

فقال : ثِقْ بالنجاح إن شاء الله تعالى . إن هاهنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحِنهم ، فمَن كان منهم عالِماً يُنتفَع به ألزمناهم إياه ، ومَن كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم . فأمر فجُمعوا إليَّ فامتحنتُهم فما وجدت فيهم طائلاً ؛ وحَذِروا ناحيتي ، فقلت : لا بأسَ على أحد . فلما رجعتُ إليه قال : كيف رأيتَهم ؟ قلت : يفضُل بعضهم بعضاً في علوم ،

ويفضُل الباقون في غيرها ، وكلٌّ يُحتاج إليه . فقال لي الواثق : إني خاطبتُ منهم أحداً فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أكثرُ من تقدَّم منهم بهذه الصفة ؛ ولقد أُنشدتُ فيهم : [من الكامل]

إن المعلِّـمَ لا يـزال مُضَعَّفاً ولـو ابتَنى فـوقَ السماء بناءَ
من علَّم الصبيانَ أضنَوا عقلَه مما يلاقـي غُـدوةً ومَساءَ

مضى الحديث .

[صوت من مدن معبد في شعر الأعشى]

ومنها : [من الخفيف]

صوت

يومَ تُبدِي لنا قُتَيلةُ عـن جيـ ـدِ أَسِيلٍ تَزِينُـه الأطواقُ
وشَتِيتٍ كالأقحُوانِ جَلاه الطَّـ ـلُّ فيـه عُذوبـةٌ واتِّساقُ

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد . وذكر إسحاق أن لحنه خفيفُ ثقيلٍ من أصواتٍ قليلاتِ الأشباه ، وذكر عمرو بن بانة أن لحنه من الثقيل الأول بالبنصر . ولإسحاق لحنٌ من الثقيل أيضاً وهو مما عارَض فيه معبداً فانتَصف منه ، ومن أوائل أغانيه وصدورها .

[قتيلات معبد]

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعي قال حدثنا عمر بن شَبة عن إسحاق قال ذكر الحسن بن عُتبة اللَّهبي المعروف بفَورَكٍ قال : قال لي الوليد بن يزيد : أريد الحج ، فما يمنعني منه إلا أن يلقاني أهل المدينة بقُتَيلات معبد وبقَصره ونَخله فأفتضحَ به طرباً . يعني ثلاثةَ أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قُتَيلة هذه ، ونسبتُها تأتي بعدُ . ويعني بقصره ونخله لحنَه : [من البسيط]

القصرُ فالنخـلُ فالجَمَّاء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق وحدثني عبد الملك بن هِلال : وبلغني أن فِتيةً من قريش دخلوا إلى قَينةٍ ومعهم رَوح بن حاتم المُهَلَّبي ، فتمارَوا فيما يختارونه من الغناء . فقالت لهم : أُغَنِّي لكم صوتاً يُزيل الاختلاف ويُوقِع بينكم الاجتماع ، فرَضُوا بها . فغنَّت : [من الخفيف]

يومَ تُبدِي لنا قُتَيلةُ عـن جيـ ـدِ أَسِيـلٍ تَزِينُـه الأطـواقُ

فرَضُوا به واتفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه ، وأقاموا عندها أُسبوعاً لا يسمعون غيرَه .

[141] ـ نسبة أصوات معبد في قُتَيلة

[الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى]

منها : [من الكامل]

[صوت]

أَثْــوى وقَصَّــر ليلَــة ليُــزَوَّدا فمضَى وأُخلِفَ مــن قُتَيلَةَ مَوعِدا
يَجحَدْنَ دَينــي بالنَّهــار وأقتضِي دَينــي إذا وقَــذ النُّعاسُ الرُّقَّدا[1]
وأرى الغــوانِيَ لا يُواصِلنَ امرءاً فقــد الشَّبَابَ وقد يَصِلنَ الأمردا

الشعر للأعشى . والغِناء لمعبد خفيفُ ثقيل أول بالوسطى .

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيدي قال حدثنا أبو شُراعة في مجلس الرِّياشي قال : حُدِّثت أن رجلاً نظر إلى الأعشى يَدُور بين البيوت ليلاً ؛ فقال له : يا أبا بَصير ، إلى أين في هذا الوقت ؟ فقال : [من الكامل]

يجحدْن دَيني بالنَّهارِ وأقتضي دَيني إذا وقَـذ النُّعــاسُ الرُّقَّدا

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال : غنَّيتُ بين يَدَي الرشيد وسِتارتُه منصوبة : [من الكامل]

وأرى الغــوانيَ لا يُواصلن امــرءاً فقَدَ الشبابَ وقــد يَصلنَ الأمردا

فطرِب واستعاده وأمر لي بمال . فلما أردتُ أن أنصرف قال لي : يا عاضَّ كذا وكذا ! أتغنِّي بهذا الصوت وجواري من وراء ستارةٍ يسمعنَه ! لولا حُرمتُك لضربت عنقك ! . فتركته والله حتى أُنسيته .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أَلَمَّ خيــالٌ من قُتَيلةَ بعدمــا وهَي حبلُها من حبلنا فتَصَرَّما
فبِتُّ كأنِّي شاربٌ بعد هَجعةٍ سُخاميَّةً حمراءَ تُحسَبُ عَندَما[2]

---

1 وقذه النعاس : غلبه .
2 خمر سخام وسخامية : لينة سلسة .

الشعر للأعشى . والغناء لَمعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالبِنصر عن عمرو . وفيه لابن مُحرِز ثاني ثقيلٍ بالوسطى عنه وعن ابن المكي .

[سبعة ابن سريج]

فأما السبعة التي جُعلت لابن سُرَيج بإزاء سبعة مَعبد فإني قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن ، قال حدثني الحسين بن أحمد الأَكتَمي عن أبيه قال : ذكرنا عند إسحاق يوماً أصواتَ معبد السبعةَ فقال : والله ما سبعةُ ابن سُرَيج بدونهن . فقلنا له : وأيُّ سبعة ؟ فقال : إن مُغنّي المكيين لما سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتهم لذلك غَيرة ، فاجتمعوا فاختاروا من غِناء ابن سُرَيج سبعةً فجعلوها بإزاء سبعة معبد ، ثم خايروا[1] أهلَ المدينة فانتَصفوا منهم . فسألوا إسحاقَ عن السبعة السُّرَيجية ؛ فقال : منها : [من الطويل]

تَشَكّى الكُمَيتُ الجَريَ لما جَهَدتُه

وقد مضت نسبتُه في الثلاثة الأصوات المختارة : [من الطويل]

و : لقد حَبَّبتْ نُعمٌ إلينا بوجهها

و : قَرَّب جيرانُنا جِمالَهمُ [من المنسرح]

و : أَرِقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّقُ [من الطويل]

وقد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مُدُن معبد .

و : بَيْنا كذاك إذا عَجاجةُ مَوكِبٍ [من الكامل]

و : فلم أَرَ كالتَّجمير منظَرَ ناظرٍ [من الطويل]

وقد مضى في الأرمال المختارة .

و : تَضوَّع مِسكاً بطنُ نَعمانَ إذ مشتْ [من الطويل]

وقد ذُكر في المائة مع غيره في شعر النميري .

و : إن جاء فيأْتِ على بغلةٍ [من السريع]

1 خايروا : غالبوهم .

[142] ـ نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدِّما

[الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هذه السبعة]

فمنها : [من الطويل]

صوت

لقـد حَبَّبتْ نُعمٌ إلينا بوجهِهـا مساكنَ مـا بين الوَتائـر فالنَّقعِ[1]
ومن أجلِ ذاتِ الخال أعملتُ ناقتي أكلِّفها سَيرَ الكَـلالِ مـع الظَّلعِ

عروضه من الطويل . والشعر لعمرَ بن أبي رَبيعة ، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيلٍ بالبنصر . وذاتُ الخالِ التي عَناها هاهنا عمر امرأةٌ من ولد أبي سُفيان بنِ حَرب ، كان عمر يَكني عنها بذلك .

[عمر بن أبي ربيعة وذات الخال]

حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم المَوْصلي عن الزُّبيري والمُسَيَّبي ومحمد بن سَلاَّم والمَدائني ، وأخبرنا به الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمِّي ولم يتجاوزه : أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة ، إذ مرت بهما امرأة من آل أبي سفيان ، فدعا عمرُ بكَتِفٍ فكتب إليها وكَنى عن اسمها : [من الطويل]

أَلِمَّا بذاتِ الخالِ فاستطلِعا لنا على العهد باقٍ ودُّها أم تَصَرَّما
وقـولا لهـا إن النَّوى أجنبيةٌ بنا وبكـم قـد خِفتُ أن تتيمَّما

غناه ابن سُرَيج خفيف ثقيلٍ أولَ بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، قال فقال له ابن أبي عَتيق : سبحانَ الله ! ما تريد إلى امرأةٍ مُسلِمة مُحرِمةٍ أن تكتب إليها مثل هذا ! قال : فكيف قد سيّرتُه في الناس من قولي : [من الطويل]

لقـد حَبَّبتْ نُعـمٌ إلينا بوجهها مساكنَ مـا بـين الوتائـر والنَّقعِ

---

1 الوتيرة : ماء بأسفل مكة لخزاعة . والنقع : موضع قرب مكة في جنبات الطائف .

ومن أجلِ ذات الخـال أعملتُ ناقتي أُكَلِّفهـا سيرَ الكَـلالِ مـع الظَّلعِ
ومن أجلِ ذات الخـال يومَ لقِيتُها بمُندَفَع الأجنـاب أخضلني دمعي[1]
ومن أجلِ ذات الخـال آلَفُ منزلاً أحُلُّ بـه لا ذا صديـقٍ ولا زَرعِ
ومن أجلِ ذات الخـال عُدتُ كأنني مُخامَـرُ سُقمٍ داخـلٍ أو أخو رَبعِ[2]
أَلِمّـا بـذاتِ الخـالِ إن مُقامَهـا لدى الباب زاد القلبَ صَدعاً على صَدعِ
وأُخـرى لَـدى البيت العَتيق نظرتُها إليها تَمشتْ في عظامـي وفي سمعي

وقال الحِرْميّ في خبره : أما ترى ما سار لي من الشعر ! ما علم اللهُ أنّي اطلعتُ حراماً قط ! ثم انصرفنا . فلما كان من الغدِ التقينا . فقال عمر : أشعَرت أن ذلك الإنسان قد رَدّ الجواب ؟ قال : وما كان من رده ؟ قال : كتب : [من الكامل]

صوت

أمسى قَرِيضُك بالهوى نَمّاما فاربَعْ هُديتَ وكن لـه كَتّاما
واعلم بأن الخالَ حين وصفتَه قعـد العـدوُّ بـه عليك وقاما
لا تَحسبنَّ الكاشحينَ عَدِمتَهم عمـا يسوءك غافلـين نِياما
لا تمكننَّ من الدَّفِينة كاشحاً يتلـو بهـا حفظاً عليك إماما

غنَّى فيه سُلَيم خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو . قال : وفيه لفَرِيدة وإبراهيمَ لحنان . وفي بعض النسخ : لإسحاقَ فيه ثَقيلٌ أول غير منسوب . وذكر حَبَش أن خفيف الرَّمَل لَفريدة .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال أخبرنا أبو أيُّوب المَدينيَ عن محمد بن سَلاّم ، قال وأخبرني حَماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاّم قال : سألتُ عمر بن أبي خَلِيفة العَبدي ، وكان عابداً وكان يُعجبه الغِناء ، أيُّ القوم كان أحسنَ غناء ؟ قال : ابن سُرَيج إذا تَمَعبَد ، يريد : إذا غنّى في مذهب مَعبَد من الثقيل ، قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل صوته : [من الطويل]

صوت

لقـد حَبَّبتْ نُعمٌ إلينا بوجهها مساكنَ ما بـين الوَتائر فالنَّقعِ

وقال حَماد بن إسحاق حدثني أبي قال حدثني أبو محمد العامِري قال : جلس مَعبَد والأَبجَر وجماعةٌ من المغنّين فتذاكروا ابنَ سُرَيج وما اشتهاه الناس من غِنائه ، فقالوا : ما هو

1 الأجناب : موضع قرب مكة .
2 الربع : النعش ، ويكنى به عن الموت .

إلا من غِناء الزُّفافِ والمخنَّثين . فنُمي الحديث إلى ابن سُرَيج فغنَّى : [من الطويل]

لقد حَبَّبتْ نعمٌ إلينا بوجهها

فلما جاء معبد وأصحابه واجتمعوا غنَّاهم إياه . فلما سمعوه قاموا هاربين ، وجعل ابن سُرَيج يصفّق خَلفَهم ويقول : إلى أين ؟! إنما هو ابن ليلته فكيف لو اختَمر ! . قال فقال معبد : دَعُوه مع طرائِقِه الأُوَلِ ولا تَهيجُوه على طرائقكم ، وإلا لم يَدَع لكم والله خبزاً تأكلونه .

قال الزُّبير في خبره عن عمه : وعَلِق نُعماً هذه فقال فيها شعراً كثيراً . ونحن نذكر هاهنا ما فيه غِناءٌ من ذلك . فمنه قولُه : [من الكامل]

صوت

خَطَرتْ لذات الخال ذِكرى بعد ما سلَكَ المَطِيُّ بنا على الأنصابِ[1]
أنصابِ عَمرةَ والمَطِيُّ كأنَّها قِطَعُ القَطا صدَرتْ عن الأَجبابِ[2]
فانهَلَّ دمعي في الرِّداء صَبابةً فسترتُهُ بالبُردِ عن أصحابي
فرأى سوابقَ دمعةٍ مسكوبةٍ بَكرٌ فقال بكى أُبو الخَطابِ

عروضه من الكامل . «بكر» الذي ذكره هاهنا عمر هو ابن أبي عَتيق وهو يسمِّيه في شعره ببكر وبعَتيق ، وإياه يَعني بقوله : [من الخفيف]

لا تَلُمني عَتِيقُ حَسبي الذي بي إن بي يا عَتيقُ ما قد كفاني

الغناء في «خطرت لذات الخال» للغَريض ، ولحنه ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانةَ أن فيه ثقيلاً أولَ بالبِنصر لأبي سَعيد مولى فائد .

وأخبرني الحِرْميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثني عمِّي : أن عمر بن أبي ربيعة وافقها وهي تستلم الركنَ ، فقرُب منها . فلما رأته تأخرت وبعثت إليه جاريتَها . فقالت له : تقول لك ابنةُ عمِّك : إن هذا مَقامٌ لا بدَّ منه كما ترى ، وأنا أُعلم أنك ستقول في موقفنا هذا فلا تقولنَّ هُجراً . فأرسَلَ إليها : لستُ أقول إلا خيراً . ثم تعرض لها وهي ترمي الجِمار ، فأعرضت عنه واستترت ؛ فقال : [من المديد]

صوت

دِينَ هذا القلبُ من نُعمِ بسَقامٍ ليس كالسُّقمِ

1 الأنصاب : موضع .
2 الأجباب : جمع جب وهو البئر الذي لم تطو أي لم تُبْنَ .

إن نُعمـاً أقصدتْ رجلاً آمِنـاً بـالخَيفِ إذ تَرمي
اسمعـي منـا تَحَاوُرَنـا واحكُمِي رُضِّيتُ بالحكمِ
بشَتِيـتٍ نبتُـه رَتِـلٍ طيِّبِ الأنيـاب والطَّعمِ[1]
يأتِكـم منـه بحُجَّتـه فلـه العُتبـى ولا أُحمِـي

عروضه من المديد . الغِناء لإسحاقَ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمالك ثقيلٌ أول من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لابن مِسْجَح ثقيلٌ أول بالوسطى عن حبش أيضاً . وذكر الهِشاميُّ أن هذا الصوت مما يُشَك فيه أنه لمعبد أو غيره .

قال : وقال فيها أيضاً : [من الهزج]

صوت

أبِيني اليـوم أيْ نُعْـمُ أوَصلٌ منـكِ أم صُرمُ
فإن يـك صُرمُ عاتبةٍ فقد نَغنـى وهُـو سَلْمُ
تَلُومكَ في الهـوى نُعمُ وليس لهـا بـه عِلمُ
صحيحٌ لـو رأى نُعماً لخالـط جسمَـه سُقمُ

عروضه من الهَزَج . غنَّاه مالك ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمتيَّمَ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن إسحاق[2] ، وذكر أن فيه أيضاً صنعةً لابن سُرَيج .

ومما يُغَنَّى فيه مما قاله فيها ، وهو من قصيدة طويلة : [من الطويل]

صوت

فقلتُ لجَنَّادٍ خُذِ السَّيفَ واشتَمِلْ عليـه بحزمٍ وانظُر الشمسَ تَغرُبِ
وأَسرِج لنا الدَّهماءَ واعجَلْ بمِمطَرِي ولا تُعلِمَن خَلقاً من الناسِ مذهبي[3]

عروضه من الطويل . غنَّاه زُرزور غلامُ المارِقي خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمي قال : قيل لعمر بن أبي ربيعة : ما أَحَبُّ شيء أصبتَه إليك ؟ قال : بينا أنا في منزلي ذاتَ ليلة إذ طرَقني رسول مُصعَب بن الزُّبير بكتابه

1 الشتيت : المتفرق . والرتل : بياض الأسنان وحسن تناسقها .
2 ل : حبش .
3 المِمطر : ما يلبس للوقاية من المطر .

يقول : إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ مما يُشبهك ، وقد بعثتُ بها إليك وبدنانيرَ ومسك وطِيب وبغلة . قال : فإذا بثياب من وَشيٍ وخَزِّ العراق لم أرَ مثلها قط وأربعمائة دينار ومسكٍ وطِيبٍ كثير وبغلة . فلما أصبحتُ لبست بعضَ تلك الثياب وتطيَّبت وأحرزتُ الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لا همَّ لي قد أحرزتُ نفقةَ سنتي ؛ فما أفدتُ فائدةً كانت أحبَّ إليَّ منها .

وقلت في ذلك : [من الطويل]

ألا أرسلت نُعـمٌ إلينـا أنِ ائتِنـا ... فأحبِبْ بهـا مـن مُرسِلٍ مُتَغَضِّبِ
فأرسلـتُ أن لا أستطيـعُ فأرسلتْ ... تؤكِّـد أيمـانَ لحبيـبِ المؤنِّبِ
فقلت لجَنَّادٍ خُـذِ السيفَ واشتمِلْ ... عليه بحـزمٍ وانظُرِ الشمسَ تَغرُبِ
وأسرِجْ ليَ الدَّهماء واعجَلْ بمِمْطَري ... ولا تُعلِمَنْ خَلقاً مـن الناس مذهبي
وموعـدُك البَطحاءُ أو بَطنُ يأجَجٍ ... أو الشِّعبُ بالمَرُوخ من بطن مُغرِبِ[1]
فلمـا التقينـا سَلَّمـتْ وتبسَّمَتْ ... وقالـت مقـالَ المُعـرِضِ المُتَجَنِّبِ
أمِـنْ أجـلِ واشٍ كاشحٍ بنَميمـةٍ ... مشى بيننـا صدَّقتَـه لم تُكَـذِّبِ
قطعتَ وِصالَ الحبلِ منَّا ومن يُطِع ... بـذِي ودِّه قـولَ المحـرِّش يُعتِبِ
فبات وِسادِي ثِنيَ كـفٌّ مُخضَّبٌ ... مُعاوِدَ عـذبٍ لم يُكَـدَّرْ بمَشرَبِ
إذا مِلتُ مالـتْ كالكَثيبِ رخيمةٌ ... مُنَعَّمـةٌ حُسَّانـةُ المُتَجَـلبَبِ

أخبرني الحِرْميُّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمِّي قال : بلغ عمرَ بن أبي ربيعة أن نُعماً اغتسلت في غَدير ؛ فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضَب .

قال الزُّبير قال عمِّي : وقال فيها أيضاً : [من الخفيف]

صوت

طال ليـلي وعادني اليومَ سُقمُ ... وأصابت مقاتـلَ القلـبِ نُعمُ
وأصابـتْ مَقاتـلي بسهـامٍ ... نافـذاتٍ ومـا تَبَيَّن كَلْمُ
حُرَّةُ الوجه والشمائلِ والجو ... هـرِ تكليمُها لمـن نـال غُنمُ
هكذا وَصفُ ما بدا لي منها ... ليس لي بـالذي تغيَّب عِلمُ
غيرَ أني أرى الثيـابَ مِلاءً ... في يَفاعٍ يَزيـن ذلك جسمُ

1 يأجج : مكان من مكة على ثمانية أميال .

وحديثٍ بمثلــه تَنزِل العُصـ ـمُ رَخيمٍ يشوبُ ذلكَ حِلمُ

عروضه من الخفيف . غنّى ابن سُرَيج في الأربعة الأبيات لحناً ذكره إسحاق وأبو أيوب المَدِيني في جامع غنائه ولم يجنّسه ، وذكر حبش أنه خفيفُ رملٍ بالبنصر .

[مناقشة بين إسحاق وإبراهيم بن المهدي في معبد وابن سريج]

أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال حدثني عمرو بن بانة قال : كنتُ حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند إبراهيم بنِ المهدي . فتفاوضنا حديثَ المغنّين ، حتى انتهَوا إلى أن حَكى إسحاقُ قولَ عمر بن أبي خَليفة : «إذا تَمَعبَد ابن سُرَيج كان أحسن الناس غِناءً» . فقال إبراهيم لإسحاق : حاشاك يا أبا محمد أن تقول هذا ! فقد رفع الله عِلمك وقَدرَ ابن سُرَيج عن مثل هذا القول ، وأغنى ابنَ سُرَيج بنفسه عن أن يقال له تَمَعبَد ؛ وما كان مَعبَد يضع نفسَه هذا الموضعَ ؛ وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول : أصبحتُ اليومَ سُرَيجياً . وما قد أنصف أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي معبداً في هذا القول ؛ لأن معبداً وإن كان يعظّم ابنَ سُرَيج ويوفّيه حقَّه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده . وقد مضى في صدر الكتاب خبرُ ابن سُرَيج لما قَدِم المدينةَ مع الغَريض ليستمنحا أهلَها ، فسمعاه وهو يصيد الطير يغنّي لحنه : [من البسيط]

القَصرُ فالنخـل فالجَمّاءُ بينهما

فرجع ابن سريج وردَّ الغَريضَ وقال : لا خيرَ لنا عند قوم هذا غناء غلامٍ فيهم يصيد الطير ، فكيف بمَن داخل الجَونة ! .

[تعظيم ابن سريج لمعبد وأخذه عنه]

وأظرفُ من ذلك من أخباره وأدلُّ على تعظيم ابن سُريج معبداً ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن سليمان النَّوفَلي ، قال حدثني أبي قال : التقى ابن سُرَيج ومعبد ليلةً بعد افتراق طويل وبُعدِ عهد ؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد افتراقهما ؛ فتغنّى هذا وتغنّى هذا ؛ ثم تغنّى ابنُ سُرَيج لحنَه في : [من الطويل]

أنا الهالكُ المسلوبُ مهجةَ نفسه إذا جاوزَت مَرّاً وعُسفانَ عِيرُها[1]

فغنّاه مُرسَلاً لا صَيحة فيه . فقال له معبد : أفَلا حسَّنتَه بصيحة ! قال : فأين أضعها ؟ قال : في : [من الطويل]

غدتْ سافراً والشمسُ قـد ذَرَّ قَرنُها

1 مرّا الظهران : موضع على مرحلة من مكة . وعسفان على مرحلتين منها .

قال : فصِح أنت فيه حتى أسمعَ منك . قال : فصاح فيه معبدٌ الصَّيحة التي يُغَنَّى بها فيه اليوم . فاستعاده ابن سُريج حتى أخذه فغنَّى صوته كما رسمه معبدٌ فحسن به جداً . وفي هذا دليل يَبِين فيه التحاملُ على معبد في الحكاية : [من الطويل]

صوت

غَدَتْ سافِراً والشمسُ قد ذَرَّ قَرنُها فأَغشى شُعاعَ الشمس منها سفورُها
وقــد علمتْ شمسُ النهار بأنها إذا ما بدت يوماً سيذهبُ نورُها
أنا الهالكُ المسلوبُ مهجةَ نفسِه إذا جاوزت مَرّاً وعُسفانَ عيرُها
أهاجتك سلمى إذ أَجَدَّ بُكورُها وهَجَّـر يومــاً للــرَّواحِ بعيرها

الشعر يقال : إنه لطَرِيف العَنبَري . والغِناء لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها عن ابن المَكّي ، وذكر عمرو أنه لِسياط . ولإبراهيمَ في الثالث والأول والرابع خفيفُ رَمَلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو . وفيه لَبسباسَة ثقيلٌ أولُ بالبِنصر عن حَبَش . وفيه لابن جامعٌ لحنٌ عن حَبَش من رواية أبي أيُّوبَ المَديني .

[أصوات من سبعة ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة]

ومن سبعة ابن سريج : [من المنسرح]

صوت

قَــرَّب جيرانُنــا جِمالَهُــمُ ليلاً فأَضحَوا معاً قد ارتفعوا
مــا كنتُ أَدري بوَشْكِ بينِهمُ حتى رأيتُ الحُداة قد طلَعوا
على مِصَكَّـينِ مــن جِمالهمُ وعَنتَريسَين فيهمــا شَجَعُ[1]
يــا نفسُ صبراً فإنــه سَفَــهٌ بالحُــرِّ أن يستفــزَّه الجَزَعُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغِناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو . وذكر حَبَش أن فيه للغَريض ثقيلاً أول بالبِنصر . وذكـر ابن أبي حَسَّان أن هِبـةَ الله بن إبراهيم بن المهدي حدَّثه عن أبيه عن ابن جامع قال : عِيبَ على ابن سُرَيج خِفَّةُ غِنائه ، فأخذ أبياتَ عمر بن أبي رَبيعة : [من المنسرح]

قَــرَّب جيرانُنــا جِمالَهمُ

فغنَّى فيها في كل إيقاع لحناً . فجميع ما فيها من الألحان له .

1 المصك : القوي . والعنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة . والشجع في الإبل : سرعة نقل القوادم .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَماد عن أبيه قال حدثني منصور بن أبي مُزاحِم قال حدثني رِزام أبو قيس مولى خالد بن عبد الله قال : قال لي إسماعيل بن عبد الله : يا أبا قَيس ، أي رجل أنت لولا أنك تحب السَّماع ! . قلت : أصلحك الله ! أما والله لو سمعتَ فلانةَ تُغنِّيكَ : [من المنسرح]

قَـــرَّب جيرانُنـــا جِمالُهـــم ليلاً فأَضحَوا معاً قـد ارتفعوا

لعذَرتَني . فقال : يا أبا قيس ، لا عاتبتُك بعد هذا أبداً .

ومنها : [من الكامل]

صوت

بَيْنا كذلك إذ عَجاجةُ مَوكِبٍ رفَعوا ذَمِيلَ العِيسِ في الصحراء

قالت أبو الخَطاب أعرِف زِيَّه ولبـاسَه لا شكَّ غيرَ خَفـاء

الشعر لابن أبي ربيعة . والغِناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أول بالبنصر ، وذكر الهِشامي وأبو العَنْبَس أنه لمعبد ؛ وليس الأمر كما ذكرا .

ومنها :

صوت

وهو الذي أقوله : [من السريع]

إن جاء فَلْيَـأْتِ على بغلـةٍ

سَلمى عِديــهِ سَرحَتَي مالكٍ أو الرُّبـــا دونَهمـــا مَنزِلا

إن جـاء فليـأتِ على بغلـةٍ إني أخـافُ المُهـرَ أن يَصهِلا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغِناء لابن سُرَيج من رواية يحيى بن المكّي والهِشامي ثقيلٌ أول بالبنصر ، وذكر يونس أنه للغريض ، وذكره إسحاق في أغاني الغريض ولم يجنِّسه .

[143] ـ أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم

[من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى ومن لم يثبت عنه ذلك]

قال مؤلف هذا الكتاب : المنسوبُ إلى الخلفاء من الأغاني والمُلصَقُ بهم منها لا أصلَ لجُلّه ولا حقيقةَ لأكثره ، لاسيَّما ما حكاه ابن خُرداذبَة فإنه بدأ بعُمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنَّى في هذا البيت : [من البسيط]

كأنّ راكبها غصنٌ بمَروَحةٍ

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد ، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بد منه ولا مَعدِل عنه ، يخبِط خَبطَ العَشواء ويجمع جمع حاطب الليل . فأما عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يُروى عن كل أحد لبعُد عنه ؛ وإنما رُوِي أنه تمثَّل بهذا البيت وقد ركب ناقةً فاستوطأها ، لا أنه غنَّى به ، ولا كان الغناء العربيُّ أيضاً عُرف في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النَّصب[1] والحُداء ، وذلك جارٍ مَجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت . والذي صَح من ذلك عن رُواة هذا الشأن فأنا ذاكرٌ منه ما كان متقَن الصَّنعة لاحقاً بجيد الغناء قريباً من صنعة الأوائل وسالكاً مذاهبهم لا ما كان ضعيفاً سخيفاً : وجامعٌ منه ما اتصل به خبرٌ له يُستحسَن ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمنه .

فأول مَن دُوِّنت له صنعةٌ منهم عمر بن عبد العزيز ؛ فإنه ذُكر عنه أنه صنع في أيام إمارته على الحجاز سبعةَ ألحان يذكر سُعاد فيها كلِّها ؛ فبعضُها عرفتُ الشاعر القائلَ له فذكرتُ خبره ، وبعضها لم أعرف قائله فأتيتُ به كما وقع إليَّ . فإن مرَّ بي بعد وقتي هذا أثبتُّه في موضعه وشرحتُ من أخباره ما اتصل بي ، وإن لم يقع لي ووقع إلى بعض من كتَب هذا الكتاب فمن أقلِّ الحقوق عليه أن يتكلَّف إثباته ولا يستثقلَ تجشُّمَ هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جمة تجشمناها له ولنظرائه في هذا الكتاب ، فحظي بها من غير نَصَبٍ ولا كَدح ؛ فإن جمالَ ذلك موفَّر عليه إذا نُسب إليه ، وعيبَه عنا ساقطٌ مع اعتذارنا عنه إن شاء الله .

ومن الناس من يُنكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصَّنعة ويقول : إنها أصواتٌ مُحكَمة العمل لا يقدر على مثلها إلاّ مَن طالت دُربته بالصَّنعة وحِذَق الغناءَ ومهرَ فيه وتمكن

1 النصب : غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق .

منه . ولم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات ولا حال من الحالات اشتهر بالغِناء ولا عُرف به ولا بمعاشرة أهله ، ولا جالس من يُنقل ذلك عنه ويؤدِّيه ؛ وإنما هو شيء يحسِّن المغنُّون نسبته إليه . ورُوي من غير وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعته إياها ، وهو أصح القولين ؛ لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجَّة أكثر من هذا الظن والدعوى ، ومخالفوهم قد أيدتهم أخبارٌ رُوِيت .

[عمر بن عبد العزيز والغناء]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع والحسين بن يحيى عن حَماد بن إسحاق قال حدثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل بن جامع عن سِياط عن يونس الكاتب عن شُهدة أُمِّ عاتكةَ بنتِ شُهدة عن كَردَم بن معبد عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز طارحه لحنَه في : [من الوافر]

أَلِمَّا صاحِبَـــيّ نَـزُرْ سُعادا

ونسختُ هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدثني أبو يَعلى زُرقانُ غلامُ أبي الهُذَيل وصاحبُ أحمد بن أبي دواد قال حدثني محمد بن يونس قال حدثني هاتفٌ أراه قال أُمَّ ولد المعتصم قالت حدثتني عُلَية بنت المهدي قالت حدثتني عاتكة بنت شُهدة عن أُمِّها شهدة عن كَردَم قال :

طرح عليَّ عمر بن عبد العزيز لحنَه : [من مجزوء الرمل]

عَلِــقَ القلــبُ سُعــادا   عــادتِ القلــبَ فعادا
كلَّمــا عُوتِــبَ فيهــا   أو نُهِــي عنهــا تَمادَى
وهو مشغوفٌ بسُعدى   قــد عصَى فيها وزادا

قال كَردَم : وكان عمر أحسن خَلْقِ الله صوتاً ، وكان حسنَ القراءةِ للقرآن .

ونسختُ من كتاب ابن الكَرَنْبي بخطه حدثني أحمد بن الفَتح الحَجاجي في مجلس حَماد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال : رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم وعليه عِمامةٌ ورأيت الشَّجَّةَ في وجهه تدل على أنها ضربةُ حافرٍ ، فسمعته يقول : قال عمر بن الخطَّاب : لا تُعلِّموا نساءَكم الخُلع . قال حدثني محمد بن الحسين : فأقبلتُ عليه في نومي فقلت له : يا أمير المؤمنين ، صوتٌ يزعمُ الناسُ أنك صنعتَه في شعر جرير : [من الوافر]

أَلِمَّا صاحِبَـــيّ نَـزُرْ سُعــادا   لوَشْكِ فِراقِهــا وذَرا البِعادا
لَعَمرُك إن نفعَ سُعــاد عنِّي   لمصروفٌ ونفعي عــن سعادا
إلى الفاروقِ يَنتسبُ ابنُ لَيلى   ومــروانَ الذي رفــع العِمادا

فتبسَّم عمر ولم يردّ عليَّ شيئاً .

نسبة هذين الصوتين : [من الوافر]

صوت

أَلِمَّا صاحبيّ نَزُرْ سُعادا لوَشْكِ فِراقها وذَرا البِعادا
لعَمرُك إنّ نفعَ سعاد عنّي لمصروفٌ ونفعي عن سعادا
إلى الفاروقِ يَنتسبُ ابنُ لَيلى ومروانَ الذي رفعَ العِمادا

الشعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان . والغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيلٌ أولُ مطلَق في مجرى البِنصر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى معبد .

صوت

[من مجزوء الرمل]

عَلِق القلبُ سُعادا عادتِ القلبَ فعادا
كُلَّما عُوتِبَ فيها أو نُهِي عنها تَمادى
وهو مشغوفٌ بسُعدى قد عصَى فيها وزادا

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيفُ ثقيلٍ . وفيه ثاني ثقيل يُنسب إلى الهُذَليّ .

[144] ـ ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره

[هو أشج بني مروان]

عمرُ بن عبد العزيز بن مَروان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف . ويُكنى أبا حَفص . وأُمُّه أُم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان يقال له أَشَجُّ قريشٍ ؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافرٍ . فذكر يحيى بن سعيد الأُمَوي عن أبيه أن عبد الله بن مروان كان يُـؤْثِـر عمر بن عبد العزيز ويَـرِقُّ عليه ويُدْنيه . وإذا دخل عليه رفَعه فوق ولده جميعاً إلا الوليدَ . فعاتبه بعضُ بَنِيه على ذلك ، فقال له : أَوَ ما تَعلم لِمَ فعلتُ ذلك ؟ قال لا . قال : إن هذا سيَلي الخلافةَ يوماً وهو أَشَجُّ بني مَروان الذي يملأُ الأرض عدلاً بعد أن تُملأَ جَوراً ، فما لي لا أُحبُّه وأدنِيه ! .

أُخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا سالم بن عَجلان قال : خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمحَته بغلة على جبينه . فبلغ الخبرُ أُمَّه أُمَّ عاصم ، فخرجت في خَدَمِها ، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت : أما الكبير فيُخدَم ، وأما الصغير فيُكرَم ، وأما الوَسَطُ فيَضيع ! لِمَ لا تتخذ لابني حاضِناً حتى أصابه ما ترى ! فجعل عبد العزيز يمسَح الدَّمَ عن وجهه ، ثم نظر إليها وقال لها : وَيحَكِ ! إن كان أَشَجَّ بني مَروان ، أو أَشَجَّ بني أُمية ، إنه لسَعيد ! .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن أحمد المُقَدَّمي قال حدثنا عبيد الله بن سعد الزُّهري قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضَمرة قال سمعت ثَروانَ مولى عمَر بن عبد العزيز قال : دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبلَ أبيه ، فضربه فرسٌ على وجهه ، فأُتِي به أبوه يُحمَل . فجعل أبوه يمسَح الدمَ عن وجهه ويقول : لئن كنتَ أَشَجَّ بني أُمية إنك لسعيد .

[أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب]

حدثنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدثنا مُصعَب الزُّبيري قال : كانت بنتٌ لعبيد الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نُعَيم النَّحام فماتت ، فأخذ عاصمُ بن عمر بيده فأدخله منزلَه ، وأخرج إليه ابنتيه حَفصةَ وأُمَّ عاصم ، فقال له : اختَر ، فاختار حفصة فزوجها إياه . فقيل له : تركتَ أُمَّ عاصم وهي أجملُهما ! فقال : رأيت جاريةً رائعة ، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت : علَّهم أن يُصيبوا من دنياهم . فتزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده . وقُتل إبراهيم بن نُعَيم يوم الحَرَّة . وماتت أُمُّ عاصم عند عبد العزيز بن مروان ؛ فتزوج أُختها حَفصةَ بعدها ، فحُملت إليه بمصر ؛ فمرَّت بأَيلةَ وبها مخنَّث أو معتوه وقد كان أَهدى لأُمِّ عاصم حين مرت به فأثابته . فلما مرت

به حفصةُ أُهدى لها فلم تُثِبه . فقال : «ليست حَفصةُ من رجال أُم عاصم» فذهبت مثلاً .

[لما وليَ بدأ بأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمَّى أعمالهم المظالم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو بكر الرَّمادي وسليمان بن أبي شَيخ قالا حدثنا أبو صالح كاتبُ اللَّيث قال حدثني الليث قال : لما وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز ، بدأ بلُحْمته وأهلِ بيتِه ، فأخذ ما كان في أيديهم وسمَّى أعمالَهم المظالمَ . ففزِعت بنو أُمية إلى فاطمة بنت مَروان عمَّته . فأرسلت إليه : إنه قد عناني أمرٌ لا بد من لقائك فيه . فأتته ليلاً فأنزلها عن دابتها . فلما أخذت مجلسَها قال : يا عَمَّةِ ، أنتِ أولى بالكلام لأن الحاجة لكِ فتكلَّمي . قالت : تكلَّم يا أمير المؤمنين . فقال : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ رحمةً ، لم يبعثه عذاباً ، إلى الناس كافة ، ثم اختار له ما عنده فقبَضه إليه ، وترك لهم نهراً شِربُهم فيه سواء . ثم قام أبو بكر فترك النَّهرَ على حاله . ثم وَلِي عمرُ فعمِل على عمل صاحبه . فلما وَلِيَ عثمان اشتقَّ من ذلك النهر نهراً . ثم وَلِيَ معاويةُ فشَقَّ منه الأنهار . ثم لم يزل ذلك النهر يشُقُّ منه يزيدُ ومروانُ وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أُفضى الأمرُ إليَّ ، وقد يَبِسَ النهر الأعظم ولن يَروى أصحابُ النهر حتى يعود إليهم النهرُ الأعظم إلى ما كان عليه . فقالت له : قد أردتُ كلامَك ومُذاكرتكَ . فأما إذ كانت هذه مقالتَك فلستُ بذاكرةٍ لك شيئاً أبداً . ورجعت إليهم فأبلغتهم كلامَه .

وقال سليمان بن أبي شَيخ في خبره : فلما رجعت إلى بني أمية قالت لهم : ذُوقُوا مَغَبَّةَ أمرِكم في تزويجكم آلَ عمرَ بنِ الخطاب .

[كثيِّر والأحوص ونصيب عند عمر بن عبد العزيز]

أخبرني محمد بن خلَف وَكيع قال أخبرني عبد الله بن دِينار مولى بني نصر بن معاوية قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيمي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سُهَيل عن حَماد الراوية ، وأخبرني محمد بن حسين الكندي خطيبُ القادسية قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا شَيبان بن مالك قال حدثنا عبد الله بن إسماعيل الجَحدَري عن حماد الراوية ، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرِّياشي ، قال : دخلتُ المدينةَ ألتمس العلم ، فكان أول مَن لقيتُ كثيِّر عَزَّة . فقلت : يا أبا صَخر ، ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الأحوص ونصيب . قلت : وما هو ؟ قال : هما أحق بإخبارك . فقلت له : إنا لم نَحثَّ المَطِيَّ نحوَكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ ، وقلَّ مَن يفعل ذلك ؛ فأخبِرني عما سألتُك ليكون ما تُخبرني به حديثاً آخذُه عنك . فقال : إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قَدِمتُ أنا ونُصَيب والأحوصُ وكلُّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان أولُ من لقِينا مَسلَمةَ بن عبد الملك وهو يومئذٍ فتى العرب ، وكلُّ واحد منا ينظر في عِطفَيه لا يَشُك أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسنَ ضيافتَنا

وأكرم مَثوانا ، ثم قال : أما علمتم أن إمامكم لا يُعطِي الشعراءَ شيئاً ؟ قلنا : قد جئنا الآن ، فوجِّه لنا في هذا الأمر وَجهاً . فقال : إن كان ذو دِينٍ من آل مروان قد وَلِيَ الخلافة فقد بقي من ذوي دنياهم من يَقْضِي حوائجَكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل . فأقمنا على بابه أربعةَ أشهرٍ لا نصلُ إليه ، وجعل مَسلمَةُ يستأذن لنا فلا يُؤْذَن . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظتُ من كلام عمرَ شيئاً ! . فأتيت المسجد فأنا أول مَن حفظ كلامه ، سمعته يقول في خطبة له : لكل سَفَرٍ زادٌ لا محالة ، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التَّقوى ، وكونوا كمن عايَن ما أعدَّ اللهُ له من ثوابه وعقابه ، فعمِل طلباً لهذا وخوفاً من هذا . ولا يَطُولَن عليكم الأَمَدُ فتَقسُوَ قلوبكم ، وتنقادوا لعدوِّكم . واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وَثِق النَّجاة من عذاب الله في الآخرة . فأما مَن لا يُداوي جُرحاً إلا أصابه جُرحٌ من ناحيةٍ أُخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ! أعوذ بالله أن آمُرَكم بما أَنهى نفسي عنه فتَخسَرَ صَفقتي ، وتَبدُو عَيلَتي ، وتظهرَ مَسكَنتي يومَ لا يَنفع فيه إلا الحقُّ والصدق . فارتَجَّ المسجدُ بالبكاء . وبكى عمر حتى بَلَّ ثوبُه ، حتى ظننا أنه قاضٍ نَحبَه . فبلغتُ إلى صاحبيَّ فقلت : جَدِّدا لعمر من الشِّعر غيرَ ما أعددناه ، فليس الرجلُ بدُنيوي . ثم إن مَسْلَمة استاذن لنا يومَ جُمُعة بعد ما أُذِن للعامة . فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فردَّ علينا . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الثَّواء وقَلتِ الفائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفودُ العرب . فقال : يا كُثَيِّر ، أما سمعتَ إلى قول الله عز وجل في كتابه : ﴿إنَّما الصَّدَقاتُ لِلفُقَراءِ والمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيها والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهم وفي الرِّقابِ والغارِمِينَ وفي سَبِيلِ اللهِ وابنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أَفمِن هؤلاء أنت ؟ فقلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيلٍ ومُنقَطَعٌ به . قال : أولستَ ضيفَ أبي سَعيد ؟ قلت بَلى . قال : ما أحسَبَ مَن كان ضَيفَ أبي سعيد ابنَ سبيلٍ ولا مُنقَطَعاً به . ثم استأذنتُه في الإنشاد ، فقال : قل ولا تقل إلا حقاً ؛ فإن اللهَ سائلك . فقلت : [من الطويل]

وَلِيتَ فلم تَشتُم علياً ولم تُخِفْ بَرِيــاً ولم تتبَــع مقالــة مُجرِمِ
وقلتَ فصدَّقتَ الذي قلتَ بالذي فعلتَ ، فأضحى راضياً كلُّ مسلمِ
ألا إنما يَكفِــي الفتى بعــد زَيغه مــن الأَوَدِ الباقــي ثِقــافُ المُقَوِّمِ
لقــد لبِستْ لُبسَ الهَلُوكِ ثيابَها وأَبدتْ لك الدنيا بكفٍّ ومِعصَمِ[1]
وتُومِــضُ أحيانــاً بعــينٍ مَريضةٍ وتَبسِمُ عــن مثــل الجُمانِ المنظَّمِ

1 الهلوك : المتساقطة على الرجال .

فأعرضتَ عنهــا مشمئزاً كأنّمــا سَقَتك مَدُوفاً من سِمامٍ وعَلقَمِ[1]
وقد كنتَ مــن أجبالها في مُمَنَّعٍ ومن بحرها في مُزبِد الموج مُفعَمِ
وما زلتَ سَبَّاقــاً إلى كلّ غايــةٍ صعِدتَ بهــا أعــلى البناء المقدَّمِ
فلما أتاك الملكُ عَفــواً ولم يكن لطالــبِ دنيــا بعــده مِــن تكلُّمِ
تركتَ الذي يَفنى وإن كان مُونِقاً وآثــرتَ مــا يبقى برأيٍ مصمِّمِ
فأضررتَ بالفاني وشمَّرتَ للذي أمامَك في يــومٍ من الهَولِ مُظلمِ
وما لــك أن كنتَ الخليفةَ مانعٌ سوى الله من مالٍ رَغيبٍ ولا دمِ
سَما لَكَ هــمٌّ في الفــؤادِ مؤرِّقٌ صَعِدتَ بــه أعــلى المعالي بسُلَّمِ
فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها مُنادٍ ينادِي مــن فصيح وأعجمِ
يقــول : أميرَ المؤمنين ظلمتَني بأخــذٍ لدينارٍ ولا أخــذِ درهمِ
ولا بسطِ كَــفٍّ لامرىءٍ ظالمٍ له ولا السفكِ منه ظالِماً مِلءَ مِحجَمِ
فلــو يستطيــعُ المسلمون تقسَّموا لك الشَّطرَ من أعمارِهم غيرَ نُدَّمِ
فعِشتَ بــه مــا حَجَّ لله راكبٌ مُغِــذٌّ مُطِيــفٌ بالمَقــام وزَمزَمِ
فأَربِــحْ بهــا من صَفقــةٍ لمُبايــعٍ وأعظِم بها أعظِــمْ بهــا ثم أعظِمِ

فقال لي : يا كثيِّر ، إن الله سائلك عن كل ما قلتَ . ثم تقدم إليه الأحوص فاستأذنه فقال : قل ولا تقل إلا حقاً ؛ فإن الله سائلك . فأنشده : [من الطويل]

ومــا الشعرُ إلا خطبةٌ من مؤلِّفٍ بمنطــقِ حــقٍّ أو بمنطِــقِ باطلِ
فلا تَقبَلَن إلا الذي وافق الرِّضا ولا تَرجِعَنــــا كالنساء الأراملِ
رأيناك لم تَعــدِل عن الحقِّ يَمنَةً ولا يَسرةً فعــلَ الظَّلومِ المُجادِلِ
ولكن أخذتَ القَصدَ جهدَكَ كلَّه وتَقفُو مثــالَ الصالحــين الأوائلِ
فقلنا ولم نَكذِبْ بما قــد بَدا لنا ومَن ذا يُرُدُّ الحــقَّ من قولِ عاذلِ
ومَن ذا يردُّ السَّهمَ بعــد مروقِه على فُوقِه إن عارَ من نَزع نابلِ[2]
ولولا الذي قــد عوَّدتنــا خلائفٌ غَطاريفُ كانت كالليوث البواسلِ
لَما وخَدَت شهراً برَحلِي جَسرةٌ تَفُلُّ مُتــونَ البِيدِ بــين الرَّواحلِ

---

1 مدوفاً : مخلوطاً . والسمام : السمّ .

2 مروقه في ل : صدوفه . السهم العائر : الذي لا يدرى من أين أتى .

ولكن رجَونا منك مثلَ الذي به صُرِفنا قديماً من ذويكَ الأفاضلِ
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائلِ
وكان مُصيباً صادقاً لا يَعيبه سِوى أنّه يُبنى بناءَ المنازلِ
فإن لنا قُربى ومَحضَ مَوَدَّةٍ وميراثَ آباءٍ مَشَوا بالمَناصلِ
فذادُوا عدوَّ السِّلم عن عُقر دارهم وأرسَوا عَمُودَ الدِّين بعد تَمايُلِ
فقبلكَ ما أعطى الهُنَيْدةَ جَلَّةً على الشعرِ كعباً من سَديسٍ وبازلِ[1]
رسولُ الإله المصطفى بنُبُوَّةٍ عليه سلامٌ بالضُّحى والأصائلِ
فكلّ الذي عدَّدتُ يَكفِيكَ بعضُه ونَيلُك خيرٌ من بحورِ السوائلِ

فقال له عمر : يا أحوصُ ، إن الله سائلُك عن كلّ ما قلت . ثم تقدَّم إليه نُصَيب فاستأذن في الإنشاد ، فأبى أن يأذَن له وغضِب غضباً شديداً ، وأمره باللحاق بدابِق[2] . وأمر لي وللأحوص لكلِّ واحد بمائة وخمسين درهماً .

وقال الرِّياشي في خبره : فقال لنا : ما عندي ما أُعطيكم ، فانتظروا حتى يَخرُجَ عطائي فأُواسيَكم منه . فانتظرناه حتى خرج ، فأمر لي وللأحوص بثلثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً . فما رأيت أعظمَ بركةً من الثلاثِ المائةِ التي أعطاني ، ابتعتُ بها وصيفةً فعلَّمتُها الغناء فبعتُها بألفِ دينار .

[خبر دكين الراجز معه]

أخبرني عمِّي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائني : قال : قال دُكَينٌ الراجز : امتدحتُ عمرَ بن عبد العزيز وهو والي المدينة ، فأمر لي بخمسَ عشرةَ ناقةً كرائمَ ، فكرهتُ أن أرمِيَ بهن الفجاج ، ولم تَطِب نفسي ببيعهن . فقدِمت علينا رُفقةٌ من مصر ، فسألتُهم الصُّحبة ، فقالوا : ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلة . فأتيتُه فودَّعتُه وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لي : يا دُكَينُ ، إن لي نفساً تَواقة ، فإن صِرتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأْتِني ولك الإحسان . قلت : أُشهِد لي بذلك . قال : أُشهِد اللهَ به . قلت : ومِن خَلْقِه ؟ قال : هذين الشيخين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : من أنت أعرفك ؟ قال : سالم بن عبد الله بن عمر . فقلت له : لقد استسمنت الشاهد . وقلت للآخر : من أنت ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير . فخرجتُ إلى بلدي بهن ، فرمى الله في أذنابهن بالبركة حتى اعتقدتُ[3] منهن الإبلَ والعبيد . فإنّي لبصحراء

1 هنيدة : اسم المائة من الإبل خاصة .
2 دابق : قرية قرب حلب .
3 اعتقد الشيء : اشتراه أو اقتناه .

فَلج[1] إذا ناعٍ يَنعى سليمان . قلت : فمن القائمُ بعده ؟ قال : عمر بن عبد العزيز . فتوجَّهتُ نحوه ، فلقيني جريرٌ منصرفاً من عنده . فقلت : يا أبا حَرزة ، من أين ؟ فقال : من عند من يُعطي الفقراء ، ويمنع الشعراء . فانطلقت فإذا هو في عَرْصَة دارٍ وقد أحاط الناس به ، فلم أخلُص إليه فناديتُ : [من الرجز]

يا عُمَرَ الخيراتِ والمَكارمِ ... وعُمَرَ الدَّسائعِ العظائمِ[2]
إني امرؤٌ من قَطَنِ بن دارمِ ... طلبتُ دَيني من أخي مَكارمِ
إذ تَنتَجي والليلُ غيرُ نائم ... عندَ أبي يَحيى وعندَ سالمِ

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، لهذا البدوي عندي شهادة عليك . فقال : أعرفُها ؛ ادنُ يا دُكَين ، أنا كما ذكرتُ لك ، إن نفسي لم تنل شيئاً قط إلا تاقت لما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسي تَتُوق إلى الآخرة ، والله ما رَزَأتُ من أموال الناس شيئاً ، ولا عندي إلا ألفا درهم ، فخذ نصفَها . قال : فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظمَ بركةً منه . قال : ودُكَين الذي يقول : [من الطويل]

إذا المرءُ لم يَدنَس من اللُّؤم عِرضُه ... فكلُّ رداءٍ يَرتديه جميلُ
وإن هو لم يَرفَعْ على اللؤمِ نفسَه ... فليسَ إلى حُسنِ الثَّناء سبيلُ

[زهده بعد أن ولي الخلافة]

أخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن هارون بن صالح عن أبيه قال : كنا نعطي الغَسَّال الدراهمَ الكثيرةَ حتى يَغسِلَ ثيابَنا في أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطِّيب فيها يعني المِسكَ . قال : ثم رأيت ثيابَه بعد ذلك وقد وَلِي الخلافةَ فرأيتُ غيرَ ما كنتُ أعرف .

[حبه آل البيت]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيدي قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا الأصمعي عن نافع بن أبي نُعَيم قال : قدِم عبد الله بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال : إنك لا تُغنِم أهلَك شيئاً خيراً من نفسك فارجع ، وأتبَعه حوائجَه .

قال الرِّياشي وحدثنا نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد محمد بن الزُّبَير الأَسَدي عن سعيد بن أبان قال : رأيت عمر بن عبد العزيز آخذاً بسُرَّة عبد الله بن حسن وقال : اذكُرها عندك تَشفَع لي يومَ القيامة .

حدثني أبو عبيد الصَّيرفي قال حدثنا الفَضل بن الحسن المصري قال حدثنا عبد الله بن عمر

1 فلج : واد بين البصرة وحمى ضرية .
2 الدسائع : الشمائل أو العطايا .

القَوارِيري قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أَبان القُرَشي قال : دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السِّن وله وفرةٌ[1] ، فرفَع مجلسَه وأقبل عليه وقضى حوائجَه ، ثم أخذ عُكنةً من عُكَنِه فغمَزها حتى أوجعه وقال له : اذكُرْها عندك للشَّفاعة . فلما خرج لامَه أهله وقالوا : فعلتَ هذا بغلام حديثِ السن ! فقال : إن الثِّقةَ حدثني حتى كأنِّي أسمعه من في رسول الله ﷺ قال : «إنما فاطمةُ بَضعةٌ منِّي يسرُّني ما يسرُّها» وأنا أعلمُ أن فاطمة لو كانت حَية لسرَّها ما فعلتُ بابنها . قالوا : فما معنى غَمزك بطنَه وقولِك ما قلتَ ؟ قال : إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلا وله شفاعة ، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا .

[أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى علي]

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيدي قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مُورِق قال : كنت بالشام زمنَ وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز ، وكان بخُناصِرَةَ[2] ، وكان يعطي الغرباءَ مائتي درهم . قال : فجئتُه فأجِدُه متكئاً على إزار وكِساء من صوف . فقال لي : ممن أنتَ ؟ قلت : من أهل الحجاز . قال : من أيِّهم ؟ قلت : من أهل المدينة . قال : من أيِّهم ؟ قلت : من قريش . قال : من أيِّ قريش ؟ قلت : من بني هاشم . قال : من أيِّ بني هاشم ؟ قلت : مولى علي . قال : مَن عليٌّ ؟ فسكتُّ . قال : مَن ؟ ! فقلت : ابنُ أبي طالب . فجلس وطرَح الكِساء ثم وضع يده على صدره وقال : وأنا والله مولى علي ، ثم قال : أشهد على عدد ممن أدرك النبي ﷺ يقول : قال رسول الله ﷺ : «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» . أين مُزاحِم[3] ؟ كم تُعطي مثله ؟ قال : مائتي درهم . قال : أعطِه خمسين ديناراً لولائه من علي . ثم قال : أفي فرضٍ أنت ؟ قلت لا . قال : وافرِض له ، ثم قال : الحَقْ بلادَك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرَك .

قال أبو زيد فحدثني عيسى بن عبد الله قال حدثني أبي عن أبيه قال قال أبي : وُلِد لي غلام يومَ قام عمر بن عبد العزيز ، فغدوتُ عليه فقلت له : وُلِد لي في هذه الليلة غلام . فقال لي : ممن ؟ قلت : من التَّغلبية . قال : فهَب لي اسمه . قلت نعم . قال : قد سمَّيته اسمي ونحَلته غُلامي مُورِقاً ، وكان نُوبِياً فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك ؛ فولدُه اليومَ مَوالينا .

[كان يكرم عبد الله بن الحسن]

أخبرني محمد بن العباس قال حدثنا عمر قال حدثنا عيسى بن عبد الله قال أخبرني موسى بن عبد الله بن حسن عن أبيه قال : كان عمر بن عبد العزيز يراني إذا كانت لي حاجة أتردَّد إلى بابه .

---

1 الوفرة : الشّعر المجتمع على الرأس .

2 خناصرة : بُليدة من أعمال حلب .

3 هو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز .

فقال لي : ألم أقل لك : إذا كانت لك حاجةٌ فارفَع بها إليّ ! فوالله إني لأستحي من الله أن يراك على بابي .

[لم يفد من ولايته شيئاً وخلف ولده فقراء]

أخبرني عمِّي قال حدثني الكُراني قال حدثني العُمَري عن العُتبي عن أبيه قال : لما حضرت عمرَ بن عبد العزيز الوفاةُ جمع ولدَه حولَه ، فلما رآهم استعبرَ ثم قال : بأبي وأُمي من خلفتُهم بعدي فقراء ! . فقال له مسلمة بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، فتَعَقَّب فعلك وأغنِهم ، فما يمنعك أحدٌ في حياتك ولا يرتجعُه الوالي بعدك . فنظر إليه نظرَ مُغضَب متعجِّب فقال : يا مسلمة ، منعتُهم إياه في حياتي وأشقى به بعد وفاتي ! إن ولدي بين رجلين : إما مطيعٍ لله فاللهُ مصلِحٌ له شأنه ورازقُه ما يَكفيه ، أو عاصٍ له فما كنتُ لأُعِينَه على معصيته . يا مسلمة ، إني حضرت أباك لما دُفن فحملتني عيني عند قبره فرأيته قد أفضى إلى أمرٍ من أمر الله راعَني وهالَني ، فعاهدتُ الله ألا أعملَ بمثل عمله إن وَلِيتُ ؛ وقد اجتهدتُ في ذلك طولَ حياتي ، وأرجو أن أُفضي إلى عفوٍ من الله وغُفران . قال مسلمة : فلما دُفِن حضرتُ دفنَه ، فما فُرِغ من شأنه حتى حملتني عيني ، فرأيته فيما يرى النائم وهو في روضةٍ خضراء نضرة فيحاء وأنهارٍ مُطَّردةٍ وعليه ثيابٌ بِيضٌ ؛ فأقبل عليَّ فقال : يا مسلمة ، لمثل هذا فليعمل العاملون . هذا أو نحوه ، فإن الحكاية تزيد أو تنقص .

[رثاه مسلمة بن عبد الملك]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن يحيى بن سعيد الأموي قال : لما مات عمر بن عبد العزيز وقف مسلمة عليه بعد أن أُدرِج في كفنه فقال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ؛ فقد أورثتَ صالحينا بك اقتداءً وهُدًى ، وملأتَ قلوبَنا بمواعظك وذكرِك خَشيَةً وتُقىً ، وأثَّلتَ لنا بفضلك شرفاً وفخراً ، وأبقيتَ لنا في الصالحين بعدَك ذِكراً .

[كتابه إلى أسارى قسطنطينية]

أخبرني الحسن قال أخبرنا الغَلابيُّ عن ابن عائشة عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى بقسطنطينية : أما بعد ، فإنكم تَعُدُّون أنفسكم أسارى ولستم أسارى . معاذ الله ! أنتم الحُبساء في سبيل الله . واعلموا أني لستُ أقسِم شيئاً بين رعيتي إلا خصَصتُ أهلَكم بأوفر ذلك وأطيبه . وقد بعثت إليكم خمسة دنانير ، خمسة دنانير . ولولا أني خشيتُ إن زدتكم أن يحبسه عنكم طاغيةُ الروم لزِدتُكم . وقد بعثتُ إليكم فلان بن فلان يُفادي صغيركم وكبيركم ، ذكَركم وأُنثاكم ، حُرَّكم ومملوككم بما يسأل ، فأَبشِروا ثم أبشِروا .

[كتاب الحسن البصري له وردّه عليه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة

قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال زعم لنا سليمان بن أُرقَم قال : كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز ، وكان يكاتبه ، فلما استُخلف كتب إليه : «من الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز» . فقيل له : إن الرجل قد وَلِيَ وتغيَّر . فقال : لو علمتُ أن غير ذلك أَحَبُّ إليه لاتَّبعتُ محبَّته . ثم كتب : «من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تَزَل» . قال : فمضيتُ إليه بالكتاب فقدِمت عليه به . فإني عنده أتوقع الجواب إذ خرج يوماً غير يوم جمعة حتى صعِد المنبر واجتمع الناس . فلما كثُروا قام فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم في أسلاب الماضين ، وسيَرِثُكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين . كلَّ يومٍ تجهِّزون غادياً إلى الله ورائحاً ، قد حضر أجله ، وطُوِي عمله ، وعاين الحساب ، وخلع الأسلاب ، وسكن التراب ، ثم تَدَعونه غير مُوَسَّد ولا مُمَهَّد . ثم وضع يديه على وجهه فبكى مَلِياً ثم رفعهما فقال : يا أيها الناس ، مَن وصل إلينا منكم بحاجته لم نألُه خيراً ، ومَن عجَز فوالله لوَدِدتُ أنه وآلَ عمر في العجز سواء . قال : ثم نزل . فأرسل إلي فدخلتُ إليه ؛ فكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنك لستَ بأوّل مَن كُتِب عليه الموت ، وقد مات . والسلام» .

[آخر خطبة له]

أخبرني ابن عمار قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا أبو مُطَرِّف المغيرة بن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز خطب بخُناصِرَة خطبةً لم يخطب بعدها ، حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم لم تُخلَقوا عبثاً ولم تُترَكوا سُدىً ؛ وإن لكم مَعاداً يتولَّى الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسِر من خرج من رحمة الله التي وَسِعَت كلَّ شيء ، وحُرِم الجنَّة التي عرضُها السماوات والأرضُ . واعلموا أن الأمان غداً لمن حَذِر الله وخافه ، وباع قليلاً بكثير ، ونافداً بباق ، وخوفاً بأمانٍ . ألا تَرَونَ أنكم في أسلاب الهالكين وسيَخلُفها من بعدكم الباقون ، وكذلك حتى تُرَدُّوا إلى خير الوارثين . ثم إنكم في كلِّ يوم وليلة تُشيِّعون غادياً إلى الله ورائحاً ، قد قضى نَحبه ، وانقضى أجلُه ، ثم تضعونه في صدعٍ من الأرض في بطن لَحد ، ثم تَدَعُونه غير موسَّدٍ ولا ممهَّد ، قد خلع الأسلاب ، وفارق الأحباب ، ووجه للحساب ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ما قدّم . وايمُ اللهِ إني لأقول لكم هذه المقالة ولا أعلم عند أحدٍ منكم أكثرُ مما عندي ، وأستغفر الله لي ولكم . وما يُبلغنا أحدٌ منكم حاجتَه يسعها ما عندنا إلا سَدَدنا من حاجته ما قَدَرنا عليه ، ولا أحدٌ يتسع له ما عندنا إلا وَدِدتُ أنه بُدِىء بي وبلُحمتي الذين يَلُونني حتى يستوي عيشُنا وعيشُكم . وايمُ الله لو أردتُ غير هذا من عيش أو غَضارة لكان اللسانُ به مني ناطقاً ذلولاً

عالِماً بأسبابه ، ولكنه من الله عز وجل كتابٌ ناطق ، وسُنَّةٌ عادلة ، دَل فيهما على طاعته ونَهى فيهما عن معصيته . ثم بكى فتلقَّى دموعَه بطَرَف ردائه ؛ ثم نزل فلم يُرَ على تلك الأعواد بعدُ حتى قبضه اللهُ إليه . رحمة الله عليه .

[اشترى موضع قبره بعشرة دنانير]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني أبو سلمة المَديني عن إبراهيم بن ميسرة : أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير .

[وفاته]

أخبرني اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني أبو سلمة المديني قال أخبرني ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدثني أبي مسلمة قال : كنا عند عمر في اليوم الذي تُوُفي فيه وأنا وفاطمة بنت عبد الملك ؛ فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، إنا نرى أنَّا قد منعناك النَّوم ، فلو تأخرنا عنك شيئاً عسى أن تنام ! قال : ما أُبالي لو فعلتما . قال : فتنحَّيت أنا وهي وبيننا وبينه سِتر . قال : فما نَشِبنا أن سمعناه يقول : حَيٍّ الوجوه حَيٍّ الوجوه . فابتدرناه أنا وهي فجئناه وقد أُغمِض ميِّتاً ، فإذا هاتفٌ يهتِف في البيت لا نراه : ﴿تِلكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجعَلُها للَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً في الأَرضِ ولا فَساداً والعاقِبَةُ للمُتَّقِينَ﴾ .

[من أصواته في سعاد]

ومن أصوات عمر في سعاد : [من الوافر]

صوت

أَلا يــا دِينَ قلبُك من سُلَيمى ... كما قــد دِينَ قلبُك من سُعادا

همــا سَبَتا الفــؤادَ وأَصبَتاه ... ولم يُـدرِك بذلك مـا أرادا

قِفا نَعرِفْ منازلَ من سُلَيْمَى ... دَوارِسَ بـين حَومَلَ أو عُرادا[1]

ذكرتُ بها الشَّبابَ وآلَ ليلى ... فلم يَــرُدِ الشبابُ بها مَرادا

فإن تَشِبِ الذُّؤابــةُ أُمَّ زيـدٍ ... فقــد لاقيــتُ أيامــاً شِداداً

عروضه من الوافر . الشعر لأَشهبَ بن رُمَيلة فيما ذكر ابن الأعرابي وأبو عمرو الشَّيباني . وحكى ابن الأعرابي أنه سمع بعض بني ضَبَّة يذكر أنها لابن أبي رُمَيلة الضَّبي . والغناء لعمر بن عبد العزيز رَمل بالوسطى عن الهشامي وحبشٍ وغيرِهما . وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية : لخَزرَجٍ رمل بالبنصر .

1 عراد : جبل .

[145] ـ نسب الأشهب بن رُميلة وأخباره

[نسبه]

رميلة أُمُّه ، وهي أَمَةٌ لخالد بن مالك بن رِبعِي بن سلمى بن جَندل بن نهشل بن دارم بن عمرو بن تَميم . وهو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد الدار بن جندل بن نهشل بن دارم في النسب .

[إخوته وعزهم في الجاهلية والإسلام]

قال أبو عمرو : وولدُها يزعمون أنها كانت سبيَّة من سبايا العرب ، فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر ، وهم رَباب ، وحَجناء ، والأشهب ، وسُوَيد . فكانوا من أشدِّ إخوةٍ في العرب لساناً ويداً ، وأمنعِهم جانباً . وكثُرت أموالهم في الإسلام . وكان أبوهم ثورٌ ابتاع رُمَيلة في الجاهلية ، وولدتهم في الجاهلية ، فعَزُّوا عِزاً عظيماً ، حتى كانوا إذا ورَدوا ماءً من مياه الصَّمان[1] حظَروا على الناس ما يريدون منه . وكانت لرميلة قَطِيفة حمراء ، فكانوا يأخذون الهُدبَ من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء ، أي قد سبقنا إلى هذا ، فلا يرِدُه أحدٌ لعزهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويَدَعون ما يستغنون عنه .

[يوم الصمان بينهم وبين أبناء عمومتهم]

فورَدوا في بعض السنين ماءً من مياه الصَّمان وورد معهم ناسٌ من بني قطَن بن نهشل . وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مَناف بن دارم حلفاء . وكانت الأعجاز حلفاء عليهم ، وهم جَندَل وجَروَل وصَخر بنو نهشل . فأورد بعضُهم بعيره فأشرعه حوضاً قد حظَروا عليه . وبلَغهم ذلك فغضِبوا منه واجتمعوا وأحلافُهم ، واجتمعت الأحلافُ عليهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فضرب رَبابُ بن رُميلة رأس نُسَير بن صُبَيح المعروف بأبي بَدَّال ، وأمُّه بنتُ أبي الحُمام بن قُراد بن مَخزوم . وقال رباب في ذلك : [من الرجز]

ضربتُــه عَشيَّـةَ الهِـلالِ أوَّلَ يـومٍ عُـدَّ من شوالِ
ضرباً على رأس أبي بَدَّال ثُمَّتَ مـا أُبتُ ولا أُبالي
ألا يـؤوبَ آخــرَ اللَّيــالي

فجمع كلٌّ واحد منهما لصاحبه . فقالت بنو قَطَن : يا بني جَرَوَل ويا بني صخر ويا بني

1 الصمان : جبل في أرض تميم .

مَناف ، ضرب صاحبُكم صاحبَنا ضربةً لا ندري أيموتُ منها أم يعيش ، فأَنصِفُونا ؛ فأبى القوم أن يفعلوا ؛ فاقتتلوا يومَهم ذلك إلى الليل . وكان أُبيّ بن أشيمَ أخو بني جَرُوَل وهو سيِّدهم خرج في حاجة له ، فلقِيه بعض بني قَطَن فأسَره وأتى به أصحابه . فقال نهشل[1] بن حَرِّيٍّ : يا بني قطَنَ ، أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً . قالوا : نعم ، فقل . فقال : إن هذا لم يشهد شَرَّكم ولا حربَكم ، ولا يَحِلُّ لكم دمُه ، وإن قومه أحرُّ مَن يقاتلكم وشَوكتُهم ؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخَلُّوا سبيلَه . قالوا : افعَل ما رأيتَ . فأتاه نَهشَل بن حَرِّيٍّ فقال له : يا أبا أَسماء ، إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقِّنا وقاتلوا دونه ، وقد أمكننا اللهُ منك ، وأنت والله أَوفى دماً عندنا من بني رُمَيلة ، فوالله لأقتلنَّك أو تُعطيَني ما أسألك . قال : سَلِ . قال : تَجعَل أن تَصرِفَ بني جَرَول جميعاً ، فإن لم يطيعوك انصرفتَ ببني أَشيَمَ ، فإن لم يطيعوك أتيتَنا . قال نعم . فخُلِّي سبيلُه تحت الليل . فأتاهم وهم بحيث يَرى بعضهم بعضاً فقال : يا بني جَرَوَل انصرفوا ؛ أتعترضون على قوم يريدون حقَّهم ! أَلا تَتقون الله ! والله لقد أسَرني القوم ولو أرادوا قتلي لكان فيه وفاءٌ بحقهم ، ولكنهم يكرهون حربَكم فلا تَبغُوا عليهم . فانصرف منهم أكثرُ من سبعين رجلاً . فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جَرَوَل قالوا : والله إنا لنظلم قومنا إن قاتلناهم ؛ وانصَرفوا ، وتخاذل القوم . فلما رأى ذلك الأشهب بن رميلة قال : ويلكم ! أفي ضربةٍ من عَصاً لم تصنع شيئاً تسفِكون دماءكم ! والله ما به من بأس ، فأَعطُوا قومَكم حقَّهم . فقال حَجناء ورَباب : والله لَنَنصرِفنَّ فلنلحَقَنَّ بغيركم ولا نُعطي ما بأيدينا . فجعل الأشهب بن رميلة يقول : ويلكم ! أتُخرِّبون دار قومكم في ضربة عصاً لم تبلُغ شيئاً ؟ . فلم يزل بهم حتى جاؤوا برَبابٍ فدفعوه إلى بني قَطَن ، وأخذوا منهم أبا بَدَّال وهو المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم ؛ فكتَموه ، وأرسلوا إلى عباد بن مسعود ، ومالك بن رِبعِي ، ومالك بن عوف ، والقَعقاع بن معبد ، فعَرَضوا عليهم الدِّية . فقالوا : وما الدِّية وصاحبُنا حي ! قالوا : فإن صاحبكم ليس بحيٍّ . فأَمسكوا وقالوا : ننظر . ثم جاؤوا إلى رباب فقالوا : أوصِنا بما بدا لكَ . قال : دَعُوني أُصَلِّي . قالوا : صَلِّ . فصلَّى ركعتين ثم قال : أما والله إني إلى ربي لذو حاجة ، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلاّ أن تَرَوا أن ذلك فَرَقٌ من الموت ، فليضربني منكم رجلٌ شديد الساعد حديد السيف . فدفعوه إلى أبي خزيمة بن نُسَير المَكني بأبي بدَّال فضرب عنقه ، فدفنوه ؛ وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان . فقال الأشهب يرثي أخاه ويلوم نفسه في دفعه إليهم لتسكُن الحرب :

---

1 هو نهشل بن حري بن ضمرة .

أَعينيَّ قَلَّتْ عَبرةٌ من أخيكما بأن تسهرا ليلَ التّمام وتَجزَعا
وباكيةٍ تَبكي الرِّبابَ وقائلٍ جزى اللهُ خيراً ما أعفَّ وأمنَعا
وأَضرَبَ في الهَيجا إذا حَمِس الوَغى وأَطعَمَ إذ أَمسى المَراضِيعُ جُوَّعا
إذا ما اعترضنا من أخينا أخاهُم رَوِينا ولم نَشفِ الغَلِيلَ فيَنقَعا
قَرَونا دماً والضَّيف منتظِرُ القِرى ودعوةِ داعٍ قد دعانا فأسمعا
مَرَدنا وكانت هفوةً من حُلومنا بثَدي إلى أُولاد ضَمرةَ أَقطعا[1]
وقد لامني قومي ونفسي تَلُومُني بما فال رأيي في ربابٍ وضيَّعا
فلو كان قلبي من حديدٍ أذابَه ولو كان من صُمٍّ الصَّفا لتصدَّعا

مضى الحديث .

1 مرد الصبي ثدي أمه : مرسه .

146 ـ [عود إلى أخبار عمر بن عبد العزيز]

[أصوات عمر في سعاد]

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المَكي عن أبيه قال : لِعمَر بن عبد العزيز في سعاد سبعةُ ألحان .

منها : [من الخفيف]

يا سُعادُ التي سَبَتِنِـي فؤادي ورُقادي هِبِـي لعينـي رُقادِي

ولحنه رملٌ مطلَق .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

حـــظُّ عينــي مـــن سُعــاد أبـــداً طـــولُ السُّهـــادِ

ولحنه رمل بالسبابة في مجرى البِنصر .

ومنها : [من مجزوء البسيط]

سبحان ربِّـي بَــرا سُعــادا لا تعــرف الوصـلَ والودادِ

ولحنه خفيف رمل .

ومنها : [من الطويل]

لعَمرِي لئن كانت سعادُ هي المُنى وجنَّةَ خُلــد لا يُمَلُّ خلودُها

ولحنه ثقيل أول :

ومنها : [من الكامل]

أسُعادُ جُودِي لا شَقِيتِ سُعادا واجزِي مُحِبَّكِ رأفــةً ووِدادا

ولحنُه خفيفُ رملٍ .

ومنها : [من الوافر]

أَلِمَّا صاحبَـــيَّ نَـــزُرْ سُعادَا

ومنها : [من الوافر]

أَلا يا دِينَ قلبُكَ من سُلَيمى

وقد ذكرتُ طريقتهما .

وقد رُوي عن عمر بن عبد العزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ ، وحَمَل عنه أهلُ العلم .

[كان محدّثاً وفقيهاًوراوياً]

أخبرنا محمد بن جرير الطَّبَري قال حدثنا عِمران بن بكار الكَلاعي قال حدثنا خالد بن علي قال حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مبشِّر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عمر عن جده عبد العزيز عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ : «مَن أحبَّ أن تَمثُل له الرجالُ قِياماً فليتبوأْ مقعدَه من النار» .

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفي وعمِّي قالا حدثنا العَنَزي قال حدثني وزير بن محمد أبو هاشم الغَساني قال حدثني محمد بن أيوب بن سعيد السُّكَّري عن عمر بن عبد العزيز عن أمه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ : «نِعمَ الإدامُ الخَلُّ» .

[غناء يزيد بن عبد الملك]

وممن حُكي عنه أنه صنَع في شعره غناءً يزيدُ بن عبد الملك ، ولم يأت ذلك بروايةٍ عمَّن يحصَّل قوله كما حُكي عن عمر بن عبد العزيز ، وإنما وُجد في الكتب أنه صنَع لحناً في شعره ، وذكَره من لا يُوثق به ، ولم نَروِه عن أحد فلم نأت بأخباره هاهنا مشروحةً ، وأتيت بها في أخباره مع حَبابة بحيث يصلُح . وأما اللحن الذي ذُكر أنه صنعه فهو : [من البسيط]

صوت

أبلِـغْ حَبابَـةَ أسقى رَبعَهـا المطرُ ... ما للفؤاد سِوى ذكراكُـم وَطَرُ
إن سار صَحبِيَ لم أملَلْ بذكركُم ... أو عرَّسوا فهمـومُ النفسِ والفِكَرُ

في هذين البيتين ثقيلٌ أولُ يقال غنه ليزيد بن عبد الملك . وذكر ابن المَكِّي أنه لحَبابة .

وحُكِي عن الهيثم بن عَدِي أن يزيد بن عبد الملك لما رأى حَبابة تعلَّقها ولم يقدِر على ابتياعها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز ، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز ، وغنَّاه فيهمـا مَعبـد ، فوصله بعد ذلك بما كان يُغنِيه ، وأخذته حَبابةُ وغيرُها عنه . وذكر الهِشامي أنه مما لا يُشَكّ فيه من غناء معبد . وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحَبابة في صدر هذا الكتاب فاستُغنِيَ عن إعادتها هنا .

147 ـ [غناء الوليد بن يزيد]

[غناء الوليد بن يزيد]

وممن غنى منهم الوليد بن يزيد .

وله أصوات صنعها مشهورةٌ ، وقد كان يَضرِب بالعود ويُوقِع بالطبل ويمشي بالدُّف على مذهب أهل الحجاز .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن القَطِراني عن محمد بن جَبر قال حدثني مَن سمع خالد صامة يقول : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أُغنّيه : [من الوافر]

أراني الله يـا سَلمى حيـاتي

وهو يشرب حتى سَكِر . ثم قال لي : هات العودَ ، فدفعتُه إليه ، فغنَّاه أحسنَ غناء ؛ فنَفِستُ عليه إحسانَه ، ودعوت بطبل فجعلت أُوقِع عليه وهو يضرِب حتى دفع العودَ وأخذ الطَّبل فجعل يُوقِع به أحسنَ إيقاع ، ثم دعا بدُفٍّ فأخذه ومشى به وجعل يغنّي أهزاجَ طُوَيس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد انبَهر . فقلت : يا سيِّدي ، كنت أُرى أنك تأخذ عنّا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك ! فقال : اسكت وَيلك ! فوالله لئن سمع هذا منك أحدٌ ما دمتُ حياً لأقتلنك . فوالله ما حكيته عنه حتى قُتل .

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرنا أبو أيُّوبَ المَدِيني قال ذكَر أبو الحسن المَدائني أن يحيى مولى العَبَلات المعروف بفيل وهو الذي غنَّى : [من البسيط]

أزرى بنـا أننـا شالتْ نَعامتُنا

كان مقيماً بمكة . فلما قدِمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غِناءً وحكايةً لابن سُرَيج ؛ فقيل له : فيل . فدعاه وقال له : امشِ لي بالدُّفِّ ، ففعل . ثم قال له الوليد : هاته حتى أمشي به ، فإن أخطأتُ فقوِّمني . فمشى به أحسنَ من مِشية فيل . فقال له يحيى : جُعلت فداءك ! ايذَنْ لي حتى أختلفَ إليك لأتعلَّم منك .

فمن مشهور صنعته في شعره : [من المتقارب]

وَصَفراءَ في الكأس كالزعفران   سباها التُّجيبيُّ من عَسقَلانْ
تُريك القذاةَ وعَرضُ الإناء   سِترٌ لهـا دون لمسِ البَنانْ

لحنه فيه خفيفُ رمل . وفيه لأبي كامل ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . ولعمرَ الوادي فيه ثقيلٌ أول بالوسطى عن يونس والهشامي . وقد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة .

148 ـ [غناء الواثق]

[غناء الواثق]

وممن دُوِّنت صنعته من خلفاء بني العباس الواثق بالله .

ولم نعلمه حُكي ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدَّمنا سوء العهدة فيه عن ابن خُرداذبه ؛ فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غِناء وأتى فيها بأشياء غَثَّة لا يحسُن لمحصِّلٍ ذكرها .

[غنى الواثق في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق ووصله]

وأخبرني يحيى بن محمد الصُّولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً دار الواثق بغير إذن إلى موضعٍ أمرَ أن أدخله إذا كان جالساً . فسمعت صوت عود من بيت وترنُّماً لم أسمع أحسنَ منه قط ، فأطلع خادمٌ رأسه ثم رَده وصاح بي فدخلت فإذا الواثق . فقال أيَّ شيء سمعتَ ؟ فقلت : الطلاقُ لازمٌ لي وكل مملوك لي حرٌّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثله قط حُسناً ! فضحك فقال : وما هو ! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل واشتهاه أصحاب رسول الله ﷺ ورَحِمهم والتابعون بعدهم وكثُر في حَرَم الله ومُهاجر رسول الله . أتحب أن تسمعه منّي ؟ قلت : إي والذي شرَّفني بخطابك وجميل رأيك . فقال : يا غلام ، هاتِ العود وأعطِ إسحاق رِطلاً . فدفع الرِّطل إليَّ وضرب وغنّى في شعرٍ لأبي العتاهية بلحنٍ صنعه فيه : [من البسيط]

أضحتْ قبورُهُم من بعد عِزِّهِـمُ   تَسفي عليها الصَّبا والحَرجفُ الشَّمَلُ
لا يَدفَعون هَوامـاً عـن وجوههمُ   كأنّهـمْ خَشَبٌ بالقـاعِ مُنجَدِلُ

فشرِبتُ الرِّطلَ ثم قمتُ فدعوتُ له ؛ فأجلسَني وقال : أتشتهي أن تسمعه ثانيةً ؟ فقلت : إي والله ، فغنّانيه ودعا لي برِطل ، ففعلت كما فعلت ثانيةً ثم ثالثةً . وصاح ببعض خَدَمه وقال له : احمل إلى إسحاق ثلاثمائة ألف درهم . ثم قال : يا إسحاق ، قد سمعتَ ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذتَ ثلاثمائة ألف درهم ، فانصرِف إلى أهلك ليُسَرُّوا بسرورك ؛ فانصرفت بالدراهم .

[صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط]

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفُرات يقول سمعتُ عَريبَ تقول : صنع الواثقُ مائة صوتٍ ما فيها صوتٌ ساقطٌ . ولقد صنع في هذا الشعر : [من البسيط]

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً   تُدني إليكِ فإن الحبَّ أقصاني

هـذا كتــابُ فتىً طالت بَلِيَّتُه   يقولُ يا مُشتكى بَثّي وأحزاني

لحناً من الرمل تشبَّه فيه بصنعة الأوائل .

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرِّبَعِي المخزومي . والغناء للواثق رمل بالوسطى من رواية الهشامي .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي والحِرْميُّ بن أبي العَلاء وعلي بن سليمان الأخفش قالوا حدثنا أحمد بن يحيى ثَعلب قـال قـال الزُّبير بن بكّار : كتب ابن أبي مَسَرَّةَ المكّي إلى أهل المدينة ببيتين وهما : [من البسيط]

هـذا كتابُ فتـىً طالت بَلِيَّتُه   يقول يا مُشتكى بَثّي وأحزاني

هل تعلمين وراءَ الحـبِّ منزلةً   تُدني إليكِ فإن الحبَّ أقصاني

قال الزُّبير : وكنتُ غائباً ، فلما قدِمت قال لي أهل المدينة ذلك . فقلت لهم : أيكتُب إليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تُجيبونه ! .

[شعر يعقوب بن إسحاق الربعي]

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرِّبَعِي المخزومي لنفسه : [من البسيط]

قال الوُشاةُ لهنـدٍ عـن تَصارُمِنا   ولستُ أنسى هوى هندٍ وتنساني

يعقوبُ ليس بمتبولٍ ولا كَلِـفٍ   وَيْحَ الوُشاةِ فـإن الداء أضناني

ما بي سوى الحبِّ من هندٍ وإن بَخِلت   حُبّي لهندٍ بَـرى جسمي وأبلاني[1]

قد قلتُ حين بدا لي بُخلُ سيِّدتي   وقـد تتابـع بـي بَثّـي وأحزاني

هل تعلمين وراء الحـبِّ منزلـةً   تُدني إليكِ فإن الحبَّ أقصاني

قالت نعم قلتُ ما ذاكِ أسيِّدتي   وطاعةُ الحبِّ تَنفـي كلَّ عِصيانِ

قالت فدَعنا بلا صُرمٍ ولا صِلَةٍ   ولا صدودٍ ولا في حال هِجرانِ

حتى يَشُكَّ وُشاةٌ قـد رَمَوك بنا   وأعلنـوا بـك فينـا أيَّ إعلانِ

[غناؤه في شعر لذي الرمة]

ومن غناء الواثق بالله : [من الطويل]

صوت

خليليَّ عُوجا من صدور الرَّواحِل   بجَرعاء حُزوى وابكيا في المنازلِ

---

1 جسمي في ل : لحمي .

لعلّ انحــدارَ الدمع يُعقِب راحةً من الوَجدِ أو يَشفِي نَجيَّ البَلابِلِ

الشعر لذي الرُّمة . والغناء للواثق بالله رَمَل مطلَق في مجرى الوسطى عن الهشامي . ولإسحاق فيهما رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر . ولحنُ الواثق منهما الذي أولُه البيت الثاني وهو اللحن المحثوث المُسجَح وله رَدَّةٌ في «لعلّ» : ولحنُ إسحاق أولُه البيت الأول ثم الثاني وهو أشدهما إمساكاً وفيه صِياح .

[غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتاً أخذته عنه شجا فأجازه]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المَديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي : أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهري وقد كان تكلّم له في حاجة فقُضيت . فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِط به أُمنية ولم تَبلُغه رغبة . قال : فاشتهى هذا الكلامَ فاستعاده فأعدتُه . قال : ثم مكثنا ما شاء الله ؛ وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنّى فيه وهو : [من الطويل]

لقد بَخِلت حتى لَوَ آنّي سألتُها

فأمر لي بمائة ألف درهم . فأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر على أن يأخذ هذا الصوت مني . فلما طال مُقامي قلت : يا أميرَ المؤمنين ، ليس أحد من هؤلاء المغنّين يقدِر على أن يأخذ هذا الغِناء مني . فقال لي : ولِمَ وَيحَك ؟ قلت : لأني لا أُصحِّحه ولا تسخو نفسي لهم به . فما فعلتَ يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتَها مني ؟ (يعني شَجَا ، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعَمِل لها المُصنَّفَ الذي في أيدي الناس لإسحاق) . قال : وكيف ؟ فقلت : لأنها تأخذه مني وأُطيبُ به لها نَفساً ، وهم يأخذونه منها . قال : فأمر بها فأُخرجت وأخذته على المكان . فأمر لي بمائة ألف درهم أُخرى ، وأذِن لي في الانصراف . وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً عنده ، فقلت له عند وَداعي إياه : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِط به أُمنِية ولم تبلغه رغبة . فالتفت إليَّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : ويحك يا إسحاق ، تعيد الدعاء ! فقلت : إي والله أعيده قاصٌّ أنا أو مُغَنٍّ . فانصرفتُ إلى بغداد وأقمتُ ، حتى قدِم إسحاقُ فجئته مسلِّماً . فقال : وَيلَكَ يا إسحاق ! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا ، أيها الأمير . قال : قال لي : ويحك ! كنا أغنى الناس عن أن نبعَث إسحاقَ على لحننا فيُفسِدَه علينا . هذه رواية أبي أيوب .

[تقدير إسحاق لغناء الواثق]

قال أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال : لما صنعتُ لحني في : [من الطويل]

خليـلـيّ عُوجَا مـن صدور الرواحلِ

غنيته الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحة قسمته ، ومكث صوتَه أياماً ثم قال لي : يا إسحاق ، قد صنعتُ لحناً في صوتك وفي إيقاعه ، وأمر فغُنِّيتُ به ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، بَغَّضتَ إليَّ لحني وسَمَّجتَه عندي . وقد كنتُ استأذنته مرَّاتٍ في الانحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللحنَ الذي كان أمرني بصنعه في : [من الطويل]

لقـد بَخِلـتْ حتى لَوَ آني سألتها

فمنعني ودافعني بذلك . فلما صنع لحنه الرَّمَل في : [من الطويل]

خليلي عُوجـا مـن صدورِ الرواحلِ

قلت له : يا أمير المؤمنين ، قد والله اقتصصتَ وزدتَ ؛ فأْذِنَ لي بعد ذلك . قال أبو الحسن عليُّ بن يحيى قلت لإسحاق : فأيُّهما أجود الآن لحنُك فيه أو لحنه ؟ فقال : لحني أجود قسمةً وأكثر عملاً ، ولحنه أظرف ، لأنه جعل رَدَّتَه من نفس قسمته ، فليس يقدِر على أدائه إلا متمكِّنٌ من نفسه . قال أبو الحسن : فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لي إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بالغِناء .

فأما نسبة هذين الصوتين ، فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته . والآخر : [من الطويل]

صوت

أيـا مُنشِرَ الموتى أَقِـدني مـن التي ... بهـا نَهِلـتْ نفسي سَقامـاً وعَلَّتِ
لقـد بَخِلـتْ حتـى لَوَ آني سألتُها ... قَذى العينِ من ضاحِي التُّرابِ لضَنَّتِ

الشعر لأعرابيٍّ رواه إسحاق عنه ولم يذكر اسمَه ، والناس يَغلَطون فينسُبونه إلى كثيِّر ويظنُّونه من قصيدته التي أولها : [من الطويل]

خليليَّ هـذا رَسمُ عَـزةَ فاعقِلا ... قَلُوصَيكما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ

وهذا خطأ ممن قال ذلك . والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ بالوسطى . ولإسحاق في البيت الثاني وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيلٌ أولُ بالسبابة في مجرى الوسطى . والبيتُ الذي ألحقه إسحاق به من شعره : [من الطويل]

فإن بَخِلتْ فالبخلُ منها سَجِيةٌ ... وإن بَذَلتْ أعطتْ قليلاً وأكدَتِ

[كان يعرض غناءه على إسحاق فيدلى فيه برأيه]

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني أبو جعفر بن الدِّهقانة النَّديم قال : كان الواثق إذا أراد أن يَعرِض صنعتَه على إسحاق نسبَها إلى غيره وقال : وقع إلينا صوتٌ قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ ، ويأمر مَن يغنيه إياه . وكان إسحاق يأخذ نفسَه في ذلك بقول الحق أشدَّ أخذٍ ،

فإن كان جيِّداً من صناعته قرَّظه ووصفه واستحسنه ، وإن كان مُطَّرِحاً أو فاسداً أو متوسِّطاً ذكر ما فيه . فربما كان للواثق فيه هَوىً فيسأله عن تقويمه وإصلاح فَساده ، وربما اطَّرحه بقول إسحاق فيه ؛ إلى أن صنع لحناً في قول الشاعر : [من الطويل]

لقـد بَخِلَتْ حتـى لَـوَ آني سألتُها قَذى العينِ من ضاحي الترابِ لضَنَّتِ

[كاد عنده مخارق لإسحاق فجفاه وأصلحت بينهما فريدة]

فأُعجِبَ به واستحسنه ، وأمر المغنِّين فغنَّوا فيه ، وأمر بإشخاص إسحاقَ إليه من بغداد ليسمعه . فكاده مخارق عنده وقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسحاق شيطانٌ خبيث داهية ، وإن قولك له فيما تصنعه : هذا صوت وقع إلينا ، لا يخفى عليه به أن الصوت لك ومن صَنعتك ولا يُوقِعُ في فهمه أنه قديم ، فيقولُ لك وبحضرتك ما يُقارب هواك ، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدَّ ذلك . فأُحفظَ الواثقَ قولُه وغاظه ، وقال له : أريد على هذا القول منك دليلاً . قال : أنا أُقيم عليه الدليل إذا حضر . فلما قُدِم به وجلس في أول مجلس اندفع مخارِق يغنّي لحنَ الواثق : [من الطويل]

لقـد بَخِلَـتْ حتـى لَوَ آني سألتُها

فزاد فيه زوائدَ أفسدت قِسمتَه فساداً شديداً وخفيت على الواثق لكثرة زوائد مُخارِقٍ في غِنائه . فسأله الواثق عنه ؛ فقال : هذا غناء فاسدٌ غيرُ مَرضِي عندي . فغضِب الواثق وأمر بإسحاقَ فسُحِب حتى أُخرِجَ من المجلس . فلما كان من الغد قالت فريدة للواثق : يا أمير المؤمنين ، إن إسحاق رجل يأخذ نفسَه بقول الحق في صناعته على كل حالٍ ساءته أو سَرَّته ، لا يخاف في ذلك ضرراً ولا يرجو نفعاً ؛ وما لك منه عوض . وقد كاده مخارقٌ عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تَعرِف ، وتركه في المِصراع الثاني على حاله ، ونقَص من البيت الثاني ، وقد تبينتُ ذلك . وأنا أعرِضه على إسحاق وأُغَنِّيه إياه على صِحته ، واسمَع ما يقول . وما زالت تَلطُف للواثق حتى رضِي عنه وأمر بإحضاره . فغنَّته إياه فريدة كما صنعه الواثق . فلما سمعه قال : هذا صوتٌ صحيحُ الصَّنعةِ والقسمةِ والتجزئة ، وما هكذا سمعته في المرة الأولى . ثم أخبر الواثقَ عن مواضع فَساده حينئذٍ ، وأبان ذلك له بما فهِمه . وغنَّته فريدة عدَّةَ أصوات من القديم والحديث كلُّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض . فاستحسن الواثقُ ذلك وأجازه يومئذٍ وحَباه ، وجفا مُخارِقاً مدةً لِما فعله به .

أخبرني جَحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال : كان الواثقُ إذا صنع شيئاً من الغناء أخبرَ إسحاق به وعرضه عليه حتى يُصلح ما فيه ثم يُظهره .

وقد أخبرني الحسن بن علي عن يزيد بن محمد المهلّبي بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرتُه هاهنا وفي ألفاظه اختلاف . وقد تقدم ذكره وابتدأناه في أخبار إسحاق . والأبيات الثانية التي غنّى فيها الواثقُ وإسحاق أنشدَنيها عليٌّ بن سليمان الأخفش وعلي بن هارون بن علي بن يحيى جميعاً عن هارون بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاقَ لأعرابيٍّ ، وأنشدَناها محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض الأعراب : [من الطويل]

أَلا قاتــل اللّهُ الحمامــةَ غُـدوةً ... على الغصن ماذا هَيَّجت حين غَنَّتِ
فغَنَّتْ بِصوتٍ أعجميٍّ فهيَّجتْ ... هَوايَ الذي كانت ضُلوعي أكَنَّتِ
فلو قَطَرت عينُ امرِىء من صَبابةٍ ... دَمــاً قطَرتْ عيني دمــاً وألَمَّتِ
فمـا سكتتْ حتى أوَيتُ لصوتها ... وقلتُ أرى هذي الحمامةَ جُنَّتِ
ولي زَفَــراتٌ لــو يَدُمنَ قتلنَني ... بشوقٍ إلى نـادي التي قد تَولَّتِ
إذا قلتُ هذي زفرةُ اليوم قد مضت ... فمَن لي بأُخرى في غدٍ قد أظلَّتِ
أيا مُنشِرَ الموتــى أعنّي على التي ... بهـا نَهِلَت نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقــد بَخِلَتْ حتى لَوَ آني سألتُها ... قَذى العين من سافِي الترابِ لضَنَّتِ
فقلــتُ ارحَلا يـا صاحبَيَّ فليتَني ... أرى كل نفس أُعطِيَتْ ما تمنَّتِ
حلَفتُ لهـا باللّه مـا أُمُّ واحـدٍ ... إذا ذكرتــه آخــرَ الليـــلِ أَنَّتِ
ومـا وَجدُ أعرابيةٍ قَذَفـتْ بهـا ... صُروفُ النَّوى من حيثُ لم تَكُ ظَنَّتِ
إذا ذكرتْ مــاءَ العِضاهِ وطِيبَه ... وبطنَ الحَصى من بطن خَبت أرَنَّتِ[1]
بأعظمَ من وجدي بهـا غيرَ أنني ... أُجَمجِمُ أحشائي على ما أجنَّتِ

[غناه إسحاق فوصله وشعره فيه]

أخبرني جَحظة وابن أبي الأزهر ويحيى بن علي والحسين بن يحيى قالوا جميعاً أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، وقد جمعتُ روايتَهم في هذا الخبر وزدتُ فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه ، قال : ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق ، وما كان أحد منهم يُكرِمني إكرامَه . ولقد غنَّيتُه لحني : [من الطويل]

لعلّكَ إن طالتْ حياتُك أن ترى ... بِلاداً بهـا مَبدىً لليلَى ومَحضَرُ

فاستعاده مني ليلةً لا يشربَ على غيره ، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم . ولقد قَدِمتُ عليه في بعض قَدَماتي ، فقال لي : ويحك يا إسحاق ! أما اشتقتَ إليَّ ! فقلتُ : بلى واللّه يا

1 بطن في ل : وبرد .

سيِّدي ! وقلت في ذلك أبياتاً إن أمرتني أنشدتها . قال : هاتِ ؛ فأنشدتُه : [من البسيط]

أشكو إلى الله بُعدِي عن خليفتِه ... وما أُقاسيه من هَمٍّ ومن كِبَرِ
لا أستطيع رَحيلاً إن هَمَمتُ به ... يوماً إليه ولا أقوى على السفرِ
أنوي الرحيلَ إليه ثم يمنَعني ... ما أَحدثَ الدهرُ والأيامُ في بصري

ثم استأذنته في إنشاد قصيدةٍ مدحته بها فأذِن لي ؛ فأنشدتُه قصيدتي التي أقول فيها : [من البسيط]

لما أمرتَ بإشخاصي إليك هَوى ... قلبي حَنيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمتُ فلم أُحفل ببينهُمُ ... وطابت النفسُ عن فَضلٍ وحَمادِ
كم نعمةٍ لأبيك الخَيرِ أفردني ... بها وخَصَّ بأُخرى بعد إفرادي
فلو شكرتُ أيادِيكم وأنعُمَكم ... لَما أحاط بها وصفي وتَعدادي
لأشكرنَّك ما غارَ النجومُ وما ... حَدا على الصُّبحِ في إثر الدُّجى حادِ

قال علي بن يحيى خاصةً في خبره : فقال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، أَخبِرني لو قال الخليفة لإسحاق : أَحضِر لي فَضلاً وحَماداً أليس كان يفتضح إسحاق ! (يعني من دَمامة خِلقتهما وتخلُّفِ شاهِدِهما) .

[خرج معه إسحاق إلى النَّجف ، وشعره فيها وفي حنينه إلى ولده]

قال إسحاق : ثم انحدرتُ مع الواثق إلى النَّجَف ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ في النَّجَف قصيدةً . فقال : هاتِها ؛ فأنشدتُه قولي : [من البسيط]

يا راكبَ العِيسِ لا تَعجَلْ بنا وقِفِ ... نُحَيِّ داراً لسُعدى ثم ننصرفِ
لم يَنزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ ... أَصفى هواءً ولا أَغذى من النَّجَفِ
حُفَّتْ ببرٍّ وبحرٍ في جوانبها ... فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحرُ في طَرَفِ
ما إن يزال نسيمٌ من يَمانِيَةٍ ... يأتيك منها بَرِياً رَوضةٍ أُنُفِ

حتى انتهيت إلى مديحه فقلت وقد انتهيتُ إلى قولي فيه :

لا يَحسَبُ الجودَ يُفنِي مالَه أبداً ... ولا يرى بَذلَ ما يَحوِي من السَّرَفِ

فقال لي : أحسنتَ يا أبا محمد ! فكناني ، وأمر لي بألف درهم . وانحدرنا إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نُواس : [من البسيط]

فالصالحيةُ من أكنافِ كَلواذا

وذكرتُ الصبيان وبغداد فقلت : [من الطويل]

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ ... فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعدا
لَعَمرُك ما فارقتُ بغدادَ عن قِلًى ... لَوَ آنا وجدنا من فِراقٍ لها بُدا
إذا ذَكرتْ بغدادَ نفسي تَقَطَّعت ... من الشوقِ أو كادت تموت بها وجدا
كفى حَزَناً أن رُحتَ لم تستطع لها ... وَداعاً ولم تُحدِث لساكنها عهدا

فقال لي : يا موصلي ، لقد اشتقتَ إلى بغداد . فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني اشتقتُ إلى الصبيان ، وقد حضرني بيتان . فقال هاتهما . فقلت : [من الوافر]

حَنَنتَ إلى الأُصَيبيةِ الصِّغارِ ... وشاقكَ منهمُ قُربُ المَزارِ
وكلُّ مُفارقٍ يزداد شوقاً ... إذا دنت الدِّيارُ من الديارِ

فقال لي : يا إسحاق ، صِر إلى بغداد فأقِم شهراً مع صِبيانك ثم عُد إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

[امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه]

أخبرني جَحظة عن ابن حَمدون : أن إسحاق كان يحضر مجالس الخلفاء إذا جلسوا للشُّرب في جملة المغنِّين وعُودُه معه إلى أيام الواثق ، فإنه كان إذا قَدِم عليه يحضُر مع الجلساء بغير عُود ، ويُدنيه الواثق ولا يُغنِّي حتى يقول له : غَنِّ ، فإذا قال له غَنِّ جاؤوه بعُودٍ فغنَّى به ، وإذا فرَغ رُفع العود من بين يديه إكراماً من الواثق له .

[برَّز إسحاق عليه في لحن اشتركا فيه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن وَسواسَةَ بنِ الموصلي عن حَماد بن إسحاق قال : كتب حَمدون بن إسماعيل إلى أبي : إن أمير المؤمنين الواثق يأمرك أن تصنع لحناً في هذا الشعر : [من الطويل]

لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ آني سألتُها

وقد كان الواثق غنَّى فيه غناء أعجبه ؛ فغنَّى فيه أبي . فلما سمعه الواثق قال : أفسد علينا إسحاق ما كنا أُعجبنا به من غنائنا . قال حَماد : ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناء حتى مات .

ومن مشهور أغاني الواثق : [من الطويل]

صوت

سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظِلالِه ... غزالان مكحولانِ مؤتلِفانِ
أرَغتُهما خَتلاً فلم أستطعهما ... ورَمياً ففاتاني وقد رَمَياني

ولحنُه فيه من الثقيل الأول . ولإسحاق فيه رَمَلٌ .

[قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن عُلَيـة القُرَشي قـال أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر الهاشمي عن إسحاق بن سليمان بن علي قال : لقِيتُ أعرابياً بالسُّمَية[1] فصيحاً ، فاستخففتُه وتأملته فإذا هو مُصفَرٌّ شاحب ناحل الجسم ، فاستنشدته فأنشدني الشيءَ بعد الشيء على استكراهٍ مني له . فقلت له : ما بالُك ؟ فوالله إنك لفصيح ! فقال : أما ترى الجبلين ؟ قلت بَلى . قال : في ظِلالهما والله ما يمنعني من إنشادك ويَشغَلُنِي ويُذهلني عن الناس . قلت : وما ذاك ؟ قال : بنتُ عمٍّ لي قد تيمتني وذهبت بعقلي ، والله إنه لتأتي عليَّ ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض ، ولا أزال ثابتَ العقل ما لم يُخامِر ذكرُها قلبي ، فإذا خامره بَطَلت حواسِّي وعزَب عنِّي لُبِّي . قلت : فما يمنعك منها ؟ أقلةُ ما في يدك ؟ قال : والله ما يمنعني منها غيرُ ذلك . قلت : وكم مهرُها ؟ قال : مائةُ ناقة . قلت : فأنا أدفعها إليك إذاً لتدفعها إليهم . قال : والله لئن فعلتَ ذلك إنك لأعظم الناس عليَّ مِنةً . فوعدتُه بذلك واستنشدتُه ما قال فيها ، فأنشدني أشياءَ كثيرةً منها قوله : [من الطويل]

سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله ... غزَالانِ مكحــولانِ مؤتلفانِ

البيتان . فقلت له : يا أعرابي ، والله لقد قتلتني بقولك «ففاتاني وقد قتلاني» وأنا بريء[2] من العباس إن لم أقُم بأمرك . ثم دعوتُ بمركوب فركبته وحملتُ معي الأعرابيَّ ، فصِرنا إلى أبي الجارية في جماعة من أهلي وموالي حتى زوجتُه إياها وتممتُ عنه الصَّداق واشتريت له مائة ناقة فسُقتُها عنه ؛ وأقمتُ عندهم ثلاثاً ونحَرتُ لهم ثلاثين جَزُوراً ، ووهبت للأعرابي عشرةَ آلاف درهم وللجارية مثلها ، وقلت : استعينا بهذا على اتصالكما وانصرفتُ . فكان الأعرابي يطرُقنا في كل سنة وامرأته معه فأهَبُ له وأُصِله وينصرف .

[غناؤه في شعر حسان]

ومن أغانيه ، أخبرني به ذُكاء وجه الرُّزة عن أحمد بن أبي العَلاء عن مُخارِق وأنه أخذه عنه : [من الكامل]

صوت

إن التـــي عاطيتَهــا فرَدَدتُهــا ... قُتِلتْ قُتِلتَ فهاتِهـــا لم تُقتَلِ

كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِني ... بزجاجـــةٍ أرخاهمــا للمَفصِلِ

يروى : «كلتاهما جَلَبُ العصير» و«حَلَبُ العصير» . ويروى : «للمَفصِلِ» و«للمِفصَل» .

1 السمية : جبل .

2 ل : نقي .

والمَفصِل : الواحد من المفاصل ، والمِفصَل هو اللسان . ذكر ذلك علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي .

الشعر لحَسَّان بن ثابت . والغناء للواثق خفيفُ رملٍ بالبِنصر . وفيه لإبراهيمَ الموصلي رَمل مطلَقٌ في مجرى الوسطى . وهذه الأبيات من قصيدة حَسان المشهورة التي يمدح بها بني جَفنة ، وأولها : [من الكامل]

أسألتَ رسمَ الدار أم لم تسألِ

وهي من فاخر المديح ، منها قوله : [من الكامل]

أولادُ جَفنةَ عند قبر أبيهم ... قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفضِلِ
يَسقُون مَن وردَ البَريصَ عليهمُ ... بَرَدى يُصفِّق بالرَّحيق السَّلسَلِ[1]
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأولِ
يُغشَون حتى ما تَهِرُّ كِلابُهم ... لا يَسألون عن السوادِ المُقبِلِ

[تفسير القاضي عبيد الله بن الحسن لهذا الشعر]

نسخت من كتاب الشَّاهيني : حدثني ابن عُلَيل العَنزي قال حدثني أحمد بن عبد الملك بن أبي السَّمال السَّعدِي قال حدثني أبو ظَبيانَ الحِمَّاني قال اجتمعت جماعةٌ من الحي على شراب لهم ، فتغنَّى رجل منهم بشعر حسان : [من الكامل]

إن التي عاطيتَني فرددتُها ... قُتِلَتْ قُتِلتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِني ... بزجاجةٍ أرخاهما للمَفصِلِ

فقال رجل من القوم : ما معنى قوله : «إن التي عاطيتَني» فجعلها واحدة ، ثم قال : «كلتاهما حلب العصير» فجعلهما ثنتين ؟ فلم يعلم أحد منا بالجواب . فقال رجل من القوم : امرأتُه طالقٌ ثلاثاً إن بات أو يسألَ القاضيَ عُبَيدَ الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر . قال أبو ظَبيانَ : فحدثني بعض أصحابنا السعديين قال : فأتيناه نتخطَّى إليه الأحياءَ حتى أتيناه وهو في مسجده يصلي بين العِشاءين . فلما سمع حِسَّنا أُوجز في صلاته ، ثم أقبل علينا وقال : ما حاجتُكم ؟ فبدأ رجل منا كان أحسنَنا بَقِيَّةً[2] فقال : نحن ، أعز الله القاضيَ ، قوم نَزَعنا إليك من طَرَف البصرة في حاجةٍ مهمَّة فيها بعضُ الشيء . فإن أذِنتَ لنا قلنا . قال : قولوا . فذكر يمينَ الرجل والشعر . فقال : أما قولُه : «إن التي ناولَتني» هي الخمرة . وقوله : «قُتِلت» يعني مُزِجت بالماء . وقوله : «كلتاهما حَلَب

1 البريص : اسم غوطة دمشق . بردى في ل : كأساً .
2 أي أحسننا رأياً وفضلاً .

العصير» يعني به الخمرَ ومِزاجها ، فالخمر عصير العنب ، والماء عصير السَّحاب ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿وأنزَلنا مِنَ المُعصِراتِ ماءً ثَجّاجاً﴾ انصرِفوا إذا شئتم .

[غناؤه لحناً على مثال لحن لمخارق]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المُهلبي عن أبيه قال : غَنّى مُخارِقٌ يوماً بحضرة الواثق : [من السريع]

حتى إذا الليلُ خَبا ضوءُه وغابــتِ الجَــوزاءُ والمِرزَمُ[1]

خرجتُ والوطءُ خَفِــيٌّ كما ينسابُ مِــن مَكمَنه الأرقمُ

فاستملح الواثقُ الشعر واللحن ، فصنع في نحوه : [من السريع]

قالــت إذا الليلُ دَجــا فأْتِنا فجئتُهـا حــين دجــا الليـلُ

خَفيَّ وطءِ الرِّجلِ من حارسٍ ولــو درى حــلَّ بــيَ الويلُ

ولحنه فيه من الرمل . وصنع فيه الناس ألحاناً بعده : منها لعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ ، ومنها ثقيلٌ أول لا أعلم لمن هو ؛ وسمعت ذُكاءَ ومحمد بن إبراهيم قُرَيضاً يغنّيانه وذكراً أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العَلاء ، ولا أدري لِمَن هو .

[تحدّث إسحاق إليه بقصة أعرابيّ عاشق وغنى في شعره فوصله ووصل الأعرابيّ]

حدثني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حَماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال : سرتُ إلى سُرَّ مَن رأى بعد قدومي من الحج ، فدخلتُ إلى الواثق فقال : بأي شيء أطرفتَني من أحاديث الأعراب وأشعارهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين جلس إليَّ فتىً من الأعراب في بعض المنازل ، فحادثني فرأيتُ منه أحلى ما رأيت من الفِتيان منظراً وحديثاً وأدباً . فاستنشدته فأنشدني : [من البسيط]

سقى العَلَمَ الفَردَ الذي في ظِلاله غــزالان مكحــولان مــؤتلِفانِ

إذا أمِنــا التفا بجيدَيْ تَواصُلٍ وطَرفاهمــا للرَّيــب مُسترِقانِ[2]

أرغتُهمــا ختَــلاً فلـم أستطعهما ورميــاً ففاتــاني وقــد قتلاني

ثم تنفَّس تنفُّساً ظننت أنه قد قطع حَيازِيمَه . فقلت : ما لك بأبي أنت ؟ فقال : إن لي وراء هذين الجبلين شَجَناً ، وقد حِيل بيني وبين المرور به ونَذَروا دمي ، وأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعلُّلاً بهما إذا قدِم الحاجُّ ، ثم يُحال بيني وبين ذلك . فقلت له : زِدني مما قلتَ في

1 غابت في ل : جارت . المرزمان : نجمان مع الشعريين .

2 الاستراق : اختلاس النظر والسمع .

ذلك . فأنشدني : [من الطويل]

إذا ما وردتَ الماءَ في بعض أهله حَضُورُ فعرِّض بـي كأنك مازحُ
فإن سألت عني حَضُورُ فقُل لها بـه غُبَّرٌ من دائـه وهـو صالحُ[1]

فأمرني الواثق فكتبتُ له الشعرين . فلما كان بعد أيام دعاني فقال : قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحناً فاسمَعه ، فإن ارتضيتَه أظهرناه وإن رأيتَ فيه موضع إصلاح أصلحتَه . فغنّـي لنا من وراء الستار ، فكان في نهاية الجودة ، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً . فقلت له : أحسن والله صانعُه يا أمير المؤمنين ما شاء ! . فقال : بحياتي ؟ فقلت : وحياتِك ، وحلفتُ له بما وثِق به ، وأمر لي بِرِطلٍ فشربتُه ، ثم أخذ العود فغنّاه ثلاثَ مرات ، وسقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم . فلما كان بعدَ أيام دعاني فقال : قد صُنِع أيضاً عندنا في الشعر الآخر ، وأمر فغُنّيَ به ؛ فكانت حالي فيه مثلَ الحال في الأول . فلما استحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات ، سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم . ثم قال لي : هل قضيتُ حقَّ هديتك ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فأطال الله بقاءك ، وتمم نعمتك ، ولا أُفقدنِيها منك وبك . ثم قال : لكنك لم تَقضِ حقَّ جليسك الأعرابي ولا سألتني مَعُونتَه على أمره ، وقد سبقتُ مسألتَك وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرتُه بإحضاره ، وخُطبت المرأة وحُمِل صداقُها إلى قومها عنه من مالي . فقبلتُ يده وقلت : السَّبقُ إلى المكارم لك ، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدمة : [من السريع]

صوت

حتى إذا الليلُ خَبـا ضوءه وغابـتِ الجَـوزاءُ والمِـرزَمُ
أقبلـتُ والـوطءُ خَفِـيٌّ كما ينسابُ مِـن مَكمَنه الأرقمُ

ذكر يحيى المكي أن اللحن لابن سُرَيج رمل بالسبابة في مجرى البِنصر ، وذكر الهِشامي أنه منحولٌ .

[طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه في الفرات]

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وإسماعيل بن يونس وغيرُهما قالوا حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كُناسة قال : اصطحب شيخٌ مع شَباب في سفينةٍ

1 غبر الشيء : بقيته .

في الفُرات ومعهم مغنِّية . فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جاريةٌ لبعضنا وهي مغنِّية ، فأحببنا أن نسمع غناءها فهِبناكَ ، فإن أذِنتَ لنا فعلنا . قال : أنا أصعَد إلى طَلَلِ[1] السفينة ، فاصنَعوا أنتم ما شئتم . فصعِد ، وأخذت الجاريةُ عودَها فغنت : [من السريع]

حتى إذا الصبحُ بـدا ضوءُه وغابـت الجَـوزاءُ والمِـرزَمُ
أقبلـتُ والوطءُ خفـيٌّ كما ينسابُ مِـن مَكمَنـه الأرقمُ

فطرِب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفُرات ، وجعل يغُوص في الفرات ويطفو ويقول : أنا الأرقمُ ! أنا الأرقمُ ! فألقَوا أنفسهم خلفَه ، فبعد لأيٍ ما استخرجوه ، وقالوا له : يا شيخ ، ما حملك على ما صنعتَ ؟ فقال : إليكم عنّي ! فإنّي والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون . وقال إسماعيل في خبره : فقلت له : ما أصابك ؟ فقال : دَبَّ شيء من قدمي إلى رأسي كدَبيب النمل ونزل في رأسي مثلُه ، فلمّا وردا على قلبي لم أعقِل ما عمِلتُ .

وأما ما في الخبر من الصَّنعة في : «قالت إذا الليل دَجا» فإن لحن الواثق هو المشهور ، وما وجدتُ في كتب الأغاني غيرَه ، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقُرَيض وذُكاءَ وجهَ الرُّزة يغنّيان فيه لحناً من الثقيل الأول المذموم ، فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه ، وذكرا جميعاً أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء .

[علمه بالغناء وعدد أصواته وذكر المشهور منها]

وأخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حماد بن إسحاق قال : كان الواثق أعلمَ الخلفاء بالغِناء ، وبلغت صنعتُه مائةَ صوتٍ ، وكان أحذَقَ من غنّى بضرب العود . قال : ثم ذكرها فعَدَّ منها : [من الخفيف]

يفرَح الناسُ بالسَّماع وأبكي أنـا حُزناً إذا سمعتُ السَّماعا
ولهـا في الفؤادِ صَدعٌ مُقيمٌ مثلُ صَدع الزُّجاج أعيا الصُّناعا

الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء للواثق خفيفُ ثقيلٍ . وفيه لأبي دُلَفَ خفيفُ رملٍ .

ومنها : [من الطويل]

ألا أيُّها النفسُ التي كادها الهوى أفَـأنـتِ إذا رمتُ السُّلُوَّ غَريمي
أفِيقي فقد أفنيتِ صبري أو اصبرِي لِما قـد لقيتيـه عـليَّ ودُومي

الشعر والغناء للواثق خفيف رمل .

ومنها : [من الطويل]

1 ل : ظلال . وطلل السفينة غطاء تغشى به كالسقف للبيت .

سَقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله غـزالانِ مكحـولان مؤتلِفانِ
أرغتُهما خـتلاً فلـم أستطعهما ورميـاً ففاتـاني وقـد قتلاني

الغناء للواثق ثقيلٌ أول . وفيه لإسحاق رمل وهو من غريب صنعته ، يقال إنه صنعه بالرَّقّة .

ومنها : [من الخفيف]

كلَّ يـومٍ قَطيعـةٌ وعِتابُ ينقضي دهرُنـا ونحـن غِضابُ
ليت شعـري أنا خُصِصتُ بهذا دون ذا الخلقِ أم كذا الأحبابُ
فاصبِرِ النفسَ لا تكونَـن جَزُوعاً إنمـا الحـبّ حَسرةٌ وعذابُ

فيه للواثق رمل ، ولزُرزُور ثقيلٌ أول ، ولعَرِيبَ هَزَجٌ .

ومنها : [من الطويل]

ولم أرَ لَيلى بعـد موقـف ساعةٍ بخَيفِ مِنىً ترمي جمارَ المحصَّبِ[1]
ويُبدِي الحَصى منها إذا قذَفت به من البُرد أطرافَ البَنان المخُضَّب
فأصبحتُ من ليلى الغَداةَ كناظرٍ مع الصبح في أعقابِ نجم مغرِّبِ
ألا إنما غـادرتِ يا أُمَّ مالكٍ صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يَذهبِ

الصنعة في هذا الشعر ثقيلٌ أول وهو لحن الواثق فيما أرى . ونسبه حَبَش ، وهو قليل التحصيل ، إلى ابن مُحرِز في موضع ، وإلى سُلَيم في موضع آخر ، وإلى مَعبد في موضع ثالث .

ومنها : [من البسيط]

أمستْ وشاتُكِ قد دَبَّتْ عقاربُها وقـد رَمَوكِ بعين الغِشّ وابتَدروا
تُرِيكِ أعيُنهم مـا في صدورهمُ إنَّ الصدورَ يـؤدِّي غيبَها النظرُ

الشعر للمجنون . والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ . وفيه لمتيَّمَ ثقيلٌ أولُ . وقد نُسب لحنُ كل واحد منهما إلى الآخر .

ومنها : [من الطويل]

عجبتُ لسَعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكَن الدهرُ
فيا هجرَ لَيلى قد بلغتَ بيَ المَدى وزدتَ على ما لم يكن بلَغ الهجرُ

الغناء للواثق رَمل . وفيه لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، ولابن سريج ثقيلٌ أول بالبنصر ، ولعريب ثقيلٌ أول آخر .

---

1 بخيف في ل : ببطن .

ومنها : [من مجزوء البسيط]

كأن شخصي وشخصه حَكَيا نظـامَ نِسرِينَتــين في غُصُنِ
فليــتَ لَيْلي وليلــَه أبــداً دام ودُمنــا بــه فلــم نَبِــن

الشعر أظنه لعلي بن هِشام أو لُمرادَ[1] . ولحن الواثق فيه ثقيلٌ أولُ . وفيه لعريب ثقيلٌ أولُ آخر . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ولمتيَّمَ لحنانِ لم يقع إلي جنسُهما .

ومنها : [من الطويل]

أهابُكِ إجلالاً وما بكِ قدرةٌ عليّ ولكن ملءُ عـينِ حَبيبُها
وما فارقتكِ النفسُ يا ليلُ أنها قَلَتكِ ولكن قَلَّ منكِ نصيبُها

لحن الواثق فيه ثقيلٌ أولُ مطلَق في مجرى الوسطى . وفيه لغيره لحن .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

في فمي ماءٌ وهل يَنـ ـطِق مَن في فيه ماءُ !
أنــا مملــوكٌ لمملــو كٍ عليــه الرُّقَبــاءُ
كنتُ حُــراً هاشمياً فاسترقَّتنــي الإمــاءُ
وسباني مَــن لــه كا ن على الكُره السِّبــاءُ
أحمَــد اللهَ عـلى مــا ساقه نَحوِي القضــاءُ
مــا بعينــيَّ دمــوعٌ أنفــد الدمــعَ البكــاءُ

الغناء للواثق رمل .

ومنها : [من الخفيف]

أيُّ عَــونٍ على الهمومِ ثلاثُ مُترَعــاتٌ من بعدهــنَّ ثلاثُ
بعدهـــا أربــعٌ تَتِمَّــةُ عَشرٍ لا بطــاءٌ لكنهـــنَّ حِثـاثُ

فيه رمل يُنسب إلى الواثق وإلى متيَّم .

ومنها : [من الطويل]

أيا عَبرة العينين قد ظَمِىء الخدُّ فما لكما مــن أن تُلِمَّا بــه بُــدُّ
ويا مُقلةً قد صار يُبغضها الكَرى كأن لم يكن من قبلُ بينهما وُدُّ
لئن كان طُول العهد أحدث سَلوةً فموعدُ بينِ العينِ والعَبرة الوُجدُ[2]

1 مراد : شاعرة علي بن هشام وهي التي رثته لما قتله المأمون
2 الوجد : اللقاء .

وما أنا إلا كالذين تُخُرِّموا   على أن قلبي من قلوبهم فَرْدُ

الشعر والغناء للواثق رمل . وفيه لأبي حشيشة هزج ، ذكر ذلك الهشامي الملقَّب بالمِسك ، وأخبرني جحظة أنه للمسدود . وأخبرني جحظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الواثق خفيف رمل وهو : [من الرجز]

سألتُه حُوَيجةً فأعرضا   وعَلِق القلبُ به ومَرِضا

فاستَلَّ مني سيفَ عزمٍ مُنتضى   فكان ما كان وكابرنا القضا

قال : وفي هذا الشعر أيضاً بعينه للواثق رمل ، ولقَلَم الصالحية فيه هزج . وقد غلِط جحظة في هذا الشعر ، وهو لسعيد بن حُميد مشهور ، وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه .

[غاضبه خادم له فقال فيه شعراً غنى فيه]

أخبرني عمِّي عن علي بن محمد بن نصر عن جده ابن حمدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل قال : كان الواثق يحب خادماً له كان أُهدِيَ إليه من مصر ، فغاضبه يوماً وهجره ، فسمع الخادمَ يحدِّث صاحباً له بحديث أغضبه عليه ، إلى أن قال له : والله إنه ليَجهد منذ أمس على أن أُصالحه فما أفعل . فقال الواثق في ذلك : [من البسيط]

يا ذا الذي بعذابي ظَلَّ مفتخرا   هل أنت إلا مليكٌ جار إذ قَدَرا

لولا الهوى لتجازَينا على قَدَرٍ   وإن أفِقْ مرةً منه فسوف تَرى

قال : وغنى الواثق وعَلويه فيه لحَنين ، ذكر الهشامي أن لحن الواثق خفيف ثقيلٍ ، وفي أغاني علويه : لحنه في هذا الشعر خفيفُ رملٍ .

[غنى في شعر لعلي بن الجهم]

حدثني الصُّولي قال حدثني ابن أبي العيناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سهل قال : كنا وقوفاً على رأس الواثق في أول مجالسه التي جلسها لما وَلِيَ الخلافة ، فقال : مَن يُنشدنا شعراً قصيراً مليحاً ؟ فحَرِصتُ على أن أعمل شيئاً فلم يجئني ، فأنشدته لعلي بن الجَهم : [من مجزوء الرمل]

لو تنصَّلتَ إلينا   لَوَهَبنا لكَ ذَنبَكْ

ليتني أملِك قلبي   مثلَما تملِكُ قلبَكْ

أيُّها الواثقُ باللـ   ـهِ لقد ناصحتَ رَبَّكْ

سيِّدي ما أبغضَ العيـ   ـشَ إذا فارقتُ قُربَكْ

أصبحتْ حُجَّتُك العُلـ   ـيا وحِزبُ اللهِ حِزبَكْ

فاستحسنها وقال : لمن هذه ؟ فقلت : لعبدك عليٍّ بن الجَهم . فقال : خذ ألف دينار لك وله ؛ وصنع فيها لحناً كنا نغنّي به بعد ذلك .

[يوم له مع المغنين بسرّ من رأى]

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال : لما خرج المعتصم إلى عَمُّوريَّة استخلَف الواثقَ بسُرَّ مَن رأى ، فكانت أموره كلُّها كأمور أبيه . فوجَّه إلى الجُلَساء والمغنّين أن يُبكّروا إليه يوماً حُدِّد لهم ، ووَجَّه إلى إسحاق ، فحضر الجميع . فقال لهم الواثق : إني عزمتُ على الصَّبُوحِ ، ولست أجلس على سرير حتى أختلطَ بكم ونكونَ كالشيء الواحد ، فاجلسوا معي حَلقةً ، وليكن كلُّ جليس إلى جانبه مغنٍّ ، فجلسوا كذلك . فقال الواثق : أنا أبدأ ؛ فأخذ عوداً فغنَّى وشربوا وغنّى مَن بعده ، حتى انتُهِيَ إلى إسحاق فأُعطِيَ العودَ فلم يأخذه . فقال : دَعُوه . ثم غَنَّوا دَوراً آخر . فلما بَلغ الغناءُ إلى إسحاق لم يُغَنِّ ، وفعل هذا ثلاثَ مرات . فوثَب الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأُدخلوا ، فما قال لأحد منهم : اجلِس . ثم قال : عليَّ بإسحاق ! . فلما رآه قال : يا خُوزِيُّ يا كلب ! أتَنَزَّلُ لك وأُغَنِّي وترتفع عنّي ! أتُرى لو أني قتلتُك كان المعتصم يُقِيدُني بك ! ابطَحوه ! فبُطِح فضُرِب ثلاثين مِقرعةً ضرباً خفيفاً ، وحلَف ألاَّ يُغَنِّيَ سائرَ يومه سواه . فاعتذر وتكلَّمت الجماعة فيه ، فأخذ العودَ وما زال يغنّي حتى انقضى ذلك اليوم ، وعاد الواثق إلى مجلسه .

[شعره في خادم يهواه]

وجدتُ في بعض الكتب عن ابن المعتز قال : كان الواثق يهوى خادماً له فقال فيه : [من الطويل]

سأمنع قلبي من مودَّةِ غادر ... تعبَّدني خُبثاً بمكرِ مُكاشِرِ
خطبتُ إليه الوصل خِطبةَ راغبٍ ... فَلاحَظَنِي زَهْواً بطَرفِ مُهاجِرِ

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز : وللواثق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأول .

[ألقى على غلمانه صوتاً فأخذوه عنه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال حدثني عبدُ أم غلام الواثق قال : دعا بنا الواثق مع صلاة الغَداة وهو يَستاك فقال : خذوا هذا الصوتَ ، ونحن عشرون غلاماً كلُّنا يُغنِّي ويضرب ، ثم ألقى علينا : [من البسيط]

أشكو إلى الله ما ألقَى من الكَمَدِ ... حسبي بربِّي فلا أشكو إلى أحدِ

فما زال يردِّده حتى أخذناه عنه .

نسبة هذا الصوت

أشكو إلى اللهِ ما أَلقى من الكَمَدِ حَسبِي بربِّي فلا أشكو إلى أحدِ
أينَ الزمانُ الذي قد كنت ناعمةً مُهلَّةً بدُنُـوِّي منك يا سَنَدِي
واسألُ اللهَ يومـاً منكِ يُفرِحُني فقد كَحَلتِ جُفونَ العينِ بالسُّهَدِ
شوقاً إليكِ وما تَدرين ما لقيت نفسي عليكِ وما بالقلبِ من كَمَدِ

الغناء للواثق ثقيلٌ أولُ بالبنصر . وفيه لعَرِيبَ أيضا ثقيلٌ أول بالوسطى .

[كان إسحاق يصحح له غناءه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدثني محمد بن أحمد المَكِّي قال حدثني أبي قال : كان الواثق يَعرِض صنعتَه على إسحاق ، فيُصلِح الشيءَ بعد الشيءِ مما يَخفى على الواثق ؛ فإذا صحَّحه أخرجه إلينا وسمعناه .

[أمر مخارقاً وعلويه وعريب أن يعارضوا لحناً له]

حدثنا جَحظة قال حدثني حَمادُ بن إسحاق قال حدثني مُخارِق قال : لما صنع الواثق لحنَه في : [من المنسرح]

حَـوراءُ مَمكـورَةٌ مُنَعَّمـةٌ كأنّمـا شَفَّ وجهَها نُزُفُ[1]

وصنع لحنه في «سأذكر سِرباً طال ما كنت فيهمُ» أمرني وعلويه وعَرِيبَ أن نُعارض صنعتَه فيهما ؛ ففعلنا واجتهدنا ثم غنَّيناه . فضحك فقال : أمِنا معكم أن نجد من يبغِّض إلينا صنعتَنا كما بغَّض إسحاقُ إلينا «أيا مُنشِرَ المَوتى» . قال حَماد : هذا آخر لحنٍ صنعه أبي . يعني الذي عارض به لحنَ الواثق في «أيا مُنشِرَ المَوتى» .

[غناه إسحاق صوتاً فتطير به]

أخبرني جَحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً إلى الواثق وهو مُصطَبِحٌ ، فقال لي : غنِّني يا إسحاق بحياتي عليك صوتاً غريباً لم أسمعه منك حتى أُسَرَّ به بقيَّة يومي . فكأن الله أنساني الغناء كلَّه إلا هذا الصوت : [من السريع]

يا دارُ إن كان البِلى قد مَحاكْ فإنّـه يُعجبنـي أن أراكْ
أُبكي الذي قـد كان لي مَألَفاً فيكِ فآتـي الدارَ من أجل ذاكْ

والغناء في هذا اللحن للأبجَر رمل بالوسطى عن ابن المكي وهو الصواب ، وذكر عمرو بن بانة أنه لسُلَيم ، قال فتبينتُ الكراهية في وجهه ، ونَدِمتُ على ما فرَط مني . وتجلَّد فشرِب رِطلاً كان في يده ، وعَدلتُ عن الصوت إلى غيره . فكان والله ذلك اليومُ آخرَ جلوسي معه .

---

1 المكورة : المدمجة الخلقة من النساء ، وقيل : المستديرة الساقين .

149 ـ [غناء المنتصر]

وممن حُكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصرُ

فإني ذكرتُ ما رُوي عنه أنه غنّى فيه على سوء العُهدة في ذلك وضَعف الصنعة ، لئلا يَشِذّ عن الكتاب شيءٌ قد رُوي وقد تداوله الناس . فمما ذُكِر عنه أنه غنّى فيه : [من مجزوء الرجز]

صوت

سُقِيتُ كأساً كشفَتْ ... عن ناظريَّ الخُمُرا

فَنَشَّطَتنِي ولقد ... كنتُ حزيناً خاثِرا

الشعر للمنتصر ، وهو شعرٌ ضعيفٌ رَكيك إلا أنه يُغَنِّي فيه .

[كان متخلفاً في قول الشعر ومتقدماً في غيره وكان يغني قبل الخلافة]

وحدثني الصولي عن أحمد بن يزيد المهلَّبي عن أَبيه قال : كان طبع المنتصر متخلِّفاً في قول الشعر وكان متقدِّماً في كل شيء غيره ؛ فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنِّين بإظهاره ، وكان حسنَ العلم بالغِناء . فلما ولي الخلافةَ قطع ذلك وأمر بستر ما تقدم منه . من ذلك صَنعتُه في شعره وهو من الثقيل الأول المذموم : [من مجزوء الرجز]

سُقِيتُ كأساً كشفَتْ ... عن ناظريَّ الخُمُرا

قال : ومن شعره الذي غَنَّى فيه ولحنُه ثاني ثقيلٍ : [من الطويل]

صوت

متى تَرفَعُ الأيامُ مَن قد وضعنَه ... وينقادُ لي دهرٌ عليَّ جَموحُ

أُعَلِّل نفسي بالرجاء وإنني ... لأغدو على ما ساءني وأروحُ

قال : وكان أبي يَستجيد هذين البيتين ويستحسنهما . ونذكر هاهنا شيئاً من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أُسوةَ ما فعلنا في نُظَرائه .

[أراد الشرب علانية فجاء الناس ليروه فقال شعراً فتفرقوا]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عَباد قال حدثني أبي قال : أراد المنتصر أن يشرب في الزِّقاق ، فوافى الناسُ من كل وجه ليَرَوه ويخدِموه ؛ فوقف على شاطىء دِجلة وأقبل على الناس فقال : [من المتقارب]

لَعَمري لقد أصحرتْ خيلُنا بأكناف دِجلةَ لِلمَلعَبِ

والشعر «بأكناف دجلة للمُصعَب» ولكنه غيَّره لأنه تطيَّر من ذكر المُصعب .

فمَن يَكُ منا يَبِتْ آمِناً ومَن يَكُ من غيرنا يهرُبِ

قال : فعلم الناس أنه يريد الخَلوة بالنُّدَماء والمغنّين ، فانصرفوا ، فلم يبق معه إلا من يَصلُح للأنس والخدمة .

[جفا يزيد المهلبي لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه وأكرمه]

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال : كان أبي أخصَّ الناس بالمنتصر ، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكّل . فدخل المتوكّل يوماً على المنتصر على غفلة ، فسمع كلامَه فاستحسنه ، فأخذه إليه وجعله في جلسائه . وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان ، فلم يقدِر على ذلك لملازمته أباه ؛ فعتَب عليه لتأخُّرِه عنه على ثقةٍ بمودة وأُنسٍ به . فلما أُفضت إليه الخلافة استأذن عليه ؛ فحجَبه وأمر بأن يُعتقل في الدار فحُبِس أكثرَ يومه . ثم أذِن له فدخل وسلَّم وقبَّل الأرضَ بين يديه ثم قبَّل يده ، فأمره بالجلوس ؛ ثم التفت إلى بَنان بن عَمرو وقال له : غَنِّ ، وكان العود في يده : [من الطويل]

غدَرتَ ولم أغدِر وخُنتَ ولم أَخُنْ ورُمتَ بَدِيلاً بي ولم أتَبَدَّلِ

قال : والشعر للمنتصر ، فغناه بَنانٌ . وعلم أبي أنه أراده بذلك فقام فقال : والله ما اخترتُ خدمةَ غيرك ولا صرتُ إليها إلا بعد إذنك . فقال : صدقت ؛ إنما قلتُ هذا مازحاً ؛ أتُراني أتجاوز بك حكمَ الله عز وجل إذ يقول : ﴿ولَيسَ عَلَيكُم جُناحٌ فِيما أخطَأتُم بِهِ ولكِن ما تَعَمَّدَت قُلُوبُكم وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ . ثم استأذنه في الإنشاد فأذِن له فأنشده : [من الوافر]

أَلا يا قَومِ قد بَرِح الخفاءُ وبانَ الصبرُ منّي والعزاءُ

تَعَجَّبَ صاحبي لضياع مثلي وليس لداء محروم دواءُ

جفاني سيدٌ قد كان بَرّاً ولم أُذنِبْ فما هذا الجفاءُ

حَلَلتُ بداره وعلمتُ أنّي بدار لا يَخيبُ بها الرجاءُ

فلما شابَ رأسي في ذَراه حُجبتُ بعُقبِ ما بَعُد اللّقاءُ

فإن تَنأى سُتورُ الإذن عنا فما نأتِ المحبّةُ والثناءُ

وإن يَكُ كادني ظلماً عَدُوٌّ فعندَ البحثِ يَنكشفُ الغِطاءُ

أَلَم تَرَ أنَّ بالآفاقِ منا جَماجِمَ حَشوُ أقبُرِها الوفاءُ

وقـد وصَف الزمانَ لنا زِيادٌ ... وقـال مقالـةً فيهـا شفاءُ
ألا يـا رُبَّ مغمومٍ سيَحظى ... بدولتنـا ومسرورٍ يُساءُ
أمنتصِرَ الخَلائِفِ جُدتَ فينا ... كما جادتْ على الأرضِ السماءُ
وَسِعتَ الناسَ عدلاً فاستقاموا ... بأحكـامٍ عليهـن الضياءُ
وليس يفوتنا مـا عِشتَ خيرٌ ... كفانا أن يطـولَ لـك البقاءُ

قال : فقال له المنتصر : والله إنك لمن ذوي ثقتي وموضعُ اختياري ، ولك عندي الزُّلفى ، فطِبْ نفساً . قال ووصلَني بثلاثة آلاف دينار .

[شعر الحسين بن الضحاك فيه]

حدثني الصُّولي قال حدثني عَون بن محمد الكِندِي قال : لما وَلِيَ المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحَّاك فهنأه بالخلافة وأنشده : [من الطويل]

تجدَّدتِ الدنيـا بمُلكِ محمـدِ ... فأهـلاً وسَهـلاً بالزمانِ المجدَّدِ
هي الدولةُ الغَراءُ راحتْ وبَكّرتْ ... مُشَهَّرةً بـالرُّشدِ في كلِّ مَشهَدِ
لَعَمرِي لقد شَدَّتْ عُرا الدِّين بَيعةٌ ... أعـزَّ بهـا الرحمـنُ كلَّ موحِّدِ
هَنَتـكَ أميرَ المؤمنـينَ خلافـةٌ ... جمَعـتَ بهـا أهـواءَ أُمة أحمدِ

قال : فأظهر إكرامَه والسرورَ به ، وقال له : إن في بقائك بهاءٌ للملك ، وقد ضَعُفتَ عن الحركة ، فكاتِبني بحاجاتك ولا تَحمِل على نفسك بكثرة الحركة . ووصَله بثلاثة آلاف دينار ليقضيَ بها ديناً بلغه أنه عليه .

قال : وقال الحسين بن الضحاك فيه وقد ركب الظهورَ ووراءَه الناسُ ، وهو آخر شعر قاله : [من المتقارب]

ألا ليتَ شعري أبدرٌ بَدا ... نهـاراً أم المَلِـكُ المنتصرْ
إمـامٌ تَضَمَّنُ أثوابُـه ... على سَرجِـه قمـراً من بَشَرْ
حمـى اللهُ دولـةَ سلطانِه ... بجُنـدِ القضاء وجُند القَدَرْ
فلا زال مـا بِقِيتْ مدةٌ ... يروحُ بهـا الدهرُ أو يَبتَكِرْ

قال : وغنَّى فيه بَنانٌ وعَرِيبُ .

[شعر يزيد المهلبي فيه]

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال : أول قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن وَلِيَ الخلافةَ : [من الطويل]

ليَهنِكَ مُلكٌ بالسعادةِ طائرُه　　مَـوارِدُه محمـودةٌ ومَصادِرُهْ
فأنت الذي كنا نُرَجِّي فلم نَخِبْ　　كما يُرتَجى من واقع الغيثِ باكرهْ
بمنتصرٍ بـالله تَمّـتْ أُمورُنا　　ومَنْ ينتصرْ باللهِ فاللهُ ناصرهْ

فأمر المنتصرُ عَرِيبَ أن تغنِّيَ نشيداً في أول الأبيات وتجعلَ البَسيط في البيت الأخير ؛ فعمِلته وغنَّته به .

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد قال : صلَّى المنتصرُ بالناس في الأضحى سنة سبع وأربعين ومائتين ؛ فأنشده أبي لما انصرف : [من البسيط]

ما استشرف الناسُ عيداً مثلَ عِيدِهِمُ　　مع الإمـامِ الذي بالله ينتصرُ
غَـدا بجَمعٍ كجُنحِ الليل يقدُمه　　وجهٌ أغرُّ كما يجلو الدُّجى القمرُ
يَؤُمُّهـم صادعٌ بالحـقِّ أُحكمَه　　حزمٌ وعلمٌ بما يأتي وما يَذَرُ
لـو خُيِّر الناسُ فاختاروا لأنفسهم　　أحظَّ منكَ لِما نالوه ما قدَروا

قال : فأمر له بألف دينار ، وتقدم إلى ابن المكي أن يُغنِّي في الأبيات .

حدثني الصُّولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني بَنانُ بن عمرو المغنِّي قال : غنَّيتُ يوماً بين يَدَي المنتصر : [من الكامل]

هل تَطمِسون من السماء نجومَها　　بأكُفِّكـم أو تستُـرون هِلالَهـا

فقال لي : إياك وأن تغنِّي بحضرتي هذا الصوتَ وأشباهَه ، فما أُحِبُّ أن أغنَّى في أشعار آل أبي حَفصة خاصة .

150 ـ [غناء المعتز بالله]

وممن هذه سبيلُه في صنعة الغِناء المعتزُّ بالله : فإني لم أجِد له منها شيئاً إلا ما ذكره الصُّولي في أخباره ؛ فأتيت بما حكاه للعلَّة التي قدمتُها من أني كرِهتُ أن يُخِلَّ الكتاب بشيء قد دونه الناس وتعارفوه . فمما ذكر أنه غَنَّى فيه : [من المتقارب]

صوت

لعَمري لقد أُصحرتْ خيلُنا ... بأكناف دِجلَةَ للمُصعَبِ
فمَن يَكُ مِنا يَبِتْ آمناً ... ومن يَكُ من غيرنا يَهرُبِ

الشعر لعَدِي بن الرِّقاع . والغِناء للمعتز خفيفُ رملٍ . وهذه الأبيات من قصيدة لعديٍّ يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان والمُصعب بن الزُّبير بطَسُّوجِ[1] مَسكِن ، فقُتل فيها مصعَبٌ بقرية من مَسكِن يقال لها دَيرُ الجاثَليق[2] ، وذكرته الشعراء في هذه الأبيات : [من المتقارب]

لعَمرِي لقد أُصحرتْ خيلُنا ... بأكنافِ دِجلةَ للمُصعَبِ
يهزُّون كلَّ طويل القنا ... ةِ لَدنٍ ومعتدلِ الثَّعلَبِ[3]
فِداؤك أُمِّي وأبناؤُها ... وإن شئتَ زدتُ عليها أبي
وما قلتُها رهبةً إنما ... يَحُلُّ العقابُ على المُذنِبِ
إذا شئتُ نازلتُ مُستقتِلاً ... أُزاحِمُ كالجملِ الأجربِ
فمَنْ يَكُ منّا يَبِتْ آمِناً ... ومن يَكُ من غيرِنا يهربِ

1 الطسوج : القرية أو الناحية . وطسوج : مسكن بالعراق .
2 ودير الجاثليق يقع في طسوج غربي دجلة قرب بغداد .
3 الثعلب : رأس الرمح .

[151] ـ أخبار عَدِي بن الرِّقاع ونسبه[1]

[نسبه]

هو عَدِي بن زيد بن مالك بن عَدِي بن الرِّقاع بن عَصر بن عَك بن شَعل بن معاوية بن الحارث وهو عامِلةُ بن عَدِي بن الحارث بن مُرَّةَ بنِ أُدَدَ . وأُمُّ معاوية بن الحارث عاملةُ بنت وديعة من قُضاعة ، وبها سُمُّوا عاملةَ . ونسَبه الناس إلى الرِّقاع ، وهو جدُّ جدِّه ، لشهرته ؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سَلام .

وكان شاعراً مقدَّماً عند بني أُمية مَدَّاحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك . وله بنت شاعرة يقال لها سلمى ، ذكر ذلك ابن النَّطاح .

[جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة]

وجعله محمد بن سَلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق . وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرَّض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك ، ثم لم تتمَّ بينهما مُهاجاةٌ ، إلا أن جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته : [من البسيط]

حَيِّ الهِدَملةَ من ذات المَواعِيسِ[2]

ولم يصرِّح لأن الوليد حلَف إن هو هجاه أُسرجَه وأُلجمه وحمله على ظهره ، فلم يصرِّح بهجائه .

[ما جرى بينه وبين جرير في حضرة الوليد بن عبد الملك]

أخبرني أبو خليفة إجازةً قال حدثنا محمد بن سَلام قال أخبرني أبو الغَرَّاف قال : دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عَدِي بن الرِّقاع العامِلي . فقال الوليد لجرير : أتعرف هذا ؟ . قال : لا يا أمير المؤمنين . فقال الوليد : هذا عدي بن الرِّقاع . فقال جرير : فشَرُّ الثيابِ الرِّقاعُ ، قال : ممن هو ؟ قال : العاملي . فقال جرير : هي التي يقول [فيها] الله عز وجل ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصلى ناراً حامِيَةً﴾ . ثم قال : [من الطويل]

---

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 618/2-619 والجمحي 88-89 ، 142 ، والاشتقاق 225 ، والمؤتلف 116 ، والمرزباني 253 واللآلي 309 .

2 الهدملة والمواعيس : موضعان .

يُقَصِّر باعُ العامليِّ عـن النَّدى ولكـنَّ أُيـرَ العامـليِّ طويلُ

فقال له عَدِي بن الرِّقاع : [من الطويل]

أأُمُّكَ كانت أخبرتك بطُوله أمَ آنت امـرؤٌ لم تَدرِ كيف تقولُ

فقال لا ! بل أدري كيف أقول . فوثب العاملي إلى رِجل الوليد فقبلها وقال : أجرني منه . فقال الوليد لجرير : لئن شتمته لأُسرجنَّك ولألجمنَّك حتى يركبك فيعيِّرك الشعراءُ بذلك . فكنى جريرٌ عن اسمه فقال : [من البسيط]

إني إذا الشاعـرُ المغرورُ حرَّبني جـارٌ لقبرٍ على مَـرَّانَ مَرمُوس[1]
قـد كان أشوَسَ آبـاء فورَّثنـا شَغَباً على الناس في أبنائه الشُّوس[2]
أَقصِرْ فـإنَّ نِزاراً لن يفاضلَها فرعٌ لئيـمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس[3]
وابن اللَّبون إذا مـا لُـزَّ في قَرَنٍ لم يَستطِع صَولةَ البُزلِ القَناعِيس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة : دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك وعنده عديُّ بن الرِّقاع العامِلي . فقال له الوليد : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا ابن الرِّقاع . قال : فشرُّ الثياب الرِّقاع ، فمن هو ؟ قال : من عاملةَ . قـال : أمـن التي قال الله تعالى فيها : ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصلى ناراً حامِيةً﴾ ! . فقال الوليد : والله ليَركبنك ! لِشاعرنا ومادِحنا والراثي لأمواتنا تقول هذه المقالـة ؟ يا غـلام علي بإكافٍ[4] ولجام . فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيَه فأعفاه . فقال : والله لئن هجوتَه لأفعلنّ ولأفعلنّ . فلم يصرِّح بهجائه وعرَّض ، فقال قصيدته التي أولُها : [من البسيط]

حَيِّ الهِدَمْلَـةَ من ذاتِ المَواعِيس

وقال فيها يعرِّض به : [من البسيط]

قـد جَرَّبَت عَركَتِي في كلِّ مُعتَرَكٍ غُلبُ الأُسودِ فما بالُ الضَّغابِيسِ[5]

[فضل جرير عليه كثيّراً في مجلس بعض الخلفاء]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثني الزُّبيرَ بن بَكَّار قال حدثني سليمان بن عياش

1 أراد قبر تميم بن مر بمران على أربع مراحل من مكة إلى البصرة . وحربني : أغضبني .
2 أبنائه في ل : أيامه . الشوس : التكبر والنظر بمؤخر العين .
3 يفاضلها في ل : يفاخرها .
4 الإكاف : برذعة الحمار .
5 الغلب : جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة . الضغابيس : جمع ضغبوس وهو الضعيف .

السَّعدِي قال : ذُكِر كثيِّر وعدي بن الرِّقاع العاملي في مجلس بعض خُلفاء بني أُمية ، فامترَوا فيهما أيُّهما أشعر وفي المجلس جرير . فقال جرير : لقد قال كُثَيِّر بيتاً هو أشهر وأعرَف في الناس من عَدِي بن الرِّقاع نفسِه ؛ ثم أنشد قول كثيِّر : [من الطويل]

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ   وصاحَ غرابُ البين أنتَ حزينُ

قال : فحلف الخليفة لئن كان عديٌّ بن الرِّقاع أعرَفَ في الناس من بيت كثيِّر ليُسرِجَنَّ جريراً وليُلجِمنَّه وليُبركِبَنَّ عَدِيَّ بن الرِّقاع على ظهره . فكتب إلى والِيه بالمدينة : إذا فرغتَ من خطبتك فسَلِ الناسَ من الذي يقول : [من الطويل]

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ   وصاحَ غرابُ البين أنتَ حزينُ

وعن نسب ابن الرِّقاع . فلما فَرغ الوالي من خطبته قال : إن أمير المؤمنين كتب إليَّ أن أسألكم من الذي يقول : [من الطويل]

أأن زُمّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ

قال : فابتَدروا من كل وجه يقولون : كُثيِّر كثيِّر . ثم قال : وأمرني أن أسأل عن نسب ابن الرِّقاع ؛ فقالوا : لا ندري ؛ حتى قام أعرابيٌّ من مؤخَّر المسجد فقال : هو من عاملة .

[نقد محمد بن المنجم بيتاً من شعره]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجِّم : ما أحدٌ ذُكر لي فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصَفعه إلا عَدِيَّ بن الرِّقاع . قلت ولِم ذلك ؟ قال : لقوله : [من الكامل]

وعلمتُ حتى ما أُسائل عالماً   عن علمِ واحدةٍ لكي أزدادَها

فكنت أعرِض عليه أصنافَ العلوم ، فكلما مَرَّ به شيء لا يُحسنه أمرتُ بصفعه .

[جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم]

حدثني إبراهيم بن محمد بن أيُّوبَ قال حدثنا عبد الله بن مُسلِم قال : كان عديٌّ بن الرِّقاع ينزل بالشام ، وكانت له بنت تقول الشعر . فأتاه ناس من الشعراء ليُماتنُوه[1] وكان غائباً ؛ فسمعت بنته وهي صغيرة لم تبلُغ دَورَ وَعِيدهم ، فخرجت إليهم وأنشأت تقول : [من الطويل]

تجمّعتُمُ من كلِّ أوبٍ وبَلدةٍ   على واحدٍ لا زلتُم قِرنَ واحدِ

فأفحمتهم :

1 ماتنه في شعره : عارضه .

[كان من أوصف الشعراء للمطية]

وقال عبد الله بن مُسلِم : ومما يَنفرد به ويقدِّم فيه وصفُ المطية ؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها .

[استحسن أبو عمرو شعره]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عَمار قال حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال : كنت عند أبي عمرو أُعرِض أو يَعرِض عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عَدِي بن الرِّقاع ، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات : [من الكامل]

لولا الحياءُ وأن رأسيَ قد عَسا فيه المَشِيبُ لزُرتُ أمَّ القاسمِ[1]
وكأنّها وَسطَ النساء أعارَها عينيه أَحورُ مــن جآذِرِ جاسِمِ
وَسنانُ أَقصدَه النُّعاسُ فرَنَّقتْ في عينــهِ سِنــَةٌ وليس بنائمِ

فقال أبو عمرو : أحسنَ واللهِ ! . فقال رجل كان يحضُر مجلسه أعرابيٌّ كأنّه مدني : أما والله لو رأيتَه مشبوحاً بين أربعةٍ وقُضبانُ الدِّفلي تأخذه لكنتَ أشدَّ له استحساناً . يعني إذا كان يُغنَّى به على العودِ .

[استحسن أبو عبيدة بيتاً له]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن علي بن المغيرة قال : كان أبو عبيدة يستحسن بيت عديٍّ بن الرِّقاع : [من الكامل]

وَسنانُ أَقصدَه النُّعاس فرَنَّقَتْ في عينــهِ سِنَــةٌ وليس بنــائمِ

جداً ويقول : ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر . وفي هذا الشعر غناء ، نسبتُه : [من الكامل]

صوت

لولا الحياءُ وأن رأسيَ قد عَسا فيه المَشِيبُ لزُرتُ أمَّ القاسمِ
وكأنّهـا وَسطَ النساء أعارَهـا عينيه أَحورُ مـــن جآذِرِ جاسمِ
وَسنانُ أَقصدَه النُّعاسُ فرَنَّقَتْ في عينـــه سِنَةٌ وليس بنـــائمِ
أَلِمْ عــلى طَلَلٍ عَفا مُتقادِمِ بين الذُّؤيبِ وبين غَيب النَّاعمِ[2]

---

1 عسا : اشتد .

2 الذؤيب : ماء بنجد لبني دهمان بن نضر بن معاوية وفي ل : الركيك .

عروضه من الكامل . الجآذِر : جمع جُؤْذُر وهي أولاد البقر الوحشيَّة . وجاسِمٌ : موضع . ويُروى في هذا الشعر «عاسِم» مكان «جاسِم» . والوَسنانُ : النائم ، والوَسَنُ النوم ، الواحدة منه سِنَة . والتَّرنيق : الدنُوُّ من الشيء يريد أن يفعله ، يقال : رَنَّقتِ العُقابُ لصيدها إذا دَنَت منه ، وترنيقُها أيضاً أن تُقَصِّر عن الخَفَقان بجَناحيها . ويقال : طيرٌ مرنِّقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوعَ ومدَّت أجنحتَها فلم تَخفِق وترجَّحت . ويقال للقوم إذا قصَّروا في سيرهم ، وللسابح إذا قصَّر في الخَفق بيديه ورجليه : قد رنَّقوا ترنيقاً . الشعر لعدِيٍّ بن الرِّقاع . والغِناء لابن مِسجَح خفيفُ ثقيلٍ أول بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه ثقيلٌ أولُ بالبِنصر يُنسب إليه أيضاً ، وذكر الهِشامي أنه من منحول يحيى بن المَكّي إليه .

[استحسن أبو عمرو شعره واستحسن مدنيّ الغناء به]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن عبد الله المعروف بالحَزَنبَل عن عمرو بن أبي عمرو قال : كنت عند أبي ورجلٌ يقرأ عليه شعر عَدِي بن الرِّقاع . فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها : [من الكامل]

لولا الحياءُ وأن رأسيَ قد عَسا ... فيه المَشيبُ لزرتُ أُمَّ القاسمِ

قال أبي : أحسن والله عَدِيُّ بن الرِّقاع ! . قال : وعنده شيخ مَدَني جالس ، فقال الشيخ : والله لئن كان عَدِي أحسن لَما أساء أبو عباد . قال أبي : ومن هو أبو عباد ؟ قال : مَعبَد . والله لو سمعتَ لحنه في هذا الشعر لكان طربُك أشدَّ واستحسانُك له أكثرَ . فجعل أبي يضحك .

[مدح عبيدة بن عبد الرحمن حين عزله الوليد فجفاه الوليد ثم رضي عنه]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدثنا أحمد بن جَرير عن محمد بن سَلاَّم قال : عزل الوليدُ بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردُن وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به : من أتاه متوجِّعاً وأثنى عليه فأْتُوني به . فأتى عَدِيُّ بن الرِّقاع ، وكان عبيدة إليه محسناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول : [من الوافر]

فما عزَلوك مسبوقاً ولكن ... إلى الخيرات سَبَّاقاً جَوادا
وكنتَ أخي وما ولدتك أُمِّي ... وَصُولاً باذلاً لي مسترادا
وقد هِيضتْ لِنَكبتك القُدامَى ... كذاكَ اللهُ يفعلُ ما أرادا

فوثب المتوكِّلون به إليه ، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى . فتغيَّظ عليه الوليد وقال له : أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلت ! . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كان إليّ مُحسِناً ، ولي مُؤْثِراً ، وبي بَرّاً ؛ ففي أي وقت كنت أُكافئه بعد هذا اليوم ! . فقال : صدقتَ وكَرُمتَ ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك ! فخُذه وانصرِف . فانصرَف به إلى منزله .

[عدّه جرير أنسب الشعراء لشعر له]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أحمد بن يحيى ثَعلَب قال : قال نوح بن جَرير لأبيه : يا أبتِ ، مَن أنسَبُ الشعراء ؟ قال له : أتَعنِي ما قلتُ ؟ قال : إني لست أُريد من شعرك إنما أُريد من شعر غيرك . قال : ابنُ الرِّقاع في قوله : [من الكامل]

لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ قد عَسا فيـه المَشيبُ لزُرتُ أُمَّ القاسمِ

الثلاثة الأبياتِ . ثم قال لي : ما كان يُبالي أن لم يقل بعدها شيئاً .

[عجب جرير من توفيقه في تشبيه دقيق]

أخبرني الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال : قال جرير : سمعت عَدِيَّ بن الرِّقاع يُنشد : [من الكامل]

تُزجِـي أغَـنَّ كأنَّ أبـرةَ رَوقِه[1]

فرَحِمتُه من هذا التشبيه فقلت : بأيِّ شيء يُشَبِّهه تُرى ! فلما قال : [من الكامل]

قلـمٌ أصاب مـن الدَّواةِ مِدادَها

رحِمتُ نفسي منه .

[تابع روح بن زنباع ثم خالفه وتابع ناثل بن قيس في نسبهم]

أخبرني اليزيدي قال حدثني عمِّي عبيد الله عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال : مال رَوح بن زِنباع الجُذامي إلى يزيد بن معاوية لما فصَل بين الخطبتين فقال : يا أمير المؤمنين ، ألحِقنا بإخوتنا من مَعَدٍّ فإنا مَعَدِّيّون ، والله ما نحن من قَصَب الشام ولا من زعاف اليمن . فقال يزيد : إن أجمع قومُك على ذلك جعلناك حيث شئتَ . فبلغ ذلك عَدِيَّ بن الرِّقاع فقال : [من البسيط]

إنَّـا رضِينا وإن غابتْ جماعتُنا مـا قال سيِّدُنا رَوح بن زِنباعِ
يرعى ثمانـين ألفاً كان مثلُهُم ممّـا يُخالِف أحياناً على الراعي

قال : فبلغ ذلك ناثِلَ بن قَيس الجُذامي ، فجاء يركُض فرسَه حتى دخل المقصورةَ في الجمعة الثانية . فلما قام يزيد على المنبر ، وثَب فقال : أين الغادر الكاذب رَوح بن زِنباع ؟! فأشاروا إلى مجلسه . فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد بلغني ما قال لك هذا ، وما نعرف شيئاً منه نُقِرُّ به ، ولكنا قوم من قَحطان يَسَعُنا ما يسعهم ويَعجِز عنا ما يعجز عنهم . فأمسك رَوح ورجع عن رأيه . فقال عَدِيُّ بن الرِّقاع في ذلك : [من الكامل]

1 الروق : القرن .

أضلالُ ليلٍ ساقطٍ أكنافُه … في الناسِ أعذَرُ أم ضلالُ نهارِ
قَحطانُ والدُنا الذي نُدعى له … وأبــو خُزيمةَ خِندِفُ بن نِزارِ
أنبيع والدَنــا الذي نُدعى له … بأبــي مَعاشِرَ غائــبٍ مُتواري
تلكَ التجـارةُ لا زَكاءَ لمثلها … ذهبٌ يبـاع بآنُــكٍ وإبارِ[1]

فقال له يزيد : غَيَّرتَ يا ابنَ الرِّقاع . قال : إن ناثلاً والله عليَّ أعزُّهما سُخطاً ، وأنصحُهما لي ولعشيرتي . قال أبو عبيدة : الإبار : جمع إبرة .

[ما كان بينه وبين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدِّه إبراهيم : أن الأحوص وابن سُرَيج قَدِما المدينة ، فنزلا في بعض الخانات ليُصلِحا من شأنهما ، وقد قدِم عَدِيُّ بن الرِّقاع وكانت هذه حالَه ، فنزل عليهما . فلما كان في بعض الليلِ أفاضوا في الأحاديث ؛ فقال عَدِيٌّ بن الرِّقاع لابن سُرَيج : والله لخروجُنا كان إلى أمير المؤمنين أجدى علينا من المُقام معك يا مولى بني نوفَل . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك تُوشِك أن تُلهِينا فتشغَلَنا عما قصدنا له . فقال له ابن سُريج : أوَ قِلةَ شكرٍ أيضاً ! . فغضِب عَدِيٌّ وقال : إنك لتَمُنُّ علينا أن نزلنا عليك ؛ وإني أُعاهد اللهَ ألا يُظِلَّني وإياكَ سقفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين . وخرج من عندهما . وقدِم الوليد من باديته فأذِن لهما فدخلا[2] . وبلغه خبر ابن الرِّقاع وما جرى بينه وبين ابن سُرَيج ؛ فأمَر بابنِ سُرَيج فأُخفِيَ في بيت ودعا بِعَدِيٍّ فأدخله ؛ فأنشده قصيدةً امتدحه بها . فلما فرغ ، أومأ إلى بعض الخَدَم فأمر ابنَ سُرَيج فغنَّى في شعر عَدِيٍّ بن الرِّقاع يمدح الوليد : [من الكامل]

عرَف الديارَ تَوَهُّماً فاعتادها … من بعدِ ما شَمِل البِلى أبلادَها[3]

فطرِب عَدِيٌّ وقال : لا والله ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هذا قطُّ ولا ظننت أن يكون مثلُه طِيباً وحُسناً . ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائفٌ من الجن . أيأذَن لي أمير المؤمنين أن أقول ؟ قال : قل . قال : مثلُ هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سُرَيج يتخطَّى به قبائلَ العرب فيقال : ابنُ سُرَيج المغنِّي مولى بني نَوفل بعث أمير المؤمنين إليه ! . فضحك ثم قال للخادم : أخرِجه فخرج . فلما رآه عدِيٌّ أُطرَق خَجِلاً ثم قال : المعذرةَ إلى الله وإليك يا أخي ، فما ظننتُ أنك بهذه المنزلة ، وإنك لحَقيقٌ أن تُختَمَل على كل

1 الآنك : الرصاص .
2 ل : فأُدخل .
3 الأبلاد : الآثار .

هفوة وخطيئة . فأمر لهم الوليد بمال سَوَّى بينهم فيه ، ونادمهم يومئذٍ إلى الليل .

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائر ما مضى في أخبار عَدِي قبله من الأشعار التي فيها غناء : [من الكامل]

صوت

عرَف الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعتادها ... من بعد ما شمِل البِلى أبلادَها
إلا رَواكِـدَ كلُّهن قد اصطلى ... حمراءَ أشعـل أهلُها إيقادَها[1]

عروضه من الكامل . الشعر لعَدِي بن الرِّقاع . والغناء لابن مُحرِز خفيف ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[أفحمه كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرَّاق قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَدِي قال : أُنشد عَدِيٌّ بن الرِّقاع الوليدَ بن عبد الملك قصيدته التي أولها :

عرَف الديارَ تَوَهُّماً فاعتادها

وعنده كثيِّر وقد كان يَبلُغه عن عَدِي أنه يطعن على شعره ويقول : هذا شعر حجازيٌّ مَقرورٌ إذا أصابه قُرُّ الشأم جمدَ وهلَك . فأنشده إياها حتى أتى على قوله : [من الكامل]

وقصيدةٍ قد بِتُّ أجمع بينها ... حتى أُقـوِّمَ مَيلَهـا وسِنادَها

فقال له كثيِّر : لو كنتَ مطبوعاً أو فصيحاً أو عالِماً لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سِناد فتحتاج إلى أن تقوِّمها . ثم أنشد : [من الكامل]

نَظَرَ المثقِّفُ في كُعوب قَناته ... حتـى يُقِيـمَ ثِقافُـه مُنآدَها

فقال له كثيِّر : لا جَرَم أَن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاءَ ، ولأن تكونَ مستقيمة لا تحتاج إلى ثِقافٍ أجودُ لها . ثم أنشد : [من الكامل]

وعلمتُ حتى ما أُسائل واحداً ... عن علم واحدةٍ لكي أزدادَها

فقال كثيِّر : كذَبتَ وربِّ البيت الحرامِ ؛ فليمتحنك أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صِغار الأمور دون كبارها حتى يتبيَّن جهلك . وما كنتَ قطُّ أحمقَ منك الآنَ حيث تظن هذا بنفسك . فضحك الوليد ومَن حضر ، وقُطِع بعدِيَ بن الرِّقاع حتى ما نطَق .

---

1 رواكد في الديوان ص 82 : رواسي .

[152] ـ أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنين وما جَرى هذا المجرى

[شعره في جارية يهواها]

حدثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني جدّي حَمدون بن إسماعيل قال : اصطبح المعتزُّ في يوم ثُلاثاءَ ونحن بين يديه ثم وثَب فدخل ، واعترضته جارية كان يحبها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبّلها وخرج ؛ فحدثني بما كان وأنشدني لنفسه في ذلك : [من البسيط]

صوت

إني قَمَرتُكَ يــا سؤلي ويا أَمَلِي أمراً مُطاعاً بــلا مَطلٍ ولا عِلَلِ
حتّى متى يا حبيبَ النفسِ تمطُلني وقــد قمرتك مَرّاتٍ فلم تَفِ لي
يومُ الثلاثاء يــومٌ سوف اشكره إذ زارني فيه مَن أهوى على عَجَلِ
فلم أَنَــلْ منــه شيئاً غيرَ قُبلتــه وكان ذلك عنــدي أعظمَ النَّفَلِ

قال : وعُمِل فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائرَ يومنا . الغناء في هذه الأبيات لعَرِيبَ رملٌ عن الهشامي . ولأبي العَنْبَس في الثالث والرابع هَزَجٌ .

[طارحه بنان المغنّي في بيت من الشعر وتغنى فيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلَّبي قال حدثني أبي قال : كان المعتزُّ يشرب على بستان مملوء من النَّمَّام[1] وبين النَّمام شقائق النعمان ، فدخل إليه يونس بن بُغا وعليه قَباءٌ أخضر ؛ فقال المعتز : [من الكامل]

صوت

شبهتُ حُمرةَ خــدّه في ثوبه بشقائــقِ النُّعمــانِ في النَّمامِ

ثـم قـال : أَجيزوا . فابتـدَر بَنـانٌ المغَنِّـي ، وكان ربمـا عبِـث بـالبيت بعـد البيت ، فقـال : [من الكامل]

والقَـدُّ منــه إذا بدا في قَرطَـــقٍ كالغصنِ في لِينٍ وحسن قَوامِ[2]

1 النمام : نبت ورقه كالسذاب عطري قوي الرائحة .

2 القرطق : قباء ذو طاق واحد .

فقال له المعتز : فغَن فيه الآن ، فعمِل فيه لحناً . لحنُ بَنانٍ في هذين البيتين من خفيف الثقيل الثاني وهو الماخوري .

[أخبر بوفاة أم يونس بن بُغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عَبَّاد قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال : شرب المعتز ويونس بن بُغا بين يديه يَسقيه والجلساء والمغنون بين يديه وقد أُعَد الخِلَعَ والجوائز ، إذ دخل بُغا فقال : يا أمير المؤمنين ، والدة عبدك يونسَ في الموت وهي تُحِب أن تراه ؛ فأذِن له فخرج . وفَتَر المعتز ونَعَس بعده ، وقام الجلساء وتفرق المغنون ، إلى أن صُليت المغرب ، وعاد المعتز إلى مجلسه ، ودخل يونس ، وبين يديه الشموع . فلما رآه المعتز دعا برطلٍ فشربه وسقى يونسَ رِطلاً وغنَّاه المغنون ، وعاد المجلس أحسنَ ما كان ؛ فقال المعتز : [من مجزوء المتقارب]

صوت

تَغِيبُ فـلا أَفـرَحُ فليتَـك مـا تَبـرَحُ
وإنْ جئـتَ عذَبتَنـي بأنَّـك لا تَسمحُ
فأصبحتُ ما بين ذَيْـ ـنِ لي كبـدٌ تُجرَحُ
على ذاك يـا سيِّدي دُنُـوُّك لي أصلـحُ

ثم قال : غنُّوا فيه ، فجعلوا يفكِّرون . فقال المعتزُّ لسليمان بن القَصَّار الطُّنبُوري : وَيلَكَ ! ألحانُ الطُّنبور أملَحُ وأخفُّ فغَنِّ فيه أنت ؛ فغنَّى فيه لحناً ؛ فدفع إليه دنانيرَ الخريطة وهي مائة دينار مكية ومائتان مكتوبٌ على كلِّ دينار منها «ضُرب هذا الدينار بالجَوسَق بخريطة أمير المؤمنين المعتزِّ بالله» ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس ، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس .

لحنُ سليمانَ بن القَصار في هذه الأبيات رمل مطلَق .

[لما قتل بُغا هنأه الناس بالظَّفر]

حدثني الصُّولي قال حدثني محمد بن عبد السَّميع الهاشمي قال حدثني أبي قال : لما قُتِل بُغا دخلنا فهنأنا المعتزَّ بالظَّفَر ، فاصطبح ومعه يونس بن بُغا ، وما رأينا قطُّ وجهين اجتمعا أحسنَ من وجهيهما . فما مضت ثلاثُ ساعات حتى سكِر ، ثم خرج علينا المعتز فقال : [من البسيط]

ما إنْ تَرى مَنظَراً إن شئتَه حسناً إلا صَريعاً يُهادى بين سُكرَين[1]

1 يُهادى : يتمايل .

سُكرِ الشراب وسكرٍ من هَوى رَشإٍ تخالــه والذي يَهــواه غُصنَينِ

ثم أمر فتغنَّى فيه بعضُ المغنِّين .

[قصة المعتز ويونس بن بُغا مع ديراني]

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخُراساني قال حدثني الفضل بن العباس بن المأمون قال : كنت مع المعتز في الصيد ، فانقطع عن الموكِب وأنا ويونس بن بُغا معه ، ونحن بقرب قَنطرة وَصِيف ، وكان هناك دَيرٌ فيه دَيرانيٌّ يعرفني وأعرفه ، نظيفٌ ظريفٌ مليحُ الأدب واللفظ . فشكا المعتزُّ العطشَ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، في هذا الدير دَيرانيٌّ أعرفه خفيفُ الروح لا يخلو من ماء بارد ، أفَترى أن نميلَ إليه ؟ قال نعم . فجئناه فأخرج لنا ماءً بارداً ، وسألني عن المعتز ويونس فقلت : فَتَيانِ من أبناء الجُند ؛ فقال : بل مُفلِتانِ من حُورِ الجَنة . فقلت له : هذا ليس في دِينك . فقال : هو الآن في ديني . فضحِك المعتز . فقال لي الديرانيُّ : أتأكلون شيئاً ؟ قلت نعم . فأخرج شطيرات وخبزاً وإداماً نظيفاً ، فأكلنا أطيبَ أكل ، وجاءنا بأطراف أُشنانٍ . فاستظرفه المعتزُّ وقال لي : قل له فيما بينك وبينه : مَن تحب أن يكون معك من هذين لا يفارقك . فقلت له ، فقال : «كلاهما وتمرا»[1] . فضحك المعتزُّ حتى مال على حائط الدَّير . فقلت للديراني : لا بد من أن تختار . فقال : الاختيار واللهِ في هذا دَمار ، وما خلق الله عقلاً يميِّز بين هذين . ولحِقهما الموكب ، فارتاع الديراني . فقال له المعتز : بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه ، فإني لِمَنْ ثَمَّ مولىً ولَمِن هاهنا صديق . فمَزحنا ساعةً ؛ ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم . فقال : والله ما أقبلها إلا على شرط . قال : وما هو ؟ قال : يجيب أمير المؤمنين دَعوتي مع مَن أراد . قال : ذلك لك . فاتّعدْنا ليوم جئناه فيه ، فلم يُبقِي غايةً ، وأقام للموكب كلِّه ما احتاج إليه ، وجاءنا بأولاد النصارى يخدِمُوننا . ووصلَه المعتزُّ يومئذٍ صلةً سنية ؛ ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده .

[ولي الخلافة وله سبع عشرة سنة]

حدثني الصُّولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال : بُويع للمعتز بالخلافة وله سبعَ عشرةَ سنةً كاملة وأشهرُ . فلما انقضت البَيعة قال : [من الطويل]

تَوَحَّدني الرحمنُ بالعِزِّ والعُلا فأُصبحتُ فوق العالمين أميرا

هكذا ذكر الصُّولي في قافية الشعر . ووجدته في أغاني بَنانٍ مرفوعَ القافية ، وله فيه صنعة . ولعل المعتزَّ قال البيت ، فأضاف بَنانٌ إليه آخرَ وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتز

1 مثل .

فقال : [من الطويل]

صوت

تَوَحَّـدكَ الرحمنُ بالعـزِّ والعُلا   فأنـتَ عـلى كلِّ الأنـامِ أميرُ
تُقاتِـلُ عنكَ التُّركُ والخُزرُ كلُّها   كأنهـمُ أُسدٌ لهـنَّ زَئيـرُ

الغناء لبَنانٍ [لَحنانِ] خفيفُ ثقيلٍ وخفيفُ رملٍ . ومما قاله المعتزُّ وغنى فيه قولُه ، ذكر الصُّولي أن عبد الله بن المعتز أنشده إياه لأبيه : [من الوافر]

صوت

أَلا حيٍّ الحبيبَ فَدَته نفسي   بكأسٍ من مُدامة خانِقينا[1]
فإني قد بَقِيتُ مع الليالي   أُقاسي الهَمَّ في يده سِنينا

الغِناء فيه لِعَريبَ خفيفُ رملٍ ، ولَبنانٍ هَزَجٌ .

153 ـ [غناء المعتمد]

[غناء المعتمد]

وممن ذُكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمِد .

قال محمد بن يحيى الصُّولي ذكر عبدالله بن المعتز عن القاسم بن زُرزُور أن المعتمِد أَلقى عليه لحناً صنعه في هذا الشعر وهو : [من البسيط]

ليس الشَّفِيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتزِراً   مثلَ الشَّفِيع الذي يأتيكَ عُريانا

الشعر للفرزدق . والغناء للمعتمِد ، ولحنُه فيه خفيفُ ثقيلٍ . هذه حكاية الصُّولي . وفي غناء عَرِيبَ : لها في هذا البيت خفيفُ ثقيلٍ . ولا أعلم لِمَن هو منهما على صحة ، إلا أن المشهور في أيدي الناس أنه لِعَرِيبَ . ولم أَسمع للمعتمد غناءً إلا من هذه الجهة التي ذكرتُها .

1 خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد .

[154] ـ ذكر بعض أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره[1]

لأن أخباره كثيرة جداً ، فكرهت أن أثبتها هاهنا في غناء مشكوك فيه ، فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة ، وأخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه .

[نسبه]

الفرزدق لقبٌ غلب عليه . واسمه هَمام بن غالب بن صعصعة بن ناجِيةَ بن عِقال بن محمد بن سُفيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك [بن حَنظلة بن مالك] بن زيد مَناةَ بن تَميم .

[هو وجرير والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين]

وهو وجرير والأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميين والمقدَّمُ في الطبقة الأولى منهم . وأخباره تُذكر مفردةً في موضع آخر يتسع لها ، ونذكر هاهنا خبره في هذا المعنى . فأخبرني خبرَه في ذلك جماعة . فممن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبة ، وأخبرني به أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلام ، وأخبرني به محمد بن العباس اليَزيدي عن السُّكَّري عن محمد بن حَبِيبَ عن أبي عُبَيدة وابن الأعرابي ، قال عمر بن شَبَّة خاصة في خبره حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبي :

[حديث الفرزدق والنوار وذمه بني قيس وزهيراً وبني أم النسير]

أن عبد الله بن الزُّبير تزوج تُماضِرَ بنت منظور بن زَبَّانَ ، وأُمُّها مُلَيكة بنت خارجةَ بن سِنان بن أَبي حارثة ، فخاصم الفرزدقُ امرأتَه النَّوارَ إلى ابن الزُّبَير . هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السببَ في الخصومة ، وذكرها عمر بن شَبَّة ولم يَروِها عن أحد ، وذكرها ابن حَبِيبَ عن أصحابه ، وذكرها أبو غسان دَماذٌ عن أبي عبيدة : أن رجلاً من بني أُمية خطَب النَّوارَ بنت أَعيَنَ المُجاشعية ، فرَضيَته وجعلت أمرَها إلى الفرزدق . فقال لها : أَشهِدي لي بذلك على نفسك شهوداً ففعلت ، واجتمع الناس لذلك . فتكلَّم الفرزدق ثم قال : اشهَدوا أني قد تزوجتها وأصدقتها

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 471/1 وطبقات ابن سلام : 299–379 والموشح : 156 ، والسمط : 44 وابن خلكان : 86/6 والخزانة : 105/1 والشذرات : 141/1 والشريشي : 142/1 وشواهد المغني : 4 وأمالي المرتضى : 43/1 ومرآة الجنان : 234/1 وعبر الذهبي : 236/1 وسير الذهبي : 590/4 ومعاهد التنصيص : 45/1 والنجوم الزاهرة : 268/1 وسرح العيون : 389 ، 464 والبداية والنهاية : 265/9 ومعجم الأدباء : 2785/6–2788 .

كذا وكذا ، فأنا ابن عمها وأحقُّ بها . فبلغَ ذلك النَّوارَ فأبته واستترت من الفرزدق وجزِعت ولجأت إلى بني قيس بن عاصم المِنقَري . فقال فيها : [من الطويل]

بَني عاصمٍ لا تُلجِئوهـــا فإنكــم مَلاجىءُ للسَّوءات دُسمُ العمائمِ[1]

بني عاصمٍ لـــو كان حياً أبوكُم لَلامَ بَنِيــه اليومَ قيسُ بن عاصمِ

فقالوا : والله لئن زدتَ على هذين البيتين لنقتلنَّك غِيلةً . فنافرته إلى عبد الله بن الزُّبير وأرادت الخروج إليه ؛ فتحامى الناسُ كِراءَها . ثم إن رجلاً من بني عَدِيٍّ يقال له زُهَير بن ثعلبة وقوماً يُعرَفون ببني أُمِّ النُّسَير أكروها ؛ فقال الفرزدق : [من الوافر]

ولولا أن تقولَ بنو عَــدِيٍّ أليستْ أُمَّ حَنظَلةَ النَّــوارُ

أتتكم يــا بني مِلكانَ عنِّي قــوافٍ لا تُقَسِّمها التُّجارُ[2]

يعني بالنَّوارَ هاهنا بنت جُلٍّ بن عَدِي بن عبد مَناةَ وهي أُمُّ حَنظلةَ بن مالك بن زيد مَناةَ وهي إحدى جَداته . وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

سَرى بالنَّــوار عَوهَجِيٌّ يَسُوقه عُبَيدٌ قَصيرُ الشِّبرِ نائي الأقاربِ[3]

تــؤمُّ بــلادَ الأمن دائبــةَ السُّرى إلى خير والٍ من لُؤَيٍّ بن غالبِ

فدونكَ عِرسي تبتغي نَقضَ عُقدتي وإبطالَ حقِّــي باليمين الكواذبِ

وقال أيضاً : [من الوافر]

ولولا أن أمِّي مـن عَــدِيٍّ وأني كارِهٌ سُخـطَ الرِّبابِ

إذاً لأتى الدواهي من قَريبٍ جزاءٌ غيرَ مُنصَرِفِ العِقابِ

وصُلتُ على بني مِلكانَ منِّي بجيش غير مُنتَظَر الإيابِ

وقال لزهير أيضاً : [من الوافر]

لبئسَ العِبءُ يحملُــه زُهَيرٌ على أعجازِ صِرمته نَوارُ[4]

لقـد أهدتْ وليدتُنا إليكم عوائـرَ لا تقسِّمها التُّجارُ[5]

---

1 دسمت عمائمهم : أي وسخت وقذرت .

2 البيت في الديوان 1/273 :

إذاً لأتى بني ملكان قول إذا ما قيل أنجـد ثم غارا

3 عوهجي : طويل العنق ، يريد جملاً . قصير الشبر : متقارب الخطو . نائي الأقارب : غريب بعيد عن أهله .

4 الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .

5 عوائر : سوائر يعني قصائده .

وقال لبني أم النُّسَير : [من الطويل]

لعَمري لقد أُردى النَّوارَ وساقها ... إلى الغَورِ أحلامٌ خِفافٌ عقولُها[1]

أطاعت بني أُمِّ النُّسَير فأصبحت ... على قَتَبٍ يعلو الفَلاة دليلُها[2]

وقد سَخِطتْ مِنّي النَّوارُ الذي ارتضى ... به قبلها الأزواجُ خاب رَحِيلُها[3]

وإن امرءاً أُمسى تخبَّبَ زوجتي ... كماشٍ إلى أُسدِ الشَّرى يَستبيلها[4]

ومن دونِ أبوالِ الأسود بَسالةٌ ... وبَسطةُ أيدٍ يمنعَ الضَّيمَ طُولُها[5]

وإنَّ أميرَ المؤمنينَ لعالمٌ ... بتأويل ما أُوصَى العبادَ رسولها

فدونكها يا ابنَ الزُّبَير فإنها ... مولَّعةٌ يُوهي الحجارةَ قِيلُها

[استشفعت النوار إلى ابن الزُّبير بامرأته فاستشفع هو بابنه حمزة]

فلما قدِمت مكةَ نزلت على بنت منظور بن زَبَّانَ ، واستَشفعت بها إلى زوجها عبد الله . وانضم الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير ، وأُمُّه بنت منظورٍ هذه ، ومدحه فقال : [من الكامل]

أصبحتُ قد نزلت بحَمزَةَ حاجتي ... إن المنوَّه باسمِهِ الموثوقُ

الأبيات . وقال فيه أيضاً : [من البسيط]

يا حَمزُ هل لك في ذي حاجة غَرِضتْ ... أنضاؤه بمكانٍ غيرِ ممطورِ[6]

فأنت أُحرى قريشٍ أن تكونَ لها ... وأنتَ بين أبي بَكر ومنظورِ

بين الحَواريِّ والصِّدِّيق في شُعَبٍ ... نَبَتنَ في طيِّب الإسلامِ والخيرِ

هذه الأبيات كلُّها من رواية أبي زيد خاصَّةً . قالوا جميعاً : وقال في النَّوار : [من الوافر]

هَلُمِّي لابن عمِّك لا تكوني ... كمختارٍ على الفرسِ الحِمارا

وقال فيها أيضاً : [من الوافر]

تُخاصِمُني النَّوارُ وغاب فيها ... كرأسِ الضَّبِّ يلتمسُ الجرادا

قال أبو زيد في خبره خاصة : فجعل أمرُ الفرزدق يضعفُ وأمرُ النَّوار يَقوى .

---

1 خفاف في الديوان ص 60/2 : قليل . النوار في الديوان 60/2 : نوار .

2 الشطر الثاني في الديوان 61/2 : على شارفٍ ورقاء صعب ذلولها

3 ارتضى في الديوان 61/2 : ارتضت .

4 تخبب في الديوان 61/2 : يُخَبِّبُ . كماش في الديوان 61/2 : كساعٍ .

5 وبسطة في الديوان 61/2 : وصولة .

6 غرض بالمكان : ملّ وضجر .

وقال الفرزدق : [من البسيط]

أمّا بَنُوه فلم تُقبَلْ شفاعتهم وشُفّعت بنتُ منظورِ بنِ زَبانا

صوت

ليس الشَّفِيعُ الذي يأتيكَ مُؤتَزِراً مثلَ الشَّفِيع الذي يأتيكَ عُريانا

غنت في هذا البيت عَرِيبُ خفيفَ ثقيلٍ أول بالبنصر ، فبلغ ابنَ الزُّبَير هذا فدَعا النَّوار فقال : إن شئتِ فَرَّقت بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبداً ، وإن شئتِ سيَّرته إلى بلاد العدو . فقالت : ما أُريد واحدةً منهما . قال : فإنه ابنُ عمك وهو فيكِ راغب ، أفأُزوِّجه إياكِ ؟ قالت نعم . فزوّجه إياها . فكان الفرزدق يقول : خرجنا متباغضَين ورجعنا متحابَّين .

[هدده ابن الزُّبير وعيره جلاء قومه]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال قال عثمان بن سليمان : شَهِدتُ الفرزدق يوم نازَع النَّوارَ فتوجه القضاءُ عليه ، فأشفق من ذلك وتعرض لابن الزُّبَير بكلام أغضبه ، وكان ابن الزُّبَير حديداً . فقال له ابن الزُّبير : أيا ألأَمَ الناس ! ؛ وهل أنت وقومُك إلا جالِيةُ العرب ! وأمر به فأُقِيم . وأقبل علينا فقال : إن بني تميم كانوا وثَبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه ؛ وأجمعت العربُ عليها لما انتَهكت ما لم يَنتَهِكه أحد قطُّ فأجلَتها من أرض تهامة . فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال : هِيهِ ! أيعيِّرنا ابنُ الزُّبير جَلاءنا عن البيت ! اسمَع ! ثم قال : [من الوافر]

فإن تَغضَبْ قريشٌ ثم تغضبْ فإن الأرضَ ترعاها تميمُ
همُ عَدَدُ النجوم وكلُّ حيٍّ سواهم لا تُعَدُّ لهم نجومُ
فلولا بنتُ مُرٍّ من نِزارٍ لَما صحَّ المَنابِتُ والأَديمُ
بها كثُر العَديدُ وطابَ منكم وغيرُكم أحذُّ الرِّيشِ هِيمُ[1]
فمهلاً عن تذلُّل مَن عَزَزتُم بخُولَتِه وعَزَّ به الحَميمُ
أعبدَ الله مهلاً عن أذاتي فإنِّي لا الضعيف ولا السَّؤُومُ
ولكنِّي صَفَاةٌ لم تُؤَبَّس تَزِلُّ الطيرُ عنها والعُصُومُ[2]

1 أحذ الريش : قصيره . والهيم : العطاش .

2 تؤبس : تكسر . قد يكون جمع عصم وهو جمع عصماء . والعصم الظباء .

أنا ابن العاقـــرِ الخُورِ الصَّفايا بصَوءَرَ حيث فُتِّحت العُكومُ[1]

وذكر الزُّبير بن بَكار عن عمه أن عبد الله بن الزُّبير لما حكم على الفرزدق قال : إنما حكمتَ عليَّ بهذا لأفارقَها فتثبَ عليها ؛ وأمرَ به فأُقيم ، وقال له ما قال في بني تَميم . قال : ثم خرج عبد الله بن الزُّبير إلى المسجد فرأى الفرزدقَ في بعض طرق مكة وقد بلغته أبياته التي قالها ، فقبض ابن الزُّبير على عنقه فكاد يَدُقُّها ، ثم قال : [من الطويل]

لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ولو رضيتْ رَمَحَ استِه لاستقرتِ

قال الزُّبير : وهذا الشعر لجعفر بن الزُّبير .

[ما كان بينه وبين ابن الزُّبير]

أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا ابن سَلام قال أخبرنا إبراهيم بن حَبيب الشَّهيد قال : قال ابن الزُّبير للفرزدق : ما حاجتُك بها وقد كرِهتك ! كُن لها أكرهَ وخلِّ سبيلَها . فخرج وهو يقول . ما أمرني بطلاقها إلا ليَثِبَ عليها . فبلغ ذلك ابنَ الزُّبير فخرج وقد استهلَّ هلال ذي الحِجة ولبِس ثيابَ الإحرام يريد البيتَ الحَرام ، فألفى الفرزدقَ بباب المسجد عند الباعة ، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسَه بين ركبتيه وقال : [من الطويل]

لقد أصبحت عِرسُ الفرزدقِ ناشِزاً ولو رضيتْ رَمَحَ استِه لاستقرَّتِ

قال الزُّبير : وهذا البيت لجعفر بن الزُّبير .

[هجاه جعفر بن الزُّبير فنهاه أخوه عن ذلك]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبَّة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال : لما قال الفرزدق في ابن الزُّبير : [من البسيط]

أمّا بنـــوه فلم تُقبَل شفاعتُهم وشُفِّعت بنتُ منظورِ بن زَبَّانا

قال جعفر بن الزُّبير : [من الطويل]

ألا تِلكُمُ عِرسُ الفرزدقِ جامِحاً ولــو رضيتْ رمحَ استِه لاستقرَّتِ

فقال عبد الله بن الزُّبير : أتُجزِرُنا[2] كلباً من كلاب بني تَميم ! لئن عُدتَ لم أُكلِّمْكَ أبداً .

قال : وتُماضِرُ التي عَناها الفرزدقُ أُمُّ خُبيب وثابتٍ ابنَي عبد الله بن الزُّبير . وماتت عند عبد الله ، فتزوج أُختها أُمَّ هاشم فولدت له هاشماً وحَمزة وعَبَّاداً .

---

1 الخور : جمع خوارة ، وهي الغزيرة اللبن من النوق والشاء ، والجول : الجماعة من الإبل . صَوءر : ماء لكلب فوق الكوفة . العكوم : جمع عكمة وهو العِدل أو الكارة وهي وعاء الثياب أو الطعام .

2 أجزرت القوم : إذا أعطيتهم شاة يذبحونه .

قال : وفي أُم هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزُّبير ويشكو طولَ مُقامه : [من الطويل]

تروَّحتِ الرُّكبانُ يا أُمَّ هاشم وهُنَّ مُناخاتٌ لهنَّ حَنِينُ
وخيِّسن حتى ليس فيهن نافِقٌ لبَيعٍ ولا مركوبُهن سَمِينُ[1]

قال : وهذا يدل على أن النَّوار كانت استعانت بأُم هاشم لا بتُماضِرَ .

[لما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زياد فأعانه]

فلما أذِنتِ النَّوارُ لعبد الله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرةِ آلافِ درهم . فسأل : هل بمكة أحد يُعِينه ؟ فَدُلَّ على سَلم بن زِياد . وكان ابنُ الزُّبير حَبسه ، فقال فيه : [من الطويل]

دَعي مُغلِقي الأبوابِ دون فَعالهم ومُرِّي تَمَشَّي بي ، هُبِلتِ ، إلى سَلمِ[2]
إلى من يرى المعروف سَهلاً سبيلُه ويفعل أفعال الكرام التي تَنمي[3]

ثم دخل على سالم فأنشده . فقال له : هي لك ومثلها نفقتُك ، ثم أمر له بعشرين ألفاً فقبضَها . فقالت له زوجته أُمُّ عثمان بنتُ عبدِ الله بن عثمانَ بنِ أبي العاصي الثَّقَفية : أتُعطى عشرين ألفاً وأنت محبوس ! فقال : [من الطويل]

ألا بكَرت عِرسي تَلُوم سَفاهةً على ما مضى منّي وتأمر بالبخلِ
فقلت لها والجودُ منّي سجيةٌ وهل يمنعُ المعروفَ سُؤّالَه مثلي
ذَريني فإني غير تارِكِ شيمتي ولا مُقصِرٍ عن السَّماحةِ والبذلِ
ولا طاردٍ ضَيفِي إذا جاء طارقاً فقد طرَق الأضيافُ شَيخِي من قبلي
أأبخَل ! إن البخلَ ليس بمُخلِدٍ ولا الجُود يُدنيني إلى الموتِ والقتلِ
أبيع بني حَربٍ بآل خُوَيلِدٍ وما ذاكَ عندَ اللهِ في البيعِ بالعدلِ
وأشري ابنَ مروان الخليفةَ طائعاً بنَجْل بني العَوَّام ! قُبِّح من نَجْلِ
فإن تُظهِروا لي البخلَ آلَ خُوَيلدٍ فما دَلُّكم دَلِّي ولا شَكلُكم شكلي
وإن تَقهَروني حيث غابت عَشيرتي فمن عَجَبِ الأيام أن تَقهَروا مثلي

1 خيَّسن : لم يسرّحن .
2 ومري تمشي بي في الديوان 221/2 : ولكن تمضَّيْ لي .
3 وفي الصفحة نفسها من الديوان يكون الشطر الثاني : ويعقِلُ أخلاقَ الرجال التي تنمي .

[لم تحسن النوار عشرته فتزوّج عليها حدراء بنت زيق]

قال دَماذٌ في خبره : ثم اصطلحا ورضيت به ، وساق إليها مهرَها ودخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عَدِيلانِ في مَحمِلٍ . فكانت لا تزال تُشارُّه وتخالفه ، لأنها كانت صالحةً حسنة الدِّين وكانت تكره كثيراً من أمره . فتزوج عليها حَدراء بنت زِيق بن بِسطام بن قيس بن مسعود بن قَيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمام بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان ، فتزوجها على مائة من الإبل . فقالت له النَّوارُ : وَيلَكَ ! تزوجتَ أعرابية دقيقة السَّاقين بوالة على عَقبَيها على مائة بعير ! . فقال الفرزدق يفضِّلها عليها ويُعيرها أنها كانت تربيها أَمَةٌ : [من الطويل]

لَجاريةٌ بين السَّليلِ عُروقُها ... وبين أبي الصَّهباء من آل خالدِ[1]
أحقُّ بإغلاء المُهور من التي ... رَبَتْ وهي تَنزُو في حُجور الولائدِ

ومدحها أيضاً فقال : [من البسيط]

عَقِيلةٌ من بني شَيبانَ ترفعُها ... دَعائمٌ للعُلا من آل هَمامِ
من آل مُرَّةَ بين المُستضاء بهم ... من رَهطِ صِيدٍ مَصاليتٍ وحُكامِ
بين الأحاوِص من كَلبٍ مُرَكَّبُها ... وبين قيس بن مسعودٍ وبِسطامِ[2]

وقال أيضاً يمدحها ويعرِّض بالنوار : [من الطويل]

لعَمري لأعرابيَّة في مِظَلَّة ... تَظَلُّ بأعلى بيتها الرِّيحُ تَخفِقُ[3]
كأُمِّ غَزالٍ أو كَدُرَّة غائصٍ ... إذا ما أتَت مثل الغَمامة تُشرِقُ
أحَبُّ إلينا من ضِناكٍ ضِفَنَّة ... إذا وُضِعت عنها المراوحُ تَعرَقُ[4]

فقال بعض باهِلةَ يُجيبه : [من البسيط]

أعوذُ باللهِ من غُولٍ مُغَوِّلَةٍ ... كأنَّ حافرَها في الخدِّ ظُنبُوبُ[5]
تَستَروِحُ الشاةَ من مِيلٍ إذا ذُبِحت ... حُبَّ اللِّحامِ كما يَستَروِحُ الذِّيبُ

1 أبو الصهباء : بسطام بن قيس . والسليل : السليل بن قيس أخو البسطام .
2 الأحاوص : عوف وعمرو وشريح وربيعة أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب .
3 مظلة : الخباء الكبير . بأعلى في ل : بروقي وكذلك في الديوان 55/2 .
4 الضناك : الضخمة من النساء . والضفنة : الحمقاء مع عظم خلق .
5 الظنبوب : حرف الساق اليابس من قدم .

[هاجاه جرير باغراء النوار]

وأُغضب الفرزدقُ النَّوارَ بمدحه إياها ، فقالت : والله لأُخزينَّكَ يا فاسق ! وبعثت إلى جرير فجاءها ؛ فقالت : ألا ترى ما قال لي الفاسق ! وشكت إليه . فقال : [من الطويل]

فلا أنا مُعطِي الحُكمِ عَن شِفٍّ مَنصِبٍ ولا عن بنات الحَنظَلِيين راغبُ[1]
وهنَّ كماء المُزن يُشفى به الصَّدى وكانت مِلاحــاً غيرَهُن المَشاربُ
لقد كنتَ أهلاً أن تَسُوقَ دِياتِكم إلى آل زِيــق أن يَعِيبَك عائبُ
وما عَدَلتْ ذاتُ الصَّلِيب ظعينةً عُتَيبةُ والرِّدفانِ منهــا وحاجبُ[2]
ألا رُبَّما لم نُعــطِ زِيقاً بحُكمِه وأدَّى إلينا الحُكمَ والغُلُّ لازِبُ
حَوَينا أبــا زِيــقٍ وزِيقاً وعمَّه وجَدَّةُ زِيقٍ قــد حوتْهــا المَقانِبُ[3]

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها : [من الطويل]

ألستَ إذ القَعساء أُنسلَ ظهرُها إلى آل بِسطام بن قيس بخاطبِ[4]
فنَــلْ مثلَها من مثلهم ثم لُمهمُ بملكك من مــالٍ مُراحٍ وعازِبِ
فلو كنتَ من أكفاء حَدراءَ لم تَلُمْ على دارميٍّ بــين لَيلى وغالبِ
وإني لأخشى إن خطبتَ إليهمُ عليك التي لاقى يَسارُ الكواعبِ

يَسارٌ كان عبداً لبني غُدانةَ ، فأراد مولاتَه على نفسها ، فنهته مرةً بعد مرة ، وألحَّ فوعدته ، فجاء فقالت له : إني أُريد أن أُبخِّرَك فإن رائحتك متغيِّرة ؛ فوضعت تحته مِجمرةً وقد أُعِدَّت له حديدة حادة ، فأدخلت يدها فقبضت على ذكره وهو يرى أن ذلك لشيء ، فقطعته بالمُوسى ؛ فقال : «صبراً على مجامر الكرام»[5] فذهبت مثلاً ، عاد الشعر : [من الطويل]

ولــو قَبِلــوا منِّــي عَطيــةَ سُقته إلى آلِ زيقٍ من وَصيفٍ مُقارِبِ[6]
همُ زوَّجوا قبلي ضِراراً وأنكَحوا لَقِيطاً وهم أكفاؤنا في المَناسبِ

1 الشِّف : النقصان .
2 ذات الصليب : يريد بها حدراء . ظعينة : امرأة .
3 المقانب : جمع قنب ، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .
4 القعساء من النساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن .
5 مثل ، مجمع الأمثال 255/2 (طبعة صادر) .
6 عطية : هو أبو جرير . والمقارب : الدون .

ولو تُنكِح الشمسُ النجومَ بناتِها ... إذاً لنكحناهنّ قبل الكواكبِ

وقال جرير : [من البسيط]

يا زِيقُ أنكحتَ قَيناً باستِه حَمَمٌ ... يا زِيقُ وَيحَكَ مَن أنكحتَ يا زِيقُ

غاب المثنّى فلم يَشهَد نَجيَّكما ... والحَوفزانُ ولم يشهَدك مفروقُ

أين الأُلى أنزلوا النعمانِ مُقتَسَراً ... أم أين أبناءُ شَيبانَ الغرانيقُ

يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها ... لا الصِّهرُ راضٍ ولا ابنُ القَينِ معشوقُ

وقال الفرزدق لجرير في هذا : [من البسيط]

إن كان أنفُك قد أعياكَ مَحمَلُه ... فاركبْ أتانَك ثم اخطُبْ إلى زِيقِ

[رأى في طريقه إلى حدراء كبشاً مذبوحاً فتشاءم بموتها]

قال : ولامه الحجاج وقال : أتزوجتَ ابنةَ نَصراني على مائة ناقة ؟! قال : وما هي في جُود الأمير ! قال : فاشترى الإبلَ وساقها . فلما كان في بعض الطريق ومعه أوفى بن خِنزير أحدُ بني التَّيم بن شَيبان بنِ ثَعلبة دليلُه رأى كبشاً مذبوحاً ، فقال : يا أوفى ، هلكت واللهِ حَدراءُ ! . قال : مالك بذلك من علم ! . فلما بلغ قال له بعض قومها : هذا البيتُ فانزل ، وأما حَدراء فهلكت . وقد عرفنا الذي يُصيبكم في دِينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا . فقال : لا والله لا أرزأ منه قطميراً ، وهذه صَدُقَتُها[1] فاقبِضوها . فقال : يا بني دارم ! والله ما صاهرنا أكرمَ منكم .

قال : وفي هذه القصة يقول الفرزدق : [من الطويل]

عجبتُ لحادِينا المقحِّمِ سيره ... بنا مُوجَفاتٍ من كَلال وظُلَّعا

ليُدنِينا ممّن إلينا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أرَدنا لتجمَعا

ولو يعلم الغَيبَ الذي مِن أمامِنا ... لكرَّ بنا حادِي المطيِّ فأسرَعا

يقولون زُر حَدراءَ والتُّربُ دونَها ... وكيف بشيءٍ وصلُه قد تقطَّعا

وما مات عند ابنِ المَراغة مثلُها ... ولا تبعته ظاعناً حيث ودّعا

يقول ابنُ خِنزيرٍ بكيتَ ولم تكن ... على امرأةٍ عينا أخيك لتدمَعا

وأهونُ رُزءٍ لامرىءٍ غيرِ جازعٍ ... رَزِيَّةُ مُرتَجٍّ الرَّوادِفِ أفرعا

[استعان الحجاج في مهر حدراء فعذله]

وقال ابن سَلاَّم فيما أخبرنا به أبو خَليفةَ عنه قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغَرَّاف قالا :

---

1 الصدقة : المهر .

تزوج الفرزدق حَدراءَ بنت زِيق بن بِسطام بن قَيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجَدين وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمام بن مُرَّة بن ذُهل بن شَيبان على حكم أبيها ، فاحتكم مائةً من الإبل . فدخل على الحَجَّاج فعذَله فقال : أتزوجتَها على حكمها وحكم أبيها مائةِ بعير وهي نصرانية وجئتنا متعرِّضاً أن نَسُوقَها عنك ! اخرُج ما لك عندنا شيء ! . فقال عَنبَسة بن سعيد بن العاصي وأراد نفعَه : أيها الأمير ، إنها من حَواشِي إبل الصدقة ؛ فأَمَر له بها . فوثَب عليه جرير فقال : [من البسيط]

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيبانَ في حَسَبٍ ... يا زِيقُ وَيحَكَ مَن أَنكحتَ يا زِيقُ
أَنكحتَ وَيحَكَ قَيناً باستِه حَمَمٌ ... يا زِيقُ وَيحَك هل بارتْ بكَ السُّوقُ

ثم ذكر باقيَ القصيدة بمثل رواية دَماذ .

[أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها وشعر لجرير في ذلك]

قال ابن سَلاَّم : وأراد الفرزدقُ أن تُحمَل ؛ فاعتلُّوا عليه وقالوا : ماتت ، كراهةَ أن يَهتِك جريرٌ أعراضَهم . فقال جرير : [من الطويل]

وأقسِم ما ماتت ولكنه التَوى ... بحَدراءَ قومٌ لم يَرَوك لها أهلا
رأوا أن صِهرَ القَين عارٌ عليهمُ ... وأن لبِسطامٍ على غالبٍ فضلا
إذا هي حَلَّتْ مُسحُلانَ وحاربتْ ... بشَيبان لاقى القومُ من دونها شُغلا[1]

وحَدراءُ هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره . ومن ذلك قوله : [من الطويل]

صوت

عزَفتَ بأَعشاشٍ وما كِدتَ تَعزُفُ ... وأنكرتَ من حَدراءَ ما كنتَ تعرِفُ[2]
ولَجَّ بكَ الهِجرانُ حتى كأنَّما ... ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تألَفُ

عروضه من الطويل . عزَفتَ عن الشيء انصرفت عنه ، عزَف يَعزُفُ عُزُوفاً . الشعر للفرزدق . والغناء لسَلسَل ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وفيه لحنٌ للغَريض من الثَّقيل الأول بالبنصر من رواية حَبَش .

[قصة ما كان بينه وبين ابن أبي بكر بن حزم]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليَزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السُّكَّري قال حدثنا محمد بن حَبِيبَ وأبو غسان دَماذٌ عن أبي عبيدة قال قال اليَربوعي : قال إبراهيم بن

1 مسحلان : موضع في بلاد بني يربوع .
2 أعشاش : موضع في بلاد بني تميم .

محمد بن سَعد بن أَبي وَقاص الزُهري : قدِم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أَبانِ بن عثمان . قال : فإني والفرزدق وكثيِّراً لجلوسٌ في المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلامٌ شَختٌ[1] آدَمُ في ثوبين مُمَصَّرين (أي مصبوغين بصُفرة غير شديدة) ثم قصد نحوَنا حتى جاء إلينا فلم يسلِّم ، فقال : أيُّكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له الفرزدق : ومَن أنت لا أُم لك ؟! قال : رجل من بني الأنصار ثم من بني النَّجَّار ثم أنا ابن أبي بكر بن حَزم . بلغني أنك تزعمُ أنك أشعر العرب وتزعُمُ مُضَرُ ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حَسَّان شعراً فأردتُ أن أَعرِضه عليك وأؤجِّلك سنةً ؛ فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنتَ كذَّاب مُنتَحل . ثم أنشده قول حسان : [من الطويل]

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُّحى ... وأسيافُنا يَقطُرنَ مِـن نَجدَةٍ دَما

مَتى مـا تَزُرنا مِـن مَعَدٍّ عِصابةٌ ... وغسانَ نَمنَع حَوضَنا أن يُهَدَّما

قيل إن قوله : «وغسان» هاهنا قسمٌ أقسم به ، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع مَعَد :

أَبى فعلُنا المعروفَ أن نَنطق الخَنا ... وقائلُنـا بـالعُرفِ إلا تَكَلُّما

ولَدنا بني العَنقاءِ وابنَـي مُحَرِّقٍ ... فأَكـرِم بنا خالاً وأَكرِم بنا ابنَما

فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له : إني قد أجَّلتك فيها حولاً ، ثم انصرف . وانصرف الفرزدقُ مُغضَباً يسحَب رداءه ما يَدرِي أيَّ طريقٍ يسلكُ ، حتى خرج من المسجد . قال : فأقبل كثيِّر عليَّ فقال : قاتل الله الأنصاريَّ ! ما أفصحَ لهجتَه ، وأوضح حُجَّتَه ، وأجوَدَ شعرَه ! . قال : فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقيةَ يومنا . حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس ؛ وأتاني كثيِّر فجلس معي . فإنا لنتذاكر الفرزدقَ ونقول : ليت شعري ما فعل ، إذ طلع علينا في حُلةٍ أفوافٍ[2] يَمانيّةٍ مُوَشّاةٍ ، لـه غَديرتان ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصاري ؟ قال : فنِلنا منه وشتَمناه . فقال : قاتله الله ! ما رُميتُ بمثله ولا سمعت بمثل شعره ! فارقتُكما فأتيتُ منزلي فأقبلتُ أُصَعِّد وأُصوِّب في كل فنٍّ من الشعر ، فَلَكأنّي مُفحَمٌ أو لم أقل قطُّ شعراً حتى نادى المنادِي بالفجر ، فرحَلتُ ناقتي ثم أخذت بزمامها فقُدتُها حتى أتيتُ ذِباباً[3] ، ثم ناديتُ بأعلى صوتي : أخاكم أبا لُبنى ، وقال سعدان : أبا ليلى ! ، فجاش صدري كما يجيش المِرجَل ، ثم عَقَلتُ ناقتي وتوسدتُ ذراعها ؛ فما قمتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عَشَرَ بيتاً . فبينا هو يُنشدنا ، إذ طلع علينا الأنصاري حتى انتهى إلينا

1 الشخت : الدقيق الضامر أصلاً لا هزالاً .

2 الأفواف : جمع فُوف وهو القطن .

3 ذِباب : جبل بالمدينة .

فسلَّم ثم قال : أما إني لم آتِك لأعجِلكَ عن الأجل الذي وقَّته لك ، ولكنّي أحببت ألا أراك إلا سألتُك عما صنعتَ . فقال : اجلس ، ثم أنشده : [من الطويل]

عزَفتَ بأعشاشٍ وما كِدتَ تَعزِفُ

فلما فرَغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصاريُّ كئيباً . فلما توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم في مَشيَخة من الأنصار ، فسلموا علينا وقالوا : يا أبا فِراس ، قد عرفتَ حللَنا ومكانَنا من رسول الله ﷺ ووصيته بنا . وقد بلَغنا أن سفيهاً من سُفَهائنا تعرَّض لك ، فنسألك بالله لَما حفِظت فينا وصيةَ النبي ﷺ ووهبتَنا له ولم تفضَحنا . قال إبراهيم بن محمد : فأقبلتُ أكلِّمه أنا وكثيِّر ، فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي .

قال : وقد كان جرير قال : [من الطويل]

أَلا أيُّها القلبُ الطَّروبُ المُكَلَّفُ أفِقْ رُبَّما يَنأى هواكَ ويُسعِفُ

ظَلِلتَ وقد خبَّرتَ أن لستَ جازعاً لِرَبعِ بسُلمانَينِ عَيْنُكَ تَذرِفُ[1]

فجعل الفرزدقُ هذه القصيدة نَقِيضة لها .

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

منها : [من الطويل]

صوت

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرنَ من نَجدةٍ دما

ولَدنا بني العَنقاءِ وابنَي محرِّق فأكرِم بنا خالاً وأكرم بنا ابنَما

عروضه من الطويل . الشعر لحسان بن ثابت . والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو بن بانة .

[ما كان بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سَعد الكُراني عن أبي عبد الرحمن الثَّقفي ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوبَ الصائغ عن ابن قُتيبة : أن نابغةَ بني ذُبيان كان تُضرب له قُبة من أَدم بسُوقِ عُكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعرَه وأنشدته الخَنساءُ قولَها : [من البسيط]

قَذىً بعينِك أم بالعين عُوّارُ

1 سلمانان : اسم موضع .

حتى انتهت إلى قولها : [من البسيط]

وإن صخراً لَتأتمُّ الهُداةُ بِه كأنّه عَلَمٌ في رأسه نارُ
وإن صخراً لمولانا وسيِّدُنا وإن صخراً إذا نَشتُو لَنحّارُ

فقال : لولا أن أبا بَصِيرٍ أنشدني قبلكِ لقلت : إنك أشعر الناس ! أنت واللهِ أشعر من كل ذات مَثانة[1] . قالت : والله ومن كلِّ ذي خُصيتين . فقال حسان : أنا والله أشعر منكَ ومنها . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول : [من الطويل]

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرنَ من نَجدةٍ دَما
ولَدنا بني العَنقاء وابنَي محرِّقٍ فأكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابنَما

فقال : إنك لشاعر لولا أنك قلَّلتَ عدد جِفانك وفخَرتَ بمن وَلدتَ ولم تَفخَر بمن ولَدك . وفي رواية أُخرى : فقال له : إنك قلت «الجَفَنات» فقلَّلتَ العدد ولو قلت «الجفان» لكان أكثَر . وقلت «يلمعن في الضُّحى» ولو قلت «يَبرُقنَ بالدُّجى» لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طُروقاً . وقلتُ «يَقطُرنَ من نجدة دما» فدلَلتَ على قلة القَتلِ ولو قلت «يَجرِينَ» لكان أكثرَ لانصباب الدم . وفخَرتَ بمن ولَدتَ ولم تفخَر بمن ولدَك . فقام حَسان منكسِراً منقطِعاً .

ومما يغنَّى فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قولُه : [من الطويل]

صوت

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسيرون خَلفَنا وإن نحن أُومأنا إلى الناس وَقَّفُوا

فيه رمل بالوسطى ، يقال : إنه لابن سُريج ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المَكّي .

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد الكِلابي قال : وقف الفرزدق على جَميلٍ والناس مجتمعون عليه وهو يُنشِد : [من الطويل]

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسيرون خَلفَنا وإن نحن أُومأنا إلى الناس وَقَّفُوا

فيه رَمَلٌ بالوسطى ، يقال : إنه لابن سُريج ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحولِ يحيى المكّي .

[انتحل بيتاً لجميل]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني أبو مَسْلَمة موهوب بن رشيد الكلابيّ قال : وقف الفرزدق على جميل والناس مجتمعون عليه وهو يُنْشِد :[من الطويل]

1 المثانة : المقصود بها هنا : الرحم .

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسيرون خَلفَنا وإن نحن أومَأنا إلى الناس وَقّفُوا

فأشرع إليه رأسَه من وراء الناس وقال : أنا أحقُّ بهذا البيت منك . قال : أنشُدك اللهَ يا أبا فِراس ! . فمضى الفرزدقُ وانتحله .

[عرّض هو وكثيّر كل منهما للآخر أنه سرق بيتاً من جميل]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثني الزُّبير قال حدثني أبي عن جدِّي : أن الفرزدق لقي كثيِّراً فقال له : ما أشعرك يا كثيِّر في قولك : [من الطويل]

أُريـد لأنسى ذكرَها فكأنما تَمَثَّلُ لي لَيلى بكل سبيلِ

فعرَّض له بسرقته إياه من جَميل : [من الطويل]

أُريد لأنسى ذكرهـا فكأنما تَمَثَّلُ لي لَيلى على كلِّ مَرقَبِ

فقال له كثيِّر : أنت يا فرزدق أشعر منِّي في قولك : [من الطويل]

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسيرُون خَلفَنا وإن نحن أومَأْنا إلى الناسِ وَقَّفوا

قال : وهذا البيت لجميل سرقَه الفرزدق ، فقال الفرزدق لكثيِّر : هل كانت أُمُّك تَرِدُ البصرةَ ؟ قال : لا ! ولكن أبي كان نَزِيلاً لأُمِّك .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال : لقي الفرزدق كثيِّراً بقارعة البَلاط وأنا وهو نمشي ؛ فقال له الفرزدق : يا أبا صَخر ! أنت أنسبُ العربِ حيث تقول : [من الطويل]

أُريـدُ لأنسى ذكرَها فكأنمـا تَمَثَّـلُ لي ليـلى بكلِّ سبيلِ

قال : وأنت يا أبا فِراس أفخر العرب حيث تقول : [من الطويل]

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسيرُونَ خَلفَنا وإن نحـن أومَأْنا إلى الناس وَقَّفوا

قال عبد العزيز : وهذان البيتان جميعاً لجَميل ، سرق أحدَهما الفرزدق ، وسرَق الآخرَ كثيِّر ، فقال له الفرزدق : يا أبا صَخر ، هل كانت أُمك تَرِدُ البصرة ؟ قال : لا ! ولكن أبي كان كثيراً يَرِدُها . قال طلحة : فوالذي نفسي بيده لقد تعجبتُ من كثيِّر وجوابه ، وما رأيت أحداً قطُّ أحمقَ منه ؛ لقد دخلتُ عليه يوماً في نَفَر من قريش ، وكنا كثيراً نَهزأ به ، وكان يتشيع تشيُّعاً قبيحاً ، فقلنا له : كيف تجدك يا أبا صَخر ؟ فقال : بخير . هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم ! يتحدثون أنك الدجَّال . قال : والله إن قلتَ ذلك إنِّي لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام ! .

ولجرير قصيدة يُناقض بها هذه القصيدة في أوَّلها غناء نسبته : [من الطويل]

أَلا أيُّها القلب الطَّرُوب المكلَّفُ أَفِـقْ رُبَّما يَنأى هواك ويُسعِفُ
ظَلِلتَ وقد خبَّرتَ أن لستَ جازعاً لرَبـعٍ بِسُلمانَينِ عينُـك تَذرِفُ

الشعر لجرير . والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة . وقال حبش : فيه ثقيل أول بالوسطى . وليس ذلك بصحيح .

رجع الحديث إلى سياقة حديث الفرزدق والنَّوار .

[تزوّج رهيمة بنت غنيم اليربوعية]

قال دماذ : وتزوج الفرزدق على النَّوار امرأةً من اليَرابيع ، وهم بطن من النَّمِر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عُباد القَيني ، وقد انتسبوا فيهم . فقالت له النَّوار : وما عسى أن تكون القَينية ؟ فقال : [من الطويل]

أرتك نجومَ اللَّيلِ والشمسُ حيَّةٌ زِحامُ بنـاتِ الحارثِ بن عُبادِ[1]
نساءٌ أبوهنّ الأغـرُّ ولم تكـن مـن اُلحُـتِّ في أجبالهـا وهَدادِ
ولم يكن الجَوفُ الغموضُ مَحلَّها ولا في الهِجاريِّـين رَهـطِ زيادِ
أبوها الذي أدنى النَّعامة بعدمـا أبَتْ وائـلٌ في الحربِ غيرَ تَمادِ

يعني بأبيها الذي أدنى النعامةَ الحارثَ بن عُباد ، وأراد قوله :

قرِّبـا مَربَـطَ النَّعامـةِ مني

عدلتُ بها مَيلَ النَّوارَ فأصبحتْ مُقاربـةً لي بعــد طولِ بِعادِ
وليست وإن أُنبأتُ أنّي أُحِبُّها إلى دارِميَّـات النِّجـار جِيادِ

وقال أبو عبيدة حدثني أعيَنُ بن لَبَطَةَ قال : تزوج الفرزدق ، مُضارةً للنَّوارَ ، امرأةً يقال لها رُهَيمة بنت غُنيم بن دِرهم من اليَرابيع ، قوم من النَّمِر بن قاسط في بني الحارث بن عُباد . وأمها الحُمَيضة من بني الحارث . فنافرته الحُمَيضة فاستعدت عليه . فأنكرها الفرزدق وقال : أنا منها بريء ؛ وطلّق ابنتها وقال : [من البسيط]

إن الحُمَيضة كانت لي ولابنتِها مثلَ الهَراسةِ بين النَّعلِ والقَدَمِ
إذا أتتْ أهلَهـا منّي مُطَلَّقةً فلـن أُرُدَّ عليها زَفـرَةَ النَّدَمِ

---

1 أرتك في الديوان 134/1 : أراها .

155 ـ [غناء المعتضد]

مضى الحديث . ولم أجد لأحدٍ من الخلفاء الذين ذكرتُهم والذين لم أذكرهم . بعد الواثق ، صَنعةً يُعتَدُّ بها إلا المعتضدَ ، فإنه صنَع صنعةً متقنة عجيبة ، أبرَّت على صنعة سائر الخلفاء سوى الواثق ، وفضَل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه . وإنما ذكرتُ صنعةَ مَن بينهما ، لأنها قد رُوِيَت ، فأما حقيقة الغِناء الجيِّد فليس بينهما مثلُهما . وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعةَ المعتضِد فقرَّظها ، وقال : لم أجِد لحناً قديماً قد جمع من النَّغَم ما جمعه لحن ابن مُحرِز في شعر مُسافِر بن أبي عمرو وهو : [من مجزوء الكامل]

يـا مَـــن لِقَلبٍ مُقصِرٍ   تـــرَكَ المُنـــى لفواتهـــا

فإنه جمع من النغم العشر ثمانياً ، ولحن ابن مُحرِزٍ أيضاً في شعر كثيِّر : [من المتقارب]

توهَّمتُ بالخَيفِ رسماً مُحيلاً   لِعـزَّةَ تَعـرِفُ منــه الطُّلولا

وهو أيضاً يجمع ثمانيا من النَّغَم . وقد تلطَّف بعضُ مَن له دُربةٌ وحِذقٌ بهذه الصناعة حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت الأخير متوالية ، وجمعها في صوت آخر غيرَ متوالية ، وهو في شعر ابن هَرمة : [من الطويل]

فإنكِ إذْ أطمعتِني منكِ بالرِّضا   وأيأستِني من بعد ذلك بالغضبْ

وأعجبُ من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله ؛ فإنه صنع في رَجَز دُرَيد بن الصِّمة «يا ليتني فيها جَذَعْ» لحناً من الثقيل الأول يجمع النَّغَم العشرَ ، فأتى به مستوفى الصنعة مُحكَم البناء ، صحيحَ الأجزاء والقسمة ، مُشبَع المفاصل ، كثيرَ الأدوار ، لاحقاً بجيِّد صنعة الأوائل . وإنما زاد فضلُه على من تقدمه لأنه عمله في ضرب من الرجز قصير جداً ، واستوفى فيه الصنعة كلَّها على ضيق الوزن ، فصار أعجب مما تقدمه ، إذ تلك عُمِلت في أوزان تامة وأعاريضَ طِوال يتمكن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرُّف ؛ وليس هذا الوزن في تمكُّنه من ذلك فيه مثلَ تلك .

نسبة هذا اللحن

صوت

[من مجزوء الرجز]

يا ليتني فيهــا جَذَعْ   أخُــبُّ فيهــا وأضَعْ[1]
أقُــودُ وَطفــاءَ الزَّمَــعْ   كأنّهــا شاةٌ صَدَعْ[2]

الشعر لدُريـد بن الصِّمة . والغناء للمعتضد ، ولحنُه ثقيلٌ أول يجمع النَّغَم العشرَ .

* * * *

1 الجذع : الصغير السن . الخبب والوضع : نوعان من السير .

2 الزمع : شبه أظفار الغنم في الرسغ . وطفاء : كثيرة الشعر سابغته ، يريد فرساً . الصدع : من الأوعال والظباء والإبل والحمر : الفتي الشاب القوي منها .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين
الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد العاشر

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

10

الطبعَة الأولى
1423هـ-2002 م
الطبعة الثانية
1426هـ - 2005م
الطبعة الثالثة
1429هـ - 2008م

دار صادر
تأسست سنة 1863
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان
© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Iṣphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[156] ـ أخبار دريد بن الصمة ونسبه[1]

[نسبه]

هو دُرَيْد بن الصِّمَّة . واسم الصِّمَّة ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاويةُ الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن عَلَقة ، وقيل عَلقَمة ، بن خُزاعة بن غَزِيَّة بن جُشَمَ بن معاوية بن بكر بن هوازِن . وأما أبو عبيدة فقال : هو دريد بن الصِّمَّة ، واسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن عَلَقة ولم يذكر معاوية . وقال ابن سَلاَّم : الحارث بن معاوية بن بكر بن عَلَقة .

[صفاته]

ودريد بن الصِّمَّة فارسٌ شجاع شاعر فَحل ، وجعلَه محمد بن سلام أول شعراء الفُرسان . وقد كان أطولَ الفرسان الشعراء غَزواً ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظَفَراً ، وأيمنهم نقيبة عند العرب ، وأشعرهم دريد بن الصِّمَّة .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصِّمَّة سيد بني جُشَم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفَّراً ميمون النَّقيبة ، وغزا نحو مائة غزاة ما أُخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام فلم يُسلِم ، وخرج مع قومه في يوم حُنين مُظاهراً للمشركين ، ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه تيمُّناً به وليقتبسوا من رأيه ، فمنعهم مالكُ بن عوف من قبول مشورته .

وخالفه لئلا يكون له ذِكر ، فقُتِل دريد يومئذٍ على شِركه . وخبرُه يأتي بعد هذا .

[إخوته]

وكان لدريد إخوة وهم عبد الله الذي قتلته غَطَفان ، وعبد يغوث قتله بنو مرَّة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كِلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب ، أُمُّهم جميعاً رَيحانة بنت مَعد يكرب الزُّبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصِّمَّة سباها ثم تزوجها فأولدها بَنِيه . وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره[2] : [من الخفيف]

---

1 ترجمة دريد بن الصمة في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 635–638 والخزانة 11 : 118–121 والسمط : 39 والمعمرين : 20 وأسماء المغتالين : 223 وانظر شرح الحماسة للمرزوقي (أحمد أمين وعبد السلام هارون) : 812 ومواضع متفرقة من أيام العرب في الجاهلية . وقد جمع شعره محمد خير البقاعي في ديوان صدر عن دار قتيبة (دمشق) .

2 سترِد ترجمة عمرو بن معد يكرب فيما بعد ، قالوا : إن ريحانة كانت أخته أو زوجته ، وقيل بل هي موضع (الخزانة 8 : 182) .

أمِــن رَيحانــةَ الدَّاعي السَّميعُ ... يؤرِّقنــي وأصحابــي هُجُــوعُ
إذا لم تَستَطِــعْ شيئــاً فَدَعْــه ... وجــاوِزْه إلى مــا تستطيعُ[1]

[ابنه وبنته شاعران]

وكان لدريد ابنٌ يقال له سَلَمة ، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وارتجز فقال : [من الرجز]

إن تَسألوا عنّــي فإني سَلَمــهْ ... ابنُ سَمادِيــرَ لمــن ترسَّمهْ[2]
أضرِب بالسيف رؤوسَ المُسلِمَهْ

وكانت لدريد أيضاً بنتٌ يقال لها عَمرةُ وكانت شاعرة ، ولها فيه مَراثٍ كثيرة .

[شعره في الصبر]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرني بأخبار له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكرهم في مواضعهم ، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خَلَف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد بيَّنتُ[3] رواية كل واحد منهم في موضعها ، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصِّمَّة حيث يقول[4] : [من الطويل]

تقول ألا تَبكي أخاك ! وقــد أُرى ... مكانَ البكا لكن بُنِيتُ على الصبرِ
لمقتــلِ عبــدِ الله والهالــكِ الذي ... على الشَّرَفِ الأعلى قتيلِ أبي بكرِ[5]
وعبدِ يَغُــوث أو خليلَي خالــدٍ ... وعَــزَّ مُصاباً حَثْــوُ قبرٍ على قبرِ
أبــى القتــلَ إلا آلُ صِمَّةَ إنهم ... أَبَوْا غيرَه والقَدرُ يَجري إلى القَدْرِ
فإمــا تَرَيْنا مــا تــزالُ دماؤنــا ... لدى واترٍ يَشقَى بهــا آخرَ الدَّهرِ
فإنا لَلَحــمُ السيــفِ غيرَ نَكِيرةٍ ... ونَلحَمُــه حيناً وليس بذي نُكرِ[6]

---

1 شيئاً في ل : أمراً .
2 سمادير : اسم أم سلمة امرأة دريد .
3 ل : أثبت .
4 ديوانه : القطعة 22 وشرح الحماسة (المرزوقي) : 2 : 822–827 وفي روايته اختلاف .
5 قتيل بني أبي بكر هو قيس أخو دريد كما ذكر من قبل .
6 حيناً في ل : طوراً . ونلحمه : نطعمه اللحم .

يُغـارُ علينـا واتِريـن فيُشتَفـى بنـا إن أُصِبنا ، أو نُغِير على وِترِ
بذاكَ قَسَمنا الدَّهرَ شَطرَيْنِ قِسمةً فما يَنقضي إلا ونحـنُ على شَطْرِ

وأخبرني ابن عَمار قال : حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأَسَدِي عن صاعِدٍ مولى الكُمَيت بن زيد يقول : أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دريد بن الصِّمَّة ، وذكر هذه الأبيات .

[يوم اللوى ومقتل عبد الله بن الصمّة]

قال أبو عبيدة : فأما عبد الله بن الصِّمَّة فإن السبب في مقتله إنه كان غزا غَطَفان ومعه بنو جُشَمَ وبنو نَصرٍ أبناء معاوية فظفِر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللِّوى[1] ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دريد : يا أبا فُرْعان ، وكانت لعبد الله ثلاثُ كُنىً : أبو فُرعان ، وأبو ذُفافة ، وأبو أوفى ، وكلُّها قد ذكرها دريد في شعره : نشدتُك الله ألاّ تنزل فإن غَطَفان ليست بغافلةٍ عن أموالها ، فأقسم لا يَريم حتى يأخذ مرباعَه[2] وينقع نقيعَه[3] ، فيأكل ويُطعِم ويَقسِمَ البقية بين أصحابه ، فبينا هم في ذلك وقد سطعتِ الدواخن ، إذا بغبار قد ارتفع أشدَّ من دخانهم ، وإذا عبسٌ وفزارة وأشجع قد أقبلت فقالوا لربيئتهم[4] : انظر ماذا ترى ؟ فقال أرى قوماً جِعاداً كأن سرابيلهم قد غُمست في الجادي[5] قال : تلك أشجع ، ليست بشيء . ثم نظر فقال : أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسنتهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة . ثم نظر فقال : أرى قوماً أُدماناً[6] كأنما يحملون الجبل[7] بسوادهم ، يَخُدُّون[8] الأرض بأقدامهم خَداً ، ويَجُرُّون رماحهم جَراً ، قال : تلك عبسٌ والموت معهم ! فتلاحقوا بالمنعرج من رميلة اللِّوى فاقتتلوا فقتل رجلٌ من بني قاربٍ وهم من بني عبس عبد الله بن الصِّمَّة فتنادوا : قُتِل أبو ذُفافة ! فعطف دريد فذَبَّ عنه فلم يُغنِ شيئاً . وجُرِح دريد فسقط فكَفُّوا عنه وهم يرون أنه قُتل ، واستنقذوا المال ونجا مَن هرب . فمرّ الزَّهدمان وهما من بني عبس ، وهما زَهدمٌ وقيس ابنا حزن بن وهب بن رواحة وإنما قيل لهما الزَّهدمان تغليباً لأشهر الاسمين عليهما ، كما قيل

1 اللوى : واد لبني سليم .
2 المرباع : ربع الغنيمة وهو حظ الرئيس في الجاهلية .
3 النقيع : ما ينقع في الماء وينصرف إلى النبيذ . والنقيعة : جزور تنحر للأضياف .
4 الربيئة : الطليعة .
5 الجادي : الزعفران .
6 أدمان : جمع آدم وهو الأسمر .
7 ل : الأرض .
8 يخدون : يشقون .

العمران لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والقمران للشمس والقمر . قال دريد : فسمعت زهدماً العبسيَّ يقول لكردم الفزاري إني لأحسب دريداً حياً فانزل فأجهز عليه ، قال : قد مات ، قال : انزل فانظر إلى سُبَّته[1] هل ترمَّزُ[2] ؟ قال دريد : فسددتُ من حِتارها[3] أي من شَرَجها ، قال فنظر فقال : هيهات ، أي قد مات ، فولّى عني ، قال ومال بالزُّجِّ في شَرَج دريد فطعنه فيه فسال دمٌ كان قد احتقن في جوفه ، قال دريد فعرفت الخِفَّة حينئذٍ فأمهلتُ ، حتى إذا كان الليلُ مشيتُ وأنا ضعيف قد نَزَفني الدم حتى ما أكاد أبصِر ، فجُزت بجماعةٍ تسير فدخلتُ فيهم ، فوقعتُ بين عُرقوبي بعير ظعينة ، فنفَر البعير فنادت : نعوذ بالله منك ، فانتسبتُ لها فأُعلمتِ الحيَّ بمكاني ، فغُسل عنّي الدم وزُوِّدتُ زاداً وسِقاء فنجوت . وزعم بعض الغطفانيِّين أن المرأة كانت فزارية وأن الحيَّ كانوا علِموا بمكانه فتركوه ، فداوته المرأة حتى برأ ولحِق بقومه . قال : ثم حجَّ كردم بعد ذلك في نَفَر من بني عبس ، فلما قاربوا ديار دريد تنكَّروا خوفاً ، ومَرَّ بهم فأنكرهم ، فجعل يمشي فيهم ويسألهم من هم ؟ فقال له كردم . عمَّن تسأل ؟ فدفعه دريد ، وقال : أمّا عنك وعمَّن معك فلا أسأل أبداً ، وعانقه ، وأهدى إليه فرساً وسلاحاً ، وقال له : هذا بما فعلتَ بي يوم اللِّوى .

وقال دريد يرثي أخاه عبد الله[4] : [من الطويل]

أرَثَّ جديـدُ الحبـلِ من أُمِّ معبدِ ... بعاقبـةٍ وأخلفـتْ كلَّ مـوعدِ[5]
وبانتْ ولم أحمَـدْ إليـكَ جِوارَها ... ولم تَرجُ منّـا رِدَّةَ اليـومِ أو غَدِ

وهي طويلة وفيها يقول :

أعاذِلَتي كلُّ امـرىء وابنُ أُمِّـه ... متـاعٌ كـزادِ الراكـبِ المتزوِّدِ
أعـاذلَ إن الرُّزءَ أمثـالُ خالـدٍ ... ولا رُزءَ مما أهلَكَ المـرءُ عن يدِ[6]
نصحتُ لعارضٍ وأصحابِ عارض ... ورهط بني السَّوداء والقومُ شُهَّدي[7]

---

1 سبته : استه .
2 وترمز : تضطرب .
3 الحتار : ما أحاط بالشيء .
4 ديوانه : القصيدة 15 ، وفيه تخريج كافٍ لها .
5 بعاقبة : أي بآخرة .
6 ذكر أبو الفرج إخوة دريد ومنهم خالد وعبد الله . وقد روى التبريزي في شرح الحماسة أن عبد الله وعارضاً وخالداً ثلاثة أسماء لعبد الله (انظر حاشية محققي شرح المرزوقي ص 812) .
7 رهط بني السوداء : أصحاب عبد الله .

فقلتُ لهـم ظُنـوا بألفَيْ مدجَّج ... سَراتُهـمُ في الفارسـيّ المُسَرَّدِ[1]
أمرتُهمُ أمـري بمُنعَرَجِ اللِّـوى ... فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغَدِ
فلما عَصَوني كنتُ منهم وقد أُرى ... غَوايتَهـم وأنّنـي غيـرُ مهتدِ
وهـل أنـا إلا مِنْ غَزِيـةَ إن غَوَتْ ... غَوَيتُ ، وإن تَرشُد غَزيـةُ أرشُدِ
دعـاني أخي والخيلُ بيني وبينه ... فلمـا دعـاني لم يَجِدْني بقُعدُدِ[2]
تنادَوا فقالـوا أردَتِ الخيلُ فارساً ... فقلتُ أعبـدُ اللهِ ذلكـمُ الرَّدِي
فـإن يَكُ عبـدُ اللهِ خلَّى مكانَه ... فلم يَـكُ وَقّافاً ولا طائشَ اليدِ[3]
ولا بَرِمـاً إذا الريـاحُ تناوحتْ ... برَطـبِ العِضاه والهَشِيم المعضَّدِ[4]
نظـرتُ إليـه والرِّماحُ تَنُوشُه ... كوَقعِ الصَّياصِي في النَّسِيج المُمدَّدِ[5]
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ ... وحتى عَلاني أشقرُ اللون مُزبدُ[6]
فما رِمتُ حتـى خرَّقتني رماحُهم ... وغُودِرتُ أكبو في القَنا المتقصِّدِ[7]
قِتالَ امرىءٍ واسَى أخـاه بنفسِه ... وأيقـن أنَّ المـرءَ غيرُ مخلَّـدِ
صبورٌ على وقـعِ المصائبِ حافظٌ ... من اليوم أعقابَ الأَحاديثِ في غَدِ

في بعض هذه الأبيات غناء وهو : [من الطويل]

صوت

[علي يتمثل بشعره]

أمرتُهُـمُ أمـري بمنعَرَجِ اللِّوى ... فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغدِ
فلما عصَوني كنتُ منهم وقد أُرى ... غَوايتَهـم وأنّنـي غيـر مهتدِ
وهـل أنا إلاّ من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ ... غَوَيـتُ وإن تَرشُد غَزيـةُ أرشُدِ

---

1 ظنوا : أيقنوا .
2 القعدد : الجبان اللئيم الذي يقعد عن المكارم .
3 خلى في ل : يخلي .
4 البرم : الضَّجر . تناوحت الرياح : هبت صبا مرة وشمالاً مرة وجنوباً مرة ، وذلك آية الجدب .
5 الصياصي : جمع صيصية وهي شوكة الحائك .
6 في هذا البيت إقواء . ورواية الحماسة :
فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست ... وحتى علاني حالك اللون أسودي
7 المتقصد : المتكسر .

الغناء ليحيى المكي ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبُه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثَّل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مُنصَرَفِه من صِفّين .

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجلي قال حدثنا حسين بن نصر بن مُزاحِم قال حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مِخنَف عن رجاله أن علياً عليه السلام لما اختلفت كلمةُ أصحابه في أمر الحَكَمَيْن وتفرقت الخوارجُ وقالوا له ارجع عن أمر الحكَمَيْن وتُب واعترف بأنّك كفرتَ إذ حَكَّمتَ ، ولم يَقبل ذلك منهم ، وخالَفوه وفارقوه تمثّل بقول دُريد : [من الطويل]

أمرتُهُم أمري بمُنعَرَجِ اللِّوى فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغدِ

الأبيات .

[عبد الله وأسماؤه وكناه]

قال أبو عبيدة : كانت لعبد الله بن الصِّمَّة ثلاثةُ أسماءٍ وثلاثُ كُنىً : عبد الله ومَعبَد وخالد . ويكنى أبا ذُفافةَ وأبا فُرعانَ وأبا أوفى . وقال دريد[1] : [من البسيط]

أبا ذُفافةَ مَنْ للخيل إذ طُرِدْتَ فاضطرَّها الطعنُ في وَعثٍ وإيجافِ[2]

يا فارسَ الخيلِ في الهَيجاء إذ شُغِلتْ كلتا اليدين دَرُوراً غيرَ وَقافِ[3]

[أفضل بيت في الصبر]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس أنه كان يقول : أفضلُ بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قولُ دريد بن الصِّمَّة : [من الطويل]

قليلُ التَّشكّي للمُصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غدِ

[طلق زوجته لأنها عاتبته على بكائه أخاه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء عن الزُّبير عن أبي المُهاجِر ، وذكر مثلَه أبو عمرو الشَّيباني ، أن أُم مَعبد التي ذكرها دريد في شعره هذا كانت امرأتَه فطلَّقها ، لأنها رأته شديد الجَزَع على أخيه ، فعاتبته على ذلك وصغَّرت شأن أخيه وسبَّته ، فطلَّقها وقال فيها : [من الطويل]

أرَثَّ جديدُ الحبل مِن أمِّ مَعبدِ بعاقِبةٍ وأَخلفتْ كلَّ موعِدِ

1 ديوانه : القطعة 44 .

2 الوعث : الطريق الخشن . الإيجاف : سرعة السير .

3 دروراً في الديوان : كروراً .

وبانتْ ولم أَحْمَدْ إليكَ جِوارَها ... ولم ترجُ منّا رِدّةَ اليومِ أو غدِ

فقالت له أُمُّ معبد : بئسَ واللهِ ما أثنيتَ عليَّ : يا أبا قُرَّة ! لقد أطعمتُك مأْدُومي ، وبَثَثْتُك مكتومي ، وأتيتُك باهِلاً[1] غيرَ ذات صِرار وما استَفرَمتُ قبلك إلا من حيض .

وقال أبو عبيدة في خبره : بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبَّت أخاه فطلَّقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك[2] : [من الوافر]

أعبــدَ اللهِ إن سبَّتْــكَ عِرْسي ... تقدَّم بعضُ لحمــي قبــلَ بعضِ

إذا عِرسُ امرىء شتمتْ أخاه ... فليسَ فــؤادُ شانئــه بحَمضِ[3]

مَعــاذَ اللهِ أنْ يشتُمنَ رَهطِي ... وأن يَملِكْنَ إبرامــي ونَقضي

[حارب يوم الغدير طلباً بثأر أخيه]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : أغار دريد بن الصِّمَّة بعد مقتل أخيه عبد الله على غَطَفانَ يطالبهم بدمه ، فاستقراهم[4] حَيّاً حَيّاً ، وقتَل من بني عبسٍ ساعدةَ بن مُرّ ، وأسَر ذُؤابَ بنِ أسماء بن زيد بن قارِب ، أسَره مُرةُ بن عَوف الجُشَمِي . فقالت بنو جُشَمَ : لو فادَيناه[5] ! فأبى ذلك دريد عليهم ، وقتله بأخيه عبد الله ، وقتل من بني فزارة رجلاً يقال له حِزام وإخوة له ، وأصاب جماعةً من بني مُرّةَ ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غَطَفان ، وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم وفي مَن قُتِل فيه منهم يقول[6] : [من المتقارب]

تأبَّــد مِــن أهلِــه مَعشَرُ ... فجَــوُّ سُوَيقَــةَ فالأصفَرُ[7]

فجِــزْعُ الحُلَيفِ إلى واسطٍ ... فذلــكَ مَبــدىً وذا مَحضَرُ

فأبلِــغْ سُلَيمــى وأُلفافَهــا ... وقــد يَعطِفُ النَّسَبُ الأكبرُ[8]

1 الباهل : الناقة يصر ضرعها لئلا يرضعها ولدها . والفرم : حشية الحيض أو ما تضيق به المرأة متاعها .
2 ديوانه : القطعة 38 .
3 فؤاد حامض : فاسد متغير .
4 استقراهم : تتبعهم .
5 فاداه : أطلقه مقابل فدية .
6 ديوانه : القطعة 30 .
7 تأبد : أقفر .
8 ألفاف : قومها المجتمعون حولها ، مفردها لِفّ .

بأنّـي ثـأرْتُ بـإخوانكم ... وكنـتُ كأنّي بهـم مُخفِرُ[1]
صبَحنا فَـزارةَ سُمـرَ القَنـا ... فمَهـلاً فَـزارةُ لا تَضجَروا
وأبلِـغْ لَدَيْـكَ بَنـي مـازنٍ ... فكيـفَ الوَعيـدُ ولم تَقرِروا
فـإن تَقتُلـوا فِتيَـةً أُفـرِدوا ... أصابهـم الحَـينُ أو تَظفَـروا
فـإنَّ حِزامـاً لدى مَعـرَكٍ ... وإخوتَـه حولَهـم أنسُرُ
ويـومَ يزيـدِ بَنـي ناشِبٍ ... وقَبـلُ يَزيدُكُـم الأكبـرُ
أثَرنـا صَريخَ بنـي ناشِبٍ ... ورَهـطَ لَقيطٍ فـلا تَفخَروا
تَجُـرُّ الضِّبـاعُ بأوصالِهم ... ويَلقَحْـنَ منهـم ولم يُقبَروا[2]

ويقول في ذلك أيضاً دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى[3] : [من الطويل]

جَزَينـا بَنـي عَبسٍ جـزاءً موفَّـراً ... بمقتـلِ عبـدِ اللهِ يـومَ الذَنائبِ
ولـولا سوادُ الليـلِ أدركَ رَكضُنـا ... بذي الرِّمثِ والأَرطى عِياضَ بنَ ناشِبِ[4]
قتلنـا بعبـدِ اللهِ خيـرَ لِداتِـه ... ذُؤابَ بن أسمـاء بنِ زيـد بن قارِبِ

قال أبو عبيدة : أُنشِد عبد الملك بن مروان شعرَ دريد بن الصمة هذا فقال : كاد دريد أن ينسب ذؤابَ بن أسماء إلى آدمَ . فلما بلغ المُنشِدُ قوله : [من الطويل]

ولـولا سوادُ الليـلِ أَدركَ رَكضُنـا ... بذي الرِّمثِ والأَرطى عِياضَ بنَ ناشِبِ

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلاً حتى يُدرِكَه .

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضاً في هذه الوقعة[5] : [من الطويل]

قَتَلْنـا بعبـدِ اللهِ خيرَ لِداتـه ... وخيرَ شَبابِ الناسِ لو ضُمَّ أجمعا
ذُؤابَ بنَ أسماءَ بن زيد بنِ قاربٍ ... منيتُـه أَجـرى إليهـا وأَوضَعا[6]

---

1 مخفر : نقض عهده وغدره .
2 إشارة إلى قولهم إن الضبع إذا لقيت قتيلاً قد ورم ركبت غرموله ثم أكلته .
3 ديوانه : القطعة 1 والترتيب فيه مختلف .
4 الشطر الثاني في رواية الديوان : وعبساً قتلناهم بجر بلادهم . سواد الليل في الديوان : جنان الليل . والرمث والأرطى : نباتان ، وذو الأرطى : موضع .
5 ديوانه : القطعة 40 .
6 أجرى إليها : قصد إليها . أوضع : الإيضاع ، ضرب من السير .

فتىً مثلَ مَتنِ السيفِ يَهتزُّ للنَّدى كعاليـةِ الرُّمحِ الرُّدَينـــيّ أروَعا[1]

وقال ابن الكلبي : قالت ريحانة بنت معد يكرب لدريد بن الصِّمَّة بعد حولٍ من مقتل أخيه : يا بني إن كنتَ عجزتَ عن طلب الثأر بأخيك فاستغِن بخالك وعشيرته من زبيد ، فأنِف من ذلك وحلَف لا يكتحِل ولا يَدَّهِن ولا يَمَسُّ طِيباً ولا يأكل لحماً ولا يشربُ خمراً حتى يُدرِك ثأره ، فغَزا هذه الغَزاة وجاءها بذُؤاب بن أسماء فقتله بفِنائها ، وقال : هل بلغتُ ما في نفسِك ! قالت : نعم مُتِّعتُ بك ! ورُويَ عن ابن الكلبي لريحانة في هذا المعنى أبياتٌ لم تَحضُرني وقد كتبتُ خبرها .

[مقتل أخيه قيس بن الصمّة]

وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دريد فإنه أخوه قيس بن الصمة ، قتله بنو أبي بكر بن كِلاب . وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَماذ عن أبي عبيدة ، أنه غزا في قومه بني خُزاعة من بني جُشَمَ ، فأغاروا على إبلٍ لبني كَعب بن أبي بكر بن كِلاب ، فانطلقوا بها . وخرج بنو أبي بكر بن كِلاب في طلبها حتى إذا دنَوا منهم قال عمرو بن سُفيان الكِلابي ، وكان حازماً عاقلاً ، امكثوا ، ومضى هو متنكراً حتى لقِيَ رجلاً من بني خُزاعة فسلَّم عليه واستسقاه فسقاه وانتسب له هِلالياً ، فسأله عن قومه وأين مَرعى إبلهم ، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتَهم ، فخبَّره الرجل بكل ما أراد ، فرجَع إلى قومه وقد عرف بُغيته ، فصبح القوم فظفرت بهم بنو كِلاب وقتلوا قيس بن الصمة ، وذهبوا بإبل بني خُزاعة وارتجعوا إبلَهم . وكان يقال لعمرو بن سفيان ذو السَّيفيْن ، لأنه كان يَلقى الحربَ ومعه سيفان خوفاً من أن يخونه أحدُهما . وإياه عَنى دريد بن الصِّمَّة بقوله[2] : [من البسيط]

إن امرءاً بـــاتَ عمرٌو بين صِرمَتِه عمرُو بن سُفيانَ ذو السَّيفيْنِ مغرورُ[3]
يا آلَ سفيانَ مـــا بـــالي وبالكُمُو هل تَنتهونَ وباقي القــولِ مأثورُ ؟[4]
يا آل سُفيانَ مـــا بـــالي وبالكُمو أنتـــم كبيرٌ وفي الأحلامِ عُصفورُ

1 متن في ل : نصل .
2 الديوان : القصيدة 29 وفيه اختلاف كبير في الترتيب والرواية .
3 الصرمة : القطيع من الإبل أو الغنم .
4 في الديوان بيت غير هذا :
يا آل سفيان إني قد شهدتكم أيـام أمكـمُ حمـــراء مثشيرُ
والمثشير : البطرة .

هلاَّ نَهَيتُم أخـــاكم عـــن سَفاهتِه إذ تَشربون وغاوِي الخمر مدحورُ ؟

لا أعرِفَـــنْ لِمَّـــةً سَوداءَ داجيةً تدعـــو كِلاباً وفيها الرمحُ مكسورُ

لن تَسبِقوني ولو أمهلتُكم شَرَفـاً عُقبَى إذا أبطأ الفُحجُ المَخاصِيرُ[1]

[الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وغطفان]

وأخبرنا بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : أغارت بنو عامر بن صعصعة وبنو جُشَمَ بن معاوية على أَسَدٍ وغَطَفان ، وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذي اللِّحية مُتساندَين ، فدريد على بني جُشَم بن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بني عامر . فقـال عبد الله بن الصمة لأخيه : إني غيرُ مُعطِيكَ الرِّياسة ، ولكن لي في هذا اليوم شأناً . ثم اشترك عبدُ الله وشَراحِيلُ بن سفيان ، فلما أغار القوم أخذ عبدالله من نَعَم بني أَسَدٍ ستين وأصاب القومُ ما شاؤوا . وأدرك رجلٌ من بني جَذِيمة عبدَ الله بن الصِّمَّة فقال له عبد الله بن الصِّمَّة : ارجع فإني كنتُ شاركتُ شَراحِيلَ بن سُفيان ، فإن استطاع دريد فليأتِه وليأخذ مالي منه . وأقام دريدٌ في أواخر الحي فقال له عمرو : ارتَحِل بالناس قبل أن يأتيَك الصُّراخ[2] ، فقال : إني أنتظر أخي عبدَ الله . حتى إذا أُطال عليه قال له : إن أخاك قد أدرك فوارسَ من الحُلَيفِيِّين يسوقون بظُعُنِهم فقتلوه . فانطلَقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشَراحِيل : إن عبد الله أنبأني ولم يَكذِبني قَطُّ أن له شَرِكةً مع شَراحِيلَ فأدُّوا إلينا شَرِكتَه . فقالوا له : ما شاركناه قطّ . فقال دريد : ما أنا بتارككم حتى أستحلِفكم عند ذي الخَلَصَة (وثنٍ من أوثانهم) . فأجابوه إلى ذلك وحلَفوا ، ثم جاء عبدُ الله بغَنيمةٍ عظيمة فجاءوه يَنشدونه الشِّرْكَ . فقال لهم دريد : ألم أُحَلِّفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قُتل . فقالوا : ما حلَفنا وجعلوا يُناشِدون عبدَ الله أن يُعطيَهم ، فقال : لا ، حتى يرضى دريدٌ ، فأبى أن يَرضى فتوعَّدوه أن يَسرقوا إبلَه . فقال دريد في ذلك : [من البسيط]

هل مثلُ قلبِك في الأهواء معذورُ والحبُّ بعـد مَشِيبِ المـرءِ مغرورُ

وذكر الأبياتَ التي تقدمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها : [من البسيط]

إذا غلَبتم صديقـــاً تَبطِشون بـــه كما تهـــدَّم في المـاء الجَماهيرُ[3]

1 الفحج : جمع أفحج أو فحجاء ، والفحج : تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدواب . والمخاصير : جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره . وفي الديوان : المحاصر .

2 الصراخ : الاستغاثة وفي ل : الصرخاء .

3 الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

وأنتـــمُ مَعشرٌ في عِرقِكـــم شَنَجٌ بُزخُ الظهورِ وفي الأَستاهِ تأخيرُ[1]
قـد علِـمَ القومُ أني من سَراتهمُ إذا تَقبَّــض في البطـنِ المَذاكِيرُ[2]
وقـــد أُرُوعُ سَوامَ القوم ضاحيةً بالجُردِ يَركُضُها الشُّعثُ المَغاوِيرُ
يَحمِلنْ كلَّ هِجانٍ صارِمٍ ذَكَــرٍ وتحتهـــم شُزَّبٌ قُـــبٌّ مَضاميرُ[3]
أَوعَدتُمــو إبــلي كــلاً سيمنعُها بنـــو غَزِيَّــةَ لا مِيـلٌ ولا صُورُ[4]

[مقتل أخيه عبد يغوث]

وأما عبد يَغُوثَ بن الصمة وخبرُ مقتله فإنه كان ينزل بين أظهُر بني الصَّادر فقتلوه . قـال أبـو عبيدة في خبره : قتلـه مُجَمِّع بن مُزاحِم أخو شَجنةَ بنِ مُزاحِم وهو من بني يَربُوع بن غَيظ بن مُرَّة . فقال دريد بن الصِّمَّة[5] : [من البسيط]

أبلِــغْ نُعَيماً وأَوفى إن لَقِيتَهما إن لم يكن كان في سَمعَيهُما صَمَمُ
فمـــا أخـــي بأخي سَوءٍ فيَنقُصَه إذا تَقارَبَ بابـــن الصَّادِر القِسَمُ
ولن يَــزالَ شِهابـاً يُستضاءُ بــه يَهدِي المَقانبَ ما لم تَهلِكِ الصِّمَمُ[6]
عاري الأشاجِــع مَعصوبٌ بلِمَّته أمرُ الزَّعامــةِ ، في عِرنينِه شَمَمُ[7]

[مقتل أخيه خالد بن الصمّة]

قال أبو عبيدة : أما قوله «أو نَدِيمي خالد» ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن بني الحارث بن كعب غَزَت بني جُشم بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عنى . وقال غيرُ أبي عبيدة : خالد بن الحارث[8] الذي عناه دريد

1 العرق : الأصل . الشنج : التقلص والتقبض . بزخ الظهور : تقاعس الظهر وبروز أسفل البطن . أي هم مشوهو الأجسام .
2 أي من الخوف .
3 الهجان : الكريم . الشزب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس . والقب : جمع أقب وهم من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن .
4 ميل : جمع أميل وهو الجبان أو الذي لا رمح لـه . الصور : جمـع أصور وهو المائل العنق . وفي الديوان : ولا عـور .
5 ديوانه : القطعة 62 .
6 المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة وفي عددها خلاف : (30–40 ، دون 100 ، نحو 300) . الصمم : جمع صمة وهو الشجاع .
7 الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، واحدها أشجع .
8 كان أولى أن يقول «خالد الذي عناه دريد . . .» .

هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمّة بن الحارث قتلته أَحْمَسُ (بطنٌ من شَنُوءةَ) وكان دريد بن الصِّمَّة أغار عليهم في قومه فظفر بهم واستاق إبلَهم وأموالهم وسبى نساءَهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يُصَب أحد ممن كان معه إلا خالد بن الحارث عمه ، رماه رجلٌ منهم بسهم فقتله ؛ فقال دريد بن الصمة يرثيه[1] : [من البسيط]

يا خالداً خالـدَ الأَيسارِ والنادي ... وخالدَ الرِّيحِ إذ هَبَّـتْ بصُرَّادِ[2]

وخالدَ القولِ والفعلِ المَعِيش بـه ... وخالدَ الحربِ إذ عَضَّتْ بأزرادِ[3]

وخالدَ الرَّكبِ إذ جَدَّ السِّفارُ بهم ... وخالدَ الحـيّ لمـا ضُـنَّ بالزادِ

وقال أبو عبيدة : قال دريد يرثي أخاه خالداً[4] : [من الطويل]

أَمَيمَ أَجِدِّي عافيَ الرُّزءِ واجشَمِي ... وشُدِّي على رُزءٍ ضلوعَك وابأسِي

حرامٌ عليها أن تَـرى في حياتِها ... كمثلِ أبي جَعدٍ فعُودِي أوِ اجلِسي

أعـفَّ وأَجـدى نائـلاً لعَشيرةٍ ... وأكرمَ مخلودٍ لـدى كلِّ مجلِسِ

وأَلْـينَ منـه صفحـةً لعَشيرةٍ ... وخيراً أبا ضيفٍ وخيراً لمجلسِ

تقولُ هِـلالٌ خـارجٌ من غَمامةٍ ... إذا جاء يَجرِي في شَلِيلٍ وقَونَسِ[5]

يَشُدُّ متـونَ الأَقربِـينَ بهـاؤه ... ويُخبِثُ نفسَ الشانـىء المُتَعبِّسِ

وليس بِمِكبـابٍ إذا الليـلُ جَنَّـه ... نؤومٍ إذا مـا أُدلَجُوا في المُعَرَّسِ[6]

ولكنـه مِـدلاجُ ليـلٍ إذا سَرى ... يُنـدُّ سُراه كلَّ هـادٍ مُمَلّسِ[7]

هذه رواية أبي عبيدة .

[يوم ثيل]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصمة قُتل في غارة أغارتْها بنو الحارث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يوم يقال له يوم

---

1 ديوانه : القطعة 18 .
2 الصراد : غيم رقيق لا ماء فيه .
3 الأزراد : الدروع . وفي رواية «غصت بأوراد» جمع ورد . وهو القطيع من الطير والجيش على التشبيه .
4 ديوانه : القطعة 35 .
5 الشليل : الغلالة تلبس تحت الدرع . القونس : أعلى بيضة الحديد وقيل مقدمها .
6 مكباب : كثير النظر إلى الأرض .
7 في الديوان : عملس وهو القوي الشديد على السفر .

ثيل[1] ، فأصابوا ناساً من بني نصر . وبلغ الخبر بني جُشَمَ فلحِقوهم ، ورئيس بني جُشَمَ يومئذٍ مالكُ بن حَزن ، فاستنقذوا ما كان في أيديهم من غنائم بني نصر ، فأصابوا ذا القَرن الحارثي أسيراً وفقؤوا عينَ شهاب بن أبان الحارثي بسهم ، وقُتل يومئذٍ خالد بن الصِّمَّة وكان مع مالك بن حزن ، وأصابت بنو جُشَم منهم ناساً ، وكان رئيس بني الحارث بن كعب يومئذٍ شهاب بن أبان ، ولم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم ؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة ، ولما قُدِّم لتُضرَب عُنُقُه ، صاح بأوس بن الصمة ، وكان له صديقاً ، ولم يكن أوس حاضراً ، فلم ينفعه ذلك ، وقُتل . فلما قَدِم أوسٌ غضِب وقال : أقتلتم رجلاً استجار باسمي ؟!

فقال عوف بن معاوية في ذلك : [من البسيط]

نُبِّئتُ أوساً بَكى ذا القَرنِ إذ شربا ... على عُكاظ بكاءَ غـالَ مجهودي

إنّي حلَفتُ بما جمَّعتُ من نَشَبٍ ... ومـا ذَبحتُ على أنصابكَ السُّودِ

لتبكـينَّ قَتِيـلاً منـكَ مُقترِبـاً ... إنّـي رأيتُـكَ تبكـي للأباعيدِ

[خدع بالزواج بامرأة ثيب]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : تزوج دريد بن الصمة امرأةً فوجدها ثَيِّباً ، وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفَه فأقبل به إليها ليضربها ، فتلقَّته أمها لتدفعَه عنها ، فوقف يدَيها (أي حَزَّهما ولم يقطعهما) فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال[2] : [من الوافر]

أَقَـرَّ العـينَ أن عَصَبَتْ يديها ... وما إن تُعصَبانِ على خِضابِ

فأبقاهـنَّ أن لهـنَّ جَـداً ... وواقيـةً كواقيـةِ الكلابِ[3]

قالوا : يريد أن الكلب يُصيبه الجُرح فيَلحس نفسه فيبرأ .

[بينه وبين عياض الثعلبي]

قال أبو عبيدة وابن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية : أسَر دريد بن الصّمة عِياضاً الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه . ثم إن دريداً أتاه بعد ذلك يستثيبه . فقال له :

---

1 لعلها يوم ثيتل «وهو ماء قرب النباح كانت به وقعة مشهورة» (ياقوت) .

2 ديوانه : القطعة 8 .

3 المثل واقية كواقية الكلاب في مجمع الميداني 2 : 364 (المثل 4364) وانظر مستقصى الزمخشري 2 : 166 . قال الميداني : «وقاية كوقاية الكلاب على أولادها ، وهي أشد الحيوانات وقاية لأولادها» . وقال الثعالبي (ثمار القلوب رقم 632) يضرب مثلاً للخسيس إذا كان موقى واستشهد ببيتي دريد هذين .

إيتِ رَحلَك حتى أبعث إليك بثوابك ؛ فانصرف دريد . فبعث إليه بوَطبٍ[1] نصفه لبن ونصفه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلاً حتى أغار على بني ثعلبة ، واستاق إبل عياض ، وأُفلتَ عياضٌ منه جريحاً ؛ فقال دريد في ذلك من قصيدة[2] : [من الطويل]

فـإن تَنـجُ يَدمَـى عارضاكَ فإنّنا تركنـا بنيـكَ للضِّباعِ وللرُّخمِ
جزَيتُ عِياضاً كفـرَه وعُقُوقَـه وأخرجتُـه مـن المُدَفـأة الدُّهمِ[3]
ألاَ هـل أتاه مـا ركبنا سَراتَهم وما قد عقَرنا من صَفيٍّ ومن قَرمِ[4]

[هجا عبد الله بن جدعان ثم مدحه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : هجا دريد بن الصّمة عبد الله بن جُدعان التَّيمي تَيم قريش فقال[5] : [من البسيط]

هل بالحوادثِ والأيامِ من عَجَبِ أم بابنِ جُدعانَ عبدِ الله من كَلَبِ
استٌ حميتٌ وهـي في عِكم ربته في يـوم حرٍّ شديد الشرِّ والهَرَبِ[6]
إذا لقيتَ بنـي حَرب وإخوتَهم لا يأكلون عَطِينَ الجلدِ والأُهُبِ[7]
لا يَنكُلُـون ولا تُشوِي رماحُهمُ من الكُماةِ ذوي الأبدانِ والجُبَبِ[8]
فاقعُد بَطِيناً مـع الأقوامِ ما قعدوا وإن غزوتَ فلا تُبعِـد من النَّصَبِ
فلو ثَقِفتُكَ وَسطَ القـومِ تَرصُدُني إذاً تلبَّس منكَ العِرضُ بالحَقَبِ[9]
ومـا سمعـتُ بصَقرٍ ظَـلَّ يرصُدُهُ مِن قبلِ هذا بجَنبِ المَرجِ مِن خَرَبِ[10]

قال : فلقيه عبد الله بن جُدعان بعُكاظ فحياه وقال له : هل تعرفني يا دريد ؟ قال لا . قال :

---

1 وطب : وعاء للبن من جلد .
2 ديوانه : القطعة 58 .
3 المدفأة : الإبل الكثيرة الأوبار والشحوم .
4 الصفي : الناقة الغزيرة اللبن . القرم : الفحل .
5 ديوانه : القطعة 3 .
6 حميت : متين . عكم : عدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالحبال . الشر في ل : الشل .
7 العطين : الجلد المدبوغ .
8 تشوي : تصيب الشوى (الأطراف) ولا تقتل . الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . الجبب : جمع جبة وهي هنا الدرع أيضاً .
9 وسط في ل : حول . العرض هنا : الجسد ، والحقب : شيء تعلق به المرأة حليها وتجعله في وسطها .
10 المرج : لعلها المرخ وهو شجر سريع الوري يقتدح به . خرب : ذكر الحبارى أو الحبارى كلها .

فلِمَ هجوتَني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتك لأنك كنتَ امرءاً كريماً ، فأحببتُ أن أضع شعري موضعَه . فقال له عبد الله : لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ ؛ وكساه وحمله على ناقة برَحلِها . فقال دريد يمدحه[1] : [من المتقارب]

إليكَ ابنَ جُدعانَ أعملتُها مخففةً للسُّرى والنَّصَبْ
فلا خَفَضَ حتى تُلاقي امرءاً جَوادَ الرِّضا وحَليمَ الغَضَبْ
وجَلداً إذا الحربُ مَرَّتْ به يُعينُ عليها بجَزلِ الحَطَبْ
وجُلتُ البلادَ فما إن أُرى شَبيهَ ابن جُدعانَ وَسطَ العَرَبْ
سوى مَلِكٍ شامِخٍ ملكُه له البحرُ يَجري وعينُ الذَّهَبْ

[تهاجيه الخنساء]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلام موقوفاً عليه لم يتجاوزه إلى غيره ، وحدثني حبيب بن نصر المهلّبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عليٌّ بن المغيرة عن أبي عبيدة ، وأخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة عن أبي عمرو الشَّيباني ، وأخبرني عمّي قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، وقد جمعتُ أخبارَهم على اختلاف ألفاظهم في هذا الموضع ، أن دريد بن الصّمة مرَّ بالخَنساء بنت عمرو بن الشَّريد ، وهي تَهنَأ بعيراً لها وقد تبذّلت حتى فرغت منه ، ثم نَضَت عنها ثيابَها فاغتسلت ودريد بن الصّمة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته ؛ فانصرف إلى رحله وأنشأ يقول[2] : [من الكامل]

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعوا صَحبي وقِفُوا فإن وقوفكم حَسبي
أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم وأصابَهُ تَبلٌ من الحُبِّ
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به كاليومِ طاليَ أينُقٍ جُربِ
متبذِّلاً تَبدو محاسنُه يضعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقبِ[3]
متحسِّراً نضَحَ الهِناءَ به نَضحَ العَبيرِ برَيطَةِ العَصبِ

---

1 ديوانه : القطعة 4 .

2 ديوانه : القطعة 5 .

3 الهناء : القطران . النقب : المواضع المتفرقة من الجرب .

فسَلِيهِمُ عنّي خُناسُ إذا عَضَّ الجميعَ الخَطبُ ما خَطبي

قالوا : وتُماضِرُ اسمُها . والخنساء لقبٌ غلَب عليها ، فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها إليه . فقال له أبوها : مرحباً بك أبا قُرَّة ! إنك لَلكريمُ لا يُطعَن في حَسَبِه ، والسيِّد لا يُرَدُّ عن حاجته ، والفحل لا يُقرَع أنفُه . وقال أبو عبيدة خاصة مكان «لا يُطعن في حسبه» «لا يطعن في عيبه» ، ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرُك لها وهي فاعلة . ثم دخل إليها وقال لها : يا خنساء ، أتاك فارسُ هوازن وسيِّد بني جُشَم دريد بن الصمة يخطبُك وهو مَن تعلمين ، ودريد يسمع قولهما . فقالت : يا أبت ، أتُراني تاركة بني عمي مثل عَوالي الرماح وناكحةً شيخ بني جُشم هامة اليوم أو غَدٍ[1] ! . فخرج إليه أبوها فقال : يا أبا قُرَّة قد امتنعت ، ولعلَّها أن تُجيب فيما بعد . فقال : قد سمعتُ قولكما ، وانصرف . هذه رواية مَن ذكرتُ . وقال ابن الكلبي : قالت لأبيها : أَنظِرني حتى أُشاور نفسي ، ثم بعثت خَلفَ دريد وليدةً فقالت لها : انظري دريداً إذا بال ، فإن وجدتِ بولَه قد خرق الأرض ففيه بقية ، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضلَ فيه . فاتَّبعته وليدتُها ثم عادت إليها فقالت : وجدتُ بولَه قد ساح على وجهِ الأرض ، فأمسكت . وعاود دريد أباها فعاودها فقالت له هذه المقالةَ المذكورة ، ثم أنشأت تقول[2] : [من الوافر]

أتخطُبني ، هُبِلتَ ، على دُرَيدٍ وقد أُطرَدتَ سيِّدَ آلِ بَدرِ ![3]
مَعاذَ الله يَنكِحُني حَبَركَي يقال أبوه من جُشَمَ بنِ بكرِ[4]
ولو أمسيتُ في جُشَمٍ هَدِيّاً لقد أمسيتُ في دَنَسٍ وفَقرِ[5]

فغضِب دريد من قولها وقال يهجوها[6] : [من الوافر]

وقاكِ اللهُ يا ابنَةَ آلِ عَمرٍو مِنَ الفِتيانِ أمثالي ونَفسي
فلا تَلِدِي ولا يَنكِحكِ مثلي إذا ما ليلةٌ طرَقَتْ بنَحسِ

1 المثل في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري : 389 .
2 ديوان الخنساء (صادر) : 77 وفيه أن المخاطب هو أخوها معاوية بن عمرو كما يدل البيت الأول من القطعة فيه ، وهو أقرب إلى الصواب إذ يستبعد أن تخاطب أباها بالدعاء عليه . وسيورد أبو الفرج هذا الخبر في ترجمة الخنساء فيما بعد .
3 أطردت : أمرت بطرد . الشطر الثاني في الديوان : أتكرهني . . . وقد أحرمت .
4 الحبركى : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين .
5 الهدي : العروس .
6 ديوانه : القصيدة 34 .

لقد علِمَ المَراضِعُ في جُمادى إذا استَعجَلْنَ عن حَزٍّ بنَهسِ[1]
بأنّي لا أَبيتُ بغيرِ لحمٍ وأَبدأُ بالأرامِلِ حينَ أُمسي
وأني لا ينالُ الحَيَّ ضَيفي ولا جارِي يَبيتُ خبيثَ نفسِ[2]
إذا عُقَبُ القُدورِ تَكُنَّ مالاً تَحُثُّ حلائلَ الأَبرام عِرسي[3]
وأصفرَ من قِداح النَّبع صُلبٍ خفيِّ الوَسمِ في ضَرسٍ ولَمسِ[4]
دَفَعتُ إلى المُفيضِ إذا استقلُّوا على الرُّكُباتِ مَطلَعَ كلِّ شَمسِ[5]
فإن أَكدَى فتامِكَةٌ تُؤدَّى وإن أَربى فإني غيرُ نِكسِ[6]
وتزعُم أنني شيخٌ كبيرٌ وهلْ خبَّرتُها أني ابنُ أمسِ
تريدُ شَرَنبَثَ القدمين شَثناً يُبادِرُ بالجَدائِر كلَّ كِرسِ[7]
وما قَصُرتْ يدي عن عُظمِ أمرٍ أهُمُّ به ولا سَهمي بِنِكسِ
وما أنا بالمُزَجَّى حين يسمو عظيمٌ في الأمورِ ولا بوَهسِ[8]

قال : فقيل للخنساء : ألا تُجيبينَه ؟ فقالت : لا أَجمَع عليه أن أَرُدَّه وأَهجُوَه .

[آخر أيامه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : لما أَسَنَّ دريد جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت ، ووكَّلوا به أَمَةً تخدُمه ، فكانت إذا أرادت أن تُبعِدَ في حاجة قَيَّدته بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت يا دريد ؟ فأنشأ يقول[9] : [من البسيط]

أصبحتُ أقذفُ أهدافَ المنون كما يَرمي الدَّرِيئةَ أَدنى فُوقةِ الوَتَرِ[10]

---

1 الحز : القطع . النهس : انتزاع اللحم عن العظم بمقدم الأسنان .
2 ينال في ل : يشاوي . وفي الأمالي : وأني لا يمر الضيف كلبي .
3 عقب القدور : ما التصق بها من الطعام . تحث : تعجل . الأبرام : جمع برم وهو اللئيم أو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .
4 ضرس السهم : عجمه .
5 المفيض : الضارب بالقداح .
6 أكدى : أخفق ولم يصب . تامكة : ناقة عظيمة السنام أو السنام نفسه . نكس : ضعيف لا خير فيه .
7 الشَّرنبث والشثن : الغليظ . الجدائر : جمع جديرة وهي الخطيرة . كرس : متراكب .
8 المزجى : الملصق بالقوم وليس منهم ، الناقص المروءة ، البخيل . الوهس : الذليل .
9 ديوانه : القطعة 23 .
10 الدريئة : حلقة يتعلم عليها الرامي الرمي . والفوقة : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

في مَنصَفٍ من مَدى تسعينَ من مائة كرَمية الكاعبِ العَذراء بالحجرِ[1]
في منزلٍ نــازحٍ م الحـيِّ مُنتبَذٍ كمَربَط العَيرِ لا أدعَـى إلى خبرِ
كأنّنــي خَــرَبٌ قُصَّتْ قوادمُـه أو جُثّةٌ من بُغاثٍ في يَدَيْ خَصِرِ[2]
يُمضُون أمرَهمُ دوني وما فقدوا منّـي عزيمةَ أمرٍ مـا خَلا كِبَري
ونومةٌ لستُ أقضيها وإن مُتِعتْ وما مضَى قبلُ من شأوي ومن عُمُري
وأنني رابَنــي قيــدٌ حُبِستُ بــه وقد أكونُ وما يُمشَى على أثَري
إنَّ السِّنينَ إذا قَرَّبــنَ من مائــةٍ لَوَينَ مِــرَّةَ أحـوالٍ على مِــرَرِ[3]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : قالت امرأة دريد له : قد أُسنَنتَ وضعُف جسمك وقُتل أهلك وفَنِيَ شبابك ، ولا مال لك ولا عُدة ، فعلى أي شيء تعوّل إن طال بك العمر أو على أي شيء تُخَلِّف أهلَك إن قُتِلتَ ؟ فقال دريد[4] : [من الوافر]

صوت

أعــاذلُ إنّمــا أُفنَــى شَبابي ركوبي في الصَّريخِ إلى المُنادِي
مـع الفِتيانِ حتى كَلَّ جسمي وأقرَح عاتِقــي حَمــلُ النِّجادِ
أعــاذلُ إنــه مــالٌ طَرِيــفٌ أحَــبُّ إليَّ مــن مـــالٍ تِلادِ
أعاذلُ عُــدَّتي بَــدَني وَرُمحي وكلُّ مقلّــص شَكِس القِيادِ[5]
ويَبقى بعدَ حِلمِ القــوم حِلْمي ويَفنَى قبلَ زاد القـــوم زادي

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد ، وغيره يرويه لعمرو بن معد يكرب ، وقول أبي عبيدة أصح . لابن محرز في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاقَ . وذكر عمرو بن بانة أن لابن سُرَيج فيها ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر . وخلَط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب في هذين اللحنين : [من الوافر]

أريــدُ حياتَــه ويريــدُ قتلي عَذيرَك مِـن خليلكَ من مُرادِ

---

1 منصف الشيء : وسطه .
2 قصت في ل : حُصَّت . والخرب : ذكر الحباري . خصر في الديوان : هصر : أي حيوان مفترس .
3 المرة : طاقة الحبل .
4 ديوانه : القطعة 19 .
5 البدنة : الدرع . والمقلص : الفرس الطويل القوائم الضامر البطن .

ولـو لاقيتَني ومعي سلاحي تكشَّف شَحمُ قلبِكَ عن سوادِ

[قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم]

وقال أبو عبيدة فيما رويناه عن دماذ عنه : قتلت بنو يربوع الصمة أبا دريد غَدراً ، وأسروا ابن عمٍّ له ؛ فغزاهم دريد ببني نصر فأوقع ببني يربوع وبني سعدٍ جميعاً ، فقتَل فيهم . وكان فيمن قُتل عَمار بن كَعب ؛ وقال فيهم[1] : [من الوافر]

دعوتُ الحَـيَّ نصراً فاستَهلُّوا بشُبَّانٍ ذوي كَـرَمٍ وشِيبِ
على جُـردٍ كأمثـالِ السَّعالي ورَجـلٍ مثـلِ أهميـة الكَثِيبِ[2]
فمـا جَبُنـوا ولكنّـا نَصَبنا صـدورَ الشَّرعَبِيّـة للقلوبِ[3]
فكم غـادَرنَ من كابٍ صَريعٍ يَمُجُّ نَجيـعَ جائفـةٍ ذَنُوبِ[4]
وتلكم عـادةٌ لبني رَبـابِ إذا مـا كان موتٌ من قريبِ
فأجلَـوا والسَّوامُ لنا مُبـاحٌ وكلٌّ كَريمـةٍ خَـودٍ عَرُوبِ
وقـد تُرِك ابنُ كَعب في مَكَرٍّ حَبِيساً بـين ضِبعانٍ وذيبِ

[أبوه شاعر]

قال أبو عبيدة : وكان الصّمة أبو دريد شاعراً ، وهو الذي يقول في حرب الفِجار التي كانت بينهم وبين قريش : [من المتقارب]

لاقـت قُرَيشٌ غَـداةَ العَقِيـ ـقِ أمـراً لهـا وجدَتهُ وَبِيلا
وجئنا إليهـم كموج الأَتِيِّ يعلـو النِّجاد ويَمـلا المَسِيلا[5]
وأَعـددتُ للحَربِ خَيفانةً ورمحاً طويـلاً وسيفاً صقيلا[6]
ومُحكَمـةً مـن دروعِ القُيو نِ تسمعُ للسيفِ فيها صليلا

[أخوه مالك شاعر]

قال : وكان أخوه مالك بن الصّمة شاعراً ؛ وهو القائل يرثي أخاه خالداً : [من الكامل]

1 ديوانه : القطعة 6 .
2 أهمية في ل : أهيلة .
3 الشرعبية : هنا الرماح الطويلة .
4 الجائفة : الطعنة التي تنفذ إلى الجوف . الذنوب : طويلة الشر والأذى .
5 الأتي : السيل لا يدرى من أين أتى .
6 الخيفانة : الفرس .

أَبني غَزِيَّةَ إن شِلْواً ماجِداً وَسطَ البيوتِ السُّودِ مَدفَعَ كَركَرِ[1]
لا تَسقِني بيديكَ إن لم ألتمسْ بالخيلِ بينَ هبولةَ فالقَرقَرِ[2]

[تحالف مع معاوية بن عمرو بن الشريد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال : تحالف دريد بن الصّمة ومعاوية بن عمرو بن الشَّريد وتواثقا إن هلَك أحدهما أن يَرثيه الباقي بعده ، وإن قُتل أن يطلب بثأره[3] . فقُتل معاوية بن عمرو بن الشَّريد ، قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المُرِّي . فرثاه دريد بقصيدته التي أولها[4] : [من الوافر]

أَلا هَبَّتْ تَلُومُ بغير قَدْرِ وقد أحفظتِني ودخلتِ سِتري
وإلا تَترُكي لَومِي سَفاهاً تَلُمك عليه نفسُك غيرَ عَصرِ

وفيها يقول :

فإنَّ الرُّزءَ يوم وقفتُ أدعو فلم أُسمعْ معاويةَ بنَ عمرِو
ولو أسمعتَه لأتاكَ يسعَى حَثِيثَ السَّعيِ أو لأتاكَ يجري[5]
بشِكَّةِ حازمٍ لا غَمزَ فيه إذا لبِس الكُماةُ جلودَ نِمرِ[6]
عرفتُ مكانَه فعطَفتُ زَوراً وأين مكانُ زَورٍ يا ابنَ بكرِ[7]
على إرَمٍ وأحجارٍ ثِقالٍ وأغصانٍ من السَلَماتِ سُمرِ[8]
وبُنيانُ القبورِ أتى عليها طَوالُ الدهرِ شهراً بعدَ شهرِ

[خرفه]

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : وقف عارضٌ الجُشَمي على دريد وقد خَرِف وهو عُريان وهو يكوِّم كُوَمَ بَطحاءَ[9] بين رجليه يلعب

1 الشلو هنا : الجسد . كركر : موضع .
2 هبولة والقرقر : موضعان .
3 ل : بدمه .
4 ديوانه : القصيدة 25 وهناك اختلاف في الترتيب والرواية كبير .
5 يسعى في ل : ركضاً .
6 الشكة : السلاح . المثل «لبست (لبس) له جلد النمر» في مجمع الميداني 2 : 180 ومستقصى الزمخشري 28 : 178 وفصل المقال : 480 .
7 الزور : الجمل القوي ، ولعله هنا اسم جمله .
8 إرم : حجارة تنصب علماً في المفازة .
9 البطحاء هنا : الحجارة الصغيرة .

بذلك ؛ فجعل عارضٌ يتعجب مما صار إليه دريد . فرفع رأسه دريد إليه وقال : [من الرجز]

كأنَّني رأسُ حَضَنْ في يومِ غَيمٍ ودُجَنْ[1]
يا ليتني عهدَ زَمَنْ أنفُضُ رأسي وذَقَنْ
كأنَّني فَحلُ حُصُنْ أُرسِلَ في حَبلِ عُنُنْ
أُرسلَ كالظَّبيِ الأَرِنْ أَلصَقَ أُذناً بأُذُنْ

قال : ثم سقَط ؛ فقال له عارضٌ : انهض دريد ! فقال : [من الرجز]

لا نَهضَ في مثلِ زمانِي الأولِ مُحنَّبَ الساقِ شديدَ الأَعصَلِ[2]
ضخمَ الكراديسِ خَمِيصَ الأَشكلِ ذي حَنجَرٍ رحبٍ وصُلبٍ أعدلِ[3]

[خروجه في حرب حنين]

حدثنا محمد بن جرير الطَّبَري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزُّهري عن عبيد الله بن عبد الله قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة أقام بها خمسَ عشرة ليلةً يقصُر الصلاة ، وكان فتحُها في عشر ليالٍ بَقِينَ من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو[4] بن شُعَيب عن أبيه عن جدِّه قال : لما سمعت به هوازِنُ جَمَعَها مالك بن عمرو بن عَوف النَّصري ، فاجتمعت إليه ثَقيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيس إلا هوازنُ وناسٌ قليلٌ من بني هلال ، وغابت عنها كعبٌ وكِلاب ، فجمعت نصرٌ وجُشم وسعدٌ وبنو بكر وثقيف واحتشدت ، وفي بني جُشَم دريد بن الصمة شيخٌ كبيرٌ فانٍ ليس فيه شيء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرِّباً ، وفي ثقيف في الأحلاف قارِبُ بن الأسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الخِمار سُبَيع بن الحارث ، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف . فلما أجمع مالكٌ المسيرَ حَطَّ مع الناس أموالَهم وأبناءهم ونساءهم . فلما نزلوا بأوطاس اجتمع إليه الناسُ وفيهم دريد بن الصّمة في شجارٍ[5] له يُقاد به . فقال لهم دريد : بأي وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نِعم مجالُ الخيل ، ليس بالحَزن الضَّرِس ولا السَّهل الدَّهِس[6] . ما لي أسمع رُغاءَ الإبل ونَهيق الحمير وبكاء الصغير

1 حضن : اسم جبل . ودجن : جمع دجنة وهي الظلمة .
2 محنب الساق : معوجها ، وهو أشد لها . والأعصل : المعوج الصلب من كل شيء . يقال ناب أعصل .
3 الكراديس : جمع كردوس وهو كل عظم تام ضخم . خميص الأشكل : رقيق الخاصرة .
4 ل : أبو عمرو .
5 شجار : مركب أصغر من الهودج .
6 الضرس : الصعب . والدهش : اللين .

وثُغاء الشاء ؟ ! قالوا : ساق مالكُ بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالَهم . فقال : أين مالكٌ ؟ فدُعي له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام ! . ما لي أسمع رُغاء البعير ونهيقَ الحمير وبكاء الصِّبيان وثُغاء الشاء ؟! قال : سُقتُ مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم . قال : ولِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعل مع كل رجل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم . قال : فانقضَّ به ووبخه ولامه ، ثم قال : راعِي ضأنٍ والله (أي أحمق)[1] ! وهل يَرُدُّ المنهزِمَ شيء ! إنها إن كانت لك لم يَنفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكِلاب ؟ قال : لم يَشهَدها أحدٌ منهم . قال : غاب الحَد والجِدّ ! لو كان يومَ عَلاءٍ ورفعة لم تَغِب عنه كعب وكِلاب ! ولوَدِدتُ أنكم فعلتم مثلَ ما فعلوا . فمَن شَهِدها منهم ؟ قالوا : بنو عمرو بن عامر وبنو عوف بن عامر . قال : ذانِك الجَذَعانِ[2] من عامر لا ينفعان ولا يَضُران . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة[3] بيضة هوازن إلى نُحور الخيل شيئاً . ارفعهم إلى أعلى بلادهم وعلياء قومهم ثم القَ القوم بالرجال على مُتون الخيل ، فإن كانت لك لَحِق بك مَن وراءك ، وإن كانت عليك كنتَ قد أحرزتَ أهلَك ومالَك ولم تُفضَح في حَريمك . قال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ! إنك قد خَرِفتَ وخَرِفَ رأيُك وعلمُك . والله لتُطيعنني يا معشر هوازن أو لأتَّكِئَن على هذا السيف حتى يخرج من وراء ظهري ، فنفِس على دريد أن يكون له في ذلك ذكرٌ ورأيٌ ، فقالوا له : أطَعناكَ وخالفنا دريداً . فقال دريد : هذا يوم لم أشهَده ولم أغِب عنه . ثم قال[4] : [من منهوك الرجز]

يا ليتَني فيهـا جَذَعْ ... أخُبُّ فيهـا وأضَعْ[5]
أقُـود وَطفـاءَ الزَّمَعْ ... كأنَّهـا شاةٌ صَدَعْ[6]

قال : فلما لَقِيهم رسول الله ﷺ انهزم المشركون فأتَوا الطائفَ ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضُهم بأوطاس وتوجَّه بعضُهم نحو نَخلة[7] ، وتبعت خيلُ رسول الله ﷺ مَن سلك

1 المثل [أجهل من] راعي ضأن في مجمع الميداني 1 : 189 والدرة الفاخرة : 1 : 107 .
2 الجذع : الشاب الحدث .
3 بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم .
4 ديوانه : القطعة 42 .
5 يعني يسير كالخيل الشابة في عدوها الخفيف والسريع .
6 وطفاء الزمع : كناية عن فرس طويلة شعر الرسغ كأنها شاة قوية فتية . والصدع : الفتي الشاب القوي من الأوعال والظباء والإبل والحمر .
7 نخلة : المراد نخلة اليمانية ، وهي واد .

نخلة ، فأدرك ربيعةُ بن رُفَيع السُّلَمي أحدُ بني يربوع بن سمال[1] بن عوف دريد بن الصِّمَّة فأخذ بخِطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه كان في شجار له ، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخ كبير ولم يعرفه الغلامُ . فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتُلُك . قال : ومن أنتَ ؟ قال : أنا ربيعة بن رُفَيع السُّلَمي . فأنشأ دريد يقول[2] : [من المتقارب]

وَيحَ ابـن أُكْمَةَ مـاذا يُريـدُ ... من المُرْعَشِ الذّاهـب الأَدرَدِ[3]
فأُقْسِمُ لـو أنَّ بـي قـوةً ... لوَلّـتْ فرائصُـه ترْعَـدُ
ويـا لَهفَ نفسيَ ألا تكونَ ... معـي قـوةُ الشارخِ الأمرَدِ[4]

ثم ضربه السُّلَميُّ بسيفه فلم يُغنِ شيئاً . فقال له : بئس ما سلَّحتك أُمُّك ! خذ سيفي هذا من مؤخَّر رحلي في القِراب فاضرِب به وارفَع عن العظام واخفِض عن الدِّماغ ، فإني كذلك كنتُ أفعل بالرجال[5] ، ثم إذا أتيتَ أُمَّك فأخبِرها أنك قتلتَ دريد بن الصّمة ، فرُبَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءك ! . فزعمت بنو سُلَيم أن ربيعة قال : لما ضربته بالسيف سقَط فانكشف ، فإذا عِجانُه وبطن فخذيه مثلُ القراطيس من ركوب الخيل أعراءً . فلما رجع ربيعةُ إلى أمه أخبرها بقتله إياه ؛ فقالت له : لقد أعتق قتيلُك ثلاثاً من أمهاتك . وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري ، فهزمَهم الله جلَّ وعزَّ وفتح عليه . فيزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله (يعني أبا عامر) .

فقالت عمرة بنت دريد ترثيه : [من الوافر]

جَـزى عنّـا الإلـهُ بنـي سُلَيـمٍ ... وأعقبهـم بمـا فعلـوا عَقـاقِ[6]
وأسقانـا إذا سِرنـا إليهـم ... دمـاءَ خيارِهـم يـومَ التَّـلاقي
فـرُبَّ مُنَـوِّهٍ بـكَ مـن سُلَيـمٍ ... أُجيبَ وقـد دعـاك بـلا رِماقِ[7]
ورُبَّ كريمـةٍ أعتقـتَ منهـم ... وأُخرى قد فككـتَ مـن الوَثاقِ

1 ل : سماك .
2 ديوانه : القطعة 20 .
3 ابن أُكمة : في سيرة ابن هشام (2 : 852) أن ربيعة ابن رفيع يقال له ابن الدغنة وهي أمه ، ويقال ابن لذعة .
4 الشارخ في ل : الشامخ . والشارخ : الشاب .
5 ل : أضرب الرجال .
6 عقاقِ : مبني على الكسر ، العقوق .
7 الرماق : ما يمسك الرمق .

وقالت عمرة ترثيه أيضاً : [من البسيط]

قالوا قتلنا دريداً قلتُ قد صدَقوا ... وظَلَّ دمعــي على الخدَّين يَبتدرُ
لولا الذي قهَــر الأقــوامَ كلَّهمُ ... رأتْ سُلَيمٌ وكَعــبٌ كيفَ تأتَمِرُ
إذاً لصبَّحهــم غِبّــاً وظاهِـرةً ... حيثُ استقرَّ نواهـم جَحفَلٌ ذَفِرُ[1]

[قوله في بني الحارث وجواب عبدالله بن عبد المدان]

ونسختُ من كتاب مترجَمٍ بأنه نُسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثُره عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي : كان دريد بن الصِّمة يوماً يشرب مع نفَرٍ من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذُفافة ، وكان يُكنى بأبي ذُفافة وبأبي قُرة ، أينجو بنو الحارث بن كعب منك وقد قتَلوا أخاك خالداً !؟ فقال لهم : إن القوم جَمرةُ[2] مَذحِج ، وهم أكفاءُ جُشَمَ ، ولا يَجمُل بي هجاؤهم . فأحفظُوه بكثرة القول وأغضبوه ، فقال[3] : [من الرمل]

يا بنــي الحارثِ أنتم مَعشَرٌ ... زَندُكم وارٍ وفي الحربِ بُهَمْ[4]
ولكــم خيــلٌ عليهـا فتيةٌ ... كأُسُودِ الغابِ يَحمِينَ الأَجَمْ
ليس في الأرضِ قَبِيلٌ مثلُكم ... حين يَرفَضُّ العِدا غيرَ جُشَمْ
لستُ للصِّمَّــةِ إن لم آتِكم ... بالخَناذيذ تَبارى في اللُّجُمْ[5]
فتَقَــرُّ العــينُ منكم مــرةً ... بانبعاثِ الحُــرّ نَوحاً تَلتَدِمْ[6]
وتُــرى نَجرانُ منكم بَلقعاً ... غيرَ شَمطاءَ وطفلٍ قــد يَتِمْ
فانظُروهـا كالسَّعــالي شُزَّبــاً ... قبلَ رأسِ الحَوْلِ إن لم أُختَرَمْ

قال : فنُمِي قولُه إلى عبد الله بن عبد المَدان ، فقال يُجيبه : [من البسيط]

نُبِّئــتُ أن دُريــداً ظــلَّ مُعترِضاً ... يُهدِي الوَعيدَ إلى نَجرانَ من حَضَنِ[7]
كالكلبِ يَعــوِي إلى بيداء مُقفِرةٍ ... من ذا يُواعِدُنا بالحربِ لم يَحِنِ[8]

1 الذفر : متغير الرائحة .
2 جمرة : أهل منعة وشدة يصبرون للقتال دون أن يحالفوا غيرهم .
3 ديوانه : القطعة 64 .
4 بهم : جمع بهمة وهو الشجاع .
5 الخناذيذ : جياد الخيل ، واحدها خنذيذ .
6 تلتدم : تضرب صدرها في النياحة .
7 حضن : جبل بنجد .
8 لم يحن : لم يهلك .

إن تَلقَ حَـيَّ بَنـي الدَّيَّانِ تَلقَهمُ شُمَّ الأنـوفِ إليهم عِـزَّةُ اليمنِ
وما كان في الناس للدَّيَّان من شَبَهٍ إلا رُعَـينٌ وإلا آلُ ذي يَـزَنِ
أَغمِضْ جفونَـكَ عمّا لستَ نائلَه نحنُ الذيـنَ سبقْنا الناسَ بالدمنِ
نحـنُ الذيـنَ تركنـا خالداً عَطِباً وَسطَ العَجاجِ كأنَّ المـرءَ لم يَكُنِ
إن تَهجُنا تَهـجُ أنجاداً شَرامِحةً بيضَ الوجوهِ مَرافِيداً على الزمنِ[1]
أَوْرَى زِيـادٌ لنـا زَنـداً ووالدُنا عبدُ المَـدان وأورى زنـدَه قَطَنُ[2]

[حمى أسماء بن زنباع ظعينته منه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال : أغار دُرَيد بن الصّمة في نفر من أصحابه ، فمروا بأسماء بن زِنباع الحارثي ومعه ظَعينتُه زينب ، فأحاطوا به ليتنزعوها من يده ، فقاتلهم دونَها فقتَل منهم وجرح ، ثم اختلف هو ودريد طعنتين : فطعنه دريد فأخطأه ، وطعنه أسماءُ فأصاب عينه ، وانهزم دريد ولَحِق بأصحابه ؛ فقال دريد في ذلك[3] : [من البسيط]

شَلَّتْ يميـنـي ولا أشرَبْ معتَّقةً إذ أخطأ الموتُ أسماءَ بن زِنباعِ

قال : وهي قصيدة .

[قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي ويزيد بن عبد المدان]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشَّيباني الذي ذكرتُه يأثُره عن محمد بن السائب الكلبي قال : جاور رجلٌ من ثُمالةَ عبدَ الله بن الصّمة ، فهلَك عبد الله وأقام الرجل في جوار دريد . وأغار أَنَسُ بن مُدرِكةَ الخَثعَمي على بني جُشَمَ ، فأصاب مالَ الثُّمالي وأصاب ناساً من ثُمالةَ كانوا جيراناً لدُرَيد ؛ فكفَّ دريدٌ عن طلب القوم وشُغِل بحرب من يَلِيه ، وقال لجاره ذلك : أمهِلنِي عامي هذا . فقال الثمالي : قد أمهَلتُك عامين .

وخرج دريدٌ ليلةً لحاجته وقد أبطأ في أمر الثُّمالي ، فسمعه يقول : [من الطويل]

كساكَ دُريدُ الدَّهرَ ثـوبَ خَزايةٍ وجَدّعـكَ الحامـي حقيقتَه أَنَسْ
دَعِ الخيلَ والسُّمرَ الطِّوالَ لخَثعَمٍ فما أنتَ والرُّمحُ الطويل وما الفَرَسْ

1 الشرامحة : جمع شرمح وهو القوي والطويل .
2 في هذا البيت إقواء .
3 هذا البيت في الديوان : رقم 39 .

وما أنت والغزوَ المُتابَع للعِدا وهَمُّكَ سَوقُ العَودِ والدَّلْوُ والمَرَسْ[1]
فلو كان عبدُ الله حياً لردَّها وما أصبحتْ إبلي بنَجرانَ تُحتَبَسْ
ولا أصبحتْ عِرسي بأشقى معيشةٍ وشيخٌ كبيرٌ من ثُمالةَ في تَعَسْ
يُراعي نجومَ الليل من بعد هَجعةٍ إلى الصبح محزوناً يُطاوله النَّفَسْ
وكنتُ وعبدُ اللهِ حيٌّ وما أُرى أُبالي من الأعداء مَن قام أو جلسْ
فأصبحتُ مهضوماً حزيناً لفقده وهل من نكيرٍ بعد حولين تَلتَمِسْ

قال : فضاق دريدٌ ذَرعاً بقوله ، وشاور أُولي الرأي من قومه ؛ فقالوا له : ارحَل إلى يزيد بنِ عبد المَدان ؛ فإن أَنَساً قد خلَّف المالَ والعِيالَ بنَجرانَ للحرب التي وقعت بين خَثعَم ، وإن يزيد يردُّها عليك . فقال دريد : بل أُقدِّم إليه قبل ذلك مِدحةً ثم أنظر ما مَوقِعي من الرجل ، فقال هذه القصيدةَ وبعث بها إلى يزيد[2] : [من الوافر]

بني الدَّيَّانِ رُدُّوا مالَ جاري وأَسرى في كُبُولهم الثِّقالِ
ورُدُّوا السَّبيَ إن شئتم بمَنٍّ وإن شئتم مُفاداةً بمالِ
فأنتم أهلُ عائدةٍ وفضلٍ وأيدٍ في مواهبكم طِوالِ
متى ما تَمنعوا شيئاً فليست حبائلُ أخذه غيرَ السؤالِ
وحربُكُمُ بني الدَّيَّانِ حربٌ يَغَصُّ المرءُ منها بالزُّلالِ
وجارتُكم بني الدَّيَّان بَسلٌ وجارُكُم يُعَدُّ من العِيالِ[3]
حَذا عَبدُ المَدان لكم حِذاءً مُخَصَّرةَ الصدورِ على مِثالِ
بَني الدَّيَّانِ إن بني زِيادٍ همُ أهلُ التكرُّمِ والفَعالِ
فأَولُوني بني الدَّيَّانِ خيراً أُقِرّ لكم به أُخرى الليالي

قال : فلما بلَغ يزيد شعره قال : وجب حقُّ الرجل ! فبعث إليه أن أقدم علينا . فلما قدِم عليه أكرمه وأحسن مَثواه . فقال له دريد يوماً : يا أبا النَّضر ، إني رأيتُ منكم خِصالاً لم أَرَها من أحد من قومكم : إني رأيتُ أبنِيَتَكم متفرِّقة ، ونِتاجَ خيلكم قليلاً ، وسَرحَكُم يجيء مُعتَّماً ، وصبيانكم يَتَضاغَون من غير جوع . قال : أجَل ! أما قلة نِتاجنا فنِتاجُ هَوازِنَ يكفينا وأما تفرُّق

---

1 العود : المسن من الإبل . والمرس : الحبل .
2 ديوانه : القطعة 49 .
3 بسل : حرام .

أبنيتنا فللغَيرة على النساء . وأما بكاء صبياننا فإنا نبدأ بالخيل قبل العِيال . وأما تَمَسُّنا بالنَّعَم فإن فينا الغرائبَ والأراملَ ، تخرج المرأة إلى ما لها حيث لا يراها أحدٌ . قال : وأقبلتْ طلائعُهم على يزيد ، فقال شيخ منهم : [من المتقارب]

أَتتـكَ السلامـةُ فارعَ النَّعَـمْ ولا تَقُـلِ الدَّهـرَ إلا نَعَـمْ
وسَرِّحْ دُرِيداً بنُعمَـى جُشَمْ وإن سالَكَ المرءُ إحدى القُحَمْ

فقال له دُريد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعُنا لا نَسرَحُ ولا نَصطَبِحُ حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظَلَمكم مَن جعلكم جمرة مَذحِج . ورد يزيدُ عليه الأسارى من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سَلني ما شئتَ ؛ فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . فقال دريد في ذلك[1] : [من المتقارب]

مدَحتُ يزيدَ بن عبد المَدان فأكرِمْ بـه من فتىً مُمتَدَحْ
إذا المـدحُ زانَ فتى مَعشَرٍ فـإنَّ يزيـدَ يَزِيـنُ المِدَحْ
حلَلـتُ بـه دونَ أصحابه فـأُورى زِنـاديَ لمـا قَدَحْ
ورَدَّ النساءَ بـأطهارِها ولـو كان غيرُ يزيـدٍ فضَحْ
وفَكَّ الرجالَ وكلَّ امرىءٍ إذا أصلحَ اللهُ يومـاً صلَحْ
وقلـتُ لـه بعد عِتق النساء وفَـكَّ الرجـال ورَدِّ اللِّقَحْ
أجِر فـوارسَ مـن عامـرٍ فأكـرِمْ بنَفحتـه إذ نَفَـحْ
ومـا زلتُ أعرفُ في وجهه بكَرِّي السؤالَ ظهورَ الفرحْ
رأيـتُ أبا النَّضر في مَذحِجٍ بمنزلـةِ الفجـرِ حينَ اتَّضَحْ
إذا قارَعـوا عنـه لم يُقرَعوا وإن قدَّموه لكَبشٍ نطَـحْ
وإن حضَرَ الناسَ لم يُخزِهـم وإن وازَنـوه بقِـرنٍ رجَحْ
فـذاكَ فتاهـا وذو فضلهـا وإن نابـحٌ بفَخـارٍ نَبحْ

[مع مسهر بن يزيد الحارثي]

قال وقال ابن الكلبي : خرج دريد بن الصّمة في فوارس من قومه في غَزاة له ، فلَقِيه مُسهِر بنِ يزيد الحارثي ، الذي فَقَأ عين عامر بن الطُّفَيل ، يقود بامرأته أسماء بنت حَزن الحارثية . فلما رآه القوم قالوا : الغنيمةَ ، هذا فارسٌ واحد يقود ظَعِينةً ، وخليقٌ أن يكونَ الرجل قرشياً . فقال دريد : هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به وبالظَّعينة ؟ فانتَدب إليه رجلٌ من القوم

1 ديوانه : القصيدة 12 .

فحمَل عليه ، فلقيه مُسْهِر فاختلفا طعنتين بينهما ، فقتله مُسهِر بن الحارث . ثم حمل عليه آخر فكانت سبيلُه سبيلَ صاحبه ؛ حتى قتَل منهم أربعةَ نفر . وبَقي دريد وحدَه فأقبل إليه ، فلما رآه ألقى الخِطام من يده إلى المرأة وقال : خُذي خِطامَك ؛ فقد أقبل إليَّ فارسٌ ليس كالفُرسان الذين تقدَّموه ؛ ثم قصد إليه وهو يقول : [من الرجز]

أما ترى الفارسَ بعد الفارسْ أرداهـمُ عامـلُ رمحٍ يابسْ

فقال له دريد : من أنت لله أبوك ؟ قال : رجلٌ من بني الحارث بن كعب . قال : أنت الحُصَين ؟ قال لا . قال : فالمُحجَّل هَوذَة ؟ قال لا . قال : فمن أنت ؟ قال : أنا مُسهِر بن يزيد . قال : فانصرف عنه دريد وهو يقول[1] : [من الطويل]

أمِن ذِكْر سَلمى ماءُ عينيك يَهمِلُ كما انهلَّ خَرَزٌ من شُعَيبٍ مُشَلشِلُ[2]
ومـاذا تُرَجِّـي بالسلامةِ بعدَ مـا نأتْ حِقَبٌ وابيضَّ منكَ المُرَجَّلُ
وحالتْ عَوادِي الحربِ بيني وبينها وحربٌ تَعُلُّ الموتَ صِرفاً وتُنهلُ
قِراهـا إذا باتـتْ لَدَيَّ مُفاضَةٌ وذو خُصَلٍ نَهدُ المَراكِلِ هَيكلُ[3]
كَمِيشٌ كتَيسِ الرَّملِ أخلَصَ مَتنَه ضَرِيبُ الخَلايا والنَّقِيعُ المعجَّلُ[4]
عَتِيـدٌ لأيـامِ الحـروبِ كأنَّه إذا انجابَ رَيعانُ العَجاجةِ أجدَلُ[5]
يُجاوِبُ جُرداً كالسَّراحِينِ ضُمَّراً تَـرُود بأبـوابِ البيوتِ وتَصهَلُ
على كلِّ حَيٍّ قـدْ أطلَّتْ بغـارةٍ ولا مثلَ ما لاقى الحِماسُ وزَعبَلُ

الحِماس وزَعبَل : قبيلتان من بني الحارث بن كعب .

غَـداةَ رأونـا بالغريـفِ كأنّنـا حَبِـيٌّ أدَرَّتْـه الصَّبـا متهلِّلُ[6]
بمُشعَلَةٍ تدعـو هـوازنَ ، فوقها نسيجٌ مـن المـاذِيِّ لأْمٌ مُرَفَّلُ[7]
لدى مَعرَكٍ فيها تركنـا سَراتَهم يُنـادُون ، منهـم مُوثَقٌ ومُجَدَّلُ

---

1 ديوانه : القصيدة 52 .
2 شلشل الماء : قطر .
3 المفاضة : الدرع . ذو خصل : يعني فرساً . نهد المراكل : واسع الجوف . هيكل : ضخم .
4 كميش : سريع . ضريب الخلايا : لبن النوق المخلاة للحلب .
5 الأجدل : الصقر .
6 الحبي : السحاب المتراكم .
7 الماذي : الدروع اللينة . اللأم : الدروع ، واحدتها لأمة . المرفل : المسبغ .

نَجُــذُّ جِهاراً بالسيوف رؤوسَهم وأرماحُنــا منهــم تَعُــلُّ وتَنهَلُ
تَرى كلَّ مسودٍّ العِذارَين فارسٍ يُطِيف بــه نَسرٌ وعَرفاءُ جَيأَلُ[1]

قال مؤلّف هذا الكتاب : هذه الأخبار التي ذكرتُها عن ابن الكلبي موضوعةٌ كلُّها ، والتوليدُ بيّن فيها وفي أشعارها ، وما رأيتُ شيئاً منها في ديوان دُريد بن الصمة على سائر الروايات . وأعجبُ من ذلك هذا الخبرُ الأخيرُ ؛ فإنه ذكرَ فيه ما لحِقَ دريداً من الهُجنة والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتِل معه وانصرافَه منفرداً ، وشعرُ دريد هذا يفخر فيه بأنه ظفِر ببني الحارث وقتلَ أماثِلَهم ؛ وهذا من أكاذيب ابن الكَلبي . وإنما ذكرتُه على ما فيه لئلا يسقطَ من الكتاب شيء قد رواه الناسُ وتَداوَلُوه .

1 العرفاء : الضبع . والجيألُ : من أسماء الضبع أيضاً .

[157] ـ أخبار المُعتَضِد في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني

ـ دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب ـ وشيء من أخباره مع المغنّين وغيرهم يصلح لما هاهنا

[لحن يجمع النغم العشر]

حدثني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه ، لما صنعت جاريتُه شاجِي اللحنَ الذي يجمع النَّغَمَ العشرَ ، بظَبي وحبيب جاريتَي أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذَتا اللحنَ عنه ونقلتاه إليه وأُلقَتاه على جواريه . قال : ولم يزل يُراسِلُني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر النَّغَم العشر ويسألني عنها وأشرحُها له ، حتى فهِمها جيِّداً وجمَعها في صوتٍ صنعه في شعر دُريد بن الصمة : [من منهوك الرجز]

يا ليتني فيها جَـذَعْ أَخُـبُّ فيهـا وأَضَعْ

وألقاه عليهما حتى أدَّتاه إليَّ مستعلِماً بذلك هل هو صحيحُ القِسمة والأجزاء أم لا ، فعرَّفتُه صحتَه ودللتُه على ذلك حتى تيقَّنه فسُرَّ بذلك ؛ وهو لَعَمري من جيِّد الصنعة ونادرها . وقد صنع المُعتضد ألحاناً في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمُحدَثِين وعارضَهم بصنعته فأحسن وشاكَل وضاهى ، فلم يَعجِز ولا قصَّر ولا أتى بشيء يُعتذر منه . فمن ذلك أنه صنع في : [من البسيط]

أمَّا القَطاةُ فإني سوفَ أنعتُها نَعتاً يوافقُ نعتي بعضَ مـا فيها

لحناً من الثقيل الأول بالبنصر في نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرزُور يُغَنِّيه ، فكان من أحسنِ ما صُنع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك القدماء والمُحدَثين في صنعته مثل معبد ونشيطٍ ومالك وابن مُحرِز وسِنانٍ وعُمَر الوادي وابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وعلويه . وأظرفُ من ذلك أنه صنع في : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمّا جهَدتُه وبَيَّنَ لـــو يَسْطيـعُ أنْ يتكلَّمـا

لحناً من الثقيل الأول[1] بالوسطى ، وقد صنع قبله ابن سُريج لحناً هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كلّه ، فما قصَّر في صنعته ولا عَجَز عن بلوغ الغاية فيها ؛ هذا بعد أن صنع إسحاقُ فيها لحناً من الثقيل الثاني عارض ابنَ سُرَيج به في لحنه ، فما امتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظيرَ لهما في القدماء والمُحدثين ، ثم جوَّد غاية التجويد فيما اتبعهما به وعارضهما فيه . هذا مع أصوات له صنَعها تُزاهي المائة صوت ، ما فيها ساقطٌ ولا مَرذُول ، وسأذكر منها ما يَصلُح ذكرُه في موضعه إن شاء الله تعالى .

ومن نادر صنعة المعتضد : [من الطويل]

صوت

أَناةً فإن لم تُغـــنِ عقَّب بعدَها وَعِيداً ، فإن لم يُغنِ أغنتْ عَزائمُه

الشعر لإبراهيم بن العباس ، والغناء للمعتضد ثقيلٌ أول . هذا بيتٌ قاله إبراهيم وهو لا يعلم أنه شعر ، وإنما كتب به في رسالة عن المعتصم إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه : «وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أَناةً ، فإن لم تُغنِ عقَّب بعدها وعيداً ، فإن لم يُغنِ أغنَت عزائمُه» . فلما تأمله رأى أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه في شعره .

1 ل : الثاني .

[158] ـ أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه[1]

[نسبه]

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول ، وكان صُولٌ رجلاً من الأتراك ، ففتح يزيد بن المهلَّب بلدَه وأسلم على يديه ، فهم موالي يزيد . ولما دعا يزيد إلى نفسه لَحِق به صُولٌ لينصرَه فصادفه قد قُتل . وكان يقاتل كلَّ مَن بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه : صُولٌ يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك ، فاغتاظ وجعل يقول : وَيلي على ابن الغَلفاء ! وماله وللدُّعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ؟! ولعله لا يَفقَه صَلاتَه ! . وكان ابنه محمد بن صُول من رجال الدولة العباسية ودُعاتها . وقد كان بعضُ أهليهم ادعَوا أنهم عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالُهم . وأما صول فإن خالد بن خِداش ذكر عن أهله قالوا : كان صولٌ وفَيروزُ أخوين مَلَكا على جُرجان ، وكانا تركيَّين تمجَّسا وتشبَّها بالفُرس . فلما حضر يزيد بن المهلب جُرجان أمّنهما ، فأسلم صُولٌ على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم العَقر[2] . وكان محمد بن صول يُكنى أبا عُمارة ، أحد الدُّعاة ، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مُقاتل بن حكيم العَكي[3] وعِدَّةٍ آخرين . وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكُتاب ، وكان عبد الله أسنَّهما وأشدَّهما تقدُّماً ، وكان إبراهيم آدَبهما وأحسنَهما شعراً ، وكان يقول الشعر ثم يختاره ، ويُسقط رَذله ، ثم يُسقط الوسطَ ، ثم يسقط ما يُسبَق إليه ، فلا يَدَع من القصيدة إلا اليسيرَ ، وربما لم يَدَع منها إلا بيتاً أو بيتين ؛ فمن ذلك قوله[4] : [من الوافر]

ولكــنَّ الجـوادَ أبـا هشامٍ وفيُّ العهدِ مأمـونُ المَغِيبِ

وهذا ابتداء يدُل على أن قبله غيرَه ؛ وقولُه في أخيه[5] : [من الطويل]

1 ترجمة إبراهيم بن العباس الصولي في معجم الأدباء لياقوت (عباس) 1 : 70–86 والفهرست : 136 وتاريخ بغداد 6 : 117 ومروج الذهب : 23–28 وابن خلكان 1 : 44 وإعتاب الكتّاب : 746 والوافي 6 : 24 والنجوم الزاهرة 2 : 315 وله أخبار منثورة في كتب الأدب ، وديوانه مضمن في الطرائف الأدبية 126–194 بعناية عبد العزيز الميمني .

2 يوم العقر : مكان بين واسط وبغداد قتل فيه يزيد بن المهلب سنة 102هـ .

3 أحد قواد أبي مسلم الخراساني .

4 الطرائف الأدبية : 184 .

5 الطرائف الأدبية : 136 .

ولكنَّ عبدَ اللهِ لما حوَى الغنى وصارَ له من بين إخوته مالُ

وهذا أيضاً ابتداء يدل على أن قبله غيرَه . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرِّياستين ، اتَّصلا به فرفع منهما . وتنقَّل إبراهيم في الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلد ديوان الضِّياع والنفقات بسُرّ مَنْ رأى في سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم قال سمعت دِعبلاً يقول : لو تكسَّب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء . قال : ثم أنشدنا له ، وكان يستحسن ذلك من قوله[1] : [من السريع]

إنَّ امــرأً ضَــنَّ بمعروفهِ عنّي لمبذولٌ لــه عـذري
مــا أنــا بالراغبِ في عُرفهِ إن كان لا يرغبُ في شكري

[هجاؤه محمد بن عبد الملك الزيات]

وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شَحناء عظيمة لم يمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يهجوه ؛ فمن قوله فيه[2] : [من الطويل]

أبا جعفرٍ خَفْ خَفضةً بعد رِفعةٍ وقصِّرْ قليلاً عن مدَى غُلَوائكا
لئن كان هذا اليومُ يوماً حوَيتَه فإن رجائي في غـدٍ كرجائكا

وله فيه أيضاً[3] : [من الطويل]

دعوتك في بَلوى أَلَمَّتْ صروفُها فأوقدتَ من ضِغنٍ عليَّ سعيرَها
فإنِّي إذا أدعــوكَ عنـدَ مُلِمَّةٍ كداعيــةٍ عندَ القبورِ نَصيرَها

وقال فيه لما مات[4] : [من الرجز]

لمــا أتــاني خَبَرُ الزيــات وأنه قـد صار في الأمواتِ
أيقنـتُ أن موتَــه حياتي

[صديق منافق]

أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات

1 الطرائف الأدبية : 185 .
2 الطرائف الأدبية : 161 .
3 الطرائف الأدبية : 184 .
4 الطرائف الأدبية : 182 .

عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه ، وكان الحارث بن بُسخُنَّر صديقاً له مصافياً ، فهجره في من هجره من إخوانه ؛ فكتب إليه[1] : [من الطويل]

تَغَيَّر لي في مَـنْ تغيَّر حـارثُ   وكم مِن أخٍ قد غيَّرتـه الحوادثُ
أحارثُ إن شوركتُ فيك فطالما   غَنينا ومـا بيني وبينكَ ثالثُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي .

ومن جيِّد قولِ إبراهيم بن العباس وفيه غناء[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

خـلِّ النِّفـاقَ لأهلـه   وعليك فـالتمس الطَّريقا
واذهَبْ بنفسكَ أن تُرى   إلا عـدواً أو صديقـا[3]

الغِناء لأبي العَنْبَس بن حمدون ، ثقيلٌ أول .

[هوي قينة فنغصه تأخرها]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : كان إبراهيم بن العباس يهوى قَينة بسُرَّ مَنْ رأى ، فكان لا يكاد يفارقها . فجلس يوماً للشرب ومعه إخوان له ، ودعا جماعةً من جواري القيان ، ودعاها فأبطأت ، فتنغص عليهم يومُهم لِما رأوا من شُغل قلبه بتأخُّرها ، ثم وافت فسُرِّيَ عنه وطابت نفسه وشرب وطرِب ، ثم دعا بدواة فكتب[4] : [من المتقارب]

ألم تَرنـا يومَنـا إذ نأتْ   فلم تأتِ مـن بين أترابها
وقد غمرتْنا دواعي السرور   بإشعالهـا وبـإلهابها
ومَـدَّتْ علينا سماءَ النعيم   وكلُّ المُنى تحـت أطنابها
ونحنُ فُتـورٌ إلى أن بدتْ   وبدرُ الدُّجى بـين أثوابها
فلمّا نـأتْ كيفَ كُنَّا لها   ولما دَنَتْ كيفَ صِرنا بها

وأمر من حضر فقرأ عليها الأبيات ، فتجنَّت[5] وقالت : ما القصة كما وصفتَ ، وقد كنتم في

1 الطرائف الأدبية : 182 .
2 الطرائف الأدبية : 161 .
3 واذهب في الطرائف الأدبية : وارغب .
4 الطرائف الأدبية : 140 .
5 معجم الأدباء : فتغضبت .

قَصفكم مع مَن حضر ، وإنما تجمَّلتم لي لما حَضَرتُ . فأنشأ يقول[1] : [من المجتث]

يا مَـــن حنيني إليـــه ومـــن فـــؤادي لديه
ومَن إذا غابَ من بيـ ـنهـم أسِفـــتُ عليه
إذا حضرتِ فما مِنـ ـهُمُ مَـــنَ أصبُو إليه
من غاب غيرُكِ منهم فأمـــرُه في يـــديه[2]

قال : فرضيت عنه ، وأتممنا يومَنا على أحسن حال .

[أجازه دعبل في شعر]

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني إبراهيم بن العباس ، قال حدثني به دِعبِلٌ أيضاً فكانا متفقَين في الرواية ، قال : كنا نطلبُ جميعاً بالشعر ، فخرجنا وكنا في مَحمِل ، فابتدأتُ أقول في المطَّلب بن عبد الله بن مالك :

أمطَّلِـــبٌ أنـــتَ مُستَعـــذِبٌ

فقال دِعبِل : [من المتقارب]

لسمِّ الأفاعـــي ومُستَقتِـــلُ

فقلت :

فإن أشفِ منـــك تكن سُبَّةً

فقال دِعبل :

وإن أعفُ عنـــك فمـــا تفعلُ

[الأخفش يستحسن أبياتاً له]

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضِّلها ويستجيدها[3] : [من الوافر]

أميل مـــع الذِّمامِ على ابنِ أمِّي وآخُـــذ للصديقِ مـــن الشقيقِ
وإن ألفيتَنـــي حُـــراً مُطاعـــاً فإنك واجـــدي عبـــدَ الصديقِ
أفـــرِّق بـــين معـــروفي ومَنِّي وأجمـــعُ بـــين مـــالي والحقوقِ

[جوابه لمعتذر]

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البَغل قال حدثني عمي قال : اجتاز محمد بن علي

1 الطرائف الأدبية : 152 .
2 فأمره في الطرائف الأدبية : فإذنه .
3 الطرائف الأدبية : 154 .

برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّي ديار مُضَر فلم يتلقّه ، ونزل الرَّقّة فلم يصل إليه ولم يَبَرَّه ، وخرج عنها فلم يُشيِّعه . فلامه إخوانُه وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلّةٍ . فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه[1] : [من الرمل]

أبداً مُعتَــذِرٌ لا يُعــذَرُ ورَكُــوبٌ للتي لا تُغفَرُ
ومُلَقّــى بمساوٍ كلُّهــا منــه تبدو وإليه تصدُرُ
هي من كلِّ الورى مُنكَرةٌ وهي منه وحده لا تُنكَرُ

[الجارية «سامر» تهدي له جاريتين]

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال : كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنّين بسُرَّ مَن رأى يقال لها سامر[2] ، وشُهِر بها ، فكان منزله لا يخلو منها . ثم دُعِيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياماً ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاتها . وقالت له : قد أهديتُ صاحبتَيَّ إليك عِوَضاً من مَغيبي عنك ؛ فأنشأ يقول[3] : [من البسيط]

صوت

أقبلنَ يَحففُنَ مثلَ الشمسِ طالعةً قــد حسَّنَ اللهُ أُولاها وأُخراها
ما كنتِ فيهنَّ إلا كنتِ واسطةً وكنَّ دونكِ يُمناهــا ويُسراها

الغناء لسَلسَل مولى بني هاشم ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى مطلقٌ . وليس لسلسل خبر يُدَوَّن ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دُوِّن له حديث . وذكر حَبَش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهِلالي . وسَلسَل هذه كانت من أحسن الناس وجهاً وغِناءً ، وكانت لبعض المغنّين بالبصرة ، وكان محمد بن حرب هذا يتعشّقها ولم تكن مولاته . فأخبرني الحرمي بن أبي العَلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النَّخَعي قال حدثني حماد بن إسحاق قال : أتى أبانُ بن عبد الحميد الشاعر رجلاً بالبصرة وله قَينة يقال لها سَلسَل ، فصادف عندها محمد بن قَطَن الهلالي وعثمان بن الحَكَم بن صخر الثَّقَفي فقال[4] : [من الرمل]

فتنتْ سَلسَلُ قلبَ ابنِ قَطَنْ ثم ثَنّتْ بابن صخر فافتتنْ
فأتيتُ اليــومَ كي أُنقِذَهم فإذا نحــنُ جميعاً في قَرَنْ

فأظُن الغَلَطَ وقع على حَبَش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهَّم أنها مولاة محمد بن حرب .

1 الطرائف الأدبية : القطعة 111 . وفيه اختلاف .
2 معجم الأدباء : ساهر .
3 معجم الأدباء : 75 .
4 الطرائف الأدبية : القطعة 39 .

[يركب مع دعبل حمير أهل الشوك]

أخبرني عمي ووكيع قالا حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزي قال حدثني محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال : خرج إبراهيم بن العباس ودِعبِل بن علي وأخوه رَزِين في نُظَرائهم من أهل الأدب رَجّالةً إلى بعض البساتين في خلافة المأمون ، فلقِيَهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشَّوك ، فأعطَوهم شيئاً وركِبوا تلك الحميرَ ؛ فأنشأ إبراهيم يقول[1] : [من الهزج]

أعِيضَتْ بعدَ حَمل الشَّو ... كِ أحمالاً من الحرفِ
نَشاوَى لا من الصَّهبا ... ء بلْ من شِدّةِ الضّعْفِ

فقال رزين : [من الهزج]

فلو كنتم على ذاك ... تؤولونَ إلى قَصفِ
تساوتْ حالُكم فيه ... ولم تَبقَوْا على خَسفِ

فقال دعبل : [من الهزج]

وإذ فاتَ الذي فاتَ ... فكونوا من بني الظَّرفِ
ومُرُّوا نَقصِفُ اليومَ ... فإني بائعٌ خُفِّي

فانصرفوا معه فباع خُفَّه وأنفقه عليهم .

[رثاؤه لابنه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال قال لي علي بن الحسين الإسكافي : كان لإبراهيم ابنٌ قد يَفَع وترعرَعَ ، وكان مُعجباً به فاعتلَّ عِلَّة لم تَطُل ومات ؛ فرثاه بمراثٍ كثيرة ، وجزِع عليه جَزَعاً شديداً . فممّا رثاه به قوله[2] : [من مجزوء الكامل]

كنتَ السوادَ لُمقلتي ... فبكى عليكَ الناظرُ
مَن شاءَ بعدَكَ فَلْيَمُتْ ... فعليكَ كنتُ أُحاذِرُ

فيه رمل لابن القصار . ومن مراثيه إياه قوله[3] : [من المتقارب]

---

1 ديوان دعبل (نجم) : 110 .

2 الطرائف الأدبية : 169 والبيت :

أتت السواد لمقلة ... تبكي عليك وناظر

وفي رواية أخرى :

كنت السواد لناظري ... فعمي عليك الناظر

3 الطرائف الأدبية : 179 .

وما زلتُ مُذ لَدُ أُعطِيتُه أُدافعُ عنه حِمامَ الأَجَلْ
أُعوِّذه دائباً بالقُرانِ وأرمي بطرفي إلى حيث حَلْ
فأضحتْ يدي قصدُها واحدٌ إلى حيثُ حلَّ فلم يَرتَحِلْ

[عاتبه أبو واثلة على العهد]

وقال أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو واثِلةَ قال : قلت لإبراهيم بن العباس : قد أخملتَ نفسك ورضيتَ أن تكون تابعاً أبداً لاقتصارك على القَصف واللعب ؛ فأنشأ يقول : [من مجزوء الخفيف]

إنّما المرءُ صورةٌ حيثُ حلَّتْ تَناهتِ
أنا مذ كنتُ في التصرُّ فِ لي حالُ ساعتي

[أخوه عبد الله يقاسمه وأخته ماله]

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابن السَّخي قال : وهَب عبد الله بن العباس لأخيه إبراهيم ثُلُثَ ماله ، ووهب لأخته الثلث الآخر ، فسار مساوياً لهما في الحال ؛ فقال إبراهيم : [من الطويل]

ولكنَّ عبدَ الله لما حَوى الغنى وصار له من بين إخوته مالُ
رأى خَلَّةً منهم تُسَدُّ بماله فساهَمهم حتى استوتْ بهمُ الحالُ

وهذا مما عِيبَ على إبراهيم قولُه ابتداءً «ولكن عبد الله» . وقد كرَّره في شعره فقال : [من الوافر]

ولكنَّ الجوادَ أبا هاشم وفيُّ العهدِ مأمونُ المَغيبِ
بَطِيءٌ عنكَ ما استغنيتَ عنه وطَلاَّعٌ عليك مع الخطوبِ

والسبب في ذلك اختيارُه شعرَه وإسقاطُه ما لم يَرضَه منه .

[عزله عن الأهواز]

وقرأت في بعض الكتب : لما عُزِل إبراهيم بن العباس عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات اعتُقِل بها وأُوذِي ، وكان محمد قَبل الوزارة صديقَه ، وكان يؤمِّل منه أن يُسامحه ويُطلِقَه ، فكتب إليه[1] : [من الطويل]

فلو إذ نَبا دهرٌ وأُنكِر صاحبٌ وسُلِّط أعداءٌ وغابَ نصيرُ
تكونُ عن الأهوازِ داري بنَجوةٍ ولكنْ مقاديرٌ جرتْ وأمورُ

---

1 الطرائف الأدبية : القطعة 17 وفيه اختلاف .

وإني لأرجو بعـدَ هذا محمداً لأفضلِ مـا يُرجى أخٌ ووزيرُ

فأقام محمد على قصدِهِ وتكشُّفِهِ والإساءة إليه حتى بلغ منه كلَّ مكروه ، وانفرجت الحال بينهما على ذلك ، وهجاه إبراهيم هجاءً كثيراً .

[تحامل ابن الزيات عليه]

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أبو عبد الله الباقطاني أو الطَّالقاني قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال : وجَّه محمد بن عبد الملك بأبي الجَهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشِفَ إبراهيم بن العباس ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يُعَرِّفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافرٌ لا يُبالي ما عمِل ، وهو القائل لما مات غلامُه يخاطب مَلَكَ الموت : [من المتقارب]

وأقبلـتَ تسعى إلى واحـدي ضِراراً كأنِّـي قتلتُ الرسولا
تركـتَ عَبيـدَ بنـي طاهرٍ وقد ملئوا الأرضَ عَرْضاً وطولا
فسوفَ أُدِيـنُ بتـركِ الصلاة وأُصطَبِحُ الخمرَ صِرفـاً شَمولا

فكان محمد لعصبيَّته على إبراهيم وقَصدِهِ له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجَهم ، إنما إبراهيم قاله ونَسَبَه إليه .

[مدح المتوكل ببيتين]

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفعة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال : قد مدحتُ أمير المؤمنين المتوكِّل ببيتين ، فغنِّ فيهما وأشِعهما ، ودعا لي بطِيب كثير فأعطانيه ، وخلَع عليَّ خِلعة سَرِيَّة ، فغنَّيتُ فيهما . والبيتان : [من مجزوء الكامل]

صوت

مـا واحدٌ مـن واحدٍ أولى بفضـل أو مُـرُوّهْ
ممـن أبـوه وجَـدُّه بـين الخلافـةِ والنُّبُوهْ

وأشَعتُهما وغُنِّي فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صِلَةً سنية .

لحنُ جعفر بن رفعة في هذين البيتين رَمَلٌ بالبِنصر .

[مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد]

أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي : أن إبراهيم بن العباس الصُّولي دخل على الرِّضا لما عقَد له المأمون وولاَّه العهدَ ، فأنشده قوله[1] : [من الطويل]

---

1 لم ترد في ديوانه .

أزالَت عَزاءَ القلبِ بعدَ التجلُّدِ مصارعُ أولادِ النبـيِّ محمـدِ

ﷺ ، فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضُربت باسمه . فلم تزل عند إبراهيم ، وجعل منها مُهور نسائه ، وخلَّف بعضَها لكَفَنه وجَهازه إلى قبره .

[آذى إسحاق ابن أخي زيدان فهدده]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أبو العباس بن الفُرات والباقطاني قالا : كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العباس ، فأنسخه شعرَه في مدح الرِّضا ، ثم وليَ إبراهيمُ بن العباس في أيام المتوكِّل ديوانَ الضِّياعِ ، فعزله عن ضِياع كانت بيده بحُلوان ، وطالبه بمال وجب عليه ، وتباعَد بينهُما . فقال إسحاق لبعض من يثِق به : قل لإبراهيم بن العباس : والله لئن لم يَكفُف عما يفعله فيَّ لأخرجنَّ قصيدتَه في الرضا بخطه إلى المتوكِّل . فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه ، ووجَّه من ارتجع القصيدةَ منه وجعله على ثقةٍ من أنه لا يُظهرها ، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به .

[نادرته في ثقيل]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المُدبِّر قال : راكَبت إبراهيمَ بن العبَّاس ، فلَقِينا رجلٌ كان إبراهيم يستثقله ، فسلَّم عليه . فلمَّا مضى قال : يا أبا إسحاق إنه جَرمي . فقلت : ما كان عندي إلا أنه من أهل السَّواد . فضحِك وقال : إنما أردتُ قولَ الشاعر[1] : [من مجزوء الوافر]

تُسائِل عن أخي جَـرم ثقيـلٌ والذي خَلَقَـهْ

[كتابه في شفاعة]

أخبرني الصُّولي قال حدثني محمد بن السَّخي قال حدثني الحسن بن عبد الله الصُّولي قال : كتب عمِّي إبراهيمُ بن العباس شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه : فلان ممن يَزكُو شكره ، ويحسُن ذكرُه ، ويعنيني أمرُه ، والصنيعةُ عنده واقعةٌ موقِعَها ، وسالكةٌ طريقَها[2] . [من الطويل]

وأفْضَلُ ما يأتيه ذو الدِّين والحِجا إصابةُ شكـرٍ لم يَضِعْ مَعَـهُ أجرُ

[مدحه عبيد الله بن يحيى عند المتوكل]

أخبرني عمي عن أبي العيناء قال : كان عبيد الله بن يحيى يقول للمتوكِّل : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم بن العباس فضيلةٌ خَبَأها الله لك ، وذخيرةٌ[3] ذَخَرها لدولتك .

---

1 معجم الأدباء : 77 .

2 معجم الأدباء : 77 .

3 ل : وحسنة .

[وصف القدور الإبراهيمية]

وذُكر عن علي بن يحيى : أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القُدورَ الإبراهيمية ، وكان ابتدعها ؛ فكتب له صِفَتَها ، وكتب في آخرها في ذكر الأبازير : «ووزن دانَقٍ» ونسيَ أن يكتب من أي شيء . فلما وصلتْ إليه الصفةُ اغتاظ ثم قال لعلي بن يحيى : احلفْ بحياتي أن تقول له ما آمُرك به ، ففعل . فقال له : قل وزنُ دانق من أي شيء ؟ أمِن بظر أمك ! قال علي بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلت : إني جئتك في رسالة عزيز عليَّ أن أُؤدِّيها ؛ فقال : هاتها ، فأديتُها . قال : فارجِع إليه وقل له عني : يا سيدي ، إن علي بن يحيى أخي وصديقي وقد أدَّى الرسالة ؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدانق من بَظْر أمي وبَظْر أُمِّهِ جميعاً تفضلتَ بذلك . فقلت : قَبَحك الله ! وأنا أيْش ذنبي ! قال : قد أديتَ الرسالة وهذا جوابُها . فدخلتُ إلى المتوكل فقال : إيهِ ما قال لك ؟ فقلتُ : قَبَح الله ما جئتُك به ! وأخبرته بالجواب ؛ فضحِك حتى فَحَص برجله وجعل يَشْرب عليه بقيَّةَ يومِه . وإذا لَقِيتُه قال لي : يا علي ، وزن دانق أيْشٍ ! فأقول : لعنة الله على إبراهيم .

[مداعبته الحسن بن وهب]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال : دعا الحسنُ بنُ وَهْب إبراهيمَ بن العباس ؛ فقال له : أرْكَبُ وأجيئك عشياً فلا تنتظرني بالغَداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسنُ في شُرْبه فسكِر ونام ، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب[1] : [من البسيط]

رُحْنا إليكَ وقد راحتْ بك الرَّاحُ   وأسرعتْ فيكَ أوتارٌ وأقداحُ

قال : وحدثني محمد بن موسى قال : نظر إبراهيم بن العباس الحسنَ بنَ وَهْبٍ وهو مخمورٌ فقال له[2] : [من مجزوء الكامل]

عيناكَ قدْ حَكَتا مَبِيـ   ـتَكَ كيفَ كنتَ وكيفَ كانا
ولَرُبَّ عينٍ قد أرتـ   ـكَ مَبِيتَ صاحبِها عِيانا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثلها ؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتاً . وأبياتُ إبراهيمُ[3] : [من الكامل]

---

1 الطرائف الأدبية : القطعة 171 .
2 الطرائف الأدبية : 175 .
3 الطرائف الأدبية : القطعة 166 .

أَأَبا عليٍّ خيرُ قولك ما حصَّلتَ أنجعَه ومُخْتصرَهْ
ما عندنا في البيعِ من غَبَنٍ للمُسْتَقِلٍّ بواحدٍ عَشَرَهْ
أنا أهلُ ذلك غيرَ مُحْتَشِمٍ أرْضى القديمَ وأقتفي أثرَهْ
ها نحنُ وفَّيناكَ أربعةً والأربعونَ لديكَ مُنتظَرَهْ

أخبرني الصُّولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال : سمعتُ إبراهيمَ بنِ العباس وقد لبِس سوادَه يوماً يقول : يا غلامُ هاتِ ذلك السيفَ الذي ما ضرَّ الله به أحداً قطٌّ غيري .

[استثقاله ابن أخيه]

قال : وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس فقيل له : هو مشغول بطبيب ومُنجِّم عنده ، وكان يستثقله ، فقال قل له يا غلام : والله ما لك في الناس طَبْعٌ ؛ ولا في السماء نجم ، فما لك تَكَلُّفُ هذا التكلف .

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السَّخي قال : أمر إبراهيم بن العباس أن يُجْمَع كلُّ أعور يَمرُّ في الطريق ، فجمعوهم ووقَفُوهم وخرج ومعه طماس ، فلما رأى العُورَ مجتمعين قال لطماس : كُلُّهم مثلُك ، فاترك هذا الصَّلَف فإنه داعية إلى التَّلف .

أخبرني الصُّولي قال حدثني ميمون بن موسى قال : قال الحسن بن وَهْب لإبراهيم بن العباس : تعالَ حتى نَعُد البُغَضاء ؛ قال : ابدأ بي أولاً من أجل ابن أخي طماس ثم ثَنِّ بمن شئتَ .

[أمر الحسن بن مخلد بأمر فابطأ]

أخبرني الصُّولي قال قال جعفر بن محمود : ركِبتُ بين يَدَي إبراهيم بن العباس . فأَمَر الحسنَ بن مُخَلَّد بأمرٍ فاستبطأه فيه فنظر إليه فقال[1] : [من مجزوء الخفيف]

مُعْجَبٌ عندَ نفسِه وهو لي غير مُعْجِبِ
إن أَقُلْ لا يَقُلْ نعم عاتبٌ غيرُ مُعْتِبِ
مُولَعٌ بالخلافِ لي عامداً والتجنُّبِ
قلتُ فيه بضدّ ما قيل في أمِّ جُنْدُبِ

يريد قولَ امرىء القيس : [من الطويل]

«خليليَّ مُرّا بي على أمِّ جُنْدُبِ

أي فأنا لا أريد أن أمرَّ بك .

1 البيت الأول فقط في الطرائف الأدبية : القطعة 150 ومعه بيت ليس مما هنا .

[تنادر بابن الكلبي عند المتوكل]

قال وأخبرني الصُّولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبي عن أبيه قال[1] : كان المتوكل قد ولَّى ابنَ الكلبي البريدَ ، وأحلَفه بالطلاق ألا يَكتُمَه شيئاً من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه . فكتب إليه يوماً أن امرأته خرجت مع حُبَّتها في نُزْهة ، وأن حُبتها عَرْبَدتْ عليها فجرحتْها في صُدْغها . فقرأه إبراهيم بن العباس على المتوكّل ثم قال له : يا أمير المؤمنين ، قد صحّف ابنُ الكلبي ، إنما هو : «جرحتْها في صدعها» ، فضحك المتوكّل وقال : صدقتَ . ما أظن القصة إلا هكذا . قال : ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب ، إنما كان أبوه يُلَقَّب «كلب الرَّحْل» فقيل له الكلبي .

[استعطافه محمد بن عبد الملك الزيات]

أخبرني عمِّي قال حدثنا ميمون بن هارون قال : كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه : كتبت إليك وقد بلغت المُدْيَةُ المَحَزَّ ، وعَدَتِ الأيامُ بك عليَّ ، بعد عَدْوِي بك عليها ، وكان أَسْوأ ظني وأكثر خوفي ، أن تسكُنَ في وقت حركَتِها ، وتكُفَّ عند أذاها ، فصرتَ عليَّ أضرَّ منها ، وكفَّ الصديقُ عن نُصْرتي خوفاً منك ، وبادر إليَّ العدوُّ تقرُّباً إليك . وكتب تحت ذلك[2] : [من مجزوء الوافر]

أخٌ بيني وبين الدَّهـ ـر صاحَبَ أيَّنا غَلَبا
صديقي ما استقامَ فإن نبا دهـرٌ عـليَّ نبا
وثَبْتُ على الزمانِ به فعـادَ بـه وقد وثبا
ولو عـادَ الزمانُ لنا لعـادَ بـه أخاً حَدِبا

قال وكتب إليه : أما والله لو أمِنتُ ودَّك لقلت ؛ ولكني أخاف منك عَتْباً لا تُنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمةً لا تحتملها لي . وما قد قُدِّر فهو كائن ، وعن كل حادثة أُحدوثة . وما استبدلت بحالةٍ كنتُ فيها مغتبطاً حالةً أنا في مكروهها وألَمها أشدَّ علي من أني فزعت إلى ناصري عند ظلمٍ لَحِقني ، فوجدتُ من يظلمني أخفَّ نية في ظُلْمي منه ، وأحمَدُ الله كثيراً . ثم كتب في أسفلها[3] : [من المتقارب]

وكنتَ أُخي بإخـاء الزمـانِ فلمـا نَبـا صرتَ حَرْباً عَوانا

1 نقل صاحب التذكرة الحمدونية هذه الحكاية .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 101 وفيه اختلاف .
3 الطرائف الأدبية : 166 .

وكنتُ أذُمُّ إليــكِ الزمــانَ فأصبحتُ فيــك أذُمُّ الزمانا
وكنتُ أعِــدُّك للنائبــاتِ فأصبحتُ أطلبُ منكَ الأمانا

[هجاؤه محمد بن عبد الملك]

أخبرني الصُّولي قال أخبرني الحسين بن فَهْم قال : كان محمد بن عبد الملك قد أغْرى الواثقَ بإبراهيم بنِ العباس ، وكان إبراهيم يُعاتبه على ذلك ويُداريه ، ثم وقف الواثق على تحامُله عليه فرفَع يدَه عنه وأمر أن يُقْبَل منه ما رفَعه ، وردَّه إلى الحَضْرة مَصُوناً ، فلما أحسَّ إبراهيمُ بذلك بسَط لسانَه في محمد ، وحسُن ما بينه وبين ابن أبي دُواد . وهجا محمدَ بن عبد الملك هِجاءً كثيراً ؛ منه قوله[1] : [من الطويل]

قــدَرتَ فلم تَضْرُرْ عدواً بقــدرةٍ وسُمْتَ بها إخوانَك الذُّل والرَّغْما
وكنتَ مليئــاً بالتــي قــد يَعافها من الناسِ مــن يأبى الدَّنيئةَ والذمَّا

[بينه وبين أبي تمام]

أخبرني الصُّولي قال حدثنا ابن السَّخِي قال حدثني الحسين بن عبد الله قال : سمِعتُ إبراهيم بن العباس يقول لأبي تَمام الطائي وقد أنشده شعراً له في المعتصم : يا أبا تَمام ، أمراءُ الكلام رعيةٌ لإحسانك . فقال له أبو تَمام : ذلك لأني أستضيء بك وأرِدُ شريعتَك .

[اعتذر له إبراهيم ابن المدبر عن أخيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال سمعت إبراهيم بن المُدَبّر يقول : جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخي أحمد بن المدبر شيء ، وكان يوَدُّني دون أخي ؛ فَلَقيتُه فاعتذرتُ إليه عنه ؛ فقال لي : يا أبا إسحاق : [من مجزوء الكامل]

صوت

خــلِّ النِّفــاقَ لأهلِــه وعليـكَ فالتمِسَ الطَّرِيقا
واذهبْ بنفسكَ أن تُرى إلا عـــدواً أو صديقا

الغناء لأبي العَنْبَس .

[احتال على المتوكل لينجي بعض عماله]

أخبرني الصُّولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال : انصرف إبراهيم بن العباس يوماً من دار المتوكِّل فقال لنا : أنا والله مسرورٌ بشيء مغمومٌ منه . فقلنا له : وما ذاك أعزك الله ؟ قال : كان أحمد بن المُدَبر رفَع إلى أمير المؤمنين أن بعض عُمالي اقتطع مالاً ، وصدَق في الذي قاله ،

1 الطرائف الأدبية : القطعة 139 .

وكنتُ قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهة فدعوتُ له ، وضحِك إليَّ فقال لي : إن أحمد قد رَفَع على عاملك كذا وكذا فاصدُقْني عنه ؛ فضاقت عليَّ الحُجة ، وخِفتُ أن أحقِّق قولَه إن اعترفت ، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود عليَّ الغُرْم ، فعدَلْت عن الحُجَّة إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك[1] : [من الخفيف]

صوت

رَدَّ قولي وصدَّق الأقوالا وأطاعَ الوُشاةَ والعُـذالا

أتُراه يكـونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

قال : لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم ! رَوِّ هذا الشعرَ بَناناً حتى يُغنِّيَني فيه . فقلت : نعم يا سيدي على ألا يُطلَبَ صاحبي بقول أحمد . فقال للوزير : تقبَّل قولَ صاحبه في المال . فسُررتُ بالظَّفَر ، واغتممتُ لبُطلان هذا المال وذَهابه بمثل هذه الحيلة ، ولعله قد جُمع في زمن طويل وتعب شديد .

[سرق ابن دريد وابن الرومي شعره]

أنشدتُ عمي رحمه الله أبياتاً لابن دُرَيْد يمدح رجلاً من أهل البصرة : [من الكامل]

يـا مَن يُقبِّل كفَّ كلِّ مُخرقٍ هذا ابنُ يحيى ليس بالمِخْراقِ

قَبِّـلْ أناملَـه فلسنَ أنامـلا لكنهـنّ مَفاتـحُ الأرزاقِ

فقال : يا بُنَيَّ هذا سرقَه هو وابنُ الرُّومي جميعاً من إبراهيم بن العباس ؛ قال إبراهيم بن العباس يمدح الفضلَ بنَ سَهْل[2] : [من مجزوء المتقارب]

لفضلِ بـن سهلٍ يـدٌ تَقاصَر عنهـا الأمـلْ

فباطِنُهـا للنَّـدى وظاهرُهـا للقُبَـلْ

وبَسْطتُهـا للغِنـى وسطوتُهـا للأجـلْ

وسرقه ابن الرُّومي فقال : [من الكامل]

أصبحتُ بين خَصاصةٍ ومَذَلَةٍ والحُـرُّ بينهما يمـوت هَزِيلا

فامدُدْ إليَّ يـداً تعـوَّد بطنُها بَـذْلَ النَّدى وظهورُها التَّقبيلا

---

1 الطرائف الأدبية : القطعة 77 .

2 الطرائف الأدبية : 153 .

[رأي ثعلب في شعره]

أخبرني الصُّولي قال سمعتُ أحمدَ بن يحيى ثَعْلَباً يقول : كان إبراهيم بن العباس أشعرَ المُحدَثين . قال : وما روى ثعلبٌ شعرَ كاتبٍ قطُّ قال : وكان يَستحسنُ كثيراً قولَه[1] : [من الطويل]

لنا إبِلٌ كُومٌ يَضِيق بها الفَضا ... ويَفترُّ عنها أرضُها وسماؤُها
فمن دونها أن تُستباح دماؤُنا ... ومن دوننا أن تُستباحَ دماؤُها[2]
حِمى وقِرًى فالموتُ دون مَرامِها ... وأيسرُ خطبٍ يوم حَقٍّ فناؤُها

ثم قال : والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستُجِيد له .

[مدح الحسن بن سهل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعتُ الحسن بن رَجاء يقول : كنا بفَمِ الصُّلْح[3] أيامَ بَنى المأمونُ ببُورانَ بنتِ الحسن بن سَهْل ؛ فقدِم إبراهيم بن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سَهْل فأنشده : [من الطويل]

لِيَهْنِئْكَ أصهارٌ أذلَّتْ بعزِّها ... خدوداً وجدَّعتَ الأنوفَ الرَّواغِما
جمعتَ بها الشمْلَيْنِ من آل هاشمٍ ... وحُزتَ بها للأكرمِينَ الأكارما
بَنُوك غَدَوْا آلَ النبي ووارِثو الـ ... ـخلافةِ والحاوُونَ كِسْرى وهاشما

فقال له الحسن : «شِنْشِنَة أعرِفها من أَخْزَم»[4] أي إنك لم تزل تمدحنا ، ثم قال له : أحسَنَ الله عنا جزاءك يا أبا إسحاق ؛ فما الكثير من فِعْلنا بك بجزاءٍ لليسير من حقّك .

[سامر غضبت عليه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قَيْنة اسمها سامِر كان يهواها فغضبتْ عليه[5] : [من الطويل]

وعلَّمتني كيف الهوى وجَهِلتِه ... وعلَّمكم صبري على ظُلمكم ظُلْمي
وأعلم ما لي عندَكم فيردّني ... هوايَ إلى جهلٍ فأقصِر عن عِلْمي

1 الطرائف الأدبية : القطعة 92 .
2 تستباح في ل : تستذم .
3 فم الصلح : نهر كبير فوق واسط .
4 المثل في مجمع الميداني 1 : 361 ومستقصى الزمخشري 2 : 134 وفصل المقال : 219 وغيرها .
5 الطرائف الأدبية : 150 واسم القينة : ساهر .

[شعره في قصر الليل]

أخبرني الصُّولي قال : سمعتُ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول : لا يُعْلَم لقديمٍ ولا لُمحْدَثٍ في قِصَر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العباس[1] : [من الرجز]

ولَيلـةٍ مــن الليــالي الزُّهْــرِ قابلــتُ فيهــا بدرَهــا ببدرِ
لم تَــكُ غيرُ شَفَقٍ وفجــرِ حتى تولَّـتْ وهي بِكْر الدَّهرِ

[تنكر له ابن الزيات لصلته بابن أبي دواد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال حدثني أحمد بن بِشْر المَرْثَدِي قال : كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دُواد ، فلما خرج من عنده لَقِيَه محمد بنُ عبد الملك الزيات وهو خارج من داره ؛ فتبين إبراهيمُ في وجه محمدٍ الغضبَ فلم يخاطبه في العاجل بشيء . فلما انصرف إلى منزله كتب إليه[2] : [من مجزوء الكامل]

دَعْنِــي أُواصِل مَــنْ قطعـ ـتَ يراك بي إذ لا يَراكا
إنِّــي متــى أهجُــرْ لهجــ ـرك لا أضرَّ بــه سواكا
وإذا قطعتُــك في أخيــ ـك قطعتُ فيك غداً أخاكا
حتــــى أرى مُتَقَسَّمــــاً يومِــي لــذا وغَدِي لذاكا

[المال فرع والقلم أصل]

أخبرني الصُّولي ، قال حدثني أبو العَيناء قال : كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً ، فنقَّط من القلم نقطةً مُفسِدةً فمَسحها بكمه ، فتعجَّبتُ من ذلك ؛ فقال : لا تَعْجَبْ ، المال فرع والقلم أصل ، ومن هذا السَّواد جاءت هذه الثياب ، والأصل أحوج إلى المُراعاة من الفرع . ثم فكر قليلاً وقال[3] : [من الوافر]

إذا ما الفكرُ ولَّدَ حُسْنَ لفظٍ وأسلَمه الوجــودُ إلى العِيانِ
ووشَّــاه فَنَمْنَمَــــــه مُسِدٌّ فصيحٌ في المقــالِ بــلا لسانِ
تــرى حُلَلَ البيــانِ مُنَشَّرات تجلَّــى بينهــا صُوَرُ المعاني[4]

1 الطرائف الأدبية : 145 .
2 الطرائف الأدبية : 188 .
3 الطرائف : القطعة 210 .
4 تجلَّى في الطرائف : حلى . منشرات في ل : مرحلات .

[اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل]

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطَّاح قال : لما عـزَم المأمون على الفتك بالفضْل بن سَهْل ، وندَب له عبدَ العزيز بن عمران الطائي ، ومُؤْنِساً البصْري ، وخلفاً المصري وعلي بن أبي سَعْد ذا القلمين ، وسِراجاً الخادمُ ، نُمِيَ الخبرُ إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه . فلما قُتِل الفضلُ وقتَل المأمون قَتَلَتَه ، سأل من أين سقَط الخبر إلى الفضل ؟ فعُرِّف أنه من جهة إبراهيم بن العباس ، فطلبه فاستتر . وكان إبراهيم عرَف هذا الخبرَ من جهة عبد العزيز بن عِمران ، وكان الفضل استكتب إبراهيمَ لعبد العزيز بن عِمران ، فأخبر به الفضلَ . قال : وتحمَّل إبراهيمُ بالناس على المأمون ، وجرَّد في أمره هشاماً الخطيبَ المعروفَ بالعبَّاسي وكان جريئاً على المأمون لأنه ربَّاه ، وشخص إليه إلى خُراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يُجبه المأمون إلى ما سأل . فلقِيَه إبراهيم مستتراً وسأله عما عمِل في حاجته . فقال له هشام : قد وعدَني في أمرك بما تُحِبُّ . فقال له إبراهيم : أظن أن الأمر على غير هذا ! قال : وما تظن ؟ قال : محلُّك عند أمير المؤمنين أجلُّ من أن يَعِدَك شيئاً فترضى بتأخيره ، وهو أكرم من أن يَعِد مثلَك شيئاً فيؤخِّرَه ، ولكنّك سمعتَ ما لا تحب فيَّ فكرِهت أن تغُمَّني به فقلت لي هذا القولَ ، وأحْسَنَ الله على كل الأحوال جزاءك ، فمضى هشام إلى المأمون فعرَّفه خبرَ إبراهيم ، فعجِب من فِطْنته وعفا عنه . قال : وفي هشام يقول إبراهيم بن العباس[1] : [من السريع]

مَـــنْ كانت الأموالُ ذُخْراً له ... فإن ذُخْـري أمَـلي في هشامْ
فتىً يَقِي اللاَّمـــةَ عـن عِرْضِه ... وأنهـبَ المـالَ قضاءَ الذِّمامْ[2]

[مدح الفضل بن سهل]

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال : دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد ، فقال هاتِ فانشده[3] : [من الكامل]

يُمضِـي الأمـورَ على بديهته ... وتُريـــه فكرتُـــه عـواقبَها
فيَظـلُّ يُصدِرُهـا ويُورِدُهـا ... فيَعُـــمُّ حاضِرَهـا وغـائبَها
وإذا أَلَمَّتْ صَعْبَـةٌ عظُمـتْ ... فيهـا الرزيَّـةُ كان صاحبَها

1 الطرائف الأدبية : القطعة 36 .
2 يقي في الطرائف : نفى .
3 الطرائف الأدبية : 128 وانظر معجم الأدباء : 79 .

المستقِلّ بها وقد رَسَبَتْ ولوتْ على الأيامِ جانبَها
وعدَلْتَها بالحقّ فاعتدلَتْ ووسِعت راغبَها وراهبَها
وإذا الحروبُ غَلَتْ بعثتَ لها رأياً تَفُلُّ به كتائبَها
رأياً إذا نَبَتِ السيوفُ مضى عزمٌ بها فشفى مَضاربَها
أجْرى إلى فئةٍ بدولتها وأقامَ في أخرى نوادبَها[1]
وإذا الخطوبُ تأثّلتْ ورَسَتْ هَدَّتْ فواصلُه نوائبَها
وإذا جرتْ بضميره يَدُه أبدتْ به الدنيا مناقبَها

وأنشدني عمي لإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل وفيه غِناء[2] : [من المتقارب]

صوت

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِين إذا ما تأمَّلَه الناظرُ
لمثَّلتُه لكَ حتى تَراه فتعلم أني امرؤ شاكرُ

الغناء لأبي العَنْبَس ثقيل أول . وفيه لرَذاذ ثاني ثقيل . حدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النُّوبَختي قال حدثني جماعة من عُمومتي وأهلِنا أن رَذاذاً صنع في هذين البيتين لحناً أُعجب به الناس واستحسنوه ، فلما كثُر ذلك صنع فيه أبو العَنْبَس لحناً آخر ، فسقَط لحنُ رذاذ واختار الناس لحنَ أبي العَنْبَس .

[مدح المتوكل وولاة العهود]

أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما عَقَد المتوكّلُ لولاة العهود من وَلَده ركِب بسُرَّ مَنْ رأى رَكْبةً لم يُر أحسنُ منها ، وركب ولاةُ العهود بين يديه ، والأتراكُ بين أيديهم أولادُهم يمشون بين يدَي المتوكل بمناطق الذهب ، في أيديهم الطَّبْرزِينات[3] المُحَلاَّة بالذهب ، ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات[4] وسائر السفن ، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العَرُوس ، وأُذِن للناس فدخلوا إليه . فلما تكاملوا بين يديه ، مَثَل إبراهيم بن العباس بين الصفين ، فاستأذن في الإنشاد فأُذِن له ، فقال[5] : [من المتقارب]

---

1 نوادبها في ل : منادبها .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 192 .
3 الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .
4 الجوانحيات : نوع من السفن .
5 الطرائف الأدبية : القطعة 24 .

ولما بـدا جعفـرٌ في الخميـ ـس بين المطلِّ وبين العَروسِ
بـدا لابساً بهمـا حُلـةً أُزيلتْ بهـا طالعاتُ النُّحوسِ
ولمـا بـدا بـين أحبابـه وُلاةِ العهـودِ وعـزِّ النفوسِ
غـدا قمـراً بـين أقمـاره وشمساً مُكلَّلـةً بالشموسِ
لإيقـاد نـارٍ وإطفائِهـا ويـومٍ أنيـقٍ ويـومٍ عَبوسِ

ثم أقبل على ولاة العهود فقال[1] : [من الكامل]

أضحتْ عُرى الإسلام وهي منوطةٌ بالنَّصـرِ والإعـزازِ والتأييدِ
بخليفـةٍ مـن هاشمٍ وثلاثـةٍ كَنَفوا الخلافـةَ من وُلاةِ عهودِ
قمـرٌ توافـتْ حولَـه أقمـارُه فحففْـن مطلـعَ سعده بسعودِ
رفَعتهـمُ الأيـامُ وارتفعـوا بـه فسعَـوْا بـأكرمِ أنفُسٍ وجدودِ

قال : فأمَر له المتوكِّل بمائة ألف درهم ، وأمر له وُلاةُ العهود بمثلها .

[رأي ابن برد الخيار في شعره]

أخبرني عمي قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وابن برد الخيار في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون يُنشد من أشعار أبيه محاسنها ، ويفضلها ويقدِّمها . فقال له ابن برد الخيار : إن كان لأبيك مثلُ قول إبراهيم بن العباس[2]: [من الرمل]

أسدٌ ضـارٍ إذا هيَّجتَـه وأبٌ بَـرٌّ إذا مـا قَـدَرا
يعرِفُ الأبعـدَ إن أثْرى ولا يعـرِفُ الأدْنى إذا مـا افتقرا

أو مثلُ قوله[3] : [من الكامل]

تلِج السنون بيوتَهم وتَرى لهم عن جار بيتهم ازورارَ مَناكبِ
وتراهـمُ بسيوفهم وشِفارهـم مُسْتَشرِفين لراغـبٍ أو راهبِ
حامِـين أو قارِين حيثُ لقِيتَهم نَهْبَ العُفـاةِ ونُهْـزَةً للرَّاغبِ

فاذكُرْه وافخَرْ به ، وإلا فأقْلِل من الافتخار والتَّطاول بما لا طائل فيه ؛ فخجل هارون . وقال عبيد الله بن سليمان : لَعَمْري ما في الكُتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي ، (يعني عمَّه

1 الطرائف الأدبية : القطعة 13 .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 20 .
3 الطرائف الأدبية : القطعة 6 .

الحسن بن وَهْب) ثم أمر بعضَ كُتابه بكَتْب المقطوعتين اللتين أنشدهما ابن برد الخيار .

[هنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يُهنِّيء الحسن بن سهل بصِهْر المأمون[1] : [من البسيط]

هَنَتْكَ أكرومــةٌ جُلِّلتَ نعمتَها أعلتْ وليَّك واجتثَّتْ أعاديكا
مـا كان يحيا بها إلا الإمامُ وما كانت إذا قُرِنتْ بالحقِّ تعدوكا

[هجا محمد بن عبد الملك الزيات]

أخبرني عمِّي قال حدثني محمد بن داود بن الجرَّاح قال حدَّثني أبو محمد الحسن بن مَخْلَد قال : أُودِعَ محمد بن عبد الملك الزيات مالاً عظيماً وجوهراً نفيساً ، وقد رأى تغيُّراً من الواثق فخافه وفرق ذلك في ثِقاته من أهل الكَرْخ ومُعامِليه من التِّجار . وكان إبراهيم بن العباس يُعاديه ويرصُد له بالمكاره لإساءته إليه ، فقال أبياتاً وأشاعها حتى بلغت الواثقَ يُغرِيه به[2] : [من مخلع البسيط]

نصيحــةٌ شانَهــا وزيرُ مُستَحْفَظٌ سارقٌ مُغِيرُ[3]
ودائــعٌ جَمَّــةٌ عِظام قد أُسبلتْ دونَها السُّتورُ
تسعةُ آلافِ أَلْفِ أَلْفِ خِلالَها جوهــرٌ خطيرُ
بجانب الكَرْخ عندَ قومٍ أنتَ بما عندَهم خبيرُ
والمَلِكُ اليــوم في أُمورٍ تَحْدُثُ من بعدِها أُمورُ
قــد شَغَلتـه مُحَقَّراتٌ وصاحبُ الكارَةِ الوزيرُ

[مدح المعتز]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء[4] :

[من مجزوء الوافر]

سَحُورُ مَحاجِرِ الحَدَقَــهْ مليــحٌ والــذي خَلَقَهْ
سَواءٌ في رِعايتــــــه مُجانبُه ومَــنْ عَشِقَهْ

1 الطرائف الأدبية : القطعة 28 .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 108 .
3 شانَها في الطرائف : أيها الوزير .
4 الطرائف الأدبية : القطعة 26 .

لعينـــي في محاسنــه رِيــاضُ محــاسن أنقَهْ
فأحيانـــاً أنزّههـا وطـوراً في دمٍ غَرِقَهْ

يقول فيها في مدح المعتز بالله :

فيـا قمـراً أضاء لنـا يُلأْلِـيء نـورُه أُفُقَهْ
يُشَبِّهـه سنا المعتـزِّ ذو مِقَـةٍ إذا رَمَقَهْ
أميـرٌ قلَّـد الرحـ ـمنُ أمَـر عباده عُنُقَهْ
وفضَّلـه وطيَّبـه وطهَّـر في الورى خُلُقَهْ

في الأربعة الأبيات الأوَل رَمَلٌ ذكر الهشامي أنه لابن القَصَّار ، ووجدتُه في بعض الكتب لِعَريب .

[هنأه أحمد بن المدبر وكان يحرض عليه]

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المُدبر وقد جاءه بعد خلاصه من النكبة مهنّئاً ، وكان استعان به في أمر نكبته فقعد عنه ، وبلغه أنه كان يحرِّض عليه ابنَ الزيات[1] : [من الطويل]

وكنتَ أخي بالدَّهــرِ حتى إذا نَبا نَبَوْتَ فلما عــاد عُدْتَ مع الدَّهرِ
فـلا يـومَ إقبال عَدَدْتُك طائلاً ولا يـومَ إدبارٍ عددتُـك في وِتْرِ
ومـا كنتَ إلا مثـلَ أحلام نائمٍ كِلا حالَتَيْكَ من وفاءٍ ومن غَدْرِ

[رده على عتاب ابن المدبر له]

وأنشدني الصولي له في أحمد بن المدبر أيضاً وقد عاتبه أحمد بن المدبر على شيء بلغه فقال[2] : [من المجتث]

هَـبِ الزمانَ رمـاني الشأنُ في الخُـلانِ
فيمَـنْ رمـانيَ لمّـا رأى الزمـانَ رمـاني
ومن ذَخَرتُ لنفسي فصار ذُخــرَ الزمانِ
لو قيـل لي خُذْ أماناً مـن أعظـم الحَدَثانِ
لَمـا أخـذتُ أمانــاً إلا مـن الإخـوانِ

---

1 الطرائف الأدبية : 158 .

2 الطرائف الأدبية : 166 .

ومن أخبار المعتضد بالله الجارية مَجرى هذا الكتاب

[المعتضد وغلامه بدر]

حدثني عمي عن جَدي رحمهما الله قال قال لي عبيد الله بن سليمان ، وكان يأنَس بي أُنساً شديداً لقديم الصُّحبة وائتلاف المَنْشأ : دعاني المعتضد يوماً فقال : أَلا تُعاتب بدراً على ما لا يزال يستعمله من التخرق في النفقات والإثابات والزيادات والصِّلات ! وجعل يؤكِّد القول عليَّ في ذلك ؛ فلم أخرج عن حضرته حتى دخل إليه بدر فجعل يَستأمره في إطلاقات مُسرِفةٍ ونفقات واسعة وصِلات سنية وهو يأذن له في ذلك كلّه . فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعله بعد ما جرى بيني وبينه ؛ فقال لي : يا عبيد الله قد عَرفتُ ما في نفسك ، وأنا وإياه كما قال الشاعر : [من البسيط]

صوت

في وجهــه شافعٌ يمحــو إساءته من القلــوب مطاعٌ حيثما شَفَعا
مُسْتقبَلٌ بالذي يَهْوى وإن كثُرتْ منــه الإساءةُ مغفورٌ لمــا صَنَعا[1]

وفي هذين البيتين خفيف رمل .

[المعتضد يطرب لغناء في شعر الوليد بن يزيد]

حدثني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني أحمد بن العلاء قال : غنَّيتُ المعتضد : [من مجزوء الرمل]

كلِّــلاني توِّجــاني وبشعــري غنِّيــاني
أطلِقاني من وثاقي واشدُداني بعِنــاني

فاستحسنه جداً ، ثم قال لي : ويحك يا أحمد ! أما ترى زَهْوَ المُلك في شعره وقوله : [من مجزوء الرمل]

كلِّــلاني توِّجاني وبشعــري غنِّياني

واستعاده مِراراً ، ثم وصَلَني كلَّ مرَّة استعاده بعشرة آلاف دِرهم ، وما وصل بها مغنِّياً قبلي ولا بعدي . قال : واستعاده منّي ستَّ مرَّاتٍ ووهب لي ستِّينَ ألفاً . وقال النُّوشجاني : بل وصَله بعشرة آلاف درهم مرَّةً واحدة .

---

1 مغفور لما في ل : معذور بما .

[159] ـ صنعة أولاد الخلفاء الذُّكور منهم والإناث

فأولُهم وأتقنهم صنعةً وأشهرهم ذِكراً في الغِناء إبراهيم بن المهدي[1] ؛ فإنه كان يتحقق به تحقُّقاً[2] شديداً ويبتذِل نفسَه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً . وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء سِتر وعلى حال تصوُّنٍ عنه وتَرفُّع ، إلا أن يدعوَه إليه الرشيد في خَلْوة والأمينُ بعدَه . فلما أمَّنه المأمونُ تَهتَّك بالغِناء وشُرْبِ النَّبيذ بحضرته والخروجِ من عنده ثَمِلاً ومع المغنِّين ، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عُنُقه وهتَك سِتْرَه فيها حتى صار لا يصلُح لها . وكان من أعلم الناس بالنَّغَم والوَتَر والإيقاعات وأطبعِهم في الغِناء وأحسنِهم صوتاً . وهو من المعدودين في طِيبِ الصَّوت خاصةً ؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية : ابن جامع وعمرو بن أبي الكَنَّات وإبراهيم بن المهدي ومُخارق . وهؤلاء من الطبقة الأولى ، وإن كان بعضهم يتقدَّم . وكان إبراهيم مع علمه وطبعه ومعرفته مُقَصِّراً عن أداء الغِناء القديم وعن أن ينحوَه في صنعته ، فكان يَحذِف نَغَم الأغاني الكثيرةَ العمل حذفاً شديداً ويُخفِّفها على قَدْر ما يَصلح له ويَفِي بأدائه . فإذا عِيب ذلك عليه قال : أنا مَلِكٌ وابن ملك ، أُغنِّي كما أشتهي وعلى ما ألتذ . فهو أول من أفسد الغِناء القديمَ ، وجعل للناسِ طريقاً إلى الجَسارة على تغييره . فالناس إلى الآنَ صنفان : من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنكر تغييرَ الغِناء القديم ويُعْظِم الإقدام عليه ويَعِيب مَنْ فعله ، فهو يُغنِّي الغِناء القديمَ على جهته أو قريباً منها . ومن أخذ بمذهبَ إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مُخارق وشارِيةَ ورَيِّق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغنِّي الغِناء القديم كما يشتهي هؤلاء لا كما غناه من يُنْسب إليه ، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهي أن يَقْرُب عليه مأخذُ الغِناء ويكره ما ثقُل وثقُلت أدواره ، ويستطيل الزمانَ في أخذ الغِناء الجيد على جهته بقِصَر معرفته . وهذا إذا اطرد فإنما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت لا للمتقدمين ؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرَوْن وقد غيره مَنْ أخذوه عنه وأخذ ذلك

1 أخبار إبراهيم المهدي في كتب التاريخ ، انظر مثلاً الطبري (حوادث 201–210) وأشعار أولاد الخلفاء : 17–49 وابن خلكان 1 : 39–43 و385–390 .

2 لعلها يتحفى به تحفياً . . .

أيضاً عمن غيره ، حتى يَمضي على هذا خمسُ طبقات أو نحوُها ، لم يتأدّ إلى الناس في عصرنا هذا من جهة الطبقة غِناء قديم على الحقيقة البتَّة . وممن أفسد هذا الجنسَ خاصَّةً بنو حَمْدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مُخارق ، وما نفع الله أحداً قط بما أخذ عنه ، وزِريابُ الواثقية فإنها كانت بهذه الصورة تُغَيِّر الغِناء كما تريد ، وجواري شارية ورَيِّق . فهذه الطبقة على ما ذكرتُ . ومَنْ عداهم من الدُّورِ مثل دُورِ غرِيب ودُورِ جواريها والقاسم بن زُرْزُور وولده ودُورِ بَذْل الكبرى ومن أخذ عنها ، وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن مُعاذ ودُورِ آل الرَّبيع ومن جرى مجراهم ممن تمسك بالغِناء القديم وحمله كما سمعه ، فعسى أن يكون قد بقي ممن أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير على أن الجميع من الصحيح والمُغَيَّر قد انقضى في عصرنا هذا .

فمن مشهور غِناء إبراهيم بن المهدي : [من الكامل]

صوت

هل تَطمِسون من السماء نجومَها ... بأكُفِّكـم أو تَسْتُرون هلالَهـا
أو تدفعـونَ مقالـةً من ربِّكم ... جبريـلُ بلَّغهـا النبـيَّ فقالَها
طرقَتْـك زائـرةً فحـيِّ خيالهـا ... زهـراءُ تخلِـط بالدَّلالِ جمالَها

الشعر لمروان بن أبي حَفْصة . والغِناء لإبراهيم بن المهدي ، ثقيلٌ أوَّل بالبنصر ، وذكر حَبَش أن فيه لابن جامعٍ لحناً ماخورياً .

[160] ـ أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه[1]

[نسبه]

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . ويُكنى أبا السِّمط . واسم أبي حفصة يزيد . وذكر النوفلي عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يَدَيْ مروان بن الحكَم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبْي إصْطَخْر ، وأن عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهِد أبو حفصة الدارَ[2] مع مولاه مروان بن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً وقَتل رجلاً من أَسْلَمَ يقال له بَنان . وجُرح مروان يومئذٍ ، أصابته ضربةٌ قطعتْ عِلْباءه[3] فسقط ، فوثب عليه أبو حفصة واحتمله ، فجعل يحمله مرَّة على عنه ومرة يجرُّه ، فيتأوه ؛ فيقول له : اسكتْ واصْبِر ؛ فإنه إن علموا أنك حيٌّ قُتِلتَ . فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عَنزة فَداواه فيها حتى بَرىء ؛ فأعتقه مروان ونزل له عن أُمٍّ ولد له يقال لها سُكّر كانت له منها بنت يقال لها حَفصة ؛ فحضنها ، فكُنِيَ أبا حفصة ؛ فحفصة بنت مروان . قال : وكان مروان إذا وليَ المدينةَ وجه أبا حفصة إلى اليمامة ، وكانت مُضافة إلى المدينة ، ليجمع ما فيها من المال ويحمله إليه . قال : فمر أبو حفصة بقرية من قُرى اليمامة يقال لها العِرْض ، فوقف على باب فاستسقى ماء ، فخرجت إليه جارية معصِرٌ[4] فسَقَتْه فأعجبته ؛ فسأل عنها ليشتريها ؛ فقيل له : هي حرة وهي مولاةٌ لبني عامر بن حنيفة . فمضى حتى قدِم حُجْراً[5] ، ثم تبعتْها نفسُه فتزوجها ، فلم يخرج من اليمامة حتى حَمَلتْ بيحيى بن أبي حفصة ، ثم حمَلَتْ بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وقَعتْ فتنة ابن الزُّبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام .

قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجَنُوب يقول : أُم يحيى بن

---

1 ترجمة مروان بن أبي حفصة في الشعر والشعراء 2 : 649–651 ومعجم المرزباني : 396 والموشح : 251 وطبقات ابن المعتز : 42–54 وابن خلكان 5 : 189–193 وتاريخ بغداد 13 : 142 وشذرات الذهب وانظر بروكلمان 2 : 21 . وقد جمع شعره قحطان رشيد التميمي (مطبعة النعمان ، النجف ، 1972) .

2 يعني دار عثمان بن عفان ، سمي يوم مقتله يوم الدار لأنه لزم داره فقتل فيها .

3 العلباء عصبة في صفحة العنق ، وفي ل : علباويه .

4 معصر : بلغت عصر شبابها وأدركت .

5 حجر : حاضرة اليمامة .

أبي حفصة لحناء[1] بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي ، وإن الشعر أتى آل أبي حفصة بذلك السبب . قال : وشَهِد أبو حفصة مع مروان يوم الجَمَل وقاتل قتالاً شديداً . فلما ظفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لجأ مروان إلى مالك بن مِسْمَع فدخل دارَه ومعه أبو حفصة ، فقال لمالك : أغلِقْ بابك . فقال له مالك : إن لم أمْنَعك والبابُ مفتوحٌ لم أمنعك والبابُ مُغلق . فطلب علي رضي الله عنه مروان منه ، فلم يدفعه إليه إلا برَهينة ، فدفع مالكٌ الرهينة إلى أبي حفصة ، ومضى مروان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال لأبي حفصة : إن حَدث حَدَثٌ بصاحبك فعليك بالرَّهينة . فلما أتى مروانُ علياً كساه كُسْوةً ، فكساها مروانُ أبا حفصة ، فغدا فيها أبو حفصة . وبلغ علياً رضي الله عنه ذلك فغضِب وقال : كسوته كُسْوةً فكساها عبداً ! . وشهِد أبو حفصة مع مروان مَرْجَ راهِط ، وكان له بلاء . وكان أبو حفصة شاعراً .

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السِّمْط مروان بن أبي الجَنُوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار : [من الطويل]

وما قلتُ يومَ الدَّار للقومِ صالِحُوا أَجَلْ لا ، ولا اخترتُ الحياةَ على القتلِ
ولكنَّني قــد قلتُ للقومِ جالِدوا بأسيافكم لا يُخْلَصَنَّ إلى الكهلِ

قال : وأنشدني لأبي حفصة أيضاً : [من الرجز]

لستُ على الزحامِ بالأَصَرّ[2] إني لَـوَرَّادٌ حيـاضَ الشرّ
مُعاوِدٌ للكرِّ بعدَ الكرّ

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال : عُكْلٌ تدّعي أن أبا حفصة منهم ، يقولون : هو من كِنانة بن عَوْف بن عبد مَناةَ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر ، وقد كانوا استَعْدَوْا عليه مروانَ بن الحَكَم ، وقالوا : إنما باعته عمَّتُه لمجاعةٍ ؛ فأبى هو أن يُقرَّ لهم بذلك . ثم استعدوْا عليه عبد المَلك بن مروان أيضاً ؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سَبْي فارس ، نَشأ في عُكْل وهو صغير . قال محمد بن إدريس : ووَلَدُ السَّمَوْأل بن عادِياء يدَّعُونَه ، والسموأل من غسان . قال محمد : وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أن ثلاثةَ نَفَرٍ أتَوْا مروان بن الحَكَم وهو أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سُلَيْم ، فباعوا أنفسَهم منه في مجاعة نالتهم ، فاستعدى أهلُ بيوتاتهم عليهم ، فأقرَّ أحدُهم وهو السُّلَميُّ أنه إنما أتى

1 في وفيات الأعيان 5 : 193 : تحيا .
2 يقال : صر الرجل إذا صاح صياحاً شديداً .

مروان فباعه نفسه وأنه من العرب ؛ فدسَّ إليه مروانُ مَن قتله . فلما رأى ذلك الآخران ثَبَتا على أنهما مَوليان لمروان .

فأخبرني الحَسَن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابنٌ يقال له مروان سماه مروان بن الحَكَم باسمه ، وليس بالشاعر ، وأنه كان شجاعاً مجرباً ، وأمدَّ به عبد الملك بن مروان الحجاج وقال له : قد بعثنا إليك مولاي ابنَ أبي حفصة وهو يَعْدِل ألف رجل . فشهد معه محاربة ابن الأَشْعث ، فأَبلى بلاءً حسناً وعُقِرتْ تحته عدَّةُ خيول ، فاحتَسب بها الحجَّاج عليه من عطائه . فشكاه إلى عبد الملك وذمَّ الحجَّاجَ عنده ؛ فعوّضه مكان ما أغرمَه الحجاج .

وكان يحيى جدّ مروان بن سليمان جواداً مُمَدَّحاً .

[جرير يودعه ابنه]

أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السُّكَّري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : أراد جرير أن يوجِّه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره ، فأتى يحيى ابن أبي حفصة فأودعه إياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كَلَّفتَ هذا القرشي أمري ! فقال له جرير[1] : [من الطويل]

أزاداً سوى يحيى تريـدُ وصاحباً ... ألاَ إنَّ يحيـى نِعـمَ زادُ المسافرِ
ومـا تأمــن الوَجْناءُ وقعةَ سيفه ... إذا أَنْفَضُوا أو قَلَّ مـا في الغرائرِ[2]

[زواجه من بنت زياد بن هوذة]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عُليل العنزي قال : تزوج يحيى بن أبي حفصة بنتَ زياد بن هوذة بن شماس بن لأْي بن أنْف الناقة ؛ فاستعدى عليه عمَّاها عبدَ الملك بن مروان وقالا : أينكح إبراهيمُ بن عَدِي وهو من كنانة منك وإليك بنتَها ، ويَنكِح هذا العبدُ هذه ؟! فقال عبد الملك : بل العبد ابن العبد والله إبراهيمُ بن عدي ، وكان مغمور النسب في الإسلام ، والله لَهذا أشرفُ منه ، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما ، وما أُحِبُّ أن لي بيحيى ألفاً منكما . والله لو تزوج بنتَ قيس بن عاصم ما نزعتُها منه . ومَنْ زوجه فقد زوج ابني هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجا وتخلَّف يحيى بعدهما ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهما قد أَنْضَيا رِكابَهما ، وأخلقا

---

1 ديوان جرير (صادر) : 183 .

2 الوجناء : الناقة الشديدة . أنفض القوم : فني زادهم .

ثيابهما ، والتزما مؤونةً في سفرهما ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يعوضهما عِوَضاً ! فقال : أَبْعَدَ ما قالا فيك !! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أُعطيك أنت ما سألتَ لهما وتُعطيهما ما شئتَ . فكساه ووصَله وحمله . فخرج يحيى إليهما ففرق ذلك عليهما ، وزوج ابنَه سليمان بنتَ أحدهما ، وولدتْ بنتُ زياد منه أولاداً .

[يهنىء الوليد بن عبد الملك ويعزيه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بُويع له بالخلافة بعد أبيه ، فهنأه وعزاه وأنشده : [من الكامل]

إن المنايا لا تغادرُ واحداً ... يمشي ببِزّتِه ولا ذا جُنّهْ
لو كان خَلْقٌ للمنايا مُفْلِتاً ... كان الخليفةُ مُفْلِتاً منهنّهْ
بكتِ المنابرُ يومَ ماتَ وإنما ... بكتْ المنابرُ فَقْدَ فارسِهُنّهْ
لمّا علاهُنّ الوليدُ خليفةً ... قلنَ ابنُه ونظيرُه فسَكَنّهْ
لو غيرُه قَرَع المنابرَ بعدَه ... لَنَكِرْنَه فطَرَحْنَه عنهنّهْ

[زوج بنيه من بنت مقاتل المنقري وأختيه فهجاه القلاح]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العَنزي قال : خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مُقاتل بن طُلْبة بن قيس بن عاصم المِنقري ابنتَه وأُخْتَيْه ، فأنعَمَ له بذلك . فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل ، فأتَوْه بالجَفْر فزوجهن بَنِيه ثلاثتَهم ، ودخلوا بهنّ ثم حملوهن إلى حَجْر . فقال القُلاح بن حَزن المِنقري في ذلك : [من الطويل]

سلامٌ على أوصال قيس بن عاصمٍ ... وإن كُنَّ رَمْساً في التراب بَوالِيا
أضيَّعتموا خيلاً عِراباً فأصبحتْ ... كواسدَ لا يَنْكِحن إلا المَوالِيا
فلم أرَ أبراداً أجَرّ لخزيةٍ ... وألأمَ مكسُوّاً وألأم كاسيا
من الخَزّ واللائي بحَجْرٍ عليكمُ ... نُشِرْنَ فكنّ المُخزِياتِ البواقيا

فقال يحيى يرد عليه : [من الطويل]

ألا قَبّح اللهُ القُلاحَ ونسْوةً ... على البئرُ يعطِشْنَ الكلابَ من النَّتْنِ
نَكَحْنا بناتِ القَرْم قيسِ بن عاصم ... وعمداً رغِبنا عن بنات بني حَزْنِ
أبا كان خيراً من أبيك أُرُومةً ... وأوسطَ في سَعْدٍ وأرجحَ في الوَزْنِ

لِبيْتِ بني حَزْن مـن الذُلّ وَهْنَةٌ كوهنةِ بيتِ العنكبوتِ التي تَبْني
ولم تَـرَ حَزْنِيّاً ، ولو ضَمَّ أربعاً وأبْرَزَ ، في فرجٍ يَعِفُّ ولا بطنِ[1]
وضيفُ بني حَزْنٍ يجوعُ وجارُهم إذا أمِنَ الجيرانُ نـاءٍ من الأمنِ

[شعره في ابن المهلب وقومه]

أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروجَ يزيد بن المُهَلَّب ويتأسَّف على الحَجاج : [من البسيط]

لا يُصلِحُ الناسَ إلا السيفُ إذ فُتِنوا لَهْفِي عليـكَ ولا حَجَّاجَ للدينِ
لو كان حياً غداةَ الأَزْد إذ نكَثوا لم يُحْصِ قتلاهُمُ حسَّابُ ديرينِ
لم تأته الأَزْدُ عنـدَ البابِ تَرْبُصه مثـلَ الجـرادِ تَنزَّى في التَّبابينِ[2]
من كلِّ أَفحَج ذي حَنْفٍ مُخالفةً أرفَتْ به السُّفْنُ عِلْجاً غير مَجْنونِ[3]

[شعره في والي اليمامة]

قال أبو أحمد : وأنشدني ليحيى في سفيان بن عمرو والي اليمامة : [من البسيط]

لقد عَصاني ابن عمرو إذ نَصَحتُ له ولو أطِعْـتُ لمـا زلَّتْ بـه القَدَمُ
لو كنتُ أنفُخَ في فحمٍ لقد وقَدتْ ناري ولكـن رمـادٍ ما لـه حَمَمُ

[بخل مروان بن أبي حفصة]

وليحيى أشعارٌ كثيرة ؛ وإنما ذكرنا هاهنا منها ما ذكرنا لنعرِف أعراقَ مروان في الشعر . وكان مروان أبخَل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء ، لا سيما من بني العباس ، فإنه كان رسمهم أن يُعطوه بكل بيت يمدحهم به ألفَ درهم .

أخبرنا أحمد بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النَّوفلي قال سمعت أبي يقول : كان المهدي يُعطي مروان وسَلْماً الخاسر عطيَّة واحدة ، وكان سَلْمٌ يأتي بابَ المهدي على البِرْذَوْن قيمتُه عشرةُ آلاف درهم ، والسَّرج واللجامِ المَقْذُوذين[4] ؛ ولباسُه الخزُّ والوَشْي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحةُ المسك والغالية والطِّيب تفوح منه ، ويجيء مروان بن أبي

---

1 أُبرز : اتخذ الإبريز وهو الذهب الخالص ، كناية عن كثرة المال .
2 تربصه : تنتظره . التبابين : جمع تبان وهو سراويل صغير .
3 الفحج : تداني صدور القدمين وتباعد العقبين . الحنف : اعوجاج الرجل إلى الداخل . أرفت السفينة : دنت من الشاطىء . وغير مجنون : غير مغطى .
4 المقذوذ : المزين .

حفصة وعليه فَرْوُ كبشٍ ، وقميصُ كَرابيس[1] وعمامةُ كرابيس ، وخُفّا كَبْلٍ[2] وكساءٌ غليظٌ مُنْتِنُ الرائحة ، وكان لا يأكل اللَّحم بخلاً حتى يَقْرَم إليه ، فإذا قَرِم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله . فقيل له : نَراك لا تأكل إلاَّ الرؤوسَ في الصَّيف والشتاء ، فلم تختار ذلك ؟ قال : نعم ! الرأس أعرف سعره ، ولا يستطيع الغلام أن يغبِنَني فيه ، وليس بلحم يطبُخه الغلام فيقدِر أن يأكل منه ، إن مسَّ عيناً أو أذُناً أو خَداً وقفتُ عليه ، فآكل منه ألواناً ، آكل عينيه لوناً ، وأُذُنيه لوناً ، وغَلْصَمته لوناً ، ودماغه لوناً ، وأُكفى مؤونةَ طَبْخِه ، فقد اجتمعتْ لي فيه مرافق .

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العَلاء المِنْقَري قال حدثني موسى بن يحيى قال : أوْصَلْنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع إليها مالاً حتى تمَّت مائةَ ألف وخمسين ألف درهم ، وأودَعها يزيد بن مَزْيَد . قال : فبينا نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مَزْيَد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا علي أودَعَني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقَّال . قال فغضِب يحيى ثم قال : عليَّ بمروان ، فأُتِيَ به . فقال له : أخبرَني أبو خالد بما أوْدَعتَه من المال وما تبتاعه من البقال ، والله لَما يُرى من أَثَر البخل عليك أضرُّ من الفقر لو كان بك .

أخبرنا يحيى قال وحدثني عمر بن شبَّة عن أبي العَلاء المِنْقَري عن موسى بهذا الخبر ، إلا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله البُخلُ أسْوأ عليك أثراً من الفقر لو صرتَ إليه ، فلا تَبْخَل .

أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة قال : بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فَرِحتُ بشيء قط فَرَحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي ، فوزنتُها فزادتْ درهماً فاشتريتُ به لحماً .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جَهْم بن خَلَف قال : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة ، فأطعمنا تمراً ، وأرسل غلامَه بفَلْس وسُكُرُّجَة ليشتري له زيتاً . فلما جاء بالزَّيت قال لغلامه : خُنتَني ! قال : من فَلْس كيف أخونك ؟ قال : أخذتَ الفَلْس لنفسك واستوهبت الزيتَ .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التَّوَّزِي عنه قال : مرَّ مروان بن أبي حفصة في بعض سَفَراته وهو يريد مِنىً بامرأة من العرب فأضافته ، فقال : لله عليَّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لكِ درهماً ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاها أربعة دَوانق .

1 الكرابيس : جمع كرباس وهو الثوب الخشن .
2 الكبل : الكثير الصرف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال: اشترى مروان لحماً بنصف درهم، فلما وضعه في القِدْر وكاد أن ينضَج، دعاه صديق له، فردَّه على القَصَّاب بنُقصان دانِقَ. فشكاه القصابُ وجعل ينادي: هذا لحم مروان، وظن أنه يأنف لذلك. فبلغ الرشيد ذلك فقال: ويلك! ما هذا؟ قال: أكره الإسراف.

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال: أُنْشِدتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان: [من الطويل]

وليس لمروانٍ على العِرْسِ غَيْرةٌ ... ولكنَّ مرواناً يَغارُ على القِدْرِ

[قصته مع أبي الشمقمق]

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هِفَّان قال حدثني يحيى بن الجَوْن العَبْدِي قال: فرَّق المهديُّ على الشعراء جوائزَ، فأعطى مروانَ ثلاثين ألفاً. فجاءه أبو الشمقمق فقال له: أَجِزْني من الجائزة. فقال له: أنا وأنتَ نأخذ ولا نُعْطِي. قال: فاسمع مني بيتين. قال: هاتِ. فقال أبو الشمقمق: [من السريع]

لِحْيةُ مروانَ تَقِي عَنْبرا ... خالَط مسكاً خالصاً أذْفَرا
فما يُقيمانِ بها ساعةً ... إلا يَعُودانِ جميعاً خَرا

فأمر له بدرهمين. وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحظة عن أبي هِفَّان فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه. فأعطاه عشرة دراهم، فقال له خذ هذه ولا تكن راويةَ الصِّبيان.

[الهادي يداعبه في المعجل والمؤجل]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عمِّي مُصعَب عن جدِّي عبدِ الله بن مصعب قال: دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي، فأنشده قولَه فيه:

تَشابَه يوماً بأسِه ونوالِه ... فما أحدٌ يدري لأيِّهما الفضلُ

فقال له الهادي: أيما أحب إليك: أثلاثون ألفاً مُعَجَّلةً أم مائةُ ألف تدوَّن في الدواوين؟ فقال له: يا أمير المؤمنين أنت تُحسن ما هو خير من هذا ولكنَّك نَسيتَه، أفتأذَن لي أن أُذَكِّرك؟ قال نعم. قال: تُعَجِّل لي الثلاثين ألفاً وتدوِّن المائة الألف في الدَّواوين. فضحِك وقال: بل يعجَّلان جميعاً؛ فحُمِل المالُ إليه أجمع.

[بينه وبين اليزيدي]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال: اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو

محمد اليزيدي عند المهدي ؛ فابتدأ مروان يُنشد : [من الكامل]

طَرَقَتْكَ زائرةً فحيٍّ خيالَها

فقال اليزيدي : لَحن والله وأنا أبو محمد . فقال له مروان : يا ضعيف الرأي أهذا لي يقال ! ثم قال : [من الكامل]

بيضاءُ تخلِط بالجمال دلالَها

فقال له بعض من حضر : يا أمير المؤمنين أَيتكنّى في مجلسك ! (يعني اليزيدي) فقال : اعذِروا شيخَنا ، فإن له حُرْمة .

[سؤال الرشيد عن الوليد بن يزيد]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد : هل دخلتَ على الوليد بن يزيد ؟ فقلت : نعم دخلتُ مع عمومتي إليه . قال : فأخبِرْني عنه . قال : فذهبتُ أتزَحزَح . فقال لي : إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول ، فقل ما شئت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كان من أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وأجودهم . دخلتُ عليه مع عُمومتي ولي لِمَّةٌ فَيْنانة ، فجعل يغمِز القضيبَ فيها ويقول لي : يا غلام ولَدَتْك سُكَّر ؟ ، وهي أُمُّ وَلَدٍ لمروان بن الحكَم فوهبها لجَدي أبي حفصة فولَدتْ منه ، فقلت له : نعم . قال لي الرشيد : فهل تحفَظ من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم ، سمعتُه يُنشد في خلافته وذكر هشاماً وتَحامُلَه عليه وما كان يريد من نَقْض أمره وولايته[1] : [من السريع]

ليتَ هشاماً عاشَ حتى يَرى مِكْتَلَه الأوفَرَ قد أُتْرِعا

كِلْنا له الصاعَ التي كالَها وما ظلَمناه بها أُصْوُعا

وما أَتَيْنا ذاكَ عن بِدْعةٍ أحلَّه الفُرْقانُ لي أجمعا

فقال الرشيد : يا غلامُ ، الدواةَ والقرطاسَ ، فأُتِيَ بهما ، فأمر بالأبيات فكُتبت .

[رأي خلف الأحمر في شعره]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خَلَّادٌ الأَرْقَط قال : جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حَلْقة يونس ، فأخذ بيد خَلَف الأحمر فأقامه ، وأخذ خَلَفٌ بيدي فقمنا إلى دار أبي عُمَيْر[2] فجلسنا في الدهليز . فقال مروان

---

1 في هذه الأبيات روايات مختلفة (انظر شعر الوليد بن يزيد ــ عطوان ، مكتبة الأقصى ، عمان) ولكنها لا تخرج عن مدلولها هنا .

2 ل : ابني عمير .

لخَلَفٍ : نَشَدْتُك اللهَ يا أبا مُحْرِز إلا نصحتني في شعري فإن الناس يُخْدَعون في أشعارهم ، وأنشده قولَه : [من الكامل]

طرقتْك زائرةً فحـــيِّ خيالَها بيضاءُ تخلِط بالجمالِ دلالَها

فقال له : أنت أشعر من الأعشى في قوله :

رَحَلـــتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً أجْمالَها

فقال له مروان : أَتَبْلُغ بيَ الأعشى هكذا ! ولا كُل ذا ! قال : ويحك ! إن الأعشى قال في قصيدته هذه :

فأصابَ حَبَّـةَ قلبهـا وطِحالَها

والطِّحال ما دخل قطُّ في شيء إلا أفسده ، وأنت قصيدتُك سليمة كلها . فقال له مروان : إني إذا أردتُ أن أقول القصيدة رفعتُها في حول ، أقولها في أربعة أشهر ، وأنتخلها في أربعة أشهر ، وأَعْرِضُها في أربعة أشهر .

[رأي يونس في شعره]

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سَلام قال أبو دُلَف هاشم بن محمد وحدثني به الرِّياشي عن الأصمعي قال : جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس ، فسلَّم ثم قال لنا : أيُّكم يونس ؟ فأَوْمأنا إليه . فقال له : أصلحك الله ! إني أرى قوماً يقولون الشعر ، لأن يَكْشِف أحدهم سوءته ثم يمشيَ كذلك في الطريق أحسنُ له من أن يُظهر مثلَ ذلك الشعر . وقد قلتُ شعراً أَعْرِضُه عليك ، فإن كان جيِّداً أظهرتُه ، وإن كان رديئاً سترتُه . فأنشده قوله : [من الكامل]

طرقتْكَ زائـرةً فحـيِّ خيالَها

فقال له يونس : يا هذا اذْهَبْ فأَظْهِر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله :

رحَلتْ سُمَيَّةُ غُـدْوَةً أجْمالَها

فقال له مروان : سررتني وسُؤْتني . فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر . وأما الذي ساءني فتقديمُك إياي على الأعشى وأنت تعرف محلَّه . فقال : إنما قدَّمتُك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كله لأنه قال فيها :

فأصابَ حبَّـة قلبَهـا وطِحالَها

والطِّحال لا يدخل في شيء إلا أفسده . وقصيدتُك سليمة من هذا وشِبْهه .

[رأي الأصمعي فيه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال : سمِعتُ الأصمعي ذكَر مروان بن أبي حفصة فقال : كان مولَّداً ، لم يكن له علم باللغة .

[من أشعر الناس]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عُبيد الله عن العُتْبي قال حدثني بعض أصحابنا قال : أنشدَنا مروانُ بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زُهَيْر والله أشعر الناس ، ثم أنْشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أنْشد شعراً لامرىء القيس فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناسُ واللهِ أشعرُ الناس . أي إن أشعر الناس من أنشدتُ له فوجدته قد أجاد ، حتى يُنْتَقل إلى شعر غيره .

[اشترى من أعرابي شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النَّوفلي قال حدثني أبي قال : اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُنشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وإنه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشدَه إيَّاه ، أوله : [من الكامل]

مَرْوانُ يا ابنَ محمدٍ أنتَ الذي زِيدَتْ بـه شَرَفاً بنـو مروانِ

فأعجبتْه القصيدة ، فأمهل الباهليَّ حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني سمعتُ قصيدتَك وأعجبتْني ، ومروان قد مضى ومضى أهلُه وفاتَك ما قد رُمتَه عنده ؛ أتبيعني القصيدةَ حتى أنتحلَها ، فإنه خير لك من أن تَبقى عليك وأنت فقير ؟ قال نعم . قال : بكم ؟ قال : بثلثمائة درهم . قال : قد ابتعتُها ؛ فأعطاه الدراهم وحلَّفه بالطلاق ثلاثاً وبالأيمان المُحْرِجة ألا يَنْتحلها أبداً ولا ينسبُها إلى نفسه ولا يُنْشدَهـا ، وانصرف بها إلى منزله ، فغيَّر منها أبياتاً وزاد فيها ، وجعلها في مَعْن ، وقال في ذلك البيت : [من الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به شرفـاً إلى شرف بنـو شَيْبانِ

ووفَد بها إلى مَعْن بن زائدة فملأ يديه ، وأقام عنده مدةً حتى أثْرى واتَّسعت حالُه . فكان معنٌ أوَّلَ من رفَع ذكره ونَوَّه به . قال : وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومَراثٍ حسنةٌ .

[معن والعبد الذي أطلقه تكرماً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن نُعَيم البَلْخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال : كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديـداً ، وجعـل فيـه مـالاً ؛ فحدثنـي معن بن زائدة باليمن أنه اضطُر لشدَّة الطلب إلى أن قام في الشمس حتى لوَّحتْ وجهَه ، وخفَّف عارضيه ولحْيته ، ولبِس جُبَّة صوف

غليظة ، وركِب جملاً من الجمال النَّقَّالة ليمضيَ إلى البادية فيُقيمَ بها ، وكان قد أَبْلى في حرب يزيد بن عمر بن هُبَيْرة[1] بلاء حسناً غاظ المنصور وجدَّ في طلبه . قال مَعْنٌ : فلما خرجتُ من باب حَرْب[2] تَبِعني أسودُ متقلِّداً سيفاً ، حتى إذا غِبتُ عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقَبض عليَّ ؛ فقلت له : ما لكَ ؟ قال : أنت طِلبةُ أمير المؤمنين . قلت : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ! قال : مَعْنُ بن زائدة . فقلت : يا هذا اتقِ الله وأين أنا من معن ! قال : دَعْ هذا عنك فأنا والله أَعْرَفُ به منك . فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهرٌ حملتُه معي يَفِي بأضعاف ما بذله المنصور لمَن جاءه بي ، فخُذه ولا تَسفِكْ دمي . قال : هاتِه فأخرجتُه إليه ؛ فنظر إليه ساعة وقال : صدَقتَ في قيمته ، ولستُ قابِلَهْ حتى أسألك عن شيء ، فإن صدَقْتني أطلقتُك . فقلت : قُلْ . قال : إن الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبِرْني هل وهبتَ قط مالَك كلَّه ؟ قلت لا . قال : فنصفَه ؟ قلت لا . قال : فثُلُثَه ؟ قلت لا . حتى بلغ العُشْر فاستحيَيْتُ فقلت : أظن أني قد فعلتُ هذا . فقال : ما أراك فعلتَه ! أنا والله راجل ، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمتُه آلافُ دنانير ، وقد وهبتُه لك ، ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلَم أن في الدنيا أجود منك ، فلا تُعْجِبْك نفسُك ولتَحْقِرْ بعد هذا كلَّ شيء تفعله ، ولا تتوقف عن مكرمة . ثم رمى بالعقد في حِجْري وخلَّى خطامَ البعير وانصرف . فقلت : يا هذا قد والله فضحتَني ، ولَسَفْكُ دمي أهونُ عليَّ مما فعلتَ ، فخذ ما دفعتُه إليك فإني غنيٌّ عنه . فضَحِك ثم قال : أردتَ أن تكذِّبني في مَقامي هذا ، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد طلبتُه بعد أن أَمِنتُ وبذلتُ لمَن جاءني به ما شاء فما عرَفتُ له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعتْه .

[بلاء معن يوم الهاشمية]

قال : وكان سبب رضا المنصور عن مَعْن أنّه لم يزل مستتِراً حتى كان يومُ الهاشمية ، فلما وثَب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثَب مَعْن وهو متلثّم فانتضى سيفَه وقاتل فأبلى بلاءً حسناً ، وذبَّ القومَ عنه حتى نجا وهم يُحاربونه بعدُ ، ثم جاء والمنصور راكبٌ على بغلة ولجامُها بيد الرَّبيع ؛ فقال له : تَنحَّ فإني أحقُّ باللِّجام منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غَناء . فقال له المنصور : صدَق فادفعه إليه ؛ فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال . فقال له المنصور : مَن أنتَ لله أبوك ؟ قال : أنا طَلِبتُك يا أمير المؤمنين مَعْنُ بن زائدة . قال : قد

---

1 هو أحد رجالات بني أمية وولاتهم قتله أبو جعفر المنصور سنة 132 (انظر ترجمته في ابن خلكان 6 : 313-321) .

2 موضع ببغداد ينسب إلى حرب البلخي : أحد قواد المنصور .

أمَّنك الله على نفسك ومالك ، ومثلك يُصْطَنع . ثم أخذه معه وخلَع عليه وحَباه وزيَّنه . ثم دعا به يوماً وقال له : إني قد أمَّلتك لأمر ، فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب أمير المؤمنين ، قال : قد ولَّيتك اليمنَ ، فابسُط السيفَ فيهم حتى يُنْقَض حِلفُ ربيعةَ واليمن ، قال : أُبْلُغُ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين . فولاَّه اليمَن وتوجَّه إليها فبسط السيفَ فيهم حتى أسرف .

[معن يكرمه لمدحه المنصور]

قال مروان : وقدِم مَعْن بعَقِب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانُك عنده ورأيُه فيك لغضِب عليك . قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما تعرضتُ لك منك ، قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله فيك[1] : [من الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به شرفــاً إلى شرف بنو شَيْبانِ
إن عُــدَّ أيــامُ الفعــالِ فإنما يومــاه يــومُ ندًى ويومُ طِعانِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغك لهذا الشعر ، وإنما أعطيته لقوله : [من الكامل]

مــا زلتَ يــومَ الهاشميَّةِ مُعْلِماً بالسيفِ دونَ خليفــةَ الرحمنِ
فمنعتَ حَوْزَتَــه وكنتَ وِقاءه من وَقْــع كلِّ مُهَنَّــدٍ وسِنانِ

فاستحيا المنصور وقال : إنما أعطيتَه ما أعطيتَه لهذا القول ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! والله لولا مخافة النقمة[2] عندك لأمْكَنْتُــه مــن مفاتيــح بيوت الأموال وأبحته إياها ، فقال له المنصور : لله درُّك من أعرابي ! ما أهْوَنَ عليك ما يَعَزُّ على الرجال وأهل الحزم !

[مدح المهدي فرده لمدحه معناً]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الرَّبيع قال : رأيت مروانَ بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سَلْمٌ الخاسر وغيرُه ، فأنشده مديحاً فيه ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : شاعرُك يا أمير المؤمنين وعبدُك مروان بن أبي حفصة . فقال له المهدي : ألست القائل[3] : [من الوافر]

أَقَمْنــا باليمامــةِ بعــدَ مَعْــنٍ مُقامــاً لا نُريــدُ بــه زَوالا[4]

---

1 ديوانه : 281 .

2 في ل : الشفعة .

3 ديوانه : 270–275 .

4 باليمامة في ل : المدينة .

وقُلْنا أيـنَ نرحـلُ بعدَ مَعْـنٍ وقـد ذهبَ النَّوالُ فـلا نوالا

قد ذهب النَّوالُ فيما زعمتَ ، فلِم جئتَ تطلب نوالَنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جُرُّوا برجله ؛ فجَروا برجله حتى أُخرِج . قال : فلما كان من العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشعراء ، وإنما كانت الشعراءُ تدخل على الخلفاء في كل عام مرة ، فمثَل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء[1] : [من الكامل]

طَرَقَتْـكَ زائـرةً فحـيِّ خيالَهـا بيضاءُ تخلِـطُ بالجمـالِ دلالَها[2]

قـادتْ فـؤادَكَ فاستقادَ ومثلُهـا قـادَ القلـوبَ إلى الصِّبـا فأمالها

قال : فأنصت الناسُ لها حتى بلغ إلى قوله : [من الكامل]

هلْ تَطْمِسونَ من السماء نجومَها بأكُفِّكـم أو تَستـرون هـلالَها

أو تَجْحَدون مقالـةً عن ربِّكم جبريـلُ بلَّغهـا النَّبـيَّ فقـالها

شَهِدتْ مـن الأنفالِ آخـرُ آيـةٍ بتُراثِهـم فأَرَدْتُـم إبْطالَهـا

قال : فرأيت المهديَّ قد زحف من صدر مُصَلاَّه حتى صار على البِساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول مائةِ ألف درهم أُعطيها شاعرٌ في أيام بني العباس .

[مدح الرشيد فرده لمدحه معناً]

قال : ومضت الأيام ووليَ هارون الرشيدُ الخلافة ، فدخل إليه مروان ؛ فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها . فقال له : من أنت ؟ قال : شاعرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين مروانُ بن أبي حفصة . قال له : ألستَ القائل في مَعْن بن زائدة ! وأنشده البيتين اللذيْن أنشده إياهما المهدي ، ثم قال : خذوا بيده فأَخْرِجوه ، لا شيء لك عندنا ، فأُخرِج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطَّف حتى دخل ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها[3] : [من الطويل]

لَعَمْرُك مـا أُنْسى غَداةَ المُحَصَّب إشارةَ سَلْمـى بالبنـانِ المُخَضَّبِ

وقـد صـدَر الحُجَّـاجُ إلا أقلَّهم مصادرَ شتى مَوْكِباً بعـدَ موكبِ

قال : فأعجبتْه ، فقال : كم قصيدتُك من بيتٍ ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً . فكان ذلك رَسْمَ مروانَ عندهم حتى مات .

---

1 ديوانه : 264–267 .

2 بالجمال في ل : بالحياء .

3 ديوانه : 217 .

[مدح المهدي في الرصافة]

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال : دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي في أول سنة قَدِم عليه . قال : فدخلتُ عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي فيه[1] : [من الطويل]

أَمَرُّ وأحْلى ما بلا الناسُ طعمَه عـذابُ أمير المؤمنـين ونائلُه
فإن طليقَ الله مَنْ أنت مُطْلِقٌ وإنَّ قتيـلَ الله مَـنْ أنت قاتلُه
كـأنَّ أميرَ المؤمنـينَ محمـداً أبو جعفـر في كلِّ أمـرٍ يحاولُه

قال : فأُعجب بها ، وأمر لي بمال عظيم ؛ فكانت تلك الصلةُ أولَ صلة سنيَّة وصلتْ إليَّ في أيام بني هاشم .

[مدح المهدي وذم يعقوب ابن داود]

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي الراوية قال حدثني حسين بن الضحَّاك قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلتُ على المهدي في قصر السلام ، فلما سلَّمتُ عليه ، وذلك بعَقِب سخطه على يعقوب بن داود ، قلت : يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافِضي وإنه سمعني أقول في الوراثة[2] : [من الكامل]

أنَّى يكـونَ وليس ذاكَ بكائنٍ لبَنِـي البنـاتِ وراثةُ الأعمامِ

فذلك الذي حَمَله على عداوتي . ثم أنشدته : [من الطويل]

كـأن أميرَ المؤمنـينَ محمـداً لرأفتـه بـالناسِ للناسِ والدُ
على أنه مَـن خالَفَ الحقَّ منهمُ سَقَتْه يدَ الموتِ الحُتوفُ الرَّواصدُ

ثم أنشدته : [من الكامل]

أحيـا أميرُ المؤمنـين محمـدٌ سُنَنَ النبـيِّ حرامَهـا وحلالَها

قال فقال لي المهدي : والله ما أعطيك إلا من صُلْب مالي فاعْذِرني ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم . وكساني جُبَّةً ومُطْرَفاً ، وفرَض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أُخرى .

---

1 ديوانه : 262 .

2 ديوانه : 279 .

[رأي ابن الأعرابي في شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَراق قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز قال حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنّه وفَد على مَعْن بن زائدة فأنشده قوله[1] : [من الطويل]

بنــو مطــرٍ يــومَ اللّقــاء كأنّهم　　أُسودٌ لهــا في بَطن خَفــانَ أَشْبُلُ
همُ يَمنعون الجــارَ حتــى كأنّما　　لجارهمُ بــين السّماكــين منزلُ
لَهامِيمُ ، في الإسلامِ سادُوا ولم يكن　　كأوَّلهــم في الجاهليــة أولُ
هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا　　أجابوا وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيــعُ الفاعلــونَ فعالَهم　　وإن أحسنوا في النائباتِ وأجملوا

قال : فأمر لي بصلة سنيَّة وخَلَع عليَّ وحمَلني وزودني . قال ثم قال لنا ابن الأعرابي : لو أعطاه كلَّ ما يملك لَما وفاه حقَّه . قال : وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراءَ ، وما دَوَّن لأحد بعدَه شعراً .

[رأيه في شعر جرير والفرزدق]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال : رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زُبَيْدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير ، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر ، فقال لي : قد سُئلتُ عنهما في أيام المهدي وعن الأخطل قبل ذلك ، فقلتُ فيهم قولاً عقدتُه في شعر ليَثْبُتَ . فسألته عنه فأنشدني[2] : [من الكامل]

ذهب الفرزدقُ بالهجاء وإنَّما　　حُلْــوُ القريضِ ومُــرُّه لجريرِ[3]
ولقد هجا فأمضَّ أخطلُ تَغْلِبٍ　　وحــوى النُّهـى ببيانه المشهورِ
كلُّ الثلاثةِ قــد أجادَ فمدحهُ　　وهجاؤه قــد سارَ كلَّ مَسيرِ
ولقــد جَرَيْتُ ففُتُّ غيرَ مُهَلِّلٍ　　بجــراء لا قَــرِفٍ ولا مبهورِ[4]
إني لآنَــفُ أن أُحَبِّر مِدْحــةً　　أبــداً لغيــرِ خليفــةٍ ووزيرِ

---

1 ديوانه : 257–258 .
2 ديوانه : 230–231 .
3 بالهجاء في الديوان : بالفخار .
4 رواية هذا البيت والذي يليه في الديوان :

ولقد جريت مع الجياد ففتها　　بعنــان لا شبــم ولا مبهــور
ما زلت آنف أن أحبر مدحة　　إلا لصاحــب منبــر وسريــر

ما ضرني حَسَدُ اللئامِ ولم يَزَلْ   ذو الفضل يحسُده ذوو التقصيرِ

قال : فلم يَر أن يقدِّم على نفسه غيرَها . وكتبتُ الأبيات عن فيه .

[معن يحكمه في عطائه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السِّجِسْتاني قال حدثني العَنسيّ قال : لما قدِم مَعْن بن زائدة من اليمن ، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاصٌّ بأهله ، فأخذ بعِضادَتَي الباب وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

وما أَحْجَم الأعداءُ عنك بَقِيَّةً   عليك ولكن لم يَرَوْا فيك مَطْمَعا

له راحتانِ الجودُ والحَتْفُ فيهما   أبى اللهُ إلا أن تَضُرّا وتَنْفَعا

قال فقال له مَعْن : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فقال مَعْن : ربِحْنا عليك تسعين ألفاً . قال : أقِلْني . قال : لا أقال الله من يُقيلك .

[رد معن على محرز]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال : لما قَدِم مَعْن بن زائدة من اليمن استقبله الناس ، وتلقَّاه مروان بن أبي حفصة ، فأنشده قصيدةً يهنِّئه فيها بقدومه وبرأي المنصور فيه ، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم مُحْرِز[2] فجعل يقول له : سفكْتَ الدماء ، وظلمتَ الناسَ ، وتعدَّيت طَوْرَك بذلك . فلما أكثر على مَعْن التفت إليه ثم قال له : يا مُحْرِز أخبِرْني بأي خُفَّيْك تضرب اليوم : أبالسُّباعي أم بالثُّماني ؟ قال : فانقطع وسكت خَجَلاً .

[حكاية الهاشمية مرة أخرى]

ودخل مَعْنَ على المنصور ، فلما سلَّم عليه وسأله قال له : يا مَعْنُ ، أعطيتَ ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك : [من الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زيدتْ به   شرفاً إلى شرفٍ بنو شَيْبانِ

فقال له : كلاَّ يا أمير المؤمنين ! بل أعطيته لقوله : [من الكامل]

ما زلتَ يومَ الهاشميَّة مُعْلِماً   بالسيفِ دونَ خليفةَ الرحمنِ

فاستحيا المنصورُ من تَهجينه إيَّاه فتبسَّم وقال : أحسنتَ يا معن في فعلك .

[يحيى بن منصور عاد إلى الشعر لما سمع بكرم معن]

أخبرني الحسن بن علي المصري قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن

---

1 من قصيدة طويلة في ديوانه : 245–247 .

2 أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني .

ثَوْر قال حدثني أبو العباس العَدَوي قال : لما وَلِيَ مَعْن بن زائدة اليمنَ كان يحيى بن منصور الذُهْلي قد تنسَّك وترك الشعر . فلما بلغته أفعال مَعْن وفَد إليه ومدحه ، فقال مروان بن أبي حفصة[1] : [من البسيط]

لا تَعْدَمــوا راحَتَيْ مَعْــنٍ فإنهما ... بالجـودِ أفْتَنتا يحيـى بنَ منصورِ
لمــا رأى راحتَــيْ مَعْــن تدفَّقتا ... بنائــلٍ مــن عطــاءٍ غيرِ مَنْزُورِ
ألقى المُسُوحَ التي قـد كان يَلْبَسها ... وظــلَّ للشّعرِ ذا رَصْفٍ وتَحْبيرِ

[لم يرضَ زواج امرأة من أهله في بني مطر]

أخبرني محمد بن مَزْيَد وعيسى بن الحسين قالا حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : ورد على مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله تزوَّجت في قوم لم يَرْضَ صِهْرَهم يقال لهم بنو مطر ؛ فقال في ذلك لأخيها[2] : [من البسيط]

لو كنتَ أشبهتَ يحيى في مَناكحِه ... لمــا تَنَقَّيْتَ فحــلاً جَـدُّه مَطَرُ
لله درٌّ جيــادٍ كنــتَ سائسَها ... ضيَّعتها وبهــا التَّحجيــلُ والغُرَرُ
نُبِّئتُ خَوْلَةَ قالتْ يـومَ أَنْكَحَها ... قد طالَما كنتُ منكَ العارَ أنتظرُ

[تهكم بالجني الشاعر فهجاه]

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال حدثنا الحسن بن علي المعروف بحدان عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيْهَم الحنفي قال : مرَّ مروان بن أبي حفصة برجل من تَيْم اللاَّت بن ثَعْلبة يُعْرَف بالجِنِّي ؛ فقال له مروان : زعموا أنك تقول الشعر . فقال له : إن شئتَ عرَّفتُك ذلك . فقال له مروان : ما أنت والشعر ، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله ! فقال الجِنِّي : اجلس واسمع فجلس ؛ فقال الجِني يهجوه : [من الطويل]

ثَوى اللؤمُ في العَجْلان يوماً وليلةً ... وفي دارِ مروانٍ ثَـوى آخرَ الدَّهرِ
غــدا اللؤمُ يَبْغِي مَطْرَحاً لِرحاله ... فنقَّبَ في بَـرِّ البــلادِ وفي البحرِ
فلمـا أتــى مـروانَ خيَّــم عنـدَه ... وقــال رَضِينا بالمُقـامِ إلى الحشرِ
وليستْ لمـروانٍ على العِرْس غَيْرةٌ ... ولكنَّ مروانــاً يَغـارُ على القِدْرِ

فقال له مروان : ناشدتُك الله إلا كففتَ ، فأنت أشعر الناس . فحلَف الجِني بالطلاق

---

1 ديوانه : 229–230 .

2 ديوانه : 235 وهذه الأبيات تشبه أبياتاً للقلاح بن حزن المنقري يهجو بها مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم عندما زوج ابنته خولة من ابن يحيى بن أبي حفصة (انظر طبقات ابن المعتز : 44) .

ثلاثاً أنه لا يكُفُّ حتى يصير إليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم : قاق في استي بيضة . فجلَبهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم ، وكان فيهم جدي يحيى بن الأيْهم ، فانصرفوا وهم يضحكون من فعله .

[تعزيته للهادي في المهدي]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عبد الله بن سليمان بن زيد الدَّوْسي قال حدثني الفضل بن العباس بن سعيد بن سَلْم بن قُتيبة الباهلي قال حدثنا محمد بن حرب بن قَطَن بن قَبيصة بن مُخارق الهِلالي قال : لما مات المهدي وفدت العرب على موسى يهنِّئونه بالخلافة ويعزُّونه عن المهدي ؛ فدخل مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتَي الباب ثم قال[1] : [من الطويل]

لقد أصبحتْ تختال في كلِّ بلدةٍ بقبـرِ أميـرِ المؤمنـينَ المقابرُ
ولو لم تُسَكَّنْ بابنه في مكانه لمـا بَرِحت تَبْكِي عليـه المنابرُ

قال فخرج الناس بالبيتين .

[مدح عمرو بن مسعدة في مرضه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروَيه قال حدثني إبراهيم بن المُدَبِّر قال : مَرِض عمرو بن مسعدة ، فدخل عليه مروان بن أبي حفصة وقد أبلَّ من مرضه فأنشأ يقول[2] : [من الهزج]

صحَّ الجسمُ يـا عمرو لـك التَّمْحِيصُ والأَجْرُ[3]
ولله علينـا الحمـــ ـدُ والمِنَّـةُ والشكـرُ
فقـد كان شكـا شوقاً إليـك النَّهْـيُ والأمرُ

قال فنحا نحوه مُسلم بن الوليد فقال[4] : [من البسيط]

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم نفسي الفِـداءُ لـه من كلِّ محذورِ
يـا ليتَ عِلَّتَـه بـي غيرَ أن لـه أجْـرَ العليـلِ وأنّـي غيرُ مأجورِ

[رؤيته الغول في بعض سفراته]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أبو حُذَيفة قال

1 ديوانه : 234 .
2 ديوانه : 238 عن الأغاني .
3 صح في ل : صحيح .
4 ديوان مسلم بن الوليد (دار المعارف) : 323 .

حدثني رجل من بني سُلَيم في مسجد الرُّصافة قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال : وفدتُ في ركب إلى الرشيد فصِرْنا في أرض موحشةٍ قَفْرٍ ، وجَنَّ علينا الليل فسِرْنا لنقطعها ، فلم نشعر إلا بامرأة تسوق بنا إبلَنا وتحدو في آثارنا ، فإذا هي الغُول . فلما لاح الفجر عدلتْ عنا وأخذتْ عُرْضاً وجعلت تقول : [من الرجز]

يا كوكبَ الصبحِ إليكَ عني فلستُ مـن صبحٍ وليس مِنّي

قال : فما أذكر أني فزِعتَ من شيء قطُّ فزعي ليلتئذٍ .

[معارضة التغلبي له في وراثة الأعمام]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الكوفي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي مُرَّة التغلبي قال : مررت بجعفر بن عفان الطائي يوماً وهو على باب منزله ، فسلَّمت عليه ، فقال لي : مرحباً يا أخا تَغلِب ، اجلس فجلست . فقال لي : أما تَعجَب من ابن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول : [من الكامل]

أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لبني البناتِ وِراثــةُ الأعمامِ

فقلت بلى والله إني لأتعجَّبُ منه وأُكْثِر اللَّعنَ له ، فهل قلتَ في ذلك شيئاً ؟ فقال : نعم قلت : [من الكامل]

لِمَ لا يكون وإن ذاك لكائنٌ لبَنــي البنــاتِ وِراثةُ الأعمامِ
للبنت نصفٌ كاملٌ مـن مالِه والعــمُّ متــروكٌ بغيرِ سِهامِ
مـا للطَّليــقِ وللتُّراثِ وإنما صلَّى الطليقُ مخافةَ الصَّمْصامِ

[صالح بن عطية الأضجم يقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني صالح بن عطية الأضجم قال : لما قال مروان :

أنّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ لِبَنــي البناتِ وراثــةُ الأعمامِ

لزمتُه وعاهدت الله أن أغتاله فأقتلَه أيَّ وقتٍ أمْكَنَني ذلك ، وما زلت ألاطفُه وأَبرُّه وأكتب أشعاره ، حتى خُصِصْتُ به ، فأنِسَ بي جداً ، وعرفتْ ذلك بنو حَفْصة جميعاً فأنِسوا بي ، ولم أزل أطلب له غِرَّةً حتى مرض من حمَّى أصابته ، فلم أزل أظهِر له الجَزَع عليه وأُلازمه وأُلاطِفه ، حتى خلا لي البيت يوماً فوثَبتُ عليه فأخذتُ بحَلْقه فما فارقته حتى مات ، فخرجتُ وتركته ، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً ، وارتفعت الصَّيْحةُ فحضرتُ وتباكيت وأظهرتُ الجزعَ عليه حتى دُفن ، وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمني به .

161 - [رجع إلى ذكر إبراهيم بن المهدي]

[نشأته ونسب أمه]

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأُمُّه شَكِلة . ويكنى أبا إسحاق . وشَكِلةُ أُمُّه مولَّدة ، كان أبوها من أصحاب المازيار ، يقال له شاه أفْرَند[1] ، فقُتِل مع المازِيار وسُبِيَتْ بنتُه شَكِلة ، فحُمِلَتْ إلى المنصور ، فوهبها لُمحَيّاةَ أُمِّ ولده فربَّتها وبعثتْ بها إلى الطائف فنشأت هناك وتفحَّصت ؛ فلما كبِرتْ رُدت إليها . فرآها المهدي عندها فأعجبته ، فطلَبها من مُحَيّاة فأعطته إياها ، فولدت منه إبراهيم . وكان رجلاً عاقلاً فَهِماً دَيِّناً أديباً شاعراً راويةً للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسنَ العارضة .

وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس : رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . فقيل له : مع ما تبذَّل له من الغِناء ؟ فقال : وهل تمَّ فضلُه إلا بذاك ! .

[كان ينسب ما يصنع لشارية وريّق جاريتيه]

حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه . وكان أشدَّ خلق الله إعظاماً للغِناء ، وأحرصهم عليه ، وأشدَّهم منافسةً فيه . وكانت صنعته ليِّنةً ، فكان إذا صنع شيئاً نسَبه إلى شارِيةَ وريِّق ، لئلا يقع عليه فيه طعن أو تقريع ، فقلَّتْ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شيء قال : إنما أصنع تطرُّباً لا تَكَسُّباً ، وأُغني لنفسي لا للناس ، فأعمل ما أشتهي . وكان حُسْنُ صوته يستر عَوار ذلك كلِّه . وكان الناس يقولون لم يُرَ في جاهلية ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُلَيَّة ؟ .

[مناظراته مع إسحاق الموصلي]

وكان يُماظُّ[2] إسحاقَ ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يَفِي به ، ولا يزال إسحاق يغلِبه ويُغِصُّه بريقه ويَغُضُّ منه بما يظهر عليه من السَّقَطات ويبيِّنه من خطئه في وقته وعجزِه عن معرفة الخطأ الغامض إذا مرَّ به ؛ وقصورِه عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك . وقد ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكر هاهنا منها ما لم أذكُر هناك .

ومما خالف إبراهيمُ بن المهدي ومَن قال بقوله على إسحاق فيه : الثَّقيلان وخفيفهما ؛ فإنه

---

1 ل : إفريز .

2 يُماظ : ينازع .

سمّى الثقيل الأول وخفيفَه الثقيلَ الثاني وخفيفَه ، وسمّى الثقيلَ الثاني وخفيفَه الثقيلَ الأولَ وخفيفَه ؛ وجرَتْ بينهما في ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ ومراسلة ومكاتبة ومشافهة ، وحضرهما الناس ، فلم يكن فيهم مَن يَفِي بفصل ما بينهما والحكم لأحدِهما على صاحبه . ووضَع لذلك مكاييلَ لتُعْرَف بها أقدارُ الطرائق ، وأَمْسكَ كل واحد منهما إلى آخر أقداره ، فلم يصح شيء يُعمل عليه ، إلا أن قول إبراهيم بن المهدي اضمحل وبطَل وتُرِك ، وعمِل الناس على مذهب إسحاق ؛ لأنه كان أعلَم الرجلين وأشهرَهما . وأوضح إسحاق أيضاً لذلك وجوهاً فقال : إنَّ الثقيل الأول يَجيء منه قَدْران ، الثقيلُ الأول التام ، والقَدْرُ الأوسط من الثقيل الأول ، وجميعاً طريقتُه واحدةٌ لاتساعه والتمكُّنِ منه ، والثقيلُ لا يَجيء هذا فيه ولا يقاربه . والثَّقيلُ الأول يمكن الإدراج في ضربه لِثِقله ، والثَّقيل الثاني لا يندرج لنقصه عن ذلك . ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتُها في أخبارهما ، وشرحتُ العِلَلَ مبسوطةً في كتابٍ أَلَّفْتُه في النَّغَم شرحاً ليس هذا موضعَه ولا يصلُح فيه . وأما التَّجزئةُ والقسمُ فإنهما أفْنَيا أعمارَهما في تنازعهما فيهما ، حتى كان يَمضي لهما الزمانُ الطويلُ لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمة وتجزئة صوتٍ واحدٍ فيه ، وحتى كانا يخرجان إلى كل قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعاً وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـا أُمَّ يَعْمَـرا قَبْلَ شَحْطٍ من النَّوى

لم يُفْصَل[1] بينهما فيها إلى أن افترقا . ولو ذهبتُ إلى ذكر ذلك وشَرْحِ سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقِصَصِه لما وَلِيَ الخلافةَ وغيرِ ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسنِ البيان ، وجَوْدِةِ الشعر ، ورواية العلم ، والمعرفة بالجَدَل ، وجزالةِ الرأي ، والتصرُّف في الفقه واللغة ، وسائر الآداب الشريفة ، والعلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأطَلْتُ . وإنما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها ، لا سيما لمن كثُرت الروايات والحكايات عنه ؛ فلذلك اقتصرتُ على ما ذكرتُه من أخباره دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل .

[اعتراف إبراهيم بن المهدي بقدرته على الغناء]

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جده حمدون بن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي : لولا أنِّي أَرفَع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرتُ فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يَرَوْا قبلي مِثْلي .

---

1 يفصل في ل : ينفصل .

[رأي ابن جامع في غنائه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : دخلتُ يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فَضْلَةُ خُمار ، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي . فقال : بحياتي يا إبراهيم غَنِّني . فأخذتُ العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفَضْلة فغنَّيتُ : [من الكامل]

أَسْرى بخالدةَ الخيالُ ولا أرى شيئاً أَلذَّ مــن الخيالِ الطَّارقِ

فسمعتُ إبراهيمَ يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلُب لَما أكلنا خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقتَ . فلما فَرَغتُ من غنائي وضعتُ العودَ ثم قلت : خُذا في حقِّكما ودَعا باطلَنا .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من الكامل]

أَسْرى بخالدةَ الخيــالُ ولا أُرى شيئاً أَلــذَّ مــن الخيــالِ الطارقِ[2]
إنَّ البليَّـــةَ مَــنْ تَمَــلُّ حديثَـه فانْقَعْ فؤادَك من حديثِ الوامقِ[3]
أَهْواكِ فوقَ هوى النفوسِ ولم يزلْ مُـــذْ بِنْتِ قلبي كالجَناحِ الخافقِ
طَرَباً إليكِ ولم تُبـالي حاجتــي ليس المُكــاذِبُ كالخليلِ الصادقِ[4]

الشعر لجرير . والغناء لابن عائشة رَمل بالوسطى عن عمرو .

[غنى الرشيد وعنده سليمان بن أبي جعفر وجعفر بن يحيى]

أخبرني جحظة قال أخبرني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي ، وحدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني هبة الله ، ولم يذكر عن أبيه ، قال : كان الرشيد يحب أن يسمعَ أبي . وقال جحظة عن هبة الله عن إبراهيم قال : كان الرشيد يحب[5] أن يسمعني ، فخلا

---

1 ديوان جرير (صادر) : 314 .
2 أسرى بخالدة في الديوان : أسرى لخالدة .
3 الديوان : يمل بالبناء للمجهول . فانقع في الديوان : فانشح أي اسق .
4 هذه الرواية موافقة لما في الديوان ، ورواية البيت في ل :
شوقــاً إليك ولم تجازَ مودتي ليس المكذب بالحبيب الصادق
5 ل : يريد .

بي مرات إلى أن سمعني . ثم حَضَرْتُه مرة وعنده سليمان بن أبي جعفر ؛ فقال لي : عمُّك وسيِّد ولدِ المنصور بعد أبيك وقد أحب أن يَسمعك ؛ فلم يتركني حتى غنَّيتُ بين يديه : [من البسيط]

إذا أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذ أُجُرُّ إليكم سادراً رَسَني

فأمر لي بألف ألف درهم ، ثم قال لي ليلةً ولم يَبْق في المجلس إلا جعفر بن يحيى : أنا أُحِب أن تشرِّفَ جعفراً بأن تغنِّيه صوتاً . فغنَّيتُه لحناً صنعتُه في شعر الدَّارمي : [من البسيط]

كأنَّ صورتَها في الوصفِ إذ وُصِفَتْ دينـارُ عَيْنٍ من المصريـةِ العُتُقِ[1]

نسبة هذين الصوتين ، [الأول] منهما :

صوت[2]

[من البسيط]

سَقْياً لِرَبْعِك من رَبْعٍ بذي سَلَمٍ وللزمانِ به إذ ذاك مـن زَمَنِ
إذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيةٌ وإذ أُجُرُّ إليكم سادراً رَسَني[3]

الشعر للأحوص . والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب قال : أُنشد مُنشِدٌ وابنُ أبي عبيدة عندنا قول الأحوص : [من البسيط]

إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذْ أُجُـرُّ إليكم سادراً رَسَني

فوثَب قائماً وألقى طَرَف ردائه وجعل يخطو إلى طَرَف المجلس ويَجُرُّه . ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا . فقلنا له : ما حَمَلك على ما صنعت ؟ فقال : إني سمعتُ هذا الشعر مرةً فأطْرَبني ، فجعلت على نفسي ألاَّ أسمعه أبداً إلا جررتُ رَسَني .

والآخر من الصوتين :

صوت

[من البسيط]

كأنَّ صورتَها في الوصفِ إذ وُصِفَتْ دينـارُ عَيْنٍ مـن المِصْريـةِ العُتُقِ[4]

1 المصرية في ل : المضروبة .
2 شعر الأحوص : 209 عن الأغاني .
3 ينهاك في ل : يلحاك .
4 المصرية في ل : المضروبة .

أو دُرَّةٌ أعيتْ الغوَّاصَ في صَدَفٍ   أو ذَهَبٌ صاغه الصَّواغُ في وَرِقِ

الشعر للدَّارميِّ . والغِناء لمرزوق الصواف رمل بالبنصر عن ابن المكي . وذكر عمرو أن هذا اللحنَ للدارمي أيضاً . وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وفي هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهدي . وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لحنُ مرزوق الصَّواف ، ويقال إنه لمتيَّم ثاني ثقيل عن الهشامي وابن المعتز .

[غنى صوتاً على أربع طبقات]

أخبرني يحيى بن المنجِّم قال ذكر لي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن بَزِيع قال : كنتُ أضرب على إبراهيم بن المهدي صوتاً[1] ذكره فغناه على أربع طبقات ، على الطبقة التي كان العود عليها ، وعلى ضِعْفها ، وعلى إسْجاحها ، وعلى إسجاح الإسجاح . قال أبو أحمد قال عبيد الله : وهذا شيء ما حُكِيَ لنا عن أحد غيرِ إبراهيم ، وقد تَعاطاه بعضُ الحُذَّاق بهذا الشأن ، فوجده صعباً متعذِّراً لا يُبْلَغ إلا بالصوت القوي وأشَدّ ما فيه إسْجاح الإسْجاح ؛ لأن الضِّعف لا يُبْلَغ إلا بصوت قوي مائل إلى الدقة ، ولا يكاد ما اتسع مَخرجُه يبلُغ ذلك . فإذا دَقَّ حتى يبلُغ الإضعاف لم يقدر على الإسجاح فضلاً عن إسجاح الإسجاح . فإذا غَلُظ حتى يتمكن من هذين لم يقدر على الضِّعف .

[غنى صوتاً لمعبد]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي[2] قال : دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً فصرت[3] إليه ، وغنَّى صوتاً لمعبد : [من الطويل]

أفي الحقِّ هذا أنّني بكَ مُولَعُ   وأنَّ فؤادي نحوكَ الدَّهْرَ نازعُ

فقال لي : لمن هذا الغِناء ؟ فقلت : يا سيدي يقولون إنه لمعبد ، ولا غنَّى والله معبد كذا قط ، ولا سمعتُ أحداً يقول كذا ، لا والله ما في الدنيا كذا . قال : فضحِك ثم قال : والله يا بُنَي ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد .

نسبة هذا الصوت

أمَّا اللحن فمن الثقيل الثاني ، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد ، وما وجدتُه في شيء من الكتب له . وذكر الهشامي أنه لابن المكي .

1 ل : ضرباً .
2 ل : الهمداني .
3 ل : فضربت عليه .

[عاب مخارقاً عند المأمون]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القُحْطُبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنّر قال : لما قدِم المأمون من خُراسان لم يظهر لمغنٍّ بالمدينة مدينة السلام غيري ، فكنتُ أُنادمه سراً ، ولم يظهر للندماء أربعَ سنين ، حتى ظفِر بإبراهيم بن المهدي . فلما ظفِر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعَنا ؛ ووجَّه إلى إبراهيم فحضر في ثياب مُبتذلة[1] . فلما رآه المأمون قال : أَلْقَى عمّي رِداء الكِبْر عن مَنكِبَيْه ، ثم أمر له بخِلَع فاخرة وقال : يا فَتْح غَدِّ عمِّي ؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحول إلينا ، وكان مخارق حاضراً ، فغنّى مخارق : [من الكامل]

هـذا ورُبَّ مُسوِّفينَ صَبَحْتُهم مِن خمرِ بابِـلَ لذَةً للشاربِ

فقال له إبراهيم : أسأتَ فأعِدْ ؛ فأعاده ، فقال : قارَبْتَ ولم تُصِبْ . فقال له المأمون : إن كان أساء فأَحْسِنْ أنـت . فغنـاه إبراهيـم ثـم قـال لمخارق : أَعِدْه فأعاده ، فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير . فقال لمخارق : إنما مَثَلُك كَمَثَل الثوب الفاخر إذا غفَل عنه أهلَه وقع عليه الغبار فأحال لونَه ، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره . ثم غنَّى إبراهيمُ : [من الكامل]

يا صاحِ يـا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ والرَّحْلِ ذي الأَقْتـادِ والحِلْسِ
أمّـا النَّهـارُ فمـا تُقصِّره رَتْكاً يزيـدكَ كلَّما تُمْسي[2]

[ضنّ على مخارق بصوت]

قال : وكانت لي جائزة قد خرجتْ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيِّدي بإلقاء هذا الصوت عليَّ مكان جائزتي فهو أحبُّ إليَّ منها . فقال : يا عم أَلْقِ هذا الصَّوتَ على مخارق ، فألقاه عليَّ ، حتى إذا كدت أن آخذه قال : اذهبْ فأنت أحذق الناس به . فقلت : إنه لم يصلُح لي بعد . قال : فاغْدُ عليَّ . فغدوتُ عليه فغناه متلوِّياً ؛ فقلت : أيها الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة ، تجود بالرَّغائب وتبخَل عليَّ بصوت ! فقال : ما أحمقَك ! إن المأمون لم يَستَبقِني محبَّةً فيَّ ولا صِلةً لرَحمي ولا رِباءً للمعروف عندي ، ولكنه سميع من هذا الجرم[3] ما لم يَسْمع من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون مقالتَه ؛ فقال : إنا لا

1 ل : منزله .
2 الرتك : سير سريع للإبل . وفي ل : دركاً .
3 الجرم : هنا الحلق .

نكدِّر على أبي إسحاق عَفْوَنا عنه ، فدَعه . فلما كانت أيام المعتصم نَشِط للصَّبوح يوماً فقال : أحضِروا عمّي . فجاء في دُرَّاعة من غير طَيلسان . فأعلمتُ المعتصم خبرَ الصوت سراً . فقال : يا عم غنِّني : [من الكامل]

يـا صاحِ يا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ

فغناه ؛ فقال : أَلْقِه على مُخارق . فقال : قد فعلتُ ، وقد سبق منّي قولٌ ألاَّ أُعيده عليه . ثم كان يتجنب أن يغنّيَه حيث أَحضُرُه .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الكامل]

هـذا ورُبَّ مُسَوِّفِينَ صَبَحْتُهم مِن خمرِ بابـلَ لَذَّةً للشاربِ
بكَروا عليَّ بسُحْرَةٍ فصبَحْتُهم بإناءِ ذي كَرَمٍ كقَعْبِ الحالبِ
بزُجاجـةٍ مِـلءِ اليدين كأنَّها قِنديلُ فِصْحٍ في كنيسةِ راهبِ

الشعرُ لعَدي بن زيد . والغناء لحُنَين خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

صوت

[من الكامل]

يـا صاحِ يـا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ والرَّحْـلِ ذي الأَقْتادِ والحِلْسِ
أمَّـا النَّهـارُ فمـا تُقَصِّره رَتْكـاً يَزيـدكَ كلَّما تُمْسي

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد .

[إبليس علمه النقر والنغم]

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أُثيرَ مولاةِ منصور بن المهدي عن ذُؤابة مولاته أيضاً قالت قالـت لي أسماء بنت المهـدي : قلت لأخـي إبراهيم : يـا أخـي أشتهي والله أن أسمع من غنائك شيئاً . فقال : إذاً والله يا أُختي لا تَسْمعين مِثلَه ، عليَّ وعليَّ ، وغلَّظ في اليمين ، إن لم يكن إبليسُ ظهرَ لي وعلَّمني النَّقْرَ والنَّغَم وصافحَني وقال لي : اذهب فأنت منّي وأنا منك .

[غضب عليه الأمين]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : غَضِب عليَّ محمد الأمين في بعض هَناته ، فسلَّمني إلى كَوثَرٍ[1] ،

1 كوثر : خادم الأمين .

فحبسني في سِرْداب وأغلقه عليَّ فمكثت فيه ليلتي . فلما أصبحتُ إذا أنا بشيخ قد خرج عليَّ من زاوية السِّرداب ، ودفع إلي وسطاً[1] وقال : كُلْ فأكلتُ ، ثم أخرج قِنِّينة شراب فقال : اشرَبْ فشربت ، ثم قال لي : غَنِّ : [من الكامل]

لي مُـدةٌ لا بُـدَّ أبلُغها   معلومـةٌ فإذا انقضتْ مُتُّ
لـو ساورتني الأُسْدُ ضاريةً   لغلَبتُها ما لم يَـجِ الوقتُ

فغنَّيته . وسمعني كوثر فصار إلى محمد وقال : قد جُنَّ عمُّك وهو جالس يغنِّي بكيت وكيت . فأمر بإحضاري فأُحْضِرْتُ وأخبرته بالقصة ، فأمر لي بسبعمائة ألف درهم ورضيَ عني .

[مطارحته أخته علية بمسمع من المأمون]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت يَنْشُو يحدِّث عن أبي أحمد بن الرشيد قال : كنتُ يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسرٍ وأدخله فسارَّه بشيء ومضى وعاد . فقام المأمونُ وقال لي : قم ، فدخل دار الحُرَم ودخلتُ معه ، فسمِعت غناءً أذهل عقلي ولم أقدِر أن أتقدم ولا أتأخر . وفطِن المأمون لِما بي فضحك ثم قال : هذه عمتك عُلَية تُطارح عمك إبراهيم[2] : [من السريع]

مـا لي أرى الأبصارَ بي جافِيَهْ

نسبة هذا الصوت

[من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بـي جافِيَهْ   لم تَلْتَفِـتْ منِّـي إلى ناحِيَهْ
لا ينظـرُ النـاسُ إلى المُبْتـلى   وإنَّمـا النـاسُ مـع العافِيَهْ
وقـد جفـاني ظالمـاً سيِّدي   فأَدْمُعِـي مُنْهَلـةٌ هـامِيَهْ[3]
صَحْبي سَلُـوا ربَّكُم العافِيَهْ   فقـدْ دهتنـي بعدَكُـمْ داهِيَهْ

الشعر والغناء لعُلَية بنت المهدي خفيف رمل . وأخبرني ذُكاء وجه الرُّزة أن لعريب فيه خفيف رمل آخر مَزموراً ، وأن لحن عُلية مُطْلَق .

1 لعلها سفطاً .
2 ديوان أبي العتاهية : 679–680 عن الأغاني .
3 هامية في ل : واهية .

[يغني صوتاً من غير أن يسمعه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم عن علي بن هشام أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت[1] صَنَعه وإصبَعِه ومَجْراه وأجزاء لحنه ؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأدى ما صنعه . والصوت : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيــــا أم يَعْمَـــرا قبلَ شَحْطٍ من النَّوى
قلت لا تُعْجِلوا الرَّوا حَ فقالـــوا أَلا بَلَى
أجمعَ الحـيُّ رِحلـــة ففؤادي كـذِي الأَسَى

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأول مطلقٌ في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك . وفيه للهُذَلي خفيف ثقيل أول بالبنصر عن ابن المكي ، وزعم الهشامي أنه لحن مالك . وفيه لَحنان من الثقيل الثاني أحدُهما لإسحاق وهو الذي كتب به إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي . والآخر زعم الهشامي أنه لإبراهيم . وزعم عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لابن مُحْرِز .

أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجُمان : أن إسحاق بن إبراهيم لما صنع صوتَه : [من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِمَنْ صَـدَّ عاتِباً

اتصل خبرُه بإبراهيم بن المهدي فكتب إليه يسأله عنه ؛ فكتب إليه بشعره وإيقاعه وبسيطِه ومجراه وإصبعِه وتجزئتِه وأقسامِه ومخارِج نَغَمه ومواضِع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه ، فغناه . قال : ثم لَقِيَني فغنانيه ، ففضَلَني فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

قـل لَمَـن صَدَّ عاتِبـاً ونَـأى عنـكَ جانِبـا
قـــد بلغتَ الذي أرد تَ وإن كنـــتَ لاعبا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق ، ثاني ثقيل بالبنصر في مَجراها . وفيه لغيره ألحان .

1 ل : يجنس صوتاً .

[أحمد بن أبي دواد والغناء]

أخبرني ابن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدثني إسحاق بن محمد عن أبيه قال : سمعت أحمد بن أبي دواد يقول : كنتُ أَعِيبُ الغِناء وأطعَن على أهله ، فخرج المعتصم يوماً إلى الشَّماسِية في حَراقةٍ يشرب ، ووجه في طلبي فصرت إليه ؛ فلما قَرُبْتُ منه سمعت غناءً حيرني وشغَلني عن كل شيء ، فسقط سَوْطِي من يدي ؛ فالتفتُّ إلى زنقطة غلامي أطلب منه سوطَه ، فقال لي : قد والله سقط سوطي . فقلت له : فأي شيء كان سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمعته شغَلَني عن كل شيء فسقَط سوطي من يدي ؛ فإذا قِصته قِصتي . قال : وكنت أنكر أمرَ الطَّرَب على الغناء وما يستفِز الناسَ منه ويغلِب على عقولهم ، وأناظر المعتصمَ فيه . فلما دخلتُ عليه يومئذٍ أخبرته بالخبر ؛ فضَحِك وقال : هذا عمي كان يغنِّيني : [من الخفيف]

إنَّ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ ... أنشَر المجـدَ بعدَما كان ماتـا

فإن تُبْتَ مما كنتَ تناظرنا عليه في ذَم الغناء سألتُه أن يُعيده . ففعلتُ وفعل ، وبلغ بي الطّربُ أكثرَ مما يَبْلُغني عن غيري فأُنكره ؛ ورجعت عن رأيي منذ ذلك اليوم .

وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها لزيادة اللفظ ونُقْصانه ، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم : [من الكامل]

طرَقَتْـكَ زائــرةٌ فحــيٍّ خيالَها ... بيضــاءُ تَخْلِـطُ بالحيــاء دلالَها

هل تَطْمِسونَ من السماء نجومَها ... بأكُفِّكُـــم أو تَسْتُــرونَ هلالَها

[يخاطب أبناءه من عرض دجلة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عُلَيْل العنزي قال : سمعتُ هِبَة الله بن إبراهيم بن المهدي يقول : اتخذ أبي حَراقةً فأمر بشدها في الجانب الغربي بحِذاء داره ، فمضيتُ إليها ليلةً فكان أبي يُخاطبنا من داره بأمره ونَهْيه ، فنسمعه وبَيْننا عَرْض دِجلة وما أجهدَ نفسَه .

[يتنحنح فيطرب]

أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مُسْلم بن قُتيبة يقول حدثني ابن أبي طَبْية قال : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحنح فأطْرَبُ .

[بينه وبين مخارق]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القَطِراني المُغَنِّي عن محمد بن جبر عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : كنا

عند إبراهيم بن المهدي ذاتَ يوم وقد دعا كل مُطرِبٍ مُحْسِنٍ من المغنين يومئذٍ وهو جالس يُلاعب أحدَهم بالشِّطْرَنج . فترنم بصوت فريدة : [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ مـا بي أتُحِـبُّ الغـداةَ عُتْبـةَ حقّـا

وهو مُتَّكِىء . فلما فرَغ منه ترنم به مُخارق فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ، فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعَفَّى على غناء مُخارق . فلما فرَغ رده مخارق وغنى فيه بصوته كلِّه وتحفَّظ فيه ، فكِدنا نَطير سروراً . واستوى إبراهيم جالساً وكان متكئاً فغناه بصوته كلِّه ووفَّاه نَغَمَه وشُذُورَه ، ونظرتُ إلى كتفيه تهتزان وبدنه أجمع يتحرك حتى فرغ منه ، ومخارقٌ شاخِصٌ نحوه يُرْعَد وقد انتُقِع لونُه وأصابعُه تختلج ؛ فخُيل لي والله أن الإيوان يسير بنا . فلما فرغ منه تقدم إليه مخارق فقبّل يده وقال : جعلني الله فِداك أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقية يومه في غنائه ، والله لكأنما كان يتحدث .

نسبة هذا الصوت

[من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَـدْرِ ما بي أتُحِـبُّ الغـداةَ عُتْبـةَ حقّـا
فتنفستُ ثـم قلتُ نعم حبّـ ـاً جرى في العروقِ عِرْقاً فعِرْقا
مـا لدمعي عَدِمتُـه ليس يَرْقا إنَّما يَسْتَهِـلّ غَسْقاً فغَسْقا[1]
طَرَبـاً نحـوَ ظبيةٍ تركتْ قلـ ـبي من الوجدِ قَرْحةً ما تَفقّا

الشعر لأبي العتاهية . والغناء لفريدة خفيفُ رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم بن المهدي خفيف رملٍ آخر . ولفريدة أيضاً لحنٌ من الثقيل الثاني في أبيات من هذه القصيدة وهي : [من الخفيف]

قد لَعَمْرِي ملَّ الطبيبُ وملَّ الـ ـأهلُ منـي ممـا أداوى وأرْقى
ليتني مُـتُّ فاسترحتُ فـإني أبداً مـا حَيِـيتُ منها مُلَقّى

[غنى الأمين فأطربه]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني عمي منصور بن المهديّ : أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نَوْبةٌ لمحمد الأمين ، فتشاغَل أبي بالشُّرْب في بيته ولم يَمْضِ ، وأرسل إليه عِـدَّةَ رُسُل فتأخر . قال منصور : فلما كان

1 الغسق : الانصباب . يقال غسقت العين إذا دمعت .

من غَدٍ قال : ينبغي أن تَعْمَل على الرَّواح إلي لِنمضي إلى أمير المؤمنين فنترضاه ؛ فما أشُكّ في غضبه عليَّ . ففعلتُ ومَضَيْنا . فسألنا عن خبره فأُعْلمنا أنه مشرِف على حَيْر[1] الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألاّ يشرب إذا لحِقه الخُمار . فدخلنا ؛ وكان طريقُنا على حجرة تُصنع فيها الملاهي . فقال لي أخي : اذهب فاختَرْ منها عوداً تَرْضاه ، وأصْلِحْه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغييره ألبتةَ عند الضرب ؛ ففعلت وجعلته في كمي . ودخلنا على الأمين وظهرُه إلينا . فلما بَصُرنا به من بعيد قال : أخرِجْ عودك فأخرجتُه ، واندفع يغني[2] : [من المتقارب]

وكأسٍ شَرِبــتُ على لـــذةٍ وأُخـــرى تداويتُ منهـا بِها
لكي يعلـمَ الناسُ أني امرؤٌ أتيــتُ الفُتـــوةَ مـــن بابِها
وشاهِدُنـا الجُــلُّ والياسَمِيــ ـــنُ والمُسْمِعـاتُ بقُصَّابِها[3]
وبَرْبُطُنـــا دائـــمٌ مُعْمَــلٌ فــأيُّ الثلاثـــةِ أزْرى بها[4]

فاستوى الأمين جالساً وطرِب طرباً شديداً وقال : أحسنتَ والله يا عمّ وأحييتَ لي طرباً ، ودعا برطل فشربه على الرِّيق وامتد في شربه . قال منصور : وغنى إبراهيم يومئذٍ على أشد طبقة يُتناهى إليها في العود ، وما سمِعتُ مثل غِنائه يومئذٍ قط . ولقد رأيتُ منه شيئاً عجيباً لو حُدِّثت به ما صَدَّقت ، كان إذا ابتدأ يغني أصغتِ الوحشُ إليه ومدت أعناقَها ، ولم تزل تدنو منا حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدُّكان الذي كنا عليه ، فإذا سكتَ نَفَرتْ وبعُدت منا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا ، وجعل الأمين يَعْجَبُ من ذلك ، وانصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قطُّ .

[يغني صوتاً كتب له به إسحاق]

أخبرني عمي والصُّولي قالا حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجُمان أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بصوت صنعه في شعر له وهو : [من مجزوء الخفيف]

قُـلْ لِمَنْ صَدَّ عاتِبا ونـأى عنكَ جانِبا
قد بلغتَ الذي أَرَدْ تَ وإن كنتَ لاعِبا

وبيّن له شعرَه وإيقاعَه وبساطَه ومَجْراه وإصبعَه وتجزئتَه وقسمتَه ومخارجَ نَغَمه

1 ل : حائر .
2 ديوان الأعشى : طبعة دار صادر ، ص 24 .
3 الجل : الورد بمختلف ألوانه .
4 البربط : العود .

ومواضعَ مقاطعه ومقاديرَ أوزانه ، فغناه إبراهيم ، ثم لقيه بعد ذلك فغناه إياه فما خرَم منه شَذْرةً ولا نَغْمةً . قال : وفاقني فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

قـلْ لمن صَدَّ عاتباً ونـأى عنكَ جانِبا
قد بلغتَ الذي أردْ تَ وإن كنتَ لاعبا
واعترفنـا بمـا ادّعيـ ـتَ وإن كنتَ كاذبا
فافعَلِ الآنَ مـا أرد تَ فقد جئتُ تائبا

يقال : إن الشعر لإسحاق ، ولم أجِدْه في مجموع شعره[1] . ووجدتُ فيه لحناً لحَكَم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري ، وهو خفيفٌ من خفيف الثقيل الثاني بالبِنصر . وكذلك ذكرتْ دَنانيرُ أنه لحكم الوادي ؛ ويُشبه أن يكون الشعرُ لغيره . ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها . وفيه ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر لم يقع إليَّ نسبتُه إلى صانعه ، وأظنّه[2] لحن حَكَمٍ .

[غنى أبا دلف العجلي وأهداه جارية]

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دُلَف العِجْلي قال : كنا مع المعتصم بالقاطُول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حَراقته بالجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حَراقتيهما في الجانب الشرقي ، فدعاهما يوم جمعة فعبَرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعليَّ أَقْبِيةٌ ومِنْطَقةٌ . فلما دنونا من حَراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضتْ بنهوضه صَبِية له يقال لها غَضةُ ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس . فلما صَعدنا إليه اندفع فغنى : [من السريع]

حيّـاكما اللهُ خَلِيليـا إنْ مَيِّتاً كنتُ وإنْ حيَّا
إنْ قلتما خيراً فأهلٌ له أو قلتمـا غَيًّا فلا غَيا

ثم ناول كلاًّ منهما[3] كأساً وأخذ هو الكأسَ التي كانت في يد الجارية وقال : اشربا على ريقكما ، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشَرِبوا ، ثم أخذوا العيدانَ فغناهما ساعةً وغنياه ؛ وضرب

---

1 نسبه من قبل إلى إسحاق دون تشكك في النسبة .
2 ل : وأصله .
3 ل : كل واحد .

وضربا معه ، وغنت الجارية بعدهم . فقال لها أبي : أحسنتِ مراراً . فقال له : إن كانت أحسنتْ فخذها إليك ، فما أخرجتُها إلا إليك .

[إطراؤه مخارق]

أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العَنْبَس بن حمدون قال : لما صنع مخارق لحنه في شعر العَتابي : [من الطويل]

أَخِضْني المُقامَ الغَمْرَ إنْ كان غرّني ... سَنا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَدَمانِ

غناه إبراهيمَ بن المهدي ؛ فقال له : أحسنتَ وحياتي ما شئت ! فسجد مُخارق سروراً بقول إبراهيم ذلك له .

[عمرو بن بانة يأخذ لحناً عنه]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطِراني عن عمرو بن بانة قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً[1] : [من الطويل]

أداراً بحُزْوى هِجْتِ للعينِ عَبْرةً ... فماءُ الهوى يَرْفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

فاستحسنتُه وسألتُه إعادتَه عليَّ حتى آخُذَه عنه ففعل . ثم قال لي : إن حديث هذا الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثُه أعزَّك الله ؟ قال : غنّانِيه ابنُ جامع والصنعة فيه له ، فلما أخذتُه عنه غنيته إياه ليسمعه مني ، فاستحسنه جداً وقال : كأني والله ما سمعتُه قطُّ إلا منك ثم كان صوتُه بعد ذلك على نسبة هذا الصوت .

[مع ابن بُسْخُنَّر وشارية ومخارق وعلويه]

أخبرني علي بن إبراهيم الكاتب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرْداذْبه قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : وجه إليَّ إبراهيم بن المهدي يوماً يدعوني ، وذلك في أول خلافة المعتصم ، فصرتُ إليه وهو جالس وحدَه وشاريةُ جاريته خلفَ السِّتارة ، فقال : إني قلتُ شعراً وغنيت فيه وطرحتُه على شارية فأخذتْه وزعمت أنها أحذق به مني ، وأنا أقول إني أحذق به منها ، وقد تَراضَيْنا بك حَكَماً بيننا لموضعك من هذه الصناعة ، فاسمعه مني ومنها واحكم ولا تَعْجَل حتى تَسْمَعَه ثلاثَ مرات . فقلت نعم . فاندفع يغني بهذا الصوت : [من الطويل]

أضَنُّ بلَيْلى وهي غيرُ سَخِيةٍ ... وتَبْخَلُ ليلى بالهوى وأجودُ

فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تَغَنَّيْ ، فغنته فبَرَّزتْ فيه حتى كأنّه كان معها في أَبِيجاد ، ونظر إليَّ فعرف أني قد عرفتُ فضلَها عليه ، فقال : على رِسْلِك ! وتحدثنا ساعةً وشَرِبنا . ثم

---

1 مطلع قصيدة لذي الرمة ، ص 340 (طبعة دار صادر) .

اندفع فغناه ثانية فأضْعف في الإحسان ، ثم قال لها : تَغَنَّيْ ، فغنت فبرَعت وزادت أضعافَ زيادته ، وكدْتُ أشُق ثيابي طرباً . فقال لي : تَثَبَّتْ ولا تَعْجَل . ثم غناه ثالثة فلم يُبْق غايةً في الإحكام ، ثم أمرها فغنت ، فكأنّه إنما كان يلعب . ثـم قـال لي : قل ، فقضيت لها ؛ فقال : أصبتَ ، فكم تُساوي عندك الآن ؟ فحَمَلني الحسدُ له عليها والنَّفاسةُ بمثلها أنْ قلتُ : تُساوي مائةَ ألف درهم . فقال : أوَ ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! قبَح اللهُ رأيَك ! والله ما أجِد شيئاً أبلغَ في عقوبتك من أن أصْرِفك ، قم فانصرِفْ إلى منزلك مذموماً . فقلت له : ما لقولك اخْرُجْ من منزلي جواب ، وقمت وانصرفتُ ، وقد أحْفَظني كلامُه وأرْمَضَني . فلما خطوت خُطواتٍ التفتُّ إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أتَطْرُدني من منزلك ! فوالله ما تُحسن أنت ولا جاريتُك شيئاً . وضرَب الدَّهرُ ضرَبانه ، ثم دعانا المعتصمُ بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل[1] ، فدخلتُ أنا ومخارق وعلويه ، وإذا أميرُ المؤمنين مُصْطَبِحٌ وبين يديه ثلاثُ جاماتٍ : جامُ فضة مملوءةٌ دنانيرَ جُدُداً ، وجامُ ذهب مملوءة دراهم جُدُداً ، وجامُ قواريرَ مملوءةٌ عنبراً ، فظننا أنها لنا بل لم نَشُك في ذلك ، فغنَّيناه وأجهدنا أنفُسنا ، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا . ودخل الحاجبُ فقال : إبراهيم بن المهدي . فأذِن له فدخل ، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها ، ثم غناه بصوت من صنعته وهو : [من البسيط]

ما بالُ شَمْسِ أبي الخَطَّابِ قد غَرَبَتْ   يـا صاحبيَّ أظـنُّ الساعـةَ اقتربتْ

فاستحسنه المعتصمُ وطرِب له ، وقال : أحسنتَ والله ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين فإن كنتُ أحسنتُ فهَبْ لي إحدى هذه الجامات ؛ فقال : خذ أيتها شئتَ ، فأخذ التي فيها الدنانير ؛ فنظر بعضُنا إلى بعض . ثم غناه إبراهيم بشعر له وهو : [من المتقارب]

فمـا مُـزةٌ قهـوةٌ قَرْقَفٌ   شَمُولٌ تَـروقُ براوُوقِها[2]

فقال : أحسنت والله يا عمّ وسَرَرْتَ . فقال : يا أمير المؤمنين إن كنتُ أحسنتُ فهَب لي جاماً أُخْرى ؛ فقال : خذ أيتهما شئتَ ، فأخذ الجامَ التي فيها الدراهم ؛ فعند ذلك انقطع رجاؤنا منها . وغناه بعد ساعة : [من الطويل]

ألا ليتَ ذاتَ الخالِ تَلْقى من الهوى   عَشِيرَ الذي أَلْقـى فيَلْتئـمَ الحـبُّ[3]

فارتَج بنا المجلسُ الذي كنا فيه ، وطرِب المعتصمُ واستخفه الطربُ فقام على رجليه ، ثم

1 ل : قصر الليل .

2 الراووق : باطية الخمر .

3 ألقى في ل : نلقى . والعشير : جزء من عشرة ، ويعني القدر القليل .

جلس فقال : أحسنتَ والله يا عمّ ما شئتَ ؛ قال : فإن كنتُ قد أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهَبْ لي الجام الثالثة ؛ فقال : خُذْها فأخذها . وقام أمير المؤمنين ، ودعا إبراهيمُ بمنديل فثَناه طاقَتَيْن ووضع الجامات فيه وشَدَّه ، ودعا بطين فختَمه ودفَعه إلى غلامه ، ونهضنا إلى الانصراف ، وقُدِّمتْ دوابُّنا . فلما ركِب إبراهيم التفتَ إليَّ فقال : يا محمد بن الحارث ، زعمتَ أني لا أُحسن أنا وجاريتي شيئاً ، وقد رأيتَ ثمرة الإحسان . فقلتُ في نفسي : قد رأيتُ ، فخُذْها لا بارك الله لك فيها ؛ ولم أُجِبْه بشيء .

نسبة هذه الأصوات

صوت

[من البسيط]

ما بالُ شمسِ أبي الخطّابِ قد غَرَبَتْ ... يا صاحبي أظنُّ الساعةَ اقترَبَتْ
أم لا فما بالُ ريحٍ كنتُ آمُلُها ... غدتْ عليَّ بِصِرٍّ بعد ما خُبِئَتْ[1]
أشكو إليك أبا الخطاب جاريةً ... غريرةً بفؤادي اليوم قد لَعِبتْ
رأيتُ قَيِّمَها يوماً يحدِّثها ... يا ليتَها قَرُبَتْ منّي وما بَعُدَتْ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رملٌ بالبنصر . وفيه هَزَج بالبنصر ، ذكر عمرو بن بانة أنّه لإبراهيم الموصلي ، وذكر غيرُه أنه لإبراهيم بن المهدي .

صوت[2]

[من الطويل]

ألا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقى من الهوى ... عَشِيرَ الذي أَلْقى فيلتئمَ الحبُّ
وِصالُكُمْ صَدٌّ وقربُكُمْ قِلًى ... وعطفُكُمْ سُخْطٌ وسِلْمُكُمْ حَرْبُ

الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

[شعره في باقة نرجس]

وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال : سمِعتُ أبي يقول : كانت في يد المعتصم باقةُ نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي : يا عَمّ قل فيها أبياتاً وغنِّ فيها . فنكَت في الأرض بقضيبٍ في يده هنيهةً ثم قال : [من المتقارب]

---

1 ريح صر : شديدة الصوت والبرد .
2 ديوان العباس بن الأحنف : 34 .

صوت

ثلاثُ عيونٍ من النَّرْجِسِ   على قائمٍ أخْضَرٍ أمْلَسِ
يُذَكِّرْنَنِي طِيبَ ريّا الحَبيبِ   فيَمْنَعْنَنِي لَذّةَ المجلسِ

وصنع فيه لحناً وغناه به ، فأعجبه وأمَر له بجائزة . لحنُ إبراهيم في هذين البيتين خفيفُ رمل بالبنصر ، ذكر لي ذُكاءُ وغيرُه ذلك .

[استعطافه المأمون]

أخبرني علي بن سليمان الأَخْفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يَمُوتُ بن المُزَرِّع عن الجاحظ قال : أرسل إليَّ ثُمامةُ[1] يوم جلس المأمونُ لإبراهيمَ بن المهدي وأمَر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجيء بإبراهيم ، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خُراسان قال : لما ظفِر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحبَّ أن يوبِّخه على رؤوس الناس . قال : فجِيءَ بإبراهيم يَحْجِلُ في قيوده ، فوقف على طرَف الإيوان وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاتُه . فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حفَظك ولا رعاك ولا كَلأك يا إبراهيم . فقال له إبراهيم : على رِسْلك يا أمير المؤمنين ؛ فلقد أُصبحتَ وليَّ ثأْري ، والقدرةُ تُذْهِبُ الحَفِيظةَ ، ومن مَدَّ له الاغترارُ في الأمل هَجَمَتْ به الأناةُ على التَّلف . وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل عفو ، وقال الحسن بن عُلَيْل في خبره : وقد أصبحت فوق كل ذي ذنب ، كما أصبح كلُّ ذي عفو دونك ، فإن تُعاقبْ فبحقك ، وإن تَعْفُ فبفضلك . قال : فأطرق ملياً ثم رفع رأسَه فقال : إن هذين أشارا عليَّ بقتلك . فالتفتَ فإذا المُعْتصِم والعباس بن المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما حقيقة الرأي في مُعْظَم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غَشاك إذ كان ما كان مني ، ولكن الله عودك من العفو عادةً جريتَ عليها دافعاً ما تَخافُ بما ترجو ، فكفاك الله . فتبسم المأمون وأقبل على ثُمامة ثم قال : إنَّ من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السِّحْر ، وإن كلام عمي منه ، أَطْلِقوا عن عمي حديدَه[2] ورُدوه إليَّ مُكَرَّماً . فلما رُدَّ إليه قال : يا عَمّ صِرْ إلى المنادمة وارْجعْ إلى الأنس ، فلن ترى مني أبداً إلا ما تحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدَرْجٍ[3] فيه :   [من الكامل]

1 المقصود هو ثمامة بن أشرس أحد معتزلي البصرة .
2 ل : قيوده .
3 الدرج : ما يكتب فيه .

يـا خيرَ مَـن ذَمَلتْ يمانِيَةٌ بـه بعـدَ الرسولِ لآيسٍ أو طـامِعِ
وأبرَّ مَـنْ عبـدَ الإلهَ على الهُدَى نفساً وأحكَمَـه بحقٍّ صادعِ[1]
عَسَلُ الفوارع ما أطِعْتَ فإن تُهَجْ فالموتُ في جُـرَعِ السِّمام النَّاقعِ[2]
متيقِّظاً حَذِراً ومـا يَخْشى العدا نَبْهانَ مِـن وَسَناتِ ليـلِ الهاجعِ
واللهُ يعلـمُ مـا أقـولُ فإنهـا جَهْـدُ الأَليـةِ من حَنِيفٍ راكعِ
قَسَماً ومـا أُدلي إليـكَ بحُجةٍ إلا التضرُّعَ مِـن محـبٍّ خاشعِ
مـا إن عصيتُك والغُواةُ تَمُدّني أسبابُهـا إلا بنيـةِ طـائعِ
حتى إذا عَلِقتْ حبائـلُ شِقْوتي بـردىً على حُفَـرِ المهالكِ هائعِ[3]
لم أدرِ أنَّ لمثـلِ ذنبـي غافـراً فأقمتُ أرْقُب أيَّ حَتْفٍ صارعي
رَدَّ الحيـاةَ إليَّ بعـدَ ذَهابها وَرَعُ الإمـامِ القاهـرِ المُتـواضعِ
أحيـاكَ مَـنْ ولاك أطـولَ مدةٍ ورمـى عدوَّك في الوَتِـين بقاطعِ
إن الذي قَسَم الفضائلَ حازهـا في صُلْـبِ آدمَ للإمـامِ السابعِ
كم مِـن يَـدٍ لكَ لا تحدثني بها نفسي إذا آلـتْ إليَّ مطـامعي
أسديتَهـا عفـواً إليَّ هنيئـةً فشكرتُ مُصْطَنَعاً لأكـرم صانعِ
ورَحِمتَ أطفالاً كأفراخِ القَطا وعَويـلَ عانِسةٍ كقـوسِ النَّازعِ
وعفوتَ عمّن لم يكُـنْ عن مثلِه عفـوٌ ولَـمْ يشفَـعْ إليك بشافعِ
إلا العُلُو عـن العقوبـةِ بعدَ مـا ظفِرت يداك بمستكِينٍ خاضعِ

قال : فبكى المأمون ثم قال : عليَّ به ، فأُتي به فخلَع عليه وحمَله وأمر له بخمسة آلاف دينار ، ودعا بالفراش فقال له : إذا رأيتَ عمي مُقْبِلاً فاطرَحْ له تُكَأةً ، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئاً . ورُوي بعضُ هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه : لما فرَغ المأمونُ من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأَحْوَل[4] وقال : هو صديقك فخُذْهُ إليك . فقال : وما تُغْني صداقتي عنه وأميرُ المؤمنين ساخطٌ عليه ! أمَا إني وإن كنتُ له صديقاً لا أمتنع من قول الحق فيه . فقال له : قُلْ فإنك غيرُ متَّهم . قال وهو يُريد التسلُّقَ على العفو عنه : إن قتلتَه فقد قتلتِ

1 نفساً في ل : غيباً .
2 الشطر الثاني في رواية الطبري : «فالصاب يمزج بالسمام الناقع» .
3 الهائع : هنا المنتشر .
4 هو أحمد بن أبي خالد الأحول ، كان المأمون يثق به .

الملوكُ قبلَك أقل جُرْماً منه ، وإن عفوتَ عنه عفوتَ عمن لم يُعْفَ قبلَك عن مثله . فسكتَ المأمونُ ساعةً ثم تمثَّل[1] : [من الكامل]

فلئن عفـوتُ لأعْفُوَنْ جَلَلاً ولئن سطوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي
قَوْمِي هُـمُ قتلوا أُمَيْمَ أخي فإذا رميـتُ أصابَني سَهْمِي

خُذْه يا أحمد إليك مُكرَما ، فانصرفَ به . ثم كتب إلى المأمون قصيدتَه العينية . فلما قرأها رق له وأمر برده إلى منزله وردّ ما قُبِض منه من أمواله وأملاكه . وفي خبر عمي عن الحسن بن عُلَيْل قال : حدثني محمد بن إسحاق الأشْعَري عن أبي داود : أن المأمون تقدم إلى محمد بن يزداد لما أطلقَ إبراهيمَ أن يمنعه دارَي الخاصة والعامة ، ويُوكِّل به رجلاً من قِبَله يَثِق به ليعرِّفه أخبارَه وما يَتكلم به . فكتب إليه الموكَّل به أن إبراهيم لما بلغه منعُه من دارَي الخاصة والعامة تمثل : [من البسيط]

يا سَرْحةَ الماء قد سُدت مَوارِدُهُ أمَا إليكِ طريقٌ غيرُ مَسْدُودِ
لِحائمٍ حـامَ حتى لا حِيامَ له مُحلَّأٍ عن طريقِ المـاء مَطْرودِ

فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرَّماً وإنزالِه في مرتبته ؛ فصار إليه محمد فبشَّره بذلك وأمره بالركوب فركِب . فلما دخل على المأمون قبَّل البِساطَ ثم قال : [من البسيط]

البرُّ بي منك وَطَّا العُذْرَ عندكَ لي دونَ اعتذاري فلم تَعْذُلْ ولم تَلُمِ
وقام علمُكَ بي فاحتج عندكَ لي مقـامَ شاهِـدِ عَـدْلٍ غيرِ مُتَّهَمِ
رددتَ مـالي ولم تَمْنُنْ عليَّ بـه وقبلَ رَدِّكَ مالي قـد حقَنتَ دمي
تعفو بعَدْلٍ وتسطو إن سطوتَ به فـلا عَدِمناكَ مـن عافٍ ومُنْتَقِمِ
فبـؤتُ منـكَ وقـد كافأتها بيد هي الحياتانِ من موتٍ ومن عَدَمِ

فقال له : اجلس يا عمّ آمِناً مطمئناً ، فلن ترى أبداً مني ما تكره ، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثاً أو تتغير عن طاعة ؛ وأرجو ألاّ يكون ذلك منك إن شاء الله .

[براعته في المحاضرة]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن حمدون عن أبيه قال : كنت أُحِب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدُّم أحمد وغَلبَتِه الناسَ جميعاً بحِفْظه وبلاغته وأدبِه في كل مَحْضَر ومجلِس . فدخلتُ يوماً على إبراهيم بن المهدي

---

1 ل : «فنكت المأمون ساعة بيده» . والبيتان اللذان تمثل بهما للحارث بن وعكة الذهلي (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : 204) .

وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الخَزَري ، فجعل إبراهيم يحدثنا فيُضيف شيئاً إلى شيء ، مرةً يُضْحكنا ومرَّة يَعِظُنا ومرَّة يُنْشِدنا ومرة يُذَكِّرنا ، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلسُ أردتُ أن أُخاطب أحمد ، فسَبَقَني إليه أبو العالية فقال : [من الرجز]

ما لكَ لا تَنْبَحْ يا كلبَ الدَّوْمْ قد كنتَ نَبَّاحاً فما لك اليَوْمْ[1]

فتبسم إبراهيم ثم قال : لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لَرَحِمْتَني كما رَحِمتَ أحمدَ مني .

[ثناء إسحاق عليه]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق : ليس فيمن يدَّعي العلمَ بالغناء مثلُ إبراهيم بن المهدي وأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلي . فقيل له : فأين محمد بن الحسن بن مُصْعب منهما ؟ فقال : لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول : وكيف يُبْصر الغناء من نَشَأ بخُراسان لا يَسمع من الغناء العربي إلا ما لا يفهمه ! .

[إقرار ابن بانة له ولإسحاق]

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العَنْبَس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال : رأيت إسحاق الموصلي يُناظر إبراهيم بن المهدي في الغِناء ، فتكلما فيه بما فَهِماه ولم نفهم منه شيئاً . فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغِناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .

[تفضيل المأمون غناءه على غناء إسحاق]

أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده حَمْدون : أن المأمون قال لإسحاق : غنِّني لحنَك في شعر الأخطل : [من البسيط]

يا قَلَّ خيرُ الغَواني كيفَ رُغْنَ به فشِرْبُـــهُ وَشَلٌ منهـنَّ تَصْرِيـدُ[2]

فغناه إياه فاستحسنه ، ثم قال لإبراهيم بن المهدي : هل صنعتَ في هذا الشعر شيئاً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهاته ؛ فغناه فاستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق ، ولم يدفع إسحاقُ ذلك .

[علمه إسحاق لحناً طرب له الأمين]

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى قال ذكر أبي عن جدي عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال : دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة ، فرأيتُ عليه مُطْرفَ خَزٍّ أسود ما رأيت قطُّ أحسن منه ؛ فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المِطْرف فقال : لقد كانت لكم أيام حسنة ودولةٌ عجيبةٌ ، فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثلَه . فقال : إن قيمته مائة ألف

1 نباحاً في ل : هراراً .
2 الوشل : القليل . والتصريد : السقي دون الري .

درهم ، وله حديث عجيب . فقلت له : ما أُقوِّمه إلا نحواً من مائة دينار . فقال إسحاق : اسمع حديثَه : شربنا يوماً من الأيام ، فبتُّ وأنا مُثْخَن ، فانتبهت لرسول محمد الأمين ، فدخل علي فقال لي : يقول لك أمير المؤمنين عجِّلْ إليَّ ، وكان بخيلاً على الطعام فكنتُ آكُل قبل أن أذهب إليه ، فقمتُ فتسوكتُ وأصلحتُ أمري ، وأعْجَلني الرسول عن الغداء . فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدي جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجُبة خز دَكْناء . فقال لي محمد : يا إسحاق تغدَّيت ؟ فقلت : نعم يا سيِّدي . فقال : إنك لَنَهمٌ ، أهذا وقت غَداء ؟ فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمار ، فكان ذلك مما حَداني على الأكل . فقال لهم : كم شَرِبنا ؟ فقالوا : ثلاثة أرطال . فقال : اسقوه مثلَها . فقلت : إن رأيتَ أن تفرِّقها عليَّ ؛ فقال : تُسْقى رِطلين ورِطلاً . فدُفِع إليَّ رِطلان فجعلتُ أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تَسيل معهما ، ثم دُفع إليَّ رطلٌ آخر فشربتُه فكأن شيئاً انجلى عني . فقال غنِّني : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْري كان أكثرَ ناصِراً وأيْسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

فغنَّيتُه ؛ فقال : أحسنتَ وطرِب ، ثم قام فدخل . وكان يفعل ذلك كثيراً ، يدخل إلى النساء ويدَعُنا . فقمتُ في أثر قيامه فدعوتُ غلاماً لي فقلت : اذهب إلى منزلي وجئني بِبِزْماوَرْدَتَيْن[1] ولُفَّهُما في منديل واذهب رَكْضاً وعجِّل . فمضى الغلامُ فجاءني بهما . فلما وافى البابَ ونزل عن الدَّابة انقطع البِرْذَوْنُ فنَفَق من شدة ما رَكَضه ، فأدخلَ إليَّ البِزْماوَرْدَتَيْن فأكلتُهما ورجِعَتْ إليَّ نفسي وعُدْتُ إلى مجلسي . فقال لي إبراهيم : إن لي إليك حاجة أُحب أن تقضيها لي . فقلت : إنما أنا عبدُك وابن عبدِك ، قل ما شئتَ . قال : تَرُد عليَّ : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصِراً

وهذا المِطْرفُ لك . فقلت : أنا لا آخُذ منك مِطْرفاً على هذا ، ولكني أصير إليك إلى منزلك فأُلقيه على الجواري وأرده عليك مراراً . فقال : أُحِب أن ترده عليَّ الساعة وأن تأخذَ هذا المطرَف فإنه من لُبْسك ومن حاله كذا وكذا . فرددتُ عليه الصوتَ مراراً حتى أخذه . ثم سمِعنا حركةَ محمد فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعدنا ، فشرِب وتحدثنا . فغناه إبراهيم : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصِراً

فكأني والله لم أسمعه قبل ذلك حسناً ، وطرِب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنتَ والله يا عم ؛ أَعْطِ يا غلام عَشْرَ بِدَرٍ لعمي الساعةَ ، فجاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إن لي فيها شريكاً . قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذتُه الساعةَ منه لما

1 البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

قمتَ . فقلت له : ولِمَ ؟ أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى يُشرِكك فيما تُعْطاه ؟ قال : أما أنا فأُشْرِكك وأميرُ المؤمنين أعلم . فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف . فهذا أُخذ به مائة ألف درهم وهي قيمتُه .

[قصته مع جارية في المدينة]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لي إبراهيم بن المهدي : حَجَجْتُ مع الرشيد ؛ فلما صرنا بالمدينة خرجتُ أدور في عَرَصاتها ، فانتهيت إلى بئر وقد عَطِشتُ وجاريةٌ تستقي منها ، فقلت : يا جارية ، امْتَحِي لي دَلْواً . فقالت : أنا والله عنك في شُغْل بضَرِيبة مَوالِيَّ عليَّ . فنقَرتُ بسوطي على سَرْجي وغنيتُ[1] : [من البسيط]

صوت

رامَ قلبي السُّلُوَّ عن أسماء ... وتَعَزى وما به من عَزاء

سُخْنَةٌ في الشتاء باردةُ الصيـ ... ـفِ سِراجٌ في الليلةِ الظلماء

كفِّناني إن مُتُّ في دِرْعِ أُرْوَى ... وامْتَحا لي من بئرِ عُرْوَةَ مائي

الشعر للأحوص . والغناء لمعبد رمل مُطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وتمام هذه الأبيات : [من الخفيف]

إنّني والذي تَحُجُّ قريشٌ ... بيتَه سالكينَ نَقْبَ كَداء[2]

لَمُلِمٌّ بها وإنْ أُبْتُ منها ... صادراً كالذي وَرَدْتُ بداء

ولها مَرْبَعٌ بِبُرقَة خاخٍ ... ومَصِيفٌ بالقصرِ قصرِ قُباء[3]

قلبتْ لي ظهرَ المِجَنّ فأمستْ ... قدْ أطاعتْ مقالةَ الأعداء

ولمعبد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأول والثاني خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشامي . ولابن سُرَيج في :

ولها مَرْبَعٌ بِبُرْقة خاخٍ

و

كفِّناني إن متّ في درعِ أُرْوَى

رمل عن الهشامي أيضاً . ولإبراهيم في : «رام قلبي» وما بعده ثاني ثقيلٍ عن حَبَش ، قال

---

1 شعر الأحوص : 122 .

2 كداء : موضع بأعلى مكة .

3 برقة خاخ وقباء موضعان قرب المدينة .

إبراهيم بن المهدي في الخبر : فرفعتِ الجاريةُ رأسَها إليَّ فقالت : أتعرفُ بئر عُرْوَةَ ؟ قلت لا . قالت : هذه والله بئر عُرْوة ، ثم سقَتْني حتى رَوِيتُ ، وقالت : إنْ رأيتَ أن تُعيده ففعلتُ ، فطرِبْتْ وقالت : والله لأحْمِلنَّ قِرْبَةً إلى رَحْلك ! . فقلت : افعلي ، ففعلَتْ وجاءت معي تحملها . فلما رأتِ الجيش والخدمَ فزِعتْ . فقلت لها : لا بأس عليكِ ! وكسوتُها ووهبتُ لها دنانيرَ وحبستُها عندي ، ثم صِرت إلى الرشيد فحدثْته حديثَها ؛ فأمر بابتياعها وعِتْقها ؛ فما بَرِحتْ حتى اشتُريتْ وأُعتقت ؛ وأخذتُ لها منه صلةً وافترقنا .

[استعطافه المأمون بكلام سعيد بن العاص لمعاوية]

حدثني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن خَلَف بن المَرزبان قالا حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال : لما أُدْخِل إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظَفِر به ، كلمه إبراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كلَّم به معاويةَ بن أبي سفيان في سَخْطةٍ سَخِطها عليه واستعطفه به . وكان المأمون يحفظ الكلام ، فقال له المأمون : هيهاتَ يا إبراهيم ! هذا كلامٌ سبَقك به فَحْلُ بني العاص بن أُمية وقارِحُهم سعيد بن العاص وخاطَب به معاوية . فقال له إبراهيم : مَهْ يا أمير المؤمنين . وأنت أيضاً إن عفوتَ فقد سبقك فَحْلُ بني حَرْبٍ وقارِحُهم إلى العفو ؛ فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعدَ من حال سعيد عند معاوية ، فإنك أشرفُ منه ، وأنا أشرف من سعيد ، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية ، وإن أعظم الهُجْنة أن تسبِق أميةُ هاشماً إلى مَكْرُمة . فقال : صدقتَ يا عمّ ، وقد عفوتُ عنك .

[استعطافه الأمين]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلامٌ على النبيذ ، فوجد عليه محمد . فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بألْطافٍ فلم يقبلها ؛ فوجه إليه وصيفةً مليحة مغنِّية معها عود معمول من عود هندي ، وقال هذه الأبيات وغنَّى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعةَ وأحكَمَتْها ، ثم وجه بها إليه . فوقفت الجارية بين يديه وقالت له : عمك وعبدُك يا أمير المؤمنين يقول لك ، واندفعتْ تغنّي بالشعر وهو : [من المتقارب]

هَتَكْتَ الضميرَ بـردِّ اللّطَف ... وكشَّفتَ هجرَكَ لي فانْكَشف
وإنْ كنتَ تُنكرُ شيئاً جـرى ... فَهَبْ للخلافةِ مـا قد سَلَف
وجُدْ لي بصفحكَ عن زَلتـي ... فالبفضل يأخذُ أهلُ الشرفْ

قال : فسُرَّ محمدٌ بها ، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضي عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتمَّم يومَه معه .

[صالح جاريته صدوف]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأَسَدي قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال : كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صَدُوف ، وكان لها من نفسه موضع . فحسدها جواريه على محلها منه ، فلم يَزَلْنَ يُبلغنه عنها ما يَكْره حتى غضِب عليها وجفاها أياماً ؛ ثم شقَّ ذلك عليه واغتمَّ به ، ولم يطِب نفساً بمراجعتها وصُلْحِها . فدخل عليه الأعرابي أخو مُعَلِّلة صاحبة الفضل بن الربيع ، وكان حسنَ الشِّعْر حُلْوَ اللفظ فصيحاً ، وكان إبراهيم يأنَس به ، فقال له : ما لي أرى الأمير منكسراً منذ أيام ؟ فأمسك . فقال : قد عرفتُ حالَ الأمير وقلتُ في أمره أبياتاً إن أذِن لي أنشدتُه إياها . فتبسم وقال : هاتِ ؛ فأنشده[1] : [من الكامل]

أَعَتَبْتَ أم عتبتْ عليك صَدُوفُ   وعِتابُ مثلِكَ مثلَها تشريفُ
لا تَقْعُدنَّ تلومُ نفسَكَ دائباً   فيها وأنتَ بحبِّها مشغوفُ
إنَّ الصَّريمةَ لا يَنُوء بحَمْلِها   إلا القويُّ بها وأنتَ ضعيفُ

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار ، وبعث إلى صَدُوف فخرجتْ إليه ورضي عنها ، وبعثتْ إليه صَدُوفُ بمائة دينار .

[ريّق تحفظ كل غنائه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبي قال حدثني أحمد بن علي بن حُمَيْدة قال حدثتني رَيِّقُ قالت : مرِض إبراهيم بن المهدي مَرْضَةً أشرفَ منها على الموت ، فجعل يتذكر شغفه بالغِناء وما سلَف له فيه ويتندَّم عليه . فقال له بعض مَن حضر : فتُبْ وأحرِقْ دفاترَ الغِناء . فحرك رأسه ساعة ثم قال : يا مجانين ! فهَبْني أحرقتُ دفاتر الغِناء كلَّها ، رَيِّقُ أَيْش أعمَل بها ؟ أأقتُلها وهي تحفَظ كلَّ شيء في دفاتر الغناء !! .

[رأى علياً في النوم]

أخبرني جعفر بن قُدامة والحسين بن القاسم الكَوْكَبي قال حدثني المُبَرد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهدي قال : رأيتُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم ، فقلت له : إن الناس قد أكثروا فيك وفي أبي بكر وعمر ، فما عندك في ذلك ؟ فقال لي : إخْسأ ! ولم يَزِدْني على ذلك .

وأخبرني الكَوْكَبي بهذا الخبر عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كان إبراهيم شديدَ الانحراف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فحَدَّث المأمونَ يوماً أنه رأى علياً في النوم ، فقال له : من

1 مرّت هذه الحكاية والشعر (أربعة أبيات) في أخبار الوليد بن يزيد منسوبة إليه وكان الذي دخل عليه رجلاً قرشياً من المدينة ، 7 : 37 .

أنت ؟ فأخبره أنه علي بن أبي طالب . قال : فمشَيْنا حتى جئنا قنطرةً فذهب يتقدمني لعبورها ؛ فأمسكتُه وقلت له : إنما أنت رجلٌ تَدعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك ؛ فما رأيتُ له في الجواب بلاغةً كما يُوصف عنه . فقال : وأيُّ شيء قال لك ؟ فقال : ما زادني على أن قال سلاماً سلاماً . فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلَغ جواب . قال : وكيف ؟ قال : عرَّفك أنك جاهلٌ لا يُجاوَب مثلُك ؛ قال الله عز وجل : ﴿وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾ . فخجِل إبراهيم وقال : ليتني لم أحدثك بهذا الحديث .

[تمنى له الأمين طول العمر]

أخبرني الكَوْكَبي قال حدثني المفضَّل بن سَلَمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : قلت للأمين يوماً : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك ! فقال : بل جعلني الله فداءك ؛ فأعظمتُ ذلك . فقال : يا عم لا تُعْظِمْه فإن لي عمراً لا يزيد ولا يَنقص ؛ فحياتي مع الأحبَّة أطيبُ من تجرُّعي فقدَهم ، وليس يضرني عيش من عاش بعدي منهم .

[طرب الأمين لغنائه]

حدثني جَحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال : كنت يوماً بين يدَي الأمين أغنِّيه ؛ فغنَّيته : [من مجزوء الكامل]

صوت

أَقْـوَتْ منازلُ بالهِضابِ　　من آلِ هنــدٍ والرَّبابِ
خطَّــارةٌ بزمامِهــــــا　　وإذا وَنَتْ ذُلُل الركابِ
تَرْمِـي الحصــا بمَناسِمٍ　　صُمٌّ صَلادِمَـــةٍ صِلابِ

قال : فاستحسن اللَّحنَ وسألني عن صانعه ؛ فعرَّفته أن ابن جامع حدثني عن سِياط أنه لابن عائشة ؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزه ، ثم انصرفنا ليلَتنا تلك . ووافاني رسوله حين انتبهت من النوم وأنا أستاك ، فقال لي : يقول لك : بحياتي يا عم لا تَشْتغِلْ بعد الصلاة بشيء غير الركوب إليَّ . فصلَّيتُ وتناولتُ طعاماً خفيفاً وأنا ألبَس ثيابي خوفاً من رجوع رسوله ، ورَكِبتُ إليه . فلما رآني من بعيد صاح بي : يا عم بحياتي :

خطَّــارةٌ بزمامِها

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنَّيته ؛ فأمر بإحضار صَبِيَّةٍ كان يتحظاها ، فأخرِجَتْ إليّ صبيةٌ كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : بحياتي يا عم أَلْقِه عليها ! فأعدتُه مراراً وهو يشرب ؛ حتى إذا ظننتُ أنها قد أخذته أمرتُها أن تغنّيه فغنته ، فإذا هو قد استوى لها إلا في موضع كان فيه وكان

صعباً جداً ، فجَهدتُ جَهدي أن يقع لها طلباً لَمسَرته ، وكان حقيقاً مني بذلك ، فلم يقع لها ألبتة . ورأى جهدي في أمرها وتعذُّره عليها ، فأقبل عليها وقد سَكِر ثم قال : نُفِيتُ من الرشيد وكلُّ أَمَةٍ لي حُرَّة وعليَّ عهدُ الله لئن لم تأخُذِيه في المرة الثالثة لآمُرن بإلقائِك في دِجْلة ! قال : ودِجلةُ تطفَح وبيننا وبينها نحو ذراعين وذلك في الربيع ، فتأملتُ القصة ، فإذا هو قد سَكِر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبداً . فقلت : هذه والله داهية ، ويتنغص عليه يومُه وأُشْرَكُ في دمها ، فعدَلْتُ عما كنتُ أغنِّيه عليه وتركتُ ما كنت أقوله ، وغنَّيته كما كانتْ هي تقوله ، وجعلتُ أُردده حتى انقضت ثلاثُ مرَّات أُعيده فيها على ما كانت هي تقوله ، وأريته أني أجتهد . فلما انقضت الثلاث المرات قلت لها : هاتيه الآن ، فغنته على ما كان وقع لها . فقلت : أحسَنَتْ يا أمير المؤمنين ، ورددتُه معها ثلاث مرات ، فطابت نفسُه وسكَن ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم .

[حدث مماثل لجحظة مع طرخان]

قال جحظة : وقد لَحِقني مثلُ هذا ؛ فإن طَرْخانَ بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنَّيته وهو : [من مخلع البسيط]

أعيـانيَ الشَّادِنُ الرَّبيبُ أكتبُ أشكو فـلا يُجيبُ
مِن أينَ أَبغي شفاءَ دائي وإنمـا دائـــيَ الطَّبيبُ

ولحنه رمل ، فقال : أُحِب أن تطرَحه على زُهرةَ جاريتي ، فمكثتُ أتردَّد إليها شهراً وأكثر وأُرَدِّده عليها وهو يَصِلُني ويخلَع عليَّ ويُعطيني كلَّ شيء حسن يكون في مجلسه ، فلا تأخذه منِّي ولا يقع لها . فلما كان بعد شهر قلت له : أيُّها الأمير قد والله اسْتَحْيَيْتُ من كثرة ما تُعطيني بسبب هذا الصوت ، وقد أعياني أن تأخذه زُهْرةُ ؛ ثم حدثته حديثَ إبراهيم بن المهدي وقلت له : لولا أني آمَنُك عليها لقلتُه أنا كما تقوله هي حتى نتخلّص جميعاً . وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه حيلة . فقال لي : فدَعْهُ إذاً .

[يبخل على ابن بُسْخُنَّر بلحن]

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون[1] : [من الكامل]

صوت

يا صاحِ يا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ والرَّحْلِ ذي الأَنْساعِ والحِلْسِ

1 مرَّ مثل هذا الخبر منسوباً إلى مخارق .

أمّــا النّهــارُ فأنــتَ تقطعُه رَتْكاً وتُصبحُ مثلَ مـا تُمسي

في هذين البيتين لحن لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن يونس والهشامي . قال : ولمعبد فيه ثقيل أول ، وقد نسب قومٌ لحنَ كلٍّ واحد منهما إلى الآخر . قال محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر في الخبر : واللحن لمالك بن أبي السَّمْح وهو من قِصاره . هكذا في الخبر ، قال : فاستحسنه المأمون ، وذهبتُ آخذه ، ففطِنَ لي إبراهيم فجعل يزيد فيه مرَّةً وينقُص منه أُخرى بزوائده التي كان يعمَلها في الغناء ، وعلِمتُ ما هو يصنع فتركتُه . فلما قام قلت للمأمون : يا سيدي إن رأيتَ أن تأمر إبراهيم أن يُلْقي عليَّ : [من الكامل]

يا صاح يا ذا الضَّامِر العَنْسِ

قال : أفْعَلُ . فلما عاد قال له : يا إبراهيم ألْقِ على محمد : [من الكامل]

يا صاحِ يا ذا الضَّامِر العَنْسِ

فألقاه عليَّ كما كان يغنِّيه مُغَيَّراً ، ثم انقضى المجلس وسكِر المأمون . فقال لي إبراهيم : قم الآن فأنت أحذقُ الناس به ، فخرجتُ وخرج . ثم جئتُه إلى منزله فقلت له : ما في الأرض أعجبُ منك ؛ أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة تبخل على وليٍّ لك مثلي لا يُفاخرك بالغِناء ولا يكاثرك بصوت ؛ فقال لي : يا محمد ما في الدنيا أضعف عقلاً منك ! والله ما استبقاني المأمون محبَّةً لي ولا صِلَةً لرَحمي ، ولكنه سمع من هذا الجِرم شيئاً فقَده مِنْ سواه فاستبقاني لذلك . فغاظني فعلُه . فلما دخلت على المأمون حدثته بما قال لي . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمةٍ ! وأطرق ملياً ثم قال لي : لا نكدرُ على أبي إسحاق عَفْوَنا عنه ولا نقطع رَحِمَه ، فدعْ هذا الصوتَ الذي ضَنَّ به عليك إلى لعنة الله .

[يكيد لدعبل]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدثني محمد بن يزيد قال : قلت لدعبل : بالله أسألك أنت القائل : [من الطويل]

كذلك أهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعةٌ إذا حُسِبوا يومــاً وثامنُهــم كلــبُ

فقال : لا والله ! فقلت : مَنْ قاله ؟ قال : مَنْ حشا اللهُ قبره ناراً إبراهيمُ بن المهدي ، كافأني بذلك عن هجائي إياه ليُشيط بدمي .

[خطأً مخارقاً في لحن]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدثنا حَمَّاد بن إسحاق قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : لما رَضِي المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه ، دخل عليه متبذِّلاً في ثياب المغنِّين وزيِّهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عمي ثيابَ الكِبْر عن مَنْكِبيـه . فدخل وجلس ، وأمر المأمونُ بأن

يُخْلَع عليه فأُلْبِس الخِلَعَ . ثم ابتدأ مُخارق فغنَّى : [من الطويل]

صوت

خليــلَيّ مــن كَعْـــبٍ أَلِمَّا هُدِيتُما بزينبَ لا يَفْقِدْكُما أبـــداً كعـــبُ
مِــنَ اليــومِ زُوراهــا فإنَّ مَطِيَّنـــا غداةَ غدٍ عنها وعن أهلِها نُكْبُ[1]

فقال له إبراهيم : أسأتَ وأخطأتَ . فقال له المأمون : يا عم إن كان أساء وأخطأ فأحْسِنْ أنتَ . فغنَّى إبراهيم الصوت . فلما فرغ منه قال لمخارق : أعِدْه الآن ، فأعاده فأحْسَنَ . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه في أول الأمر ؟ قال : ما أبْعَدَ ما بينهما ! فالتفت إلى مخارقٍ ثم قال : إنما مَثَلُك يا مخارق مَثَل الثوب الوَشْي الفاخر ، إذا تغافل عنه أهلُه سقط عليه الغبار فحال لونُه ، فإذا نُفِضَ عاد إلى جوهره .

[أحسن الأسماء وأسمجها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثتني شاريةُ الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي قالت : سمعت مولاي إبراهيم بن المهدي يحدث قال : كنتُ بين يَدَي الرشيد جالساً على طَرَف حَرَّاقةٍ من حَرَّاقاتـه وهو يريد المَوْصِلَ وقد بلغنا إلى السودقانية ، والمَدَّادون يَمُدُّون السفن ، والشِّطْرَنْجُ بيني وبينه ، والدَّسْتُ متوجِّهٌ له ، إذ أطرق هُنَيْهةً ثم قال لي : يا ابنَ أُم ، ما أحسنُ الأسماء عندك ؟ قلت : محمدٌ اسم رسول الله ﷺ . قال : ثم أي شيء بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أسْمَجُ الأسماء ؟ قلت : إبراهيم . فزَجَرني ثم قال : ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ؟ فقلتُ له : بشُؤم هذا الاسم لَقيَ من نَمْرُودَ ما لَقيَ وطُرِح في النار . قال : فإبراهيم ابن النبي ﷺ ؟ قلت : لا جَرَم أنه لم يُعَمَّرْ من أجله . قال : فإبراهيمُ الإمام ؟ قلتُ بحرفة اسمه قتله مروان في حَران[2] . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيمُ بن الوليد خُلِع ، وإبراهيمُ بن عبد الله بن حسن قُتِل ، وعمُّه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات ، وما رأيتُ والله أحداً يُسمَّى بهذا الاسم إلا قُتِل أو نُكِب أو رأيتُه مضروباً أو مقذوفاً أو مظلوماً . ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت ملاَّحاً يصيح بآخر : مُدَّ يا إبراهيم مُدَّ ويلك ، ثم أعاد ويلك يا إبراهيم مُدَّ ، ثم أعاد يا إبراهيم يا عاضَّ بَظر أُمِّه مُدَّ . فقلت له : أبَقيَ لك شيءٌ بعد هذا ! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام . فضحِك والله حتى أشفقتُ عليه .

1 نُكب : مائلات .
2 ل : جراب النورة .

[عرض في غنائه بالحسن بن سهل]

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أبيه قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرَب ؛ فقال له : بحياتي وبحقّي عليك يا أبا محمد إلا شربتَ معي قَدَحاً ، وصبَّ له من نبيذه قَدَحاً . فأخذه بيده وقال له : مَنْ تُحِب أن يغنّيك ؟ فأوْمأ إلى إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون : غنّه يا عم ؛ فغناه :

تَسْمَعُ للحَلْي وَسْواساً إذا انصرفتْ

يعرِّض به لِما كان لَحِقه من السوداء والاختلاط . فغضِب المأمون حتى ظنَّ إبراهيم أنه سيُوقِع به ، ثم قال له : أبَيْتَ إلاَّ كفراً يا أكفرَ خلقِ الله لِنِعَمِه ! والله ما حَقَن دمَك غيرُه ؛ ولقد أردتُ قَتْلَكَ فقال لي : إن عفوتَ عنه فعلتَ فعلاً لم يَسْبِقك إليه أحد ، فعفوتُ والله عنك لقولـه . أفحقُّه أن تعرِّض به ولا تَـدَع كيـدَك ولا دَغَلك ! أوَ أنِفْتَ من إيمائه إليك بالغِناء ؟ . فوثب إبراهيم قائماً وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أَذْهَبْ حيث ظننتَ ، ولستُ بعائد ؛ فأعرض عنه .

[جعل أحمد بن أبي دواد لا يلوم على الغناء]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبي قال حدثني جرير بن أحمد بن أبي دُواد قال حدثني أخي عن أبي قال[1] : كنت أتجنَّب الغِناء وأطعُن على أهله وأذمُّ لَهَجهم به ؛ فوجَّه المعتصم إليَّ عند خروجه من مدينة السلام : الْحَقْ بي ؛ فلحِقتُ به بباب الشماسيّة ومعي غلامي زنقطة ، فوجدته قد ركِب الزورق ، وسمعت عنده صوتاً أذهلني حتى سقط سوطي من يدي ولم أشعر به ، ثم احتجتُ وقد أعْنَق بي بِرْذَوْني أن أكُفَّه بسوطي . فقلت لغلامي : هاتِ سوطَك ؛ فقال : سقَط والله من يدي لما سمِعتُ هذا الغِناء . فغلَبني الضَّحِكُ حتى بان في وجهي . ودخلتُ إلى المعتصم بتلك الحال . فلما رآني قال لي : ما يُضحِكك يا أبا عبد الله ؟ فحدثته ، فقال : أتتوب الآن من الطعن علينا في السماع ؟ فقلت له : قَبْلَ ذلك مَنْ كان يُغَنِّيك ؟ قال : عمي إبراهيم ، كان يُغَنِّيني : [من الخفيف]

إنَّ هذا الطويلَ مـن آل حَفْصٍ أنْشَر المجدَ بعـدَ مـا كان ماتا

ثم قال : أعِدْه يا عم ليسمعه أبو عبد الله فإني أعلم أنه لا يَدَعُ مَذهبَه . فقلت : بلى والله لأَدَعَنَّه في هذا ولا لُمتك عليه . فقال : أما إذ كانت توبتُه على يديك يا عم فلقد فزتَ بفخرها وعَدَلْتَ برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا .

1 تقدم هذا الخبر برواية مقاربة .

[رأي مخارق في غنائه]

حدثني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال حدثني طَلحة بن عبد الله الطَّلْحي قال حدثني الحسين بن إبراهيم قال : كنت أسأل مخارقاً : أيُّ الناس أحسنُ غِناء ؟ فيُجيبني جواباً مجملاً حتى حفَفْتُ عليه يوماً قال : كان إبراهيم الموصلي أحسنَ غِناء من ابن جامع بعَشْر طبقات ، وأنا أحسن غناء من إبراهيم الموصلي بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسنُ غناء مني بعشر طبقات . قال ثم قال لي : أحسنُ الناس غناء أحسنُهم صوتاً ، وإبراهيم بن المهدي أحسنُ الجن والإنس والوحش والطير صوتاً ، وحسبُك هذا .

[إسحاق الموصلي يطرب لصوت من لحنه وشعره]

حدثني علي بن هارون المنجِّم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجَرجرائي قال : انتبهت يوماً مُغَلِّساً ، فدخل إلي الغلامُ فقال لي : إسحاق الموصلي بالباب قبل أن أُصلِّي الغداةَ . فقلت : يدخل ، في الدنيا إنسان يستأذَن لإسحاق ! فدخل فقال : حملني الشوقُ إليك على أن بَكَرتُ هذا البُكور ، وقد حملتُ معي نبيذي وعمِلتُ على المُقام عندك . فقلت : مرحباً بك وأهلاً . ودعوت طباخي فسألته عما في المطبخ ، فذكر أشياءَ يَسيرةً ، منها قطعةُ جَدْي وطَباهِجُ ودُرَّاجٌ معلَّق . فقال : ما أُريد غيرَ ذلك ، هاتِه الساعةَ . فقلت للطباخ : عَجِّل بإحضاره ، وعمِلتُ على الأكل معه وعلى أن نأخذ في شأننا . فدخل حاجبي فقال : رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم بالباب ، وإذا فُرانِقٌ يذكر أنه وجَّه به إلى محمد بن الفضل ليُحْضِرَه . قال فقال لي إسحاق : قم في حفظ الله واجتهد في أن تتعجَّل . قال : فتقدمت إلى الخادم بإخراج الجواري إليه ووضْعِ النَّبيذ بين يديه ، ولبستُ ثيابي وخرجت وركِبت . فلما سِرتُ قليلاً قلت في نفسي : أنا أخسَرُ الناسِ صفقةً إن تركتُ إسحاقَ بن إبراهيم الموصلي في منزلي ومضَيْتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبي ، ولا أدري ما يريد مني . فقلت للفُرانِق : هل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي فتقول : إنك وجدتني شاربَ دواء . قال نعم . فدفعتُ إليه ثلاثين درهماً ، وختمتُ له خَتْماً ورجعت . فقال لي إسحاق : أسرعتَ الكرَّةَ ، فأخبرته بما صنعتُ ؛ فقال وُفِّقتَ . فجلست وكان يأكل فأكلت معه ، فأخذنا في شأننا . وخرج الجواري إليه يغنين حتى مرَّ صوت إبراهيم بن المهدي في شعره وهو : [من مجزوء الرمل]

جَدَّدَ الحبُّ بَلايا أمرُها ليس يسيرا

ولحنه من الثقيل الثاني ، قال : فطرِب إسحاق طرباً ما رأيتُه طَرِب مِثْلَه قط ، وعجب من إحسانه في صنعته وجودة قسمته ، ولم يزل صوتَنا يومَنا أجمع لا نغني غيره حتى شرِب

إسحاق قَطْرَميزَه[1] ، وفيه من المشمس الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً ، وكلّما حضرتْ صلاةٌ قام إسحاق يصلي بنا ، فصلَّى بنا العَتَمة وقد فني قَطْرَميزُه فشرِب من نبيذي رِطْلين على الصوت . قال : وكان محمد بن الفضل ينزل بسُوقِ الثلاثاء وإسحاق ينزل على نهر المهدي . وقد وُزِّرَ محمد بن الفضل للمتوكل قبل عبيد الله بن يحيى .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الرمل]

جَـدَّدَ الحـبُّ بلايا | أمرُهـا ليس يسيرا
كَبِـرَ الحـبُّ وقِدْماً | كان إذ حـلَّ صغيرا
ذلَّـلَ الحـبُّ رِقاباً | كان أدناهـا عسيرا
ليس لي من حبِّ إلْفِي | غيرُ حرماني السرورا

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل .

[أحب جارية عند بعض أهله]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال : استتَر إبراهيم بن المهدي عند بعض أهله من النساء ، فوكَّلتْ بخدمته جاريةً جميلةً وقالت لها : إن أرادكِ لشيءٍ فطاوِعيه وأعلميه ذلك حتى يتسع له ، فكانت تُوفيه حقَّه في الخدمة والإعظام ولا تُعْلمه بما قالت لها ؛ فجلَّ مقدارُها في نفسه إلى أن قبَّل يوماً يدَها ، فقبَّلتِ الأرضَ بين يديه . فقال : [من مجزوء الرمل]

يـا غـزالاً لي إليـهِ | شافـعٌ مـن مُقْلَتَيْهِ
والذي أجللتُ خَـدَّ | يْـه فقبَّلـتُ يَدَيْـهِ
بأبـي وجهُك مـا أكـ | ـثرَ حُسادي عليـهِ
أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّيـ | ـفِ إحسانٌ إليـهِ

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحناً في طريقة الهَزَج .

[غنى المأمون فرق له وأمنه]

وقال أحمد بن أبي طاهر : غَنَّى إبراهيم بن المهدي يوماً والمأمون مُصْطَبِحٌ ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره : [من الطويل]

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منِّي | هَوى الدهرُ بي عنها وولّى بها عني

---

1 قطرميز : قلة كبيرة من الزجاج .

فرقَّ له المأمون لما سمِعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسُك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين ، فَطِبْ نفساً ، فإن الله قد أمَّنك إلا أن تُحْدِث حَدَثاً يشهد عليك فيه عَدْلٌ ، وأرجو ألا يكونَ منك حَدَثٌ إن شاء الله .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ مني هوى الدهرُ بي عنها وولَّى بها عَنّي
فإن أَبْكِ نفسي أَبْكِ نفساً نفيسةً وإن أَحْتَسِبْها أَحْتَسِبْها على ضَنٍّ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم بن المهدي لما أخرج الجُنْدُ عيسى بن محمد ابن أخي خالد من الحبس ، وله في ذلك خبر طويل ، وقد شَرَطْنا ألاّ نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء . وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

وأَفْلَتَنــي عيسى وكانت خديعـةً حَلَلْت بها مُلْكي وفُلّتْ بها سِنّي

قال ابن أبي طاهر وحدثني أبو بكر بن الخصيب قال حدثني محمد بن إبراهيم قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً عند المأمون فأحسن ، وبحضرة المأمون كاتبٌ لطاهر يُكنى أبا زيد ، فطرِب حتى وثب فأخذ طرَف ثوب إبراهيم فقبَّله . فنظر إليه المأمون مُنْكِراً لفعله . فقال ما تنظر ؟ أُقَبِّـله والله ولو قُتِلتُ عليه ! فتبسم المأمون وقال : أَبَيْتَ إلا ظَرْفاً .

[يعرض لحسن بن سهل]

قال ابن أبي طاهر وحدثني علي بن محمد قال سمعتُ بعض أصحابنا يقول : اجتمع إبراهيم بن المهدي والحسن بن سهل عند المأمون ؛ فأراد الحسنُ أن يَضَع من إبراهيم فقال له : يا أبا إسحاق أيّ صوت تغنّيه العرب أحسنُ ؟ يريد بذلك أن يُشَهِّر إبراهيم بالغناء والعِلم به . فقال إبراهيم : بيت الأعشى :

تَسْمَع للحَلْيِ وَسْواساً إذا انصرفتْ

أي إنك مُوَسْوِس ، وكان بالحَسَنِ شيءٌ من هذا .

[غنت مغنية بحضرته فداعبها]

أخبرني عمي عن جدي عن علي بن يحيى المنجِّم قال : غنت مغنية وإبراهيم بن المهدي حاضر : [من الخفيف]

مَنْ رأى نُوقـاً غدَتْ سَحَرا

فقال إبراهيم : أنا رأيتُ هذا . قيل له : وأين رأيتَه أيها الأمير ؟ قال : رأيتُ ولد علي بن رَيْطة يَمْضون في السَّحَر إلى الصيد .

[بكاء رومية أعجمية تأثراً من صوته]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عُلَيْل العَنزي قال حدثني بعض الكتاب عن رَيِّق قالت : خرجتُ يوماً إلى سيدي (تعني إبراهيم بن المهدي) وقد صنع لحنه في : [من الكامل]

وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشْتَرى فسواك بائعُها وأنت المُشْتَري

وإذا صنعتَ صنيعةً أتممتَها بيدين ليس نَداهما بمُكَدَّرِ

وجاريةٌ لنا رومية أعجمية لا تُفْصِح في أقصى الدار تكنُس ، وهو يطرح الصوت على شارية ، والأعجمية تبكي أحرَّ بكاء سمعتُه قط ، فجعلتُ أعجَبُ من بكائها وأنظر إليها حتى سكتَ ، فلما سكت قَطَعَتِ البكاء ، فعلِمتُ أن هذا من غَلَبته بحسن صوته لكل طبعٍ فصيحٍ وأعْجميٍّ .

[إجازة الأمين له على غنائه]

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكي وابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى إبراهيم بن المهدي ليلةً محمداً الأمين صوتاً لم أرْضَه في شعر لأبي نُواس وهو : [من الرمل]

يا كثيرَ النَّوْحِ في الدِّمَنِ لا عليها بل على السَّكَنِ

سُنّةُ العُشاقِ واحدةٌ فإذا أحببتَ فاستكِنِ

ظَنَّ بي من قد كَلِفتُ به فهو يجفوني على الظُّنَنِ

رَشَأٌ لولا ملاحتُه خلَتِ الدُّنيا من الفِتَنِ

فأمر له بثلثمائة ألف درهم . قال إسحاق فقال إبراهيم له : يا أمير المؤمنين قد أجَزْتَني إلى هذه الغاية بعشرين ألف درهم ، فقال : هل هي إلا خراج بعض الكُوَر ؟ هكذا ذكر إسحاق . وقد رَوى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال : لما أردتُ الانصراف قال : أوْقِروا زورق عمي دنانير ، فانصرفتُ بمال جليل .

[يحسن الإيقاع على الطبل والناي]

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهِشامي عن أهله قال قال إبراهيم بن المهدي ، وقد خرج إلى ذكر الطَّبْل والإيقاع به ، فقال إبراهيم : هو من

الآلات التي لا يجوز أن تُبلَغ نهايتها . فقيل له : وكيف خُصَّ الطَّبل بذلك ؟ فقال : لأن عمل اليدين فيه عملٌ واحد ، ولا بُد من أن يلحق اليسارَ فيه نَقصٌ عن اليمين ، ودعا بالطبل ليُرِيَنا كيف ذلك فأوقَع إيقاعاً لم نكن نظن أن مثله يكون ، وهو مع ذلك يرينا موضع زيادة اليمين على اليسار . قال وقال له الأمين في بعض خلَواته : يا عم أشتهي أن أسمعك تَزْمُر . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما وضعتُ على فمي ناياً قط ولا أضعه ، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة ، من موالي المهدي ، حتى تَنْفُخ في النَّاي وأُمِرّ يدي عليه . فأُحْضِرتْ ووضَعَت الناي على فيها وأمسكه إبراهيم ، فكلما مَرَّ الهواء أَمَرَّ أصابعَه ، فسمع زمراً أجمع سائر مَن حضر على أنه لم يَسمع مثلَه قط .

[حسن ترجيعه]

وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال حدثني عبيد الله بن عبد الله وأبو عبد الله الهشامي قالا : كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه : [من الكامل]

هل تَطْمِسُون مِن السماءِ نُجومَها ... بأكفِّكم أو تَسْتُرونَ هلالَها

فبلغ إلى قوله : [من الكامل]

جبريلُ بلَّغها النبيَّ فقالَها

هَز حلّقه فيه ورجَّعه ترجيعاً تتزلزل منه الأرض .

[اختلس لحناً من متيم الهشامية]

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيض قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني الهشامي قال : كانت متيم الهشامية ذات يوم جالسةً بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضرٌ ، فتغنت متيم في الثقيل الأول : [من الطويل]

لزينبَ طيفٌ تَعْتريني طوارِقُهْ

فأشار إليها إبراهيم أن تُعيده . فقالت متيم للمعتصم : يا سيدي إن إبراهيم يستعيدني الصوت وأظنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تُعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً بمجلس المعتصم وكانت متيمُ غائبةً عنه ، فانصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتيم في منزلها بالميدان وطريقُه عليها وهي في مَنْظَرةٍ لها مُشْرِفةٍ على الطريق وهي تَطْرَح هذا الصوتَ على بعض جَواري بني هاشم ، فتقدم إلى المَنْظرة على دابته وتَطاوَل حتى أَخذ الصوتَ ، ثم ضرب بابَ المنظرة بمِقْرعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدك .

نسبة هذا الصوت

[من الطويل]

لزينبَ طيفٌ تَعْتَرِيني طوارِقُـهُ هُدُوءاً إذا النَّجْمُ ارْجَحَنَّتْ لواحِقُهْ[1]
سَيُبْكيك مِرْنـانُ العَشيِّ يُجيبُه لطيفُ بَنانِ الكفِّ دُرْمٌ مَرافِقُهْ[2]
إذا مـا بِساطُ اللَّهْوِ مُـدَّ وقُرِّبَتْ للذّاتِــه أنْماطُـه ونَمـارِقُهْ

الشعر للنُّمَيْري . والغناء لمعبد ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وفيه لمالك خفيفُ ثقيل أول بالبنصر عن يونس والهشامي .

[حكم محمد بن موسى المنجم على غنائه]

أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : كان محمد بن موسى المُنجِّم يقول : حكَمتُ أن إبراهيم بن المهدي أحسنُ الناس كلهم غناء ببرهان ، وذلك أني كنتُ أراه بمجالس الخلفاء مِثل المأمون والمعتصم يغني المغنون ويغني ، فإذا ابتدأ الصوت لم يَبْقَ من الغِلمان والمُتصرِّفين في الخِدمة وأصحاب الصناعات والمِهَن الصِّغار والكِبار أحدٌ إلا تَرَك ما في يده وقَرُب من أقرب موضعٍ يمكنه أن يسمعه ، فلا يزال مُصغياً إليه لاهياً عما كان فيه ما دام يُغني ، حتى إذا أمسك وتَغَنَّى غيرُه رجَعوا إلى التشاغُل بما كانوا فيه ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون . ولا برهان أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفِطَن له واتِّفاق الطبائع ، مع اختلافها وتَشَعُّب طُرُقِها ، على الميل إليه والانقياد له .

[كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها]

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال : قلتُ للمعتصم : كانت لأبي أشياء لم يكن لأحدٍ مثلها . فقال : وما هي ؟ قلت : شارية وزامِرَتُها مَعْمَعَة . فقال : أما شارية فعندنا ، فما فعلت الزّامرة ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : وساقِيَتُه مَكْنونة ، ولم يُرَ أحسنُ وجهاً ولا أَليَنُ ولا أظرفُ منها . قال : فما فعلتْ ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نخلةٌ كانت تحمِل رُطَباً طولُ الرُّطبةِ منها شبر . قال : فما فعلت ؟ قلت : جَمَّرتُها[3] بعد وفاته . قال : وماذا ؟ قلت : قَدَحُه الضَّحْضاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعةَ والله حَجَمني فيه أبو حَرْمَلة فسألته أن يَهَبه

---

1 ارجحنت : مالت نحو الغروب .
2 مرنان : كثير الرنين . درم : ضئيل العظام .
3 جمّر النخلة : قطع جمارها .

لي ففعل ، ووجَّهتُ به إلى منزلي فغُسِلَ ونُظِّفَ وأُعِيد إلى خِزانتي ، فرأيتُ أبي فيما يَرى النائمُ في ليلتي تلك وهو يقول لي : [من الطويل]

أيُتْرَعُ ضَحْضاحي دماً بعدَ ما غَدَتْ عليَّ بـــه مكنونــةٌ مُتْرَعاً خمرا
فإنْ كنتَ منــي أو تحبُّ مَسَرَّتي فــلا تُغْفِلَنْ قبلَ الصباحِ لــه كَسْرا

فانتبَهْتُ فَزِعاً وما فَرَق الصبحُ حتى كسرتُه .

[بينه وبين إسحاق الموصلي]

فأما المُماظَّة[1] التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طَرَفٌ . ونذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسِنِ إبراهيم والقيامِ بحجته إن كانت له ، وعذره فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فمن ذلك نسختُ من كتاب أعطانيه أبو الفضل العباس بن أحمد بن ثَوابة رحمه الله بخط إسحاق في قِرْطاس ، وأنا أعرف خطَّه ، وجوابٍ لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخطٍّ ضعيف وأظنُّه خطَّه ؛ لأنه لو كان خط كاتبٍ لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أولُ الكتاب فذهب منه أولُ الابتداء والجواب ، ونسختُ بقيَّتَه ؛ فكان ما وجدتُه من ابتداء إسحاق : وكنتَ ، جُعِلتُ فِداءك ، كتبتَ في كتابك إلى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدي . فمتى دفعتُ ذلك ؟ وهل لي فخرٌ غيره ! أو لأحدٍ عليَّ وعلى أبي رحمه الله من قبلي نعمةٌ سواكم ؟ . وأُحِبُّ ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يَبْتَلِيَني الله بذلك إن شاء الله . فأما ذِكْرُك ، جُعِلْتُ فِداءك ، الصناعةَ فقد أجلَّ الله قدرَك عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكينَ فأنت تعلم أني لم أتَّخذ ما نحن فيه صناعةً قط ، وأني لم أُرِدْها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم وإليكم . فليس ينبغي أن يَعِيبنـي ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعيبني به إذ كان لكم . وقد علمتُ أنك لم تضعني من عَلويه ومُخارق بحيث وضَعْتَني إلا لغَضَبٍ أحْوَجَكَ[2] إلى ذلك ، وإلا فأنت تعلم أنهما لو كانا مملوكَيْن لي لآثرتُ تعجيلَ الرَّاحةِ منهما بعتقهما أو تَخْلِيةِ سبيلهما على ثمنٍ أُصيبه ببيعهما أو حَمْدٍ أكتسِبُه بثمنهما ، فكيف أظن أني عندك مِثلهُما ، أو أنك تَقْرُنني إليهما وتذكرني معهما ! . أو تلومني الآن على أن أخْرَس فلا أنطِق بحرف ، وأن أفِرَّ من الغناء فِرارَك من الخطأ فيه ، وأمتعضَ منه امتعاضَك ممن يُخفي عليك شيئاً من علومه ؟ . كيف تَرى ، جُعِلْتُ فِداءك ، الآن سِبابي وأنت ترى أن أحداً لا يُحسن السَّبَّ غيرُك ! . قد أحدثتَ لي ، جعلتُ فداءك ، أدباً

---

1 المماظّة : المخاصمة .

2 ل : أخرجك .

وزِدْتَني بصيرةً فيما أُحِبُّ من تَرْكِه وتركِ الكلام فيه . فإن ظننتَ أن هذا فرارٌ من الحجَّة وتَعْريدٌ[1] عن المناظرة ، كما قلتَ ، فقد ظفِرت وصرت إلى ما أحببت ؛ وإلا فإنه لا ينبغي للحر أن يتلهَّى بما لا تقوم لذَّته بمَعَرَّته ، ولا لعاقلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحمدَه ، ولعله لا يقلِّب العينَ فيه حتى يلحقَه ما يكره منه . وأما ما قاله أبي ، رحمه الله ، من أنه لم يزل يتمنَّى أن يَرى من سادته مَنْ يعرِف قدره حقَّ معرفته ويبلُغ علمُه بهذه الصناعةِ الغايةَ العظمى حتى رآك ، فقد صدَق ، ما زال يتمنى ذلك وما زلتُ أتمنَّاه . فهل رأيت ، جُعِلْتُ فِداءك ، حظِّي منه إلا بأن ساويتَ به من لم يكن يساوي شِسْعَه ، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضِّله عليه ، لا تنفعه عندك معرفةٌ به ، ولا رعايةٌ لطول الصُّحبة والخِدمة ، ولا حفظٌ لآثارٍ محمودةٍ باقيةٍ نذكرها ونحتجُّ بها . ثم ها أنا من بعده تَضَعُني بالموضع الذي تضعني به ، وتَنْسُبُني إلى ما تنسبني إليه ؛ لأني توخَّيْتُ الصوابَ واجتهدتُ في البَذْل والمناصحة ، لا يدفعك عني حِفظٌ لسَلَفٍ ، ولا صيانةٌ لخَلَفٍ ، ولا استدامةٌ لقديم ما نعلم ، ولا مصانعةٌ لما تطلب ، ولا ولا مما أكره أن أقوله . فما أرى ، جُعِلتُ فِداءك ، من معرفتك بما في أيدينا إلا تجرُّع الحسرات ، وتطلُّبك لنا العثرات ، والله المستعان . كيف أصنع جُعِلتُ فداءك ! إن سكَتُّ لم تقبل ذلك مني ، وإن صدقتُ كذَّبتني ، وإن كذبتُ ظفرتَ بي ، وإن مزحتُ لأُطربك وأُضحكك وأُقرِّب من أُنسك وآخُذ بنصيبي من كرمك غضِبتَ وسبَبتَ ، ولو كنتُ قريباً منك لضربت ! وليتَك فعلت ، فكان ذلك أيسر من غضبك . ثم من أعظم المصائب عندي أمرُك إياي أن أسأل محمد بن واضح عن قول قلته فيَّ عند عمرو بن بانة . فوالله ، جُعِلتُ فداءك ، إني لأبْشَعُ[2] بذكره فكيف أُحِبُّ أن أذكره وأُذْكر له ! . وإني لأرثي لك من النظر إليه ، وأَعجب من صبرك عليه ، مع أني ، أعوذ بالله من ذلك ، لو رغبتُ في هذا منه ومن مثله لكفيتُك ونفسي ذلك بأن أكسُوَه ثوبين ، أو أهَبَ له دينارين ، أو أقول له أحسنت في صوتين ، حتى نبلغ أكثرَ مما أردت لي أو أريده لنفسي . فالحمد لله الذي جعل حظِّي منك هذا ! ومثلَه غير مستَصْغِر لشأنك ولا مستقلٌّ لقليل حسن رأيك . والله أسأل أن يطيل بقاءك ، ويحسن جزاءك ، ويجعلَني فداءك . قد طال الكتاب ، وكثر العِتاب . وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال اللَّذَيْن لا أخاف أن أجعلهما عندك ، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها ، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه والإقرار بما أحببتَ أن أُقرَّ به ، وسأُشهِد على ذلك محمد بن واضح وأُشْهِد لك به من أحببتَ وأؤدي الخَراج . ولكن لا بد من فائدة وإلا انكسر ، فهات ، جُعِلْتُ فداءك ، وأوفِ واستوفِ فإنك واجدٌ صحةً واستقامةً إن

1 التعريد : الفرار .
2 بشع بالأمر : ضاق به .

شاء الله . مد الله في عمرك ، وصبَّرني عليك ، وقدمني قَبْلَك ، وجعلني من كل سوء فِداءَك .

[نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه]

. . وأيَّةُ سلامةٍ أقدِر لك عليها إلا أسوقها إليك ، أعطاني الله ما أُحِبُّ من ذلك لك . فأمَّا أن أتكلَّم من ورائك بشيء تستثقله متعمِّداً ؛ فما أنا إذاً بحُرٌّ ولا كريم ، معاذَ الله من ذلك ؛ . ولئن جمعني وإياك وعليٌّ بنَ هشام مجلسٌ لأستشهِدَنَّه على أشياء لم أذكرها لك ، ولم أكتب بها إليك ، إجلالاً لقَدْرِ حالِك عندي من اعتداد بمثل ذلك مني ، وأنت عنه غافل ، والله به عليم . وأما الرشوة فأرجو أن تجيئك على ما تشتهي آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً . وأما الفوائدُ التي وعدتَ ورودَها علينا فإني لواثقٌ أنك لا تُفيدني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدتُني فيه فَطِناً أجيد تفتيشه وأعرف كُنْهَه وأُفيدك فيه وفيما استنبطتَ منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه ، فأما غيرك فالهباءُ المنثور . ويا رأس المُشَنِّعين تقول إني عيَّرتُك بالصناعة ثم تحتج بحذْقك في تحريف الأقوال واكتساب الحجج ، لتُفْحِم خَصْمَك ، وتُعْلي حُجَّتك ، فكيف أُعيبك بحاجتي إليك ، وما أنا داخل فيه معك ؟ لا ؛ ولكني قلت لك : إني لستُ كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثَقُل عليك ، إنما أنا رجل من مواليك متوسِّلٌ إليك بما يسرُّك ، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه ، فليكن ذلك بالإنصاف وطلبِ الصواب أصبتَه أو أخطأته ، لا بالحميَّة والأَنَفة والحيلة لتَرُدَّ الحق بالباطل . هذا معنى قولي ؛ وقد استشهدت عليك فيه أبا جعفر ، وجاءني كتابُك وهو عندي يشهد لي . والكتاب الذي هذا فيه بخطِّي عنده لم يَرُدَّه عليَّ ، فتَتَبَّعْ ما فيه وخُذْني به . فلَعَمري لئن كنتُ قرَنْتُك بمن ذكرتَ لأُعِيبَك بالتشبيه لك بهم ما عِبتُ غيرَ رأيي ، ولا جهَّلتُ غير نفسي . ولستُ أعتذِر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه ، وإنما تريد أن تَخْصِمَني[1] بلا حُجَّة ، فيكفيني عِلمُك بما عندي ، وإلا فأنت إذاً بي أجهلُ مني بك . وقلتَ : «تذكرني معهما» فقد ذكر الله النار مع الجنة ، وموسى مع فرعون ، وإبليسَ مع آدم ، فلم يَهُنْ بذلك موسى ولا آدمُ ولا أُكْرِم فرعون وإبليس ، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي ، واستمتع بي وأَمْتِعْني بالمصادقة . فإن أنت لم تفعل بقيتَ واحداً مستوحشاً ، ولم تَجِدْ غيري إن علم ما تعلم لم ينقُصْكَ ، وإن علم أكثرَ منك لم يَشِنْك ، وإن أفهمتَه كافاك ، وإن استفهمتَه شفاك . لا والله ما أردتُ إلا ما ذكرتُه لك ، ولا أحسَبك ظننتَ فيَّ غيرَ ذلك ؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل . وواحدة هي لك دوني ، ووالله ما كنت أُبالي ألاَّ أسمع من مُخارق وعلويه شيئاً حتى أسمع بنعيهما ، ولا أراهما حتى أراهما مَيِّتَيْن ، وما في هذا غيرُك والإعظام لك

1 خصمه : غلبه في الخصومة .

والإكرام . وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيَّرتَهما نِدَّيْن تقول فيهما ويقولان فيك ، وإنما هما صَنِيعتاكَ وخرِّيجا تأديبك وإن كانا غير طائل . فلو أعرضتَ عن انتقاصهما ورفعتَ ما رفع الله من قَدرك عن الإفراط في عيبهما ، لكان ذلك أشبه بك وأجملَ بمحلِّك وخَطَرِك ومكانِك . وكذلك الذي تَرْثي له منه وصاحبُه محمد بن الحارث ، فوالله ما أُحِبُّ لك في أدبك وفضلِك ودينِك ومحلِّك أن تُشَهِّر نفسك لهما بهذا ومِثْلِه ، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك . أقول يعلم الله في ذلك لا لهما . وإن ذلك ، لو صرتَ إليه ، لأجملُ بك وأجلُّ لقدرك وإن كنت لَتتخوَّلُهما به . ولو أردتَ ذلك ، وإن زَهِدتَ فيه ، لم تَضَع نفسَك ومحلَّك مع غِلْمانٍ أحداثٍ يسطون ألسنتهم فيك بما بسطتَه منهم على نفسك ، ولو لم تفعل لكنتَ أعظمَ في عيونهم من بعض مواليهم الذين تولَّوْا مِنَّتَهم . هذا رأيي لك بما هو أكبرُ لأمرك وأشبهُ بمحلِّك . ووالله ما غَشَشْتُك ولا أوطأْتُك عَشْواءَ ، فاخترْ لنفسك ما رأيتَ . ولا والله لا سَمِعا بهذا أبداً ولا بما قلتَه فيَّ إلا خزيا حتى يموتا ، ولا أردتُ ، يشهد الله ، بهذا غيرَك . وأمَّا مَنْ ذكرتَ أنِّي أسوِّيه بأبي إسحاق رحمه الله وهو لا يساوي شِسْعَه فإنك عَنَيْتَ ابنَ جامع . وأنت لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضي الله عنه ، ولا أظنك والله أشدَّ حباً له مني ، ولا كان لك أشد حباً منه لي ، فقد تعلم كيف كان لي ، ولكن لا أظلم ابنَ جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن ضَمِنْتَ أن تُنْصِفَني لأكلمنَّك فيه بما لا تدفعه ، ولكني لا أُكلِّمك في شيء حتى أَثِقَ بهذه منك ، وإلاَّ وَسِعني من السكوت ما وسعك . ومن العَجَب الذي لم أَرَ مثله والمكابرةِ التي لا يشبهها شيء اعتداؤك عليَّ في التجزئة حيث تقول : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـا أُمَّ يَعْمَـرا قَبْلَ شَحْطٍ من النَّوى

يا أخي وحبيب نفسي فانظر كم في هذا من العيوب ؟ قولك : «يـيا» ليكون مثل «شَحْطٍ» في الوزن ، أيكون مثل هذا في الكلام ! وقولك في الجزء الثاني «حَي» حتى يكون مثل «قبل» هل يكون مثل هذا ؟ أو ليس في «يـيا» المشددة أربع ياءات ، وفي «حي» التي عطفتَ بها ثلاثٌ فتصير سبع ياءات ، وإنما هي ثلاث في الأصل : الياء المشددة وياء الاثنين حيث تقول «حييا» ! . والناس في هذا بيني وبينك بهائم ، فمَنْ أَسْتعدي عليك ؟ ولو أنصفتَ لعلمتَ أنه لا يمكن في : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـا أُمَّ يَعْمَـرا

غيرُ ما جزَّأتُ أنا إلا بهذا الغَلَط الذي لا يحول من تحريك ساكنٍ تجعله أولَ الكلام فقد زدتَ قبله حرفاً ، أو تسكينِ متحرك فتزيد بعده حرفاً ؛ كقولك «أم يعمرا قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفاً ، وكقولك «أم يعمرن قَبْلا» فزدتَ الألف لتسكتَ عليها لأن

السكوت على متحرك لا يمكن . فأيةُ حُجَّةٍ هذه ؟ أو مَن يصبر لك على هذا ؟ وإنما أردتُ أنا ما يجوز فجئتني بتجزئةٍ واحدة ، لا أريد غيرَ ذلك منك . ما لَك يا أخي تَنْفَس عليَّ الصوابَ فيما لا نَقِيصةَ عليك فيه ولا عيب ، ثم اتخذتَ تَحَمُّدي إليك ، بما قلتُ لك أن تسأل محمداً عن قولي فيك بظهر الغيب ذنباً بطبعك على الظلم والتحريف ؛ حتى كأني أعلمتُك أن أحداً تنقَّصَك فحَمِيتَ لذلك ، ولم يكن غيرُ الرد عليه . والله ما مثلي يَمُنّ بهذا ، ولكني كنتُ إذا تحدثتُ مع محمد خالياً كلَّمتُه بمثل ما أكلِّمك به من الردِّ والجَدَل ، فلما كان عندنا مَن يُحْتَشَم كان كلامي بما يجب أن أتكلَّم به من الإكرام والتقديم ، فقال لي : أيُّ شيء هذا الذي أرى ؟ فقلت له : هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأنس . فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أني لا أريد بما أُنازعك فيه شيئاً يَزِيغ عما تعرف مني ، وأني أذكُرك بما يُشبهك في موضعه . فلو اتقيتَ الله وأبقيتَ على الإخاء لَما كنتَ تحرِّف هذا بشيء ، وهو جميل أرضاه من نفسي ، فتصيِّره قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه .

وأما أداء الخَراج والإشهاد ، فهذا شيء لم أطلبه منك ، إنما أنت طلبتَه مني ظالماً لي . وذلك لأني لم أُنازعك إلا منازعةَ مناظرٍ يُحبُّ أن يعرف حسنَ فحصه وثاقب نظرِه .

وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل ، ولا رياسة لي عليهم ولا لك عليَّ ؛ لأني في العلم مناظر وفي العمل متلذِّذ . فلا تظلمني ولا نفسَك لي .

ومن بعدُ فإني أُحِبُّ أن تخبرني كيف أنت اليوم بعدُ . والله غممتني ، لا غمَّك الله ولا غمَّني بك . ولو شئتَ أرسلتَ إلى يحيى بن خالد طبيبِ أخي عُبيد الله فإنه رفيقٌ مبارَكٌ عليم ، وهو منك قريب في دار الرُّوم ، فأخذتَ برأيه ومن علاجه . وهَب الله لك العافية ووهَبها لي فيك برحمته .

وإنما ذكرتُ هذا الابتداء وجوابَه على طولهما ، وهما قليلٌ من كثير من مكاتباتهما ، لتعرف بهما طرفاً من مقدارهما[1] في المنازعة والمجادلة ، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التواضع له والخُنوعَ برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات ، وينحو إبراهيم نحوَ ما فعله به ؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه ، فيستعمل معه من المباينة مثلَ ما استعمله ، ويكونان في طَرَفَيْن من الظلم يُبْعِد كل واحدٍ منهما عن إنصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما ، فوجدتُ كلامَهما مرصوفاً رَصْفَ إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نَظْمَ مَنْطِقِه ، فيها تحاملٌ على إسحاق شديدٌ ، وحكاياتٌ يُنْسَبُ مَن نَقَلَها إلى جهلٍ بصناعته . كان إسحاق

1 ل : مغزاهما .

بعيداً من مثله ، فعلمتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألَّفه وأمرَ يوسفَ بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذِكرٌ له يفضُل به . وذلك بعيدٌ وقوعُه ، ولن تُدفع الحقائق بالأكاذيب ، ولا يُزيل الخطأ الصواب ، ولا الخطلُ السدادَ . وكفى مَن نضَح عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم بن المهدي لا يكاد يُعرَف منها صوتٌ ولا يُرْوى منها إلا اليسير ، وأن كلامَه في تجنيس الطرائق اطُّرِح ، وعُمِل على مذهب إسحاق ، وانقضى الصُّنع لإبراهيم بذلك مع انقضاء مدته ، كما يضمحلُّ الباطلُ مع أهله . فعدلتُ عن ذكر تلك الأخبار ؛ لا لأنها لم تَقَع إليَّ ، ولكنها أخبار يتبين فيها التحامل والحَنَق ، وتتضمن من السبِّ لإسحاق والشتمِ والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضي على مثله لأحد ولو خاف القتل ، فاستبردتُ ذلك واطَّرَحْتُه ، واعتمدتُ من أخبار إبراهيم على الصحيح ، وما جرى مَجرى هذا الكتاب[1] من خبرٍ مستحسنٍ وحكايةٍ ظريفةٍ دون ما يجري مَجرى التحامل ؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاصِ إسحاق إياه بريقه وتجريعه أمَرَّ من الصبر ما ينبىء عن بطلان غيره .

وممن صنع من أولاد الخلفاء عُلَيَّةُ بنت المهدي ، ولا أعلم أحداً منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها . وكان يقال : ما اجتمع في الجاهلية ولا الإسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وعُلية أختِه . وأخبارُها تُذكر بعد هذا تاليةً لما أذكُره من غِنائها . فمن صنعتها : [من الرجز]

صوت

تضحكُ عمَّا لو سَقَتْ منـه شَفا   مـن أقحوانٍ بَلَّـهُ قطـر الندى[2]
أغَـرَّ يجلو عن غِشا العينِ العَشا   حُلْـوٍ بعَيْنَـيْ كلٍّ كَهْـلٍ وفَتى
إنَّ فـؤادي لا تسلِّيـه الرُّقـى   لـو كان عنها صاحياً لقد صَحا

الشعر لأبي النجم العِجلي . والغناء لعُلية بنت المهدي رملٌ بالوسطى .

---

1 ل : الجواب .
2 قطر الندى في ل : طلّ الثرى .

[162] ـ أخبار أبي النجم ونسبه[1]

[نسبه]

قال أبو عمرو الشيباني : اسمه المفضَّل ، وقال ابن الأعرابي : اسمه الفضل بن قُدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْمِي بن جَديلة بن أَسَد بن ربيعة بن نزار . وهو من رُجَّاز الإسلام الفُحول المقدَّمين وفي الطبقة الأولى منهم .

[كان أبلغ في النعت من العجاج]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحي إجازةً عن محمد بن سَلاَّم وذكر ذلك الأصمعي أيضاً قالا قال أبو عمرو بن العَلاء : كان أبو النَّجم أبلغَ في النعت من العجاج .

[انتصاف الرجاز من الشعراء]

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال حدثني أبو أيوب المَدِيني قال حدثني الفضل بن العباس الهاشمي عن أبي عبيدة قال : ما زالت الشعراء تغلِب حتى قال أبو النجم : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الوهُوبِ المُجْزِلِ

وقال العجاج : [من الرجز]

قدْ جبرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ

وقال رؤبة : [من الرجز]

وقاتمُ الأعماقِ خاوي المُخترَقْ

فانتصفوا منهم .

[أعظمه رؤبة]

ووجدتُ في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشيباني قال : قال له فتيان من عِجل : هذا رؤبة بالمِربَد يجلس فيُسمِع شعرَه ويُنشِد الناس ويجتمع إليه فتيان من بني تَميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أوَ تُحِبُّون هذا ؟ قالوا نعم . قال : فأْتوني بعُسٍّ من نبيذ فأَتَوْه

1 لأبي النَّجم ترجمة في طبقات ابن سلام 745–753 والشعر والشعراء : 502–507 والخزانة 1 : 161 ومعاهد التنصيص 1 : 19 ومعجم المرزباني : 310 والسمط : 327 والموشح : 213 .

به ، فشَرِبه ثم نهض وقال : [من الرجز]

إذا اصطبحتُ أربعاً عرَفْتَني ثم تجشمتُ الذي جشَّمتني

فلما رآه رؤبة أعْظَمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رَجَّاز العرب . وسألوه أن يُنشِدهم فأنشدهم : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الوَهُوبِ المُجزِلِ

وكان إذا أنْشد أزْبد ووحَش بثيابه (أي رمى بها) . وكان من أحسن الناس إنشاداً . فلما فَرغ منها قال رؤبة : هذه أمُّ الرَّجَز . ثم قال : يا أبا النَّجْم ، قد قربت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وابنِه . يُوهِم عليه رؤبة أنه حيث قال : [من الرجز]

تبقَّلتْ من أولِ التَّبَقُّلِ بين رِماحَيْ مالكٍ ونَهْشَلِ

أنه يريد نَهشَل بن مالك بن حنظلة بن زيد مَناةَ بن تَميم . فقال له أبو النجم : هيهاتَ ! الكَمَرُ تشابَهُ . أي إني إنما أريد مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعَوْن الصَّمَّان وعَرْض الدَّهناء . قال أبو عمرو : وكان سبب ذِكرِ هاتين القبيلتين (يعني بني مالك ونهشل) أن دماءً كانت بين بني دارِم وبني نهشل وحروباً في بلادهم ، فتَحامى جميعهم الرَّعْيَ فيما بين فَلْجٍ[1] والصَّمَّان مخافةَ أن يُعَرُّوا بشرٍّ حتى عفا[2] كَلَؤه وطال ، فذكر أن بني عجل جاءت لِعِزِّها إلى ذلك الموضع فَرَعَتْه ولم تَخَفْ من هذين الحَيَّيْنِ ، ففخَر به أبو النَّجم . قال : ويدُل على ذلك قول الفرزدق[3] : [من الطويل]

أترتعَ بالأحياءِ سعدُ بن مالكٍ وقد قَتلوا مَثْنى بِظَنَّةَ واحدِ[4]
فلم يَبْقَ بين الحي سعدِ بن مالكٍ ولا نَهْشَلٍ إلا دماءُ الأساودِ[5]

[ترتيب الرجاز]

وقال الأصمعي : قيل لبعض رُواة العرب : مَن أرجزُ الناس ؟ قال : بنو عِجْل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد . (يريد الأغلبَ ثم العجَّاج ثم أبا النَّجْم ثم رؤبة) .

1 ل : فليج .
2 عفا : كثر .
3 ديوان الفرزدق 1 : 152 .
4 ظنة : تهمة .
5 الأساود : شخوص القتلى .

[تسرعه إلى رؤبة]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المِسْمعي : كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفُّه عنه .

[مناجزته العجاج]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المَرثَدِي ، قال وكان عالِماً راويةً ، قال : خرج العجاج متحفِّلاً عليه جُبَّة خَزٍّ وعمامة خَزٍّ على ناقةٍ له قد أجاد رَحلها حتى وقف بالمِربَد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله : [من الرجز]

قــد جبَر الديــنَ الإلهُ فَجَبَرْ

فذكر فيها ربيعة وهجاهم . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له : أنت جالسٌ وهذا العجاج يهجونا بالمِربد قد اجتمع عليه الناس ؟! قال : صِفْ لي حالَه وزِيَّه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : ابْغِني جَمَلاً طَحَّاناً قد أُكْثِر عليه من الهِناء ، فجاء بالجمل إليه . فأخذ سراويلَ له فجعل إحدى رجليه فيها وأتزَرَ بالأخرى وركِب الجمل ودفع خِطامَه إلى مَن يقوده ، فانطلق حتى أتى المِرْبَد . فلما دنا من العجاج قال : اخلَعْ خِطامُه فخلَعه ، وأنشد : [من الرجز]

تذَكَّر القلبُ وجَهْلاً مــا ذَكَرْ

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتشمَّمها ويتباعد عنه العجاج لئلا يُفسِد ثيابه ورَحْلَه بالقَطِران ، حتى إذا بلغ إلى قوله : [من الرجز]

شيطانُـه أُنثــى وشيطاني ذَكَرْ

تعلَّق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

[غلب الشعراء عند الخليفة]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النَّجْم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان ، ويقال عند سليمان بن عبد الملك ، يوماً وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدقُ ، وجاريةٌ واقفةٌ على رأس سليمان أو عبدِ الملك تَذُب عنه ، فقال : من صبَّحني بقصيدة يفتخر فيها وصدَق في فخره فله هذه الجارية . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إن أبا النجم يَغْلِبنا بمقطَّعاته (يعنون بالرَّجَز) ، قال : فإني لا أقول إلا قصيدةً . فقال من ليلته قصيدتَه التي فخَر فيها وهي : [من الكامل]

عَلِقَ الهوى بحبائلِ الشَّعْثاء[1]

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده ، حتى إذا بلغ إلى قوله : [من الكامل]

مِنا الذي ربَع الجيوشَ لظهرِه عشرونَ وهْو يُعَدُّ في الأَحياء[2]

فقال له عبد الملك : قِفْ ، إن كنتَ صدَقْتَ في هذا البيت فلا نُريد ما وراءه . فقال الفرزدق : وأنا أعرف منه ستة عشر ، ومن وَلَد وَلَدِه أربعة كلُّهم قد ربَع . فقال عبد الملك أو سليمان : وَلَد وَلَدِه هم ولدُه ، ادفع إليه الجارية يا غلام . قال : فغلَبهم يومئذٍ .

قال : وبلغني من وجهٍ آخر أنه قال له : فإذا أقررتَ له بستة عشر فقد وهبتُ له أربعة ، ودفَع إليه الجارية ، فقدِم بها الباديةَ ؛ فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها .

[فوزه بجارية خالد بن عبد الله القسري]

وقال أبو عمرو : بعث الجُنَيد بن عبد الرحمن المُرِّي إلى خالد بن عبد الله القَسْري بسَبْيٍ من الهند بِيضٍ ، فجعل يَهَبُ لأهل البيت كما هو للرجل من قريش ومن وجوه الناس ، حتى بَقِيتْ جاريةٌ منهن جميلةٌ كان يَدَّخِرها وعليها ثيابُ أُرْضِيها فُوطتان . فقال لأبي النجم : هل عندك فيها شيءٌ حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم أصلَحك الله ؛ فقال العُريان بن الهيثم النَّخْعي وكان على شرط خالد بن عبد الله : كذَب والله ما يقدِر على ذلك . فقال أبو النَّجم : [من الرجز]

عَلِقتُ خَوْداً من بناتِ الزُّطِّ ذاتَ جَهازٍ مُضْغَطٍ مُلَطِّ
رابِي المَجَسِّ جَيِّدِ المَحَطِّ كأنّما قُطَّ على مَقَطِّ
إذا بدا منها الذي تُغَطِّي كأنَّ تحتَ ثوبِها المُنْعَطِّ[3]
شَطّاً رميتَ فوقَه بشَطِّ لم يَنزُ في البطنِ ولم يَنْحَطِّ[4]
فيه شِفاءٌ من أذى التَّمَطِّي كهامةِ الشيخِ اليماني الثَّطِّ[5]

[أغضب هشاماً في وصفه الشمس]

وأومأ بيده إلى هامة العُريان بن الهيثم . فضحِك خالد وقال للعُريان : كيف تَرى ؟ أحتاجَ إلى أن يُرَوِّيَ فيها يا عُريان ؟ ! قال : لا والله ! ولكنه ملعون ابن ملعون : وقال أبو عمرو في هذه

1 الهوى بحبائل في ل : الفؤاد حبائل .
2 ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم ، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة .
3 الثوب المنعط : المشقوق .
4 لم ينز : في ل : لم يعل . الشط : جانب السنام .
5 الثطّ : الخفيف اللحية .

الرواية وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المُبَرد قال حدثني محمد بن المُغيرة بن محمد عن الزُّبير بن بَكار عن فُلَيْح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثِير قال : ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك في الشعراء . فقال لهم هشام : صِفُوا لي إبلاً فقَطِّروها وأوْرِدوها وأصْدِروها حتى كأني أنظر إليها . فأنشدوه وأنشده أبو النَّجم : [من الرجز]

الحمــدُ للهِ الوَهُـوبِ المُجْزِلِ

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال «وهي على الأُفْق كعين . . .» وأراد أن يقول «الأَحولِ» ثم ذكر حَولة هشام فلم يُتِمَّ البيت وأُرْتِج عليه . فقال هشام : أجزِ البيت . فقال «كعين الأحولِ» وأتم القصيدة . فأمر هشام فُوجِىء عُنُقه وأُخْرِج من الرُّصافة . وقال لصاحب شُرْطته : يا رَبِيع إياك وأن أرى هذا ! . فكلم وجوهُ الناس صاحب الشُّرطة أن يقروه ففعل ، فكان يُصيب من فُضول أطعمة الناس ويأْوِي إلى المساجد . وقال الزُّبير في خبره قال أبو النجـم : ولم يكـن أحدٌ بالرُّصافـة يُضيف إلا سُلَيْم بـنَ كَيْسان الكلبـي وعمرو بن بِسطام التَّغلبي . فكنتُ آتـي سُليماً فأتغـدَّى عنـده ، وآتي عمراً فأتعشى عنده ، وآتي المسجد فأبِيتُ فيـه . قال : فاهتَم هشام ليلةً وأمسى لَقِسَ النَّفْس وأراد محدِّثاً يحدِّثه ، فقال لخادمٍ له : ابْغِني مُحَدِّثاً أعرابياً أهوجَ شاعراً يَرْوِي الشعر . فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النَّجم ، فضربَه برجله وقال له : قُمْ أَجِبْ أميرَ المؤمنين . قال : إني رجل أعرابي غريب . قال : إياك أبْغِي ، فهـل تَـرْوي الشعر ؟ قـال : نعم وأقوله . فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلَق البابَ ، قال : فأيْقَن بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير ، بينه وبين نسائه سِتْرٌ رقيقٌ والشَّمْعُ بين يديه تَزْهَر . فلما دخل قال له هشام : أبو النَّجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طَرِيدُك . قال : اجلس . فسأله وقال له : أين كنتَ تأْوِي ومن كان يُنْزلك ؟ فأخبرَه الخبرَ . قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنتُ أتغدَّى عند هذا وأتعشى عند هذا . قال : وأين كنتَ تبيت ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك . قال : وما لَكَ من الولدَ والمال ؟ قال : أما المالُ فلا مالَ لي ، وأما الولدُ فلِي ثلاثُ بناتٍ وبُنَيٌّ يقال له شَيبان . فقال : هل زَوَّجْتَ[1] من بناتك أحداً ؟ قال : نعم زوّجتُ اثنتين ، وبَقِيَتْ واحدة تَجْمِز[2] في أبياتنا كأنها نعامة . قال : وما وصَّيْتَ به الأولى ؟ ، وكانت تسمى «بَرّةَ» بالراء ، فقال : [من الرجز]

أَوْصَيتُ من بَـرّةَ قلبـاً حُرّا بالكلـبِ خيراً والحَمــاةِ شَرّا

---

1 ل : أخرجت .

2 تجمز : تعدو .

لا تَسْأَمِي ضَرْباً لها وَجَرّا حتى تَرى حلوَ الحياةِ مُرّا
وإن كَسَتْكِ ذهباً ودُرّا والحيَّ عُمِّيهم بشرٍّ طُرّا

فضحِك هشام وقال : فما قلتَ للأُخرى ؟ قال قلت : [من الرجز]

سُبِّي الحَماةَ وابْهَتي عليها وإن دَنَتْ فازْدَلِفي إليها
وأَوْجِعي بالفِهْرِ ركبتَيْها ومِرْفَقَيْها واضرِبي جَنْبَيْها[1]
وظاهِري النُّذْرَ لها عليها لا تُخْبِري الدَّهْرَ به ابنتَيْها

قال : فضَحِك هشام حتى بدَتْ نواجِذُه وسقط على قَفاه . فقال : وَيحَك ؛ ما هذه وصية يعقوب ولدَه ؛ فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلتَ للثالثة ؟ قال قلت : [من الرجز]

أُوصيكِ يا بنتي فإني ذاهبُ أُوْصيكِ أن تَحْمَدكِ القرائبُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ الساغبُ لا يُرْجَعُ المسكينُ وهْو خائبُ
ولا تَني أظفارُكِ السَّلاهِبُ منهنَّ في وجه الحَماةِ كاتبُ[2]
والزوجَ إنَّ الزوجَ بئسَ الصاحبُ

قال : فكيف قلتَ لها هذا ولم تَتزوج ؟ وأي شيء قلتَ في تأخير تزويجها ؟ قال قلت فيها : [من الرجز]

كأنَّ ظَلاّمةَ أختَ شَيْبانْ يَتيمةٌ ووالداها حيّانْ
الرأسُ قَمْلٌ كلُّه وصِئْبانْ وليس في الساقَيْن إلاّ خَيْطانْ
تلك التي يَفْزَعُ منها الشيطانْ

قال : فضحِك هشام حتى ضحك النساء لضَحكِه ، وقال للخَصِي : كم بَقِي من نفقتك ؟ قال : ثلثمائة دينار . قال : أَعْطِه إياها ليجعلها في رِجْل ظَلاَّمةَ مكان الخيطين .

[سرعة بديهته]

وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابنُ بنت أبي النَّجْم أن أبا النَّجْم قال : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الوَهُوبِ المُجْزِلِ

1 الفهر : الحجر .
2 السلاهب : الطويلة .

في قَدْر ما يَمشي الإنسان من مسجد الأشْياخِ إلى حاتمٍ الجزار . ومقدار ما بينهما غَلْوةٌ[1] أو نحوُها . قال : وكان أسرعَ الناس بَدِيهةً .

[رأي الأصمعي في رجزه]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أبو أيوب المَدِيني قال حدثنا أبو الأسود النوجشاني[2] قال : مَرَّ أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أي الرَّجَز أحسن وأجود ؟ قال : رَجَزُ أبي النَّجْم .

[رأيه في النساء]

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث الخَراز قال حدثنا المدائني قال : دخل أبو النَّجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له هشام : ما رأيُك في النساء ؟ قال : إني لأنظر إليهن شَزْراً وينظرن إليَّ خَزْراً . فوهب له جارية وقال له : اغْدُ عليَّ فأعْلِمْني ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه . فقال له : ما صنعتَ ؟ فقال : ما صنعتُ شيئاً ولا قدَرْتُ عليه ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً . ثم أنشده : [من الكامل]

نظرتْ فأَعْجبَها الذي في دِرْعِها ... من حُسْنه ونظرتُ في سِرْبالِيا
فرأتْ لها كَفَلاً يَميلُ بخَصْرِها ... وَعْثاً روادِفُه وأَجْثَمَ جاثِيا[3]
ورأيتُ مُنْتَشِرَ العِجانِ مُقَلَّصاً ... رِخْواً مفاصِلُه وجلْداً بالِيا
أُدْني له الرَّكَبَ الحَلِيقَ كأنما ... أُدْني إليه عقارباً وأفاعِيا
إنَّ النَّدامةَ والسَّدامةَ فاعْلَمَنْ ... لو قد صَبَرْتُك للمَواسي خالِيا
ما بالُ رأسِك من ورائيَ طالِعاً ... أظننتَ أنَّ حِرَ الفتاةِ ورائِيا
فاذهبْ فإنّكَ ميتٌ لا تُرْتَجى ... أبدَ الأبيدِ ولو عَمِرتَ لياليا
أنتَ الغَرُورُ إذا خُبِرتَ وربما ... كان الغَرورُ لمن رجاه شافِيا
لكن أُيْري لا يُرَجى نفعُه ... حتى أعودَ أخا فَتاءٍ ناشِيا

فضحِك هشام وأمر له بجائزة أُخرى .

[يضحك هشام بن عبد الملك]

قال أبو عمرو الشَّيباني قال ابن كُناسة : قال هشام بن عبد الملك لأبي النَّجْم : يا أبا النَّجْم

---

1 الغلوة : رمية السهم .
2 لعلها النوشجاني نسبة إلى نوشجان بفارس .
3 الوعث : اللين .

حدِّثني . قال : عني أو عن غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : إني لما كَبِرتُ عرَض لي البَوْلُ ، فوضعتُ عند رجلي شيئاً أبول فيه . فقمتُ من الليل أبول ، فخرج مني صوتٌ فتشددت ، ثم عُدْتُ فخرج مني صوتٌ آخر ، فأَوَيْتُ إلى فراشي ، فقلت : يا أُم الخيار هل سمِعتِ شيئاً ؟ فقالت : لا والله ولا واحدةً منهما ؛ فضَحِك . قال : وأُم الخيار التي يَعْني بقوله : [من الرجز]

قد أصبحتْ أُمُّ الخِيار تَدَّعي عليّ ذنباً كلُّه لم أصنَعِ

وهي أرجوزة طويلة .

[ذكر فتاة في شعره فتزوجت]

وقال أبو عمرو الشَّيْباني : أتت مولاة لبني قَيْس بن ثعلبة أبا النَّجم فذكرتْ له أن بنتاً لها أدركتْ منذ سنتين ، وهي من أجمل النساء وأمدِّهن قامةً ولم يخطُبها أحدٌ ، فلو ذكرتَها في الشعر ! فقال : أفعل ، فما اسمها ؟ قالت : نَفِيسة . فقال : [من الرجز]

نَفِيسَ يا قَتالةَ الأقْوامِ أقصدتِ قلبي منكِ بالسِّهامِ
وما يُصِيب القلبَ إلا رَامِ لو يعلم العلمَ أبو هشامِ
ساقَ إليها حاصِلَ الشامِ وجِزْيةَ الأهْوازِ كلَّ عامِ
وما سَقى النِّيلُ من الطعامِ إذ ضاقَ منها مَوْضِعُ الإدْغامِ
أجْثَمُ جاثٍ مُسْتَديرٌ حامِ يَعَضُّ في كَيْنٍ له تُوَامِ
عَضَّ النجاريّ على اللِّجامِ

فقالت : حسبك حسبك ؛ ووفد إلى الشام ، فلما رجَع سمِع الزَّمْر والجَلَبة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : نفيسة تزوجت .

[فهود عبد الملك بن بشر بن مروان]

قال أبو عمرو وذكر علي بن المِسْوَر بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعضُ الرُّواة وحدثني ابن أخت أبي النَّجْم : أن عبد الملك بن بِشْر بن مروان قال لأبي النَّجْم : صِفْ لي فُهُودي هذه . فقال : [من الرجز]

إنـا نَزَلْنا خيرَ مَنْزِلاتِ بينَ الحُمَيْراتِ المُبارَكاتِ
في لَحْمِ وحْشٍ وحُبارَياتِ وإن أرَدنا الصيدَ ذا اللَّذَّاتِ
جاءَ مُطيعاً لُمطاوِعاتِ عُلِّمنَ أو قد كنَّ عالِماتِ
فسَكَّنَ الطَّرْفَ بمُطْرِفاتِ تُريكَ آماقاً مخطَّطاتِ

[أقطعه الحجاج وادياً في بلاده]

ونسختُ من كتاب الخَراز عن المدائني عن عثمان بن حَفْص أن أبا النَّجْم مدَح الحجاجَ برجزٍ يقول فيه : [من الرجز]

وَيْـلُ اَمّ دُورِ عِزةٍ ومَجْدِ دُورِ ثَقيفٍ بسَواء نَجْـدِ

أهلُ الحصونِ والخيولِ الجُرْدِ

فأعجبَ الحجاجَ رَجَزُه وقال : ما حاجتك ؟ قال تُقْطعني ذا الجبنين . فوجَم لها وسكت ، ثم دعا كاتبَه فقال : انظر ذا الجبنين ما هو ؛ فإن ذا الأعرابي سألنيه لعله نهر من أنهار العراق . فسألوا عنه فقيل : واد في بلاد بني عِجْل أعلاه حَشَفةٌ وأسفلُه سَبَخَةٌ يخاصمه فيه بنو عم له . فقال : اكتبوا له به . قال : فأهلُه به إلى اليوم .

[ما أُخذ عليه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المَدِيني قال قال الأصمعي : أخطأ أبو النَّجْم في أشياء أُخِذَتْ عليه ، منها قوله : [من الرجز]

وهي على عَـذْبٍ رَوِيٍّ المَنْهلِ دَحْلِ أبي المِرْقالِ خيرِ الأَدْحُلِ

من نَحْتِ عادٍ في الزمانِ الأوّلِ

قال الأصمعي : الدَّحْل لا تُورِده الإبلُ إنما تُورَد الرَّكايا[1] . وقد عِيب بهذا وعِيب بقوله في البيت الذي يَلِيه : إن هذا الدَّحْلَ من نحت عاد . قال : والدُّحْلان لا تُحْفَر ولا تُنحَت ، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصِيبها الشمسُ ، فتَبْقى فيها المياه ؛ وهي هُوة في الأرض يَضِيق فَمُها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء .

قال الأصمعي : وقال يصف فرسه وقد أجراه في حَلْبة : [من الرجز]

تسبَح أُخـرْاهُ ويَطْفُـو أولُـهْ

قال الأصمعي : أخطأ في هذا ؛ لأنه إذا سبَح أُخراه كان حِمارُ الكُساح أسرعَ منه . قال الأصمعي : وحدثني أبي أنه رأى فرسه هذا فقوَّمه بسبعين درهماً . وإنما يُوصف الجواد بأنه تسبَحُ أُولاه وتَلْحَق رجلاه . قال : وخير عَدْو الذكور أن تُشْرِف ، وخيرُ عَدْو الإناث أن تَنْبَسِط وتَصْغى[2] كعَدْوِ الذئبِ .

1 الركايا : جمع ركية وهي البئر .

2 تصغى : تميل .

[163] ـ أخبار علية بنت المهدي ونسبها ونُتف من أحاديثها[1]

[أمها أم ولد]

عُلَيّة بنت المهدي أُمها أُم ولد مُغنيةٌ يقال لها مَكْنونة ، كانت من جواري المَروانية المغنية .

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القَدّاح حدثه قال : كانت مكنونة جاريةُ المروانية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، مغنّية ، وكانت أَحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهاً ، وكانت رَسْحاء[2] ، وكان بعض من يمازحها يعبَث بها فيصيح : طَسْت طَسْت . وكانت حَسَنة الصدر والبطن ، فكانت تُوضِح بهما وتقول : ولكن هذا ! فاشْتُرِيَتْ للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغَلَبتْ عليه ، حتى كانت الخَيزران تقول : ما مَلك امرأةٌ أغْلَظَ عليَّ منها . واستتر أمرُها عن المنصور حتى مات ، فولدتْ له عُلَيّةَ بنت المهدي .

[بعض صفاتها]

أخبرني عمّي قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن عمّه قال : كانت عليّة بنت المهدي من أحسن الناس وأظرفِهم تقول الشّعرَ الجيّد وتصوغ فيه الألحانَ الحسنةَ ، وكان بها عيب ، كان في جبينها فَضْلُ سَعَة حتى تسمج ، فاتخذت العصائب المكلَّلة بالجوهر لتستُر بها جبينها ، فأحدثتْ والله شيئاً ما رأيتُ فيما ابتَدَعَتْه النساء وأحدَثَتْه أحسنَ منه .

[كانت حسنة الدين]

أخبرني الحسين بن يحيى ووَكِيع قالا حدثنا حمَّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول : كانت عُلَيّة حَسَنَة الدِّين ، وكانت لا تغنّي ولا تشرَب النَّبيذ إلا إذا كانت معتزلةَ الصلاةِ ، فإذا طَهُرَتْ أقبلتْ على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، فلا تَلَذُّ بشيء غير قول الشعر في الأحيان ، إلا أن يدعُوَها الخليفةُ إلى شيء فلا تَقْدِر على خلافه . وكانت تقول : ما حرَّم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حَلَّل منه عِوَضاً ، فبأيِّ شيء يحتجُّ عاصيه والمُنتَهِكُ لحُرُماته ! . وكانت تقول : لا غفرَ الله لي فاحشةً ارتكبتُها قط ، ولا أقول في شعري إلا عبثا .

---

1 لعلية بنت المهدي ترجمة في فوات الوفيات 3 : 123–126 والنجوم الزاهرة 2 : 191 والدر المنثور : 349 وشذرات الذهب 1 : 311 ونزهة الجلساء : 80 وانظر أعلام الزركلي .

2 رسحاء : قليلة لحم العجز والرجلين .

[غناؤها]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكِنْدي قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع يقول: ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهدي وأختِه عُلَية، وكانت تُقدَّم عليه.

[شعرها في طَلّ]

أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكِندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال: كانت عليَّة تحب أن تُراسِل بالأشعار مَن تختصُّه، فاختصَّت خادماً يقال له «طَلّ» من خَدَم الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أياماً، فمَشَتْ على مِيزابٍ وحدثته وقالت في ذلك: [من الكامل]

قــد كان ما كُلِّفْتُــه زمنــاً ... يا طَلُّ من وَجْدٍ بكم يكفي
حتى أتيتكَ زائــراً عَجِـلاً ... أمشي على حَتْفٍ إلى حَتْفِ

فحلف عليها الرشيد ألا تكلِّم طَلاًّ ولا تسمِّيَه باسمه، فضمِنَتْ له ذلك. واستمع عليها يوماً وهي تَدْرُس آخرَ سورة البقرة حتى بلغتْ إلى قوله عز وجل: ﴿فإنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ﴾ وأرادتْ أن تقول: «فَطَلٌّ» فقالت: فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين. فدخل فقبَّل رأسَها وقال: قد وهبتُ لكِ طَلاًّ، ولا أمنعك بعد هذا من شيء تريدينه. ولها في طَلٍّ هذا عِدَّةُ أشعارٍ فيها لها صنعة. منها: [من الكامل]

صوت

يا ربِّ إني قد غَرِضْتُ بهجرِها ... فإليكَ أشكــو ذاكَ يا رَبَّاهْ[1]
مـولاةُ سَوْءٍ تستهـين بعبدها ... نِعْــمَ الغـلامُ وبئستِ المولاهْ
«طَلٌّ» ولكنــي حُرِمْتُ نعيمَه ... ووصالَــه إن لم يُغِثْنــي اللهْ
يا ربّ إن كانت حياتي هكذا ... ضراً عــليَّ فمــا أريــدُ حياهْ

الشعر والغناء لها خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وقد ذكر ابن خُرْداذْبه أن الشعر والغناء لنُبَيْهٍ الكوفي، وأنه هوِي جارية تُغَنِّي، فتعلَّم الغِناء من أجلها وقال الشعر، ولم يزل يتوصل إليها بذلك حتى صار مُقَدَّماً في المغنِّين، وأن هذا الشعر له فيها والصنعة أيضاً.

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأَسَدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ بن عُمَير عن

1 غرضت: ضقت.

أبيه قال : حُجِب طَلٌّ عن عُلية فقالت وصحَّفتِ اسمَه في أول بيت : [من الطويل]

أيــا سَرْوَةَ البستانِ طالَ تشوقي فهــلْ لي إلى ظِـلٍّ لديكِ سبيلُ
متى يلتقي مَنْ ليس يُقْضَى خروجُه وليس لمــن يَهْـوى إليـه دخولُ
عسى الله أن نرتاحَ من كُرْبَةٍ لنا فيَلْقــى اغتباطـاً خُـلَّــةٌ وخليلُ

عروضه من الطويل . الشعر والغناء لعليَّة خفيف رملٍ . كذا ذكر ميمون بن هارون ، وذكر عمرو بن بانة أنه لسَلْسل خفيف رملٍ بالوسطى . وأول الصوت :

متى يلتقي مَنْ ليس يُقْضى خروجُه

وذكر حبشٌ أنه للهذلي خفيف رمل بالبنصر .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطَّالقاني قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال : قالت عُليَّة في طلٍّ وصحَّفت اسمَه في هذا الشعر وغنَّت فيه : [من مجزوء الكامل]

صوت

سَلِّمْ على ذاك الغزالِ الأغيَدِ الحسنِ الدلالِ
سَلِّمْ عليــه وقُـلْ لـه يا غُــلَّ ألبابِ الرجالِ
خلَّيْتَ جسمي ضاحياً وسكنتَ في ظلِّ الحِجالِ
وبلغــتَ منـــي غايــةً لم أدرِ فيها مـا احتيالي

الشعر والغناء لعليَّة خفيف رمل . وذُكر غير هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة .

[شعرها في خادمها رشأ]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن علي بن عثمان الشِّطْرَنجي : أن عليَّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له «رشأ» وتكْني عنه . فمن شعرها فيه وكَنَتْ عنه بزينب : [من مجزوء الكامل]

صوت

وجَـــدَ الفـؤادُ بزينبا وَجْــداً شديـداً مُتْعِبا
أصبحتُ من كَلَفي بها أُدْعَــى سقيماً مُنْصَبا[1]

---

1 سقيماً في ل : شقياً .

ولقد كَنَيْتُ عن اسمها عمداً لكي لا تَغْضَبا
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً وكتمتُ أمراً مُعْجبا
قالتْ وقد عَزَّ الوصا لُ ولم أجِدْ لي مذهبا
واللهِ لا نلتَ المودّ ةَ أو تنالَ الكوكبا

هكذا ذكر ميمون بن هارون ، وروايتُه فيه عن المعروف بالشِّطْرَنْجي ولم يحصل ما رواه . وهذا الصوت شعرُه لابن رُهَيْمة المدني . والغِناء ليونس الكاتب ، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وهو من زَيانِب يونس المشهورات وقد ذكرته معها . والصحيح أن عُلَيَّة غنَّت فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى ، حكى ذلك ابن المكي عن أبيه ، وأخبرني به ذُكاء عن القاسم بن زُرْزُور .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجماز قال حدثني عبيدالله بن العباس الرَّبيعي قال : لما عُلِم من عُلية أنها تَكْني عن رشأ بزينب قالت : [من السريع]

صوت

القلبُ مشتاقٌ إلى رَيْبِ يا رَبِّ ما هذا من العيبِ
قد تَيَّمَتْ قلبي فلم أستطعْ إلا البكا يا عالِمَ الغيبِ
خبأتُ في شعري إسمَ الذي أردتُه كالخَبْءِ في الجيبِ

قال : وغَنَّت فيه لحناً من طريقة خفيف الرَّمَلِ الأول فصحَّفَتِ اسمَها في ريب .

[هجت طغيان جارية أم جعفر]

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طغيان ، فوشَتْ بعُليَّة إلى رشأ وحكَتْ عنها ما لم تقل ، فقالت عليَّة : [من الطويل]

لطُغْيانَ خُفٌّ مُذْ ثلاثين حِجَّةً جديدٌ فلا يَبْلى ولا يتخرَّقُ[1]
وكيفَ بِلَى خُفٍّ هو الدَّهْرَ كُلَّه على قدميها في الهواء مُعَلَّقُ
فما خَرَقَتْ خُفاً ولم تُبْلِ جَوْرَباً وأمَّا سَراويلاتُها فتُمزقُ

قال : وحلَفَ رَشَأ ألاّ يشرب النبيذ سنةً ، فقالت : [من السريع]

صوت

قد ثبتَ الخاتمُ في خِنصري إذ جاءني منكِ تَجَنِّيكِ

1 ثلاثين في ل : ثلاثون .

حَرَّمتُ شربَ الرَّاحِ إذ عِفْتِها ... فلستُ في شيءٍ أعاصيكِ
فلو تَطَوَّعتِ لعوَّضتني ... منه رُضابَ الرِّيقِ من فيكِ
فيالها عنديَ من نعمةٍ ... لستُ بها ما عشتُ أُجْزيكِ
يا زينباً قد أرَّقَتْ مُقْلتي ... أَمْتعني اللهُ بحُبِّيكِ

غَنَّتْ فيه علية هزجاً .

[غضب المعتصم من نسبة الشعر لها]

أخبرني جحظة ومحمد بن يحيى قالا حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني الحسن بن إبراهيم بن رَباح قال : قال لي محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي : كنت عند المعتصم وعنده مخارق وعلويه ومحمد بن الحارث وعَقِيد ، فتغنَّى عَقِيد وكنت أضرب عليه : [من الرمل]

صوت

نامَ عُذالي ولم أَنَمِ ... واشتفَى الواشونَ من سَقَمي
وإذا ما قلتُ بي أَلَمٌ ... شَكَّ مَنْ أهواه في أَلَمي

فطرِب المعتصم وقال : لمن هذا الشعر والغناء ؟ فأمسكوا . فقلت : لعليَّة ، فأعرض عني ، فعرفت غلَطي وأن القوم أمسكوا عَمْداً ، فقُطِع بي . وتبيَّن حالي ، فقال : لا تُرَعْ يا محمد ؛ فإن نصيبك فيها مِثل نصيبي . الغناء لعليَّة خفيف رمل . وقد قال قوم : إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطُّنْبوري مولى خزاعة ، وإن الشعر لخالد الكاتب .

[غنى بنان للمنتصر بلحن لها في شعر الرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال : كنا عند المنتصر ، فغناه بَنانٌ لحناً من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل : [من السريع]

صوت

يا رَبَّةَ المنزلِ بالبِرْكِ ... وربَّةَ السلطانِ والمُلْكِ[1]
تَحَرجي باللهِ من قتلنا ... لسنا من الدَّيْلَمِ والتُّركِ

فضحِكتُ . فقال لي : مِمَّ ضحِكتَ ؟ قلت : من شَرَفِ قائلِ هذا الشعر ، وشرفِ مَنْ عَمِل اللحن فيه ، وشرفِ مُستَمِعِه . قال : وما ذاك ؟ قلت : الشعرُ فيه للرشيد ، والغناء لعليَّة بنت المهدي . وأميرُ المؤمنين مستمعه . فأعجبه ذلك وما زال يستعيده .

1 بالبرك في ل : بالعرك .

[تنتحل لحناً لإسحاق]

حدثني إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخاً يحدث أبي وأنا غلام فحفِظتُ عنه ما حدثه به ولم أعرِف اسمَه ، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : عَمِلتُ في أيام الرشيد لحناً وهو : [من البسيط]

صوت

سقْياً لأرض إذا ما نِمْتُ نَبَّهني   بعـدَ الهدوِّ بهـا قَرْعُ النواقيسِ
كأنَّ سَوْسَنها في كلِّ شارقـةٍ   على الميادين أذنابُ الطواويسِ

قال : فأعجبني وعَمِلتُ على أن أُباكِر به الرشيد . فلقِيَني في طريقي خادم لعُلَيَّة بنت المهدي ، فقال : مولاتي تأمرك بدخول الدِّهليز لتسمع من بعض جواريها غِناءً أخذتْه عن أبيك وشكَّتْ فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أفردت لي كأنها كانت مُعدة ، فجلستُ ، وقُدم لي طعامٌ وشرابٌ فنِلت حاجتي منهما ، ثم خرج إليَّ خادم فقال لي : تقول لك مولاتي : أنا أعلم أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحْدَثٍ ، فأسمِعنيه ولك جائزةٌ سنية تتعجلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعله لا يأمر لك بشيء أوْ لا يقع الصوت منه بحيث توخَّيتَ ، فيذهب سعيُك باطلاً . فاندفعتُ فغنَّيْتُها إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتْ إليَّ عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم تزل تستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه مني الآن ؛ فغنته غِناءً ما خرَق سمعي مثلُه . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أَرَ مثله . قالت : يا فلانة أعيدي له مثل ما أخذ ؛ فأحضرت لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً . فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، أبدأ أتغنى به ، وأُخْبِر أنه من صنعتي . وأعطِي الله عهداً لئن نطقتَ أن لك فيه صنعةً لأقتلنك ؛ هذا إن نجوتَ منه إن علم بمصيرك إليَّ . فخرجتُ من عندها ووالله إني لكالموقن بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت ، فما جَسَرتُ والله بعد ذلك أن أتنغَّم به في نفسي فضلاً عن أن أُظهره حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون في أول مجلسٍ جلسه للهْو بعدَها ، فبدأتُ به أول ما غنَّيت . فتغيَّر لون المأمون وقال : من أين لك ويلك هذا ؟ ! قلت : وليَ الأمانُ على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدثتُه الحديث . فقال : يا بغيض ؛ فما كان في هذا من النفاسة حتى شهرتَه وذكرتَ هذا منه مع ما قد أخذتَه من العوض ؛ وهجَّنني فيه هُجْنَةً وَددتُ معهـا أني لم أذكره . فآليتُ ألاَّ أغنِّيه بعدها أبداً . الشعرُ في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النسائي ، وقيل : إنه لإسحاق ، والغناء لإسحاق لا شك فيه ولحنُه من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى . وذكر حبش أنه للهُذلي ، ولم يحصِّل ما قاله .

[طارحت أخاها إبراهيم الغناء]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عُلَيل العنزي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال قال لي يَنْشُو المغني حدثني أبو أحمد بن الرشيد قال : كنت يوماً عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عَمَّاي ، فجاء ياسر دخلة فسارّ المأمون . فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فانهض ، فنهض . فنظرتُ إلى ستر قد رُفِع مِمّا يلي دار الحُرَم ، فما كان بأسرع من أن سمعتُ شيئاً أقلقني . فنظر إليَّ المأمون وأنا أميل فقال لي : يا أبا أحمد ما لك تميل ؟ فقلت : إني سمعت شيئاً ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمَّتك عُلية تطارح عمك إبراهيم : [من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بي جافيهْ

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بي جافيهْ — لم تلتفتْ منّي إلى ناحيهْ
لا ينظرُ الناسُ إلى المُبْتَلى — وإنّما الناسُ مع العافيهْ
صَحْبي سَلُوا ربَّكُم العافيهْ — فقد دهتني بعدَكم داهيهْ
صارَمَني بعدَكم سيِّدي — فالعينُ من هِجرانِهِ باكيهْ

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنه لعليّة وأن اللحن لها خفيف رمل . وذُكر أنه لغيرها خفيف رمل مطلق ، ولحن عليّة مزمومٌ .

[هديتها للرشيد وأخيه منصور]

أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بِشراً المرثدي قال قالت لي رَيِّقُ : كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلتْ إليه خَلُوب (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءتان وتحيَّتان ، ومع خادم يتبعها عودٌ ، فغنتهما قائمة والكأسان في أيديهما والتحيتان بين أيديهما : [من السريع]

صوت

حيّاكما اللهُ خَلِيلَيّا — إنْ مَيِّتاً كنتُ وإن حيّا
إن قلتما خيراً فخيرٌ لكم — أو قلتما غَيّاً فلا غَيّا

فشربا . ثم دفعتْ إليهما رقعةً فإذا فيها : «صنعتُ يا سيدي أُختُكما هذا اللَّحنَ اليوم ، وألقتْه على الجواري ، واصطبحتُ فبعثتُ لكما به ، وبعثتُ من شرابي إليكما ومن تحياتي وأَحْذَق جواري لتغنِّيَكما . هنأكما الله وسرّكما وأطاب عيشَكما وعيشي بكما» .

[إبراهيم بن المهدي يغني لحناً لها]

أخبرني عمي قال حدثني بنحوٍ مِنْ هذا أبو عبد الله بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلَف العِجلي قال[1] : كنا مع المعتصم بالقاطول وكان إبراهيم بن المهدي في حَرَّاقته بالجانب الغربي ، وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في حَرَاقَتَيْهما بالجانب الشرقي . فدعاهما في يوم جمعة ، فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير ، عليَّ أقْبيةٌ ومِنطقةٌ . فلما دنونا من حَرَّاقة إبراهيم فرآنا نهض ونهضتْ بنهوضه صبية له يقال لها «غَضَّةٌ» وإذا في يديها كأسان وفي يده كأس . فلما صعِدا إليه اندفع فغنَّى : [من السريع]

حيَّـــاكما اللهُ خليليَّـــــا إنْ مَيِّتاً كنتُ وإن حيّـــا
إن قلتمـا خيراً فأهْلاً بـــه أو قلتمـا غَيّاً فـــلا غَيّـــا

ثم ناول كلَّ واحدٍ منهما كأساً ، وأخذ هو الكأسَ الثالث الذي في يد الجارية وقال : هلُمَّ نشرب على رِيقنا قدحاً . ثم دعا بالطعام فأكلنا ، ووُضِع النبيذُ فشربنا ، وغنياه وغناهما وضربا معه وضرب معهما ، وغنَّت الصبية ، فطرِب أبي وقال لها : أحسنتِ أحسنت . فقال له إبراهيم : إن كانت أحسنَتْ فخُذْها ، فما أخرجتُها إلا لك .

[استرضاؤها الرشيد لأم جعفر]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا أبو هِفان قال : أُهْدِيتْ إلى الرشيد جاريةٌ في غاية الجمال والكمال ، فخلا معها يوماً وأخرج كلَّ قينة في داره واصطبح ، فكان جميع من حضره من جواريه المغنِّيات والخَدَمة في الشراب زُهاء ألفَيْ جاريةٍ في أحسن زِيٍّ من كلِّ نوع من أنواع الثياب والجوهر . واتصل الخبر بأُمِّ جعفر فغلُظ عليها ذلك ، فأرسلت إلى عُليّة تشكو إليها . فأرسلت إليها عليّةُ : لا يَهُولَنكِ هذا ، فوالله لأردنه إليكِ ، قد عزمتُ أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جواري ، فلا تبقى عندك جاريةٌ إلا بعثت بها إليّ وألبسيهنَّ ألوانَ الثياب ليأخذنَ الصوتَ مع جواري ، ففعلتْ أُمُّ جعفر ما أمرتْها به عليّة . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعُليّة قد خرجت عليه من حُجرتها ، وأُم جعفر من حجرتها معها زهاء ألفَيْ جاريةٍ من

1 تقدم هذا الخبر بنصه وسنده في ترجمة إبراهيم بن المهدي ، ص 97 .

جواريها وسائر جواري القصر ، عليهن غرائب اللباس ، وكلهن في لحنٍ واحد هَزَجٍ صَنَعتْه عليّة : [من مجزوء الرجز]

صوت

منفصــلٌ عنّــي ومــا قلبــيَ عنــه منفصِلْ
يــا قاطعــي اليومَ لِمَنْ نويتَ بعدي أن تَصِلْ

فطرِب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أمَّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور ، وقال : لم أرَ كاليوم قط . يا مسرور لا تُبقِينَّ في بيت المال دِرهماً إلا نثرتَه . فكان مبلغ ما نثره يومئذٍ ستة آلاف ألف درهم ، وما سُمِع بمثل ذلك اليومِ قط .

[تحب لحن الرمل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال : كانت عُلَيَّة تقول : من لم يُطْرِبْه الرمل لم يُطربه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طَباهِجةٌ باردةٌ ولم يصطبح فعليه لعنةُ الله .

[طرب الإخوة]

حدثني عمي قال حدثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عَرِيبُ : أحسنُ يومٍ رأيته وأطيبُه يومٌ اجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب ، وكان أحذَق الناس بالزَّمْر . فبدأت عليّة فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمُر عليها : [من الطويل]

صوت

تَحَبَّبْ فــإن الحــبَّ داعيــةُ الحــبِّ وكم مِنْ بعيدِ الدارِ مستوجبُ القربِ

وغنى إبراهيم في صنعته وزمَر عليه يعقوب : [من البسيط]

صوت

يا واحــدَ الحُبِّ مالي منكَ إذ كَلِفتْ نفسي بحُبِّــكَ إلا الهــمُّ والحَــزَنُ[1]
لم يُنسِنِيــك سرورٌ لا ولا حَــزَنٌ وكيفَ لا كيفَ يُنْسى وجهُك الحَسَنُ
ولا خــلا منكَ قلبي لا ولا جَسَدي كُلِّــي بِكُلِّــكَ مشغــولٌ ومُرْتَهَنُ
نــورٌ تولَّــدَ مِن شمسٍ ومِــن قمرٍ حتــى تكامــلَ منــه الرُّوحُ والبَــدَنُ

فما سمعتُ مثلَ ما سمعته منهما قط ، وأعلم أني لا أسمع مثله أبداً .

1 واحدَ الحبِّ في ل : فردة الحسن .

[عدد أصواتها]

قال ميمون بن هارون قلت لعريب : رأيتُ في النوم كأني سألت عليّة بنت المهدي عن أغانيها فقالت لي : هي نَيِّفٌ وخمسون صوتاً . فقالت لي عَرِيب : هي كذلك . وقد أخبرني بنحو هذا الخبر عبد الله بن الربيع الرَّبيعي قال حدثني وسواسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثتني خِشْف الواضحية أنها تمارت هي وعريب في غِناء علية بحضرة المتوكل أو غيره من الخلفاء ، فقالت هي : هي ثلاثةٌ وسبعون صوتاً . فقالت عَريب : هي اثنتان وسبعون صوتاً . فقال المتوكل : غنِّيا غِناءها ، فلم تزالا تغنِّيان غناءها حتى مضى اثنان وسبعون صوتا ، ولم تذكر خشْف الثالثَ والسبعين فقُطِع بها واستولت عريب عليها وانكسرت . قالت : فلما كان الليل رأيتُ عليّة فيما يرى النائم فقالت : يا خِشْفُ خالفتْكِ عَرِيبُ في غِنائي ! قلت : نعم يا سيدتي . قالت : الصواب معكِ ، أفتدرِين ما الصوتُ الذي أُنْسِيتِه ؟ قلت : لا والله ! ولَوَدِدتُ أني فَدَيت ما جرى بكل ما أملك . قالت هو : [من الرمل]

صوت

بُنــيَ الحُبُّ على الجَــوْرِ فَلَوْ أَنْصفَ المعشوقُ فيــه لسَمُجْ
ليسَ يُسْتَحْسَنُ في حكم الهوى عاشقٌ يُحسنُ تأليــفَ الحُجَجْ
لا تَعِيبنْ مــن محبٍّ ذِلَّــةً ذلَّــةُ العاشقِ مِفتاحُ الفرجِ
وقليــلُ الحبِّ صِرْفــاً خالصاً لكَ خيرٌ مــن كثيرٍ قــد مُزِجْ

وكأنها قد اندفعت تغنِّيني به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غنَّتْه ، ولقد زادت لي فيه أشياء في نومي لم أكن أعرفها . فانتبهتُ وأنا لا أعقِل فرحاً به . فباكرتُ الخليفةَ وذكرتُ له القصة . فقالت عَريب : هذا شيء صنعتِه أنتِ لِما جرى بالأمسِ ، وأما الصوت فصحيح . فحلفتُ للخليفة بما رضي به أن القصة كما حَكَيْتُ . فقال : رؤياكِ والله أعجب ، ورحِم الله علية ! فما تركت ظَرَفَها حيَّة وميِّتة ، وأجازني جائزة سنِية . ولعليّة في هذا الصوت أعني : [من الرمل]

بُنِــيَ الحــبُّ على الجَــوْر فلوْ

لحنان : خفيف ثقيلٍ وهزج . وقيل إن الهَزَج لغيرها .

[الرشيد يمدح لحنين لها]

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني

بعض خَدَمِ السلطان عن مسرور الكبير ، ونسختُ هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابنِ الفيرزان ، وفيهما خلاف يذكر في موضعه ، قال : اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً ، فركِب حماراً يقرب من الأرض ، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعي بين يديه ، وخرج من داره ، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم . فلما أحسَّ به استقبله وقبَّلَ رجليه . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مَضَوْا ، ورأى عيداناً كثيرةً ، فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافع . فقال : ويلَك ! اصدُقْني . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظريفتين ، وكانت الجاريتان لعلية بنتِ المهدي بعثت بهما يطرَح عليهما . فقال الرشيد لإحداهما : غني ، فغنتْ ، وهذا كله من رواية محمد بن طاهر : [من الرمل]

بُنــيَ الحُــبُّ على الجَوْرِ فلـوْ ... أُنْصفَ المعشوقُ فيـه لسَمُجْ
ليس يُستحسنُ في حكم الهوى ... عاشقٌ يُحسِنُ تأليـفَ الحُجَجْ
لا تَعِيبَـن مـن محـبٍّ ذِلـةً ... ذِلَّـةُ العاشقِ مِفتـاحُ الفَرَجْ
وقليـلُ الحـبِّ صرفاً خالصاً ... لكَ خيرٌ مـن كثيرٍ قـد مُزِجْ

فأحسنتْ جداً . فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن هذا الشعر ؟ ما أملحه ! ولمن اللحن ؟ ما أظرفه ! فقال : لا عِلم لي . فقال للجارية ، فقالت : لستِّي . قال : ومَن ستُّكِ ؟ قالت : عليّة أختُ أميرِ المؤمنين . قال : الشعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسَه إلى الأُخرى فقال : غني ؛ فغنَّتْ : [من الطويل]

صوت

تَحَبَّبْ فــإنَّ الحــبَّ داعيــةُ الحبِّ ... وكم من بعيدِ الدارِ مستوجبُ القربِ
تَبَصَّرْ فإن حُدِّثــتَ أن أخــا هوى ... نجا سالِماً فارجُ النَّجاةَ مــن الحبِّ
إذا لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ ولا رِضاً ... فأيــنَ حــلاواتُ الرسائــلِ والكُتْبِ

الغناء لعليّة خفيف ثقيلٍ . وفي كتاب علويه : الغناء له ، فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر ؛ فقال : لا عِلم لي يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن ؟ فقالت لستِي . قال : ومَن ستُّكِ ؟ فقالت : عليّة أختُ أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . ومضى فركِب حِماره وانصرف إلى عليّة . هذا كله في رواية محمد بن طاهر ، ولم يذكره محمد بن الحسن ، ولكنه قال في خبره : إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً ، وكان سببها أنه انتبه في نصف الليل فقال : هاتوا حِماري فأُتِي بحمارٍ كان له أَسْوَدَ يركبه في

القصر قريبٍ من الأرض ، فركبه وخرج في دُرَّاعةٍ وشي متلثّماً بعمامة وشيٍ مُلْتَحِفاً برداء وشيٍ ، وخرج بين يديه أربعمائة خادم أبيض سوى الفراشين . وكان مسرور الفَرْغاني جريئاً عليه لمكانته عنده ، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزِلَ الموصلي . قال مسرور : فمضى ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ، فتلقّاه وقبّل حافرَ حِماره وقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، أفي مثل هذه الساعة تظهر ؟! قال : نعم شوقٌ طرَق بي . ثم نزل فجلس في طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : يا سيدي أتنشَط لشيءٍ تأكله ؟ قال : نعم ، وما هو ، قال : خاميزُ[1] ظبيٍ . فأتي به كأنما كان مُعَداً له فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشرابٍ كان حُمِل معه . فقال له إبراهيم الموصلي : أؤغنّيك يا سيِّدي أم يغنّيك إماؤك ؟ فقال : بل الجواري . فخرج جواري إبراهيم فأخذْنَ صَدْرَ الإيوان وجانبيه . فقال : أيَضْرِبْنَ كلُّهن أم واحدةٌ واحدةٌ ؟ فقال : بل تَضْرِب اثنتان اثنتان وتغنّي واحدةٌ فواحدةٌ . ففعلن ذلك حتى مَرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيد يسمع ولا ينشط لشيءٍ من غِنائهن ، إلى أن غنَّتْ صبيةٌ من حاشية الصفِّ : [من البسيط]

صوت

يا مُورِيَ الزَّنْدِ قد أعيتْ قوادحُه اقْبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمِقْباسِ
مـا أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجَهم إذا نظـرتُ فلم أُبْصِرْك في الناسِ

فطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً ، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكتْ ، فاستدناها فتقاعست . فأمر بها فأُقيمت إليه ، فأخبرته بشيءٍ أسرَّته إليه . فدعا بحماره فانصرف والتفتَ إلى إبراهيم فقال : ما عليك ألا تكونَ خليفةً ! فكادت نفسُه تخرُج ، حتى دعا به بعدُ وأدناه . هذا نظمُ رواية محمد بن الحسن في خبره . وقال محمد بن طاهر في خبره : فقال للموصلي : احتفظ بالجاريتين ، وركِب من ساعته إلى عليّة فقال : قد أحببتُ أن أشربَ عندكِ اليومَ . فتقدَّمتْ فيما تُصْلِحُه ، وأخذا في شأنهما . فلما أن كان في آخر الوقت حمل عليها بالنبيذ ، ثم أخذ العودَ من حِجر جارية فدفعه إليها ، فأكبرتْ ذلك . فقال : وتُربة المهدي لَتُغَنِّنَّ ! . قالت : وما أُغنّي ؟ قال : غنّي : [من الرمل]

بُنِيَ الحـــبُّ على الجَـوْرِ فلوْ

1 الخاميز : مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن .

فعلمت أنه قد وقف على القصة فغنّته . فلما أتت عليه قال لها غنّي : [من الطويل]

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيــةُ الحبِّ

فلَجْلَجَتْ ثم غنته . فقام وقبّل رأسَها وقال : يا سيِّدتي هذا عندكِ ولا أعلم ! وتمَّمَ يومَه معها .

[تذهل جاريتها أخاها إبراهيم]

حدثني جحظة قال حدثني أبو العَنْبَس بن حمدون قال قال إبراهيم بن المهدي : ما خَجلتُ قَطُّ خَجْلَتي من علية أختي . دخلتُ عليها يوماً عائداً فقلت : كيف أنت يا أُختي جُعِلْتُ فِداءك وكيف حالُك وجسمُك ؟ فقالت : بخير والحمد لله . ووقعتْ عيني على جارية كانت تَذُبُّ عنها فتشاغلتُ بالنظر إليها فأعجبتني وطال جلوسي ، ثم استحيَيْتُ من عليّة فأقبلتُ عليها فقلت : وكيف أنتِ يا أُختي جُعِلْتُ فِداءك وكيف حالُك وجسمُك ؟ فرفعتْ رأسَها إلى حاضنةٍ لها وقالت : أليس هذا قد مضى مرة وأجبنا عنه ؟ فخجِلتُ خَجَلاً ما خَجِلتُ مِثْلَه قَطُّ ، وقمتُ وانصرفتُ .

[جعفر يسمع غناءها عند الرشيد]

أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال : شَهِدتُ أبي جعفراً وأنا صغيرٌ وهو يحدث يحيى بن خالد جدي في بعض ما كان يخبره به من خَلَواته مع الرشيد ، قال : يا أبتِ ، أخذ بيدي أمير المؤمنين ثم أقبل على حُجرة يخترقها حتى انتهى إلى حُجْرة مغلقة ففُتِحتْ له ، ثم رجع مَن كان معنا من الخدَم ، ثم صرنا إلى حُجْرة مغلقة ففتحها بيده ودخلنا جميعاً وأغلقها من داخلٍ بيده ، ثم صرنا إلى رِواقٍ ففتحه وفي صدره مجلس مغلق فقعَد على باب المجلس ، فنقَر هارون الباب بيده نَقَراتٍ فسمِعنا حساً ، ثم أعاد النَّقْرَ فسمِعنا صوتَ عود ، ثم أعاد النَّقْر ثالثةً فغنَّتْ جاريةٌ ما ظننت والله أن الله خلَق مِثْلَها في حُسْن الغِناء وجودة الضَّرب . فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنَّتْ أصواتاً : غنِّي صوتي ، فغنَّتْ صوتَه ، وهو : [من الكامل]

صوت

ومُخَنَّثٍ شَهِد الزِّفـافَ وقَبْلَه غَنَّى الجواريَ حاسراً ومُنَقِّبا
لِبس الدَّلالَ وقــامَ يَنْقُر دُفَّهُ نَقْراً أقــرَّ بــه العيــونَ وأطْرَبا
إنَّ النساءَ رأينــه فعشِقْنَــه فشكونَ شدّةَ ما بهنَّ فأكذبا

في هذا اللحن خفيفُ رملٍ نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج ولم يصح له ، وفيه حفيف ثقيل في كتاب عليّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لرَيِّقَ . واللَّحن مأخوذٌ من : [من الكامل]

إنَّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ

وهو خفيف ثقيلٍ للهُذَلي ، ويقال إنه لابن سريج ، وهو يأتي في موضع آخر ، قال : فطرِبتُ والله طرباً هممتُ معه أن أنطح برأسي الحائطَ . ثم قال غَنِّي : [من المديد]

طـــال تكذيبـي وتصديقي

فغنَّت : [من المديد]

صوت

طالَ تكذيبي وتصديقي   لم أَجِـدْ عهــداً لمخلوقِ
إنَّ ناساً في الهوى غَدَروا   أحدثــوا نَقْضَ المــواثيقِ
لا تَـراني بعدَهــم أبـداً   أشتكـي عِشقــاً لمعشوقِ

لحنُ عليّة في هذا الصوت هزج . والشعر لأبي جعفر محمد بن حُمَيد الطُّوسي وله فيه لحنٌ خفيف ثقيلٍ . ولعَرِيبَ فيه ثقيلٌ أول وخفيفُ ثقيل آخر ، قال : فرقَص الرشيد ورقصتُ معه ، ثم قال : امْضِ بنا فإني أخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا ، فمضَيْنا . فلما صرنا إلى الدِّهليز قال وهو قابض على يدي : أعرفتَ هذه المرأة ؟ قال قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتُم ذلك ، وأنا أُخبرك أنها عُلَيَّة بنتُ المهدي . ووالله لئن لَفَظْتَ به بين يَدَيْ أحدٍ وبلغني لأقتلنك . قال : فسمِعتُ جدي يقول له : فقد والله لفظتَ به ، ووالله ليقتلنَّك ! فاصنعْ ما أنت صانع .

نسبة الصوت الذي أُخذ منه :

[من الكامل]

ومُخَنَّثٍ شهِدَ الزِّفــافَ وقَبْلَه

صوت

[من الكامل]

إنَّ الرجــالَ لهــم إليــكِ وسيلةٌ   إن يأخــذوكِ تَكَحَّلي وتَخَضَّبي
وأنــا امـرؤٌ إن يأخذوني عَنْـوةً   أُقْـرَنْ إلى سَيْرِ الرِّكابِ وأُجْنَبِ

ويكونُ مركبُكَ القَعودَ وحِدْجَه ... وابنُ النَّعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبي[1]

الناس يَرْوون هذه الأبيات لعنترة بن شَداد العَبْسي ، وذكر الجاحظ أنها لخُزَزَ بن لَوْذان ، وهو الصحيح . وخُزَزُ شاعرٌ قديم يقال إنه قبل امرىء القيس . وقد اختُلِف في معنى قوله «ابن النعامة» فقال أبو عبيدة والأصمعي : النعامة فرسُه وابنُها ظِلُّها . يقول : أُقاد في الهاجرة إلى جَنْبها فيكون ظِلِّي كالراكب لظِلِّها . وقال أبو عمرو الشَّيْباني : ابن النَّعامة مُقَدَّم رِجْله مما يَلي الأصابع . يقول : فلا يكون لي مركبٌ إلا رِجلي . وقال خالد بن كلثوم : ابن النعامة الخشبة التي يُصْلَب عليها . يقول : أُقْتَلُ وأُصْلَبُ فتكون الخشبة مركبي . واحتجَّ مَن ذكر أنه يَعني ظلَّ فرسه وأنه يكون كالراكب له بقول الشاعر[2] : [من الكامل]

إذ ظَلَّ يحسَبُ كلَّ شيءٍ فارساً ... ويَرى نعامةَ ظِلِّه فيَحُولُ

قال : وابن النعامة : ظِلُّ كلِّ شيء . وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره في موضع آخر .

[مزيد من غنائها للرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلَّبي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال : زار الرشيد عليَّة فقال لها : بالله يا أُختي غَنِّيني . فقالت : وحياتِك لأعملنَّ فيك شعراً ولأعملنَّ فيه لحناً ، فقالت من وقتها : [من الكامل]

صوت

تَفدِيك أُختُك قد حَبَوْتَ بنعمةٍ ... لسنا نَعُدُّ لها الزمانَ عديلا

إلاَّ الخلودَ ، وذاك قربُك سيِّدي ... لا زالَ قربُك والبقاءُ طويلا

وحَمِدتُ ربِّي في إجابةِ دعوتي ... فرأيتُ حمدي عندَ ذاكَ قليلا

وعَمِلتْ فيه لحناً من وقتها في طريقة خفيف الرَّمل ، فأطربَ الرشيد وشرب عليه بقيَّة يومه .

قال : وقالت للرشيد أيضاً وقد طلب أختَها ولم يطلبها .

صوت

[من البسيط]

ما لي نُسِيتُ وقد نُودِي بأصحابي ... وكنتُ والذِّكْرُ عندي رائحٌ غادي

---

1 القعود : ما يخصص للركوب من الإبل . الحدج : من مراكب النساء .

2 البيت لجرير ، ص 382 (طبعة دار صادر) .

أنـا التي لا أطيقُ الدَّهرَ فُرْقَتَكم فَرِقٌ لي يا أخي مـن طولِ إبعادِ

قال : وغنّت فيه لحناً من الثقيل الثاني ، وبعثت مَن غناه للرشيد ، فبعث فأحضرها .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني زُرْزُور الكبير غلام جعفر بن موسى الهادي : أن عليّة حجَّتْ في أيام الرشيد ، فلما انصرفتْ أقامت بطِيزَناباذَ[1] أياماً ، فانتهى ذلك إلى الرشيد فغضِب . فقالت علية : [من الخفيف]

صوت

أيُّ ذنـبٍ أذنبتُـه أيُّ ذنبٍ أيُّ ذنبٍ لـولا رجائي لربِّي
بمُقامـي بطِيزَنابـاذَ يومـاً بعـدَه ليلـةٌ على غيرِ شُرْبِ
ثـم باكرتُهـا عُقاراً شَمُولاً تَفْتِـنُ الناسِكَ الحليمَ وتُصْبي
قَرْقَفاً قهـوةً تراهـا جَهُولاً ذاتَ حِلْمٍ فَرَّاجَـةً كلَّ كَرْبِ

قال : وصنعتْ في البيتين الأولين لحناً من خفيف الثقيل ، وفي البيتين الأخيرين لحناً من الرمل . فلما جاءت وسمِع الشعر واللحنين رضي عنها .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال : اشتاق الرشيد إلى عمتي عليّة بالرَّقة ، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها . فقالت في طريقها : [من البسيط]

صوت

اشْرَبْ وغَنِّ على صوتِ النَّواعِيرِ مـا كنتُ أعرِفها لولا ابنُ منصورِ
لـولا الرجاءُ لمـن أمَّلتُ رُؤْيَتَه ما جُزْتُ بغدادَ في خوفٍ وتغريرِ

وعَمِلتْ فيه لحناً في طريقة الثقيل الأول .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا الهِشامي أبو عبد الله قال : لما خرج الرشيد إلى الرَّي أخذ أُخته عُليّة معه . فلما صار بالمَرْج عمِلتْ شعراً وصاغت فيه لحناً في طريقة الرمل وغنت به ، وهو : [من الطويل]

صوت

ومُغْتَرِبٍ بالمَـرْجِ يَبْكي لِشَجْوِهِ وقد غابَ عنه المُسعِدون على الحبِّ

---

1 طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .

إذا ما أتاه الرَّكْبُ مِن نَحوِ أرضِه   تنشَّق يَسْتشفي برائحـةِ الرَّكْبِ

فلما سمِع الصَّوت علِم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلِها به فردها .

ونسختُ من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعضُ موالي أبي عيسى بن الرشيد عن أبي عيسى : أن عليّة غَنَّتِ الرشيد في يوم فِطر : [من البسيط]

صوت

طالتْ عليَّ ليالي الصَّومِ واتصلتْ   حتى لقد خِلتُها زادتْ على الأَبَدِ

شوقاً إلى مجلس يُزْهَـى بصاحبهِ   أُعِيـذُه بجـلالِ الواحـدِ الصَّمَدِ

الغناء لعلية ثاني ثقيل لا يُشَكّ فيه ، وذكر بعضُ الناس أنه للواثق ، وذكر آخرون أنه لعبد الله بن العباس الربيعي . والصحيح أنه لعلية . وفيه لعريب ثقيلٌ أول غنَّته المعتمد يوم فِطْر فأمر لها بثلاثين ألف درهم .

[ضربت وكيلها وحبسته لخيانته]

وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجَهم قال : كان لعلية وكيل يقال له سِباعٌ ، فوقفتْ على خيانته فضربته وحبسته ، فاجتمع جيرانه إليها فعرفوها جميلَ مذهبه وكثرة صِدْقه[1] ، وكتبوا بذلك رقعة ، فوقعتْ فيها : [من الطويل]

أَلا أَيُّهَذا الراكبُ العِيسَ بَلِّغَنْ   سِباعاً وقُلْ إن ضَمَّ دارَكم السَّفْرُ

أَتَسْلُبني مـالي وإنْ جـاءَ سائـلٌ   رَقَقْتَ لـه أَنْ حطَّه نحوَكَ الفقرُ

كشافيةِ المَرْضَى بعائـدةِ الزِّنـا   تؤمِّل أجـراً حيثُ ليس لهـا أجرُ

[تركت الغناء لموت الرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثتني عَلَمُ السَّمراءِ جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شَهِدَتْ عُليَّة غَنَّت الأمين في شعر لها ، وهو آخر شعر قالته فيه ، وطريقته من الثقيل الثاني . وكانت لما مات الرشيد جَزِعتْ جَزَعاً شديداً وتركت النَّبيذَ والغِناء . فلم يزل بها الأمينُ حتى عادت فيهما على كرهٍ . والشعر : [من البسيط]

صوت

أَطَلْـتِ عاذِلَتـي لَوْمـي وتَفْنِيدي   وأنـتِ جاهلةٌ شوقي وتَسْهِيدي

---

1 ل : صدقته .

لا تَشْرَبِ الرَّاحَ بين المُسْمِعاتِ وزُرْ ظَبْياً غَرِيراً نَقيَّ الخدِّ والجِيدِ
قد رنَّحتْه شَمُولٌ فَهْوَ مُنْجَدِلٌ يَحْكِي بوجنته ماءَ العناقيدِ
قامَ الأمينُ فأغْنى الناسَ كلَّهمُ فما فقيرٌ على حالٍ بموجودِ

لحن علية في هذا الشعر ثاني ثقيل . ولعريب فيه هزج ، وقيل إنَّ الهَزج لإبراهيم بن المهدي .

[شعرها في لبانة بنت أخيها]

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثتني عريب أن علية قالت في لبانة بنتِ أخيها علي بن المهدي شعراً وغنَّت فيه من الثقيل الأول : [من الطويل]

صوت

وحدثني عن مجلسٍ كنتِ زَيْنَه رسولٌ أمينٌ والنساءُ شُهودُ
فقلتُ له كُرَّ الحديثَ الذي مَضى وذِكْرَكِ مِن ذاك الحديث أُريدُ

وقد ذكر الهشامي أن هذا اللحن لإسحاق غنَّاه بالرَّقَّة . وليس ذلك بصحيح .

[أذهلت إسماعيل بن الهادي بغنائها]

أخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد . ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد واللفظُ له قال : دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون ، فسَمِع غِناءً أذهله . فقال له المأمون : مالَكَ ؟ قال : قد سَمِعتُ ما أذهلني ، وكنتُ أُكذِّب بأن الأُرْغن الرُّومي يقتُل طرباً ، وقد صدقتُ الآن بذلك . قال : أَوَ لا تَدْرِي ما هذا ؟ قال : لا والله ! قال : هذه عَمَّتُك عليّة تُلقي على عمِّك إبراهيمَ صوتاً من غِنائها . إلى هاهنا رواية محمد بن يحيى . وفي رواية محمد بن الحسن قال : هذه عمَّتُك تُلقي على عَمِّك إبراهيم صوتاً استحسنه من غنائها . فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقي عليه : [من الخفيف]

صوت

ليس خَطْبُ الهوى بخطبٍ يسيرِ ليس يُنْبِيكَ عنه مِثْلُ خبيرِ
ليس أمرُ الهوى يُدَبَّر بالرأ ي ولا بالقياسِ والتفكيرِ

اللَّحنُ في هذا لعليّة ثقيل أوَّل . وفيه لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل عن الهشامي .

[وفاتها]

أخبرني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه : أن عليّة بنت المهدي وُلِدتْ سنة ستين ومائة ، وتُوفِّيتْ سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وأخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد قال حدثني محمد بن علي بن عثمان قال : ماتت علية سنة تسع ومائتين ، وصلى عليها المأمون . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمَّها إليه وجعل يقبِّل رأسها ، وكان وجهُها مُغطىً ، فشَرِقت من ذلك وسعَلتْ ثم حُمَّتْ بعَقِب هذا أياماً يسيرةً وماتت .

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد

فمن صنعته : [من مجزوء الرجز]

صوت

قام بقلبي وقَعَدْ ظبيٌ نَفى عنّي الجَلَدْ
خلَّفني مُدَلَّها أهيمُ في كلِّ بَلَدْ
أسْهَرني ثم رَقَدْ وما رثى لي من كَمَدْ
ظبيٌ إذا ازددتُ له تذلُّلاً تاه وصَدّ
واعَطَشا إلى فَمٍ يَمُجُّ خمراً من بَرَدْ

عروضه من مجزوء الرَّجَز . والشعر والغِناء لأبي عيسى بن الرشيد ، ولحنُه فيه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبد الله بن المعتز والهشامي . وذكر الهشامي أن له أيضاً فيه لحناً من ثقيل الرمل ، وذكر حبشٌ أن الرمَل لحسين بن مُحْرِز . وفيه لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ .

[164] ـ أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

[شيء من أوصافه]

اسمه أحمد ، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد . وهذا النَّسبُ أشهرُ من أن يُشْرَح[1] . وأُمُّه أُمُّ ولدٍ بَرَبَرِيَّة . وكان من أحسنِ الناس وجهاً ومجالسة وعِشرة ، وأمجنهم وأحدّهم نادرةً وأشدهم عَبَثاً . وكان يقول شعراً ليِّناً طيِّباً من مثْله .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول : سمعتُ أبي (يعني طاهر بن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للمأمون : أنت تعلم أنك أحبُّ الناس إليَّ ، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيِّح بن حاتم العُكْلي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال : كان يقال : انتهى جمالُ وَلَد الخلافة إلى أولاد الرشيد ، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى . وكان أبو عيسى إذا عزَم على الركوب جلس الناس له حتى يَرَوه أكثر مما يجلسون للخلفاء .

[مدحت عريب حسنه وغناءه]

حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بَنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال : كنتُ عند أبي الصَّقْر إسماعيلَ بن بُلْبُل وعنده عَرِيب ، فسمعتُها تقول : انتهى جمالُ الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى ، ما رأى الناس مثلهما ، وكان المعتز في طِرازهما . قال : وسمعتُها تقول لأبي العباس بن حمدون : ما غناؤك من غِناء أبي عيسى بن الرشيد ! وما سمِعتُ قطُّ غِناءً أحسنَ من غنائه ، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه .

[عجب الرشيد من جواب له في صباه]

أخبرني محمد قال حدثني الغَلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال : قال الرشيد لأبي عيسى ابنه وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله (يعني المأمون) . فقال له : على أن حظَّه منك لي . فعجِب من جوابه على صِباه وضمَّه إليه وقبَّله .

---

1 ل : ينمى .

[سخط من رؤية هلال شهر رمضان]

وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال : حدثني مَن شَهِد المأمونَ ليلةً وهم يتراءوْن هلالَ شهرِ رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه ، فرأوْه وجعلوا يَدْعُون . فقال أبو عيسى قولاً أُنكِر عليه في ذلك المعنى . كأنه كان متسخِّطاً لورود الشهر ، فما صام بعده .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فَهم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد : [من الطويل]

دهانيَ شهرُ الصَّومِ لا كان من شهرِ   وما صُمْتُ شهراً بعدَه آخِرَ الدَّهرِ
فلو كان يُعْدِيني الإمامُ بقُدْرةٍ   على الشهرِ لاَستعدَيْتُ جهدي على الشَّهرِ

فناله بعقب قوله هذا الشعر صَرْعٌ ، فكان يُصْرَع في اليوم مرَّاتٍ إلى أن مات ، ولم يبلغ شهراً آخر .

[رأي إبراهيم بن المهدي في غنائه]

وذكر علي بن الهشامي عن جده ابن حمدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدي : مَن أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم مَن ؟ قال : أبو عيسى بن الرشيد . قلت : ثم مَن ؟ قال : مُخارق .

[عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْدي[1] قال : كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون ، فأخذ أبو عيسى هِندَباءةً فغمَسها في الخلِّ وضرب بها عينَ طاهر الصحيحة . فغضِب طاهرٌ وشَقَّ ذلك عليه وقال : يا أمير المؤمنين إحدى عَيْنَيَّ ذاهبةٌ ، والأُخرى على يَدَيْ عَدْل ، يُفْعَل هذا بي بين يديك ؟! فقال له المأمون : يا أبا الطَّيِّب إنه والله لَيَعْبَث بي أكثر من هذا العَبَث .

[يُضحك المأمون وهو يخطب يوم الجمعة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبو عيسى بن علي بن عيسى بن ماهان قال : بينا المأمونُ يخطُب يومَ الجمعة على المِنبر

1 نسبة إلى صعدة في اليمن .

بالرصافة وأخوه أبو عيسى تِلْقاءَ وجهِهِ في المقصورة ، إذ أقبل يعقوب بن المهدي وكان أفسى الناس ، معروفاً بذلك . فلما أقبل وضع أبو عيسى كمَّه على أنفه ، وفَهِم المأمونُ ما أراد فكاد أن يضحَك . فلما انصرف بعَث إلى أبي عيسى فأحضره وقال له : والله لهمَمْتُ أن أبطحك فأضربك مائةَ دِرة ! ويْلَكَ ! أردتَ أن تفضَحني بين أيدي الناس يوم الجمعة وأنا على المنبر ؟ إياك أن تعود لمثلِ هذه ! . قال : وكان يعقوب بن المهدي لا يقدِر أن يُمْسك الفُساء إذ جاءه . فاتخذت له دايةٌ مُثَلَّثةً وطيَّبتْها وتنوَّقتْ فيها . فلما وضعتْها تحتَه فَسا ، فقال : هذه ليست بطيِّبة . فقالت له الداية : فديتُك ؛ هذه قد كانت طيِّبة وهي مثلثة ، فلما ربَّعتها فسدتْ . قال : وكان يعقوب هذا مُحمَّقاً ، كان يخطُر بباله الشيءُ فيشتهيه فيُثْبِتهُ في إحصاء خزائنه . فضَجَّ خازنُه من ذلك ، فكان يُثْبِتُ الشيءَ ثم يثبتُ تحتَه أنه ليس عنده ، وإنما أثبته ليكون ذكرُه عنده إلى أن يملِكه . فوُجِد في دفتر له فيه ثَبَتُ ثياب : «ثَبَتُ ما في الخزانة من الثِّياب المثقَّلة الإسكندرانية والهِشامية ، لا شيء ، أستغفر اللهَ ، بل عندنا منها زرحية كانت للمهدي . الفصوص الياقوت الأحمر التي من حالها كذا وكذا لا شيء ، أستغفر الله ، بل عندنا منها دُرْجٌ كان فيه للمهدي خاتَمٌ هذه صفتُه» . فحُمِل ذلك الدفتر إلى المأمون ، فضحِك لما قرأه حتى فحَص برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قَط ! .

[كان المأمون يحبه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلَّبي قال حدثني الهيثم بن محمد بن عباد عن أبيه قال : كان المأمون أشد الناس حباً لأبي عيسى أخيه ، كان يُعِدُّه للأمر بعدَه ، وتذاكرنا ذلك كثيراً . وسمعتُه يقول يوماً : إنه ليَسْهُل عليَّ أمرُ الموت وفَقْدُ المُلك ، وما يسهل شيء منهما على أحد ، وذلك لمحبتي أن يَلِيَ أبو عيسى الأمرَ من بعدي لشدة حُبِّي إياه .

[محبته صيد الخنازير]

أخبرني محمد بن علي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير ، فوقع عن دابَّته فلم يَسلَم دماغُه ، فكان يتخبط في اليوم مَرَّاتٍ إلى أن مات .

[تعزية محمد بن عباد المأمون فيه]

حدثني محمد قال حدثنا أبو العَيناء قال حدثنا محمد بن عباد المهلبي قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلتُ إلى المأمون وعِمامتي عليَّ ، فخلعت عِمامتي ونبذتُها وراءَ ظهري ، والخلفاء لا تُعَزَّى في العمائم ، ودنوتُ . فقال لي : يا محمد ، حال القَدَرُ دون الوَطَر[1] .

1 قريب من المثل «حال الأجل دون الأمل» في مجمع الميداني 1 : 204 .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مصيبةٍ أخطأتك تهون ، فجعل الله الحزنَ لك لا عليك .

[وفاته]

أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هِبة الله بن إبراهيم يقول : مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين ، وصلّى عليه المأمون ونزل في قبره ، وامتنع من الطعام أياماً حتى خاف أن يَضُرَّ ذلك به .

[حزن المأمون عليه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو العيناء قال سمعت محمد بن عَبَاد يقول : لما توفي أبو عيسى بن الرشيد وجدَ المأمون عليه وَجْداً شديداً ، وكان له مُحِباً وإليه مائلاً . فركِب إلى داره حتى حضر أمرَه وصلَّى عليه ، وحضره الناس ، وكنتُ فيمن حضَر ، فما رأيتُ مُصاباً حزيناً قط أجمل أمراً في مُصيبةٍ ولا أُحْرَقَ وجداً منه من رجل صامت تجري دموعُه على خديه من غير كلح ولا استِنْثارٍ[1] .

[بكاء المأمون عليه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبي قال قال أحمد بن أبي دُواد : دخلتُ على المأمون في أول صحبتي إياه وقد تُوفِّيَ أخوه أبو عيسى وكان له محباً وهو يَبكِي ويَمْسَح عينيه بمِنديل ، فقَعَدتُ إلى جنب عمرو بن مَسعدَةَ وتمثَّلتُ قول الشاعر : [من السريع]

نَقْصٌ من الدنيا وأسبابِها   نقصُ المنايا من بني هاشم

ولم يزل على تلك الحال ساعة يبكي ، ثم مسح عينيه وتمثل : [من الطويل]

سأبكيك ما فاضتْ دموعي فإن تَغِضْ   فحسبُك مني ما تُجِنُّ الجوانحُ
كأنْ لم يَمُتْ حيٌّ سِواك ولم تَقُمْ   على أحدٍ إلا عليكَ النوائحُ

ثم التفت إليَّ فقال : هِيه يا أحمد ! فتمثَّلتُ قولَ عبدة بن الطَّبيب : [من الطويل]

عليكَ سلامُ اللهِ قَيسُ بنَ عاصمٍ   ورحمتُه ما شاءَ أن يترحَّما
تحيَّةَ مَنْ أُولَيْتَه منكَ نعمةً   إذا زارَ عن شَحْطٍ بلادَك سلَّما
وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ   ولكنّه بنيانُ قومٍ تهدَّما

فبكى ساعةً ثم التفتَ إلى عمرو بن مسعدة فقال : هِيهِ يا عمرو ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين : [من الكامل]

1 كلح : يقال : كلح وجه الرجل أي تكشر في عبوس . والاستنثار : إخراج ما في الأنف .

بَكُّوا حُذَيْفَةَ لم تُبَكُّوا مثْلَه حتى تعودَ قبائلٌ لم تُخْلَقِ

فإذا عريبُ وجَوارٍ معها يسمعنَ ما يدور بيننا ، فقلن : اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً . فقال لها المأمون : قُولي ، فرُبَّ صوابٍ منكِ كثير . فقالت[1] : [من الطويل]

كذا فَلْيَجِلَّ الخطبُ ولْيَفْدَحِ الأمرُ وليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ
كأنَّ بني العباسِ يومَ وفاتهِ نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ

فبكى وبكينا . ثم قال لها المأمون : نُوحِي ، فناحت ورد عليها الجواري . فبكى المأمون حتى قلتُ : قد خرجتْ نفسُه ، وبكَيْنا معه أحرَّ بكاء ، ثم أمسكتْ . فقال لها المأمون : اصْنَعي فيه لحناً وغنّي به . فصنعت فيه لحناً على مذهب النَّوْح وغنَّتْه إياه على العُود . فوالذي لا يُحْلَفُ بأجَل منه لقد بَكَيْنا عليه غِناءً أكثرَ مما بَكَيْنا عليه نَوْحاً .

[طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الطبيب بن محمد الباهلي قال حدثني موسى بن سعيد عن أخيه عمرو قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجَد عليه المأمون وَجْداً شديداً حتى امتنع من النوم ولم يَطعم شيئاً . فدخل عليه أبو العتاهية ، فقال له المأمون : حدِّثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا وفارقها . فقال : يا أمير المؤمنين ، لبِس سليمان بن عبد الملك أفخرَ ثيابه ومَسَّ أطْيَبَ طِيبه وركِب أفْرَهَ خَيْلِه وتقدم إلى جميع مَن معه أن يركب في مثْلِ زِيِّه وأكمل سلاحه ، ونظر في مِرآته فأعجبتْه هيئتُه وحسنُه ، فقال : أنا الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف تَرَيْنَ ؟ فقالت : [من الخفيف]

أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تَبْقى غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
أنتَ خِلْوٌ من العيوبِ ومما يكره الناسُ غيرَ أنّكَ فاني

فأعرض بوجهه ، فلم تدُر عليه الجمعة إلا وهو في قبره . قال : فبكى المأمون والناس ، فما رأيت باكياً أكثرَ من ذلك اليوم . قال : وهذان البيتان لموسى شهوات .

[بعض أصواته]

ومن غناء أبي عيسى وجَيِّد صنعته ، والشعرُ له ، وطريقتُه من الثقيل الثاني مطلق في مجرى البنصر . وذكر حَبَشٌ أن فيه لحسين بن مُحرِز أيضاً صنعةً من خفيف الرمل : [من مجزوء الخفيف]

---

1 هذان البيتان لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي الذي قتل سنة 214هـ ، وقد تقدم أن أبا عيسى توفي سنة 209هـ . وقد تغيرت «كأن بني نبهان . . .» إلى «كأن بني العباس . . .» .

صوت

رَقَـدَتْ عنك سَلْوتي   والهــوى ليس يَرْقُـدُ
وأطــارَ السُّهادُ نـو   مــي فنومـي مُشَرَّدُ
أنتَ بالحُسْنِ منكَ يا   حَسَنَ الوجـهِ تَشْهَـدُ
وفـؤادي بحُسْنِ وجـ   ـهِك يَشْقـى ويَكْمَدُ

ومن غِنائه أيضاً وهو من صدور صنعته في شعر الأخطل ، ولحنه من الثقيل الأول :   [من الطويل]

صوت

إذا ما زيادٌ عَلَّني ثـم عَلَّنِي   ثـلاثَ زُجاجاتٍ لهنَّ هَديرُ
خرجتُ أجُرُّ الذيلَ حتى كأنني   عليـك أميـرَ المؤمنـين أميرُ

ولإسحاق في هذا الشعر رمل بالبِنصر عن عمرو .

[165] ـ وممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء
عبد الله بن موسى الهادي

فمن صنعته :

صوت

[من المتقارب]

تقاضاكَ دهـرُكَ مـا أسْلَفـا وكـدَّرَ عيشَكَ بعـدَ الصَّفا
فـلا تَجْزَعـنَّ فإنَّ الزمـانَ رهـينٌ بتشتيت مـا ألَّفـا
وما زالَ قلبُكَ مأوى السرور كثيرَ الهـوى ناعِمـاً مُتْـرَفاً
ألـحَّ عليـكَ برَوْعاتـه وأقبـلَ يَرْمِيـكَ مُسْتهـدِفا

الشعر والغِناء لعبد الله بن موسى . ولحنه ماخُورِي وهو خفيفُ الثقيل الثاني بالوسطى .

[ضرب ثقيفاً الخادم رأسه بالعود فحلم عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو حشيشة قال : كان عبد الله بن موسى الهادي أضْرَبَ الناسِ بالعود وأحسنَهم غِناء . وكان له غلام أسود يقال له قَلَمٌ ، فعلَّمه الصوت وحذَّقه . فاشترته منه أُم جعفر بثلثمائة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثَقِيفٌ الخادمُ الأسودُ مولى الفضل بن الربيع نُضارِب مولاي عبدَ الله بنَ موسى وقد أخذ النَّبِيذُ من الجماعة . فضرَب عبدُ الله وثَقِيفٌ صوتا فاختلفا فيه وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا أخذتُه من منصور زَلْزَل . وقال ثَقِيفٌ : كذا أخذتُه منه ، وطال تشاجُرُهما فيه . وكان ثقيف مُعَرْبِداً يَذْهَبُ عقلُه من أدنى شيءٍ يشربه ، وكان عبد الله أيضاً معربِداً . فغضِب ثقيف ورفعَ العودَ وهو لا يعقِل ، فضرَب به رأسَ عبدِ الله بن موسى فطوقه إيَّاه . وابتدر خَدَمُ عبدِ الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تَمَسُّوه وأخرِجوا العودَ من عُنُقي فأخرجوه . وكان عبدُ الله بن موسى أشدَّ خَلْقِ الله عَرْبَدَةً أيضاً ، فرُزِق في ذلك اليوم حِلماً لم يُرَ مِثْلُه ، وقال لخَدَمه : إن قتلتُه قتلتُ كلباً وتحدث الناسُ بذلك ، ولكن اخلَعوا عليه وهَبُوا له ولا يدخل منزلي أبداً .

[الحفصي المعزفي يؤثر عليه أخاه إسماعيل]

قال جحظة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي المِعْزَفيّ قال : دعاني عبد الله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل ؛ فآثرت إسماعيل لِما كان في عبد الله من العربدة . فلم نشعُر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على بِرْذَوْنٍ أشهب متقلِّداً سيفاً وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا في الحُجر ، فنزلَ عن دابَّته وجلس . وجثا إسماعيل بين يديه إجلالاً له ، وقال له : يا سيدي قد سَرَرْتَني بتفضُّلكَ ومَصيرك إليّ . قال : دَعْني من هـذا ، مَن عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعَدَّ جماعةَ مَن كان عنده . قال له : هاتِهم . فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنا فَزَعاً . فأقبل عليَّ من بينهم فقال لي : يا حَفْصي ! أَبْعَثُ إليك ثلاثةَ أيامٍ تباعاً فتَدَعُني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرَب بيده إلى سيفه ، فقام إسماعيل بيني وبينه وقال : نَعَمْ ! يَجيئني ويَدَعُك ؛ لأنه لا يَنْصرِفُ من عندك إلا بِشَجَّةٍ أو عَرْبَدَةٍ مع حِرمان ، ولا ينصرف من عندي إلا ببِرٍّ مع خِلْعةٍ ووعدٍ مُحَصَّل ، أفَتلومُه على ذلك ؟ . فكَفَّ عبدُ الله وكان شديدَ العَرْبَدَة وقام وانصرف .

[شعره في خادم لصالح بن الرشيد]

أخبرني الصُّولي قال حدثني عون بن محمد الكِنْدِي قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود ، وكان يكتب لأبي جعفر ، قال : كنتُ جالساً مع عبد الله بن موسى الهادي ، فمر به خادمٌ لصالح بن الرشيد . فقال له : ما اسمك ؟ فقال له : اسمي «لا تَسَلْ» . فأعجبه حُسْنُه وحُسْنُ مَنْطِقه فقال لي : قُمْ بنا حتى نُسَر اليوم بذكر هذا البدر ، فقمتُ معه . فأنشدني في ذلك اليوم : [من مجزوء الرجز]

وشادنٍ مـــــرَّ بنـــا   يجـــرَحُ باللَّحْظِ المُقَلْ
مظلـومُ خَصْرٍ ظـــالمٍ   منـــه إذا يمشي الكَفَلْ
اعتدلـــتْ قامتُـــــه   واللحْظُ منـه مـا عَدَلْ
بـــدرٌ تـــراه أبـــداً   طالِعَ سعـدٍ مـا أَفَلْ
سألتُـــه عـــن اسمـــه   فقال لي اسمي «لا تَسَلْ»
وأُطْلِعَـــتْ في وجنتيـ   ـــه وَرْدتان مـن خَجَلْ
فقلـتُ مـا أخطأ مَـنْ   سمَّـاكَ بل قـال المَثَلْ
لا تسألـنْ عـن شادِنٍ   فـاقَ جَمـالاً وكَمُلْ

قال : وقال فيه ، وقد قيل إنه من هذه الأبيات : [من مجزوء الرجز]

عــزَّ الذي نَهْوى وذَلّ   صَبُّ الفــؤادِ مُخْتَبَلْ

لَجَّ بـه الهجرُ وذا الـ ـهجرُ إذا لَـجَّ قَتَلْ
مـن شادِنٍ مُنْتَطِـقٍ فـاق جَمـالاً وكَمَلْ
تناصـفَ الحُسْنُ بـه فلا تَسَلْ عن «لا تَسَلْ»

[كان له ابن جيد الضرب]

وقال العتابي حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال : دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي : أتُقَوِّم غلاماً ضارباً مُغَنِّياً قِيمةَ عدلٍ لا حَيْفَ فيه على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأخرج إليَّ ابنه القاسمَ وكنتُ قد عرَفتُه ، وهو أحسن من القمر ليلةَ البدر ، فأخذ عوداً فضرب ، فأكبَبْتُ على يديه أُقَبِّلهما . فقال لي عبد الله : أتُقبِّل يَد غلامٍ مملوك ؟ ! قلت : بأبي وأُمِّي هو من مملوك ! وقَبَّلتُ رجلَه أيضاً . فقال : أما إذ عرفتَه فأُحِبُّ أن تضارِبَه ؛ ففعلت . فلما رأى الغلامُ زيادتي عليه في الضَّرْب اغتمَّ وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من ذنبه : أنا مُتَلَذِّذٌ وهذا مُتَكَسِّبٌ . فضحِكتُ وقلت : هو ذاك يا سيدي . وعجبت من حِدَّة جوابه معتذراً على صغَر سنّه .

[كريم ممدح]

أخبرني الصُّولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدَّحاً ، وفيه يقول الشاعر ، وفيه لعلويه لحن من خفيف الثقيل الأول بالبنصر : [من الوافر]

أعبـدَ اللهِ أنـتَ لنـا أميرُ وأنتَ مـن الزمانِ لنا مُجيرُ
حكَيْتَ أباكَ موسى في العَطايا إمـامُ الناسِ والملـكُ الكبيرُ

[غنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة]

قـال محمـد بن يحيى والعَتَّـابي : ولعبد الله بـن موسى غِنـاءٌ في قـول عمر بـن أبي ربيعة : [من مجزوء الخفيف]

صوت

إنَّ أسمـــاءَ أرسلتْ وأخـو الشوقِ مُرْسِلُ
أرسلـتْ تَستَزِيـرُني وتُفَـدِّي وتعـذِلُ

ولحنُه فيه رَمَلٌ . قال : وفيه لابن سُرَيج والغَريض ومالك ألحانٌ .

[وفاته]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المُغتالين قال حدثني أبو سعيد السُّكَّري عن محمد بن حبيب قال : كان عبد الله بن موسى الهادي مُعَربِداً ، وكان قد أعضل بالمأمون مما

يُعَرْبِدُ عليه إذا شرِب معه . فأمر بأن يُحبَس في منزله فلا يخرجَ منه ؛ وأَقْعد على بابه حَرَساً . ثم تذمَّم من ذلك فأظهر له الرِّضا وصرَف الحَرَس عن بابه ، ثم نادمه فعَرْبَد عليه أيضاً وكلَّمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مُغرَماً بالصَّيد ، فأمر المأمونُ خادماً من خواص خدمه يقال له «حسين» فسَمَّه في دُرَّاج وهو بموسى أباد ، فدعا عبد الله بالعشاء ، فأُتاه حسين بذلك الدُّراج فأكله . فلما أحَسَّ بالسم ركِب في الليل وقال لأصحابه : هو آخر ما تروني . قال : وأكل معه من الدُّراج خادمان ، فأما أحدهما فمات من وقته ، وأما الآخر فبقِي مدة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

ومِمن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء
عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته : [من الوافر]

أَلا يــا دَيْــرَ حَنْظَلَةَ المُفَدَّى لقــد أورثتَني سَقَمــاً وكَدَّا
أزُفُّ من العُقارِ إليــكِ زقاً وأجعلُ تحتَــه الوَرَقَ المُنَدَّى

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّولي عن عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيفُ رملٍ وخفيفُ ثقيل . وفيه لعبد الله بن موسى الهادي رمل . وفيه ثاني ثقيل ، وذكر حبش ، وهو ممن لا يُحَصَّل قولُه ، أنه لحُنَين ، ولم يَصِح عندنا مَن صانِعُه .

[166] ـ أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

[نسبه]

عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وأُمُّ عبد الله بن محمد أُمُّ وَلَد . وكان ظريفاً غَزِلاً يقول شعراً لَيِّناً ويصنع صنعةً صالحةً . وأُمُّ محمد الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور . وزبيدة لَقَبٌ غلَب عليها ، واسمُها أَمَةُ العزيز . وكان المنصور يرقِّصها وهي صغيرة ، وكانت سمينة حسنة البدن ، فيقول لها : يا زبيدة يا زبيدة ، فغلَب عليها ذلك .

[أبو نهشل يحث أخاه على التنازل عن جاريته له]

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكِنْدي قال : كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حُميد مودة . فاعترض عبد الله جاريةً مغنِّية لبعض نساء بني هاشم وأَعْطى بها مالاً عظيماً . فعرَفتْ منه رغبةً فيها فزادت عليه في السَّوْم ، فتركها ليكسِرهم . فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فاشتراها وزاد . فتبِعتْها نفسُ عبدِ الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عنها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل : [من السريع]

يـا ابنَ حُمَيْدٍ يا أبـا نهشلٍ ... مِفْتاحَ بـابِ الحَدَثِ المُقْفَلِ
يـا أكرمَ النـاسِ وِداداً وأر ... عاهـم لحـقٌ ضائـعٍ مُهْمَلِ
أحسنتَ في ودي وأجملتَ بل ... جُزْتَ فِعـال المُحْسِنِ المُجمِلِ
بيتُكَ في ذي يَمَـنٍ شامخٌ ... تَقْصُـر عنـه قُنَّتـا يَذْبُلِ
خلَفْتَ فينـا حاتماً ذا النَّدى ... وجُدْتَ جُوْدَ العارضِ المُسْبلِ
أيُّ أخٍ أنـتَ لِذي وَحْدَةٍ ... تركتَـه بالعِـزِّ في جَحْفِلِ
نجومُ حَظِّي منـكَ مَسْعودةٌ ... فيمـا أُرَجِّـي لَسْنَ بالأفَّلِ
فصَدِّقِ الظـنَّ بمـا قلتَـه ... وسَهِّـلِ الأمـرَ بـه يَسْهُلِ
لا تَحْرِمَنِّـي وَلَدَيْـكَ المُنَى ... بـاللهِ صَيْـدَ الرَّشأ الأكْحَلِ
رُمِيتُ منـه بسِهامِ الهـوى ... ومـا دَرى بالرَّمْي في مَقْتَلي
أدنَيْتَني بالوعـدِ في صَيْدِه ... إدْنـاءَ عَطْشانٍ مـن المَنْهَلِ

ثـــم تناسيـتَ وأسْلَمْتَنــي إلى مِطــالٍ مُـوحش المَنْزِلِ
تركتَنــي في لُجَّـــةٍ عائمــاً لا أعرفُ المُدْبِـــرَ من مُقْبِلِ
صَرِّحْ بأمـــرٍ واضحٍ بَيِّـنٍ لا خيرَ في ذي لَبَس مُشْكِلِ

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نَزَل له عنها .

[مكاتبة بينه وبين أبي نهشل]

وأخبرني الصولي أيضاً بغير إسناد ، ووجدتُ هذا الخبرَ في كتابٍ لمحمد بن الحسن الكاتب يَرويه عن أبي حَسَّان الفَزَاري قال : كان أبو نهشل بن حُمَيد صديقاً لعبد الله بن محمد الأمين ونديماً . وكانت لعبد الله ضيعة بالسواد تُعرف بالعَمرية ، فخرج إليها وأقام بها أياماً . فكتب إليه أبو نهشل : [من الطويل]

سقـى اللهُ بالعمريـةِ الغيثَ مَنْزِلاً حَلَلْتَ بــه يـا مؤنسي وأميري
فأنتَ الذي لا يخلُقُ الدهرَ ذكرُه وأنتَ أخـي حقاً وأنتَ سروري

فأجابه عبد الله : [من الطويل]

لئــن كنــتُ بالعَمْرِيةِ اليــومَ لاهياً فإنَّ هــواكم حيثُ كنتُ ضميري
فـــلا تحسبنّـــي في هواكـم مُقَصِّراً وكنْ شافعي من سُخْطِكم ومُجيري

قال محمد بن الحسن في خبره : وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحناً ، وصنع فيها سُلَيم بن سَلاَّم لحناً آخر .

[نادم الواثق والخلفاء من بعده إلى المعتمد]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال : كان عبد الله بن محمد الأمين ينادِم الواثقَ ثم نادمَ بعده سائرَ الخلفاء إلى المعتَمِد . قال : وأنشدني له في المعتمد : [من المتقارب]

رأيــتُ الهـلالَ على وجهكا فمــا زِلتُ أدعـو إلهـي لكا
فــلا زلتَ تحيـا وأحيـا معاً وآمننـــي اللهُ مـــن فَقْـــدِكا

قال : ومن شعره ، وله فيه لحنٌ من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل : [من المجتث]

صوت

يـا مَنْ بـــه كلُّ خَلْقٍ تــراه صَبّـــاً مُتَيَّـمْ
ومَــنْ تَجالَـــلَ تِيهــاً فمـــا تـــراه يُكَلِّـــمْ
لا شيءَ أعجبُ عنـدي ممـــن يـــراكَ فيَسْلَـــمْ

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صنعته متقدِّماً ، فإنه دير بالجزيرة . أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخُزاعي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني أبو المُحَلم لحنظلة بن أبي عَفْراء أحد بني حيَّة الطائيين وهم رَهْطُ أبي زبيد ورهط إياس بن قبيصة : [من الطويل]

ومهما يكــنْ رَيْبُ الزمانِ فإنني ... أرى قمـرَ الليـلِ المُغَرِّبَ كالفتى
يَهُـلُّ صغيراً ثـم يعظُـمُ ضَوْؤه ... وصورتُه حتى إذا ما هــو استوى
تقـارب يخبــو ضَوْءُه وشُعاعُه ... ويَمْصَحُ حتى يَستَسِرَّ فلا يُرى[1]
كذلك زَيْدُ المـرء ثـم انتقاصُه ... وتَكْرارُه في دهرِه بعد مـا مضى
تُصَبِّحُ أهـلَ الدَّارِ والدَّارُ زينـةٌ ... وتأتي الجبالَ من شَماريخها العُلا
فلا ذا غنيً يُرْجِئْنَ عن فضلِ مالِه ... وإن قال أخِّرْني وخُذْ رِشوةً أبى
ولا عــن فقيرٍ يـأتَخِرْنَ لفقـرِه ... فتنفعَه الشكوى إليهـنَّ إن شَكا

قال : وكان حنظلة هذا قد تعبَّد في الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصَّر وبَنى ديراً بالجزيرة ؛ فهو الآن يُعرَف به ويقال له دير حنظلة . وفيه يقول الشاعر : [من الكامل]

يـا دَيْـرَ حَنْظَلَةَ المهيِّج لي الهَوى ... قـد تستطيـعُ دواءَ عشقِ العاشِقِ

1 يمصح : يذهب . ويستسر : يستتر .

[167] ـ وممن صنَع من أولاد الخلفاء
أبو عيسى بن المتوكل

كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعةً مقدارُها أكثر من ثلثمائة صوت ، منها الجيِّد الصنعة ومنها المتوسط ، قد سمِعنا كثيراً منها ؛ إلا أني أذكر من ذلك ما عرَفتُ شاعرَه وكان له خبرٌ يتصل به حَسَبَ ما شَرَطْناه في هذا الكتاب وضَمَّناه إياه من الأخبار ، ثم أذكر أخبارَ أبي عيسى بعد ذلك .

قال ابن المعتز حدثني النُّميري قال سمِعت أبا عيسى بن المتوكِّل يقول : إذا أتممتُ صنعة ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدد أيام السنة تركتُ الصنعة ، فلما صنعها ترك الصنعة . فمنها ، وهو لعمري من جَيد الغِناء وفاخِر الصنعة ، ولو لم يصنع غيرَه لكفاه ، في شعر أبي العتاهية : [من المنسرح]

صوت

يَضْطَرِبُ الخوفُ والرجاءُ إذا   حــرَّك موسى القضيبَ أو فَكَّرْ

ولحنُه من الثقيل الأول . والشعر لأبي العتاهية ، وقد مَضَتْ أخباره ؛ وإنما قدمتُ ذكرَه لجودة صنعته وأنه شُبِّه فيه بصنعة الفحول ومُحْكَمِ أغاني الأوائل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

هي النفسُ مــا حَمَّلتَها تَتَحمَّلُ   وللدهــرِ أيــامٌ تَجورُ وتَعْدِلُ
وعاقِبــةُ الصَّبرِ الجميلِ جميلةٌ   وأفضلُ أخلاقِ الرجالِ التَّجَمُّلُ

الشعر لعلي بن الجَهم . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[168] ـ أخبار علي بن الجهم ونسبه[1]

[نسبه]

هو علي بن الجهم بن بَدْر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أُذَيْنة بن كَرَّاز بن كعب بن مالك[2] بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لُؤي بن غالب. هكذا يدعون، وقريش تدفعهم عن النَّسَب وتسمِّيهم بني ناجية، يَنسبونهم إلى أمهم ناجية، وهي امرأة سامة بن لؤي. وكان سامة، فيما يقال، خرج إلى ناحية البحرين مغاضِباً لأخيه كعب بن لؤي في مُماظة[3] كانت بينهما، فطأطأتْ ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب، فعلِق بمِشفرها أفعى فعطفته على قَتَبها فحكَّتْه به، فدبَّ الأفعى على القَتَب حتى نهشَ ساقَ سامة فقتله. فقال أخوه يَرثيه[4] : [من الخفيف]

عـينُ جُودِي لسامَةَ بنِ لُؤيٍّ　　　عَلِقــتْ ساقَ سامَــةَ العَلاقهْ[5]
رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَهــا ابنَ لُـؤي　　　حَــذَرَ المـوتِ لم تكنْ مُهْراقَهْ

وقال مَن يدفع بني سامة من نَسَّابي قريش: وكانت معه امرأته ناجية. فلما مات تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولَدَتْ منه الحارث، ومات أبوه وهو صغير. فلما ترعرع طمِعتْ أمّه في أن تلحقه بقريش، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي. فرحل من البحرين إلى عمِّه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة. فعرَف كعب أُمَّه وظنَّه صادقاً في دعواه فقبله ومكث عنده مدةً، حتى قدِم مكةَ رَكْبٌ من أهل البحرين، فرأَوُا الحارثَ فسلَّموا عليه وحادثوه ساعةً. فسألهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه، فقالوا له: هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان، وشرحوا له خبره. فنفاه كعبٌ ونَفى أُمَّه، فرَجعا إلى البحريـن فكانـا هنـاك، وتزوج الحارث

1 ترجمة علي بن الجهم في معجم المرزباني: 286 وابن خلكان 3: 355 وطبقات ابن المعتز: 319–322 وانظر مقدمة محقق ديوان (صادر، بيروت).

2 في ابن خلكان: بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة . . . وفي ل: عتبة بدلاً من عيينة.

3 مماظة: مخاصمة.

4 انظر حكاية سامة بن لؤي وبقية الأبيات في اللسان (مادة فوق). وفيه أن الذي قال هذا الشعر يرثيه به امرأة الأزدي الذي نزل عليه في عمان فأعجبها، ولما رحل لدغته حية كما جاء هنا.

5 العلاقة المنية ويريد بها هنا الحية.

وأعْقَب هذا العَقِبَ . ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : «عَمِّي سامَةُ لم يُعْقِبْ» . وكان بنو ناجِيَةَ ارتدوا عن الإسلام . ولما وَلِيَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ، فأسْلَم بعضُهم وأقام الباقون على الردة فسَبَاهم واسترقَّهم ؛ فاشتراهم مَصْقَلَةُ بن هبيرة منه وأدى ثُلثَ ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعتقهم وهَرَب من تحت ليلِه إلى معاوية ، فصاروا أحراراً ، ولزِمَه الثمنُ ، فشَعَّث[1] عليٌّ بن أبي طالب شيئاً من داره ، وقيل بل هدَمها . فلم يدخل مَصْقَلَةُ الكوفة حتى قُتِل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وزعم ابن الكلبي : أن سامةَ بن لؤي وَلَدَ غالبَ بن سامةَ وأُمُّه ناجِيةُ ، ثم هلك سامةُ فخلَف عليها ابنه الحارث بن سامة ، ثم هلك ابنا سامة ولم يُعْقِبا ، وأن قوماً من بني ناجية بنت جَرْم بن رَبَّان عِلاف ادَّعَوْا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية هذه ونَسَبوها هذا النسبَ ، وانْتَمَوْا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مَصْقَلَةَ . قال : ودليلُ ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جَرْم قولُ علقمةَ الخَصي التَّميمي أحدِ بني ربيعةِ بن مالك : [من الوافر]

زعمتم أن ناجِيَ بنتَ جَرْمٍ عجوزٌ بعد ما بَلِيَ السَّنامُ
فإن كانت كذاك فألبِسوها فإنَّ الحَلْيَ للأُنثى تَمامُ

وهذا أيضاً قولُ الهيثم بن عدِي . فأما الزُّبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال : هم قريشُ العازِبةُ . وإنما سُمُّوا العازِبةَ لأنهم عَزَبوا عن قومهم فنُسِبوا إلى أمّهم ناجية بنت جَرْم بن رَبَّان وهو عِلاف ، وهو أول من اتخذ الرِّحال العِلافيَّة فنُسِبَت إليه . واسم ناجية ليلى ؛ وإنما سُمِّيتْ ناجية لأنها سارت في مَفازةٍ معه فعَطِشَتْ فاستسقته ماء ، فقال لها : الماءُ بين يديكِ ، وهو يريها السَّرابَ ، حتى جاءت الماءَ فشرِبت وسُمِّيَت ناجية . وللزُّبير في إدخالهم في قريش مذهبٌ وهو مُخالَفةُ فِعْلِ أميرِ المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه ومَيْلُه إليهم لإجماعهم على بُغْضِه رضي الله عنه ، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزُّبير في ذلك .

[شاعر فصيح خُصَّ بالمتوكل]

وكان علي بن الجَهْم شاعراً فصيحاً مطبوعاً ؛ وخُصَّ بالمتوكِّل حتى صار من جُلسائه ، ثم أبغضه لأنه كان كثير السِّعاية إليه بنُدَمائه والذِّكرِ لهم بالقبيح عنده ، وإذا خلا به عَرَّفه أنهم يَعيبونه ويَثْلِبونه ويتنقصونه ، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفاه بعد أن حبَسَه مدة . وأخبارُه تذكر على شرحٍ بعد هذا . وكان ينحو نحوَ مروان بنِ أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب

1 فشعث : نقض جزءاً منها .

وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشِّيعة ، وهو القائل[1] : [من الوافر]

ورافضةٌ تقولُ بشِعْبِ رَضْوى إمــامٌ ، خــابَ ذلك من إمامِ
إمــامٌ مَــنْ لــه عشرون ألفاً من الأتراكِ مُشْرَعَــةُ السِّهامِ[2]

وفيه يقول البحتري[3] : [من الوافر]

إذا مــا حُصِّلتْ عُلْيــا قُرَيْشٍ فــلا في العِيرِ أنتَ ولا النَّفيرِ[4]
ومــا رُغَثاؤك الجَهْمُ بنُ بَدْرٍ مــن الأقمارِ ثَــمَّ ولا البدورِ[5]
ولــو أعطاك ربُّكَ مــا تَمَنَّى لــزادَ الخلقَ في عِظَم الأُيورِ
عَــلامَ هَجَوْتَ مجتهِداً عليّاً بما لفَّقتَ مــن كَذِبٍ وزُورِ
أمَالَكَ في استِكَ الوَجْعاءِ شُغْلٌ يَكفُّك عــن أذى أهلِ القبورِ

وسمعه أبو العيناء يوماً يطعَن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : أنا أدري لِمَ تطعن على علي أميرِ المؤمنين . فقال له : أتعني قصة بَيْعه أهلي من مَصْقَلَة بن هُبيرة ؟ قال : لا ! أنت أوضع من ذلك ، ولكن لأنه قتلَ الفاعلَ فِعْلَ قوم لوطٍ والمفعول به ، وأنت أسْفَلُهما .

[هجا بختيشوع فحبسه المتوكل]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الهشامي قال[6] : كان علي بن الجهم قد هجا بختيشُوع ، فسبَّه عند المتوكل فحبسه المتوكل . فقال علي بن الجهم في حبسه عدةَ قصائد كتب بها إلى المتوكل فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه بعد ذلك إلى خُراسان . فقال أولَ ما حُبِس قصيدةً كتب بها إلى أخيه ، أولها قوله : [من الوافر]

توكَّلنــا عــلى رَبِّ السمــاء وسلَّمْنــا لأسبــابِ القضــاء
ووطَّنّــا عــلى غِيَرِ الليــالي نفوساً سامحــتْ بعــدَ الإبــاء
وأفْنِيــةُ الملــوك محجَّبــاتٌ وبــابُ اللهِ مبــذولُ الفِنــاء

1 ديوان علي بن الجهم : 210–211 .
2 إمام في الديوان : إمامي . عشرون في الديوان : سبعون .
3 ديوان البحتري : 1038 .
4 المثل : «لا في العير ولا في النفير» في مجمع الميداني 2 : 221 ومستقصى الزمخشري 2 : 376 .
5 الرغثاء : عرق في الثور يدر اللبن . وكنى به عن الأب .
6 ديوانه : 58–61 .

هي الأيامُ تَكْلُمُنا وتأسُو وتأتي بالسعادةِ والشقاء
وما يُجْدِي الثَّراءُ على غَنِيٍّ إذا ما كانَ محظورَ العَطاء[1]
حَلَبْنا الدَّهْرَ أشْطُرَهُ ومرّتْ بنا عُقَبُ الشَّدائدِ والرَّخاء
وجرَّبْنا وجرَّبَ أوَّلُونا فلا شيءٌ أعزّ من الوفاء
ولم نَدَعِ الحياءَ لمسِّ ضرٍّ وبعضُ الضرّ يذهبُ بالحياء
ولم نَحْزَنْ على دنيا تَوَلَّتْ ولم نُسْبَقْ إلى حُسْنِ العَزاء
تَوَقَّ الناسَ يا ابنَ أبي وأمّي فهم تَبَعُ المخافةِ والرَّجاء
ولا يَغْرُرْكَ من وَغْدٍ إخاءٌ لأمرٍ ما غدا حَسَنَ الإخاء
ألَمْ تَرَ مُظْهِرِينَ عليَّ عَيْباً وهم بالأمسِ إخوانُ الصَّفاء[2]
فلما أن بُلِيتُ غَدَوْا وراحُوا عليَّ أشدَّ أسبابِ البَلاء
أبَتْ أخطارُهم أن يَنْصُروني بمالٍ أو بجاهٍ أو ثَراء
وخافُوا أن يقالَ لهم خَذَلْتم صديقاً فادّعَوْا قِدَمَ الجَفاء
تضافرتِ الرَّوافِضُ والنصارى وأهلُ الاعتزالِ على هِجائي

يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له :

وعابوني وما ذنبي إليهم سوى عِلْمي بأولادِ الزِّناء
فبَخْتِيَشُوعُ يشهَد لابن عمرو وعَزُّونٌ لهارونَ المرائي
وما الجَذْماءُ بنتُ أبي سُمَيْرٍ بجذماءِ اللِّسانِ عن الخَناء
إذا ما عُدَّ مِثْلُكم رجالاً فما فضلُ الرجالِ على النساء[3]
عليكم لعنةُ اللهِ ابتداءً وعَوْداً في الصَّباحِ وفي المَساء
إذا سُمِّيتُمُ للناسِ قالوا أُولئِك شَرُّ مَنْ تحت السماء
أنا المتوكّلي هوىً ورأياً وما بالواثِقِيَّةِ من خَفاء
وما حَبْسُ الخليفةِ لي بعارٍ وليس بمُؤْيِسي منه التنائي

1 غني في الديوان : بخيل .
2 عيباً في الديوان : غشاً .
3 مثلكم في الديوان : مثلهم .

[يقدرون شعره في الحبس بشعر عدي بن زيد]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشِّبْل البُرْجُمي : ما شِعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عَدِي بن زيد .

[حبسه المتوكل بسعاية جلسائه]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال : كان سببُ حبس المتوكل عليَّ بن الجهم أن جماعةً من الجُلَساء سَعَوْا به إليه وقالوا له : إنه يُجَمِّشُ الخَدَم ويَغْمِزهم ، وإنه كثيرُ الطعن عليك والعيبِ لك والإزراء على أخلاقك ؛ ولم يزالوا به يُوغِرون صدرَه عليه حتى حبسه ؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه . فنفاه إلى خُراسان وكتب بأن يصْلَبَ إذا وَرَدها يوماً إلى الليل . فلما وصل إلى الشاذِياخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أُخرِج فصُلِب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أُنزِل . فقال في ذلك[1] : [من مجزوء الكامل]

لم يَنْصِبوا بالشَّاذِياخِ عَشِيَّةَ ... الإثنين مسبوقاً ولا مجهولا[2]
نصَبوا بحمدِ اللهِ مِلْءَ قلوبهم ... شَرَفاً ومِلْءَ صدورهم تَبْجيلا[3]
ما ازدادَ إلا رفعةً بِنكوله ... وازدادت الأعداءُ عنه نُكُولا[4]
هل كان إلا الليثَ فارق غِيلَه ... فرأيتَه في مَحْمَلٍ محمولا
لا يأمَن الأعداءُ من شَداته ... شداً يفصِّل هامهم تفصيلا
ما عابه أن بُزَّ عنه لِباسُه ... فالسيفُ أهْوَلُ ما يُرى مسلولا
إن يُبْتَذَلْ فالبدرُ لا يُزْري به ... أن كان ليلةَ تِمِّه مبذولا
أو يَسْلُبوه المالَ يُحْزِنْ فقدُه ... ضيفاً أَلَمَّ وطارقاً ونَزِيلا
أو يَحْبِسوه فليس يُحبَس سائرٌ ... من شعرِه يَدَعُ العزيزَ ذليلا
إنَّ المصائبَ ما تعدَّتْ دِينَه ... نِعَمٌ وإن صعُبَتْ عليه قليلا
واللهُ ليس بغافلٍ عن أمره ... وكَفى بربِّك ناصِراً ووكيلا
ولَتَعْلَمَنَّ إذا القلوبُ تكشَّفَتْ ... عنها الأكِنَّةُ مَنْ أَضَلُّ سبيلا

1 ديوانه : 185–187 .
2 عشية في الديوان : صبيحة . مسبوقاً في الديوان : مغموراً .
3 قلوبهم في الديوان : عيونهم .
4 نكوله : التنكيل به . ونكولا : الفرار منه والاحجام عنه .

[المتوكل يأمر بإطلاقه]

أخبرني عمّي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كتب المتوكّل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجَهْم . فلما أُطلقه قال[1] : [من الطويل]

أطاهِـرُ إنّي عـن خُراسانَ راحلُ ومُسْتَخْبَرٌ عنهـا فمـا أنـا قائِلُ
أأَصْدُق أم أَكْني عن الصِّدق أيُّما تَخَيرتَ أدتْـهُ إليـك المحـافِلُ
وسارتْ به الرُّكْبانُ واصْطَفَقَتْ به أكُـفُّ قِيـانٍ واجْتَبتـه القبائلُ
وإنّي بغـالي الحمدِ والذمِّ عـالم بمـا فيهمـا نامـي الرَّمِيَّةِ ناضلُ
وحقاً أقولُ الصِّدقَ إني لمائـلٌ إليـكَ وإن لم يَحْظَ بالودِّ مائلُ
ألا حُرْمَــةٌ تُرْعـى ألا عَقْدُ ذمةٍ لجـارٍ ألا فِعـلٌ لقولٍ مُشاكِلُ
ألا مُنْصِفٌ إن لم نجـدْ متفضِّلاً علينـا ألا قاضٍ من الناسِ عادلُ
فـلا تَقْطَعَنْ غيظـاً عليَّ أنامـلاً فقبلـكَ مـا عُضت عليَّ الأناملُ
أطاهِـرُ إن تُحْسِنْ فإنّي مُحْسِنٌ إليـكَ وإن تَبْخَـل فإنِّـيَ باخلُ

فقال له طاهر : لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل بك إلا ما تحب فوصَله وحمَله وكَساه .

[جمش جارية فباعدته]

أخبرني عمي قال حدثني محمد قال : كان علي بن الجَهْم في مجلس فيه قَيْنَةٌ ، فعابثها وجَمَّشها ، فباعدَته وأعرضتْ عنه ، فقال فيها[2] : [من الطويل]

خَفِـي اللهَ فِيمن قـد تَبَلت فؤادَه وغادَرْتـه نِضْواً كأنَّ بـه وَقـرا
دعِي البخل لا أسمع بـه منك إنَّما سألتُك أمراً ليس يُعْرِي لكم ظَهْرا

فقالت له : صَدَقْتَ يا أبا الحسن ، ليس يُعْرِي لنا ظَهْراً ، ولكنه يملأ لنا بطناً ! !

[تشاؤمه من الحارثي]

أخبرني الحسن بن علي قـال حدثـنا محمد بن القاسم بن مهرُوَيـه قـال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال حدثنا علي بن الجَهْم قال : كان الحارثي يجيء إلى حُلْوان وأنا أتولاها ، وكان عليّ بن الجَهْم على مظالِمها ، فإذا وردَها وقع الإرْجـافُ[3] بي ، فلـم يَزَل متَّصِلاً حتى يخـرج ، فإذا خـرج سكن الإرجاف ، فأتاني مرةً وظهر كوكب الذَّنب في تلك الليلة ،

1 ديوانه : 175–176 .
2 ديوانه : 134 .
3 الارجاف هنا : الزلازل .

فقلت[1] : [من الكامل]

لَمــا بَــدا أيقنتُ بالعَطَــبِ فسألــتُ ربِّــي خير مُنْقَلَبِ
لم يَطْلُعــــا إلا لآبِــــدةٍ الحارثــيُّ وكوكــبُ الذَّنَبِ[2]

قال ابن المدبر : وكان الحارثي أعور مُقَبَّح الوجه ، وفيه يقول أبو علي البصير : [من الكامل]

يـا مَعْشَرَ البُصَراء لا تَتطرَّفـوا جيشي ولا تتعرَّضوا لنَكِيري
رُدُّوا عـليَّ الحارِثـــيَّ فإنّـــه أعْمــى يُدَلِّس نفسَه في العُورِ

[ادعاؤه شعراً لإبراهيم بن العباس]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر لعلي بن الجهم وذكر أن علياً أنشده إياه لنفسه : [من الوافر]

أمِيلُ مــع الذِّمام على ابن أُمِّي وآخُذ للصَّديـقِ مــن الشَّقيقِ
وإن أُلْفَيْتَني حُــراً مُطاعــاً فإنّكَ واجِـدِي عَبْدَ الصديقِ
أُفَــرِّق بـين معـروفي ومَنّي وأَجْمَـعُ بـين مـالي والحقوقِ

فقال إبراهيم : كذَب والله عليٌّ بن الجَهْم وأَثِم . والله لهذا الشعرُ أشهرُ بإبراهيم بن العباس من إبراهيم بالعباس أبيه .

[أثبت المتوكل كذبه]

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال قال المتوكل : علي بن الجهم أكذَبُ خَلْقِ الله . حَفِظْتُ عليه أنه أخبرني أنه أقام بخُراسان ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة أُخرى وأنسيَ ما أخبرني به ، فأخبرني أنه أقام بالثغور ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة أُخرى وأُنْسيَ الحكايتين جميعاً ، فأخبرني أنه أقام بالجبل ثلاثين سنة ، ثم مضت مدةٌ أُخرى فأخبرني أنه أقام بمصر والشام ثلاثين سنة ، فيجب أن يكون عمره على هذا وعلى التقليل مائةً وخمسين سنة ، وإنما يُزاهي سنُّه الخمسين سنةً . فليت شعري أيُّ فائدة له في هذا الكذب وما معناه فيه !! .

[هجاؤه ولد علي بن هشام]

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن المعتز ، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس ، فعربد عليه

1 ديوانه : 74–75 .
2 الآبدة : الأمر العظيم .

بعضهم ، فغضِب وخرج من المجلس ، واتصل الشرُّ بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه . فقال يهجوهم[1] : [من البسيط]

بَني مُتَيَّمَ هل تَدْرونَ ما الخبرُ ... وكيفَ يُسْتَرُ أمرٌ ليس يَسْتَتِرُ
حاجيتُكم : مَنْ أبوكم يا بني عُصَبٍ ... شَتَّى ولكنَّما للعاهرِ الحَجَرُ
قد كان شَيْخُكُمُ شيخاً له خَطَرٌ ... لكن أُمَّكُم في أمرِها نَظَرُ
ولم تكن أُمّكُم ، واللهُ يكلَؤها ، ... محجوبةً دونَها الحُراسُ والسُّتُرُ
كانت مغَنِّيَةَ الفِتْيانِ إن شَرِبوا ... وغيرَ ممنوعةٍ منهم إذا سَكِروا
وكان إخوانُه غُرّاً غَطارِفةً ... لا يُمْكِنِ الشيخَ أن يَعْصِي إذا أَمَروا
قومٌ أَعِفّاءُ إلا في بيوتكمُ ... فإنَّ في مِثْلِها قد تُخْلَعُ العُذُرُ
فأصبحتْ كمُراحِ الشَّولِ حافلةً ... من كل لاقِحةٍ في بطنِها دِرَرُ[2]
فجئتُم عُصَباً من كلِّ ناحيةٍ ... نوعا مَخانيثَ في أعناقِها الكَبَرُ[3]
فواحِدٌ كِسْرَويٌّ في قَراطِقِهِ ... وآخَرٌ قُرَشيٌّ حين يُخْتَبَرُ[4]
ما عِلمُ أُمِّكُمُ مَنْ حَلَّ مِئزرَها ... ومَنْ رماها بكم يأيُّها القَذِرُ
قوم إذا نُسِبوا فالأم واحدةٌ ... واللهُ أعلمُ بالآباء إذ كَثُروا
لم تَعْرِفوا الطَّعْنَ إلا في أسافلكم ... وأنتم في المخازي فِتْيَةٌ صُبُرُ
أَحببتُ إعلامَكم إنِّي بأمرِكُم ... وأمرِ غيركُم من أهلِكم خَبَرُ
تَفَكَّهونَ بأعراضِ الكرامِ وما ... أنتم وذِكْرُكُم الساداتِ يا عُرَرُ[5]
هذا الهجاءُ الذي تَبْقى مياسِمُه ... على جباهِكُمُ ما أَوْرقَ الشَّجَرُ

[حبسه المتوكل لسعيه بجلسائه وهجائه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبّر قال : كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات . فقال علي بن الجَهْم : قد بلغني أن العامل قتَله وصانع صاحب الخبر حتى كتب بهذا . وكان يسعى

---

1 ديوانه : 121–122 .
2 كمراح في ل : كمريح . الشول من النوق : التي قل لبنها .
3 الكبر : الطبل .
4 القراطق : جمع قرطق وهو القباء .
5 عرر : جمع عرة وهو شين القوم .

بالجلساء إلى المتوكل فأبغضَه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه أنه هجاه فحبَسه . وأحسنُ شعر قاله في الحبس قصيدته التي أولها[1] : [من الكامل]

قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري ... حَبْسي وأيُّ مُهَنَّـدٍ لا يُغْمَدُ
أوَ ما رأيتِ اللَّيْثَ يأْلَفُ غِيلَه ... كِبْراً وأوباشُ السِّباع تَرَدَّدُ
والشمسُ لولا أنّها محجوبةٌ ... عن ناظِرَيْك لما أضاءَ الفَرْقَدُ
والبدرُ يُدْركه السِّرارُ فتنجلي ... أيامُه وكأنَّه مُتَجَدِّدُ[2]
والغيث يَحْصُره الغَمامُ فما يُرى ... إلا ورَيِّقُه يَرُوعُ ويَرْعُدُ
والزاعِبيّة لا يُقيم كُعُوبَها ... إلا الثِّقافُ وجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ[3]
والنارُ في أحجارِها مخبوءةٌ ... لا تُصْطَلى إن لم تُثِرْها الأزْنُدُ
والحبس ما لم تغشَه لدَنِيَّةٍ ... شنعاءَ نِعْمَ المنزِلُ المُتَوَرَّدُ[4]
بيتٌ يجدِّدُ للكريمِ كرامةً ... ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويُحْمَدُ[5]
لو لم يكنْ في الحبسِ إلا أنه ... لا يستذِلُّكَ بالحجابِ الأَعْبُدُ
كم مِن عليلٍ قد تخطاه الرَّدى ... فنجا وماتَ طبيبُه والعُوَّدُ
يا أحمدُ بنَ أبي دوادٍ إنّما ... تُدْعى لكلٍّ عظيمةٍ يا أحمدُ
أبْلِغْ أميرَ المؤمنينَ فدونَه ... خَوْضُ الرَّدى ومخاوِفٌ لا تَنْفَدُ
أنتم بنو عمٍّ النبي محمدٍ ... أولى بما شَرَع النبيُّ محمَّدُ
ما كان من كَرَمٍ فأنتم أهلُه ... كَرُمَتْ مَغارِسُكم وطابَ المَحْتِدُ[6]
أمِنَ السَّوِيَّةِ يا ابنَ عَمٍّ محمدٍ ... خَصْمٌ تُقَرِّبُه وآخرُ تُبْعِدُ
إنَّ الذينَ سَعَوْا إليكَ بباطلٍ ... حُسَّادُ نعمتِكَ التي لا تُجْحَدُ
شهِدوا وغِبْنا عنهمُ فتحكَّموا ... فينا وليس كغائبٍ مَنْ يَشْهَدُ

---

1 ديوانه : 88–93 .
2 السرار : آخر أيام الشهر .
3 الزاعبية : رماح منسوبة إلى رجل اسمه زاعب .
4 المتورد الذي يورد ويزار .
5 ويحمد في الديوان : يحفد أي يخدم .
6 كرم في الديوان : حسن .

لو يجمعُ الخُصَماءَ عندَكَ مجلسٌ يومـاً لبان لكَ الطريـقُ الأَقْصَدُ
فبـأيِّ جُـرْمٍ أصْبحتْ أعراضُنا نَهْبـاً تَقَسَّمها اللئيـمُ الأَوْغَدُ[1]

[قوله في علة المتوكل وغضبه من جاريته قبيحة]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل الرَّبعي قال قال لي علي بن الجَهْم : دخلت على المتوكل وقد بَلَغني أنه كلَّم قَبيحةَ جاريته فأجابته بشيء أغضبه ، فرماها بمِخَدَّةٍ فأصابتْ عينَها فأثرتْ فيها ، فتأوَّهَت وبَكَتْ وبكى المعتز لبكائها ؛ فخرج المتوكل وقد حُمَّ من الغم والغضب . فلما بَصُرَ بي دعاني وإذا الفتح[2] يُرِي بَخْتَيَشوعَ القارورة ويشاوره فيها . فقال لي : قل يا علي في عِلتي هذه شيئاً وصفْ أن الطبيب ليس يَدْري ما بي ؛ فقلت[3] : [من الوافر]

تنكَّـر حـالَ عِلَّتِـي الطَّبيـبُ وقال أرى بجسمك مـا يَرِيبُ
جَسستُ العِرْقَ منكَ فدَلَّ جَسِّي على أَلَـمٍ لــه خَبَرٌ عجيـبُ
فمـا هذا الذي بكَ هاتِ قُلْ لي فكـان جوابُـه مِنِّـي النَّحِيبُ
وقلـت أيا طبيبُ الهجـرُ دائي وقلبـي يـا طبيبُ هُـو الكئيبُ
فحـرَّك رأسَه عَجَباً لقـولي وقـال الحـبُّ ليس لـه طبيبُ
فأعجبني الذي قـد قال جِـداً وقلـتُ بَـلى إذا رضِي الحبيبُ
فقـال هـو الشفاءُ فـلا تُقَصِّرْ فقلـتُ أجَـلْ ولكن لا يُجيبُ
أَلا هـل مُسْعِدٌ يبكي لشَجْوِي فإنِّـي هائـمٌ فَـرْدٌ غريبُ

فقال : أحسنتَ وحَياتي ؛ يا غلام اسقِني قَدَحاً ؛ فجاءه بقَدَح فشَرِب وسُقِيَت الجماعة مثله . وخرجت إليه فَضْلُ الشاعرة بأبيات أمرتْها قَبيحة أن تقولها عنها . فقرأها فإذا هي : [من البسيط]

لأكتُمنَّ الذي في القلبِ من حُرَقٍ حتى أمـوتَ ولم يَعْلَمْ به الناسُ
ولا يقـالُ شَكا مَنْ كان يَعْشَقُه إنَّ الشَّكاةَ لمن تَهْوى هي الياسُ
ولا أبـوحُ بشيءٍ كنتُ أكتُمه عندَ الجلوسِ إذا ما دارت الكاسُ

---

1 تقسمها في الديوان : يشيد بها أي يُفشون المكروه والقبيح عنها .
2 أي الفتح بن خاقان وزير المتوكل .
3 ديوانه : 68–69 .

فقال المتوكّل : أحسنتِ يا فَضل . وأمر لها ولي بعشرين ألف درهم ، ودخل إلى قَبيحة فترضَّاها .

[قتاله أعراباً قطعوا على قافلتهم الطريق في الشام]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال : خرج عليٌّ بن الجهم إلى الشام في قافلة ، فخرجتْ عليهم الأعراب في خُساف فهرَب من كان في القافلة من المُقاتِلة ، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالاً شديداً ، وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحظَوْا بشيء . فقال في ذلك[1] : [من الطويل]

صبَرتُ ومثلي صبرُه ليس يُنْكَرُ ... وليس على تَرْك التَّقَحُّمِ يُعْذَرُ
غريزةُ حرٍّ لا اختلاقُ تكلُّفٍ ... إذا خامَ في يوم الوَغى المُتَصَبِّرُ[2]
ولمَّا رأيتُ الموتَ تَهْفُو بُنودُه ... وبانتْ علاماتٌ له ليس تُنْكَرُ
وأقبلتِ الأعرابُ من كلِّ جانبٍ ... وثارَ عَجاجٌ أسودُ اللَّون أكْدَرُ
بكلِّ مُشيحٍ مُستميتٍ مُشَمِّرٍ ... يَجُولُ به طِرفٌ أقَبُّ مُشَمِّرُ[3]
بأرضِ خُسافٍ حين لم يكُ دافِعٌ ... ولا مانعٌ إلا الصَّفيحُ المُذَكَّرُ[4]
فقلَّلَ في عَيْنَيَّ عُظْمَ جموعِهم ... عزيمةُ قلبٍ فيه ما جلَّ يَصْغُرُ
بمُعْتَرَكٍ فيه المنايا حواسِرٌ ... ونارُ الوغى بالمَشْرَفيَّةِ تُسْعَرُ
فما صُنْتُ وجهي عن ظُباتِ سُيوفِهم ... ولا انْحَزْتُ عنهم والقنا تَتَكَسَّرُ
ولم أَكُ في حرِّ الكريهةِ مُحْجِماً ... إذا لم يكن في الحربِ للورْدِ مَصْدَرُ
إذا ساعدَ الطِّرْفُ الفتى وجنانُه ... وأسْمَرُ خَطِّيٌّ وأبيضُ مِبْتَرُ
فذاك ، وإن كان الكريمُ بنفسِه ، ... إذا اصطكَّتِ الأبطال في النَّقْع عَسْكَرُ
مَنَعْتُهمُ من أن ينالوا قُلامَةً ... وكنتُ شَجاهم والأسنةُ تَقْطُرُ
وتلك سجايانا قديماً وحادثاً ... بها عُرِف الماضي وعَزَّ المؤخَّرُ
أبَتْ لي قُرُومٌ أنجبتنيَ أن أرى ... وإنْ جَلَّ خَطْبٌ خاشعاً أتضجَّرُ

1 ديوانه : 119-120 .
2 خام : نكص وجبن .
3 المشيح : المقبل مانعاً ما وراء ظهره . والطرف : الكريم من الخيل .
4 الصفيح : السيف العريض .

أولئك آلُ اللهِ فهْـرُ بـن مالكٍ بهم يُجْبَرُ العظمُ الكَسيرُ ويُكْسَرُ
هم المَنْكِـبُ العالي على كلِّ مَنْكِبِ سيوفُهـمُ تُفْنِـي وتُغْنِـي وتُفْقِرُ

[حبسه أبوه في الكتاب وهو صبي]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق والحسن بن علي قالا جميعاً حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عيسى بن أبي حرب قال حدثني علي بن الجهم قال : حبسني أبي في الكُتّاب ، فكتبت إلى أمي[1] : [من الكامل]

يـا أُمَّنا أَفْدِيـكِ مـن أُمٍّ أشكو إليكِ فَظاظـةَ الجَهْمِ
قـد سُرِّحَ الصِّبيانُ كلُّهـمُ وبَقيـتُ محصوراً بـلا جُرْمِ

قال : وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أُمِّي ؛ فأرسلتْ إلى أبي : والله لئن لم تُطلِقه لأَخرُجن حاسرةً حتى أُطْلِقَه . قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال : عليٌّ بن الجهم كذَّاب ، وما يمنعه من أن يكون وَلَّدَ هذا الحديثَ وقال هذا الشعر وله ستون سنة ، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ، ليرفع من شأن نفسه ! .

[تشفعه بأحمد بن أبي دواد وهو في الحبس ثم هجاؤه]

أخبرني عمِّي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان أحمد بن أبي دُواد منحرِفاً عن علي بن الجهم لاعتقاده مذهب الحشويَّة . فلما حُبِس عليٌّ بن الجهم مدح أحمدَ بن أبي دواد عدة مدائح ، وسأله أن يقوم بأمره ويَشْفَع فيه ، فلم يفعل وقعد عنه . فمنها قوله[2] : [من الكامل]

يـا أحمـدُ بنَ أبي دُوادٍ إنما تُدْعى لكلِّ عظيمـةٍ يـا أحمدُ[3]
أَبْلِـغْ أميرَ المؤمنينَ ودونَـه خَوْضُ الرَّدى ومَخاوِفٌ لا تَنْفَدُ
أنتـم بنـو عـمِّ النبي محمدٍ أَوْلى بما شَرَعَ النبـيُّ محمدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها : [من الكامل]

قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري

فلما نفى المتوكِّلُ أحمدَ بن أبي دواد شَمِتَ به علي بن الجهم وهجاه فقال[4] : [من الكامل]

1 ديوانه : 212 .
2 ديوانه : 92 .
3 عظيمة في ل : شديدة .
4 ديوانه : 99–100 .

يا أحمدُ بنَ أبي دُوادٍ دعوةً بعثتْ إليكَ جنادلاً وحديدا
مـا هـذه البِدَعُ التي سمَّيتَها بالجهلِ منكَ العدل والتوْحيدا
أفسدتَ أمرَ الدِّينِ حين وَلِيتَه ورَمَيْتَه بأبي الوليـدِ وليدا[1]
لا مُحْكَماً جَزْلاً ، ولا مُسْتَطْرِفاً كَهْلاً ، ولا مُسْتَحْدَثاً مَعْمودا[2]
شَرِهاً ، إذا ذُكِر المكارمُ والعُلا ذَكَـرَ القَلايـا مُبْدِئاً ومُعِيدا
ويَوَدُّ لو مُسِخَتْ ربيعةُ كلُّها وبنـو إيـادٍ صَحْفَـةً وثَرِيدا
وإذا تربَّـع في المجالس خِلْتَه ضَبُعاً وخِلتَ بنـي أبيه قرودا
وإذا تَبَسَّمَ ضاحكـاً شبَّهتَـه شَرِقاً تَعَجَّـلَ شُرْبَـه مَرْدودا
لا أصْبَحَتْ بالخيرِ عينٌ أبصرتْ تلك المَناخِـرَ والثَّنايا السُّودا

[كتابه لطاهر بن عبد الله بن طاهر من الحبس]

أخبرني عمّي قال حدثنا محمد قال : كتب علي بن الجهم إلى طاهر من الحبس[3] : [من السريع]

إنْ كان لي ذنبٌ فلي حُرْمَـةٌ والحـقُّ لا يدفعـه الباطلُ
وحُرْمَتـي أعظـمُ من زَلَّتي لـو نالني مـن عَدْلِكم نائلُ
ولي حقـوقٌ غيرُ مجهولةٍ يعرِفُهـا العاقـلُ والجاهلُ
وكلُّ إنسانٍ لـه مذهـبٌ وأهـلُ مـا يفعلـه الفاعلُ
وسيرةُ الأمـلاكِ منقولـةٌ لا جائـرٌ يَخفى ولا عادلُ
وقـد تعجَّلـتَ الذي خِفتُـه منـكَ ولم يـأتِ الذي آمُلُ

[شعره في مقين كان ينزل عنده بالكرخ]

حدثني عمي قال حدثنا محمد قال : كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فِتيان بغداد لما أُطلِق من حبسه ورُدَّ من النفي ، وكانوا يتقاينون[4] ببغداد ، ويلزمون منزل مُقَيِّنٍ بالكَرخ يقال له المفضَّل . فقال فيه علي بن الجهم[5] : [من الطويل]

نزلنـا ببابِ الكَرْخِ أطْيَبَ مَنْزِلٍ على مُحْسِناتٍ مـن قِيانِ المُفَضَّلِ

---

1 أبو الوليد : محمد بن أحمد بن أبي دواد كان يتولى المظالم بسامراء .

2 معمودا في الديوان : محمودا .

3 الديوان 177–178 .

4 المقين : صاحب القيان . ويتقاينون : يجالسون القيان .

5 ديوانه : 188–191 .

فلابـنِ سُرَيْجٍ والغَريض ومَعْبَدٍ بدائــعُ في أسماعنـــا لم تُبَدَّلِ
أوانِسُ مـا للضَّيفِ منهنَّ حِشْمةٌ ولا رَبُّهُـــنَّ بالجليـــلِ المُبَجَّلِ
يُسَرُّ إذا مـا الضَّيْفُ قَـلَّ حياؤه ويَغْفُل عنـه وهــو غيرُ مُغَفَّلِ
ويُكْثِر مــن ذمِّ الوقــارِ وأهلِـه إذا الضَّيفُ لم يَأْنَسْ ولم يَتَبَذَّلِ
ولا يدفــعُ الأيدي المُرِيبةَ غَيْرةً إذا نــالَ حَظّاً من لَبوسٍ ومأْكَلِ
ويُطْرِقُ إطْراقَ الشُّجاعِ مَهابـةً ليُطْلِق طَـرْفَ الناظـرِ المتأمِّلِ
أشِرْ بيدٍ واغْمِزْ بطَرْفٍ ولا تَخَفْ رَقِيباً إذا مـا كنـتَ غيرَ مُبَخَّلِ
وأَعْرِضْ عن المِصباح والْهَجْ بمثْلِه فإنْ خَمَـدَ المِصباحُ فادْنُ وقَبِّلِ
وسَلْ غيرَ ممنوعٍ وقُلْ غيرَ مُسْكَتٍ ونَــمْ غيرَ مَذْعُورٍ وقُمْ غيرَ مُعْجَلِ
لك البيتُ ما دامَت هَداياك جَمَّةً وكنتَ مليــاً بــالنَّبيذِ المُعَسَّلِ
فبادِرْ بأيــام الشَّبــاب فإنّهــا تَقَضَّى وتَفْنــى والغَوايـةُ تَنْجَلي
ودَعْ عنكَ قولَ الناسِ أَتْلَفَ مالَه فلانٌ فأضحى مُدْبِـراً غيرَ مُقْبِلِ
هــلِ الدَّهرُ إلا ليلةٌ طَرَحَتْ بنا أَواخرُهــا في يــوم لَهْوٍ مُعَجَّلِ
سقى اللّٰهُ بابَ الكَرْخ من مُتَنَزَّهٍ إلى قَصْرِ وَضَّاحٍ فبِرْكَةِ زَلْزَلِ[1]
مَساحِبُ أذيال القِيان ومَسْرَح الـ ـحِسان ومَثْوى كلِّ خِرْقٍ مُعَذَّلِ[2]
لَوَ آن امرأ القيس بن حُجْرٍ يَحُلُّها لأَقْصَرَ عن ذِكْر الدَّخُول وحَوْمَلِ
إذاً لرأى أن يَمْنَحَ الوُدَّ شادِناً مقصِّرَ أذيــالِ القَبـا غيرَ مُسْبِلِ
إذا الليلُ أدنى مَضْجَعي منه لم يَقُلْ عَقَرتَ بَعِيري يا امْرأَ القيس فانْزِلِ

[إبراهيم بن المدبر يتهمه بانتحال شعر]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال أنشدني علي بن الجهم لنفسه[3] : [من الكامل]

وإذا جَــزى اللّٰهُ امرءاً بفِعالــه فجزى أخاً لي ماجِداً سَمْحا

---

1 قصر وضاح : قصر بني للمهدي قرب رصافة بغداد وتولى الانفاق عليه رجل اسمه وضاح فنسب إليه . وبركة زلزل : بركة حفرها زلزل الضارب ووقفها على المسلمين .

2 الخرق : الرجل الواسع الكرم . والمعذل : الذي يعذله الناس على اسرافه في الكرم .

3 قال محقق ديوانه : البيتان موجودان في ديوان الصولي .

ناديتُه عن كُرْبةٍ فكأنما أطلعتُ عن ليلٍ به صُبْحا

فقلت له : وَيْلَك ؛ هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك الزيَّات ! فجَحَدني وكابر . فدخل يوماً عليّ بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده . فلما رآني قال : اجتمع الإبراهيمان . فتركتُه ساعةً ثم أنشدتُ البيتين ، وقلت لإبراهيم بن العباس : إن هذا يزعمُ أن هذين البيتين له . فقال : كَذَب ، هذان لي في محمد بن عبد الملك الزيات . فقال له علي بن الجهم بقِحَةٍ : ألم أنْهَكَ أن تَنْتَحِلِ شعري ؟ فغضِب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سَوْءةً عليك سَوْءةً لك ! . ما أوقحك ! وهو لا يُنكِر[1] في ذلك ولا يَخجل . ثم التقينا بعد مدة فقال : أرأيتَ كيف أخزيتُ إبراهيم بن العباس ؟! فجعلت أَعْجَبُ من صَلابة وجهه .

[شعره في الفراق]

حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء[2] : [من الخفيف]

اعْلَمِي يا أحبَّ شيءٍ إليّا أنَّ شوقي إليكِ قاضٍ عليّا
إن قَضَى اللهُ لي رجوعاً إليكم لا ذكرتُ الفِراقَ ما دمتُ حيّا[3]
إن حَرَّ الفِراقِ أنْحَلَ جسمي وكوى القلبَ منكِ بالشَّوقِ كيّا

[كان الزيات يسبعه عند الخليفة فهجاه]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عن علي بن الجهم وكان يسبِعُه[4] عند الخليفة ويعيبه ويذكره بكلِّ قبيح . فقال فيه علي بن الجهم : [من مجزوء الرجز]

لَعائِنُ اللهِ مُتابَعاتِ مُصَبِّحاتٍ ومُهَجِّراتِ
على ابنِ عبد الملك الزياتِ عَرَّضَ شَمْلَ المُلكِ للشَّتاتِ
وأنْفَذَ الأحكامَ جائراتِ على كتابِ اللهِ ذارِياتِ[5]
وعن عقول الناس خارجاتِ يرمي الدواوينَ بتوقيعاتِ
مُعَقَّداتٍ كَرُقى الحيَّاتِ سبحانَ مَنْ جَلَّ عن الصِّفاتِ

1 ل : لا يفكر .
2 ديوانه : 224 .
3 إليكم في ل : إليكِ .
4 ل : يشنعه .
5 ذاريات : تذرو التراب .

بعد ركوب الطَّوْف في الفُراتِ وبعدَ بَيْعِ الزَّيْتِ بالحَبَّاتِ[1]
صرتَ وزيراً شامخَ الثَّباتِ هارونُ يا ابنَ سَيِّدِ الساداتِ[2]
أما ترى الأمورَ مُهْمَلاتِ تشكو إليك عَدَمَ الكُفاةِ
فعاجِلِ العِلْجَ بمُرْهَفاتِ من بعد ألْفِ صُخَّبِ الأصواتِ[3]
بمُثْمِراتٍ غيرِ مُورِقاتِ تُرى بمَتْنَيْه مُرَصَّفاتِ[4]
تَراصُفَ الأسنان في اللِّثاتِ

[شماتته بعمر بن الفرج عندما قبض عليه]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال : كان علي بن الجَهْم سأل عمرَ بن الفَرَج الرُّخَّجِي[5] معاونته ، واسْتَرْفَده في نكبته فلم يُعاوِنه ولم يُرْفِدْه ، ثم قُبِض على عمر بن الفرج وأُسْلِم إلى نَجاح ليصادره . فقال علي بن الجهم له[6] : [من البسيط]

أَبْلِغْ نَجاحاً فتى الفِتْيانِ مأْلُكَةً تَمْضي بها الرِّيحُ إصْداراً وإيرادا
لن يخرجَ المالُ عفواً من يَدَيْ عُمَرٍ أو يُغْمَدَ السَّيفُ في فَوْدَيه إغمادا
الرُّخَّجِيُّون لا يُوفُونَ ما وَعَدوا والرُّخَّجِيَّاتُ لا يُخْلِفْنَ مِيعادا

قال وقال في عمر بن الفَرَج أيضاً[7] : [من البسيط]

جمعتَ أمريْنِ ضاعَ الحزمُ بينهما تيهَ الملوكِ وأفعالَ المماليكِ
أردتَ شكراً بلا بِرٍّ ومَرْزِئَةٍ لقد سلكتَ طريقاً غيرَ مسلوكِ
ظننتَ عِرْضَكَ لا يُرْمى بقارعةٍ وما أُراكَ على حالٍ بمتروكِ

[تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال : كان لسليمان بن وهب نديمٌ يأنَسُ به ويألَفه ، فعربد عليه ليلةً من الليالي عربدةً قبيحة ، فاطَّرحه وجفاه مدة .

---

1 الطوف : قرب ينفخ فيها فتطفو على الماء فيركب عليها .
2 يقصد الواثق الخليفة العباسي .
3 يقصد ألف سوط .
4 مشمرات : أي لها عقد في أطرافها .
5 هو وأبوه من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى المتوكل الذي نكبه عند توليه الخلافة .
6 ديوانه : 98 .
7 ديوانه : 169 .

فوقف له على الطريق . فلما مرَّ به وَثَب إليه فقال له : أيها الوزير ، ألا تكون في أمري كما قال علي بن الجهم[1] : [من البسيط]

القومُ إخوانُ صِدْقٍ بينهم نَسَب ... من المودةِ لم يُعْدَلْ بها نَسَبُ
تراضَعُوا دِرَّة الصهباء بينهمُ ... فأوجبوا لرضيع الكأسِ ما يَجبُ
لا تَحْفَظنَّ على السَّكرانِ زَلَّتَه ... ولا تَرِيبَنْك من أخلاقِه رِيَبُ

فقال له سليمان : قد رَضِيتُ عنك رضاً صحيحاً ، فعُدْ إلى ما كنتَ عليه من ملازمتي .
أول هذه الأبيات : [من البسيط]

الوَرْدُ يضحكُ والأوتار تصطخِبُ ... والنَّاي يَنْدُبُ أشجاناً ويَنْتَحِبُ
والرَّاحُ تُعْرَضُ في نَوْرِ الرَّبيعِ كما ... تُجْلى العَروسُ عليها الدُّرُّ والذَّهَبُ[2]
واللَّهو يُلْحِقُ مَغْبوقاً بمُصْطَبِحٍ ... والدور سيَّان محثوثٌ ومُنْتَخَبُ
وكلّما انسكبتْ في الكأس آونةً ... أقسمتُ أن شُعاعَ الشَّمسِ يَنْسَكِبُ

[يسري عن عبد الله بن طاهر بشعره]

أخبرني عمّي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسْلَم مولى عبد الله بن طاهر قال : دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غُدْوة من غُدُواتِ الرَّبيع وفي السماء غَيْم رقيق والمطرُ يجيء قليلاً ويسكن قليلاً ، وقد كان عبد الله عزَم على الصَّبُوح . فغاضبتْه حَظِيَّةٌ له ، فتنغَّص عليه عَزْمُه وفتَر . فخُبِّر علي بن الجهم بالخبر وقيل له : قُلْ في هذا المعنى شيئاً ، لعله ينشَط للصَّبوح . فدخل عليه فأنشده[3] : [من البسيط]

صوت

أَمَا ترى اليومَ ما أحْلى شمائلَه ... صَحْوٌ وغَيْمٌ وإبْراقٌ وإرْعادُ
كأنَّه أنتَ يا مَنْ لا شبيهَ له ... وَصْلٌ وهَجْرٌ وتَقْرِيبٌ وإبْعادُ
فباكِرِ الرَّاحَ واشربْها مُعتَّقةً ... لم يَدَّخِرْ مِثْلَها كِسْرى ولا عادُ
واشْرَبْ على الرَّوضِ إذ لاحتْ زَخارِفُه ... زَهْرٌ ونَوْرٌ وأَوْراقٌ وأَوْرادُ[4]

---

1 ديوانه : 67–68 .
2 نور في ل : ثوب وفي شرح المقامات للشريشي : يوم .
3 ديوانه : 96–97 .
4 لاحت في الديوان :وشى . وأوراق في الديوان : توراق .

كأنّما يومُنا فِعْلُ الحبيبِ بنا ... بَذْلٌ وبُخْلٌ وإبعادٌ وميعادُ
وليس يذهبُ عنّي كلُّ فعلكمُ ... غَيٌّ ورُشْدٌ وإصلاحٌ وإفسادُ

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلثمائة دينار ؛ وحمَله وخلَع عليه ، وأمر بأن يُغَنَّى في الأبيات .

الغِناء لبَذْل الطاهرية ، خفيفُ رملٍ . وفيه لغيرها هزجٌ .

[جلس في المقابر بعد خروجه من السجن]

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجلٌ من أهل خُراسان قال : رأيت علي بن الجهم بعد ما أُطلِقَ من حبسه جالساً في المقابر ؛ فقلت له : ويحك ؛ ما يُجلسك هاهنا ؟ فقال[1] : [من البسيط]

يشتاقُ كلُّ غريبٍ عندَ غُربَتِه ... ويذكرُ الأهلَ والجيرانَ والوطنا
وليس لي وطنٌ أمسَيْتُ أذكره ... إلا المقابرَ إذ صارتْ لهم وطنا

حدثني عمّي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء[2] : [من مجزوء الرمل]

لو تَنَصَّلْتَ إلينا ... لَوَهَبْنا لكَ ذَنْبَكْ
بأبي ما أبغضَ العيـ ... ـشَ إذا فارقتُ قُربَكْ
ليتني أمِلكُ قلبي ... مِثْلَ ما تَمْلِكُ قلبَكْ
أيُّها الواثقُ باللـ ... ـهِ لقد ناصحتَ ربَّكْ
ما رأى الناسُ إماماً ... أنْهَبَ الأموالَ نَهْبَكْ
أصبحتْ حُجَّتُك العُلْـ ... ـيا وحزبُ اللهِ حِزبَكْ

الغناء لعريب رمل . وفيه لغيرها هزجٌ .

[هجاؤه أبا أحمد بن الرشيد]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان علي بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يُعطِه شيئاً ؛ فقال يهجوه[3] : [من مجزوء الرمل]

يا أبا أحمدَ لا يُنْـ ... ـجِي من الشِّعْر الفِرارُ

---

1 ديوانه : 216 .

2 لم ترد هذه الأبيات في ديوانه .

3 ديوانه : 125–126 .

لبنـــي العبـاسِ أحــلا ... مٌ عِظــامٌ ووقـــارُ
ولهـم في الحربِ إقـدا ... مٌ ورأْيٌ واصطبـــارُ
ولهـــم ألْسِنــةٌ تَبْــ ... ـري كما تَبْرِي الشِّفارُ
ووجـوهٌ كنجـومِ الـ ... ـلَّيل تَهْدِي مـن يَحارُ
ونَسِيـمٌ كنسيـــمِ الـ ... ـرَّوضِ جادتْـه القِطارُ
ولِعطْفَيْــك عـن المجـ ... ـدِ شِمــاسٌ وازْورارُ
إن تكن منهم بلا شكٍّ ... فللعُـــودِ قُتــــارُ[1]

[رثاؤه عبد الله بن طاهر]

حدثني جحظة وعمي قالا حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : دخل إلينا علي بن الجهم بعِقب موت أبي والمجلسُ حافلٌ بالمعزِّين ، فمثُل قائماً وأنشدنا يرثيه[2] : [من الخفيف]

أيُّ ركـــنٍ وَهـى من الإسلامِ ... أيُّ يــومٍ أخْنــى عـلى الأيامِ
جَــلَّ رُزْءُ الأميرِ عــن كلِّ رُزْءٍ ... أدركتْـــــه خواطـــرُ الأوهامِ
سَلَبتْنــا الأيــامُ ظـــلاً ظَليـلاً ... وأباحـــتْ حِمـىً عزيـزَ المَـرامِ
يا بَنِـي مُصْعَبٍ حَلَلْتم مـن النا ... سِ مَحَـلَّ الأرواحِ في الأجسامِ
فـإذا رابَكم مـن الدَّهـرِ رَيْبٌ ... عَمَّ مــا خَصَّكم جميـعَ الأنامِ
انظروا هـــل تَـرَوْن إلاَّ دموعـاً ... شاهـــداتٍ على قلـوبٍ دوامي
مَنْ يُداوِي الدُّنيا ومَنْ يكلأُ المُلْـ ... ـكَ لدى فادحِ الخطوبِ العِظامِ[3]
نحــن مُتْنا بموتـه وأجــلُّ الـ ... ـخطبِ موتُ السَّاداتِ والأعلامِ
لم يَمُـــتْ والأميرُ طاهــرُ حَـــيٌّ ... دائـــمُ الانتقـــام والإنْعـــامِ
وهـــو مـــن بعـــدِهِ نظـامُ المعالي ... وقِـــوامُ الدُّنيـــا وسيـــفُ الإمامِ

قال : فما أذكر أني بكيت أو رأيتُ في دُورِنا باكياً أكثر من يومئذٍ .

[عريب تغني بشعره المعتز]

حدثني عمي قال حدثنا أبو الدِّهْقانةِ النديم قال : دخلنا يوماً إلى المعتز وهو مصطبحٌ على

1 القتار : ريح العود المحرق .
2 ديوانه : 214 .
3 فادح في ل : قادح .

صوتٍ اختاره واقترحه على عريب ، وأظُنُّ الصنعة لها ، فلم يزل يشرب عليه بقية يومِه ، فلما سَكِرِ أمر لها بثلاثين ألف درهم ، وفرَّق على الجلساء كلِّهم الجوائز والطِّيبَ والخلعَ .

والصوت[1] : [من البسيط]

العينُ بعـدَك لم تنظرْ إلى حَسَنٍ والنَّفسُ بعدَك لم تسكُنُ إلى سَكَنِ
كأنَّ نفسي إذا مـا غبتَ غائبةٌ حتى إذا عُدْتَ لي عادت إلى بَدَني

والشعر لعلي بن الجهم .

[مع عبد الله بن طاهر]

حدثني جحظة ومحمد بن خلف وَكِيعٌ وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : لما أطلَق أبي طاهرٌ علي بن الجهم من الحبس أقام معه بالشَّاذِياخ مدة . فخرجوا يوماً إلى الصيد ، واتفق لهم مَرْجٌ كثير الطير والوحش ، وكانت أيامُ الزَّعفران ، فاصطادوا صيداً كثيراً حسناً ، وأقاموا يشربون على الزَعفران . فقال علي بن الجهم يصِف ذلك[2] : [من الطويل]

وَطِئنا رياضَ الزَّعْفران وأمْسَكَتْ علينا البزاةُ البِيضُ حُمْرَ الدَّرارجِ[3]
ولم تَحْمِهـا الأدغالُ منَّـا وإنّما أبَحْنا حِماهـا بالكلابِ النوابجِ[4]
بمُسْتَرْوِحاتٍ سابحـاتٍ بطونُها على الأرض أمثالَ السِّهام الزَّوالجِ[5]
ومُسْتَشْرِفاتٍ بالهَـوادِي كأنّـها وما عَقَفتْ منها رؤوسُ الصَّوالِجِ[6]
ومِـنْ دالِعـاتٍ ألْسُناً فكأنّـها لِحىً من رجالٍ خاضعين كَواسجِ[7]
فَلَيْنا بهـا الغِيطانَ فَلْيـاً كأنّـها أناملُ إحدى الغانيـات الحوالجِ[8]
فَقُلْ لبُغاةِ الصَّيدِ هـل من مُفاخرٍ بصَيْدٍ وهل من واصفٍ أو مُخارجِ
قَرَنَّا بُـزاةً بالصُّقورِ وحَوَّمَـتْ شواهينُنا من بعد صَيْدِ الزَّمامِجِ[9]

1 ديوانه : 219 .
2 ديوانه : 84 .
3 الدرارج في ل : التدارج .
4 النوابج : كالنوابح وفي ل : البوارج .
5 استروح الشيء : تشممه . الزوالج : السريعات .
6 الهوادي : الأعناق . وعقفت : عطفت وعوجت . الصوالج : جمع صولجان .
7 الكوسج : الذي لحيته على ذقنه لا على عارضيه .
8 حوالج : جمع حالجة وهي التي تندف القطن حتى يخلص الحب منه .
9 الزمامج : جمع زمج وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب .

[كتاب من حبسه إلى المتوكل]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كتب علي بن الجهم إلى المتوكل وهو محبوس[1] : [من المتقارب]

صوت

أَقِلْنـي أَقالَكَ مَـنْ لم يَـزَلْ يَقِيكَ ويَصْرِفُ عنك الرَّدى
ويَغْـذوك بالنِّعـمِ السابِغاتِ وليـداً وذا مَيْعَـةٍ أَمْرَدا
وتَجْـرِي مقاديـرُه بـالذي تُحـبُّ إلى أن بلغـتَ المَدى
ويُعْلِيكَ حتى لَـوَ آن السماءَ تنـالُ لجاوزتَهـا مُصْعِدا[2]
فما بـين ربِّـك جـلَّ اسمُه وبينَـك إلا نبـي الهُدى
فشكـراً لأَنْعُمِـه إنـه إذا شُكِـرتْ نعمـةٌ جَدَّدا
وعفـوَك عـن مُذْنِبٍ خاضعٍ قَرَنْـتَ المُقِيـمَ بـه المُقْعِدا
إذا ادَّرع الليـلَ أَفْضى بـه إلى الصُّبح مـن قبلِ أن يَرْقُدا
عفـا اللهُ عنـكَ ألاَ حُرْمـةٌ تَعُـوذُ بفضلـكَ أن أُبْعَدا[3]
لئن جَـلَّ ذنـبٌ ولم أعتمدْ لأنـتَ أجَـلُّ وأعْـلى يَـدا
أَلم تَـرَ عَبْـداً عـدا طَـوْرَه ومـولىً عفـا ورشيداً هدى
ومُفْسِدَ أمـرٍ تلافيتَـه فعـاد فأَصْلَح مـا أفْسَدا
فـلا عُدْتُ أعصِيك فيما أمرتَ حتى أزورَ الثَّرى مُلْحَدا[4]
وإلا فخالفـتُ ربَّ السماءِ وخُنْتُ الصَّديقَ وعِفْتُ النَّدى
وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو مُبيحِ العيـالِ لمـن أَوْلدا[5]
يكثِّـر في البيـتِ صِبيانَـه يَغِيـظُ بهـم مَعْشَراً حُسَّدا[6]

1 ديوانه : 100–103 وفيه اختلاف في الترتيب .
2 ويعليك في الديوان : وأعلاك .
3 بفضلك في الديوان : بعفوك .
4 في الديوان : بعد أمرت : به أو أرى في الثرى ملحدا .
5 مبيح في الديوان : مباح .
6 رواية الديوان : أكثر صبيـان بيتـي لِكَيْ أغيظ بهم معشراً حسداً

[شماتته بأحمد بن أبي دواد حين فلج]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : لما فُلِجَ ابن أبي دُواد شَمِت به علي بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه[1] : [من الكامل]

لم يَبْقَ منك سوى خيالِك لامعاً ... فــوقَ الفِراشِ مُمَهَّــداً بوسادِ
فَرِحَتْ بمَصْرَعِك البريَّــةُ كلُّها ... مَنْ كان منهــم مُوقِناً بمَعادِ
كَم مجلسٍ للهِ قَــدْ عطَّلتَــــه ... كي لا يُحَدَّث فيــه بالإسنادِ
ولَكَــمْ مصابيــحٍ لنــا أطفأْتهــا ... حتى يزولَ عن الطريق الهادي
ولَكَــمْ كريمــةِ مَعْشَرٍ أُرْمَلْتَها ... ومُحَدِّثٍ أَوْثَقْــتَ في الأَقيادِ
إنَّ الأسارى في السُّجُون تفَرَّجوا ... لَمــا أتتــك مواكــبُ العُوَّادِ
وغدا لمصرعِك الطبيبُ فلم يجدْ ... شيئاً لدائــكَ حيلــةَ المُرْتادِ
فــذُقِ الهــوانَ مُعَجَّــلاً ومؤجَّلاً ... واللهُ رَبُّ العــرشِ بــالمِرصادِ
لا زال فالِجُك الذي بك دائباً ... وفُجِعْتَ قبــلَ الموتِ بالأولادِ

[شعر له غنت فيه عريب]

أنشدني عمي لابن الجهم وفيه غناء لعريب[2] : [من الكامل]

نَطَقَ الهوى بجَوىً هــو الحقُّ ... وملكتَنــي فَلْيَهْنِــكَ الــرِّقُّ
رِفْقــاً بقلبــي يــا معذِّبَــه ... رفقــاً وليس لظــالمٍ رِفْــقُ
وإذا رأيتُــك لا تكلِّمنـــي ... ضاقتْ عليَّ الأرضُ والأُفْقُ

وأنشدني له وفيه غناء أيضاً ، ويقال إنه آخر شعر قاله[3] : [من المنسرح]

يا رحمةً للغريبِ بــالبلدِ النــ ... ــازحِ مــاذا بنفسِه صَنَعا
فــارَقَ أحبابَــه فما انتفعُوا ... بالعيشِ مــن بعدِه وما انتفعا

[هجاؤه مغنّياً]

وقال لمغنٍّ حضر معه مجلساً وكان غير طيِّب[4] : [من الخفيف]

1 ديوانه : 106–107 .
2 ديوانه : 164 مع بعض الاختلاف .
3 ديوانه : 159 .
4 ديوانه : 57–58 .

كنتُ في مجلسٍ فقال مُغَنّي الـ ـقومِ كم بيننا وبين الشتاء
فذَرَعْتُ البِساطَ مِنّي إليه قلتُ هذا المقدارُ قبل الغِناء
فإذا ما عَزَمْتَ أن تَتَغَنّى آذَنَ الحَرُّ كلُّه بانقضاء

[استشفع بقبيحة إلى المتوكل]

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : لما حبَس أمير المؤمنين المتوكِّلُ عليَّ بن الجهم ، وأجمع الجُلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كلَّ مكروه ووصفِهم مساويَه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكِّره حقوقه عليه ، وهي : [من المتقارب]

عفا اللهُ عنكَ ألاَ حُرْمةٌ تَعُوذُ بعفوكَ أن أُبْعَدا

ووجَّه بها إلى بَيْدون الخادم ، فدخل بها إلى قبيحة وقال لها : إن عليَّ بن الجهم قد لاذ بكِ وليس له ناصرٌ سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل من أهل السنَّة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدَعَتِ المعتز وقالت له : اذهب بهذه الرقعة يا بُنَي إلى سيِّدك وأوصِلْها إليه ، فجاء بها ووقف بين يَدَيْ أبيه . فقال له : ما معكَ فديتُك ؟ فدنا منه وقال : هذه رُقعة دفَعَتْها إليَّ أُمِّي . فقرأها المتوكل وضحِك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله ، فديتُه ، خصمَكم . هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل ، وأبو عبد الله شفيعُه ، وهو ممن لا يُرَدّ ، وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله : [من المتقارب]

فلا عُدْتُ أعْصِيكَ فيما أمرتَ إلى أن أَحُلَّ الثَّرى مُلْحَدا
وإلا فخالفتُ رَبَّ السماء وخُنْتُ الصَّديقَ وعِفْتُ النَّدى
وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو مُبيحِ العيالِ لمن أَوْلَدا

وَثَب ابن حمدون وقال للمعتز : يا سيدي فمَن دفع هذه الرقعة إلى السيدة ؟ قال بَيْدون الخادم : أنا . فقالوا له : أحسنتَ ! تُعادينا وتوصل رُقعةَ عدوِّنا في هجائنا ! ! فانصرف بيدون وقام المعتز فانصرف . واستلَب ابنُ حمدون قوله : [من المتقارب]

وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو مُبيحِ العيالِ لمن أَوْلَدا

فجعل يُنشدهم إياه وهم يشتُمون ابنَ حمدون ويَضِجُّون والمتوكل يضحَك ويصفِّق ويشرب حتى سَكِر ونام ، وسرقوا قصيدته من بين يَدَيْ المتوكل وانصرفوا ، ولم يوقِّع بإطلاقه ونَسِيَه . فقالوا لابن حمدون : وَيلَك ؛ تُعِيد هجاءنا وشَتْمنا ؟! فقال : يا حَمْقى والله لو لم أفعل ذلك فيضحك ويشرب حتى يسكر وينام لوقَّع في إطلاقه ووقَعْنا معه في كلِّ ما نكره .

[هنأ المتوكل بفتح أرمينية]

أخبرني علي بن الحسين قال حدثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدثني أحمد بن حمدون قال : لما افتُتِحت أرمينية وقُتِل إسحاق بن إسماعيل دخل علي بن الجهم فأنشد المتوكِّلَ قصيدته التي يُهَنِّيه فيها بالفتح ويمدحه ، فقال فيها وأومأ بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاقَ بن إسماعيل[1] : [من الرجز]

أهْـلاً وسَهْلاً بكَ مـن رسولِ جئتَ بما يَشْفِي مـن الغَلِيلِ
بجملـةٍ تُغْنِـي عـن التفصيلِ بـرأسِ إسحاقَ بـنِ إسماعيلِ
قَهْراً بـلا خَتْـلٍ ولا تطويـلِ

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتداءه ، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم ، وتمَّم القصيدة . وفيها يقول : [من الرجز]

جـاوز نَهْـرَ الكُـرِّ بالخُيولِ تَرْدِي بفِتْيـانٍ كأُسْدِ الغِيَلِ[2]
مُعَـوَّداتٍ طلـبَ الذُّحُـولِ خُزْرُ العيـونِ طيبي النُّصولِ[3]
شُعْثٌ على شُعْثٍ من الفحولِ جيشٌ يَلُفُّ الحَـزْنَ بالسُّهولِ
كأنّـه مُعْتَلـجُ السُّيـولِ يَسُوسُه كَهْـلٌ مـن الكهولِ[4]
لا يَنْثنـي للصَّعْب والذَّلُولِ عـلى أغَـرَّ واضحِ الحُجُولِ
حتـى إذا أُصْحَرَ للمخذولِ ناجَـزَه بصـارمٍ صَقِيلِ[5]
ضَرْبـاً طِلَحْفـاً ليس بالقليلِ ومَنْجَنيق مثـلِ خَلْـقِ الفيلِ[6]
تَرْفَضُّ عـن خُرْطومه الطويل صواعقٌ مـن حَجَرِ السِّجِّيلِ
تترك كَيْـدَ القومِ في تَضْليلِ ما كان إلا مِثْلُ رَجْعِ القِيلِ
حتى انْجَلَتْ عن حزبه المفلولِ وعـن نساءٍ حُسَّرٍ ذُهُـولِ
صـوارِخٍ يَعْثُرْن في الذُّيـولِ ثَـواكلِ الأولادِ والبُعُـولِ

1 ديوانه : 191–192 .
2 الكر : نهر بأرمينية يشق مدينة تفليس . وتردي : ترجم الحصى بحوافرها .
3 الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . خزر العيون : ضيق العيون . وطيبي النصول في ل : صيتي النصول .
4 معتلج السيول : متلاطم .
5 اصحر : برز .
6 طلحف : شديد .

لا والذي يُعْرَفُ بالعقولِ مِـن غيرِ تحديـدٍ ولا تمثيلِ
مـا قـامَ للهِ وللرسولِ بالدِّيـنِ والدُّنيـا وبـالتَنزيلِ
خليفـةٌ كجعفـرَ المأمولِ

[يرسل مديحاً إلى المتوكل من حبسه]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال : رأيتُ مع علي بن يحيى المنجِّم قصيدةَ علي بن الجهم يمدح المتوكل ويصف الهاروني[1] ، فقلت له : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحِك وقال : قصيدةٌ لعلي بن الجهم سألني عَرْضَها على أمير المؤمنين فعرَضتها . فلما سمع قوله[2] : [من المتقارب]

وقُبَّـة مُلْـكٍ كأنَّ النُّجـو مَ تُصْغِـي إليهـا بأسرارها[3]
تَخِـرُّ الوفـودُ لهـا سُجَّـداً إذا مـا تَجلَّـتْ لأَبْصارها
وفَـوَّارة ثأرُهـا في السمـاءِ فليستْ تُقَصِّرُ عـن ثـارها
تَـرُدُّ على المُزْنِ مـا أنزلتْ إلى الأرضِ من صَوْب مِدرارها

تهلل وجهُه واستحسنها . فلما انتهيتُ إلى قوله : [من المتقارب]

تَبَوأْتُ بعـدَك قَعْرَ السُّجون وقـد كنـتُ أُرْثـي لزوارها

غضِب وتربَّد وجهُه وقال : هذا بما كسَبَتْ يداه ، ولم يَسْمَع تمامَ القصيدة .

[مقتله في الطريق إلى حلب]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال : لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشَرُّه وذِكْرُه كلَّ أحدٍ بسوءٍ من صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام ، فاتفقنا في قافلةٍ إلى حَلَب . وخرج علينا نَفَرٌ من الأعراب ، فتسرَّع إليهم قومٌ من المُقاتِلة ، وخرج فيهم فقاتل قتالاً شديداً وهزَم الأعرابَ . فلما كان من غدٍ خرج علينا منهم خَلْقٌ كثير ، فتسرَّعت إليهم المقاتِلة وخرج فيهم فأصابتْه طعنةٌ قتلتْه ، فجئنا به واحتملناه وهو يَنْزِف دمُه . فلما رآني بكى وجعل يُوصيني بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا قلِق قلقاً شديداً وأحسَّ بالموت ، فجعل يقول[4] : [من المجتث]

---

1 الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله .
2 من قصيدة طويلة في ديوانه : 146–149 .
3 الديوان : تفضي .
4 ديوانه : 183 .

أَزِيــدَ في الليــلِ ليلُ أَم سالَ بالصُّبح سَيْلُ
ذكرتُ أهــلَ دُجَيْلٍ وأيــنَ منّــي دُجَيْلُ

فأبكى كلَّ من كان في القافلة ، ومات مع السَّحَر ، فدُفِن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب .

[ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل]

صوت

[من الطويل]

إن الناسُ غَطَّـوْني تَغَطَّيْتُ عنهمُ وإن بحثـوا عنّـي ففيهم مَباحثُ
وإن حفَروا بئري حَفَرتُ بِئارَهم فسوفَ تَرى مـاذا تُثير النَّبائثُ[1]

الشعر لأبي دُلامة . والغِناء لأبي عيسى بن المتوكّل ، ولحنه ثقيلٌ أولُ عن المعتز .

1 النبائث : جمع نبيثة وهو تراب البئر .

[169] ـ أخبار أبي دُلامة ونسبُه[1]

[نسبه]

أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن . وأكثرُ الناس يُصَحِّف اسمَه فيقول «زيد» بالياء ، وذلك خطأ ، وهو زَنْد بالنون . وهو كوفيٌّ أسودُ ، مولىً لبني أسَد . كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه . وأدرك آخرَ أيام بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، وانقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور والمهدي ، فكانوا يقدِّمونه ويَصِلونه ويستطيبون مجالستَه ونوادرَه . وقد كان انقطع إلى رَوْح بن حاتم المُهَلَّبي أيضاً في بعض أيامه . ولم يصِلِ إلى أحدٍ من الشعراء ما وصل إلى أبي دُلامة من المنصور خاصةً . وكان فاسدَ الدِّين ، رديء المذهب ، مرتكِباً للمحارم ، مُضَيِّعاً للفروض ، مجاهراً بذلك ، وكان يُعْلَم هذا منه ويُعْرَف به ، فيُتَجافى عنه لِلُطْفِ مَحَلِّه .

[أول شعر عرف به]

وكان أولُ ما حُفِظ من شعره وأسْنِيَتِ الجوائزُ له به قصيدةٌ مدح بها أبا جعفر المنصور وذكَر قَتْلَه أبا مسلم . فأخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمار قال حدثني محمد بن داود بن الجَرَّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حَبِيب قال : لما قال أبو دُلامة قصيدتَه في قتل أبي مسلم التي يقول فيها : [من الطويل]

أَبا مُسْلِمٍ خَوَّفْتَني القتلَ فانْتَحى ... عليك بما خوَّفتَني الأسَدُ الوَرْدُ

أبا مسلمٍ مـا غيَّر اللهُ نعمـةً ... على عبـدِه حتى يغيِّرَها العبدُ

أنشدها المنصورَ في محفلٍ من الناس ، فقال له : احتكم . قال : عشرة آلاف درهم ، فأمَر له بها . فلما خلا به قال له : إيهٍ ، أما والله لو تَعَدَّيتَها لقتلتُك .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن مسلم عن أبيه قال : سَمَّى لي أبو

---

1 لأبي دلامة ترجمة في الشعر والشعراء : 660 وطبقات ابن المعتز : 54 وتاريخ بغداد 8 : 488 وابن خلكان 2 : 320 وسير الذهبي 7 : 374 والوافي 14 : 216 والمؤتلف والمختلف : 231 والبداية والنهاية 10 : 134 ومعاهد التنصيص 2 : 211 والدميري 1 : 163 والشذرات 1 : 249 وطرائفه منثورة في كتب الأدب ، وقد أورد صاحب التذكرة الحمدونية طائفة منها ، وقد جمع ديوانه الدكتور رشدي علي حسن (بيروت 1985) .

دلامة نفسَه زَنْداً (بالنون) ابنَ الجَوْن . وأسلم مولاه فضافض ، وله أيضاً شعر ، وكان في الصَّحابة .

[أعفاه المنصور من لبس السواد والقلانس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبي قال : كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلُبس السَّواد وقلانِسَ طِوالٍ تُدْعَم بعِيدانٍ من داخلها ، وأن يعلقوا السُّيوفَ في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . فدخل عليه أبو دُلامة في هذا الزِّي . فقال له أبو جعفر : ما حالُك ؟ قال : شَرُّ حالٍ ، وجْهِي في نِصْفي ، وسَيْفِي في استي ، وكتابُ الله وراءَ ظهري ، وقد صبغت بالسَّواد ثيابي . فضحِك منه وأعفاه وحدَه من ذلك ، وقال له : إياك أن يَسْمَع هذا منك أحد .

ونسختُ من كتابٍ لابن النطَّاح فذكَر مِثْلَ هذه القصة سواء وزاد فيها : [من الطويل]

وكنا نرجِّــي مــن إمامٍ زيادةً فجادَ بطُولٍ زادَه في القَلانِسِ
تَراها على هامِ الرجالِ كأنّـها دِنانُ يهــودٍ جُلِّلَتْ بالبرانِسِ

فضحِك منه وأعفاه .

[طلبه كلب صيد]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني الجاحظ قال : كان أبو دُلامةَ بين يَدَيْ المنصور واقفاً ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتيبة أنه كان واقفاً بين يَدَيْ السَّفَّاح[1] ، فقال له : سَلْني حاجتَك . قال أبو دُلامة : كلبٌ أتصيَّد به . قال : أُعطوه إياه . قال : ودابَّةٌ أتَصَيَّد عليها . قال : أَعطُوه . قال : وغلامٌ يَصِيد بالكلب ويقوده . قال أعطوه غلاماً . قال : وجاريةٌ تُصْلِح لنا الصَّيْد وتُطْعِمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدُك فلا بد لهم من دارٍ يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : فإن لم تكن لهم ضَيْعةٌ فمن أين يعيشون ! قال : قد أعطيتُك مائةَ جَرِيب عامرةً ومائةَ جَرِيب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نباتَ فيه . فقال : قد أقطعتُك أنا يا أُمير المؤمنين خمسمائة أُلف جَرِيب غامرةً من فَيافي بني أَسَد . فضحِك وقال : اجعلوها كلَّها عامرةً . قال : فَأْذَنْ لي أن أُقبِّل يدَك . قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : والله ما منعتَ عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها . قال الجاحظ[2] : فانظُر إلى حِذْقه بالمسألة ولُطفِه فيها : ابتدأ بكلب فسهَّل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على

1 انظر الشعر والشعراء : 660 .

2 الحيوان 2 : 170–171 وفيه أيضاً أن الطلب كان من السفاح ولم يذكر تعليق الجاحظ على لطف أبي دلامة في المسألة .

ترتيبٍ وفكاهةْ ، حتى نال ما لو سأله بديهةً لَما وصل إليه .

[تكنيته باسم جبل بمكة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السُّكَّري عن محمد بن حبيب قال : اسم أبي دلامة زَنْدٌ بالنون ، ومن الناس من يرويه بالياء ، وكُنِّيَ أبا دُلامة باسم جبلٍ بمكة يقال له أبو دُلامة ، كانت قريش تَئِدُ فيه البناتِ في الجاهلية ؛ وهو بأعلى مكة .

[مديحه الغريب للمنصور]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني عمّي قال حدثني الكُراني عن العُمَرِي عن الهيثم قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها : [من البسيط]

إن الخَلِيطَ أجَدَّ البينَ فانتجعوا ... وزَوَّدوكَ خَبالاً بئس ما صنعوا
واللهُ يعلمُ أنْ كادت لِبَيْنِهمُ ... يومَ الفِراق حَصاةُ القلب تَنْصَدِعُ
عجبتُ من صِبْيتي يوماً وأُمِّهِمُ ... أُمِّ الدُّلامةِ لما هاجَها الجَزَعُ
لا باركَ اللهُ فيها من مُنَبِّهةٍ ... هَبَّتْ تَلُومُ عيالي بعد ما هَجعوا
ونحنُ مُشْتبِهو الألوان أوجهُنا ... سُودٌ قِباحٌ وفي أسمائنا شَنَعُ
إذا تَشَكَّتْ إليَّ الجوعَ قلتُ لها ... ما هاج جُوعَكِ إلا الرِّيُّ والشِّبَعُ

ويُروى وهو الجيد :

أذابَكِ الجوعُ مُذْ صارت عيالتُنا ... على الخليفة منه الرِّيُّ والشِّبَعُ
لا والذي يا أميرَ المؤمنين قَضى ... لكَ الخلافةَ في أسبابها الرِّفَعُ
ما زِلتُ أخْلِصُها كَسْبِي فتأكلُه ... دوني ودون عيالي ثم تضطجعُ
شَوْهاءُ مَشْنَأةٌ في بطنها ثَجَلٌ ... وفي المفاصل من أوصالها فَدَعُ[1]
ذكَّرتُها بكتابِ اللهِ حُرْمتنا ... ولم تكن بكتابِ الله تَنْتفعُ
فاخْرَنْطَمَتْ ثم قالت وهي مُغْضَبَةٌ ... أأنتَ تتلو كتابَ الله يا لُكَعُ
اخْرُجْ لتبغِ لنا مالاً ومَزْرَعَةً ... كما لجيراننا مالٌ ومُزْدَرَعُ[2]
واخْدَعْ خليفتَنا عنها بمسألةٍ ... إنَّ الخليفةَ للسُّؤالِ ينخدعُ

1 الثجل : عظم البطن واسترخاؤه . الفدع : الاعوجاج .
2 لتبغ في ل : تَبَغَّ .

فضحِك أبو جعفر وقال : أرضوها عنّي واكتبوا له بمائتي جَرِيب عامرة ومائتي جرِيب غامرة ، وقال الهيثم : بستمائة جَريب عامرة وغامرة ، فقال له : أنا أُقْطِعك يا أمير المؤمنين أربعةَ آلاف جَريب غامرة فيما بين الحِيرة والنَّجَف ، وإن شئتَ زِدتُك . فضحِك وقال : اجعلوها كلَّها عامرة .

[ابن أبي ليلى يمضي شهادته]

حدثني محمد بن أحمد بن الطَّلاَّس قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائني قال : شهِد أبو دلامة بشهادة لجارة له عندَ ابن أبي ليلى على أتانٍ نازعها فيها رجل . فلما فرغ من الشهادة قال : اسْمَعْ ما قلتُ فيك قبل أن آتيكَ ثم اقْضِ ما شئتَ . قال : هات ؛ فأنشده : [من الطويل]

إن الناس غَطَّوْني تغطَّيْتُ عنهمُ ... وإن بحثـوا عني ففيهـم مَباحِثُ
وإن حفَروا بئري حفرتُ بئارَهم ... ليُعْلمَ يومـاً كيفَ تلـكَ النَّبائثُ

ثم أقبل على المرأة فقال : أتَبيعِينني الأتانَ ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال : ادفعوها إليها ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتُها لك ، وقال لأبي دلامة : قد أمْضَيْتُ شهادتَك ولم أبحث عنك ، وابتعتُ ممن شَهِدتَ له ، ووهبتُ مِلْكي لمن رأيتُ . أرَضِيتَ ؟ قال نعم ، وانصرف .

[ذمه لابنته]

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدثنا محمد بن سَلاَّم عن علي بن إسماعيل قال : كنتُ أُسْقي أبا دلامة والسندي[1] ، إذ خرجتْ بنتٌ لأبي دلامة ، فقال فيها أبو دلامة : [من الوافر]

فمـا ولدتك مريمُ أُمُّ عيسى ... ولا ربَّـاكِ لُقْمـانُ الحكيمُ

أجِزْ يا أبا هاشم . فقال السندي : [من الوافر]

ولكـن قـد تَضُمُّكِ أُمُّ سَوْءٍ ... إلى لَبَّاتهـا وأبٌ لئيـمُ

فضحِك لذلك . ثم غدا أبو دُلامة إلى المنصور فألفاه في الرَّحَبة يُصْلِح فيها شيئاً يريده ، فأخبره بقصة بنته وأنشده البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدهما : [من البسيط]

لو كان يَقْعُد فوقَ الشمسِ من كَرَمٍ ... قـومٌ لَقِيل اقعـدوا يـا آل عباسِ

1 في رواية : السيد أي السيد الحميري .

ثم ارتقُوا في شُعاعِ الشمسِ كلُّكمُ إلى السمــاء فأنتـم أُطهـرُ الناسِ
وقدِّموا القائــمَ المنصورَ رأسَكُم فالعينُ والأنفُ والأُذْنانِ في الراسِ

فاستحسنها ، وقال له : بأيِّ شيء تحبُّ أن أُعِينَكَ على قُبْحِ ابنتِك هذه ؟ فأخرج خريطةً قد كان خاطها من الليل فقال : تملأ لي هذه دارهمَ ، فمُلِئتْ فوَسِعتْ أربعةَ آلاف درهم .

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثني العُمَري عن الهَيْثم بن عَدِي قال : دخل أبو عَطاء السِّنْدي يوماً إلى أبي دُلامة فاحتبسه عنده ، ودعا بطعام فأكلا وشبِعا ، وخرجتْ إلى أبي دُلامة صَبِيَّةٌ له فحملها على كتفه ، فبالت عليه فنبَذها عن كتفه ، ثم قال : [من الوافر]

بَلَلْتِ عليَّ ، لا حُيِّيتِ ، ثوبي فبــالَ عليــكِ شيطانٌ رجيمُ
فما ولَدتكِ مريــمُ أُمُّ عيسى ولا ربَّــاكِ لُقْمــانُ الحكيمُ

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له : أَجِزْ . فقال : [من الوافر]

صدقتَ أبا دُلامةَ لم تَلِدْهــا مُطَهَّــرَةٌ ولا فحــلٌ كريــمُ
ولكــن قــد حَوَتْهــا أُمُّ سَوْءٍ إلى لَبَّاتهــا وأبٌ لئيـــمُ

فقال له أبو دلامة : عليك لعنةُ الله ؛ ما حملكَ على أن بلغتَ بي هذا كلَّه ! والله لا أُنازِعك بيتَ شعرٍ أبداً . فقال أبو عَطاء : لأن يكونَ الهربُ من جهتك أحبُّ إليَّ .

[رثى السفاح فغضب عليه المنصور]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال حدثني أبي قال : لما تُوفِّي أبو العباس السفَّاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يُعَزُّونه ؛ فأنشأ أبو دلامة يقول : [من الكامل]

أَمْسَيْتَ بالأنبــار يــا ابنَ محمدٍ لم تستطعْ عــن عُقْرهــا تحويلا
وَيْلِي عليــكَ ووَيْل أهــلي كلِّهم ويــلاً وعَـوْلاً في الحياةِ طويلا
فَلْتَبْكِيَــنَّ لــكَ النساءُ بعَبْـرةٍ ولْيَبْكِيَــنَّ لــكَ الرِّجــالُ عَويلا
مات النَّدى إذ مِتَّ يا ابن محمدٍ فجعلتَه لــكَ في الثــراء عديلا[1]
إني سألتُ النــاسَ بعدك كلَّهم فوجدتُ أسمحَ مَنْ سألتُ بخيلا

1 الثراء : لغة في الثرى . وسيرد البيت برواية أُخرى .

أَلِشِقْوتي أُخِّرتُ بعدَك للتي ... تَدَعُ العزيزَ من الرجالِ ذليلا
فلأَحْلِفَنَّ يمينَ حقٍّ بَرَّةً ... باللهِ ما أُعْطِيتُ بعدَك سُولا

قال : فأَبْكى الناسَ قولُه . فغضِب المنصورُ غضباً شديداً وقال : لئن سمعتُك تُنْشِدُ هذه القصيدة لأقطعن لسانَك . فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أميرَ المؤمنين كان لي مُكْرِماً وهو الذي جاء بي من البَدْو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف لإخوته ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فسُرِّيَ عن المنصور . وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة ، فسَلْ حاجتَك . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أَمَر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أَقبِضْها . فقال المنصور : ومَنْ يعرِف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضَر . فوثَب سليمانُ بن مُجالِد وأبو الجَهْم فقالا : صدَق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مَغيظ : يا سليمانُ ادفَعْها إليه وسيِّرْه إلى هذه الطاغية (يعني عبد الله بن علي[1] ، وقد كان خرج بناحية الشام ، وأظهر الخلافَ) . فوثَب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أعيذُك بالله أن أخرج معهم ، فوالله إني لمشؤوم . فقال المنصور : امضِ فإن يُمْني يَغْلِب شُؤْمَك فاخرُجْ . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أُحِبُّ لك أن تجرِّب ذلك منّي على مثل هذا العسكر ؛ فإني لا أدري أيُّهما يَغْلِب : أيُمْنُك أم شؤمي ، إلا أني بنفسي أوثَقُ وأعْرَفُ وأطْوَلُ تجربةً . قال : دَعْني من هذا فما لكَ من الخروج بد . فقال : إني أَصْدُقُكَ الآنَ ، شَهِدتُ والله تسعةَ عشرَ عسكراً كلُّها هُزِمتْ ؛ وكنتُ سبَبَها . فإن شئتَ الآن على بَصيرةٍ أن يكون عسكرُك العشرين فافْعَلْ . فاستغرب أبو جعفر ضحِكاً ، وأمره أن يتخلَّف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

[أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَدِي قال : لما مات أبو العباس السفاح ووَليَ المنصور ، دخل عليه أبو دلامة ، فقال له أبو جعفر : ألستَ القائلَ لأبي العباس : [من الوافر]

وكنّا بالخليفة قد عَقَدْنا ... لِواءَ الأمر فانتقَض اللواءُ
فنحنُ رَعِيَّةٌ هلَكتْ ضَياعاً ... تَسُوقُ بنا إلى الفِتَنِ الرِّعاءُ

قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبتَ والله ؛ أَفَلستَ القائل : [من الكامل]

1 هو عم المنصور خرج بالشام وغلبه أبو مسلم .

هلَك النَّدى إذ بِنتَ يا ابن محمدٍ فجعلتَـه لـكَ في الترابِ عَدِيلا
ولقـد سألتُ الناسَ بعدَك كلَّهم فوجدتُ أكرمَ مَنْ سألتُ بخيلا
ولقـــد حَلَفْـــتُ على يمينٍ بَــرَّةٍ بـالله مــا أُعْطِيتُ بعدَك سُولا

فقال أبو دلامة : إن أخاك صلَّى الله عليه غلَبني على صبري ، وسلَبني عزيمتي ، وعَزَّني بإحسانه إليَّ وجزعي عليه ، فقلت ما لم أتأمَّلْه ، وإني أرغب في الثمن ، فاسْتَفْرَهَ السِّلْعةَ حياً وميِّتاً . فإن أعْطَيْتَ ما أعطى ، أخذتَ ما أخذ . فأمر به فحُبِس ثلاثاً ثم خَلَّى سبيلَه ودعاه إليه فوصلَه ، ثم عاد إلى ما كان عليه .

[خروجه في الحرب ومنازلته خارجياً]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدِّمَشْقي قال حدثني أبو دلامة قال : أُتي بي المنصورُ أو المهديُّ وأنا سكران ، فحلَف لَيُخْرِجَنِّي في بَعْثِ حربٍ ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلَّبي لقتال الشُّراةِ[1] . فلما التقى الجمعان قلت لرَوْح : أَما والله لو أن تحتي فرسَكَ ومعي سلاحَكَ لأثَّرتُ في عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولآخذنَّك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليَّ ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصلَ ذلك في يدي وزالت عنِّي حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدتُه : [من الكامل]

إني استجرتُك أن أُقدَّم في الوَغى لِتَطاعُـــنٍ وتَنـــازُلٍ وضِرابِ
فهَـبِ السُّيوفَ رأيتُهـا مشهورةً فتركتُهـا ومضَيْـتُ في الهُرَّابِ
مـاذا تقولُ لمـا يجـيء وما يُرى من واردات المـوتِ في النُّشَّابِ

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرَز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة . فقلت : أَنْشُدكَ اللهَ أيُّها الأمير في دمي . قال : والله لَتخرُجَن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخرُ يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شَبِعَتْ منِّي جارحةٌ من الجوع ، فَمُرْ لي بشيءٍ آكله ثم أخرُج . فأمر لي برغيفين ودَجاجة ، فأخذتُ ذلك وبرزتُ عن الصف . فلما رآني الشاري أقبل نحوي عليه فَرْوٌ وقد أصابه المَطَرُ فابتل ، وأصابته الشمس فاقْفَعلَّ[2] وعيناه تَقِدان ، فأسرع إليَّ . فقلت له : على رِسلِك يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت :

1 الشراة : الخوارج .
2 اقفعل : تقبض .

أتقتل مَنْ لا يقاتلك ؟ قال : لا . قلت : أتقتل رجلاً على دِينك ؟ قال : لا . قلت : أفتستحِلُّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقاتله إلى دِينك ؟ قال : لا ، فاذهب عني إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمعَ منّي . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قطُّ عداوةٌ أو ترَةٌ ، أو تعرِفُني بحالٍ تُحْفِظُك عليَّ ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وِتْراً ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي ، وإني لأهواك وأنتحل مذهبكَ وأدِين دينَك وأُريد السُّوءَ لمَن أراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيراً فانصرِفْ . قلت : إن معي زاداً أُحِبُّ أن آكُلَه معك ، وأُحِبُّ مُواكلتَك لتتوكَّدَ المودةُ بيننا ، ويرى أهلُ العسكر هوانَهم علينا . قال : فافعل . فتقدمتُ إليه حتى اختلفتْ أعناقُ دوابِّنا وجمعنا أرجلَنا على مَعارفها والناس قد غُلِبوا ضَحِكاً . فلما استَوْفَيْنا ودّعَني . ثم قلت له : إن هذا الجاهلَ إن أقمتَ على طلب المبارزة ندَبَني إليك فتُتْعِبُني وتَتْعَبُ . فإن رأيتَ ألا تبرُز اليوم فافعلْ . قال : قد فعلتُ ، ثم انصرف وانصرفتُ . فقلت لرَوْح : أمّا أنا فقد كفَيْتُك قِرْني فقل لغيري أن يَكْفِيَكَ قِرْنَه كما كفَيْتُك ، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البِرازِ ، فقال لي : اخرج إليه . فقلت : [من البسيط]

إني أَعُـوذُ بـرَوْحٍ أن يقدِّمني ... إلى البِرازِ فتَخْـزى بـي بنو أَسَدِ
إنَّ البِـرازَ إلى الأقـرانِ أعلمُـه ... ممّا يفرِّق بـينَ الروحِ والجسدِ
قـد حالفتْك المنايا إذ صَمَدْتَ لها ... وأصبحتْ لجميعِ الخلقِ بالرَّصَدِ
إن المهلَّبَ حُبَّ الموتِ أورثكم ... وما وَرِثتُ اختيارَ الموتِ عن أحدِ
لو أنَّ لي مهجةً أُخرى لجُدتُ بها ... لكنَّهـا خُلِقتْ فَـرْداً فلم أَجُدِ

فضحِك وأعفاني .

[يفر من مبارزة خارجي أيام مروان بن محمد]

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلامة : كنتُ في عسكر مروان أيام زحَف إلى سِنانٍ الخارجي . فلما التقى الزَّحْفان خرج منهم رجلٌ فنادى : مَنْ يبارز ؟ فلم يخرج إليه أحدٌ إلا أَعْجله ولم يُنَهْنِهه[1] . فغاظ ذلك مروانَ وجعل يندُب الناسَ على خمسمائة ، فقُتِل أصحابُ الخمسمائة ، فزاد مروانُ وندَبهم على ألفٍ ، ولم يزل يَزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم . وكان تحتي فرس لا أخاف خَوْنه ؛ فلما سمِعتُ بالخمسة آلاف ترقبته[2] واقتحمتُ الصَّفَّ . فلما نظرني الخارجيُّ علِم أني خرجتُ للطمع ؛ فأقبل إليَّ مُتَهيِّئاً وإذا عليه فَرْوٌ قد أصابه

1 نهنهه : كفه وزجره .
2 ترقبه : رصده .

المطر فابتل ، ثم أصابته الشمسُ فاقْفَعَلَّ ، وإذا عيناه تَقِدانِ كأنَّهما من غَوْرهما في وَقْبَيْن[1] . فلما دنا مني أنشأ يقول : [من الرجز]

وخارج أخرجه حُبُّ الطَّمَعْ فَرَّ مِن الموتِ وفي الموتِ وَقَعْ
مَنْ كان يَنْوِي أهلَه فلا رَجَعْ

فلما وقَرتْ في أُذُني انصرفتُ عنه هارباً . وجعل مروانُ يقول : مَنْ هذا الفاضحُ ؟ إيتوني به ، فدخلتُ في غِمار الناس فنجَوْتُ .

[يسكر بالمال الذي أعطيه ليحج]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا جعفر بن الحسين اللِّهْبي قال : عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج . فقال لأبي دلامة : احجُجْ معي ولك عشرةُ آلاف درهم . فقال : هاتِها ؛ فدُفعتْ إليه ، فأخذها وهرب إلى السَّواد ، فجعل يُنفِقها هناك ويَشْرَب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدِر عليه ، وخشي فَوْتَ الحج فخرج . فلما شارف القادسيَّة إذا هو بأبي دُلامة خارجاً من قرية إلى أُخرى وهو سكرانُ ، فأمر بأخذه وتَقْيِيده وطَرْحِه في مَحْملٍ بين يديه ففُعِل ذلك به . فلما سار غيرَ بعيد أقبل على موسى وناداه : [من البسيط]

يا أيُّها الناسُ قولوا أجمعون معاً صلّى الإلهُ على موسى بن داودِ
كأن دِيباجتَيْ خديه من ذهبٍ إذا بدا لكَ في أثوابه السُّودِ
إني أعوذُ بداودٍ وأَعْظُمِه من أن أُكَلَّف حَجّاً يا ابن داودِ
خُبِّرتُ أنَّ طريقَ الحجِّ مَعْطَشَةٌ من الشرابِ وما شُرْبي بتَصْرِيدِ[2]
واللهِ ما فيَّ من أجرٍ فتطلبَه ولا الثناءُ على دِيني بمحمودِ

فقال موسى : أَلْقُوه لَعَنه اللهُ عن المَحْمِلِ ودَعُوه ينصرفُ ، فأُلْقِيَ وعاد إلى قَصْفه بالسَّواد ، حتى نَفِدتِ العشرُ آلافِ درهم .

[استعفاؤه المنصور من ملازمة الجماعة في المسجد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير عن جعفر بن الحسين اللِّهْبي ، وأخبرني عمي عن الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عَدِي قالا : قال أبو أيوب المُورِياني لأبي جعفر ، وكان يَشْنأ أبا دُلامة ، : إن أبا دلامة معتكفٌ على الخمر فما يحضُر صلاةً ولا مسجداً ، وقد

1 الوقب : نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .
2 صرد شربه : قطعه .

أفسد فِتيانَ العسكر . فلو أمرتَه بالصلاة معك لأُجِرْتَ فيه وفي غيره من فِتيان عسكرك بقطعِه عنهم . فلما دخل عليه أبو دلامة قال له : يا ابنَ اللَّخْناء ، ما هذا المجون الذي يبلُغني عنك ! . قال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمُجونُ وقد شارفتُ بابَ قبري ؛ . قال : دَعْني من استكانتك وتَضَرُّعِك ، وإياك أن تفوتَك صلاةُ الظهرِ والعصرِ في مسجدي . فلئن فاتتاكَ لأحْسِنَنَّ أدبَك ولأُطِيلَنَّ حَبْسَك . فوقع في شرٍّ ولَزِم المسجدَ أياماً ، ثم كتب قِصَّتَه ودفَعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها : [من الطويل]

ألم تَعْلَمـا أن الخليفةَ لَـزَّنـي ... بمسجدِه والقصرِ ما لي وللقصرِ ![1]
أُصَلِّي بـه الأولى جميعاً وعصرَها ... فوَيْلي من الأولى ووَيْلي من العصرِ[2]
أُصَلِّيهما بالكَرْهِ في غيرِ مسجدي ... فما ليَ في الأولى ولا العصرِ من أجرِ
لقد كان في قومي مساجدُ جَمَّةٌ ... سواه ولكن كان قَدْراً من القدْرِ
يكلِّفني من بعدِ ما شِبتُ خُطَّةً ... يَحُطُّ بها عنِّي الثقيلَ من الوِزْرِ
وما ضَرَّه واللهُ يغفرُ ذنبَه ... لَوَ آن ذنوبَ العالمينَ على ظَهْري

قال : فلما قرأ المنصور قِصَّتَه ضحِك وأعفاه من الحضور معه ، وأحْلَفه أن يصلِّي الصلاة في مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبير عن عمه ، ونسختُ من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخَرَّاز عن أبيه عن الهيثم بن عَدِي ورَوَّانِيه بعضُ من روى عن الزُّبير .

أن أبا جعفر كان يُحِبُّ العَبَثَ بأبي دلامة ، وقال الآخر : إن أبا العباس السَّفَّاح كان يحب ذلك ، فكان يسأل عنه فيوجَد في بيوت الخَمَّارين لا فَضْلَ فيه . فعاتبه على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّني . فعلم أنه يُحاجِرُه[3] . فأمر الربيع أن يوكِّل به من يُحضِره الصلوات معه في جماعةٍ في الدار . فلما طال ذلك عليه قال : [من الطويل]

ألم تَرَيـا أنَّ الخليفـةَ لَـزَّني ... بمسجدِه والقصرِ ما لي وللقصرِ !
فقـد صَدَّني عن مسجدٍ أسْتَلِذُّه ... أعَلَّـلُ فيـه بالسَّماعِ وبالخمرِ

---

1 لزني : ألزمني .
2 وويلي في ل : وعولي .
3 يحاجره : ينتحل المعاذير للتخلص منه .

وكلّفنــي الأولى جميعاً وعصرَها فويلي من الأولى وعَوْلي من العَصْرِ
أصَلّيهما بالكَرْهِ في غير مسجدي فما لي من الأولى ولا العصرِ من أجرِ
يكلّفني مــن بعدِ مـا شِبْتُ تَوْبةً يَحُطُّ بها عني المثاقيل من وِزري
لقــد كان في قومي مساجدُ جَمةٌ ولم ينشرحْ يوماً لِغشْيانها صدري
ووالله مـــا لي نِيــةٌ في صلاتِــه ولا البرُّ والإحسانُ والخيرُ من أمري
ومـا ضَــرَّه واللهُ يغفــرُ ذنبَــه لَوَ آن ذنوبَ العالمينَ على ظَهْري

فبلغته الأبيات فقال : صدَق ؛ ما يَضُرُّني ذلك ، والله لا يصلُح هذا أبداً ، فدَعُوه يعمَل ما يشاء . وقال الهيثم في خبره : فقال له أبو جعفر[1] : قد أعفيناك من هذه الحال ، ولكن على ألاّ تَدَعَ القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظل . فقال : أفْعَلُ . قال : إنك إن تأخَّرتَ لشُرب الخمر عَلِمتُ ذلك . ووالله لئن فعلتَ لأُحُدَّنَّك . فقال أبو دلامة : البليَّة في شهر أصلَحُ منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعةً . فلما حضر[2] شهرُ رمضان لزم المسجد . وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يجيء به ؛ فشقّ ذلك عليه ، وفزِع إلى الخيزران وأبي عبيد وكلّ مَن كان يلوذ بالمهدي ليشفَعوا له في الإعفاء من القيام ، فلم يُجبهم . فقال له أبو عبيد الله : الدَّالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شُكْرُك ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك بريطة[3] فإنه لا يخالفها . قال : صدَقتَ والله ، ثم رفع إليها رُقعة يقول فيها : [من مجزوء الكامل]

أبْلِغـــا رَيْطَــةَ أني كنــتُ عبــداً لأبيها
فمضى يرحمــه اللـــ ــهُ وأوصى بي إليها
وأراهـــا نَسِيَتْنـــي مِثْــلَ نسيانِ أخيها
جاء شهرُ الصَّوْمِ يمشي مِشْيــةً مـــا أشتهيها
قائــداً لي ليلــةَ القَــدْ رِ كــأني أبتغيـــها
تَنْطَــحُ القِبلــةَ شهراً جَبْهَتـــي لا تــأتليها
ولقــد عشتُ زمانــاً في فَيـــافيَّ وجيــها
في ليــالٍ مــن شتاءٍ كنتُ شيخاً أصْطَليها

1 يبدو من السياق أن الذي ألزمه هو المهدي لا أبو جعفر المنصور .
2 ل : دخل .
3 هي ابنة السفاح وزوجة المهدي .

قاعــداً أُوقِــدُ نــاراً لِضِبـــابِ أَشْتَـوِيها
وصَبُـــوحٍ وغَبُـــوقٍ في عِـــلابٍ أحْتَسِيها[1]
مـــا أُبالي ليلَـــةَ القَدْ رِ ولا تُسمِعُنِيهـــــا
فاطلبي لي فرجـاً منـــ ـها وأَجْرِي لـكِ فيها

فلما قرأتِ الرقعة ضحكتْ وأرسلتْ إليه : اصطبرْ حتى تَمضي ليلة القَدْر . فكتب إليها : إني لم أسألكِ أن تكلِّميه في إعفائي عاماً قابلاً ؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد فَنِيَ الشَّهْرُ . وكتب تحتها أبياتاً : [من البسيط]

خافي إلهكِ في نفسٍ قد احتُضِرَتْ قامتْ قيامتُهـا بـين المصلّينا
ما ليلةُ القَدْرِ من همِّي فأطْلُبَها إني أخافُ المنايا قبلَ عشرينا
يا ليلةَ القدرِ قد كَسَّرتِ أرْجُلَنا يا ليلةَ القدْر حقاً مـا تُمنِّينا !؟
لا بـــاركَ اللهُ في خيرٍ أؤمِّلُه في ليلةٍ بعدَ مـا قمنا ثلاثينا

فلما قرأتِ الأبياتَ ضحِكتْ ، ودخلت إلى المهدي فشفعتْ له إليه ، وأنشدتْه الشعرين ، فضحِك حتى استلقى ، ودعا به ورَيْطةُ معه في الحَجَلَة فدخل ؛ فأخرج رأسَه إليه وقال : وقد شفَّعْنا رَيطة فيك ، وأمَرْنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أما شفاعةُ سيِّدتي فيَّ حتى أعفَيْتَني فأعفاها الله من النار . وأما السبعة الآلاف فما أعجبني ما فعلتَه ؛ إما أن تُتِمَّها بثلاثة آلاف فتصيرَ عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فإني لا أُحْسِنُ حسابَ السبعة . فقال : قد جعلتُها خمسة . قال : أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنتَ . فعبث به المهديُّ ساعةً ثم تكلَّمتْ فيه رَيْطة فأتمَّها له عشرةَ آلافِ درهم .

[شعره في نخاس]

أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال : مَرَّ أبو دلامة بنخاس يَبيع الرقيق ، فرأى عنده منهـنَّ من كل شيءٍ حسَن . فانصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدي فأنشده : [من الكامل]

إن كنتَ تَبْغِي العيشَ حُلْواً صافياً فالشعـــرَ أَعْزِبْـــه وكـــن نَخَّاسا
تَنَــلِ الطَّرائفَ مـــن ظِراف نُهَّدٍ يُحْدِثْــــنَ كلَّ عَشِيَّـــــةٍ أَعْراسا
والربحُ فيمـــا بـينَ ذلك راهنٌ سَمْحــاً ببيعك كنتَ أو مَكَّاسا

---

1 علاب : جمع علبة وهي قدح كبير من جلود الإبل أو الخشب .

دارتْ على الشعراء حِرْفَـةُ نَوْبَةٍ فتجرعـوا من بعـــد كأسٍ كاسا
وتَسَرْبَلُوا قُمُصَ الكَسادِ فحاوِلُوا بالنَّخْس كَسْباً يُذْهِـب الإفلاسا

فجعل المهدي يضحك منه .

[رؤياه]

نسختُ من كتاب ابن النطَّاح قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده : [من الوافر]

رأيتُك في المنامِ كسوتَ جِلْدي ثيابــاً جَمَّـةً وقضَيْتَ دَيْني
فكان بَنَفْسَجيُّ الخَـزِّ فيهـا وساجٌ ناعـمٌ فأتـمَّ زَيْني
فصدِّقْ يا فَدَتْكَ النفسُ رؤيا رأتْهـا في المنـامِ كذاكَ عَيْني

فأمر له بذلك وقال له : لا تَعُدْ أن تتحلَّم عليَّ ثانيةً ، فأجْعَلَ حُلْمَكَ أضغاثاً ولا أُحَقِّقَه .

[حبسه المنصور لسكره]

ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكِرَ وانصرف وهو يميل . فلقِيه العَسَسُ فأخذوه ، وقيل له : من أنت وما دِينُك ؟ فقال : [من الرجز]

دِينـي على دِيـنِ بني العباسِ مـا خُتِم الطينُ على القرْطاسِ
إنِّي اصطبحتُ أربعاً بالكاسِ فقـد أدارَ شُرْبُهـا براسي
فهـلْ بما قلتُ لكم من باسِ

فأخذوه ومَضَوْا ، وخرقوا ثيابه وساجَه وأُتِيَ به أبو جعفر ، وكان يؤتَى بكلِّ مَنْ أخذه العَسَسُ ، فحبَسه مع الدَّجاج في بيت . فلما أفاق جعل ينادي غلامه مَرَّةً وجاريتَه أُخرى فلا يجيبه أحد ، وهو في ذلك يسمَع صوتَ الدجاج وزُقاءَ الدُّيوك . فلما أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : وَيلك مَن أنت وأين أنا ؟ قال : في الحبس ، وأنا فلان السجان . قال : ومَن حبَسني ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ومَن خرَق طَيلساني ؟ قال : الحرس . فطلب منه أن يأتيه بدواةٍ وقِرطاس ففعل ، فكتب إلى أبي جعفر : [من الوافر]

أميرَ المؤمنـينَ فدَتْـكَ نفسي عَلامَ حبستَني وخَرَقْتَ ساجي
أمِـنْ صَفْراءَ صافيـةِ المِزاجِ كأنَّ شُعاعَها لَهَـبُ السِّراجِ
وقـد طُبِخَتْ بنـارِ اللهِ حتى لقد صارت من النُّطَفِ النِّضاجِ[1]

1 النطفة : الماء الصافي .

تَهَشُّ لهــا القلوبُ وتشتهيهـا إذا بَرَزَتْ تَرَقْرَقُ في الزُّجاجِ
أُقــاد إلى السُّجُون بغير جُــرْمٍ كأني بعضُ عُمَّــالِ الخَراجِ
ولو معهم حُبِسْتُ لكان سهلاً ولكنــي حُبِسْتُ مــع الدَّجاجِ
وقــد كانت تُخَبِّرني ذنوبي بأني مــن عقابـكَ غيرُ ناجي
عــلى أني وإن لاقيــتُ شراً لخيركَ بعدَ ذاك الشرِّ راجي

فدَعا به وقال : أين حُبِسْتَ يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أقَوْقي معهنَّ حتى أصبحتُ . فضحِك وخلَّى سبيلَه وأمر له بجائزة . فلما خرج قال له الربيع : إنه شرِب الخمرَ يا أمير المؤمنين . أما سمعتَ قولَه «وقد طبخت بنار الله» (يعني الشمس) . فأمر برَدِّه ثم قال : يا خبيثَ ، شربتَ الخمرَ ؟ قال لا . قال : أفلم تقل «طُبِختْ بنار الله» تعني الشمس . قال : لا والله ما عَنَيْتُ إلا نارَ الله المُوقَدة التي تَطَّلِعُ على فؤاد الربيع . فضحِك وقال : خُذْها يا ربيع ولا تعاود التعرُّضَ .

[لفق رؤيا لتمار]

قال ابن النطَّاح : ومَرَّ أبو دلامة بتَمَّار بالكوفة فقال له : [من المتقارب]

رأيتُــكَ أطعمتني في المنــامِ قَواصرَ مــن تَمْرِك البارحهْ[1]
فــأُمُّ العِيــالِ وصِبْيانُهــا إلى البــابِ أعينُهــم طامحهْ

فأعطاه جُلَّتَيْ[2] تَمْر وقال له : إنْ رأيتَ هذه الرؤيا ثانيةً لم يَصحَّ تفسيرُها . فأخذهما وانصرف .

[هنأ المهدي بقدومه من الري]

وقال ابن النطَّاح : لما قدِم المهدي من الرَّيِّ دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول : [من الكامل]

إنِي نَذَرتُ لئــن رأيتُك سالِماً بقُــرى العراقِ وأنــتَ ذو وَفْرِ
لَتُصَلِّيَنَّ عــلى النبــيِّ محمــدٍ ولتمــلأنَّ دراهمــاً حِجْــري

فقال : ﷺ ، وأما الدراهم فلا . فقال له : أنت أكرم من أن تُفَرِّق بينهما ثم تختار أسهلَهما . فأمر بأن يُمْلأَ حِجرُه دراهم .

[حكاية مماثلة للمهلب مع عجوز أزدية]

ومِثْلُ هذا وإن لم يكن منه ما حدثني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني

1 قواصر : جمع قوصرة وهي وعاء يوضع فيه التمر .
2 الجلة : قفة التمر .

قال : قدِم المُهَلَّب من بعض غَزواته ، فلقِيَتْه عجوزٌ من الأزد فقالت : أيها الأمير ، أسألك بالله والرَّحِم إلا وقفتَ فوقَف ، فدَنَتْ وقبَّلتْ يدَه وقالتْ : هذا نَذْرٌ كان عليَّ ، إني نذرتُ عليّ لله أن أُقبِّل يدَك إن قَدِمتَ سالماً وتَهَب لي أربعمائة درهم وجاريةً صُغْدِيَّةً تخدِمُني . فضحِك وقال : أما نحن فقد وَفَّيْنا بنَذْرِكِ ؛ ادفعوا إليها ذلك ، وإيَّاكِ يا أُمَّاه وهذه النُّذورَ ؛ فليس كلُّ أحد يَفِي لكِ بها ويَنْشَط لتحليلكِ منها .

[ضجر من الصوم والحر فكتب للمهدي شعراً]

قال ابن النطاح : وصام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدي ، وكان أبو دلامة يتنجَّزُ جائزةً أمَر له المهدي بها . فكتب إليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحَرِّ والصوم وهي : [من الكامل]

أدعوكَ بالرَّحِمِ التي هي جَمَّعَتْ ... في القُرْبِ بين قَرِيبنا والأبْعَدِ
إلا سمِعتَ وأنتَ أكرمُ مَنْ مَشى ... من مُنْشِدٍ يرجو جزاءَ المُنْشِدِ
جاءَ الصيامُ فصُمْتُه متعبِّداً ... أرجو رجاءَ الصائمِ المتعبِّدِ
ولَقِيتُ من أمرِ الصيامِ وحَرِّه ... أمريْنِ قِيسا بالعذابِ المؤصَدِ[1]
وسجدتُ حتى جَبْهَتي مشجوجةٌ ... مما يُناطحني الحَصا في المسجدِ
فامنُنْ بتسريحي بمَطْلِكَ بالذي ... أسْلَفْتَنِيه من البَلاءِ المُرْصَدِ

فلما قرأ المهدي رُقْعَتَه غَضِب وقال : يا عاضَّ كذا من أُمِّه أي قَرابةٍ بيني وبينكَ ؟! قال : رَحِمُ آدمَ وحَوَّاء ، أنَسِيتَهما يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال : لا والله ما نسيتُهما ؛ وأمَر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا الخُزاعي عن[2] المدائني وزاد فيه قال : وأنشده أيضاً في ذمِّ الصَّوم : [من البسيط]

هل في البلادِ لرزق الله مُفْتَرِشُ ... أم لا ففي جِلْده من خُشْنةٍ بَرَشُ

يعني أن جِلدَ الرِّزق خَشِن المَلْمَس فهو يُحْترش كما يُحْترش الضَّبُّ ، الشِّعر : [من البسيط]

أضحى الصِّيامُ مُنِيخاً وَسْطَ عَرْصتِنا ... ليتَ الصيامَ بأرض دونَها حَرَشُ
إن صُمْتُ أوْجَعَني بطني وأقْلَقني ... بين الجوانح مَسُّ الجوعِ والعَطَشُ
وإن خرجتُ بليلٍ نحوَ مسجدهم ... أضرَّني بَصَرٌ قد خانه العَمَشُ

---

1 المؤصد : المطبق .
2 ل : عن الخراز .

[عزى أم سلمة بنت يعقوب في السفاح]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزُّبير عن عمه ، ونسخت من كتاب ابن النطَّاح قال اليزيدي في خبره : دخل أبو دلامة على ريطة بعد وفاة المهدي ، وقال ابن النطَّاح : دخل على أُمِّ سلمة بنت يعقوب بن سلمة بعد وفاة أبي العباس ، وهو الصحيح ، فعزَّاها به وبكى وبكتْ معه ، ثم أنشدها : [من الكامل]

مَنْ مُجْمِلٌ في الصبر عنكَ فلم يكنْ صبري عليكَ غَداةَ بِنْتَ جميلا
يجدونَ أَبْدالاً بــه وأنــا امــرؤٌ لو مِتُّ وَجْداً ما وجدتُ بديلا
إني سألتُ الناسَ بعـــدَك كلَّهم فوجدتُ أجْوَدَ مَنْ سألتُ بخيلا

فقالت أُمُّ سلمة : لم أرَ أحداً أُصيب به غيري وغيرَك يا أبا دلامة . فقال : ولا سَواءٌ يرحَمُكِ الله ، لك منه ولد وما ولدتُ أنا منه . فضحِكتْ ، ولم تكن منذ مات أبو العباس ضحِكتْ إلا ذلك الوقتَ ، وقالت له : لو حدثتَ الشيطانَ لأضحكتَه .

[خداعه وزوجته المهدي والخيزران]

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا الغَلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك قال : دخل أبو دلامة على المهدي وهو يبكي . فقال له : ما لك ؟ قال : ماتت أُم دلامة ، وأنشده لنفسه فيها : [من الطويل]

وكنا كزَوْجٍ مــن قَطاً في مَفازةٍ لدى خَفْضِ عَيْشٍ ناعمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدِ
فأفردني رَيْـــبُ الزمــانِ بصَرْفــه ولم أرَ شيئاً قطُّ أَوْحَشَ من فَرْدِ

فأمر له بثياب وطِيبٍ ودنانير ، وخرج . فدخلتْ أُمُّ دلامة على الخيزران فأعلمتْها أن أبا دلامة قد مات ، فأعطتْها مِثْلَ ذلك ، وخرجتْ . فلما التقى المهدي والخيزران عَرَفا حيلتَهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجَبان منه .

[يذم العباس بن محمد لأنه أنقص من عطائه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة ، ونسختُ أنا من كتاب بن النطاح قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده : [من الرجز]

أمَــا ورَبِّ العاديـاتِ ضَبْحا حقــاً ورَبِّ المُورياتِ قَدْحا
إن المُغِيــراتِ عـــليَّ صُبْحا والناكثاتِ مــن فؤادي قَرْحا
عَشْرُ ليـــالٍ بينهـــن ضبحا يَجْلُفنَ مالي كلَّ عــامٍ صبحا

فقال له أبو جعفر : وكم تذبح يا أبا دلامة ؟ قال : أربعاً وعشرين شاة . ففرض له على كل هاشمي أربعةً وعشرين ديناراً ، فكان يأخذها منهم . فأتى العباس بن محمد في عشر الأضْحى يتنجَّزها . فقال : يا أبا دلامة ، أليس قد مات ابنُك ؟ قال بلى . قال : انقُصُوه دينارين . قال : أصلَح اللهُ الأميرَ لا تفعل ، فإنه ترك عليَّ ولدين . فأبى إلا أن يَنْقُصَه . فخرج وهو يقول : [من البسيط]

أخطاكَ ما كنتَ ترجوه وتأمُلُه ... فاغْسِلْ يديك من العباسِ بالياسِ
واغْسِلْ يديك بأُشنانٍ فأنْقِهما ... مما تؤمِّلُ من معروفِ عباسِ
جزاكَ ربُّك يا عباسُ عن فَرَجٍ ... جَنَّاتِ عَدْنٍ وعنِّي جُرْزَتَيْ آسِ[1]

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحِك ، واغتاظ على العباس ، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أُخرى . هذه رواية يزيد . وأما ابنُ النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه الدينارين عليُّ بن صالح وقال له : إنما نَقَصْتُك دينارين لموت ابنك دلامة . فحَلَف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً ، ثم قام مُغْضَباً ؛ فأَتْبعه الرسولَ فأعطاه إياها . فقال له : أَوْلى لَه . أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنَفُ فقد أمِنه . وقد كان قال فيه : [من الخفيف]

لعليٍّ بنِ صالحِ بنِ عليٍّ ... نَسَبٌ لو يُعِينه بسَماحِ
وبنو مالكٍ كثيرٌ ولكن ... ما لنا في بقائهم من فَلاحِ
غيرَ فَضْلٍ فإن للفَضْلِ فضلاً ... مستبيناً على قُرَيْشِ البِطاحِ

[مخاصمته رجلاً إلى عافية القاضي]

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال : خاصم رجلٌ أبا دلامة في داره ، فارتفعا إلى عافيةَ القاضي ؛ فأنشأ أبو دلامة يقول : [من المتقارب]

لقد خاصمتْني دُهاةُ الرِّجالِ ... وخاصمتُها سَنَةً وافيهْ
فما أَدْحض اللهُ لي حُجَّةً ... ولا خيَّبَ اللهُ لي قافيهْ
ومَنْ خِفتُ من جَوْرِه في القضاءِ ... فلستُ أخافُكَ يا عافيهْ

فقال له عافية : أما واللهِ لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنَّه أنك هجوتَني . قال : إذاً يَعْزِلَك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك لا تعرف المديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصورَ فضحِك وأمر لأبي دلامة بجائزة .

1 جزرة : حزمة . والآس مما يوضع على القبور .

[هجاؤه نفسه]

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم. فقال له: أنا أُعطي اللهَ عهداً لئن لم تَهْجُ واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك، ويقال إنه قال: لأضربن عُنُقَك، فنظر إليه القوم، فكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رِضاه. قال أبو دلامة: فعلمتُ أني قد وقعتُ وأنها عَزْمَةٌ من عَزَماته لا بدَّ منها، فلم أرَ أحداً أحقَّ بالهجاء مني، ولا أدْعى إلى السلامة من هجاء نفسي، فقلت: [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ إليك أبا دلامَهْ ... فليس من الكرامِ ولا كرامهْ
إذا لبِس العمامةَ كان قِرْداً ... وخِنزيراً إذا نزَع العِمامهْ
جمعتَ دمامةً وجمعتَ لؤماً ... كذاكَ اللُّؤمُ تتبَعه الدَّمامهْ
فإنْ تك قد أصبتَ نعيمَ دُنْيا ... فلا تَفْرَحْ فقد دَنَتِ القيامهْ

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلا أجازه.

[كل امرىء يأكل زاده]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير عن عمِّه قال: خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصَّيْد، فسنَح لهما قَطيعٌ من ظِباء، فأُرْسِلَتِ الكلابُ وأُجريت الخيلُ، فرمى المهديُّ ظبياً بسهم فصرَعه، ورمى عليٌّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله. فقال أبو دلامة: [من مجزوء الرمل]

قد رمى المهدي ظبياً ... شَكَّ بالسهم فُؤادَهْ
وعليُّ بن سليما ... نَ رمى كلباً فصادَهْ
فهنيئاً لهما كـ ... ـلُّ امرىء يأكلُ زادَهْ

فضحِك المهدي حتى كاد أن يسقُط عن سَرْجه، وقال: صدَق والله أبو دلامة، وأمر له بجائزة سَنِية. أخبرني بهذا الخبر عَمي عن الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عَدِي فذكر مِثْلَ ما ذكره وقال فيه: فلُقِّب عليٌّ بن سليمان «صائدَ الكلب» وعَلِقَ به.

[أعطاه المنصور داراً وكسوة ثم احتاج إلى الدار وعوضه بدلها]

قال ابن النطَّاح: وأنشد أبو دلامة المنصورَ يوماً: [من الكامل]

هاتيكَ والدتي عجوزٌ هِمَّةٌ ... مثلُ البَلِيَّة دِرْعُها في المِشْجَبِ[1]

1 همة: عجوز فانية.

مهزولةُ اللَّحْيَيْن مَن يَرَهـا يَقُلْ ... أبصرتُ غُولاً أو خيالَ القُطْربِ[1]
مـا إن تركتُ لها ولا لابنٍ لها ... مـالاً يؤمَّل غيرَ بَكْـرٍ أجْرَبِ
ودجائجاً خمساً يَرُحْنَ إليهمُ ... لمـا يَبِضْنَ وغيرَ عَيْرٍ مُغْرِبِ[2]
كتبـوا إليَّ صحيفـةً مطبوعـةً ... جعلـوا عليهـا طِينـةً كالعَقْرَبِ[3]
فعَلِمتُ أنَّ الشَّرَّ عنـد فكاكِها ... ففككتُها عـن مِثْلِ رِيح الجَوْرَبِ
وإذا شبيهٌ بالأفاعـي رُقِّشَتْ ... يُوعِدْنَنـي بتلمُّـظٍ وتَثَـؤُّبِ
يشكونَ أنَّ الجوعَ أهلَكَ بعضَهم ... لَزَبـاً فهـل لكَ في عيالٍ لُزَّبِ[4]
لا يسألونـك غيرَ طَـلٍّ سَحابةٍ ... تغشاهُـم مـن سَيْلِك المُتَحَلِّبِ
يـا باذلَ الخيراتِ يا ابن بَذُولِها ... وابنَ الكرام وكلِّ قَـرْمٍ مُنْجِبِ
أنتـم بنـو العباس يُعْلَـم أنّكم ... قِدْمـاً فوارسُ كلِّ يـومٍ أشْهَبِ
أحْلاسُ خيـلِ الله وهـي مُغيرةٌ ... يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبارِ الأكْهَبِ[5]

قال : فأمر له بدارٍ يسكنها وكُسوة ودراهمَ . وكانت الدار قريبةً من قصره ، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها . فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله : [من الخفيف]

يـا ابنَ عَـمِّ النبيِّ دعـوة شَيخٍ ... قـد دنـا هَـدْمُ دارِه ودَمارُهْ
فهو كالماخضِ التي اعتادها الطَّلْـ ... ـقُ فقَـرَّتْ ومـا يَقِـرُّ قَرارُهْ
إن تَحُــزْ عُسْرَهُ بكفَّيْكَ يوماً ... فبكفَّيْــكَ عُسْرُه ويسارُه
أو تَدَعْــه فللبَـوارِ ، وأنَّى ... ولمـاذا وأنـتَ حَـيٌّ بَـوارُهْ
هل يخـافُ الهَلاكَ شاعرُ قومٍ ... قَدُمَــتْ في مديحهـم أشعارُهْ
لكـمُ الأرضُ كلُّهـا فأعيروا ... شيخَكم مـا احتوى عليه جِدارُهْ
فكأنْ قـد مَضى وخلَّف فيكـم ... مـا أعَرتُم وأقْفرتْ منـه دارُهْ

فاستعبَر المنصور ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله .

---

1 اللحي : الحنك . القطرب : ذكر الغيلان أو الجني الصغير .
2 المغرب : شديد البياض .
3 مطبوعة : مختومة .
4 اللزب : ضيق العيش .
5 أحلاس الخيل : هنا الملازمون ظهورها . الأكهب : المشوب بالسواد .

[عابه عند المهدي محرز ومقاتل ابنا ذؤال]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده محرز ومقاتل ابنا ذُؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويَعِيبانه عنده . فقال أبو دلامة : [من الطويل]

ألا أيُّها المهدي هل أنتَ مُخْبِري   وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي
ألم تَرْحَمِ اللَّحْيَيْن من لِحْيَتَيْهما   وكلتاهما في طولها غيرُ طائلِ
وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرِمي   بحَلْقِهما من مُحْرِزٍ ومُقاتِلِ
فإنْ يأذَنِ المهديُّ لي فيهما أقُلْ   مقالاً كوقعِ السيفِ بين المفاصلِ
وإلا تَدَعْني والهمومُ تَنُوبني   وقلبي من العِلْجَيْن جَمٌّ البلابلِ

فقال : أو آخُذُ لك منهما عشرةَ آلاف درهم يَفْدِيان بها أعراضَهما منك ؟ قال : ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

[مدحه سعيد بن دعلج]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلامة على سعيد بن دَعلَج[1] مولى بني تَميم فقال : [من الوافر]

إذا جئتَ الأميرَ فقُلْ سلامٌ   عليكَ ورحمةُ الله الرحيمِ
وأما بعد ذاك فلي غريمٌ   من الأعراب قُبِّح من غريمِ
غريمٌ لازمٌ بفِناء بيتي   لزومَ الكلبِ أصحابَ الرَّقيمِ
له مائةٌ عليَّ ونصفُ أخرى   ونِصْفُ النِّصْفِ في صَكٍّ قديمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن   وصلتُ بها شيوخَ بني تَميمِ
أتَوْني بالعَشيرةِ يسألوني   ولم أكُ في العَشيرةِ باللئيمِ

فضحِك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال : ما أساء من أنصف ، وقد كافأتك عن قومك وزِدْتُك مائةً .

[يضحك المنصور في جنازة بنت عمه]

أخبرني الحِرْمِيّ قال حدثنا الزُّبير عن جعفر بن الحسين اللهبي عن عمه مصعب : أن حَمّادة بنت عيسى تُوفِّيتْ وحضر المنصورُ جنازتها . فلما وقف على حُفرتها قال لأبي دلامة : ما أعددتَ لهذه الحفرة ؟ قال : بنتَ عمِّك يا أمير المؤمنين حَمَّادة بنت عيسى يُجاء بها الساعةَ فتُدْفَنُ فيها . فضحِك المنصور حتى غُلِب فستَر وجهه .

1 كان أميراً على شرطة البصرة للمنصور ثم ولي له البحرين . وولي للمهدي طبرستان .

[قصة زوجته وابنه مع الجارية التي منحته إياها الخيزران]

أخبرني عمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكُراني قال قال أبو عمر حَفْص بن عمر العُمري حدثنا الهيثم قال : حَجت الخيزُران ، فلما خرجتْ صاح بها أبو دلامة . قالت : سَلُوه ما أمرُه . فقالوا له : ما أمرُك ؟ فقال : أَدْنُوني من مَحْمِلها . قالت : أدنوه ، فأُدْنِيَ . فقال : أيتها السيدة ، إني شيخ كبير وأجرُكِ فيَّ عظيم . قالت : فَمَهْ . قال : تَهَبِينَ لي جاريةً من جواريكِ تؤنسني وترفُق بي وتُريحني من عجوز عندي ، قد أكلتْ رِفْدي ، وأطالت كَدِّي ، وقد عاف جلدي جلدَها ، وتمنَّيتُ بُعْدَها ، وتشوَّقت فَقْدَها . فضحكتِ الخيزران وقالت : سوف آمرُ لك بما سألتَ . فلما رجعتْ تلقَّاها وذكَّرها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِض[1] . ثم دخل على أُمِّ عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رُقعةً قد كتبها إلى الخيزُران فيها : [من مجزوء الرمل]

أَبْلِغـي سيِّدتـي باللـ ـهِ يـا أُمَّ عَبِيدَهْ
أنَّهـا أَرْشدهـا اللـ ـهُ وإن كانت رشيدَهْ
وَعَدتْني قبـلَ أن تخـ ـرجَ للحـجِّ وليدَهْ
فتأنَّـيْـتُ وأرسلـ ـتُ بعشرينَ قصيدَهْ
كلمـا أَخْلَقْـنَ أَخْلَفْـ ـتُ لها أُخرى جديدَهْ
ليس في بيتـي لتمهيـ ـد فِراشي من قَعِيدَهْ
غيرُ عَجْفـاءَ عَجُـوزٍ ساقُها مِثْـلُ القَدِيدَهْ
وجهُها أقبحُ من حُو تِ طَرِيٍّ في عَصِيدَهْ
مـا حيـاةٌ مَعَ أُنْثى مِثْـلِ عِرْسي بسعيدَهْ

فلما قُرِئتْ عليها الأبياتُ ضحِكتْ واستعادتْها منه لقوله «حُوت طَرِي في عصيده» وجعَلتْ تضحك ، ودعت بجارية من جواريها فائقةٍ فقالت لها : خُذِي كل ما لَكِ في قصري ففعلتْ ، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سلِّمْها إلى أبي دلامة . فانطلق الخادمُ بها فلم يصادفه في منزله . فقال لامرأته : إذا رجَع فادفعيها إليه ، وقولي له : تقول لك السيِّدةُ : أَحْسِنْ صُحبَة هذه الجارية فقد آثرتُك بها ؛ فقالت له نعم . فلما خرج دخل ابنُها دلامة فوجد أُمه تبكي . فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردتَ أن تَبَرَّني يوماً من الدهر فاليوم . فقال :

---

1 غرِض : ضجر وملَّ .

قُولي ما شئتِ فإني أفعله . قالت : تدخل عليها فتُعْلِمُها أنك مالِكُها وتَطَؤُها فتَحْرُم عليه ، وإلا ذهبتْ بعقله وجفاني وجفاك . ففعل ودخل إلى الجارية فوطِئها ووافقها ذلك منه ، وخرج . ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت : في ذلك البيت . فدخل إليها شيخٌ محطَّمٌ ذاهبٌ ، فمدَّ يدَه إليها وذهب ليقبِّلها . فقالت له : ما لَك وَيْلَك ! تَنَحَّ وإلا لطمتُك لَطْمةً دقَقْتُ منها أنفَك . فقال لها : أبهذا أوصَتْكِ السيِّدة ؟ . فقالت : إنها قد بعثتْ بي إلى فتىً من حالِه وهيئته كيت وكيت ، وقد كان عندي آنفاً ، ونال منّي حاجته . فعلِم أنه قد دُهِيَ من أمِّ دلامة وابنها . فخرج إليه أبو دُلامة فلطمه ولَبَّبه[1] وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدي . فمضى به مُلَبَّباً حتى وقف على باب المهدي . فعُرِّف خبرَه وإنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك وَيْلك ؟ قال : عَمِل بي هذا ابنُ الخبيثة ما لم يعمل ولدٌ بأبيه ، ولا تُرضيني إلا أن تقتله . فقال له : وَيْلَك فما فعل ؟ فأخبره الخبرَ . فضحِك حتى استلقى ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعلُه فتضحَكَ منه ؟ فقال : عليَّ بالسيف والنِّطْع . فقال له دلامة : قد سمِعتُ حُجَّته يا أمير المؤمنين فاسمعْ حُجَّتي . قال : هاتِ . قال : هذا الشيخُ أصْفَقُ الناس وجهاً ، يَنِيك أمي منذ أربعين سنة ما غَضِبتُ ، ونكتُ جاريتَه مرة واحدة فغضِب وصنَع بي ما تَرى ؛ فضحِك المهدي أكثرَ من ضحكه الأول ، ثم قال : دَعْها له يا أبا دلامة وأنا أُعطيك خيراً منها . قال : على أن تَخْبَأها لي بين السماء والأرض ، وإلا ناكها والله كما ناك هذه . فتقدم إلى دلامة ألا يُعاوِد بمثلِ فعله ، وحلَف أنه إن عاود قتَله ، ووهَب له جاريةً أُخرى كما وعده .

[يطري شاعراً عند المهدي فأجازه لحسن محضره]

وقال ابن النطاح : دخل أبو دلامة على المهدي وعنده شاعرٌ يُنْشِده . فقال له : ما تَرى فيه ؟ قال : إنه قد جَهَد نفسَه لك فاجْهَدْ نفسَك له . فقال المهدي : وأبيك إنها لكلِمةٌ عَذْراءُ منك ، أحسَبُك تعرفه ؛ قال : لا والله ما عرفتُه ولا قلت أنا إلا حقاً . فأمر للشاعر بجائزة ، ولأبي دلامة بمثلها لحسن مَحْضَرِه .

[خلع عليه العقيلي من ثيابه]

قال ابن النطَّاح وحدثني أبو عبد الله العُقَيلي قال : رأيتُ على أبي دلامة فَرْوَةً في الصيف ، فقلتُ له : ألا تَمَلُّ هذه الفروةَ ؟ قال : بلى ، ورب مملولٍ لا يستطاع فِراقُه[2] . فنزعتُ فاضلَ ثيابي في موضعي ودفعتُها إليه .

1 لببه : أخذ بتلابيب أي جمع ثيابه عند نحره وجره .

2 المثل «رب مملول لا يستطاع فراقه» في مجمع الميداني 1 : 306 وفصل المقال : 367 .

[فزع من رؤية الفيل]

قال : وأُهْدِيَ للمهدي فِيلٌ ، فرآه أبو دلامة فولّى هارباً وقال : [من البسيط]

يـا قوم إني رأيتُ الفيلَ بعدَكُم ... لا بـارَكَ اللهُ لي في رؤيـة الفيلِ
أبصرتُ قصراً لـه عـينٌ يقلّبهـا ... فكِدْتُ أرمي بسَلْحي في سَراويلي

[شعره في بغلته]

قال ابن النطاح : ودخل أبـو دلامة على المهدي فأنشده قصيدتَه في بغلته المشهورة : [من الوافر]

أتـاني بَغْلـةً يَسْتام مِنّـي ... عريقٌ في الخَسارةِ والضَّلالِ[1]
فقـال تبيعها ؟ قلتُ ارتَبِطْها ... بحكمكَ إن بيعـي غيرُ غالي
فأقبلَ ضاحكاً نحـوِي سروراً ... وقـال أراكَ سَمْحاً ذا جَمالِ
هَلُمَّ إليَّ يخلـو بـي خداعاً ... وما يَدْرِي الشَّقِيُّ بمن يُخالي
فقلتُ بأربعينَ فقـال أحسِنْ ... إليَّ فـإن مِثْلَـك ذو سِجالِ[2]
فأتْـرُكُ خمسةً منها لعلمي ... بمـا فيـه يصير مـن الخَبالِ

فقال المهدي : لقد أفْلَتَّ من بَلاءٍ عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ شهراً أتوقّع صاحبَها أن يَرُدَّها . قال : ثم أنشده : [من الوافر]

فأبْدِلْنـي بهـا يـا ربِّ طِرْفاً ... يكـونُ جَمالُ مَرْكَبِه جَمالي

فقال لصاحب دوابِّه : خيِّرْه من الإصْطَبْل مَرْكَبين . قال : يا أمير المؤمنين إن كان الاختيارُ لي وقعتُ في شرٍّ من البغلة ، ولكن مُرْهُ أن يختار لي ، فقال : اختَرْ له . وأخبرني به عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي ، وخبره أتم .

[رهانه مع المهدي على العباس بن محمد]

وأخبرني محمد بن خَلَف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عَدِي قال : دخل أبو دلامة يوماً على المهدي ، فحادثه ساعةً وهو يضحك وقال له : هل بقِي أحدٌ من أهلي لم يَصِلْك ؟ قال : إن أمَّنْتني أخبرتُك ، وإن أعْفَيْتَني فهو أحبُّ إليَّ . قال : بل تُخبرني وأنت آمِنٌ . قال : كلُّهم قد وَصَلني إلا حاتِمَ بني العباس . قال : ومن هو ؟ قال : عمُّك العباس بن

---

1 بغلة في ل : خائب .
2 ذو سجال : هنا لا يماكس في الثمن .

محمد . فالتفتَ إلى خادم على رأسه وقال : جَأْ[1] عُنُقَ العاضِّ بَظْرَ أُمِّه . فلما دنا منه صاح به أبو دلامة : تَنحَّ يا عبدَ السَّوْء لا تُحْنِث مولاك وتَنْكُثْ عهدَه وأمانَه . فضحِك المهدي وأمر الخادمَ فتنحَّى عنه ، ثم قال لأبي دلامة : وَيْلَك ! والله عمي أبخلُ الناس . فقال أبو دلامة : بل هو أَسْخى الناسِ . فقال له المهدي : والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أتيتُه فأجازني ؟ قال : لك بكلِ درهمٍ تأخذه منه ثلاثةُ دراهم . فانصرف أبو دلامة فحبَّر للعباس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده : [من البسيط]

قِــفْ بالديـارِ وأيُّ الدهرِ لم تَقِفِ ... على المنــازلِ بــين الظَّهْــرِ والنَّجَفِ
ومـا وُقُوفُــكَ في أطــلالِ مَنْزِلَةٍ ... لولا الذي استدرجتْ من قلبك الكَلِفِ
إن كنتَ أصبحتَ مشغوفاً بساكنها ... فــلا وربِّــكَ لا تَشفيكَ من شَغَفِ
دَعْ ذا وقُلْ في الذي قد فاز من مُضَرٍ ... بالمَكْرُمــاتِ وعِــزٍّ غيرِ مُقْتَرَفِ[2]
هــذي رسالةُ شيخ من بَني أَسَدٍ ... يُهْدِي السلامَ إلى العباس في الصُّحُفِ
تَخُطُّها مــن جَواري المِصْرِ كاتبةٌ ... قــد طالما ضَرَبتْ في اللامِ والأَلِفِ
وطالمـا اختلفـت صَيْفـاً وشاتِيةً ... إلى معلِّمهـــا باللَّـــوْحِ والكَتِفِ
حتـى إذا نَهَـدَ الثَّديـانِ وامتلآ ... منها وخِيفَتْ على الإسراف والقَرَفِ
صِينتْ ثلاثَ سِنِين مـا تَـرى أحداً ... كما يصــونُ تِجــارٌ دُرَّةَ الصَّدَفِ
فبينما الشيخُ يَهْوِي نحو مَجلِسه ... مبادِراً لصــلاةِ الصُّبــحِ بالسَّدَفِ[3]
حانــتْ لــه لَمْحَةٌ منها فأبصرها ... مُطِلةً بــين سَجْفَيْها مــن الغُرَفِ
فخَــرَّ واللهِ مـــا يَــدْرِي غَداتَئذٍ ... أخَـــرَّ مُنْكَشِفــاً أم غيرَ منكشفِ
وجــاءه النـــاسُ أفواجـــاً بمائهمُ ... ليغسلوا الرجـــل المَغْشِيَّ بالنُّطَفِ
ووَسْوسوا بقُـــرانٍ في مسامعـــــه ... مَخافَةَ الجِـــنِّ والإنسانُ لم يَخَفِ
شيئاً ولكنّــه من حُـــبِّ جاريةٍ ... أمسى وأصبــحَ موقوفــاً على التَّلَفِ
قالوا : لك الويلُ ما أبصرتَ ؟ قلتُ لهم ... تطلَّعتْ من أعالي القَصْرِ ذي الشُّرَفِ
فقلــتُ أيُّكُـــمُ واللهُ يأجُـــرُه ... يُعِـين قُوَّتَــه فيهـــا عـلى ضَعَفِ

1 جأ : اضرب .
2 مقترف : مكتسب .
3 السدف : الظلمة .

فقـام شيـخٌ بَهِـيٌّ مـن رجالهمُ ... قـد طالَما خـدَعَ الأقوامَ بالحَلِفِ
فابتاعهـا لي بألْفَـيْ درهـمٍ فأتى ... بهـا إليَّ فألقاهـا عـلى كَتِفي
فبِـتُّ ألْثَمُها طَـوْراً وألْزَمُهـا ... طوراً وأصنعُ بعضَ الشيء في اللُّحُفِ
فبين ذاك كذا إذ جـاء صاحبُها ... يَبْغِي الدراهمَ بالميزانِ ذي الكِفَفِ
وذِكْرَ حـقٌّ على زَنْـدٍ وصاحبِه ... والحقُّ في طَـرَفٍ والطينُ في طَرَفِ
وبَـينَ ذاكَ شهـودٌ لا يَضُرُّهـمُ ... أكنـتُ معترفـاً أم غيرَ معترفِ
فإن يكن منـك شيءٌ فهـو حقُّهمُ ... أوْلا فإنِّـيَ مدفـوعٌ إلى التَّلَـفِ

قال : فضحِك العباس وقال : وَيْحَك أصادقٌ أنت ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام ادفع إليه ألْفَيْ درهم ثمنَها . قال : فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القِصة وما احتال له به . فأمر له المهديُّ بستة آلاف درهم . وقال له المهدي : كيف لا يضرّهم ذلك ؟ قال : لأني مُعْدِم لا شيء عندي . وقال عمي في خبره : فقال له العباس بن محمد شاركْني في هذه الجارية . قال : أفعلُ ولكن على شريطةٍ . قال : وما هي ؟ قال : الشَّرِكةُ لا تكون إلا مفاوضةً[1] ، فاشْترِ معها أُخرى ، ليبعثَ كلٌّ واحدٍ منا إلى صاحبه ما عنده ويأخذ الأُخرى مكانَها ليلةً وليلةً . فقال له العباس : قَبَحك الله وقَبَح ما جئتَ به ! خذ الدراهمَ لا بارك الله لك فيها وانصرِفْ .

[يضحك أبا مسلم فيعفيه من المبارزة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني العبسي قال : كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية . فدعا رجلٌ إلى البِراز ؛ فقال له أبو مسلم : ابْرُزْ إليه . فأنشأ يقول : [من الطويل]

ألا لا تَلُمْني إن فَرَرْتُ فإنني ... أخاف على فُخَّارتي أن تَحَطَّما
فلو أنني في السُّوق أبتاع مِثْلَها ... وجَـدِّك ما باليتُ أن أتقدَّما

فضحِك وأعفاه .

[يستنجز ريطة جارية وعدته بها]

ونسخت من كتاب ابن النطَّاح[2] : أن ريطة وعدت أبا دلامة جارية فمطلته حتى امتدحها بعِدَّة قصائد ، كلُّ ذلك لا تَفي له ، ثم خرجت إلى مكة ورجعت . وكانت لها جارية

---

1 شركة المفاوضة هي الشركة العامة في كل ما يملك الشريكان .

2 مرَّ الخبر عن الخيزران وفي الشعر اختلاف .

يقال لها أم عَبِيدة تخرج وتُكَلِّم الرجالَ وتبلِّغ عنها الرسائل . فقال أبو دلامة لأم عَبِيدةَ حين عِيلَ صبرُه : [من مجزوء الرمل]

أبلغـــي سيِّدتـــي إن　　شِئْتِ يــا أُمَّ عَبِيدَهْ
أنهــا أرشَدَهــا اللـ　　ـهُ وإن كانت رشيدَهْ
وعدتْني قبلَ أن تخـ　　ـرجَ للحــجِّ وَلِيدَهْ
فتنظَّــرتُ وأرسلـــ　　ـتُ بعشرينَ قصيدَهْ
كلَّمــا تخلــقُ أُولى　　بُدِّلَتْ أُخرى جديدَهْ
إنَّنـــي شيـــخٌ كبيرٌ　　ليس في بيتي قَعِيدَهْ
غيرُ مِثْلِ الغُولِ عندي　　ذاتِ أوصالٍ مَديدَهْ
وجهُها أسمجُ من حُو　　تٍ طَرِيٍّ في عَصِيدَهْ
ذاتِ رِجْلٍ ويدٍ كلـ　　ـتاهما مِثْــلُ القَديدَهْ

فدخلتْ على ريطة فأنشدتها الشعر ، فأمرتْ له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها .

[اشترى نبيذاً ولم يدفع الثمن]

أخبرني الحسين بن يحيى نسختُ من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدي[1] : أن أبا دلامة نزَل بالكوفة ، فأتاه أضيافٌ فغداهم ، ثم بعث إلى سِنْدِيَّة نَبَّاذة يقال لها دَوْمة ؛ فبعثتْ إليهم جَرَّةً من نبيذ فشربوها ، ثم أعاد فبعثتْ إليهم بأُخرى ، ثم جاءت تتقاضى الثمنَ . فقال : ليس عندي الثمن ، ولكني أمدَحك بما هو خيرٌ من نبيذِك . فقال : [من الوافر]

ألا يــا دَوْمُ دام لــكِ النَّعيمُ　　وأحْمَرُ مِــلْءُ كَفِّكِ مستقيمُ
شديـــدُ الأصل يَنْبِذُ حالِبـاه　　يَئِنُّ كأنَّـــه رجــلٌ سقيمُ[2]

وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضاً .

[ذم الجنيد النخاس ومدح جارية له]

قال إسحاق وحدثني أبي : أن أبا دلامة كان كثير الزيارة للجُنَيد النخاس ، وكان يتعشَّق جاريةً له ويُبْغِضه . فجاءه يوماً فقال : أخْرِجْ لي فلانة . فقال : إلى متى تخرج إليك ولستَ بمشترٍ !! قال : فإن لم أكن مشترياً فإني أخٌ يمدَح ويُطري . قال : ما أنا بمخرجها إليك أو

1 من المستبعد أن يكون الخبر عن أبي إبراهيم الموصلي وهو ماهان بن بهمن الذي توفي وابنه طفل صغير . وسيرد هذا الخبر والشعر في ترجمة الأقيشر عن أبي عبيدة .
2 ينبذ : ينبض .

تقولَ فيها شعراً . قال : فاحلِفْ بعِتقها أن ترويَها إياه وتأمُرَها بإنشاده مَن أتاك يعترِضُها ولا تحجُبَها . فحلَف لا يحجُبها . فقال أبو دلامة : [من الكامل المرفل]

إني لأحسَبُ أن سأُمسي مَيّتاً ... أو سوفَ أُصبح ثم لا أُمسي
من حبِّ جارية الجُنَيْدِ وبُغْضِه ... وكلاهمـا قـاضٍ على نفسي
فكلامُها يُشْفــى بــه سَقَمي ... فـإذا تكلَّم عـاد لي نَكْسي

[نصح إسحاق الأزرق بمجانبة الطبيب]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال : دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يَعُوده ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً ، ثم تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب[1] يصِفُ له أدويةً تقوي بدنَه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا ابنَ الكافرة ؛ أتَصِفُ هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض ؟ ما أردتَ والله إلا قَتْلَه . ثم التفت إلى إسحاق فقال : اسمَعْ أيها الأمير مني . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول : [من الخفيف]

نَحِّ عنك الطبيبَ واسمَعْ لنعتي ... إنّنـي ناصحٌ مـن النُّصّاحِ
ذو تجاريبَ قد تَقَلَّبْتُ في الصحـ ... ـةِ دهـراً وفي السِّقامِ المُتاحِ
غادِ هذا الكَبابَ كلَّ صباحٍ ... مـن مُتُـون الفَتِيَّةِ السُّحاحِ[2]
فإذا ما عَطِشتَ فاشرَبْ ثلاثاً ... مـن عتيـقٍ في الشمِّ كالتُّفاحِ
ثم عندَ المساء فاعكُفْ على ذا ... وعـلى ذا بأعظـم الأقداحِ
فتقوِّي ذا الضعفَ منك وتُلْفى ... عن ليالٍ أصحَّ هذي الصِّحاحِ
ذا شفاءٌ ودَعْ مقالــةَ هــذا ... نــاك ذا أمَّــه بأيْـرِ رَباحِ[3]

فضحِك إسحاق وعُوَّادُه ، وأمر لأبي دُلامة بخمسمائة درهم . وكان الطبيب نصرانياً فقال : أعوذ بالله من شَرِّك يا رَكُل (يريد يا رجل) . وقال الطبيب : اقْبَلْ مني أصلحك الله ولا تسألني عن شيء قُدامَه . فقال أبو دلامة : أما وقد أخذتُ أُجْرَةَ صَفْقَتي[4] وقَضَيْتُ الحقَّ في نُصْح صديقي ، فانْعَتْ له الآن أنت ما أحببتَ .

1 ل : متطبب .
2 السحاح : السمان .
3 رباح : القرد .
4 لعلها صنعتي .

[تنادر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشِّبْل عاصم بن وهب البُرْجُمي قال : دخل أبو دلامة على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف واقفاً ، فقال : إني أهدَيْتُ إليك يا أمير المؤمنين مُهْراً ليس لأحد مثلُه . فإن رأيتَ أن تُشرِّفَني بقبوله . فأمره بإدخاله إليه . فخرج وأدخل إليه دابَّته التي كانت تحته ، فإذا به برْذَونٌ مُحَطَّمٌ أَعْجَفُ هَرِمٌ . فقال له المهدي : أيُّ شيءٍ هذا وَيْلَك ! ألم تزعم أنه مهر ؟ . فقال له : أَوَ ليس هذا سَلمةَ الوصيفَ بين يديك قائماً تسمِّيه الوصيفَ وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيفٌ ؛ فإن كان سلمة وصيفاً فهذا مُهْرٌ . فجعل سلمة يشتُمه والمهدي يضحك . ثم قال لسلمة : ويلَك ، إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها في مَحْفِل فَضَحَك . فقال أبو دلامة : والله لأفضَحنَّه يا أمير المؤمنين ؛ فليس من مواليك أحدٌ إلا وقد وصَلَني غيرُه ، فإني ما شربت له الماء قط . قال : فقد حكمتُ عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلَّص من يدك . قال : قد فعلتُ على أن لا يُعاود . فقال له : ما ترى ؟ قال : أَفْعَلُ ، فلولا أني ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلتُ[1] معه مثلَ هذه . فمضى سلمةُ فحملها إليه .

[أراد ابنه أن يخصيه فحكم زوجته]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكُراني قال حدثني الخليل بن أسد عن عبد الرحمن بن صالح قال : جاء ابن أبي دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفِلٍ من جيرانه وعشيرته جالس ، فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخي ، كما ترون ، قد كَبِرَتْ سِنُّه ، ورَقَّ جلدُه ، ودَقَّ عظمُه ، وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أُشير عليه بالشيء يُمْسِك رَمَقَه ويُبْقي قُوَّته ، فيخالفني فيه . وأنا أسألكم أن تسألوه قضاءَ حاجة لي أذكرها بحضرتكم ، فيها صلاحٌ لجسمه ، وبقاءٌ لحياته ، فأسعفوني بمسألته . فقالوا : نفعلُ حُبّاً وكَرامةً . ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم وتناولوه بالعتاب حتى رضي وهو ساكت ، فقال قولوا للخبيث فليَقُلْ ما يُريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببليَّة . فقالوا له : قل . فقال : إن أبي إنما يقتله كثرةُ الجماع ، فتُعاونوني عليه حتى أَخْصِيَه ، فلن يقطعه عن ذلك غيرُ الخِصاء ، فيكونَ أصحَّ لجسمه وأطولَ لعمره . فعَجِبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبَث بأبيه ويخجِّله حتى يَشيعَ ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر ، فضحِكوا منه . ثم قالوا لأبي دلامة : قد سمِعتَ فأجِبْ . قال : قد سمعتم أنتم وعرَّفتكم أنه لن يأتيَ بخير . قالوا : فما عندك في هذا ؟ قال : قد جعلتُ أُمَّه حَكَماً بيني وبينه فقوموا بنا إليها . فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها ، وقَصَّ

---

1 ل : ما استعملت .

أبو دلامة القصة عليها ، وقال لها : قد حكَّمتُكِ . فأقبلتْ على الجماعة فقالت : إن ابني ، أصلحه الله ، قد نصح أباه وبَرَّه ولم يألُ جُهْداً ، وما أنا إلى بقاء أبيه بأحْوَجَ مني إلى بقائه ، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منا ، ولا جَرَتْ بمثله عادةٌ لنا ، وما أشكُّ في معرفته بذلك . فليبدأ بنفسه فلْيَخْصِها ؛ فإذا عُوفِيَ ورأينا ذلك قد أثَّر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه . فنَعَر أبوه وجعل يضحَك به ، وخَجِل ابنُه ، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خُبْثهم جميعاً واتفاقِهم في ذلك المذهب .

[نبو السيف في يد المرواني]

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال : كان عند المهدي رجل من بني مروان ، فدخل إليه وسلَّم عليه . فأُتِي المهديُّ بعِلْج فأمر المَرْواني بضَرْبِ عُنُقِه ، فأخذ السيفَ وقام فضربه فنَبا السيفُ عنه ، فرمى به المرواني وقال : لو كان من سيوفنا ما نَبا . فسمع المهدي الكلام فغاظه حتى تغيَّر لونُه وبانَ فيه . فقام يَقْطِينٌ فأخذ السيفَ وحسَر عن ذراعيه ثم ضرب العِلْجَ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمَل إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دُلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضرني بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده : [من الخفيف]

أيُّهذا الإمامُ سيفُك ماضٍ وبكفِّ الولي غيرُ كَهامِ[1]
فإذا ما نَبا بكفٍّ عَلِمْنا أنَّها كفُّ مُبْغِضٍ للإمامِ

قال : فسُرِّيَ عن المهدي وقام من مجلسه ، وأمر حُجابه بقتل الرجل المرواني فقُتِل .

1 الكهام : السيف الكليل .

170 ـ [أخبار عبد الله بن المعتز][1]

وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبَرَع وتقدم جميعَ أهلِ عصره فَضْلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله .

[دفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب]

وأمرُه ، مع قرب عهده بعصرنا هذا ، مشهور في فضائله وآدابه شهرةً تُشْرِكُ في أكثر فضائله الخاصَّ والعامَّ . وشعرُه إن كان فيه رِقةُ الملوكية وغَزَلُ الظُّرفاء وهَلْهَلةُ المُحدَثين[2] ، فإن فيه أشياء كثيرةً تجري في أسلوب المُجيدين ولا تقصرُ عن مَدى السابقين ، وأشياءَ ظريفةً من أشعار الملوك في جنسٍ ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لصَبُوح في مجلس شَكِلٍ ظريف ، بين نَدامى وقِيان ، وعلى ميادين من النَّوْر والبنفسج والنَّرجِس ومنضود من أمثال ذلك ، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفُرُش ومختار الآلات ، ورِقة الخَدَم ، أن يَعْدِل بذلك عما يُشْبِهُه من الكلام السَّبْط[3] الرقيق الذي يفهمه كُلُّ مَن حضَر ، إلى جَعْد الكلام ووَحشيه ، وإلى وصف البِيد والمَهامِهِ والظَّبْي والظَّلِيم والناقة والجمل والديار والقِفار والمنازل الخالية المهجورة ؛ ولا إذا عدَل عن ذلك وأحسن قيل له مُسِيء ، ولا أن يُغْمَطَ حقّه كلَّه إذا أحسن الكثيرَ وتوسَّط في البعض وقَصَّر في اليسير ، ويُنْسَب إلى التقصير في الجميع ، لنشر المقابح وطَيِّ المحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحدٍ بمن تقدم لوجد مَساغاً . ولو أن قائلاً أراد الطعن على صدور الشعراء ، لقد رأى أن يطعن على الأعشى ، وهو أحدُ مَن يقدِّمه الأوائل على سائر الشعراء ، بقوله : «فأصاب حَبَّة قلبه وطِحالَها» . وبقوله : [من الطويل]

ويأمرُ لليَحْمومِ كلَّ عَشِيَّةٍ   بقَتٍّ وتَعْلِيقٍ فقد كاد يَسْنَقُ[4]

---

1 ترجمة عبد الله بن المعتز في أشعار أولاد الخلفاء : 107 والفهرست : 129 وتاريخ بغداد 10 : 895 ونزهة الألباء : 160 ومعجم الأدباء (عباس) : 1519 وابن خلكان 3 : 76 وعبر الذهبي 2 : 104 والوافي 17 : 447 ومرآة الجنان 2 : 225 والبداية والنهاية 11 : 108 والفوات 2 : 239 وشذرات الذهب 2 : 221 وكتب التاريخ في حوادث سنة 296 .

2 ل : المحدث .

3 السبط : السهل المرسل . والجعد : المعقد .

4 اليحموم : اسم فرسه . ويسنق : يصيبه البشم . وانظر دفاع ابن قتيبة عن هذا البيت في الشعر والشعراء : 185 .

وأمثال لهذا كثيرةٍ . وإنما على الإنسان أن يحفَظ من الشيء أحسنَه ، ويُلغِيَ ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . ولكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسَهم الوضيعةَ ، ويُشيدوا بذكرهم الخامل ، ويُعْلُوا أقدارَهم الساقطةَ بالطعن على أهل الفضل والقَدْح فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلا ضَعَةً ، ولا يزداد الآخَرُ إلا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن المعتز قد قُتِل أسوأ قِتْلة ، ودَرَج فلم يَبق له خَلَفٌ يقرظه ولا عَقِبٌ يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعرِه وفضله وحُسْنِ أخباره ، وتصرُّفِه في كل فنٍّ من العلوم إلا رِفْعةً وعُلُواً . ولا نُظِر إلى أضداده كلّما ازدادوا في طعنه وتقريظ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مِثْلَهم في ثَلْبه والطعِن عليه ؛ زادوها سقوطاً وضَعَةً ، وكلّما وصفوا أشعارهم وقرظوا آدابهم ، زادوا بها ثِقلاً ومقتاً . فإذا وقع عليهم المُحَصِّل الموافق ، عدَلوا عن ثَلْبه في الآداب ، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب ، وهو أول من فعل ذلك وشنَّع به على آل أبي طالب عند المُكْتَفي حتى نهاهم عنه ، فعدَلوا عن عَيْب أنفسهم بذلك إلى عيبه ، وارتكبوا أكثر منه . وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله ، مُصَرِّحاً به على شرحٍ إن شاء الله تعالى .

[علمه بصناعة الموسيقى]

وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى ، والكلام على النغم وعِللها . وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتبٌ مشهورةٌ ، ومراسلاتٌ جرَتْ بينه وبين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم ، تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه .

[كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر له]

ولقد قرأتُ بخطٍّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعة إليه بخطه ، وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون في أنه يجوِّز ولا يُنكِر أن يغيِّر الإنسان بعضَ نَغَم الغناء القديم ، ويعدِلَ بها إلى ما يحسُن في حَلْقه ومذهبه . وهي رسالةٌ طويلةٌ ، وشاوره فيها . فكتب إليه عبيد الله : «قرأتُ ، أيدك الله ، الرسالة الفاضلة البارعة الموفَّقة . فأنا والله أقرؤها إلى آخرها ، ثم أعود إلى أولها مبتهجاً ، وأتأمل وأدعو مبتهلاً ، وعينُ الله التي لا تنام عليك وعلى نعمه عندك . فإنها ، علِم الله ، النعمةُ المعدومة المِثْل . ولقد تمثلت وأنا أُكرِّر نظري فيها قول القائل في سيدنا وابن سيدنا عبدِ الله بن العباس : [من الطويل]

كفَى وشَفى ما في النفوس ولم يَدَعْ لذي إرْبَةٍ في القول جِداً ولا هَزْلاً

ولا والله ما رأيتُ جِداً في هَزْلٍ ، ولا هَزْلاً في جِدٍّ يُشْبِه هذا الكلامَ في بلاغته وفصاحته وبيانه وإنارة برهانه وجزالة ألفاظه . ولقد خُيِّل إليَّ أن لسان جَدِّكَ العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء ، فلك ، أعزك الله ، نصفُها ، والنصفُ الآخرُ مقسوم بين أبي جعفر المنصور

والمأمون رحمة الله عليهما . ولو أن هذه الرسالة جَبَهت الإبراهيمَيْن إبراهيمَ بنَ المهدي وإبراهيمَ الموصلي وابنَه إسحاق وهم مجتمعون لبُهِت منهم الناظر ، وأُخْرِس الناطق ، ولأقرُّوا لك بالفضل في السَّبْق ، وظهور حُجَّةِ الصِّدْقِ ، ثم كان قولُك لهم فَرْقاً بين الحق والباطل ، والخطأ والصواب . ووالله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون ، إلا بَـرَّزْتَ فيه تبريز الجواد الرائع ، المُغَبِّر في وجه كل حِصان تابع . عَضَد الله الشرفَ ببقائك ، وأحيا الأدبَ بحياتك ، وجَمَّل الدنيا وأهلَها بطول عمرك» .

هذا كلام العقلاء وذوي الفضل في مِثْلِه ، لا كلام الثقلاء وذوي الجهل . والإطالة في هذا المعنى مُسْتَغْنىً عنها . والمشهورُ عنه وعن أضداده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففي معنى ما شَرَطتُه من جنس ما هو المَقْصِد في كتابي هذا .

فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أنَّ أكثرها هذه سبيله فيها : [من البسيط]

أصوات له في أشعار مختلفة

صوت

هل تَرجِعنَّ ليالٍ قد مَضَيْنَ لنا والدارُ جامعــةٌ أزمــانَ أزمانا

صنْعَتُه في بيتٍ واحدٍ ، ولحنُه ثقيلٌ أول .

ومـن صنعتـه في الثقيـل الأول أيضاً ، وفيه لعلويه رمل قديم ، وما لحنه بدون لحن علويه : [من الطويل]

صوت

سَقى جانبَ القَصْرَيْن فالدَّيْرَ فالحِمى إلى الشجـرِ المحفوفِ بالطِّين والمَدَرْ

ومن صنعته الظريفة الشَّكِلَةِ مع جودتها : [من الخفيف]

صوت

وابلائي مــن مَحْضَرٍ ومَغيبِ وحبيبٍ منِّــي بعيــدٍ قريبِ

لم تَرِدْ ماءَ وجهــه العينُ إلا شَرِقَــتْ قبـلَ رِيِّهـا برقيبِ

خفيف ثقيل ، ابتداؤه نشيد .

[زارته زرياب في يوم السعانين]

ومن صنعته ، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجِّم عن زِرْيابَ قالت : زرتُ عبدَ الله بن المعتز في يوم السَّعانين ، فسُرَّ بورودي وصنع من وقته لحناً في شعر عبد الله بن العباس الرَّبيعي الذي له فيه هَزَجٌ وهو : [من مجزوء الرمل]

صوت

أنا في قلبي مـــن الظَّبي كُلُومُ فدعِ اللَّــوْمَ فإنَّ اللَّـــوْمَ لُومُ
حبذا يـــومُ السَّعانـــين ومـــا نِلتُ فيه من سرورٍ لـــو يَدومُ

الشعرُ لعبد الله بن العباس ، ولحنه فيه هزج ، قالت : فصنَع عبد الله بن المعتز في البيت الثاني ، وبعده بيتٌ أضافه إليه ، هَزجاً وهو : [من مجزوء الرمل]

زارني مـــولايَ فيـــه ساعةً ليتَـه واللهِ مـــا عِشتُ يُقِيمُ

ولحنُ ابن المعتز «حبذا يوم السعانين» وهذا البيت خفيف رملٍ ، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها .

ومن صنعته التي تَظارف فيها ومَلُح : [من الرمل]

زاحَـــمَ كُمِّي كُـمَّـه فالتَوَيا وافَـــقَ قلبـــي قلبـه فاستَويا
وطالمـا ذاقـا الهـوى فاكتويا يا قُـرَّةَ العينِ ويـا هَمِّي ويا

أراد هنا بقوله «ويا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح ، فيقولون : قلتُ له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا ، وكذلك ضده ليُستغنى بالإشارة بهذا النِّداء عن الشرح . ولحنُ ابن المعتز في هذا هَزَجٌ .

[شعره في نشر]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويَهيم بها ، فخرجتْ علينا من صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غِلالةٌ مُعَصْفَرة وفي يديها جنابي[1] باكورة باقِلاً . فقالت له : يا سيدي تلعبُ معي جنابي ؟ فالتفتَ إلينا وقال على بديهته غيرَ متوقِّفٍ ولا مفكر : [من البسيط]

فدَيْتُ مَنْ مَرَّ يمشي في مُعَصْفَرةٍ عَشيَّـــةً فسَقـــاني ثـــم حيانِـــي
وقـــال تلعَبُ جنابـــي فقلتُ لـــه مَنْ جادَ بالوصلِ لم يلعبْ بهِجرانِ[2]

وأمر فغنِّيَ فيه . غَنَّتْ فيما أرى فيه هَزارُ لحناً ، وهو رَمَلٌ مُطلَق .

[فرحه عندما شفي خادمه نشوان من الجدري]

حدثني جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلامٌ يحبه ، وكان يغنِّي غِناءً صالحاً ، يقال

---

1 جنابي : لعلها وعاء يحمل على الجنب . والجنابي لعبة للصبيان .
2 مَن جادَ في ديوانه : من جدّ .

له «نَشْوانُ» . فجُدِر وجَزِع عبد الله لذلك جزعاً شديداً ، ثم عُوفِيَ ولم يؤثِّر الجُدَري في وجهه أثراً قبيحاً . فدخلتُ إليه ذاتَ يومٍ فقال لي : يا أبا القاسم ، قد عُوفي فلانٌ بعدَك ، وخرج أحسنَ مما كان ، وقلتُ فيه بيتين وغَنَّتْ زِرْيابُ فيهما رَمَلاً ظريفاً ، فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناءً . فقلت : يتفضل الأميرُ ، أيده الله تعالى ، بإنشادي إياهما . فأنشدني : [من السريع]

لي قمــرٌ جُــدِّرَ لما استوى فــزاده حُسْناً فــزادتْ هُمومْ
أظنُّه غَنَّــى لشمسِ الضُّحى فنقَّطَتْـــهُ طَرَبـــاً بـــالنجومْ

فقلت : أحسنتَ واللهِ أيها الأمير . فقال لي : لو سمعتَه من زِرْيابَ كنتَ أشدَّ استحساناً له . وخرجتْ زِريابُ فغنَّتْه لنا في طريقةِ الرمل في أحسن غِناء ، فشربنا عليه عامة يومِنا .

[غضب عليه غلامه نشوان]

حدثني جعفر قال : غضِب هذا الغلام على عبد الله بن المعتز ؛ فجهَد في أن يترضاه ، فلم تكن له فيه حيلة . فدخلتُ إليه فأنشدني فيه : [من مجزوء الخفيف]

بأبـــي أنتَ قـــد تمـــا ديتَ في الهجـرِ والغضبْ
واصطبـاري على صـدو دِكَ يومـاً مـن العَجَبْ
ليس لي إن فقَـدْتُ وجـ ـهَكَ في العيشِ من أَرَبْ
رحِـمَ اللهُ مَـنْ أعـــا نَ على الصلحِ واحتَسبْ

قال : فمضَيتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أُداريه وأَرْفُقُ به حتى ترضَّيْتُه وجئتُه به ، فمرَّ لنا يومئذٍ أطيبُ يومٍ وأحسنُه ، وغَنَّتْنا هَزارُ في هذا الشعر رملاً عجيباً .

[شعره في كره البنات]

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال : دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل ، فوجدتُ عبدَ الله بن المعتز وقد جاءه مُسَلِّماً ، وسنُّه يومئذٍ دون عشرين سنة ، إذ دخل عليٌّ بن محمد بن أبي الشَّوارب القاضي ، فأكرمه أبو عيسى ونهض إليه . فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى : قد احتجتُ إلى مَعُونتك في أمر دُفِعتُ إليه لم أَسْتغنِ فيه عن تكليفك المعاونةَ . قال : وما هو ؟ قال : زوَّجتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، فخرج عن مذاهبنا ، وأساء عِشْرة أهلِه ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مَظانِّه وأوطانِه ، ويهدِّدنا ويُوعِدنا بشرِّه ، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْطٌ ليده ولسانِه فينا بالقبيح والقولِ السيء ، وكثرةُ معاونته له على ما يُزْري بدينه ونسبه . وقد

توعدنا بأنه يكشِف وجهه لنا في معاونة صِهْرنا هذا الغاوي علينا . ولولا نسبه الذي فخرُه لنا وعارُه علينا ، لانتصفنا منه بالحق دون التعدي ، إلا أنّي أستعيذك منه . فقال له أبو عيسى : أنا أُوَجِّه إليه بعد انصرافك ، وأُراسله بما أنا المتكفل بعده بألا يعود إلى عِشْرته ، والضامن أن أَرُدَّ هذا الصِّهْرَ إلى حيث تحب ويَقَعُ بموافقتك . فشكره ودعا له وانصرف. فقال أبو عيسى : ألا تَرَوْن إلى هذا الرجل النبيه الفاضل السَّرِي الشريف يُدفَعْ إلى مِثْل هذا ! طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال عبدُ الله بن المعتز : أيها الأمير إن لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله واستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر . فقال : هاته فِداك عمُّك . فأنشده لنفسه : [من الوافر]

وبِكْرٍ قلتُ موتى قبل بَعْلٍ ... وإن أَثْرى وعُدَّ من الصَّميمِ
أأمزُج باللِّئامِ دَمي ولَحْمِي ... فما عُذري إلى النَّسَب الكريمِ

فقال له أبو عيسى : أمْتَعَ الله أهلَكَ ببقائك ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك ، وجَمَّلَهم بكمال محاسنك ، ولا أرانا شرّاً فيك .

[شعره في دار يعمرها]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبد الله بن موسى الكاتب قال : دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقاتٌ من الصُّنّاع ، وهو يبني دارَه ويُبَيِّضُها . فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيلُ الذي جاء مُذْ ليالٍ أَحْدَث في داري ما أحْوَجَ إلى الغرامة والكُلفة ، وقال : [من المتقارب]

ألا مَنْ لنفسٍ وأحزانِها ... ودارٍ تَداعَى بحيطانِها
أظَلُّ نهاريَ في شمسِها ... شقياً مُعَنىً ببنيانِها
أُسَوِّد وجهي بتبييضها ... وأهدِمُ كيسي بعُمرانِها

[صلاة النميري]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النميري ، وحضرتِ الصلاة ، فقام النميري فصلّى صلاةً خفيفةً جِداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلةً جداً ، حتى استثقله جميع مَن حضر بسببها ، وعبد الله ينظر إليه متعجباً ثم قال : [من المتقارب]

صلاتُك بين الوَرى نَقْرَةٌ ... كما اختلس الجَرْعَةَ الوالغُ

وتسجُدُ مــن بعدِها سَجْدَةً كما ختِـم المِـزْوَدُ الفارغُ[1]

[شعره في بنت الكراعة]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبيد الله بن موسى الكاتب قال : كانت بنت الكراعة تألَف عبدَ الله بن المعتز ، وكان يحب غناءها ويستظرفها ويحبُّها ويواصل إحضارها ، ثم انقطعت عنه فقال : [من الخفيف]

ليتَ شِعري بمن تَشاغلْتِ بَعْدِي وهــو لا شك جاهــلٌ مغــرورُ
هكــذا كنــتُ مِثْلَــه في سرورٍ وغَــداً في الهمــومِ مِثْـلي يَصيرُ

[يرحم القبحَ فيهواه]

حدثني جعفر بن قُدامة قال : كنا عند ابن المعتز يوماً ومعنا النميري ، وعنده جاريةٌ لبعض بنات المغنِّين تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية[2] من القبح ، فجعل عبدُ الله يُجَمِّشُها ويتعلَّق بها . فلما قامت قال له النميري : أيها الأمير ، سألتُك بالله أتتعشق هذه التي ما رأيتُ قط أقبحَ منها ؟ فقال عبدُ الله وهو يضحك : [من السريع]

قلبـيَ وثّــابٌ إلى ذا وذا ليس يــرى شيئــاً فيأباهُ
يَهيم بــالحُسنِ كما ينبغي ويرحَــمُ القُبْــحَ فيهواهُ

[شعره في خزامى]

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدثني أبو الحسن الأموي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كانت خُزامى جاريةُ الضبط المغني تُنادمني وأنا حَدَثٌ ثم تركتِ النبيذَ . وكانت مُغنِّية مُحسِنة شاعرةً ظريفةً . فراسلتُها مراراً فتأخرت عنّي ، فكتبتُ إليها : [من الطويل]

رأيتُكِ قــد أظهرتِ زُهْداً وتوبـةً فقد سَمُجَتْ من بعد توبتِك الخمرُ
فأهديتُ وَرْداً كــي يُذَكِّـر عِيشةً لمــن لم يُمَتِّعْنــا ببهجتهــا الدهرُ

فأجابت : [من الطويل]

أتــاني قريـضٌ يــا أميري مُحَبَّرٌ حَكــى ليَ نظمَ الدُّرِّ فُصِّلَ بالشَّذْرِ[3]
أأنكرتَ يــا ابــنَ الأكرمــينَ إنابتي وقد أفصحتْ لي ألْسُنُ الدَّهرِ بالزَّجْرِ

---

1 المزود : وعاء الزاد .

2 ل : نهاية .

3 الشذر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

وآذَنني شَرْخُ الشَّبابِ بِبَيْنِه فيا ليتَ شعري بعد ذلك ما عُذْري

[شعره في الربيع]

حدثني جعفر بن قُدامة قال : كنت أُسْرح مع عبد الله بن المعتز في يومٍ من أيام الرَّبيع . بالعباسية[1] والدنيا كالجنة المزخرفة . فقال عبد الله : [من مجزوء الرمل]

حَبّذا آذارُ شهراً فيه للنوْر انتشارُ
ينقُصُ الليلُ إذا جا ءَ ويمتدُّ النهارُ
وعلى الأرض اخضرارٌ واصفرارٌ واحمرارُ
فكأنَّ الرَّوْضَ وَشْيٌ بالغتْ فيه التِّجارُ
نَقْشُه آسٌ ونِسريـ ـنٌ ووَرْدٌ وبَهارُ

[هنأ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولاية ابنه شرطة بغداد]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال : كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلَف مؤنس ابنَه محمد بن عبيد الله على الشُّرطة ببغداد : [من الطويل]

فَرِحتُ بما أضعافُه دون قَدْرِكم وقلتُ عسى قد هَبَّ من نومه الدَّهْرُ
فترجِعُ فينا دولةٌ طاهريَّةٌ كما بدأتْ ، والأمرُ من بعده الأمرُ
عسى اللهُ ، إن الله ليس بغافلٍ ولا بدَّ من يُسْرٍ إذا ما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه عبيدَ الله قصيدةً فيها : [من الطويل]

ونحنُ إذا ما نالنا مَسُّ جَفْوةٍ فمِنَّا على لأوائها الصَّبْرُ والعُذْرُ
وإن رجعتْ من نعمةِ اللهِ دولةٌ إلينا فمِنا عندَها الحمدُ والشكرُ

قال : وجاءه محمد بن عبيد الله بعقِب هذا شاكراً لتهنئته ، ثم لم يَعُدْ إليه مدةً طويلة . فكتب إليه عبدُ الله بن المعتز : [من المنسرح]

قد جئتنا مرةً ولم تَعُدِ ولم تَزُرْ بعدَها ولم تَعِدِ
لستُ أرى واجداً بنا عِوَضاً فاطْلُبْ وجَرِّبْ واسْتَقْصِ واجْتَهِد
ناولَني حبلَ وَصْلِهِ بيدٍ وهجرَه جاذباً له بيدِ
فلم يكنْ بينَ ذا وذا أَمَدٌ إلا كما بينَ ليلةٍ وغَدِ

---

1 العباسية : محلة ببغداد .

[أبيات من معلقة زهير]

صوت

[من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفــى دِمْنَــةٌ لم تَكَلَّم بحَوْمانــةِ الــدَّرّاجِ فــالمُتَثَلَّمِ
بهــا العينُ والآرامُ يَمْشِينَ خلْفَةً وأطْلاؤها يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ[1]
وقفتُ بها من بعد عشرينَ حِجَّةً فلأْياً عَرَفــتُ الدارَ بعــد توهُّمِ
فلما عرَفــتُ الدارَ قلتُ لِرَبْعها ألا عِمْ صباحاً أيّها الرَّبْعُ واسْلَمِ
ومَنْ يَعْصِ أطرافَ الزِّجــاج فإنه يُطيع العَــوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ
ومَنْ هابَ أسبابَ المنيَــةِ يَلْقَها ولــو رامَ أسبابَ السمــاء بسُلَّمِ

عروضه من الطويل . الحَوْمانة ، فيما ذكر الأصمعي ، الأرض الغليظة ، وجمعُها حَوامِينُ . وقال غيره : الحَوْمانة : ما كان دون الرمل . والدَّرّاجُ والمتثَلَّم : موضعان . وروى أبو عمرو عن بعض ولدِ زهير «الدُّراج» مضمومةَ الدال . والعِينُ : البَقَرُ . والآرام تسكـن الجبال . خِلْفَـةً : يذهـب فَـوجٌ ويجـيء فَـوجٌ يخلُفـه مكانَـه . ويُـروى : مَجْثَم ومَجْثِم . فمن قـال مَجْثَم قـال : جَثَـمَ يجثُم جُثُوماً ، ومَنْ قـال مَجْثِم قال : جَثَمَ يَجْثِمُ جَثْماً ، واللأْيُ : البطء . الزِّجاجُ : جمعُ زُجٍّ . قال : وأُصله أن القوم كانوا إذا أرادوا صلحاً قَلبوا زِجاج الرماح إلى فوق ، فإن أَبَوْا إلا الحربَ قلَبوا الأسِنة ، واللَّهْذَم : السِّنان المحدَّد ؛ يقـال رمح لَهْذَمٌ وسِنانٌ لَهْذَمٌ : حاد . وأُم أَوْفى : امرأة كانت لزُهَيْر فطلَّقها . وله في ذلك خبرٌ يُذْكَر بعد هذا .

الشعر لزهير بن أبي سُلْمى . والغِناء للغريض ، ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات . وفيها لبَذْل الكبيرةِ ثقيلٌ أول بالبِنصر . ولعلويه في الثالث والرابع ثقيل أول . ولإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى في الخامس والسادس . وفيهما ثقيل أول يقال إنه ليزيد حَوْراءَ .

1 الآرام : جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض . أطلاء : جمع طلا وهو ولد البقرة .

[171] ـ نسب زهير[1] وأخباره

[نسبه]

هو زهير بن أبي سُلْمى . واسم أبي سُلْمى ربيعة بن رِياح بن قُرَّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أُدَّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . ومُزَيْنةُ أمُّ عمرو بن أُد هي بنت كلب بن وبرة .

[هو أحد الثلاثة المقدمين]

وهو أَحَدُ الثلاثة المُقَدَّمين على سائر الشعراء ، وإنما اختُلِف في تقديم أَحد الثلاثة على صاحبيه . فأما الثلاثة فلا اختلافَ فيهم ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُّبياني .

[رأي جرير فيه]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلام عن أبي قيس عن عِكرمة بن جرير عن أبيه قال : شاعرُ أهلِ الجاهلية زهير .

[رأي عمر فيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن عمر قال حدثنا أيوب بن سُوَيد قال حدثنا يحيى بن يزيد عن عمر بن عبد الله اللَّيثي عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب ليلةَ مَسيره إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ فأتيته ؛ فشكا تخلُّفَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فقلت : أَوَلَم يعتذر إليك ؟ قال بَلى ، قلت : فهو ما اعتذر به . ثم قال : أول مَن ريَّثكم عن هذا الأمر أبو بكر . إن قومكم كرِهوا أن يجمعوا لكم الخلافةَ والنبوَّة ، ثم ذكر قصةً طويلةً ليست من هذا الباب فتركتها[2] أنا ، ثم قال : هل تَرْوي لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومَنْ هو ؟ قال : الذي يقول[3] : [من الطويل]

ولو أنَّ حمـداً يُخلِدُ الناسَ أُخلِدوا ... ولكـنَّ حَمْـدَ الناسِ ليس بمُخْلِدِ

---

1 لزهير ترجمة في طبقات ابن سلام : 52 وشرح شواهد المغني : 48 والخزانة 2 : 332 والشعر والشعراء : 76 وقد نشر ديوانه بشرح ثعلب وطبع بدار الكتب المصرية (1944) وإليه نشير كما نشر شرح الأعلم الشنتمري (القاهرة 1323) وانظر شرح المعلقات للتبريزي .

2 انظر القصة مفصلة في تاريخ الطبري .

3 ديوانه : 236 وفيه بدلاً من «أخلدوا» «لم يمت» وفي رواية «لم تمت» وسيرد البيت فيما بعد بهذه الرواية .

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعرُ الشعراء . قلت : وبِمَ كان شاعرَ الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يُعاظِل في الكلام وكان يتجنَّب وَحْشيَّ الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . قال الأصمعي : يعاظِل بين الكلام : يداخِل فيه . ويقال : يتبع حُوشيَّ الكلامِ ، ووَحْشيَّ الكلام ، والمعنى واحد .

[قدامة بن موسى يقدمه على الشعراء]

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سَلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمَحي عن أخيه قُدامة بن موسى ، وكان من أهل العلم : أنه كان يقدِّم زهيراً . قلت : فأي شيء كان أعجب إليه ؟ قال : الذي يقول فيه[1] : [من البسيط]

قـد جعلَ المبتغونَ الخيرَ من هَرِمٍ والسائلـونَ إلى أبوابـه طُرُقـا

[رأي جرير في شعره مرة أخرى]

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري ، ولم أَرَ بدوياً يَفي به ، عن عِكرمةَ بن جرير قال : قلتُ لأبي : يا أبتِ مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلا الإسلام . فإذا ذكرتَ الجاهليةَ فأخبِرني عن أهلها . قال : زهيرٌ أشعرُ أهلِها . قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نَبْعةُ الشعر . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد مَدْحَ الملوك ويُصيب وصف الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً .

[رأي الأحنف بن قيس فيه]

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال : سأل معاوية الأحنفَ بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ؟ قال : ألقى عن المادحين فضولَ الكلام . قال : مِثل ماذا ؟ قال : مثل قوله : [من الطويل]

فما يَكُ من خيرٍ أَتَوْه فإنما توارَثَـهُ آبـاءُ آبائهم قَبْلُ

[مدح عمر بن الخطاب شعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا عبد الله بن عمرو القيسي قال حدثنا خارجةُ بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس ، قال : وحدثَنيه غيره وهو أتمُّ من حديثه ، قال قال ابن عباس : خرجتُ مع عمر في أول غَزاةٍ غَزاها . فقال لي ذاتَ ليلةٍ : يا ابنَ عباس أَنْشدْني لشاعر الشعراء . قلتُ : ومَنْ هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابنُ أبي سُلْمى . قلت : وبِمَ صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع

1 ديوانه : 49 .

حُوشي الكلام ، ولا يعاظِل من المنطق ، ولا يقول إلا ما يعرِف ، ولا يمتدح الرجلَ إلا بما يكون فيه . أليس الذي يقول[1] : [من الطويل]

إذا ابتــدَرتْ قَيْسُ بنُ عَيْلانَ غايــةً ... من المَجْـدِ مَـنْ يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ
سبقــتَ إليهــا كلَّ طَلْــقٍ مُبَــرِّزٍ ... سبُــوقٍ إلى الغايــاتِ غيرِ مُزَنَّــدِ[2]
كفعـلِ جوادٍ يَسْبِقُ الخيلَ عَفْوُهُ الـ ... ـسِّراعَ وإن يَجْهَدْ ويَجْهَدْنَ يَبْعُدِ[3]
ولو كان حَمْدٌ يُخْلِـد الناسَ لم تَمُتْ ... ولكنَّ حَمْـدَ النـاسِ ليس بمُخْلِدِ

أنشِدْني له ، فأنشدتُه حتى بَرَقَ الفجرُ . فقال : حَسْبُكَ الآنَ ، اقرأ القرآن . قلت : وما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأتُها ونَزَل فأذَّن وصلَّى .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس : خرجت مع عمر ، ثم ذكر الحديثَ نحوَ هذا .

[استعاذ منه النبي فما قال شعراً حتى مات]

وجدتُ في بعض الكتب عند عبد الله بن شَبيب عن الزُّبير بن بكار عن حُمَيد بن محمد ابن عبد العزيز الزُّهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفَعه : أن رسول الله ﷺ نظر إلى زهير بن أبي سُلْمى وله مائة سنة فقال : «اللهم أعِذْني من شيطانه» فما لاك بيتاً حتى مات .

[خرج أبوه مع خاله وابن خاله لغزو طيىء فمنعاه حقه في المغنم]

قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني : كان من حديث زهير وأهلِ بيته أنهم كانوا من مُزَينة ، وكان بنو عبد الله بن غَطَفان جيرانَهم ، وقِدْماً ولدتْهم بنو مُرَّة . وكان من أمرِ أبي سُلْمى أنه خرج وخالَه أَسْعَد بنَ الغَدِير بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض وابنه كعبَ بن أسعد في ناسٍ من بني مُرَّة يُغِيرون على طيىء ، فأصابوا نَعَماً كثيرةً وأموالاً فرجعوا حتى انتَهوْا إلى أرضهم . فقال أبو سُلْمى لخاله أسعد وابنِ خاله كعبٍ : أَفْرِدا لي سَهْمي ، فأَبَيا عليه ومنعاه حقَّه ، فكفَّ عنهما ؛ حتى إذا كان الليلُ أتى أُمَّه فقال : والذي أَحلِف به لَتَقُومِنَّ إلى بعيرٍ من هذه الإبل فَلَتَقْعُدِنَّ عليه أو لأضربنَّ بسيفي تحت قُرْطَيْكِ . فقامت أُمُّه إلى

---

1 ديوانه : 234–236 .

2 الطلق : طلق اليدين بالعطاء . مزند : بخيل . وفي الديوان : غير مجلد وهو الحصان الذي لا يضرب للوصول إلى الغاية .

3 رواية الديوان :

كفضل جواد الخيل يسبق عفوه الـ ... ـسراع وإن يجهدن يجهد ويُبعِد .

بعير منها فاعتنقتْ سَنامه ، وساق بها أبو سُلْمى وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

وَيْلٌ لأجمالِ العجوز منّي إذا دنوتُ ودنــونَ منّي

كأنَّـني سَمَعْمَعٌ من جِنٍّ

سَمَعْمَعٌ : لطيفُ الجسم قليلُ اللحم ، وساقَ الإبلَ وأُمَّه حتى انتهى إلى قومه مُزَيْنَةَ . فذلك حيث يقول : [من الكامل]

ولَتَغْــدُرَنْ إبِــلٌ مجنَّبــةٌ مـن عندِ أَسْعَدَ وابنِـه كعبِ

مُجَنَّبة : مجنوبة .

الآكليْــن صَـريحَ قومِهمــا أَكْلَ الحُبارى بُرْعُـمَ الرُّطْبِ

البُرْعُم : شجرة ولها نَوْرٌ . قال : فلبِث فيهم حيناً ، ثم أقبل بمُزَيْنة مُغِيراً على بني ذُبْيان . حتى إذا مُزَيْنَةُ أَسْهَلَتْ وخلَّفتْ بلادَها ونظروا إلى أرض غَطَفانَ ، تطايروا عنه راجعين ، وتركوه وحدَه . فذلك حيث يقول : [من الكامل]

مَنْ يشتري فرساً لخيرٍ غَزْوُها وأَبَتْ عَشِيرةُ ربِّها أن تُسْهِلا

يعني أن تنزِل السَّهْلَ . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مُزَيْنة حتى دخل في أخواله بني مُرَّة . فلم يزل هو وولدُه في بني عبد الله بن غَطَفان إلى اليوم .

[معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف]

وقصيدة زهير هذه أَعْنِي : [من الطويل]

أَمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ

قالها زهير في قَتْل وَرْد بن حابِس العَبْسي هَرِمَ بن ضَمْضَم المُرِّي الذي يقول فيه عَنترةُ وفي أخيه[1] : [من الكامل]

ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحربِ دائرةٌ على ابنَيْ ضَمْضَمِ

ويمدح بها هَرِمَ بنَ سِنان والحارثَ بن عوف بن سعد بن ذُبيان المُرِّيَّيْن لأنهما احتملا دِيتَه في مالهما ؛ وذلك قول زهير : [من الطويل]

سَعى ساعيــاً غَيْظِ بنِ مُــرَّةَ بعدما تَبَزَّلَ مــا بــين العَشِيرةِ بالدَّمِ[2]

يعني بني غيظ بن مُرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان .

1 من معلقته .

2 تبذل بالدم : تشقق بسفك الدم .

قال الأَثْرَمُ أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال : كان وَرْدُ بنُ حابس العبسي قتل هَرِمَ بنَ ضَمْضَم المُري ، فتشاجر عبسٌ وذُبيان قبل الصلح ، وحلف حصين بن ضمضم ألا يغسِل رأسَه حتى يقتل وَرْدَ بنَ حابس أو رجلاً من بني عَبْس ثم من بني غالب ، ولم يُطْلِع على ذلك أحداً ، وقد حَمَل الحمالةَ الحارثُ بن عوف بن أبي حارثة ، وقيل بل أخوه حارثة بن سِنان . فأقبل رجلٌ من بني عبس ثم أحدُ بني مخزوم ، حتى نزل بحُصَيْن بن ضَمْضَم . فقال له حُصَيْن : مَنْ أنت أيها الرجل ؟ قال : عَبْسِيٌّ . قال : من أيِّ عَبس ؟ فلم يزل يَنتسِب حتى انتسب إلى بني غالب ، فقتله حُصَيْن . وبلغ ذلك الحارثَ بنَ عوف وهَرِم بن سِنان فاشتدَّ عليهما ، وبلغ بني عَبْسٍ فركِبوا نحو الحارث . فلما بلَغه ركوبُهم إليه وما قد اشتد عليهم من قَتْلِ صاحبِهم وأنهم يريدون قَتْلَ الحارث ، بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنُه ، وقال للرسول : قل لهم : الإبلُ[1] أحبُّ إليكم أم أنفُسكم ؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك . فقال لهم الربيع بن زِياد : يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم : «الإبلُ أحبُّ إليكم أم ابني تَقتلونه مكانَ قتيلكم» . فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومَنا ، ونُتِمُّ الصُّلْحَ . فذلك حين يقول زهير يمدح الحارثَ وهَرِماً : [من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَـةٌ لم تَكَلَّمِ

وهي أول قصيدة مدح بها هَرِماً ، ثم تابع ذلك بعدُ .

[قصة تحمل الحارث بن عوف]

وقد أخبرني الحسين بن علي بهذه القصة ، وروايتُه أتمُّ من هذه ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيَّبيّ قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : قال الحارث بن عوف بن أبي حارثة : أتُراني أخطب إلى أحد فيردَّني ؟ قال نعم . قال : ومَن ذاك ؟ قال : أَوْسُ بنُ حارثة بن لأْم الطَّائيّ . فقال الحارث لغلامه : ارحَلْ بنا ، ففعل . فركبا حتى أتيا أَوْسَ بنَ حارثة في بلاده فوجداه في منزله . فلما رأى الحارثَ بنَ عوفٍ قال : مرحباً بك يا حارِ . قال : وبكَ . قال : ما جاء بك يا حارِ ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال : لستَ هناك . فانصرف ولم يكلِّمْه . ودخل أوسٌ على امرأته مُغْضَباً وكانت من عبس . فقالت : مَنْ رَجُلٌ وقَفَ عليك فلم يُطِلْ ولم تكلِّمْه ؟ قال : ذاك سَيِّدُ العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي . قالت : فما لكَ لم تستنزله ؟ قال : إنه استحمَق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني

1 ل : اللبن .

خاطباً . قالت : أفتريد أن تزوج بناتِك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تُزَوِّج سَيِّدَ العرب فمَنْ ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارَكْ ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تَلْحَقُه فتردُّه . قال : وكيف وقد فَرَط مني ما فَرَط إليه ؟ قالت تقول له : إنك لَقِيتَني مُغْضَباً بأمرٍ لم تقدِّم[1] فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعتَ ، فانصرِفْ ولك عندي كلُّ ما أحببتَ فإنه سيفعل . فرَكِب في أَثَرِهما . قال خارجةُ بن سِنان : فوالله إني لأسيرُ إذ حانت مني التفاتةٌ فرأيته ، فأقبلتُ على الحارث وما يُكَلِّمني غماً ، فقلت له : هذا أوسُ بن حارثة في أَثَرِنا . قال : وما نصنع به ؟ امْضِ ! . فلما رآنا لا نقِف عليه صاح : يا حار ارْبَعْ عليَّ ساعةً . فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً . فبلغَني أن أوْساً لما دخل منزلَه قال لزوجته ادْعِي لي فلانةَ (لأكبر بناته) فأتته ، فقال : يا بُنية ، هذا الحارث بن عوف سَيِّدٌ من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردتُ أن أُزوِّجَك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأني امرأة في وجهي ردَّةٌ[2] ، وفي خُلُقي بعضُ العُهدة[3] ، ولستُ بابنة عمِّه فيرعى رَحِمي ، وليس بجارِك في البلد فيَسْتَحِيَ منك ، ولا آمَنُ أن يرى منِّي ما يَكره فيطلِّقَني فيكونَ عليَّ في ذلك ما فيه . قال : قُومي بارك الله عليكِ . ادْعِي لي فلانةَ (لابنتِه الوُسْطى) ؛ فدعتْها ، ثم قال لها مِثْلَ قوله لأختها ؛ فأجابته بمثل جوابها وقالت : إني خرقاء وليست بيدي صِناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلِّقني فيكونَ عليَّ في ذلك ما تَعْلَم ، وليس بابن عمي فيرعَى حقِّي ، ولا جارَكَ في بلدك فيَسْتَحْيِيَك . قال : قُومي بارك الله عليكِ . ادْعِي لي بُهَيْسةَ (يعني الصغرى) ، فأُتِيَ بها فقال لها كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إني قد عرضت ذلك على أُختيكِ فأبَتاه . فقالت ، ولم يذكر لها مقالَتَيْهما ، لكني والله الجميلةُ وجهاً ، الصَّناعُ يداً ، الرفيعةُ خُلُقاً ، الحسيبةُ أباً ، فإن طلَّقني فلا أَخْلَفَ اللهُ عليه بخير . فقال : بارك الله عليكِ . ثم خرج إلينا فقال : قد زوَّجتُك يا حارثُ بُهَيْسَةَ بنتَ أُوْس . قال : قد قَبِلتُ . فأَمر أمَّها أن تُهَيِّئها وتُصلِح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضُرِب له ، وأنزله إيَّاه . فلما هُيِّئَتْ بعث بها إليه . فلما أُدخِلت إليه لبِث هُنَيْهة ثم خرج إليَّ . فقلت : أَفَرَغْتَ من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لما مَدَدْتُ يدي إليها قالت : مَهْ ! أعند أبي وإخوتي !! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرِّحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسِرْنا ما شاء الله . ثم قال لي : تقدمْ فتقدمتُ ، وعدَل بها عن الطريق ، فما لبِثَ أن لَحِق بي . فقلت :

---

1 ل : تقدر .

2 ردة : قبح مع شيء من الجمال .

3 العهدة : الضعف .

أَفَرَغْتَ ؟ قال لا والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : قالت لي : أكما يُفْعَل بالأَمَةِ الجليبة أو السَّبِيَّةِ الأَخِيذة ! لا والله حتى تَنحَرَ الجُزُرَ ، وتذبح الغنمَ ، وتدعُوَ العربَ ، وتعمَلَ ما يُعْمل لمثلي . قلتُ : والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجبةً إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادَنا ، فأَحْضَرَ الإبلَ والغنمَ ، ثم دخل عليها وخرج إليَّ . فقلت : أَفَرَغْتَ ؟ قال لا . قلت : ولِمَ ؟ قال : دخلتُ عليها أُريدها ، وقلتُ لها قد أحضَرْنا من المال ما قد تَرَيْنَ ، فقالت : والله لقد ذكرتَ لي من الشرف ما لا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرُغ لنكاح النِّساء والعربُ تقتل بعضها ؟ (وذلك في أيام حرب عَبْس وذُبْيان) . قلت : فيكون ماذا ؟ قالت : اخرُجْ إلى هؤلاء القوم فأصْلِحْ بينهم ، ثم ارجعْ إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً ، ولقد قالت قولاً . قال : فاخرُجْ بنا . فخرجنا حتى أتَيْنا القومَ فمشَيْنا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ؛ فيؤْخَذ الفضل ممن هو عليه ، فحملنا عنهم الدِّياتِ ، فكانت ثلاثةَ آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجمل الذِّكْر . قال محمد بن عبد العزيز : فمُدِحوا بذلك ، وقال فيه زهير بن أبي سُلْمى قصيدتَه : [من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ

فذكرهما فيها فقال : [من الطويل]

تداركتما عَبْساً وذُبْيانَ بعدما ... تفانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشَمِ[1]
فأصبح يَجْرِي فيهمُ من تِلادكم ... مَغانمُ شَتَّى من إفالِ المُزَنَّمِ[2]
يُنَجِّمُها قومٌ لقومٍ غرامةً ... ولم يُهرِيقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَمِ[3]

وذكر قيامهم في ذلك فقال : [من الطويل]

«صحا القلبُ عن سَلْمى وقد كاد لا يسلو»

وهي قصيدة يقول فيها[4] : [من الطويل]

---

1 المثل «دقوا بينهم عطر منشم» في الدرة الفاخرة وفصل المقال وجمهرة العسكري . ومنشم يقال : إنها امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر كانوا إذا تقاتلوا اشتروا منها الكافور لموتاهم فتشاءموا منها . ويقال : أشأم من منشم . وهذه الأبيات من معلقة زهير .

2 إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل . والمزنم فحل بعينه .

3 ينجمها : يقسطها .

4 ديوانه : 109 .

تداركتُما الأحلافَ قد ثُلَّ عرشُها ... وذُبْيانَ قـد زَلَّتْ بأقْدامِها النَّعْلُ[1]

وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجَع فدخل بها ، فولَدَتْ له بنين وبنات .

[مدح هرماً وأباه وإخوته]

ومما مدح به هَرِماً وأباه وإخوتَه وغُنِّيَ فيه قولُه[2] : [من البسيط]

صوت

إن الخليطَ أجَـدَّ البينَ فانفرقـا ... وعَلِقَ القلبُ مـن أسماءِ ما عَلِقا

وأخلفتْكَ ابنةُ البَكْرِي مـا وعدتْ ... فأصبحَ الحبلُ منهـا واهناً خَلَقا[3]

قامت تَبَدَّى بذي ضال لِتَحْزُنَني ... ولا محالـةَ أن يشتاقَ مَـنْ عشِقا

بجِيـدِ مُغْزِلَـةٍ أُدْمـاءَ خاذِلـةٍ ... مـن الظباء تُراعـي شادناً خَرِقا

انفرق : انفعل ، من الفُرْقة . وأجَدَّ وجَدَّ بمعنىً واحد ، من الجِدِّ خلاف اللعب . والواهن والواهي واحد . والحبل : السَّبَبُ في المودّة . والضال : السِّدْرُ الصِّغارُ ، واحدتُها ضالَة . والجيد : العُنُق . والمُغْزِلَةُ : الظبية التي لها غزال . والأُدْماء : البيضاء . والخاذلة : المقيمة على ولَدِها ولا تتبع الظباء . والشَّادِن : الذي قد شَدَن أي تحرك ولم يَقْوَ بعدُ . والخَرِق : الدَّهِشُ .

غَنَّى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيفَ رمَلٍ بالوُسطى ، وقيل إنه لابن جامع ، وقيل بل لحنُ ابن جامع بالبِنصر . وفي الثالث والرابع لابن المكِّي رملٌ صحيحٌ من روايتَيْ بَذْل والهشامي .

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هَرِماً[4] : [من البسيط]

قـد جعلَ المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ ... والسائلـونَ إلى أبوابـه طُـرُقا

من يَلْقَ يومـاً على عِلاَّتـه هَرِماً ... يَلْقَ السماحةَ منـه والنَّدى خُلُقا

ليثٌ بعَثَّرَ يصطادُ اللُّيـوثَ إذا ... ما اللَّيْثُ كذَّبَ عن أقرانه صَدَقا[5]

---

1 الأحلاف : أسد وغطفان وطيء . وثل عرشها : مثل معناه هدم عرشها . انظر مجمع الميداني 1 : 153 وجمهرة العسكري 1 : 287 ومستقصى الزمخشري 2 : 34 . وزلت به النعل مثل آخر ، انظر مجمع الميداني 1 : 322 .

2 ديوانه : 32–35 .

3 واهناً في الديوان : واهياً .

4 الديوان : 49–54 .

5 الليوث في ل والديوان : الرجال . كذب : لم يصدق الحملة وتراجع .

يطعنُهُم ما ارتَمَوْا حتى إذا اطَّعنوا ضاربَ حتى إذا ما ضارَبوا اعتنقا

[رثاؤه سنان بن أبي حارثة]

ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هَرِم سِنانَ بن أبي حارثة . وذكر ابنُ الكلبي أنه هوِي امرأةً فاستُهيم بها ؛ وتَفاقم به ذلك حتى فُقِد فلم يُعرَف له خبر . فتزعمُ بنو مُرَّة أن الجنّ استطارتْه فأدخلتْه بلادَها ، واستعجلته لكَرَمه . وذكر أبو عبيدةَ أنه قد كان هَرِم حتى بلَغ مائةً وخمسين سنة ؛ فهام على وجهه خَرَفاً ففُقِد . قال : فزعمَ لي شيخٌ من علماء بني مُرَّة أنه خرج لحاجته بالليل فأبْعَد ، فلما رجع ضَل فهام طولَ ليلته حتى سقط فمات ، وتبع قومُه أثرَه فوجدوه ميتاً . فرثاه زهير بقوله[1] : [من الكامل]

إن الرَّزِيَّــةَ لا رَزِيَّــةَ مِثلُهــا ... مـا تبتغي غَطَفانُ يــومَ أُضلَّتِ
إن الرِّكابَ لتَبْتَغِــي ذا مــرَّةٍ ... بجَنُوب نَجْدَ إذا الشهورُ أُحَلَّتِ[2]
ينْعَيْــنَ خيرَ الناس عنــدَ شديدةٍ ... عَظُمَــتْ مصيبتُه هنــاك وجَلَّتِ
ومُدَفَّــعٍ ذاقَ الهَــوانَ مُلَعَّــنٍ ... راخيتَ عُقْــدةَ حَبْلِــهِ فانحلَّتِ[3]
ولِنعْمَ حشوُ الدِّرْعِ كان إذا سَطا ... نَهِلَتْ مــن العَلَقِ الرِّماحُ وعَلَّتِ[4]

[أشعار له غنى فيها]

والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله[5] : [من المتقارب]

صوت

أَمِنْ أُمِّ سَلْمى عرَفتَ الطُّلولا ... بذي حُــرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولا[6]
بَلِــينَ وتحسَبُ آياتِهــن ... على فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقّاً مُحِيلا[7]

المائل هاهنا : اللاطِئ بالأرض ، وفي موضع آخر : المنتصب القائم . وذو حُرُضٍ : موضعٌ . والحرض : الأُشْنان . وآياتُهن : علاماتُهن . وفَرْطُ حَوْلَيْن : تَقَدُّمُ حولين ،

1 ديوانه : 334–335 .
2 نجد في الديوان : نخل . ذو مرة : ذو عقل ورأي مبرم . وإذا الشهور أُحلت : دخلت الأشهر التي يحل فيها الغزو .
3 حبله في ل والديوان : كبله .
4 الشطر الأول في الديوان : «ولنعم حشو الدرع كان لها إذاً» .
5 ديوانه : 193–194 .
6 أم سلمى في الديوان : آل ليلى . ذو حرض : موضع .
7 المحيل : الذي أتى عليه الحول .

والفارِط : المتقدِّم .

غنَّى في هذين البيتين إسحاق ، وله فيهما لحنان : أحدهما ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مَجرى البِنْصر ، من كتابه . والآخر ماخُوريٌّ من مجموع غِنائه ، وروايته عن الهِشامي . وفيهما للزُّبير بن دَحمان خفيف ثقيلٍ أول بالبِنْصر عن عمرو . يقول فيها : [من المتقارب]

إليــك سِنانُ الغَــداةَ الرَّحيــ ـلُ أَعْصِي النُّهاةَ وأُمْضِي الفُؤولا

جمع فأل ، أي لا أتطيَّر .

فــلا تأمَنِــي غَـزْوَ أَفْراسِه بَنِــي وائلٍ واحْذَرِيه جَديلا
وكيف اتقاءُ امرىءٍ لا يـؤو بُ بالقومِ في الغَزْوِ حتى يُطِيلا

ومن الغناء في مدائح هَرِم قوله[1] : [من البسيط]

صوت

قِفْ بالدِّيار التي لم يَعْفُها القِدَمُ بَـلى وغيَّرهـا الأَرواحُ والدِّيَمُ
كأنَّ عيني وقد سالَ السَّلِيلُ بهم وعَبَرَةٌ مـا هُـمُ لـو أنّهم أَمَمُ
غَرْبٌ على بَكْـرةٍ أو لؤلؤٌ قَلِقٌ في السِّلكِ خانَ به رَبَّاته النُّظُمُ

الدِّيَمُ : جمع دِيمَة وهو المطر الذي يَدُوم يوماً أو يومين مع سكون . سال السَّلِيلُ بهم : أي ساروا فيه سيراً سريعاً . والسَّلِيلُ : وادٍ . وقوله وعبرةٌ ما هُمُ أي هم عبرةٌ ، وما هاهنا صلةٌ . لو أنهم أَمَم أي قَصْدٌ كنتُ أزورهم . والأَمَمُ : بين القريب والبعيد . والقَلِقُ : الذي لم يستقر لما انقطع الخيط . والنُّظُمُ : جمعٌ واحدها نِظام ، شبَّه دموعَه بلؤلؤ انقطع سلكه ، وبماءٍ سال من الغَرْب .

الغناءُ في هذه الأبيات رملٌ لابن المكي بالوسطى عن عمرو . وذكر عمرو أن لإسحاق فيها لحناً أيضاً . وذكر يونس أن فيها لحناً لمالك .

صوت[2]

[من الكامل المرفل]

لِمَــن الدِّيــارُ بقُنَّــةِ الحَجْرِ أَقْوَيْــنَ مُذْ حِجَجٍ ومُــذْ دَهْرِ[3]

1 ديوانه : 145–148 .
2 ديوانه : 86–95 .
3 الحجر : موضع .

لَعِبُ الرِّياحُ بها وغَيَّرها بَعْدِي سَوافي الرِّيحِ والقَطْرِ[1]
دَعْ ذا وعَدِّ القولَ في هَرِمٍ خيرِ الكُهولِ وسَيِّدِ الحَضْرِ
لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ كنتَ المُنَوِّرَ ليلةَ البدرِ[2]

القُنَّةُ : الجبل الذي ليس بمنتشر . أقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . والسَّوافِي : ما تَسْفِي الرياحُ . قال : والقَطْرُ مخفوضةٌ بنَسْقه على الرِّيح ، والقطرُ لا سَوافي له . وهذا تفعله العرب في المجاورة ، وهو مثل قولهم : جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ .

غَنَّى في هذه الأبيات سائبُ خاثر من رواية حَماد عن أبيه ، ولم يجنِّسه . وفيه ثقيلٌ أولُ بالبِنصر نَسَبه عمرو بن بانةَ إلى معبد ، ونَسبَه غيرُه إلى سائب ، وإلى الأَوْسِيَّة مما ذكر حَبَشٌ . قال : وهي من قِيان الحجاز القدائم مولاةٌ للأَوْسِ .

ومنها قوله يمدح سِنانَ بن أبي حارثة[3] : [من الطويل]

صوت

صَحا القلبُ عن سَلْمى وقد كاد لا يَسْلُو وأَقْفَرَ من سَلْمى التَّعانِيقُ فالثِّقْلُ[4]
وقد كنتُ من سَلْمى سِنِينَ ثمانياً على صِيرِ أَمْرٍ ما يمُرُّ وما يَحْلُو
وكنتُ إذا ما جئتُ يوماً لحاجةٍ مَضَتْ وأجمَّتْ حاجةُ الغَدِ ما تَخلو
وكلُّ محبٍّ أَحدثَ النأيُ عندَه سُلُوَّ فؤادٍ غيرَ حُبِّكِ ما يَسْلُو
تأوَّبَني ذِكْرُ الأحِبَّةِ بعدَ ما هَجَعْتُ ودوني قُلَّةُ الحَزْنِ فالرَّمْلُ
فأقسمتُ جَهْداً بالمنازلِ من مِنىً وما سُحِقَتْ فيه المَقادِيمُ والقَمْلُ
لأَرْتَحِلَنْ بالفجرِ ثم لأَدْأَبَنْ إلى الليلِ إلاَّ أن يُعَرِّجَني طِفلُ
وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلا وَشِيجُه وتُغْرَسُ إلا في مَنابتها النَّخْلُ

التَّعانِيقُ والثِّقْلُ : موضعان . ويُروى : فالنَّخْل . وقولُه على صِيرِ أمرٍ : أي على شَرَف أمر . وأجَمَّتْ : دَنَتْ . وتأوبني : أتاني ليلاً . والتأويب : سَيْرُ يومٍ إلى الليل . سُحِقَتْ : حُلِقَتْ ، يقال سَحَف رأسَه وسَبَته وجَلَطَهُ : حَلَقَه . وقولُه «يُعَرجني طِفْلٌ» قال يقال الطفل : الليل ، ويقال الطِّفْلُ : مَغِيبُ الشمس ، وقال أبو عبيدة : الطفل : الحَزْنُ ،

1 الريح في الديوان : المور وهو التراب .
2 المنور في الديوان : المنير لليلة .
3 الديوان : 96–115 .
4 التعانيق والثِقل : أودية .

وإيقادُه نارَ التَّحْيير . والخَطِّيُّ : رِماحٌ نَسَبَها إلى الخَط وهي من جزيرة بالبحرين تُرْفَأ إليها سُفُنُ الرماح . والوشيج : القَنا واحدُها وَشِيجةٌ . والوُشُوجُ : دخولُ الشيء بعضِه في بعض .

غنَّى إبراهيمُ الموصلي في الأول والثاني ثقيلاً أول بالبنصر من رواية الهشامي وعمرو . وغنَّى إبراهيم أيضاً في السادس والسابع والثامن خفيفَ ثقيلٍ . وفي الثالث لمعبد خفيفُ ثقيلٍ . ولعلويه في السابع والثامن خفيف رملٍ . وذكر حبشٌ أن لإبراهيم في الثامن لحناً ماخُورياً .

ومن الغناء في مدائحه هَرِماً قوله[1] : [من الوافر]

صوت

لِمَـن طَلَـلٌ برامـةَ لا يَرِيـمُ   عَفـا وأحالَـه عَهْـدٌ قديمُ[2]

تَطالَعُنـي خيـالاتٌ لسَلْمـى   كما يَتَطالَـعُ الدَّيْـنَ الغَرِيمُ

غَناه دحمان ثانيَ ثقيلٍ بالبِنصر عن عمرو . وعَفا : درس هاهنا ، وفي موضع آخر : كثُر ، وهو من الأضداد . وخيالاتٌ : جمع خيال .

[مدح عمر شعره في هرم بن سنان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شَبَّة . وقال المهلَّبي في خبرٍ له عن الأصمعي قال : أُنشِد عمرُ بن الخطاب قولَ زهير في هَرِم بن سِنان يمدحه : [من الكامل]

دَعْ ذا وعَدِّ القـولَ في هَرِمٍ   خيرِ الكهـولِ وسيِّـدِ الحَضَرِ

لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ   كنتَ المنـوِّرَ ليلـةَ البـدرِ

ولأنتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعتُ به   لِشَوابِـكِ الأرحـام والصِّهْرِ

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنـتَ إذا   دُعِيَتْ نَـزالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ

وأراك تَفْرِي مـا خَلَقْتَ وبعـ   ـضُ القومِ يخلقُ ثم لا يَفْرِي

أُثْني عليكَ بمـا علمتُ وما   أَسْلفتَ في النَّجَداتِ من ذِكْرِ

والسِّتْرُ دونَ الفاحشاتِ ولا   يلقاكَ دونَ الخيرِ مـن سِتْرِ

فقال عمر : ذلك رسولُ الله ﷺ .

---

1 ديوانه : 306–308 .

2 الشطر الثاني في الديوان : «عفا وخلا له عهد قديم» .

[خلد ذكر هرم بشعره]

قال وقال عمر لبعض ولَدِ هَرِمَ : أنشِدْني بعضَ مَدْحِ زهيرٍ أباك ، فأنشده . فقال عمر : إن كان لَيُحْسِن فيكم القولَ . قال : ونحن والله إن كنّا لَنُحْسِن له العطاءَ . فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبَقِيَ ما أعطاكم .

[حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه]

قال : وبلغني أن هَرِماً كان قد حَلَف ألا يمدحه زُهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلِّمَ عليه إلا أعطاه : عَبْداً أو وَلِيدَةً أو فَرَساً . فاستحيا زهيرٌ مما كان يقبَل منه ، فكان إذا رآه في ملأ قال : عُموا صباحاً غيرَ هَرِمٍ ، وخيرَكم استثنيتُ . وروى المهلّبي : وخيرَكم تركتُ .

[عمر يسأل عن الحلل التي كساه إياها هرم]

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال : قال عمر لابن زهير : ما فعلتِ الحُلَلُ التي كساها هَرِمٌ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكنَّ الحُلَلَ التي كساها أبوك هَرِماً لم يُبْلِها الدَّهر . وقد ذكر الهيثمُ بنُ عدِي أن عائشةَ خاطبتْ بهذه المقالةِ بعضَ بناتِ زُهَيْر .

[مديح لم يسبق إليه]

وقال أبو زيد عمر بن شبة : ومما سَبَقَ فيه زهير في مدح هَرِمٍ ولم يسبقه إليه أحد قولُه : [من البسيط]

قد جعلَ المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقا
مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلاَّته هَرِماً يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدى خُلُقا
يطلبُ شأوَ امْرأين قَدَّما حَسَباً بَذَّا الملوكَ وبَذَّا هذه السُّوَقا
هو الجوادُ فإن يَلْحَقْ بشأوهما على تكاليفه فمِثْلُه لَحِقا
أو يسبقاه على ما كان من مَهَلٍ فمِثْلُ ما قَدما من صالحٍ سَبَقا

[مدح عبد الملك بن مروان شعره في آل أبي حارثة]

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني : قال عبد الملك بن مروان : ما يضرُّ مَنْ مُدِحَ بما مَدَح به زهيرٌ آل أبي حارثة من قوله : [من الطويل]

على مُكْثِريهم رِزْقُ مَنْ يَعْتَريهُمُ وعندَ المقلّين السماحةُ والبَذْلُ[1]

ألا يَمْلِك أمورَ الناس (يعني الخلافة) . قال ثم قال : ما ترك منهم زهيرٌ غنِيّاً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه .

---

1 يعتريهم : يقصدهم .

[مدح عثمان بن عفان شعراً له]

وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي : أنشد عثمان بن عفان قولَ زهير : [من الطويل]

ومهما تكن عند امرىءٍ من خَلِيقةٍ وإن خالَها تخفى على الناس تُعْلَمِ

فقال : أحسن زهيرٌ وصدَق ، ولو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس . قال وقال النبي ﷺ : «لا تَعْمَلْ عَمَلاً تَكْرَهُ أن يُتَحَدَّثَ عنك به» .

[تمثل عروة بن الزُّبير ببيت له]

قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جَعْدويه : أنَّ عُروةَ بن الزُّبير لَحِقَ بعبد الملك بن مروان بعد قَتْلِ أخيه عبدِ الله بن الزُّبير . فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه ، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخفَّ به . فقال له يوماً : يا أمير المؤمنين ، بئس المَزورُ أنت ؛ تُكْرِم ضيفَك في الخَلا ، وتُهينه في المَلا ، وقال : لله دَر زهير حيث يقول[1] : [من الوافر]

فقَرِّي في بلادِكِ إن قوماً متى يَدَعُوا بلادَهُمُ يَهونوا

ثم استأذنه في الرُّجوع إلى المدينة ، فقَضى حوائجَه وأذِن له . وهذا البيت من قصيدة لزهير قالها في بني تميم ، وقد بلغه أنها حَشَدَتْ لغزو غطَفان ؛ أولها : [من الوافر]

ألا أبلِغْ لديك بَني تَميمٍ وقد يأتيك بالخبرِ الظَّنونُ

الظَّنون : الذي لستَ منه على ثقة . والظنِين : المُتَّهَم .

[شعره في الحارث بن ورقاء عندما أخذ إبله وغلامه]

وقال ابن الأعرابي : كان الحارث بن ورقاء الصَّيْداوي من بني أَسَد أغار على بني عبد الله بن غَطَفان فغَنِم فاستاق[2] إبلَ زهير وراعيَه يساراً . فقال زهير[3] : [من البسيط]

بان الخَليطُ ولم يأْوُوا لمن تركوا وزوّدوكَ اشتياقاً أيَّةً سَلَكوا[4]

وهي طويلة يقول فيها :

لئن حَلَلْتَ بجَوٍّ في بَني أسَدٍ في دِين عمرو وحالت بيننا فَدَكُ[5]

لَيأتيَنَّك منّي مَنْطِقٌ قَذَعٌ باقٍ كما دَنَّسَ القُبْطِيَّةَ الوَدَكُ[6]

---

1 ديوانه : 192 وفيه «فحلّي» .

2 فاستاق في ل : فاستخف .

3 ديوانه : 164-183 .

4 لم يأووا : لم يرحموا .

5 جو : واد . وفي دين عمرو : أي في طاعته .

6 قذع : قبيح . والقبطية : ثياب كتان بيض . الودك : الدسم .

فارْدُدْ يَسراً ولا تَعْنُف عليه ولا تَمْعَكْ بعِرضِك إنَّ الغادر المَعِكُ[1]
ولا تكونَـــنْ كأقـوامٍ عَلِمْتُهُمُ يَلُوُون ما عندهم حتى إذا نُهِكُوا[2]
طابت نفوسُهمُ عن حقٍّ خَصْمِهِمُ مخافةَ الشَّرِّ وارتدُّوا لمـا تَرَكوا

وفي هذه القصيدة مما يغنّى فيه : [من البسيط]

صوت

أَهْوى لهـا أَسْفَعُ الخدَّين مُطَّرِقٌ رِيشَ القوادم لم يُنْصَبْ له شَرَكُ[3]
وقـد أكـونُ أمامَ الحـي تحمِلُني جَرْداءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ

أهوى لها ، يَعني القطاة تقدم وصفُه إياها ، صقرٌ . ورواه الأصمعي : «هوى لها» وقال : هوى : انقض ، وأهوى : أوفى . ومُطَّرِقٌ : ريشُه بعضُه على بعض ليس بمنتشر ، وهو أعتقُ له . وقوله لم يُنْصَب له شَرَكٌ : أي لم يُصْطَدْ ولم يُذلَّل . والقوادِم : العشرُ المتقدمات . والفَحَجُ : تباعُدُ ما بين الفخذين . والصَّكَكُ : اصطكاك العُرْقُوبين في الدواب ، وفي الناسِ الركبتين . قال : فلما أُنْشد الحارثُ هذا الشعرَ بعث بالغلام إلى زهير . وقيل : بل أُنْشد قولَ زُهير[4] : [من الوافر]

تَعَلَّـمْ أنَّ شرَّ الناسِ حَـــيٌّ يُنــادَى في شعارهــم يَسارُ[5]
ولـــولا عَسْبُه لردَدْتُمــوه وشَرُّ مَنيحَــة أَيْـرٌ مُعــارُ[6]
إذا جَمَحــتْ نساؤكُم إليــه أشظَّ كأنّــه مَسَدٌ مُغـــارُ[7]
يُبَـرْبِرُ حـين يعـدو من بعيدٍ إليهـا وهـو قَبْقــابٌ قُطارُ[8]

فرده عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرْسِلْ به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير عند ذلك[9] : [من البسيط]

---

1 المعك : المطل .
2 نهكوا : شتموا .
3 مطرق : ريشه ليس منتشراً .
4 ديوانه : 300-301 .
5 الشعار : علامة القوم في سفرهم .
6 منيحة : عارية .
7 المسد : الحبل . والمغار : الشديد الفتل . وأشظ : أنعظ .
8 يبربر : يصوت . القبقاب : من القبقبة وهي هدير الفحل . وقطار : صفة من القطر أي يسيل .
9 ديوانه : 308 .

أبلغْ لديك بَنـي الصَّيْداء كُلَّهُمُ أن يَساراً أتانـا غيـرَ مَغْلُولِ
ولا مُهانٍ ولكن عنـدَ ذي كَـرمٍ وفي حِبـالِ وَفِيٍّ العَهْـدِ مأمولِ

وهي قصيدة . فقال الحارث لقومه : أيُّما أصْلَحُ : ما فعلتُ أو ما أردتُم ؟ قالوا : بل ما فعلتَ .

[يمدح بني غطفان وبني مرة]

قال ابن الأعرابي وحدثني أبو زياد الكِلابي : أن زهيراً وأباه وولدَه كانوا في بني عبد الله بن غَطَفان ، ومنزلهم اليوم بالحاجِر ، وكانوا فيه في الجاهلية . وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من بَني فهْر بن مرة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان يقال له الغَدير ـ والغدير هو أبو بشامة الشاعر ، فولَدت له زهيراً وأوْساً ، ووُلِد لزهير من امرأة من بني سُحَيْم . وكان زهير يذكر في شعره بني مرة وغَطَفان ويمدحهم . وكان زهير في الجاهلية سيِّداً كثيرَ المال حليماً معرفاً بالورع .

[هجا بني عليم ثم ندم]

قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد : أنه بلغه أن زهيراً هجا آلَ بيتٍ من كلب من بني عليم بن جَناب ، وكان بلغه عنهم شيء من وراءِ وَراءَ ، وكان رجل من بني عبد الله بن غَطَفان أتى بني عُلَيم ، وأكرموه لما نزل بهم وأحسنوا جِوارَه ، وكان رجلاً مُولَعاً بالقمار فنهَوْه عنه ، فأبى إلا المقامرة . قُمِرَ مرةً فردوا عليه ، ثم قُمِر أُخرى فردوا عليه ، ثم قُمِر الثالثة فلم يردُّوا عليه ، فترحَّل عنهم وشكا ما صُنِع به إلى زهير ، والعرب حينئذٍ يتَّقُون الشعراءَ اتقاءً شديداً . فقال : ما خرجتُ في ليلة ظَلْماءَ إلا خِفْتُ أن يُصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتُهم . قال : والذي هجاهم به قوله[1] : [من الوافر]

عَفـا مـن آلِ فاطمـةَ الجِواءُ فيُمْـنٌ فالقَـوادِمُ فالحِساءُ[2]
فـذُو هاشٍ فمِيثُ عُرَيتِناتٍ عفَتْهـا الرِّيح بعدَك والسماءُ
جَرَتْ سُنُحاً فقلتُ لها أُجيزي نَـوىً مَشمُولةٌ فمتى اللقاءُ
كأنَّ أوابـدَ الثِّيران فيهـا هجائـنُ في مَغابِنهـا الطِّلاءُ
لقـد طالبتُهـا ولكلِّ شيءٍ وإن طالـت لَجاجتُـه انتهاءُ

1 ديوانه : 56–72 .
2 هذا موضع وكذلك ذو هاش وعريتنات في البيت التالي .

وقـد أغْـدو على شَرْبٍ كرامٍ نَشاوى واجديـن لمـا نشاءُ
لهـم طـاسٌ وراوُوقٌ ومِسْكٌ تُعَـلُّ بـه جلودُهُـم وماءُ[1]

الجِواءُ : أرض . ويُمْنٌ والقوادمُ : في بلاد غَطَفان . والمِيثُ : جمع مَيْثاء . قال أبو عمرو : إذا كان مَسِيلُ الماء مثل نصف الوادي أو ثُلُثَيْه فهي مَيْثاء . والسماء هاهنا : المطر . والسانح : ما أَقْبَل من شِمالك يريد يمينك . والبارِحُ : ضِدُّه . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح فقال : السانح : ما ولاَّك ميامِنَه . والبارح : ما ولاَّك مشائمه . وأجيزي : انْفُذِي . قال الأصمعي : يقال أجزتُ الواديَ إذ قطعتَه وخلَّفتَه ، وجُزْتُه : إذا سرتَ فيه فتجاوزتَه . والأوابِدُ : الوحشية . والهجائن : إبلٌ بِيضٌ . والمغابِن : الأرفاغ ، واحدها مَغْبِنٌ . ومشمولةٌ : سريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشَّمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة ، فأَجْرى ذلك مُجْرى الذَّمِّ ، فهذه السُّنُح .

غنى في الأول والثاني والسابع معبد ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر علي بن يحيى أن للغريض فيها خفيفَ ثقيل . وذكر حبشٌ أن فيه للهُذَلي ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو : [من الوافر]

بنفسي مَـنْ تذكُّره سَقامٌ أعالجـه ومَطْلَبُـه عَنـاء

في هذه الأبيات الثلاثة خفيفُ ثقيل أول بالوسطى في مَجراها ، وذكر إسحاق أنه للغريض ، وغيرُه ينسبُه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة . وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يُشك فيه من غِنائه .

[خاله أورثه الشعر]

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زِياد ، وذكر بعضَ هذا الخبر إسحاقُ الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال : وكان بشامة بن الغدير خال [زهير بن] أبي سُلمى ، وكان زهير منقطعاً إليه وكان معجباً بشعره . وكان بشامة رجلاً مُقعَداً ولم يكن له ولد ، وكان مُكثِراً من المال ، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غَطَفان لخُؤولتهم . وكان بشامةُ أحزم الناس رأياً ، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزُوا أَتَوْه فاستشاروه وصَدَروا عن رأيه ، فإذا رجَعوا قسَموا له مِثْلَ ما يَقسِمون لأفضلهم ، فمن أجل ذلك كثُر ماله . وكان أسعدَ غطفان في زمانه . فلما حضره الموت جعل يَقْسِم مالَه في أهل بيته وبين بني إخوته . فأتاه زهير فقال : يا خالاه لو

[1] طاسٌ في الديوان : راح .

قسمتَ لي من مالك ! فقال : والله يابن أختي لقد قَسَمْتُ لك أفضل ذلك وأجْزَلَه . قال : وما هو ؟ قال : شعري وَرِثْتَنِيه . وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعرَ ، وقد كان أولَ ما قال . فقال له زهير : الشعر شيءٌ ما قلتَه فكيف تعتد به عليّ ؟ فقال له بشامة : ومن أين جئتَ بهذا الشعر ؟ لعلّك ترى أنك جئتَ به من مُزَيْنة ، وقد عَلِمت العرب أن حَصاتَها وعينَ مائها في الشعر لهذا الحي من غطفان ثم لي منهم ، وقد رويتَه عني . وأحذاه[1] نصيباً من ماله ومات .

[شعر بشامة بن الغدير]

وبشامة شاعر مجيد وهو الذي يقول : [من البسيط]

صوت

ألا تَرَيْنَ وقد قطَّعتِني قِطَعاً ماذا من الفَوْتِ بين البخلِ والجودِ
إلا يكن وَرَقٌ يوماً أراحُ به للخابِطين فإني لَيِّنُ العُودِ[2]

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أول بالبنصر ، وقيل : إنه لإبراهيم .

[طلق زوجته أم أوفى ثم ندم]

قال ابن الأعرابي : أُمُّ أَوْفى التي ذكرها زهير في شعره كانت امرأته ، فولدتْ منه أولاداً ماتوا ، ثم تزوج بعد ذلك امرأةً أُخرى ، وهي أُم ابنَيْه كَعْب وبُجَيْر ؛ فغارت من ذلك وآذتْهُ ، فطلَّقها ثم نَدِم فقال فيها[3] : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ والخطوبُ مُغَيِّراتٌ وفي طول المُعاشرةِ التَّقالي
لقد باليْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفى ولكن أُمُّ أَوْفى ما تُبالي
فأما إذ نأيتِ فلا تقولي لذي صِهْرٍ أذلْتُ ولم تُذالي[4]
أصبتُ بَنِيَّ منكِ ونِلْتِ مني من اللذاتِ والحُلَلِ الغَوالي

[رثاء ابنه سالم]

وقال ابن الأعرابي : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، جميل الوجه حسن الشَّعر . فأهدى رجلٌ إلى زهير بُرْدَين ، فلَبِسهما الفتى وركِب فرساً له ، فمرَّ بامرأةٍ من العرب بماء يقال له النُّتاءة ، فقالت : ما رأيتُ كاليوم قط رجلاً ولا بُرْدَيْن ولا فرساً . فعثَر به الفرسُ فاندقَّتْ عُنُقُه

1 أحذاه : أعطاه .
2 يقال : راحت الريح الشيء إذا أصابته . ويقال : ضبط الشجرة إذا شدها ونفض ورقها .
3 ديوانه : 342 .
4 أذالها : هزلها وأهانها .

وعُنُقُ الفَرس وانشقَّ البردان . فقال زهير يرثيه[1] : [من الطويل]

رأتْ رجلاً لاقى من العيش غِبطةً وأخطـأه فيهـا الأمـورُ العظائمُ
وشَبَّ لـه فيهـا بَنُونَ وتُوبِعتْ سلامـةُ أعـوامٍ لـه وغنـائمُ
فأصبحَ مَحبـوراً يُنَظَّـرُ حولَـه بغِبْطتـه لـو أنَّ ذلـك دائمُ[2]
وعندي من الأيامِ ما ليس عنده فقلـتُ تَعَلَّـمْ أنما أنـت حالمُ
لعلكِ يومـاً أن تُراعـي بفاجعٍ كما راعنـي يـوم النُّتاءةِ سالمُ

[هو وقومه شعراء]

قال ابن الأعرابي : كان لزهيرٍ في الشعر ما لم يكن لغيره ، وكان أبوه شاعراً ، وخالُه شاعراً ، وأُختُه سَلْمى شاعرةً ، وابناهُ كعبٌ وبُجَيْر شاعرين ، وأخته الخنساء شاعرةً ، وهي القائلة تَرثيه : [من الوافر]

وما يُغْني تَوَقِّـي الموتِ شيئاً ولا عَقْـدُ التَّمِيم ولا الغَضارُ[3]

والغضار : كان أحدهم إذا خَشِيَ على نفسه يعلِّق في عُنُقه خَزَفاً أخضر .

[من الوافر]

إذا لاقـى منيَّتَـه فأمْسى يُساقُ بـه وقـد حَقَّ الحِذارُ
ولاقـاهُ مـن الأيـامِ يـومٌ كما من قَبْـلُ لم يَخْلُدْ قُدارُ[4]

وابن ابنِه المُضَرَّب[5] بن كعب بن زهير شاعرٌ ، وهو القائل : [من البسيط]

إني لأحبسُ نفسي وهي صاديةٌ عن مصعبٍ ولقد بانت ليَ الطُّرُقُ
رُعْوى عليـه كما أَرْعى على هَـرِمٍ جَـدّي زهير وفينا ذلك الخُلُقُ[6]
مَدْحُ الملوك وسَعْيٌ في مَسَرَّتهم ثم الغِنى ويـدُ الممدوحِ تنطلقُ

---

1 ديوانه : 341 .
2 محبور : منعم .
3 الموت في ل : المرء .
4 قدار : عاقر الناقة .
5 لقب المضرب لأنه شبب بامرأة من بني أسد فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف ولم يمت وأخذ الدية (الشعر والشعراء 80–81) .
6 رعوى عليه : بقيا عليه .

[سبب تقديمه]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : مَنْ قَدَّم زُهَيْراً احتج بأنه كان أحسنَهم شعراً ، وأبعدَهم من سُخْفٍ ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليلٍ من الألفاظ [1] ، وأشدهم مبالغةً في المدح ، وأكثرهم أمثالاً في شعره .

[مرثية ابنه سالم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، وكان من أُمِّ كعب بن زهير ؛ فمات أو قُتل ، فجزِع عليه كعب [2] جزعاً شديداً ، فلامته امرأته وقالت : كأنه لم يُصَبْ غيرُك من الناس ! فقال : [من الطويل]

رأتْ رجلاً لاقى من العيشِ غِبطةً ... وأخطـأه فيهـا الأمـورُ العظائمُ
وشَبَّ لـه فيهـا بَنُونَ وتُوبعتْ ... سلامـةُ أعـوامٍ لـه وغنـائمُ
فأصبحَ محبـوراً ينظُّـرُ حولَـه ... بغبطتـه لـو أنَّ ذلـك دائمُ
وعندي من الأيامِ مـا ليس عنده ... فقلـتُ لـه مهـلاً فإنّكَ حالِمُ
لعلك يومـاً أن تُراعِي بفاجعٍ ... كما راعنـي يـومَ النَّتاءةِ سالمُ

صوت

[من الطويل]

عَزَفْـتَ ولم تَصْرِمْ وأنتَ صَرومُ ... وكيـفَ تَصابي مـن يقال حليمُ
صَدَدتَ فأطْوَلْتَ الصدودَ ولا أرى ... وِصالاً على طول الصُّدودِ يدومُ

عروضه من الطويل . عزفت عن الشيء : إذا تركتَه وأَبَته نفسُك . قال ابن الأعرابي : يقول لم تَصْرِمِ صُرْمَ بَتاتٍ . ولكن صَرَمْتَ صُرْمَ دَلالٍ . وأطْوَلتَ الصدودَ أي أطلته . وإنما قال هذا ضرورةً . الشعر للمَرّار بن سعيد الفَقْعَسي . والغِناء لإسحاقَ رمل .

---

1 ل : المنطق .

2 تقدم آنفاً أن الشعر لزهير وهو في ديوانه .

[172] ـ ذكر المرَّار وخبره ونسبه[1]

[نسبه]

هو المَرَّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلَةَ بن الأَشْيَم بن جَحْوان بن فَقْعَس بن طريف بن عمرو بن قُعَين بن الحارث بن ثَعْلبةَ بن دُودان بن أَسَد بن خُزَيْمة بن مُدْرِكةَ بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ . وأُمُّ المَرار بنتُ مَروان بن مُنقِذ الذي أغار على بني عامر بثَهْلان فقتل منهم مائةً بحبيب بن مُنْقِذ عمه ، وكانوا قتلوه .

وكان المرار قصيراً مُفْرِطَ القِصَرِ ضئيلَ الجسم . وفي ذلك يقول : [من الرجز]

عَـدُّونِيَ الثعلـبَ عنـدَ العَـددِ حتى استثاروا بِيَ إحدى الإِحَدِ[2]
لَيْثـاً هِزَبْـراً ذا سلاحٍ مُعْتَـدِي يَرْمِـي بطَـرْفٍ كالحريـقِ المُوقَدِ

[يهاجي المساور بن هند]

وكان يُهاجي المُساوِر بن هند بن قيس بن زهير بن جَذيمة العبسي . وفيه يقول المرّار : [من الكامل]

شَقِيَتْ بنـو سَعْـدٍ بشِعْرِ مُساوِرٍ إن الشقـيَّ بكـل حبـلٍ يُخَنَّقُ[3]

والمساور القائل فيه : [من البسيط]

مـا سرَّني أن أُمِّي مـن بَني أَسَدٍ وأنَّ ربِّـيَ يُنْجِينـي مـن النـارِ
أو أنّهـم زوجّـوني مـن بناتهمُ وأنَّ لي كلَّ يـومٍ ألـفَ دينـارِ

والمَرَّار من مخضرمي الدولتين . وقد قيل : إنه لم يُدرِك الدولةَ العباسية .

[من مخضرمي الدولتين]

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حَبِيب عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل والكوفيين : أن المَرَّار بن سعيد كان أتى حُصَيْنَ بن بَراق من بني عبس ، فوقف على

1 للمرار الفقعسي ترجمة في الخزانة 4 : 288 والسمط : 231 والمؤتلف : 176 ومعجم المرزباني : 408 والشعر والشعراء : 588 .
2 إحدى الإحد : الأمر العظيم .
3 المثل «إن الشقي بكل حبل يخنق» في جمهرة العسكري 1 : 137 .

بيوتهم فجعل يحدِّث نساءهم ويُنشِدهنَّ الشعرَ . فنظروا إليه وهم مجتمعون على الماء فظنّوا أنه يَعِظُهُنَّ . ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال . فقال له بعضهم : أنت يا مَرَّارُ تَقِفُ على أبياتنا وتُنشد النساءَ الشعر ؟ فقال : إنما كنتُ أسألهن . فجرى بينه وبينهم كلامٌ غليظ ، فوثَبوا عليه وضرَبوه وعقَروا بعيره ؛ فانصرف من عندهم إلى بني فَقْعَس فأخبرهم الخبرَ ، فركبوا معه حتى أَتَوْا بَني عَبْس فقاتلوهم فهزموهم ، وفقأتْ بنو فقعس من بني عبس عيناً وقتلوا رجلاً ثم انصرفوا . فحمل أبو شداد النصري لبني عباس مائتي بعير وغلَّظوا عليهم في الدية . ثم إن بدر بن سعيد أخا المَرار قال : قد استوفتْ عبس حقَّها ، فعلامَ أترك ضَرْبَ أخي وعَقْرَ جَمَله ! فخرج حتى أتى جِمالاً لبني عبس في المرعى فرمى بعضَها فعقَرها ثم انصرف . فقال للمرَّار : إنه والله ما يُقْنِعُ بهذا ولكن اخرُجْ بنا . فخرجا حتى أغار على إبلْ لبني عبس فطرداها وتوجها بها نحو تَيْماءَ . فلما كانا في بعض الطريق انقطع بِطانُ راحلة بدر فنَدَر[1] عن رَحْلِه . فقال له المرار : يا أخي أطِعْني وانصرِفْ ودَعْ هذه الإبلَ في النار . فأبى عليه . ثم سارا ، فلما كانا في بعض الطريق عرَض لهما ظبيٌ أعْضَبُ[2] أحد القرنين . فقال المَرَّار لبدر : قد تطيَّرتُ من هذا السفر ، ولا والله ما نرجع من هذا السَّفر أبداً ، فأبى عليه بدرٌ . فتفرقت عبسٌ فرقتين في طلب الإبل ، فعمَدت فرقةٌ إلى وادي القُرى ، وفرقةٌ إلى تَيماء ؛ فصادفوا الإبل بتَيماء تُباع ، فأخذوا المَرار وبَدْراً فرفعوهما إلى الوالي . وعُرِفتْ سِماتُ عبسٍ على الإبل فدُفِعتْ إليهم ، ورُفِع المَرار وأخوه إلى المدينة فضُرِبا وحُبِسا ، فمات بدرٌ في الحبس . فكلَّمتْ عِدَّةٌ من قريش زيادَ بن عبد الله النَّصْرِي في المَرار فخلاه . وقال في حبسه : [من الطويل]

صَرَمْـتَ ولم تَصْـرِمْ وأنتَ صَرُومُ

وهي طويلة .

[مات أخوه بدر في الحبس فرثاه]

وقال يرثي أخاه بدراً : [من الطويل]

أَلا يـــا لَقومي للتَّجَلُّدِ والصبرِ ... وللقدَرِ الساري إليكَ وما تَدْرِي
وللشيءِ تَنْساه وتذكُـــرُ غيرَه ... وللشيءِ لا تَنْساه إلا عـلى ذُكرِ
ومـا لكما بالغيبِ عِلْـمٌ فتُخْبِرا ... وما لكما في أمـر عثمانَ من أمرِ

1 ندر عن رحله : سقط .
2 أعضب : مكسور .

وهي طويلة يقول فيها : [من الطويل]

ألا قاتــلَ اللهُ المقاديــرَ والمُنــى ... وطيراً جرَتْ بين السُّعافات والحِبْرِ[1]
وقاتــلَ تكذيبي العِيافــةَ بعدما ... زجرتُ فما أغْنى اعتيافي ولا زَجْرِي
تَرَوَّحْ فقد طــالَ الثَّواءُ وقُضِّيَتْ ... مَشارِيطُ كانت نحوَ غايتها تجري

المشاريط : العلامات والأمارات .

ومــا لقُفُولٍ بعــد بــدرٍ بشاشةٌ ... ولا الحــيِّ آتيهم ولا أوبةِ السَّفْرِ[2]
تُذَكِّــرني بــدراً زعازِعُ حَجْرَةٍ ... إذا عَصَفَتْ إحدى عَشِيَّاتها الغُبْرِ

الزعازِعُ : الشديدةُ الهُبوب . والحَجْرة : السنة الشديدة .

إذا شَوْلُنا لم نُؤْتَ منها بمِحْلَبٍ ... قَرى الضَّيفَ منها بالمهند ذي الأُثْرِ[3]
وأضيافُنــا إن نبَّهونــا ذكرتُــه ... فكيف إذاً أنساه غابــرةَ الدهرِ
إذا سَلَّــم الساري تهلَّــلَ وجهُه ... على كل حالٍ من يَسارٍ ومن عُسْرِ
تذكَّرتُ بدراً بعدَ ما قيل عارفٌ ... لما نابَــه يا لَهْفَ نفسي على بدرِ[4]
إذا خَطَرتْ منه على النفسِ خَطْرةٌ ... مَرَتْ دمعَ عيني فاستَهلَّ على نَحْرِي[5]
ومــا كنتُ بكَّاءً ولكن يَهِيجُ لي ... على ذِكْره طِيبُ الخلائقِ والخُبْرِ[6]
أعينَــي إنّي شاكــرٌ مــا فعلتما ... وحُــقَّ لمــا أبْلَيْتُماني بالشكرِ
سألْتُكما أن تُسْعِداني فجُدْتُما ... عَوانَيْن بالتَّسْجامِ باقِيَتَيْ قَطْرِ[7]
فلمــا شَفاني اليأسُ عنــه بسَلْوةٍ ... وأعْذرتُما لا بــل أَجَلَّ من العذرِ
نَهَيْتُكمــا أن تُسْهِــراني فكنتُما ... صَبُورَيْن بعــد اليأس طاوِيَتَيْ غُبْرِ

يقول : طويتما أغبارَ دمعكما . والأغبار : البقايا كأغبار اللَّبن .

---

1 الحبر في ل : الحجر .
2 لقفول في ل : لقفولي .
3 الشول : النوق التي قل لبنها . واحدتها شائلة .
4 عارف : صابر .
5 مرت دمعه : أسالته . واستهال : سال .
6 يهيج في ل : يهيجني .
7 عوانين : أي تسعدانه بمواصلة البكاء .

[أضافه قرشي بالأبطح]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن واصل بن زكريا بن المرار أن المرار قال : خرجتُ حاجّاً فأَنَخْتُ بناحية الأبطح ، فجاء قوم فنَحَّوني عن موضعي وضربوا فيه قُبَّةً لرجل من قريش . فلما جاء وجلس أتيتُه فقلتُ : [من الرجز]

هــذا قَعُودِي بارِكاً بالأَبطَحِ عليــه عِكْما أكْمُرٍ لم تُفْتَحِ[1]

فقال : وما قصتك ؟ فأخبرتُه . فقال : والله لا تفتحُ منهما شيئاً حتى تنصرفَ ، فأَقِمْ معنا ، يدُك مع أيدينا ، وقَعُودُك مع أَباعِرِنا . فوالله ما فتحتُ العِدْلَيْن حتى انصرفتُ بهما إلى أهلي . فما هجاني أحد قطُّ هِجاءَه .

[شعره في الحبس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال أخبرني أبو مَوهَبٍ رُتَيْلٌ الزُّبيري أحدُ بَني زَبير بن عمرو بن قُعَيْن قال : كان المَرَّار بن سعيد وأخوه بدرٌ لصَّيْن ، وكان بدرٌ أشهرَ منه بالسرقة وأكثرَ غاراتٍ على الناس . فأغار بدر على ذَوْدٍ لبعض بني غَنْم بن ذُودان فطردَها ، فأُخِذ ورُفِع إلى عثمانَ بن حَيَّان المُرِّي ، وهو يومئذٍ على المدينة فحبسه . وطرَد المَرَّارُ طَرِيدةً فأُخِذ معها وهو يَبيعها بوادي القُرى أو ببِرْمةَ ، فرُفِع إلى عثمانَ بن حَيان فحبسَه . قال : فاجتمعا ومكثا في السجن مدةً ؛ ثم أفْلَتَ المَرارُ وبقيَ بدرٌ في السجن حتى مات محبوساً مقيَّداً . فقال المَرَّار وهو في الحبس : [من الطويل]

أنارٌ بَدَتْ من كُوَّةِ السِّجْنِ ضوؤُها عشيَّة حَلَّ الحَــيُّ بالجَرَعِ العُفْرِ
عَشِيَّةَ حَــلَّ الحيُّ أرضاً خَصِيبةً يَطِيبُ بها مَسُّ الجنائبِ والقَطْرِ[2]
فياويلتــا سجنُ اليمامــةِ أطْلِقا أسيرَكما يَنْظُرْ إلى البرقِ ما يَفْرِي[3]
فإن تفعــلا أَحْمَدْكُما ولقد أُرى بأنّكما لا ينبغــي لكما شكري
ولو فارقتْ رجلي القيودُ وجدتُني رفيقاً بنَصِّ العِيسِ في البلدِ القَفْرِ
جديــراً إذا أُمسي بأرضٍ مَضَلَّةٍ بتقويمها حتى يُرى وَضَحُ الفجرِ

---

1 العكم : العدل . والأكمر : تمر لم ينضج على النخل .

2 الجنائب : جمع جنوب وهي الريح .

3 يفري : البرق يشق الظلام .

[شعره في خصومه]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان بين المَرار بن سعيد وبين رجل من قومه لِحاءٌ ، فتقاذفا[1] وتسابا ، ثم صارا إلى الضرب بالعصا[2] ؛ فقال في ذلك : [من الوافر]

صوت

أَلَـم تَرْبَـعْ فتُخْبِرَكَ المَغاني فكيف وهُنَّ مُذْ حِجَجٍ ثَمانِ
بَرِئتُ من المنازلِ غيرَ شَوْقٍ إلى الدارِ التـي بِلَـوى أَبانِ

لإسحاق في هذين البيتين هَزَجٌ بالخنْصر في مجرى البنصر من كتاب ابن المكي .

[أخوه بدر شاعر]

وكان بدر بن سعيد أخو المَرّار شاعراً وهو الذي يقول[3] : [من البسيط]

صوت

يا حَبَّذا حين تُمْسي الريحُ باردةً وادِي أُشَيٍّ وفِتْيانٌ بـه هُضُمُ[4]
مُخَدَّمُونَ كِـرامٌ في مجالسِهم وفي الرِّحـال إذا لاقيتَهم خَدَمُ
وما أُصاحِبُ من قوم فأذكُرهم إلاَّ يَزيدُهُـمُ حُبـاً إليَّ هُمُ

الغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن ابن المكي . وفيه لمتيَّم خفيف رملٍ . وذكر حبشٌ ، أن الثقيل للهُذلي . وفيه لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ثقيلٌ أولُ عن الهشامي .

[صوت ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة]

صوت

[من الطويل]

خَطاطِيفُ حُجْـنٌ في حِبالٍ مَتينةٍ تَمُـدُّ بهـا أيـدٍ إليـكَ نَوازِعُ

1 ل : تقاذعا .
2 ل : بالحصى .
3 تنسب هذه الأبيات إلى زياد بن منقذ ولغيره (لسان العرب مادة «هضم» وشرح الحماسة للتبريزي) .
4 هضم : جمع هضوم ، أي يبددون المال بالإنفاق .

فإن كنتَ لا ذا الضِّغْنِ عنّي مكذِّبا ولا حَلفــي عنــد البَراءَةِ نــافعُ
فإنَّكَ كالليــلِ الذي هو مُدْرِكي وإن خِلتُ أن المُنْتأى عنك واسِعُ

عروضه من الطويل . يقول : أنا في قَبْضتِك متى شئتَ قدَرْتَ عليَّ كأني في خَطاطِيفَ تَجْذِبُني إليك ولا أَقْدِر على الهرب منك . ويُرْوى «وإن خلتُ أن المُنْتَوى» أي الموضع الذي أنتَوِي قصده . والمُنْتَـأى : المُفْتَعَل من النأي . والحُجْن : المُعْوجَّةُ . والنوازِع : الجواذِب . والضِّغْن : الحقد .

الشعر للنابغة الذُّبياني . والغناء لابن صاحبِ الوضوء من رواية إسحاقَ وعمرو ماخُوري بالبِنْصِر .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين   الأستاذ بكر عباس

المجلد الحادي عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

11

الطبعَـة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعـة الثـانية

1426هـ - 2005م

الطبعـة الثـالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[173] ـ أخبار النابغة ونسبه[1]

[نسبه]

النابغة اسمه زيادُ بن معاوية بن ضِباب بن جَناب بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّةَ بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيلان بن مُضَر . ويُكنى أبا أمامة . وذكر أهل الرِّواية أنّه إنّما لُقِّب النابغة لقوله : [من الوافر]

فقـد نَبَغتْ لهـم منّا شؤونُ

[من الطبقة الأولى]

وهو أحد الأشراف الذين غَضّ الشعرُ منهم . وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء .

[سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نصر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو نُعَيم قال حدَّثنا شريكٌ عن مُجاهِد عن الشَّعبيّ عن رِبْعِيّ بن حِراش قال : قال عمر : يا معشر غَطَفانَ ، مَن الذي يقول : [من الوافر]

أَتيتُـك عاريـاً خَلَقـاً ثِيابِي   على خَوْفٍ تُظَنُّ بِـيَ الظُّنونُ

قلنا : النابغة . قال : ذاك أشعرُ شعرائكم .

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا عُبَيد بن جَنّاد قال حدَّثنا مَعْن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَميّ عن جدّه عن الشَّعبيّ قال : قال عمر : مَنْ أشعرُ النّاس ؟ قالوا : أنت أعلمُ يا أمير المؤمنين . قـال : مَنِ الذي يقول : [من البسيط]

إلاّ سليمانَ إذ قـال الإلـه لـه   قُمْ في البَرِيّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَدِ[2]
وخيِّسِ الجِنَّ أنِّي قـد أذِنتُ لهم   يبنُون تَدْمُـرَ بالصُّفَّاح والعمدِ[3]

قالوا : النابغة . قال : فمن الذي يقول :

أَتيتُـك عاريـاً خَلَقـاً ثيابي   على خوفٍ تُظَنُّ بِـيَ الظنونُ

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/157–173 وفي طبقات فحول الشعراء 1 : 51 والمؤتلف : 191 ، والخزانة 1 : 287 والكامل 2 : 67 وجمهرة ابن حزم : 241 ومختصر الجمهرة : 119 والموشح : 38 ، 39 وشرح نهج البلاغة 4 : 503 والمزهر 2 : 483 .

2 فاحددها : فامنعها . والفند : الخطأ .

3 الصفّاح : حجارة دقاق عراض ، واحدها : صفاحة .

قالوا : النابغة . قال : فَمَنِ الذي يقول : [من الطويل]

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبةً … وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ

لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي خِيانةً … لَمُبْلِغُك الواشي أَغَشُّ وأَكْذَبُ

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ[1] … على شَعَثٍ أيُّ الرّجالِ المُهَذَّبُ

قالوا : النابغة . قال : فهو أشعر العرب .

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدَّثنا عمر بن أبي زائدة عن الشَّعْبيّ قال : ذُكِر الشِّعْرُ عند عمر ؛ ثم ذكَر مثلَه .

[سئل ابن عبّاس عن أشعر النّاس فأمر أبا الأسود بالجواب فذكره]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثني عليّ بن محمد عن المدائنيّ عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحُباب عن أبي المؤمّل قال : قام رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال : أيُّ النّاس أشعر ؟ فقال ابن عبّاس : أخْبِرْه يا أبا الأسود الدُّؤَليّ ؛ قال الذي يقول : [من الطويل]

فإنّكَ كاللّيْـــلِ الذي هو مُدْرِكي … وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتأَى عنك واسِعُ

[تذاكروا شعره في مجلس الجنيد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي عن جرير بن شَرِيك بن جَرِير بن عبد الله البَجَليّ قال : كنّا عند الجُنَيْد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مُرّة وجلساؤه من الناس ، فتذاكروا شعرَ النابغة حتى أنشدوا[2] قوله : [من الطويل]

فإنّك كاللّيل الذي هــو مدركي … وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

فقال شيخٌ من بني مرّة : ما الذي رأى في النُّعمان حيث يقول له هذا ! وهل كان النُّعمان إلاّ على مَنْظَرةٍ من مَناظر الحِيرة ؟ وقالت ذلك القيسيَّةُ فأكثروا . فنظر إليّ الجُنَيْد وقال : يا أبا خالد ؛ لا يَهُولنّك قولُ هؤلاء الأعاريب ! فأقسم بالله أنْ لو عاينوا من النُّعمان ما عاين صاحبُهم لقالوا أكثر ممّا قال ، ولكنّهم قالوا ما تسمع وهم آمنون .

[يحكم بين الشعراء في عكاظ]

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدَّثني عبد الملك بن قُرَيْب[3] قال : كان يُضْرَب للنابغة قُبّةٌ من أَدَم بسوق عُكاظَ ، فتأتيه الشعراء فتَعْرِض عليه أشعارَها . قال : وأوّل مَن أنشده الأعشى ثم حسّانُ بن ثابت ثم

1 لم الأمر : جمعه وأصلحه . والشعث : انتشار الأمر وفساده .

2 ل : أنشدوه .

3 اسم الأصمعيّ

أنشدتْه الشعراء ، ثم أنشدتْه الخَنْساءُ بنت عمرو بن الشَّريد : [من البسيط]

وإنّ صخراً لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به كأنّه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

فقال : والله لولا أنّ أبا بَصير أنشدني آنِفاً لقلتُ إنّكِ أشعر الجنّ والإنس . فقام حسّان فقال : والله لأنّا أشعرُ منكَ ومن أبيك ؛ فقال له النابغة : يا ابنَ أخِي ، أنت لا تُحسن أن تقول : [من الطويل]

فإنّك كاللّيل الذي هو مُدْركي وإن خِلتُ أنّ المنتأى عنك واسِعُ

خَطاطيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتِينةٍ تَمُدُّ بها أيدٍ إليك نَوازِعُ[1]

قال : فخَنَس[2] حسّان لقوله .

[جِني يرى أنّ النابغة أشعر الناس]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا الأصمعيّ قال حدّثنا أبو عمرو بن العَلاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأُنْسِيتُه : بينا نحن نسير بين أنْقاءٍ[3] من الأرض تذاكرنا الشعرَ ، فإذا راكبُ أطَيْلِس[4] يقول : أشعرُ النّاسِ زِياد بن مُعاوية ؛ ثم تملَّس[5] فلم نَرَه .

[فضله أبو عمرو على زهير]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثنا الأصمعيّ قال سمعتُ أبا عمرو يقول : ما كان ينبغي للنابغة إلاّ أن يكون زُهَيْرٌ أجيراً له .

[تفضيل عبد الملك له]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر قال عمرو بن المُنْتَشِر المُراديّ : وفَدْنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه ، فقام رجلٌ فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه . فقال له عبد الملك : ماكنتَ حَرِيّاً أن تفعل ولا تعتذر . ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيُّكم يَروي من اعتذار النابغة إلى النُّعمان : [من الطويل]

حلفتُ فلَم أترك لنفسِك رِيبةً وليس وراء الله للمرءِ مذهبُ

فلم يجد فيهم مَن يَرْويه ؛ فأقبل عليّ فقال : أتَرْوِيه ؟ قلت نعم ؛ فأنشدتُه القصيدةَ كلَّها ؛ فقال : هذا أشعر العرب .

---

1 الخطاطيف : جمع خُطّاف . خطاف البئر : حديدة ، تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن : معوجة ، واحدها أحجن والأنثى حجناء . ونوازع : جواذب .

2 خنس : انقبض ، أو رجع وتنحّى .

3 الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة .

4 أطيلس : تصغير أطلس ، وهو ما في لونه غبرة إلى السواد .

5 تملّس : تملّص وأفلت .

[رأي حماد في شعره]

أخبرنا حَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال معاوية بن بكر الباهليّ قلتُ لحمّاد الراوية : بِمَ تَقَدَّم النابغةُ ؟ قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف بيت ، لا بل بربع بيت ، مثل قوله : [من الطويل]

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ

[كُلُّ نصفٍ يُغنيك عن صاحبه ، وقوله : «أيّ الرّجال المهذَّبُ» ربع بيت يُغنيك عن غيره] .

وهذه القصيدة العينيّة يقولها في النُّعْمان بن الْمُنذِر يعتذر إليه بها وبعدّة قصائد قالها فيه تُذْكَرُ في مواضعها . ولقد اختلفت الرُّواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك .

[وصفه لزوجة النعمان]

فأخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة عن أبي عُبَيدة وغيره من علمائهم : إنّ النابغة كان كبيراً عند النُّعمان خاصّاً به وكان من نُدَمائه وأهل أُنْسه ؛ فرأى زوجته المتجرِّدة يوماً وغَشِيها تشبيهاً بالفُجاءة ، فسقط نَصيفُها واستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعُها تستر وجهها لعَبالتها وغِلَظها ؛ فقال قصيدتَه التي أوّلها : [من الكامل]

أَمِنَ آلِ مَيّـةَ رائحٌ أو مُغتَدِي ... عجـلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ
زعَمَ البوارحُ أنّ رِحلَتَنا غداً ... وبذاك تَنْعابُ الغُرابِ الأسودِ
لا مرحباً بغَـدٍ ولا أهلاً بِـهِ ... إن كان تفريقُ الأَحِبّةِ في غَدِ
أزفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكابَنا ... لَمّا تَـزُلْ برحالنا وكأنْ قَدِ
في إثْرِ غانيـةٍ رمتْك بسَهْمِها ... فأصاب قلبَك غير أنْ لَم تُقْصِدِ[1]
بالدُّرِّ والياقـوتِ زُيِّـن نحرُها ... ومُفَصَّلٍ مـن لُـؤلُـؤٍ وزَبَرْجَدِ

عروضه من الكامل . وغنّاه أبو كاملٍ من رواية حَبَشٍ ثقيلاً أوّل بالبنصر . وغنّاه الغَريض من روايته ثانِيَ ثقيلٍ بالوسطى . وغنّاه ابن سُرَيج من رواية إسحاق ثقيلاً أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى .

قوله : أمن آل مَيّةَ : يخاطب نفسه كالمُستَثْبِت . وعجلان : من العجلة ، نصبه على الحال . والزّاد في هذا الموضع : ما كان من تسليم وردّ تحيّة . والبوارح : ما جاء من مَيامِنِك إلى مَياسِرك فولاّك مَياسِره . والسانح ما جاء من مياسرك فولاّك ميامنه ؛ حكى ذلك أبو عُبيدة عن رُؤبة وقد سأله يونس عنه . وأهل نَجْدٍ يتشاءمون بالبوارح ، وغيرُهم من العرب تتشاءم بالسانح

1 تقصد : تقتل ؛ يقال : أقصد الشيء إذا ضربه أو رماه فمات مكانه .

وتتيمَّن بالبارح ؛ ومنهم مَن لا يرى ذلك شيئاً ؛ قال بعضهم : [من مجزوء الكامل]

ولقد غدوتُ وكنتُ لا أغدو على واقٍ وحاتِمْ[1]

فإذا الأشائمُ كالأيا مِنِ والأيامِنُ كالأشائمْ

وتنعابُ الغراب : صياحه ؛ يقال : نَعَب الغراب[2] يَنْعِب نَعِيباً ونَعَباناً ، والتنعاب تَفْعالٌ من هذا . وكان النابغة قال في هذا البيت : «وبذاك خبَّرنا الغُرابُ الأسودُ» ثم ورد يَثْرِبَ فسمِعه يُغَنَّى فيه ، فبان له الإقواءُ ، فغيَّره في مواضع من شعره .

[إقواء النابغة]

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأتُ على أبي : قال أبو عبيدة : كان فَحْلانِ من الشعراء يُقْويان : النابغة وبِشْرُ بن أبي خازمٍ . فأمّا النابغةُ فدخل يَثْرِبَ فهابُوه أن يقولوا له لحنتَ وأكفأتَ[3] ، فدَعَوْا قَيْنةً وأمروها أن تغنّي في شعره ففعلتْ . فلمّا سمِع الغناء و«غير مزوَّد» و«الغرابُ الأسودُ» وبان له ذلك في اللحن فَطِنَ لموضع الخطأ فلم يَعُدْ . وأمّا بِشْر بن أبي خازمٍ فقال له أخوه سَوادةُ : إنّك تُقْوِي . قال : وما ذاك ؟ قال : قولُك : [من الوافر]

ويُنْسِي مثلَ ما نُسِيتْ جُذامُ[4]

ثم قلت بعده «إلى البلد الشآمِ» . ففطن فلَم يَعُدْ .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا خَلاّد الأرقط وغيره من علمائنا قالوا : كان النّابغة يقول : إنّ في شعري لعاهةً ما أقِفُ عليها . فلمّا قدِم المدينة غُنّي في شعره ؛ فلمّا سَمِع قولَه : «واتّقَتْنا باليد» و«يكاد من اللَّطافةِ يُعْقَدُ» تبيّن له لَمّا مُدّتْ «باليد» فصارت الكسرة ياء ومُدّتْ «يُعْقَدُ» فصارت الضمّة كالواو ؛ ففَطِن فغيّره وجعله : [من الكامل]

عَنَمٌ على أغصانِهِ لَمْ يُعْقَدِ

وكان يقول : وردتُ يَثْرِبَ وفي شعري بعضُ العاهة[5] ، فصدَرتُ عنها وأنا أشْعَرُ النّاس . وقوله لا مَرْحَباً : لا سعةً ؛ ونصبُه هاهنا شبيهٌ بالمصدر ؛ كأنّه قال لا رَحُبَ رُحْباً ولا أَهَلَ أهْلاً . وأزِفَ : قَرُبَ .

قال : وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجرِّدة وسَتْرِها وجهَها

1 الواقي هنا : الصُرَد وهو طائر فوق العصفور كانت العرب تتطير بصوته . والحاتم هنا : الغراب الأسود .

2 ل : الغداف .

3 الإكفاء والإقواء من عيوب القافية .

4 وصدر البيت : ألم تر أن طول الدهر يسلي .

5 ل : الفهدة .

بذراعها : [من الكامل]

صوت

سقَط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولتْـه واتَّقَتْنـا باليَـدِ
بمُخَضَّب رَخْصٍ كأنّ بَنانَـه عَنَـمٌ على أغصانِـهِ لَم يُعْقَدِ
ويفاحمٍ رَجْـلٍ أثيـث نبتُـه كالكَرْمِ مالَ على الدِّعامِ المُسْنَدِ
نظرت إليك بحاجةٍ لم تَقْضِها نَظَرَ السَّقِيم إلى وُجـوه العُوَّدِ

غنّاه ابن سُرَيْـج ، ولحنُه مِن خَفيفِ الثّقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . والنَّصيف : الخِمار ، والجمع أنْصِفَةٌ ونُصُفٌ . والعَنَمُ ، فيما ذكر أبو عُبيدة ، يَسارِيعُ[1] حُمْرٌ تكون في البقل في الربيع . وقال الأصمعيّ : العَنَم : شجر يَحْمَرّ ويَنْعَم[2] نبتُه . والفاحم : الشديد السواد . والرَّجِلْ : الذي ليس بجَعْد . والأثيثُ : المتكاثِف ؛ قال امرؤ القيس : [من الطويل]

أَثيثٍ كقِنْوِ النخلة المُتَعَثْكِلِ[3]

ويقال : شَعْرٌ رَجْلٌ ورَجِلٌ . ويُروى : [من الطويل]

ورنتْ إليَّ بمقلتَيْ مكحولةٍ

والمكحولة : البقرة . وقوله : لم تَقْضِها : يعني المرأة أي لم تقدِر على الكلام من مخافة أهلها ، فهي كالسَّقيم الذي ينظر إلى مَن يعوده .

غنّاه ابن سُرَيْج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

[قال صالح بن حسان إنّه كان مخنّثاً]

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أَسَد قال حدَّثنا العُمَريّ قال : قال الهَيْثم بن عَدِيّ قال لِي صالح بن حَسّان : كان والله النابغةُ مُخَنَّثاً . قلت : وما عِلْمُك به ؟ أرأيتَه قطّ ؟ قال : لا والله ! . قلت : أفأُخْبِرتَ عنه ؟ قال لا .

قلت : فما عِلْمُك به ؟ قال : أما سمعتَ قولَه : [من الكامل]

سقَط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولتْـه واتَّقتْنـا باليـدِ

لا والله ما أَحسنَ هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلاّ مُخَنَّثٌ .

[هروبه من النُّعمان إلى ملوك غسان واختلاف الرّواة في سببه]

قال : فأنشدها النّابغةُ مُرَّةَ بنَ سعد القُرَيْعِيّ ، فأنشدها مُرَّةُ النُّعمانَ ، فامتلأ غضباً فأوعد

1 اليساريع : جمع يُسروع وهي دودة حمراء تكون في البقل .
2 نَعِم العود : اخضرّ ونضر .
3 القنو : العذق . والمتعثكل : ذو العثاكيل (الشماريخ) .

النّابغةَ وتهدّده ؛ فهَرَب منه فأتى قومَه ، ثم شخَص إلى ملوك غَسّان بالشام فامتدحهم . وقيل : إنّ عِصامِ بنِ شَهْبَرٍ الجَرْميّ حاجبَ النُّعمان أَنذره[1] وعرّفه ما يُريده النُّعمان ، وكان صديقَه ، فهرَب . وعِصامٌ الذي يقول فيه الراجز : [من الرجز]

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصامـا وعَلَّمتْــه الكَــرَّ والإقْدامـا[2]
وجعلتــه مَلِكــاً هُماما

وقال مَنْ رويتُ عنه خبرَ النابغة : إنّ السببَ في هَرَبِه من النُّعمان أنّ عبد القيس بن خُفاف التَّميميّ ومُرّة بن سَعْد بن قُرَيْع السَّعْدِيّ عمِلا هجاءً في النُّعمان على لسانه ، وأنشدا النُّعمانَ منه أبياتاً يقال فيها : [من الكامل]

مَلكٌ يُلاعِــبُ أُمَّــه وقَطِينَه رِخْوُ المَفاصِلِ أَيْــرُهُ كالمِرْوَدِ

ومنه : [من الخفيف]

قَبَّح اللهُ ثــم ثَنَّــى بِلَعْــنٍ وارثَ الصائغ الجَبانَ الجَهُولا
مَنْ يَضُرُّ الأدنى ويَعْجِزُ عن ضَـ ـرِّ الأَقاصي ومَنْ يَخُون الخليلا
يجمع الجيشَ ذا الأُلوفِ ويغزو ثــم لا يَــرْزَأُ العَـدُوَّ فَتيلا

يعني بوارث الصائغ النُّعمان ؛ وكان جدُّه لأمّه صائغاً بفَدَكَ[3] يقال له عطيّة . وأُمّ النُّعمان سَلْمى بنت عَطِيّة .

فأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمِّي عُبَيْد الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل : أنّ مُرّة بن سَعْد القُرَيعيّ الذي وشى بالنابغة كان له سيفٌ قاطع يقال له ذو الرِّيقة من كثرة فِرِنْده وجوهره ، فذكره النابغةُ للنُّعمان ، فأخذه . فاضطغن ذلك القُرَيعيّ حتى وشَى به إلى النُّعمان وحرّضه عليه .

وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم عن يونس بن حَبيب عن أبي عمرو بن العَلاء ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيْبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة ، قالوا جميعاً : إنّ الذي من أجله هرَب النّابغةُ من النُّعمان أنّه كان والمُنَخَّلُ بن عُبَيْد بن عامر اليَشْكُريّ جالسين عنده ، وكان النُّعمان دميماً أَبْرَشَ[4] قبيح

1 أنذره : أعلمه .
2 مثل يضرب في نباهة الذكر من غير قديم كما في سيرة عصام هذا فكل من ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له عصامي ؛ فصل المقال : 137 .
3 فدك : قرية بالحجاز من نواحي خيبر .
4 الأبرش : الذي في لونه اختلاف بأن تكون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك .

المَنْظَر ، وكان المنخَّل بن عُبَيْد من أجمل العرب ، وكان يُرْمي بالمتجرِّدة زوجةِ النُّعمان ، ويتحدَّث العربُ أنّ ابني النُّعمان منها كانا من المنخّل . فقال النُّعمان للنابغة : يا أَبا أُمامةَ ، صِفِ المتجرِّدةَ في شعرك ؛ فقال قصيدتَه التي وَصَفَها فيها ووصَف بطنَها وروادفها وفَرْجَها . فلحِقتِ المنخَّلَ من ذلك غَيْرةٌ ، فقال للنُّعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعرَ إلاّ مَنْ جرّبه . فوقَر ذلك في نفس النُّعمان . وبلغ النابغة فخافه فهربَ فصار في غَسّان .

[كان المنخّل اليشكريّ يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فتغزّل فيها فقتله]

قالوا : وكان المنخَّل يهوى هنداً بنت عَمرو بن هند ، وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

صوت

ولقــد دخلتُ على الفتا ... ةِ الخِدْرَ في اليومِ المَطِيرِ
الكاعــب الحسناءِ تَــرْ ... فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحريرِ
فدفعتُهـــا فتدافعـــتْ ... مَشْيَ القَطـاةِ إلى الغَديرِ
ولَثَمْتُهـــــا فتنفَّستْ ... كتنــفُّس الظَّبْـي البَهِيرِ[1]

غنّاه إبراهيم المَوصِليّ من رواية عمرو بن بانة ثانِيَ ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق :

وبَدَتْ وقالت يا مُنَخَّـ ... ـلُ ما بجسمك من فُتورِ ؟[2]
مـا مَسَّ جِسْمِي غيرُ حُبِّـ ... ـكِ فاهْدَئي عنّي وسِيري[3]
ولقد شَرِبتُ مـن المُدا ... مـةِ بـالكبيرِ وبـالصغيرِ[4]
فـإذا سَكِـرتُ فإنّنـي ... رَبُّ الخَوَرْنَـقِ والسَّدِيرِ[5]
وإذا صحـوتُ فإنّنــي ... ربُّ الشُّوَيْهــةِ والبعيرِ
يـا هِنْـدُ هَل مـن نائلٍ ... يـا هنـدُ للعـاني الأَسِيرِ
وأُحِبُّهـــا وتُحِبُّنِـــي ... ويُحِــبّ ناقتهـا بعيري

وقال حمّاد بن إسحاق عن أَبيه في كتاب أَغاني ابن مِسْجَح : في هذا الصوت لمالك ومَعْبَدٍ وابنِ سُرَيج وابن مُحْرِز والغَرِيض وابن مِسْجَح لكلهم فيه أَلحانٌ . قال : فبلغ عمراً

---

1 البهير : الذي تتابع نفسه من الإعياء ، والتعب ؛ وفي الشعر والشعراء 404/1 :
وعطفتهـا فتعطفـت ... كتعطّف الظبي الغرير

2 وبدت : في الشعر والشعراء : 404/1 فترت .

3 مس : في الشعر والشعراء : 404/1 ما شفّ .

4 في الشعر والشعراء : 405/1 بالصغير وبالكبير .

5 الخورنق والسدير : قصران ، وقيل هما نهران .

خبرُ المنخَّل فأَخذه فقتله . وقال المنخَّل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يَحُضّ قومه على طلب الثأر به : [من الخفيف]

طُلَّ وَسْطَ العِراقِ قَتْلِي بِلا جُرْمٍ ... وقَوْمِـــي يُنَتِّجـون السِّخالا

رجع الخبر إلى سِياقِهِ . قالوا جميعاً : فلمّا صار النابغة إلى غَسّانَ نزل بعمرو بن الحارث الأَصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأَكبر بن أَبي شَمِر ، وأُمّ الحارث الأَعرج ماريَةُ بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعاويةَ بن ثَوْر بن مُرتع الكِنْدِيّة وهي ذات القُرْطين اللَّذين يُضْرَب بهما المثل فيقال لِما يُغْلى به الثمن «[خُذْه ولو][1] بقُرْطَيْ ماريَةَ» . وأُختها هند هنود امرأة حُجْرٍ آكِلِ المُرار . وإيّاها عَنى حَسّان بقوله في جَبَلة بن الأَيْهَم : [من الكامل]

أولادُ جَفْنَةَ حـولَ قبرِ أَبيهـمُ ... قبر ابن ماريَـةَ الجَوادِ المُفْضِلِ

[مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغسّانيّ]

ولذلك خبر يأتي في موضعه ، فمدحه النابغةُ ومدح أَخاه النُّعمان . ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات ، وملك أُخوه النُّعمان ؛ فصار معه إلى أن استطلعه[2] النُّعمان فعاد إليه . فمِمّا مدَح بع عمراً قوله : [من الطويل]

صوت

كِليني لِهَمٍّ يـا أُمَيْمَـةَ ناصِبِ ... ولَيْـلٍ أُقاسيهِ بَطِيء الكواكِبِ

وصَدْرٍ أَراحَ الليـلُ عازِبَ هَمِّهِ ... تضاعفَ فيه الحُزْنُ من كلِّ جانِبِ

تَقاعَسَ حتّـى قلتُ ليس بمُنْقَضٍ ... وليس الذي يَهْدِي النجومَ بآئبِ

عليّ لِعَمْرٍو نِعْمَـةٌ بعـد نعمـةٍ ... لوالـده ليست بـذاتِ عَقارِبِ

عروضه من الطويل . غنّى في البيتين الأوّلين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أَوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو . وغنَّى فيه الأَبجَر من رواية حَبَشٍ ثاني ثقيل بالوسطى . وغنّى مالِكٌ في البيت الرابع ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارون بنِ محمد بن عبد الملك الزيّات . وغنّى في الأربعةِ الأبياتِ عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ماخُورِيّاً عن حَبَشٍ ، وغنّى فيها طُوَيْس رَمَلاً بالوسطى بحكايتين عن حَبَش .

هكذا رُوِي قولُه «يا أُمَيْمَةَ» مفتوحَ الهاء . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادي المؤنَّث

---

1 مثل : في باب الجد في طلب الحاجة وترك التفريط فيها . هي مارية بنت الأرقم بن عمرو بن ثعلبة بن جفنة ، أو هي مارية بنت ظالم وهي أم ملك غسان الحارث بن الأعرج بن الحارث الأكبر بن عمرو بن عدي بن حجر . فصل المقال : 335 .

2 استطلعه : طلب طلوعه إليه .

بالترخيم فتقول يا أُمَيْمَ ويا عَزَّ ويا سَلْمَ ؛ فلمّا لم يُرَخِّم لحاجته إلى الترخيم أُجراها على لفظها مُرَخَّمةً وأتى بها بالفتح . وكِلِيني أي دَعِيني . ووكَلْتُهُ إلى كذا أَكِلُهُ وِكالة[1] . وناصب : مُتْعِب . وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إنّ كواكبه لا تجري ولا تَغُور . أُراح : ردّ . يقال أُراح الرجلُ إبلَه أي ردّها : فيقول : ردّ هذا الليلُ إليّ ما عزَب من هَمّي بالنّهار ؛ لأنّه يتعلّل نهاراً بمحادثة النّاس والتشاغل بغير الفكر ، فإذا خلا بالليل راح إليه همُّه . وتقاعس تأخَّر ؛ وأصلُ التقاعس الرجوعُ إلى خَلْفٍ القَهْقَرى ، فشبَّه الليلَ في طوله بالمُتقاعِس . والذي يَهْدي النجومَ أوّلُها ، شبّهها بهواديها[2] . وقوله «ليست بذات عقارب» أي لا يكدِّرها ولا يَمُنُّها .

وممّا يَغنَّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مَثْنَوِيَّةٍ ... ولا عِلْمَ إلاّ حسنَ ظَنّي بصاحبِ[3]

لئن كان للقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجلَّقٍ ... وقَبْرٍ بصَيْداءَ الذي عند حارِبِ

وللحارثِ الجَفْنيِّ سَيِّدِ قومِهِ ... لَيَلْتَمِسَنْ بالجيشِ دارَ المُحارِبِ[4]

غنّاه إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانة عنه ومن رواية حَبَش . وغنّاه ابن سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالبنصر . يقول : ليس لِي علمٌ بما يكون من صاحبي إلاّ أنّي أحْسِن الظنَّ به . وقوله «لئن كان للقبرين» يعني لئن كان عمرٌو ابناً للمدفونَيْن في هذين القبرين ، يعني قبر أبيه وجدّه وهما الحارث الأكبر والحارث الأعرج ، لَيَلْتَمِسَنَّ جيشُه دارَ المُحارِبِ له ؛ يحرِّضه بذلك . ويُرْوى «أرْضَ المحارب» : [من الطويل]

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفَهم ... بهنّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

إذا استُنْزِلوا عنهنّ للطّعن أرْقَلوا ... إلى الموتِ إرقالَ الجِمالِ المَصاعِبِ

صوت

[من الطويل]

لهم شِيمةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم ... من النَّاسِ والأحلامُ غيرُ عَوازِبِ

على عارفاتٍ للطِّعانِ عَوابِسٍ ... بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالِبِ

1 الوكالة : اسم من التوكيل .

2 إن الذي يهدي النجوم ما يتقدمها ؛ إذ هادي كل شيء ما يتقدمه . فقيل المراد به أول النجوم ، ومعنى كونه غير آئب : غير راجع إلى مسقطه ومغيبه . وقيل المراد بهادي النجوم الشمس .

3 غير ذي مثنوية : لم أستثن فيها . في الديوان : حُسن ظنٌّ بصاحب .

4 الحارث الجفني : هو الحارث بن أبي شمر الجفني الغساني .

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائبِ
إذا استُنْزِلوا عنهنّ للطّعنِ أَرْقَلوا إلى الموتِ إرقالَ الجمال المصاعبِ
حَبَوْتُ بها غَسّان إذ كنتُ لاحقاً بقومِي وإذْ أُعيتْ علَيَّ مَذاهِبِي

وجدْت في كتابٍ لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات في البيتين والثالث والرابع لحناً منسوباً إلى معبَد من خفيف الرمل بالوسطى . وأحسبه من لحن يحيى المَكّيّ . الشِّيمة : الطبيعة ، وجمعها شِيَمٌ . غير عوازب أي لا تعزُب أحلامهم فتنفُذ عنهم . وعارفات للطّعان أي صابرات عليه قد عُوِّدت أن يُحارَبَ عليها . وعوابس كوالح . وجالب أي عليه جُلْبة وهي قِشْرة تكون على الجرح ؛ يقال جَلَب الجرحُ يَجْلِب جلوباً وأجلب إجلاباً . والإرقال : مشيٌ يُشبه الخَبَبَ سريعٌ . والمصاعب واحدها مُصْعَبٌ وهو الفحل الذي لم يَمْسَسْه الحبل وإنّما يُقْتَنى للفِحْلَة ، ويقال له قَرْمٌ ومُقْرَمٌ . وقوله «حبوت بها» يعني بالقصيدة . وروى أبو عُبيدة «إذ كنت لاحقاً بقومٍ» وقال : يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقوم آخرين ، فكنتم أحقَّ بالمدح منهم .

قالوا : فنظر إلى النُّعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذٍ غلامٌ فقال : [من السريع]

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُهُ مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمامْ
للحارث الأكبرِ والحارثِ الْـ ـأصغرِ والحارث خيرِ الأنامْ
ثم لهندٍ ولهندٍ فقد أسرع في الخيراتِ منه إمامْ[1]
خمسةُ آباءٍ وهُمْ ما هُمُ هُمْ خيرُ مَن يشرب صوبَ الغَمامْ[2]

غنّاه حُنَيْنٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن حَبَش .

[فضّله الشعبيّ على الأخطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا هارون بن عبد الله الزُّبيريّ قال حدَّثنا شيخ يُكْنى أبا داود عن الشعبيّ قال : دخلت على عبد الملك بن مَروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه . فقلتُ حين دخلتُ : عامرُ بن شَراحيل الشَّعبيّ . فقال : على علمٍ ما أذِنّا لك . فقلت في نفسي : خذ واحدةً على وافد أهل العراق . فسأل عبد الملك الأخطلَ : مَن أشعَرُ النّاس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . فقلت لعبد الملك : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم وقال : هذا الأخطل . فقلت في نفسي : خُذْها ثِنْتين على وافد أهل العراق ، فقلت : أشعرُ منك الذي يقول : [من السريع]

1 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : يُنجع في الرّوضات ماء الغمام .
2 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : هم خير من يشرب صفو المدام .

هــذا غــــلامٌ حسن وجْهُهُ   مُسْتَقْبِلُ الخيرِ سريــع التَّمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الْـ   ـأصغرِ والحــارث خير الأنامْ
خمسةُ آبــاءٍ وهُــمْ ما هُمُ   هم خير مَن يشرب ماء الغمامْ

والشعر للنابغة ، فقال الأخطل : إنّ أمير المؤمنين إنّما سألني عن أشعر أهل زمانه ، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنتُ حَرِيّاً أن أقول كما قلتَ أو شبيهاً به . فقلت في نفسي : خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق . (يعني أنّه أخطأ ثلاث مرّات) . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز ولم أسمعه من أحد ، ووجدته أتمَّ ممّا رأيتُ في كلّ موضع ، فأتيتُ به في هذا الموضع وإن لم يكن من خاصّ خبر النابغة لأنّه أليقُ به . قال أحمد بن الحارث الخرّاز حدَّثني المدائنيّ عن عبد الملك بن مسلم قال : كتب عبدُ الملك إلى الحجّاج : إنّه ليس شيءٌ من لَذَّة الدُّنيا إلاّ وقد أصبتُ منه ، ولَم يبقَ عندي شيء ألَذُّه إلاّ مناقلة الإخوان للحديث . وقِبَلَك عامِرٌ الشَّعْبيّ ، فابعَثْ به إليّ يحدّثُني . فدَعا الحجّاج الشعبيَّ فجهّزه وبعث به إليه وقرّظه وأطراه في كتابه . فخرج الشعبيّ ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذِنْ لي . قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عامر الشعبيّ . قال : حيّاك الله ؛ ثم نَهض فأجلسني على كرسيّه . فلم يلبث أن خرج إليّ فقال : ادخُلْ يرحمُك الله . فدخلت ، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ وبين يديه رجل أبيض الرأس واللِّحية على كرسيّ ، فسلّمتُ فرَدّ عليّ السلام ، ثم أومأ إليّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : وَيْحَكَ ! مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . قال الشعبيّ : فأظْلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك ، فلم أصبِر أن قلتُ : ومَنْ هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنّه أشعر النّاس ؟! قال : فعجب عبد الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالي . قال : هذا الأخطل . فقلت . يا أخطل ! أشعرُ والله منك الذي يقول : [من السريع]

هــذا غــلامٌ حسنٌ وجهُـــه   مستقبِلُ الخير سريــع التَّمامْ
للحــارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ   ـأصغر والحــارث خير الأنامْ
ثـــم لهنــدٍ ولهنــدٍ فقــد   أسرع في الخيرات منــه إمامْ
خمسة آباءٍ وهُــمْ مــا هُــم   هُمْ خيرُ مَن يشرب صوبَ الغمامْ

فردّدتها حتى حفِظها عبد الملك . فقال الأخطل : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشعبيّ . قال فقال : صدَق واللهِ يا أمير المؤمنين ، النابغةُ واللهِ أشعرُ منّي . فقال الشعبيّ : ثم أقبل عليّ فقال : كيف أنتَ يا شعبيّ ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتَ به . ثم ذهبتُ لأضَعَ مَعاذيرِي لما كان من خلافي على الحجّاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعَث ؛ فقال : مَهْ !

إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منّا في قول ولا فعل حتى تُفارقَنا . ثم أقبل عليّ فقال : ما تقول في النابغة ؟ قال قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمرُ بن الخطّاب في غير موطن على الشعراء أجمعين ، وببابه وفدُ غَطَفانَ فقال : يا معشر غطفان ، أيُّ شعرائكم الذي يقول : [من الطويل]

حلَفتُ فلَم أترك لنفسك رِيبةً وليس وراء الله للمرء مَذْهَبُ
لئن كنتَ قد بُلّغتَ عنّي خيانةً لَمُبْلِغُكَ الواشي أغَشُّ واكْذَبُ
ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه على شَعَثٍ أيُّ الرّجالِ المهذّبُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فأيُّكم الذي يقول : [من الطويل]

فإنّكَ كاللّيل الذي هـو مُدْرِكِي وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسِعُ
خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حبـالٍ متينةٍ تَمُـدّ بهـا أيـدٍ إليـك نوازِعُ

قالوا : النابغةُ . قال : فأيُّكم الذي يقول : [من الوافر]

إلى ابن مُحَرِّق أعملتُ نفسي وراحلتي وقد هَـدَتِ العيونُ[1]
أتيتك عاريـاً خَلَقـاً ثِيابِي على خوفٍ تُظَنُّ بِـيَ الظُّنونُ
فألفيْتُ الأمانـةَ لم تَخُنْهـا كذلـك كان نُـوحٌ لا يخونُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا أشعر شعرائكم . قال : ثم أقبل على الأخطل فقال : أتُحِبّ أنّ لك قِياضاً بشعرك شعرَ أحدٍ من العرب أو تحبّ أنّك قلتَه ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، إلاّ أنّي وَدِدْتُ أنْ كنتُ قلتُ أبياتاً قالَها رجل منّا ، كان والله ما علِمتُ مُغْدَفَ[2] القِناع قليل السَّماع قصيرَ الذّراع . قال : وما قال ؟ فأنشد قصيدته : [من البسيط]

إنّا مُحَيُّـوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ وإن بَلِيتَ وإن طالَت بِكَ الطِّيَلُ[3]
ليس الجديدُ بـه تبقى بَشاشتُهُ إلاّ قليـلاً ولا ذو خُلَّـةٍ يصِلُ
والعيشُ لا عيشَ إلاّ مـا تَقَـرُّ بِهِ عـينٌ ولا حالَ إلاّ سوف تنتقلُ
إن تَرْجِعِي من أبي عثمانَ مُنْجِحةً فقد يَهُون على المُسْتَنْجحْ العملُ[4]
والناسُ مَـنْ يَلْقَ خيراً قائلون له مـا يشتهي ولأُمّ المخطىء الهَبَلُ

1 هدت ، أصله : (هدأت) بالهمز .
2 إغداف القناع : إرساله على الوجه .
3 الطّيَل : جمع طيلة وهو الدهر .
4 منجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

قــد يُــدْرِكُ المُتَأَنّي بعضَ حاجتِهِ وقــد يكون مع المستعجِلِ الزّللُ

حتى أتى على آخرها . قال الشعبيّ : فقلت : قد قال القَطاميّ أفضلَ من هذا قال : وما قال ؟ قلت قال : [من الكامل]

طرَقَتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطْرَقِ مــا كنت أَحسِبُها قريبَ المُعْنَقِ[1]
قطعتَ إليك بمثــلِ جيــدِ جَدايةٍ حَسَنٍ مُعَلَّــقُ تُومَتَيْــهِ مُطَوَّقِ[2]
ومُصَرَّعِــين مــن الكَــلالِ كأنّما شَرِبُوا الغَبُوقَ من الرَّحِيقِ المُعْرَقِ[3]
متوسِّديــن ذراعَ كلِّ نَجيبــةٍ ومُفَــرَّجٍ عُــرَقِ المَقَــذِّ مُنَوَّقِ[4]
وجَثَتْ على رُكَبٍ تَهُدّ بِها الصَّفا وعلى كَلاكِــلَ كالنَّقِيــلِ المُطْرَقِ[5]
وإذا سَمِعْــنَ إلى هَماهِــمِ رُفْقَةٍ ومن النجومِ غوابِــرٌ لَم تَخْفِقِ[6]
جعلتْ تُميلُ خدودَهــا آذانُها طَرَبــاً بهنّ إلى حُــداءِ السُّوَّقِ
كالمُنْصِتاتِ إلى الغنــاءِ سمعنَــه من رائــعٍ لقلوبهــنّ مُشَوِّقِ
وإذا نظــرنَ إلى الطريــقِ رأَينَه لَهِقــاً كشاكلةِ الحِصانِ الأَبلقِ[7]
وإذا تخلَّــف بعدهــنَّ لحاجــةٍ حــادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَه لَــم يَلْحَقِ[8]
وإذا يصيبك والحــوادثُ جَمَّةٌ حَــدَثٌ حَدَاكَ إلى أَخيكَ الأوثقِ
لئن الهمــومُ عــن الفؤادِ تفرّقت وخَــلا التَّكَلُّــمُ للّسانِ المُطْلَقِ[9]

قال : فقال عبد الملك : هذا واللهِ أشعرُ ، ثَكِلتِ القَطاميَّ أُمُّه ! . قال : فالتفت إليَّ الأخطل فقال : يا شعبيّ ، إنّ لك فنوناً في الأحاديث ، وإنّما لنا فنٌّ واحد ؛ فإن رأيت ألاّ

1 المعنق : المكان الذي أعنقت منه . العنق : ضرب من السير سريع .
2 الجَداية : الغزال . والتُّومة : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبّة كبيرة .
3 شربوا في ل : سمروا . الرحيق في الديوان : الطلا . المعرق : القليل الماء .
4 المفرّج : ما بان مرفقه عن إبطه ، وهي صفة ممدوحة في الإبل . والمقذ : ما خلف الأذن . بعير منوّق : مذلّل كأنه ناقة ، أو هو الذي اختير وتنوّق فيه .
5 النقيل : رقاع النعل والخف ، واحدتها نقيلة . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض ، أي هي شديدة كأنها نعال مرقعة .
6 غوابر في ل : غوائر أي بواق .
7 لهقاً في ل : كهفاً . واللهق : الشديد البياض . والشاكلة : الخاصرة . والأبلق من الخيل : الذي ارتفع تحجيله إلى فخذيه .
8 الشسع : أحد سيور النّعل .
9 لئن في ل : ليت . تفرّقت في ل : تفرّجت .

تحملني على أُكتاف قومك فأَدَعَهم حَرَضاً[1] ! . فقلت : لا أُعرِض لك في شيء من الشعر أبداً ، فأَقِلْنِي في هذه المرّة . قال : مَنْ يتكفَّل بكَ ؟ قلت : أُمير المؤمنين . فقال عبد الملك : هو عليَّ ألاّ يعرِض لك أبداً ؛ ثم قال : يا شعبيّ ، أيُّ نساء الجاهليّة أشعر ؟ قلت : خَنْساء . قال : ولِمَ فضَّلتَها على غيرها ؟ قلت : لقولها : [من الطويل]

وقائلةٍ والنَّعْشُ قد فـات خَطْوَها ... لِتُدْرِكه يا لَهْفَ نفسي على صَخْرِ

ألا ثَكِلَـتْ أُمُّ الذيـن غَدَوْا بـهِ ... إلى القبر مـاذا يحملون إلى القبرِ

فقال عبد الملك : أشعرُ منها والله التي تقول : [من البسيط]

مُهَفْهَفُ الكَشْحِ والسربالِ منخرقٌ ... عنـه القميصُ لسير الليـلِ محتقرُ[2]

لا يأمَـنُ الناسُ مُمْساه ومُصْبَحَهُ ... في كلِّ فَـجٍّ وإن لم يَغْـزُ يُنْتَظَرُ

ثم قال : يا شعبيّ ، لعلَّك شَقَّ عليك ما سمعتَ . قلت : إي والله يا أمير المؤمنين أشدَّ المشقّة . إنّي أُحدّثك منذ شهرين لم أُفِدك إلاّ أبياتَ النابغة في الغلام . قال : يا شعبيّ ، إنّما أُعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ، يقولون : إنْ كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية ؛ وأهلُ الشام أعلم بعلم العراق من أهل العراق ؛ ثم ردّ عليّ الأبيات أبياتَ لَيْلى حتى حفِظتها ، ولم أزَل عنده ؛ فكنتُ أوّلَ داخل وآخر خارج . قال : فمكثتُ كذلك سنين ، وجعلني في ألفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين ؛ فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مَرْوان بمصر وكتب إليه : يا أخي ، إنّي قد بعثت إليك الشعبيّ ، فانظر هل رأيتَ مثلَه قطُّ ؟ ثم أَذِن لِي فانصرفت .

[حديث حسان عنه حين قدم على النعمان]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدائنيّ ، وأخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني عمر بن شَبّة عن أبي بكر الهُذَليّ قال : قال حسّان بن ثابت : قَدِمت على النُّعمـان بن المنـذر وقـد امتدحتُـه ، فأتيت حاجبه عصام بن شَهْبَرٍ فجلستُ إليه ؛ فقال : إنّي لأرى عربيّاً ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت نعم . قال : فكُنْ قَحطانيّاً . فقلت : فأنا قحطانيّ . قال : فكن يَثْرَبِيّاً قلتُ : فأنا يثربيّ . قال : فكن خَزْرَجيّاً . قلت : فأنا خزرجيّ . قال : فكن حسّان بن ثابت . قلت : فأنا هو . قال : أجئتَ بمِدْحة الملك ؟ قلت نعم . قال : فإنّي أُرشدك : إذا دخلتَ إليه فإنّه يسألك عن جَبَلَة بن الأَيْهَم ويسُبّه ، فإيّاك أن تساعده على ذلك ،

1 الحرض : الرديء ، من النّاس .

2 مهفهف الكشح : ضامره ، وهفهفة السربال رقته وخفته .

ولكن أمِرٌّ ذكرَه إمراراً لا تُوافِق فيه ولا تُخالِف ، وقل : ما دخول مثلي أيُّها الملك بينك وبين جبلةَ وهو منك وأنت منه ؟ . وإن دعاك إلى الطعام فلا تُؤاكِلْه ؛ فإن أقسم عليك فأَصِبْ منه اليسيرَ إصابةَ بارٍّ قَسَمَه مُتَشَرِّفٍ بموٴاكلته لا أكلَ جائعٍ سَغِبٍ ، ولا تُطِلْ محادثتَه ، ولا تبدأْه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائلَ لك ، ولا تُطِل الإقامةَ في مجلسه . فقلت : أحسنَ اللهُ رِفْدَك ! قد أوصيتَ واعياً . ودخل ثم خرج إليّ فقال لي : ادخُلْ . فدخلتُ فسلّمت وحيّيت تحيّة الملوك . فجاراني من أمر جَبَلَةَ ما قاله عِصامٌ كأنّه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنتهُ في الإنشاد فأَذِن لي فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرني عِصامٌ به ، وبالشراب ففعلتُ مثلَ ذلك . فأمر لي بجائزة سنيّة وخرجت . فقال لي عصام : بَقِيتْ عليّ واحدةٌ لم أُوصِك بها ؛ قد بلغني أنّ النابغة الذُّبياني قدِم عليه ، وإذا قدِم فليس لأحد منه حظٌّ سواه ؛ فاستأذِن حينئذٍ وانصرِف مُكَرَّماً خير من أن تنصرف مجفُوّاً ؛ فأقمتُ ببابه شهراً . ثم قدِم عليه الفَزاريّانِ وكان بينهما وبين النُّعمان دُخْلُلٌ (أي خاصّة) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النُّعمان أن يرضى عنه . فضرب عليهما قُبّة من أدم ، ولم يشعر بأنّ النابغة معهما . ودسَّ النابغةُ قَيْنةً تغنّيه بشعره : [من الكامل]

يــا دارمَيّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ

فلمّا سمع الشعرَ قال : أُقسم بالله إنّه لشعر النابغةِ ! وسأل عنه فأُخبِر أنّه مع الفَزاريَّيْن ؛ فكلّماه فيه فأمّنه .

وقال أبو زيد عمر بن شَبَّة في خبره : لمّا صار معهما إلى النُّعمان كان يُرسل إليهما بطِيبٍ وألْطاف مع قَيْنة من إمائه ، فكانا يأمُرانِها أن تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرتْ ذلك للنُّعمان ، فعلم أنّه النابغة . ثم ألقى عليها شعرَه هذا وسألها أن تغنّيه به إذا أخذتْ فيه الخمرُ ؛ ففعلتْ فأطربتـه ، فقال : هذا شعر عُلْوي[1] ، هذا شعر النابغة ! . قال : ثم خرج في غِبِّ سماء ، فعارضه الفَزاريّان والنابغة بينهما قد خُضِب بحِنّاء فأقنأ خِضابُه[2] ، فلمّا رآه النُّعمان قال : هي بدَمٍ كان أحرى أن تُخضَب . فقال الفزاريّان : أبيتَ اللَّعْنَ ! لا تثريب[3] ، قد أجَرْناه ، والعفو أجمل . فأمّنه واستنشده أشعاره . فعند ذلك قال حسّان بن ثابت : فحسَدته على ثلاث لا أدري على أيّتهنّ كنتُ له أشَدَّ حسداً : على إدناء النُّعمان له بعد المباعدة ومسامرته[4] له

---

1 عُلْوي : نسبة إلى العالية غير القياس ، وهي ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة .

2 قنوء الخضاب : اشتداد حمرته .

3 التثريب : اللوم والتعيير بالذنب والتذكير به .

4 في ل : ومسايرته .

وإصغائه إليه ، أم على جَوْدة شعره ، أم على مائة بعيرٍ من عَصافيره[1] أَمَر له بها .

قال أبو عُبيدة : قيل لأبي عمرو : أفَمِن مخافته امتدحه وأتاه بعد هَرَبه منه أم لغير ذلك ؟ فقال : لا لعمرُ الله ما لَمخافته فعل ، إنْ كان لآمِناً من أن يوجِّه النُّعمان له جيشاً ، وما كانت عشيرتُه لِتُسلمَه لأوّل وَهْلة ، ولكنّه رغِب في عطاياه وعصافيره . وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفِضّة والذهب من عطايا النُّعمان وأبيه وجَدّه ، لا يستعمل غير ذلك . وقيل : إنّ السبب في رجوعِهِ إلى النُّعمان بعد هَرَبه منه أنّه بلغه أنه عليلٌ لا يُرجى ، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبرَ على البعد عنه مع علّته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره يُنْقَل ما بين الغَمر وقصور الحِيرة . فقال لعصام بن شَهْبَرٍ حاجبه ، فيما أُخبرنا به اليزيديّ عن عمّه عُبَيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل : [من الوافر]

صوت

أَلَم أُقْسِمْ عليكَ لَتُخْبِرَنِّي أَمحمولٌ على النَّعْشِ الهُمامُ
فإنّي لا أُلومُك في دخولي ولكن ما وراءكَ يا عِصامُ[2]
فإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ يَهْلِكْ ربيعُ النَّاسِ والشهرُ الحرامُ[3]
ونُمْسِك بعده بذِنابِ عيشٍ أَجَبِّ الظهر ليس له سَنامُ[4]

غنّاه حُنَين ثقيلاً أوّل بالبنصر عن حَبَش .

قال أبو عُبيدة : كانت ملوك العرب إذا مرِض أحدهم حملتْه الرجالُ على أكتافها يتعاقبونه ، فيكون كذلك على أكتاف الرجال ؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

وقوله : [من الوافر]

فإنّي لا أُلومُكَ في دخولي

أي لا أُلومك في ترك الإذن لِي في الدخول ، ولكن أَخْبِرْني بكُنْه أمره . وقوله : [من الوافر]

ربيع الناس والشهر الحرامُ

---

1 العصافير : إبل نجائب كانت للملوك .

2 لا أُلومك في ل : لا آلام . و«ما وراءك يا عصام» مثل . انظر مجمع الأمثال للميداني : 262/22 وكتاب الأمثال لأبي فيد : 184 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري : 225/2 وكتاب المستقصى في الأمثال للزمخشري : 334/2 .

3 أبو قابوس : كنية النُّعمان بن المنذر .

4 ذِناب كل شيء : عقبه ومؤخره . وأجب الظهر : مقطوع السّنام .

يريد أنّه كالربيع في الخِصْب لُمجتَدِيه ، وكالشهر الحرام لجاره ، لا يوصَل إلى مَن أجاره كما لا يُوصَل في الشهر الحرام إلى أحد .

[مما يغنّى فيه من شعره]

صوت

[من الطويل]

رأيتُكَ تَرْعانِي بعينٍ بصيرةٍ وتبعث حُرّاساً عليّ وناظرا[1]

فآليتُ لا آتيك إن كنتُ مُجْرِماً ولا أبتغي جاراً سواك مجاورا[2]

وأهلي فداءٌ لامرىءٍ إن أتيته تقبَّل معروفي وسَدَّ المَفاقِرا[3]

ألا أبْلِغ النُّعمانَ حيث لَقِيتَه وأهدى له اللهُ الغيوثَ البواكرا

غنّاه خُلَيْد[4] الواديّ رملاً بالبنصر من رواية حَبَشٍ .

وممّا يُغنّى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النُّعمان : [من البسيط]

صوت

يا دارَ مَيّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ أقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأَمَدِ

وقفتُ فيها أُصَيلاناً أسائلها أَعْيَتْ جواباً وما بالرَّبْعِ من أحدِ

إلاّ الأواريّ لأْياً ما أُبَيِّنُها والنُّؤْيُ كالحَوْض بالمظلومة الجَلَدِ

ردَّتْ عليه أقاصيه ولبَّده ضَرْبُ الوليدةِ بالمِسْحاةِ في الثَّأدِ[5]

خَلَّتْ سبيلَ أتيٍّ كان يحبسه ورفَّعته إلى السَّجْفَين فالنَّضَدِ

أضحتْ خَلاءً وأضحى أهلُها احْتَمَلوا أخْنى عليها الذي أخْنى على لُبَدِ

الغناء لَمعْبَد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لجَميلة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَشٍ .

قال الأصمعيّ : وقوله «يا دار ميّة» يريد يأهلَ دارِ مَيَّة ، كلّما قال امرؤ القيس :

ألا عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي

يريد أهلَ الطلل . وقال الفرّاء . إنّما نادى الدّار لا أهلَها أسفاً عليها وتشوّقاً إلى أهلها

1 ترعاني : تحرسني وتحفظني .

2 آليت : أقسمت ، ومجرماً : مذنباً .

3 يقال : سدّ الله مفاقره أي أغناه وسدّ وجوه فقره .

4 هو خليد بن عتيك أحد المغنين بوادي القرى .

5 موضع الثأد التراب الندي المبلول ، وهو إذا ضرب بالمسحاة التصق بعضه ببعض وانخفض .

وتَمَنِّيه أن تكون أهلاً . والعلياء : المكان المرتفع بناؤه ؛ يقال من ذلك عَلا يَعْلُو وعَلِيَ يَعْلى ، مثلُ حَلا يَحْلُو وحَلِيَ يَحلى ، وسَلا يَسْلُو وسَلِيَ يَسْلى . والسَّنَد : سَنَد الجبل وهو ارتفاعه حيث يُسْنَد فيه أي يُصْعد . أَقْوَتْ : أَقفرتْ وخلَتْ من أهلها . وقال أبو عُبيدة في قوله يا دار مَيّة ثم قال أَقْوَتْ ولم يقل أَقْوَيْتِ : إنّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكُفُّوا عنه . وروى الأصمعيّ «أُصَيْلاناً» وهو تصغير أُصْلان[1] . ويُروى «عَيَّتْ جواباً» أي عَيِيَتْ بالجواب . والأَوارِيّ : جمع آرِيّ[2] . ولأياً : بُطْئاً . والمظلومة : التي لم يكن فيها أَثرٌ فحفر أهلُها فيها حوضاً ؛ وظُلْمُهم إيّاها إحداثُهم فيها ما لم يكن فيها . شبّه النُّؤْيَ بذلك الحوض لاستدارته . والجَلَد : الأرض الصُّلبة الغليظة من غير حجارة . وإنّما جعلها جَلَداً لأنّ الحفر فيها لا يسهُل . وقوله «رَدَّتْ عليه أقاصيه» يعني أَمَةً فعلتْ ذلك ، أُضمرها ولم يكن جرى لها ذكر . وأقاصيه : يعني أقاصي النُّؤْي على أدناه ليرتفع . ولَبّده : طَأْمَنه[3] . والوليدة : الأَمَةُ الشابّة . والثَّأْد : النَّدى . والسبيل : الطريق . والأَتِيّ : النّهر المحفور ، والأَتِيّ : السيل من حيث كان . يقول : لمّا أُفسدتْ طريقُ الأَتِيِّ سهّلت له طريقاً حتّى جرى . ورفّعته أي قدّمت الحفر إلى موضع السَّجْفين ، وليس رَفَّعَتْه هاهنا من ارتفاع العُلُوّ . والسَّجْفان : سِتْران رقيقان يكونان في مُقَدَّم البيت . والنَّضَد : ما نُضِد من المَتاع . وأَخْنى : أَفْسَد . ولُبَد : آخر نسور لُقْمان التي اختار أن يُعَمَّر مثلَ أعمارها وله حديث ليس هذا موضعه .

صوت

[من البسيط]

أَسْرَتْ عليه من الجَوْزاء ساريةٌ ... تُزْجِي الشَّمالُ عليه جامدَ البَرَدِ
فارتاعَ من صَوْتِ كَلّابٍ فباتَ له ... طَوْعُ الشَّوامِتِ من خَوْفٍ ومن صَرَدِ
فَبَثَّهُنّ عليه واستمرّ بِهِ ... صُمْعُ الكُعوبِ بَرِيّاتٌ من الحَرَدِ[4]
وكان ضُمْرانُ منه حيثُ يُوزِعُهُ ... طَعْنَ الُمعارِكِ عند الُمحْجَرِ النَّجُدِ[5]
شَكَّ الفَرِيصةَ بالِمدْرى فأَنْفَذَها ... طَعْنَ الُمبَيْطِرِ إذ يَشْفِي من العَضَدِ

غنّى فيه إبراهيم الموصليّ هَزَجاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانة . وفيه لحن لمالك . يعنى

1 أصلان : جمع أصيل وهو القسي .
2 الآري : الآخية التي تشدّ بها الدابة .
3 طأمنه : خفضه وسكنه .
4 بث : فرّق .
5 ضمران : اسم كلب . يوزعه : يغريه .

أنّ سحابةً مرّتْ عليه ليلاً وأنّ أنواء الجَوزاء أَسْرَتْ عليه بها . وتُزْجِي : تسوق وتَدْفَع . عَلَيْهِ أي على الثور . والكَلاّب : صاحب الكِلاب . وقوله «بات له طَوْعُ الشوامت» أي بات له ما يَسُرّ الشوامتَ[1] اللّواتي شَمِتْنَ به . وصُمْعُ الكعوب : يعني قوائمَه أنّها لازقةٌ محدَّدة الأطراف ليست برَهِلاتٍ . وأَصلُ الصَّمَع رِقّة الشيء ولطافته . والحَرَدُ[2] : داء يعيبه ؛ يقال بعيرٌ أَحْرَدُ ، وناقةٌ حَرْداءُ . والمُحْجَرُ : المُلْجأ . والنَّجُدُ[3] : الشجاع . والفَرِيصةُ : مَرْجِع الكَتِف إلى الخاصرة . والمِدْرى : القَرْن . والمُبَيْطِر : البَيْطار . والعَضَدُ : داء يأخذ في العَضُد .

وفي لحن إبراهيم الموصليّ بعدَ «فارتاع من صوت كَلاّب» : [من البسيط]

كأنّ رَحْلِي وقـد زالَ النّهارُ بنا ... يـومَ الجَليلِ على مُسْتأنِسٍ وَحَدِ[4]

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أكارِعُه ... طاوى المَصِير كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ

قال الأصمعيّ : زال النهار بنا أي انتصف . و«بنا» هاهنا في موضع «علينا» . ومَن روى «مُسْتَوْجِس» فإنه يعني أنه قد أَوْجَسَ شيئاً خافه فهو يَسْتَوْجِس . والجليل : الثُّمام ، واحدته جَلِيلةٌ . ووَجْرة : طَرَف السِّيِّ[5] وهي فلاة بين مَرّان وذات عِرْق وهي ستّون مِيلاً يجتمع فيها الوحش . ومَوْشيّ أَكارعُه أي إنه أبيض في قوائمه نُقَطٌ سُودٌ وفي وجهه سُفْعةٌ[6] . وطاوِي المَصِير : ضامر . والمَصِير المِعَى ، وجمعه المُصْران . والفَرَدُ : المنقطع القرينِ ؛ يقال : فَرَدٌ وفَرِدٌ وفُرُدٌ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : غنّى مُخارِقٌ يوماً بين يدي الرشيد : [من البسيط]

سرت عليـه مـن الجـوزاء ساريةٌ

فلمّا بلغ إلى قوله : [من البسيط]

فارتاعَ من صوت كَلاَّبٍ فبات له

قال : فارتاعُ (بضم العين) ؛ فأردتُ أن أَرُدّ عليه خطأه ، ثم خِفتُ أن يغضب الرشيد ويظنَّ أنّي حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطَه . فالتفت إليه بعضُ مَنْ حضر ، أظنّه قال محمد بن عمر الروميّ ، فقال له : ويلك يا مخارق ! أتغنّي بمثل هذا الخطأ القبيح لسُوقةٍ

1 الشوامت : جمع شامتة وهي القوائم .
2 الحرد : استرخاء عصب في يدي البعير من شد العقال وربّما كان خلقة .
3 النّجد : وهو العرق من عمل أو كرب أو غيره .
4 الاستئناس هنا : النظر والتوجس كأنه يخاف الإنس كما قال ابن الأعرابيّ .
5 السِّي : موضع .
6 السفعة : السواد ؛ وهي سواد مشرب بحمرة .

فضلاً على الملوك ! ويلك ! لو قلتَ : «فارتاعَ» كان أخفَّ على اللسان وأسهلَ من قولك «فارتاعُ» . فخجِل مُخارق ، وكُفِيتُ ما أردته بغيري . قال : وكان مخارق لَحّاناً .

ومنها : [من البسيط]

صوت

قالت ألا لَيْتما هذا الحمامُ لنا ... إلى حمامتنــا ونِصْفُــه فقَــدِ
يَحُفُّــه جانِبــا نِيــقٍ وتُتْبِعُه ... مثلَ الزُّجاجة لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ
فحسَبوه فألْفَـوْه كما حَسِبتْ ... تسعاً وتسعين ولم تنقُص ولم تَزِدِ
فكمّلتْ مائـةً فيهــا حمامَتُها ... وأسرعتْ حِسْبَةً في ذلك العددِ

غنّاه ابن سُريج خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ . هذا خبرٌ رُوِي عن زَرْقاء اليَمامة ، ويُرْوى عن بنت الخُسّ[1] .

[أخذ معنى لزرقاء اليمامة]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال سمعت أبا العبّاس محمد بن الحسن الأحول يقول : هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة ، قالت : [من مجزوء الرجز]

ليت الحمامَ لِيَــهْ ... ونِصْفَــه قَدِيَــهْ[2]
إلى حَمَــــامَتِيَهْ ... تَمّ الحمــامُ مِيَهْ

فسلَخه النابغة . وقال الأصمعيّ : سمعت أُناساً من أهل البادية يتحدّثون أنّ بنت الخُسّ كانت قاعدةً في جَوارٍ ، فمرّ بها قَطاً واردٌ في مَضِيقٍ من الجبل ، فقالت : [من مجزوء الرجز]

يا ليتَ ذا القَطا لِيَهْ ... ومثلَ نِصْفِ مَعِيَهْ
إلى قَطــاةِ أهْلِيَهْ ... إذاً لنــا قَطاً مِيَهْ

وأُتْبِعتْ فعُدَّتْ على الماء فإذا هي ستٌّ وستّون . وقوله : «فَقَدْ» أي فحَسْبُ . ويَحُفُّه أي يكون من ناحية هذا الثَّمَد ؛ يقال : حَفّ القومُ بالرجل أي اكتنفوه . والنِّيق : الجبل . ومثل الزجاجة : يريد عيناً صافية كصفاء الزجاجة . الحِسْبَة : الهيئة التي تُحْسَب ؛ يقال : ما أَحْسَنَ حِسْبَتَه ، مثل الجِلْسة واللِّبْسة والرِّكْبة .

ومنها : [من البسيط]

صوت

نُبِّئْتُ أنّ أبــا قابُــوسَ أَوعدني ... ولا قَــرارَ على زَأْرٍ من الأَسَدِ

---

1 بنت الخس : امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة اسمها هند ، وقيل : جمعة .

2 قديه : حسبي ، والهاء الساكنة للسكت .

مَهْلاً فداءٌ لك الأقوامُ كلُّهمُ ... وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولدِ
إنْ كنتُ قلتُ الذي بُلِّغْتَ مُعْتَمِداً ... إذاً فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ يدي
هذا الثناءُ فإنْ تَسْمَعْ بِهِ حَسَناً ... فلَم أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ

غنّاه الهُذَلِيّ ، ولحنه من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ . أُثَمِّر : أُصلح وأجمع . والزَّأْرُ : صياح الأسد ؛ يقال : زأر زئيراً وهو الزأْر . والصَّفَد : العطيّة ؛ يقال : أصْفَده يُصْفِده إصفاداً إذا أعطاه ، وصَفَده يَصْفِده صَفْداً إذا أوثقه .

[رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني الصَّلْت بن مسعود قال حدَّثنا أحمد بن شَبَّوَيْهِ عن سليمان بن صالح عن عبد الله بن المبارَك عن فُلَيْح بن سليمان عن رجل قد سمّاه عن حسّان بن ثابت ، ونسخت من كتاب ابن أبي خَيْثَمَةَ عن أبيه عن مُصْعَب الزُّبيريّ قال قال حسّان بن ثابت ، وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي يوسف بن محمد عن عمِّه إسماعيل بن أبي محمد قال قال أبو عمرو الشيبانيّ قال حسان بن ثابت ، وقد جمعتُ رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها ، وأكثرُ اللفظ للجوهريّ ، قال : خرجتُ إلى النُّعْمان بن المنذر ، فلَقِيت رجلاً ، وقال اليزيديّ في خبره : فلقيتُ صائغاً من أهل فَدَك ، فلمّا رآني قال : كُن يَثْرِبيّاً ؛ فقلت : الأمر كذلك . قال : كُن خَزْرَجِيّاً ؛ قلت : أنا خزرجيّ . قال : كُن نَجّارِيّاً ؛ قلت : أنا نجّارِيّ . قال : كُن حسّان بن ثابت ؛ قلت : أنا هو . فقال : أين تريد ؟ قلت : إلى هذا الملك . قال : تريد أن أُسَدِّدك إلى أين تذهب ومَنْ تريد ؟ قلت نعم . قال : إن لِي به علماً وخُبْراً . قلت : فأَعْلِمْني ذلك . قال : فإنّك إذا جئتَه متروكٌ شهراً قبل أن يُرسل إليك ثم عسى أن يسأل عنك رأسَ الشهر ، ثم إنك متروكٌ آخَرَ بعد المسألة ثم عسى أن يُؤْذَن لك . فإنْ أنت خلوتَ به وأَعْجَبْتَه فأنت مصيبٌ منه خيراً ؛ فأَقِمْ ما أقمتَ ، فإن رأيتَ أبا أُمامة فاظْعَنْ ، فلا شيء لك عنده . قال : فقدِمت ففعَل بِي ما قال الرجل ثم أَذِن لي وأصبتُ منه مالاً كثيراً ونادمتُه وأكلت معه . فبينا أنا على ذلك وأنا معه في قُبّة له إذا رجلٌ يرتجز حولها : [من الرجز]

أصَمُّ أم يسمع ربُّ القُبَّهْ ... يا أوهبَ النّاس لِعَنْسٍ صُلْبَهْ[1]
ضَرَّابةٍ بالمِشْفَرِ الأَذِبَّهْ ... ذات هِبابٍ في يديها جُلْبَهْ[2]

1 العنس : الناقة القوية .
2 الأذبة : جمع قلة لذباب . الهِباب : النشاط والسرعة .

في لاحِبٍ كأنّه الأَطِبَّهْ[1]

وفي رواية اليزيديّ «في يديها خُدْبة» أي طول واضطراب . والأَطِبّة : جمع طِباب وهو الشِّراك يجمع فيه بين الأديمين في الخَرْزِ . وقال عمر بن شَبَّة في خبره : قال فُلَيح بن سليمان : أخذت هذا الرجز عن ابن دَأْب ، قال فقال : أليس بأبي أُمامة ؟ قالوا بلى . قال : فأْذَنوا له . ودخل فحيّاه وشرِب معه . ثم وردت النَّعَمُ السُّودُ ، ولم يكن لأَحد من العرب بعيرٌ أسود يُعْرَف مكانُه ولا يفتحل أحدٌ بعيراً أسود غير النُّعمان . فاستأذنه في أن يُنشده كلمته على الباء ؛ فأذِن له أن يُنشده قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

فإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

ووردت عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكَلْبيّة فيها رِعاؤها وبيتها وكلبُها ، فقال : شأنَك بها يا أبا أُمامة ، فهي لك بما فيها . قال حسّان . فما أصابني حسدٌ في موضع ما أصابني يومئذٍ ، وما أدري أيّما كنتُ أحْسَدَ له عليه : أَلِما أَسمع من فضل شعره ، أم ما أرى من جزيل عطائه ؛ فجمعتُ جَرامِيزي[2] وركبت إلى بلادي . وقد روى الواقديّ عن محمد بن صالح الخبر فذكر أنّ حسّان قدِم على جَبَلة بن أبي شَمِر ؛ ولعلّه غلط . أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي يوسف قال حدَّثني عمِّي إسماعيل عن الواقِدِيّ عن محمد بن صالح قال : كان حسّان بن ثابت يقدَم على جَبَلة بن الأَيْهَم سنةً ويُقيم سنةً في أهله . فقال : لو وفدتُ على الحارث ، فإن له قرابةً ورَحِماً بصاحبي ، وهو أبذل الناسِ لمعروف ، وقد يئس منّي أن أقدَم عليه لِما يعرف من انقطاعي إلى جَبَلة . فخرجتُ في السنة التي كنت أُقيم فيها بالمدينة حتى قدِمت على الحارث وقد هيَّأت مديحاً . فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً : إنّ الملك قد سُرَّ بقدومك عليه ، وهو لا يَدَعُكَ حتى تذكُرَ جَبَلةَ . فإيّاك أن تقع فيه فإنّه يختبرك ؛ فإنّك إن وقعتَ فيه زهِد فيك ، وإن ذكرتَ مَحاسنَه ثَقُل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ؛ فإنْ سألك عنه فلا تُطنِب في الثناء عليه ولا تَعِبْه ، امسَحْ ذكرَه مَسْحاً وجاوِزْه . وإنه سوف يدعوك إلى الطعام وهو يُثقل عليه أن يُؤْكَل طعامُه أو يُشْرَبَ شرابُه ، فلا تَضَعْ يدك في شيء حتى يدعوَك إليه . قال : فشكرتُ له ذلك . ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس عن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب ، وكلّ ذلك أُخبره ، حتى انتهى إلى ذكر جَبَلة فقال : كيف تَجِدُ جبلة ، فقد انقطعتَ إليه وتركتنا ؟ فقلت له : إنما جبلة منك وأنت منه ؛ فلم أجْرِ معه في مدح ولا ذَمٍّ ، وفعلتُ في الطعام والشراب كما قال لي

1 اللاحب : الطريق الواضح .

2 جمع فلان إليه جراميزه : إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

الحاجب . قال : ثم قال لي الحاجب : قد بلغني قدومُ النابغة وهو صديقُه وآنسُ به ، وهو قبيح أن يجفوَك بعد البرِّ ، فاستأذِنْه من الآن فهو أحسن . فاستأذنتُه فأذِن لي وأمر لي بخمسمائة دينار وكُساً وحُمْلان ، فقبضتها وانصرفتُ إلى أهلي .

صوت

[من الطويل]

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما لَقِيتُهمْ أُحَكَّـمُ في أموالهـم وأُقَرَّبُ
ولكنَّني كنتُ امرءاً لِيَ جانِبٌ من الأَرض ِفيه مُسْترادٌ ومطلبُ

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل . الجانب هنا : المتَّسَع من الأَرض . والمُستراد : المُخْتَلَف يذهب فيه ويجيء ؛ ويقال : رادَ الرجلُ لأَهله إذا خرج رائداً لهم في طلب الكلا ونحوه . ثم ذكر مستراده فقال : «ملوكٌ وإخوانٌ» .

ومن القصيدة العينيّة : [من الطويل]

صوت

عَفَـا ذو حُساً من فَرْتَنا فالفوارعُ فَجَنْبا أَرِيـكٍ فالتِّـلاعُ الدوافِعُ[1]
فمُجْتَمَعُ الأَشراجِ غَيَّرَ رَسْمَهـا مَصايِـفُ مـرَّتْ بعدنا ومَرابعُ[2]
توهّمتُ آيــاتٍ لهــا فعرفتُهـا لِستّة أَعـوامٍ وذا العـامُ سابعُ
رَمادٌ ككُحْل العين مــا إنْ أُبِينُه ونُؤْيٌ كجِذْم الحوض أَثْلَمُ خاشِعُ[3]

غنّاه معبدٌ من رواية حَبَشٍ رملاً بالبنصر . [من الخفيف]

صوت

آذنتنْــا ببينِهـــا أَسمـاءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَـلُّ منـه الثَّواءُ
بعــد عَهْــدٍ لهـا ببُرْقة شَمّا ءَ فأَدْنى ديارِهـا الخَلْصاءُ

عروضه من الخفيف . آذنتنا : أعلمتنا . والبَيْنُ : الفرقة . والثاوي : المقيم ؛ يقال ثَوى ثَواءً . والبُرْقة : أرض ذات رمل وطين . وشَمّاء والخَلْصاء : موضعان . الشعر للحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُريّ . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، ومن الناس مَن ينسبه إلى حُنَيْن .

---

1 ذو حسا وأريك : موضعان . وفرتنا : اسم امرأة . والفوارع : تلال مشرفات المسايل . والتلاع : جمع تلعة ، وهي هنا : مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض . والدوافع : التي تدفع بالماء إلى الوادي .

2 الأشراج : جمع شَرج وهو مجرى الماء من الحرار إلى السهولة .

3 إن أبينه في الديوان : «لأياً أبينه» . النؤي : حفير حول الخيمة ليحجز عنها الماء . وجذم كل شيء : أصله .

[174] ـ أخبار الحارث بن حلّزة ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحارث بن حِلِّزة بن مَكْرُوه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عَبْد بن سَعْد بن جُشَمَ بن عاصم بن ذُبيانَ بن كِنانة بن يَشْكُرَ بنَ بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلةَ بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار .

[السبب في قول قصيدته المعلقة]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : كان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارثَ إلى قولها أنّ عمرو بن هِند الملِك ، وكان جبّاراً عظيمَ الشأن والمُلْك ، لَمّا جمع بَكْراً وتَغْلِبَ ابنَيْ وائل وأَصلح بينهم ، أخذ من الحَيَّيْن رُهُناً من كلّ حيٍّ مائةَ غلام ليكفَّ بعضَهم عن بعض ؛ فكان أولئك الرُّهُن يكونون معه في مسيره ويغزُون معه ؛ فأَصابتهم سَمُومٌ في بعض مَسِيرهم فهلَك عامّة التَّغْلَبِيِّين وسَلِم البَكْرِيّون . فقالت تَغْلِب لبكر : أَعطُونا دِياتِ أبنائنا ؛ فإن ذلك لكم لازم ، فأَبَت بكر بن وائل . فاجتمعت تَغْلِب إلى عمرو بن كُلْثوم وأَخبروه بالقصّة . فقال عمرو [ابن كلثوم لتَغلب : بِمَنْ ترون بكراً تَعْصِب أمرَها اليوم ؟ قالوا : بمَن عسى إلاّ برجل من أولاد ثَعْلَبة . قال عمرو] : أرى والله الأمرَ سينجلي عن أَحمر أَصْلَجَ[2] أَصَمّ من بني يَشْكُرَ . فجاءَت بكرٌ بالنُّعمان بن هَرِمٍ أَحد بني ثعلبة بن غَنْم بن يَشْكُر ، وجاءَت تَغْلِب بعمرو بن كُلثوم . فلمّا اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنُّعمان بن هَرِم : يا أَصَمّ ! جاءت بك أولاد ثعلبة تُناضل عنهم وهم يفخَرون عليك ! فقال النُّعمان : وعلى مَنْ أظلّت السماءُ كلّها يفخَرون ثم لا يُنكَر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم له : أَمَا والله لو لَطَمتُك لطمةً ما أخذوا لك بها . فقال له النُّعمان : والله لو فعلتَ ما أُفْلَتَّ بها قَيْسَ أَيْرِ أَبيك . فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر ، فقال : يا جارية أَعْطِيه لَحْياً بلسان أُنْثى (أي سُبِّيه بلسانك) . فقال : أيّها الملك أَعطِ ذلك أحبَّ أَهلِك إليك . فقال : يا نُعمان أيسرُّك أَنّي أَبوك ؟ قال : لا ! ولكن وَدِدتُ أنّك أُمّي . فغضِب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همَّ بالنُّعمان . وقام الحارث بن حِلِّزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً ، توكّأً على قوسه وأنشدها وانتظم[3] كفَّه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . قال ابن الكلبيّ : أُنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 1/197–198 ، والخزانة 1/158 ، ومعاهد التنصيص 138–139 .
2 الأصلج : الأصم ، والأصلج في لغة بعض قيس : الأصلع .
3 انتظم هنا : طعن .

وَضَحٌ[1] ، فقيل لعمرو بن هند : إنّ به وضحاً ؛ فأمر أن يُجعل بينه وبينه سِتْرٌ . فلمّا تكلّم أُعجب بمنطقه ؛ فلم يزل عمرو يقول : أَدْنُوه أدنوه حتى أَمر بطرح السِّتر وأقعده معه قريباً منه لإعجابه بـه . هذه رواية أبي عمرو . وذكر الأصمعيُّ نحواً من ذلك وقال : أخذ منهم ثمانين غلاماً من كلّ حيّ وأصلح بينهم بذي المَجاز[2] ، وذكر أنّ الغلمان من بني تَغْلِب كانوا معه في حرب فأُصيبوا . وقـال في خبره : إنّ الحـارث بن حِلِّزة لمّا ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته : [من الوافر]

قِفي قبـل التفرُّق يـا ظعِينا

وغيرُ الأصمعيّ يُنكر ذلك ويُنكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم .

وذكر ابن الكلبيّ عن أبيه أنّ الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء ، وكان قد شرَط : أيُّ رجلٍ وُجِد قتيلاً في دار قومٍ فهم ضامنون لدمه ، وإن وُجِد بين مَحَلَّتين قِيسَ ما بينهما فيُنظَر أقربُهما إليه فتضمَن ذلك القتيل . وكان الذي وليَ ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شَراحيل بن مُرّة بن همّام . ثم إنّ المنذر أخذ من الحَيَّيْن أشرافَهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكّة ؛ فشرَطَ بعضُهم على بعض وتواثقوا على ألاّ يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلةً ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء . وبعث المنذر معهم رجلاً من بني تميم يقال له الغَلاَّق . وفي ذلك يقول الحارث بن حِلِّزة : [من المتقارب]

فهَـلاَّ سَعَيْتَ لصُلْح الصَّدِيقِ كصُلحِ ابن مارِيَـةَ الأقصمِ[3]
وقَيْسٌ تـدارَكَ بَكْـرَ العِراقِ وتَغْلِـبَ من شرِّهـا الأعظمِ
وبيتُ شَراحيـلَ في وائـلٍ مكـانَ الثُّرَيّـا مـن الأنْجُمِ
فأصلَحَ مـا أفسدوا بينهـم كذلك فِعْـلُ الفتـى الأكرمِ

ابن مارية هو قيس بن شَراحِيل . ومارية أُمّه بنت الصبّاح بن شيبان من بني هند . فلبثوا كذلك ما شاء الله ، وقد أخذ المنذر من الفريقين رُهُناً بأحداثهم ؛ فمتى التَوى أحد منهم بحقّ صاحبه أقاد من الرُّهُن . فسرَّح النُّعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب إلى جبل طَيِّىء في أمر من أمره ، فنزلوا بالطرفة وهي لبني شَيْبان وتَيْم اللات . فذكروا أنهم أجلَوْهم عن الماء وحملوهم على المَفازة ، فمات القومُ عطشاً . فلمّا بلغ ذلك بني تَغْلِب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدَوْه على

---

1 الوضح هنا : البرص .
2 ذو المجاز : موضع سوق من أسواق العرب بعرفة .
3 الأقصم : المكسور الثنية من النصف .

بكر ، وقالوا : غَدَرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحُرْمة وسَفكتم الدماء . وقال بكر : أنتم الذين فعلتم ذلك ، قذفتمونا بالعَضِيهةِ[1] وسمَّعتم الناسَ بها ، وهتكتم الحجاب والسِّتر بادّعائكم الباطلَ علينا . قد سقيناهم إذ وردوا ، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا ، فهل علينا إذ حار القوم وضلُّوا ! ويصدِّق ذلك قولُ الحارث بن حِلِّزة : [من الخفيف]

لم يَغُرُّوكُمُ غُرُوراً ولكن يرفَع الآلُ جِرْمَهم والضَّحاءُ

[كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد]

وقال يعقوب بن السّكّيت : كان أبو عمرو الشيبانيّ يعجَب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول : لو قالها في حول لم يُلَمْ . قال : وقد جمع فيها ذكر عِدّةٍ من أيّام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً ، وعرّض ببعضها لعمرو بن هند ؛ فمن ذلك قولُه : [من الخفيف]

أعلينا جُناحُ كِنْدةَ أن يغـ ـنَمَ غازيهمُ ومِنّا الجزاءُ

قال : وكانت كندة قد كسَرت الخراج على الملك ، فبعث إليهم رجالاً من بني تغلب يطالبونهم بذلك ، فقُتِلوا ولم يُدْرَك بثأرهم ؛ فعيّرهم بذلك . هكذا ذكر الأصمعيّ . وذكر غيره أنّ كِنْدةَ غزَتهم فقتلت وسَبَتْ واستاقت ، فلم يكن في ذلك منهم شيء[2] ولا أدركوا ثأراً . قال : وهكذا البيت الذي يليه وهو : [من الخفيف]

أم علينا جَرّى قُضاعةَ أم ليـ ـس علينا فيما جَنَوْا أنداءُ[3]

فإنّه عيّره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فِعْلَ كِنْدة ، ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأراً . قال : وقوله : [من الخفيف]

أم علينا جَرّى حَنيفةَ أم ما جَمَّعتْ من مُحارِبٍ غَبْراءُ[4]

قال : وكانت حَنيفة محالفةً لتغلبَ على بكر ، فأذكر الحارثُ عمرَو بن هند بهذا البيت قَتْلَ شِمْر بن عمرو الحنفيِّ أحدِ بني سُحَيْم المنذر بنَ ماء السماء غِيلةً لمّا حارب الحارثَ بن جَبَلَةَ الغسّانيّ ، وبعث الحارثُ إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شِمْر هذا يسأله الأمانَ على أن يخرج له عن مُلْكه ويكونَ من قِبَله ؛ فركَن المنذرُ إلى ذلك وأقام الغِلْمانُ معه ، فاغتاله شِمْر بن عمرو الحنفيّ فقتله غِيلةً ، وتفرّق مَنْ كان مع المنذر ، وانتهبوا عسكرَه . فحرّضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حَنيفة . قال وقوله : [من الخفيف]

1 العضيهة : الإفك والبهتان والقالة القبيحة .

2 ل : تغيير .

3 الجرى : الجناية . الأنداء : جمع ندى ، وهو ما يلحق بالإنسان من شر .

4 غبراء : أي جماعة غبراء ، يريد الفقراء الصعاليك . والغبراء أيضاً : الأرض .

وثمانــون مــن تميمٍ بأيديـ ـهمْ رِماحٌ صدورُهنّ القَضاءُ[1]

يعني عمراً أحد بني سعد [بن زيد] مناة ، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم من بني قَطَنٍ من تَغْلِب يقال لهم بنو رِزاحٍ كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنَطاعٍ قريبةً من البَحْرَيْن ، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة ، فلم يُدْرَك منه بثأر . قال : وقوله : [من الخفيف]

ثمّ خَيْلٌ من بعد ذاك مع الغَلاّ ق لا رأفــةٌ ولا إبقـــــاءُ

قال : الغَلاّق صاحب هجائن النُّعمان بن المنذر ، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة تميمياً .

وكان عمرو بن هند دعا بني تَغْلِب بعد قتل المنذِر إلى الطلب بثأره من غسّان ؛ فامتنعوا وقالوا : لا نُطيع أحداً من بني المنذر أبداً ! أيظنُّ ابن هند أنّا له رِعاء ! . فغضِب عمرو بن هند وجمع جموعاً كثيرة من العرب ؛ فلمّا اجتمعتْ آلى ألاّ يغزوَ قبل تَغْلِب أحداً ؛ فغزاهم فقتل منهم قوماً ، ثم استعطفه مَنْ معه لهم واستوهبوه جريرتَهم ، فأمسك عن بقيّتهم ، وطُلّت دماء القتلى . فذلك قول الحارث : [من الخفيف]

مَنْ أَصابوا مــن تَغْلَبيٍّ فمطلو لٌ عليـــه إذا تولّـى العَفاءُ

ثم اعتدّ على عمرو بحسن بلاء بَكرٍ عنده فقال : [من الخفيف]

مَنْ لنا عنــده من الخيرِ آيا تٌ ثلاثٌ في كلّهــن القضاءُ
آيــةٌ شارِقُ الشَّقِيقةِ إذ جا ءوا جميعـاً لكلّ حيٍّ لِواءُ[2]
حولَ قَيْسٍ مُسْتَلْئمين بكَبْشٍ قَرَظِـــيٍّ كأنّـــــه عَبْـلاءُ[3]
فرَدَدْناهُـــمُ بضَرب كما يخـ ـرُج من خُرْبَة المَـزادِ الماءُ[4]
ثم حُجْراً أعني ابنَ أُمِّ قَطامٍ ولـــه فارسيّـــةٌ خضـراءُ[5]
أَسَدٌ في اللّقـــاء ذو أَشبـالٍ وربيـعٌ إن شَنَّعـتْ غَبْراءُ[6]

---

1 القضاء هنا : الموت .

2 شارق : جاء من قبل المشرق .

3 المستلئم : لابس اللأمة وهي الدرع . وقرظيّ : نسبة إلى البلاد التي ينبت فيها القرظ وهي اليمن . والعبلاء : الصخرة البيضاء .

4 خربة المزادة : يريد القربة وهي مسيل الماء منها .

5 فارسية : أي كتيبة سلاحها من فارس . ووصفها بالخضرة لكثرة ما تحمل من سلاح .

6 ذو أشبال في الديوان ص 51 : ورد هموس ، والمعلقات العشر ص 363 ؛ الهموس : الخفيّ الوطء . شنعت : جاءت بأمر شنيع . والغبراء هنا : السنة التي لا مطر بها .

فرددناهُــمُ بطعــن كما تُنْــ ـــهَزُ في جُمّة الطَّوِيّ الدِّلاءُ[1]
وفَكَكْنا غُلَّ امرىء القيسِ عنه بعــد مــا طال حَبْسُه والعناءُ
وأَقَدْنــاه رَبَّ غَسّان بالمُنْـ ـــذِرِ كَرْهاً وما تُكال الدِّماءُ[2]
وفديناهُــمُ بتسعةِ أمــلا كِ كــرام أَسلابُهم أَغلاءُ[3]
[ومع الجَوْنِ جَوْنِ آل بني الأَوْ سِ عَنُــودٌ كأنّهــا دَفْواء][4]

يعني بهذه الأيّام أيّاماً كانت كلّها لبكر مع المنذر ؛ فمنها يوم الشَّقِيقة وهم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن مَعْدِيَكرِب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يُغيرون على إبل لعمرو بن هند ، فردّتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم ، ولم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند . ومنها يومُ غزا حُجْر الكِنْديّ ، وهو حُجْر بن أُمِّ قَطام ، امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر ، لقِيه ومع حُجْر جمعٌ كثير من كندة ، وكانت بكر مع امرىء القيس ، فخرجت إلى حُجْر فردّته وقتلت جنودَه .

وقوله : [من الخفيف]

ففككنا غُلَّ امـرىء القيس عنه

وكانت غسّان أسرتْه يوم قَتْلِ المنذرِ أبيه ، فأغارت بكر بن وائل على بعض بَوادِي الشام فقتلوا ملِكاً من ملوك غسّان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها مَيْسُون . وقوله : «وفديناهُمُ بتسعة . . .» يعني بني حُجْر آكِل المُرار . وكان المنذر وجّه خيلاً من بكر في طلب بني حُجْر ، فظفِرت بهم بكر بن وائل فأتَوُا المنذرَ بهم وهم تسعة ، فأمر بذبحهم في ظاهر الحِيرة فذُبِحوا بمكان يقال له جَفْر الأملاك . قال : والجون جون آل بني الأَوْس : ملكٌ من ملوك كِنْدة وهو ابن عمّ قيس بن مَعْدِيكَرِبَ . وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المُرار ومعه كتيبةٌ خَشْناء ، فحاربته بكرٌ فهزَموه ، وأخذوا بني الجون فجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم .

قال : فلمّا فرَغ الحارث من هذه القصيدة حكَمَ عمرو بن هند أنه لا يلزم بَكْرَ بن وائل ما حدث على رهائن تَغْلِبَ ؛ فتفرّقوا على هذه الحال . ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتّى همّ باستخدام أُمِّ عمرو بن كُلثوم تعرُّضاً لهم وإذلالاً ؛ فقتله عمرو بن كلثوم . وخبره يُذْكَر هناك .

1 نهز الدلاء : تحريكها لتمتلىء .
2 وما تكال في ل : وما تطلّ .
3 أغلاء : غالية .
4 عنود هنا : الكتيبة . الدفواء : المائلة . والدفواء : العقاب لعوج منقارها .

[قصيدته الدالية]

قال يعقوب بن السِّكِّيت أنشدني النَّضْر بن شُمَيْل للحارث بن حِلِّزة ، وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول : لله دَرُّه ما أشعره : [من مجزوء الكامل]

صوت

مَـنْ حـاكـمٌ بينـي وبيـ ... ـن الدَّهْـر مـالَ عليّ عَمْدا
أودى بسادتنـا وقـد ... تركـوا لنا حَلَقاً وجُرْدا[1]
خيـلي وفارسُهـا ورَ ... بٌّ أبيـك كان أعزَّ فَقْدا
فَلَـو آنّ مـا يَـأْوِي إ ... لَيَّ أصابَ من ثَهْلانَ هَدّا[2]
فَضَعِي قِناعَـكِ إنَّ رَيْـ ... ـبَ الدَّهْـرِ قـد أفنى مَعَدّا
فَلَكَمْ رأيـتُ مَعاشِراً ... قـد جَمَّعُوا مـالاً ووُلْدا
وهُـمُ زَبـابٌ حائـرٌ ... لا تَسْمَـعُ الآذانُ رَعْدا[3]
فَعِشْ بجَـدٍّ لا يَضِـرْ ... كَ النُّوك مـا لاقيت جَدّا
والعَيْشُ خيـرٌ في ظِـلا ... لِ النُّوك مِمَّـن عـاش كَدّا

في البيت الأوّل من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ، ومن الناس من ينسبه إلى بابويه .

صوت

[من الوافر]

أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينا ... ولا تُبْقِي خمـورَ الأَنْدَرِينا[4]
مُشَعْشَعَةً كأنّ الحُصَّ فيهـا ... إذا مـا المـاءُ خالطها سَخِينا[5]

عروضه من الوافر . الشعر لعمرو بن كلثوم التَّغلبيّ . والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته . وفيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

1 الحلق هنا : الدروع .
2 ثهلان : جبل .
3 الزباب : ضرب من الفئرة لا تسمع ، يشبه بها الجاهل ، والواحدة زبابة .
4 أندرين : قرية كانت جنوبي حلب شهيرة بالخمر .
5 مشعشعة : ممزوجة بالماء وأرق مزجها . الحُص : الورس أو هو الزعفران .

[175] ـ نسب عمرو بن كلثوم وخبره[1]

[نسب عمرو بن كلثوم من قبل أبويه]

هو عَمرو بن كلثوم بن مالك بن عَتّاب بن سَعْد بن زُهَيْر بن جُشَم [بن بكر] بن حُبَيْبِ بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب بن وائل بنِ قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلَة بنِ أسَد بن رَبيعة بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدنان . وأُمّ عمرو بن كلثوم ليلى بنت مُهَلْهِل أخي كُلَيْب ، وأُمّها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زهير .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثني العُكْلِيّ عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن خِراش بن إسماعيل عن رجل من بني تغلب ثم من بني عَتّاب قال : سمعت الأخْذَر ، وكان نَسّابة ، يقول : لمّا تزوّج مُهَلْهِلٌ بنتَ بعج بن عُتْبة أهدِيتْ إليه ، فولدت له ليلى بنت مُهَلْهِل . فقال مهلهل لامرأته هند : اقتُليها . فأمرتْ خادماً لها أن تُغَيِّبها عنها . فلمّا نام هَتَف به هاتفٌ يقول : [من مجزوء الرجز]

كَم مِـــن فتًى يُؤَمَّلْ وسَيِّــدٍ شَمَــرْدَلْ[2]
وعُـــدَّةٍ لا تُجْهَــلْ في بطن بنت مهلهلْ

واستيقظ فقال : يا هند أين بنتي ؟ قالت : قتلتُها . قال : كَلاَّ وإله ربيعة ! ، فكان أوّلَ من حلف بها ، فاصدُقيني ، فأخبرتْه . فقال : أحْسِني غِذاءها . فتزوّجها كلثوم بن مالك بن عَتّاب .

[أمّه ترى مناماً في حملها به]

فلمّا حملت بعمرو بن كلثوم قالت : إنّه أتاني آتٍ في المنام فقال : [من الرجز]

يــا لَكِ ليلى من وَلَدْ يُقْدِمُ إقــدام الأَسَدْ
من جُشَمٍ فيه العَدَدْ أقولُ قِيــلاً لا فَنَدْ

فولدت غلاماً فسمّته عمراً . فلمّا أتت عليه سنةٌ قالت أتاني ذلك الآتِي في الليل أعرِفه ، فأشار إلى الصبيِّ وقال : [من الرجز]

إنِّـــي زعيمٌ لــكِ أُمَّ عَمْرِو بماجــدِ الجَــدِّ كريمِ النَّجْرِ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/234–236 ، والخزانة 1 : 517–521 . وشواهد المغني 44–45 .

2 الشمردل : القويّ الفتيّ الحسن الخلق .

أشجعَ مـــن ذي لِبَدٍ هِزَبْــرِ   وَقّاصِ أقـرانٍ شديـدِ الأَسْرِ[1]

يسودُهم في خمسةٍ وعشرِ

قال الأَخْذر : فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر ، ومات وله مائة وخمسون سنة .

[قصة قتله لعمرو بن هند]

قال أبو عمرو حدَّثني أَسَدُ بن عمر الحَنَفيّ وكُرْد بن السِّمعِيّ وغيرُهما ، وقال ابن الكلبيّ حدَّثني أبي وشَرْقيٌّ بن القَطاميّ ، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيْبة : أنّ عمرو بن هند قال ذات يوم لنُدَمائه : هل تعلمون أحداً من العرب تأنَف أُمُّه من خدمة أُمّي ؟ فقالوا : نعم ! أُمُّ عمرو بن كلثوم . قال : ولِمَ ؟ قالوا : لأنّ أباها مُهَلْهِلُ بن ربيعة ، وعمّها كُلَيب وائل أعزُّ العرب ، وبَعْلها كلثوم بن مالك أفرسُ العرب ، وابنها عمرو وهو سيِّد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كُلثوم يستزيره ويساله أن يُزير أُمَّه أُمَّه . فأقبل عمرٌو من الجزيرة إلى الحِيرة في جماعة بني تَغْلِب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظُعُن من بني تَغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه فضُرِب فيما بين الحِيرة والفُرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رِواقه ، ودخلت ليلى وهند في قُبّة من جانب الرِّواق . وكانت هند عمّة امرىء القيس بن حُجْر الشاعر ، وكانت أُمُّ ليلى بنت مُهَلْهِل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أُمّ امرىء القيس ، وبينهما هذا النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر أُمَّه أن تُنَحّي الخدم إذا دعا بالطُّرَف وتستخدَم ليلى . فدعا عمرو بمائدةٍ ثم دعا بالطُّرَف . فقالت هند : ناوليني يا ليلى ذلك الطَّبَق . فقالت ليلى : لِتَقُمْ صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فأعادت عليها وألَحّتْ . فصاحت ليلى : واذُلّاهْ ! يا لَتَغْلِب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدَّمُ في وجهه ؛ ونظر إليه عمرو بن هند فعرَف الشرَّ في وجهه ؛ فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيفٍ لعمرو بن هند مُعَلّق بالرِّواق ليس هناك سيفٌ غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ، ونادى في بني تغلب ، فانتهبوا ما في الرِّواق وساقوا نجائبه ، وساروا نحو الجزيرة . ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم : [من الوافر]

أَلا هُبِّـي بِصَحْنِك فاصبَحينا

[تعظيم تغلب قصيدته المعلقة]

وكان قام بها خطيباً بسوق عُكاظ وقام بها في موسم مكة . وبنو تغلب تعظِّمها جِدّاً ويرويها صغارُهم وكبارُهم ، حتى هُجُوا بذلك ؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل : [من البسيط]

---

1 الوقص : الكسر والدقّ . شديد الأسر : معصوب الخلق غير مسترخٍ .

أَلْهى بني تَغْلِب عن كلّ مَكْرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يَرْوُونها أبداً مذ كان أوّلُهم يا لَلرجالِ لِشِعْرٍ غيرِ مسئومِ

[فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند]

وقال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطل : [من الكامل]

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلْتَ حيث تَناطَحَ البحرانِ
قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوةً عمراً وهم قَسَطوا على النُّعْمانِ[1]

وقال أُفْنونٌ[2] صُرَيْمٌ التغلبيّ يفخَر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدةٍ له : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما عمرُو بن هندٍ وقد دعا لتخدُمَ ليلى أُمَّه بموفَّقِ[3]
فقام ابنُ كُلْثومٍ إلى السيف مُصْلِتاً فأمسك من نَدْمانه بالمُخَنَّقِ[4]
وجلّله عمرٌو على الرأس ضربةً بذي شُطَبٍ صافي الحديدة رَوْنَقِ

[إخوته وعقبه]

قال : وكان لعمرو أخ يقال له مُرّة بن كلثوم ، فقتل المُنذِر بن النُّعمان وأخاه . وإيّاه عَنى الأخطل بقوله لجرير : [من الكامل]

أبني كُلَيْبٍ إنّ عَمَّيَّ اللّذا قتلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عبّاد ، وهو قاتِل بِشْر بن عمرو بن عُدَسَ . ولعمرو بن كلثوم عَقِبٌ باق ، ومنهم كلثوم بن عمرو العَتّابيّ الشاعر صاحب الرسائل .

[أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمد بن الحسن الأَحْوَل عن ابن الأعرابيّ قال : أغار عمرو بن كلثوم التغلبيّ على بني تميم ثم مرّ من غَزوه ذلك على حيٍّ من بني قيس بن ثعلبة ، فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسَبايا ؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جَنْدَل السَّعديّ ، ثم انتهى إلى بني حَنِيفَة باليمامة وفيهم أُناس من عِجْل ، فسمِع به أهلُ حَجْر[5] ؛ فكان أوّل مَن أتاه من بني حنيفةَ بنو سُحَيم عليهم يزيد بن عمرو بن شِمْر . فلما رآهم

---

1 قسطوا : جاروا .
2 أفنون : لقب صريم بن معشر بن ذهل بن تيم بن عمرو بن تغلب .
3 ليلى في ل : أمّي .
4 أصلت السيف : جرّده من غمده . المخنّق : موضع حبل الخنق من العنق .
5 حَجْر : عاصمة اليمامة .

عمرو بن كلثوم ارتجز فقال : [من الرجز]

مَـنْ عاذَ منّي بعدَها فلا اجْتَبَرْ ولا سقى الماء ولا أَرعى الشَّجَرْ
بنـو لُجَيْـمٍ وجعاسيسُ مُضَرْ بجانب الدَّوِّ يُدَهْدُون العَكَرْ[1]

فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعنَه فصرَعه عن فرسه وأَسَره . وكان يزيد شديداً جسيماً ، فشدّه في القِدّ وقال له : أنت الذي تقول : [من الوافر]

متـى تُعْقَـدْ قَرينتُـا بحَبْـلٍ تَجُـذَّ الحبـلَ أو تَقِصِ القَرينا[2]

أما إنّي سأقرِنك إلى ناقتي هذه فأطرُدُكما جميعاً . فنادى عمرُو بن كلثوم يا لَربيعةَ ! أُمْثْلة ! . قال : فاجتمعت بنو لُجَيْم فَنَهَوْه ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى أتى قَصْراً بحَجْرٍ من قصورهم ، وضرب عليه قُبّة ونَحَر له وكساه وحمَله على نجيبه وسقاه الخمر . فلمّا أخذتْ برأسه تغنّى : [من الوافر]

أأَجْمَعَ صُحْبَتي السَّحَرَ ارتحالا ولم أَشعُرْ بِبَيْنٍ منـكِ هالا[3]
ولَـم أَرَ مثـل هالـةَ في مَعَدٍّ أُشَبِّـه حسنَهـا إلاّ الهِلالا
ألا أَبلِغْ بنـي جُشَمَ بنِ بكرٍ وتَغْلِبَ كلّمـا أَتَيـا حِلالا[4]
بأنّ الماجِـدَ القَرْمَ ابنَ عمرٍو غداةَ نَطاعِ قد صدَق القِتالا[5]
كَتِيبَتُـه مُلَمْلَمَـةٌ رَداحٌ إذا يرمونهـا تُفْنِي النِّبالا[6]
جزى اللهُ الأَغَـرَّ يزيدَ خيراً ولَقّـاه المَسَرَّةَ والجَمـالا
بمأخِذِه ابنَ كُلْثوم بنِ عَمْرٍو يزيـدَ الخيرِ نازلَـه نِزالا
بجمعٍ مـن بنـي قُرّانَ صِيدٍ يَجِيلون الطَعـانَ إذا أَجالا[7]
يزيـد يقـدم السفراء حتى يُرَوِّي صَدْرَهـا الأَسَلَ النِّهالا

1 هو لجيم بن صعب ؛ وحنيفة أبو القبيلة أحد أولاده . الجعاسيس : اللئام الخَلْق والخُلُق . واحدها جعسوس . يدهدون : يدحرجون ويقلبون .
2 في الديوان ص 65 والمعلقات العشر ص 312 : متى نَعْقِدْ . . . نجذّ .
3 أي هالة .
4 حِلال : جمع حِلّة وهي البيوت ومجتمع القوم .
5 نَطاع : أرض .
6 ململمة : مجتمعة . ورداح : ثقيلة جرارة .
7 قُرّان : حصن باليمامة .

[حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مرّ ببني تغلب فلم يكرموه]

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا الأَحْوَل عن ابن الأعرابيّ قال : زعموا أنّ بني تَغْلِبَ حاربوا المُنْذِرَ بنَ ماء السماء فلحِقوا بالشام خوفاً منه . فمرّ بهم عَمْرو بن أبي حُجْر الغَسّانيّ ، فتلقّاه عمرو بن كلثوم . فقال له : يا عَمْرو ، ما منعَ قومَكَ أن يتلقَّوْني ؟! فقال له : يا عمرو يا خيرَ الفِتيان ، فإن قومي لم يستيقظوا لحربٍ قطُّ إلاّ عَلا فيها أمرُهم واشتدّ شأنُهم ومَنَعوا ما وراء ظهورهم . فقال له : أيقاظ نَوْمةٍ ليس فيها حُلم ، أجتثّ فيها أصولَهم ، وأنفي فلَّهم[1] إلى اليابس الجَرَدِ ، والنازح الثَّمَدِ[2] . فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول : [من الوافر]

ألا فاعلَمْ أَبيْتَ اللَّعْنَ أنّا … على عَمْدٍ سنأتي ما نُرِيدُ
تَعَلَّمْ أنّ مَحْمَلَنا ثقيلٌ … وأنّ زنادَ كبتنا شديدُ[3]
وأنّا ليس حَيٌّ من مَعَدٍّ … يُوازينا إذا لُبِس الحديدُ

[هجاؤه للنعمان بن المنذر]

قال : وقال ابن الأعرابيّ : بلغ عمرَو بن كلثومٍ أنّ النُّعمان بن المُنذِر يتوعّده ، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه : [من الطويل]

ألا أَبلِغِ النُّعْمانَ عنّي رسالةً … فمَدْحُكَ حَوْلِيٌّ وذَمُّك قارِحُ[4]
متى تَلْقَني في تَغْلِبَ ابنةِ وائلٍ … وأشياعها ترقى إليك المسالحُ[5]

وهجا النُّعمان بن المنذر هجاءً كثيراً ، منه قوله يعيِّره بأُمّه سُلَيمى : [من البسيط]

حَلَّتْ سُلَيْمى بخَبْتٍ بعد فِرْتاجٍ … وقد تكون قديماً في بني ناجٍ[6]
إذ لا تُرَجِّي سُلَيْمى أن يكونَ لها … مَنْ بالخَوَرْنَقِ من قَيْنٍ ونَسَّاجِ
ولا يكونَ على أبوابها حَرَسٌ … كما تلفَّف قِبْطيٌّ بِديباجِ
تمشي بِعِدْلَيْنِ من لُؤْمٍ ومَنْقَصةٍ … مَشْيَ المقيَّدِ في اليَنْبُوت والحاجِ[7]

قال وقال في النعمان : [من الطويل]

---

1 الفل : القوم المنهزمون . والجَرَد : من الأرض ما لا ينبتَ .
2 النازح : الذي نفد ماؤه . والثمد : الماء القليل الذي لا مادّ له .
3 الكبة : الحملة في الحرب والدفعة في القتال .
4 الحَوْليّ : ما أتى عليه حول . والقارح من ذي الحافر : الذي شقّ نابه .
5 المسالح : جمع مسلحة ، وهي القوم ذوو السلاح .
6 الخبت من الأرض : المطمئن . وفرتاج : موضع . وبنو ناج : بطن من عدوان .
7 الحاج : الشوك أو ضرب منه .

لحا الله أدنانا إلى اللُّؤْمِ زُلْفةً وألأَمَنا خالاً وأعجزنا أَبا[1]
وأجْدَرَنا أن ينفُخَ الكِيرَ خالُه يصوغُ القُروطَ والشُّنوفَ بِيَثْرِبا

[وفاته ونصيحته لبنيه]

أَخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا أَحمد بن سعيد الدِّمَشْقيّ قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثني عليّ بن المُغيرة عن ابن الكلبيّ عن رجل من النِّمر بن قاسط قال: لمّا حضرت عمرَو بنَ كلثوم الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائةُ سنة، جمع بنيه فقال: يا بَنيَّ، قد بلغتُ من العمر ما لم يبلُغْه أحدٌ من آبائي، ولا بدّ أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت. وإنّي والله ما عيّرت أحداً بشيء إلاّ عُيِّرتُ بمثله، إن كان حقّاً فحقّاً، وإن كان باطلاً فباطلاً. ومَنْ سَبَّ سُبَّ؛ فكُفُّوا عن الشتم فإنّه أسلمُ لكم، وأَحْسِنوا جِوارَكم يحسُن ثناؤكم، وامنعوا من ضَيْم الغريب؛ فربَّ رجلٍ خيرٌ من ألف، وردٍّ خيرٌ من خُلْف، وإذا حُدِّثْتم فَعُوا، وإذا حَدَّثتم فأَوجِزوا، فإن مع الإكثار تكون الأهذار[2]. وأشْجَعُ القوم العَطُوفُ بعد الكَرّ، كما أنّ أكرم المنايا القتل. ولا خير فيمن لا رَوِيّةَ له عند الغَضَب، ولا مَنْ إذا عُوتِبَ لم يُعْتِب[3]. ومن الناس مَن لا يُرْجى خيرُه، ولا يُخافُ شرُّه؛ فبَكْؤُه[4] خيرٌ من دَرِّه، وعقوقُه خيرٌ من بِرِّه. ولا تتزوّجوا في حَيِّكم فإنّه يؤدّي إلى قبيح البُغْض.

صوت

[من الكامل]

لِمَنِ الدّيارُ بِبُرْقةِ الرَّوْحانِ إذ لا نَبيعُ زمانَنا بزمانِ[5]
صدَعَ الغواني إذ رَمَيْنَ فؤادَه صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَداني
إن زرتُ أهلَكِ لم أُنوَّلْ حاجةً وإذا هجرتُكِ شفَّني هِجْراني

الشعر لجرير يهجو الأخطلَ ويردّ عليه حكومتَه التي حكم بها للفرزدق عليه. والغناء، فيما ذكره عليّ بن يحيى المنجّم في كتابه الذي لقّبه بالمحدَث، لمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى، وذكر الهشاميّ أنّه لحُنَيْن، قال ويقال: إنّه لمعبد. وفيه ليزيد حَوْراء لحنٌ ذكره عبد الملك بن موسى عنه، وقال: لا أدري أهو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل. وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيلَ الأوّل للغَرِيض وأنّ خفيف الرمل بالبنصر للدَّلالِ.

---

1 الزلفة: القربة والدرجة والمنزلة.
2 الأهذار: جمع هذر وهو سقط الكلام.
3 الإعتاب: إرضاء العاتب والاسم منه: العتبي.
4 أصل البكء: قلة اللبن أو انقطاعه.
5 برقة الروحان: روضة باليمامة.

[176] ـ ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل

[سبب التهاجي بين جرير والأخطل]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدَّثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حبيبَ عن أبي عُبيدة وعن أبي غسّان دَماذٍ عن أبي عُبيدة ، وأخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثنا أبو ذَكْوان القاسم بن إسماعيل قال حدَّثنا أبو غسّان عن أبي عُبَيدة ، وأخبرنا الصُّوليّ عن إبراهيم بن المُعَلّى الباهليّ عن الطوسيّ عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ ، وقد جمعتُ رواياتهم . قال أبو عبيدة حدَّثني عامر بن مالك المِسْمَعِيّ قال : كان الذي هاج التهاجِيَ بين جريرٍ والأخطلِ أنّه لمّا بلغ الأخطلَ تَهاجِي جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ ، وهو أكبر ولده وبه كان يُكْنى : انْحَدِرْ إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتِيَني بخبرهما . فانحدر مالكٌ حتى لقِيهما وسمع منهما ثم أتى أباه . فقال له : كيف وجدتَهما ؟ قال : وجدتُ جريراً يغرِف من بَحْر ، ووجدت الفرزدق ينحِت من صخر . فقال الأخطلُ : الذي يغرِف من بحرٍ أشعرُهما ؛ وقال يفضِّل جريراً على الفرزدق : [من البسيط]

إنّي قضيتُ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ ... لَمّا سمعتُ ولَمّا جاءَني الخَبَرُ
أنّ الفرزدقَ قد شالت نَعامَتُه ... وعضّه حيَّةٌ من قومه ذَكَرُ

وفي رواية ابن الأعرابيّ «قد سالَ الفُراتُ به» . قال أبو عبيدة : ثم إنّ بِشْرَ بن مَروان دخل الكوفة ، فقدِم عليه الأخطلُ ، فبعث إليه محمد بن عُمَير بن عُطارِد بن حاجب بن زُرارة بألف درهم وكُسْوة وبَغْلة وخَمْر ، وقال له : لا تُعِنْ على شاعرنا ، واهجُ هذا الكلبَ الذي يهجو بني دارم ؛ فإنّك قد قضيتَ على صاحبنا ، فقُلْ أبياتاً . واقضِ لصاحبنا عليه . فقال الأخطل : [من الكامل]

أجريرُ إنّكَ والذي تسمو له ... كأُسيفةٍ فَخَرتْ بحِدْجِ حَصانِ[1]
عَمِلتْ لربَّتِها فلمّا عُولِيتْ ... نَسَلتْ تعارضها مع الرُّكْبانِ[2]

1 الأسيفة : الأمة . والحِدج : مركب من مراكب النساء يشبه المحفة . والحصان : العفيفة أي الحرة التي تقابل الأمة .

2 عملت في الديوان : «حملت» . وربتها : سيدتها . وعوليت : رفعت . ونسلت : أسرعت في المشي .

أَتَعُدُّ مأثرةً لغيرك فخرُها ... وثناؤهـا في سالف الأَزمانِ
تاجُ الملوك وفخرُهم في دارمٍ ... أيَّامَ يَرْبوعٌ مع الرُّعيانِ[1]

وهي طويلة يقول فيها : [من الكامل]

فاخسَأْ إليك كُلَيْبُ إنّ مُجاشِعاً ... وأَبا الفوارس نَهْشَلاً أَخَوانِ
سبقوا أَباك بكلّ أَعْلى تَلْعةٍ ... في المجدِ عند مَواقف الرُّكبانِ[2]
قومٌ إذا خَطَرتْ عليك قُرومُهم ... أَلقتْكَ بين كَلاكِلٍ وجِرانِ[3]
وإذا وضعتَ أَباك في ميزانهم ... رجَحوا وشال أَبوك في الميزانِ[4]

وقال جرير يرُدّ حكومة الأخطل : [من الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ ببُرْقةِ الرَّوْحانِ ... إذ لا نَبيعُ زمانَنا بزمانِ[5]

وهي طويلة يقول فيها : [من الكامل]

يا ذا الغباوة إنّ بِشْراً قد قَضى ... ألاّ تجوزَ حكومةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومة لَسْتُمُ من أَهلها ... إنّ الحكومةَ في بني شيبانِ
قتلوا كُلَيْبَكُمُ بِلقْحَةِ جارِهم ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بِهِجانِ[6]

[قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها]

ومّما غُنّي فيه من نقائض جرير والأخطل : [من الطويل]

صوت

أَناخُوا فجَرُّوا شاصِياتٍ كأنّها ... رجالٌ من السُّودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا
فقلتُ اصْبَحُوني لا أَبا لأَبيكمُ ... وما وضعوا الأثقالَ إلاّ ليفعلوا[7]
تمرُّ بها الأيدي سنِيحا وبارحاً ... وتُرْفَعُ باللهُمَّ حَيَّ وتُنْزَلُ

الشاصيات : الشائلات القوائم من امتلائها . وعَنى بالشاصيات هاهنا الزِّقاق ، لأنّها إذا

1 صدر البيت في الديوان : في دارم تاج الملوك وصهرها . يربوع : جد لجرير .
2 أعلى تلعة في الديوان : مجمع تلعة .
3 الجران : باطن عنق البعير أو مقدمه من مذبحه إلى منحره .
4 شَوَلان الميزان : ارتفاع إحدى كفتيه .
5 برقة الروحان : روضة باليمامة .
6 اللقحة : الناقة الحلوب . والخُزر : جمع أخزر ؛ والخَزَر : صغر العين وضيقها . والهجان : البيض الكرام .
7 الأثقال : الأمتعة ، واحدها ثَقَل .

امتلأت شالت أكارعُها ؛ يقال : شَصا برجلِهِ إذا رفعها ، وشَصا ببصره إذا شخَص ؛ قال الراجز يصف الشاخصَ : [من الرجز]

وبَقَـــرٍ خَمـــاصِ يَنْظُرْنَ من خَصاصِ[1]
بـــأعيُنٍ شَواصِـي كفِلَـــق الرَّصاصِ

والسانح والسنيح : ما جاء عن يمينك يريد شمالَك . والبارح : ما جاء عن شِمالك يريد يمينَك . والجابِهُ : ما جاء من أمامك مواجهاً لك . والقَعِيدُ والخَفِيفُ : ما جاء من ورائك . شبّه دَوْرَ الكأس واختلافَها بينهم بالسوانح والبوارح . الشعر للأخطل . والغناء لمالك ، فيه لحنان كلاهما له : أحدُهما رَمَل بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الوِلاء من رواية إسحاق ، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الثالث ثم الأوّل والثاني عن عمرو . وذكر عمرو أنّ الرملَ أيضاً لابن سُريج وأنّه بالوسطى . وفيه لإبراهيم رملٌ بالبنصر في الأوّل والثاني عن الهشاميّ وعمرو . وفيه لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

ومنها : [من البسيط]

صوت

خَفّ القَطِينُ فراحُوا منك أو بَكَرُوا وأَزعجتْهم نَـوًى في صَرْفها غِيَرُ
كأنَّنِـي شارِبٌ يـوم استُبِدَّ بهـم من قَرْقَفٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ[2]
جادت بها من ذوات القارِ مُتْرَعَةٌ كَلْفاءُ يَنْحَتُّ من خُرْطومها المَدَرُ
يا قاتـلَ اللّهُ وَصْلَ الغانياتِ إذا أيقنَّ أنّك ممّن قَـــد زَها الكِبَرُ
أعْرَضْنَ لمّـــا حنى قَوْسي مُوَتِّرُها وابيضَّ بعـــد سواد اللِّمّـةِ الشَّعَرُ

استُبِدَّ بهم أي غُلِبَ عليهم . والقَرْقَفُ : التي تأخذ شاربَها رِعدة لشِدَّتها . والكَلْفاءُ : الخابِيةُ في لونها كَلَفٌ[3] . وقوله «زَها الكِبَرُ» يعني استخفّه وأضعفه ؛ يقال : زَهاه وازْدَهاه . وقال أبو عُبَيدة : الأصل في زَهاهُ رَفَعه ؛ فكأنّه أراد أنّه رفعه في علوّ سِنّه عمّا يُرِدْنَ منه . واللِّمّة : الشعر المجتمع .

1 خماص : ضامرات البطون ، الواحد خَمصان للذكر ، وخمصانة للمؤنث . الخصاص : الخروق ، واحدها خصاصة .
2 قرقف : في ل : قهوة .
3 الكلف : حمرة كدرة ، أو هو لون بين السواد والحمرة .

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مَروان ويهجو قَيْساً وبني كُلَيْب ، ويقول فيها : [من البسيط]

أمّا كُلَيْبٌ بنُ يَرْبُوعٍ فليس لها عند التفاخُرِ إيـرادٌ ولا صَدَرُ[1]
مُخَلَّفُون ويقضِي النـاسُ أمرَهُمُ وهُمْ بغَيْبٍ وفي عَمْياءَ ما شَعَروا
مُلَطَّمُون بأعقـارِ الحِياضِ فمـا ينفكُّ مـن دارِمِيٍّ فيهمُ أثَرُ[2]
بئس الصُّحاةُ وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ إذا جرى فيهـمُ المُزَّاء والسَّكَرُ
قومٌ تناهتْ إليهـم كلُّ مُخْزِيَةٍ وكلُّ فاحشةٍ سُبَّت بهـا مُضَرُ
الآكلـون خبيثَ الزَّادِ وحدَهُـمُ والسائلونَ بظَهْرِ الغَيْبِ مـا الخبرُ

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدَّمه ومّما غُلِّب فيه على جرير . وقد احتاج جريرٌ إلى سلخ بيته هذا الأخير فردَّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة ، وضمّنه بيتين من شعره فقال : [من البسيط]

الآكلون خبيثَ الزَّادِ وحدَهـمُ والنّازلـونَ إذا واراهُـمُ الخَمَرُ[3]
والظاعنون على العَمْياء إن رَحَلُوا والسائلون بظهر الغيب مـا الخبرُ

وفي هذه القصيدة يقول الأخطلُ يمدح عبدَ الملك : [من البسيط]

إلى امـرىء لا تُعَرِّينـا نوافلُه أظْفَره الله فَلْيَهْنِىءْ لـه الظَّفَرُ
الخائِضُ الغَمْر والميمـون طائرُه خليفـةُ الله يُسْتَسْقى بـهِ المطرُ
والهَمُّ بعـد نَجِـيِّ النفس يَبْعَثه بالحَزْم والأصمَعانِ القلبُ والحَذَرُ[4]
ومـا الفُراتُ إذا جاشتْ غواربهُ في حافَتَيْهِ وفي أوساطِـهِ العُشَرُ[5]
وزعزعته رياحُ الصَّيْفِ واضطربتْ فوق الجآجىء مـن آذِيِّه غُدُرُ[6]

---

1 عند التفاخر في الديوان سند التفارط : التقدم في الماء .

2 الأعقار : جمع عُقْر وهو مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت ، أو هو مقام الشاربة منه .

3 الخَمَر : واراك من شجر وغيره .

4 الأصمعان : القلب والحذر .

5 جاشت : هاجت . والغوارب : المتون ؛ يريد أمواجه وأعاليه ، وفي الديوان : حواليه . والعشر : الشجر .

6 زعزعته : حركته ، وفي الديوان : ذعذعته . الجآجىء : الصدور ، واحدها جؤجؤ . والآذي : الموج . والغُدر : جمع غدير .

مُسْحَنْفِرٌ مــن جبالِ الرومِ يستره   منها أُكافِيفُ فيهــا دونــه زَوَرُ[1]
يومــاً بأجْوَدَ منــه حــين تسألُه   ولا بأجهــرَ منــه حين يُجْتَهَرُ
في نَبْعةٍ من قُرَيشٍ يَعْصِبون بها   ما إن يُوازَى بأعْلى نَبْتها الشجرُ[2]
حُشدٌ على الخير عَيّافو الخَنا أُنُفٌ   إذا أَلَمتْ بهــم مكروهةٌ صَبَروا
لا يَسْتقلّ ذوو الأضغــان حربَهمُ   ولا يُبَيَّــنُ في عِيدانهــم خَوَرُ[3]
شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهــم   وأعظمُ الناسِ أَحلاماً إذا قَدَروا[4]

[مدح الرشيد بيتاً للأخطل]

أَخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن أبيه : أنّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجُلسائه : أيُّ بيت مُدِح به الخلفاءُ منّا ومن بني أُميّةَ أَفخرُ ؟ فقالوا وأَكثروا . فقال الرشيد : أَمْدَحُ بيتٍ وأفخرُه قولُ ابن النَّصْرانِيّة في عبد الملك : [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

[مدح آدم بن عمر بن عبد العزيز بيتاً للأخطل في مجلس المهديّ فأغضبه]

أُخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مهرويه قال حدَّثني أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : قال المهديّ يوماً وبين يديه مَروان بن أبي حَفْصة : أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور : [من الطويل]

له لَحَظاتٌ عــن حِفافَيْ سَرِيرِه   إذا كرّهــا فيهــا عِقابٌ ونائلُ

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال : هيهاتَ والله يا أَمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابنُ هَرْمة كما قال الأخطل : [من البسيط]

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُسْتقاد لهــم   وأعظمُ الناسِ أحلامــاً إذا قَدَرُوا

قال : فغضِب المهديّ حتى استشاط وقال : كذَبَ والله ابنُ النَّصرانيّة العاضُّ بَظْر أُمِّه وكذبتَ يا عاضَّ بَظْرِ أُمِّك ! والله لولا أن يقال : إنّي خَفَرتُ[5] بك لعرّفتك مَن أكثر شعراً !

1 مسحنفر : سريع الجري . جبال في ل : بلاد . أكافيف الجبل : حيوده أو حروفه الناتئة في أعرضه . والزَّوَر : الميل .
2 النبع : نوع من الشجر . يعصبون بها : يطيفون بها ويلزمونها .
3 استقلّ الشيء : حمله .
4 شُمس : جمع شَموس ، وهو من الرجال العسر في عداوته ، الشديد الخلاف على من عانده .
5 ل : خرقت . وخفرت فلاناً وخفرتَ به إذا أجرته وأمنته .

خذوا برجل ابن الفاعلة فأَخْرِجوه عنّي ! فأخرَجوه على تلك الحال ، وجعل يشتُمه وهو يُجَرُّ ويقول : يا ابنَ الفاعلة ! أَراها في رؤوسكم وأنفسكم !

صوت

[من البسيط]

إنِّي أَرِقتُ ولم يأْرَق معي صاح ... لِمُسْتَكِفٍّ بُعَيْـدَ النَّـومِ لَوّاحِ
دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْـقَ الأرضِ هَيْدَبُه ... يكاد يدفعـه مَـنْ قـام بالرَّاحِ

عروضه من البسيط . الشعر لأَوْس بن حَجَر ، وهكذا رواه الأصمعيّ ، أَخبرنا بذلك اليزيديّ عن الرِّياشيّ عنه ، ووافقه بعض الكوفيين ، وغير هؤلاء يرويه لعَبِيدِ بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولحسين بن مُحْرِز لحنٌ في البيت الثاني وبعده :

إنْ أَشْرَبِ الخمرَ أو أُغْلى بها ثمناً ... فـلا مَحالـةَ يومـاً أنّني صاحِ

وطريقته خفيف رمل بالوسطى .

قوله : مُسْتَكِفّ : يعني مستديراً ؛ وكلُّ طُرّة كِفَّة . أُخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا مهدي يقول وهو يصف شُجاعاً[1] عرض له في طريقه : تبعني شجاعٌ من هذه الشُّجعان ، فمرّ خلفي كأنّه سهمٌ زالج ، فحِدتُ عنه ، واستكفّ كأنّه كُفّةُ حابلٍ ، فرميته فنظرت ثلاثة أثنائه[2] . وكذلك يقال كُفَّة الحابل وكِفَّة الميزان بالكسر ، والأولى مضمومة . ولوّاح : من قولهم لاحَ يلوحُ إذا ظهر . ومسفّ : قد أَسَفّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرُب منها أو دنا إليها ؛ ومن هذا يقال : أَسَفّ الطائر إذا طار على وجه الأرض ؛ ويقال ذلك للسهم أيضاً . وهَيْدَبُه : الذي تراه كالمتعلّق بالسحاب . يقول : هذا السحاب يكاد من قام أن يمسّه ويدفعه براحته لقربه من الأرض ؛ وهو أحسن ما وُصِف به السحاب .

---

1 الشجاع : الحية الذكر ، أو الحية مطلقاً ، أو هو ضرب من الحيات .
2 أثناء الحية : مطاويها إذا تحوّت وتثنّت ، واحدها ثِني . ويقال أيضاً مثاني الحية ، جمع مَثناة .

[177] ـ ذكر أوس بن حجر[1] وشيء من أخباره

[نسبه]

وقد اختُلِفَ في نسبه ، فقال الأصمعيّ ، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ عن الرياشيّ عنه : هو أَوْسُ بن حَجَرِ بن مالك بن حَزْن بن عُقَيْل بن خَلَف بن نُمَير . وقال ابن حبيب ، فيما ذكره السكّريّ عنه ، : هو أوس بن حجر من شعراء الجاهليّة وفحولها .

[منزلته في الشعر]

وذكر أبو عُبيدة أنه من الطبقة الثالثة ، وقرَنه بالحُطَيْئة ونابغة بني جَعدة .

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال قال أبو عبيدة حدَّثنا يونس عن أبي عمرو قال : كان أَوْسٌ شاعرَ مضر حتى أسقطه النابغة وزُهَير ، فهو شاعر تميم في الجاهلية غير مُدافَع .

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا عمرو يقول : كان أَوْس بن حَجَرٍ فَحْلَ الشعراء ؛ فلمّا نشأ النابغةُ طأطأ منه . وأمّا الكلبيّ فإنّه زعم أنّ من هذه الطبقة لَبِيدَ بن رَبيعة والشَّمَّاخ بن ضِرار . قال : وتميم إلى الآن مقيمةٌ على تقديم أَوْس . قال : ومنهم مَن يقول بتقديم عَدِيّ ؛ وأنشد لحارثةَ بن بَدْرٍ الغُدانيّ : [من الكامل]

والشِّعْرُ كان مَبِيتُه ومَظَلُّهُ   عند العِباديّ الذي لا يُجْهَلُ

وقال يعقوب بن سليمان قال حمّاد : أدركتُ رجالاً من بني تميم لا يفضِّلون على عديّ في الشعر أحداً .

أخبرني اليزيديّ عن الرِّياشي عن الأصمعيّ قال : تميم تروي هذه القصيدةَ الحائيّة لعَبِيدٍ ، وذلك غلطٌ ؛ ومن الناس من يخلِطها بقصيدته التي على وزنها ورويِّها لتشابههما .

[تمثلت فتاة أعرابية بشعر له في السحاب]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سَعيدٍ السُّكَّريّ قال حدَّثنا عليّ بن الصبَّاح قال حدَّثني عُبَيد الله بن الحسين بن المسوّد بن وَرْدان مولى رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قال : خرج أعرابيٌّ مكفوف ومعه ابنةُ عمٍّ له لِرَعْي غنمٍ لهما . فقال الشيخ : أجد ريحَ النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظري . فقالت : أراها كأنها رَبْرَبُ مِعْزى هَزْلى . قال :

1 انظر في أخباره : الشعر والشعراء 1/202–209 ، والخزانة 2 : 235–236 ومعاهد التنصيص : 61–65 .

ارْعَـيْ واحـذَري . ثـم قال لها بعد ساعة : إنّـي أجد ريح النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظُري . قالت : أراها كأنها بِغالٌ دُهْمٌ تجرّ جِلالَها . قال : ارْعَيْ واحذَري . ثم مكث ساعةً ثم قـال : إنّي لأجـد ريح النسيم قـد دنا ، فانظُـري . قالت : أراها كأنها بطن حمارٍ أَصْحَر . فقال : ارْعَيْ واحذَري . ثم مكث ساعةً فقال : إنّي لأجد ريح النسيم ، فما ترين ؟ قالت : أراها كما قال الشاعر : [من البسيط]

دانٍ مُسِفٌّ فويقَ الأرضِ هيدبُه ... يكاد يدفعه مَـنْ قام بالراحِ
كأنّما بـين أعـلاهُ وأسْفَلِهِ ... رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ أو ضوءُ مصباحِ
فمَـنْ بمَحْفِلـه كمَن بنَجْوتِهِ ... والْمُسْتَكِنّ كَمَنْ يمشي بقِرواحِ

فقال : انْجِي لا أبا لك ! فما انقضى كلامُه حتى هطلت السماء عليهما .

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعيّ .

معنى قول الجارية «كأنّها بطن حمار أصحر» : تعني أنه أبيض فيه حمرة . والصحرة لونٌ كذلك . وقوله : «فَمَنْ بمَحْفِله كمَن بنجوته» : يعني مَن هو بحيث احتفل السيلُ ، واحتفـالُ كلّ شيء مُعْظَمُه ، كمن في نجوته . وقد رُوِي «بمَحْفشه» ، وهما واحد ، ومعناهما مجرى معظم السيل . يقول : فمَنْ هو في هذا الموضع منه كمَن بنَجْوته (أي ناحية عنه) سواء لكثرة المطر . والقِرْواح : الفضاء ؛ يقال قِرْواحٌ وقِرْياحٌ . ويقال في معنى المَحْفِش . حَفَشت الأوديةُ إذا سالت ، وتحفّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه .

[كان يسير ليلاً فصرعته ناقته ، فأكرمه فضالة بن كلدة ، فمدحه]

أُخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني عليّ بن أبي عامر السَّهْميُّ المصريُّ قال حدّثني أبو يوسف الأصبهانيّ قال حدّثني أبو محمد الباهليّ عن الأصمعيّ ، وذكر هذا الخبر أيضاً التَّوَّزيّ عن أبي عُبيدة ، فجمعت روايتيهما ، قالا : كان أَوْس بن حجر غَزِلاً مُغْرماً بالنساء ؛ فخرج في سفر ، حتى إذا كان بأرض بني أَسَدٍ بين شَرْجٍ وناظِرة[1] ، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فَصَرعته فاندقّت فخذاه فبات مكانه ؛ حتى إذا أصبح غَدا جَوارِي الحيّ يجتنين الكَمْأة وغيرَها من نبات الأرض والناس في ربيع . فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد علِق زمامها في شجرة وأبصرنه مُلْقًى ، ففزِعن فهَرَبن . فدعا بجارية منهن فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا حَليمة بنت فَضالة بن كَلَدة ، وكانت أصغرَهن ؛ فأعطاها حَجَراً وقال لها : اذهبي إلى أبيك فقولي له : ابنُ هذا يُقرِئك السلام . فأخبرته فقال : يا بُنيّة ،

1 شرج وناظرة : موضعان .

لقد أتيت أباكِ بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهلُه حتى بنى عليه بيتَه حيث صُرِع وقال : والله لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ . فقال أوس بن حجر في ذلك : [من المتقارب]

جُدِلتُ على ليلةٍ ساهره ... بصحراء شَرْجٍ إلى ناظره[1]
تُزاد لَيالِيّ في طُولها ... فليست بطَلْقٍ ولا ساكره[2]
أنوءُ برجل بها ذِهْنُها ... وأعيتْ بها أُختُها الغابره[3]

وقال في حَليمة : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما مَلَّتْ ثَواءَ ثَوِيِّها ... حليمةُ إذ أُلْقى مَراسيَ مُقْعَدِ[4]
ولكن تَلَقَّتْ باليدين ضَمانَتي ... وحَلَّ بشَرْجٍ مِ القبائلِ عوَّدِي[5]
ولم تُلْهِها تلك التكاليفُ إنّها ... كما شئتَ من أكرومةٍ وتَخَرُّدِ[6]
سأجزيكِ أو يَجْزيكِ عنّي مُثَوِّبٌ ... وقَصْرُكِ أنْ يُثْنى عليكِ وتُحْمَدِي[7]

[رثى فضالة بن كلدة حين مات]

قالا : ثم مات فَضالةُ بن كَلَدة ، وكان يكنى أبا دُلَيجة ، فقال فيه أُوْس بن حَجَرٍ يرثيه : [من البسيط]

يا عينُ لا بدّ من سَكْبٍ وتَهْمالِ ... على فَضالةَ جَلّ الرُّزْءِ والعالي

ويروى «عَيْنَيّ» . العالي : الأمر العظيم الغالب . وهي طويلة جدّاً . وفيها ممّا يغنّى فيه : [من البسيط]

صوت

أبا دُلَيْجةَ مَنْ تُوصِي بأرملةٍ ... أم مَنْ لأشْعَثَ ذي طِمْرَيْنِ مِمْحالِ[8]
أبا دُلَيجةَ مَنْ يكفي العشيرةَ إذ ... أمسَوْا من الأمر في لَبْسٍ وبَلْبالِ

---

1 الجدل : الصرع ، وفي ل : خذلت .
2 ليلة طلق وطلقة : طيبة لا حرّ فيها ولا برد ولا مطر ولا قرّ ؛ ويقال : يوم طلق . وليلة ساكرة : ساكنة الريح .
3 الذهن : القوة . والغابرة : الباقية .
4 الثواء : الإقامة . والثويّ هنا : الضيف . المقعد : الذي به داء يقعده ، وفي الديوان : مقعدي .
5 الضمانة : الداء في الجسد من كبر أو بلاء أو غير ذلك .
6 التخرّد : الحياء والخفر .
7 المثوّب : الذي يعطي المحسن ثواب ما عمل . قصرك : غايتك وكفايتك .
8 الطمر : الثوب الحلق . وممحال : مجدب . أي فقير .

لا زال مِسْكٌ ورَيْحانٌ لـه أَرَجٌ   على صَداكَ بصافي اللَّون سَلْسالِ[1]

غنّى فيه دَحْمان خفيفَ رمل بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رَمَلاً بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رملاً بالبنصر ، ولداود بن العبّاس ثاني ثقيل ، ولابن جامع خفيف ثقيل .

ومن فاضل مراثيه إيّاه ونادِرها قوله : [من المنسرح]

أيَّتُها النفسُ أَجمِلِــي جَزَعـا   إنّ الذي تَكْرَهــين قــد وقعا
إنّ الذي جَمَّع السماحةَ والـ   ـنَّجْدَةَ والحزمَ والقُوى جُمَعا
المُخْلِــفَ المُتْلِــفَ المُـرَزَّأَ لم   يُمْتَعْ بضَعْفٍ ولَم يَمُتْ طَبِعا[2]
أَوْدى وهل تنفع الإشاحةُ مِنْ   شيءٍ لمن قــد يُحاول البِدَعا[3]

وهي قصيدة أيضاً يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته . وله فيه قصائد غير هذه .

صوت

[من الطويل]

رأيتُ زُهَيْراً تحـت كَلْكَلِ خالـدٍ   فأَقبلــتُ أَسعـى كالعَجُولِ أُبادِرُ
فشَلَّتْ يميني يوم أَضرِبُ خالداً   ويمنعــه منّــي الحديـدُ المُظاهَرُ

عروضه من الطويل . الشعر لوَرْقاء بن زُهير . والغناء لكَرْدَمٍ ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد ، وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم ، وروى عن أبيه عن سِياط عن يونس أنه أخذه من كَرْدَمٍ وأعلمه أنّ الصنعة فيه له .

---

1 الصدى هنا : جثة الميت في قبره .

2 المخلف المتلف : يريد أنه يتلف ماله كرماً ، ويخلفه نجدة . المرزأ : الذي تناله الرزايا في ماله بسبب العطاء . والإمتاع : الإقامة . والطبع : الدّنس .

3 الإشاحة : الحذر .

[178] ـ خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا

[نسبه]

هو وَرْقاء بن زُهَير بن جَذيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن مازِن بن الحارث بن قُطَيْعة بن عَبس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان ، يقوله لمّا قَتل خالد بن جعفر بن كِلاب بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة ، أباه زهير بن جَذيمة . وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر قالا حدَّثنا عمر بن شبّة ، ونسخت بعض هذا الخبر عن الأَثْرَم وروايةِ ابن الكلبيّ ، وأضفتُ بعضَ الروايات إلى بعض إلاّ ما أفردته وجلبته عن راويه . قال أبو عبيدة حدّثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عَبْد بن جُلْهُمة بن حَدّاق بن يربوع بن سَعْد بن تَغْلِب بن سَعد بن عَوف بن جِلاّن بن غَنْم بن أَعْصُر ، قال حدَّثني أبي عبد الواحد وعمِّي صَفْوانُ ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمّن أدرك شأْسَ بن زُهَير . قال : كان مولد عاصم قبل مبعث النبيّ ﷺ ، وكان عاصم جاهليّاً . قال : وقال عبد الحميد حدَّثني سيّار بن عمرو أحد بني عبيد بن سَعْد بن عَوف بن جِلاّن بن غَنْم . قال أبو عبيدة : وكان أَعْلَمَ غَنيٍّ ، عن شيوخهم .

[مقتل شأس بن زهير أخيه]

أنّ شأْسَ بن زُهَير بن جذيمة أقبل من عند ملك ، قال أبو عبيدة : أُراه النُّعمان ، وكان بينه وبين زُهَير صِهْر ، قال أبو عبيدة : ثم حدَّثني مرّة أُخرى قال : كان ابنةُ زُهَيْر عنده ، فأقبل شأْس بن زُهير من عنده وقد حَباه أفضل الحُبْوَةَ مِسْكاً وكُساً وقُطُفاً وطَنافِسَ ، فأناخ ناقتَه في يوم شَمالٍ وقُرٍّ على رَدْهةٍ[1] في جبلٍ ورياحُ بن الأَسَكِّ أَحدُ بني رباع بن عبيد بن سَعْد بن عوف بن جِلاّن على الرَّدْهة ليس غيرُ بيته بالجبل ؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت ؛ فاستدبره رياحٌ فأهوى له بسهم فبَتَر به صُلْبَه . قال أبو عبيدة وحدَّثني رجل يُخَيَّل إليّ أنّه أبو يحيى الغَنَويّ قال : ورد شأس وقد حباه الملك بحُبوةٍ فيها قطيفةٌ حمراء ذات هُدْب وطِيبٌ ، فوردَ مَنْعِجاً[2] وعليه خِباءٌ مُلْقًى لرِياح بن الأسَكّ فيه أَهلُه في الظَّهيرة ؛ فأَلقى ثيابَه بفِنائه ثم قعد يُهْرِيقُ عليه الماء ، والمرأة قريبةٌ منه (يعني امرأة رِياح) فإذا هو مثل الثور الأبيض . فقال رياح لامرأته :

1 الردهة : النقرة في الجبل أو في الصخر يستنقع فيها الماء .

2 منعج : موضع .

أنْطِيني قَوسي : فمدّتْ إليه قوسه وسهماً ، وانتزعت المرأة نَصْلَه لئلا يقتله ؛ فأهوى عَجْلانَ إليه . فوضع السهم في مُسْتَدَقّ الصُّلْب بين فَقارتين ففصلهما ، وخرّ ساقطاً ؛ وحفر له حَفَراً فهدَمه عليه ، ونحر جمله وأكله . قال : وقال عبد الحميد : أكل رَكُوبته وأولج متاعَه بيتَه . وقال عبد الحميد : وفُقِد شَأْسٌ وقُصَّ أثرُهُ ونُشِد ، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله . فقال لهم الملك : حبوته وسرَّحته . فقالوا : وما متّعته به ؟ قال : مِسْكٌ وكُساً ونُطُوع وقُطُفٌ . فأقبلوا يقصُّون أثره فلم تتّضح لهم سبيلُه . فمكثوا كذلك ما شاء الله ، لا أدري كم ، حتى رأوا امرأة رياحٍ باعت بعُكاظَ قطيفةً حمراء أو بعض ما كان من حَباء الملك ، فعُرِفتْ وتيقّنوا أنّ رياحاً ثأرُهم . قال أبو عبيدة : وزعم الآخر قال : نَشَدَ[1] زُهَيْر بن جَذيمة الناس ، فانقطع ذكرُه على مَنْعج وَسْطَ غنيّ ، ثم أصابت الناسَ جائحةٌ وجوعٌ ، فنحر زهير ناقةً ، فأعطى امرأةً شَطَّيْها[2] فقال : اشتري لي الهُدْبَ والطِّيبَ . فخرجتْ بذلك الشحم والسَّنام تبيعه حتى دَفَعتْ[3] إلى امرأة رِياح ، فقالت : إنّ معي شحماً أبيعه في الهُدْبِ والطِّيب ؛ فاشترت المرأة منها . فأتت المرأة زهيراً بذلك ، فعرف الهُدْبَ . فأتى زهير غَنِيّاً ، فقالوا : نعم ! قتله رياح بن الأَسَكّ ، ونحن بُرءاء منه . وقد لحِق بخاله من بني الطمّاح وبني أسد بن خُزَيمة ، فكان يكون الليل عنده ويظهر في أُبان[4] إذا أحسّ الصبحَ ، يرمي الأَرْوى[5] ؛ إلى أن أصبح ذاتَ يوم وهو عنده وعَبْسٌ تُريغُه . فركب خالُه جملاً وجعله على كِفلٍ[6] وراءه . فبينا هو كذلك إذ دَنَتْ ، فقالوا : هذه خيل عَبْسٍ تطلبك . فطَمَرَ[7] في قاع شجر فحفر في أصل سُوقه . ولقيت الخيل خالَه فقالوا : هل كان معك أحد ؟ قال لا . فقالوا : ما هذا المَركَبُ وراءك ؟ لَتُخْبِرَنّا أو لنَقتلنّك ! قال : لا كَذِبَ ، هو رياح في ذلك القاع . فلمّا دَنَوْا منه قال الحُصَيْنان : يا بني عَبْسٍ دَعُونا وثأْرَنا ، فخَنَسوا[8] عنهما . فأخذ رياح نَعْلَين من سِبْتٍ[9] فصيّرهما على صدره حيالَ كبده ، ونادى : هذا غزالُكما الذي تبغيان . فحمل عليه أحدهما فطعنه ، فأزالت النعلُ الرمحَ إلى حيث شاكلته ، ورماه رياحٌ مُوَلِّياً فجذَم

1 نشد : سأل .
2 شطيها : جانبي سنامها .
3 دفعت : انتهت .
4 أُبان : جبل .
5 الأروى : أنثى الوعل .
6 الكِفل : شيء مستدير يتّخذ من الخرق ونحوها ويوضع على سنام البعير .
7 طمر : استخفى .
8 خنسوا : تأخروا وتنحوا .
9 السِّبت : الجلد المدبوغ .

صُلْبَه . قال : ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ شيئاً ، ورماهُ مُوَلِّياً فصرَعه . فقالت عبسٌ : أين تذهبون إلى هذا ! والله ليقتلنّ منكم عَدَدَ مَرامِيه ، وقد جرحاه فسيموت . قال : وأخذ رياح رُمْحَيْهما وسَلَبَيْهما وخرج حتى سَنَدَ إلى أُبانَ . فأتته عجوزٌ وهو يَسْتَدْمِي[1] على الحوض ليشرب منه وقالت : استأسِرْ تَحْيَ ؛ فقال : جنِّبيني[2] حتى أشرب . قال : فأَبَتْ ولم تَنْتهِ . فلمّا غلبته أخذ مِشْقَصاً[3] وكنّع[4] به كُرْسُوعَيْ يَدَيها .

[رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس]

قال فقال عبد الحميد : فلمّا استبان لزهير بن جذيمة أنّ رِياحاً ثأرُه قال يرثي شأساً : [من الطويل]

بكيتُ لشَأْسٍ حين خُبِّرتُ أنّه ... بماء غَنِيٍّ آخِرَ اللَّيل يُسْلَبُ
لقد كان مَأْتاهُ الرِّداةَ لِحَتْفِهِ ... وما كان لولا غِرّةُ اللّيلِ يُغْلَبُ
قتيلُ غنِيٍّ ليس شَكْلٌ كشكله ... كذاك لَعَمْرِي الحَيْنُ للمرء يُجْلَبُ
سأبكي عليه إن بكيتُ بعَبْرةٍ ... وحُقَّ لِشَأْسٍ عَبْرةٌ حين تُسْكَبُ
وحزنٌ عليه ما حَيِيتُ وعولةٌ ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجبُ
إذا سِيمَ ضَيْماً كان للضيم منكراً ... وكان لدى الهيجاء يُخْشى ويُرْهَبُ[5]
وإنْ صوّتَ الدّاعِي إلى الخير مرّةً ... أجاب لِما يدعو له حين يُكْرَبُ
ففرّج عنه ثم كان وَلِيَّه ... فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُلْهَبُ

وقال زهير بن جذيمة حين قُتِل شأْش : شأس وما شأس ! والبأس وما البأس ! لولا مقتلُ شأس ، لم يكن بيننا بأس . قال : ثم انصرف إلى قومه ، فكان لا يَقْدر على غَنَويٍّ إلاّ قتله .

قال عبد الحميد : فغزتْ بنو عَبْسٍ غَنِيّاً قبل أن يطلبوا قَوَداً أو ديةً مع أخي شأس الحُصَيْن بن زهير بن جذيمة والحُصَيْن بن أُسيدِ بن جَذِيمة ابن أخي زُهير . فقيل ذلك لغنيّ ؛ فقالت لرياحٍ : انجُ ، لعلّنا نُصالح على شيء أو نُرضيهم بدية وفِداء . فخرج رياح رَدِيفاً لرجل من بني كلاب ، وزعم أبو حيّة النُّمَيْريّ أنّه من بني جَعْد ، وكان معهما صُحَيْفة فيها آراب[6] لَحْمٍ ، لا يَرَيان إلاّ

1 يستدمي : يطأطىء رأسه يقطر منه الدم .
2 جنبيني : ابعدي عني .
3 المشقص : نصل عريض أو هو سهم فيه ذلك النصل .
4 كنّع : قطع .
5 سامه الأمر : كلّفه إيّاه .
6 آراب لحم : قطع لحم .

أنّهما قد خالفا وجهةَ القوم ، فأوجفا أيديَهما في الصُّحيفةِ فأخذ كلّ واحد منهما وَذْرةً[1] ليأكلها ، مترادفين لا يَقدران على النزول . قال : فمرّ فوق رؤوسهما صُرَدٌ[2] فصَرْصَرَ ، فألقيا اللحمَ وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً ، ومرّ الصُّرَدُ فوق رؤوسهما فصرصر ؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا الثالثةَ فأخذ كلّ واحد منهما قطعة ، فمرّ الصُّرَد فوق رؤوسهما فصرصر ، فألقيا القطعتين ؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات ، فإذا هما بالقوم أدنى ظَلَمٍ (وأدنى ظَلَمٍ أي أدنى شيء) وقد كانا يظنّان أنّهما قد خالفا وجهة القوم . فقال صاحبه لرياح : اذْهَبْ فإنّي آتي القوم أُشاغلهم عنك وأُحدّثهم حتى تُعجِزَهم ثم ماضٍ إن تركوني . فانحدر رياحٌ عن عَجُز الجمل فأخذ أدراجه[3] وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضِفّةً[4] فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ، ثم أخذ نَعْلَيْه فجعل إحداهما على سُرّته والأخرى على صَفْنِه ثم شدّ عليهما العِمامة ، ومضى صاحبه حتى لقي القوم ، فسألوه فحدّثهم وقال : هذه غَنِيٌّ كاملة وقد دنوت منهم ، فصدّقوه وخلَّوْا سَرْبه[5] . فلمّا وَلّى رأوا مركب الرجل خلفه ، فقالوا : مَنِ الذي كان خلفك ؟ فقال : لا مَكْذُبَةَ ! ذلك رياح في الأوّل من السَّمُرات . فقال الحُصَيْنان لَمن معهما : قِفُوا علينا حتى نعلم عِلْمَه فقد أمكننا الله من ثأرنا ، ولم يُريدا أن يَشْرَكَهما فيه أحد ، فمضيا ووقف القوم عنهما . قالوا قال رياح : فإذا هما ينقّلان فرسيهما ، فما زالا يُريغاني ، فابتدراني فرميتُ الأوّل فبترت صُلْبَه ، وطعنني الآخر قبل أن أرميه وأراد السُّرّة فأصاب الرَّبَلة[6] ، ومرّ الفرس يَهْوِي به ، فاستدبرتُه بسهم فرشقت به صلبَه فانفقر مُنْحَنى الأوصال ، وقد بترتُ صُلْبَيْهما . قال أبو عبيدة قال أبو حيّة : بل قال رياح : استدبرتُه بسهم وقد خرجتْ قدمه فقطعتُها ، فكأنّما نُشِرتْ بمِنشار . قال عبد الحميد : وندّ فرساهما فلحِقا بالقوم . قال رياح : فأخذت رمحيهما فخرجتُ بهما حتى أتيت رملةً فسَنَدتُ فغرزتُ الرمحين فيها ثم انحدرتُ . قال : وطلبه القوم ، حتى إذا رُفِع لهم الرمحان لم يَقْرَبوهما عَلِم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات . وانطلق رياح خارجاً حتى ورد رَدهةً عليها بيت أنمار بن بَغِيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها وجملٌ لها راتع في

1 الوذرة : القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها .
2 الصّرد : طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود .
3 الأدراج : الطرق .
4 الضفة : جانب النهر والوادي .
5 السِّرب : الطريق .
6 الربلة : باطن الفخذ .

الجبل ، وقد مات رياح عطشاً . فلمّا رأته يستدمي طَمِعتْ فيه ورجتْ أن يأتيها ابناها ، فقالت له : استأسِرْ . فقال لها : دَعِيني ويحكِ أشرب ، فأبَت . فأخذ حديدة إمّا سِكّيناً وإمّا مِشْقَصاً فجذم به رَواهِشها[1] فماتت ، وعبّ في الماء حتى نَهِل ثم توجّه إلى قومه . فقال رياح فيها وفي الحُصَيْنين : [من السريع]

قالت لِـيَ اسْتأسِرْ لِتَكْتِفَني حِيناً ويعلـو قولُهـا قولي
ولأنْتَ أجـرأُ من أُسامَة أو منّـي غـداةَ وقفتُ للخيلِ
إذا الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْنِ كما عَدَل الرِّجـازةُ جانِبَ المَيْلِ

قال الأثرم : الرِّجازة شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحدُ الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل . قال أبو عُبيدة : يعني حُصَيْنَ بنَ زُهَيرِ بن جَذِيمة ، وحُصَيْن بن أسيدِ بن جَذِيمةَ وهو ابن عمّه . قال أبو عبيدة قال عبد الحميد : والله لقد سمعتُ هذا الحديث على ما حدّثتك به منذ ستّين سنة . قال عبد الحميد : وما سمعتُ أنّ بني عبْسٍ أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أنذروا ، ولا سمعتُ فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر ممّا أنشدتُك . وإلى هذا انتهى حديثُنا وحديثُه ، ولا واللهِ ما قَتل خالدُ بنُ جعفرٍ زُهَيْرَ بن جَذيمة في حربنا ، غيرَ أنّ الكُمَيْتَ بنَ زَيدٍ الأسَدِيَّ ، وكانت له أُمّانِ من غَنِيٍّ ، ذكر من مقتل أخوالهِ من غَنِيٍّ في بني عَبْسٍ ومَنْ قتلوا من بني نُمَيْرِ بن عامر في كلمةٍ له واحدة ؛ فلعلّه لهذا الحديث قالها وذكر إدْراكاتهم وذكرَ قَتْلَ شَبيبِ بن سالم النُّمَيْرِيِّ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أنـا ابـنُ غَنِيٍّ والدايَ كلاهما لأُمَّيْنِ فيهم في الفُروعِ وفي الأصلِ
هم استودعوا هوى شبيبَ بن سالمٍ وهم عدَلـوا بين الحُصَيْنَينِ بالنَّبْلِ
وهـم قتلوا شَأْسَ المُلوكِ ورَغَّمُوا أبـاه زُهَيْراً بالمَذَلَّـةِ والثُّكْلِ
فمـا أدركتْ فيهم جَذِيمةُ وَتْرَها بِما قَـوَدٍ يومـاً لديها ولا عَقْلِ

قال أبو عبيدة : فذكر عبد الحميد أنّه أتى عليهم هُنَيئةٌ من الدهر لا أدري كم وقتُ ذلك بعد انصرام أمر شأس . قال : فما زادوا على هذا فهو باطل . قال الأثرم : هُنَيْئةٌ من الدهر وهُنَيْهةٌ وبُرْهةٌ وحِقْبةٌ بمعنى الدهر .

1 الرواهش : العصب الذي في ظاهر الذراع ، وقيل : هي عصب وعروق في باطن الذراع ، واحدها راهشة وراهش .

[179] ـ مقتل زهير بن جذيمة العبسيّ

[قتله خالد بن جعفر]

قتله خالد بن جعفر بن كلاب . قال أبو عُبيدة قال أبو حية النميريّ : كان بين انصراف حديث شأس وحديث قتل خالد بن جعفرٍ زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنةً إلى الثلاثين سنةً .

[تعظيم هوازن له]

قال أبو عبيدة : وهوازِنُ بن منصور لا تَرى زهير بن جَذِيمَة إلاّ رَبّاً[1] . قال : وهوازن يومئذٍ لا خيرَ فيها ؛ ولم تَكثُر عامر بن صعصعة بعدُ ، فهم أذَلُّ من يَدٍ في رَحِمٍ[2] ، وإنّما هم رِعاءُ الشّاءِ في الجبال . قال : وكان زهيرٌ يعشُرُهم[3] ، وكان إذا كان أيّام عُكاظ أتاها زهيرٌ ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسَّمْنِ والأقط والغنم ، وذلك بعد ما خلعَ ذلك من أبي الجَنّاد أخي بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم . ثم إذا تفرّق الناس عن عُكاظ نزل زهيرٌ بالنفرات[4] .

قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حَيَّة النميريّ قالا : فأتته عجوزٌ رَهِيشٌ[5] من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وقال أبو حيّة : بل أتته عجوز من هوازن ، بسمن في نِحْيٍ ، واعتذرتْ إليه وشَكَت السنين التي تتابعن على الناس . فذاقه فلم يرضَ طَعمَه ، فدعّها بقوسٍ في يده عُطُلٍ[6] في صدرها ، فاستلقتْ لحلاوة[7] القَفا فبدتْ عورتُها ، فغضب من ذلك هوازن وحَقَـدتْ[8] عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدِّمَن[9] وأوْحَرَها[10] من الحَسَك[11] .

1 الربّ هنا : الملك والسيّد .
2 مثل يضرب في الضعف والهوان ، وقيل : يعني يد الجنين . وقال أبو عبيد : معناه أن صاحبها يتوقّى أن يصيب بيده شيئاً . مجمع الأمثال للميداني 17/2 .
3 يعشرهم : يأخذ عشر أموالهم .
4 يبدو أنه اسم مكان .
5 عجوز رهيش : ضعيفة أو مهزولة .
6 قوس عطل : لا وتر عليها .
7 حُلاوة القفا : وسطه .
8 ل : وأصمدت .
9 الدّمن : الأحقاد .
10 أوحرها : جعلها توحر أي تغضب وتحقد .
11 الحسك هنا : العداوة والحقد .

[حلف خالد بن جعفر أن يقتله]

قال : وقد أَمِرتْ[1] عامرُ بن صعصعة يومئذٍ ؛ فآلى خالد بن جعفر فقال : والله لأجعلنّ ذراعي وراءَ عنقه حتى أُقتَلَ أو يُقتَلَ . قال : وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب : [من الوافر]

أدِيـروني إدارتَكـم فإنّـي ... وحَذْفَةَ كالشَّجا تحت الوَرِيدِ
مُقَرَّبـةً أُسَوِّيها بجَـزْءٍ ... وأَلْحَفُها ردائـي في الجَلِيدِ
وأُوصِـي الرّاعِيَيْن لِيُؤْثِراها ... لهـا لَبَنُ الخَلِيَّةِ والصَّعُودِ[2]
تراهـا في الغزاةِ وهنّ شُعْثٌ ... كقُلْبِ العاجِ في الرُّسْغِ الجديدِ[3]
يَبِيتُ رِباطُها باللّيـلِ كَفِّي ... على عُـود الحشيش وغير عودِ
لعـلّ اللهَ يُمْكِنُنـي عليهـا ... جِهاراً مـن زُهَيْرٍ أو أُسِيدِ[4]
فإمّـا تَثْقَفُـوني فـاقتلوني ... فمَـنْ أُثْقَفْ فليس إلى خُلودِ
وقيسَ في المَعـارِكِ غادرتْـه ... قَناتِـي في فوارس كالأُسودِ
ويربُـوع بن غَيْظٍ يـومَ ساقٍ ... تركناهـم كجاريـة وبيدِ
تركتُ بهـا نساء بني عُصَيْمٍ ... أراملَ مـا تَحِـنّ إلى وليدِ
يَلُذْنَ بحـارثٍ جَزَعـاً عليه ... يَقُلْـنَ لحـارثٍ لـولا تسودُ[5]
ومنّـي بالطُّوَيْلِـمِ قارعـاتٌ ... تَبِيـدُ المُخْزِيـاتُ ولا تَبِيدُ
وَحَكّتْ بَرْكَها ببني جِحاشٍ ... وقد أُجْـرَوا إليها من بعيدِ[6]
تركت ابنَـيْ جَذِيمةَ في مَكَرٍّ ... ونَصْراً قد تركتُ لها شُهودِي

[وصف مقتله وما كان قبله من حوادث]

قال أبو عبيدة وحدّثني أبو سرّار الغنويّ قال : كان زهيرٌ رجلاً عَدُوساً[7] ، فانتقل من قومه

1 أَمِرَت : كثرت .
2 الخليّة : الناقة تنتج وهي غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هي للحلب . والصعود : الناقة التي تسقط ولدها لغير تمام ، فتعطف على ولد عام أوّل أو ولد غيرها فتدر عليه .
3 القُلب : السوار .
4 يمكنني في ل : يفردني .
5 في هذا البيت والذي بعده إقواء .
6 البرك : الصدر .
7 عدوس : قويّ على سير الليل .

ببنيه وبني أخويه زِنباعٍ وأُسيدٍ برَكْبةٍ يُريغ الغيثَ في عُشَراواتٍ[1] له وشَوْلٍ[2] . قال : وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يُشْعَرُ بهم . قال عبد الحميد وأبو حَيّة : بل بنو عامر بدَمْخٍ[3] وزهيرٌ بالنفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث . قال فقال أبو سرّار : فأتى الحارثُ بني عامر ، والله ما تغيّر طعمُ اللبن الذي زُوِّدَهُ الحارث بن عمرو بن الشّرِيد السُّلَميّ حتى أتى بني عامر فأخبرهم . قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازنيّ عن أبيه قال : بل كانت بنو عامر بالجريثة وزهير بالنفرات ، وكانت تُماضِرُ بنت عَمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيّة بن خُفافٍ السُّلَميّ امرأة زهير بن جذيمة وهي أُمُّ ولده . فمرّ بها أخوها الحارث بن عمرو . فقال زهيرٌ لبنيه : إنّ هذا الحمار لطليعةٌ عليكم فأوثِقوه . فقالت أُخته لبنيها : أيزوركم خالك فتُوثِقوه وتحرموه ! فخَلَّوْه . فقالت تُماضِرُ لأخيها الحارث : إنّه لَيَريبُني [اكْبِئْنانُك[4] وقُروبُك[5] ، فلا يأخذنّ فيك] ما قال زهير ؛ فإنّه رجل بَيْذارةٌ[6] غَيْذارةٌ[7] شَنُوءةٌ[8] . قال : ثم حلَبوا له وَطْباً وأخذوا منه يميناً ألاّ يُخبِرَ عنهم ولا يُنْذِرَ بهم أحداً . قال أبو عبيدة : وزعم أبو حَيّة النُّميريّ أنّه لمّا أتوه بقِراهم أراهم أنّه يشرَبه في الظُّلمة وجعل يَهْوي به إلى جيبه فيَصُبُّه بين سِرْباله وصَدره أسفاً وغيظاً . قال : وكان الذي حلَب له الوَطْبَ وقَراه الحارث بن زهير ، وبه سُمّي . قال : فخرج يطير حتّى أتى عامراً عند ناديهم ، فأتى حاذَةً[9] أو شجرةً غيرها فألقى الوطبَ تحتها والقومُ ينظرون ، ثم قال : أيّتها الشجرة الذليلةُ اشْرَبي من هذا اللبن فانظُري ما طَعْمُه . فقال أهل المجلس : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه [عَهْدٌ] وهو يُخبركم خبراً . فأتَوْه فإذا هو الحارثُ بن عمرو ، وذاقوا اللبن فإذا هو حُلْوٌ لم يقرُص بعدُ ، فقالوا : إنه لَيُخبِرُنا أنّ طلبنا قريبٌ . فركب معه ستّة فوارسَ لينظروا ما الخبر ، وهُم خالدُ بن جعفر بن كِلابٍ على حَذْفة ، وحُنْدُج بن البَكّاء ، ومعاوية بن عُبادة بن عُقَيْل فارس الهَرّار وهو الأخيل جَدّ ليلى الأخيليّة ، قال : والأخْيَلُ هو معاوية ، قال : وهو يومئذٍ غلامٌ

1 العشراء : الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إلى ما بعد الوضع ، فهي بعد الوضع عشراء أيضاً .

2 والشول : جمع شائلة ، وهي الناقة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فخفّ لبنها .

3 دمخ : جبل .

4 الاكبئنان هنا : الغم .

5 القروب : السكوت .

6 البيذارة : الكثير الكلام .

7 الغيذارة : السيء الخلق .

8 الشنوءة : المبغض .

9 الحاذة : واحدة الحاذ ، وهو ضرب من الشجر .

له ذؤابتان ، وكان أصغرَ مَنْ ركِب ، وثلاثة فوارسَ من سائر بني عامر ؛ فاقتصُّوا أَثَر السير ، حتى إذا رأوا إبلَ بني جَذيمة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء : إنا لَنَرى حَرَجةً[1] مِن عِضاةٍ[2] أو غابة رِماح بمكان لم نكن نرى به شيئاً ، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء . قال : وأخبرت راعيةُ أُسيدِ بن جَذيمة أُسيداً بمثل ذلك ؛ فأتى أُسيدٌ أخاه زهيراً فأخبره ممّا أخبرته به الرّاعية وقال : إنّما رأتْ خيلَ بني عامر ورِماحَها . فقال زهير : «كلُّ أَزَبَّ[3] نَفورٌ» ، فذهبت مثلاً ؛ وكان أُسيدٌ كثير الشَّعر خناسيا ، وأينَ بنو عامر ! أمّا بنو كِلاب فكالحيّة إن تركتها تركَتْك ، وإن وَطِئتها عَضّتك . وأمّا بنو كَعبٍ فإنّهم يَصيدون اللَّأَى (يريد الثور الوحشيّ) . وأمّا بنو نُمَير فإنّهم يَرعَون إبلَهم[4] في رؤوس الجبال . وأمّا بنو هِلالٍ فيبيعون العِطر . قال : فتحمّل عامّة بني رواحة ، وآلى زهير لا يبرح مكانَه حتى يُصبح . وتحمّل مَن كان معه غير ابنيه وَرقاء والحارث . قال : وكان لزهير رَبيئة[5] من الجِنّ فحدّثه ببعض أمرهم حتى أصبح ، وكانت له مِظَلّة دَوْحٍ يربِطُ فيها أفراسَه لا تَريمُه حَذَراً من الحوادث . قال : فلمّا أصبح صهَلت فرسٌ منها حين أحسّت بالخيل وهي القعساء . فقال زهير : ما لها ؟ فقال رَبيئتُه : أحسّت الخيل فصهَلت إليهن . فلم تُؤْذِنْهم بِهم إلاّ والخيلُ دَوائسُ[6] مَحاضِيرُ[7] بالقوم غديّةً . فقال زهير وظنّ أنّهم أهلُ اليمن : يا أُسيدُ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تُعَمِّي حديثَهم منذُ الليلة . قال : وركِب أُسيدٌ فمضى ناجياً . قال : ووثَب زهير وكان شيخاً نبيلاً[8] فتدَثَّر[9] القَعساء فرسَه ، وهو يومئذٍ شيخٌ قد بَدُنَ وهو يومئذٍ عَقُوقٌ مُتّهَمٌ ، واعرَوْرى[10] ورقاءُ والحارثُ ابناه فَرَسَيْهما ، ثم

1 الحرجة : الغيضة أي الشجر الكثير الملتف .
2 العضاه من الشجر كل ما له شوك ، وقيل هو أعظم الشجر .
3 الزبب : كثرة الشعر وطوله . والبعير الأزب ، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه ، ينفر إذا ضرب الريح شعرات حاجبيه . وهنا مثل قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد ، وكان أزبّ جباناً ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل ، وكان زهير يوماً في إبله يهنؤها ومعه أخوه أسيد ، فرأى أسيد خالد بن جعفر قد أقبل في أصحابه ، فأخبر زهيراً بمكانهم فقال له زهير «كل أزب نفور» وإنّما قال هذا لأنّ أسيداً كان أشعر . مجمع الأمثال للميداني 3/7 .
4 ل : البهم .
5 ربيئة : طليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها .
6 أتتهم الخيل دوائس : أي يتبع بعضها بعضاً .
7 المحاضير : جمع محضير أو محضار وهو الشديد الحُضر أي العدو .
8 نبيلاً هنا : جسيماً .
9 تدثّر فرسه : وثب عليها فركبها ، أو ركبها من خلفها .
10 اعرورى فلان فرسه : ركبه عرياناً أي ليس له سرج .

خالفوا جهةَ مالِهم ليُعَمُّوا على بني عامر مكانَ مالِهم فلا يأخذوه . فهتَف هاتفٌ من بني عامر : يا لَيَحامِر ، يريد يحامر وهو شِعارٌ لأهل اليمن ، لأنْ يُعَمِّيَ على الجَذَمِيِّين من القوم . فقال زهير : هذه اليمن ، قد علمتُ أنها لأهل اليمن ! وقال لابنه ورقاء : انظُرْ يا ورقاء ما تَرى ؟ قال ورقـاء : أرى فارساً على شقـراء يَجْهَدها ويَكُدُّها بالسوط قد ألحّ عليها (يعني خالداً) . فقال زهير : «شيئاً ما يريد السَّوْطُ إلى الشقراء»[1] فذهبتْ مثلاً ، وقال في المرّة الثانية : «شيئاً ما يطلبُ السَّوْطُ إلى الشقراء» وهي حَذْفَةُ فرسُ خالـد بن جعفـر ، والفارس خـالد بن جعفر . قال : وكانت الشقراء من خيل غَنِيٍّ . قال : وتمرّدت القَعساء بزُهير ؛ وجعل خالدٌ يقول : لا نجوتُ إن نجا مُجَدِّعٌ (يعني زهيراً) . فلمّا تَمَعّطت[2] القعساءُ بزهير ولم تتعلّق بها حَذْفَةُ ، قال خالد لمعاويـة الأخْيَل بن عُبـادة وكان على الهَـرّار (حصان أعْوَج)[3] : أدْرِك مُعاوِيَ ، فأدرك معاويةُ زهيراً ، وجعل ابناه ورقاءُ والحارثُ يُوَطِّشان عنه (أي عن أبيهما) . قال فقال خالد : اطْعنْ يا معاوية في نَساها ، فطَعن في إحدى رِجْليها فانخذلت القعساءُ بعض الانخِذال وهي في ذلك تَمَعَّطُ . فقال زهير : اطْعنِ الأُخرى ، يَكِيده بذلك لكي تستوي رجلاها فَتَحامَلَ . فناداه خالد : يا معاوية أفِذَّ طَعْنَتَك (أي اطْعنْ مكاناً واحداً) فشَعْشَعَ الرُّمح في رجلهـا فانخذلتْ .

قال : ولَحِقه خالدٌ على حَذْفَةَ فجعل يدَه وراءَ عُنق زُهير ، فاستخفَّ به عن الفرس حتى قلَبه ، وخرّ خالدٌ فوقع فوقه ، ورفـع المِغْفَـر عن رأس زهير وقـال : يا لَعامِرٍ اقتلونا معاً ! فعرَفوا أنّـهم بنو عامر . فقال ورقاء : وا آنقِطاع ظَهْراه ! إنّها لبنو عامر ! سائرَ اليوم . وقال غيره : فقال بعضُ بني جَذِيمة : وا آنقطاع ظَهْرِي ! . قال : ولحِق حُنْدُج بن البَكّاء وقد حسَر خالدٌ المِغْفَرة عن رأس زهير فقال : نَحِّ رأسَك يا أبا جَزْءٍ ، لم يَحِنْ يومُك . قال : فنحّى خالدٌ رأسَه وضرب حُنْدُجٌ رأسَ زهير ، وضرب ورقاءُ بنُ زهير رأسَ خالدٍ بالسيف وعليه دِرعان ، وكان أُسْجَرَ[4] العينين ، أزَبَّ أقمرَ[5] ، مثلَ الفالج[6] ، فلم يُغْنِ شيئاً . قال : وأجْهَض[7] ابنا زهير

1 مثل . وهو يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها . أصله رجلاً ركب فرساً له شقراء ، فجعل كلّما ضربها زادته جرياً . يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها ، مجمع الأمثال للميداني 164/2 .

2 التمعط : ضرب من العدو .

3 الأعوج من الخيل : ما اعوجّت قوائمه ، ويستحبّ ذلك فيها .

4 سجرة العين : أن يخالط بياضها حمرة . وأزب : كثير الشعر .

5 القمرة : لون إلى الخضرة ، أو هي بياض فيه كدرة .

6 الفالج هنا : الجمل الضخم ذو السنامين .

7 أجهضا القوم : أي نحياهم عنه وغلباهم عليه .

القومَ عن زهير فانتزعاه مُرْتَثّاً[1] . فقال خالدٌ حين استنقذ زهيراً ابناه : وا لهفتاهْ ! قد كنتُ أظنّ أن هذا المَخْرَجَ سَيَسَعُكُم ! ولام خُنْدُجاً . فقال خُندج وكان لجلالته غصة إذا تكلّم : السيفُ حديد ، والساعدُ شديد ، وقد ضربتُه ورجلاي متمكّنتان في الركابين وسمعتُ السيفَ قال قَبْ حين وقع برأسه . ورأيتُ على ظُبَته مثلَ ثَمَرِ المُرار ، وذقتُه فكان حُلْواً . فقال خالد : قتلتَه بأبي أنت ! . ونظَر بنو زهير فإذا الضربةُ قد بلغتْ الدِّماغ . ونُهِي بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء ، فاستسقاهم فمنعوه حتى نُهِك عَطَشاً . قال : وذلك أنّ المأموم[2] يُخاف عليه الماء ، حتى بلغ منه العطشُ ، فجعل يَهْتِف : أَمَيّتٌ أَنا عَطَشاً ، وينادى : يا ورقاء ، قال أبو حيّة : فجعل ينادي يا شَأْس ، فلمّا رأوا ذلك سَقَوْه فمات لثالثةٍ .

[شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده]

فقال ورقاء بن زُهَيْر : [من الطويل]

رأيتُ زُهَيراً تحت كَلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أَسعى كالعَجُولِ أُبادِرُ[3]
إلى بَطَلَيْن يَنْهَضانِ كلاهما ... يُريغانِ نَصْلَ السَّيفِ والسيفُ نادِرُ[4]
فشَلَّتْ يميني إذ ضربتُ ابنَ جَعْفَرٍ ... وأَحرزه منّي الحديدُ المُظاهَرُ

قال أبو عبيدة : وسمعتُ أبا عمرو بن العَلاء يُنشد هذا البيت فيها : [من الطويل]

وشَلَّتْ يميني يوم أضربُ خالداً ... وشَلَّ بَناناها وشلّ الخَناصرُ

قال أبو عبيدة : وأنشدني أبو سَرّار أيضاً فيها : [من الطويل]

فيا ليتني من قبل أيّامِ خالدٍ ... ويومِ زُهَيرٍ لم تَلِدني تُماضِرُ

تماضر بنت عمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيّةَ بن خُفاف السُّلَميّ امرأة زُهير بن جَذِيمة . قال أبو عبيدة : أنشدني أبو سرّار فيها : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقد بُشِّرتِ بي إذ وَلَدْتني ... فماذا الذي رَدّتْ عليكِ البشائرُ

[شعر لخالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتله زهيراً]

وقال خالد بن جعفر يمُنّ على هوازن بقتله زهيراً ويصدُق الحديث ، قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن بِشْرِ بن عامر مُلاعِب الأسِنّة : [من الكامل]

---

1 المرتثّ : الذي يحمل من المعركة وبه رمق .
2 المأموم : الذي أصيب في أم الرأس . وأم الرأس : الدماغ .
3 العجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها الثكلى لعجلتها في جيئتها وذهابها جزعاً .
4 نادر : ساقط .

بل كيف تكفُرني هوازنُ بعدما أعتقتُهم فَتَوالَـدُوا أحـرارا
وقتلتُ ربَّهُمُ زهيراً بعد ما جدع الأُنوف وأُكثر الأوتارا
وجعلتُ حَزْنَ بِلادِهم وجِبالهم أرضاً فضاءً سهلـةً وعشارا
وجعلتُ مَهْرَ بناتهم ودمائهم عَقْلَ الملـوكِ هجائناً أبكارا

قال أبو عبيدة : أَلا ترى أنه ذكر في شعره أنّ زهيراً كان ربَّهم وقد كان جدَعهم ، وأنّه قتله من أجلهم لا من أجل غَنِيٍّ ، وأنّ غَنِيّاً ليسوا من ذلك في ذكرٍ ولا لهم فيه معنًى .

قال : وقال وَرقاء بن زهير : [من البسيط]

أمّا كِلابٌ فإنّـا لا نُسالِمُها حتى يُسالِمَ ذِئبَ الثَّلةِ الرَّاعِي[1]
بنو جَذِيمة حاموا حول سَيِّدهم إلاّ أُسيداً نجا إذ ثَوَّب الدّاعِي

[شعر للفرزدق ينعي فيه على بني عبس ضربة ورقاء خالداً]

قال : ثم نَعى الفرزدق على بني عبس ضربةَ ورقاء خالداً ، واعتذر بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال : [من الطويل]

إنْ يَكُ سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أَبى لتأخير نَفْسٍ حَتْفُها غيرُ شاهِدِ
فسيفُ بني عَبْسٍ وقد ضربوا به نَبا بِيَدَيْ وَرْقاءَ عن رأس خالدِ
كذاك سيوفُ الهِندِ تنبو ظُباتُها وتقطعَ أحيانـاً مناطَ القلائدِ
ولو شِئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقِهِ إلى عَلَقٍ تحت الشَّراسِيفِ جامدِ[2]

قال : وكان ضِلَعُ بني عَبْسٍ مع جرير ، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات . هذه رواية أبي عُبيدة .

[رواية الأصمعي لمقتل زهير وابنه شأس]

وأمّا الأصمعيّ فإنّه ذكر ، فيما رواه الأَثْرَمُ عنه ، قال حدَّثني غيرُ واحد من الأعراب أنّ سبب مقتل زُهَيرٍ العبسيّ أنّ ابنه شأس بن زهير وفَد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حِباءٌ[3] قد حُبِي به ، فمرّ بأبياتٍ من بني عامر بن صعصعةَ وأبياتٍ من بني غَنِيٍّ على ماء لبني عامرٍ أو غيرهم ، الشكّ من الأصمعيّ . قال : فاغتسل ، فناداه الغَنَوِيّ : اسْتَتِرْ ، فلم يَحْفِلْ بما قال . فقال : استترْ ويحك ! البيوت بين يديك ؛ فلم يحفِل . فرماه الغنويّ رِياحُ بن الأَسَكّ بسهمٍ . أو ضربه فقتله

1 الثَّلة : الجماعة من الغنم وبضمّ الثاء الجماعة من الناس .
2 العلق : الدم ، وقيل هو الدم الجامد الغليظ . والشراسيف : أطراف الأضلاع ، واحدها شرسوف .
3 الحباء : العطاء .

والحَيُّ خلُوفٌ ، فاتّبعه أصحاب شأس وهم في عِدّة ، فركب الفلاةَ واتّبعوه فَرَهِقوه[1] ، فقتل حُصَيْناً وأخاه حُصَيْناً ، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطشُ ، فلجأ إلى منزل عجوز من بني إنسان (وبنو إنسان حيٌّ من بني جُشَم) . فقال له العجوز : لا تبرحْ حتى يأتي بَنِيَّ فيأسروك . قال الأصمعيّ : فأخبرني مُخْبِران اختلفا ، فقال أحدهما : إنّه أخذَ سِكّيناً فقطع عَصَبَتَيْ يديها ، وقال الآخر : أخذ حجراً فشدَخ به رأسَها ، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

ولأنتَ أَشْجَعُ مـن أسامةَ أو مِنِّي غـداةَ وقفـتُ للخَيْلِ
إذ الحُصَيْنُ لـدى الحُصَيْنِ كما عَدَلَ الرِّجـازةُ جانِبَ المَيْلِ[2]
وإذا أُنَهْنِهُهـا لأَفتِلَهـا جاشتْ لِيَغْلِبَ قولُهـا قولِي[3]

قال : فضرب الزمانُ ضَرَبانَه[4] ، فالتقى خالد بن جعفر بن كِلاب وزهير بن جذيمة العَبسيّ . فقال خالد لزهير : أما آن لك أن تشتفي وتَكُفّ ؟ قال الأصمعيّ : يعني ممّا قتَل بشأس ، قال : فأغلَظ له زهيرٌ وحقّره . قال الأصمعيّ : وأخبرني طَلْحة بن محمد بن سعيد بن المُسَيِّب أنّ ذلك الكلام بينهما كان بعُكاظ عند قريش . فلمّا حقّره زهير وسبّه قال خالد : عسى إن كان ! يتهدّده ثم قال : اللهمّ أَمكِنْ يدي هذه الشقراءَ القصيرةَ من عُنق زهير بن جَذيمة ثم أعِنّي عليه . فقال زهير : اللهمّ أَمْكِنْ يدي هذه البيضاءَ الطويلة من عنق خالد ثم خلِّ بيننا . فقالت قريش : هلكتَ والله يا زُهير ! . فقال : إنّكم والله الذين لا عِلْمَ لكم .

قال الأصمعيّ : ثم نرجع إلى حديث العَبسيّين والعامريِّين ، وبعضه من حديث أبي عمرو بن العَلاء . قال : فجاء أخو امرأة زهير ، وكانت امرأته فاطمة بنتَ الشَّرِيدِ السُّلَمِيّة ، وهي أُمّ قيس بن زهير ، وكان زهيرٌ قد أساء إليهم في شيء ، فجاء أخوها إلى بني عامرٍ فقال : هـل لكـم في زهير بن جَذِيمـة يَنْتِجُ إبِلَه ليس معه أحدٌ غير أخيهِ أسِيدِ بن جَذِيمة وعبدٍ راعٍ لإبلـه ! وجئتُكـم من عنده ، وهذا لبنٌ حلبوه لي . فذاقوه فإذا هو ليس بحازر ، فعلِموا أنّه قريبٌ . فخرج حُنْدُج بن البَكّاء وخالدُ بن جعفر ومعاوية بن عُبادة بن عُقيل ، ليس على أحدهم دِرْعٌ غير خالد كانت عليه درعٌ أعاره إيّاها عمرُو بن يربوع الغَنَويّ ، وكانت دِرعَ ابن الأجْلَحِ المُرادِيّ كان قتله فأخذها منه ، وكان يقال لها ذات الأزمَّه . وإنّما سمّيت بذلك لأنّها كانت لها عُرًى تُعَلّق فضولُها بها إذا أراد أن يشمِّرها . قال : فطلعوا . فقال أَسِيدُ بن

1 رهقوه : غشوه ولحقوه .

2 إذ الحصينُ في ل : عدل الحصينُ .

3 نهنهه : زجره وكفّه .

4 أي إذا ذهب بعضه .

جَذِيمة ، قال الأصمعيّ : وكان أُسيدٌ شيخاً كبيراً ، وكان كثيرَ شعر الوجه والجسد : أُتيتَ وربِّ الكعبة . فقال زهير : «كلُّ أَزَبَّ نَفُورُ»[1] فذهبتْ مثلاً . فلم يشعر بهم زهيرٌ إلاّ في سَواد الليل ، فركِب فرسه ثم وجّهها ، فلحِقه قومٌ أحدُهم حُنْدُجٌ أو العُقيليّ ، واختلفوا فيهما ، فطعن فَخِذَ الفرسِ طعنةً خفيفةً ، ثم أراد أن يَطْعن الرِّجل الصحيحة ، فناداه خالدٌ : يا فلان لا تفعل فيستويا ، أَقْبِلْ على السقيمة . قال : فطعنَها فانخذلَتْ الفرسُ فأدركوه . فلمّا أدركوه رمى بنفسه ، وعانقه خالدٌ فقال : اقتُلوني ومُجَدِّعا ! . فجاء حُنْدُجٌ ، وكان أعجمَ اللِّسانِ ، فقال لخالد وهو فوق زهير : نَحِّ رأْسَك يا أبا جَزْءٍ ، فنحَّى رأسَه ، فضرب حندجٌ زهيراً ضربةً على دَهَشٍ ، ثم ركبوا وتركوه . قال فقال خالد : وَيحك يا حُنْدُجُ ما صنعتَ ؟ فقال : ساعِدي شديدٌ ، وسَيْفِي حديد ، وضربتُه ضربةً فقال السيف قَبْ ، وخرج عليه مثلُ ثمرة المُرار ، فطَعِمْتُه فوجدتُه حُلْواً (يعني دِماغَه) . قال : إنْ كنتَ صَدَقْتَ فقد قتلتَه . قال : فجاء قومُ زهيرٍ فاحتملوه ومنعوه الماءَ كراهةَ أن يبتلّ دماغُه فيموت . فقال : يا آل غطفان أأموت عَطَشاً ! فسُقِي فمات ، وذلك بعد أيّام . ففي ذلك يقول وَرْقاء بن زهيرٍ وكان قد ضرب خالداً ضربةً فلم يصنع شيئاً ، فقال : [من الطويل]

رأيتُ زهيراً تحتَ كَلْكَلِ خالدٍ فأقبلتُ أُسعى كالعَجُولِ أُبادِرُ
إلى بَطَلَيْنِ ينهَضانِ كِلاهما يُريدانِ نَصْلَ السَّيْفِ والسيفُ نادِرُ

قال الأصمعيّ : فضرب الدهر من ضَرَبانِه إلى أن التقى خالدُ بن جعفر والحارثُ بن ظالم .

---

1 مثل ورد ذكره ص 59 من هذا الجزء .

[180] ـ ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كِلاب

[مقتل خالد بن جعفر وسببه]

قتله الحارث بن ظالمٍ المُرِّيُّ . قال أبو عُبيدةَ : كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أنّ خالدَ بن جعفر أغار على رَهْط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غَيْظِ بن مُرّة وهم في وادٍ يقال له حُراضٌ ، فقتل الرجالَ حتى أسرع ، والحارثُ يومئذٍ غلام ، وبَقِيت النساء . وزعموا أنّ ظالماً هلكَ في تلك الوقعة من جِراحةٍ أصابته يومئذٍ . وكانت نساء بني ذُبيان لا يحلُبن النَّعَمَ ، فلمّا بَقِين بغير رجال طَفِقن يدعون الحارثَ ، فيشُدّ عِصابَ[1] الناقةِ ثم يحلُبنها ، ويبكين رجالَهنّ ويبكي الحارث معهنّ ، فنشأ على بُغْض خالد . وأُردف ذلك قتلُ خالد زهير بن جذيمة ؛ فاستحقّ العداوةَ في غَطَفان . فقال خالد بن جعفر في تلك الوَقعة : [من الوافر]

تركتُ نساءَ يَرْبُوعِ بنِ غَيْظٍ أُراملَ يشتكِين إلى وَلِيدِ
يَقُلْنَ لحارثٍ جَزَعاً عليه لك الخيراتُ ما لك لا تسودُ
تركتُ بَنِي جَذِيمة في مَكَرٍّ ونصراً قد تركتُ لدى الشهودِ
ومنّي سوف تَأتِي قارعاتٌ تَبيدُ المخزِياتُ ولا تَبِيدُ
وقيس ابن المعارِكِ غادرتْه قَناتِي في فوارِسَ كالأسودِ
وحَلّتْ برَكْها ببني جِحاشٍ وقد مَدُّوا إليها من بَعِيدِ
وحَيّ بني سبيعٍ يومَ ساقٍ تركناهم كجاريةٍ وبِيدِ[2]

قال أبو عبيدة . فمكث خالدُ بن جعفر بُرْهةً من دهره ، حتى كان من أمره وأمر زهير بن جَذِيمة ما كان ، وخالدٌ يومئذٍ رأسُ هَوازِنَ . فلمّا استحقّ عداوةَ عَبْسٍ وذُبْيان أتى النُّعمان بن المُنْذِرِ[3] مَلِكَ الحِيرةِ لينظر ما قَدْرُه عنده ، وأتاه بفرس ؛ فألفى عنده الحارث بن ظالمٍ قد أهدى له فرساً فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، نَعِمَ صباحُك ، وأهلِي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيل بني مُرّة ، فلن تُؤْتى بفرسٍ يَشُقّ غُبارَه ، إن لم تَنْسُبْه انْتَسب ، كنتُ ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة ؛ فلمّا

---

1 عصاب الناقة : ما تشدّ به لتدر .

2 وبيد في ل : وئيد .

3 ورد في الكامل لابن الأثير 351/1 : أن الملك هو النُّعمان ابن امرىء القيس ملك الحيرة . وورد أيضاً أن الملك الذي قتل ابنه كان الأسود بن المنذر .

أكرمتَ خالداً أهديتُه إليك . وقام الربيع بن زياد العبسيّ فقال : أَبيْتَ اللَّعْنَ ! نَعِمَ صباحُك ، وأهلي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيلِ بني عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنةً لم يُخفِقْ في غَزْوةٍ ولم يعتلِك في سَفَرٍ ، وفضلُه على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم . قال : فغضِب النُّعمان عند ذلك وقال : يا مَعْشَرَ قيس ، أُرى خيلَكم أشباهاً ! أين اللواتي كأنّ أذنابَها شِقاق[1] أَعْلامٍ ، وكأنّ مَناخِرَها وِجارُ[2] الضِّباع ، وكأنّ عيونَها بَغايا النساء ، رِقاقُ المُسْتَطعَمِ[3] ، تُعالِك اللُّجُمَ في أشداقها ، تدورُ على مَذاوِدِها[4] كأنّما يَقْضَمنَ[5] حَصًى . قال خالد : زعَمَ الحارث ، أَبيْتَ اللَّعْنَ ، أنّ تلك الخيلَ خيلُه وخيلُ آبائه . فغضِب النُّعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم . فلمّا أَمْسَوا اجتمعوا عند قَينةٍ من أهل الحِيرَةِ يقال لها بنت عَفْزَرٍ يشربون . فقال خالِدٌ : تَغَنَّيْ : [من الكامل]

دارٌ لهنــدٍ والرَّبــابِ وفَرْتَنى ... ولَمِيسَ قَبْـــلَ حوادثِ الأيّامِ

وهنّ خالات الحارث بن ظالم . فغضِب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً ، وقال : ما تَزال تُتْبعُ أُولى بآخرة ! . قال أبو عبيدة : ثم إنّ النُّعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدّم لهم تمراً ؛ فطفِق خالدُ بن جعفر يأكل ويُلقِي نَوى ما يأكل من التمر بين يَدَي الحارث . فلمّا فرَغ القوم قال خالد بن جعفر : أَبيْتَ اللعن ! انظُر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النَّوى ! ما ترك لنا تمراً إلاّ أكله . فقال الحارث : أمّا أنا فأكلتُ التمر وألقيتُ النَّوى ، وأمّا أنت فأكلتَه بنواه . فغضِب خالد وكان لا يُنازَع ، فقال : أتُنازِعني يا حارث وقد قتلتُ حاضرتَك وتركتك يتيماً في حُجور النساء ! . فقال الحارث : ذلك يومٌ لم أَشْهَدْه ، وأنا مُغْنٍ اليومَ بمكاني . قال خالد : فهَلاّ تشكُر لي إذ قتلتُ زهيرَ بن جَذِيمةَ وجعلتُك سيِّد غَطَفانَ ! . قال : بلى أَشكُرك على ذلك . فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عَفْزَرٍ ، فشرِب عندها وقال لها تَغَنَّيْ : [من الطويل]

تَعَلَّــمْ أَبيْتَ اللَّعْــنَ أنّيَ فاتــكٌ ... من اليومِ أو مِنْ بعدِه بابن جَعْفَرِ
أخالــدُ قــد نَبَّهْتَنــي غيرَ نائــمٍ ... فلا تَـأْمَنَنْ فتكي يَدَ الدَّهرِ واحْذَرِ
أعيَّرْتَني أنْ نِلْــتَ منّــا فوارساً ... غداةَ حُراضٍ مثــلَ جِنّانِ عَبْقَرِ[6]

---

1 شقاق : جمع شقة وهي نصف الشيء أو القطعة منه إذا شقّ .
2 الوجار : جحر الضبع وغيرها .
3 مستطعم الفرس : جحفلته وما حولها .
4 المذاود : جمع مِذْوَد وهو معتلف الدابة .
5 القضم : الأكل بأطراف الأسنان أو هو أكل الشيء اليابس .
6 عبقر : موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .

أصابهمُ الدَّهــرُ الخَتــورُ بخَتْرِهِ ومَنْ لا يَــقِ اللهُ الحوادثَ يَعْثُرِ[1]
فعلّــك يومــاً أن تنــوء بضَرْبَةٍ بكفِّ فتًى مــن قومه غيرِ جَيْدَرِ[2]
يُغِصّ بهــا عُلْيــا هَــوازِنَ والمُنى لقاءُ أَبــي جَــزْءٍ بأَبيضَ مِبْتَرِ[3]

قال : فبلغ خالدَ بن جعفرٍ قوله فلم يَحْفِلْ به . فقال عبد الله بن جَعْدَةَ ، وهو ابن أُخت خالد ، وكان رجلَ قَيْسٍ رأياً ، لابنه : يا بُنَيّ ائتِ أَبا جَزْء فأَخبِرْه أنّ الحارث بن ظالم سفيهٌ موتور ، فأَخْفِ مَبيتَك الليلةَ ؛ فإنّه قد غلبه الشرابُ . فإنْ أَبيتَ فاجعل بينك وبينه رجلاً لِيَحْرُسَك . فوضعوا رجلاً بإزائه ، ونام ابن جَعْدَةَ دون الرجل ، وخالدٌ من خَلْفِ الرجل . وعرف أنّ ابن عُتْبَةَ وابن جعدةَ يحرُسان خالداً . فأقبل الحارثُ فانتهى إلى ابن جَعْدة فتعدّاه ، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالداً فعجَنه بكَلْكَلِهِ حتى كسَرَه وجعل يكدمه[4] لا يعقِل ، فخلّى عنه والرجل تحته ، ومضى إلى خالد وهو نائم ، فضربه بالسَّيفِ حتى قتله . فقال لعُروة[5] : أَخْبِر الناسَ أنّي قتلتُ خالداً . وقال في ذلك : [من الطويل]

أَلا سائلِ النُّعْمانَ إن كنتَ سائلاً وَحيَّ كِلاب هــل فتكتُ بخالدِ
عَشَوْتُ عليــه وابنُ جَعْدَةَ دونَه وعُرْوةُ يَكْــلا عمَّــه غيرَ راقِدِ
وقد نَصَبا رَجْلاً فباشرتُ جَوْزَه بكَلْكَلِ مَخْشِيٍّ العـداوةِ حاردِ[6]
فأَضربــهُ بالسَّيفِ يــأفوخَ رأسِهِ فصمّم حتى نــال نُوطَ القلائدِ[7]
وأَفلــتَ عبدُ الله منّــي بذُعْـرِهِ وعُرْوةُ من بعد ابنِ جَعْدَةَ شاهدي

[شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالداً]

فلمّا أَبَتْ غَطَفانُ أن تُجيره غَضِبتْ لذلك بنو عبس . وبعث إليه قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الأبيات : [من الوافر]

---

1 الختر : الخديعة أو هو أسوأ الغدر وأقبحه .
2 غير جيدر : غير قصير .
3 أبو جزء : كنية خالد بن جعفر . وأبيض مبتر : سيف قاطع .
4 الكدم : العض والتأثير بحديدة ونحوها .
5 هو عروة بن عتبة وهو ابن أخي خالد بن جعفر .
6 الرَّجْل : لغة في الرَّجُل . وجوز كل شيء : وسطه . وحارد : غاضب .
7 اليأفوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . وصمم : مضى . ونوط : جمع نياط ، ويناط كل شيء معلقه .

جزاكَ اللهُ خيراً مِـــنْ خَلِيــلٍ ... شفى من ذي تُبُولته الخليلا[1]
أزحتَ بها جوًى ودَخِيلَ حُزْنٍ ... تَمَخَّخَ أعظُمِي زمنـاً طويلا[2]
كسوتَ الجعفريَّ أبا جُزَيْءٍ ... ولم تَحْفِـلْ بـــه سيفاً صَقِيلا
أبأْتَ بـــه زُهَيْرَ بَنِـي بَغِيضٍ ... وكنتَ لِمِثْلِها ولها حَمُولا[3]
كشفتَ له القِناعَ وكنتَ مِمّن ... يُجَلِّي العـارَ والأمـرَ الجَليلا

فأجابه الحارث بن ظالم : [من الوافر]

أتانيَ عـــن قُيَيْسِ بني زُهَيْرٍ ... مقالــةُ كاذبٍ ذكـر التُّبُولا
فلـــو كنتـــم كما قلتـم لكنتم ... لقاتــل ثــأرِكم جِـرْزاً أصِيلا
ولكــن قلتُــم جــاوِرْ سِوانا ... فقـــد جَلَّلتَنــا حَدَثــاً جليلا
ولو كانــوا هـــمُ قتلوا أخاكم ... لَما طردوا الذي قَتـل القَتِيلا

[غطفان تأبى جوار الحارث]

قال أبو عبيدة : فلمّا منعته غَطَفان لَحِق بحاجب بن زُرارةَ ، فأجاره ووعده أن يمنعه من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم ، فساروا في عُلْيا هوازنَ . فلمّا كانوا قريباً من القوم في أوّل وادٍ من أوديتهم ، خرج رجلٌ من بني غَنِيٍّ ببعض البَوادي ، فإذا هو بامرأةٍ من بني تميم ثم من بني حَنظلة تجتني الكَمأةَ ، فأخذها فسألها عن الخبر ، فأخبرتْهُ بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زُرارة وما وعده من نُصْرته ومَنْعِه . فانطلق بها الغَنَوِيّ إلى رَحْلِه ؛ فانسلّتْ في وسطٍ من الليل ، فأتى الغنويُّ الأَحْوَصَ بن جعفر ، فأخبره أنّ المرأة قد ذهبتْ وقال : هي مُنْذِرةٌ عليك . فقال له الأحوصُ : ومتى عَهْدُك بها ؟ قال : عَهْدِي بها والمَنِيُّ يقطرُ من فَرْجها . قال : وأبيك إنّ عهدَك بها لقريبٌ . وتبع المرأة عامرُ بن مالك يَقُصّ أثرها حتى انتهى إلى بني زُرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها : أَخْبِريني أيُّ قومٍ أخذوك ؟ قالت : أخذني قومٌ يُقبِلون بوجوه الظِّباء ، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء . قال : أولئك بنو عامر . قال : فحدّثيني مَن في القوم ؟ قالت : رأيتُهم يَغْدُون على شيخ كبير لا ينظر بمأْقَيْهِ[4] حتى يرفعوا له من حاجبَيْه . قال : ذلك الأَحْوص بن جعفر . قالت : ورأيت شابّــاً شديد الخَلْق ،

1 التبولة : جمع تَبل وهو هنا الثأر .
2 تمخّخ العظم : أخرج مخّه .
3 أبأت القاتل بالقتيل : قتلته به .
4 الماق : لغة في موق العين وهو مؤخرها أو مقدمها .

كأنّ شعر ساعديه حَلَقُ الدِّرْع يَعْذِمِ[1] القَوْمَ بلسانه عَذْمَ الفرس العَضُوض . قال : ذلك عُتْبَةُ بن بَشِير بن خالد . قالت : ورأيت كهلاً إذا أقبل معه فَتَيانِ ، يُشْرِف القومُ إليه ، فإذا نطَق أُنصتوا . قال : ذلك عَمْرُو بن خُوَيْلِد ، والفَتَيان ابناه زُرْعةُ ويَزِيدُ . قالت : ورأيتُ شابّاً طويلاً حسناً[2] ، إذا تكلّم بكلمةٍ أنصتوا لها ثم يَوُلُّون[3] إليه كما تؤلُّ الشَّوْلُ[4] إلى فَحْلها . قال : ذلك عامر بن مالك . قال أبو عبيدة : فدعا حاجبٌ الحارثَ بنَ ظالم فأخبره برأيه وخَبَرِ القوم وقال : يا ابن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد أَتَوْك ، فما أنتَ صانع ؟ قال الحارث : ذلك إليك ، إن شئتَ أقمتُ فقاتلتُ القوم ، وإن شئتَ تَنَحَّيْتُ . قال حاجب : تَنَحَّ عنّي غيرَ ملوم .

[شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحي]

فغضِب الحارث من ذلك وقال : [من الطويل]

لَعَمْري لقد جاورتُ في حَيٍّ وائلٍ ... ومِنْ وائلٍ جاورتُ في حَيٍّ تَغْلِبِ
فأصبحتُ في حيٍّ الأراقم لم يَقُلْ ... لِيَ القومُ يا حارِ بنَ ظالمٍ اذْهَبِ
وقد كان ظَنِّي إذ عقلتُ إليكمُ ... بني عُدُسٍ ظَنِّي بأصحاب يَثْرِبِ
غَداةَ أتاهم تُبَّعٌ في جُنودِهِ ... فلم يُسْلِموا المرين من حَيٍّ يَحْصُبِ
فإنْ تَكُ في عُلْيا هَوازِنَ شَوْكَةٌ ... تُخافُ ففيكم حَدُّ نابٍ ومِخْلَبِ[5]
وإن يَمْنَعِ المَرْءُ الزُّرارِيُّ جارَه ... فأَعْجِبْ بها من حاجبٍ ثم أَعْجِبِ

فغضِب حاجب فقال : [من الطويل]

لَعَمْرُ أبيك الخَيْرِ يا حارِ إنّني ... لأَمْنَعُ جاراً من كُلَيْبِ بن وائلِ
وقد علِم الحيُّ المَعَدِّيُّ أنّنا ... على ذاك كنّا في الخُطوبِ الأوائلِ
وأنّا إذا ما خاف جارٌ ظُلامةً ... لبِسنا له ثَوْبَيْ وَفاءٍ ونائلِ
وأنّ تميماً لم تُحارِبْ قبيلةً ... من النّاس إلاّ أُولعتْ بالكواهلِ
ولو حاربتْنا عامرٌ يا ابنَ ظالمٍ ... لعضَتْ علينا عامرٌ بالأنامِلِ

---

1 العذم : العض .
2 ل : طوالاً حساناً .
3 يؤلّون من الأل : السرعة .
4 الشول : جمع شائلة وهي التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها .
5 في الأصل مخلب ولكنها لا تستقيم .

ولاسْتيقنتْ عُلْيا هَوازِنَ أنّنا سنُوطِئها في دارها بالقنابِلِ[1]
ولكنّني لا أبعثَ الحربَ ظالماً ولو هِجْتُها لم أُلْفَ شَحْمةَ آكلِ

قال : فتنحّى الحارث بن ظالم عن بني زُرارةَ فلحِق بعَرُوض اليمامة . ودعا مَعْبَداً ولَقِيطاً ابْنَيْ زرارة فقال : سِيرا في الظُّعُن ، فموعدُكما رَحْرحان ؛ فإنّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : ما ترى ؟ قال : أن نَدَعَهم بمكانهم ونَسْبِقَهم إلى الظُّعُن . قال : فلَقُوها برَحْرَحان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصابوها ، وأُسِرَ معبدٌ وجُرِح لَقِيطٌ . فبعثوا بمعبد إلى رجلٍ بالطائف كان يعذِّب الأسرى ، فقطَّعه إرْباً إرْباً حتى قتله .

[شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب]

وقال عامر بن مالك يَرُدّ على حاجب قوله : [من الطويل]

أَلِكْني إلى المراء الزُّراريِّ حاجبٍ رئيسِ تَميمٍ في الخطوب الأوائلِ[2]
وفارِسِها في كلِّ يومِ كريهةٍ وخير تميم بين حافٍ وناعلِ
لَعَمْرِي لقد دافعتُ عن حيّ مالكٍ شآبيب من حَرْبٍ تَلَقَّحُ حائلِ[3]
على كلِّ جَرْداءِ السَّراةِ طِمِرّةٍ وأَجْرَدَ خَوّارِ العِنانِ مُناقِلِ[4]
نصحتُ له إذ قلتُ إنْ كنتَ لاحقاً بقَوْمٍ فلا تَعْدِلْ بأبناء وائلِ
ولو ألجأتْه عُصْبةٌ تَغْلِبيّةٌ لَسِرْنا إليهم بالقنا والقَنابِلِ[5]
ولو رُمْتُمُ أن تمنَعوه رأيتُمُ هناك أُموراً غَيُّها غيرُ طائلِ
لشابَ وليدُ الحيِّ قبل مَشيبِهِ وعَضّت تميمٌ كلُّها بالأَناملِ
وقامتْ رجالٌ منكمُ خِنْدِفِيّةٌ يُنادون جهراً ليتَنا لم نُقاتِلِ

---

1 القنابل : الجماعات من الخيل والناس ، الواحدة قَنبلة وقَنبل .
2 ألكني إلى فلان : أي كن رسولي إليه . والاسم من ألك : الألوك والألوكة والمألُكة والمألُك بمعنى الرسالة .
3 الشآبيب : جمع شؤبوب ، وشؤبوب كل شيء : حدّه ، أو الدفعة منه . تلقحت الناقة : إذا شالت بذنبها لترى أنها لاقح وهي ليست كذلك . وحائل : غير حامل .
4 الأجرد من الخيل : القصير الشّعر . والسّراة : الظهر . والطمرة : أنثى الطمر وهو الفرس الجواد ، أو المشمر الخلق ، أو المستفز للوثب والعدو ، أو الطويل القوائم الخفيف . وفرس خوار العنان : سهل المعطف . والمناقل من الخيل : الذي يتّقي في عدوه الحجارة .
5 ألجأته هنا : عصمته . القنابل : الجماعات من الناس ومن الخيل الواحدة قَنْبلة وقَنبل .

[قتل الحارث لابن النُّعمان]

قال : فخرج الحارث بن ظالم من فَوْره ذلك حتى أتى سَلْمى بنتَ ظالم وفي حجْرها ابن النُّعمان ، فقال لها : إنّه لن يُجيرَني من النُّعمان إلاّ تَحَرُّمي بابنه ، فادْفَعيه إليّ . وقد كان النُّعمان بعث إلى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهنّ ؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله .

[اعتذار عمّ الحارث للنعمان]

فوثب النُّعمان على عمّ الحارث بن ظالم فقال له : لأُقتلنَّك أو لتأتينِّي بابن أخيك . فاعتذر إليه فخلّى عنه . فأقبل ينطلق فقال : [من البسيط]

يــا حــارُ إنّيَ أَحْيا من مُخَبَّأةٍ ... وأنت أَجْرَأُ من ذي لِبْدةٍ ضارِي
قــد كان بيتِيَ فيكم بالعَلاء فقد ... أَحْلَلْتَ بيتِيَ بـين السَّيْلِ والنارِ
مهما أُخَفْكَ على شيءٍ تجيء به ... فلَـم أُخَفْـكَ على أمثالهـا حارِ
ولَم أُخَفْكَ عـلى لَيْثٍ تُخاتِله ... عَبْـلِ الذِّراعَيْنِ للأقرانِ هَصّارِ
وقـد علمـتُ بأنّـي لن يُنَجِّيَني ... ممّـا فعلتَ سوى الإقـرارِ بالعارِ
فقد عَدَوْتَ عـلى النُّعْمانِ ظالِمَه ... في قتلِ طِفْلٍ كمثلِ البَدْرِ مِعْطارِ
فاعلَـمْ بأنّك منــه غيرُ مُنْفَلِتٍ ... وقد عدوتَ على ضِرْغامةٍ شارِي[1]

[شعر للحارث في قتله ابن النُّعمان]

وقال الحارث بن ظالم في ذلك : [من الطويل]

قِفا فاسْمَعا أُخبِرْكما إذْ سألتما ... مُحارِبُ مَـوْلاهُ ، وثَكْلانُ نادِمُ
حَسِبْتَ أبا قابُــوسَ أنّك سابِقِي ... ولَمّا تَذُقْ ثَكْـي وأنفُك راغِمُ[2]
أَخُصْيَيْ حِمارٍ بات يَكْدِمُ نَجْمةً ... أَتُؤْكَلُ جاراتِـي وجارُك سالِمُ[3]
تَمَنَّيْتَـهُ جهـراً عـلى غير رِيبةٍ ... أَحاديثُ طَسْمٍ ، إنّما أنتَ حالِمُ
فـإنْ تَـكُ أذوادًا أُصبتَ ونسوةً ... فهذا ابــنُ سَلْمى أَمْـرُه متفاقِمُ[4]

---

1 شاري : وصف من شَرِي يشرى : إذا غضب ولجّ في الأمر .

2 في المفضليات 312 : ولَمّا تصب ذلاًّ وأنفك راغم .

3 يكدم : يعض بأدنى الفم . والنجم من النبات ما لا ساق له طال أو قصر . ونجمة هنا : واحدها النجم وهو ضرب من النبت يقال له الثيّل . وفي المفضليات : أتأكل جيراني وجارك سالم .

4 في المفضليات 312 :

فـإنْ تـكُ أذوادٌ أُصِبْن ونسوة ... فهـذا ابـن سلمى رأسه متفاقم

والذود : القِطع من الإبل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر .

علوتُ بـذي الحيّاتِ مَفْرِقَ رَأْسِهِ ... وكان سِلاحي تجتويه الجماجمُ[1]
فتكتُ بــه فتكاً كفتكي بخالدٍ ... وهل يركب المكروهَ إلاّ الأكارمُ[2]
بدأتُ بهــذي ثــم أُثني بمثلها ... وثالثــةٍ تبيضّ منهــا المَقادِمُ[3]
شَفَيْتُ غَليلَ الصدرِ منــه بضربةٍ ... كذلك يأبــى المُغْضَبون القَماقِمُ[4]

[شعر للحارث يخاطب به النعمان]

فقال النُّعمان بن المنذر : ما يعني بالثالثة غيري . قال سِنان بن أبي حارثة المُرِّيُّ ، وهو يومئذٍ رأسُ غَطَفانَ : أُبَيْتَ اللَّعْنَ ! والله ما ذِمّةُ الحارث لنا بذمّة ، ولا جارُه لنا بجار ، ولو أمّنته ما أمّناه . فبلغ ابنَ ظالمٍ قولُ سِنانِ بن أبي حارثةَ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

ألا أَبْلِــغْ النُّعمانَ عنّــي رسالةً ... فكيف بخطّابِ الخُطُوبِ الأَعاظمِ
وأنــتَ طَويــلُ البَغيِ أَبْلَخُ مُعْوِرٌ ... فَرُوعٌ إذا ما خِيفَ إحْدى العَظائِمِ[5]
فمــا غَــرُّه والمرءُ يُدْرِكُ وتْرَهُ ... بأَرْوَعَ ماضي الهَمِّ مِــن آلِ ظالمِ
أَخي ثِقَــةٍ ماضِي الجَنانِ مُشَيَّعٍ ... كَميشِ التَّوالِي عند صِدْقِ العَزائمِ[6]
فأُقْسِم لَــولا مَــنْ تعرَّض دونه ... لَعُولي بهِنْدِيٍّ الحديــدةِ صارمِ
فأُقَتِّــلُ أَقوامــاً لِئامــاً أَذِلَّــةً ... يَعَضُّون مِــن غَيْظٍ أُصولَ الأَباهمِ
تمنّى سِنانٌ ضَلَّــةً أن يُخيفَني ... ويأْمَــنَ ، مــا هذا بفعل المُسالمِ
تَمنَّيتَ جهــداً أن تَضيعَ ظُلامتي ... كذبتَ وربِّ الراقصاتِ الرَّواسِمِ[7]

---

1 ذو الحيّات : اسم سيف الحارث ، كانت على سيفه تماثيل حيات .

2 ثم اختلاف في رواية هذا البيت والبيت الذي سبقه في المفضليات 312 ، إذ يتبادلان الشطر الأوّل في كلّ منهما :

علوت بذي الحيات مفرق رأسِه ... وهل يركب المكروه إلاّ الأكارم
فتكت بــه كما فتكت بخالــدٍ ... وكان سلاحي تجتويه الجماجم

وثمة اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما ترى .

3 صدر البيت في المفضليات : بدأت بهذي ثم أُثني بهذه .

4 القماقم : جمع قمقام ، وهو من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

5 الأبلخ : المتكبّر في نفسه الجريء على ما يأتي من الفجور . معور : قبيح السريرة ، أو مريب .

6 المشيّع : الشجاع . كميش التوالي : يريد أنه مشمر جاد . وتوالي كل شيء : أواخره .

7 رقص الإبل : ضرب من سيرها وهو الخبب . والرسيم : ضرب من سيرها أيضاً وهو فوق الذميل . والذميل : سير ليّن .

يمين امرىء لم يَرْضَعِ اللُّؤْمَ ثَدْيَه ولَـم تَتَكَنَّفْـه عـروقُ الألائِمِ

[الحارث يرد إبلاً لامرأة استجارت به]

قال : فأمّنه النُّعمان ، وأقام حيناً . ثم إنّ مصدِّقاً للنُّعمان أخذ إبلاً لامرأة من بني مُرّةَ يقال لها دَيْهَثُ ؛ فأتت الحارثَ فعلّقت دَلْوَها بدلوه ومعها بُنَيٌّ لها ، فقالت : أبا ليلى ! إنّي أتيتُك مُضافةً[1] . فقال الحارث : إذا أورد القومُ النَّعَمَ فنادِي بأعلى صَوْتِك : [من الرجز]

دَعَـوْتِ بـالله ولم تُراعِـي ذلك راعيـكِ فنِعْـمَ الرَّاعِي
وتلك ذودُ الحارثِ الكساعِ يمشي لهـا بصارمٍ قَطّاعِ[2]
يَشْفِي بـه مَجامـعَ الصُّداعِ

وخرج الحارث في أثرها يقول : [من الرجز]

أنا أبـو ليـلى وسَيْفِي المَعْلُوبْ كَم قد أَجَرْنا من حَرِيبٍ محروبِ[3]
وكم رَدَدْنـا من سَلِيبٍ مسلوبْ وطَعَنَـةٍ طعنتُهـا بـالمنصوبِ
ذاك جهيزُ الموت عند المكروب[4]

ثم قال لها : لا تَرِدَنّ عليكِ ناقةٌ ولا بعيرٌ تَعْرِفينه إلاّ أخَذْتِيه ففعلتْ ؛ فأتت على لَقُوحٍ لها يحلِبُها حَبَشيٌّ ، فقال : يا أبا ليلى ! هذه لِي . فقال الحبشيّ : كذبتِ . فقال الحارثُ : أرْسِلْها لا أُمَّ لك ! فضَرَط الحبشيّ . فقال الحارث : «اسْتُ الحالبِ[5] أعلم» ، فسارتْ مثلاً . قال أبو عبيدة : ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدقُ : [من الطويل]

كما كان أَوْفى إذ يُنادِي ابنُ دَيْهَثٍ وصِرْمَتُـهُ كالمَغْنَـمِ المُتَنَهَّـبِ[6]
فقام أبـو ليـلى إليـه ابنُ ظالمٍ وكان متى ما يَسْلُلِ السَّيْفَ يَضْرِبِ
ومـا كان جـاراً غيرَ دَلْوٍ تَعلّقتْ بِحَبْلَيْنِ في مُسْتَحْصِدِ القِدِّ مُكْرَبِ[7]

1 مضافة : ملجأة .
2 الكسع : الضرب على الدبر .
3 المعلوب : اسم سيف له .
4 والمكرب : المشدود بالكَرَب وهو حبل يشدّ على عراقي الدلو ثم يثنى ويثلث .
5 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 104/2 «است البائن أعلم» ، يضرب لمن وَلِي أمراً وصلّى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به . وأصل المثل أن الحارث بن ظالم وجد اثنين يحلبان ناقة له فأهوى إليهما بالسيف ، فضرط البائن ، فقال المعلي والله ما هي لك ، فقال الحارث : «است البائن اعلم» .
6 الصرمة هنا : القطعة من الإبل .
7 المستحصد : الذي أحكم فتله .

[خروج الحارث إلى صديق له من كندة]

قال أبو عبيدة حدَّثني أبو محمد عِصامٌ العِجليّ قال : فلمّا قَتل الحارثُ بن ظالمٍ خالدَ بن جعفر في جِوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كِنْدة يَحُلّ شُعَبى ، قال : شُعَبى غير ممدود ، فلمّا ألحّ الأسْوَدُ في طلب الحارث قال له الكِنْديُّ : ما أرى لك نجاةً إلاّ أن أُلْحِقَك بحَضْرَمَوْتَ ببلاد اليمن فلا يُوصَلَ إليك . فسار معه يوماً وليلةً ، فلمّا غرّبه قال : إنّني أنقطع ببلاد اليمن فأغترِبُ بها ، وقد بَرِئتْ منك خَفارتي . فرجع حتّى أتى أرضَ بكر بن وائل ، فلجأ إلى بني عِجْلٍ بن لُجَيْم ، فنزل على زبّان فأجاره وضرب عليه قُبّة . وفي ذلك يقول العِجْليُّ : [من الطويل]

ونحن مَنَعْنا بالرِّماح ابنَ ظالمٍ فظلّ يغنّـي آمِنـاً في خِبائنا

قال أبو عبيدة : فجاءته بنو ذُهْل بن ثَعلبة وبنو عَمْرو بن شَيبان فقالوا : أَخْرِجْ هذا المشئومَ من بين أَظْهُرِنا ، لا يَعُرُّنا بشرٍّ ؛ فإنّا لا طاقةَ لنا بالمَلْحاء (والملحاء كَتِيبةُ الأسْوِدِ) فأَبَتْ عِجْلٌ أن تُخْفِرَه[1] ، فقاتلوه فامتنعتْ بنو عِجْلٍ . فقال الحارث بن ظالمٍ في الكِنْدِيِّ وفيهم : [من الطويل]

يُكَلِّفُنـي الكِنْـدِيُّ سَيْرَ تَنُوفـةٍ أكابدُ فيهـا كلَّ ذِي صُبَّةٍ مُثْرِي

الصُّبّة : قطعةٌ من الغنم أو بقيّة منها .

وأَقبـلَ دُونِي جَمْعُ ذُهْلٍ كأنّني خَلاةٌ لِذُهْلٍ والزَّعانِفِ من عَمْرِو[2]
ودُونِيَ رَكْـبٌ من لُجَيْمٍ مُصَمِّمٌ وزَبّانُ جارِي والخَفِيرُ على بَكْرِ
لَعَمْـرِيَ لا أَخشى ظُلامـةَ ظالمٍ وسَعْدُ بن عِجْلٍ مُجْمِعون على نَصْرِي

[لحوقه بطيء]

قال أبو عبيدة : ثم قال لهم الحارثُ : إنّي قد اشتهر أمرِي فيكم ومكاني ، وأنا راحلٌ عنكم . فارتحل فلحِقَ بطيِّء . فقال الحارثُ في ذلك : [من الطويل]

لَعَمْري لقد حلّتْ بِيَ اليومَ ناقتي إلى ناصرٍ مـن طَـيِّءٍ غيرِ خاذلِ
فأَصبحـتُ جـاراً للمَجَرَّةِ منهمُ على باذِخٍ يعلـو عـلى المُتطاوِلِ

---

1 الإخفار : الغدر ونقض العهد .

2 الخلاة : واحدة الخلي وهو الرطب من الحشيش .

[أخذ الأسود أموال جارات له فردّها هو إليهن]

قال أبو عبيدة وحدَّثني أبو حَيّة أنّ الأسْوَدَ حين قتل الحارثُ خالداً سأل عن أمرٍ يُبلغ منه . فقال له عُرْوةُ بن عُتْبة : إنّ له جاراتٍ من بَلِيٍّ بن عَمْرٍو ، ولا أراك تنالُ منه شيئاً أغْيَظَ له من أخْذِهنّ وأخْذِ أموالِهنّ ، فبعث الأسودُ فأخذهنّ واستاق أموالهنّ . فبلغ ذلك الحارث ، فخرج من الحينِ فانساب في غُمارِ الناس حتى عرَف موضع جاراتِه ومَرعى إبلهنّ ، فأتى الإبلَ فوجد حالبين يحلُبان ناقةً لهنّ يقال لها اللّفاع ، وكانت لبوناً كأغْزَرِ الإبل ، إذا حُلِبتْ اجترّت ، ودمعتْ عيناها ، وأصغتْ برأسها ، وتَفاجّتْ[1] تَفاجَّ البائِل ، وهجمتْ في المِحْلَب هَجْماً حتى تُسَنِّمَه[2] ، وتجاوبت أحاليلُها[3] بالشّخْبِ هَثّاً[4] وهثيما حتى تَصُفَّ بين ثلاثةِ مَحالِب . فصاح الحارثُ بهما ورجَز فقال : [من الرجز]

إذا سَمِعْتِ حَنّةَ اللّفاعِ فادْعِي أبا لَيْلى ولا تُراعي
ذلك راعيكِ فنِعْمَ الرّاعي يُجبْكِ رَحْبَ الباعِ والذِّراعِ
مُنَطَّقاً بصارمٍ قَطّاعِ[5]

خَلِّيا عنها ! فعَرفاه فضَرط البائنُ . فقال الحارثُ : «اسْتُ الضارطِ أعْلَمُ»[6] فذهبتْ مثلاً ، قال الأثْرَمُ : البائن الحالبُ الأيمنُ ، والمستعلي الحالبُ الأيْسَرُ ، ثم عمَد إلى أموالِ جاراته وإلى جاراته فجمعهنّ وردّ أموالهنّ وسار معهنّ حتى اشتلاهنّ (أي أنقذهنّ) .

[رواية أخرى في قتله ابن الملك]

قال أبو عُبيدة : ولحِق الحارثُ ببلاد قومه مختفياً . وكانت أُخته سَلْمى بنتُ ظالم عند سِنان بن أبي حارثةَ المُرّي . قال أبو عبيدة : وكان الأسْوَدُ بن المُنْذِرِ قد تبنّي سنانُ بن أبي حارثةَ المُرِّيُّ ابنَه شُرَحْبِيلَ ، فكانت سَلْمى بنتُ كَثِيرِ بن رَبِيعةَ من بني غَنْم بن دُودانَ امرأة سِنان بن أبي حارثةَ المُرِّيِّ تُرضعه وهي أمّ هَرِمٍ ، وكان هَرِمٌ غَنِيّاً يقدِر على ما يُعطي سائليه . فجاء الحارثُ ، وقد كان اندسَّ في بلاد غَطَفانَ ، فاستعار سَرْجَ سِنانٍ ، ولا يعلم سِنانٌ ، وهم نُزولٌ بالشَّرَبَّةِ ، فأتى به سَلْمى ابنةَ ظالمٍ فقال : يقول لكِ بَعْلُكِ : ابْعَثي بابن الملك مع الحارثِ

1 تفاجت : باعدت بين رجليها .
2 تسنمه : تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام .
3 الأحاليل : جمع إحليل ، وهو هنا مخرج اللبن من الضرع .
4 الهث : اختلاط الصوت في حرب أو صخب .
5 منطقا : مشدوداً في وسطه .
6 مثل مرّ في صفحة 73 .

حتى أستأمِنَ له ويَتَخفَّرَ به ، وهذا سرجُه آية إليك . فزيّنته ثم دفعتْه إلى الحارث ، فأتى بالغلام ناحيةً من الشَّرَبَّةِ فقتَله ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

قِفا فاسْمَعا أُخْبِرْكما إذ سألتُما ... مُحارِبُ مولاه ، وثَكْلانُ نادِمُ

ثكلان نادم : يعني الأسْودَ لأنه قُتِل ابنُه شُرَحْبِيل . محارِبُ مولاه : يعني الحارث نفسَه . ومولاه : سِنانٌ .

أَخُصْيَيْ حِمارٍ باتَ يَكْدُمُ نجمةً ... أتُؤكَلُ جاراتي وجارُك سالمُ
حَسِبت أبيتَ اللَّعْنَ أنّك فائتٌ ... ولّما تَذُقْ ثُكْلاً وأَنْفُك راغمُ
فإن تكُ أذواداً أُصبتَ ونسوةً ... فهذا ابنُ سَلْمى رأسُه مُتفاقِمُ
علوتُ بذي الحَيّاتِ مَفْرِقَ رأسِهِ ... وكان سِلاحِي تجتويه الجماجمُ
فتكتُ به كما فتكتُ بخالدٍ ... ولا يَركب المكروهَ إلاّ الأكارمُ
بدأتُ بتِلك وانثنيتُ بهذه ... وثالثةٍ تبيضّ منها المَقادِمُ

قال : ففي ذلك يقول عَقِيلُ بن عُلَّفةَ في الإسلام وهو من بني يَرْبُوع بن غَيْظِ بن مُرَّةَ لَمّا هاجى شَبِيبَ بنَ البَرْصاء ، وأبوه يزيدُ ، وهو من بني نُشْبَةَ بن غَيْظ بن مُرّة ابنُ عَمِّ سِنانِ بن أبي حارثةَ ، فعيّره بقتلِ الحارثِ بن ظالمٍ شُرَحْبيل لأنّه ربيبُ بني حارثةَ بن مُرّة بن نُشْبَةَ بنَ غَيْظِ رَهْطِ شَبِيبٍ ، ففي ذلك يقول عَقِيلٌ : [من الطويل]

قتلْنا شُرَحْبيلاً ربيبَ أبيكُمُ ... بناصيةِ المَغْلُوب ضاحيةً غصْبا[1]
فلم تُنْكِرُوا أن يَغْمِزَ القومُ جارَكم ... بإحْدى الدَّواهِي ثم لم تَطْلُعُوا نَقْبا[2]

قال أبو عُبيدة : وهَرَب الحارث ، فغزا الأسْوَدُ بني ذُبيان إذ نقضوا العهد وبني أَسَدٍ بشَطِّ أُرِيكٍ . قال أَبو عبيدة : وسألته عنه فقال : هما أُرِيكانِ الأسْوَدُ والأبيض ، ولا أُدري بأيّهما كانت الوَقعةُ . قال أَبو عبيدة وقال آخرون : إنّ سَلْمى امرأةَ سِنانٍ التي أخذ الحارثُ شُرَحْبِيلَ من عندها من بني أَسَدٍ . قال : فإنّما غزا الأسودُ بني أَسَدٍ لدفع الأَسَديّة سَلْمى ابنَه إلى الحارث ، فقتل فيهم قتلاً ذَرِيعاً وسبى واستاق[3] أموالهم . وفي ذلك يقول [الأعشى ميمون] : [من الخفيف]

وشُيوخٍ صَرْعى بشَطَّيْ أُرِيكٍ ... ونساءٍ كأنّهنّ السَّعالي

1 المغلوب : سيف الحارث بن ظالم . وضاحية : علانية وجهراً .
2 النقب : الطريق ، أو الطريق الضيق في الجبل .
3 في ل : واستخفّ .

من نَواصِي دُودانَ إذ نقضوا العهـ ـدَ وذُبْيانَ والهِجانِ الغَوالِي
رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَه ذلك اليو مَ وأَسْرى من مَعْشَرٍ أَقْتالِ[1]
هؤلاَ ثمّ هؤلاَ كُلاًّ احْذَيْـ ـتَ نِعالاً مَحْذُوَّةً بمِثالِ
وأرى مَن عصاكَ أصبح مخذو لاً وكَعْبُ الذي يُطيعك عالِي

[وجود نعل شرحبيل بن الأسود في بني محارب]

قال : ووجِد نعل شُرحبيل عند أُضاخٍ . وهو من الشَّرَبَّةِ في بني محارب بن خَصَفَةَ بن قَيس عَيلان . قال : فأحمى لهم الأسودُ الصَّفا التي بصحراء أضاخٍ وقال لهم : إنّي أُحذِيكم نِعالاً ، فأمشاهم على الصَّفا المُحْمى فتساقط لحمُ أقدامهم . فلمّا كان الإسلام قتل جَوْشَنٌ الكِنْدِيُّ رجلاً من بني مُحارِبٍ فأُقِيد به جوشنٌ بالمدينة . وكان الكنديُّ من رهط عبّاس بن يزيد الكنديّ ، فهجا بني مُحاربٍ فعيّرهم بتحريق الأَسْوَدِ أقدامَهم فقال : [من الطويل]

على عَهْدِ كِسْرى نَعَّلتكم ملوكُنا صَفاً من أُضاخٍ حامياً يَتَلهّبُ

قال أبو عبيدة : وصار ذلك مثلاً يتوعّد به الشعراء مَن هَجَوْه ويحذّرونهم مثلَ ذلك . ومن ذلك أنّ ابن عَتّابٍ الكلبيّ ورَد على بني النوس من جَدِيلة طيّىء ، فسرَقوا سهاماً له ؛ فقال يحذّرهم : [من الطويل]

بنى النوس رُدُّوا أَسْهُمي إنّ أَسهُمِي كنَعْلِ شُرَحْبيلَ التي في مُحارِبِ

وقال في الجاهليّة ابنُ أُمِّ كَهْف الطائيُّ في مَدحِهِ لمالك بن حِمارٍ الشَّمْخيّ ، فذكر نعل شُرَحْبيلَ فقال : [من الوافر]

ومولاك الذي قتل ابنَ سَلْمى عَلانِيةً شُرَحْبيلَ ابنِ نَعْلِ

لأنّه لولا النعل لم يُعْرَف ، وإنّما عُرِف بما صنع أبوه ببني مُحارِبٍ من أجل نعله التي وُجِدت في بني مُحارِبٍ .

[أخذ الأسود لسنان بن أبي حارثة]

قال أبو عُبيدة : وأخذ الأسودُ سِنانَ بنَ أبي حارثة ؛ فأتاه الحارثُ بن سَفيان أحدُ بني الصارِدِ ، وهو الحارثُ بن سفيان بن مرّة بن عوف بن الحارث بن سفيان أخو سَيّار بن عمرو بن جابر الفَزاريِّ لأمّه ، فاعتذر إلى الأسودِ أن يكون سِنانُ بن أبي حارثة عَلِم أو اطَّلع ، ولقد كان أَطْرَدَ الحارثَ من بلاد غَطَفان ، وقال : عليَّ دِيَةُ ابنِك أَلفُ بَعِيرٍ دِيَةُ الملوك ؛ فحمَّلها إيّاه وخلَّى عن سِنانٍ ؛ فأدّى إلى الأَسْوَدِ منها ثمانمائةِ بعيرٍ ثم مات . فقال سيّار بن عمرو

[1] الرفد : القدح الضخم . والأقتال : جمع قِتل وهو العدوّ ، والشبيه في القتال .

أخوه لأُمّه : أنا أقوم فيما بَقِي مقام الحارث بن سُفيان . فلم يرضَ به الأسودُ . فرهَنه سيّارٌ قَوسَه ، فأدّى البقيّة . فلمّا مدح قُرادُ بن حَنَشٍ الصارِديُّ بني فَزارة جَعَل الحَمالةَ كلَّها لسَيَّار بن عمرو فقال : [من الطويل]

ونحـن رَهَنَّا القَوْسَ ثُمَّتَ فُودِيتَ ... بألْفٍ على ظَهْـرِ الفَزاريِّ أَقْرَعا[1]

بعَشْرِ مِئِــينٍ للملوكِ سَعـى بها ... لِيُوفِيَ سَيَّارُ بـن عمــرٍو فأَسْرَعا

رَمَيْنا صَفــاهُ بالمِئِــينَ فأصبحتْ ... ثَناياه للساعين في المَجْدِ مَهْيَعا[2]

قال ويقال : بل قالها ربيع بن قَعْنَبٍ ، فردّ عليه قُرادٌ فقال : [من البسيط]

ما كان ثَعْلَبُ ذِي عاجٍ لِيَحْمِلَها ... ولا الفَزاريُّ جُوفانُ بن جُوفانِ[3]

لكــن تَضَمَّنها ألْفــاً فأخرجها ... على تكاليفها حــارُ بنُ سُفْيانِ[4]

وقال عُوَيْفُ القَوافي بن عُيينة بن حصنِ بن حُذيفة بن بَدْرٍ في الإسلام يفخَر على أبي منظور الوَبِريّ حين هاجاه أحد بني وَبْرِ بن كِلابٍ : [من الرجز]

فهل وجدتــم حاملاً كَحاملي ... إذ رَهَــنَ القَوْسَ بألفٍ كاملِ

بدِيَــةِ ابـنِ الملكِ الحُلاحِـلِ ... فافتكّها مـن قبـلِ عـامٍ قابلِ

سَيّارٌ المُـوفي بهـا ذو السائلِ

[لحوق الحارث ببني دارم]

قال أبو عبيدة : فلمّا قتل الحارث شُرحبيل لحِق ببني دارمٍ فلجأ إلى بنـي ضَمْرةَ . قـال : وبنو عبد الله بن دارمٍ يقولون : بل جاور مَعْبَد بن زُرارة فأجاره ، فجرّ جُوارُه يوم رَحْرَحانَ ، وجرّ يومُ رحرحان يومَ جَبَلةَ . وطلبه الأسودُ بن المُنْذِرِ بخُفْرته[5] فلمّا بلَغه نزولُه ببني دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يُسْلِموه فأَبَوْا . فقال يَمُنّ على بني قَطَنِ بن نَهْشَلِ بن دارمٍ بما كان من النُّعمان بن المُنْذِرِ في أمر بني رشيّة وهي رُمَيْلةُ حين طلبهم من لَقِيطِ بن زُرارةَ حتى استنقذهم . ورشيّة أَمَةٌ كانت لزُرارة بن عُدُسِ بن زيدِ المُجاشِعِيّ ، فوَطئها رجلٌ من بني نَهْشَلٍ فأولدها ؛ وكان زُرارةُ يأتي بني نهشلٍ يطلبُ الغِلْمةَ التي ولَدتْ ، وولدتِ الأشْهَبَ بن رُمَيْلةَ والرَّبابَ بن رُمَيْلةَ وغيرَهما ،

1 بألف أقرع أي تام .

2 الثنايا : جمع ثنية وهي طريق العقبة . والمهيع : الطريق الواسع الواضح .

3 ذو عاج : واد في بلاد قيس . الجُوفان : أير الحمار .

4 يريد حارث بن سفيان .

5 الخفرة : الذمة .

وكانوا يُسْمِعونه ما يكره ، فيرجع إلى ولده فيقول : أَسْمَعني بنو عمّي خيراً وقالوا : سنبعَث بهم إليك عاجلاً ، حتى مات زُرارَةُ . فقام لَقِيطٌ ابنُه بأمرهم ؛ فلمّا أتاهم أسمعوه ما كرِه ، ووقع بينهم شرٌّ ، فذهب النهشليّ إلى الملك فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! لا تَصِلُني وتَصِلُ قومي بأفضلَ من طِلْبَتِكَ إلى لَقِيطِ الغِلْمةَ لِيَكُفَّ عنّي . فدعاه فشرِب معه ، ثم استوهبهم منه فوهبهم له . فقال الأسْوَدُ بن المنذر في ذلك : [من الطويل]

كأَيِّنْ لنا مــن نِعْمَةٍ في رِقابكم   بنــي قَطَنٍ فضــلاً عليكم وأَنْعُما
وكَمْ مِنَّــةٍ كانتْ لنا في بُيوتكم   وقَتْــلِ كَرِيــم لم تَعُــدُّوه مغرَما
فإنّكــمُ لا تَمنعَــون ابنَ ظــالمٍ   ولم يمس بالأَيدِي الوَشِيجَ المُقَوَّما[1]

فأجابه ضَمرة بن ضَمرةَ فقال : [من الطويل]

سَنَمْنَع جــاراً عائذاً في بيوتكم   بأسيافنا حتى يــؤوبَ مُسَلَّما
إذا مــا دَعَوْنا دارِماً حالَ دونَه   عَوابِسُ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُعَجَّما[2]
ولو كنتَ حَرْباً ما وردتَ طُوَيْلِعاً   ولا حَوْفَــه إلاّ خَميساً عَرَمْرَما[3]
تركتَ بنــي ماء السماءِ وفِعْلَهم   وأشبهتَ تَيْساً بالحِجازِ مُزَنَّما[4]
ولن أذْكُــرَ النُّعْمــانَ إلاّ بصالحٍ   فــإنّ لــه فضلاً علينــا وأَنْعُما[5]

قال : وبلـغَ ذلك بنـي عامـر ، فخرج الأحوصُ غازياً لبني دارِم طالباً بدم أخيه خالدِ بن جعفر حين انطَوَوْا على الحارث وقاموا دونه ، فغزاهم فالتقَوْا برَحْرَحانَ ، فهُزِمتْ بنو دارمٍ ، وأُسِرَ مَعْبَدُ بن زُرارَة ، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم ، وحديثُه في يوم رحرحان يأتي بعدُ .

[أسر بني قيس وبني هزان للحارث]

ثم أَسَر بنو هِزَّانَ الحارثَ بنَ ظالم . وقال أبو عبيدة : خرج الحارث من عندهم ، فجعل يطوف في البلاد حتى سقَط في ناحية من بلاد ربيعة ، ووضَع سِلاحَه وهو في فَلاةٍ ليس فيها أثرٌ ونام ، فمرّ به نَفَرٌ من بني قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ ومعهم قومٌ من بني هِزَّانَ من عَنَزةَ وهو نائمٌ ،

1 الوشيج : شجر الرماح ، أو هو من القنا أصلبه .
2 الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة في الفم . والمعجم : المعضوض .
3 حوف الوادي : حرفه وناحيته . والحرب : العدو المحارب . وطويلع : ماء أو واد . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير .
4 المزنم من الشاء : ما له هنة معلقة في حلقة تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز ، والمزنم أيضاً : الذي تقطع أذنه وتترك له زنمة .
5 رواية الشطر الثاني من البيت في اللسان (مادة زنم) : فإنّ له عندي يدياً وأنعما .

فأخذوا فرسَه وسلاحَه ثم أُوثقوه ، فانتبه وقد شدّوه فلا يَملِك من نفسه شيئاً . فسألوه مَن أنت ؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر ، فضربوه ليقتلوه على أن يخبرهم مَن هو فلم يفعل . فاشتراه القيسيّون من الهِزّانيّين بزِقٍّ خمرٍ وشاة ، ويقال : اشتراه رجلٌ من بني سعد بإغلاق[1] بَكْرةٍ وعشرين من الشاء ، ثم انطلقوا به إلى بلادهم . فقالوا له : مَنْ أنت ؟ وما حالُك ؟ فلم يُخبرهم . فضربوه ليموت فأبى . قال : وهو قريبٌ من اليمامة . قال : فبينما هُمْ على تلك الحال وهم يُريغونه ضرباً مَرّةً وتَهَدُّداً أخرى وليناً مَرّةً ليخبرهم بحاله وهو يأبى ، حتى مَلُّوه ، فتركوه في قَيْده حتى انفلت ليلاً ، فتوجّه نحو اليمامة وهي قريبٌ منه ، فلقي غِلْمةً يلعبون ، فنظر إلى غلامٍ منهم أخْلَقُهم للخير عنده فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا بُجَيْرُ بن أبجَرَ العِجْليّ ، وله ذُؤابةٌ يومئذٍ وأُمّه امرأةُ قَتادة بن مَسلَمة الحنفيّ . فأتاه وأخذ بِحَقْوَيْه والتزمه وقال : أنا لك جارٌ . فيقال : إنّ عِجْلاً أجارتْه في هذا اليوم لا في اليوم الأوّل الذي ذكرناه في أوّل الحديث . فأتى الغلامُ أباه فأخبره وأجاره وقال : ائتِ عمّك قَتادةَ بن مَسلمةَ الحنفيَّ فأخبِرْه ؛ فأتى قتادةَ فأخبره فأجاره .

قال أبو عبيدة : وأمّا فِراسٌ[2] فزعم أنّه أُفلت من بني قَيْس فأقبل شَدّاً حتى أتى اليمامة ، واتّبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حَنِيفةَ وفيه قَتادةُ بن مَسْلَمةَ . فلمّا رأوه يَهوي نحوَهم قال : إنّ هذا لخائفٌ ، وبَصُر بالقوم خَلْفَه فصاح به : الحِصْنَ الحِصن ! فأقبل حتى ولَج الحِصْنَ . وجاءت بنو قيس ، فحال دونه وقال : لو أخذتموه قبل دخوله الحِصْنَ لأسلمتُه إليكم ، فأمّا إذْ تحرَّم بي فلا سبيلَ إليه . قال فقالوا : أسيرُنا اشتريناه بأموالنا ، وما هو لكَ بجارٍ ولا تعرِفه ، وإنما أتاك هارباً من أيدينا ، ونحن قومُك وجيرتُك . قال : أمّا أن أسلمه أبداً فلا يكون ذلك ، ولكن اختاروا منّي : إن شئتم فانظُروا ما اشتريتموه به فخذوه منّي ، وإن شئتم أعطيتُه سلاحاً كاملاً وحملتُه على فرسٍ ودَعُوه حتى يقطعَ الواديَ بيني وبينه ثم دُونَكُموه . فقالوا : رَضينا . فقال ذلك للحارث فقال نعم . فألبسه سِلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له : إنْ أفلتّهم فرُدَّ إليّ الفرسَ والسلاحُ لك . قال : فخرج ، وتركوه حتى جاز الواديَ ، ثم اتّبعوه ليأخذوه ، فلم يزل يُقاتلهم ويُطاردهم حتى ورد بلادَ بني قُشَيرٍ ، وهو قريبٌ من اليمامة أيضاً بينهما أقلُّ من يومٍ . فلمّا صار إلى بلاد بني قُشَير يئسوا منه فرجعوا عنه . وعرَفه بنو قُشَير فانطَوَوْا عليه وأكرموه . ورَدّ إلى قَتادة بن مَسْلَمة فرسَه وأرسل إليه بمائة من الإبل ، لا أدري أأعطاه إيّاها بنو قُشَير من أموالهم ليكافىء بها قَتادةَ أم كانت له ، لم يُفَسِّر أبو عُبَيدة أمرَها ولا سألتُه عنها .

1 أغلاق الرهن : إيجابه للرهن إذا لم يفك .

2 فراس هنا : أبو المختار فراس بن خندق القيسي .

فقال الحارثُ بن ظالم في ابنَيْ حُلاكةَ وهما من الذين باعوه من القَيْسِيِّين وفيما كان من أمره . قال أبو عبيدة : ويقال أسره راعيانِ من بني هِزّانَ يقال لهما ابنا حُلاكةَ : [من البسيط]

أَبْلِغْ لديكَ بنـي قَيْسٍ مُغَلْغَلَةً   أنّي أُقَسِّمُ في هِـزّانَ أرباعا
ابنـا حُلاكـةَ باعاني بلا ثَمَنٍ   وبـاع ذو آل هِزانٍ بما باعا
يابْنَيْ حُلاكةَ لمّا تأخُذا ثمني   حتّـى أُقَسَّمَ أفراساً وأدراعا
قَتـادةُ الخَيْرُ نالتنـي حَذيَّتُه   وكان قِدْماً إلى الخيراتِ طَلاّعا[1]

وقال في ذلك أيضاً : [من الكامل]

هَمَّتْ عُكابةُ أن تَضِيمَ لجيما   فأبتْ لُجَيْمَ مـا تقول عُكابَهْ[2]
فاسْقِي بُجَيْراً من رَحِيقِ مُدامَةٍ   واسْقِي الخفيرَ وطَهِّري أثوابَهْ
جاءَتْ حَنِيفةُ قبل جَيْئةِ يَشْكُرٍ   كُلاًّ وَجَدْنـا أَوْفِيـاءَ ذُؤابَهْ

[مروره برجل من بني أسد]

وزعم أبو عبيدة أنّ الحارثَ لمّا هُزِمتْ بنو تميمٍ يوم رَحْرَحانَ مرَّ برجلٍ من بني أُسَدِ بن خُزَيمة ؛ فقال : يا حارِ إنّك مشئومٌ وقد فعلتَ ما فعلت ، فانظُرْ إذا كنتَ بمكان كذا وكذا من بُرْقةِ رَحْرَحانَ فإنّ لِي به جملاً أحمرَ فلا تَعْرِضْ له . وإنّما يعرِّض له ويكرَه أن يصرِّح فيبلُغَ الأَسْوَدَ فيأخذَه . فلمّا كان الحارث بذلك المكان أخذ الجملَ فنجا عليه ، وإذا هو لا يُسايَرُ من أمامه ولا يُسْبَقُ من ورائه . فبلغ ذلك الأسودَ ، فأخذ الأسودُ الأَسَدِيَّ وناساً من قومه . وبلغ ذلك الحارث بن ظالمٍ فقال كأنه يهجوهم لئلاّ يتّهمهم الأسود : [من الوافر]

أرانِـي اللهُ بالنَّعَـمِ المُنَدَّى   بِبُرْقـةِ رَحْرَحانَ وقـد أراني[3]
لِحَـيٍّ الأنكدِينَ وحَـيٌّ عَبْسٍ   وحَـيٌّ نَعامَـةٍ وبني غُدانِ

[لحوقه بمكة وانتماؤه إلى قريش]

قال : فلمّا بلغ قوله الأسودَ خلّى عنهم . ولحِق الحارثُ بمكّة وانتمى إلى قريش ؛ وذلك قولُه : [من الوافر]

---

1 الحذية : العطية .
2 لُجَيْم : اسم القبيلة .
3 المندّى في ل : المبدّى ، وتندية الإبل : أن يوردها الرجل الماء حتى تشرب قليلاً ثم يجيء بها حتى ترعى ساعة ثم يردّها إلى الماء . وأبديت الإبل : إذا أبرزتها إلى موضع الكلأ .

وما قَوْمــي بثَعْلَبَةَ بــنِ سَعْدٍ ولا بفَــزارةَ الشُّعْــرِ الرِّقابا[1]
وقَوْمِي إنْ سألتِ بنــو لُؤَيٍّ بمكّةَ عَلَّمُــوا مُضَرَ الضِّرابا

قال : فزوّده وحمله رَواحة الجُمَحِيُّ على ناقة ؛ فذلك قوله : [من الوافر]

وهَشَّ رَواحةُ الجُمَحِيُّ رَحْلِي بناجيــةٍ ولم يَطْلُــبْ ثَوابا
كأنّ الرَّحْــلَ والأنساعَ منها ومِيثَرتِــي كُسِينَ أَقَبَّ جابا[2]

[لحق الحارث بالشام بملك من الغساسنة]

يروى «حَشّ» و«هَشّ» وهما لغتان . وحَشَّ سَوَّى . قال : فلحِق الحارثُ بالشام بملك من ملوك غسّان ، يقال [هو] النُّعمان ، ويقال بل هو يزيد بن عَمرو الغسّانيّ ، فأجاره . وكانت للملك ناقةٌ مُحْماةٌ في عُنقها مُدْيَةٌ وزِنادٌ وصُرَّةُ مِلح ، وإنما يختبر[3] بذلك رعيّته هل يجترىء عليه أحدٌ منهم . ومع الحارث امرأتان ، فوَحِمتْ إحدى امرأتيه ، قال أبو عبيدة : وأصابت الناس سنةٌ شديدةٌ ، فطلبت الشَّحْمَ إليه . قال : ويحكِ ! وأنّى لي بالشحم والوَدَكِ ؛ فألحّت عليه ؛ فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن وادٍ فلَبَّ في سَبَلتها[4] (أي طعن)[5] . فأكلتِ امرأتُه ورفعتْ ما بقي من الشحم في عُكّتها . قال : وفُقِدَت الناقة فوُجِدتْ نَحيراً لم يُؤخَذْ منها إلاّ السَّنام ، فأَعلموا ذلك الملكَ ، وخفي عليهم مَن فعله . فأرسلَ إلى الخِمْس التَّغلبيّ ، وكان كاهناً ، فقال : مَن نحر الناقة ؟ فذكر أن الحارث نحرها . فتذمَّم[6] الملك وكذَّب عنه . فقال : إن أردتَ أن تعلم عِلْمَ ذلك فدُسَّ امرأةً تطلب إلى امرأتِه شحماً ، ففعل . فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته إليها شحماً ، فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته . فلمّا فُقِدت المرأة قال الخِمْسُ : غالَها ما غالَ الناقة[7] ، فإنْ كرِه الملك أن يفتّشه عن ذلك فليأمُرْ بالرحيل ، فإذا ارتحل بُحِث بيتُه ، ففعل . واستثار الخمسُ مكان بيته ؛ فوثب عليه الحارثُ فقتله ؛ فأُخِذ الحارثُ فحُبِس . فاستسقى ماء

1 الشُّعر : جمع أشعر .
2 الأنساع : جمع نِسع وهو سير مضفور تشدّ به الرحال . والميثرة : وطاء محشو يوضع على رحل البعير تحت الراكب . والأقب : الضامر : والجاب والجأب : القوي الغليظ .
3 ل : يبور .
4 سبلة البعير : ثغرة نحره .
5 يقال لب البعير إذا ضربه في لبته أي طعنه في منحره .
6 تذمم : استنكف .
7 أي غال المرأة من غال الناقة ، وهي تضرب في تحري بيان الحقيقة ومعرفة خفاياها ، ورد في تمثال الأمثال للعبدري الشيبي 481/23 نقلاً عن الأغاني .

فأتاه رجلٌ بماء فقال : أتشرَبُ ؟ فأنشأ الحارث يقول : [من الطويل]

لقــد قــال لي عند المَجاهِدِ صاحبي ... وقد حِيلَ دون العَيْشِ هل أنت شاربُ[1]
وَدِدْتُ بأطــرافِ البَنــانِ لَوَ انَّني ... بذي أُرْوَنَــى تَرْمِي ورائــي الثَّعالِبُ

الثعالب : من مُرّةَ وهم رُماةٌ . أُرْوَنى : مكانٌ . وقال مَرّةً أخرى : الثعالب بنو ثَعلبة . يقول : كانوا يرمون عنّي ويقومون بأمري . قال : فأمر الملك بقتله . فقال : إنّك قد أجرتَني فلا تَغْدِرْني . فقال : لا ضيرَ ؛ إن غَدَرْتُ بِكَ مرّة فقد غدرت بي مِراراً[2] . فأمر مالِكَ بن الخِمْسِ التغلبيّ أن يقتله بأبيه . فقال : يا ابنَ شَرِّ الأظماء أنت تقتلني ! فقتله . وقال ابن الكلبيّ : لمّا قام ابن الخِمس إلى الحارث ليقتلَه قال : مَنْ أنت ؟ قال : ابنُ الخِمْس . قال : أنت ابنُ شَرِّ الأظماء . قال : وأنت ابنُ شرِّ الأسماء ؛ فقتله . فقال رجلٌ من ضريّ ، وهم حَيٌّ من جُرْهُم ، يرثي الحارثَ بن ظالمٍ : [من الرجز]

يــا حــارِ جِنِّيــا ... حُــرّاً قُطامِيّــا[3]
مــا كنـت تَرْعِيّا ... في البيت ضِجْعِيّا[4]
أدْعــى لُباخِيّــا ... مُمَــلأً عِيّــا[5]

وأخذ ابن الخِمْس سيفَ الحارثِ بن ظالم المعلوبَ ، فأتى به سُوقَ عُكاظ في الحَرَم ، فجعل يَعْرِضه على البيع ويقول : هـذا سيفُ الحـارث بن ظـالم . فاسْتَرْآه[6] إيّاه قيسُ بن زُهير بن جَذِيمة فأراه إيّاه ، فعلاه به حتى قتله في الحَرَم . فقال قيس بن زهير[7] يرثي الحارثَ بن ظالم : [من الطويل]

مـا قَصَرتْ من حاضنٍ سِتْرَ بَيْتِها ... أَبَرَّ وأَوفى منـك حـار بنَ ظالمِ[8]
أعَـزَّ وأَحْمـى عنـد جـارٍ وذِمَّةٍ ... وأضْرَبَ في كابٍ من النَّقْعِ قاتِمِ

1 المجاهد : الشدائد .
2 مثل .
3 حنياً : لعله منسوب إلى الحنّ وهو حي أو ضرب من الجن . والقطامي : الصقر .
4 الترعي والتِرعية : الذي يجيد رعية الإبل . والضجعي : الذي يلزم البيت لا يكاد يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة .
5 لباخي : ضخم كثير اللحم .
6 استرآه إيّاه : طلب إليه أن يريه إيّاه .
7 ل : قيس بن زحل .
8 قصر الستر : أرخاه .

هذه رواية أبي عُبيدة والبَصْرِيّين . وأمّا الكوفيّون فإنّهم يذكرون أنّ النُّعمان بن المنذر هو الذي قتله . أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أبو سعيد عن محمد بن حَبِيب عن ابن الأَعرابيّ عن المُفَضَّل قال : لمّا هرب الحارثُ إلى مكة أسِف النُّعمانُ بن المنذر على فَوْته إيّاه ، فلَطُفَ له وراسلَه وأعطاه الأَمانَ ، وأشهد على نفسه وجوهَ العرب من ربيعة ومُضَرَ واليمن أنه لا يطلبه بذَحْلٍ ولا يسوءه في حال ، وأرسل به مع جماعة لِيَسْكُن الحارث إليهم ، وأمرهم أن يتكلّفوا له بالوفاء ويَضْمَنوا له عنه أنّه لا يهيجه ، ففعلوا ذلك . وسكَنَ إليه الحارث ، فأتى النعمانَ وهو في قصر بني مُقاتِل ، فقال للحاجب : استأذِن لِي ، والنّاسُ يومئذٍ عند النُّعمان متوافرون ، فاستأذن له ، فقال النُّعمان : ائذَنْ له وخُذْ سيفَه . فقال له : ضَعْ سيفَك وادخُلْ . فقال الحارث : ولِمَ أَضَعه ؟ قال : ضَعْه ، فلا بأس عليك . فلمّا ألحّ عليه وضعه ودخل ومعه الأمان . فلمّا دخل قال : انْعَمْ صباحاً أَبَيْتَ اللَّعْن . قال : لا أنعمَ الله صباحك ! . فقال الحارث : هذا كتابك ! . قال النُّعمان : كتابي والله ما أُنكره ، أنا كتبتُه لك ، وقد غَدَرْتَ وفتكتَ مِراراً ، فلا ضَير أن غَدَرتُ بك مرّة . ثم نادى : مَن يقتل هذا ؟ فقام ابن الخِمْسِ التغلبيّ ، وكان الحارث فتَك بأبيه ، فقال : أنا أقتله . وذكر باقي الخبر في قصّته مع ابن الخِمس [مثل] ما ذكر أبو عبيدة .

[181] ـ خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة

وإنّما ذُكِر هاهنا لاتّصاله بمقتل خالد بن جعفر ، ولأنّ فيما تناقَضاه من الأشعار أغانِيَ صالحٌ ذِكرُها في هذا الموضع .

[غضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالداً]

قال أبو عبيدة : كان عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ ملك الحجاز ، ولمّا بلغه قتلُ الحارث بن ظالمٍ خالدَ بن جعفرٍ ، وكان خالدٌ مصافياً له ، غَضِب لذلك غضباً شديداً ، وقال : والله لو لَقِي الحارثُ خالداً وهو يَقظان لَما نظر إليه ، ولكنّه قتَله نائماً ، ولو أتاني لعرف قَدرَه ؛ ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقِيانِه ، فتَغنّينَ له : [من الخفيف]

عَلِّلاني وعَلِّلا صاحِبَيّا ... واسْقِياني مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا[1]
إنّ فينا القِيانَ يَعْزِفْنَ بالدُّ ... فِّ لِفِتْيانِنا وعيشاً رَخِيّا
يَتَبارَيْنَ في النَّعيمِ ويَصبُبْـ ... ـنَ خِلالَ القُرونِ مِسْكاً ذَكِيّا
إنّما هَمُّهنّ أنْ يَتَحَلَّيْـ ... ـنَ سُموطاً وسُنْبلاً فارِسيّا
من سُموطِ المَرْجانِ فُصِّلَ بالشَّذْ ... رِ فأَحْسِنْ بحَلْيِهِنّ حُلِيّا
وفتًى يَضرِب الكتيبةَ بالسَّيْـ ... ـفِ إذا كانتِ السيوفُ عِصِيّا
إنّنا لا نُسَرُّ في غير نَجْدٍ ... إنّ فِينا بها فتًى خَزْرَجِيّا
يدفَع الضَّيْمَ والظُّلامةَ عنها ... فَتَجافي عنه لنا يا مَنِيّا
أَبْلِغ الحارثَ بنَ ظالمٍ الرِّعْـ ... ـدِيدَ والناذرَ النُّذُور عَلَيّا
أنّما يَقْتُل النِّيامَ ولا يقـ ... ـتُل يَقْظانَ ذا سلاحٍ كَمِيّا
ومَعي شِكّتي مَعابِلُ كالجَمْـ ... ـرِ وأعددتُ صارماً مَشْرَفِيّا[2]
لو هبطتَ البلادَ أَنْسيتُك القتـ ... ـلَ كما يُنْسِيء النَّسيء النَّسِيّا

[مسير الحارث إلى عمرو وانخذال عمرو عنه]

قال : فلمّا بلغ الحارثَ شعرُه هذا ازداد حَنَقاً وغيظاً ، فسار حتى أتى ديارَ بني الخَزرج ،

1 المروّق : المصفى .
2 الشكة : السلاح . والمعابل جمع مِعبلة وهي نصل طويل عريض .

ثم دنا من قُبّة عَمْرو بن الإطنابة ، ثم نادى : أيُّها الملك أغِثْنِي فإنّي جارٌ مكثورٌ[1] وخُذْ سِلاحك ، فأجابه وخرج معه . حتى إذا برزَ له عطَف عليه الحارثُ وقال : أنا أبو لَيْلى ! فاعتركا مَلِيّاً من اللّيل . وخشِي عمرٌو أن يقتلَه الحارثُ فقال له : يا حارِ ، إنّي شيخٌ كبيرٌ وإنّي تعتريني سِنَةٌ ، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غدٍ ؟ فقال : هيهاتَ ؛ ومَن لي به في غدٍ ! فتجاولا ساعةً ، ثم ألقى عمروٌ الرُّمْحَ من يده وقال : يا حارِ ألم أُخْبِرك أنّ النُّعاسَ قد يغلِبني ؛ قد سقَط رمحي فاكْفُفْ ، فكفَّ . قال : أنظِرْني إلى غدٍ . قال : لا أفعل . قال : فدَعْني آخذُ رُمْحِي . قال : خُذْه . قال : أخشى أن تُعْجِلَني عنه أو تفتِكَ بي إذا أردتُ أخْذَه . قال : وذِمّة ظالمٍ لا أعجلتُك ولا قاتلتُك ولا فتكتُ بك حتى تأخذه . قال : وذِمّةِ الإطنابةِ لا آخذُه ولا أقاتلك . فانصرف الحارثُ إلى قومه وقال مُجيباً له : [من الخفيف]

اعْزِفا لِي بلَذّةٍ قَيْنَتَيّا ... قبلَ أن يُبْكِرَ المنونُ عَلَيّا
قبلَ أن يُنْكِرَ العواذلُ إنّي ... كنتُ قِدْماً لأَمْرِهِنّ عَصِيّا
ما أُبالي أراشداً فاصْبَحاني ... حَسِبتْني عَواذِلي أم غَوِيّا
بعدَ ألاّ أُصِرَّ لله إثماً ... في حياتي ولا أخونَ صَفِيّا
من سُلافٍ كأنّها دمُ ظَبْيٍ ... في زُجاجٍ تخالُه رازِقِيّا
بلغتْنا مقالةُ المرءِ عمرٍو ... فأنِفْنا وكان ذاك بَدِيّا
قد هَمَمْنا بقتلهِ إذ بَرَزْنا ... ولَقِيناهُ ذا سِلاحٍ كَمِيّا
غيرَ ما نائمٍ تعلّلَ بالحُلْـ ... ـمِ مُعِدّاً بكَفّه مَشْرَفِيّا
فَمَنَنّا عليه بعد عُلُوٍّ ... بوفاءٍ وكنتُ قِدْماً وَفِيّا
ورجعنا بالصَّفْحِ عنه وكان الـ ... ـمَنُّ منّا عليه بعدُ تَلِيّا

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[الغناء في شعر عمرو والحارث]

منها في شعر عمرو بن الإطنابة : [من الخفيف]

صوت

عَلِّلاني وعَلِّلا صاحِبَيّا ... واسْقِياني مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا

1 مكثور : غلبه أعداؤه بكثرتهم .

إنّ فينــا القِيــانَ يعزِفن بالدَّ فّ لِفتْياننــا وعيشاً رَخِيّــا

غنّته عَزّة المَيْلاء من رواية حمّاد عن أبيه خفيف رملٍ بالوسطى . قال حمّاد أخبرني أبي قال بلغني أنّ معبداً قال : دخلتُ على جَميلةَ وعندها عَزّةُ الميلاء تغنّيها لحنَها في شِعر عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ :

علّلاني وعلّلا صاحبيّا

على مِعزَفةٍ[1] لها وقد أسَنّت ، فما سمعتُ قطّ مثلَها وذهبتْ بعقلي وفتنتني ، فقلت : هذا وهي كبيرة مُسِنّة ! فكيف بها لو أدركتُها وهي شابّة ؟ وجعلتُ أعجَب منها .

ومنها في شعر الحارث بن ظالم : [من الخفيف]

صوت

ما أُبالي إذا اصطبحتُ ثلاثاً أرشيــداً حَسِبْتَنـــي أم غَوِيّــا

من سُلافٍ كأنّها دمُ ظَبْيٍ في زُجــاجٍ تخالــهُ رازقِيّا[2]

غنّاه فُلَيْح بن أبي العَوراء رملاً بالبنصر عن عمرو بن بانة . وغنّاه ابن محرزٍ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالخنصر من رواية حَبَشٍ .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

بلغتْنا مقالةُ المـرء عمرٍو فأنِفْنــا وكان ذاك بَدِيّا

قــد هممنا بقتلـه إذ بَرَزْنا ولَقِينـاه ذا سَلاحٍ كَمِيّا

غنّاه مالكٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر من رواية حبش ، وذكر إسحاق في مُجَرَّده أنّ الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب ، ولم يَنْسُب الطريقة ولا جَنَّسها .

---

1 المعزفة : آلة العزف .

2 الرازقي : الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه ، والرازقي أيضاً : ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب .

182 ـ [خبر يوم رحرحان]

ونذكر هاهنا خبر رَحْرَحانَ ويومَ قتله إذ كان مقتل الحارث وخبرُه خبرَهما

[يوم رحرحان الثاني والسبب فيه]

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن العبّاس اليزيديّ في كتاب النقائض قالا قال أبو سعيد الحسنُ بن الحسين السُّكّريّ عن محمد بن حَبيبَ عن أبي عُبيدة قال: كان من خبر رَحرَحان[1] الثاني أنّ الحارث بن ظالم المُرِّيَّ لمّا قتل خالدَ بن جعفر بن كِلابٍ غَدْراً عند النُّعمان بن المنذر بالحِيرَة هرَب فأتى زُرارةَ بن عُدُسٍ فكان عنده، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه، وكرِه أن يكون لقومه زَعْمٌ عليه و ـ الزعم المِنّة ـ فلم يَزَلْ في بني تميمٍ عند زُرارة حتى لحِق بقُريش. وكان يقال: إنّ مُرّة بن عوفٍ من لُؤَيٍّ بن غالبٍ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمي إلى قريش: [من الوافر]

رفعتُ السَّيْفَ إذ قالوا قُرَيْشٌ ... وبَيَّنْــتُ الشَّمائــلَ والقِبـابا
فما قَوْمِــي بثَعْلبــةَ بنِ سَعْدٍ ... ولا بفَــزارةَ الشُّعْــرِ الرِّقـابا

وأتاهم لذلك النَّسَب، فكان عند عبد الله بن جُدعان. فخرجتْ بنو عامر إلى الحارث بن ظالمٍ حيث لجأ إلى زُرارة وعليهم الأحوص بن جعفر، فأصابوا امرأةً من بني تميمٍ وجدوها تَحتَطِب، وكان [في] رأس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم شُرَيح بن الأحوص، وأصابوا غِلماناً يجتنون الكَمْأة. وكان الذي أصاب تلك المرأة رجلاً من غَنِيٍّ، فأرادت بنو عامر أخْذَها منه، فقال الأحوص: لا تأخذوا أُخيذةَ خالي. وكانت أُمُّ جعفر (يعني أبا الأحوص) خَبِيّة بنتَ رِياح [الغَنَوِيّ] وهي إحدى المُنْجِبات. ويقال: أتى شُرَيحُ بن الأحوص بتلك المرأة [إليه]، فسألها عن بني تميمٍ، فأخبرتهم أنّهم لَحِقوا [بقومهم] حين بلَغهم مجيئكم. فدفَعها الأحوصُ إلى الغنويّ فقال: اعْفِجْها[2] الليلة واحْذر أن تنفلت. فوَطِئها الغنويُّ ثم نام، فذهبتْ على وجهها. فلمّا أصبح دَعَوْا بها فوجدوها قد ذهبتْ. فسألوه عنها فقال: هذا حرِي رَطْباً من زُبِّها. وكانت المرأة يقال لها حنظلة، وهي بنت أخي زُرارة بن عُدُسٍ. فأتتْ قومَها، فسألها عمُّها زُرارة عمّا رأت، فلم تستطع أن تَنطِق. فقال بعضهم: اسقُوها ماءً حارّاً فإنّ قلبها قد بَرَد

1 يوم رحرحان الأول كان بين دارم وعامر بن صعصعة.
2 العفج: الجماع.

من الفَرَق ، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنّت . فقالت : يا عَمِّ ! أخذني القوم أمْسِ وهم فيما أرى يُريدونكم ، فاحْذَر أنت وقومُك . فقال : لا بأس عليكِ يا بنت أخي ، فلا تَذْعَري قومَك ولا تَرُوعِيهم ، وأَخْبِريني ما هيئةُ [القوم وما] نَعْتُهم . قالت : أخذني قومٌ يُقْبِلون بوجوه الظِّباء ، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء . قال زرارة : أولئك بنو عامر ، فمَن رأيتِ فيهم ؟ قالت : رأيتُ رجلاً قد سقَط حاجباه على عينيه فهو يرفَع حاجبيه ، صغيرَ العينين ، عن أمره يَصْدُرون . قال : ذاك الأحوص بن جعفر . قالت : ورأيتُ رجلاً قليل المنطِق ، إذا تكلَّم اجتمع القوم لَمنْطِقِه كما تجتمع الإبلُ لِفَحلها ، وهو من أحسن الناسِ وجهاً ، ومعه ابنانِ له لا يُدْبِر أبداً إلاّ وهما يَتْبعانه ، ولا يُقبِل إلاّ وهما بين يديه . قال : ذلك مالكُ بن جعفر ، وابناه عامرٌ وطُفَيلٌ . قالت : ورأيتُ رجلاً أبيضَ هِلْقامةً جَسيماً ، والهلقامة الأفوه . قال : ذلك ربيعةُ بن عبد الله بن أبي بكر بن كِلابٍ . [قالت : ورأيتُ رجلاً أسْوَدَ أخنَسَ قصيراً ، إذا تكلَّم عَذَم[1] القوم عَذْمَ المنخوسِ . قال : ذلك ربيعة بن قُرْطِ بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] . قالت : ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين ، أقرنَ الحاجبين ، كثير شَعَرِ السَّبَلةِ ، يسيل لُعابُه على لِحيته إذا تكلَّم . قال : ذلك حُنْدُجُ بن البَكّاء . قالت : ورأيتُ رجلاً صغير العينين ، ضيِّق الجَبْهة طويلاً ، يَقود فرساً له ، معه جَفيرٌ لا يُجاوزُ يدَه . قال : ذلك ربيعةُ بن عقيل . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ ، معه ابنان له حَسَنا الوجهِ أصهبانِ ، إذا أقبلا نظر القومُ إليهما [حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظروا إليهما] . قال : ذلك عمرو بن خُوَيْلِدِ بن نُفَيْلِ بن عمرو بن كِلابٍ ، وابناه يزيدُ وزُرْعةُ . ويقال قالت : ورأيتُ فيهم رَجُلَين أحمَرَين جَسيمَين ذَوَي غدائر لا يَفْتَرِقان في مَمْشًى ولا مجلس ، فإذا أدبرا اتّبعهما القوم بأبصارهم ، وإذا أقبلا لم يزالوا ينظرون إليهما حتى يجلِسا . قال : ذانك خُوَيلدٌ وخالد ابنا نُفَيلٍ . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ جسيماً كأنّ رأسه مَجَزُّ غَضْوَرةٍ ، والغضورةُ : حشيشٌ دُقاقٌ خشِنٌ قائم يكون بمكّة . تريد أنّ شعرَه قائم خَشِنٌ كأنّه حشيشٌ قد جُزّ . قال : ذلك عَوفُ بن الأحوص . قالت : ورأيتُ رجلاً كأنّ شعرَ فَخذَيْه حَلَقُ الدُّروع . قال : ذلك شُرَيح بن الأحوص . قالت : ورأيتُ رجلاً أسمر طويلاً يجول في القوم كأنّه غريبٌ . [قال : ذلك عبد الله بن جَعْدة . ويقال قالت : ورأيتُ رجلاً كثيرَ شعرِ الرأسِ ، صَخَّاباً لا يَدَعُ طائفةً من القوم إلاّ أصخبها] . قال : ذلك عبد الله بن جعدة بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

[أسر معبد بن زرارة ومقتله]

فسارتْ بنو عامر نحوَهم ، والتقوا برحرحان ، وأُسِر يومئذٍ معبدُ بن زُرارة ، أسَره

1 العذم : العض ، وهنا يريد اللوم .

عامرُ بن مالكٍ ، واشترك في أَسْرِه طُفَيْل بن مالك ورجلٌ من غَنِيٍّ يقال له أَبو عُمَيلة وهو عِصمة بن وَهْبٍ وكان أَخا طُفَيْل بن مالك من الرَّضاعة . وكان معبدُ بن زُرارة [رجلاً كثير المال . فوفَد لَقِيط بن زرارة] على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رَجَبٌ ، وكانت مُضَرُ تدعوه الأَصَمَّ ؛ لأَنّهم كانوا لا يَتنادون فيه يا لَفُلانٍ ويا لفلانٍ ، ولا يتغازَونَ ولا يَتنادَون فيه بالشِّعارات[1] ، وهو أيضاً مُنْصِلُ الأَلّ . والأَلُّ : الأَسِنَّةُ ، كانوا إذا دخل رَجَبٌ أَنصلوا[2] الأَسِنّة من الرِّماح حتى يخرج الشهر . وسأل لقيطٌ عامراً أن يُطلِق أَخاه . فقال : أَمّا حِصَّتي فقد وهبتُها لك ، ولكن أَرْضِ أخي وحَلِيفي اللذَيْن اشتركا فيه . فجعل لَقيطٌ لكلّ واحدٍ مائةً من الإبل ، فرَضِيا وأَتيا عامراً فأَخبراه . فقال عامرٌ للقيطٍ : دونَك أَخاك ، فأَطلق عنه . فلمّا أُطلِقَ فكَّر لقيطٌ في نفسه فقال : أُعطيهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة عليّ بعد ذلك ؛ لا والله لا أفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إنّ أَبي زُرارة نهاني أن أَزيد على مائةٍ دِيةَ مُضَر ، فإنْ أنتم رضيتم أعطيتُكم مائةً من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا في ذلك ؛ فانصرف لقيطٌ . فقال له معبدٌ : مالي يُخرِجني من أيديهم . فأَبى ذلك عليه فقال : إذاً يقتسم العربُ بني زرارة . فقال معبدٌ لعامر بن مالك : يا عامر ! أَنشُدُك اللهَ لَمّا خَلَّيْتَ سبيلي ، فإنّما يريد ابن الحمراء أن يأكلَ كلَّ مالي ، ولم تكن أُمُّه أُمَّ لقيط . فقال له عامر : أبعدك الله ؛ إنْ لم يُشْفِق عليك أخوك فأنا أَحَقُّ أَلاَّ أُشْفِقَ عليك . فعمَدوا إلى مَعبد فشَدُّوا عليه القِدَّ وبعثوا به إلى الطائف ، فلم يَزَلْ به حتى مات . فذلك قولُ شُرَيح بن الأحوص : [من المتقارب]

لَقِيطُ وأنت امرؤٌ ماجدٌ ... ولكنّ حِلْمَكَ لا يَهْتَدِي
ولَمّا أَمِنْتَ وساغ الشَّرا ... بُ واحتلّ بيتُك في ثَهْمَدِ[3]
رفعتَ برِجْلَيْكَ فوق الفِرا ... شِ تُهْدِي القصائدَ في مَعْبَدِ
وأسلمتَه عند جِدِّ القِتالِ ... وتبخَلُ بالمالِ أن تَفْتَدِي

[شعر لعوف بن عطية يعيّر لقيطاً]

وقال في ذلك عوف بن عطيّة بن الخَرِع التَّيميُّ يعيِّر لقيط بن زرارة : [من الكامل]

هَلاَّ فوارِسَ رَحْرَحانَ هَجَوْتَهم ... عُشَراً تَناوَحُ في سَرارةِ وادِ[4]

1 أشعار القوم : علامتهم واصطلاحهم الذي ينادون به في الحرب .
2 أنصل السنان من الرمح : أزاله عنه .
3 ثهمد : جبل أحمر فارد بديار غنيّ .
4 العُشَر : من العضاه ، وهو من كبار الشجر ينبت صعداً في السماء . وتناوح : تتقابل . وسرارة الوادي : وسطه وهي أفضل موضع فيه .

لا تأكلُ الإبِـلُ الغِراثُ نَباتَه ... مـــا إن يقــومُ عِمادُه بعِمادِ[1]
هَلاَّ كَرَرْتَ على أُخيِّك مَعْبَدٍ ... والعامــريُّ يقـــودُه بصِفادِ
وذكرتَ من لَبَنِ المُحَلَّقِ شَرْبَةً ... والخيلُ تعـدو بالصِّفاحِ بَدادِ

بَدادِ : متفرّقة . والصِّفاحُ : موضع . والمحلَّق : موسومة بحَلَقٍ على وجوهها . يقول ذكرتَ لبنها ، يعني إبلَه .

لو كنتَ إذ لا تستطيعُ فديتَه ... بهِجـانِ أُدْمٍ طـارفٍ وتِلادِ
لكنْ تَرَكْتَـهُ في عَميقٍ قَعْرُها ... جَـزَراً لخامعةٍ وطيرٍ عَوادِ[2]
لو كنتَ مُستَحياً لِعِرْضِكَ مَرَةً ... قاتلـتَ أو لَفَدَيْـتَ بالأذوادِ[3]

وفيها يقول نابغة بني جعدة : [من البسيط]

هَلاّ سألتَ بيومَيْ رَحْرَحانَ وقد ... ظَنّتْ هَـوازِنُ أنّ العِزّ قــد زالا

[مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان]

وفيها يقول مِقدامٌ أخو [بني] عُدُس بن زيدٍ في الإسلام ، وقتلتْ بنو طُهَيّةَ ابناً للقَعْقاعِ بن معبَدٍ ، فتَوادَوْا[4] فأخذتْ بنو طُهَيّة منهم الفَضْلَ : [من الطويل]

وأنتم بنــو مـــاءِ السماء زعمتمُ ... ومات أبوكم يـا بَني مَعْبدٍ هُزْلا

وقال المُخبَّلُ السَّعْدِيُّ يذكر مَعبداً : [من الطويل]

فإنْ تَـكُ نالتْنا كُلَيْبٌ بِقِرَّةٍ ... فيومُـك فيهم بالمصيفةِ أَبْرَدُ
هم قَتَلُوا يَــومَ المصيفةِ مالكاً ... وشاط بأيديهـم لَقِيطٌ ومَعْبَدُ[5]

وفيها يقول عياض بن مَرْثَدِ بن أُسَيْدِ بن قُرَيْط بن لَبيدٍ في الإسلام : [من الطويل]

نحــن أَسَرْنـا مَعْبَداً يــوم مَعْبَدٍ ... فما انْفَكَّ حتّى مات مِنْ شِدّةِ الأَسْرِ
ونحـــن قتلنــا بالصَّفا بعد مَعْبَدٍ ... أخــاه بأطـرافِ الرُّدَيْنِيّةِ السُّمْرِ

* * *

1 الغراث : الجياع .
2 الخامعة : الضبع ، لأنها تخمع إذا مشت .
3 مستحياً : مستبقياً . الذود : القطيع من الإبل من الإناث .
4 توادوا : دفع كل من الفريقين ديات قتلى الآخر .
5 شاط : هلك .

[183] ـ وهذا يوم شعب جبلة

[السبب في يوم جبلة]

قال أبو عبيدة : وأمّا يوم جبلـةَ ، وكان من عِظام أيّامِ العرب ؛ وكان عِظام أيّام العرب ثلاثةً : يومَ كُلابِ ربيعة ، ويوم جَبَلَةَ ، ويوم ذِي قارٍ . وكان الذي هاج يوم جَبَلَةَ أنّ بني عَبْسٍ بن بَغِيضٍ حين خرجوا هاربين من بني ذُبْيان بن بغِيضٍ وحاربوا قومهم خرجوا مُتَلَدِّدين[1] . فقـال الربيع بن زِياد العبسيُّ : أَما والله لأَرمينَ العربَ بحَجَرها ، اقْصِدوا لبَني عامر ؛ فخرجَ حتى نزل مَضِيقاً من وادي بني عامر ثم قال : امكُثوا . فخرج ربيعٌ وعامر ابنا زيادٍ والحارثُ بن خُلَيْفٍ حتى نزلوا على ربيعةَ بن شَكَلٍ بن كَعْب بن الحَرِيش ، وكان العَقْدُ من بني عامر إلى [بني] كعب بن ربيعة [وكانت الرياسة في بني كلاب بن ربيعة] . فقال ربيعة بن شَكَلٍ : يا بني عَبْسٍ ، شأنكم جليلٌ ، وذَحْلُكم الذي يُطلبُ منكم عظيمٌ ، وأَنا أَعلم والله أنّ هذه الحرب أعـزّ حربٍ حاربتْها العربُ قطُّ . ولا والله ما بُدٌّ من بني كلابٍ ، فأَمْهِلوني حتى أَستطلعَ طِلْعَ قومي . فخرج في قومٍ من بني كعبٍ حتى جاءوا بني كِلابٍ ، فلقيهم عَوف بن الأحوص فقال : يا قوم ، أَطِيعوني في هذا الطَّرَف من غَطَفان ، فاقتُلوهم[2] واغنَمُوهم لا تُفْلِح غَطَفان بعده أبداً . ووالله إنْ تزيدون على أن تُسَمِّنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء . فأَبَوْا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أَمرهم . فقال لربيعةَ بن شَكَلٍ : أَظَلَّلتَهُم ظِلَّك وأَطعمتَهم طعامَك ؟ قال نعم . قال : قد والله أجرتَ القومَ . . فأنزلُوا القومَ وَسْطَهم بحبوحة دارهم .

وذكر بِشْرُ بن عبد الله بن حيّان الكِلابيُّ أنّ عَبْساً لمّا حاربتْ قومها أَتَوْا بني عامرٍ وأرادوا عبدَ الله بن جَعدة وابنَ الحَرِيش ليصيروا حلفاءَهم دون كِلابٍ ؛ فأَتى قيسُ بن زهير وأَقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زيادٍ حتّى انتهيا إلى الأحوص [جالساً قدامَ بيتِه] . فقال قيسٌ للربيع : إنّه لا حِلْفَ ولا ثقةَ دون أن أنتهي إلى هذا الشيخ . فتقدّم إليه قيسٌ فأخذ بمجامع ثوبه من ورائه فقال : هـذا مقامُ العائذِ بك ؛ قتلتم أَبي فما أَخذتُ له عَقْلاً ولا قتلتُ به أحداً ، وقد أَتيتُك لِتُجيرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جارٌ ممّا أُجير منه نفسي ، وعوف بن الأحوص عن ذلك غائبٌ . فلمّا سمع عوفٌ بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفرٍ فقال : يا مَعْشَرَ بني جعفر ،

1 التلدّد : التلفّت يميناً وشمالاً تحيّراً .

2 ل : فاقطعوهم .

أطيعوني اليومَ واعْصُوني أبداً ، وإنْ كنتُ واللهِ فيكم مَعصيّاً . إنّهم والله لو لَقُوا بني ذُبيان لَوَلَّوكم أطرافَ الأسنّة إذا نكَهوا في أفواههم بكلامٍ . فابْدَءوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثلَ البُرْغوثِ دماغه [في] دَمِه . فأَبَوْا عليه وحالفوهم . فقال : واللهِ لا أدخل في هذا الحِلِف ؛ قال : وسَمِعتْ بهم حيث قرّ قَرارُهم بنو ذُبيان ، فحشدوا واستعدّوا وخرجوا وعليهم حِصْنُ بن حُذَيفة بن بَدْرٍ ومعه الحَليفانِ أَسَدٌ وذُبيان يطلبون بدم حذيفة ، وأقبل معهم شُرَحْبِيل بن أخضر بن الجَوْنِ ، والجَوْنُ هو معاوية ؛ سمّي بذلك لشدّة سواده ، ابن آكِلِ المُرار الكِنديّ في جَمع من كِنـدة ، وأقبلت بنو حَنظلة بن مالكٍ والرِّبابُ عليهم [لَقِيطُ بن زُرارةَ] يطلبون بدم مَعبدِ بن زُرارة ويَثْرِبِيٍّ بن عُدُسٍ ، وأقبل معهم حسان[1] بن عمرو بن الجَوْنِ في جَمْعٍ عظيم من كِندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع[2] كانت تكون بالحِيرةِ مع الملوك وهم الرابطةُ . وكان في الرِّباب رجلٌ من أشرافهم يقال له النُّعمان بن قَهْوَسٍ التَّيْمِيُّ ، وكان معه لِواء مَن سار إلى جَبَلَةَ ، وكان من فُرسان العرب . وله تقول دَخْتَنُوس بنت لَقِيط بن زرارة يومئذٍ : [من مجزوء الكامل]

[شعر لدختنوس بنت لقيط تعيّر ابن قهوس]

فـرَّ ابنُ قَهْـوَسٍ الشُّجا ... عُ بكَفِّـه رُمْـحٌ مِتَلُّ
يعدُو بـه خاظِي البَضِيـ ... ـعِ كأنّـه سِمْعٌ أزَلُّ[3]
إنّك مِـنْ تَيْـمٍ فَدَعْ ... غَطَفانَ إن ساروا وحلُّوا

مِتَلٌّ : مستقيم ، يُتَلُّ[4] به كلُّ شيء . الخاظي : الشيءُ المُكتنِز . والسِّمْعُ : ولدُ الضَّبُعِ [من الذِّئب] . والعِسْبارُ : ولدُ الذّئب من الكلبة .

لا مِنْكَ عدُّهـمُ ولا ... آبـاكَ إن هَلَكُوا وذَلُّوا
فَخْـرَ البَغِيِّ بحِدْجِ ربّـ ... ـتها إذا النّاسُ استقلُّوا[5]
لا حِدْجَها رَكِبتْ ولا ... لِرَغـالِ فيـه مُسْتَظَلُّ[6]

---

1 ل : كيسان .
2 الوضائع هنا : قوم من الجند يوضعون في كورة لا يغزون منها .
3 البضيع : اللحم . أزل : أرسح أي قليل لحم الفخذين .
4 يتل : يصرع .
5 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني : 17/3 «كالفاخرة بحدج ربتها» ، يضرب لمن يفتخر بما ليس له منه شيء ، يحكي أبو عبيدة أنه أجريت الخيل للرهان يوماً ، فجاء فرس فسبق ، فجعل رجل من النظارة يكبّر ويثب من الفرح ، فقيل له : كان الفرس لك ؟ قال : لا ، ولكن اللجام لي .
6 رغال : الأمة .

ولقـد رأيتُ أباكَ وَسْـ ـطَ القَوْمِ يَرْبِقُ أو يَجُلُّ[1]
مُتَقَلِّـداً رِبْـقَ الفُـرا رِ كأنّه في الجِيدِ غُلُّ

يَجُلّ : يُلقط البَعَرَ . والفُرار : أولادُ الغنم ، واحدُها فُرارة . قال : وكان معهم رؤساء بني تميم : حاجِبُ بن زرارة ولَقِيطٌ بن زرارة وعمرُو بن عمرٍو وعُتَيبةُ بن الحارث بن شهابٍ ، وتبعهم غُثاءٌ من غُثاء الناس يريدون الغنيمة ، فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قطُّ مثله أكثر كثرةً ، فلم تَشُكَّ العرب في هلاك بني عامر . [فجاءوا] حتى مرّوا ببني سَعْدِ بن زيد مَناة ، فقالوا لهم : سيرُوا معنا إلى بني عامر . فقالت لهم بنو سَعْدٍ : ما كنّا لنسير معكم ونحن نزعم أنّ عامر بن صعصعة بنُ سَعْدِ [بن زيد مَناة] . فقالوا : أمّا إذ أبيتم أن تسيروا معنا فاكتُموا علينا . فقالوا : أمّا هذا فنَعَمْ .

[تشاور بني عامر في أمرهم]

فلمّا سمِعتْ بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفرٍ ، وهو يومئذٍ شيخٌ كبيرٌ قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغزوَ غير أنه يُدبِّر أمرَ النّاس ، وكان مُجَرَّباً حازماً ميمونَ النَّقيبةِ ، فأخبروه الخبر . فقال لهم الأحوص : قد كَبِرتُ ، فما أستطيع أن أجيء بالحزم وقد ذهب الرأي منّي ، ولكنّي إذا سمِعتُ عرفتُ ، فأَجمِعوا آراءكم ثم بِيتُوا ليلتكم هذه ثم اغدُوا عليّ فاعْرِضوا عليّ آراءكم ، ففعلوا . فلمّا أصبحوا غَدَوْا عليه ، فوُضِعتْ له عَباءةٌ بفِنائه فجلس عليها . ورفع حاجبيه عن عينيه بعصابةٍ ثم قال : هاتُوا ما عندكم . فقال قيس بن زهيرٍ العبسيُّ : باتَ في كِنانتي الليلة مائةُ رأي . فقال له الأحوص : يكفينا منها رأيٌ واحدٌ حازم صليبٌ مُصِيبٌ ، هاتِ فانثُر كنانتَك . فجعل يعرِض كلّ رأيٍ رآه حتى أَنفد . فقال له الأحوص : ما أُرى باتَ في كنانتك الليلة رأيٌ واحدٌ ! . وعرض الناس آراءهم حتى أَنفدوا . فقال : ما أسمع شيئاً وقد صِرتم إليّ ، احْمِلوا[2] أثقالكم وضُعفاءكم ففعلوا ، ثم قال : احْمِلوا ظُعُنَكم فحملوها ، ثم قال : اركَبوا فركِبوا ، وجعلوه في مِحَفَّةٍ ، وقال : انطلِقوا حتى تُعْلُوا في اليمين ، فإنْ أدرككم أحد كَرَرْتم عليه ، وإنْ أعجزتموهم مضيتم . فسار الناس حتى أَتَوْا وادي بِحارٍ[3] ضحوةً ، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا عمرُو بن عبدِ الله بن جَعْدةَ في فِتْيانٍ من بني عامرٍ يَعْقِرون بمَن أجاز بهم

1 يربق من الربق : يشد البهيمة بالربقة وهي عروة في حبل تشد بها البهيمة .

2 ل : اجمعوا .

3 ل : وادي نجار . ورد موضع «ذو بحار» في معجم البلدان أنه ماء لغنيّ أو وادٍ في بلاد اليمن ، وورد اللفظ في أشعار أخرى بباء مثلثة .

ويقطَعون بالنساء حَواياهنّ[1] . فقال الأحوص : قدِّموني ، فقدَّموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذي تصنَعون ؟ قال عمرٌو : أردتَ أن تَفْضَحنا وتُخرِجَنا هاربين من بِلادِنا ونحن أعزُّ العرب ، وأكثرهم عدداً وجَلَداً وأَحَدُّهم شوكةً ! تريد أن تجعلنا مَوالي في العرب إذ خرجتَ بنا هارباً ! . قال : فكيف أفعلُ وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : نَرْجعُ إلى شِعْبِ جَبَلَةَ فنُحْرِزُ النساءَ والضَّعَفَةَ والذَّراريَّ والأموالَ في رأسه ونكونُ في وسَطه ففيه ثَمَلٌ (أي خِصْبٌ وماء) . فإنْ أقام مَن جاءك أسفلَ أقاموا على غير ماء ولا مُقامَ لهم ، وإن صَعِدوا عليك قاتلتَهم من فوق رؤوسهم بالحجارة ، فكنتَ في حِرْزٍ وكانوا في غير حِرْزٍ ، وكنتَ على قِتالهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي ، فأين كان هذا عنك حين استشرتُ الناسَ ؟ قال : إنّما جاءني الآن . قال الأحوص للناس : ارجِعوا فرَجعوا . ففي ذلك يقول نابغةُ بني جعدة : [من الطويل]

ونحــن حَبَسْنا الحَيَّ عَبْساً وعامراً لحسَّانَ وابنِ الجَوْنِ إذ قِيلَ أقْبِلا
وقد صَعِدتْ وادِي بِحارٍ نساؤهم كإصْعادِ نَسْرٍ لا يرومــون منزلا
عَطَفْنا لهم عَطْفَ الضَّرُوسِ فصادفوا من الهَضْبةِ الحمراء عِزّاً ومَعْقِلا[2]

[دخولهم شعب جبلة]

الضَّروس : الناقة العَضوض ، فدخلوا شِعب جَبَلَةَ . وجبلة : هَضبةٌ حمراء بين الشُّرَيْف والشَّرَف . والشُّرَيْفُ : ماءٌ لبني نُمَير . والشَّرَفُ : ماءٌ لبني كلابٍ . وجبلةُ : جبلٌ عظيم له شعْبٌ عظيمٌ واسعٌ ، لا يُؤْتى الجبلُ إلاّ من قبلَ الشِّعْب ، والشِّعب متقارب [المَدْخَلِ] وداخله مُتَّسِعٌ ، وبه اليوم عُرَيْنةُ من بَجِيلةَ . فدخلتْ بنو عامر شِعْباً منه يقال له مُسَلِّحٌ ، فحصّنوا النساء والذراريّ والأموالَ في رأس الجبل ، وحَلَّئوا الإبل عن الماء ، واقتسموا الشِّعْبَ بالقِداح فأُقْرِعَ بين القبائل في شَظاياه[3] ، فخرجت بنو تميم ومعهم بارقٌ (حيٌّ من الأَزْدِ حُلَفاءُ يومئذ لبني نُمَيْر . وبارقٌ هو سَعد بن عَدِيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِياء بن عامرِ ماء السماء . وسُمِّي مُزَيقِياء لأنّه كان يمزّق عليه كلَّ يومٍ حُلَّةً) فولَجوا الخَلِيفَ (والخَلِيفُ : الطريق بين الشِّعْبَين شِبْه الزُّقاق) لأنّ سَهْمَهم تخلّف . وفيه يقول مُعَقِّرُ بن أَوْسِ بن حِمارٍ البارقيُّ : [من الوافر]

1 الحوايا : جمع حوية وهي مركب من مراكب النساء .

2 الضروس : الناقة الحديثة النتاج . سميت بذلك لأنه يعتريها عند نتاجها عضاض أياماً حذاراً على ولدها ثم يذهب عنها .

3 الشظايا : القطع من رؤوس الجبال ، الواحدة شظية .

ونحـن الأَيْمَنُونَ بنو نُمَيْرٍ يَسِيلُ بنـا أَمامَهم الخَلِيفُ

قال : وكان مُعَقِّرٌ يومئذٍ شيخاً كبيراً أعمى ومعه ابنةٌ له تقود به جملَه . [فجعل يقول لها :] من أَسْهَلَ من الناس ؟ فتُخبره وتقول هؤلاء بنو فلان ، وهؤلاء بنو فلان ، حتى إذا تناهى الناسُ قال : اهْبِطِي ، لا يزال هذا الشِّعْبُ مَنِيعاً سائرَ هذا اليوم ، وهبط . وكانت كَبشةُ بنتُ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بن عُتبة بن جعفرِ بن كِلابٍ يومئذٍ حاملاً بعامر بن الطُّفَيل ، فقالت : وَيلكم يا بني عامرٍ ارفَعُوني ! فوالله إنّ في بطني لَعِزَّ بني عامر . فصَفُّوا القسيَّ على عَواتِقِهم ثم حملوها حتى أَثْوَوْها بالقُنَّةِ (يقال قُنَّةٌ وقِنانٌ) . فزعموا أنّها ولدتْ عامراً يوم فرَغ الناسُ من القتال .

[من شهد الوقعة من القبائل]

فشَهِدت بنو عامر كلّها جَبَلَةَ إلاّ هِلالَ بن عامرٍ وعامرَ بن ربيعة بن عامر ، وشهدها مع بني عامرٍ من العرب بنو عَبْسِ بن رِفاعة بن الحارث بن بُهْثَةَ بن سُلَيْمٍ وكان لهم بأسٌ وحَزْمٌ وعليهم مِرْداسُ بن أبي عامرٍ ، وهو أبو العبّاس بن مِرداسٍ . وكانت بنو عبس بن رِفاعة حلفاء بني عمرو بن كِلابٍ . وزعم بعضُ بني عامر أنّ مِرداساً كان مع أخواله [غَنِيٍّ] ، و[كانتْ] أُمُّه فاطمة بنتَ جَلْهَمة الغَنَوِيّة . وشَهِدتْها غَنِيٌّ وباهلةُ وناسٌ من بني سَعْدِ بن بكرٍ وقبائلُ بَجيلةَ كلُّها إلاّ قَسْراً لحربٍ كانت بين قَسْرٍ وقومِها .

[تفرق بجيلة في بطون بني عامر]

فارتحلت بجيلةُ فتفرّقت في بطون بني عامرٍ ، فكانت عادية بن عامرِ بن قُدادٍ من بَجِيلةَ في بني عامرِ بن ربيعة ، وكانت سُحْمَةُ من بَجيلة في بني جعفرِ بن كِلابٍ ، ويقال : عمرو بن كلاب ، وكانت عُرَيْنةُ من بَجِيلةَ في عمرو بن كِلاب ، وكانت بنو قيس كُبَّةَ (لَفرسٍ يقال لها كُبَّةُ) من بَجيلةَ في بني عامر بن ربيعة ، وكانت فِتيان في بني عامر بن ربيعة ، وبنو قُطَيعة من بَجيلة في بني أبي بكر بن كِلابٍ ، ونَصِيبُ بن عبد الله من بَجِيلةَ [في بني نُمَيْرٍ ، وكانت ثعلبةُ والخِطامُ من بَجيلة] في بني عامر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن معاوية بن زيد من بَجيلة في بني أبي بكر بن كِلابٍ معهم يومئذٍ نُفَيرٌ من عُكْلٍ ، فبلغ جَمْعُهم ثلاثين ألفاً . وعَمِيَ على بني عامرٍ الخبَرُ ، فجعلوا لايدرون ما قُرْبُ القَوْمِ من بُعْدِهم .

[ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد]

وأَقبلت تميمٌ وأَسَدٌ وذُبْيان ولِفُّهم نحو جَبَلة ، فلَقُوا كَرِبَ بن صَفوان بن شِجْنَةَ بن عُطارِد بن عَوْفِ بن كَعْبِ بن سعدِ بن زيد مَناة ، فقالوا له : أين تذهبُ ؟ أتريد أن تُنذِرَ بنا بني عامر ؟ قال لا . قالوا : فأَعْطنا عهداً ومَوْثِقاً ألاّ تفعلَ ؛ فأَعطاهم فخلَّوْا سبيلَه . فمضى

مُسْرِعاً على فرسٍ له عُرْيٍ ، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الأحوصُ نزل تحت شجرةٍ حيث يرونه ؛ فأرسلوا إليه يدعونه ، قال : لستُ فاعلاً ، ولكن إذا رحلتُ فأْتُوا منزلي فإنّ الخبر فيه . فلمّا جاءوا منزلَه إذا فيه تُرابٌ في صُرَّةٍ وشَوكٌ قد كسَر رؤوسه وفرّق جِهتَه ، وإذا حنظلةٌ موضوعةٌ . وإذا وَطْبٌ معلّق فيه لبنٌ . فقال الأحوصُ : هذا رجلٌ قد أخذ عليه المواثيقُ ألاّ يتكلّم ، وهو يُخبركم أنّ القومَ مثلُ التّراب كثرةً ، وأنّ شوكتهم كليلةٌ [وهم متفرّقون] ، وجاءتكم بنو حنظلة . ٱنْظُروا ما في الوَطب ، فاصْطَبُّوه فإذا فيه لبنٌ حَزَرَ (قَرَصَ) . فقال : القومُ منكم على قَدْر حِلاب اللّبنِ إلى أن يَحْرُز . فقال رجلٌ من بني يَربُوعٍ .

ويقال قالته دَخْتَنُوس بنتُ لَقِيطِ بن زُرارة : [من الكامل]

كَرِبُ بن صَفْوانَ بنِ شِجْنَةَ لم يَدَعْ ... مِـن دارِمٍ أحداً ولا مِـن نَهْشَلِ
أجعلــتَ يَرْبوعــاً كقَوْرةِ دائــرٍ ... ولَتَحْلِفَــنْ بـــالله أن لم تَفْعــلِ

وذلك قول عامر بن الطُّفيل بعد جبلة بحينٍ : [من الوافر]

ألا أبْلِغْ لديكَ جُموعَ سعْدٍ ... فبِيتُــوا لــن نَهيجَكمُ نِياما[1]
نَصَحْتُمْ بـالمَغِيـبِ ولم تُعِينُوا ... علينــا إنّكــم كنتــم كِراما
ولو كنتم مع ابن الجَوْنِ كنتم ... كَمَنْ أوْدى وأصبح قد ألاما

[صعود بني عامر الشعب وتشاور أعدائهم في الصعود إليهم]

فلمّا استيقنت[2] بنو عامرٍ بإقبالهم صَعِدوا الشِّعْبَ ، وأَمر الأحوصُ بالإبل التي ظُمِّئتْ قبل ذلك فقال : اعْقِلوها كلَّ بعيرٍ بعقالَين [في] يديه جميعاً . وأصبح لَقِيطٌ والناسُ نزولٌ به ، وكانت مَشُورتُهم إلى لَقِيطٍ ؛ فاستقبلهم جملٌ عَوْدٌ[3] أجربُ أحذُّ أعصَلُ[4] كاشرٌ عن أنيابه ؛ فقال الحُزاةُ من بني أَسَدٍ ، والحازي العائف[5] ، اعْقِروه . فقال لَقِيطٌ ؟ : والله لا يُعْقَرُ حتى يكونَ فحلَ إبلي غداً . وكان البعير من عَصافير المُنذِرِ التي أخذها قُرّةُ بن هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشَيْرٍ . والعصافير : إبل كانت للملوك نجائب . ثم استقبلهم معاويةُ بن عبادة بن عُقَيْلٍ وكان أعسَرَ فقال : [من مجزوء الرجز]

1 سعد في ل : تيم .
2 ل : استثبت .
3 العود : المسن من الإبل ، والأحذّ هنا : خفيف شعر الذنب ، أو قصير الذنب .
4 الأعصل : الملتوي الذنب .
5 العائف الذي يزجر الطير وفي ل : القائف ، وهو من يحسن معرفة الأثر ويتتبعه .

أنــا الغُــلامُ الأَعْسَرْ الخَيْــرُ فيّ والشَرّْ
والشرُّ فيّ أَكثَــرْ[1]

فتشاءمت بنو أَسَدٍ وقالوا : ارجِعوا عنهم وأَطيعونا . فرجعتْ بنو أسدٍ فلم تَشهد جَبَلَةَ مع لَقِيطٍ إلاّ نُفَيْراً يسيراً ، منهم شأْسُ بن أبي بُلَيّ[2] أبو عمرو بن شأْسٍ الشاعر ، ومعقِل بن عامرٍ بن مَوْءلةَ المالكيُّ . وقال الناس لِلَقِيطٍ : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تَصعدوا إليهم . فقال شأس : لا تدخلوا على بني عامر ؛ فإنّي أعلمُ الناس بهم ، قد قاتلتُهم وقاتلوني وهزمتُهم وهزموني ، فما رأيتُ قوماً قطُّ أَقْلَقَ بمنزلٍ من بني عامر ؛ والله ما وجدتُ لهم مثلاً إلاّ الشُّجاع ؛ فإنّه لا يَقِرّ في جُحره قَلَقاً . وسيخرجون إليكم . والله لئن بِتُّمْ هذه الليلة لا تشعُرون بهم إلاّ وهم مُنحدِرون عليكم . فقال لَقيطٌ . والله لَندخُلَنّ عليهم .

[صعود بني تميم الجبل ودفع بني عامر لهم]

فأَتَوهم وقد أخذوا حِذْرَهم . وجعل الأحوصُ ابنَه شُرَيحاً على تعبئة الناس . فأقبل لقيطٌ وأصحابه مُدِلّين فأسندوا[3] إلى الجبل حتى ذَرَّت الشمس . فصعِد لقيطٌ في الناس وأخذ بحافَتَي الشَّجْن[4] . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أَتَوْك . فقال : دَعُوهم . حتى إذا نَصَفُوا الجبل وانتشروا فيه ، قال الأحوص : حُلّوا عُقُلَ الإبل ثم احدِروها واتْبَعُوا آثارها ، ولْيُتْبِعْ كلّ رجلٍ منكم بعيرَه حجرين أو ثلاثةً ، ففعلوا ثم صاحوا بها ، فلم يَفْجأ الناسَ إلاّ الإبلُ تريد الماء والمَرعى ، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنَّبْل ؛ وأقبلت الإبلُ تحطِمُ كلَّ شيء مرّت به ، وجعل البعيرُ يُدَهْدِي بيديه[5] كذا وكذا حجراً . وقد كان لقيطٌ وأصحابه سَخِروا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا . فقال رجلٌ من بني أَسَدٍ : [من الرجز]

زعمــتَ أنّ العِيرَ لا تُقاتِلُ بَــلى إذا تَقَعْقَــعَ الرحائلُ[6]
واختلف الهِنْــدِيُّ والذّوابلُ وقالتِ الأَبطالُ مَــنْ يُنازِلُ
بَــلى وفيها حَسَبٌ ونائلُ

1 الشرُّ في ل : والضرّ .
2 ل : أبي ليلى .
3 أُسندوا إلى الجبل : اعتمدوا عليه .
4 الشجن : أعلى الوادي .
5 ل : بصدره .
6 تقعقع الشيء : اضطرب وتحرّك . والرحائل : جمع رحالة وهي السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشّديد .

[شعر لبعض بني عامر في الوقعة]

فانحطّ الناسُ مُنهزمين من الجبل حتى السَّهْل . فلمّا بلغ الناس السَّهْلَ لم يكن لأَحدٍ منهم هِمّةٌ إلاّ أن يذهب على وجهه ، فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم ، فانهزموا شرَّ الهزيمة . فجعل رجلٌ من بني عامرٍ يومئذٍ يرتجز ويقول : [من الرجز]

لم أَرَ يوماً مثلَ يومِ جَبَلَهْ يومَ أتتنا أَسَدٌ وحَنْظَلَهْ
وغَطَفانُ والملوكُ أُزفَلَهْ نَضْرِبُهم بقُضُبٍ مُنْتَخَلَهْ[1]
لم تَعْدُ أن أَفرش عنها الصَّقَلَهْ حتى حَدَوْناهم حُداءَ الزَّوْمَلَهْ[2]

وجعل مَعْقِل بن عامر يرتجز ويقول : [من الرجز]

نحن حُماةُ الشِّعْبِ يومَ جبله بكلِّ عَضْبٍ صارمٍ ومِعْبَلَهْ[3]
وهَيْكَلٍ نَهْدٍ معاً وهَيْكَلَهْ[4]

المِعْبلةُ : السهمُ إذا كان نصلُه عريضاً فهو مِعْبلةٌ ، والرقيقُ : القُطْبَةُ .

[صد بني تميم لبني عامر]

وخرجت بنو تميمٍ من الخَليفِ على الخَيْلِ فكَرْكَرُوا الناسَ (يعني ردّوهم) وانقطع شُرَيْح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجُرْفَ فقاتل الناسَ قتالاً شديداً هناك ، وجعل لقيطٌ يومئذٍ وهو على بِرْذَوْنٍ له مُجَفَّفٍ[5] بديباج أعطاه إيّاه كِسْرى ، وكان أوّل عربيٍّ جَفَّف ، يقول : [من الرجز]

عَرَفْتُكُمْ والدمعُ مِ العَيْن يَكِفْ لفارسٍ أتلفتموه ما خُلِفْ
إنّ النَّشِيلَ والشِّواء والرُّغُفْ والقَيْنَةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنُفْ[6]

1 الأزفلة : الجماعة . منتخلة : مختارة .
2 أفرش عنه : أقلع . والصقلة : جمع صاقل ، من صقل السيف إذا جلاه . يريد أنها حديثة الجلاء . الزوملة : الإبل .
3 حماة الشّعب في ل : سماة الخيل .
4 هيكل هنا : ضخم . والنهد من الخيل : كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع .
5 مجفف : عليه تَجفاف وهو شيء يتخذ من حديد أو غيره يجعل على ظهر الفرس ليقيه الأذى ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً .
6 النشيل هنا : اللحم المطبوخ ، أو الذي ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والشُّواء : ما شوي من اللحم أو غيره . والكأس الأنف : التي لم يشرب منها من قبل .

وصَفْوةَ القِـدْرِ وتَعْجِيـلَ اللَّقَـفْ   للطاعنين الخيـلَ والخيلُ قُطُفْ[1]

وجعل لا يمرّ به أحدٌ من الجيش إلاّ قال [له] : أنت والله قتلتنا وشَتَمْتَنا . فجعل يقولُ : [من الرجز]

يـا قَـوْمِ قـد أحرقتموني باللَّوْمْ   ولَـم أُقاتِـلْ عامـراً قبـل اليَوْمْ
فاليـومَ إذ قاتلتُهـم فـلا لَوْمْ   تَقَدَّمـوا وقَدِّمـوني للقَـوْمْ
شَتّـانَ هـذا والعنـاقُ والنَّـوْمْ   والمَضْجَعُ البـاردُ في ظِـلٍّ الدَّوْمْ

وقال شأس بن أبي بُلَيٍّ يُجيبه :

لكـن أنا قاتلتها قبـلَ اليـوْمْ   إذ كنتُ لا تُعْصى أموري في القَوْمْ

وجعل لقيطٌ يقول : مَن كَرّ فله خمسون ناقةً ، وجعل يقول :

أكُلُّكُمْ يَزْجُرُكُمْ أرْحِبْ هَلا   ولن تَرَوْهُ الدَّهْـرَ إلاّ مُقْبِلا[2]
يحمـل زَغْفاً ورَئيساً حَجْفَلا   وسائـلاً في أهلـه مـا فعلا[3]

وجعل يقول أيضاً :

أشْقَـرُ إنْ لم تَتَقَـدَّمْ تُنْحَر   وإنْ تَـأَخَّـرْ عـن هِياجٍ تُعْقَرِ[4]

ثم عاد يقول :

إنّ الشواء والنّشيـل والرُّغُـفْ

فأجابه شُرَيح بن الأحوص : [من الرجز]

إن كنتَ ذا صِدْقٍ فأقْحِمْهُ الجُرُفْ   وقَـرِّب الأشْقَـرَ حتـى تَعْتَرِفْ
وجوهَنا إنّـا بنو البِيضِ العُطُفْ

[سقوط لقيط في الموقعة]

وبينه وبينه جُرْفٌ مُنْكَرٌ ، فضرب لَقيطٌ فرسَه وأقحمه عليه الجُرْفَ ؛ فطعنه شُرَيح

1 اللقف : يريد به ما يلقف ويتناول من الطعام . قطف : جمع قطوف وهو المتقارب الخطو أو البطيء من الدواب ، وفي ل : جنف .
2 ارحب وهلا : مما تزجر به الخيل .
3 الزغف والزّغفة : الدرع المحكمة أو اللينة .
4 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 19/3 : «كالأشقر إن تقدّم نُحر» ، وإنْ تأخّر عُقر ، والعرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر ، قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر ، فجعل يقول : أشقر ، إن تتقدم تُنحر ، وإن تتأخر تعقر ، وذلك أن العرب تقول : شقر الخيل سراعها ، يطلب من فرسه أن يثبت ويلزم الوقار .

[فسقَطَ] . وقد اختلفوا في ذلك ، فذكروا أنّ الذي طعنه جَزْءُ بن خالد بن جعفرٍ ، وبنو عُقَيْلٍ تزعم أنّ عَوْفَ بنَ المُنتَفِق العُقَيْلِيّ قتله يومئذٍ وأنشأ يقول : [من الكامل]

ظَلّتْ تلومُ لِما بها عِرْسي جَهْلاً وأنتِ حَليمةٌ أمْسِ
إنْ تقتلوا بَكْرِي وصاحبَه فلقد شَفَيْتُ بسَيْفِه نفسي
فقتلتُه في الشِّعْبِ أوّلَ فارسٍ في الشَّرقِ قبل تَرَحُّلِ الشمسِ

فزعموا أنّ عَوْفاً هذا قتل يومئذٍ ستّةَ نَفَرٍ ، وقُتِل ابنٌ له وابنُ أخ له . وأمّا العلماء فلا يَشُكّون أنّ شُرَيحاً قَتله ، وارتُثَّ وبه طَعَناتٌ ، والارتثاث أن يُحْمَل وهو مجروح ، فإنْ حُمِل مَيّتاً فليس بمرتثّ ، فبقي يوماً ثم مات . فجعل لقيطٌ يقول عند موته : [من الرجز]

يا ليتَ شَعْري عَنْكِ دَخْتَنُوسُ إذا أَتاك الخبرُ المَرْسُوسُ[1]
أتَحْلِقُ القُرُونَ أم تَميسُ لا بَلْ تَمِيسُ إنّها عَروسُ

[شعر لدختنوس في أبيها]

دَخْتَنوسُ بنت لَقِيطِ بن زُرارة ، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ . وجعلت بنو عَبْسٍ[2] يضربونه وهو ميِّت ، فقالت دَخْتَنوس : [من الطويل]

أَلا يا لَها الوَيْلاتُ وَيْلاتُ مَنْ بَكى لضَرْبِ بني عَبْسٍ لَقِيطاً وقد قَضى
لقد ضربوا وجهاً عليه مَهابةٌ وما تَحفِلُ الصُّمُّ الجنادلُ مَنْ رَدى
فلو أنّكم كنتم غداةَ لَقِيتمُ لقيطاً صَبَرتُم للأَسِنَّةِ والقَنا
غَدَرْتُم ولكن كنتمُ مِثْلَ خُضَّبٍ أصابَ لها القَنّاصُ من جانبِ الشَّرى[3]
فما ثَأْرُه فيكم ولكنّ ثأرَه شُرَيْحٌ وأردتْه الأسِنّةُ أو هَوى
فإن تُعْقِبِ الأيّامُ من عامرٍ يَكن عليهم حَريقاً لا يُرامُ إذا سَما[4]
ليجزيهم بالقتلِ قَتْلاً مُضَعَّفاً وما في دِماءِ الحُمْسِ يا مالُ مِنْ بَوا[5]

1 المرسوس : اسم مفعول من قولهم : رسّ له الخبر إذا ذكره له .
2 ل : بنو عامر .
3 الخضب : النّعام . والظليم الخاضب : الذي احمرّت ساقاه من أكل الربيع . أصاب : سقط ونزل ضد أصعد . والشرى : موضع .
4 من عامر يكن في ل : من فارس تكن .
5 البواء : السواء والتكافؤ .

ولو قتلتنا غالبٌ كان قتلُها ... علينا من العار المجدَّع للعُلا
لقد صَبَرتْ للموت كعبٌ وحافظت ... كِلابٌ وما أنتم هناك لِمَن رأى

وقالت دَخْتَنُوس أيضاً : [من الطويل]

لعمري لئن لاقت من الشرِّ دارمٌ ... عناءً لقد آبتْ حميداً ضِرابُها[1]
فما جَبُنوا بالشِّعب إذ صَبَرَتْ لهم ... ربيعةُ يُدْعى كَعْبُها وكِلابُها
عَصُوا بسيوف الهِنْدِ واعتكرتْ لهم ... بَراكاءُ موتٍ لا يطير غُرابُها[2]

براكاءُ : مباركَةُ القتال وهو الجِدُّ في القتال . يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير غرابُه . وقالت دختنوس : [من مجزوء الكامل]

بَكَر النَّعِيُّ بخير خِنْـ ... ـدِفَ كَهْلِها وشَبابِها
وبخيرها نَسَباً إذا ... عُدَّتْ إلى أنسابِها
فرّت بنو أسدٍ حُرُو ... دَ الطيرِ عن أربابها[3]
لم يَحْفِلوا نَسَباً ولم ... يَلْوُوا لفيء عُقابها

[من قتل في الموقعة ومن نجا وأخبارهم]

وقُتِل يومئذٍ قُرَيظ بن مَعبد بن زُرارة ، وزيدُ بن عمرو بن عُدُس قتله الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عُقَيْل ، وقُتِل الفَلَتانُ بن المنذر [بن سَلْمى بن جَنْدَلِ بن نَهْشَلٍ ، وقُتِل أبو إياس بن حَرْمَلةَ بن جَعْدَةَ بن العَجْلانِ] بن حَشْوَرَةَ بن عَجَبِ بن ثعلبة بن سعد بن ذُبيان وهو يقول : [من الرجز]

أَقْدِمْ قَطِينُ إنّهم بنو عَبْسْ ... المَعْشَرُ الحِلّةُ في القَوْمِ الحُمُسْ

الحلّة : لم يكونوا يتشدّدون في دينهم . قال : واستُلحم[4] [عمرو بن] حَسْحاسِ بن وَهْبِ بن أعياء بن طَرِيف الأَسَدِيُّ ، فاستنقذه [مَعْقِلُ بن] عامرِ بن مَوْءَلة فداواه وكساه . فقال معقل في ذلك : [من الوافر]

يَدَيْتُ على ابن حَسْحاسِ بنِ وَهْب ... بأسفلِ ذي الجِذاةِ يدَ الكريمِ[5]

1 صدر البيت في ل : لعمري لقد لاقت من الشقّ .
2 عصا بالسيف : إذا أخذه أخذ العصا ، أو ضرب به ضربه بها .
3 الحرود : التّنحّي .
4 استُلحم الرجل : روهق في القتال واحتوشه العدوّ .
5 يديت : اتخذت عنده يداً ، وذو الجذاة : موضع .

قَصَرْتُ لــه مــن الدّهمـاء لَمّا شهِدتُ وغاب مَنْ لَـهُ مِنْ حميمِ
ولــو أنّــي أُشاء لكنتُ منــه مكــانَ الفَرْقَدَيْــنِ مــن النُّجومِ
أُخبّره بــأن الجُــرْحَ يُشْوِي وأنّــك فــوق عِجْلِزَةٍ جَمُومِ[1]

يقول : إن الجرح الذي بك شوًى لم يُصب منك مقتلاً .

ذكــرتُ تَعِلّــةَ الفتيــانِ يومــاً وإلحــاقَ المَلامــــةِ بــالمُليمِ

قال : وحمل معاوية بن يزيد الفزاريّ فأخذ كَبْشةَ بنت الحجّاج بن معاوية بن قُشَيْر ، وكانت عند مالك بن خَفاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل ، فحمل معاوية بن خفاجة أُخو مالكٍ على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة ، وقال : يا بني عامر ، إنّهم يموتون ، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون . ونزل حسّان بن عامر بن الجَوْن وصاح : يا آل كِنْدَة ! فحمل عليه شُرَيْح بن الأحْوَصِ ؛ فاعترض دون ابن الجَوْن رجلٌ من كِنْدَة يقال له حَوْشبٌ ، فضربه شُريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه ، فخرج يعدو بنِصْف السيف وكان ممّا رعّب الناسَ مكانُه . وشدّ طُفَيْلُ بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون . وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسَره وجزّ ناصيته وأعتقه على الثواب . فلقيتْه بنو عَبْس ، فأخذه قيس بن زُهَيْر فقتله . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طليقي فأَحْيُوه أوِ ائتوني بمِلْكٍ مثلِه . فتخوّفت بنو عبس شرَّه وكان مَهيباً ، فقالوا : أَمْهِلْنا . فانطلقوا حتى أَتَوْا أَبا بَراء عامرَ بنِ مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف ، فقال : دُونَكم سَلْمى بنَ مالك فإنّه نديمه وصديقُه ، وكانا مشتبهين أحمرَين أشقرين ضخمةً أنوفهما ، وكان في سَلْمى حياء ، [فأتَوْه] فقال : سأُكَلّم لكم طُفَيْلاً حتى يأخذَ أخاه فإنّه لا يُنجيكم من عوف إلاّ ذلك ، وايمُ الله لَيأتينّ شَحِيحا[2] . فانطلقوا إليه ، فقال طفيلٌ : قد أتَوْني بك ، ما أعرَفَني بما جئتُم له ؛ أتيتموني تُريدون منّي ابن الجَوْن تُقِيدون به من عَوْف ، خُذوه ، فأعطاهم إيّاه ؛ فأَتَوْا به عوفاً فجزّ ناصيته وأعتقه ؛ فسُمِّي الجَزّازَ . فذلك قول نافع بن الخَنْجَر بن الحَكَم بن عُقَيْل بن طُفَيْلِ بن مالك في الإسلام : [من الوافر]

قَضَيْنا الجَوْنَ عن عَبْسٍ وكانت مَنِيّــةُ مَعْبَــدٍ فينـا هُـزالا

قال : وشهِدها لَبِيدُ بن رَبيعة بن مالك بن جعفر وهو ابن تسع سنين ، ويقال : كان ابن بِضْعَ عشرة سنة ، وعامرُ بن مالك يقول له : اليوم يَتِمْتَ من أبيك إن قُتِل أعمامك . وقُتِل يومئذٍ زهير بن عمرو بن معاوية ، وُجِدَ مقتولاً بين ظَهْرانَيْ صفوف بني عامر حيث لم يبلغ

---

1 العِجلِزة : الشديدة الخلق القوية . والجموم من الخيل : الذي إذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار .

2 ل : سجيحاً .

القِتال ؛ وهو معاوية الضِّباب بنُ كِلابٍ . فقال أخوه حُصَيْنٌ للذي قتله : [من الرجز]

يا ضَبُعاً عثواءَ لا تَسْتَأْنِسي تلتقم الهَبْرَ من السَّقْب الرَّذِي[1]
أقسم بالله وما حجّتْ بَلي [وما على العُزَّى تُعزِّه غني[2]
وقد حلفتُ عند مَنْحَر الهَدِي] أُعْطيكمُ غيرَ صُدور المَشْرَفي
فليس مثلي عن زُهَيْرٍ بِغَني هو الشُّجاعُ والخطيبُ اللَّوْذَعِي
والفارسُ الحازمُ والشهمُ الأبي والحاملُ الثِّقْلِ إذا ينزلُ بي

وذكروا أنّ طُفَيْل بن مالك لمّا رأى القتال يوم جَبَلَةَ قال : وَيلكم ! وأين نَعَم هؤلاء ؟ فأغار على نَعَمِ عمرٍو وإخوته وهم من بني عبد الله بن غَطَفان ثم من بني الثَّرْماء ، فاستاق ألفَ بعير . فلقيه عُبيدة بن مالك فاستجداه . فأعطاه مائة بعير ، وقال : كأنّي بك قد لَقِيتَ ظَبْيانَ بن مُرّة بن خالد فقال لك : أعطاك من أَلْفِه مائةً ! فجئتَ مُغْضَبا . فلقي عُبيدة ظَبْيان ؛ فقال له : كم أعطاك ؟ قال : مائة . فقال : أمائةً من ألفٍ ؟ فغضِب عُبيدة . قال : وذُكِر أنّ عُبيدة تسرَّع يومئذٍ إلى القتال ، فنهاه أخواه عامر وطُفَيل أن يفعل حتى يرى مُقاتَلاً ، فعصاهما وتقدّم ، فطعنه رجل في كتفه حتى خرج السِّنانُ من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان . فأتى طُفيلاً فقال له : دونك السِّنانَ فانزعه ، فأبى أن يفعل ذلك غضباً ، فأتى عامراً فلم ينزعه منه غضباً ، فأتى سَلمى بن مالك فانتزعه منه ؛ وأُلقي جريحاً مع النساء حتى فَرغ القومُ من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذٍ من تميم ثلاثين غلاماً أغرَل[3] . وخرج حاجبُ بن زُرارة منهزماً ، وتبعه الزَّهْدَمانِ زَهْدَمٌ وقَيْسٌ ابنا حَزْن بن وَهْب بن عُوَيمر بن رواحة العَبْسيّان ، فجعلا يطرُدان حاجباً ويقولان له : استأسر وقد قَدَرا عليه ، فيقول : مَنْ أنتما ؟ فيقولان : الزَّهْدَمانِ ، فيقول : لا أَستأسِرُ اليومَ لمولَيَيْنْ . فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكٌ ذُو الرُّقيبة بن سَلَمةَ بن قُشَير ، فقال لحاجب : استأْسِرْ . قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا مالكٌ ذو الرُّقيبة . فقال : أَفعَلُ ، فلعمري ما أدركتَني حتى كدتُ أن أكون عبداً . فألقى إليه رمحه ؛ واعتنقه زهدمٌ فألقاه عن فرسه . فصاح حاجبٌ : يا غَوْثاه . [وندر السيف] ، وجعل زَهدَمٌ يُريغ[4] قائم السيف . فنزل مالكٌ فاقتلع زهدماً عن حاجب . فمضى زهدمٌ وأخوه حتى أتَيا قيس بن زهير بن جذيمة فقالا : أخذ مالكٌ أسيرَنا من أيدينا .

---

1 الضبع العثواء : الكثيرة الشعر . والعثا : لون إلى السواد مع كثرة شعر . لا تستأنسي في ل : لاستها فسي . الهبر : قطع اللحم . والسقب : ولد الناقة أو هو ساعة يولد . والرذي : المهزول الهالك ، والردي : الهالك .
2 بلي : قبيلة من العرب . تعزه غني في ل : الهدي ، وهو ما يهدى لمكة من النعم . وغني قبيلة من غطفان .
3 أغرل : أقلف لم تقطع غُرْلَته .
4 يريغ : يطلب .

قال : ومَن أسيرُكما ؟ قالا : حاجبُ بن زُرارة . فخرج قيس يتمثّل قولَ حنظلة بن الشرقيٍّ القَينيٍّ أبي الطَّمَحان رافعاً صوته يقول : [من الطويل]

أَجَدُّ بنـي الشَّرْقِيّ أُولِعَ أنَّني ... مَتى أَسْتَجِرْ جاراً وإنْ عَزَّ يَغْدُرِ
إذا قلتُ أُوفى أدركتْه دَرُوكَةٌ ... فيا مُوزِعَ الجِيرانِ بالغَيِّ أَقْصِرِ

حتى وقف على بني عامر فقال : إنّ صاحبكم أخذ أسيرنا . قالوا : مَنْ صاحبُنا ؟ قال : مالك ذو الرُّقيبة أخذ حاجباً من الزَّهْدَمَين . فجاءهم مالك فقال : لم آخذه منهما ، ولكنه استأسَرَ لي وتركهما . فلم يَبرحوا حتى حكموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرُّقيبة ، فقالوا : مَن أَسَرك يا حاجب ؟ فقال : أمّا مَن ردّني عن قَصدي ومنعني أن أنجو ورأى منّي عورةً فتركها فالزهدمان . وأمّا الذي استأسرتُ له فمالكٌ ؛ فحكِّموني في نفسي . قال له القوم : قد جعلنا إليك الحُكْمَ في نفسك . فقال : أمّا مالكٌ فله أَلْفُ ناقةٍ ، وللزهدمين مائةٌ . فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين مُغاضبةٌ [بعد ذلك] ؛ فقال قيسٌ : [من الوافر]

جَزاني الزهدمانِ جـزاءَ سَوْءٍ ... وكنتُ المرءَ يُجْزى بالكَرامهْ
وقـد دافعتُ قـد عَلِمتْ مَعَدٌّ ... بنـي قُـرْطٍ وعَمَّهـمُ قُدامهْ
رَكِبتُ بهم طريقَ الحقّ حَتَّى ... أَتَيْتُهـمُ بهـا مائـةً ظُلامهْ

وقال جرير في ذلك : [من الوافر]

ويومَ الشِّعْبِ قد تركوا لَقِيطاً ... كـأنّ عليـه حُلَّـةَ أُرْجُوانِ
وكُبِّل حاجبٌ بشَمامِ حـوْلاً ... فَحكّم ذا الرُّقيبةِ وهو عاني[1]

وأمّا عمرو بن [عمرو بن] عُدُس فأفلتَ يومئذٍ . فزعمتْ بنو سُلَيمٍ أنّ الخيل عُرِضتْ على مِرْداس بن أبي عامرٍ يوم جَبَلة ، وكان أَبصرَ الناس بالخيل ، فعُرِضتْ عليه فرسٌ لغلامٍ من بني كلابٍ ، فقال : واللهِ لا أعجزها ولا أدركها ذكرٌ ولا أنثى ؛ فهذا ردائي بها وخَمْسٌ وعشرون ناقةً . فلمّا انهزم الناس يوم جَبَلَةَ خرج الكِلابيّ على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو . قال الكِلابيّ : فراكضتُه نهاراً على السَّواء ، واللهِ ما علمتُ أنّه سبَقني بمقدارٍ أعرفه ، ثم زاد مكانه ونَقَصتُ . فقلت : قُمِر واللهِ مِرداسٌ ، وهَوى عمرو إلى فرسه فضربها بالسَّوط فانكشفت ، فإذا هي خُنْثى ، لا ذَكَرٌ ولا أنثى ، فأخبرتُهم أنّي سُبِقْتُ . فقالوا : قُمِر السُّلَمِيُّ . فقلت لا . ثم أُخبرتُهم الخبرَ . فقال مِرداس : [من الطويل]

---

1 شمام : موضع .

تَمَطَّتْ كُمَيْتٌ كالهِراوةِ ضامرٌ　　لَعَمْرِو بن عمرٍو بعد ما مُسَّ باليَدِ
فلولا مَدى الخُنْثى وبُعْدُ جِرائها　　لَقاظَ ضعيفَ النَّهْضِ حَقٌّ مُقَيَّدِ
تذكَّر رُبْطاً بالعراقِ وراحةً　　وقد خَفَقَ الأسيافُ فوق المُقَلَّدِ[1]

وزعم علماء بني عامر أنّه لمّا انهزم الناس خرجت بنو عامر وحُلفاؤهم في آثارهم يقتُلون ويأسِرون ويسلُبون ، فلحِق قيسُ بن المُنتَفِق بن عامر [بن طُفَيْل] بن عُقَيْلٍ عمرَو بن عمرو فأسَره . فأقبل الحارثُ بن الأبرص بن ربيعة بن عُقيل في سَرَعان الخيلِ ، فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس : إن أدركني الحارث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي ، فهل أنت محسن إليّ وإلى نفسك ؟ تَجُزّ ناصيتي فتجعلها في كِنانتك ، ولك العهدُ لأفَيَنّ لك ، ففعل . وأدركهما الحارثُ وهو ينادي قيساً ويقول : اقْتُلْ اقتُل . فلحِق عمرو بقومه . فلمّا كان الشهر الحرام خرج قيسٌ إلى عمرو يستثيبه ، وتبِعه الحارث بن الأبرص حتّى قدِما على عمرو بن عمرو ؛ فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخيه آمنة بنت زيد بن عمرو فقال : اضربي على قيس الذي أنعم على عمِّك هذه القُبّة . وقد كان الحارث قتَل أباها زيداً يوم جبلة . فجاءت بالقُبّة فرأتِ الحارثَ أهْيأهما وأجملَهما ، فظنّته قَيْساً فضربت القُبّة على رأسه وهي تقول : هذا والله رجلٌ لم يُطَّلَع الدَّهْرَ عليه بما اطَّلَع به عليّ . فلمّا رجعت إلى عمّها عمرو قال : يا ابنةَ أخي ، عَلى مَن ضربتِ القُبّة ؟ فنعتتْ له نَعْتَ الحارثِ . فقال : ضربتِها والله على رجلٍ قتَل أباك وأمر بقتل عمّك . فجزِعتْ مما قال لها عمُّها . فقال الحارث بن الأبرص :　　[من الوافر]

أما تَدرين يا ابنةَ آلِ زَيْدٍ　　أُمَيْنُ بما أُجَنَّ اليومَ صدري[2]
فكم من فارسٍ لم تُرزَئيه　　فَتى الفتيانِ في عِيصٍ وقصرِ
رأيتُ مكانَه فصددتُ عنه　　فأعيا أمره وشددتُ أزري
لقد آمرتُه فعَصى إمارِي　　بأمٍّ عزيمةٍ في جَنْبِ عمرو[3]
أمرتُ به لتَخْمُشَ حَنَّتاهُ　　فضيّع أمرَه قيسٌ وأمري[4]

الحنّة : الزوجة . يقال حَنّته ، وطَلّته . ثم إن عمراً قال : يا حار ، ما الذي جاء بك ؟ فوالله ما لك عندي نِعمةٌ ، ولقد كنتَ سَيِّءَ الرّاي فيّ ، قتلتَ أخي وأمرت بقتلي . فقال : بل

1 الرُّبط : جماعات الخيل ، والواحد ربيط . خفوق السيف : اضطرابه . والمقلّد : موضع القلادة من العنق .
2 أُمَيْن : مصغّر آمنة تصغير ترخيم .
3 عزيمة في ل : غوية .
4 الخمش : الخدش في الوجه ، وقد يستعمل في سائر الجسد .

كففتُ [عنك] ، ولو شئتُ إذ أدركتُك لقتلتك . قال : ما لك عندي من يد ، ثم تذمّم منه فأعطاه مائةً من الإبل ، ثم انطلق فذهب الحارث . فلمّا جاء عمراً قيسٌ أعطاه إبلاً كثيرةً ، فخرج قيسٌ بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارثُ بن الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس فأخذ ما كان معه . فلمّا أتى قيسٌ بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج . فقال : مَهْلاً ! لا تقاتلوا إخوتكم ؛ فإنّه يُوشِك أن يرجع وأن يؤول إلى الحقّ فإنّه رجل حَسُودٌ . فلمّا رأى الحارثُ أن قيساً قد كَفَّ عنه ردَّ إليه ما أخذ منه .

وأمّا عُتَيبة بن الحارث بن شِهابٍ فإنّه أسِر يومئذٍ فقيُّد في القِدّ ، وكان يبول على قِدّه حتى عفِن . فلمّا دخل الشهر الحرام هرب فأفلتَ منهم بغير فِداء .

وغَنِم مرداس بن أبي عامر غنائمَ وأخذ رجلاً فأخذ منه مائة ناقة ، فانتزعها منه بنو أبي بكر بن كِلاب ؛ فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعِقِ ، وكان له خليلاً ، فانتهى إليه مرداس وهو يقول : [من الطويل]

لعمرُك مـا ترجو مَعَدٌّ ربيعَها رجائي يزيداً بل رجائي أكثرُ
يزيد بن عمرو خير مَنْ شَدّ ناقةً بأقتادها إذا الرياحُ تُصَرْصِرُ[1]
تداعت بنو بكـر عليّ كأنّما تداعـت علـيّ بالأحِزّة بَربَرُ[2]
تداعَوا عـليّ أن رأوني بخَلْوةٍ وأنتم بأحْدان الفَوارس أبصرُ[3]

ويروى «بوُحْدان» . فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردّها إليه . فطَرقه البكريّون فسقَوْه الخمر حتى سكِر ، ثم سألوه الإبلَ فأعطاهم إيّاها . فلمّا أصبح ندِم ، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه . فقال له يزيد : أصاحٍ أنت أم سكران ؟ !

فانصرف فاطّرد إبلاً من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول : [من الطويل]

أجُـنَّ بلَيْـلى قلبُـه أم تَذَكَّـرا منازلَ منها حول قُرَّى ومَحْضَرا[4]
تَخِرُّ الهِدالُ فـوق خَيْماتِ أهْلِها ويُرْسون حِسّاً بالعِقـال مُـؤَطَّرا[5]

الحِسُّ : الفرس الخفيفة . والمؤطَّر : المعطوف .

1 الأقتاد : جمع قَتِد وهو خشب الرحل ؛ أو كل أداة الرحل .
2 الأحزّة : جمع حزيز ، وهو ما غلظ من الأرض وانقاد ، وفي ل : بالأخرّة : جمع خرير ، وهو المكان المنهبط بين الربوتين ينقاد .
3 أحدان : جمع واحد كراكب وركبان .
4 قُرّى ومحضر : موضعان .
5 الهدال هنا ضرب من الشجر .

سآبى وأستغني كما قد أمرتَني ... وأصرِفُ عنك العُسْرَ لستُ بأفقرا
وإنّ سُلَيْماً والحِجازُ مكانُها ... متى آتِهم أجِدْ لبيتيَ مَهْجَرا

المهجَرُ : الموضع الصالح ؛ يقال : هذا أهجر من هذا إذا كان أجْوَد [منه] وأصلح .

يُفَرِّج عنّي حَدُّهم وعَدِيدُهم ... وأُسْرِج لِبْدِي خارجيّاً مُصَدَّرا[1]
قَصَرْتُ عليه الحالبَيْنِ فَجَوْدُه ... إذا ما عدا بلّ الحِزامَ وأمطرا[2]

الحالبين : الراعيين . يقول احتبستهما .

فخُذْ إبِلاً إنّ العِتابَ كما ترى ... على خَذَمٍ ثمّ ارْمِ للنصر جعفرا[3]
فإنّ بأكناف البِحار إلى المَلا ... وذي النَّخْل مَصْحًى إن صحَوْتَ ومَسْكَرا[4]
وأرْعى من الأظلاف أثْلاً وحَمْضةً ... وترعَى من الأطْواء أثْلاً وعَرْعَرا[5]

وانصرف يومئذٍ سِنانُ بن أبي حارثة المرّيّ في بني ذُبيان على حاميته ، فلحِق بهم معاويةُ بن الصَّمُوت بن الكامل[6] الكلابيّ ، وكان يسمّى الأسَد المجدَّعَ ، ومعه حَرْملةُ العُكْلِيّ ونفرٌ من النّاس ، فلحِق بسِنانِ بن أبي حارثة ومالكِ بن حمار الفَزاريّ في سبعين فارساً من بني ذُبيان . فقال سنانٌ : يا مالكٌ كُرَّ واحْمِنا ولك خَوْلَةُ بنت سنانٍ ابنتي أُزَوِّجُكها . فكرَّ مالكٌ فقتل معاوية ، ثم اتّبعه حرملة العُكْلِيّ وهو يقول : [من الرجز]

لأيِّ يوم يَخْبَأُ المرءُ السَّعَهْ ... مُوَدَّعٌ ولا تَرى فيه الدَّعَهْ[7]

فكرّ عليه مالكٌ فقتله ، ثم اتّبعه رجلٌ من بني كِلاب ، فكرّ عليه مالك فقتله ، ثم اتّبعه رجلان من قيس كُبّةَ من بَجِيلةَ ، فكرّ عليهما فقتلهما ، ومضى مالكٌ وأصحابُه . فقال مالك في ذلك : [من الكامل]

---

1 الحد هنا : الشوكة والقوة . المصدر من الخيل : السابق .
2 الجود هنا : العرق .
3 الخذم : السرعة في السير.
4 البحار : جمع بحرة وهي الفجوة من الأرض تتسّع ، أو هي الوادي الصغير يكون في الأرض الغليظة ، أو هي الأرض العظيمة مع سعة . والملا : الأرض الواسعة أو الفلاة . صحوت في ل : سمعت .
5 الأظلاف : جمع ظلف وهو ما غلظ من الأرض وصلب . الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .
6 ل : الكاهن .
7 المودّع : المترف المنعم .

ولقد صَدَدْتُ عن الغَنيمة حَزْمَلاً ولَقِيتُـه لَـدَداً وخيـلي تَطْرُدُ[1]
أقبلتُـه صَـدْرَ الأَغَـرِّ وصارماً ذَكَراً فخـرّ على اليَدَيْـنِ الأبعدُ[2]
وابنَ الصموت تركتُ حين لَقِيتُه في صـدر مارنـةٍ يقوم ويقعدُ
وابنـا ربيعـةَ في الغُبـارِ كلاهما وابنـا غنـيٌّ عامـرٌ والأسْوَدُ
حتى تنفّس بعـد نَكْـظٍ مُجْحَراً أذهبتُ عنـه والفرائـصُ تُرْعَدُ[3]

النكظ الجهد . قال :

يعـدو ببَزّي سابـحٌ ذو مَيْعـةٍ نَهْـدُ المَراكِـلِ ذُو تَليـلٍ أقودُ[4]

فخطب إليه مالكٌ خَوْلة فأبى أن يزوّجه .

وأمّا بنو جعفر فيزعمون أن عروة الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر وجد سِنانَ بن أبي حارثة وابنَيْه هَرِماً ويزيد على غَديرٍ قد كاد العطش أن يُهْلِكَهم ، فجزَّ نَواصيَهم وأعتقهم . ثم إن عُرْوَةَ أتى سناناً بعد ذلك يَستثيبه ثواباً يرضاه [فلم يثبه شيئاً] . فقال عروة في ذلك : [من الوافر]

أَلا مَـنْ مبلـغٌ عنّي سناناً أَلُوكاً لا أريـد بهـا عِتابا
أَفي الخَضْراءِ تَقْسِمُ هَجْمَتَيْكم وعُـرْوَةُ لم يُثَبْ إلاّ التُّرابا[5]
فلـو كان الجعافـرُ طاوعوني غداةَ الشِّعْبِ لم تَذُقِ الشَّرابا
أَتجْزِي القَيْنَ نِعْمَتَهـا عليكم ولا تَجْـزي بنعمتها كِلابا

وأمّا بنو عامر فيزعمون أن سِناناً انصرف ذاتَ يوم هو وناسٌ من طيِّىء وغيرهم قبل الوَقعة ، فبلَغه أنّ بني عامر يقولون : مننّا عليه ؛ فأنشأ يقول : [من الكامل]

والله مـا مَنُّوا ولكن شِكَّتي مَنَّتْ وحادرةُ المَناكِبِ صِلْدِمُ[6]
بخرير شول يـومَ يُدْعى عامرٌ لا عاجزٌ وَرَعٌ ولا مستسلمُ[7]

---

1 اللّدد : مصدر لددت فلاناً ألده إذا خصمته وجادلته .
2 أقبلت الشيء الشيء : جعلته قبالته .
3 المحجر : المضطر الملجأ .
4 السّابح : الفرس الحسن مدّ اليدين في الجري . وميعة كل شيء : أوله وأنشطه . والنهد : الجسم المرتفع . ومركل الدابة : حيث يركله الراكب برجله ليحثه على السّير . والتليل : العنق . والأقود : إن كان وصفاً لنهد فهو المنقاد الذليل ، وإن كان وصفاً لتليل فهو الطويل .
5 الخضراء من الناس : سوادهم ومعظمهم . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل .
6 الشكة : السلاح . وحادرة المناكب : غليظتها .
7 الورع : الجبان ، والضعيف في رأيه وعقله وبدنه .

وأمّا بارقٌ فتدَّعي أُسْرَ سِنانٍ يومئذٍ على الثَّواب ، ثم أَتَوْه فلم يصنع بهم خيراً . فقال معقّر بن أَوْس بن حِمار البارقيُّ : [من الطويل]

مَتى تَكُ في ذُبيانَ منك صنيعةٌ ... فلا تَحْمَدَنْها الدَّهْرَ بعد سِنانِ
يَظَلّ يُمَنِّينا بحسن ثوابِهِ ... لكم مائةٌ يحدو بها فَرَسانِ
مخاضٌ أُؤدِّيها وجلّ لقائح ... وأُكْرِمُ مثوى منكُم مَنَ اتاني
فجئناه للنُّعْمى فكان ثوابُه ... رَغوثٌ ووَطْبا حازرٍ مَذِقانِ[1]
وظلّ ثلاثاً يسأل الحيّ ما يرى ... يُؤامرهم فينا له أَمَلانِ[2]
فإن كنتَ هذا الدهرَ لا بدّ شاكراً ... فلا تثقْن بالشكر في غَطَفانِ

[تاريخ يوم جبلة]

قال : وكان جَبَلةُ قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مَوْلد النبيّ ﷺ بتسع عشرة سنة . ووُلِد النبيّ ﷺ عام الفيل ، ثم أُوحى الله إليه بعد أربعين سنة ، وقُبض وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، وقدِم عليه عامرُ بن الطُّفيل في السنة التي قُبض فيها ﷺ ، قال : وهو ابن ثمانين سنة .

[ما قيل في هذا اليوم من الشعر]

وقال المعقّر بن أُوس بن حِمارٍ البارقيّ حليفُ بني نُمَيْر بن عامر : [من الطويل]

أمِنْ آل شَعْثاءَ الحُمولُ البواكرُ ... مع اللّيلِ أم زالتْ قُبَيْلُ الأَباعرُ
وحلّت سُلَيْمى في هضابٍ وأَيكةٍ ... فليس عليها يومَ ذلك قادرُ
وألقتْ عصاها واستقرّت بها النَّوى ... كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[3]
وصبَّحها أملاكُها بكتيبةٍ ... عليها إذا أُمستْ من اللهِ ناظرُ
معاويةُ بنُ الجون ذُبْيان حولَه ... وحَسّانُ في جَمْع الرِّبابِ مُكاثِرُ
فمرّوا بأطناب البيوت فردّهم ... رجالٌ بأطراف الرِّماحِ مساعِرُ[4]
وقد جمعوا جمعاً كأن زُهاءَه ... جَرادٌ هوى في هَبْوةٍ متطايرُ[5]

---

1 الرغوث : ذات اللبن . والوطب : سقاء اللبن . والحازر : الحامض . والمذق : اللبن المخلوط بالماء .
2 يؤامرهم : يُشاورهم .
3 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني : 99/22 «قد ألقى عصاه» .
4 مساعر : جمع مِسعر . ومسعر الحرب الذي يؤرثها فتحمى به الحرب .
5 الهبوة : الغبار الثائر .

فباتــوا لنــا ضَيْفاً وبِتْنا بنَعْمةٍ ... لنــا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوف وسامِرُ
ولم نَقْرِهــم شيئاً ولكنّ قَصْدَهم ... صَبُوحٌ لدينا مَطْلَعَ الشَّمس حازرُ[1]
صَبَحْناهمُ عنــد الشُّروق كتائبــاً ... كأركان سَلْمى شَبْرُهــا متواتِرُ[2]
كأنّ نَعــامَ الدَّوّ بــاضَ عليهمُ ... وأَعْيُنُهــم تحت الحبيكِ جواحرُ[3]

الحَبيكُ في البَيْض إحكام عملها وطرائقها .

من الضاربين الكَبْشَ يمشون مَقْدَماً ... إذا غَصّ بالريق القليــلِ الحناجرُ[4]
وظــنّ سَراةُ القــومِ ألاَّ يُقَتَّلوا ... إذا دُعِيَتْ بالسَّفْحِ عَبْسٌ وعامِرُ[5]
ضربنا حَبِيكَ البَيْض في غَمْر لُجَّةٍ ... فلم يَبْقَ في الناجين منهم مفاخِرُ
ولم ينــجُ إلاّ مَنْ يكون طِمِرّه ... يُوائــلُ أو نَهْــدٌ مُلِــحٌ مُثابِرُ[6]
هَوى زَهْدَمٌ تحت الغُبار لحاجبٍ ... كما انقضّ أَقنى ذو جناحين ماهرُ[7]
همــا بطــلان يَعْثُران كلاهمــا ... أُراد رئاس السيف والسيف نادرُ[8]
ولا فضلَ إلاّ أن يكــون جَــراءةٌ ... وذُبيــانُ تسمــو والرؤوسُ حواسرُ
ينــوءُ وكفَّــا زَهْدَمٍ مــن ورائه ... وقــد عَلِقتْ مــا بينهن الأَظافِرُ
يفرِّج عنّــا كلَّ ثَغْــرٍ نخافُــه ... مِسَحٌّ كسِرْحان القَصيمةِ ضامرُ[9]

القَصيمة من الرمل : ما أنبتت الغَضى والرِّمْثَ .

وكلُّ طَمُــوحٍ في العِنانِ كأنّها ... إذا اغتمست في الماء فَتْخاءُ كاسِرُ[10]

---

1 قصدهم في ل : قصرهم . لدينا في ل : لنا من .
2 سلمى : جبل في بلاد طيىء . والشبر : الإعطاء . ومتواتر : متتابع .
3 جواحر : غائرات .
4 كبش القوم : رئيسهم وسيّدهم .
5 بالسفح في ل : بالصفح .
6 الطمر : الفرس الجواد ، أو المستفز للوثب ، أو هو الطويل القوائم الخفيف . ويوائل : يبادر إلى ملجإ لينجو . النهد : القويم الضخم .
7 القنا : نتوء في وسط قصبة الأنف وإشراف .
8 رئاس السيف : مقبضه . ونادر : ساقط .
9 المسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجري صبّاً . والسرحان : الذئب .
10 الفتخاء الكاسر : العقاب .

لها ناهض في المهد قد مَهَدتْ له ... كما مَهَدتْ للبَعْلِ حسناءُ عاقرُ[1]

وبهذا البيت سمِّي مُعَقِّراً واسمه سُفيان بن أوس . وإنّما خَصَّ العاقرَ لأنّها أقلُّ دَلاً[2] على الزوج من الوَلُودِ فهي تصنع له وتُداريه .

تخاف نِساءٌ يبتدرنَ حليلَها ... مُحَرَّدةٌ قد حَرَّدَتْها الضرائرُ[3]

وقال عامر بن الطُّفَيْلِ بعد ذلك بدَهْرٍ : [من الوافر]

ويومَ الجَمْعِ لاقَيْنا لَقِيطاً ... كَسَوْنا رأسَه عَضْباً حُساما

أَسَرْنا حاجِباً فثَوى بِقِدٍّ ... ولم نترك لنسوته سَواما[4]

وجَمْعُ الجَوْن إذ دَلَفُوا إلينا ... صَبَحْنا جَمْعَهم جَيْشاً لُهاما[5]

وقال لبيد بن ربيعة في ذلك : [من الكامل]

وهُمُ حُماةُ الشِّعْب يومَ تواكلتْ ... أسَدٌ وذُبْيانُ الصَّفا وتميمُ

فارتَثَّ كَلْماهم عَشِيّةَ هَزْمِهم ... حَيٌّ بمُنْعَرَجِ المَسِيلِ مُقِيمُ[6]

تمّ اليوم والحمد لله والمنّ .

* * *

صوت

[من الطويل]

أيجمُل ما يُؤْتى إلى فتياتكم ... وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْلِ

فلو أنّنا كنّا رجالاً وكنتمُ ... نساءً حِجالٍ لم نُقِرَّ بذا الفعلِ

الشعر لعَفِيرة بنت عِفارٍ ، وقيل بنت عبّاد ، الجَدِيسيّة التي يقال لها الشَّمُوس . والغناء لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى البنصر . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل قديم .

---

1 الناهض : الفرخ الذي وفر جناحاه حتى استقلّ للنهوض .

2 ل : دالة .

3 التحريد هنا : من الحرد بمعنى الغيظ والغضب .

4 القِدّ : سير يقد من جلد غير مدبوغ . والسوام : الإبل الراعية .

5 وجمع الجون في ل : وجمع الحزم . اللهام : الكثير .

6 الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح .

184 ـ [مقتل عمليق وسببه]

[عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله]

أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قِيل عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل أن عِمْليقاً مَلِكَ طَسْمِ بن لاوَذَ بنِ إرَمَ بن سامِ بن نُوحٍ عليه السلام ، وجَدِيسِ بن لاوَذ بنِ إرَم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت منازلهم في موضع اليَمامة .

[احتكام امرأة من جديس وزوجها إليه]

كان في أوّل مملكته قد تمادى في الظّلم والغَشْمِ والسِّيرة بغير الحقّ ، وأنّ امرأةً من جَدِيسٍ كان يقال لها هُزَيلةُ ، وكان لها زوج يقال له قرقس ، فطلّقها وأراد أخْذَ ولدها منها ، فخاصمته إلى عِمْليقٍ ، فقالت : «يا أيّها الملك إنّي حملته تسعا ، ووضعته دَفْعاً ، وأرضعته شَفْعاً ، حتى إذا تمّــتْ أوصالُه ، ودنا فِصالُه ، أراد أن يأخذَه مِنّي كَرْها ، ويترُكني من بعده وَرْها[1] . فقال لزوجها : ما حُجَّتُك ؟ قال : «حُجَّتي أيّها الملك أنّي قد أُعطيتُها المَهْرَ كاملاً ، ولم أصِبْ منها طائلاً ، إلاّ وليداً خاملا ، فافعَلْ ما كنتَ فاعلا» . فأمر بالغلام أن يُنْزَع منهما جميعاً ويُجْعلَ في غِلمانه ، وقال لهُزيلة : «ابْغِيه ولداً ، ولا تَنْكِحي أحداً ، واجْزِيه صَفَداً»[2] . فقالت هزيلة : «أمّا النكاح فإنّما يكون بالمَهْر ، وأمّا السِّفاح فإنما يكون بالقَهْر ، وما لي فيهما من أمر» . فلمّا سمع ذلك عِمْليقٌ أمر بأن تباعَ هي وزوجها ، فيُعْطى زوجُها خُمُسَ ثمنها . وتُعْطى هُزَيلةُ عُشْرَ ثمن زوجها . فأنشأتْ تقول : [من الطويل]

أتينا أخــا طسم ليحكم بيننا   فأنفـذ حكماً في هزيلة ظالما
لَعَمْري لقد حُكِّمْتَ لا مُتَوَرِّعاً   ولا كنتَ فيما تُبرم الحكم عالما
نَدِمتُ ولم أَنْدَمْ وأنَّى بعَثْرتي   وأصبح بعلي في الحكومة نادِما

[أمر ألا تزوّج بكر من جديس حتى يفترعها]

فلمّا سمع عمليقٌ قولها أمر ألاّ تزوّج بِكْرٌ من جَدِيسٍ وتُهْدى إلى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها ، فلقُوا من ذلك بلاءً وجهداً وذُلاًّ . فلم يزل يفعل هذا حتى زُوِّجت

1 الورهاء : الخرقاء . والوله : الحزن وذهاب العقل لفقدان الحبيب .

2 الصفد : العطاء .

الشَّمُوس وهي عَفِيرةُ بنت عَبّاد أخت الأسْوَد الذي وقع إلى جبل طيّىء فقتلته طيىء وسكنوا الجبل من بعده . فلمّا أرادوا حَملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عِمْلِيقٍ . لينالَها قبله ، ومعها القِيان يتغنَّين : [من الرجز]

ابدَيْ بِعِمْليقٍ وقُومِي فاركَبِي وبادِرِي الصُّبْحَ لأَمرٍ مُعْجِبِ
فسوف تَلقَيْنَ الذي لم تطلُبي ومـا لِبِكْرٍ عنـده من مَهْرَبِ

[تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه]

فلمّا أنْ دخلتْ عليه افترعها وخلّى سبيلَها . فخرجتْ إلى قومها في دِمائها شاقّة درْعَها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ والدمُ يسيل[1] وهي في أقبح منظرٍ ، وهي تقول : [من الرجز]

لا أحـدٌ أذَلّ مـن جَدِيسِ أهكـذا يُفْعَـلُ بـالعَرُوسِ
يرضى بهـذا يـا لَقوْمِي حُرٌّ أهْدَى وقد أعطى وسِيقَ المَهْرُ
لأخـذةُ المـوتِ كذا لنفسه خيرٌ مِـنَ انْ يُفْعَلَ ذا بعِرْسِهِ

وقالت تحرِّض قومها فيما أُتِيَ إليها : [من الطويل]

أيَجْمُلُ مـا يُؤْتـى إلى فَتَياتكم وأنتم رجـالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْلِ
وتُصْبحُ تمشي في الدِّمـاء عَفِيرةٌ جِهاراً وزُفّتْ في النساء إلى بعلِ
ولـو أنّنـا كنّا رجـالاً وكنتم نساءً لَكُنّـا لا نُقِـرّ بذا الفعلِ
فموتُوا كِرامـاً أو أميتوا عَدُوّكم ودِبّوا لنار الحرب بالحَطَبِ الجَزْلِ
وإلاّ فَخَلُّـوا بطنَهـا وتحمَّلـوا إلى بَلَدٍ قَفْرٍ ومُوتـوا مـن الهُزْلِ
فللبينُ خيرٌ مـن مُقامٍ على أذًى ولَلْمَوْتُ خير من مُقامٍ على الذُّلّ
وإن أنتـمُ لم تَغضَبوا بعـدَ هذه فكونوا نساءً لا تُعاب من الكُحْلِ
ودونَكُم طِيـبَ العروس فإنّمـا خُلِقتم لأثواب العروس وللغِسْلِ[2]
فبُعْدًا وسُحْقاً للـذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مِشْيَةَ الفَحْلِ

[ائتمار جديس للغدر به وبقومه]

فلمّا سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيِّداً مطاعاً قال لقومه : يا معشر جَديس ! إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلاّ بما كان من مُلْك صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا عجزُنا

---

1 ل : يتبيّن .

2 الغِسْل : ما يغتسل به .

وإدهاننا[1] ما كان له فضلٌ علينا . ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَفُ[2] . فأَطيعوني فيما آمرُكم به ، فإنّه عِزُّ الدَّهر ، وذهابُ ذلّ العمر ، واقبَلوا رأيي . قال : وقد أَحْمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا : نُطيعك ، ولكنّ القومَ أكثر وأَحمى وأقوى . قال فإنّي أُصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً . فإذا جاءوا يرفُلون في الحُلَلِ ثُرْنا إلى سيوفنا وهم غارّون فأهمدناهم[3] بها . قالوا : نفعل . فصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم ، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك وخرج إليه مع أهله يرفُلون في الحلي والحُلَل ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديهم إلى الطعام ، أخذوا سيوفَهم من تحت أقدامهم ، فشدّ الأسود على عمليق فقتله ، وكلُّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم . فلمّا فرغوا من الأشراف شدّوا على السِّفْلة فلم يَدَعوا منهم أحداً . فقال الأسود في ذلك : [من البسيط]

ذُوقِــي ببغيك يـــا طَسْمٌ مجلِّلة فقد أتيتِ لَعَمْرِي أعجبَ العجبِ
إنّا أبينـــا فلـــم ننفكّ نقتُلهم والبَغْيُ هيّج منّـا سَورةَ الغضبِ
ولـــن يعـــودَ علينـا بغيُهم أبداً ولن يكونوا كذي أنْفٍ ولا ذنبِ
وإن رَعَيْتـــم لنـــا قُرْبى مُؤكّدةً كنَّا الأَقاربَ في الأَرحام والنسبِ

[غزوة حسان بن تبع لجديس وهروب الأسود وقتل طيىء له]

ثم إنّ بقيّة طسم لجئوا إلى حسان بن تُبّع ، فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها . فهرب الأسود قاتل عمليق ، فأقام بجبلي طيِّىء قبل نزول طيىء إيّاهما . وكانت طيىء تسكن الجُرْفَ من أرض اليمـن . وهـو اليومَ مَحَلَّة مُراد وهمدان ، وكان سيِّدُهم يومئذٍ أسامة بن لؤي بن الغَوث بن طيِّىء ، وكان الوادي مَسبَعةً ، وهم قليلٌ عَدَدُهم ، وقد كان ينتابهم بعيرٌ في أزمان الخريف ولم يُدْرَ أين يذهب ولم يَرَوْه إلى قابلٍ ، وكانت الأَزْدُ قد خرجتْ من اليمن أيام العَرِم ، فاستوحشت طيِّىء لذلك وقالت : قد ظَعَن إخواننا فصاروا إلى الأرياف . فلمّا همّوا بالظَّعْنِ قالوا لأُسامة : إنّ هذا البعير يأتينا من بلدِ رِيفٍ وخِصْبٍ ، وإنّا لنرى في بَعَره النَّوى . فلو أنّنا نتعهّده عند انصرافه فشخَصنا معه لكنّا نُصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . فأَجمَعُوا أمرَهم على ذلك . فلمّا كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم ، فلمّا انصرف احتملوا واتّبعوه يسيرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبَط على الجبلين . فقال أُسامة بن لؤي : [من الرجز]

---

1 الإدهان : المصانعة واللين مثل المداهنة .
2 النصف : إعطاء الحق .
3 أهمدناهم : أمتناهم .

اجْعَلْ طَرِيباً كحبيبٍ يُنْسى لكلّ قَــوْمٍ مُصْبَـحٌ ومُمْسى

قال : وطَرِيبٌ اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به . فهجمت طيىء على النخل في الشّعاب وعلى مواشٍ كثيرة ، وإذا هم برجلٍ في شعْبٍ من تلك الشّعاب وهو الأسود بن عبّاد ، فهالَهم ما رأوْا من عِظَم خَلقه وتخوّفوه ، وقد نزلوا ناحيةً من الأرض واستَبروها هل يرون بها أحداً غيرَه فلم يَرَوْا . فقال أُسامة بن لؤيّ لابن له يقال له الغَوْث : أي بُنيّ ! إنّ قومك قد عرَفوا فضلكَ عليهم في الجَلَد والبأس والرّمي ، فإن كَفَيْتَنا هذا الرجل سُدْتَ قومَك آخِرَ الدّهر ، وكنتَ الذي أنزلتَنا هذا البلد . فانطلق الغوث حتى أتى الرجلَ فكلّمه وساءله . فعجِب الأسود من صِغَر خَلْق الغوث فقال له : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليمن ، وأخبره خبرَ البعير ومجيئهم معه ، وأنهم رهِبوا ما رأوا من عِظَم خَلْقه وصِغَرهم عنه ، وشغلوه بالكلام ، فرماه الغَوْثُ بسهمٍ فقتله ، وأقامت طيىء بالجبلين بعده ، فهم هنالك إلى اليوم .

185 ـ [حديث عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري]

صوت

[من الطويل]

إذا قبّل الإنسانُ آخـرَ يشتهي ثناياه لم يَحْرَجْ وكان له أجرا
فـإن زاد زاد اللهُ في حَسناتـه مثاقيلَ يمحو الله عنه بها وِزْرا

الشعر لرجل من عُذرةَ . والغناء لعَريب ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

[حديث عمر بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري]

نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حمّاد قال ذكر الرِّياشيّ قال قال حمّاد الراوية . أتيتُ مكّةَ فجلستُ في حَلْقةٍ فيها عمرُ بن أبي ربيعة ، فتذاكروا من العُذْرِيّين ، فقال عمر بن أبي ربيعة : كان لي صديقٌ من عُذْرةَ يقال له الجَعد بن مِهْجَعٍ ، وكان أحدَ بني سَلامان ، وكان يَلقى مثل الذي ألقى من الصبابة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عاهرَ الخَلْوة ولا سريع السَّلْوةِ ، وكان يُوافي الموسمَ في كلّ سنة ؛ فإذا راث[1] عن وقته تَرَجَّمْتُ[2] عنه الأخبار ، وتوكّفتُ[3] له الأسفار[4] حتى يقدَم . فغمّني ذاتَ سنةٍ إبطاؤه حتى قدِم حُجّاج عُذْرةَ ، فأتيتُ القومَ أَنْشُد صاحبي ، وإذا غلامٌ قد تنفّس الصُّعَداء ثم قال : أعَنْ أَبي المُسْهِرِ تسأل ؟ قلت : عنه أسأل وإيّاه أردتُ . قال : هيهاتَ هيهات ! أصبح والله أبو المُسْهِرِ لا مُؤْيِساً فيُهْمَل ولا مرجوّاً فيعلَّل ، أصبح والله كما قال القائل : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما حُبِّي لأسماء تاركي أعيشُ ولا أقضِي بِـهِ فأموت

قال قلت : وما الذي به ؟ قال : مثل الذي بك من تهوُّركما في الضَّلال ، وجَرِّكما أذيالَ الخَسار ، فكأنّكما لم تسمَعا بجَنّة ولا نار . قلت : مَنْ أنت منه يا ابنَ أخي ؟ قال : أخوه . قلت : أمَا واللهِ يا ابن أخي ما يمنعك أن تسلُك مَسْلَكَ أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلاّ أنّك وأخاك كالبُرْد والبِجادِ لا تَرقَعُه ولا يَرْقَعُك ، ثم صرَفتُ وجهَ ناقتي وأنا أقول : [من الطويل]

---

1 راث : أبطأ .
2 ترجمته : تظننت ، من الرجم .
3 وتوكفت : توقعت وانتظرت .
4 الأسفار : جماعة المسافرين .

أرائحــةٌ حُجَّـاجُ عُذْرَةَ وِجْهةً ولمّا يَرُح في القومِ جَعْدُ بنُ مِهْجَعِ
خليلانِ نشكو ما نُلاقي من الهوى متى ما يَقُلْ أَسْمَعْ وإن قلتُ يَسمعِ
أَلا ليت شعري أيُّ شيءٍ أصابه فلي زَفَراتٌ هِجْنَ مـا بين أَضلُعِي
فــلا يُبْعِدَنْــكَ اللهُ خِلاً فإنّني سألقى كما لاقيتَ في كلِّ مَصْرَعِ

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفي من عَرفات . فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغيّر لونُه وساءت هيئته ، فأدنى ناقتَه من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقني وبكى حتى اشتدّ بكاؤه . فقلت : ما وراءك ؟ فقال : بَرْحُ العَذْل ، وطُولُ المَطْلِ ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

لئن كانــت عُدَيّةُ ذاتَ لبٍّ لقــد علمتْ بأنّ الحبَّ داءُ
أَلَم تنظُـرْ إلى تغيير جسمي وأنّــي لا يفارِقُنِــي البكاءُ
ولــو أنّي تكلّفــتُ الذي بي لقَفَّ الكَلْمُ وانكشف الغطاءُ[1]
فإنّ معاشري ورجــال قومي حُتُوفهــم الصَّبابــةُ واللِّقاءُ
إذا العُذْريُّ مات خَلِيَّ ذَرْعٍ فــذاك العبــدُ يبكيــه الرِّشاءُ

فقلت : يا أبا المُسْهِر إنّها ساعة تضرَب إليها أكباد الإبل من شَرْقِ الأرض وغَرْبها . فلو دعوتَ الله كنتَ قَمِناً أن تظفرَ بحاجتك وأن تُنْصَرَ على عَدُوِّك . قال فتركني وأقبل على الدّعاء . فلمّا نزلت الشمسُ للغروب وهمّ الناسُ أن يُفِيضوا سمعتُه يتكلّم بشيء ، فأصغيتُ إليه ، فإذا هو يقول : [من الرجز]

يــا رَبَّ كلِّ غَـدْوةٍ ورَوْحَـهْ من مُحْرِمٍ يشكو الضُّحى ولَوْحَهْ
أنت حسيبُ الخَلْق يومَ الدَّوْحهْ

[الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر في زواجه ممن عشقها]

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : والله لأُخبرنّك ولو لم تسألني . فيمّمنا نحو مُزْدَلِفةَ ، فأقبل عليّ وقال : إنّي رجلٌ ذو مال كثيرٍ من نَعَمٍ وشاءٍ ، وذو المال لا يُصْدِره ولا يُرْوِيه الثِّماد[2] . وقطَر الغيث أرضَ كَلْبٍ ، فانتجعتُ أخوالي منهم ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسَقَوْني جُمَّةَ[3] الماء ، وكنتُ فيهم في خير أخوال . ثم إنّي عزمتُ على موافقة إبلي بماء لهم يقال له الحَوذان ، فركبتُ فرسي وسَمَطت[4] خَلْفي شراباً كان أهداه إليّ بعضهم ثم مضيت ،

1 قف : يبس .
2 الثماد : جمع ثمد وهو الماء القليل الذي لا ماء له .
3 جُمة الماء : معظمه .
4 سمط هنا : علق .

حتى إذا كنت بين الحيّ ومَرْعى النَّعَم رُفِعَتْ[1] لي دوحة عظيمةٌ ، فنزلتُ عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلستُ في ظِلّها . فبينا أنا كذلك إذ سطع غبارٌ من ناحية الحيّ ورُفِعتْ لي شخوصٌ ثلاثة ، ثم تبيّنتُ فإذا فارس يطرُد مِسْحَلاً[2] وأتاناً[3] ، فتأمّلته فإذا عليه درعٌ أصفرُ وعمامةُ خزٍّ سوداءُ ، وإذا فُروع شعره تضرب خَصرَيه ، فقلت : غُلامٌ حديثُ عهدٍ بعُرْس أعْجلته لذّةُ الصيد فترك ثوبَه ولبس ثوب امرأته . فما جاز عليّ إلاّ يسيراً حتى طعَن المِسْحَلَ وثنّى طعنةً للأتان فصرَعهما ، وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول : [من الرجز]

نَطْعُنُهم سُلْكى ومخلوجةً كَــرَّكَ لأمَيْنِ على نابـلِ[4]

فقلت : إنّك قد تَعِبتَ وأتعبتَ ، فلو نزلتَ ! فثنى رجلَه فنزل فشدّ فَرَسَه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدّثني حديثاً ذكرتُ به قولَ أبي ذُؤَيب : [من الطويل]

وإنّ حديثاً منكِ لــــو تَبْـذُلِينَهُ جَنى النَّحْلِ في ألبان عُوذٍ مَطافِلِ[5]

فقمتُ إلى فرسي فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ ، وقد حسَر العمامةَ عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأنّ وجهه الدينارُ المنقوش . فقلت : سبحانَك اللهُمَّ ! ما أعظمَ قُدرتَك وأحسنَ صَنعتَك ! . فقال : مِمَّ ذاك ؟ قلت : ممّا راعني من جمالك وبَهرني من نورك . قال : وما الذي يروعُك من حبيس التراب ، وأكيل الدوابّ ، ثم لا يدري أينعَم بعد ذلك أم يبأس . قلت : لا يصنَع الله بك إلاّ خيراً . ثم تحدَّثنا ساعة ، فأقبل عليّ وقال : وما هذا الذي أرى قد سَمَطتَ في سَرْجك ؟ قلتُ : شرابٌ أهداه إليّ بعضُ أهلك ، فهل لك فيه من أرَب ؟ قال : أنت وذاك . فأتيتُه به ، فشرب منه وجعل ينكُت أحياناً بالسَّوْط على ثناياه ، فجعل والله يتبيّن لي ظِلُّ السوط فيهن . فقلت : مهلاً فإنّي خائفٌ أن تكسِرهنّ . فقال : ولِمَ ؟ قلت : لأنّهن رِقاقٌ وهنّ عِذابٌ . قال : ثم رفَع عقيرته يتغنّى : [من الطويل]

إذا قبّــل الإنسانُ آخـر يشتهي ثناياه لَـمْ يأثَمْ وكان لــه أجْرا
فــإن زاد زاد الله في حَسناتــه مثاقيلَ يمحو الله عنه بهـا الوِزْرا

---

1 رفع لي الشيء : أبصرته من بعيد .
2 المسحل : الحمار الوحشيّ .
3 الأتان : الحمارة الوحشية .
4 السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال . اللأم : السهم عليه ريش لؤام . واللؤام من الريش : ما يلائم بعضه بعضاً ، وهو ما كان بطن القذة منه يلي ظهر الأخرى .
5 عوذ : جمع عائذة وهي الحديثة النتاج إلى خمسة عشر يوماً أو نحوها ثم هي بعد ذلك مطفل .

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع . قال : فبَرقتْ لي بارقةٌ تحت الدِّرْع . فإذا ثَدْيٌ كأنّه حُقٌ عاجٍ . فقلت : نَشَدْتُك الله أَمْرأةٌ ؟ قالت : إي والله إلاّ أنّي[1] أكره العشيرَ وأُحِبّ الغزَل . ثم جلستْ فجعلتْ تشرب معي ما أفقَد من أنسها شيئاً حتى نظرتُ إلى عينيها كأنّهما عينا مَهاةٍ مذعورة . فوالله ما راعَني إلاّ مَيْلُها على الدوحة سَكْرى . فزُيِّن لي والله الغَدْرُ وحَسُنَ في عيني ، ثم إنّ الله عصَمني منه ، فجلستُ حَجرةً منها . فما لبثتْ إلاّ يسيراً حتى انتبهتْ فَزِعةً ، فلاثت عِمامَتها برأسها ، وجالت في مَتْن فرسها ، وقالت : جزاك الله عن الصُّحْبَة خيراً . قلت : أو ما تزوِّدينني منك زاداً ؟ فناولتني يدَها ، فقبَّلتها فشَمِمْتُ والله منها ريحَ المسك المفتوت ، فذكرتُ قول الشاعر : [من البسيط]

كأنّها إذ تقضَّى النوم وانتبهت سَحابةٌ ما لها عينٌ ولا أثَرُ

قلت : وأين الموعدُ ؟ قالت : إنّ لي إخوةً شُرساً وأبا غَيُوراً . ووالله لأن أَسُرّك أحبُّ إليّ من أن أضُرَّك ، ثم انصرفت . فجعلت أُتبعها بصَري حتى غابت ، فهي والله يا ابنَ أبي ربيعة أحلّتني هذا المَحَلَّ وأبلغتني . فقلت له : يا أبا المُسْهِر إن الغَدْر بك مع ما تذكر لمليح . فبكى واشتدّ بكاؤه . فقلت : لا تَبْكِ ؛ فما قلتُ لك ما قلتُ إلاّ مازحاً ، ولو لم أبلُغ في حاجتك بمالي لسعيتُ في ذلك حتى أقدرَ عليه ، فقال لي : خيراً . فلمّا انقضى الموسمُ شددتُ على ناقتي وشدّ على ناقته ، ودعوت غلامي فشدّ على بعير له ، وحملتُ عليه قبّة حمراء من أدَمٍ كانت لأبي ربيعة المخزوميّ ، وحملتُ معي ألفَ دينار ومِطْرَفَ خزٍّ ، وانطلقنا حتى أتينا بلادَ كَلْبٍ ، فنَشَدْنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه ، وإذا هو سيِّد الحيِّ وإذا الناس حَوْلَه ، فوقفت على القوم فسلّمت ، فردّ الشيخ السلام ، ثم قال : مَنِ الرجل ؟ قلت : عمر بن أبي ربيعة بن المُغيرة . فقال : المعروف غيرُ المنكر ، فما الذي جاء بك ؟ قلت : خاطباً . قال : الكُفْء ، والرَّغْبَة . قلت : إنّي لم آتِ ذلك لنفسي عن غير زَهادةٍ فيك ولا جهالةٍ بشرَفِك ، ولكني أتيتُ في حاجة ابن أُختكم العُذْريّ ، وهاهو ذاك . فقال : والله إنّه لكَفِيءُ الحَسب رفيعُ البيت ، غيرَ أنّ بناتي لم يَقَعْنَ إلاّ في هذا الحيّ من قُرَيش . فوجَمتُ لذلك ، وعَرف التغيُّرَ في وجهي فقال : أما إنّي صانعٌ بك ما لم أصنعه بغيرك . قلت : وما ذاك فمثلي مَنْ شَكَر ؟ قال : أُخيِّرها فهي وما اختارت . قلت : ما أنصفتَني إذ تختار لغيري وتُولي الخِيار غيرَك . فأشار إليّ العُذْريُّ أن دَعْه يخيّرها . فأرسل إليها : إنّ من الأمر كذا وكذا . فأرسلتْ إليه : ما كنتُ لأَستبدَّ برأي دون القرشيِّ ، فالخيار في قوله حكْمه . فقال لي : إنّها قد ولَّتْك أَمرَها فاقْضِ ما أنت قاض . فحَمِدْتُ الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه

---

1 ل : إنها تكره .

وقلت : اشهَدوا أنّي قد زوّجتها من الجَعْدِ بن مِهْجَع وأصدقتها هذا الألَف الدِّينارِ ، وجعلتُ تَكرِمَتَها العبدَ والبعيرَ والقبّة ، وكسوتُ الشيخ المِطْرَفَ ، وسألته أن يبنيَ بها عليه في ليلته . فأرسل إلى أمّها ، فقالت : أتخرُج ابنتي كما تخرج الأَمَةُ ! . فقال الشيخ : هَجِّري[1] في جهازها ، فما برحت حتى ضربت القبّة في وسط الحريم ، ثم أُهديتْ إليه ليلاً ، وبِتُّ أنا عند الشيخ . فلمّا أصبحتُ أتيت القُبّة فصِحْتُ بصاحبي ، فخرج إليّ وقد أثّر السرور فيه ، فقلت : كيف كنتَ بعدي وكيف هي بعدك ؟ فقال لي : أبدتْ لي والله كثيراً مما كانت أخفتْه عنّي يوم لَقِيتها . فسألتُها عن ذلك فأنشأتْ تقول : [من الطويل]

كتمتُ الهوى لمّا رأيتك جازعاً وقلتُ فتًى بعضَ الصديق يريدُ
وأن تَطْرَحَنّي أو تقولَ فُتَيَّةٌ يَضُرّ بها بَرْحُ الهوى فتعودُ
فورّيتُ عمّا بي وفي داخل الحَشى من الوجدِ بَرْحٌ فاعلمَنَّ شديدُ

فقلت : أَقِمْ على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقت وأنا أقول : [من الطويل]

كفيتُ أخي العذريَّ ما كان نابَه وإنّي لأعباء النوائب حَمّالُ
أما استُحْسنتْ منّي المَكارِمُ والعُلا إذا طُرِحتْ ! إنّي لمالي بَذّالُ

وقال العذري : [من الطويل]

إذا ما أبو الخَطّاب خلّى مكانه فأُفٍّ لِدُنْيا ليس من أهلها عُمَرْ
فلا حَيَّ فِتْيانُ الحجازين بعدَه ولا سُقِيتْ أرضُ الحجازين بالمطرْ

صوت

[من الكامل]

إنّ الخليطَ قَدْ ازْمَعوا تَرْكِي فوقفتُ في عَرَصاتهم أبكي
جِنّيَّةٌ بَرَزتْ لتقتُلَني مَطْلِيّةُ الأَصداغ بالمسكِ
عجباً لمثلكِ لا يكونُ له خَرْجُ العِراقِ ومِنْبَرُ الملكِ

الشعر لابن قَيس الرُّقَيّات يقوله في عائشة بنت طلحة . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر . والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يُذْكَر في أخبارها إن شاء الله تعالى .

1 هجّري : بادري وأسرعي .

[186] ـ أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

[نسب عائشة بنت طلحة]

عائشة بنت طلحة بن عُبَيْد الله بن عثمان بن عامر بن عَمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم . وأُمّها أُمّ كُلثوم بنت أبي بكر الصِّدِّيق . أخبرني الحسن بن يحيى قال قال حَمّاد قال أبي قال مُصعَبٌ :

[كانت لا تستر وجهها]

كانت عائشة بنت طلحة لا تستُر وجهَها من أحد . فعاتبها مُصعَبٌ في ذلك ، فقالت : إنّ الله تبارك وتعالى وَسَمني بِمَيسم جمالٍ أحببتُ أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم ، فما كنتُ لأَستُره ، ووالله ما فيّ وَصْمةٌ يقدِر أن يذكُرَني بها أحدٌ . وطالت مُرادَّةُ مصعب إيّاها في ذلك ، وكانت شَرِسة الخلق . قال : وكذلك نساء بني تَيم هنّ أشرس خَلق الله وأحظاه عند أزواجهن . وكانت عند الحُسَين بن عليٍّ صلوات الله عليهما أمّ إسحاق بنت طَلحة ، فكان يقول : والله لَرُبّما حَمَلتْ ووضعتْ وهي مُصارِمةٌ لي لا تكلِّمني .

[غضبها على مصعب]

قال : نالت عائشة من مُصعَبٍ وقالت : عَلَيّ كظَهر أُمِّي ، وقعدتْ في غُرفة وهيّأت فيها ما يُصلحها . فجَهد مصعبٌ أن تكلِّمه فأبتْ . فبعث إليها ابن قيس الرقيّات ، فسألها كلامَه ، فقالت : كيف بيميني ؟ فقال : هاهنا الشَّعْبيُّ فقيهُ أهل العِراق فاستفتيه . فدخل عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشيء . فقالت : أتُحِلّني وتخرج خائباً ؟ فأمرتْ له بأربعة آلاف درهم . وقال ابن قيس الرُّقيّات لمّا رآها : [من الكامل]

جِنيَّةٌ بَرَزتْ لتقتلنا ... مَطْلِيَّةُ الأقراب بالمِسْكِ[1]

وذكر باقي الأبيات .

[غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا محمد بن إسحاق اليعقوبيّ قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحَكم قال : كان أَشْعَب يألَف مصعباً ، فغضبت عليه عائشة بنت طلحة يوماً ، وكانت من أحبِّ الناس إليه ، فشكا ذلك إلى أَشْعب . فقال : مالي إن رَضِيتْ ؟ قال : حُكْمُك . قال . عشرة آلاف درهم . قال : هي لك . فانطلق حتى أتى

1 الأقراب : جمع قُرُب وهو الخاصرة .

عائشة فقال : جُعِلْتُ فِداءَك ! قد علمتِ حُبّي لك ومَيلي قديماً وحديثاً إليك من غير مَنالةٍ ولا فائدة . وهذه حاجةٌ قد عَرَضت تقضين بها حَقّي وترتهنين بها شُكري . قالت : وما عَناك ؟ قال : قد جعل لي الأميرُ عشرة آلاف درهم إنْ رَضِيت عنه . قالت : ويحك ! لا يمكنني ذلك . قال : بأبي أنتِ فارْضَيْ عنه حتى يُعْطِيني ثم عُودِي إلى ما عَوّدك الله من سُوء الخُلق . فضَحِكتْ منه ورضيتْ عن مصعب . وقد ذكر المدائنيُّ أنّ هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأنّ الرسول إليها والمخاطِب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عَتيق .

[وصف عزّة الميلاء لها ولامرأتين]

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قال أبي حُدِّثت عن صالح بن حسّان قال : كان بالمدينة امرأة حسناء تُسَمّى عَزّة المَيْلاء يألَفها الأشراف وغيرُهم من أهل المروءات ، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء . فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص ، فقالوا : إنّا خطَبنا فانظري لنا . فقالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله ومَنْ خطبتَ ؟ فقال : عائشة بنت طلحة . فقالت : فأنت يا ابن أبي أُحَيْحةَ ؟ قال : عائشةَ بنت عثمان . قالت : فأنت يا ابن الصِّدّيق ؟ قال : أُمّ القاسم بنت زكريّا بن طلحة . قالت : يا جارية هاتي مَنْقَلي (تعني خُفَّيها) فلَبِستْهما وخرجت ومعها خادمٌ لها ، فإذا هي بجماعة يزحَم بعضُهم بعضاً ، فقالت : يا جارية انظري ما هذا . فنظرت ثم رجعت فقالت : امرأةٌ أُخِذَت مع رجل . فقالت : داءٌ قديم ، امضِ ويلَكِ . فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت : فديتُك ! كنّا في مأْدُبة أو مأتم لقريش ، فتذاكروا جمالَ النساء وخَلْقَهن فذكروك ، فلم أدرِ كيف أصِفُك فديتُكِ . فألقي ثيابكِ ، ففعلتْ فأقبلتْ وأدبرتْ فارتجّ كلُّ شيء منها . فقالت لها عَزّة : خُذي ثوبَك فديتك . فقالت عائشة : قد قضيتُ حاجتَكِ وبَقِيتْ حاجتي . قالت عَزّة : وما هي بنفسي أنت ؟ قالت : تُغَنّيني صوتاً . فاندفعت تغنّي لحَنها : [من الطويل]

صوت

خَليليَّ عُوجا بالمَحَلّة من جُمْلِ ... وأترابِها بين الأُصَيْفِرِ والحبلِ
نَقفْ بمغانٍ قد محا رسمَها البِلى ... تَعاقَبُها الأيّام بالريح والوبْلِ
فلو درَج النملُ الصِّغارُ بجلدها ... لأندبَ أعلى جِلْدِها مَدْرَجُ النّملِ[1]
وأحسنُ خلقِ الله جيداً ومقلةً ... تُشبَّه في النسوان بالشادن الطِّفْلِ[2]

1 أندب على جلدها : ترك فيه ندوباً . والندب : أثر الجرح .

2 الشادن : من أولاد الظباء : الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمّه . والطِّفل : الناعم الرَّخص .

الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعمر العُذْرِيّ . والغناء لعزّة الميلاء ثقيلٌ أوّل بالوسطى . فقامت عائشة فقبّلت ما بين عينيها ودعتْ لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضّة وغير ذلك ، فدفعتْه إلى مولاتها فحملتْه . وأتت النسوةَ على مثل ذلك تقول ذلك لهن ، حتى أتتِ القومَ في السقيفة . فقالوا : ما صنعتِ ؟ فقالت : يا ابن أبي عبد الله ، أمّا عائشة فلا والله إنْ رأيتُ مثلها مقبلةً ومدبرةً ، محطوطةُ المتنين[1] ، عظيمة العجيزة . ممتلئة الترائب[2] ، نقيّة الثغر وصَفْحة الوجه ، فرعاء الشعر[3] ، لفاء الفَخِذين[4] ، ممتلئة الصدر ، خميصة البطن[5] ، ذات عُكَنٍ[6] ، ضخمة السُّرّة ، مُسَرْوَلَة الساق ، يرتجّ ما بين أعلاها إلى قدميها . وفيها عيبان ، أمّا أحدهما فيواريه الخِمار ، وأمّا الآخر فيواريه الخُفّ : عِظَمُ القَدَمِ والأُذُن . وكانت عائشة كذلك . ثم قالت عزّة : وأمّا أنت يا ابن أبي أُحيحة فإنّي والله ما رأيتُ مثلَ خَلْقِ عائشة بنت عثمان لامرأة قطّ ، ليس فيها عيب . والله لكأنّما أُفرِغتْ إفراغاً ، ولكن في الوجه رَدّة[7] ، وإن استشرتني أشرتُ عليك بوجه تستأنِس به . وأمّا أنت يا ابن الصِّدِّيق فوالله ما رأيت مثل أُمّ القاسم ، كأنّها خُوط[8] بانة تنثني ، وكأنّها جَدْلُ عِنان ، أو كأنها جانّ[9] يتثنّى على رمل ، لو شئتَ أن تعقِد أطرافها لفعلتَ . ولكنّها شَخْتَةُ الصدر وأنت عريض الصدر ؛ فإذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملأ كلٌّ شيء مثلَه . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوّجوهنّ .

[تُشْبه خالتها أم المؤمنين]

أخبرني الطُّوسيّ وحِرْميٌّ عن الزبير عن عمّه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الزّبيريّ والمدائنيّ ، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائنيّ وجمعت ذلك ، قالوا جميعاً : إنّ أُمَّ عائشةَ بنتِ طلحة أُمُّ كلثوم بنت أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، وأمّها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زُهير من بني الخَزرج بن الحارث . قالوا : وكانت عائشة بنت طلحة تُشَبَّه بعائشة أمّ المؤمنين خالتها . فزوّجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن

1 محطوطة المتنين : ممدودتها . والمتنان : جنبتا الظهر .
2 الترائب : موضع القلادة أو هي عظام الصدر .
3 فرعاء الشعر : طويلته .
4 واللفف في الفخذين : التفافهما أو ضخامتهما واكتناز لحمهما .
5 خميصة البطن : ضامرته .
6 العكن : الأطواء في البطن ، الواحدة عكنة .
7 الردّة : القبح مع شيء من الجمال .
8 الخوط : الغصن الناعم .
9 الجان : حيّة كحلاء العين لا تؤذي . الخشف : ولد الظبية .

أبي بكر وهو ابن أخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عُذْرِها ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ؛ ولدتْ له عِمران وبه كانت تُكْنى ، وعبدَ الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة وتزوّجها الوليد بن عبد الملك ، ولكلّ هؤلاء عَقِبٌ . وكان ابنها طلحةُ من أجواد قريش ، وله يقول الحزين الدِّيليُّ : [من المتقارب]

فإنْ تـك يـا طَلْحُ أعطيتَني عُذافِـرةً تَسْتَخِـفّ الضِّفارا[1]
فمـا كان نَفعُـك لي مَـرّةً ولا مَرّتـين ولكـن مِرارا
أبوك الذي صـدّق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأُمُّـك بيضـاء تَيْمِيّـةٌ إذا نُسِب الناسُ كانوا نُضارا

[مصارمتها لزوجها]

قال : فصارمت عائشةُ بنت طلحة زوجها ، وخرجت من دارها غَضْبى ، فمرّت في المسجد وعليها مِلْحَفةٌ تريد عائشة أُمّ المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فقال : سبحان الله ! كأنّها من الحُور العِين. فمكثت عند عائشة أربعة أشهر . وكان زوجُها قد آلى منها ، فأرسلتْ عائشة : إنّي أخاف عليك الإيلاء[2] ، فضمّها إليه . وكان مُولياً منها فقيل له : طَلِّقْها ، فقال : [من الطويل]

يقولـون طَلِّقْها لأُصبحَ ثاوياً مُقيماً عليّ الهـمُّ ، أحلامُ نائمِ
وإنّ فِراقي أهـلَ بَيْتٍ أُحِبُّهم لهم زُلفةٌ عندي لإحدى العظائمِ

فتوفّي عبد الله بعد ذلك وهي عنده ، فما فتحتْ فاها عليه ، وكانت عائشة أمّ المؤمنين تعدّد عليها هذا في ذُنوبها التي تعدّدها . ثم تزوّجها بعده مُصعَب بن الزُّبير ، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك . وبلغ ذلك أخاه فقال : إن مصعباً قدّم أيْرَه ، وأخَّر خَيْرَه . فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مَروان فقال : لكنّه أخَّر أيْرَه وخَيرَه . وكتب ابن الزبير إلى مصعب يؤنِّبه على ذلك ويُقسِم عليه أن يلحَق به بمكّة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلاّ بالبيداء ، وقال له : إنّي لأرجو أن تكون الذي يُخسَف به بالبيداء ، فما أمرتُك بنزولها إلاّ لهذا . وصار إليه وأرضاه من نفسه ، فأمسك عنه .

[عاسرت مُصعباً ثم ياسرته]

قال وحدّثني المدائنيّ عن سُحَيْم بن حَفْص قال : كان مصعب بن الزبير لا يقدِر عليها إلاّ

1 العذافرة : الناقة الشديدة العظيمة . الضِّفار : ما يُشَدّ به البعير من الشعر المضفور .
2 الإيلاء : اليمين ، وهو أن يقسم الزوج ألاّ يقرب امرأته ، وحكمه أن يتربص به أربعة أشهر ثم يوقف ، فإمّا أن يطلق بعد ذلك أو يرجع .

بتَلاحٍ ينالها منه وبضَرْبها . فشكا ذلك إلى ابن أبي فَروة كاتبه . فقال له : أنا أكفيك هذا إن أذنْتَ لي . قال : نَعَمْ ! افعَلْ ما شئتَ فإنّها أفضلُ شيء نِلْتَه من الدنيا . فأتاها ليلاً ومعه أسْودان فاستأذن عليها . فقالت له : أفي مثل هذه الساعة ؟ قال نعم . فأدخلته . فقال للأسودين : احفِرا هاهنا بئراً . فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبئر ؟ قال : شُؤْم مولاتِك ، أمرني هذا الفاجر أن أدفِنها حَيَّةً وهو أسفكُ خلقِ الله لدَمٍ حرامٍ . فقالت عائشة : فأنظِرْني أذْهَبْ إليه . قال : هيهات ! لا سبيلَ إلى ذلك ، وقال للأسودين : احفِرا . فلمّا رأتِ الجِدّ منه بكتْ ثم قالت : يا ابن أبي فَروة إنّك لَقاتلي ما منه بدٌّ ؟ قال : نعم ، وإنّي لأعلم أنّ الله سيجزيه بعدك ، ولكنّه قد غضِب وهو كافر الغَضَبِ . قالت : وفي أيّ شيء غَضَبُه . قال : في امتناعك عنه ، وقد ظنّ أنّك تُبغِضينه وتتطلّعين إلى غيره فقد جُنّ . فقالت : أنشُدُك اللهَ إلاّ عاودتَه . قال : إنّي أخاف أن يقتلني . فبكتْ وبكى جواريها . فقال : قد رَقَقتُ لك ، وحلف أنه يغرِّر بنفسه ، ثم قال لها : فما أقول ؟ قالت : تَضْمَن عنّي ألاّ أعود أبداً . قال : فما لي عندك ؟ قالت : قيامٌ بحقّك ما عشتُ . قال : فأعطيني المَواثيقَ ، فأعطتْه . فقال للأسودين : مَكانَكما ، وأتى مصعباً فأخبره . فقال له : استوثِقْ منها بالأيمان ، ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمصعب .

[أخبار لها مع مصعب]

قال : ودخل عليها مصعبٌ يوماً وهي نائمة متصبِّحة[1] ومعه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار ، فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها . فقالت له : نومتي كانت أحبّ إليَّ من هذا اللؤلؤ .

قال : وصارمت مصعباً مرّة ، فطالت مصارمتها له وشقّ ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد وقد ظفِر ، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها . فقالت : الآن يصلح أن تخرجي إليه . فخرجتْ فهنّأته بالفتح وجعلت تمسَح التراب عن وجهه . فقال لها مصعب : إنّي أُشفق عليك من رائحة الحديد . فقالت : لهو والله عندي أطيب من ريح المسك الأذفر .

أخبرني ابن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المِسعَر قال : كان مصعب من أشدّ الناس إعجاباً بعائشة بنتِ طلحة ، ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودَماثةً وجمالاً وهيئة ومتانةً وعِفّةً ، وإنّها دعت يوماً نسوةً من قريش فلمّا جئنها أجلستهنّ في مجلس قد نُضِد فيه الريحان والفواكه والطِّيب [و] المِجْمَرُ[2] ، وخلعت على كلّ امرأةٍ منهنّ ، خِلعةً تامّة من الوَشْي والخزّ

1 التصبّح : نوم الغداة .

2 المجمر : العود الذي يتبخر به .

ونحوهما ، ودعت عَزّةَ الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت ، ثم قالت لعزّة ، هاتي يا عَزّة فغنّينا ، فغنّتهن في شعر امرىء القيس : [من المتقارب]

وثَغْـرٍ أغَـرَّ شَتِيتِ النباتِ لذيـذِ المُقَبَّـلِ والمُبْتَسَمْ
ومـا ذقتُـه غيرَ ظَـنٌّ بـه وبالظنِّ يقضِي عليك الحَكَمْ

وكان مصعبٌ قريباً منهنّ ومعه إخوانٌ له ، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستورُ مُسْبَلةٌ ، فصاح : يا هذه إنّا قد ذُقناه فوجدناه على وصفتِ ، فبارك الله فيك يا عزّة ! ثم أرسل إلى عائشة : أمّا أنتِ فلا سبيلَ لنا إليك مع مَنْ عندك ، وأمّا عزّة فتأذنين لها أن تغنّينا هذا الصوت ثم تعود إليكِ ، ففعلتْ . وخرجت عزّة إليه فغنّته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً . ثم قال لها : يا عزّة إنّك لَتُحسِنِين القولَ والوصف ، وأمَرها بالعَوْد إلى مجلسها ، وتحدَّثَ ساعةً مع القوم ثم تفرَّقوا .

[خطبها بشر بن مروان فتزوّجت عمر بن عبيد الله]

وقال المدائنيّ ، وذكره القَحْذَميّ أيضاً في خبره ، : فلمّا قُتِل مصعبٌ عن عائشة خطبها بِشْرٌ بن مروان ، وقدِم عُمَرُ بن عُبيد الله بن مَعْمَرٍ التيميُّ من الشام فنزل الكوفة ، فبلغه أن بِشْر بن مروان خَطبها ، فأرسل إليها جاريةً لها وقال : قُولِي لابنة عمِّي يقرئك السلامَ ابنُ عمّك ويقول لك أنا خيرٌ من هذا المبسور المطحول ، وأنا ابن عمّك وأَحقُّ بك ، وإن تزوّجتُ بك ملأتُ بيتَك خيراً ، وحِرَكِ أيْراً . فتزوّجته فبنى بها بالحِيرة ومهدت له سبعةَ أفْرِشةٍ عَرْضُها أربعُ أذرُع ، فأصبح ليلةَ بنى بها عن تِسْعٍ . قال : فلقيته مولاةٌ لها فقالت : أبا حفص فديتُك ! قد كَمُلتَ في كلّ شيء حتى في هذا .

وقال مصعب في خبره إنّ بشراً بعث إليها عُمَرَ بن عُبَيد الله بن معمر يخطبها عليه ، فقالت له : يا مصارع قلة ! أَمَا وجد بشرٌ رسولاً إلى ابنة عمِّك غيرَكَ ! فأين بك عن نفسك ؟! قال : أَوَ تفعلين ؟ قالت نعم ، فتزوّجها . وقال مصعب الزُّبيريّ في خبره : لَمّا بنى بها عمرُ قال لها : لأقتلنّك الليلةَ ، فلم يصنَع إلاّ واحدةً . فقالت له لَمّا أصبح : قُمْ يا قَتَّال . قال : وقالت له حينئذٍ : [من الرمل]

قـد رأيناك فلم تَحْلُ لنا وبلوناك فلم نرض الخبرْ

وهذه الحكاية تحاملٌ من مصعب الزُّبيريّ وعصبيّة . والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غيرُ ما حكاه وهو ما سبق .

[ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبيد الله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القَحْذَميّ أنّ عمر بن

عبيد الله لمّا قَدِم الكوفة تزوّج عائشة بنتَ طلحة ، فحمل إليها ألفَ ألفِ درهم : خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هديّة ، وقال لمولاتها : لك عليّ ألفُ دينارٍ إن دخلتُ بها الليلةَ . وأمر بالمال فحُمِل فأُلقي في الدار وغُطّي بالثياب . وخرجتْ عائشة فقالت لمولاتها . أهذا فرشٌ أم ثِياب ؟ قالت : انظُري إليه ، فنظرتْ فإذا مالٌ ، فتبسّمت . فقالت : أجزاءُ مَنْ حمل هذا أن يبيت عَزَباً ؟ قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخولُه إلاّ بعد أن أتزيّن له وأستعدّ . قالت : فيم ذا ؟ فوجهُك والله أحسنُ من كلّ زينة ، وما تَمُدّين يدَك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك . وقد عزمتُ عليكِ أن تأذَني له . قالت : افعلي . فذهبتْ إليه فقالت له : بتْ بنا الليلةَ . فجاءهم عند العشاء الآخرة ، فأُدْنِيَ إليه طعامٌ فأكل الطعام كلّه حتى أعرى الخِوان ، وغَسل يده ، وسأل عن المتوضأ فأخبرتُه فتوضّأ ، وقام يصلّي حتى ضاق صدري ونِمْتُ ، ثم قال : أعليكم إذنٌ ؟ قلت : نعم ، فادخُلْ ، فأدخلتُه وأسبلتُ السترَ عليهما . فعددتُ له في بقيّة الليل على قلّتها سَبْعَ عشرة مرّة دخل المتوضّأ فيها . فلمّا أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال : أتقولين شيئاً ؟ قلت : نعم ؛ والله ما رأيتُ مثلكَ ، أكلتَ أكْلَ سبعة ، وصلّيت صلاةَ سبعةٍ ، ونكْتَ نَيْكَ سبعة . فضحك وضرب بيده على مَنكِبِ عائشة ، فضحِكتْ وغطّت وجهها وقالت : [من الرمل]

قــد رأيناك فلـم تحلُ لنا ... وبلوناك فـم نرضَ الخبرْ

ويدلّ أيضاً على بطلان خبره أنه لمّا مات ندَبته قائمةً ، ولم تندُب أحداً من أزواجها إلاّ جالسةً فقيل لها في ذلك ، فقالت : إنه كان أكرمهم عليّ وأمسّهم رحِماً بي ، وأردتُ ألاّ أتزوّج بعده . وكانت نُدْبةُ المرأة زوجَها قائمةً مما تفعله من لا تريد أن تتزوّج بعد زوجها . أُخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير بن حرب عن محمد بن سلاّم . وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها

[في خلوتها مع عمر]

قال المدائنيّ في خبره : قالت امرأة : كنت عند عائشة بنت طلحة ، فقيل لها : قد جاء الأمير ، فتنحّيت ، ودخل عُمر بن عُبَيد الله ، وكنتُ بحيث أسمع كلامَهما ، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج ، فقلت لها : أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا ! فقالت : إنا نتشهّى لهذه الفحول بكلّ ما حرّكها وكلّ ما قدَرنا عليه .

[ندم ضرتها بعد أن رأتها متجردة]

قال المدائنيّ : وحدّثني مسلمة بن مُحاربٍ قال : قالت رَمْلَةُ بنت عبد الله بن خَلَفٍ ـ

وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولدت منه ابنَه طلحةَ الجُود ـ لمولاة لعائشة بنت طلحة : أريني عائشة متجرِّدة ولك ألفا درهم . فأخبرتْ عائشةَ بذلك . قالت : فإنّي أتجرَّد ، فأعلميها ولا تعرِّفيها أنّي أعلم . فقامت عائشة كأنها تغتسل ، وأعلمتها فأشرفتْ عليها مقبلةً ومدبرةً ، فأعطتْ رملةُ مولاتَها ألفَيْ درهم ، وقالت : لَوَدِدْت أنّي أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرَها . قال : وكانت رملة قد أسنّت ، وكانت حسنةَ الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف .

وفيها وفي عائشة يقول الشاعر : [من البسيط]

انْعَمْ بعائشَ عَيْشاً غيرَ ذي رَنَقٍ وانبِذْ برملَةَ نَبْذَ الجَوْرَبِ الخلَقِ

ويقال : إنّ رملة قد أسنّت عند عمر بن عُبيد الله ، فكانت تجتنبه في أيّام إقرائها ثم تغتسل ، تُريه أنّها تحيض ، وذلك بعد انقطاع حَيْضِها . فقال في ذلك بعضُ الشعراء : [من الخفيف]

جعلَ الله كلَّ قَطْرةِ حَيْضٍ قَطَرتْ منكِ في حَمالِيقِ عيني

[أخبار لها مع عمر بن عبيد الله]

أخبرنا بذلك الجوهريّ عن عمر بن شبّة .

وذكر هارون بن الزيّات عن أبي مُحَلِّم عن أبي بكر بن عيّاش قال : قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنتِ طلحةَ وقد أصاب منها طِيب نَفْسٍ : ما مرّ بي مثلُ يومِ أبي فُدَيكٍ[1] . فقالت له : اعْدُدْ أيّامَكَ واذكُرْ أفضلَها ، فعدَّ يومَ سجِستانَ ويوم قَطَريٍّ بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة . قد تركتَ يوماً لم تكن في أيّامك أشجعَ منك فيه . قال : وأيّ يوم ؟ قالت : يوم أرْخَتْ عليها وعليك رملةُ السِّتْرَ . تُريد قبْحَ وجهها .

قال : فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثمانيَ سنين ، ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين ، فتأيّمتْ بعده ، فخطبها جماعةٌ فردّتهم ، ولم تتزوّج بعده أحداً .

قال المدائنيّ : كان عمر بن عبيد الله من أشدّ الناس غَيْرةً ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حرٌّ شديد وغبارٌ ، فقال لها : انفُضي الترابَ عنّي . فأخذتْ مِنْديلاً تنفُض به عنه التراب ، ثم قالت له : ما رأيتُ الغبارَ على وجه أحدٍ قطُّ كانَ أحسنَ منه على وجه مُصعَبٍ ، قال : فكاد عمر يموت غيظاً .

وقال أحمد بن حمّاد بن جميل حدّثني القَحْذَميّ قال : كانت عائشة بنت طلحة من أشدِّ الناس مغايظةً لأزواجها ، وكانت تكون لمن يجيء يحدِّثها في رقيق الثياب ، فإذا قالوا : قد جاء

1 أبو فديك هو عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة ، كان من الخوارج ، قُتِل في معركة مع جيش عبد الملك بن مروان سنة 73هـ .

الأمير ضَمَّتْ عليها مِطْرَفَها وقَطَّبتْ . وكانت كثيراً ما تَصف لعمر بن عبيد الله مصعباً وجمالَه ، تَغيظه بذلك فيكاد يموت .

[طلبت من الوليد بن عبد الملك أعواناً حين حجّت]

وقال المدائنيّ حدَّثني مَسلمة بن مُحارِب وعُبيد الله بن فائد ، وأخبرنا به حِرْميّ عن الزبير عن عمّه ومحمد بن الضحّاك ، قالوا : دخلتْ عائشة بنتُ طلحةَ على الوليد بن عبد الملك وهو بمكّة ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، مُرْ لِي بأعوانٍ . فضمّ إليها قوماً يكونون معها ، فحجّت ومعها ستّون بغلاً عليها الهوادجُ والرحائلُ . فعرَض لها عُروة بن الزبير فقال : [من الرجز]

عائشُ يا ذاتَ البغالِ السِّتِّينْ أَكُلَّ عــامٍ هكــذا تَحُجِّينْ

فأرسلت إليه : نَعَمْ يا عُرَيَّةَ ، فَتَقَدَّمْ إن شئتَ ؛ فكفّ عنها . ولم تتزوّج حتى ماتت .

[حجّت مع سكينة بنت الحسين]

وقال غير المدائنيّ : إنّ عائشة بنت طلحة حجّت وسُكَيْنة بنت الحسين عليهما السلام معاً ، وكانت عائشةُ أحسنَ آلةً وثَقَلاً[1] . فقال حاديها : [من الرجز]

عائشَ يــا ذات البغال السِّتِّين لا زِلْتِ ما عِشْتِ كذا تَحُجِّين

فشقّ ذلك على سُكينة . ونزل حاديها فقال : [من الرجز]

عائش هــذي ضَرَّةٌ تشكوك لولا أبوهــا مــا اهتدى أبوك

فأمرتْ عائشةُ حاديَها أن يكُفَّ فكَفَّ .

[بهر موكبها في الحج عاتكة بنت يزيد]

وقال : إسحاق بن إبراهيم في خبره حدَّثني محمد بن سَلاّم عن يزيد بن عِياض قال : استأذنتْ عاتكـةُ بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحجّ ، فأذِن لها وقال : ارفعي حوائجك واستظهري ؛ فإنّ عائشةَ بنت طلحة تَحُجُّ ، ففعلتْ فجاءت بهيئة جَهَدتْ فيها . فلمّا كانت بين مكّة والمدينة إذا مَوكِبٌ قد جاء فضغَطها وفرّق جماعتها . فقالت : أرى هذه عائشة بنت طلحة ، فسألتْ عنها فقالوا : هذه خازنتُها . ثم جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك فقالوا : عائشةُ عائشةُ ، فضغَطهم ، فسألتْ عنه ، فقالوا : هذه ماشطتها . ثم جاءت مواكب على هذا إلى سننها . ثم أقبلت كوكبةٌ فيها ثلثمائة راحلةٍ عليها القِبابُ والهوادِجُ . فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

[كبر عجيزتها مثار العجب]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني قَبِيصةُ عن ابن عائشة عن أُمّه عن سلاّمة مولاة جَدَّته أُثَيْلَة

---

1 الثقل : المتاع .

بنت المُغيرةِ بن عبد الله بن مَعْمَرٍ قالت :

زُرْتُ مع مولاتي خالتَها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذٍ وصيفةٌ[1] ، فرأيتُ عجيزتَها من خلفها وهي جالسةٌ كأنّها غيرُها ، فوضعتُ أصبعي عليها لأعلمَ ما هي ، فلمّا وجدتْ مسَّ أصبعي قالت : ما هذا ؟ قلت : جُعِلتُ فداءَك ! لم أدرِ ما هو ، فجئت لأنظر . فضحكت وقالت : ما أكثرَ مَنْ يَعْجَبُ مِمّا عَجِبْتِ منه .

[إعجاب أبي هريرة بجمالها]

وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عُرَيْنَة عن أبيه عن جدّه : أنّ عائشة نازعتْ زوجَها إلى أبي هريرة ، فوقع خِمارُها عن وجهها ، فقال أبو هريرة : سُبْحانَ الله ؛ ما أحسنَ ما غَذَّاك أهلُك ! لكأنّما خرجتِ من الجَنّة !!

[إعجاب مَنْ بمجلس هشام بعلمها]

قال ابن عائشة وحدّثني أبي أنّ عائشة بنتَ طلحةَ وَفَدتْ على هشام ، فقال لها : ما أوفَدَك ؟ قالت : حَبَستِ السماءُ المطرَ[2] ، ومَنَع السلطان الحقَّ . قال : فإنّي أبُلُّ رَحِمَكِ وأعرِف حقّك ، ثم بعث إلى مشايخ بني أُمَيَّة فقال : إنّ عائشة عندي ، فاسمُروا عندي الليلةَ فحضروا ، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيّامها إلاّ أفاضتْ معهم فيه ، وما طلعَ نجمٌ ولا غارَ إلاّ سَمّته . فقال لها هشام : أمّا الأوّل فلا أُنكره ، وأمّا النجوم فمِنْ أينَ لك ؟ قالت : أخذتُها عن خالتي عائشة . فأمَر لها بمائة ألف درهم وردَّها إلى المدينة .

[مرّ بها النُّميري الشاعر فاستنشدته وخيره معها]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدَّثني ابن عمران البزَّازيّ قال : لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكّة سنةً ، وبالمدينة سنةً ، تخرج إلى مالٍ لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات ، فتُناضِل بين الرُّماة . فمرّ بها النُّميريّ الشاعر ، فسألتْ عنه فنُسب لها ، فقالت : ائتُوني به . فقالت له لمّا أتوْها به : أنشِدْني ممّا قلتَ في زينب[3] . فامتنع وقال : ابنةُ عمّي وقد صارتْ عظاماً بالية . قالت : أقسمتُ لَمّا فعلتَ . فأنشدها قولَه : [من الطويل]

نزلــنَ بفَــخٍّ ثــمّ رُحْنَ عشيّةً يُلَبّــين للرحمــــن مُعْتَمِــراتِ[4]

---

1 وصيفة : جارية شابة .

2 ل : القطر .

3 هي زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفي .

4 فخ : وادٍ بمكة . الاعتمار : القصد والزيارة .

يخبِّئن أطرافَ الأكُفِّ من التّقى ويخرجن شَطْرَ الليل مُعتجراتِ[1]
ولمّا رأتْ رَكْبَ النميريّ أعرضتْ وكُنَّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَه حَذِراتِ
تضوّع مِسْكاً بطنُ نَعْمانَ أن مَشَتْ بِه زينبٌ في نِسوة خَفِراتِ

فقالت : والله ما قلتَ إلاّ جميلاً ، ولا وصفتَ إلاّ كرماً وطيباً وتُقًى ودِينا ، أعْطُوه ألفَ درهم . فلمّا كانت الجمعةُ الأخرى تعرّض لها ، فقالت : عليّ به فجاء . فقالت : أنشِدْني من شعرك في زينب . فقال : أوَ أُنْشِدُكِ من قول الحارث فيك ؟ فوثب مَواليها ، فقالت : دَعُوه ؛ فإنّه أراد أن يستقِيد لابنة عمِّه ، هاتِ . فأنشدها : [من الكامل]

ظعَنَ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ وغَدَوْا بلُبِّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
وتَنُوءُ تُثْقِلُها عَجيزتُها نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ
ما صَبَّحتْ زوجاً بطَلْعتها إلاّ غَدا بكواكب الطَّلْقِ[2]
قُرَشيَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ
بيضاءُ من تيم كَلِفْتُ بها هذا الجنون وليس بالعشقِ

قالت : والله ما ذكر إلاّ جميلاً ، ذكر أنّي إذا صبَّحت زوجاً بوجهي غَدا بكواكب الطَّلْق ، وأنّي غدوت مع أمير تزوّجني إلى الشرق . أعْطُوه ألفَ درهم واكسُوه حُلّتين ، ولا تَعُدْ لإتياننا يا نُميريُّ .

[أخر الحارث بن خالدٍ الصلاة لتتمّ طوافها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ عن محمد بن سَلاّم : أنّ عبد الملك ولّى الحارث بن خالد على مكّة . فأذَّن المؤذِّن ، وخرج للصلاة ، فأرسلت إليه عائشةُ بنت طلحة : قد بقي من طَوافي شيءٌ لم آتِه ، وكان يتعشّقها ، فأمَر المؤذِّن فكَفَّ عن الإقامة ، ففرَغت من طوافها . وبلغ ذلك عبدَ الملك فعزَله . فقال : ما أهْوَنَ والله غَضَبَه وعَزْلَه إيّاي عليّ عند رِضاها عنّي .

[كانت معناة بعجيزتها]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني عمر بن شَبّة قال : قال سَلْمُ بن قُتَيبة : رأيتُ عائشة بنتَ طلحة بمِنًى أو مسجدِ الخَيْفِ ، فسألتني مَن أنت ؟ قلت : سَلْمُ بن قُتَيبة . فقالت : رَحِم الله مصعباً ؛ ثم ذهبتْ تقوم ومعها امرأتان تُنْهِضانها ، فأعجزتْها أليتاها من عظمهما ، فقالت : إنّي

---

1 الاعتجار : ليّ الثوب على الرأس من غير أن يدار تحت الحنك .
2 زوجاً في ل : وجهاً .

بكما لَمُعَنَّاةٌ ، فذكرتُ قولَ الحارث : [من الكامل]

وتنــوء تُثقِلُهـــا عَجيزتُهــا نَهْضَ الضعيفِ ينــوء بالوَسْقِ

وروى هذا الخبرَ هارون بن الزيّات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني أبو عمرو بن خَلاّد عن المدائنيّ قال : قال أبو هريرة لعائشة بنت طلحة : ما رأيتُ شيئاً أحسنَ منك إلاّ معاوية أوّلَ يومٍ خطَب على مِنْبَرِ رسول الله ﷺ . فقالت : والله لأنا أحسنُ من النار في الليلة القَرَّةِ في عين المقرور .

[ردّت أبان بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة قال : كتب أبانُ بن سَعِيدٍ إلى أخيه يحيى يخطُب عليه عائشة بنتَ طلحة . ففعل . فقالت ليحيى : ما أنزل أخاك أُيْلَة ؟ قال : أراد العُزلة . قالت : اكْتُبْ إلى أخيك : [من الطويل]

حَلَلْتَ مَحَلَّ الضَّبِّ لا أنتَ ضائرٌ عــدوًّا ولا مستنفعٌ بـك نافعُ

صوت

[من الطويل]

إذا المــالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه صنيعة تَقْوى أو صديــقٌ تُوامِقُهْ

مَنَعْتَ وبعضُ المَنْــعِ حَزْمٌ وقُوّةٌ فلَم يَفْتَلِتْك المــالَ إلاّ حقائقُهْ[1]

عروضه من الطويل . توامقه : تفاعله من الموامقة ، أي تَوَدّه ويودّك ؛ يقال وَمَقْتُه أمِقُه أي أحببتُه . ويفتلتك أي يُخرِجه من يدك وقَبْضَتِك . الشعر لكُثَيِّر . والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ، ويقال إنّه للهُذليّ ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

[عمران الطلحي يتمثل ببيتين لكثير]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدَّثنا طلحة بن عبد الله قال حدَّثني أبو مَعمرٍ عافيةُ بن شَيْبَة قال حدَّثني العُتبيُّ قال : أفلس صَيْرَفِيٌّ بالمدينة ، فخرج قومٌ يسألون له ، فمرُّوا بابن عِمران الطّلحيّ وقد فتح بابَه واجتمع له أصحابه ، فسألوه ، فقرعَ بمِخْصَرته[2] ثم رفع رأسَه إليهم فقال : [من الطويل]

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاءَه صنيعةُ تَقْــوى أو صَدِيقٌ تُوامِقُهْ

---

1 حقائقه : أي حقوقه .

2 المخصرة : ما يختصره الإنسان أي يمسكه ليتوكأ عليه .

بَخِلتَ وبعضُ البُخْـلِ حَزْمٌ وقوّةٌ ... فلَمْ يفتَلِتْكَ المـالَ إلاّ حقائقَهْ

إنّا والله ما نَحِيدُ عن الحقّ ، ولا نتدفّق في الباطل ، وإنّ لنا لحقوقاً تشغَل فضولَ أموالِنا ، وما كلُّ مَن أفلس من صَيارِفةِ المدينة قَدَرنا أن نَجْبُرَه ؛ قُومُوا . قال : فقُمْنا نستبق الباب .

[الأبرش يتمثل أمام هشام ببيتي كثيّر]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو مَسلمة[1] المَدينيّ قال أخبرني أبي قال : كان رجلٌ من الأنصار من بني حارثة مُمْلِقاً ليس في ديوانٍ ولا عَطاء ، وكان صديقاً لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال له يوماً : إنّ أمير المؤمنين مسابقٌ غداً بين الخيل ، وقد أمرتُ الحَرَسَ ألاّ يَعْرِضوا لك حتى تكلّمه . قال : فسبَق هشاماً يومئذٍ ابنٌ له ، وكان السبق يشتدّ عليه . فعرَض له الأنصاريّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا امرؤ من الأنصار ، وقد بلغتُ هذه السنَّ ولستُ في ديوانٍ . فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَفْرِضَ لي فَعَلَ . قال : فأقبل عليه هشامٌ فقال : والله لا أفرِض لك حتّى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة ، ثم أقبل على الأبرش فقال : يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي جُمعة يقول : [من الطويل]

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه ... صنيعةُ تَقْوى أو خليـلٌ توامقُهْ

منعتَ وبعض المنع حزمٌ وقوّة ... فلم يفتَلِتك المـالَ إلاّ حقائقُهْ

* * *

[من شعر عمرو بن شأس]

صوت

[من الطويل]

فوانَدَمـي على الشبـابِ ووانَدَمْ ... نَدِمتُ وبـان اليومَ منّي بغير ذَمّ

وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ ... وإذ لا أُجيب العاذلاتِ من الصَّمَمْ

أرادتْ عِـراراً بالهَوان ومن يُرِدْ ... عـراراً لعمري بالهوان فقد ظَلَمْ

فإن كنتِ منّي أو تريدين صُحْبتي ... فكوني له كالسَّمْنِ رُبَّتْ له الأَدَمْ

وإلاّ فبِيني مثلَ مـا بـان راكبٌ ... تيمّمَ خِمْساً ليس في وِرده يَتَمْ[2]

---

1 ل : أبو سلمة .

2 في ديوان الحماسة :

وإلاّ فسيري مثل ما سار راكب ... تجشّم خمساً ليس في سيره أَمَم

فإنّ عِـراراً إن يكن ذا شكيمةٍ تَعافِينَهـا منـه فما أَمْلِكُ الشِّيَمْ
وإنّ عِراراً إن يكـن غيرَ واضح فإنّي أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ
وإنّـي لأُعطـي غَثَّهـا وسمينها وأَسرِي إذا ما الليلُ ذو الظُّلَم ادْلَهَمّ
جِذاراً على مـا كان قدّم والدي إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرٍو بن شأس الأسديّ . والغناء في الأوّل والثاني من الأبيات لمعبد ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق . وذكر عمرو أنّ فيهما لمالك خفيفَ رملٍ بالبنصر . وفي الثامن والتاسع لابن جامع هَزَجٌ بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى ، وفيهما لإبراهيم ماخوريٌّ بالبنصر من نسخة عمرو الثانية ، ولابن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر عن حَبَشٍ ، وفيهما رملٌ مجهولٌ وقيل : إنّه لسُلَيم . الشامخ : الذي يشمَخ بأنفه زَهْواً وكِبْراً . وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه . والشيمةُ : الطبيعة . رُبّت[1] له : يعني للسِّمْن فلا تُفسده . والأدَمُ جَمْعٌ واحدُها أديمٌ وجمعها أَدَمٌ ، كما يقال أفِيقٌ وأَفق[2] . واليَتَم[3] : الغفلة والضَّيْعة ؛ واليتيم مأخوذ من هذا . واليتيم من البهائم : ما اختلِج عن أُمِّه . والعرب تقول : «لا تخلِج الفَصِيلَ عن أُمّه ، فإنّ الذئب عالِمٌ بمكان الفصيلِ [اليتيم]» . ويقال : فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان ؛ ومنه شكيمة اللّجام ، وجَمعُها شكائمُ . قال عُوَيْفُ القَوافي : [من الطويل]

أَقُـولُ لِفِتْيانٍ كـرامٍ تَرَوّحُوا على الجُرْدِ في أفواههن الشكائمُ

والواضح : الأبيض . والجَوْن : الأسود والأبيض أيضاً ؛ وهو من الأضداد . والعَمَمُ : الطويل ؛ يقال رجلٌ عَمَمٌ ، وامرأةٌ عَمَمٌ ، ورجلٌ عَميمٌ . وامرأةٌ عميمةٌ ، ونخلٌ عميمٌ ، ونبتٌ عميمٌ . والسُّرى : السيرُ ليلاً . وادلهمّ : اشتدّ سواده . والحَرْجَفُ : الريح الشديدة الباردة . والصِّرَمُ : جمع صِرمةٍ وهي القِطعة من الإبل يعني أن هذه الريح إذا هبّت طَرد الرعاءُ الإبل إلى مُراحِها وأعطانِها فتسكُن فيها .

1 الرب : خلاصة التمر بعد طبخه وعصره .
2 الأفيق والأديم : الجلد المدبوغ .
3 قيل معنى اليتم هنا : الإبطاء .

[187] ـ نسب عمرو بن شأْس [1] وأخباره في هذا الشعر وغيره

[نسبه]

هو عمرو بن شأْس بن عُبَيْدِ بن ثعلبة بن ذُؤَيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسدِ بن خُزيمة . وهذا الشعر يقوله في امرأته أُمّ حسّان وابنه عِرار بن عمرو ، وكانت تُؤذيه وتعيِّره بسواده .

[شعر يخاطب به امرأته التي تؤذي ابنه عراراً]

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الأعرابيّ : كانت امرأة عمرو بن شأْس من رهطه ، ويقال لها أُمُّ حسّان ، واسمها حيّة بنت الحارث بن سعد ، وكان له ابن يقال له عِرارٌ من أَمَةٍ له سوداء ، وكانت تعيِّره وتُؤْذِي عِراراً وتشتُمه ويشتمها . فلمّا أعيتْ عمراً قال فيها : [من الطويل]

دِيارَ ابنـةِ السَّعْدِيِّ هِيهِ تَكَلَّمي ... بدافِقةِ الحَوْمانِ فالسَّفْحِ من رَمَمْ [2]
لَعَمْرُ ابنـةِ السَّعْدِيِّ إنّي لأتَّقي ... خلائقَ تُؤْبى في الثَّراء وفي العَدَمْ
وقفتُ بهـا ولم أكن قبلُ أرتجي ... إذا الحَبْلُ من إحدى حَبائبي انصرمْ
وإنّـي لَمُـزْرٍ بالمَطِيِّ تَنَقُّلي ... عليـه وإيقاعـي المُهنَّدَ بالعِصَمْ [3]
وإنّـي لأُعْطِـي غَثَّها وسَمِينَها ... وأَسْري إذا ما الليلُ ذو الظُّلَمِ ادلهمّ
إذا الثلجُ أضحى في الديار كأنّه ... مَناثرُ مِلْحٍ في السُّهول وفي الأَكَمْ [4]
حِذاراً على مـا كان قدّم والدي ... إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ
وأتـركُ نَدْمـاني يَجُـرّ ثيابَه ... وأوصالَه من غير جُرْحٍ ولا سَقَمْ [5]
ولكنّهـا مـن رَيّـةٍ بعـد رَيّةٍ ... مُعَتّقـةٍ صهبـاءَ راووقُها رَذَمْ [6]

1 انظر أخباره في : ابن سلام الجمحي 46–47 والشعر والشعراء 1/425–426 والمرزباني 212–213 واللآلي 750–751 .

2 هيه : للاستزادة . والحومان ورمم : موضعان .

3 مزر : مستخف متهاون . العصم : القلائد ، واحدتها عصمة .

4 مناثر جمع مَنثَر وهو اسم مكان من نثر .

5 الأوصال : المفاصل ، واحدها وصل .

6 راووق الخمر : ناجودها الذي تروّق فيه . الرذم : ممتلىء .

مـــن العانيات مـــن مُدامٍ كأنها مَذابحُ غِزْلانٍ يَطِيبُ بها الشَّمَمْ[1]
وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ وإذ لا أُجيب العاذلات من الصممْ
أَلَم يأتِهــا أنّــي صَحَوْتُ وأنّني تحالمتُ حتى مــا أُعارِم من عَرَمْ[2]
وأطرقتُ إطراق الشُّجاعِ ولو يرى مَساغاً لِنابَيْهِ الشجاعُ لقــد أَزَمْ[3]
وقــد علمــتْ سعدٌ بأنّي عميدُها قديماً وأنّي لستُ أُهْضِمُ من هَضَمْ

يقول : لا أظلم أحداً من قومي وأتهضَّمُه فيطلبني بمثل ذلك ، أي أرفع نفسي عن هذا .

خُزَيْمــةُ رَدّاني الفَعــالَ ومَعْشَرٌ قديماً بَنَوْا لي سُورةَ المَجْدِ والكَرَمْ[4]
إذا مــا وَرَدْنا الماءَ كانــت حُماتَه بنو أَسَدٍ يوماً على رَغْمٍ مــن رَغَمْ
أرادتْ عِــراراً بالهوانِ ومن يُرِدْ عِراراً لَعَمْري بالهــوانِ فقد ظَلَمْ

[طلّق امرأته، ثم ندم وقال شعراً]

وذكر باقِيَ الأبيات . قال ابن الأعرابيّ وأبو بكر الشَّيبانيّ : فجَهِد عمرو بن شأسٍ أن يُصلح بين ابنه وامرأته أمِّ حَسَّان فلم يُمكنه ذلك ، وجعل الشرُّ يزيد بينهما . فلمّا رأى ذلك طلّقها ، ثم ندِم ولام نفسه ؛ فقال في ذلك : [من الطويل]

تَذَكَّر ذِكْــرى أُمِّ حَسّانَ فاقْشَعَرّ على دُبُــرٍ لَمّا تَبَيَّنَ مــا ائتمرْ[5]
فكِدتُ أذوقُ الموتَ لو أنّ عاشقاً أَمَــرَّ بمُوساه الشواربَ فانتحرْ[6]
تذكّرتُها وَهْناً وقــد حال دونها رِعانٌ وقِيعانٌ بها الزَّهْرُ والشجرْ[7]
فكنتُ كذات البَوِّ لمــا تَذَكّرتْ لهــا رُبَعاً حَنَّتْ لِمَعْهَدِه سَحَرْ[8]
حِفاظــاً ولم تَنْزِعْ هوايَ أُثيمةٌ كذلك شأوُ المــرء يَخْلِجُه القَدَرْ

---

1 العانيات : الأسيرات .

2 عرم عرامة وعراماً : إذا اشتدّ .

3 الشجاع : الحيّة الذكر . وأزم : عضّ .

4 ردّاني : ألبسني . سورة المجد : منزلة المجد . والسورة من البناء : ما حسن وطال .

5 ائتمر : عمل برأيه . والمؤتمر يصيب مرة ويخطىء أخرى .

6 الشوارب : عروق في الحلق .

7 الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو حين يدبر الليل . ورعان : جمع رَعن وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل .

8 البوّ : جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبناً أو نحوه ثم يقرب إلى أمه فتعطف عليه وتدر . والرُّبَع : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج .

قال ابن الأعرابيّ : الأثيمة الفعيلة من الإثم ، وهي مرفوعة بفعلها ، كأنّه قال : [لم] تنزع الأثيمةُ هوايَ . تَخلِجه : تَصرِفه . شأْوُه : هَمُّه ونِيَّتُه . قال وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

أَلَم تَعْلَمِي يا أُمَّ حَسَّانَ أنّني إذا عَبْرَةٌ نَهْنَهْتُها فَتَخلّتِ[1]

رجعتُ إلى صَدْرٍ كجَرَّةِ حَنْتَمٍ إذا قُرِعتْ صِفْراً من الماءِ صَلَّتِ[2]

[خبر ابنه عرار مع عبد الملك]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة عن إسحاق بن محمد بن سَلاّم ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال ابن سلاّم : لمّا قتل الحجّاجُ عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعثِ بعث برأسه مع عِرار بن عمرو بن شأس الأسديّ ، فلمّا ورد به وأوصل كتابَ الحجّاج ، جعل عبدُ الملك يعجَب من بيانه وفصاحته مع سواده ، فقال متمثّلاً : [من الطويل]

وإنّ عِراراً إن يَكُنْ غيرَ واضح فإنّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

فضحِك عرارٌ من قوله ضحكاً غاظ عبدَ الملك ؛ فقال له : مِمَّ ضَحِكتَ ويْحك ؟! قال : أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟ قال لا . قال : أنا واللهِ هو . فضحِك عبد الملك ثم قال : حَظٌّ وافق كلمةً ، وأحسنَ جائزتَه وسرَّحه .

[شعره في قتل ملك من غسان]

وقال الطوسيّ : أغار ملكٌ من ملوك غسّان يقال له عدِيٌّ وهو ابن أخت الحارث بن أبي شَمِرٍ الغسّانيّ على بني أَسَدٍ ، فلقيته بنو سَعْدِ بن ثعلبة بن دُودَانَ بالفُرات ورئيسهم ربيعةُ بن حُذار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعدٍ عَدِيّاً ، اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حُذار أخوا ربيعة ، وأُمُّهما امرأة من كِنانة يقال لها تُماضِرُ إحدى بني فَرّاس بن غَنْم وهي التي يقال لها مقيِّدة الحمار . فقالت فاختة بنت عديٍّ : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على عَدِيٍّ رِماحَ بني مُقَيِّدة الحمارِ

ولكنّي خشيتُ على عديٍّ رماحَ الجِنِّ أو إيّاكَ حارِ

تعني الحارثَ بن أبي شمر خاله .

قَتِيلٌ ما قتيلُ ابنَيْ حُذارٍ بعيدُ الهَمِّ طَلاَّعُ النِّجارِ

ويروى : «جواب الصحاري» . فقال عمرو بن شأس في ذلك : [من الطويل]

1 نهنهتها : كففتها .

2 كجرة في ل : كطسَّة . والحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة . وصلّت : صوتت .

صوت

متى تَعْرِفِ العينانِ أطلالَ دمْنةٍ ... لليلى بأعلى ذي مَعارِكَ تَدْمَعا[1]
على النحرِ والسِّرْبالِ حتى تَبُلَّهُ ... سَجُومٌ ولم تَجْزَعْ على الدّارِ مَجْزَعا
خليليَّ عُوجا اليومَ نَقْضِ لُبانَةً ... وإلاّ تَعُوجا اليومَ لا نَنْطَلِقْ مَعا
وإن تنظُراني اليومَ أتْبَعْكما غداً ... قِيادَ الجَنيبِ أو أذلَّ وأطوعا

وهي قصيدة . غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . والدمنة في هذا الموضع : آثار الناس وما سوّدوا ، وهي في غير هذا الموضع الحِقْدُ ؛ يقال : في صدره عَلَيَّ إحْنةٌ ، وترَةٌ ، وضَبٌّ وحَسِيكةٌ ، ودِمْنةٌ . وعُوجا : احبِسا وتَلَبَّثا ، عاجَ يَعُوج عِياجاً . وما أعِيجُ بكلامك أي ما ألتفت إليه . واللُّبانة : الحاجة ؛ يقال : لي في كذا لُبانةٌ ولبونة ولُماسةٌ ، ووَطَرٌ ، وحَوْجاء ممدودةً . وقوله «لا ننطلق معاً» ، يقول إن لم تَقِفا تأخّرت عنكما فتفرّقنا . وتنظُراني تُنْظِراني ، يقال نظرته أنظُره ، وأنظرته أُنظِره ، إنظاراً ونَظِرةً أيضاً إذا أخّرته ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرةٍ﴾ . والجنيب : المجنوب من فرس وغيره ، والجنيب أيضاً الذي يشتكي رِئته من شدّة العَطَش .

[شعره في خطبة ابنة مجاوره]

وقال الطوسيّ قال الأصمعيّ : جاور رجلٌ من بني عامر بن صَعْصَعَةَ عمرَو بن شأْس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم ، فخطَبها عمرو إلى أبيها . فقال أبوها : أمّا ما دمتُ جاراً لكم فلا ، لأنّي أكره أن يقول الناس غصبه أمرَه ، ولكن إذا أتيتُ قومي فاخطُبْها إليّ أُزَوِّجْكَها . فوجَد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد ألاّ يتزوّجها أبداً إلاّ أن يُصيبها مَسْبِيَّة . فلمّا ارتحل أبوها هَمّ عمرٌو بغزو قومها ، فسار في أثر أبيها . فلمّا وقعت عينه عليه وظفِر به استحيا من جِواره وما كان بينهما من العهد والميثاق ، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجتْ رأسها من الهَودج تنظُر إليه . فلمّا رآها رجع مُسْتَحْيِياً متذمِّماً منها . وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير ؛ فقال في ذلك : [من الطويل]

صوت

إذا نحن أدلَجْنا وأنتِ أمامنا ... كَفى لَمطايانا بوجهكِ هادِيا
أليس يزيدُ العِيسَ خِفَّةَ أذْرُعٍ ... وإن كُنّ حَسْرى أن تكوني أمامِيا[2]

1 ذو معارك : موضع في ديار بني تميم .

2 الحسرى : جمع حسير وهي الدابة المتعبة .

ولولا اتّقاءُ اللهِ والعَهدُ قد رأى مَنِيّتَــه منّــي أبــوك اللّيالِيا
ونحــن بنــو خيرِ السِّباع أكِيلةً وأحْرَبِــه إذا تنفّس عــادِيا[1]
بنــو أسَدٍ وَرْدٍ يَشُقّ بنابِــهِ عظامَ الرجالِ لا يُجيب الرّواقِيا
متى تَدْعُ قيساً أدْعُ خِنْدِفَ إنّهم إذا مـا دُعُوا أسمعتَ ثَمَّ الدَّواعِيا
لنا خاضرٌ لم يَحْضُرِ الناسُ مثلَه وبـادٍ إذا عـدُّوا علينا البَوادِيا

الغناء لإسحاق الموصليّ ثاني ثقيلٍ في الأوّل والثاني من الأبيات ، وفيه لحنٌ قديم .

[ابن سيرين ينشد من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا الحِزاميّ قال حدَّثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْد بن أبي رُهْم قال : قلت لابن سيرين : ما تقول في الشعر ؟ قال : هو كلامٌ . حَسَنُه حسنٌ ، وقبيحُه قبيحٌ . قلتُ : فما تقول في النَّسيب ؟ قال : لعلّك تريد مثلَ قول الشاعر : [من الطويل]

إذا نحــن أدلجنا وأنتِ أمامنا كفى لمطايانــا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيسَ خِفّةَ أذرُعٍ وإن كُنَّ حَسْرى أن تكوني أمامِيا

قال : وأراد بإنشاده إيّاهما أنّك قد رأيتَني أحفَظ هذا الجنسَ وأرويه وأنشدتُك إيّاه ، فلو كان به بأسٌ ما أنشدته .

صوت

[من الطويل]

فإنْ تَكُنِ القَتْلى بَـواءً فإنّكم فتًى ما قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فتًــى كان أحْيا من فتاةٍ حَيِيّةٍ وأشْجَعَ من لَيْثٍ بخَفّانَ خادرِ

عروضه من الطويل . البَواء بالباء : التكافؤ ؛ يقال ما فلانٌ لفلانٍ بَبَواء ، أي ما هو له بكفء أن يُقْتَل به . و«ما» في قولها «فتى ما قتلتم» صلة . وآل عوف نداء . وخَفّان : موضع مشهور . وخادر : مقيم في مَكْمَنه وغِيله ، وهو مأخوذ من الخدْر[2] .

الشعر لليلى الأخيليّة تَرثي توبة بن الحُمَيِّر . والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش . وفي هذه القصيدة عدّة أغانٍ تُذْكَر مع سائر ما قاله توبةُ في ليلى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر في مَقتله إن شاء الله تعالى .

---

1 أحربه : أي أحرب السباع ، أي أشدها في الحرب والمقاتلة . والعادي من السباع : الظالم الذي يفترس الناس .

2 من معاني الخدر : أجمة الأسد .

[188] ـ ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحميّر معها[1]
وخبر مقتله

[نسب ليلى الأخيليّة]

هي ليلى بنت عبد الله بن الرَّحّال ، وقيل ابن الرحّالة ، بن شَدَّاد بن كَعْب بن معاوية ، وهو الأخْيَل وهو فارس الهَرّار ، ابن عُبادة بن عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهي من النساء المتقدِّمات في الشعر من شعراء الإسلام . وكان توبة بن الحُمَيِّر يهواها .

[كان توبة بن الحمير يهواها ونسبه]

وهو توبة بن الحُمَيِّر بن حَزْمٍ بن كعب بن خَفاجة بن عمرو بن عُقَيل .

أخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمد بن حَبِيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدَّثنا محمد بن عليّ أبو المُغيرة قال حدَّثنا أبي عن أبي عبيدة قال حدَّثني أُنَيْس بن عمرو العامريّ قال : كان توبة بن الحميِّر أحدَ بني الأسديّة ، وهي عامرة بنت والبةَ بن الحارث ، وكان يتعشّق ليلى بنتَ عبد الله بن الرحّالة ويقول فيها الشعر ، فخطبَها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إيّاها وزوّجها في بني الأدْلَع . فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها ، فإذا هي سافرة ولم يَرَ منها إليه بشاشةً ، فعلم أنّ ذلك لأمرٍ ما كان ، فرجع إلى راحلته فركِبها ومضى ، وبلَغ بني الأدْلَع أنّه أتاها فتبِعوه ففاتهم . فقال توبة في ذلك : [من الطويل]

نأَتْكَ بليلى دارُها لا تزورُها ... وشَطَّتْ نَواها واسْتَمَرَّ مَرِيرُها[2]

وهي طويلة ، يقول فيها :

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ ... فقد رابَنِي منها الغَداةَ سُفُورُها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : كان توبة بن الحميّر إذا أتى ليلى الأخيليّة خرجتْ إليه في بُرْقع . فلمّا شُهِر أمرُه شَكَوْه إلى السُّلطان ، فأباحهم دَمَه إن أتاهم . فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه . فلمّا علمتْ به خرجتْ سافرةً حتى جلستْ في طريقه . فلمّا رآها سافرةً فَطِنَ لِما أرادتْ وعلِم أنّه قد رُصِد ، وأنّها سَفَرتْ لذلك تحذِّره ، فركض فرسَه فنجا . وذلك قوله : [من الطويل]

---

1 وردت ترجمتها في الشعر والشعراء 448/1–451 ، وثمة ذكر لها في ترجمة توبة بن الحمير 445/1–447 وفي الأمالي 86/1–89 .

2 النّوى هنا : الوجه الذي ينويه المسافر ، ومثله النية . واستمر : استحكم . والمرير هنا : العزيمة ، ومثله المريرة .

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ ... فقد رابَني منها الغداةَ سفورُها

قال أبو عُبيدة وحدَّثني غير أُنَيْس أنّه كان يُكْثِر زيارتَها ، فعاتبه أُخوها وقومُها فلم يُعْتِبْ[1] ، وشَكَوه إلى قومه فلم يُقْلِع ، فتظلّموا منه إلى السلطان فأهدر دمَه إن أتاهم . وعلمتْ ليلى بذلك ، وجاءها زوجُها وكان غيوراً فحلف لئن لم تُعْلِمْه بمجيئه ليَقتلنّها ، ولئن أنذرتْه بذلك ليَقتلنّها . قالت ليلى : وكنت أعرِف الوجهَ الذي يجيئني منه ، فرَصدوه بموضعٍ ورصدته بآخر ، فلمّا أقبل لم أقدِر على كلامه لليمين ، فسفرتُ وألقيتُ البُرْقُعَ عن رأسي . فلمّا رأى ذلك أنكره فركِب راحلتَه ومضى ففاتهم .

[ضافها رجل من بني كلاب]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال حدَّثني أبو زيادٍ الكِلابيُّ قال : خرج رجلٌ من بني كِلابٍ ثم من بني الصحمة يبتغي إبلاً له حتى أَوْحَشَ وأَرْمَلَ[2] ، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بِوادٍ ، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيفُ ، فأبصر امرأة وصِبياناً يدورون بالخِباء فلم يكلِّمه أحدٌ . فلمّا كان بعد هَدْأةٍ من الليل سمِع جَرْجَرَةَ إبلٍ رائحةٍ ، وسمِع فيها صوتَ رجلٍ حتى جاء بها فأناخَها على البيت ، ثم تقدّم فسمِع الرجلَ يُناجي المرأةَ ويقول : ما هذا السَّوادُ حِذاءَك ؟ قالتْ : راكبٌ أناخ بنا حين غابتِ الشمسُ ولم أُكلِّمه . فقال لها : كذبتِ ، ما هو إلاّ بعضُ خُلاَّنك ، ونَهض يضرِبها وهي تناشده . قال الرجل : فسمعتُه يقول : والله لا أترك ضَرْبَك حتى يأتِيَ ضيفُك هذا فيُغِيثَك . فلمّا عيلَ صبرُها قالت : يا صاحبَ البعير يا رَجُلُ ؛ وأخذ الصحميّ هِراوَتَه ثم أقبل يُحْضِر[3] حتى أتاها وهو يضربها ، فضربه ثلاث ضَرَبات أو أربعاً ، ثم أدركتْه المرأة فقالت : يا عبد الله ، ما لك ولنا ؟ نَحِّ عنّا نفسَك ، فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلتَه كلَّها وقد ظنَّ أنّه قتل الرجل وهو لا يدري مَنِ الحيُّ بعدُ ، حتى أصبح في أخبيةٍ من الناس ، ورأى غنماً فيها أَمَةٌ مولَّدة ، فسألها عن أشياء حتى بلغَ به الذكر ، فقال : أخبريني عن أُناسٍ وجدتُهم بشِعْبِ كذا . فضحِكَت وقالت : إنّك لتسألني عن شيء وأنت به عالِم . فقال : وما ذاك لله بلادُك ؟ فوالله ما أنا به عالِم . قالت : ذاك خِباء ليلى الأخيليّة ، وهي أحسنُ الناس وجهاً ، وزوجها رجلٌ غَيُورٌ فهو يعزب بها عن الناس فلا يَحُلّ بها معهم ، والله ما يَقْرَبُها أحدٌ ولا يَضِيفها ، فكيف نزلتَ أنت بها ؟ قال : إنّما مررتُ فنظرتُ إلى الخباء ولم أَقْرَبْه ، وكتَمها الأمرَ .

1 ل : لم يرضهم .
2 أوحش هنا : جاع . وأرمل : نفذ زاده .
3 الإحضار : العدو .

وتحدَّث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجُها فضربه الرجلُ ولم يُدْرَ مَن هو . فلمّا أخبر باسم المرأة وأقرّ على نفسه تغنّى بشعر دلّ فيه على نفسه وقال : [من الوافر]

أَلا يــا ليلَ أُخْتَ بنــي عُقَيْلٍ　　أنــا الصّحْمِيُّ إنْ لم تَعْرِفيني
دَعَتْنِي دعوةً فحَجَزتُ عنها　　بصَكّاتٍ رفعتُ بهــا يميني[1]
فإنْ تَــكُ غَيْرةٌ أُبرِئكَ منها　　وإن تَكُ قد جُنِنْتَ فذا جُنوني

[سألها الحجّاج عن توبة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا رشد بن خَثَم الهِلاليّ قال حدَّثني أيُّوب بن عمرو عن رجل يقال له وَرقاء قال : سمعتُ الحَجّاجَ يقول لليلى الأخيليّة : إنّ شبابَك قد ذهب ، واضمحلّ أمرُك وأمر توبة ؛ فأُقسم عليك إلاّ صَدَقْتِني ، هل كانت بينكما رِيبةٌ قَطُّ أو خاطبكِ في ذلك قطّ ؟ فقالت : لا والله أيّها الأمير إلاّ أنّه قال لي ليلةً وقد خَلَونا كلمةً ظننتُ أنّه قد خضَع فيها لبعض الأمرِ ، فقلتُ له : [من الطويل]

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها　　فليس إليها مــا حَيِيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَه　　وأنت لأخْــرى فارغٌ وحَلِيلُ

فلا والله ما سمعت منه رِيبةً بعدها حتى فرّق بيننا الموت . قال لها الحجّاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجَّه صاحباً له إلى حاضرنا فقال : إذا أتيتَ الحاضرَ من بني عُبادة بن عُقَيل فاعْلُ شَرَفاً ثم اهْتِف بهذا البيت : [من الطويل]

عفــا الله عنها هل أَبيتنَّ ليلةً　　من الدهرِ لا يَسْرِي إليّ خَيالُها

فلمّا فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له : [من الطويل]

وعنه عفا ربّي وأحسَنَ حِفْظَه　　عزيزٌ علينــا حاجــةٌ لا ينالُها

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ، وهو أجمع في قصيدة توبة : [من الطويل]

نأتك بليلى دارها لا تزورها

صوت

حمامــةَ بطــن الوادِيَيْن تَرَنَّمي　　سقاكِ من الغُرِّ الغَوادِي مَطِيرُها
أَبيني لنــا لا زالَ رِيشُكِ ناعماً　　ولا زلتِ في خَضْراءَ دانٍ بَرِيرُها[2]

1 حجزت : دفعت وكففت .
2 البرير : ثمر الأراك .

وأُشْرِفُ بالقَوْزِ اليَفاعِ لعلّني أرى نارَ ليلى أو يراني بصيرُها[1]
وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ فقد رابني منها الغداةَ سُفورُها
عليّ دِماءُ البُدْنِ إن كان بَعْلُها يرى لِيَ ذنباً غيرَ أنّي أزورُها[2]
وأنّي إذا ما زرتُها قلتُ يا اسْلَمي وما كان في قولي اسْلَمي ما يَضيرُها
وغيَّرني إن كنتِ لَمّا تَغَيَّري هَواجِرُ تكْتَنّينَها وأسيرُها
وأدماءَ من سِرِّ المَهاري كأنّها مَهاةُ صُوارٍ غيرَ ما مَسَّ كُورُها[3]
قطعتُ بها أجوازَ كلِّ تَنُوفةٍ مَخُوفٍ رَداها كلّما استَنَّ مُورُها[4]
ترى ضُعَفاءَ القومِ فيها كأنّهم دَعاميصُ ماءٍ نَشَّ عنها غديرُها[5]

غنّى في الأربعة الأبيات الأُوَل فُلَيْحُ بن أبي العَوْراء ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وغنّى في الثالث والرابع ابن سُرَيْج رملاً بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى المنجِّم، وذكر غيرُهما أنّه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزِيع. وغنّى فيها الهذليّ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ. وغنّى ابن محرز في «عليّ دماءُ البُدْن» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو. وعن ابن مِسْجَحٍ في:

وغيّرني إن كنتِ لَمّا تَغيّري

وما بعده لحنٌ ذكَر أنّ عبد الله بن جعفر روّاه الأبياتَ وأمره أن يُغَنّيَ بها، أخبرني بذلك إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ عن عمر بن شبَّة عن إسحاق الموصليّ عن ابن الكلبيّ في خبرٍ قد ذكرته في أخبار ابنِ مِسجَحٍ، وذكر الهشاميّ أنّ اللحن ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

[رأي الأصمعيّ في شعر لتوبة]

حدَّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدَّثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدَّثني مَن أنشد الأصمعيّ: [من الطويل]

عليّ دماءُ البُدْنِ إن كان زوجُها يرى لِيَ ذنباً غيرَ أنّي أزورها

---

1 القوز: الكثيب من الرمل. واليفاع: المشرف.

2 البدن: جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة.

3 الأدمة في الإبل: لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح. والمهاري: جمع مهرية وهي إبل منسوبة إلى مهرة أو إلى بلد. وسرها: محضها وأفضلها. المهاة: البقرة الوحشية. والصّوار: قطيع البقر.

4 أجواز: جمع جوز، وجوز كل شيء وسطه. والتنوفة: الفلاة لا ماء فيها. واستنّ: هاج وثار. والمور: الغبار التي تثيره الرياح.

5 الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران إذا نشّت. نش: يبس ونضب.

وأنّي إذا ما زرتُها قلت يا اسْلَمى فهل كان في قولي اسْلَمى ما يَضِيرُها

فقال الأصمعيّ : شكوى مظلومٍ ، وفعلُ ظالم .

[مقتل توبة وسببه وكيف كان]

أُخبرني بالسبب في مقتلِ توبةَ محمد بن الحسن بن دُرَيد إجازةً عن أبي حاتم السِّجِسْتانيّ عن أبي عُبيدة ، والحسنُ بن عليّ الخفّاف قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا محمد بن عليّ بن المُغيرة عن أبيه عن أبي عُبيدةَ ، وأُخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أُخبرنا أبو سعيد السُّكريّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ ، ورواية أبي عُبيدة أتمُّ واللَّفظ له . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج مقتلَ توبةَ بنِ الحُمَيِّر بن حَزْم بن كَعْبِ بن خَفاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ أنّه كان بينه وبين بني عامر بن عوْفِ بن عُقَيْلٍ لِحاءٌ[1] ، ثم إنّ توبةَ شهِد بني خَفاجةَ وبني عَوْفٍ وهم يختصمون عند هَمّام بن مُطرف العُقَيليّ في بعض أمورهم . قال : وكان مَروانُ بن الحكَم يومئذٍ أميراً على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سُفيان ، فاستعمله على صَدَقات بني عامر . قال : فوثَب ثَوْرُ بن أبي سِمعان بن كعب بن عامر بن عَوْف بن عُقَيل على توبة بن الحميِّر فضربه بجُرْزٍ[2] وعلى توبة الدرعُ والبَيْضةُ ، فجرح أنفُ البيضة وجهَ توبة . فأمر همام بثَوْر ابن أبي سِمعانَ فأُقْعِدَ بين يدَي توبة ، فقال : خُذْ بحقِّك يا توبة . فقال له توبة : ما كان هذا إلاّ عن أمرك ، ما كان ليجترىء عليّ عند غيرك . وأمّ همّام صوبانة بنت جَوْن بن عامر بن عَوف بن عُقَيْل ، فاتّهمه توبةُ لذلك ، فانصرف ولم يقتصَّ منه . فمكثوا غيرَ كثيرٍ ، وإنّ توبة بلَغه أنّ ثور بن أبي سِمْعانَ خرج في نفرٍ من رَهْطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون مالَهم بموضع يقال له جُرَيْرٌ بتَثْلِيثٍ ، قال : وبينهما فلاةٌ ، فاتّبعه توبةُ في ناس من أصحابه ، فسأل عنه وبحث حتى ذُكر له أنّه عند رجلٍ من بني عامر بن عقَيْل يقال له ساريةُ بن عُمَيْر بن أبي عديّ وكان صديقاً لتوبة . فقال توبة : والله لا نَطْرُقُهم عند سارية الليلةَ حتى يخرجوا عنه . فأرادوا أن يخرجوا حين يُصبحون . فقال لهم ساريةُ : ادّرِعُوا[3] الليلَ ؛ فإنّي لا آمَنُ توبةَ عليكم الليلةَ فإنّه لا ينام عن طلبكم . قال : فلمّا تَعَشَّوا ادّرعوا الليلَ في الفلاة . وأقعد له توبةُ رجلين فغفَل صاحبا توبة . فلمّا ذهب الليلُ فزِع توبة وقال : لقد اغتررتُ إلى رجلين ما صنَعا شيئاً ، وإنّي لأعلم أنـهم لم يُصبحوا بهذه البلاد ، فاقتصّ آثارهم ، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا ، فبعَث إلى صاحبيه فأتياه ، فقال : دُونَكما هذا الجملَ فأوْقِراه من الماء في مَزادتَيْه ثم اتّبِعا أَثَري ، فإنْ خَفي عليكما أن تُدْرِكاني فإنّي سأُنوِّر لكما

1 لحاه : مصدر لاحاه ملاحاة ولحاء إذا نازعه .

2 الجرُز : عمود من حديد .

3 يقال : ادّرع الليل وتدرعه إذا دخل فيه يسري ، كأنّه لبس ظلمته .

إن أمسيتما دوني . وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً ، حتى إذا انتصف النهارُ جاوز عَلَماً يقال له أفيح في الغائط . فقال لأصحابه : هل تَرَوْنَ سَمُراتٍ إلى جنب قُرون بَقَرٍ ؟ ، وقرون بقر مكان هنالك ، فإنّ ذلك مَقِيلُ القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظِلٌّ . فنظروا فقال قائلٌ : أرى رجلاً يقود بعيراً كأنّه يقوده لصيدٍ . قال توبة : ذلك ابن الحَبْتَرِيّة ، وذلك من أرْمى مَنْ رمى . فمَنْ له يختلِجه[1] دون القوم فلا يَنْذَرون[2] بنا ؟ قال : فقال عبد الله أخو توبة : أنا له . قال : فاحْذَرْ لا يَضْرِبنّك ، وإن استطعتَ أن تحولَ بينه وبين اصحابه فافْعَلْ . فخلّى طريقَ فرسِه في غَمْضٍ[3] من الأرض ، ثم دنا منه فحَمل عليه ، فرماه ابن الحَبْتَرِيّة ، قال : وبنو الحَبْتَرِ ناسٌ من مَذْحِجٍ في بني عُقَيل ، فعقَر فرسَ عبد الله أخي توبة واختلّ[4] السهمُ ساقَ عبد الله ، فانحاز الرجل حتى أتى أصحابَه فأنذرهم ، فجمعوا رِكابَهم وكانت متفرِّقةً . قال وغَشِيَهم توبة ومن معه ، فلمّا رأوا ذلك صَفُّوا رِحالَهم وجعلوا السَّمُراتِ في نحورهم وأخذوا سِلاحهم ودَرَقَهم ، وزَحف إليهم توبة ، فارتمى القومُ لا يُغْني أحدٌ منهم شيئاً في أحد . ثم إنّ توبةَ وكان يُتَرِّسُ[5] له أخوه عبد الله ، قال : يا أخي لا تُتَرِّسْ لي ؛ فإنّي رأيت ثوراً كثيراً ما يرفع التُّرْسَ ، عسى أن أُوافق منه عند رَفْعِه مَرْمًى فأرميَه . قال : ففعل ، فرماه توبةُ على حَلَمةِ ثديه فصرَعه . وجالَ القومُ فغَشِيَهم توبةُ وأصحابُه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صَرعى وهم سبعةُ نفرٍ . ثم إنّ ثوراً قال انتزعوا هذا السهمَ عنّي . قال توبة : ما وضعناه لننتزعَه . فقال أصحابُ توبة : انْجُ بنا نأخذ آثارَنا ونَلْحَق راويتَنا ، فقد أخَذنا ثأْرَنا من هؤلاء وقد مُتْنا عَطَشاً . قال توبة : كيف بهؤلاء القومِ الذين لا يمنَعون ولا يمتنعون ! . فقالوا : أبعدهم الله . قال توبة : ما أنا بفاعلٍ وما هم إلاّ عشيرتُكم ، ولكن تجيء الراوية فأَضَع لهم ماءً وأَغسِلُ عنهم دماءَهم وأُخَيل[6] عليهم من السِّباع والطير لا تأكلهم حتى أُوذِنَ قومَهم بهم بعَمْقٍ[7] . فأقام توبةُ حتى أتته الراويةُ قبل الليل ، فسقاهم من الماء وغسَل عنهم الدماء ، وجعل في أساقيهم[8] ماءً ، ثم خَيَّل لهم بالثّياب على الشجر ، ثم مضى حتى

---

1 يختلجه : ينتزعه .

2 فلا ينذرون بنا : فلا يعلمون .

3 الغمض : المطمئن المنخفض من الأرض .

4 اختله السهم : أصابه ونفذه .

5 يترس له : يستره بالترس .

6 التخييل هنا : وضع خيال على الشيء لتفزع منه السباع .

7 عمق : موضع .

8 الأساقي : جمع أسقية ، والأسقية : جمع سِقاء وهو وعاء الماء وفي مختار الأغاني «وجعل لهم في أشنانهم ماء» والأشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق .

طرَق من الليل ساريةَ بن عُوَيمر بن أبي عَدِيّ العُقَيْليّ فقال : إنّا قد تركنا رهطاً من قومكم بسَمُراتٍ من قُرون بقر ، فأدرِكوهم ، فمَن كان حيّاً فداوُوه ، ومَن كان مَيّتاً فادْفِنوه ، ثم انصرف فلحِق بقومه . وصبّح ساريةُ القومَ فاحتملهم وقد مات ثور بن أبي سمعان ولم يَمُت غيره . فلم يزل توبةُ خائفاً . وكان السَّليلُ بن ثَوْرٍ المقتول رامياً كثيرَ البَغْي والشرّ ، فأُخبر بغرّةٍ من توبة وهو بقُنّةٍ من قِنان الشَّرَفِ يقال لها قُنّةُ بني الحُمَيِّر ، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقَه ؛ فترقّى توبةُ ورجلٌ من إخوته في الجبل ، فأحاطوا بالبيوت ، فناداهم وهو في الجبل : هأنذا مَن تبغُون فاجْتَنِبوا البيوت . فقالوا : إنّكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ، ولكن خُذوا ما استدف[1] لكم من ماله ، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا . ثم إنّ توبة غزاهم ، فمرّ على أفْلَتَ بن حَزْن بن معاوية بن خَفاجة ببَطْنِ بيشةَ . فقال : يا توبة أين تُريد ؟ قال : أُريد الصبيان من بني عَوْف بن عُقَيْلٍ . قال : لا تفعَل فإنّ القوم قاتِلُوك ، فمَهْلاً . قال : لا أقلع عنهم ما عشتُ ، ثم ضرب بطنَ فرسه فاستمرّ به يُحْضِرِ و[هو] يرتجز ويقول : [من الرجز]

تنجُو إذا قِيلَ لها يَعاطِ تنجو بهم من خَلَل الأمشاطِ[2]

حتى انتهى إلى مكانٍ ، يقال له حَجْرُ الرّاشدة ، ظليلٍ ، أسْفَلُه كالعمود ، وأعلاه منتشر ، فاستظلّ فيه [هو] وأصحابه . حتى إذا كان بالهاجرة مرّتْ عليه إبلُ هُبيرةَ بن السَّمِين أخي بني عوف بن عُقَيلٍ واردةً ماء لهم يقال له طَلوبٌ ، فأخذها وخلّى طريقَ راعِيها ، وقال له : إذا أتيتَ صُدْغَ البقرة مولاك فأخبِرْه أنّ توبةَ أخذ الإبلَ ، ثم انصرف توبةُ [يَطْرُدُ الإبلَ] . قال : فلمّا ورد العبدُ على مولاه فأخبره نادى في بني عَوْف وقال : حَتّامَ هذا ؟ . فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتّبعوه . ونهضت امرأةٌ من بني خَثْعَمٍ مِنْ بني الهِرّةِ كانت في بني عَوف وكانت تُؤخِّذ[3] لهم ، فقالت : أرُوني أثَره ، فخرجوا بها فأرَوْها أثَره ، فأخذتْ من تُرابه فسافتْه فقالت : اطلُبوه فإنّه [سَيُحْبَس] عليكم . فطلبوه فسبقهم ، فتَلاوَمُوا [بينهم] وقالوا : ما نرى له أثراً ، وما نراه إلاّ وقد سبقكم . قال : وخرج توبةُ حتى إذا كان بالمضجع من أرض بني كِلاب جعل نِذارتَه[4] وحبَس أصحابَه . حتى إذا كان بِشِعْبٍ من هَضْبةٍ يقال لها هِنْدٌ من كبِدِ المَضْجع جعل ابن عَمٍّ له يقال له قابضُ بن عبد الله رَبيئةً [له] على رأس الهضبة فقال : انظُر فإنْ شخَص لك شيء فأعْلِمْنا .

---

1 استدف : تهيأ وأمكن .

2 يَعاطِ : زجر للإبل ، ويزجر به الذئب وغيره . وتنجو : تسرع .

3 تؤخذ لهم أي تعالج لهم السحر .

4 النذارة : الإنذار .

فقال عبد الله بن الحُمَيِّر : يا توبةُ إنّك حائنٌ[1] ، أُذَكِّرك الله ، فوالله ما رأيتُ يوماً أشْبَهَ بسَمُراتِ بني عوف يومَ أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه ، فانْجُ إن كان بك نجاةٌ . قال : دَعْني ، فقد جعلتُ ربيئةً ينظر لنا . قال : ويَرجع بنو عوف بن عُقَيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقَوْنَ رجلاً من غَنيٍّ ، فقالوا له : هل أحسستَ في مجيئك أثَر خيلٍ أو أثَرَ إبلٍ ؟ قال : لا والله . قالوا : كذبتَ وضربوه . فقال : يا قومُ لا تضربوني ، فإنّي لم أجِدْ أثراً ، ولقد رأيتُ زُهاءَ كذا وكذا إبلاً شُخوصاً في هاتيك الهَضبة ، وما أدري ما هو . فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيد بن رُوَيْبة لينظر ما في الهَضبة . فأشرف على القوم ، فلمّا رآهم ألْوى بثوبه لأصحابه حتّى جاءوا ، فحمَل أوَّلَهُم على القوم حتى غَشِي توبةَ ، وفزِع توبةُ وأخوه إلى خيلهما ، فقام توبةُ إلى فرسه فغلبتْه لا يقدِر على أن يُلجِمَها ولا وقفتْ له ، فخلّى طريقها ، وغَشِيَه[2] الرّجلُ فاعتنقه ، فصرَعَه توبةُ وهو مدهوشٌ وقد لبِس الدِّرْعَ على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رُوَيْبة فاتّقاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيد يُناشده رَحِمَ صَفيّةَ ، وصفيّة أُمٌّ له من بني خَفاجة . وغَشِي القومُ توبةَ من ورائه فضربوه فقتلوه ، وعَلِقَهم عبدُ الله بن الحمِّير يَطْعَنُهم بالرُّمح حتى انكسر . قال : فلمّا فرَغوا من توبة لَوَوْا على عبد الله بن الحمِّير فضربوا رجلَه فقطعوها . فلمّا وقع بالأرض أشرع سيفَه وحدَه ثم جثا على رُكبتيه وجعل يقول : هَلُمُّوا ، ولم يشعُر القوم بما أصابه . وانصرف بنو عوف بن عُقَيْل ، وولّى قابضٌ منهزماً حتى لَحِق بعبد العزيز بن زُرارةَ الكِلابيِّ فأخبره الخبر . قال : فركِب عبدُ العزيز حتى أتى توبةَ فدفَنه وضمّ أخاه . ثم ترافع القومُ إلى مَروان بن الحكَم ، فكافأ بين الدَّمَين وحُمِلَت الجِراحات . ونزل بنو عَوفِ بن عُقَيلٍ البادية ولحِقوا بالجزيرة والشام .

[رواية لأبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عبيدة : وقد كان توبة أيضاً يُغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قُضاعة وخَثْعَمٍ ومَهْرَةَ وبني الحارث بن كَعبٍ . وكانت بينهم وبين بني عُقَيلٍ مُغاورات ، فكان توبةُ إذا أراد الغارةَ عليهم حمل الماءَ معه في الرَّوايا ثم دفنه في بعض المفازة على مَسيرةِ يومٍ منها ؛ فيُصيبُ ما قدرَ عليه من إبلهم فيُدخلها المفازةَ فيطلبه القوم ، فإذا دخل المفازةَ أعجزهم فلم يقدِروا عليه فانصرفوا عنه . قال : فمكث كذلك حيناً . ثم إنّه أغار في المرّة الأولى التي قُتِل فيها هو وأخوه عبد الله بن الحميِّر ورجلٌ يقال له قابض بن أبي عُقَيل ، فوجد القومَ قد حَذِروا فانصرف توبةُ مُخْفِقاً لم يُصِبْ شيئاً . فمرّ برجل من بني عَوْفِ بن عامر بن عُقَيْلٍ مُتَنَحِّياً عن قومه ، فقتله توبةُ وقتل رجلاً كان معه من

---

1 الحائن : الهالك .

2 غشيه هنا : لحقه وأدركه .

رَهْطِهِ واطّرَدَ إبلَهما ، ثم خرج عامداً يريد عبدَ العزيز بن زُرارة بن جَزْء بن سُفيان بن عَوف بن كِلاب ، وخرج ابنُ عمٍّ لثور بن أبي سِمعان المقتول ، فقال له خُزَيمة : صِرْ إلى بني عَوْف بن عامر بن عُقَيلٍ فأخبِرهم الخبرَ . فركِبوا في طلب توبةَ فأدركوه في أرض بني خَفاجةَ ، وقد أمِن في نفسه فنزل ، وقد كان أسْرى يومَه وليلته ، فاستظلّ ببُرْدَيه وألقى عنه دِرْعَه وخلّى عن فرسه الخَوصاءِ تتردّد قريباً منه ، وجعل قابضاً ربيئةً له ونام ، فأقبلتْ بنو عوف بن عامر مُتقاطرين لئلاّ يَفْطِنَ لهم أحدٌ ، فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم فأقبل إلى توبة فأنبهه . فقال توبةُ : ما رأيتَ ؟ قال : رأيتُ شخصَ رجلٍ واحد ، فنام ولم يكترث له ، وعاد قابضٌ إلى مكانه فغلبتْه عيناه فنام . قال : فأقبل القومُ على تلك الحال فلم يَشْعُر بهم قابضٌ حتى غَشُوه ، فلمّا رآهم طار على فرسه . وأقبل القومُ إلى توبة ، وكان أوّل مَن تقدّم غلامٌ أمردُ على فرس عُرْيٍ[1] يقال له يزيد بن رُوَيْبَةَ بن سالم بن كَعْبِ بن عَوفِ بن عامر بن عُقَيلٍ ؛ ثم تلاه ابن عمِّه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا . فلمّا سمِع توبةُ وَقْعَ الخيلِ نهضَ وهو وَسْنانُ فلبس دِرعَه على سيفه ثم صوّت بفرسه الخَوصاء فأتته ، فلمّا أراد أن يَركَبها أهوتْ تَرْمَحه[2] ، ثلاثَ مرّاتٍ ، فلمّا رأى ذلك لطمَ وجهَها فأدبرت ، وحال القومُ بينه وبينها . فأخذ رُمْحَه وشدَّ على يزيد بن رُوَيبة فطعنَه فأنفذ فخذيه جميعاً . وشدّ على توبة ابن عمّ الغلام عبد الله بن سالم فطعنه فقتله ، وقطعوا رجلَ عبد الله . فلمّا رجع عبد الله بعد ذلك إلى قومه لاموه وقالوا له : فَرَرْتَ عن أخيك ، فقال عبد الله بن الحمِّير في ذلك . قال أبو عُبيدة وحدّثني أيضاً مُزَرّع بن عبد الله بن هَمّام بن مُطَرِّف بن الأعلم قال : كان أهلُ دارٍ من بني جُشَم بن بكر بن هوازِن يقال لهم بنو الشَّريد حلفاء لبني عداد بن خَفاجة في الإسلام ، فكان بينهم وبين خَمِيس بن ربيعة رَهْط قَومِه قتالٌ على ماءةٍ تُدْعى الحُلَيْفَةَ وعامّتها لجَدٍّ بن همّام . قال وشهِد عبد الله بن الحميِّر ذلك وهو أعرج ، عَرَجَ يوم قُتل توبةُ فلم يُغنِ كثيرَ غَناءٍ . فقالت بنو عُقَيل : لو توبةُ تلقّاهم لبُلُوا [منه] بغير أفوق ناصل[3] .

[قصيدة لعبد الله بن الحمير يعتذر فيها إلى قومه بعد قتل أخيه]

فقال عبد الله بن الحُمَيِّر يعتذر إليهم : [من الوافر]

تَـأَوَّبَنـــي بعارمـــةَ الهمـومُ ... كما يعتــادُ ذا الدَّيْنِ الغريمُ[4]

---

1 الفرس العري : الذي لا سرج عليه .

2 ترمحه : ترفسه .

3 الأفوق من السهام : الذي كسر فوقه وهو مشق الوتر منه . والناصل من السهام : ذو النصل ، والذي سقط نصله . ونصل السهم : الحديدة التي في رأسه .

4 تأوبني الشيء : رجع إليّ ليلاً . عارمة : موضع .

كأنّ الهَمَّ ليس يُريـدُ غيري ... ولـو أَمسى لـه نَبَطٌ ورُومُ
عَـلامَ تقـومُ عاذلتي تلومُ ... تُؤرّقني وما انجاب الصَّرِيمُ[1]
فقلتُ لهـا رُوَيْداً كي تَجَلَّى ... غَواشي النَّوْمِ والليـلُ البهيمُ
أَلَمّـا تَعْلَمِـي أنّـي قديماً ... إذا مـا شئتُ أَعصِي مَنْ يلومُ
وأنّ المـرءَ لا يَدْرِي إذا ما ... يَهُـمُّ عَـلامَ تحمِلـه الهُمومُ
وقد تُعْدِي على الحاجات حَرْفٌ ... كرُكنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ عقيمٌ[2]
مُداخَلَةُ الفَقـارِ وذاتُ لَوْثٍ ... على الحُـزَّانِ مُقْحَمَةٌ غَشُومُ[3]
كأنّ الرَّحْلَ منها فوق جَأْبٍ ... بذاتِ الحـاذِ مَعْقِلُه الصَّرِيمُ[4]
طَبـاه بِرِجْلَـةِ البَقّـارِ برقٌ ... فبـات الليـلَ مُنْتَصِباً يَشيمُ[5]
فبينا ذاك إذ هَبَطـتْ عليـه ... دَلُـوحُ المُـزْنِ واهيةٌ هَزِيمُ[6]
تَهُبُّ لهـا الشَّمالُ فتمتريها ... ويَعْقُبُهـا بنافحـةٍ نسيمُ[7]
يُكِبُّ إذا الرَّذاذُ جـرى عليه ... كما يُصْغِي إلى الآسي الأَمِيمُ[8]
إذا مـا قـال أَقْشَعَ جانباهُ ... نَشَتْ مـن كلّ ناحيةٍ غيومُ[9]
فأَشْعِـرَ ليلـه أرَقـاً وقُـرّاً ... يُسَهّـره كما أرِقَ السَّليـمُ
أَلا مَنْ يشتري رِجلاً بِرِجْلٍ ... تَخَوَّنَـها السِّلاحُ فما تَسُومُ[10]

---

1 الصريم : الليل والصبح ، من الأضداد . وانجاب : انشق .

2 تعدى : تعين . والحرف هنا : الناقة الصلبة الضامرة ، شبهت بحرف الجبل في الصلابة . الرعن : الجبل الطويل ، وأنف يتقدم الجبل . وذعلبة : سريعة .

3 اللوث هنا : القوة . الحزان : جمع حزين وهو المكان الغليظ المنقاد . ومن معاني المقحم : البعير الذي يسير في المفازة من غير راعٍ ولا سائق . وغشوم : يريد أنها جريئة ماضية تركب رأسها إذا سارت لا يثنيها شيء عن هواها .

4 الجأب : الغليظ الصلب من الحمر الوحشية والثيران الوحشية . الحاذ : ضرب من الشجر واحده حاذة ، والحاذ : موضع بنجد . والصريم هنا : القطعة المنقطعة من معظم الرمل .

5 طباه : دعاه أو قاده . ورجلة البقار : موضع .

6 الدلوح من السحاب : كثير الماء . والواهية من السحاب : التي تنبثق بالماء انبثاقاً شديداً . وهزيم هنا : تنبعج بالماء لا تستمسك .

7 تمتريها : تحتلبها . والنافحة : وصف من نفحت الريح ، إذا هبّت .

8 يكبّ في ل : يلث ، ويكبّ : يريد أنه يطأطىء رأسه . يصغي : يميل . والأميم : المشجوج في أم رأسه أي دماغه .

9 نشت : أصله نشأت .

10 تخوّنها : تنقّصها وغيّر حالها . والسّوم هنا : سرعة المرء .

تَلُومُـكَ في القتالِ بنو عُقَيْلٍ — وكيـف قِتالُ أعرَجَ لا يقومُ
ولـو كنتُ القتيلَ وكان حيّاً — لَقاتَـلَ لا أَلَـفٌّ ولا سئومُ[1]
ولا جَثَّامـةٌ وَرَعٌ هَيُـوبٌ — ولا ضَرَعٌ إذا يُمْسي جَثُومُ[2]

قال : ثم إنّ خَفاجَةَ رَهْطَ تَوبةَ جمعوا لبني عَوفٍ بن عامر بن عُقَيل الذين قتلوا توبةَ ، فلمّا بلغهم الخبرُ لحِقوا ببني الحارث بم كعب ، ثم افترقتْ بنو خَفاجة . فلمّا بلغ ذلك بني عوف رجعوا ، فجمعتْ لهم بنو خَفاجة أيضاً قبائلَ عُقَيْل . فلمّا رأت ذلك بنو عَوف بن عامر بن عُقَيل لحِقوا بالجزيرة فنزلوها ؛ وهم رهط إسحاق بن مُسافِر بن ربيعةَ بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عُقَيل . ثم إنّ بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم إلى مَروان بن الحَكَم وهو والي المدينة لمعاوية بن أبي سُفيان ، فقالوا : نَنْشُدُك اللهَ أنْ تفرِّقَ جماعتَنا ، فعَقَل[3] توبةَ وعقَل الآخرينَ مَعاقِلَ العرب مائةً من الإبل ، فأدّتها بنو عامر . قال : فخرجتْ بنو عوف بن عامر قَتَلةُ توبة فلحِقوا بالجزيرة ، فلم يبقَ بالعالية[4] منهم أحدٌ ، وأُقامت بنو رَبيعة بن عُقَيلٍ وعُروة بن عُقَيل وعُبادة بن عُقَيل بمكانهم بالبادية .

[رواية أبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عُبيدة وحدَّثنا مُزَرِّع بن عمرو بن همّام ، قال أبو عبيدة : وكان معي أبو الخطّاب وغيره ، قال : تَوبة بن حُمَيِّر بن ربيعة بن كَعب بن خَفاجة بن عَمرِو بن عُقَيل ، وأمّه زُبيدة . فهاج بينه وبين السَّليل بن ثور بن أبي سمعان بن عامر بن عوف بن عُقيل كلامٌ ، وكان شرِّيراً ونظيرَ توبةَ في القوّة والبأس ، فبلغ الحَوْرُ[5] (وهو الكلام) إلى أن أُوعد كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه ، فالتقى بعد ذلك توبةُ والسَّليلُ على غَديرٍ من ماء السماء ، فرمى توبةُ السليلَ فقتله . ثم إنّ توبةَ أغار ثانيةً على إبل بني السَّمين بن كَعب بن عَوف بن عُقَيل واردةً ماءَهم فاطّرَدَها . واتبعوه وهم سبعة نفر : يزيد بن رُوَيْبة ، وعبدُ الله بن سالمٍ ، ومُعاوية بن عبد الله ، قال أبو عُبيدة : ولم يذكر غيرَ هؤلاء ، فانصرفوا يجنُبون[6] الخيلَ يحمِلون المَزادَ ، فقَصُّوا أثر توبةَ وأصحابِهِ فوجدوهم وقد أخذوا في المَضْجَعِ من أرض بني كِلابٍ في أرضٍ

1 الألف هنا : الرجل الثقيل الكثير اللحم . وهو أيضاً المقرون الحاجبين . وسئوم : ملول .
2 الجثامة هنا : النؤوم الذي لا ينهض للمكارم أو البليد . والورع : الجبان والصغير الضعيف لا غناء عنده . والضرع : الضعيف الجبان . والجثوم الذي يلزم مكانه فلا يبرح ، والذي يتلبد بالأرض .
3 عقل فلاناً : وداه أي دفع ديته .
4 العالية : اسم لكلّ ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة .
5 الحور : الاسم من المحاورة .
6 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .

دَمِثَةٍ[1] تَرِبةٍ ، فضَلّتْ فرسُ توبةَ الخَوْصاءُ من الليل ، فأقام واضطجع حتى أصبح ، وساق أصحابُ الإبلَ ، وهم ثلاثة نَفَرٍ سوى تَوبة : المُحْرِزُ أحدُ بني عمرو بن كِلاب ، وقابِضُ بن أبي عُقَيل أحدُ بني خَفاجةَ ، وعبد الله بن حُمَيِّر أخو توبةَ لأُمِّه وأبيه . فلمّا أصبح توبةُ إذا فرسُه الخوصاءُ راتعةٌ أدْنى ظَلَمٍ[2] قريبة منه ليس دونها وجاحٌ[3] فأشلاها[4] حتى أتته ، ثم خرج يعدُو حتى لحِق بأصحابه ، فانتهَوْا إلى هضبةٍ بكَبِدِ المَضجَع ، فارتَقى توبةُ فوقَها ينظر الطَّلَب[5] ، فرآه القوم ولم يَرَهم عند طلوع الشمس ، وبالت الخوصاء حين انتهتْ إلى الهضبة ، فقال القوم : إنّه لطائر أو إنسان . فركِب يزيد بن رُوَيْبة وكان أحدثَ القومِ سِنّاً ، وأُمُّه بنت عَمٍّ توبةَ ، فأغار رَكْضاً حتى انتهى إلى الهضبة ، فإذا بولُ الفرس وعليه بقيَّةٌ من رَغْوته ، وإذا أثرُ توبةَ يعرِفونه ، فرجعَ فخبَّر أصحابَه . واندفع توبةُ وأصحابُه حتى نزلوا إلى طَرَف هَضْبةٍ يقال لها الشَّجْرُ من أرض بني كِلابٍ ، فقالوا بالظَّهيرةِ ، فلم يَشْعُرْ شِعْره إلاّ والإبلُ قد نَفَرتْ ، وكانت بَرْكاً[6] بالهاجرة ، من وَئيد[7] الخيل . فوثب توبةُ ، وكان لا يضع السيف ، فصَبّ الدِّرْعَ على السيف متقلِّدَه وَهَلاً ، وداجت القوم ، فطلب قائمَ السيف فلم يقدِر عليه تحت الدِّرع فلم يستطع سَلَّه ، فطار إلى الرُّمح فأخذه ، فأهْوى به طَعْناً إلى يزيد ين رُوَيْبة ، وقد كان يزيد عاهد اللهَ ليقتُلَنَّه أو ليأخذنَّه ، فأنفذ فَخِذَ يزيدَ ، واعتنقه يزيدُ فعضَّ بوجنَتَيْه ، واستدبره عبدُ الله بالسيف ففلقَ رأسَ توبة . وهَيَّتَ[8] توبةُ حين اعتوره الرجلان بقابضٍ : يا قابض فلم يَلْوِ عليه ، وفرّ قابضٌ [و] الكلابيّ ، وذبّ عبدُ الله بن حُمَيِّر عن أخيه ؛ فأهوى له معاوية بن عبد الله بالسيف فأصاب رُكبتَه فاختلعت (أي سقطتْ) . فأتى قابضٌ من فَوْرِه ذلك عبد العزيز بن زُرارة أحدَ بني أبي بكر بن كِلابٍ فقال : قُتِل توبة . فنادى في قومه ، فجاءه أبوه زُرارةُ فقال : أين تريد ؟ فقال : قُتِل توبة . فقال أبوه طوط سُحْقاً لك ! أتطلب بدمِ توبةَ أنْ قتلته بنو عُقَيْلٍ ظالماً لها باغياً عادياً عليها ! قال لكنّي أُجنّه إذاً . قال أبوه : أمّا هذه فنَعَمْ . فألقى السِّلاحَ وانطلق حتى أجنّه ، وحمل أخاه عبدَ الله بن حميِّر . قال : فأهلُ البادية يزعمون أنّ مُحْرِزاً سُحِر فأخِذ عن سيفه .

---

1 الأرض الدمثة : السهلة اللينة .
2 أدنى ظلم : أي أدنى شيء .
3 الوجاح : الستر .
4 أشلى الدابة : دعاها إليه .
5 الطلب هنا : جمع لطالب .
6 البرك هنا : جماعة الإبل الباركة .
7 الوئيد هنا : الصوت العالي الشديد .
8 هيت بفلان : صاح به ودعاه .

[رثت ليلى توبة بعدّة قصائد]

فقالت ليلى الأخيليّة بنت عبد الله بن الرحّالة بن شدّاد بن كَعْب بن معاوية فارس الهرّار بن عُبادة بن عُقَيل : [من الطويل]

نظـرتُ ورُكْنٌ من ذِقانَيْنِ دونَهُ مَفاوِزُ حَوْضى أيّ نَظْـرةِ ناظِرِ[1]
لأونسَ إنْ لم يَقْصُرِ الطَّرْفُ عنهمُ فلم تَقْصُرِ الأخبارُ والطَّرْفُ قاصري
فوارسَ أجـلى شأوُها عن عَقِيرةٍ لِعاقِرِهـا فيهـا عَقِيـرةُ عـاقِرِ

شأوها : سُرْعتها وهو الطَّلَقُ وجريها ، وقال غيره : غايتها . عقيرة : تعني توبةَ . لعاقرها : تعني لعاقر توبة ، تُريد يزيدَ بن رُوَيبة . ووجهٌ آخر : في عَقِيرةٍ عاقرٍ معنى مَدْحٍ أيْ عقيرة كريمة لعاقرها . ووجهٌ آخر : عَقيرة لعاقرها : فيها الهلاكُ بعَقْرِها .

فآنستُ خيـلاً بالرُّقَـيِّ مُغِيرةً سَوابِقُهـا مثـلُ القَطـا المُتَواتِرِ[2]
قَتِيلُ بنـي عَـوْفٍ وأَيصُرُ دونَه قتيـلُ بنـي عَـوْفٍ قتيلُ يُحابِرِ[3]
تَـواردَه أسيافُهـم فكأنّـما تَصادَرْنَ عن أُقطاعِ أبيضَ باترِ[4]
مـن الهِندُوانِيـاتِ في كلّ قِطْعةٍ دَمٌ زلّ عن أُثْرٍ من السَّيفِ ظاهرِ[5]
أتتْـه المنايـا دون زَغْفٍ حصينةٍ وأسمـر خَطّـيٌّ وخَوْصاءَ ضامرِ[6]
على كلّ جَـرْداء السَّراة وسابحٍ دَرَأْنَ بشُبّـاكِ الحديـدِ زوافرِ[7]
عَوابسَ تعـدُو الثَّعْلبيّـةَ ضُمَّراً وهُنّ شَواحٍ بالشَّكيم الشواجرِ[8]
فـلا يُبْعِدَنْـكَ اللهُ يا تَوْبَ إنّما لِقاءَ المنايا دارعـاً مثـلُ حاسرِ

1 ذِقان : اسم جبل ، وهما جبلان أحدهما لبني عمرو بن كلاب ، والآخر لبني أبي بكر بن كلاب . وحوضى هنا : نجد من منازل بني عقيل ، وهو أيضاً : ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة ينتهي إلى ابن كلاب .
2 الرقى : موضع . المتواتر : الذي يجيء بعضه إثر بعض .
3 أيصر : موضع ببلاد بني عقيل .
4 الأقطاع : جمع قِطْع وهو ما قطع من حديد أو غيره .
5 الأثر : فرند السيف ورونقه .
6 الزغف : الدروع المحكمة . والخوصاء الضامر : الفرس .
7 الجرداء من الخيل : القصير الشعر ، وهو مدح في الخيل . السراة : الظهر . والسابح من الخيل : الحسن مدّ اليدين في الجري .
8 الثعلبية : أن يعدو الفرس عدو الكلب . وشواح : فاتحات أفواهها . والشكيم : واحدته شكيمة وهي الحديدة المعترضة في الفم من اللجام . والشواجر : المشتبكة .

فـإلاّ تَـكُ القَتْلى بَـواءً فإنّكم ستَلْقَوْن يوماً وِرْدُه غيرُ صادرِ[1]
وإنّ السليـلَ إذ يباوِي قَتيلَكم كموحومةٍ من عَرْكِها غيرِ طاهرِ[2]
فإن تَكُـنِ القَتْلى بَـواءً فإنّكم فتًى مـا قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فَتًـى لا تَخَطَّاه الرِّفاقُ ولا يرى لِقِدْرٍ عِيـالاً دون جـارٍ مُجاوِرِ
ولا تأخذُ الكُومُ الجِلادُ رماحَها لتوبـةَ في نَحْسِ الشِّتاءِ الصَّنابِرِ[3]
إذا مـا رأتْـه قائمـاً بسلاحه تَقَتْـه الخِفـافُ بالثِّقال البَهازِرِ[4]
إذا لم يَجُـدْ منها بِرِسْلٍ فقَصْرُه ذُرى المُرْهَفاتِ والقِلاصِ التَّواجِرِ[5]
قِرى سيفَه منهـا مُشاشاً وضَيْفَه سَنـامَ المَهارِيسِ السِّباطِ المَشافِرِ[6]
وتَوْبَـةُ أحْيـا مـن فتاةٍ حيِيَّةٍ وأجرأُ مـن لَيْثٍ بخَفّانَ خادِرِ[7]
ونِعْـمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجراً وفوق الفتى إنْ كان ليس بفاجِرِ[8]
فتـى يُنْهِلُ الحاجـاتِ ثـم يَعُلُّها فيُطلِعُهـا عنـه ثَنايـا المَصادِرِ

صوت

[من الطويل]

كأنّ فتى الفِتْيانِ تَوْبَـةَ لم يُنِخْ قَلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصا بالكَراكِرِ[9]
ولَـم يَبْنِ أبـراداً عِتاقـاً لفِتْيةٍ كِرامٍ ويَرْحَلْ قبـل فَيْءِ الهواجرِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل لمحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاصٍّ صنعته وغنائه .

---

1 يباوي : يساوي .

2 ومرحومة : بها داء الرحم . والعرك : الحيض .

3 الكوم : جمع كوماء وهي العظيمة السّنام من الإبل . والجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن . يقال : أخذت الابل رماحها : إذا حسنت في عين صاحبها فامتنع من نحرها . ونحس الشتاء : ريحه الباردة . وصنابر الشتاء : شدّة برده .

4 البهازر من الإبل : العظام ، واحدتها بهزرة .

5 الرِّسل : اللبن . والمرهفات : الدقيقات والتواجر هنا : الإبل النافقة في التجارة وفي السّوق .

6 المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين ، الواحدة مشاشة . والمهاريس من الإبل : الجسام الثقال . ورباط المشافر : طويلتها .

7 خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة . وخادر : مقيم .

8 صدر البيت في ل : ونعم فتى الدنيا وإنْ كان فاجراً .

9 الكراكر : جمع كِركرة وهي هنا رحى زور البعير أو صدره .

ولم يَتَجَلَّ الصُّبْحُ عنه وبَطْنُه ... لَطِيف كطَيِّ السِّبِّ ليس بحادِرِ[1]
فتًى كان للمولى سناءً ورفعةً ... وللطارق الساري قِرًى غيرَ باسرِ[2]
ولم يُدْعَ يوماً للحِفاظِ وللنَّدا ... وللحَرْبِ يرمي نارَها بالشرائرِ
وللبازلِ الكَوْماء يرغو حُوارُها ... وللخيلِ تعدو بالكُماةِ المَساعرِ[3]
كأنَّكَ لم تَقْطعْ فلاةً ولم تُنِخْ ... قِلاصاً لدى فأْوٍ من الأرضِ غائرِ[4]
وتُصْبِحْ بمَوْماةٍ كأنّ صَرِيفَها ... صَرِيفُ خَطاطِيفِ الصَّرى في المَحاوِرِ[5]
طوتْ نَفْعَها عنّا كِلابٌ وآسَدَتْ ... بنا أجْهَلِيها بين غاوٍ وشاعرِ[6]
وقد كان حقّاً أن تقولَ سَراتُهم ... لَعاً لأخينا عالياً غيرَ عاثرِ[7]
ودَوِّيّةٍ قَفْرٍ يحارُ بها القَطا ... تَخَطَّيْتَها بالنّاعجاتِ الضّوامرِ[8]
فتاللهِ تَبْني بيتَها أُمُّ عاصمٍ ... على مثله أُخْرى الليالي الغوابرِ[9]
فليس شِهابُ الحربِ تَوْبةُ بعدَها ... بغازٍ ولا غادٍ برَكْبٍ مُسافرِ
وقد كان طَلاّعَ النّجادِ وبَيِّن اللـ ... ـسان ومِدْلاجَ السُّرى غيرَ فاترِ
وقد كان قبل الحادثاتِ إذا انتحى ... وسائقَ أو معبوطةً لم يُغادِرِ[10]
وكنتَ إذا مولاك خاف ظُلامةً ... دعاك ولم يهْتِفْ سواك بناصرِ[11]

1 السب : الثوب الرقيق . والحادر هنا : الغليظ السمين .

2 المولى هنا : ابن العم أو الحليف . وباسر : عابس .

3 البازل : الناقة التي انشق نابها ؛ وهي ما استكملت السنة الثامنة وطعنت في التاسعة . والكوماء : الناقة العظيمة السنام . والحوار : ولد الناقة . والمساعر : جمع مِسْعَر وهو الذي يوقد نار الحرب .

4 الفأو : بطن من الأرض تطيف به الرمال .

5 الموماة : المفازة الواسعة أو التي لا ماء فيها ولا أنيس بها . والصريف : الصوت . والخطاطيف : جمع خُطاف ، وهو حديدة جحناء تعقل بها البكرة من جانبيها وفيها المحور ، والصرى : الماء الذي طال مكثه فتغيّر . والمحاور : جمع محور وهو الحديدة التي تجمع بين الخطاف والبكرة .

6 آسدت : هيجت وأغرت .

7 لعا : كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش يقال : لعا لفلان عالياً إذا دعي له .

8 الدوية ، ومثلها الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . والناعجات من الإبل ، البيض الكريمة أو هي التي يصاد بها نعاج الوحش من الظباء والبقر . والنَّعْج : ضرب من سير الإبل سريع .

9 الغوابر هنا : الباقيات .

10 انتحى : قصد . والوسيقة : الجماعة من الإبل ونحوها كالرفقة من الناس . والمعبوطة : المذبوحة من غير داء ولا كسر .

11 ولم يهتف في ل : ولم يعدل

فإنْ يَـكُ عبدُ اللهِ آسى ابـنَ أُمِّه وآبَ بـأسلاب الكَمِـيِّ المُغاوِرِ[1]
وكان كذات البَـوِّ تَضْرِب عنـده سِباعاً وقـد ألْقَيْنَـه في الجَراجِرِ[2]
فإنّـك قـد فارقتَـه لـك عاذراً وأنَّى لِحَـيٍّ عُـذْرُ مَنْ في المَقابِرِ
فأقسمـتُ أبكـي بعـد تَوْبَةَ هالكاً وأحفِلُ مَـنْ نالـتْ صروفُ المَقادرِ
على مثـلِ هَمَّـامٍ ولابنِ مُطَرِّفٍ لِتَبْكِ البَواكـي أو لبِشْرِ بـن عامرِ
غُلامـانِ كانـا استَوْرَدا كلَّ سَوْرَةٍ من المَجْدِ ثـمّ استوثقا في المَصادِرِ[3]
رَبيعَـيْ حَيـاً كانا يَفِيضُ نَداهُما على كُلِّ مغمـورٍ نَـداهُ وغامِرِ
كأنَّ سَنـا نارَيْهمـا كلَّ شَتْـوةٍ سَنا البَرْقِ يبـدو للعيـون النواظرِ

وقالت أيضاً ترثي توبةَ ، عن أُمِّ حُمَيِّر ، وأُمُّها ابنةُ أخي تَوْبَةَ ، عن أُمِّها . قال أبو عبيدة : أُمّ حُمَيِّر أُختُ أبي الجرّاح العُقَيليّ . قال : وأمّها بنت أخي توبة بن حُمَيِّر . قال : وكان الأصمعيّ يُعْجَبُ بها : [من الطويل]

أيـا عَيْنُ بَكِّـي توبـةَ ابنَ حُمَيِّرٍ بسَحٍّ كفيـض الجَـدْوَلِ المُتَفَجِّرِ
لِتَبْـكِ عليـه مـن خَفَاجةَ نسوةٌ بمـاء شؤونِ العَبْـرة المتحـدِّرِ[4]
سَمِعْـنَ بَهيْجـا أرهقـتْ فذكرنَه ولا يبعثُ الأحـزانَ مثلُ التَّذَكُّرِ[5]
كأنّ فَتـى الفِتْيـانِ توبـةَ لم يَسِرْ بنَجْـدٍ ولم يَطْلُـعْ مـع المُتَغوِّرِ[6]
ولم يَـرِدِ المـاء السِّدامَ إذا بَـدا سَنا الصُّبْحِ في بادي الحواشي مُنَوِّرِ[7]
ولَم يَغْلِبِ الخَصْمَ الضِّجاجَ ويَمْلأ الـ ـجِفانَ سَدِيفاً يـوم نَكْباء صَرْصَرِ[8]

---

1 آساه هنا : شاركه أو أصابه بخير . والمغاور : المقاتل الكثير الغارات .
2 الجراجر : الحلوق .
3 السَّورة من المجد : أثره وعلامته وارتفاعه .
4 خفاجة : رهط توبة وهو جدّ له .
5 أرهقت : أدركت ، أو ألحقت وأغشت .
6 المتغور : الذي يأتي الغور .
7 الماء السّدام : القديم المندفن . وفي رواية الكامل : «في أعقاب أخضر مدبر» ، الأخضر هنا الليل . والعرب تسمّي الأسود أخضر .
8 الضجاج : المجادلة والمشاركة والمشاغبة . والسديف : قطع السنام . والنكباء : الريح التي تنحرف في مهبها فتجيء ، بين ريحين . والصرصر : الشديدة الصوت أو البرد .

ولم يَعْـلُ بالجُـرْدِ الجيادِ يَقُودُها بسُرَّةَ بـين الأشْمَسَاتِ فـأيْصَرُ[1]
وصحـراءَ مَوْمـاةٍ يَحارُ بها القَطا قَطَعْـتَ على هَـوْلِ الجَنانِ بمِنْسَرِ[2]
يقـودون قُبّـاً كالسَّراحينِ لاحَها سُراهُـمْ وسَيْرُ الراكـبِ المُتَهَجِّرِ[3]
فلمّـا بَـدَتْ أرضُ العـدوّ سَقَيْتَها مُجـاجَ بَقِيّـاتِ المَـزادِ المُقَيَّرِ[4]
ولمّـا أهابُـوا بالنِّهـابِ حَوَيْتَها بخاظِـي البَضيعِ كَـرُّه غيرُ أعْسَرِ[5]
مُمَـرٌّ كَكَـرِّ الأنْـدَرِيِّ مُثابِـرٍ إذا ما وَنَيْنَ مُهْلِـبِ الشَّدِّ مُحْضِرِ[6]
فألوتْ بـأعناقٍ طِـوالٍ وراعَهـا صَلاصِـلُ بَيْضٍ سابـغٍ وسَنَوَّرِ[7]
ألَـم تَـرَ أنّ العبـدَ يقتـل ربَّـه فيظهَـرُ جَـدُّ العبد من غير مَظْهَرِ
قتلتم فتًـى لا يُسْقِطُ الرَّوْعُ رُمْحَه إذا الخيـلُ جالـت في قَناً متكسِّرِ
فيـا تَـوْبُ لِلهَيْجا ويا تَوْبُ للنَّدى ويا تَـوْبُ للمُسْتَنْبِـحِ المتنوِّرِ[8]
ألا ربَّ مكـروبٍ أجَبْـتَ ونائـلٍ بذلـتَ ومعـروفٍ لديـكَ ومُنْكَرِ

وقالت ترثيه : [من الطويل]

أقسمتُ أرثي بعـد توبـةَ هالكاً وأحْفِـلُ مَنْ دارت عليه الدوائرُ
لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفَتى إذا لم تُصِبْـه في الحيـاةِ المَعايرُ
ومـا أحـدٌ حيٌّ وإنْ عـاشَ سالماً بأخْلَـدَ مِمّـن غيّبتـه المقابرُ
ومَنْ كان ممّا يُحْدِثُ الدهرُ جازعاً فلا بُـدَّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ
وليس لِذِي عيشٍ عن الموتِ مَقْصَرٌ وليس على الأيّـامِ والدّهرِ غابرُ[9]
ولا الحيُّ ممّا يُحْدِثُ الدهرُ مُعْتَبٌ ولا المَيْتُ إن لم يَصبِرِ الحيُّ ناشرُ

---

1 أشمس : جبل في شق بلاد بني عقيل . وسرّة وأيصر : موضعان .
2 المِنْسَر : قطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكبير ، والجماعة من الخيل .
3 القلب : الدقاق الخصور . والسراحين : الذئاب . ولاحها : غيرها . والمتهجر : الذي يسير في الهاجرة .
4 المُجاج : اسم لما تَمجّه من فيك . والمزاد : الأسقية .
5 النهاب : جمع منهب وهو الغنيمة . والخاظي : المكتنز اللحم . والبضيع : اللحم .
6 المُمرّ : الحبل الذي أُجيد فتله . والكرّ هنا : الحبل الغليظ . والأندري : المنسوب إلى أندرين قرية كانت بالشام . ونين : فترن وضعفن . إلهاب الفرس للشد : متابعته للجري . إحضار الفرس : ارتفاعه في عدوه .
7 صلاصل البيض : أصواتها . والسنوّر : جملة السلاح .
8 المتنوّر : الذي يبصر النار من بعيد .
9 مقصر : محيد أو مصرف . غابر هنا : باق .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بِلًى ... وكلُّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرُ
وكُلُّ قرينَيْ أُلْفَةٍ لِتَفَرُّقٍ ... شَتاتاً وإنْ ضَنّا وطال التّعاشُرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ حيّاً وميِّتاً ... أَخا الحرب إن دارتْ عليك الدوائرُ

ويُرْوى :

(فلا يُبْعِدَنْك اللهُ يا توبُ هالكاً ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ)
فآليتُ لا أنفَكّ أبكيك ما دعتْ ... على فَنَنٍ ورقاءُ أو طارَ طائرُ
قتيلُ بني عَوْفٍ فيا لَهْفَتا له ... وما كنتُ إيّاهم عليه أُحاذِرُ
ولكنّما أخشى عليه قبيلةً ... لها بدروب الرّوم بادٍ وحاضرُ

وقالت ترثيه : [من البسيط]

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ ... يا تَوْبُ للضيف إذ تُدْعى وللجارِ
وتَوْبُ للخَصْمِ إن جارُوا وإن عَدَلوا ... وبدّلوا الأمْرَ نَقْضاً بعد إمرارِ[1]
إن يُصْدِرُوا الأمرَ تُطْلِعْهُ موارِدَه ... أو يُورِدوا الأمرَ تُحْلِلْهُ بإصدارِ

وقالت ترثيه : [من الطويل]

هَراقتْ بنو عَوْفٍ دماً غيرَ واحدٍ ... لـه نَبَأٌ نَجْدِيُّه سَيَغُورُ
تداعتْ لـه أفناءُ عوفٍ ولم يكن ... لـه يوم هَضْبِ الرَّدْهَتَيْنِ نصيرُ[2]

وقالت ترثيه : [من البسيط]

يا عينُ بَكّي بدَمْعٍ دائمِ السَّجَمِ ... وابْكِي لتوبةَ عند الرَّوْعِ والبُهَمِ[3]
على فَتًى من بني سعدٍ فُجِعْتُ به ... ماذا أُجِنَّ به في الحُفْرَةِ الرَّجَمِ[4]
من كلِّ صافيةٍ صِرْفٍ وقافيةٍ ... مثلِ السِّنانِ وأمْرٍ غيرِ مُقْتَسَمِ
ومُصْدِرٍ حين يُعْيي القومَ مُصْدِرُهم ... وجَفْنَةٍ عند نَحْسِ الكوكب الشَّبِمِ[5]

وقالت تعيِّر قابضاً : [من الطويل]

جزى الله شَرّاً قابضاً بصَنيعِهِ ... وكلُّ امرىءٍ يُجْزى بِما كان ساعيا

---

1 عدلوا في ل : عندوا .
2 أفناء الناس : أخلاطهم .
3 البهم هنا : مشكلات الأمور ، واحدتها بُهمة .
4 الرجم هنا : القبر .
5 الشبم : البارد . ونحس الكوكب الشبم كناية عن الشتاء .

دعـا قابضاً والمُرْهَفـاتُ يَرِدْنَـه ... فقُبِّحتَ مدعـوّاً ولَبَّيْـكَ داعِيا

وقالت لقابض وتَعْذِر عبدَ الله أخا تَوبةَ : [من الطويل]

دعـا قابضاً والموتُ يَخْفِقُ ظِلُّه ... ومـا قابضٌ إذ لم يُجِبْ بنَجِيبِ

وآسى عُبَيْدُ الله ثـمّ ابـنَ أُمِّه ... ولـو شاء نَجَّى يوم ذاك حَبِيبي

[توبة وزنجي في الشام]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعْدٍ عن أحمد بن معاوية بن بكر قال حدَّثني أبو الجرّاح العُقَيْليّ عن أُمِّه دِينار بنت خَيْبَريّ بن الحُمَيِّر عن توبة بن الحميِّر قال : خرجتُ إلى الشام ، فبينا أنا أسير ليلةً في بلادٍ لا أنيسَ بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأُريح ، وأخذتُ تُرْسي فألقيته فوقي ، وألقيتُ نفسي بين المُضْطَجع والبارك . فلمّا وجدتُ طَعْمَ النَّوْمِ إذا شيءٌ قد تجلّلني عظيمٌ ثقيلٌ قد بَرَك عليّ ، ونشزتُ عنه ثم قَمَصْتُ[1] منه قُماصاً فرميتُ به على وجهه ، وجلستُ إلى راحلتي فانتضيت السيفَ ، ونَهض نحوي فضربتُه ضربةً انخزَلَ منها ، وعُدْتُ إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو أإنسان أم سَبُعٌ ؛ فلمّا أصبحتُ إذا هو أسْوَدُ زِنْجيٌّ يضرِب برجليه وقد قطعتُ وَسَطَه حتى كِدتُ أبريه ، وانتهيتُ إلى ناقةٍ مُناخةٍ مُوقَرةٍ ثياباً من سَلَبه ، وإذا جاريةٌ شابّةٌ ناهدٌ وقد أوثقها وقَرنها بناقته . فسألتها عن خبرها ، فأخبرتني أنّه قتَل مولاها وأخذها منه . فأخذتُ الجميع وعدتُ إلى أهلي . قال أبو الجرّاح قالت أُمّي : وأنا أدركتُها في الحيِّ تخدُم أهلَنا .

[حديث معاوية مع ليلى في توبة]

أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال أخبرنا عَطاء بن مُصْعَب القُرَشيّ عن عاصم اللَّيْثيّ عن يونس بن حبيبٍ الضَّبّيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال : سأل معاويةُ بن أبي سُفيان ليلى الأخيليّة عن توبةَ بن الحُمَيِّر فقال : ويحكِ يا ليلى ؛ أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقّاً ، والناس شجرةُ بَغْيٍ يحسُدون أهلَ النِّعَم حيث كانوا وعلى من كانت . ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْطَ البَنانِ ، حديدَ اللِّسان ، شَجاً للأقران ، كريمَ المَخْبَر ، عفيف المئزَر ، جميلَ المَنْظَر . وهو يا أميرَ المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتِ له ؟ قالت قلت ولم أتعدّ الحقَّ وعلمي فيه : [من الطويل]

بَعيـدُ الثَّرى لا يبلغُ القومُ قَعْرَه ... أَلَـدُّ مُلِـدٌّ يَغْلِبُ الحقَّ باطِلُهْ[2]

---

1 القُماص : الوثب .

2 ألدّ : الكثير الجدل والخصومة . وملد : وصف من أُليدت بفلان ، إذا عسرت عليه في الخصومة .

إذا حَـلَّ رَكْبٌ في ذَراه وظِلّهِ ... لِيَمْنَعَهـم مِمّـا تُخـافُ نَوازِلُهْ
حماهم بنَصْلِ السَّيْفِ من كلِّ فادحٍ ... يخافونه حتّى تمـوتَ خَصائلُهْ[1]

فقال لها معاوية : ويحِـكِ ؛ يزعمُ الناس أنّه كان عاهراً خارباً[2] . فقالت من ساعتها :

مَعـاذَ إلهـي كان واللهِ سَيِّـداً ... جَواداً على العِـلاّتِ جَمّاً نَوافِلُهْ
أغَـرَّ خَفاجِيّاً يـرى البُخْلَ سُبّةً ... تَحَلَّـبُ كَفّـاهُ النَّـدى وأنامِلُهْ
عفيفـاً بعيـدَ الهَـمِّ صُلْباً قناتُه ... جَميـلاً مُحَيّـاهُ قليـلاً غوائلُهْ
وقد عَلِمَ الجوعُ الذي بات سارياً ... على الضَّيْف والجيرانِ أنّك قاتلُهْ
وأنّك رَحْبُ الباعِ يا تَوْبُ بالقِرى ... إذا مـا لئيمُ القومِ ضاقت مَنازِلُهْ
يَبيتُ قريـرَ العينِ مَنْ بات جارَه ... ويُضْحِـي بخيرٍ ضيفُـه ومُنازِلُهْ

فقال لها معاويةُ : ويحكِ يا ليلى ؛ لقد جُزْتِ بنوبةَ قَدْرَه . فقالت : واللهِ يا أميرَ المؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنّي مقصِّرة في نَعْته وأنّي لا أبلغُ كُنْهَ ما هو أهلُه . فقال لها معاوية : مِنْ أيِّ الرجالِ كان ؟ قالت : [من الطويل]

أتتْـه المَنايـا حـين تَـمَّ تَمامُه ... وأقصر عنـه كلُّ قِـرْنٍ يُطاوِلُهْ
وكان كليث الغابِ يحمي عَرِينَه ... وترضى بـه أشبالُـه وحلائلُهْ
غَضُوبٌ حليمٌ حين يُطْلَبُ حِلْمُه ... وسُمٌّ زُعـافٌ لا تُصابُ مَقاتِلُهْ

قال : فأمر لها بجائزةٍ عظيمة وقال لها : خبِّريني بأجْوَدِ ما قُلتِ فيه من الشعر . قالت : يا أميرَ المؤمنين ، ما قلتُ فيه شيئاً إلاّ والذي فيه من خِصال الخير أكثرُ منه . ولقد أجدتُ حين قلتُ : [من الطويل]

جـزى اللهُ خيراً والجـزاءُ بِكَفّـه ... فتًى مـن عُقَيْـلٍ ساد غيرَ مُكَلَّفِ
فتًـى كانـتِ الدُّنيـا تهونُ بأسْرِها ... عليـه ولا يَنفَـكّ جَـمَّ التَّصَرُّفِ
ينـالُ عَلِيّـاتِ الأُمـورِ بهَوْنَـةٍ ... إذا هـي أعيتْ كلَّ خِرْقٍ مُشَرَّفِ[3]

---

1 الفادح هنا : الخطب من خطوب الدهر وفي ل : قادح . الخصائل : جمع خصلة ، وهي كل لحمة فيها عصب .
2 خارب : لص .
3 الهونة : الرفق والسهولة . والخِرق : السخي أو الظريف في سخاوة . ومشرف : جعله له شرف .

هـو الذَّوْبُ بَلْ أُرْيُ الخَلايا شَبيهُه بدِرْياقــةٍ مــن خمر بَيسانَ قَرقَفِ[1]
فيا تَوْبُ ما في العيش خيرٌ ولا نَدًى يُعَــدّ وقد أمسيتَ في تُرْب نَفْنَفِ[2]
وما نِلتُ منك النِّصْفَ حتى ارتمت بك الـ ـمنايا بسهمٍ صائب الوقع أعْجَفِ[3]
فيـا أَلْفَ أَلـفٍ كنتَ حَيّاً مُسَلَّماً لأَلقــاكَ مثــلَ القَسْوَرِ المُتَطَرِّفِ[4]
كما كنتَ إذ كنتَ المُنَحَّى من الرَّدى إذا الخيــلُ جالــت بالقَنا المُتَقَصِّفِ
وكَمْ مــن لَهيفٍ مُحْجَرٍ قــد أجبتَه بأبيضَ قَطَّــاعِ الضَّريبــةِ مُرْهَفِ[5]
فأنقذتــه والمــوتُ يَحْــرِقُ نابَــه عليــه ولم يُطْعَــنْ ولم يُتَنَسَّفِ[6]

[ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويَه عن ابن أبي سعد قال حُدِّثت عن القَحْذَميّ عن مُحارِب بن غُصَيْن العُقَيْلِيّ قال : كان توبةُ قد خرج إلى الشام ، فمرَّ ببني عُذْرةَ ، فرأَتْه بُثينةُ فجعلتْ تنظر إليه ، فشقّ ذلك على جميلٍ ، وذلك قبل أن يُظهر حبّه لها . فقال له جميل : مَنْ أنت ؟ قال : أنا توبة بن الحميِّر . قال : هل لك في الصِّراع ؟ قال : ذلك إليك ، فشدّت عليه بثينةُ ملْحَفةً مُوَرَّسة[7] فأتزر بها ، ثم صارعه فصرَعه جميلٌ . ثم قال : هل لك في النِّضال ؟ قال نعم ، فناضله[8] فنضَله جميلٌ . ثم قال له : هل لك في السِّباق ؟ فقال نعم ، فسابقه فسبقه جميل . فقال له توبة : يا هذا إنّما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ، ولكن اهبِطْ بنا الواديَ ، فصَرَعه توبةُ ونضَله وسبَقه .

[عبد الملك يسألها عن سبب حب توبة لها]

أخبرنا إبراهيـم بن أيّوب عن ابن قُتَيْبة قال : بلغني أنّ ليلى الأخيليّة دخلت على عبد الملك ابن مَروان وقد أسنّت وعجزَتْ ، فقال لها : ما رأى توبةُ فيك حين هَوِيَكِ ؟ قالت : ما رآه الناسُ فيك حين ولَّوْك . فضحِك عبد الملك حتى بدت له سِنٌّ سَوداء كان يُخفيها .

---

1 الذّوب : العسل . الأري : العسل أيضاً . والشوب : الخلط والمزج . والدرياقة : الخمر .
2 النفنف : المفازة .
3 وما نلت في ل : وما ينل . السهم الأعجف : الرقيق .
4 القسور : الأسد . والمتطرف : المغير .
5 المحجر : المضيّق عليه .
6 حرق الأنياب : حكها بعضها ببعض ، وهو كناية عن الغضب والغيظ . وتنسف في الصراع : قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره .
7 مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر .
8 النضال : المباراة في الرمي . ونضله : سبقه فيه .

[وفود ليلى على الحجّاج وحديثه معها]

وأخبرني الحسن بن عليّ عن [ابن] أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهِلاليّ عن أيّوب بن عمرو عن رجلٍ من بني عامر يقال له وَرْقاء قال : كنتُ عند الحجّاج بن يوسف ، فدخل عليه الآذِنُ فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب امرأة تَهْدِر كما يهدِر البعيرُ النادّ[1] . قال أدْخِلْها . فلمّا دخلت نسبَها فانتسبتْ له . فقال : ما أتى بك يا ليلى ؟ قالت : إخلافُ النُّجومِ[2] ، [وقِلّةُ الغيوم] ، وكَلَب البَرْد[3] ، وشِدّة الجَهْد ، وكنتَ لنا بعدَ الله الرِّدّ[4] . قال : فأخبريني عن الأرض . قالت : الأرض مُقْشَعِرَّة[5] ، والفِجاجُ مُغْبَرّة ، وذو الغنى مُخْتَلّ[6] ، وذو الحَدِّ مُنْفَلّ . قال : وما سببُ ذلك ؟ قالت أصابتنا سِنون[7] مُجْحِفةٌ[8] مُظلمة ، لم تَدَع لنا فصيلاً[9] ولا رُبعاً ، ولم تُبْقِ عافطةً[10] ولا نافِطةً[11] ؛ فقد أهلكت الرجال ، ومزّقت العِيال ، وأفسدت الأموال ، ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناها مُتَقَدّماً . وقال في الخبر : قال الحجّاج . هذه التي تقول : [من الكامل]

نحنُ الأَخايِلُ لا يـزالُ غُلامُنا حتى يَدِبَّ على العصا مشهورا
تَبْكِي الرِّماحُ إذا فَقَدْنَ أَكُفَّنا جَزَعاً وتَعْرِفُنا الرِّفـاقُ بُحورا

ثم قال لها : يا ليلى ، أنشدِينا بعض شعرِكِ في تَوبة ، فأنشدته قولها : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصِبْــه في الحيـاةِ المَعايِرُ
ومـا أحـدٌ حَيٌّ وإن عاش سالمًا بأخْلَـدَ ممّـن غيّبتــه المقابرُ
فلا الحَيّ مّما أحدث الدَّهْرُ مُعْتِبٌ ولا المَيْتُ إنْ لم يَصْبِرِ الحيُّ ناشرُ

---

1 النّاد : الشارد .
2 إخلاف النجوم : تريد امتناع المطر .
3 كلب البرد : شدّته .
4 الرد : الكهف والمعقل .
5 اقشعرار الأرض : تقبضها من المحل .
6 مختل : محتاج .
7 السنون : القحوط .
8 مجحفة : قاشرة تجترف المال وتذهب به . وفي الأمالي «مبلطة» بدل «مظلمة» . والمبلطة : المفقرة .
9 الفصيل : ولد الناقة أو البقرة إذا فصل عن أمّه للفطام .
10 العافطة : الضائنة .
11 النافطة : الماعزة .

وكلُّ جديــدٍ أو شبابٍ إلى بِـلى وكلُّ امرىءٍ يوماً إلى الموت صائرُ
قتيلُ بنــي عَـوْفٍ فَيـا لَهْفَتا له ومـا كنـــتُ إيّـاهم عليه أحاذرُ
ولكنّنـــي أخشى عليـــه قبيلـةً لهـا بدُروب الشام بادٍ وحاضرُ

فقال الحجّاج لحاجبه : اذهَبْ فاقطَعْ لسانها . فدعا لها بالحجّام ليقطَعَ لسانها ، فقالت : ويلك ! إنّما قال لك الأميرُ اقطَعْ لسانَها بالصلة والعطاء ، فارجعْ إليه واستأذنه . فرجع إليه فاستأمره[1] ، فاستشاط عليه وهَمَّ بقطع لسانه ، ثم أمر بها فأُدخلت عليه ، فقالت : كادَ وعهدِ الله يقطع مِقْولي ، وأنشدته : [من البسيط]

حَجّاجُ أنت الذي لا فوقَـه أحدٌ إلاّ الخليفــةُ والمُسْتَغْفَــرُ الصَّمَدُ
حَجّاجُ أنت سِنانُ الحَرْبِ إن نُهِجتْ وأنت للنّاسِ في الدّاجي لنا تَقِدُ[2]

أُخبرنا الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو الحسن ميمون الموصليّ عن سَلَمة بن أيّوب بن مَسلمة الهمدانيّ قـال : كان جدّي عند الحجّاج ، فدخلتْ عليه امرأة بَرْزةٌ[3] ، فانتسبتْ له فإذا هي ليلى الأخيليّة . وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ ، وأُخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهـريّ قـال : كنتُ عند الحجّاج . وأخبرني وكيعٌ عن إسماعيل بن محمد عن المدائنيّ عن جُويرية عن بِشْرِ بن عبد الله بن أبي بكر : أنّ ليلى دخلتْ على الحجّاج ، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلمّا قالت : [من الطويل]

غُلامٌ إذا هــزّ القناةَ سقاها

قال لها : لا تقولي «غلامٌ» ، قولي «هُمامٌ» . وقال فيه : فأمر لها بمائتين . فقالت : زِدْني ، فقال : اجعلوها ثلاثمائة . فقال بعضُ جُلسائه : إنّها غَنَمٌ . فقالت : الأميرُ أكرمُ من ذلك وأعظمُ قَدْراً من أن يأمر لي إلاّ بالإبل . قال . فاستَحْيا وأمر لها بثلاثمائة بعير ، وإنّما كان أمر لها بغنمٍ لا إبل .

وأُخبرنا [به] وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحيّ عن عمر بن شبّة عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه ، وقال فيه : ألا قلتِ مكانَ غُلامٍ هُمامٌ ! وذكر باقي الخبر الذي ذكره مَن تقدّم ، وقال فيه : فقال لها : أُنشدينا ما قُلتِ في توبة ، فأنشدته قولَها : [من الطويل]

1 استأمره : استشاره .
2 نهجت : سلكت .
3 المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدّثون وهي عفيفة . والبرزة أيضاً : البارزة المحاسن .

فإنْ تكُـنِ القَتلى بَـواءً فإنّكم ... فتًى ما قتلتم آلَ عَـوْفِ بن عامرِ
فتًـى كان أحْيـا مـن فَتاةٍ حَييّةٍ ... وأشجع مـن لَيْثٍ بخَفَّانَ خادرِ[1]
أتتـه المنايـا دون دِرْعٍ حَصِينةٍ ... وأسْمَرَ خَطِّـيٍّ وجَرْداءَ ضامرِ
فنِعْمَ الفتـى إنْ كان توبةُ فاجراً ... وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ
كأنّ فتـى الفِتْيانِ تَوْبَـةَ لم يُنِخْ ... قلائص يَفْحَصْنَ الحَصا بالكَراكِرِ

فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة إنّك لَتَصِفينَ هذا الرجلَ بشيء ما تعرفه العرب فيه . فقالت : أيّها الرجل هل رأيتَ توبة قطُّ ؟ قال لا . فقالت : أما والله لو رأيتَه لَوَدِدْتَ أنّ كلّ عاتقٍ[2] في بيتك حاملٌ منه ؛ فكأنّما فُقِيء في وجه أسماءَ حَبُّ الرُّمّان . فقال له الحجّاج : وما كان لك ولها ! .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن أبي سعد عن محمد بن عليّ بن المُغيرة قال سمعتُ أبي يقول سَمِعتُ الأصمعيّ يذكر أنّ الحجّاج أمر لها بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : هل لكِ من حاجةٍ ؟ قالت : نَعَم أصلح الله الأمير ، تحمِلني إلى ابن عمّي قُتيبة بن مُسلمٍ ، وهو على خُراسان يومئذٍ ، فحمَلها إليه ، فأجازها وأقبلتْ راجعةً تريد البادية ، فلمّا كانت بالرّيِّ ماتت ، فقَبْرُها هناك . هكذا ذكر الأصمعيُّ في وفاتِها وهو غلطٌ . وقد أخبرني عمّي عن الحَزَنْبَل الأصبهانيّ عمّن أخبره عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْدِيّ عن ابن أبي سَعْدٍ عن محمد بن الحسن النَّخَعيّ عن ابن الخصيبِ الكاتب . واللفظُ في الخبر للحَزَنْبَل ، وروايته أتمّ : أنّ ليلى الأخيليّة أقبلتْ من سَفَرٍ ، فمرّتْ بقبر تَوبة ومعها زوجها وهي في هَودجٍ لها . فقالت : والله لا أبرحَ حتى أُسَلّم على توبة ، فجعل زوجها يمنَعها من ذلك وتأبى إلاّ أن تُلِمّ به . فلمّا كثُر ذلك منها تركَها ، فصَعِدتْ أكمةً عليها قبرُ توبة ، فقالت : السلامُ عليك يا توبةُ ، ثم حوّلت وجهَها إلى القوم فقالت : ما عَرَفْتُ له كِذبَةً قَطُّ قبلَ هذا . قالوا : وكيف ؟ قالت : أليس القائلَ : [من الطويل]

صوت

ولـو أنّ ليـلى الأَخيليّةَ سَلَّمتْ ... عـليّ ودوني تُرْبـةٌ وصفائحُ[3]

---

1 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 208/2 أشجع «من أسامة» و «من ليث عرّيسة» . وورد في المصدر نفسه 337/1 «أجرأ من ليث بخفّان» وذكر بيت الشعر الوارد هنا .

2 العاتق : الشابة .

3 ودوني في ل : وفوقي .

لَسَلَّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أو زَقا ... إليها صَدًى من جانب القبر صائحُ[1]
وأُغْبَطُ من ليلى بما لا أنالُه ... ألا كُلُّ ما قَرَّت به العينُ صالِحُ

فما بالُه لم يُسَلِّم عليَّ كما قال . . وكانت إلى جانب القبر بومةٌ كامنةٌ ، فلمّا رأتِ الهودجَ واضطرابَه فَزِعتْ وطارت في وجه الجمل ، فنفَر فرمى بليلى على رأسها ، فماتت من وقتها ، فدُفِنتْ إلى جنبه . وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها .

غنّى في الأبياتِ المذكورة آنِفاً حَكَمٌ الواديّ لَحْنَيْنِ ، أُحدُهما رملٌ بالوسطى عن عمرو ، والآخرُ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَش ، وقال حبش : وفيها لحنان لجميلة والمَيْلاء رَمَلانِ بالبنصر ، وذكر أبو العَنْبَس بن حمدون أنّ الرمل لعُمَر الواديّ .

[كان توبة شريراً كثير الغارات]

قال أبو عبيدة : كان توبة شِرِّيراً كثير الغارةِ على بني الحارث بن كعب وخَثْعَمٍ وهَمْدان ، فكان يزور نساءً منهن يتحدّث إليهن ، وقال : [من الطويل]

أَيَذْهَبُ رَيْعانُ الشَّبابِ ولم أَزُرْ ... غرائرَ من هَمْدانَ بِيضاً نُحورُها

قال أبو عبيدة : وكان توبةُ ربّما ارتفع إلى بلاد مَهرة فيُغير عليهم ، وبين بلاد مَهْرَةَ وبلاد عُقَيلٍ مَفازةٌ مُنْكَرَةٌ لا يقطعها الطَّيرُ ، وكان يحمل مَزادَ الماء فيدفِن منه على مَسيرة كلِّ يوم مزادةً ثم يُغير عليهم فيطلبونه فيركب بها المفازة ، وإنّما كان يتعمَّد حَمارَّة القَيْظ وشِدّة الحرّ ، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه .

[ليلى عند عاتكة زوجة عبد الملك]

أخبرني حِرْمِيٌّ عن الزبير عن يحيى بن المِقدام الرَّبعيّ عن عمِّه موسى بن يعقوب قال : دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فرأى عندها امرأةً بدويّة أنكرها ، فقال لها : مَن أنتِ ؟ قالت : أنا الوالهةُ الحَرَّى ليلى الأَخيليّة . قال : أنتِ التي تقولين : [من الطويل]

أريقتْ جِفانُ ابنِ الخَليعِ فأصبحتْ ... حِياضُ النَّدى زَالَتْ بهنّ المراتِبُ[2]
فعُفاتُه لَهْفى يطوفون حولَه ... كما انقضّ عرشُ البئر والوِرْدِ عاصبُ[3]

---

1 زقا : صاح . والصدى هنا : طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره .

2 ابن الخليع : من آباء توبة . زالت في ل : زلّت .

3 العفاة : طالبو المعروف . واللهف : الحزن والتحسر . عاصب : جامع .

قالت : أنا التي أقول ذلك . قال : فما أَبْقَيْتِ لنا ؟ قالت : الذي أبقاه الله لك . قال : وما ذاك ؟ قالت : نَسَباً قُرَشيّاً ، وعيشاً رَخِيّاً ، وإمْرةً مُطاعةً . قال : أَفْرَدْتِه بالكَرَم ! قالت : أفردتُه بما أفرده الله به . فقالت عاتكة : إنّها قد جاءت تستعين بنا عليك في عينٍ تُسْقِيها وتَحْمِيها لها . ولستُ ليزيدَ إن شَفَّعْتُها في شيء من حاجاتها . لتقديمها أعرابيّاً جِلْفاً على أمير المؤمنين . قال : فوَثَبَتْ ليلى فقامتْ على رجْلِها واندَفعتْ تقول : [من الوافر]

سَتَحْمِلُني ورَحْلِي ذاتُ وَخْدٍ ... عليها بنتُ آباءٍ كرامِ[1]
إذا جعلتْ سوادَ الشّام جَنْباً ... وغُلِّقَ دونَها بابُ اللِّئامِ
فليس بعائدٍ أبداً إليهم ... ذوو الحاجاتِ في غَلَسِ الظّلامِ
أعاتِكُ لو رأيتِ غداةَ بِنّا ... عَزاءَ النَّفْسِ عنكمُ واعتزامي
إذاً لَعَلمتِ واستَيْقَنْتِ أنّي ... مُشَيَّعةٌ ولَم تَرْعَيْ ذمامي
أأجعلُ مثلَ توبةَ في نَداهُ ... أبا الذِّبّانِ فُوهُ الدَّهْرَ دامِي[2]
مَعاذَ الله ما عَسَفتْ برَحْلي ... تُغِذّ السَّيْرَ للبلدِ التَّهامي[3]
أَقُلْتِ خليفةٌ فَسِواه أحْجى ... بإمْرَتِه وأوْلى باللِّئامِ
لِثامِ الملك حين تُعَدُّ كَعْبٌ ... ذوو الأخطار والخُطَطِ الجِسامِ[4]

فقيل لها : أيُّ الكَعبين عَنَيْتِ ؟ قالت : ما أخالُ كَعْباً كَكَعْبي .

[رواية أخرى في وفودها على الحجاج]

أُخبرنا اليزيديّ عن الخليل بن أَسَدٍ عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي يعقوب الثّقفيّ عن عبد الملك بن عُمَير عن محمد بن الحَجّاج بن يوسف قال : بينا الأميرُ جالسٌ إذ استُؤذِن لليلى . فقال الحجّاج : ومَن ليلى ؟ قيل : الأخيليّة صاحبة تَوبة . قال : أَدْخِلوها . فدخلتْ امرأةٌ طويلةٌ دَعْجاء العَينين حَسنةُ المِشْية إلى الفَوَه[5] ما هي ، حَسَنةُ الثّغر ، فسلّمتْ فرَدّ الحجّاج عليها ورحّب بها فدَنَتْ ، فقال الحجّاج ، دَراكِ ضَعْ لها وِسادةً يا غلام ، فجلستْ . فقال : ما أعمَلَكِ إلينا ؟ قالت : السلامُ على الأمير ، والقضاءُ لحقّه ، والتعرّض لمعروفه . قال : وكيف خلفتِ قومَكِ ؟

---

1 الوخد : ضرب من السّير .
2 أبو الذبان : كنية عبد الملك بن مروان لشدّة بخره .
3 عسفت : سارت وخبطت .
4 كعب : من آباء ليلى .
5 الفوه : سعة الفم .

قالت : تركتُهم في حال خِصْبٍ وأَمْنٍ ودَعَةٍ . أمّا الخِصْبُ ففي الأموال والكَلأ . وأمّا الأَمْنُ فقد أمنهم الله عزّ وجلّ بك . وأمّا الدعة فقد خامرهم من خَوفك ما أصلح بينهم . ثم قالت : ألا أُنْشدك ؟ فقال : إذا شئتِ فقالت : [من الطويل]

[أَحَجّاجُ إنّ اللهَ أعطاكَ غايةً ... يُقَصِّرُ عنها مَنْ أرادَ مَداها]
أَحَجّاجُ لا يُفْلَلْ سِلاحُكَ إنّما الـ ... ـمَنايا بكَفِّ اللهِ حيث تراها
إذا هبَط الحجّاجُ أرضاً مريضةً ... تَتَبَّع أقصى دائها فشَفاها
شَفاها من الدّاءِ العُضالِ الذي بها ... غُلامٌ إذا هَزّ القناةَ سَقاها
سَقاها دِماءَ المارقينَ وعَلّها ... إذا جَمَحتْ يوماً وخِيفَ أذاها
إذا سَمِع الحجّاجُ رِزَّ كَتيبةٍ ... أعَدَّ لها قبل النُّزول قِراها[1]
أعدّ لها مصقولةً فارسيّةً ... بأيدي رِجالٍ يَحْلُبون صَراها[2]
أَحَجّاجُ لا تُعْطِ العُصاةَ مُناهُمُ ... ولا اللهُ يُعْطي للعُصاةِ مُناها
ولا كلَّ حَلّافٍ تَقَلَّدَ بيعةً ... فأَعْظَمَ عهدَ اللهِ ثم شَراها

فقال الحجّاج ليحيى بن مُنْقِذٍ : لله بلادُها ما أشعرها ! . فقال : ما لي بشعرها علمٌ . فقال : عَلَيَّ بعُبَيْدة بن مَوْهبٍ وكان حاجبَه ، فقال : أنشديه فأنشدتْه : فقال : عُبيدة : هذه الشاعرة الكريمةُ ، قد وجب حقُّها . قال : ما أغناها عن شَفاعتِك ! يا غلامُ مُرْ لها بخمسمائة درهم ؛ واكْسُها خمسةَ أثواب أحدُها كِساءُ خَزّ ، وأَدْخِلْها على ابنة عمّها هند بنت أسماء فقُلْ لها : حَلّيها . فقالت : أصلح الله الأمير . أضَرّ بنا العَريفُ في الصدقة ، وقد خَرِبت بلادُنا ، وانكسرتْ قلوبُنا ، فأخذ خِيارَ المال . قال : اكتبوا لها إلى الحَكَم بن أيّوب فليبتَعْ لها خمسةَ أجمال وليجعلْ أحدَها نَجيباً[3] ، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعَزْلِ العريف الذي شكتْه . فقال ابن مَوْهَبٍ : أصلحَ اللهُ الأمير ، أأصِلُها ؟ قال نعم ، فوصلها بأربعمائة درهم ، ووصلتْها [هند] بثلاثمائة درهم ، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين .

قال الهيثم : فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجَصّاص فكتبه عنّي ، ثم حدَّثني عن حمّاد الراوية قال : لمّا فَرَغتْ ليلى من شعرها أقبل الحَجّاج على جُلَسائه فقال لهم : أتدرون مَن هذه ؟ قالوا : لا ؛ والله ما رأينا امرأةً أفصحَ ولا أبلغَ منها ولا أحسنَ إنشاداً . قال : هذه ليلى

---

1 الرز : الصوت تسمعه من بعيد .

2 الصرى هنا : بقية اللبن . والصرى : اللبن يبقى فيتغيّر طعمه . يحلبون صراها في ل : يحسنون غذاها .

3 النجيب : الكريم .

صاحبة توبة . ثم أقبل عليها فقال لها : بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمراً تكرَهينه أو سألكِ شيئاً يُعاب ؟ قالت : لا والله الذي أسأله المغفرةَ ما كان ذلك منه قطّ . فقال : إذا لم يكن فيرحَمنا الله وإيّاه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّةَ عن عبد الله بن محمد بن حَكيم الطائيّ عن خالد بن سَعِيد عن أبيه قال : كنت عند الحجّاج فدخلتْ عليه ليلى الأخيليّة ، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلمّا قالت : [من الطويل]

غلامٌ إذا هــزّ القناةَ سقاها

قال : لا تقولي غلامٌ ، قولي هُمامٌ .

صوت

[من الخفيف]

سالَني الناسُ أينَ يَعْمِدُ هــذا قلتُ آتِي في الدّار قَرْماً سَرِيّا
ما قطعتُ البلادَ أسْرِي ولا يَمّـ ـمْتُ إلاّ إيّــاكَ يــا زكريّا
كَمْ عطـاءٍ ونائــلٍ وجزيــلٍ كان لِي منكــمُ هَنِيّــاً مَرِيّا

عروضه من الخفيف ، الشِّعرُ للأُقَيْشر الأَسَديّ . والغناء لدَحْمان ، وله فيه لحنانِ ، أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ من أصوات قليلةِ الأشباه عن إسحاق ، [والآخر] ثقيلٌ أوّل بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو ، وذكر يونس أنّه للأبجر ولم يجنّسه ، وذكر الهشاميّ أنّ لحن الأبجر خفيفُ ثقيلٍ ، وأنّ لحن ابن بَلُوعٍ في الثالث ثاني ثقيل . وليحيى بن واصل ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

[189] ـ ذكر الأقيشر[1] وأخباره

[نسبه]

الأُقَيْشِرُ : لَقَبٌ [غلب عليه][2] ؛ لأنّه كان أحمرَ الوجه أَقْشَرَ[3] ، واسمه المُغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرِو بن أسد بن خُزَيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وكان يُكنى أبا مُعْرِض ، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عِدّة ، منها قوله : [من المتقارب]

فإنّ أبـا مُعْـرِضٍ إذ حَسا ... مـن الرّاحِ كأساً على المِنْبَرِ
خَطيـبٌ لَبِيبٌ أبـو مُعْرِضٍ ... فإنْ لِيمَ في الخَمْـرِ لم يَصْبِرِ

وعُمِّر عُمْراً طويلاً ، فكان أقعَدَ بني أَسَدٍ نَسَباً ، وما أخلَقَه بأن يكون وُلِد في الجاهليّة ونشأ في أوّل الإسلام ؛ لأنّ سِماك بن مَخْرَمَةَ الأسديّ صاحبَ مسجدِ سِماكٍ بالكوفة بناه في أيّام عمر ، وكان عُثْمانيّاً ، وأهلُ تلك المَحَلّةِ إلى اليوم كذلك . فيَرْوِي أهلُ الكوفة أنّ عليّ بن أبي طالب ، صلواتُ الله عليه ، لم يُصَلِّ فيه ، وأهلُ الكوفة إلى اليوم يجتنبونه . وسِماكٌ الذي بناه هو سِماكُ بن مَخْرَمَة بن حُمَيْن بن بَلْث بن عمرو بن مُعْرِض بن عمرو بن أَسَدٍ ، والأُقيشر أقعَدَ[4] نسباً منه . وقال الأُقيشر في ذكر مسجد سِماكٍ شعراً .

أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِيّ الكوفيُّ قال أخبرني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيُّ عن محمد بن معاوية ، وكنيتُه أبو عبد الله محمد بن معاوية . قال : الأُقَيْشِرُ من رَهْط خُرَيم بن فاتِكٍ[5] الأسديِّ . وخُرَيم إنّما نُسِب إلى جَدِّ أبيه فاتِكٍ ، وهو خُرَيْم بن الأخرم [ابن شدّاد] ابن عمرو بن فاتكٍ الأسَديّ ، وفاتكٌ ابن قُلَيْبِ بن عَمْرو بن أَسَدٍ .

[شعره في بني دودان]

والأُقيشر هو المُغيرةُ بن عبد الله بن مُعرِضِ بن عمرو بن أَسَد . قال : وهو القائل لَمّا بنى سِماكُ بن مَخْرَمَةَ مسجده الذي بالكوفة ، وهو أكبر مسجدٍ لبني أَسَدٍ ، وهو في خِطَّة بني نَصْر بن قُعَيْنٍ : [من الرمل]

---

1 انظر في أخباره : الشعر والشعراء 2/559–562 والخزانة 2 : 279–282 والإصابة 6 : 180 والمؤتلف 56 والمرزباني 369–370 . وقد صنع ديوانه الدكتور محمد علي دقه ، بيروت 1997 .

2 ل : به .

3 الأقشر : وصف من القشر وهو شدة الحمرة .

4 ل : أبعد .

5 خريم بن فاتك هذا صحابي شهد بدراً .

غَضِبتْ دُودانُ مِن مَسْجِدِنا ... وبهِ يَعْرِفُهم كلُّ أحَدْ
لو هَدَمْنا غُدْوةً بُنْيانَه ... لانمحتْ أسماؤهم طُولَ الأبَدْ
اسمُهم فيه وهم جيرانُه ... واسمُه الدَّهرَ لعمرو بن أسَدْ
كُلّما صَلَّوْا قَسَمْنا أجْرَه ... فلنا النِّصْفُ على كلِّ جَسَدْ[1]

فحلَف بنو دُودانَ لَيَضْرِبُنّه . فأتاهم فقال : قد قلتُ بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ . قالوا : وما هو يا فاسق ؟ قال قلت :

وبنو دُودانَ حَيٌّ سادةٌ ... حَلّ بيتُ المَجْدِ فيهم والعَدَدْ

فتركوه .

[كان خليعاً ماجناً مدمناً]

أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ قال ، وأخبرني أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سَلاّم قال : كان الأقيشر كُوفِيّاً خَلِيعاً ماجناً مُدْمِناً لشُرب الخمر ، وهو الذي يقول لنفسه : [من المتقارب]

فإنّ أبا مُعرِضٍ إذ حَسا ... مِن الرّاح كأساً على المِنْبَرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبو مُعْرِضٍ ... فصار خليعاً على المِكْبَرِ[2]
أحَلَّ الحرامَ أبو مُعْرِضٍ ... فإنْ لِيمَ في الخمرِ لم يَصْبِرِ
يُجِلّ اللِّئامَ ويَلْحى الكرامَ ... وإن أقصروا عنه لم يُقْصِرِ[3]

[يهجو عبسيّاً لمناداته بلقبه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ ، وأخبرني عبد الوهّاب بن عُبَيْد الصّحّاف الكوفيّ عن قَعْنَب بن مُحْرِزٍ الباهليّ عن المدائنيّ : أن الأُقيشرِ مرّ يُريدُ الحِيرَةَ ، فاجتاز على مجلسٍ لبني عَبْسٍ ، فناداه أحدُهم : يا أقيشر ، وكان يغضَب منها ، فزجَره الأشياخُ ، ومضى الأُقَيْشِر ثم عاد إليه ومعه رجلٌ وقال له : قِفْ معي ، فإذا أنشدتُ بيتاً فقُلْ لي : ولِمَ ذلك ، ثم انصَرِفْ ، وخُذْ هذين الدرهمين . فقال له : أنا أصير معك إلى حيث شئتَ يا أبا مُعْرِض ولا أرزَؤك شيئاً ، قال : فافعَلْ . فأقبل به حتى أتى مجلسَ القوم ، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد عرَف الشابَّ ، فأقبل عليه وقال : [من الوافر]

أتدعوني الأُقَيْشِرَ ذلك اسمي ... وأدعوك ابنَ مُطْفِئةِ السِّراجِ

---

1 فلنا في ل : فلها .
2 المِكْبِر : الكبير في السن .
3 يُجِلّ في ل : يحب .

فقال له الرجل : ولِمَ ذاك ؟ فقال :

تُناجــي خِدْنَها باللّيــلِ سِرّاً ... وربُّ الناس يعلَمُ مـا تُناجِي

قال قَعْنَبٌ في خبره : فلُقِّب ذلك الرجلُ ابنَ مُطْفِئة السراج .

[تهاجيه مع أبي الضحاك التميمي]

وقال قَعْنَبٌ في خبره عن المدائنيّ أخبرنا به اليزيديّ عن الخرّاز عن المدائنيّ في كتاب الجَوابات ، ولم يَرْوِه الباقون : كان الأقيشر يَكْتري بغلةَ أبي المَضاء المُكارِي فيركَبها إلى الخمّارين بالحِيرة . فركِبها يوماً ومضى لحاجتِه ، وعند أبي المَضاء رجل من تميمٍ يُكنى أبا الضحّاك ، فقال له : مَن هذا ؟ قال : الأُقيشر . فأخذ طَبَقَ المِيزان وكتب فيه : [من الوافر]

عَجِبْتُ لشاعرٍ مـن حَيٍّ سَوْءٍ ... ضَئيلِ الجسمِ مِبْطانٍ هَجِينِ

وقال لأبي المَضاء : إذا جاء فأَقْرِئه هذا . فلمّا جاء أقرأه . فقال له الأُقيشر : ممّن هو ؟ قال : مِنْ بني تميم . فكتبَ الأُقيشر تحت كتابه : [من الوافر]

فــلا أَسَداً أَسُبُّ ولا تَميماً ... وكيف يجوزُ سَبُّ الأكرمينِ

ولكــنّ التَّميمِي حــال بيني ... وبينَك يا ابنَ مُضْرِطة العَجِينِ[1]

فهرب إلى الكوفة فلم يَرِدْ على هذا .

وقال قَعْنَبٌ في خبره عن المدائنيّ : فجاء التميميّ فقرأ ما كتب ، فكتب تحته : [من البسيط]

يا أيّها المُبْتَغي حُشّاً لحاجتِــهِ ... وجهُ الأُقَيْشِرِ حشٌّ غيرُ ممنوعِ[2]

فلمّا قرأه قال : اللهم إنّي أستعديك عليه ، وكتب تحته : [من الوافر]

إنّــي أتــاني مقــالٌ كنتُ آمَنُه ... فجاء من فاحشٍ في الناس مخلوعِ

عبدِ العزيزِ أبـو الضحّاك كُنْيَتُه ... فيه من اللُّــؤْمِ وَهْيٌ غير ممنوعِ

ولم تَبِــتْ أُمُّــهُ إلاّ مُطاحنــةً ... وأن تُــؤاجَـر في سوق المراضيعِ

ينساب ماء البرايا في استها سَرِباً ... كأنّما آنساب في بعض البلاليعِ[3]

مِنْ ثَـمّ جاءت به والبَظْرُ حَنَّكَه ... كأنّه في استها تِمْثالُ يُسروعِ[4]

فلمّا جاءه جزِع ومشى إليه بقوم من بني تَميم ، فطلبوا أن يُكفَّ ففعل . وأمّا عبد الله بن

1 مضرطة العجين : كناية عن أنها خادم .

2 الحش : بيت الخلاء .

3 سربا : سائلا .

4 حنكه : أحكمه . واليسروع : دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد .

خَلَف فذكر عن أبي عَمْرو الشيبانيّ أنّ الأُقيشر قال هذا في مِسْكِين .

والشعر الذي فيه الغناءُ يقوله الأُقيشر في زكريّا بن طلحة الذي يقال له الفيّاض ، وكان مَدّاحاً له .

[عبد الملك يعجب بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العَنزِيّ عن [محمد بن] معاوية قال : غَنّتْ جاريةٌ عند عبد الملك بن مَروانَ بشعرِ الأُقيشر : [من الخفيف]

قــرّب اللّهُ بالسلامِ وحيّــا زَكَريّــا بــنَ طَلْحةَ الفيّاضِ
مَعْدنُ الضَّيْفِ إنْ أَناخوا إليه بعدَ أَيْنِ الطلائــح الأنقاضِ[1]
ساهماتُ العيونِ خوصٌ رَذايا قــد براها الكَلالُ بعد اياضِ[2]
زادَه خالــدُ ابــنُ عــمّ أبيه مَنْصِباً كان في العُلا ذا انتقاضِ
فَــرْعُ تَيْم من تَيْمِ مُرّةَ حَقّاً قد قضى ذاك لابن طلحةَ قاضِ

فقال عبد الملك للجارية : وَيْحَكِ ! لمن هذا ؟ قالت : للأُقيشر . قال : هذا المدحُ لا على طَمَعٍ ولا فَرَقٍ ، وأشعرُ الناس الأُقيشر .

[الكميت يثني على شعره]

وذكر عبد الله بن خَلَفٍ أنّ أبا عمرو الشيبانيّ أخبره أنّ الكُمَيْتَ بن زيد لقِي الأُقيشر في سَفْرَةٍ ، فقال له : أين تَقْصِدُ يا أبا مُعْرِض ؟ فقال : [من الخفيف]

سالني الناس أين يَقْصِدُ هــذا قلتُ آتي في الدار قَرْمــاً سَرِيّا

وذكر باقِيَ الأبيات التي فيها الغناء ، فلم يزل الكميت يستعيده إيّاها مراراً ، ثم قال : ما كذبَ مَنْ قال إنّك أشعرُ الناس .

[كان عنيناً وزعم الفحولة]

أخبرني عَمّي عن الكُرانيّ عن ابن سلاّم قال : كان الأُقيشر عِنِّيناً ، وكان لا يأتي النساء ، وكان كثيراً ما كان يَصِف ضِدّ ذلك من نفسه . فجلس إليه يوماً رجلٌ من قَيْس ، فأنشده الأُقيشر : [من الكامل]

---

1 معدن : اسم من عدن بالمكان إذا أقام به . الأين : التعب . والطلائح : جمع طليح وطليحة ، وهو الذي أعياه السير . والأنقاض : جمع نِقض وهو المهزول من السير .

2 ساهمات العيون : متغيراتها . وخوص : غائرات العيون ، الواحد : أخوص وخوصاء . ورذايا : مهزولات ، والواحد رذي ورذية .

ولقد أروحُ بِمُشْرِفٍ ذي شَعْرَةٍ عَسِرِ المَكَــرَّةِ مـاؤه يَتَفَصَّدُ[1]
مَرِحٍ يطيرُ مــن المِراحِ لُعابُه وتكــاد جِلْدَتُـــه بـــه تتقدّدُ

ثم قال للرجل : أتُبْصِرُ الشعرَ ؟ قال نَعَمْ . قال : فما وصفتُ . قال : فرساً . قال : أفكنتَ لو رأيتَه رَكبتَه ؟ قال : إي والله وأَثْنِي عِطْفَه . فكشَف عن أَيْره وقال : هذا وصفتُ ، فقُمْ فاركَبْه . فوثب الرجلُ من مجلسه وجعل يقول له : قَبَحك اللهُ من جليسٍ ؛ سائرَ اليوم .

[يشرب بعد خروجه في جنازة]

ونسختُ من كتاب عبد الله بن خَلَفٍ : حدَّثني أبو عمرو الشيبانيّ قال : ماتتْ بنتُ زيادٍ العُصْفُرِيّ ، فخرج الأُقيشر في جنازتها ، فلمّا دفنوها انصرف . فلَقِيه عابسٌ مولى عائذِ الله ، فقال له : هل لَكَ في غَداء وطِلاء[2] أتيتُ به من طِيزَناباذَ[3] ؟ قال نعم . فذهب به إلى منزله فغدّاه وسقاه ، فلمّا شرِب قال : [من الطويل]

فليــتَ زِيــاداً لا يَزَلْــنَ بَناتُــه يَمُتْنَ وأَلقى كُلَّما عِشتُ عابسا
فذلك يـــومٌ غـاب عنّــيَ شَرُّه وأنجحتُ فيه بعد مـا كنتُ آيِسا

[أخذه الشرط من حانة فرشاهم]

ونسخت من كتابه : حدَّثني أبو عمرو قال : شرِب الأُقيشر في بيت خمّار بالحِيرة ، فجاءه الشُّرَطُ ليأخذوه ، فتحرّز منهم وأغلق بابه وقال : لست أشرَب ، فما سبيلُكم عليّ ! قالوا : قد رأينا العُسَّ[4] في كَفِّك وأنت تشرَب . قال : إنّما شَرِبتُ من لبن لِقْحةٍ لصاحب الدار ، فلم يَبرَحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال : [من الرمل]

إنّمــا لِقْحَتُنــا باطِيَــــةٌ فإذا ما مُزِجتْ كانت عَجَبْ[5]
لَبَــنٌ أصفـــرُ صافٍ لونُـه يَنْزِعُ الباسورَ من عَجْبِ الذَّنَبْ
إنّمـا نشربَ مـــن أموالنــا فسَلُوا الشُّرْطِيَّ ما هذا الغَضَبْ

1 ديوانه ص 61 رقم 15 وفي ديوان الحماسة لأبي تمام 356/4 :
ولقد غدوت بمشرفٍ يأفوخه عسر المكرة مــاؤه يتفصّـــد
مــرح يمجّ مــن المراح لعابه ويكــاد جلــد إهابــه يتقدّد
2 الطلاء : من أسماء الخمر .
3 طيرناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .
4 العس : القدح العظيم .
5 اللقحة : الناقة الحلوب .

[عبد الملك يقول إنه شاعر بني أسد]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العَنزيّ عن محمد بن معاوية قال : دخل وَفْدُ بني أَسَدٍ على عبد الملك ابن مَروان ، فقال : مَنْ شاعرُكم يا بني أَسَد ؟ قالوا : إنّ فينا شعراءَ ما يَرضى قومُهم أن يفضِّلوا عليهم أحداً . قال لهم : فما فعَل الأُقيشِر ؟ قالوا : مات . قال : لم يَمُتْ ، ولكنّه مشتغلٌ بعِشْقه ، وما أُبْعِدُ أن يكون شاعرَكم إلاّ أنّه يُضِيع[1] نفسه . أليس هو القائلَ : [من السريع]

يا أيُّها السائـلُ عَمّا مَضى ... مِنْ عِلْمِ هـذا الزَّمن الذاهبِ
إن كنتَ تَبْغِـي العِلمَ أوْ أهلَه ... أو شاهـداً يُخْبِرُ عن غائبِ
فـاعتبرِ الأرضَ بأسمائهـا ... واعتبرِ الصاحـبَ بالصاحبِ

[قال في جار طحان لم يقرضه]

وذكر عبدُ الله بن خَلَفٍ عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ جاراً للأُقيشِر طَحّاناً كان يُنْسِيء[2] الناسَ يُكْنى أبا عائشة . فأتاه الأُقَيشِر يسأله فلم يُعْطِه ، فقال له : [من المتقارب]

يُرِيدُ النساءَ ويأبـى الرجالَ ... فمـا لِي ومـا لأبي عائشَهْ
أدامَ لـه الله كَـدَّ الرِّجـالِ ... وأثكلـه ابنَتَـه عـائشَهْ

فأعطاه ما أراد واستعفاه من أن يزيد شيئاً .

[يهجو بني هجيم ثم يكف]

نسختُ من كتاب عُبَيْد الله بن محمد اليزيديّ بخطّه : قال الهيثم بن عديّ حدَّثني عَطّاف بن عاصمِ بن الحَدَثانِ قال : مرّ أعرابيٌّ من بني تميم كان يهزأ بالأُقيشر ، فقال له : [من الطويل]

أبا مُعْرِضٍ كن أنتَ إن مُتُّ دافِني ... إلى جَنْبِ قبرٍ فيـه شِلْوُ المُضَلَّلِ
فعَلِّـي أنْ أنجـو مـن النارِ إنّها ... تُضَرَّمُ للعبـدِ اللئيـمِ المُبَخَّلِ
بذلك أوصاهـا الإلـهُ ولم تَزَلْ ... تُحَشُّ بأوصالٍ وتُـرْبٍ وجَنْدَلِ[3]
وأنـت بحمدِ الله إن شئتَ مُفْلِتِي ... بحَزْمِك فاحْزُمْ يا أُقَيْشِرُ واعْجَلِ

فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من بني تميمٍ ثم أحد بني الهُجَيْمِ بن عمرو بن تميمٍ . فقال الأُقيشر : [من الطويل]

تميمَ بنَ مُرٍّ كَفْكِفُوا عن تَعَمُّدِي ... بـذُلٍّ فإنِّـي لستُ بـالمتذلِّلِ

---

1 ل : يضع .
2 ينسيء الناس : يريد ينسيء الناس الدين أي يقرضهم ويؤخرهم بالدين .
3 حشّ النار : أوقدها . الأوصال : المفاصل ، والجندل : الحجارة .

أيهــزأ بــي العبدُ الهُجَيْمِيُّ ضَلَّةً ومثلي رمــى ذا التُّدْرَإِ المتضلّلِ[1]
بداهيــةٍ دَهْيــاءَ لا يَسْتَطِيعُها شماريخُ من أركان سَلْمى ويَذْبُلِ[2]
وبالله لــولا أنّ حِلْمِيَ زاجري تركتُ تميماً ضُحْكَةً كلَّ مَحْفِلِ
فكُفُّوا رمــاكم ذو الجلالِ بخِزيَةٍ تُصَبِّحُكم في كلِّ جَمْعٍ ومنزلِ
فأنتم لئــامُ النــاسِ لا تُنْكِرونه وألأمُكم طُــرّاً حُرَيْثُ بن جَنْدَلِ

فصار إليه شيوخٌ من بني الهُجَيم واعتذروا إليه واستكفّوه فكَفَّ .

[شرب على غناء مع مقعد وأعمى]

أخبرني الأخفش قال حدّثني أبو الفيّاض بن أبي شُراعةَ عن أبيه قال : شرِب الأُقيشر بالحِيرة في بيتٍ فيه خَيّاطٌ مُقْعَدٌ ورجلٌ أعمى ، وعندهم مُغَنٍّ مُطْرِب ، فطرِب الأُقيشر ، فسقاهم من شربه ، فلمّا انتشَوْا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم ، وقفزَ الخيّاط المُقْعَد يرقُص على ظلعه[3] . يجهَد في ذلك كلَّ جَهْدٍ . فقال الأقيشر : [من الطويل]

ومُقْعَدِ قــومٍ قد مشى من شَرابِنا وأَعْمــى سَقَيْنــاه ثلاثاً فأبصرا
شرابــاً كريحِ العَنْبَرِ الوَرْدِ رِيحُه ومَسْحوقِ هِنْدِيٍّ من المسكِ أذفرا[4]
من الفَتَياتِ الغُــرِّ من أرضِ بابلٍ إذا شَفَّها الحاني من الدَّنِّ كبّرا[5]
لهــا من زُجاج الشام عُنْقٌ غريبة تأنّــق فيهــا صانــعٌ وتخيّرا
ذخائــرُ فوعــونَ التي جُبِيتْ له وكلٌّ يُسَمَّــى بالعَتِيــق مشهَّرا
إذا مــا رآهــا بعــد إنقاء غَسْلِها تــدور علينــا صائمُ القوم أفطرا

[قال في تفرّق النّدامى]

أخبرنا عليّ بن سليمان قال حدّثني سَوّار قال حدّثني أبي قال : كان الأُقيشر صاحبَ شرابٍ ونَدامى ، فأشخص الحجّاجُ بعضَ نُدمائه إلى بعض [النواحي] ، ومات بعضهم ، ونسَك بعضهم ، وهرَب بعضهم ؛ فقال في ذلك : [من الخفيف]

غُلِبَ الصَّبْرُ فاعترتْني هُمُــومٌ لفِــراقِ الثِّقاتِ مــن إخواني

1 ذو تُدْرأ : أي ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة .
2 الشماريخ : رؤوس الجبال واحدها شمراخ . وسلمى ويذبل : جبلان .
3 الظّلع : العرج .
4 المسك الأذفر : البالغ الغاية في الجودة .
5 الحاني : بائع الخمر .

مات هـذا وغاب هذا وهذا　　دائـبٌ في تِـلاوةِ القُـرآنِ
ولقد كان قبـل إظهاره النُّسْـ　　ـكَ قديماً من أظرف الفتيانِ

[شعر له في بغل أبي المضاء]

وأخبرني أبو الحسن الأسَديّ عن العَنزيّ قال قال ابنُ الكلبيّ حدّثني سَلَمةُ بن عبد سُواع عن أبيه قال : كان الأُقيشر لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين في كِراء بغل إلى الحِيرة ، ودرهمين للشراب ، ودرهماً للطعام . وكان له جارٌ يكنى أبا المَضاء له بغلٌ يُكْريه ، وكان يُعطيه درهمين ويأخذ بغلَه فيركبه إلى الحيرةِ ، حتى يأتي بيت الخمّار فينزل عنده ويَرْبِطُه بلِجامه وسَرْجه ، فيقال إنّه أعطى ثمنَه في الكِراء ، ثم يجلس فيشرَب حتى يُمْسي ، ثم يركبه وينصرِف . فقال في ذلك : [من الكامل]

يـا بَغْلُ بَغْلَ أبي المَضاء تَعَلَّمَنْ　　أنّـي حلفـتُ ولليمـين نُذُورُ
لَتُعَسِّفَنَّ وإن كَرِهْـتَ مَهامِهـاً　　فيمـا أُحِـبّ وكلٌّ ذاك يسيرُ[1]
بالرغْمِ يـا ولـدَ الحمارِ قطعتَها　　عمـداً وأنـت مُذَلَّـلٌ مصبورُ
حتـى تـزور مُسَمِّعـاً في داره　　وترى المُدامـةَ بالأكُـفّ تدورُ
لا يَرفعـون بمـا يسوءك نَعْرةً　　وإذا سَخِطْتَ فخَطْبُ ذاك صغيرُ

[خدعته امرأة بأنّها أمّ حنين الخمار]

قال : فأتى يوماً من الأيّام بيت الخمّار الذي كان يأتيه فلم يُصادفه فجعل ينتظره ، ودخلتِ الدار امرأةٌ عِباديّة[2] ، فقال لها : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى في حاجةٍ وأنا امرأته ، فما تُريد ؟ قال : نبيذاً . قالت بكَمْ ؟ قال : بدرهمين . قالت : هَلُمَّ دِرْهَمَيْك وانتظِرْني . قال لا . قالت : فذلك إليك ، ومضتْ وتبِعها ، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته . فلمّا طال جلوسه خرج إليه بعضُ أهل الدار ، قالوا : وما يُجلِسُك ؟ فأخبرهم . فقالوا له : تلك امرأة محتالة يقال لها أُمّ حُنَيْنٍ من العباديّين . فعلِم أنّه قد خُدِع ، فانصرف إلى خَمّاره فأخبره بالقصّة وقال له : أنْسِئْني اليوم[3] فاسْقِني ففعل . وأنشأ الأُقيشر يقول : [من الخفيف]

لم يُغَـرَّرْ بذاتِ خُفٍّ سِوانا　　بعد أُخـت العِبـادِ أُمِّ حُنَيْنِ
وَعَدتْنـا بدِرهمَـين نبيـذاً　　أو طِـلاءً مُعَجَّـلاً غيرَ دَيْنِ

1 عسف المفازة : أي قطعها بغير قصد ولا هداية .
2 عبادية : نسبة إلى العباد وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .
3 الإنساء والنسيء : التأخير في الدين وفي العمر .

ثم ألـوتْ بالدرهمين جميعاً　　يـا لَقَوْمِي لِضَيْعةِ الدرهمينِ

وذكر هذا الخبرَ عبدُ الله بن خَلَفٍ عن أبي عمرو الشَّيبانيّ وزاد فيه : أنّ الخمّار كان يسمّى بحُنَيْنٍ ، وأنّ المرأة المحتالة قالت له : إنّها أمّ حُنَيْنٍ الخمّارِ الذي كان يُعامله حتى أخذتِ الدرهمين ثم هربتْ منه ، وذكر الأبياتَ الثلاثةَ التي تقدّمتْ ، وبعدها : [من الخفيف]

عاهدتْ زوجَها وقد قال إنّي　　سوف أغـدُو لحاجتي ولدَيْنِي

فدَعَتْ كالحِصانِ أبيضَ جَلْداً　　وافـرَ الأيـرِ مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ

قال ما أجْرُ ذا هُدِيتِ فقالت　　سوف أُعطيك أجْـرَه مرَّتينِ

فأبـدإ الآنَ بالسِّفـاحِ فلمّا　　سافحتْـه أرْضَتْـه بالأُخْرَيَيْنِ

تَلَّهـا للجَبـينِ ثُـمّ امتطاها　　عالِـمُ الأيْـرِ أفْحَجُ الحالبينِ[1]

بينما ذاك منهما وهـي تحوِي　　ظهـرَه بالبَنـانِ والمِعْصَمَيْنِ

جاءها زَوْجُها وقد شام فيها　　ذا انتصابٍ مُوَثَّقَ الأخْدَعَيْنِ[2]

فتأسَّى وقال وَيْـلٌ طويـلٌ　　لِحُنَيْنٍ مـن عـارِ أُمِّ حُنَيْنِ

قال : فجاء حُنَيْنٌ الخمّار فقال له : يا هذا ما أردتَ بهجائي وهجاء أُمّي ؟! . قال : أخذتَ منّي درهمين ولم تُعْطِني شَراباً . قال : والله ما تعرِفك أُمّي ولا أُخذتْ منك شيئاً قطُّ ، فانظُرْ إلى أُمّي فإن كانت هي صاحبتَك غَرِمْتُ لك الدرهمين . قال : لا والله ما أعرف غيرَ أُمِّ حنين ، ما قالت لي إلاّ ذلك ، ولا أُهجو إلاّ أُمَّ حُنَيْن وابنها ، فإن كانت أُمَّك فإيّاها أعْني . وإن كانت أُمَّ حُنَينٍ أُخرى فإيّاها أُعني . فقال : إذاً لا يفرِّق الناسُ بينهما . قال : فما عَلَيَّ إذاً ! أترى دِرْهَمَيَّ يَضيعانِ ! فقال له : هَلُمَّ إذاً أغرمْهما لك وأَقِمْ ما تحتاج إليه ، لا باركَ الله لك ؛ ففعل .

[استكتبه العريان بن الهيثم من ملحه]

قال عبد الله وحدّثني أبو عمرو قال : كان العُريان بن الهيثم النَّخَعيّ صديقاً للأُقيشر ، فقال له : يا أُقيشر إنّي أُريد أن أمتدَّ إلى الشام فأَكْتِبْنِي[3] من مُلَحِكَ فأكْتُبه . فخرج إلى الشام فأصاب مالاً ، فبعث إلى الأُقَيْشِرِ بخمسين درهماً ، ففعل وقال : هاتِ . قال المولى : على أن تهجوَه إذ وَضَع منك ؟ قال نعم ، فأعطاه خمسين درهماً . وقال الأُقيشِر : [من الكامل]

وسأَلتَني يـومَ الرَّحيـلِ قصائداً　　فَمَلأْتُهُـنَّ قصائـداً وكِتابا

1 تلها للجبين : صرعها . أفحج الحالبين : متباعد ما بينها .
2 الأخدعان : عرقان في جانبي العنق .
3 الإكتاب : الإملاء .

إنّي صَدَقتُكَ إذ وجدتُك صادقاً ... وكَذَبْتِنِي فوجدتَني كذّابا
وفتحتُ باباً للخيانةِ عامداً ... لَمّا فتحتَ من الخِيانةِ بابا

وكان أبو العُريان على الشُّرطة ، فخافه الأُقيشر من هجاء ابنه . وبلَغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكَفَّ عن ابنه وألاّ يُشهِّره ، فأخذها وفعل .

[يهجو رجلاً من حضرموت]

قال أبو عمرو : وخطَب رجلٌ من حَضرموت امرأةً من بني أسدٍ ، فأقبل يسأل عنها وعن حَسَبها وأمَّهاتها ، حتى جاء الأُقيشر فسأله عنها . فقال له : مِن [أيْن] أنت ؟ قال : من حَضْرَمَوتَ . فأنشأ يقول : [من الرمل]

حَضْرَمَوْتٌ فَتَّشَتْ أحسابَنا ... وإلينا حَضْرَمَوْتٌ تَنْتَسِبْ
إخوةُ القِرْدِ وهم أعمامُه ... بَرِئتْ منكم إلى الله العَرَبْ

[يقول لعمته إمّا الصلاة أو الوضوء]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ قال قال أبو طالب الشاعر حدَّثني رجلٌ من بني أَسَدٍ قال : سَمِعتُ عَمّةَ الأُقَيشِرِ تقول له يوماً : اتّقِ الله وقُمْ فصَلِّ ، فقال : لا أُصَلّي . فأكثرت عليه ، فقال : قد أبْرَمْتِني ، فاختاري خَصْلةً من خَصْلتَيْنِ : إمّا أنْ أُصلّي ولا أتطهّر ، وإمّا أن أتطهَّر ولا أُصلّي . قالت : قَبَحك الله ! فإن لم يكن غيرُ هذا فصَلِّ بلا وضوء .

[خاف شرطياً فسقاه من ثقب الباب]

قال أبو أيُّوب : وحُدِّثت أنّه شرِب يوماً في بيت خَمَّار بالحِيرة ، فجاء شُرَطِيٌّ من شُرَطِ الأمير ليدخل عليه ، فغلّق الباب دونه . فناداه الشُّرَطِيّ اسْقني نبيذاً وأنت آمِنٌ . فقال : والله ما آمَنُك ، ولكن هذا ثَقْبٌ في الباب فاجلِس عنده وأنا أَسقيك منه ، ثم وضع له أُنبوباً من قَصَبٍ في الثَّقْب وصَبّ فيه نبيذاً من داخل والشرطيّ يشرَب من خارج الباب حتّى سكِر . فقال الأُقيشر : [من الرمل]

سأَل الشُّرْطِيُّ أن نَسْقِيَه ... فَسَقيناه بأنبوب القَصَبْ
إنّما نشرَب من أموالنا ... فسَلُوا الشُّرطِيَّ ما هذا الغضبْ

[أعطاه قيس بن محمد مالاً مراراً ثم منعه فهجاه]

أخبرني عَمّي عن الكُرانيّ عن قَعْنَبِ بن المُحْرِز ، وحدَّثنا محمد بن خَلَف عن أبي أيّوب المدينيّ عن قَعْنَب بن الهَيثَم بن عَدِيّ قال : كان قيس بن محمد بن الأشعث ضريرَ البصر ، فأتاه الأُقَيشِر فسأله ، فأمَر قَهْرَمانَه[1] فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أُريدها جملةً ، ولكن مُرِ القَهْرَمانَ أن

1 القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

يُعْطِيني في كلِّ يومٍ ثلاثةَ دراهمَ حتى تَنْفَد . فكان يأخذها منه ، فيجعل درهماً لطعامه ، ودرهماً لشرابه ، ودرهماً لدابّة تحمله إلى بيوت الخمّارين . فلمّا نفِدت الدراهم أتاه الثانيةَ فسأله فأعطاه وفعل مثل ذلك ، وأتاه الثالثةَ فأعطاه وفعل مثلَ ذلك ، وأتاه الرابعةَ فسأله . فقال له قَيْسٌ : لا أبا لَكَ ! كأنّك قد جعلتَ هذا خَراجاً علينا . فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

ألَم تَـرَ قَيْسَ الأَكْمَهَ ابنَ محمد ... يقـول ولا تلقـاه للخيرِ يَفْعَلُ
رأيتُك أعمى العَيْنِ والقلبِ مُمْسِكاً ... وما خيرُ أعمى العينِ والقلب يبخَلُ
فلـو صَمَّ تَمَّتْ لَعْنـةُ الله كلُّها ... عليه ومـا فيـه من الشرِّ أفضلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأُقَيْشِرِ لنجوتُ منه .

[كان سكران فحكموه في الصحابة فقال شعراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ عن العَنزيِّ عن محمد بن معاوية قال : اختصم قومٌ بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، فقالوا : نجعَل بيننا أوّلَ مَن يَطْلُع علينا . فطلَع الأُقيشرِ عليهم وهو سكرانُ . فقال بعضهم لبعض : انظروا مَن حَكَمُنا . فقالوا : يا أبا مُعرِضٍ قد حَكَّمناك . قال : فيماذا ؟ فأخبروه . فمكث ساعةً ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

إذا صَلَّيـتُ خمساً كلَّ يـومٍ ... فـإنّ الله يغفِـر لي فسُوقي
ولم أُشْرِك بـربّ الناس شيئاً ... فقد أمسكتُ بالحَبْـلِ الوثيقِ
وهذا الحـقُّ ليس بـه خَفاءٌ ... ودَعْني مـن بُنَيّات الطَّريقِ[1]

[مدح غريب لمجوسيّ أعطاه مهر زوجته]

قال محمد بن معاوية : وتزوّج الأقيشر ابنةَ عَمٍّ له يقال لها الرّباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال على عشرة آلاف درهم ، فأتى قومه فسألهم فلم يُعطوه شيئاً ؛ فأتى ابن رأسِ البَغْل وهو دُهقان الصِّين وكان مجوسيّاً ، فسأله فأعطاه الصَّداقَ . فقال الأُقيشر : [من المتقارب]

كفاني المَجوسيّ مَهْرَ الرّبابِ ... فِـدًى للمجوسيِّ خالي وعمّ
شَهِدتُ بأنّك رَطْبُ المُشاشِ ... وأنّ أبـاك الجوادُ الخِضَمّ[2]
وأنّك سيِّـدُ أهـلِ الجحيمِ ... إذا مـا تَرَدَّيتَ فيمـن ظَلَمْ
تُجـاوِرُ قـارونَ في قَعْرِهـا ... وفِرْعَـوْنَ والمُكْتَنـى بالحَكَمْ

1 بنيات الطريق : الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الأعظم . وهي مثل : أي عليك بمعظم الأمر ودع الروغان مجمع الأمثال للميداني 473/1 .

2 فلان لين المشاش : إذا كان طيب النّحيزة عفيفاً عن الطّمع .

فقال له المجوسيّ : وَيْحَك ! سألتَ قومَكَ فلم يُعطوك وجئتني فأعطيتُك ، فجزَيتني ، هذا القولَ ولم أُفْلِتْ من شِعْرِك وشَرِّك ! قال : أوَ ما ترضى أنْ جعلتك مع الملوك وفوق أبي جَهْلٍ ! .

[ذهب إلى عكرمة بن ربعيّ فلم يعطه فهجاه]

ثم جاء إلى عِكْرِمة بن رِبْعيٍّ التميميّ فلم يُعْطِه ، فقال فيه : [من المتقارب]

سألتُ رَبيعةَ مَنْ شَرُّها ... أباً ثم أُمّاً فقالوا لِمَهْ

فقلتُ لأَعْلَمَ مَنْ شَرُّكُمْ ... وأجعلَ بالسبِّ فيه سِمَهْ

فقالوا لِعكْرِمةَ المُخْزِياتُ ... وما ذا يرى الناسُ في عِكْرِمَهْ

فإنْ يَكُ عبداً زَكا مالُه ... فما غيرُ ذا فيه من مَكْرُمَهْ

[شرب بما معه وبثيابه]

قال ابن الكلبيّ : وشرب الأُقيشر في حانة[1] خَمّار حتى أنفَد ما معه ، ثم شرب بثيابه حتى غَلِقتْ[2] فلم يَبْقَ عليه شيء ، وجلس في تِبْنٍ إلى جانب البيتِ إلى حَلْقِه مستدفئاً به . فمرّ رجلٌ به يَنْشُد ضالّةً ، فقال : اللهمَّ اردُدْ عليه واحفَظ علينا . فقال له الخمّار : ثَخِنتْ عينُك ؛ أيّ شيء يحفَظ عليك ربّك ؟ قال : هذا التِّبن لا تأخذه فأموتُ من البَرْد . فضحِك الخمّار وردّ عليه ثيابَه وقال : اذهَبْ فاطلُبْ ما تشرب به ، ولا تجئني بثيابك فإنّي لا أشتريها بعد ذلك .

[حواره مع شرطي وهو سكران]

قال ابن الكلبيّ : واجتاز الأُقَيْشِر برجلٍ يقال له هِشامٌ وكان على شُرْطَةِ عمرو بن حُرَيْث وهو سكرانُ ، فدعا به فقال له : أنت سكران ؟ قال لا . قال : فما هذه الرائحة ؟ قال : أكلتُ سَفَرْجَلاً ، ثم قال : [من الطويل]

يقولون لي انْكَهْ شَرِبتَ مُدامةً ... فقلت كذبتمْ بل أكلتُ سفرجلا[3]

فضحك منه ثم قال : فإنْ لم تكن سكرانَ فأخبرني كم تصلّي في كلّ يوم . فقال : [من الوافر]

يسائلني هشامٌ عن صلاتي ... صلاةِ المسلمين فقلتُ خمسُ

صلاةُ العصرِ والأولى ثَمانٍ ... مُواترةٌ فما فيهنّ لَبْسُ

وعند مَغيبِ قَرْنِ الشمس وِترٌ ... وشَفْعٌ بعدها فيهنّ حَبسُ

وغُدْوةَ اثنتانِ معاً جميعاً ... ولّما تبدُ للرائين شَمْسُ

---

1 ل : حانوت .

2 الغلق هنا : ضد الفك .

3 نكه فلان : أخرج نفسه إلى أنف آخر ، ونكهه واستنكهه : شم ريح فمه .

وبعدهمـــا لوقتهمـــا صَلاةٌ لِنُسْكٍ بـالضَّحاء إذا نَبَسُّ[1]
أأحصيتُ الصلاةَ أيـا هشاماً فذاك مُكَدَّرُ الأَخلاقِ جِبْسُ[2]
تَعَــوَّد أن يُلامَ فليس يوماً بحامـــده مـــنَ الأقوامِ إنْسُ

قال : فضحِك هشام وقال : بلى قد أخبرتَنا يا أَبا مُعْرِض ، فانصرِفْ راشداً .

[استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أبي عبيدة قال : قدِم رجلٌ من بني سَلُول على قُتيبة بن مُسْلمٍ بكتاب عامِله على الريّ وهو المُعَلَّى بن عمرو المُحاربيّ . فرآه على الباب قُدامةُ بن جَعْدَةَ بن هُبيرة المخزوميّ وكان صديقاً لقُتَيبة ، فدخل عليه فقال له : ببابِك أَلأمُ العرب ، سَلُوليٌّ رسولُ مُحارِبيٍّ إلى باهليٍّ . فتبسَّم قتيبةُ تبسُّماً فيه غيظٌ . وكان قدامة بن جعدة يُتَّهم بشرب الخمر ، وكان الأُقيشر يُنادمه . فقال قتيبة : ادعوا لي مِرداس بن جُذامٍ الأَسديّ فدُعِي . فقال له : أنشِدني ما قال الأُقيشر في قُدامة بن جعدة وهو بالحيرة . فأَنشده [قوله] :

رُبَّ نَدْمـانٍ كريـــمٍ ماجدٍ سَيِّدِ الجَدَّيْنِ من فَرْعَيْ مُضَرْ
قد سَقَيْتُ الكأسَ حتى هَرَّها لم يُخالِطْ صَفْوَها منه كَدَرْ[3]
قلتُ قُـــمْ صَلِّ فصلَّى قاعداً تتغشّاه سماديـــرُ السَّكَـــرْ[4]
قَرنَ الظُّهـرَ مـــع العصر كما تُقْرَنُ الحِقَّـــةُ بالحِـقِّ الذَّكَرْ[5]
تَـــرَكَ الفجرَ فمـــا يَقْرَؤُها وقـرا الكَوثَرَ مـن بينِ السُّوَرْ

قال : فتغيَّر لونُ وجهِ القُرَشيّ وخجِل . فقال له قتيبة : هذه بتلك ، والبادىء أظلم[6] .

[استنشده عبد الملك أبياته في الخمر]

أَخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحَرُون قال حدَّثنا الكَسْرَويّ عن الأصمعيّ قال : قال عبد الملك للأُقيشر : أَنشِدْني أبياتَك في الخمر ، فأنشده قولَه : [من الطويل]

تُرِيك القَذى من دونها وهي دونه لِوَجْـــهِ أخيها في الإناء قُطوبُ

1 نبسّ : من معانيها دعوة الناقة للحلب ، ومنها ما يفيد العمل ، ومنها صوت الزجر للدابة للسّوق . أو عند سوق الغنم إلى الماء .
2 الجبس : الجامد الثقيل الروح ، والفاسق ، والجبان ، واللئيم .
3 هرها : كرهها .
4 السمادير هنا : شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر ، جمع سمدور .
5 الحقة من الإبل : الداخلة في السنة الرابعة .
6 مثل ورد في مجمع الأمثال 496/3 «هذه بكل والبادي أظلم ، قاله الفرزدق حين سمع إجابة جرير على هجائه له قاله أوّلاً .

كُمَيْتٌ إذا فُضَّتْ وفي الكأسِ وَرْدَةٌ لهـا في عِظـام الشاربين دبيبُ

فقال له : أحسنتَ يا أبا مُعْرِضٍ ؛ ولقد أجدتَ وصفَها ، وأظنّك قد شَرِبتها . فقال : والله يا أمير المؤمنين إنّه لَيَريبني منك مَعْرِفتُك بهذا .

[قصة له مع بعض ندمائه في حانة]

أخبرني الحسن بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن ابن الكلبيّ عن رجلٍ من الأَزْد قال : كان الأُقيشر يأتي إخواناً له يسألهم فيُعطونه ، فأتى رجلاً منهم فأمر له بخمسمائة درهم ، فأخذها وتوجّه إلى الحانةِ ودفعها إلى صاحبها وقال له : أَقِمْ لِي ما أحتاج إليه ففعل ذلك ، وانضمّ إليه رُفَقاء له ، فلَم يَزَلْ معهم حتى نَفِدتِ الدّراهم ، فأتاهم بعد إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم من غدٍ فاحتملوه ، فلمّا أتاهـم في اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيدٍ فقالوا لصاحب الحانـة : أصعِدْنا إلى غُرْفتك هذه وأعْلِم الأُقَيشر انا لم نـأتِ اليومَ . فلمّـا جاء الأُقيشر أعلمه ما قالوه له . فعلِم الأُقيشر أنّه لا فَرَج له عند صاحب الحانة إلاّ برَهْنٍ ، فطرح إليه ثيابه وقال له : أَقِمْ لي ما أحتاج إليه ففعل . فلمّا أخذ فيه الشرابُ أنشأ يقول : [من الخفيف]

يـا خليلَـيَّ اسْقِيانِيَ كاسا ثـم كأساً حتّى أخِـرَّ نُعاسا
إنّ في الغُرْفةِ التي فوق رأسي لأُناسـاً يخادِعـون أُناسا
يشرّبون المُعَتَّقَ الرّاحَ صِرْفـاً ثـمّ لا يَرفعـون بالزَّوْرِ راسا

فلمّا سمع أصحابه هذا الشعر فَدَّوه بآبائهم وأُمّهاتهم ثم قالوا له : إمّا أن تصعدَ إلينا أو ننزلَ إليك ، فصعِد إليهم .

[قصته مع عمّه بعدما أعطاه بشر بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليٍّ عن ابن مَهرويَه قال حدَّثني أبو مُسلم المُستَمْلي عن المدائنيّ قال : مدح الأُقيشر بِشْرَ بن مَروان ودخل إليه فأنشده القصيدة وعنده أيمَنُ بن خُرَيم بن فاتك الأسديُّ ، فقال أيْمَنُ : هذا والله كلامٌ حَسَنٌ من جَوفٍ خَرِبٍ . فأجابه بالبيت المذكور . وقال أبو عمرو أيضاً في خبره : فلمّا صار الأُقيشر إلى منزله بعث عمُّه فأخذ منه الألفَ الدِّرْهَمِ وقال : والله لأُخَلِّيك تُفْسِدها وتشرَب بها الخمر . قال : فتصنع بها ماذا ؟ قال : أكسوك واكسو عِيالَك وأُعِدُّ لك قوتَ عامك . فتركه ودخل على بشر فقال له : [من الطويل]

أَبلِغْ أبـا مَـرْوانَ أنّ عطاءه أُزاغَ بـه مَنْ ليس لِي بعِيالِ

قال : ومَن ذلك ؟ فأخبره الخبر . فأمر صاحبَ شُرطته أن يُحضر عمَّه وينتزع منه الألفَ الدرهم ويسلِّمها إليه ، وقال : خُذْها ونحن نقوم لعيالك بما يُصلحهم .

[مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به]

أخبرني هاشم بن محمد بن أبي غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال : مرّ الأُقيشر بخَمّارة بالحِيرة

يقال لها دَومةُ ، فنزل عندها فاشترى منها نبيذاً ، ثم قال لها جَوِّدي لي الشراب حتى أُجيد لكِ المَدح ففعلتْ . فأنشأ يقول : [من الوافر]

أَلا يـا دَوْم دامَ لكِ النَّعِيمُ وأَسْمَرُ مِـلْءُ كَفِّكِ مستقيمُ
شديـدُ الاسْرِ يَنْبِض حالبـاه يُحَـمُّ كأنّـه رجـلٌ سقيمُ[1]
يُرَوِّيـــه الشرابُ فيَزْدَهِيـهِ ويَنْفُخُ فيـه شيطـانٌ رجيمُ

قال : فسُرّت به الخمّارة وقالت : ما قِيل فيَّ أحسن من هذا ولا أَسَرُّ لي منه .

[مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبَاية قال : كان فاتك بن فَضالة بن شَريكٍ الأسدِيُّ كريمـاً على بني أُميّة ، وهو الوافدُ على عبد الملك بن مَروان قبل أن يَنهض إلى حرب ابن الزُّبير ، فضَمِن له على أهل العراق طاعتَهم وتسليمَ بلادِهم إليه ، وأن يُسْلِموا مُصْعباً إذا لقيه ويتفرّقوا عنه . وله يقول الأُقَيشِر في هذه الوِفادة : [من الكامل]

وَفَد الوفودُ فكنتَ أفضلَ وافدٍ يا فاتِكُ بنَ فَضالةَ بنِ شَرِيكِ

[انكسر المنبر من تحت الوالي التميمي فهجا قومه]

أخبرني عليّ بن سُليمان الأخفش عن السُّكَّريّ قال حدَّثني ابن حبيب قال : وَلِيَ الكوفةَ رجلٌ من بني تميم يقال له مَطَرٌ[2] ؛ فلمّا عَلا المِنبَر انكسرت الدَّرجةُ من تحته فسقط عنها ؛ فقال الأُقيشر : [من الكامل]

أَبني تَميمٍ مـا لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ مـا يَستقِرّ قـرارُه يَتَمَرْمَرُ[3]
إنَّ المنابـرَ أَنكرتْ أَستاهَكم فادعُـوا خُزَيمـةَ يَسْتقِرَّ المنبرُ

[يتهاجى مع قريظة بن قرظة]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : مرّ رجلٌ من مُحارِبٍ يقال له قُرَيظة بن يَقَظة بالأُقيشر الأَسَديّ وهو في مجلسٍ من مجالس بني أَسَد ، فسلَّم على الأُقيشر وكان به عارفاً . فقال له القوم : مَن هذا يا أبا مُعْرِض ؟ وكان مخموراً ، فقال : [من الطويل]

ومَنْ لي بأنْ أَسطيعَ أن أذكرَ اسْمَه وأَعْيا عِقالاً أن يُطِيقَ لـه ذِكرا

قال : فضحِك القومُ وقالوا : سبحانَ الله ؛ أيُّ شيء تقول ؟ فقال : اسمُه ونَسَبُه أعظمُ من

---

1 الأسر : شدّة الخلق .

2 وهو مطر بن ناجية اليربوعي ، كان غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشاري وقد ورد هذا الاسم في شعر للأقيشر ، الشعر والشعراء : 560/2 . انظر ديوانه ص 71 رقم 23 .

3 ديوانه ص 71 رقم 23 وفي الشعر والشعراء 560/2 : لا يستقرُّ قُعوده يتمرمر . ويتمرمر : يهتز ويضطرب .

أن أقدِر على ذكرهما في يوم ، فإنْ شئتُمْ سَميته اليومَ ونسبتُه غداً ، وإنْ شئتُمْ نسبتُه اليوم وسَمَّيته غداً . قالوا : هاتِ اسْمَه اليومَ . فقال : قُرَيظة . فقال رجل منهم : ينبغي أن يكونَ ابن يَقَظَةَ . فقال الأُقيشر : صدقتَ والله وأصبتَ ، ولقد أثقلني اسمُه حين ذكرتَه أن أقول نَعَمْ .

فبلغ قريظةَ قولُه وكان شاعراً فقال : [من الطويل]

لِسانُك من سُكْرٍ ثقيلٌ عن التُّقى ... ولكنّــه بالمُخزِيــاتِ طليقُ
وأنتَ حَقيقٌ يـا أُقَيْشِرُ أن تُرى ... كذاك إذا مـا كنـتَ غيرَ مُفِيقِ[1]
تَسَفُّ مـن الصهباء صِرفاً تَخالُها ... جَنى النَّحلِ يُهْدِيـه إليكَ صديقُ

فبلغ الأُقَيْشِرِ قولُ المُحاربيّ وكان يُكْنى أبا الذيّال ، فأجابه فقال : [من الطويل]

عَدِمْـتُ أبا الذيَّالِ من ذِي نَوالةٍ ... لــه في بيـوتِ العاهراتِ طريقُ
أبِالخَمْرِ عَيَّرْتَ امْرءاً ليس مُقْلِعاً ... وذلك رأيٌ لــو عَلِمْـتَ وثيقُ
سأشرَبُها ما دُمْتُ حيّاً وإن أمُتْ ... ففــي النَّفسِ منهـا زَفرةٌ وشهيقُ

[أعجب الرشيد بشعره في التوبة]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : بلغني أنّ الرشيدَ سمع ليلةً رجلاً يغنّـي[2] : [من البسيط]

إنْ كانتِ الخمرُ قد عَزَّتْ وقد مُنِعتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقــد أُباكِرُهــا صِرْفاً وأَشْرَبُها ... أَشْفــي بها غُلّتي صِرفاً وأَمْتَزِجُ[3]
وقــد تقــومُ على رأسي مُغَنِّيـةٌ ... لهــا إذا رَجَّعَتْ في صوتها غُنُجُ
وترفَــع الصوتَ أحياناً وتَخفِضُه ... كما يَطِنّ ذُبــابُ الرَّوْضةِ الهَزِجُ

قال : فوجَّه في أثر الصوت مَن جاءه بالرجل وهو يُرْعَد ، فقال : لا تُرَعْ فإنّما أعجبني حُسْنُ صوتِك . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما تغنَّيت بهذا الشعر إلاّ وأنا قد تُبْتُ من شرب النبيذ ، وهذا شعرٌ يقوله الأُقَيْشِرِ في تَوبته من النبيذ . فقال له الرشيد : وما حَمَلَكَ على تركه ؟ قال : خَشْيةُ الله . وإنّي فيه يا أمير المؤمنين كما قال زيدُ بن ظَبْيان : [من البسيط]

جــاءوا بقاقُــزَّةٍ صَفْراءَ مُتْرَعــةٍ ... هل بين ذِي كبرةٍ والخمرِ من نَسَبِ[4]

---

1 في هذا البيت إقواء .

2 ديوانه ص 58 رقم 12 عن الأغاني .

3 في ديوان أبي محجن :
فقــد أباكرهــا ريّا وأشربهــا ... صرفاً وأطرب أحياناً فأمتزج

4 القاقُزَّة : الصغيرة من القوارير .

بئس الشَّرابُ شراباً حين تَشْرَبُه ... يُوهِي العِظامَ وطوراً مُفْتِرُ العَصَبِ
إنِّي أخافُ مَلِيكي أنْ يُعَذِّبَني ... وفي العشيرةِ أن يُزري على حَسَبي

فقال له الرشيد : أنتَ وما اخترتَ أعلَمُ ، فأعِدِ الصوتَ ، فأعادَه . وأمر بإحضار المغنِّين واستعادَه ، وأمرَهم بأخْذِهِ عنه فأخذوه ، ووصَله وانصرَف ، وكان صوتَ الرّشيد أيّاماً . هكذا ذكر إسماعيل بن يونُس عن عُمَر بن شَبَّة في هذا الخبر أنّ الأبيات للأُقيشر ، ووجدتُها في شعر أبي مِحْجَنٍ الثَّقفيّ له لمّا تاب من الشراب .

[خرج لغزو الشام فأنفق ثمن حماره في الفجور]

أخبرني عليُّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيدٍ عن محمد بن حبيب قال : كان القُباعُ ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، قد أخرج الأُقَيْشِرَ مع قومه لقتال أهل الشام ، ولم يكن عند الأُقيشر فرسٌ فخرج على حمارٍ ، فلمّا عبرَ جسْرَ سُورا[1] فوصل لقريةٍ يقال لها قنّين تَوارى عند خمّارٍ نَبَطِيٍّ يُبْرِز زوجتَه للفُجور ، فباع حِمارَه وجعل يُنفقه هناك ويشرَب بثَمنه ويفجُر إلى أن قفَلَ الجيش ، وقال في ذلك : [من الطويل]

خرجتُ من المِصْرِ الحَوارِيِّ أهلُه ... بلا نَدْبَةٍ فيها احتسابٌ ولا جُعْلِ
إلى جَيْشِ أهلِ الشّامِ أُغزيتُ كارهاً ... سَفاهاً بلا سيفٍ حديد ولا نَبْلِ[2]
ولكنْ بِتُرْسٍ ليس فيه حِمالةٌ ... ورُمحٍ ضَعيفِ الزُّجِّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ
حَباني به ظُلْمُ القُباعِ ولم أجِدْ ... سوى أمرِه والسَّيرِ شيئاً من الفِعْلِ
فأزمعتُ أمْري ثم أصبحتُ غازياً ... وسَلّمتُ تسليمَ الغُزاةِ على أهلي
وقلتُ لَعَلِّي أنْ أرى ثَمَّ راكباً ... على فرس أو ذا مَتاعٍ على بَغلِ
جَوادِي حمارٌ كان حيناً لِظَهْرِهِ ... إكافٌ وإشناق المَزادةِ والحبلِ
وقد خان عينيه بياضٌ وخانَه ... قوائمُ سَوْءٍ حين يُزْجَرُ في الوَحْلِ
إذا ما انتَحى في الماءِ والوَحْلِ لم تَرِمْ ... قوائمُه حتّى يُؤَخَّرَ بالحِمْلِ
أُنادِي الرِّفاقَ بارَكَ اللهُ فيكمُ ... رُوَيْدَكُمُ حتّى أجوزَ إلى السَّهْلِ
فسِرْنا إلى قنّين يوماً وليلةً ... كأنّا بَغايا ما يَسِرْنَ إلى بَعْلِ
إذا ما نزلنا لم نَجِدْ ظِلَّ ساحةٍ ... سوى يابس الأنهارِ أو سَعَفِ النَّخْلِ

---

1 سورا : قرية بالعراق من أرض بابل ، وقد نسبوا إليها الخمر . وسوراء : موضع قرب بغداد ، وقيل هو بغداد نفسها .

2 أغزاه : حمله على الغزو .

مَرَرْنـا على سُوراءَ نَسْمَع جَسْرَها ... يَئطّ نَقِيضاً عن سفائنِـهِ الفضلِ[1]
فلمّا بـدا جسرُ السَّراةِ وأعرضت ... لنا سوقُ فُرَّاغِ الحديثِ إلى شُغُلِ
نزلنـا إلى ظِـلٍّ ظليـلٍ وباءةٍ ... حَلالٍ برغم القلطمان وما نفلِ[2]
يُشارِطُه مَـنْ شاء كان بدرهمٍ ... عَرُوساً بما بـين السَّبيئة والنَّسْلِ
فأتبعتُ رُمْـحَ السَّوْءِ سمية نصله ... وبِعْتُ حماري واسترحتُ من الثِّقْلِ
تقول ظبايـا قـل قليلاً ألا ليا ... فقلتُ لها إصوى فإنّي على رِسْلِ
مهـرت لهـا جرديقة فتركتُها ... بمرها كطَرْفِ العينِ شائلةَ الرِّجْلِ

وممّا يُغَنَّى فيه من شِعر الأُقَيْشِر : [من البسيط]

صوت

لا أَشْرَبَـنْ أبـداً راحاً مُسارَقَةً ... إلاّ مـع الغُـرّ أبنـاء البَطارِيقِ
أَفنى تِلادِي وما جَمَّعتُ من نَشَبٍ ... قَـرْعُ القَواقيزِ أفـواهُ الأباريقِ[3]

الغناء لِحُنَينٍ هزجٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعمر الواديّ رملٌ بالبنصر عن لهشاميّ . وفيه ثقيلٌ أوّل يُنسَب إلى حُنَينٍ وعُمَر وحَكَمٍ جميعاً . وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأُقيشر طويلةٍ ، أوّلُها : [من البسيط]

إنِّي يذكّـرني هنـداً وجارتَها ... بالطَّفُّ صوتُ حَمامات على نيقِ[4]

صوت

[من الوافر]

دَعـاني دَعْوةً والخيلُ تَرْدِي ... فـلا أَدرِي أَباسْمِي أَمْ كَناني
وكانَ إجابَتـي إيَّـاهُ أنِّي ... عَطَفْـتُ عليـه خَـوَّارَ العِنانِ

الشعر لابن الغَرِيزَة النَّهْشَلِيّ . والغناء ليحيى المكّيّ رملٌ بالوسطى عن الهشاميّ . وقد جعل المُغنُّون معه هذا البيتَ ولم أَجِدْه في قصيدته ، ولا أدري أَهُوَ له أم لغيره : [من الوافر]

أَلا يـا مَن لِذا البَرْقِ اليَماني ... يلـوحُ كأنّه مِصْبـاحُ بانِ[5]

---

1 يئط : يصوّت . والنقيض : الصّوت .
2 الباءة : النكاح .
3 التلاد : المال القديم من تراث وغيره . والنشب : المال الثابت كالدار ونحوها . أو هو المال الأصيل من الناطق والصامت . القواقيز : ضرب من الرّواطيم وهو الكؤوس الصغيرة .
4 الطف : موضع بناحية الكوفة . النيق : حرف من حروف الجبل ، وأرفع موضع فيه .
5 الباني هنا : الداخل بأهله . وكأنه مصباح بانٍ مثل : يضرب فيما يبقى ليله ولا يزول .

[190] ـ أخبار ابن الغريزة ونسبه

[نسبه]

كَثِيرُ بن الغَريزة التميميُّ أَحدُ بني نَهشلٍ . والغَريزةُ أُمّه . وهو مخضرمٌ ، أَدرك الجاهليّة والإسلام ، وقال الشعرَ فيهما . وهذا الشعر يقوله ابنُ الغَريزة في غَزاةٍ غزاها الأَقْرَعُ بن حابسٍ وأَخوه بالطَّالَقانِ[1] وجُوزَجانَ[2] وتلك البلادِ ، فأُصيبَ من أصحابه قومٌ بالطَّالَقانِ فرثاهم ابنُ الغَريزة .

[قصيدته التي يرثى فيها قتلى يوم الطالقان]

أَخبرني الصُّوليّ عن الحَزَنْبَلِ عن ابن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه قال : بعثَ عُمَر بن الخطّاب الأَقْرَع بن حابسٍ وأَخاه على جيشٍ إلى الطَّالَقان وجُوزَجان وتلك البلادِ ، فأُصيب من أصحابه قومٌ بالطّالقان ، فقال ابن الغَريزة النَّهْشليّ وقد شهِد تلك الوَقعة يَرثيهم ويذكر ذلك اليوم : [من الوافر]

سَقى مُزْنُ السَّحابِ إذا اسْتهلّتْ ... مَصارِعَ فِتيةٍ بالجُوزَجانِ
إلى القَصْرَيْنِ من رُسْتاق خُوطٍ ... أَبادَهُمُ هناكَ الأَقْرَعانِ[3]
وما بي أَنْ أَكونَ جَزِعْتُ إلاّ ... حنينَ القلبِ للبَرْقِ اليَماني
ومَحْبُورٍ برُؤْيَتِنا يُرَجّي الـ ... ـلقاءَ ولَن أَراه ولن يَراني
ورُبَّ أَخٍ أَصاب الموتُ قَبْلِي ... بَكَيْتُ ولو نُعِيتُ له بَكاني
دعاني دعوةً والخيلُ تَردي ... فما أَدْرِي أَباسْمِي أَمْ كَنانِي[4]
فكان إجابَتي إيَّاهُ أنّي ... عَطَفْتُ عليه خَوَّارَ العِنانِ[5]
وأَيَّ فَتًى دَعَوْتَ وقد تَوَلَّتْ ... بهنّ الخيلُ ذاتُ العنظوانِ[6]

---

1 الطالقان : بلدتان ، إحداهما بخراسان ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .

2 جوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان .

3 القصران هنا : مدينة السيرجان بكرمان كانت تسمى القصرين . وخوط هنا : من قرى بلخ . ورستاقها : سوادها وقراها . يريد بالأقرعين الأقرع بن حابس وأخاه .

4 ردت الفرس تردي : رجمت الأرض بحوافرها ، أو هو ضرب من السّير بين العدو والمشي .

5 خوّار العنان من الخيل : السهل المعطف الكثير الجري .

6 يقال : طرّف عن العسكر إذا قاتل عن أطرافه .

وأيَّ فَتًى إذا ما مُتُّ تدعُو يُطَرِّفُ عنكَ غاشيةَ السِّنانِ
فإنْ أَهْلِكْ فلَم أَكُ ذا صُدُوفٍ عن الأَقْرانِ في الحَرْبِ العَوانِ[1]
ولَم أُدْلِجْ لأَطْرُقَ عِرْسَ جاري ولَم أَجْعَلْ على قَوْمي لِساني[2]
ولكنّي إذا ما هايَجُوني مَنِيعُ الجارِ مُرْتَفِعُ البَنانِ
ويَكْرَهُني إذا استَبْسَلْتُ قِرْني وأَقضي واحداً ما قد قضاني
فلا تَسْتَبْعِدا يَوْمي فإنّي سأُوشِكُ مَرّةً أَنْ تَفقِداني
ويُدْرِكُني الذي لا بُدَّ منه وإنْ أَشْفَقْتُ من خوفِ الجَنانِ
وتَبْكيني نوائحُ مُعْوِلاتٌ تُرِكْنَ بدار مُعْتَرَكِ الزَّمانِ[3]
حَبائسُ بالعراقِ مُنَهْنِهاتٌ سَواجِي الطَّرْفِ كالبَقَرِ الهِجانِ[4]
أَعاذِلَتَيَّ مِنْ لَوْمٍ دَعاني ولِلرَّشَدِ المُبَيَّنِ فاهْدِياني
وعاذِلَتَيَّ صَوْتُكما قريبٌ ونَفْعُكُما بعيدُ الخَيْرِ واني
فَرُدّا الموت عنّي إن أَتاني وَلا وأَبيكُما لا تَفْعَلانِ

صوت

[من الكامل]

دارٌ لقاتلةِ الغَرانِقِ ما بها غيرُ الوُحوشِ خلتْ له وخَلا لَها[5]
ظَلَّتْ تُسائل بالمُتَيَّمِ ما بِهِ وهيَ التي فعلتْ بِهِ أَفعالَها

الشعر لأَعْشى بني تَغْلِبَ من قصيدة يمدَح بها مَسلَمة بن عبدِ الملك ويهجو جريراً ويُعِين الأَخطلَ عليه . ويُرْوى «رَبْعٌ لِقانصة الغَرانق» وهو الصحيحُ هكذا ، ويُغَنّى «دارٌ لقاتلةِ» لأنّه يقول في آخر البيت «خَلَتْ له وخلا لها» . والغناء لعبد الله بن العَبّاس ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عَمْرو بن بانة وابن المَكّيّ . وفيه لمُخارِقٍ رملٌ من جميع أَغانيه .

1 الصّدوف : الإعراض .
2 الإدلاج : السير من أول الليل .
3 معترك : في ل : مغولة .
4 نهنه فلان دمعه : كفه . وسواجي الطرف : ساكنات العيون . والهجان : البيض .
5 الغرانق والغرانيقَ : جمع غُرنوق وغِرنوق وغِرنيق وهو الشاب الناعم .

[191] ـ أخبار أعشى بني تغلب ونسبه

[نسبه]

قال أبو عمرو الشيبانيُّ : اسمه ربيعةُ . وقال ابن حَبيب : اسمه النُّعمان بن يحيى بن معاوية ، أحدُ بني معاوية بن جُشَمَ بن بَكرِ بن حُبَيب بن عمرو بن تَغلِب بن وائل بن قاسط بن هِنْبِ بن أَفْصَى بن دُعْمِيٍّ بن جَديلة بن أَسَدِ بن رَبيعة بن نِزارٍ ، شاعرٌ من شُعراء الدولة الأمويّة ، وساكني الشام إذا حَضَر ، وإذا بَدا نزلَ في بلاد قومه بنواحي المَوْصِل وديار ربيعة . وكان نَصرانيّاً ، وعلى ذلك مات .

[قصته مع الحر بن يوسف]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفشُ عن أبي سَعِيدٍ السُّكَّرِيِّ قال حدَّثنا محمد بن حبيبَ عن أبي عمرو الشيبانيِّ قال : كان أعشى بني تَغلب يُنادم الحُرَّ بن يوسُف بن يحيى بن الحكَم . فشربا يوماً في بُستانٍ له بالمَوْصِل ، فسكِر الأعْشى فنام في البستان . ودعا الحُرُّ بجواريه فدخلنَ عليه قُبَّتَه . واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخلَ القبَّة ، فمانعه الخَدَمُ ، ودافعهم حتى كاد أن يهجُم على الحُرِّ مع جواريه ، فلطَمه خَصيٌّ منهم ؛ فخرج إلى قومه فقال لهم : لطَمني الحُرُّ . فوثب معه رجلٌ من بني تَغلِب يقال له ابن أَدْعَجَ وهو شِهابُ بن هَمّام بن ثعلبة بن أبي سَعْدٍ ، فاقتحما الحائطَ[1] وهجَما على الحُرِّ حتى لطمه الأعشى ثم رجعا . فقال الأعشى : [من الوافر]

كأنّي وابنَ أَدْعَجَ إذ دَخَلْنا … على قُرَشيِّكَ الوَرَعِ الجَبانِ[2]
هِزَبْرا غابةٍ وَقَصا حِماراً … فَظَلاَّ حَوْلَه يَتَناهشانِ[3]
أنا الجُشَميُّ من جُشَمَ بنِ بَكْرٍ … عَشيّةَ رُعْتُ طَرْفَكَ بالبَنانِ

أيْ لطمتُك . وقوله «أنا الجشميّ» أيْ مِثْلي يفعل ذلك بمثلِك .

فما يسطيع ذو مُلْكٍ عِقابي … إذا اجترَمتْ يَدِي وجَنى لِساني
عَشيَّةَ غاب عنك بنو هاشمٍ … وعثمانُ استُها وبنو أَبانِ
تَرُوحُ إلى مَنازِلها قُرَيشٌ … وأنت مُخَيِّمٌ بالزَّرَّقانِ

---

1 الحائط : البستان .

2 الورع : الضعيف الجبان .

3 وقص عنقها : كسرها ودقّها .

والزَّرَّقان : قريةٌ كانت للحُرِّ بسِنْجار[1] .

[مدح مدركاً الكنانيّ فأساء ثوابه فهجاه]

قال ابن حبيب : مدَح أعْشى بني تَغْلِبَ مُدْرِكَ بن عبد الله الكِنانيّ أحد بني أُقَيْشِر بن جَذِيمة بن كَعْب فأساء ثوابَه ؛ فقال الأعشى : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّي يومَ أَمْدَحُ مُدْرِكاً لَكالْمُبْتَني حَوْضاً على غيرِ مَنْهَلِ
أَمَرَّ الهَوى دُوني وفَيَّلَ مِدحَتي ولَوْ لكَريمٍ قُلْتُها لَم تُفَيَّلِ[2]

[شعره في شمعلة بن عامر]

قال ابن حَبيبَ : كان شَمْعَلَةُ بن عامرِ بن عَمْرِو بن بَكْرٍ أَخُو بني فائدٍ وهم رَهط الفرس نَصرانيّاً وكان ظريفاً ، فدخل على بعض خُلفاء بني أُمَيّة ، فقال : أَسْلِمْ يا شمعلةُ . قال : لا والله أُسلم كارهاً أبداً ، ولا أُسلم إلاّ طائعاً إذا شئتُ . فغضِب فأمر به فقُطِعت بَضْعَةٌ من فَخذِهِ وشُوِيَتْ بالنار وأُطعمها . فقال الأعشى بني تَغلب في ذلك : [من الطويل]

أَمِنْ حُذَّةٍ بالفَخْذِ منك تباشرتْ عُداكَ فلا عارٌ عليك ولا وزرُ[3]
وإنّ أميرَ المؤمنين وجَرْحَه لَكالدَّهْرِ لا عارٌ بما فعل الدّهرُ

[قال حين منعه عمر بن عبد العزيز]

وقال ابن حبيب قال أبو عمرو : كان الوليد بن عبد الملك محسناً إلى أعشى بني تَغلِب ، فلمّا وَلِي عمرُ بن عبد العزيز الخلافةَ وفَد إليه ومدَحه فلم يُعْطِه شيئاً ، وقال : ما أرى للشُّعراء في بيت المال حقّاً ، ولو كان لهم فيه لهم حقٌّ لَما كان لك ؛ لأنَّك امرؤٌ نصرانيٌّ . فانصرف الأعشى وهو يقول : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقد عاش الوليدُ حياتَه إمامَ هُدًى لا مُسْتَزادٌ ولا نَزْرُ
كأنّ بني مَرْوانَ بعدَ وفاته جلاميدُ لا تَنْدى وإنْ بَلَّها القَطْرُ

[شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بني شيبان]

وقال ابن حبيبَ عن أبي عمرو : كانتْ بين بني شَيْبانَ وبين تَغْلِبَ حروبٌ ، فعاون مالكُ بن مسْمَع بني شَيبان في بعضها ثم قَعد عنهم . فقال أعشى بني تَغْلِبَ في ذلك : [من الطويل]

1 سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة .
2 فيله : قبحه وخطأه .
3 الحُذَّة : القطعة من اللحم .

بنـــي أُمِّنـــا مَهْـلاً فإنّ نفوسَنا تُميتُ عليكـــم عَتْبَهـــا ومَصالَها
وترعـى بــلا جهـــلٍ قَرابَةَ بَيْننا وبَيْنِكُـمُ لَمّــا قَطَعْتُمْ وِصالَها
جـــزى اللهُ شيباناً وتَيْماً مَلامةً جـــزاءَ المُسيء سَعْيَها وفِعالَها
أبا مِسْمَعٍ مَنْ تُنْكِرِ الحقَّ نَفْسُه وتَعْجِزْ عن المعروفِ يَعْرِفْ ضَلالَها
أأوقدتَ نارَ الحرب حتّى إذا بَدا لنفسِكَ ما تجني الحروبُ فهالَها
نَزَعْتَ وقــد جَرّدْتَها ذاتَ مَنْظَرٍ قَبيح مُهِينٍ حيثُ ألقتْ حِلالَها[1]
أَلَسْنا إذا ما الحربُ شَبَّ سعيرُها وكان صَفيــحُ المَشْرَفيِّ صلالَها[2]
أجارتُنـــا حِلٌّ لكـــم أنْ تَناولوا مَحارِمَهـــا وأن تَميــزُوا حَلالَها
كذبتم يَمِينُ اللهِ حتـــى تَعاوَرُوا صُدورَ العـــوالي بيننـــا ونِصالَها[3]
وحتى ترى عينُ الذي كان شامتاً مَزاحـــفَ عَقْرى بيننا ومَجالَها[4]

صوت

[من الطويل]

ويَفْرَحُ بـــالمولود مـــن آل بَرْمَكٍ بُغاةُ النَّدى والرُّمْحِ والسَّيْفِ والنَّصْلِ
وتَنْبَسِط الآمـــالُ فيـــه لِفَضْلِهِ ولا سِيَّما إنْ كان من وَلَدِ الفَضلِ

الشعر لأبي النَّضير . والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو بن بانةَ من مجموع إسحاق . وقال حَبَشٌ : فيه لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق . وقال حبشٌ : فيه لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ آخَرُ بالوُسْطى ولقَضِيبَ وبَراقِشَ جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان .

1 الحلال هنا : متاع الرحل .

2 الصفيح : جمع صفيحة وهي هنا السيف العريض . والمشرفيّ : المنسوب إلى المشارف وهي قرى قرب حوران ، وذكر أنها في أماكن أخرى .

3 تعاوروا الشيء : تداولوه . والعوالي : أطراف الرماح . الواحدة عالية . والنصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح .

4 المزاحف : جمع مزحف وهو مكان الزحف . وعقرى : جمع عقير .

[192] ـ أخبار أبي النّضير ونسبه

أبو النَّضير اسمُه عُمَرُ بن عبد المَلِكِ ، بَصْرِيٌّ ، مولًى لبني جُمَحَ .

أخبرنا بذلك عمِّي عن ابن مَهْرُوَيْه عن إسحاق بن محمد النَّخَعِيِّ عن إسحاق بن خَلَفٍ الشاعر قال : قلت لأبي النَّضِير بن أبي إلياس : لَمَن أنت ؟ فقال : لبني جُمَحَ . وذكر أبو يحيى اللاّحقيُّ أنّ اسمَه الفضلُ بن عبد الملك .

[انقطع إلى البرامكة فأغنوه]

شاعرٌ من شعراء البصريِّين ، صالحُ المَذْهَبِ ، ليس من المعدودين المتقدّمين ولا من المولَّدين الساقطين . وكان يغنِّي بالبصرةِ على جَوارٍ له مولَّدات ، ويُظْهِرُ الخَلاعة والمُجون والفِسق . ويُعاشر جماعةً ممّن يُعْرَف بذلك الشأن . وكان أبانُ اللاّحِقيُّ يُعاشره ثم تَصارَما ، وهجاه وهجا جواريَه وافترقا على قِلًى ، ثم انقطع أبو النَّضير إلى البرامكة فأغْنَوْه إلى أن مات .

[قال إسحاق الموصليّ إنّه أظرف الناس]

أخبرنا ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ أبي يقول : لو قِيل لي مَن أظرفُ مَنْ رأيتَه قطُّ أو عاشرتَه ، لقلتُ : أبو النَّضَيرِ .

[دخل على الفضل بن يحيى فهنّأه بمولود ارتجالاً]

أخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيديّ عن إسحاق ، وأخبرني محمد بن مَزْيدٍ عن حمّاد عن أبيه قال : وُلِد للفَضْلِ بن يحيى مولودٌ ، فوَفَد عليه أبو النَّضِير ولم يكن عرف الخبر فيُعِدَّ له تهنئةً ، فلمّا مثَل بين يديه ورأى الناسَ يهنِّئونه نَثْراً ونَظْماً قال ارتجالاً : [من الطويل]

ويَفْرَحُ بالمولودِ من آلِ بَـرْمكٍ بُغاةُ النَّدى والسَّيفِ والرُّمْحِ والنَّصْلِ
وتَنْبَسِطُ الآمـالُ فيـه لِفَضْلِـهِ . . . .

ثم أُرْتِجَ عليه فلم يَدْرِ ما يقول . فقال الفضل يُلقِّنه :

ولا سيَّما إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ

فاستحسن الناس بديهةَ الفضلِ في هذا ، وأمر لأبي النَّضير بصلةٍ .

[نقد الفضل بن يحيى شعراً له في مدحهم فأجابه]

وأخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثني بعض المَوالي قال : حضرتُ الفَضْلَ بن يحيى وقد قال لأبي النَّضير : يا أبا النضير أنت القائل فينا :[من الطويل]

إذا كنتُ من بَغْدادَ في رأْسِ فَرْسَخٍ وجدتُ نسيمَ الجُودِ مِن آل بَرْمكِ

لقد ضَيَّقْتَ علينا جِداً . قال : أَفلأَجل ذلك أيّها الأَميرُ ضاقتْ عليَّ صِلَتُك وضاقت عنّي مكافأتُك وأَنا الذي أَقول : [من السريع]

تشاغَــلَ النّـــاسُ ببُنْيانِهِمْ والفضـــلُ في بُنْيانِـــهِ جاهِدُ
كلٌّ ذوي الفَضْلِ وأَهلِ النُّهى للفَضْـــلِ في تـــدبيره حامدُ

وعلى ذلك فما قلتُ البيتَ الأَوَّلَ كما بلغ الأميرَ ، وإنّما قلتُ : [من الطويل]

إذا كنتُ مـــن بَغْدادَ مُنْقَطِعَ الثَّرى وجدتُ نسيمَ الجُودِ من آل برمكِ

فقال الفضلُ : إنّما أخَّرْتُ عنك لأُمازِحك ، وأَمَر له بثلاثين أَلْفَ درهمٍ .

[كتب إلى عنان وكان يهواها فأجابته]

أَخبرني ابن عَمّارٍ عن أبي إسحاق الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النضير يَهْوَى عِنانَ جاريةَ النَّاطِفيّ ، وكَتَبَ إليها : [من الخفيف]

إنَّ لي حاجةً فرَأْيَكِ فيهـــا لَكِ نفسي الفِدا مِنَ الأَوصابِ
وهْيَ ليستْ مّمـــا يُبَلِّغُـــه غيـ ـــرِي ولا أَستطيعُه بكتـــابِ
غيرَ أنّي أَقولُهـــا حـــين أَلقا كِ رُوَيْـــداً أُسِرُّها مـــن ثِيابي

فأَجابتْه وقالت : [من الخفيف]

أنـــا مشغولةٌ بمَنْ لستُ أَهْوا هُ وقلبي مِنْ دونِهِ في حِجابِ
فإذا مـــا أَردتَ أَمْراً فأَسْرِرْ هُ ولا تجعلَنَّـــــه في كتـــابِ

قال : وقال أبو النَّضير فيها : [من الهزج]

صوت

أَنـــا واللهِ أَهْـــواكِ وأَهـــواكِ وأَهـــواكِ
وأَهـــوى قُبْلـــةً مِنْكِ عـــلى بَـــرْدِ ثَناياكِ
وأَهوى لكِ ما أَهْوى لِنَفْسِي وكَفـــى ذاكِ
فهَـــلْ يَنْفَعُنـــي ذِلـــ ـــكِ يوماً حين أَلقاكِ
أَنـــا واللهِ أَهـــواكِ ومـــا يَشْعُـــرُ مولاكِ
فإِيّـــاكِ بـــأَنْ يَعْلَـــ ـــمَ إِيّـــاكِ وإيّاكِ

فيه لعليّ بن المارقيّ رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ .

[عابث مكتومة المغنية حين طلبت منه صوتاً]

حدَّثنا ابن عمّار عن الطَّلحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النضير يُغَنّي غناءً صالحاً ، فغنّى ذاتَ يومٍ صوتاً كان استفاده ببغداد . فقالت له قَينةٌ كانت ببغداد يقال لها مكتومةُ : اطْرَحْ عليّ هذا الصوتَ يا أبا النَّضير . فقال : لا تَطِيبُ نفسي به مُحابياً ، ولكنّي أبيعك إيّاه . قالت : بِكَمْ ؟ قال : برأس مالِه . قالت : وما رأسُ مالِه ؟ قال : ناكَني فيه الذي أخذتُه منه . فغطَّتْ وجهَها وقالت : عليك وعلى هذا الصوت الدَّمارُ .

[شعر له في مدح أبي جعفر عبد الله بن هشام]

أخبرني ابن عمّار عن الطَّلْحيِّ عن أبي سُهَيْل قال : قال أبو النضير ، وفيه غناءٌ لإبراهيم : [من المتقارب]

صوت

أيَصحو فُؤادُكَ أمْ يَطْرَبُ ... وكيف وقد شَحَطتْ زينبُ
جرى الناسُ قبلَ أبي جعفرٍ ... زماناً فلم يُدْرَ مَنْ غَلَّبوا
فلمّا جرى بأبي جعفر ... بنو تَغْلِبَ سَبَقتْ تَغْلِبُ

قال أبو سُهَيْلٍ : وأبو جعفرٍ الذي عناه أبو النَّضير هو عبدُ الله بن هشام بن عمرو التَّغْلبيّ الذي يذكره العَتَّابيُّ في شعره ورسائله ، وكان جواداً سَخِيّاً . وكان ابنُ هشامٍ وَلِي السِّنْدَ ، وفيه يقول أبو النَّضير : [من الطويل]

ألا أيُّها الغيثُ الذي سحّ وَبْلُه ... كأنّك تَحْكي راحةَ ابنِ هشامِ
كأنّك تَحْكيها ولكنّ جُودَه ... يدومُ وقد تأتي بغيرِ دوامِ
وفيك جَهامٌ ربَّما كان مُخْلِفاً ... وراحتُه تَغدُو بغير جَهامِ[1]

[كان يرى أنّ الغناء على تقطيع العروض]

أخبرني ابن عمّار عن الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النَّضير يزعمُ أنّ الغِناء على تقطيع العَروض ، ويقول : هكذا كان الذين مَضَوْا يقولون ، وكان مستهزئاً بالغناء حتى تعاطى أنْ يُغنّي ، وكان إبراهيم الموصليّ يُخالفه في ذلك ويقول : العَرُوض مُحْدَثٌ ، والغناء قبلَه بزمانٍ . فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه : [من الوافر]

سَكَتُّ عن الغِناء فلا أُمارِي ... بَصيراً لا ولا غيرَ البصيرِ

---

1 الجهام : السحاب لا ماء فيه ، والسحاب الذي هراق ماءه .

مخافةَ أنْ أُجَنَّنَ فيـه نَفْسي   كما قـد جُـنَّ فيه أبو النَّضيرِ

[قاطعه أبان اللاحق وقال شعراً يهجوه]

أُخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني أبو طَلحة الخُزاعيّ عن اللاّحقيّ قال : كان جدّي أبانُ يَشْرَبُ مع إخوانٍ له على شاطىء دجلة بعد مُصارمته أبا النَّضير ، وكان القوم أصدقاء له ولأبي النضير ، فذكروه . فقال جَدّي : إنْ حضَر انصرفتُ ، فأمسكوا جَدّي فيه : [من الخفيف]

رُبَّ يـومٍ بشَطٌ دِجْلـةَ لَـذٌ   ولَيـالٍ نَعِمـتُ فِيهـا لِذاذِ
غَيْبـةٌ لم تَطُـلْ عـليّ ومـاذا   خيرُ قُـرْبِ المُطَرْمِـذِ المَلاَّذِ[1]
تـركَ الأشْرِباتِ ليس بَعـاطٍ   لِرَساطُونِهـا ولا الرّاقيـاذِ[2]
وحكى الأحْمَقَ الذي ليس يَدْري   أنَّ خيرَ الشرابِ هـذا اللذاذِ[3]
ضَـلَّ رأيٌ أراه ذاك كما ضَـ   ـلَّ غُـواةٌ لاذُوا بشَرٍّ مَـلاذِ
أنـت أعْمـى فيما ادَّعَيْتَ كما لَسْـ   ـتَ لِصَوْغِ الألحانِ بالأُسْتاذِ
كان ذنبـاً أتوبُ منـه إلى اللـ   ـه اختيارِيكَ صاحباً واتِّخاذي
إنّ للهِ صـومَ شَهْرَيْـنِ شُكْراً   أنْ قَضى منـك عاجلاً إنْقاذي
لا لِديـنٍ ولا لِدُنْيـا ولا يَصْـ   ـلُحُ في علـم مـا ادَّعى بنَفاذِ

[يسأل حماد عجرد عن مجلس شرابه]

حدَّثني ابن عَمّار عن الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْل قال : كتب أبو النَّضير إلى حمّاد عَجْرد يسأل عن حاله في الشراب وشُرْبِهِ إيّاه ومَنْ يعاشِر عليه . فكتَب إليه حَمّادٌ : [من السريع]

أبا النَّضيرِ اسْمَعْ كَلامي ولا   تَجْعَلْ سوى الإنصافِ من بالكا
سألتَ عن حالي ، وما حالُ مَنْ   لم يَلْـقَ إلاّ عابـداً ناسكا
يظْهِرُ لي ذا فمتـى يَفْتَرِصْ   شيئاً تَجِـدْه عاديـاً فاتِكا[4]

يعني حُرَيْثَ بن عمرو . وكان حَمّادٌ نزل عليه ، وكان حُرَيْثٌ هذا مشهوراً بالزّندقة ، وكذلك حمّادٌ هذا كان مشهوراً بها ، فنزل عليه لذلك .

---

1 المطرمذ : الذي يقول ولا يفعل ، والذي لا يحقق في الأمور . والملاذ : المطرمذ المتصنّع الذي لا تصحّ مودته .
2 العاطي : المتناول . والرساطون : شراب يتخذه أهل الشام من الخمر والعسل .
3 اللذاذ : مصدر لذذت الشيء لذاذة أي وجدته لذيذاً .
4 افترض الشيء : انتهزه وأصابه واغتنمه .

[كتب إلى حمدان اللاحقيّ يشكو إليه عمر بن يحيى ويهجوه]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أبي طَلحة الخُزاعيّ عن أبي يحيى اللاحقيّ قال : كتَب أبو النضير إلى عمّي حَمْدان بن أبان . وكان له صديقاً ، يشكو إليه عُمَرَ بن يحيى الزِّيادِيَّ وكان عَرْبَدَ عليه وشتَمه : [من مجزوء الرمل]

أقْــرِ حَمْدانَ سلامَ الـ ـــلّهِ مِـن فَضْلٍ وقُلْ لَـهْ
يـا فَتًى لستُ بحمدِ الـ ـــلّهِ أخْشى أنْ أمَـلَّـهْ
ذاك أنّ اللّهَ قــد أنْــ ـهَلـه الظَّـرْفَ وعَلَّهْ
وذُرا بيـت رَقـاشٍ وعُلاهــا قــد أحَلَّهْ[1]
إنَّ شَتْمَ السِّفْلَـةِ الكَشْـ ـخان ذي القَرْنَيْنِ ضَلَّهْ[2]
ولَـوَ انّ القلبَ هاجى عُمَـراً يومـاً لَغَلَّهْ[3]
ذاك أنّ اللّه قــد أخــ ـــزى ابنَ يحيـى وأذَلَّهْ
مَنْ يُهاجي رَجُـلاً يَسْـ ـتوعِبُ الجُـرْدانَ كُلَّهْ[4]
مــا يسيلُ الأيْـرُ إلاّ أدخــلَ الأيْــرَ وبَلَّهْ
وإذا عايَــنَ أيْــراً وافِــيَ الفَيْشَةِ غَلَّهْ
هــذه قِصَّةُ مَــنْ قـد جعَـلَ المُـرْدانَ شُغْلَهْ

[أنشد الفضل بن الربيع شعراً في امرأة تزوّجها وطلّقها]

حدَّثني عمِّي عن أبي العيناء عن أبي النَّضِير قال : دخلتُ على الفَضْلِ بن الرَّبيع فقال : هل أحدثتَ بَعْدي شيئاً . قلت : نعم ، قلتُ أبياتاً في امرأةٍ تزوَّجْتُها وطلَّقتها لغيرِ عِلَّةٍ إلاّ بُغْضي لها ، وإنّها لبيضاءُ بَضَّةٌ ، كأنّها سَبِيكةُ فِضَّةٍ . فقال لي : وما قلتَ فيها ؟ فقلت قلتُ : [من مجزوء الكامل]

رَحَلَتْ سُكَيْنةُ بالطَّـلاقِ فأَرَحْتُ من غُلِّ الوَثاقِ[5]

1 جدّ حمدان الأعلى كان مولى لبني رقاش ، ونسبه حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفر مولى بني رقاش .
2 الكَشخان : الديوث الذي لا غيرة له على أهله .
3 غلة هنا : وضع الغل في عنقه أو يده .
4 الجردان : قضيب ذوات الحافر أو هو عام .
5 أراح فلان : وجد راحة .

رحلتْ فَلَمْ تَألَمْ لها نَفْسي ولم تَدْمَعْ مَآقي
لو لَمْ تَبِنْ بطَلاقِها لأبنتُ نفسي بالإباقِ
وشِفاءُ ما لا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ تعجيلُ الفِراقِ

فقال : يا غُلامُ ، الدواةَ والقِرْطاسَ ، فأُتِيَ بهما ، فأَمَرني فكتبتُ له الأبياتَ ، ثم قلتُ له : أنتَ والله تُبْغِضُ بنتَ أبي العبّاس الطُّوسيّ . فقال : اسْكُتْ أَخزاك الله ! ثم ما لبِث أن طَلّقها .

صوت

[من الكامل]

ما بالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها شَرِقتْ بعَبْرَتِها وطال بُكاؤها
ذكرتْ عَشيرتَها وفُرْقَةَ بَيْنِها فطوتْ لذلك غُلَّةً أحشاؤها

الشعر لعبد الله بن عُمَر العَبْليّ . والغناءُ لأبي سعيدٍ مولى فائدٍ ، رَمَلٌ مطلقٌ في مَجرى الوُسطى عن ابن المكّيّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبْه إلى أحدٍ ، وقيل إنّه من منحول يحيى إلى أبي سعيدٍ .

[193] ـ أخبار العبليّ ونسبه

[من مخضرمي الدولتين]

اسمُه عبدُ الله بن عُمَر بن عبد الله بن عليٍّ بن عديٍّ بن رَبيعةَ بن عبد العُزّى بن عبد شَمْسٍ بن عبد مَنافٍ ، ويُكْنى أبا عَدِيٍّ ، شاعرٌ مُجيدٌ من شعراء قريش ، ومن مُخضرميّ الدولتين ، وله أخبارٌ مع بني أُمَيّة وبني هاشمٍ تُذْكَر في غير هذا الموضع .

[سبب نسبه إلى العبلات]

ويقال له عبد الله بن عُمَر العَبْليّ ، وليس منهم ؛ لأنّ العَبَلات من وَلَدِ أُمَيّة الأصغر ابن عبد شمسٍ . سُمُّوا بذلك لأنّ أُمّهم عَبْلةُ بنت عُبيد بن حارِك بن قيس بن مالك بن حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، وهؤلاء يقال لهم بَراجِمُ بني تَميمٍ ، وَلَدتْ لعبد شمس بن عبد مَنافٍ أُميّة الأصغر ، وعبد أُميّة ونَوْفَلاً ، وأمّه من بني عبد شمس ، فهؤلاء يقال لهم العَبَلات ، ولهم جميعاً عَقِبٌ . أمّا أُمَيّة الأصغرُ فإنّهم بالحجاز ، وهم بنو الحارث بن أُمَيّة ، منهم عليٌّ بن عبد الله بن الحارث ، ومنهم الثُّرَيا صاحبةُ ابن أبي ربيعة . وأمّا بنو نَوفَل وعبدِ أُمَيّة فإنّهم بالشام كثيرٌ . وعبد العُزّى بن عبد شمس كان يقال له أَسَدُ البطحاء . وإنّما أدخلهم النّاسُ في العَبَلات لَمّا صار الأمرُ لبني أُمَيّة الأكبرِ وسادوا وعَظُم شأْنهم في الجاهلية والإسلام وكَثُر أشرافُهم ، فجعلَ سائرَ بني عبد شَمْسٍ مَن لا يعلم قبيلةً واحدةً ، فسمَّوْهم أُمَيّة الصُّغْرى ، ثم قيل لهم العَبَلات لشُهرة الاسم .

وعليّ بن عَدِيٍّ جدُّ هذا الشاعر شهِد مع عائشة يومَ الجَمَلِ . وله يقول شاعر بني ضَبّة لعنةُ الله عليه : [من الرجز]

يا رَبِّ اكْبُبْ بِعَلِيّ جَمَلَهْ ولا تُبارِكْ في بعيرٍ حَمَلَهْ
إلاّ عليَّ بن عَدِيٍّ ليس لَهْ

[مال إلى بني هاشم أيام الأمويين ثم خرج على المنصور]

فأمّا عبد الله بن عُمَرَ هذا الشاعر فكان في أيّام بني أُمَيّة يميل إلى بني هاشمٍ ويَذُمّ بني أُميّة ، ولم يكن منهم إليه صُنْعٌ جميلٌ ، فسَلِم بذلك في أيّام بني العبّاس ثم خرج على المنصور في أيّامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن .

[لم يعطه هشام فقال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهيرٍ عن مُصعَبٍ الزُّبَيريِّ قال : العَبْليّ عبدُ الله بن عمر بن عبد الله بن عليٍّ بن عَدِيّ بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمسٍ ، ويُكنى أبا عَدِيٍّ ، وله أخبارٌ كثيرة مع بني هاشم وبني أُميّة . وقسَم هشام بن عبد الملك أموالاً وأجاز بجوائز ،

فلم يُعطِه شيئاً . فقال : [من الطويل]

خَسَّ حَظِّي أنْ كنتُ من عبد شمسٍ ليتني كنتُ من بني مَخْزُومِ
فأفوزَ الغداةَ منهم بسَهْمٍ وأَبِيعَ الأبَ الشريفَ بلُومِ

[استقدمه المنصور واستنشده فغضب عليه]

فلمّا استُخْلِف المنصور كتب إلى السَّرِيِّ بن عبد الله أن يُوجِّه به إليه ففعل . فلمّا قدِم عليه قال له : أنشِدْني ما قلتَ في قومِك ، فاستعفاه . فقال : لا أُعفيك . فقال : أَعْطِني الأمانَ فأَعطاه ، فأنشده : [من الكامل]

ما بال عَيْنِك جائلاً أقذاؤها شَرِقتْ بعَبْرَتِها فطال بُكاؤها

حتى انتهى إلى قوله :

فبنو أُمَيّة خيرُ مَنْ وَطِيء الحَصى شَرَفاً وأفضلُ ساسةٍ أمراؤها

فقال له : اخرُج عنّي لا قرّب الله دارَك ! فخرج حتى قدِم المدينة ، فألفى محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج فبايعه .

[أكرمه السّفاح وردّ حرمه وأمواله]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن العُتبيّ عن أبيه قال : كان أبو عَدِيٍّ الذي يقال له العَبْليّ مجفوّاً في أيّام بني مَروان وكان منقطعاً إلى بني هاشم ، فلمّا أُفضتِ الدولة إليهم لم يُبْقوا على أحدٍ من بني أُميّة ، وكان الأمرُ في قتلهم جِدّاً إلاّ مَن هرَب وطار على وجهه ، فخاف أبو عديّ أن يقع به مكروه في تلك الفَوْرة فتوارَى ؛ وأخذ داود بن عليٍّ حُرَمَه وماله ، فهرب حتّى أتى أبا العبّاس السفّاح ، فدخل عليه في غُمار النّاس متنكّراً وجلس حَجْرةً[1] حتى تَقَوّض[2] القوم وتفرّقوا ، وبقي أبو العبّاس مع خاصته . فوثب إليه أبو عَدِيّ فوقف بين يديه وقال : [من الوافر]

أَلا قُلْ للمَنازِلِ بالسِّتّارِ سُقِيتِ الغَيْثَ من دِمَنٍ قِفارِ[3]
فهل لك بَعْدَنا عِلْمٌ بسَلْمى وأَتْراب لها شِبهِ الصِّوارِ[4]
أوانِسُ لا عَوابِسُ جافياتٌ عن الخُلُقِ الجميلِ ولا عَواري
وفيهنّ ابنةُ القُصَويّ سَلْمى كَهَمِّ النَّفْسِ مُفْعَمَةُ الإزارِ[5]

1 حجرة : ناحية .
2 تقوّض القوم إذا أنفضوا وانصرفوا .
3 الستار : اسم لعدة مواضع .
4 الصُّوار : القطيع من البقر .
5 القصويّ : نسبة إلى قصي .

تلوثُ خِمارَهـا بأحَـمَّ جَعْدٍ تُضِلُّ الفاليـاتُ بـه المَدارِي[1]
بَرَهْرَهَـةٌ مُنَعّمَـةٌ نَمَتْهـا أبُوَّتُهـا إلى الحَسَبِ النُّضارِ[2]
فدَعْ ذِكرَ الشباب وعهدَ سَلْمى فما لـكَ منهمـا غيرُ ادِّكارِ
وأهْـدِ لهاشمٍ غُـرَرَ القَوافي تَنَخَّلُهـا بعلـمٍ واختيـارِ[3]
لَعَمْرُكَ إنَّنـي ولُـزومَ نَجْدٍ ولا أَلْقـى حِبـاءَ بني الخيارِ[4]
لَكالْبادي لأبْـرَدَ مُستَهِـلٍّ بجَوْبـاء كبطـن العَيْر عارِ[5]
سأَرْحَـلُ رِحْلَـةً فيها اعتزامٌ وجِـدٌّ في رَواحٍ وابْتكـارِ
إلى أهلِ الرسول غَدَتْ برَحْلِي عُذافِـرةٌ تَرامى بالصَّحاري[6]
تَـؤُمُّ المَعشَرَ الأبْـرارَ تبغي فكـاكاً للنّساء مـن الإسارِ
أيـا أهلَ الرسولِ وصِيدَ فِهْرٍ وخيرَ الواقفـين على الجِمارِ
أتُؤخذ نِسْوتي ويُحـازُ مالي وقد جاهرتُ لو أغْنى جِهاري
واذْعَرُ أن دُعِيتُ لعبد شَمْسٍ وقد أمسكتُ بالحَرَمِ الصَّواري[7]
بنُصْرَةِ هاشمٍ شَهَّرتُ نفسي بـداري للعِـدا وبغير داري
بقُرْبَـي هاشمٍ وبحـقّ صِهْـرٍ لأحمـدَ لفَّـه طِيـبُ النِّجارِ
ومنزلُ هاشم مـن عبد شمسٍ مكانَ الجِيدِ مـن عُلْيا الفَقارِ

فقال له السفّاح : مَنْ أنت ؟ فانتسَب له . فقال له : حقٌّ لعَمْري أعرفه قديماً ومَوَدَّةٌ لا أجحَدها ، وكتب له إلى داوُدَ بن عليّ بإطلاق مَن حبسه من أهله وردِّ أمواله عليه وإكرامِه ، وأمر له بنفقة تُبَلِّغه المدينة .

[وفد على عبد الله بن حسن وأجازه هو وابناه وزوجه]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ قال حدَّثنا يحيى بن الحسن العَلَويّ عن موسى بن

1 تلوث : تلفّ . والأحم : الأسود . والجعد من الشعر : وهو ما فيه التواء وتقبض . والفاليات : من فلا الرأس .
2 البرهرهة : البيضاء ، وقيل هي الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة . والنضار هنا : الخالص الذي لم يشبه ما يدنسه .
3 تنخلها : تخيّرها .
4 الحباء : العطاء .
5 البادي : الخارج إلى البادية . والأبرد هنا : النمر . ومستهل هنا : رافع صوته . وبطن العير : يقال للمكان الذي لا خير فيه جوف العير .
6 العذافرة من الإبل : العظيمة الشديدة .
7 الصواري : جمع صائرة وهي العاطفة أو المميلة .

عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدَّثني أبي قال : قال سعيد بن عُقبة الجُهَنيّ : إنّي لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له : هذا رجل يدعوك ، فخرجتُ فإذا أنا بأبي عدِيّ الأمويّ الشاعر ، فقال : أعْلِمْ أبا محمد . فخرج إليه عبد الله بن حسن وابناه وقد ظهرت المُسَوِّدة وهم خائفون ، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار وابناه بينهما بأربعمائة دينار ، وهندُ بنت أبي عُبَيدةَ أمُّهما بمائتي دينار ، فخرج من عندهم بألف دينار .

[استنشده عبد الله بن حسن ممّا رثى به قومه ثم أكرمه هو وأهله]

وأخبرني حِرْمِيّ عن الزُّبير ، وأخبرني الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغيرة بن محمد المهلَّبيّ عن الزُّبَير عن سليمان بن عيّاش السعديّ قال : جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العَبْليّ إلى سُوَيْقَةَ[1] وهو طريد بني العبّاس ، وذلك بعَقِب أيّام بني أُميّة وابتداء خروج مُلْكهم إلى بني العبّاس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسُوَيقة ، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره فأنشده . فقال له : أريد أن تُنشِدَني شيئاً ممّا رثيتَ به قومَك ، فأنشده : [من المتقارب]

تقـول أُمامــةُ لمّـا رأتْ ... نُشُوزِي عـن المَضْجَعِ الأنْفَسِ
وقِلّـةَ نومـي على مَضْجَعي ... لـدى هَجْعةِ الأعْيُنِ النُّعَّسِ
أبي مـا عَراكَ ؟ فقلتُ الهمومُ ... عَـرَوْنَ أبـاك فلا تُبْلِسي[2]
عَرَوْنَ أبـاك فحبَّسْنَـهُ ... من الذُّلِّ في شَرِّ مـا مَحْبسِ
لِفَقْـدِ العشيرةِ إذ نالَهـا ... سِهامٌ مـن الحَـدَثِ المُبْئِسِ
رَمَتْهـا المنـونُ بـلا نُصَّلٍ ... ولا طائشاتٍ ولا نُـكَّسِ[3]
بأسْهُمِها الخالساتِ النُّفوسَ ... متى ما اقتضتْ مُهْجةً تَخلِسِ
فصَرْعاهُـمُ في نواحي البلا ... دِ تُلْقى بـأرضٍ ولم تُرْمَسِ
كريـمٌ أُصيـب وأثوابُه ... مـن العـارِ والذّامِ لم تَدْنَسِ
وآخَرُ قـد طار خوفَ الرَّدى ... وكان الهُمـامَ فلم يُحْسَسِ
فكم غادروا من بَواكي العيو ... نِ مَرْضى ومن صِبْية بُـؤَّسِ
إذا مـا ذكرنَهُـمُ لم تَنَـمْ ... لحَـرِّ الهمـومِ ولم تَجلِسِ

1 سويقة هنا : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
2 عرون في ل : منعن . الإبلاس : اليأس والتحير ، والسكوت من الغم والحزن .
3 النُصَّل : جمع ناصل ، وهو هنا السهم الذي سقط نصله ، والناصل أيضاً : ذو النصل . سهم نكس : هو الذي ينكس أو يكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله ، والجمع أنكاس .

يُرَجِّعْـنَ مثـلَ بُكاء الحَما ... مِ في مأتَـمٍ قَلِـقِ المَجْلِسِ[1]
فـذاك الذي غالني فاعْلَمي ... ولا تسأليـنـي فَتَستَنْحِسي[2]
وأشياءُ قـد ضِفْنني بالبلادِ ... ولستُ لهـنّ بمُسْتَحْلِسِ[3]
أفـاض المَدامِـعَ قَتْلى كُدًى ... وقتـلى بكُثْـوة لم تُرْمَسِ[4]
وقتـلى بـوَجٍّ وباللاّبَتَيـ ... ـنِ من يَثْرِبٍ خيرُ ما أَنْفُسِ
وبالزّابِيَيْنِ نفـوسٌ ثـوتْ ... وقَتْـلى بنهـرِ أبـي فُطْرُسِ
أُولئـكَ قـومٌ تداعتْ بِهِم ... نوائـب مـن زمـن مُتْعِسِ
أذلَّتْ قِيـادي لِمَـن رامَني ... وأَلْزقـتِ الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ[5]
فمـا أنْسَ لا أَنْسَ قتلاهـمُ ... ولا عاش بعدَهُـم مَنْ نَسي

قال : فلمّا أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن . فقال له عمّه الحسنُ بن حسن بن عليّ عليهم السلام : أتَبْكِي على بني أُميّة وأنت تُريد ببني العبّاس ما تريد ! . فقال : والله يا عمّ لقد كنّا نَقَمْنا على بني أُميَّة ما نَقَمْنا ، فما بنو العبّاسِ إلاّ أقَلُّ خوفاً لله منهم ، وإنّ الحُجّة على بني العبّاس لأوجبُ منها عليهم . ولقد كانت للقوم أخلاق ومَكارِمُ وفواضلُ ليست لأبي جعفر . فوثب حسن وقال : أعوذُ بالله من شَرّك ، وبعث إلى أبي عَدِيّ بخمسين ديناراً ، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها ، وأمر له كلُّ واحد من محمد وإبراهيم ابنيه بخمسين خمسين ، وبعثتْ إليه أمُّهما هندٌ بخمسين ديناراً ، وكانت منفعتُه بها كثيرة . فقال أبو عَدِيٍّ في ذلك : [من الوافر]

أقـام ثَـوِيُّ بيتِ أبي عدِيٍّ ... بخير مَنـازِلِ الجِيرانِ جارا[6]
تقوّض بيتُـه وجَـلا طَرِيداً ... فصادفَ خيرَ دُور النّاسِ دارا[7]
وإنّـي إن نزلـتُ بدار قومٍ ... ذكرتُهُـمُ ولَـم أذْمُمْ جِوارا

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه : أقسمتُ عليكم إلاّ أعطيتموه خمسين ديناراً أُخْرى فقد أشركني معكم في المدح ، فأعطوه خمسين ديناراً أُخرى عن هند .

---

1 قلق المجلس : اضطراب من فيه من الحزن .
2 استنحس فلان الأخبار : طلبها وتتبّعها بالاستخبار .
3 ضفنني : نزلن بي . والمستحلس للشيء : الملازم له .
4 بكثوة في ل : ببكة .
5 الرغم : التراب . والمعطس : الأنف .
6 الثويّ : الضيف .
7 جلا عن بلاده : خرج .

[ولايته الطائف ثم فراره إلى اليمن]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق عن أبي أيُّوبَ المَدِينيّ قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال : قدِم أبو عَدِيٍّ العَبْلِيُّ الطائفَ والياً من قِبَلِ محمد بن عبد الله بن حسن[1] أيّام خروجه على أبي جعفر ومعه أعرابٌ من مُزَيْنةَ وجُهَيْنةَ وأَسْلَمَ فأخذ الطائف وأتى محمدَ بن أبي بكر العُمَريّ حتى بايع ، وكان مع أبي عَدِيٍّ أحدَ عشرَ رجلاً من ولد أبي بكر الصِّدِّيق ، فقَدِمها بين أذان الصُّبْح والإقامة ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكّة ، فاستخلف على الطائف عبدَ الملك بن أبي زُهَيْر وخرج ليتلقَّى الحسنَ بالعَرْج ، فركب [الحسنُ] البحرَ ، ومضى أبو عديٍّ هارباً على وجهه إلى اليمن . فذلك حين يقول : [من الكامل]

هُيِّجْتَ للأَجْزاع حول عرابِ ... واعتاد قلبكَ عائد الأطرابِ
وذكرتَ عهدَ مَعالِمٍ بِلِوى الثَّرى ... هيهاتَ تلك معالِمُ الأَحبابِ[2]
هيهاتَ تلك معالمٌ من ذاهبٍ ... أمسى بحَوْضى أو بحَقْلِ قِبابِ[3]
قد حَلَّ بين أَبارِقٍ ما إنْ له ... فيها مِنِ اخْوانٍ ولا أَصحابِ[4]
شَطَّتْ نَواهُ عن الأَلِيف وساقَه ... لِقُرًى يَمانيةٍ حَمامُ كِتابِ[5]
يا أُختَ آلِ أبي عَدِيٍّ أَقْصِري ... وذَرِي الخضابَ فما أَوانُ خضابِ
أَتَخَضَّبِينَ وقد تَخَرَّمَ غالباً ... دهرٌ أَضَرَّ بها حديدُ الناب
والحربُ تَعْرُك غالباً بجِرانها ... وتَعَضُّ وهي حديدةُ الأَنيابِ[6]
أم كيف نَفْسُكِ تَسْتَلِذُّ معيشةً ... أو تَنْقَعين لها أَلَذَّ شرابِ

[أنشد عبد الله بن حسن من شعره فبكى]

وذكر العبّاس بنِ عيسى العُقَيْليّ عن هارون بن موسى الفَرَويّ عن سعيد بن عُقْبَة الجُهَنيّ قال : حضرتُ عبدَ الله بن عُمَر المكنيّ أبا عَدِيّ الأُمويّ يُنْشِدُ عبد الله بن حسن قولَه : [من المتقارب]

أَفاض المدامعَ قَتْلى كُدًى ... وقَتْلى بكُثْوةَ لم تُرمَسِ[7]

---

1 ولي مكة لمحمد بن عبد الله بن حسن وغلب عليها عامل أبي جعفر المنصور .
2 الثرى في ل : السّرى .
3 حوضى وحقل قباب : موضعان .
4 الأبارق : جمع أبرق ، وهو غليظ فيه حجارة وطين ورمل مختلفة .
5 حمام كتاب : قدره وقضاؤه .
6 عركتهم الحرب : دارت عليهم . والجران من البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .
7 بكثوة في ل : بمكة .

قال : فرأيت عبد الله بن حسن وإنّ دموعه لتجري على خَدِّه .

[قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاهم قتل بني أُميّة]

وقد أُخبرني محمد بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدِيٍّ عن أبي سعيد مولى فائد قال : لمّا أُتانا قتلُ عبد الله بن عليٍّ مَنْ قتل من بني أُميّة كنتُ أنا وفتًى من ولد عثمان وأبو عديٍّ العبليُّ مُتوارِين في موضع واحد ، فلَحِقني من الجَزَعِ ما يلحق الرجلَ على عشيرته ، ولحِق صاحبيَّ كما لحقني ، فبكينا طويلاً ، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا ، فقال كلّ واحد منّا بعضَها غيرَ مُحَصَّلٍ [ما] لكلٍّ واحدٍ منّا فيها ، قال : ثم أُنشدَنيها ، فأخذتُها من فيه : [من المتقارب]

تقـول أُمامـةُ لمّـا رأتْ ... نُشوزي عن المضجع الأنْفَسِ

[كره سبّ بني أمية عليّاً]

أُخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدَّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ عن ابن عائشة قال : كان أُبو عديٍّ الأمويّ الشاعر يكرَه ما يجري عليه بنو أُمَيّة من ذكر عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبِّه على المنابر ، ويُظهِر الإنكارَ لذلك ، فشهِد عليه قومٌ من بني أُميّة بمكّة بذلك ونَهَوْه عنه ، فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك : [من الخفيف]

شَرَّدوا بي عند امتداحي عَلِيّا ... ورأوا ذاك فيَّ داءً دَوِيّا
فوَرَبِّـي لا أَبْرَحُ الدَّهْرَ حتى ... تُختَلى مهجتـي بحبِّـي عَلِيّا[1]
وبَنِيـهِ لحُـبِّ أَحمـدَ إنّي ... كنـت أحببتُهم بحبِّـي النبيَّا
حُبُّ دِينٍ لا حُبُّ دُنْيا وشَرُّ الـ ... ـحبِّ حُـبٌّ يكون دُنْياوِيّا
صاغني الله في الذُّؤابـة منهم ... لا زَنيمـاً ولا سَنِيداً دَعِيّا[2]
عَدَوِيّـاً خالي صَرِيحاً وجَدِّي ... عبـدُ شمس وهاشمٌ أَبَوَيّا
فسواءٌ عـليَّ لستُ أُبـالي ... عَبْشَمِيّاً دُعِيـتُ أَمْ هاشِمِيّا

[فضل هشام بني مخزوم عليه]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيُّ قال حدّثنا العُمَريُّ عن العُتْبيّ عن أبيه قال : وفَد أبو عديٍّ الأمويّ إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها : [من الخفيف]

عبدُ شمسٍ أبوك وهـو أُبونا ... لا نُناديكَ مـن مكـانٍ بعيدِ
والقرابـاتُ بيننا واشجـاتٌ ... مُحْكَماتُ القُوى بحَبْلٍ شديدِ

فأنشده إيّاها ، وأقام ببابه مدّةً حتى حضر بابَه وفودُ قريشٍ فدخل فيهم ، وأمر لهم بمال

1 تختلى : تقطع .
2 الزنيم : الدعي بالملصق بالقوم وليس منهم . وكذلك السنيد .

فضّل فيه بني مخزومٍ أخوالَه ، وأعطى أبا عديّ عطيّةً لم يرضَها ، فانصرف وقال : [من الخفيف]

خَسّ حَظّي أنْ كنتُ من عبد شمسٍ ليتني كنتُ من بني مخزومِ
فأفوزَ الغداةَ فيهم بسَهْمٍ وأبيعَ الأبَ الكريمَ بلومِ

غَنّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللّذين أوّلهما :

عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبونا

ابن جامع ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة التي قالها في هشام : [من الخفيف]

ليلتي من كنودَ بالغَوْرِ عُودِي بصَفاء الهوى مِنُ امٌ أُسيدِ
ما سمعنا ذاك الهوى ونَسينا عهدةَ فارجعي به ثمّ زِيدي
قد تولّى عصرُ الشباب فقيداً رُبّ جارٍ يَبين غيرَ فقيدِ
خَلَقَ الثّوبُ من شَبابٍ ولِبْسٍ وجديدُ الشّبابِ غيرُ جديدِ
فاسْرِ عَنْك الهمومَ حين تداعتْ بعَلاةٍ مثلِ الفَنِيق وَخُودِ[1]
عَنْتَرِيسٍ تُوفي الزّمامَ بفَعْمٍ مثلِ جِذْعِ الأشاءة المجرودِ[2]
وارْمِ جَوْزَ الفَلا بها ثم سُمْها عَجْرَفِيَّ النّجاءِ بالتوخيدِ[3]
وهِشاماً خليفةَ الله فاعْمدْ واصْرِمَنْ مِرَّةَ القَوِيّ الجليدِ[4]
تَلْقَهُ مُحْكَمَ القُوى أرْيَحيّا ذا قِرًى عاجلٍ وسَيْبٍ عتيدِ[5]
مَلِكاً يَشْمَلُ الرعيّةَ منه بأيادٍ ليست بذاتِ خُمودِ
أخضرُ الرَّبعِ والجنابُ خَصيبٌ أفْيَحُ المُسْتَرادِ للمُسْتَرِيدِ[6]

1 أسر عنك الهموم : ألقها عنك . سروت الثوب : إذا ألقيته عنك ونضوته . وتداعت هنا : تجمعت وأقبلت . الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب . العلاة هنا : الناقة المشرفة الصلبة . والوخود : كثير الوخد وهو السرعة في السير .
2 العنتريس من النوق : الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة . الأشاءة : النخلة الصغيرة . والمجرود : المقشور .
3 جوز كل شيء وسطه . والفلا : واحدة فلاة . والنجاء : السرعة والعجرفة والعجرفية في السير : السرعة . والتوخيد : حمل الدابة على الوخد .
4 المرة : قوة الخلق وشدته .
5 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . العتيد : الحاضر المهيأ .
6 أفيح السترادِ للمستريد : واسع المطلب للطالب . وفيح المستراد : يراد به الكرم واتساع الجود .

ذكــرتْ ناقتــي البِطاحَ فحنَّتْ ... حين أنْ وَرَّكــتْ قبــورَ ثمودِ[1]
قلتُ بعضَ الحنينِ يــا ناقُ سَيري ... نحْــوَ بَــرْقٍ دعا لغيثٍ عميدِ
فأغــذَّتْ في السَّيْرِ حتى أتتكــم ... وهــي قــوداءُ في سَواهِمَ قُودِ[2]
قــد براها السُّرى إليك وسَيري ... تحــت حَــرِّ الظَّهيرةِ الصَّيْخودِ[3]
وطــوى طائــد العَرائكِ منها ... غَــوْلُ بيدٍ تجتابُهــا بعدَ بِيدِ[4]
وأتتكم حُــدْبَ الظُّهور وكانت ... مُسْنَمــاتٍ مَمَرَّهــا بالكَدِيدِ[5]
واطمأنّتْ أرضَ الرُّصافةِ بالخِصْـ ... ـبِ ولم تُلْـقِ رَحْلَها بالصَّعيدِ
نزلت بامرىءٍ يرى الحمدَ غُنْماً ... بــاذلٍ مُتْلِـفٍ مُفيــدٍ مُعِيدِ
بذل العدلَ في القِصاصِ فأضحـى ... لا يخاف الضعيفُ ظُلْمَ الشديدِ
من بني النَّضْرِ من ذُرا مَنْبِتِ النَّضْـ ... ـرِ بـأوْرى زَنْـد وأكرمِ عودِ
فهــو كالقَلْبِ في الجَوانحِ منها ... واسطٌ سِرَّ جِذْمِهــا والعــديدِ[6]
بــين مَــرْوانَ والوليدِ فبَخْ بَخْ ... للكريــمِ المَجيــدِ غيرِ الزَّهيدِ
لــو جرى الناسُ نحوَ غاية مجدٍ ... لِرهــانٍ في المَحْفِــلِ المشهودِ
لعَلاهُــمْ بسابغَيْنِ مــن المجـ ... ـدِ على الناس طــارفٍ وتليدِ[7]
إنّكُــمْ مَعْشَرٌ أبــى اللهُ إلاّ ... أنْ تفــوزوا بدَرِّهــا المحشودِ
لم يَــرَ اللهُ مَعْشَراً من بني مَرْ ... وانَ أَوْلى بالمُلْــكِ والتسويدِ
قــادةٌ سادةٌ ملــوكٌ بحــارٌ ... وبَهاليــلُ للقُــرومِ الصِّيــدِ[8]
أَرْيَحِيُّــون ماجــدون خِضَمُّو ... نَ حُمــاةٌ عند ارْبِداد الجُلودِ[9]

---

1 يقال ورّك الجبل : إذا جاوزه . وقبور ثمود : حيث كانت ديارهم بوادي القرى بين المدينة والشام .
2 القوداء من الإبل : الطويلة العنق والظهر . والساهمة : الضامرة المتغيرة في السير .
3 الظهيرة الصيخود : الهاجرة الشديدة الحر .
4 الطائد : الثابت ، وفي ل : صائد . والعرائك : جمع عريكة وهي السنام أو بقيته . وغَوْل البيد : بعدها .
5 الحدب : جمع حدباء وهي من الدواب التي بدت حراقفها . المسنمات : التي أعظم الكلأ أسنمتها . والكديد : موضع بالحجاز بين عسفان وأمج .
6 الجِذْمُ : الأصل . وسر الجذم : صريحه وخالصه .
7 بسابغين في ل : بسامقين .
8 البهاليل : جمع بهلول ، وهو هنا : السيد الجامع لكل خير . والقروم : جمع قَرْم وهو هنا السيد العظيم .
9 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . والخضم : السيد الحمول المعطاء . اربداد الجلود : تغير لونها من الغضب والشدة .

يقطَعــون النهــارَ بالرأي والحَزْ مِ ويُحيُــون ليلَهــم بالسُّجودِ
أهـــلُ رِفْـــدٍ وسُؤْدُدٍ وحَيــاءٍ ووَفــاءٍ بالوعـــدِ والمــوعودِ
ويَرَوْنَ الجِــوارَ مــن حُرَم اللـ ـهِ فمــا الجــارُ فيهمُ بوحيدِ
لـــو بمجدٍ نـــال الخُلودَ قَبِيلٌ آلَ مَـــرْوانَ فُزْتُـــمُ بالخُلودِ
يا ابنَ خيرِ الأخيار من عبد شمسٍ يا إمـــامَ الوَرى وربَّ الجنودِ
عبدُ شمسٍ أبوك وهـــو أبونـــا لا نُناديـــك مـــن مكـــانٍ بعيدِ
ثم جَدِّي الأدْنى وعَمُّكَ شَيْخِي وأبـــو شَيْخِـــك الكريم الجُدودِ
فالقَرابـــاتُ بيننــــا واشجــاتٌ مُحْكَمـــاتُ القُوى بحبـــلٍ شديدِ
فأثِبْنِـــي ثَـــوابَ مِثْلِكَ مِثْلِي تَلْقَنـــي للثَّـــوابِ غيرَ حَجُودِ
إنّ ذا الجَـــدِّ مَـــنْ حَبَوْتَ بــوُدٍّ ليس مَـــنْ لا تَـــوَدّ بالمجدودِ
وبِحَسْبِ امرىءٍ من الخيرِ يُرجى كونُـــــه عنـــد ظِلِّك الممدودِ

[يندب فرقة بني أميّة]

وأمّا قصيدتُه التي أوّلُها : [من الكامل]

مــا بــالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها

وهي التي فيها الغناء المذكور ، فإنّه قالها في دولة بني أُميّة عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم ، يندُب بَيْنَهم[1] ، وفيها يقول : [من الكامل]

واعتادها ذِكْرُ العَشِيرة بالأَسَى فصَباحُهــا نــابَ بهــا ومَساؤها
شَرِكُوا العِدا في أمرهم فتفاقمتْ منهــا الفُتُون وفُرِّقَــتْ أهواؤها
ظَلَّتْ هنــاكَ وما يُعاتِبُ بعضُها بعضاً فيَنْفَعَ ذا الرّجاء رجاؤها
إلاّ بمُرْهَفَــةِ الظُّبــاتِ كأنّها شُهُبٌ تَقِلُّ ، إذا هَوَتْ ، أخطاؤها[2]
وبعُسَّلٍ زُرْقٍ يكـــون خِضابُهـــا عَلَـقَ النُّحور إذا تَفيضُ دماؤها[3]
فبذاكُـــمُ أمستْ تَعاتَـــبُ بينها فلقـــد خَشِيتُ بأن يُحَمَّ فَناؤها[4]

---

1 أي يندب فرقتهم .
2 مرهفة الظبات : السّيوف .
3 العسل : الرماح ، وعسلان الرمح : شدة اهتزازه . والزرقة في النصال شدّة صفائها .
4 يحم : يقضي .

سـاذا أؤمِّـلُ إنْ أُمَيَّةُ وَدَّعتْ ... وبقـاءُ سُكَّـانِ البلادِ بقاؤها
أهـلُ الرِّياسةِ والسِّياسةِ والنّدى ... وأسُودُ حَرْبٍ لا يَخِيـمُ لِقاؤها[1]
غيثُ البلادِ هُـمُ وهُـمْ أمَراؤها ... سُرُجٌ يُضيءُ دُجى الظَّلامِ ضياؤها
فلئنْ أُمَيَّـةُ وَدَّعـتْ وتَتايَعَتْ ... لغَوايـةٍ حَميـتْ لهـا خُلَفاؤها[2]
لَيُوَدِّعـنّ مـن البَريّـة عِزُّها ... ومـن البـلادِ جَمالُها ورجاؤها
ومـن البَلِيّـةِ أنْ بَقيتَ خِلافَهمْ ... فَرْداً تَهيجُك دُورُهـم وخلاؤها
لَهْفـي على حـرب العَشِيرة بَيْنها ... هَـلاَّ نَهـى جُهَّالَهـا حُلَماؤها
هَـلاَّ نُهًى تَنْهى الغَويّ عن التي ... يُخْشى عـلى سُلْطانها غَوْغاؤها
وتُقًـى وأحـلامٌ لهـا مُضَرِيَّةٌ ... فيهـا إذا تَدْمـى الكَلومُ دواؤها
لَمّـا رأيـتُ الحربَ تُوقَدُ بينها ... ويَشُبُّ نـارَ وَقودهـا إذكاؤها
نوّهـتُ بالمَلِكِ المُهَيمِنِ دعوةً ... وَرَواحُ نفسي في البَلاءِ دُعاؤها[3]
لِيَـرُدَّ أُلْفتَهـا ويجمعَ أمْرَها ... بخِيارِهـا فخيارُهـا رُحَماؤها
فأجـاب ربِّـي في أُمَيّةَ دَعْوتي ... وحَمـى أُمَيّـةَ أنْ يُهَدَّ بناؤها
وحَبـا أُمَيَّـةَ بالخلافـةِ إنّهُمْ ... نُـورُ البـلادِ وزَيْنُها وبَهاؤها
فبنو أُمَيّة خيرُ مَنْ وَطِـىءِ الثَّرى ... شَرَفـاً وأفضلُ ساسةٍ أُمَراؤها[4]

وهي قصيدة طويلة اقتصرتُ منها على ما ذكرتُه .

صوت

[من البسيط]

مَهْلاً ذَريني فإنّـي غالَني خُلُقي ... وقـد أرى في بـلادِ اللهِ مُتَّسَعا
ما عَضَّني الدَّهرُ إلاّ زادَني كَرَماً ... ولا استكنتُ له إن خانَ أو خَدَعا

الشعر لأبي جِلْدَةَ اليَشْكُرِيِّ من قصيدةٍ يمدح بها مِسْمَعَ بن مالك بن مِسْمَعٍ ، والغناء لعَلُّويَهْ رملٌ بالوسطى عن عمرو .

1 خام : نكص وجبن وضعف .
2 التتايع : التهافت والإسراع إلى الشيء ولا يكون التتايع إلاّ في الشر .
3 الرواح هنا : الارتياح والاستراحة .
4 الثّرى في ل : الحصى .

[194] ـ أخبار أبي جلدة ونسبه

[نسبه]

أبو جلْدَةَ بن عُبَيْد بن مُنْقِذِ بن حُجْرِ بن عُبَيْد الله بن مَسلمة بن حُبَيِّبِ بن عَدِيٍّ بن جُشَمَ بن غَنْمِ بن حُبَيِّبِ بن كَعْب بن يَشْكُرَ بن بَكْر بن وائلٍ ، شاعرٌ إسلاميٌّ من شُعَراء الدّولة الأُمَويّة ، ومن ساكني الكوفة . وكان ممّن خرَج مع ابن الأشْعَث فقتله الحجّاج .

[كان مع الحجّاج ثم صار حرباً عليه]

أخبرني بخبره في جُملة ديوان شعره محمد بن العبّاس اليزيديُّ وقرأتُه عليه قال حدَّثني عمِّي عبد الله قال حدَّثني محمد بن حَبيبَ ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكريّ عن ابن الأعرابيّ قال : كان أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِيُّ من أخصّ النّاس بالحجّاج ، حتى إنّه بعثه وبعث معه عبدَ الله بن شدّاد بن الهادي الليثيَّ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلامُ ، فخطَب الحجّاج منه ابنتَه أُمَّ كُلْثوم . ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث ، وكان من أشَدِّ الناس تحريضاً على الحجّاج . فلمّا أتي الحجّاج برأسه ووُضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال : كم من سِرٍّ أودعتُه في هذا الرأس فلم يخرُج حتى أُتِيتُ به مقطوعاً . فلما كان يوم الزّاوية[1] خرج أبو جلدةَ بين الصَّفَّيْنِ ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

فقُلْ للحَوَارِيّــاتِ يبكين غيرَنا ولا تَبْكِنا إلاّ الكِلابُ النوابحُ[2]
بَكَيْــنَ إلينــا خَشْيةً أن تُبِيحَها رِماحُ النّصارى والسيوفُ الجوارحُ
بكــينَ لكيمــا يمنَعوهنّ منهمُ وتأبــى قلوبٌ أضمرتْها الجوانحُ
ونادَينَنــا : أيــنَ الفِــرارُ وكنتمُ تَغارُونَ أن تبدُو البُرى والوشائحُ[3]
أأسلمتمونــا للعَــدُوِّ على القَنــا إذا انْتُزِعتْ منها القُرونُ النواطِحُ
فمــا غــار منكــم غائرٌ لحليلةٍ ولا عَــزَبٌ عَزّتْ عليه المَناكِحُ

قال : فلمّا أنشدهم هذه الأبياتَ أنِفوا وثاروا فشَدُّوا شَدّةً تضعضعَ لهم عسكرُ الحجّاج ، وثبت لهم الحجّاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا ، فكانت الدائرةُ له ، فجعل يقتُل الناس

1 الزاوية : موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .
2 الحواريات : نساء الأمصار .
3 البرى هنا : الخلاخيل . واحدها برة . والوشائح جمع لوشاح .

بقيّة يومه ، حتى صاح به رجلٌ : والله يا حجّاج لئن كنّا قد أسأنا في الذنب لَما أحسنتَ في العفو ، ولقد خالفتَ اللّهَ فينا وما أطعتَه . فقال له : وكيف ويلَك ؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول : ﴿فإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزارَها﴾ وقد قتلتَ فأثخنتَ حتى تجاوزت الحدّ ، فأْسِرْ ولا تقتُلْ ، ثم قال : أوِ امْنُنْ : فقال : أَولى لك[1] ! ألا كان هذا الكلامُ منك قبل هذا الوقت ؟ ثم نادى برفع السيف وأمَّنَ النّاسَ جميعاً . قال ابن حبيب قال ابن الأعرابيّ : فبلغني أنّ الحجّاج قال يوماً لجلسائه ما حرَّض عليّ أحدٌ كما حرّض أبو جلدةَ ؛ فإنّه نزل على سَرْحةٍ في وَسَط عسكرٍ لابن الأشعث ثم نزَعَ سَراوِيلَه فوضعه وسلَح فوقه والناسُ ينظرون إليه . فقالوا له : ما لَكَ ويلك أَجُنِنْتَ ؟ ما هذا الفعل ! قال : كلُّكم قد فعلتم مثلَ هذا إلاّ أنّكم سترتموه وأظهرتُه . فشتَموه وحملوا عَلَيّ ، فما أنساهم وهو يَقْدُمهم ويرتجز : [من الرجز]

نحن جَلَبْنا الخَيْلَ من زَرَنْجا ... ما لَكَ يا حَجَّاجُ مِنّا مَنْجى[2]
لَتُبْعَجَنَّ بالسيوفِ بَعْجا ... أَوْ لَتَفِرَّنَّ فذاك أَحْجى[3]

فوالله لقد كاد أهلُ الشام يومئذٍ يتضعضعون لولا أنّ الله تعالى أيّد بنصره .

قال وقال أبو جِلدة يومئذٍ : [من الوافر]

أَيا لَهفي ويا حُزْني جميعاً ... ويا غَمَّ الفُؤادِ لِما لَقِينا
تركْنا الدِّينَ والدُّنيا جميعاً ... وخَلَّيْنا الحلائلَ والبَنِينا
فما كُنّا أناساً أهلَ دِينٍ ... فنصبِرَ للبلاءِ إذا بُلِينا
ولا كنّا أناساً أهلَ دُنْيا ... فنمنَعَها وإن لم نَرْجُ دِينا
تركنا دُورَنا لطَغامِ عَكٍّ ... وأَنْباطِ القُرى والأَشْعَرِينا[4]

[ذم القعقاع بن سويد]

قال ابن حبيبَ : وكان أبو جِلْدةَ مع القَعقاع بن سُويد المِنْقَريّ بِسِجِسْتان ، فذمّ منه بعض ما عامله به ، فقال فيه : [من الوافر]

سَتَعْلَمُ أنّ رأيَك رأيُ سَوْءٍ ... إذا ظِلُّ الإمارةِ عنك زالا

1 أولى لك : دعاء عليه بمعنى ويل لك .
2 زَرَنْج : قصبة سجستان .
3 البعج : الشق . أحجى : أجدر وأخلف .
4 عك : قبيلة . وطغام : أوغاد . الأشعرون : جمع أشعري نسبة إلى الأشعر وهو أبو قبيلة في اليمن .

وراح بنو أبيكَ ولستَ فيهم ... بذِي ذِكْرٍ يَزيدُهــمُ جَمالا[1]
هناك تَذَكَّـرُ الأَسلافَ منهمْ ... إذا اللَّيــلُ القصيرُ عليك طالا

فقال له القَعْقاعُ : ومَتى يطول عليَّ الليلُ القصير ؟ قال : إذا نظرتَ إلى السماء مُرَبَّعةً . فلمّا عُزِل وحُبِس أخرج رأسَه ليلةً فنظر ، فإذا هو لا يرى السماء إلاّ بقَدْر تربيع السِّجْن ، فقال : هذا والله الذي حذَّرنيه أبو جلدة .

[مدح مسمع بن مالك ورثاه]

قال : ووَلِيَ مِسْمَعُ بن مالك سِجِسْتان ، وكان مُكْثُ أبي جلدةَ بها ، فخرج إليه فتلقّاه ومدحه بقصيدته التي أوّلُها : [من البسيط]

بانتْ سُعادُ وأَمْسى حَبْلُها انْقَطَعا ... ولَيْتَ وَصْلاً لها من حَبْلِها رَجَعا
شَطَّتْ بهــا غُرْبــةٌ زَوْراء نازحةٌ ... فطارتِ النَّفْسُ من وَجْدٍ بها قِطَعا[2]
ما قَــرّتِ العينُ إذ زالتْ فينفعها ... طعمُ الرُّقاد إذا ما هاجعٌ هَجَعا[3]
منعتُ نفسيَ مــن رَوْحٍ تعيش به ... وقد أكونُ صحيحَ الصَّدْرِ فانصدعا
غدتْ تَلُوم على مــا فاتَ عاذلتي ... وقبــلَ لَوْمِكِ ما أغنيتِ مَن مَنَعا
مَهْــلاً ذَريني فإنّي غالني خُلُقي ... وقــد أرى في بــلاد الله مُتَّسَعا[4]
فَخْرِي تليدٌ ومــا أنفقتُ أُخلَفه ... سيبُ الإله وخيرُ المــال ما نَفَعا
ما عَضّني الدّهــرُ إلاّ زادني كَرَماً ... ولا استكنتُ له إنْ خان أو خدَعا
ولا تَلِينُ على العِــلاتِ مَعْجَمتي ... في النائبات إذا مــا مسّني طَبَعا[5]
ولا تُلَيِّن مــن عُــودِي غمائــزُه ... إذا المُغَمَّزُ منهــا لانَ أو خضَعا[6]
ولا أُخاتِــلُ ربَّ البيتِ غَفْلَتَه ... ولا أقول لشيءٍ فاتَ مــا صنَعا
إنّي لأَمدح أقواماً ذوي حَسَب ... لم يجعلِ اللهُ في أقوالهــم قَذَعا[7]
الطيِّبــين على العِــلاّتِ مَعْجَمَةً ... لو يُعْصَرُ المِسْكُ من أطرافهم نَبَعا

---

1 بذي ذكر في ل : بذي ذخر .
2 غربة زوراء : بعيدة .
3 زالت : فارقت .
4 غالني هنا : حبسني .
5 المعجمة : القوة والصلابة ؛ الطبع : الضعف والخور .
6 الغمائز : جمع غميزة من الغمز ، والغميزة : العيب .
7 القذع : الفحش في الكلام .

بني شِهابٍ بهــا أَغْنَــي وإنّهمُ ... لأكــرمُ النّاسِ أخلاقاً ومُصْطَنَعا

قال : فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحمَله وكساه وولاّه ناشيتكين وكان مكتبه . قال : ثم توفّي مِسْمَعُ بن مالك بسجستان ، فقال أبو جِلدة يَرثيه : [من البسيط]

أقــولُ للنَّفْسِ تأساءً وتَعزيــةً ... قد كان من مِسْمَعٍ في مالكٍ خَلَفُ

يا مِسمَعَ الخيرِ مَنْ ندعو إذا نزلتْ ... إحْدى النّوائب بالأقوامِ واختلفوا

يا مِسْمَعاً لِعراقٍ لا زعيـمَ لهـا ... بمن تُرى يُؤْمَنُ المُسْتَشرِفُ النَّطِفُ[1]

تلك العيــونُ بحيث المصر سادمة ... تبكيك إذ غالك الأكفانُ والجُرُفُ

قــد وسّدوك يميناً غير موسدة ... وبذل جود لمـا أودى بك التلفُ

كنتَ الشِّهابَ الذي يُرْمى العَدُوّ به ... والبَحْرَ منه سِجالُ الجُود تغترفُ

[كان ينادم شقيق بن سليط واستثقل أخاه ثعلبة فهجاه]

قال ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ قال : كان أبو جِلدة يُنادم شقيقَ بن سَلِيطِ بن بُدَيْل السَّدوسيّ أخا بِسْطامِ بن سَلِيطٍ ، وكان لها أخٌ يقال له ثعلبةُ بن سَليطٍ وكان ثقيلاً بخيلاً مُبَغَّضاً وكان يُطَفِّل عليهم ويُؤذيهم . فقال فيه أبو جِلدة : [من الوافر]

أُحِــبُّ عــلى لَذاذتنا شَقِيقاً ... وأُبْغِضُ مثــلَ ثعلبــةَ الثَّقيلُ

لــه غَــمٌّ على الجُلَساء مُؤْذٍ ... نَوافِلُــه إذا شربــوا قليــلُ

[قال شعراً في مسمع حين خصّ عشيرته بالمال]

قال ابن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ : وفرّق مِسْمَعُ بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثَعلبة عطايا كثيرةً وقرّبهم وجفا سائرَ بطون بكر بن وائلٍ . فقال أبو جِلدة : [من الطويل]

إذا نِلْتَ مالاً قلتَ قيسٌ عَشيرَتي ... تجــورُ علينا عامــداً في قَضائكا

وإنْ كانتِ الأُخْرى فبكرُ بن وائلٍ ... بزَعْمِك يُخْشى داؤهــا بدوائكا

هُنالِكَ لا نَمْشي الضَّراءَ إليكمُ ... بَنــي مِسْمَعٍ إنّا هنــاك أولئكا[2]

عسى دولةُ الذُّهْلَيْنِ يوماً ويَشْكُرٍ ... تَكُــرُّ علينا سَبْغــةً مــن عطائكا[3]

قال : فبعث إليه مِسْمَعٌ فترضّاه ووَصله وفرّق في سائر بطون بكر بن وائل على جِذْمَيْن ،

1 المستشرف : الظالم . والنطف : المريب .
2 الضراء : الشجر الملتف .
3 الدولة : العقبة في الحرب .

جذْمٍ يقال له الذُّهلانِ ، وجِذْمٍ يقال لـه اللَّهازم . فالذُّهْلانِ : بنو شَيْبانَ بن ثَعْلبة بن يَشْكُـرَ بن وائـلٍ ، وبنو ضُبَيعة بن رَبيعـة . واللّهازم : قيسُ بن ثَعلبة ، وتَيْمُ اللاَّتِ بن ثَعلبة ، وعِجْلُ بن لُجَيم ، وعَنَزةُ بن أَسَدِ بن ربيعة . قال الفرزدق : [من الطويل]

وأرضى بحُكْم الحَيِّ بكرِ بن وائلٍ ... إذا كان في الذُّهْلَيْنِ أو في اللَّهازمِ

قال : وقد دخل بنو قيس بن عُكابة مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة . وأمّا حَنيفةُ فلم تدخُلْ في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وَسَط دار مُضَر ، وكانوا لا ينصرون بَكْراً ولا يستنصرونهم . فلمّا جاء الإسلام ونزل الناس مع بنـي حَنِيفـة ومع بنـي عِجْلِ بن لُجيم فتَلَهْزَمُوا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازنِ بن جُدَيٍّ بن مالك بن صعبٍ[1] بن عليٍّ ، فصاروا جميعاً في اللهازم . وقال موسى بن جابر الحَنَفيّ السُّحَيْمِيُّ بعد ذلك في الإسلام : [من الطويل]

وجدنـا أبانـا كان حَـلّ ببَلْدةٍ ... سُوًى بين قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ[2]
فلمّـا نـأتْ عنّا العشيرةُ كلُّها ... أَقَمْنا وحالَفْنا السيوفَ على الدهرِ
فما أسلمتْنا بَعْدُ في يـوم وَقْعةٍ ... ولا نحن أغْمَدْنا السيوفَ على وِتْرِ

[كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه]

وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان لأبي جِلدة بسجستان جارٌ يقال له سيفٌ من بني سَعْد ، وكان يشرَب الخمر ويُعَربِد على أبي جلدة ، فقال يهجوه : [من الطويل]

قُلْ لِذَوي سَيْفٍ وسَيْفٍ أَلَسْتُمُ ... أَقَلَّ بنـي سعدٍ حَصاداً ومَزْرَعا
كأنّكُمُ جِعْـلانُ دارِ مُقامـةٍ ... على عَذِراتِ الحيِّ أصبحنَ وُقَّعا[3]
لقد نال سيفٌ في سِجِسْتانَ نُهْزةً ... تَطاوَلَ منها فوق ما كان إصْبَعا
أَصابَ الزِّنا والخمرَ حتّى لقد نَمَتْ ... له سُرَّةٌ تُسْقى الشّرابَ المُشَعْشَعا[4]
فلولا هَوانُ الخمرِ ما ذُقْتَ طَعْمَها ... ولا سُفْتَ إبريقاً بكَفِّكَ مُتْرَعا[5]
كما لم يَذُقْهـا أنْ تكـونَ عزيزةً ... أبوك ولم يُعْـرَضْ عليها فيَطْمَعا
وكان مكانَ الكلبِ أو مِنْ ورائه ... إذا مـا المُغَنّـي لِلَّذاذةِ أَسْمَعا

---

1 ل : مصعب .
2 يقال : مكان سُوِي . وسواء : إذا كان وسطاً بين الفريقين .
3 العَذِرة : الغائط .
4 الشراب المشعشع : الممزوج بالماء .
5 ورد في تكملة شعر الأخطل : سُفت : والسوف : الشم .

[القعقاع يتهدده بالعزل حين أرجف به]

قال ابن حبيب : وكان أبو جِلدة قد استعمله القَعْقاع بن سُوَيْد حين تولّى سجِسْتان على بُسْتَ[1] والرُّخَّج[2] ، فأرجف الناسُ بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم ، وكتب القعقاع إليه يَتهدّده ؛ فكتب إليه أبو جِلدة : [من الطويل]

يُهَدِّدني القعقــاعُ في غير كُنْهِــهِ ... فقلتُ لــه بَكْرٌ إذا رُمْتَني تُرْسي
كأنّا وإيّاكُــمْ إذا الحربُ بيننا ... أُسودٌ عليها الزَّعْفرانُ مع الوَرْسِ[3]
تُــرى كمصابيح الدَّياجِي وُجُوهُنا ... إذا مــا لُقِينــا والهِرَقْلِيّةِ المُلْسِ[4]
هناك السُّعودُ السانحاتُ جَرَتْ لنا ... وتجري لكم طيرُ البَوارِحِ بالنَّحْسِ
وما أنتَ يا قَعْقاعُ إلاّ كمَنْ مضى ... كأنّكَ يوماً قد نُقِلتَ إلى الرَّمسِ
أظُــنّ بِغالَ البُرْدِ تَسْرِي إليكمُ ... بــه غَطَفانِيّــاً وإلاّ فَمِنْ عَبْسِ
وإلاّ فبالبسّال يا لَكَ إنْ سَرَتْ ... به غيرَ مَغْموزِ القَناة ولا نِكْسِ[5]
فعُمّالُنــا أوْفــى وخيرٌ بَقِيّــةً ... وعُمّالُكم أهــلُ الخِيانةِ واللُّبْسِ
ومــا لبني عَمْــرٍو عليّ هَوادةٌ ... ولا للرِّبابِ غيرُ تَعْسٍ من التَعْسِ

قال : فلمّا انتهت هذه القصيدة إلى القَعقاع وجَّه برسولٍ إلى أبي جِلدة ، وقال : انظُر ، فإن كان كتَب هذا الكتاب بالغَداةِ فاعْزِلْه ، وإن كان كتَبه بالليل فأقِرّه على عَمَله ولا تعزِلْه ولا تَضْرِبْه . وكان أبو جلدة صاحبَ شرابٍ ، فقال للرسول : واللهِ ما كتبتُه إلاّ بالعَشيّ . فسأله البَيِّنةَ على ذلك فأتاه بأقوامٍ شهِدوا له بما قال ، فأقرّه على عمله وانصرَف عنه .

[شبب ببنت دهقان فأهدي ليترك ذكرها]

قال ابن حبيب : ومرَّ أبو جِلْدة بقَصْرٍ من قُصور بُسْتَ ينزِله رجلٌ من الدَّهاقِين ، فرأى ابنته تُشْرِف من أعلى القصر ، فأنشأ يقول : [من الخفيف]

إنَّ في القَصْرِ ذي الخِبا بَدْرَ تِمٍّ ... حَسَنَ الدَّلِّ للفُــؤادِ مُصِيبا
وَلِعــاً بالخَلُــوقِ يأْرَجُ منه ... ريحُ رَنْــدٍ إذا اسْتَقَلَّ مُنِيبا[6]

---

1 بُست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة من نواحي كابل .
2 الرخج : كورة ومدينة من نواحي كابل .
3 الورس : نبت أصفر يكون باليمن تصبغ به الثياب .
4 الهرقلية : الدنانير ، نسبة إلى هرقل .
5 غمز القناة : عصرها وتليينها ، وهي كناية عن عدم الانقياد .
6 الخلوق : ضرب من الطيب . والرند : شجر طيب الرائحة ، وقيل هو العود أو الآس .

يَلْبَس الخَـــزَّ والمَطارِفَ والقَـ ـزَّ وعَصْباً مـــن اليَماني قَشِيبا
ورأيـــتُ الحبيبَ يُبْرِزُ كَـفّـاً مـــا رآه المُحِبُّ إلاّ خَضِيبا

فبلغ ذلك من قوله الدِّهْقانَ ، فأهدى له وبرّه وسأله ألاّ يذكر ابنتَه في شعرٍ بعد ذلك .

[هتف بمسمع بن مالك حين لم يمنعه قومه في ضيم]

قال ابن حبيب : ولَحِق أبا جِلْدةَ ضيمٌ من بعض الوُلاة ، فهتَف بقومه فلم يقدِروا على منعِهِ منه ولا معونتِه رهبةً للسُّلْطان ، فهتَف بأعْلى صوتِه : يا مِسْمَعَ بن مالك ، يا أُمير بن أَحْمَرَ ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

ولَمّـــا أنْ رأيتُ سَراةَ قومِـي سُكوتـــاً لا يثوبُ لهم زعيمُ
هتفـتُ بِمسْمَعٍ وصَدى أُميرٍ وقَبْرِ مُعَمَّـــرٍ تلـــك القرومُ[1]

قال : فأبكى جميعَ من حَضَر ، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمره حتى كفَّ عنه . قال :
وأمير بن أحمر رجلٌ من بني يَشْكُرَ ، وكان سيِّداً جواداً ، وفيه يقول زِيادٌ الأعجمُ : [من السريع]

لـــولا أُميرٌ هَلَكـــتْ يَشْكُرٌ ويَشْكُرٌ هَلْكـى على كلِّ حالْ

قال ابن الأعرابيّ : كان أُميرُ بن أحمرَ والياً على خُراسان في أيّام معاوية .

ومُعَمَّرٌ الذي عناه أبو جِلْدةَ معمَّر بن شُمَيْرِ بن عامرِ بن جَبَلَةَ بن ناعبِ بن صُرَيْمٍ ، وكان أميرَ سِجِسْتانَ ، وكان سيّداً شريفاً .

[خطب خليعة بنت صعب فأبت وتزوّجت غيره فقال شعراً]

وقال : خطَب أبو جِلْدةَ امرأةً من بني عِجْلٍ يقال لها خَلِيعةُ[2] بنت صَعْب ، فأَبَتْ أن تتزوَّجه وقالت : أنت صُعلوكٌ فقيرٌ لا تَحفَظ مالَك ولا تُلْفِي شيئاً إلاّ أنفقتَه في الخمر ، وتزوّجتْ غيره . فقال أبو جِلْدةَ في ذلك : [من الكامل]

صوت

لَمّـا خَطَبتُ إلى خَلِيعةَ نفسَها قالت خليعةُ ما أرى لك مالا
أوْدى بمالي يـا خَلِيعُ تَكَرُّمي وتَخَرُّقِـــي وتَحَمُّـلي الأثقالا
إنِّي وَجَدِّكِ لو شَهِدْتِ مَواقِفي بالسَّفْحِ يـومَ أُجَلِّـلُ الأَبطالا
سَيْفِي ، لَسَرَّكِ أنْ تكوني خادماً عندي إذا كَـرِه الكُماةُ نِزالا

الغناء لإبراهيم المَوصليّ ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشاميّ من كتاب عليّ بن يحيى .

[ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا]

قال أبو سعيدٍ السُّكَّريّ وعُمر بن سعيد صاحب الواقديّ : إنّ أبا جِلْدةَ كان في قريةٍ من

1 الصدى هنا : جسد الإنسان بعد موته .
2 ل : خليّة .

قُرى بُسْت يقال لها الخَيْزُرانُ ومعهم عمرو بن صُوحانَ أخو صَعْصَعَةَ في جماعةٍ يتحدّثون ويَشربون ، إذ قام أبو جِلدة لِيبول فضَرَطَ ، وكان عظيمَ البطن ، فتضاحكَ القومُ منه ، فسلّ سيفَه وقال : لأَضربنَّ مَن لا يَضرِط في مجلسه هذا ضربةً بسيفي ، أمنّي تضحَكون لا أُمَّ لكم ! فما زال حتى ضَرطوا جميعاً غيرَ عمرو بن صُوحانَ . فقال له : قد علمتَ أنّ عبد القيس لا تضرط ولك بَدَلَها عشرُ فَسَواتٍ . قال : لا والله أو تُفْصِحَ بها ! فجعل عمرو يَجْثي وينحني فلا يقدر عليها ، فتركه . وقال أبو جلدة في ذلك : [من الطويل]

أمِنْ ضَرْطَةٍ بالخَيْزُرانِ ضَرَطْتُها ... تَشَدّد منّــي دارةٌ وتَلِـــينُ[1]
فما هُوَ إلاّ السيفُ أو ضَرْطَةٌ لها ... يثــور دُخـــانٌ ساطـــعٌ وطنينُ

قال : ولعمرو بن صُوحانَ يقول أبو جلدة اليَشْكُرِيّ وطالت صُحْبته إيّاه فلم يظفَر منه بشيء : [من البسيط]

صاحبتُ عمراً زماناً ثم قلتُ له ... الْحَقْ بقومك يا عمرُو بنَ صُوحانا
فإنْ صَبَرْت فــإنّ الصبرَ مَكْرُمةٌ ... وإنْ جَزِعتَ فقــد كان الذي كانا

[هجا زياداً الأعجم لهجوه بني يشكر]

قال ابن سعيد وحدَّثني أبو صالح قال : بلغ أبا جِلدة أنّ زياداً الأعجمَ هجا بني يَشكُرَ ، فقال فيه : [من الكامل]

لا تَهْجُ يَشْكُرَ يا زيادُ ولا تكنْ ... غَرَضاً وأنت عن الأذى في مَعزِلِ
واعْلَمْ بأنّهمُ إذا مــا حُصِّلوا ... خيرٌ وأكرمُ من أبيك الأَعْزَلِ
لولا زعيمُ بني المُعَلَّى لم يَبِتْ ... حتَّى نُصَبِّحَكم بجيشٍ جَحْفَلِ
تمشي الضَّراءَ رجالُهم وكأنّهم ... أُسْدُ العَرِينِ بكلّ عَضْبٍ مُنْصُلِ[2]
فاحْذَرْ زِيادُ ولا تكنْ ذا تُدْرأً ... عنـد الرِّجالِ ونُهْزَةً للخُتَّلِ[3]

[مدح سليمان بن عمرو بن مرثد وكان صديقاً له]

وقال ابن حبيب : كان سليمان بن عمرو بن مَرثَد البَكريّ صديقاً لأبي جِلدَة ، وكان فارساً شُجاعاً ، وقتله ابن خازمٍ لشيء بلَغه فأنكره ؛ وفيه يقول أبو جِلدة : [من الطويل]

إذا كنتَ مُرْتــاداً نديمــاً مُكَرَّراً ... نَمــاه سَراةٌ مــن سَراةِ بني بكرِ

---

1 بالخيزران في ل : الجبروان .

2 العضب : السيف القاطع . والمُنْصُل : اسم للسيف .

3 ذو تدرأ : ذو حفاظ ومدافعة ومنعة . النهزة : الفرصة . والختل : جمع خاتل .

فـلا تَعْـدُ ذا العَلْيا سُليمانَ عامداً   تَجِدْ ماجداً بالجُودِ مُنْشَرِحَ الصدرِ
كريمـاً على عِلاَّتِهِ يبذُل النّدى   ويَشْرَبُهـا صهبـاءَ طَيِّبَـةَ النَّشْرِ
مُعَتَّقةً كالمِسْكِ يُذْهِبُ ريحُها الـ   ـزُّكامَ وتدعو المرءَ للجُودِ بالوَفْرِ
وتترك حاسي الكأسِ منها مُرَنَّحاً   يَميـدُ كما مـادَ الأثيمُ من السّكرِ
تلوحُ كعَيْنِ الدِّيكِ ينزُو حَبابُها   إذا مُزِجتْ بالماء مثلَ لَظى الجَمْرِ
فتِلك إذا نادمـتُ من آلِ مَرْثَدٍ   عليها نديماً ظلَّ يَهْرِف بالشِّعْرِ[1]
يُغَنِّيكَ تـاراتٍ وطوراً يَكُرُّها   عليـكَ بحَيَّـاكَ الإلهُ ولا يدري
تَعَـوَّد ألاَّ يَجْهَلَ الدَّهْـرَ عندها   وأن يبذُلَ المعروفَ في العُسْرِ واليُسرِ
وإنّ سليمانَ بن عَمْرٍو بـن مَرْثَدٍ   تألَّى يميناً أنْ يَرِيشَ ولا يَبْرِي[2]
فهِمَّتُـه بَـذْلُ النَّدى وابْتِنا العُلا   وضربُ طُلى الأبطالِ في الحربِ بالبُتْرِ[3]
وفي الأمْنِ لا ينفكُّ يَحْسُو مُدامةً   إذا ما دجا ليلٌ إلى وَضَحِ الفَجْرِ

قال : فلمّا بلغتْ سليمانَ هذه الأبياتُ قال : هجاني أخي وما تعمَّد ، لكنّه يرى أنّ الناسَ جميعاً يُؤْثِرون الصَّهباء كما يُؤْثِرها هو ، ويَشربونها كما يَشربُها . وبلغ قولُه أبا جلدة فأتاه فاعتذر إليه ، وحلَف أنّه لم يتعمّد بذلك ما يكرَهه ويُنكره . قال : قد عَلِمتُ بذلك وشَهِدتُ لك به قبل أنْ تعتذر ، وقَبِل عُذْرَه .

[سأل الحضين بن المنذر شيئاً فلم يعطه إيّاه فهجاه]

وقال ابن حبيب : سأل أبو جلدةَ الحُضَيْن بن المُنْذِرِ الرَّقاشيّ شيئاً فلم يُعْطِه إيّاه ، وقال : لا أُعطيه ما يشرَب به الخَمر . فقال أبو جِلْدة يهجوه : [من السريع]

يـا يومَ بُؤْسٍ طلعتْ شَمْسُه   بالنَّحْسِ لا فارقتَ رأسَ الحُضَيْنِ
إنّ حُضَيْنـاً لم يَـزَلْ باخلاً   مُذْ كان بالمعروفِ كزَّ اليَدَيْنِ

فبلغ الحضينَ قولُ أبي جِلدة ، فقال يُجيبه : [من السريع]

عَضَّ أبـو جِلْـدةَ من أُمِّهِ   مُعْتَرِضاً مـا جاوزَ الأُسْكتَيْنِ[4]
بَظْـراً طويـلاً غاشياً رأسَه   أعْقَـفَ كالمِنْجَـلِ ذا شُعْبَتَيْنِ

1 الهرف : الهذيان ، والهرف : مجاوزة القدر في المدح والثناء .
2 تألّي : حلف . يقال رشت فلاناً ، إذا قويت جناحه بالإحسان إليه . وبراه : هزله وأضعفه . وهو مثل .
3 الطُّلى : الأعناق . والبتر : جمع بتور ، وهو السيف القاطع .
4 الأسكتان : جانبا الفرج وهما قذتاه .

وقال أبو جِلدة في حُضَيْنٍ أيضاً : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنِّي يوم أُسْنِدُ حاجتي إليكَ أبا ساسانَ غيرُ مُسَدَّدِ[1]
فلا عالِمٌ بالغَيْبِ مِنْ أيْنَ ضَرُّه ولا خائفٌ بَثَّ الأَحاديثِ في غَدِ
فليتَ المَنايا حَلَّقَتْ بِي صُروفُها فلم أَطْلُبِ المعروفَ عند المُصَرِّدِ[2]
فلو كنت حُرّاً يا حُضَيْنُ بنَ مُنْذِرٍ لَقُمْتَ بحاجاتي ولَم تَتَبَلَّدِ
تَجَهَّمتني خوفَ القِرى واطَّرَحْتني وكنتَ قصيرَ الباعِ غير المُقَلَّدِ
ولم تَعْدُ ما قد كنتَ أهلاً لِمثْلِهِ من اللُّؤْمِ يا ابنَ المُسْتَذَلِّ المُعَبَّدِ

[تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعراً]

قال : فبلغ أبا جِلدة أنّ بني رَقاشٍ[3] تهدّدوه بالقتل لهجائه الحُضَيْن بن مُنْذِرٍ، فقال : [من الطويل]

تُهَدِّدُني جهلاً رَقاشِ وليتَني وكلَّ رقاشيٍّ على الأرضِ في الحَبْلِ
فباسْتِ حُضَيْنٍ واسْتِ أُمٍّ رمَتْ به فبئس مَحَلُّ الضَّيْفِ في الزَّمَنِ المَحْلِ
وإنْ أنا لَم أَتْرُك رَقاشِ وجَمْعَهُمْ أذَلَّ على وَطْءِ الهَوانِ من النَّعْلِ
فشَلَّتْ يداي واتّبعْتُ سوى الهُدى سبيلاً ولا وُفِّقْتُ للخيرِ والفضلِ
عِظامُ الخُصى ثُطُّ اللِّحى مَعْدِنُ الخَنا مَباخِيلُ بالأَزْوادِ في الخِصْبِ والأَزْلِ[4]
إذا أُمِنوا ضَرّاءَ دهرٍ تَعاظَلُوا عِظالَ الكِلابِ في الدُّجنةِ والوَبْلِ[5]
وإنْ عَضَّهُمْ دهرٌ بنَكْبةِ حادثٍ فَأَخْوَرُ عِيداناً من المَرْخِ والأَثْلِ[6]
أُسُودُ شَرًى وَسْطَ النَّديِّ ثَعالِبٌ إذا خَطَرَتْ حربٌ مَراجِلُها تَغْلي

[شعره في دهقانة كان يختلف إليها]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال : عَشِق أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِيُّ دِهْقانةً بِبُسْتَ وكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً ، وقال فيها : [من الطويل]

1 أبو ساسان : كنية الحضين بن المنذر .
2 التصريد : قلة العطاء .
3 رقاش : مبنية على الكسر .
4 ثط جمع أثط وهو القليل شعر اللحية . المعدن اسم مكان من عدن أي أقام . الأزل : الضيق والشدة .
5 التعاظل : الملازمة في السفاد .
6 المرخ والأثل : ضربان من الشجر .

وكأسٍ كأنّ المِسْكَ فيها حسوتُها ... ونازَعَنيها صاحبٌ لي مُلَوَّمُ[1]
أغَرُّ كأنّ البَدْرَ سُنَّةُ وَجْهِهِ ... لـه كَفَلٌ وافٍ وفَرْعٌ ومَبْسِمُ[2]
يُضيء دُجى الظَّلْماءِ رَوْنَقُ خَدِّه ... وينجابُ عنه الليلُ والليلُ مظلمُ
وثَدْيانِ كالحُقَّيْن والمَتْنُ مُدْمَجٌ ... وجِيدٌ عليه نَسْقُ دُرٍّ مُنَظَّمُ
وبطنٌ طواه اللهُ طَيّاً ومَنْطِقٌ ... رَخِيمٌ ورِدْفٌ نِيطَ بالحَقْوِ مُفْأَمُ[3]
به تَبَلَتْني واستَبَتْني وغادرتْ ... لَظًى في فُؤادي نارُها تَتَضَرَّمُ
أبِيتُ بها أهذِي إذا الليلُ جَنَّني ... وأُصْبِحُ مبهوتاً فما أتكلّمُ
فمَنْ مُبْلِغٌ قومي الدُّنا أنّ مُهْجَتي ... تَبِينُ ، لئن بانت ألا تَتَلَوَّمُ[4]
وعَهْدِي بها ، واللهُ يُصْلِحُ بالَها ، ... تجودُ على مَنْ يَشْتَهِيها وتُنعِمُ
فما بالُها ضَنَّتْ عليَّ بوُدّها ... وقلبي لها يا قومِ عانٍ مُتَيَّمُ

قال : فلمّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها . فلمّا انتهى المُفَسِّر إلى هذين البيتين الأخِيرين غَضِبتْ فقالت : أنا زانيةٌ كما زَعَم ؟ إنْ كلمته كلمةً أبداً . أوَ كُلَّما اشتَهاني إنسانٌ بذلتُ له نفسي وأنعمتُ من رُوحي إذاً ! أيْ أنا إذاً زانية . فصرَمته ، فلم يقدِر عليها وعُذِّب بها زماناً ، ثم قال فيها لمّا يئس منها : [من الوافر]

صحا قلبي وأقْصَرَ بعد غَيٍّ ... طويلٍ كان فيه من الغَواني
بأنْ قصَد السبيلَ فباع جهلاً ... برُشْدٍ وارتَجى عُقْبى الزّمانِ
وخاف الموتَ واعتصَمَ ابنُ حُجْرٍ ... من الحُبِّ المبرِّح بالجَنانِ[5]
وقِدْماً كان مُعْتَرِماً جَمُوحاً ... إلى لَذّاته سَلِسَ العِنانِ[6]
وأقلَعَ بعد صَبْوَته وأضحى ... طويلَ اللّيلِ يَهْرِف بالقُرانِ
ويدعو اللهَ مجتهداً لكيما ... ينالَ الفوْزَ من غُرَفِ الجنانِ

[قال شعراً في يزيد بن المهلّب ثم تنصل منه]

قال ابن حبيبَ قال أبو عُبيدة : كان يزيد بن المهلَّبِ يُتَّهمَ بالنِّساء . فقال فيه أبو

1 ملوّم : يلومه الناس كثيراً .
2 سنة الوجه : دائرته أو صورة أو الجبهة والجبينان . المبسم : الثغر .
3 نيط بالحقو : علق به . والحقو : الكشح . وردف مفأم : سمين .
4 القوم الدنا : الأقربون . التلوّم : التلبث والانتظار .
5 حجر : من آباء الشاعر .
6 الاعترام هنا الشراسة والبطر .

جِلدة : [من الطويل]

إذا اعتكرتْ ظلماءُ ليلٍ ونَوَّمتْ عيونُ رجالٍ واستلذُّوا المَضاجِعا[1]
سما نحوَ جارِ البيتِ يَسْتامُ عِرْسَه يزيـــدُ دبيباً للمعانـــاة قابعا[2]
وإنْ أمكنتْه جارةُ البيتِ أوْ رنتْ إليـــه أتاهـــا بعـــد ذلك طائعا

فشاعتِ الأبياتُ ورواها الناسُ لقَتادةَ بن مُعْرِب . فقال أبو جِلدة :

أَبا خالـــدٍ رُكْني ومَـــنْ أنا عبدُه لقـــد غالنـــي الأَعداءُ عمداً لِتَغْضَبا
فـــإنْ كنتُ قلتُ اللّذْ أَتاك به العِدا فشَلَّتْ يدي اليُمْنَى وأُصبحتُ أَعْضَبا[3]
ولا زِلـــتُ محمـــولاً عـــليَّ بَلِيّـــةٌ وأَمسيتُ شِلـــواً للسِّبـــاع مُتَرَّبا[4]
فـــلا تَسْمَعَـــنْ قـــولَ العِدا وتَبَيَّنَنْ أَبا خالـــدٍ عُذْراً وإنْ كنتَ مُغْضَبا

[سئل عنه البعيث فذكر شعراً لقتادة بن معرب يهجوه به]

وقال ابن حبيبَ : قال رجلٌ للبَعِيثِ : أيُّ رجلٍ هو أَبو جِلدة ؟ فقال : قَتادةُ بن مُعْرِب أَعْرَفُ به حيث يقول : [من السريع]

إنّ أَبـــا جِلْـــدةَ من سُكْرِه لا يعرِف الحـــقَّ من الباطلِ
يـــزدادُ غَيّـــاً وانْهِماكاً ولا يسمَع قـــولَ الناصحِ العاذلِ
أعيـــا أَبـــوه وبنـــو عَمِّـــه وكان في الذِّرْوَة مِـــنْ وائلِ
فليتَـــه لم يَـــكُ من يَشْكُرٍ فبئسَ خِدْنُ الرجـــلِ العاقلِ
أَعْمى عَـــنِ الحقِّ بصيرٌ بما يعرِفُـــه كلُّ فتًـــى جاهلِ
يُصْبِحُ سَكْرانَ ويُمْسِي كما أَصْبَحَ ، لا أُسْقِي مِنَ الوابلِ
شَدَّ رِكابَ الغَيِّ ثـــم اغتدى إلى التـــي تُجْلَبُ مـــن بابلِ
فالسِّجْنُ إنْ عاش لـــه مَنْزِلٌ والسِّجْنُ دارُ العاجـــزِ الخاملِ

[شعر له يناقض به قتادة بن معرب]

وقال أَبو جِلدة يُجيبه : [من السريع]

قَبُحْتَ لـــو كنتَ امرءاً صالحاً تَعْرِفُ مـــا الحقُّ من الباطلِ

---

1 اعتكار الظلام : اشتداده واختلاطه .
2 يستام عرسه : يطلب زوجته . القبع : تغطية الرأس بالليل لريبة .
3 الأعضب هنا : القصير اليد ، والأعضب : من لا ناصر له ، ومن الغنم : المكسور القرن .
4 المترّب : الملطخ بالتراب .

كَفَفْتَ عن شَتْمِي بلا إحنةٍ ... ولَـم تَـوَرَّطْ كفّـةَ الحابلِ[1]
لكنْ أبت نَفسُك فعلَ النُّهى ... والحَــزمِ والنّجْــدةِ والنائلِ
فتحتَ لِـي بالشَّتْمِ حتى بَدا ... مكنونُ غِشٍّ في الحَشا داخلِ
فاجْهَدْ وقُـلْ لا تَتْرُكْ جاهداً ... شَتْمَ امرئٍ ذي نَجْدةٍ عاقلِ
تَعْذُلنـي في قَهْـوةٍ مُـزَّةٍ ... دِرْياقـةٍ تُجْلَـبُ مـن بابلِ
ولَـوْ رآهـا خَـرَّ مِنْ حُبِّها ... يَسْجُـدُ للشيطـانِ بالباطلِ
يـا شَرَّ بَكْـرٍ كلِّها مَحْتِداً ... ونُهْـزةَ المختلِسِ الآكِـلِ
عِرْضَكَ وَفِّـرْهُ ودَعْني وما ... أهـواهُ يـا أحْمَقَ من باقلِ[2]

[عربد عليه ابن عمّ له فاحتمله وقال شعراً]

قال ابن حبيب : كان أبو جِلدة يشرَب مع ابن عمٍّ له من بَكْرِ بن وائل ، فسكِر نديمُه فعَرْبَدَ عليه وشتَمه ، فاحتمله أبو جِلدة وسقاه حتى نام ، وقال في ذلك : [من الطويل]

أبى لِيَ أنْ أَلْحى نَديمي إذا انتشى ... وقـال كلامـاً سيِّئاً لي على السُّكْرِ
وَقارِي وعِلْمِـي بالشَّرابِ وأهلِـهِ ... وما نادمَ القومَ الكرامَ كذِي الحِجْرِ[3]
فلستُ بِـلاحٍ لي نديمـاً بزَلَّـةٍ ... ولا هَفْـوةٍ كانت ونحـن على الخمرِ
عرَكتُ بجَنْبي قول خِدْني وصاحبي ... ونحـنُ عـلى صَهْباءَ طَيِّبةِ النَّشْرِ[4]
فلمّـا تمادى قلـتُ خُذْها عَرِيقةً ... فإنّـك مـن قومٍ جَحاجِحَةٍ زُهْرِ
فمـا زِلْتُ أسْقِيهِ وأشرَب مثلَ ما ... سَقَيْتُ أخي حتّى بَدا وَضَحُ الفجرِ[5]
وأيقنـتُ أنّ السُّكْـرَ طـارَ بلُبِّهِ ... فأغرقَ في شَتْمِي وقـال وما يَدْرِي
وَلاكَ لِسانـاً كان إذْ كان صاحياً ... يقلِّبُـه في كلِّ فَـنٍّ مـن الشِّعْرِ

[شعر له وقد دعا رجلاً من قومه للشراب فأبى]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثانِ قال : كان أبو جِلْدةَ اليَشْكُرِيّ قد خرج إلى تُسْتَرَ[6] في بَعْثٍ ، فشرِب بها في حانةٍ مع رجلٍ من قومه

1 كفة الحابل : حبالته التي يصيد بها .
2 إشارة إلى مثل «أعيا من باقل» .
3 ذو الحجر : ذو العقل .
4 عركت ذنبه بجنبي إذا احتملته . والخدن : الصديق .
5 وضح الفجر : بياض الصُّبح .
6 تستر : مدينة بخوزستان .

كان ساكناً بها . ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُسْتَ والرُّخَّج وكان مكتبُه هناك ، فأقام بها مدّة ، ثمّ لقي بها ذلك الرجلَ الذي نادَمه بتُستَر ذاتَ يومٍ ، فسلَّم عليه ودعاه إلى منزِله ، فأكلا ، ثم دعا بالشَّراب ليشرَبا ، فامتنع الرجلُ وقال : إنّي قد تركتُها لله . فقال أبو جِلدة وهو يشرَب : [من الطويل]

ألا رُبَّ يــومٍ لي بِبُسْتَ وليلـةٍ ... ولا مِثْــلَ أيّامي المَواضي بتُسْتَرِ
غَنِيتُ بها أَسْقــي سُلافَ مُدامةٍ ... كريمَ المُحَيّا مِــنْ عَرانينِ يَشْكُرِ
نُبادِرُ شُرْبَ الرّاحِ حتّى نَهرُّها ... وتَتْرُكَنــا مثــلَ الصَّريعِ المُعَفَّرِ[1]
فذلك دهـــرٌ قـــد تولّى نعيمُه ... فأصبحتُ قد بُدِّلْتُ طولَ التَّوَقُّرِ
فراجَعني حِلْمِي وأصبحتُ منهج الـ ... ـشّرابِ وقِدْمــاً كنــتُ كالمتحيِّرِ
وكلّ أوان الحقّ أبصرتُ قَصْدَه ... فلستُ وإن نُبِّهتُ عنــه بمُقْصِرِ
سأَرْكُضُ في التَّقْوى وفي العِلْمِ بعدَما ... ركضتُ إلى أمــرِ الغَويِّ المُشَهَّرِ
وباللهِ حَــوْلي واحْتِيــالي وقُوّتي ... ومَنْ عندَه عُرْفي الكثيرُ ومُنْكَري

[مرّ به مسمع بن مالك فقال فيه شعراً]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن الحارث المدائنيّ قال مرّ مِسْمَعُ بن مالكٍ بأبي جِلْدةَ ، فوثَب إليه وأنشأ يقول : [من الرجز]

يــا مِسْمَعُ بنَ مالكٍ يــا مِسْمَعُ ... أنــتَ الجوادُ والخطيبُ المِصْقَعُ
فاصنَعْ كما كان أبــوك يَصْنعُ

فقال له رجلٌ كان جالساً هناك : إنْ قبِل منك والله يا أبا جِلدَة ناكَ أمَّه . فقال له : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : لأنّك أمرتَه أن يصنَع كما كان أبوه يصنع .

[مدح مقاتل بن مسمع طمعاً فلمّا ردّه هجاه]

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : كان مِسْمَعُ بن مالك يُعطي [أبا جلدة ، فقال فيه] : [من البسيط]

يسعى أُناسٌ لكَيْمــا يُدْرِكوكَ ولَوْ ... خاضُوا بِحارَكَ أو ضَحْضاحَها غرِقوا[2]
وأنتَ في الحربِ لا رَثُّ القُوى بَرِمٌ ... عِنــدَ اللِّقــاءِ ولا رِعْديــدةٌ فَرِقُ[3]
كلُّ الخِلالِ التي يسعى الكرامُ لَها ... إنْ يَمدحوكَ بها يومــاً فقد صدَقوا

---

1 هرّه : كرهه .
2 الضحضاح : الماء القليل القعر .
3 رث القوى : ضعيفها . البرم : الضجر الملول . الرعديدة : الجبان .

ساد العِـــراقَ فحالُ الناسِ صالحـــةٌ وسادَهـــم وزمـــانُ النـــاسِ مُنْخَرِقُ
لا خارجـــيٌّ ولا مُسْتَحْدَثٌ شَرَفاً بل مجدُ آلِ شِهابٍ كان مذ خُلِقوا

قال : ثم مدح مُقاتِلَ بن مِسْمَعٍ طمعاً في مثل ما كان مِسْمَعٌ يُعطيه ، فلم يَلتفِتْ إليه وأَمَر أن يُحْجَبَ عنه . فقيل له : تعرّضتَ لِلسان أبي جِلْدةَ وخُبْثه . فقال : ومَنْ هو الكلبُ ؟ وما عسى أن يقول قبَحه الله وقبَح مَنْ كان منه ! فَلْيَجْهَدْ جَهْدَه . فبلغ ذلك من قوله أبا جِلْدة فقال يهجوه : [من الطويل]

قَرى ضَيْفَه الماءَ القَراحَ ابنُ مسْمَعٍ وكان لئيمـــاً جـــارُه يَتَذَلَّلُ
فلمّا رأى الضيفُ القِرى غيرَ راهنٍ لديـــه تولّـــى هاربـــاً يَتَعَلّـــلُ
يُنادِي بأعلى الصوتِ بَكْرَ بْنَ وائِلٍ أَلا كُـلُّ مَن يرجو قِراكم مُضَلَّلُ
عَمِيدُكُم هَـرَّ الضيوفَ فما لَكم ربيعـــةُ أمسى ضيفُكـــم يتحوَّلُ
وخفتُمْ بأنْ تَقْرُوا الضيوفَ وكنتم زماناً بِكُم يَحْيا الضَّرِيكُ المُعَيِّلُ[1]
فمـــا بالُكُمْ بـــاللهِ أنتـــم بَخِلْتُمُ وقَصَّرتُمُ والضيفُ يُقْرى ويُنْزَلُ
ويُكْرَمُ حتّى يُقْتَرى حين يُقْتَرى يقول إذا ولّـــى جميلاً فيُجْمَلُ[2]
فمَهْـلاً بني بَكْـرٍ دَعُوا آل مِسْمَعٍ ورأْيَهُـــمُ لا يَسْبِقُ الخيلَ مُحْثَلُ[3]
ودُونَكُـــمُ أضيافكُـــمْ فتحدَّبُوا عليهـــمْ وواسوهُمْ فذلك أجملُ
ولا تُصْبِحُـوا أُحدوثـــةً مثلَ قائلٍ بـــه يَضرِبُ الأمثـالَ مَنْ يَتَمَثَّلُ
إذا ما التقى الرُّكْبانُ يوماً تذاكروا بَنِي مِسْمَعٍ حتَّـــى يُحَمُّوا ويَثْقُلُوا
فـــلا تَقْرَبُوا أبياتَهم إنّ جارَهُمْ وضَيْفَهُـــمُ سِيَّـــانِ أنَّى تَوَسّلوا
هُمُ القومُ غَرَّ الضيفَ منهم رُواؤُهُمْ ومـــا فيهـــمُ إلاّ لئيـــمٌ مُبَخَّلُ
فلَـــوْ ببني شَيْبانَ حَلَّتْ رَكائبي لكان قِراهُـــمْ راهنـاً حين أَنْزِلُ
أُولئـــك أَوْلى بـــالمكارِمِ كلِّها وأَجْدَرُ يوماً أن يُواسُوا ويُفْضِلُوا
بني مِسْمَعٍ لا قـــرَّب اللهُ دارَكم ولا زال واديكم من الماء يُمْحِلُ
فلم تَرْدَعُوا الأبطالَ بالبِيضِ والقَنا إذا جعلـــتْ نـــارُ الحُروبِ تأَكَّلُ

---

1 المعيل : ذو العيال . والضريك : الفقير السيء الحال .
2 يقترى في الأولى : تتبع وفي الأخرى : أضاف .
3 المحثَل : الضاوي والدقيق السيء الغذاء .

[195] ـ أخبار علويه ونسبه

[نسبه]

هو عليّ بن عبد الله بن سَيْف . وكان جَدُّه من السُّغْد[1] الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عَفّان واسترقّ منهم جماعةً اختصّهم بخِدْمته ، وأعتق بعضَهم ، ولم يُعْتِق الباقين فقتلوه . وذكر ابن خُرْداذْبه . وهو ممّن لا يحصِّل قولُه ولا يُعْتَمَد عليه ، أنّه من أهل يَثْرِبَ مولى بني أُميّة ، والقولُ الأوّل أصحّ .

[مهارته في الغناء والضرب وسبب وفاته]

ويُكْنى عَلُّويَهْ أبا الحسن . وكان مغنّياً حاذقاً ، ومؤدِّباً محسناً ، وصانعاً متفنّناً ، وضارباً متقدِّماً ، مع خِفّة رُوح ، وطِيبِ مُجالسة ، ومَلاحةِ نوادرَ . وكان إبراهيم الموصليّ علّمه وخرّجه وعُنِي به جدّاً ، فبرعَ وغنّى لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيّام المتوكّل ، ومات بعد إسحاق الموصليّ بمُدَيْدَةٍ يسيرة . وكان سببُ وفاته أنّه خرج به جَرَبٌ ، فشكاه إلى يحيى بن ماسَوَيْهِ ، فبعَث إليه بدواءٍ مُسْهِلٍ وطِلاء ، فشرِب الطِّلاء واطَّلى بالدواء المُسْهِل ، فقتله ذلك . وكان إسحاق يتعصّب له في أكثر أوقاته على مُخارِق . فأمّا التقديمُ والوصفُ فلم يكن إسحاقُ يرى أحداً من جماعته لهما أهلاً ، فكانوا يتعصّبون عليه لإبراهيم بن المَهْديّ ، فلا يَضُرّه ذلك مع تقدُّمه وفَضْلِه .

[رأي إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : قلت لأبي : أيّما أفضلُ عندك مُخارِقٌ أو عَلُّويَه ؟ فقال : يا بُنيّ عَلُّويَهْ أعْرفُهما فهماً بما يخرُج من رأسِه وأعْلَمُهما بما يُغَنّيه ويُؤدِّيه ، ولو خُيِّرتُ بينهما مَنْ يُطارِح جَواريَّ أو شاورني مَنْ يَسْتنصحني لَما أشرتُ إلاّ بعَلُّويَه ؛ لأنّه كان يؤدّي الغناء ، وصنَع صنعةً مُحْكَمَةً . ومُخارِقٌ بتمكُّنِهِ من حَلْقه وكثرة نَغَمِه لا يُقْنَع بالأخذ منه ؛ لأنه لا يؤدّي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنّيه مرّتين غِناءً واحداً لكثرة زوائده فيه . ولكنّهما إذا اجتمعا عند خليفةٍ أو سُوقةٍ غَلب مخارقٌ على المجلس والجائزةِ لِطيبِ صوته وكثرة نَغَمِه .

حدَّثني جَحْظةُ قال حدّثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدَّثني أبي قال : اجتمعتُ مع إسحاق يوماً في بعض دُور بني هاشم ، وحضَر عَلُّويَهْ فغنّى أصواتاً ، ثم غنّى من صَنْعته : [من الطويل]

---

1 السّغد : ناحية كثيرة المياه والبساتين والأشجار بين بخارى وسمرقند .

صوت

ونُبِّئْتُ ليـلى أرسلتْ بشفاعةٍ إليّ فهلاّ نَفْسُ ليـلى شَفِيعُها

ولحنه ثاني ثقيل . فقال له إسحاق : أحسنتَ والله يا أبا الحسن ! أحسنتَ ما شئتَ ! فقام علّويَهْ من مجلسه فقبّل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسُرّ بقوله سروراً شديداً ، ثم قال : أنت سيّدي وابنُ سيِّدي ، وأستاذي وابنُ أستاذي ، ولي إليك حاجةٌ . قال : قل ، فوالله إنّي أبلُغ فيها ما تُحِبّ . قال : أيّما أفضلُ عندك أنا أو مخارق ؟ فإنّي أُحِبُّ أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يُؤْثَر ويَحكيه عنك مَن حضَر ، فتُشَرِّفني به . فقال إسحاق : ما منكم إلاّ مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ ، فلا تُرِدْ أن تَرى في هذا شيئاً . قال : سألتُك بحَقّي عليك وبتربية أبيك وبكلّ حقّ تعظّمه إلاّ حكمتَ . فقال : وَيْحَك ؛ والله لو كنتُ أستجيز أن أقولَ غيرَ الحقّ لقلتُه فيما تُحِبّ ، فأمّا إذ أبيتَ إلاّ ما ذكرتَ فهاكَ ما عندي : فلو خيِّرتُ أنا مَنْ يُطارح جَوارِيَّ أو يغنّيني لَما اخترتُ غيرَك ، ولكنّما إذا غَنَّيْتُما بين يَدَيْ خليفةٍ أو أميرٍ غلَبَك على إطْرابه واستبدّ عليك بجائزته . فغضِب علّويه وقام وقال : أُفٌّ من رضاك ومن غضَبك ! .

[شاع له صوت كان الناس يظنّونه لإسحاق]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : قَدِمتُ مِنْ سُرّ مَنْ رأى قَدْمةً إلى بَغْدادَ ، فلَقِيتُ أبا محمد إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ ، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتّى انتهى إلى ذكر الغِناء ، فقال : أيُّ شيء رأيتَ الناسَ يستحسنونه في هذه الأيّام من الأغاني ، فإنّ الناس ربّما لهِجوا بالصوت بعد الصوت ؟ فقلت : صوتاً من صَنعتك . فقال : أيّ شيء هو . فقلت : [من الطويل]

صوت

أَلا يا حَمامَيْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما بقَلبي الهـوى لَمّـا تَغَنَّيْتُما لِيا[1]

وأَبْكَيْتُماني وَسْطَ صَحْبي ولَم أَكُنْ أُبالي دموعَ العينِ لو كنتُ خاليا

فضحِك وقال : ليس هذا لي ، هذا لعَلّويه ، ولقد لَعَمْري أحسنَ فيه وجوَّد ما شاء .

لحن علّويه في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[أطعم أصحابه وغنّاهم]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني أحمد بن محمد بن عبد الله الأبزاريّ

1 دوران : موضع خلف جسر الكوفة كان به قصر لإسماعيل القسري أخي خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة . (معجم البلدان 480/2) .

قال : أتيتُ علّويه يوماً بالعشيّ ، فوجدتُ عنده خاقانَ بن حامدٍ وعبدَ الله بن صالح صاحبَ المُصَلَّى ، وكنتُ حملتُ معي قفصَ فراريجَ كَسْكَرِيّة[1] مُسَمَّنة وجِرابَيْ دقيق سَمِيذٍ[2] ، فسلّمته إلى غلامه ، وبعث إلى بِشْرِ بن حارثة : أطعِمْنا ما عندك ، فلم يَزل يُطعمنا فضَلاتٍ حتى أدرك طعامُه ، ثم بعث إلى عبد الوهّاب بن الخَصيب بن عمرو فحضَر ، وقُدِّم الطعامُ فأكل وأكَلْنا أكْلَ مُعَذِّرينَ[3] ، ثم قال : إنّي صنعتُ البارحةَ لحناً أعجبني ، فاسمعوه وقولوا فيه ما عندكم ، وغنّانا فقال : [من الكامل]

صوت

هَزِئتْ عُمَيْرةُ أنْ رأتْ ظهري انْحَنى ... وذُؤابتي عُلّتْ بماءِ خِضابِ
لا تَهْزَئي منّي عُمَيْرُ فإنّني ... مَحْضٌ كريمٌ شيبتي وشَبابي

لحن علُّويَهْ في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى . فقلنا له : حسنٌ واللهِ جميلٌ يا أبا الحسن ، وشربنا عليه أقداحاً . ثم استُؤذن لعَثْعَثٍ غلام أحمد بن يحيى بن مُعاذ ، فأذِن له ، ومع عَثْعث كتابٌ من مولاه أحمد بن يحيى : سمعتُ يا سيِّدي منك صوتاً عند أمير المؤمنين (يعني المعتصمَ) ، فأُحِبّ أن تتفضّل وتطرَحه على عبدك عثعث . وهو : [من الطويل]

صوت

فواحَسْرَتا لم أقضِ منكِ لُبانةً ... ولم أتَمَتَّعْ بالجِوارِ وبالقُرْبِ
يقولون هذا آخرُ العهدِ منهمُ ... فقلتُ وهذا آخِرُ العهدِ من قلبي

لحنُ علّويه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ، وهو من مقدَّم أغانيه وصدورها . وأوّل هذا الصوت : [من الطويل]

ألا يا حَمامَ الشِّعْب شِعْبِ مُوَرّقٍ ... سقَتْكَ الغَوادِي من حمامٍ ومن شِعْبِ

قال : وإذا مع حُسَين رُقْعةٌ من مولاه : سَمِعتُك يا سيِّدي تُغَنّي عند الأمير أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن المَهْديّ : [من الطويل]

ألا يا حَمامَيْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما ... بقلبي الهَوى لَمّا تَغَنَّيْتُما لِيا

أُحِبُّ أنْ تطرَحه على عبدك حُسين . قال : فدعا بغلامٍ له يُسمَّى عَبْدَ آل فطرحه عليهما حتى أحكماه ثم عرَضاه عليه حتّى صحّ لهما . فما أعلمُ أنّه مرَّ لنا يومٌ يقاربُ طِيبَ ذلك اليومِ وحُسْنَه .

1 الفراريج الكسكرية : منسوبة إلى كسكر ، وهي كورة كانت بين البصرة والكوفة . وكانت قصبتها «واسط» .
2 السميذ : الحواريّ ، وهو خالص الدقيق بعد استخراج ما فيه من نخالة .
3 المعذورون هنا : المقصرون الذين لم يبالغوا في الأكل .

[وصف الواثق له]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : سمعتُ أبي يقول سمعت الواثق يقول : عَلُّويَه أصَحُّ الناسِ صَنْعةً بعد إسحاق ، وأطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارِق . وأضربُ الناسِ بعد زَبْرَبٍ ومُلاحظ ، فهو مُصَلٍّ كلَّ سابق قادرٍ ، وثاني كُلِّ أوّل واصلٍ مُتَقَدِّمٍ . قال : وكان الواثقُ يقول : غِناءُ عَلّويه مثلُ نَقْرِ الطَّسْتِ يبقى ساعةً في السمع بعد سُكوته .

[خطّأ إسحاق لحناً غنّاه عند المعتصم فردّ هو عليه]

نسختُ من كتاب أبي العبّاس بن ثَوابَة بخطّه : حدَّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الربيعيّ قال : اجتمعتُ يوماً بين يَدَي المعتصم وحضر إسحاقُ الموصليُّ ، فغنّى عَلُّويه : [من الطويل]

لِعَبْدَةَ دارٌ مـــا تكلِّمنا الدارُ تلوح مَغانِيها كما لاح أَسْطارُ[1]

فقال إسحاق : أخطأتَ فيه ، ليس هو هكذا . فغضِب علّويه وقال : أُمُّ مَنْ أخذنا عنه هكذا زانيةٌ . فقال إسحاق : وَشَتَمَنا قَبحه الله ، وسكت وبانَ ذلك فيه . قال : وكان عَلُّويه أخذه من أبيه .

[كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا هارون بن مُخارِق قال : كان علّويه أعسرَ وكان عُودُه مقلوبَ الأوتارِ : البَمُّ أسفلَ الأوتار كلّها ، ثم المَثْلَثُ فوقه ، ثم المَثْنى ، ثم الزِّير ، وكان عُودُه إذا كان في يدِ غيره مقلوباً على هذه الصفة ، وإذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى ، فيكونُ مستوياً في يده ومقلوباً في يد غيره .

[غنّى بشعر ابن أخته القاضي الخلنجي فعزله المأمون]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال كان الخَلَنْجيُّ القاضي ، واسمه عبد الله [بن محمد] ، ابنَ أخت علّويه المغنّي ، وكان تَيَّاهاً صَلِفاً ، فتقلّد في خلافة الأمين قضاء الشَّرْقيّة[2] ، فكان يجلس إلى أُسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جَسَده ولا يتحرّك ، فإذا تقدّم إليه الخَصْمانِ أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتّى يَفْصِلَ بينهما ثم يعود لحاله . فعمَد بعض المُجّان إلى رُقْعةٍ من الرِّقاع التي يُكْتَبُ فيها الدَّعاوى فألصقها في موضع دنّيته بالدِّبْق ومَكَّن منها الدِّبْقَ . فلمّا تقدّم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل

1 الأسطار : جمع سطر يشير إلى الكتابة .

2 الشرقية هنا : محلة بالجانب الغربي من بغداد .

انكشف رأسُه وبقيتِ الدّنيةُ[1] موضعَها مصلوبةً ملتصقةً ، فقام الخَلَنْجِيّ مُغْضَباً وعلِم أنّها حيلةٌ وقعتْ عليه ، فغطّى رأسَه بطَيْلَسانِه ، وقام فانصرف وتركها مكانَها ، حتى جاء بعضُ أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات : [من مخلع البسيط]

إنّ الخَلَنْجِيَّ مِنْ تَتايُهِه أثقلُ بادٍ لنا بطَلْعَتِهِ
ما إنْ لِذِي نَخْوَةٍ مُناسَبَةٌ بين أخاوينه وقَصْعَتِهِ
يُصالِحُ الخَصْمُ مَنْ يُخاصِمُه خوفاً من الجَوْرِ في قَضيَّتِهِ
لو لَمْ تُدَبِّقْهُ كَفُّ قانِصِهِ لطارَ تِيهاً على رَعِيَّتِهِ[2]

قال : وشُهِرَتِ الأبياتُ والقِصّةُ ببَغْدادَ ، وعمِل له علُّويَه حكايةً أعطاها للزَّفانِين[3] والمُخنَّثين فأَخْرَجوه فيها ، وكان علُّويه يُعاديه لمنازعةٍ كانت بينهما ففضحه ، واستعفى الخلنجيُّ من القضاء ببغدادَ وسأل أن يُوَلَّى بعضَ الكُوَرِ البعيدة ، فوُلِّي جُنْدَ دِمَشْقَ أو حِمْصَ . فلمّا وَلِي المأمونُ الخلافة غنّاه علُّويه بشعر الخَلَنْجِيٍّ فقال : [من الطويل]

بَرِئتُ منَ الإسْلامِ إنْ كان ذا الذي أتاكِ به الواشون عنّي كما قالوا
ولكنّهم لمّا رأوكِ غَرِيَّةً بهجري تَواصَوا بالنميمةِ واحتالوا[4]
فقد صِرْتِ أُذْناً للوُشاةِ سميعةً ينالون من عِرْضِي وإن شئتِ ما نالوا

فقال له المأمون : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ فقال : قاضي دِمَشْقَ . فأمر المأمون بإحضاره ، فكُتِب إلى صاحب دِمَشْق بإشخاصه فأُشخِص وجلَس المأمون للشُّرْبِ وأحضر علُّويه ، ودعا بالقاضي فقال له : أنْشِدْني قولَك : [من الطويل]

بَرِئتُ من الإسلامِ إن كان ذا الذي أتاكِ به الواشون عنّي كما قالوا

فقال له : يا أميرَ المؤمنين هذه أبياتٌ قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبيٌّ ، والذي أكرمك بالخلافةِ وورّثك ميراثَ النبوّة ما قلتُ شعراً منذ أكثر من عشرين سنةً إلاّ في زُهْدٍ أو عتابِ صديق . فقال له : اجْلِسْ فجلَسَ ، فناولَه قَدَحَ نبيذ كان في يده فقال : يا أمير المؤمنين ، ما غيرت الماء بشيء قطّ مما يختلف في تحليله ، فقال لعلّك تريد نبيذ التمر أو الزّبيب . فقال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ما أعرِف شيئاً منها . فأخذ القَدَحَ من يده وقال : أَمَا والله لو شرِبتَ شيئاً

1 الدنيّة : غطاء الرأس .
2 الدبق : الغراء . التدبيق : صيد الطائر بالدبق وهو الغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به .
3 الزفانون : الرقاصون .
4 غريّة : مولعة .

من هذا لضربتُ عنقك . وقد ظننتُ أنّك صادِقٌ في قولك كلّه ، ولكن لا يتولّى لي القضاء رجلٌ بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ، انْصرِفْ إلى منزلك . وأمر عَلّويه فغيَّر الكلمة وجعل مكانَها «حُرِمْتُ مُنايَ منك» .

[ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : كان علُّويه يغنّي بين يدي الأمين ، فغنّى في بعض غنائه : [من الرمل]

ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أَنْفُسَنا ممّا تَجِدْ

وكان الفضلُ بن الربيع يطعَن عليه ، فقال للأمين : إنّما يُعَرِّض بك ويستبطىء المأمونَ في محاربته ؛ فأمَر به فضُرِب خمسين سوطاً وجُرّ برجله ، وجفاه مدّةً ، حتى ألقى نفسه على كَوْثَرٍ فترضّاه له وُردّ إلى خدمته ، وأمر له بخمسة آلاف دينار . فلمّا قدِم المأمون تقرّب إليه بذلك ، فلم يقع له بحيث يُحِبّ . وقال له : إنّ المَلِكَ بمنزلة الأسَد أو النار ، فلا تتعرَّض لِما يُغضبه ، فإنّه ربّما جرى منه ما يُتلفك ثمّ لا تقدِر بعد ذلك على تلافي ما فرَط منه ، ولم يُعطه شيئاً .

[غضب الأمين على إبراهيم الموصلي بعد موته]

ومثل هذا من فعل الأمين ، ما حدّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدَّثني أبي قال : دخلتُ على الأمين فرأيته مُغْضَباً كالحاً ، فقلتُ له : ما لأمير المؤمنين ، تمّم الله سرورَه ولا نغّصه ، أراه كالحائر ؟ قال : غاظني أبوك الساعةَ لا رحِمه الله ! والله لو كان حيّاً لضربتُه خمسمائة سوطٍ ، ولولاك لنبَشتُ الساعةَ قبرَه وأحرقتُ عِظامه . فقمتُ على رِجلي وقلت : أعوذُ بالله من سُخْطك يا أمير المؤمنين ! ومَنْ أبي وما مقدارُه حتّى تغتاظ منه ! وما الذي غاظك فلعلّ له فيه عُذراً ؟ فقال : شدّةُ محبّته للمأمون وتقديمُه إيّاه عليّ حتى قال في الرشيد شعراً يقدّمه فيه عليّ وغنّاه فيه ، وغُنِّيته الساعةَ فأورثني هذا الغيظ . فقلتُ : والله ما سمعتُ بهذا قطُّ ولا لأبي غناء إلاّ وأنا أرويه ، ما هو ؟ فقال : قوله : [من الوافر]

أبو المأمونِ فينا والأمينِ لـه كَنَفانِ منْ كَرَمٍ ولِينِ

فقلت له : يا أمير المؤمنين لم يُقَدِّمِ المأمونَ في الشعر لتقديمه إيّاه في المُوالاة ، ولكنّ الشعر لم يَصحَّ وزنه إلاّ هكذا . فقال : كان ينبغي له إذ لم يَصِحَّ الشعرُ إلاّ هكذا أن يَدَعه إلى لعنة الله . فلَم أزَل أُداريه وأرفُق به حتى سكَن . فلمّا قدِم المأمون سألني عن هذا الحديث فحدّثته به ، فجعل يضحَك ويَعجب منه .

[مدحه عبد الله بن طاهر]

حدَّثني جعفرُ بن قُدامة قال حدَّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : سمعتُ أبي يقول : لو خُيِّرتُ لوناً من الطعام لا أَزِيد عليه غيرَه لاخترتُ الدُّرّاجة[1] ؛ لأنّي إنْ زِدتُ في خَلِّها صارتْ سِكْباجةً[2] ، وإنْ زدتُ في مائها صارت إسْفِيدباجةً[3] ، وإنْ زدتُ في تَصْبيرِها بل في تَشْبيطها صارتْ مُطَجَّنَةً[4] . ولو اقتصرتُ على رجل واحد لَما اخترتُ سوى عَلُّويَه ؛ لأنّه إنْ حدَّثني ألهاني ، وإنْ غنّاني أشجاني ، وإنْ رجعتُ إلى رأيه كفاني .

[حضر عند سعيد بن عجيف فأكرمه ثم طلبه عجيف]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثني محمد بن محمد الأَبْزاريّ قال : كنتُ عند سَعيد بن عُجَيْفٍ أنا وعبدُ الوهّاب بن الخَصيب وعبدُ الله بنُ صالح صاحبُ المُصَلَّى ، إذ دخل عليه حاجبه فقال له : علُّويَهْ بالباب ، فأُذِن له فدخل . فقال له : لا تَحْمَدْني فإنّي لم يَجئني رسولُ رجلٍ اليومَ ، فعرَضت إخواني جميعاً على قلبي فلم يَقَعْ عليه غيرُك . فدعا له بِبرْذَونٍ ادْهَمَ بسَرْجِه ولِجامه فأهداه إليه ، وجلسنا نشربَ وعلّويه يغني . فلمّا تَوَسّطْنا أَمرَنا جاء رسولُ عُجَيْفٍ[5] يطلبُه في منزله ، فقالوا له : هو عند ابنه سَعيد . فأتاه الرسولُ فقال له : أجِبِ الأميرَ . فقلنا : هذا شيءٌ ليس فيه حِيلةٌ . وقد جاء الرسول وهو يغنّي : [من الطويل]

صوت

أَلَم تَرَ أنّي يومَ جَوِّ سُوَيقةٍ بكيتُ فنادتْني هُنَيْدَةُ مالِيا[6]
فقلتُ لها إنّ البكاء لراحةٌ به يَشتفي مَنْ ظَنّ أنْ لا تَلاقِيا

لحنُ علّويه في هذا رملٌ . والشعر للفَرَزدق . قال : فقام علّويه ثم قال : هُوَ ذا ، أُمضي إلى الأمير فأُحدِّثه بحديثنا وأستأذِنه في الانصراف بوقتٍ يكون فيه فضلٌ لكم . فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ ، فيه مِسْكٌ وعشرةُ آلاف درهمٍ ومَنَيانِ[7] فيهما رماطونٌ[8] ، فقال : جئتُ أشرَب عندكم ، وآخُذُه وأنصرِف إلى إنسانٍ له عندي أيادٍ (يعني عليَّ بن مُعاذٍ أخا يحيى بن

1 الدُّراج : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر .
2 السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل .
3 الاسفيدباجة : لون من الطعام يتكون من البصل والزبدة ومن أشياء أُخرى .
4 مطجنة : مقلوة بالطاجن .
5 هو عجيف بن عنبسة أحد رجالات دولة بني العباس ومن قوّاد المعتصم .
6 جوّ سويقة : من جواء الصمّان .
7 المنى : مكيال يكيلون به السمن وغيره .
8 قد يكون صوابه (الرساطون) والرّساطون : ضرب من الشراب يتّخذ من الخمر والعسل .

مُعاذ) . فلم يَزَل عندنا حتّى هـمّ بالانصراف . فلمّا رأيت ذلك فيه قمتُ قبلَه فأتيـتُ منزلَ عليّ بن مُعاذ ، فقيل له : ابن الأبزاريّ بالباب : فبعث إليّ : إنْ أردتَ مَضاءً فخُذْه (يعني غلاماً كان يغنّي) ، فقلتُ له : لست أريده ، إنّما أُريدك أنت ، فأَذِن لي فَدخلتُ . فقال : أَلك حاجةٌ في هذا الوقت ؟ فقلت : الساعةَ يجيئك علّويه . فقال : وما يُدريك ؟ فحدَّثته بالحديث . ودخل علّويـه ، فقـال لي : مـا جـاء بك إلى هاهنا ؟ فقلتُ : ما كنتُ لأَدَعَ بقيّةَ ليلتي هذه تضيع ، فما زال يُغنّينا ونشرَب حتى نام الناس ثم انصرفنا .

[فضّله عمرو بن بانة على نفسه]

حدَّثني جعفر بن قُدامةَ قال حدَّثنا هارون بن مُخارِق قال حدَّثني أبي قال : قلت لعمرو بن بانة : أيّما أجودُ صَنْعتُك أم صنعةُ علّويَهْ ؟ فقال : صنعةُ عَلُّويه ، لأنّه ضاربٌ وأنا مُرتَجِلٌ . ثم أطرق ساعةً وقال : لا أُكذِبك يا أَبا المُهنّأ واللهِ ما أُحْسِنُ أن أصنَع مثلَ صنعةِ علّويَهْ : [من الطويل]

فواحسرتا لم أَقضِ منكِ لُبانةً ولم أَتمتَّـعْ بالجِوارِ وبالقُرْبِ

ولا مثلَ صنعتِه : [من الكامل]

هزِئتْ أُمَيْمَةُ أنْ رأتْ ظهري انحنى وذُؤابتـي عُـلَّـتْ بماء خضابِ

ولا مثلَ صنعته : [من الطويل]

أَلا يا حَمامَيْ قصرِ دُورانَ هِجْتُما لقلبـي الهـوى لَمّا تَغَنَّيْتُما لِيا

وقد مضتْ نسبة هذه الأصوات .

[غنّى في شعر هجاء فضربه الأمين]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أَحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدَّثني أَحمد بن الخليل بن هشام قال : كان بين علّويَه وبين عليّ بن الهَيْثم جوَنْقا شرٌّ في عَرْبدةٍ وقعتْ بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادى الشرّ بينهما ، فغنّى علّويَه في شعرٍ هجاه به أبو يعقوب[1] في حاجةٍ ، فهجاه وذكر أنّه دَعِيٌّ . وكان جَوَنْقا يَدّعي أنّه من بني تَغْلِب ، فقال فيه أبو يعقوب : [من الخفيف]

يـا عـليُّ بنَ هَيْثَمٍ يا جَوَنْقا أنت عندي من الأَراقِم حَقّا[2]
عربـيٌّ وجَـدُّه نَبَطِـيٌّ ! فَدَبَنْقـا لِـذا الحديث دَبَنْقا
قـد أصابتْك في التقرُّب عينٌ فاستنارتْ لشهبها الفلك برقا
وإذا قـال إنّـي عربـيٌّ فانتهِرْه وقـل لـه أنت شفقا

1 هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الشاعر المعروف بالخريمي .
2 الأراقم هنا : حيّ من تغلب .

وللخُزَيْميّ فيه أهاجٍ كثيرةٌ نَبَطيّة . فغنّى علّويه لحناً صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين ، وكان الفضل بن الربيع حاضراً فقال : يا أمير المؤمنين عليٌّ بن الهيثم كابني ، وإذا استخفّ به فإنّما استخفّ بي . فقال الأمين : خُذوه ، فأخذوه وضُرب ثلاثين دِرّةً ، وأُمر بإخراجه . فطرَح علّويَه نفسَه على كَوْثرٍ فاستصلح له الفضلَ بن الربيع ، وترضّى له الأمينَ حتى رضي عنه ووهب له خمسة آلاف دينار :

[ادّعى أنّه لو شاء جعل الغناء كالجوز فردّ عليه إسحاق بما أخجله]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني مُخارِق قال : غنّى علّويه يوماً بحضرة الواثق هذا الصوت : [من البسيط]

مَنْ صاحبَ الدَّهْرَ لم يَحْمَدْ تَصَرُّفَه ... عَنـاً وللدَّهـرِ إحـلاءٌ وإمرارُ

ولحنه ثقيلٌ أوّل ، فاستحسنه الواثق وطرِب عليه . فقال علّويَه : والله لو شئتُ لجعلت الغِناء في أيدي الناس أكثرَ من الجَوْز ، وإسحاق حاضرٌ بين يدي الواثق ، فتضاحك ثم قال : يا أبا الحسن ، إذاً تكون قيمتُه مثلَ قيمة الجَوْز ، ليتَك إذْ قَلَّلْتَه صنعتَ شيئاً ، فكيف إذا كثَّرته ؟ . فخجِل علّويَه حتى كأنّما ألقمه إسحاق حجراً ، وما انتفع بنفسه يومئذٍ .

[ترك موعد المأمون ليذهب إلى عريب]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني عبد الله بن المعتزّ قال حدّثني عبد الله الهشاميّ قال : قال لي عَلّويه : أَمَرنا المأمونُ أنّ نُباكره لنصطبح ، فلقيني عبد الله بن إسماعيل المَراكبيّ مولى عَريبَ ، فقال : أيّها الظالم المعتدي أما ترحَم ولا تَرِقّ ، عريبُ هائمةٌ من الشّوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلمُ بك في نومها في كلّ ليلة ثلاثَ مرّات . قال علّويه : فقلت أُمّ الخلافةِ زانيةٌ ، ومضيتُ معه . فحين دخلتُ قلت : استوثِقْ من الباب ، فأنا أعْرَفُ الناس بفضول الحُجّاب ، فإذا عريبُ جالسةٌ على كرسيٍّ تطبُخ ثلاثَ قُدور من دَجاج . فلمّا رأتْني قامت فعانقتْني وقبّلتني وقالت : أيَّ شيء تشتهي ؟ فقلت : قِدْراً من هذه القدور ، فأفرغتْ قِدْراً بيني وبينها فأكلْنا ، ودعتْ بالنَّبيذِ فصبّتْ رِطْلاً فشَربتْ نِصْفَه وسقتْني نصفَه ، فما زِلتُ أشرَب حتى كِدتُ أنْ أسكَرَ . ثم قالت : يا أبا الحسن ، غنّيتُ البارحةَ في شعرٍ لأبي العَتاهية أعجبني ، أفتسمَعُه منّي وتُصلِحُه ؟ فغنّتْ : [من الطويل]

صوت

عذيري مِنَ الإنسانِ لا إنْ جَفَوْتُه ... صَفا لِي ولا إنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ

وإنّي لَمشتاقٌ إلى ظِـلِّ صاحبٍ ... يَرُوقُ ويصفُو إن كَـدَرتُ عليهِ

فصيّرناه مجلساً . وقالت : قد بقي فيه شيء ، فلم أَزَلْ أنا وهي حتى أصلحناه . ثم قالت :

وأُحِبّ أن تغنّي أنت فيه أيضاً لحناً ، ففعلتُ . وجعلنا نشربَ على اللَّحنين مَلِيّاً . ثم جاء الحُجّاب فكسروا الباب واستخرجوني ، فدخلتُ إلى المأمون فأقبلتُ أرقُص من أقصى الإيوان وأُصَفّق وأُغنّي بالصوت ، فسمِع المأمون والمغنّون ما لم يعرِفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون : ادْنُ يا عَلّويَه ورُدَّهُ[1] ، فردَدته عليه سبعَ مرّات . فقال لي في آخرها عند قولي :

يَروقُ ويصفُو إن كَـدَرتُ عليهِ

يا عَلُّويَه خُذِ الخلافةَ وأعطِني هذا الصاحبَ .

[سمع منه إبراهيم بن المهديّ صوتين فحسده]

لحنُ عَرِيبَ في هذا الشعر رَمَلٌ . وفيه لعلّويه لحنان : ثاني ثقيلٍ ، وماخُوريّ . وقال العَتَّابيّ حدَّثني أحمد بن حَمْدون قال : غاب منّا علّويَه مدّةً ثم صار إلينا . فقال له إبراهيم بن المهديّ : ما الذي أحدثتَ بعدي من الصَّنْعة يا أبا الحسن ؟ قال : صنَعتُ صوتين . قال : فهاتِهما إذاً ؛ فغنّاه : [من الطويل]

صوت

أَلا إنّ لِي نَفْسَيْنِ نفساً تقولُ لي ... تَمَتَّعْ بليلى مـا بـدا لك لِينُها
ونفساً تقول اسْتَبْقِ وُدَّكَ واتَّئـدْ ... ونَفْسَكَ لا تَطْرَحْ على مَنْ يُهينُها

لحن علّويه في هذين البيتين خفيف ثقيل . قال : فرأيتُ إبراهيم بن المهديّ قد كاد يموت من حسده وتغيّر لونُه ، ولم يدرِ ما يقول له ؛ لأنّه لم يجدْ في الصوت مَطْعَناً ، فعدَل عن الكلام في هذا المعنى وقال : هذا يدُلّ على أنّ ليلى هذه كانت من لِينها مثلَ المُوم[2] بالبَنَفْسَج ، فسكَت علّويه . ثم سأله عن الصوت الآخر ، فغنّاه : [من الطويل]

صوت

إذا كان لي شَيْئان يا أُمَّ مالكٍ ... فإنّ لِجاري منهما مـا تَخَيَّرا
وفي واحدٍ إنْ لم يَكُنْ غيرُ واحدٍ ... أُراه لـه أَهلاً إذا كان مُقْتِرا

والشعر لحاتم الطائيّ . لحنُ علّويه في هذين البيتين أيضاً خفيفُ ثقيلٍ . وقد رُوِي أنّ إبراهيم الموصِليّ صنَعه ونحله إيّاه ، وأنا أذكر خبرَه بعَقِبِ هذا الخبر . قال أحمد بن حمدون : فأتى والله بما برَّز على الأوّل وأوفى عليه ، وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصَّنعة وعجزِه عنها . فقال له : وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارَك منهما واحدةً ؟ فخجِل علّويه

---

1 يقال : ردّ القول ترداداً إذا كرّره ، مثل ردّده .
2 الموم هنا : الشمع .

وما نطق بصوت بقيّة يومه . وحدّثني عمّي عن عليّ بن محمد عن جدّه حمدون هذا الخبر . ولفظُه أقلّ من هذا .

[نحله إبراهيم الموصليّ صوتاً فلم يظهره إلاّ أيّام المأمون]

فأمّا الخبر الذي ذكرته عن علّويه أن إبراهيم الموصليّ نحله هذا الصوت فحدّثني جحظة قال حدّثني ابنُ المكيّ المُرتجلِ وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدّثني علّويه قال : قال إبراهيم الموصليّ يوماً : إنّي قد صنعتُ صوتاً وما سمِعه منّي أحدٌ بعد ، وقد أحببتُ أن أنفعَك وأرفَع منك بأنْ أُلقيه عليك وأهَبَه لك ، وواللهِ ما فعلتُ هذا بإسحاق قطُّ وقد خصصتُك به ، فانتحِله وادَّعِه . فلستُ أنسُبه إلى نفسي وستكْسِب به مالاً . فألقى عليَّ قولَه : [من الطويل]

إذا كان لي شيئانِ يا أُمَّ مالكٍ فإنّ لجاري منهما ما تخيَّرا

فأخذته وادَّعيته وستَرتُه طولَ أيّام الرشيد خوفاً من أن أُتَّهَم فيه وطولَ أيّام الأمين حتى حدَث عليه ما حدث . وقدِم المأمون من خُراسان وكان يخرج إلى الشَّماسِية[1] دائماً يتنزّه ، فركِبتُ في زَلاّلٍ[2] وجئتُ أَتْبعه ، فرأيتُ حَرَّاقةَ عليّ بن هشام ، فقلتُ للمَلاّح : اطْرَحْ زَلالي على الحَرّاقة ففعل ، واستُؤْذِن لي فدخلتُ وهو يشرَب مع الجواري ، وما كانوا يحجُبون جَواريهم في ذلك الوقت ما لم يَلِدْنَ ، فإذا بين يديه مُتيَّم وبَذْلُ [من] جَوارِيه ، فغنَّيته الصوتَ فاستحسنه جدّاً وطرِب عليه وقال : لِمَن هذا ؟ فقلتُ : هذا صوتٌ صنعتُه وأهديته لك ، ولم يَسمعه أَحدٌ قبلَك ، فازداد به عجباً وطَرَباً وقال لها : خُذِيه عنه ، فألقيتُه عليها حتى أخذتْه ، فسُرَّ بذلك وطرِب ، وقال لِي : ما أَجِدُ لك مُكافأةً على هذه الهديّة إلاّ أن أتحوَّل عن هذه الحَرَّاقة بما فيها وأُسلِّمه إليك أجمَعَ . فتحوّل إلى أُخرى ، وسُلِّمَتِ الحَرّاقة بخزانتها وجميع آلاتها إليّ وكلِّ شيء فيها ، فبِعتُ ذلك بمائةٍ وخمسين ألفَ درهمٍ واشتريتُ بها ضَيْعَتي الصالحيّة .

[غنّى المأمون لحناً في بيت لم يعرفه أحد]

حدَّثني جَحْظةُ قال حدَّثني ابن المكّيّ المرتجل عن أبيه قال قال إسحاق بن حُمَيْدٍ كاتبِ أبي الرازيّ وحدّثني به عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني حسان بن محمد الحارثي عن إسحاق بن حُميدٍ كاتب أبي الرازي قال : غنّى علّويه الأعسرُ يوماً بين يَدَي المأمون : [من الطويل]

تَخيَّرتُ من نَعْمانَ عُودَ أَراكةٍ لهندٍ فمَنْ هذا يُبَلِّغه هِنْدا

فقال المأمون : أُطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يُعْرَف ، وسأل كلَّ مَنْ بحضرته من أهل

1 الشماسية هنا : من ضواحي بغداد .

2 الزلال : ضرب من الزوارق .

الأَدَب والرُّواة والجُلَساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحدٌ . فقال إسحاق بن حُمَيد : لمّا رأيتُ ذلك عُنِيتُ بهذا الشعر وجَهَدتُ في المسألة وطلبتُه ببغدادَ عند كلّ متأدِّب وذي معرفةٍ فلَم يَعْرِفه . وقلّد المأمون ابا الرازيّ كُوَرَ دِجْلَةَ وأنا أَكتُب له ، ثم نقله إلى اليَمامة والبَحْرَيْن . قال إسحاق بن حُمَيْد : فلمّا خرجنا ركِبت مع أبي الرازيّ في بعض اللّيالي على حِمارة ، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدةٍ طويلةٍ ، وإذا البيتُ الذي كنت أطلبُه ، فسألتُه عنها فذكر أنّها للمُرقِّش الأَكبر ، فحفِظْتُ منها هذه الأبيات : [من الطويل]

خلِيلَيَّ عُوجا باركَ الله فيكما ... وإنْ لم تكُنْ هندٌ لأرضِكما قَصْدا
وقُولا لها ليس الضَّلالُ أجازَنا ... ولكنّنا جُزْنا لِنَلْقاكُمُ عمْدا
تَخَيَّرتُ من نَعْمانَ عودَ أَراكةٍ ... لهندٍ فمَنْ هذا يبلّغه هندا
وأَنْطَيْتُه سيفي لكيما أُقِيمَه ... فلا أَوَداً فيه استبنتُ ولا خَضْدا[1]
ستَبْلُغُ هنداً إنْ سَلِمْنا قَلائصٌ ... مَهارِي يُقَطِّعن الفَلاةَ بنا وَخْدا
فلمّا أنَخْنا العيسَ قد طار سيرُها ... إليهم وجدْناهم لنا بالقِرى حَشْدا
فناولتُها المِسْواكَ والقلبُ خائفٌ ... وقلتُ لها يا هِندُ أَهْلَكْتِنا وَجْدا
فمدّتْ يداً في حُسْنِ دَلٍّ تَناوُلاً ... إليه وقالتْ ما أَرى مثلَ ذا يُهْدى
وأقبلتُ كالمُجتازِ أدَّى رسالةً ... وقامتْ تَجُرّ المَيْسانيَّ والبُرْدا[2]
تَعَرَّضُ للحيّ الذين أُريدهم ... وما التمست إلاّ لِتقتُلني عَمْدا
فما شِبْهُ هندٍ غيرُ أَدماءَ خاذلٍ ... من الوَحْشِ مُرْتاعٍ مُراعٍ طَلاً فردا[3]

قال : فكتب بها إلى المأمون فاستُحْسِنَتْ ورُوِيَتْ ، وأَمر علّويه فصنَع في البيتين الأوّلين منها غناء يُشبه [. . .]

أغاني علّويه في هذه الأبيات : اللحن الأوّل في قوله :

تخيّرت من نَعمانَ عودَ أَراكةٍ

غنّاه عَلُّويَه وليس اللحن له ، اللحن لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبِنصر . ولحنُه الثاني الذي أَمره أنْ يصنَعه في :

1 أنطى : لغة في أعطى . الخضد : كسر العود من غير أن يبين .

2 الميساني : ضرب من الثياب منسوب إلى ميسان .

3 الأدمة في الظباء والنوق : لون مشرب بياضاً . والخاذل من الظباء : التي تتخلف عن صواحبها وتنفرد ، أو أقامت على ولدها . والطلا هنا : ولد الظبية .

خَلِيليّ عُوجا بارك الله فيكما

رملٌ .

[دفع إلى المعتصم رقعة في أمر رزقه ثم غنّاه بشعر لابن هرمة]

حدَّثني جعفر بن قُدامةَ قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : عرَض عَلُّويه على المعتصم رُقعةً في أمر رِزقه وإقطاعه وهو يشرب دفَعها إليه من يده ، فلمّا أخذها اندفع علّويه يغنّي : [من الكامل]

صوت

إنّي اسْتحيتُكَ أنْ أفُوهَ بحاجتي فـإذا قرأتَ صحيفتي فَتَفهَّمِ
وعليكَ عهـدُ اللهِ إنْ خَبَّرتَه أحـداً ولا أظهرتَـه بِتَكَلُّمِ

فقرأ المعتصم الرُّقعة وهو يضحَك ، ثم وقَّع له فيها بما أراد .

الشعر لابن هَرمة كتَب به إلى بعض آل أبي طالبٍ وهو إبراهيم بن الحسن يطلُب منه نبيذاً وقد خرج هو وأصحابُه إلى السَّيالةِ[1] ، فكتَب إليه البيتَ الأوّل على ما رويناه ، والثاني غيّره المغنّون ، وهو : [من الكامل]

وعليكَ عهدُ الله إنْ أعلمتَه أَهلَ السَّيالةِ إنْ فعلتَ وإنْ لَمِ

فلمّا قرأ الرُّقعة قال : عليّ عهدُ الله إنْ لَم أُعْلِمْ به عامل السَّيالةِ . [وكتب إلى عامل السَّيالة] : إنّ ابن هَرْمة وأصحاباً له سُفَهاء يشربون بالسَّيالة ، فارْكَبْ إليهم ، حتّى تأخذَهم ، فركِب إليهم ونَذِروا به[2] ، فهرَب ، وقال يهجو إبراهيم : [من الوافر]

كتبتُ إليـكَ أستهدِي نَبِيذاً وأُدْلي بالمَـودّةِ والحقـوقِ
فخَبَّرْتَ الأَميرَ بـذاك جهـلاً وكنتَ أَخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ[3]

حدَّثني بذلك الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبير . وقد ذكرتُهُ في أخبار ابن هَرْمة . والغناءُ لعَبادِلَ .

[غنّى هو ومخارق معرّضين بفرس كميت للمعتصم فأعطاهما غيره]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني موسى بن هارون الهاشميّ قال حدَّثني أُبي قال : كنتُ واقفاً بين يدي المعتصم وهو جالسٌ على حَيْر الوَحْشِ والخيلِ تُعْرَض عليه وهو يشرَب وبين يديه علّويه ومُخارِق يغنّيان ، فعُرِض عليه فرسٌ كُمَيْتٌ أَحمرُ ما رأيتُ مثلَه قَطُّ ، فتغامز

1 السيالة : أرض في طريق الحاج ، قيل هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكّة .

2 نذر به : علم به .

3 الموق هنا : الحمق في غباوة .

عَلّويَه ومُخارق ، وغنّاه علّويه : [من الرمل]

وإذا مـا شربوهـا وانتَشوْا وهبُوا كلّ جَـوادٍ وطِمِرّ[1]

فتغافل عنه . وغنّاه مُخارِقٌ : [من الخفيف]

يَهَـبُ البِيضَ كالظِّباء وجُرْداً تحت أجْلالِها وعِيسَ الرِّكابِ[2]

فضحِك ثم قال : اسكُتا يا ابْنَي الزّانيتين ، فليس يملِكه والله واحدٌ منكما . قال : ثم دار الدَّوْرُ ، فغنّى عَلّويه : [من الرمل]

وإذا مـا شرِبوهـا وانتَشَوْا وَهَبُـوا كلَّ بِغـالٍ وحُمُرْ

فضحِك وقال : أمّا هذا فَنَعَمْ ، وأمَر لأَحدِهما ببَغْلٍ وللآخرِ بحِمار .

[اجتمع مع أصحاب له عند زلبهزة]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن محمد الأَبزاريّ قال : كنّا عند زلبهزة النخّاس ، وكانت عنده جاريةٌ يقال لها خِشْفٌ ابتاعها من علّويه ، وذلك في شهر رمضانَ ، ومعنا رجلٌ هاشميّ من ولد عبد الصَّمد بن عليّ يقال له عبدُ الصَّمد ، وإبراهيم بن عمرو بن نهبون وكان يحبّها ، فأعطى بها زلبهزَة أربعة آلاف دينارٍ فلم يَبِعْها منه ، وبقيتْ معه حتى تُوُفِّيتْ ، فغنّتنا أصواتاً كان فيها : [من الطويل]

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفةَ أُهلِها إشارةَ محـزونٍ ولَـم تَتكلَّمِ
فأيقنتُ أنّ الطَّرْفَ قد قال مَرْحَباً وأهـلاً وسَهْـلاً بالحبيبِ المُسَلّمِ
وأبـرزتُ طَرْفي نحوَها لأُجيبَها وقلتُ لها قولَ امرىء غيرِ مُعْجِمِ
هنيئاً لكـم قَتْلي وصَفْوُ مَودّتي وقد سِيط في لحمي هواكِ وفي دمي[3]

الغناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ . قال : فلمّا وثبنا للانصِراف قال لنا وقد اشتدّ الحرّ : أقيموا عندي . فوجَّهتُ غلاماً معي وأعطيتُه ديناراً وقلتُ له ابْتَعْ فَراريجَ بعشرة دراهم وثلجاً بخمسة دراهم وعَجِّلْ ، فجاء بذلك فدفَعه إلى زلبهزة وأمره بإصلاح الفراريج ألواناً ، وكتبتُ إلى علّويه فعرّفته خبرنا ، فجاءنا وأقام ، وأفطرنا عند زلبهزة ، وشرب منّا مَن كان يستجيز الشرابَ ، وغنّى علّويه لحناً ذكر أنّه لابن سُرَيْج ثقيلٌ أوّل ، فاستغربه الجماعة ، وهو : [من السريع]

---

1 الطمّر : الجواد .

2 الجرد من الخيل : القصيرات الشعر . وعيس الركاب : النوق البيض .

3 سيط : خلط ومزج .

صوت

يـا هندُ إنّ الناسَ قد أفسدوا وُدَّكِ حتـى عَـزَّني المَطْلَبُ
يـا ليتَ مَنْ يسعى بنا كاذباً عـاشَ مُهانـاً في أذًى يَتْعَبُ
هَبيـهِ ذنبـاً كنتُ أذنبتُه قـد يغفِـر اللهُ لِمَنْ يُذْنِبُ
وقد شَجاني وجـرتْ دَمْعَتي أنْ أرسلتْ هندُ وهِي تَعْتِبُ
مـا هكذا عاهدتَنا في مِنًى مـا أنـتَ إلاّ ساحرٌ تَخْلُبُ
حلفـتَ لي بـالله لا نَبْتَغي غيرَكِ مـا عشتِ ولا نَطْلُبُ

قال : وقام عبدُ الصمد الهاشميّ ليبول . فقال علّويه : كلُّ شيء قد عرَفتُ معناه : أمّا أنت فصديقُ الجماعةِ ، وهذا يتعشَّق هذه ، وهذا مولاها ، وأنا ربَّيتها وعلَّمتها ، وهذا الهاشميّ أَيْشٍ معناه ! . فقلتُ لهم : دعُوني أُحُكُّه[1] وآخذ لزلبهزة منه شيئاً . فقال : لا والله ما أُريد . فقلت له : أنت أَحمقُ ، أنا آخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أَخْذه . فقال : إنْ كان هكذا فنعَمْ . فقلت له : إذا جاء عبدُ الصَّمد فقُلْ لِي : ما فعلَ الآجُرُّ الذي وعدتني به . فإنّ حائطي قد مال وأخاف أن يقَع ، ودَعْني والقِصَّةَ .

فلمّا جاء الهاشميّ قال لي زلبهزة ما أَمرتُه به ، فقلتُ : ليس عندي آجُرٌّ ، ولكن اصبِر حتّى أطلُب لك من بعض أصدقائي ، وجعلتُ أنظُر إلى الهاشميّ نَظَرَ مُتَعرِّضٍ به . قال الهاشميّ : يا غلامُ دواةً ورُقْعةً ، فأحضر ذلك . فكتَب له بعشرة آلاف آجُرّةٍ إلى عامل له ، وشرِبنا حتّى السَّحَرِ وانصرفنا . فجئتُ برُقْعته إلى الآجُرّي . ثم قلتُ : بكَم تَبيعه الآجُرَّ ؟ فقال : بسبعة وعشرين درهماً الألفَ . قلت : فبِكم تشتريه منّي ؟ قال : بنُقْصان ثلاثة دراهم في الألف . فقلتُ : فهاتِ ، فأخذتُ منه مائتين وأربعين درهماً ، واشتريتُ منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً ودَجاجاً بأربعين درهماً ، وأعطيتُ زلبهزة مائتي درهم وعرّفته الخبر ، ودعونا علّويَه والهاشميّ ، وأَقمنا عند زلبهزة ليلَتنا الثانية . فقال علّويَه : نَعَمْ ! الآن صار للهاشميّ عندكم موضعٌ ومعنى .

[هو مصلي كل سابق في الصنعة]

أَخبرني جحظة قال حدَّثني أَحمد بن حمدون قال حدّثني أبي قال : قال لنا الواثق يوماً : مَن أحذقُ الناس بالصَّنْعة ؟ قلنا إسحاق . قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علّويه . قال : فمَنْ أضربُ الناس ؟ قلنا : ثَقِيفٌ . قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علّويه . قال : فمَن أطيبُ الناس صوتاً ؟ قلنا : مُخارق . قال ثم مَن ؟ قلنا : علّويه . قال : اعترفتم له بأنّه مُصَلِّي كلِّ سابقٍ ، وقد جمع

---

1 أحكه ، يريد أحتك به وأتعرض له .

الفضائلَ كلَّها وهي متفرّقةٌ فيهم ، فما ثَمَّ ثانٍ لهذا الثالث .

[غنّى المأمون في دمشق بما أغضبه]

وحدَّثني جَحْظة قال حدَّثني محمد بن أحمد المكّيّ المُرْتَجِل قال حدَّثني أبي قال : دخلتُ إلى عَلّويه أعوده من عِلّة اعتلّها ثم عُوفِي منها ، فجرى حديثُ المأمون ، فقال لي : كِدْتُ ، عَلِم الله ، أذهَب دَفْعةً ذاتَ يومٍ وأنا معه لولا أنّ الله تعالى سلمني ووهب لي حِلْمَه . فقلت : كيف كان السبب في ذلك ؟ فقال : كنتُ معه لمّا خرج إلى الشام ، فدخلْنا دمشق فطُفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أُميّة ويَتّبع آثارَهم ، فدخل صَحْناً من صُحونهم ، فإذا هو مفروشٌ بالرُّخام الأخضر كلُّه وفيه بِركةُ ماء يدخُلها ويخرج منها من عينٍ تَصُبّ إليها . وفي البركة سمكٌ ، وبين يديها بستانٌ على أربع زواياه أربعُ سَرَواتٍ كأنّها قُصّتْ بمِقراض من التفافها أحسنُ ما رأيتُ من السَّرْو قطّ قدّاً وقَدْراً . فاستحسن ذلك ، وعزَم على الصَّبُوح ، وقال : هاتوا لي الساعةَ طعاماً خفيفاً ، فأُتِي ببَزْماوَرْدٍ[1] فأَكَل ، ودعا بشرابٍ ، وأقبل عليّ وقال : غَنِّني ونَشِّطْني ، فكأنّ الله عَزّ وجلَّ أنساني الغناء كلَّه إلاّ هذا الصوت : [من السريع]

لــو كان حَوْلي بنو أُميَّةَ لَمْ تَنْطِقْ رجــالٌ أراهُمُ نَطَقوا

فنظر إليّ مُغْضَباً وقال : عليكَ وعلى بني أُمَيَّةَ لعنةُ الله ؛ ويلَكَ ! أقُلتُ لك سُؤْني أو سُرَّني ! أَلَم يكن لك وقتٌ تذكرُ فيه بني أُميّة إلاّ هذا الوقتَ تعرِّض بي ! . فتحيَّلتُ عليه وعلمتُ أنّي قد أخطأتُ ، فقلت : أتلومُني على أنْ أذكر بني أُمَيّة ! هذا مولاكم زِرْياب عندهم يركَب في مائتي غُلامٍ مملوكٍ له ، ويملِك ثلاثمائة ألفِ دينارٍ وهبوها له سوى الخيل والضِّياع والرَّقيق ، وأنا عندكم أموت جوعاً . فقال : أوَلَم يكنْ لك شيءٌ تذكِّرني به نفسَك غيرَ هذا ! فقلتُ : هكذا حضَرني حين ذكرتُهم . فقال : اعْدِلْ عن هذا وتَنَبَّهْ على إرادتي . فأنساني الله كلّ شيء أُحْسِنه إلاّ هذا الصوتَ : [من الكامل]

الحَيْنُ ساق إلى دِمَشْقَ ولم أكُنْ أرضــى دِمَشْقَ لأهلِنـــا بَلَدا

فرماني بالقَدَح فأخطأني فانكسر القدح ، وقـال : قُمْ عنّي إلى لعنة الله وحرِّ سَقَرَ ، وقام فركِب . فكانت والله تلك الحالُ آخِرَ عهدي به ، حتى مرض ومات . قال : ثم قال لي : يا أبا جعفر كَمْ تُراني أُحْسِن ! أُغنّي ثلاثةَ آلافِ صوت ، أربعةَ آلاف صوت ، خمسة آلاف صوت ، أنا والله أُغنّي أكثرَ من ذلك ، ذهب عَلِم الله كلُّه حتى كأنّي لم أعرِفْ غيرَ ما غنَّيْتُ . ولقد ظننتُ أنّه لو كانت لي ألفُ رُوح ما نجتْ منه واحدةٌ منها ، ولكنّه كان رجلاً حليماً ، وكان في العُمْرِ بقيَّة .

---

1 البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صوت

[من السريع]

لــو كان حــولي بنو أُمَيَّةَ لَم تَنْطِــقْ رجــالٌ أراهمُ نَطَقُوا
مِــنْ كلّ قَــرْمٍ مَحْضٍ ضرائبُه عــن مَنْكِبَيْه القميصُ يَنخرِقُ[1]

الشعر لعبد الله بن قيس الرُّقيّات . والغناء لَمعْبَد ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سُرَيج . وذكر ابن خُردَاذبه أنّ فيه لدُكَيْنِ بن عبد الله بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقيل الأوّل ، وأنّ دُكَيْناً مدنيٌّ كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان .

صوت

[من الكامل]

الحَيْنُ ساقَ إلى دِمَشْقَ ومــا كانــت دمشقُ لأَهلِنــا بَلَدا
قادتْكَ نَفْسُك فاستقدتَ لها وأُرِيــتَ أمــرَ غَوايــةٍ رَشَدا

لعُمَرَ الواديِّ في هذا الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن ابن المكيّ . قال : وفيه ليعقوب الواديّ رملٌ بالبِنصر .

[اعترض على خطابه فأجاب]

حدّثني عمّي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال سمعتُ الحسن بن وَهْبٍ الكاتبَ يحدّث : أنّ علّويَه كان يَصطبح في يوم خِضابه مع جواريه وحُرَمه ، ويقول : أجعلُ صَبُوحي في أحسن ما يكون عند جَوارِيَّ . فقيل له : إنّ ابن سِيرِينَ كان يقول : لا بأسَ بالخِضابِ ما لَم تُغَرَّرْ به امرأةٌ مسلمةٌ . فقال : إنمّا كُرِه لئلاّ يَتَصنَّع به لَمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوّجها على أنّه شابٌّ وهو شيخ ، فأمَّا الإماء فهنّ مِلْكِي ، وما أُريد أنْ أغُرّهنّ .

قال الحسن : فتعالَلَ علّويَه على المعتصِم ثلاثةَ أيّامٍ متوالية واصطبح فيها ، فدعاني ، وكان صوتُه على جَوارِيه في شعر الأخطل : [من البسيط]

كأنّ عَطّــارةً باتــتْ تُطِيفُ بِهِ حتى تَسَرْبَلَ مثلَ الوَرْسِ وانتَعَلا[2]

فقال لي : كيف رويتَه ؟ فقلتُ له : قرأتُ شعرَ الأخطلِ وكان أعلمَ النّاسِ به ، كان يختار

---

1 انخراق القميص : إشارة إلى جذب العفاة ، أو إلى إيثار غيره بثيابه .

2 مثل في ل : ماء .

«تَسَرْوَلَ» ويقول : إنّما وصف ثوراً دخل رَوْضَةً فيها نُوّارٌ أصفرُ فأثّر في قوائمه وبطنِه فكان كالسَّراويلِ ، لا أنّه صارَ له سِرْبالٌ . ولو قال : «تسربلَ» أيضاً لم يكن فاسداً ، ولكنّ الوجهَ «تسرولَ» .

[مدح إسحاق لحناً له]

أُخبرني جعفر بن قُدامةَ قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : قَدِمتُ من سُرَّ مَنْ رأى قَدْمةً بعد طُولِ غَيبة ، فدخلتُ إلى إسحاق الموصليّ ، فسلّم عليَّ وسألني خبري وخبر الناس حتى انتهينا إلى ذكر الغِناء ، فسألني عمّا يتشاغل الناس من الأصوات المُسْتَجادةِ[1] . فقلتُ له : تركتُ الناسَ كلَّهم مُغْرَمين بصوتٍ لك . قال : وما هو ؟ فقلتُ :

أَلا يـا حَمامَيْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما

فقال : ليس ذلك لي . ذاك لعَلّويَه . وقد لَعَمْرِي أَحسنَ فيه وجَوّدَ ما شاء .

[قال المأمون أبياتاً فغنّاه فيها فوصله]

أُخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدَّثني علّويَه قال : خرج المأمون يوماً ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رُقْعة بخَطّه ، وهي : [من الطويل]

صوت

خرجْنا إلى صَيْد الظِّباء فصادَني ... هناكَ غَـزالٌ أَدعجُ العَيْنِ أَحْوَرُ
غـزالٌ كأنّ البدرَ حَـلَّ جبينَه ... وفي خدّه الشِّعْرى المنيرةُ تَزْهَرُ
فصاد فُـؤادي إذْ رماني بِسَهْمِهِ ... وسهمُ غزالِ الإنْسِ طَرْفٌ ومِحْجَرُ
فيا مَنْ رأى ظبياً يَصِيدُ ومَنْ رأى ... أخـا قَنَصٍ يُصْطادُ قَهْراً ويُقْسَرُ

قال : فغنَّيته [فيها] ، فأَمَر لي بعشرة آلاف درهم .

قال أبو القاسم جعفر بن قُدامة : لحن علّويَه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ابتداؤه نشيد .

[غنّى في مجلس الرشيد بما أغضبه]

أُخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدَّثني حمّاد عن أبيه قال : غَنّيتُ الرشيدَ يوماً : [من البسيط]

هما فَتاتانِ لَمّا يَعْرِفا خُلُقي ... وبالشَّبابِ على شَيْبِي يُدِلاّنِ

فطرِب وأَمَر لي بألفِ دينار . فقال له ابنُ جامع ، وكان أحسَدَ الناس : اسمَعْ غناء العُقلاء ودَعْ غناء المجانين ، وكنتُ أخذتُ هذا الصوتَ من مجنون بالمدينة كان يُجيده . ثم غنّى قولَه : [من الرمل]

---

1 ل : المستجدة .

ولقد قالتْ لأتراب لها كالمَها يَلْعَبْنَ في حُجْرتِها
خُذْنَ عنّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُني وغدتْ تسعى إلى قُبَّتِها

فطرِب وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تغنّى وَجْهُ القَرْعَةِ : [من المنسرح]

يَمشونَ فيها بكلِّ سابغةٍ أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحَلَقُ[1]

فاستحسنه وشرب عليه وأَمَر له بخمسمائة دينار . ثم تغنّى عَلّويَه : [من الكامل]

وأرى الغَــواني لا يُواصِلنَ امرءاً فَقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدا

فدعاه الرشيد وقال له : يا عاضَّ بَظْر أُمّه ! تُغَنّي في مدح المُرْدِ وذمِّ الشّيب وسِتارتي منصوبةٌ وقد شِبْتُ ؛ كأنّك إنّما عرَّضتَ بي ! ثم دعا بمَسْرورٍ فأَمَره أن يأخذ بيده فيُخْرِجَه فيضربَه ثلاثين دِرّةً ولا يردّه إلى مجلِسِه ، ففعل ذلكَ ، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه ولا انتفعنا به بقيّة يومنا ، وجفا علّويَه شهراً فلم يأذَنْ له حتّى سألناه فأذِن له .

نسبة هذه الأصوات التي تقدّمت

صوت

[من البسيط]

همــا فتاتانِ لَمّــا يَعْرِفــا خُلُقِي وبالشّبــابِ عــلى شَيْبِي يُدِلاّنِ
كلُّ الفَعالِ الذي يفعلنَــه حَسَنٌ يُضْنِي فؤادي ويُبْدي سِرَّ أَشجاني
بَلِ احذَرا صَوْلةً من صَوْلِ شَيْخِكما مَهْلاً عــنِ الشَّيْخِ مهلاً يا فتاتانِ

لم يَقَعْ إليّ شاعرُه . فيه لابن سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مَجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيجٍ رملٌ بالبِنصر عن عمرو . وفيه لسليمان المُصاب رملٌ كان يغنّيه . فدسَّ الرشيد إليه إسحاقَ حتّى أخذه منه ، وقيل : بل دسّ عليه ابنَ جامع .

[خبر أخذ إسحاق صوتاً من سليمان المصاب]

أَخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دعاني الرشيدُ لَمّا حجّ ، فقال : صِرْ إلى موضع كذا وكذا من المدينة ؛ فإنّ هناك غلاماً مجنوناً يغنّي صوتاً حسناً ، وهو : [من البسيط]

هُما فتاتانِ لَمّا يعرِفــا خُلُقِي وبالشبابِ على شيبي يُدِلاّنِ

وله أمٌّ ، فصِرْ إليها وأَقِمْ عندها واحْتَل حتّى تأخذَه . فجئتُ أستدلّ حتّى وقفت على بيتها ،

---

1 الدرع السّابغة : التي تجر في الأرض أو على الكعبين لطولها وسعتها . والقتير : مسامير الدرع .

فخرجتْ إليّ فوهبتُ لها مائتي درهم ، وقلتُ لها : أُريد أن تحتالي على ابنِكِ حتّى آخُذَ منه الصوتَ الفلانيّ . فقالت : نَعَمْ ، وأدْخَلتني دارَها ، وأمرتْني فصَعَدتُ إلى علّيّة لها ، فما لبِثتُ أنْ جاء ابنها فدخل . فقالت له : يا سليمانُ فدتْك نفسي ؛ أُمُّك قد أصبحتِ اليومَ خاثرةً[1] مُغْرَمةً[2] ، فاحِبّ أن تغنّي ذلك الصوتَ :

هما فتاتان لَمّــا يعرفــا خُلُقي

فقال لها : ومتى حدَث لك هذا الطَّرَب ؟ قالت : ما طَرِبتُ ولكنّني أحببتُ أن أتفرَّج من همٍّ قد لحِقني . فاندفع فغنّاه ، فما سمعتُ أُحسنَ من غِنائـه . فقالـت لـه أُمه : أحسنتَ ! فديتُك ! فقد والله كشفتَ عنّي قِطعةً من هَمِّي ، فأسأُلك أن تُعيدَه . قال : والله ما لي نَشاطٌ ، ولا أُشتري غَمِّـي بفَرَحِـك . فقالتْ : أعـدْه مرّتين ولك درهمٌ صحيحٌ تشتري به ناطِفاً[3] . قـال : ومـن أيـن لكِ درهم ؟ ومتى حدَث لكِ هذا السخاء ؟ فقالت : هذا فضولٌ لا تَحتاج إليـه ، وأخرجتْ إليه درهماً فأعطته إيّاه ، فأخـذه وغنّاه مرّتين ، فدارَ لي وكاد يَسْتَوي . فأومأتُ إليها من فوقُ أن تَستزيده . فقالتْ : يا بُنَيّ بحقّي عليك إلاّ أعدتَه . فقال أظُنّ أنّكِ تريدين أن تأخذيه فتَصيري مغنّيةً . فقالت : نَعَمْ ! كذا هو . قال : لا ؛ وحقِّ القبر لا أعدتُه إلاّ بدرهم آخر . فأخرجتْ له درهماً آخَر ، فأخذه وقال : أظنُّك والله تَزَنْدَقْت وعَبدت الكَبْشَ فهو ينقُد لكِ هذه الدراهمَ ، أوْ قد وجدتِ كنزاً . فغنّاه مرّتين ، وأخذتُه واستوى لي . ثم قام فخرج يعدو على وجهه . فجئتُ إلى الرشيد فغنّيته به وأخبرتُه بالقصّة ، فطرِب وضحِك وأمَر لي بألف دينار ، وقال لي : هذه بَدَلُ مائتي الدِّرهم .

صوت

[من الرمل]

ولقد قالــتْ لأتراب لهــا   كالمَها يَلْعَبْنَ في حُجْرَتِها
خُذْنَ عنّي الظِّلَّ لا يتبَعني   وعَــدَتْ سَعْيــاً إلى قُبَّتِها
لم يُصِبْها نَكدٌ فيما مَضى   ظَبْيةٌ تختــالُ في مشْيَتِها

في هذه الأبيات رملٌ بالبِنصر ذكر الهشاميُّ أنّه لابن جامع المكّيّ ، وذكر ابن المكّيّ أنّه لابن سُرَيج ، وهو في أخبار ابن سريج وأغانيه غيرُ مُجَنّس .

1 خاثرة : ثقيلة النفس غير طيبة ولا نشيطة .
2 المغرمة هنا : المصابة بألم يلازمها ويلح عليها .
3 الناطف : ضرب من الحلوى يقال له القبّيطي .

صوت

[من مخلّع البسيط]

يمشون فيهـا بكـلّ سابغةٍ أُحْكِـمَ فيهـا القَتِيرُ والحَلَقُ
تعـرِف إنْصافَهُـمْ إذا شَهِدوا وصَبْرَهم حين تَشْخَصُ الحَدَقُ[1]

الغناء لابن مُحْرِز ، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وحبش .

صوت

[من الكامل]

يَجْحَدْنَني دَيْني النهارَ وأقتضي دَيْني إذا وَقَـذ النُّعاسُ الرُّقَدا
وأرى الغواني لا يُواصِلْنَ امرءاً فَقَدَ الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدا

الشعر للأَعْشى . والغناء لمعبدٍ ، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

صوت

[من السريع]

أَيـَّةُ حـالٍ يـا ابن رامِينِ حـالُ المُحِبِّينَ المَساكِينِ
تركتهم موتى ومـا مُوِّتوا قد جُرِّعُوا منكَ الأَمَرَّيْنِ[2]
وسِرْتَ في رَكْبٍ على طِيَّةٍ رَكْـبِ تَهـامٍ ويَمانِينِ
يا راعِيَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهُمْ وَيْلَكَ مـن رَوْعِ المُحِبِّينِ

الشعر لإسماعيل بن عَمّارٍ الأَسَدِيّ . والغناء لمحمد بن الأَشْعَث بن فجوة الزُّهْرِيّ الكوفيّ ، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى ، عن الهشاميّ وأَحمد بن المكّيّ .

1 يقال : شخص بصر فلان إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . وشخوص الحدق كناية عن الفزع وشدّة الخوف في الحرب .

2 لقي منه الأمرّين : أي الدواهي .

[196] ـ نسب إسماعيل بن عمّار وأخباره

[نسبه]

هو إسماعيل بن عمّار بن عُيينة بن الطُّفيل بن جَذيمة بن عمرو بن خَلَف بن زبّان بن كَعْب بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة . أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن السّكّريّ عن ابن حبيب .

[من مخضرمي الدولتين وكان ينزل الكوفة]

وإسماعيل بن عمّارْ شاعرٌ ، مُقِلٌّ ، مخضرمٌ من شعراء الدولتين الأُموية والهاشمية . وكان ينزل الكوفة .

[كان ممّن يختلف إلى ابن رامين وجواريه]

قال ابن حبيب : كان في الكوفة صاحب قِيانٍ يقال له ابن رامِين ، قَدِمها من الحجاز ؛ فكان مَن يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده : مثل يحيى بن زيادٍ الحارثيّ ، وشُراعة بن الزّنْدَبُوذ ، ومُطِيع بن إياس ، وعبد الله بن العبّاس المفتون ، وعَوْنِ العِبادِيّ الحِيريّ ، ومحمد بن الأشعث الزُّهْرِيّ المغنّي . وكان نازلاً في بني أَسَدٍ في جِيران إسماعيل بن عمّار ، فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده . ثم انتقل من جِواره إلى بني عائذ [الله][1] ، فكان إسماعيل يزوره هناك على مَشَقّة لبُعد ما بينهما . وكان لابن رامين جَوارٍ يقال لهن سَلاّمةُ الزرقاء ، وسَعْدَةُ ، ورُبَيْحة ، وكنّ من أحسن الناس غناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلاّمة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث : [من البسيط]

أُمسى لِسَلاّمَةَ الزرقاء في كَبِدِي صَدْعٌ مُقِيمٌ طَوالَ الدَّهرِ والأَبَدِ
لا يستطيعُ صَناعُ القومِ يَشْعَبُه وكيف يُشْعَبُ صَدْعُ الحُبِّ في كبِدِ

[قصيدة له في جواري ابن رامين]

وفي جواريه يقول إسماعيل بن عمّار : [من البسيط]

هَلْ مِنْ شِفاءٍ لِقلبٍ لَجَّ محزونِ صَبَا وصَبَّ إلى رِئْم ابن رامينِ
إلى رُبَيْحةَ إنّ اللهَ فَضّلها بحُسْنِها وسَماعٍ ذي أفانينِ[2]
وهاجَ قلبيَ منها مَضْحَكٌ حسنٌ ولَثْغةٌ بعدُ [في] زاي وفي سينِ
نَفْسي تأبَّى لكمْ إلاّ طَواعِيةً وأنتِ تأبَيْنَ لُؤماً أَنْ تُطيعيني

---

1 عائذ الله : حي من العرب .

2 السماع : الغناء .

وتلك قِسْمةُ ضِيزى قد سمعتِ بها ... وأنـت تَلْيِنَها مـا ذاك في الدِّينِ
إنْ تُسْعِفِيني بذاك الشيءِ أرضَ به ... وإنْ ضَنَنْتِ بـه عنّـي فَزِنِّيني
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قـد تلبّس بي ... من الجَوى فانفُثِي في فيّ وارْقِيني
نَعَمْ شِفاؤكَ منهـا أن تقولَ لهـا ... أضْنَيْتني يـوم دَيْرِ اللُّجّ فاشْفِيني[1]
يـا ربِّ إنَّ ابـنَ رامينٍ له بَقَرٌ ... عِـينٌ وليس لنـا غيرُ البراذينِ
لـو شئتَ أعطيتَه مالاً على قَدَرٍ ... يرضى به منكَ غيرَ الرَّبْرَبِ العِينِ[2]
لا أنْسَ سَعْدَةَ والزَّرْقاءَ يومَ هُما ... باللُّجِّ شَرْقِيَّـهُ فـوق الدَّكاكينِ[3]
يُغَنِّيانِ ابـنَ رامـينٍ على طَرَبٍ ... بالمِسْجَحـيّ وتشبيـبِ المحِبِّينِ[4]
أذاك أنْعَـمُ أم يـومٌ ظَلِلتُ به ... فِراشِي الوَرْدُ في بُسْتان شُورِينِ
يَشْوِي لنا الشيخُ شُورِينٌ دَواجنَه ... بالجَرْدَنـاجِ وسحّاج الشقابينِ[5]
نُسْقى طِـلاءً لِعِمْـرانٍ يُعَتِّقُه ... يَمْشِي الأَصِحّاءُ منـه كالمجانينِ
يُزِلّ أقدامَنـا مـن بعد صِحّتها ... كأنّها ثِقَـلاً يُقْلَعْنَ مـن طينِ
نمشي وأَرْجُلُنـا مطويّـةٌ شَلَلاً ... مَشْيَ الإوَزِّ التي تأتـى من الصينِ
أو مَشْيَ عُمْيانِ دَيْرٍ لا دليلَ لهم ... سِوى العِصيِّ إلى يـومِ السَّعانينِ
في فِتيةٍ من بَني تَيْمٍ لهوتُ بهم ... تَيمِ بـن مُـرّةَ لا تَيْمِ العَدِيِّينِ
حُمْرُ الوُجوهِ كأنّا من تَحَشُّمنا ... حسناءُ شمطاء وافتْ من فِلَسْطينِ
ما عائذُ الله لولا أنتِ من شَجَني ... ولا ابـنُ رامينَ لولا ما يُمَنِّيني
في عائذ الله بيتُ مـا مررتُ به ... إلاّ وُجِئْتُ عـلى قلبي بسكّينِ[6]
يا سَعْدَةُ القَيْنةُ الخضراءُ أنتِ لنا ... أُنْسٌ لأنَّك في دار ابن رامينِ[7]
ما كنتُ أحسَبُ أنَّ الأُسْدَ تُؤْنِسني ... حتى رأيتُ إليكِ القلبَ يدعوني
لولا رُبَيْحةُ ما استأنستُ ما عَمَدتْ ... نفسي إليك ولو مُثِّلتِ من طينِ

---

1 دير اللج : بالحيرة .
2 الربرب : القطيع من حمر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، واحدتها عيناء .
3 الدكاكين : جمع دكان ، وهو بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه ، وهو المصطبة .
4 المسجحيّ : الغناء المنسوب لابن مسجح .
5 الجردناج : من أنواع الشواء . الشقابين : جمع شقبان وهو طير نبطي .
6 وجئت : ضربت .
7 الخضراء : يريد السوداء ، وكانت سعدة كذلك .

[باع ابن رامين سلامة في حجّه فقال هو شعراً]

قال : وحجّ ابن رامينَ وحجّ بَجواريه معه ، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحِجاز ، فاشترى منه سَلاّمة الزَّرْقاء بمائة ألفِ درهمٍ. فقال إسماعيل بن عمَّار : [من السريع]

أيّةُ حالٍ يا ابنَ رامينِ حالُ المُحِبِّين المساكينِ
تركتَهم مَوْتى وما مُوِّتُوا قد جُرِّعوا منك الأمَرَّينِ
وسِرْتَ في ركبٍ على طِيَّةٍ رَكْبِ تَهامٍ ويَمانينِ
حَجَجْتَ بيتَ الله تبغي به الـ ـبِرَّ ولم تَرْثِ لمحزونِ
يا راعِيَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهُمْ وَيْلَكَ من رَوْعِ المُحِبّينِ
فرّقتَ قوماً لا يُرى مِثْلُهم ما بين كُوفانٍ إلى الصِّينِ[1]

[مات له ابن فرثاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا السكَّريّ عن محمد قال : كان لإسماعيل بن عمّارٍ ابنٌ يقال له مَعْنٌ فمات ، فقال يرثيه : [من الكامل]

يا مَوْتُ ما لكَ مُولَعاً بِضِرارِي إنّي عليكَ وإنْ صَبَرْتُ لزاري[2]
تعدو عليّ كأنّني لك واترٌ وأؤول منكَ كما يؤولُ فِرارِي
نَفْسُ البعيدِ إذا أردتَ قريبةٌ ليستْ بناجيةٍ مع الأقدارِ
والمرءُ سوف وإنْ تطاولَ عُمْرُه يوماً يصيرُ لحُفْرة الحَفَّارِ
لَمّا غَلا عَظمٌ به فكأنَّه من حسن بنْيتِه قَضيبُ نُضارِ[3]
فجَّعْتني بأعَزِّ أهلي كُلِّهم تعدو عليه عَدْوَةَ الجبَّارِ
هَلاَّ بنفسي أو ببعض قَرابَتي أوقعتَ أوْ ما كنتَ للمُختارِ
وتركتَ ربتي التي مِنْ أجلِها عِفْتُ الجِهادَ وصِرْتُ في الأمصارِ

[رفض أن يكون عاملاً لما رأى العمال يعذبون وشعره في ذلك]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثني السكريّ عن محمد بن حبيبَ قال : قال رجلٌ من بني أَسَدٍ كان وَجْهاً ، لإسماعيلَ بنِ عَمّار : هَلُمَّ أركَبْ معكَ إلى يوسفَ بن عُمَر ، فإنّه صديقٌ ، حتى أُكَلِّمه فيك يستعملُك على عملٍ تنتفع به . فقال له إسماعيل : دَعني حتى يحولَ الحولُ . فنظر إسماعيلُ إلى عمّال يوسف يُعذَّبون ، فقال في ذلك : [من الوافر]

1 كوفان : الكوفة ، وكوفان أيضاً : قرية بهراة .
2 يقال : فلان زارٍ على فلان إذا كان عاتباً ساخطاً غير راض .
3 النضار هنا : الأثل الطويل المستقيم الغصون .

رأيتُ صَبيحةَ النَّيْروزِ أمــراً فظيعــاً عــن إمارتهم نَهاني
فَـرَرتُ من العِمالةِ بعد يَحْيى وبعــد النَّهْشَليّ أبــي أبانِ
وبعــد الزور وابن أبي كَثِيرٍ وفيقــدِ أشْجَعٍ وأبــي بِطانِ
فحابِ بها أبا عُثمانَ غيري فمــا شأنُ الإمارةِ لي بشانِ
أُحـاذِرُ أنْ أُقَصِّرَ في خَراجي إلى النَّيْروزِ أو في المِهْـرَجانِ
أُعَجِّــلُ إنْ أتى أجلي بوقتٍ وحَسْبي بالمُجَرَّحــةِ المِتانِ[1]
فما عُذْري إذا عَرَّضتُ ظهري لألفٍ من سِياطِ الشّاهِجانِ[2]
تُعَــدُّ ليوسفٍ عدّاً صحيحاً ويحفَظهــا عليــه الجالدانِ
وأُسْحَبُ في سَراويـلي بقَيْدِي إلى حَسّانَ مُعْتَقَــلَ اللِّسانِ
فمنهم قائــلٌ بُعْـداً وسُحْقاً ومنهــم آخَــرانِ يُفَدِّيانِ
كفاني مــن إمارتهم عَطائي وما أُحْذِيتُ من سَبَق الرِّهانِ[3]
كفاني ذاك منهــم مــا بَقِينا كما فيمــا مَضى لي قد كفاني

[شعره في بوبة وصيفة عبد الرحمن بن عنبسة]

وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه : إنّه كانت لعبد الرحمن بن عَنْبَسةَ بن سعيد بن العاصي وصيفةٌ مغنّيةٌ يؤدّبها ، ويَصنعها[4] ليُهْدِيها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بُوبة . فقال فيها إسماعيل بن عمّار : [من الخفيف]

بُوبَ حُيِّيتِ عن جليسِكِ بُوبا مُخطئــاً في تحيَّتي أو مصيبا
مــا رأينا قتيلَ حــيٍّ حبا القا تــلَ بالوِتْرِ أنْ يكــونَ حبيبا
غيرَ ما قد رُزِقْتِ يا بُوبَ منّي فهنيئــاً وإنْ أتيــتِ عجيبا
غيرَ مَــنٍّ به عليكِ وإنْ كُنْـ ـتُ بقَـدْرِ القِيانِ طَبّاً طبيبا
بنــتُ عَشْرٍ أديبــةٌ في قُرَيْشٍ بَخْ فأَكْـرِمْ بهـم أباً ونَسيبا
أُدِّبتْ في بنــي أُمَيّــةَ حتّى كَمَلتْ في حُجورهــم تأديبا

قال : ثم أهداها ابن عنبسة إلى هشام . فقال إسماعيل بن عمّار : [من الهزج]

أَلا حُيِّيتِ عنّــا ثُـ ـمَّ سَقْياً لكِ يــا بُوبَهْ

1 المجرحة المتان : السياط الشديدة التي تقطع الجلد .
2 الشاهجان : هي مرو الشاهجان ، كانت قصبة خراسان وأشهر مدنها .
3 أحذيت : أعطيت . والسبق : ما يجعل من المال رهناً على المسابقة وغيرها .
4 صنع الجارية : ربّاها وأحسن تغذيتها .

وأكْــرِمْ بِكِ مُهْداةً وأحْبِبْ بِـكِ مَطْلوبَهْ
وواهاً لكِ مِـن بِكْرٍ وواهــاً لـكِ مثقوبَهْ
وواهـاً لـكِ مُلْقاة وواهـاً لكِ مكبوبَهْ
لقــد عايَــنَ مَنْ يَلْقا كِ من حُسْنِكِ أُعجوبَهْ
ويا وَيْـلي ويـا عَوْلي فنَفْسي الدَّهْرَ مكروبَهْ
عـلى هَيْفــاءَ حَوْراء على جَيْـداءَ رُعْبوبَهْ[1]
إذا ضاجَعهـا المَـوْلى فقــد أُدركَ محبـوبَهْ

[هجاؤه لجارية له كان يبغضها]

قال ابن حبيب في هذه الرواية : كان لإسماعيل بن عمّار جاريةٌ قد ولدَتْ منه ، وكانت سيئةَ الخُلق قبيحةَ المَنْظَر ، وكان يُبْغِضها وتُبغضه ، فقال فيها : [من المتقارب]

بُلِيــتُ بزَمَّــرْدةٍ كالعَصــا أَلَصَّ وأَخبــثَ مــن كُنْدُشِ[2]
تُحِبّ النساءَ وتأبـى الرجـالَ وتمشي مـع الأَسْفَهِ الأَطْيَشِ
لهــا وجــهُ قِرْدٍ إذا ازَّيَّنَتْ ولونٌ كبَيْضِ القَطـا الأَبْرَشِ[3]
ومِــن فوقِــهِ لِمَّــةٌ جَثْلَـةٌ كمثلِ الخوافي مِـنَ المَرْعَشِ[4]
وبطــنٌ خَواصِـرُه كالوِطــا بِ زادَ على كَرِشِ الأَكْرَشِ[5]
وإنْ نَكَهتْ كِـدتُ من نَتْنِها أَخِـرُّ على جانِــبِ المَفْرَشِ[6]
وثَــدْيٌ تدلَّـى على بطنِهـا كقِرْبَــةِ ذي الثَّـلَّةِ المُعْطِشِ[7]
وفَخْـــذانِ بينهمـا بَسْطـةٌ إذا مـا مشتْ مِشْيَةَ المُنْتَشي[8]
وساقٌ يُخَلْخِلُهــا خاتــمٌ كساق الدَّجاجـةِ أَو أَحمشُ[9]

---

1 رعبوبة : بيضاء ناعمة .

2 الزمردة : المرأة التي تشبه الرجال خَلقاً وخُلقاً . كندش : لقب لص معروف وقيل إنه العقعق . والعقعق : طائر ، تضرب العرب به المثل في الخبائث وسوء الخلق .

3 البرش والبرشة : لون مختلف : نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك .

4 الجثلة : الكثيرة الملتفة . والمرعش : جنس من الحمام أبيض يحلق في الهواء .

5 الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن . والأكرش : عظيم البطن .

6 نكه : تنفس على أنف آخر .

7 الثلة : القطعة من الغنم . والمعطش : الذي عطشت غنمه . ويروى الشطر الأول في الحماسة (وثدي يجول على نحرها) .

8 يروى الشطر الأول في الحماسة : (وفخذان بينهما نفنف) أي مهواة بينهما .

9 أحمش : أي دقيق .

وفي كلّ ضِرْسٍ لهـا أُكْلَـةٌ ... أَصَلُّ مـن القبر ذي المَنْبَشِ [1]
ولمّـا رأيـتُ خَـوا أنفها ... وفيهـا وإصْلالَ ما تحتشي [2]
إلى ضامرٍ مثـلِ ظِلْفِ الغَزالِ ... أشَدَّ اصفـراراً مـن المِشْمِشِ
فَرَرتُ مـنَ البيتِ من أجلها ... فِـرار الهَجـينِ من الأعمشِ
وأبـردُ مـن ثَـلْج ساتِيدَما ... إذا راح كالعُطُـبِ المُنْفَشِ [3]
وأرْسَحُ مـن ضِفْـدَعٍ عَثّةٍ ... تَنِقُّ على الشَّطِّ مـن مَرْعَشِ [4]
وأوْسَعُ من باب جَسْرِ الأَميرِ ... تُمِـرُّ المَحامِـلَ لم تَخدِشِ
فهـذِي صِفاتِـي فلا تَأْتِها ... فقد قلتُ طَرْداً لها كَشْكِشي [5]

[هجا جاراً له مسجدٌ قرب داره]

وقال ابن حبيبَ : كان في جِوارِ إسماعيل بن عمّار رجلٌ من قومه ينهاه عن السُّكْر وهجاء الناس ويعذُله ، وكان إسماعيل له مُغضباً . فبنى ذلك الرجلُ مسجداً يُلاصق دارَ إسماعيل وحسَّنه وشيَّده ، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستّر والصلاح منهم عامَّةَ نهارِهم ، فلا يقدِر إسماعيل أن يشرَب في داره ولا يدخُل إليه أحدٌ ممّن كان يألَفه من مغنٍّ ومغنّية أو غيرِهما من أهل الرِّيبة . فقال إسماعيل يهجوه . وكان الرجل يتولّى شيئاً من الوقوف للقاضي بالكوفة : [من الطويل]

بَنـى مسجداً بُنْيانُـه من خِيانةٍ ... لَعَمْري لَقِدْمـاً كنتَ غيرَ مُوَفَّقِ
كصاحبةِ الرُّمّانِ لَمّـا تَصَدَّقتْ ... جَـرَتْ مَثَـلاً للخائنِ المتصدِّقِ
يقولُ لهـا أهلُ الصَّلاح نصيحةً ... لكِ الوَيْلُ لا تَزْني ولا تَتَصدَّقي

[استعدى على غاضري كلف رهطه الطواف]

وقال ابن حبيب : وُلِّي العَسَسَ [6] رجلٌ غاضريٌّ ، فأخذ بني مالكٍ وهم رهطُ إسماعيل بن عمّار بأن كانوا معه ، فطافوا إلى الغَداة . فلمّا أصبح غدا على الوالي مُسْتعدياً على الغاضريّ . فقال له الوالي ، وكان رجلاً من هَمْدانَ : ماذا صنَع بك ؟ فأنشأ يقول : [من السريع]

عَسَّ بنـا ليلَتَـه كُلَّهـا ... ما نحـن في دُنْيا ولا آخِرَهْ
يأمُـر أشيـاخَ بنـي مالكٍ ... أن يحرُسوا دون بنـي غاضِرَهْ

---

1 الأكلة : داء يقع في العضو .
2 أصل : أنتن . الخواء : الهواء بين الشيئين .
3 ساتيدما : جبل متصل من بحر الروم إلى بحر الهند . العطب : القطن .
4 الرسح : قلة لحم الفخذين والعجز . العثة : المحقورة والضئيلة الجسم . مرعش : مدينة بين الشام وبلاد الروم .
5 الكشكشة هنا : الهرب .
6 العسس : الحراس .

والله لا يرضى بـذا كائناً — من حُكْمِ هَمْدانَ إلى الساهِرَهْ[1]

قال فقال له الوالي : قَدْ لَعمري صَدَقتَ ، ووظَّف على سائر البطون أنْ يطوفوا مع صاحب العَسَس في عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً إلى قبيلةٍ ، ويكون ذلك بنَوائب[2] بينهم .

[كان منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد فلمّا مات رثاه]

وقال ابن حبيبَ : كان إسماعيل بن عمّار منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْطٍ ، وكان إليه مُحسِناً ، وكان يُنادمه . فوَلِي خالد بن خالدٍ عملاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه ، وكان إسماعيل عليلاً فتأخّر عنه ، ثم لم يَلبَثْ خالد أنْ مات في عمله ، فورد نَعْيُه الكوفةَ في يوم فِطْرٍ . فقال إسماعيل بن عمّار يَرثيه : [من الخفيف]

مـا لِعَيْني تَفِيضُ غيرَ جَمُـودِ — ليس تَرْقـا ولا لهـا من هُجودِ
فإذا قَـرّتِ العيـونُ استْهلّتْ — فإذا نِمْـنَ أُولعـتْ بالسُّهودِ
أَلِنَعْيِ ابـنِ خالـدٍ خالدِ الخَيْـ — ـرات في يـومِ زِينةٍ مشهودِ
سَنَحتْ لِي يومَ الخميسِ غداةَ الـ — ـفِطْرِ طيرٌ بـالنَّحْسِ لا بالسُّعودِ
فتعيَّفـتُ أنّهـنّ لأمـرٍ — مُفْظِعٍ مّـا جَرَيْنَ في يـومِ عيدِ[3]
فنعتْ خالـدَ بنَ أَرْوى وجَلَّ الـ — ـخطبُ فِقْـدانُ خالدِ بن الوليدِ

[سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه]

وقال ابن حبيب : كان لإسماعيل بن عمّار جارٌ يقال له عثمان بن دِرباس ، فكان يُؤْذيه ويسعى به إلى السلطان في كلّ حال ، ثم سعى به أنّه يذهبَ مذهبَ الشُّراة[4] ، فأُخِذ وحُبِس . فقال يهجوه : [من البسيط]

مَنْ كان يحسُدني جاري ويَغْبِطني — مِـنَ الأَنامِ بعثمانَ بنِ دِرْباسِ
فقـرَّب الله منـه مثلَـه أبـداً — جاراً وأَبْعَـدَ منـه صالحَ النّاسِ
جارٌ لـه بـابُ ساجٍ مُغْلَقٌ أبداً — عليه من داخلٍ حُرّاسُ أَحْـراسِ[5]
عَبْـدٌ وعبـدٌ وبنْتـاهُ وخادِمُه — يدعُون مثلَهمُ مـا ليس من ناسِ
صُفْرُ الوجوهِ كأنَّ السُّلَّ خامَرَهُمْ — وما بهم غيرَ جَهْدِ الجوعِ من باسِ

1 الساهرة : الأرض أو الفلاة .
2 نوائب : جمع نيابة بمعنى نوبة .
3 عيافة الطير : زجرها .
4 الشراة : الخوارج .
5 الساج : ضرب من الشجر ينبت في الهند .

لـــه بَنُـونَ كأطْبـــاءِ مُعَلَّقةٍ في بطن خِنزيرةٍ في دار كَنَّاسِ[1]
إن يُفتَحِ البابُ عنهم بعد عاشرةٍ تظنُّهم خرجـوا من قَعْرِ أرماسِ[2]
فليتَ دارَ ابـنِ دِرْباسٍ مُعَلَّقَةٌ بالنَّجْمِ بـين سَلاليم وأمْراسِ[3]
فكـان آخِـرَ عَهْدِي منهمُ أبداً وابتعــتُ داراً بغِلْماني وأفْراسي

قال : وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الرمل]

لَيْتَ بِرْذَوْني وبَغْلي وجَـوادِي وحِمارِي
كُنَّ في الناس وأبدلْـ ـتُ غداً جاراً بجارِ
جارَ صِدْقٍ بابنِ دِرْبا سٍ وإلاّ بِعْتُ داري
فَتَبدّلــتُ بـــه مِنْ يَمَنٍ أو مـن نِزارِ
بَدَلاً يَعْرِف مـا اللّـ ـهُ ومـا حَقُّ الجوارِ
لــو تَبَدَّلـتُ سِواهُ طاب ليـلي ونَهارِي
واسْتَرَحْنا مـن بَلايا هُ صغـارٍ أو كبارِ
لــو جَزَيْناهُ بها كُنّـ ـنا جميعاً في فَجارِ[4]
أو سكتْنا كان ذُلاًّ داخـلاً تحت الشِّعارِ[5]

قال : فلمّا قال فيه الشعرَ استعدى عليه السلطان ، وذكَرَ أنّه من الشُّراة ، وأنّهم مجتمعون عنده ، وأنّه من دُعاة عبد الله[6] بن يحيى وأبي حَمزة المُختار . فكتب من السجن إلى ابن أخٍ له يقال له مُعانٌ : [من السريع]

أبْلِـغْ مُعانــاً عنّـي وإخوتَه قــولاً وما عالِمٌ كمَنْ جَهِلا
بأنّنـــي والمُصَبِّحـات مِنًـى يعــدُون طَـوْراً وتـارةً رَمَلا
لخائــفٌ أنْ يكــونَ وُدُّكُمُ إيَّــايَ بعــد الصفاء قد أَفَلا
أئنْ عَرانِـــي دَهْـرِي بنائبةٍ أُصبحَ منهــا الفـؤادُ مشتعلا

---

1 الأطباء : جمع طبي ، وهي حلمات الضرع .
2 ل : ديماس .
3 أرماس : واحدها مرس وهي الحبال .
4 فجار : اسم للفجور .
5 الشعار من الثياب : ما يلي البشرة .
6 هو عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمر بن معاوية من حضرموت ، خرج في أيام مروان بن محمد وآخرون ، فغلبوا على اليمن والحجاز ، ثم قتلوا أخيراً .

حاولتـــمُ الصرْمَ أوْ لعلّكُـمُ ظَنَنتُـمُ مـــا أصابنــي جَللا
لا تُغْفِلونا بنـــي أخـــي فلقدْ أصبحتُ لا أبتغي بكـــم بَدَلا
تمسّكوا بالذي امتسكتُ به فإنّ خيرَ الإخـوانِ مَنْ وَصَلا

قال : فكتب إليه ابنُ أخيه : [من السريع]

يا عَمٌ عُوفِيتَ من عذابِهم النُّـ ـكْرِ وفارقـتَ سِجْنَهم عَجلا
كتبتَ تشكو بني أخيك وقد أرسلَ مَـــنْ كان قَبْلنا مَثَلا
«أبْدَأْهُمُ بالصُّراخِ يَنْهزموا» فأنـــت يا عَــمٌ تبتغي العِلَلا[1]
زعمتَ أنّا نـــرى بلاءك في دارِ بـــلاءٍ مُكَبَّـــلا جَلَلا
يا عَـــمٌ بئس الفِتْيانُ نحن إذاً أمّا وفي رِجْلك الكُبُولُ فَلا
عليَّ إنْ كنتَ صادقاً حِجَجٌ للبيتِ عامَيْنِ حافيـــاً رَجُلا
بُعِّدَ عنكَ الهمومُ فارْجُ من الـ ـــلّهِ خَلاصاً وأحْسِنِ الأمَلا

[أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل]

قال : وثمّ وَلِي الحَكَمُ بن الصَّلْتِ فأطلقَه وأحسَنَ إليه ، فلم يَزَل يشكره ويمدحه . ثم عُزِل الحكم بعد ذلك ؛ فقال إسماعيل فيه : [من المنسرح]

تباركَ اللهُ كيـــف أوْحشتِ الـــ ـكوفـةُ أنْ لَم يَكُنْ بهـا الحَكَمُ
الحَكَـــمُ العَـــدْلُ في رعيّتِهِ الـ ـكاملُ فيـــه العفـــافُ والفَهَمُ
فأصبح القصرُ والسَّريــرانِ والـ ـمِنْبَرُ كالكـــلّ مـــن أبٍ يَتَمُ[2]
يُـــذْرِي عليـــه السريرُ عَبْرَتَـــه والمِنْبَـــرُ المَشْرَفـيُّ يَلتَـــدِمُ[3]
والناسُ من حُسْنِ سيرةِ الحَكَمِ بـ ـنِ الصَّلْتِ يبكـــون كلّما ظُلِموا
مثلُ السّكارى في فَرْطِ وَجْدِهِمُ إلاّ عَـــدُوًّا عليـــه يُتَّهَـــمُ
يـــومَ جَرى طائـرُ النُّحوسِ لهم يُنْزَعُ منـــه القِرْطـــاسُ والقَلَمُ
فأرغـــمَ اللهُ حاسِدِيـــهِ كما أرغـــمَ هُودَ القُرودِ إذْ رَغِمُوا[4]

1 أصل هذا المثل «أبدأهم بالصراخ يفروا» . ذلك أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل فيتخوّف لائمة صاحبه فيبدؤه بالشكاية والتجنّي ليرضى من الآخر بالسكوت . يضرب للظالم يتظلّم ليسكت عنه . مجمع الأمثال للميداني 178/1 .

2 القصر في ل : القبر .

3 اللدم والالتدام : ضرب المرأة صدرها أو وجهها من الحزن .

4 الهود : اليهود . وهود القرود : هم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر ، كان محرماً عليهم الصيد أو العمل في يوم السبت .

نِي سَبْتِهم يـوم نابَ خَطْبُهُم والله مِمّـنْ عصـاهُ ينتقمُ
إنّـا إلى الله راجِعـون أَمَـا لِلنّـاسِ عهـدٌ يُوفى ولا ذِمَمُ
حَـوْلٌ علينـا ، وليلتانِ لنا من لَـذّةِ العيش ، بئسَما حَكَمُوا
لا حُكْـمَ إلاّ للهِ يُظْهِـرُه يَقْضي لِضيزائهـا التّي قسَموا
مـاذا تُرَجِّي مـن عَيْشِها مُضَرٌ إنْ كان من شأنِها الذي زَعَموا

[ذم ولاية خالد القسريّ]

وقال ابن حبيب : سمِع إسماعيل بن عمّار رجلاً يُنْشِدُ أبياتاً للفرزدَق يهجو بها عُمَر بن هُبيرة الفَزاريَّ لمّا وَلِيَ العراقَ ويعجَب من وِلايته إيّاها ، وكان خالدٌ القَسْرِيُّ قد وَلِي في تلك الأيّام العراق ، فقال إسماعيل : أعْجَبُ واللهِ ممّا عجب منه الفرزدقُ من ولاية ابن هُبيرة ، [وهو] ما لستُ أراه يُعْجَبُ منه ، ولايةُ خالدِ القَسْريِّ وهو مُخَنَّثٌ دَعِيٌّ ابن دعيٍّ ، ثم قال : [من الكامل]

عَجِب الفرزدقُ من فَزارةَ أنْ رأى عنهـا أُمَيّـةَ بالمَشارِقِ تَنْزِعُ
فلقدْ رأى عَجَبـاً وأُحْدِثَ بعده أمـرٌ تطيرُ لـه القلوبُ وتفزَعُ
بَكتِ المنابرُ مـن فَزارةَ شَجْوَها فـالآن من قَسْرٍ تَضِجّ وتجزَعُ
فملوكُ خِنْـدِفَ أضْرَعونا للعِدا للهِ دَرُّ مُلوكِنـا مـا تَصْنَعُ[1]
كانـوا كقاذفـةٍ بَنِيهـا ضَلّةً سَفَهاً وغيرُهُـمُ تَـرُبٌّ وتُرْضِعُ

[شعر له في عينه وقلبه]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبيُّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عبد الله بن سعيد بن أُسيد العامريّ قال حدَّثني محمد بن أنسٍ الأَسَدِيُّ قال : جلستُ إلى إسماعيل بن عمّار ، وإذا هو يفتِل أُصابعَه متأسِّفاً ، فقلتُ : عَلامَ هذا التأسُّف والتلهُّف ؟ فقال : [من مخلع البسيط]

عينـايَ مشؤومتان وَيْحَهما والقلـبُ حَـرّانُ مُبْتَلًى بهما
عرَّفتـاه الهـوى لِظُلْمهما يـا ليتَني قبـلَ ذا عَدِمْتُهما
هُما إلى الحَيْـن دَلّتا وهمـا ذَلّ على مَنْ أُحِبُّ دَمْعُهما[2]
سأعْذِرُ القلبَ في هـواه وما سَبَّبَ كلَّ البَـلاء غيرُهما

---

1 أُضرعونا : أذلونا وأخضعونا .

2 ذل الدمع : هان .

صوت

[شعر للأعشى وشرحه] [من المتقارب]

فكَعْبةُ نَجْـرانَ حَتْمٌ عليـ ـكِ حتَّى تُناخي بأَبوابِها
نَزورُ يَزيدَ وعبدَ المَسيحِ وقَيْساً هـمُ خيرُ أَربابِها
وشاهِدُنا الجُلُّ والياسَميـ ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِها[1]
وبَرْبَطُنـا دائـمٌ مُعْمَلٌ فأيُّ الثلاثـةِ أَزْرى بِها[2]
إذا الحَبَرَاتُ تَلَوّتْ بهم وجَرُّوا أَسافـلَ هُدَّابِها[3]
فلمّـا التقَيْنا على آيـةٍ ومَـدّتْ إليّ بأسبابِها[4]

عروضُه من المتقارب . الشعرُ للأعشى يمدحَ بني عبد المَدانِ الحارثيّين من بني الحارث بن كَعب . والغناء لحُنَيْن ، خفيفُ ثقيل بالوسطى في مَجراها عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمالك . وزعم عمرو بن بانة أنّه خفيف ثقيلٍ . وزعم أبو عبد الله الهشاميّ أنّ فيه لابن المَكّيّ خفيف رملٍ بالوسطى أوّلُه : [من المتقارب]

تُنازِعني إذ خلـتْ بُرْدَها[5]

ومعه باقي الأبيات مخلَّطةً مقدَّمةً ومؤخَّرة . والكعبةُ التي عناها الأعشى هاهنا يقال إنها بِيعةٌ بناها بنو عبد المَدان على بناء الكعبة ، وعظّموها مُضاهاة للكعبة ، وسمَّوها كعبةَ نَجْرانَ ، وكان فيهـا أساقفةٌ يُقيمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبيّ ﷺ ودعاهم إلى المُباهلة ، وقيل : بل هي قُبّة من أَدَمٍ سمّوها الكعبـةَ . وكان إذا نـزل بهـا مستجيرٌ أُجير ، أو خائفٌ أَمِن ، أو طالـبُ حاجةٍ قضيتْ ، أو مسترفدٌ أُعطِي ما يريده . والمُسْمِعاتُ : القِيانُ . والقُصَّاب : أوتار العيدان . وقال الأصمعيّ : قلت لبعض الأعراب : أَنْشِدْني شيئاً من شعرك . قال : كنتُ أَقول الشِّعر وتركتُه . فقلت : ولِم ذاك ؟ قال : لأنّني قلت شعراً وغنّى فيه حَكَمٌ الواديّ وسمعته فكاد يذهَل عقلي . فآليتُ أَلاَّ أَقولَ شعراً ، وما حرّك حَكَمٌ قصَّابَه إلاّ توهّمتُ أنّ الله عزّ وجلّ مُخلِدي بها في النّار .

* * * *

1 في ديوان الأعشى : «وشاهدنا الورد» . والجلّ : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة . قُصّاب : جمع قاصب وهو الزامر . والقصّاب : الأوتار كما قال أبو عبيدة .
2 البربط : العود . والمزهر : العود أيضاً .
3 الحبرات : ضرب من برود اليمن منمر .
4 آية في ل : آلة .
5 تمام البيت : مفضلة غير جلبابها .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

12

الطبعَة الأولى

1423هـ - 2002 م

الطبعَة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعَة الثالثة

1429 هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[197] ـ أخبار الأعشى وبني عبد المدان وأخبارهم مع غيره[1]

[كان الأعشى مثبتاً ولبيد مجبراً]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن حمّاد الراوية عن سِماك بن حَرْب عن يونس بن مَتَّى راوية الأعشى قال : كان لبيد مُجَبِّراً[2] حيث يقول : [من الرمل]

مَنْ هَداهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدى ... ناعِمَ البالِ ومَنْ شاء أَضَلّ

وكان الأعشى مثبتاً[3] حيث يقول : [من المنسرح]

استأثَرَ اللّهُ بالوَفاءِ وبِالْـ ... ـعَدْلِ وولَّى المَلامةَ الرَّجُلا

فقلت له : من أين [أخذ] هذا ؟ فقال : أخذه من أساقفة نَجْران . وكان يعود[4] في كلّ سنةٍ إلى بني عبد المَدانِ ، فيمدحهم ويُقيم عندهم يشرب الخمرَ معهم وينادمهم ، ويسمَع من أساقفة نَجْرانَ قولَهم ؛ فكلُّ شيءٍ في شعره منه هذا فمنهم أخذه .

خبر أساقفة نجران مع النبيّ ﷺ

فأمّا خبر مباهلتهم[5] النبيّ ﷺ ، فأخبرني به عليّ بن العبّاس بن الوليد البَجَليّ المعروف بالمَقانِعِيّ الكوفيّ قال : أنبأنا بكّار بن أحمد بن اليَسَع الهَمْدانيّ قال حدَّثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شَهْر بن حَوْشَب . قال بكّار وحدَّثنا إسماعيل بن أبانٍ العامِريّ عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبيه عن جدّه عن عليٍّ عليه السلام ، وحديثه أتمّ الأحاديث . وحدَّثني [به] جماعة آخرون بأسانيدَ مختلفةٍ وألفاظٍ تزيد وتنقص : فممّن حدَّثني به عليّ بن أحمد بن حامد التميميّ قال حدَّثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدَّثنا حسن بن حسين عن

---

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1/257–266 والأغاني 9 : 80 والمرزباني 401–402 والمؤتلف 12 واللآلي 83 والخزانة 1 : 83–86 وشعراء الجاهلية 357–399 والتذكرة الحمدونيّة 8 : 356–360 .

2 المجبر : الذي يقول بالجبر . وتقول الجبرية : إنّه لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .

3 مثبتاً : من يثبت القدر .

4 ل : يفد .

5 المباهلة : الملاعنة .

حيّان بن عليّ [عن] الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس ، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن عليّ بن أبي رافعٍ عن أبيه عن جَدّه عن أبي رافع . وأخبرني عليّ بن موسى الحِمْيَريُّ في كتابه قال حدَّثنا جَنْدَلُ بن والِقٍ قال حدَّثنا محمد بن عمر عن عبَّاد الكُلَيْبِيّ عن كامل] أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عبّاس . وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازةً قال حدَّثنا أبي قال حدَّثنا حُصَيْن بن مُخارِقٍ عن عبد الصَّمد بن عليٍ عن أبيه عن ابن عبّاسٍ . قال الحصين وحدَّثني أبو الجارود وأبو حمزة الثّماليّ عن أبي جعفر ، قال : وحدَّثني حَمْد بن سالم وخليفةُ بن حسّان عن زيد بن عليّ عليه السلام . قال حصين وحدَّثني سعيد بن طَرِيفٍ عن عِكْرِمةَ عن ابن عبّاس . وممّن حدَّثني [أيضاً] بهذا الحديث عليّ بن العبّاس عن بكّار عن إسماعيل بن أبان عن أبي أُوَيْس المدنيّ عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن . وممّن حدَّثني به أيضاً محمد بن الحسين الأُشْنانيُّ قال حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق الراشِديّ قال حدَّثني يحيى بن سالم عن جابرٍ عن أبي جعفر عليه السلام . وممّن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيّوب الكوفيّ عن محمد بن عمرو الخشّاب عن حسين الأشقر عن شَرِيك عن جابر عن أبي جعفر ، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبيّ ، واللفظ للحديث الأوّل . قالوا : قَدِمَ وَفْدُ نصارى نَجْران وفيهم الأُسْقُفُ ، والعاقِب وأبو حَبَشٍ ، والسَّيِّدُ ، وقيس ، وعبد المسيح ، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام ، وقال شهر بن حَوْشَب في حديثه : وهم أربعون حِبْراً ، حتى وقفوا على اليهود في بيت المِدْراس ، فصاحوا بهم : يا ابنَ صُورِيّا يا كَعْبُ بن الأشراف ، انْزِلُوا يا إخوة القُرود والخنازير . فنزلوا إليهم ؛ فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً [قد غَلَبكم !] أَحْضِروا المُمْتَحِنة [لِنَمْتَحِنَه] غداً . فلمّا صلَى النبيُّ ﷺ الصبحَ ، قاموا فبركوا بين يديه ، ثم تقدّمهم الأُسْقُفُ فقال : يا أبا القاسم ، موسى مَنْ أبوه ؟ قال : عِمران . قال : فيوسُف مَن أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فأنتَ مَنْ أبوك ؟ قال : أبي عبدُ الله بنُ عبد المطَّلب . قال : فعيسى مَن أبوه ؟ فسكت رسولُ الله ﷺ وآله ؛ فانقضَّ عليه جبريلُ عليه السلامُ فقال : ﴿إنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾ فتلاها رسولُ الله ﷺ ؛ فنزا[1] الأُسقُفُ ثم دِيرَ به مَغْشِيّاً عليه ، ثم رفع رأسه إلى النبيّ ﷺ فقال [له] : أتزعمُ أنّ الله جلّ وعلا أوحى إليك أنّ عيسى خُلِق من تراب ! ما نَجِدُ هذا فيما أُوحي إليك ، ولا نجده فيما أُوحى إلينا ؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أُوحي إليهم . فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وأَبْناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُمْ وأَنْفُسَنا

1 نزا : وثب .

وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ على الكاذِبِينَ﴾ . فقال : أنصفتَنا يا أبا القاسم ، فمتى نُباهِلُك ؟ فقال : بالغداة إن شاء الله تعالى . وانصرف النصارى ، وانصرفتِ اليهودُ وهي تقول : واللهِ ما نُبالي أيَّهما أهلك الله الحَنيفيَّة أو النصرانيّة . فلمّا صارت النصارى إلى بيوتها قالوا : والله إنّكم لتعلمون أنّه نبيٌّ ، ولئن باهلناه إنّا لنخشى أن نَهْلِكَ ، ولكن استَقيلُوه لعلّه يُقيلُنا . وغدا النبيُّ ﷺ من الصُّبْح وغدا معه بعليٍّ وفاطمة والحَسَنِ والحُسَين صلواتُ الله عليهم . فلمّا صلّى الصبح ، انصرف فاستقبل الناس بوجهه ، ثم برك باركاً ، وجاء بعليٍّ فأقامه بين يديه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتِفَيه ، وجاء بحَسَنٍ فأقامه عن يمينه ، وجاء بحُسَينٍ فأقامه عن يساره . فأقبلوا يستترون بالخُشُب والمسجد فَرَقاً أنْ يبدأهم بالمُباهلة إذا رآهم ، حتى بركوا بين يديه ، ثم صاحوا : يا أبا القاسم ، أقِلنا أقالَك الله عَثْرَتَك . فقال النبيّ ﷺ : نعم ، قال : ولم يُسأل النبيّ ﷺ شيئاً قَطُّ إلاّ أعطاه ، فقال : قد أَقَلْتُكم [فَوَلَّوْا] . فلمّا وَلَّوْا قال النبيّ ﷺ : «أمَا والذي بَعَثني بالحَقِّ لو باهلتُهم ما بَقِي على وجه الأرض نَصْرانيٌّ ولا نَصرانية إلاّ أهلكهم الله تعالى» . وفي حديث شهر بن حَوْشَب أنّ العاقب وثب فقال : أُذَكِّرُكُم اللهَ أن نُلاعِنَ هذا الرجلِ ! فوالله لئن كان كاذباً ما لَكُمْ في مُلاعنته خيرٌ ، ولئن كان صادقاً لا يَحُول الحَوْلُ ومنكم نافخُ ضَرَمةٍ[1] . فصالَحوه ورجعوا .

[خبر قبة نجران]

وأمّا خبر القُبّة الأَدَمِ التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمّي وحبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عليّ بن عمرو الأنصاريّ عن هشام بن محمد عن أبيه قال : كان عبد المسيح بن دارسِ بن عَرَبِيٍّ بن مُعَيْقِرٍ[2] من أهل نَجران ، وكانت له قُبّة من ثلاثمائة جِلْدِ أديم ، وكان على نهر بنجران يقال النُّحَيْرِدانُ . قال : ولم يأتِ القُبّة خائفٌ إلاّ أَمِن ، ولا جائعٌ إلاّ شَبع ؛ وكان يَستَغِلّ من ذلك النهر عشرة آلاف دينارٍ ، [وكانت القُبّة تستغرق ذلك كلّه] . وكان أوّلُ مَن نزل نجران من بني الحارث بن كعب يزيد بن عبد المَدان [ابن الدَّيّان . وذلك أنّ عبد المسيح بن دارسٍ زوَّج يزيد بن عبد المدان] ابنته رُهَيمةَ ، فولدتْ له عبد الله بن يزيد ؛ فهم بالكوفة . ومات عبد المسيح ، فانتقل مالُه إلى يزيد ؛ فكان أوّل حارِثيٍّ حَلَّ في نَجران . وفي ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة : [من المتقارب]

فكعبةُ نجرانَ حَتْـمٌ عَلَيْـ ـكِ حتّى تُناخي بأبوابِها

1 الضرمة : الجمرة ؛ يقال : ما في الدار نافخ ضرمة ، أي ما فيها أحد وهنا مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 269/3 «ما بها نافخ ضرمة» يعني بالمثل ما في الدار من أحد .

2 ل : معيفر .

نزورُ يزيـدَ وعبدَ المسيحِ وقيساً هُـمُ خير أربـابِها

[خطب يزيد بن عبد المدان وعامر بن المصطلق بنت أميّة بن الأسكر فزوّجها ليزيد]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثني عمِّي عن العباس بن هشام [عن أبيه قال حدّثني بعضُ بني الحارث بن كعب ، [و] أخبرني عمِّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد] قال حدّثني عبد الله بن الصبَّاح عن ابنِ الكلبيّ عن أبيه قال : اجتمع يزيد بن عبد المَدان وعامر بن الطُّفَيل بمَوْسِمِ عُكاظَ ، وقَدِمَ أُمية بن الأسكر الكِنانيُّ ومعه ابنةٌ له من أجمل أهل زمانها ، فخَطَبها يزيـدُ وعامـرٌ . فقالت أُمّ كلابٍ امرأةُ أُمَيّة بن الأسكر : مَن هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المدان بن الديّان ، وهذا عامرُ بن الطُّفيل . فقالت : أعْرِف بني الديّان ولا أعرف عامراً . فقال : هل سَمِعْتِ بمُلاعِب الأَسِنّة[1] ؟ فقالت نعم . قال فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيـد فقال : يا أُميّـة ، أنـا ابن الديّان صاحبُ الكَثِيبِ ، ورئيس مَذحِج ، ومُكَلِّم العُقاب ، ومَـنْ كان يُصَوِّب أصابعه فتَنْطِفُ[2] دماً ، ويَدْلُك راحتيه فتُخرجان ذَهَباً ، فقال أُميّة : بَخٍ بَخٍ . [فقال عامر : جَدِّي الأَخْرَم ، وعمِّي مُلاعِبُ الأَسِنَّة ، وأبي فارسُ قُرْزُل . فقال أُميّة : بَخْ بَخْ] مرعًى ولا كالسَّعدان[3] . فأرسلها مثلاً . فقال يزيد : يا عامِرُ ، هل تعلَم شاعراً من قومي رَحَل بمدحةٍ إلى رجلٍ من قومك ؟ قال : اللهمّ لا . قال : فهل تعلم أنّ شعراء قومك يرحَلون بمدائحهم إلى قومي ؟ قال : اللهمَّ نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمانٍ أو سيفٌ يمانٍ أو رُكْنٌ يمانٍ ؟ قال لا . قال : فهل مَلَكْناكم ولم تَمْلِكونا ؟ قال نعم . فنهض يزيد وأنشأ يقول : [من الرجز]

أُمَيَّ يا ابنَ الأسكرِ بنِ مُدْلِجِ لا تَجْعَلَنْ هَوازِنـاً كمَذْحِجِ
إنَّكَ إنْ تَلْهَجْ بأمـرٍ تَلْجِج ما النبع في مَغْرِسِه كالعَوْسَجِ[4]
ولا الصَّرِيحُ المَحْضُ كالمُمَزَّجِ[5]

1 هو أبو البراء عامر بن مالك ؛ سمّي بملاعب الأسنّة لقول أوس بن حجر فيه :
فلاعب أطراف الأسنّة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

2 تنطف : تقطر .

3 مرعى ولا كالسعدان مَثلٌ يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله ، وقد روى المفضل أن هذا المثل لامرأة من طيء وكان تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكنديّ وكان مفرّكاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأول فقالت : «مرعى ولا كالسعدان ، فصل المقال للبكري 199 .

4 النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسيّ ومن أغصانه السهام ، ينبت في قُلل الجبال . والعوسج : ضرب من الشوك .

5 الصريح : الخالص من كل شيء .

قال : فقال مرّة بن دُودان النُّفيليّ وكان عدوّاً لعامر : [من الرجز]

يا ليت شِعْري عنك يـا يزيدُ ... مــاذا الذي مِن عامرٍ تُرِيـدُ
لِكُـلِّ قــومٍ فَخرُكم عتيـدُ ... أَمُطْلَقُــونَ نحـــنُ أم عَبِيـدُ
لا بل عَبيدٌ زَادُنا الهَبيدُ[1]

قال : فزوَّج أُميّة يزيد بن عبد المَدان ابنته . فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يا لَلرِّجـالِ لِطارق الأَحزانِ ... ولعامِـرِ بـنِ طُفَيْـلٍ الوَسْنانِ
كانت إتــاوة قومِـهِ لِمُحَرِّقٍ ... زمناً وصارتْ بعـدُ للنُّعمانِ[2]
عـدَّ الفَوارِسَ من هَوازِنَ كلِّها ... فخــراً عـليّ وجئتُ بالدّيّانِ
فإذا لِيَ الشَّرَفُ المتين بوالدٍ ... ضَخْمِ الدَّسِيعةِ زانني ونَماني[3]
يا عـامُ إنّك فارسٌ ذو مَيْعةٍ ... غَضُّ الشَّباب أُخو نَدًى وقِيانِ[4]
واعلمْ بأنّك بابن فارسِ قُرْزُلٍ ... دون الذي تسعى لـه وتُداني
ليست فـوارسُ عامـرٍ بِمُقِرّةٍ ... لكَ بالفضيلةِ في بنـي عَيْلانِ
فإذا لَقِيتَ بني الحَماسِ ومالكٍ ... وبني الضِّباب وحيّ آلِ قَنانِ[5]
فاسألْ عن الرَّجُلِ المُنَوَّهِ باسمِهِ ... والدّافع الأَعـداءِ عن نَجْرانِ
يُعْطِي المَقادَةَ في فوارِسِ قَوْمِهِ ... كَرَماً لَعَمْرُك والكريمُ يَماني

فقال عامرُ بن الطُّفَيل : [من الكامل]

عجبـاً لواصِف طارقِ الأُحزانِ ... ولِمـا يَجِـيء بـه بنـو الدَّيّانِ
فَخَـرُوا عـليَّ بِحَبْـوةٍ لِمُحَرِّقٍ ... وإتــاوةٍ سِيقـتْ إلى النُّعْمـانِ[6]
مـا أنــتَ وابنُ مُحَرِّقٍ وقَبيلهُ ... وإتــاوةُ اللَّخمِـيِّ في عَيْـلانِ
فاقْصِدْ بفَخْرِكَ قَصْدَ قومِك قُصْرةً ... ودَعِ القَبائــلَ مـن بنـي قَحْطانِ

1 الهبيد : حب الحنظل .
2 محرق ، لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ ويقال له المحرق الأكبر ، وعمرو بن هند يقال له المحرق الثاني . ولقّب به أيضاً الحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام .
3 الدسيعة هنا : العطية .
4 ميعة كل شيء : أوّله .
5 الحماس ، والضباب ، وقنان : قبائل من مذحج .
6 الحبوة (مثلثة الحاء) : العطية .

إنْ كان سالفةُ الإتاوةِ فيكمُ ... أوْلا ففخْرُكَ فخرُ كلِّ يماني
وافْخَرْ برَهْطِ بني الحِماسِ ومالكٍ ... وبني الضِّباب وزَعْبَلٍ وقَنانِ
فأنا المُعظَّمُ وابنُ فارِس قُرْزُلٍ ... وأبو بَراءٍ زانني ونماني
وأبو جُزَيْءٍ ذو الفعالِ ومالكٌ ... مَنَعا الذِّمارَ صباحَ كلِّ طِعانِ
وإذا تَعاظمتِ الأمورَ هَوازنٌ ... كنتُ المُنَوَّهَ باسمِهِ والباني

[طلب بنو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بني الديّان فأبى]

فلمّا رجع القوم إلى بني عامر، وثَبُوا على مُرّة بن دودان وقالوا له: أنت من بني عامر، وأنت شاعرٌ، ولم تَهْجُ بني الدَّيّان؛ فقال مُرّة: [من الوافر]

تُكَلِّفُني هوازنُ فخرَ قومٍ ... يقولون: الأنامُ لنا عبيدُ
أبونا مَذْحِجٌ وبنو أبيهِ ... إذا ما عُدَّتِ الآباءُ هُودُ[1]
وهل لِي إن فَخَرْتُ بغير حقٍّ ... مَقالٌ والأنامُ لهم شُهودُ
فأنّى تَضْرِبُ الأعلامُ صَفْحاً ... عن العَلْياء أم مَنْ ذا يَكِيدُ
فقولوا يا بني عَيْلانَ كنّا ... لهم قِنّاً، فما عنها مَحِيدُ

[محاورة في مجلس ابن جفنة]

وقال ابن الكلبيّ في هذه الرواية: قَدِم يزيدُ بن عبد المَدان وعمرُو بن معد يكرب ومَكْشوحٌ المُراديّ على ابن جفنةَ زُوَّاراً، وعنده وجوه قَيْس: مُلاعِبُ الأسِنَّة عامرُ بن مالك، ويزيد بن عَمْرو بن الصَّعِق، ودُريد بن الصِّمَّة. فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المَدان: ماذا كان يقول الدّيّان إذا أصبح فإنّه كان ديّاناً[2]. فقال: كان يقول: آمنتُ بالذي رَفَع هذه (يعني السماء)، ووَضَع هذه (يعني الأرض)، وشقَّ هذه (يعني أصابعَه)، ثم يَخِرُّ ساجداً ويقول: سَجَد وجهي للذي خَلَقه وهو عاشمٌ[3]، وما جَشَّمَني من شيءٍ فإنّي جاشم. فإذا رفع رأسه قال: [من الرجز]

إنْ تَغْفِرِ اللهمَّ تَغْفِرْ جَمَّا ... وأيُّ عَبْدٍ لك ما ألَمَّا

فقال ابن جَفنة: إنّ هذا لذو دِين، ثم مال على القيسيين وقال: ألا تحدِّثوني عن هذه الرياح: الجنوب والشَّمال والدَّبور والصَّبا والنَّكْباء، لِمَ سُمِّيتْ بهذه الأسماء؛ فإنّه قد أعياني عِلْمُها؟ فقال القوم: هذه أسماءٌ وجدنا العربَ عليها لا نعلمُ غير هذا فيها. فضحِك يزيد بن

1 هود: جمع هائد، وهو الراجع إلى الحق.
2 الديّان هنا: الحاكم والسائس والقاضي.
3 العاشم: الطّامع.

عبد المَدان ثم قال : يا خيرَ الفِتيان ، ما كنتُ أحْسِبُ أنّ هذا يسقُط علمه على هؤلاء وهم أهل الوَبَر . إنّ العرب تضرب أبياتَها في القِبْلة مَطْلَع الشمس ، لِتُدْفِئهم في الشّتاء وتزولَ عنهم في الصيف . فما هَبَّ من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب ، وما هَبَّ عن شِماله فهي الشَّمال ، وما هَبَّ من أمامه فهي الصَّبا ، وما هبَّ من خَلْفه فهي الدَّبور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النَّكْباء . فقال ابن جفنة : إنّ هذا لَلْعِلْمُ يا ابنَ عبد المَدان .

[سأل ابن جفنة القيسيين عن النُّعمان بن المنذر فعابوه]

وأقبل على القيسيين يسألُهم عن النُّعمان بن المنذر . فعابوه وصغّروه . فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له : ما تقول يا ابن عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خيرَ الفِتيان . ليس صغيراً مَن منعك العراقَ ، وشَرِكَك في الشام ، وقيل له : أبَيْتَ اللَّعْنَ ، وقيل لك : يا خير الفِتيان ، وألفى أباه مَلِكاً كما ألفيتَ أباك ملكاً ؛ فلا يسرُّك مَنْ يغرّك ، فإنّ هؤلاء لو سألهم عنك النُّعمان لقالوا فيكَ مثل ما قالوا فيه . وايمُ اللهِ ما فيهم رجلٌ إلاّ ونعمةُ النُّعمان عنده عظيمة ! فغَضِب عامرُ بن مالك وقال له : يا ابن الديّان ، أما والله لتحتلبنَّ بها دَماً ! فقال له : ولِمَ ؟ أزِيدَ في هَوازِنَ من لا أعرفه ؟ فقال : لا ، بل هم الذين تَعْرِف . فضحِك يزيد ثم قال : ما لهم جمرة بني الحارث ، ولا فَتْكُ مُراد . ولا بأسُ زُبَيْد ، ولا كَيْدُ جُعْفيّ ، ولا مُغارُ طَيِّيء . وما هم ونحن يا خيرَ الفتيان بسواء ، ما قتلنا أسيراً قَطُّ ، ولا اشتهينا حُرّةً قط ، ولا بكينا قتيلاً [حتى] نُبِيء[1] به . وإنّ هؤلاء لَيَعْجِزُون عن ثأرِهم ، حتى يُقْتَلَ السَّميُّ بالسَّمِيِّ . والكَنِيُّ بالكَنِيِّ ، والجارُ بالجارِ . وقال يزيد بن عبد المَدان فيما كان بينه وبين القيسيِّين شعراً غَدا به على ابن جَفنة : [من الطويل]

تَمالا على النُّعمانِ قومٌ إليهمُ ... مَواردُهُ في مُلْكِهِ ومَصادِرُهْ
على غَير ذنبٍ كان منه إليهمُ ... سِوى أنَّه جادتْ عليهم مَواطِرُهْ
فباعَدَهُمْ من كلِّ شَرٍّ يَخافُه ... وقَرَّبَهم من كلِّ خيرٍ يُبادِرُهْ
فظَنُّوا ، وأعراضُ الظّنون كثيرةٌ ، ... بأنّ الذي قالوا من الأمر ضائرُهْ[2]
فلم يَنْقُصوه بالذي قِيلَ شَعْرةً ... ولا فُلِّلَتْ أنيابُه وأظافِرُهْ
ولَلْحارِثُ الجَفْنِيُّ أعلمُ بالذي ... يَنُوءُ به النُّعْمانُ إن خَفَّ طائِرُهْ[3]
فيا حارِ كَمْ فيهمْ لِنُعْمانَ نِعْمَةٍ ... من الفضلِ والمَنِّ الذي أنا ذاكِرُهْ

---

1 أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

2 الظنون في ل : المنون .

3 خفّ طائر فلان إذا استخفّ واستفز ، ويقال عكس ذلك سكن طائر فلان أو وقع إذا كان وقوراً .

ذُنوباً عَفا عنها ومالاً أفادَه وعَظْماً كسيراً قَوَّمَتْه جَوابِرُهْ
ولو سالَ عنك العائبين ابنُ مُنْذِرٍ لقالوا له القولَ الذي لا يُحاوِرُهْ

قال : فلمّا سمِع ابنُ جَفْنَة هذا القولَ عظُم يزيد في عينه ، وأجلسه معه على سريره ، وسقاه بيده ، وأعطاه عطيّة لم يُعْطِها أحداً ممّن وَفَدَ عليه قَطُّ .

[استشفع رجل إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له]

فلمّا قرَّب يزيدُ ركائبَه ليرتحلَ سمِع صوتاً إلى جانبه ، وإذا هو رجلٌ يقول : [من المتقارب]

أمَا مِنْ شفيعٍ من الزائرين يُحِبّ الثَّنا زَنْدُه ثاقِبُ[1]
يُريد ابنُ جفنة إكرامه وقد يمسَح الضَّرَّةَ الحالِبُ
فيُنْقِذَني من أظافيرِهِ وإلاّ فإنّي غداً ذاهبُ
فقد قلتُ يوماً على كُرْبَةٍ وفي الشَّرْبِ في يَثْرِبٍ غالِبُ
ألا ليتَ غسَّانَ في مُلْكِها كلَخْمٍ ، وقَد يُخْطِيءُ الشاربُ
وما في ابن جَفْنَةَ من سُبَّةٍ وقد خَفَّ حِلْمِي بها العازِبُ
كأنّي غريبٌ من الأبْعَدِينَ وفي الحَلْقِ مِنّي شَجاً ناشِبُ

فقال يزيد : عليَّ بالرجل ، فأُتِي به . فقال : ما خَطْبُكَ ؟ أنت تقول هذا الشعر ؟ قال : لا ! بل قاله رجلٌ من جُذامَ جفاه ابن جَفْنة ، وكانت له عند النُّعمان منزلةٌ ، فشَرِب فقال على شرابه شيئاً أنكره عليه ابنُ جفنة فحبسه ، وهو مُخْرِجهُ غداً فقاتِلُه . فقال [له] يزيد : أنا أُغنِيك . فقال له : ومن أنت حتى أعرِفَك ؟ فقال : أنا يزيد بن عبد المَدانِ . فقال : أنتَ لها وأبيك ؟ قال : أجَلْ ! قد كفيتُكَ أمْرَ صاحبِك ، فلا يَسْمَعَنَّك أحدٌ تُنْشِد هذا الشعر . وغَدا يزيد على ابنِ جَفْنَةَ لِيُوَدِّعه ؛ فقال له : حيَّاك الله يا ابن الديّان ! حاجتَك . قال : تُلْحِقُ قُضاعة الشام [بغسّان] ، وتُؤْثِر مَن أتاك من وفود مَذْحِجٍ ، وتَهَبُ لِي الجُذاميّ الذي لا شفيعَ له إلاّ كرمُك ، قال : قد فعلتُ . أما إنّي حبسته لأهَبَه لسيِّد أهل ناحيتك ، فكنت ذلك السيِّدَ ، ووَهَبَه له . فاحتمله يزيد معه ، ولم يزل مُجاوِراً له بنَجْرانَ في بني الحارث بن كعب . وقال ابن جَفْنَةَ لأصحابه : ما كانت يميني لِتَفِي إلاّ بقتله أو هِبَتِه لرجلٍ من بني الديّان ؛ فإنّ يميني كانت على هذين الأمرين . فعظم بذلك يزيدُ في عين أهلَ الشام ونَبُه ذكره وشرُف .

1 ثقوب الزند ووريه : كناية عن الكرم وغيره من الصفات المحمودة .

[استغاث هوازني يزيد في فكّ أسر أخيه فأغاثه]

وقال ابن الكلبيّ في هذه الرواية عن أبيه : جاورَ رجلان من هَوازِنَ ، يقال لهما عمرٌو وعامر ، في بني مُرّة بن عَوف بن ذُبيان ، وكانا قد أصابا دماً في قومهما . ثم إنّ قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ أغار على بني مُرّة بن عوف بن ذُبيان ، فأصاب عامراً أسيراً في عِدّة أُسارى كانوا عند بني مُرّة ، فَفَدى كلٌّ قومٍ أسيرَهم من قيس بن عاصمٍ وتركوا الهَوازِنيّ ، فاستغاث أخوه بوجوه بني مُرّة : سِنانِ بن أبي حارثة والحارثِ بن عوف والحارث بن ظالمٍ وهاشم بن حَرملة والحُصَيْن بن الحُمام فلم يُغيثوه ، فركِب إلى موسم عُكاظ ، فأتى مَنازِلَ مَذْحِجَ ليلاً فنادى : [من الطويل]

دعوتُ سِناناً وابنَ عوفٍ وحارثاً ... وعالَيتُ دَعْوى بالحُصَيْنِ وهاشِمِ
أُعَيِّرهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ ... بِتَرْكِ أسيرٍ عند قيسٍ بن عاصمِ
حَلِيفِهمُ الأدْنى وجارِ بيوتهم ... ومَنْ كان عمّا سرَّهم غيرَ نائمِ
فَصَمُّوا وأَحداثُ الزمانِ كثيرةٌ ... وكَمْ في بني العَلاّتِ من مُتَصامِمِ[1]
فيا ليتَ شِعْري مَنْ لإطلاقِ غُلِّهِ ... ومَنْ ذا الذي يَحْظى به في المَواسِمِ

قال : فسمِع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات : [من المتقارب]

ألا أيُّهذا الذي لم يُجَبْ ... عليكَ بحَيٍّ يُجَلّي الكُرَبْ
عليكَ بذا الحيّ من مَذْحِجٍ ... فإنّهمُ للرِّضا والغَضَبْ
فنادِ يزيدَ بنَ عبدِ المَدانِ ... وقَيْساً وعمرَو بنَ مَعْدِيكَرِبْ
يَفُكُّوا أخاكَ بأموالهمْ ... وأَقْلِلْ بِمِثْلِهِمُ في العَرَبْ
أُولاكَ الرؤوسُ فلا تَعْدُهُمْ ... ومَنْ يجعلُ الرأسَ مثلَ الذَّنَبْ

قال : فاتّبع الصوتَ فلم يَرَ أحداً ، فغدا على المكشوح ، واسمُه قيس بن عبد يَغُوثَ المُراديّ ، فقال له : إنّي وأخي رجلانِ من بني جُشَمَ بنِ معاوية أصَبْنا دماً في قومنا ، وإنّ قيس بن عاصم أغار على بني مُرّة وأخي فيهم مُجاوِرٌ فأخذه أسيراً ، فاستغثتُ بسِنانِ بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثوني . فأتيت الموسم لأصيب به من يَفُكّ أخي ، فانتهيت إلى مَنازل مَذْحِجَ ، فناديتُ بكذا وكذا ، فسمِعت من الوادي صوتاً أاجابني بكذا وكذا ، وقد بدأتُ بك لِتفكّ أخي . فقال له المكشوح : والله إنّ قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قطٌّ ولا هو لِي بجار ، ولكن اشْتَرِ أخاك منه وعليَّ

1 بنو العلاّت : بنو أمهات شتى من أبٍ واحد .

الثمن ، ولا يَمنعْك غَلاؤه . ثم أتى عمرو بن مَعدِيكرب فقال له مثلَ ذلك ؛ فقال : هل بدأتَ بأحدٍ قبلي ؟ قال : نعم ؛ بقيس المكشوح . قال : عليكَ بمن بدأتَ به . فتركه ، وأتى يزيد بن عبد المَدان فقال له : يا أبا النَّضْر ، إنّ من قِصَّتي كذا وكذا . فقال له : مرحباً بك وأهلاً ، أبعثُ إلى قيس بن عاصم ؛ فإن هو وهَب لي أخاك شكرتُه ، وإلاّ أغرتُ عليه حتى يَتَّقِيني بأخيك ، فإنْ نِلتُها وإلاّ دفعتُ إليك كلَّ أسير من بني تميم بنَجْرانَ فاشتريتَ بهم أخاك . قال : هذا الرضا . فأرسلَ يزيد إلى قيس بن عاصمٍ بهذه الأبيات : [من البسيط]

يا قَيْسُ أَرْسِلْ أسيراً من بني جُشَمٍ إنّي بكلٍّ الذي تأتــي به جازي
لا تأْمَنِ الدَّهْرَ أن تَشْجى بغُصّتِهِ فاخْتَرْ لنفسِك إحمادِي وإعْزازي
فافْكُكْ أخا مِنْقَرٍ عنه وقُلْ حَسَناً فيمــا سُئِلــتَ وعَقِّبْــهُ بإنجازِ

قال : وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم ؛ فأنشده إيّاها ، ثم قال [له] : يا أبا عليّ ، إنّ يزيد بن عبد المَدان يقرأ عليك السلام ويقول لك ، إنّ المعروف قُروض ، ومع اليوم غدٌ . فأطْلِقْ لي هذا الجُشَميّ ؛ فإنّ أخاه قد استغاث بأشراف بني مُرّة وبعمرو بن مَعدِيكرب وبمكشوح مُرادٍ فلم يُصِبْ عندهم حاجتَه فاستجار بي . ولو أرسلتَ إليّ في جميع أسارى مُضَرَ بنَجْرانَ لقضيتُ حقَّك . فقال قيس بن عاصم لِمَنْ حضره من بني تميم : هذا رسولُ يزيد بن عبد المَدان سيِّد مَذْحِج وابن سيِّدها ومَن لا يزال له فيكم يدٌ ، وهذه فرصةٌ لكم ، فما تَرَون ؟ قالوا : نرى أن نُغْلِيَه عليه ونَحكُم فيه شَطَطاً ؛ فإنّه لن يخذُلَه أبداً ولو أتى ثمنُه على ماله . فقال قيس : بئس ما رأيتم ! أما تخافون سِجالَ الحروب ودُوَلَ الأيّام ومجازاةَ القُروض ! فلمّا أبَوْا عليه قال : بِيعُونِيه ، فأغْلَوْه عليه ، فتركه في أيديهم ، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد ، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أنّ الأسير لو كان في يده أو في بني مِنقَر لأخذه وبعث به ، ولكنّه في يد رجل من بني سعد . فأرسل يزيد إلى السعديّ أن سِرْ إليّ بأسيرك ولك فيه حُكْمُك . فأتى به السعديُّ يزيدَ بن عبد المدان ؛ فقال له : احْتَكِم . فقال : مائةُ ناقةٍ ورِعاؤها . فقال له يزيد : إنّك لَقصير الهِمّة قريب الغِنَى جاهلٌ بأخطار بني الحارث . أمَا والله لقد غبنتُك يا أخا بني سعد ، ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنُه على جُلِّ أموالنا ، ولكنّكم يا بني تميم قومٌ قصار الهِمَم . وأعطاه ما احتكم . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنَجْران .

[أغار عبد المدان على هوازن في جماعة من بني الحارث فهزموا بني عامر]

وقال ابن الكلبيّ : أغار عبدُ المَدان على هَوازِنَ يوم السَّلَف[1] في جماعةٍ من بني الحارث بن

1 السّلف : مخلاف باليمن .

كعب ، وكانت حُمته[1] على بني عامر خاصّة . فلمّا التقى القوم حَمَل على وَبْر بن معاوية النُّميريّ فصرَعَه ، وثَنَّى بطُفَيل بن مالك فأجرّه[2] الرمحَ ، وطار به فرسُه قُرْزُلٌ فنجا ، واستحرّ القتلُ في بني عامر ، وتَبِعتْ خيلُ بني الحارث مَنِ انهزم من بني عامر ، وفي هذه الخيل عُمَيْرٌ ومَعْقلٌ وكانا من فُرسان بني الحارث بن كعب ، فلم يزالوا بقيّة يومِهم لا يُبْقون على شيء أصابوه . فقال في ذلك عبد المَدان : [من الطويل]

عَفا من سُلَيْمى بطنُ غَـوْلٍ فَيَذْبُلُ ... فغَمْـرةُ فَيْـفِ الرِّيحِ فالمُتَنَخَّلُ[3]
ديـارُ التــي صاد الفؤادَ دَلالُها ... وأغرتْ بها يوم النَّوى حين تَرْحَلُ
فإنْ تَكُ صَدَّتْ عن هَوايَ وراعَها ... نَـوازِلُ أَحــداثٍ وشيبٌ مُجَلِّلُ
فيا رُبَّ خيـلٍ قد هَدَيْتُ بِشَطْبَةٍ ... يُعارِضُها عَبْـلُ الجُزارةِ هَيْكَلُ[4]
سَبُوحٌ إذا جـالَ الحِزامُ كأنّه ... إذا انْجابَ عنه النَّقْعُ في الخيلِ أَجْدَلُ
يُواغِـلُ جُـرْداً كالقَنـا حارثيّـةً ... عليهـا قَنـانٌ والحِماسُ وزَعْبَلُ[5]
مَعاقِلُهــمْ في كلّ يــومٍ كريهــةٍ ... صدورُ العَـوالي والصَّفيحُ المُصَقَّلُ
وزَغْفٌ مــن الماذيّ بِيضٌ كأنّها ... نِهـاءٌ مَرَتْهـا بالعَشِيّاتِ شَمْأَلُ[6]
فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى تلاحقتْ ... فَـوارِسُ يَهْدِيهـا عُمَيْرٌ ومَعْقِلُ
فجالتْ على الحيّ الكِلابيّ جولةً ... فباكَرَهُمْ وِرْدٌ مـن الموتِ مُعْجَلُ
فَغادَرْنَ وَبْـراً تَحْجُلُ الطيرُ حولَـه ... ونجَّى طُفَيْلاً في العَجاجةِ قُرْزُلُ
فلَم ينجُ إلاّ فـارِسٌ من رِجالهم ... يُخَفِّفُ ركضاً خشيةَ الموت أَعْزَلُ

وليزيد بن عبد المَدان أخبارٌ مع دُريد بن الصِّمّة قد ذكرتْ مع أخبار دُريد في صنعة المُعتضِد مع أغاني الخلفاء ، فاستُغْني عن إعادتها في هذا الموضع .

1 الحمة : الشدّة .
2 أجره الرمح : طعنه به وتركه فيه يجرّه .
3 غول : موضع ، جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال ، ولعلّه اسم لعدّة مواضع . ويذبل : جبل بنجد . غمرة ، وفيف الريح ، والمتنخل : مواضع .
4 الشطبة (بالكسر والفتح) من الخيل : الطويلة السبطة اللحم . عبل الجزارة : ضخم الأطراف .
5 يُواغل جرداً : يداخلها . الحماس ، وقنان ، وزعبل : قبائل .
6 الزّغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة حسنة للسّلاسل والماذي هنا : السلاح من الحديد . ونهاء جمع نهي : غدران .

[أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأسنّة وأخيه فلمّا مات رثته أختهما]

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السُّكّريّ قال حدّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبَيدة وابن الكلبيّ ، قالوا : أغار يزيد بن عبد المَدان ومعه بنو الحارث بن كَعْبٍ على بني عامرٍ ، فأسر عامرَ بن مالك مُلاعِبَ الأَسِنَّةِ أبا بَراء وأخاه عَبيدَةَ بن مالك ثم أنعم عليهما . فلمّا مات يزيد بن عبد المَدانِ ، واسمُ عبدِ المَدانِ عمرو ، وكنيته أبو يزيد ، وهو ابن الديّان بن قَطَن بن زِياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ، قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كِلاب أخت مُلاعِب الأسنّة ترثي يزيد بن عبد المَدان : [من المتقارب]

بكيتُ يزيــدَ بــن عبـد المدا نِ حَلّتْ بــه الأرضُ أثقالَها
شَريـكُ المُلـوكِ ومَنْ فَضْلُه يَفْضُـلُ في المجـدِ أفضالَها
فَكَكْتَ أُسارى بنــي جَعْفَرٍ وكِنْـدةَ إذ نِلْـتَ أقوالَها[1]
ورَهْــطُ المُجالِدِ قــد جَلَّلتْ فواضــلُ نُعْمــاكَ أجبــالَها

وقالت أيضاً ترثيه : [من المتقارب]

سأبكي يزيــدَ بنَ عبد المَدان على أنّه الأَحْلَــمُ الأكـرمُ
رِمــاحٌ مــن العَزْمِ مركوزةٌ مُلــوكٌ إذا بَــرَزتْ تَحكمُ

قال : فلامها قومها في ذلك وعيّروها بأن بكتْ يزيد ؛ فقالت زينب : [من الطويل]

ألا أيُّها الزاري عـليَّ بأنّني نِزاريَّــةٌ أبكـي كريماً يَمانيا
وما لِيَ لا أبكِي يزيـدَ ورَدَّني أُجُرُّ جَدِيداً مِدْرَعـي ورِدائِيا

صوت

[من الطويل]

أطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغْضي وعِشْ ما شِئْتَ فانْظُرْ مَنْ تَضيرُ
إذا أبصرتَنــي أعرضتَ عَنّــي كأنّ الشمسَ مــن قِبَلي تَدُورُ

الشعر لعبد الله بن الحَشْرَج الجَعديّ . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن الهشاميّ .

---

1 أقوال : جمع قَيْل ، وهو الملك عند أهل اليمن .

[198] ـ أخبار عبد الله بن الحشرج

[نسبه]

هو عبدُ الله بن الحَشْرَج بن الأَشْهَب بن وَرْد بن عَمرو بن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هوازِن . وكان عبد الله بن الحشرج سيِّداً من ساداتِ قيس وأميراً من أمرائها ، وَلِي أكثر أعمالِ خُراسان ، ومن أعمال فارس ، وكَرْمان . وكان جواداً مُمَدَّحاً . وفيه يقول زيادٌ الأعجم : [من الكامل]

[إنّ السماحةَ والشَّجاعةَ والنَّدى   في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

وله يقول أيضاً] : [من الطويل]

إذا كنتَ مُرْتادَ السَّماحةِ والنَّدى   فسائِلْ تُخَبَّرْ عن دِيـارِ الأَشاهِبِ

نسبه إلى الأَشْهَب جَدِّه . وفي بني الأشهب يقول نابغةُ بني جعدة : [من المتقارب]

أَبعــدَ فَــوارِسِ يــومِ الشُّرَيْـ   ـفِ آسى وبعدَ بني الأَشْهبِ[1]

[بعض أخبار أبيه وعمّه زياد]

وكان أَبوه الحشرج بن الأَشهب سَيِّداً شاعراً وأَميراً كبيراً . وكان غَلَب على قُهِسْتان[2] في زمن عبد الله بن خازم ، فبعث إليه عبد الله بن خازمٍ المُسَيَّب بن أُوفى القُشَيريَّ ، فقتل الحَشْرَجَ وأخذ قُهِسْتان . وكان عمُّه زياد بن الأَشهب أَيضاً شريفاً سَيِّدا ، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، يُصلح بينه وبين معاوية على أن يُوَلِّيه الشام فلم يُجِبه . وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتدّ على معاوية : [من الطويل]

وقام زيادٌ عند بابِ ابنِ هاشمٍ   يُريـد صَلاحاً بينكم ويُقَرِّبُ

[مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر]

أُخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدَّثني أَحمد بن الهيثم بن فِراسٍ قال : حدَّثنا العُمَريّ عن عَطاء بن مُصعَبٍ عن عاصم بن الحَدَثان قال : جاء إلى عبد الله بن الحَشْرَج وهو بِقُهِسْتان رجلٌ من قُشَيرٍ يقال له قُدامةُ بن الأحرز ، فدخل عليه وأنشأ يقول : [من الطويل]

1 الشريف : ماء لبني نمير . ويوم الشّريف من أيامهم .

2 قهستان : موضع ببلاد العجم ، وأُكثر ما تستعمل : قوهستان .

أخٌ وابــنُ عَــمٍّ جاءَكم مُتَحَرِّماً ... بِكُمْ فارْأَبُوا خَلاَّتِهِ يا ابنَ حَشْرَجِ
فأَنْتَ ابنُ وَرْدٍ سُدْتَ غيرَ مُدافَعٍ ... مَعَدّاً على رَغْــمِ المَنُوطِ المُعَلْهَجِ[1]
فَبَرَّزتَ عَفْواً إذْ جَرَيْتَ ابنَ حَشْرَجٍ ... وجاء سُكَيْتاً كلُّ أَعْقَــدَ أَفْحَجِ[2]
سبقتَ ابنَ وَرْدٍ كلَّ حافٍ وناعلٍ ... بِجَدٍّ إذا حــار الأَضاميمُ مِمْعَجِ[3]
بِــوَرْدِ بــن عَمْرٍ فُتَّهُمْ إنَّ مِثْلَه ... قليلٌ ومَــنْ يَشْرِ المَحامِدَ يَفْلُجِ[4]
هُوَ الواهِبُ الأَموالِ والمُشْتَري اللُّها ... وضَرَّابُ رأسِ المُسْتَمِيتِ المُدَجَّجِ[5]

قال : فأعطاه أربعة آلاف درهم ، وقال : اعذِرْني يا ابن عمِّي ؛ فإنِّي في حالةٍ اللهُ بها عليمٌ من كثرة الطلاّب ، وأنت أحقُّ مَن عَذَرني . قال : واللهِ لو لم تُعْطِني شيئاً مع ما أُعلَمه من جميل رأيك في عشيرتك ومَنِ انْقطَع إليك لعذرتُك ، فكيف وقد أجزلتَ العطاء ، وأرغمت الأعداء ! .

[قال في ابن عم له ناله بمساءة]

وكان لابن الحَشْرَج ابنُ عَمٍّ يقول للقُشَيريّ : ويحك ؛ ليس عنده خير ، وهو يَكْذِبُك ويَمْلُذُكَ[6] . فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال : [من الوافر]

أَطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغْضي ... وعِشْ ما شئتَ فانظُرْ مَنْ تَضِيرُ
فمــا بيَدَيْــكَ خيرٌ أَرْتَجِيــهِ ... وغيرُ صُدُودِكَ الحَرَبُ الكَبِيرُ
إذا أَبصرتَنــي أعرضتَ عنّي ... كأنّ الشمسَ مــن قِبَلي تَدُورُ
وكيف تَعِيبُ من تُمْسِي فقيراً ... إليــه حــين تَحْزُبك الأُمورُ
ومَنْ إنْ بِعْتَ منزلــةً بأُخرى ... حَلَلْتَ بأمــرِهِ وبــه تَسِيرُ
أتزعــمُ أَنَّني مَلِــذٌ كَذُوبٌ ... وأَنَّ المَكْرُمــاتِ لــديَّ بُورُ
وكيف أكــون كَذَّابــاً مَلُوذاً ... وعنــدي يَطْلُبُ الفَرَجَ الضَّرِيرُ

---

1 المنوط : الدعيّ الذي ينتمي إلى قوم ليس هو من أصلهم ، والمعلهج : الأحمق الهذر اللئيم والدعي ، والهجين الذي ولد من جنسين مختلفين .
2 السكيت : آخر خيل الحلبة . والأعقد : الملتوي الذنب . والأفحج : ذو الفحج .
3 الأضاميم : الجماعات ، والممعج : الكثير المعج ، وهو السرعة في المرّ .
4 يفلج : يظفر .
5 اللها : جمع لهاة .
6 ملذه : أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسرّ من غير فعل .

أُواسي في النَّوائبِ مَـن أَتاني ... ويُجْبَرُ بِي أَخـو الضُرّ الفَقِيرُ

[كان يعطي كثيراً فلامته زوجه وأيدها صديق له]

أَخبرني محمد بن خَلَفٍ قال حدَّثنا أَحمد بن الهيثم عن العمريّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال : أَعطى عبدُ الله بن الحَشْرَج بخراسان حتّى أعطى مِنْشَفَةً [كانت] عليه وأعطى فِراشَه ولِحافَه . فقالت له امرأته : لَشَدَّ ما تَلاعبَ بك الشيطان ، وصِرْتَ من إخوانه مُبذِّراً ؛ كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿إنّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إخْوانَ الشَّياطِينِ﴾ . فقال عبد الله بن الحشرج لِرفاعة بن زُوَيٍّ النَّهْديّ وكان أَخاً له وصديقاً : يا رِفاعة ، أَلا تسمَع إلى ما قالتْ هذه الوَرْهاء[1] وما تتكلَّم به ؟ فقال : صدقتْ واللهِ وبَرَّتْ ! إنّك لمبذِّر ، وإنّ المبذِّرين لإخوانُ الشياطين . فقال ابن الحشرج في ذلك : [من الطويل]

مَتـى يأتِنا الغَيْثُ المُغيثُ تَجِدْ لنا ... مَكارِمَ مـا تَعْيـا بأَمْوالِنـا التُّلْدِ[2]
مَكارِمَ مـا جُدْنا بِــهِ إذْ تَمَنَّعتْ ... رِجالٌ وضنَّتْ في الرَّخاء وفي الجَهْدِ
أَرَدْنا بمـا جُدْنـا بـه من تِلادِنا ... خِلافَ الذي يأتي خِيارُ بني نَهْدِ
تَلومُ عــلى اتْلافِــيَ المالَ طَلَّتِي ... ويُسْعِدُها نَهْدُ بن زَيْدٍ على الزُّهْدِ[3]
أَنَهْدُ بن زَيْدٍ لستُ منكمْ فتُشفِقُوا ... عليَّ ولا منكم غَواتِي ولا رُشْدِي[4]

أراد «غوايتي» فحذف الياء ضرورة .

أَبَـيْـتُ صَغيراً ناشئـاً مـا أَردتُمُ ... وكَهْلاً وحتَّى تُبْصِرُونيَ في اللَّحْدِ
سأَبْذُلُ مـالي إنَّ مالِـي ذَخِيرةٌ ... لِعَقْبي ومـا أَجْني بـه ثَمَرَ الخُلْدِ
ولستُ بمِبْكـاءٍ على الزَّادِ باسِلٍ ... يَهِرُّ على الأَزْوادِ كالأَسَدِ الوَرْدِ[5]
ولَكِنَّني سَمْحٌ بمـا حُزْتُ باذِلٌ ... لِما كُلِّفتْ كَفَّايَ في الزَّمَنِ الجَحْدِ
بذلــك أَوصاني الرُّقـادُ وقَبْلَـه ... أَبــوه بأَنْ أُعطِـي وأُوفِيَ بالعَهْدِ

الرُّقاد : ابن عمرو بن ربيعة بن جَعدة بن كعب وهو من عمومته ، وكان شجاعاً سيِّداً جَواداً .

قال عطاء بن مُصعَبٍ : وقال عبد الله بن الحَشْرج أيضاً في [ذلك] هذه القصيدة .

1 الورهاء : الحمقاء .
2 التلد : المال القديم .
3 طلة الرجل : زوجته .
4 نهد بن زيد : القبيلة التي ينتسب إليها رفاعة بن زويّ .
5 باسل هنا : بمعنى غاضب .

وقد ذكر ابن الكلبيّ وأبو اليَقْظان شيئاً من هذه القصيد في كتابَيْهما المُصَنَّفَيْن ونَسَبا[ها] إليه : [من الطويل]

سأجعل مالِي دونَ عِرْضي وِقايةً … مـن الذَّمِّ ؛ إن المالَ يَفْنى ويَنْفَدُ
ويُبْقِي لِيَ الجُودُ اصطناعَ عَشيرَتي … وغَيْرِهمُ والجُودُ عِزٌّ مُؤَبَّدُ
ومُتَّخِذٍ ذَنْباً عَلَيَّ سَماحتي … بمالي ، ونارُ البُخْلِ بالذَّمِّ تُوقَدُ
يَبيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ … ولَكِنَّه للمرءِ فضلٌ مُؤَكَّدُ
ولا شيءَ يبقى للفتى غيرُ جُودِهِ … بما مَلَكَتْ كَفَّاهُ والقومُ شُهَّدُ
ولائمةٍ في الجُودِ نَهْنَهْتُ غَرْبَها … وقالتْ لها بَنْيُ المَكارِمِ أَحمدُ[1]
فلمّا أَلَحَّتْ في المَلامةِ واعترتْ … بذلك غَيْظِي واعتراها التَّبَلُّدُ
[عرضتُ عليها خَصْلَتَيْنِ سَماحتي … وتَطْليقَها والكَفُّ عَنِّيَ أرشدُ]
فلَجَّتْ وقالتْ أنتَ غاوٍ مُبَذِّرٌ … قَرينُك شيطانٌ مَريدٌ مُفَنَّدُ
فقلتُ لها بيني فما فيكِ رغبةٌ … ولِي عنكِ في النِّسْوانِ ظِلٌّ ومَقْعَدُ
وعيشٌ أَنِيقٌ والنِّساءُ مَعادِنٌ … فَمِنْهُنّ غُلٌّ شَرُّها يتمرَّدُ[2]
لها كلَّ يوم فوق رأسيَ عارِضٌ … من الشَّرِّ بَرَّاقٌ يَدَ الدَّهرِ يُرْعِدُ
وأُخرى يَلَذُّ العيشُ منها ، ضَجيعُها … كريمٌ يُغادِيهِ من الطيرِ أَسْعُدُ
فيا رَجُلاً حُرّاً خُذِ القَصْدَ واتْرُكِ الْـ … ـبَلايا فإنَّ الموتَ للنَّاسِ مَوْعِدُ
فعِشْ ناعماً واتْرُكْ مَقالةَ عاذلٍ … يلومُك في بَذْلِ النَّدى ويُفَنِّدُ
وجُدْ باللُّها إنّ السماحةَ والنَّدى … هي الغايةُ القُصْوى وفيها التَّمَجُّدُ[3]
وحَسْبُ الفَتى مجداً سماحةُ كَفِّه … وذُو المَجْدِ محمودُ الفِعال مُحَسَّدُ

[طلّق امرأته لعذلها إيّاه فلامه حنظلة بن الأشهب]

قال فقالت له امرأته : والله ما وَفَّقك الله لِحَظِّك ! أَنْهَبْتَ مالَك وبذَّرته وأَعطيته هَيَّان بن بَيَّان[4] ، ومَنْ لا تدري من أَيِّ هافيةٍ[5] هو ! قال : فغضِب فطَلَّقها ، وكان لها محبّاً وبها مُعْجَباً .

1 نهنهت غربها : كفكفت حدتها وزجرتها .
2 يتمرّد : يتجاوز الحدّ .
3 اللها : العطايا مفردها لهوة .
4 هيان بن بيان : يقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف أبوه .
5 هفت هافية من الناس : طرأت .

فعَنَّفه فيها ابنُ عَمٍّ لها يقال له حنظلةُ بن الأَشهب بن رُمَيْلة ، وقال له : نَصَحتْكَ فكافأْتَها بالطَّلاق ! فوالله ما وُفِّقتَ لرُشْدِك ، ولا نِلْتَ حَظَّك ، ولقد خاب سَعْيُك بعدها عند ذوي الأَلبابِ . فهَلاَّ مَضَيْتَ لِطيَّتك ، وجَرَيْتَ على مَيْدانِك ، ولم تلتفت إلى امرأةٍ من أَهل الجَهالة والطَّيْش لم تُخْلَقْ للمَشُورة ولا مثلُ رأْيها يُقْتَدى به . فقال ابن الحَشْرَج لحنظلة : [من الطويل]

أَحَنْظَلَ دَعْ عنك الذي نالَ مالَه ... لِيَحْمَدَه الأَقوامُ في كلِّ مَحْفِلِ
فكَمْ من فَقِيرٍ بائس قد جَبَرْتُه ... ومِنْ عائلٍ أُغنيتُ بعدَ التَّعَيُّلِ
ومن مُتْرَفٍ عن مَنْهَجِ الحقِّ جائرٍ ... علوتُ بعَضْبٍ ذي غِرارَيْنِ مِقْصَلِ[1]
وزارٍ عليَّ الجُودَ والجودُ شيمتي ... فقلتُ له دَعْني وكُنْ غَير مُفْضِلِ
فمِثْلُك قد عاصَيْتُ دهراً ولم أَكُنْ ... لأَسْمَعَ أَقوال اللئيم المُبَخِّلِ
أَبى لِيَ جَدِّي البُخْلَ مذ كنتُ يافعاً ... صغيراً ومن يَبْخَلْ يُلَمْ ويُضَلَّلِ
ويَسْتَغْنِ عنه الناسُ ، فارْكَبْ مَحَجَّةَ الْـ ... ـكِرامِ ودَعْ ما أَنت عنه بمَعزِلِ
فإِنّي امرؤٌ لا أُصحَبُ الدَّهرَ باخِلاً ... لئيماً وخيرُ النَّاسِ كلُّ مُعَذَّلِ
ومُسْتَحْمَقٍ غاوٍ أَتته نَذِيرَتي ... فلَجَّ ولَم يَعْرِفْ مَعَرَّةَ مِقْوَلي[2]
نفحتُ ببيتٍ يملأُ الفَمَ شاردٍ ... له حَبَرٌ كأَنَّه حِبْرُ مِغْوَلِ[3]
فكَفَّ ، ولَو لَمْ أَرْمِهِ شاعَ قولُه ، ... وصار كدِرْياقِ الذُّعاف المُثَمَّلِ[4]
ولَيْلٍ دَجُوجِيٍّ سَرَيتُ ظلامَه ... بناجيةٍ كالبُرْجِ وَجْناءَ عَيْهَلِ[5]
إلى مَلِكٍ مِنْ آل مَرْوانَ ماجِدٍ ... كريمِ المُحَيّا سَيِّدٍ مُتَفَضِّلِ
يجودُ إذا ضَنَّتْ قريشٌ برِفْدِها ... ويَسْبِقُها في كلِّ يومٍ تَفَضُّلِ
أَبوه أَبو العاصي إذا الحَرْبُ شَمَّرتْ ... مَراها بمَسْنونِ الغِرارَيْنِ مِنْجَلِ[6]
وَقُورٌ إذا هاجتْ به الحربُ مِرْجَمٌ ... صَبُورٌ عليها غيرُ نِكْسٍ مُهَلَّلِ[7]

---

1 السيف المقصل : القطاع .
2 النذيرة : طليعة الجيش التي تنذره .
3 مغول : شبه سيف قصير يشتمل به المرء تحت ثيابه أو هو سوط في جوفه سيف دقيق .
4 المثمل : السم الناقع .
5 البرج : الحصن . الناجية : الناقة السريعة ، والوجناء : الشديدة ، والعيهل : السريعة .
6 مسنون الغرارين : الرمح . والمنجل : الواسع الجرح من الأسنة .
7 المرجم من الرجال : الشديد . والمهلل : الجبان .

أَقامَ لأَهلِ الأَرضِ دِينَ محمدٍ ... وقد أَدبَرُوا وارتابَ كلُّ مُضَلَّلِ
فما زالَ حَتَّى قَوَّمَ الدِّينَ سَيْفُهُ ... وعَزَّ بحَزْمٍ كُلَّ قَرْمٍ مُحَجَّلِ
وغادَرَ أَهلَ الشَّكِّ شَتَّى ، فمِنْهُمُ ... قَتِيلٌ وناجٍ فوق أَجْرَدَ هَيْكَلِ
نَجا من رماح القوم قُدْماً وقد بَدا ... تَباشِيرُه في العارِضِ المُتَهَلِّلِ

قال عاصم : يعني بهذا المَدْح محمدَ بن مَروان لمّا قَتَل مُصْعَب بن الزُّبير بدَيْر الجاثَلِيقِ[1] . وكان محمد بن مروان يقوم بأَمْره ، ويُوَلِّيه الأعمالَ ، ويَشْفَع له إلى أَخيه عبد الملك .

[لامه ابن عم له في تبذيره]

أَخبرني محمد بن خَلَفٍ قال حدَّثنا أَحمد بن الهيثم قال حدَّثنا العُمَريّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال : قال عبد الله بن الحَشْرَج لابن عمٍّ له لامه في إنهاب مالِه وتَبذيره إيّاه ، وقال له فيما يقول : امرأتُك كانت أَعلَم بك ، نَصَحَتْك فكافأْتها بالطلاق . فقال له : يا ابنَ عمّ ، إنّ المرأة لم تُخلَقْ للمَشُورة ، وإنّما خُلِقتْ وِثاراً للباءة[2] . ووالله إنّ الرُّشْد واليُمْنَ لفي خِلاف المرأة . يا ابن عمّ ، إيَّاك واستماعَ كلامِ النساء والأَخْذَ به ؛ فإنّك إن أخذتَ به نَدِمتَ . فقال له ابن عمِّه : والله لَيُوشكنّ أَن تحتاج يوماً إلى بعض ما أتلفتَ فلا تَقْدِر عليه ولا يُخْلِفه عليك هَنٌ وهَنٌ[3] . فقال ابن الحَشْرَج : [من الطويل]

وعاذلةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُني ... وتَعْذُلُني فيما أُفِيدُ وأُتْلِفُ
تَلَوَّمتُها حتّى إذا هي أَكثرتْ ... أَتيتُ الذي كانت لَدَيّ تَوَكَّفُ[4]
وقلتُ عليكِ الفجَّ أَكثرتِ في النَّدى ... ومِثْلي تَحاماه الأَلَدُّ المُغَطْرِفُ[5]
أَبى لِيَ ما قد سُمْتِني غيرُ واحدٍ ... أَبٌ وجُدودٌ مَجْدُها ليس يُوصَفُ
كُهولٌ وشُبّانٌ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ ... إذا ذُكِرُوا فالعينُ مِنِّي تَذْرِفُ
هُمُ الغيثُ إن ضَنَّتْ سماءٌ بقَطْرِها ... وعندهمُ يرجو الحَيا مُتَلَهِّفُ
وحَرْبٍ يخافُ النَّاسُ شِدَّة عَرِّها ... تَظَلُّ بأَنواع المَنِيَّةِ تَصْرِفُ[6]

1 دير الجاثليق : كان قرب بغداد ، غربي دجلة بين السّواد وأرض تكريت .
2 الوثار : الفراش الوطيء .
3 هن : كناية عن اسم الإنسان ، أي فلان وفلان .
4 تلومتها : أمهلتها . توكّف : توقّع .
5 المغطرف : المتكبّر المختال .
6 العر : الشرّ والأذى . تصرف : تصوّت .

حَمَوْها وقاموا بالسُّيوف لِحَمْيِها إذا فَنِيتْ أُضحتْ لهم وهْيَ تَعْصِفُ
فلمّـا أَبَتْ إلاّ طِماحـاً تَنَمَّرُوا بأسيافِهِمْ والقومُ فيهـم تَعَجْرُفُ[1]
فذَلَّتْ وأَعطتْ بالقِيـادِ وأَذعنتْ إذا ما اشتهى قومي وذُو الذُّلِّ يُنْصِفُ
وكانتْ طَمُوحَ الرَّأسِ يَصْرِف نابُها من الشَّرِّ تاراتٍ وطوراً تَقَفْقَفُ[2]
[فَلَمَّا امتَرَيْنـا بالسُّيوفِ خُلوفَها تَـأَبَّتْ علينـا والأَسِنَّةُ تُرْعَفُ]
فدَرَّتْ طِباقاً وارعوتْ بعد جَهْلِها وكُنَّـا رِمامـاً لِلَّذي يَتَصَلَّفُ[3]

[ولامه ابن زوي في تبذيره]

قال : وقال عبد الله بن الحَشْرَج لِرفاعة بن زُوَيٍّ النهديّ فيما كان يلومُه فيه من التبذير والجود : [من الطويل]

أُلامُ عـلى جُودِي ومـا خِلْتُ أَنَّني بِبَذْلِي وجُودِي جُرْتُ عن مَنْهَج القَصْدِ
فيـا لائِمـي في الجُودِ أَقْصِرْ فإِنَّني سأَبْذُل مـالي في الرّخاء وفي الجَهْدِ
وجَـدتُ الفَتى يَفْنى وتبقـى فعالُه ولا شيءَ خيرٌ في الحديث من الحَمْدِ
وإِنِّـي وبـاللهِ احتيـالي وحِرْفَتـي أُصَيِّرُ جـارِي بين أَحشاي والكَبْدِ
أَرى حَقَّه في الناسِ ما عِشْتُ واجباً عليَّ وآتِـي مـا أَتيـتُ على عَمْدِ
وصاحبِ صِـدْقٍ كان لي ففقدتُه وصَيَّرني دَهْـرِي إلى مائِقٍ وَغْدِ[4]
يَلُـومُ فَعالِـي كلَّ يـومٍ ولَيلـةٍ ويعـدو على الجيرانِ كالأَسَدِ الوَرْدِ
يُخالفُنـي في كلِّ حـقٍّ وباطـلٍ ويأَنَفُ أَن يَمْشي على مَنْهَج الرُّشْدِ
فلمّـا تَمـادى قلتُ غيرَ مُسامِحٍ له : النَّهْجَ فارْكَبْ يا عَسِيف بني نَهْدِ[5]

[مدحه زياد الأعجم فوصله]

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيلَ العَتَكيّ قال حدَّثنا ابن عائشة قال : وَفَد زِيادٌ الأَعْجَمُ على عبد الله بن الحَشرج الجَعديّ وهو بسابور[6] أَميرٌ عليها ،

1 التعجرف : ركوب الأمر لا تروّي فيه .
2 ققفف : ارتعد .
3 طباقاً : دفعات متوالية . الرمام : جمع رُمة وهي قطعة يشدّ بها الأسير ويقلد بها البعير .
4 المائق : الأحمق .
5 العَسِيف : الأجير ، والعبد المستهان به .
6 سابور : كورة مشهورة بأرض فارس .

فأمر بإنزالِهِ وألْطَفَه وبعَث إليه ما يحتاج إليه . ثم غَدا عليه زيادٌ فأنشده : [من الكامل]

إنَّ السَّماحةَ والمُروءة والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابن الحَشْرَجِ
مَلِـكٌ أغَـرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائـلٍ ... للمُعْتَفِـينَ يَمِينُـه لم تَشْنَجِ[1]
يا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ المنابرَ بالتُّقى ... بعدَ النبـيِّ المصطفى المُتَحَرِّجِ
لمّـا أتيتُـكَ راجيـاً لِنَوالِكُمْ ... ألفيتُ بـابَ نَوالِكُمُ لم يُرْتَجِ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقد قيل : إنّ الأبياتَ التي ذكرتُها وفيها الغناءُ ونسبتُها إلى عبد الله بن الحَشرج لغيره . والقول الأصحّ هو الأوّل . أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسَدٍ قال حدَّثنا العُمَريّ عن هشام بن الكلبيّ : أنّه سمع أبا باسِلٍ الطائيّ يُنْشِد هذا الشعر ، فقلت : لَمن هو ؟ فقال : لِعمِّي عَنترة بن الأخْرَس ؟ قال : وكان جدّي أخرسَ ، فوُلِد له سبعةٌ أو ثمانيةٌ كلُّهم شاعر أو خطيب . ولعلّ هذا من أكاذيب ابن الكلبيّ ، أو حكاه عن رجل ادّعى فيه ما لا يعلَم .

صوت

[من الطويل]

أصاحِ ألا هَـلْ من سبيلٍ إلى نَجْدِ ... ورِيحِ الخُزامى غَضَّةً من ثَـرًى جَعْدِ
وهـل لِلَيالينا بِـذِي الرِّمْـثِ مَرْجِعٌ ... فنَشْفي جَوى الأحزانِ من لاعِجِ الوَجْدِ[2]

عروضه من الطويل . الشعر للطِّرِمَّاح بن حَكِيم . والغناء ليحيى المكيّ ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر من كتابه .

1 شنجت يده : تقبضت ، كناية عن البخل .

2 ذو الرمث : واد لبني أسد .

[199] ـ أخبار الطِّرمّاح ونسبه[1]

[نسبه]

هو الطِّرِمّاح بن حَكيم بن الحَكَم بن نَفْرِ بن قَيس بن جَحْدَر بن ثعلبة بن عبد رِضا بن مالك بن أمان بن عَمرو بن ربيعة بن جَرْوَل بن ثُعَلَ بن عَمرو بن الغَوث بن طيىء . ويُكنى أبا نَفْرٍ ، وأبا ضَبِينة . والطِّرِمّاح : الطويل القامة . وقيل : إنّه [كان] يُلقَّب الطِّرّاح . أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : كان الطِّرِمّاح بن حكيم يُلقَّب الطِّرّاح لقوله : [من الطويل]

[صوت]

ألا أيُّها الليلُ الطويــلُ ألاَّ ارْتَحِ بصُبْحٍ وما الإصباحُ منكَ بأرْوَحِ[2]
بَـلى إنّ للعينين في الصُّبْحِ راحةً بِطَرْحِهِما طَرْفَيْهِمـا كلَّ مَطْرَحِ[3]

في هذين البيتين لأحمد بن المكيّ ثقيلٌ أولُ بالوسطى من كتابه .

والطِّرِمّاح من فُحول الشعراء الإسلاميين وفُصحائهم . ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع مَن وَرَدها من جيوش أهل الشام ، واعتقد مذهب الشُّراة الأزارقة .

[كيف دخل في مذهب الشراة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : قَدِمَ الطِّرِمّاح بن حَكيم الكوفة ، فنزل في تَيْم اللاّتِ بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخٌ من الشُّراة له سَمْتٌ وهيئة ، وكان الطِّرِمّاح يُجالسه ويسمع منه ، فرسَخ كلامُه في قلبه ، ودعاه الشيخ إلى مذهبه ، فقبِله واعتقده أشدَّ اعتقادٍ وأصحَّه ، حتى مات عليه .

أخبرني ابن دُرَيْد قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال قال رؤبة : كان الطِّرِمّاح والكُميت يصيرانِ إليّ فيَسْألاني عن الغريب فأُخبِرهما به ، فأراه بَعْدُ في أشعارهما .

[غريب شعره]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال سمعت محمد بن حبيب يقول : سألتُ ابنَ الأعرابيّ

---

1 انظر أخباره في الاشتقاق : 234 والمؤتلف : 148 والعيني 2 : 276–278 وفي مقدمة ديوانه تحقيق عزة حسن : 7–12 ، وجمهرة أنساب العرب : 402–403 .

2 ألاّ ارتح في الديوان 96 : ألا اصبحي . وبصبحٍ في الديوان 96 : بيمٌ ، وبمّ : مدينة بكرمان .

3 بلى إن في الديوان 96 : على أنّ .

عن ثماني عشرة مسألةً كلُّها من غريب شعر الطِّرِمّاح ، فلم يَعرف منها واحدةً ، يقول في جميعها : لا أدري ، لا أدري .

[صداقة الطِّرمّاح والكميت]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب قال حدَّثنا ابن قُتَيبة ، قالا : كان الكُمَيت بن زيد صديقاً للطِّرِمّاح ، لا يَكادان يفترقان في حال من أحوالهما . فقيل للكميت : لا شيء أعجبُ من صفاء ما بينك وبين الطِّرِمّاح على تباعُد ما يَجمَعُكما من النَّسب والمَذهب والبلد : هو شآمِيّ قَحْطانيّ شارِيٌّ ، وأنت كوفيٌّ نِزاريٌّ شِيعِيٌّ ، فكيف اتَّفقتما مع تَباين المذهب وشدّة العصبيّة ؟ فقال : اتّفقنا على بُغض العامّة .

قال : وأنشِد الكميت قول الطِّرِمّاح : [من الطويل]

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّــاحِ أَخْلَقــتْ عُرى المَجْدِ واسْتَرْخى عِنانُ القصائدِ

فقال : إي والله ، وعِنانُ الخَطابةِ والرواية والفصاحة والشجاعة . وقال عمر بن شبّة : «والسماحة» مكان «الشجاعة» .

[وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت]

نسختُ من كتاب جَدّي لأمّي يحيى بن محمد بن ثَوابة ، رحمه الله تعالى ، بخطّه قال حدَّثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : وَفَد الطِّرِمّاح بن حكيم والكُمَيت بن زيد على مَخْلَد بن يزيد المهلَّبيّ ، فجلس لهما ودعاهما . فتقدّم الطِّرِمّاح لِيُنشِد ؛ فقال له : أنْشِدنا قائماً . فقال : كلاّ والله ، ما قَدْرُ الشعرِ أن أقوم له فيَحُطَّ منّي بقيامي وأَحُطّ منه بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيت الذِّكر لمآثر العرب . قيل له : فتَنَحَّ . ودُعِي بالكميت فأنشد قائماً ، فأمر له بخمسين ألف درهم . فلمّا خرج الكُميت شاطَرها الطِّرِمّاح ، وقال له : أنت أبا ضَبِينة أبعدُ هِمّة وأنا ألطَف حِيلةً . وكان الطِّرِمّاح يُكْنى أبا نَفْرٍ وأبا ضَبِينة .

[هو والكميت وذو الرمّة في مسجد الكوفة]

ونسخت من كتابه رضي الله عنه : أخبرني الحسن بن سعيد قال أخبرني ابن عَلاّق قال أخبرني شيخٌ لنا أنَّ خالد بن كلثوم أخبره قال : بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطِّرِمّاح والكميت وهما جالسان بقُرب باب[1] الفيل ، إذ رأيتُ أعرابيّاً قد جاء يَسحب أهداماً[2] له ، حتى إذا توسَّط المسجدَ خرّ ساجداً ، ثم رمى ببصره فرأى الكميتَ والطِّرِمّاح فقصدهما .

---

1 باب الفيل : موضع بالكوفة .
2 الأهدام : جمع هِدم وهو الثوب البالي المرقع .

فقلتُ : مَن هذا الحائن[1] الذي وقع بين هذين الأسدين ! وعَجِبتُ من سجدته في غير موضع سُجود وغيرِ وقت صلاة . فقصدتُه ، ثم سلّمت عليهم ثم جلست أمامهم . فالتفتَ إلى الكُمَيت فقال : أسْمِعْني شيئاً يا أبا المُستَهِلّ ؛ فأنشده قوله : [من المتقارب]

أبتْ هذِهِ النَّفْسُ إلاّ ادِّكارا

حتى أتى على آخرها . فقال له : أحسنتَ والله يا أبا المستهلّ في ترقيص هذه القوافي ونَظْمِ عِقْدِها . ثم التفتَ إلى الطِّرِمّاح فقال : أسمِعني شيئاً يا أبا ضَبِينة ، فأنشده كلمته التي يقول فيها : [من الطويل]

أساءَكَ تقويضُ الخَليطِ المُباينِ نَعم والنَّوى قَطّاعةٌ للقَرائِنِ[2]

فقال : للهِ دَرُّ هذا الكلام ! ما أحسَنَ إجابته لرَوِيَّتِكَ ! إنْ كِدتُ لأُطِيلُ لك حسداً . ثم قال الأعرابيّ : والله لقد قلتُ بعدكما ثلاثة أشعار ، أمّا أحدها فكِدْتُ أُطير به في السماء فرحاً . وأمّا الثاني فكدتُ أدَّعِي به الخلافة . وأمّا الثالث فرأيت رقصاناً استفزَّني به الجَذَلُ حتى أتيتُ عليه . قالوا : فهاتِ ؛ فأنشدهم [قوله] : [من البسيط]

أإنْ تَوَهَّمْتَ مِنْ خَرْقاءَ منزلةً ماءُ الصَّبابةِ من عينيك مسجومُ[3]

حتّى إذا بلغ قوله :

تَنْجُو إذا جَعَلتْ تَدْمى أخِشَّتُها وابْتَلَّ بالزَّبَدِ الجَعْدِ الخَراطِيمُ[4]

قال : أعلمتم أنّي في طلب هذا البيت منذ سنةٍ ، فما ظَفِرتُ به إلاّ آنِفاً ، وأحْسِبكم قد رأيتم السجدة له . ثم أسمعهم قولَه : [من البسيط]

ما بالُ عينِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها : [من الطويل]

إذا اللَّيْلُ عن نَشْزٍ تَجلَّى رَمَيْنَهُ بأمثالِ أبصارِ النِّساءِ الفَوارِكِ

قال : فضرب الكُمَيت بيده على صدر الطِّرِمّاح ، ثم قال : هذه والله الدِّيباجُ لا نَسْجي ونسجك الكرابيس[5] . فقال الطِّرمّاح : لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجَودته . فغضب ذو الرُّمّة

1 الحائن : الهالك ، وكل ما لم يوفق للرشاد فهو حائن .

2 التقويض : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد .

3 مسجوم : مصبوب .

4 تنجو : تسرع . والأخشّة : جمع خِشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليجذب بها . والجعد من الزبد : الثخين الغليظ .

5 الكرابيس : جمع كرباس وهو ثوب غليظ من القطن .

وقال : يا طِرِمّاح ! أأنت تُحسن أن تقول : [من الطويل]

وكائنْ تَخَطَّتْ ناقتي من مَفازةٍ إليكَ ومِنْ أَحواضِ ماءٍ مُسَدَّمِ[1]
بأعْقارِهِ القِرْدانُ هَزْلى كأنَّها نَوادِرُ صِيصاء الهَبِيدِ المُحَطَّمِ[2]

فأصغى الطِّرِمّاح إلى الكميت وقال له : فانظُرْ ما أخذ من ثواب هذا الشعر ؛ قال : وهذه قصيدةٌ مدح بها ذو الرُّمَّة عبد الملك ، فلم يمدحه فيها ولا ذَكَره إلاّ بهذين البيتين ، وسائرُها في ناقته . فلمّا قدِم على عبد الملك بها أنشده إيّاها . فقال له : ما مدحتَ بهذه القصيدة إلاّ ناقتك ، فخُذْ منها الثَّوابَ . وكان ذو الرُّمّة غيرَ محظوظ من المديح ، قال : فلم يَفهم ذو الرمّة قول الطِّرِمّاح للكميت . فقال له الكميت : إنّه ذو الرمّة وله فضلُه ، فأعْتِبْه[3] . فقال له الطِّرِمّاح : معذرةً إليك ؛ إنّ عِنان الشِّعر لَفي كَفِّك ، فارجعْ مُعْتَباً ، وأقول فيك كما قال أبو المستهلّ .

[مرّ الطرماح يخطر بمسجد البصرة فسأل عنه رجل فأنشد هو شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى الصُّوليّ قالا حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدَّثني محمد بن إبراهيم بن عبّاد قال حدَّثني أبو تَمّام الطائيُّ قال : مَرّ الطِّرِمّاح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطر في مشيته . فقال رجل : مَن هذا الخطّار ؟ فسمِعه فقال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

صوت

لقد زادَني حُبّاً لِنَفْسِيَ أنّني بَغِيضٌ إلى كلِّ امرىءٍ غيرِ طائِلِ[4]
وأنّي شَقِيٌّ باللِّئام ولا ترى شقيّاً بهم إلاّ كريمَ الشمائِلِ
إذا ما رآني قطَّع اللحظَ بينه وبينيَ فعلَ العارِفِ المُتَجاهِلِ
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنّها من الضِّيق في عينيه كِفَّةُ حابِلِ[5]

في هذه الأبيات لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

[قصته مع خالد القسري حين وفد عليه بمدح]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكيع قال أخبرنا إسماعيل بن مُجَمِّع قال حدَّثنا هشام بن محمد قال

---

1 الماء المسدم : المتغير لطول العهد .
2 الأعقار : جمع عقر . وعقر الحوض : مؤخّره حيث تقف الإبل إذا وردت . والأعطان : مبارك الإبل . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوي الهزيل منه .
3 أعتبه : أرضاه وأزال عتبه .
4 رجل غير طائل : أي دون خسيس .
5 كفة الصائد : حبالته ، أي مصيدته .

أخبرنا ابن أبي العَمَرَّطةَ الكِنديّ قال: مدَح الطِّرِمّاح خالد بن عبد الله القسريّ، فأقبلَ على العُريان[1] بن الهيثم فقال: إنّي قد مدحتُ الأمير فأُحِبّ أن تُدْخِلَني عليه. قال: فدخلَ إليه فقال له: إنّ الطِّرِمّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً. فقال: ما لي في الشعر من حاجةٍ. فقال العُرْيان للطِّرِمّاح: تَراءَ له. فخرج معه، فلمّا جاوز دارَ زيادٍ وصعِد المُسَنّاة[2] إذا شيءٌ قد ارتفع له، فقال: يا عُريان انظُر، ما هذا؟ فنظر ثم رجع فقال: أصلحَ الله الأمير، هذا شيءٌ بعث به إليك عبد الله بن أبي موسى من سجِسْتان؛ فإذا حُمُرٌ وبغال ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ. فقال: يا عريان، أين طِرِمّاحُك هذا؟ قال: هاهنا. قال: أَعْطِه كلَّ ما قُدِم به. فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنْشِده. قال هشام: والطِّرِمّاح: الطويل.

[سمع بيتاً لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل موّه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدَّثنا أبو حاتم قال حدَّثني الحَجَّاجيّ قال: بلغني أنّ الطِّرِمّاح جلس في حلقةٍ فيها رجلٌ من بني عَبس، فأنشد العبسيُّ قول كُثَيِّر في عبد الملك رحمه الله: [من الطويل]

فكنتَ المُعَلّى إذ أُجيلتْ قِداحُهُم ... وجال المَنِيحُ وَسْطَها يَتَقَلْقَلُ[3]

فقال الطِّرِمّاح: أما إنّه ما أُراد به أنّه أعلاهم كعباً، ولكنّه موَّه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنّه السابع من الخُلفاء الذين كان كثيّر لا يقول بإمامتهم؛ لأنّه أُخرج عليّاً عليه السلام منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المُعلّى السابعُ من القِداح؛ فلذلك قال ما قاله. وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال: [من المتقارب]

وكان الخَلائِفُ بعدَ الرَّسُو ... لِ لله كُلُّهُم تابِعا
شهيدانِ من بعد صِدِّيقِهِمْ ... وكان ابنُ حَرْبٍ لهم رابِعا
وكان ابنُه بعدَه خامساً ... مُطِيعاً لِمَن قبلَه سامِعا
ومَرْوانُ سادِسُ مَنْ قد مَضى ... وكان ابنُه بعدَه سابعا

قال: فَعجِبْنا من تنبُّه الطِّرِمّاح لمعنى قولِ كُثَيِّر، وقد ذهب على عبد الملك فظنّه مدحاً.

[فضله أبو عبيدة والأصمعيّ ببيتين له]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسّان دَماذ قال: كان أبو عبيدة والأصمعيّ

---

1 كان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعيّ أحد أشراف العراق المقدمين حين كان خالد القسري أميراً على العراق.
2 المسناة: الأحباس تبنى في وجه السّيل.
3 المعلى من القداح، له أكبر نصيب من أنصبة قداح الميسر، وهي عشرة. والمنيح: قدح منها لا نصيب له.

يفضِّلان الطِّرِمّاح في هذين البيتين ، ويزعُمان أنّه فيهما أشعرُ الخَلْق : [من الكامل]

مُجْتابُ حُلَّةِ بُرْجُدٍ لِسَراته قِدَدا وأَخْلَقَ ما سَواه البُرْجُدُ[1]
يبدو وتُضْمِرُه البِلادُ كأنّه سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

[أثنى أبو نواس على بيت له]

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذ قال قال أبو نواس : أَشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطِّرِمّاح : [من الطويل]

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاح أَخْلَقَتْ عُرى المجدِ واسْتَرْخى عِنانُ القصائدِ

[مناقضة بينه وبين حميد اليشكري]

أُخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : فَضَّل الطِّرِمّاح بني شَمْخ[2] في شعره على بني يَشْكُرَ ؛ فقال حُمَيد اليشكريّ : [من الوافر]

أَتَجْعَلُنا إلى شَمْخ بن جَرْمٍ ونَبْهانٍ فَأُفٌّ لذا زَمانا
ويومَ الطّالَقانِ حَماك قَومي ولم تَخْضِبْ بها طَيٌّ سِنانا[3]

فقال الطِّرِمّاح يُجيبُه : [من الوافر]

لقد عَلِم المُعَذَّلُ يومَ يدعو برِمْثَةَ يومَ رِمْثَةَ إذ دعانا[4]
فوارسُ طَيِّءٍ مَنَعُوه لَمّا بكى جَزَعاً ولولاهم لَحانا[5]

فقال رجلٌ من بني يَشكر : [من البسيط]

لأَقْضِيَنّ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ بالحقِّ بين حُمَيْدٍ والطِّرِمّاحِ
جَرى الطِّرِمّاحُ حتّى دَقّ مِسْحَلَهُ وغُودِرَ العبدُ مقروناً بوَضّاحِ[6]

يَعْني رجلاً من بني تميم كان يُهاجي اليشكريّ .

[شعر له في الشراة]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال قال الأَصمعيّ قال خَلَفٌ : كان

1 مجتاب خلة : لابسها . والسَّراة : الظهر . والبُرجد : كساء من صوف أحمر وقيل كساء مخطّط ضخم . والقدد جمع قِدة وهي القطعة من الشيء .
2 شمخ ابن جرم ونبهان : بطنان من طيء .
3 الطالقان : اسم بلدتين ، إحداهما بخراسان بين مرو والروذ وبلخ ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .
4 رمثة : ماء ونخل لبني ربيعة باليمامة .
5 حان : هلك .
6 المسحل : اللجام .

الطِّرِمّاح يَرى رأيَ الشُّراة ، ثم أُنشَد له : [من المنسرح]

لِلّهِ دَرُّ الشُّـراةِ إنّهـــــمُ إذا الكَرى مالَ بالطُّلى أَرِقُوا[1]
يُرَجِّعـــون الحَنِـــينَ آونـــةً وإن عَـلا ساعةً بهـم شَهَقوا
خوفـاً تبيتُ القلوبُ واجفةً تكاد عنهـا الصـدورُ تَنْفَلِقُ
كيف أُرَجِّـي الحياةَ بعدهُمُ وقـد مضى مُؤنِسيَّ فانطلَقوا
قَـومٌ شِحاحٌ على اعتقادِهِمُ بالفَوْزِ مِمّـا يُخافُ قد وَثِقوا

[أنشد خالداً القسريّ شعراً في الشكوى فأجازه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزيّ عن أبي عبيدة عن يونس قال : دخل الطِّرِمّاح على خالد بن عبد الله القَسْرِيّ فأنشده قولَه : [من الطويل]

وشيَّبَني مـا لا أزالُ مُناهِضاً بغيرِ غِنًـى أَسْمُو بـه وأَبوعُ[2]
وأنّ رجالَ المال أَضحَوْا ومالُهُمْ لهـم عند أَبوابِ الملوكِ شَفِيعُ
أَمُخْترمي رَيْبُ المَنُونِ ولَم أَنَلْ منَ المالِ ما أَعْصي بـه وأُطِيعُ

فأمر له بعشرين ألفَ درهم وقال : امْضِ الآن فاعْصِ بها وأَطِعْ .

[قال المفضل : كأنّه يوحى إليه ، في الهجاء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدَّثنا حُذَيفة بن محمد الكوفيّ قال قال المُفَضَّل : إذا رَكِب الطِّرِمّاح الهجاءَ فكأنّما يُوحى إليه ، ثم أُنشد له قوله : [من البسيط]

لـو حـانَ وِرْدُ تَميمٍ ثم قيل لها حوضُ الرَّسولِ عليه الأَزْدُ لم تَرِدِ
أَوْ أَنـزلَ اللهُ وحيـاً أَنْ يُعَذِّبَها إن لم تَعُـدْ لِقتالِ الأَزْدِ لم تَعُدِ
لا عَزّ نَصْرُ امرىءٍ أَضْحى له فرسٌ على تميمٍ يُريـدُ النصرَ مـن أَحَدِ
لو كان يَخفى على الرحمنِ خافيةٌ من خلقِـه خَفِيتْ عنـه بنو أَسَدِ

[افتقده بعض صحبه فلم يرعهم إلاّ نعشه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرنا عُمَر بن شَبّة قال حدَّثني المدائنيّ قال حدَّثني ابنُ دأبٍ عن ابن شُبْرُمَـةَ ، وأخبرني محمـد بن القاسم الأنباريّ قال أَخبرني أبي قـال حدَّثني

---

1 الطُّلى : الأعناق ، واحد طُلْية .
2 في الديوان 314 : «أنْ لا أزال» . أبوع : يبوع : يمدّ باعه .

الحسنُ بن عبد الرحمن الرَّبعيّ قال حدَّثني محمد بن عِمران قال حدَّثني إبراهيم بن سَوَّار الضَّبِّيّ قال حدَّثني محمد بن زيادٍ القُرشيّ عن ابن شُبرُمَةَ قال : كان الطِّرِمّاح لنا جليساً فَفَقَدْناه أيّاماً كثيرة ، فقُمْنا بأجمعنا لننظرَ ما فَعَلَ وما دهاه . فلمّا كنّا قريباً من منزله إذا نحن بنَعْشٍ عليه مُطْرَفٌ أخضرُ ، فقلنا : لِمَن هذا النعش ؟ فقيل : هذا نعش الطِّرِمّاح . فقلنا : والله ما استجاب الله له حيث يقول : [من الطويل]

وإنّــي لَمُقْتــادٌ جَــوادِي وقاذِفٌ ... به وبنَفْسي العامَ إحــدى المَقاذِفِ
لأَكسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غنًى ... منَ اللهِ يَكْفِيني عِـداتِ الخَلائِفِ
فَيا رَبِّ إنْ حانَتْ وفاتي فلا تَكُنْ ... على شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ المَطارِفِ[1]
ولكــنّ قَبْري بطـنُ نَسْرٍ مَقيلُه ... بجَوِّ السماءِ في نُسورٍ عَواكِفِ[2]
وأمْسي شهيداً ثاويــاً في عِصابةٍ ... يُصابُونَ في فَجٍّ من الأرضِ خائِفِ[3]
فَوارِسُ مِـــن شَيْبانَ أَلَّفَ بينهُمْ ... تُقى اللهِ نَزّالونَ عنــد التَّزاحُفِ
إذا فارقوا دُنياهُمُ فارقوا الأذى ... وصاروا إلى مِيعاد ما في المَصاحِفِ[4]

صوت

[من البسيط]

هل بالدِّيارِ التي بالقاع منْ أَحَدِ ... باقٍ فَيَسْمَعَ صوتَ المُدْلِجِ السَّارِي
تلك المنازِلُ من صَفْراءَ ليس بهــا ... حــيٌّ يُجِيبُ ولا أَصواتُ سُمَّارِ

الشعر لبَيْهَسٍ الجَرْميّ . والغناء لابن محرزٍ ثاني ثقيل بالبِنصر ، عن عمرو وقال : ذكر ذلك يحيى المكيّ ، وأظنّه من المنحول . وفيه لطيّاب بن إبراهيم الموصليّ خفيفٌ ثقيل ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحِبِ الوَضُوء :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بك ضَعْفُهُ

---

1 شرجع : النعش . بخضر في الديوان 333 : بدُكن .
2 ولكن قبري في الديوان 336 : ويصبح قبري .
3 الشطر الأول من البيت في الديوان 334 : «ولكن أَجِنْ يومي شهيداً وعصبته» .
4 في الديوان 334 : موعود .

[200] ـ أخبار بيهس ونسبه

[نسبه]

هو بَيْهس بن صُهَيب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عُبَيد بن عَلقمة بن سَعْد بن كَثِير بن غالِب بن عَدِيّ بن سُمَيْس بن طَرود بن قُدامة بن جَرْم بن ربَّان بن حُلْوان بن عِمران بن إلحاف بن قُضاعة ، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأمويّة . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْمٍ وكَلْبٍ وعُذْرة ، ويحضُر إذا حَضَروا فيكون بأجناد الشام .

[اتّهم بقتل غلام من قيس فاستجار بمحمد بن مروان]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : لمّا هدأتِ الفِتنةُ بعد وقعة مَرج [راهِطٍ] وسكن الناس ، مرَّ غلامٌ من قيسٍ بطوائفَ من جَرْم وعُذْرةَ وكلْبٍ ، وكانوا مُتَجاورين على ماءٍ هناك لهم . فيُقال : إنّ بعض أحداثهم نَخَس به ناقته فألقته ، فاندقّت عُنقه فمات . واستعدى قومُه عبد الملك بن مروان ، فبعث إلى تلك البطون مَن جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فهَرَب بَيْهَسُ بن صُهَيْب الجَرْميّ ، وكان قد اتُّهم بأنّه هو الذي نخس به ، فنزل بمحمد بن مروان واستجارَ به ، فأجارَه إلاّ من حَدٍّ تُوجبه عليه شهادةٌ ، فَرَضِي بذلك .

صوت

[من الطويل]

أَلا يا حَماماتِ اللِّوى عُدْنَ عودةً ... فإنّــي إلى أَصواتِكُــنَّ حَزِينُ
فعُدْنَ فلمّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَني ... وكِـدْتُ بأَسْرارِي لَهُــنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بأَصواتِ الهَدِيلِ كأَنَّما ... شَرِبْنَ حُمَيّا أَوْ بِهِــنّ جُنُونُ
فلَمْ تَــرَ عيني مِثْلَهُنّ حمائماً ... بَكَيْنَ ولَم تَدْمَعْ لَهُنّ شؤونُ

الشعر لأعرابيّ ، هكذا أنشدْناه جعفر بن قدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل . والغناء لمحمد بن الحارث بن بُسخَنَّر خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وقد قيل : إنّ الشعر لابن الدُّمَينة .

[201] ـ أخبار محمد بن الحارث بن بسخنّر

[نسبه وبعض أخباره]

هو محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ويُكْنى أبا جعفر . وهم ، فيما يزعمون ، مَوالي المنصور . وأحسبه ولاءَ خِدْمةٍ لا ولاءَ عِتْق . وأصلُهم من الرَّيِّ . وكان محمد يزعم أنّه من ولد بَهْرام جُوبين[1] . ووُلِد محمدٌ بالحِيرة . وكان يُغنِّي مُرتجلاً ، إلاّ أنّ أصل ما غنّى عليه المِعْزَفة ، وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفة . فمرّ غلامه بها يوماً ، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق : مع هذا الغلام مِصيدة الفأر ، وقال بعضهم : لا ، بل هي مِعْزَفَةُ محمد بن الحارث . فحلَف يومئذٍ بالطلاق والعِتاق ألاّ يُغنّي بمِعزفة أبداً أنفةً من أن تشتبه آلةٌ يغنّي بها بمِصيدة الفأر . وكان محمد أحسن خَلْقِ الله تعالى أداءً وأسرعَه أخذاً للغناء . وكان لأبيه الحارث بن بُسْخُنَّر جَوارٍ مُحسِنات . وكان إسحاق يرضاهنّ ويأمرهنّ أن يَطرَحن على جواريه . وقال يوماً للمأمون وقد غنّى مُخارق بين يديه صوتاً فالتاث[2] غناؤه فيه وجاء به مُضْطرباً ، فقال إسحاق للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنّ مخارقاً قد أعجبه صوته وساء اداؤُهُ في غنائه ، فمُرْه بمُلازمةِ جَواري الحارث بن بُسْخُنَّر حتى يعود إلى ما تريد .

[هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتاً]

أخبرني جحظة قال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : سمعتُ إسحاق[3] بن إبراهيم بن مُصعب يقول للواثق : قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : ما قَدَر أحدٌ قطٌّ أن يأخذ منّي صوتاً مستوياً إلاّ محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ؛ فإنّه أخذ منّي عدّة أصوات كما أُغَنّيها . ثم لم نلبَث أن دخل علينا محمد بن الحارث . فقال له الواثق : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصليّ فيك بكذا وكذا . فقال : قد قال إسحاق ذاك لي مرّات . فقال له الواثق : فأيّ شيءٍ أخذت من صنعته أحسنَ عندك ؟ فقال : هو يزعمُ أنّه لم يأخذ منه أحدٌ قطّ هذا الصوت كما أخذتُه منه : [من الطويل]

---

1 من ملوك الفرس في أواخر القرن السادس الميلادي .

2 التاث هنا : اختلط .

3 كان إسحاق حاكم بغداد في عهد المأمون والمعتصم والواثق .

صوت

إذا المَرْءُ قاسى الدَّهْرَ وابيَضَّ رأسُه وثُلِّــم تَثْلِيــمَ الإنــاء جَوانِبُهْ
فليس له في العيش خيرٌ وإنْ بكــى على العيشِ أو رجَّى الذي هو كاذِبُهْ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى ، فأمره الواثق بأن يُغَنِّيه ، فغنَّاه [إيّاه] وأحسنَ ما شاء وأجاد . واستحسنه الواثق وأمَره بأنْ يُردِّده ، فردَّده مراراً كثيرةً ، حتى أخذه الواثق وأخذه جَواريه والمُغَنُّون . قال جحظة قال الهشاميّ فحدَّثتُ بهذا الحديث عمرَو بن بانة فقال : ما خَلَقَ الله تعالى أحداً يُغَنِّي هذا الصوت كما يُغنِّيه هِبة الله بن إبراهيم بن المَهدِيّ . فقلت له : قد سمعتَ ابن إبراهيم يُغنّيه ، فاسمَعْه من محمد ثم احْكُم . فلَقِيَني بعد ذلك فقال : الأَمرُ كما قلتَ ، قد سمِعتُه من محمد فسَمِعتُ منه الإحسان كلَّه .

[ردّد صوتاً لجارية كان يحبّها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كنتُ يوماً في منزلي ، فجاءني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر مُسَلِّماً وعائداً من عِلةٍ كنتُ وجدتها ؛ فسألته أن يُقيم عندي ففعل ، ودعوتُ بما حَضَر فأكلنا وشَرِبنا ، وغنّى محمد بن الحارث هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

أَمِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ عينُك اليومَ تَدْمَعُ وقلبُــكَ مشغــولٌ بخَوْدِكَ مُولَعُ
وقائلــةٍ لي يــومَ ولَّيْتُ مُعْرِضا أهذا فِراقُ الحِبِّ أمْ كيف تَصْنَعُ
فقلتُ كَذاكِ الدَّهْرُ يا خَوْدُ فاعلَمي يُفَــرِّقُ بــين الناسِ طُرّاً ويَجْمَعُ

أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى . قال الهشاميّ : وفيه لفُلَيْح ثاني ثقيلٍ ، ولإسحاق خفيف رملٍ . قال عليّ بن يحيى : فقلتُ له وقد ردّد هذا الصوت مراراً وغنّاه أَشْجى غِناءٍ : إنّ لك في هذا الصوت معنى ، وقد كَرَّرْتَه من غير أن يقترحه عليك أحد . فقال : نعم هذا صوتي على جاريةٍ من القِيانِ كنتُ أُحِبُّها وأخذته منها . فقلت له : فلِمَ لا تُواصلها ؟ فقال : [من السريع]

لـو لَمْ أَنِكْها دام لي حُبُّها لكِنَّنِي نِكْتُ فلا نِكْتُ

فأجبتُه فقلت : [من البسيط]

أكثرتَ من نَيْكِها والنَّيْكُ مَقْطَعَةٌ فارْفُقْ بِنَيْكِكَ إنّ الرِّفْـقَ محمودُ

[أخذ جواري الواثق منه غناء أخذه من إسحاق]

وأخبرني جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى أنّ إسحاق غنّى بحضرة الواثق لحنه : [من الطويل]

ذَكَرْتُكِ إذ مَـرَّتْ بِنا أُمُّ شادِنٍ أمـامَ المَطايـا تَشْرَئبُّ وتَسْنَحُ[1]
من المُؤْلِفاتِ الرَّمْـلَ أدمـاءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في مَتْنِها يَتَوَضَّحُ[2]

والشعر لذي الرُّمّة . ولحن إسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ ، فأمره الواثق أن يُعِيدَه على الجواري ، وأحلفَه بحياته أن ينصَح فيه . فقال : لا يستطيع الجواري أن يأخُذْنَه منّي ، ولكن يحضُر محمد بن الحارث فيأخذه منّي وتأخذه الجواري منه ؛ [فأُحْضِرَ وأُلقاه عليه ، فأخذه منه ، وأخذتْه الجواري منه] .

أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوَسْواسة المَوصليّ قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : قال لي محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر : أخذتْ جاريةٌ للواثق منّي صوتاً أخذتُه من أبيك ، وهو : [من الخفيف]

صوت

أُصبحَ الشَّيْبُ في المَفارِقِ شاعا واكتسى الرَّأْسُ مِنْ مَشيبٍ قِناعا
وتولَّـى الشَّبـابُ إلاّ قليـلاً ثـمّ يأبـى القليلُ إلاّ وَداعا

الشعر والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ . قال : فسَمِعه الواثق منها ، فاستحسنه وقال لعلُّويَه ومُخارق : أتَعرِفانه ؟ فقال مخارق : أظُنّه لمحمد بن الحارث . فقال علّويَه : هيهاتَ ؛ ليس هذا ممّا يدخل في صنعة محمدٍ ، هو يُشبه صنعة ذلك الشيطان إسحاق . فقال له الواثق : ما أبعدتَ . ثم بعث إليّ فأخبرني بالقصّة ؛ فقلت : صَدَق علّويه يا أمير المؤمنين ، هذا لإسحاق ومنه أخذتُه .

[غنّت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني عبد الله بن المعتزّ قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام : جاءَني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً فقال لي : قُمْ حتّى أُطَفِّل بك على صديقٍ لي حُرٍّ ، وله جاريةٌ أحسنُ خلق الله تعالى وجهاً وغِناءً . فقلتُ له : أنت طُفَيْليّ وتُطَفِّل بي ؟ هذه والله أخسُّ حال . فقال لي : دعِ المجُونَ وقمْ بنا ؛ فهو مكانٌ لا يستحي حرٌّ أن يتطفّل عليه . فقمتُ معه ، فقصَد بي دار رجل من فتيان أهلِ «سُرَّ مَنْ رأى» كان لي صديقاً يُكْنى أبا صالح ، وقد غُيِّرت كنيته على سبيل اللّقب فكُنِي أبا الصالحات ، وكان ظريفاً حسنَ المروءة ، [يضرب بالعُود على مذهب الفُرْس ضرباً حسناً] ، وله رِزقٌ سَنيٌّ في المَوالي ، وكان من أولادهم ، ولم يكن منزله يخلو من طعامٍ كثيرٍ نظيفٍ لكثرة قَصْد أخواته منزلَه . فلمّا طَرَق بابَه قلتُ له : فرَّجْتَ عنّي ،

1 أم شادن : ظبية . تسنح : تعرض لك أو تأتي عن شمالك . والمعنى الأول أولى هاهنا .
2 الأدم من الظباء : البيض تعلوهن جدد فيها غبرة .

[هذا صديقي] وأنا طُفَيْليّ بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيليّ . فدخلنا ، وقُدِّم إلينا طعامٌ عَتِيدٌ طيّب نظيف فأكلنا ، وأحضِرنا النبيذ ، وخرجتْ جاريته إلينا من غير سِتارةٍ ، فغنّت غناءً حسناً شَكِلاً ظريفاً ، ثم غنَّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذتْه عنه ـ وفيه أيضاً لحنٌ لإبراهيم ، والشعر لابن أبي عُيَيْنة : [من الكامل]

صوت

ضيَّعْتِ عهـدَ فَتًى لِعَهْدِكِ حافظٍ   في حفْظِـهِ عَجَبٌ وفي تَضْييعِكِ
إن تَقْتُلِيـهِ وتذهبِـي بفـؤادِهِ   فبِحسْنِ وَجْهِكِ لا بِحُسْنِ صَنِيعِكِ

فطَرِب محمد بن الحارث ونَقَّطها بدنانير مُسَيَّفةٍ[1] كانت معه في خريطته ، ووجَّه غلامه فجاءه ببَرْنِيَّة غاليةٍ كبيرةٍ ، فغَلَّفها[2] منها ووَهَب لها الباقي . وكان لمحمد بن الحارث أخٌ طَيِّب ظريف يُكنى أبا هارون ، فطَرب ونَعَر ونَخَر ، وقال لأخيه : أريد أن أقول لك شيئاً في السِّرِّ . قال : قُلْهُ عَلانيّةً . قال : لا يصلحُ . قال : والله ما بيني وبينك شيءٌ أُبالي أن تقوله جهراً ، فقُلْه . فقال : أشتهي عَلِم اللهُ أن تسأل أبا الصَّالحاتِ أن يَنِيكَني ، فعسى صوتي أن يَنْفتِح ويَطيبَ غِنائي . فضحِك أبو الصالحات وخَجِلت الجارية وغَطَّتْ وجهَها وقالت : سَخنَتْ عينُك ! فإنّ حديثَك يشبه وجهَك .

صوت

[من الطويل]

وأيُّ أخٍ تَبْلُـو فتَحْمَـدَ أَمْـرَهُ   إذا لَـجَّ خَصْمٌ أو نَبـا بِكَ مَنْزِلُ[3]
إذا أنـتَ لَم تُنْصِفْ أخـاك وجدتَه   على طَـرَفِ الهِجْرانِ إنْ كان يَعْقِلُ
سَتَقْطَعُ في الدُّنيـا إذا مـا قطعتَني   يَمِينَـكَ فانْظُـرْ أيَّ كَـفٍّ تَبَـدَّلُ
إذا انصرفتْ نفسي عن الشَّيْءِ لَم تَكَدْ   إليـهِ بوَجْـهِ آخِـرَ الدَّهْـرِ تُقْبِلُ

الشعر لِمَعْن بن أوس المُزَنيّ . والغناء لِعَريب [خفيف] رمل بالوسطى .

1 دينار مسيّف : إذا كانت جوانبه نقية من النقش .
2 غلّفها : ضمخها وطيبها .
3 البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام رقم 8 ص 326 :
وإنّي أخوك الدائم العهد لم أخنْ   إنْ آبزاك خصم أو نبا بك منزلُ

[202] ـ أخبار معن بن أوس ونسبه

[نسبه]

هو مَعْن بن أَوْس بن نصر بن زياد بن أَسْحم بن زياد بن أَسعد بن أَسحم بن ربيعة بن عَدِيّ بن ثعلبة بن ذُوَيب بن عَدَّاء بن عثمان بن مُزَيْنَةَ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضر بن نزارٍ. ونُسِبوا إلى مُزَيْنة وهي امرأة : مُزَيْنةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرَةَ ، وأبوهم عمرٌو بن أدّ بن طابِخة .

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ وهاشم بن محمد الخُزاعيّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيّ قال : مُزَيْنةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرة ، تزوَّجها عمرو بن أدّ بن طابخة ، فولدتْ له عثمان وأَوْساً ، فغلبَتْ أُمُّهما على نَسَبهما . فعلى هذا القول عَدَّاء هو ابن عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة .

[شاعر فحل مخضرم له مدائح في الصحابة]

ومَعْنٌ شاعرٌ مُجيدٌ فحْل ، من مخضرميّ الجاهليّة والإسلام وله مدائح في جماعةٍ من أصحاب النبيّ ﷺ ورَحمهم ، منهم عبد الله بن جَحْش ، وعُمَر بن أبي سَلَمة المخزوميّ . ووفَد إلى عُمَر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه مُستعيناً به على بعض أمرِه ، وخاطَبه بقصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

تَأَوَّبَه طيفٌ بذاتِ الجَراِئم ... فنامَ رَفيقاهُ وليس بنائمِ[1]

وعُمِّر بعد ذلك إلى أيّام الفِتنة بين عبد الله بن الزبير ومَروان بن الحكَم .

[رأي معاوية في شعر مزينة]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني إبراهيم بن المُنْذِر الحِزاميّ قال حدَّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثَوبان عن عَلقمة بن مِحْجَن الخزاعيّ عن أبيه قال : كان معاوية يُفَضِّل مُزَيْنَةَ في الشِّعر ، ويقول : كان أشعر أهل الجاهليّة منهم وهو زهير ، وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كَعبٌ ، ومَعْنُ بن أَوس .

[هو مئناث وله شعر في تفضيل البنات]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدَّثني العُتبيُّ قال : كان مَعْن بن أَوس مِئناثاً[2] ، وكان يُحْسِن صُحْبَةَ بناتِه وتربيتهنّ ؛ فوُلِد لبعض عشيرته بنتٌ

1 ذات الجرائم : موضع .
2 رجل مئناث : الذي يلد الإناث ، وكذلك المرأة .

فكَرِهَها وأظهر جَزَعاً من ذلك ؛ فقال مَعْنٌ : [من الطويل]

رأيتُ رجالاً يَكْرَهون بَناتِهم ... وفيهِنّ ، لا تُكْذَبْ ، نِساءٌ صَوالِحُ
وفيهنّ ، والأيّامُ تَعْثُر بالفتى ، ... نَوادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونَوائِحُ

[مرّ به عبيد الله بن العبّاس ، وقد كفّ بصره]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرَفي قال حدَّثنا العَنَزيّ (يعني الحسن بن عُلَيْل) قال حدَّثني أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُوَيد بن مَنجُوفٍ عن أبيه قال : مرّ عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب بمَعْن بن أوس المُزَنيّ وقد كُفَّ بصرُه فقال له : يا معن ، كيف حالُك ؟ فقال له : ضَعُف بَصَريّ وكَثُر عِيالي وغَلَبني الدَّيْن . قال : وكَم دَيْنك ؟ قال عشرة آلافِ درهم . فبَعث بها إليه ثم مرّ به من الغدّ فقال له : كيف أصبحتَ يا مَعْن ؟ فقال : [من الطويل]

أخذتُ بعَيْنِ المالِ حتّى نَهِكْتُه ... وبالدَّيْنِ حتّى ما أكاد أُدانُ
وحتّى سألتُ القَرْضَ عند ذَوي الغِنى ... ورَدّ فلانٌ حاجتي وفُلانُ

فقال له عبيد الله : الله المُستعان ، إنّا بعثنا إليك بالأمس لُقمةً فما لُكْتَها حتّى انتُزِعَتْ من يدك ، فأيُّ شيء للأهل والقَرابة والجيران ؛ وبَعَث إليه بعشرة آلاف درهم أُخرى . فقال معنٌ يمدَحه : [من الطويل]

إنّك فَرْعٌ من قُرَيْشٍ وإنّما ... تَمُجُّ النَّدى منها البحورُ الفَوارِعُ
ثوَوْا قادةً للنّاس بَطْحاءَ مَكّةٍ ... لَهُمْ وسِقاياتُ الحَجيجِ الدَّوافعُ
فلمّا دُعُوا للموت لَمْ تَبْكِ منهمُ ... على حادثِ الدَّهْرِ العيونُ الدَّوامِعُ

[أعرابيّ زوجته حضريّة]

أخبرني محمد بن عِمران قال حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثني الفَضْل بن العبّاس القُرشيّ عن سعيد بن عمرو الزُّبيريّ قال : كان لِمَعْنْ بن أَوْس امرأة يقال لها ثور وكان لها مُحِبّاً ، وكانت حَضَريّة نشأتْ بالشام ، وكانت في معن أعرابيّةٌ ولُوثةٌ ، فكانت تضحَك من عجْرفِيّته . فسافر إلى الشام في بعض أعوامه ، فضَلَّتْ الرُّفقةُ عن الطريق وعدَلوا عن الماء ، فطوَوْا منزلَهم وساروا يومهم وليلتهم ، فسقَط فرسُ مَعْن في وِجار ضَبٍّ دخلتْ يدُه فيه ، فلم يستطع الفرسُ أن يقوم من شدّة العَطَش حتّى حمله أهلُ الرُّفقة حَمْلاً فأنهضوه ، وجعل معنٌ يقوده ويقول : [من الرجز]

لَوْ شَهِدَتْني وجَوادِي ثَوْرُ ... والرَّأسُ فيه مَيَلٌ ومَوْرُ[1]

---

1 المور : الاضطراب والتحرك .

لضحِكتْ حتَّى يَميـلَ الكَوْرُ[1]

[قدومه على ابن الزبير بمكّة فلم يحسن ضيافته ، وأكرمه غيره]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : قَدِم معنُ بن أَوْسٍ مكّةَ على ابن الزبير فأنزله دارَ الضِّيفان ، وكان يَنْزِلها الغُرباءُ وأبناءُ السبيل والضِّيفان ، فأقام يومَه لم يُطعَم شيئاً ؛ حتّى إذا كان الليل جاءهم ابن الزُّبير بتَيْسٍ هَرِمٍ هَزِيلٍ فقال : كُلُوا من هذا ، وهم نَيِّفٌ وسبعون رجلاً ؛ فغَضِب معنٌ وخرج من عنده ، فأتى عبيد الله بن العباس ، فقراه وحَمله وكساه ، ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدَّثه حديثَه ، فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثاً ثم رَحَل . فقال يهجو ابن الزُّبير ويمدح ابن جعفر وابن عبّاس رضي الله تعالى عنهم أجمعين : [من الطويل]

ظَلِلْنا بمُسْتَنٍّ الرِّيـاحِ غُدَيَّـةً ... إلى أن تعالى اليومُ في شَرٍّ مَحْضَرِ[2]
لَـدى ابن الزُّبَيْر حابِسينَ بمَنْزِلٍ ... من الخير والمعروفِ والرِّفْدِ مُقْفِرِ[3]
رَمانا أبو بكـرٍ وقـد طال يومُنا ... بِتَيْسٍ مـن الشَّاء الحِجازِيّ أَعْفَرِ[4]
وقال اطْعَمُوا منـه ونحـن ثلاثةٌ ... وسبعون إنسانـاً فيالُـؤْمَ مَخْبَرِ
فقلْـت لـه لا تَقْرِنـا فأمامَنا ... جِفانُ ابن عَبَّاس العُلا وابنِ جَعْفَرِ
وكُنْ آمِنـاً وانْعَقْ بِتَيْسِكَ إنّـه ... لـه أَعْنُزٌ يَنْزُو عليهـا وأَبْشِرِ[5]

[أنشده الفرزدق بيتاً في هجاء مزينة فرد عليه]

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسديّ قال : قدِم معنٌ بن أَوْس المُزَنيّ البصرة ، فقَعَد يُنْشِد في المِرْبَد ، فوقف عليه الفرزدق فقال : يا مَعْنُ مَن الذي يقول : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما مُزَيْنَةُ رَهْطُ مَعْنٍ ... بأخفاف يَطَأْنَ ولا سَنامِ

فقال معنٌ : أتَعْرِفُ يا فرزدق الذي يقول : [من الوافر]

1 الكور هنا : الدور من العمامة . يريد الدور مما تلفّ به رأسها .
2 مستن الرياح : مضطربها حيث تهب وتجري .
3 حابسين : أي محبوسون هنا .
4 أبو بكر : كنية عبد الله بن الزبير .
5 النعيق هنا : دعاء الراعي الشاء .

لَعَمْرُكَ ما تميمٌ أهلُ فَلْجٍ ... بأَرْدافِ المُلوكِ ولا كِرامِ[1]

فقال الفرزدق : حَسْبُك ؛ إنّما جَرَّبْتُك . قال : قد جَرَّبتَ وأنت أعلَم . فانصرف وتركه .

[تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : دخلتُ خَضْراءَ رَوْحٍ ، فإذا أنا برجلٍ من وَلَده على فاحشةٍ يوماً ، فقلتُ : قَبَحك الله ! هذا موضعٌ كان أبوك يَضْرِب فيه الأعناقَ ويُعْطي اللُّهى وأنت تفعل [فيه] ما أرى ! فالتفتَ إليّ من غير أن يزولَ عنها وقال : [من الوافر]

وَرِثْنا المجدَ عن آباءِ صِدْقٍ ... أَسَأْنا في دِيارِهمُ الصَّنِيعا

إذا الحَسَبُ الرَّفِيعُ تَواكَلَتْهُ ... بُناةُ السَّوْءِ أَوْشَكَ أن يَضِيعا

قال : والشِّعر لِمَعَن بن أَوْس المُزَنيّ .

[سافر إلى الشام وخلّف ابنته في جوار ابن أبي سلمة وابن عمر بن الخطّاب]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبَرِّد قال حدَّثنا أحمد بن عُبَيْدٍ أبو عَصِيدةَ عن الحِرْمازيّ قال : سافر مَعْنُ بن أَوْس إلى الشامِ وخَلَّف ابنتَه ليلى في جِوار عُمَر بن أبي سَلَمةَ ، وأمُّه أمُّ سَلَمة أمُّ المؤمنين رَضِي الله تعالى عنها ، وفي جوار عاصم بن عُمَر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه . فقال له بعض عشيرته : على مَنْ خلّفتَ ابنتكَ ليلى بالحجاز وهي صبيّة ليس لها مَنْ يَكْفُلها ؟ فقال معنٌ رحمه الله تعالى : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما ليلى بدارِ مَضِيعَةٍ ... وما شَيْخُها أنْ غاب عنها بخائفِ

وإنّ لها جارَيْنِ لن يَغْدُرا بها ... رَبِيبَ النبيِّ وابنَ خَيْرِ الخلائفِ

[رأي عبد الملك في شعر معن]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزيّ قال حدَّثني مسعود بن بِشْر عن عبد الملك بن هِشام قال : قال عبد الملك بن مَروان يوماً وعنده عِدّةٌ من أهلِ بيته وولَدِه : لِيَقُلْ كلُّ واحد منكم أحسنَ شِعْرٍ سَمِع به ؛ فذكروا لامرىء القيسِ والأعْشى وطَرَفةَ فأكثروا حتّى أتَوْا على مَحاسِنِ ما قالوا . فقال عبد الملك : أشعرهُم والله الذي يقول : [من الطويل]

---

1 فلج هنا : واد بين البصرة وحمى ضرية من منازل عديّ بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم . الأرداف : جمع رِدف وهو هنا : جليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا .

وذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أُظْفارَ ضِغْنِهِ ... بِحِلْميَ عنهُ وَهْوَ ليس له حِلْمُ
إذا سُمْتُه وَصْلَ القَرابةِ سامَني ... قَطِيعتَها ، تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ
فأَسْعى لِكَيْ أَبْنِي ويهْدِمُ صالحي ... وليس الذي يَبْنِي كمَنْ شأنُه الهَدْمُ
يُحاوِلُ رَغْمي لا يُحاول غيرَه ... وكالموتِ عندي أن ينالَ له رغمُ
فما زِلْتُ في لِينٍ له وتَعَطُّفٍ ... عليه كما تحْنُو على الوَلَدِ الأُمُّ
لأَسْتَلَّ منه الضِّغْنَ حتَّى سَلَلْتُه ... وإنْ كان ذا ضِغْنٍ يَضِيقُ به الحِلْمُ

قالوا : وَمَنْ قائلها يا أَمير المؤمنين ؟ قال : مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنيّ .

[خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلى ثم عودته إلى زوجته الأولى]

أَخبرني عيسى بن حسين الورّاق قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني الزبير بن بكّار قال حدَّثني سليمان ابن عَيّاش السَّعْديّ عن أبيه قال : خرج معنُ بن أَوس المُزَنيّ إلى البصرة ليمتار منها ويَبِيع إبلاً له ؛ فلمّا قَدِمَها نزل بقومٍ من عشيرته ، فتولَّتْ ضِيافتَه امرأةٌ منهم يقال لها ليلى ، وكانت ذاتَ جمالٍ ويَسارٍ ، فَخَطبها فأجابته فتزوّجها ، وأَقام عندها حولاً في أَنْعمِ عيشٍ . فقال لها بعد حَوْلٍ : يا ابنةَ عمّ ، إنِّي قد تركتُ ضَيْعَةً لي ضائعةً ، فلو أَذِنْتِ لي فاطَّلَعْتُ[1] [طِلْعَ] أَهلي ورَمَمْتُ[2] من مالي ! فقالت : كم تُقيم ؟ قال : سنةً ، فأَذنَتْ له . فأَتى أَهلَه فأَقام فيهم وأَزْمَنَ عنها (أَي طال مُقامه) . فلمّا أَبطأَ عليها رحلتْ إلى المدينة فسأَلتْ عنه ، فقيل لها : إنّه بعَمْقٍ (وهو ماءٌ لِمُزَيْنَةَ) . فخرجتْ ، حتّى إذا كانت قريبةً من عَمْقٍ نزلتْ منزلاً كريماً . وأَقبل معن في طلب ذَوْدٍ له قد أضلَّها وعليه مِدْرَعةٌ من صُوفٍ وبَتٌّ من صوفٍ أَخضرَ ، قال : والبَتُّ : الطَّيْلَسان ، وعِمامةٌ غليظةٌ . فلمّا رُفِع[3] له القومُ مال إليهم لِيَسْتَسْقِي ، ومع ليلى ابنُ أَخٍ لها ومولًى من مَواليها جالسٌ أَمام خِباءٍ له . فقال له معنٌ : هل من ماءٍ ؟ قال : نعم ، وإن شِئْتَ سَوِيقاً ، وإن شئتَ لبناً ؛ فأَناخ . وصاح مولى ليلى : يا مُنْهِلة ، وكانت مُنْهِلةُ الوصيفةَ التي تقوم على مَعْنٍ عندهم بالبصرة ، فلمّا أَتته بالقَدَح وعَرَفَها وحَسَر عن وَجْهه ليشرب عرفتْه وأَثبتته ، فتركت القَدَح في يده وأَقبلتْ مسرعةً إلى مَولاتها فقالت : يا مولاتي ، هذا والله معنٌ إلاّ أنّه في جُبَّةِ صُوفٍ وبَتِّ صوفٍ . فقالت : هو والله عَيْشُهم ، الْحَقِي مولاي فقولي له : هذا معنٌ ، فاحبِسْه . فخرجتِ الوصيفةُ مُسرعةً فأخبرت . فوضع معنٌ القَدَحَ وقال له : دَعْني حتّى أَلقاها في غير هذا الزِّيّ . فقال :

---

1 اطّلع طِلْعَه : عرف أمره .
2 رممت من مالي : أصلحت .
3 رُفع له الشيء : أبصره عن بُعد .

لستَ بارحاً حتّى تدخلِ عليها . فلمّا رأته قالت : أهذا العيش الذي نزعتَ إليه يا معن ؟ ! قال : إي والله يا ابنةَ عمٍّ ! أما إنّك لو أقمتِ إلى أيّام الربيع حتى يُنبتَ البلد الخُزامى والرُّخامى[1] والسَّخْبَرَ[2] والكَمْأةَ ، لأَصَبْت عيشاً طيّباً . فغسلتْ رأسَه وجَسَدَه ، وألبسته ثياباً ليِّنة ، وطيَّبته ، وأقام معها ليلَته أجمعَ يَهْرِجُها[3] ، ثم غدا متقدِّماً إلى عَمْقٍ حتّى أعدّ لها طعاماً ونَحَر ناقةً وغَنَماً ، وقَدِمتْ على الحيّ ، فلم تَبْق [فيهم] امرأةٌ إلاّ أتتها وسلّمتْ عليها ، فلم تَدَعْ منهنّ امرأةً حتّى وصلتْها . وكانت لمعنٍ امرأةٌ بعَمْقٍ يقال لها أُمّ حقّةَ . فقالت لمعن : هذه والله خيرٌ لك منّي ، فطَلِّقْني ، وكانت قد حملتْ فدَخَلَه من ذلك وقام . ثم إنّ ليلى رحلتْ إلى مكّة حاجَّةً ومعنٌ معها . فلمّا فَرَغا من حَجِّهما انصرفا ، فلمّا حاذَيا مُنْعَرَجَ الطريق إلى عَمْقٍ قال معن : يا ليلى ، كأنّ فؤادي ينعرِجُ إلى ما هاهنا . فلو أقمتِ سَنَتَنا هذه حتّى نَحُجَّ من قابِلٍ ثم نَرْحَلِ إلى البصرة ؛ فقالت : ما أنا ببارحةٍ مكاني حتّى تَرْحَلَ معي إلى البصرة أو تطلِّقَني . فقال : أمّا إذ ذكرتِ الطلاق فأنت طالق . فمضت إلى البصرة ، ومضى إلى عَمْقٍ . فلمّا فارقته نَدِم وتَبِعَتْها نفسه ؛ فقال في ذلك : [من الطويل]

تَوَهَّمْتُ رَبْعاً بالمُعَبِّر واضحاً ... أَبَتْ قَرَّتاهُ اليومَ إلاّ تَراوُحا[4]
أَرَبَّتْ عليه رادةٌ حَضْرَمِيَّةَ ... ومُرْتَجِزٌ كأنَّ فيه المَصابِحا[5]
إذا هِيَ حَلَّتْ كَرْبَلاءَ فلَعْلَعاً ... فجَوْزَ العُذَيْبِ بعدها فالنَّوابحا[6]
وبانَتْ نَواها من نَواكَ وطاوعتْ ... معَ الشّانئين الشامتاتِ الكَواشِحا
فقُولا لليلى هل تُعَوِّضُ نادماً ... له رجعةٌ قال الطلاقَ مُمازِحا
فإنْ هِيَ قالتْ لا فقُولا لها بَلى ... أَلا تَتَّقِينَ الجارياتِ الذَّوابحا

وهي قصيدةٌ طويلة . فلمّا انصرف وليستْ ليلى معه قالت له امرأته أُمّ حِقَّةَ : ما فعلتْ ليلى ؟ قال : طَلَّقْتُها . قالت : واللهِ لو كان فيك خيرٌ ما فعلتَ ذلك ، فطَلِّقْني أنا أيضاً . فقال لها معنٌ : [من الوافر]

1 الرُّخامى : نبتة غبراء الخضرة لها زهرة بيضاء نقية ولها عرق أبيض تحفره الحمر بحوافرها .
2 السّخبر : يشبّه الثمام له جرثومه وعيدانه كالكراث في الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب أو أرق منها ، وإذا طال تدلت رؤوسه وانحنت .
3 يهرجها : يُجامعها .
4 المعبّر : موضع تلقاء الوتدات من البقيع . قَرَّتاه : الغداة والعشيّ .
5 أَرَبَّتْ : أقامت .
6 لعلع والعذيب والنوابح مواضع متقاربة بظاهر الكوفة .

أَعاذِلُ أَقْصِرِي ودَعِي بَياتي   فإنَّكِ ذاتُ لَوْماتٍ حُماتِ[1]
فإنّ الصُّبْحَ مُنْتَظَرٌ قريبٌ   وإنَّكِ بالمَلامَةِ لن تُفاتي
نأَت لَيْلى فليلى لا تُواتي   وضَنَّتْ بالمَوَدَّةِ والبَتاتِ
وَحَلَّتْ دارُها سَفَوانَ بَعْدِي   فذا قارٍ فَمُنْخَرَقَ الفُراتِ[2]
تُراعِي الرِّيفَ دانيةً عليها   ظِلالٌ ألفُّ مُخْتَلِطِ النَّباتِ
فدَعْها أو تَناوَلْها بعَنْسٍ   من العِيديِّ في قُلُص شِخاتِ[3]

وهي قصيدة طويلة . قال : وقال لأمّ حِقَّة في مُطالبتها إيّاه بالطلاق : [من الطويل]

كأنْ لم يَكُنْ يا أُمَّ حِقَّةَ قبلَ ذا   بمَيْطانَ مُصطافٌ لنا وَمَرابعُ[4]
وإذْ نحن في غُصْنِ الشَّبابِ وقد عَسا   بنا الآنَ إلاّ أَنْ يُعَوَّضَ جازِعُ[5]
فقد أنكرتْه أُمُّ حِقَّةَ حادِثاً   وأَنكرها ما شِئْتَ والوُدُّ خادعُ
ولو آذنتْنا أُمُّ حِقَّةَ إذ بنا   شبابٌ وإذ لَمّا تَرُعْنا الرَّوائِعُ
لَقُلْنا لها بيني بِلَيْلٍ حميدةً   كذاكِ بلا ذمٍّ تُؤَدَّى الصنائعُ

صوت

[من الطويل]

أَعابدُ حُيِّيتُمْ على النَّأْي عابدا   سقاكِ الإلهُ المُنْشَآتِ الرَّواعِدا
أَعابِدَ ما شمسُ النَّهارِ إذا بَدَتْ   بأَحسنَ مِمّا بين عَيْنَيْكِ عابدا

ويُروى :

أَعابِدَ ما شمسُ النّهار بدتْ لنا

ويروى :

أَعابِدُ ما الشَّمْسُ التي برزتْ لنا   بأَحسنَ مِمّا بين ثَوْبَيْك عابدا

الشعر للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب . والغناء لِعَطَرَّد ثاني ثقيلٍ بالبِنصر . وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مُجَنَّس .

1 دعي لومي في البيات . حمات : جمع حمة ، وهي السم .
2 سفوان الآن بلدة قريبة من البصرة .
3 العيدي : نسبة إلى عيد : فحل معروف تنسب إليه النجائب العيدية ، أو هو نسبة إلى رجل . الشُّخات : جمع شختة وشخت ، وهو الدقيق الضامر لا هزالاً .
4 ميطان : من جبال المدينة .
5 عسا النبات : غلظ ويبس .

[203] ـ أخبار الحسين بن عبد الله

[شعره في عابدة قبل زواجه بها]

قد تقدّم نسبُه ، وهو أشهر من أن يُعاد . ويُكنى أبا عبد الله . وكان من فِتيان بني هاشم وظُرَفائهم وشُعَرائهم . وقد روى الحديث وحُمِلَ عنه ، وله شِعرٌ صالح . وهذه الأبيات يقولها في زوجته عابدة بنت شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهي أُخت عمرو بن شُعيب الذي يُرْوى عنه الحديث . وفيها يقول قبلَ أن يتزوّجها : [من الطويل]

صوت

أَعابـدَ إنّ الحُبَّ لا شَكَّ قاتِـلي ... لئن لم تُقارِضْني هَوى النَّفسِ عابِدَهْ
أَعابِـدُ خـافي اللهَ في قَتْـلِ مُسْلِمٍ ... وجُودي عليه مَرَّةً قَطُّ واحِدَهْ
فإنْ لَم تُرِيدِي فيَّ أَجراً ولا هَوًى ... لَكُمْ غيرَ قَتْلِي يـا عُبَيْدُ فَراشِدَهْ
فكَمْ ليلةٍ قد بِتُّ أَرْعى نُجومَها ... وعَبْـدةُ لا تَـدْري بذلك راقِدَهْ

الغناء لحَكَم الواديّ ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر ، عن إسحاق .

[لا حرج إن شاء الله]

فمِمَّا حُمِلَ عنه من الحديث ما حدَّثني به أَحمد بن سَعِيد قال حدَّثني محمد بن عُبيد الله [ابن] المُنادِي قال حدَّثني يونس بن محمد قال حدَّثنا أَبو أُوَيْس عن حُسَيْن بن عبد الله بن عُبيد الله بن عبّاس عن عِكْرِمَة عن ابن عبّاس قال : مرّ النبيّ ﷺ على حسّان بن ثابت وهو في ظلّ فارِعٍ[1] وحولَه أُصحابُه وجاريته سِيرين تُغَنِّيه بمِزْهَرِها : [من مجزوء الخفيف]

هَـلْ علـيَّ وَيْحَكُما ... إنْ لَهَوْتُ مـن حَرَجِ

فضحِكَ النبيّ ﷺ ثم قال : «لا حَرَجَ إنْ شاء الله» .

وكانت أُمّ عابدة هذه عمَّةَ حسين بن عبد الله بن عبيد الله ، أُمّها عَمْرةُ بنت عُبيد الله بن العبّاس ، تزوّجها شُعيْب فولدتْ له محمداً وشُعَيباً ابنَي شُعيب وعابدة ، وكان يقال لها عابدة الحُسْن ، وعابِدة الحسناء .

[عابدة تزوجت الحسين بن عبد الله ، والتعريف به]

أَخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء والطُّوسيّ قالا حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني محمد بن

1 فارع : حصن كان لحسان بن ثابت بالمدينة .

يحيى قال : خَطَبَ عابدة بنتَ شُعَيْب بكّار بن عبد الملك وحُسَين بن عبد الله ، فامتنعتْ على بَكّار وتزوّجت الحسين . فقال له بكّار : كيف تزوّجتْك العابدةُ واختارتْكَ مع فَقْرِك ؟ فقال له الحسين : أَتُعَيِّرُنا بالفَقْرِ وقد نَحَلَنا اللهُ تعالى الكَوْثَرَ !

أُخبرني الحِرْميّ والطُّوسيّ قالا حدَّثنا الزبير بن بكّار عن عَمِّه قال : كان حسين بن عبد الله أُمُّه أُمُّ ولدٍ ، وكان يقول شيئاً من الشِّعر ، وتزوّج عابدة بنت شُعيب وولدتْ منه ، وبسببها رُدَّت على ولدِ عمرو بن العاص أموالُهم في دولة بني العبّاس . وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له ، ثم تعكّر ما بينهما ؛ فقال فيه ابن معاوية : [من مجزوء الكامل]

إنَّ ابــنَ عَمِّــكَ وابـنَ أُمِّـ ـكَ مُعلَـمٌ شاكي السِّلاحِ
يَقِصُ العَـدُوَّ وليس يَـرْ ضَى حـين يَبْطِشُ بالجِراحِ[1]
لا تَحْسَبَنَّ أَذى ابـنِ عَمِّـ ـكَ شُرْبَ أَلبـانِ اللِّقاحِ
بَـلْ كالشَّجاةِ ورا اللَّهـا ةِ إذا تُسَوَّغُ بـالقَراحِ
فـاخْتَرْ لنفسك مَـنْ يُجيـ ـبُكَ تحـتَ أَطرافِ الرِّماحِ
مَـنْ لا يـزالُ يَسُوءُهُ بالغَيْـبِ أَنْ يلحـاكَ لاحي

فقال حسين له :

أَبْرِقْ لِمَـنْ يَخْشى وأَوْ عِـدْ غيرَ قَوْمِـك بـالسِّلاحِ
لسنا نُقِـرُّ لِقائـلٍ إلاّ المُقَـرَّطَ بـالصَّلاحِ[2]

قال : ولحسين يقول ابن معاوية : [من الخفيف]

قُلْ لِذِي الوُدِّ والصَّفاءِ حُسَيْنٍ أَقْـدِرِ الـوُدَّ بينَنـا قَدَرَهْ
ليس لِلدَّابِـغِ المُحَلِّـمِ بُـدٌّ من عِتابِ الأَديمِ ذي البَشَرَهْ[3]
لستُ إنْ راغ ذو إخاءٍ ووُدٍّ عَـنْ طَرِيـقٍ بِتابِـعٍ أَثَرَهْ
بَـلْ أُقِيمُ القَناةَ والوُدَّ حتّى يَتْبَـعَ الحَـقَّ بعـدُ أَو يَذَرَهْ

[كان صديقاً لابن أبي السمح ومدحه]

أُخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم قال :

---

1 وقص : كسر .
2 المقرّط بالصلاح : الموسوم به .
3 المحلّم : الذي ينزع الحلم (وهو دود) عن الجلد . إشارة إلى المثل «إنّما يعاتب الأديم ذو البشرة» .

كان مالك بن أبي السَّمح الطائيّ المُغنّي صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس ونديماً له ، وكان يتغنّى في أشعاره . وله يقول الحسين رحمه الله تعالى : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إلاّ بمالكِ بن أبي السَّمْـ ـحِ فـلا تَلْحَنـي ولا تَلُـمِ
أَبْيَضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ الـ ـبارِقُ في حِنْدِسٍ مـن الظُّلَمِ
يُصيبُ مِـنْ لَذّةِ الكريمِ ولا يَهْتِـكُ حـقَّ الإسلامِ والحُـرَمِ
يـا رُبَّ ليـلٍ لنا كحاشيةِ الـ ـبُرْدِ ويـومٍ كـذاكَ لم يَدُمِ
قد كنتُ فيه ومالِكُ بن أبي السمـ ـحِ الكريمِ الأَخـلاقِ والشِّيَمِ
مَنْ ليس يَعْصِيك إنْ رَشَدْتَ ولا يَجْهَـلُ آيَ التَّرْخيص في اللَّمَـمِ

قال : فقال له مالك : ولا إنْ غَوَيْتَ والله بأبي [أنت] وأُمّي أَعْصِيك . قال وغنّى مالكٌ بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد ، فقال له : أخطأ حسين في صِفَتك ، إنّما كان ينبغي أن يقول : [من المنسرح]

أَحْوَلُ كالقِرْدِ أو كما يخرُج الـ ـسَّارِقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

[الحسين بن يحيى وحبّه للغناء]

[أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس إذا صلّى العصر دخل منزلَه وسَمِع الغناء عشيته . فأتاه قومٌ ذات عشيّةٍ في حاجةٍ لهم فقضاها ، ثم جلسوا يحدّثونه . فلمّا أطالوا قال لهم : أتأْذَنون ؟ فقالوا نعم . فقام في أصحاب له وهو يقول : [من الطويل]

قُومُوا بنا نُدْرِكْ من العيش لَذَّةً ولا إثمَ فيها للتَّقِيِّ ولا عارا]

صوت

[من الخفيف]

إنّ حَرْبـاً وإنّ صَخْراً أبا سُفْـ ـيانَ حـازا مَجْـداً وعِزّاً تليدا
فهُما وارِثا العُـلا عن جُدُودٍ وَرِثُوهـا آباءَهـم والجُـدودا

الشعر لفَضالة بن شَرِيكٍ الأَسديّ من قصيدةٍ يمدَح بها يزيد بن معاوية . وبعد هذين البيتين يقول :

وحَـوى إرْثَها مُعاويـةُ القَرْ مُ وأَعطى صَفْـوَ التُّراثِ يزيدا

والغناء لإبراهيم بن خالد المُعَيْطِيّ ثقيلٌ أوّل بالبِنصر عن الهشاميّ . والله أعلم .

[204] ـ أخبار فضالة بن شريك ونسبه

[نسبه]

هو فَضالة بن شريك بن سَلمان[1] بن خويلد بن سلمة بن عامرٍ موقد النار بن الحَريش بن نُمَير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان [بن أُسد] بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزارٍ . وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام . وكان له ابنان شاعران ، أحدهما عبد الله بن فَضالة الوافد على عبد الله بن الزبير والقائل له : إنّ ناقتي قد نَقِبَتْ[2] ودَبِرَتْ ؛ فقال له : ارقَعْها بجِلْدٍ واخْصِفْها بهُلْبٍ[3] وسِرْ بها البَرْدَين[4] .

[ابن فضالة يقول لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك]

فقال له : إنّي قد جئتُك مُستَحمِلاً لا مستشيراً ، فلَعَن الله ناقةً حملتني إليك . فقال له ابن الزُّبير : إنّ وراكِبَها . فانصرف من عنده وهو يقول : [من الوافر]

أَقُولُ لغِلْمَتي شُدّوا رِكابي ... أُجاوِزْ بَطْنَ مكّة في سَوادِ
فما لي حينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابنِ الكاهِلِيّةِ من مَعادِ[5]
سَيُبْعِدُ بينَنا نَصُّ المَطايا ... وتَعْلِيقُ الأَداوَي والمَزادِ[6]
وكلُّ مُعَبَّدٍ قد أعلمتْهُ ... مَناسِمُهُنَّ طَلاَّعِ النِّجادِ
أَرى الحاجاتِ عند أَبي خُبَيْبٍ ... نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ[7]
مِنَ الأَعياصِ أَو مِنْ آلِ حَرْبٍ ... أَغَرُّ كغُرَّةِ الفَرَسِ الجَوادِ

[ابنه فاتك ومدح الأقيشر له]

حدّثنا بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ . فأمّا فاتكُ ابن فضالة فكان سيِّداً جَواداً . وله يقول الأُقيشر يمدحه : [من الكامل]

1 ل : سليمان .
2 يقال : نقب البعير ، إذا حفي ورقّت أخفافه ، والدّبر : جرح يكون في ظهر الدابة .
3 الهلب : الشعر .
4 البردان : الغداة والعشي .
5 ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة . ابن الكاهلية : يريد ابن الزُّبير .
6 نص المطايا : سيرها الشديد ، الأداوي جمع إداوة وهي المطهرة . والمزاد : الأسقية ، واحدها مزادة .
7 أبو خبيب : كنية لعبد الله بن الزبير . نكدن : تعسّرن .

وَفْـد الوفودُ فكنتَ أوّلَ وافِدٍ   يا فاتِكُ بنَ فَضالةَ بن شَرِيكِ

[مرَّ فضالة بعاصم بن عمر بن الخطّاب فلم يقره فهجاه]

أخبرني بما أذكُر من أخباره هاهنا مجموعاً عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أبو سعيدٍ السُّكّريّ عن محمد بن حبيب ، وما ذكرته متفرِّقاً فأنا ذاكرٌ إسنادَه عمّن أخذتُه . قال ابن حبيب : مرّ فَضالةُ بن شريكٍ بعاصم بن عُمَر بن الخطّاب ، رضي الله تعالى عنهما ، وهو مُتَبَدٍّ بناحية المدينة ، فنزل به فلم يَقْرِه شيئاً ولم يَبعَث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ وقد عرَّفوه مكانهم ، فارتحلوا عنه . والتفت فضالةُ إلى مولًى لعاصمٍ فقال له : قُلْ له : أما واللهِ لأطَوِّقَنَّك طَوقاً لا يبلى . وقال يهجوه : [من الطويل]

أَلا أيّها الباغي القِرى لستَ واجِداً   قِراكَ إذا مـا بِتَّ في دارِ عاصمِ

إذا جئتَه تَبْغِي القِرى باتَ نائماً   بَطِينـاً وأَمسى ضَيفُـهُ غيرَ نائمِ

فـدَعْ عاصماً أُفٍّ لأَفعالِ عاصمٍ   إذا حُصِّل الأَقـوام أَهلُ المَكارِمِ

فتًـى مـن قريشٍ لا يجودُ بنائلٍ   ويَحْسَبُ أنّ البُخْـلَ ضَرْبَةُ لازِمِ

ولولا يـدُ الفاروق قَلَّدْتُ عاصماً   مُطَوَّقَـةً يُحْدى بهـا في المَواسِمِ

فليتَك من جَرْمِ بن زَبَّانَ أو بَني   فُقَيْمٍ أو النَّوكـى أَبانِ بـن دارِمِ

أُناسٌ إذا ما الضَّيْفُ حَـلَّ بُيوتَهم   غَـدا جائعـاً عَيْمانَ ليس بغانمِ[1]

[قال] : فلمّا بلغتْ أبياتُه عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أميرٌ ، فهرَب فَضالةُ بن شريك فلحق بالشام ، وعاذ بيزيدَ بن معاوية وعرَّفه ذَنْبَه وما تَخوَّف من عاصم ؛ فأعاذه ، وكتب إلى عاصمٍ يُخبره أنّ فضالةَ أتاه مستجيراً به ، وأنّه يُحِبّ أن يَهَبَه له . ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره ، ويَضْمَن له ألاّ يعود لهجائه ؛ فقَبِل ذلك عاصمٌ وشَفَّع يزيد بن معاوية . فقال فَضالة يمدح يزيد بن معاوية : [من الطويل]

إذا مـا قُرَيْشٌ فاخـرتْ بقَدِيمها   فَخَـرْتَ بمَجْـدٍ يـا يزيـدُ تَلِيدِ

بمجـدِ أمير المؤمنـين ولم يَـزَلْ   أَبـوك أَمـينُ الله غيـرَ بَلِيـدِ

بـه عَصَم اللهُ الأنـامَ من الرَّدى   وأَدركَ تَبْلاً مـن مَعاشِرَ صِيدِ[2]

ومَجْدِ أبي سُفْيان ذِي الباعِ والنَّدى   وحَرْبٍ ومـا حَرْبُ العُلا بزَهِيدِ

1 عيمان : عطشان .

2 التّبل : الثأر .

فمَنْ ذا الذي إن عدّد الناسُ مَجْدَهم ... يَجِيء بمَجْـدٍ مِثْـلِ مجدِ يزيدِ

وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصّة بعينها .

[هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال حدَّثني السُّكّريّ عن ابن حبيب قال : كان عبد الله بن الزُّبير قد وَلَّى عبد الله بن مُطِيع بن الأَسود بن نَضْلَةَ بن عبيد بن عَوِيج بن عَدِيّ بن كَعْب ، الكوفة ، فطَرَده عنها المختارُ بن أبي عُبَيد حين ظَهَر ؛ فقال فَضالة بن شَرِيكٍ يهجو ابن مُطِيع : [من الطويل]

دعـا ابنُ مُطيـعٍ لِلْبيـاعِ فجئتُه ... إلى بَيْعةٍ قلبـي بهـا غيرُ عارفِ
فقَرَّبَ لِـي خَشْناء لَمّـا لَمَستُها ... بكَفِّيَ لم تُشْبِهْ أَكُـفَّ الخَلائِفِ
مُعَـوَّدةً حَمْـلَ الهَراوِي لِقَوْمِها ... فَرُوراً إذا ما كان يـومُ التَّسايُفِ[1]
من الشَّثناتِ الكُزم أنكرتُ لَمْسَها ... وليستْ من البِيضِ السِّباطِ اللَّطائفِ
ولَمْ يُسْمِ إذْ بايعتُـهُ مِنْ خَلِيفَتِي ... ولم يَشْتَرِطْ إلاّ اشتراطَ المُجازِفِ
متى تَلْقَ أَهلَ الشأم في الخَيْلِ تَلْقَني ... على مُقْرَبٍ لا يُزْدَهى بالمَجاذِفِ[2]
مُمَـرٍّ كبُنْيانِ العِبـادِيِّ مُخْطَفٍ ... من الضَّارِياتِ بالدِّماءِ الخَواطِفِ[3]

[هجا عامر بن مسعود لأنه تسوّل في جمع صداق زوجه]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : تزوّج عامرُ بن مسعود بن أُميّة بن خَلَفٍ الجُمَحِيّ امرأةً من بني نَصْر بن معاوية ، وسأل في صَداقها بالكوفة ، فكان يأخذ من كلّ رجلٍ سأله دِرهَمين درهمين . فقال له فَضالة بن شريكٍ يهجوه بقوله : [من البسيط]

أَنْكَحْتُمُ يـا بنـي نَصرٍ فَتاتَكُمُ ... وَجْهاً يَشِينُ وُجوهَ الرَّبْرَبِ العِينِ
أَنكحتُمُ لا فَتـى دُنْيا يُعاشُ به ... ولا شُجاعاً إذا انْشَقَّتْ عَصا الدِّينِ
قـد كنتُ أَرجو أَبا حَفْصٍ وسُنَّتَهُ ... حتَّـى نَكَحْتَ بأرزاقِ المَساكينِ

[هجا رجلاً من بني سليم خان الأمانة]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : أَوْدَع فضالةُ بن شَرِيكٍ رجلاً من بني سُلَيْمٍ يقال له قيس ناقةً ، فخرج في سفرٍ ، فلمّا عاد طَلَبها منه ، فذكر أنها سُرِقتْ . فقال

1 التّسايف : التضارب بالسيوف .
2 المقرّب من الخيل : الذي يقرب مربطه ومعلفه لكرامته . ولا يزدهى : لا يستخفّ .
3 مُمَرّ : موثق الخلق . العباديون : نصارى الحيرة . ضرى بالشيء : لهج به وأغرم .

[فيـه] : [من المتقارب]

وَلَــوْ أَنَّني يومَ بَطْنِ العَقيقِ ذَكرتُ وذو اللُّبِّ يَنْسى كَثِيرا
مُصابَ سُلَيْمٍ لِقــاحَ النَبِـيِّ لَمْ أُودِعِ الدَّهْرَ فيهمْ بَعِيرا[1]
وقـد فــاتَ قَيْسٌ بِعَيْرانـةٍ إذا الظِّلُّ كان مَـداهُ قصيرا
مِنَ اللاَّعِبـاتِ بِفَضْلِ الزِّمامِ إذا أَقلقَ السَّيْرُ فيهِ الضُّفُورا[2]
ومَنْ يَبْكِ منكمْ بَني مُوقِدٍ ولَم يَرَهُمْ يَبْكِ شَجْواً كَبيرا
هُـمُ العاسِفُونَ صِلابُ القَنا إذا الخَيْلُ كانتْ من الطَّعْنِ زُورا[3]
وأَيْسارُ لُقْمــانَ إذْ أَمْحِلُوا وعِـزٌّ لِمَنْ جاءَهم مُسْتَجيرا[4]
فإنْ أنـا لم يُقْضَ لِـي أَلْقَهُمْ قَـرأْتُ السَّلاَمَ عليهمْ كَثيرا

[عود إلى شعر في ذم ابن الزبير قيل إنّه لفضالة]

وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أنّ القصيدة التي ذَكَرتُها عن المدائنيّ في خبر عبد الله بن فَضالةَ بن شَريكٍ مع ابن الزبير كانت مع فَضالة وابنِ الزبير لا مع ابنه ، وذَكَر الأَبيات وزاد فيها : [من الوافر]

شَكوتُ إليه أنْ نَقِبتْ قَلُوصِي فَـرَدَّ جـوابَ مَشْدودِ الصِّفادِ[5]
يَضِنُّ بناقَــةٍ ويــرومُ مُلْكـاً مُحـالٌ ذلِكـمْ غَيْــرُ السَّدادِ
وَلِيــتَ إمــارةً فَبَخِلْتَ لَمّــا وَلِيتَهـــمُ بمُلْـــكٍ مُسْتَفـادِ
فــإنْ وَلِيَــتْ أُمَيّــةُ أَبْدَلُوكُمْ بِكُــلِّ سَمَيْــدَعٍ واري الزِّنادِ
من الأَعْياص أَوْ مِـنْ آل حَرْبٍ أَغَــرَّ كغُــرّةِ الفَـرَسِ الجَوادِ
إذا لَــمْ أَلْقَهُـم بمنًـى فإنِّـي بِبَيْتٍ لا يَهَشّ لَــه فــؤادي
سَيُدْنِينــي لَهُــمْ نَصُّ المَطايـا وتعليــقُ الأَداوى والمَـــزادِ
وظَهْــرُ مُعَبَّــدٍ قـــد أَعْمَلَتْهُ مَناسِمُهُـــنّ طَــلاّعِ النِّجادِ

1 اللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحدتها لقوح ولقحة .
2 الضفور : جمع ضَفر ما يشد به البعير من الشعر المضفور .
3 زور : مائلات ، واحدها أزور وزوراء .
4 أيسار : أصحاب القداح المجتمعون على الميسر ، الواحد يسر .
5 الصفاد : ما يوثق به الأسير من قدّ أو قيد .

رَعَيْنَ الحَمْضَ حَمْضَ خُناصِراتٍ وما بالعِرْقِ من سَبَلِ الغَوادِي[1]
فهُنّ خَواضِعُ الأَبدانِ قُودٌ كأنَّ رؤوسَهُنَّ قبورُ عادِ[2]
كأنّ مَواقِعَ الغِرْبانِ منها مَناراتٌ بُنِينَ على عِمادِ[3]

[طلب عبد الملك فضالة فوجده قد مات فأكرم أهله]

[قال] : فلمّا وَلِي عبدُ الملك بعث إلى فَضالةَ يطلبُه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وِقْرَها بُرّاً وتمْراً . [قال] : والكاهلية التي ذكرها زُهْرةُ بنتُ خَنْثَرٍ امرأةٌ من بني كاهِلِ بن أَسَدٍ ، وهي أُمٌّ خُوَيْلد بن أَسَدِ بن عبد العزّى .

صوت

[من الطويل]

لقَدْ طالَ عَهْدِي بالإمامِ محمدٍ وما كنتُ أخشى أن يطولَ به عهدي
فأصبحتُ ذا بُعْدٍ وداري قريبةٌ فَواعَجَبا من قُرْبِ داري ومن بُعْدِي
فيا ليتَ أنّ العِيدَ لي عاد يَوْمُهُ فإنّي رأيت العِيدَ وَجْهَك لي يُبْدِي
رأيتُك في بُرْدِ النبيّ محمدٍ كبَدْر الدُّجى بين العِمامةِ والبُرْدِ

الشعر لأبي السِّمْط مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة . والغناء لِبُنانٍ خفيفُ رملٍ مطلق ابتداؤه نشيد . وذكر الصُّوليّ أنّ هذا الشعر ليحيى بن مروان . وهذا غلط قبيح .

1 خناصرات : خناصرة من أعمال حلب تحاذي قنسرين .
2 قود : جمع أقود وقوداء . والقود : طول الظهر والعنق .
3 الغرابان من الفرس والبعير : حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب . والغراب أيضاً : قذال الرأس .

[205] ـ أخبار مروان الأصغر

[كان أهله شعراء]

قد مرّ نسبه في نسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتقدِّما . وكان مروان هذا آخرَ مَنْ بَقِي منهم يُعَدّ في الشعراء ، وبقي بعده منهم مُتَوَّجٌ . وكان ساقطاً بارد الشِّعر . فذُكِر لي عن أبي هِفَّان أنّه قال : شِعْرُ آل أبي حَفصة بمنزلة الماء الحارّ . ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تَلِين حرارته ، ثم يفتُر ثم يَبْرُد ، وكذا كانت أشعارهم ، إلاّ أنّ ذلك الماء لمّا انتهى إلى مُتَوَّج جَمَد .

وهذا الشعر يقوله مروان في المنتصر ، وكان قد أقصاه وجفاه ، وأظهر خِلافاً لأبيه في سائر مَذاهبه حتى في التشيُّع ، فطَرَد مروانَ لِنَصْبه ، وأخرجه عن جُلسائه . فقال هذه الأبياتَ وسأل بُنانَ بن عمرو فغنّى فيها المنتصرَ ليستعطفه . وخبرُه في ذلك يُذْكَر في هذا الموضع من الكتاب . إن شاء الله .

[مدح المتوكّل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة]

أَخبرني عمِّي وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني حمّاد بن أحمد بن سليمان الكلبيّ قال حدَّثني أبو السِّمْط مروان الأصغر قال : لمّا دخلتُ إلى المتوكّل مدحتُه ومدحتُ وُلاةَ العُهود الثلاثة ، وأنشدته : [من الطويل]

سَقى الله نَجْداً والسلامُ على نَجْدِ ... ويا حَبَّذا نجدٌ على النَّأْي والبُعْدِ
نظـرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها ... لَعَلِّي أَرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ
ونجدٌ بهـا قـومٌ هَواهُمْ زِيارتي ... ولا شيءَ أحلى من زِيارتهمْ عندي

قال : فلمّا فرغتُ منها أمر لي بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظَّهْر فَرَسٍ وبَغْلةٍ وحِمارٍ ، ولم أبرَحْ حتّى قلتُ قصيدتي التي أشكره فيها وأقول : [من الطويل]

تَخَيَّرَ ربُّ النّـاسِ للنّاس جعفرا ... ومَلَّكَـه أَمْـرَ العِبـادِ تَخيُّرا

فلمّا صرتُ إلى هذا البيت : [من الطويل]

فأَمْسِكْ نَدى كَفَّيْكَ عنّي ولا تزِد ... فقد كِدْتُ أنْ أَطغى وأَنْ أَتَجَبَّرا

قال لي : لا والله لا أُمسِكُ حتّى أُغَرِّقَك بجُودي .

وحدّثني عمّي بهذا الخبر قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثني حماد بن أحمد بن يحيى قال حدَّثني مَروان بن أبي الجَنُوب ، فذكر مثلَ هذا الخبر سواء ، وقال بعد قوله : «لا والله لا أمسك حتّى أُغرّقك» : سَلْني حاجتك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الضيعة التي أمرتَ أنْ أقْطَعَها باليمامة ، ذكر ابن المُدبِّر أنّها وَقْفُ المعتصم على وَلَده ، فقال : قد قَبَّلْتُك[1] إيّاها مائة سنةٍ بمائة درهمٍ . فقلتُ : لا يحسُن أن تُضْمَنَ ضيعةٌ بدرهمٍ في السنة . فقال ابن المدبِّر : فبألفِ درهم في كلّ سنة . فقلت نعم . فأمر ابنَ المدبِّر أن يُنْفذَ ذلك لي ، وقال : ليستْ هذه حاجةً ، هذه قَبالةٌ ، فسَلْني حاجتَك . فقلتُ : ضيعة يقال لها السُّيُوح أمر الواثق بإقطاعي إيّاها ، فمَنَعنيها ابن الزيّات ؛ فأمر بإمضاء الإقطاع لي .

[هجاء علي بن الجهم في حضرة المتوكل فغلبه]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كان عليّ بن الجَهْم يَطعن على مروان بن أبي الجنوب ويَثْلُبُه حسداً له على موضعه من المتوكِّل . فقال له المتوكِّل [يوماً] : يا عليّ ، أيّما أشعرُ أنتَ أو مروان ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فأقبل على مروان فقال له : قد سمعتَ ، فما عندك ؟ قال : كلُّ أحدٍ أشعرُ منّي يا أمير المؤمنين ، وما أصِفُ نفسي ولا أُزَكّيها . وإذا رَضِيني أميرُ المؤمنين فما أُبالي مَن زَيَّفني . فقال له : قد صَدَّقْتُك ، عليٌّ يزعمُ سرّاً وجهراً أنّه أشعرُ منك . فالتفت إليه مروان فقال له : يا عليّ ! أأنتَ أشعرُ منّي ؟ فقال : أوَتَشُكُّ في ذاك ؟ قال : نعم ؛ أشُكُّ وأشُكُّ ، وهذا أميرُ المؤمنين بيننا . فقال له عليّ : إنّ أمير المؤمنين يُحابيك . فقال المتوكّل : هذا عيٌّ منك يا عليّ ؛ ثم قال لابن حَمدون : احْكمْ بينهما . فقال : طَرَحْتني والله يا أمير المؤمنين بين أنيابِ ومخالبِ أسَدَيْنِ . قال : واللهِ لَتحكمنّ بينهما . فقال له : أمّا إذْ حلفتَ يا أمير المؤمنين فأشعرُهما عندي أعْرَفُهما في الشِّعْر . فقال له المتوكّل : قد سمعتَ يا عليّ . قال : قد عَرَف مَيْلَك إليه فمال معه . فقال : دَعْنا منك ، هذا كلُّه عيٌّ ، فإن كنتَ صادقاً فاهْجُ مروانَ . قال : [قد] سَكرتُ ولا فضلَ فيّ . فقال المتوكّل لمروان : اهْجُه أنت ، وبحياتي لا تُبْقِ غايةً . فقال مروان : [من الطويل]

إن ابن جَهْمٍ في المَغيبِ يَعِيبُني ويقول لي حَسَناً إذا لاقاني
صَغُرتْ مَهابتُه وعُظِّمَ بَطنُه فكأنّما في بطنِهِ وَلَدانِ
وَيْحَ ابنِ جَهْمٍ ليس يَرْحَم أُمَّهُ لو كان يرحَمها لَما عاداني
فإذا التقينا ناك شِعْري شِعْرَه ونَزا على شَيطانه شيطاني

---

1 قبلتك إياها أي ضمنتها لك والتزمت بذلك .

قال : فضحِك المتوكّل والجلساءُ منه ، وانخزل[1] ابن الجهم ، فلم يكن عنده أكثر من أن قال : جَمَع حِيلةَ الرِّجالِ وحيلةَ النساء . فقال له المتوكّل : هذا أيضاً من عِيِّك وبَرْدِك ، إن كان عندك شيءٌ فَهاته ؛ فلم يأتِ بشيء . فقال لمروان : بحياتي إنْ حَضَرك شيء فهاته ، ولا تُقَصِّرْ في شَتْمك . فقال مروان : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بن بَدْرٍ بشاعرٍ   وهذا عليٌّ بعده يَدّعي الشِّعْرا
ولكن أبي قد كان جاراً لأُمِّه   فلمّا ادّعى الأشعارَ أوهمني أمْرا

قال : فضحك [المتوكل] وقال : زِدْه بحياتي . فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

يا ابنَ بَدْرٍ يا عَلِيَّهْ   قُلْتِ إنّي قُرَشِيَّهْ
قلتِ ما ليس بحقٍّ   فاسْكُتي يا نَبَطِيَّهْ
أُسْكُتي يا بنتَ جَهْمٍ   أُسْكُتي يا حَلَقِيَّهْ[2]

فأخذ عَبّادةُ هذه الأبيات فغنّاها على الطَّبْل وجاوبه مَن كان يغنّي ، والمتوكلُ يضحَك ويضرب بيديه ورجليه ، وعليٌّ مُطْرِقٌ كأنّه ميِّت ، ثم قال : عليٌّ بالدواة فأتِيَ بها ، فكتب : [من الوافر]

بَلاءٌ ليس يُشْبِهُهُ بَلاءٌ   عَداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودِينِ
يُبيحُكَ منه عِرْضاً لم يَصُنْهُ   ويرتَع منك في عِرْضٍ مَصُونِ

[قال عليّ بن الجهم شعراً في حبسه ، فعارضه فلم يطلقوه]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدّثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدَّثني محمد بن السِّرِيّ قال : لّما مدح عليُّ بن الجَهْم وهو محبوسٌ المتوكّل بقوله : [من الوافر]

تَوَكَّلْنا على رَبٍّ السماء   وسلمنا لأسباب القضاء

وذكرَ فيها جميع النُّدَماء وسَبَعَهم[3] وهجاهم ، انتدب له مروان بن أبي الجنوب فعارضه فيها ، وقد كان المتوكّل رقّ له ، فلمّا أنشده مروان هذه القصيدة اعْتَوَرَتْه ألْسِنة الجلساء فثَلَبُوه واغتابوه وضربوا عليه ، فتركه في مَحبِسِه . والقصيدة : [من الوافر]

أَلَم تَعْلَم بأنّك يا ابنَ جَهْمٍ   دَعِيٌّ في أُناسٍ أدعياء

1 انخزل في كلامه : انقطع .
2 نسبة إلى داء الحلاق وهي ألاّ تشبع الأتان من السِّفاد .
3 سبعه : شتمه ووقع فيه .

أعبدَ الله تهجو وابنَ عَمْرٍ وبَخْتيَشُوعَ أصحابَ الوفاء
هجوتَ الأكرمين وأنت كلبٌ حقيقٌ بالشَّتيمةِ والهِجاء
أتَرْمي بالزناء بني حَلالٍ وأنت زَنيمُ أولادِ الزِّناء
أسامةُ من جُدُودِك يا ابنَ جَهْمٍ ! كذبتَ وما بذلك من خَفاء

[قال في المعتصم شعراً بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا الحسين بن يحيى قال حدَّثني إبراهيم بن الحسن قال : لمّا كان من أمر العبّاس بن المأمون وعُجَيف ما كان ، أنشد مروان بن أبي الجَنوب المعتصم قصيدةً أوّلها : [من الوافر]

ألا يا دولةَ المَعْصُومِ دُومي فإنَّك قُلْت للدُّنْيا استقيمي

فلمّا بلغ إلى قوله :

هَوى العَبّاسُ حين أراد غَدْراً فوافى إذ هوى قَعْرَ الجحيمِ
كذاك هَوى كمَهْواهُ عُجَيْفٌ فأصبحَ في سَواء لَظى الحَميمِ

[قال المعتصم : أبعده الله !]

[مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثنا أبو العيناء قال : دخل مروان الأصغرُ بن أبي الجَنوبِ على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إيّاها ، فجعل أشْناس يُحرِّك رأسَه ويومىء بيديه ويُظهر طرباً وسروراً ، وأمر له بصِلَةٍ . فلمّا خرج قال له كاتبه : رأيتُ الأميرَ قد طَرِب وحرّك رأسَه ويديه لِما كان يسمَعه ، فقد فَهِمَه ؟ قال نعم . قال : فأيَّ شيء كان يقول ؟ قال : ما زال يقول عليّ رُقيةَ الخُبْزِ حتّى حَصَّل ما أراد وانصرف .

[هجا علي بن يحيى المنجم فردّ عليه]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كان المتوكِّلُ يُعابِثُني كثيراً ، فقال في يومٍ من الأيّام لمروان بن أبي الجنوب : أهْجُ عليّ بن يحيى ؛ فقال مروان : [من الطويل]

ألا إنّ يحيى لا يُقاسُ إلى أبي وعِرْضُ ابن يحيى لا يُقاسُ إلى عِرْضي

وهي أبيات تركتُ ذكرَها صيانةً لعليّ بن يحيى . قال : فأجبتُه عنها فقلتُ : [من الطويل]

صدقتَ لَعَمْرِي ما يقاسُ إلى أبي أبوك ، ومَن قاس الشَّواهِقَ بالخَفْضِ
وهَلْ لك عِرْضٌ طاهرٌ فتَقِيسُه إذا قِيسَتِ الأعراضُ يوماً إلى عِرْضي

ألستُمْ مَــوالي لِلَّعِــينِ ورَهْطِــهِ أُعادِي بني العَبَّاسِ ذي الحَسَبِ المَحْضِ
تُوالُــونَ مَــنْ عادى النبيَّ ورَهْطَهُ فتَرْمُونَ مَنْ والى أُولي الفَضْلِ بالرَّفْضِ
وليس عجيباً أنْ أرى لــك مُبْغِضاً لأنَّكَ أهــلٌ للعَــداوةِ والبُغْضِ

[نقد أبو العنبس الصيمري شعراً له فتهاجرا]

حدَّثني جحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال: أنشد مروان بن أبي الجَنوب المتوكّل ذات يومٍ: [من الكامل]

إنِّي نــزلتُ بساحة المُتَوكِّلِ ونزلتَ في أقصى دِيارِ المَوْصِلِ

فقال له بعض مَنْ حَضَر: فكيف الاتِّصالُ بين هؤلاء والمُراسلة؟ فقال أبو العَنْبَس الصَّيْمَرِيّ: كان له حَمامٌ[1] هُدًى يبعث بها إليه من الموصل حتّى يُكاتبه على أجنحتها. فضحِك المتوكِّلُ حتى استلقى، وخَجِل مروان وحَلَف بالطلاق لا يكلِّم أبا العَنْبَس أبداً، فماتا متهاجِرَيْن. كذا أكبرُ حفظي أنّ جحظة حدَّثني به عن عليّ بن يحيى؛ فإنِّي كتبتُه عن حِفْظي.

[أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة، فقال عليّ بن الجهم إن بعضها منتحل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني إبراهيم بن المُدَبِّر قال قرأتُ في كتاب قديم: قال عوف بن مُحَلِّم لعبد الله بن طاهر في عِلّةٍ اعتلَّها: [من الطويل]

فإنْ تَكُ حُمَّى الرِّبْعِ شَفَّكَ وِرْدُها فعُقْباكَ منها أن يطولَ لك العُمْرُ[2]
وَقَيْناكَ لو نُعْطى المُنى فيك والهَوى لكان بِنا الشَّكْوى وكان لك الأَجْرُ

قال: ثم حُمَّ المتوكِّلُ حُمَّى الرِّبع، فدخل عليه مروان بن أبي الجَنوب بن مروان بن أبي حَفصةَ، فأنشده قصيدةً له على هذا الرَّوِيِّ، وأدخل البيتين فيها، فسُرَّ بها المتوكّل. فقال له عليّ بن الجّهْم: يا أمير المؤمنين، هذا شعرٌ مَقُولٌ، والتفتَ إليّ وقال: هذا يعلَم. فالتفتَ إليّ [المتوكِّل] وقال: أتعْرِفه؟ فقلتُ: ما سمعتُه قبلِ اليوم. فشَتَم عليَّ بن الجَهْمِ وقال له: هذا من حَسَدك وشَرِّك وكَذِبك. فلمّا خرجنا قال عليّ بن الجَهْم: وَيحك؟ مالكَ قد جُنِنْتَ؟ أما تعرف هذا الشعرَ؟ قلتُ: بلى؛ وأنشدتُه إيّاه. فلمّا عدتُ إلى المتوكّل من غدٍ قال له: يا أمير المؤمنين، قدِ اعترف لي بالشّعر وأنشدَنيه. فقال لي: أكذاك هو؟ فقلتُ: كَذَب [يا أمير المؤمنين]! ما سمعتُ به قطُّ، فازداد عليه غيظاً وله شتماً. فلمّا خرجنا قال لي: ما في الأرض

1 الحمام الهداء: ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان.

2 حمّى الربع: التي تنوب في اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده في اليوم الرابع.

شَرٌّ منك . فقلتُ له : أنت أَحمقُ ، تريد منّي أَن أَجيء إلى شِعْرٍ قد قاله فيه شاعرٌ يُحِبُّه ويُعْجِبه شعرُه فأَقول له : إنّي أَعرفه فأُوقِع نفسي وعِرْضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده ، ويَسقط ذاك ويُبْغِضَني أَنا !

صوت

[من مجزوء الرمل]

ما لإبراهيمَ في العِلْـ ـمِ بهذا الشَّأنِ ثانِ
إنَّما عُمْرُ أبي إسْـ ـحاقَ زَيْنٌ لِلزَّمانِ
فإذا غَنَّى أَبو آسْحا قَ أَجابتْهُ المَثاني
منه يُجْنى ثَمَرُ اللَّهْـ ـوِ ورَيْحانُ الجِنانِ
جَنَّةُ الدُّنْيا أَبو إسـ ـحاقَ في كلِّ مكانِ

عَروضه من الرمل . الشِّعْرُ لابن سَيابة . والغناء لإبراهيم المَوْصِلِيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ابنه .

[206] ـ أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه

[جدّه حجام وهو لا نباهة له ولا شعر]

إبراهيم بن سَيابَة مولى بني هاشم . وكان يقال : إنّ جَدَّه حَجَّام أعتقه بعض الهاشميين . وهو من مُقارَبي شُعَراء وقتِه ، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف ، وإنّما كان يميل بمودّته ومَدْحِه إلى إبراهيم المَوصِليّ وابنِه إسحاق ، فغنَّيا في شعره ورفعا منه ، وكانا يذكُرانه للخُلفاء والوزراء ويُذَكِّرانهم بـه إذا غنَّيا في شعـره ، فينفَعانِـه بذلك . وكان خليعاً ماجناً . طَيِّبَ النادرة ، وكان يُرْمى بالأُبنة .

[يعشق جارية سوداء فلامه أهله]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدَّثني أبو زائدة عن جعفر بن زيادٍ قال : عَشِقَ ابنُ سَيابة جاريةً سوداء ، فلامه أهلُه على ذلك وعاتبوه ؛ فقال : [من الوافر]

يكونُ الخالُ في وجـهٍ قَبيحٍ فيكسُوه المَلاحـةَ والجَمالا
فكيف يُلامُ معشوقٌ على مَـنْ يراهـا كلُّهـا في العـينِ خالا

[قصته مع ابن سوّار القاضي ودايته رُحاص]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لَقِي[1] إبراهيم بن سَيابة وهو سكرانُ ابناً لسَوّار بن عبد الله القاضي أَمْرَدَ ، فعانقه وقبَّله ، وكانت معه دايةٌ يقال لها رُحاص ، فقيل لها : إنّه لم يُقَبِّلْه تقبيلَ السلام ، إنّما قبَّله قُبْلَةَ شَهْوةٍ . فلَحِقَتْه الدّاية فشتمته وأسمعَته كلَّ ما يكره ، وهَجَره الغلام بعد ذلك . فقال له : [من المجتث]

قُلْ لِلَّذي ليس لِي مِنْ يَـدَيْ هَـواهُ خَلاصُ
أَأَن لثَمْتُـكَ سِرّاً فأبصرتْـي رُحـاصُ
وقـال في ذاك قـومٌ على انْتقاصي حِـراصُ
هَجَرْتَنـي وأتتنـي شَتيمـةٌ وانتقـاصُ
فَهـاكَ فاقْتَـصَّ مِنّـي إنّ الجُـروحَ قِصاصُ

1 ل : أتي .

ويُروى أنّ رُحاصَ هذه مغنّية كان الغلام يُحِبُّها ، وأنّه سَكِرَ ونام ؛ فقبّله ابن سَيابة . فلمّا انتبه قال للجارية : ليت شِعْري ما كان خَبَرُكِ مع ابن سَيابة ؟ فقالت له : سَلْ عن خبرك أنت معه ، وحدّثته بالقِصَّة ؛ فهجره الغلام ؛ فقال هذا الشعر .

[جوابه لَمن عاتبه على مجونه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا علي بن الصَّبّاح قال : عاتَبْنا ابن سَيابة على مجونه ، فقال : وَيلكم ؛ لأَنْ أَلقى الله تبارك وتعالى بذلّ المعاصي فيَرْحَمَني ، أَحَبُّ إليّ من أَنْ أَلقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي فيَمْقُتَني .

قال : ورأيتُ ابن سَيابة يوماً وهو سكرانُ وقد حُمِل في طَبَقٍ يَعْبُرون به على الجسر ، فسألهم إنسانٌ ما هذا ؟ فرفع رأسه من الطبق وقال : هذا بقيّةٌ ممّا تَرَكَ آلُ موسى وآلُ هارون تَحمِله الملائكة يا كِشْخان[1] .

[ولع به أبو الحارث جُمَّين حتى أخجله فهجاه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا أبو الشِّبْل البُرْجُميّ قال : وَلِع [يوماً] أبو الحارث جُمَّيْن بابن سَيابة حتى أَخجلَه . فقال عند ذلك ابن سيابة يهجوه :

بَنى أبو الحارثِ الجُمَّيْنِ في وَسَطٍ ... مِن ظَهْرِهِ وقَريباً من ذِراعَيْنِ
دَيْراً لِقَسٍّ إذا ما جاء يدخلُه ... أَلقى على بابِ دَيْرِ القَسِّ خُرْجَيْنِ
يعدو على بَطْنِهِ شَدّاً على عَجَلٍ ... لا ذو يَدَيْنِ ولا يمشي برجلينِ

[جوابه لمن اقترض منه فاعتذر]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إبراهيم تِينةٌ قال : كَتَبَ ابن سيابة إلى صديقٍ له يقترض منه شيئاً ؛ فكتب إليه يعتذر له ويحلِف أنّه ليس عنده ما سأله . فكتب إليه : «إن كنتَ كاذباً فَجَعَلَكَ اللهُ صادقاً ، وإن كنتَ ملوماً فجعلَكَ الله معذوراً» .

[ضرط في جماعة فكلم استه]

أخبرني محمد بن أبي الأزهَر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان ابنُ سيابة الشاعر عندنا يوماً مع جماعةٍ نتحدّث ونتناشد وهو يُنشِدنا شيئاً من شِعره ، فتحرّك فضَرَط ، فضرب بيده على استِه غير مكترثٍ ، ثم قال : إمّا أنْ تسكُتي حتّى أتكلّم ، وإمّا أن تتكلّمي حتى أسكُتَ .

1 الكشخان : الديوث .

[غلام يريد أن يتعلم الزندقة]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب قال حدَّثني أبو هِفّان قال : غَمَزَ ابن سيابة غلاماً أَمْرَدَ ذاتَ يومٍ فأجابه ، ومضى به إلى منزله ، فأكلا وجَلَسا يَشرَبان . فقال له الغلام : أنت ابن سيابة الزِّنديق ؟ قال نعم . قال : أُحِبُّ أن تُعَلِّمني الزندقة . قال : أفعَلُ وكرامةً . ثم بَطَحه على وجهه ، فلمّا تَمَكّن منه أدخل عليه ؛ فصاح الغلامُ أَوَّهْ ! أَيْشٍ هذا ويحك ! قال سألتَني أنْ أُعَلِّمَك الزندقة ، وهذا أوّل بابٍ من شرائعها .

[المصيبة العظمى في فقد الدقيق]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبِيُّ قال حدَّثني مُحْرِز بن جعفر الكاتب قال : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كانت في جيرانك جِنازة وليس في بيتك دقيقٌ فلا تحضُر الجنازة ، فإنّ المصيبة عندك أكبرُ منها عند القوم ، وبيتك أَوْلى بالمأتم من بيتهم .

[سخط عليه الفضل بن الربيع ، فاستعطفه فرضي عنه ووصله]

أخبرني جعفر بن قُدامةَ ومحمد بن مَزْيَدٍ قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سَخِط الفضلُ بن الربيع على ابن سيابة ، فسألته أن يرضى عنه فامتنع . فكَتَبَ إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها : [من الكامل]

إنْ كان جُرْمِي قد أحاطَ بحُرْمتي ... فأَحِطْ بجُرْمي عَفوَك المأمولا
فكَمِ ارتَجَيْتُكَ في التي لا يُرْتَجى ... في مِثْلِها أَحدٌ فنِلْتُ السُّولا[1]
وَضَلَلْتُ عنك فلم أَجِدْ لي مَذْهَباً ... ووجدتُ حِلْمَكَ لي عليك دليلا
هَبْنِي أَسأتُ وما أَسأتُ أُقِرُّ كَيْ ... يزدادَ عَفْوُك بعد طَوْلِكَ طُولا[2]
فالعَفْوُ أَجْمَلُ والتَّفَضُّلُ بامرئٍ ... لم يَعْدَمِ الرَّاجون منه جميلا

فلمّا قرأها الفضلُ دَمَعتْ عيناه ورضِي عن ابن سيابة ، وأَوْصَلَه إليه وأَمَر له بعشرة آلاف درهم .

[حواره المقذع مع بشار]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا الحسن بن الفضل قال سمعتُ ابنَ عائشةَ يقول : جاء إبراهيم بن سَيابة إلى بَشّار فقال له : ما رأيتُ أعمى قَطُّ إلاّ وقد عُوِّض من بصره إمّا الحِفْظَ والذَّكاءَ وإمّا حُسنَ الصوت ، فأيَّ شيء

---

1 السؤل والسؤلة : ما سألته ويترك همزهما .
2 الطَول : الفضل .

عُوِّضْتَ [أنت] ؟ قال : ألاَّ أرى ثقيلاً مثلَك ، ثم قال له : مَن أنتَ ويحَك ؟ قال : إبراهيم بن سيابة . فتضاحَكَ ثم قال : لو نُكِحَ الأسدُ في استِه لذلَّ . وكان إبراهيم يُرمى بذلك . ثم تمثَّل بَشَّار : [من مجزوء البسيط]

لـو نُكِحَ اللَّيْثُ في استِهِ خَضَعا ومـات جوعـاً ولَم يَنَلْ شِبَعا
كذلـك السيفُ عنـد هِزَّتِـهِ لـو بَصَقَ النَّاسُ فيـه مـا قَطَعا

[نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عبد الله بن أبي نصر المَرْوَزيّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدَّثني سليمان بن يحيى بن مُعاذ قال : قدِم إبراهيم بن سيابة نَيْسابور فأنزلتُه عليَّ ؛ فجاءني ليلةً من الليالي وهو مُهْرِبٌ[1] ، فجعل يصيح بي : يا أبا أيُّوب . فخَشِيتُ أن يكون قد غَشِيَه شيءٌ يؤذِيه ، فقلتُ : ما تشاء ؟ فقال : [من مخلع البسيط]

أعْياني الشَّادِنُ الرَّبِيبُ

فقلتُ بماذا ؟ فقال :

أَكتُبُ أَشكو فلا يُجِيبُ

قال فقلتُ له : داره وداوه ؛ فقال : [من مخلع البسيط]

مِنْ أينَ أبْغي شِفاءَ ما بي وإنّمـا دائـيَ الطَّبِيبُ

فقلت : لا دواءَ إذاً إلاّ أن يُفَرِّجَ اللّهُ تعالى . فقال :

يا رَبِّ فَرِّجْ إذاً وعَجِّلْ فإنَّـكَ السَّامِعُ المُجِيبُ

ثم انصرف .

في هذا الشعر رملٌ طُنْبوريٌّ لجحظة .

[من قصيدة أخت الوليد بن طريف في رثائه]

صوت

[من الطويل]

أيـا شَجَرَ الخابـورِ مالَكَ مُورِقاً كأنَّكَ لم تحـزَنْ على ابن طَرِيفِ

1 أهرب فهو مهرب : جدّ في السير مذعوراً .

فَتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاَّ من التُّقى ولا المَالَ إلاّ من قَنًا وسُيُوفِ

الشعر لأُخت الوليد بن طَرِيفٍ الشاريّ . والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، من رواية ابنه عُبيد الله عنه . وأوّلُ هذه الأبيات كما أُنشدنا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن أُحمد بن يحيى ثعلب : [من الطويل]

بتَلِّ نُباثا رَسْمُ قَبْرٍ كأنَّه على عَلَمٍ فوق الجبالِ مُنِيفِ
تَضَمَّنَ جُوداً حاتميّاً ونائِلاً وسَوْرَةَ مِقْدامٍ وقَلْبَ حَصِيفِ
أَلا قاتلَ اللهُ الجُثا حيث أُضمرتْ فتًى كان بالمعروفِ غيرَ عَفِيفِ
فإنْ يَكُ أَرْداهُ يَزِيدُ بنُ مَزْيَدٍ فيا رُبَّ خيلٍ فَضَّها وصُفُوفِ
أَلا يا لَقَوْمٍ للنَّوائبِ والرَّدى ودَهْرٍ مِلِحٍّ بالكرام عَنيفِ
ولِلْبَدْرِ من بين الكواكِبِ إذْ هوى ولِلْشَّمْسِ هَمَّتْ بعدَه بكُسوفِ
أَيا شجرَ الخابورِ ما لَكَ مُورِقاً كأَنَّكَ لم تَحزَنْ على ابنِ طَرِيفِ
فتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاّ مِنَ التُّقى ولا المَالَ إلاّ من قَناً وسيوفِ
ولا الخَيْلَ إلاَّ كُلَّ جَرْداءَ شَطْبَةٍ وكلَّ حِصان باليدين غَرُوفِ[1]
فلا تَجْزَعا يا ابنَيْ طَرِيفٍ فإنّني أَرى المَوتَ نَزَّالاً بكلِّ شريفِ
فَقَدْناكَ فِقْدانَ الرَّبِيعِ وليتَنا فَدَيْناكَ من دَهْمائنا بأُلوفِ

وهذه الأبيات تقولها أُخت الوليد بن طريفٍ تَرثيه ، وكان يزيد بن مَزْيَدٍ قتلَه .

1 الغروف من الخيل : التي تغرف الجري غرفاً فتنهب الأرض نهباً في سرعتها .

207 ـ [خبر مقتل الوليد بن طريف]

[ذكر الخبر في ذلك]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد عن عمّه عن جماعة من الرُّواة قال : كان الوليد بن طَرِيفٍ الشَّيبانيّ رأسَ الخوارج وأشدَّهم بأساً وصَوْلةً وأشجعهم ؛ فكان مَن بالشَّماسيّة[1] لا يأمَنُ طُروقَه [إيّاه] ، واشتدّتْ شَوْكتُه وطالتْ أيّامَه . فوجَّه إليه الرشيدُ يزيدَ بن مَزْيَدٍ الشيبانيَّ ، فجعلَ يُخاتِلُه ويُماكِرُه . وكانتِ البرامكةُ منحرفةً عن يزيد بن مَزْيَدٍ ، فأغْرَوْا به أميرَ المؤمنين ، وقالوا : إنّما يتجافى عنه للرَّحِم ، وإلاّ فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يُواعِدُه وينتظر ما يكون من أمره . فوَجَّه إليه الرشيدُ كتابَ مُغْضَب يقول فيه : «لو وَجَّهْتُ بأحد الخَدَم لقامَ بأكثر ممّا تقوم به ، ولكنّك مُداهِنٌ مُتعصّب . وأمير المؤمنين يُقْسِم بالله لئن أخَّرْتَ مُناجَزَةَ الوليد لَيُوَجِّهنّ إليكَ مَن يحمِل رأسَك إلى أمير المؤمنين» . فلقِيَ الوليدَ عَشيَّةَ خميسٍ في شهر رمضان . فيقال : إنّ يزيدَ جُهِد عَطَشاً حتى رمى بخاتمه في فِيه ، فجعل يَلُوكه ويقول : اللهُمَّ إنّها شدّةٌ شديدةٌ فاسْتُرْها . وقال لأصحابه : فِداكم أبي وأُمّي ، إنّما هي الخوارج ولهم حَملةٌ ، فاثْبُتوا لهم تحت التِّراس[2] ، فإذا انقضتْ حملتُهم فاحْمِلُوا ؛ فإنّهم إذا انهزموا لم يرجعوا . فكان كما قال ، حَمَلوا حملةً وثَبَت يزيد ومَن معه من عشيرته وأصحابه ، ثم حَمَل عليهم فانكشفوا . ويقال : إنّ أسَد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جِدّاً ؛ وكان لا يَفْصِل بينهما إلاّ المتأمِّل ، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربةً في وجهِ يزيد تأخذ من قَصاصِ شَعْرِهِ ومنحرفةً على جَبهته ؛ فكان أسدٌ يتمنّى مثلها . فهَوَتْ له ضربةٌ فأخرجَ وجهه من التُّرْس فأصابته في ذلك الموضع . فيقال : إنّه لو خُطَّتْ على مثالِ ضَرْبَة أبيه ما عدا ، جاءت كأنّها هي . واتّبَع يزيد الوليد بن طريفٍ فلَحِقه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسَه . وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول : [من الرجز]

أنا الوليدُ بنُ طَرِيفَ الشّارِي ... قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلى بِناري
جَوْرُكُمُ أخرجني من داري

1 الشماسية : محلة كانت قريبة من بغداد .

2 التراس : جمع تُرس .

[خرجت أخته لتثأر له فزجرها يزيد بن مزيد]

فلمّا وقع فيهم السيفُ وأُخِذ رأْسُ الوليد ، صَبَّحَتْهم أُخته ليلى بنت طَرِيفٍ مستعدّةً عليها الدِّرع والجَوشَنُ ، فجعلتْ تحمِل على الناس فعُرِفَتْ . فقال يزيد : دَعُوها ، ثمّ خرج إليها فضرَب بالرُّمْح قَطاة[1] فرسها ، ثم قال اغْرُبي غَرّب اللهُ عليك ! فقد فَضَحْتِ العشيرة ؛ فاسْتَحيَتْ وانصرفتْ وهي تقول : [من الطويل]

أَيــا شجــرَ الخابــورِ ما لَكَ مورقاً كأَنَّكَ لم تَحْــزَنْ على ابنِ طريفِ
فتًــى لا يُحِــبُّ الزّادَ إلاّ مِنَ التُّقى ولا المــالَ إلاّ مــن قَنــاً وسُيوفِ
[ولا الذُّخْرَ إلاَّ كُلَّ جَرْداءَ صِلْدِمٍ وكلَّ رقيــقِ الشَّفْرَتَيْــنِ خفيفِ[2]]

فلمّا انصرف يزيدُ بالظَّفَر حُجب بِرأْي البرامكة ، وأَظهر الرشيد السخطَ عليه . فقال : وحَقِّ أَمير المؤمنين لأصِيفَنّ وأَشْتُوَنّ على ظهر فَرَسي أو أدخلَ . فارتفع الخبر بذلك فأُذِن له فدخلَ . فلمّا رآه أَمير المؤمنين ضَحِك وسُرّ وأَقبل يصيح : مَرْحَباً بالأَعرابيّ ! حتى دخل وأُجْلِسَ وأُكْرِمَ وعُرِف بَلاؤه ونقاءُ صَدْرِهِ .

[من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد]

ومدَحه الشعراء بذلك . فكان أَحسنُهم مدحاً مُسلمُ بن الوليد ؛ فقال فيه قصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ في الصِّبا غَزِل وشَمَّرتْ هِمَـمُ العُــذّالِ في عَذَلِي
هاجَ البكاءَ على العينِ الطَّمُوحِ هوًى مُفَــرَّقٌ بــين توديــعٍ ومُحْتَمَــلِ[3]
كيــف السُّلُــوُّ لِقَلْبٍ بات مُخْتَبَلاً يَهْذِي بصاحب قَلْــبٍ غيرِ مُخْتَبَلِ

وفيها يقول :

يَفْتَــرُّ عنــد افترارِ الحَــرْبِ مبتسماً إذا تَغَيَّــرَ وجــهُ الفــارسِ البَطَلِ
مُوفٍ على مُهَجٍ في يــومِ ذِي رَهَجٍ كأَنَّــه أَجَــلٌ يسعــى إلى أَمَلِ
ينالُ بالرِّفْــقِ مــا يَعْيا الرِّجالُ به كالمــوت مُستعجِلاً يأتــي على مَهَلِ
لا يَرْحَــلُ النَّاسُ إلاّ نَحْــوَ حُجرتِهِ كالبيت يُفْضي إليــه مُلْتقى السُّبُلِ

1 قطاة الفرس : عجزها أو مقعد الرديف منها .
2 الصلدم من الخيل : الشديدة الحافر . ورقيق الشفرتين : السّيف .
3 العين الطّموح : المرتفعة في النظر إلى الأحبّة وهم سائرون .

يَقْـرِي المَنِيّـةِ أرواحَ العُـداةِ كما يقري الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ[1]
يكسو السُّيوفَ رُؤوسَ الناكثـين به ويجعلُ الهـامَ تيجـانَ القَنا الذُّبُلِ
إذا انتَضى سيفَـه كانـت مَسالِكُه مسالِكَ المـوت في الأبدانِ والقُلَلِ
لا تُكْذَبَـنَّ فإنَّ المَجْـدَ مَعْدِنُـهُ وِراثـةٌ في بنـي شَيْبانَ لَـم تَزَلِ
إذا الشَّرِيكيُّ لَـم يَفْخَـرْ على أحدٍ تكلَّـمَ الفخـرُ عنـه غير مُنْتَحِلِ[2]
الزّائديُّـونَ قـوم في رِماحِهِـمُ خوفُ المُخيفِ وأَمْنُ الخائفِ الوَجِلِ[3]
كَبيرُهـمْ لا تقـوم الرّاسياتُ له حِلْمـاً وطِفْلُهُمُ في هَـدْيِ مُكْتَهِلِ
اسْلَمْ يزيدُ فما في المُلْكِ مـن أَوَدٍ إذا سَلِمْتَ ولا في الدِّينِ مـن خَلَلِ
لولا دِفاعُكَ بأسَ الرُّومِ إذْ مَكَرتْ عن بَيْضةِ الدِّيـن لم تَأْمَنْ من الثَّكَلِ
والمارِقُ ابنُ طَرِيفٍ قـد دَلَفْتَ له بِعـارِضٍ لِلمَنايـا مُسْبِـلٍ هَطِلِ
لـو أنّ غيرَ شَرِيكـيٍّ أطافَ بـه فـازَ الوليدُ بقِدْحِ النَّاضلِ الخَصِلِ[4]
مـا كان جَمْعُهُـمُ دَلفـتَ لهـم إلاّ كمثـلِ جَـرادٍ رِيـعَ مُنْجَفِلِ
كم آمـنٍ لـك نائـي الدّارِ ممتنعٍ أخرجتَه من حُصونِ المُلْكِ والخَوَلِ
تـراه في الأمْنِ في دِرْعٍ مُضاعَفةٍ لا يأمَنُ الدَّهْرَ أنْ يُدْعى على عَجَلِ
لا يَعْبَـقُ الطِّيبُ خَدّيْـهِ ومَفرِقَه ولا يُمسِّحُ عينيـه مـن الكُحُلِ
يأبى لـك الذَّمَّ في يَوْمَيك إنْ ذُكِرا عَضْبٌ حُسامٌ وعِـرْضٌ غيرُ مُبْتَذَلِ
فافْخَرْ فمالَـك في شَيْبانَ مـن مَثَلٍ كذاك مـا لبنـي شيبانَ من مَثَلِ

[كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله]

وقال محمد بن يزيد : يعني بقوله :

تراه في الأمن في دِرْعٍ مُضاعَفَةٍ

خبرَ يزيدَ بن مَزْيَدٍ . وذاك أنّ امرأة مَعْن بن زائدةَ عاتبتْ مَعْناً في يزيد وقالت : إنّك لَتُقَدِّمه وتُؤَخِّرُ بَنِيك ، وتشيد بذكْره وتُخمِل ذِكرَهم ، ولو نَبَّهتهم لانتَبَهوا ، ولو رفعتَهم لارتفعوا .

1 الكوم : النوق العظام الأسنمة واحدتها كوماء .
2 الشريكي : نسبة إلى «شريك» جد من أجداد يزيد بن مزيد .
3 الزائديون : نسبة إلى «زائدة» أحد الأجداد .
4 الناضل : المصيب ومثله الخَصِل .

فقال مَعنٌ : إن يزيد قريبٌ لم تَبْعُدَ رَحِمُه ، وله عليّ حُكم الولد إذ كنتُ عمَّه . وبعدُ فإنّهم أُلْوَط[1] بقلبي وأُدنى من نفسي على ما تُوجبه واجبةُ الوِلادة للأُبوّة من تقديمهم ، ولكنّي لا أُجِدُ عندهم ما أُجده عنده . ولو كان ما يَضْطلِع به يزيد في بعيدٍ لصار قريباً ، وفي عدوٍّ لصار حبيباً . وسأُريكِ في ليلتي هذه ما ينفسح به اللَّوْم عنّي ويتبيَّن به عُذْري . يا غلامُ اذْهَبْ فادْعُ جَسَّاساً وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً ، حتى أتى على أسماء وَلَده ؛ فلم يلبَثْ أن جاءوا في الغلائل المطيَّبة والنِّعالِ السِّنْدِيّة ، وذلك بعد هَدْأةٍ من الليل ، فسلَّموا وجلسوا . ثم قال : يا غلام ادْعُ لي يزيدَ وقد أُسْبَلَ سِتْراً بينه وبين المرأة ، وإذا به قد دخل عَجِلاً وعليه السِّلاح كلُّه ، فوضع رُمْحَه بباب المجلس ثم أتى يُحْضِر[2] . فلمّا رآه معه قال : ما هذه الهيئة أبا الزبير ؟ ، وكان يزيد يُكنى أبا الزبير وأبا خالد ، فقال : جاءني رسول الأمير فسَبَق إلى نفسي أنّه يُريدني لوجهٍ ، فقلت : إن كان مضيْتُ ولم أُعَرِّجْ ، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فنزعُ هذه الآلةِ أيسرُ الخَطْبِ . فقال لهم : انصرفوا في حفظ الله . فقالت المرأة : قد تبيَّن عُذْرُك . فأنشد معنٌ متمثِّلاً : [من الرجز]

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدَتْ عِصاما ... وعوّدتـه الكَرَّ والإقداما[3]
وصَيَّرتْه مَلِكاً هُماما

[من شعر أخته في رثائه]

وأخبرني محمد بن الحسن الكِندي قال حدَّثنا الرياشيّ قال : أنشدني الأصمعيّ لأخت الوليد بن طَريف تَرثيه : [من المتقارب]

ذكرتُ الوليدَ وأيّامَـهُ ... إذِ الأرضُ مِن شَخْصه بَلْقَعُ
فأقبلتُ أطلبُـه في السَّماء ... كما يبتغـي أَنْفَـه الأَجْدَعُ
أضاعَـك قومُـك فليطلبوا ... إفـادَةَ مِثْـلِ الـذي ضَيَّعُوا
لَـوَ انَّ السُّيوفَ التـي حَدُّها ... يُصيبُك تَعلَـمُ مـا تصنَعُ
نَبَتْ عنـكَ أو جعلـتْ هيبةً ... وخوفـاً لصَوْلِـك لا تَقْطَعُ

1 ألوط بقلبي : ألصق به .
2 يُحضر : يعدو ويسرع .
3 مثل يقال في نباهة الذكر من غير قديم ، وعصام بن شهبر حاجب النعمان ، فكلّ مَن كان ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له عصامي . فصل المقال : 137 .

208 ـ [بعض أخبار عبد الله بن طاهر]

[بعض أخلاق عبد الله بن طاهر]

فأمّا خبرُ عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت ، فإنّ عبد الله كان بمحلٍّ من عُلُوِّ المنزلةِ وعِظَم القَدْر ولُطف مكانٍ من الخلفاء ، يَستغني به عن التقريظ له والدّلالة عليه . وأمرُه في ذلك مشهورٌ عند الخاصة والعامّة ، وله في الأدب مع ذلك المَحَلُّ الذي لا يُدفَع ، وفي السماحة والشجاعة مالا يقاربه فيه كبيرُ أحدٍ .

[فرّق خراج مصر وقال أبياتاً أرضى بها المأمون]

أُخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المُبَرِّد أن المأمون أُعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنةٍ خَراجَها وضياعَها ، فوهبه كلَّه وفرّقه في الناس ، ورجع صِفْراً من ذلك ؛ فغاظ المأمون فِعلُه . فدخل إليه يوم مَقْدَمِه فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى ، وهي : [من البسيط]

نَفْسي فداؤكَ والأَعناقُ خاضعةٌ   للنّائباتِ أَبِيّاً غيرَ مُهْتَضَمِ
إليكَ أَقبلتُ من أرضٍ أقمتُ بها   حَوْلَيْنِ بعدَكَ في شَوْقٍ وفي أَلَمِ
أَقفُو مَساعِيَكَ اللاّتي خُصِصتَ بها   حَذْوَ الشِّراكِ على مِثْلٍ من الأَدَمِ
فكان فَضْلِيَ فيها أنّني تَبَعٌ   لمَا سَنَنْتَ من الإنعامِ والنِّعَمِ
ولو وُكِلْتُ إلى نَفْسي غَنِيتُ بها   لكن بدأتَ فلم أَعْجِزْ ولَم أُلَمِ

فضحِك المأمون وقال : واللهِ ما نَفِسْتُ عليك مكرمةً نِلتَها ولا أُحدوثةً حَسُن عنك ذِكرُها ، ولكن هذا شيءٌ إذا عوَّدتَه نفسَك افتقرتَ ولم تَقدِر على لَمِّ شَعَثِك ، وإصلاح حالِك . وزال ما كان في نفسه .

[سوغه المأمون خراج مصر وأتاه معلى الطائي ومدحه فأجازه بكل ما لديه]

أُخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حدَّثني عبد الله بن فَرْقَدٍ قال أَخبرني محمد بن الفضل بن محمد بن منصور قال : لمّا افتتح عبد الله بن طاهر مصرَ ونحن معه ، سوَّغه المأمون خَراجَها . فصَعِد المِنبَر فلم يزل حتى أَجاز بها كلَّها ثلاثة آلاف أَلفِ دينارٍ أو نحوَها . فأتاه مُعَلَّى الطائي وقد أُعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالنّاس في الجوائز ، وكان عليه واحداً ، فوقف بين يديه تحت المِنبر فقال : أصلح الله الأمير ! أَنا مُعَلَّى الطائيّ ، وقد بلغ منّي ما كان منك [إليَّ] من جفاءٍ وغِلَظٍ ، فلا يَغلظَنَّ عليَّ قلبُك . ولا يَستخفَّنَّك الذي بلغك ، أنا الذي أقول : [من البسيط]

يـا أعظمَ النّاسِ عفواً عند مَقْدِرةٍ　　وأظْلَمَ الناس عنـد الجُـودِ للمالِ
لو أصبحَ النّيلُ يجري ماؤه ذَهَباً　　لَمـا أشرتَ إلى خَـزْنٍ بمِثْقالِ
تُغْلي بمـا فيـه رِقّ الحمدِ تَملِكُهُ　　وليس شيءٌ أعاضَ الحمدَ بالغالي[1]
تَفُكُّ باليُسْرِ كَفَّ العُسْرِ من زَمَنٍ　　إذا استطـالَ على قـومٍ بإقلالِ
لم تَخْلُ كَفُّكَ من جُودٍ لمُخْتَبِطٍ　　[أ]وْ مُرْهَفٍ قاتلٍ في رأس قَتّالِ[2]
ومـا بَثَثْتَ رَعِيـلَ الخيلِ في بَلَدٍ　　إلاّ عَصَفْـنَ بـأرزاقٍ وآجالِ
إن كنتُ منكَ على بالٍ مَنَنْتَ به　　فإنّ شُكْرَك من قلبـي على بالي
مـا زِلْتُ منقضِياً لـولا مُجاهَرةٌ　　من ألْسُنٍ خُضْنَ في صَدْرِي بأقوالِ

قال فضحك عبد الله وسُرَّ بما كان منه ، وقال : يا أبا السَّمراء أقْرِضْني عشرة آلاف دينار ، فما أمسيتُ أملِكها ؛ فأقرضه فدفعها إليه .

[أحسن إلى موسى بن خاقان ثم جفاه ، فمدح موسى المأمون بشعر غنّته «ضعف» جاريته]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذبه قال : كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مُؤْثِراً مُقَدِّماً ؛ فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنيَّة هناك وقبل ذلك . ثم إنّه وَجَد عليه في بعض الأمر ، فجفاه وظَهَر له منه بعضُ ما لم يُحِبَّه ، فرجع حينئذٍ إلى بغداد وقال : [من السريع]

صوت

إنْ كان عبدُ اللهِ خَلاَّنـا　　لا مُبْدِئـاً عُرْفاً وإحسانا
فحَسْبُنا اللهُ رَضِينا بـه　　ثـمّ بعبـد الله مـولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون ، وغنّتْ فيه جاريته ضَعْفُ لحناً من الثقيل الأوّل ، وسَمِعه المأمون فاستحسنه ووصله وإيّاها . فبلغَ ذلك عبد الله بن طاهر ، فغاظه ذلك وقال : أجَل ؛ صَنَعْنا المعروفَ إلى غير أهله فضاع .

وكانَتْ ضَعْفُ إحدى المُحسِنات . ومن أوائل صَنعتها وصدور أغانيها وما بَرَّزتْ فيه وقُدِّمت فاختيرت ، صَنعتُها في شعر جَميلٍ : [من الطويل]

أمِنْكِ سَرى يـا بَثْنُ طَيْفٌ تَأَوَّبا　　هُدوءاً فهاج القلبَ شوقاً وأنصبا

---

1 تغلي بالشيء : تجعله غالياً .
2 اختبطه وتخبطه : سأله المعروف بلا وسيلة من آصرة قربى أو مودّة أو معرفة .

عَجِبْتُ له أَنْ زارَ في النومِ مَضْجَعي ولـو زارني مُسْتَيْقِظاً كان أعجبا

الشعر لجميل ، والغناء لضَعْفَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر .

[قصته مع محمد بن يزيد الأموي الحصني]

أخبرني عمّي قال حدَّثني أبو جعفر بن الدِّهقانة النديم قال حدَّثني العبّاس بن الفضل الخُراسانيّ ، وكان من وجوه قُوّاده طاهر وابنِه عبد الله ، وكان أديباً عاقلاً فاضلاً ، قال : لمّا قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخَر بقتَلِهم المخلوعَ ، عارضه محمد بن يزيد الأمويّ الحِصنيّ ، وكان رجلاً من ولد مَسلَمة بن عبد الملك ، فأفرط في السَّبِّ وتجاوز الحدّ في قُبْح الردّ ، وتوسَّط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسُّط والتعصُّب . فكان ممّا قال فيه : [من المديد]

يا ابنَ بَيْتِ النّارِ مُوقِدُها ما لِحاذَيْـهِ سَراوِيلُ[1]
مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أبوك ومَنْ مُصْعَبٌ ؟ غالتكمُ غُولُ
نَسَبٌ في الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ وأبُـوّاتٌ أراذيـلُ[2]
قاتِـلُ المخلـوعِ مقتولُ ودَمُ المقتـولِ مطلـولُ

وهي قصيدة طويلة . فلمّا وُلّي عبد الله مِصرَ ورُدَّ إليه تدبير أمر الشام ، علم الحِصْنِيُّ أنّه لا يُفلِت منه إن هَرَب ، ولا ينجو من يده حيث حَلَّ ؛ فثَبَت في موضعه ، وأحْرَز حُرَمَه ، وترك أموالَه ودَوابَّه وكلَّ ما كان يملكه في موضعه ، وفَتَح باب حِصنِه وجلس عليه ، ونحن نتوقَّع من عبد الله بن طاهر أن يُوقِع به . فلمّا شارَفْنا بَلَدَه وكنّا على أَنْ نُصَبِّحَه ، دعاني عبدُ الله في الليل فقال لي : بِتْ عندي الليلةَ ، وليَكُنْ فرسُك مُعَدّاً عندك لا يُرَدُّ ، ففعلتُ . فلمّا كان في السَّحَر أمَر غلمانه وأصحابه ألاّ يرحلوا حتى تطلُعَ الشمس ، ورَكِب في السَّحَر وأنا وخمسةٌ من خواصِّ غِلمانه [معه] ، فسار حتى صَبَّح الحِصنيَّ ، فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مُستَرسِلاً ، فقصده وسلَّم عليه ونزل عنده وقال له : ما أجلَسَك هاهنا وحَمَلك على أن فتحتَ بابَك ولم تتحصَّن من هذا الجيش المُقْبِل ولم تتنحَّ عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بَلَغه عنك ؟ فقال : إنّ ما قُلْتَ لم يَذهَبْ عليّ ، ولكنّي تأمّلتُ أمري وعَلِمتُ أنّي أخطأتُ خطيئةً حَمَلني عليها نَزَقُ الشَّبابِ وغرَّةُ الحَداثة ، وأنّي إنْ هربتُ منه لم أَفُتْه ، فباعدت البناتِ والحُرَمَ ، واستسلمتُ بنفسي وكلِّ ما أملِك ؛ فإنّا أهلُ بيتٍ قد أسرع القتلُ فينا ، ولي بمن مضى أُسْوةٌ ؛ فإنّي أثِق بأنّ الرجلَ إذا

---

1 الحاذان من الدابة : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين . يريد الفخذين .

2 نسب مؤتشب : غير صريح .

قتلني وأخذ مالي شفى غَيْظَه ولم يتجاوز ذلك إلى الحُرَم ولا له فيهنّ أَرَبٌ ، ولا يُوجِب جُرْمي إليه أكثر مِمّا بذلتُه . قال : فواللهِ ما اتّقاه عبد الله إلاّ بدُموعه تجري على لِحيته . ثم قال له : أتعرفني ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبد الله بن طاهر ، وقد أمّن الله تعالى رَوعتَك ، وحَقَن دَمَك ، وصان حُرَمَك ، وحَرَس نِعْمَتَك ، وعفا عن ذَنبك . وما تَعَجَّلْتُ إليك وحدي إلاّ لتأمن من قبل هجوم الجيش ، ولئلاّ يُخالِط عَفْوي عنك روعةٌ تَلْحقُك . فبكى الحِصْنيُّ وقام فقبَّل رأسَه ؛ وضَمَّه [إليه] عبد الله وأدناه ، ثم قال له : إمّا [لا] فلا بدّ من عتاب . يا أخي جعلني الله فداك ! قلتُ شعراً في قومي أفخرَ بهم لم أطعَنْ فيه على حَسَبك ولا ادّعيت فضلاً عليك . وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهم القومُ الذين ثأرُك عندهم ؛ فكان يَسَعُك السكوتُ ، أو إن لم تسكُتْ لا تُغْرِقْ ولا تُسْرِفْ . فقال : أيّها الأمير ، قد عفوتَ ، فاجْعَله العفوَ الذي لا يخلِطه تثريبٌ ، ولا يكدِّر صَفْوَه تأنيب . قال : قد فعلتُ ، فقُمْ بنا ندخل إلى منزلك حتَّى نُوجِبَ عليك حقّاً بالضيافة . فقام مسروراً فأدخلنا ، فأتى بطعام كان قد أعدَّه ، فأكلنا وجلسنا نشرَب في مُسْتَشرَفٍ له . وأقبل الجيش ، فأمرني عبد الله أن أتلقّاهم فأُرَحِّلهم ، ولا ينزل أحدٌ منهم إلاّ في المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ ؛ [فنزلتُ فرحّلتهم . وأقام عنده إلى العصر] . ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خَراجَه ثلاثَ سنين ، وقال له : إنْ نَشِطتَ لنا فالحَقْ بِنا ، وإلاّ فأَقِمْ بمكانك . فقال : فأنا أتجهَّز وألْحَقُ بالأمير . ففعل فلَحِق بنا بمصر . ولم يَزَل مع عبد الله لا يفارقه حتى رَحَل إلى العراق ، فودّعه وأقام ببلده .

[بعض الأشعار التي غنّى فيها وأخبارها]

فأمّا الأصواتُ التي غنّى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة . وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئاً منها قال : الغناء للدّار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئاً من صنعته قال : الغناء للدار الصغيرة . فمنها ومن مختارها وصُدورها ومُقدّمها لحنُه في شِعر أُخت [عمرو بن] عاصية ، وقيل : إنه لأخت مسعود بن شَدّاد . فإنه صوتٌ نادر جيد . قال أبو العَنْبَس بن حَمدون وقد ذكره ففضَّله : جاء به عبدُ الله بن طاهر صحيح العمل مُزْدَوِجَ النَّغَم بين لينٍ وشدّةٍ على رَسْم الحُذّاق من القدماء ، وهو : [من البسيط]

صوت

هَــلاّ سَقَيْتُمْ بنــي سَهْمٍ أسيرَكُم نَفْسي فِداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي
الطاعــنُ الطَّعْنَــةَ النَّجلاء يَتْبَعُها مُضَرَّج بعــد مــا جادتْ بإزْبادِ

الشعر لأُخت عمرو بن عاصية السُّلَميّ [ترثيه] . وكان بنو سَهْم ، وهم بطنٌ من هُذَيل ، أسَروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه ، فلمّا عرَفوه قتلوه . وكان قد عَطِش

فاستسقاهم ، فمنعوه وقتلوه على عَطَشِه . وقيل : إنّ هذا الشعر للفارعة أُخت مسعود بن شدّاد . ولحنُ عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ابتداؤه استهلال .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قتلتْ بنو سَهْمٍ ، وهم بطن من هُذَيل ، عمرو بن عاصية السُّلَمِيَّ ، وكان رجلان منهم أخذاه أخذاً ، فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك ، ثم قتلاه . فقالت أخته ترثيه ، وتذكر ما صنعوا به : [من البسيط]

شَبَّتْ هُذَيْلٌ وبَهْزٌ بينها إرَةً … فلا تَبُوخُ ولا يَرْتَدُّ صاليها[1]

[ويروى : «شبت هذيلٌ وسهمٌ» ، وهو الصحيح ، ولكن كذا قال عمر بن شبّة] : [من البسيط]

إنّ ابنَ عاصيةَ المقتولَ بينكما … خَلَّى عليّ فِجاجاً كان يَحميها

وقالت أيضاً ترثيه : [من البسيط]

يا لَهْفَ نَفْسيَ لَهْفاً دائماً أبداً … على ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادي
هلاَّ سَقَيْتُمْ بني سَهْمٍ أسيرَكُمُ … نَفْسي فِداؤك من ذِي غُلَّةٍ صادي

قال : فغزا عَرْعَرَةُ بن عاصية هُذيلاً يطلبهم بدم أخيه ، فقتل منهم نَفَراً وَسبى امرأةً فجرّدها ، ثم ساقها معه عاريةً إلى بلاد بني سُلَيْم ؛ فقالت عند ذلك : [من الطويل]

ألامَتْ سُلَيْمٌ في السِّياقِ وأفحشتْ … وأفرطَ في السَّوقِ العنيف إسارُها[2]
لعلّ فتاةً منهمُ أن يسوقَها … فوارسُ منّا وهْيَ بادٍ شَوارُها[3]
فإنْ سَبَقتْ عُلْيا سُلَيْمٍ بذَحْلِها … هُذَيْلاً فقد باءتْ فكيف اعتذارُها
ألا ليت شِعْري هل أرى الخيلَ شُزَّباً … تُثير عَجاجاً مستطيراً غُبارُها[4]
فتَرْقا عيونٌ بعد طُول بُكائها … ويُغْسَلُ ما قد كان بالأمس عارُها[5]

هذه رواية عمر بن شبّة . فأمّا أبو عبيدة فإنّه خالفه في ذلك ، وذكر في مقتله ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُريد إجازةً عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج عمرو بن عاصية

1 أصل الإرة : الحفرة والمقصود هنا : الحرب .
2 ألامت : فعلت ما تستحقّ عليه اللوم .
3 الشوار : الحسن والهيئة والزينة واللباس .
4 شزب : ضوامر ، الواحد شازب .
5 ترقا : في الأصل ترقأ أي تجف .

السُّلَميُّ ثم البَهْزِيّ في جماعةٍ من قومه ، فأغاروا على هُذَيْل بن مُدرِكة ، فصادفوا حيّاً من هُذَيلٍ يقال لهم بنو سَهم بن معاوية . وكانت امرأةٌ من هُذيل تحت رجل من بني بَهْزٍ ، فقالت لابن لها معه : أيْ بُنَيَّ انطلِق إلى أُخوالك فأَنْذِرْهم بأنّ ابن عاصية السُّلَميّ قد أمسى يريدهم ، وذلك حين عَزَم ابن عاصية على غَزوهم وأراد المسيرَ إليهم . فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتوا أخواله فأنذرهم ، فقال : ابن عاصية السُّلمي يريدكم ، فخذوا حِذْرَكم ؛ فبَدَر القوم واستعدّوا . وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحيّ ، فنزل قَرِباً لأصحابه على جبل [مشرف على القوم] ، فإذا هم حَذِرون . فقال لأصحابه : أرى القوم حَذِرين ، إنّ لهم لشأنا ، ولقد أنْذِرُوا علينا . فكَمَن في الجبل يطلب غَفلتهم ، فأصابه وأصحابه عطشٌ شديد ، فقال ابن عاصية لأصحابه : هل فيكم مَن يرتوي لأصحابه ؟ فقال أصحابه : نخاف القوم ، وأبى أحدٌ منهم أن يُجيبه إلى ذلك . قال : فخرج على فرسٍ له ومعه قِرْبتُه . وقد وضعتْ هُذَيلٌ على الماء رجلاً منهم رصداً ، وعَلِموا أنّهم لا بُدّ لهم من أن يَرِدوا الماء . فمرّ بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخٌ وفتيان من هُذيل ، فلمّا نظروا إليه همّ الفتيانِ أن يُثاوراه[1] . فقال الشيخ : مَهْلاً ! فإنّه لم يَرَكما ، فكَفّا . فانتهى ابن عاصية إلى البئر ، فنظر يميناً وشِمالاً فلم يَرَ أحداً والآخرون يرمُقونه من حيث لا يراهم . فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطَفِق يملأ القربة ويشرب . وأقبل الفَتيان والشيخ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في البئر ، [فرفع رأسه فأبصر القوم] ؛ فقالوا : [قد] أخزاك الله يا ابن عاصية وأمكن منك ؛ قال : ورمى الشيخَ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه ، وشُغِل الفَتيانِ بنَزْع السهم من قَدَمِ الشيخ ، ووثب ابن عاصية من البئر شَدًّا نحو أصحابه ، وأدركه الفَتيانِ قبل وصوله فأسراه . فقال لهما حين أخذاه : أرْوِياني من الماء ثم اصنعا ما بَدا لكما . فلم يَسْقِياه وتَعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه . فقالت أخت عمرو بن عاصية تَرْثي أخاها : [من البسيط]

يا لَهْفَ نَفْسِيَ يوماً ضَلَّةً جَزَعاً ... على ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادي
إذ جاء ينفُض عن أصحابه طَفَلاً ... مَشْيَ السَّبَنْتى أمام الأيكة العادي[2]
هَلاّ سَقيتُمْ بني سَهْمٍ أسيرَكُمُ ... نَفْسي فداؤك من ذي غلة صادي

قال أبو عبيدة : وآب غَزِيُّ[3] بني سُلَيم بعد مقتل ابن عاصية . قال : فبلغ أخاه عرعرة بن عاصية قَتْلُ هُذَيلٍ أخاه وكيف صُنِع به ، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارسُ من بني سُلَيم منهم عَبِيدةُ بن حكيم الشَّريديّ وعمرو بن الحارث الشَّريديّ وأبو مالك البَهْزِيّ وقيس بن

1 ثاوره : واثبه .
2 ينفض : يكشف الطريق ويتجسّس . الطفل طفلان : طفل الغداة وطفل العشي . السبنتى : النمر أو الأسد .
3 الغزيّ : اسم جمع لغاز .

عمرو أحد بني مطرود من بني سُلَيْم وفوارس من بني رِعْلٍ . قال : فسَرى إليهم عرعرة ، فالتقَوْا بموضع يقال له الجُرف فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، فظفرتْ بهم بنو سُلَيم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمةً ، وأَسَروا أَسْرى ، وأَصابوا امرأةً من هُذَيْل فعَرَّوْها من ثيابها واستاقوها مجرّدةً فأفحشوا في ذلك . وقال عرعرة بن عاصية في ذلك يذكر مَن قَتَل : [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ هُذَيـلاً حيثُ حَلَّتْ ... مُغَلْغَلَـةً تَخُبُّ مـع الشَّفِيقِ
مُقامَكُم غَـداةَ الجُرْفِ لَمّـا ... تواقفـتِ الفـوارسُ بالمَضِيقِ
غَـداةَ رأيتُـمُ فُرْسانَ بَهْزٍ ... ورِعْلٍ أَلبدتْ فـوق الطريقِ[1]
تراميتُـمْ قليـلاً ثـمّ ولّـتْ ... فوارسُكـم تَوَقَّـلُ كُلَّ نِيقِ[2]
بِضَرْبٍ تسقُط الهاماتُ منـه ... وطَعْنٍ مثـلِ إشعال الحريقِ

وقال لي : إنّ هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شدّاد يَرثي أَخاه ، وزعم أنّ جَرْماً كانت قتلتْه وهو عطشان ، فقال :

يـا عينُ جُودِي لمسعود بن شَدّادِ ... بكـلّ ذي عَبَراتٍ شَجْوُه بادي
هَـلاَّ سقيتم بني جَـرْمٍ أَسيرَكُمُ ... نَفْسي فداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي

فأَنشدَنيها بعضُ أَصحابنا قال أنشدني أَبو بكر محمد بن [الحسن بن] دريد قال أنشدني أَبو حاتم عن أبي عبيدة لفارعة المُرِّيّة أُخت مسعود بن شَدّاد ترثيه ، فذكر من الأبيات البيت الأول ، وبعده : [من البسيط]

يا مَـنْ رأى بارقاً قد بِتُّ أُرمُقُه ... جَوْداً على الحَرّة السوداء بالوادي[3]
أَسقِي بـه قَبر مَنْ أَعْني وحُبَّ به ... قبراً إليّ ولـو لَـم يَفْدِهِ فادي
شَهّـادُ أنديـةٍ رَفّـاعُ أَبنيـةٍ ... شَدّادُ أَلويـةٍ فَتّـاح أَسدادِ
نَحّـارُ راغيـةٍ قَتّـالُ طاغيـةٍ ... حَـلاّلُ رابيـةٍ فَكّـاكُ أَقيادِ[4]
قَـوّالُ مُحْكَمـةٍ نَقّـاضُ مُبْرَمَة ... فَـرّاجُ مُبْهَمـةٍ حَبّاسُ أَورادِ[5]

1 أَلبد بالمكان : أَقام به ولزمه .
2 توقل : تتصعد . والنيق : أَعلى الجبال .
3 البارق : هنا السحاب .
4 الراغية : الناقة .
5 أَوراد : جمع وِرد وهو الجماعة الواردون للماء ، والقطيع من الطير والإبل ، والجيش .

حَــلاَّلُ مُمْرِعَةٍ حَمَّالُ مُضْلِعَةٍ قَــرَّاعُ مُفْظِعَــةٍ طَلاَّعُ أنجادِ[1]
جَمّاع كُلِّ خِصالِ الخَيْرِ قد عَلِموا زَيْنُ القَرِينِ وخَطْمُ الظالم العادي[2]
أبــا زُرارةَ لا تَبْعَـدْ فكُلُّ فَتًى يومــاً رَهِـينُ صَفيحاتٍ وأعوادِ

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : لمّا صنع أبي هذا الصوت لم يُحِبَّ أن يَشيع عنه شيءٌ من هذا ولا يُنْسَب إليه ؛ لأنّه كان يترفَّع عن الغناء ، وما جَسَّ بيده وَتَراً قَطُّ ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّربة [وحُسْن الثقافة] ما لا يعرِفه كبير أحدٍ . وبلغ من عِلْم ذلك إلى أن صَنَع أصواتاً كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخَذْنَها عنه وغنَّينَ بها ، وسَمِعها النّاسُ منهنّ وممّن أخذ عنهنّ . فلمّا أن صنع هذا الصوت : [من البسيط]

هَــلاَّ سقَيْتُمْ بنــي جَرْمٍ أسيرَكُمُ نَفْسي فداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي

نسبه إلى مالك بن أبي السَّمْح . وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها داحة ، فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لَمّا نَدَبه المأمون إلى مصر [في أن يأخذها معه] ، وكانت تغنيه ، وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذه المغنُّون عنها وَرَوَوْه لمالك مدّة . ثم قَدِم عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون ، وغُنِّي الصوتُ بحضرته ونُسِب إلى مالك ؛ فضَحِك عبدُ الله ضحكاً كثيراً . فسُئِل عن القصّة فصَدَق فيها واعترف بصنعة الصوت . فكَشَف المأمون عن ذلك ، فلم يَزَل كلُّ مَن سُئِل عنه يُخْبر عمّن أخذه [عنه] ، فتنتهي القصّة إلى داحةَ ثـم تقـف ولا تعدوهـا . فأُحضِرتْ داحة وسئلت فأخبرتْ بقصته ؛ فعُلِم أنّه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك . ويقال : إنّ إسحاق لم يَعجَب من شيءٍ عَجَبَه من عبد الله وحِذْقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

قال : ومن غنائه أيضاً : [من الخفيف]

صوت

راح صَحْبي وعاودَ القَلْبَ داءُ مــن حَبيبٍ طِلابُــه لي عَناءُ
حَسَنُ الرأيِ والمَواعيدِ لا يُلْـ ـفى لشيءٍ ممـا يقول وَفاءُ
مَنْ تَعَزَّى عمّــن يُحِبُّ فإنّي ليس لي ما حَيِيتُ عنـه عَزاءُ

الغناء لابن طُنبورة خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . ولحن عبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

1 المضلعة : المثقلة للأضلاع .

2 خطمه : إذا ضرب مخطمه وهو الأنف .

209 ـ [أخبار متفرقة]

ومنها : [من الهزج]

فمَــنْ يَفْــرَحْ ببينِهِــمُ فغَيْري إذ غَـدَوْا فَرِحا

[شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه]

صوت

[من الخفيف]

يــا خَلِيلَــيَّ قــد مَلِلْتُ ثَوائي بالمُصَلَّــى وقد شَنِئتُ البَقِيعا
بَلِّغــاني ديــارَ هندٍ وسَلْمى وارْجِعا بي فقد هَوِيتُ الرجوعا

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها [عن إسحاق] ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سُرَيج . وذكر حبشٌ أنّ فيه رَمَلاً بالبنصر لإبراهيم . وفيه لحن لمعبد ذَكَره حمّاد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنّسه .

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إيّاه الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثنا سليمان بن عيّاش السَّعديّ قال [أخبرني السائب بن ذَكْوان راوية كُثَيِّر قال] : قَدِم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال ، وأخبرني عليُّ بن صالح عن أبي هِفّانَ عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزُّبيريّ والمُسَيَّبيّ ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز [الجوهريّ] قال حدَّثنا عمر بن شَبّة موقوفاً عليه . وجمعتُ رواياتهم ، وأكثر اللفظ للزُّبير [بن بَكّار] وخبره أتـمُّ : أنّ عمر بن أبي ربيعة قَدِم المدينة ؛ فزعموا أنّه قَدِمَها من أجلِ امرأةٍ من أهلها ، فأقام بها شهراً ؛ فذلك قوله : [من الخفيف]

يــا خليلَيَّ قــد مَلِلْتُ ثَوائي بالمُصَلّــى وقــد شَنِئتُ البقيعا

[خرج عمر هو والأحوص إلى مكّة فمرّا بنصيب وكثير وتحاوروا]

قال : ثمّ خرج إلى مكة ، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا .

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كُثَيِّر إنّه قال : لمّا مرّا بالرَّوْحاء[1] اسْتَتْلَياني[2] فخرجت

1 الروحاء : قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلاً .
2 استتلاه : طلب إليه أن يتلوه .

أتلوهما ، حتّى لحقتُهما بالعَرْج[1] عند رَواحهما . فخرجنا جميعاً حتى وَرَدنا وَدَّانَ[2] ، فحبسهما النُّصَيْب وذَبَح لهما وأكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا النُّصيب . فلمّا جئنا كُلَيّة[3] عدلنا جميعاً إلى منزل كثيّر ، فقيل لنا : هبَط قُدَيْداً[4] ، فذُكِر لنا أنّه في خيمةٍ من خيامها . فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهَب فادْعُه لي . فقال النُّصَيب : هو أحمق وأشدُّ كِبْراً من أن يأتيك . فقال لي عمر : اذهَب كما أقول [لك] فادْعُه لي : فجئتُه ، فهَشَّ لي وقال : «اذْكُرْ غائباً تَرَه»[5] ، لقد جئتَ وأنا أذكُرُك . فأبلغته رسالةَ عمر ؛ فحدَّد إليَّ نظرةً وقال : أما كان عندك من المعرفة ما تردَعُك عن إتياني بمثل هذه الرسالة ! قلت : بلى والله ؛ ولكنّي سترتُ عليك فأبى اللهُ إلاّ أن يَهْتِك سِتْرَك . فقال لي : إنّك والله يابنَ ذَكْوان ما أنتَ من شكلي ؛ فقُلْ لابن أبي ربيعة : إنْ كنتَ قرشيّاً فأنا قرشيٌّ . فقلت له : لا تترك هذا التَّلَصُّق وأنت تُقْرَفُ عنهم كما تُقْرَفُ الصَّمْغةُ ؛ فقال : والله لأنا أثبتُ فيهم منك في سَدُوسَ . ثم قال : وقل له : إنْ كنتَ شاعراً فأنا أشعرُ منك . فقلت له : هذا إذا كان الحُكْمُ إليك . فقال : وإلى مَنْ هو ومَن أُولى بالحكم منّي ؟ [وبعد هذا يا ابن ذكوان فاحْمَدِ الله على لومك ؛ فقد منعَك منّي] اليوم ؟ فرجعتُ إلى عُمَر ، فقال : ما وراءك ؟ فقلتُ : ما قال نُصَيْبٌ . فقال : وإنْ . فأخبرتُه فضَحِك وضحِك صاحباه ظَهْراً لبَطْنٍ ، ثم نهضوا معي إليه . فدخلنا عليه في خيمةٍ ، فوجدناه جالساً على جِلْدِ كَبْشٍ ، فوالله ما أُوسع للقُرشيّ . فلمّا تحدّثوا مَليّاً فأفاضوا في ذكر الشِّعر ، أقبلَ على عُمَرَ فقال له : أنت تَنْعَت المرأة فتنسب بها ثم تَدَعُها وتَنْسِب بنفسِك . أخبرني يا هذا عن قولك : [من المنسرح]

قالتْ تَصَدَّيْ لـه لِيَعْرِفَنا ... ثمّ اغْمِزيه يـا أُخت في خَفَرِ
قالت لها قـد غَمَزْتُـه فأبى ... ثم اسبَطَرَّتْ تشتدُّ في أثَري[6]
وقَوْلُها والدُّموعُ تَسْبِقُها ... لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ في عُمَرِ

أتُراكَ لو وصفتَ بهذا هِرَّة أهلِك ألَم تكن قد قَبَّحْتَ وأسأتَ وقُلْتَ الهُجْر : إنما تُوصَف الحُرّة بالحياء والإباء والالْتِواء والبُخْل والامتناع ، كما قال هذا ، وأشار إلى الأحوص : [من الطويل]

---

1 العرج : قرية كانت جامعة في واد من نواحي الطائف .
2 ودان : قرية جامعة من نواحي الفُرْع بين مكّة والمدينة .
3 كُلية : قرية بين مكّة والمدينة .
4 قديد : موضع قرب مكّة .
5 مثل ، ويروى «اذكر غائباً يقترب» ، هذا المثل يروى عن عبد الله بن الزبير أنّه ذكر المختار يوماً وسأل عنه ، والمختار يومئذٍ بمكّة قبل أن يقدم العراق ، فبينما هو في ذكره إذ طلع المختار فقال ابن الزبير هذا المثل . مجمع الأمثال للميداني 11/2 .
6 اسبطرت : أسرعت .

أَدُورُ ولـولا أَنْ أَرى أُمّ جَعْفَرٍ   بأَبياتِكُـمْ مـا دُرْتُ حيثُ أَدورُ
ومـا كُنْتُ زَوَّاراً ولكنّ ذا الهَوى   إذا لَـم يَـزُرْ لا بُـدّ أَن سَيَزورُ
لقـد مَنَعتْ معروفَهـا أُمّ جَعْفَرٍ   وإنِّـي إلى معروفهـا لَفقيـرُ

قال : فدخلتِ الأَحوص أُبَّهةٌ وعُرِفَتِ الخُيَلاءُ فيه . فلمّا استبانَ كُثَيِّر ذلك فيه قال : أَبطل آخرُك أوّلَك . أَخبِرْني عن قولك : [من الوافر]

فـإن تَصِـلي أَصِلْكِ وإنْ تَبيني   بصُرْمِـك بعـد وَصْلِكِ لا أُبالي
ولا أُلْفى كَمَـنْ إنْ سِيمَ صَرْماً   تَعَـرَّضَ كـي يُـرَدّ إلى الوِصالِ

أَما واللّه لو كنتَ فَحْلاً لبالَيْتَ ولو كَسَرتْ أَنْفَك . أَلا قلتَ كما قال هذا الأسود ، وأشار إلى نُصيب : [من الطويل]

بزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ   وقُـلْ إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ

قال : فانكسر الأَحوصُ ، ودخلتِ النُّصَيْبَ أُبّهةٌ . فلمّا نَظَر أنّ الكبرياء قد دخلته ، قال له : يا ابنَ السوداء ، فأَخبرني عن قولك : [من الطويل]

أَهيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ   فَوا كَبِدِي مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعْدِي

أَهَمَّكَ مَنْ يَنِيكُها بعدَك ؟ فقال نُصيب : استوتِ القِوَقُ[1] ، قال : وهي لُعبةٌ مثل المنقلة . ومن هذا الموضع ينفرد الزُّبير بروايته دون الباقين . قال سائب : فلمّا أَمسك كُثَيِّر أَقبل عليه عُمَر فقال له : قد أَنصَتْنا لك فاسمع يا مذبوبُ[2] [إليّ] ! أَخبرني عن تخيُّرك لنفسك وتخيُّرك لِمَن تُحِبّ حيث تقول : [من الطويل]

أَلا ليتَنا يـا عَـزَّ كُنّا لِذِي غِنًى   بَعِيرَيْنِ نَرْعى في الخَلاءِ ونَعْزُبُ
كِلانا بِـه عَـرٌ فَمَـنْ يَرَنا يَقُلْ   عَلى حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِي وأَجْرَبُ
إذا مـا وَرَدْنا مَنْهَـلاً صاح أَهلُهُ   علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمى ونُضْرَبُ
وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ أَنَّكِ بَكْـرَةٌ   هِجانٌ وأَنّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ[3]
نكون بَعِيرَي ذِي غِنًـى فيُضيعُنا   فلا هُـوَ يَرْعانـا ولا نحن نُطْلَبُ

وقال : تَمَنَّيْتَ لها ولنفسك الرِّقَّ والجرب والرَّمْيَ والطَّرْدَ والمَسْخَ ، فأَيَّ مَكْروهٍ لم تَمَنَّ لها

1 في نسخة : الفيق وهو هدف يوضع لرمي السهام وإصابته .
2 المذبوب : المجنون .
3 بكرة هجان : بيضاء . والمصعب : الفحل .

ولنفسك ؟ لقد أصابها منك قولُ القائل : «معاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودَّة أحمقَ» . قال : فجعل يختلج جسده كلّه . ثم أقبل عليه الأحوص فقال : إليَّ يا ابن استْها[1] أُخبِرْكَ بخبرك وتعرُّضِك للشرّ وعجزك عنه وإهدافك لِمَن[2] رَماك . أخبرني عن قولك : [من الطويل]

وقُلْنَ ، وقد يَكْذِبْن ، فيكَ تَعَيُّفٌ وشُؤْمٌ إذا ما لم تُطَعْ صاح ناعقُهْ
وأَعْيَيْتَنا لا راضياً بكرامةٍ ولا تاركاً شَكْوى الذي أنت صادِقُهْ
فأدركتَ صَفْوَ الودِّ مِنَّا فلُمْتَنا وليس لنا ذَنْبٌ فنحن مَواذِقُهْ[3]
وأَلفيتَنا سَلْماً فصَدَّعْتَ بَيْنَنا كما صَدَّعتْ بين الأديمِ خَوالِقُهْ[4]

والله لوِ احتفلَ عليكَ هاجيك ما زاد على ما بُؤْتَ به على نَفْسِك . قال : فخَفَقَ كما يَخْفِق الطائرُ . ثم أقبل عليه النُّصَيبُ فقال : أَقْبِلْ عليَّ يا زُبَّ الذُّباب ! فقد تَمَنَّيْتَ معرفة غائبٍ عندي عِلْمُه فيك حيث تقول : [من الطويل]

وَدِدْتُ ، وما تُغْني الوَدادةُ ، أنَّني بما في ضَمِير الحاجبيَّةِ عالِمُ
فإنْ كان خيراً سَرَّني وعَلِمْتُه وإنْ كانَ شَرّاً لَم تَلُمْني اللَّوائمُ

انظُر في مِرْآتِك واطَّلعْ في جَيْبِك واعْرِفْ صورةَ وجهِك ، تَعْرِفْ ما عندها [لك] . فاضطرب اضطراب العُصفور ، وقام القوم يضحَكون . وجلست عنده ؛ فلمّا هدأ شأْوُه قال لي : أَرْضَيْتُك فيهم ؟ فقلت له : أمّا في نفسك فنعَمْ ! فقد نحِسَ يومُك معهم ، وقد بقِيتُ أنا عليك . فما عُذْرُكَ ، ولا عُذْرَ لك ، في قولك : [من الطويل]

سقى دِمْنَتَيْنِ لَم نَجِدْ لهما أَهْلا بِحَقْلٍ لكم يا عَزَّ قد رابَنا حَقْلا
نَجاءُ الثُّرَيّا كُلَّ آخرِ لَيْلةٍ يَجُودُهما جَوْداً ويُتْبِعُه وَبْلا

[ثم قلتَ في آخرها] :

وما حَسِبتْ ضَمْريَّةٌ حَدَرِيَّةٌ سِوى التَّيْس ذي القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلا

أهكذا يقول الناس ويحك ! ثم تظنّ أنّ ذلك قد خَفِيَ ولم يعلَم به أحدٌ ، فتَسُبّ الرجالَ وتَعيبهم ؟ فقال : وما أنت وهذا ؟ وما علمُك بمعنى ما أردت ؟ فقلت : هذا أعجبُ من ذاك . أتذكُر امرأةً تَنْسِبُ بها في شِعْرِك وتَسْتَغْزِرُ لها الغيثَ في أوّل شِعْرِك ، وتَحمِلُ عليها التَّيْسَ في

1 يقال لابن الأمة عند تحقيره : «يا ابن استها» يعنون أنها ولدته من استها .
2 أهدف لكذا : تعرّض له .
3 مواذق : جمع ماذقة . يقال مذق الود إذا لم يخلصه .
4 البين هنا : الوصل . خوالق الأديم : اللائي قدرنه قبل أن يقطعنه .

آخره ! قال : فأطرقَ وذَلَّ وسَكَن . فعُدْتُ إلى أصحابي فأَعلمْتُهم ما كان من خَبَره بعدَهم . فقالوا : ما أنت بأهْوَن حجارتِه التي رُمِي بها اليوم منّا . قال فقلتُ لهم : إنّه لم يَتِرْني فأطلبَه بذحْلٍ ، ولكنّي نصحتُه لئلاّ يُخِلَّ هذا الإخلالَ الشديد ، ويركبَ هذه العروض[1] التي رَكِب في الطَّعْن على الأحرار والعَيْبِ لهم .

[شدد والي مكة في الغناء ، فخرج فتية إلى وادي محسر وبعثوا لابن سريج فغناهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال حدَّثني ابن جامع عن السَّعيديّ عن سهل بن بَرَكةَ وكان يَحْمِل عُودَ ابنِ سُرَيجٍ قال : كان على مكّة نافعُ بن عَلقمة الكِنانيّ ، فشَدَّد في الغِناء والمغنّين والنبيذ ، ونادى في المخنَّثين . فخرج فِتيةٌ من قريش إلى بطن مُحَسِّرٍ[2] وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم براويةٍ من الشراب الطائفيّ . فلمّا شَرِبوا وطَرِبوا قالوا : لو كان معنا ابن سريج تَمَّ سرورنا . فقلت : هو عليّ لكم . فقال لي بعضهم : دونَك تلك البغلةَ فارْكَبْها وامْضِ إليه . فأتيتـه فأخبرتـه بمكان القوم وطلبِهم إيّاه . فقال لي : وَيْحَكَ ؛ وكيف لي بذاك مع شِدّة السلطان في الغناء ونِدائه فيه ؟ فقلت له : أفتردُّهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالعُودِ ؟ فقلت له : أنا أَخْبَؤه لك فشأنَك . فركب وسترتُ العُودَ وأَردفني . فلمّا كنّا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل ، فقال لي : يا ابنَ بَرَكةَ هذا الأمير ؛ فقلتُ : لا بأس عليك ، أَرْسِلْ عِنانَ البغلة وامْضِ ولا تَخَف ، ففعل . فلمّا حاذيناه عَرَفني ولم يعرف ابن سُرَيج ، فقال لي يا ابن بركة : مَن هذا أَمامَك ؟ فقلت : ومَنْ ينبغي أن يكون ! هذا ابن سُريج . فتبسَّم [ابن] علقمة ثم تمثّل : [من الطويل]

فإنْ تَنْجُ منها يـا أَبانُ مُسَلَّماً فقد أفلتَ الحَجّاجُ خيلَ شَبِيبِ

ثم مضى ومَضَيْنا . فلمّا كنّا قريباً من القوم نزلنا إلى شجرةٍ نستريح ، فقلت له : غَنِّ مرتجلاً ؛ فرفع صوته فخُيِّل إليَّ أنّ الشجرة تنطق معه ، فغنّى : [من الكامل]

صوت

كيف الثَّواءُ بِبَطْنِ مَكّةَ بعـد مـا هَـمَّ الذيــن تُحِـبّ بـالإنجادِ
أَمْ كيف قلبُك إذ ثَوَيْتَ مُخَمَّراً سَقَماً خِلافَهمُ وكَرْبُـكَ بادي[3]
هل أنتَ إن ظَعَنَ الأَحِبَّـةُ غادِي أم قبـلَ ذلـك مُدْلِـجٌ بسَوادِ

1 العَروض : الطريق في عرض الجبل .
2 بطن محسّر : وادي المزدلفة بالقرب من مكّة .
3 المخمر : أصله المصدع من الخمر .

الشعر للعرجيّ . وذكر إسحاق في مُجَرَّده أنّ الغناء فيه لابن عائشةَ ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وحكى حماد ابنه عنه أنّ اللحن لابن سريج . قال سهل : فقلت : أحسنتَ والذي فلَقَ الحبَّة وبرأ النَسمة ، ولو أنّ كنانة كلّها سَمِعَتْك لاستحسنتْك فكيف بنافع بن علقمة ! المغرور مَنْ غَرَّه نافع . ثم قلت : زِدْني وإنْ كان القوم متعلّقةً قلوبهم بك . فغنَّى وتناول عُوداً من الشجرة فأوقَعَ بـه على الشجرة ؛ فكان صوتُ الشجـرة أحسنَ مـن خَفْـق بُطـون[1] الضَّأن على العيـدان إذا أخذتْها قُضْبان الدِّفْلى . قال : والصوت الذي غنّى : [من الكامل]

صوت

لا تَجْمَعـي هَجْـراً عليّ وغُرْبـةً فالهَجْـرُ في تَلَـفِ الغريبِ سريعُ

مَـنْ ذا ، فديتُـكِ ، يستطيع لِحُبِّهِ دَفْعاً إذا اشتملـتْ عليـه ضُلوعُ

فقلتُ : بنفسي أنت واللهِ مَنْ لا يُمَلُّ ولا يُكَدُّ ، والله ما جَهِل مَن فهِمَك ؛ ارْكَبْ ، فدتْك نفسي ، بنا . فقال : أَمْهِلني كما أمهلتُك اقْضِ بعض شأني . فقلت : وهل عما تُريد مَدْفَعٌ ! فقام فصلَّى ركعتين ، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال : أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، ثم قال : يا حبيبتي إذا شَهِدْتِ بذاك الشيء فاشهَدي بهذا . ثم مضينا والقومِ متشوِّقون . فلمّا دَنونا أحسّت الدوابّ بالبغلة فصَهَلتْ ، وشَحَجتِ البغلة ، وإذا الغريض يُغنِّيهم لحنَه : [من الكامل]

مِنْ خَيْـلِ حَـيٍّ ما تَزالُ مُغيرةً سَمِعتْ على شَرَفٍ صَهيلَ حِصانِ

فبكى ابن سُريج حتى ظننتُ أنّ نفسه قد خرجتْ ، فقلت : ما يُبكيك يا أبا يحيى ؟ [جُعِلْتُ فداكَ !] لا يسوءك الله ولا يُريك سوءا ! قال : أبكاني هذا المخنَّث بحسن غنائه وشَجا صوتِه ؛ والله ما ينبغي لأحدٍ أن يُغَنِّيَ وهذا الصبيُّ حيٌّ . ثم نزل فاستراح وركِب . فلمّا سار هنيهةً اندفع الغريض فغنّاهم لحنَه : [من الخفيف]

يـا خليليّ قـد مَلِلتُ ثَوائي بالمُصَلّى وقـد شَنِئتُ البقيعا

قال : ولصوته دَوِيٌّ في تلك الجبال . فقال ابن سريج : ويلك يا ابن بركة ! أَسَمِعتَ أحسنَ من هذا الغِناء والشعر قَطّ ؟ قال : ونظروا إلينا فأقبلوا نَشاوى يسحَبون أعطافَهم ، وجعلوا يُقبِّلون وجهَ ابن سُرَيج . فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطِق بحرف [واحد] ، وأخذوا في شرابهم وقالوا : يا حبيبَ النفس وشقيقَها أعْطِها بعض مُناها ؛ فضرب بيده إلى جَيبه فأخرج منه مِضْراباً ، ثم أخذه بيده ووضع العود في حِجره ، فما رأيتُ يداً أحسنَ من يده ، ولا خشبةً

1 يريد ببطون الضأن الأوتار التي تتّخذ من المعيّ .

تَخَيَّلَتْ إليّ أنّها جوهرةٌ إلاّ هي ، ثم ضرب فلقد سبَّح القومُ جميعاً ، ثم غنَّى فكُلٌّ قال : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ! فكان ممّا غَنَّى فيه ، واللحن له هزج : [من مجزوء الرجز]

صوت

لَبَّيْـكِ يـا سَيِّدَتـي ... لَبَّيْـكِ ألفـاً عَـدَدا
لَبَّيْـكِ مـن ظالمـةٍ ... أُحِبتُهـا مُجْتَهِـدا
قُومُـوا إلى مَلْعَبِنـا ... نَحْكِ الجَـوارِي الخُرَّدا
وَضْعَ يَـدٍ فـوق يَـدٍ ... تَرْفَعُهـا يَـداً يَـدا

فكلٌّ قال : نفعل ذاك . فلقد رأيتُنا نستبق أيُّنا تَقَعُ يدُه على يده . ثم غنَّى : [من مخلّع البسيط]

ما هاجَ شَوْقَكَ بالصَّرائمْ ... رَبْـعٌ أحالَ لأُمِّ عاصِمْ[1]
رَبْـعٌ تَقـادَمَ عهـدهُ ... هـاجَ المُحِبَّ على التَّقادُمْ
فيـه النَّواعِـمُ والشَّبـا ... بُ الناعمون مـع النَّواعِمْ
مِـنْ كلّ ناعمـة الجَبِيـ ... ـنِ عَميمةٍ رَيّـا المَعاصِمْ[2]

ثم إنّه غنّى : [من الطويل]

صوت

شَجاني مَغاني الحَيِّ وانْشَقَّتِ العَصا ... وصاح غُـرابُ البين أنت مَريضُ
ففاضتْ دُموعي عند ذاك صبابةً ... وفيهنّ خَـوْدٌ كالمَهـاةِ غَضيضُ
وَوَلَّيْـتُ مخزونَ الفـؤادِ مُرَوَّعاً ... كئيباً ودمعـي في الرِّداء يَفيضُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر ، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن جُنْدَب . قال : فلقد رأيت جماعةَ طيرٍ وقعن بقُرْبنا وما نُحِسُّ قبل ذلك منها شيئاً ؛ فقالت الجماعة : يا تمامَ السرورِ وكمالَ المجلس ! لقد سَعِد مَن أخذ بحَظّه منك ، وخابَ مَن حُرِمَك ، يا حياةَ القلوب ونسيمَ النفوس جعلَنا [الله] فداءك ! غَنِّنا ؛ فغَنَّى واللحنُ له : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـا هِنْدُ إنَّكِ لـو عَلِمْـ ... ـتِ بعاذِلَيْـنِ تَتابَعـا

---

1 أحال الشيء : مرّ عليه حول ، مثل أحول الشيء .
2 امرأة عميمة : تامة القوام والخلق طويله .

وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأنّ فيه طُولاً ، فبدرتُ من بينهم فقبَّلت بين عينيه ، فتهافتَ القوم عليه يقبِّلونه ؛ فلقد رأيتُني وأنا أرفعُهم عنه شفقةً عليه .

[ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغانٍ]

وفي هذه الأشعار التي تناشدها كُثيِّر وعُمَر ونُصَيْبٌ والأحوصُ أغانٍ .

منها : [من المنسرح]

صوت

أبصرتُهـا ليلـةً ونسْوَتَهـا يَمْشِينَ بـين المَقامِ والحَجَرِ
ما إنْ طَمِعْنا بها ولا طَمِعتْ حتّـى التَقَيْنا ليـلاً على قَدَرِ
بِيضاً حِسانـاً خرائـداً قُطُفاً يَمْشِينَ هَوْنـاً كمِشْيَةِ البَقَرِ

الشعر لعُمَر . والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَشٍ . وذكر عمرو أنّ فيه لابن سُريج خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولأبي سعيدٍ مولى فائد ثقيلٌ أوّل ، وقيل : إنّه لِسِنانٍ الكاتب . ومن هذه القصيدة أيضاً ، وهذا أوّلها : [من المنسرح]

صوت

يـا مَـنْ لِقَلْـبٍ مُتَيَّمٍ كَمِدٍ يَهْـذِي بخَـوْدٍ مَرِيضَة النَّظَرِ
تمشِي رُوَيْـداً إذا مَشَتْ قَطَفاً وهْيَ كمثل العُسْلوج مِ البُسُرِ[1]
مـا زالَ طَرْفِي يَحـارُ إذ بَرَزتْ حتّى عرفتُ النُّقْصانَ في بَصَري

غنّاه ابن محرز ، ولحنُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

قالـتْ لِتِرْبٍ لهـا تُحَدِّثُها لَنُفْسِدنّ الطَّـوافَ في عُمَرِ
قالـتْ تَصَدَّيْ لـه لِيَعْرِفَنا ثمّ اغمِزِيه يـا أُختِ في خَفَرِ
قالتْ لها قـد غمزتُه فأَبـى ثم اسْطِيرتْ تشتدُّ في أثَري[2]

غناء يونس خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ . وقيل : إنّ فيه لعبد الله بن العَبّاس لحناً جَيِّداً .

ومنها ما لم يَمْضِ ذكرُه في الكتاب : [من الطويل]

---

1 قطفاً : بطيئان السير : الواحدة قطوف . العسلوج : ما لان واخضر من القضبان ، والبسر : التمر قبل إرطابه .

2 استطيرت : ذُعرت .

صوت

أَلا ليتنا يا عَزَّ من غيرِ بِغضَةٍ بَعِيرَيْنِ نَرْعَى في الخَلاء ونَعْزُبُ
كلانا بِهِ عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يَقُل على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِي وأجربُ
إذا ما وَرَدْنا مَنْهَلاً صاح أهلُهُ علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمى ونُضْرَبُ

الغناء لإبراهيم ، رملٌ بالوسطى عن حَبَشٍ .

[فضلت عزّة الأحوص في الشعر على كُثَيِّر ، فنقدته وأوردت نماذج من شعر الأحوص]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة عن عَوانة وعيسى بن يزيد : أنّ كُثَيِّراً دخل على عَزّة ذات يومٍ ، فقالت له : ما ينبغي لنا أن نأذَنَ لك في الجلوس . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنّي رأيتُ الأحوصَ أَلْيَنَ جانباً [في شِعْرِهِ] منك في شِعْرِك وأضْرَعَ خَدّاً للنساء ، وإنّه لأشعرُ منك حين يقول : [من البسيط]

يا أيُّها اللائِمِي فيها لأُصْرِمَها أكثرتَ لو كان يُغْني منك إكْثارُ
ارْجِعْ فلستَ مُطاعاً إذ وَشَيْتَ بها لا القَلْبُ سالٍ ولا في حُبِّها عارُ

وإنّي استَرقَقْتُ قوله : [من الطويل]

وما كُنت زَوَّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لا بُدَّ أنْ سَيَزُورُ

وأعجبني قوله : [من البسيط]

كَمْ من دَنِيٌّ لها قد صِرْتُ أَتْبَعُه ولو صحا القلبُ عنها كان لي تَبَعا[1]
وزادني كَلَفاً بالحُبِّ أنْ مَنَعتْ أَحَبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا[2]

وقوله أيضاً : [من الطويل]

وما العَيْشُ إلاّ ما تَلَذّ وتَشْتَهي وإنْ لام فيه ذو الشُّنانِ وفَنَّدا[3]

فقال كثيِّر : قد والله أجاد ؛ فما الذي استَجْفَيْتِ من قولي ؟ قالت : أخزاك الله ! أما استحييتَ حين تقول : [من الطويل]

يُحاذِرْنَ منّي غَيْرةً قد عَرَفْنَها لَدَيَّ فما يَضْحَكْنَ إلاّ تَبَسُّما

فقال كُثَيِّر : [من الطويل]

1 صحا في ل : سلا .
2 مثل .
3 الشنان : البغض من الشنآن .

وَدِدْتُ وبيتِ اللهِ أَنَّكِ بَكْـرَةٌ هِجانٌ وأَنِّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ
كِلانا بــه عَــرٌّ فمَــنْ يَرَنا يَقُلْ على حُسْنِها جَرْباء تُعْدِي وأَجْرَبُ
نكــون لِــذي مــالٍ كثيرٍ مُغَفَّلٍ فلا هُــوَ يرعانـا ولا نحن نُطْلَبُ

[أبيات من شعر أبي زبيد وبيان ألحانها]

فقالت لي : وَيحَك ! لقد أردتَ بي الشقاءَ الطويل ، ومن المُنى ما هو أعفى من هذا وأَطْيَبُ : [من المنسرح]

صوت

قــد كنتَ في مَنْظرٍ ومُستَمَعٍ عَنْ نَصْرِ بَهْراءَ غير ذي فَرَسِ
لا تِــرَةٌ عندهــم فتَطْلُبَهـا ولا هــمُ نُهْــزَةٌ لُمختَلِسِ
بكَــفٍّ حَــرّانَ ثائــرٍ بــدَم طَلّاب وِترٍ في الموتِ مُنْغَمِسِ
إمّا تَقارَشْ بــك الرّماحُ فـلا أبكيــك إلاّ للدّلْــوِ والمَرَسِ
تَذُبُّ عنــه كَــفٌّ بهـا رَمَقٌ طيراً عُكُوفـاً كَزُوّر العُرُسِ
عمّـا قليـلٍ يَصْبَحْنَ مُهْجَتَه فهُــنَّ مــن والغٍ ومُنتهِسِ

الشعر لأبي زُبَيْد الطائيّ . والغِناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ الأوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ في الأربعة الأُول خفيفَي ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لَمَعْبد وابن مُحْرِز ، ووافقه الهِشاميّ في لحن مَعْبَدٍ في الأوّل والثاني وذكر أنّه بالوسطى . وفي كتاب ابـن مِسْجَحٍ عن حَمّاد له ؛ فيه لحنٌ يقال إنّه لابن مُحْرِز . ولابن سُرَيْج في الأوّل والخامس والسادس والسابع رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر لنا حبشٌ أنّ الرمل لمعبد ، وذكر إسحاق أنّه لابن سُرَيْج أيضاً ، وأوّله : [من المنسرح]

تَذُبُّ عنه كـفٌّ بها رمقٌ

وفيه لمالك في السادس والسابع خفيف ثقيل آخر . وفيه لابن عائشة رَمَلٌ . وفيه لِحُنَينٍ ثاني ثقيل . هذه الحكايات الثلاث عن يونس ، وطرائقُها عن الهشاميّ . ولِمُخارق في الرابع والأوّل خفيفُ رَمَلٍ . ولِمُتَيَّم في الأوّل والثاني خفيف رملٍ آخر . وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم في الأوّل والثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن مسْجَحٍ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى .

[210] ـ أخبار أبي زبيد ونسبه

[نسبه]

هو حَرْمَلَةُ بن المُنْذِر ، وقيل المنذر بن حرملة . والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعْدِيكَرِبَ بن حَنظَلة بن النُّعمان بن حَيَّة بن سَعْنةَ بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هَنيء بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّىء بن أُدَدِ بن زيد بن يَشْجُبَ بن عَريب بن زيد بن كَهْلان .

[نصراني مخضرم في الطبقة الخامسة عند ابن سلام]

وكان أبو زُبَيْدٍ نَصرانيّاً وعلى دينه مات . وهو ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام فَعُدّ في المخضرمين . وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين ، وهم العُجَيْر السَّلُوليّ وذووه[1] . وقد مضى أكثرُ أخباره مع أخبار الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط .

[من زوّار الملوك ، وكان عثمان يقرّبه]

أخبرني أبو خليفة الفضلُ بن الحُباب الجُمَحِيّ إجازةً قال : حدَّثني محمد بن سَلاّم الجُمَحِيّ قال حدَّثني أبو الغَرّاف قال : كان أبو زُبَيْدٍ الطائيّ من زُوّار الملوك وخاصّة ملوك العجم ، وكان عالِماً بِسِيَرهم . وكان عثمان بن عَفّان رضي الله تعالى عنه يُقَرّبه على ذلك ويُدْني مجلسه ، وكان نصرانيّاً . [فحضَر ذاتَ يومٍ عثمان وعنده المهاجرون والأنصار] ، فتذاكروا مآثِرَ العربِ وأشعارَها .

[استنشده عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد]

قال : فالتفتَ عثمان إلى أبي زُبَيد وقال : يا أخا تُبَّعِ المسيح أَسْمِعْنا بعضَ قولك ؛ فقد أُنبئتُ أنّك تُجِيد . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَنْ مُبْلِغٌ قومَنا النائين إذ شَحَطُوا أنّ الفؤادَ إليهم شَيِّقٌ وَلِعُ

ووصَفَ [فيها] الأسد . فقال عثمان رضي الله تعالى عنه : تالله تفتأ تذكرُ الأسدَ ما حَيِيتَ . واللهِ إنّي لأَحْسِبُك جَباناً هِداناً[2] . قال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، ولكنّي رأيتُ منه مَنظَراً وشَهِدتُ منه مَشْهَداً لا يرح ذِكْرُه يتجدَّد ويتردّد في قلبي ، ومعذورٌ أنا يا أمير

1 هم العجير بن عبد الله السلوليّ ، وعبد الله بن همام السلوليّ ، ونافع بن لقيط الأسديّ .

2 الهدان : الأحمق الثقيل .

المؤمنين غيرُ مَلُوم . فقال له عثمان رضي الله عنه : وأنَّى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ في صُيَّابة[1] أشرافٍ من أَفناء[2] قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ ، ترتمي بنا المَهارِي بأكسائها[3] ، ونحنُ نريد الحارث بن أبي شَمِرٍ الغَسَّانيّ ملك الشام ؛ فاخْرَوَّطَ[4] بنا السيرُ في حَمارَّة القَيْظ ، حتى إذا عَصَبتِ[5] الأفواه ، وذَبَلتِ الشِّفاه ، وشالتِ المياه[6] ، وأذْكتِ الجَوْزاءُ المَعْزاءَ[7] ، وذابَ الصَّيْهَد[8] ، وصَرَّ الجُنْدَبُ ، وضاف العُصْفورُ الضَّبَّ وجاوره في حُجْره ، قال قائل : أيُّها الرَّكْبُ غَوِّروا بنا في ضَوْج[9] هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بَدا لنا كثرُ الدَّغَل ، دائمُ الغَلَل[10] ؛ شَجْراؤه مُغِنَّةٌ ، وأَطيارُه مُرِنَّة[11] . فحَطَطْنا رِحالنا بأُصولِ دَوْحاتٍ كَنَهْبَلاتٍ[12] ، فأَصَبْنا من فَضَلات الزّاد وأَتْبَعْناها الماءَ البارد . فإنّا لَنَصِفُ حَرَّ يومِنا ومُماطَلَتَه[13] ، إذ صَرَّ أَقصى الخيلِ أُذُنَيْه[14] ، وفَحَص الأرضَ بيديه . فوالله ما لَبِثَ أنْ جال ، ثم جَمْحَمَ فَبال ، ثم فعل فِعْلَه الفرسُ الذي يليه واحداً فواحداً ، فتضعضعتِ الخيلُ ، وتَكَعْكَعتِ[15] الإبل ، وتقهقرتِ البِغال ، فمِن نافرٍ بشِكاله[16] ، وناهضٍ بعقاله ؛ فَعَلِمنا أنْ قد أُتِينا وأنَّه السَّبُعُ ؛ ففَزِع كلُّ رجلٍ منّا إلى سيفه فاستلَّه من جُرُبّانه[17] ، ثم وقفنا [له] رَزْدَقاً (أي صَفّاً) . وأقبل أبو الحارث من أجمته يَتَظالَعُ في مِشيته من نَعْته[18]

1 صُيّاب القوم : خيرتهم وسادتهم .
2 من أفناء العرب : أي لا يدري من أي القبائل هم .
3 أكساء : جمع كُسي وهو مؤخر العجز .
4 اخروّط : طال .
5 عصبت الأفواه : جفت .
6 شالت المياه : قلّت .
7 المعزاء : الأرض الصلبة كثيرة الحصى .
8 الصيهد : السراب الجاري وشدّة الحرّ .
9 الضّوج : منعطف الوادي .
10 الغلل : الماء الذي يجري بين الأشجار .
11 مُرِنّة : أي مغرّدة .
12 كَنَهْبَل : شجر عظام .
13 المماطلة : الطول والامتداد .
14 صرّ أُذنيه : سوّاهما ونصبهما للاستماع .
15 تكعكعت : تأخّرت إلى وراء .
16 الشِّكال : الحبل الذي تشدّ به قوائم الدابة .
17 جُرُبّانة السيف : غمده .
18 ل : بغيه .

كأنّه مجنوبٌ[1] ، أو في هِجارٍ[2] [معصوب] ؛ لِصَدْرِه نَحِيطٌ[3] ، ولِبَلاعِمه غَطِيطٌ ؛ ولِطَرْفِه وَمِيضٌ ، ولأَرساغِه نَقِيضٌ[4] ؛ كأنّما يَخْبِط هَشِيماً ، أو يَطأُ صَرِيماً[5] وإذا هامةٌ كالمِجَنّ ، وخَدٌّ كالمِسَنّ[6] ، وعَينانِ سَجْراوانِ[7] ، كأنّهما سَراجان يَقِدان ، وقَصَرةٌ رَبِلَة[8] ، ولِهْزِمةٌ رَهِلَة[9] ؛ وكَتَدٌ مُغْبَطٌ[10] ، وزَوْرٌ مُفْرط[11] ؛ وساعدٌ مجدول ، وعَضُدٌ مفتول ؛ وكَفٌّ شَثْنة البَراثن[12] ، إلى مَخالِبَ كالمَحاجِن[13] . فضرب بيده فأَرْهَجَ[14] ، وكشَّر فأَفْرَجَ ، عن أنياب كالمَعاولِ مصقولة ، غير مفلولة ؛ وفَمٍ أَشْدَقَ ، كالغار الأجوف ؛ ثم تمطّى فأسرع بيديه ، وحفز[15] وَرِكَيه برجليه ، حتى صار ظِلُّه مِثْلَيْهِ ؛ ثم أَقْعى فاقشعرّ ، ثم مَثَل[16] فاكْفَهَرَّ ، ثم تَجَهَّم فازبَأَرَّ[17] . فلا وذُو بَيْتُه في السماء ما اتّقيناه إلاّ بأوّل أخٍ لنا من فَزارة ، كان ضَخْمَ الجُزارةِ[18] ، فوقَصَه ثم نفضه نَفْضةً فَقَضْقَضَ متنيه[19] ، فجعل يَلَغُ في دمه . فَذَمَرْتُ أُصحابِي[20] ، فَبَعْدَ لأيٍ ما استَقْدَمُوا . فَهَجْهَجْنا به[21] ، فكَرَّ مُقْشَعِرًّا بزِبْرَتِه[22] ،

---

1 المجنوب : المصاب بذات الجنب .

2 الهِجار : حبل يُشدّ في رسغ رجل البعير ثم يشدّه إلى حقوه .

3 نحيط : زفير .

4 النقيض الأرساغ : صوتها .

5 الصريم : الحبّ المقطوع من الزرع .

6 المِسَنّ : الحجر الذي يُسنّ به أو يُسَنّ عليه .

7 عين سجراء أي بيّنة السجر ، وهو أن يخالط بياضها حمرة .

8 القصرة : أصل العنق إذا غلظت ، والربلة : كل لحمة غليظة .

9 اللهزمة : عظم ناتيء أو مضغة عليّة تحت الأذن ، ورهلة : منتفخة .

10 الكتد : ما بين الكاهل إلى الظهر . ومغبط : مرتفع .

11 الزور : الصدر .

12 شثن البراثن : خشنها ، والبراثن : جمع البرثن ، وهو من السّباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان .

13 المحجن : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان .

14 أرهج : أثار الغبار .

15 حفز : دفع .

16 مثل : قام منتصباً .

17 ازبأرّ : تنفّش حتى ظهرت أصول وبر شعره .

18 ضخم الجزارة : كبير الرأس واليدين والرجلين يريد أنه عظيم الجسم .

19 وقصه : دق عنقه . قضقض متنيه : كسر متنَي الظهر .

20 ذمر أصحابه : لامهم وحضّهم وحثّهم .

21 هجهجنا به : صحنا به وزجرناه ليكفّ .

22 الزّبرة : الشعر المجتمع بين كتفَي الأسد .

كأنّ به شَيْهَماً حَوْلِياً ،[1] ، فاختلجَ رجلاً أُعْجَرَ ذا حَوايا[2] ، فنَفَضَه نفضةً تزايلَتْ [منها] مفاصله ، ثم نَهَمَ ففَرْفَرَ[3] ، ثم زفر فبربَر[4] ، ثم زأرَ فجرْجَرَ[5] ، ثم لَحَظَ[6] ، فوالله لَخِلْتُ البَرْقَ يتطايرُ من تحت جُفونه ، من عن شِماله ويمينه . فأُرْعِشَتِ الأيدي ، واصْطَكَّتِ الأرجُل ، وأطَّتِ الأضلاعُ[7] ، وارْتَجَّتِ الأسماعُ ، وشَخَصتِ العيونُ ، وتَحقَّقتِ الظُّنونُ ، وانْخَزلتِ المُتون . فقال له عثمان : اسْكُتْ قَطَعَ الله لِسانَكَ ! فقد أرعبتَ قلوبَ المسلمين .

[خوفه من الأسد]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال حدَّثني العُمَريّ قال حدَّثني شُعْبةُ قال : قلتُ للطِّرِمّاح بن حكيم : ما شأنُ أبي زُبَيْدٍ وشأنُ الأَسَدِ ؟ فقال : إنّه لَقِيه بالنَّجَفِ ، فلمّا رآه سَلَح من فَرَقه ، وقال مرّة أُخرى : فسَلَّحَه ، فكان بعد ذلك يَصفه كما رأيت .

[مفاخرة بين المكاء الطائي وبين الشيباني وشعر أبي زبيد في ضربة المكاء]

أُخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدَّثني أبي عمّن يَثِق به أنّ رجلاً من طيِّىء من بني حيّةَ نزل به رجُلٌ من بني الحارث بن ذُهْل بن شَيبان يقال له المُكّاء ، فذبح له شاةً وسقاه الخمر ، فلمّا سكِرَ الطائيّ قال : هلُمَّ أُفاخرك : أَبنو حيَّةَ أكرمُ أم بنو شيبان ؟ فقال له الشيبانيّ : حديثٌ [حسن] ، ومُنادَمةٌ كريمةٌ أحبُّ إلينا من المفاخرة . فقال الطائيّ : والله ما مَدّ رجلٌ قطُّ يداً أطولَ من يَدي . فقال الشيبانيّ : والله لئن أعدتَها لأَخْضِبَنَّها من كُوعِها . فرفع الطائيّ يده ، [فضربها الشيبانيّ بسيفه فقطعها] . فقال أبو زبيدٍ في ذلك : [من الخفيف]

خبَّرَتْنا الرُّكبانُ أن قد فَخَرْتُم ... وفَرِحْتُمْ بضَرْبَةِ المُكّاء
ولَعَمْري لَعارُها كان أدنى ... لَكُمُ من تُقًى وحَقٌ وفاء
ظَلَّ ضيفاً أخوكُم لأخينا ... في صَبُوح ونَعْمةٍ وشِواء

1 الشيهم : ما عظم شوكة من ذكور القنافذ . والحولي : ما أتى عليه حول .
2 اختلج رجلاً : انتزعه ، وأعجر : ممتلىء جداً ، أو عظيم البطن ، الحوايا : الأمعاء .
3 نهم : أخرج صوتاً كالأنين . وفرفر : صاح .
4 بربر : صاح .
5 جرجر : ردّد صوته في حنجرته .
6 لحظ : نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضباً .
7 أطّت الأضلاع : صوّتت .

ثم لمّا رآه لانتْ به الخمـ ـــر وأن لا يريبـــهُ باتّقاء
لم يَهَبْ حُرْمَةَ النَّديم وحُقَّت يـا لقـومٍ للسَّوْءة السَوْءاء

[ما قاله في كلبه أكدر حين لقيه الأسد فقتله]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي عبيد الله عن محمد حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان لأبي زبيدٍ كلبٌ يقال له أُكْدَر ، وكان له سلاحٌ يُلْبسُه أيّاه ، فكان لا يَقوم له الأسد ، فخرج ليلة قبل أن يلبِسَه سلاحَه ، فلقيَه الأسد فقتله ، ويقال : أخذه فأفْلَت منه ، فقال عند ذلك أبو زبيد : [من البسيط]

أُحـــالَ أَكْـــدرُ مُخْتـــالاً كعادته حتى إذا كان بين البئر والعَطَنِ[1]
لاقى لدى ثُلَـلِ الأطـــواء داهيةً أَسْرَتْ وأكدَرَ تحتَ الليل في قَرَنِ[2]
حطَّت بـــه شيمةٌ وَرْهاءُ تطردُهُ حتى تَناهى إلى الحُولات في السَّنَنِ[3]
إلى مُقابَـــلِ خَطْـوِ السَّاعدَيْن له فوق السَّراة كذِفْرى الفالج القَمِنِ[4]
رئبالِ غابٍ فـلا قَحْمٌ ولا ضرَعٌ كالبغلِ يحتطم العِلجين في شطَنِ

[لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجابهم]

وهي قصيدةٌ طويلةٌ . فلامه قومُه على كَثرة وصفِه للأسد ، وقالوا له : قد خِفنا أن تَسبُّنا العربُ بوصفك له . قال : لو رأيتم منه ما رأيتُ أو لَقِيكم ما لَقِي أكدر لما لُمْتُموني . ثم أمسك عن وصفِه فلم يصِفْه بعد ذلك في شعره حتى مات .

[وصف النُعمان بن المنذر وذكر ما حدث في مجلس له]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني أبو سعيدٍ السكَّريّ قال حدَّثني هارون بن مُسْلم بن سَعدان أبو القاسم قال حدَّثنا هشامٌ ابن الكلبيّ قال : كان الأجلحُ الكِنْدِيُّ يحدّث عن عمارةَ بن قابوس قال : لقيتُ أبا زُبَيْد الطائيّ فقلت له : يا أبا زبيد هل أتيتَ النُّعمانَ بن المنذر ؟ قال إي والله لقد أتيتُه وجالستُه . قال قلت : فصِفْه لي . فقال : كان أحمر أزرق أبْرَش قصيراً . فقلت له : بالله أخبرني أيَسرُّك أنّه سمع مقالتَك هذه وأنّ لك حُمْرَ النَّعَم ؟ قال : لا والله ولا سُوَدها ؛ فقد رأيتُ ملوكَ حِمير في مُلْكها ، ورأيت ملوك غسّان في ملكها ، فما

---

1 أحال : أقبل . مختالاً في ل : مشياً . العطن : مناخ الإبل حول الورد .
2 ثلة البئر : ما أخرج من ترابها . والأطواء : جمع الطويّ . القرن : حبل يجمع به البعيران .
3 الحُولات : جمع حُولة وهي الداهية .
4 الفالج : البعير ذو السّنامين . والقمن : السريع .

رأيتُ أحداً قطُّ كان أشدَّ عزّاً منه . وكان ظهْرُ الكوفة يُنْبت الشقائق ، فَحَمى ذلك المكانَ ، فنُسِب إليه فقيل «شقائقُ النُّعمان» .

فجلس ذات يوم هناك وجَلسْنا بين يديه كأنّ على رؤوسنا الطّير ، وكأنّه باز . فقام رجل من الناس فقال لـه : أبَيْتَ اللعن ؛ أعْطني فإنّي محتاج . فتأمّله طويلاً ثم أَمَر به فأُدْني حتى قَعَد بين يديه ، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مَشاقِص[1] فجعل يَجَأُ[2] بها في وَجْهه حتى سَمِعْنا قَرْعَ العِظام ، وخُضبت لحيتُه وصدره بالدم ، ثم أَمر به فنُحّي . ومكثنا مليّاً .

ثم نهض آخرُ فقال له : أبَيْت اللّعنَ ؛ أعْطِني . فتأمّله ساعةً ثم قال : أَعْطُوه ألفَ درهم ، فأخذها وانطلَقَ .

ثم التفَتَ عن يمينه ويساره وخَلْفِه ، فقال : ما قولُكم في رجلٍ أزْرق أُحْمَر يُذْبح على هذه الأكَمَة ، أترون دمَه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي ؟ فقُلنا له : أنتَ ، أبيتَ اللعن ، أعْلى برأيك عَيْنا . فدعا برجل على هذه الصِّفة فأَمَر به فذُبح .

ثم قال : ألا تسألوني عمّا صنعتُ ؟ فقلنا : ومن يسأَلُكَ ، أبيتَ اللعن ، عن أمْركَ وما تصنع ؟ فقال : أما الأوّل فإنّي خرجتُ مع أبي نتَصيَّد ، فمررت به وهو بفناءِ بابه وبين يديه عُسٌّ من شراب أو لبن ، فتناولتَه لأشربَ منه ، فثار إليّ فهراقَ الإناء فملأ وجهي وصدري ، فأعطيتُ الله عَهْداً لئن أَمكنني منه لأخْضِبَنَّ لحيتَه وصدرَه من دم وجهه .

وأمّا الآخر فكانت له عندي يَدٌ كافأته بها ، ولَم أكُنْ أُثْبته ، فتأمّلته حتى عرفته .

وأمّا الذي ذبحتُه فإنّ عينا لي بالشام كتب إليّ : إنّ جَبَلة بن الأيْهَم قد بعث إليك برجُل صِفَتُه كذا وكذا ليغتالَك . فطلبته أيّاماً فلم أقْدِرْ عليه ، حتى كان اليوم .

[مات نديم له في غيبته فرثاه وصبّ الخمر على قبره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان لأبي زُبَيدٍ نديمٌ يشرب معه بالكوفة ، فغاب أبو زبيد غَيْبةً ، ثم رجع فأُخْبر بوفاته ، فعَدَل إلى قَبره قبل دخوله منزلَه ، فوقَفَ عليه ثم قال : [من المنسرح]

يا هاجِري إذ جئتُ زائرَهُ ما كان منْ عاداتكَ الهَجْرُ
يا صاحبَ القبْر السّلام على مَنْ حال دون لِقائه القَبْرُ

1 المِشقص : نصل عريض أو سهم .
2 الوجء : الضرب .

ثم انصرَف . وكان بعد ذلك يجيء إلى قبره فيشرَب عنده ويصُبُّ الشراب على قبره .

والأَبيات التي فيها الغناء المذكور يقولُها في غلامٍ له قَتَلَتْه تغلِبُ ، وكان مُجاوراً فيهم ، فدَلَّ بَهْراءَ على عَوْرتهم وقاتلهم معهم فقُتِل .

[شعره في غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه]

أَخبرني بخَبَره أَبو خليفة قال حدَّثني محمد بن سلاّم . وأَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عمّه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان أَخوالُ أَبي زبيد بني تَغْلب ، وكان يقيم فيهم أَكثرَ أيّامه ، وكان له غلام يرعى إبله ، فغزتْ بهراءُ بني تَغْلِب ، فمرّوا بغلامه ، فدَفَع إليهم إبلَ أبي زبيد وقال : انطلقوا أدُلَّكم على عَوْرة القَوْم وأُقاتل مَعَكم . ففعلوا ، والتَقَوْا ، فهُزِمت بهراءُ وقُتِل الغلامُ ، فقال أَبو زبيد هذه القصيدة وهي : [من المنسرح]

هــل كنتَ في مَنْظَرٍ ومُسْتَمَع عن نَصْرِ بَهْراء غيرَ ذي فَرَسِ
تَسْعى إلى فِتيــةِ الأَراقِمِ واسـ ـتعجلْتَ قَبْل الجمان والقبسِ[1]
في عارضٍ مــن جبال بها الأ لُّ مَرَين الحــروب عن دُرَسِ[2]
فَنُهْزَةً مَــنْ لَقُــوا حَسِبْتَهم أَحْلى وأَشْهى من باردِ الدِّبِس
لا تِــرة عندهــم فتطلبَهــا ولا هُــمُ نُهْــزَة لُمختَلِسِ
جُــودٌ كرام إذا هــم نُدِبُوا غَيْرُ لئـامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُسِ[3]
صُمْتٌ عظام الحلُوم إن قعدوا عن غير عِــيٍّ بِهم ولا خَرَسِ
تقُــوتُ أفراسَهُــم نساؤُهُــمُ يُزْجُون أجمالَهــمْ مع الغلسِ
صادفْتَ لّمــا خرجتَ مُنْطَلِقاً جَهْــمَ المُحَيّــا كباسلٍ شِرسِ
تَخــالُ في كفِّــه مثقّفــةً تلمَــع فيهــا كَشُعْلة القَبَسِ
بكــفِّ حــرّانَ ثائــرٍ بــدمٍ طَلاّبِ وِترٍ في الموتِ مُنْغَمِسِ
إمّا تَقارَنْ بــك الرِّمــاح فلا أَبكيــك إلاّ للدَّلو والمَرَسِ
حَمِدتَ أَمْري ولمت أَمرَك إذ أَمسك جَلْزُ السِّنانِ بالنَّفَسِ[4]

1 الجمان والقبس : ناقتان .

2 مرين الحروب : جلبنها . دُرَس : جمع دُرسة وهي الرياضة .

3 كُسس : جمع أكس ، أي ليس فيهم خروج الأسنان السّفلى على الحنك الأسفل .

4 جلز السّنان : الحلقة المستديرة في أسفله .

وقــد تصلّيتَ حَــرَّ نارهــمُ كما تَصَلّى المقرور من قَرَسٍ[1]
تَــذُبُّ عنه كــفٌّ بهــا رمق طيراً عكوفــاً كَزُوَّرِ العُرُسِ[2]
عمّــا قليــلٍ علــون جُثّتــه فهــنَّ مــن والــغ ومُنْتهِسِ

[أخذ دية غلامه وثمن إبله من تغلب وقال شعراً]

فلمّا فرغ أبو زبيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلِب بديِة غلامه وما ذهب من إبله ، فقال في ذلك : [من الوافر]

ألا أبلغ بني عمرٍو رسولاً فإنّــي في مودّتكم نَفِيسُ

هكذا ذكر ابن سلاّم في خبره ، والقصيدة لا تَدُلُّ على أنّها قِيلت فيمن أحسن إليه وودى غلامه وردَّ عليه ماله . وفي رواية ابن حبيب : [من الوافر]

ألا أبلِغ بني نصر بن عمرٍو

وقوله أيضاً فيها : [من الوافر]

فما أنا بالضعيفِ فتظلِموني ولا جافي اللقاء ولا خسِيسُ
أفي حقٌّ مواساتــي أخــاكم بمــالي ثم يظلِمني السرِيسُ

السريس : الضعيف الذي لا ولد له ــ وهذا ليس من ذلك الجنس . ولعلّ ابن سلام وهِم .

[هو أحد المعمرين]

وأبو زبيد أحدُ المُعَمَّرين ، ذكر ابن الكلبيّ أنّه عمر مائة وخمسين سنة .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان طول أبي زبيد ثلاثة عشر شبرا .

[كان يدخل مكة متنكراً لجماله]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدَّثنا محمد بن عبد الله العبدِيُّ أبو بَكْرة قال حدَّثني أبو مِسعرٍ الجُشَميّ عن ابن الكلبيّ قال : كان أبو زبيد الطائيّ مِمَّنْ إذا دخل مكّة دخلها متنكّراً لجماله .

[منادمته الوليد بن عقبة بعد اعتزال الوليد عليا ومعاوية]

وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدَّثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال : لمّا صار الوليدُ بن عقبــة إلى الرَّقَّةِ واعتزل عليّاً عليه السلام ومعاوية ، صار أبو زبيد إليه ، فكان ينادمه ،

1 القرس : البرد الشديد .
2 الزور : جمع الزائر . والعرس : طعام الوليمة .

وكان يُحْمَل في كلّ أحدٍ إلى البِيعة مع النصارى . فبينا هو يوم أَحَدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال : [من الطويل]

إذا جَعَل المرءِ الذي كان حازماً ... يُحَـلُّ بـه حَلَّ الحُوارِ ويحملُ

فليس له في العيش خيرٌ يريده ... وتكفينُهُ مَيْتـاً أعـفُّ وأَجملُ

[دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه]

ومات فدُفِن هناك على البَلِيخ[1] . فلمّا حضرت الوليدَ بن عقبة الوفاةُ أوصى أن يُدفن إلى جنب أبي زبيد . وقد قيل : إنّ أبا زبيد مات بعد الوليد ؛ فأَوصى أن يدفن إلى جنب الوليد .

[قال ابن الكلبيّ في خبره الذي ذكره إسحاق عنه : هرب أَبو زبيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإبله فكان يقبِّلُه[2] حلبَ الجُمان والقيس ، وهما ناقتان كانتا له . فلمّا كان يوم حابس ، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجيرُ أبي زُبيد مع بهراء ، فقتل وانهزمت بهراء ، فمرّ أَبو زبيد به وهو يجود بنفسه ، فقال فيه هذه القصيدة] .

أُخبرني محمد بن يحيى ويحيى بن عليّ الأبوابيُّ المدائنيّ قالا حدَّثنا عقبة المِطرفيُّ قال : كنّا في الحمام ومعي ابـن السَّعْدِيّ وأنـا أقرأ القرآن ، فدخل سعد الرُّواسيّ فغنّى : [من المنسرح]

قـد كنـت في منظرٍ ومستَمع ... عن نصر بهراء غيرَ ذي فرسِ

فقال ابن السعديّ : اسكت اسكت ؛ فقد جاء حديث يأكل الأحاديث .

[أوصى له الوليد بن عقبة حين احتضر بالخمر ولحوم الخنازير]

[أُخبرني عمِّي والحسن بن عليّ قالا حدَّثني العمريّ قال حدَّثني أَحمد بن حاتم قال حدَّثني محمد بن عمرو الجمّاز قال حدَّثني أَبو عبيدة عن يونس وأَبي الخطّاب النحويّ : أنّ الوليد بن عقبة بن أَبي معيط أَوصى لما احتُضِر لأَبي زُبيد بما يُصلِحه في فِصحِهِ وأَعياده ، من الخمر ولحوم الخنازير وما أَشبه ذلك . فقال أَهله وبنوه لأَبي زُبيد : قد علمتَ أنّه لا يحلُّ لنا هذا في ديننا ، وإنّما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقّك ، فقدِّره لنفسك ما شئت أن تعيش ، وقَوِّمْ ما أَوْصى به لك حتى نعطيك قيمتَه ولا تفضحْنا وتفضح آباءنا بهذا ، واحفظه واحفظنا فيه ، ففعل أَبو زبيد ذلك ، وقبله منهم] .

---

1 نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون .

2 من قولهم قبّلت العامل العمل ، أي جعلته في كفالته .

صوت

[من البسيط]

هَلْ تعرفَ الدار من عامين أو عام ... دارٌ لِهندٍ بجزِع الحُـرج فالدامِ[1]
تحنــو لأطلائِهـــا عِـينٌ مُلَمَّعَةٌ ... سُفْعُ الحدود بعيدات من الرامي[2]

الحرج والدام : موضعان ، ويروى «مذ عامين» . وهذا الأجود ، وكلاهما رُوِي . وعِين : بقر . وأطلاؤها : أولادها ، واحدها طلا . ويروى : «بعيدات من الذام» هو الذي يذم .

[الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعريّ حين توليته العراق]

الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعريَّ لما ولاّه عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه العراق . والغناء لمالك ، خفيفُ رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر أنّ فيه لابن جامع أيضاً صنعةً .

1 الحرج والدام : موضعان .
2 الملمّعة : التي فيها بقع تخالف سائر لونها وقيل بقعة من السواد خاصة .

211 ـ [أخبار متفرقة عن الحطيئة وغيره]

قال محمد بن حبيب : أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه ، فأخبره أنّ العِدّةَ قد تمّت ، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها ، وأوّلها : [من البسيط]

هل تعرِف الدار من عامين أو عامِ دار لهند بجِزعِ الحرجِ فالدامِ

وفيها يقول :

وجحفلٍ كسوادِ الليلِ منتَجعٍ أرضَ العدوّ ببوسٍ بعد إنعامِ
جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ ومن تميم ومن حاء ومن حامِ

حاء من مذحج ، وحام من خثعم :

وما رَضيتَ لهم حتّى رَفَدتهم من وائل رهطِ بِسطامٍ بأصرامِ[1]
فيه الرماح وفيه كلّ سابغة جدلاءِ مُحْكَمةٍ من نسجِ سلاّمِ

يعني سليمان النبيّ :

وكلُّ أجردَ كالسِّرحان أضمره مسحُ الأكُفّ وسقي بعد إطعامِ
مستحقباتٍ رواياها جحافِلُها يسمو بها أشعريٌّ طرفه سامِ[2]

الروايا : الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم ، وتجنب[3] الخيل إليها فتضع حجافلها على أعجاز الإبل :

لا يزجُرُ الطَّيْرَ إن مرّت به سُنُحاً ولا يُفِيض على قِدْحٍ بأزلامِ

وقال المدائنيّ : لمّا مدح الحطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى . وقد كان كتب مَن أراد وكملت العدّةُ ، فبلغ ذلك عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فكتب يلومُه ، فكتب إليه : إنّي اشتريت منه عِرضي ، فكتب إليه : أحسنتَ . قال : وزاد فيه حمّاد الراوية أنّه ، يعني نفسه ، أنشدها بلالَ بن أبي بردة ولم يكن عرفها فوصله .

أخبرني القاضي أبو خليفة إجازةً قال حدَّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدِم حمّاد الراوية البصرة على بلال بن أبي بُرْدة وهو عليها فقال له : ما أطرفتني شيئاً يا حمّاد ، فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة في أبي موسى ، فقال له : ويحك ! يمدح الحطيئة

---

1 أصرام : جماعات .

2 مستحقبات : من استحقب الشيء : شدّه في مؤخّر الرحل واحتمله خلفه .

3 تجنب إليها : تقاد إلى جنبها .

أبا موسى وأنا أروي شعره كلّه ولا أعلم بهذه ؟ أَذِعْها تذهبْ في النّاسِ .

وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلُها سعيد بن العاص عنها ، وتحالفوا ألاّ يُوَلُّوا عليها إلاّ مَن يريدون .

[وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص]

أخبرني بالسبب في ذلك أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثني عمر بن شبَّة قال حدَّثنا المدائنيّ عن أبي مِخْنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق قال : كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القُرّاء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه ، فتذاكروا يوماً السهلَ والجبل ، فقال حسانُ بنُ محدوج : سهلنا خير من جبلنا : أكثرُ بُرّاً وشعيراً ، فيه أنهارٌ مطَّردة ، ونخل باسِقات ، وقلَّت فاكهةٌ يُنبِتُها الجبل إلاّ والسهل ينبت مثلها . فقال له عبد الرحمن بن حُبَيش : صدقتم ، ودِدت أنّه للأمير وأنّ لكم أفضلَ منه . فقال الأشتر : تمنّ للأمير أفضلَ ولا تتقرّب إليه بأموالنا ، فقال : ما ضَرَّكَ ذلك . والله لو يشاء أن يكون له لكان . قال : كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه . فقال سعيد : والله ما السوادُ إلاّ بستانٌ لقريش ، ما شئنا أخذنا منه ، وما شئنا تركنا . فقال له الأشتر : أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا ؛ ثم ضربوا عبد الرحمن بن حُبَيْش حتى سقط .

قال المدائنيّ فحدَّثني عليُّ بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبيّ [ومجالد بن حمزة بن بيض عن الشعبيّ] قال : بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمراً وزُبْداً إذ قال سعيد : السواد بستان قريش ، فما شِئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد : صدَق الأمير . فوثب عليه القرّاء فضربوه ، وقالوا له : يا عدوّ الله ، يقول الباطِلِ وتصدقه ! فقال سعيد : اخرجوا من داري . فخرجوا ، فلمّا أصبحوا أتوا المسجدَ فداروا على الحِلَق فقالوا : إنّ أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئُنا ومركزُ رماحنا ، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا . فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه : إنّ قِبَلي قوماً يُدْعَون القرّاء وهم السفهاء ، وثبتوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفّوا بي . منهم عمرو بن زرارة ، وكُمَيْل بنُ [زياد ، والأشتر وحُرقوص بن هبيرة ، وشريح بن أوفى ، ويزيد بن] المكفَّف ، وزيد وصعصعة ابنا صُوحان وجُندب بن عبد الله . فكتب إليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغزوا مغازِيَهم . وكتب إلى سعيد : قد كفيتك الذي أردت فأقرئهم كتابي فإنّي أراهم لا يخافون إن شاء الله ، واتّق الله جَلَّ وعزّ وأحسِن السيرة . فأقرأهم الكتاب ، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال : إنّكم قدِمتم بلداً لا يعرف أهله إلاّ الطاعةَ فلا تجادلوهم فتدْخِلوا الشكَّ قلوبَهم . فقال له الأشتر : إنّ الله جلّ وعزّ

قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبيّنوه للناس ولا يكتموه ، فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه . فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرْصِدين للفتنة ، فاتّقوا الله ﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾ . فقال عمرو بن زُرارة : نحن الذين هدى الله . فأمر معاوية بحبسهم . فقال له زيدُ بن صُوحان : إنّ الذين أشخصونا إليك لم يَعجِزوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسِنُوا جِوارنا ، وإن كنّا ظالمين فنستغفر الله ، وإن كنّا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : إنّي لا أرى حبسك أمراً صالحاً ، فإن أحببتَ أن آذن لك فترجع إلى مصرك وأكْتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت . قال : حسبي أن تأذن وتكتبَ إلى سعيد . فكتب إليه ، فأذن له ، فلمّا أراد زيد الشخوص كلّمه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما . وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه ؛ ثم أشخصهم معاويةُ إلى حِمْص ، فكانوا بها ، حتى أَجْمَعَ أهلُ الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائنيّ حدَّثني الوقاصيّ عن الزهريّ : أنّ أهل الكوفة لمّا قدِموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم : أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه . ففعل ، فلم يحقّقوا عليه شيئاً إلاّ قولَه : «السوادُ بستانُ قريش» ، وأثنى الآخرون عليه . فقال عثمان : أرى أصحابكم يسألون إقراره ، ولم يثبتوا عليه إلاّ كلمةً واحدة ، لم يَنتهك بها لأحد حرمةً . ولا أرى عزله إلاّ أن تُثبتوا عليه ما لا يحلُّ لأحد تركُه معه . فانصرفوا إلى مصركم . فرجع سعيدٌ والفريقان معه ، وتقدّمهم عليّ بن الهيثم السدوسيُّ حتى دخل رحبَةَ المسجد فقال : يا أهل الكوفة إنّا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا ، ونحن نرى أنّه سيصرفه عنّا ، فردّه إلينا وهو يزعم أنّ السواد بستان له . وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم . فقالوا : لا نرضى .

[الأشتر يخطب محرضاً على عثمان]

وجاء الأشتر فصعد المِنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذكر عثمان رضي الله عنه ، فحرّض عليه ثم قال : مَن كان يرى أنّ للهِ جلّ وعزّ حقّاً فلْيصبح بالجَرَعة ، ثم قال لكُمَيْل بن زياد : انطلق فأخرج ثابتَ بن قيس بن الخَطِيم ، فأخرجه . واستعمل أهلُ الكوفة أبا موسى الأشعريّ .

[عثمان يخضع لقوّة الرأي العام فيعزل سعيداً ويولي أبا موسى]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثنا عفّان قال حدَّثنا أبو مِحْصَنٍ قال حدَّثنا حصينُ بن عبد الرحمن قال حدَّثني جُهَيْمٌ قال : أنا شاهد للأمر ، قالوا لعثمان : إنّك استعملت أقاربَك . قال : فليقم أهلُ كلّ مصر فليُسْلِمُوا صاحبهم . فقام أهل الكوفة فقالوا : اعزل عنّا سعيداً واستعمل علينا أبا موسى الأشعريّ . ففعل .

[ثناء امرأة على سعد بن أبي وقاص وذمها سعيداً]

قال أبو زيدٍ : وكان سعيدٌ قد أبغضه أهل الكوفة لأمور : منها أنّ عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطّه سعيد إلى مائة مائة . فقالت امرأة من أهل الكوفة تذمّ سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقّاص : [من الطويل]

فليتَ أبا إسحاق كان أميرَنا ... وليت سعيداً كان أوّلَ هالكِ[1]

يُحَطِّطُ أشراف النساء ويتّقي ... بأبنائهنّ مُرْهَفات النَّيازِكِ[2]

[هدية سعيد بن العاص إلى علي بن أبي طالب]

حدّثني العبّاس بن عليّ بن العبّاس ومحمدُ بن جرير الطبريّ قالا حدّثنا يحيى بن معين قال حدّثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا شعبة بن عمرو بن مُرّة قال سمعت أبا وائل يحدّث عن الحارث بن حُبَيْش قال : بعثني سعيدُ بنُ العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه : إنّي لم أبعث إلى أحد بأكثر ممّا بعثت به إليك إلاّ شيئاً في خزائن أمير المؤمنين . قال : فأتيت عليّاً فأخبرته ، فقال : لشدَّ ما تَحْظُر بنو أُمَيّة تراث محمد ﷺ . أمّا والله لَئِنْ وليتُها لأنْفُضَنَّها نفضَ القصّاب لتراب الوذَمةِ .

قال أبو جعفر : هذا غلط إنّما هو لِوِذام التَّرِبة[3] .

قال أبو زيد وحدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ عن السعديّ عن أبيه قال : بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلةٍ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ فقال : والله لا يزالُ غلامٌ من غِلْمان بني أُمَيّة يبعث إلينا ممّا أفاءَ اللهُ على رسوله بمثل قوتِ الأرملة ، واللهِ لئن بقيتُ لأنْفُضَنَّها نفضَ القصّابِ لوِذام التربة . هكذا في هذه الرواية .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ وَعدٍ منكِ لا أنساه لي ... أَوْجَبَ الشُّكرَ وإن لم تَفْعَلي

أَقْطعُ الدَّهرَ بظنٍّ حَسَنٍ ... وأُجَلّي غَمْرةً ما تَنْجلي

كلَّما أمَّلتُ يوماً صالحاً ... عَرَضَ المَكْروهُ لي في أَمَلي

وأرى الأيّامَ لا تُدْنِي الذي ... أَرْتَجي منكِ وتُدْني أَجَلي

عروضه من الرّمل ؛ الشِّعرُ لمحمد بن أُمَيّة ، والغناء لأبي حَشيشة ، رملٌ طُنبوريّ وفيه لَحْن لحسين بن مُحْرِزٍ ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن أبي عبد الله الهشاميّ .

---

1 أبو إسحاق : كنية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

2 النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .

3 الوذام : جمع وذمة : قطعة الكرش . والتربة : الكرش .

[212] ـ أخبار محمد بن أُميّة وأخبار أَخيه عليّ بن أُميّة وما يغنّى فيه من شعرهما

[نسبه]

سألتُ أَحمدَ بن جعفرٍ جَحْظة عن نسبه قُلتُ له : إنّ النّاسَ يقولون ابنُ أُمَيّة وابنُ أَبي أُميّة ؛ فقال : هُوَ محمد بنُ أُميّة بن أَبي أُميّة .

[ومنادمته إبراهيم بن المهديّ]

قال : وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً ، وكان ينادمُ إبراهيم بن المَهْدِيِّ ، وربّما عاشَر عليَّ بنَ هِشام ، إلاّ أنّ انقِطاعَه كان إلى إبراهيم ، وربّما كتبَ بين يديه . وكان حَسَنَ الخطّ والبَيان . وكان أُمَيّة بنُ أَبي أُمَيّة يكتُبُ للمَهْدِيّ على بَيْتِ المال . وكان إليه خَتْمُ الكُتُبِ بِحَضْرته ، وكان يأْنس به لأَدَبِهِ وفَضْلِهِ ، ومكانِه من وَلائِهِ ، فزامَلَه أَربَعَ دَفَعاتٍ حَجّها في ابتدائِهِ ورُجُوعِهِ .

قال جَحظةُ : وحدَّثني بذلك أَبو حَشيشَة .

[إعجاب أبي العتاهية به في حضرة إبراهيم بن المهديّ]

وحدَّثني جحظة أيضاً قال حدَّثني أَبو حشيشة عن محمد بن عليّ بن أُمَيّة قال حدَّثني عمِّي محمد بن أُمَيّة قال : كنتُ جالساً بين يديْ إبراهيم بن المهديّ ، فدخل إليه أَبو العتاهية وقد تَنَسَّك ولبس الصوفَ وترك قولَ الشعر إلاّ في الزهد ، فرفعه إبراهيم وسُرَّ به ، وأَقبل عليه بوجهه وحديثِهِ ؛ فقال له أَبو العتاهية : أَيُّها الأَمير بلغَني خبرُ فتًى في ناحيتك ومن مواليك يُعْرَف بابن أُمَيّة يقول الشعرَ ، وأُنْشِدْتُ له شعراً أَعجبني ، فما فَعَل ؟ قال : فضحك إبراهيم ثم قال : لعلّه أَقربُ الحاضرين مجلساً منك . فالتفت إليّ فقال لي : أَنت هو فَدَيْتُك ؟ فتشوّرت[1] وخجلت وقلت له : أَنا محمد بنُ أُمَيّة جُعلت فداءك ؛ وأَمّا الشعر فإنّما أَنا شابٌّ أَعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشابُّ ؛ فقال لي : فديتك ، ذلك والله زمانُ الشعر وإبّانه ، وما قيل فيه فهو غُرَرُه وعيونُه ، وما قَصُر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومىء إليه أَبلغُ وأَملحُ . وما زال ينشّطني ويؤنسني حتى رأى أَنّي قد أَنِست به ، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ : إنْ رأى الأَمير ، أَكرمه الله ، أَن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر . فقال لي إبراهيم : بحياتي يا محمد أَنشِده . فأَنشدته :

1 تشوّرت : استحييت .

رُبَّ وعدٍ منكِ لا أنساهُ لي ... أوجبَ الشكر وإن لم تفعلي

وذكر الأبيات الأربعة . قال : فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعُه على لحيته وجعل يُرَدِّد البيت الأخير منها وينتحِب ، وقام فخرج وهو يردّده ويبكي حتى خرج إلى الباب .

[هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها]

أخبرني عمّي قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قرقارةُ قال حدَّثني محمد بن عليّ بن أميّة قال : كان عمّي محمد بن أُميّة يهوى جاريةً مغنّية يقال لها خِداعُ كانت لبعض جواري خالِ المعتصم ، فكان يدعوها ، ويعاشره إخوانه إذا دعوه بها اتّباعاً لمسرّته . وأراد المعتصم الخروجَ والتأهُّب للغزو ؛ وأمر الناس جميعاً بالخروج والتأهّب ، فدعاه بعضُ إخوانه قبل خروجهم بيوم ، فلمّا أضحى النّهار جاء من المطرِ أمرٌ عظيمٌ لم يقدِرْ معه [أحد] أن يُطلِعَ رأسَه من داره ، فكاد محمد أن يموت غمّاً ، فكتب إلى صديقه الذي دعاه [وقد كان ركِب إليه ثم رجعَ لشدّة المطر] ولم يقدِر على لقائه : [من الوافر]

تمادى القَطْرُ وانقطع السبيلُ ... من الإلفين إذ جرتِ السيولُ
على أنّي رِكبتُ إليكَ شوقاً ... ووجهُ الأرض أودِيةٌ تجولُ
وكان الشوقُ يَقْدُمُني دليلاً ... وللمشتاق معتزماً دليلُ
فلم أجِد السبيلَ إلى حبيبٍ ... أُودِّعه وقد أَفِدَ الرحيلُ
وأرسلْتُ الرسولَ فغاب عنّي ... فيا للهِ ما فعل الرسولُ !

وقال في ذلك أيضاً : [من الرمل]

مجلس يُشْفى به الوطرُ ... عاق عنه الغيمُ والمطرُ
رَبِّ خُذْ لي منهما فهُما ... رحمةٌ عمّت ولي ضررُ
ما على مولاي مَعْتبةٌ ... عذره بادٍ ومستتِرُ
شُغِلتْ عيني بعبرتها ... واستمالت قلبيَ الفِكَرُ

قال : ثم بِيعت خِداعُ هذه فاشتراها بعضُ ولد المهديّ وكان ينزل شارع الميدان ، فحجبت عنه وانقطع ما بينهما إلاّ مكاتبةً ومُراسلةً .

قال محمد بن عليّ فأنشدني يوماً عمّي محمد لنفسه فيها : [من الخفيف]

خطراتُ الهوى بذكر خِداعٍ ... هِجْنَ شوقي لا دراساتُ الطلولِ
حُجِبتْ أن تُرى فلستُ أراها ... وأرى أهلَها بكلّ سبيلِ

وإذا جاءها الرسولُ رآها ... ليْتَ عيني مكان عينِ الرسولِ
قد أتاكِ الرسول يَنْعتُ ما بي ... فاسمعي منه ما يقول وقولي

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

بناحية المَيْدان دربٌ لو آنني ... أُسمِّيهِ لم أرشُد وإن كان مُفْسدي
أخافُ على سكّانه قولَ حاسدٍ ... يشير إليهم بالجفون وباليدِ
وصائفُ أبكارٌ وعُونٌ نواطِقٌ ... بألسنةٍ تشفي جَوى الهائم الصَّدي
يُقارِبْن أهلَ الوُدّ بالقول في الهوى ... وما النجمُ من معروفهنّ بأبعدِ
يزِدن أخا الدنيا مُجُوناً وفِتنة ... ويَشغَفن قلبَ الناسك المتعبِّدِ
وليلة وافى النوم طيف سَرى به ... إليَّ الهوى منهنّ بعد تجرُّدِ
فقاسَمْتُه الأشْجان نِصفين بيننا ... وأوْرَدْتُهُ من لوعةِ الحبّ مَوْردي
ونِلْتُ الذي أمَّلتُ بعد تَمَنُّع ... وعاهدتُه عهدَ امرىء متوكِّدِ
فلمّا افترقنا خاس بالعهد بيننا ... وأعرضَ إعراضَ العروسِ من الغدِ[1]
فوا ندماً ألا أكونَ ارتهنتُه ... لأخْبُرَهُ في حفظِ عهدٍ وموعدِ

[إعجاب أبي العتاهية بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني حذيفةُ بن محمد قال قال لي محمدُ بن أبي العتاهية : سمع أبي يوماً مخارقاً يغني : [من الطويل]

أحبُّكِ حُبّاً لو يُفَضُّ يَسيرُهُ ... على الخَلْقِ ماتَ الخلْقُ من شِدَّةِ الحُبِّ[2]
وأعْلَمُ أنّي بعدَ ذاكَ مقصِّرٌ ... لأنَّكِ في أعْلى المَراتِبِ مِنْ قَلْبي

فطَرِبَ ثم قال له : من يقولُ هذا يا أبا المُهنأ ؟ قال : فتى من الكتَّاب يخدُمُ الأميرَ إبراهيمَ بنَ المهديّ . فقال : تَعْني محمدَ بنَ أُميَّة ؟ قال : نعم . قال : أحسَنَ والله ، وما يزال يأتي بالشَّيء المليحِ يبدو له .

[مزاحه مع مسلم بن الوليد]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ قال حدَّثني أحمد بن أُمَيّة بن أبي أميّة قال : لَقِي أخي محمّدُ بن أُميّة مُسْلمَ بن الوليد وهُو يَمْشي وطويلته[3] مع بعض رواته ، فسلم عليه ثم

1 خاس بالعهد : نقضه وخانه .
2 يفض : يفرق .
3 الطويل : يراد بها قلنسوة طويلة .

قال له : قد حضرني شيء ؛ فقال : هاتِه ؛ فقال : على أنّه مِزاح لا يُغْضَبُ منه ، قال : هاتِه ولو أنّه شتم . فقال : [من الرمل]

مَنْ رأى فيما خَلا رجُلاً ... تِيهُهُ يُرْبِي على جِدَتِهْ
يَتَباهى راجلاً وله ... شاكِريٌّ في قَلَنْسِيتِهْ[1]

فسكَتَ عنه مسلم ولم يُجِبْه ، وضحِك منه محمدٌ وافترقا .

[مداعبة مسلم له حين نفق برذونه]

قال : وكان لمحمد بن أُمَيّةِ بِرْذَوْن يركبه ، فلقِيَه مسلمٌ وهو راجلٌ فقال : ما فعل بِرذونُك ؟ قال : نَفَقَ . قال : الحمد لله ، فَنُجازيك إذاً على ما كان منك إلينا . ثم قال مسلم : [من السريع]

قل لابن ميٍّ لا تكن جازعاً ... لن يرجع البِرذونُ باللَّيْتِ
طامَنَ أَحشاءَك فِقدانُهُ ... وكنتَ فيه عاليَ الصوتِ
وكنتَ لا تنزلُ عن ظهرِهِ ... ولَوْ من الحُشِّ إلى البيتِ
ما مات من حتف ولكنّهُ ... مات من الشَّوْق إلى الموتِ

[تعلقه بإحدى الجواري وما كان بينهما]

أخبرني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا يعقوبُ بن إسرائيل قال حدَّثني محمد بن عليّ بن أُميّة قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : دخلت أنا ومحمد بن أُميّة منزل نَخّاس بالرَّقة أيّامَ الرشيد وعنده جاريةٌ تغنّي فوقعت عينُها على محمد ، ووقعت عينُه عليها ، فقال لها : يا جاريةُ ، أتغنّين هذا الصوت : [من الخفيف]

خبِّريني مَنِ الرسولُ إليكِ ... واجعَلِيهِ من لا ينمُّ عليكِ
وأشيري إليّ من هو باللحـ ... ـظِ ليخفى على الذين لديكِ
وأقلّي المُزاح في المجلسِ اليو ... م فإنّ المزاح بين يديكِ

فقالت له : ما أعرِفه ، وأشارت إلى خادمٍ كان على رأسها واقِفاً . فمكثا زماناً والخادم الرسول بينهما . قال : والشعر لمحمد بن أُميّة .

[تغنّى بشعرٍ له عمرو الغزال فتطيّر إبراهيم بن المهديّ]

حدَّثني جَحظة قال حدَّثني ميمون بن هارون قال حدَّثني بعضُ مَن كان يختلط بالبرامكة قال : كنتُ عند إبراهيم بن المهديّ ، وقد اصطبحنا وعنده عمرُو بن بانة ، وعبيد الله بن أبي غسّان ، ومحمد بن عمرو الروميّ ، وعمرو الغزّال ، ونحن في أطيب ما

---

1 الشاكري : الأجير والمستخدم . القلنسية والقلنسوة : من لباس الرأس .

كنّا عليه إذ غنّى عمرو الغَزَّالُ ، وكان إبراهيم بن المهديّ يستثقله ، إلاّ أنّه كان يتخفّف بين يديه ويَقصِدُه ، ويَبْلُغه عنه تقديمٌ له وعصبيّة ، فكان يَحْتَمِلُ ذاك منه ، فاندفع عمرٌو الغزال ، فتغنّى في شعرِ محمد بن أُميّة : [من السريع]

مـا تـمّ لي يومُ سرورٍ بمَنْ   أُهـواهُ مُـذْ كنتُ إلى اللَّيلِ
أغبـطَ مـا كنتُ بما نلته   منـهُ أتتنـي الرسْلُ بالزَّيْلِ
لا والذي يعلَـمُ كلَّ الذي   أُقـولُ ذي العِـزَّةِ والطَّوْلِ
ما رُمْتُ مذْ كنتُ لكم سَخْطَةً   بـالغَيْبِ في فِعْـلٍ ولا قَوْلِ

قال : فتطيّر إبراهيم ، ووضع القَدحَ من يده ، وقال : أعوذُ بالله من شرِّ ما قلتَ . فوالله ما سَكَتَ ، وأُخذنا نتلاقى في إبراهيمَ ، إذ أُتى حاجبُه يعدو فقال : ما لَك ؟ فقال : خرج الساعةَ مسرورٌ من دار أُميرِ المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى ، فلم يلبث أن خرج ورأسُه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته . فقال إبراهيم : ﴿إنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ارفع يا غلام ارفع . فرفع ما كان بين أيدينا ، وتفرّقنا فما رأيت عَمْراً بعدها في داره .

[كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب]

أُخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدَّثني محمد بن يحيى بن بُسْخُنَّر قال : كنت عند إبراهيم بن المهديّ بالرَّقّة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أميّة في يوم من حزيران ، فلمّا هممنا بذلك هبّت الجَنوب ، وتلطَّخَت السماءَ بغيم ، وتكدَّر ذلك اليوم ، فترك إبراهيمُ بنُ المهديّ الشُّرْبَ ولحقه صُداع ، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب ، فافترقنا ؛ فقال لي محمدُ بن أميّة : ما أحبَّ إليّ ما كرِهتموه من الجنوب ! فإن أنشدْتُك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم ؟ قلت : نعم . فأنشدني : [من البسيط]

إنّ الجنوبَ إذا هبَّت وجدتُ لها   طِيباً يذكِّرني الفِردوسَ إنْ نَفَحا
لَمّـا أُتَتْ بنسيم منـكِ أُعرِفُـه   شَوْقاً تَنَفَّستُ واستقبلتُهـا فَرِحا

فانصرفتُ معه إلى منزله ، وغنّيتُ في هذين البيتين وشربنا عليهما بقيةَ يومنا .

[ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع]

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسنادٍ : أُهدَتْ جاريةٌ يقال لها خِداعُ إلى محمد بن أُميّة ، وكان يهواها ، تفّاحةً مُفلَّجةً[1] منقوشةً مطيَّبة حسنةً ، فكتب إليها محمد : [من المنسرح]

خِـداعُ أهديـتِ لنا خُدْعةً   تُـفَّاحـةً طيِّبـةَ النَّشْرِ

1 مفلجة : مقسّمة .

ما زلتُ أرجوكِ وأخْشى الهوى مُعْتَصِماً بالله والصَّبرِ
حتى أتتني منكِ في ساعةٍ زَحْزَحَتِ الأحزانَ عن صَدري
حشوتِها مِسْكاً ونقَّشتِها ونَقْشُ كفَّيكِ من السِّحرِ
سَقْياً لها تفاحةً أُهْدِيَت لو لَم تكُنْ من خُدَعِ الدَّهْرِ

[التقي بجارية يهواها وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني عبد الله بن جعفر اليقطيني قال حدَّثني أبي جعفر بن عليّ بن يقطينَ قال: كنتُ أسيرُ أنا ومحمد بن أميّة في شارع المَيْدان، فاستقبلتْنا جاريةٌ، كان محمدٌ يَهواها ثم بِيعتْ، وهي راكبةٌ، فكلَّمها، فأجابته بجواب أخفَتْه فلم يفهمه، فأقبل عليّ وقد تغيَّر لونه فقال: [من البسيط]

يا جعفرُ بن عليّ وابن يقطينِ أَلَيْسَ دونَ الذي لاقيتَ يَكْفِيني
هذا الذي لم تَزَلْ نَفْسي تخوّفُني منها فأَيْنَ الذي كانَتْ تُمَنِّيني
خاطَرْتُ إذ أقبلتْ نحوي وقلتُ لها تَفدِيكِ نفسي فداءً غيرَ مَمْنونِ
فخاطبتني بما أخْفَته فانصرفتْ نفسي بظَنَّيْن مخشِيٍّ ومأمونِ

[تمثل المنتصر ببيت له]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدَّثني أبي قال: كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءَته رُقعَة لا أعلمُ مِمَّن هي، فقرأها وتبسَّمَ ثم إنّه أقبل عليَّ وأنشد: [من الوافر]

لطافةُ كاتبٍ وخشوعُ صبٍّ وفِطْنةُ شاعرٍ عندَ الجَوابِ

ثم أقبل عليّ فقال: مَن يقول هذا يا يزيد؟ فقلتُ: محمد بن أميّة يا أمير المؤمنين. فضحك وقال: كأنّه والله يصفُ ما في هذه الرُّقعة.

[عاتبه أخوه وابن قنبر لمّا لحقه من وله كالجنون لبيع جارية يحبها]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدَّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدَّثني حذيفةُ بن محمد قال: كنت أنا وابن قنْبر عند محمد بن أميّة بعقب بَيْع جاريةٍ كان يحبُّها وقد لحِقَه عليها ولهٌ كالجنون، فجعل ابن قنبرٍ وأخوه عليّ بن أميّة يعاتبانه على ما يظهر منه، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال: [من الطويل]

لو كنتَ جَرَّبْتَ الهوى يا ابن قَنْبَرٍ كوصفك إيّاه لألهاك عن عذْلي[1]

1 لألهاك في ل: لأغناك.

أنا وأخي الأدنى وأنت لها الفِدا ... وإن لم تكونا في مودّتها مثلي
أإنْ حُجبتْ عنّي أجود لغيرها ... بودّي وهل يُغري المُحبَّ سوى البُخْلِ
أُسَرَّ بأن قالوا تَضنّ بودّها ... عليك ومن ذا سُرّ بالبخل من قبلي

قال : فضحك ابن قَنْبر ، وقال : إذا كان الأمرُ هكذا فكن أنتَ الفداء لها ، وإن ساعدك أخوك فاتّفِقا على ذلك ، وأمّا أنا فلستُ أنشط لأن أُساعدك على هذا . وافترقنا .

[قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحَزَوَّر لمحمد بن أُميّة في جارية كان يهواها ، وقطَع الصومُ بينهما ، فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خُرَيْم المريَّ : [من الطويل]

قفا فابكيا إن كنتُما تجدان ... كوَجْدِي وإن لم تَبْكِيا فدَعاني
ففي الدَّمْع ممّا تُضْمر النفسَ راحةٌ ... إذا لم أُطِقْ إظهارَه بلساني
أغَصُّ بأسراري إذا ما لقيتُها ... فأُبْهَتُ مشدوهاً أغصُّ بناني
فيابن خُريم يا أخي دون إخوتي ... ومن هُوَ لِي مِثلي بكلّ مكانِ
تأمّلْ أحظّي من خِداعَ وحُبِّها ... سوى خُدَع تُذْكي الهوى وأماني
وأصبح شهرُ الصوم قد حال بيننا ... فيا ليتَ شوّالاً أتى بزمانِ

[شعر له فيها استحسنه ابن المعتزّ]

أنشدني جعفرُ بن قُدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتزّ قال أنشدني أبو عبد الله الهشاميُّ لمحمد بن أُميّة ، وفيه غناء لمتمّم ، قال واستحسنه عبد الله : [من الكامل]

صوت

عجَباً عجبتُ لُمذنبٍ متغَضّبِ ... لولا قبيحُ فَعالِه لم أُعْجَبِ
أخِداعُ ، طالَ على الفراش تقلُّبي ... وإليكِ طولُ تشوّقي وتطرّبي
لهفي عليكِ وما يردّ تلهّفي ... قصرت يداي وعزّ وجه المطلبِ

الغناء لمتيّم ، فيه لحنان : رملٌ عن ابن المعتزّ ، وخفيف رمل عن الهشاميّ . وهذا من شعر محمد فيها بعد أن بيعت . قال : وغنّتنا هَزارُ هذا الصوت[1] يومئذٍ .

---

1 ل : اللحن .

[أشعاره فيها إذ فقدها وحين وجدها]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا أحمد بن محمد الفيرزان قال حدَّثني شيبةُ بنُ هِشام قال : دعانا محمد بن أُمَيَّةَ يوماً ووجَّه إلى جاريةٍ كان يحبّها فدعاها ، وبعث إلى مولاها يُحْدرها[1] مع رسوله ، فأبطأ الرسولُ حتّى انتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال : أخذوا منّي الدراهم ثم ردّوها عليّ ، ورأيتهم مُخْتَلِطين ، ولهم قصة لم يُعَرِّفُونيها ، وقالوا : ليسَتْ هاهنا فإن عادت بعَثْنا بها إليكم . فتنغَّصَ عليه يومُه وتغيَّر وجهُه وتجمَّل لنا ؛ ثم بكَرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت ، فوَجَم طويلاً ، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً . فما أنسى حُرْقَة بكائه وهو ينشدني : [من الطويل]

تخطَّى إليَّ الدهرُ من بين مَن أُرى ... وسوءُ مقاديرٍ لهنَّ شئونُ
فشتَّتَ شملي دون كلِّ أخي هوًى ... وأقْصَدَني بلْ كلَّهم سَيَبِينُ[2]
ومهما تكُن من ضَحْكَة بعد فَقْدها ... فإنّي وإن أُظهرتُها لحزينُ
سلامٌ على أيَّامِنا قبل هذه ... إذِ الدّارُ دارٌ والسرورُ فنونُ

قال : ومضَتْ على ذلك مدّةٌ . ثم أخبرني أنّه اجتاز بها ، وهي تنظُر من وراء شُبَّاك ، فسلَّم عليها فأومأتْ بالسلام إليه ودخلَتْ ، فقال : [من الوافر]

تُطالِعُني على وجلٍ خِداعُ ... من الشُّبَّكِ التي عُملت حَدِيدا
مُطالِعتي ، قِفِي بالله حتَّى ... أُزَوِّدَ مُقْلَتي نظراً جديدا
فقالتْ إنْ سَها الواشون عنّا ... رجَوْنا أن تَعُودَ وأن نَعودا

وأنشدني أيضاً في ذلك : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا صاحبَ الشُّبَّكِ الذي اسْـ ... ـتَخْفى ، مكانُكَ غيرُ خافِ
أَفَما رأيتَ تلدُّدِي ... بفِناء قَصْرِكَ واختلافِي[3]
أَو ما رحمتَ تخشُّعي ... وتلفُّتي بَعْدَ انصرافي[4]

---

1 يحدرها : يرسلها .

2 أقصدني : طعنني ولم يخطئني .

3 تلددي : مكثي ووقوفي . واختلافي : تردّدي .

4 تخشّعي : تضرّعي .

صوت

[من الكامل]

إنّ الرِّجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ ... إنْ يَأْخذوكِ تكحَّلي وتخضَّبي
وأنا امْرؤٌ إن يأخذوني عَنْوةً ... أُقْرنْ إلى سَيْر الرِّكابِ وأُجْنَبِ
ويكون مَرْكَبُكِ القعودَ وحِدْجَه ... وابنُ النّعامةِ يومَ ذلك مَرْكبي[1]

عروضه من الكامل. قال ابن الأعرابيّ في تفسير قوله:

وابنُ النعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبي

ابن النعامة: ظِلّ الإنسان أو الفَرس أو غيره. قال جرير: [من الكامل]

إذْ ظَلَّ يَحْسَبُ كلَّ شيءٍ فارساً ... ويرى نعامةَ ظِلِّه فَيَحُولُ

يعني بنعامةِ ظِلِّه جَسَده. وقال أبو عمرو الشيبانيّ: النَّعامةُ ما يلي الأصابع في مُقَدّمِ الرِّجل. يقول: مَرْكَبي يومئذٍ رِجْلي. وقال الجاحظ: ذَكر علماؤنا البصريون: أنّ النعامة اسمُ فرسه. يقول: إنّي أشُدُّ على ركابي السرج فإذا صارَ للفرس، وهو الذي يُسَمَّى النعامةَ، ظلٌّ وأنا مقرونٌ إليه صار ظلّه تحْتي فكنتُ راكباً له. وجعل ظلّها هاهنا ابنَها.

الشعر للحارث بن لوذان بنِ عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبانَ بنِ ذهلِ بن ثعلبة. وقال ابن سلام: لخُزَزَ بن لَوْذان. ومن الناس مَن ينسب هذا الشعر إلى عنترةَ، وذلك خطأ. وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصليّ. والغناء لعزّةَ المَيْلاء. وأوّل لحنها: [من الكامل]

لِمَن الديارُ عرفتها بالشُّرْبُبِ ... ذهب الذين بها ولمّا تذهبِ[2]

وبعده «إن الرجال».

وطريقتُه من خفيفِ الثقيل الأوّل بالبنصر من روايتي حمّادٍ وابن المكّيّ. وفيه للهذيل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ. وفيه لعريبَ خفيفُ رملٍ. وفيه لعزّةَ المرزوقيّة لحن. وقال هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّات: هذا اللحنُ لريق، سلخت لحن «ومخنث شهِد الزفافَ وقبله» فجعلته لهذا، وهو لحنٌ محرَّك يشبه صنعة ابن سُرَيج وصنعةَ حَكَم في محركاتهما، فمن هنا يغلط فيه ويظنّ أنّه قديم الصنعة.

1 الحِدج: مركب من مراكب النّساء نحو الهودج.
2 الشربب: واد في ديار بني ربيعة.

213 ـ [بعض أخبار لابن أبي عتيق]

[ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزّة الميلاء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثت عن صالح بن حسان قال : كان ابن أبي عتيق معجباً بغِناء عزّة الميلاء كثرَ الزيارة لها ، وكان يختار عليها قوله :

لَمَـن الديـار عرفتها بالشُّرْبُـبِ

فسألها يوماً زيارتَه فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه ، فقال لها بعد أن استقرّ بها المجلسُ : يا عزّة ، أُحبُّ أن تغنّيني صوتي الذي أنا له عاشق . فغنّته هذا الصوت ، فطرِب كلّ الطرب وسر غاية السرور .

[جارية ابن أبي عتيق ومعابثة فتى لها]

وكانت له جارية ، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعبث بها ؛ فأعلَمتْ [ابنَ أبي عتيق بذلك ؛ فقال لها : قولي له : وأنا أُحبُّكَ ؛ فإذا قال لك : وكيف لي بك ؟ فقولي له : مولايَ يخرج غداً إلى مال له ، فإذا خرج أدخلتُكَ المنزل . وجمع] ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته [ومعهم عزّة الميلاء] ، وأدخلَت الجاريةُ [الرجلَ . وقال لعزّة : غنّي فأعادت الصوت . وخرجت الجاريةُ] فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنّها تطلب حاجة ، فقال لها : تعالَيْ . فقالت : الآن آتيك . ثم عادت فدعاها فاعتلّت[1] ، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة[2] ، فوثب ابنُ أبي عتيق عليه هو وأصحابه ، فقال لهم وهو غيرُ مكترث : يا فسّاقُ ما يُجلسكم هاهنا مع هذه المغنّية ؟ فضحِك ابن أبي عتيق من قوله وقال له : استر علينا سترَ الله تعالى عليك . فقالت له عَزّةُ : يا ابنَ الصِّدِّيق[3] ، ما أظرف هذا لولا فسقه ! فاستحيا الرجل فخرج ، وبلغه أنّ ابنَ أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان . فأقبل يعبث بها كلّما خرجت ، فشكت ذلك إلى مولاها ، فقال لها : أولَم يرتدع من العبث بك ! قالت : لا . قال : فَهَيِّئي الرّحى وهيّئي من الطعام طحينَ ليلةٍ إلى الغداة . فقالت : أفْعَلُ يا مولاي . فهيّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها : عِدِيه الليلة فإذا جاء فقولي له : إن وظيفتي الليلة طحنُ هذا البرّ كلّه ثم اخرجي من البيت واتركيه . ففعلت ، فلمّا دخل طحنت الجارية

1 اعتلت : اعتذرت .

2 الحَجَلة : بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

3 المقصود ابن أبي عتيق .

قليلاً ، ثم قالت له : إن كفَفْتُ الرّحى فإنّ مولاي جاءٍ إليّ أو بعض مَن وكّله بي ، فاطحن حتى نأمَن أن يجيئنا أحدٌ ، ثم أصيرَ إلى قضاء حاجتك . ففعل الفتى ومضت الجارية إلى مولاها وتركته . وقد أمر ابنُ أبي عتيق عدّة من مولياته أن يتراوحن على سهر ليلتهنّ ويتفقّدن أمرَ الطحين ويحثثن الفتى عليه كلّما أمسك ؛ ففعلن ، وجعلن ينادينه كلّما كفَّ : يا فلانة إنّ مولاك مستيقِظ ؛ والساعةَ يعلم أنّك كففت عن الطّحن ، فيقومُ إليك بالعصا كعادته مع مَن كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفّت عن الطّحن . فلم يزل الفتى كلّما سمع ذلك الكلامَ يجتهد في العمل والجارية تتعهّد وتقول : قد استيقظ مولاي . والساعةَ ينام فأصير إلى ما تحبّ . فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح . فلمّا فرغ وعلِمت الجارية أتته فقالت : قد أصبحت فانجُ بنفسك . فقال : أوَقد فعلتِها يا عدوّة الله ! فخرج تعِباً نصِباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألاّ يعودَ إلى كلامِها ، فلم تَرَ منه بعد ذلك شيئاً يُنكَر .

صوت

[من الوافر]

أَجَــدَّ اليــومَ جيرتُك احتمالا ... وحــثَّ حُداتُهــمْ بهمُ عِجالا
وفي الأظعــانِ آنِسة لعــوب ... تــرى قتــلي بغير دمٍ حلالا

عروضه من الوافر . الشعر للمتوكّل الليثيّ ، والغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لابنِ مِسْجَح ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البِنصِر عنه . وذكر حَبَشٌ أنّ هذا اللحن لابن سُرَيْج ، وفيه لإسحاق هزجٌ .

[214] ـ نسب المتوكِّل الليثي وأَخباره

[نسبه]

هو المتوكّل بن عبد الله بن نهشَل بنِ مُسافِع بن وهْب بن عمرو بن لَقِيط بن يَعْمَر بن عَوْف بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبدَ مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مدرِكة بن إلياسِ بن مضَر بن نِزارٍ . من شعراء الإسلام ، وهو من أَهل الكوفة . كان في عصر معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . ويكنى أَبا جهمة . وقد اجتمع مع الأَخطل وناشده عند قَبِيصة بن والقٍ ، ويقال عند عكرمة بن رِبْعيّ الذي يقال له الفيّاضُ ، فقدمه الأَخطل .

وهذه القصيدة التي أَوّلها الغناء قصيدة هجا بها عِكرمة بن رِبْعي وخبره معه يذكر بعد إن شاء الله تعالى .

أَخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أَحمد بن سعيد الدمشقيّ عن الزبير بن بَكّار عن عمِّه .

[تناشد هو والأَخطل الشعر]

وأَخبرني الحسن بن عليّ عن أَحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال أَخبرني هارون بن مسلم قال حدَّثني حفص بن عمر العُمَريّ عن لَقيط بن بُكَير المحاربيّ قال : قدِم الأَخطل الكوفة فنزل على قَبِيصةَ بنِ والق ، فقال المتوكّل بن عبد الله الليثيّ لرجل من قومه : انطلق بنا إلى الأَخطل نستنشِده ونسمع من شعره . فأَتياه فقالا : أَنشِدنا يا أَبا مالك . فقال : إنّي لخاثر[1] يومي هذا . فقال له المتوكّل : أنشدنا أَيّها الرجل ، فوالله لا تُنشِدني قصيدة إلاّ أنشدتك مثلها أو أَشعر منها من شعري . قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا المتوكّل . قال : أَنشدني ويحك من شعرك ! فأَنشده : [من الكامل]

للغانِياتِ بذي المجاز رسومُ   فبِبَطن مكّة عهْدُهنَّ قديمُ[2]
فبِمَنْحَرِ البُدْنِ المقلّد من مِنًى   حِلَلٌ تلوح كأنّهنّ نجومُ[3]

---

1 يقال خَثَرت نفسه : غثت وخبثت وثقلت واختلطت .

2 ذو المجاز : موضع بسوق عرفة ، وماء لهذيل بعرفة .

3 الحلل : جمع حلّة ، وهي جماعة بيوت القوم .

لا تنــهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثله   عــارٌ عليك إذا فعلــت عظِيمُ
والهَــمُّ إن لم تُمضِه لسبيلــه   داءٌ تضمَّنــه الضلــوعُ مُقيمُ

غنّى في هذه الأبيات سائبُ خاثرٍ من رواية حمّاد عن أبيهِ ولم يُجنّسه . قال وأنشده أيضاً : [من السريع]

الشِّعْر لُـبُّ المـــرءِ يَعرِضُـــه   والقــولُ مثــلُ مواقع النَّبْلِ
منهـــا المقصِّرُ عـــن رميَّتـــه   ونوافـــذٌ يذهبْـنَ بالخَصْلِ[1]

قال وأنشده أيضاً : [من الخفيف]

إنّنـــا معشرٌ خُلِقْنـــا صُـدُورا   من يسوِّي الصُّدورَ بالأذنابِ

[ما قاله في زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق]

فقال له الأخطل : ويحك يا متوكّل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس . قال الطوسيّ قال الأصمعيّ : كانت للمتوكّل بن عبد الله الكنانيّ امرأةٌ يقال لها رُهَيمة ، ويقال أُمَيمة ، وتُكْنى أُمّ بكرٍ ، فأقعِدت ، فسألته الطـلاق ، فقـال : ليس هذا حينَ طلاق . فأبت عليه ، فطلّقها ، ثم إنّها برئت بعد الطلاق ، فقال في ذلك : [من الوافر]

طربتُ وشاقني يـــا أمَّ بكر   دعــاءُ حمامــةٍ تدعو حَماما
فَبِتُّ وبــات همِّـي لي نجيّاً   أُعَــزّي عنــكِ قلباً مُستَهاما
إذا ذُكِرَتْ لقلبــكَ أُمُّ بكرٍ   يبيت كأنّمـــا اغتبـق المُداما
خَدَلَّجة تـــرِفُّ غُروبُ فيها   وتكسو المَتْنَ ذا خُصَلٍ سُخاما[2]
أبى قلبـــي فما يهـــوى سِواها   وإن كانــت مودّتهـــا غراما
ينــام الليـــلَ كلُّ خليّ همٍّ   [وتأبى العَـــينُ منّي أَنْ تَناما
أُراعِـــي التّالياتِ من الثريّا]   ودَمعُ العَينِ مُنحــدِرٌ سِجاما
على حينَ ارعويت وكان رأسي   كأنَّ عـــلى مفارقـــه ثَغـاما[3]
سعى الواشون حتى أزعجوها   ورثَّ الحبــل فانجذَم انجذاما
فلسْتُ بزائلٍ مـــا دمتُ حيّاً   مُسِرّاً مـــن تذكُّرهـــا هُياما

---

1 الخصل : الخطر ، وهو السّبق الذي يتراهن عليه .

2 الخدلجة : الممتلئة الذراعين والسّاقين ، ترف : تبرق . وغروب الفم : ماؤه . والسّخام : الليّن الحسن والأسود .

3 الثّغام : نبت ، ويُقال أثغم الرأس إذا صار كالثغامة بياضاً .

تُرجِّيها وقد شَحطت نَواها ومنَّتك المُنى عاماً فعاما
خدَلَّجة لها كَفَلٌ وثِير ينوءُ بها إذا قامت قِياما
مُخَصّرةٌ ترى في الكشْحِ منها على تثْقِيل أُسفلِها انهضاما
إذا ابتسمت تلألأ ضوءُ برق تهلّل في الدّجُنَّة ثم داما
وإن قامت تأمَّل رائياها غمامة صيِّفٍ ولجت غماما[1]
إذا تمشي تقولُ دبيبُ أَيْم تعرّجَ ساعةً ثم استقاما[2]
وإن جلست فدُمْيةُ بيتِ عِيدٍ تُصانُ ولا تُري إلاّ لماما
فلو أَشكُو الذي أَشكو إليها إلى حجرٍ لراجعني الكلاما
أُحِبُّ دُنُوّها وتُحِبّ نأْيِي وتعتام التنائيَ لِي اعتياما[3]
كأنّي من تذكُّر أُمّ بكرٍ جريحُ أَسنّة يشكو كِلاما
تَساقَطُ أَنفُسا نَفْسي عليها إذا شَحطت وتغْتمّ اغتماما[4]
غشيتُ لها منازلَ مقفِراتٍ عفَتْ إلاّ الأَياصِرَ والثُّماما[5]
ونؤْياً قد تهدّم جانِباه ومبناها بذي سلم خِياما
صِلِيني واعلمي أنّي كريمٌ وأنّ حَلاوتي خُلِطت عُراما
وأنّي ذو مُجامَحةٍ صَلِيبٌ خُلِقت لمَن يماكِسني لِجاما[6]
فلا وأَبِيك لا أَنساكِ حتى تُجاوِبَ هامتي في القبرِ هاما

[شعر آخر له في امرأته يمدح فيه حوشباً الشيبانيّ]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أوّل خبر المتوكّل يقولها أيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حَوْشباً الشَّيبانيّ ، ويقول فيها : [من الوافر]

إذا وعدَتْكَ معروفاً لوتْه وعَجَّلتِ التّجرُّم والمِطالا[7]

1 الصَّيِّف : المطر الذي يجيء صيفاً .
2 الأيم : الحيّة .
3 تعتام : تختار .
4 شحطت : بعدت .
5 الأياصر : جمع أيصر ، وهو وتد الطنب ، أو حبل صغير يشد به أسفل الخباء . والثمام : نبت .
6 يماكسني : يُشاكسني .
7 تجرّم عليه : ادّعى عليه الجرم .

لهـا بشر نقِـيّ اللون صافٍ ومتنٌ خُطَّ فاعتـدل اعتدالا[1]
إذا تمشي تـأوّدَ جانِباهـا وكاد الخصر ينخزِل انخزالا[2]
تنـوء بهـا روادفها إذا ما وُشاحاهـا عـلى المَتْنين جالا
فإن تصبح أُميمـةُ قـد تولَّتْ وعاد الوصل صرْمـاً واعتلالا
فقد تدنـو النّوى بعد اغتراب بهـا وتفـرّقُ الحيَّ الحِلالا[3]
تُعبِّسُ لِـي أُميمة بُعـد أنس فمـا أُدري أُسخطاً أم دلالا
أبيني لي فربّ أخٍ مضـافٍ رزئتُ ومـا أُحِبّ بـه بِدالا
أصرمٌ منـكِ هـذا أم دلال فقـد عَنّى الدّلال إذاً وطالا
أَم استبدلتِ بي ومللتِ وصلي فبُوحي لِي به ودعي المِحالا[4]
فـلا وأبيكِ مـا أهوى خليلاً أُقاتِلُـه عـلى وصـلي قِتالا
وكم مـن كاشح يـا أُمّ بكرٍ مـن البغضاء يأتكِـل ائتكالا
لبستُ على قنـاعٍ مـن أذاه ولـولا اللهُ كنتُ لـه نَكالا

وممّا يغنّى به من هذه القصيدة قوله :

صوت

أنا الصقر الذي حُدّثـتَ عنـه عِتاق الطّيرِ تندَخـل اندخالا[5]
رأيـت الغانياتِ صدفْـن لِما رأيْن الشيبَ قد شَمل القَذالا
فلم يُلـووا إذا رحلوا ولكن تولّـت عِيرُهـم بهمُ عِجالا

غنّى فيه عمر الواديُّ خفيف رمل عن الهشاميّ . وذكر حبش أنّ فيه لابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى ، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أوّل القصيدة .

[هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر]

وقال الطوسيّ قال أبو عمرو الشيبانيّ : هجا معنُ بن حَمل بن جَعونة بن وهب ، أحد بني لقيط بن يَعمر المتوكّل بن عبد الله الليثيّ ؛ وبلغ ذلك المتوكّل ، فترفع عن أن يجيبه ، ومكث

1 محطوطة المتن : ممدودة .
2 ينخزل : ينقطع .
3 الحلال : القوم الذين يحلّون موضعاً وفيهم كثرة .
4 المحال : الكيد والمكر .
5 عتاق الطير : جوارحها .

معن سنين يهجوه والمتوكّل معرض عنه . ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الدّيل هجاء قَذِعاً استحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية : [من الطويل]

خليليّ عُوجا اليومَ وانتظراني فإن الهوى والهمَّ أُمُّ أبانِ
هي الشمسُ يدنو لي قريباً بعيدُها أُرى الشمس ما أَسْطِيعُها وتراني
نأت بعد قربٍ دارُها وتبدّلت بنا بَدَلاً والدّهرُ ذو حَدَثانِ
فهاج الهوى والشوقَ لِي ذكرُ حُرّةٍ من المُرْجَحِنّات الثقالِ حَصانِ[1]

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحرز من كتاب يونس ولم يجنّسه : [من الطويل]

سيعلم قومي أنّني كنتُ سُورةً من المجد إنْ داعي المنون دَعاني
ألا ربّ مسرورٍ بموتيَ لو أتى وآخرَ لو أُنْعى له لَبكاني
خَليليّ ما لامَ امرءاً مثلُ نفسِه إذا هي لامت فاربَعا ودَعاني[2]
ندمتُ على شتمِي العشيرةَ بعدما تغنّى بها غَورِي وحنّ يماني
قلبت لهم ظهرَ المجنّ وليتني رجعتُ بفضلٍ من يدي ولساني
على أنّني لم أرمِ في الشعرِ مسْلِماً ولم أَهجُ إلاّ من روى وهجاني
هُمُ بَطِرُوا الحلمَ الذي من سَجِيّتي فبدّلت قومي شدّةً بِلَيانِ[3]
ولو شئْتُمُ أولادَ وهبٍ نزعتُمُ ونحنُ جميعٌ شمْلُنا أخَوانِ
نهيْتُمْ أخاكم عن هجائي وقد مَضى له بعد حولٍ كاملٍ سنتانِ
فلجَّ ومَنّاه رجالٌ رأيتُهُم إذا قارنوني يكرهون قِراني
وكنتُ امرءاً يأبى لِيَ الضيمَ أنّني صَرومٌ إذا الأمرُ المُهِمُّ عَناني[4]
وَصُولٌ صرومٌ لا أقول لمُدْبر هلمَّ إذا ما اغْتشّني وعَصاني
خليليَّ لو كنتُ امرءاً بِيَ سقطةٌ تضعضعْتُ أو زلّتْ بِيَ القدمانِ
أُعيش على بَغْي العُداةِ ورغمِهم وآتي الذي أهوى على الشنآنِ
ولكنّني ثَبْتُ المَريرة حازمٌ إذا صاح طُلاّبي ملأت عِناني

1 مرجحنّات : جمع مرجحنّة ، وهي المرأة السمينة .
2 اربعا : توقّفا وكفّا وارفقا .
3 بطروا : كرهوا .
4 عناني في ل : دعاني .

خليليّ كم مــن كاشح قد رميته ... بقافيــــةٍ مشهــورَةٍ ورمـاني
فكان كذات الحيْض لم تُبْق ماءها ... ولم تُنْــقِ عنهـا غُسْلَها لأوانِ

ثم إنّه يقول فيها ليزيد بن معاوية :

أبا خالــدٍ حنّت إليـك مطيّتي ... على بعــد منتاب وهَـوْلِ جَنانِ
أبا خالدٍ في الأرض نأيٌ ومَفْسَح ... لِذِي مِرّة يُرمــى بــه الرَّجَوان[1]
فكيفَ ينام الليـلَ حــرٌّ عَطاؤه ... ثــلاثٌ لرأس الحـولِ أو مائتان
تناهتْ قُلوصي بعد إسآدِيَ السُّرى ... إلى ملكٍ جـزلِ العطـاء هِجانِ[2]
تـرى الناس أفواجاً ينوبون بابَـه ... لبِكرٍ مــن الحاجات أو لعَوانِ[3]

[معن أجابه مفتخراً]

فأجابه مَعْن بن حَمَلٍ فقال : [من الطويل]

ندِمتَ كذاكَ العبدُ يندم بعـد مـا ... غُلِبـتَ وسار الشعـر كلَّ مكانِ
ولاقَيْت قَـرْماً في أُرُومـةِ ماجدٍ ... كريمـاً عزيــزاً دائمَ الخَطَرانِ
أنا الشاعر المعروف وجْهي ونسبتي ... أعــفُّ وتحميني يــدِي ولساني
وأغلِبُ من هاجيتُ عفواً وأنتمي ... إلى معشرٍ بِيضِ الوجــوهِ حِسانِ
فهاتِ إذاً يا ابنَ الأتان كصاحبِ الـ ... ـملوك أبــي ، أسيِّــد كَمُهــانِ
فهاتِ كزيدٍ أو كَسَيْحانَ لا تِجدْ ... لهــمْ كفُــوًا أو يُبْعثَ الثقَلانِ

[هو عكرمة بن ربعي]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا العكليّ عن العباس بن هشامٍ عن أبيه عن عَوانة قال : أتى المتوكّل الليثيّ عِكرمةَ بن رِبعيّ الذي يقال له الفيّاض ، فامتدحه فحرمه ، فقيل له : جاءك شاعر العرب فحرمته ! فقال : ما عرفْتُ . فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم ، فأبي أن يقبلها وقال : حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليّ سراً .

[نسيبه بحسناء وهو يعاني الرمد وهجاؤه عكرمة]

فبينا المتوكّل بالحِيرة وقد رَمِد رَمداً شديداً ، فمرّ بِه قَسٌّ منهم قال : ما لك ؟ قال : رمِدتُ .

---

1 الرجا : ناحية كلّ شيء ، وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها ، ويرمى به الرجوان ؛ أي استهين بـه . ومثل ورد في مجمع الأمثال للميداني : 213/1 «حتى متى يُرمى بي الرَّجَوان» .
2 الإسآد : الإسراع في السير . الهجان : الرجل الحسيب .
3 أو لعَوان في ل : غير عوان .

قال : أنا أعالجك . قال : فافعل . فذرّه[1] ، فبينا القسّ عنده وهو مذرور العين مستلْقٍ على ظهره ، يفكّر في هجاء عِكرمة ، وذلك غير مطَّرِدٍ له ولا القولُ في معناه ، إذ أتاه غلام له فقال : بالباب امرأة تدعوك . فمسح عينيه وخرج إليها ، فسَفَرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةً حُسْناً ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : أُميّةُ . قال : فممّن أنتِ ؟ فلم تخبِره . قال : فما حاجتكِ ؟ قالت : بلغني أنّك شاعر فأحببت أن تنسِب بي في شعرك . فقال : أسفِري . ففعلت فكرَّ طرفه في وجهها مُصعِّدا ومصوِّبا ، ثم تلثّمت وولّت عنه ، فاطَّرد له القولُ الذي كان استَصعَبَ عليه في هجاء عِكرمة وافتتحه بالنسيب فقال : [من الوافر]

أَجَـدَّ اليومَ جيرتُكَ احتمالا ... وحثَّ حُداتُهم بِهِمُ الجِمالا
وفي الأظعـان آنِسَةٌ لَعُـوبٌ ... تـرى قَتْلِـي بغير دمٍ حَلالا
أُمَيّةُ يـوم دَيْرِ القَسِّ ضنَّت ... علينـا أن تُنوِّلنـا نَـوالا
أَبِيني لِي فـربَّ أَخٍ مصافٍ ... رُزِئت ومـا أُحبّ بـه بِدالا

وقال فيها يهجو عِكرمة :

أقلني يـا ابـن ربعي ثَنائي ... وهبْها مِدحـة ذهبت ضَلالا
وهبْها مِدحـة لم تُغـنِ شيئاً ... وقَـولاً عـاد أكثرهُ وَبالا
وجدنا العِزَّ مـن أولاد بكرٍ ... إلى الذُّهلَيْـنِ يَرجع والفِعالا
أعكـرِمَ كنـتُ كالمبتاع داراً ... رأى بَيْـعَ الندامـةِ فاستقالا
بنُـو شَيْبان أكـرمُ آل بكرٍ ... وأمتَنُهـم إذا عقـدوا حِبالا
رِجـال أُعطِيتْ أحلامَ عـادٍ ... إذا نطقـوا وأيدِيَهـا الطوالا
وتيمُ اللهِ حـيٌّ حـيٌّ صِدقٍ ... ولكـنّ الرّحى تعلو الثِّفالا[2]

صوت

[من الطويل]

سقى دِمنتين لم نجـد لهما أهلا ... بحقلٍ لكم يا عزَّ قـد رابني حَقْلا
فيا عزَّ إن واشٍ وشى بِيَ عندكم ... فلا تُكرِميه أن تقولي لـه مهْلا

1 الذر : طرح الذرور في العين ، وهو الكحل ونحوه .
2 الثِّفال : ما وقيت به الرّحى من الأرض .

كما نحن لو واشٍ وشى بِك عندنا ... لقلنا تزحزحْ لا قريباً ولا سَهْلا
أَلَمْ يأْن لِي يا قلبِ أَن أَترك الجهلا ... وأَن يُحدِث الشيبُ المُلِمُّ لِيَ العَقْلا
على حينَ صار الرأس مني كأنّما ... علَت فوقـه ندّافةُ العُطُبِ الغزْلا

عروضه من الطويل . الدِّمَن : آثار الديار ، واحدتها دِمنة . والحقل : الأَرض التي يزرع فيها . والعُطُب هو القطن .

الشعر لكثيِّر كلُّه إلاّ البيت الأوّل فإنّه انتحله ، وهو للأَفوه الأَوْدِيّ . والغِناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهِشاميّ في الثلاثة الأبيات الأُوَل متوالية . وذكر حبش أنّه لمعبد . وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أوّل بالسَّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ثقيل أوّل بالبنصر ؛ ذكر ابن المكّي أنّه لمعبد ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى المكّيّ .

[215] ـ نسب الأَفوه الأوديّ وشيء من أخباره[1]

[نسبه]

الأَفوَه لقب ، واسمه صَلاءة بن عمرو بن مالك بنِ عوف بنِ الحارث بن عوف بن منبِّه بن أَوْد بن الصعب بن سعد العشيرة . وكان يقال لأَبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء ؛ وفي ذلك يقول الأَفوه : [من الطويل]

أَبي فارسُ الشوهاء عمرو بن مالكٍ غداة الوغى إذ مال بالجدّ عاثِرُ[2]

[كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدَّثنا ابن أَبي سعد عن عليّ بن الصَّباح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أَبيه قال : كان الأَفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيّد قومِه وقائدَهم في حروبهم ، وكانوا يصدُرون عن رأيه . والعرب تعدّه من حكمائها . وتعدّ داليته : [من البسيط]

معاشر مـا بنـوا مجداً لقومهمُ وإن بنى غيرُهم ما أفسدوا عادوا[3]

[أبياته التي أخذ منها كثير بيتاً]

من حكمة العرب وآدابها . فأمّا البيت الذي أخذه كثيّر من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنِفاً فإنّه من قصيدة يقول فيها[4] : [من الطويل]

نُقاتِـل أَقوامـاً فنسْبي نساءَهم ولم يَـرَ ذو عِـزٍّ لِنسوتنا حِجْلا
نقود ونأبـى أن نُقـاد ولا نَرى لقـومٍ علينـا في مُكارَمةٍ فضلا
وإنّا بِطـاء المشي عنـد نسائنـا كما قَيَّدتْ بالصَّيْفِ نجْديّةٌ بُزلا
نظـلّ غَيـارى عنـد كلّ سَتِيرةٍ نُقلّب جِيدا واضحاً وشَوًى عَبْلا[5]

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 223/1 ، والعيني 421/1 ، سمط اللآلي 365 ، 844 ، والمعاهد 150/2 والمزهر 238/2 ، 296 ومنتخب شمس العلوم 4 . وله ديوانه بتحقيق د . محمد ألتونجي ، وإليه نشير .

2 الشوهاء : اسم فرس . والشوهاء : من الخيل الطويلة الرائعة ، وفي الديوان 79 : الصّرماء .

3 وفي الديوان 64 :

فينـا معاشر لم يبنـوا لقومهـم وإن بنى قومُهم ما أفسدوا عادوا

4 ديوانه : ص 100 .

5 الستيرة : المرأة المستورة . الشوى : اليدان .

وإنّا لنعطي المالَ دون دمائنا ونأبى فما نَسْتام دون دمٍ عقلا[1]

[سبب هذه الأبيات]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : قال الأفوه الأودِيّ هذه الأبيات يفخر بها على قومٍ من بني عامر ، كانت بينه وبينهم دماء ، فأدرك بثأره وزاد ، وأعطاهم دِياتِ مَنْ قُتِل فضلاً على قتلى قومه ، فقبِلوا وصالحوه .

[بنو أود وبنو عامر]

وقال أبو عامر : أغارت بنو أود ، وقد جمعها الأفوه ، على بني عامر ، فمرِض الأفوه مرضاً شديداً ، فخرج بدله زيد بن الحارث الأوديّ وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعِه ، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتُضارِع ، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب . فلمّا التقوا عرف بعضهم بعضاً ، فقال لهم بنو عامر : سانِدونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم . فقالت بنو أود ، وقد أصابوا منهم رجلين : لا والله حتّى نأخذ بطائِلتنا[2] . فقام أخو المقتول ، وهو رجل من بني كعب بن أَوْد فقال : يا بني أَوْد ، والله لتأخُذُنّ بطائلتي أو لأنتَحِيَنَّ على سيفي . فاقتتلت أود وبنو عامر ، فظفِرت أود وأصابت مغنماً كثيراً . فقال الأفوه في ذلك[3] : [من الوافر]

صوت

ألا يا لهف لو شهدتْ قناتي قبائلَ عامرٍ يوم الصبيبِ[4]
غداة تجمّعت كعبٌ إلينا حلائبَ بين أفناء الحروبِ[5]
فلمّا أن رأَوْنا في وَغاها كآساد الغَريفة والحجيبِ[6]
تداعَوْا ثم مالُوا عن ذراها كفعل الخامعات من الوجيبِ[7]
وطاروا كالنَّعامِ ببطن قَوٍّ مُواءلَة على حذر الرقيبِ[8]

---

1 العقل : الدية .
2 الطائلة : الثأر والوتر .
3 ديوانه : ص 59 .
4 شهدت في ل : شدَّت .
5 الحلائب : الجماعات . والأفناء : الأخلاط . وأفناء الحروب في ل وفي الديوان : أبناء الحريب .
6 الغريفة : الأجمة وفي الديوان العرينة . الحجيب : موضع .
7 الخامعات : الضباع ، وفي الديوان كفعل معانت أمن الرجيب ، والوجيب : الخوف .
8 بطن قوّ : موضع ، والمواءلة : طلب النجاة .

216 ـ [خبر النشناش اللص]

صوت

[من الطويل]

كأن لم تَريْ قبلي أسيراً مُكبّلا ولا رَجُلاً يُرمى بـه الرّجَوانِ
كأنّي جوادٌ ضَمَّه القيدُ بعدما جرى سابقاً في حَلبـةٍ ورهانِ

الشعر لرجلٍ من لُصوص بني تميم يُعرف بأبي النَّشْناش ، والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبِنصر من روايتي عليّ بن يحيى والهِشاميّ .

[النشناش واعتراضه القوافل وهربه بعد الظفر به ، وما كان بينه وبين اللهبيّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال حدَّثنا أبو سعيد السكريّ عن محمد بن حبيب قال : كان أبو النّشناش من مَلاصّ[1] بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شُذّاذٍ من العرب بين طريق الحجاز والشامِ فيجتاحها . فظفِر به بعض عمّال مروان فحبسه وقيّده مدّة ، ثم أمكنه الهربُ في وقت غِرّة فهرب ، فمرّ بغرابٍ على بانةٍ ينتِف ريشه وينعَب ، فجزِع من ذلك . ثم مرَّ بحيٍّ من لِهْبٍ فقال لهم : رجل كان في بلاءٍ وشرّ وحبسٍ وضِيقٍ فنجا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم يرَ شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بانٍ ينتِف ريشه وينعَب . فقال له اللهْبيّ : إن صدقتِ الطير يُعاد إلى حبسه وقيده ، ويطول ذلك به ، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفِيك . وأنشأ يقول : [من الطويل]

وسائلةٍ أيـن ارتحـالي وسائلٍ ومَن يسأل الصُّعلوكَ أين مذاهِبُهْ
مذاهِبـه أنّ الفِجـاج عريضةٌ إذا ضنّ عنـه بالنّـوالِ أقاربُهْ
إذا المرءُ لَم يسْرَحْ سَواما ولَم يُرِح سَواما ولم يبسُط له الوجهَ صاحبُهْ
فَلِلْموتِ خيرٌ للفتى مـن قُعُودِهِ عديماً ومِن مولًى تُعاف مشاربُهْ[2]
ودَوِّيّـةٍ قفـرٍ يَحارُ بهـا القطا سرَت بأبي النّشْناشِ فيها ركائبُهْ[3]

1 ملاص : جمع مَلصة وهم اسم جمع للص .
2 تعاف مشاربه في ل : تدبّ عقاربه .
3 دويّة : مفازة .

لِيُدرِكَ ثـأراً أو لِيَكْسِبَ مغنَما ... ألا أنّ هـذا الدَّهرَ تترى عجائبُهْ
فلَـم أَرَ مثلَ الفقرِ ضاجَعه الفتى ... ولا كسوادِ الليــل أُخفـق طالِبُهْ
فعِش مقتراً أو مُـتْ كريماً فإنّني ... أُرى الموتَ لا يبقي على مَن يطالِبُهْ

صوت

[من الطويل]

أُصادِرَةٌ حُجَّاج كعبٍ ومالكٍ ... على كلِّ فتلاء الذراعين محنِقِ
أُقـام قنـاة الودّ بينـي وبينه ... وفارقنـي عـن شيمة لم تُرَنَّقِ

عروضه من الطويل . الصادر : المنصرف ، وهو ضدّ الوارِد ، وأصله من ورودِ الماء والصَّدَرِ عنه ، ثم يقال لكلِّ مقبِلٍ إلى موضع ومنصرِف عنه . وكعب : من خزاعة . ومالك : يعني مالك بن النضر بن كِنانة . وكان كثيِّر ينتمي وينمي خزاعة إليهم . ومحنِق : ضامرة . والشيمة : الخلق والطبيعة . وترنَّق : تكدّر . والرنَق : الكدر .

الشعر لكثيِّر عزّة يرثي خَنْدَقاً الأَسديّ ، والغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وفي الثاني من البيتين ثم الأوّل لِسياطٍ رملٌ بالبِنصر عنه وعن الهِشاميّ وعمرو . وفيهما لمعبد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنّسه . وفي رواية حمّاد عن أبيه أنّ لحن الهذليّ من الثقيل الأوّل ، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثاني لمعبد . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي صحَّ فيه ثقيل أوّل أو ثاني ثقيل .

[217] ـ خبر كثيِّر وخندق الأسديّ الذي من أجله قال هذا الشعر

[كانا يقولان بالرجعة]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني محمد بن حبيب . وأخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبَّة عن ابن داحةَ ، قالوا : كان خَنْدَقُ بنُ مرّة الأسدِيّ ، هكذا قال النوفليّ . وغيره يقول : خندق بن بدر ، صديقاً لكثيِّر ، وكانا يقولان بالرجعة وكانوا خشبيين جميعاً ، فاجتمعا بالموسِم فتذاكرا التشيع . فقال خندق : لو وجدت من يضمن لي عِيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد ﷺ ، وظلم الناس لهم وغَصْبَهم إيّاهم على حقّهم ، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر . فضمِن كُثَيِّر عِياله ، فقام ففعل ذلك وسبّ أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرّأ منهما .

قال عمر بن شبة في خبره فقال : أيّها الناس إنّكم على غير حقّ ، قد تركتم أهل بيتِ نبيكم ، والحقُّ لهم وهم الأئمّة ، ولم يقل إنّه سبَّ أحداً ، فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه . ودُفِن خندق بِقَنَوْنى[1] . فقال إذ ذاك كُثَيِّر يرثيه : [من الطويل]

أصادِرة حُجَّـــاج كعبٍ ومالكٍ ... على كلِّ عَجْلَى ضامرِ البطنِ مُحْنِقِ
بمرثيــةٍ فيهـــا ثنـــاء مُحبَّـــرٌ ... لأزهـــرَ مـــن أولادِ مرّة مُعْرِق
كأنَّ أخـــاه في النّوائـــبِ مُلْجأ ... إلى علمٍ من رُكنِ قُدْسَ المُنطَّقِ[2]
ينـــال رجـــالاً نفعـــه وهْو منهمُ ... بعيـــدٌ كعيُّـــوق الثريّـــا المعَلَّقِ[3]
تقول ابنة الضَّمريّ ما لكَ شاحباً ... ولونُـــك مصفرٌّ وإن لَم تَخلَّقِ[4]
فقلت لها لا تعجبي ، مَن يَمُتَ له ... أخٌ كأبـــي بـــدرٍ وجَـــدِّك يُشْفقِ
وأمرٍ يُهـــمُّ النـــاسَ غِبُّ نِتاجِهِ ... كفَيْتَ وكرْبٍ بالدَّواهي مطرِّقِ[5]

1 قنونى : واد من أودية السراة يصبّ إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكّة .
2 قدس : جبل عظيم بنجد . والمنطق : المرتفع .
3 العيّوق : نجم أحمر مضيء في أطراف المجرّة الأيمن يتلو الثريّا لا يتقدّمها .
4 تخلّق : تطيّب بالخلوق .
5 مطرق : من قولهم طرقت القطاة : حان خروج بيضها .

كشفتَ أبا بدرٍ إذا القوم أحجموا وعضَت ملاقي أمرِهم بالمخنّقِ[1]
وخَصمٍ أبا بدر ألَدَّ أبَتّه على مثل طعم الحنظل المتفلّقِ[2]
جزى الله خيراً خَندقاً من مكافىءٍ وصاحبِ صِدقٍ ذي حِفاظٍ ومَصْدقِ
أقام قناةَ الودّ بيني وبينه وفارقني عن شيمةٍ لم تُرنّقِ
حلفْت ، على أن قد أجنّتْكَ حفرةٌ ببطن قَنَوْنى ، لو نعيش فنلتقي
لألفيتني بالوُدّ بعدك دائماً على عهدنا إذْ نحن لم نتفرّقِ
إذا ما غدا يهتزّ للمجدِ والنّدى أشمَّ كغصن البانةِ المتورّقِ
وإنّي لجازٍ بالذي كان بيننا بني أسدٍ رهط ابنِ مرّة خَنْدَقِ

[كثيّر وإنكار الطُفيل انتسابه إلى كنانة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبَّة : إنّ كثيِّراً لمّا انتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزين الدِّيلِيّ من المُواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطُّفَيل بن عامر بن واثلةَ وهو بالكوفة ، فأنكر أمر كثيّر وانتسابَه إلى كِنانة وتصييرَه خُزاعةَ منهم ، وما فعله الحزين . فحلف لئن رأى كثيِّراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرّمح ، فكلّمه فيه خندق الأسديّ ، وكان صديقاً له ولكثيِّر ، فوهبه له ، واجتمعا بمكّة فجلسا مع ابن الحنفية . فقال طفيل : لولا خندق لوفَيْت لك بيميني ، فقال يرثيه ، وعنه كان أخذ مقالته : [من الطويل]

ونال رجالاً نفعُهُ وهو منهمُ بعيدٌ كعيّوق الثريّا المعلق

وذكر باقي الأبيات .

[نسيبه بعزّة]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العَلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني محمد بن إسماعيل قال حدَّثني حُميدُ بن عبد الرحمن أحد بني عِتوارَة بن جُدَيّ قال : كان كثيّر قد سلّطه الله يَنْسِبُ بعزّةَ بنتِ عبد الله ، أحدِ بني حاجب بن عبد الله بن غِفار . قال : وكان نسوانهم قد لقينَها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء ، في عام أصابت أهلَ تهامةَ فيه حَطْمةٌ شديدةٌ ، وكانت عزّة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قطُّ ، إلاّ أنّه استُهيمَ بها قلبُه لِما ذُكِر له عنها . فلقيه رجال من الحيّ لِما بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : إنّك قد شهَرْت نفسَك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال : فإنّي لا أذكرها بما تكرهون . فخرجوا جالِينَ إلى

1 المخنق : موضع حبل الخنق من العنق .
2 أبتّه : الفعل أصله أبات .

مصرَ في أعوام الجلاء . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه ، فجلس له فِتيةٌ من جُدَيّ ، قال : وكان بنو ضَمْرة كلّهم يهونُ عليهم نسيبُه لِما يعرفون من براءتها ، إلاّ ما كان من بني جُديّ فإنّهم كانوا صُمْعاً غُيُراً[1] . فقعد له عون ، أحد بني جديّ في تسعة نفر على مَحالج[2] ، فلمّا جاز بهم تحت الليل أخذوه ، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار ، فأدخلوه فيها وربَطوا يديه ورجليه ، ثم أوثقوا بطن الحمار ، فجعل يضطرب فيه ويستغيث ، ومضوا عنه ، فاجتاز به خندق الأسديّ ، فسمع استغاثته ، وهو خَنْدق بن بدر ، فعدل إلى الصوت حين سمعه ، فوجد في الجيفة إنساناً ، فسأله مَن هو وما خبره ؟ فأخبره . فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده . فقال كُثَيِّر في ذلك . قال الزبير أنشدنِيها عُمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن عبد الله بن أبي عبيدة معْمَر بن المثنّى : [من الطويل]

أُصادِرةٌ حُجَّاجُ كعبٍ ومالكٍ ... على كلّ فتْلاء الذراعين مُحنِقِ

وذكر القصيدة كلَّها على ما مضت .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن أبي عبيدة قال : خَندقٌ الأسديّ هو الذي أدخل كُثيِّراً في مذهب الخَشبيّة[3] .

[كثيِّر يرثى خندقاً حين قتل بعرفة]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا محمد بن حبيب قال : لمّا قُتِل خَنْدقٌ الأسديّ بعرفةَ رثاه كثيِّر فقال : [من الوافر]

شجا أُظعانُ غاضرةَ الغوادي ... بغير مَشُورةٍ عَرَضاً فؤادي
أغاضِرُ لَوْ شهدتِ غداة بِنْتم ... حُنوَّ العائداتِ على وِسادي
أويتِ لعاشقٍ لم تَشكُميه ... نوافِذه تَلذّع بالزّنادِ[4]
ويومَ الخيلِ قد سفرت وكفّت ... رِداءَ العَصْب عن رَتَل بُرادِ[5]

الرَتِل : الثغر المستوي النبت .

وعن نجلاءَ تَدْمَع في بياضٍ ... إذا دَمعت وتنظُر في سوادِ

---

1 صمع : ذوو حزم . غير : جمع غيور .
2 المحالج : جمع مِحلَج ، وهو الخفيف من الحمر .
3 الخشبية : قوم من الجهمية يقولون إنّ الله تعالى لا يتكلّم ، وإن القرآن مخلوق .
4 أويت : رثيت وأشفقت . لم تشكميه : لم تجازيه . النوافذ : الفم وثقبا الأذنين والأنف .
5 البراد : البارد .

وعن متكاوسٍ في العَقْصِ جَثْلٍ　　أثيثِ النبتِ ذي غُذَرٍ جِعادِ[1]
وغاضِرةُ الغــداةَ وإن نـأتْنا　　وأصبح دونهــا قُطـر البِلادِ
أحــبُّ ظعينةٍ وبناتُ نَفْسي　　إليهـا لــو بَلِلْن بها صَوادِي
ومِنْ دونِ الذي أمّلــت وُدّاً　　ولَــو طالبتُهــا خَـرْطُ القَتادِ
وقــال الناصحون تحلَّ منها　　ببــذل قبْـل شيمتها الجمادِ

تَحَلَّ : أصِب . يقال : ما حَلِيت من فلان بشيء ولا تحلّيت منه بشيء ، ومنه حُلوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك :

فقــد وعدَتْك لــو أقبلتَ وُدّاً　　فلجَّ بــك التدلُّــل في تَعادِ[2]
فأسررتَ الندامــةَ يــوم نادى　　بــردّ جِمال غاضِرةَ المُنادِي
تمادى البعـدُ دونهمُ فأمستْ　　دموعُ العينِ لجَّ بهــا التّمادي
لقــد مُنِــع الرقادُ فبِتُّ لَيْلي　　تجافينــي الهمومُ عــن الوِسادِ
عَـداني أن أزورَكَ غيرَ بُغْضٍ　　مُقامُك بــين مُصْفحَة شِدادِ[3]
وإنّــي قائــل إن لَــم أزره　　سَقَتْ دِيَمُ السَواري والغوادي
محــلَّ أخــي بنــي أسدٍ قَنَوْنى　　فمــا والى إلى بَــرْك الغِمادِ[4]
مقيــم بالمجازَة مــن قَنَوْنى　　وأهلــكَ بالأُجَيْفِرِ والثمادِ[5]
فــلا تَبعَــدْ فكلّ فتًى سيأتي　　عليــه الموتُ يطرُق أو يُغادِي
وكلُّ ذخيرةٍ لا بــدّ يومــاً　　ولــو بقِيــتْ تصير إلى نَفادِ
يعــزُّ عــليّ أن نغدو جميعاً　　وتصبحَ ثاويــاً رَهْنــاً بِوادِ
فلَو فُودِيتَ مــن حدَث المنايا　　وقيتُــك بالطَّريــف وبالتّلادِ

في هذه القصيدة عدّة أصوات هذه نِسبتها قد جُمِعَت .

---

1 المتكاوس : المتراكب . الجثل : الشعر الكثير . والأثيث : الكثير العظيم . والغذرة : الناصية ؛ وقيل الخصلة من الشعر .

2 التعادي : التباعد .

3 المصفحة : العريضة ، ويريد حجارة القبر .

4 برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليالٍ ممّا يلي البحر .

5 المجازة : منزل من منازل طريق البصرة . الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس . والثماد : موضع في ديار بني تميم .

صوت

أغاضرَ لـو شهدتِ غداةَ بِنتم　　　حُنُــوَّ العائداتِ على وِسادي
رثيــتِ لعاشقٍ لَــم تشكُميه　　　نوافِــذُه تَلــذَّع بــالزنادِ
عــداني أن أَزورك غير بغضٍ　　　مقامــكَ بـين مُصفَحةٍ شِدادِ
فــلا تبعَــدْ فكلّ فتًى سيأتي　　　عليه الموت يطـرُق أو يُغادي

لمعبد في البيتين الأوّلين لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ . وفيهما لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عُبَيد . وفيهما للغريض ثاني ثقيل عن ابن المكيّ . ومن الناس مَن ينسُب لحن مالكٍ إلى معبد أيضاً . وفي الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مَجْرى الوُسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما . ويقال : إن لابن سُريج وابن محرِز وابن جامعٍ فيهما ألحاناً .

غاضِرةُ هذه التي ذكرها كثيِّر مولاة لآل مروان بن الحكم ، وقد رُوِي في ذكره إيّاها غير خبرٍ مختلف .

[أمّ البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثيّر]

فأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمَّليّ قال حدَّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال : حجَّتْ أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان فقالت لكثيِّر ووَضّاح : انسُبا بِي .

فأمّا وضّاح فنسب بها ، وأمّا كثيِّر فنسب بجاريتها غاضرةَ حيث تقول : [من الوافر]

شجا أظعــانُ غاضِرةَ الغوادِي　　　بغير مشورة عرضــا فــؤادِي

قال : وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتَل وَضّاحاً ولَم يجِد على كُثيِّر سبيلاً .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ عن مُحْرِز بن جعفر عن أبيه عن بُديح قال : قدِمت أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان ، وهي عند الوليد بن عبد الملك ، حاجّة ، والوليد إذ ذاك خليفة . فأرسلت إلى كثيِّر ووضّاح أن انسُبا بي . فنسب وضّاح بها ونسب كثيِّر بجارِيتها غاضرة في شعره الذي يقول فيه :

شجا أظعــانُ غاضرة الغوادي

قال : وكان معها جَوارٍ قد فَتنّ الناسَ بالوَضاءة .

[لابن قيس الرقيات في أمّ البنين]

قال بُديح : فلقِيت عُبيد الله بن قيسِ الرقيّاتِ فقلتُ له : بمَن نَسبتَ من هذا القطِينْ[1] ؟

---

1 القطين : الحشم والإماء .

فقال لي : [من الهزج]

مـا تصنـعُ بـالشرِّ إذا لَـم تَكُ مجنونا
إذا قاسيت ثِقْل الشـ ـرّ حَسَّاكَ الأمرِّينا
وقد هِجتَ بما قد قُلْـ ـتَ أمراً كان مدفونا

قال بُديح : ثم أخذ بيدي فخلا بي وقال لي : يا بديح ، احفظ عنّي ما أقول لك فإنّك موضع أمانة ؛ وأنشدني : [من مجزوء الكامل]

أصحوتَ عـن أُمّ البنيـ ـن وذِكرِهـا وعَنائها
وهجرتَهـا هجرَ امرئ لم يَقـلِ حمـلَ إخائها
من خيفـةِ الأعداء أن يُوهُـوا أديـمَ صفائها
قُرشِيّـة كالشّمس أشـ ـرَقَ نورُهـا ببهـائها
زادت على البيضِ الحسا نِ بحسنهـا ونقـائها
لمّـا اسْبكـرّت للشّبا ب وقُنِّعـت بـردائِها[1]
لم تلتفِـت لِلِداتهـا ومضـت عـلى غُلَوائها

غنّى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأُوَل لحناً من الثقيل الأولِ عن الهِشاميّ عن يحيى المكيّ. وفي الرابع وما بعده لحُنينٍ لحنانِ : أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر ، والآخرُ خفيف ثقيل بالبِنصر عن ابنه وغيره . وغنّى إبراهيم الموصليّ في الأربعة الأول لحناً آخرَ من الثقيل الأولِ وهو اللحن الذي فيه استهلال . وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الثاني لابن مُحرِز .

قال : فقتل الوليد وضّاحاً ولم يجِد على كثيِّر سبيلاً . قال : وحجّت بعد ذلك وقد تقدّم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب ؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجَتْ ولم تكلِّم أحداً ولَم يرها ، فقال لي : يا بُديح : [من المنسرح]

صوت

بـان الخليطُ الذي به نثِقُ واشتـدّ دون المليحة القَلَقُ
من دون صفراء في مفاصِلها لِينٌ وفي بعض بطْشها خُرُقُ
إن خَتَمت جاز طينُ خاتَمها كما تجـوز العَبْدِيّـة العُتُقُ[2]

غنّى في هذه الأبيات مالك بن أبي السَّمْح لحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر ، عن عمرو ويونس . وفيها لابن مسجح ، ويقال لابن مُحرز ، وهو ممّا يشبه غناءهما جميعاً وينسَب

1 اسبكرت : استقامت واعتدلت .
2 العتق : جمع عتيق ، وهي كل نفيس قديم .

إليهما ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . والصحيح أنّه لابنِ مسجح . وفيها ثاني ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكّيّ . وذكر حبش أنّ لِسِياط فيها لحناً ماخُوريّاً بالوسطى . وفي هذه الأبيات زيادة يُغنّى فيها ولم يذكرها الزُّبير في خبره ، وهي :

إنّي لأخْــلي لهـا الفِراش إذا قَصَّعَ في حِضْنِ زوجه الحَمِقُ[1]
عن غيرِ بغضٍ لهـا لديّ ولـ ـكن تلك مِنّــي سَجيّة خُلُقُ

قال الزُّبير : أراد بقوله في هذه الأبيات :

إن ختمت جاز طينُ خاتِمَها

أنّها كانت عند سلطان جائزِ الأمر . والعبدية هي الدنانير ، نسبها إلى عبد الملك . ثم وصل ابنُ قيس الرقيّات هذه الأبيات ، يعني الهائية ، بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال : [من مجزوء الكامل]

صوت

اسمــعْ أمير المؤمنيــ ـن لِمدحتــي وثَنائها
أنــت ابن عائشة التي فَضَلت أُرُوم نسائها[2]
متعطّف الأَعْياصِ حو لَ سريرهــا وفِنائها[3]
وَلَـدَتْ أغــرَّ مُباركاً كالبــدر وسْطَ سمائها

غنّاه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنّسه . وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيّات في عبد الملك لا الوليد .

[إصرار ابن قيس الرقيات على كلمة في شعره]

أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ : أن عبد الملك لمّا وهب لابن جعفر جُرم عبيد الله بن قيس الرقيات وأمّنه ، ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه ، قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول : [من مجزوء الكامل]

اسمــع أمير المؤمنيــ ـن لِمدحتي وثنائِها
أنــتَ ابن مُعْتَلج البِطا حِ كُدَيِّهــا وَكَدائِها[4]
ولِبَطْــنِ عائشةَ التــي فضَلَــت أرومَ نسائِها

1 قصّع : لزم البيت ولم يبرحه .
2 الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .
3 الأعياص من قريش : أولاد أميّة بن عبد شمس الأكبر ، وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص .
4 كدي وكداء : موضعان بمكة .

فلمّا أنشد هذا البيت قال له عبد الملك : قل «ولنسل عائشة» . قال : لا بل «ولبطن عائشة» . حتى ردّ ذلك عليه ثلاث مرّات وهو يأبى إلاّ «ولبطن عائشة» . فقال له عبد الملك : اسْحَنْفِر[1] الآن . قال : وعائشة أمّ عبد الملك بنت معاوية بن المغِيرة بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس . هذه رواية الزبير بن بكّار .

وقد حدَّثنا به في خبر كثيِّر مع غاضِرةَ هذه بغير هذا محمد بن العبّاس اليزيديّ . قال : حدَّثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبيّ .

[محاورة السائب بن حكيم لغاضرة ولم يكن قد عرفها]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبي عبد الرحمن الأنصاريّ عن السائب بن حكيم السَّدُوسيّ راوية كثيِّر قال : والله إنّي لأسير يوماً مع كثيِّر ، حتى إذا كنّا ببطن جِدار (جبلٍ من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رِحالةٍ[2] متنَقِّبة ، معها عبيد لها يسعون معها ، فمرّت جَنابِي فسلّمتْ ثم قالت : مِمّن الرجل ؟ قلت : من أهل الحجاز ، قالت : فهل تروي لكثيِّر شيئاً ؟ قلت : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحبّ إليّ من أن أرى كثيِّراً وأسمعَ شعره ، فهل تروي قصيدته : [من الطويل]

أهاجك برقٌ آخِرَ الليلِ واصِبُ

قلت : نعم : فأنشدتها إيّاها إلى آخرها . قالت : فهل تروِي قوله : [من الطويل]

كأنّك لم تسمعْ ولَم تَرَ قبلها   تفـرُّقَ أُلاّف لهـنّ حنينُ

قلت : نعم وأنشدتها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

لعزّةَ من أيّام ذي الغُصْن شاقني

قلت : نعم وأنشدتها إلى آخرها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

أأطلالَ سُعدى باللوى تَتَعهَّد

قلت : نعم وأنشدتها حتّى أتيت على قوله : [من الطويل]

فلَم أرَ مثلَ العين ضنّت بمائها   عليّ ولا مثلي على الدَّمعِ يَحسُدُ

قالت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثيِّر أحدٌ على الأرض . والله لأن أكون رأيت كثيِّراً ، أو سمِعتَ منه شعره أحبّ إليّ من مائة ألف درهم . قال : فقلت : هو ذاكِ الراكبُ أمامك ، وأنا السائب راويته . قالت : حيّاك الله تعالى . ثم ركضت بغلتها حتى أدركتْه فقالت : أنت كثيِّر ؟

1 اسحنفر الرجل في منطقه : مضى فيه ولم يتمكث .

2 الرحالة : مركب من جلود لا خشب فيه .

قال : ما لكِ ويلك ! فقالت : أنتَ الذي تقول : [من الطويل]

إذا حُسرتْ عنه العِمامةُ راعها جميلُ المحيَّا أغفلتْه الدواهِنِ

والله ما رأيت عربيّاً قطّ أقبحَ ولا أحقرَ ولا ألأمَ منكَ . قال : أنتِ والله أقبح منى وألأم .

قالت له : أولسْتَ القائل : [من الطويل]

تَراهــنّ إلاّ أن يؤدِّيـن نظرةً بمُؤْخِرِ عينٍ أو يُقلِّبن معصَما

كواظِمَ ما ينطِقْن إلاّ مَحُورة رجيعةَ قــولٍ بعد أن يُتَفَهَّما[1]

يحاذرْن منّي غَيْرةً قــد عرفْنها قديماً فما يضحكْن إلاّ تبسُّما

لعن الله من يفرّق منك . قال : بل لعنكِ الله . قالت : أوَلست الذي تقول : [من الوافر]

إذا ضَمْرِيَّــةٌ عَطَست فنِكها فإن عُطاسَها طـرَفُ الوِداقِ[2]

قال : من أنتِ ؟ قالت : لا يضرّك أن لم تعرفني ولا مَن أنا . قال : والله إنّي لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرةِ . قالت : حَيَّاك الله يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إليَّ وجهاً ولا لقاء منك . قال : لا حياكِ الله ، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منكِ . قالت : أتعرفني ؟ قال : أعرف أنّك لئيمة من اللئام . فتعرّفتْ إليه فإذا هي غاضرة أمّ ولدٍ لبشْر بن مروان . قال : وسايَرَها حتى سندنا[3] في الجبل من قِبَل زَرود[4] . فقالت له : يا أبا صخر ، أضمن لك مائة ألف درهم عند بِشر بن مروان إن قدِمتَ عليه . قال : أفي سبِّكِ إيّاي أو سبِّي إيّاكِ تضمنين لِي هذا ؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال ! فلمّا قامت تودّعه سفَرَت ، فإذا هي أحسن من رأيتُ من أهل الدّنيا وجهاً . فأمَرتْ له بعشرة آلاف درهم ، فبعد شَدٍّ ما قبِلها وأمرتْ لي بخمسة آلاف درهم . فلمّا ولّوا قال : يا سائبُ أين نُعنّي أنفسَنا إلى عِكرمةَ ، انطلِق بنا نأكلْ هذه حتى يأتينا الموت . قال : وذلك قوله لّما فارقَتْنا : [من الوافر]

شجا أظعـان غاضِرةَ الغوادي بغير مشيئـةٍ عرضـا فؤادي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا ، وخالف المعاني .

[كثيّر وامرأة لقيها بقديد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني سليمان بن عيّاش

1 المحورة : الجواب .
2 الوداق في كل ذات حافر : الغلمة .
3 سندنا : علونا .
4 زرود : اسم جبل .

السعديُّ قال : كان كثيِّر يلقى حاجَّ المدينة من قريش بقُديد[1] في كلّ سنة ، فغَفَل عاماً من الأَعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قُدَيْداً حتى ارتفع النهار ، ثم ركب جملاً ثَقالاً[2] واستقبل الشمس في يوم صائف ، فجاء قُديداً وقد كلّ وتعِب ، فوجدهم قد راحوا . وتخلّف فتى من قريش معه راحلتُه حتى يُبرِد[3] . قال الفتى القرشيّ : فجلس كثيّر إلى جنبي ولم يسلّم عليّ ، فجاءت امرأة وسِيمة جميلة ، فجلست إلى خَيْمة من خيام قُديد واستقبلت كثيِّراً فقالت : أأنت كثيِّر ؟ قال : نعم : قالت : ابن أَبي جُمعة ؟ قال : نعم . قالت : الذي يقول : [من الطويل]

لعزّة أَطلالٌ أَبـت أن تكلَّما

قال : نعم . قالت : وأنت الذي تقول فيها : [من الطويل]

وكنتُ إذا ما جِئتُ أجلَلْن مجلسي وأَظهرْن منِّــي هَيْبـةً لا تَجهُّما

فقال : نعم . قالت : أَعلى هذا الوجه هيبة . إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أَجمعين . فضجِر وقال : مَن أنتِ ؟ فلم تجبه بشيء ، فسأل المولِيات اللواتي في الخِباء بقديد عنها ، فلم يخبِرنه شيئاً ، فضجِر واختلط . فلمّا سكن من شأوه[4] قالت : أأنت الذي تقول : [من الطويل]

متى تَحسِروا عنّي العِمامة تُبْصِروا جميـل المُحيَّـا أغفلته الدّواهنُ

أهذا الوجه جَميل المُحيّا ؟ إن كنتَ كاذباً فعليك لعنةُ الله والملائكة والناس أَجمعين . فاختلط وقال : والله ما عرفتكِ ، ولو عرفتكِ لفعلتُ وفعلت . فسكتت ، فلمّا سكن من شأوه قالت : أأنت الذي تقول : [من الطويل]

يروق العيون الناظراتِ كأنّه هِرَقليٌّ وزنٍ أَحمرُ التّبرِ راجحُ[5]

أَهذا الوجهُ يروق العيونَ الناظراتِ ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أَجمعين . فازداد ضجراً وغيظاً واختلاطاً وقال لها : قد عرفتك والله لأقطعنَّكِ وقومَك بالهجاء . ثم قام فالْتفتُّ في أَثره ، ثم رجعت طرْفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت ، فقلت لمولاة من مولياتها بقُديد : لكِ الله عليّ إن أخبرتني مَن هذه المرأة لأَطْوِينّ لكِ ثوبيَّ هذين إذا قضيتُ حَجِّي ثم أُعطِيكِهما . فقالت : والله لو أُعطيتني زِنَتهما ذهباً ما

1 قديد : اسم موضع قرب مكّة .
2 ثقالاً : بطيئاً .
3 أبرد : دخل في آخر النهار .
4 الشأو : الحزن .
5 الهرقليّ : الدينار ، نسبة إلى هرقل ملك الروم .

أخبرتك مَنْ هي ؛ هذا كثيِّر وهو مولاي قد سألني عنها فلم أُخبره . قال الفتى القرشيّ : فرُحت والله وبي أشدُّ ممّا بكثيِّر .

قال سليمان : وكان كُثيِّر دميماً قليلاً[1] أحمرَ أقيشِرَ[2] عظيمَ الهامةِ قبيحاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغنّى به

منها : [من الطويل]

صوت

أشاقك بـرقٌ آخرَ الليلِ واصِبُ ... تضمَّنه فـرْش الجَبا فالمسارِبُ[3]
كما أَوْمَضَتْ بالعينِ ثم تبسَّمتْ ... خريعٍ بدا منهـا جبينٌ وحاجِبُ[4]
وهَبْتُ لِليـلى مـاءه ونباتَـه ... كما كلُّ ذي وُدّ لِمَن ودّ واهِبُ

عروضه من الطويل . الواصِب : الدائم ، يقال وصب يصِب وُصُوباً أي دام . قال الله سبحانه : ﴿وَلَهُ الدِّينُ واصِباً﴾ أي دائماً .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لِعزّة مـن أيّامِ ذي الغُصْنِ شاقني ... بِضاحِـي قَـرارِ الرَّوضَتينِ رُسُومُ
هي الدار وَحْشاً غير أَن قَدْ يَحُلُّها ... ويَغْنى بهـا شخصٌ علـيَّ كريمُ
فما برسوم الدَّارِ لو كنتَ عالِماً ... ولا بالتِّـلاع المُقْويـاتِ أُهِيمُ
سألت حكيماً أين شطَّت بِها النَّوى ... فخبَّرَني مـا لا أُحـبُّ حكيمُ
أجـدّوا فأمَّا آلُ عـزَّة غُدوة ... فبانـوا وأَمَّـا واسط فمقيمُ[5]
لعمري لئن كان الفؤادُ من الهوى ... بغـى سَقَمـاً إنّـي إذاً لسَقِيمُ

حكيمٌ هذا هو أبو السائبِ بن حكيم راوية كثيّر . ذكر ذلك لنا اليزيديّ عن ابن حبيب .

في هذه الأبيات لمعبد لحنان ، أحدهما في الثلاثة الأوَل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وابن المكّيّ وحَبَش ، وفي الثلاثة الأُخَر التي أوّلها :

---

1 القليل من الرجال : القصير الدقيق الجثة .
2 الأقيشر : مصغّر الأقشر ، وهو الشديد الحمرة .
3 فرش الجبا : موضع بالحجاز .
4 الخريع : المرأة الحسناء .
5 واسط : موضع أسفل من جمرة العقبة .

سألت حكيماً أين شطَّتْ بهـا النوى

له أيضاً ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس وحبشٍ. وذكر حَبَشٌ خاصةً أنّ فيها لكَرْدم خفيف ثقيل آخر، وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رملٍ عن الهشاميّ. وقال أحمد بن عبيد: فيه ثلاثة ألحان: ثقيل أوّل وخفيفه، وخفيفُ رمل.

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدَّثني المؤمَّليّ أنّ ابن أبي عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثيِّر: [من الطويل]

لعزَّةَ من أيّامِ ذي الغصن شاقني ... بِضاحـي قَـرار الروضتين رسومُ

يَتَحازنُ حتى نقول: إنّه يبكي.

[تمثّل الحزين الكنانيّ بشعر لكثيِّر]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمِّي عن الضَّحَّاك بن عثمان قال: قال عروةُ بن أذينة: كان الحزين الكنانيّ الشاعرُ صديقاً لأبي، وكان عشيراً له على النبيذ، فكان كثيراً ما يأتيه، وكانت بالمدينة قَيْنةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غِشيانَها، فبِيعت وأُخرجتْ عن المدينة، فأتى الحزين أبي، وهو كئيب حزين كاسِفٌ، فقال له أبي: يا أبا حكيمٍ ما لك؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيِّر: [من الطويل]

لَعَمرِي لئن كان الفؤادُ من الهَوى ... بَغـى سَقمـاً إنّـي إذاً لَسقيمُ

سألت حكيماً أين شطّت بها النّوى ... فخبَّرني مـا لا أُحِـبُّ حكيمُ

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا.

[قصيدة كثيِّر في عزّة لمّا أخرجت إلى مصر]

وهذه القصيدة يقولها كثيِّر في عزّة لمّا أُخرجت إلى مصر، وذلك قوله فيها: [من الطويل]

ولست براءٍ نحـوَ مصرَ سحابةً ... وإن بَعُـدَتْ إلاَّ قعدتُ أشيمُ[1]

فقد يوجَد النِّكْسُ الدنيّ عن الهوى ... عَزُوفاً ويَصبو المـرء وهْـوَ كريمُ

وقـال خليـلي ما لهـا إذ لقيتَها ... غـداةَ الشَّبا فيهـا عليك وُجومُ[2]

فقلـت لـه إن المـودّة بيننا ... على غير فُحْشٍ والصفـاءُ قديمُ

وإنّي وإن أعرضتُ عنهـا تجلُّدا ... على العَهْـدِ فيمـا بيننـا لَمُقِيمُ

---

1 أشيم: أنظر.

2 الشبا: واد بالأثيل من أعراض المدينة.

وإن زمانـاً فـرَّقَ الدَّهـرُ بيننا   وبينكُـمُ في صرفِـهِ لَمَشُومُ
أفي الحـقِّ هـذا أنَّ قلبَكِ سالِمٌ   صحيحٌ وقلبـي في هواكِ سَقِيمُ
وأنَّ بجسمي منـكِ داءٌ مخامراً   وجسْمُكِ موفـورٌ عليـكِ سليمُ
لعمرُكِ مـا أنصفْتِني في مودَّتي   ولكنّني يـا عـزَّ عنْـكِ حليمُ
فإمّـا تَرَيْني اليومَ أُبْدِي جَلادةً   فإنِّـي لعمري تحـت ذاكِ كَليمُ
ولسْتُ ابنةَ الضَّمْرِيِّ منكِ بناقِمٍ   ذُنـوبَ العِـدا إنِّي إذاً لَظَلومُ
وإنّي لَذُو وجْدٍ إذا عـاد وصلها   وإنّـي على ربِّـي إذا لكريمُ

ومنها : [من الطويل]

صوت

لعـزَّةَ أطْلالٌ أبَـت أن تكلَّما   تهيـجُ مغانيهـا الفـؤادَ المتيَّما
وكنتُ إذا ما جئْتُ أجلَلْنَ مجلسي   وأظهرنَ منِّـي هيبـةً لا تَجهُّما
يُحاذِرْنَ منِّـي غَيْرَةً قـد عرفنها   قَديمـاً فمـا يضحكْنَ إلاّ تبسُّما

عروضه من الطويل . غنّى فيه مالك بن أبي السَّمْح لحنين عن يونس . أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وغيرُه ينسبه إلى معبد . والآخر ثاني ثقيلٍ بالوُسطى عن حَبَش ، وفيه لابن مُحرِز خفيف ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرو والهشاميّ . وغيره يقول : إنّه لحن مالك . وفيه لابن سُرَيج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ وعلي بن يحيى ، والله أعلم .

[الرشيد ومسرور الخادم وما دار بينه وبين جعفر بن يحيى حين أمره بقتله]

وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدَّثني ميمونُ بنُ هارونُ قال حدَّثني مَن أثِق به عن مسرور الخادم : أنّ الرشيد لمّا أراد قتل جعفرِ بن يحيى لم يُطْلِعْ عليه أحداً بَتّة . ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له : اذهب فتشاغل اليومَ بمَن تأنس به واصطَبِح فإنّي مصْطَبِح مع الحُرَم . فمضى جعفر ، وفعل الرشيد ذلك . ولَم يزل برّ الرشيـد وألطافه[1] وتُحفه وتحياته تَتابع إليه لئلاّ يستوحش . فلمّا كان في الليـل دعاني فقال لي : اذهب فجئني الساعة برأس جعفر بن يحيى ، وضَمَّ إليّ جماعةً من الغلمان ، فمضيتُ حتى هجمتُ عليه منزلَه . وإذا أبو زَكّار الأعمى يغنّيه بقوله : [من الوافر]

فلا تَبْعَـدْ فكلّ فتًى سيأتـي   عليـه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

فقلت له : في هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجِب . فوثب وقال : ما الخبر يا أبا هاشم

1 اللّطف ، بالتحريك : واحد الألطاف ، وهو الهدية .

جعلني الله فداءك ! قلت : قد أمرتُ بأخذ رأسك . فأكبّ على رجلي فقبّلها وقال : الله الله ، راجعْ أميرَ المؤمنين فيّ . فقلت : ما لي إلى ذلك سبيل . قال : فأعْهَدُ ؟ قلت : ذاك لك . فذهب يدخل إلى النساء فمنعتُه ، وقلت : اعهد في موضعك . فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دَهَشٍ ثم قال لي : يا أبا هاشم بَقيتْ واحدة . قلت : هاتِها . قال : خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أخاطبه . قلت : ما لي إلى ذلك سبيل . ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ . فقلت : هيهات ما شرب اليوم شيئاً . قال : فخذني واحبسني عندك في الدار ، وعاوِدْه في أمري . قلت : أفعل . فأخذته ، فقال لي أبو زكّار الأعمى : نشدتُك اللهَ إن قتلتَه إلاّ ألحقتَني به . قلت له : يا هذا لقد اخترتَ غيرَ مختار . قال : وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه ، وأغناني عمّن سواه ، فما أحبّ الحياة بعده . فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكّلت به ، ودخلتُ إلى الرشيد ، فلمّا رآني قال : أين رأسه ويلك ؟ فأخبرته بالخبر . فقال : يا ابن الفاعلة ، والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذنّ رأسك ؛ فمضيت إليه ، فأخذت رأسه ووضعته بين يديه . ثم أخبرته خبره ، وذكرت له خبر أبي زكّار الأعمى ، فلمّا كان بعد مدّة أمرني بإحضاره ، فأحضرته ، فوصله وبرّه وأمَر بالجِراية عليه .

[شعر في خولة غنّى فيه]

صوت

[من الوافر]

قِفـا في دار خولةَ فاسألاها تَقـادمَ عهدُهـا وهَجرْتُماها
بمِحْلالٍ يفـوح المسكُ منه إذا هبَّـت بأبْطَحه صَباها[1]
أتَرْعى حيثُ شاءَت من حِمانا وتمنعُنا فـلا نرعـى حِماها[2]

عروضه من الوافر . الشعر لرجل من فَزارة . والغناءُ ذكر حمّادٌ عن أبيه أنّه لمعبَد ، وذَكَر عنه في موضع آخر أنّه لابن مِسْجَح . وطريقتُه من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى الوسطى .

1 المحلال : الأرض السهلة المخضبة . الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .
2 فلا في ل : إذا .

218 ـ [أخبار منظور بن زبّان]

[نسبه]

وهذا الشعر يقوله الفَزاريّ في خَوْلة بنتِ منظور بن زَبّان بن سيّار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَيّ بن مازن بن فَزارة بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان . وكان منظورُ بن زَبَّان سيدَ قومه غيرَ مدافَع ، أمّه قِهطِم بنت هاشم بن حَرْمَلَةَ ، وقد ولدَتْ أيضاً زُهَير بن جَذِيمة ، فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه . وهو أحد مَن طالَ حَمْلُ أمّه به .

[سبب تسميته منظوراً وشعر أبيه في ذلك]

قال الزبير بن بكّار أجاز لنا الحِرْميُّ بن أبي العلاء والطّوسيّ روايتَه عنهما ممّا حدّثا به عنه حدَّثتني مُغيرةُ بنتُ أبي عَدِيّ . قال الزُّبير وقد حدَّثني هذا الحديث أيضاً إبراهيمُ بن زِيادٍ عن محمد بن طلحة ، وحدَّثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة عن يحيى بن الحسن العلويّ عن الزبير قالا جميعاً : حملت قهْطِم بنتُ هاشمٍ بمنظور بن زَبَّانَ أربعَ سنين ، فولدته وقد جَمع فاهُ فسمّاه أبوه منظوراً لذلك ، يعني لطول ما انتظره ، وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة : [من الكامل]

ما جِئتَ حتّى قيل ليس بـوارِدٍ فسُمّيتَ منظوراً وجِئْتَ على قدْرِ
وإنّي لأَرجــو أن تكونَ كَهاشمٍ وإنّي لأَرْجُــو أن تسودَ بَني بَدْرِ

[تزوّج مليكة زوج أبيه ففرّق عمر بينهما فتبعتها نفسه وقال شعراً]

ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن الكلبيّ وابن عيّاشٍ ، وذكر بعضَه الزُّبير بن بكّار عن عمِّه عن مجالد : أنّ منظـورَ بن زَبّـان تزوّج امرأة أبيه ، وهي مُلَيْكةُ بنت سِنانَ بن أبي حارثة المُرّيّ ، فولدت له هاشماً وعبد الجَبّار وخَوْلَةَ ، ولَم تزلْ معه إلى خلافةِ عمر بن الخطّابِ رضي الله عنه . وكان يشربُ الخمرَ أيضاً ، فرُفِع أمرُه إلى عُمَر ، فأحضره وسأله عمّا قيل ، فاعترف به وقال : ما علِمت أنّها حرام . فحبسه إلى وقت صلاةِ العصر ، ثم أحْلفه أنّه لم يعلم أنّ الله جلَّ وعزَّ حرّم ما فعله . فحلف ، فيما ذكر ، أربعين يميناً . فخلّى سبيلَه ، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنّك حلفتَ لضربت عنقَك .

قال ابن الكلبيّ في خبره : إنّ عمرَ قال له : أتنكِحُ امرأة أبيك وهي أمّك ؟ أو ما علِمتَ أنّ هذا نِكاح المقتِ[1] ! . وفرّق بينهما . فتزوّجها محمد بن طلحة .

1 نكاح المقت : هو أنْ يتزوّج الرجل امرأة أبيه بعده .

قال ابن الكلبيّ في خبره : فلمّا طلّقها أسِف عليها وقال فيها : [من الطويل]

ألا لا أُبالي اليومَ ما صَنَع الدّهرُ إذا مُنِعتْ منّي مُلَيكَةُ والخمرُ
فإن تَكُ قد أمسَتْ بعيداً مَزارُها فحَيٌّ ابنةَ المرّيِّ ما طَلَعَ الفجْرُ
لَعَمْرِيَ ما كانتْ مُلَيكةُ سَوْءَةً ولا ضُمَّ في بيتٍ على مِثْلِها سِتْرُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمرُ أبي ، دِينٌ يُفَرِّق بيننا وبينَك قَسْراً إنّه لَعظيمُ

وقال حُجرُ بن معاوية بن عُيينة بن حصْن بن حُذيفة لمنظور : [من البسيط]

لَبِئس ما خلفَ الآباءَ بعدَهُمُ في الأُمَّهاتِ عِجالُ الكلبِ منظورُ
قد كنْتَ تَغمِزُها والشيخ حاضِرُها فالآن أنت بطُول الغمزِ معْذُورُ

[تزوّجت ابنته خولة الحسن بن علي بعد موت زوجها]

قال أبو الفرج الأصفهاني : أخطأ ابن الكلبيّ في هذا . وإنّما طلحةُ بن عبيد الله الذي تزوّجها ؛ فأمّا محمد فإنّه تزوّجَ خولة بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرجَ ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل ، فتزوّجها الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام . وكان إبراهيم بن محمد بن طلحةَ نازعَ بعضَ ولد الحُسين بن عليّ بعضَ ما كان بينهم وبين بني الحسين من مال عليّ عليه السلام ، فقال الحُسينيّ لأمير المدينة : هذا الظالم الضالِع[1] الظالِع ، يعني إبراهيم ، فقال له إبراهيم : والله إنّي لأُبغِضُك . فقال له الحسيني : صادق ، والله يحب الصادقين ، وما يمنعك من ذلك وقد قَتَل أبي أباك وجدّك ، وناكَ عمِّي أمّك ؟ ، لا يَكني ، فأمر بهما فأُقيما من بين يدي الأمير .

[لقي مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها]

رجع الخبرُ إلى رواية ابن الكلبيّ قال : فلمّا فرّق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوّجت رآها منظورٌ يوماً وهي تمشي في الطريق ، وكانت جميلة رائعة الحسن ، فقال : يا مُليكةُ ، لعن الله ديناً فرّق بيني وبينك ! فلم تكلّمه وجازت ، وجاز بعدها زوجها ؛ فقال له منظور : كيف رأيت أثر أيري في حِرِ مُليكة ؟ قال : كما رأيتَ أثَر أيرِ أبيك فيه ، فأفحمه . وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه .

[رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن]

وقال الزبير في حديثه : فتزوّج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولةَ بنتَ منظورٍ فولدت له

1 الضالع : الجائر .

إبراهيم وداود وأُمّ القاسم بني محمد بن طلحةَ ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل ، فخَلَف عليها الحسنُ بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما .

قال الزبير : وقال محمد بن الضحّاك الحزاميّ عن أبيه : تزوّج الحسن عليه السلام خَولة بنت منظور ، زوّجه إيّاها عبد الله بن الزُّبير وكانت أختُها تحتَه .

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدَّثني يحيى بن الحسن قال حدَّثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال : جعلت خولةُ أمرَها إلى الحسن عليه السلام فتزوّجها ، فبلغ ذلك منظورَ بن زبَّان فقال : أمثلي يُفتات عليه ابنتِه ! فقدِم المدينة ، فركّز راية سوداء في مسجد رسول الله ﷺ ، فلم يبقَ قيسيّ بالمدينة إلاّ دخل تحتها ، فقيل لمنظور بن زبّان : أين يُذْهَبُ بك ؟ تَزوّجها الحسن بن عليّ عليه السلام وليس مثله أحد . فلم يقبل . وبلَغ الحسن عليه السلام ما فعل ، فقال له : ها ، شأنك بها . فأخذها وخرج بها . فلمّا كان بقُباءٍ جَعلتَ خولةُ تُندِّمُه وتقول : الحسن بن عليّ سيّد شباب أهل الجنّة . فقال : تلبَّثي هاهنا ، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا . قال : فلحِقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عبّاس ، فتزوّجها الحسن ، ورجع بها . قال الزبير : ففي ذلك يقول جفير العبْسيّ : [من البسيط]

إنّ النَّدى من بني ذُبيانَ قد عَلِموا ... والجُـودَ في آل منظورِ بنِ سيَّارِ
الماطِريـــن بأيديهـــم نَدًى دِيَماً ... وكلَّ غيثٍ مـن الوَسْمِيّ مِدرارِ[1]
تَـــزُورُ جاراتِهم وهْناً فواضِلُهم ... ومـــا فَتاهـــم لهـا سرّاً بزوَّارِ[2]
تَرضى قريشٌ بهم صِهراً لأَنفسهم ... وهُـمْ رضاً لبنــي أختٍ وأَصهارِ

[لمّا أسنّت خولة بنته برزت للرجال وغنّاها معبد بشعر قيل فيها فطربت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني ابن أبي أيّوب عن ابن عائشة المغنّي عن مَعْبَد : أنّ خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فلمّا أسنَّت مات عنها أو طلَّقها ، فكشفَت قِناعَها وبرزت للرجال . قال معبد : فأتيتُها ذات يوم أُطالبها بحاجةٍ ، فغنّيتها لَحْني في شعرٍ قاله فيها بعض بني فَزارة ، وكان خَطَبها فلم يُنكِحها أبوها : [من الوافر]

1 الوسميّ : مطر الربيع الأوّل .
2 الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . الفواضل : الأيدي الجسيمة .

قِفـا في دار خولـة فاسألاها ... تقـادم عهدُهـا وهَجرتُماها
بمحـلال كأنّ المسك فيـه ... إذا فاحـت بأبطَحِـه صَباها
كأنّكِ مُزْنَـةٌ بَرقَـت بلَيْلٍ ... لِجِـرّانٍ يُضِيءُ لـه سَناها
فلـم تُمْطِرْ عليـه وجاوزَتْه ... وقد أَشْفى عليهـا أو رَجاها
ومـا يَمْـلا فُؤادي فاعلَميه ... سُلُوُّ النّفسِ عنـكِ ولا غِناها
وتَرعى حيث شاءت من حِمانا ... وتمنعُنا فَـلا نَرْعـى حِماها

قال : فطرِبت العجوز لذلك ، وقالت : يا عبد ابن قَطَن ، أنا واللهِ يومئذٍ أحسَنُ من النارِ الموقَدةِ في الليلة القَرَّةِ .

صوت

[من الكامل]

للهِ درّ عِصابـةٍ صاحبْتُهـم ... يومَ الرُّصافةِ مثلُهُم لم يُوجدِ
متقلّديـن صَفائحـاً هِنديّـة ... يتركْن مَن ضَرَبُوا كأن لم يُولَدِ
وغدا الرّجال الثائرون كأنّما ... أَبصارهم قِطَعُ الحديدِ الموقَدِ

عروضه من الكامل . الشعر للجحّافِ السُّلميّ الموقِع ببني تغلِب في يوم البِشر . والغناء للأَبْجَرِ أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

[219] ـ خبر الجحّاف ونسبه وقصّته يوم البشر

[نسبه]

هو الجحّاف بن حَكِيم بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزاعيّ بن مُحاربيّ بن فالج بن ذَكْوانَ بن ثَعْلَبَة بن بُهْثة بن سُلَيْم بن منصور .

[قصّته يوم البشر وسبب ذلك]

وكان السببُ في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ وعليٌّ بن سليمان الأخفش قالا حدَّثنا أبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيبٍ عن ابنِ الأعرابيّ ، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ وحبيبُ بن نصرٍ المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّةَ ، وقد جَمَعْتُ رواياتهم . وأكثرُ اللفظ في الخبر لابن حبيب : أنّ عُميرَ بنَ الحُباب لمّا قَتَلَتْهُ بنو تغلِب بالحشّاكِ ، وهو إلى جانب الثَّرْثار ، وهو قريبٌ من تَكْريتَ ، أتى تميمُ بنُ الحُباب أخوه زُفَرَ بن الحارث فأخبره بمقتل عمير ، وسأله الطلب له بثأره ، فكرِه ذلك زُفَرُ ، فسار تميم بن الحُباب بمَن تَبِعه من قيس ، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العُقَيْليّ . فلمّا توجّهوا نحو بني تغلِبَ لقيهم الهذيل في زراعة لهم ؛ فقال أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ؛ فقال : أمهلوني ألقَ الشَّيخَ . فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفَر ؛ فقال : ما صنعت ؟ والله لئن ظُفِر بهذه العصابة إنّه لعارٌ عليك ، ولئن ظفِروا إنّه لأشدّ ؛ قال زُفَر : فاحبِس عليّ القوْمَ ؛ وقام زفر في أصحابه ، فحَرَّضهم ، ثم شخَص واستخلف عليهم أخاه أوْساً ، وسار حتى انتهى إلى الثَّرثار فدفنوا أصحابهم ، ثم وجَّه زُفر بن الحارث يزيد بن حُمران في خيل ، فأساء إلى بني فَدَوْكس من تغلب ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق في ذلك الجوّ غير امرأة واحدة يقال لها حُمَيْدة بنت امرىء القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها . وبعث الهذيلَ إلى بني كعَب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً . وبعث مُسْلِمَ بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع في القتل . وبلغَ ذلك بني تَغْلِبَ واليمن ، فارتحلوا يريدون عُبورَ دجلة ، فلحِقهم زُفَرُ بالكُحَيْل ، وهو نهرٌ أسفل الموصِل ، مع المغرب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وتَرَجَّلَ أصحابُ زفرَ أجمعون ، وبقي زفر على بغل له ، فقتلوهم من لَيْلَتهم ، وبَقَرُوا ما وجدوا من النساء . وذُكِر أن مَن غرِق في دِجلة أكثرُ مِمَّن قُتِل بالسيف ، وأنّ الدم كان في دِجلة

قريباً من رَمية سهم . فلم يزالون يقتلون مَنْ وجدوا حتى أصبحوا ؛ فذكر أنّ زفرَ دخل معهم دجلة وكانت فيه بُحَّةٌ ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتِل ، فتذامروا[1] وقالوا : لئن قُتِل شيخُنا لَما صَنَعْنا شيئاً ، فاتبعوه فإذا هو في دِجلة يصيح بالناس ، وتغلِبُ قد رمَت بأنفسها تعبر في الماء ، فخرج من الماء وأقام في موضعه . فهذه الوقعةُ الحَرَجِيَّةُ لأنّهم أُحرِجوا فألقوا أنفسهم في الماء . ثم وجّه يزيد بن حُمران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه ، وأمرهم ألاّ يلقَوْا أحداً إلاّ قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم ، وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبِل الشَّمال في جماعة مِنْ أصحابه ، حتّى أتى رأس الأثيل ، ولم يُخَلِّ[2] بالكُحَيل أحداً ، والكُحَيلُ على عشرة فراسخَ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب ، فصعد قِبلَ رأس الأثيل ، فوجد به عسكراً من اليمن وتغلِب ، فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلِبُ وصبرت اليمن . وهذه الليلةُ تسميها تَغلِب ليلة الهرير . ففي ذلك يقول زُفَر بنُ الحارث ، وقد ذُكِرَ أنّها لغيره : [من الوافر]

ولّما أن نعى النّاعي عُمَيْراً … حسبتُ سماءهم دُهِيت بليلِ

دهِيت بليل ، أي أظلمت نهاراً كأنّ ليلاً دهاها .

وكان النجمُ يطلُعُ في قَتامٍ … وخاف الذُّلَّ مِنْ يَمَن سُهَيْلُ[3]
وكنتُ قبيْلَها يا أُمَّ عمرٍو … أُرَجِّلُ لِمَّتي وأجرُّ ذيلي[4]
فلو نُبِش المقابرُ عن عمير … فيخبَرَ مِنْ بلاء أبي الهذيلِ
غداةَ يقارعُ الأبطالَ حتّى … جرى منهم دماً مَرْجُ الكُحَيْلِ
قبيلٌ يَنْهَدون إلى قبيلٍ … تساقى الموت كيلاً بعد كيلِ

وفي ذلك يقول جرير يعيِّر الأخطل : [من الكامل]

أَنسيتَ يومَك بالجزيرة بعدما … كانت عواقِبُه عليك وبالا !
حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلَها … شُعْثاً عوابسَ تحمِل الأبطالا

1 تذامروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .
2 ل : يخلّف .
3 القتام : الغبار ، في هذا البيت إقواء .
4 اللمّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

ما زلتَ تحسِبُ كلّ شيء بعدهم خيــلاً تكُـرُّ عليكمُ ورجالا
زفـرُ الرئيسُ أبـو الهذيل أبارَكم فسَبى النساء وأحـرز الأموالا

[أغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب ففعل وفرّ إلى الروم]

فلمّا أن كانت سنة ثلاث وسبعين ، وقُتِل عبد الله بن الزبير هدأتِ الفتنةُ واجتمع الناس على عبد الملك بنِ مروانَ ، وتكافَّتْ قيس وتغلِبُ عن المَغازي بالشام والجزيرة ، وظنّ كلٌّ واحد من الفريقين أنّ عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلّم عبدُ الملك في ذلك ولم يُحْكم الصلح فيه ، فبينا هـم على تلك الحـال إذ أنشد الأخطـلُ عبدَ الملك بن مـروان وعنده وجوه قيس قولَه : [من الطويل]

ألا سائِلِ الجحّافَ هــل هو ثائرٌ بِقَتْلى أُصيبتْ مِــنْ سُلَيْم وعامرِ
أجحّافُ إنْ نهبِطْ عليك فتلتقي عليك بحـورٌ طامِيـاتُ الزواخِرِ
تكن مثل أبداءِ الحباب الذي جرى بِـهِ البحرُ تزهاهُ ريـاحُ الصراصِرِ[1]

فوثب الجحّاف يجرّ مُطْرَفه وما يَعْلَمُ من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلاّ قد كَسَبْتَ قومَك شرّاً . فافتعل الجحّاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلِب ، وصحبِه من قومه نحوٌ من ألف فارسٍ ، فثار بهم حتّى بلغ الرُّصافة ، قال : وبينها وبين شطّ الفرات ليلةٌ ، وهي في قِبْلة الفرات ، ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شعرَ الأخطل ، وقال لهم : إنّما هي النارُ أو العارُ ، فمن صبرَ فَلْيُقْدِم ومن كرِه فلْيَرْجع ، قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبةٌ ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحنُ معك فيما كنتَ فيه من خير وشرٍّ ، فارتحلوا فطرقوا صُهَيْنَ بعدُ رؤبة[2] من الليل ، وهي في قِبلة الرصافة وبينهما ميل ، ثم صبّحوا عاجنة الرَّحوب في قِبلةِ صُهَيْنَ والبِشر ، وهو وادٍ لبني تغلِب ، فأغاروا على بني تغلِب ليلاً فقتلوهم ، وبقروا من النساء من كانت حاملاً ، ومَن كانت غيرَ حامـل قتلوها . فقال عمرُ بنُ شَبَّةَ في خبره : سمعت أبي يقول : صعِد الجحّافُ الجبلَ ، فهو يوم البِشر ، ويقال له أيضاً يومُ عاجنة الرَّحوب ، ويومُ مخاشِنٍ ، وهو جبلٌ إلى جنب البِشر ، وهو مرج السَّلَوْطَح لأنّه بالرحوب ، وقَتَل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أبو غياثٍ ، ففي ذلك يقول جرير له : [من الوافر]

شرِبتَ الخمر بعـد أبي غِياثٍ فلا نعِمت لك السَّوءات بالا[3]

قال عمرُ بن شبّة في خبره خاصّةً : ووقع الأخطلُ في أيديهم ، وعليه عباءةٌ دَنِسة ، فسألوه

1 زهت الريح الشجر تزهاه : هزّته وحرّكته .
2 رؤبة : قطعة ، وأصلها القطعة يسدّ بها ثلمة الإناء .
3 السوءات في ل : النشوات .

فذكر أنّه عبدٌ من عبيدهم ، فأطلقوه ؛ فقال ابنُ صَفَّار في ذلك : [من الكامل]

لَـم تنـج إلاّ بالتعبُّدِ نفسُه لَمَّـا تيقّـن أنّهمْ قـومٌ عِدا
وتشابهت بُـرْقُ العَباء عليهمُ فنجا ولو عرفـوا عباءته هوى[1]

وجعل يُنادي : مَن كانت حاملاً فإليّ ، فصعِدْنَ إليه ، فجعل يبقَرُ بطونهنّ . ثم إنّ الجحّاف هرب بعد فِعله ، وفرّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحِق الجحافَ عُبَيدَةُ بن همام التغلبيّ دون الدَّرْبِ ، فكرّ عليه الجحاف فهزمه ، وهزم أصحابه وقتلهم ، ومكث زمناً في الروم ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فإن تَطْرُدوني تطردوني وقد مضى من الوِرْدِ يـومٌ في دماء الأراقمِ[2]
لدن ذرَّ قرنُ الشمس حتى تَلَبَّسَتْ ظلاماً بركض المُقْرَبات الصلادِمِ[3]

[رجع بعد عفو عبد الملك عنه وتمثّل بشعر الأخطل]

حتّى سكن غضبُ عبدِ الملك ، وكلَّمتْهُ القَيْسيّة في أن يُؤَمِّنه ، فَلانَ وتلكأ ، فقيل له : إنّا والله لا نأمنُه على المسلمين إن طال مُقامُه بالرّوم ؛ فأمَّنه ، فأقبل فلمّا قدِم على عبد الملك لقِيه الأخطلُ فقال له الجحاف : [من الطويل]

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتَني على القتل أمْ هل لامني لك لائمي
أبا مالكٍ إنّـي أطعتُـك في التي حضضتَ عليها فعلَ حَرَّانَ حازمِ
فإن تدعُني أخرى أُجِبْك بمثلها وإنّي لَطَبٌّ بالوَغـى جِـدُّ عالِمِ

قـال ابـن حبيب : فزعمـوا أنّ الأخطـلَ قـال لـه : أُراك والله شيخَ سَوْءٍ . وقـال فيـه جرير : [من الطويل]

فإنّـك والجحافَ يـوم تَحُضُّه أُردتَ بذاك المُكثَ والوِرْدُ أعجلُ
بكى دَوْبَلٌ لا يُرقِـئ اللهُ دمعَه ألا إنّما يبكـي مِنَ الذُّلِّ دَوبلُ[4]

1 الأبرق : كلّ شيء اجتمع فيه سواد وبياض ، وهي برقاء والجمع برق .
2 الأراقم : حيّ من تغلب وهم جشم ، أو هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية ، سمّوا كذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات .
3 المقربات من الخيل : التي ضمرت للركوب فهي قريبة معدة . والصلادم : جمع صلدم ، كزبرج وهو الفرس الصلب الشديد .
4 رقأ الدمع : جفّ وسكن . الدوبل : الخنزير أو ولده .

رمـا زالت القتلى تَمورُ دماؤهم بدِجلة حتى مـاءُ دجلةَ أَشْكَلُ[1]

فقال الأخطل : ما لجرير لعنه الله ! والله ما سَمَّتْني أُمّي دَوْبلاً إلاّ وأنا صبيّ صغير ثم ذهب ذلك عنّي لما كبِرت . وقال الأخطل : [من الطويل]

لقد أُوقع الجحّافُ بالبِشْرِ وقعةً إلى اللهِ منهـا المُشْتكـى والمُعَوَّلُ
فسائل بني مـروان ما بالُ ذمّةٍ وحبـلٍ ضعيفٍ لا يـزال يُوصَّلُ
فـإلاّ تُغَيِّرْهـا قريش بمِلْكِهـا يكن عن قريشٍ مستزادٌ ومَزْحَلُ[2]

[حمله الوليد دية قتلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا : فإلى أَينَ يا ابنَ النَّصرانية ؟ قال : إلى النار قال : أَولى لك لو قلتَ غيرها ؛ قال : ورأى عبدُ الملك أنّه إن تركهم على حالهم لم يُحْكِمِ الأَمر ، فأَمر الوليدَ بنَ عبد الملك ، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمَّن الجحّاف قتلى البِشر ، وأَلزمه إيّاها عقوبةً له ، فأَدّى الوليد الحِمالات ، ولم يكن عند الجحّاف ما حُمِّل ، فلحِق بالحجّاج بالعراق يسأله ما حُمِّل لأنّه من هوازن ، فسأل الإذنَ على الحجّاج ، فمنعه . فلقى أَسماءَ بنَ خارجة ؛ فَعَصَبَ حاجته به فقال : إنّي لا أَقدِرُ لك على منفعة ، قد علِم الأَمير بمكانك وأَبى أَن يأذن لك ؛ فقال : لا والله لا أُلْزِمُها غيرك أَنْجَحَتْ أو أَكْدت[3] ، فلمّا بلغ ذلك الحجّاج قال : ما له عندي شيء ، فأَبْلِغه ذلك ؛ قال : وما عليك أَن تكونَ أنت الذي تُوئسُه فإنّه قد أَبى ، فأذن له فلمّا رآه قال : أَعهدتني خائناً لا أَبا لَكَ ! قال : أنت سيّدُ هوازن ، وقد بدأنا بِك ، وأنت أَميرُ العراقين[4] ، وابنُ عظيم القريتين[5] ، وعَمالتُك في كلّ سنة خمسمائة أَلفِ درهم ، وما بِك بعدها حاجة إلى خِيانةٍ ؛ فقال : أَشهد أَنّ الله تعالى وفّقك ، وأنّك نظرت بنور الله ، فإذا صدقت فلك نصفُها العام ، فأَعطاه وادَّوا البقية .

[تنسك وخرج إلى الحجّ في زيّ عجيب]

قال : ثم تألّه[6] الجحاف بعد ذلك ، واستأذن في الحجّ ، فأَذِن له ، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه ، قد لبسوا الصوف وأحرموا ، وأبرَوا أنوفهم ، أَي خزموها وجعلوا فيها

1 أَمار الدم : جرى ، والأَشكل ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .
2 بملكها ، أي بقدرتها . المستراد : المرعى . مزحل : مبعد .
3 أكدى : أصله من أكدى الحافر : إذا حفر فبلغ الكدية وهي الصخرة فانقطع عن الحفر .
4 العراقان : الكوفة والبصرة .
5 القريتان : مكة والطائف .
6 تألّه : تعبّد وتنسّك .

البُرى[1] . ومشوا إلى مكّة فلمّا قدِموا المدينة ومكّة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ، ويَعجبون منهم . قال : وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلّق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهمّ اغفِرْ لي وما أُراك تفعل ؛ فقال له ابنُ عمر : يا هذا ، لو كنت الجحافَ ما زِدت على هذا القول ؛ قال : فأَنا الجحافُ ، فسكت . وسمِعه محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وهو يقول ذلك ؛ فقال : يا عبد الله ، قُنوطُك من عفو الله أعظمُ من ذنبك !

قال عمر بن شبّة في خبره : كان مولد الجحّاف بالبصرة .

[دخل على عبد الملك بعد أن أمنه وأنشده شعراً]

قال عبد الله بن إسحاق النحويُّ : كان الجحافُ معي في الكتابِ ، قال أبو زيد في خبره أيضاً : ولّما أمّنه عبد الملك دخل عليه في جُبَّةِ صوف ، فلبث قائماً ، فقال له عبد الملك : أنشدْني بعضَ ما قلتَ في غزوتك هذه وفَجْرَتك ، فأنشده قوله : [من الكامل]

صبرتْ سليـمٌ للطعان وعامرٌ وإذا جزِعنا لَم نَجِد مَن يصبِرُ

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبت ، ما أكثر مَن يصبر ! ثم أنشده : [من الكامل]

نحـــنُ الذين إذا علَوا لَمْ يَفْخَروا يــوم اللقا وإذا عُلُوا لم يضجروا

فقال عبد الملك : صدقتَ ، حدَّثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنّكم كنتم كما وصفت يومَ فتحِ مكّةَ .

[عود إلى قصة يوم البشر]

حُدِّثْتُ عن الدمشقيّ عن الزبير بن بكّار ، وأخبرني وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز بن مروان : أنّه حضر الجحافُ عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطل حاضرٌ في مجلسه ينشد : [من الطويل]

ألا سائِلِ الجحّاف هل هــو ثائرٌ بِقَتْلى أُصيبت مــن سليم وعامِرِ

قال : فتقبّض وجهُه في وجه الأخطل ، ثم إنّ الأخطل لّما قال له ذلك قال له : [من الطويل]

نعَــمْ سوفَ نَبْكِيهِم بكــلّ مُهَنَّدٍ ونبْكِي عميراً بالرماحِ الخواطرِ[2]

ثم قال : ظننتُ أنّك يا ابن النصرانية لم تكن تجترىء عليَّ ولو رأيتني لك مأسوراً . وأوْعده ، فما برح الأخطلُ حتّى حُمَّ ، فقال له عبد الملك : أنا جارُك منه ؛ قال : هذا أجرْتَني منه يقظانَ ، فمن يجيرني منه نائماً ؟ قال : فجعل عبدُ الملك يضحك . قال : فأمّا قولُ الأخطل : [من الطويل]

1 البرى : جمع برة ، وهي الحلقة في أنف البعير .

2 الخواطر : خطر الرمح : اهتزّ فهو خاطر والجمع خواطر .

ألا سائل الجحافَ هل هــو ثائِرٌ بقتـلى أُصيبتْ مــن سُلَيم وعامرِ

فإنّه يعني اليوم الذي قَتَلَتْ فيه بنو تغلب عميرَ بنَ الحُباب السُّلميّ .

وكان السببُ في ذلك فيما أُخبرني به عليّ بنُ سليمان الأخفش قال حدَّثني أبو سعيد السكريُّ عن محمّد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابيّ عن المفضل : أنّ قيساً وتغلب تحاشدوا لِما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بِمَرْج راهطٍ ، فكانوا يتغاورون[1] . وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتوْباذ وما حوله ، وجَلَبَتْ إليها طوائفَ تغلب وجميع بطونها ، إلاّ أنّ بكر بن جُشَم لم تجتمع أُحلافُهم من النَّمرِ بنِ قاسط . وحشدت بكر فلم يأت الجمعُ منهم على قدر عددهم . وكانت تغلبُ بدوًا بالجزيرة لا حاضرة لها إلاّ قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيسٍ وقضاعةَ وأُخلاط مضر ، ففارقتهم قضاعةُ قبل حرب تغلِب ، وأرسلت تغلِبُ إلى مهاجِريها وهم بأَذْرَبيجان ، فأَتاهم شعيبُ بنُ مُلَيْل في ألفيّ فارس . واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد ؛ فقال : [من الطويل]

أَيا أُخَوَيْنــا مــن تميم هُدِيتُما ومن أَسدٍ هــل تسمعانِ المُنادِيا
أَلَم تعلما مُذْ جاء بكرُ بنُ وائل وتغلِــبُ أَلفافــاً تَهُــزّ العواليا
إلى قومِكم قــد تعلمــون مكانهم وهم قُرْبُ أُدنى حاضِرين وبادِيا

وكان مَنْ حضر ذلك من وجوه بكـر بن وائـلٍ المُجَشَّرُ بنُ الحارث بنِ عامرِ بنِ مرّة بن عبد الله بن أَبي ربيعة بن ذُهلِ بن شيبان ، وكان من سادات شيبانَ بالجزيرة فأَتاهم في جمع كثيرٍ من بني أبي ربيعة . وفي ذلك يقول تميمُ بن الحباب بعد يوم الحشّاك : [من الطويل]

فإن تحتجزْ بالمـاء بكرُ بنُ وائلٍ بنـي عمّنـا فالدَّهــر ذو مُتَغَيَّرِ
فسوف نُخيضُ الماء أو سوف نلتقي فنقتصَّ من أَبنــاء عــمّ المُجَشَّرِ[2]

وأَتاهم زِمامُ بنُ مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مُرّة في جمع كبيرٍ فشهدوا يوم الثرثار ، فقُتِلَ . وكان فيمن أَتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيدُ الله بنُ زيادِ بن ظَبْيان ، ورهصة بنُ النُّعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همّام ، فلذلك تحامل المُصْعَبُ بنُ الزُّبير على أبانِ بن زياد أَخي عبيد الله بن زياد فقتله . وفي هذا السببِ كانت فُرْقَةُ عبيد الله لمصعب ، وجمعت تغلِبُ فأَكثرت ، فلمّا أتى عميراً كثرةُ مَن أتى من بني تغلِب وأَبطأَ عنه أَصحابه قال يستبطئهم : [من الوافر]

---

1 يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .
2 أخاضه في الماء : جعله يخوضه .

أُناديهم وقد خَذَلَتْ كلاب ... وحولي من ربيعةَ كالجبالِ
أُقاتِلُهم بحيّ بني سُلَيْمٍ ... ويَعْصُرَ كالمصاعِيبِ النِّهالِ[1]
فِدًى لفوارس الثرثار قومي ... وما جَمَّعْتُ من أهلي ومالي
فإمّا أُمْسِ قد حانت وفاتي ... فقد فارقت أعصرَ غير قالِ
أَبَعْدَ فوارسِ الثرثار أرجو ... ثَراءَ المالِ أو عددَ الرِّجالِ ؟

ثم زحف العسكرانِ ، فأتت قيسٌ وتغلِبُ الثرثار ، بين رأس الأثيل والكُحَيْل ، فشاهدوا القتال يوم الخميس . وكان شعيب بنُ مُلَيْلٍ وثعلبةُ بنُ نِياطٍ التغلبيّان قدِما في ألفي فارس في الحديد ، فعبروا على قرية يقال لها لِبٌّ على شاطىء دِجلةَ بين تكرِيت وبين الموصِل ، ثم توجّهوا إلى الثرثار ، فنظر شعيبٌ إلى دواخِنِ[2] قَيس ، فقال لثعلبة بن نِياط : سِر بنا إليهم ، فقال له : الرأيُ أن نسير إلى جماعةِ قومِنا فيكون مقاتلُنا واحداً ، فقال شعيبٌ : والله لا تَحَدَّثُ تغلِبُ أنّي نظرتُ إلى دواخِنِهم ثم انصرفتُ عنهم ، فأرسل ناساً من أصحابه قُدَّامه وعميرٌ يقاتِل بني تغلب . وذلك يوم الخميس ، وعلى تغلِب حنظلةُ بنُ هَوْبَرٍ ، أحدُ بني كنانة بن تميم ، فجاء رجلٌ من أصحاب عميرٍ إليه فأخبره أنّ طلائع شعيب قد أتته ، وأنّه قد عدل إليه ، فقال عميرٌ لأصحابه : اكفوني قتال ابن هوبرٍ ، ومضى هو في جماعة من أصحابه ، فأخذ الذين قدمهم شعيبٌ ، فقتلهم كلّهم غيرَ رجل من بني كعب بن زهير يقال له : قَتَبُ بنُ عبيد ، فقال عميرٌ : يا قتبُ ، أخبرني ما وراءك ؟ قال : قد أتاك شعيب بن مليل في أصحابه . وفارق ثعلبةُ بنُ نِياطٍ شعيباً ، فمضى إلى حنظلة بن هوبرٍ ، فقاتل معه القيسيّة ، فقُتِل ، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فما صُلِّيت العصر حتى قُتِل شعيب وأصحابه أجمعون ، وقُطِعت رِجلُ شعيب يومئذٍ ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول : [من السريع]

قد علِمت قيسٌ ونحن نعلم ... أن الفتى يفتِك وهْوَ أجذمُ[3]

فلما قتِل شعيب نزل أصحابه ، فعقروا دوابَّهم ، ثم قاتلوا حتى قُتِلوا ، فلما رآه عمير قتيلاً قال : من سرّه أن ينظر إلى الأسد عقِيراً فها هو ذا . وجعلت تغلِبُ يومئذٍ ترتجز وتقاتل وهي تقول : [من الرجز]

1 يعصر أو أعصر : قبيلة من قيس عيلان . وجمال مصاعب ومصاعيب : جمع مصعب وهو الفحل الذي يقتصر عمله على الفحلة .
2 الدواخن : جمع داخنة ، وهي المدخنة .
3 أجذم : أقطع .

انْعَـوَا إياساً واندُبـوا مُجاشعاً كلاهمـا كان كريمـاً فاجعـا
وَيْـهِ بني تغلب ضرباً ناقِعا[1]

وانصرف عميرٌ إلى عسكره ، وأُبلغ بني تغلِب مقتل شعيبٍ ، فحمِيتْ على القتال وتذامرت على الصبرِ ، فقال مِحصنُ بنُ حصين بن جنجور أحدُ الأبناء : مضيت أنا ومَن أَفْلَتَ من أصحاب شعيب بعد العصر ، فأتينا راهِباً في صومعته ، فسألنا عن حالنا ، فأخبرناه ، فأمر تلميذاً له ، فجاءه بِخِرَق فداوى جِراحَنا ، وذلك غداةَ يوم الجمعة . فلمّا كان آخر ذلك اليوم أتانا خبرُ مقتلِ عمير وأصحابه ، وهرب مَن أُفلتَ منهم : [من الخفيف]

صوت

إنَّ جنبي عـلى الفراش لنـابِ كتجافي الأَسَرِّ فـوق الظِّرابِ
مـن حديثٍ نَمى إليّ فما أَطْـ ـعَمُ غُمْضاً ولا أُسيغُ شرابي
لِشُرَحْبِيـلَ إذ تعـاوَرَه الأر مـاحُ في حالِ شدَّة وشبابِ
فارس يطعَنُ الكُماةَ جـريءِ تحتـه قـارِحٌ كلونِ الغرابِ[2]

عروضه من الخفيف . الأَسَرّ : البعيرُ الذي يكون به السَّرَرُ ، وهي قرحةٌ تخرج في كِرْكِرَتِه ، لا يقدرُ أن يَبْرَك إلاّ على موضعٍ مُستوٍ من الأرض ، والظرابُ : النشوزُ والجبال الصغار ، واحدها ظِربٌ . والشعرُ لِغَلْفاءَ ، وهو معديكربُ بنُ الحارث بن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرار الكِنديّ يرثي أخاه شُرَحبِيل قتيلَ يوم الكُلاب الأول ، والغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو .

1 ويه : إغراء وتحريض .
2 القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة .

220 ـ [قصة يوم الكُلاب الأول]

وكان السببُ في مقتله وقصّة يوم الكُلاب فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ وعليُّ بن سليمان الأخفشُ قالا حدَّثنا أبو سعيد السكريُّ قال أخبرنا محمد بن حبيبٍ عن أبي عبيدة قال أخبرني إبراهيم بن سَعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان من حديث الكُلاب الأوّل أن قُباد ملك فارسَ لَمّا ملك كان ضعيف المُلْك ، فوثبت ربيعةُ على المنذر الأكبر بن ماء السماء ، وهو ذو القرنين بن النُّعمان بن الشُّقَيِّقة ، فأخرجوه ؛ وإنما سُمِّي ذا القرنين لأنّه كانت له ذُؤابتان ، فخرج هارباً منهّم حتى مات في إيادٍ ، وترك ابنه المنذرَ الأصغر فيهم ، وكان أذكى ولدِه ، فانطلقت ربيعة إلى كِندة ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار ، فملّكوه على بكر بنِ وائل ، وحشدوا له ، فقاتلوا معه ، فظَهَر على ما كانت العربُ تسكُنُ مِنْ أرض العراق ، وأبى قباذُ أن يُمِدَّ المنذرَ بجيش . فلمّا رأى ذلك المنذِرُ كتب إلى الحارث بن عمرٍو : إنّي في غير قومي ، وأنت أحقّ مَنْ ضَمَّني ، وأنا مُتَحَوِّلٌ إليك ؛ فحوّله إليه وزوّجه ابنته هنداً . ففرّق الحارث بنيه في قبائل العرب ، فصار شُرَحبيلُ بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أسيّد ، وطوائف من بني عمرو بن تميمٍ والرِّبابِ ، وصار معدِيكربُ بن الحارث ، وهو غَلْفاء ، في قيس ، وصار سَلَمة بن الحارث في بني تغلب والنَّمِر بن قاسطٍ وسعد بن زيد مناة . فلمّا هلك الحارثُ تشتّت أمر بنيه ، وتفرّقت كلمتهم ، ومشت الرجالُ بينهم ، وكانت المغاورةُ بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم الأمر حتى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع ؛ فسار شُرَحبيل ومَنْ معه من بني تميم والقبائل ، فنزلوا الكُلاب ، وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة ، وأقبل سلمة بن الحارث في تَغْلِبَ والنَّمِرِ ومَن معه ، وفي الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو رقيَّة ، وهي أمٌّ لهم ينتسبون إليها ، وكانوا يكونون مع الملوك ، يريدون الكُلاب . وكان نصحاء شُرَحبيل وسَلَمة قد نَهَوهما عن الحرب والفساد والتحاسد ، وحذّروهما عَثَرات الحرب وسوء مغبّتها ، فلم يقبلا ولم يبرحا ، وأبيا[1] إلاّ التتابعَ واللجاجة في أمرهم ، فقال امرؤ القيس بنُ حُجْر في ذلك : [من السريع]

أنّى عليّ استتبَّ لومُكما ... ولَم تلوما عَمْراً ولا عُصُما
كَلاَّ يمين الإله يجمعنا ... شيء وأخوالَنا بني جُشَما
حتى تزور السباعُ ملحمةً ... كأنّها من ثمودَ أوْ إرَما

---

1 ل : وأقاما على .

وكان أوّلَ من ورد الكُلابَ من جمع سلمةَ سفيان بن مُجاشع بن دارم ، وكان نازلاً في بني تَغْلب مع إخوته لأمّه ، فقتلت بكرُ بنُ وائلٍ بنين له ، فيهم مُرّةُ بنُ سفيان ، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعةَ بن ذُهْل بن شيبان ؛ فقال سفيان وهو يرتجز : [من مجزوء الرجز]

الشيـــخُ شيـخٌ ثَكــلانْ والجوفُ جوفٌ حَرّانْ
والـــوِردُ وِردٌ عجــلانْ أَنْعى مُــرّةَ بــنَ سُفْيانْ

وفي ذلك يقول الفرزدق : [من الوافر]

شيوخٌ منهُمُ عُدُسُ بنُ زيد وسفيانُ الذي ورد الكُلابا

وأوّل مَن ورد الماء من بني تغلب رجلٌ من بني عبدِ بن جُشَمَ يقال له النُّعمان بن قُرَيع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم ، وعبدُ يغوث بن دَوْسٍ ، وهو عمّ الأخطل ـ دوسٌ والفَدَوْكَسُ أخوان ـ على فرس له يقال له الحَرُون ، وبه كان يعرف ثم ورد سلمةُ ، ببني تغلب وسعد وجماعة الناس ، وعلى بني تغلب يومئذٍ السفاح ، واسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زُهَير بن تيم بن أُسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وهو يقول : [من الرجز]

إنّ الكُلاب ماؤنا فَخَلُّوه وساجراً والله لَن تَحُلُّوهُ[1]

فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، وثَبَتَ بعضُهم لبعض ؛ حتى إذا كان في آخر النّهار من ذلك اليوم خَذَلَتْ بنو حنظلة وعمرُو بن تميم والرِّبابُ بكرَ بنَ وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافُها عن بني تغلب ، وصبر ابنا وائلٍ : بكرٌ وتغلبُ ليس معهم غيرُهُم ، حتى إذا غشيهم الليل نادى مُنادي سلمةَ : مَنْ أتى برأس شرحبيلَ فله مائة من الإبل ، وكان شُرَحْبيل نازلاً في بني حنظلةَ وعمرو بن تميم ، ففَرُّوا عنه ، وعَرَفَ مكانه أبو حَنَش ، وهو عُصْمُ بنُ النُّعمان بن مالكِ بن غياثِ بن سعدِ بن زهيرِ بن جُشَم بن بكر بن حبيب ، فَصَمَدَ نحوه ، فلمّا انتهى إليه رآه جالساً وطوائفُ الناس يقاتلون حوله ، فطعنه بالرمح ، ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وألقاه إليه . ويقال إنّ بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرِّباب لمّا انهزموا خرج معهم شُرَحبيلُ ، فلحِقه ذو السُّنَيْنَة ـ واسمه حبيب بن عُتيبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سنٌّ زائدةٌ ـ فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على رُكْبته ، فأطنّ[2] رجلَه ، وكان ذو السنينة أخا أبي حَنَشٍ لأمّه ، أمُّهُما سَلْمى بنتُ عدِيّ بن ربيعة بنتُ أخي كليبٍ ومهلهلٍ ، فقال ذو السنينة : قتلني الرجل ! فقال أبو حنش : قتلني الله إنْ لم أقتلْه ، فَحَمَلَ عليه ، فلمّا غَشِيَه قال : يا أبا حنش ،

1 ساجر : موضع بين ديار غطفان وديار بني تميم .
2 أطنّ رجله : قطعها .

أمِلكاً بسوقة ؟ قال : إنّه قد كان مَلِكي ، فطعنه أبو حنش ، فأصاب رادفة[1] السّرج ، فورَّعَت[2] عنه ، ثم تناوله فألقاه عن فرسه ، ونزل إليه فاحتزّ رأسه ، فبعث به إلى سلمة مع ابنِ عمٍّ له يقال له أبو أجأ بنُ كعب بن مالك بن غيّاث ، فألقاه بين يديه ؛ فقال له سلمة : لو كنت ألقيته إلقاء رفيقاً ؛ فقال : ما صَنَع بي وهو حيٌّ أشدُّ من هذا ، وعرف أبو أجأ الندامةَ في وجهه والجزَع على أخيه ، فهرب وهرب أبو حَنَش فتنحّى عنه ، فقال معدِيكربُ أخو شرحبيل ، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن جميع هذه الحروب : [من الوافر]

ألا أبلـغْ أبـا حنشٍ رسولاً ... فما لك لا تجيءُ إلى الثوابِ !
تعلّـمْ أنّ خيرَ الناس طُـرّاً ... قتيلٌ بـين أحجار الكُلابِ
تداعت حولـه جُشَمُ بن بكر ... وأسلمـه جعاسيسُ الرِّبابِ[3]
قتيلٌ ما قتيلُك يا ابن سَلْمى ... تضرُّ بـه صديقـك أو تُحابي

فقال أبو حَنَش مجيباً له : [من الوافر]

أحـاذر أن أجيئكُمُ فَتَحْبُـو ... حِبـاءَ أبيك يـوم صُنَيْبِعاتِ[4]
فكانت غـدرةً شنعـاء تهفو ... تَقَلَّدهـا أبـوك إلى المَماتِ

ويقال : إنّ الشعر الأوّل لسلمةَ بن الحارث : وقال معديكرب المعروف بغَلْفاءَ يرثي أخاه شَرحبِيل بن الحارث : [من الخفيف]

إنّ جنبي عـن الفراش لنابي ... كتجافي الأَسَرِّ فـوق الظِّرابِ
مـن حديثٍ نَمى إليّ فلا تر ... قَـأُ عينـي ولا أُسيغُ شرابي
مُـرَّةٌ كالذُّعاف أكتُمهـا النا ... سَ على حَـرِّ مَلَّةٍ كالشِّهابِ[5]
من شَرحبيلَ إذ تَعـاوَرُه الأر ... ماحُ في حـال لـذّة وشبابِ
يا ابن أُمّي ولو شهِدتُك إذ تد ... عو تميماً ، وأنت غيرُ مجابِ
لتركتُ الحسام تجري ظُباه ... من دماء الأعداء يوم الكُلابِ

1 رادفة السرج : مؤخرته .
2 ورّعت عنه : منعت .
3 جعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم .
4 صنيبعات : موضع أو ماء .
5 المَلّة : الرماد الحار .

ثم طاعنتُ من ورائك حتى تبلغَ الرَّحْبَ أو تُبَزَّ ثيابي[1]
يوم ثارت بنو تميم وولَّت خيلُهم يتَّقين بالأذْنابِ
ويْحَكم يا بني أُسَيِّدَ إنِّي ويحكم ربُّكم وربُّ الرِّبابِ
أين معطيكمُ الجزيلَ وحابيـ ـكم على الفقر بالمئين الكُبابِ[2]
فارس يضرب الكتيبةَ بالسيـ ـف على نحره كَنَضْحِ المَلابِ[3]
فارسٌ يطعُنُ الكماة جريءٌ تحته قارحٌ كلون الغرابِ

قال : ولمّا قُتِل شرحبيلُ قامت بنو سعدِ بن زيد مناةَ بن تميم دون عِياله ، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم ، ودفعوا عنهم حتى أُلحقوهم بقومهم ومأمنهم . ولِيَ ذلك منهم عوفُ بنُ شَجْنَةَ بنِ الحارث بن عُطاردِ بن عوف بن سعد بن كعب ، وحشد له فيه رهطُهُ ونهضوا معه ، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيسِ بن حُجْرٍ ، ومدحهم به في شعره فقال : [من الطويل]

ألا إنّ قوماً كنتمُ أمسِ دونهم هم استنقذوا جاراتكم آلَ غُدْرانِ
عُوَيْرٌ ومَن مثلُ العوير ورهطِه وأسعدَ في يوم الهَزاهِزِ صَفْوانِ[4]

وهي قصيدة معروفة طويلة : [من الطويل]

صوت

وعينُ الرّضا عن كلّ عيب كليلةٌ ولكنّ عينَ السخط تُبدي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضَتْ أيقنتُ أن لا أخا لِيا

الشعرُ لعبد الله بن معاوية بنِ عبد الله الجعفريّ ، يقوله للحسين بن عبدِ الله بنِ عبيد الله بن العبّاس ؛ هكذا ذكر مصعبٌ الزُّبيريّ . وذكر مؤرِّج فيما أُخبرنا به اليزيديّ عن عمّه أبي جعفر عن مُؤَرِّج ، وهو الصحيح ، أنّ عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديقٍ له يقال له قُصَيّ بن ذَكْوان ، وكان قد عتب عليه . وأوّل الشعر : [من الطويل]

رأيت قُصَيّاً كان شيئاً مُلفَّفاً فكشَّفَه التمحيصُ حتّى بدا لِيا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما بلوتُكَ في الحاجاتِ إلاّ تنائيا

والغناء لبنان بن عمرون رملٌ بالوسطى . وفيه الثقيلُ الأوّل لعَريبَ من رواية أبي العَنْبس وغيره .

---

1 تبز ثيابي : أي تنزع عنّي بموتي .
2 الكباب : الكثير الإبل ، وفي ل : اللّباب .
3 الملاب : ضرب من الطيب أو الزعفران .
4 أسعد : أعان . الهزاهز : الفتن يهتزّ فيها النّاس .

[221] ـ خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ معاوية بنِ عبد الله بنِ جعفرِ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأُمُّ عبدِ الله بن جعفر وسائرِ بني جعفر أسماءُ بنتُ عُمَيْسِ بن مَعْد[1] بن تميم بن مالك بن قُحافة بن عامر بن ربيعةَ بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شَهْران بن عِفرِس بن أَفْتَل ، وهو خُماعة بن خَثْعَم بن أنمار . وأُمُّها هند بنتُ عوفٍ ، امرأةُ من جُرَش . هذه الجُرَشيَّة أكرمُ الناس أحماء ؛ أحماؤها : رسول الله ﷺ وعليٌّ وجعفرٌ وحمزةُ والعبّاسُ وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم . وإنّما صار رسولُ الله ﷺ من أحْمائها أنّه كان لها أربعُ بناتٍ : ميمونةُ زوجةُ رسول الله ﷺ ، وأُمُّ الفضل زوجةُ العبّاس وأُمّ بنته ، وسَلْمى زوجة حمزةَ بن عبد المطّلب ، بناتُ الحارث ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْس أختُهُنَّ لأُمّهنّ ؛ كانت عند جعفرِ بن أبي طالب ، ثم خلَف عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام . وولدت من جميعهم . وهنّ اللواتي قال رسول الله ﷺ لهنّ : «إنّهنّ مؤمِناتٌ» .

حدَّثني بذلك أحمدُ بن محمد بن سعيد قال حدَّثني يحيى بن الحسين العلويُّ قال حدَّثنا هارونُ بن محمد بن موسى الفرويُّ قال : حدَّثنا داودُ بنُ عبد الله قال : حدَّثني عبد العزيز الدَّراوَرْدِي عن إبراهيم بن عُقبة عن كُرَيْب عن ابنِ عبّاس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الأخوات المؤمِناتُ : ميمونة ، وأُمُّ الفضل ، وسَلْمى ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ أختُهُنَّ لأُمّهنّ» .

حدَّثني أحمد قال حدَّثني يحيى قال حدَّثنا الحسن بن عليّ قال حدَّثني عبد الرزّاق قال أخبرني يحيى بنُ العَلاء البَجَلِيُّ عن عمّه شعيبِ بن خالدٍ عن حنظلة بن سَمُرة بن المسيَّب عن أبيه عن جدّه عن ابن عبّاسٍ قال : دخل النبيّ ﷺ على فاطمة وعليٍّ ، عليهما السلام ـ ليلةَ بَنى بها ـ فأبصر خيالاً من وراء السِّتر ؛ فقال : «من هذا ؟» فقالت : أسماءُ ؛ قال : «بنتُ عميس» ؟ قالت : نعم ، أنا التي أحْرُس بنتَكَ يا رسول الله ؛ فإنّ الفتاة ليلة بنائها لا بدّ لها من امرأة تكون قريباً منها ، إن عَرَضَتْ لها حاجةٌ أفضت بذلك إليها ؛ فقال رسول الله ﷺ : «فإنّي أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شِمالك مِنَ الشيطان» .

---

1 ل : معقل .

[طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر]

وقد أدرك عبدُ الله بنُ جعفرٍ رحِمه الله رسول الله ﷺ وروى عنه .

[ما روى عن رسول الله]

فمِمَّا رَوى عنه ما حدَّثنيه حامدُ بن محمد بن شعيب البَلْخيُّ وأحمدُ بن محمد بن الجَعْد قالا حدَّثنا محمد بن بكّار قال حدَّثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : رأيت النبيّ ﷺ يأكل البِطِّيخ بالرُّطَبِ .

[رآه النبيّ يلعب فدعا له]

حدَّثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدَّثنا يحيى بن الحسن قال حدَّثنا سلمة بن شبيب قال حدَّثنا عبد الرزّاق قال أخبرني ابن يحيى وعثمان بن أبي سليمان قالا : مرّ النبيّ ﷺ بعبد اللهِ بنِ جعفرٍ وهو يصنع شيئاً من طين من لُعَبِ الصبيان فقال : «ما تصنعُ بهذا» ؟ قال : أبيعه ، قال : «ما تصنعُ بثمنه» ؟ قال : أشتري به رُطَباً فآكُلُه ؛ فقال النبيّ ﷺ : «اللهمّ بارك له في صَفْقَةِ يَمينه» . فكان يقال : ما اشترى شيئاً قطّ إلاّ ربح فيه .

[تعرّض له الحزين بالعقيق وطلب منه ثيابا]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء والطُّوسيُّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمِّي مصعب عن جدّيّ عبد الله بن مصعب : أنّ الحزين قُمِر[1] في العقيق في غداةٍ باردةٍ ثيابه ، فمرّ به عبدُ الله ابن جعفر وعليه مُقَطَّعاتُ خَزٍّ ؛ فاستعار الحزينُ من رجل ثوباً ، ثم قام إليه فقال : [من المتقارب]

أقــولُ لــه حــين واجهتهُ عليــك السلام أبا جعفرِ

فقال : وعليك السلام ؛ فقال : [من المتقارب]

فأنت المهذّبُ مــن غالبٍ وفي البيتِ منها الذي تُذْكَرُ

فقال : كذبتَ يا عَدوّ الله ؛ ذاك رسول الله ﷺ ، فقال : [من المتقارب]

فهذي ثيابــيَ قــد أُخلَقَتْ وقــد عضَّني زمــنٌ منكرُ

قال : هاكَ ثيابي ، فأعطاه ثيابَه .

قال الزُّبير قال عمّي : أما البيتُ الثاني فحدَّثنيه عمِّي عن الفضل بن الرّبيع عن أبي ، وما بقي فأنا سمِعته من أبي .

[تعرّض له أعرابيّ هو على سفر فأعطاه راحلة بما عليها]

حدَّثنا أحمدُ بن محمد بن سعيدٍ قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال : بلغني أنّ أعرابيّاً وقف

---

1 قُمِر : غلب في القمار .

على مروان بن عبد الحكم أيّامَ الموسم بالمدينة فسأله ، فقال : يا أعرابيُّ ، ما عندنا ما نِصلُك ؛ ولكن عليك بابن جعفر . فأتى الأعرابيُّ باب عبدِ الله بن جعفر فإذا ثَقَلُهُ[1] قد سار نحوَ مكّة ، وراحلتُه بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلّق ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابيّ يقول : [من الطويل]

أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نبوّة   صلاتُهُم للمسلمين طَهورُ
أبا جعفر إن الحجيجَ ترَّحلوا   وليس لرحلي فاعلمنَّ بعيرُ
أبا جعفر ضنّ الأميرُ بمالِهِ   وأنت على ما في يديك أميرُ
وأنت امرؤٌ من هاشم في صميمها   إليكَ يصيرُ المجدُ حيث تصيرُ

فقال : يا أعرابيّ ، سار الثَّقلُ فدونك الراحلةَ بما عليها ، وإيّاك أن تُخْدَعَ عن السَّيْفِ فإنّي أخذتُه بألف دينار . فأنشأ الأعرابيّ يقول : [من الطويل]

حبانِيَ عبدُ الله ، نفسي فِداؤهُ   بأعيسَ مَوّارٍ سِباطٍ مَشافِرُهْ[2]
وأبيضَ من ماء الحديدِ كأنّه   شِهاب بدا والليلُ داجٍ عساكِرُهْ[3]
وكل امرىء يرجو نوال ابن جعفر   سيجري له باليُمْنِ والبشرِ طائرُهْ
فيا خيرَ خلق الله نفساً ووالداً   وأكرَمَه للجارِ حينَ يجاورهْ
سأثني بما أوليتني يا ابن جعفر   وما شاكرٌ عُرْفاً كمَن هو كافِرهْ

[ذكر له شاعر أنّه كساه في المنام ، فكساه جبّة وشي]

وحدَّثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدَّثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال : جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده : [من المتقارب]

رأيت أبا جعفر في المنامِ   كساني من الخَزِّ دُرّاعَهْ[4]
شكوتُ إلى صاحبي أمرها   فقال ستؤتى بها الساعَهْ
سيكسُوكَها الماجِدُ الجعفريّ   ومَن كفُّه الدّهرَ نفّاعَهْ
ومَن قال للجودِ لا تَعْدُني   فقال لك السمع والطاعَهْ

فقال عبدُ الله لغلامه : ادفع إليه دُرّاعتي الخزّ ثم قال له : كيف لو ترى جبّتي المنسوجة

1 الثَقَل : المتاع والحشم .
2 أعيس : واحد العيس ، الموّار : النشيط في سيره .
3 عسكر الليل : ظلمته .
4 الدرّاعة : جبّة مشقوقة المقدّم .

بالذهب التي اشتريتها بثلثمائة دينارٍ ! فقال له الشاعر : بأبي دعني أغْفي إغفاءةً أُخرى فلعلّي أرى هذه الجبّة في المنام ، فضحك منه وقال : يا غلام ادفع إليه جبّتي الوشي .

[اعترض ابن دأب على شعر الشمّاخ في مدحه بأنّه دون شعره في عرابة]

حدَّثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دَأبٍ : وسمع قولَ الشمّاخ بنِ ضِرارٍ الثعلبيِّ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله : [من الرجز]

إنّك يا ابن جعفرٍ نعم الفتى ... ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى
وجار ضيفٍ طرق الحيَّ سُرى ... صادَفَ زاداً وحديثاً يُشْتَهى
إنّ الحديث طَرَفٌ من القِرى

فقال ابن دأب : العجب للشمّاخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسيّ : [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد ... تلقّاها عَرابةُ باليمينِ

عبد الله بنُ جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة .

[جوده على أهل المدينة]

قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بنُ الحسن يقول : كان أهلُ المدينة يَدّانُون بعضُهم من بعض إلى أن يأتي عطاءُ عبد الله بن جعفر .

[جوده على رجلٍ جلب إلى المدينة سكّراً كسد عليه]

أخبرني أحمد قال حدَّثني يحيى قال : حدَّثني أبو عبيد قال حدَّثني يزيدُ بنُ هارونَ عن هشام عن ابن سِيرين قال : جلَبَ رجلٌ إلى المدينة سُكّراً فكَسَدَ عليه فقيل له : لو أتيت ابنَ جعفر قَبِله منك وأعطاك الثّمن ، فأتى ابنَ جعفرٍ فأخبره ، فأمره بإحضاره وبُسِطَ له ، ثم أمَرَ به فنُثِر ، فقال : للناس انتهبوا ، فلمّا رأى الناسَ ينتهبون قال : جُعِلتُ فداءَك ! آخذ معهم ؟ قال : نعم ، فجعل الرجل يَهِيلُ في غرائره ، ثم قال لعبد الله : أعطني الثمنَ فقال : وكم ثمنُ سكّرك ؟ قال : أربعة آلافِ درهم ، فأمر له بها .

أخبرنا أحمدُ قال حدَّثني يحيى بنُ عليّ ، وحدَّثني ابن عبد العزيز قال حدَّثنا أبو محمد الباهليُّ حسنُ بنُ سعيد عن الأصمعيِّ نحوه وزاد فيه ، قال : فقال الرجل : ما يدري هذا وما يعقِلُ أخذَ أم أعطى ! لأطلبَنَّهُ بالثمن ثانية ، فغدا عليه فقال : ثمنُ سكّري ، فأطرق عبدُ الله مليّاً ثم قال : يا غلامُ ، أعطِه أربعةَ آلاف درهم ؛ فأعطاه إيّاها ، فقال الرجل : قد قلتُ لكم : إنّ هذا الرجلَ لا يعقل : أخذ أم أعطى ! لأطلبنّه بالثمن . فغدا عليه فقال : أصلحك الله ! ثمنُ سكّري ، فأطرق عبدُ الله مليّاً ، ثم رفع رأسه إلى رجل ، فقال : ادفع

إليه أربعة آلاف درهم . فلمّا وُلّي ليقبِضها قال له ابن جعفر : يا أعرابيّ ، هذه تمام اثنيْ عشرَ ألفَ درهم ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

[باعه رجل جملاً وأخذ ثمنه مراراً فمدحه]

وأخبرني أبو الحسن الأسديّ عن دَماذ عن أبي عبيدة : أنّ أعرابيّاً باع راحلةً من عبدِ الله بن جعفر ، ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها ، فأمر له به ، ثم عاوده ثلاثاً ، وذكر في الخبر مثلَ الذي قبله وزاد فيه : فقال فيه : [من البسيط]

لا خير في المُجْتَدى في الحين تسألُهُ فاستمطِروا من قريش خيرَ مُخْتَدعِ[1]

تخـال فيـه إذا حاورتـه بَلَهاً من جودِهِ وهْوَ وافي العقلِ والورعِ

وهذا الشعر يروى لابن قيسِ الرُّقيّات .

[وفاته عام الجحاف]

أخبرني الحِرْميُّ بنُ أبي العلاء والطوسيُّ قالا حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني مصعبُ بنُ عثمان قال : لمّا ولِي عبد الملك الخلافة جفا عبدَ الله بنَ جعفر ، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول : اللهمَّ إنّك عوّدتني عادةً جريتُ عليها ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبِضني إليك ، فتُوفّي في الجمعة الأُخرى . قال يحيى : تُوفّي عبد الله وهو ابنُ سبعين سنة في سنة ثمانين وهـو عـامُ الجُحاف لسيـلٍ كان بمكّـة جَحَـفَ الحـاجَّ فذهـب بالإبل عليها الحُمولةُ ، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبانُ بنُ عثمان في خلافة عبدِ الملك بنِ مروان ، وهو الذي صلّى عليه .

[وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه]

حدَّثني أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدَّثنا الحسينُ بن محمد قال أخبرني محمدُ بنُ مُكْرَمٍ قال أخبرني أحمدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيلَ بنِ داودَ قال أخبرني الأصمعيّ عن الجعفريّ قال : لمّا مات عبدُ الله بنُ جعفر شهده أهل المدينة كلُّهم ، وإنّما كان عبدُ الله بنُ جعفر مأوى المساكينِ وملجأً الضعفاء ، فما تنظر إلى ذي حِجاً إلاّ رأيته مُسْتَعبِراً قد أظهر الهلعَ والجزعَ ، فلمّا فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شَفِير القبر فقال : رحمك الله يا ابنَ جعفر ؛ إن كنتَ لِرَحِمك لواصلاً ، ولأهلِ الشرِّ لمبغضا ، ولأهل الرّيبة لقاليا ، ولقد كنتَ فيما بيني وبينك كما قال الأعشى : [من الطويل]

رعيتَ الذي كان بيني وبينكم من الـوُدِّ حتّى غيّبتْك المقابرُ

1 المجتدى : الذي تطلب جدواه أي عطيته .

فرحِمك الله ؛ يوم وِلِدتَ ويوم كنتَ رجلاً ويوم متَّ ويوم تُبعثُ حيّاً ؛ والله لئن كانت هاشمٌ أُصيبَتْ بك لقد عمّ قريشاً كلَّها هُلْكُك ، فما أظنُّ أن يُرى بعدك مثلُك .

[ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه]

فقام عمرُو بنُ سعيد بن العاص الأشدقُ فقال : لا إله إلاّ الله الذي يرث الأرضَ ومَنْ عليها وإليه تُرْجعون ، ما كان أحلى العيشَ بِك يا ابن جعفر ! وما أسْمَجَ ما أصْبَحَ بعدك ! والله لو كانت عيني دامعةً على أحد لدمَعتْ عليك ، كان والله حديثُك غيرَ مشوبٍ بكَذِبٍ ، وَوُدُّك غيرَ ممزوج بكدرٍ .

[نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمّه وأسكته]

فوثب ابنٌ للمُغيرة بنِ نوفلٍ ، ولم يُثبِت الأصمعيُّ اسمه ، فقال : يا عَمْرو ، بِمن تعرِّض بمزج الودّ وشَوْب الحديثِ ؟ أفبِابْنَيْ فاطمةَ ؟ فهما والله خيرٌ منك ومنه ، فقال : على رِسْلِكَ يا لُكَع[1] ! أردتَ أن أُدخِلَكَ معهم ؟ هيهات لستَ هُناكَ ، والله لو متَّ أنتَ ومات أبوك ما مُدِحتَ ولا ذُممْتَ ، فتكلّم بما شئتَ فلن تجد لك مجيباً .

[شعر ابن قيس الرقيات في علّته التي مات فيها]

فما هو إلاّ أن سمعهما الناسُ يتكلّمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا . قال يحيى : وقال عبدُ الله بن قيس الرُّقيّات في علّة عبدِ الله بنِ جعفر التي مات فيها : [من الخفيف]

باتَ قلبي تَشُفُّه الأوجاع ... من همومٍ تُجِنُّها الأضلاعُ[2]
من حديثٍ سمعتُه مَنَعَ النو ... مَ فقلبي ممّا سمعتُ يُراعُ
إذ أتانا بما كرِهْنا أبو اللَّسْـ ... ـلاسِ ، كانت بنفسه الأوجاعُ
قال ما قال ثم راح سريعاً ... أدركتْ نفسَه المنايا السِّراعُ
قال يشكو الصُّداعَ وهو ثقيلٌ ... بِـكَ لا بالذي عَنيتَ الصُّداعُ
ابنَ أسماءَ لا أبا لَكَ تَنْعى ... أنّه غيرُ هالكٍ نفّاعُ
هاشميّاً بكفِّه من سِجال الـ ... ـمجدِ سَجْلٌ يهون فيه القُباعُ[3]
نشر الناسُ كلَّ ذلك منه ... شيمة المجد ليس فيه خِداعُ

---

1 اللكع : اللئيم والأحمق .
2 شفّه الحزن : لذعه وأحرقه . أجنّه : ستره .
3 السجل : الدلو العظيمة مملوءة . والقباع : مِكيال ضخم واسع .

لم أجِد بعدك الأخِلاَّءَ إلاّ كثِمادٍ بـه قَـذًى أو نِقاعُ[1]

بيتُه مـن بيوت عبدِ منافٍ مـدّ أطنابَـهُ المكانُ اليَفاعُ[2]

منتهى الحمـدِ والنبوّة والمجـ ـدِ إذا قصّر اللئام الوِضاعُ[3]

فستأتيك مِدحـةٌ مـن كريم ناله مـن نَدى سِجالِك باعُ

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيسٍ في عبد الله بن جعفر بيتان يغنّى فيهما ، وهما : [من الخفيف]

صوت

قـد أتانـا بما كرِهنا أبو اللّـ ـلاس كانت بنفسه الأوجاعُ

قال يشكو الصداع وهو ثقيل بك لا بالذي ذكرتَ الصُّداعُ

غنّاه عمرُو بنُ بانةَ خفيف ثقيل ، الأوّل بالوسطى على مذهب إسحاق . ويقال إنّ عمرو بن بانة صاغ هذا اللحنَ في هذا الشعر وغنّى به الواثقَ بعقب علّة نالته وصُداعٍ تشكّاه ؛ قال : فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم . وأُمُّ معاوية بن عبد الله بن جعفر أُمُّ ولد . وكان من رجالات قريش ، ولم يكن في ولد عبد الله مثلُه .

[بشّروه وهو عند معاوية بولد فسمّاه باسمه]

حدّثنا محمد بنُ العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أبي عبد الرحمن القرشيّ : أنّ معاوية بن عبدِ الله بنَ جعفرُ وُلِدَ وأبوه عبد الله عند معاوية ، فأتاه البشير بذلك وعرف معاويةُ الخبرَ فقال : سمّه معاويةَ ولك مائةُ ألفِ درهم ، ففعل فأعطاه المال ، وأعطاه عبدُ الله للذي بشّره به . قال المدائنيّ : وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدّب ولده ، ويقول : إن يُرِدِ الله جلّ وعزّ بهم خيراً يتأدّبوا ، فلم ينجِبْ فيهم غير معاوية .

[خبر ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر]

أخبرني محمد بنُ خلف وكيعٌ قال حدّثنا هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال هارونُ وحدّثني محمدُ بنُ عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوّام قال حدّثني عمرُو بنُ الحَكَم السَّعيديُّ وإبراهيمُ بن محمد ومحمد بنُ معنٍ بنِ عَنْبسةَ قالوا : كان معاوية بن عبد الله بن جعفر قد عوّد ابنَ هَرْمَةَ البرَّ ، فجاءه يوماً وقد ضاقت يدُه وأخذ خمسين ديناراً بدَيْنٍ ، فرفع إليه مع جاريته رقعَةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أيضاً بِرّاً ، فقال للجارية :

---

1 الثماد : الماء القليل لا مادّ له . النقاع : جمع نقع وهو الغبار .

2 اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

3 الوضاع : جمع وضيع .

قولي له : أيدِينا ضَيِّقةٌ ، وما عندنا شيء إلاّ شيءٌ أخذناهُ بكُلْفةٍ ، فرجعتْ جاريتُه بذلك ، فأخذ الرقعة فكتب فيها : [من المتقارب]

فإنّـي ومدحَـك غيرَ المصيـ ـب كالكلب ينبح ضوءَ القمرْ
مدحتك أرجو لديك الثوابَ فكنتُ كعاصرِ جَنْبِ الحَجَرْ

وبعث بالرقعة مع الجارية ، فدفعتْها إلى معاوية ، فقال لها : ويحك قد علِم بها أحدٌ ؟ قالت : لا والله إنّما دفعها من يدِه إلى يدي ؛ قال : فخذي هذه الدنانير فادفعيها إليه ، فخرجت بها إليه ، فقال : كلاّ ، أليس زَعَم أنّه لا يدفع إليّ شيئاً ؟

[كان ابنه معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية فسمّى ابنه باسمه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطوسيُّ قالا حدَّثنا الزبير قال حدَّثني عمّي مصعب قال : سمّى عبد الله بن جعفر ابنه بمعاوية بن أبي سفيان . قال : وكان معاوية بنُ عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيدَ بن معاوية خاصة ، فسمّى ابنه بيزيدَ بن معاوية .

[وصيته لابنه معاوية عند وفاته]

قال الزُّبير : وحدَّثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمّه محمد : أنّ عبدَ اللهِ بنَ جعفر لمّا حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شَنْفاً[1] كان في أذنه وأوصى إليه ، وفي ولدِه مَنْ هو أسنُّ منه ، وقال له : إنّي لَم أزل أؤمِّلُك لها . فلمّا تُوفّي احتال بدَيْنِ أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه ، وقَسَمَ أموالَ أبيه بين ولدِه ، ولم يستأثِر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

وأُمُّ عبدِ الله بن معاوية أُمُّ عون بنتُ عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب . ويقال : بنت عيّاش بن ربيعة . وقد روى عبّاسٌ عن النبيّ ﷺ وكان معه يومَ حُنَيْنٍ ، وهو أحد من ثَبَتَ معه يومئذٍ .

[بعض صفات عبد الله بن معاوية]

وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم ، ولم يكن محمودَ المذهب في دينه ، وكان يُرْمى بالزندقة ويستولي عليه مَن يُعْرفُ ويُشْهَرُ أمرُه فيها ، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيّام مروانَ بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

[مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر]

ويُكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية ، وله يقول ابن هرمة : [من الخفيف]

1 الشنف : الذي يلبس في أعلى الأذن .

أُحْبُ مدحاً أبا معاويةَ الما   جدَ لا تلقَه حَصُوراً عَيِيّا[1]
بل كريماً يرتاح للمجدِ بسّا   ماً إذا هزّه السّؤال حَيِيّا
إنّ لي عنده وإن رَغِم الأعـ   ـداءُ حظّاً من نفسه وقَفِيّا

قفيّا : أثرة ، يقول : إن لي عنده لأثرة على غيري ، وقال قوم آخرون : القفيّ : الكرامة .

إن أمت تَبْقَ مِدحتي وإخائي   وثنائي من الحياة مَلِيّا
يأخذ السبقَ بالتقدّم في الجر   ي إذا ما النّدى انتحاه عليّا
ذو وفاءٍ عند العِداتِ وأوصا   ه أبوه ألاّ يزالَ وفيّا
فَرَعى عقدةَ الوَصاة فأكرِم   بهما مُوصِياً وهذا وصيّا
يا ابن أسماءَ فاسقِ دَلوي فقد أو   ردتُها مَنْهَلاً يثُجُّ رَوِيّا

يعني أمّه أسماءَ ، وهي أمّ عون بنتُ العبّاس بن ربيعةَ بن الحارث بن عبد المطّلب . وأوّلُ هذه القصيدة : [من الخفيف]

عاتِبِ النّفسَ والفؤادَ الغَوِيّا   في طِلابِ الصِّبا فلستَ صبيّا

قال يحيى بن عليّ فيما أجازه لنا : أخبرني أبو أيّوب المدينيُّ وأخبَرناه وكيعٌ عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قالا : مدح ابن هرْمَة عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب فأتاه ، فوجد الناس بعضَهم على بعض على بابه . قال ابن هرمة : ورآني بعض خدمه فعرفني ، فسألته عن الذين رأيتُهم ببابه فقال : عامّتُهم غُرماءُ له ، فقلت : ذاك شرٌّ . واستؤذِن لي عليه فقلت : لم أعلم واللهِ بهؤلاء الغرماء ببابك ، قال : لا عليك أنشِدني . قلت : أعيذُك بالله . واستحييت أن أنشِد ، فأبى إلاّ أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها : [من الطويل]

حلَلْتَ محلَّ القلب من آل هاشم   فعُشُّك مأوى بيضِها المتفلّقِ
ولم تك بالمُعْزى إليها نِصابهُ   لِصاقاً ولا ذا المركب المُتَعَلّقِ
فمن مثلُ عبد الله أو مثلُ جعفرٍ   ومثل أبيك الأريَحيِّ المُرَهَّقِ[2]

فقال : مَن هاهنا من الغرماء ؟ فقيل : فلانٌ وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارَّهما وخرجا ، وقال لي : اتبَعهما . قال : فأعطياني مالاً كثيراً . قال يحيى : ومن مختار مدحه فيه منها قوله : [من الطويل]

فإلاّ تُواتِ اليومَ سلمى فربّما   شرِبنا بحوض اللهو غيرِ المرنَّقِ

1 الحصور : الممسك البخيل الضيق ، والضيق الصدر .
2 المرهق : الكريم الجواد الذي يغشاه الناس .

فدعها فقد أُعْذَرتَ في ذكر وصلها … وأجريت فيها شأْوَ غربٍ ومَشْرِقِ[1]
ولكن لعبد الله فانطِق بمِدحة … تُجيرُك من عُسْر الزمانِ المُطبِّقِ[2]
أخ قلت للأدْنَينَ لمّا مدحتُه … هَلُمُّوا وساري الليل مِ الآن فاطْرُقِ
شديدُ التأنّي في الأُمورِ مجرّب … متى يَعْرُ أَمرُ القوم يَفْرِ ويخلُقِ[3]
ترى الخير يجري في أسرَّة وجهه … كما لألأتْ في السيف جريةُ رَوْنقِ
كريم إذا ما شاء عدَّ له أبا … له نسبٌ فوق السِّماك المحلّقِ
وأُمّاً لها فضلٌ على كلّ حرّة … متى ما تسابِق بابنها القوْمَ تَسْبِقِ

وممّا يغنّى فيه من قصيدة ابن هرمة اليائيّة التي مدح بها ابن معاوية قوله : [من الخفيف]

صوت

عجِبتْ جارتي لشيبٍ علاني … عمرَكِ اللهَ هل رأيتِ بَدِيّا[4]
إنّما يُعْذر الوليد ولا يُعـ … ـذَر مَن عاش في الزّمان عتيّا

غنّى فيهما فُلَيحٌ رملاً بالبنصرِ من روايةِ عمرْو بن بانةَ ومن روايةِ حبشٍ فيهما لابن محرِزٍ خفيف ثقيل بالبنصر .

[خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية]

حدَّثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد الله بن عمّارٍ قال حدَّثنا عليٌّ بن محمد النوفليٌّ عن أبيه وعمّه عيسى ، قال ابن عمّار وأَخبرنا أيضاً ببعض خبره أحمد بن أبي خَيْثَمة عن مصعبٍ الزبيريّ ، قال ابن عمّار وأخبرني أحمدُ بنُ الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أبي اليقظانِ وشِهابِ بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمّار وحدَّثني به سليمان ابن أبي شيخ عمّن ذكره . قال أبو الفرج الأصفهانيّ : ونسخت أنا أيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن عليّ بن حمزة عن المدائنيّ وغيره فجمعت معانيَ ما ذكروه في ذلك كراهةَ الإطالة : أنّ عبد الله بنَ معاوية قدِم الكوفة زائراً لعبد الله بن عُمَرَ بن عبد العزيز ومستمِيحاً له ، فتزوّج بالكوفة بنتَ الشرقيّ بن عبد المُؤْمن بن شَبَث بن رِبْعِيٍّ الرياحيّ ، فلمّا وقعت العصبية أخرجه أهلُ الكوفة على بني أُميّة ، وقالوا له : اخرُجْ فأنت أحقُّ بهذا الأمرِ مِن غيرك ، واجتمعت له جماعةٌ ، فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلاّ وقد خرج عليه . قال ابن عمّار في خبره : إنّه إنّما خرج في أيّام يزيدَ بن

1 أعذر : بلغ الغاية في العذر ، والشأو : الغاية .
2 طبق الشيء : عمّ .
3 يخلق : يقدّر .
4 البدي : البديء وهو العجيب .

الوليد ، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ولبس الصوفَ وأظهرَ سيمى الخير ، فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة ، ولم يبايعه كُلُّهُمْ وقالوا : ما فينا بَقِيّةٌ ، قد قُتِل جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصدِ فارس وبلادِ المشرق فقبِل ذلك ، وجمع جموعاً من النواحي ، وخرج معه عبد الله بن العبّاس التميميُّ . قال محمد بن عليّ بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة : إن ابن معاوية قَبْلَ قَصْدِه المشرقَ ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه ، وعلى الكوفة يومئذٍ عاملٌ ليزيد الناقص يقال له عبدُ الله بن عمر ، فخرج إلى ظهر الكوفة ، مما يلي الحَرَّة ، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً . قال محمد بن عليّ بن حمزة عن المدائنيّ عن عامر بن حفصٍ ، وأخبرني به ابن عمّار عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ ابن عمر هذا دسّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية مَن وعده عنه مواعيدَ على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته ، فبلغ ذلك ابن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال : إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم ، فلمّا التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناسُ معه فلم يبقَ غير ابن معاوية ، فجعل يقاتل وحده ويقول : [من الوافر]

تفرّقتِ الظباءُ على خِداشٍ فما يدري خداش ما يصيدُ

ثم ولّى وجهه منهزماً فنجا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي مَن أجابه ، حتى صار في عدّة ، فغلب على ماهِ الكوفة وماهِ[1] البصرة وهَمَذان وقُمَّ والرَّيّ وقُومَسَ وأصبَهان وفارسَ ، وأقام هو بأصبهان . قال : وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محاربُ بن موسى مولى بني يَشْكُر ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة ؛ فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وكرِهتم ، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن عليّ بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن أبيه عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرِز بن جعفر : أنّ عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ، قال : واستعمل أخاه الحسن على إصْطَخْر ، وأخاه يزيدَ على شيرازَ ، وأخاه عليّاً على كَرْمان ، وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها ، وقَصَدَتْهُ بنو هاشم جميعاً منهم السفّاح والمنصور وعيسى بن عليّ . وقال ابن أبي خيثمةَ عن مصعب : وقصده وجوهُ قريش من بني أميّة وغيرهم ، فمِمَّنْ قصده من بني أميّة سليمانُ بن هشام بن عبد الملك وعمرُ بنُ سُهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فمَن أراد منهم عملاً قلّده ، ومَن أراد منهم صِلة وصله .

---

1 يراد بماه البقرة نهاوند ، وبماه الكوفة الدينور .

[وجّه إليه مروان بن محمد جيشاً لمحاربته بقيادة ابن ضبارة]

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غَلَب عليها حتى وليَ مروانُ بنُ محمد الذي يقال له مروان الحِمار ، فوجّه إليه عامرَ بنَ ضُبارة في عسكر كثيف ، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابَه وحضّهم على الخروج إليه ، فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دَهَشٍ هو وإخوته قاصِدين لخراسان ، وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيّار ، فلمّا صار في بعض الطريق نزل على رجل من التُّنّاء[1] ذي مروءة ونعمة وجاهٍ ، فسأله معونته ، فقال له : مَن أنت مِنْ ولد رسول الله ﷺ ؟ أأنت إبراهيم الإمام الذي يُدعى له بخراسان ؟ قال : لا ، قال فلا حاجة لي في نصرتك .

[التجأ إلى أبي مسلم فحبسه]

فخرج إلى أبي مسلم وطمِع في نصرته ، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنّه يقول : ليس في الأرض أحمقُ منكم يا أهل خُراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليدَ أموركم من غير أن تراجِعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله ما رضِيت الملائكَةُ الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدمَ عليه السلام ، فقالت : ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ﴾ . حتى قال لهم : ﴿إِنّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ .

[كتابه إلى أبي مسلم وهو في حبسه]

ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها : «إلى أبي مسلم ، من الأسير في يديه ، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . أمّا بعد ، فإنّك مستودِع وَدائع ، ومُولي صنائع ؛ وإنّ الودائع مرعِيّةٌ ، وإنّ الصنائع عارِيةٌ ؛ فاذكر القصاص ، واطلب الخلاص ؛ ونبِّه للفكر قلبَك ، واتّقِ الله ربَّك ؛ وآثِر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً ؛ فإنّك لاقٍ ما أسلفتَ ، وغيرُ لاقٍ ما خلّفْتَ ؛ وفّقك الله لِما ينجّيك ، وآتاك شُكْرَ ما يُبليك»[2] .

[قتله أبو مسلم ووجّه برأسه إلى ابن ضبارة]

قال : فلمّا قرأ كتابه رمى به . ثم قال : قد أفسد علينا أصحابَنا وأهلَ طاعتنا وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلَكَنا ، ثم أمضى تدبيره في قتله . وقال آخرون : بل دَسَّ إليه سمّاً فمات منه ، ووجّه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان . فأخبرني عمر بن عبد الله العَتَكيُّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا محمد بن يحيى أنّ عبد العزيز بنَ عمران حدَّثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيدِ بن عمرو بن جَعْدة بن هُبيرةَ أنّه حضر مروانَ يوم الزّابِ وهو

1 التُّنّاء : جمع تانىء ، وهو الدهقان ؛ زعيم فلاحي العجم ، أو رئيس الإقليم .

2 الإبلاء هنا : الإنعام والإحسان .

يقاتل عبد الله بن عليّ ، فسأل عنه فقيل له : هو الشابُّ المُصْفَرُّ الذي كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال : والله لقد هممتُ بقتله مراراً ، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه ، ﴿وكان أمرُ الله قَدَراً مقدوراً﴾ .

[كانت الزنادقة من خاصته]

حدَّثني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال حدَّثني النوفليُّ عن أبيه عن عمِّه قال : كان عُمارةُ بن حمزة يُرْمى بالزندقة ، فاستكتبه ابنُ معاوية ، وكان له نديمٌ يعرف بمطِيع بنِ إياسٍ ، وكان زنديقاً مأبوناً ، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقليّ وإنّما سمّي بذلك لأنّه كان يقول : الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع ، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه . فكان هؤلاء الثلاثة خاصَّته ، وكان له صاحبُ شُرطة يقال له قيسٌ ، وكان دُهريّاً[1] لا يؤمن بالله معروفاً بذلك ، فكان يَعُسُّ بالليل فلا يلقاه أحد إلاّ قتله ، فدخل يوماً على ابن معاوية فلمّا رآه قال : [من الخفيف]

إنّ قيساً وإن تقنّـع شيباً لَخبيثُ الهوى على شمطِهْ[2]
ابنُ تسعين منظراً ومشيباً وابنُ عشرٍ يُعَدّ في سَقَطِهْ

وأقبل على مطِيع فقال : أجِز أنت ، فقال : [من الخفيف]

وله شُرْطَةٌ إذا جنَّـه الليـ ـل فعوذوا بالله من شُرَطِهْ

[قسوته]

قال ابن عمّارٍ : أخبرني أحمد بن الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أبي اليَقْظان وشبابِ بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمّار وحدَّثني به سليمان بن أبي شيخ عمّن ذكره : أنّ ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمُر بضربه بالسياط وهو يتحدّث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط ، وأنّه فعل ذلك برجل ، فجعل يستغيثُ فلا يلتفت إليه ، فناداه : يا زنديقُ ، أنتَ الذي تزعم أنّه يُوحى إليك ! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثني النوفليّ عن أبيه عن عمِّه عيسى قال : كان ابن معاوية أقسى خلقِ الله قلباً ، فغضِب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان ، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفلَ ، ففُعِل ذلك به فتعلّق بدَرابَزين كان على الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها ، فقُطِعت ومرَّ الغلامُ يَهوِي حتى بلغ إلى الأرض فمات .

1 رجل دهري : ملحد لا يؤمن بالآخرة ، ويقول ببقاء الدهر .
2 الشمط : بياض الرأس يخالط سواده .

[بعض شعره]

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]

ألا تَزَعُ القلبَ عن جهله وعمّا تُؤَنَّبُ من أجلِهِ !
فأبدِل بعد الصِّبا حِلْمَه وأَقْصَرَ ذو العَذْلِ عن عذلِهِ
فلا تركبنّ الصنيعَ الذي تلوم أخاك على مثلِهِ
ولا يعجِبنَّك قولُ امرىء يخالِف ما قال في فِعلِهِ
ولا تُتبع الطَّرْفَ ما لا تنال ولكن سَل الله من فضلِهِ
فكم مِن مُقِلٍّ ينال الغنى ويَحمد في رزقه كلِّهِ

أنشدنا هذا الشعر له ابن عمّار عن أحمد بن خيثمة عن يحيى بن معين . وذكر محمد بن عليّ العلويّ عن أحمد بن أبي خيثمةَ أن يحيى بنَ معين أنشده أيضاً لعبد الله بن معاوية : [من الطويل]

إذا افتقرت نفسي قَصَرْتُ افتقارَها عليها فلم يظهر لها أبداً فَقْري
وإن تلقَني في الدّهرِ مندوحةُ الغِنى يكن لأخلاّئي التوسُّعُ في اليسرِ[1]
فلا العسرُ يُزْري بي إذا هو نالني ولا اليسر يوماً إن ظفرتُ به فخري

وهذا الشعر الذي غنّى به ، أعني قوله : [من الطويل]

وعين الرّضا عن كلّ عيب كليلة

يقوله ابن معاويةَ للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الحسين أيضاً سيء المذهب مطعوناً في دينه .

[شعره في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثني عليُّ بن محمد بن سليمان النوفليُّ قال حدَّثني إبراهيم بنُ يزيدَ الخشّاب قال : كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان حسين هذا وعبد الله بنُ معاوية يُرْمَيان بالزندقة . فقال الناس : إنّما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله بن معاوية : [من الطويل]

وإنّ حسيناً كان شيئاً ملفَّفاً فمحّصه التكشيفُ حتى بَدا لِيا
وعين الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ ولكن عين السخط تبدي المساويا

1 مندوحة : سعة .

وأنت أخي ما لَم تكن لي حاجة فإن عرضتَ أيقنت أن لا أخا لِيا

وله في الحسين أشعارٌ كلُّها معاتبات ، فمنها ما أخبرني به أحمدُ بن محمد بن سعيد بن عُقدة . قال : أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية ؛ يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب : [من الخفيف]

قل لذي الودّ والصفاء حسينٍ أقــدُرِ الــوُدَّ بيننا قَدَرَهْ

ليس للدّابــغ المُقَــرِّظِ بُــدٌّ من عتابِ الأديمِ ذي البَشَرَهْ[1]

قال وقال له أيضاً : [من مجزوء الكامل]

إنّ ابــن عمّــك وابنَ أمـ ـك مُعلمٌ شاكي السلاحِ[2]

يَقِصُ العــدوَّ وليس يـر ضى حين يَبْطِشُ بالجناحِ[3]

لا تحسبن أذى ابــن عَمّــ ـك شربَ ألبــان اللِّقاحِ[4]

بل كالشجا تحــت اللَّهــا ةِ إذا يُسَوَّغ بــالقَراحِ[5]

[فانظــر لنفسك من يجيـ ـبك تحت أطراف الرماحِ]

مَــن لا يــــزال يسوءه بالغيب أن يلحــاك لاحي[6]

[خبره مع جدّه عبد الحميد بن عبيد الله]

أخبرني الحِرْميّ والطوسيّ قالا حدَّثنا الزبير وحدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدَّثنا يحيى بن الحسن قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني محمد بن يحيى : أنّ عبد الله بن معاوية مرَّ بجدّه عبدِ الحميد في مزرعته بصَرام وقد عطِش فاستسقاه ، فخاض[7] له سَويق لوزٍ فسقاه إيّاه ، فقال عبد الله بن معاوية : [من الوافر]

شربتُ طَبَرْزَذاً بغريضِ مُــزنٍ كذوب الثلج خالطه الرُّضابُ[8]

قال يحيى قال الزبير : الرضاب ماء المسك ، ورضاب كلّ شيء : ماؤه . فقال عبد الحميد بن

1 قرظ الأديم : دبغه بالقرظ . ضمن البيت المثل «إنّما يعاتب الأديم ذو البشرة» والمعاتبة هنا : المعاودة .
2 أعلم الفارس : جعل لنفسه علامة الشجعان .
3 وقصه : كسره ودقه .
4 اللقاح : جمع لقحة ، وهو الناقة الحلوب .
5 الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق .
6 لحاه : لامه .
7 خاض : خلط ، والسويق : ما يعمل من الحنطة والشعير .
8 الطبرزذ : السكر . والغريض : ماء المطر .

عبيد الله يجيبُ عبدَ الله بن معاوية على قوله : [من الوافر]

مـــا إن ماؤنُـــا بغريض مُزْن ولكنّ المِـــلاح بكم عِذابُ
وما إن بالطَّبْرزِذ طاب لكن بمَسِّكَ لا بــه طاب الشرابُ
وأنتَ إذا وطِئت تــراب أرضٍ يطيب إذا مشيتَ بها الترابُ
لأنّ نداك يُطفي المَحْـل عنها وتُحييهـــا أيادِيــك الرِّطابُ

[تغنّى إبراهيم الموصليّ في شعره]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن جدّه إبراهيم الموصليّ قال : بينا نحن عند الرشيد أَنا وابن جامع وعمرو الغَزالُ إذ قال صاحب السِّتارة لابن جامع : تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، قال : ولَم يكن ابنُ جامعٍ يغنّي في شيء منه ، وفطنت لِما أُراد من شعره ، وكنت قد تقدّمت فيه ، فأُرْتِج على ابن جامع ، فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت : [من المتقارب]

صوت

يهيمُ بجُمْلٍ وما إن يرى لــه مــن سبيل إلى جُملِهِ
كأن لم يكن عاشِق قبله وقد عشِق الناس من قبلِهِ
فمنهم مَن الحبّ أُودى به ومنهمْ مَنَ اشْفى على قتلِهِ

فإذا يد قد رفعتِ الستارة ، فنظر إليّ وقال : أحسنت والله ؛ أَعِد ، فأَعدته فقال : أحسنت ! حتى فعل ذلك ثلاث مرّاتٍ ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه ، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلّمه ، فمرّ الغلامُ يسعى فإذا بَدْرةُ دنانيرَ قد جاءت يحملها فرّاش ، فوُضِعَتْ تحت فخذي اليسرى وقيل لي : اجعلها تُكَأَتك ، قال : فلمّا انصرفنا قال لي ابن جامع : هل كنتَ وضعت لهذا الشعر غناء قبل هذا الوقت ؟ فقلت : ما شِعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلاّ وقد وضعت له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك . فلمّا كان المجلسُ الثاني وحضرناه قال صاحب الستارة : يا ابن جامع ، تغنّ في شعر عبد الله بن معاوية ، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس ، قال إبراهيم : فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت : [من مجزوء الكامل]

صوت

يــا قوم كيف سِواغُ عيـ ـشٍ ليس تؤمَــن فاجِعاتُهْ

ليست تـــزالُ مطِلَّـــةً تغـدو عليـك منغّصاتُهْ
المــوت هــولٌ داخلٌ يومــاً على كــرْهٍ أناتُهْ
لا بـــدّ للحـذِرِ النّفو رِ مـنَ آنْ تَقَنَّصَهُ رُماتُهْ
قــد أُمنــح الودّ الخليـ ـلَ بغير ما شيء رزاتُهْ[1]
ولــه أقيـــمُ قناةَ ودّ ي ما استقامت لي قناتُهْ

قال : فأومأ إليّ صاحب الستارة أن أمسِك ، ووضع يده على عينه كأنّه يومىء إليّ أنّه يبكي ، قال : فأمسكت ثم انصرفنا ، فقال لي ابن جامع : ما صبَّ أميرُ المؤمنين على ابن جعفر ؟ قلتُ : صبه الله عليه لبدرةِ الدنانير التي أخذتُها . قال : ثم حضر بعد ذلك ، فلمّا اطمأنّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفيّ : اللهـمّ أنْسِهِ ذكْرَ ابن جعفر ، قال فقلت : اللهمّ لا تستجِب ، فقال صاحبُ الستارة : يابن جامع تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية ، قال : فقال ابن جامع : لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه[2] ولم يُقْبِل على الشعر ، قال إبراهيم : فسمعنا ضحكة من وراء الستارة . قال إبراهيم : فاندفعت أغنّي في شعره : [من المتقارب]

صوت

سلا ربَّـــةَ الخِدرِ مـا شأنُها ومــن أيِّما شأنِنـــا تعجـــبُ
فلستُ بـــأوّل مَـــن فاتــه على إرْبِهِ بعضُ مـــا يَطْلُبُ[3]
وكائن تعرَّضَ مـــن خاطب فَـــزُوِّج غيرَ التـــي يخطبُ
وأنْكِحَهـــا بعـــده غيـــرُه وكانــت لــه قبلــه تُحجَبُ
وكنّــا حديثــاً صَفِيَّيْنِ لا نخــاف الوشاةَ ومـــا سبَّبوا
فإن شطَّـــتِ الدّار عنّـا بها فبانــت وفي الناس مُسْتَعَتَبُ[4]
وأُصبح صــدعُ الــذي بيننا كصدع الزجاجةِ ما يُشْعَبُ[5]

1 أصله رزأته .
2 يريد جدّه جعفر بن أبي طالب .
3 الإرب : العقل والدهاء .
4 وفي الناس : في ل : وفي القلب .
5 يشعب : يصلح .

وكالـدَّرِّ ليست لـه رجعـة إلى الضَّرْعِ من بعدما يُحْلَبُ

غنّى في البيتين الأوّلين إبراهيم الموصليُّ خفيف ثقيلٍ الأوّل بالوسطى من روايةِ أحمدَ بن يحيى المكّيّ ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رملٍ غيرَ منسوب . قال : فقال لي صاحب الستارة : أعد فأعدته ، فأحسِب أميرَ المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسفَ البالِ ، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس ، وجاءوني ببدرة دنانير فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً ، وكان ابنُ جامع فيه حسد ما يستتِر منه ، فلمّا انصرفنا قال : اللهمّ أرِحنا من ابنِ جعفرٍ هذا ، فما أشدَّ بغضي له ، لقد بغَّضَ إليّ جدَّه ، فقلت : ويحك ؛ تدري ما تقول ! قال : فمَن يدري ما يقول ؟ إذاً لودِدتُ أنّي لَم أَرَ إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة ، وأنّي تصدّقت بها ، يعني البدرة .

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أُمّ زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

[شمتت به امرأته حين تزوّج امرأة أخرى]

أُخبرني الطوسيّ والحِرْميّ قالا حدَّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه قال : خطب عبدُ الله بن معاوية رُبَيْحةَ بنتَ محمد بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر ، وخطبها بكّارُ بن عبد الملك بن مروان ، فتزوّجت بكاراً ، فشمِتت بعبد الله امرأتُه أُمّ زيد بنتُ زيد بن عليّ بن الحسين ، فقال في ذلك : [من المتقارب]

سلا ربَّةَ الخِدْرِ مـا شأنُها ومِـنْ أيِّما شأننا تعجبُ

فقال ابن أبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له : والله ما شمِتُّ ولكنّي نَفِستُ[1] عليك ، فقال لها : لا جَرَمَ ؛ والله لا سُؤْتُكِ أبداً ما حييتُ : [من الكامل]

صوت

طاف الخيال من أمّ شيْبَةَ فاعترى والقومُ من سنةٍ نَشاوى بالكرى[2]
طافـت بخُوصٍ كالقِسيّ وفتيةٍ هجعوا قليلاً بعد ما ملُّوا السُّرى[3]

الشعر لأبي وَجْزة السعديّ ، والغناء لإسحاق ، ثقيل أوّل بالبنصر .

1 نفس عليه بخير : حسده .
2 نشاوى : جمع نشوان .
3 الخوص : جمع أخوص وهو الغائر العينين .

[222] ـ أخبار أبي وجزة[1] ونسبه

[نسبه]

اسمه يزيد بن عبيد فيما ذكره أصحاب الحديث . وذكر بعض النسابين أنّ اسمه يزيد بن أبي عبيد ، وأنّه كان له أخٌ يقال له عبيد ، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم .

[سليميّ دخل مع أبيه في بني سعد]

وأصله من سُليم من بني ضَبِيس بن هلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهْثة بن سُلَيم ؛ ولكنّه لحِق أباه وهو صبيّ سِباءٌ في الجاهلية ، فبيع بسوق ذي المَجاز ، فابتاعه رجل من بني سعد ، واستعبده ، فلمّا كبِر استعدى عمر رضي الله عنه وأعلمه قصّته ، فقال له : إنّه لا سِباء على عربيّ ، وهذا الرجل قد امتنّ عليك فإن شئت فأقِم عنده ، وإن شئت فالحِق بقومك ، فأقام في بني سعْد وانتسب إليهم هو وولده .

[كان بنو سعد أظآرُ رسول الله ﷺ]

وبنو سعد أُظآرُ[2] رسول الله ﷺ ، كان مسترضَعاً فيهم عند امرأةٍ يقال لها حليمة ، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يَفَعَ ، ثمّ أخذه جدّه عبد المطّلب منهم فردّه إلى مكّة ، وجاءته حليمةُ بعد الهجرة ، فأكرمها وبرَّها وبسط لها رداءه فجلست عليه . وبنو سعد تفتخِرُ بذلك على سائر هوازن ، وحقيقٌ بكلّ مكرُمَةٍ وفخرٍ من اتصل منه رسول الله ﷺ بأدنى سبب أو وسيلةٍ .

[آثر أبوه الانتساب إلى بني سعد]

أخبرني بخبره الذي حكيتُ جملاً منه في نسبه وولائه أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكِّيُّ قال حدَّثنا محمد بن سلاّم الجمحيُّ عن يونس . وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلاّم عن يونس وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن الرِّياشيّ عن محمد بن سلاّم عن يونس وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ عن أبي سعيدٍ السكّريّ عن يعقوب بن السِّكّيت قالوا جميعاً سوى يعقوب .

كان عبيدٌ أبو أبي وجزَة السعديُّ عبداً بِيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وُهَيبُ بن خالدِ بنِ عامر بنِ عُمَير بنِ ملاّنَ بنِ ناصِرةَ بنِ فُصَيّةَ بن نصر بن سعدِ بنِ بكر بنِ

---

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء : 2 : 702–703 والتاريخ الكبير للبخاري 214/348 ، والتهذيب 12 : 349 ، والخزانة 2 : 147–150 .

2 أظآر : جمع ظئر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

هوازن ، فأقام عنده زماناً يرعى إبله ، ثم إنّ عبيداً ضرب ضَرْعَ ناقةٍ لمولاه فأدماه ، فلطم وجهه ، فخرج عبيدٌ إلى عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه مستعدياً فلمّا قدِم عليه قال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجلٌ من بني سُلَيْمٍ ، ثم من بني ظَفَر أصابني سِباء في الجاهلية كما يصيب العرب بَعْضَها من بعض ، وأنا معروفُ النسب ، وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني ، فأساء إليّ وضرب وجهي ، وقد بلغني أنّه لا سِباء في الإسلام ، ولا رِقّ على عربيّ في الإسلام . فَما فَرَغَ مِنْ كلامه حتّى أتى مولاه عمرَ بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه على أثره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا غلامٌ ابتعتُهُ بذي المَجاز ، وقد كان يقومُ في مالي ، فأساء فضربته ضربة والله ما أعَلَمني ضربتُه غيرَها قطّ ، وإنّ الرجل ليضرب ابنَه أشدَّ منها فكيف بعبده ، وأنا أشهدك أنّه حرٌّ لوجه الله تعالى ، فقال عمر لعبيد : قد امتنَّ عليك هذا الرجل ، وقطع عنك مؤنة البيّنة ، فإن أحببت فأقِم معه ، فله عليك مِنّة ، وإن أحببت فالحق بقومك ، فأقام مع السعديّ وانتسب إلى بني سعدِ بنِ بكر بن هوازن ، وتزوّج زينبَ بنتَ عُرْفُطَة المُزَنِيَّة ، فَولدت له أبا وجزة وأخاه ، وقال يعقوب : «وأخاه عبيداً» وذكر أنّ أباهما كان يقال له أبو عبيدٍ ، ووافق مَن ذكرتُ روايتَه في سائر الخبر ، فلمّا بلغ ابناه طالباهُ بأن يَلْحق بأصله ويَنتمي إلى قومه من بني سليم ، فقال : لا أفعلُ ولا أَلْحَقُ بهم فيعيِّروني كلَّ يوم ويدفعوني ، وأترك قوماً يُكْرموني ويشرِّفوني ، فوالله لئن ذهبتُ إلى بني ظَفَرٍ لا أُرعى طُمَّة ، ولا أرِد جَمَّة ، إلاّ قالوا لي : يا عبدَ بني سعدٍ قال : وطُمّة : جبل لهم . فقال أبو وجزة في ذلك : [من الكامل]

أنْمى فأعْقِلُ في ضَبيسٍ مَعقِلاً ... ضخماً مناكِبُه تميمَ الهادي[1]

والعَقدُ في مَلأن غير مُزَلّجٍ ... بقُوَى متيناتِ الحبالِ شِدادِ[2]

[كان من التابعين وروى عن جماعة من الصحابة]

وكان أبو وجزةَ من التابعين ، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسولِ الله ﷺ ، ورأى عمَرَ بنَ الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، ولم يسنِد إليه حديثاً ؛ ولكنّه حدَّث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء ، ونقل عنه جماعة من الرّواة .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ وعمّي قالا حدَّثنا عبد الله بنُ شبيبٍ قال حدَّثني إبراهيم بن حمزة قال حدَّثني موسى بنُ شَيْبَة قال : سمعتُ أبا وجزة السعديَّ يقول قال رسولُ الله ﷺ : «ليس شعرُ حسانَ بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبدِ الله بن رَواحةَ شعراً ، ولكنّه حكمةٌ» .

1 أعقل : لجأ إلى معقل ، والهادي : العنق ، والتميم : التام والشديد .

2 المزلّج : كل ما لم تبالغ فيه ولم تحكمه .

فأمّا خبرُ الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمر فإنّ الحسنَ بنَ عليّ أخبرَنا به قال حدَّثنا محمد بنُ القاسم قال حدَّثني عبدُ الله بن عمرو عن عليّ بن الصبّاح عن هشامِ بن محمدٍ عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال : شهِدتُ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقيَ عامَ الرَّمادة ؛ فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفِرُ الله رافعاً صوتَه لا يزيد على ذلك ، فقلت في نفسي : ما له لا يأخذ فيما جاء له ؛ ولم أعلَم أنّ الاستغفار هو الاستسقاء فما برِحنا حتى نشأت سحابة وأظلّتنا ، فسقي الناس ، وقَلَدتْنا[1] السماء قَلْداً ، كلّ خمس عشرة ليلة ، حتّى رأيت الأَرِينَةَ[2] تأكلها صِغارُ الإبل من وراء حِقاقِ العُرْفُط[3] .

[مات سنة ثلاثين ومائة]

وأخبرني أبو الحسن الأسديّ وهاشمُ بن محمد الخزاعيّ جميعاً عن الرياشيّ عن الأصمعيّ عن عبد الله بن عمر العُمَريّ عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه ، وذكر الحديث مثله . وأخبرني به إبراهيم بنُ أيّوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبةَ ، واللفظ متقاربِ وزاد الرياشيُّ في خبره : فقلت لأبي وجزة : ما حِقاقُ العُرْفُط ؟ قال : نبات سنتين وثلاث . وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال : ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة .

[هو أحد من شبب بعجوز]

وهو أحد مَن شبَّب بعجوزٍ حيث يقول : [من الكامل]

يا أيّها الرجلُ الموكَّلُ بالصِّبا ... فيم ابنُ سبعينَ المعمَّرُ من دَدِ[4] ؟
حتّام أنت موكَّلٌ بقديمةٍ ... أمست تَجَدَّدُ كاليمانيِّ الجيّدِ
زان الجلالُ كمالَها ورسا بها ... عقلٌ وفاضِلةٌ وشيمةُ سيّدِ[5]
ضنّت بنائلها عليك وأنتما ... غِرّان في طلب الشباب الأغيدِ[6]
فالآن ترجو أن تُثيبك نائلاً ... هيهات ؛ نائلُها مكانَ الفَرْقَدِ[7]

1 قلدتنا : مطرتنا .
2 الأرينة : نبت عريض الورق .
3 العرفط : شجر العضاه ، وحقاق العرفط : صغارها وشوابها ؛ تشبيهاً بحقاق الإبل ، والحِقّ : البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة ، والأنثى حِقَّة .
4 الدد : اللهو واللعب .
5 زان : في الشعر والشعراء 703/2 : شبّ .
6 غران : في الشعر والشعراء : 703/2 : إلفان .
7 فالآن : في الشعر والشعراء 703/2 : أفلان ، وأيضاً هيهات : أيْهات .

[روى عن أبيه صورة استسقاء عمر]

وأخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء والطوسيّ جميعاً قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدَّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال : استسقى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فلمّا وقف على المِنبر أخذ في الاستغفار ، فقلت : ما أراه يعمل في حاجته ! ثم قال في آخر كلامه : اللهمّ إنّي قد عجزتُ وما عندك أوسعُ لهم . ثم أخذ بيد العبّاس رضي الله تعالى عنه ، ثم قال : وهذا عمّ نبيّك ، ونحن نتوسّل إليك به . فلمّا أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزل قَلَب رداءه ، ثم نزل فتراءى الناس طُرَّةً[1] في مغرب الشمس ، فقالوا : ما هذا ! وما رأينا قبلَ ذلك قَزَعة[2] سحاب أربع سنين ؟ قال : ثم سمِعنا الرعد ، ثم انتشر ، ثم اضطرب ، فكان المطر يَقلِدنا قَلْداً في كلّ خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأرِينَة خارجة من حِقاق العُرْفُط تأكلها صغار الإبل .

[مدح بني الزبير فأكرموه]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمّي عن جدّي قال : خرج أبو وَجْزة السعديّ وأبو زيد الأسلميّ يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة آل الزُّبير ، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزوميّ ، فقال له أبو وجزة : هل لك في أن أشاركك فيما أُصيب من آل الزُّبير ، وتشارِكني فيما تصيب من إبراهيم ؟ فقال : كلاّ والله ، لَرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير . فقدِما المدينة ، فأتى أبو زيد دار إبراهيم ، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلَب ، فقال إبراهيم لبعض أصحابه : اخرجْ إلى هذا الأعرابيّ الجلِف فاضربه وأخرجه ، فأُخرج وضُرِب . وأتى أبو حمزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم ، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرع[3] أن يعطى منه ستين وَسْقاً[4] من التمر ، فقال أبو وجزة يمدحهم : [من البسيط]

راحت قَلُوصي رواحاً وهي حامدة ... آلَ الزُّبير ولَم تَعدِل بهم أحدا
راحت بستّين وَسْقاً في حقيبتها ... ما حُمِّلت حِملَها الأدنى ولا السَّدَدا[5]
ذاك القِرى لا كأقوامٍ عهِدتهمُ ... يَقْرون ضيفَهم الملويّةَ الجُدُدا

يعني السياط .

1 الطرة : الطريقة من السّحاب .
2 القزعة : القطعة من السحاب .
3 الفرع : قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة أربع ليالٍ على طريق مكّة .
4 الوسق : حمل البعير .
5 السدد : الوفق .

قال أبو الفرج الأصفهاني : قول أبي وجزة : [من البسيط]

راحت بستّين وسقا في حقيبتها

أنّها حملت ستّين وَسْقاً ولا تحمل ناقة ذلك ولا تُطيقه ولا نصفه ، وإنّما عَنى أنّه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستّين وسْقاً فركِب ناقته والكِتاب معه بذلك قد حملْته في حقيبتها ، فكأنّها حاملة بالكتاب ستّين وَسْقاً ، لا أنّها أُطاقت حَمْلَ ذلك . وهذا بيت معنى يُسأَل عنه .

[أحسن عمرو بن زياد جواره فمدحه]

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكريّ في شعر أبي وجزة وأخباره : كان أبو وجزة قد جاور مُزَيْنَة ، وانتجع بلادهم لصِهْره فيهم ، فنزل على عمرو بن زياد بن سُهَيْل بن مُكدَّم بن عُقَيْل بن وهب بن عمرو بن مُرَّة بن مازن بن عوف بن ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان ، فأحسن عمرو جِواره وأكرم مثواه ، فقال أبو وجزة يمدحه : [من الطويل]

لمن دِمنةٌ بالنَّعْفِ عافٍ صَعيدُها ... تَغَيَّـر باقيها ومَـحَّ جديـدُها[1]

لِسَعدة مـن عـام الهزيمة إذ بنا ... تصافٍ وإذ لّمـا يَرُعْنا صُدودُها

وإذا هـي أمّـا نفسُها فأريـه ... لِلَهـوٍ ، وأمّا عن صِباً فَتَذُودُها[2]

تَصَيَّدُ أَلبـابَ الرجـالِ بدَلِّها ... وشيمتُهـا وَحْشِيَّـةٌ لا نَصيدها

كباسِقه الوَسْمِيِّ ساعـةَ أَسبلتْ ... تلألأ فيهـا البرقُ وابيضّ جِيدُها[3]

الباسقة : التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿والنَّخلَ باسقاتٍ﴾ :

كبِكـرِ تُـراني فَرقَديـن بقَفْرة ... من الرّملِ أو فَيْحانَ لم يَعْسُ عُودُها[4]

لعمرو الندى عمرو بن آل مكدّم ... [كثيرُ عليّـاتِ الأُمورِ جليدها]

[فتًى بين مَسْروجٍ وآلِ مُكدَّمٍ] ... وعمرٌو فتى عثمانَ طُرّاً وسيدُها[5]

1 النّعف : موضع ، وأصله ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي . مَحّ : بلي .
2 فأريه : في ل : فأبيّة .
3 الوسميّ : مطر الربيع الأوّل . أسبلت : أمطرت .
4 بقرة بكر : فتية . تراني : من الرنوّ . الفرقد ولد البقرة . فيحان : اسم أرض . عسا : يبس وصلب .
5 السيد : الأسد .

حليم إذا ما الجهلُ أَفرط ذا النّهى ... على أَمره ، حامى الحَصاة شديدُها[1]
وما زال ينحو فعلَ مَنْ كان قبله ... مِنَ آبائـه يَجنـى العـلا ويُفيدها
فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ ... وقرّبْتَ مِـنْ أُدماءَ وارٍ قصيدُها[2]
وذي كربـةٍ فرّجتَ كُربـةَ همّه ... وقد ظلّ مُسْتَدّاً عليـه وصيدُها[3]

[تزوّج زينب بنت عرفطة]

أخبرني عمّي قال حدّثني العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبي مسروج قال : تزوّج أبو وجزة السعديُّ زينب بنت عُرْفُطة بن سهلِ بن مكدَّم المزنيّة فولدت له عُبيداً وكانت قد عنَّست ، وكان أبو وجزة يُبْغضها ، وإنّما أقام عليها لشرفها ، فقال لها ذات يوم : [من الرجز]

أُعطـى عُبَيْـداً وعبيدٌ مَقْنَـعُ ... من عِرمسٍ مَحْزِمُهـا جَلَنْفَعُ[4]
ذاتِ عساسٍ مـا تكاد تَشْبَعُ ... تجتلِدُ الصحْنَ وما إنْ تَبْضَعُ[5]
تمــرّ في الدّارِ ولا تَـورَّعُ ... كأنّها فيهـمْ شجاعٌ أَقرعُ

فقالت زينب أُمّ وجزة تجيبه : [من الرجز]

أُعْطـى عُبيداً من شُيَيْخ ذي عَجَرْ ... لا حَسَنِ الوجـه ولا سَمْحٍ يَسَرْ[6]
يشرب عُسَّ المَذْق في اليوم الخَصِر ... كأنّما يقــذف في ذات السُّعُرْ[7]
تقاذفَ السيلِ من الشِّعبِ المُضِرّْ[8]

[قال في ابنه عبيد رجزاً فأجابه برجز]

قال : وقال أبو وجزة لابنه عُبيد : [من الرجز]

يا راكبَ العَنْسِ كمِرداة العَلَمْ ... أَصلحـك الله وأَدنى ورحِمْ[9]

---

1 أفرط في ل : أفرد وأفرطه : أعجله ، والحصاة : العقل .
2 ناقة أدماء : بيضاء سوداء المقلتين . وار : سمين . القصيد : سنام البعير إذا سمن .
3 الوصيد : فناء الدار .
4 العرمس : الناقة الصلبة الشديدة . المحزم : ما وضع عليه الحزام ، يعني البطن . جلنفع : واسعة البطن .
5 عساس : جمع عُسّ ، وهو القدح الضخم . اجتلد الإناء : شرب كل ما فيه . والصحن : العس العظيم . بضع من الماء وبه : روي وامتلأ .
6 العَجَر : عظم البطن .
7 السُّعُر : حرّ النّار .
8 المضرّ : القريب الداني يقال : سحاب مضرّ : مسف .
9 المرداة : الحجر الثقيل .

إن أنت أبلغتَ وأدّيتَ الكَلِمْ عنّي عُبيدَ بنَ يزيدَ لو علِمْ
قد عِلم الأقوام أن سيَنتقِم منك ومن أمّ تلقّتك وعمْ
ربٌّ يجازي السيئاتِ مَن ظَلَم أنذرْتُك الشَّدّةَ مِن لَيثٍ أضِمْ[1]
عادٍ أبي شِبلين فَرْفارٍ لَحِمْ فارجع إلى أُمّك تُفرِشك ونَمْ[2]
إلى عجوز رأسُها مثل الإرَم واطعَمْ فإنّ الله رَزّاق الطُّعَمْ[3]

فقال عبيد لأبيه :

دعها أبا وجزةَ واقعد في الغنمْ فسوف يكفيك غلامٌ كالزَّلَمْ
مشمِّر يُرقِل في نعلٍ خَذِمْ وفي قَفاه لقمة من اللقَمْ[4]
قد ولَّهتْ ألآفَها غيرَ لَمَمْ حتّى تناهت في قَفا جَعْدٍ أحَمْ[5]

[هجاه أبو المزاحم وعيره بنسبه]

قال يعقوب : وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيّره بنسبه : [من الطويل]

[دَعَتْكَ سُليمٌ عبدها فأجبتَها وسعدٌ ، وما ندري لأيّهما العبدُ ؟

فأجابه أبو وجزة فقال] : [من الطويل]

أعيَّرتموني أنْ دعتني أخاهمُ سليمٌ وأعطتني بأيمانها سعدُ
فكنتُ وسيطاً في سُلَيم معاقِداً لسعد ، وسعدٌ ما يُحَلُّ لها عَقْدُ[6]

[مدح عبد الله بن الحسن وإخوته]

أخبرني أبو جعفر أحمدُ بن محمد بن نصر الضُّبَعيّ إجازةً قال حدَّثنا محمد بن مسعود الزُّرَقيّ عن مسعود بن المفضَّل مولى آل حسن بن حسن قال : قدِم أبو وجزة السعديّ على عبد الله بن الحسن وإخوته سُوَيْقَةَ[7] ، وقد أصابت قومه سنة مجدبة ، فأنشده قوله يمدحه : [من البسيط]

أُثْني على ابْنَيْ رسول الله أفضلَ ما أُثْنى به أحدٌ يوماً على أحدِ

---

1 الشدّة : الحملة . أضم : غضوب .
2 فرفار ، يفرفر كل شيء ، أي يكسره . أفرشه ، فرش له .
3 الإرم : الحجارة .
4 خذم : مقطّع .
5 ولهت : أحزنت وحيّرت . اللمم : الجنُون . الجعد : البخيل اللئيم . الأحم : الأسود .
6 الوسيط : الحسيب في قومه .
7 سويقة : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

السيدينِ الكريميْ كلِّ مُنْصَرَفٍ — من والِدين ومن صهرٍ ومن ولدِ
ذريّـةٌ بعضُها من بعضها عَمِرَت — في أُصل مجد رفيع السَّمْك والعَمَدِ
مـاذا بنـى لهمُ من صالحٍ حسنٌ — وحَسَنٌ وعـليٌّ وابتَنَـوْا لغَدِ
فكـرَّم الله ذاك البيتَ تكرِمَـةً — تَبقـى وتخلُد فيـه آخـرَ الأَبَدِ
همُ السَّدى والنَّدى ، ما في قناتهمُ — إذا تعوّجـت العِيدانُ مـن أَوَدِ[1]
مهذَّبـون هِجـانٌ أُمّهاتهـمُ — إذا نُسِبن زُلالُ البـارقِ البَرِدِ[2]
بين الفواطم مـاذا ثَـمَّ مـن كرمٍ — إلى العواتك مجـد غير مُنْتَقَدِ[3]
مـا ينتهي المجد إلاّ في بني حسن — ومـا لهم دونـه من دارِ مُلْتَحَدِ[4]

قال : فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيمُ بمائةٍ وخمسين ديناراً وأوقروا[5] له رواحلَه بُرّاً وتمراً ، وكسوه ثوبين ثوبين .

[فرض له عبد الملك بن يزيد السعديّ عطاه وندبه لحرب أبي حمزة الشاري]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّةَ قال حدَّثني أبو غسّان والمدائنيّ جميعاً : أنّ عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطيّة السعديَّ كان قد نُدب لقتال أبي حمزة الأزديّ الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها ، قال : وبعث إليه مروانُ بن محمد بمال ، ففرّقه فيمن خفّ معه من قومه ، فكان فيمن فُرِض [له] منهم أبو وجزة وابناه ، فخرج معترضاً للعسكر على فرس ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

قُـل لأبـي حمـزة هِيدِ هِيدِ — جئنـاك بالعادِيَـةِ الصِّنْديدِ
بالبطـل القَـرْمِ أبي الوليد — فـارس قيسٍ نَجدِها المعدودِ
في خيل قيسٍ والكُماةِ الصِّيدِ — كالسيفِ قـد سُلَّ من الغُمودِ
محضٍ هِجـانٍ ماجـدِ الجدودِ — في الفَرعِ من قيسٍ وفي العمودِ
فِـدًى لعبـد الملـك الحميد — مـا لي مـن الطارفِ والتليدِ

---

1 السّدى : المعروف .
2 هجان : كرام . البارق : السحاب ذو البرق . البرد : ذو البرْد .
3 الفواطم : يقال للحسن والحسين أبناء الفواطم ، والعواتك جدّات النبيّ ﷺ .
4 الملتحد : الملتجأ .
5 أوقر الدابة : حملها وِقراً ، وهو الحمل الثقيل .

يـــوم تَنادى الخيل بالصعيدِ كأنّـــه في جُنَـــن الحديـدِ[1]
سيدٌ مُدِلٌ عَـزَّ كلَّ سيدِ

قال : وسار ابن عطيّة في قومه ، ولحقت به جيوش أهل الشام ، فلقى أبا حمزة في اثني عشر ألفاً ، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره ، فنادوه . يا ابن عطيّة ، إنّ الله جلَّ وعزّ قد جعل الليل سَكَنا ، فاسكنوا حتى نسكن ، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .

[كان منقطعاً لابن عطيّة مداحاً له]

قال : وكان أبو وجزة منقطعاً إلى ابن عطيّة ، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفْضِلُ عليه ، وكان أبو وجزة مدّاحاً له ، وفيه يقول : [من البسيط]

حَنَّ الفؤاد إلى سُعدى ولم تُثِبِ فيم الكثيرُ من التَّحْنان والطربِ
قالت سعادُ أرى من شيبه عجباً مهلاً سعادُ فما في الشيب من عجبِ

غنّى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها من كتابه :

إمّـــا تَرَيني كساني الدهرُ شيبتَه فإن مـا مـــرّ منه عنكِ لم يَغِبِ
سَقْياً لسعدى على شيب ألمّ بنا وقبل ذلك حين الرأسُ لم يشِبِ
كأنّ رِيقتَها بعد الكرى اغتبقت صوبَ الثريا بماء الكَرْم من حَلَبِ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

أهدي قِلاصاً عناجيجاً أضرَّ بها نَصُّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ[2]
يقصِدْن سيِّدَ قيسٍ وابنَ سيّدها والفارسَ العِدَّ منها غيرَ ذي الكذبِ[3]
محمـــد وأبـــوه وابنـه صنعوا له صنائعَ من مجد ومن حَسَبِ
إنّي مدحتهـــمُ لمّـــا رأيت لهمْ فضلاً على غيرهم من سائر العربِ
إلاّ تُثِبْني بـــه لا يَجْـــزِني أحد ومَن يُثيبُ إذا ما أنت لم تُثِب !

والأبيات التي ذكرتُ فيها الغناءَ المذكورَ معه أمرُ أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبدَ الملك بن عطيّة هذا . وممّا يختار منها قوله : [من الكامل]

1 جنن : جمع جنة ، وهي : كل ما وقى .
2 العناجيج هنا : الإبل جمع عُنجوج . نصّ ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السّير . العقب : جمع عقبة وهي قدر فرسخين أو قدر ما تسيره .
3 العِدّ هنا : الذي لا تنفذ شجاعته . من قولهم ماء عِدّ ، أي دائم لا تنفد مادته .

حتّى إذا هَجَدوا ألمَّ خيالُها سرّاً ، ألا بِلِمامه كان المُنى
طَرَقَتْ بَريّاً روضةٍ من عالجٍ وَسْمِيَّةٍ عذُبت وبيَّتها النّدى[1]
يا أُمّ شيبة أيَّ ساعةِ مَطْرَق نَبَّهتِنا ، أَين المدينة مِن بَدا[2]
إنّي متى أقض اللُّبانة أُجتَهدْ عَنَقَ العِتاق الناجيات على الوَجى
حتّى أزورَك إن تيسَّر طائري وسلمتُ من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول :

فَلأمدحنَّ بني عطيّةَ كلَّهم مدحاً يوافي في المواسم والقُرى
الأكرمين أوائلاً وأواخراً والأحلمين إذا تُخُولِجَتِ الحُبا[3]
والمانعين من الهَضيمة جارَهُم والجامعين الراقعين لما وَهى[4]
والعاطفين على الضَّريك بفضلهم والسابقين إلى المكارم مَنْ سعى[5]

وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطيّة جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجيّ ، ولا معنى للإطالة بذكرها .

[مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه به]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي لأزهر قال حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : كان أبو إسحاق وجزة السعديّ منقطعاً إلى آل الزُّبير ، وكان عبدُ الله بن عروة بنُ الزبير خاصّة يُفْضِل عليه ويقوم بأمره ، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بنَ الحَسَن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، فمدحه فوصله ، فاطّرحه ابن عروة ، وأمسك يده عنه فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصمّ بن أرطاة ، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزُّبير ، ولا يَرْجعُ له عبدُ الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه : [من المتقارب]

آل الزبير بنو حُرّة مَرَوا بالسيوف صدوراً خنافا[6]
سَلِ الجُرْدَ عنهم وأيّامها إذا امتعطوا المُرهَفاتِ الخِفافا

---

1 عالج : رملة بالبادية . وسمية : المطر الوسمي وهو مطر الربيع الأوّل .
2 بدا : موضع بالشام قرب وادي القرى .
3 تُخُولِجَت : تنوزعت . الحبا : جمع حبوة .
4 الهضيمة : الظلم والغضب .
5 الضّريك : الزَّمِن والضرير والفقير السيء الحال .
6 مرى الدم : استخرجه وأساله . خناف : جمع خانف ، خنف بأنفه : شمخ بأنفه من الكبر .

امْتَعَطوا : سَلّوا ، ومنه ذئبٌ أَمعطُ ، مُنْسَلٌّ من شعره : [من المتقارب]

يموتــونَ والقَتْلُ داءٌ لهــم ... ويَصلَوْنَ يومَ السِّياف السِّيافا
إذا فـرج القَتْلُ عَــنْ عِيصهِمْ ... أَبى ذلـكَ العيصُ إلاّ التفاتا[1]
مطاعيـــمُ تُحْمَــدُ أَبْياتُهُـمْ ... إذا قُنِّعَ الشاهقاتُ الطِّخافا[2]
وأَجْبَنُ مِــنْ صافـرٍ كلبُهُـمْ ... إذا قرعتــه حصـاةٌ أَضافا[3]

فلمّا أنْشد ابن عروة هذه الأبيات رضي عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

أَلا هَــلْ أَسيرُ المالكيّــة مُطْلَقُ ... فقــد كاد لو لَم يُعْفِهِ اللهُ يَغْلَقُ[4]
فلا هو مقتولٌ ، ففي القتل راحة ... ولا مُنْعَــمٌ يومــاً عليــه فَمُعْتَقُ

الشعر لعقيل بن عُلَّفةَ البيت الأوّلُ منه ، والثاني لشبيب بنِ البَرصاء ، والغناء لأَحمدَ بنِ المَكّيّ ، خفيف ثقيل بالوسطى من كتابه ، وفيه لدُقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن بانةَ ، وأوّله : [من الطويل]

سلا أُمَّ عمرو فِيمَ أَضْحى أَسيرُها ... يُفادى الأَسارى حَوْله وهو مُوثَقُ

وبعده البيت الثاني وهو :

فلا هو مَقتولٌ ففي القَتْـلِ راحةٌ ... وَلا مُنْعَــمٌ يومــاً عليــه فَمُعْتَقُ

والبيتان على هذه الرواية لِشبيب بن البَرْصاء .

---

1 العيص : الشجر الكثيف الملتفّ .
2 الطخاف : السحاب المرتفع .
3 الصافر : طائر يتعلّق من الشجر برجليه وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليلته . وأضاف : خاف وأشفق وحذر .
4 يغلق : من غلق الرّهن : إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

[223] ـ أخبار عقيل بن علَّفة

[نسبه]

عَقِيل بن عُلَّفة بن الحارث بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَربوع بنِ غَيْظِ بن مرّة بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن الرَّيْث بنِ غَطَفان بن سعد بن قَيْس عَيْلان بن مُضر ، ويكنى أبا العمَلَّس وأبا الجَرباء .

وأُمّ عَقيـل بن عُلَّفة العَوْراء ، وهي عَمرة بنتُ الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مُرَّة بن نشْبَة بنِ غَيْظ بن مُـرَّة . وأمّها زينبُ بنتُ حَصن بنِ حذيفة . هذا قـولُ خالد بن كلثوم والمدائنيّ . وقال ابنُ الأعرابيّ : كانت عَمْرة العَوْراء أمّ عَقِيل بن عُلَّفة والبرصاءُ أمُّ شبيب بن البَرْصاء أختين ، وهما ابنتا الحارث بن عوف . واسم البَرْصاء قِرْصافة ، أمّها بنت نَجَبة بن ربيعةَ بن رِياح بن مالك بن شَمْخ .

[كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب في مصاهرته]

وعَقِيل شاعر مُجيد مقلّ ، من شعراء الدولة الأمويّة . وكان أعرج جافياً شديدَ الهَوَج والعَجْرفيّة والبَذَخ[1] بنسَبه في بني مرّة ، لا يرى أنّ له كفئاً . وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه . وكانت قريشٌ ترغبُ في مصاهرته . تزوّج إليه خلفاؤها وأشرافها ، منهم يزيد بن عبد الملك ، تزوّج ابنته الجَرْباء ، وكانـت قبله عندَ ابن عمٍّ لِعَقيل يقال له مطيعُ بن قُطْعَةَ بن الحارث بن معاويـة . وولـدت ليزيد بُنيّـاً دَرَجَ[2] . وتزوّج بنته عَمْرَةَ سَلَمةُ بنُ عبد الله بن المغيرة ، فولدت لهُ يعقوب بن سلمة ، وكان من أشراف قريش وجُودائها . وتزوّج أمَّ عمرو بنتَه ثلاثةُ نفَر من بني الحَكَم بن أبي العاص : يحيى والحارث وخالد .

[خطب إليه والي المدينة إحدى بناته فأنكر عليه]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال : دخل عَقِيل بن عُلَّفة على عثمان بن حَيّان وهو يومئذٍ على المدينة ، فقال له عثمانُ : زوّجني ابنتك ، فقال : أبَكْرَةً من إبلي تَعْني ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنونٌ أنت ؟ قال : أيّ شيء قلتَ لي ؟ قال : قلتُ لك : زوّجني ابنتك ، فقال : أفعلُ إن كنتَ عَنَيْتَ بَكْرةً من إبلي . فأمر به فَوُجِئت[3] عُنُقه . فخرج وهو يقول : [من الطويل]

---

1 البذخ : الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره .

2 درج : مات .

3 وجأه باليد وبالسكين : ضربه .

كنّا بني غَيْظ الرجالِ فأصبحتْ ... بنــو مالك غَيْظاً وصرنـا كمالكِ
لحـى الله دهراً ذَعْذَع المالَ كلَّه ... وسوَّد أشباه الإمـاء العَوارِكِ[1]

[خطب إليه رجل من بني سلامان فكتفه وألقاه في قرية النمل]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان لعَقِيل بن عُلَّفة جارٌ من بني سَلامان بن سعد ، فخطب إليه ابنته ، فغضب عَقِيل ، وأخذ السَّلاماني فكَتَفَهُ ، ودهن استَهُ بشحم ، وألقاه في قرية[2] النمل ، فأكلن خُصْيَيْه حتى ورم جَسَدُه ، ثم حلّه وقال : يخطب إليّ عبد الملك فأردّه ، وتجترىء أنت عليّ ؟ قال : ثم أجدبتْ مراعي بني مُرّة ، فانتجع عَقِيل أرض جُذامَ وقُربهم عُذْرة . قال عَقِيل : فجاءني هُنَيٌّ مثلُ البعرة ، فخطب إليّ ابنتي أمّ جعفر . فخرجتُ إلى أكمة قريبة من الحيّ ، فجعلت أنبحُ كما ينبحُ الكلب ، ثم تحملت وخرجت ، فاتّبعني جمعٌ من حُنّ (بطن عُذْرة) فقالوا : اختر ، إن شئت حبسناك ، وإن شئت حَدَرْناك[3] وبُعَيْرةً من رأس الجبل ، فإن سبقتها خلّينا عنك . فأرسلوا بعيرةً فسبقتُها ، فخلَّوْا سبيلي ، فقلت لهم : ما طمعتم بهذا من أحد ! قالوا : أردنا أن نضع منك حيثُ رغبتَ عنّا . فقلت فيهم : [من الطويل]

لقد هزئتْ حُنٌّ بنا وتلاعبتْ ... وما لعبت حُنٌّ بذي حسَب قبلي
رويداً بني حُنّ تَسيحوا وتأمنوا ... وتنتشر الأنعامُ في بلد سهلِ

والله لأموتنّ قبل أن أضعَ كرائمي إلاّ في الأكْفاء .

[خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعراً أجازه ابنه وابنته]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار قال حدَّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : وجدتُ في كتاب بخطّ الضحّاك قال : خرج عَقيل بن علّفة وابناه : عُلَّفة وجَثّامةُ ، وابنته الجرباء حتى أتوْا بنتاً له ناكِحاً في بني مرْوان بالشام فآمت[4] . ثم إنّهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق ، فقال عَقيل بن عُلّفة : [من الطويل]

قضتْ وطراً من ديـر سعدٍ وطالما ... على عُـرُضٍ ناطحْنَهُ بالجماجمِ[5]

---

1 ذعذع الحال : فرّقه وبدّده . والعوارك : الحُيّض .

2 قرية النمل : مجتمع تُرابها .

3 حدرناك ، من الحدر : وهو الحط من علو إلى سفل .

4 آمت المرأة : فقدت زوجها .

5 دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .

إذا هبطتْ أرضاً يمـوت غرابُها ... بهـا عطشاً أعطينَهم بالخزائمِ[1]

ثم قال : أنفِذ يا علّفة ، فقال علّفة :

فأصبحن بالمَومـاة يحملـن فِتْيةً ... نَشاوى من الإدلاج مِيلَ العمائمِ[2]

إذا عَلَـمٌ غادرْنَـه بتَنوفـة ... تذارعن بالأيـدي لآخر طاسِمِ[3]

ثم قال : أنفذي يا جرباء ، فقالت : وأنا آمنة ؟ قال نعم . فقالت :

كأنّ الكـرى سقَّاهـمُ صَرْخَديّةً ... عُقاراً تَمشّى في المطـا والقوائم[4]

فقال عَقيل : شربتها وربّ الكعبة ؛ لولا الأمانُ لضربت بالسيف تحت قُرْطك ، أما وجَدْتِ من الكلام غير هذا ؟ فقال جَثّامة : وهي أساءت ! إنّما أجازت . وليس غيري وغيرُك . فرماه عَقيل بسهم فأصاب ساقَه وأنفذ السهم ساقَه والرَّحل ، ثم شدّ على الجَرْباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقةِ جَثّامة وتركه عَقِيراً مع ناقة الجرباء . ثم قال : لولا أن تسبَّني بنو مرّة ما ذقت الحياة . ثم خرج متوجّهاً إلى أهله وقال : لئن أخبرتِ أهلَكِ بشأنِ جثّامة ، أو قلتِ لهم إنّه أصابه غيرُ الطاعون لأقتلنّك . فلمّا قدِموا على أهل أُبَيْر (وهم بنو القَيْن) ندِم عَقِيل على فعله بجثّامة . فقال لهم : هل لكم في جَزور انكسرت ؟ قالوا : نعم . قال : فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجَزور ، فخرج القوم حتّى انتهوا إلى جَثّامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسَّموا الجزور ، وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى برأ ، وألحقوه بقومه .

ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أبي عبد الله اليزيديّ بخطّه ولم أجده ذكر سماعه إيّاه من أحد قال : قرِىء على عليّ بن محمد المدائنيّ عن الطِّرِمّاح بن خليل بن أبرد ، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جَثّامة ليلحِقوه بقومه ؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنّى جَثّامة : [من الطويل]

أيُعْـذَر لاهِينا ويُلْحَيْن في الصِّبا ... ومـا هـنّ والفِتيانُ إلاّ شقائِقُ

فقال له القوم : إنّما أفلتَّ من الجِراحة التي جرحك أبوك آنِفاً ، وقد عاودتَ ما يكرهُه ، فأمسِكْ عن هذا ونحوِه إذا لقِيته لا يلحقك منه شرّ وعَرّ[5] . فقال : إنّما هي خَطْرةٌ خطَرتْ ، والرّاكب إذا سار تغنّى .

---

1 الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي منخري البعير لينقاد بها .

2 الموماة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى .

3 تذارعن : سِرن ، وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوة . رسم طاسم : دارس .

4 الصرخدية : نسبة إلى صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . المطا : الظهر .

5 عرّه بمكروه : أصابه وساءه .

[أصابه القولنج في المدينة فنعتت له الحقنة فأبى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني أحمدُ بن سعيد الدّمشقيّ قال حدَّثنا الزبير بنُ بكّار قال حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : قدِم عَقِيلُ بنُ عُلَّفة المدينةَ فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلَمةَ المخزوميّ ، فمَرِض وأصابه القولَنج ، فنُعِتَتْ له الحُقنة ، فأبى . وقدِم ابنه عليه فبلغه ذلك ، فقال : [من الطويل]

لقد سرّني واللهُ وقّاك شَرَّها ... نجاؤك منها حين جاء يقودُها
كفى خزيةً ألاّ تزال مُجَبِّيا ... على شَكْوة تُوكى وفي استك عُودُها[1]

[شدّ على ابنه علفة بالسيف فحاد عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا عليُّ بن محمد عن زيد بن عيّاش التغلَبيّ والربيع بن ثُمَيْل قالا : غدا عَقِيل بن عُلَّفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع ، فإذا بنوه مع بناتِه وأمِّهِمْ مجتمعون ، فشدّ على عملّس فحاد عنه ، وتغنّى علّفة فقال : [من الطويل]

قفي يا ابنةَ المُرِّيّ أسألْكِ ما الذي ... تريدين فيما كنتِ مَنَّيْتِنا قبلُ
نخبِّرْك إن لم تنجزي الوعدَ أنّنا ... ذَوا خُلّة لم يبقَ بينهما وصلُ
فإن شئتِ كان الصُّرم ما هبّت الصبا ... وإن شئتِ لا يفنى التكارم والبذلُ

فقال عَقيل : يابن اللَّخناء[2] ، متى منَّتْك نفسك هذا ؟ وشدّ عليه بالسيف ، وكان عملّس أخاه لأمّه ، فحال بينه وبينه ، فشدّ على عملَّس بالسيف وترك عُلّفة لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فسقط عَقيل وجعل يتمعّك[3] في دمه ويقول : [من الرجز]

إنّ بَنِيَّ سَرْبَلُوني بالدَّمِ ... مَنْ يَلْقَ أبطال الرّجال يُكْلَمِ
ومَنْ يكن ذا أَوَدٍ يُقَوَّمِ ... شنْشنةٌ أعرِفها من أَخْزَمِ[4]

قال المدائنيّ : «شِنشنة أعرفها من أخزم» مَثَلٌ ضربه . وأخزمُ : فحلٌ كان لرجل من العرب ، وكان منجِباً ، فضرب في إبل رجلٍ آخر ، ولم يعلم صاحبُه ، فرأى بعد ذلك من نسله

1 يقال جبّى فلان ؛ إذا أكبّ على وجهه باركاً . الشكوة : القربة الصغيرة .
2 اللخناء : من اللَّخَن ، وهو النتن .
3 يتمعّك في دمه : يتمرّغ .
4 مثل ، وهو من باب تشبيه الرجل بأبيه ، وهذا المثل يروى أنّ عمر بن الخطّاب قاله في ابن عبّاس رضي الله عنهما يشبهه بأبيه في جودة الرأي . فصل المقال 219 وورد في مجمع الأمثال 155/2 . الشنشنة : الخليقة . المثل في اللسان منسوب إلى أبي أخزم الطائيّ ، قال : «قال ابن برّيّ : كان أخزم عاقاً لأبيه فمات وترك ابنين عقوا جدّهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك .

جملاً ، فقال : شِنْشِنة أعرِفها من أَخْزَم .

[عاتبه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته]

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدَّثني سليمان المدائنيّ قال حدَّثني مصعب بن عبد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز لِعَقيل بن عُلّفة : إنّك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كالىءَ لهنّ ، والناس ينسبُونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تزوّجهنّ إلاّ الأكفاء . قال : إنّي أستعين عليهنّ بخَلّتين تَكْلآنِهنّ ، وأستغني عن سواهما . قال : وما هما ؟ قال : العُرْيُ والجوعُ .

[رماه ابنه عملس فأصاب ركبته ، فغضب وخرج إلى الشام]

نسخت من كتاب محمد بن العبّاس اليزيديّ : قال خالدُ بنُ كلثوم : لمّا رمى عملّس بنُ عَقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألاّ يساكن بنيه ، فاحتمل وخرج إلى الشام ، فلمّا استوى على ناقته المسمّاة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنّت ناقته ، فقال : [من الطويل]

ألَم تريا أُطلالَ حَنَّتْ وشاقَها ... تفرُّقُنا يومَ الحَبيبِ على ظهرِ[1]
وأسبل من جرباءَ دمعٌ كأنّه ... جُمانٌ أضاع السلكُ أُجْرَتْه في سطرِ
لعمرُك إنّي يوم أغذو عَملَّسا ... لكالمتربِّي حَتفَه وهو لا يدري[2]
وإنّي لأسقيه غَبوقي وإنّني ... لَغَرْثانُ منهوكُ الذّراعينِ والنحرِ[3]

[خرج ابنه علفة إلى الشام أيضاً وكتب إلى أبيه شعراً]

قال : ومضى علّفة أيضاً ، فافترض[4] بالشام وكتب إلى أبيه : [من الطويل]

ألا أبلغا عنّي عَقيلاً رسالةً ... فإنّك من حربٍ عليّ كريمُ
أما تذكر الأيّامَ إذ أنت واحِد ... وإذ كلُّ ذي قُربى إليك ذميمُ
وإذ لا يَقِيك الناسُ شيئاً تخافُه ... بأنفسهم إلاّ الذين تَضيمُ
تَناول شأْوَ الأبعدين ولَم يقم ... لشأوك بين الأقربين أُديمُ
فأمّا إذا عضّتْ بك الحرب عَضّةً ... فإنّك معطوفٌ عليك رحيمُ
وأمّا إذا آنسْتَ أمنا ورِخوةً ... فإنّك للقُرْبى ألدُّ ظَلُومُ[5]

فلمّا سمِع عقيل هذه الأبيات رضي عنه ، وبعث إليه فقدِم عليه .

---

1 حبيب : بلد من أعمال حلب بالشام .
2 تربّبه وتربّاه : أحسن القيام عليه ووليه .
3 غرثان : جائع .
4 افترض الجند : أخذوا عطاياهم .
5 الألدّ : الخصم الجدل الذي لا يرجع إلى الحقّ .

[سبّ عمر بن عبد العزيز فعاتبه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرياشيّ عن محمد بن سلاّم قال حدَّثني ابن جُعْدُبة قال : عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش ، أُمُّه أختُ عقيل بن عُلَّفة فقال له : قَبحك الله ؛ أشبهتَ خالَك في الجفاء . فبلغتْ عَقيلاً فجاء حتى دخل على عمر فقال له : ما وجدْتَ لابن عمِّك شيئاً تُعيِّره به إلاّ خُؤولتي ؟ فقبَّح الله شرّكا خالاً . فقال له صُخَير بنُ أبي الجَهْم العَدَوِيُّ (وأمّه قُرشيّة) : آمين يا أمير المؤمنين . فقَبح الله شرّكا خالا ، وأنا معكما أيضاً . فقال له عمر : إنّك لأعرابيٌّ جِلْف جافٍ ، أما لو كنتُ تقدّمتُ إليك لأدّبتك . والله لا أراك تقرأُ من كتاب الله شيئاً ، قال : بلى ، إنّي لأقرأُ ، قال : فاقرأ . فقرأ : ﴿إذا زُلْزِلتِ الأرْضُ زِلْزالَها﴾ حتى بلغ إلى آخرها فقرأ : فمن يعمل مِثقال ذرةٍ شراً يره ومَن يعمل مِثقال ذرةٍ خيراً يره ، فقال له عمر : ألَم أَقُل لك إنّك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال : أوَلَم أقرأ ؟ قال : لا ، لأنّ الله جلّ وعزّ قدّم الخير وأنّك قدّمت الشرّ . فقال عَقيل : [من الطويل]

خـذا بَطْنَ هَرْشى أو قَفاها فإنّـه ... كِلا جانبـيْ هَرْشى لهنّ طريقُ[1]

فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفِيَتِه .

وروى هذا الخبر عليُّ بنُ محمد المدائنيّ ، فذكر أنّه كان بين عُمرَ بنِ عبد العزيز وبين يعقوب بن سَلَمة وأخيه عبد الله كلامٌ ، فأغلظ يعقوبُ لعمر في الكلام فقال له عمر : اسكت فإنّك ابنُ أعرابيّة جافِيةٍ . فقال عَقيل لعمر : لعن الله شرَّ الثلاثة ، منّي ومنك ومنِه ؛ فغضب عمرُ ، فقال له صُخَير ابنُ أبي الجَهْم : آمين . فهو والله أيّها الأمير شرّ الثلاثة . فقال عمر : والله إنّي لأراك لو سألتَه عن آية من كتابِ الله ما قرأها . فقال : بلى والله إنّي لقارىء لآية وآياتٍ فقال : فاقرأ ، فقرأ : إنَّا بعثنا نوحاً إلى قومه ، فقال له عمر : قد أعلمتك أنّك لا تُحْسِن . ليس هكذا قال الله ، قال : فكيف قال ؟ قال : ﴿إنَّا أرْسَلْنا نُوحاً﴾ فقال : وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا ! [من الطويل]

خذا أنف هَرْشى أو قَفاهـا فإنّه ... كلا جانبي هَرْشى لهـنّ طريقُ

[دخل المسجد بخفّين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه]

أخبرني عُبيد الله بن أحمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثني علي بن محمد المدائنيّ عن عبد الله بن أسلم القرشيّ قال : قدِم عَقِيل بن عُلَّفة المدينة ، فدخل المسجد وعليه خُفَّانِ

1 هرشى : ثنيـة في طريق مكّة قريبة من الجحفة . وفي البيت مثل : يضرب فيما سَهُل إليه طريـق مـن وجهين . وهرشى : ثنيّة في طريق مكّة شرّفها الله تعالى قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكلّ مَن يسلكها كان مصيباً . (معجم الأمثال للميدانيّ 3/31–32) .

غليظانِ ، فجعل يضربُ برجْلَيْه ، فضحكوا منه فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بنُ الحكَم ، وكانت ابنة عَقيل تحته : يضحكون من خُفَّيك وضرْبك برجليك وشدّةِ جفائك . قال : لا ، ولكن يضحكون من إمارتك ؛ فإنّها أعجبُ من خُفّيّ . فجعل يحيى يضحك .

[خبره مع يحيى بن الحَكَم أمير المدينة وزواج ابنته]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدَّثني عمِّي عن عبد الله بن مُصْعَب قاضي المدينة قال : دخل عَقِيلُ بن عُلَّفة على يحيى بنِ الحكم ، وهو يومئذٍ أميرُ المدينة . فقال له يحيى : أَنكِح ابن خالي ، يعني ابنَ أُوفى ، فلانةَ ابنتك ؟ فقال : إن ابنَ خالك لَيَرْضى منّي بدون ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : أن أَكُفَّ عنه سَنَنَ[1] الخيلِ إذا غشِيَتْ سَوامَه[2] . فقال يحيى لحرسيَّيْن بين يديه : أخرِجاه . فأخرجاه ، فلمّا ولّى قال : أعِيداه إليّ ، فأعاداه ، فقال عَقِيل له : ما لك تُكرِّرُني إكرارَ الناضِح[3] ؟ قال : أما والله إنّي لأكرك أعرج جافيا . فقال عَقِيل : كذلك قلت : [من البسيط]

تَعَجَّبَتْ إذ رأت رأسي تَجَلَّلَه … من الروائع شيبٌ ليس من كِبَرِ[4]

ومِن أَدِيمٍ تولّى بعد جِدّته … والجفنُ يَخلقُ فيه الصَّارِمُ الذكَرُ[5]

فقال له يحيى ، أنشِدني قصيدتَك هذه كلّها . قال : ما انتهيتُ إلاّ إلى ما سمعت . فقال : أما والله إنّك لَتقول فتقصّر ، فقال : إنّما يكفي من القلادة[6] ما أحاط بالرقبة . قال : فأنكِحني أنا إحدى بناتِك . قال : أمّا أنت فنعم . قال : أما والله لأملأنّك مالاً وشرفاً . قال : أما الشَّرف فقد حمّلتُ ركائبي منه ما أطاقت ، وكلفتها تجشُّمَ ما لم تطِقْ ، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاحَ الأَيِّم ورضا الأبيّ . فزوّجه ثم خرج فهداها إليه ، فلمّا قدِمت عليه بَعَث إليها يحيى مولاة له لتنظر إليها ، فجاءتها فجعلت تغمِز عضُدها . فرفعت يدها ، فدقّت أنفها . فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثتني إلى أعرابيّة مجنونة صنعتْ بي ما ترى ؛ فنهض إليها يحيى ، فقال لها : ما لك ؟ قالت : ما أردتَ أن بعثتَ إليّ أمَة تنظر إليّ ! ما أردتُ بما فعلتُ إلاّ أن يكون نظرك إليّ قبل كلّ ناظر ، فإن رأيتَ حسناً كنتَ قد سبقت إلى بهجته ، وإن رأيت قبيحاً كنتَ أَحقّ مَن

1 السنن : استنان الخيل : وهو عدوها لمرحها ونشاطها .
2 السّوام : كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلي يرعى حيث يشاء .
3 الناضح : الدابة يستسقى عليها الماء .
4 الروائع : في ل : الوقائع .
5 تولّى : في ل : تعرّى . الذكر والذكير من الحديد : أيبسه وأشدّه وأجوده ، وفي البيت إقواء .
6 مثل ، ورد في مجمع الأمثال 196/1 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 62/2 «حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق» .

ستره . فسرّ بقولها وحظِيتْ عنده .

وذكر المدائنيّ هذا الخبر مثْلَه ، إلاّ أنّه قال فيه : فإن كان ما تراه حسناً كنت أوّلَ مَن رآه ، وإن كان قبيحاً كنت أوّلَ مَن واراه .

[زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء]

أخبرني ابنُ دريد قال حدَّثنا عبد الرحمن عن عمِّه قال : خطب يزيد بن عبد الملك إلى عَقِيل بن عُلَّفة ابنتَه الجرباء ، فقال له عَقِيل : قد زوّجتكها ، على أن لا يزفَّها إليك أعْلاجُك[1] ؛ أكونُ أنا الذي أجيءُ بها إليك . قال : ذلك لك . فتزوّجها ، ومكثوا ما شاء الله . ثم دخل الحاجبُ على يزيد فقال له : بالباب أعرابيٌّ على بعيرٍ ، معه امرأةٌ في هَوْدج قال : أراه والله عَقِيلاً . قال : فجاء بها حتى أناخ بعيرَها على بابه ، ثم أخذ بيدها فأذعنت ، فدخل بها على الخليفة فقال له : إن أنتما وُدِنَ[2] بينكما ، فبارك الله لكما ، وإن كرهتَ شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعتُ يدها في يدك ثم برِئت ذمتك . فحملت الجرباء بغلام ففرِح به يزيد ونَحَله وأعطاه . ثم مات الصبيّ ، فورِثت أمُّه منه الثُّلث ، ثم ماتت فورِثها زوجها وأبوها فكتب إليه : إن ابنك وابنتك هلكا ، وقد حسبت مِيراثك منهما فوجدته عشرةَ آلاف دينارٍ ، فَهَلُمَّ فاقبِضه .

[موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها]

فقال : إنّ مصيبتي بابني وابنتي تَشغَلني عن المال وطلبه ، فلا حاجةَ لي في مِيراثِهما ، وقد رأيتُ عندك فرساً سَبقتَ عليه الناس ، فأعطِنيه أجعله فحلاً لخيلي . وأبى أن يأخذ المال ، فبعث إليه يزيد بالفرس .

[قال لرجل من قريش بالرفاء والبنين فأنكر عليه ذلك]

أخبرنا عبيدُ الله بنُ محمد قال حدَّثنا الخرّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن يحيى قال : رأيتُ رجُلاً من قريش يقول له عَقِيل بن عُلَّفة : بالرِّفاء والبنين والطائرِ المحمودِ . فقلت له : يا ابن عُلَّفة ؛ إنّه يُكرَه أن يُقالَ هذا . فقال : يا ابن أخي ، ما تريد إلى ما أُحدِثَ ! إنّ هذا قولُ أخوالك في الجاهليّة إلى اليوم لا يعرفون غيره . قال : فحدَّثْتُ به الزُّهريّ فقال : إنّ عَقيلاً كان من أجهل الناس . قال : وإنّما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة : «هذا قول أخوالك» ، لأنّ أمّ يحيى بنِ طلحةَ مُرِيّة .

[خطب إليه رجل كثير المال مغموز في نسبه]

قال المدائنيّ وحدَّثني عليُّ بنُ بشرٍ الجُشَميُّ قال قال الرُّمَيْحُ : خطب إلى عَقِيلٍ رجل من

1 أعلاجك جمع علج : الرجل الشديد الغليظ .

2 الودن والودان : حسن القيام على العروس ؛ ويقال : ودن العروس : أحسن القيام عليها .

بني مرّة كثيرُ المال ، يُغْمَزُ في نسبه ، فقال : [من الطويل]

لَعمْري لئن زوّجتُ من أُجلِ ماله هجيناً لقــد حُبّتْ إليَّ الدراهمُ[1]
أأُنكِحُ عبداً بعــدَ يحيـى وخالدٍ أولئك أكفائـي الرجـالُ الأكارِمُ
أبى لِيَ أَنْ أرضـى الدنيّـةَ أنّني أمُـدُّ عِنانـاً لم تخنْـه الشكائمُ

[خطب إليه رجل من بني مرّة فطعن ناقته بالرمح فصرعته]

نسخت مِن كتاب محمد بن العبّاس اليزيديّ بخطّه يأثُره[2] عن خالد بنِ كلثوم بغير إسناد متصل بينهما : أنّ رجلاً من بني مُرّة يقال له داودُ أقبل على ناقةٍ له ، فخطب إلى عَقِيل بن عُلَّفة بعضَ بناتِه ، فنظر إليه عَقِيل ، وإنّ السيف لا يناله ، فطعن ناقَتَهُ بالرّمح فسقطت وصرعته ، وشدّ عليه عَقِيلٌ فهرب ، وثار عَقِيلٌ إلى ناقته فنَحرَها ، وأُطعمها قومه وقال : [من الرجز]

أَلـم تَقلْ يا صاحبَ القَلُوصِ داودَ ذا الساج وذا القميصِ[3]
كانت عليه الأرض حِيصِ بِيصِ حتى يَلُــفّ عِيصَه بعِيصي[4]
وكنــتُ بالشبّان ذا تقميـصِ

فقال داود فيه من أبيات : [من الطويل]

فتــى يَجْعَل الأمـرَ الحلالَ ببيتِهِ حراماً ويَقْرِي الضيفَ عَضْباً مهنَّدا

[فرّت منه زوجته الأنماريه فردّها إليه عامل فدك]

وقال المدائنيّ حدَّثني جوشن بن يزيد قال : لمّا تزوّج عَقِيلُ بن عُلَّفة زوجتَه الأنمارية ، وقد كَبر ، فرّت منه ، فلقيها جحّافٌ ، أحدُ بني قِتالِ بنِ يَرْبوع ، فحملها إلى عامل فَدَك ، وأُصبح عقيلٌ معها ، فقال الأمير لِعَقِيل : ما لهذه تستعدي عليك يا أَبا الجَرْباء ؟ فقال عقيلٌ : كَلَّ ذَكَري ، وذهب ذَفَري[5] ، وتغايَبَ نفَري ، فقال : خذ بيدها ، فأخذها وانصرف ، فولدت له بعد ذلك عُلَّفة الأصغر .

[شعره يحرض بني سهم على بني جوشن]

أُخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : لما نشبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بنِ مرّة رهط عَقِيل بن عُلَّفة المريّ ، وهو من بني غَيْظ بن مرّة بن سهم بن مُرَّةَ إخوتهم ، فاقتتلوا في أُمر يهوديٍّ خَمّارٍ كان جاراً لهم ، فقتلته بنو جَوْشَنٍ

1 الهجين : العربيّ ابن الأمة .
2 يأثره : ينقله ويرويه .
3 السّاج : الطيلسان الضخم الغليظ .
4 حيص بيص : في الأصل جحر الفأر وهي هنا بمعنى ضيقة . عيصى المرء : أصله .
5 الذفر : شدّة ذكاء الريح .

من غطفان ، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقيل بن عُلّفة بالشام غائباً عنهم ، فكتب إلى بني سهم يُحَرِّضُهم[1] . [من المتقارب]

فإمّا هلكتُ ولَم آتِكُمْ فأبْلِغْ أماثلَ سَهْمٍ رَسُولا
بأن التي سامكُمْ قومُكُمْ لقد جعلوها عليكم عُدولا
هوان الحياة وضَيْمُ الممات وكلاًّ أراه طعاماً وبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما فسيروا إلى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبكم مُنَّةٌ كفى بالحوادث للمرء غُولا[2]

قال : فلمّا وردت الأبياتُ عليهم تكفّلَ بالحربِ الحُصَيْن بن الحُمام المُرّيّ أحد بني سهم ، وقال : إليّ كتبَ وبي نَوّهَ ، خاطَبَ أماثلَ سهم وأنا من أماثلهم . فأبْلى في تلك الحروبِ بلاءً شديداً . وقال الحصين بن الحُمام في ذلك من قصيدة طويلة له : [من الطويل]

يَطَأن من القَتْلى ومن قِصَدِ القَنا خَباراً فما ينهضْنَ إلاّ تَقَحُّما[3]
عليهنّ فِتْيانٌ كساهم محرِّقٌ وكان إذا يَكْسو أجاد وأكرما[4]
صفائحَ بُصْرى أَخلصَتْها قُيُونُها ومطَّرداً من نسج داود محكَما[5]
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجِدْ لنفسي حياة مثلَ أن أتقدما

[نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردّها إليه]

وقال المدائنيّ قال جَرّاح بن عِصام بن بُجَيْر : عدَتْ بنو جعفر بنِ كِلاب على جار لعَقيل فأطردتْ إبله وضربوه ، فغدا عَقِيل على جار لهم فضربه ، وأخذ إبلَه فأطردها ، فلم يردّها حتى ردّوا إبل جاره وقال في ذلك : [من الكامل]

إن يَشْرَقِ الكلبيّ فيكم بريقِه بني جعفر يُعْجَلْ لجارِكُمُ القتلُ
فلا تحسبوا الإسلام غَيَّر بعدكم رماحَ مواليكم فذاك بكم جهلُ
بني جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا نُذِقكم كما كنّا نُذيقكُمُ قبلُ
بدأتم بجاري فانثنيتُ بجاركم وما منهما إلاّ له عندنا حَبْلُ

---

1 وردت بعض هذه الأبيات في المفضليات رقم 10 : منسوبة إلى بشامة بن عمرو دون تغيير ، وهي (1 ، 4 ، 5) وفي البيتين (2 ، 3) اختلاف واضح في الألفاظ .

2 الغول : كل ما أهلك الإنسان .

3 القصد : جمع قصدة ، وهي القطعة من القناة المتكسّرة . الخَبار من الأرض : ما لان واسترخى .

4 محرّق : لقب عمرو بن هند ، سمّي بذلك لأن أحرق مائة من بني تميم .

5 مطرداً : أي درعاً مطرداً ، أطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً ، والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت .

[أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين]

وذكر المدائنيّ أيضاً : أنّ عَقِيلاً كان وحده في إبله ، فمرّ به ناس من بني سَلامان فأسَروه ، ومرّوا به في طريقه على ناس من بني القَيْن ، فانتزعوه منهم ، وخلَّوْا سبيله .

فقال عقيل في ذلك : [من الطويل]

أسعدَ هُذَيْم إنّ سعداً أباكُمُ ... أبى لا يوافي غاية القَيْنِ من كلبِ
وجاء هُذيمٌ والركابُ مُناخةٌ ... فقيل تأخَّرْ يا هذيمُ على العَجْبِ[1]
فقال هذيم إن في العَجْبِ مركبي ... ومركب آبائي وفي عَجْبِها حَسْبي

قال : وسعد هذيم هم عُذرةُ وسَلامان والحارثُ وضَبّة .

[مات ابنه علفة بالشام فرثاه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويْه قال حدَّثني أبو مسلم عن المدائنيّ عن عبد الحميد بن أيّوب بن محمد بن عُمَيْلة قال : مات عُلَّفة بن عَقيل الأكبر بالشام ، فنعاه مُضَرِّس بن سَوادة لعَقِيل بأرض الجناب ، فلم يصدّقه وقال : [من الكامل]

قَبح الإلهُ ـ ولا أقبِّح غيره ـ ... ثَفَرَ الحمار مضرِّس بنَ سَوادِ[2]
تَنْعى امرءاً لم يَعْلُ أُمَّكَ مثلُهُ ... كالسَّيْفِ بين خَضارمٍ أنجادِ[3]

ثم تحقق الخبر بعد ذلك ، فقال يرثيه : [من الطويل]

لَعَمري لقد جاءتْ قوافل خبّرت ... بأمرٍ من الدنيا عليّ ثقيلِ
وقالوا ألا تبكي لمصرعِ فارس ... نعته جنودُ الشام غيرِ ضئيلِ
فأقسمتُ لا أُبكي على هُلْك هالكٍ ... أصاب سبيلَ اللهِ خيرَ سبيلِ
كأن المنايا تبتغي في خيارِنا ... لها نسباً أو تهتدي بدليلِ
تَحُلُّ المنايا حيثُ شاءت فإنّها ... مُحَلَّلةٌ بعد الفتى ابن عَقِيلِ
فتًى كان مولاه يَحُلُّ بربْوَةٍ ... فَحلَّ الموالي بعده بمَسِيلِ

[حطم رجل من بني صرمة بيوته فأقبل ابنه عملس من الشام فانتقم له]

أخبرني محمد بنُ الحسن بنُ دريد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : قال : كان عَقِيل بن عُلَّفة قد أطردَ بنيه ، فتفرّقوا في البلاد وبقي وحده . ثم إنّ رجلاً من بني صِرمة ، يقال له بَجيل ، وكان كثير المال والماشية ، حَطَمَ بيوتَ عَقِيل بماشيته ، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرُب من بيوت

1 العجب : أصل الذنب وهو العصعص .
2 الثفر : السير الذي في مؤخّر السّرج تحت ذنب الدابة .
3 خضارم ، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

عَقِيل إلاّ لَقِيَ شرّاً . فطردت صافنةُ (أَمةٌ له) الماشية ، فضربها بَجيلٌ بعصا كانت معه فشجّها . فخرج إليه عَقيل وحده ، وقد هرِم يومئذٍ وكبرتْ سِنّه ، فزجره فضربه بَجِيل بعصاه ، واحتقره . فجعل عَقِيل يصيح : يا عُلّفة ، يا عَمَلّس ، يا فلان ، يا فلان ، بأسماء أولاده مستغِيثاً بهم ، وهو يحسبهم لهرمِه أنّهم معه . فقال له أرطاة بن سُهَيّة : [من الوافر]

أكلتَ بنيكَ أكلَ الضبِّ حتى   وجدتَ مرارةَ الكـلأ الوبيلِ
ولـو كان الألى غابوا شهوداً   منعتَ فِناءَ بيتِك مـن بَجِيلِ

وبلغ خبرُ عَقيلٍ ابنَه العَملّس وهو بالشام ، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عمَد إلى بَجيل فضربه ضرباً مبرِّحاً ، وعقر عِدَّة من إبله وأوثقه بحبل ، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه ، ثم ركِب راحلتَه ، وعاد من وقته إلى الشام ، لم يَطعَم لأبيه طعاماً ، ولم يشرب شراباً .

[خبر ابنه المقشعر مع أعرابي نزل]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكُراني قال حدَّثنا ابن عائشة قال : نزل أعرابيّ على المقْشَعِرّ بن عَقِيل بن عُلّفة المرّي فشربا حتى سكِرا وناما ، فانتبه الأعرابيّ مُرَوَّعاً في الليل وهو يهذِي ، فقال له المُقْشَعِرُّ : ما لك ؟ قال : هذا ملك الموتِ يقبِض روحي . فوثب ابن عقِيل فقال : لا والله ولا كرامةَ ولا نِعمةَ[1] عينٍ له ! أيقبِض رُوحَك وأنت ضيفي وجاري ؟ فقال : بأبي أنتم وأمّي ! طال والله ما منعتـم الضَّيم . وتلفَّف ونام .

تمّت أخبار عقِيل ولله الحمد والمِنّة .

قد مضت أخبارُ عقيلٍ فيما تقدّم من الكتاب ، ونذكر هاهنا أخبار شَبيب بن البَرْصاء ونسبه ، لأنّ المُغنّين خلطوا بعضَ شعره ببعض شِعر عَقِيل في الغناء الماضي ذِكْرُهُ ، ونعيدُ هاهنا من الغناء ما شعرُهُ لشبيبٍ خاصةً وهو : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة

سَلا أُمَّ عمرٍو فيم أَضحى أَسيرُها   تُفادى الأسارى حوله وهو موثقُ
فلا هـو مقتول ففي القتـل راحَةٌ   ولا منعَـمٌ يومـاً عليــه فمطْلَقُ

ويروى :

ولا هــو مَمْنونٌ عليــه فمطلقُ

الشعرُ لشبيب بن البرصاء ، والغناء لِدُقاق جاريةِ يحيى بن الربيع . رملٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر حبشٌ أنّ فيه رملاً آخر لطويس .

---

1 نعمة عين : قرّتها .

[224] ـ أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

[نسبه]

هو شبيبُ بنُ يزيد بن جمرةَ ، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرّة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مرّة بن سعد بن ذُبيان . والبرصاء أُمّه ، واسمها قِرْصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وهو ابن خالة عقيل بن عُلّفة ، وأمّ عقيل عَمْرَة بنت الحارث بن عوف ، ولُقِّبت قِرْصافةُ البَرْصاء لبياضِها ، لا لأنها كان بها برص .

[هاجى عقيل بن علفة]

وشبيبٌ شاعرٌ فصيح إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية ، بَدَويّ لم يَحْضُر إلاّ وافداً أو منتجِعاً . وكان يُهاجي عَقِيلَ بن عُلَّفة ويُعاديه لشراسة كانت في عَقِيل وشرّ عظيم . وكلاهما كان شريفاً سيّداً في قومه ، في بيت شرفهم وسُؤدُدهم . وكان شَبيب أعور ، أصاب عينه رجل من طيىء في حَرْب كانت بينهم .

[هاجى أرطاة بن سهية]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم السِّجستانيّ عن أبي عبيدة قال : دخل أَرْطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ، وكان قد هاجى شَبِيب بن البرصاء ، فأنشده قوله فيه : [من الطويل]

أَبِي كان خيراً من أبيك ولَم يزلْ جنيبـاً لآبائـي وأنـت جَنِيبُ[1]

فقال له عبد الملك : كذبت ! ثم أنشده البيت الآخر فقال :

وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارهاً برأسِكَ عـادِيُّ النِّجـادِ رَكُوبُ[2]

فقال له عبد الملك : صدقت . وكان أرطاة أفضل من شبِيبٍ نفساً ، وكان شبيب أفضل من أُرطاة بيتاً .

[فاخره عقيل بن علفة فهجاه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدَّثنا الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال : فاخر عَقِيل بن عُلّفة شَبِيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه ، ويُعَيِّرُه برجلٍ من طيىء كان يأتي أمّه عَمْرَةَ بنت الحارث يقال له حَيّان ، ويهجو غيظ بن مرّة : [من الطويل]

---

1 الجنيب : المنقاد التّابع .

2 العاديّ : القديم . النجاد : جمع نجد . والركوب : المركوب الموطوء .

أَلسنا بفُرْعٍ قد علمتم دِعامةً ورابيةً تنشقُّ عنها سيولُها[1]
وقد علِمتْ سعد بن ذُبيان أنّنا رحاها الذي تأوي إليها وجُولها[2]
إذا لم نَسُسْكم في الأمورِ ولم نكُنْ لحرب عَوانٍ لاقحٍ مَنْ يَئُولها[3]
فلستم بأهدى في البلاد من التي تَرَدَّدُ حَيْرى حين غاب دليلُها
دعت جُلُّ يربوع عقيلا لحادثٍ من الأَمر فاستخفى وأَعيا عقيلُها
فقلت له : هلاّ أَجبتَ عشيرةً لطارقِ ليلٍ حين جاء رسولُها !
وكائِن لنا من رَبْوة لا تنالها مَراقيك أو جُرثومةٍ لا تطولُها
فخَرْتَ بأيّامٍ لغيرِكَ فخرُها وغُرَّتُها معروفةٌ وحُجُولُها
إذا الناس هابوا سَوْءةً عَمَدتْ لها بنو جابر شُبَّانُها وكُهولُها
فَهَلاّ بني سعدٍ صَبَحْتَ بغارةٍ مُسَوَّمةٍ قد طار عنها نَسيلُها ![4]
فتُدركَ وِتراً عند ألأم واترٍ وتُدْرِكَ قتلى لم تُتَمَّمْ عقولُها[5]

[افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه]

وقال أبو عمرو : اجتمع عَقِيل بن عُلَّفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحكَم فتكلّما في بعض الأمر ، فاستطال عقيلٌ على شبيب بالصِّهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زَوّج ثلاثاً من بناته فيهم ، فقال شبيب يهجُوه : [من الوافر]

أَلا أَبلغ أَبا الجَرْباء عَنّي بآياتِ التباغض والتَّقالي
فلا تذكُرْ أَباك العبدَ وافخر بأُمٍّ لست مُكرِمَها وخالِ
وهبها مُهْرَةً لَقِحت ببغل فكان جنينُها شرَّ البغالِ
إذا طارت نفوسُهُمُ شَعاعاً حَمَيْنَ المُحْصَنات لدى الحِجالِ[6]
بطعنٍ تعثُرُ الأبطالُ منه وضربٍ حيثُ تُقْتَنَصُ العَوالي[7]

1 الفُرع : عدّة قرى آهلة على أربعة أيّام من المدينة .
2 الجول : الصخرة التي في الماء يكون عليها الطيّ فإنْ زالتْ تلك الصخرة تهوّر البئر .
3 يئولها : يسومها .
4 الغارة : الخيل المغيرة . مسوّمة : مرسلة وعليها ركبانها ، أو معلمة . النسيل : ما سقط من شعر وصوف .
5 العقول : جمع عقل ، وهو الدية .
6 الحجال جمع حَجَلة : وهي الكلّة تهيّأ للعروس .
7 العوالي : جمع عالية وهي أعلى الرمح.

أبـى لِـي أنّ آبائـي كـرام ... بَنَوْا لي فـوق أشرافٍ طِـوالِ[1]
بيوتَ المجـد ثـم نموت منها ... إلى عليـاءَ مُشْرِفـة القَـذالِ
تَـزِلُّ حِجـارةُ الرامـين عنهـا ... وتقصُر دونهـا نَبـلُ النِّضالِ
أبِالْحُفَّـاثِ شرٌّ النـاس حيّـاً ... وأعنـاقِ الأُيـورِ بنـي قِتـالِ
رَفعـتَ مُسامياً لتنـالَ مجـداً ... فقد أصبحتَ منهـم في سَفـالِ

قال أبو عمرو : بنو قِتال إخوةُ بني يربوع رهط عقيل بن علّفة وهو قوم فيهم جفاء ، قال أبو عمرو : مات رجل منهم فلفّه أخوه في عباءة له ، وقال أحدهما للآخر : كيف تحمِله ؟ قال : كما تُحْمَل القربة . فعمَد إلى حبل فشدّ طَرَفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحمل القِربة ، فلمّا صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرةً ، وألقاه فيها ، وهال عليه التراب حتى واراه . فلمّا انصرفا قال له : يا هناه[2] ، أنْسِيتُ الحبل في عنق أخي ورجليه ، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة . قال : دعه يا هناه ، فإن يرِد الله به خيراً يَحْلُلْه .

[خطب بنت يزيد بن هاشم فردّه ثم قبله فأبى]

وقال أبو عمرو : خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حَرْملة الْمُرّيّ ثم الصِّرْميّ ابنتَه ، فقال : هي صغيرة ، فقال شبيب : لا ؛ ولكنّك تبغي أن تردّني ، فقال له يزيد : ما أردت ذاك ، ولكن أنظِرني هذا العام ، فإذا انصرم فعليّ أن أزوّجك . فرحل شبيبٌ من عنده مُغْضَباً ، فلمـا مضى قـال ليزيـدَ بعضُ أهله : والله ما أفلحتَ ! خطب إليك شبيبٌ سيّدُ قومك فرددتَه ! قال : هي صغيرة ، قال : إن كانت صغيرة فستكبَر عنده . فبعث إليه يزيد : ارجع فقد زوّجتك ، فإنّي أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك ، فأبى شبيبٌ أن يرجع وقال : [من الطويل]

لَعَمْري لقـد أشرفتُ يـوم عُنَيزةٍ ... على رغبةٍ لو شدّ نفسي مَرِيرُها[3]
ولكنّ ضعفَ الأمـر ألاّ تُمِـرَّه ... ولا خير في ذي مِـرّةٍ لا يُغِيرُها[4]
تَبَيَّنُ أدبـارُ الأمـورِ إذا مضت ... وتُقبِلُ أشباهاً عليـك صدورُها
تُرَجِّي النفوسُ الشيءَ لا تستطيعُهُ ... وتَخشى من الأشياء ما لا يَضيرُها
ألا إنّما يكْفي النفوس إذا اتَّقت ... تُقـى الله مِمّا حـاذَرتْ فيُجيرُها

1 أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالي .
2 هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان .
3 المرير والمريرة : العزيمة . وعنيزة : موضع ، وهي هضبة سوداء ببطن فلج بين البصرة وحمى ضرية .
4 أمر الحبل : أحكم فتله . وأغار الحبل : أحكم فتله .

ولا خيرَ في العِيـدانِ إلاّ صِلابُها ... ولا ناهِضاتِ الطير إلاّ صُقورُها
ومستنبحٍ يدعو وقـد حـال دونه ... من الليل سَجفا ظُلمةٍ وسُتورُها[1]
رفعتُ لــه ناري فلمّا اهتدى لها ... زجرتُ كلابـي أن يَهِـرّ عَقورُها
فبات وقـد أسرى من الليلُ عُقْبَةً ... بليلةِ صِدْقٍ غاب عنهـا شُرورُها
وقـد عِلِـم الأضياف أنّ قِراهُمُ ... شِواءُ المَتـالي عندنـا وقَدِيرُها[2]
إذا افتخرت سعدُ بنُ ذُبيان لم يَجِد ... سوى مـا بنينا مـا يَعُدّ فَخورها
وإنّـي لترّاكُ الضغينةِ قـد بـدا ... ثَراهـا من المولى فـلا أستثِيرها[3]
مخافةَ أن تجنـي عـليّ وإنّما ... يَهِيج كبيراتِ الأُمـورِ صغيرُها
إذا قِيلت العَوراءُ ولَّيتُ سمعَها ... سواي ولم أُسمع بها مـا دَبِيرُها[4]
وحاجةِ نفسٍ قـد بلغتُ وحاجةٍ ... تركتُ إذا ما النفس شحَّ ضميرها
حيـاءً وصبراً في المواطـن إنّني ... حييٌّ لَدى أُمثالِ تلـك سَتِيرها[5]
وأحبِس في الحـقِّ الكريمةَ إنّما ... يقوم بحـقّ النائبـات صَبورها[6]
أُحابي بهـا الحيَّ الذي لا تُهِمُّه ... وأحسابَ أمـواتٍ تُعَـدّ قبورها
ألَـم تَـرَ أنّا نـورُ قـوم وإنّما ... يُبَيِّـن في الظلماء للنّـاس نورُها

[تمثّل محمد بن مروان بشعره]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْلُ العَنَزيّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبديّ قال : كانت بين بني كلب وقوم من قيس دِياتٌ ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بني أُمية يستعينون بهم في الحَمالة[7] ، فحملها محمد بن مروان كلَّها عن الفريقين ، ثم تمثّل بقول شبيب بن البرصاء : [من الكامل]

ولقد وقفتُ النفسَ عـن حاجاتِها ... والنَّفسُ حاضِرةُ الشَّعـاعِ تَطَلَّعُ

---

1 السّجف : السّتر .
2 ناقة متلية ومتل : يتلوها ولدها أي يتبعها . والقدير : اللحم المطبوخ في القدر .
3 ثراها : أثرها . والمولى : الصاحب وابن العمّ .
4 العوراء : الكلمة العوراء .
5 الستير : العفيف .
6 الكريمة : أي الناقة الكريمة .
7 الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وغرِمت في الحَسَب الرفيع غَرامةً يَعيا بها الحَصِر الشَّحيحُ ويَظْلَعُ[1]
إنّي فتًى حرٌّ لِقَدْرِيَ عارفٌ أُعْطي به وعليه مِمَّا أَمنَعُ

[نزل هو وأرطاة بن زفر وعويف القوافي على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فهجوه]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال . حدَّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال . حدَّثني الحِرمازيُّ قال : نزل شبيبُ بن البرصاء وأرطاةُ بنُ زُفَر وعُوَيْفُ القوافي برجل من أشْجَعَ كثيرِ المال يُسمّى عَلْقَمَةَ ، فأتاهم بشربة لبن ممذوقةٍ ولَم يَذْبح لهم ، فلمّا رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا : تعالَوْا حتى نهجوَ هذا الكلب . فقال شبيب : [من الطويل]

أَفي حَدَثانِ الدهر أَمْ في قديمه تعلّمتَ ألاَّ تَقْرِيَ الضيفَ علقما[2] ؟

وقال أرطاة : [من الطويل]

لبِثنا طويلاً ثم جاء بمَذْقَةٍ كماء السَّلا في جانب القَعْبِ أَثْلَما[3]

وقال عُوَيف : [من الطويل]

فلمّا رأينا أنّه شرّ منزلٍ رمينا بهنّ الليلَ حتى تُخُرِّما[4]

[عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمّه فرثاهم]

أخبرني هاشمُ بن محمدٍ الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال : غاب شبيبُ بن البرصاء عن أهله غيبةً ، ثم عاد بعد مدّة ، وقد مات جماعة من بني عمّه ، فقال شبيب يرثيهم : [من البسيط]

تخرَّم الدهرُ إخواني وغادرني كما يُغادَرُ ثورُ الطارد الفَئِدُ[5]
إني لباقٍ قليلاً ثم تابِعُهُم ووارِدٌ مَنهلَ القومِ الذي وَرَدُوا

[هاجى رجلاً من غني فأعانه أرطاة بن سهيّة عليه]

قال أبو عمرو : هاجى شبيبُ بنُ البرصاء رجلاً من غَنيّ ، أو قال من باهلةَ ، فأعانه أرطاة بن سُهَيّة على شبيب ، فقال شبيب : [من الطويل]

لعمري لئن كانت سهيّةُ أوضَعَت بأرطاةَ في رَكْبِ الخيانة والغدرِ[6]

---

1 الحصر : البخيل .
2 حدثان : بمعنى حديث .
3 السّلا : الجلدة الرقيقة فيها الولد من الناس والمواشي ، إنْ لم تنزع عن وجه الولد قتلته . والقعب : القدح .
4 تخرّم : استؤصل وانقضى .
5 الفئد : الذي يشكو فؤاده .
6 أوضعت : أسرعت .

فما كان بالطِّرْف العَتيقِ فيُشْتَرى لِفِحلتـه ، ولا الجوادِ إذا يجرِي
أتنْصُرُ منِّـي معشراً لستَ منهـم وغيرُك أُولى بالحِياطـةِ والنصـرِ

ويروى : «وقد كنتُ أُولى بالحِياطة» وهو أُجود .

[استعدى عليه رهط أرطاة عثمان بن حيان لهجائه إيّاهم]

وقال أبو عمرو : استعدى رهطُ أرطاةَ بن سُهَيَّة على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن حَيَّان المرّي وقالوا له : يعُمّنا بالهجاء ويشتُم أعراضنا ، فأمر بإشخاصه إليه فأشخِص ، ودخل إلى عثمان وقد أتي بثلاثة نفر لصوص قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بَهْدَل ومثغورٌ وهَيْصَم ، فقتل بهدلاً وصلبه ، وقطع مثغوراً والهيصم ، ثم أقبل على شبيب فقال : كم تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم ؛ أُقسِمُ قسماً حقّاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعنّ لسانك ، فقال شبيب : [من الطويل]

سجنتَ لساني يا ابن حيّانَ بعدما تَوَلَّى شبابي ، إنّ عَقْـدك مُحْكَمُ
وَعيدُك أبقى مـن لساني قُذاذةً هَيُوبـاً ، وصَمْتاً بعدُ لا يتكلّمُ[1]
رأيتك تَحْلَوْلي إذا شئت لأمرىءٍ ومُرّاً مُـراراً فيـه صابٌ وعَلْقَمُ[2]
وكلّ طريـدٍ هالـكٌ مُتَحَيِّـر كما هلـك الحيرانُ والليـل مظلمُ
أصبتَ رجالاً بالذنوب فأصبحوا كما كان مثغـورٌ عليـك وهَيْصَمُ
خطاطِيفُك اللاتـي تخطّفن بَهْدَلاً فأوفى به الأشرافَ جِذعٌ مقوَمُ[3]
يـداك يَـدا خير وشرٍّ فمنهما تَضُـرُّ وللأخـرى نَـوالٌ وأنعُمُ

[ذهب دعيج بن سيف بإبله فخرج في طلبها فرماه دعيج فأصاب عينه]

وقال أبو عمرو : استاق دُعَيجُ بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائيُّ ثم الجَرْميُّ إبلَ شبيب بن البرصاء فذهب بها ، وخرج بنو البرصاء في الطلب ، فلمّا واجهوا بني جَرْم قال شبيب : اغتنِموا بني جَرْم ، فقال أصحابه : لسنا طالبين إلاّ أهلِ القَرْحَة ، فمضوا حتى أتوا دُعيجاً وهو برأس الجبل ، فناداه شبيب : يا دعيج ، إن كانت الطِّراف حَيَّة فلك سائر الإبل ، فقال : يا شبيب ، تبصَّرْ رأسها من بين الإبل ، فنظر فأَبصَرها ، فقال شبيب : شدّوا عليه واصعدوا وراءه ، فأبوا عليه ، فحمل شبيب عليه وحده ، ورماه دُعيجٌ فأصاب عينَه ، فذهب

---

1 القذاذة من كل شيء : ما قطع منه .
2 المرار : شجر مرّ .
3 أشراف الناس : أعلاه .

بها ، وكان شبيبٌ أعورَ ثم عمِيَ بعد ما أسنّ ، فانصرف وانصرف معه بنو عمّه ، وفاز دعيج بالإبل ، فقال شبيب : [من الطويل]

أمرتُ بنـي البرصاء يـومَ حُزابَةٍ ... بأمـرٍ جميـع لم تَشتَّتْ مصادِرُهْ
بشَوْل ابن معروف وحَسَّانَ بعد ما ... جَرى لِيَ يُمنٌ قد بدا لِيَ طائِرُهْ[1]
أيرجع حُرٌّ دون جَرْم ولَم يكن ... طِعانٌ ولا ضربٌ يُذَعْذَع عاسِرُهْ[2] ؟
فأذهَبَ عيني يـوم سفح سَفِيرةٍ ... دُعَيْجُ بنُ سيف ، أعوزتْه معاذرُهْ
ولمّا رأيت الشَّولَ قـد حال دونها ... من الهَضْب مُغْبَرٌّ عنيفٌ عمائِرُهْ[3]
وأعرض ركـنٌ من سَفيرةَ يُتّقى ... بشُمِّ الذُّرى لا يعبُـدُ اللّهَ عامِرُهْ[4]
أخذت بني سيفٍ ومالِكَ مَوْقَعٍ ... بما جَرّ مولاهمْ وجَرّت جرائِرُهْ[5]
ولو أنّ رَجْلي يوم فرّ ابنُ جَوْشنٍ ... عَلِقن ابن ظبي أعوزَتْـه مَغاوِرُهْ[6]

[هجاه أرطاة بن سهيّة ونفاه عن بني عوف]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن عاصم بن الحَدَثان قال : هجا أرطاةُ بن سهيّة شبيبَ بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال : [من الطويل]

فلـو كنتَ عَوْفِيّا عمِيتَ وأَسْهَلَتْ ... كُداكَ ولكـنّ المُريـب مُرِيبُ[7]

قال : فعمِي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطأة بن سهيّة ، فكان يقول : ليت ابن سهيّة حيّاً حتى يعلم أنّي عَوفيّ ، قال : والعمى شائع في بني عوف ، إذا أسنّ الرجل منهم عميَ ، وقلّ مَن يفلت من ذلك منهم .

[امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل]

وحدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عليُّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال : أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله : [من الكامل]

1 الشول : النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فشال لبنها أي ارتفع .
2 يذعذع : يبدّد ويفرّق . العاسر : الناقة ترفع ذنبها في عدوها . سفيرة : ناحية من بلاد طيىء ، وقيل : صهوة لبني جذيمة من طيىء يحيط بها الجبل .
3 الهضب : جبل ينبسط على الأرض . عمائر : جمع عمارة وهي أصغر من القبيلة .
4 عامرة : يعني به دعيجاً .
5 موقع : اسم موضع .
6 الرجل : جماعة الرجالة .
7 الكديّ : جمع كدية وهي الأرض الصلبة .

بَكَر العواذِل يبتدِرْن ملامتي والعاذِلون فكلُّهم يَلْحاني
في أن سبقتُ بِشَربة مَقَدِيَّةٍ صرفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماء شُنانِ[1]

فقال له عبد الملك : شبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفاً لنفسه حيث يقول : [من الطويل]

وإنّي لسهلُ الوجه يُعرَف مجلسي إذا أحزَنَ القاذورةُ المتَعَبِّسُ[2]
يضيءُ سَنا جودي لِمَن يبتغي القرى وليلُ بخيلِ القوم ظَلماءُ حِنْدِسُ
أَلِينُ لذي القُربى مِراراً وتَلتوي بأعناقِ أعدائي حبالٌ تَمَرَّسُ[3]

[كان عبد الملك يتمثّل بشعره ويعجب به]

قال : وكان عبد الملك يَتمثَّل بقول شبيبٍ في بذل النفس عند اللقاء ويُعجَب به : [من الطويل]

دعاني حِصنٌ للفِرار فساءَني مواطِنُ أن يُثْنى عليّ فأُشْتَما
فقلت لحِصنٍ نَحِّ نفسَك إنّما يذُود الفتى عن حوضه أن يُهَدَّما
تأخّرتُ أَستبقي الحياةَ فلم أجِد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدّما
سيكفيك أَطرافَ الأسنّة فارسٌ إذا رِيعَ نادى بالجواد وبالحِمى
إذا المرءُ لم يَغشَ المكارِهَ أو شَكَتْ حِبالُ الهُوَيْنى بالفتى أن تَجَذَّما[4]

[سبب مهاجاته عقيل بن علّفة]

نسختُ من كتاب أبي عبد الله اليزيديّ ولَم أقرأه عليه ، قال خالد بن كلثوم : كان الذي هاج الهجاءَ بين شبيب بن البرصاء وعقِيل بن علّفة أنّه كان لبني نُشْبَة جار من بني سَلامان بن سعد ، فبلغ عقيلاً عنه أنّه يطوف في بني مرّة يتحدّث إلى النساء فامتلأ عليه غيظاً ، فبينا هو يوماً جالس وعنده غِلمان له وهو يجُزّ إبلاً له على الماء ويَسِمُها إذ طلع عليه السَّلاماني على راحلته ، فوثب عليه وهو وغِلمانه فضربوه ضرباً مبرِّحاً ، وعقر راحلته ، وانصرف من عنده بشرّ ، فلم يعد إلى ذلك الموضع ، ولَجَّ الهجاء بينهما . وكان عقيلٌ شَرِساً سيّىء الخلق غَيُوراً .

---

1 خمر مقدية : نسبة إلى مقد وهي قرية بالأردن . مشعشعة : ممزوجة . الشنان : الماء البارد .
2 أحزن : صار في الحزن . القاذورة : السيء الخلق .
3 تتمرس : يشتدّ التواؤها .
4 تجذّم : تقطّع .

[225] ـ أخبار دُقاق

[تزوّجت يحيى بن الربيع ثم بعدّة من القوّاد والكتاب فماتوا]

كانت دقاقُ مغنّيةً محسنة جميلةَ الوجهِ قد أخذت عن أكابر مُغنّي الدولة العباسيّة ، وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمدَ ابنه ، وعُمِّر عمراً طويلاً وحدَّثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا ، وكان عالِماً بأمر الغناء والمغنين ، وكان يغنّي غناء ليس بمُستطاب ولكنّه صحيح . ومات يحيى بنُ الربيع فتزوّجت بعده من القوّاد والكتّاب بِعِدّة ، فماتوا وورِثْتهم .

[مغنية مجيدة مشهورة بالظرف والمجون]

فحدّثني عمّي قال حدَّثني أحمدُ بن الطيب السَّرَخْسيُّ قال : كانت دقاق ، أمّ ولد يحيى ابن الربيع أحمد المعروفِ بابن دقاق ، مغنيةً محسنة متقِنَة الأداء والصّنعة ، وكانت قد انقطعت إلى حَمدونَة بنتِ الرشيد ثم إلى غَضِيض ، وكانت مشهورة بالظَّرف والمجون والفتوَّة . قال أحمد بن الطيب : وعَتَقتْ[1] دقاق فتزوّجها بعد مولاها ثلاثةٌ من القوّاد من وجوههم ، فماتوا جميعاً ، فقال عيسى بن زينبَ يهجوها : [من الخفيف]

قلتُ لّما رأيتُ دارَ دقاقِ   حسنُها قد أضرّ بالعشّاقِ
حذّروا الرابع الشّقيَّ دقاقاً   لا يكونَنَّ نجمُه في مُحاقِ
ألّهُ عن بَضْعها فإن دُقاقاً   شُؤمُ حِرْها قد سار في الآفاق[2]
لم تضاجع بعلاً فهبّ سليماً   بل جريحاً وجُرحُه غير راقي[3]

[كتبت إلى حمدون تصف هنها فردّ عليها]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدَّثني الهَداديّ الشاعر قال حدَّثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظةُ عن ابن حمدون ، وروايةُ الكوكبيّ أتمّ ، قال : كتبتْ دقاق إلى أبي تصفُ هنها[4] صفةً أعجزه الجوابُ عنها ، فقال له صديق له : ابعث إلى بعض المُخنَّثِين حتى يصف متاعك ، فيكون جوابَها ، فأحضر بعضَهم وأخبره الخبر ، فقال : اكتب إليها : عندي

1 عَتَقَ العبد : خرج عن العتق .
2 البَضع : التزوج ، والبُضع : النكاح .
3 راقي : مسهّل راقىء ، من رقأ الدم أو الدمع : جفّ .
4 هن المرأة : فرجها .

القُوقُ[1] البُوقُ ، الأصلع المزبوق[2] ، الأقرع المفروق ، المنتفخُ العروق ، يسدّ البُثوقَ[3] ، ويفتق الفُتوق ، ويُرمُّ[4] الخُروق ، ويَقْضي الحقوق ، أسدٌ بين جملين[5] ، بغلٌ بين حَمَلَيْن[6] ، منارةٌ بين صخرتين ، رأسه رأس كلب ، وأصله مِتْرس[7] دَرْب ، إذا دخل حَفَر ، وإذا خرج قَشَر ، لو نطح الفيلَ كوَّره ، ولو دخل البحر كدّره ؛ إذا رقَّ الكلامُ ، وتقاربتِ الأجسام ، والتفتِ الساقُ بالساق ، ولُطِخ باطنُها[8] بالبُصاق ، وقُرِع البَيْضُ بالذكور[9] ، وجَعلت الرماح تَمُور ، بطعن الفِقاح[10] ، وشقّ الأَحْراح[11] ، صبرْنا فلم نجزع ، وسلّمنا طائعين فلم نُخْدع . قال : فقطَعَها .

[مجلس بين ابنها وبين أبي الجاموس اليعقوبيّ]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني أحمد بن الطيِّب قال حدَّثني أحمد بن عليّ بن جعفر قال : حضرتُ مرّة مجلساً وفيه ابنُ دقاق وفيه النصرانيّ المعروف بأبي الجاموس اليعقوبيّ البزّاز قَرابة بلال قال : فعبِث ابن دقاق بأبي الجاموس ، فلمّا أكثر عليه قال : اسمعوا منّي ، ثم حلف بالحنيفية أنّه لا يكذب ، وحدَّثنا قال : مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونةَ بنتِ الرشيد ، ومعنا بَزٌّ نعرضه للبيع ، فخرجت إلينا دقاقُ أُمُّ هذا تُقاوِلنا[12] في ثمن المتاع ، وفي يدها مِرْوحة على أحد وجهيها منقوشٌ : الحِرُ إلى أَيْرين أحوجُ من الأير إلى حِرَين ، وعلى الوجه الآخر : كما أنّ الرّحا إلى بغلين أحوج من البغل إلى رَحَوَيْن ، قال : فأسكته والله سكوتاً علِمنا معه أنه لو خرِس لكان الخرَس أصوَنَ لعرضه ممّا جرى .

1 القوق : الفاحش الطول .
2 المزبوق : المنتوف .
3 البثوق : الشقوق .
4 يرمّ : يصلح .
5 ل : بين شبلين .
6 ل : بين حمارين .
7 المترس : خشبة توضع خلف الباب .
8 ل : رأسه .
9 أخذه من قول مهلهل يرثي أخاه كليباً :

فلولا الريح أسمع أهل حجر ... صليل البيض تقرع بالذّكور

والبيض : بيض الحديد الذي يلبس على الرأس . والذكور السّيوف من حديد غير أنيث .
10 الفقاح : جمع فَقْحة ، وهي حلقة الدُّبُر .
11 الأحراح : جمع حِرْح وهو الفرج .
12 تقاولنا : تفاوضنا .

[كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما]

قال أحمد : وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خِلاسيّان[1] يروّحانها في الخَيش ، فتحدّث الناس أنّها قالت لواحد منهما أن يَنيكها ، فعَجَز فقالت له : نِكني وأنت حرّ ، فقال لها : نيكيني أنتِ وبيعيني في الأعراب ، فقال فيها عيسى بن زينب : [من السريع]

أحسنُ من غَنّى لنا أو شَدا دقاقُ في خفضٍ من العيشِ
لهــا غلامـــان ينيكانِهــا بعِلّــة الترويح في الخيشِ

[قال فيها إبراهيم بن المهديّ شعراً]

حدَّثني جحظة قال حدَّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : كانت دقاقُ جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُري كلّ واحد منهم أنها تهواه ، وكانت أحسنَ أهلِ عصرها وجهاً ، وأشأمهم على من رابَطها[2] وتزوّجها ، فقال فيها أبو إسحاق ، يعني أباه : [من الوافر]

صوت

عدِمتُكِ يا صديقــةَ كلِّ خَلْقٍ أكلَّ الناسِ ويحــكِ تعشَقِينا ؟
فكيف إذا خلطتِ الغَثَّ منهم بلحــــمِ سمينِهم لا تبشَمينا[3]

فيه خفيف رملٍ ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى رَيّق وإلى شارِيَة .

[قال فيها أبو موسى الأعمى شعراً]

أخبرني عمّي قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثنا أبو هفّان قال : خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق ، وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى ، إلى بعض النواحي ، وترك جاريته دقاق في داره ، فعمِلت بعده الأوابِدَ[4] ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، وأشأمِه على أزواجها ومواليها ورُبَطائها ، فقال أبو موسى الأعمى فيه : [من الخفيف]

قل ليحيــى نعــمْ صَبَرْتَ على المــو ت ولم تخشَ سهْــمَ ريبِ المَنونِ
كيف قل لي أطَقْـــتَ ويحك يــا يحـ يى على الضَعف منك حملَ القُرونِ !
ويحُ يحيــى مــا مــرّ باست دُقــاقٍ بعــد مـــا غــاب من سِياط البطونِ

1 الخلاسي : الولد بين أبوين أبيض وأسود .
2 رابطها : لازمها .
3 بَشِم : أتخم .
4 الأوابد : جمع آبدة ، وهي الداهية يبقى ذكرها على الأبد .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

تكاشرني كُرْهاً كأنّك ناصحٌ وعينُك تُبْدِي أنَّ صدرك لي دَوِي[1]
لسانُكَ لِي حلوٌ وعينك علقمٌ وشَرُّك مبسوطٌ وخيرُك مُلْتَوي

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفيّ والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهشاميّ .

1 كاشره : ضحك في وجهه وباسطه . دَوِيَ : مرض .

[226] ـ نسب يزيد بن الحكم وأخباره

[نسبه]

هو يزيدُ بنُ الحَكَم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ ، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابيّ . وذكر غيره أنّه يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، وأنّ عثمان عمُّه ، وهذا هو القول الصحيح . وأبو العاص بن بِشر بن عبد دُهْمان بن عبد الله بن همّام بن أَبان بن يَسار بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسيّ وهو ثقِيفُ .

[روى جدّه عثمان حديثاً]

وعثمان جدُّه أو عمّ أبيه أحدُ من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بَكْرَة ، وشطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه ؛ كانت له هناك أرض أُقْطِعَها وابتاعها وقد رَوى عن رسول الله ﷺ الحديث ، وروى عنه الحسنُ بن أبي الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين .

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا بشر بن موسى قال حدَّثنا الحُمَيْدِيُّ قال حدَّثنا سفيان ، سمعه من محمدِ بن إسحاق ، وسمعه محمدٌ من سعيد بن أبي هند ، وسمعه سعيدُ بن أبي هند من مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال : سمعت عثمانَ بنَ أبي العاص الثقفيّ يقول : قال لي رسول الله ﷺ : «أُمَّ قومَك واقدُرْهم بأضعفهم فإن منهم الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجة» . قال الحُمَيديّ وحدَّثنا الفُضَيْل بن عِياض عن أشعبَ عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله ﷺ : «اتخذوا مؤذّناً ولا يأخذ على أذانه أجراً» .

[مرّ به الفرزدق وهو ينشد شعراً فامتدحه]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا العلاء بنُ الفضل قال حدَّثني أبي قال : مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفيّ وهو يُنْشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي يُنشِد شعراً كأنّه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيدُ بن الحكم ، فقال : نعم ؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته . وأمّ يزيد بَكرةُ بنتُ الزِّبْرِقان بن بدر ، وأمّها هُنَيدةُ بنتُ صَعْصَعَة بن ناجية . وكانت بكرة أوّلَ عربيّة ركِبت البحر فأخْرِجَ بها إلى الحكم وهو بتَوَّجَ [1] ، وكان الزّبرقان يكنى أبا العبّاس ، وكان له بنون منهم العبّاسُ وعيّاش .

---

1 تَوَّج : بلد بفارس .

[خبره مع الحجّاج وقد ولاّه كورة فارس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال حدَّثنا الحِزاميّ قال : دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحَكَم الثقفيّ ، فولاّه كورةَ فارسَ ، ودفع إليه عهدَه بها ، فلمّا دخل عليه ليودّعه قال له الحجّاج : أنشِدْني بعضَ شعرك ، وإنّما أراد أن يُنشِده ، مديحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول : [من الكامل]

وأبي الذي سلب ابنَ كسرى رايةً   بيضاءَ تَخفِقُ كالعُقاب الطائرِ

فلمّا سمع الحجّاج فخره نهض مُغْضَباً ، فخرج يزيد من غير أن يودّعه ، فقال الحجّاج لحاجبه : ارتجع منه العهد ، فإذا ردّه فقل له : أيّهما خيرٌ لك : ما ورّثك أبوك أم هذا ؟ فردّ على الحاجب العهد وقال : قل له : [من الكامل]

ورِثتُ جدّي مجدَه وفَعالَه   وورِثت جدَّك أعْنُزًا بالطائفِ

[خرج عن الحجّاج مغضباً ولحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه]

وخرج عنه مغضباً ، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمُودا   إذا أقولُ صَحا يَعْتادُه عِيدا

يقول فيها :

سُمِّيتَ باسم امرىء أشبَهْتَ شيمتَه   عدلاً وفضلاً سليمانَ بن داوُدا

أحْمِدْ به في الورَى الماضينَ من مَلِكٍ   وأنت أصبحت في الباقين محمودا

لا يَبْرأ الناس من أن يحمدوا مَلِكاً   أولاهُمُ في الأمور الحلمَ والجودا

فقال له سليمان : وكَمْ كان أجرى لك لعِمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : فهي لك عليّ ما دمتَ حيّاً . وفي أوّل هذه القصيدة غناء نسبته : [من البسيط]

صوت

أمسى بأسماءَ هذا القلب معمودا   إذا أقول صحا يعتاده عِيدا

كأنَّ أحورَ من غِزلان ذي بَقَرٍ   أهدى لها شَبَهَ العينين والجيدا[1]

أجري على مَوعدٍ منها فتخلِفُني   فلا أمَلُّ ولا تُوفي المواعيدا

كأنّني يوم أُمْسي لا تُكَلِّمُني   ذُو بُغْية يبتغي ما ليس موجودا

ومن الناس مَن ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ .

---

1 ذو بقر : موضع .

عروضه من البسيط ، والغناء للغريض ، ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى .

[حديثه مع الحجّاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسد قال حدَّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال أخبرنا ابنُ عيّاش عن أبيه قال : سمعت الحجّاج ، واستوى جالساً ، ثم قال : صدق والله زهيرُ بن أبي سُلمى حيث يقول : [من الطويل]

وما العفُو إلاّ لامرىءٍ ذي حفيظة ... متى يَعْفُ عن ذنب امرىء السَّوء يَلْجَجِ

فقال له يزيد بن الحَكَم : أصلح الله الأمير ، إنّي قد رثيت ابني عَنْبساً ببيت ، إنّه لشبيهَ بهذا . قال : وما هو ؟ قال قلت : [من الطويل]

ويأمنُ ذو حِلْمِ العشيرة جهلَه ... عليه ، ويخشى جهلَه جُهَلاؤها

قال : فما منعك أن تقولَ مِثلَ هذا لمحمد ابني ترثيه به ؟ فقال : إنّ ابني والله كان أحبَّ إليّ من ابنك .

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمّي عن الكُرانيّ عن الهيثم بن عديّ . قال : كان ليزيد بن الحَكَم ابنٌ يقال له عَنْبَس ، فمات فجزِع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه : [من الطويل]

جَزى الله عنّي عَنْبساً كلَّ صالحٍ ... إذا كانت الأولادُ سَيْئاً جزاؤها

هو ابني وأمسى أجرُه لي وعزَّني ... على نفسه ربٌّ إليه وَلاؤها

جهولٌ إذا جَهْلُ العشيرة يُبتَغى ... حليمٌ ويَرْضى حلمَه حُلَماؤها

وبعد هذا البيتُ المذكور في الخبر الأوّل .

[شاعر ثقيف في الجاهلية خير من شاعرها في الإسلام]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن لَقيطٍ قال قال عبد الملك بن مروان : كان شاعر ثقيفٍ في الجاهليّة خيراً من شاعرهم في الإسلام ، فقيل له : من يَعْنى أمير المؤمنين ؟ فقال لهم : أمّا شاعرهم في الإسلام فيزيدُ بن الحَكَم حيث يقول : [من الطويل]

فما منك الشبابُ ولستَ منه ... إذا سألْتك لحيتُك الخِضابا

عقائلُ من عقائل أهل نَجدٍ ... ومكّة لم يُعَقّلْنَ الرِّكابا

ولَم يَطرُدن أبقعَ يوم ظعنٍ ... ولا كلباً طردن ولا غرابا[1]

وقال شاعرهم في الجاهلية : [من الكامل]

---

1 الغراب الأبقع : ما كان فيه سواد وبياض .

والشيب إن يظهرْ فإنّ وراءه عُمُراً يكون خلالَه مُتَنَفَّسُ
لم يَنتقِص منّي المَشيبُ قُلامَةً وَلَما بَقِي مِنّي أَلَبُّ وأَكيَسُ[1]

[شعره ليزيد بن المهلّب حين خلع يزيد بن عبد الملك]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن لقيط قال قال يزيد بن الحَكَم الثقفيّ ليزيد بن المهلّب حين خَلَع يزيد بن عبد الملك : [من الطويل]

أَبا خالد قد هِجْتَ حرباً مريرةً وقد شمرتْ حربٌ عوانٌ فشمِّرِ

فقال يزيد بن المهلّب : بالله أَستعين ، ثم أَنشده ، فلمّا بلغ قوله :

فإنَ بني مروان قد زال مُلكُهُمْ فإن كنتَ لم تَشْعُر بذلك فاشعُرِ

فقال يزيد بن المهلّب : ما شَعرت بذلك ، ثم أُنشده فلمّا بلغ قوله :

فمت ماجداً أو عش كريماً فإن تَمُتْ وسيفك مشهور بكفّك تُعذرِ

قال : هذا ما لا بدَّ منه .

قال العمريّ : وحدَّثني الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش أنّ يزيد بن المهلّب إنّما كتب إليه يزيد بن الحَكَم بهذه الأبيات ، فوقّع إليه تحت البيت الأوّل : أستعين بالله . وتحت البيت الثاني : ما شعرت . وتحت البيت الثالث : أمّا هذه فنعم .

[مدح يزيد بن المهلّب وهو في سجن الحجّاج]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدَّثني الغَلاَّبيّ قال حدَّثني ابن عائشة قال : دخل يزيد بن الحَكَم على يزيد بن المهلّب في سجن الحجّاج وهو يعذّب ، وقد حلّ عليه نَجْمٌ كان قد نُجِّم[2] عليه ، وكانت نجومه في كلّ أسبوع ستّةَ عشر ألف درهم فقال له : [من المنسرح]

أَصْبَح في قَيْدِك السماحةُ والجو دُ وفضل الصَّلاح والحَسَبُ[3]
لا بَطِرٌ إن تتابعتْ نِعَمٌ وصابرٌ في البلاء محتَسِبُ
بَرَزْتَ سَبْقَ الجيادِ في مَهَلٍ وقَصَّرَتْ دون سَعْيك العَرَبُ

قال : فالتفت يزيد بن المهلّب إلى مولًى له ، وقال : أَعطِهِ نجمَ هذا الأسبوع ، ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر .

وقد رُويتْ هذه الأبيات والقصّة لحمزة بنِ بِيضٍ مع يزيد .

---

1 ألبّ وأكيس : أكثر عَقْلاً وحزماً .
2 تنجيم الدين : أنْ يقدر دفعه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة .
3 وفضل الصلاح في ل : وحمل السلاح .

[جرير يروي بعض شعره]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني هارون بن مُسلِم قال حدَّثني عثمان بن حفص قال حدَّثني عبد الواحد عَرِيفُ ثقيفٍ بالبصرة : أنّ العبّاسَ بنَ يزيد بن الحَكَم الثقفيّ هرب من يوسفَ بنِ عمر إلى اليمامة ، قال : فجلست في مسجدها وغشِيني قومٌ من أهلها ، قال : فوالله إنّي لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجَّح في مشيته ، فلمّا رآني أقبل إليّ ، فقال القومُ : هذا جريرٌ ، فأتاني حتى جلس إلى جنبي ، ثم قال لي : السَّلامُ عليك ، مِمَّنْ أنت ؟ قلت : [رجل من ثقيفٍ . قال : أعرضْتَ[1] الأديمَ ، ثمّ ممّن ؟ قلت :] رجل من بني مالك ، فقال : لا إله إلاّ الله ! أمثلُك يعرَفُ بأهل بيته ! فقلت : أنا رجلٌ من ولد أبي العاصي ، قال : ابن بشْر ؟ قلت : نعم . قال : أيُّهُمْ أبوك ؟ قلت : يزيد بن الحَكَم . قال : فمن الذي يقول : [من الكامل]

فَنِيَ الشّبابُ وكلُّ شيء فانِ ... وعَلا لِداتـي شيبهُم وعلاني

قلت : أبي ، قال . فمن الذي يقول : [من الوافر]

ألا لا مرحبـاً بفـراق ليـلى ... ولا بالشيب إذ طَـرَدَ الشبابا
شبابٌ بـان محمـوداً وشَيبٌ ... ذميمٌ لم نَجِـد لهما اصطحابا
فما منك الشبابُ ولستَ منه ... إذا سألتـك لِحيتُك الخضابا

قلت : أبي ، قال : فمن الذي يقول : [من الطويل]

تعالَوْا فعُدّوا يعلِـم الناسُ أيُّنـا ... لصاحبـه في أوّل الدّهـرِ تابعُ
تزيَّـدُ يربـوعٌ بكـم في عِدادها ... كما زِيد في عَرْض الأديم الأكارِعُ[2]

قال : قلت : غفر الله لك ، كان أبي أصْوَنَ لنفسه وعِرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمّك ، فقال : رحم اللهُ أباك ، فقد مضى لسبيله ، ثم انصرف ، فنَزَّلني بكبشين ، فقال لي أهل اليمامة : ما نَزَّل أحداً قبلك قطّ .

[شعره في جارية مغنّية كان يهواها]

أخبرني محمد بن مَزْيد بنِ أبي الأزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصليّ عن يزيد حَوْراءَ المغنّي قال : كان يزيد بنُ الحَكَم الثقفيّ يَهْوى جاريةً مغنّية ، وكانت غير مطاوِعةٍ له ، فكان يهيم بها ، ثم قدِم رجلٌ من أهل الكوفة فاشتراها ، فمرّت بيزيد بن

1 أعرض الشيء وعرّضه : جعله عريضاً أي واسعه .
2 الأكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدقّ الساق .

الحَكَم مع غِلمة لمولاها وهي راحلة ، فلمّا علِم بذلك رفع صوته فقال : [من مخلع البسيط]

يا أيّها النازِحُ الشَّسُوع ودائعُ القلب لا تَضيعُ[1]
أُستودِعُ اللهَ مَـنْ إليـه قلبي على نأيـه نَزُوعُ[2]
إذا تذكرتُـه استهلّت شوقاً إلى وجهه الدّموعُ

[الجارية تكتب إليه]

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدّة ، فبينا هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له : أأنت يزيدُ بنُ الحَكَم ؟ قال : نعم ، فدفع إليه كتاباً مختوماً ، ففضّه فإذا كتابها إليه وفيه : [من مخلع البسيط]

لئن كـوى قلبَكَ الشُّسوعُ فالقلبُ منّي بـه صُدوعُ
وبـي وربٍّ السماء فاعلم إليـك يـا سيّـدي نُزُوعُ
أعـزِزْ علينا بمـا تلاقي فينـا وإن شَفَّنـا الوَلوعُ
فالنّفس حَرَّى عليك وَلْهى والعين عَبْرى لهـا دموعُ
فموتنـا في يـدِ التنائي وعيشُنا القـربُ والرجوعُ
وحيثما كنـتَ يـا منايا فالقلب مِنّـي بـه خُشوعُ
ثـم عليـك السلام منّي ما كان من شمسها طلوعُ

قال : فبكى والله حتى رحمه من حضر ، وقال لنا الكهل : ما قصّتُه ؟ فأخبرناه بما بينهما ، فجعل يستغفِر اللهَ مِن حَمْلِه الكتاب إليه ، وأحسب أنّ هذا الخبر مصنوع ؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر .

[شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد وأبو الفرج يرى أنه ليس من نوع شعر طرفة]

أُخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسان دَماذُ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء ، رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ، لطرفة بن العبد : [من الطويل]

تُكاشرني كرهـاً كأنّك ناصـح وعينك تُبدي أن صدرك لي جَوِي

قال : فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له : إنّي كنت أُرويه ليزيد بن الحكم الثقفيّ فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة بن العبد ، فقال لي أبو عمرو : إنّ أبا الزعراء في سنّ يزيد بن الحَكَم ، ويزيد مولَّد يجيد الشعر ، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً .

1 الشسوع : الشّاسع البعيد .
2 النزوع : المشتاق .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ما أظنّ أبا الزعراء صدق فيما حكاه ، لأنّ العلماء من رواة الشعر رَوَوْها ليزيد بن الحكم ، وهذا أعرابيّ لا يحصّل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنّه ليزيد بن الحكَم ، وليس كذلك ، لكان معلوماً أنه ليس لطرفة ، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات ، ولا هو أيضاً مشبِهاً لمذهب طرفة ونمطِه ، وهو بيزيد أشبه ، وله في معناه عِدّة قصائد يعاتِب فيها أخاه عبد ربِّه بن الحكَم وابن عمِّه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي . ومَن قال إنّه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إنّ عمّه عبد الرحمن هو الذي عاتبه ، وفيه يقول : [من الطويل]

ومَوْلًى كذئبِ السَّوء لو يستطيعني ... أُصاب دمي يوماً بغير قتيلِ
وأُعرِضُ عمّا ساءه وكأنّما ... يقاد إلى ما ساءني بدليلِ
مجاملَةً منّي وإكرامَ غيره ... بلا حَسنٍ منه ولا بجميلِ
ولو شئت لولا الحلمُ جدّعتُ أنفه ... بإيعاب جَدْعٍ بادىء وعليلِ[1]
حفاظاً على أحلام قوم رُزِئْتُهم ... رِزانٍ يَزِينون النّديّ كهولِ

وقال في أخيه عبد ربّه : [من البسيط]

أُخي يُسِرُّ لِيَ الشّحناءَ يُضْمِرها ... حتى وَرى جَوْفَه من غِمْرِه الداءُ[2]
حَرّانُ ذو غُصّة جُرِّعتُ غُصَّتَه ... وقد تعرّض دون الغصةِ الماءُ
حتى إذا ما أساغ الريقَ أنزلني ... منه كما يُنزِل الأعداءَ أعداءُ
أسعى فَيكفُرُ سعيِي ما سعيتُ له ... إنّي كذاك من الإخوان لَقّاءُ
وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ ... يعدّهنّ تِراتٍ وهْيَ آلاءُ

فأمّا تمام القصيدة التي نُسِبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُخْتارها لِيُعْلَم أنّ مرذول كلام طرفة فوقه : [من الطويل]

تُصافِحُ من لاقيتَ لي ذا عداوةٍ ... صِفاحاً وعنّي بينُ عينيك مُنْزَوِي
أراك إذا لَم أهْوَ أمراً هَوِيتَه ... ولستَ لِما أُهوى من الأمرِ بالهَوِي
أراك اجتويتَ الخيرَ منّي وأجتوِي ... أذاكَ ، فكلٌّ يجتوي قُرْبَ مجتوِي
فليت كَفافاً كان خيرُك كلّه ... وشرُّك عنّي ما ارتوى الماءَ مرتوِي

---

1 جدعت : قطعت . وأوعبه إيعاباً : استوعبه .
2 يقال : ورى القيح جوفه : أفسده . الغمر : الحقد والغلّ .

عـدوّك يخشى صولتي إن لقيته وأنت عدوّي ، ليس ذاك بمستوِي
وكم موطنٍ لولاي طِحتَ كما هَوى بأجرامه من قُلّـة النِّيـقِ مُنهوي[1]
إذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمّك لم تُعِن وقلـتَ ألا يـا ليت بنيانَه خَوِي[2]
كأنّك إن نـال ابنُ عمِّك مَغْنَماً شَجٍ أو عميدٌ أو أخو غُلّة لَوِي[3]
وما برِحتْ نفسٌ حسودٌ حُشِيتَها تُذِيبُكَ حتى قيل هل أنت مكتوِي
جمعتَ وفُحشاً غِيبةً ونميمةً ثلاثَ خصال لستَ عنهنّ ترعوِي
ويدحو بك الدّاحي إلى كلّ سَوْءةٍ فيا شرَّ مَن يدحو إلى شرّ مُدْحَوِي[4]
بـدا منك غِشٌّ طالما قـد كتمته كما كتمتْ داءَ ابنها أُمّ مُدَّوِي[5]

وهذا شعرٌ إذا تأمّله مَن له في العِلم أدنى سَهْمٍ عَرَف أنّه لا يَدخل في مذهب طَرفَة ولا يقاربه .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

أبـى القلـب إلاّ أُمَّ عوفٍ وحُبَّها عجوزاً ، ومَن يعشَقْ عجوزاً يُفنَّدِ
كثوب يمـانٍ قـد تقادمَ عهدُه ورُقعتُه ما شِئتَ في العـين واليدِ

الشعر لأبي الأسودَ الدّؤليّ والغناء لعَلّويه ، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة .

1 طاح يطيح ويطوح : هلك . أجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .
2 خوي المنزل : خلا من أهله .
3 شجٍ : حزين . لَوِي : أصابه اللوى ؛ وهو وجع في الجوف .
4 ل :
ويدعو بك الداعي إلى كلّ سوءة فيا شرّ من يدعو إلى شرّ من دُعِي
5 ادّوى : أكل الدواية ، وهي جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق .

[227] ـ أخبار أبي الأسود الدؤليّ ونسبه

[نسبه]

اسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جَندل بن يَعْمُر بن حِلْس بن نُفاثةَ بن عديّ بن الدُّئِل بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نِزار ، وهم إخوة قريش ، لأنّ قريشاً مختلَفٌ في الموضع الذي افترقت [فيه] مع بني أبيها ، فخُصَّت بهذا الاسم دونهم ، وأبعَدُ مَن قال في ذلك مَدًى مَن زعم أن النضر بن كِنانة منتهى نسبِ قريش ؛ فأمّا النسّابون منهم فيقولون إن من لم يلِده فِهْر بن مالك بن النضر فليس قرشيّاً .

[كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم]

وكان أبو الأسود الدؤليّ من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم . وقد روى عن عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما فأكثر ، وروى عن ابن عبّاس وغيرِه ، واستعمله عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان من وجوه شيعة عليّ . وذكر أبو عبيدة أنّه أدرك أوّل الإسلام وشهِد بدراً مع المسلمين . وما سمعتُ بذلك عن غيره .

[ولاّه عليّ البصرة بعد ابن عبّاس]

وأخبرني عمّي عن ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السُّلَمِيّ عن أبي عبيدة مِثلَه .

واستعمله عليّ رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عبّاس ، وهو كان الأصلَ في بناء النحو وعَقْدِ أصوله .

[كان أوّل مَن وضع النحو ورسم أصوله]

أخبرنا أبو جعفر بن رُسْتم الطَّبَريّ النحويّ بذلك عن أبي عثمان المازِنيّ عن أبي عمر الجَرْميّ عن أبي الحسن الأخفش عن سِيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله ابن أبي إسحاق الحَضْرميّ عن عَنْبسة الفِيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يَعمُر الليثيّ .

أنّ أبا الأسود الدؤليّ دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرّ ! (رفعَتْ أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه : أيُّ زمان الحرّ أشدُّ ؟ فقال لها : شهر ناجر ، [يريد شهر صفر . الجاهلية كانت تسمّي شهور السنة بهذه الأسماء] . فقالت : يا أبتِ إنّما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبتْ لغة العرب لّما خالَطَت العَجَم ، وأوشك إن تَطاولَ عليها زمان أن تضمحِلَّ ، فقال له : وما

ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم ، وأملّ عليه : الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى ، وهذا القول أوّل كتاب سيبويه ، ثم رسم أصول النحو كلّها ، فنقلها النحويّون وفرّعوها . قال أبو الفرج الأصفهانيّ : هذا حفِظته عن أبي جعفر وأنا حديث السنّ ، فكتبتُه من حِفْظي ، واللفظ يزيد ويَنقص وهذا معناه .

[أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤليّ أن ينقط المصاحف ، فنَقَطها ورَسَم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عَنبسةُ بن مَعْدانَ المَهْريّ ، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميُّ وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزديُّ وكان صلِيبة فلحب الطريق[1] . ونَجَم علي بن حمزة الكسائيّ مولى بني كاهلٍ من أسدٍ فرسم للكوفِيّين رسوماً هم الآن يعملون عليها .

[أخذ النحو عن عليّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن يزيد النحويّ قال حدَّثنا التَّوَّزيّ والمَهْرِيّ قالا حدَّثنا كَيْسان بن المعرّف الهُجَيْميّ أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤليّ عن أبيه قال : قيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العِلم ؟ ، يعنون به النحو ، فقال : أخذت حدوده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

[خبره مع زياد في سبب وضع النحو]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدَّثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاكر العنبريّ عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيّاش عن عاصم بن أبي النجود قال : أوّل مَنْ وضع العربيّة أبو الأسود الدؤليّ ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له : أصلح الله الأمير ، إنّي أرى العرب قد خالطتْ هذه الأعاجم ، وتغيّرتْ ألسنتهم ، أفتأذن لي أن أضع لهم عِلماً يقيمون به كلامَهم ؟ قال : لا . قال : ثم جاء زياداً رجل فقال : مات أبانا وخلّف بنون ، فقال زياد : مات أبانا وخلّف بنون ! ردّوا إليّ أبا الأسود الدؤليّ ، فرُدّ إليه ، فقال : ضع للناس ما نهيتُك عنه . فوضع لهم النحو . وقد رَوى هذا الحديث عن أبي بكر بن عيّاش يزيدُ بن مِهْران ، فذكر أنّ هذه القصّة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد .

[أوّل باب وضعه في النحو باب التعجّب]

أخبرني أحمد بن العبّاس قال حدَّثنا العَنَزيّ عن أبي عثمان المازنيّ عن الأخفش عن

1 صليبة : عربي صليب : خالص النسب ، وامرأة صليبة : كريمة النسب عريقة . لحب الطريق : بيّنه .

الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أوّل باب وضعه أبي من النحو باب التعجّب .

[كان معدوداً في طبقات من الناس وهو في كلّها مقدم]

وقال الجاحظ : أبو الأسود الدؤليّ معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلّها مقدَّم ، مأثورٌ عنه الفضلُ في جميعها ؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدّثين والأشراف والفُرسان والأمراء والدُّهاة والنحويّين والحاضِرِي الجواب والشيعة والبخلاء والصُّلْع الأشراف والبُخْر الأشراف .

[حديثه عن عمر بن الخطّاب]

فمما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبيّ ﷺ ، حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلْخيّ قال حدَّثنا أبو خَيْثمة زُهير بن حرب قال حدَّثنا يونس بن محمد قال حدَّثنا داود بن أبي الفُرات عن عبد الله بن أبي بُرَيْدة عن أبي الأسود الدؤليّ قال : أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً ، فجلستُ إلى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فمرّت به جنازة فأُثْنِيَ على صاحبها خير ، فقال عمر رضي الله عنه : وَجبتْ ، ثم مرّ بأُخرى فأثني على صاحبها بشرّ ، فقال عمر : وَجبتْ ، فقال أبو الأسود : ما وَجبتْ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قلت كما قال رسول الله ﷺ : «أيُّما مسلمٍ شهِد له أربعة بخير أدخله الله الجنّة» فقلنا : وثلاثة ؟ قال : «وثلاثة» ، فقلنا : واثنان ؟ قال : «اثنان» ، ثم لم نسأله عن الواحد .

حدَّثني حمّاد بن سعيد قال حدَّثنا أبو خيثمة قال حدَّثنا معاذ بن هشام قال حدَّثني أبي عن قَتادة عن أبي الأسود الدؤليّ قال : خطب عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه الناسَ يوم الجمعة فقال : إنّ نبيّ الله ﷺ قال : «لا تزال طائفةٌ من أمّتي على الحقّ منصورة حتى يأتي أمر الله جلّ وعزّ» .

[حديثه عن علي]

وممّا رواه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرميّ قال حدَّثنا هنّاد بن السَّرِيّ قال حدَّثنا عَبْدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عَرُوبة عن قَتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤليّ عن أبيه أبي الأسود الدؤليّ عن عليّ كرّم الله وجهه أنّه قال في بول الجارية : يُغسَل ، وفي بول الغلام : يُنضَح ما لَم يأكلا الطعام .

[تبع ابن عبّاس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليردّه فأبى]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا البَغَوِيّ قال حدَّثنا عليّ بن الجَعْد قال حدَّثنا مُعَلّى بن هلال عن الشَّعْبيّ وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا المدائنيّ جميعاً قالوا : لمّا خرج ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو

الأسود في قومه ليردّه ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هِلال فمنعوه ، وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال : نَنْشُدكم اللهَ ألاّ تَسفِكوا بيننا دماء تَبقى معها العداوة إلى آخر الأبد ، وأمير المؤمنين أولى بابن عمّه ، فلا تُدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كنانة عنه ، وكتب أبو الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره بما جرى ، فولاّه البصرة .

[كان كاتباً لابن عبّاس على البصرة قبل أن يتولاّها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ ووكيع وعمّي قالوا جميعاً حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن عمران الضَّبّيّ قال حدَّثني خالد بن عبد الله قال حدَّثني أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى قال : كان أبو الأسود الدؤليّ كاتباً لابن عبّاس على البصرة ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجة فادْعُ الإله وأحسِنِ الأعمالا
فَلْيُعْطِيَنَّك ما أراد بقدرة فهو اللطيف لِما أراد فِعالا
إنّ العبادَ وشأنَهم وأُمورَهم بيدِ الإله يقلّب الأحوالا
فدعِ العبادَ ولا تكن بطِلابِهم لَهِجاً تَضَعْضَعُ للعبادِ سؤالا[1]

[كان يكثر الخروج والركوب في كبره وتعليله ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن محمد بن سلام قال : كان أبو الأسود الدؤليّ قد أسنَّ وكبِر ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسُّوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أراك تُكثر الركوب وقد ضعُفتَ عن الحركة وكبِرتَ ، ولو لزمتَ منزلك كان أودَعَ لك . فقال له أبو الأسود : صدقتَ ولكنّ الركوب يُشدّ أعضائي ، وأسمعُ من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي ؛ وأستنشي الريح ، وألقى إخواني ، ولو جلست في بيتي لاغتمّ بي أهلي ، وأنِسَ بي الصبيّ ، وآجترأ عليّ الخادم ، وكلّمني من أهلي من يَهاب كلامي ، لإلْفِهم إيّاي ، وجلوسِهم عندي ؛ حتى لعلّ العنز أن تبول عليّ فلا يقول لها أحد : هُسْ[2] .

[سأله بنو الديل المعاونة في دية رجل فأبى وعلّل امتناعه]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدَّثني أبي قال حدَّثنا أبو عِكرمة قال : كان بين بني الديل وبين بني ليث منازعة ، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً ، ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا دِيته ، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارِضة ، فقال له : يا أبا الأسود ، أنت شيخ العشيرةِ وسيّدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قِلّة ذاتِ يدٍ ولا سؤددٍ ولا جود ، فلمّا أكثر أقبل عليه أبو الأسود ، ثم قال له : قد

1 تتضعضع : تخضع وتذلّ .
2 هُسْ : زجر للغنم .

أكثرت يا ابن أخي فاسمع منّي : إنّ الرجل والله ما يعطي مالَه إلاّ لإحدى خِلالٍ : إمّا رجلٌ أعطى مالَه رجاءَ مكافأةٍ ممّن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقاها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرةِ ، أو رجل أحمقُ خُدِع عن ماله ، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولا جئتم في شيء من هذا ، ولا عمُّك الرجل العاجِز فينخدِع لهؤلاء ، ولَما أفدتَك إيّاه في عقلك خيرٌ لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الديل ، قوموا إذا شئتم . فقاموا يبادرون الباب .

[استهزأ به رجل فردّ عليه فأفحمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان طريق أبي الأسود الدؤليّ إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمَن يمرّ به ، فمرّ به أبو الأسود الدؤليّ يوماً فقال لقومه : كأنّ وجهَ أبي الأسود وجهُ عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاقٍ ، فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود . ثم مرّ به مرّة أخرى ، فقال لهم : كأنّ غُضونَ قفا أبي الأسود غُضونُ الفِقاحِ . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له : هل تعرف فَقْحةَ أمّك فيهنّ ؟ فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبي الأسود ، فاعتذروا إليه ممّا كان ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله : [من الطويل]

وأهْوَجَ مِلْجاجٍ تصامَمتُ قبلَه ... أن اسمعَه وما بِسَمْعِيَ مِن باسِ
ولو شئتُ قد أعرضتُ حتى أُصيبَه ... على أنفِه حَدباءَ تُعْضِلِ بالآسي[1]
فإن لساني ليس أهونَ وَقْعةً ... وأصغَرَ آثاراً من النحتِ بالفاسِ
وذي إحنةٍ لم يُبْدِها غيرَ أنّه ... كذي الخَبْل تأبى نفسُه غيرَ وَسواسِ
صفَحتُ له صفحاً جميلاً كصفحه ... وعيني ــ وما يدري ــ عليه وأحراسي
وعندِي له إن فار فَوّارُ صدرِه ... فَحاً جَبَليٌّ لا يعاوده الحاسي[2]
وخَبٌّ لحومُ الناس أكثرُ زادِهِ ... كثيرِ الخَنا صَعْبِ المَحالةِ هَمّاسِ
تركتُ له لحمي وأبقيت لحمه ... لَمن نابه من حاضِرِ الجنّ والناسِ
فكَرَّ قليلاً ثم صدَّ كأنّما ... يَعَضُّ بصُمٍّ من صَفا جبلٍ راسي

---

1 حدباء : صعبة شديدة . الآسي : المداوي . أعضل به الأمر : ضاقت عليه الحيل فيه .

2 الفحا : توابل القدور .

[حكايات في بخله]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ قال : خرج أبو الأسود الدؤليّ ومعه جماعةَ أصحابٍ له إلى الصيد ، فجاءه أعرابيّ فقال له : السلام عليك . فقال له أبو الأسود : كلمة مَقُولة . قال : أُدخلُ ؟ قال : وراؤك أوسعُ لك . قال : إنّ الرَّمْضاء قد أحرقتْ رِجلي ، قال : بُلْ عليها أو ائتِ الجبل يَفِيء عليك . قال : هل عندك شيء تُطعِمُنيه ؟ قال : نأكل ونطعم العِيال ، فإن فضَل شيء فأنت أحقّ به من الكلب ، فقال الأعرابيّ : ما رأيت قطُّ ألأمَ منك . قال أبو الأسود : بلى قد رايت ؛ ولكنّك قد أنسيتَ .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ بهذا الخبر فقال فيه : كان أبو الأسود جالساً في دِهليزه وبين يديه رُطَب ، فجاز به رجل من الأعراب يقال له ابن أبي الحمامة ، فسلّم ثم ذكر باقي الخبر ، مثلَ الذي تقدمّه ، وزاد عليه فقال : أنا ابن أبي الحمامة . قال : كن ابن أبي طاوُسة ، وانصرف . قال : أسألك بالله إلاّ أطعمتني ممّا تأكل ، قال : فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطَبات ، فوقعت إحداهنّ في التراب ، فأخذها يمسحها بثوبه ، فقال له أبو الأسود : دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به ، فقال : إنّما كرِهتُ أن أدَعَها للشيطان ، فقال له : لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعُها .

[أسرّ إلى صديقه أنه يريد خطبة امرأة من عبد القيس فأفشى سرّه إلى ابن عمّها فزوّجت ابن عمّها]

أخبرني محمد بن عِمران الضبيُّ الصَّيْرفيُّ قال حدَّثنا الحسن بن عُليل قال حدَّثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال ذَكر الهيثمُ بنُ عديّ عن ابن عيّاش قال : خطب أبو الأسود الدؤليّ امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم ، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدّث به ابن عمّ لها كان يخطبها ، وكان لها مال عند أهلها ، فمشى ابن عمّها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم ، فأخبرهم خبر أبي الأسود ، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ، ومن مالها الذي في أيديهم ، ففعلوا ذلك ، وضاروها حتى تزوّجت بابن عمّها ، فقال أبو الأسود الدؤليّ في ذلك : [من الطويل]

لعمري لقد أفشيتُ يوماً فخانني ... إلى بعضِ من لم أخشَ سِرّاً مُمنَّعا
فمزّقه مَزْقَ العَمِـي وهـو غافل ... ونادى بما أخفيتُ منـه فأسْمعا
فقلـت ولم أفحِش لَعاً لك عاثراً ... وقد يعثُر الساعي إذا كان مسرِعا[1]
ولستُ بجازيك الملامــةَ إنّني ... أرى العفو أدْنى للرشاد وأوسَعا

---

1 لعاً لك : كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش .

ولكن تعلّمْ أنّـــه عهـــدُ بيننا   فبِــنْ غيرَ مذمــوم ولكن مُودَّعا
حديثاً أضعناه كلانـا فـلا أرى   وأنت نجيّاً آخـرَ الدّهـر أجمعا[1]
وكنتَ إذا ضيّعتَ سرّك لم تجد   سواك لـــه إلاّ أشتَّ وأضيَعا

[وقال أيضاً في مَن أفشى سرّه]

قال : وقال فيه : [من الطويل]

أمِنتُ امرءاً في السرّ لم يك حازما   ولكنّـه في النصح غيرُ مُـرِيبِ
أذاع بـه في الناس حتـى كأنّه   بعليـاءَ نـارٌ أُوقـدتْ بثَقُوبِ[2]
وكنتَ متى لم ترْعَ سرَّك تلتبسْ   قوارعُـه مـن مخطىء ومُصيبِ
فما كلّ ذي نصح بموُتيك نُصحَه   ومـا كلّ مـؤتٍ نصحَه بلبيبِ
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ   فحُقٌّ لـه مـن طاعـة بنصيبِ

[اشترى جارية حولاء فعابها أهله فردّ عليهم]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُراني قال حدَّثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال : اشترى أبو الأسود جارية ، فأعجبته ، وكانت حولاء ، فعابها أهله عنده بالحوَل ، فقال في ذلك : [من الطويل]

يَعيبونها عنـدي ولا عيبَ عندها   سوى أن في العينين بعضَ التأخّرِ
فـإن يـك في العينين سوء فإنّها   مُهَفْهَفَة الأعـلى رَداحُ المؤخَّـرِ[3]

[تحاكم إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ قال حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : كان لأبي الأسود الدؤليّ صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم ، وكانت بينه وبين ابن عمّ له خصومة في دار له ، وأنّهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكّماه بينهما ، فقال له خصم صديقه : إنّي بالذي بينك وبينه عارف ، فلا يحملنك ها ذاك على أن تَحيف عليّ في الحكم ، وكان صديق أبي الأسود ظالما ، فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ ، فقال له صديقه : والله ما بارك الله لي في صداقتك ، ولا نفعني بعلمك وفقهك ، ولقد قضيت عليّ بغير الحقّ ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

---

1 النجيّ : المسار .
2 الثقوب : ما أثقبت به النار أي أوقدتها به .
3 مهفهفة : ضامرة البطن . رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك .

إذا كنتَ مظلوماً فلا تُلْفَ راضياً عن القوم حتى تأخذ النِّصفَ واغضبِ[1]
وإن كنت أنت الظالمَ القوم فاطَّرِحْ مقالتهم واشغَبْ بهم كلَّ مَشْغَبِ
وقارِبْ بذي جهل وباعد بعالم جَلوبٍ عليك الحقَّ من كلِّ مَجْلَبِ
فإن حدِبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعسوا ليستمكِنوا ممّا وراءك فاحدَبِ[2]
ولا تدْعُني للجَورِ واصبِر على التي بها كنتُ أقضي للبعيد على أبي
فإنّي امرؤ أخشى إلهي وأتّقي مَعادي وقد جرّبتُ ما لم تجرِّبِ

[كتب مستجدياً إلى نعيم بن مسعود فأجابه ، وإلى الحصين بن أبي الحرّ فرمى كتابه]

كتب إليّ أبو خليفة يذكر أنّ محمد بن سلام حدَّثه ، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذَكوان عن محمد بن سلام قال : وجه أبو الأسود الدؤليّ إلى الحصين بن أبي الحُرّ العَنبريّ جدّ عبيد الله بن الحسن القاضي ، وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد ، وإلى نُعَيم بن مسعود النَّهشَليّ وكان يلي مثل ذلك برسول ، وكتب معه إليهما وأراد أن يَبَرَّاه ، ففعل ذلك نعيم بن مسعود ، ورمى الحصين بن أبي الحرّ بكتاب أبي الأسود وراء ظهره ، فعاد الرجل فأخبره ، فقال أبو الأسود للحصين : [من الطويل]

حسبت كتابي إذ أتاك تعرُّضاً لسَيْبك ، لم يذهب رجائي هنالكا
وخبَّرني من كنتُ أرسلتُ أنما أخذتَ كتابي مُعرِضاً بشِمالكا
نظرتَ إلى عنوانه فنبذتَه كنبذك نعلاً أخلقتْ مِن نِعالِكا
نعَيمُ بن مسعود أحقُّ بما أتى وأنت بما تأتي حقيق بذلكا
يصيبُ وما يدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النَّوْك إلاّ كذلكا ؟

قال محمد بن سلام : فتقدّم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرّ ، وهو قاضي البصرة ، مع خصم له فخلط في قوله ، فتمثّل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يَدْري ويُخطي وما درى وكيف يكون النَّوْك إلاّ كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يُدنيني منه لأقول شيئاً فعل . فقال له : ادنُ ، فقال له : إن أحقّ الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمتَ فيمن قيل ، فتبسم عبيد الله وقال له : إنّي أرى فيك مُصْطَنعاً[3] فقم إلى منزلك ، وقال لخصمه : رح إليّ ، فغرِم له ما كان يطالب به .

---

1 النصف : الانتصاف .
2 قعس : نقيض الحدب .
3 المصطنع : أي محل للصنيعة والجميل .

[أراد السفر إلى فارس في الشتاء فأبت عليه ابنته]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكرانيّ عن ابن عائشة قال: أراد أبو الأسود الدؤليّ الخروج إلى فارس، فقالت له ابنته: يا أبت إنّك قد كبِرت، وهذا صميم الشتاء، فانتظر حتى ينصرِم وتَسلك الطريق آمناً، فإنّي أخشى عليك، فقال أبو الأسود: [من الطويل]

إذا كنتَ معنيّاً بأمرٍ تُريده ... فما للمَضاء والتوكّل من مِثْلِ
توكّل وحمِّل أمرَك اللهَ إن ما ... ترادَ به آتيك فاقنع بذي الفضلِ
ولا تحسبنَّ السيرَ أقربَ للردى ... من الخفضِ في دار المُقامة والثَّمْلِ[1]
ولا تحسبيني يأبنْتي عزَّ مذهبي ... بظنّك، إن الظنّ يَكذِبُ ذا العقلِ
وإنّي ملاقٍ ما قضى اللهُ فاصبري ... ولا تجعلي العِلْمَ المحقَّق كالجهلِ
وإنّك لا تدرين: هل ما أخافه ... أبعدِيَ يأتي في رحيلِيَ أو قبلي
وكم قد رأيتَ حاذراً متحفِّظا ... أُصيبَ وألفتْه المنيةُ في الأهلِ

[خبره مع صديقه نسيب بن حميد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا عيسى بن إبراهيم العَتَكيّ قال حدَّثنا ابن عائشة عن أبيه قال: كان لأبي الأسود صديق من بني سُليم يقال له نُسَيْب بن حُمَيد، وكان يغشاه في منزله، ويتحدّث إليه في المسجد، وكان كثيراً ما يحلف له أنّه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه؛ فرأى أبو الأسود يوماً معه مُسْتُقه[2] مُخْمَلة أصبهانية من صوف، فقال له أبو الأسود: ما تصنع بهذه المُستُقة؟ فقال: أريد بيعها، فقال له أبو الأسود: انظر ما تبلغ فعرِّفنيه حتى أبعثَ به إليك، فإنّها من حاجتي، قال: لا بل أكسوكَها، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها، فبعث بها إلى السوق فقوِّمت بمائتي درهم، فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم، فردّها وقال: لست أبيعها إلاّ بمائتين وخمسين درهماً، فقال أبو الأسود: [من الكامل]

بِعْني نُسَيبُ ولا تُثِبْني إنّني ... لا أستثيبُ ولا أُثيبُ الواهبا
إن العطيّة خيرُ ما وجَّهتَها ... وحسِبتَها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطيّة ما يعود غرامةً ... وملامة تَبقى ومَنّاً كاذبا
وبلوتُ أخبارَ الرجال وفِعلَهم ... فمُلئتُ علماً منهمُ وتجاربا

---

1 الثمل: الإقامة والمكث.

2 المستقه: فروة طويلة الكم. وثوب مُخْمَل: له خَمْل: أي هدب كهدب القطيفة.

فأخذتُ منهم ما رضيتُ بأخذِه وتركتُ عَمْداً ما هنالك جانبا
فإذا وعدتُ الوعدَ كنتُ كغارمٍ دَيناً أقرَّ بـه وأُحضر كاتِبا
حتى أنفِّذَه على ما قلتُه وكفى عليّ بـه لِنفسيَ طالبا
وإذا فعلتُ فعلت غيرَ محاسِب وكفى بربّـك جازياً ومحاسِبا
وإذا منعتُ منعتُ منعاً بيِّنا وأُرحتُ من طولِ العَناء الراغِبا
لا أشتري الحمدَ القليلَ بقاؤه يوماً بذمّ الدّهرِ أُجمعَ واصبا[1]

[ضرط في مجلس معاوية فطلب منه أن يسترها عليه ، فوعده ولم يفعل]

أَخبرني أَحمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ ومحمد بن العبّاس اليزيديّ وعمّي قالوا حدَّثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : زعم أبو بكر الهذليّ أنّ أبا الأسود الدؤليّ كان يحدّث معاوية يوماً فتحرّك فضَرَط ، فقال لمعاوية : استرها عليّ ، فقال : نعم ، فلمّا خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروانَ بن الحكم ، فلمّا غدا عليه أبو الأسود قال عمرو : ما فعلَتْ ضَرْطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبتْ كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً ، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ، وكلّ أجوف ضروط ، ثم أقبل على معاوية فقال : إن امرءاً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألاّ يؤمن على أمور المسلمين .

[تزوّج امرأة برزة زعمت أنها مدبرة صناع فوجدها مبذرة فطلّقها]

أُخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدَّثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأة بالبصرة فيتحدّث إليها ، وكانت برزة[2] جميلة ، فقالت له : يا أَبا الأسود ، هل لك في أن أتزوّجك ؟ فإنّي صَناع[3] الكفّ ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور ، قال : نعم ، فجمعت أَهلها فتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت في ماله ، ومدّت يدها إلى خيانته ، وأفشت سرّه ، فغدا على مَنْ كان حضر تزويجه إيّاها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا ، فقال لهم : [من المتقارب]

أَرَيـتَ امـرءاً كنـت لم أَبْلُهُ أَتاني فقـال اتّخِذْني خليلا[4]

1 واصباً : دائماً .
2 امرأة برزة : كهلة جليلة تبرز للقوم فيجلسون إليها ويتحدثون .
3 امرأة صناع اليدين : حاذقة ماهرة بعمل اليدين .
4 أريت : أصله أرأيت ، يقولون : أرأيتك بمعنى أخبرني .

فخاللتُـــه ثـــم أكرمتـــه ... فلـــم أستفـــد من لدُنه فتيلا
وألفيتُـــــه حـــين جرّبتُـــه ... كَذُوبَ الحديث سروقاً بخيلا
فذكّرتـــــه ثـــم عاتبتُـــه ... عتابـــاً رفيقاً وقـــولاً جميلا
فألفيتُـــه غيـــرَ مستعتِـــبٍ ... ولا ذاكـــرِ اللهِ إلاّ قليلا[1]
ألستُ حقيقـــاً بتوديعـــه ... وإتْباعِ ذلك صَرماً طويلا ؟

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلّقتها لكم ، وأنا أحبّ أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم .

[أنكر عليه معاوية بخره فردّ عليه]

حدَّثنا اليزيديّ قال حدَّثنا البَغَويّ قال حدَّثنا العمريّ قال : كان أبو الأسود أبخر ، فسارَّ معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمّه على أنفه ، فنحّى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال : لا والله لا تسود حتى تصبر على سِرار المشايخ البُخْر .

[عابه زياد عند عليّ]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا محمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة ، واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يَسبَع[2] أبا الأسود عند عليّ ويقع فيه ويبغي عليه ، فلمّا بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه : [من الطويل]

رأيـــت زيـــاداً ينتحينـــي بشرّه ... وأُعْرِض عنـــه وهـــو بـــادٍ مَقاتِلُهْ
وكلّ امـــرىء ، والله بالناس عالم ... لـــه عـــادة قامـــت عليها شمائلُهْ
تَعوَّدهـــا فيمـــا مضـــى مـــن شبابه ... كذلك يدعـــو كلَّ أمـــرٍ أوائلُهْ
ويُعجبُـــه صفحـــي لـــه وتجمّلي ... وذو الجهلِ يحذو الجهلَ مَن لا يعاجِلُهْ[3]
فقلـــت لـــه دعنـــي وشأنيَ إنّنا ... كلانـــا عليـــه مَعْمَـــلٌ هـــو عاملُهْ[4]
فلولا الذي قـــد يُرتجـــى من رجائه ... لجرَّبتَ منّي بعضَ مـــا أنت جاهِلُهْ
لجرّبتَ أنّي أمنح الغـــيَّ مَـــن غَوى ... عليّ وأجـــزي مـــا جَزى وأطاوِلُهْ

1 استعتبه : استرضاه .
2 سبعه : شتمه ووقع فيه .
3 حذاه : أعطاه .
4 معمل : عمل .

وقال لزياد أيضاً في ذلك : [من البسيط]

نُبِّئتُ أنّ زيـاداً ظـلّ يَشتُمني والقولُ يُكْتَبُ عنـد الله والعملُ
وقد لقِيتُ زيـاداً ثـم قلت له وقبلَ ذلك مـا خَبَّت به الرسلُ[1]
حتّام تَسرِقنـي في كلّ مَجْمَعَـة عِرضي ، وأنت إذا ما شئت منتفِلُ
كل امـرىء صائر يومـاً لشيمته في كلّ منزلـة يُبْلى بها الرجلُ

قال : فلمّا ادّعى معاوية زياداً وولاّه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه ، فربّما قضاها وربّما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وما كان بينهما في تلك الأيّام وهما عاملان ، فكان أبو الأسود يترضّاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك : [من الطويل]

رأيت زياداً صدّ عنّـيَ وجهَه ولَم يَكُ مردُوداً عن الخير سائلُهْ
ينفّذ حاجاتِ الرجال ، وحاجتي كداء الجَوى في جوفه لا يزايلُهْ
فـلا أنـا ناسٍ مـا نَسِيتُ فآيسٌ ولا أنـا راءٍ مـا رأيت ففاعِلُهْ
وفي اليأس حـزم لِلَّبيب وراحـة من الأمر لا يُنسى ولا المرء نائلُهْ

[أكرمه عبد الرحمن بن أبي بكرة]

وقال المدائنيّ : نظر عبد الرحمن بن أبي بَكرة[2] إلى أبي الأسود في حال رَثَّة فبعث إليه بدنانير وثياب ، وسأله أن ينبسط إليه في حوائجه ويستمنحه إذا أضاق[3] ، فقال أبو الأسود يمدحه : [من الوافر]

أبـو بحـرٍ أمَـنُّ الناسِ طُرّاً علينا بعـد حـيٍّ أبي المُغيرَهْ
لقـد أبقـى لنا الحَدَثانُ منه أخـا ثقـةٍ منافعُه كثيرَهْ
قريبَ الخير سهلاً غيرَ وعرٍ وبعضُ الخير تمنعُـه الوُعورَهْ
بَصُرتَ بأنّنا أصحابُ حـقّ نُدِلّ بـه وإخـوانٌ وجيرَهْ
وأهلُ مَضيعةٍ فوجدتَ خيرا من الخُلاّن فينـا والعشيرَهْ[4]
وإنّك قـد علمت وكلُّ نفسٍ تُرى صَفَحاتُهـا ولهـا سريرَهْ

---

1 خبت : سارت .
2 أبو بكرة : هو أخو زياد لأمّه .
3 أضاق : ذهب ماله .
4 مضيعة : ضياع واطراح وهوان .

لذو قلبٍ بذي القُربى رحيم   وذو عين بما بلَغتْ بصيرَهْ
لعمرك ما حَباك الله نفسا   بها جَشَعٌ ولا نفساً شَرِيرَهْ[1]
ولكن أنت لا شَرِسٌ غليظ   ولا هَشْمٌ تُنازِعه خُؤُورَهْ[2]
كأنّا إذ أُتيناه نزلنا   بجانب رَوضةٍ رَيّا مَطِيرَهْ

[كان عبيد الله بن زياد يماطله في قضاء حاجاته فعاتبه]

قال المدائنيّ : وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد ، فيشكو إليه أنّ عليه ديناً لا يجد إلى قضائه سبيلاً ، فيقول له : إذا كان غد فارفع إليّ حاجتك فإنّي أحبّ قضاءها ، فيدخل إليه من غد ، فيذكر له أمره ، ووَعْده فيتغافل عنه ، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

دعاني أمِيري كي أفوه بحاجتي   فقلت فما ردّ الجواب ولا استمَعْ
فقمت ولَم أُحسُسْ بشيء ولَم أصُنْ   كلامي وخير القول ما صِينَ أو نفَعْ
وأجمعتُ يأساً لا لُبانة بعده   ولليأسُ أدنى للعفاف من الطمَعْ

[سأله رجل فمنعه فأنكر عليه فاحتج ببيت لحاتم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينةَ قال حدّثني ابن عائشة قال : سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه ، فقال له : يا أبا الأسود ما أصبحتَ حاتميّاً ؟

قال : بلى قد أصبحت حاتمياً من حيث لا تدري ، أليس حاتم الذي يقول : [من الطويل]

أماوِيّ إمّا مانِعٌ فمبيِّنٌ   وإمّا عطاء لا يُنهِنهُهُ الزجرُ[3]

[شعره في جار له كان يحسده]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا ابن عائشة قال : كان لأبي الأسود جار يحسِدُه وتَبلغه عنه قوارِصُ ، فلمّا باع أبو الأسود داره في بني الديل ، وانتقل إلى هُذيل ، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل : هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لِقاحه ؟ وكانت لا تزال عنده لَقْحة[4] أو لَقْحتان ، وكان جاره هذا يصيب من الشراب ، فبلغ أبا الأسود قوله ، فقال فيه : [من الطويل]

---

1 شريرة : ذات شرّ .
2 هَشْم : هشيم رخو . خؤورة : ضعف وفتور .
3 نهنهه : كفّه .
4 اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

إنّ امــرءاً نُبِّئتُه مــن صديقِنا يسائل هل أُسقي من اللبن الجارا ؟
وإنّي لأسقي الجار في قعــر بيته وأشرب مــا لا إثمَ فيه ولا عارا
شرابــاً حلالا يترك المرء صاحياً ولا يتولّــى يَقْلِسُ الإثمَ والعارا[1]

[قصد صديقه حوثرة بن سليم فأعرض عنه]

أُخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أُحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ قال : كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حَوْثَرَة بن سُلَيْم ، فاستعمله عبيدالله بن زياد على جَيَّ[2] وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس ، فلمّا بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدّر ، وجفاه حوثرة ؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه : [من الطويل]

تروّحتَ من رُستاق جَـيٍّ عشيةً وخلَّفتَ في رستاق جّيٍّ أخاً لكا
أخا لك إن طال التنائي وجدتَه نسيّــاً وإن طــال التعاشُرُ مَلّكا
ولو كنتَ سيفاً يُعجِب الناسَ حدُّه وكنتَ له يوماً من الدّهـر فَلّكا[3]
ولو كنتَ أُهدى الناس ثم صحبتَه وطاوعتــه ضلَّ الهـوى وأضلَّكا
إذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى وإن جُرت عن باب الغَواية دلّكا

[ساومه جار له في شراء لقحة وعابها فأبى عليه]

قال المدائنيّ : وكان لأبي الأسود جار ، يقال له وَثاق من خُزاعة ، وكان يحِبّ اتّخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفِها ؛ فأتى أبا الأسود وعنده لِقحة غزِيرة يقال لها : الصَّفوف فقال له : يا أبا الأسود ما بلقحتِك بأسٌ لولا عيب كذا وكذا ، فهل لك في بيعها ؟ فقال أبو الأسود : على مـا تذكر فيهـا من العيب ؟ فقال : إنّي أغتفر ذلك لها لِما أرجوه من عزارتها ، فقال له أبو الأسود : بئست الخلّتان فيك ؛ الحِرص والخِداع ، أنا لِعيب مالي أشدّ اغتفاراً ؛ وقال أبو الأسود فيه : [من الطويل]

يريــد وَثــاقٌ ناقتــي ويعيبها يخادِعني عنها وثــاقُ بن جابرِ
فقلت تعلَّــمْ يــا وثاقُ بأنّها عليك حِمًى أُخرى الليالي الغَوابرِ
بصُرتَ بها كَوماءَ حَوساءَ جَلْدةً من المُوليِاتِ الهـامَ حدَّ الظواهرِ[4]

1 أصل يقلس من قلست الكأس : قذفت بالشراب لشدّة الامتلاء ، وقلست النحل العسل : مجّته .
2 جيّ : مدينة ناحية أصبهان .
3 فل السيف : ثلمه .
4 الكوماء : الناقة العظيمة السنام ، والهوساء : الشديدة النفس ، والجلدة : القوية .

فحاولتَ خَدعي والظنونُ كواذِبٌ   وكم طامِعٍ في خَدعتــي غيرُ ظافِرِ

[سارمه رجل من سدوس في لقحة له وعابها فأبى عليه بيعها]

قال : وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطَّيفاء ، وكان يقول : ما ملكت مالاً قط أحبّ إليّ منها ، فأتاه فيها رجل من بني سَدوس يقال له أوس بن عامر ، فجعل يماكر أبا الأسود ويَعِيبها ، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً ، فبذل له فيها ثمناً وافياً ، فأبى أن يبيعه وقال فيه : [من الطويل]

أتــاني في الطيفاء أوسُ بن عامرٍ   ليخدعني عنهــا بجِنّ ضراسِها[1]
فسام قليــلاً ناسئاً غير ناجــز   وأُحصِر نفساً وانتهى بمِكاسها[2]
فأُقسمُ لــو أعيطتَ ما سمتَ مِثلَه   وضِعفاً لــه لما غَدوتَ برأسِها
أغرَّك منهــا أن نَحــرتُ حُوارها   لجيرانِ أمّ السَّكْنِ يــوم نفاسِها
فولّى ولم يطمع وفي النفس حاجةٌ   يردّدهــا مـــردودةً بإياسِها

[جوابه لسائل ملحف]

أُخبرنا اليزيديّ قال حدَّثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعيّ : أنّ رجلاً سأل أبا الأسود الدؤليّ فردّه فألحّ عليه ، فقال له أبو الأسود : ليس للسائل الملحِف مثل الردّ الجامِس . قال : يعني بالجامس الجامد .

[خطب امرأة من بني حنيفة فعارضه ابن عم لها]

وقال المدائنيّ : خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة ، وكان قد رآها فأعجبته ، فأجابته إلى ذلك وأذِنت له في الدخول إليها ، فدخل دارها فخاطبها بما أراد ، فلمّا خرج لقِيه ابن عمّ لها قد كان خطبها على أخيه ، فقال له : ما تصنع هاهنا ؟ فأخبره بخطبته المرأة ، فنهاه عن التعرّض لها ، ووضع عليها أرصاداً ، فكان أبو الأسود ربّما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم ، فدسّوا إليه رجُلاً يوبِّخه في كلّ محفِل يراه فيه ، ففعل ، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له : يا أبا الأسود ، أنت رجل شريف ، ولك سنّ وخَطَر وعِرْض ، وما أرضى لك أن تلِمّ بفلانة ، وليست لك بزوجةٍ ولا قرابةٍ ، فإنّ أهلها قد أنكروا ذلك وتَشكّوه ، فإمّا أن تتزوّجها أو تُضرب عنها ، فقال له أبو الأسود : [من الطويل]

1 يقولون في الناقة : «هي بجن ضراسها» ، أي بحدثان نتاجها ، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها ، وعضّت حالبها .

2 أحصره العدد : ضيّق عليه . والمماكسة والمكاس في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه .

لقد جدّ في سَلمى الشكاةُ وللَّذي يقولون ـ لو يبدو لك الرشدُ ـ أرشدُ
يقولون لا تَمذُل بعِرضك واصطنِع مَعادَك إنّ اليوم يَتْبَعه غدُ[1]
وإيّاك والقومَ الغِضابَ فإنّهم بكلّ طريق حولهم تترصَّدُ
تلام وتُلحى كلَّ يوم ولا تُرى على اللوم إلاّ حولَها تتردّدُ !
أفادَتْكَها العينُ الطموحُ وقد ترى لك العينُ مالا تستطيع لك اليدُ

وقال أبو الأسود : [من الطويل]

دعُوا آلَ سلمى ظِنّتي وتعنُّتي وما زَلّ منّي ، إنّ ما فات فائتُ[2]
ولا تُهلِكوني بالملامةِ إنّما نطقتُ قليلاً ثم إنّي لساكتُ
سأسكت حتى تحسِبوني أنّني من الجهدِ في مَرْضاتكم متماوِتُ
ألم يكفِكم أنْ قد منعتم بيوتَكم كما منع الغِيلَ الأسودُ النواهِتُ[3] !
تصيبون عِرضي كل يوم كما علا نشيطٌ بفأسٍ معدِنَ البُرْم ناحِتُ[4]

[جفاه ابن عامر لهواه في علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال : كان ابن عبّاس يكرّم أبا الأسود الدؤليّ لمّا كان عاملاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه ، فلمّا ولِي ابن عامرٍ جفاه وأبعده ومنعه جوائجه لِما كان يعلمه من هواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ذكرتُ ابنَ عبّاس بباب ابنِ عامر وما مَرَّ من عيشي ذكرتُ وما فَضَلْ
أميرين كانا صاحِبيَّ كلاهما فكلٌّ جزاه الله عنّي بما فعلْ
فإن كان شرّاً كان شرّاً جزاؤه وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدلْ

[كان لابنه صديق من باهلة فكره صداقته له]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن خالد بن سعيد أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال حدَّثنا إبراهيم بن المنذر الخِزاميّ قال حدَّثنا محمد بن فُلَيح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال

1 مذلت نفسه بالشيء : سمحت .
2 الظنة : التهمة .
3 النواهت : جمع ناهت ، يقال : نهت الأسد نهيتاً ، وهو صوت الأسد دون الزئير .
4 البرم : جمع برمة ، وهي قدر من حجارة .

قال أبو الأسود الدؤليّ لابنه أبي حرب ، وكان له صديق من باهِلة يكثر زيارته ، فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه : [من الطويل]

أحـبَّ إذا أحببتَ حبّـاً مُقارِباً ... فإنّك لا تدري متى أنـت نازِعُ
وأبغِض إذا أبغضت بغضاً مقارباً ... فإنّك لا تدري متى أنـت راجعُ
وكن معدِنا للحلم واصفح عن الخَنا ... فإنّك راءٍ ما عمِلتَ وسامِعُ

[آذاه جار له فباع داره واشترى داراً في هذيل]

وقال المدائنيّ حدّثني أبو بكر الهذليّ قال : كان لأبي الأسود جار من بني حُلَيس بن يَعمُر بن نُفاثة بن عدِيّ بن الدّيل ، من رهطه دِنيةً ، ومنزل أبي الأسود يومئذٍ في بني الديل ، فأولع جاره برميه بالحجارة كلّما أمسى ، فيؤذيه . فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلّموه ولاموه ، فكان ما اعتذر به إليهم أن قال : لست أرميه ، وإنّما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم وبخله بماله ، فقال أبو الأسود : والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربّي . فباع داره واشترى داراً في هذيل ، فقيل له : يا أبا الأسود ، أبِعت دارك ؟ قال : لمْ أبع داري ، ولكن بِعت جاري[1] ، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك : [من الطويل]

رمـانيَ جـاري ظالمـاً برميَّـة ... فقلتُ لـه مهلاً فأنكَرَ ما أتى
وقال الذي يرميك ربُّك جازياً ... بذنبك ، والحَوْباتُ تُعقِب ما ترى[2]
فقلت لـه لـو أنّ ربِّـي برمية ... رماني لما أخطا إلهيَ ما رمى
جزى الله شرّاً كلَّ مَن نال سوءة ... ويَنْحَلُ فيها ربَّه الشرَّ والأذى

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

لَحى الله مولى السَّوء لا أنت راغب ... إليـه ولا رامٍ بـه من تحاربهْ
وما قُربُ مولى السوء إلاّ كبعده ... بل البعدُ خير من عدوٍّ تُصاقِبهْ[3]

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

وإنّي لَتَثنيني عن الشتم والخَنا ... وعن سبّ ذي القربى خلائقُ أربعُ
حيـاء وإسلام ولطـف وأنّني ... كريم ، ومثلي قـد يضرّ وينفعُ

---

1 ورد المثل في مجمع الأمثال للميداني 1 : 104 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 10 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري 1 : 203 ، 219 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام : 278 .

2 الحوبة : الإثم .

3 صاقبه : قاربه .

فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتَها   فإن العصا كانت لِمثلي تُقْرَعُ[1]
وشتان ما بيني وبينك إنّني   على كلّ حال أستقيم وتَظلَعُ

[قصته مع جار له آذاه]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا الرياشيّ عن العتبيّ قال : كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كلّ واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عمّ أبي الأسود دِنيةً ، وكان شرِساً سيءّ الخلق ، فأراد سدّ ذلك الباب ، فقال له قومه : لا تفعل فتضرَّ بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مُؤْنة ، فأبى إلاّ سدَّه ، ثم ندِم على ذلك لأنّه أضرّ به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعُد عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه : [من الوافر]

صوت

بُلِيت بصاحبٍ إنْ أدنُ شِبرا   يَزِدني في مباعدةٍ ذِراعا
وإن أمدُدْ له في الوصلِ ذَرْعي   يَزِدني فوق قِيس الذرع باعا[2]
أبت نفسي له إلاّ اتِّباعاً   وتأبى نفسه إلاّ امتناعا
كلانا جاهد أدنو وينأى   فذلِك ما استطعتُ وما استطاعا

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر ، وفيه لعريب خفيف رملٍ . ولعلّويه لحن غير منسوب . قال وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك : [من الطويل]

لنا جيرة سدّوا المَجازة بيننا   فإن أذكروك السدَّ فالسدُّ أكْيسُ
ومن خير ما ألصقتَ بالجارِ حائط   تزِلُّ به سُفْعُ الخطاطيفِ أملسُ[3]

وقال أيضاً في ذلك : [من مجزوء الكامل]

أعصيتَ أمر ذوي النهى   وأطعت أمر ذوي الضلالَهْ
أخطأتَ حين صرمتني   والمرء يعجِزُ لا محالَهْ

---

1 يشير إلى المثل : «إن العصا قرعت لذي الحلم» ، ومعناه أنّ الحكيم إذا نبّه انتبه ، وأوّل مَن قرعت له العصا عامر بن الظرب لمّا طعن في السنّ أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه : إذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المجن بالعصا» .
2 قِيس : قدر .
3 سفع : سود تضرب إلى الحمرة .

والعبدُ يُقرَع بالعصا والحرّ تكفيه المقالَهْ[1]

[نزل في بني قشير فآذوه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحويّ قال حدَّثنا أحمد بن القاسم اليزيديّ قال حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : كان أبو الأسود الدؤليّ نازلاً في بني قُشَير ، وكانت بنو قشير عثمانية ، وكانت امرأته أمّ عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ، ويرمونه بالليل ، فإذا أصبح قال لهم : يا بني قشير ، أيُّ جِوارٍ هذا ؟ فيقولون له : لم نرمِك ، إنّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينِك ، فقال في ذلك : [من الوافر]

يقول الأرذلون بنو قشير طَوالَ الدهر لا تنسى عليّا !
فقلت لهم : وكيف يكون تركي من الأعمال مفروضاً عليّا ؟
أُحِبّ محمداً حبّاً شديداً وعباساً وحمزةَ والوصيّا
بني عمّ الرسول وأقربيه أحبّ الناسِ كلّهم إليّا
فإن يك حبّهم رُشْداً أُصِبه ولست بمخطىءٍ إن كان غيّا
همُ أهل النصيحة غيرَ شكّ وأهل مودّتي ما دمت حيّا
هَوًى أُعطِيتُه لما استدارت رحى الإسلام لم يُعْدَل سَوِيّا
أحبّهمُ لحبّ الله حتّى أجيء إذا بُعِثتُ على هَوَيّا[2]
رأيت الله خالقَ كلِّ شيءٍ هداهم واجتبى منهم نبيّا
ولم يخصُص بها أحداً سِواهم هنيئاً ما اصطفاه لهم مريّا

قال : فقالت له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول :

فإن يك حبّهم رشداً أُصِبه

فقال : أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ : ﴿وإنّا أَوْ إيّاكُمْ لَعَلى هُدًى أَوْ في ضَلالٍ مُبينٍ﴾ . أفَتَرى الله جلّ وعزّ شكّ في نبيّه ؟ وقد رُوِي أنّ معاوية قال هذه المقالة ، فأجابه بهذا الجواب .

---

1 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 345/2 :
«العبد يُقرع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة»
يضرب في خسة العبيد .

2 على هويّا : على هواي .

[تهكّم معاوية به فأجابه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا أبو عثمان الأُشْنانْدانيّ عن الأخفش عن أبي عمر الجَرميّ قال : دخل أبو الأسود الدؤليّ على معاوية ، فقال له : لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود ، فلو علّقت تميمة تَنفي عنك العينَ ؛ فقال أبو الأسود : [من البسيط]

أفنى الشبابَ الذي فارقتُ جِدّتَه ... كرُّ الجديدين مـن آتٍ ومنطلِقِ
لم يتركا لِيَ في طـول اختلافهما ... شيئاً تُخاف عليـه لَـذْعةُ الحَدَقِ

[خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فأتى الفتى على طعامه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني الحارث بن محمد قال حدَّثنا المدائنيّ عن عليّ بن سليمان قال : كان أبو الأسود له على باب داره دُكّان يجلس عليه ، مرتفِع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر الدكان ، فإذا مرّ بِه مارّ فدعاه إلى الأكل لم يجِد موضِعاً يجلس فيه ، فمرّ به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء ، فأقبل فتناول الخِوان فوضعه أسفلَ ، ثم قال له : يا أبا الأسود ، إن عزمت على الغداء فانزِل ، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر ليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود : ما اسمك يا فتى ؟ قال : لقمان الحكيم ، قال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

قال المدائنيّ : وبلغني أنّ رجلاً دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان ، فمدّ يده ليأكل ، فشبّ به فرسه فسقط عنه فوُقِص [1] .

[كان أبو الجارود صديقاً له فلمّا ولي ولاية جفاه فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال : كان أبو الجارود سالِم بن سَلَمة بن نَوفل الهذليّ صديقاً لأبي الأسود ، يهادِيه الشعر ، ويجيب كلّ واحدٍ منهما صاحبه ، ويتعاشرانِ ويتزاورانِ ، فولِي أبو الجارود وِلاية ، فجفا أبا الأسودِ وقطعه ، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

أبلِغْ أبـا الجارود عنّـي رسالة ... يَرُوح بها الغادي لِرَبْعك أو يغدو
فيخبرَنا مـا بالُ صَرمك بعـد ما ... رضِيتَ وما غَيَّرْتَ من خُلُقٍ بعدُ
أإنْ نِلـتَ خيراً سَرَّني أن تنالـه ... تنكَّرتَ حتى قلتُ ذو لِبدةٍ وَرْدُ ؟
فعيناك عينـاه وصوتك صوته ... تُمثّلـه لي غيرَ أنّـك لا تعدو

1 وقص : دقّت عنقه وكسرت .

لئن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا ... لقد جعلَتْ أشراطُ أوّلــه تبدو[1]
فإنّي إذا مــا صاحبٌ رَثَّ وصلُه ... وأعرَضَ عنّي قلّ منّي لـه الوَجدُ

[خبره مع الحارث بن خليد وشعره فيه]

قال المدائنيّ : كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خُلَيد ، وكان في شرف من العطاء ، فقال لأبي الأسود : ما يمنعك من طلب الديوان ؟ فإنّ فيه غنًى وخيراً ، فقال له أبو الأسود : قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمّل ، فقال : كلا ، ولكنّك تتركه إقامةً على محبّة ابن أبي طالب وبغْضِ هؤلاء القوم . وزاد الكلام بينهما ، حتى أغلظ له الحارث بن خليد ، فهجره أبو الأسود ، وندِم الحارث على ما فرط منه ، فسأل عشيرته أن تصلِح بينهما ، فأَتَوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له : قد اعتذر إليك الحارث ممّا فرطَ منه وهو رجل حدِيد[2] ، فقال أبو الأسود في ذلك : [من المتقارب]

لنا صاحب لا كَلِيلُ اللسان ... فيَصمُتَ عنّا ولا صارِمُ
وشرُّ الرّجـال على أهلِـهِ ... وأَصحابِـهِ الحَمِـقُ العارِمُ

وقال فيه : [من الطويل]

إذا كان شيء بيننـا قيـل إنّـه ... حدِيـدٌ فخالِـفْ جهلَـه وترفَّقِ
شنِئتُ من الأصحاب من لستُ بارحاً ... أُدامِلـه دَمْـلَ السقـاء المخـرَّقِ[3]

[كتب إلى الحصين كتاباً فتهاون به]

وقال المدائنيّ : ولّى عبيد الله بن زياد الحصينَ بن أبي الحُرّ العنبريّ مَيْسانَ ، فدامت وِلايته إيّاها خمس سنين ، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدّى فيه لرِفده ، فتهاون به ولَم ينظر فيه ، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله ، فقال فيه : [من الطويل]

أَلا أبلِغـا عنّـي حُصَيْناً رسالةً ... فإنّك قـد قطّعتَ أُخرى خِلالِكا
فلو كنتَ إذ أصبحتَ للخَرج عاملاً ... بميسانَ تُعْطِي الناسَ من غير مالِكا[4]
سألتـك أَو عرَّضتُ بـالودِّ بيننا ... لقـد كان حقّاً واجباً بعضُ ذلِكا

1 أشراط : جمع شَرَط ، وهو العلامة .
2 حديد : حاد اللّسان .
3 دامله : داراه ليصلح ما بينه وبينه .
4 الخرج : الخراج .

وخبَّرني مَــن كنت أرسلت أنّما أخذتَ كتابـي مُعْرِضاً بشمالِكا
نظـرتَ إلى عنوانــه ونَبَذتــه كنبذك نعــلاً أخلقَتْ من نِعالِكا
حسبت كتابـي إذ أتاك تعرّضاً لسَيبك ، لم يذهب رجائي هنالِكا
يُصيب وما يدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النَّوْك إلاّ كذلِكا

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً ، فغضِب وقال : ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغَتْ ما يتعاطاه من مساءتِنا وتوعّدِنا وتوبيخنا ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه : [من المتقارب]

أبلِــغ حصينــاً إذا جئتــه نصيحةَ ذي الرأي للمجتنِيها
فلا تكُ مثل التي استخرجت بأظلافِهـا مُديــةً أو بِفِيها[1]
فقــام إليهـــا بهـــا ذابح ومن تَدْعُ يوماً شَعوبُ يجيِها[2]
فظلّــت بأوصالهـــا قِدرُها تحُشّ الوليـــدةُ أو تشتوِيها[3]
وإن تأبَ نصحي ولا تنتهي ولم تَـرَ قـولي بنصحٍ شبيها
أُجَرِّعْـك صابــا وكان المُرا ر والصاب قِدْماً شراباً كريها

[خبره مع معاوية بن صعصعة]

وقال خالد بن كلثوم : كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودّة ، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها لـه فيجحدها أو يحلِف أنّه لم يفعل ، ثم يعاوِد ذلك ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ولي صاحب قــد رابني أو ظلمته كذلك ما الخصمان بَـرٌّ وفاجرُ
وإنّي امـرؤ عندي وعمدا أقوله لآتِيَ مــا يأتي امرؤ وهــو خابرُ
لسانان معسولٌ عليــه حــلاوة وآخــر مسموم عليــه الشَّراشِرُ[4]
فقلــت ولم أبخل عليه نصيحتي وللمــرء نــاهٍ لا يــلام وزاجرُ
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقبَ قــول تعتريـــه المعاذرُ
فكم شاعــرٍ أرداه أنْ قال قائل له في اعتراض القول إنّك شاعِرُ

1 يشير إلى المثل «كباحثة عن حتفها بظلفها» ، وأصله أنّ رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فجثت الشاة الأرض بأظلافها فسقطت على شفرة فذبحها به .
2 شعوب : المنية .
3 حش النار : أوقدها .
4 شرشر السكين : أحدّها .

عطفتُ عليـه عطفـة فتركته | لِما كان يرضى قبلها وهو حاقرُ
بقافيـة حـذّاءَ سهـلٍ رويُّهـا | وللقـول أبوابٌ تُـرى ومحاضرُ[1]
تَعَزّى بهـا من نومه وهو ناعِس | ـ إذ انتصف الليلُ ـ الُمكلُّ المسافِرُ[2]
إذا ما قضاها عـاد فيها كأنّه | للذّتـه سكـران أو متساكرُ

[شعره في عبد الله بن عامر وكان مكرماً له ثم جفاه لتشيّعه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثني العمريّ عن العتبيّ قال : كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيّع فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ألم ترَ مـا بيني وبين ابن عامر | من الودِّ قـد بالت عليه الثعالبُ
وأصبح باقـي الودّ بيني وبينه | كأن لم يكن ، والدَّهرُ فيه عجائبُ
إذا المـرء لم يُحْبِبك إلاّ تكرُّهاً | بـدا لك من أخلاقه مـا يغالِبُ
فَلَلنأيُ خير مـن مُقامٍ على أذى | ولا خيرَ فيمـا يستقلّ المعاتِبُ

[قصّته مع زوجتيه القشيريّة والقيسيّة وشعره في ذلك]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنا عبيد الله بن محمد قال حدّثنا ابن النطاح قال ذكر الحِرْمازيّ عن رجل من بني الدّيل قال : كانت لأبي الأسود الدؤليّ امرأة من بني قُشَير وامرأة من عبد القيس ، فأسنَّ وضعف عمّا يطيقه الشباب من أمر النساء ، فأمّا القشيريّة فكانت أقدمهما عنده وأسنّهما ، فكانت موافقة له صابرة عليه ، وهي أمّ عوف القشيريّة التي يقول فيها : [من الطويل]

أبى القلب إلاّ أمّ عـوف وحبّها | عجوزاً ومـن يحبب عجوزاً يفنَّدِ
كسَحْق يمانٍ قـد تقادم عهـده | ورُقعته مـا شئت في العين واليدِ[3]

وأمّا الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعْميّ ، وكانت أشبّهما وأجملهما ، فالتوت عليه لّما أسنّ ، وتنكّرت له وساءت عشرتها ، فقال فيها أبو الأسود : [من الطويل]

تعاتبنـي عِرسي على أن أُطيعهـا | لقـد كذَّبتهـا نفسُها ما تمنَّتِ
وظنّت بأنّي كلُّ ما رضيتْ بـهِ | رضيتُ به ، يا جهلها كيف ظنّتِ !

1 حذّاء : سائرة أو منقحة لا عيب فيها .
2 أكلّه : أتعبه .
3 السحق : الثوب البالي .

وصاحبتُها مـا لو صحِبتُ بمثله على ذعرهـا أُرْوِيـة لاطمأنّتِ[1]
وقد غرَّها منّي على الشيبِ والبِلى جنوني بها ، جُنّت حِيالي وحُنّتِ

يقال : جُنَّ وحُنَّ ، وهو من الإتباع كما يقال : حسنٌ بَسَن .

ولا ذنب لي قد قلتُ في بدء أمرنا ولو علِمت مـا عُلِّمَتْ ما تعنَّتِ[2]
تَشكّـى إلى جاراتهـا وبناتِهـا إذا لَم تجـد ذنبـاً علينا تجنَّتِ
ألَم تعلمي أنّي إذا خِفت جفوة بمنزلةٍ أبعـدتُ منهـا مطيّتي
وأنّي إذا شقّت عـلَيَّ حليلتي ذَهَلتُ ولَم أحنِنْ إذا هي حنَّتِ[3]

وفيها يقول : [من الطويل]

أفاطِم مهـلاً بعضَ هذا التعبّس وإن كانَ منك الجِدّ فالصَّرْمُ مُوئسي
تَشَتَّمُ لِـي لمـا رأتنـي أحبّهـا كذي نعمة لم يُبْدِهـا غيرَ أبؤسِ
فإن تنقُضي العهد الذي كان بيننا وتلوي بـه في ودّك المتحلّسِ[4]
فإنّي ، فلا يغرُرْكِ منّي تجمّلي ، لأُسلى البعـاد بالبعـاد المكنّسِ
وأعلـم أنّ الأرض فيها مَنادح لِمَن كان لم تُسْدَد عليه بمحبسِ[5]
وكنت امرءاً لا صحبةَ السوء أرتجي ولا أنـا نـوّام بغير معرّسِ[6]

[أرسل غلامه يشتري له جارية فأخذها لنفسه]

وقال المدائنيّ : كان لأبي الأسود الدؤليّ مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصبّاح ، فذُكرت لأبي الأسود جارية تباع ، فركِب فنظر إليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود ، فقال في ذلك : [من الطويل]

إذا كنت تبغـي للأمانـة حامـلاً فدَع نافعاً وانظر لهـا مَن يُطيقُها
فإن الفتـى خَـبٌّ كذوب وإنّه لـه نفس سَوء يجتويها صديقُها
متى يخـلُ يومـاً وحـده بأمانة تُغَـلّ جميعـاً أو يُغَـلّ فريقُها
على أنـّه أبقـى الرّجـال سَمانة كما كلُّ مسمان الكلاب سَروقُها

---

1 الأروية : الأنثى من الوعول .
2 تعنّاه : عناه وأوقعه في العناء .
3 شقّ عليه ، أوقعه في المشقة . ذهله وعنه : سلاه وطابت نفسه عن إلفه .
4 تحلس بالمكان : أقام به .
5 منادح : جمع مندوحة : وهي السعة .
6 المعرس : موضع التعريس ؛ وهو نزول القوم في السّفر آخر الليل للاستراحة .

[خطبته حين نعي له عليّ]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا علي بن محمد المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : أتى أبا الأسود الدؤليّ نعيُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فقام على المِنبر فخطب الناس ونعى لهم عليّاً عليه السلام فقال في خطبته : «وإنّ رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينة ، اغتال أمير المؤمنين عليّاً كرّم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجّده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرِمْ به وبمقتله ورُوحه من روح عَرَجت إلى الله تعالى بالبرِّ والتُّقى والإيمان والإحسان ؛ لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيّاً» .

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : «وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه ، وإنّي لأرجو أن يجبر الله عزَّ وجلَّ به ما وَهَى ، ويسدّ به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفيء به نيران الفتنة ، فبايِعوه تَرشُدوا» .

[كتب إليه معاوية يدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة فرثى علي بن أبي طالب]

فبايعت الشيعة كلّها ، وتوقّف ناس ممّن كان يرى رأى العثمانية ولم يظهروا وأنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية ودسّ إليه رسولاً يُعلمه أنّ الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعده ويُمَنّيه ؛ فقال أبو الأسود : [من الوافر]

ألا أبلغ معاويةَ بن حرب	فلا قَرَّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طُرّاً أجمعينا
قتلتم خيرَ مَن ركِب المطايا	وخيَّسها ومَن ركِب السفينا[1]
ومَن لبِس النّعال ومَن حَذاها	ومَن قرأ المثاني والمئينا[2]
إذا استقبلت وجه أبي حسين	رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمَت قريش حيث حلّت	بأنّك خيرها حَسَباً ودِينا

[لزم ابنه المنزل فحثّه على العمل والسعي في طلب الرزق]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدَّثنا الرياشيّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي عبيدة قال : كان

1 خيسها : ذلّلها .
2 حذاه نعلاً : أعطاه إيّاها .

أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لي رزق فسيأتيني ، فقال له : [من الوافر]

وما طلب المعيشة بالتمنّي ... ولكن ألق دلوك في الدّلاء

تجئك بملئها يوماً ويوماً ... تجئك بحَمْأة وقليلِ ماء[1]

[مولاته لطيفة تتبنّى ابن عبدها وتحبّه كأنّه حفيدها]

وقال المدائنيّ : كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة ، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلِمّ فابتاعت له أَمَة وأنكحته إيّاها ، فجاءت بغلام فسمّته زيداً ، فكانت تؤثره على كلّ أحد ، وتجد به وجْدَ الأمّ بولدها ، وجعلته على ضيعتها ، فقال فيه أبو الأسود ، وقد مرضت لطيفة : [من الوافر]

وزيد هالكٌ هُلْكَ الحُبارى ... إذا هلكت لطيفة أو مُلِمُّ[2]

تبنَّتْه فقال وأنتِ أمّي ... فأنّى بعدها لكِ زيدُ أُمُّ !

تَرُمُّ متاعه وتزيد فيه ... وصاحبها لما يحوي مِضَمُّ[3]

ستلقى بعدها شرّاً وضرّاً ... وتُقْصى إن قرُبت فلا تُضَمُّ

وتَلقاك الملامة كلَّ وجه ... سلكتَ وينتحي حالَيْك ذمُّ

قال : فماتت لطيفة من علّتها تلك ، وورثها أبو الأسود ، فطرد زيداً عمّا كان يتولاّه من ضيعتها ، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه ، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعّده .

[اشترى جارية للخدمة فتعرّضت له]

وقال المدائنيّ أيضاً : اشترى أبو الأسود أَمَة للخدمة ، فجعلت تتعرّض منه للنّكاح وتتطيّب وتشتمل بثوبها ، فدعاها أبو الأسود فقال لها : اشتريتك للعمل والخدمة ، ولم أشترِك للنّكاح ، فأقبلي على خدمتك ، وقال فيها : [من الكامل]

أصلاحُ إنّي لا أُريدك للصّبا ... فدَعي التشمّلَ حولنا وتبذَّلي[4]

---

1 الحمأة : الطين الأسود المنتن .

2 الحبارى : طائر ، ومن أمثالهم فيه : «فلان ميت كَمَد الحبارى» ، وذلك أنها تحسر مع الطير أيّام التحسير فتلقي الريش ثم يبطىء نبات ريشها ، فإذا طار سائر الطير عجزت عن الطيران فتموت كمداً» .

3 مضم : شديد الضمّ .

4 تبذّل : لبس البذلة ، وهي ثوب الخدمة والاعتمال . تشمل بالشّملة : تغطّى بها ، وهي كساء دون القطيفة يلتحف به .

إنّـي أُريدك للعجين وللرَّحى ولحمـلِ قربتنا وغَلْيِ المِرْجَلِ
وإذا تروَّحَ ضيفُ أهلك أو غدا فخُذي لآخَـرَ أهبةَ المستقبلِ

[أهدى إليه المنذر بن الجارود ثياباً فمدحه]

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعيّ قال حدَّثنا أبو عُشانة عن ابن عبّاس قال: كان المنذِر بن الجارود العبديّ صديقاً لأبي الأسود الدؤليّ تعجبه مجالسته وحديثه، وكان كلّ واحد منهما يغشى صاحبه؛ وكانت لأبي الأسود مُقَطَّعة[1] من برود يكثر لُبسها، فقال له المنذر: لقد أدمنت لبس هذه المقطعة، فقال له أبو الأسود: ربّ مملول لا يستطاع فراقه[2]؛ فعلِم المنذر أنّه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً، فقال أبو الأسود يمدحه: [من الطويل]

كساك ولم تستكسه فحمِدتَـه أخ لك يعطيك الجزيـل وناصرُ
وإنّ أحـقّ النّاس إن كنت حامِداً بحمدك مَن أعطاك والعِرض وافرُ

[أبيات أوصى فيها ابنه]

أنشدني محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عمّه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه، وفي هذه الأبيات غناء: [من الكامل]

صوت

لا ترسلن رسالـة مشهورة لا تستطيع، إذا مضت، إدراكَها
أكرِمْ صديق أبيـك حيث لقِيته واحْبُ الكرامة مَن بَدا فحباكَها
لا تبديـنَّ نميمـة حُدِّثْتَهـا وتحفَّظـنّ مـن الذي أنباكَها

[اعتذر لزياد في شيء جرى بينهما فلم يقبل عذره]

أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدَّثنا أبو محمد المروزيّ عن القَحْذَميّ عن بعض الرّواة أن أبا الأسود الدؤليّ اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما، فكأنّه لم يقبل عذره فأنشأ يقول: [من الخفيف]

إنّنـي مجـرم وأنـت أحـقّ النـ ـاس أن تقبـل الغَداةَ اعتذاري
فاعف عنّي فقد سُفِهتُ وأنت الـ ـمرء تعفـو عـن الهَنات الكبارِ

فتبسّم زياد وقال: أمّا إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك.

1 المقطعات من الثياب: شبه الجباب من الخز وغيره.

2 مثل: يضرب في قضاء الحاجة قبل سؤالها، يقال: دخل أبو الأسود على بعض إخوانه فرأى عليه ثوباً قد خلق، فقال له: يا أبا الأسود: أما آن لهذا الثوب أن يبدّل؟ فقال هذا المثل فبعث إليه صديقه بعدّة أثواب. مجمع الأمثال 2: 58 فصل المقال 367.

[استشير في رجل أن يولى ولاية فذمّه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه عن عيسى بن عمر قال: سئل أبو الأسود عن رجل، واستشير في أن يولّى ولاية، فقال أبو الأسود: هو ما علمتُه: أهْيَسُ أَلْيَسُ، أَلدُّ مِلْحَسُ[1]، أن أُعطى انتهر، وإن سئل أَزَرَ[2]. قال الأصمعيّ: الأهيس: الحاد، ويقال في المثل: [من الرجز]

إحدى لياليكِ فهِيسي هِيسي[3]

قال: ويقال ناقة لَيْساء: إذا كانت لا تبرح من المبرك. قال: وهو مِمّا يوصف به الشجاع، وأنشد في صفة ثور: [من الرجز]

أَلْيَسُ عن حَوبائه سخيّ[4]

[ضمن له كاتب ابن عامر أن يقضي حاجة ثم نكث]

أخبرني أحمد بن محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدَّثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفيّ قال حدَّثنا أبو مُحَلِّم عن مؤرِّج السدوسيّ عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يَسار قال، وكان من أفصح أهل زمانه، قال: أوصى أبو الأسود الدؤليّ كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجةٍ له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً، فقال أبو الأسود: [من الطويل]

لعمرِي لقد أُوصيتُ أمسِ بحاجتي ... فتى غيرَ ذي قصدٍ عليّ ولا رَؤُفْ[5]
ولا عارفٍ ما كان بيني وبينه ... ومن خير ما أدلى به المرء ما عُرِفْ
وما كان ما أَمَّلتُ منه ففاتني ... بأوّل خيرٍ من أخي ثقةٍ صُرِفْ

[جفاه أبو الجارود فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدَّثني أبو زيد الأنصاريّ سعيد بن أوس قال حدَّثني بكر بن حبيب السهميّ عن أبيه، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤليّ قال: كان أبو الجارود سالم بن سَلَمة بن نوفل الهذليّ شاعراً، وكان صديقاً لأبي

1 ألدّ: جدل شديد الخصومة. والملحس: الحريص، والذي يأخذ كل شيء يقدر عليه، والشجاع.
2 أَزَرَ: تضام وتقبّض من بخله.
3 مثل: في حؤول الدهر وتنقله بأهله، فهذا من أمثالهم في الذي ينزل به الأمر الشديد الذي يحتاج أن ينصب فيه ويتعنّى، قاله رجل من طسم حين أوقعت بها جديس يخاطب ناقته وهو فار، فصل المقال 463/464.
4 الأليَس: الشجاع الذي لا يبالي الحرب. الحوباء: النفس.
5 رؤف: رؤوف.

الأسود الدؤليّ ، فكان يهاديه الشعر ، ثم تغيّر ما بينهما ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

أبلغ أبا الجارود عنّي رسالة ... يروح بها الماشي ليلقاك أو يغدو
فيخبرَنا ما بالُ صَرمك بعد ما ... رضيت وما غيّرت من خُلُق بعدُ
أإن نلت خيراً سرّني حين نلته ... تنكّرتَ حتى قلت ذو لِبدة وَرْدُ ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته ... تُمثّله لِي غيرَ أنّك لا تَعْدو
فإن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا ... وقد جعلت أسباب أوّله تبدو
فإنّي إذا ما صاحب رَثَّ وصله ... وأعرض عنّي قلت بالأبعدِ الفقدُ

[وفاته]

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائنيّ في الطاعون الجارف سنة تسع وستّين وعمره حينئذٍ خمس وثمانون سنة . قال المدائنيّ : وقد قيل إنّه مات قبل ذلك ؛ وهو أشبه القولين بالصواب ، لأنّا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار[1] بذكر ، وذكر مثل هذا القول بعينه . والشكّ فيه هل أدرك الطاعون الجارف أوّلاً ، عن يحيى بن مَعِين . أخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن المدائنيّ ويحيى بن مَعِين : [من مجزوء الوافر]

صوت

لعمرك أيّها الرجل ... لأيّ الشّكل تنتقِلُ
أتهجر آل زينب أم ... تزورهمُ فتعتدلُ ؟
هُمُ رَكْبٌ لقُوا ركبا ... كما قد تُجْمَع السُّبُلُ
فذلك دأبنا وبذا ... ك تجري بيننا الرسُلُ

الشعر لأبي نَفيس بن يَعْلى بن مُنْية ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى ، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى ، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر .

1 هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفيّ ، كان قد خرج يطلب بدم الحسين رضي الله عنه ، ونشبت بينه وبين مصعب بن الزبير وقائع انتهت بقتله سنة 67هـ .

[228] ـ أخبار أبي نفيس ونسبه

[نسبه]

اسمه حُيَيّ بن يحيى بن يَعْلى بن مُنْية ، وقيل بل اسم أبي نَفِيس يحيى بن ثعلبة بن منْية ، ومنْية أمّه ، ذكر ذلك الزُّبير بن بكّار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد عن جدّه . قال الزُّبير : وكان جدّي يقول : اسمه ميمون بن يعلى ؛ وأُمّه منية بنت غَزْوان أخت عُتْبة بن غزوان ، وأبوه أُميّة بن عَبدة بن همام بن جُشَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وجدت ذلك بخطّ أبي محلِّم النسابة . قال : ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدويّة ؛ وهي فُكَيْهة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عديّ بن عبد مناة بن تميم ، ولدت لمالك بن حنظلة زيداً وصُدَيّاً ويربوعاً ، فهم يُدْعون بني العدوية .

[بعض أخبار جدّه يعلى بن منية]

وكان يعلى بن مُنْية حليفاً لبني أُميّة وعديداً[1] لهم ، وبينه وبينهم صِهر ومناسبة ، وقد أدرك النبيّ ﷺ وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً ، وعمِّر بعده ؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا أحمد بن الحارث قال حدَّثنا المدائنيّ عن أبي مِخْنف عن عبد الرّحمن بن عبيد عن أبي الكنود قال : قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : مُنيت ، أو بليت ، بأطوع الناس في الناس عائشة ، وبأدهى النّاس طلحة ، وبأشجع الناس الزبير ، وبأكثر النّاس مالاً يَعْلى بن منية ، وبأجود قريش عبدِ الله بن عامر ؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال : والله يا أمير المؤمنين لأنت أشجع من الزُّبير ، وأدهى من طلحة ، وأطوع فينا من عائشة ، وأجود من ابن عامر ، ولَمال الله أكثر من مال يعلى بن منية ، وليكوننّ كما قال الله جلَّ وعزّ : ﴿فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ . فسر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله : ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال : [من المتقارب]

أمّا الزبيـر فأكفيكَـه ... وطلحـةُ يكفيكـه وَحْوحَهْ

ويَعْلى بن مُنية عنـد القتالِ ... شدِيـد التثاؤبِ والنَحْنَحَهْ

---

1 العديد : الذي يعد من أهلك وليس منهم .

وعائِشُ يكفيكها واعِظ — وعائش في الناس مستنصَحَهْ
فلا تجزعنَّ فإن الأمور — إذا ما أتيناك مستنجَحَهْ
وما يصلح الأمر إلاّ بنا — كما يصلح الجبن بالإنْفَحَهْ[1]

قال : فسرّ عليّ عليه السلام بقوله ، ودعا له وقال : بارك الله فيك . قال : فأمّا الزبير فناشده عليّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم ، وأمّا طلحة فناشده وحوحة ، وكان صديقه وكان من القرّاء ، فذهب لينصرف ، فرماه رجل من عسكرهم فقتله .

فأمّا ما رواه عن النبيّ ﷺ فكثير ، ولكنّي أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره .

[روى يعلى الحديث عن النبيّ ﷺ]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدَّثني محمد بن عباد المكّيّ قال حدَّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن مُنْية عن أبيه أنّه سمع النبيّ ﷺ يقرأ على المِنبر : ﴿وَنادَوا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾ . وقد روى يَعْلى عنه ﷺ حديثاً كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف رِوايته عنه .

[أقرض يعلى الزبير بن العوام يوم الجمل مالاً ، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدَّثنا محمد بن الحَكَم عن أبي مخنِف قال : أقرض يَعْلى بن مُنْية الزبير بن العوّام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار ، فقضاها ابن الزُّبير بعد ذلك لأنّ أباه قتل يومئذٍ ولم يقضه إيّاها .

قال : ولمّا صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزُّبير في الصلاة ، فاتّفقا على أن يصلّي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً ، وقال شاعرهم في ذلك : [من المتقارب]

تبارى الغلامانِ إذ صَلَّيا — وشَحَّ على الملك شيخاهما
ومالي وطلحةَ وابن الزبير — وهذا بذي الجِزع مولاهما[2]
فأمّهما اليوم غرَّتهما — ويَعلى بن مُنْية دلاَّهما[3]

[رثى يعلى زوجه حين توفّيت بتهامة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدَّثني محمد بن يحيى عن جدّه عبد الحميد قال : كان يعلى بن منية ــ ويكنى أبا نفيس ــ وسمعت غير جدّي يقول اسمه يحيى

1 الإنفحة : شيء يستخرج من بطن الجدي الراضع أصفر فيعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ كالجبن .
2 جزع الوادي : منعطفه .
3 أمهما : يعني عائشة أمّ المؤمنين .

وهو من بني العدويّة من بني تميم من بني حنظلة ، تزوّج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب ، ولهم حِلف في بني غِفارٍ ، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن : [من مجزوء الرجز]

نحــن بنــات طارقِ نمشي عـلى النمارقِ

فتوفيت بِتِهامة فقال يرثيها : [من الرجز]

يا ربِّ ربَّ النّاسِ لمـا نَحَّبوا وحين أُفْضَوا من مِنًى وحَصَبوا[1]

لا يُسْقَيَـنَّ مَلَـحٌ وعُلَيْـبُ والمُستَرادُ لا سقاه الكوكبُ[2]

مـن أجـل حُمّاهن ماتت زينبُ

قال الزُّبير : وأنشدنيها عمِّي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية ، قال : واسمه ميمون ، وكان عمِّي يقول : اسم أبي نفيس ميمون بن يعلى ، وقال في الأبيات : [من الرجز]

لا يسقـين عُنُبٌ وعُلَيْـبُ[3]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى عن جدّه غسّان بن عبد الحميد قال : رأت عائشة زوج النبيّ ﷺ بنات طارق اللواتي يقلن : [من مجزوء الرجز]

نحــن بنــات طارقِ نمشي عـلى النَّمارقِ

فقالت : أخطأ مَن يقول : الخيل أحسن من النساء .

قال : وقالت هند بنت عُتْبة لمشركي قريش يوم أُحُد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طـارقِ نمشي على النمارقِ

الدُّرُّ في المَخانِــقِ والمسك في المَفـارقِ[4]

إن تُقْبِلـوا نُعانِـقِ أو تُدْبِـروا نفارقِ

فِراقَ غير وامِــقِ

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهُدَيْرِيّ قال : جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ في مسجد رسول الله ﷺ وأنا متقنّع ، فذكر

1 نحبوا : ساروا سيراً سريعاً دائباً .

2 ملح : موضع من ديار بني جعدة باليمامة . وعليب : موضع بين الكوفة والبصرة . والمستراد : موضع في سواد العراق من منازل إياد . والكوكب : الماء .

3 عنبب : اسم موضع .

4 المخنقة : موضع القلادة .

الضحّاك وأصحابه قولَ هند يوم أُحُد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنات طارقٍ

فقال : وما طارق ؟ فقلت : النجم . فالتفت الضحّاك فقال : أبا زكريّا ، وكيف بذاك ؟ فقلت : قال الله عزّ وجلّ : ﴿والسَّماءِ والطَّارِقِ وَما أَدْراكَ ما الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ . فقالت : إنّما نحن بنات النّجم ، فقال : أحسنت .

صوت

[من الطويل]

خليليَّ قوما في عَطالَةَ فانظرا ... أناراً أرى من نحو يَبْرِينَ أم برقا[1]
فإن يَكُ برقا فهو في مُشْمَخِرَّةٍ ... تغادِر ماءً لا قليلاً ولا طَرْقا[2]
وإن تَكُ ناراً فهي نار بملتقًى ... من الرّيح تَسفِيها وتَصْفِقها صَفْقا[3]

ويروى : «تَزْهاها[4] وتَعْفِقها عَفْقا» .

لأُمِّ عليٍّ أَوقَدَتْها طَماعةً ... لأوبة سَفْر أن تكونَ لهم وَفْقا

الشعر لِسُوَيد بن كُراع ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكّيّ ، وذكر غيره أنّه لابن مسجح .

1 عطالة : جبل منيف بديار بني سعد .
2 المشمخر : الجبال العالية . الطرق : الماء المجتمع الذي خيض فيه فكدر فهو مطروق وطرق .
3 صفقته الريح : ضربته وحرّكته .
4 زهت الريح النبات : هزّته غبّ الندى . وعفقها : جمعها وضمّها .

[229] ـ أخبار سويد بن كراع[1] ونسبه

[نسبه]

سُويد بن كُراع[2] العُكليّ ، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل . شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأمويّة . وكان في آخر أيّام جرير والفرزدق .

[كان شاعر محكماً وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدّم فيهم]

وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال : كان سويد بن كراع شاعراً مُحْكِماً[3] ، وكان رجلَ بني عُكْل وذا الرأي والتقدّم فيهم ، وعُكْل وضَبَّة وعدِيّ وتَيْم هم الرِّباب .

قال : وكان بعض بني عديّ بن التيم ضرب رجلاً من بني ضبّة ، ثم من بني السِّيد ، وهم قوم نُكْدٌ[4] شُرْس ، وهم أخوال الفرزدق ؛ فاجتمعوا حتى ألَمَّ أن يكون بينهم شرّ ، فجاء رجل من بني عديّ فأعطى يده رهينة[5] لينظروا ما يصنع المضروب ، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيْفان)[6] حليف بني عبد الله بن دارم : [من الطويل]

أُسالِمُ إنّي لا إخالــك سالمـاً ... أتيتَ بني السِّيد الغُواةَ الأشائما

أُسالِم إن أفلــتَّ مــن شرّ هذه ... فوائِلْ فِــراراً إنّما كنتَ حالِما[7]

أُسالِم مــا أُعطى ابنُ مامةَ مثلها ... ولا حاتِمٌ فيما بــلا الناسُ حاتِما

[قال شعراً يردّ به على خالد بن علقمة]

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك : [من الطويل]

أُشاعِرَ عبدِ الله إن كنتَ لائمـاً ... فإنّي لمــا تأتــي مــن الأمرِ لائِمُ

---

1 انظر أخباره في الإصابة 3 : 173 ، والشعر والشعراء 2 : 635 .

2 كراع : اسم أمّه ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : سلمة .

3 ل : محدثاً .

4 نكد : جمع أنكد ، وهو الرجل العسر الشديد الشرّ .

5 أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للأسر .

6 الطيفان : أم خالد بن علقمة .

7 واءل : طلب النجاة .

تُحَضِّض أفنـاء الرِّبـاب سفاهَةً وعِرضُك موفـور وليلَك نائِمُ[1]
وهل عَجَبٌ أن تدرك السِّيدُ وِترَها وتصبِرَ للحـقّ السَّراةُ الأكارِمُ[2]
رأيتك لـم تمنع طُهَيَّةَ حكمَها وأعطيتَ يربوعـاً وأنفُك راغِمُ[3]
وأنتَ امرؤ لا تقبـل النصحَ طائعاً ولكن متـى تقْهَـرْ فإنّك رائِمُ[4]

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيبانيّ أتمّ منه هاهنا وأوضح فذكرته ؛ قال : كان بين بني السِّيد بن مالك ، من ضبّة ، وبين بني عديّ بن عبد مَناة تَرامٍ على خَبْراءَ[5] بالصَّمَّان يقال لها ذات الزِّجاج ، فرُمي عمرو بن حَشَفة أخو بني شُيَيْم فمات ، ورمت بنو السِّيد رجلاً منهم يقال له مُدْلِج بن صَخْر العدويّ فمكث أيّاماً لم يَمُتْ ، فمرَّ رجلٌ من بني عدِيّ يقال له مُعَلِّل على بني السِّيد وهو لا يعلم الخبر ، فأخذوه فشدّوه وَثاقاً فأفلت منهم ، ومشى بينهم عِصمة بن أُبَيْر التيميّ سفيراً ، فقال لسالم بن فلان العدويّ : لو رهنتَهم نفسك فإن مات مدلِج كان رجل برجلٍ ، وإن لم يمُت حملت دية صاحبهم ، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن حِمْيَريّ أخي بني شُيَيْم من بني السِّيد ، فكان عنده . ثم إنّ بني السِّيد لمّا أبطأ عليهم موتُ مدلِج أتوا أخثم لينتزِعوا منه سالِماً ويقتلوه ، فقوّض عليه أخثم بيته ثم قال : يا آل أُمِّي ، وكانت أُمّه من بني عبد مناة ابن بكر ، فمنعه عبد مناة . ثم إنّ بني السِّيد قالوا لأخثم : إلى متى تمنع هذا الرجل ! أمّا الدية فوالله لا نقبلها أبداً . فجعل لهم أجلاً إن لم يمُت مدلِج فيه دفع إليهم سالِماً فقتلوه به . فلمّا كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلِج ، فقتلوا سالِماً ، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارِم ، وهو ابن الطَّيفان : [من الطويل]

أسالِمُ مـا مَنَّتك نفسك بعدما أتيت بني السِّيد الغواة الأشائِما ؟
أسالم قـد منتك نفسك أنمـا تكون دِياتٌ ثـم ترجعُ سالِما
كذبـتَ ولكـن ثائِـر متبسِّل يُلَقِّيك مصقولَ الحديدة صارِما[6]

1 أفناء : أخلاط .
2 يريد بالحق هنا القصاص .
3 طهية ، من بني حنظلة ، وبنو يربوع بن حنظلة أبناء عمومتهم .
4 رائم : محبّ آلف .
5 الخبراء : منبت الخبر ، وهو شجر السّدر . والصَّمّان : جبل في أرض تميم .
6 تبسَّل : عبس غضباً أو شجاعة .

أسالِم ما أَعْطى ابنُ مامـةَ مِثلَها ... ولا حاتِمٌ فيما بـلا النّاسُ حاتِما
أسالِم إن أَفْلتَّ مـن شرّ هذه ... فوائِلْ فِراراً إنّما كنـت حالِما
وقـد أُسلمتْ تيمٌ عدِيّاً فأَرْبَعَتْ ... ودلَّتْ لأَسباب المنيّـة سالِما[1]

فأَجابه سويد بن كراع بالأَبيات التي ذكرها ابن سلاّم ، وزاد فيها أَبو عمرو : [من الطويل]

دعوتم إلى أَمـر النَّواكـة دارِما ... فقـد تركتكـم والنواكَـةَ دارِمُ
وكنتَ كذاتِ البَوِّ شُرِّمت استُها ... فطابقتَ لَمّـا خرّمتك الغمائمُ[2]
فلـو كنت مولى مسلت ما تجللت ... بـه ضبع في ملتقى القوم واحِمُ[3]
ولَم يـدرك المقتولُ إلاّ مجرّه ... وما أَسْأَرت منه النسورُ القَشاعِمُ[4]
عليك ابنَ عوف لا تدعـه فإنّما ... كفاك موالِينا الذي جـرَّ سالِمُ
أَتذكر أَقوامـاً كفـوك شئونهم ... وشأنـك إلاّ تركَـه متفاقِمُ

قال : وقال سويد بن كراع في ذلك : [من الطويل]

أرى آل يربـوعٍ وأُفناء مالكٍ ... أعضُّوك في الحربِ الحديدَ المُنَقَّبا[5]
هـمُ رفعوا فأسَ اللجام فأدركت ... لَهاتَك حتّى لم تَدعْ لك مَشْرَبا[6]
فإن عُدْتَ عادوا بالتي ليس فوقها ... مـن الشرِّ إلاّ أَن تبيتَ محجَّبا
وتصبح تُـدْرى الكُعْكُبِيّةَ قاعِدا ... ويُنتَف من لِيتَيْك مـا كان أَزغبا

تدرى : تمشط بالمِدرى كما يفعل بالسناء ، والكعكبيّة : مِشطة معروفة .

فهـل سأَلوا فينا سَواءَ الذي لهم ... وهـل نحـن أُعطَينا سِواه فَتَعْجَبا[7]

1 أسلمت : خذلت . أربعت : اطمأنّت ؛ من قولهم : أربع القوم إذا أقاموا في المربع . دلت : من التدلية . والأسباب : الجبال .

2 البوّ : جلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من الناقة فتعطف عليه فتدرّ . وشرمت استها : شققت . وطابقت : أذعنت وبجعت . الغمامة : خرقة كالكرة تدخل في أنف الناقة لئلاّ تشمّ .

3 زعموا أن الرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه فإذا انتفخ انتفخ غرموله وعظم ، فقلبه عند ذلك على القفا ، فإذا جاءت الضبع لتأكله ، فرأته على تلك الحال استدخلت غرموله وقضت وطرها منه ثم أكلته . تجلل الفحل الناقة : علاها . الواحم : المشتهية للضراب .

4 أسأرت : أبقت . نسر قشعم : مسنّ .

5 المنقب : المثقب . أعضوك الحديد : جعلوك تعضّه .

6 فأس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

7 سواء وسوى واحد .

ويروى :

فهل سألونا خَصلة غَير حقّهم

وهو أجود .

[استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه]

قال : فاستعدتْ بنو عبد الله سعيدَ بن عثمان بن عفّان على سويد بن كراع في هجائه إيّاهم ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ، ولم يزل متوارِياً حتّى كُلِّم فيه ، فأمّنه على ألاّ يعاوِد ، فقال سويد بن كراع : [من الطويل]

تقول ابنةُ العوفيّ ليلى ألا تَرى ... إلى ابن كراعٍ لا يزال مُفَزَّعا
مخافةُ هذين الأميرين سهَّدتْ ... رُقادي وغَشَّتني بياضاً تفرَّعا
على غير ظلمٍ غيرَ أنْ جارَ ظالِمٌ ... عليّ فجهزْتُ القصيدَ المفرَّعا
وقد هابني الأقوام لما رميتُهم ... بفاقِرةٍ إن همَّ أن يتشجَّعا[1]
أَبيتُ بأبواب القوافي كأنّما ... أُصادِي بها سِرباً من الوحش نُزَّعا[2]
أُكالِئُها حتّى أُعَرِّسَ بعدما ... يكون سُحَيْرٌ أو بُعَيْدُ فأهجعا[3]
فجشّمني خوفُ ابن عثمان رَدَّها ... ورِعْيَتَها صيفاً جديداً ومَربَعا
نهاني ابنُ عثمانَ الإمامِ وقد مضت ... نوافِذُ لو تَرْدِي الصفا لتصدعا[4]
عوارِقُ ما يَتركْن لَحماً بعَظْمِهِ ... ولا عظمَ لحم دون أن يتمزَّعا[5]
أَحقّاً هداك الله أن جار ظالم ... فأُنكَرَ مظلوم بأن يؤخذا معا
وأنت ابنُ حُكّام أقاموا وقوَّموا ... قُرُوناً وأَعطَوا نائلاً غيرَ أَقطَعا[6]

[انتجع بقومه أرض بني تميم]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدِيّ عن حمّاد الراوية قال : انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم ، فجاور بني قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فأنزله بغيض بن عامر بن شمّاس بن

1 فاقرة : داهية تكسر الفقار .
2 صاداه : داراه وساتره .
3 أكالئها : أراقبها وأراعيها . وسحيرٌ في الشعر والشعراء 1 : 635 : سحيراً .
4 رداه : رمّاه .
5 عوارق : جمع عارقة ، من عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .
6 الأقطع في الأصل : المقطوع اليد .

لأْي بن أَنف الناقة بن قُرَيع وأَرعاه ، ووصله وكساه . فلَم يزل مقيماً فيهم حتى أَحيا[1] ، ثمّ ودّعهم وأَتى بغِيضاً وهو في نادي قومه وقد مدحه فأَنشده قوله .

قال حمّاد : ومَن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً ، وهي لسويد بن كراع : [من البسيط]

ارتعتُ للزَّورِ إذ حيّا وأَرَّقني … ولَم يكن دانياً منّا ولا صَدَدا[2]
ودونه سَبْسَبٌ تُنْضى المطيُّ به … حتى تَرى العَنْسَ تُلْقِي رحلها الأُجُدا
إذا ذكرتُكِ فاضت عبرتي دِرَراً … وكاد مكتومُ قلبي يَصدع الكبِدا[3]
وذاك منّي هوًى قد كان أُضمِرَه … قلبي فما ازداد من نقص ولا نفِدا
وقد أَرانا وحالُ النّاس صالحةٌ … نحتلُّ مربوعةً أُدمانَ أَو بَرَدى[4]
ليت الشباب وذاك العيش راجَعَنا … فلَم نزل كالذي كنّا به أَبدا
أَيّام أَعلم كَم أَعملتُ نحوكُمُ … من عِرمسٍ عاقدٍ لَم تَرْأَمِ الولدا[5]
تُصيخ عند السُّرى في البيد ساميةً … سطعاءَ تنهض في مِيثائها صُعُدا[6]
كأَن رَحْلِي على حُمْشٍ قوائمه … برمل عِرْنانَ أَمسى طاويا وحَدا[7]
هاجت عليه من الجوزاء ساريةٌ … وَطْفاء تحمِل جَوْناً مُرْدَفا نَضَدا[8]
فألجأتْه إلى أَرْطاةِ عانكةٍ … فَيْحاءَ ينهال منها تُرْبُ ما ٱلتبَدا[9]
تخال عِطْفيه من جَوْل الرَّذاذِ به … منظَّماً بيَدَيْ دارِيَّةٍ فَرَدا[10]

---

1 أحيا : حسنت حال مواشيه .
2 الزور : الطيف . الصدد : القصد والقرب .
3 عبرتي : في ل : أدمعي .
4 أدمان : شعبة بينها وبين بدر ثلاثة أيام . بردى : جبل الحجاز . مربوعة : أصابها مطر الربيع .
5 العرمس : الناقة الصلبة . ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح . رئمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته .
6 سطعاء : طويلة العنق . الميثاء : الطريق المسلوك .
7 على حمش قوائمه : أي على ثور وحشي قوائمه حمش أي دقاق . عرنان : اسم واد دون وادي القرى إلى فيد ، كثير الوحش . وحداً : وحيداً منفرداً .
8 مردفاً : متتابعاً متوالياً . النضد : السحاب المتراكم .
9 الأرطاة : واحدة الأرطى وهو شجر ينبت بالرمل . وعنك الرمل : انعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة عانك ، فيها تعقد لا يقدر البعير على المشي فيها إلاّ أن يحبو . فيحاء : واسعة . التبد : تلبّد بعضه على بعض .
10 العطف : الجانب ، جول : جولان . الداريّة : منسوبة إلى دارين . فَرَد : منقطع القرين .

حتى إذا ما انجلت عنه دُجُنّته ... وكشّف الصبحُ عنه الليلَ فاطّردا
غـدا كذي التاج حلّته أُساوِرةٌ ... كأنّما اجتاب في حَرِّ الضّحى سَنَدا[1]

وهي طويلة اختصرتها ، يقول فيها : [من البسيط]

لا يُبْعد اللهُ إذ ودَّعت أرضَهمُ ... أخـي بَغيضاً ولكن غيرُه بَعُدا[2]
لا يبعد اللهُ مَن يعطي الجزيل ومَن ... يحبو الخليل وما أكدى وما صَلَدا[3]
ومـن تُلاقيه بالمعروف معترفـاً ... إذا اجْرَهَدَّ صفا المذمومِ أو صلَدا[4]
لاقيتُـه مُفْضِلا تَنْـدى أناملُـه ... إن يُعطك اليومَ لا يمنعْك ذاك غدا
تجـيء عفواً إذا جاءت عطيّتُه ... ولا تخالِـطُ تَرْنيقـاً ولا زَهَدا[5]
أوْلاهُ بالمَفخَر الأعلى وأعظَمُـه ... خُلقاً وأوسَعُـه خيـراً ومُنتَفَدا[6]
إذا تكلّـف أقـوامٌ صنائِعَـه ... لاقوا ، ولَم يُظْلَموا ، مِن دونها صَعَدا[7]
بَحْرٌ إذا نَكَسَ الأقوامُ أو ضَجِروا ... لاقَيتَ خيرَ يديـه دائمـاً رَغَدا[8]
لا يَحسِبُ المدحَ خَدْعا حين تَمدَحه ... ولا يَـرى البُخـلَ مَنْهاةً له أبدا
إنّي لَرافِـدُه وُدّي ومَنْصَرتـي ... وحافِـظٌ غيبَه إن غابَ أو شَهِدا

صوت

[من الوافر]

حَنَتْني حانياتُ الدّهـرِ حتّـى ... كأنّي خاتِـلٌ يدنـو لِصَيْدِ
قريبُ الخَطْوِ يَحسِبُ مَن رآني ... ـ ولستُ مقيَّـداً ـ أنّي بقَيْدِ

1 السند : ضرب من البرود .
2 بعد : هلك .
3 أكدى : بخل وقلّ خيره . صلد : بخل .
4 اجرهدّت الأرض : لم يوجد فيها نبت ولا مرعى . صلد الزّند : صوت ولم يورِ ، ويقال للبخيل : صلدت زناده .
5 الترنيق : التكرير . والزهد : القلّة .
6 يقال في ماله منتفد ، أي سعة .
7 الصّعد : المشقّة .
8 الأقوام : في ل : الأنجاد .

عروضه من الوافر . الخاتل : الذي يتقتَّر[1] للصيد ويَنحني حتّى لا يُرى . ويقال لكلّ مَن أراد خِداع صيدٍ أو إنسانٍ : ختله ، وَرَّى أمرَه فلَم يُظهِره . ومَن رواه : «كأنّي حابل» فإنّه يعني الذي يَنصِب حِبالةً للصيد . الشعر لأبي الطَّمَحان القَيْني . والغناء لإبراهيم ماخوريّ وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى . وذكر ابن حبيب أنّ هذا الشعر للمِسجاح بن سِباع الضبيّ ، فإن كان ذلك على ما قال فلأبي الطمحان ممّا يُغنّى فيه من شعره ولا يُشَكّ فيه أنّه له قوله : [من الطويل]

صوت

أَضاءَتْ لَهُمْ أَحسابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ   دُجى اللَّيْلِ حَتّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبُهْ

الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل ، وذكر ابن المعتزّ أنّ خفيف الرمل لها ، وأنّ الثقيل الثاني لغيرها .

* * * *

1 يتقتّر : يتهيّأ .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين | الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الثّالث عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

13

الطبعَة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعة الثانية
1426 هـ - 2005م
الطبعة الثالثة
1429 هـ - 2008م

دار صادر
تأسست سنة 1863
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[230] ـ أخبار أبي الطَّمَحان القَيْنيّ[1]

[نسبه]

أبو الطَّمحان اسمه حنظلة بن الشَّرْقيّ ، أحد بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ، من قُضاعة . وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم .

[أدرك الجاهلية والإسلام]

وكان أبو الطّمحان شاعراً فارساً خارباً[2] صُعلوكاً ، وهو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فكان خبيث الدِّين فيهما كما يُذكر . وكان تِرْباً للزُّبير بن عبد المطّلب في الجاهلية ونديماً له . أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عن أبي عبيدة .

[حمل خبر أسر قيسبة السكوني إلى قومه]

وممّا يدلّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبيّ عن أبيه قال : خرج قَيْسَبة بن كلثوم السَّكونيّ ، وكان ملِكاً ، يريد الحجّ ، وكانت العرب تحجّ في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض ، فمرّ ببني عامر بن عُقَيل ، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه ، وألقوه في القِدّ ، فمكث فيه ثلاث سنين ، وشاع باليمن أن الجنّ استطارته . فبينا هو في يوم شديد البرد في بيتِ عجوزٍ منهم إذ قال لها : أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرّق[3] عليها فقد أُضَرّ بي القُرّ ؟! فقالت له نعم . وكانت عليه جُبة له حِبَرة[4] لم يُترك عليه غيرها ، فتمشّى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمةَ ، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن ، وتَغشاه عَبرةٌ فبكى ، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم ساكن السماء فرِّج لي مما أصبحتُ فيه . فبينا هو كذلك إذ عرض له راكب يسير ، فأشار إليه أن أَقْبِلْ ، فأقبل الراكب ، فلمّا وقف عليه قال له : ما حاجتك يا هذا ؟ قال : أين تريد ؟ قال : أريد اليمن . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو الطَّمَحان القَيني ، فاستعبرَ باكياً . فقال له أبو الطَّمحان : مَن أنت ؟ فإنّي أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك ، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك . قال : أنا قَيْسبة بن كلثوم السَّكوني ، خرجتُ عام كذا وكذا أريد الحجّ ، فوثب عليّ

1 لأبي الطمحان ترجمة في الشعر والشعراء 1 : 304 والمؤتلف والمختلف : 149 والسمط 332 والإصابة 2 : 66 والخزانة 8 : 94–96 والمحاسن والأضداد والاشتقاق : 542 وذكر الآمدي : وجدت نسبه في ديوانه المفرد : أبو الطمحان ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر . وانظر شرح الحماسة للمرزوقي : 1266 .

2 الخارب : سارق الإبل خاصة ثم أصبح يطلق على اللص .

3 تشرق : جلس في موضع تشرق عليه الشمس .

4 الحبرة : ضرب من برود اليمن .

هذا الحيُّ فصنعوا بي ما ترى ، وكشف عن أغلاله وقيوده ؛ فاستعبرَ أبو الطمحان ، فقال له قَيسبة : هل لك في مائة ناقة حمراء ؟ قال : ما أحوجني إلى ذلك ! قال : فأَنِخْ ، فأناخ . ثم قال له : أمعك سِكِّينٌ ؟ قال نعم . قال : ارفع لي عن رحلك ، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخِره ، فكتب عليها قَيسبة بالمُسند ، وليس يكتب به غير أهلِ اليمن : [من الخفيف]

بَلِّغـا كِنْـدَةَ الملـوكَ جميعـاً ... حيثُ سارت بالأكرمِين الجِمالُ
أنْ رِدُوا العَيْنَ بالخميسِ عِجالاً ... واصدُروا عنـه والرَّوايـا ثِقالُ[1]
هَزِئَـتْ جارتِـي وقالت عجيباً ... إذ رأَتْنـي في جِيدِيَ الأغلالُ
إن تَرَيْنـي عـارِي العِظامِ أسيراً ... قـد بَـراني تَضَعْضُعٌ واختلالُ
فلقد أقْـدُم الكَتِيبـةَ بالسيـ ... ـفِ عـليَّ السلاحُ والسرْبالُ

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطَّمحان مائة ناقةٍ . ثم قال له : أقْرِىءْ هذا قومي ؛ فإنّهم سيعطونك مائةَ ناقةٍ حمراء . فخرج تسير به ناقته ، حتى أتى حضرمَوت ، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قَيسبة حتى فرغ من حوائجه . ثم سمع نسوةً من عجائز اليمن يتذاكرون قَيسبة ويبكين ، فذكر أمره ، فأتى أخاه الجَوْن بن كلثوم ، وهو أخوه لأبيه وأمّه ، فقال له : يا هذا ، إنّي أدلُّك على قَيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل . قال له : فهي لك . فكشف عن الرحل ، فلمّا قرأه الجَون أمر له بمائة ناقةٍ ، ثم أتى قيس بن معديكرب الكِنديّ أبا الأشعث بن قيس ، فقال له : يا هذا ، إن أخي في بني عُقَيل أسير ، فسر معي بقومك . فقال له : أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك ، وإلاّ فامض راشداً . فقال له الجَون : مسُّ السماء أيسر من ذلك وأهون عليَّ ممّا خيَّرتُه . وضجَّت السَّكونُ[2] ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له : وما عليك من هذا ! هو ابن عمّك ويطلب لك بثأرك ! فأُنعَمَ له بذلك . وسار قيس وسار الجَون معه تحت لوائه ، وكِندة والسَّكون معه ؛ فهو أوّل يومٍ اجتمعت فيه السَّكون وكِندة لقَيس ، وبه أدرك الشرف . فسار حتى أوقع بعامر بن عُقَيل فقتل منهم مقتلةً عظيمة واستنقذ قَيسبة . وقال في ذلك سلامة بن صُبَيح الكِنديّ : [من الخفيف]

لا تَشْتُمونا إذ جَلبنـا لكـم ... أَلْفَـيْ كُمَيتٍ كلُّهـا سَلْهَبَهْ[3]
نحـن أَبَلْنا الخيلَ في أرضِكم ... حتـى ثَـأَرْنا منكـمُ قَيْسَبَهْ

1 الروايا : جمع راوية وهي مزادة الماء .
2 السكون : بطن من كندة .
3 السلهب والسلهبة : الطويل من الخيل والناس .

واعترضتْ من دُونِهم مَذْحِجٌ فصادَفوا من خيلِنا مَشْغَبَهْ

[أدنى ذنوب أبي الطمحان]

حدّثنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال : بلغني أنّ أبا الطَّمحان القينيّ قيل له ، وكان فاسقاً خارباً ، ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَيْرانيّةٍ فأكلتُ عندها طَفَيْشَلاً بلحم خنزير ، وشربتُ من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ، ثم انصرفتُ عنها .

[لجوءه إلى فزارة]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال : جنى أبو الطمحان القَينيّ جنايةً وطلبه السلطان ، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة ، فنزل على رجل منهم يقال له : مالك بن سعد أحد بني شَمْخٍ ؛ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخلطه بنفسه . فأقام مدة ، ثم تشوّق يوماً إلى أهله وقد شرب شراباً ثمِل منه ، فقال لمالك : لولا أنّ يدي تقصرُ عن دية جنايتي لعُدْت إلى أهلي . فقال له : هذه إبلي فخذ منها دِية جنايتك واردد[1] ما شئت . فلمّا أصبح ندِم على ما قاله وكره مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالِكاً فأنشده : [من الوافر]

سأمدح مالِكاً في كلِّ ركبٍ لَقِيتُهمُ وأتركُ كل رَذْلِ
فما أنا والبِكارةُ أو مخاضٌ عِظامٌ جِلَّةٌ سُدُسٌ وبُزْلُ[2]
وقد عرفتْ كلابُكُم ثيابي كأنّي منكمُ ونَسِيتُ أهلي
نَمَتْ بكَ مِن بَنِي شَمْخٍ زِنادٌ لها ما شئتَ من فَرْعٍ وأصلِ

قال فقال مالك : مرحباً ! فإنّك حبيب ازداد حبّاً ، إنّما اشتقتَ إلى أهلك وذكرتَ أنه يحبِسك عنهم ما تُطالَب به من عقلٍ أو ديةٍ ، فبذلتُ ما بذلتُ ، وهو لك على كل حال ، فأقِم في الرُّحب والسعة . فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم .

[اعتذر لامرأته لركوبه الأهوال]

قال أبو عمرو في هذه الرواية : وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النَّحويّ صِهرُ المبرّد ، قال حدّثنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال : عاتبتْ أبا الطمحان القينيّ امرأته في غاراته ومخاطرته بنفسه ، وكان لصّاً خارباً خبيثاً ، واكثرتْ لومه على ركوب الأهوالِ ومخاطرته بنفسه في مذاهبه ، فقال لها : [من الطويل]

---

1 لعلّها «وازدد» .

2 البكارة : جمع بكر وهو الفتي من الإبل والأنثى بكرة . المخاض : النوق الحوامل . وجلة الإبل : مسانها . والسدس : جمع سديس وهي ما دخل في السنة الثامنة . والبزل : من الإبل ما دخل في سنته التاسعة .

لـو كنتُ في رَيْمانَ تحرُس بابَه أراجيـلُ أُحْبوشٌ وأَغْضَفُ آلِفُ[1]
إذاً لأَتَتْنـي حيـثُ كنتُ مَنِيَّتي يَخُـبُّ بهـا هـادٍ بأمرِيَ قائفُ
فمِنْ رَهْبَـةٍ آتِي المَتالِفَ سادِراً وأيَّةُ أرض ليس فيهـا مَتـالِفُ[2]

[مدح بجير بن أوس الطائي لاطلاقه إياه من الأسر]

فأمّا البيت الذي ذكرتُ من شعره أنّ فيه لعريب صنعةً وهو :

أضاءتْ لهـم أحسابُهمْ ووُجوهُهمْ

فإنّه من قصيدة له مدح بها بجير بن أُوس بن حارثة بن لأم ٍالطائي ، وكان أسيراً في يده . فلمّا مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزّ ناصيته ، فمدحه بعد هذا بعدّة قصائد . وأوّل هذه الأبيات : [من الطويل]

إذا قيـل أيُّ النّـاس خَيرٌ قَبيلةً وأصبَرُ يومـاً لا تَوارى كَواكِبُهْ
فإنَّ بني لأم بن عَمْـرٍو أرُومةٌ عَلَتْ فوقَ صَعْب لا تُنالُ مَراقِبُهْ[3]
أضاءتْ لهم أحسابُهم ووُجوهُهمْ دُجى الليلِ حتى نَظَّم الجَزْعَ ثاقبُهْ[4]
لهم مَجْلِسٌ لا يَحْصَرون عن النَّدى إذا مَرْكبُ المعروف أجْـدَبَ راكبُهْ[5]

[حرب جديلة والغوث الطائيين]

وأمّا خبر أسره والوقعة التي أُسِر فيها فإن عليَّ بن سليمان الأخفش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال : كان أبو الطمحان القينيّ مجاوراً في جَديلة من طيىء ، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها «حرب الفساد»[6] وتحزّبت حزبين : حزب جديلة وحزب الغوث ، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام ، ثلاثة منها للغوث ويومٌ لجديلة . فأمّا اليوم الذي كان لجديلة فهو «يوم ناصِفة» . وأمّا الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها «يوم قارات حُوق[7] و«يوم البَيْضة»[8] و«يوم عِرْنان»[9] وهو آخرها وأشدُّها وكان للغوث ، فانهزمت جديلة هزيمةً قبيحة ، وهربت فلحقت بكلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة .

---

1 ريمان : حصن باليمن . الأغضف : المسترخي الأذن من الكلاب ، والآلف : المستأنس بمَن يحرسهم .
2 السادر : الذي لا يبالي .
3 المراقب : جمع مرقبة وهي المنظرة في رأس جبل أو حصن .
4 الجزع : الخرز اليماني .
5 أي لا يبخلون .
6 سمّيت كذلك لما ارتكب فيها من الفظائع والأهوال .
7 حوق : موضع ويعرف هذا اليوم أيضاً بيوم اليحاميم .
8 البيضة : ماء لبني دارم .
9 عرنان : جبل .

[شعر أبي الطمحان في الأسر]

وأسِر بو الطمحان في هذه الحرب : أسره رجلان من طيِّىء واشتركا فيه ، فاشتراه منهما بُجير بـن أوس بن حارثة لمّا بلغه قوله : [من الطويل]

أرِقــتُ وآبَتْني الهمــومُ الطَّوارِقُ ولم يلـقَ مـا لاقَيتُ قبلِيَ عاشقُ
إليكم بني لأْمٍ تَخُــبُّ هِجانُها بكلِّ طريـق صادَفَتْـه شَبارِقُ[1]
لكم نائـلٌ غَمْــرٌ وأحلامُ سادةٍ وألسِنةٌ يــومَ الخِطــاب مَسالقُ
ولم يَـدْعُ داعٍ مثلَكــم لعَظِيمةٍ إذا وَزَمتْ بالساعدَيْن السَّوارقُ[2]

السوارق[3] : الجوامع ، واحدتها سارقة .

قال فابتاعه بُجير من الطائيَّين بحكمهما ، فجزّ ناصيته واعتقه .

[تيسه يقتل غلاماً]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال : حدّثنا أبو أيوّب المديني قال : حدّثني مصعب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : كان أبو الطمحان القينيُّ مجاوراً لبطن من طيِّىء يقال لهم بنو جديلة ، فنطح تيس له غلاماً منهم فقتله ، فتعلَّقـوا أبا الطمحان وأسروه حتى أدَّى ديتَه مائـةً من الإبل . وجاءهم نزيلُه ، وكان يدعى هشاماً ، ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله ؛ فقال له أبو الطمحان : [من الطويل]

أتــاني هِشامٌ يَدفَعُ الضَّيمَ جاهِداً يقــول ألا مــاذا تَـرى وتَقـولُ
فقلت لــه قُمْ يا لَكَ الخَيرُ أدِّها مُذلَّلـــةً إنّ العَزيـــزَ ذَليـلُ
فإن يــكُ دُونَ القَيْن أغبرُ شامخٌ فليس إلى القَيْـــن الغَـــداةَ سبيلُ

[انتعاش المأمون ببيتين لأبي الطمحان في ساعة اكتئابه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، عن إسحاق قال : دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكراً غير نشيط ، فأخذت أحدّثه بمُلَح الأحاديـث وطُرَفها ، أستَمِيله لأن يضحك أو يَنْشط ، فلم يفعل . وخطر ببالي بيتان فأنشدته إيّاهما . وهما : [من الطويل]

ألا عَلِّلاني قبــلَ نَــوْح النَّوائحِ وقبــلَ نُشوز النفس بين الجَوانحِ[4]
وقبل غدٍ ، يا لَهْفَ نفسي على غدٍ إذا راح أصحابــي ولستُ برائحِ

فتنبّه كالمتفزِّع ثم قال : من يقول هذا ويحك ؟ قلت : أبو الطمحان القينيّ يا أمير المؤمنين .

---

1 الشبارق : جمع شِبرق وهو نبات شوكي الثمر أحمره .
2 وزمت : عضت .
3 السوارق : الجوامع وهي القيود .
4 أي قبل الموت .

قال : صدق والله ، أعِدهما عليّ . فأعدتهما عليه حتى حفظهما . ثم دعا بالطعام فأكل ، ودعا بالشراب فشرب . وأمر لي بعشرين ألف درهم .

[استشهاد خالد بن يزيد يعتذر بشعره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال : حدّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال : [حدّثني] المدائنيّ قال : عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إيّاه إلى الخروج معهم على عبد الملك ، فجعل يعتذر إليه ويحلف له . فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألا تقبل عذر ابن عمّك وتُزيلَ عن قلبك ما قد أُشربته إيّاه ؟ أمَا سمعتَ قول أبي الطمحان القينيّ : [من الطويل]

إذا كان في صدرِ ابنِ عَمِّكَ إحْنَةٌ فـلا تَسْتَثِرْها سوف يَبْدو دَفينُها
وإنْ حَمْأَةَ المعروفِ أعطاك صَفْوَها فخُــذْ عَفْوَه لا يَلْتبِسْ بك طِينُها

[عند الزُّبير بن عبد المطّلب]

قال المدائنيّ : ونزل أبو الطمحان على الزُّبير بن عبد المطّلب بن هاشم ، وكانت العرب تنزل عليه ، فطال مقامه لديه ، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً إليهم ، فلم يأذن له . وسأله المُقام ، فأقام عنده مدّة ، ثم أتاه فقال له : [من الطويل]

ألا حَنَّتِ المِرْقـالُ وائْتَبَّ ربُّهـا تَذَكَّــرُ أوطاناً وأَذْكُرُ مَعْشَري[1]
ولـو عَرَفتْ صَرْفَ البُيوع لَسَرَّها بمكــةَ أن تَبْتاعَ حَمْضا بإذْخرِ[2]
أَسَرَّكِ لــو أنـــا بجَنْبَيْ عُنَيزةٍ وحَمْضٍ وضُمران الجنابِ وصَعْتَرِ[3]
إذا شاء راعيهـــا استقَى من وَقيعةٍ كعَــينِ الغُرابِ صَفْوُها لم يُكدَّرِ[4]

فلمّا أنشده إيّاها أذِن له فانصرف ، وكان نديماً له .

صوت

[من المنسرح]

لا يَعْتَرِي شَرْبَنا اللّحاءُ وقَدْ تُوهَــبُ فينـا القِيانُ والحلَلُ
وفِتيـــةٍ كالسّيوفِ نادَمتُهــمْ لا حَصَرٌ فيهـــمُ ولا بَخَلُ

الشعر للأسود بن يَعفُر ، والغِناء لسُلَيم ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبِنصر .

1 ائتب : تجهز للمسير . ويروى «تذكر أرماماً» ، وهو موضع له يوم .
2 الحمض : كل نبات حامض أو مالح . والإذخر : نبات طيب الرائحة .
3 هذه أسماء مواضع .
4 الوقيعة : مكان يمسك الماء .

[231] ـ أخبار الأسود بن يعفر ونسبه[1]

[نسبه]

الأسود بن يعفر ـ ويقال يُعفر بضم الياء ـ ابن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وأمُّ الأسود بن يعفر رُهم بنت العَبّاب ، من بني سهم بن عجل . شاعر متقدّم فصيح ، من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر . وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة مع خداش بن زهير ، والمخبَّل السعديّ . والنَّمِر بن تولب العُكْليّ . وهو من العُشْي ـ ويقال العُشْوُ بالواو ـ المعدودين في الشعراء . وقصيدته الدالية المشهورة[2] : [من الكامل]

نـــامَ الخَليُّ وما أُحِسُّ رُقادي — والهمُّ مُحتَضِرٌ لـدَيَّ وسادي

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكَمِها ، مفضَّلية مأثورةٌ .

[دارمي لا يعرف شعر الأسود بن يعفر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي وأبو الحسن أحمد بن محمد الأسديُّ قالا : حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : تقدّم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوّار بن عبد الله ليُقيم عنده شهادةً ، فصادفه يتمثَّل قول الأسود بن يعفر : [من الكامل]

ولقـــد علمتُ لَوَ آنّ عِلميَ نافِعي — أنّ السَّبيلَ سَبيـلُ ذي الأعْوادِ[3]

إنَّ المَنِيَّـــةَ والحُتُـــوفَ كلاهمـا — يُوفي المَخـــارِمَ يَرْمِيـانِ سَوادي[4]

مـاذا أُؤَمِّـــلُ بعـــد آلِ مُحَـرِّقٍ — تَركـــوا مَنازِلَهُـــمْ وبعدَ إيادِ[5]

أهـــلِ الخَوَرْنَق والسَّديرِ وبـارِقٍ — والقصرِ ذي الشُّرُفاتِ من سِنْدادِ[6]

---

1 للأسود ترجمة في الشعر والشعراء 1 : 176 وطبقات ابن سلام : 123 وشرح المفضليات : 445 وهو المعروف بأعشى نهشل . وقد جمع غويار شعره في ديوان الأعشين 293–310 وإليه نشير . وتختلف رواية بعض الأبيات في المفضليات والديوان عما هنا .

2 هي المفضلية 44 وانظر ديوانه القطعة 17 .

3 ذو الأعواد : من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم كان له سرير يحمل عليه لمّا أسنّ .

4 يوفي : يعلو . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل . سواد المرء : شخصه .

5 آل محرق : ملوك الحيرة ، ويطلق أيضاً على ملوك الغساسنة . وإياد : هي من معد بن عدنان .

6 الخورنق والسدير : القصران المشهوران بالحيرة . بارق : ماء أو نهر بالعراق من أعمال الكوفة . سنداد : منزل لأياد ، وهو سواد الكوفة .

نزلـوا بأنْقُـرةٍ يَفيض عليهـمُ ... مـاءُ الفُـرات يَفيض من أطْوادِ
جَرَتِ الرياحُ على محـلِّ ديارهم ... فكأنّمـا كانـوا عـلى مِيعادِ

ثم أقبل على الدارميّ فقال له : أتروي هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : أفتعرِفُ مَن يقوله ؟ قال : لا . قال : رجلٌ من قومك له هذه النباهةُ وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه ! يا مزاحم ، أثبت شهادته عندك ، فإنّي متوقّفٌ عن قبوله حتى أسأل عنه ، فإنّي أظنّه ضعيفاً .

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن الرياشيّ عن أبي عبيدة بمثله .

[الرشيد يعرض جائزة لمن يروي دالية الأسود]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحَكَم بن موسى السَّلوليّ قال حدّثني أبي قال : بينا نحن بالرافقة[1] على باب الرشيد وقوفٌ ، وما أَفقِدُ أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق ، إذ خرج وصِيفٌ كأنّه درّةٌ فقال : يا معشر الصحابة ، إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعفر : [من الكامل]

نـام الخَليُّ ومـا أحسُّ رُقادي ... والهمُّ مُحْتَضِرٌ لَـديَّ وِسادِي

فليدخل فيُنشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهمٍ . فنظر بعضنا إلى بعضٍ ، ولم يكن فينا أحدٌ يرويها . قال : فكأنّما سقطتْ والله البَدرة عن قربوسي . قال الحكم : فأمرني أبي فرويت شعر الأسود بن يعفر من أجل هذا الحديث .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال : حدّثني أبي قال : حدّثني عبدُ الله بن عبد الرحمن المدائنيّ قال : حدّثنا [أبو] أميّة بن عمرو بن هشام الحرانيّ قال : حدّثنا محمد بن يزيد بن سنان قال : حدّثني جدّي سِنان بن يزيد قال : كنت مع مولاي جرير بن سهمٍ التميميّ وهو يسير أمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويقول : [من الرجز]

يا فَرَسي سِيري وأُمّي الشاما ... وخَلِّفي الأخـوالَ والأعماما
وقطِّعـي الأجْـوازَ والأعلاما ... وقاتِـلي مَـن خالفَ الإماما
إنّي لأرجـو إن لَقِينا العامـا ... جَمْـعَ بنـي أُمَيَّـةَ الطَّغاما
أن نَقتُـلَ العاصيَ والهُمامـا ... وأن نُزيـلَ مـن رِجالٍ هاما

فلمّا انتهى إلى مدائن كسرى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا ، فتمثَّل مولاي قول الأسود بن يعفر : [من الكامل]

---

1 الرافقة : مدينة على الفرات غلب عليها اسم الرقة .

جَرَتِ الرِّياحُ على مَكانِ دِيارِهِمْ   فكأنَّما كانوا على مِيعادِ

فقال له عليٌّ عليه السلام : فلِمَ لَم تقل كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُون . وزُرُوعٍ ومَقامٍ كَرِيمٍ . ونَعْمةٍ كانوا فِيها فاكِهِين . كذلك وأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِين﴾ . ثم قال : يا ابن أخي ، إن هؤلاء كفروا النعمة ، فحلّت بهم النِّقْمةُ ، فإيّاكم وكُفر النعمة فتَحِلَّ بكم النقمة .

[عند قصر لآل جفنة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : مرَّ عمر بن عبد العزيز ومعه مزاحمٌ مولاه يوماً بقصرٍ من قصور آل جفنة ، وقد خَرِب ، فتمثَّل مزاحمٌ بقول الأسود بن يعفر : [من الكامل]

جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِم   فكأنّما كانوا على ميعادِ
ولقد غَنُوا فيها بأنْعَمِ عِيشةٍ   في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأَوْتادِ
فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلهى به   يوماً يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفادِ

فقال له عمر : هلاّ قرأتَ : ﴿كَمْ تَركُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُونٍ﴾ ، إلى قوله جلّ وعزّ : ﴿كذلكَ وأَوْرَثْناها قَوماً آخَرين﴾ .

[يقامر بإبله ويخسر]

نسختُ من كتاب محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل قال : كان الأسود بن يعفر مجاوراً في بني قيس بن ثعلبة ثم في بني مرّة بن عباد بالقاعة[1] ، فقامرهم فقمروه ، حتى حصل عليه تسعة عشر بكراً ، فقالت لهم أمّه وهي رُهم بنت العبّاب : يا قوم ، أتسلبون ابن أخيكم مالَه ؟ قالوا : فماذا نصنع ؟ قالت : احبسوا قِداحه .

فلمّا راح القوم قالوا له : أمْسِك . فدخل ليُقامِرهم فردّوا قِداحه . فقال : لا أقيم بين قوم لا أضرب فيهم بقدح ؛ فاحتمل قبل دخول الأشهر الحُرُم ، فأخذت إبله طائفةٌ من بكر بن وائل ؛ فاستسعى الأسود بني مرّة بن عباد وذكّرهم الجوار وقال لهم[2] : [من الطويل]

يالَ عُبادٍ دَعوةً بعد هَجْمةٍ   فهل فيكُم من قوّةٍ وزماعِ[3]
فتَسْعَوْا لجارٍ حلَّ وَسْطَ بُيوتكم   غريبٍ وجاراتٍ تُركْنَ جِياعِ

1 القاعة : موضع .
2 ديوانه : 37 .
3 الزماع : العزم على الأمر والمضاء فيه .

وهي قصيدةٌ طويلةٌ ، فلم يصنعوا شيئاً . فادَّعى جِوارَ بني مُحَلَّم بن ذُهْل بن شيبان ، فقال[1] : [من الرجز]

قـلْ لبني مُحَلَّمٍ يَسيروا بذِمّــةٍ يَسْعى بهــا خَفيرُ
لا قَدْحَ بعد اليوم حتى تُورُوا

ويروى «إن لم تُورُوا» . فسعَوا معه حتى استنقذوا إبلَه ، فمدحهم بقصيدته التي أوّلها[2] : [من الطويل]

أجارَتَنا غُضّي مـن السَّيْر أو قفي وإن كنتِ قد أُزْمَعْتِ بالبَيْن فاصْرِفي[3]
أُسائِلْكِ أو أُخْبِرْكِ عن ذي لُبانةٍ سَقِيمِ الفُـؤادِ بالحِسانِ مُكَلَّفِ[4]

يقول فيها :

تَدارَكنــي أسبابُ آلِ مُحَلَّــمٍ وقد كِدْتُ أُهْوِي بين نِيقَيْنِ نَفْنَفِ[5]
همُ القومُ يُمسي جارُهم في غَضارةٍ سَوِيّــاً سَليمَ اللَّحم لم يُتحوَّفِ[6]

فلمّا بلغتهم أبياتُه ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم .

[طلب منه شخص أن يسعى له في إبله]

قال المفضَّل : كان رجلٌ من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة ، جاراً لبني ربيعة بن عِجل بن لُجيم ، فأكلوا[7] إبله ، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفُر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله . فقال له الأسود : لستُ جامِعَهما لك ، ولكن اخترْ أيَّهما شئتَ . قال : أختار أن تسعى لي بإبلي . فقال الأسود لأخواله من بني عِجلٍ[8] : [من الكامل]

يـا جارَ طلْحَة هلْ تَرُدُّ لَبُونَهُ فتكونَ أدْنـى للوَفـاء وأكرَما
تاللهِ لــو جاوَرْتُموه بـأرْضِهِ حتّى يُفارِقَكم إذاً مــا أُحْرِما

وهي قصيدة طويلة . فبعث أخواله من بني عِجلٍ بإبل طلحة إلى الأسود بن يعفر فقالوا :

1 ديوانه : 26 .
2 ديوانه : 39 .
3 اصرفي : اعدلي .
4 مكلف : مولع .
5 النيق : حرف الجبل . والنفنف : المهواة بين جبلين .
6 الغضارة : سعة العيش . لم يتحوف : لم ينتقص .
7 أكلوا إبله : أخذوها .
8 ديوانه : 53 .

أمّا إذ كنتَ شفيعَه فخُذها ، وتولَّ ردّها لتُحرِزَ المَكرمة عنده دون غيرك .

[النعمان يحرض على طلب الثأر فيتولاه الأسود]

وقال ابن الأعرابيّ : قتل رجلان من بني سعد بن عِجلٍ يُقال لهما وائلٌ وسَلِيطٌ ابنا عبد الله ، عمّاً لخالد بن مالك بن رِبعيٍّ النهشليّ يقال له عامر بن رِبعيّ ، وكان خالد بن مالكٍ عند النعمان حينئذٍ ومعه الأسود بن يعفُر . فالتفت النعمان يوماً إلى خالد بن مالكٍ فقال له : أيَّ فارسين في العرب تعرفُ هما أثقل على الأقران وأخفّ على مُتون الخيل ؟ فقال له : أَبَيْتَ اللعنَ ! أنت أعلم . فقال : خالا ابن عمِّك الأسود بن يعفر وقاتِلا عمِّك عامر بن رِبعيّ (يعني العِجْليَين وائلاً وسليطاً) . فتغيَّر لون خالد بن مالك . وإنّما أراد النعمان أن يحثّه على الطلب بثأر عمِّه . فوثب الأسود فقال : أبيتَ اللعن ! عضَّ بهن أمّه مَن رأى حقَّ أخواله فوق حقٍّ أعمامه . ثم التفت إلى خالد بن مالكٍ فقال : يا ابن عمٍّ ، الخمر عليَّ حرامٌ حتى أثأر لك بعمّك . قال : وعليّ مثل ذلك . ونهضا يطلبان القوم ، فجمعا جمعاً من بني نهشل بن دارم فأغارا بهم على كاظمة ، وأرسلا رجلاً من بني زيد بن نهشل بن دارمٍ يقال له عبيد يتجسَّس لهم الخبر ، فرجع إليهم فقال : جوفُ كاظمة ملآن من حجّاج وتجار ، وفيهم وائلٌ وسليطٌ متساندان في الجيش . فركبتْ بنو نهشلٍ حتى أتَوهم ، فنادوا : مَن كان حاجّاً فليَمْضِ لحجّه ، ومَنْ كان تاجراً فليمض لتجارته . فلمّا خَلَصَ لهم وائلٌ وسليط في جيشهما اقتتلوا ، فقُتِل وائل وسليطٌ ، قتلهما هِزّان بن زهير بن جندل بن نهشل ، عادى[1] بينهما . وادّعى الأسود بن يعفُر أنّه قتل وائلاً .

[مرضه عند النعمان]

ثم عاد إلى النعمان فلمّا رآه تبسّم وقال : وفي نَذْرُكَ يا أسود ؟ قال : نعم أبيتَ اللعن ! ثم أقام عنده مدّةً ينادمه ويؤاكله ، ثم مرض مرضاً شديداً ، فبعث النعمان إليه رسولاً يسأله عن خبره وهول ما به ؛ فقال[2] : [من البسيط]

نَفْعٌ قليل إذا نادى الصَّدى أُصُلاً ... وحـانَ منـه لبردِ المـاء تَغْرِيدُ
وودَّعوني فقالـوا ساعةَ انطلقوا ... أَوْدى فأودى النَّدى والحزمُ والجُودُ
فما أُبالي إذا مـا مِتُّ ما صَنَعُوا ... كلُّ امرىء بسبيل الموتِ مَرْصودُ

[ابنه يأخذ فرساً ثم يضطر إلى ردّها فيهجو الذي أعان عليه]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ يأثره عن أبيه ، قال : وكان أبو جُعَلٍ

1 عادى بينهما : طعنهما طعنتين متواليتين .

2 ديوانه : 10 .

أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعاً من شُذّاذ أسدٍ وتميم وغيرهم ، فغزوا بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة ، فنَذِروا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فَضُّوا جمعهم . فلحِق رجلٌ من بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعةً من بني نهشلٍ فيهم جرّاح بن الأسود بن يعفر . والحُرُّ بن شَمِر بن هِزّان بن زهير بن جندلٍ ، ورافع بن صُهَيب بن حارثة بن جندل ، وعمرٌو والحارث ابنا حُرَير بن سلمى بن جندل ، فقال لهم الحارثيّ : هلُمَّ إليَّ طُلَقاء ؛ فقد أعجبني قِتالُكم سائر اليوم ، وأنا خيرٌ لكم من العطش . قالوا نعم . فنزل ليُجزَّ نواصيهم . فنظر الجرّاح بن الأسود إلى فرسٍ من خيلهم فإذا هي أجود فرسٍ في الأرض ، فوثب فركبها وركضها ونجا عليها . فقال الحارثيّ للذين بقوا معه : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم نحن لك عليه خُفَراءُ . فلمّا أتى جرّاحٌ أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتطنها ثلاثة أبطن ، وكان يقال لها : العَصماء . فلمّا رجع النَّفر النَّهْشَليُّون إلى قومهم قالوا إنّا خُفَراء فارس العصماء ، فوالله لنأخذُنّها ، فأوعدوه . وقال حُرَير ورافع : نحن الخفيران بها . وكان بنو جَرْوَلٍ حلفاء بني سلمى بن جندل على بني حارثة بن جندل ، فأعانه على ذلك التَّيْحان بن بلج بن جرول بن نهشل . فقال الأسود بن يعفر يهجوه[1] : [من الطويل]

أتـاني ولم أُخشَ الذي ابتُعِثا به ... خَفِيرا بنـي سَلْمى حُرَيْر ورافعُ
هـمُ خيَّبوني يـومَ كلٌّ غَنِيمةٍ ... وأهلكتُهم لَـوْ أنَّ ذلـك نافعُ
فـلا أنـا مُعْطِيهم عليَّ ظُلامةً ... ولا الحقُّ مَعْروفاً لهـم أنا مانِعُ
وإنّي لأَقري الضيفَ وَصَّى به أبي ... وجارُ أبي التَّيْحانِ ظمـآنُ جائعُ
فقُولا لتَيْحانَ ابنِ عاقِرةٍ استِها ... أَمُجْرِ فَلاقي الغَيَّ أمْ أنتَ نازعُ[2]
ولَـوْ أنَّ تَيْحانَ بنَ بَلْج أطاعني ... لأرشدتُـه وللأمـور مَطالعُ
وإنْ يَـكُ مَدلـولاً عَليَّ فإنَّني ... أخو الحَرْبِ لا قَحْمٌ ولا مَتَجاذِعُ[3]
ولكنَّ تَيْحانَ ابنَ عاقِـرةِ استِها ... لـه ذَنَـبٌ مـن أَمْرِه وتَوابعُ[4]

قال : فلمّا رأى الأسود أنهم لا يُقلِعون عن الفَرَس أو يردّوها ، أحلفَهم عليها فحلفوا أنهم خُفَراء لها ، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمهارها ، فردّوا الفرس إلى صاحبها . ثم أظهر

1 ديوانه : 35 .
2 مجر : قاصد الشر . نازع : كافٌ منتهٍ .
3 مدلول علي : أي مجترىء علي . القحم : الكبير السن . والمتجاذع : الصغير السن .
4 له ذنب من أمره : عواقب .

الأمهار بعد ذلك ، فأوعدوه فيها أن يأخذوها . فقال الأسود[1] : [من الطويل]

أحقاً بني أبنــاءِ سَلْمى بنِ جَنْدَلٍ ... وَعيدُكُـمُ إيـايَ وَسْطَ المجالسِ
فهـلاّ جَعلتُمْ نحـوَهُ من وَعِيدِكُمْ ... على رَهْطِ قَعْقاعٍ ورهطِ ابنِ حابسِ
هُـمُ مَنعوا منكـم تُراثَ أبيكُمُ ... فصار التُّراثُ للكـرام الأكايسِ
هُمُ أوْردوكم ضَفَّـةَ البحرِ طامياً ... وهُـمْ تركوكم بين خازٍ وناكسِ[2]

[رثاؤه مسروق بن المنذر النهشليّ]

وقال أبو عمرو : كان مسروق بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل سيِّداً جواداً ، وكان مؤثِراً للأسود بن يعفر ، كثير الرِّفد له والبِرِّ به . فمات مسروق واقتسم أهله مالَه ، وبان فقدُه على الأسود بن يعفُر فقال يرثيه[3] : [من البسيط]

أقـولَ لَمّا أتـاني هُلْـكُ سَيِّدِنا ... لا يُـبْعِدِ اللهُ ربُّ الناسِ مَسْروقا
مَـن لا يشيِّعُه عجـزٌ ولا بَخَلٌ ... ولا يَبِيتُ لديـه اللّحمُ مَوْشُوقا[4]
مِرْدى حُروبٍ إذا ما الخيلُ ضَرَّجَها ... نَضْخُ الدماءِ وقـد كانتْ أفاريقا
والطاعـنُ الطعنـةَ النَّجْلاءَ تحسَبُها ... شَنّاً هَزِيماً يَمُـجُّ المـاءَ مَخْروقا
وجَفْنــةٍ كَنضيـحِ البِئْرِ مُتْأَقةٍ ... تَـرى جَوانبَهـا باللحـمِ مفتوقا
يَسَّرْتَـهـا ليتامـى أو لأرْمَلــةٍ ... وكنـتَ بـالبائسِ المتروكِ مَحْقوقا
يـا لَهْفَ أُمِّيَ إذْ أوْدى وفارَقني ... أودى ابنُ سَلْمى نقيُّ العِرْض مَرْمُوقا

[عتاب ابنته له على جوده]

وقال أبو عمرو : عاتبتْ سلمى بنت الأسود بن يعفر أباها على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حمالة وما يمنحه فقراءَهم ويُعين به مُستمنحهم ، فقال لها[5] : [من الوافر]

وقالت لا أَراكَ تُلِيـقُ شيئاً ... أتُهْلِكُ مـا جَمعْتَ وتستفيدُ[6]
فقلـتُ بِحَسْبِها يَسَرٌ وعـارٍ ... ومُرْتَحِـلٌ إذا رَحَـل الوفودُ[7]

---

1 ديوانه : 31 .
2 الخازي : من الخزي إذا ذل وهان . والناكس : المطأطىء الرأس .
3 ديوانه : 41 .
4 يشيعه : يتبعه أو يصحبه . الموشوق : المقدد .
5 ديوانه : 11 .
6 لا تليق شيئاً : لا تمسك شيئاً .
7 اليسر : القوم المجتمعون على الميسر . والعاري : الذي يعرض للقوم ملتمساً المعروف . والمرتحل : الذي يركب البعير بالقتب .

فلُومِـي إنْ بدا لك أو أفِيقي فقَبْلَكِ فاتَنِـي وهــو الحَمِيدُ
أبــو العَــوْراءِ لَمْ أُكْمَدْ عليه وقيسٌ فاتَنــي وأخِــي يزيدُ
مَضَوْا لسبيلهم وبَقِيتُ وَحدِي وقَـدْ يُغْنِــي رِباعته الوَحِيدُ[1]
فلوْلا الشامِتونَ أخذْتُ حَقِّي وإنْ كانــتْ بمَطلبه كَؤُودُ

ويُروى : وإنْ كانت لـه عِنْدي كَؤُودُ

[ما قاله في ابنه جراح]

قال أبو عمرو : وكان الجراح بن الأسود في صباه ضئيلاً ضعيفاً ، فنظر إليه الأسود وهو يصارع صبيّاً من الحيّ ، وقد صرعه الصبيُّ ، والصبيان يهزءون منه ، فقال[2] : [من الطويل]

سيَجْرَحُ جــرّاحٌ وأُعْقِـلُ ضَيْمَه إذا كان مَخْشِيّاً من الضَّلَعِ المُبْدِي[3]
فآبـــاءُ جــرّاحٍ ذُؤابــة دارِمٍ وأخوالُ جــرّاحٍ سَراةُ بنــي نَهْدِ

قال : وكانت أُمّ الجرّاح أَخِيذةً ، أخذها الأسود من بني نَهد في غارةٍ أغارها عليهم .

[أسن وكف بصره]

وقال أبو عمرو : لمّا أسنّ الأسود بن يعفر كُفَّ بصره . فكان يُقاد إذا أراد مذهباً . وقال في ذلك[4] : [من البسيط]

قد كنتُ أُهْدِي ولا أُهْدى فعلَّمني حُسْنُ المَقــادةِ أنّي أُفقِدُ البَصَرا
أمْشي وأَتبَــعُ جَنّابــاً ليَهْدِيَني إنّ الجَنِيبــة ممّــا تَجْشَمُ الغَدَرا

الجُنّاب : الرجل الذي يقوده كما تُقاد الجَنيبة . الجشم : المشي ببطء . والغدر : مكان ليس مستوياً .

[شعر لأخيه حطائط]

وذكر محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن المفضَّل : أن الأسود كان له أخٌ يقال له حُطائط بن يعفر شاعر ، وأن ابنه الجرّاح كان شاعراً أيضاً . قال : وأخوه حطائط الذي قال لأمِّهما رُهم بنت العبّاب ، وعاتبته على جوده فقال : [من الطويل]

---

1 الرباعة : الشأن والأمر وتعني أيضاً القبيلة .
2 ديوانه : 13 .
3 أعقل : أتحمل . والضلع : الاعوجاج .
4 ديوانه : 20 .

تقول ابنةُ العبّاب رُهْـمٌ حَرَبْتَني ... حُطائـطُ لم تَتْرُكْ لنفسك مَقْعَدا[1]
إذا مـا جمعنا صِرمة بعد هَجْمةٍ ... تكون علينا كابـن أُمِّك أسودا
فقلتُ ولم أُعْيَ الجـوابَ : تأمَّلي ... أكان هُـزالاً حَتْفُ زيـدٍ وأَربَدا
أَريني جَواداً مـات هُزْلاً لعلَّني ... أرى مـا تَرَيْـن أو بخيلا مُخلَّدا
ذَريني أكنْ للمال ربّـاً ولا يكن ... لي المالُ ربّـاً تحمَدي غِبَّـه غدا
ذرِيني فـلا أعيا بما حَلَّ ساحَتي ... أسُودُ فأُكْفـى أو أطِيعُ المُسَوَّدا
ذريني يكنْ مالي لعِرْضي وِقايةً ... يَقِي المـالُ عِرْضِي قَبل أن يتبدَّدا
أجارةَ أهـلي بالقَصيمةِ لا يكن ... عـليَّ ، ولم أُظلِمْ ، لسانُكِ مِبْرَدا

صوت

[من الوافر]

أَعاذِلَتـي أَلا لا تَعذُلِينـا ... أَقِلّـى اللـومَ إنْ لم تَنْفَعينا
فقـد أكثرتِ لو أغنيتِ شيئاً ... ولستُ بقابـلٍ ما تأمُرينا

الشعر لأَرطاةَ بن سُهَيَّة ، والغناء لمحمد بن الأشعث ، خفيف رملٍ بالبِنصر ، من نسخة عمرو بن بانة .

1 في الحماسة 1732 : ابنة العتاب . حربتني : أخذت مالي .

[232] ـ أخبار أرطاة بن سهية ونسبه[1]

[نسبه]

هو أرطاة بن زُفر بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عُقْفان بن أبي حارثة بن مرة بن نُشبة بن غَيْظ بن مُرّة [بن عوف] بن سعد بن ذبيان . وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من هذا الكتاب . وسُهيّة أُمُّه ؛ وهي بنتُ زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حُديج بن أبي جُشَم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف ، سَبِيَّةٌ من كلب ، وكانت لضرار بن الأزْوَر ثم صارت إلى زُفَرَ وهي حاملٌ فجاءت بأرطاة من ضرارٍ على فراش زُفَر ؛ فلمّا ترعرع أرطاة جاء ضرارٌ إلى الحارث بن عوف فقال له : [من الرجز]

يــا حارِثُ افْكُكْ لي بُنَيَّ من زُفَرْ

ويروى : «يا حارِ أُطْلِقْ لي» :

في بعضِ مَنْ تُطلِقُ مِن أَسْرى مُضَرْ إنّ أبــاه امــرُؤٌ سَوْءٍ إن كَفـرْ[2]

فأعطاه الحارث إيّاه وقال : انطلق بابنِك ، فأدركه نهشل بن حرِّي بن غَطَفان فانتزعه منه وردَّه إلى زُفَرَ . وفي تَصْداق ذلك يقول أرطاةُ لبعض أولاد زُفَرَ : [من الكامل]

فإذا خَمَصْتم قلتـم يا عمَّنا وإذا بَطِنتم قلتُم ابنَ الأَزْوَرِ

قال : ولهذا غلبتْ أمّه سُهَيّة على نَسبه فنُسب إليها . وضرار بن الأزوَر هذا قاتل مالك بن نويرة الذي يقول فيه أخوه مُتَمِّم : [من الكامل]

نِعْمَ القتيـلُ إذا الرِّياحُ تَناوَحَتْ تحت البيوت ، قَتلتَ يا ابنَ الأَزْوَرِ

[منزلته في الشعر]

وأرطاة شاعرٌ فصيح ، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أميّة لم يسبقها ولم يتأخر عنها . وكان أمرأ صِدْقٍ شريفاً في قومه جَواداً .

[مناقضته]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان رُفَيع بن سلمة الملقّب بدَماذ ، قال :

---

1 ترجمة أرطاة بن سهية في الشعر والشعراء 1 : 427 والإصابة 1 : 104 والسمط : 299 ، 630 وألقاب الشعراء : 308 ، 359 .

2 كفر : جحد حقّه .

حدّثنا أبو عبيدة قال : دخل أُرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ، فاستنشده شيئاً ممّا كان يناقض به شبيب بن البرصاء ، فأنشده : [من الطويل]

أبي كان خيراً من أبيكَ ولم يَزَل جَنيباً لآبائي وأنت جنيبُ[1]

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبتَ ، شبيبٌ خيرٌ منك أباً . ثم أنشده : [من الطويل]

وما زلتُ خيراً منك مذ عَضَّ كارِهاً برأسك عاديُّ النِّجاد رَسوبُ[2]

[معرفة عبد الملك مقادير الناس]

فقال له عبد الملك : صدقت ، أنت في نفسك خيرٌ من شبيب . فعجب من عبد الملك مَن حضر ومن معرفته مقادير الناس على بُعدهم منه في بواديهم ، وكان الأمر على ما قال : كان شبيب أشرفَ أباً من أرطاة ، وكان أرطاة أشرف فعلاً ونَفْساً من شبيب .

[وصفه حاله عندما أسنّ وضعف]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عمرو بن بحرٍ الجاحظ ودَماذ أبو غسان ، قالا جميعاً ، قال أبو عبيدة : دخل أرطاة بن سُهيّة على عبد الملك بن مروان ، فقال له : كيف حالك يا أرطاة ؟ ، وقد كان أسنّ ، فقال : ضعُفتْ أوصالي ، وضاع مالي ، وقلَّ منّي ما كنت أُحِبُّ كثرته ، وكثُر منّي ما كنت أُحِبّ قِلّته . قال : فكيف أنت في شعرك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أطربُ ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهبُ ، وما يكون الشعر إلاّ من نتائج هذه الأربع ، وعلى أنّي القائل : [من الوافر]

رأيتُ المرءَ تأكُله اللَّيالي كأكْلِ الأرضِ ساقِطةَ الحديدِ
وما تَبْغي المَنِيَّةُ حينَ تأتي على نَفْسِ ابن آدمَ مِن مَزِيدِ
وأعْلَمُ أنّها ستَكُرُّ حتّى تُوَفِّي نَذْرَها بأبي الوَليدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال : بَلْ تُوفّي نذرها بك ويلك ! ما لي ولك ؟ فقال : لا تُرَعْ يا أمير المؤمنين ، فإنّما عَنَيْتُ نفسي ، وكان أرطاة يُكنى أبا الوليد فسَكَن عبد الملك ، ثم استعبر باكياً وقال : أما والله على ذلك لتلُمّنّ بي .

أخبرني به حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحِيل[3] معنًى .

1 جنيب : طائع منقاد .
2 رسوب في ل : ركوب . عادي النجاد : قديم يرجع إلى زمن عاد .
3 يحيل : يغير ويفسد .

[تهنئته مروان لمّا ولي الخلافة]

أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشيّ الهشاميّ بأُنطاكية قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سهية دخل على مروان بن الحكم لمّا اجتمع له أمر الخلافة ، وفرغ من أمر الحروب التي كان بها متشاغلاً ، وصمد[1] لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزُّبير لمحاربته ، فهنّأه وكان خاصّاً به وبأخيه يحيى بن الحكم ، ثم أنشده : [من المتقارب]

تَشَكَّى قَلُوصِي إليَّ الوَجى ... تَجُرُّ السَّرِيحَ وتُبْلِي الخِداما[2]
تَزُورُ كريماً له عندها ... يدٌ لا تُعَدُّ وتُهْدِي السَّلاما
وقَلَّ ثواباً له أنَّها ... تُجِيدُ القَوافيَ عاماً فعاما
وسادَتْ مَعَدّاً على رَغْمِها ... قُرَيشٌ وسُدْتَ قريشاً غُلاما
جُعِلْتَ على الأمرِ فيه صَغاً ... فما زال غَمْزُكَ حتى استقاما[3]
لَقِيتَ الزُّحوفَ فقاتلتَها ... فجرَّدتَ فِيهنَّ عَضْباً حُساما
تَشُقُّ القَوانسَ حتى تَنا ... لَ ما تحتَها ثم تَبري العِظاما[4]
نَزَعْتَ على مَهَلٍ سابقاً ... فما زادَكَ النَّزْعُ إلاّ تَماما[5]
فزاد لَكَ اللهُ سُلطانَهُ ... وزاد لك الخيرَ منه فَداما

فكساه مروان وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهنَّ له بُرّاً وزَبِيباً وشعيراً .

[هجاؤه شبيب بن البرصاء]

قال : وكان أرطاة يُهاجي شبيب بن البرصاء ، ولكلٍّ واحد منهما في صاحبه هجاءٌ كثير ، وكان كلُّ واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره ، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم ، وكانت بنو مرّة تألفُه وتنتجعه لصهره فيهم . فلمّا افترقا سَبَعه[6] شبيبٌ عند يحيى بن الحكم ؛ فقال أرطاة له : [من الطويل]

---

1 صمد : قصد .
2 الوجى : الحفاء . السريح : القيد الذي تشدّ به الخَدَمَة فوق الرسغ . الخدام : جمع خَدَمة وهي السير من الجلد .
3 صغا : ميل .
4 القوانس : جمع قونس وهو أعلى البيضة من الحديد .
5 نزعت : جريت .
6 سبعه : شتمه وقال فيه قولاً قبيحاً .

رَمتْكَ فلم تُشْو الفؤادَ جَنوبُ   وما كلُّ مَن يَرْمي الفؤادَ يُصيبُ[1]
ومـا زَوَّدَتْنا غيرَ أن خَلَطتْ لنا   أحاديثَ منهـا صادقٌ وكَذوبُ
ألا مُبْلِغٌ فِتيانَ قَوْمِيَ أنَّني   هَجاني ابنُ بَرْصاء اليَدَينِ شَبيبُ
وفي آل عَـوْفٍ من يَهودَ قَبيلةٌ   تَشابَهَ منهـا ناشِئون وشِيبُ
أبِي كان خَيراً من أبيكَ ولم يَزَلْ   جَنيباً لآبائي وأنـت جَنِيبُ
وما زلتُ خيراً منكَ مذ عضَّ كارهاً   برأسك عادِيُّ النِّجاد رَسوبُ[2]
فما ذَنْبُنا إن أُمُّ حمزةَ جاورتْ   بيَثْرِبَ أتياساً لهنَّ نَبِيبُ[3]
وإنَّ رجالاً بين سَلْعٍ وواقِمٍ   لأيْرِ أبيهم في أبيكَ نَصيبُ[4]
فلو كنتَ عَوْفيّاً عَمِيتَ وأَسْهلتْ   كُداكَ ولكنَّ المُريبَ مُريبُ[5]

فأخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن العتبيّ قال : لمّا قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلُّ شيخ من بني عوفٍ يتمنَّى أن يَعمى ، وكان العَمى شائعاً في بني عوف كلّما أسنّ منهم رجل عمِي ، فعُمِّرَ أرطاة ولم يَعْمَ ، فكان شبيبٌ يعيِّره بذلك . ثم مات أرطاة وعَمِي شبيب ، فكان يقول بعد ذلك : ليت أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلَمَ أنّي عَوفيّ .

[ردّه على شبيب حين تمنى لقاوه في قتال]

ونسخت من كتاب ابن الأعرابيّ في شعر أرطاة قال : كان شبيب بن البرصاء يقول : وددت أنّي جمعني وابن الأَمَة أرطاة بن سُهيّة يوم قتال فأشفي منه غيظي . فبلغ ذلك أرطاة فقال له : [من البسيط]

إنْ تَلْقَني لا تَرى غيري بناظِرةٍ   تنسَ السلاحَ وتَعرِفْ جبهةَ الأَسدِ
مـا ذا تظنُّكَ تُغني في أخي رَصَد   من أُسْد خفّان جابِي العَين ذي لبدِ

جابي العين وجائب العين : شديد النظر .

---

1 فلم تشو في ل : فلن تشفِ . ولم تشو : لم تصب مقتلاً .
2 رسوب في ل : ركوب .
3 النبيب : صياح التيوس عند هياجها .
4 سلع : جبل متصل بالمدينة ، وواقم أطم من آطامها .
5 كدى : جمع كدية وهي الأرض الغليظة .

أبـــي ضَراغِمَـــةٍ غُبْـرٍ يُعَوِّدُهـا أَكلَ الرجـال متى يَبْدأ لهـا يَعُدِ
يـا أيّها المتمنّـــي أن يُلاقيَنــي إن تَنـأْ آتِكَ أو إن تَبْغنــي تَجِدِ
تَقضِ اللُبانــةَ مــن مُــرٍّ شَرائعُــه صَعْبِ المَقادة تَخشاه فـلا تَعُدِ[1]
متــى تَــرِدْنِيَ لا تَصْدُرْ لَمِصْدرة فيها نجـاةٌ وإن أُصْدِرْكَ لا تَرِدِ
لا تحسبَنِّي كفَقْعِ القــاعِ يَنقُره جـانٍ بإصبعَـــه أو بَيْضةِ البَلدِ
أنـا ابن عُقْفان معروفٌ له نَسبي إلاّ بمـــا شاركت أمٌّ على وَلدِ
لاقى الملوكَ فأَثْـأَى في دمائهمُ ثم استقرَّ بـلا عَقْـلٍ ولا قَوَدِ[2]
مِن عُصْبة يَطعنُون الخيلَ ضاحِيةً حتى تَبَــدَّدَ كالمَزْءودة الشُّرُدِ[3]
ويَمنعون نساءَ الحَـيّ إن عَلِمت ويَكشفون قَتــامَ الغـارة العمدِ
أنا ابنُ صِرْمة إن تسأل خِيارَهُم أضربْ برِجليَ في ساداتهم ويَدي
وفي بنـــي مالـــك أمٌّ وزافِــرةٌ لا يدفع المجد من قَيْس إلى أحدِ[4]
ضربتَ فيهم بأَعْراقي كما ضَربت عُروقُ ناعمـــةٍ في أَبطَح ثَئِدِ[5]
جَدّي قُضاعة معـروف ويعرفني جَبا رفيدة أهـل السَّرو والعَددِ[6]

[حبه لوجزة]

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال : كان أرطاة بن سُهَيَّة يتحدّث إلى امرأة من غَنيّ يقال لها وجْزَة ، وكان يهواها ثم افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أرطاة ، ثم اجتمعت غَنيّ وبنو مُرّة في دار ، فمرّ أرطاة بوَجزة وقد هرِمت وتغيَّرت محاسنها وافتقرت ، فجلس إليها وتحدّث معها وهي تشكو إليه أمرها ، فلمّا أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال : [من الطويل]

1 الشرائع : جمع شريعة وهي مورد الماء .
2 أثأى : طعن وجرح .
3 الضاحية : البارزة . المزءودة : المذعورة . والشرد : النافرة .
4 زافرة : عشير وأنصار .
5 الأبطح : المسيل الواسع . والثئد : الندي .
6 الجبا : الحوض وما حول البئر ، يعني به جمع القبيلة . ورفيده : الجد الأعلى لقبائل كلب الذين تنسب إليهم أمه .

مررتُ على حِدثي برَمّان بعدما   تَقطَّعَ أقرانُ الصِّبا والوَسائلُ[1]
فكنتُ كظبْيٍ مفلِتٍ ثمَّ لم يزل   بـه الحَيْن حتى أُعلِقته الحبائلُ

قال أبو الفرج الأصفهاني : وقد ذكر أرطاة بن سهية وجزةَ هذه ، ونسب بها في مواضع من شعره ، فقال في قصيدة : [من الطويل]

وداويــة نازعتُهــا الليــلَ زائرا   لِوجزةَ تَهْديني النجومُ الطوامسُ[2]
أَعُوجُ بأصحابي عن القصد تعتلي   بنا عُرض كِسْريها المطِيُّ العَرامِسُ[3]
فقــد تَرَكتني لا أعيجُ بمشرب   فأَروى ولا ألهو إلى مَن أُجالسُ[4]
ومن عجبِ الأيام أَنْ كلّ منزل   لوجزةَ من أكناف رَمّان دارسُ[5]
وقد جاورت قصرَ العُذَيْب فما يُرى   برمّانَ إلا ساخِــطُ العيش بائسُ
طِلابٌ بعيدٌ واختِلافٌ من النوى   إذا ما أتى مِن دون وجزةَ قادسُ[6]
لَئِنْ أنجحَ الواشون بيني وبينها   وطال التنائي والنفوسُ النوافسُ[7]
لَقَــدْ طالمــا عِشْنا جَميعاً ووُدُّنا   جميعٌ إذا مــا يبتغي الأُنسَ آنِسُ
كذلك صَرْفُ الدّهر ليس بتارِكٍ   حبيبا ويبقــى عمــرُه المتقاعِسُ

[مهاجاته حباشة الأسدي]

وقال ابن الأعرابيّ : كانت بين أرطاة بن سهيّة وبين رجلٍ من بني أسدٍ يقال له حيان مهاجاة ، فاعترض بينهما حُباشة الأسديّ فهجا أرطـاة فقـال فيـه أرطاة : [من البسيط]

أبلِــغْ حُباشةَ أَنّي غيرُ تارِكِــه   حتــى أُذَلِّلَــهُ إذ كان مــا كانا
الباعــثَ القولِ يُسدِيه ويلْحمه   كالمُجْتَدِي الثُّكلَ إذ حاورتُ حيانا
إنْ تدعُ خندِفَ بغياً أو مكاثَرَةً   أدعُ القبائل مــن قيسِ بنِ عَيْلانا
قَد نَحْبِس الحقَّ حتى ما يجاوِزنا   والحــقُّ يحبسنا في حيــثُ يلقانا

1 الحدث : المحدث والمسامر . ورمان : جبل في بلاد طيء .
2 الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . النجوم الطوامس : التي خبا نورها .
3 كسريها : جانبيها . العرامس : جمع عِرمس وهي الناقة الصلبة القوية .
4 لا أعيج : لا أكترث .
5 منزل في ل : مجلس .
6 قادس : القادسية .
7 النوافس : جمع نافس وهو الحاسد .

نبنـي لآخِرِنـا مَجْـداً نُشَيِّدُه ... إنّـا كـذاك ورِثْنا المجـدَ أُولانا

[أعداؤه يرجفون بموته]

وقال ابن الأعرابيّ : وفَدَ أرطاةُ بن سُهَيَّةَ إلى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان عام الجماعة ، وقد هنَّأه بالظَّفَر ، ومدحه فأطال المُقام عنده ، وأرجفَ أعداؤه بموته ، فلمّا قدم ، وقدْ ملأ يديه ، بَلَغَه ما كان منهم ، فقال فيهم : [من الطويل]

إذا مـا طَلَعْنا مـن ثَنِيَّةِ لَفْلَفٍ ... فخبِّرْ رجـالاً يَكرهُون إيابي

وخبِّرْهُمُ أنّي رجعـتُ بغبطة ... أُحَدِّدُ أظفاري ويَصْرُفُ نابي

وإنّي ابنُ حرب لا تزالُ تَهِرُّني ... كلابُ عدوِّي أو تهِـرُّ كلابي

[تلاحيه مع زميل قاتل ابن دارة]

وقال أبو عمرو الشيباني : وقع بين زُمَيلٍ قاتل ابن دارة وبين أرطاة بن سُهيّة لِحاءٌ ؛ فتوعده زُمَيل ، فقال : إنّي لأحسبك ستَجرعُ مثل كأس ابن دارة . فقال له أرطاة : [من الكامل]

يا زِملُ إنّي إنْ أكُنْ لك سائقا ... تَرْكُضْ بِرِجْلَيْك النجاة وأَلْحَقِ

لا تحسَبَنِّي كامـرىءٍ صادفتَه ... بِمَضِيعَـة فخدشتَهُ بـالمِرْفَقِ

إنّي امـرؤٌ أُوفي إذا قارعتكُمْ ... قَصَبَ الرِّهانِ ومـا أشاُ أتعَرَّقِ[1]

فقال له زميل : [من الكامل]

يـا أرطَ إن تكُ فاعلاً ما قلتَهُ ... والمـرء يَسْتَحيي إذا لم يَصْدُقِ

فافعل كما فعـل ابنُ دارةَ سالمٌ ... ثـم امش هَوْنَك سادراً لا تَتَّقِ

وإذا جعلتُكَ بين لَحْيَيْ شابكِ الـ ... ـأنياب فارْعُد ما بدا لك وابرُقِ

[عبثه بالربيع بن قعنب]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، قال : حدّثنا الرياشيّ ، قال : حدّثنا الأصمعيّ قال : قال أرطاة بن سهيّة للربيع بن قَعْنَبٍ : [من البسيط]

لقـد رأيتُك عُرْيانا ومؤْتَزِراً ... فما عرفتُ أأُنْثى أنتَ أمْ ذَكَرُ ؟

فقال له الربيع : لكنْ سُهَيَّةُ قد عرفَتْني . فغلبه وانقطع أرطاة .

[عبد الرحمن بن سهيل وأم هشام وعمر بن عبد العزيز]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا الحسن بن عُليلٍ العنزي قـال : حدّثنا قَعنبُ بن المحرّز عن

---

1 أتعرق : أذهب .

الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلةَ الباهليّ قال : تزوّج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أمّ هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، وكانت من أجمل نساء قريش ، وكان يجد بها وَجْداً شديداً ، فمرِض مرضَته التي هلك فيها ، فجعل يُديم النظر إليها وهي عند رأسه ، فقالت له : إنّك لتنظر إليّ نظر رجلٍ له حاجة . قال : إي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرتُ بها لهان عليّ ما أنا فيه . قالت : وما هي ؟ قال : أخاف أن تتزوّجي بعدي . قالت : فما يُرضيك من ذلك ؟ قال : أن تُوثّقي لي بالأيمان المغلَّظَة . فحلفتْ له بكلّ يمينٍ سكَنَتْ إليها نفسه ثم هَلَك . فلمّا قضت عِدتها خطبها عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، فأرسلت إليه : ما أراكَ إلاّ وقد بلغتْك يميني . فأرسل إليها : لك مكان كُلِّ عبدٍ وأمةٍ عبدان وأمتان ، ومكان كلِّ عِلق عِلقان ، ومكان كلّ شيء ضِعفُه . فتزوَّجته ، فدخل عليها بطالٌ بالمدينة ، وقيل : بل كان رجلاً من مشيخةِ قريشٍ مغفَّلاً ، فلمّا رآها مع عمر جالسة قال : [من الطويل]

تبدلتِ بعد الخيْزرانِ جريدةً وبعدَ ثيابِ الخزِّ أحلام نائِمِ

فقال له عمر : جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم ! فقالت أمّ هشام : ليس كما قلت ، ولكن كما قال أرطاة بن سهية : [من الطويل]

وكائنْ تَرى من ذاتِ بثٍّ وعَوْلَةٍ بكت شجوها بعد الحنين المُرجَّعِ[1]
فكانت كَذاتِ البَو لمّا تعطفتْ على قطعٍ من شِلْوِهِ المُتمزَّعِ
مَتى لا تَجِدْه تَنْصرفْ لِطياتها مِنَ الأرض أو تَعمِد لإلف فتَرْبَعِ[2]
عَن الدهرِ فاصفح إنه غيرُ مُعْتِبٍ وفي غيرِ مَن قد وارَتِ الأرضُ فاطمَعِ

وهذه الأبيات من قصيدةٍ يرثى بها أرطاة ابنه عمراً .

[أرطاة يقيم عند قبر ابنه حولا]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ ، قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ ، قال : حدّثنا قعنب بن المحرز عن أبي عبيدة ، قال : كان لأرطاة بن سهيّة ابن يُقال له : عمرو ، فمات فجزع عليه أرطاة حتى كاد عقله يذهب ، فأقام على قبره ، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولاً . ثم إن الحيَّ أراد الرحيل بعد حولٍ لنُجعةٍ بَغوها ، فغدا على قبره ، فجلس عنده حتى إذا حان الرواحُ ناداه : رُحْ يا ابن سلمى معنا ! فقال له قومه : ننشدك الله في نفسك وعقلك ، ودينك ، كيف يروح معك من مات مُذْ حولٍ ؟ فقال : أنظِروني الليلة إلى الغد . فأقاموا عليه ، فلمّا أصبح ناداه : اغدُ يا ابن

1 بث في ل : شجو .

2 طياتها : مخففة الياء ضرورة . والطية : الوجهة المقصودة .

سلمى معنا ، فلم يزلْ الناس يُذكِّرونه الله ويناشدونه ، فانتضى سيفه وعقر راحلته على قبره ، وقال : واللهِ لا أُتبعُكُم فامضوا إن شئتم أو أقيموا . فرقُّوا له ورحموه ، فأقاموا عامهم ذلك ، وصبروا على منزلهم . وقال أرطاة يومئذٍ في ابنه عمرو يرثيه : [من الطويل]

وقفتُ على قبرِ ابن سلمى فلم يَكُنْ ... وقوفي عليــه غير مَبْكى ومَجْزَعِ

هل ٱنتَ ابنَ سلمى إن نظرتُكَ رائحٌ ... مع الركبِ أو غادٍ غداةَ غدٍ معي

أأنسى ابنَ سَلْمى وهو لم يأتِ دونه ... من الدهر إلاّ بعضُ صيف ومَرْبَعِ

وقفتُ على جُثمان عمرٍو فلم أجد ... سوى جَـدَثٍ عـافٍ ببيداء بلقعِ

ضربتُ عمودَي بانــة سَمَوا معاً ... فخرَّت ولم أُتبع قَلُوصي بدَعْدَعِ[1]

ولو أنّـها حادت عن الرمسِ نلتُها ... ببادرةٍ مــن سيفِ أشهب مُوقَعِ[2]

تركتكِ إن تَحْيَيْ تَكُوسي وإن تَنُؤْ ... على الجُهْد تَخذُلْها توالٍ فَتُصْرَعِ[3]

فدع ذكرَ مَنْ قد حالت الأرضُ دونه ... وفي غير من قد وارت الأرضُ فاطمَعِ

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريدٍ عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، فذكر أنّ أرطاة كان يجيء إلى قبر ابنه عَشيّاً فيقول : هل أنت رائحٌ معي يا ابن سلمى ؟ ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولاً ، ثم تَمثَّلَ قول لبيد : [من الطويل]

إلى الحـول ثمَّ اسمُ السلام عليكُما ... ومن يبكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذَرْ

[مهاجاته الربيع بن قعنب]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائنيّ قال : قال أرطاة بن سهيّة يوماً للربيع بن قعنب كالعابث به : [من البسيط]

لقــد رأيتك عُرْيانــاً ومُؤْتَزِراً ... فما دريتُ أأنثى أنت أم ذَكَرُ

فقال له الربيع : [من البسيط]

لكن سُهَيَّةُ تـدري إذ أتيتكم ... على عُرَيجاءَ لما احتَلَّت الأُزُرُ[4]

فغلبه الربيع ، وَلَجَّ الهجاءُ بينهما ، فقال الربيع بن قعنب يهجو أرطاة : [من الوافر]

ومــا عاشت بَنُـو عُقْفان إلاّ ... بأحــلامٍ كأحـلامِ الجوَاري

---

1 شبّه ناقته في ارتفاعها بشجرة البان . دعدع : كلمة تقال للعاثر .

2 موقع : الوقيع ، وهو من السيوف الذي شحذ بالحجر .

3 تكوس : تمشي على ثلاث قوائم .

4 عريجاء : موضع .

وما عُقْفانُ من غَطَفان إلاّ تَلَمُّس مُظْلم بالليل ساري
إذا نَحَرَتْ بنو غيظ جَزُوراً دَعَوْهُمْ بالمراجل والشِّفارِ
طُهاة اللحم حتى يُنْضِجُوه وطاهي اللحم في شُغْلٍ وعارِ

فقال أرطاة يُجيبه ويعيِّره بأن أمَّه من عبد القيس : [من الوافر]

وهذا الفَسْوُ قد شاركتَ فيه فمَن شاركتَ في أَيرِ الحمارِ
وأيُّ الناس أخبثُ مِنْ هِبَلٌ فزاريٌّ وأخبثُ ريحَ دارِ[1]

[هجاؤه مسرف بن عقبة]

أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي ، قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، قال : حدّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ ، قال : قدم مُسرفُ[2] بن عقبة المريّ المدينة ، وأوقع بأهل الحرة ، فأتاه قومه من بني مرّة وفيهم أرطاة فهنّئوه بالظفر واستَرْفَدوه فطردهم ونَهَرَهم ، وقام أرطاة بن سهيّة ليمدحه فتجهَّمه بأقبح قولٍ وطرده . وكان في جيش مسرفٍ رجلٌ من أهل الشام من عذرة ، يقال له عمارة ، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان ، وسمع شعره ، وعرف إقبال معاوية عليه ، ورفده له ، فأومأ إلى أرطاة فأتاه ، فقال له : لا يغرُرْك ما بدا لك من الأمير ، فإنّه عليلٌ ضجرٌ ، ولو قد صَحَّ واستقامت الأمور لزال عمّا رأيتَ من قوله وفعله ، وأنا بك عارفٌ ، وقد رأيتك عند أمير المؤمنين ، يعني معاوية ، ولن تعدم منّي ما تُحِبُّ . ووصَلَه وكساه وحمله على ناقةٍ ، فقال أرطاة يمدحه ويهجو مُسرِفاً : [من الطويل]

لَحا الله فَوْدَي مُسْرف وابنِ عمّه وآثارَ نَعْلَيْ مسرف حيث أثَّرا
مررتُ على رَبْعَيْهما فكأنَّني مررتُ بجبّارَيْن من سَرْو حِمْيرا[3]

ويروى : «تَضَيَّفْتُ جَبَّارَيْن» .

على أن ذا العَلْيا عُمارةَ لم أجِدْ على البُعْد حُسْنَ العهد منه تَغَيَّرا
حباني بِبُرْدَيْه وعَنْسٍ كأنّما بنى فوق متنَيْها الوليدان قَعْقَرا[4]

[أرطاة يسب ويضرب امرأة تطاولت على أمه]

وقال أبو عمرٍو الشيبانيّ : خاصمت امرأةٌ من بني مُرّة سهيّة أم أرطاة بن سهيّة ، وكانت

1 الهبلّ : الثقيل المسن من الناس والإبل .
2 اسمه مسلم ولقّب مسرفاً لإسرافه في القتل يوم الحرة .
3 سرو حمير : محلتهم .
4 القهقر : بناء طويل من الحجارة يقيمه الصبيان .

من غيرهم أُخيذة أخذها أبوه ، فاستطالت عليها المرأة وسبّتها ، فخرج أرطاة إليها فسبّها وضربها ، فجاء قومه ، ولاموه ، وقالوا له : ما لَكَ تُدْخِل نفسك في خصومات النساء ! فقال لهم : [من الطويل]

يُعَيِّرُني قَومي المَجاهل والخَنا ... عليهم وقالوا أنتَ غيرُ حليمِ
هل الجهلُ فيكم أن أُعاقِبَ بعدما ... تُجُوِّزَ سَبِّي واسْتُحِلَّ حريمي
إذا أنا لم أَمْنع عَجُوزيَ منكُمُ ... فكانت كأُخْرى في النساء عقيمِ
وقد عَلِمَتْ أفناءُ مُرَّة أننا ... إذا ما اجتدانا الشرَّ كلُّ حميمِ[1]
حماةٌ لأحسابِ العشيرة كلِّها ... إذا ذُمَّ يومَ الرَّوعِ كلُّ مُليمِ[2]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء ، المذكورة قبل أخبار أرطاة بن سهيّة ، وذكرت في قوله في قتلى من قومه قُتِلوا يوم بناتِ قينٍ[3] ، هو : [من الوافر]

فَلا وأبيكَ لا تَنفَكُّ نَبْكي ... على قتْلى هُنالكَ ، ما بَقِينا
على قَتْلى هنالك أو جَعَتْنا ... وأَنْسَتْنا رِجالاً آخرينا
سَنَبْكي بالرِّماحِ إذا التقينا ... على إخواننا وعلى بنينا
بطعنٍ تَرْعُد الأحشاءُ منه ... يردُّ البِيضَ والأبدانَ جُونا[4]
كأنّ الخيلَ إذْ آنسن كَلْباً ... يَرَيْنَ وراءَهمْ ما يبتغينا

صوت

[من الطويل]

عجبتُ لِمَسْراها وأنَّى تَخَلَّصت ... إليَّ وبابُ السجنِ بالقفل مُغْلَقُ[5]
أَلَمَّتْ فحيَّتْ ثم قامت فَوَدَّعتْ ... فلمّا تولّت كادت النفسُ تَزْهَقُ

الشعر لجعفر بن علبة الحارثيّ ، والغناء لمعبدٍ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بنُ بانة أنّ فيه خفيفاً ثقيلاً أوّل بالوسطى لابن سريج . وذكر حمّاد بن إسحاق أنّ فيه خفيف الثقيل للهُذليّ .

---

1 اجتدانا الشر : طلب إلينا الشر ، أي طلب معونتنا لدفع الشر .
2 المليم : الذي يأتي ذنباً يلام عليه .
3 بنات القين : آكام في ديار بني كلب كانت بها وقعة لبني فزارة على كلب .
4 الأبدان : الدروع القصيرة . الجون هنا : الحمر من الدم .
5 مغلق في ل : دوني .

[233] ـ أخبار جعفر بن عُلبة الحارثيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو جعفر بن عُلبة بن ربيعة ، بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكُلاب ، بن معاوية بن صلاءة بن المُعَقّل بن كعبِ بن الحارث بن كعبٍ . ويكنى أبا عارِم ، وعارمٌ ابنٌ له قد ذكره في شعره . وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، شاعرٌ مقلٌّ غَزِلٌ فارسٌ مذكورٌ في قومه . وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعراً أيضاً . وكان جعفرٌ قتل رجلاً من بني عقيل : قيل : إنّه قتله في شأن أَمَةٍ كانا يزورانها فتغايرا عليها . وقيل : بل في غارةٍ أغارها عليهم . وقيل : بل كان يُحَدّث نساءهم فنهَوه فلم ينته ، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقَتَلَ منهم رجلاً فاستعدَوا عليه السلطان فأُقاد منه . وأخباره في هذه الجهات كلّها تُذْكر وتُنسب إلى مَن رواها .

[سكر فحبس]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني الحسن بن عبد الرحمن الربعيّ ، قال : حدّثنا أبو مالكٍ اليمانيّ ، قال : شرب جعفر بن علبة الحارثيّ حتى سَكِر فأخذه السلطان فحبسه ، فأنشأ يقول في حبسه : [من الطويل]

لقد زَعَمُوا أنّي سكرتُ وربّما … يكونُ الفتى سَكرانَ وهْوَ حَليمُ
لعمرُك ما بالسّكرِ عارٌ على الفتى … ولَكِنَّ عاراً أن يُقالُ لئيمُ
وإن فَتًى دامت مواثيقُ عهده … على دونِ ما لاقيتُه لكريمُ[2]

قال : ثم حُبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعبٍ في ذلك الحبس ، وكان يقال له دوران ، فقال جعفر : [من الطويل]

إذا بابُ دورانٍ ترنّم في الدُّجى … وشُدَّ بأغْلاقٍ علينا وأقفالِ
وأظلم ليلٌ قامَ علجٌ بِجُلْجُلٍ … يدورُ به حتّى الصباحِ بإعمالِ[3]
وحراسُ سَوْءٍ ما ينامون حَوْلَهُ … فكيفَ لمظلومٍ بحيلة مُحْتالِ

---

1 ترجمة جعفر بن علبة الحارثي في الخزانة 10 : 310–312 ، وحماسة التبريزي 1 : 28 ومعاهد التنصيص 1 : 120 وفي التذكرة الحمدونية بعض أخباره .

2 فتى في ل : امرأ . دون في ل : مثل .

3 العلج هنا : الرجل الشديد الغليظ . الجلجل : الجرس الصغير .

ويصبرُ فيــه ذُو الشجاعةِ والنّدى ... على الذّلِّ للمأمورِ والعِلْجِ والوالي

[إغارة جعفر على بني عقيل]

فأمّا ما ذكر أن السبب في أخذ جعفرٍ وقتلِهِ في غارةٍ أغارها على بني عقيل ، فإنّي نسختُ خبرَه في ذلك من كتاب عمرٍو بن أبي عمرو الشيبانيّ يأثره عن أبيه ، قال : خرج جعفر بن علبة وعليٌّ بن جُعدَبٍ الحارثيّ القنانيّ والنضر بن مُضارب المُعاويّ ، فأغاروا على بني عُقيل ، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق ، فكانوا كلّما أفلتوا من عصبةٍ لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بني نهدٍ ، فرجعتْ عنهم بنو عُقَيل ، وقد كانوا قَتلوا فيهم ، ففي ذلك يقول جعفر : [من الطويل]

ألا لا أُبــالي بعــدَ يــومٍ بسَحْبَلٍ ... إذا لم أُعَذَّبْ أن يجيء حِمامِيا[1]

تركــت بأعــلى سَحْبَلٍ ومَضيقهِ ... مُراقَ دَمٍ لا يبرح الدَّهــرَ ثاويا

شَفَيْتُ بِــهِ غيظي وجُرِّب موطني ... وكان سناءً آخــرَ الدَّهــر باقيا[2]

أرادوا لِيَثْنوني فقلــت تجنّبــوا ... طريقي فمــا لي حاجةٌ من ورائيا

فِدًى لبني عــمٍّ أجابوا لدعوتي ... شَفَوا من بني القَرعاء عمّي وخاليا

كأنّ بنــي القرعــاء يــوم لقيتُهم ... فِراخُ القطا لاقَيْن صَقْــراً يمانيا

تركْناهم صَرْعى كأنَّ ضَجيجَهُم ... ضجيجُ دَبارى النِّيب لاقت مُداوِيا[3]

أقولُ وقد أَجْلَت من اليومِ عركة ... ليبكِ العُقَيْليِّين مَــن كان باكيا

فــإنّ بُقــرّى سَحْبَــل لأمارةً ... ونَضْحَ دمــاء منهــم ومَحابيا

المَحابي : آثارهم ، حَبَوا من الضعف للجراح التي بهم .

ولم أَتــَّرِك لي ريبـةً غير أنّني ... وددتُ مُعاذاً كان فيمن أتانيا

أراد : وددت أنّ مُعاذاً كان أتاني معهم فأَقتُلَه .

شفيتُ غليــلي من خُشَينة بعدما ... كسوتُ الهُذَيْــل المَشْرِفيّ اليمانيا

أحقّــاً عبادَ الله أن لست رائيا ... صحاريّ نجــدٍ والرّياحَ الذواريا

ولا زائــراً شُمَّ العرانــين أنتمى ... إلى عامــرٍ يحلُلْنَ رَمْــلاً مُعاليا

---

1 سحبل : موضع .

2 موطني : موقفي .

3 دبارى النيب : النوق المسنّة التي أصابها الدبر .

إذا مـــا أتيتَ الحارثياتِ فانْعَني لهـــن وخبِّرْهُـــنَّ أن لا تَلاقيــا
وقـــوِّد قَلوصي بينهـــن فإنّها ستُبْرِد أكبـــاداً وتُبْكِـي بواكيا
أوصِّيكُمُ إن مـــتُّ يومـــاً بعارم ليُغْنِيَ شيئاً أو يكـــونَ مكانِيا[1]

ويروى :

وعطِّل قلوصي في الرِّكابِ فإنّها ستبرد أكبـاداً وتبكـي بـواكيا

وهذا البيت بعينه يُروى لمالك بن الرَّيْب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه . وقال في ذلك جعفرٌ أيضاً : [من الطويل]

وسائلـــةٍ عنّـــا بغَيْب وسائـــلٍ بمَصْدَقِنا في الحربِ كيف نُحاولُ
عشيّة قُـرّى سَحبل إذ تعطَّفت علينـــا السرايا والعـــدوُّ المُباسِلُ[2]
ففـرّج عنّـــا اللهُ مَرْحى عدوِّنا وضربٌ ببِيضِ المَشْرِفيّـةِ خابلُ[3]
إذا ما قرى هامَ الرؤوس اعتِرامُها تعاوَرَهـــا منهـــم أكفٌّ وكاهلُ[4]
إذا ما رُصِدنا مرصداً فرجت لنا بأيماننـــا بيضٌ جلتهـــا الصياقلُ
ولمّا أبـوا إلاّ المُضيَّ وقـــد رأوا بأن ليس منّـــا خشيةَ الموت ناكلُ
حلفتُ يميناً بَــرّةً لم أُرِدْ بهـــا مقالَـــة تسميع ولا قول باطِلٍ[5]
لِيَخْتَضِمَـــنَّ الهُنْـدُوانيّ منهـــم مَعاقِـدَ يخشاها الطبيبُ المزاولُ[6]
وقالـــوا لنا ثِنتان لا بـــدّ منهما صدور رماح أُشْرِعت أو سلاسلُ
فقلنا لهـــم تلكم إذاً بعـد كرةٍ تُغادِرُ صرعـــى نَهْضُها مُتَخاذلُ
وقتـلى نفوسٍ في الحيـــاةِ زهيدةٍ إذا اشتجر الخَطِّيُّ والموت نازلُ
نُراجِعُهُـــمْ في قالـــة بدأوا بِها كما راجع الخصمَ البذيَّ المُناقِلُ[7]
لهم صدرُ سيفي يوم بَطْحاء سحبلٍ ولي منه مـــا ضمَّت عليه الأناملُ

1 أو يكون مكانيا في ل : أو يقوم مقاميا . وعارم : ابنه .
2 المباسل : المصاول .
3 المرحى : الموضع الذي تدور عليه رحى الحرب .
4 قرى هام المؤوس اعترامها : أكثر فيها الضرب الشديد .
5 تسميع : تشهير وتشنيع . وفي البيت إقواء .
6 يختضم : يقطع .
7 المناقل : الذي يتحدث مع غيره ويراجعه .

[مقتل جعفر بن علبة بحق بني عقيل]

قال : فاستَعدَت عليهم بنو عُقيل السَّريَّ بن عبد الله الهاشميّ عامل مكّة لأبي جعفر ؛ فأرسل إلى أبيه علبة بن ربيعة فأخذه بهم ، وحبسه حتى دفعهم وسائر مَن كان معهم إليه ، فأمّا النضر فاستُقِيدَ منه بجراحة[1] ، وأمّا عليٌّ بن جُعْدُبٍ فأفلت من الحبس ، وأمّا جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة[2] أنّه قَتَلَ صاحبهم فقُتِل به . هذه رواية أبي عمرو .

وذكر ابنُ الكلبيّ أنّ الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثيّ وإسماعيل بن أحمر العقيليّ اجتمعا عند أَمَة لشعيب بن صامتٍ الحارثيّ ، وهي في إبلٍ لمولاها في موضع يقال له صَمعَر من بلاد بَلْحارث ، فتحدّثا عندها فمالت إلى العقيليّ ، فدخلتْهما مؤاسفةٌ[3] حتى تخانقا بالعمائم . فانقطعت عمامةُ الحارثيّ وخنقه العقيليّ حتى صرعه ، ثم تفرّقا . وجاء العُقيليُّون إلى الحارثيّين فحكَّموهم فوهبوا لهم . ثم بلغهم بيتٌ قيل ، وهو : [من الطويل]

ألم تسأل العبدَ الزياديّ ما رأى بصمعر والعبـدُ الزياديُّ قائمُ

فغضب إيّاسٌ من ذلك فَلَقِيَ هو وابن عمّه النضر بن مضارب ذلك العقيليّ ، وهو إسماعيل بن أحمر ، فشجّه شجّتين وخنقه ؛ فصار الحارثيّون إلى العُقيليّين فحكموهم فوهبوا لهم . ثم لَقي العُقيليُّون جعفر بن علبة الحارثيّ فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلاً ثم أطلقوه . وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجّع لجعفر : [من الطويل]

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن تُغَـرُّ إذا مـا كانَ أمـرٌ تحاذرُهْ

فلا صلْحَ حتى يخفِقَ السيفُ خَفْقَةً بكفٍّ فَتًى جُـرَّتْ عليـه جرائرُهْ

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جُعْدب ، والنضر بن مضاربٍ ، وإياس بن يزيد ، فلقوا المهديَّ بن عاصم وكعب بن محمدٍ بِحبرٍ ، وهو موضع بالقاعة ، فضربوهما ضرباً مُبرِّحاً ، ثم انصرفوا فضَلُّوا عن الطريق . فوجدوا العقيليّين وهم تسعةٌ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلّى لهم العُقيليُّون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيلٍ جمعاً آخر بسحبل فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقَتل جعفر بن علبة رجلاً من عقيل يقال له خشينة ، فاستعدى العُقيليُّون إبراهيم بن هشامٍ المخزوميّ عامل مكّة ، فرفع الحارثيين الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكّة ؛ ثم أفلت منه رجلٌ فخرج هارباً ، فأحضرت عقيلٌ قَسامةً حلفوا أن جعفر قتل صاحبهم . فأقاده إبراهيم بن هشام .

قال وقال جعفر بن علبة قبل أن يُقتَل وهو محبوس : [من الطويل]

---

1 أي أقتص منه بضربة أو طعنة .

2 القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون .

3 مؤاسفة : مغاضبة . رفيعهم : أرسلهم إلى الوالي .

عجِبتُ لمسراهـا وأنّي تخلّصت إليّ وبابُ السجن بالقفل مغلقُ[1]
أَلَمّتْ فحيّت ثم قامت فودّعت فلمّا تولّـت كادت النفسُ تزهَقُ
فــلا تحسبي أنّي تخشّعتُ بعدَكم لشيء ولا أنّي من الموتِ أفرَقُ
وكيف وفي كفّي حسامٌ مُذلَّقٌ يَعضُّ بهاماتِ الرجـال ويعلَقُ[2]
ولا أن قلبــي يَزْدهيه وعيدُهم ولا أنّني بالمشي في القَيدِ أخرقُ[3]
ولكــنْ عرتنــي من هواكِ صبابةٌ كما كنتُ ألقى منك إذا أنا مُطْلَقُ
فأمّا الهـوى والـــودُّ منّي فطامحٌ إليــكِ وجُثْمــاني بمكّــة مُوثَقُ

وقال جعفر بن علبة لأخيه [ماعز] يحرّضه : [من الطويل]

وقــل لأبـــي عــون إذا ما لقيتَه ومــن دونــه عرْضُ الفلاة يَحُولُ

في نسخة ابن الأعرابيّ :

. . . . إذا مـا لقيته ودونه مــن عــرض الفلاة مُحولُ

بالميم ، ويشمّ الهاء في «دونه» بالرفع وتخفيفها ، وهي لغتهم خاصة .

تَعَلَّمْ وَعَــدُّ الشّكِّ أنّي يَشُفُّني ثلاثــةُ أحـــراسٍ معــاً وكُبولُ[4]
إذا رُمتُ مشياً او تبوّأتُ مَضْجعاً يبيتُ لهـا فوق الكِعابِ صَليلُ[5]
وَلَوْ بِكَ كانت لابتعثتُ مطيَّتي يَعُــودُ الحَفـــا أخفافَها وتجُولُ
إلى العدل حتى يَصْدُرَ الأمر مَصْدَرا وتبرأَ منكــم قالــــةٌ وعُــدُولُ

ونسختُ أيضاً خبرَه من كتاب للنضر بن حديدٍ ، فخالف هاتين الروايتين ، وقال فيه : كان جعفر بت علبة يزور نساءً من عقيل بن كعبٍ ، وكانوا متجاوِرين هم وبنو الحارث بن كعبٍ ، فأخذته عقيلٌ ، فكشفوا دُبرُ قميصه ، وربطوه إلى جُمَّته ، وضربوه بالسياط ، وكتّفوه ، ثم أقبلوا بـه وأدبـروا على النسوة اللاتي كان يتحدّث إليهن على تلك الحال ليغيظوهنّ ، ويفضحوه عندهنّ ؛ فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا فإن هذا الفعل مُثلَةٌ ، وأنا أحلفُ لكم بما يُثْلِجُ صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً ، ولا أَلِجَها . فلم يقبلوا منه . فقال لهم : فإنْ لم تفعلوا ذلك فحسبُكُم ما قد مضى ، ومُنُّوا عليّ بالكفِّ عنّي فإنّي أُعدُّه نعمةً لكم ويداً لا أكفُرُها أبداً ، أو فاقتلوني وأريحوني ،

1 بالقفل في ل : دوني وكذلك في الحماسة .
2 مذلق : محدد .
3 أخرق هنا : الدهش فزعاً .
4 يشفه : يهزله ويذهب بعقله . والكبول : القيود واحدها كبل .
5 ل : منزلاً .

فأكون آذى قوماً في دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ، ويضربونه ، ويُغْرون به سفهاءهم حتى شَفَوا أنفسهم منه ، ثم خلّوا سبيله . فلم تمض إلاّ أيّام قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له ، فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى . فلمّا كان في نُقْرةٍ من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عقيلٌ أَقْفى خلقِ الله لأثر ، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه ، والعُقيليُّون مُغترّون ليس مع أحدٍ منهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر بن علبة وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدت عليهم عُقَيل السريَّ بن عبد الله الهاشميّ عامل المنصور على مكّة ، فأحضرهم وحبسهم ، فأقاد من الجارح ، ودافع عن جعفر بن علبة ، وكان يُحبُّ أن يدرأ عنه الحدَّ لخؤولة أبي العباس السفّاح في بني الحارث ، ولأن أخت جعفرٍ كانت تحت السريّ بن عبد الله ، وكانت حظيةً عنده ، إلى أن أقاموا عليه قسامةً ، أنّه قتل صاحبهم . وتوعّدوه بالخروج إلى أبي جعفر والتظلّم إليه . فحينئذٍ دعا بجعفر فأقاد منه ، وأفلت عليُّ بن جُعدُب من السجن فهرب . قال وهو ابن أخي جعفر بن علبة . فلمّا أُخرِج جعفرٌ للقَود قال له غلامٌ من قومه : أسقيك شربةً من ماء بارد ؟ فقال له : اسكت لا أُمَّ لك ، إنّي إذاً لمهيافٌ[1] . وانقطع شِسْعُ نعله[2] فوقف فأصلحه ، فقال له رجلٌ : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال : [من الوافر]

أشدّ قِبالَ نعلي أن يراني عدوّي للحوادث مُسْتكينا[3]

قال : وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نخبةُ بن كليبٍ أخو المجنون ، وهو أحدُ بني عامر بن عقيلٍ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

شفى النفس ما قال ابن عُلبةَ جعفر وقَوْلي له اصْبر ليس ينفعَكَ الصبرُ
هَوى رأسُه من حيث كان كما هو عُقابٌ تدلّى طالباً جانبَ الوكرِ[4]
أبا عارم ، فينا عُرامٌ وشدّة وبَسْطَةُ أيمانٍ سواعدها شُعْرُ[5]
همُ ضربُوا بالسيف هامةَ جعفر ولم يُنْجِهِ بَرٌّ عريضٌ ولا بحرُ
وقُدْناهُ قَوْدَ البَكْرِ قسراً وعَنْوَةً إلى القبرِ حتى ضمّ أثوابه القبرُ

وقال علبة يرثي ابنه جعفراً : [من الطويل]

1 المهياف : الذي لا يصبر على العطش .
2 شسع النعل : أحد سيورها ، وهو الذي يدخل بين الإصبعين .
3 قبال النعل : شسعها .
4 في البيت إقواء .
5 عرام : شدة وقوة وشراسة .

لعمركَ إنّي يوم أسلمتُ جعفراً وأصحابَه للموت لمّا أُقاتِلِ
لمجتنبٌ حبّ المَنايا وإنّما يهيج المنايا كلُّ حقٍّ وباطِلِ
فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم مُغَلَّلَةٌ أيديهُم في السلاسلِ
ورب أخٍ لي غاب لو كان شاهداً رآه التباليّون لي غيرَ خاذلِ[1]

وقال علبةُ أيضاً لامرأته أُمِّ جعفرَ قبل أن يُقتَل جعفر : [من الطويل]

لعمرِك إنّ الليلَ يا أُمَّ جعفرٍ عليّ وإنْ عَلَّلتني لطويلُ
أُحاذِرُ أخباراً من القوم قد دنت ورجعةَ أنقاضٍ لهنّ دليلُ

فأجابته فقالت : [من الطويل]

أبا جعفرٍ أسلمتَ للقومِ جعفراً فَمُتْ كَمَداً أو عش وأنتَ ذليلُ

[بنت يحيى بن زياد تبكيه وترثيه بأبياته]

قال أبو عمرو في روايته : وذكر شداد بن إبراهيم أنّ بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثيّ حضرت الموسم في ذلك العام لمّا قُتل فكفّنته واستجادت له الكفن ، وبكته وجميع مَن كان معها من جواريها ، وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله : [من الطويل]

أحقّاً عبادَ الله أن لستُ رائياً صَحاريَّ نجدٍ والرياحَ الذّوارِيا

وقد تقدّمت في صدر أخباره . وفي هذه القصيدة يقولُ جعفرُ :

وددت مُعاذا كان فيمن أتانيا

فقال معاذٌ يُجيبه عنها بعد قتله ، ويخاطب أباه ، ويُعرِّض له أنّه قُتل ظُلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قُتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه ، إلاّ أن غيظهم على جعفرٍ حملُهم على أن ادّعوا القتل عليه : [من الطويل]

أبا جعفر سَلِّبْ بنَجْرانَ واحتسب أبا عارمٍ والمُسْمَناتِ العواليا[2]
وقوِّد قَلُوصاً أتلفَ السَّيفُ ربها بغير دمٍ في القوم إلاّ تماريا[3]
إذا ذكرتْهُ مُعصِر حارثيَّةَ جرى دمعُ عَيْنَيْها على الخدِّ صافيا[4]

1 التباليون : المنسوبون إلى تبالة ، بلد باليمن .
2 سلب : ألبس ثياب الحداد السود . المسمنات : السمينات .
3 قوّد : اجعلها تقاد ولا تركب . تماريا : تكذيبا .
4 المعصر : التي بلغت عصر شبابها وأدركت .

فلا تحسَبَنَّ الدَّيْنَ يا عُلبَ مُنْسأً ولا الثائرَ الحرّانَ يَنْسى التقاضيا
سنقتُلُ منكم بالقتيل ثلاثةً ونُغْلي وإن كانت دماءُ غواليا
تمنّيتَ أن تَلقى مُعاذاً سفاهَةً ستلقى مُعاذاً والقضيبَ اليمانيا

وَوَجَدْتُ الأبياتَ القافيّة التي فيها الغناءُ في نسخة النّضرِ بن حديدٍ أتمَّ ممّا ذكره أبو عمرو الشيبانيّ . وأوّلها : [من الطويل]

ألا هَلْ إلى فتيانِ لهوٍ ولذّةٍ سبيلٌ وتَهْتافِ الحمامِ المطوقِ
وشربةِ ماءٍ من خَدُوراء باردٍ جرى تحتَ أظلالِ الأراكِ المُسَوَّقِ[1]
وسيري مع الفتيان كلَّ عشيّةٍ أُبَاري نداماهم بصهباءَ سَيْلَقِ
إذا كَلَحَتْ عن نابها مَجَّ شِدْقُها لُغاماً كَمُـحِّ البيضةِ المُتَرَقْرِقِ[2]
وأصهبَ جَوْنِيٍّ كأن بُغامَه تَبَغُّمُ مطرودٍ من الوحشِ مُرْهَقِ
بَرى لحمَ دَفَّيْهِ وأدمى أظَله اجـ ـتيابي الفيافي سَمَلْقاً بعدَ سَمْلَقِ[3]

وذكر بعده الأبيات الماضية . وهذا وهمٌ من النضر ، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه مخفوضةٌ . فأتيت بكلّ واحدةٍ منهما منفردةً ولم أخلطهما لذلك .

[علبة ينحر أولاد النوق والشياه لتصيح مع النسوة بكاءً على جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيُّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال : لمّا قُتل جعفر بن علبة قام نساء الحيّ يبكين عليه ، وقامَ أبوه إلى كلّ ناقةٍ وشاةٍ فنحر أولادها ، وألقاها بين أيديها وقال : ابكينَ معنا على جعفر ! فما زالت النوقُ ترغو والشاءُ تثغو والنساءُ يصِحن ويبكين وهو يبكي معهنّ ؛ فما رُئي يومٌ كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذٍ .

صوت

[من الرمل]

عَلّلاني إنّما الدنيا عَلَلْ واسقياني عَلَلاً بعد نَهَلْ
أَصْحبُ الصاحب ما صاحبني وأكُفُّ اللومَ عنه والعذلْ

الشعر للعُجير السلولي . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حبيشٍ . وذكر الهشاميُّ أنّه من منحول يحيى المكّيّ .

---

1 خدوراء : موضع .
2 كلحت : كشرت في عبوس . اللغام : زبد أفواه الإبل .
3 دفا البعير : جنباه . السملق : الأرض المستوية الجرداء .

[234] ـ أخبار العُجَير السلوليّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكر محمد بن سلاّم ، العجيرُ بنُ عبد الله بن عبيدةَ بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضُبَيْط بن جابر بن عبد الله بن سلول . ونسختُ نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيديّ عن ابن حبيبٍ قال : هو العجير بن عبيد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول[2] بن مرّة بن صعصعة ، أخي عامر بن صعصعة . شاعرٌ مقلٌّ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية . وجعله محمد بن سلامٍ في طبقة أبي زبيدٍ الطائيّ ؛ وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام .

[ماء مطلوب]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدّثنا محمد بن سلاّمٍ الجُمحيُّ ، قال : حدّثنا أبو الغرّاف قال : كان العجير السَّلوليّ دلَّ عبد الملك بن مروان على ماءٍ يقال له مطلوبٌ ، وكان لناسٍ من خثعم ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

لا نـــومَ إلاّ غِرارُ العينِ ساهِرةً ... إن لم أُرَوِّعْ بغيظٍ أهلَ مَطْلوبِ
إن تَشْتُمُوني فقد بدّلْتَ أيكتَكُم ... ذَرْقَ الدَّجاجِ بحَفَّـان اليعاقيبِ[3]
وكنتُ أُخبِركُم أن سوف يعمُرها ... بَنُــو أميّـة وعداً غيرَ مكذُوبِ

قال : فركب رجلٌ من خثعم يقال له أميّة إلى عبد الملك حتّى دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّما أراد العجير أن يصلَ إليك وهو شويعر سأّل . وحَرَّبه[4] عليه . فكتب إلى عامله بأن يشدّ يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد . فبلغ العجير الخبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا عندك فاحتبِسني وابعث مَن يبصر الأرضين والضياع ، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حِلٌّ وبِلٌّ[5] ، فبعث فاتّخذ ذلك الماء ، فهو اليوم من خيار ضياع بني أميّة .

[هجا بني حنيفة فأباح الوالي حدّه]

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : هجا

1 ترجمة العجير السلولي في طبقات الشعراء : 615–625 والسمط : 92 وحماسة التبريزي : 2 : 193 و79–80 والمؤتلف والمختلف : 166 . والخزانة : 5 : 35–36 .

2 في الخزانة والآمدي ومعارف ابن قتيبة أنّ سلول أسهم .

3 حفان اليعاقيب : فراخ الحجل .

4 حرّبه : حرّضه .

5 حلّ : حلال ، وبلّ : صباح .

العجير قوماً من بني حنيفة وشتمهم ، فأقاموا عليه البيّنة عند نافع بن علقمة الكنانيّ ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم عليه الحدَّ ، وقال لهم : إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحدّ وليكن ذلك في ملأ يشهدون به لئلا يدّعي عليكم تجاوز الحقّ . فهرب العجيرُ منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة ، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ، ثم تعلّق بثوبه وقال : [من الطويل]

إليك سبقنا السوطَ والسجنَ ، تحتنا ... حيالٌ يُسامين الظلالَ ولُقَّحُ
إلى نافع لا نرتجي ما أصابنا ... تحومُ علينا السانحاتَ وتبرحُ
فإن أكُ مجلوداً فكن أنت جالدي ... وإن أكُ مذبوحاً فكن أنت تَذبحُ

فسأله عن المطر وكيف كان أثره ، فقال له : [من الرجز]

يا نافعٌ يا أكرم البريه ... والله لا أكذبك العشيّهْ
إنّا لقينا سنةً قَسِيه ... ثم مُطِرْنا مَطرةً رويّهْ[1]
فنبت البقل ولا رعيّهْ[2]

يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل . فقال له : انجُ بنفسك فإنّي سأُرضي خصومك ، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقّهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم .

[شعره في ابن عمّه]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدّثني عمر بن إبراهيم السعديّ عن عبّاس بن عبد الصمد السعديّ قال : قال هشام بن عبد الملك للعجير السلوليّ : أصدقت فيما قلته لابن عمّك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إلاّ أنّي قلت : [من الطويل]

فتًى قُدَّ قَدّ السيف لا متضائلٌ ... ولا رهلٌ لَبَّاتُه وبآدلُهْ[3]

هذا البيت يُروى لأخت يزيد بن الطّثريّة ترثيه به . [من الطويل]

جميلٌ إذا استقبلتَه من أمامه ... وإن هو ولّى أشعثُ الرأس جافلُهْ[4]
طويلٌ سطيُّ الساعدين عَذَوَّرٌ ... على الحيّ حتى تستقلّ مراجلُهْ[5]

---

1 سنة قسية : سنة قاسية .
2 رعية : الماشية الراعية .
3 الرهل : المسترخي لحمه من غير داء . البآدل : جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والترقوة .
4 جافل هنا : كثير الشعر .
5 سطي الساعدين : ذو بطش . العذوّر : السيىء الخلق والمعنى أنه يشتدّ على الحي إلى أن تغضب المراجل ويطمئن على قرى الأضياف .

تـرى جازِرَيْـــه يُرعَـدَان ونارُه عليها عداميـــلُ الهشيم وصاملُهْ[1]
يجران ثِنيّاً خيرُهــا عظمُ جاره على عينه لم تعــدُ عَنها مشاغلُهْ[2]
تركنا أبا الأضيافِ في كلّ شتوةْ بمَرٍّ ومِـردى كلِّ خصمٍ يجادلُهْ[3]
مقيمـاً سلبناه دريسيْ مُفاضة وأبيضَ هندِيّاً طــوالا حمـائلُهْ[4]

فقال هشام : هلك والله الرجل .

[شعره حين منعه العامري العطاء]

ونسختُ من كتاب ابن حبيبٍ قال ابن الأعرابيّ : اصطحب العجير وشاعرٌ من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعيّ الحسن بن الحسن بن عليّ عليهم السلام ، وقصد العجيرُ رجلاً من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطاناً ، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعيّ وكساه ولم يعط العامريُّ العجير شيئاً ، فقال العجير : [من البسيط]

يا ليتني يـوم حزَّمتُ القَلُوصَ لَه يَمَّمتُهــا هاشميّــاً غيرَ ممذوقِ[5]
محضَ النِّجار من البيت الذي جُعلت فيــه النبوَّةُ يَجْري غير مَسبوقِ
لا يُمْسك الخيرَ إلاّ ريثَ يُسْأَلُه ولا يلاطم عند اللّحم في السوقِ[6]

فبلغت أبياته الحسن ، فبعث إليه بصلة إلى محلّة قومه وقال له : قد أتاك حظُّك وإن لم تتصدَّ له .

[سكر العجير فأمر بنحر جمله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثنا محمد بن الحسن بن دينار الأحولُ قال : حدّثني بعض الرواة أنّ العجير بن عبد الله السلوليّ مرّ بقوم يشربون فسَقَوه . فلمّا انتشى قال : انحروا جملي وأطعِمونا منه . فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنّونه بشعر قاله يومئذٍ ، وهو : [من الرمل]

علِّلاني إنّمــا الدنيــا عَلَـلْ واسقيــاني علــلا بعـد نَهَلْ
وانشُلا مــا اغبرّ من قدريكما وأصبحاني أبعــد اللهُ الجملْ

---

1 عداميل : جمع عدمل وهو الضخم القديم من الشجر ، وفي ل : عدولي : نسبة إلى موضع . والصامل : اليابس .
2 الثني : الناقة التي ولدت بطنين ، وابنها الثاني يسمى ثنياً . لم تعد عنها : لم تنصرف .
3 في كل شتوة في ل والحماسة : في ليلة الصبا .
4 الدريس : الخلق من الثياب . وهنا يعني الدرع القديمة . المفاضة : الواسعة .
5 المذق : الخلط ، أي أنه خالص النسب .
6 يعني أنه لا يشتري اللحم من السوق وإنّما يذبح لأضيافه .

أُصحبُ الصاحب ما صاحبني وأكفُّ النّوم عنه والعذلْ
وإذا أتلف شيئاً لم أقلْ أبداً يا صاحِ ما كان فعلْ

قال : فلمّا صحا سأل عن جمله فقيل له : نحرته البارحة . فجعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم وهبوا له بعيراً فارتحله وانصرف إلى أهله .

[حجّ بامرأته فنظرت إلى غيره]

أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : حجَّ العجيرُ السلوليّ فنظر إلى امرأته وكان قد حجَّ بها معه وهي تلحظ فتى من بُعدٍ وتكلّمه فقال فيها : [من الطويل]

أيا ربّ لا تغفر لعَثْمة ذنبَها وإن لم يعاقبها العجير فعاقبِ
أشارت وعَقدُ الله بيني وبينها إلى راكب من دونه ألفُ راكبِ
حرامٌ عليك الحجُّ لا تقرَبنّه إذا حان حَجُّ المسلمات التوائبِ[1]

[فسخ زواج ابنته من مولى بني هلال]

وقال ابن الأعرابيّ : غاب العجير غيبةً إلى الشام ، وجعل أمرَ ابنته إلى خالها ، وأمره أن يزوّجها بكفء . فخطبها مولًى لبني هلال كان ذا مال ، فرغبت أمُّها فيه وأمرت خال الصبيّة الموصى إليه بأمرها أن يزوّجها منه ففعل . فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير ، وبرجالٍ من قومها ، وبابن عمٍّ لها يقال له قَيْل ، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمّها القيل فإنّه ساعد أمّها على ما أرادت ، ومنع منها الفرزدق . فلمّا قدِم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال : [من الطويل]

ألا هل لبَعجان الهلاليّ زاجرٌ وبعجانُ مأدومُ الطعام سمينُ
أليس أميرُ المؤمنين ابنَ عمّها وبالحِنو آسادٌ لها وعرينُ[2]
وعاذت بِحَقْوَيْ عامر وابن عامر ولله قد بتّ عليّ يمينُ
تنالونها أو يخضِبَ الأرضَ منكم دم خرّ عنه حاجب وجبينُ[3]

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

إذا ما أتيتَ الخاضبات أكُفَّها عليهنّ مقصورُ الحجال المروّقُ[4]

1 المسلمات في ل : المحصنات .
2 الحنو : حنو ذي قار قرب الكوفة .
3 تنالونها : لا تنالونها .
4 المروّق : ذو الستور . والرواق : ستر دون السقف .

فلا تدعـــونَّ القَيل إلاّ لمشربٍ رَواء ولكـــنّ الشجاع الفرزدقُ
هــو ابنٌ لِبَيْضاء الجبين نَجيبةٍ تَلَقَّت بطُهر لم يجيء وَهْو أحمقُ[1]
تداعى إليــه أكرمُ الحـــيٍّ نسوةً أطفن بِكسرى بيتهـا حِين تُطْلَقُ
فجاءت بعُريـــانِ اليديـنِ كأنّه مـن الطير بازٍ ينفُض الطّلّ أزرقُ

[قول العجير في رفيقه أصبح]

وقال ابن الأعرابيّ : كان للعجير رفيقٌ يقال له أصبحُ ، وكانا يصيبان الطريق ، وفيه يقول العجير : [من الطويل]

ومنخـرِقٍ عـن مَنْكِبيـه قميصُه وعن ساعِديـه ، للأخلاّء واصلِ
إذا طـال بالقوم المطـا في تَنُوفَةٍ وطولُ السُّرى ألفيتَه غير ناكلِ[2]
دعوتُ وقد دبّ الكَرى في عِظامه وفي رأسه حتّى جرى في المفاصلِ
كما دبّ صافى الخمر في مخّ شاربٍ يميلُ بعِطْفَيْه ، عـن اللّبٍّ ذاهلِ
فلبّــى لِيَثْنيني بِثِنْيَـيْ لسانـه ثقيلين مـن نوم غَـلّوب الغياطِلِ[3]
فقلتُ له قم فارتحل ليس هاهنا سِوى وقفةِ السّاري مُناخٌ لنازلِ
فقـام اهتزازَ الرمح يسرُو قميصَه ويحسِر عن عاري الذّراعين ناحلِ[4]

[امرأة العجير تمنعه من مالها]

وقال ابن الأعرابيّ : كانت للعجير امرأة يقال لها أمّ خالد ، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً ، ثم جعل يدّان حتى أُثقِل بالدَّين ومدّ يده إلى مالها ، فمنعته منه وعاتبته على فعله ، فقال في ذلك : [من الطويل]

تقـولُ وقـد غالبتُها أمُّ خالـد على مالهـا أُغرقتَ دَيْنـاً فأقْصرِ
أبى القَصْرَ مَن يأوي إذا الليل جَنَّني إلى ضوء ناري مِـنْ فقير ومُقْترِ
أيا موقدَيْ نـــاري ارْفَعاها لعلّها تُشَبُّ لِمُقْوٍ آخـرَ الليـلِ مقفِرِ[5]

1 تلقت : علقت به .
2 المطا : التمطي وهو السير الممتد . الناكل : الضعيف الجبان .
3 الغياطل : جمع غيطلة وهي هنا غلبة النعاس .
4 يسرو قميصه : يلقيه عنه .
5 المقوي : الذي لا زاد معه .

أمِن راكبٍ أمسى بظهر تَنُوفةٍ أواريكِ أم من جارى المُتَنظِّرِ
ولا قِدرَ دون الجار إلاّ ذميمةٌ وهذا المُقاسي ليلةً ذاتَ منكرِ
تكاد الصَّبا تبتزُّه مِنْ ثيابه على الرَّحْلِ إلاّ من قميص ومئزرِ
وماذا علينا أن يخالِس ضوءها كريمٌ نشاه شاحبُ المُتَحَسِّرِ

المتحسّر : ما انكشف وتجرّد من جسمه[1] .

فيخبِرنا عمّا قليل ولو خلت له القِدر لم نعجب ولم نتخبَّرِ

صوت

[من الطويل]

سلي الطارقِ المعتَرَّ يا أُمَّ مالكٍ إذا ما أتاني بين قِدري ومَجْزِري[2]
أأبسُط وجهي أنّه أوّل القِرى وأبذلُ معروفي له دون مُنْكَري
فلا قصر حتى يَفرِج الغيثُ من أوى إلى جنب رَحْلي كلّ أشعث أغبرِ
أقِي العِرضَ بالمال التِّلادِ وما عسى أخوك إذا ما ضيّع العرض يشتري
يُؤدِّي إليَّ النَّيل قُنْيانَ ماجدٍ كريم ومالي سارحاً مال مقترِ

القِنْيان : ما اقتنى من المال . يقول : إنّه لبَذْله القِرى كأنّه موسر ، وإذا سرح ماله علم أنّه مُقتر .

إذا مُتُّ يوماً فاحضُري أمَّ خالد تُراثَكِ من طِرف وسيف وأقدرِ[3]

قال ابن حبيب : من الناس مَن يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أوّلها :

سلي الطارقَ المعترّ يا أمَّ مالك

لعروة بن الورد ، وهي للعُجَير .

[العجير يقيم شهراً بباب عبد الملك]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا علي بن الصبّاح عن هشام بن محمدٍ قال : وفد العجير السَّلوليّ ، وسلول بنو مرّة بن صعصعة ، على عبد الملك بن مروان ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه لشغلٍ عَرَضَ لعبد الملك ، ثم وصل إليه

1 ل : جلده .
2 المعتر : قاصد المعروف سأل أو لم يسأل .
3 الأقدر : من الخيل هو الذي يجاوز حافرا رجليه مواقع حافري قدميه .

فلمّا مثَلَ بين يديه أنشد : [من الطويل]

ألا تلــك أمُّ الهِبْــرِزِيّ تَبَيَّنَتْ عِظامي ومنهــا ناحِــل وكسيرُ[1]
وقالتْ تضاءلتَ الغداةَ ومَنْ يكُنْ فتًى قبلَ عــامِ الماء فَهْــو كبيرُ[2]
فقلــتُ لهــا إنّ العُجيرَ تقلَّبــتْ بــه أبطـــنٌ أبلَيْنَــه وظهــورُ
فمنهنّ إدلاجي على كُلِّ كوكبٍ لــه مــن عُمــانيٍّ النجومِ نظيرُ
وقَرْعي بكفّي بابَ مَلْكٍ كأنّما بــه القومُ يرجون الأَذِينَ نُسُورُ[3]
ويــومٍ تبارى أَلْسُنُ القوم فيهم وللموت ارحــاءٌ بهـــنّ تدورُ
لو انّ الجِبالَ الصُّمَّ يسْمعْن وَقْعَها لَعُــدْنَ وقــد بانــت بهنّ فُطورُ
فرحتُ جَـــواداً والجــوادُ مثابرٌ على جَرْيِــه ، ذو علّــة ويسيرُ

فقال له : يا عجير ما مدحتَ إلاّ نفسك ، ولكنّا نعطيك لطول مُقامَك . وأمر له بمائةٍ من الإبل يُعطاها من صدقات بني عامر ، فكتب له بها .

[المروءة خير لباس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدّثنا محمد بن سعدٍ الكُرانيُّ قال : حدّثنا العُمَرِيُّ عن العُتبيٍّ قال : نظر أبي إلى فتًى من بني العبّاس يسحب مُطْرف خزٍّ عليه وهو سكران ، وكان فتًى مُتَهَتِّكاً ، فحرّك راسه مليّاً ثم قال : لله درُّ العُجَير السَّلُوليّ حيث يقول : [من المتقارب]

ومــا لبس الناسُ مــن حُلّــة جدِيــدٍ ولا خَلَقــاً يُرْتَدَى
كمثــل المُــــرُوءةِ للآبسين فدَعني من المُطْرَفِ المُسْتدى[4]
فليسَ يُغيِّــر فضــلَ الكريــمِ خُلُوقـــةُ أثوابـــه والبِــلى
وليس يُغيِّــر طبــعَ اللّئيــم مطارِف خــز رِقــاقُ السَّدى
يجود الكريــمُ على كلّ حالٍ ويكبو اللئيمُ إذا مــا جرى

[قوله لابنه الفرزدق]

أخبرني عمّي قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني أبو القاسم اللِّهبيّ عن أبي عبيدة قال : كان العُجيرُ السلوليّ له ابن يقال له الفرزدق ، وفيه يقول العجير : [من الكامل]

1 أم الهبرزي : الحمّى .
2 عام الماء : العام الخصيب .
3 الأذين : الحاجب .
4 المستدى : المنسوج .

ولقد وضعتُك غيرَ مُتَّرِكٍ ... من جابر في بيتها الضّخمِ
واخترتُ أمّكَ من نسائهم ... وأبوك كلُّ عَذَوّرٍ شهمِ[1]
فلئن كذبتَ المنحَ من مائةٍ ... فلتقبلن بسائغ وَخمِ
إنّ الندى والفضل غايتُنا ... ونجاتُنا وطريقُ مَن يحمي

[يستنجد بأمير لوفاء دَينه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكرانيّ قال : قال الحرمازيّ : وقف العجير السلوليّ لبعض الأمراء ، وقد علق به غريمٌ له من باهلة فقال له : [من الطويل]

أتيتك إنّ الباهليّ يسوقني ... بدين ومطلوبُ الدُّيون رقيقُ
ثلاثتُنا إن يسَّر اللهُ : فائزٌ ... بأجرٍ ، ومُعْطًى حقّه ، وعتيقُ

فأمر بقضاء دينه .

[خطب بنت عمّه ففضلت عليه العامريّ ليساره]

وقال ابن الأعرابيّ : كانت للعجير بنت عمٍّ وكان يهواها وتهواه ، فخطبها إلى أبيها فوعده وقاربَه . ثم خطبها رجلٌ من بني عامرٍ موسر ، فخيّرها أبوها بينه وبين العجير ، فاختارت العامريّ ليساره ، فقال العجير في ذلك : [من الطويل]

أَلِمَّا على دارٍ لزينبَ قد أتى ... لها بِلِوى ذي المَرْخ صيفٌ ومَرْبَعُ[2]
وقُولا لها قد طالما لم تَكَلَّمي ... وراعاك بالعين الفُؤادُ المُرَوَّعُ
وقولا لها قال العجير وخَصَّني ... إليك ، وإرسال الخليلَيْن ينفعُ
أأنت التي استودعتُك السِّرَّ فانتحى ... لي الخَوْنَ مَرَّاحٌ من القوم أفرعُ[3]
إذا متُّ كان الناس نِصفين : شامتٌ ... ومثنٍ بما قد كنت أُسْدِي وأُصنعُ[4]
ولكن ستبكيني خطوب ومجلسٌ ... وشعثٌ أُهينوا في المجالس جوّعُ
ومستلحَم قد صَكَّه القومُ صكّةً ... بعيدِ الموالي نِيلَ ما كان يمنعُ[5]
رددتُ له ما أفرط القتل بالضُّحى ... وبالأمسِ حتى اقتاله فهو أصلعُ[6]

1 العذوّر : السيىء الخلق ، القليل الصبر .
2 اللوى : منقطع الرمل . ذو المرخ : دار كثير الشجر قريب من فدك .
3 انتحى : قصد . الخون : الخيانة . أفرع : شخص له جمة .
4 الناس في ل : القوم .
5 المستلحم : الذي أُرهق في القتال . صكة القوم : ضربوه ضرباً شديداً .
6 اقتاله في ل : اقتاده .

ولست بمولاه ولا بابـن عمّـه ولكن متى مـا أملك النفعَ أنفعُ

[علق امرأة من عامر فانتهبوا ماله]

وقال ابن الأعرابيّ : كان العجير يتحدّث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جُمْلٌ فألفها وعَلِقَها . ثم انتجعَ أهلُها نواحي نصيبين ، فتتبَّعَتْها نفسه . فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه منازلاً مُلازماً محادثة تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا : قد رأينا أمرك فإمّا أن انقطعتَ عنها أو ارتحلتَ عنّا ، أو فأذنْ بحرب . فقال : ما بيني وبينها ما يُنكَر ، وإنّما كنتُ أتحدّث إليها كما يتحدّثُ الرجـل الكريـم إلى المـرأة الحرّة الكريمة ، فأمّا الريبة فحاش لله منها . ثم عاود محادثتها ؛ فانتهبوا ماله وطردوه . فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذٍ يتولّى الجزيرةَ لأخيه عبد الملك بن مروان ، فأتاه مُستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية ، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام ، وأنشده قوله : [من الطويل]

عفـا يافِـعٌ مـن أهله فطَلوبُ وأقفَـرَ لـو كان الفؤادُ يثوبُ[1]

وقفتُ بها مِن بعدِ مـا حلّ أهلها نَصيبين والرّاقـي الدموعَ طبيبُ

وقد لاح معروفُ القتِير وقد بدت بك اليومَ من ريب الزمان نُدوبُ[2]

وسالمتُ روحاتِ المطيّ وأحمدت مناسمُ منهـا تشتكي وصُلوبُ

وما القلب أم ما ذكـره أمُّ صِبْيةٍ أُرَيْكَةُ منهـا مسكن فهَروبُ[3]

حَصان الحُمَيّا حرّة حال دونَها حلِيلٌ لها شاكي السلاح غضوبُ

شَموسٌ ، دُنوُّ الفَرْقدين اقترابُها ، لغَيٍّ مقاريـف الرجـال سَبوبُ

أحقّاً عبـادَ الله أن لستُ ناظراً إلى وجههـا إلاّ عـليّ رقيبُ

عدَتني العِدا عنهـا بُعَيْدَ تساعفٍ وما أرتجـي منهـا إليّ قريبُ

لقد أحسنت جُملٌ لـو انّ تبيعها إذا مـا أرادت أن تُثِيب يثيبُ[4]

تَصُدّين حتّى يذهبَ اليأسُ بالمنى وحتّى تكادَ النفسُ عنكِ تطِيبُ

هذا البيت يروى لابن الدُّمَينة ، وهو بشعره أشبه ، ولا يُشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه ؛ لأنّه تشكّى في سائر الشعر قومها دونها ، وهذا بيت يصف فيه الصدّ منها ، ولكن هكذا هو في رواية ابن الأعرابيّ : [من الطويل]

---

1 يافع : موضع . طلوب : ماء .

2 معروف القتير : الشيب .

3 أريكة : جبل بالبادية . هروب : من قرى صنعاء باليمن .

4 التبيع : المولى والناصر .

وأنتِ المُنى لو كنتِ تستأنفيننا ... بخير ولكِنْ مُعْتفاك جديبُ[1]
أيؤكلُ مالي وابنُ مروانَ شاهدٌ ... ولم يقضِ لي وابن الحُسام قريبُ
فتًى مَحْضُ أطرافِ العروق مساورٌ ... جبالَ العلا طلقُ اليدين وهوبُ[2]

فأمر محمدُ بنُ مروان بإحضار ابنِ الحسام الكلابيّ فأُحْضِر، فحبسه حتى ردّ مال العجير كلّه، وأمر العجير بالانصراف إلى حيِّه وتَرْك النزول على المرأة أو في قومها. قال: وقال العجير فيها أيضاً، ويصفُ بعيراً: [من البسيط]

هاتيك جُمْلٌ بأرض لا يُقَرِّبُها ... إلاّ هِبَلٌّ من العِيدِي مُعْتَقِدُ[3]
ودونَها مَعشر خزرٌ عيونُهم ... لو تُخمدُ النار من حَرٍّ لما خمدوا[4]
عدُّوا علينا ذنوباً في زيارتها ... ليحجبوها وفي أخلاقهم نَكَدُ
وحالَ مِن دونها شَكسٌ خلائقُه ... كأنّه نِمرٌ في جلده الرُّبَدُ[5]
فليس إلاّ عويلٌ كلّما ذُكِرَتْ ... أو زفرةٌ طالما أَنَّتْ بها الكبدُ
وتيّمتْنيَ جُمْلٌ فاستمرّ بها ... شَحطٌ من الدار لا أَمٌّ ولا صَدَدُ
قالوا غداة استقلّت: ما لمقلته ... أمن قذى هملَتْ أم عارها رمدُ[6]
فقلت لا بل غدت سلمى لِطِيَّتِها ... فليتهم مثل وجدي بُكرةً وَجَدوا
إن كان وصلُك أَبلى الدَّهرُ جِدّته ... وكلُّ شيءٍ جديدٍ هالكٌ نَفَدُ
فقد أُراني ووجْدِي إذْ تفارقني ... يوماً كوجدِ عجوز درعُها قددُ
تبكي على بطل حُمَّتْ منيّته ... وكان واترَ أعداءٍ به ابتَرَدوا[7]
وقد خلا زمنٌ لو تَصرمين له ... وَصْلي لأيقنتُ أنّي ميّتٌ كَمِدُ
أزمانَ تعجبُني جملٌ وأكتمُه ... جُملاً حياءً، وما وجدٌ كما أجدُ

---

1 تستأنفيننا: تعودين إلينا.
2 محض أطراف العروق: خالص الأصول طاهرها. المساور: المواثب.
3 يقرّبها في ل: يبلغها. الهبّل: الضخم الطويل. العيدي: المنسوب إلى فحل معروف. المعتقد: الصبور الشديد الصلب.
4 خزر العين: ضيقها، كناية عن العداوة.
5 الشكس: الصعب. الربد: جمع ربدة، وهو السواد المتقطع فيه احمرار، أو الغبرة.
6 عارها: أصابها.
7 ابتردوا: أثلجت صدورهم لموته.

فقـد برِئتُ على أنّي إذا ذُكِرَتْ ينهلُّ دمعـي وتَحيـا غُصَّةٌ تَلَدُ[1]
من عهد سَلمى التي هام الفؤادُ بها أزمانَ أزمانَ سلمى طِفلةٌ رُؤُدُ[2]
قد قلـت للكاشِحِ المبدِي عداوتَه قد طالما كان منك الغِشُّ والحسدُ
ألا تُبَيِّنُ لي لا زِلـت تُبغِضني حتّامَ أنت إذا مـا ساعفَت ضمِدُ[3]
وقد تـرى غيرِ ذي شك ومعلمه أن ليس لي إن نأت صبر ولا جلدُ

[عبد الملك يوصي مؤدّب ولده أن يرويهم مثل قول العجير]

وقال ابن حبيب : قال عبد الملك لمؤدّب ولده : إذا روَّيتَهم شعراً فلا تروِّهم إلاّ مثلَ قول العُجير السلوليّ : [من الوافر]

يَبِين الجـارُ حِـين يبِين عنّي ولم تأنسْ إليّ كِلابُ جاري
وتظعنُ جارتي من جَنب بيتي ولم تُستَّر بستر مـن جِداري
وتأمـن أن أُطالع حـين آتي عليها وهـي واضعةُ الخِمارِ
كذلك هَـدْيُ آبائي قديماً تَوارثـه النِّجـارُ على النِّجارِ
فهديـي هديُهم وهُـمُ افْتَلَوْني كما افْتُلِيَ العتيقُ مـن المِهارِ[4]

[رواية أخرى عن نحره جمله]

وقال ابنُ حبيب أيضاً : نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقَوه ، فلمّا سكر قام إلى جمله فعقره ، وأخرج كبده وجبَّ سَنامه ، فجعل يشوي ويأكل ويُطعِم ويغنّي : [من الطويل]

علّـلاني إنّمـا الدنيا عَلَل واسقياني عَلَـلا بعـد نَهَلْ
وانشُلا لي اللحم من قِدْريكما واصبحاني أبعـد اللهُ الجملْ

فلمّا أفاق سأل عن جمله فأُخبر ما صنع به ، فجعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم أعطوه جملاً وزوّدوه ، فانصرف حتى لحق بقومه .

أخبرني عمّي بهذا الخبر قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثنا الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال : حدّثني أبي عن عمّه فقال فيه : مرّ العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم ، وذكر باقي القصّة نحواً ممّا ذكر ابن حبيب ، ولم يقل فيها : فلمّا أصبح جعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! ـ ولكنه قال : فلمّا أصبح ساق قومه إليه ألفَ بعير مكان بعيره .

1 تلد : لغة في التلاد ، وهو القديم .
2 رؤد : شابة حسنة .
3 ضمد : حاقد .
4 افتلاه : فطمه . وهنا فطموني عن جهل الصبا .

[سليمان بن عبد الله يعجب بشعر العجير]

أخبرني عمّي وحبيب بن نصرٍ المهلّبيُّ قالا : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني الحكم بن موسى بن الحسين السلوليّ قال : حدّثني أبي عن عمّه قال : عرض العجير لسليمان بن عبد الله وهو في الطواف ، وعلى العجير بُردان يساويان مائةً وخمسين ديناراً ، فانقطع شِسعُ نعله فأخذها بيده ، ثم هتف بسليمان فقال : [من الطويل]

ودَلَّيتُ دلوي في دِلاء كثيرة إليك فكان الماءُ ريّـان مُعلما

فوقف سليمان ثم قال : لله درُّه ما أفصحه ، والله ما رضي أن قال ريّان حتى قال معلما ، والله إنّه لَيُخَيَّلُ إليّ أنه العجير ، وما رأيته قطّ إلاّ عند عبد الملك . فقيل له : هو العجير . فأرسل إليه : أن صِر إلينا إذا حللنا . فصار إليه ، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه ، فردّها العجير عليهم ووهبها لهم .

[رثاء العجير لابن عمّه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدّثني هارون بن موسى الفروي قال : كان ابن عمّ للعجير السلوليّ إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوماء ، فيطعن في لَبَّتها عند بيته ، فيبيتون في شواء وقدير[1] ، ثم يصبحون على ذلك ، فلما مات ، قال العجير يرثيه : [من الطويل]

تركنا أبا الأضيافِ في ليلة الصَّبا بمَرٍّ ومِردى كلّ خصم يجادلُهْ[2]
وأُرعيـه سمعـي كلّما ذُكِر الأسى وفي الصّدرِ منّي لوعـةٌ ما تزايلُهْ
وكنت أعِيرُ الدّمعَ قبلك مَن بكى فأنت على مَنْ مات بعدك شاغلُهْ

هكذا ذكر هارون بن موسى في هذا الخبر ، والبيت الثالث من هذه الأبيات للشّمردلِ بنِ شَرِيك لا يُشَكُّ فيه ، من قصيدة له طويلة . فيه غناء قد ذكرته في أخباره .

صوت

[من المتقارب]

فتـاةٌ كأن رضابَ العبيرِ بفيها يُعَلُّ بـه الزنجبيلُ[3]
قتلتُ أباهـا على حبِّهـا فتبخلُ إن بخِلَت أو تُنيلُ

الشعر لخُزيمة بن نهدٍ ، والغناء لطويس ، خفيفُ رملٍ بالبِنصر عن يحيى المكّيّ .

---

1 قدير : ما يطبخ في القدر .
2 مر : ماء لبني أسد . مردى الخصم : الصبور على الخصم .
3 يعل هنا : يخلط .

[235] ـ أخبار خزيمة بن نهد ونسبه

[نسبه]

هو خُزَيمةُ بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . شاعر مقلّ من قدماء الشعراء في الجاهلية . وفاطمة التي عناها في شعره هذا : فاطمة بنت يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوّجه إيّاها ، فقتله غيلة . وإيّاها عنى بقوله : [من الوافر]

إذا الجوزاءُ أُردفَت الثُّريّا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا

أخبرني بخبره محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثنا عبيد الله بن سعد الزُّبيريّ قال : حدّثني عمّي قال حدّثني أبي ، أظنّه عن الزهريّ ، قال : كان بدءُ تفرّق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق ، وخروج مَن خرج منهم عن نسبه ، أنّه كان أوّل مَن ظعن عنها وأخرج منها قضاعة بن معدّ . وكان سبب خروجهم أنّ خزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن معدّ كان مشؤوماً فاسداً ، متعرِّضاً للنساء ، فعلق فاطمة بنت يذكر بن عنزة ، واسم يذكر عامر ، فشبّب بها وقال فيها : [من الوافر]

إذا الجوزاءُ أردفت الثُّريا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك مِن همومي همومٌ تُخْرِج الشجن الدّفينا
أرى ابنة يذكرٍ ظعنت ، فحلّت جَنوبَ الحَزْن يا شَحَطاً مبينا

[مقتل يذكر بن عنزة]

قال : فمكث كذلك زماناً ، ثم إنّ خزيمة بن نهد قال ليذكر بن عنزة : أحبّ أن تخرج معي حتى نأتي بِقَرَظ . فخرجا جميعاً ، فلمّا خلا خزيمة بن نهد بيذكر بن عنزة قتله ، فلمّا رجع ، وليس هو معه ، سأله عنه أهله ، فقال : لست أدري ، فارقني وما أدري أين سلك . فكان في ذلك شرٌّ بين قضاعة ونزار ابنَي معد ، وتكلّموا فيه فأكثروا ، ولم يصحّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به ، حتى قال خزيمة بن نهد : [من المتقارب]

فتاة كأنَّ رضابَ العبير بفيها يُعَلّ به الزنجبيلُ
قتلت أباها على حبِّها فتبخلُ إنْ بخِلت أو تنيلُ

فلمّا قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً ، فكانت نزار بن معد وكندة

وهي يومئذٍ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد . وحاءٌ وهم يومئذٍ ينتمون فيقولون حاءُ بن عمرٍو بن أُدّ بن أُدَد . وكانت قضاعة تنتسب إلى معد ، وعك يومئذٍ تنتمي إلى عدنان فتقول : عك عدنان بن أدّ ، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد . وكانوا يتبدَّون[1] من تهامة إلى الشام ، وكانت منازلهم بالصُّفّاح ، وكان مَرّ وعُسْفان لربيعة بن نزار ، وكانت قضاعة بين مكّة والطائف ، وكانت كندة تسكن من الغَمر إلى ذات عِرق ، فهو إلى اليوم يسمّى غمر كندة . وإيّاه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله[2] : [من المتقارب]

إذا سلكت غمر ذي كنـدة مع الصبح قصدٌ لها الفرقَدُ
هنا لك إمّا تُعَزّى الفؤاد وإمّـا على إثرهم تكْمَدُ

وكانت منازل حاء بن عمرٍو بن أُدَد ، والأشعر بن أددٍ ، وعكٌّ بن عدنان بن أدد ، فيما بين جُدّة إلى البحر .

[القارظان]

قال : فيذكر بن عنزة أحد القارظَيْن[3] اللذين قال فيهما الهذليّ : [من الطويل]

وحتّى يؤوب القارظان كلاهما ويُنْشَرَ في القتـلى كليبٌ لوائلِ

والآخر من عنزة ، يقال له أبو رُهْم ، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعْرف له خبر .

[انهزام قضاعة وقتل خزيمة بن نهد]

قال : فلمّا ظهرت نزارٌ على أنّ خزيمة بن نهد قَتَلَ يذكر بن عنزة قاتلوا قضاعة أشدّ قتالٍ ، فهزمت قضاعة وقُتِل خزيمة بن نهدٍ وخرجت قضاعة متفرّقين ، فسارت تيم اللاّت بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حِلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة ، وفرقة من بني رُفيدةَ بن ثور بن كلب بن وبرة ، وفرقة من الأشعريين ، نحو البحرين حتى وردوا هجر ، وبها يومئذٍ قوم من النبط ، فنزلت عليهم هذه البطون فأجْلَتْهم ، فقال في ذلك مالك بن زهير : [من الوافر]

نَزَعنا مِن تهامـةَ أيَّ حيٍّ فلم تحفِـل بذاك بنو نزارِ
ولم أكُ من أنيسكُم ولكنْ شرينـا دارَ آنسةٍ بـدارِ

[كهانة الزرقاء بنت زهير]

فلمّا نزلوا هَجَرَ قالوا للزرقاء بنت زهيرٍ ، وكانت كاهنة ، ما تقولين يا زرقاء ؟ قالت :

---

1 يتبدون : ينزلون البادية .
2 ديوان عمر : 90 .
3 القرظ : ورق السلم أو ثمر السنط . والقارظ : مجتنيه .

«سَعَفٌ وإهان[1] ، وتمر وألبان ، خيرٌ من الهوان» . ثم أنشأت تقول : [من الكامل]

ودّع تهامةَ لا وَداعَ مُخالِق بذِمامه لكن قِلًى وملامِ
لا تُنْكِري هَجَراً مُقامَ غريبةٍ لن تَعدَمي من ظاعنين تَهامِ

فقالوا لها : فما ترين يا زرقاء ؟ فقالت : «مُقامٌ وتُنوخ ، ما وُلِد مولودٌ وأنْقفَتْ فروخ[2] إلى أن يجيءَ غراب أبقع ، أصمع أنزع[3] ، عليه خلخالا ذهب ، فطار فألهب[4] ، ونَعَق فنعَب ، يقع على النخلة السَّحُوق[5] ، بين الدُّور والطريق ، فسيروا على وَتِيرة ، ثم الحِيرة الحيرة !» . فسُمِّيت تلك القبائل تَنوخَ لقول الزرقاء : «مقام وتُنوخ» . ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن في تنوخ ، ولحق سائرَ قضاعة وبهْرة موتٌ ذريع ؛ وخرجت فرقة من بني حُلْوان بن عمِران بن الحاف بن قُضاعة يقال لهم : بنو تَزيد ، فنزلوا عَبْقَر من أرض الجزيرة ، فنَسَج نساؤهم الصُّوف وعمِلوا منه الزرابي ؛ فهي التي يقال لها العبقرية ، وعمِلوا البرود التي يقال لها التزيدية . وأغارت عليهم الترك ، فأصابتهم ، وسَبَتْ منهم . فذلك قول عمرو بن مالك : [من الوافر]

ألا لله ليلٌ لَمْ نَنْمهُ على ذات الخِضاب مُجَنِّبينا[6]
وليلتُنا بآمِدَ لَم نَنمْها كليلتنا بميّافارقينا

[بهراء تلحق بالترك وتهزمهم]

وأقبل الحارثُ بن قُرادٍ البهرانيُّ ليعيث في بني حُلْوان ، فعرض له أُباغُ بن سُلَيحٍ صاحبُ العين ، فاقتتلا ، فقُتِل أُباغ ، ومضت بهراءُ حتى لحقوا بالترك ، فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بني تزيد . فقال الحارث بن قُراد في ذلك : [من الوافر]

كأنَّ الدهر جُمِّع في ليالٍ ثَلاثٍ بِتُّهن بشَهْرزُورِ
صَفَفْنا للأعاجمِ من مَعَدٍّ صفوفاً بالجزيرة كالسّعيرِ

[سليح بن عمرو نزلت ناحية فلسطين]

وسارتْ سليحُ بنُ عمرو الحاف بن قُضَاعة يَقُودها الحدرجانُ بنُ سَلَمَةَ حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أذْينة بن السَّمَيْدَع من عاملة . وسارت أسلم بن الحاف وهي عُذرة ونَهدٌ

1 إهان : عرجون .
2 أنقفت فروخ : ثقبت البيض وخرجت .
3 الأصمع : صغير الأذن . الأنزع : منحسر الشعر من جانبي الجبهة .
4 ألهب : اشتدّ في طيرانه .
5 السحوق : الطويلة .
6 المجنب : الذي انقطعت ألبان إبله .

وحَوْتَكة وجُهينة والحارث بن سعد ، حتى نزلوا من الحِجر إلى وادي القُرى ، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين . ثم أقبل غرابٌ في رجليه حَلْقَتا ذهبٍ وهم في مجلسهم ، فسقط على نخلةٍ في الطريق ، فنَعَقَ نعقات ثم طار ؛ فذكروا قول الزرقاء ، فارتحلوا حتى نزلوا الحِيرة . فهُم أوّل مَن اختطَّها : منهم مالك بن زهير . واجتمع إليهم لمّا ابْتَنوا بها المنازل ناسٌ كثير من سقّاط القرى ، فأقاموا بها زماناً ؛ ثم أغار عليهم سابور الأكبر ، فقاتلوه ، فكان شعارهم يومئذٍ : يا آل عباد الله ! فسُمّوا العباد ، وهزمهم سابور ، فصار معظمهم ومن فيه نهوضٌ إلى الحَضْر من الجزيرة يقودهم الضَّيْزَن بن معاوية التنوخي ، فمضى حتى نزل الحَضْرَ ، وهو بناء بناه الساطرون الجُرمُقاني ، فأقاموا به ، وأغارت حِميرُ على بقيّة قضاعة ، فخيّروهم بين أن يُقيموا على خراجٍ يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم ، فخرجوا ، وهم كلبٌ ، وجَرْمٌ والعلاف ، وهم بنو زبّان بن تغلب بن حلوان ، وهو أوّل مَن عمل الرحال العلافية ، وعلافٌ لقب زبّان ، فلحقوا بالشام ، فأغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وانهزموا فلحقوا بالسماوة ، فهي منازلهم إلى اليوم .

صوت

[من البسيط]

إنّي امرؤ كفّني ربّي ونزّهني ... عن الأمور التي في غبّها وخمُ
وإنّما أنا إنسانٌ أعيش كما ... عاش الرجالُ وعاشت قبْلِيَ الأممُ

الشعر للمغيرة بن حبناء ، من قصيدةٍ مدح بها المهلّب بن أبي صفرة ، والغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر ، وهو من مشهور أغانيه وجيِّدها .

[236] ـ نسب المغيرة بن حَبْناء وأخباره[1]

[نسبه]

المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وحبناء لقبٌ غلب على أبيه واسمه جُبير بن عمرو ، ولُقّب بذلك لِحِبن[2] كان أصابه . وهو شاعرٌ إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، وأبوه حبناء بن عمرو شاعرٌ ، وأخوه صخر بن حبناء شاعر ، وكان يهاجيه ، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرةٌ ، سأذكر منها طرفاً . وكان قد هاجى زياداً الأعجم فأكثر كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش ، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه ، كانا متكافئين في مهاجاتهما ينتصف كلّ واحدٍ منهما من صاحبه .

[مديحه لطلحة الطلحات]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثني الحسن بن جَهْوَرٍ عن الحرمازيّ قال : قدِم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات الخزاعيِّ ثم المُلَيْحِيِّ ، أحد بني مُليح ، فأنشده قوله فيه[3] : [من الطويل]

لقد كنتُ أسعى في هواكَ وأبتغي ... رضاكَ وأرجو منكَ ما لستُ لاقيا
وأبذلُ نفسي في مواطِـن غيرُها ... أَحَبُّ ، وأعصي في هواكَ الأدانيا
حِفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا ... لِتَجْزِيَني مـا لا إخالُكَ جازيا[4]
رأيتُك مـا تنفـكُّ منـك رَغيبةٌ ... تقصِّـر دوني أو تحـلُّ ورائيا
أُراني إذا استمطرتُ منك رَغيبةً ... لِتُمْطِرَني عادتْ عَجاجا وسافِيا[5]
وأَدْليتُ دلـوِي في دِلاء كثيرة ... فأُبنْ مِـلاءً غيرَ دلـوي كما هيا

---

1 ترجمة المغيرة بن حبناء في الشعر والشعراء : 319 والمؤتلف : 105 . ومعجم المرزباني : 369 والسمط : 715 . وقد جمع شعره نوري القيسي في «شعراء أمويون» .
2 الحبن : ورم في البطن .
3 شعر المغيرة بن حبناء : 107–108 .
4 التمسيك : الصيانة .
5 رغيبة في ل : سحابة .

ولستُ بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجدةٍ   من القوم حُرّاً بالخسيسة راضيا
فإنِ تدن منّي تـدنُ منكَ مودّتي   وإن تنأ عنّـي تُلْفِني عنـكَ نائيا

قال : فلمّا أنشده هذا الشعر ، قال له : أما كُنّا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا . فأمر طلحة خازِنَه فأخرج دُرْجاً فيه حجارة ياقوت ، فقال له : اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ درهم . فقال : ما كنتُ لأختار حجارةً على أربعين ألف درهمٍ ! فأمر له بالمال . فلمّا قبضه سأله حجراً منها ، فوهبه له ، فباعه بعشرين ألف درهم . ثم مدحه ، فقال[1] : [من الطويل]

أرى الناس قد مَلُّوا الفَعال ولا أرى   بنـي خلـف إلاّ رِواء المـواردِ
إذا نفعـوا عـادوا لَمـن ينفعونـه   وكائن تـرى مِن نافع غيرِ عائدِ
إذا ما انجلت عنهم غمامةُ غمرةٍ   من الموت أجلت عن كرامٍ مَذَاوِدِ
تسود غطاريفَ الملـوك ملوكهُم   وماجِدهم يعلـو على كلّ ماجِدِ

[مديحه للمهلّب بن أبي صفرة]

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدّثنا المغيرة بن محمد المهلّبي عن رواة باهلة ، أن المهلّب بن أبي صفرة لّما هَزَم قطريَّ بن الفجاءة بسابور[2] جلس للناس ، فدخل إليه وجوههم يهنّئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء ، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده[3] : [من البسيط]

حال الشّجا دونَ طَعمْ العيش والسهرُ   واعتاد عينَك مِـن إدمانها الدِّررُ
واستَحقَبتكَ أمـورٌ كنتَ تكرهها   لـو كان ينفعُ منها النّأيُ والحذرُ[4]
وفي المـوارد للأقـوام تَهْلُكـةٌ   إذا المـواردُ لم يُعْلم لهـا صَدَرُ[5]
ليس العزيزُ بمَـن تُغْشى محارِمُه   ولا الكريمُ بمَـن يُجفى ويُحْتَقَرُ

حتى انتهى إلى قوله :

أمسى العِبادُ بشرٍّ لا غِياثَ لهـم   إلاّ المهلّـبُ بعـد الله والمطـرُ

1 شعر المغيرة بن حبناء : 85–86 .
2 سابور : كورة ببلاد فارس .
3 شعر المغيرة بن حبناء : 86–88 .
4 النأي في ل : الرأي . استحقبتك : ادخرتك .
5 تهلكة في ل : مصلحة .

كلاهمـا طيّبٌ تُرْجـى نوافلـه — مبـاركٌ سَيْبُـهُ يرجـى ويُنْتظرُ
لا يجْمُدان عليهم عنـد جَهدِهم — كِلاهما نافعٌ فيهـم إذا افتقروا[1]
هذا يذود ويحمي عـن ذِمارِهم — وذا يعِيش بـه الأَنعام والشَّجرُ[2]
واستسلم الناسُ إذ حلّ العدوّ بهم — فلا ربيعتُهم تُرجـى ولا مضرُ[3]
وأنت رأسٌ لأهل الدِّين منتخَبٌ — والرأسُ فيه يكون السمع والبصرُ
إن المهلَّـب في الأيّـام فضّله — على منـازلِ أقـوام إذا ذُكروا
حـزمٌ وجـود وأيّامٌ له سلفتْ — فيها يُعَدُّ جسيمُ الأمـر والخطرُ
ماضٍ على الهولِ مـا ينفكُّ مرتحِلاً — أسبابَ معضلةٍ يعيـا بهـا البشرُ
سهلُ الخلائقِ يعفو عِنـد قدرتِه — منه الحياء ومـن أخلاقه الخفَرُ
شهابُ حربٍ إذا حلّت بساحته — يُخْزِي بـه الله أقوامـاً إذا غدروا
تزيدُهُ الحربُ والأهوالُ إن حضرت — حزماً وعزماً ويجلو وجهَه السفرُ
مـا إن يزالُ على أرجاء مُظْلِمةٍ — لولا يكفكفُها عن مِصرهم دَمَروا[4]
سهلٌ إليهـم حليم عن مجاهلهم — كأنّما بينهـم عثمـانُ أو عمرُ
كهفٌ يلوذون من ذُلّ الحياةِ به — إذا تكنَّفهـم مِـن هولها ضررُ
أمـنٌ لخائفهـم فيضٌ لسائلهم — ينتاب نائِلَـه البـادون والحَضَرُ

فلمّا أتى على آخرها قال المهلّب : هذا والله الشِّعرُ ، لا ما نُعَلَّلُ به ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرسٍ جوادٍ ، وزاده في عطائه خمسمائة درهمٍ .

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغِناء المذكور بذكره أخبارُ المغيرة ، من قصيدة له مدح بها المهلّب بن أبي صفرة أيضاً . وأوّلها[5] : [من البسيط]

أمِن رسومِ ديارٍ هاجـك القِدم — أَقْوَتْ وأقفر منها الطَّفُّ والعلمُ[6]

1 لا يجمدان : لا يبخلان .
2 يذود في ل : يجود .
3 العدوّ في ل : البلاء .
4 يكفكفها : يمنعها . دمروا : هلكوا .
5 شعر المغيرة بن حبناء : 99–102 .
6 الطف والعلم : موضعان .

وما يَهيجُك مـن أطـلالِ منزلة عفَّى معالِمَهـا الأرواح والدِّيَمُ
نِعم الخليفةُ مـن جـارٍ تضنُّ به إذا طربتَ أثـافي القـدر والحُمَمُ
دارُ التي كاد قلبـي أن يُجَنَّ بها إذا ألم بـه مِن ذِكرهـا لَممُ[1]
إذا تذكرهـا قلبـي تضيّفه همٌّ تضيق بـه الأحشاء والكَظَمُ[2]
والبينُ حـين يروعُ القلبَ طائِفُه يبدي ويظهرِ منهم بعضَ ما كتموا
إنّي امـرؤٌ كفّني ربّي وأكرمني عن الأمور التي في غبِّهـا وخمُ
وإنّمـا أنـا إنسان أعيش كما عاش الرجال وعاشت قبليَ الأممُ

[سبب قوله القصيدة]

وهي قصيدة طويلة ، وكان سبب قوله إيّاها أنّ المهلّب كان أنفذ بعض بنيه في جيشٍ لقتال الأزارقة ، وقد شدّت منهم طائفةٌ تُغِير على نواحي الأهواز ، وهو مقيمٌ يومئذٍ بسابور ، وكان فيهم المغيرة بن حبناء ، فلمّا طال مُقامه واستقرّ الجيش لحق بأهله ، فأَلَمّ بهم وأقام عندهم شهراً ، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلّب فقيل له : إنّ الكتّاب خطّوا على اسمه ، وكُتِبَ إلى المهلّب أنّه عصى وفارق مكتبه بغير إذن ، فمضى إلى المهلّب ، فلمّا لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره ، وأمر بإطلاقِ عطائه وإزالة العتبِ عنه ، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن : [من البسيط]

ما عاقني عن قُفُولِ الجندِ إذ قفلوا عيٌّ بما صنعوا حولي ولا صَمَمُ
ولـو أردتُ قفولاً مـا تجهَّمَني إذنُ الأمير ولا الكتابُ إذ رقموا
إنّي ليعرفنـي راعـي سريرِهـم والمُحْدِجُون إذا مـا ابتلّت الحُزُمُ
والطالبون إلى السلطان حاجتَهم إذا جفا عنهم السلطان أو كَزَموا[3]
فسوف تُبْلِغُك الأنباءَ إن سلمت لك الشواحِج والأنفاسُ والأُدُمُ[4]
إنّ المهلّـب إنْ أشتق لرؤيتـه أو امتدِحه فإن الناس قـد علِموا
إنّ الكريـم من الأقوامِ قد علموا أبو سعيدٍ إذا مـا عُـدّت النّعمُ

1 اللمم : الجنون .
2 الكظم : مخرج النفس .
3 كزموا : هابوا .
4 الشواحج : البغال . الأدماء : الناقة التي أشرب لونها سواداً أو بياضاً .

والقائـلُ الفاعـلُ الميمونُ طائره — أبو سعيدٍ وإن أعـداؤه رَغموا
كم قد شهدتُ كراماً من مواطنه — ليست بغيب ولا تقوالهم زعموا
أيّامَ أيّامَ إذ عضّ الزمـان بهـم — وإذ تمنّى رجـال أنّهم هُزِموا
وإذا يقولـون : ليتَ الله يُهْلكهم — والله يعلـم لـو زلّت بهم قدمُ
أيّامَ سابور إذ ضاعـت رَباعَتهم — لولاه ما أُوطَنوا داراً ولا انتقموا[1]
إذ ليس شيء من الدنيا نصول به — إلاّ المغافِـر والأبـدان واللجمُ
وعاترات مـن الخَطّيِّ مُحصَدَة — نفضي بهـن إليهم ثـم نَدَّعمُ[2]

[مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء]

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيّ في خبر هذه القصيدة ، ونسخت من كتابه . وذكر أيضاً في هذا الكتاب أنّ سببَ التهاجي بين زيادٍ الأعجم والمغيرة بن حبناء ، أنّ زياداً الأعجم والمغيرة بن حبناء وكعباً الأشقريّ ، اجتمعوا عند المهلّب وقد مدحوه ، فأمر لهم بجوائز وفضَّل زياداً عليهم ، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشد شِعره ، لأنّ زياداً كان ألكن لا يُفْصح ، فكان راويته يُنْشد عنه ما يقوله ، فيتكلّف له مؤونة ويجعل له سهماً في صِلاته ، فسأل المهلّب يومئذٍ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب ، فوهبه له ، فنفِسوا عليه ما فُضِّل به ؛ فانتدب له المغيرة من بينهم ، فقال للمهلّب : أصلح الله الأمير ، ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا ؟ فوالله ما يُغني غَناءنا في الحرب ، ولا هو بأفضلنا شعراً ، ولا أصدقِنا وِدّاً ، ولا أشرفِنا أباً ، ولا أفصحنا لساناً ! فقال له المهلّب : أما إنّي والله ما جهلتُ شيئاً مما قلت ، وإنّ الأمرَ فيكم عندي لمتساوٍ ، ولكنّ زياداً يُكْرَمُ لِسِنِّه وشِعره وموضعه من قومه ، وكلُّكم كذلك عندي ، وما فضلته بما يُنْفَسُ به[3] ، وأنا أعوِّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضّلته به . فانصرف ، وبلغ زياداً ما كان منه ، فقال يهجوه[4] : [من الطويل]

أرى كلَّ قومٍ ينسل اللؤمُ عندهم — ولـؤمُ بنـي حبناءَ ليس بناسِلِ[5]
يَشبُّ مـع المولودِ مثـلَ شبابـه — ويَلقـاه مولوداً بأيـدي القوابلِ

1 رباعتهم : الأمر الذي كانوا عليه .
2 العاترة : المضطربة . ندّعم : نتّكىء .
3 ينفس به : يحسد عليه .
4 شعر زياد الأعجم : 52 .
5 ينسل : يسقط كما يسقط ريش الطائر .

ويُرْضَعُــه مــن ثــدي أُمٍّ لئيمةٍ ويُخْلَقُ من ماء امرِىء غير طائلِ
تعالَوا فعدّوا في الزمانِ الذي مضى ، وكلّ أنــاسٍ مجدُهــم بالأوائلِ
لكم بفعالٍ يعرف الناسَ فضله إذا ذُكِـر الأَمـلاء عِند الفضائلِ[1]
فغازيكم في الجيش ألأمُ مَـن غزا وقافِلكـم في النـاس ألأم قافلِ
ومـا أنتُم مِـنْ مالكٍ غيرَ أنّكم كمغرورةٍ بالبوِّ في ظِـلّ باطلِ
بنو مالك زُهـرُ الوجـوه وأنتمُ تَبيَّنَ ضاحى لؤمِكم في الجحافلِ[2]

يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء .

أخبرني عبيد الله بن محمدٍ الرازيّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدّثني المدائنيّ قال : عَيَّر زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلّب بالبرص ، فقال له المغيرة : إنّ عِتاق الخيل لا تشينها الأوضاح[3] ، ولا تعير بالغررِ والحجُولِ ، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجلٍ عَيَّره بالبرصِ : «إنّما أنا سيف الله جلاه واستلّه على أعدائه» فهل تُغني يا ابن العجماء غنائي ، أو تقوم مقامي ؟ ثم نشِب الهِجاء بينهما .

نسختُ من نسخة ابن الأعرابيّ ، قال : كان المغيرة بن حبناء يوماً يأكل مع المُفَضّل بن المهلّب ، فقال له المفضل : [من الطويل]

فلــم أرَ مِثلَ الحنظلِيّ ولونِهِ أكِيلَ كــرامٍ أو جليس أميرِ

فرفع المغيرة يده وقام مغضبا ، ثم قال له[4] : [من البسيط]

إنّي امروٌ حنظلِيٌّ حين تنسبُني لامِ العتِيك ولا أخوالي العَوَقُ[5]

العَوَق من يشكر ، وكانوا أخوال المفضل .

لا تحسبَنَّ بياضاً فيّ منقصةً إنّ اللّهاميــم في ألوانهــا بلقُ

وبلغ المهلّب ما جرى ، فتناول المفضل بلسانه وشتمه ، وقال : أردتَ أن يتمضَّغ هذا أعراضَنا ، ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إيّاه ؟ أمّا إن كنت تعافه فاجتنبه أو لا تـؤْذِه . ثم بعث إليـه بعشرة آلاف درهم ، واستصفحه عن المفضل ، واعتذر إليه عنه ، فقبِل

---

1 الأملاء : جمع ملأ .
2 الجحافل : الشفاه .
3 الأوضاح : جمع وضح ، وهو التحجيل في القوائم .
4 شعر المغيرة بن حبناء : 96 .
5 لامِ العتيك : لا من العتيك . والعتيك والعوق : قبيلتان .

رِفده وعذره ، وانقطع بعد ذلك عن مواكلة أحدٍ منهم .

رجع الخبرِ إلى سياقته مع زياد والمغيرة ، فقال المغيرة يجيب زياداً[1] : [من الكامل]

أزيــادُ إنّــك والذي أنا عبدُه مــا دون آدمَ من أبٍ لك يُعلمُ
فالْحَق بأرضِك يا زيادُ ولا تَرُمْ مــا لا تطيــق وأنت عِلج أعجمُ
أظننتَ لؤمَكَ يــا زيـاد يسدُّه قــوس سترتَ بهــا قفاك وأسهمُ
علــج تعصَّبَ ثــم راق بقوسه والعلــج تعرفـــه إذا يَتعمَّمُ
ألـقِ العصابــة يــا زيــادُ فإنّما أخــزاك ربِّــي إذ غدوتَ تَرَنَّمُ
واعلــم بأنّــك لست منِّي ناجيا إلاّ وأنــت ببَظْــرِ أمّك ملجَمُ
تهجو الكرام وأنت ألأمُ من مشى حسباً وأنــتَ العلجُ حين تَكَلَّمُ
ولقــد سألت بنــي نــزارٍ كلّهم والعالمــين مــن الكهول فأقسموا
بــالله مالَــكَ في معــدٍّ كلِّهـا حسبٌ وإنّــك يــا زياد موَذَّمُ

الموذم مثل توذمة الدلو ، فأجابه زياد فقال : [من الوافر]

ألم تَــرَ أنَّني وتَّــرت قوسي لأبقعَ مــن كلابِ بني تميمِ
عــوى فرميته بسهامِ موتٍ كذاك يُرَدُّ ذو الحمــقِ اللئيمُ
وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ كسرتُ كعوبهــــا أو تستقيمُ
هــم الحشْوُ القليلُ لكلِّ حيٍّ وهــمْ تَبَــعٌ كزائدة الظليمِ
فلستَ بسابقــي هَرِمــا ولمـا يمــرَّ على نواجــذك القَدومُ
فحاوِلْ كيف تَنجُو مِن وِقاعِي فإنّــك بعــد ثالثــةٍ رميمُ
سَراتُكم الكلابُ البُقْعُ فيكم للؤمِكــم وليس لكــم كريمُ
فقــد قَدُمَتْ عُبودتُكم ودُمتم على الفَحْشاءِ والطبــعِ اللئيمِ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدّثنا عمر بن شبَّة قال : حدّثنا المدائنيّ قال : قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء[2] : [من الوافر]

عجبتُ لأبْيضِ الخُصيينِ عبدٍ كأنّ عِجانــه الشِّعرى العبورُ

---

1 شعر المغيرة بن حبناء : 102 .
2 شعر زياد الأعجم : 22 .

فقيل له : يا أبا أمامة ، لقد شرفته إذ قلت فيه :

كأنّ عجانــه الشعرى العبورُ

ورفعَت منه . فقال : سأزيده رفعةً وشرفاً ، ثم قال[1] : [من البسيط]

لا يبرحُ الدَّهرَ منهم خارىءٌ أبداً إلاّ حسبتَ على بابِ استِه القمرا

قال ، وتَقاوَلا في مجلس المهلّب يوماً ، فقال المغيرة لزياد[2] : [من الوافر]

أقول لــه وأنكَـرَ بعضَ شأني ألم تعــرف رقاب بنــي تميمِ

فقال له زياد[3] : [من الوافر]

بلَــى فعرفتُهــنّ مقصِّـراتٍ جِبــاهَ مذلَّــةٍ وسِبــالَ لومِ

[المغيرة يهجو زياداً بتحريض من ربيعة]

نسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيّ ، قال : كانت ربيعة تقول لزيادٍ الأعجم : يا زياد ، أنت لساننا ، فاذبب عن أعراضِنا بشعرك ، فإنّ سيوفنا معك . فقال المغيرة بن حبناء فيه ، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له : [من الطويل]

يقولون ذُبِّبْ يــا زياد ولم يكن ليوقِــظَ في الحــربِ الملمَّةِ نائما
ولــو أنّهم جاءوا بــه ذا حفيظةٍ فيمنعَهُــم أو ماجــداً أو مراغما
ولكنّهم جاءوا بأقلَفَ قد مضت لــه حِججٌ سبعون يُصبح رازِما[4]
لئيماً ذميمــاً أعجميّــاً لسانُــهُ إذا نــال دَنّــاً لم يبـال المكارما
ومــا خلــتُ عبد القيس إلاّ نُفايةً إذا ذَكَــرَ الناس العُلا والعظائِما
إذا كنتَ للعبدِيّ جــاراً فلا تَزلْ على حـــذرٍ منه إذا كان طاعما
أناساً يُعــدُّون الفساء لجارهـــم إذا شَبعوا عنــد الجُبــاةِ الدراهما
من الفسوِ يقضون الحقوق عليهم ويعطون مولاهــم إذا كان غارما
لهم زجَـــلٌ فيه إذا ما تجاوَبُوا سمعـــتَ زفيراً فيهـــم وهَماهِما
لعمرك ما نجّى ابنَ زروان إذ عَوى ربيعــةُ مــنٌ يــوم ذلك سالما

---

1 شعر زياد الأعجم : 70 .
2 شعر المغيرة بن حبناء : 104 .
3 شعر المغيرة بن حبناء : 103–104 .
4 الرازم : الذي لا يقدر على النهوض من الهزال .

أظَـنَّ الخبيث ابنُ الخبيثَين أنَّني أسلِّـم عرضي أو أهــابُ المقاوِما
لعمركَ لا تَهــدِي ربيعــةُ للحجا إذا جعلـوا يستنصِرون الأعاجما

[عبد القيس تعتذر إلى المغيرة]

قال : فجاءت عبد القيس إلى المغيرة ، فقالوا : يا هذا ، ما لنا ولك ، تعمُّنا بالهجاء لأنْ نَبَحك منّا كلب ، فقال وقلت ، قد تبرأنا إليك منه ، فإن هجاك فاهجُه ، وخلِّ عنّا ودَعْنا ، وأنت وصاحبُك أعلَم ، فليس منّا له عليك ناصر . فقال[1] : [من الطويل]

لعمرُك إنّي لابنِ زروان إذ عوى لمحتقِــرٌ في دعـــوة الــودِّ زاهدُ
ومــا لـــك أصلٌ يا زيــاد تعدُّه وما لــك في الأرضِ العريضة والدُ
ألم تَــرَ عبد القيس منك تبرّأتْ فلاقيتَ ما لم يلقَ في الناسِ واحدُ
وما طاش سهمي عنك يوم تبرّأتْ لُكَيز بنُ أفصى منك والجند حاشدُ
ولا غابَ قرنُ الشّمسِ حتى تحدَّثت بنفيك سُكانُ القُـرى والمساجدُ

رفع «المساجد» ، لأنّه جعل الفِعل لها ، كأنّه قال : وأهل المسجد ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿واسأل القَرْيَة﴾ . وتحدَّثت المساجد ، وإنّما يريد من يصلّي فيها : [من الطويل]

فأصبحتَ عِلجاً من يَزُرْك ومن يزر بناتِــك يعلــمْ أنّهــنّ ولائدُ[2]
وأصبحن قُلفــاً يعترِلن بأُجــرة حواليك لم تَجْرَحْ بهن الحدائدُ[3]
نَفَرنَ مــن الموسى وأقررنَ بالتي يقِــرّ عليهــا المقرِفاتُ الكواسدُ[4]
بإصطخرَ لم يَلبَسْنَ من طُولِ فاقةٍ جديــداً ولا تُلقــى لهن الوسائدُ
وما أنتَ بالمنسوب في آلِ عامرٍ ولا ولدَتْــكَ المحصَنــاتُ المواجدُ
ولا ربَّبتك الحنظليّــةُ إذْ غدت بنيها ولا جيبت عليــك القلائدُ[5]
ولكن غــذاكَ المشركون وزاحمت قَفاكَ وخدَّيــك البُظـور العوارِدُ
ولم أرَ مِثلي يــا زيـــاد بِعرضِه وعِرضِك يستبّانِ والسيف شاهدُ

1 شعر المغيرة بن حبناء : 84–85 .
2 ولائد : من الجواري .
3 قلفاً : أي لم يختن .
4 المقرفات : الهجينات .
5 ولا جيبت : ولا وضعت .

ولو أنّني غشّيتك السيفَ لم يقل إذا متّ إلاّ مـات عِلجٌ معاهِدُ[1]

[تلاحي المغيرة مع أخيه صخر]

ونسختُ من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو بن أبي عمرٍو أيضاً ، قال : رجع المغيرة بن حبناء إلى أهلِهِ وقد ملأ كفَّيه بجوائزِ المهلّبِ وصلاتِهِ والفوائد منه ، وكان أخوه صخر بن حبناء أصغرَ منه ، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر يُنكَر مِثلُه ، ولا يزال يتعتَّب عليه في الشيء بعد الشيء مِمّا ينكِره عليه ، فقال فيه صخر بن حبناء : [من الطويل]

رأيتُك لمـا نِلت مـالاً وعَضّنا زمانٌ نـرى في حدٌ أنيابه شغْبا
تجنّى عـليّ الدّهـرُ أنّك موسرٌ فأمسكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه[2] : [من الطويل]

لحا الله أنّانا عن الضَّيفِ بالقِرى وأقصرَنا عـن عِرضٍ والده ذَبّا
وأجدَرَنا أن يدخُلَ البيتَ باستهِ إذا القفّ دلّى من مخارِمِه رَكبا[3]
أأنبـأك الأفّـاك عنّـيَ أنّني أحرِّك عرضي إن لعبتَ بـه لعِبا

[أخت المغيرة تشكو إليه صخراً]

ونسختُ من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو ، قال : جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخراً ، وتذكر أنّه أسرع في مالِها وأتلفه ، وإنّها منعته شيئاً يسيراً بقي لها ، فمدّ يده إليها وضربها ، فقال له المغيرة معنّفاً[4] : [من الوافر]

ألا من مبلِغٌ صخرَ بن ليـلى فإنّـي قـد أتاني مِن نثاكا[5]
رسالةَ ناصحٍ لك مستجيبٍ إذا لم تَـرْعَ حرمتَـه رعاكا
وصولٍ لو يراك وأنت رهنٌ تُبـاع ، بمالـه يوماً فَداكا
يرى خيراً إذا ما نلتَ خيراً ويَشْجَى في الأمورِ بما شجاكا
فإنّك لا تـرى أسمـاء أختاً ولا ترَيَنّنِـي أبـداً أخاكا

1 غشيتك في ل : قنعتك .
2 شعر المغيرة بن حبناء : 80 .
3 القف : الأرض الغليظة المرتفعة . المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الجبل .
4 شعر المغيرة بن حبناء : 97 .
5 نثاك : أخبارك .

فإن تعنُفْ بهـا أو لا تصِلْها ... فإنّ لأمِّهـا ولـداً سِواكا
يَبَرُّ ويستجيـبُ إذا دعتـه ... وإنْ عاصيتَـه فيهـا عصاكا
وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً ... على بَعضِ الرِّجال وفوق ذاكا
جزاني اللهُ منك وقد جزاني ... ومِنّـي في مَعاتبنـا جَزاكا
وأعقَبَ أصدَقَ الخَصْمين قولاً ... ووَلّـى اللـؤمَ أُولانا بذاكا
فلا واللهِ لـو لم تَعصِ أمري ... لكنتَ بمعـزِلٍ عمّـا هُناكا

قال : فأجابه أخوه صخر بن حَبناء فقال : [من الوافر]

أتاني عـن مُغِيرةَ ذَرْوُ قـولٍ ... تَعمَّـدَه فقلـت لـه كذاكا[1]
يعـمُّ بـه بني ليلى جميعاً ... فولٌّ هجاءَهم رجـلاً سِواكا
فإنْ تَكُ قد قطعت الوصلَ منّي ... فهـذا حـينَ أخلفَنـي مُناكا
تُمنّيني إذا مـا غبتَ عنـي ... وتُخلِفنـي منـايَ إذا أراكا
وتُولِيني مَلامـةَ أهـلِ بيتي ... ولا تعطِي الأقاربَ غيرَ ذاكا
فإن تـكُ أختُنا عتبَتْ علينا ... فـلا تَصرِمِ لِظِنّتِهـا أخاكا
فإنَّ لهـا إذا عتبَـتْ علينـا ... رِضاهـا صابِرينَ لهـا بذاكا
وإن تكُ قد عتبتَ عليَّ جهلاً ... فـلا واللهِ لا أبغـي رضاكا
فقـد أعلنتُ قولَك إذ أتاني ... فأعلِـنْ مِـن مقالي ما أتاكا
سيُغْني عنك صخراً ربُّ صخرٍ ... كما أغناك عـن صخرٍ غِناكا
ويغنينـي الذي أغنـاكَ عنّي ... ويكفِينـي الإلـهُ كما كفاكا
أَلَم تَرَني أجودُ لكـم بمالي ... وأرمِـي بالنَّواقِرِ من رماكا[2]
وأنّـي لا أقـودُ إليك حرباً ... ولا أُعصيك إن رجلٌ عصاكا
ولكنّـي وراءك شِمَّـريٌّ ... أحامي، قد علِمتَ، على حِماكا[3]
وأدفعُ ألسنَ الأعـداء عنكم ... ويَعنينـي العـدوُّ إذا عناكا

---

1 ذرو قول : طرف قول .
2 النواقر : جمع ناقرة ، وهي الداهية .
3 الشمّري : الماضي في الأمور .

وقـد كانت قُريبةُ ذات حقّ عليـكَ فلَـمْ تطالعْهـا بذاكا
رأيتُ الخيرَ يُقصَر منك دوني وتبلُغنـي القـوارصُ مِن أذاكا

[انتقال حبناء بن عمرو إلى نجران]

ونسختُ من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو أيضاً قال : كان حبناءُ بن عمرٍو قد غضِبَ على قومه في بعض الأمر ، فانتقل إلى نَجران ، وحمل معه أهلَه وولدَه ، فنظرت امرأتهُ سلمى إلى غلامٍ من أهل نَجران يضرب ابنه المغيرة ، وهو يومئذٍ غلام ، فقالت لحبناء : قد كنتَ غنياً عن هذا الذّلّ ، وكان مُقامك بالعراق في قومك أو في حيٍّ قريبٍ من قومك أعزَّ لك ! فقال حبناء في ذلك : [من الطويل]

تقـول سُليمـى الحنظليّـةُ لابنها غـلامٌ بنجـرانَ الغـداةَ غريبُ
رأتْ غِلمـة ثـاروا إليه بأرضهم كما هَـرَّ كلبُ الدّار بـين كَليبِ[1]
فقالت لقد أجْرى أبوك لِما ترى وأنت عزيـزٌ بـالعراق مَهيبُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمركَ مـا تدري أشيءٌ تريـده يلِيـك أمِ الشيءُ الذي لا تحاولُهْ
متى مـا يَشَأْ مستقبِسُ الشرِّ يَلقَه سريعـاً وتجْمعـه إليـه أناملُهْ

[هجاء زياد الأعجم أسرة المغيرة]

أخبرني عيسى بن الحسن الورّاق ، قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثني أبو الشِّبل النَّضْرِي ، قال : كان المغيرة بن حبناء أبرص ، وأخوه صخرٌ أعور ، وأخوه الآخر مجذوماً ، وكان بأبيهم حِبْن ، فلقّب حبناء ، واسمه جبير بن عمرٍو ، فقال زيادٌ الأعجم يهجوهم[2] : [من الخفيف]

إنّ حبناءَ كان يدعـى جُبيراً فدعَـوه مـن لؤمـه حبناءَ
ولَدَ العُورَ منه والبُرْصَ والجَذ مـى ، وذو الداء يُنتَج الأدواءَ

فيقال : إنّ هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به ؛ لأنّ المغيرة قال ، وقد بلغه هذا الشعر : ما ذنْبُنا فيما ذكره ، هذه أدواءٌ ابتلانا الله عزّ وجلّ بها ، وإنما يُعير المرء بما كسب وإنّي لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواءَ كلَّها ! فبلغ ذلك زياداً من قوله ، وإنّه لم يهجِه بعقب

1 كليب : جماعة الكلاب . في هذا البيت إقواء .
2 شعر زياد الأعجم : 43 .

هذه الأبيات ، ولا أجابه بشيء ، فأمسك عنه ، وتكافآ .

[تفاضل الأخوين]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريدٍ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أبيه عن الأصمعي ، قال : لم يقل أحد في تفضيل أخٍ على أخيه وهُما لأب وأمٍّ ، مثلَ قولِ المغيرةِ بن حبناء لأخيه صخر[1] : [من الوافر]

أبوك أبي وأنت أخـي ولكِنْ تفاضلتِ الطّبائعُ والظُّروفُ[2]
وأُمُّكَ حين تُنسَب أُمُّ صدقٍ ولكـنّ ابنهـا طَبِع سخيفُ[3]

قال : وكان عبد الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية ، وكان ضعيفاً ، يتمثّل بهذين البيتين .

[الحجّاج يتمثّل بشعر المغيرة]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثني أحمد بن محمد بن جُدّان ، قال : حدّثني أحمد بن محمد بن مخلدٍ المهلّبيّ ، قال : نظر الحجّاج إلى يزيد بن المهلّب يخطِر في مشيته ، فقال : لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول[4] : [من الطويل]

جَميـلُ المحيّـا بَختريٌّ إذا مشى وفي الدِّرعِ ضخمُ المَنكبين شِناقُ[5]

فالتفت إليه يزيد ، فقال : إنّه يقول فيها : [من الطويل]

شديدُ القوى من أهلِ بيتٍ إذا وهَى مـن الدِّيـن فتـقٌ حُمِّلوا فأطاقوا
مَراجيحُ في اللَّأْواء إن نزلتْ بهم ميامينُ قد قادُوا الجيوش وساقوا[6]

[مصرع المغيرة]

أخبرني محمد بن مزيدٍ ، قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حدّثني مَن حضر ابن حبناء لمّا قُتِل ، وهو يجود بنفسه ، فأخذ بيده من دمه ، وكتب بيده على صدره : «أنا المغيرة بن حبناء» . ثم مات .

1 شعر المغيرة بن حبناء : 94 .
2 تفاضلت في ل : تباينت .
3 الطَّبِع : دنيء الخلق لئيمه .
4 شعر المغيرة بن حبناء : 95 .
5 بختري : حسن المشي . الشناق : الطويل .
6 مراجيح : ذوو أحلام وبصر بالأمور .

صوت

[من الرمل]

بسطَــتْ رابعــةُ الحبــلَ لنا   فوصَلْنا الحبل منها مـا اتسعْ[1]
كيف تَرجُون سِقاطي بَعْدَما   جَلَّــلَ الرأسَ بياضٌ وصلعْ[2]
رُبَّ مَن أنضجتُ غيظاً صدرَه   قــد تمنَّى لِــيَ موتـاً لم يُطَعْ
ويحيِّينــــي إذا لاقيتُــــه   وإذا أمكِن مــن لحمــي رَتعْ
ويَـــراني كالشَّجا في حَلقِــهِ   عَسِراً مخرجُـه مـــا ينتزِعْ
وأبيتُ الليـــلَ مـــا أهجَعُه   وبعينـــيَّ إذا النّجْـم طَلَــعْ

الحبل هاهنا : الوصل ؛ والحبل أيضاً : السبب يتعلَّق به الرجل من صاحبه ، يقال : عَلقتُ من فلانٍ بحبل ؛ والحبل : العهد ، والميثاق ، والعقد يكون بين القوم ؛ وهذه المعاني كلّها تتعاقب ويقوم بعضُها مقام بعض . والشَّجا : كلُّ ما اغتُصَّ به من لُقمة أو عظم أو غيرهما .

الشعر لسويد بن أبي كاهلٍ اليشكريّ[3] ، والغناء لعَلُّويه ، ثاني ثقيل بالبِنصر ، عن عمرٍو بن بانة في الأوّلِ والثاني من الأبيات ، وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ماخوري بالوسطى ، عن علي بن يحيى ، والهشاميّ . ولمالكٍ فيها ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ أيضاً ، ولابن سريج فيها خفيف ثقيلٍ ، عن علي بن يحيى .

1 اتسع في ل : انقطع .
2 بياض في ل : مشيب .
3 انظر المفضلية الأربعين .

[237] ـ أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه[1]

[نسبه]

سُوَيد بن أبي كاهل بن حارثة بن حِسلِ بنِ مالك بن عبد سعدِ بن جُشَم بن ذُبيان بن كنانة بن يشكر . وذكر خالد بن كلثوم أنّ اسم أبي كاهل شبيب ، ويكنى سويد أبا سعدٍ .

أنشدني وكيعٌ عن حمادٍ ، عن أبيه ، لسويد بن أبي كاهلٍ شاهداً بذلك : [من الرجز]

أنـا أبو سعدٍ إذا اللَّيلُ دجـا دخلْتُ في سرباله ثُـمّ النّجا

[طبقته بين الشعراء]

وجعله محمد بن سلامٍ في الطبقة السادسة ، وقرَنَه بعنترة العبسيّ وطبقته .

وسويد شاعر متقدِّم من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، كذلك ذكر ابن حبيبٍ . وكان أبوه أبو كاهل شاعراً ، وهو الذي يقول : [من البسيط]

كأنّ رحلي على صَقعاءَ حادرةٍ طَيّاً قد ابتلَّ من طَلٍّ خَوافيها[2]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق البغَويّ ، قال : حدّثنا أبو نصرٍ صاحب الأصمعيّ أنّه قرأ شعرَ سويد بن أبي كاهلٍ على الأصمعيّ ، فلمّا قرأ قصيدته : [من الرمل]

بَسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتّسعْ

فضّلها الأصمعيّ ، وقال : كانت العرب تفضِّلها وتقدِّمها وتعدُّها من حِكمها . ثم قال الأصمعيّ : حدّثني عيسى بن عُمَر أنّها كانت في الجاهلية تسمَّى : «اليتيمة» .

[بين سويد وزياد الأعجم]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع ، قال : حدّثني محمد بن الهيثم بن عديّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن عبّاس ، قال : قال زيادٌ الأعجم يهجو بني يشكُرُ[3] : [من الطويل]

1 ترجمة سويد بن أبي كاهل في طبقات ابن سلام : 152–153 والشعر والشعراء : 334–335 والسمط 313 والإصابة 3 : 173 والخزانة 6 : 125–127 . وانظر شرح المفضليات .
2 الصقعاء : التي لها بياض في وسط رأسها من الخيل والطير . طيا : جائعة .
3 شعر زياد الأعجم : 69 .

إذا يشكُريٌّ مسَّ ثوبَك ثوبُه فلا تذكرنّ الله حتّى تَطهَّرا
فلو أنَّ مِن لؤمٍ تموتُ قبيلةٌ إذاً لأماتَ اللؤمُ لا شَكَّ يشكُرا

قال : فأتت بنو يشكُرَ سويد بن أبي كاهلٍ ليهجو زياداً ، فأبى عليهم ، فقال زياد[1] : [من الطويل]

وأُنبِئتُهم يَستصرِخون ابنَ كاهلٍ وللؤم فيهم كاهلٌ وسَنامُ
فإنْ يأتِنا يرجعْ سويدٌ ووجهُه عليه الخَزايا غُبرةٌ وقتامُ
دعيٌّ إلى ذُبيانَ طوراً ، وتارة إلى يشكرٍ ما في الجميعِ كِرامُ

فقال لهم سويد : هذا ما طلبتم لي ! وكان سويد مغلّبا . وأمّا قوله :

دَعيٌّ إلى ذُبيان طوراً وتارةً إلى يشكر . . . .

[خبر أمّ سويد]

فإنّ أُمّ سويد بن أبي كاهلٍ كانت امرأةً من بني غُبَر ، وكانت قبلَ أبي كاهلٍ عند رجلٍ من بني ذبيان بن قيس بن عيلان ، فمات عنها ، فتزوّجها أبو كاهلٍ ، وكانت فيما يقال حاملاً ، فاستلاط[2] أبو كاهل ابنَها لمّا ولدته ، وسَمّاه سويداً ، واستلحقه ، فكان إذا غضب على بني يشكر ادَّعى إلى بني ذبيان ، وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم .

وذكر عَلاّن الشُّعوبي ، أنّه ولِد في بني ذبيان ، وتزوّجت أُمُّه أبا كاهل ، وهو غلام يَفَعة ، فاستلحقه أبو كاهل وادَّعاه ، فلحق به .

[سويد ينتمي إلى قيس]

ولسويد بن أبي كاهلٍ قصيدةٌ ينتمِي فيها إلى قيس ، ويفتخر بذلك ، وهي التي أوّلها : [من الطويل]

أبى قلبُه إلاّ عميرةَ إن دنت وإن حضَرت دارَ العِدا فهو حاضرُ
شَموسٌ حَصانُ السِّرِّ ريّا كأنّها مُربَّبةٌ مِمّا تضمَّن حائرُ[3]

ويقول فيها أيضاً : [من الطويل]

أنا الغطفانِي زينُ ذُبيانَ فابعدوا فَللزِّنجُ أدنى منكم ويُحابِرُ

---

1 شعر زياد : 96 .
2 استلاطه : ادعاه .
3 مربية : درة يعملها الصدف في الماء . والحائر : مجتمع ماء البحر .

أبـت لِيَ عبسٌ أن أسامَ دَنيّـةً ... وسعدٌ وذبيـانُ الهِجـانُ وعامِـرُ
وحـيٌّ كـرامٌ سادةٌ من هَوازِنٍ ... لهم في المِلمّاتِ الأنُوفُ الفواخرُ

[هجاؤه بني شيبان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدّثنا أحمد بن معتّب الأَوْدي عن الحِرمازِي، أنّ سويدَ بن أبي كاهلٍ جاور في بني شيبان، فأساءوا جِواره، وأخذوا شيئاً من ماله غصباً، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر، وكان الذي ظلمه وأخذ مالَه أحدَ بني محلِّم، فقال يهجوهم وإخوتَهم بني أبي ربيعة: [من الكامل]

حَشَرَ الإلـه مع القُرودِ محلِّما ... وأبـا ربيعــة ألأَمَ الأقوامِ
فلأُهدِينَّ مع الرِّيـاحِ قصيدة ... منِّـي مُغلغَلــة إلى هَمّـامِ[1]
الظاعنين على العمـى قُـدّامهم ... والنازلـــين بشرِّ دار مُقـامِ
والواردين إذا الميـاه تُقُسِّمت ... نُزُحَ الرَّكِيِّ وعاتِـمَ الأسدامِ[2]

وقال يهجو بني شيبان: [من الطويل]

لعمرِي لبئس الحيُّ شيبانُ إنْ علا ... عُنيزةَ يـومٌ ذو أهابِـيَّ أغبرُ[3]
فلمّـا التقَوا بالمشرفِيةِ ذَبذبت ... مولِّيــةً أستاهُ شيبانَ تقطُـرُ

يعني يوم عنيزة، وكان لبني تغلب على بني شيبان، وفيه يقول مهلهِل: [من الوافر]

كأنّــا غُــدوةً وبني أبينا ... بجنــب عُنيزةٍ رَحَيـا مُديـرِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

فـأدُّوا إلى بهراءَ فيكـم بناتِهِ ... وأبنـاءه إنّ القضاعـيَّ أحمـرُ

[يعيّر بني شيبان بأنّ نساءهم ردّت من الأسر حبالى]

كانت بهراء أغارات على بني شيبان، فأُخذوا منهم نساء، واستاقوا نَعَما، ثمّ إنّهم اشتروا منهم النِّساء، وردُّوهنّ، فعيّرهم سويد بأنّهم رُددنَ حبالى، فقال: [من الطويل]

ظَللن يُنازِعنَ العضاريطَ أُزْرَها ... وشيبانُ وسطَ القطقطانةِ حُضّرُ[4]

---

1 مغلغلة: سائرة في البلاد.

2 نزح: آبار نفد ماؤها. الركي: جمع ركية، وهي البئر. العاتم: المحتبس. الأسدام: جمع سدم، وهو الماء المندفن.

3 ذو إهابي: ذو تراب مثار.

4 العضاريط: الأتباع والأجداء. القطقطانة: موضع كان سجن النعمان بن المنذر.

فمنّا يزيدُ إذ تحدَّى جُموعَكم ... فلم تُفرِحوه ، المرزُبانُ المسوَّرُ[1]

يزيد : رجل من يشكر ، برز يوم ذي قارٍ إلى أسوارٍ ، وحمل على بني شيبان ، فانكشفوا من بين يديه .

فاعترضه اليشكريُّ دونهم ، فقتله ، وعادت شيبان إلى موقِفها ، ففخر بذلك عليهم ، فقال : [من الطويل]

وأحجمتمُ حتّى علاهُ بصارمٍ ... حسامٍ إذا مَسَّ الضَّريبةَ يبترُ[2]

ومنّا الذي أوصى بثُلثِ تُراثِه ... على كلّ ذي باع يقِلُّ ويكثرُ

ليالي قُلتم يا ابن حِلِّزةَ ارتحِلْ ... فزابِن لنا الأعداءَ واسمَعْ وأبصرِ[3]

فأدَّى إليكم رهنَكم وسطَ وائل ... حباه بها ذُو الباع عمرُو بنُ منذرِ

يعني الحارث بن حلّزة ، لمّا خطبه دون بكرِ بن وائلٍ حتى ارتجع رهائنهم . وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه .

[بنو شيبان تستعدي عليه والي الكوفة]

قال : فاستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعودٍ الجمحيّ ، وكان والي الكوفة ، فدعا به ، فتوعَّده ، وأمره بالكفِّ عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه ، فتعصَّبت له قيس ، وقامت بأمره حتى تخلّصَته ، فقال في ذلك : [من الطويل]

يكفُّ لساني عامرٌ وكأنّما ... يكفّ لساناً فيه صابٌ وعلقمُ

أأتركُ أولادَ البغايا وغِيبتي ... وتحبسُني عنهم ولا أتكلّمُ

ألم تعلموا أنّي سويدٌ وأنّني ... إذا لم أجد مُستأخَراً أتقدَّمُ

حسِبتُمْ هِجائي إذ بَطِنتم غنيمةً ... عليَّ دماءُ البُدْنِ إن لم تَنَدَّموا

[بين سويد وابن الغبري]

قال الحرمازيّ في خبره هذا : وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري ، فطلبهما عبدُ الله بن عامرِ بن كريزٍ ، فهربا من البصرة ، ثم هاجى الأعرج أخا بني حَمّالِ بن يشكر ، فأخذهما صاحبُ الصدقة ، وذلك في أيّام ولايةِ عامر بن مسعودٍ الجمحيّ الكوفةَ ، فحبسهما ، وأمر أن لا يخرجا من السِّجن حتّى يؤدّيا مائةً من الإبل ، فخاف بنو حَمّالٍ على

1 تفرحوه في ل : يقربوه . وتفرحوه : تغلبوه . المرزبان : الفارس الشجاع . المسور : المرتفع .
2 الضريبة : المضروب بالسيف .
3 زابن : دافع .

صاحبهم ففكّوه ، وبقي سويد ، فخذله بنو عبد سعد ، وهم قومه ، فسأل بني غُبَر ، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعِرهم ، فقال : [من الرجز]

مَن سَرَّه النَّيكُ بغير مـال فالغُبَرِيّـاتُ على طِحـالِ[1]
شواغـر يُلْمِعن للقُفَّالِ[2]

[استوهبته عبس وذبيان]

فلمّا سأل بني غُبَر ، قالوا له : يا سويد «ضيعت البِكار بطِحال»[3] فأرسلوها مثلاً . أي أنّك عَمَمت جماعَتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة ، فضاع منك ما قدّرت أنّا نفديك به من الإبل . فلم يزل محبوساً حتى استوهبَتْه عبسٌ وذبيان لمديحه لهم ، وانتمائه إليهم ، فأطلقوه بغير فداء ، وتركوه ولم يأخذوا منه شيئاً .

صوت

[من الطويل]

أَخِضْني المُقامَ الغَمْر إنْ كان غَرَّني سَنا خُلَّـبٍ أو زَلَّـتِ القدمـانِ[4]
أتتركُنـي جَـدْبَ المعيشةِ مقفِرا وكَفّاك مِن مـاء النَّدى تَكِفَانِ[5]

الشعر للعتّابيّ ، والغناء لمخارق ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وقيل : إن فيه للواثق ثانيَ ثقيلٍ آخر .

1 طحال : موضع .
2 شواغر : رافعات أرجلهن للنكاح . يلمعن : يشرن . القفال : العائدون .
3 مستقصى الزمخشري 2 : 149 .
4 الغمر : الغزير .
5 تكفان : تقطران .

[238] ـ أخبار العتابيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو كلثوم بن عمرٍو بن أيّوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر ، وهو ابن مالكٍ عتاب بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلبٍ . شاعر مترسِّل بليغ مطبوع ، متصرِّف في فنون الشِّعر ومقدَّم . من شعراء الدولة العباسية ، ومنصور النَّمَريّ تلميذه وراويته ، وكان منقطِعاً إلى البرامكة ، فوصَفُوه للرّشيد ، ووصلوه به ، فبلغ عنده كلَّ مَبْلغ ، وعظُمت فوائده منه ، ثم فسدت الحال بينه وبين منصورٍ وتباعدت . وأخبار ذلك تُذكَر في مواضعها .

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني جعفر بن المفضَّل ، عن رجل من ولد إبراهيم الحرّانيّ ، قال : كثُر الشّعراء بباب المأمون ، فأوذِن بهم ، فقال لعليّ بن صالح صاحب المصلَّى : اعرِضْهم ، فمَن كان منهم مُجيداً فأوصِله إليّ ، ومَن كان غير مجيدٍ فاصرفه . وصادف ذلك شُغْلاً من عليّ بن صالحٍ كان يريد أن يتشاغل به من أمرِ نفسِه ، فقام مُغضباً ، وقال : والله لأعمَّنّهم بالحِرمان ، ثم جلس لهم ، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القُرب منه ، فقال لهم : على رِسلِكم فإنَّ المدى أقرب من ذلك ، هل فيكم مَن يُحسِن أن يقول كما قال أخوكم العتابيّ : [من البسيط]

ماذا عسى مادحٌ يثني عليك وقد ... ناداك في الوحـي تقديسٌ وتطهيرُ
فُـــتَّ المَمــادحَ إلاّ أنَّ ألسننا ... مُستنطَقاتٌ بمـا تحوي الضَّمائرُ

قالوا : لا والله ما منا أحدٌ يُحسِن أن يقول مثل هذا ، قال : فانصرفوا جميعاً .

[التكلّف في شعر العتابيّ]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو بكرٍ أحمد بن سهلٍ ، قال : تذاكرنا شعر العتّابيّ ، فقال بعضُنا : فيه تكلُّف ، ونصَره بعضُنا ، فقال شيخٌ حاضر : ويحكم أيقال إن في شعره تكلّفاً وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

---

1 ترجمة العتابي في تاريخ بغداد 12 : 488 وطبقات ابن المعتزّ : 261 والشعر والشعراء : 740 وكتاب بغداد لابن طيفور 69 ، 87–88 ومعجم الأدباء 2243–2246 ومعجم المرزباني : 244 والوزراء والكتّاب للجهشياري : 181 والموشح : 449 والبيان والتبيين 1 : 51 والفهرست : 134–135 وابن خلكان 4 : 122 والوافي للصفدي وفوات الوفيات 3 : 219 والنجوم الزاهرة 2 : 186 ومروج الذهب 4 : 216 وانظر بروكلمان 2 : 36–37 والتذكرة الحمدونية في مواضع عديدة .

رُسُل الضَّمير إليـك تَتْـرى بالشّوقِ ظالعـــة وحَسْرى[1]
متَرجِّيـــاتٍ مـــا يَنيـــ ـنَ على الوَجى من بُعدِ مَسْرى[2]
مـا جَـفّ للعينيـنِ بَعْـ ـدك يـا قريرَ العينِ مَجْرى
فاسلَـمْ سَلِمـت مبـرّأً مِـن صَبوتـي أبـداً مُعرَّى
إنّ الصَّبابـــة لم تَـدَعْ مِنِّـي سِوى عظـمٍ مُبَرَّى
ومدامـعٍ عَبْـرى عـلى كَبِـدٍ عليـك الدَّهـرَ حَرَّى

في هذين البيتين غناء ، أو يقال : إنّه متكلِّف ؟ وهو الذي يقول : [من المتقارب]

فلو كان للشكرِ شخصٌ يَبِـينُ إذا مـا تأمّلَـه النّاظـرُ
لمَثَّلتُـه لـك حتَّـى تـراه لِتعلـم أنّي امـرؤٌ شاكـرُ

الغناء في هذين البيتين لأبي العَنْبَس ، ثقيل أوّل ، ولِرذاذٍ خفيف ثقيل . فحدَّثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبختيّ عن أبي الحسن عليّ بن العبّاس وغيره من أهله قالوا : لمّا صنع رَذاذ لحنَه في هذا الشعر : [من المتقارب]

فلـو كان للشُّكر شخصٌ يبين

فُتِن به الناس ، وكان هِجِّيراهم[3] زماناً ، حتى صنع أبو العَنْبَس فيه الثقيل الأوّل ، فأسقط لحن رذاذٍ وغلب عليه .

[المأمون يطلب إشخاصه]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد ، قالوا جميعاً : كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرٍو العتابي ، فلمّا دخل عليه قال له : يا كلثوم ، بلغتني وفاتُك فساءتني ، ثم بلغتني وِفادتُك فسرّتْني . فقال له العتابيّ : يا أمير المؤمنين ، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسِعتاها فضلاً وإنعاماً ، وقد خَصَصتني منهما بما لا يتّسِع لـه أُمنيـة ، ولا يبسط لسواه أمَل ، لأنّه لا دِين إلاّ بِك ، ولا دنيا إلاّ معك . فقال له : سلني . فقال : يدك بالعطاء أطلَقُ من لساني بالسؤال . فوصله صلاتٍ سنيّة ، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى مَحَلّ .

1 ظالعة : ظلع البعير أي غمز في مشيته . والحسرى : المتعبة .
2 مترجية : منساقة . الوجى : الحفا .
3 هجيراهم : دأبهم .

[مداعبة المأمون للعتابيّ]

وذكر أحمد بن أبي طاهرٍ عن عبد الله بن أبي سعدٍ الكُرانيّ ، أنّ عبد الله بن سعيد بن زرارة ، حدّثه عن محمد بن إبراهيم اليساريّ ، قال : لمّا قدِم العتابيّ مدينة السلام على المأمون ، أذِن له ، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، وكان العتابيّ شيخاً جليلاً نبيلاً ، فسلّم فردَّ عليه وأدناه ، وقرّبه حتى قرب منه ، فقبّل يده : ثم أمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسائله عن حاله ، وهو يجيبه بلسان ذَلْق طَلْقٍ . فاستظرف المأمون ذلك ، وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظنّ الشيخ أنّه استخفّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين : الإيناس قبل الإبساس [1] . فاشتبه على المأمون قولُه ، فنظر إلى إسحاق مستفهماً ، فأومأ إليه ، وغمزه على معناه حتّى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينارٍ ! فأُتِي بذاك ، فوضعه بين يدي العتابيّ ، وأخذوا في الحديث ، وغمز المأمونُ إسحاق بن إبراهيم عليه ، فجعل العتابيّ لا يأخذ في شيء إلاّ عارضه فيه إسحاق ، فبقي العتابيّ متعجّباً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذَنُ لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم ، سل . فقال لإسحاق : يا شيخ مَن أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمي كلْ بَصَلْ . فتبسّم العتابيّ وقال : أمّا أنت فمعروف ، وأمّا الاسم فمنكر . فقال إسحاق : ما أقلّ إنصافك ، أتنكر أن يكون اسمي كُلْ بصل ؟ واسمك كُلْ ثوم ، وكُلْ ثُومْ من الأسماء ، أوليس البصل أطيب من الثُّوم ؟ فقال له العتابيّ : لله درُّك ، فما أحجَّك ، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصِله بما وصلتني به ؟ فقال له المأمون : بل ذلك موفَّر عليك ونأمر له بمثله . فقال له إسحاق : أمّا إذا أقررت بهذا ، فتوهَّمْني تجِدْني ، فقال : ما أظنُّك إلاّ إسحاق الموصليّ ، الذي تناهى إلينا خيرُه ، قال : أنا حيث ظننت . وأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون ، وقد طال الحديث بينهما : أمّا إذ قد اتّفقتُما على المودّة فانصرِفا متنادِمين . فانصرف العتّابيّ إلى منزل إسحاق فاقام عنده .

[عبد الله بن طاهر يعجب بشعر العتابيّ]

وذكر أحمد بن طاهرٍ أيضاً أنّ مسعود بن عيسى العبديّ ، حدّثه عن موسى بن عبد الله التميميّ ، قال : وفد إلى عبد الله بن طاهرٍ جمعٌ [2] من الشعراء ، فعَلِم أنّهم على بابه ، فقال لخادمٍ له أديبٍ : اخرج إلى القوم ، وقل لهم : مَن كان منكم يقول كما قال العتابيّ للرشيد : [من البسيط]

---

1 المثل «الايناس قبل الابساس» . انظر الميداني 1 : 59 وجمهرة العسكري 1 : 196 ومستقصى الزمخشري 1 : 303 .

2 جمع في ل : عدة .

مُستنبِط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ... ما بينهنّ وبين اللهِ معمورُ

فليدخل ، وليعلم أنّي إن وجدته مقصِّراً عن ذلك حَرَمْتُه ، فمَن وثِقَ من نفسه أنّه يقول مثل هذا فليقم . قال : فدخلوا جميعاً إلاّ أربعة نفر .

[الرشيد يرضى عنه ويجيزه]

أخبرني الحسن بن علي قال ، حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا عبد الله بن سعدٍ عن إبراهيم بن الحدين ، قال : وَجِدَ[1] الرشيد على العتابيّ ، فدخل سرّاً مع المتظلّمين بغير إذن ، فمَثَل بين يدَي الرشيد ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك ، وردّني ابتلاؤُهم إلى شكرك ، وما مع تذكُّرك قناعةٌ بغيرك ، ولِنعم الصَّائن لنفسي كنتُ ، لو أعانني عليك الصبر . وفي ذلك أقول : [من الطويل]

أخِضْنِي المَقامَ الغَمرَ إن كان غرّني ... سنا خُلّبٍ أو زلّتِ القدمانِ

أتتركُني جَدبَ المعيشةِ مُقْتِراً ... وكفّاك من ماء الندى تكِفانِ

وتجعلُني سَهْمَ المَطامعِ بعد ما ... بَلَلت يميني بالنّدى ولساني

قال : فأُعجَب الرشيدَ قوله ، وخرج وعليه الخِلَعُ ، وقد أمر له بجائزةٍ ، فما رأيتُ العتابيّ قطُّ أبسط منه يومئذٍ .

[بشار ينفس على العتابي إجادته]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا أحمد بن خلادٍ ، قال : حدّثني أبي ، قال : جاء العتابيّ وهو حَدَثٌ إلى بشّار ، فأنشده : [من الوافر]

أيَصدِف عن أمامةَ أم يُقِيم ... وعهدُك بالصِّبا عهدٌ قديمُ

أقول لمُستَعارِ القَلبِ عَفًّى ... على عَزَماتِه السّيرُ العديمُ

أما يكفيكَ أنّ دموعَ عيني ... شآبيبٌ يفيض بها الهمومُ

أشِيمُ فلا أردُّ الطرف إلاّ ... على أرجائِه ماءٌ سَجُومُ[2]

قال : فمدّ بشارٌ يده إليه : ثم قال له : أنت بصير ؟ قال : نعم . قال : عجباً لبصيرٍ ابن زانيةٍ ، أن يقول هذا الشعر ، فخجِل العتابي وقام عنه .

[العتابيّ ويحيى بن خالد]

أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب ، قال : حدّثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن

---

1 وجد : غضب .

2 أشيم : أنظر . سجوم : كثير .

إسحاق ، قال : كلّم العتّابيُّ يحيى بن خالد في حاجةٍ بكلماتٍ قليلةٍ ، فقال له يحيى : لقد نَدَر كلامُك اليومَ وقلّ . فقال له : وكيف لا يَقلُّ وقد تكنّفني ذُلُّ المسالة ، وحَيرة الطَّلَب ، وخوفُ الردّ ؟! فقال : والله لئن قلّ كلامُك لقد كثرت فوائدُه . وقضى حاجته .

[طالب حاجة لم تقض حاجته]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن الحسين الزاهد قال : سأل رجل العتابي حاجة لم يقض إياها فلقيه العتابي يوماً فقال له : ألا تريد الحاجة التي سألتني ، قال : بلى ، قال : فلم لا تنقضني إياها ؟ أما سمعت قول الشاعر : [من الوافر]

وإذا لم تنجـزني عداتـي فأنت وشكرها أعيا جوابا

[يتغوط على الطريق]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني أحمد بن خالد البرمكي قال : حدّثني الصقر بن مجاهد قال : رايت العتابي وقد خرجنا من سفينة وقد جلس يتغوط على الطريق فقلت له في ذلك ، فقال : ما هؤلاء السفل حرمة ولا منك يا أخي حشمه فلم أتكلف ما يثقل عليك .

[الناس في نظر العتابي بقر]

وأخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا عثمان الورّاق ، قال : رأيتُ العتابيّ يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ، أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيتَ لو كنا في دار فيها بقَر ، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا . قال : فاصبِرْ حتى أُعلمك أنّهم بقر . فقام فوعظ وقصّ ودعا ، حتى كثُر الزّحام عليه ، ثم قال لهم : رَوى لنا غيرُ واحدٍ ، أنّه من بلغ لسانُه أرنبة أنفِهِ لم يدخل النار . فما بقي واحدٌ إلاّ وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفِهِ ، ويقدِّره هل يبلغها أم لا ؟ فلمّا تفرقوا ، قال لي العتابيّ : ألم أخبرك أنهم بقر ؟

[إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي]

أخبرني الحسن حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو عصامٍ محمد بن العبّاس ، قال : قال يحيى بن خالد البرمكيّ لولده : إن قدرتُم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرٍو العتابي ، فضلاً عن رسائله وشعره ، فلن تَرَوا أبداً مثله .

[كتاب العتابي إلى صديق له]

أخبرني أبي ، قال : أخبرنا الحارث بن محمدٍ عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا الخرّاز عن ابن الأعرابيّ ، قال : أنكر العتابيّ على صديقٍ له شيئاً ، فكتب إليه : «إمّا أن

تقرّ بذنبك فيكون إقرارُك حجّةً علينا في العفو عنك ، وإلاّ فطِب نفساً بالانتصاف منك ، فإنّ الشاعر يقول : [من البسيط]

أقرِرْ بذَنبك ثـمّ اطلبْ تجاوُزَنا عنـه فـإن جحودَ الذّنب ذنبان

[جعل يحيى بن أكثم يستأذن له على المأمون]

أخبرنا الحسن بن عليّ ، أخبرنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عبد الواحد بن محمدٍ ، قال : وقف العتابيّ بباب المأمون يلتمس الوصول إليه ، فصادف يحيى بن أكثم جالساً ينتظر الإذن ، فقال له : إن رأيتَ ، أعزّك الله ، أن تذكُرَ أمري لأمير المؤمنين إذا دخلتَ فافعل . قال له : لستُ ، أعزّك الله ، بحاجبِه . قال : فإن لم تكنْ حاجباً فقد يفعل مثلُك ما سألت ، واعلم أنّ الله ، عزّ وجلّ ، جعل في كلّ شيءٍ زكاة ، وجعل زكاةَ المال رَفد المستعين ، وزكاة الجاه إغاثةَ الملهوف . واعلم أنّ الله ، عزّ وجلّ ، مقبل عليك بالزيادة إن شكرت ، أو التغيير إن كفَرت ، وإنّي لك اليوم أصلَحُ منك لنفسك ، لأنّي أدعوك إلى ازدياد نعمتِك ، وأنت تأتي . فقال له يحيى : أفعَلُ وكرامةً . وخرج الإذن ليحيى ، فلمّا دخل ، لم يبدأ بشيءٍ بعد السلام إلاّ أن أستأذن المأمون للعتابيّ ، فأذِن له .

[العتابيّ وقبول العذر]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو الشِّبل ، قال : قال العتابيّ لرجلٍ اعتذر إليه : إنّي إن لم أقبل عُذرَك لكنتُ ألأم مِنك ، وقد قبلتُ عذرك ، فدُمْ على لَومِ نفسك في جنايتك ، نزد في قبول عُذرك ، والتّجافِي عن هفوتك .

[العتابيّ والزواج]

قال : وقيل له لو تزوّجت ! فقال : إنّي وجدتُ مكابدة العِفّة أيسَرَ عليَّ من الاحتيال لمصلحة العِيال .

[تقدير المأمون للعتابيّ في شيخوخته]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : قال جعفر بن المفضل ؛ قال لي أبي : رأيت العتّابيَّ جالساً بين يدي المأمون وقد أسنَّ ، فلمّا أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده ، واعتمد الشيخ على المأمون ، فما زال يُنهضه رويداً رويداً حتّى أقلّه فنهض ، فعجِبت من ذلك ، وقلتُ لبعض الخدم : ما أسوأ أدب هذا الشيخ ، فمَن هو ؟ قال : العتّابيّ .

[حسد دعبل وابن مهرويه للعتابي على شعره]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني محمد بن الأشعث ، قال : قال دعبل : ما حسدتُ أحداً قطُّ على شعرٍ كما حسدت العتّابيّ على قوله : [من المديد]

هَيْبة الإخــوان قاطِعـةٌ لأخي الحاجاتِ عن طَلَبِهْ
فإذا مــا هِبــتُ ذا أمَلٍ مات ما أمّلت مــن سببِهْ

قال ابن مهرويه : هذا سرقه العتابيّ من قول عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : «الهيبة مقرونة بالخيبة ، والحياء مقرونٌ بالحِرمان ، والفُرصة تمرُّ مَرَّ السحاب» .

حدّثني محمد بن داود ، عن أبي الأزهرِ ، عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفريّ عن أخيه عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، بذلك .

[ثلاث جوائز من عبد الله بن طاهر]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن أبي الشِّبل . قال : دخل العتابيّ على عبد الله بن طاهر ، فمثل بين يديه ، وأنشده : [من الخفيف]

حُسن ظنّي وحسنُ مـا عوّدَ الله ـــهُ سِواي منك الغـداةَ أتى بي
أيُّ شيءٍ يكون أحسن من حُســ ـــنِ يقــينٍ حـدا إليـك رِكابي

قال : فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل عليه من الغد ، فأنشده : [من السريع]

ودُّكَ يكفينيـــكَ في حاجتــــي ورؤيتــي كافيـــةٌ عـــن سؤالْ
وكيف أخشى الفقر ما عِشتَ لي وإنّمـــا كفّـــاك لي بيــت مالْ

فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل في اليوم الثالث ، فأنشده : [من الخفيف]

بَهجات الثّيابِ يُخلِقها الدّهـ ـــرُ وثوبُ الثّناء غضٌّ جديدُ
فاكسُني مـا يَبيد أصلحَكَ الله ـــهُ فالله يكسُوك ما لا يبِيدُ

فأمر له بجائزةٍ ، وأنعم عليه بخِلعةٍ سنِيّةٍ .

[العتابي وطوق بن مالك]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عبد الله بن أحمد ، قـال : حدّثني أبو دِعامة ، قال : قال طوق بن مالكٍ للعتابيّ : أما تَرى عشيرتك ؟ ، يعني بني تغلب ، كيف تُدِلُّ عليّ ، وتتمرّغ وتستطيل ، وأنا أصبِر عليهم ؟ فقال العتابيّ : أيُّها الأمير إنّ عشيرَكَ مَن أحسَنَ عِشرتَك ، وإنّ عمَّك من عمَّك خيرُه ، وإنّ قريبَك من قرُب منك نفعُه ، وإنّ أخفَّ الناسِ عندك أخفُّهم ثِقْلاً عليك[1] ، وأنا الذي أقول : [من الكامل]

إنِّي بلـوتُ النّـاسَ في حالاتهم وخَبَرتُ مـا وصلوا من الأسبابِ

1 هذه أمثال .

فـإذا القرابـةُ لا تقـرِّب قاطعاً   وإذا المـودّةُ أقـربُ الأنسابِ

[طاهر بن الحسين يصلح بينه وبين النمريّ]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال حدّثنا الرياشيّ ، قال : شكا منصور النمريّ العتّابيَّ إلى طاهر بن الحسين ، فوجّه طاهر إلى العتّابيّ ، فأحضره ، وأخفى منصوراً في بيتٍ قريبٍ منهما ، وسأل طاهرٌ العتّابيّ أن يصالحه ، فشكا سوءَ فِعله فسأله أن يصفح عنه ؛ فقال : لا يستحقُّ ذلك . فأمر منصوراً بالخروج ، فخرج وقال للعتابيّ ، لِم لا أستحقُّ هذا منك ؟ فأنشأ العتابيُّ يقول : [من البسيط]

أَصْحَبْتُك الفضلَ إذ لا أنت تعرِفُه   حقّاً ولا لك في استِصحابه أَرَبُ
لم تَرتَبِطْـك على وصلي محافظَة   ولا أُعاذَكَ ممّـا اغتالك الأدَبُ
ما مِن جَميلٍ ولا عُرفٍ نطقتَ به   إلاّ إليّ وإن أُنكـرتَ ينتسِبُ

قال : فأصلح طاهرٌ بينهما ، وكان منصور من تعليم العتابيّ وتخريجه ، وأمر طاهر للعتابيّ بثلاثين ألف دِرهم .

أخبرني عمّي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن الحسين بن يحيى الفِهريّ عن العبّاس بن أبي ربيعة السلميّ ، قال : شكا منصور النمريّ كلثوم بن عمرٍو العتّابيّ إلى طاهرٍ . ثم ذكر مِثله .

[العلم والأدب أفضل من المال]

أخبرني عليٌّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب ، قال : حدّثني أبو هفان ، قال : كان العتابيّ جالساً ذات يوم ينظر في كتابٍ ، فمرَّ به بعض جيرانه ، فقال : أيشٍ ينفع العِلم والأدب مَن لا مال له ؟ فأنشد العتابيّ يقول : [من البسيط]

يـا قاتـل اللهُ أقواماً إذا ثَقِفُوا   ذا اللبِّ ينظر في الآداب والحِكَمِ
قالـوا وليس بِهِـم ألاّ نفاستُـه   أنافـعٌ ذا مـن الإقتـار والعَدَمِ[1]
وليس يَدْرُون أنّ الحظَّ ما حُرِموا   لحاهم الله ، مِـنْ عِلمٍ ومِن فَهَمِ

[قوله في عزل طاهر بن علي]

أخبرني علي بن صالح وعمّي ، قالا : حدّثنا أحمد بن طاهرٍ ، قال : حدّثنا أبو حيدرة الأسديّ ، قال : قال العتابيّ في عزل طاهر بن علي ، وكان عدوَّه : [من مجزوء الكامل]

1 النفاسة : الحسد . الإقتار : القلة والفاقة .

يـا صاحبـاً متلوِّنـاً متباينـاً فِعـلي وفِعلَه
مـا إنْ أُحِبُّ له الرّدى ويَسُرُّني واللهِ عزلُـه
لم تَعْـدُ فيما قلتَ لي وفعلتَ بي ما أنتَ أهلُه
كَم شاغلٍ بك عَدْوَتَيه وفارِغٌ مَنْ أنت شُغْلُه[1]

[وشاية النمريّ بالعتابيّ عند الرشيد]

أخبرني أحمد بن الفرج ، قال : حدّثني أحمد بن يحيى بن عطاءٍ الحرانيّ عن عبيد الله بن عمارٍ ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن النرج ، قال : لمّا سعى منصورٌ النمريُّ بالعتابيّ إلى الرشيد اغتاظ عليه ، فطلبه ، فستره جعفر بن يحيى عنه مدّة ، وجعل يستطعفُه عليه ، حتّى استلَّ ما في نفسه ، وأمّنه ، فقال يمدح جعفر بن يحيى : [من البسيط]

مـا زلـتُ في غَمَرات الموتِ مُطَّرَحا قد ضاق عنّي فسيحُ الأرضِ مِن حِيَلي
ولم تَـزلْ دائبـاً تَسعى بلُطْفك لي حتّى اختلست حياتي من يدَيْ أجلي

[عاده عبد الله بن طاهر في مرضه]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني أحمد بن خلادٍ عن أبيه ، قال : عاد عبد الله بن طاهرٍ وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، كلثوم بن عمرو العتابيَّ ، في عِلّةٍ اعتلّها ، فقال الناس : هذه خَطرةٌ خطرت ؛ فبلغ ذلك العتابيَّ ، فكتب إلى عبد الله بن طاهر : [من الكامل]

قالوا الزِّيارةُ خَطـرةٌ خطرَتْ ونِجـارُ بِـرِّك ليس بالخَطْرِ[2]
أبطِـلْ مقالتَهـم بثانيـةٍ تستنفد المعروفَ من شُكري

فلمّا بلغت أبياتُه عبد الله بن طاهر ضحِك من قوله ، وركب هو وإسحاق بن إبراهيم ، فعاداه مرة ثانية .

[عتاب عبد الله بن هشام له وجوابه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبيّ ، قال : حدّثني أبو العيناء ، قال : حُدّثني أبو العلاء المنقريّ ، قال : عتب عبد الله بن هشام بن بِسطامٍ التغلبيّ على كلثوم بن عمرٍو التغلبيّ في شيءٍ بلغه عنه ، فكتب إليه : [من الطويل]

1 العدوة : جانب الوادي . وقصده أن من يشغل نفسه بك لا ينال شيئاً .
2 النجار : الأصل .

صوت

لَقَدْ سُمْتَني الهِجـرانَ حتى أذقتَني عقوبـاتِ زلاّتي وسُوء مناقبي
فهـا أنـا ساعٍ في هواكَ وصابرٌ على حدِّ مصقولِ الغِرارينِ قاضبِ[1]
ومنصرف عمـا كرهـتَ وجاعلٌ رِضاك مِثالاً بين عيني وحاجِبي

قال : فرضي عنه ، ووصله صلةً سنيّة .

الغناء في هذه الأبيات لسعيدٍ مولى فائدٍ ، ثاني ثقيلٍ بالبنصر ، عن يحيى المكّيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول يحيى ، وذكر أحمد بن المكّيّ في كتابه ، أنه لأبي سعيد ، وجعله في باب الثقيل الأوّل بالبِنصر ، ولعلّه على مذهب إبراهيم بن المهديّ ومن قال بقوله .

[بين ربيعة وقيس]

أخبرني الحسين بن القاسم ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج ، قال : أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه ، قال : كان أخوان من فزارة يخفُران قريةً بين آمد وسُميساط ، يقال لها تلّ حُوم ، فطال مقامهما بها حتّى أثريا ، فحسدهما قومٌ من ربيعة ، وقالوا : يخفران هذان الضياع في بلدنا ؛ فجمعوا لهما جمعاً ، وساروا إليهما ، فقاتلوهما ، فقُتِل أحدهما ، وعلى الجزيرة يومئذٍ عبد الملك بن صالح الهاشميّ ، فشكا القيسيُّ أمرَه إلى وجوه قيس ، وعرَّفهم قتل ربيعة أخاه ، وأخذهم مالَه . فقالوا له : إذا جلس الأمير فادخـل إليـه . ففعل ذلك ، ودخل على عبد الملك ، وشكا ما لحِقه ، ثم قال لـه : وحسبُ الأمير أنّهم لّما قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائلٌ منهم : [من الخفيف]

اشربا ما شربتُما إنّ قيساً مِن قتيلٍ وهالكٍ وأسيرِ
لا يحـوزَنَّ أمرَنا مُضرِيٌّ بخفيـرٍ ولا بغيـرِ خفيرِ[2]

فقال عبد الملك : أتندبني إلى العصبية ؟ وزبره ، فخرج الرجل مغموماً ، فشكا ذلك إلى وجوه قيس ، فقالوا : لا تُرَع ، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه ، فعاوِده . فعاودَه في المجلس الآخر ، فزبَرَه ، وقال له قوله الأوّل ، فقال له : إنّي لم آتك أندُبك للعصبيّة ، وإنّما جئتُك مستعدياً[3] ، فقال له : حدّثني كيف فعَل القوم ؟ فحدّثه وأنشده ، فغضب فقال : كذَب لعمري ، ليحوزنَّها . ثم دعا بأبي عصمة أحد قواده ، فقال : اخرجْ فجرِّد السيف

1 الغراران : الحدان .
2 أمرنا في ل : أرضنا .
3 مستعدياً : مستغيثاً .

في ربيعة ، فخرج وقتل منها مقتلةً عظيمة ، فقال كلثوم بن عمرو العتابيّ قصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

ماذا شجاكِ بحُوّارينَ من طَللٍ ... ودمنةٍ كشفَتْ عنها الأعاصيرُ[1]

يقول فيها :

هذي يمينُك في قرباك صائلةٌ ... وصارمٌ من سيوف الهندِ مشهورُ
إن كان منّا ذَوُو إفكٍ ومارقةٌ ... وعصبةٌ دِينُها العُدوان والزُّورُ[2]
فإنَّ منّا الذي لا يُستَحثُّ إذا ... حُثَّ الجِيادُ وضمتْها المضاميرُ
مُستنبِط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ... ما بينهنَّ وبين الله معمورُ

يعني عبد الله بن هشام بن بسطامٍ التغلبيّ ، وكان قد أخذ قوّادهم .

فبلغت القصيدة عبد الملك ، فأمر أبا عصمة بالكفِّ عنهم . فلمّا قدِم الرشيد الرافقة أنشده عبد الملك القصيدة فقال : لمن هذه ؟ فقال : لرجل من بني عتابٍ يقال له كلثوم بن عمرٍو ، فقال : وما يمنعه أن يكون ببابنا . فأمر بإشخاصه من رأس عينٍ ، فوافى الرشيد وعليه قميصٌ غليظ ، وفَروة وخُفّ ، وعلى كتفه مِلحفةٌ جافية بغير سراويل ، فلمّا رُفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بأن تفرش له حُجرة ، وتقام له وظيفة ، ففعلوا ، فكانت المائدة إذا قدِّمت إليه أخذ منها رقاقةً وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فإذا كان وقتُ النوم نام على الأرض والخدم يتفقّدونه ، ويتعجّبون من فِعله ، وسأل الرشيد عنه ، فأخبروه بأمره ، فأمر بطرده ، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العُقَيلي وهو في منزله ، فسلَّم عليه ، وانتسب له ، فرحّب به ، وقال له : ارتفع . فقال : لم آتِك للجلوس ، قال : فما حاجتك ؟ قال : دابّة أُبلُغ عليها إلى راس عين ، فقال : يا غلام أعطِه الفرس الفلانيّ . فقال : لا حاجة لي في ذلك ، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلّغ عليها . فقال لغلامه : امض معه فابتعْ له ما يريد . فمضى معه ، فعدل به العتابيّ إلى سوق الحمير ، فقال له : إنّما أمرني أن أبتاع لك دابة . فقال له : إنّه أرسلك معي ، ولم يرسِلني معك ، فإن عملت ما أريد وإلاّ انصرف . فمضى معه فاشترى حماراً بمائةٍ وخمسين درهماً ، وقال : ادفع إليه ثمنه ، فدفع إليه ، فركب الحمار عُرياً بمرشحةٍ عليه وبِرذعةٍ ، وساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيدٍ : فضحتَني ، أمثلي يحمل مثلَك على هذا ؟ فضحِك ، وقال : ما رأيتُ قدرَك يستوجب أكثر من ذلك . ومضى إلى رأس عين .

1 كشفت في ل : حسرت . حوارين : قرية من قرى حلب .
2 عصبة في ل : بدعة .

[زوجته تلومه على عدم الأثراء]

وكانت تحته امرأةٌ من باهلة ، فلامته ، وقالت : هذا منصورٌ النمريُّ قد أخذ الأموال فحلّى نساءَه ، وبني داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت هاهنا كما ترى ! فأنشأ يقول : [من الطويل]

تلـوم على تَـركِ الغِنـى باهليّةٌ — زَوى الفقرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ
رأَتْ حَوْلها النِّسوانَ يرفُلْنَ في الثَّرا — مقلـدةً أعناقُهـا بالقلائدِ
أَسَرَّكِ إنّي نلت مـا نـال جعفرٌ — من العيشِ أو ما نال يَحيى بنُ خالدِ
وإنَّ أمير المؤمنـين أغَصَّنـي — مُغَصَّهمـا بالمشرِقـاتِ البواردِ[1]
رأيت رفيعـاتِ الأمـور مشوبةً — بِمستودَعاتٍ في بُطون الأساودِ[2]
دعينـي تَجِئْنـيَ مِيتَتـي مطمئِنّةً — ولم أتجشم هـولَ تلك المواردِ

وهذا الخبر عندي فيه اضطراب ؛ لأن القصيدة المذكورة التي أوّلها :

مـاذا شجـاكَ بِحُوَّارين من طلل

للعتابيّ في الرشيد ، لا في عبد الملك ، ولم يكن كما ذكره في أيّام الرشيد متنقِّصاً[3] منه . وله أخبار معه طويلةٌ ، وقد حدّثني خبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعةٌ على غير هذه الرواية .

[عتب الرشيد على العتابي]

أخبرني عمّي قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني مسعود بن إسماعيل العدويُّ عن موسى بن عبد الله التميميّ قال : عتب الرشيد على العتابيّ أيّام الوليد بن طريفٍ ، فقطع عنه أشياء كان عوّده أياها ، فأتاه متنصِّلاً بهذه القصيدة : [من البسيط]

ماذا شجاك بحُوَّاريـن مـن طللٍ — ودمنـةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ
شجاك حتّى ضميرُ القلب مشترَكٌ — والعـين إنسانهـا بالمـاء مغمورُ
في ناظرِيّ انقباضٌ عن جفونهما — وفي الجفون عن الآماق تقصيرُ
لو كنتِ تدرين ما شوقي إذا جَعَلَتْ — تنأى بنا وبـك الأوطانُ والدورُ
علمتِ أنّ سُرى ليـلي ومُطلعي — من بيت نجران والغَوْرَيْنْ تغويرُ

1 بالمشرقات ويروى : بالمرهنات وكلتاهما بمعنى السيوف القاطعة .
2 الأساود : جمع أسود وهو الحية .
3 ل : متقبضاً .

إذِ الركائبُ مَخْسوفٌ نواظرها كما تضمّنتِ الدُّهنَ القواريرُ
نادتك أرحامُنا اللاتي نَمُتُّ بها كما تنادى جِلادَ الجِلّةِ الخورُ[1]
مُستنبط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ما بينهنّ وبينَ الله معمورُ
فُتَّ المدائحَ إلاّ أنّ أنفسنا مستنطقاتٌ بما تحوي الضمائرُ
ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
إن كان منّا ذَوُو إفكٍ ومارقةٌ وعصبةٌ دينُها العُدوانُ والزُّورُ
فإنّ منّا الذي لا يستحَثُّ إذا حُثَّ الجياد وحازتها المضاميرُ
ومن عرائقه السّفّاح عندكم مجرّبٌ من بَلاء الصِّدق مخبورُ
الآن قد بعُدت في خطوِ طاعتكم خُطاهم حيثُ يحتلّ الغشاميرُ[2]

يعني يزيد بن مزيدٍ ، وهشام بن عمرٍو التغلبيَّ ، وهو من ولد سُفَيْحِ بن السفاحِ ، قال : فرضي عنه وردّ أرزاقه ووصله .

صوت

[من الطويل]

تطاول ليلي لم أنمه تقلُّبا كأنّ فِراشي حال من دونه الجمرُ
فإن تكن الأيّامُ فرّقْنَ بيننا فقد بانَ منّي في تذكُّره العذرُ

الشعر للأُبيردِ الرياحيّ ، والغناء لبابَوَيْه ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه رملٌ نسبه يحيى المكّي إلى ابن سريج . وقيل إنّه منحول .

1 الجلاد : النوق الصلبة . الجلة : المسان من الإبل . الخور : النوق الغزيرة اللبن .
2 الغشامير : من الغشمرة ، وهي الظلم .

[239] ـ أخبار الأبيرد ونسبه[1]

[نسبه]

الأبيرد بن المعذَّرِ بن قيس بن عتّاب بن هرميّ بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ ، من شعراء الإسلام وأوّل دولة بني أمية . وليس بمكثرٍ ، ولا ممّن وفد إلى الخلفاء فمدحهم .

وقصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بُرَيداً أخاه ، وهي معدودة من مختار المراثي .

[هوي الأبيرد امرأة فزوّجت غيره]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعيّ قال : حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الرياحيُّ يهوى امرأةً من قومه ويُجَنُّ بها حتى شُهِرَ ما بينهما ، فحجبت عنه ، وخطبها فأبَوا أن يزوّجوها إيّاه ، ثم خطبها رجلٌ من ولد حاجب بن زرارة ، فزوُّجته ، فقال الأبيرد في ذلك : [من الطويل]

إذا ما أردتَ الحسنَ فانظر إلى التي ... تَبغَّى لقيط قومَه وتَخَيّرا
لها بشرٌ لو يدرُجُ الذرُّ فوقه ... لبانَ مكانُ الذّرِّ فيه فأثَّرا
لعمري لقد أمكنتِ منّا عدوَّنا ... وأقررتِ للعادي فأخْنى وأهجرا[2]

[لم يرض كسوة حارثة بن بدر]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إليّ قال : حدّثنا محمد بن سلام الجمحيّ قال : قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدرٍ فقال : اكسُني بُردَين أُدخل بهما على الأمير ، يعني عبيد الله بن زيادٍ ، وكساه ثوبين فلم يرضَهما ، فقال فيه : [من الطويل]

أحارث أمسِك فَضْلَ برديك إنّما ... أجاعَ وأعرى اللهُ من كنتَ كاسيا
وكنتُ إذا استمطرتُ منك سحابةً ... لِتُمْطِرني عادت عَجاجاً وسافيا[3]
أحارثُ عاود شُرْبَكَ الخمرَ إنّني ... أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا

فبلغت أبياته هذه حارثة فقال : قبحه الله : لقد شَهِد بما لم يعلم . وإنّما أدعُ جوابه لما لا يعلم . هكذا ذكر محمد بن سلام .

1 للأبيرد ترجمة في المؤتلف والمختلف : 26 والسمط : 494 وأعلام الزركلي .
2 للعادي في ل : للمواشي .
3 السافي : الريح تحمل تراباً .

أخبرني حبيب بن نُصرٍ المهلّبيّ قال : حدّثنا عمر بن شبَّة قال : حدّثنا الأصمعيُّ قال : هجا الأُبيرد الرياحيّ حارثة بن بدر فقال : [من الطويل]

أحارثُ راجع شُرْبَكَ الخمرَ إنّني ... أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا
أرى فيك رأياً من أبيه وعمّه ... وكان زيادٌ ماقِتاً لك قاليا

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام ، وقال في خبره هذا : فكان حارثة يكسوه في كلّ سنة بردين ، فحبسهما عنه في تلك السنة ، فقال حارثة بن بدر يجيبه : [من الطويل]

فإن كنتَ عن برديَّ مستغنياً لقد ... أراك بأسمالِ الملابس كاسيا
وعشتَ زماناً أن أعينكَ كُسوتي ... قنعت بأخلاق وأمسيت عاريا
وبردين من حوك العراق كسوتَها ... على حاجة منها لأمِّك باديا

فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر : [من الكامل]

زعمتْ غُدانةُ أن فيها سيداً ... ضخماً يواريه جَناحُ الجندبِ
يُرْويه ما يُروي الذّبابَ وينتشي ... لؤماً ويشبِعه ذراعُ الأرنبِ

وقال أيضاً لحارثة بن بدر : [من الطويل]

ألا ليت حَظّي من غُدانة أنّها ... تكون كَفافاً لا عليَّ ولا لِيا
أبى الله أن يهدي غدانةَ للهدى ... وأن لا تكونَ الدهرَ إلاّ مَواليا
فلو أنّني ألقى ابنَ بدرٍ بموطن ... نَعُدُّ به من أوَّلينا المساعيا[1]
تقاصر حتى يستقيدَ وبذّه ... قُروم تَسامى من رياح تَساميا[2]
أيا فارطَ الحيّ الذي قد حشا لكم ... من المجد أنهاءٍ ملاء الخوابيا[3]
وعَمِّي الذي فكّ السّميدعَ عنوةً ... فلستَ بِنُعمى يا ابن عقربَ جازيا
كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحنُ إذا مِتنا أشدُّ تغانيا[4]

1 المساعي : مآثر أهل الشرف والفضل .
2 يستقيد : يذل ويخضع . رياح : قبيلة .
3 الفارط : السابق إلى إصلاح الحوض والدلاء . الأنهاء : الغدران . الخوابي : جمع خابية وهو الحوض .
4 يروى هذا البيت لغيره .

أَلم ترنا إذ سقتَ قومك سائلا ذَوِي عددٍ للسائلين مَعاطيا
بنى الردفِ حمالين كلَّ عظيمةٍ إذا طلعت والمترعين الجوابيا
وإنّا لنعطي النّصفَ من لو نَضيمه أقر ولكنّا نحبّ العوافيا

الردفُ الذي عناه هاهنا : جدُّه عتاب بن هَرمي بن رياح ، كان رِدفَ بن المنذر ، إذا ركب ركب وراءه ، وإذا جلس جلس عن يمينه ، وإذا غزا كان له المِرباع ؛ وإذا شرب الملك سُقِي بكأسه بعده ، وكان بعده ابنه قيس بن عتّابٍ يردف النعمان . وهو جدُّ الأبيرد أيضاً .

[الأبيرد وسعد العجليّ]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال : كانت بنو عجلٍ قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عِجلاً ، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم ، يقال له سعد ، ويجالسه ، وكان قصده امرأة سعدٍ هذا . فمالت إليه فومِقته ، وكان الأبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريراً ، وكان سعد شيخاً هِمّاً ، فذهب بها كلَّ مذهب حتى ظهر أمرُهما وتُحُدّث بهما ، واتُّهم الأبيرد بها . فشكاه إلى قومه واستعذرهم منه[1] ، فقالوا له : ما لك تتحدّث إلى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك ! وهل خلا عربي منه ؟ قالوا : قد قيل فيكما ما لا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها ، وإيّاك أن تعاودها . فقال الأبيرد : إنّ سعداً لا خير فيه لزوجته . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّي رأيته يأتي فرسه البلقاء ، ولا فضل فيه لامرأته ، فهي تبغضه لفعله ، وهو يتّهمها لعجزه عنها : فضحكوا من قوله ، وقالوا له : وما عليك من ذلك ؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاوِدْها ولا تجلس إليها . فقال الأبيرد في ذلك : [من الطويل]

أَلم تر أنَّ ابن المعذَّر قد صحا وودّعَ ما يَلْحى عليه عواذِلُهْ
غدا ذو خلاخيلٍ عليّ يلومُني وما لومُ عَذّالٍ عليه خلاخلُهْ
فدع عنك هذا الحَلْي إن كنتَ لائمي فإنّي امروٌ لا تزدهيني صَلاصلُهْ[2]
إذا خطرت عنس به شدنية بمطَّردِ الأرواح ناءٍ مناهلُهْ[3]
تبيَّنَ أقوامٌ سفاهةَ رأيهم ترحَّلَ عنهم وهو عفٌّ منازلُهْ
لهم مجلسٌ كالرُّدْن يجمع مجلساً لئاماً مساعيه كثيراً هتاملُهْ[4]

1 استعذرهم منه : استعداهم عليه .
2 الصلاصل : الرنين .
3 العنس : الناقة الصلبة . شدنية : منسوبة إلى شدن ، موضع باليمن .
4 كالردن : جعلهم كالردن في الضيق وقلة العدد . الهتامل : الذين يتكلمون كلاماً خفيّاً .

تبرأتُ مــن سعد وخُـلَّـة بيننا فلا هــو معطيني ولا أنا سائله
متى تُنتَجُ البلقاءُ يا سعد أم متى تُلَقَّحُ من ذات الرِّبــاطِ حوائلُه
يحــدِّث سعد أنَّ زوجتــه زنت ويــا سعدُ أنت المرء تزني حلائلُه
فإن تَسمُ عيناها إليّ فقـد رأت فتًـــى كحسام أخلصَتْه صياقلُه
فتى قُـدَّ قــدَّ السَّيف لا متضائلٌ ولا رِهـــلٌ لَبَّاتــه وأباجلُه[1]

وهذا البيت الأخير يروى للعجير السَّلوليّ ، ولأخت يزيد بن الطثرية ، فاعترضه سَلمان العجليّ فهجاه وهجا بني رياح فقال : [من الوافر]

لعمــرك إنّنــي وبنــي رياحٍ لكالعاوي فصادف سَهم رامِ
يسوقون ابنَ وجــرةَ مزمئراً ليحميَهم وليس لهــم بحــامِ[2]
وكم مـــن شاعرٍ لبني تميم قصيرِ البــاع مـــن نفرٍ لئامِ
كسونا ، إذ تخرَّقُ ملبَساه ، دواهيَ يترينَ مـــن العظامِ
وإن يُذكــر طعامُهــم بشَرٍّ فــإنَّ طعامهـــم شرُّ الطعامِ
شَريجٌ من مَنيٍّ أبــي سُواج وآخر خالص مـــن حيض آمِ[3]
وسوداء المغابــن مـــن رياحٍ على الكردوس كالفأس الكَهامِ[4]
إذا مــا مــرّ بالقعقاع ركب دعتهم مَن ينيكُ على الطَّعامِ[5]
تداوَلَها غـــواةُ الناس حتـــى تؤوبَ وقد مضى ليل التِّمامِ[6]

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له : [من الوافر]

عَوى سَلمانُ من جَــوٍّ فلاقى أخو أهــلِ اليمامةِ سهمَ رامي
عوى مِــن جُبْنه وشقيٌّ عجلٍ عُــواءَ الذئب مُختلَطَ الظلامِ

---

1 الأبجل : عرق غليظ في اليد أو الرجل . وقد مرّ هذا البيت منسوباً للعجير السلولي سوى أن الكلمة الأخيرة فيه «وبآدله» ، ص 40 من هذا المجلد .
2 المزمئر : الغاضب .
3 شريج : ذو لونين مختلفين . آم : جمع أمة ، المرأة غير الحرة .
4 المغابن : جمع مغبن ، وهو الابط . الكردوس : العظم الكثير اللحم . كهام : كليل .
5 القعقاع : موضع .
6 ليل التمام : أطول ليالي الشتاء .

بنو عِجلٍ أذلُّ من المطايا ومن لحم الجَزورِ على الثُّمامِ
تَحَيَّا المسلمون إذا تلاقَوا وعجلٌ ما تُحَيَّا بالسَّلامِ
إذا عجليةٌ ولدت غلاماً لعجليٍّ فَقُبِّحَ من غلامِ
يَمَصُّ بثديها فرخٌ لئيم سُلالةُ أعبدٍ ورضيعُ آمِ
خبيث الريح ينشأ بالمخازي لئيمٌ بين آباء لئامِ
أنا ابن الأكرمين بني تميم ذوي الآكال والهمم العظامِ
وكائن من رئيس قَطَّرته عواملُنا ومن ملك هُمامِ[1]
وجيشٍ قد ربَعناه وقومٍ صبَحْناه بذي لَجبٍ لُهامِ[2]

وقال أيضاً الأبيرد مجيباً له : [من الطويل]

أخذنا بآفاق السماء فلم ندَعْ لسلمانَ سلمانِ اليمامة مَنْظرا
من القُلْح فسَّاءٌ ضروطٌ يُهِرُّه إذا الطير مرّاتٍ على الدوح صرصرا[3]
وأقلح عجلي كأنّ بخطمِهِ نواجذَ خنزير إذا ما تكشرا
يزِلُّ النوى عن ضِرسه فيردُّه إلى عارضٍ فيه القوادح أبخرا
إذا شرب العِجْليُّ نَجَّس كأسَه وظلّت بكَفَّي جُأْنبٍ غيرِ أزهرا[4]
شديد سوادِ الوجه تحسب وجهَه من اللؤم بين الشاربين مَقيَّرا
إذا ما حساها لم تزِده سماحة ولكن أرته أنْ يصرَّ ويَحْصَرا[5]
فلا يَشْرَبَنْ في الحيِّ عجلٌ فإنّه إذا شرب العِجْليُّ أخنى وأهجرا
يقاسي نداماهم وتَلقى أُنُوفهم من الجدْع عند الكأس أمراً مذكرا[6]
ولم تك في الإشراك عِجل تذوقها ليالي يَسبِيها مقاولُ حميرا[7]

---

1 قطرته : صرعته .
2 لهام : الجيش العظيم .
3 القلح : جمع أقلح وهو الفاسد الأسنان . يهره : يجعله يهر كالكلاب من الفزع .
4 الجأنب : القميء .
5 يحصر : يبخل .
6 مذكر : شديد .
7 يسبيها : يشتريها . مقاول : جمع مقول ، وهو الملك في حمير .

ويُنفق فيهـا الحنظليـون مالَهم إذا مـا سعـى منهم سفيهٌ تجبَّرا
ولكنهـا هانـت وحُـرّم شربها فمالت بنو عجلٍ لِما كان أُكفَرا
لعمري لئـن أُزْنِنْتُم أو صحوتم لبئسَ النّدامـى كنتم آلَ أبجرا[1]

[التفاخر بالنحر]

أخبرني عبيد الله بن محمدٍ الرازي قال : حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيُّ قال : كان مجائلُ بن مرة بن مَحكان السعديّ وابن عمّ له يقال له : عَرادة ، وقد كان عرادة اشترى غنماً له فأنهبها ، وكانت مائة شاة ، فاشترى مُرّة بن محكان مائةً من الإبل فنحر بعضها وأنهب باقيها ، وقال أبو عبيدة : إنّهما تفاخرا ، فغلبه مرّة ، فقال الأبيرد لعرادة : [من الوافر]

شرى مائــةً فأنهبهـا جميعاً وبتَّ تقسِّم الحـذف النقادا[2]

فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرّة بن محكان فحبسه وقيّده ، ووقع بعد ذلك من قومه لِحاء ، فكانت بينهم شجاجٌ[3] ، ثم تكافؤوا وتوافقوا على الديات فأُنبيء مرة بن محكان وهو محبوسٌ ، فعرف ذلك فتحمَّل جميعها في ماله ، فقال فيه الأبيرد : [من الطويل]

لله عينـا مـن رأى مـن مكبَّـل كمُـرَّةَ إذ شُدَّت عليـه الأداهمُ[4]
فأبلـغ عبيد الله عنّـي رسالةً فإنّـك قـاضٍ بالحكومـةِ عـالِمُ
فإن أنتَ عاقبت ابن مَحكان في الندى فعاقـب هـداك الله أعظـمَ حاتمِ
تعاقـب خِرقـاً أن يجـود بمالـه سعى في ثأىً من قومـه متفاقمِ[5]
كأن دمـاء القـوم إذ علقت بـه على مكفهـرٍّ مـن ثنايا المخارمِ[6]

[استفزاز سحيم بن وثيل الرياحي]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديُّ قال : حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، قال : حدّثنا عمّي قال : أتى رجل الأبيرد الرياحيّ وابن عمّه الأحوص ، وهما من رهطِ ردف الملك من بني رياح ، يطلب منهما قَطِرانا لإبله فقالا له : إن أنت بلّغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر

1 أزننتم : اتهمتم .
2 الحذف : الغنم السود . النقاد : جمع نقد ، وهو جنس من الغنم .
3 شجاج : جراح .
4 الأداهم : جمع أدهم وهو القيد .
5 الثأى : الافساد .
6 المخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الغلظ وأواخر الليل . وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة إقواء .

أعطيناك قطرانا . فقال : قولا . فقالا : اذهب فقل له : [من الوافر]

فإن بُداهَتي وجِـراءَ حـولي لذو شِقٍّ على الحُطَـم الحرونِ[1]

قال : فلمّا أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه ، وانحدر في الوادي ، وجعل يُقبل فيه ويدبِر ، ويُهَمْهِمُ بالشعر . ثم قال : اذهب فقل لهما[2] : [من الوافر]

فإنّ عُلالتـي وجـراء حَولي لذو شِقٍّ على الضَّرَع الظَّنونِ[3]

أنا ابن الغُـرِّ من سَلَفَيْ رياح كنصل السيف وضاحُ الجبينِ

أنا ابنُ جـلا وطـلاعُ الثنايا متـى أضع العمامـة تعرفوني[4]

وإنّ مكاننـا مِـن حميـريّ مكانُ الليث من وسط العَرينِ

وإنّ قناتنـا مَشِظٌ شظاهـا شديد مدُّهـا عُنُـقَ القرينِ

قال الأصمعيّ : إذا مسسْت شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل : مشظت يدي والشظا : ما تشظّى منها :

وإنّـي لا يعـود إليّ قِرني غـداةَ الغِـبِّ إلاّ في قـرينِ

بذي لِبَدٍ يصدُّ الركب عنـه ولا تُؤتَـى فريستـه لحينِ

عذرتُ البُزْل إذ هي صاوَلتني فمـا بالي وبـالُ ابنَيْ لَبونِ[5]

وماذا تبتغـي الشعراءُ منّـي وقد جـاوزتُ راسَ الأربعينِ[6]

أخو الخمسين مُجْتَمعٌ أشُدّي ونجّـذني مـداورةُ الشؤونِ[7]

سأحيا مـا حييتُ وإنّ ظهري لـذو سَنَـدٍ إلى نَضَدٍ أمينِ[8]

قـال : فأتيـاه فاعتـذرا إليـه . فقـال : إنّ أحدكم لا يَرى أن يصنع شيئاً حتّى يقيس شعره بشعرنـا ، حسبه بحسبنا ، ويستطيفَ بنـا استطافـة المهـر الأرِن . فقـالا له : فهـل إلى

1 شق : مشقة . الحطم : العسوف العنيف . الحرون : الصعب القياد .

2 الأصمعيات : 73 .

3 الضرِع : الصغير . الظنون : الذي لا يوثق به .

4 ابن جلا : كناية على العلو . طلاع الثنايا : كناية عن الارتقاء إلى قمة المجد . متى أضع العمامة تعرفوني : قال ثعلب : العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم .

5 البزل : جمع بازل ، وهو البعير دخل سنته التاسعة . وابن اللبون : ما كان في عامه الثاني .

6 تبتغي في ل : يدّري .

7 نجذني : جعلني مجرباً .

8 نضد : الوسائد ، وهو أيضاً الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف .

النّزع[1] من سبيلٍ . فقال : إنّنا لم نبلغ من أنسابنا .

قال اليزيديّ : أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعيّ .

[رثاؤه بريداً]

والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريداً وفي أوّلها الغناء المذكور ، من جيد الشعر ، ومختار المراثي ، المختار منها قوله : [من الطويل]

تطاوَلَ ليلي لم أنمه تقلُّباً كأنَّ فِراشي حال من دونه الجمرُ
أُراقِب من ليل التّمام نجومَه لدُنْ غاب قرنُ الشمس حتى بدا الفجرُ
تذكّرتُ قَرْماً بانَ منّا بنَصرِهِ ونائِلِه يا حبّذا ذلك الذُّكرُ[2]
فإن تكن الأيّامُ فرّقن بيننا فقد عذرتنا في صحابتنا العُذرُ[3]
وكنت أرى هَجْرا فراقَكَ ساعةً ألا لا بل الموتُ التفرُّق والهجرُ
أحقّاً عباد الله أن لستُ لاقيا بُريداً طَوالَ الدَّهرِ ما لألأ العُفْرُ[4]
فتًى إن هو استغنى تخرَّق في الغنى فإن قلَّ مالاً لم يَؤُدْ متنَه الفقرُ
وسامى جسيماتِ الأمورِ فنالها على العسر حتى أدرك العُسُرَ اليسرُ
ترى القومَ في العَزَّاء ينتظرونه إذا ضلّ رأيُ القوم أو حَزَبَ الأمرُ
فليتك كنتَ الحيّ في الناس باقياً وكنتُ أنا الميتَ الذي غَيب القبرُ[5]
فتًى يشتري حُسنَ الثناء بماله إذا السّنةُ الشهباءُ قلَّ بها القطرُ[6]
كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة ولم يأتِنا يوماً بأخباره السَّفْرُ[7]
لعمري لنعمَ المرءُ غالي نَعِيَّه لنا ابنُ عزيز بعد ما قَصرَ العصرُ
تمضَّت به الأخبارُ حتى تغلغلت ولم تثنِه الأطباع دوني ولا الجُدرُ[8]

1 النزع : الكف .
2 الذُّكر : التذكر .
3 العذر : جمع عذير ، وهو العاذر .
4 لألأ العفر : حركت الظباء أذنابها .
5 باقياً في ل : ثاوياً .
6 السنة الشهباء : السنة الشديدة .
7 السفر في ل : البشر .
8 الأطباع : جمع طبع ، وهو النهر .

ولمّـا نعـى الناعي بُريـداً تغوّلَتْ بي الأرض فرطَ الحزن وانقطع الظهرُ[1]
عساكر تغشى النفسَ حتـى كأنّني أخو سكرةٍ طارت بهامَتِـه الخمرُ[2]
إلى اللهِ أشكـو في بُرَيـدٍ مصيبتي وبَثّي وأحزانـاً تضمَّنهـا الصدرُ
وقـد كنت أستعفي إلهـي إذا شكا من الأجر لي فيه وإنْ سَرّني الأجرُ
ومـا زال في عينـيَّ بَعْـدُ غِشاوةٌ وسَمعِيَ عَمَّـا كنت أسمعـه وقرُ[3]
على أنّنـي أقْنـى الحيـاءَ واتّقـي شماتـة أعـداءٍ عيونهـم خُزر[4]
فحيّاكَ عنّـي الليـل والصبحُ إذْ بدا وهُـوجٌ من الأرواح غُدوتهـا شهرُ
سَقى جدثـا لـو أستطيع سقيته بِـأَوْدٍ فـروّاه الروافـد والقطرُ[5]
ولا زال يرعـى منْ بلادٍ ثوى بها نباتٌ إذا صاب الربيعُ بهـا نضرُ
حلفـتُ بـربّ الرافعينَ أكُفَّهم وربِّ الهدايا حيث حـلَّ بها النحرُ
ومُجْتمعِ الحجّـاج حيـثُ توافقت رِفـاقٌ مـن الآفـاق تكبيرُها جأرُ
يمينَ امـرىءٍ آلى وليس بكاذب ومـا في يمـينٍ قالهـا صادقٌ وزرُ
لئن كان أمسى ابنُ المعذَّر قـد ثوى بريـدٌ لنعـم المـرءُ غَيَّبه القبرُ
هو الخلَفُ المعروفُ والدِّين والتّقى ومسعرُ حـربٍ لا كَهامٌ ولا غُمْرُ
أقـام فنـادى أهلُـه فتحمَّلوا وصُرِّمت الأسبابُ واختلط النَّجرُ[6]
فتـى كان يُغْلي اللحمَ نِيئـاً ولحمُه رخيصٌ لجاديـه إذا تُنـزَلُ القِدرُ
فتى الحـيِّ والأضيافِ إن روّحتهم بليلٌ وزادُ السفر إن أرمـل السَّفرُ[7]
إذا جـارةٌ حلّتْ لديـه وفَـى بهـا فآبـت ولم يُهْتَك لجارتـه سترُ[8]
عفيف عن السوآت ما التبست به صليبٌ فمـا يُلْقى لعود بـه كسرُ

---

1 الظهر في ل : الصبر .
2 طارت في ل : مالت .
3 وقر : صمم .
4 خزر : ضيقة .
5 الروافد في ل : الرواعد .
6 النجر : الأصل .
7 روحتهم : هبّت عليهم . أرمل السفر : نفذ زاد المسافرين .
8 فآبت في ل : فباتت .

سلكت سبيلَ العالمين فما لهم ... وراء الذي لاقيت مَعْدًى ولا قصرُ
وكلّ امرىء يوماً سيلقى حمامَه ... وإن نأت الدعوى وطال به العمرُ
وأبليتَ خيراً في الحياة وإنّما ... ثوابُك عندي اليومَ أن ينطِق الشعرُ

وقال يرثيه أيضاً ، وهي قصيدةٌ طويلة : [من الطويل]

إذا ذكَرَتْ نفسي بُريداً تحامَلَتْ ... إليّ ولم أملك لعينيَ مدمعا
وذكَّرنيكَ الناسُ حين تحامَلُوا ... عليّ وأضحَوْا جلدَ أجربَ مُولعا
فلا يُبعدنْكَ الله خيرَ أخي امرىءٍ ... فقد كنتَ طلاّع النِّجادِ سَميدَعا[1]
وَصُولاً لذى القربى بعيداً عن الخنا ... إذا ارتادك الجادي من الناس أمرعا[2]
أخو ثقة لا ينتحِي القومُ دونه ... إذا القوم خالوا أو رجا الناسُ مَطعما
ولا يركب الوجناءَ دون رفيقِه ... إذا القومُ أزجَوهنّ حَسرى وظُلّعا[3]

صوت

[من مخلع البسيط]

يا زائرينا من الخيامِ ... حيّاكما الله بالسلامِ
يحزُنُني أن أطفتُما بي ... ولم تنالا سوى الكلامِ
بُورك هارون من إمامٍ ... بطاعة الله ذي اعتصامِ
له إلى ذي الجلالِ قُربى ... ليست لِعَدْلٍ ولا إمامِ

الشعر لمنصورٍ النمريّ ، والغناء لعبد الله بن طاهرٍ ، رمل ، ذكر ذلك عبيد الله ابنه ، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها ، وفيه للرفّ خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة . وفيه ثقيلٌ أوّل بالبنصر مجهول الأصابع . ذكر حبشٌ أنّه للرف أيضاً .

1 السميدع : الكريم .
2 الجادي : طالب العطاء .
3 الوجناء : الناقة السريعة . حسرى : كليلة . ظلع : جمع ظالع ، وهي الناقة التي تغمز في مشيها من عرج .

[240] ـ أخبار منصور النمريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو منصور بن الزبرقان بن سلمة ، وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان ، بن شريك بن مُطعم الكبش الرَّخَمَ ، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضَّحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هِنب بن أفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وإنّما سمّي عامرٌ الضحيان لأنه كان سيِّد قومه وحاكمهم ، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار ، فسمِّي الضحيان . وسمّي جدُّ منصور «مطعِمَ الكبِش الرخم» ، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونحر لهم ، ثم رفع راسه فإذا رَخمٌ يَحُمْن حول أضيافه ، فأمر بأن يُذبَح لهم كبشٌ ويُرمى به بين أيديهم ، ففُعِل ذلك ، فنزلن عليه ، فمزقنه ؛ فسمّي مطعمَ الكبش الرخم . وفي ذلك يقول أبو نُعيجة النمريّ يمدح رجلاً منهم : [من المتقارب]

أبــوك زعيـــمُ بنــي قاسط وخالك ذو الكبش يَقْرِي الرخم

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابيّ وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبَّه . والعتابيّ وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرَّضه[2] عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ، ثم وصله بالرشيد . وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابيّ وحشةٌ حتى تهاجرا وتناقضا ، وسعى كلٌّ واحد منهما على هلاك صاحبه ، وأخبار ذلك تُذْكَرُ في مواضعها من أخبارهما[3] ، إن شاء الله تعالى ، وكان النمريّ قد مدح الفضلَ بن يحيى بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة ، فأوصلها العتابيّ إليه ، واسترفده له ، وسأله استصحابه ، فأذِن له في القدوم ، فحظي عنده ، وعرف مذهبَ الرشيد في الشعر ، وإرادته أن يصِل مدحه إيّاه بنفي الإمامة عن آل علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، والطعن عليهم ، وعلم مغزاه في ذلك ممّا كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة ، وتفضيله إيّاه على الشعراء في الجوائز . فسلك مذهب مروان في ذلك ، ونحا نحوه ،

1 لمنصور النمري ترجمة في الشعر والشعراء : 736–739 وتاريخ بغداد 13 : 65 وطبقات ابن المعتزّ : 242–248 وابن خلكان 6 : 336 وفوات الوفيات 4 : 164–168 وقد جمع شعره الطيب العشاش (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) .

2 قرضه : مدحه ، وهو من الأضداد .

3 تقدم ذكر ذلك في ترجمة العتابيّ ص 74–86 .

ولم يصرح بالهجاء والسبِّ كما كان يفعل مروان ، ولكنّه حام ولم يقع ، وأومأ ولم يُحقّق ، لأنه كان يتشيّع ، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب ، وكان ينطِق عن نيّةٍ قويّة يقصِد بها[1] طلب الدنيا ، فلا يُبْقي ولا يذر .

[طلب أن يذكر عند الرشيد]

أخبرني محمد بن جعفر النحويُّ صهرُ المبرّد قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعد الكُرانيّ ، وأخبرني به عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، وحديث محمد بن جعفر النحويّ أتم ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبدي قال : حدّثنا ثابت بن الحارث الجُشَميُّ قال : كان منصورٌ النمريّ مُصافياً للبرامكة ، وكان مسكنه بالشام ، فكتب يسالهم أن يذكروه للرشيد ، فذكروه ووصفوه ، فأحبَّ أن يسمع كلامه ، فأمرهم بإقدامه ، فقدِم ونزل عليهم ، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره ، وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان ، على ما سمعه من بيانه ، وكان مروانُ يقول قبل قدومه : هذا شاميٌّ وأنا حجازي ، أفتراه يكون أشعر منّي ، ودخله من ذلك ما يدخل مثلَه من الغمّ والحسد ، واستنشد الرشيدُ منصوراً ، فأنشده[2] : [من الوافر]

أميرَ المؤمنين إليك خُضْنا غِمارَ الهَول من بلد شَطيرِ[3]
بخُوصٍ كالأهلة خافقاتٍ بلينَ على السُّرى وعلى الهجيرِ[4]
حملنَ إليك أحمالاً ثِقالا ومثل الصخر والدرّ النثيرِ
فقد وَقف المديحُ بمنتهاه وغايتِهِ وصار إلى المصيرِ
إلى مَن لا يشير إلى سِواه إذا ذُكِر النَّدى كفُّ المشيرِ

فقال مروان : ودِدتُ والله أنّه أخذ جائزتي وسكت .

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال : [من الوافر]

يذلّل من رقابِ بني علي ومَنّ ليس بالمنِّ الصغيرِ
مَنَنْتَ على ابن عبد الله يحيى وكانَ من الحُتوف على شفيرِ[5]

---

1 يقصد بها في ل : يعضدها .
2 شعر منصور النمري : 85–88 .
3 الهول في ل : الموت . شطير : بعيد .
4 خوص : جمع خوصاء ، الناقة الغائرة العين صغيرتها .
5 الحتوف في ل : الهلاك .

[مروان ينشد الرشيد]

قال مروان : فما برحتُ حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشِده ، وكان يتبسّم في وقت ما كان ينشده النمريّ ، ويأخذ على بطنه ، وينظر إلى ما قال ، فأنشدته : [من الرجز]

موسى وهارون هما اللذانِ   في كتب الأخبارِ يوجدانِ
من وَلَد المهديّ مَهديّان   قُدّاً عنانين على عنانِ
قد أطلق المهديُّ لي لساني   وشدّ أزري ما به حباني
من اللُّجَين ومن العِقيان   عِيديَّة شاحِطةَ الأثمانِ[1]
لو خايلت دجلَة بالألبان   إذاً لقيل اشتبه النهرانِ[2]

قال : فوالله ما عاج النمريّ بذلك ولا أحتفل به ، فأومأ إليّ هارون أن زده ؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها : [من الكامل]

خلُّوا الطريقَ لمعشر عاداتهمْ   حَطمُ المناكبِ كلّ يوم زحامِ
ارضَوْا بما قسم الإلهُ لكم به   ودَعُوا وراثةَ كلِّ أصيد حامِ[3]
أنّى يكون وليس ذاك بكائن   لبني البنات وراثةُ الأعمامِ

قال : فوالله ما عاج بشيء منها وغلب على هارون ، وخرجت الجائزتان ، فأعطى مروان مائة ألف . وأعطى النمريّ سبعين ألفاً ، وقال : أنت مَزِيدٌ في ولد علي .

قال : ولقد تخلّص النمريّ إلى شيء ليس عليه فيه شيء ، وهو قوله : [من الوافر]

فإن شكروا فقد أنعمتْ فيهم   وإلاّ فالنَّدامة للكفورِ
وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌّ   ورُدُّوا ما يناسب للذُّكورِ

قال : فكان مروان يتأسّف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه ، وإلى قوله : [من الوافر]

وما لبني بناتٍ من تراثٍ   مع الأعمامِ في ورق الزَّبورِ

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفيّ ، قال : حدّثني الغنويّ عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشرٍ العبديّ ، فذكر القصة قريباً ممّا ذكره محمد بن جعفر النحويّ يزيد وينقص ، والمعنى متقارب .

---

1 عيدية : ضرب من نجائب الإبل . شاحطة الأثمان : عالية الأثمان .
2 خايلت : فاخرت .
3 حام في ل : سام .

[الرشيد يغضب لمَن قال كأنه رسول]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن طُهمان السّلميّ قال : حدّثني أحمد بن سيّار الشيبانيّ الشاعرُ قال : كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يُمدَح بما تمدح به الأنبياء فلا يُنكِر ذلك ولا يردّه ، حتى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى ، فأفرط في مدحه حتى قال فيه :

فكأنّه بعد الرسول رَسولُ

فغضب هارون ولم ينتفع به أحد يومئذٍ ، وحَرَم ذلك الشاعر فلم يُعطِه شيئاً ، وأنشد منصورٌ النمريّ قصيدةً مدحه بها وهجا آل علي وثَلَبهم ، فضجِر هارون وقال له : يا ابن اللّخناء ، أتظنّ أنّك تتقرّب إليّ بهجاء قومٍ أبوهم أبي ، ونسبُهم نسبي ، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي ؟! فقال : وما شهدنا إلاّ بما علمنا . فازداد غضبه ، وأمر مسروراً فوجأ[1] في عنقه وأُخرِج ، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده : [من الوافر]

بني حسنٍ ورهطَ بني حُسينٍ ... عليكم بالسَّداد من الأمورِ
فقد ذقتم قِراعَ بني أبيكم ... غداةَ الرَّوْع بالبيض الذُّكورِ
أحينَ شَفَوْكُمُ من كلِّ وِترٍ ... وضمُّوكم إلى كَنَف وَثيرِ[2]
وجادتكم على ظمإٍ شديد ... سماءٌ من نوالهم الغزيرِ
فما كان العقوقُ لهم جزاءً ... بفعلهم وآدى للثؤورِ
وإنّك حين تُبلغهم أذاةً ... وإن ظلموا لمحزون الضميرِ

فقال له : صدقت ، وإلاّ فعليّ وعليّ ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

[الرشيد يميز شاعره الخاص]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال : حدّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال : دخل مروان بن أبي حفصة وسَلْم الخاسر ، ومنصور النمري على الرشيد ، فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

أنّى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البناتِ وراثةُ الأعمامِ

وأنشده سلم فقال :

حَضَرَ الرّحيل وشُدَّت الأحداجُ[3]

---

1 وجأ في عنقه : ضربه .
2 الكنف الوثير : الجناب اللين .
3 الأحداج : جمع حِدج ، يحفه كالهودج .

وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها : [من البسيط]

إن المكارمَ والمعروف أوديــةٌ أحَلَّك الله منهـا حيثُ تجتمعُ

فأمر لكلٍّ واحد منهم بمائة ألف درهم ، فقال له يحيى بن خالدٍ : يا أمير المؤمنين ، مروان شاعرك خاصة قد ألحقتهم به . قال : فَلْيُزَد مروان عشرة آلاف .

[إعجاب الرشيد بشعر منصور]

أخبرني عمّي قال : أخبرنا ابن أبي سعدٍ قال : حدّثني عليّ بن الحسين الشيبانيّ قال : أخبرني أبو خاتمٍ الطائي ، عن يحيى بن ضبيئة الطائي ، عن المفضل قال : حضرتُ الرشيد وقد دخل منصور النمريُّ عليه فأنشده[1] : [من البسيط]

ما تنقضي حَسرةٌ منّـي ولا جزعُ إذا ذكــرتُ شباباً ليس يُرتَجعُ
بــانَ الشّبابُ وفاتنـي بلذّتــه صروفُ دهــرٍ وأيّامٌ لهـا خُدَعُ
مــا كنت أوفي شبابـي كُنهَ غِرَّته حتى انقضى فإذا الدنيا لــه تَبعُ

قال : فتحرّك الرشيد لذلك ثم قال : أحسَنَ والله ، لا يَتهنَّأ أحدٌ بعيش حتى يخطِر في رِداء الشباب .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا ابن أبي سعدٍ قال : حدّثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدي عن أبي ثابت العبديّ عن مروان بن أبي حفصة ، قال : خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم ، فظفر الرشيد ، وقد كاد أن يعطب ، لولا الله عزّ وجلّ ثم يزيد بن مزيد . فقال لي وللنمريّ : أنشدا . فأنشدته قولي : [من الكامل]

طرقَتْك زائرةً فحــيِّ خيالها غــراءُ تخلِط بالحياء دلالها

ووصفتُ الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم ، والظفر الذي رُزِقه ، فقال : عُدّوا قصيدته ؛ فكانت مائة بيتٍ ، فأمر لي بمائة ألف درهم ، ثم قال للنمريّ : كيف رأيت فرسي فإنّي أنكرته ؟ فقال النمريّ[2] : [من الطويل]

مُضِزٌّ على فــأسِ اللجـامِ كأنّه إذا ما اشتكت أيدي الجيادِ يطيرُ[3]
فظلَّ على الصفصاف يومٌ تباشرت ضِبــاعٌ وذُؤبــان بــه ونسورُ

1 شعر منصور النمري : 95–103 .
2 شعر منصور النمري : 82 .
3 مضز : يقال أضز الفرس على اللجام إذا أزم عليه .

فأقسِم لا يَنْسى لك الله أجرها إذا قُسِّمت بين العباد أجورُ

قال النمريّ : ثم قلت في نفسي : ما يمنعني من إذكاره بالجائزة ؟ فقلت : [من الطويل]

إذا الغيث أكْدى واقشعرّت نجومُه فغيث أميرِ المؤمنين مَطِيرُ
وما حلّ هارون الخليفةُ بلدةً فأخلفَها غيثٌ وكاد يضيرُ

فقال : أذكرتَني . ورأيته مُتَهَلِّلاً لذلك . قال : فألحقَني بمروان وأمر لي بمائة ألف درهم .

[البيدق ينشد قصيدة النمري]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثني ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن طَهمان ، قال حدّثني محمد الراوية المعروف بالبيدق ، وكان قصيراً ، فلقّب بالبيدق لقصره ، وكان يُنشد هارون أشعار المحدثين ، وكان أحسن خلق الله إنشاداً ، قال : دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد ، وبين يديه خوان لطيف عليه جَدْيانِ ورُغفان سميد ودجاجاتان ، فقال لي : أنشدني ، فأنشدته قصيدة النمريّ العينية ، فلمّا بلغت إلى قوله : [من البسيط]

أيُّ امرىءٍ بات من هارونَ في سَخَط فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ
إن المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلّك الله منها حيث تتسعُ
إذا رفعت امرءاً فالله يرفعه ومن وضعت من الأقوام مُتضعُ
نفسي فداؤك والأبطال مُعْلِمَة يوم الوغى والمنايا بيْنَها قُرَعُ

قال : فرمى بالخِوان بين يديه وصاح ، وقال : هذا والله أطيبُ من كل طعامٍ وكلّ شيء ، وبعث إليه بسبعة آلاف دينارٍ ، فلم يعطني منها ما يرضيني ، وشخص إلى رأس العين ، فأغضبني وأحفظني ، فأنشدت هارون قوله[1] : [من المنسرح]

شاءٌ من الناسِ راتِعٌ هاملْ يعللون النفوس بالباطلْ

فلمّا بلغت إلى قوله :

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها بسَلَّةِ البِيضِ والقنا الذابلْ

قال : أراه يحرّض عليّ ، ابعثوا إليه مَن يجيءُ برأسه . فكلّمه فيه الفضلُ بن الربيع فلم يغنِ كلامه شيئاً ، وتوجّه إليه الرسولُ فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودُفِن . قال : وكان إنشادُ محمدٍ البيدق يُطرِب كما يطرب الغناء .

1 شعر منصور النمري : 121 .

[سبب غضب الرشيد على النمريّ]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثنا عليّ بن الحسين الشيبانيّ ، قال : أخبرني منصور بن جهور ، قال : سألت العتابيّ عن سبب غضب الرشيد عليه ، فقال لي : استقبلت منصوراً النمريّ يوماً من الأيّام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً ، فقلت له : ما خَبَرُك ؟ فقال : تركت امرأتي تُطْلَقُ ، وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورِجلي ، والقيِّمة بأمري وأمر منزلي . فقلت له : لِم لا تكتب على فَرجِها «هارون الرشيد» ؟ قال : ليكون ماذا ؟ قال : لتلد على المكان ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لقولك : [من البسيط]

إن أخلف الغيثُ لم تُخلِف مخايله ... أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتّسعُ

فقال لي : يا كشخان ، والله لئن تخلّصتِ امرأتي لأذكرنّ قولك هذا للرشيد . فلمّا ولدتِ امرأته خبّر الرشيد بما كان بيني وبينه ، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبي ، فاستترت عند الفضل بن الربيع ، فلم يزل يُسأل فيّ حتى أُذِن لي في الظهور ؛ فلمّا دخلتُ عليه ، قال لي : قد بلغني ما قلته للنمريّ ، فاعتذرت إليه حتى قبل ، ثم قلت : والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذّب عليّ إلاّ وقوفي على مَيله إلى العَلَويّة ، فإن أراد أمير المؤمنين أن أُنشده شعره في مديحهم فعلتُ . فقال : أنشدني . فأنشدته قوله : [من المنسرح]

شاءٌ من الناس راتعٌ هاملْ ... يعلّلون النفوس بالباطلْ

حتى بلغت إلى قوله :

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها ... بسَلَّةِ البِيضِ والقنا الذابلْ

[طلب الرشيد نبش جثة النمري ليحرقها]

فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة . فبعث الفضل في ذلك ، فوجده قد توفّي ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطُف له حتى كفّ عنه .

[الفضل بن الربيع يحمي النمري]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال : حدّثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدّثني بعض الزينبيين ، قال : حبس الرشيد منصور النمريّ بسبب الرفض ، فتخلّصه الفضل بن الربيع ، ثم بلغه شعره في آل عليّ عليه السلام ، فقال للفضل : اطلبه . فستَره الفضل عنده ، وجعل الرشيد يلحُّ في طلبه ، حتى قال يوماً للفضل : ويحك يا فضل تُفَوِّتني النمريّ ؟ قال : يا سيدي ، هو عندي قد حصّلته . قال : فجِئني . وكان الفضل قد أمره أن يُطوِّل شعره ، ويكثر مباشرة الشمس ليشحُب وتسوء حالته ، ففعل ، فلمّا أراد إدخاله عليه ألبسه فَروة مقلوبة ،

وأدخله عليه ، وقد عفا[1] شعره ، وساءت حالته ، فلمّا رآه ، قال : السيف ؛ فقال الفضل : يا سيدي من هذا الكلبُ حتى تأمرَ بقتله بحضرتك ؟ قال : أليس هو القائل : [من المنسرح]

إلاّ مساعيرَ يغضبون لهـا بسَلَّة البِيضِ والقنا الذابلْ

فقال منصور : لا يا سيدي ما أنا قائلٌ هذا ، ولقد كُذِب عليّ ، ولكنّي القائل[2] : [من مخلع البسيط]

يا منزل الحي ذا المغاني انعِم صباحاً على بِلاكا
هارون يا خير من يُرَجَّى لم يُطِعِ اللهَ مَنْ عَصاكا
في خير دينٍ وخير دنيا مَن اتَّقى اللهَ واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله ، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع : [من الهزج]

رأيت المُلْك مُذْ آزر تَ قد قامت مَحانيهِ
هو الأوحد في الفضل فما يعرف ثانِيهِ

[تعفف النمري]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني عليّ بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمد بن أرتبيل ، قال : اجتمع عند المأمون قبل خلافته ، وذلك في أيّام الرشيد ، منصورٌ النمريّ والخرَيْمِيُّ والعباس بن زُفر ، وعنده جعفر بن يحيى ، فحضر الغداء ، فأُتِيَ المأمون بلونٍ من الطعام ، فأكل منه فاستطابه ، فأمر به فوُضِع بين يدي جعفر بن يحيى ، فأصاب منه ، ثم أمر به فوضِع بين يديْ العباس فأكل منه ، ثم نحّاه ، فأكل منه بعده الخريمي وغيره ، ولم يأكل منه النَّمَريّ ، وذلك بعين المأمون ، فقال له : لِم لم تأكل ؟ فقال : لئن أكلتُ ما أبقى هؤلاء إنّي لنهمٌ . قال : فهل قلتَ في هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، قلت : [من البسيط]

لَهْفي أتطعِمها قيساً وآكلها إنّي إذاً لدنيءُ النفسِ والخطرِ
ما كان جدّي ولا كان الهمام أبي ليأكلا سؤرَ عباس ولا زُفَرِ[3]
شتانَ من سؤر عباسٍ وفضلتهِ وسؤر كلبٍ مُغطًّى العين بالوبرِ
ما زال يلقَمُ والطّباخُ يلحظُه وقد رأى لُقَما في الحلق كالعُجَرِ

[نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وعمّي ، قالا : حدّثنا الحسن بن عليلٍ العنزيّ ، قال :

1 عفا شعره : طال وكثر .
2 شعر منصور النمري : 113 .
3 السؤر : البقية والفضلة .

أخبرني علقمة بن نصر بن واصلٍ النمريّ ، قال : سمعتُ أشياخنا يقولون : إن منصور بن بُجرة بن منصور بن صليلِ بن أُشَيْمَ بن الحجاز بن قيس بن قطن بن سعد بن سعد بن عامرٍ الضَّحيانِ بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسطٍ ، قال هذه القصيدة : [من البسيط]

ما تنقضي حسرة منّي ولا جزع ... إذا ذكرت شباباً ليس يُرتجعُ
بان الشباب وفاتني بشِرَّتهِ ... صروفُ دهرٍ وأيّام لها خُدَعُ[1]
ما كنت أولَ مسلوبٍ شبيبَته ... مكسوِّ شيبٍ فلا يذهبْ بك الجزعُ

فسمعها منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها ، فاستوهبها منه فوهبها له ، وكان منصور بن بجرة هذا موسراً لا يتصدّى لمدح ولا يفِد إلى أحد ولا ينتجعه بالشعر ، وكان هارون الرشيد قد جرّد السيف في ربيعة ، فوجّه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد ، وكان رجلاً تقتحمه[2] العين جدّاً ، ويزدريه مَن رآه لدمامة خَلَقِه ، فأمر الرشيد لمّا عُرضت عليه بإحضار قائلها . قال منصور : فلمّا وصلت إليه عرّفني الحاجب أنّه لِما عُرضت عليه قرأها واختارها على جميع شِعر الشعراء جميعاً ، وأمره بإدخالي ، فلمّا قرُبت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدراني لدمامة خلقي ، وكان قصيراً أزرق أحمر أعمش نحيفاً . قال : فردَّني ، وأمر بإخراجي فأُخرِجت ، فمرَّ بي ذات يوم يزيد بن مُزيدٍ الشيبانيّ ، فصحت به : يا أبا خالد ، أنا رجلٌ من عشيرتك ، وقد لحقني ضيم ، وعذت بك . فوقف ، فعرّفته خبري ، وسألته : أن يذكرني إذا مرّت به رقعتي ، ويتلطّف في إيصالي ، ففعل ذلك ، فلمّا دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة :

أتسلو وقد بانَ الشبابُ المزايلُ

فقال لي : غداً إن شاء الله آمر برفع السيف عن ربيعة ـ فقلت له يا أمير المؤمنين إن يوم الشر طويل ، فقال : صدقت . وخرج يزيد يركض ، فما جاءت العصر من الغد حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما يليها ، وأنشدته القصيدة ، فلمّا صرت إلى هذا الموضع[3] : [من الطويل]

يُجرِّد فينا السيفَ من بين مارقٍ ... وعانٍ بُجُودٌ كلّهم متحامل[4]

قالوا : فلمّا سمع الجلساء هذا البيت ، قالوا : ذهب الأعرابيّ وافتضح ، فلمّا

1 الشرة : النشاط .
2 تقتحمه العين : تتخطّاه لضعف شأنه .
3 شعر منصور النمري : 113 .
4 العاني : الأسير . بجود : جمع بجد ، الجماعة من الناس .

قلت : [من الطويل]

وقد علم العُدوانُ والجورُ والخنا بأنّك عيّافٌ لهنّ مُزايِلُ[1]
ولو علِموا فينا بأمرك لم يكن يَنال بريّاً بالأذى متناولُ
لنا منكَ أرحام ونعتدُّ طاعةً وبأساً إذا اصطكّ القنا والقنابلُ[2]
وما يَحفظ الأنسابَ مثلَك حافظٌ ولا يصِلُ الأرحامَ مثلَك واصلُ
جعلناك ، فامنعنا ، مَعاذاً ومفزَعاً لنا حين عضتنا الخطوبُ الجلائلُ
وأنت إذا عاذت بوجهك عُوَّذ تَطامنَ خوفٌ واستقرّت بَلابِلُ

فقال الجلساء : أحسَنَ والله الأعرابيُّ يا أمير المؤمنين ! فقال الرشيد : يُرفَع السيف عن ربيعة ويُحسن إليهم .

[النمريّ ينشد الرشيد وعنده الكسائي]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني عليُّ بن الحسن بن عبيدٍ البكريُّ ، قال : أخبرني أبو خالد الطائيّ عن المفضل قال : كنّا عند الرشيد وعنده الكسائيّ ، فدخل إليه منصورٌ النمريّ ، فقال له الرشيد : أنشِدني . فأنشده قوله : [من البسيط]

ما تنقضي حَسرةٌ منّي ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتَجَع

فتحرّك الرشيد ، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

ما كنت أوفي شبابي كُنهَ عِزّته حتى انقضى فإذا الدُّنيا له تَبعُ

فطرب الرشيد ، وقال : أحسنتَ والله ، وصدقتَ ، لا والله لا يتهنّأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب ؛ وأمر له بجائزة سنيّة .

[تهكم الشعراء بالنمريّ لامتناعه عن الشرب]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن طَهمان السلميّ ، قال : حدّثني أحمد بن سنان البيسانيّ ، وأخبرني عمّي قال : أخبرنا ابن أبي سعدٍ ، قال : حدّثنا مسعود بن عيسى ، عن موسى بن عبد الله التميمي : أنّ جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمريّ ، وكانوا على نبيذٍ ، فأبى منصور أن يشرب معهم ؛ فقالوا له : إنّما تعاف الشربَ لأنّك رافضي ، وتسمع وتُصغي إلى الغناء ، وليس تركك النبيذ من ورعٍ . فقال منصور : [من الطويل]

---

1 عياف : شديد الكراهية . مزايل : مفارق .

2 القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الناس والخيل .

صوت[1]

خَلا بـين نَدماني موضعُ مجلِسِي ولم يَبقَ عنـدي للوِصال نصيبُ
وَرُدَّت على الساقي تفيض وربَّما رَددتُ عليه الكاسَ وهـي سليبُ
وأيُّ امرىء لا يستَهِشُّ إذا جرت عليـه بَنـانٌ كفُّهـنّ خضيبُ

الغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيلٍ ، مطلق في مجرى البنصر . ومن الناس من ينسبه إلى مخارق ، هكذا في الخبر .

[قصيدة للعتابيّ يشكو إلى النمري تغيّر حاله]

وقد حدّثني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرِّد ، قال : كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمريّ قوله : [من الطويل]

تَقَضّتْ لُبانـاتٌ ولاح مشيبَ وأشفى على شمسِ النّهار غروبُ
وودَّعت إخوانَ الصِّبا وتصرّمت غَواية قلـبٍ كانَ وهـو طروبُ
[خلا بين ندماني موضع مجلسي ولم يبـق عندي للمزاح نصيبُ]
ورُدّت على الساقـي تفيض وربَّما رددتُ عليه الكأس وهي سليبُ[2]
وممّـا يَهيـج الشّوق لي فيَرُدّه خفيفٌ على أيدي القِيان صَخوبُ
عَطَوْنَ بـهِ حتّى جرى في أديمه أصابيـغ في لَبّاتهـنّ وطيبُ

[جواب النمري]

فأجابه النمري وقال[3] : [من الطويل]

أوحشَة نَدَمانيك تبكـي فربَّمـا تلاقيهما والحِلـم عنـك عَزُوبُ
ترى خَلَفاً مـن كلّ نَيْلٍ وثروةٍ سمـاعَ قيـان عودهـنّ قريبُ
يغنيك يـا بنتي فتستصحب النُّهى وتحتـازك الآفـاتُ حِين أغيبُ
وإنّ امـرءاً أودى السماعُ بلُبِّـه لعُريانُ مـن ثَوب الفلاح سليبُ

[مديحه يزيد بن مزيد]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن

1 شعر منصور النمري : 69 .
2 سليب : فارغة .
3 شعر منصور النمري : 68 .

جشم العبديّ أبو مسعر ، قال : أتى النمريّ يزيد بن مزيد ويزيد يومئذٍ في إضاقة وعسرة ، فقال : اسمع منّي جُعِلت فِداك . فأنشده قصيدةً له ، يقول فيها[1] : [من البسيط]

لو لم يكن لبني شيبانَ من حَسَبٍ سوى يزيدَ لفاتوا الناس في الحسبِ
تأوي المكارم من بكر إلى مَلِكٍ من آل شيبانَ يَحويهنّ من كَثَبِ
أبٌ وعمٌّ وأخوالٌ مناصبُهم في منبت النَّبع لا في منبت الغَرَبِ[2]
إنّ أبا خالد لما جرى وجرت خيلُ الندى أحرزَ الأُولى من القَصَبِ
لما تلغَّبهنَّ الجريُ قدَّمه عِتقٌ مُبينٌ ومحضٌ غير مؤتشَبِ[3]
إنّ الذين اغتزَوا بالحُرّ غرّته كمغتزي الليث في عِرِّيسِهِ الأشبِ[4]
ضرباً دِراكاً وشَدّاتٍ على عَنَقٍ كأنّ إيقاعها النِّيرانُ في الحطبِ[5]
لا تقرَبنّ يزيداً عند صولته لكِنْ إذا ما احتبى للجُود فاقتربِ

فقال يزيد : والله ما أصبح في بيت مالي شيء أعرفه ، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته . فجاءه بمائة دينارٍ وحلفَ أنّه لا يملك يومئذٍ غيرها .

[تحسر منصور على شبابه]

وقد أخبرني عمّي بهذا الخبر ، قال : حدّثني محمد بن علي بن حمزة العلوي ، قال : حدّثني عمّي عن جدي ، قال : قال لي منصور النمريّ : كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام بن عمرٍو التغلبي ، وقد وَخَطني الشيب يومئذٍ ، وعبيد الله شابٌّ حديث السن ، فإذا أنا بقصرية ظريفة قد وقفت ، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت ، وقلت فيها : [من البسيط]

لّما رأيتِ سَوامَ الشيبِ منتشِرا في لِمّتي وعبيدَ الله لم يشبِ
سَللتِ سهمينِ من عينيكِ فانتضلا على سبيبة ذي الأذيال والطربِ[6]
كذا الغواني نرى منهن قاصدة إلى الفروع معرّاة عن الخشبِ

---

1 شعر منصور النمري : 72–74 .
2 الغرَب : نوع من الشجر .
3 تلغبهن : أصابهن اللغوب ، التعب . العتق : الكرم غير مؤتشب : غير مختلط .
4 المغتزي : القاصد . العريس : مأوى الأسد . الأشب : الشجر الملتفّ .
5 دراك : متلاحق . العنق : سير السريع .
6 سبيبة : خصلة من الشعر .

لا أنتِ أصبحت تعتدِّيننا أربــاً ... ولا وعيشِك ما أصبحتِ من أربي
إحدى وخمسين قد أنضيت جدّتها ... تحول بيني وبين اللهــو واللعبِ[1]
لا تَحسِبنِّي وإن أغضيتُ عن بصري ... غفَلتُ عنك ولا عن شأنك العجبِ

ثم عدلت عن ذلك فمدحتُ فيها يزيد بن مزيد فقلت : [من البسيط]

لو لم يكن لبني شيبانَ من حسبٍ ... سوى يزيدَ لفاقوا الناسَ بالحسَبِ
لا تحسب الناسَ قد حابَوْا بني مطرٍ ... إذا أسلِمَ الجودُ فيهم عاقد الطنبِ
الجود أخشَنُ لمساً يا بنــي مطر ... من أن تَبُزَّكُموهُ كــفٌّ مستلِبِ
ما أعرفَ الناسَ أنّ الجُود مَدفَعَةٌ ... للذمِّ لكنّه يأتــي على النشبِ[2]

قال : فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم .

حدّثني عمّي ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله التميميّ الحزنبل ، قال : حدّثني عمرو بن عثمان الموصلي ، قال حدّثني ابن أبي رَوْق الهمدانيّ ، قال : قال لي منصور النمريّ : دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعددتُ له مدحاً ، فوجدته نشيطاً طيّب النفس ، فرمتُ شيئاً فما جاءني ، ونظر إليّ مستنطقاً ، فقلت[3] : [من الوافر]

إذا اعتاصَ المديحُ عليك فامدَحْ ... أميرَ المؤمنــين تَجِـدْ مقالا
وعُــذْ بفِنائــه واجنَـحْ إليه ... تَنَلْ عُرْفــاً ولم تُذْلِلْ سؤالا
فِنــاءٌ لا تــزال بـــه رِكابٌ ... وضَعن مدائحــاً وحَمَلن مالا

فقال : والله لئن قصّرت القول لقد أطلتَ المعنى . وأمر لي بصلةٍ سنيّة .

صوت

[من الطويل]

طربتَ إلى الحيِّ الذين تحمّلوا ... ببُرقةِ أُحــواذ وأنت طروبُ[4]
فبِتُّ أُسقَّاها سُلافــاً مُدامةً ... لهــا في عظامِ الشَّاربين دبيبُ

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي ، والغناء لعلّويه ، رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ ، وفيه لسليم خفيف رملٍ ، مطلقٌ في مجرى الوسطى .

---

1 أنضيت : أخلقت .
2 النشب : المال .
3 شعر منصور النمري : 117 .
4 برقة أحواذ : موضع .

[241] ـ نسب عبد الله بن الحجّاج وأخباره[1]

[نسبه]

هو عبد الله بن الحجّاج بن مِحصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويكنى أبا الأقرع . شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مُضر ذوي البأس والنجدة فيهم ، وكان ممّن خرج مع عمرو بن سعيدٍ على عبد الملك بن مروان ، فلمّا قتل عبد الملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفيّ ثم هرب ، فلحق بعبد الله بن الزُّبير ، فكان معه إلى أن قُتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكّراً ، واحتال عليه حتى أمّنه .

وأخباره تُذكر في ذلك وغيره هاهنا .

أخبرني بخبره في تنقّله من عسكرٍ إلى عسكر ، ثم استئمانه ، جماعةٌ من شيوخنا ، فذكروه متفرّقاً فابتدأتُ بأسانيدهم ، وجمعتُ خبره من روايتهم .

[الصعلوك المسرع إلى الفتن]

فأخبرنا الحِرْميّ ابن أبي العلاء ، قال : حدّثنا الزُّبير بن بكارٍ ، قال : حدّثني اليزيديّ أبو عبد الله محمد بن العباس ببعضه ، قال : حدّثني سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيدٍ الأموي ؛ وأخبرنا محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدّثنا الحسن بن عليلٍ العنزيُّ ، قال : حدّثنا محمد بن معاوية الأسدي ، قال : حدّثنا محمد بن كُناسة ؛ وأخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمد بن أرتَبيل ؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلب ، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبةٌ ، قالوا : كان عبد الله بن الحجّاج الثعلبيّ شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب ، وكان متسرّعاً إلى الفتن ، فكان ممّن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص ، فلمّا ظفر به عبدُ الملك هرب إلى ابن الزُّبير ، فكان معه حتى قُتل ، ثم اندسّ إلى عبد الملك فكُلّم فيه فأمّنه .

[تحايله في الدخول على عبد الملك]

هذه رواية ثعلب ، وقال العنزيُّ وابن أبي سعد في روايتهما : لمّا قُتل عبد الله بن الزُّبير ، وكان عبد الله بن الحجّاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو

1 لعبد الله بن الحجاج الثعلبيّ أبو الأقرع ترجمة في تهذيب ابن عساكر 7 : 348 والمحبر : 213 وأعلام الزركلي . وهو غير عبد الله بن الحجاج بن عبد الله بن كلثوم الباهليّ الأصم الذي هاجى الفرزدق .

يطعم الناس ، فدخل حجرةً ، فقال له : ما لكَ يا هذا لا تأكل ؟ قال : لا أستحِلُّ أن آكل حتى تأذن لي . قال : إنّي فيه أذنتُ للناس جميعاً . قال : لم أعلم فآكل بأمرك . قال : كلْ . فأكل ، وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعاله ، فلمّا أكل الناس وجلس عبدُ الملك في مجلسه ، وجلس خواصُّه بين يديه ، وتفرّق الناس ، جاء عبد الله بن الحجّاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه في الإنشاد فأذِن له ، فأنشده : [من الكامل]

أبلِغْ أميرَ المؤمنين فإنّني ... ممّا لقيتُ مِن الحوادثِ موجَعُ

مُنِعَ القَرارُ فجئتُ نحوك هارباً ... جيشٌ يَجُرُّ ومِقْنَبٌ يتلمّعُ[1]

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أُمَّ لك ، لولا أنّك مُريبٌ ! فقال عبد الله :

إنّ البلادَ علي وهْي عريضةٌ ... وعُرَت مذاهبُها وسُدّ المطلعُ

فقال له عبد الملك : ذلك بما كَسَبَتْ يداك . وما الله بظلاّمٍ للعبيد . فقال عبدالله : [من الكامل]

كنّا تَنَحّلْنا البصائرَ مَرّةً ... وإليك إذ عمي البصائرُ نرجعُ

إنّ الذي يَعْصِيك منّا بعدها ... مِن دينه وحياته متودِّعُ

آتي رِضاك ولا أعودُ لمثلها ... وأطيعُ أمرَك ما أمرتَ وأسمعُ

أعطي نصيحتي الخليفة ناخِعاً ... وخزامةَ الأنف المقودِ فأتبعُ[2]

فقال له عبد الملك : هذا لا نقبلُه منك إلاّ بعد المعرفة بك وبذنبك ، فإذا عُرِفَت الحَوبة قبلنا التوبة . فقال عبد الله :

ولقد وطئتَ بني سعيد وطأةً ... وابنَ الزُّبير فعرشه متضَعْضِعُ

فقال عبد الملك : لله الحمد والمِنّة على ذلك . فقال عبد الله : [من الكامل]

ما زلتَ تضربُ مَنكباً عن منكبٍ ... تعلو ويسفل غيركم ما يُرفعُ

ووَطِئتم في الحرب حتى أصبحوا ... حدثاً يكُوس وغابراً يتجعجعُ[3]

فحوى خلافَتَهم ولم يظلم بها ... القرمُ قرمُ بني قصيٍّ الأنزعُ[4]

---

1 المقنب : فرقة من الخيل ما بين ثلاثين إلى أربعين أو ثلاثمائة .

2 ناخعاً : مخلصاً . الخزامة : حلقة توضع في أنف البعير .

3 يكوس : من كاس البعير إذا مشى على ثلاث بعدما ضرب عرقوبه . يتجعجع : يضرب بنفسه الأرض من الوجع .

4 الأنزع : الذي انحسر شعر رأسه من أعلى الجبين .

لا يستوي خـاوي نجـوم أُفَّلٍ والبـدرُ منبلجـاً إذا مـا يطلعُ[1]
وُضعَتْ أميّـةُ واسطـين لقومهم ووُضِعتَ وسطَهُم فنعـم الموضعُ
بيتٌ أبـو العاصي بنـاه بربـوةٍ عالي المشارف عـزُّه مـا يُدفعُ

فقال له عبد الملك : إنّ توريتك عن نفسك لتُريني ، فأيُّ الفسقة أنت ؟ وماذا تريد ؟ فقال : [من الكامل]

حَرَبَـتْ أُصَيْبِيَتي يـدٌ أرسلتها وإليك بعد مَعادِهـا ما ترجعُ
وأرى الذي يرجـو تُـراثَ محمدٍ أَفَلَتْ نجومهـم ونجمُك يسطعُ

فقال عبد الملك : ذلك جزاءُ أعداء الله . فقال عبد الله بن الحجّاج : [من الكامل]

فـانعش أُصَيْبِيَتـي الأُلاء كأنّهم حَجَـلٌ تـدرَّجُ بالشربّـة جُوَّعُ

فقال عبد الملك : لا أنعَشَهُمُ اللهُ ، وأجاع أكبادهم ، ولا أبقى وليداً من نسلهم ، فإنّهم نسلُ كافرٍ فاجرٍ لا يبالي ما صنع . فقال عبد الله : [من الكامل]

مـالٌ لهـم ممّـا يُضَنُّ جمعتُـه يـومَ القليب فَحيزَ عنهـم أجمعُ

فقال له عبد الملك : لعلّك أخذتَه من غير حِلّه ، وأنفقته في غير حقّه ، وأرصدت به لُمشاقة[2] أولياء الله ، وأعددته لمعاونة أعدائه ، فنزعه منك إذ استظهرتَ به على معصية الله . فقال عبد الله : [من الكامل]

أدنـو لِتَرْحَمَنـي وتجبرَ فاقتـي فـأراك تدفعُنـي فأيـن المدفعُ

فتبسم عبد الملك ، وقال له : إلى النار ، فمَن أنت الآن ؟ قال : أنا عبدُ الله بنُ الحجاج التغلبيّ ، وقد وطئتُ دارَكَ وأكلتُ طعامك ، وأنشدتك ، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه ، وأنتَ بما عليك في هذا عارف . ثم عاد إلى إنشاده ، فقال : [من الكامل]

ضاقت ثيـابُ المُلبسين وفضلُهم عنّـي فألبِسْنـي فثوبُـك أوسعُ

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لبستَ ! فالتحف به ، ثم قال له عبد الملك : أَوْلى لك والله ، لقد طاولتُك طمعاً في أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك ، فأبى الله ذلك ، فلا تجاورني في بلدٍ ، وانصرف آمناً ، قُم حيث شئت .

قال اليزيدي في خبره : قال عبد الله بن الحجّاج : ما زلتُ أتعرّف منه كلّ ما أكره حتى

1 الخاوي من النجوم : الذي لا مطر معه .
2 المشاقة : المعاداة والمحاربة .

أنشدته قولي : [من الكامل]

ضاقت ثيابُ الملبِسين وفضلُهم عنّي فألبِسني فثوبُـك أوسعُ

فرمى عبد الملك مُطرفه ، وقال : البسه ، فلبستُه .

ثم قال : آكل يا أمير المؤمنين ؟ قال : كل . فأكل حتى شبع ، ثم قال : أمِنتُ وربِّ الكعبة ؟ فقال : كن من شئتَ إلاّ عبد الله بن الحجّاج . قال : فأنا والله هو ، وقد أكلتُ طعامك ، ولبست ثيابك ، فأيُّ خوفٍ عليَّ بعد ذلك ، فأمضى له الأمان .

[لجأ إلى أحيح بن خالد ثم هجاه]

ونسخت من كتاب أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ ، قال : كان عبد الله بن الحجّاج قد خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفيّ الشاري ، فلمّا انقضى أمرُهُ هرب ، وضاقت عليه الأرض من شدّة الطلب ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رأيت بـلادَ اللهِ وهْيَ عريضةٌ على الخائفِ المطرودِ كِفّةَ حابِلِ[1]

تـؤدِّي إليـه أن كلّ ثَنيَّـة تيمَّمَهـا ترمـي إليـه بقاتلِ

قال : ثم لجأ إلى أُحَيْح بنِ خالد بن عُقبة بن أبي مُعيطٍ ، فسعى به إلى الوليد بن عبد الملك ، فبعث إليه بالشُّرَط ، فأُخِذ من دار أحيح ، فأُتِي به الوليد فحبسه ، فقال وهو في الحبس : [من الوافر]

أقـول وذاك فرطُ الشوقِ منّي لعينـي إذ نأت ظمياءُ فِيضي[2]

فمـا للقلـب صبرٌ يوم بانت ومـا للدمع يُسفَح مـن مَغيضِ

كـأن مُعَتَّقـاً مـن أذرِعات بمـاء سحابة خَصِرٍ فضيضِ[3]

بِفيهـا ، إذ تخافِتُنـي حياءً بسرٍّ لا تبـوح بـه خفيضِ

يقول فيها :

فـإن يُعْرِضْ أبو العبّاسِ عنّـي ويركبْ بي عَروضاً عن عَروضِ

ويجعـلْ عُرْفَـه يومـاً لِغيري ويُبْغضني فإنّـي مِـن بغِيضِ

فإنّي ذو غِنًـى وكريـمُ قومٍ وفي الأكفاء ذو وجهٍ عريضِ

---

1 كفة حابل : مصيدة صائد .

2 ظمياء هنا : اسم امرأة .

3 معتق : صفة الشراب . أذرعات : بلدة بالشام مشهورة بالخمر . فضيض : متفرق .

غلبتَ بني أبي العاصي سَماحاً ... وفي الحرب المذكَّرة العضوضِ[1]
خرجتَ عليهمُ في كلّ يومٍ ... خروجَ القِدْح من كفٍّ المُفيضِ[2]
فِدًى لك مَنْ إذا ما جئتُ يوما ... تلقّاني بجامعة رَبوضِ[3]
على جنب الخُوان وذاك لؤمٌ ... وبئست تُحفَةَ الشيخ المريضِ
كأنّي إذْ فزِعتُ إلى أُحَيْحٍ ... فزعتُ إلى مُقَوْقِيةٍ بَيُوضِ
إوزةِ غَيضةٍ لقِحت كِشافاً ... لِقُحْقُحِها إذا درجت نقيضُ[4]

قال : فدخل أحيحٌ على الوليد بن عبد الملك ، فقال يا أمير المؤمنين : إنّ عبد الله بن الحجّاج قد هجاك . قال : بماذا ؟ فأنشده قوله : [من الوافر]

فإن يُعرِضْ أبو العباس عنّي ... ويركبْ بي عَروضاً عن عروضِ
ويجعلْ عُرْفَه يوماً لغيري ... ويُبْغضْني فإنّي من بغيضِ

فقال الوليد : وأيُّ هجاءٍ هذا ؟ هو من بغيض إن أعرضتُ عنه ، أو أقبلت عليه ، أو أبغضته ، ثم ماذا ؟ فأنشده :

كأنّي إذ فزعتُ إلى أُحيحٍ ... فَزِعت إلى مُقوقيةٍ بيوضِ

فضحك الوليد ، ثم قال : ما أراهُ هجا غيرك . فلمّا خرج من عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجّاج ، فأُطلِق . وكان الوليد إذا رأى أحيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه .

[هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين]

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة . وحدّثني يعقوب بن القاسم الطلحي ، قال : حدّثني غير واحد ، منهم عبد الرحمن بن محمد الطَّلحي ، قال : حدّثني أحمد بن معاوية ، قال : سمعت أبا علقمة الثقفيَّ يحدث . قال أبو زيدٍ[5] : وفي حديث بعضِهم ما ليس في حديث الآخر ، وقد ألّفتُ ذلك ، قال : كان كَثِيرُ بن شهاب بن الحصين بن ذي الغُصّة بن يزيد بن شدّاد بن قَنان بن سلمة بن

---

1 المذكرة العضوض : الشديدة .
2 المفيض : الضارب بقداح الميسر .
3 الجامعة : الغل . والربوض : الثقيلة .
4 الكشاف : أن تلقح حين تبيض . القحقح : العظم المحيط بالدبر . نقيض : صوت . وفي البيت إقواء .
5 أبو زيد : عمر بن شبة .

وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب ، على ثغر الرَّيّ ، ولاّه إيّاه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة ، وكان عبدُ الله بنُ الحجّاج معه ، فأغار الناس على الدّيلم ، فأصاب عبدُ الله بن الحجّاج رجلاً منهم ، فأخذ سَلَبَهُ ، فانتزعه منه كَثِير ، وأمر بضربه ، فضُرب مائة سوطٍ ، وحُبس ، فقال عبد الله في ذلك ، وهو محبوس : [من الطويل]

تسائِلُ سلمى عن أبيها صِحابَه وقد علِقَتْه من كَثيرٍ حبائلُ
فلا تسألي عنّي الرفاقَ فإنّه بأبهَرَ لا غازٍ ولا هو قافِلُ[1]
ألستُ ضربت الدَّيلميَّ أمامَهم فجدَّلْتُه فيه سِنانٌ وعاملُ[2]

فمكث في الحبس مدّةً ، ثم أُخلِيَ سبيلُه ، فقال : [من الطويل]

سأترك ثغر الريّ ما كنت واليا عليهِ لأمرٍ غالني وشجاني
فإن أنا لم أُدْرِك بثأري وأَتَّئِرْ فلا تدعني للصِّيدِ من غطفانِ
تمنّيتَني يا ابنَ الحصينِ سَفاهةً وما لك بي يا ابن الحصينِ يدانِ
فإنّي زعيمٌ أنْ أُجَلِّلَ عاجلاً بسيفي كِفاحاً هامةَ ابنِ قَنانِ

[انتقامه من كثير]

قال : فلمّا عُزِل كثيرٌ وقدم الكوفة كَمِنَ له عبد الله بن الحجّاج في سوق التَّمّارين ، وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وكان كَثير يخرج من منزله إلى القصر يحدِّث المغيرة ، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدِّثه فأطال ، وخرج من عنده مُمْسِياً يريد داره ، فضربه عبد الله بعمود حديدٍ على وجهه فهتّم مقاديم أسنانه كلَّها ، وقال في ذلك : [من الطويل]

مَنْ مُبْلِغٌ قَيْساً وخندفَ أنّني ضربتُ كثيراً مضرِبَ الظَّرِبانِ[3]
فأقسِمُ لا تَنْفَكُّ ضربةُ وجهِه تُذِل وتُخزِي الدَّهرَ كلَّ يَمانِ
فإن تَلقني تلقَ امرءاً قد لقيته سريعاً إلى الهيجاء غير جبانِ
وتلقَ امرءاً لم تلق أمُّك بِرَّه على سابحٍ غَوْجِ اللَّبانِ حِصانِ[4]

---

1 أبهر : بلدة في فارس .

2 جدّله : صرعه . العامل : صدر الرمح .

3 الظربان : حيوان صغير كريه الرائحة . وقوله «مضرب الظربان» يعني أنه ضربه في وجهه فخطّه مثلما للظربان خط (اللسان) .

4 غوج البنان : واسع الصدر .

وحوليَ من قيسٍ وخندِفَ عصبةٌ كـرامٌ عـلى البأساء والحدثانِ
وإن تك للسِّنْخِ الذي غَصَّ بالحصى فإنّي لِقَـرمٍ يـا كثيرُ هِجانِ[1]
أنا ابن بنـي قيس عليّ تعطفت بغيضُ بن ريثٍ بعـدَ آل دجانِ

وقال في ذلك أيضاً عبد الله بن الحجّاج : [من الكامل]

مـن مبلغ قيساً وخنـدف أنّني أدركت مَظلِمَتي من ابن شهابِ
أدركتُـه أجـري على مَحبُـوكةٍ سُرُح الجِـراء طويلةِ الأقرابِ[2]
جـرداءَ سُرحـوبٍ كأنّ هُويَّهـا تعلُـو بجُؤْجُئِها هُـوِيُّ عُقابِ[3]
خُضتُ الظلام وقد بدت لي عورةٌ منـه فأضربـه عـلى الأنيـابِ
فتركتُـه يكبـو لِفيـهِ وأنفِـهِ ذَهِـلَ الجَنان مضرَّجَ الأثوابِ
هـلا خشيتَ وأنت عـادٍ ظالمٌ بقصور أَبْهَـرَ نُصرتـي وعقابي
إذ تستحِلُّ ، وكان ذاك مُحَرَّمـاً جَلـدي وتَنزعُ ظالمـا أثوابي
مـا ضرّه والحُـرُّ يطلـب وتره بـأشمَّ لا رعشٍ ولا قبقـابِ[4]

[انتصار معاوية لعبد الله بن الحجّاج]

قال : فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية : إن سيّدنا ضربه خسيسٌ من غطفان ، فإن رأيتَ أن تُقِيدنا من أسماء بن خارجة . فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال : ما رأيتُ كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء . وحبس عبد الله بن الحجّاج ، وكتب إليهم : «إنّ القودَ ممن لم يجنِ محظورٌ ، والجاني محبوسٌ ، حبسته فليقتصَّ منه المجنيُّ عليه» . فقال كثير بن شهابٍ : لا أستقيدها إلاّ من سيد مضر . فبلغ قوله معاوية فغضب وقال : أنا سيّد مضر فليستقدْها منّي ، وأمَّن عبد الله بن الحجّاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابن شهاب ، فلم يقتصّ ولا أخذ له عقلاً .

[عفو كثير عن عبد الله بن الحجاج]

قال أبو زيد : وقال خـلاّدٌ الأرقط في حديثه : إن عبد الله بن الحجاج لمّا ضربه بالعمود ، قال له : أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالريّ ، وقد قابلتُك بما فعلتَ بي ،

---

1 السنخ : الأصل . القرم : السيد الشجاع . الهجان : الرجل الحسيب .
2 محبوكة : فرس قوية . سرح الجراء : سريعة في جريها . الأقراب : جمع قرب ، الخاصرة .
3 السرحوب : الفرس الطويلة . هوي عقاب : في سرعة العقاب في انقضاضه .
4 الرعش : المضطرب . القبقاب : الكذاب أو المهذار ، وفي ل : هياب .

ولم أكن لأكتمك نفسي ، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقودٍ لأقتلنّك . فقال له : أنا أقتصُّ من مثلك ! والله لا أرضى بالقِصاص إلاّ من أسماء بن خارجة ؛ وتكلمت اليمانية وتحارب الناس بالكوفة ، فكتب معاوية إلى المغيرة : أن أحضِر كثيراً وعبد الله بن الحجاج فلا يبرحان من مجلسك حتى يقتصّ كثير أو يعفو . فأحضرهما المغيرة ، فقال : قد عفوت ؟ وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله . قال : وقال لي : يا أبا الأقيرع ، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان ، وقد عفوتُ عنك .

[حراث ينبش قبر جندب بن عبد الله بن الحجاج]

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي ، قال : كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما : عُوَين ، والثاني جُندَب ، فمات جندب وعبدُ الله حيٌّ فدفنه بظهر الكوفة ، فمرّ أخوه عوير بحرّاثٍ إلى جانب قبر جندب ، فنهاه أن يقربه بفدّانه ، وحذّره ذلك ، فلمّا كان الغد وجده قد حرث جانبه ، وقد نبشه وأضرَّ به ، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه . وقال : [من الطويل]

أقــول لحرّاثـي حريمـي جنّبا فَدانَيْكما لا تُحرثا قبر جندبِ
فإنّكمـــا إن تحرثـــاه تُشَرّدا ويذهبْ فَدانٌ منكما كلَّ مذهبِ

[عبد الله بن الحجاج يستوهب جرم ابنه]

قال : فأخذ عوين ، فاعتقله السجّان ، فضربه حتى شغله بنفسه ، ثم هرب ، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه ، وأمر بألاّ يتعقَّب ، فقال عبد الله بن الحجاج ، يذكر ما كان من ابنه عوين : [من الوافر]

لَمثلُكَ يـا عوينُ فدتك نفسي نجا مــن كُرْبَــةٍ إن كان ناجي
عَرَفتك من مُصاصِ السِّنْخِ لما تركت ابن العُكامِسِ في العجاجِ

[يستعطف عبد الملك]

قال : ولمّا وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مَثَل بين يديه ، فأنشده : [من الرجز]

يا ابن أبي العاصي ويا خير فَتى أنت النجيبُ والخِيـارُ المصطفى
أنت الذي لم تـدَعِ الأمرَ سُدى حـين كشفتَ الظّلماتِ بالهدى
مـا زلتَ إن نازٍ على الأمر انتزى قَضَيتـــه إن القضاء قــد مضى
كما أذقتَ ابـن سعيـدٍ إذ عصى وابــنَ الزُّبير إذ تسمَّـى وطغى

وأنتَ إن عُـدَّ قديـم وبِنـى … من عبد شمس في الشَّماريخ العُلى
جِيبت قريشٌ عنكمُ جَوبَ الرَّحى … هل أنت عافٍ عن طريد قد غوى[1]
أهْـوى على مَهـواةِ بئرٍ فهَوى … رَمـى بـه جُولٌ إلى جُول الرجا[2]
فتجبرَ اليومَ بـه شيخـاً ذَوى … يعوِي مع الذئب إذا الذئبُ عوى
وإن أراد النـومَ لم يَقضِ الكرى … من هَولِ مـا لاقى وأهوال الردى
يشكرُ ذاك مـا نفَت عينٌ قذى … نفسي وآبائـي لـك اليـوم الفِدا

فأمر عبد الملك بتحمُّل ما يلزم ابنه من غُرم وعَقل ، وأمّنه .

[عند عبد العزيز بن مروان]

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابيّ ، قال : وفد عبد الله بن الحجّاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه ، فأجزل صلته ، وأمره بأن يقيم عنده ففعل ، فلمّا طال مقامُه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله ، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له ، فخرج من عنده غاضباً ، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشرٍ أن يمنعه عطاءَه ، فمنعه ، ورجع عبدُ الله لما أضرَّ به ذلك إلى عبد العزيز ، وقال يمدحه : [من الطويل]

تركـت ابن ليلى ضَلَّـةً وحَرِيمَه … وعند ابـنِ ليـلى معقِـل ومُعَوَّلُ
ألم يَهـدِني أنَّ المُراغَـم واسعٌ … وأنّ الديـار بالمقيـمِ تَنَقَّـلُ[3]
سأحكم أمري إن بدا لي رشدُه … وأختار أهلَ الخيرِ إن كنتُ أعقلُ
وأترك أوطاري وألحـقُ بامرىء … تَحَلَّبُ كفاه النَّدى حـين يسألُ
أبت لك يـا عبدَ العزيزِ مآثرٌ … وجَريٌ شأى جـرْيَ الجياد وأوّلُ
أبى لك إذْ أكدَوْا وقلَّ عطاؤُهم … مواهـبُ فَيّـاض ومجـدٌ مؤثّلُ
أبوك الذي يَنْميك مـروانُ للعلى … وسعدُ الفتى بالخال لا من يُخوَّلُ

فقال له عبد العزيز : أمّا إذْ عرفت موضع خطئك ، واعترفتَ به فقد صفحتُ عنك . وأمر بإطلاق عطائه ، ووَصَلَه ، وقال له : أقِم ما شئت عندنا ، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت .

1 جوى الرحى : أي خرقت كالرحى ، فهم قطبها وغيرهم يدور حولها .
2 الجول : جدار البئر . والرجا : ناحية البئر .
3 المراغم : المهرب .

[ظلمه عمر بن هبيرة فاستعان بقومه]

ونسخت من كتابه أيضاً : كان عمر بن هبيرة بن معيَّة بن سكين قد ظلم عبد الله بن الحجّاج حقّاً له ، واستعان عليه بقومه ، فلَقُوه في بعلبك ، فعاونوا عبد الله بن الحجّاج عليه ، وفرّقوه[1] بالسياط حتى انتزعوا حقَّه منه ، فقال عبد الله في ذلك : [من الوافر]

ألا أبلِغْ بنـي سعـدٍ رسولاً ودونهـم بُسَيْطـةُ فالمعاطُ[2]
أميطُوا عنكم ضرطَ ابن ضرطٍ فـإنّ الخبثَ مِثلهـم يُماطُ
ولي حـقٌّ فَراطـةُ أوّلينـا قديمـا والحقوق لهـا افتراطُ[3]
فمـا زالت مباسطتي ومَجدي ومـا زال التهايـطُ والمِياطُ[4]
وجدّي بالسياط عليك حتى تُرِكـتَ وفي ذُنابـكَ انبساطُ
متى مـا تعترِضْ يوماً لحقّي تلاقِـك دونَـه سُعْر سباطُ[5]
مـن الحيَّينِ ثعلبةَ بن سعـدٍ ومرّةَ أخـذُ جمعِهم اعتباطُ[6]
تراهم في البيوت وهُم كسالى وفي الهيجـا إذا هِيجوا نِشاطُ

والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجّاج أوّلها : [من الطويل]

نَـأَتْـكَ ولم تَخشَ الفِراقَ جَنوبُ وشطَّت نَوًى بالظاعنين شَعوبُ[7]
طربتَ إلى الحـيِّ الذيـن تحمَّلوا بِبُرقَـةِ أحوازٍ وأنـتَ طـروبُ
فظَلْـتُ كأنـّي ساورتنـي مُدامـةٌ تمنّـى بهـا شَكْسُ الطِّباعِ أريبُ
تُمِرُّ وتستحلي عـلى ذاك شَرْبُها لوجـه أخيهـا في الإناء قُطوبُ
كميت إذا صبت وفي الكأس وردة لهـا في عظـام الشاربـين دبيبُ
تذكرت ذكرى من جنوبَ مصيبة وما لك من ذكرى جنوب نصيبُ
وأنّى ترجّي الوصلَ منها وقد نأت وتَبخـلُ بالموجـودِ وَهْـيَ قريبُ
فما فوقَ وجدي إذ نأتْ وَجْدُ واجدٍ من الناس لـو كانت بذاك تثيبُ

1 في ل : وقنّعوه .
2 البسيطة ومعاط : موضعان .
3 الفراطة : السابقة . افتراط : يخاف فوتها .
4 التهابط والمياط : الدنو والتباعد .
5 سعر في ل : سمر . والسعر : القليلة اللحم . سباط : طوال .
6 الاعتباط : القاء الرجل نفسه في الحرب غير مكره .
7 شعوب : مفرقة .

بَرهرهـــةٌ خَـــود كأنَّ ثيابهـــا على الشَّمس تبـدو تارةً وتغيبُ[1]

وهي قصيدةٌ طويلة .

[الحجاج يطلب إيفاد عبد الله بن الحجاج إليه لقتله]

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابيّ ، قال : كتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان يُعرِّفُه آثار عبد الله بن الحجّاج ، وبلاءه من محاربته ، وأنّه بلغه أنّه أمَّنه ، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولَّى قتله ، وبلغ ذلك عبد الله بن الحجّاج ، فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك ، ثم أنشده : [من الطويل]

أعـــوذُ بثوبَيْك اللذَيْـــنِ ارتداهما كريمُ الثّنا مِن جَيبه المسكُ ينفحُ

فإن كنتُ مأكولاً فكن أنتَ آكلي وإن كنتُ مذبوحاً فكن أنتَ تذبحُ

فقال عبد الملك : ما صنعْتَ شيئاً . فقال عبدُ الله : [من الطويل]

لأنـــتَ وخيرُ الظّافريـــن كرامُهمْ عن المذنب الخاشي العقابَ صَفُوحُ

ولو زَلَقَتْ مـــن قبلِ عفوك نعلُه ترامى بـــه دَحْض المَقـام بريحُ[2]

نمى بك إن خانت رجالاً عُرُوقهم أُرُومٌ ودِيـــنٌ لم يَخُنْكَ صحيحُ

وَعَرْفٌ سَرى لم يَسرِ في الناس مثلُه وشأوٌ على شأو الرجـال مَتوحُ[3]

تدارَكَني عفُـــو ابن مروانَ بعدما جَرى لي مـــن بعـد الحياة سنيحُ

رفعـــتُ مريحـــاً ناظريَّ ولم أكد من الهمِّ والكرب الشديـــد أريحُ

[عبد الملك يمنع الحجّاج من التعرّض له]

فكتب عبد الملك إلى الحجّاج : إنّي قد عرفت من خُبثِ عبد الله وفسقه ما لا يزيدني عِلماً به ، إلاّ أنّه اغتفلني متنكِّراً ، فدخل دارِي ، وتحرّم بطعامي ، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي ، وأعاذني فأعذته ، وفي دون هذا ما حَظَر عليَّ دَمَه ، وعبد الله أقلُّ وأذلُّ من أن يُوقِعَ أمراً ، أو ينكث عهداً في قتله خوفاً من شرّه ، فإنْ شَكَرَ النعمة واقام على الطاعة فلا سبيلَ عليه ، وإن كفر ما أُوتِي[4] وشاقَّ اللهَ ورسوله وأولياءه فالله قاتِلُه بسيف البغي الذي قتل به نظراؤهُ ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمة منه ، من الملحدين ، فلا تعرِضْ له ولا لأحدٍ من أهل بيتِه إلاّ بخيرٍ ، والسلام .

---

1 برهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة . الخود : الحسنة الشابة .

2 الدحض : الزلق . البريح : المتعب .

3 الشأو : السبق والغاية . متوح : بعيد .

4 ل : أُولي .

[الوليد يأمر عبد الله بمنازلة رجل في بركة ماء]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرٍو بن أبي عمرٍو الشيبانيّ ، قال : كانت في القريتين بركةٌ من ماء ، وكان بها رجل من كلبٍ يقال له دَعْكنة ، لا يدخل البركة معه أحدٌ إلاّ غطّه حتى يغلبه ، فغطّ يوماً فيها رجلاً من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هارباً ، فقال ابن هبيرة وهو جالس عليها يومئذٍ : اللهم اصببْ علينا أبا الأقيرع عبد الله بن الحجّاج . فكان أوّل رجلٍ انحدرت به راحلته ، فأناخها ونزل . فقال ابن هبيرة للوليد : هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين ، أيّهما أخزى الله صاحبه به . فأمره الوليد أن ينحطّ عليه في البركة والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرّضٌ للناس وقد صدّوا عنه . فقال له : يا أمير المؤمنين إنّي أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلاّ بقتله ، أو أقتله فلا يرضى قومه إلاّ بمثل ذلك ، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولستُ بصاحب مال . فقال دعكنة : يا أمير المؤمنين هو في حِلّ وأنا في حلّ . فقال له الوليد : دونك . فتكأكأ[1] ساعةً كالكارِه حتى عزم عليه الوليد ، فدخل البركة ، فاعتنق الكلبيَّ وهوى به إلى قعرها ، ولزمه حتى وجد الموت ، ثم خَلّى عنه ، فلمّا علا غطّه غطّةً ثانية ، وقام عليه ثم أطلقه حتى تَرَوَّح ، ثم أعاده وأمسكه حتى مات ، وخرج ابنُ الحجّاج وبقي الكلبيُّ ، فغضب الوليد وهمَّ به ، فكلّمه يزيد وقال : أنت أكرهته ، أفكان يُمكِّنُ الكلبيَّ من نفسه حتى يقتله ؟ فكفّ عنه . فقال عبد الله بن الحجّاج في ذلك : [من البسيط]

نجّاني اللهُ فرداً لا شريك له ... بالقريتين ونفسٌ صُلبةُ العودِ
وذِمَّة مِن يزيدٍ حالَ جانِبُها ... دوني فأنجيتُ عفواً غيرَ مجهودِ
لولا الإلهُ وصبري في مغاطستي ... كان السليمَ وكنت الهالكَ المودي

صوت

[من البسيط]

يا حَبَّذا عملُ الشيطان من عمل ... إنْ كان من عمل الشيطان حُبِّيها
لَنظرةٌ من سليمى اليومَ واحدةٌ ... أشهى إليَّ من الدُّنيا وما فيها

الشعر لناهض بن ثُومة الكلابيّ ، أنشدنيه هاشم بن محمدٍ الخزاعيُّ ، قال : أنشدنا الرياشيُّ قال : أنشدنا ناهضُ بن ثومة أبو العطاف الكلابيُّ هذين البيتين لنفسه . وأخبرني بمثل ذلك عمّي عن الكُرانيِّ عن الرياشي . والغناءُ لأبي العَنْبَس ابن حمدون ثقيلٌ أوّل يُنشد بالوسطى .

---

1 تكأكأ : تراجع وجبن .

[242] ـ أخبار ناهض بن ثومة ونسبه[1]

[نسبه]

هو ناهض بن ثومة بن نصيحِ بن نَهِيكِ بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أُنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر بدويٌّ فارس فصيح ، من الشعراء في الدولة العبّاسية ، وكان يقدم البصرة فيُكتَبُ عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة . روى عنه الرياشي ، وأبو سراقة ، ودَماذ وغيرهم من رواة البصرة . وكان يهجوه[2] رجلٌ من بني الحارث بن كعبٍ ، يقال له : نافع بن أشعر الحارثيُّ ، فأبرَّ عليه ناهض . فممّا قاله في جواب قصيدةٍ هجا بها قبائل قيسٍ ، قصيدة ناهضٍ التي أوّلها : [من الطويل]

ألا يــا أسلما يــا أيُّها الطللانِ ... وهــلْ سالمٌ بــاقٍ عــلى الحدَثانِ
أبينا لنــا ، حُيِّيتُما اليــومَ ، إنّنا ... مبينان عــن مَيْــلٍ بمــا تَسَلانِ
متى العهدُ مِنْ سلمى التي بتّت القُوى ... وأسمــاءَ إن العهــد منــذ زمانِ
ولا زال ينهــلُّ الغمــامُ عليكما ... سبيلَ الرّبى مــن وابلٍ ودِجانِ
فــإن أنتمــا بيّنتمــا أو أجبتما ... فــلا زلتمــا بالنبتِ ترتديانِ
وجُــرَّ الحريــرُ والفِرندُ عليكما ... بأذيالِ رَخْصاتِ الأكُفِّ هِجانِ[3]
نظرت ودوني قِيــدُ رمحين نظرةً ... بعينــين إنساناهمــا غِرقــانِ
إلى ظُعُــنٍ بالعاقِرَيــن كأنّها ... قرائنُ مــن دوحِ الكثيبِ ثمانِ[4]
لسلمى وأسمــاءَ اللتــين أكَنّتــا ... بقلبي كنينَــيْ لوعــةٍ وضمانِ[5]
عسى يُعقِبُ الهجرُ الطويل تدانياً ... ويــا ربَّ هجــرٍ معقب بتداني
خليليَّ قــد أكثرتما اللومَ فاربَعا ... كَفانيَ ما بي لــو تُركتُ كفاني[6]

---

1 لناهض بن تومة ترجمة في أعلام الزركلي ، وانظر كتاب الحيوان 7 : 112 وتاج العروس 5 : 96 .

2 ل : يهاجيه .

3 الفرند : ضرب من الثياب . الهجان : البيض أو النساء الكريمات الحسب .

4 العاقران : أرضان في وادي العقيق . قرائن : متماثلات .

5 كنيني : مثنى كنين ، أي مكنون .

6 اربعا : أمسكا .

إذا لم تصلْ سَلمى وأسماءُ في الصِّبا ... بحبليهمـا حَبْـــلي فمـن تصلانِ
فدع ذا ولكن قد عجبتُ لنافع ... ومَعواه مـن نَجرانَ حيث عواني
عوى أسداً لا يزدهيـــه عـواؤه ... مقيمـاً بِلوذيْ يَذْبُـــلٍ وذقانِ[1]
لعمري لقـد قال ابنُ أشعَرَ نافعٌ ... مقالـةَ موطــوء الحريـــم مهانِ[2]
أيزعـــم أنّ العامـــريّ لفعلـه ... بِعاقِبَــةٍ يُرمــى بــه الرجوانِ[3]
ويذكـــر إن لاقـــاه زلّـةَ نعلِهِ ... فجـــيءُ الـذي لم يستبن ببيانِ
كذبـت ولكِن بابن علبة جعفرٍ ... فدَع مـــا تمنّى زلّـتِ القدمانِ
أُصيب فلم يُعقَل وطُلّ فلم يُقَد ... فذاك الذي يَخزى بــه الأبوانِ[4]
وحُقَّ لَمــن كان ابنُ أشعر ثائراً ... بــه الطّــلُّ حَتّى يحشر الثَّقلانِ
ذليلٌ ذليلُ الرهط أعمـى يسومُه ... بنـو عامـــر ضَيْماً بكل مكانِ
فلم يبـق إلاّ قولـــه بلسانـــه ... ومـــا ضَرَّ قـــولٌ كاذبٌ بلسانِ
هجـــا نافعٌ كعبـاً ليدرك وِتره ... ولم يهـــجُ كعـــبٌ نافعاً لأوانِ
ولم تعفُ من آثار كعبٍ بوجهه ... قـــوارعُ منهـــا وُضَّحٌ وقوانِ[5]
وقد خضَّبوا وجهَ ابن علبةَ جعفرٍ ... خضابَ نجيـع لا خضابَ دهانِ
فلـم يهج كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ ... بسيـــف ولم يطعنْهـــمُ بِسِنانِ
فما لك مَهْجًى يا ابن أشعر فاكتعِم ... على حجـــر واصبر لكـلّ هوانِ
إذا المـــرء لم ينهض فيثأرْ بعمِّه ... فليس يُجَلّــى العـــارُ بـالهذيانِ
أبي قيسُ عيـلانٍ وعمِّيَ خندفٌ ... ذَوا البذخِ عند الفخر والخطرانِ
إذا مـــا تجمَّعْنا وسارت حِذاءنا ... ربيعـــة لم يُعـــدل بنـــا أخوانِ
أليس نبـــيُّ الله منّـــا محمـــد ... وحمـــزةُ والعبـــاسُ والعمرانِ

1 اللوذ : الجانب . يذبل وذقان : جبلان .

2 نافع في ل : أضرع . وكذلك حيثما وردت في القصيدة .

3 المثل : حتى متى يرمى بي الرجوان : (الميداني 1 : 213) ويضرب في الجفوة والاقصاء . والرجوان : جانبا البئر .

4 لم يعقل : لم تؤد ديته . طل : هدر دمه . لم يقد : لم يقتل قاتله به .

5 القوارع : الإصابات . الوضح : جمع واضحة ، وهي الشجة التي تكشف العظم . القواني : جمع قانية ، شديدة الحمرة .

ومنّا ابنُ عباسٍ ومنّــا ابن عمِّه — عــليٌّ إمــامُ الحــقّ والحسنانِ
وعثمان والصِّدِّيــقُ منّــا وإنّنــا — لنعلــم أن الحــقَّ مــا يَعــدانِ
ومنــا بنو العباس فضلا فمن لكم — هَلُمُّـــوه أو لا ينطِقَـــنَّ يمــانِ

[ينشد أيوب بن سليمان قصيدة من شعر جدّه]

قال : فأنشد ناهضٌ هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة ، وعنده خالٌ له من الأنصار ، فلمّا خَتَمها بهذا البيت قال الأنصاري : أخرسنا أخرسه الله !

وكان جدّه نصيحٌ شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

ألا مَن لقلبٍ في الحِجاز قسيمُه — ومنـه بأكنـافِ الحجـازِ قسيمُ
معاوِدِ شكوى أن نأت أمُّ سالِمٍ — كما يشتكِي جُنحَ الظَـلامِ سليمُ[1]
سلِيــمٌ لصــلٌ أسلمته لمــا بــهِ — رُقًــى قــلّ عنــه دفعُها وتميمُ[2]
فلـم تَـرِمِ الدارَ البريصاءَ فالصفا — صَفاهـــا فخَلاَّهــا فأيــن تريمُ[3]
وقفــت عليهــا بــازلاً ناهِجِيَّــةً — إذا لم أزُعهــا بالزمـــامِ تَعُــومُ[4]
كِنازاً مــن اللاتــي كأنَّ عِظامها — جُبِرْنَ على كسر فهــنَّ عثــوم[5]

[بداوة ناهض]

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم ، قال : حدّثني الفضل بن العباس الهاشميّ من ولد قُثَم بن جعفر بن سليمان عن أبيه ، قال : كان ناهض بن ثومة الكلابيّ يفِد على جدّي قُثَم فيمدحه ، ويصِلهُ جدّي وغيره[6] ، وكان بدويّاً جافياً كأنّه من الوحش ، وكان طيِّب الحديث ، فحدّثه يوماً : أنهم انتجعوا ناحية الشام ، فقصد صديقاً لـه من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب ، فإذا نزل نواحيَها أتاه فمدحه ، وكان برّاً به .

[ناهض يصف وليمة]

قال : فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن بن عبد الله الهلاليّ ، فرأيت دوراً متباينة وخِصاصاً قد ضمّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون ، عليهم ثيابٌ

1 السليم : الملدوغ .
2 تميم : جمع تميمة .
3 الخل : الطريق النافذ في الرمل .
4 ل : أذدها .
5 العثوم : المنجبرة على غير استواء .
6 ل : ويميره .

تَحكي ألوان الزهر ، فقلت في نفسي : هذا أحد العيدين : الأضحى أو الفطر . ثم ثاب ما عزَب عن عقلي ، فقلت : خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى ؟ فبينا أنا واقفٌ متعجّب أتاني رجل فأخذ بيدي ، فأدخلني داراً قَوْراء[1] ، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِّد في وجهه فُرُش ومُهِّدت ، وعليها شابٌّ ينال فروع شعره منكبيه ، والناس حوله سِماطان . فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكِي لنا جلوسُه على الناس وجلوسُ الناس بين يديه ، فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله وبركاته . فجذب رجُلٌ يدي ، وقال : اجلس فإن هذا ليس بأمير . قلت : فما هو ؟ قال : عروس . فقلت : واثكل أمّاه ، لربّ عروسٍ رأيته بالبادية أهون على أهله من هَنٍ أمّه . فلم أنشَب أن دخل رجالٌ يحملون هَناتٍ[2] مدوّراتٍ ، أمّا ما خفَّ منها فيُحمل حملاً ، وأمّا ما كبر وثقُل فيدحرج . فوضع ذلك أمامنا ، وتحلّق القوم عليه حلقاً ، ثم أُتينا بخِرقٍ بيض فأُلْقِيَتْ بين أيدينا ، فظننتُها ثياباً ، وهممتُ أن أسأل القوم منها خِرقاً أقطّعها قميصاً ، وذلك أنّي رأيتُ نسجاً مُتلاحِماً لا يبين له سَدًى ولا لحمة ، فلمّا بسطَهُ القوم بين أيديهم إذا هو يتمزّق سريعاً ، وإذا هو ، فيما زعموا ، صِنفٌ من الخُبز لا أعرفه ؛ ثم أُتينا بطعام كثيرٍ بين حلوٍ وحامضٍ ، وحار وباردٍ ، فأكثرتُ منه وأنا لا أعلم ما في عَقِبه من التَّخَم والبَشَم ؛ ثم أتينا بشرابٍ أحمر في عِساس[3] ، فقلت : لا حاجة لي فيه ، فإنّي أخاف أن يقتلني . وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه ، فإنّه كان ينصح لي من بين أهل المجلس ، فقال : يا أعرابي إنّك قد أكثرتَ من الطعام ، وإن شربت الماء همى بطنُك . فلمّا ذكر البطن تذكّرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخُ من أهلي ، قالوا : لا تزال حيّاً ما كان بطنُك شديداً فإذا اختلف فأوصِ . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ، وجعلت أُكْثِر منه فلا أَمَلُّ شربَه ، فتداخلني من ذلك صلفٌ لا أعرفه من نفسي ، وبكاءٌ لا أعرِف سببه ولا عهد لي بمثله ، واقتدارٌ على أمري أظنُّ معه أنّي لو أردتُ نيل السَّقف لبلغته ، ولو ساورت الأسد لقتلته . وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتُحدِّثني نفسي بهَتْم أسنانه وهَشْم أنفه ، وأهُمُّ أحياناً أن أقول له : يا ابن الزانية ! فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة ، أحدهم قد عَلّق في عنقه جَعبة فارسيّة مشنّجة[4] الطرفين دقيقة الوسط ، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً ؛ ثم بدر الثاني

1 قوراء : واسعة .
2 هنات : أشياء .
3 العساس : القداح الكبيرة .
4 مشنجة : متقبضة .

فاستخرج من كمِّه هَنَةً سوداء كفيشلة الحمار ، فوضعها في فيه ، وضرط ضُراطاً لم أسمع ، وبيت الله ، أعجَبَ منه ، فاستتمّ بها أمرهم ، ثم حرّك أصابعه على أجْحِرةٍ فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ تشبه بالضراط ، ولكنّه أتى منها لمّا حرّك أصابعه بصوتٍ عجيبٍ متلائم متشاكلٍ بعضُه لبعض ، كأنّه ، علم الله ، ينطِق . ثم بدا ثالث كزٌّ[1] مقيت عليه قميص وسخ ، معه مِرآتان ، فجعل يصفّق بيديه إحداهما على الأخرى ، فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان . ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان لا ساق لواحدٍ منهما ، فجعل يقفِز كأنّه يثب على ظهور العقارب ، ثم التبط[2] به على الأرض ، فقلت : معتوهٌ وربِّ الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القومِ عندي . ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً . ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتِعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهنّ[3] من بعدٍ ، وكان معنا في البيت شابٌّ لا آبه له ، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء ، فخرج فجاء بخشبةٍ عيناها في صدرها ، فيها خيوطٌ أربعة . فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة في يده فنطقت ، وربِّ الكعبة ، وإذا هي أحسنُ قينة رأيتها قطّ ، وغنّى عليها ، فأطربني حتى استخفّني من مجلسي . فوثبتُ فجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمّي ، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خُلِقَتْ إلاّ قريباً . فقال : هذا البربط[4] ؟ فقلت : بأبي أنت وأُمِّي ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المَثْنى . قلت : فالثالث ؟ قال : المَثْلث . قلت : فالأعلى ؟ قال : البمُّ . قلت : آمنت بالله أوّلاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً .

قال : فضحك أبي ، والله ، حتى سقط ، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكه ، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ، ويُطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه .

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدّثنا عليُّ بن محمد النوفليُّ ، عن أبيه ، قال : كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب ، فأتاه أعرابيٌّ ، فقال له : حدّث أبا عبد الله ، يعني الهيثم بن يزيد النخعيّ ، بما رأيت في حاضر المسلمين . فحدّثه بنحوٍ من هذا الحديث ، ولم يُسَمِّ الأعرابيَّ باسمه ، وما أجدَرَه بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفْهُ الذي حدّث به النوفليّ عنه .

1 كز : متجهم .
2 التبط به : صرع .
3 ل : أصواتهم .
4 البربط : العود .

[طرحت إبل الكعبيّ رجلاً فعقر بعضها فقامت الحرب]

نسخت من كتاب لعليّ بن محمد الكوفيّ فيه شعر ناهض بن ثومة قال : كان رجلٌ من بني كعب قد تزوّج امرأةً من بني كلاب ، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلّقها ، وأقام بموضعه في بني كلاب ، وكانوا لا يزالون يستخفّون به ويظلمونه ، وإن رجلاً منهم أوردَ إبله الماء فوردت إبلُ الكعبيِّ عليها ، فزاحمته ، لكنها ألقته على ظهره فتكشَّف ، فقام مُغضَباً بسيفه إلى إبل الكعبيّ ، فعقر منها عدّة ، وجَلاها عن الحوض ، ومضى الكعبيُّ مستصرخاً بني كلاب على الرجل ، فلم يُصرخوه فساق باقي إبله واحتمل بأهله[1] حتى رجع إلى عشيرته ، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم ، فغضبوا له ، وركبوا معه حتى أتوا حلّة بني كلاب ، فاستاقوا إبل الرجل الذي عَقَرَ لصاحبهم ، ومضى الرجل فجمع عشيرته ، وتداعت هي وكعبٌ للقتال ، فتحاربوا في ذلك حرباً شديدة ، وتمادى الشرُّ بينهم . حتى تساعى حلماؤهم في القضية ، فأصلحوها على أن يُعقَل القتلى والجرحى ، وتُردَّ الإبل ، وتُرسَل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبيّ ، فتراضوا بذلك واصطلحوا ، وعادوا إلى الألفة ، فقال في ذلك ناهض بن ثومة : [من الوافر]

أمِـن طلل بأخطـبَ أبَّدَتـه ... نِجاءُ الويـل والدِّيَمُ النِّضاحُ[2]
ومَرُّ الدهـر يومـاً بعد يـوم ... فما أبقـى المساءُ ولا الصباحُ
فكـلّ محَلَّـة غنيت بسلمى ... لرَيدات الريـاح بهـا نُواحُ[3]
تَظُلُّ على الجفـون الحزنَ حتّى ... دمـوعُ العـين ناكزةٌ نزاحُ[4]

وهي طويلةٌ يقول فيها :

هنيئـاً للعدى سَخَـطٌ ورَغْمٌ ... وللفَرْعَـين بينهمـا اصطلاحُ
وللعـين الرقـادُ فقـد أطالت ... مساهـرةً وللقلـب انتجاحُ
وقـد قـال العُداةُ نرى كلاباً ... وكعبـاً بـين صلحهما افتتاحُ
تداعَـوْا للسَّلام وأمر نُجْـحٍ ... وخيرُ الأمـرِ ما فيـه النجاحُ

---

1 ل : بماله .
2 أخطب : جبل بنجد . أبدته : أوحشته . النجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذي نزل ماؤه .
3 ريدات الرياح : الرياح الكثيرة الهبوب .
4 العين الناكزة النزاح : التي فني ماؤها .

ومـــدُّوا بينهم بحبال مَجْدٍ وثــدي لا أُجَـدُّ ولا ضَيَاحُ[1]
ألم تَـرَ أنَّ جمع القوم يُخْشى وأن حَريـم واحدِهـم مباحُ
وأنْ القِدْح حـين يكون فرداً فيُهْصر لا يكـون لـه اقتداحُ[2]
وإنّك إن قبضت بها جميعـاً أبت ما سُمْت واحدَها القداحُ
كـذاك تَفرّقُ الإخوان ممّـا يُذلّهـمُ وفي الـذلِّ افتضاحُ
أنـا الخطّارُ دون بنـي كلاب وكعـبٍ أن أتيح لهـم مُتاحُ[3]
أنا الحامـي لهم ولكلّ قَـرْمٍ أخٌ حـامٍ إذا جَـد النِّضاحُ[4]
أنـــا الليـثُ الذي لا يزدهيه عُـواءُ العاويـات ولا النُّباحُ
سل الشعراءَ عنّي هـل أقرت بقلبي أو عفـت لهـم الجراحُ
فمـا لكواهـل الشُّعَراء بـدٌّ مـن القَتَب الذي فيـه لَحاحُ[5]
ومـن توريـك راكبـه عليهم وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا[6]

[الحرب بين كلاب ونمير]

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره ، أنّ وقعةً كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر ، وكانت لكلابٍ على بني نمير ؛ وأنّ نميراً استغاثت ببني تميم ، ولجأت إلى مالك بن زيدٍ سيد تميم يومئذٍ بديار مضر ، فمنع تميماً من إنجادهم ، وقال : ما كنّا لُنلقي بين قيس وخندف دماءً نحن عنها أغنياء ، وأنتم وهم لنا أهلٌ وإخوة ، فإن سعيتم في صلح عاونّا ، وإن كانت حمالة[7] أعنّا ، فأمّا الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها . فقال ناهض بن ثومة في ذلك : [من الوافر]

سلام الله يـا مالِ بـنَ زيد عليك وخير مـا أُهْدي السلاما
تعلـم أينـا لكـم صديـق فـلا تستعجلوا فينـا الملاما

1 الأجد : المقطوع . الضياح : اللبن الرقيق الممزوج .
2 القدح : العود . يهصر : يكسر .
3 الخطار : الذي يخطر بالسيف ويهزه معجباً .
4 النضاح : الدفاع والذب .
5 القتب : رحل البعير . واللحاح : العقر والكسر .
6 التوريك : الركوب على ورك البعير . ألاحوا : أعرضوا .
7 الحمالة : الدية .

ولكنّا وحيٌّ بني تميم — عداةٌ لا نرى أبداً سلاما
وإن كنّا تكافَفْنا قليلا — كحرف السَّيفِ ينهار انهداما
وهَيْضُ العظم يُصبح ذا انصداع — وقد ظَنَّ الجول بهِ التئاما
فلن ننسى الشبابَ المُرْدَ مِنّا — ولا الشِّيب الجحاجحَ والكِراما
ونوحَ نوائح منّا ومنهم — مآتِم ما تجفّ لهم سجاما
فكيف يكون صلحٌ بعد هذا — يرجِّي الجاهلون له تِماما
ألا قل للقبائلِ من تميمٍ — وخُصَّ لمالِكٍ فيها الكلاما
فزِيدُوا يا بني زيدٍ نُميراً — هَواناً إنّه يدني الفِطاما
ولا تُبقوا على الأعداء شيئاً — أعزَّ الله نصرَكم وداما
وجدت المجد في حَيَّيْ تميم — ورَهْطِ الهَذْلق الموفى الذماما
نجوم القوم ما زالوا هُداةً — وما زالُوا لآبيهم زماما[1]
هم الرأس المقدم من تميم — وغاربُها وأوفاها سَناما[2]
إذا ما غاب نجْمٌ آب نجمٌ — أغرُّ نرى لطلعتِه ابتساما
فهذي لابن ثُومَةَ فانسُبُوها — إليه لا اختفاءَ ولا اكتتاما
وإن رغمت لذاك بنو نُمَيرٍ — فلا زالت أُنُوفُهم رَغاما[3]

قال : يعنى بالهذلق الهذلَق بن بشير ، أخا[4] بني عتيبة بن الحارث بن شهاب ، وابنَيه علقمة وصباحاً .

قال : وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كلاباً ولا نميراً ، فلمّا ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض : [من الطويل]

ألا هل أتى كعباً على نأي دارهم — وخذلانهم أنا سَرَرنا بني كعبِ
بما لقيت منّا نميرٌ وجمعُها — غَداةَ أتينا في كتائبنا الغُلْبِ
فيالك يوماً بالحمى لا نرى له — شبيهاً وما في يوم شيبان من عَتْبِ[5]

1 الآبي : الكاره .
2 الغارب : ما بين السنام والعنق .
3 رغام : ذليلة .
4 أخا في ل : أحد .
5 شيبان في ل : ذبيان .

أقامت نميرٌ بالحمى غير رغبة فكانَ الذي نالت نميرٌ من النهبِ
رؤوسٌ وأوصالٌ يزايل بينها سباعٌ تدلّت من أبانَيْن والهضْبِ[1]
لنا وقَعاتٌ في نميرٍ تتابعت بضيمٍ على ضيمٍ ونكبٍ على نكبِ
وقد علمت قيسُ بن عيلان كلُّها وللحرب أبناءٌ بأنا بنو الحربِ
ألم ترهم طُرّاً علينا تحزّبوا وليس لنا إلا الرُّدَيْنيُّ من حزبِ
وإنا لنقتادُ الجيادَ على الوجى لأعدائنا مَن لا مُدانٍ ولا صَقْبِ
ففي أي فجٍّ ما ركزنا رماحنا مخوفٍ بنصب للعِدا حين لا نصبِ

أُخبرنا جعفرُ بن قدامة بن زيادٍ الكاتبُ، قال: حدّثني ابو هفّان، قال: حدّثني غُرَيرُ بن ناهض بن ثومة الكلابي، قال: كان شاعر من نمير يقال له: رأسُ الكبش، قد هاجى عُمارة بنَ عقيل بن بلال بن جرير زماناً، وتناقضا الشعر بينهما مدة، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرّض كعباً وكلاباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم، فقال: [من الطويل]

رأيتكما يا بَنيْ ربيعة خُرْتُما وعَوّلتُما والحرب ذات هريرِ
وصدقتما قول الفرزدق فيكما وكذبتما بالأمس قول جريرِ
فإنْ أنتما لم تقذعا الخيل بالقنا فصيرا مع الأنباط حيث تصيرُ[2]
تسومكما بغياً نميرٌ هضيمةً ستُنجد أخبارٌ بهم وتغورُ

قال: فارتحلت كلابٌ حين أتاها هذا الشعر. حتى أتوا نميراً وهم في هضبات يقال لهنّ واردات. فقتلوا واجتاحوا، وفضحوا نميراً، ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومة يجيب عُمارة عن قوله: [من الوافر]

يحضّضنا عمارةُ في نمير ليَشْغَلَهم بنا وبه أرابوا
ويزعم أنّنا خُرْنا وأنا لهم جارُ المقربة المصابُ
سلوا عنّا نميراً هل وقعنا بنزوتها التي كانت تُهابُ
ألم تخضع لهم أسَدٌ ودانت لهم سعدٌ وضبةُ والربابُ
ونحن نُكرُّها شُعْثاً عليهم عليها الشّيبُ منّا والشبابُ

1 الأبانان: جبلان.
2 في هذا البيت والذي بعده إقواء.

رغبنا عن دمــاء بني قُرَيع إلى القَلْعــين إنّهمــا اللبابُ
صَبْحَناهم بأرعـــنَ مكفهرٍّ يــدفّ كأن رايتَـه العُقابُ[1]
أجشَّ من الصواهل ذي دويٍّ تلــوح البِيضُ فيــه والحرابُ
فأشْعلَ حــين حــلّ بواردات وثــار لنقعــه ثَــمَّ انصبابُ
صبحناهم بها شُعْثَ النواصي ولم يُفتَق من الصبح الحجابُ
فلم تُغمَد سيوف الهنـد حتى تعيّلــت الحليلةُ والكَعابُ[2]

صوت

[من الكامل]

أعرفت من سلمى رسومَ ديار بالشطّ بـين مُخَفّقٍ وصحارِ[3]
وكأنّما أثــرُ النعــاج بجَوّها بمَدافع الرَّكْبَيْنِ ودعُ جواري[4]
وسألتها عن أهلهـا فوجدتها عمياءَ جاهلــةً عــن الأخبارِ
فكأنَّ عيني غَربُ أدهمَ داجنٍ متعــوِّدِ الإقبــالِ والإدبارِ[5]

الشعر للمخبّل السعديّ ، والغناء لإبراهيم ، هزجٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . قال الهشاميّ : فيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل ، ولِعنانَ بنت خوطٍ خفيفُ رمل .

1 الأرعن : الجيش له فضول يشبه رعن الجبل ، أي أنفه . يدف : يسير في لين .
2 تعيلت : أهملت لموت عائلها .
3 الشط : موضع باليمامة . مخفق : رمل في أسفل الدهناء .
4 الجو : ما اتسع من الأرض . المركبان : موضع . ودع : خرز أبيض يخرج من البحر .
5 الغرب : الدلو العظيمة . الأدهم الداجن : البعير الأسود الذي يستقى عليه .

[243] ـ أخبار المخبل ونسبه[1]

[نسبه]

قال ابنُ الكلبيّ : اسمه الربيع بن ربيعة ، وقال ابن دأب : اسمه كعب بن ربيعة . وقال ابن حبيب وأبو عمرو : اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، ويكنى أبا يزيد . وإيّاه عنى الفرزدق بقوله : [من الكامل]

وهب القصائد لي النوابغُ إذ مضَوْا وأبو يزيـد وذو القروح وجَرْوَل

ذو القروح : امرؤُ القيس . وجرول : الحطيئة . وأبو يزيد : المخبل . وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وقرنه بخداش بن زهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مقبل . وهو من المقلين[2] ، وعمّر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً[3] ، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان (رضي الله عنهما) وهو شيخ كبير . وكان له ابن ، فهاجر إلى الكوفة في أيّام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً ، حتى بلغ خبره عمر ، فردّه عليه .

[جزعه على ابنه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد . قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ عن أبي غسان دماذ ، عن ابن الأعرابيّ قال : هاجر شيبان بن المخبل السعدي ، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه المخبَّل جزعاً شديداً ، وكان قد أسنَّ وضعُف ، فافتقَرَ إلى ابنه فافتقده . فلم يملك الصبرَ عنه ، فكاد أن يُغْلَبَ على عقله ، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرَضَه ليبيعه ويلحق بابنه ، وكان به ضنيناً ، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك ، وأعطاه مالاً وفرساً ، وقال : أنا أُكلِّم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك ، فإن فعل غَنِمتَ مالك ، وأقمتَ في قومك ، وإن أبى استنفقتَ ما أعطيتُك ولحقتَ

---

1 ترجمة المخبّل السعدي في الشعر والشعراء : 333 وابن سلام : 149–150 والخزانة 8 : 97–100 والإصابة 2 : 218 والمؤتلف والمختلف : 177 والسمط : 857 وانظر التذكرة الحمدونية . وقد وردت ترجمته في الخزانة والإصابة تحت اسم الربيع بن ربيعة كما ذكره ابن الكلبي . وقد جمع الدكتور حاتم الضامن شعره في «عشرة شعراء مقلّون» .

2 ل : المغلبين .

3 ل : طويلاً .

به ، وخلّفتَ إبلَكَ لعيالك . ثم مضى إلى عمر ، رضوان الله عليه ، فأخبره خبر المخبَّل ، وجَزَعَه على ابنه ، وأنشده قوله : [من الطويل]

أيُهلكنـــي شيبـــانُ في كلِّ ليلـــة لقلبيَ مــن خـــوفِ الفِراق وجيبُ
اشيبانُ مـــا أدراك أَنْ كلُّ ليلـــة غبقتُــك فيهـــا والغَبُـــوقُ حبيبُ
غبَقتُك عُظْماهـــا سَناماً أو انبـــرى برزقـــك بـــرَّاقُ المُتُـــون أريبُ[1]
أشيبان إن تأبـــى الجيـــوش بحدّهم يقاسون أيّامـــاً لهـــن خطوبُ
ولا هَـــمَّ إلاّ البـــرُّ أو كلُّ سابـــح عليـــه فتًى شاكـــي السلاحِ نجيبُ[2]
يـــذودون جُنـــد الهُرْمُـــزانِ كأنّما يـــذودون أوراد الكـــلاب تلوبُ[3]
فإن يكُ غصني أصبحَ اليوم ذاوياً وغصنُك مـــن ماء الشباب رطيبُ[4]
فإنّي حَنَتْ ظهري خطوبٌ تتابعت فَمشْيـــي ضعيفٌ في الرجـــال دبيبُ
إذا قال صحبي يـــا ربيعُ ألا ترى أرى الشخص كالشخصين وهو قريبُ
ويخبرني شيبـــانُ أن لـــن يعقّنـــي تَعُـــقُّ إذا فارقتَنـــي وتحـــوبُ[5]
فـــلا تُدْخِلَنَّ الدَّهـــرَ قبرَكَ حوبةً يقـــوم بهـــا يومـــاً عليـــك حسيبُ

يعني بقوله «حسيب» الله عزّ ذكره .

قال : فلمّا أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورقّ له ، فكتب إلى سعد يأمره أن يُقفل شيبان بن المخبل ويردَّه على أبيه ، فلمّا ورد الكتاب عليه أعلم شيبان وردّه فسأله الإغضاء عنه ، وقال : لا تَحرِمنِّي الجهاد . فقال له : إنّها عزمةٌ من عمر ، ولا خيرَ لك في عصيانه وعقوقِ شيخك . فانصرف إليه ، ولم يزل عنده حتى مات .

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ والجوهريّ ، قالا : حدّثنا عمر بن شبّة أنّ شيبان بن المخبّل كان يرعى إبل أبيه ، فلا يزال أبوه يقول : أحسِن رعية إبلك يا بنيّ ، فيقول : أراحني الله من رِعْية إبلك . ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى ، وانحدر إلى البصرة ، وشهد فتح تُسْتَر ، فقال : فذكر أبوه الأبيات ، وزاد فيها قوله : [من الطويل]

---

1 براق المتون : السيف . الأريب : المغتال .
2 البز : السلاح .
3 تلوب : تحوم .
4 ذاوياً في ل : بالياً .
5 تحوب : تأثم .

إذا قلتُ تَرعى قال سوف تريحُني   من الرَّعي مِذْعانُ العشيِّ خَبُوبُ[1]

قال : أبو يزيد وحدّثناه عتاب بن زيادٍ ، قال : حدّثنا ابن المبارك ، قال حدّثنا مسعودٌ عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه ، ولم يقل : شيبان بن المخبَّل ، ولكنه قال : «انطلق رجُلٌ إلى الشام» ، وذكر القصّة والشعر .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدّثني عمِّي عبيد الله ، عن ابن حبيب ، قال : خطب المخبّلُ السعديُّ إلى الزِّبرقان بن بدرٍ أخته خليدة ، فمنعه إيّاها ، وردّه لشيء كان في عقله ، وزوّجها رجلاً من بني جُشَم بن عوفٍ ، يقال له : مالكُ بن أميّة بن عبد القيس ، من بني محارب ، فقتل رجلاً من بني نهشلٍ يقال له الجُلاس بن مخرَبة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالاً ، ولم يعلم به أحدٌ ، ففقد ولم يعلم له خبر . فبينما جارُ الزبرقان الذي من عبد القيس قاتلُ الجُلاس ليلةً يتحدّث إذ غلط ، فحدّث هَزَّالا بقتله الرجل ، وذلك قبل أن يتزوّج هزَّالٌ إلى الزِّبرقان ، فأتى هَزّال عبد عمرٍو بن ضَمْرة بن جابر نهشلٍ فأخبره . فدعا هزّالٌ قاتل الجلاس فأخرجه عن البيوت ، ثم اعتوره هو وعبدُ عمرو فضرباه حتى قتلاه ، ورجع هزالٌ إلى الحيِّ وهرب عبدَ عمرو حتى لجأ إلى أخواله بني عُطارد بن عوفٍ ، فقالت امرأة مالك بن أميّة المقتول : [من الوافر]

أجيرانَ ابــنِ ميــةَ خبِّروني   أعينٌ لابن مَيّــةَ أم ضِمارُ[2]
تجلّل خزيَها عوفُ بنُ كعب   فليس لنسلِهــم منهــا اعتذارُ

قال : فلمّا زوّج الزِّبرقان أخته خليدةَ هزّالا بعد قتله جاره عيبَ عليه ، وعُيِّر به ، وهجاه المخبل ، فقال : [من الطويل]

لعمــرك إن الزِّبرقــانَ لدائــم   على الناس تعدو نوكُه ومجاهلُهْ[3]
أأنكحت هــزالاً خليــدة بَعدما   زعمت بظهــر الغيب أنّك قاتلُهْ
فأنكحتَــه رَهــواً كأنّ عِجانهــا   مَشَقٌّ إهابٍ أوسع السَّلْخ ناجلُهْ[4]
يلاعبهــا فــوق الفراش وجارُكم   بذي شُبْرُمــانٍ لم تَزَيَّلْ مفاصلُهْ[5]

قال : ولجّ الهجاء بين المخبّل والزِّبرقان حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا

1 مذعان : ناقة سلسة القياد . خبوب : من الخبب ، ضرب من العدو .
2 الضمار : ما لا يرجى رجوعه من المال .
3 النوك : الحمق .
4 الناجل : الذي يشق الجلد .
5 شبرمان : موضع . لم تزيل : لم تفرق .

لذلك ذاتَ يوم ، وكان الزِّبرقان أسودَهما ، فابتدأ المخبّل فأنشده قصيدته : [من الكامل]

أنبئــتُ أنّ الزِّبرقـانَ يسُبُّنــي   سفهاً ويَكْرَهُ ذو الحِرَيْن خصالي

قال : وإنّما سمّاه ذا الحرينِ لأنه كان مُبَدِّناً ، فكان له ثديان عظيمان ، فسبَّه بهما وشبَّههما بالحِرَين . ويقال : إنّه إنّما عيّره بأخته وابنته ، ولم يكن للمخبَّل ابن في الجاهلية قال : [من الكامل]

أفــلا يفاخرني ليعلـم أيُّنـا   أدنــى لأكـرمِ سُؤدَدٍ وفِعالِ

فلمّا بلغ إلى قوله :

وأبوك بدرٌ كان مشترِط الخصى   وأبي الجـوادُ ربيعةُ بــنُ قِتالِ[1]

فلمّا أنشده هذا البيت ، قال :

وأبوك بدرٌ كان مشترِط الخُصى   وأبي . . . .

ثم انقطع عليه كلامه ، إمّا بشَرَق أو انقطاع نَفَسٍ ، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله : «وأبي» . فسبقه الزِّبرقان قبل أن يتمّ ويبين ، فقال : صدقت ، وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعةٍ . فغلبه الزِّبرقان ، وضحكوا من قوله وتفرّقوا ، وقد انقطع بالمخبّل قوله .

[زرارة بن المخبّل يضرب علباوياً بحجر]

أخبرنا اليزيديُّ ، قال : حدّثني عمّي عن عبيد الله عن ابن حبيب ، قال : كان زرارة بن المخبَّل يَلِيط[2] حوضه ، فأتاه رجلٌ من بني عِلباء بن عوف ، فقال له : صارعْني . فقال له زرارة : إنّي عن صراعك لمشغولٌ . فجذب بحُجْزته[3] وهو فاعلٌ فسقط ، فصاح به فتيانُ الحيّ : صُرِع زرارة وغُلِبَ . فأخذ زرارة حجراً ، فشدخ به رأس العلباويّ ، فسأل المخبّل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمّل عن ابنه الدية ، فتحمّلها وتخلّصه ، وكسا المخبّل حلّةً حسنةً ، وأعطاه ناقة نجيبةً ، فقال المخبّل يمدحه : [من الوافر]

لعمــرُ أبيــك لا ألقى ابن عَمٍّ   على الحدثــان خيراً مــن بَغِيضِ
أقــلَّ ملامــةً وأعــــزَّ نصراً   إذا مــا جئــتُ بالأمــر المريضِ

---

1 مشترط : قاطع .
2 يليط : يطين .
3 الحجزة : معقد الإزار .

كساني حُلَّــــةً وحبـــا بعَنْس أَبُسُّ بها إذا اضطربت غُروضي[1]
غـداةَ جنـى بُنَـيَّ علي جرماً وكيف يداي بالحرب العضوضِ[2]
فقـد سدّ السبيل أبـو حميـد كما سدّ المخاطبَـةَ ابـنُ بيضِ

أبو حميد : بغيض بن عامرٍ . وأمّا قوله : «كما سدّ المخاطبة ابن بيض» ، فإنّ ابن بِيض : رجل من بقايا قوم عاد ، كان تاجراً ، وكان لقمان بن عادٍ يجيز له تجارته في كلّ سنة بأجرٍ معلوم . فأجازه سنة وسنتين ، وعاد التاجر ولقمان غائبٌ ، فأتى قومه فنزل فيهم ، ولقمان في سفره ، ثم حضرت التاجرَ الوفاة فخاف لقمان على بنيه ومالِه فقال لهم : إن لقمان صائر إليكم ، وإنّي أخشاه إذا علم بموتي على مالي ، فاجعلوا ما له قبلي في ثوبه ، وضعوه في طريقه إليكم ، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقّه ، فادفعوه إليه واتّقوه به ، وإن تعدّاه رجوت أن يكفيكم الله إيّاه . ومات الرجل ، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقّه على طريقه ، فقال : «سدَّ ابنُ بِيضٍ الطريق[3]» ، فأرسلها مثلاً ، وانصرف وأخذ حقّه . وقد ذكرت ذلك الشعراء ، فقال بشامة بن عمرٍو : [من المتقارب]

كثوبِ ابنِ بِيضٍ وقاهم به فسدّ على السالكين السبيلا

قال ابن حبيب : ولمّا حَشَدَت بنو علباء للمطالبة بدم صاحبهم ، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبَّل ، ومشت المشيخة في الأمر ، وقالوا : هذا قُتِل خطأً ، فلا تُواقعوا[4] الفتنة ، واقبَلوا الدية . فقبِلوها وانصرفوا ، فقال زرارة بن المخبَّل يفخر بذلك : [من البسيط]

فـاز المخالِسُ لما أن جرى طَلَقاً أمّا حُطَيْمُ بن عِلبـاء فقد غُلبا
إنّي رميـت بجُلمود على حَنَق مِنّي إليـه فكانت رميـةً غَربا[5]
ليثاً إليّ يَشُقُّ الناسَ منفرِجـاً لَحياهُ عنَّانــةٌ لا يَتَّقـي الخَشبا[6]
فأورثَتْني قتيـلاً إن لقيتُ وإن أفلتُّ كانت سماع السَّوء والحَرَبا[7]

1 بس الإبل : ساقها سوقاً ليناً وزجرها . غروض : جمع غرض ، وهو حزام الرحل .
2 جرماً في ل : حرباً . الحرب العضوض : الشديدة .
3 المثل «سد ابن بيض الطريق (السبيل)» في الميداني 1 : 329 وفصل المقال : 279 وجمهرة العسكري 1 : 519 ومستقصى الزمخشري 2 : 117 .
4 ل : توقعوا .
5 الرمية الغرب : التي لا يعرف راميها .
6 اللحي : عظم الحنك . عنانة لا يتقي الخشبا : سباقة ، لا يصده خشب الحظيرة .
7 الحرب : الهلاك .

ثم أخذ بنو حازم جاراً لبني قُشير ، فأغار عليه المُنتَشِر بن وهب الباهِلِيّ ، فأخذ إبله ، فسأل في بني تميم حتى انتهى إلى المخبّل . فلمّا سأله قال له : إن شئتَ فاعترِض إبلي فخذ خيرها ناقةً ، وإن شئت سعيتُ لك في إبلك . فقال : بل إبلي . فقال المخبّل : [من الطويل]

إنّ قشيراً من لِقاح ابن حازِمِ كراحِضة حيضا وليست بطاهرِ
فلا يأكلنها الباهِليّ وتَقعدوا لدى غرضٍ أرميكُمُ بالنواقِرِ[1]
أغرّك أنْ قالوا لعزّة شاعر فناك أباه من خفيرٍ وشاعرِ

فلمّا بلغهم قول المخبّل سعَوا بإبله ، فردّها عليهم حزنُ بن معاوية بن خفاجة بن عقيل ، فقال المخبّل في ذلك : [من الطويل]

تدارك حزنٌ بالقنا آلَ عامر قَفا حَضَنٍ والكرُّ بالخيل أعسرُ[2]
فإنّي بذا الجارِ الخفاجيِّ واثقٌ وقلبي من الجارِ العِباديّ أوجرُ[3]
إذا ما عقيليٌّ أقامَ بِذِمّة شريكين فيها فالعِبادِي أوجرُ[4]
لعمري لقد خارَت خفاجة عامِراً كما خِيرَ بيتٌ بالعراق المشقّرُ[5]
وإنّك لو تعطي العِبادي مِشقصا لراشى كما راشى على الطبعِ أبخرُ

راشى من الرشوة .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدّثنا الرياشي ، قال : حدّثنا الأصمعيّ ، قال : مرّ المخبّل السعديّ بخليدة بنت بدرٍ ، أخت الزّبرقان بن بدرٍ ، بعد ما أسنّ وضعف بصره ، فأنزلته وقرّبته وأكرمته ووهبت له وليدة ، وقالت له إنّي آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها . فقال : ومَن أنتِ حتى أعرفك وأشكرك ؟ قالت : لا عليك ، قال : بلى والله أسألك . قالت : أنا بعض من هتكتَ بشِعرك ظالماً ، أنا خليدة بنت بدرٍ . فقال : واسوأتاه منك ؛ فإنّي أستغفر الله عزّ وجلّ ، وأستقيلك وأعتذر إليك . ثم قال : [من الطويل]

لقد ضلّ حِلمِي في خليدةَ إنّني سأُعتب نفسي بعدها وأموتُ

1 النواقر : الدواهي .
2 قفا حضن : خلف حضن ، وهو جبل بأعلى نجد .
3 أوجر : خائف .
4 أوجر هنا : كاره .
5 المشقر : حصن قديم بالبحرين .

فأقسمُ بالرحمنِ إنّي ظلمتُها وجُرتُ عليها والهِجاءُ كَذوبُ

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبّل وأخباره يمدح بها علقمة بن هوذة ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله ، ويقول : [من الكامل]

فجزى الإلهُ سَراةَ قومي نَضْرةً وسقاهُمُ بمشارب الأبرارِ
قومٌ إذا خافوا عِثارَ أخيهمُ لا يُسْلمونَ أخاهمُ لعِثارِ
أمثالُ عَلقمةَ بنِ هَوذةَ إذْ سعى يخشى عَليَّ متالفَ الأبصارِ
أثنَوْا علَيَّ وأحسنوا وترافَدُوا لي بالمَخاض البُزْل والأبكارِ
والشَّولِ يتبعُها بناتُ لَبُونِها شَرِقاً حناجِرُها من الجَرْجارِ[1]

[شعر المخبّل والزبرقان وعبدة وعمرو بن الأهتم]

أخبرنا أبو زيد ، عن عبد الرحمن ، عن عمّه ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدّثني عمّي عبيد الله ، عن ابن حبيب . وأخبرني عمّي ، قال : حدّثنا الكُرانيّ ، قال : حدّثنا العمريّ ، عن لقيطٍ قالوا : اجتمع الزِّبرقان بن بدر والمخبّل السعديّ وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يُسلِموا ، وبعد مبعث النبيّ ﷺ ، فَنَحروا جَزُوراً ، واشتروا خمراً ببعير ، وجلسوا يشوون ويأكلون . فقال بعضهم : لو أنّ قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطِرنا . فتحاكموا إلى أوّل مَن يطلع عليهم ، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسدي ، وقال اليزيدي فجاءهم رجلٌ من بني يربوع يسأل عنهم ، فدُلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون . فلمّا رأوه سرّهم ، وقالوا له : أخبرنا أيُّنا أشعرُ ؟ قال : أخاف أن تغضبوا ، فآمنوه من ذلك ، فقال : أما عمرو فشعره برودٌ يمنية تنشر وتطوى ، وأمّا أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جَزوراً قد نُحِرت[2] ، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك .

وقال لقيط في خبره ، قال له ربيعة بن حُذار : وأمّا أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ، ولم يُترك نِيئاً فيُنتفع به . وأمّا أنت يا مخبّل فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على مَن يشاء . وأمّا أنت يا عبدة فشعرك كمزادةٍ أُحْكِم خرزها فليس يقطر منها شيء .

أخبرنا اليزيديّ ، عن عمّه ، عن ابن حبيب ، قال : كان رجل من بني امرىء القيس ، يقال له رَوقٌ ، مُجاوراً في بكر بن وائل باليمامة ، فأغاروا على إبله وغدروا به ، فأتى المخبّل يستمنحه ، فقال له : إن شئتَ فاختر خير ناقة في إبلي فخُذها ، وإن شئتَ سعيتُ لك . فقال : أن

---

1 الجرجار : عشبة لها زهرة صفراء .

2 ل : ذبحت .

تسعى بي[1] أحبُّ إليّ . فخرج المخبّل فوقف على نادي قومه ، ثم قال : [من مجزوء الكامل]

أدُّوا إلى رَوْح بن حَسّـ ـانَ بنِ حارثةَ بن منذرْ
كومـاءَ مدفـأةً كـأ نّ ضروعَها حَمَّاء أجفرْ[2]
تأبـى إلى بصص تَسُـ ـحُّ المحضَ باللبن الفضنفرْ

فقالوا : نعم ونُعمة . فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدّة إبله .
وقال ابن حُبيب في هذه الرواية : «كان رجل من بني ضبة» .

صوت

[من المديد]

اسلُ عـن ليلى علاك المشيبُ وتصابى الشيخ شيءٌ عجيبُ
وإذا كان النسيبُ بِسلمـى لـذَّ في سلمى وطابَ النسيبُ
إنّمـا شبَّهتُها إذ تـراءت وعليها مـن عيـون رقيبُ
بطلوع الشَّمس في يومِ دَجْنٍ بُكْرةً أو حـان منهـا غروبُ
إنّني فاعلم وإنْ عـزَّ أهلي بالسُّويـداء الغـداةَ غريبُ

الشعر لغيلان بن سلمة الثّقفيّ ، وجدتُ ذلك في جامع شعره بخطّ أبي سعيد السكري ، والغناء لابن زرزورٍ الطائفيّ ، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى ، عن يحيى المكّي ، وفيه ليونس الكاتب لحنٌ ذكره في كتابه ، ولم يُجنّسه .

---

1 ل : بل تسعى لي .
2 حماء في ل : جماة . الكوماء : الناقة الضخمة السنام . المدفأة : الكثيرة الوبر والشحم . الأجفر : ولد الشاة إذا عظم واستكرش .

[244] ـ أخبار غيلان بن سلمة ونسبه[1]

[نسبه]

غيلان بن سلمة بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسيّ ، وهو ثقيف . وأمّه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ ، أخت أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف .

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ولم يهاجر ، وأسلم ابنه عامر قبله ، وهاجر ، ومات بالشام في طاعون عمواس وأبوه حيٌّ .

وغيلان شاعرٌ مقلّ ، ليس بمعروف في الفحول .

[هيت المخنث يصف ابنته]

وبنتُه بادية بنت غيلان التي قال هِيتٌ المخنّث لعمر بن أم سلمة أمّ المؤمنين ، أو لأخيه سلمة : «إن فتح الله عليكم الطائف فسَلْ رسول الله ﷺ أن يهَبَ لك بادية بنت غيلان ، فإنّها كحلاءُ ، شموعٌ نجلاء[2] ، خمصانة هيفاء ، إن مشت تثنَّت ، وإن جلست تبنّت[3] ، وإن تكلَّمت تغنّت ، تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ ، وبين فخذيها كالإناء المُكْفأ» .

وغيلان فيما يقال أحد مَن قال من قريش للنبي ﷺ وآله : ﴿لولا أنزِلَ هذا القُرآن على رَجُلٍ من القَرْيَتَين عظيم﴾ .

[اتهام ولده عمار بسرقته]

قال ابن الكلبيّ : حدّثني أبي ، قال : تزوّج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص ، فولدت له عمّاراً وعامراً ، فهاجر عمّار إلى النبيّ ﷺ ، فلمّا بلغه خبره عمد خازنٌ كان لغيلان إلى مالٍ له فسرقُه وأخرجه من حصنه فدفنه ، وأخبر غيلان أنّ ابنه عمّاراً سرق ماله وهرب به ، فأشاع ذلك غيلان وشكاه إلى الناس ، وبلغ خبره عمّاراً فلم يعتذر إلى أبيه ، ولم يذكر له براءته ممّا قيل له . فلمّا شاع ذلك جاءت أَمَةٌ لبعض ثقيفٍ إلى غيلان ، فقالت له : أيُّ شيءٍ لي

---

1 لغيلان بن سلمة ترجمة في ابن سلام : 269–270 وطبقات ابن سعد 5 : 505–506 والمحبر : 357 واليعقوبي : 214 وأعلام الزركلي ، وانظر المثل «إن العصا قرعت لذي الحلم» في مجمع الميداني ، وورد بعض أخباره في التذكرة الحمدونية .

2 الشموع : المزاحة اللعوب . والنجلاء : الواسعة العينين .

3 تبنت : صارت كالمبناة ، وهي القبة من الأدم .

عليك إن دللتُك على مالك ؟ قال : ما شئتِ . قالت : تبتاعني وتعتُقني . قال : ذلك لك . قالت : فاخرج معي . فخرج معها ، فقالت : إنّي رأيت عبدك فلاناً قد احتفر هاهنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً ، وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه ، ويتفقّده في اليوم مراتٍ ، وما أراه إلاّ المال . فاحتفر الموضع فإذا هو بماله ، فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها . وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عماراً ، فقال : والله لا يراني غيلان أبداً ، ولا ينظر في وجهي . وقال : [من الطويل]

حلفتُ لهم بما يقولُ محمدٌ ... وبالله إنَّ اللهَ ليس بغافلِ
برئتُ من المالِ الذي يَدفنونه ... أبرِّىءُ نفسي أنْ أُلِطَّ بباطِلِ[1]
ولو غيرُ شيخي من معدٍّ يقولُه ... تيممْتُه بالسيفِ غير مُواكِلِ
وكيف انطِلاقي بالسِّلاح إلى امرىءٍ ... تُبَشِّره بي يبتدِرن قوابلي

فلمّا أسلم غيلان ، خرج عامرٌ وعمّارٌ مغاضِبَين له مع خالد بن الوليد ، فتوفّي عامر بعمواس ، وكان فارس ثقيف يومئذٍ ، وهو صاحب شَنوءةَ يوم تثليث[2] ، وهو قتل سيِّدهم جابر بن سنانٍ أخا دِهنة ، فقال غيلان يرثي عامراً : [من الكامل]

عيني تجودُ بدمعها الهتّانِ ... سحّاً وتبكي فارِسَ الفُرسانِ
يا عامِ مَن للخيل لمّا أُحجمَتْ ... عن شَدّة مرهوبة وطِعانِ
لو أستطيعُ جعلت منّي عامراً ... بين الضُّلوع وكلُّ حيٍّ فانِ
يا عين بَكِّي ذا الحزامة عامراً ... للخيل يومَ تواقُف وطِعانِ
وله بتثليثاتِ شدَّةُ مُعْلَم ... منه وطعنةُ جابر بن سنانِ[3]
فكأنَّه صافي الحديدة مِخْذَمٌ ... ممّا يُحِير الفُرْس للباذانِ[4]

[دفاعه عن جاره الباهلي]

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكّري ، قال : كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة ، وكانت له إبل يرعاها راعيهِ في الإبل مع إبل غيلان ، فتخطّى بعضها إلى أرضٍ لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتِّب ، فضرب أبو عقيل الراعي واستخفّ به ، فشكا الباهليُّ ذلك إلى غيلان ، فقال لأبي عقيل : [من الطويل]

---

1 ألط : ألصق .
2 شنوءة : قبيلة .
3 يوم تثليث : من أيام العرب بين سليم ومراد .
4 المخذم : القاطع . يحير : يرد ويرجع . الباذان : اسم الذين دخلوا حديثاً في الإسلام .

ألا مَن يرى رأي امرىءٍ ذي قرابة أبى صدره بـالضغن إلاّ تطلّعا
فَسلمَكَ أرجـو لا العداوةَ إنّما أبـوك أبـي وإنّمـا صفقنا معا
وإنّ ابنَ عـمّ المرء مثل سلاحِه يقيـه إذا لاقـى الكمـيَّ المقنَّعا
فإن يكثر المـولى فإنّـك حاسدٌ وإن يفتقر لا يُلفِ عندك مَطمَعا
فهذا وعيـدٌ وادّخـارٌ فإن تعُـدْ وجَدّك أعلمْ مـا تسلَّفتَ أجمعا

[تهديده لامرأته حين ملته]

ونسخت من كتابه ، قال : لمّا أسنّ غيلان وكثرت أسفاره وملّته زوجته ، وتجنّت عليه ، وأنكر أخلاقَها ، فقال فيها : [من الكامل]

يا ربَّ مثلكِ في النّساء غريرةٍ بيضاءَ قـد صبَّحتُها بطَلاقِ
لم تدرِ ما تحتَ الضُّلوع وغرَّها منّـي تحمُّل عِشرتي وخَلاقي

[الحرب بين بني عامر وثقيف]

ونسخت من كتابه : إنّ بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرة من أنفسهم وأحلافهم ، ثم ساروا إلى ثقيفٍ بالطائف ، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافاً لثقيف ، فلمّا بلغ ثقيفاً مسير بني عامر استنجدوا بني نصر ، فخرجت ثقيف إلى بني عامرٍ وعليهم يومئذٍ غيلان بن سلمة بن معتِّب ، فلَقُوهم وقاتلتهم ثقيفٌ قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومَن كان معهم ، وظهرت عليهم ثقيفٌ ، فأكثروا فيهم القتل ، فقال غيلان في ذلك ، ويذكر تخلف بني نصر عنهم : [من البسيط]

ودِّع بِـذمٍّ إذا ما حـانَ رِحلتُنا أهـلَ الحظائر من عوفٍ ودهْمانا
القائلين وقـد حلَّـت بساحتهم جَسْرٌ تحسحس عن أولاد هِصّانا[1]
والقائلين وقـد رابَتْ وطابُهم أسيفَ عوفٍ ترى أم سَيف غيلانا[2]
أغَنُـوا المـواليَ عنّـا لا أبالَكمُ إنّا سنُغني صريحَ القـوم مَن كانا
لا يمنـع الخطـرَ المظلومُ قُحْمَته حتّـى يمحق بالكفـين مَن كانا

[الحرب بين خثعم وثقيف]

ونسخت من كتابه ، قال : جمعت خثعم جموعاً من اليمن ، وغزت ثقيفاً بالطائف ؛

---

1 الجسر : الرجل الجسيم الشجاع والجمل الضخم ويطلق أيضاً على بعض أحياء العرب . تحسحس : تتلمس . هصان : قبيلة .

2 راب : خثر وفسد . الوطاب : سقاء اللبن .

فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فهزمهم وقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر عدّةً منهم ، ثم منَّ عليهم وقال في ذلك : [من الوافر]

ألا يــا أُختَ خَثعــمَ خبِّرينا ... بــأيٍّ بــلاءِ قــومٍ تفخرينا
جَلَبْنا الخيــلَ من أكنافِ وَجٍّ ... وليــثٍ نحـــوكم بالدَّارِعِينا[1]
رايناهـــنَّ مُعلمـــةً رواحـــا ... يُقيتـــانِ الصبـاحَ ومعتدينا[2]
فأمست مُسْيَ خامسةٍ جميعاً ... تُضابعُ في القيادِ وقد وجينا[3]
وقــد نظـرت طوالعكم إلينا ... بأعينهـــم وحققنـــا الظنونا
إلى رجراجــةٍ في الدار تُغْشي ... إذا استنَّتْ عيـــون الناظرينا[4]
تركن نساءَكم في الدارِ نَوحا ... يبكُّـون البُعولـــة والبنينـــا
جَمعتم جَمعكـــم فطلبتُمونا ... فهـــل أُنبِئــتَ شأنَ الطَّالبينا

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ ، قال : أخبرني محمد بن سعد الشاميّ ، قال : حدّثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي ، قال : خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره ، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة ، ما أنشدني لغيره ، حتى صدَرنا عن الأُبُـلّة ، ثم مرَّ بالطَّف وهو يريد الطابق[5] ، فأنشدني له : [من المنسرح]

وليلـــة أرَّقَتْ صِحابَكَ بالطَّـ ... ـفِّ وأُخرى بجنب ذي حُسُمِ[6]
فالجسرُ فالقصرانِ فالنَّهَرِ المُرْبَـ ... ـدُّ بـــينَ النَّخيـــلِ والأجمِ[7]
معانـــقَ الواسطِ المُقَـــدَّم أو ... أدنو من الأرض غيرَ مقتحمِ[8]
أستعملُ العنسَ بالقيادِ إلى الـ ... ـآفاق أرجـــو نوافـــلَ الطُّعمِ

[وصية غيلان بن سلمة لبنيه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني أحمد بن عمر بن

1 وج : دار بالطائف . ليث : واد بأسفل السراة .
2 المعلمة : المميزة . يقيت الشيء : يقدر عليه . الصباح : الغارة صباحاً .
3 مسي خامسة : مساء الليلة الخامسة . تضابع : تمد ضبعيها (عضديها) في الجري . وجين : حفين .
4 الرجراجة : الكتيبة العظيمة . استنت : أسرعت .
5 الطابق : نهر ببغداد ، وفي ل : الطائف .
6 الطف : الموضع الذي قتل فيه الحسين . ذو حسم : موضع .
7 الجسر : مكان الوقعة بين المسلمين والفرس . والقصران : ناحيتان بالريّ .
8 الواسط : المقدم وأوّل الشيء ، ويقصد مقدم الرحل .

عبدالرحمن بن عوف قال : حدّثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه ، قال : لمّا حضرت غيلان بن سلمة الوفاة ، وكان قد أحصنَ عشراً من نساء العرب في الجاهلية ، قال : «يا بَنيَّ ، قد أحسنتُ خدمة أموالكم ، وأمجدْتُ أمّهاتكم فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم ، فعليكم ببُيوتات العرب ، فإنّها معارج[1] الكرم ، وعليكم بكلِّ رمكاء[2] مكينةٍ ركينةٍ ، أو بيضاء رزينة ، في خِدر بيت يُتَبّع ، أو جدٍّ يُرتجى ، وإيّاكم والقصيرة الرَّطلة[3] ، فإنّ أبغض الرجال إليَّ أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي ، القصير الرَّطل[4] . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

وحُرّةِ قومٍ قـــد تَنوَّق فِعلها وزيَّنَهـــا أقوامُهـــا فتزيّنـــتْ[5]
رَحلت إليها لا تُـــرَدُّ وسيلتي وحَمّلتُها من قومها فتحمَّلَتْ

[وفود غيلان على كسرى]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا محمد بن سعد الكرانيّ ، قال : كان غيلان بن سلمة الثّقفيّ قد وَفَد إلى كسرى فقال له ذات يوم : يا غيلان ، أيُّ ولدك أحبُّ إليك ؟ قال : «الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم» . قال له : ما غذاؤك ؟ قال : خبزُ البرّ . قال : قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل وغِذاؤك غِذاءُ العرب ، إنّما البرُّ جعل لك هذا العقل .

قال : الكراني ، قال العُمريّ : روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أَتَمَّ من هذه الرواية ، ولم أسمعه منه . قال الهيثم : حدّثني أبي ، قال : خرج أبو سفيان بنُ حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة ، فلمّا ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان ، فقال لهم : إنّا من مسيرنا هذا لعلي خطر ، ما قدومنا على ملك جبّارٍ لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلاده لنا بمَتْجَر ؟! ولكن أيُّكم يذهب بالعِير ، فإن أُصيب فنحن برآء من دمه ، وإن غنم فله نصف الربح ؟ فقال غيلان بن سلمة : دعوني إذاً فأنا لها . فدخل الوادي ، فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول : [من البسيط]

ولـــو رآني أبو غيلانَ إذْ حَسَرت عنّي الأمــورُ إلى أمــرٍ لــه طَبَقُ[6]
لقــال رُغبٌ ورُهب يُجمعان معاً حبُّ الحياة وهَول النَّفس والشفقُ

1 ل : مدارج .
2 الرمكاء : التي في لونها حمرة مختلطة بسواد .
3 الرَّطلة : الحمقاء الضعيفة .
4 انظر وصية مماثلة في البيان والتبيين 2 : 67 .
5 تنوّق فِعلها في ل : توسق فضلها .
6 له طبق : له خطره .

إمّا بقيــتَ على مجــدٍ ومَكرمة … أو أسوة لك فيمن يَهْلِك الوَرِقُ

ثم قال : أنا صاحبكم . ثم خرج في العير ، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً[1] ، فلمّا قدِم بلاد كسرى تخلّق[2] ولبِس ثوبينَ أصفرين ، وشهر أمره ، وجلس بباب كسرى حتى أذن له . فدخل عليه وبينهما شبّاكٌ من ذهب ، فخرج إليه الترجمان ؛ وقال له : يقول لك الملك : ما أدخلك بلادي بغير إذني ؟ فقال : قل له : لستُ من أهل عداوةٍ لك ، ولا أتيتُك جاسوساً لِضِدٍّ من أضدادك ، وإنّما جئتُ بتجارةٍ تستمتع بها ، فإن أردتَها فهي لك ، وإن لم تُرِدها وأذِنت في بيعها لرعيّتك بعتُها ، وإن لم تأذن في ذلك رددتُها . قال : فإنّه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجد ، فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لم سجدت ؟ فقال : سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي لأحدٍ أن يعلو صوته إجلالاً للملك ، فعلمت أنه لم يُقدِم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدتُ إعظاماً له . قال : فاستحسن كسرى ما فعل ، وأمر له بمرفقةٍ تُوضَع تحته . فلمّا أُتِي بها رأى عليها صورة الملك ، فوضعها على رأسه ، فاستجهله كسرى واستحمَقَه ، وقال للترجمان : قل له : إنّما بعثنا إليك بهذه لتجلسَ عليها . قال : قد علمتُ ، ولكنّي لمّا أتِيتُ بها رأيتُ عليها صورة الملك ، فلم يكن حقّ صورته على مثلي أن يجلس عليها ، ولكن كان حقّها التعظيم ، فوضعتها على رأسي ، لأنّه أشرفُ أعضائي وأكرمها عليّ . فاستحسن فِعلَه جدّاً ، ثم قال له : ألك ولد ؟ قال : نعم . قال : فأيُّهم أحبُّ إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يؤوب . فقال كسرى : زِه ، ما أدخلك عليّ ودلّك على هذا القول والفِعل إلاّ حظُّك ، فهذا فِعلُ الحكماء وكلامُهم ، وأنت من قومٍ جُفاةٍ لا حكمة فيهم ، فما غذاؤك ؟ قال : خبز البُرّ . قال : هذا العقل من البُرّ ، لا من اللبن والتمر . ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وكَساه وبعث معه من الفُرس مَن بَنى له أُطماً بالطائف ، فكان أوّل أُطُم بنى بها .

[رثاؤه لأخيه نافع]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدّثني عمر بن أبي بكر الموصليّ عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال : استُشهد نافع بن غيلان بن سلمة الثَّقفيّ مع خالد بن الوليد بدُومة الجندل ، فجزِع عليه غيلان وكثر بكاؤه ، وقال يرثيه : [من الكامل]

ما بالُ عيني لا تُغمِّضُ ساعــةً … إلاّ اعترتنـــي عَبْـرةٌ تغشاني

---

1 ل : قحماً .

2 تخلق : تطيب بالخلوق .

أرعى نجوم الليل عندَ طُلوعِها ... وَهْناً وهُنَّ من الغُروب دوانِ
يا نافعاً مَن للفوارس أحجمت ... عَن فارس يعلــو ذُرى الأقرانِ
فلـو استطعتُ جعلتُ منّي نافعاً ... بين اللَّهاةِ وبين عَكْدِ لساني[1]

قال : وكثر بكاؤه عليه ، فعُوتِب في ذلك ، فقال : والله لا تسمحُ عيني بمائها فأَضنٌّ به على نافع . فلمّا تطاول العهد انقطع ذلك من قوله ، فقيل له فيه ، فقال : «بلي نافع ، وبلي الجزع ، وفنِي وفنيتِ الدموع ، واللّحاق به قريب» .

صوت

[من الطويل]

ألا علّلاني قبـل نوح النَّوادبِ ... وقبل بُكـاء المُعْوِلاتِ القرائبِ
وقبلَ ثَوائي في تُـرابٍ وجندلِ ... وقبلَ نشوزِ النفس فوق الترائبِ[2]
فإنْ تأتني الدُّنيا بيومي فجاءة ... تجدْني وقد قضَّيتُ منها مآربي

الشعر لحاجز الأزديّ ، والغناء لنبيه هزج ، بالبنصر ، عن الهشاميّ .

1 عكد الشيء : وسطه .
2 نشوز النفس : ارتفاعها ، كناية عن الاحتضار .

[245] ـ أخبار حاجز ونسبه[1]

[نسبه]

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذُهل بن مالك بن سَلامان بن مفرِّج بن مالك بن زهران بن عوف بن مَيدَعان بن مالك بن نصر بن الأزد . وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي ، وفي ذلك يقول : [من البسيط]

قومي سلامـان إما كنتِ سائلةً ... وفي قريش كريمُ الحِلفِ والحسَبِ
إنّي متـى أدعُ مخزوماً تريْ عُنُقاً ... لا يَرعَشون لضربِ القوم من كَثَبِ[2]
يُدعـى المغيرةُ في أولى عدِيدِهم ... أولادُ مَرْأَسةٍ ليسوا من الذنبِ[3]

وهو شاعر جاهليّ مقلّ ، ليس من مشهوري الشعراء ، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب ، وممّن كان يعدو على رجليه عدواً يسبق به الخيل .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدّثني العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عوف بن الحارث الأزديّ ، أنه قال لابنه حاجز بن عوف : «أخْبِرني يا بُنَيَّ بأشدّ عدْوِك . قال : نعم ، أفزَعتني خثعم فنزوتُ نزواتٍ ، ثم استفزَّتني الخيل واصطفَّ لي ظبيانِ ، فجعلت أنهنهما[4] بيديَّ عن الطريق ، ومنعاني أن أتجاوزَها في العَدْو لضيق الطريق حتى اتسع واتسعت بنا ، فسبقتهما . فقال له : فهل جاراك أحدٌ في العَدْو ؟ قال : ما رأيت أحداً جاراني إلاّ أطَيلِس أغيبرُ من النُّقوم[5] ، فإنا عدونا معاً فلم أقدر على سبقه .

قال : النُّقوم بطن من الأزد من ولد ناقِم ، واسمه عامر بن حوالة بن الهِنْو بن الأزد .

نسخت أخبار حاجز من روايـة أبي عمرو الشيباني من كتاب بخطّ المرهِبـيّ الكوكبيّ ، قال : أغار عوفُ بن الحارث بن الأخثم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلم ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم . فانطلق حتى أتى صِرماً[6] من بني هلال ، وقد عصب

1 ترجمة حاجز الأزدي في أعلام الزركلي .
2 العنق : الجماعة الكثيرة من الناس .
3 مرأسه : رئاسة .
4 أنهنهما : أردهما .
5 ل : البقوم .
6 الصرم : الجماعة .

على يد فرسه عصاباً ليظلع فيطمعوا فيه . فلمّا أشرف عليهم استرابوا به ، فركِبوا في طلبه ، وانهزم من بين أيديهم ، وطمِعوا فيه ، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان ، فأصيب يومئذٍ بنو هلال ، وملأ القوم أيديهم من الغنائم . ففي ذلك يقول حاجز بن عوف : [من الوافر]

صباحكِ واسلمي عنّا أُماما تحيّـة وامـقٍ وعِمِـي ظلاما
بَرَهْرَهَةٌ يحـار الطرف فيها كحُقّـةِ تاجر شُدّت ختاما[1]
فإن تمسِ ابنـةُ السهميّ منّا بعيـداً لا تكلّمنـا كـلاما
فإنّـكِ لا محالـةَ أن تريني ولـو أمست حبالكـم رماما
بناجِيـة القوائـم عَيْسَجُورٍ تَدارَكَ نِيُّهـا عامـاً فعاما[2]
سلي عنّي إذا اغبرّتْ جمادى وكان طعـام ضيفِهم الثماما[3]
ألسنا عِصمةَ الأضياف حتى يُضَحّى مالُهـم نَفَـلاً تواما[4]
أبي رَبَع الفوارِس يـومَ داجٍ وعمّي مالـكٌ وضع السّهاما[5]
فلـو صاحبتِنا لرضيت منا إذا لم تغبِـق المائـة الغلاما[6]

يعني بقوله : وضع السهام ، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشّر بن صقعب بن دُهمان بن نصر بن زهران ، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنِموا الربع ، لأنّ الرياسة في الأزد كانـت لقومـه . وكان يقال لهم : «الغطاريف» وهم أسكنوا الأسد بلد السراة ، وكانوا يأخذون للمقتول منهم دِيتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم . فغزتهم بنو فُقَيْم بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فظفرت بهم ، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم ، حتى هزموا بني فُقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم ، فأراد الحارث أن يأخذ الرُّبع كما كان يفعل ، فمنعه مالك بن ذُهل بن مالـك بن سلامـان ، وهو عمّ أبي حاجز ، وقال : «هيهات ، ترك الرُّبع غدوة[7] فأرسلها مثلاً ، فقال له الحارث : أتراك يا مالك تقدِر أن تسود ؟ فقال : هيهات ، الأزد أمنع من ذاك . فقال : أعطني ولو جَعْباً ، والجَعْب :

1 شُدَّت في ل : سُدَّت . برهرهة : غضة بضة . حقة : وعاء من خشب أو عاج .
2 الناجية : السريعة . عيسجور : ناقة صلبة سريعة . تدارك فيها : تلاحق شحمها .
3 اغبرت جمادى : قل الخير في الشتاء . التمام : نبت ضعيف .
4 ضحى إبله : رعاها وقت الضحى . توام : مخفف توأم .
5 ربع : أخذ المرباع ، وهو ربع الغنيمة .
6 تغبق : تسقي الغبوق ، وهو شرب العشي .
7 لم نجده في كتب الأمثال .

البعر في لغتهم ، لئلا تسمع العرب أنّك منعتني . فقال مالك : «فمن سماعها أفرّ» ، ومنعه الربع ، فقال حاجز في ذلك : [من الطويل]

ألا زعمت أبناءُ يشكرَ أننا ... بربعِهم باءوا هنالك ناضِلُ[1]
ستمنعنا منكم ومن سوء صُنعِكم ... صفائحُ بيضٌ أخلصتها الصياقلُ
وأسمرُ خطّيٌّ إذا هُزّ عاسلٌ ... بأيدي كُماةٍ جرّبتها القبائلُ

وقال أبو عمرو : جمع حاجزٌ ناساً من فَهم وعَدوان ، فدلّهم على خثعم ، فأصابوا منهم غرّة وغنِموا ما شاءوا ، فبلغ حاجزاً أنهم يتوعّدونه ويرصدونه ، فقال : [من الطويل]

وإنّيَ من إرعادِكم وبروقِكم ... وإيعادكم بالقتل صُمٌّ مسامِعي
وإنّي دَليل غيرُ مخفٍ دَلالتي ... على ألفِ بيتٍ جَدُّهم غيرُ خاشعِ
تَرى البيض يركُضْنَ المجاسِدَ بالضّحى ... كذا كلٌّ مشبوح الذراعين نازِعِ[2]
على أيِّ شيء لا أبا لأبيكم ... تشيرون نحوي نحوكم بالأصابعِ

[عمرو بن معديكرب يطعن حاجزاً]

وقال أبو عمرو : أغارت خثعم على بني سَلامان وفيهم عمرو بن معديكرب ، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان ، فالتَقَوْا واقتتلوا ، فطعن عمرو بن معديكرب حاجزاً فأنفذ فخذه ، فصاح حاجز : يا آل الأزد ! فندِم عمرو وقال : خرجت غازياً وفجعت أهلي . وانصرف ، فقال عُزَيِّل الخثعميّ يذكر طعنةَ عمرٍو حاجزاً ، فقال : [من الوافر]

أعجز حاجزٌ مِنّا وفيهِ ... مشلشِلةٌ كحاشيةِ الإزارِ[3]
فعزّ عليّ ما أعجزت منّي ... وقد أقسمت لا يضربْك ضارِ

فأجابه حاجز فقال : [من الطويل]

إنْ تذكروا يومَ القريّ فإنّه ... بَواءٌ بأيّامٍ كثيرٍ عديدها[4]
فنحن أبحنا بالشخيصةِ واهِناً ... جهاراً فجئنا بالنساء نَقودُها
ويومِ كَراءٍ قد تداركَ ركضُنا ... بني مالكٍ والخيلُ صُعرٌ خدودها[5]

1 باءوا : فخروا . ناضل : غالب .
2 المجاسد : الثياب المعصفرة بالزعفران .
3 مشلشلة : ضربة تفيض دماً .
4 القري : واد . بواء : نظير .
5 كراء : ثنية بالطائف .

ويوم الأراكاتِ اللواتـي تأخّرت   سراةُ بني لهبان يدعو شريدها[1]
ونحـن صبَحْنا الحيَّ يوم تَنومةٍ   بملمومة يُهوى الشجاع وئيدُها[2]
ويوم شَروم قـد تركنـا عِصابة   لدى جانب الطرفاء حُمراً جلودها
فمـا رغمت خلفاً لأمرٍ يصيبها   من الذلّ إلاّ نحنُ رغمـا نزيدها

[سحرت عجوز سلاحه]

وقال أبو عمرو : بينما حاجز في بعض غزواته إذا أحاطت به خثعم ، وكان معه بشير ابن أخيه ، فقال له : يا بشير ، ما تشير ؟ قال : دعهم حتى يشربوا ويَقفلوا ويَمضُوا ونمضي معهم فيظنّونا بعضهم . ففعلا ، وكانت في ساق حاجز شامةٌ ، فنظرت إليها امرأةُ من خثعم ، فصاحت : يا آل خثعم ، هذا حاجز . فطاروا يتبعونه ، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة : أكفيكم سلاحَه أو عَدْوه . فقالوا : لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوفاً وهو يعدو مثلَه ، ولكن اكفينا سلاحه . فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوفُ بن الأغر[3] بن همام بن الأسرّ بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفـزِع الخثعمي ، حتى قاربه ، فصاحت به خثعم : يا عوف ارم حاجزاً . فلم يُقدم عليه ، وجبُن ، فغضبوا وصاحوا : يا حاجز ، لك الذمام ، فاقتل عوفاً فإنّه قد فضحنا . فنزع في قوسه ليرميه ، فانقطع وترُهُ ، لأنّ المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه ، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت ، وهربا من القوم ففاتاهم . ووجد حاجز بعيراً في طريقه فركِبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم ، فنزل حاجز عنه ، فمرّ فنجا وقال في ذلك : [من الطويل]

فِدى لكمـا رجْليَّ أمّي وخالتي   بسعيِكما بين الصفـا والأثائبِ[4]
أوانَ سمعتُ القـوم خلفي كأنّهم   حريق أباءٍ في الريّـاح الثواقبِ
سيوفهم تغشى الجبـان ونَبلُهم   يُضيء لدى الأقوامِ نار الحُباحِبِ[5]

1 الأراكات : أودية بالقرب من مكة .
2 ملمومة : كتيبة مجتمعة .
3 ل : الأعسر .
4 الأثائب : شجر ينبت في بطون الأودية .
5 المثل «أخلف من نار الحباحب» في مجمع الميداني 1 : 253 وجمهرة العسكري 1 : 434 ومستقصى الزمخشري 1 : 108 . والحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه . وقيل هو رجل كان بخيلاً فلا يوقد إلاّ ناراً ضعيفة مخافة الضيفان .

فغير قتـالي في المِضيقِ أغاثنـي ... ولكن صَرِيع العَدْو غير الأكاذِبِ
نجوت نجـاءً لا أَبِيك تبثـه ... وينجو بشير نَجوَ أزعرَ خاضِبِ[1]
وجـدتُ بعيراً هامِـلاً فركِبته ... فكادت تكون شرَّ رِكبةِ راكبِ

[إغارته على بني هلال]

وقال أبو عمرو : اجتاز قوم حُجّاجٌ من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة ، فعرَفهم ضَمرة بن ماعز سيد بني هلال ، فقتلهم هو وقومه ، وبلغ ذلك حاجزاً ، فجمع جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم ، وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز : [من الكامل]

يا ضمرُ هـل نِلناكم بدمائنا ... أم هـل حذونا نَعْلكم بمثالِ
تبكـي لِقَتْلى مـن فُقَيْم قُتِّلوا ... فاليوم تبْكـي صادقـاً لهلالِ
ولقد شفاني أن رأيت نساءكم ... يبكين مردفـة عـلى الأكفالِ
يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا ... لقِحت على الدكّاء بعد حِيالِ[2]

[أخت حاجز ترثيه]

قال أبو عمرو : خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعُدْ ، ولا عُرِف له خبر ، فكانوا يَرون أنّه مات عطشاً أو ضلّ ، فقالت أخته ترثيه : [من الوافر]

أحيٌّ حاجـزٌ أم ليس حيّاً ... فيسلك بين جَندَف والبهيمِ[3]
ويشربَ شربةً مـن ماء ترج ... فيصدرَ مِشيـة السبع الكليمِ

[حاجز فرّار]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة ، قال : كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفِرار ، لقي عامراً[4] فهرب منهم فنجا ، وقال : [من الطويل]

ألا هـل أتـى ذاتَ القلائد فَرَّتي ... عشيةَ بين الجُرفِ والبحر من بعرِ[5]

---

1 لا أبيك : لا وأبيك . الأزعر : القليل الشعر . الخاضب : الظليم إذا أكل الربيع فاحمر ساقاه .
2 الدكاء : رابية . بعد حيال : بعد أن كانت عقيمة .
3 جندف والبهيم : جبلان .
4 عامراً في ل : غامداً .
5 الجرف والبعر : موضعان .

عشيةَ كادت عامر يقتلونني ... لدى طَرفِ السَّلماء راغية البكرِ[1]
فما الظبي أخطت خلفة الصقر رجلَه ... وقد كاد يلقى الموتَ في خلفة الصقرِ[2]
بمثلي غداةَ القومُ بين مُقنَّع ... وآخرَ كالسكرانِ مرتكِزٍ يفري[3]

وفرّ من خثعم وتبعه المرقع الخثعميّ ثم الأكلبيُّ ، ففاته حاجز ، وقال في ذلك : [من الكامل]

وكأنّما تبع الفوارسُ أرنبا ... أو ظبيَ رابيةٍ خُفافاً أشعبا[4]
وكأنّما طردوا بذي نمراته ... صَدَعاً من الأروى أحَسَّ مكلِّبا[5]
أعجَزْتُ منهم والأكفُّ تنالني ... ومضت حياضهم وآبوا خُيَّبا
أُدعو شَنوءةَ غثَّها وسمِينَها ... ودعا المرقِّع يوم ذلك أكلُبا

وقال يخاطب عوض أمسى : [من الكامل]

أبلِغ أميمة عوض أمسى بزَّنا ... سلباً وما إن سَرَّها أن نُنْكبا[6]
لولا تقارب رأفة وعيونها ... يخمشْنَ خمشاً مصعداً ومصوِّبا

صوت

[من الكامل]

يا دارُ من ماوِيَّ بالسَّهب ... بنيت على خطب من الخطبِ
إذ لا ترى إلاّ مُقاتلة ... وعَجانساً يُرقِلن بالرَّكْبِ[7]
ومُدَجَّجاً يسعى بشِكّتِه ... مُحْمَرَّةٌ عيناهُ كالكلبِ
ومعاشراً صدأُ الحديدِ بهم ... عَبَقَ الهِناء مَخاطِمَ الجربِ[8]

الشعر للحارث بن الطفيل الدَّوْسيّ ، والغناء لمعبد ، رمل بالبنصر ، من رواية يحيى المكّي ، وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق ، والله أعلم .

---

1 عامر في ل : غامد . المثل «أصابتهم راغية البكر» في أمثال أبي عبيد : 44 . وانظر فصل المقال : 458 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 وجمهرة العسكري 2 : 156 .
2 خلفة الصقر : اختلافه مرة بعد مرة .
3 يفري : يبالغ في النكاية والقتل .
4 الظبي الأشعب : البعيد ما بين القرنين .
5 الصدع : الوعل الشاب القوي ، الأروى : أنثى الوعل .
6 نُنْكبا في ل : تسلبا .
7 العجانس : جمع عنجس ، الشديد الضخم من الإبل .
8 الهناء : ما تطلى به الإبل كالقطران . المخاطم : جمع مخطم : مقدم أنف الناقة وفمها .

[246] ـ أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

[نسبه]

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غَنْم بن دوس بن عبد الله بن عُدثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، شاعرٌ فارسٌ ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام ، وأبوه الطفيل بن عمرٍو شاعر أيضاً ، وهو أوّل مَن وفد من دوس على النبي ﷺ ، فأسلم وعاد إلى قومه ، فدعاهم إلى الإسلام .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الحَزَنْبَلُ بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه ، واللفظ في الخبر له ، والله أعلم .

وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثني عمّي عن العباس بن هشام عن أبيه : أنّ الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسيّ خرج حتى أتى مكّة حاجّاً ، وقد بُعِث رسول الله ﷺ وهاجر إلى المدينة ، وكان رجلاً يعصو ، والعاصي البصير بالجِراح ، ولذلك يقال لولده : بنو العاصي ، فأرسلته قريشٌ إلى النبيّ ﷺ وقالوا : انظر لنا ما هذا الرجل ، وما عنده ؟ فأتى النبيّ ﷺ فعرض عليه الإسلام ، فقال له : إنّي رجلٌ شاعر ، فاسمع ما أقول . فقال له النبيّ ﷺ : هات . فقال : [من الطويل]

لا وإلـه الناس تألَـمُ حربَهم ... ولـو حاربَتْنا مُنهِبٌ وبنو فهمِ[1]

ولمّا يكن يـومٌ تـزول نجومُه ... تطير بهِ الرُّكبانُ ذو نبإٍ ضخمِ

أسلماً على خَسفٍ ولستُ بِخالِدٍ ... وما لي من واقٍ إذا جاءني حتمِي

فلا سلمَ حتى تحفِزَ الناسَ خِيفةٌ ... ويصبحَ طيرٌ كانِساتٍ على لحمِ

فقال له رسول الله ﷺ : وأنا أقول فاستمع ، ثم قال : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» . ثم قرأ : «قل أعوذ بربّ الفلق» ، ودعاه إلى الإسلام فأسلم ، وعاد إلى قومه ، فأتاهم في ليلةٍ مطيرةٍ ظلماء ، حتى نزل بَرُوق ، وهي قرية عظيمةٌ لدوس فيها مِنبر ، فلم يبصِر أين

1 ترجمة الحارث بن الطفيل في الوافي بالوفيات 11 : 258 وأعلام الزركلي وكتب الصحابة مثل أسد الغابة والإصابة والاستيعاب . حاربتنا في ل : صالحتهم .

يسلك ، فأضاء له نور في طرفِ سوطه ، فبهر الناس ذلك النور ، وقالوا : نار أحدِثت على القَدومِ ثم على بَرُوق لا تطفأ . فعلِقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم ، فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمّه ، ودعا قومه فلم يجبه إلاّ أبو هريرة ، وكان ينزل هو وأهله في جبل يقال له ذو رِمَع[1] ، فلقيه بطَريق يزحزح[2] ، وبلغنا أنه كان يزخف في العقبة من الظلمة ويقول : [من الكامل]

يــا طولهــا مــن ليلةٍ وعنائها على أنّها من بلدةِ الكفرِ نَجَّتِ

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبيّ ﷺ ومعه أبو هريرة ، فقال له : ما وراءك ؟ فقال : بلادٌ حصينة وكفرٌ شديد . فتوضأ النبي ﷺ ثم قال : «اللهمّ اهد دوساً» ثلاث مراتٍ . قال أبو هريرة : فلمّا صلّى النبي ﷺ خِفت أن يدعو على قومي فيهلِكوا ، فصحت : واقوماه ! فلمّا دعا لهم سُرِّيَ عنّي ، ولم يحبّ الطفيل أحد أن يدعو لهم لخلافِهم عليه . فقال له : لم أحِبَّ هذا منك يا رسول الله . فقال له : إن فيهم مثلك كثيراً . وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف بن غويَّة بن سعد بن الحارث من ذبيان بن عوف بن مُنهِب بن دوس يقول في الجاهلية : إنّ للخلق خالِقاً لا أعلم ما هو . فخرج حينئذٍ في خمسة وسبعين رجلاً حتى أتى النبيّ ﷺ ، فأسلم وأسلموا . قال أبو هريرة : ما زلت ألوي الآجرة بيدي ، ثم لويت على وسطي حتى كأنّي بِجادٌ[3] أسود ، وكان جندب يقرّبهم إلى النبيّ ﷺ رجلاً رجلاً ، فيسلمون .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدةٍ للحارث بن الطفيل ، قالها في حربٍ كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دَهمان بن نصر بن زهران .

وكان سبب ذلك فيما ذكِر عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ ضِماد بن مُسَرّح بن النعمان بن الجبّار بن سعدِ بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر ، سيّد آل الحارث ، كان يقول لقومه : أحذّركم جرائر أحمقَين من آل الحارث يبطلانِ رياستكم . وكان ضِمادٌ يتعيّف ، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلَّها ، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم ، وكان القتيلُ من آلِ الحارثِ تؤخذ له دِيتانِ ، ويعطون إذا لزمهم عقلُ قتيلٍ من دوس ديةً واحدة ، فقال غلامان من بني الحارث يوماً : ائتوا شيخ بني دوس وزعيمهم[4] الذي ينتهون إلى أمره فلنقتله . فأتياه ،

1 ذو رِمَع في ل : ذو منعا .

2 بطريق يزحزح في ل : بطرف برحرح .

3 بجاد : كساء مخطّط .

4 وزعيمهم في ل : ونهيهم .

فقالا : يا عمّ ، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه . فأخرجاه من منزله ، فلمّا تنحّيا به قال له أحدهما : يا عمّ ، إن رِجلي قد دخلت فيها شوكة ، فأخرِجها لي . فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله ، فعمَدت دوس إلى سيِّد بني الحارث ، وكان نازلاً بقَنَوْنى[1] فأقاموا له في غيضةٍ في الوادي ، وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضةَ وعقَلوها ، فجلعت الناقة ترغو وتحِنّ إلى الإبل ، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرفَ شأنَ الناقة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم أتَوا أهله ، وعرفت بنو الحارث الخبر ، فجمعوا لِدَوس وغَزَوهم فنَذِروا بهم فقاتلوهم فتناصفوا ، وظفِرت بنو الحارث بِغِلمةٍ من دوس فقتلوهم ، ثم إنّ دوساً اجتمع منهم تسعةٌ وسبعون رجلاً ، فقالوا : من يكملنا ثمانين حتى نغزو أهل ضِماد ؟ فكان ضِماد قد أتى عُكاظ ، فأرادوا أن يخالفوه إلى أهله ، فمرّوا برجل من دوسٍ وهو يتغنّى : [من الوافر]

فإنَّ السلمَ رائـدة نواهـا وإنّ نـوى المحارب لا ترود

فقالوا : هذا لا يتبعكم ، ولا ينفعكم إن تبِعكم ، أما تسمعون غناءه في السَّلم . فأتوا حُمَمَة بن عمرو ، فقالوا : أرسِل إلينا بعض ولدك . فقال : وأنا إن شئتم . وهو عاصب حاجبَيه من الكِبر . فأخرج معهم ولده جميعاً ، وخرج معهم ، ثم قال لهم : تفرّقوا فرقتين ، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا ، وإيّاكم والغرةَ حتى تتفارقوا لا يقتلْ بعضكم بعضاً . ففعلوا ، فلم يلتفِتوا حتى قتلوا ذلك الحيَّ من آل الحارثِ ، وقتلوا ابناً لضمادِ ، فلمّا قدِم قطع أذنَـي ناقته وذنبها ، وصرخ في آل الحارث ، فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوسٌ تجتمع بإزائه ، وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرَّفُ بعضهم[2] بعضاً ، وكان ضماد قد قال لابن أخٍ له يكنى أبا سفيان لمّا أراد أن يأتي عكاظ : إنْ كنتَ تحرز[3] أهلي ، وإلاّ أقمتُ عليهم . فقال له : أنا أحرزهم من مائة ؛ فإنْ زادوا فلا . وكانت تحت ضِمادٍ امرأةٌ من دوس ، وهي أخت مربان بن سعدِ الدوسيّ الشاعر ، فلمّا أغارت دوسٌ على بني الحارث قصدها أخوها ، فلاذت به ، وضمّت فخذِها على ابنها من ضِمادٍ ، وقالت : يا أخي اصرِف عنّي القوم ، فإنّي حائض لا يكشفوني . فنكز سِية القوس في دِرعِها ، وقال : لست بحائض ، ولكن في دِرعِك سَخْلَةٌ بكذا من آل الحارث ، ثم أخرج الصبيَّ فقتله . وقال في ذلك : [من الطويل]

ألا هل أتى أمَّ الحُصَيْن ولو نأت خِلافتُنـا في أهلِـه ابنُ مُسَرَّحِ

---

1 قنونى : اسم واد .

2 يتطرف : يغير .

3 تحرز : تصون .

ونضرةُ تدعــو بالفِناء وطَلَقُها ترائِبه ينفحن مــن كلِّ مَنْفَحِ[1]
وفــرّ أبو سفيانَ لمّـا بـدا لنا فِرارَ جبانٍ لامَّهِ الذلُّ مُقْرحِ[2]

[يوم حضرة الوادي]

قال : فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يوم حضرة الوادي ، فتحاشد الحيان ، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالِهم ، ووقف ضِماد بن مسرّح في رأس الجبلِ ، وأتتهم دوس . وأنزل خالد بن ذي السبلة بناتِه هنداً وجندلةَ وفطيمة ونضرة ، فبنين بيتاً ، وجعلن يَستقِين الماء ، ويحضِّضْن . وكان الرجل إذا رجع فارّاً أعطينه مُكحُلة ومِجْمرا ، وقلن : أهلاً معنا فانزل ، أي إنّك من النساء ، وجعلت هندٌ بنت خالدٍ تحرّضهم وترتجز وتقول : [من الرجز]

مَــنْ رجــلٌ ينازِل الكتيبَهْ فذلِكــم تَزني بــه الحبيبَهْ

فلمّا التقوا رمى رجلٌ من دوس رجلاً من آل الحارث ، فقال : خُذْها وأنا أبو الزبن[3] ، فقال ضماد وهو في رأس الجبل وبنو الحارث بحضرة الوادي : يا قوم زُبِنتم فارجعوا . ثم رجل آخر من دوس ، فقال : خذها وأنا أبو ذِكر[4] . فقال ضِماد : ذهب القوم بذكرها ، فاقبلوا رأيي وانصرفوا . فقال : قد جبُنت يا ضِماد . ثم التقوا ، فأُبيرت بنو الحارث . هذه رواية أبي عمرو .

وأمّا الكلبيّ فإنّه قال : كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغِطريف ويقال لبنيه الغطاريف ، وكان لهم دِيتان ، ولسائر قومه دية ، وكانت لهم على دوس إتاوةٌ يأخذونها كلَّ سنة ، حتى إنْ كان الرجل منهم ليأتي بيت الدّوْسيّ فيضع سَهمه أو نعلَه على الباب ، ثم يدخل ، فيجيء الدوسي ، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته ، حتى أدرك عمرو بن حُمَمَة بن عمرو فقال لأبيه : ما هذا التطوّل الذي يتطوّل به إخواننا علينا ؟ فقال : يا بُنَيَّ ، إن هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا ، فأعرِض عن ذكره . فأعرضَ عن هذا الأمر ، وإنّ رجلاً من دوس عرَّس بابنةِ عمّ له ، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر ، فجاء زوجها فدخل على اليشكريّ ، ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك . فجمع دوساً وقام فيهم ، فحرّضهم وقال : إلى كم تصبرون لهذا الذلّ ، هذه بنو الحارث ، تأتيكم الآن تقاتلكم ، فاصبروا تعيشوا كِراماً أو تموتوا كِراماً . فاستجابوا له ، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا ، واقتتلوا ، فظفِرت بهم دوس ، وقتلتهم كيف شاءت ، فقال رجل من دوس يومئذٍ : [من الرجز]

1 الطلق : أصلاً الظبي . ينفخن بالدم : ينضحن دماً .
2 مقرح : مجروح .
3 الزبن : الدفع .
4 أبو ذكر : أبو الصيت والثناء .

قد علمت صفراءُ حرشاءُ الذيـلْ شرّابـةُ المحض تـروكٌ للقيلْ[1]
ترخي فروعاً مِثلَ أذنابِ الخيلْ أنّ بَرُوقـاً دونهـا كالويلْ
ودونها خـرطُ القتادِ بالليلْ[2]

وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسيّ في هذا اليوم ، عن أبي عمرو : [من الكامل]

يـا دارُ مِـن مـاوِيّ بالسَّهبِ بُنِيت على خَطْبٍ مـن الخطْبِ
إذ لا تـرى إلاّ مقاتلـةً وعَجانِسا يُرْقِلْـن بـالركبِ
ومُدَجّجـاً يسعـى بِشِكتِـه محمـرّةً عينـاه كالكلـبِ
ومَعاشرا صـدأ الحدِيـدِ بهـم عبـق الهِنْـاء مخاطِـم الجُربِ
لّمـا سمعـت نَزالِ قـد دُعِيت أيقنـت أنَّهـمُ بنـو كعـبِ
كعبِ بنِ عمرو لا لِكعب بني الـ ـعنقاء والتّبْيـانِ في النسبِ
فرميـتُ كبشَ القـوم مُعْتَمِداً فمضى وراشوه بـذي كعبِ[3]
شكّـوا بحَقْوَيْـه القـداحَ كما نـاط المُعَـرِّضُ أقدحَ القضْبِ[4]
فكـأنّ مُهـري ظـلّ مُنْغَمسا بشبا الأسِنـة مَغْـرَةُ الجأبِ[5]
يـا ربّ موضوعٍ رفعتُ ومـر فـوع وضعتُ بمنزل اللّصبِ[6]
وحَلِيل غانِيـة هتكـتُ قرارها تحت الوغـى بِشديـدةِ العضبِ[7]
كانـت على حُـبّ الحيـاة فقد أحللتهـا في منـزلِ غـربِ[8]
«جانِيك مَـنْ يَجْني عليكِ وقد تُعْدي الصِّحاحَ مبارِكُ الجربِ»[9]

1 حرشاء : خشنة . القيل : اللبن يشرب نصف النهار .
2 المثل «دونه خرط القتاد» في مجمع الميداني 1 : 265 ومستقصى الزمخشري 2 : 82 .
3 الكبش : الرئيس . راشوه : من الرشوة . ذو كعب : الرمح .
4 الحقو : الخصر . القداح : السهام . ناط : علق . المعرض : الرامي الذي يعرض القوس عرضاً ثم يرمي . أقدح : جمع قِدح ، وهو السهم . القضب : جمع قضيب ، ويعني القوس .
5 المغرة : لون مائل إلى الحمرة . الجأب : موضع .
6 اللصب : مضيق الوادي .
7 العضب : الطعن .
8 غرب : بعيد .
9 المثل «جانيك من يجني عليك» في مجمع الميداني 1 : 169 وجمهرة العسكري 1 : 306 ومستقصى الزمخشري 2 : 48 .

هذا البيت في الغناء في لحن ابن سُريج ؛ وليس هو في هذه القصيدة ، ولا وُجِد في الرواية ، وإنّما أَلحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تُضِيف المغنون شعراً إلى شعر ، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذا اختلف الرويّ والقافية .

صوت[1]

[من الهزج]

صرفتُ هواكَ فانصرفا ولم تَـرْعَ الذي سلفا
وبِنتَ فلـم أمتْ كلفا عليك ولم تَمُـتْ أسفا
كلانـا واجـد في النا س مِمّـن ملَّــه خلفا

الشعر لعبد الصمد بن المعذّل ، والغناء للقاسم بن زُرْزُور ، رملٌ بالوسطى ، وفيه لعمر الميداني هزجٌ .

1 ديوان عبد الصمد بن المعذل (صادر) : 142 .

[247] ـ أخبار عبد الصمد بن المعذّل ونسبه[1]

[نسبه]

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البَختريّ بن المختار بن ذَرِيح بن أوس بن همّام بن ربيعة بن بشير بن حُمران بن حِدرِجان بن عساس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزارٍ . وقيل : ربيعة بن ليث بن حمران .

وجدت في كتابٍ بخطّ أحمد بن أبي كامل : حدّثني غيلان بن المعذّل أخو عبد الصمد ، قال : كان أبي يقول : أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة بن أسد ، وأفصى جدُّ بكر بن وائل هو أفصى بن دُعْميّ . والنسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفصى بن دُعْميّ . ويكنى عبد الصمد أبا القاسم ، وأمّه أمّ ولد يقال لها : الزَّرقاء . شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصريّ المولد والمنشأ . وكان هجاء خبيث اللسان ، شديد العارضة . وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً ، إلاّ أنّه كان عفيفاً ، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة ، وله جاه واسع في بلدِه وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه ، وعبد الصمد أشعرهما . وكان أبو عبد الصمد المعذّل وجدّه غيلان شاعرين ، وقد روي عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير . والمعذَّل بن غيلان هو الذي يقول : [من الطويل]

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنّني ... أرى صالح الأعمال لا أستطِيعها
أرى خلّةً في إخوة وقرابةٍ ... وذي رَحِمٍ ما كان مِثلي يُضِيعها
فلو ساعَدَتني في المكارم قدرةٌ ... لفاض عليهم بالنوالِ ربيعها

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش ، عن المبرِّد ، وأنشدناه محمد بن خلف بن المرزُبان عن الربعيّ أيضاً . قالا : وهو القائل : [من الطويل]

ولستُ بميّالٍ إلى جانبِ الغِنى ... إذا كانت العلياءُ في جانِبِ الفقرِ
وإنّي لصبّار على ما ينوبُني ... وحسبُكَ أنّ الله أثنى على الصبرِ

[تهاجي المعذّل وأبان اللاحقي]

أخبرني محمد بن خلفٍ ، قال : حدّثنا النَّخَعيّ وإسحاق حدّثنا الجماز قال : هجا أبان اللاحقيّ المعذَّل بن غيلان ، فقال : [من الخفيف]

1 ترجمة عبد الصمد بن المعذل في طبقات ابن المعتز 367–369 والسمط : 325 والموشح : 528 وفوات الوفيات 2 : 330 وأعلام الزركلي والتذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره الدكتور زهير زاهد (صادر) .

كنتُ أمشي مـع المعذَّلِ يوماً ففسا فَسوةً فكـدتُ أطيرُ
فتلفتُّ هـل أرى ظَرِبانـا من ورائي والأرضُ بي تستديرُ
فـإذا ليس غيرُه وإذا إعـ ـصارُ ذاك الفُساءِ منـه يفورُ
فتعجَّبت ثم قلـتُ لقد أعـ ـرِفُ ، هذا فيما أرى خنزيرُ

فأجابه المعذَّل فقال : [من مجزوء الرمل]

صَحَّفَتْ أُمُّك إذْ سمَّـ ـتك بالمهـدِ أبانـا
قـد عَلِمنـا مـا أرادت لم تُـردْ إلاّ أتانـا
صَيَّرتْ بـاءً مكان الـ ـتـاء واللهِ عِيانـا[1]
قَطَـع اللهُ وشيكـا مِـن مُسمِّيـك اللسانا

[المعذل وعبد الله بن سوار]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا المبرد قال : مرَّ المعذّل بن غيلان بعبد الله بن سوّار العنبريّ القاضي ، فاستنزلَه عبد الله ، وكان من عادة المعذَّل أن ينزل عنده ، فأبى ، وأنشده : [من الوافر]

أمِن حـقّ المـودّةِ أن نُقضّي ذِمامَكـمُ ولا تَقْضُـوا ذماما
وقد قال الأديبُ مقالَ صِدقٍ رآه الآخَـرُون لهـم إمـاما
إذا أكرمتُكـم وأهنتمـوني ولم أغْضَب لذلكـم فـذا ما

قال : وانصرف ، فبَكَّر إليه عبد الله بن سوار ، فقال له : رأيتك أبا عمرو مُغضباً . فقال : أجل ماتت بنتُ أختي ولم تأتني . قال : ما علمت ذلك . قال : ذَنْبُك أشدّ من عذرك ، وما لي أنا أعرف خَبَر حقوقك ، وأنت لا تعرف خبرَ حقوقي ؟ ! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رَضِيَ عنه .

[يهجو شروين المغني]

حدّثني الحسن بن عليّ الخَفَّاف ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن الحمدونيّ ، قال : كان شروين حسنَ الغناء والضّرب ، وكان من أراد أن يغنّيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه ، وتُلوّح له بخرقة حمراء ، ليظنَّها امرأةً تطالعه ، فكان حينئذٍ يغنّي أحسَنَ ما يقدر عليه تصنُّعاً لذلك ، فغضـب عليـه عبد الصمد في بعض الأمـور ، فقال يهجـوه[2] : [من السريع]

---

1 والله عيانا في ل : فالله أعانا .
2 ديوانه : 198 .

مَن حلّ شروينُ له منزلاً فلتنههُ الأولى عــن الثانيهْ
فليسَ يدعــوه إلى بيتــه إلاّ فتًــى في بيتــه زانيهْ

[زانٍ متزوّج زانية]

أخبرني الحسن ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني أبو عمرو البصريّ ، قال : قال عبدالصمد بن المعذَّل في رجلٍ زانٍ من أهلِ البصرة كانت لـه امرأةٌ تزني ، فقال[1] : [من السريع]

إن كنتِ قد صفَّرتِ أُذْنَ الفتى فطالمــا صَفَّــرَ آذانــا
لا تعجَبي إن كنتِ كَشْخَنْتِه فإنَّمــا كشخنتِ كشخانا[2]

[عاشق جارية ابن الجوهريّ]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب ، قال : حدّثنا سوّار بن أبي شُراعة ، قال : كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهريّ ، وكانت له جاريةٌ مغنّيـةٌ حسنـة الغناء ، وكان ابنُ الجوهريّ شيخاً هِمّاً قبيح الوجه ، فتعشَّقَتْ فتًى كاتباً كان يعاشره ويدعوه . وكان الفتى نظيفاً ظريفاً ، فاجتمعت معه مِراراً في منزله ، وكان عبد الصمد يعاشره ، فكان الفتى يكاتمه أمرَه ، ويحلِف له أنّه لا يهواها ، فدخلتُ عليهما ذات يومٍ بغتةً ، فبقيَ الفتى باهتاً لا يتكلّم ، وتغيّر لونه وتخلَّج في كلامه ، فقال عبد الصمد[3] : [من المتقارب]

صوت

لسانُ الهــوى ينطقْ وَمَشْهَــدُه يَصــدقْ
لقــد نَــمَّ هذا الهوى عليـك ومــا يُشْفقْ
إذا لم تكــن عاشقاً فقلبُــك لِــمْ يخفقْ
وما لَــكَ إمَّا بــدَتْ تَحــارُ فــلا تنطِقْ
أشمسٌ تجلّــت لنــا أم القمــــرُ المشرقْ

الغناء في هذه الأبيات لرذاذٍ ، ويقال للقاسم بن زرزور ، رملٌ مطلقٌ .

قال : ثم طال الأمر بينهما ، فهربتْ إليه جملةً ، فقال عبد الصمد في ذلك[4] : [من المديد]

إلى امــرىءٍ حازم ركِبَتْ أيَّ امرىء عاجــزٍ تركَتْ

---

1 ديوانه : 182 .
2 كشخان : لا يغار على نسائه .
3 ديوانه : 144 .
4 ديوانه : 88–89 عن الأغاني .

فتنةُ ابن الجوهـريِّ لقـد ... أظهرَتْ نُصحاً وقد أفِكتْ
أكذبَتْهـا عزمــةٌ ظهرت ... لا تبالي نفسَ مَن سفكتْ
ظفِرتْ فيهـا بمـا هَوِيَتْ ... ونَجَت من قُرب من فَرِكَتْ
ثــمّ خدود بعدها لُطِمَتْ ... وجيوب بعدهــا هُتِكَتْ[1]
وعيــون لا يُرقّــأن على ... حُسْنِ وجه فاتَهُنَّ بكَتْ[2]
خرجَــتْ والليــل مُعْتكِرٌ ... لم يَهُلْهـا أيَّــةً سلكَتْ
وعيونُ النّاس قـد هجعت ... ودُجى الظّلماء قد حَلَكتْ[3]
لم تَخَفْ وجـداً بعاشقها ... حُرمةَ الشّهرِ الذي انتهكَتْ
ورأَتْ لمّــا سَقَتْ كَمداً ... أنّهــا في دينهــا نَسَكَتْ
مُلِّئَت كــفٌّ بها ظَفِرت ... دونَ هذا الخلق ما مَلَكتْ
أيُّ ملك إذ خـلا وخلَتْ ... فشكا أشجانَــه وشَكَتْ
تَجتــلي مــن وجهِهِ ذهباً ... وهــو يَجلُو فضّةً سُبِكَتْ
هكــذا فعــلُ الفتــاة إذا ... هــي في عشّاقها محكَتْ[4]

[هجاؤه جاراً له]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني بعض أصحابنا قال : نظر عبد الصمد بن المعذّل إلى جارٍ له يخطِر في مِشيته خطرةً منكرة ، وكان فقيراً رثَّ الحال ، فقال فيه[5] : [من الخفيف]

يتمشّى في ثَوب عَصْبٍ من العُرْ ... ي على عظْـم ساقِــهِ مسدولِ[6]
دبَّ في رأسه خُمــارٌ من الجو ... عِ سُرى خَمرةِ الرحيقِ الشمولِ
فبكــى شَجْوَه وحــنَّ إلى الخُـ ... ـبز ونــادى بزفــرةٍ وعويلِ
مَــن لقلــبٍ متيَّــم برغيفيـ ... ـن ونفسٍ تاقـت إلى طِفْشيلِ

1 ثم في الديوان : كم (وبها يستقيم الوزن) .
2 يرقّأن في الديوان : ما رقأن (ليستقيم الوزن) .
3 قد هجعت في ل والديوان : هاجعة .
4 محكت : لجت وتمادت .
5 ديوانه : 158 عن الأغاني .
6 العصب : ضرب من القماش تصنع منه البرود .

ليس تسمُــو إلى الولائــم نفسي ... جلَّ قــدرُ الأعـراس عن تأميلي
هــاتِ لونــاً وقُــلْ لتلكَ تغنّي ... «لستُ أبكي لدراسات الطُّلولِ»

[رثاؤه لطفيلي]

أخبرنا سَوّارُ بن أبي شُراعة ، قال : كان بالبصرة طُفَيليٌّ يُكَنَّى أبا سلمة ، وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لِبْسَ القضاة ، وأخذ ابنَيْهِ معه وعليهما القلانِس الطوال ، والطّيالسة الرقاق[1] ، فيقدّم ابنيه ، فيدقُّ الباب أحدهما ويقول : افتح يا غلام لأبي سلمة . ثم لا يُلبِث البوابَ حتى يتقدّم الآخر ، فيقول : افتح ويلك فقد جاء أبو سلمة . ويتلوهم ، فيدقُّون جميعاً الباب ، ويقولون : بادِرْ ويلك ، فإنَّ أبا سلمة واقف . فإن لم يكن عَرَفهم فتح لهم ، وهابَ منظرهم ، وإن كانت معرفتُه إيّاهم قد سبَقتْ لم يلتفت إليهم ، ومع كلٍّ واحد منهم فِهْرٌ[2] مدوَّر يسمونه «كَيسان» ، فينتظرون حتّى يجيءَ بعض من دُعِيَ ، فيفتح له الباب ، فإذا فتح طرحوا الفِهرَ في العتبة حيث يدور الباب ، فلا يقدر البواب على غلقه ، ويهجمون عليه فيدخلون . فأكل أبو سلمة يوماً على بعض الموائد لُقمةً حارّة من فالوذج ، وبَلَعها لشدّة حرارتها ، فجمِعت أحشاؤه فمات على المائدة ، فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه[3] : [من البسيط]

أحزان نفسي عليها غيرُ مُنْصَرِمهْ ... وأدمُعي من جفوني الدَّهرَ منسجِمَهْ
على صديقٍ ومولًى لي فُجِعْتُ بهِ ... ما إنْ لهُ في جميع الصالحين لُمَهْ[4]
كم جفنةٍ مِثلِ جَوفِ الحوض مُتْرَعَةٍ ... كوماءَ جاء بهـا طباخُها رذِمَهْ[5]
قـد كلَّلتهـا شحومٌ مِن قَلِيَّتها ... ومـن سَنامِ جـزورٍ عَبْطةٍ سنِمَهْ
غُـيِّبْتَ عنها فلم تَعرِف لها خبراً ... لهفي عليكَ وعـولي يا أبا سلمَهْ
ولو تكون لها حيّـاً لـمـا بَعُدت ... يوماً عليك ولو في جاحمٍ حُطَمَهْ[6]
قــد كنت أعلم أنَّ الأكل يقتله ... لكنّني كنت أخشى ذاك من تُخَمَهْ
إذا تعمَّم في شبليــهِ ثــم غـدا ... فإنّ حوزةَ مــن يأتيه مصطَلَمَهْ[7]

1 الرقاق في ل : الزرق .
2 الفهر : الحجر .
3 ديوانه : 172–173 .
4 اللمة : المثل والنظير .
5 الرذمة : التي تسيل دسماً .
6 الجاحم الحطمة : النار الشديدة .
7 مصطلمة : مستأصلة .

[أبياته في فتى كان يتعشّقه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان، قال: حدّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه، قال: كان عبد الصمد بن المعذّل يتعشّق فتًى من المغنِّين، يقال له: أحمد، فغاضبه الفتى وهَجَره، فكتب إليه[1]: [من المنسرح]

صوت

سَلْ جَزَعي مُذْ صددت عن حالي ... هل خَطَر الصبرُ على بالي
لا غيَّرَ الله سوءَ فعلك بي ... إن كنتُ أعتبتُ فيك عُذَّالي
ولا ذممتُ البكا لي عليك ولا ... حَمِدتُ حُسنَ السلُوِّ من سالِ
لو كنتُ أبغي سِواكَ ما جهِلَتْ ... نفسيَ أنَّ الصُّدود أعفى لي[2]

لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق.

[هجاؤه قينة]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه، قال: حدّثني عليُّ بن محمدٍ النّوفليّ، فقال: هجا عبد الصمد بن المعذَّل قينةً بالبصرة قال فيها: [من البسيط]

تفترُّ عن مَضحَكِ السِّدْريِّ إن ضحكت ... كَرْفَ الأُتان رأت إدلاءَ أعيارِ[3]
يَفوحُ ريحُ كنيفٍ من ترائبها ... سوداءُ حالكةٌ دهماءُ كالقارِ

قال: فكَسَدت والله تلك القينة بالبصرة، فلم تُدْعَ ولم تُسْتَتبع حتى أُخرِجَت عنها.

[عتابه لأحد الأمراء]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا المبرد، قال: كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رقعةً فلم يجبه عنها، لشيء كان بلغه عنه، فكتب إليه[4]: [من الخفيف]

قد كتبتُ الكتاب ثم مَضى اليو ... م ولم أدرِ ما جوابُ الكتابِ
ليتَ شِعري عن الأمير لماذا ... لا يراني أهلاً لردِّ الجوابِ
لا تَدَعْني وأنت رفَّعْتَ حالي ... ذا انخفاضٍ بهجرتي واجتنابي

---

1 ديوانه: 107–108 عن الأغاني.
2 أعفى لي: أطيب وأحسن.
3 مضحك السدري: يقصد أبا نبقة الذي هجاه (سيأتي في هذه الترجمة). كرف الأتان: يقال كرف الحمار إذا شمّ بول الأتان. الأعيار: جمع عير، وهو الحمار.
4 ديوانه: 79 عن الأغاني.

إن أكنْ مذنباً فعندي رجوعٌ وبـلاءٌ بالعـذر والإعتابِ
وأنا الصادقُ الوفاء وذو العهـ ـدِ الوثيقِ المؤكَّـدِ الأسبابِ

[هجاؤه رجلاً من ولد المهلّب]

أخبرني الحِرْميّ بن عليّ ، قال : حدّثني أبو الشبل ، قال : كان بالبصرة رجلٌ من ولد المهلّب بن أبي صُفْرة يقال له : صبيانة . وكان له بستان سريٌّ في منزله . فكان يدعو الفتياتِ إليه ، فلا يعطيهنَّ شيئاً من الدراهم ، ويُقْصِرُ بهنّ على ما يحمِلنه من البستان معهنَّ ، مثلَ الرُّطب والبقول والرياحين . فقال فيه عبد الصمد قوله[1] : [من الرجز]

قـومٌ زنـاةٌ مالهـم دارهـمُ جذرهـم النَّمَّـامُ والحَماحِمُ[2]
أنذلُ مـن تجمَعُـه المواسم خَسُّوا وخسَّتْ منهـم المطاعِمُ
فعدلُهـم إن قِسْتَه المظـالمُ

[جزعه من هجاء الجماز]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني سوّار بن أبي شُراعة ، وأخبرنا به سوار أجازة ، قال : حدّثني أبي ، قال : لمّا هجا الجماز عبد الصمد بن المعذَّل جاءني فقال لي : أنقِذني منه . فقلت له : أمثلك يَفْرَقُ من الجماز ؟ فقال : نعم ، لأنّه لا يبالي بالهجاء ولا يَفْرَقُ منه ، ولا عِرض لـه ، وشعـره ينفُق على مَن لا يدري . فلم أزل حتّى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه : [من المجتث]

ابن المعذَّل مَـنْ هُـو وَمَـنْ أبـوه المعذَّلْ
سألت وَهبـانَ عنـه فقـال بَيضٌ مُحَوَّلْ[3]

قال : وكان وَهبان هذا رجلاً يبيع الحمام ، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه ، وجعل يغشى المجالس ، ويَحلِف لهم أنّه ما قال : إنّ عبد الصمد بيضٌ مُحوَّل ، ويسألهم أن يعتذروا إليه ؛ فكان هذا منه قد صار بالبصرة طُرفةً ونادرة . فجاءني عبد الصمد يستغيث منه ، ويقول لي : ألم أقُلْ لك أنّ آفتي منه عظيمةٌ ، والله لدَوَرانُ وهبانَ على الناس يحلف لهم : إنّه ما قال إنّي بيضٌ مُحوَّل ، أشدُّ عليّ من هجائه لي . فبعثتُ إلى وهبانَ فأحضرته ، وقلت له : يا هذا ، قد عَلِمنا أنّ الجمازَ قد كَذَب عليك ، وعَذَرناك فنحبُّ أن لا تتكلَّفَ العذرَ إلى الناس في أمرنا ، فإنّا قد عذرناك . فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء .

---

1 ديوانه : 170 .

2 جذرهم : أصلهم . النمام : نبت طيب كالنعنع . الحماحم : الريحان العريض الورق وفي الديوان : الثمام والخماخم .

3 محول : حضنه غير أبويه .

[بين عبد الصمد ومضرطان]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحويّ صِهر المبرد ، قال : حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ قال : قال لي أبو شراعة القيسيُّ : بَلَغ أبا جعفر مضرطان أنّ عبد الصمد بن المعذَّل هجاه ، واجتمعا عند أبي واثِلة السَّدوسيِّ ، فقال له مضرطان : بلغني أنّك هَجَوتني . فقال له عبد الصمد : مَن أنت حتى أهجوك ؟ قال : هذا شرٌّ من الهجاء . فوثب إلى عبد الصَّمدِ فجعل يضربه . فقال الحَمدَويّ ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حَمدَوَيه ، وحَمدوَيه جدُّه ، وهو الذي كان يقتل الزنادقة : [من مخلع البسيط]

ألـذُّ مِـن صُحبة القَناني ... أو اقتـراحٍ عـلى قِيـانِ
لَكْـزُ فتًى من بني لُكَيْزٍ ... يُهْـدى لـه أهـون الهوانِ
أهـوى لـه بـازلٌ خِدَبٌّ ... يطحَـنُ قرنيْه بـالجرانِ[1]
فنال منـه ثُـؤُورَ قـوم ... باليـد طـوراً وباللِّسانِ[2]
وكان يفسُو فصار حَقّـاً ... يضرِطُ من خوفِ مَضْرَطانِ

قال : وبلغ عبدَ الصَّمد شعر الحمدويّ ، فقال : أنا له . ففزع الحمدويُّ منه ، فقال : [من الطويل]

تَرَحٌ طُعِنـتُ بـه وهـمٌّ واردُ ... إذْ قِيـل إنّ ابنَ المعـذّلِ واجدُ
هيهاتَ أن أجدَ السَّبيلَ إلى الكَرى ... وابنُ المعذَّلِ مـن مِزاحي حارِدُ

فرضي عنه عبد الصمد .

[بين الجماز وعبد الصمد]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ قال : حدّثنا العنزيّ ، قال : حدّثني إبراهيم بن عُقبةَ اليشكريُّ ، قال : قال لي عبد الصمد بن المعذّل ، هجاني الجماز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس ، حتى لم يبقَ خاصٌّ ولا عامٌّ إلاّ رواهما ، وهما : [من المجتث]

ابنُ المعـذّل مَـنْ هو ... ومَـن أبـوه المعـذَّلْ
سألتُ وهبـانَ عنـه ... فقـال بيـضٌ مُحَـوَّلْ

فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجى فيه كلُّ أحدٍ ، فما رواه أحد ولا فكَّر فيه ، وذلك لضعتِه ، وهو قولي[3] : [من مجزوء الرمل]

---

1 خدب : جمل شديد صلب . قرناه : جانباه ، وفي ل : قطريه . الجران : مقدّم عنق البعير .
2 ثؤور : جمع ثأر .
3 ديوانه : 194 .

نسبُ الجمّاز مقصو ر إليه مُنْتَهاهُ
يتراءى نسبُ النا س فما يخفى سِواهُ
يتحاجى في أبي الجـ ـمَّاز من هُو كاتباهُ
ليس يَدْري مَن أبو الجـ ـمَّاز إلاّ مَن يراهُ

[ينادم بستانه]

أخبرني الأخفش قال حدّثنا المبرد قال : كان لعبدِ الصمدِ بستانٌ نظيف عامر ، فأنشدنا لنفسه فيه[1] : [من المتقارب]

إذا لم يزرني نَدْمانيَهْ خلوتُ فنادمتُ بستانيَهْ
فنادمتُه خَضِراً مُؤنقاً يُهَيِّجُ لي ذكرَ أشجانيَهْ
يقرِّب مَفْرَحَةَ المُسْتَلِذّ ويُبعِد همِّي وأحزانيَهْ
أرى فيه مثلَ مدارِي الظِّباءِ تظلُّ لأطلائها حانيَهْ
ونَوْرَ أقاح شتيتِ النباتِ كما ابتسمَتْ عجباً غانيَهْ
ونرجسُه مثلُ عين الفتاة إلى وجهِ عاشقها رانيَهْ

[يزيد المسمعي وعليم]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب ، قال : كان يزيد بن عبد الملك المسمعيُّ يهوى جاريةً من جواري القِيان ، يقال لها : عُلَيْم ، وكان يعاشر عبد الصمد ، ويزيد يومئذٍ شابٌّ حديث السنّ ، وكان عبد الصمد يسمِّيه ابني ، ويسمِّي الجارية ابنتي ، فباع الفتى بستاناً له في نهر معقِل ، وضيعةً بالقِندَل[2] . فاشترى الجارية بثمنهما ، فقال عبد الصمد[3] : [من مخلع البسيط]

بُنيَّتي أصبحَتْ عَرُوساً تُهدى من ابني إلى عروسِ
زُفَّتْ إليه لخيرِ وقتٍ فاجتمعا ليلةَ الخميسِ
يا معشرَ العاشِقِين أنتم بالمنزل الأرذلِ الخسيسِ
يزيدُ أضحى لكم رئيساً فاتَّبعوا مَنْهجَ الرئيسِ
مَن رام بَلاً لرأسِ أيْر ذلَّل نفساً بِحَلٍّ كِيسِ

1 ديوانه : 183 .
2 القندل : محلة بالبصرة .
3 ديوانه : 125 عن الأغاني .

[الجماز وابن قلابة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني يزيد بن محمدٍ المهلبيّ ، قال : بلغ عبد الصمد بن المعذل أنّ أبا قِلابة الجَرميّ تدسَّس إلى الجماز لمّا بلغه تعرّضه له ، وهجاؤه إيّاه ، فحمله على الزيادة في ذلك ، ويضمن له أن ينصرَه ويعاضده ، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قِلابة حتّى أفحمَه ، فقال عبد الصمد فيهما[1] : [من مجزوء الكامل]

يـا مَن تركتُ بصخرة ... صَمّاءَ هامتَـه أميمَـهْ[2]
إن الـــذي عاضدتَـــه ... أشبهتَـه خُلُقـاً وشيمَهْ
وكفِعل جدَّتـك الحديـ ... ـثة فعلُ جدّتـه القديمَهْ
فتناصرا ، فابـنُ اللئيـ ... ـمة ناصرٌ لابْنِ اللئيمَهْ

[عتاب صديق]

حدّثني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني أبو العيناء ، قال : كان لعبد الصمد بن المعذّل صديقٌ يعاشره ويأنس به . فتزوّج إليه أمير البصرة ، وكان من ولد سليمان بن عليّ ، فنَبُلَ الرجلُ وعلا قدرُه ، وولاّه المتزوِّج إليه عملاً ، فكتب إليه عبد الصمد[3] : [من المنسرح]

أحُلْتَ عمّـا عهـدتُ من أدبكْ ... أم نلـتَ مُلْكاً فتِهتَ في كُتُبِكْ
أم هل ترى أنَّ في مناصفة الإخـ ... ـوان نقصاً عليـك في حَسَبِكْ
أم كان ما كان منك عن غضبٍ ... فأيُّ شيءٍ أدنـاك من غضبِكْ
إنَّ جفـاءَ كتـاب ذي ثقـة ... يكون في صدره «وأمتعَ بِكْ»
كيـفَ بإنصافنا لديـكَ وقـد ... شاركتَ آلَ النبـيِّ في نسبِكْ
قـلْ للوفـاء الذي تقـدِّره ... نفسك عنـدي مَلِلت من طلبِكْ
أتعبْـتَ كفَّيْـك في مواصلتي ... حسبُك ماذا لقيـتَ من تعبِكْ[4]

فأجابه صديقه : [من المنسرح]

كيف يَحُـول الإخاءُ يـا أملي ... وكلُّ خيرٍ أنـال مـن نسبِكْ
إن يـكُ جهلٌ أتـاك مِن قِبَلي ... فامنُنْ بفضلِ علـيَّ مـن أدبِكْ

---

1 ديوانه : 173–174 عن الأغاني .
2 أميمة : مشجوجة .
3 ديوانه : 80 .
4 الديوان : مواصلتي .

أنكرتَ شيئاً فلستُ فاعِلَه ... ولا تراه يُخَطُّ في كتبِكْ

[الصديق الكذوب]

حدّثني الأخفش ، قال : حدّثنا المبرد ، قال : كان لعبد الصمد بن المعذَّل صديقٌ كثير الكذب ، كان معروفاً بذلك ، فوعده وعداً فأخلفه ، ومَطَله به مَطْلاً طويلاً ، فقال عبد الصمد[1] : [من المنسرح]

لي صاحبٌ في حديثه البركَهْ ... يزيدُ عند السُّكون والحركَهْ

لو قال «لا» في قليلِ أحرِفُها ... لردَّها بالحُروفِ مشتبكَهْ

[هجاء بني المنجاب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثني سوّار بن أبي شُراعة ، قال : كان يحيى بن عبد السميع الهاشميّ يعاشر عبد الصمد بن المعذَّل ، ويجتمعان في دار رجلٍ من بني المنجاب له جاريةٌ مُغَنّيةٌ ، وكان ينزل رحبةَ المنجاب بالبصرة ، ثم استبدّ بها الهاشميّ دون عبد الصمد ، فقال فيهم عبد الصمد[2] : [من الخفيف]

قل ليحيى مللتُ من أحبابي ... فلينكْهُمْ ما شاء من أصحابي

قد تركنا تَعَشُّقَ المُرْدِ لَمّا ... أنْ بلَونا تنعُّم العزّابِ

وشنِئنا المؤاجرين فملْنا ... بعد خُبْرٍ إلى وصالِ القِحابِ

حبّذا قينةٌ لأهل بني المنـ ... ـجابِ حلّتْ في رحبة المِنجابِ

صدَّقْتَ إذ يقول لي خُلقَ الأحـ ... ـراح ليس الفِقاح للأزبابِ

حبّذا تلك إذ تُغَنِّيك يا يحـ ... ـيى وتَسْقيك من ثنايا عذابِ

«ذكَرَ القلب ذِكْرةً أُمَّ زيدٍ ... والمطايا بالسَّهْب سهب الركابِ»[3]

حبّذا إذ ركبْتَها فتجافت ... تتشكّى إليكَ عند الضِّرابِ

وتَغَنَّتْ وأنت تدفَعُ فيها ... غيرَ ذي خِيفة لهم وارتقابِ

«إن جَنْبِي عَنِ الفراش لنابٍ ... كتجافي الأسَرِّ فوق الظِّرابِ»[4]

---

1 ديوانه : 151 .

2 ديوانه : 81–82 عن الأغاني .

3 البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه : 25 والسهب : موضع .

4 تقدم في الجزء السابق أن هذا البيت لمعديكرب المعروف بغلفاء يرثي أخاه شرحبيل 12 : 152 . وانظر بعده شرح أبي الفرج .

ليت شعري هل أسمعنَّ إذا ما زاحَ عنّي وساوسُ الكتابِ
مِنْ فتاةٍ كأنّها خُوطُ بانٍ مَجَّ فيها النعيمُ ماءَ الشبابِ[1]
إذْ تُغَنِّيك خلف سَجفٍ رقيق نَغَماتٍ تُحِبُّها بصوابِ
شفّ عنها محقَّق جَنَدِيٌّ فهي كالشَّمس من خلال سَحابِ[2]
ربَّ شِعرٍ قد قلتُه بتباهٍ ويُغَرَّى به ذوو الألبابِ
قد تركتُ الملحِّنين إذا ما ذكروه قاموا على الأذنابِ[3]

قال : وشاعت الأبيات بالبصرة ، فامتنع مولى الجارية مِنْ معاشرة الهاشميّ ، وقطعه بعد ذلك .

[بينه وبين ابنَي هشام الكرنباني]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ وأحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى ، قال : حدّثنا الحسن بن عُليلٍ العَنَزيُّ ، قال : حدّثني أحمد بن صالح الهاشميّ ، قال : كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سلمان مائلاً إلى عبد الصمد بن المعذَّل ، وكان عبد الصمد يهجو هشاماً الكرنباني ، فجرى بين ابنَي هشام الكرنباني ، وهما أبو واثلة وإبراهيم ، وبين الحرّ بن عبد الله ، لحاءٌ في أمر عبد الصمد ، لأنّهما ذكراه وسبّاه . فامتعض له الحسين وسبّهما عنه ، فرمَيا الحسين بابن المعذّل ، ونسباه إلى أنّ عبد الصمد يرتكب القبيح ، وبلغ الحسين ذلك ، فلقيهما في سكّة المِربَد ، فشدَّ عليهما بسوطه وهو راكب ، فضربهما ضرباً مُبرِّحاً . وأفلت أبو واثلة ، ووقّع سبيب السَّوط في عين إبراهيم ، فأثر فيها أثراً قبيحاً ، فاستعان بمشيخةٍ من آل سليمان بن عليّ . وهرب أبو واثلة إلى الأمير عليّ بن عيسى وهو والي البصرة ، فوجَّه معه بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله ، فطلبه وهرب حسين إلى المحدثة[4] ، فلمّا كان من الغد جاء حسينٌ إلى صالح بن إسحاق بن سليمان ، وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان ، ومشيخةٍ من آل سليمان ، فصاروا معه إلى عليّ بن عيسى في أمره . وأقبل عبد الصمد بن المعذَّل لمّا رآهم ، فدخل معهم لنُصرة حسين . فكلّموا عليَّ بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد ، فقال : أصلح الله الأمير ، هؤلاء أهلُكَ ، وجِلّةُ أهل مِصرك ، تصدّوا إليك في ابنهم وابن أخيهم ، وهو وإن كان حدثاً لا ينبسط للحجّة بحداثته ، فإن هاهنا من يُعبِّر عنه ، وقد قلت أبياتاً ، فإن رأى الأمير أن يأذن في

1 الخوط : الغصن الناعم .
2 المحقق : ثوب محكم النسيج . جندي : نسبة إلى الجند من بلاد اليمن .
3 الملحنين في ل : المكشحين .
4 المحدثة : ماء ونخل في بلاد العرب .

إنشادها فعل . قال : قل . فأنشده عبد الصمد قوله[1] : [من الكامل]

يا ابنَ الخلائف وابنَ كلِّ مُبارَكٍ رأسَ الدعائم سامق الأغصانِ
إنّ العلوج على ابنِ عمّك أصفقُوا فأتَوْك عنه بأعظم البهتانِ[2]
قَرفُوه عندَك بالتعدّي ظالماً وهم ابتدَوْه بأعظمِ العدوانِ
شَتَموا له عِرضاً أغَرَّ مُهَذَّباً أعراضُهم أولى بكلِّ هوانِ
وسَمَوْا بأجسامٍ إليه مَهينةٍ وُصِلت بألأمِ أذرعٍ وبنانِ
خُلِقت لمدِّ القَلْس لا لتناوُلٍ عِرضَ الشّريف ولا لمدِّ عنانِ[3]
لم يَحفَظُوا قرباه منك فينتهوا إذْ لم يَهابُوا حرمةَ السُّلطانِ
أيُذَلُّ مظلوماً وجدُّك جَده كيما يعزَّ بِذُلِّهِ عِلجانِ
وينال أقلفُ كَربلاءِ بلادُه ذلَّ ابنِ عمٍّ خليفةِ الرحمنِ
إنّي أُعيذُك أن تَنالَ بك التي تطغى العلوجُ بها على عَدنانِ

فدعا عليُّ بن عيسى حسيناً ، فضمَّه إليه ، فقال : انصرِف مع مشايخك . ودعا بهشام الكرنباني وابنَيه ، فعَذَلَهُمْ في أمره ، ثمَّ أصلح بينهم بعد ذلك .

[عتابه لعبد الله بن المسيّب]

أخبرني عليُّ بن سليمان ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد ، قال : كان عبد الصمد بن المعذَّل يعاشر عبد الله بن المسيّب ويألفه ، فبلغه أنّه اغتابه يوماً وهو سكران ، وعاب شيئاً أنشده من شعره ، فقال فيه وكتب بها إليه[4] : [من الكامل]

عَتْبي عليك مُقارِنُ العُذرِ قد زال عند حفيظتي صبري
لك شافعٌ منّي إليّ فما يَقْضي عليك بهفوةٍ فكري
لّما أتاني ما نطقتَ به في السُّكرِ قلتُ جنايةُ السكرِ
حاشا لعبدِ الله يذكُرني مُسْتعْذِباً بنقيصتي ذكري
إنْ عابَ شعري أوْ تَحَيَّفَهُ فَلْيَهْنِه ما عاب مِن شعري

1 ديوانه : 184 عن الأغاني .
2 أصفقوا : أجمعوا .
3 القلس : حبل السفينة الغليظ .
4 ديوانه : 105–106 .

يا ابـنَ المسيّب قد سبقتَ بما أصبحتَ مرتهناً بـه شكري
فمتى خُمِرتَ فأنـتَ في سَعةٍ ومتـى هَفَـوت فأنـت في عذرِ
تَـرْكُ العتـاب إذا استحَـقَّ أخٌ منـك العتـابَ ذريعـةُ الهجرِ

أخبرني الأخفش ، قال : حدّثنا المبرِّد ، قال : دعا عبد الصمد بن المعذَّل شرْوينَ المغنِّيَ ، وكان مُحسِناً متقدِّماً في صناعته ، فتعالَلَ عليه ومضى إلى غيره ، فقال عبد الصمد : والله لأسِمَنَّه مِيسَماً لا يدعوه بعدَه أحدٌ بالبصرة إلاّ بعد أن يبذل عِرضَه وحريمَه . فقال فيه : [من السريع]

مَـنْ حَلَّ شروينُ له منزِلا فلتنهَـهُ الأولى عـن الثانيهْ
فليس يدعـوه إلى بيتـه إلاّ فتًـى في بيتـه زانيهْ

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرَّ إلى أن خرج إلى بغداد وسُرَّ مَن رأى .

[هجاء أبي رِهم]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ وأحمد بن العباس العسكريُّ ، قالا : حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ ، قال : حدّثنا الفضل بن أبي جرزة ، قال : كان أبو قلابة الجَرْميُّ وعبد الصمد بن المعذَّل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلّبيّ أرادوا المسير إلى بيت بحرٍ البكراويّ ، وكانت له جاريةٌ مغنّية ، يقال لها : جبلةُ ، وكان أبو رِهْم إليها مائلاً يتعشّقها ، ثم اشتراها بعد ذلك . فلمّا أرادوا الدخول إليها وافاهم أبو رِهْم ، فأدخلوه وحدَه وحجبوهم ، فانصرفوا إلى بستان ابن أبي عيينة ، فقال أبو قِلابة : لا بدّ أن نهجوَ أبا رِهْم . فقالوا : قل . فقال : [من الهزج]

ألا قـل لأبـي رهـمٍ سيهوى نعتَـك الوصفُ
كما حالفَـك الغـيُّ كـذا جانَبَـك الظَّرفُ
أتانـا أنّـه أهـدى إلى بحـرٍ مـن الشَّغْفِ[1]
حُزَيمـات مـن الصِّير فهـلاً معـهُ رُغْفُ[2]
فنـادَوْا اقسمي فينـا فقـد جـاءكم اللُّطْـفُ

فقال له عبد الصمد : سخنت عينُك أيْشٍ هذا الشعرُ ، بمثل هذا يُهْجى مَن يُراد به الفضيحة . فقال أبو قلابة : هذا الذي حضرني ، فقل أنت ما يحضرك . فقال : أفعله وأجوِّد . فكان هذا سببَ هجاء عبد الصمدِ أبا رِهم . وأوّل قصيدةٍ هجاهُ بها قوله[3] : [من الوافر]

1 الشغف : مصدر شغف . وفي هذا البيت إقواء .
2 الصير : السمك المملوح .
3 ديوانه : 127 .

دعُوا الإسلامَ وانْتَحِلُوا المجوسا وأَلْقُوا الرِّيْطَ واشتَمِلُوا القُلوسا[1]
بنــي العبـدِ المُقيم بنهر تِيَرى لقــد أنهضتُ طيرَكم نحوسا
حــرامٌ أن يبيت لكم نزيلٌ فــلا يُمسِي بأُمِّكــم عَروسا
إذا ركَـدَ الظلامُ رأت عُسَيْلاً يَحُثُّ على نَدامــاهُ الكؤسا[2]
ويُذْكِرُهــم أبــو رِهْـم بهجْوٍ فيستدعي إلى الحُـرَم النُّفوسا
ويُخْلِيهــــم هِشامٌ بالغــواني ويُحمي الفضلُ بينهم الوطيسا
فتسمع في البيوت لهـمْ هبيباً كما أهملتَ في الزَّربِ التيوسا[3]
لقــد كان الزناةُ بــلا رئيس فقد وجـد الزناةُ بهـم رئيسا
هـم قَبَلُوا الزّنــاء وأنشؤوه وهم وسمــوا بجبهته حبيسا[4]
لئن لم تنف دعوتَهم سَدُوسٌ لقد أخزى الإلهَ بهم سَدوسا

وقال فيه[5] : [من السريع]

لــو جــادَ بالمــال أبو رِهم كجُـــودِهِ بالأخــت والأمِّ
أضحى ومــا يُعرفُ مِثْلٌ لَه وقيل أسخى العُربِ والعُجمِ
من بَــرَّ بالحرمــــة إخوانَه أحَـــقُّ أن يُشْكَـــر بالشتمِ

وله فيه من قصيدة طويلة[6] : [من مجزوء الخفيف]

هـــو واللهِ مُنْصِـفٌ زوجُــه زوجُ زوجتِهْ
يقسِمِ الأَيــرَ عــادلاً بين حِرْهــا وفقحتِهْ

[في نزهة]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ ، قال : حدّثنا العَنَزيّ ، قال : حدّثني أبو الفضل بن عبدان ، قـال : خـرج عبد الصمد بن المعذَّل مع أهله إلى نزهة وقال[7] : [من الخفيف]

1 الريط : جمع ريطة ، ملاءة غير ذات لفقين أي كلها نسج واحد وقطعةٌ واحدة . القلوس : جمع قلس . وهو حبل السفينة الغليظ .
2 عسيل : اسم شخص .
3 الهبيب : صوت التيس عند السفاد . الزرب : موضع الغنم .
4 قبلوا : كانوا كالقابلة . الحبيس : الموقوف .
5 ديوانه : 175 عن الأغاني .
6 ديوانه : 89 عن الأغاني .
7 ديوانه : 96 .

قـد نزلنـا بِروضةٍ وغديـرٍ وهجرنا القصر المنيف المشيدا
بعريشٍ تـرى مـن الزاد فيه زُكرتَيْ خَمرةٍ وصقراً صَيُودا[1]
وغريرين يطربـان الندامى كلّمـا قلـتُ أبديـا وأعيدا
غنّيـاني ، فغنّيـاني بلحـن سلِس الرّجْع يصدع الجلمودا
«لا ذَعَرتُ السَّوامَ في فلق الـ ـصُّبح مغيراً ولا دُعيتُ يزيدا»
حيٍّ ذا الزورَ وانهَهُ أن يعودا إنّ بالبـاب حارسِينَ قعودا[2]
مـن يزُرْنا يجدْ شِواءَ حُبارى وقديـراً رخصاً وخمراً عَتيدا
وكرامـاً معذَّلـين وبيضاً خلعوا العُذْر يسحبون البُرودا
لستُ عن ذا بمُقْصِرٍ ما جزائي قرَّبـت لي كريمـةٌ عنقودا

[يتغزّل بالأفشين]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : نظر عبد الصمد بن المعذَّل إلى الأفشين بِسُرَّ من رأى وهو غلامٌ أمرد ، وكان من أحسنِ الناس ، وهو واقفٌ على بابِ الخليفة مع أولادِ القوّاد ، فأنشدنا لنفسِه فيه ، قال[3] : [من الخفيف]

أيّها اللاحِظِي بطرفٍ كليلِ هل إلى الوصل بيننا مِن سبيلِ
عِلـم الله أنّنـي أتمنّـى زورةً منك عند وقتِ المقِيلِ
بعد ما قد غدوتَ في القُرْطُق الجَو نِ تَهادى وفي الحسام الصقِيلِ[4]
وتكفَّيتَ في المواكـب، تختـا ل عليهـا تميـل كلَّ مَميلِ[5]
وأطلـتَ الوقوف منـك ببـا بِ القصر تلهو بكلِّ قال وقيلِ
وتحدّثـتَ في مطـاردة الصَّيـ ـد بخُبـرٍ بِـهِ ورأي أصيلِ
ثمَّ نازعتَ في السنان وفي الرمـ ـح وعلم بمرهَفات النصولِ[6]

1 زكرة : زق الشراب .
2 الزور : الزائر .
3 ديوانه : 159–160 .
4 القرطق : ضرب من الثياب . الجون : الأسود والأبيض ، من الأضداد .
5 تكفيت : تمايلت مزهواً .
6 الرمح في ل والديوان : الدرع .

وتكلَّمتَ في الطِّراد وفي الطَّعـ ـن ووثبٍ على صِعابِ الخيولِ
فإذا مـا تفـرّقَ القـومُ أقبلـ ـتَ كريحانـةٍ دنَـتْ لذبولِ
قـد كساك الغبـارُ منـه رِداءً فوقَ صُدغٍ وجَفنٍ طرفٍ كحِيلِ
وبدتْ وردةُ القَسامة من خَـ ـدِّكَ في مُشرقٍ نقـيّ أسيلِ
ترشَح المسكَ منـه سالفةُ الظبْـ ـي وجيدُ الأُدمانـة العطبولِ[1]
فأسوف الغبار ساعـة ألقـا ك برشفِ الخدّبـن والتقبيلِ[2]
وأحُلُّ القَباء والسَّيفَ من خَصـ ـرِكَ رِفقا باللُّطـف والتعليلِ
ثم يُؤتى بمـا هويتَ من التَّشـ ـريفِ عنـدي والبرّ والتبجيلِ
ثم أجلوكَ كالعروسِ على الشَّر بِ تَهادى في مُجْسَد مصقولِ[3]
ثم أُسقيك بعـد شربيَ مِنْ رِيـ ـقِك كأساً من الرحيق الشمولِ
وأغنّيـك إن هَوِيـتَ غِنـاءً غيرَ مستكـرَهٍ ولا مملـولِ
لا يزال الخَلخال فوق الحشايا مثـل أثنـاء حيّـةٍ مقْتولِ
فإذا ارتاحـت النفوسُ اشتياقاً وتمنّـى الخَليلُ قـربَ الخليلِ
كان مـا كان بيننا ، لا أسمّيـ ـهِ ولكنّـه شفـاءُ الغليلِ

[متيم أقعدت يحيى بن أكثم على طريق القافية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثني الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ والمبرّد وغيرهما ، قالوا : كانت متيَّم جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة ، فعلِقها عبد الصمد بن المعذَّل ، وكانت لا تخرج إلاّ مُنتقبة ، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهةٍ ، وقدِمت متيَّم إلى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحرّ القاضي ، فاحتاج إلى أن يُشهد عليها ، فأمرها بأن تُسفِر ، فلمّا قدِم عبد الصمد قيل له : لو رأيت متيَّم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم يُرَ مثله . فقال عبد الصمد قوله[4] : [من الطويل]

ولّما سَرَت عنهـا القنـاعَ متيّمٌ تَـروَّحَ منهـا العنبـريُّ متيّما

1 السالفة : صفحة العنق . الأدمانة : السوداء . العطبول : المرأة الطويلة العنق .
2 أسوف : أشم .
3 المجسد : الثوب المعصفر .
4 ديوانه : 174–175 .

رأى ابنُ عبيدِ الله وهو مُحَكَّمٌ عليها لها طَرفاً عليه محكَّما
وكان قديماً كالحَ الوجهِ عابساً فلمّا رأى منها السفورَ تبسَّما
فإنْ يَصْبُ قلبُ العنبريِّ فقبلَه صبا باليتامى قلبُ يحيى بنِ أكثما

فبلغ قوله يحيى بن أكثم ، فكتب إليه : عليك لعنة الله ، أيَّ شيء أردت مِنّي حتى أتاني شرُّكَ من البصرة ؟ فقال لرسوله : قل له : متيَّمُ أقعدَتْكَ على طريق القافية !

[من هجائه لأخيه أحمد]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثني أحمد بن أبي طاهر ، قال : حدّثني عبد الله بن أحمد العبديّ ، قال : حدّثني الأنيسيّ ، قال : كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمد بن المعذَّل ، وكان خرج من البصرة على أن يغزو ، فلمّا دخل على إسحاق بن إبراهيم أنشده : [من البسيط]

أفضلتَ نُعْمى على قومٍ رعيت لهم حقّاً قديماً مـن الودّ الذي دَرَسا
وحرمةَ القصدِ بالأمـال إنّهـمُ أتَوْا سواكَ فما لاقَوْا بـه أَنَسا
لأنت أكـرمُ منـه عنـد رفعته قـولاً وفعـلاً وأخلاقـاً ومُغْترَسا

فأمر له بخمسمائة دينارٍ ، فقبضها ورجع إلى البصرة ، وكان خرج عنها ليجاور في الثَّغر ، وبلغ عبد الصمد خبرُه ، فقال فيه[1] : [من البسيط]

يُـرِي الغـزاةَ بـأنّ الله هِمَّتُه وإنّمـا كان يَغـزو كيسَ إسحاقِ
فباع زُهـداً ثوابـاً لا نَفادَ لـه وابتاعَ عاجل رِفـدِ القوم بالباقي

فبلغ إسحاق بن براهيم قوله ، فقال : قد مسَّنا أبو السمّ عبد الصمد بشيءٍ من هجائه . وبعث إليه بمائة دينار ، فقال له موسى بن صالح : أبى الأميرُ إلاّ كرماً وظَرْفاً .

[هجاؤه لأبي نبقة]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ ، قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل ، قال : حدّثني الحسن الأسديّ ، قال : قدِم أبو نبقةَ من البحرين وقد أُهدى إلى قوم من أهلِ البصرة هداياه ، ولم يُهدِ إلى عبد الصَّمد شيئاً فكتب إليه[2] : [من الطويل]

أما كان في قَسْبِ اليمامةِ والتمرِ وفي أَدَمِ البحرين والنَّبِق الصُّفرِ
ولا في مناديـل قسَمْتَ طريفَها وأهديتَهـا حَظٌّ لنا يـا أبا بكرِ

1 ديوانه : 145 عن الأغاني .
2 ديوانه : 106 عن الأغاني .

سَرَتْ نحـو أقوامٍ فـلا هَنَأَتْهُمُ ... ولم ينتصف منها المُقِلُّ ولا المثري
أأنتَ إلى طالوتَ ذِي الوفرِ والغِنى ... وآلِ أبي حرب ذوي النَّشَب الدثرِ[1]
ولم تأتِنـي ولا الرياشيَّ تمرةٌ ... غَصِصتَ بباقي ما ادَّخرتَ من التمرِ
ولم يُعـطَ منهـا النهشليُّ إداوةً ... تكون له في القَيظِ ذُخراً مَدى الدهرِ[2]
أقـول لفتيانٍ طويـتُ لطيِّهـم ... عُرى البيد ، منشورَ المخافةِ والذعرِ
لئن حُكّـم السدريُّ بالعدل فيكم ... لَمّا أنصف السدريُّ في ثَمَر السدرِ
لئن لم تكنْ عيناك عـذرَك لم تكن ... لدينا بمحمودٍ ولا ظاهـرِ العذرِ

[هجاؤه يزيد المهلبي]

أخبرنا الحسن بن عُليلٍ ، قال : حدّثنا أحمد بن يزيد المهلّبيّ ، قال : وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذّل تباعُدٌ ، فهجاه ونسبه إلى الشوْم ، وكان يقال ذلك في عبد الصمد ، فقال فيه[3] : [من الوافر]

يقـول ذوو التَّشؤُّمِ ما لقينا ... كما لقي ابن سهـلٍ مِن يَزيدِ
أتتـه منيَّـةُ المأمـونِ لَمَّا ... أتـاه يزيـدُ مـن بلـدٍ بعيدِ
فصيّر منـه عسكرَه خـلاءً ... وفـرَّق عنـه أفواجَ الجنودِ
فقلت لهم وكم مشؤوم قـومٍ ... أبادَ لهـم عَديـداً من عِديدِ
رأيتَ ابنَ المعذّل يالَ عمرو ... بشُؤم كان أسرعَ في سعيدِ
فمنه مـوتُ جِلّـةِ آل سَلم ... ومنـه قضُ آجـامِ البريدِ[4]
ولم ينزل بـدارٍ ثـم يمسي ... ولمّـا يستمعْ لَطْـمَ الخدودِ
وكلُّ مديحِ قومٍ قـال فيهم ... فإنّ بعَقْبه «يا عينُ جودي»
إذا رجلٌ تسمَّع منـه مدحاً ... تنسَّمَ منـه رائحـةَ الصعيدِ[5]
فلو حصف الذين يُبيح فيهم ... أثاروا منـه رائحـةَ الطريدِ

---

1 النشب الدثر : المال الكثير .
2 مدى الدهر في ل : من الذخر . والاداوة : وعاء من جلد يوضع فيه الماء .
3 لم يدرجها جامع شعره في ديوانه .
4 قض : هدم . الآجام : الحصون .
5 الصعيد : القبر .

فليس العزُّ يمنع منه شؤماً ولا عتباً بأبواب الحديدِ

[من هجائه لأخيه]

حدّثني الأخفش ، قال : حدّثنا المبرّد ، قال : مرّ أحمد بن المعذّل بأخيه عبد الصمد وهو يَخطِر ، فأنشأ يقول[1] : [من مجزوء الخفيف]

إن هذا يَرى أُرى أنّه ابنُ المهلَّبِ
أنت والله مُعْجِبٌ ولنا غير مُعْجِبِ

[في غلام يُدعى المغيرة]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثنا أبي وغيره ، وحدّثني به بعض آل المعذّل ، قال : مرّ عبد الصمد بن المعذّل بغلام يقال له : المغيرة ، حسنِ الصوتِ حسن الوجه ، وهو يقرأ ويقول القصائد ، فأعجب به ، وقال فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

أيّها الرافع في المسـ ـجد بالصَّوتِ العَقِيرَهْ
قتلَتني عينُك النَّجـ ـلاءُ ، والقتلُ كبيرَهْ
أيُّها الحكام أنتمْ فاصِلُو حُكمِ العشيرَهْ
أحَلالاً ما بقلبي صنعت عينا مُغِيرَهْ

[شعره في الحمّى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا زكريا بن مهران بن يحيى ، قال : جاءنا عبد الصمد بن المعذّل إلى منزل محمد بن عمر الجرجرائي ، فأنشدنا قصيدةً له في صفة الحُمَّى ، فقال لي محمد بن عمر : امض إلى منزلِ عبدِ الصمد حتى تكتبها . فمضيت إليه حتى كتبتها ، وهي[3] : [من المتقارب]

هجرتُ الصِّبا أيَّما هَجْره وعِفتُ الغَوانيَ والخمرَهْ
طوتْني عن وصلها سكره بكأس الضّنا أيَّما سَكرَهْ[4]

[بين عبد الصمد وأبي تمام]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني عبد الله بن يزيد

---

1 ديوانه : 83 عن الأغاني .
2 ديوانه : 107 عن الأغاني .
3 من قصيدة طويلة في ديوانه 110-111 .
4 الديوان : لوتني .

الكاتب ، قال : جَمَعَ بين أبي تمّامٍ الطائيِّ وبين عبد الصمد بن المعذّل مجلسٌ ، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر ، وكان في أبي تمام إبطاء ، فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه[1] : [من الخفيف]

أنـــت بـــين اثنتين تبرزُ للنا س ، وكلتاهما بوجهٍ مذالِ[2]

لست تنفَـــكُّ طالباً لوصالٍ من حبيبٍ أو طالبـــاً لنوالِ

أي ماء لِحُـــرِّ وجهك يبقى بين ذُلِّ الهـــوى وذلّ السؤالِ

قال : فأخذ أبو تمامٍ القرطاس وخلا طويلاً . وجاء به وقد كتب فيه[3] : [من البسيط]

أفيَّ تنظِمُ قـــولَ الزُّور والفَنَـــدِ وأنت أنْزَرُ من لا شَيء في العددِ[4]

أشرَجْتَ قلبك مِن بُغضي على حُرَقٍ كأنّها حركاتُ الرُّوح في الجسدِ[5]

فقال له عبد الصمد : يا ماصّ بَظْرِ أمّه ، يا غثّ ، أخبرني عن قولك «أنزر من لا شيء» ، وأخبرني عن قولك «اسرجتَ قلبك» ، قلبي مِفرشٌ أو عيبة[6] أو خُرجٌ فأُشرِجَه ، عليك لعنة الله فما رأيت أغثَّ منك . فانقطع أبو تمامٍ انقطاعاً ما يرى أقبح منه ، وقام فانصرف ، وما راجَعَه بحرف .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان في ابن مهرويه تحاملٌ على أبي تمامٍ لا يضرُّ أبا تمامٍ هذا منه ، وما أقلَّ ما يقدح مثلُ هذا في مثل أبي تمام .

[يستثقل الفراش وابنه]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي ، قال : حدّثني العنَزِيّ ، قال : كان عبد الصمد بن المعذّل يستثقل رجلاً من ولد جعفر بن سليمان بن عليّ يعرف بالفرّاش ، وكان له ابنٌ أثقل منه ، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو ، وكان يخلُف بعض أمراء البصرة ، وكان الفرّاش هذا يصلِّي به ، ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده ، فلمّا مضى شهرُ رمضان انقطع ذلك عنهما ، فقال عبد الصمد بن المعذّل[7] : [من الكامل]

1 ديوانه : 161–162 .
2 مذال : مهان .
3 لم ترِد في ديوانه .
4 الفند : الكذب .
5 أشرجت : شددت .
6 العيبة : الحقيبة .
7 ديوانه : 107–108 عن الأغاني .

غَـدَرَ الزمـان وليتَـه لم يَغْدر ... وحَـدا بشهر الصوم فِطرُ المفطرِ
وثَوتْ بقلبك يـا محمـدُ لوعـةٌ ... تَمْري بـوادرَ دمعِـك المتحدّرِ[1]
وتقسمتـك صبابتـان لِبينِـه ... أسفُ المَشُوق وخَلَّـة المتفكّرِ
فاستبق عينك واحشُ قلبَكَ يأسه ... واقْـرَ السلامَ على خِـوان المُنْذرِ
سَقياً لدهـرك إذ تَـرَوَّحَ يومُه ... والشّمسُ في عَليـاءَ لم تتهوّرِ[2]
حتـى تُنِيـخَ بكلكل متـزاورٍ ... وتَمَـد بُلعومـا قَمُوصَ الحنجرِ[3]
وتَرُود منـك على الخوان أناملٌ ... تَدَع الخوانَ سرابَ قـاعٍ مقفرِ
وَيْح الصِّحافِ من ابن فَرَّاش إذا ... أنْحى عليهـا كالهِزَبْـرِ الهَيْصَرِ
ذو دُرْبَـة طَبٌّ إذا لمعَتْ له ... بُشُرُ الخوان بَـدا بحَـلٍّ المئزرِ
ودَّ ابـنُ فَرّاش وفرّاشٌ معـا ... لـو أنَّ شهـرَ الصوم مدّةُ أشهرِ
يُزري على الإسلام قلّـةَ صبره ... وتـراه يَحمَـد عِـدّةَ المُتَنَصِّرِ
لا تَهلِكـنَّ على الصِّيام صبابـةً ... سيعود شهرُك قابـلاً فاستبشرِ
لا درّ دَرُّك يـا محمّدُ مـن فتى ... شَيْنِ المغيبِ وغيرِ زَينِ المَحْضَرِ

[هجاؤه ليزيد المهلبيّ]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني أبو محمد البصريّ وكان جاراً لعبد الصمد بن المعذّل ، قال : كان يزيد بن محمدٍ المهلبيّ يعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسابُّه ، ويرمي كلّ واحد منهما صاحبه بالشؤم ، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولّى نهر تِيرى ونواحِيها ، فقال عبد الصمد يهجوه[4] : [من الوافر]

أبوك أميرُ قريـةِ نهـر تِيرى ... ولستَ على نسائـك بالأميرِ
وأرزاقُ العبـاد عـلى إله ... لهـمْ وعليـك أرزاقُ الأيورِ
فكم في رزق ربّك مـن فقيرٍ ... وما في أهل رزقك مـن فقيرِ

[مدح أمير البصرة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن ، قال : حدّثني

1 تمري : تستدر .
2 تروَّح يومه : انقضى . لم تتهور : لم تسقط .
3 متزاور : منحرف . القموص : السريع .
4 ديوانه : 109 عن الأغاني .

أحمد بن منصور ، قال : شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدُّهن ، فدخل إليه عبد الصمد بن المعذّل بعد خروجه عنه ، فأنشده قوله[1] : [من الوافر]

بأيمنِ طائـــرٍ وأسرِّ فـــالِ ... وأعـــلى رُتبـــةٍ وأجَلِّ حالِ
شربتَ الدهنَ ثم خرجتَ عنه ... خروجَ المشرفيِّ مـــن الصقالِ
تكشفَ عنك مـا عانَيْتَ عنه ... كما انكشف الغمامُ عن الهلالِ
وقـد أهديـــتُ ريحاناً طريفاً ... بـــه حاجيتُ مستمِعاً سؤالي
ومـا هـــو غيرَ ياءٍ بعد حاء ... وقـــد سبقا بميم قبـل دالِ[2]
وريحانُ الشباب يعيش يومـاً ... وليس يموت ريحـــانُ المقالِ
ولم تـــك مؤْثـــراً تُفّاح شمٍّ ... على تفّـــاحِ أسمـاع الرجالِ[3]

[اعتذاره عن الإسكافيّ]

أخبرني جحظة ، قال : حدّثني ميمون بن مِهران[4] ، قال : حدّثني أحمد بن المغيرة العجليُّ ، قال : كنت عند أبي سهل الإسكافيّ وعنده عبد الصمد بن المعذّل ، فرفع إليه رجلٌ رقعة ، فقرأها فإذا فيها : [من البسيط]

هذا الرحيلُ فهل في حاجتي نظرٌ ... أو لا فأعْلَمَ ما آتـي وما أذَرُ

فدفعها إلى عبد الصمد ، وقال : الجواب عليك . فكتب فيها : [من البسيط]

النفس تسخو ولكن يمنع العُسُرُ ... والحرُّ يعذِر من بالعسر يعتذرُ[5]

ثم قال عبد الصمد لعليّ بن سهل : هذا الجواب قولاً ، وعليك أعزّك الله الجواب فِعلا ، ونُجْحُ سَعْي الآمِلِ حقٌّ واجبٌ على مثلك ، فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار .

[يستثقل ابن أخيه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعلي بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ ، قال : كان لأحمد بن المعذّل ابنٌ ثقيلٌ تيّاهٌ شديد الذهاب بنفسه ، وكان مُبَغَّضاً عند أهل البصرة ، فمرّ يوماً بعمِّه عبد الصمد ، فلمّا رآه قال لَمن معه[6] : [من مجزوء الخفيف]

---

1 ديوانه : 163–164 .
2 أي مدحي .
3 الديوان : ريحان في الحالين .
4 ل : هارون .
5 بالعسر في ل : بالصدق .
6 تقدم أن هذا الهجاء كان لأخيه أحمد ، ص 178 .

إنّ هـذا يَرى أُرى ... أنّـهُ ابـنُ المهلَّبِ
أنـت والله مُعْجبٌ ... ولنـا غير معجِـبِ

قال : وقال فيه أيضاً[1] : [من البسيط]

لو كان يُعطى المُنى الأعمامُ في ابن أخٍ ... أصبحتَ في جوف قُرقورٍ إلى الصينِ[2]
قـد كان همّاً طويلاً لا يقامُ له ... لـو كان رؤيتنا إيّـاك في الحينِ
فكيفَ بالصَّبرِ إذا أصبحتَ أكثَرَ في ... مجال أعيننـا مـن رمـلِ يَبرينِ
يـا أبغَضَ الناسِ في عُسْرٍ ومَيْسَرَةٍ ... وأقـذَرَ الناس في دُنْيـا وفي دِينِ
لو شاء ربِّي لأضحى واهباً لأخي ... بمُـرٍّ ثُكلِـكَ أجـراً غيرَ ممنونِ
وكان خيراً لـه لـو كان مؤتـزراً ... في السّالِفات على غُرْمول عِنّينِ
وقائلٍ لِيَ مـا أضناكَ قلتُ لـه ... شخصٌ ترى وجهَه عيني فيُضنيني
إنّ القلوبَ لتُطوى منك يا ابن أخي ... إذا رأتـك على مثـل السّكاكينِ

صوت

[من الوافر]

أتتك العيسُ تنفُـخ في بُراهـا ... تَكَشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ[3]
بأبيضَ مِـن أميـة مَضرِحِيٍّ ... كأن جَبينَـهُ سيـفٌ صَنيعُ[4]

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ، والغناء لابن المهربد ، رمل بالبنصر عن الهشاميّ . والله أعلم .

---

1 ديوانه : 186–187 .
2 قرقور : ضرب من السفن .
3 البرى : حلقات توضع في أنوف الإبل ، واحدتها بُرة . القطوع : جمع قِطع ، وهو طنفسة توضع تحت الرحل .
4 المضرحي : السيد الكريم . الصنيع : السيف المجرب المجلوّ .

[248] ـ أخبار عبد الرحمن بن الحكم ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد منافٍ . وأمّه أمّ أخيه مروان ، آمنة بنت صفوان بن أميّة بن محرِّث بن شِق بن رقبة بن مخدج من بني كِنانة ، ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف . شاعر إسلاميّ متوسِّط الحال[2] في شعراء زمانه ، وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه وينتصف كلّ واحد منهما من صاحبه .

أخبرني محمد بن العباس العسكريُّ قال : حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ ، عن العمريّ ، عن العتبيّ والهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حسان .

[خبره مع معاوية عند عزله مروان بن الحكم]

وأخبرني به عمّي عن الكراني ، عن العمريّ ، عن الهيثم ، عن صالح بن حسانٍ قال : قدِم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان ، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولّى سعيد بن العاص ، وكان مروان وجَّه به وقال له : القَه أمامي فعاتبْه لي واستصلِحْه . وقال عمّي في خبره : كان عبد الرحمن بدمشق ، فلمّا بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلقّاه ، وقال له : أقِمْ حتى أدخل إلى الرجل ، فإن كان عَزلَك عن موجدة دخلتُ إليه منفرداً . وإن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس . قال : فأقام مروان ومضى عبد الرحمن أمامَه ، فلما قدِم عليه دخل إليه وهو يعشّي الناس ، فأنشأ يقول : [من الوافر]

أتتك العِيسُ تنفُخ في بُراها تَكشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ
بأبيضَ من أمَيَّة مضرحيٌّ كأنَّ جبينه سَيفٌ صنيعُ

فقال معاوية : أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً ؟ فقال : أيّ ذلك شئت . فقال له : ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له ، فقال : على أيّ الظهر أتيتنا ؟ قال : على فرسي . قال : وما صفته ؟ قال : «أجشُّ هزِيم» ، يعرِّض بقول

1 ترجمة عبد الرحمن بن الحكم في الوافي 18 : 138–140 وفوات الوفيات 2 : 276–279 وانظر وفيات الأعيان 6 : 359 والتذكرة الحمدونية في مواطن متفرقة .

2 ل : المحل .

النجاشيّ له : [من الطويل]

ونجّى ابن حربٍ سابحٌ ذو عُلالة أجَشُّ هزيـــم والرمـاحُ دواني[1]
إذا خلْتَ أطرافَ الرِّمـاح تنالُه مَرَتْــه بــه السَّاقانِ والقدمانِ[2]

فغضب معاوية ، وقال : أما إنّه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الرِّيَب ، ولا هو ممّن يتسوّر على جاراته ولا يتوثّب على كنائنه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يُتَّهَم بذلك في امرأة أخيه ، فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ما حَمَلَك على عزل ابن عمّك ، أَلِجنايةٍ أوجَبَتْ سُخطاً ، أم لرأيٍ رأيته ، وتدبيرٍ استصلحته ؟ قال : لتدبير استصلحتُه . قال : فلا بأس بذلك . وخرج من عنده فلقي أخاه مروان . فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظاً ، وقال لعبد الرحمن : قبحك الله ، ما أضعفك ، أعَرَّضْتَ للرجل بما أغضبَه حتى إذا انتصف منك أحجمتَ عنه ؟ ثم لبس حُلّته ، وركب فرسَه ، وتقلّد سيفَه ، ودخل على معاوية ، فقال له حين رآه وتبيَّن الغضب في وجهه : مرحباً بأبي عبد الملك ، لقد زُرتَنا عند اشتياقٍ منّا إليك . قال : لا ها[3] اللهِ ما زرتُك لذلك ، ولا قدِمتُ عليك فألفيتك إلاّ عاقّاً قاطعاً ، واللّه ما أنصفتَنا ولا جَزَيتنا جزاءنا . لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآلِ أبي العاص ، والصِّهر برسول الله ﷺ لهم ، والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بني حرب وشَرَّفوكم ، وولَّوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى إذا وُلِّيتم وأفضى الأمر إليكم ، أبيتم إلاّ أثَرَة وسوءَ صنيعة ، وقُبْحَ قطيعة ، فرويداً رُويداً ، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيِّفاً وعشرين ، وإنّما هي أيّامٌ قلائل حتى يُكمِلوا أربعين ويعلم امرؤٌ أين يكون منهم حينئذٍ ، ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوء بالمرصاد .

قال عمّي في خبره : فقال له معاوية : عزلتُك لثلاثٍ لو لم يكن منهنّ إلاّ واحدةٌ لأوجبْت عزلَك : إحداهنّ أنّي أمَّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما ، فلم تستطع أن تشتفيَ منه ؛ والثانيـة كراهتك لأمر زياد ؛ والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعدِها . فقال له مروان : أما ابنُ عامرٍ فإنّي لا أنتصر في سلطاني ، ولكن إذا تساوت الأقدامُ علم أين موقعه . وأمّا كراهتي أمر زياد فإنّ سائر بني أميّة كرهوه ، ثم جعل الله لنا في ذلك الكُره خيراً كثيراً . وأمّا استعداء رملَة على عمرو فوالله إنّي لتأتي عليَّ سنةٌ أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً ، يعرِّض بأن رملة إنّما تستعدي عليه طلباً للنكاح ،

---

1 العلالة : البقية من السير . الهزيم : الفرس الشديد الصوت .

2 مرته : حثته على السير .

3 ها للتنبيه قبل القسم .

فقال له معاوية : يا ابن الوزغ[1] ، لستَ هناك ، فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إنّي لأبو عَشَرة وأخو عشرة وعمٌّ عشرة ، وقد كاد ولدي أن يُكملوا العِدّة ، يعني أربعين ، ولو قد بلغوها لعلمتَ أين تقع منّي ! فانخزل معاوية ثم قال : [من الوافر]

فـإن أكُ في شرارِكُم قليـلاً ... فإنّـي في خيارِكُـم كثيـرُ
بُغاثُ الطَّير أكثرُهـا فِراخـاً ... وأمُّ الصَّقرِ مِقْـلاتٌ نزورُ[2]

قال : فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له ، وقال : لك العتبى[3] ، وأنا رادُّك إلى عملك . فوثب مروان وقال له : كَلاً والله وعيشك لا رأيتني عائداً إليه أبداً ، وخرج . فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت لك قطّ سقطةً مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأيُّ شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأيَّ شيءٍ تخشاه منهم ؟ فقال له : ادن منّي أخبرك بذلك . فدنا منه ، فقال له : إنّ الحكم بن أبي العاص كان أحدَ مَن وفد مع أختي أمّ حبيبة لمّا زُفَّت إلى النبيّ ﷺ ، وهو الذي تولّى نقلها إليه ؛ فجعل رسول الله ﷺ يُحِدّ النظرَ إليه ، فلمّا خرج من عنده قيل له : يا رسول الله ، لقد أحدَدْتَ النظرَ إلى الحكم ؛ فقال : «ابن المخزومية ؛ ذلك رجلٌ إذا بلغ ولده ثلاثين ، أو قال أربعين ، ملكوا الأمر بعدِي» . فوالله لقد تلقّاها مروان من عينٍ صافية . فقال له الأحنف : لا يسمعنَّ هذا أحدٌ منك ، فإنّك تضع من قدرك وقدرِ ولدِك بعدَك ، وإنْ يَقضِ الله عزّ وجلّ أمراً يكن . فقال له معاوية : فاكتُمْها عليّ يا أبا بحر إذاً ، فقد لعمري صدَقْتَ ونصحت .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال ، حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني يعقوب بن القاسم الطَّلحيّ قال : حدّثني ثِمالٌ عن أيّوب بن دِرباسٍ بن دَجاجة قال : شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن ، إلى معاوية . ثم ذكر نحواً من الحديث الأوّل ، ولم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف ، وزاد فيه : فقال عبد الرحمن في ذلك : [من الطويل]

أَتَقطُـر آفـاقُ السماءِ لـه دماً ... إذا قيل هذا الطَّرْفُ أجردُ سابحُ
فحتّى متى لا نَرفـع الطَّرْفَ ذِلّةً ... وحتّى متـى تعيا عليك المنادِحُ

1 الوزغ : سام أبرص .
2 بغاث الطير : ضعافها . والمقلات : الناقة التي تضع واحداً ثم لا تحمل ، والمرأة التي لا يعيش لها ولد . والنزور : القليلة النسل .
3 العتبى : الرضا .

[بكاء عبد الرحمن لمرأى رأس الحسين]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد قال : حدّثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه ، قال : كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث إليه عبيدُ الله بن زياد برأس الحسين بن عليّ ، عليهما السلام ، فلمّا وضع بين يدي يزيد في الطَّشت بكى عبد الرحمن ثم قال : [من الطويل]

أبلغْ أميرَ المؤمنين فلا تكُنْ كمُوتِرِ قوسٍ ثم ليس لها نَبْلُ
لَهامٌ بجنب الطَّفِّ أدنى قرابةً مِن ابن زيادِ الوغدِ ذي الحسب الرذلِ
سُمَيّةُ أمسى نسلُها عَدَدَ الحصى وبنتُ رسولِ الله ليس لها نسلُ

فصاح به يزيد : اسكت يا ابن الحمقاء ، وما أنت وهذا ؟!

[بكاء ابن عباس حين نفى ابن الزُّبير الأمويين]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني هارون بن معروف قال : حدّثنا بشر بن السريّ قال : حدّثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال : رأيتهم ، يعني بني أُميَّةَ ، يتتايعون[1] نحو ابن عبّاس حين نفى ابنُ الزُّبير بني أمية عن الحجاز ، فذهبتُ معهم وأنا غلامٌ ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده ، فدخلنا عليه ، فقال له عبيد بن عُمير ، مالي أراك تذرِف عيناك ؟ فقال له : إن هذا ، يعني عبد الرحمن بن الحكم ، قال بيتاً أبكاني ، وهو : [من الطويل]

وما كنت أخشى أن تَرى الذلَّ نِسوتي وعبد منافٍ لم تَغُلْها الغوائلُ

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمّنا بني أميّة ، وإنّا إنّما كنّا أهلَ بيتٍ واحد في الجاهلية ، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيّما دخل .

[ولع عبد الرحمن بجارية مروان]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكرانيّ قال : حدّثنا العمريّ عن الهيثم قال : حدّثني أخي عبّاسٌ : أنّ عبد الرحمن بن الحكم كان يُولَع بجاريةٍ لأخيه مروان يقال لها «شنْباء» ويهيم بمحبّتها ، فبلغ ذلك مروان ، فشتَمَه وتوعّده وتحفّظ منه في أمر الجارية ، وحَجَبها ، فقال فيها عبد الرحمن : [من الطويل]

لعَمْرُ أبي شنباء إنّي بذِكرها وإن شَحَطَتْ دارٌ بها لحَقيقُ

---

1 يتتايع : يتهافت ويسرع في اللجاجة .

وإنّي لهـا ، لا ينزِع الله ما لها عـلـيّ وإن لم ترعـه ، لصديقُ
ولمّا ذكَرتُ الوصلَ قالت وأعرَضَتْ متى أنت عن هذا الحديث مُفِيقُ

[رحم الفيل من ولد الأتان]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكُرانيّ قال : حدّثنا الخليل بن أسد عن العمريّ ، ولم أسمعه من العُمريّ ، عن الهيثم بن عديّ قال : لمّا ادّعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك ، والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه آل زياد ، وذلك غلط ، قال[1] : [من الوافر]

ألا أبلغْ معاويـةَ بنَ حـربٍ مُغَلْغَلـةً مـن الرجُل الهجانِ[2]
أتغضبُ أن يقـالَ أبوك عفٌّ وتَرضى أن يقـالَ أبوك زانِ
فأشهَدُ إن رِحْمَكَ من زِيادٍ كرحْمِ الفيلِ من وَلَـدِ الأتانِ
وأشهدُ أنَّها ولَـدَتْ زِيـاداً وصخرٌ مـن سُميَّةَ غيرُ داني

فبلغ ذلك معاوية بن حرب ، فحلف ألاّ يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج عبد الرحمن إلى زياد ، فلمّا دخل عليه قال له : إيه يا عبد الرحمن ، أنت القائل :

ألا أبلِغْ معاويـةَ بن حـربٍ مُغلغَلَـةً مـن الرجُـلِ الهجانِ

قال : لا أيّها الأمير ، ما هكذا قلت ، ولكنّي قلت :

ألا مـن مبلغٌ عنّـي زِياداً مغلغلـةً مـن الرّجُلِ الهجانِ[3]
مِـن ابن القَرم قرم بني قُصَيّ أبي العاصي بنِ آمنةَ الحصانِ
حلفتُ بـربٍّ مكّـةَ والمصلَّى وبالتـوراة أحلـفُ والقُرآنِ
لأنت زيـادةٌ في آلِ حـربٍ أحبُّ إليّ مـن وُسْطى بناني
سُرِرتُ بقُربـه وفرِحْتُ لمّا أتـاني الله منـهُ بالبيانِ
وقلتُ لـه أخـو ثقةٍ وعمٌّ بعـون الله في هـذا الزمانِ
كذاك أراكَ والأهـواءُ شتّـى فمـا أدري بغيبٍ مـا تراني

فرضيَ عنه زيادٌ ، وكتب له بذلك إلى معاوية ؛ فلمّا دخل عليه بالكتاب قال : أنشِدْني ما قلتَ لزياد . فأنشده ، فتبسَّم ثم قال : قَبَح الله زياداً ما أجْهَلَه ، والله لَما قلتَ له أخيراً حيث تقول : [من الوافر]

1 سترد هذه الأبيات مع بعض اختلاف في ترجمة يزيد بن المفرغ منسوبة إليه 18 : 194 .
2 المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . الرجل الهجان : الحسيب ، والرجُل في ل : القرم .
3 الرجل في ل : القرم .

لأنت زيــادةٌ في آل حـربِ

شرٌّ من القول الأوّل ، ولكنّك خدعتَه فجازت خديعتُك عليه .

[يهجو أخاه الحارث]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غَزاة البحر ، فنكَص واستعفى ، فوجَّه مكانه ابن أخيه عبدَ الملك بن مروان وهو يومئذٍ شاب فمضى وأبلى وحسُن بلاؤه ، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث : [من الوافر]

شَنِئتُك إذ رأيتــك حَوْتَكِيّـا   قريبَ الخُصيتَين من التراب[1]
كأنّكَ قملــةٌ لَقِحَتِ كِشافاً   لبُرغوثٍ ببعـرةٍ أو صُوأْبِ[2]
كفاكَ الغزو إذ أحجَمْتَ عنه   حديثُ السنّ مُقتَبَلُ الشَّبابِ
فليتك حيضةٌ ذهبَتْ ضلالاً   وليتَكَ عند مُنقَطَع السَّحابِ

[يهجو أخاه مروان]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنا أبو حاتمٍ عن أبي عبيدة قال : لَطَمَ عبدُ الرحمن بن الحكم مولًى لأهل المدينة حَنّاطاً ، وأخوه مروان يومئذٍ والٍ لأهل المدينة . فاستعداه الحناط عليه ، فأجلسه مروان بين يديه وقال له : الطِمه ، وهو أخو مروان لأبيه وأمّه ، فقال الحنّاط : والله ما أردتُ هذا ، وإنّما أردت أن أُعْلِمه أنّ فوقَه سلطاناً ينصرني عليه ، وقد وهبتُها لك . قال : لست أقبلها منك فخُذْ حقَّك . فقال : والله لا ألطمه ، ولكنّي أهبها لك . فقال له مروان : إن كنتَ ترى أنّ ذلك يُسخِطني فوالله لا أسخَط . فخذْ حقَّك . فقال : قد وهبتها لك ، ولست والله لاطمه . قال : لستُ والله قابِلَها ، فإن وهبتَها فهَبْها لمن لطمك ، أو لله عزَّ وعلا . فقال : قد وهبتُها لله تعالى . فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان : [من الطويل]

كلُّ ابنِ أمٍّ زائــدٌ غير ناقــصٍ   وأنت ابنُ أمٍّ ناقــصٌ غير زائدِ
وهبتُ نصيبي منك يا مَرْوَ كلَّه   لعَمْرٍو وعثمانَ الطّويل وخالدِ

[يرثي قتلى قريش يوم الجمل]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلفٍ الخزاعيّ ، قال : حدّثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة

1 الحوتكي : القصير الضاوي أو الكثير الأكل .
2 صؤاب وصئبان : بيض القمل .

قال : نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريشٍ يوم الجمل فبكى ، وأنشأ يقول : [من المتقارب]

أيا عـينُ جُودِي بدَمْعٍ سَرَبْ على فِتيةٍ مـن خِيار العربْ[1]

وما ضَرَّهم ، غيرَ حَيْنِ النّفوس أيُّ أميـرَيْ قـريشٍ غَلَبْ

[رواية أخرى لتعريضه بمعاوية]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدّثني عمر بن شبّة قال : حدّثني المدائنيّ عن شيخ من أهل مكّة قال : عرَضَ معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيلَه ، فمرَّ به فرسٌ فقال له : كيف تراه ؟ فقال : هذا سابح . ثم عرض عليه آخر فقال : هذا ذو عُلالةٍ . ثم مرَّ به آخر فقال : وهذا أجشُّ هزيم . فقال له معاوية : قد علمتُ ما أردتَ ، إنّما عرّضتَ بقول النجاشيّ فيَّ : [من الطويل]

ونجَّى ابنَ حرب سابحٌ ذو عُلالةٍ أجشُّ هَزيـمٌ والرمـاحُ دوانِ

سَليمُ الشَّظى عَبْلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسا كسِيدِ الغَضى باقٍ على النَّسلانِ[2]

أخرجْ عنّي فلا تساكنّي في بلد . فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية ، وقال له عبد الرحمن : وحتى متى نُستذلُّ ونُضام ؟ فقال له مروان : هذا عملك بنفسك . فأنشأ يقول : [من الطويل]

أتَقطُـر آفـاقُ السَّماء لنا دمـاً إذا قُلت هذا الطِّرفُ أجردُ سابحُ

فحتّى متـى لا نَرفـع الطّرفَ ذِلّةً وحَتّى متى تَعيـا عليك المنادحُ

فدخل مروان على معاوية ، فقال له مروان : حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي ؟ أما والله إنّك لتعلمُ قولَ النبي ﷺ وآله فينا ، ولقَلَّ ما بقي من الأجل . فضحِك معاوية وقال : لقد عفوتُ لك عنه يا أبا عبد الملك . والله أعلم بالصواب .

صوت

[من البسيط]

قولا لنائِلَ مـا تَقضينَ في رُجلٍ يَهـوى هواكِ ومـا جَنّبته اجتَنَبا

يُمسِي معي جَسدِي والقلبُ عندكم فمـا يعيش إذا مـا قلبُـه ذَهَبا

الشعر لمسعدة بن البختريّ ، والغناء لعَبادل ، ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لعريب ثقيل أوّل آخر عن ابن المعتزّ ، ولها فيه أيضاً خفيف رملٍ عنه .

---

1 الدمع السرب : السائل المنسرب .

2 الشظى : عظم لاصق بالركبة أو الذراع أو هو عصب صغار فيه . العبل : الغليظ . والشوى : الأطراف . شنج النسا : شديد غير مسترخ . والسيد : الذئب .

[249] ـ أخبار مسعدة بن البختري ونسبه

هو مسعدة بن البختريّ بن المغيرة بن أبي صفرة ، بن أخي المهلّب بن أبي صفرة ، وقد مضى نسبه متقدّماً في نسب يزيد بن محمدٍ المهلّبيّ وابن أبي عيينة وغيرهما .

وهذا الشعر يقوله في نائلة بنت عمر بن يزيد الأَسَيْديّ وكان يهواها .

[التشبيب بنائلة وأمّها وجدتها]

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدّثني عيسى بن إسماعيل تِينة ، عن القحذميّ قال : كان مسعدة بن البختريّ بن المغيرة بن أبي صُفرة ، يشبّب بنائلة بنت عُمَر بن يزيد الأَسَيْدي أحد بني أُسَيْدِ بن عمرٍو بن تميم ، وكان أبوها سيّداً شريفاً ، وكان على شُرَطِ العراقِ من قِبَل الحجّاج ، وفيها يقول : [من مجزوء الوافر]

أنائِـــلَ إنَّنـــي سَلَمٌ لأهلِكِ فاقبلي سَلْمِي

قال القحذميّ : وأُمُّ نائلة هذه عاتكةُ بنت الفرات بن معاوية البَكّائيّ ، وأمّها المُلاءة بنت زُرارة بن أوفى الجُرَشيّة ، وكان أبوها فقيهاً محدِّثاً من التابعين . وقد شبّب الفرزدق بالملاءة وبعاتكة ابنتها .

قال عيسى : فحدّثني محمد بن سلامٍ قال : لا أعلم أنّ امرأةً شُبِّب بها وبأمِّها وجدّتها غير نائلة . فأمّا نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة ، وأمّا عاتكة فإنّ يزيد بن المهلّب تزوّجها ، فقُتِل عنها يوم العَقر ، وفيها يقول الفرزدق : [من الطويل]

إذا ما المَزُونيات أصبَحنَ حُسَّرا وبَكَّــينَ أشلاءً على غير نائلِ
فكم طالبٍ بنتَ المُلاءةِ إنّها تذكّر رَيعانَ الشّبابِ المزايِلِ

وفي الملاءة أمِّها يقول الفرزدق : [من البسيط]

كم للمُلاءةِ من طيفٍ يؤرِّقني إذا تَجرثَمَ هادي الليل واعتكرا

[قصة يا لَثارات ذات النحيين]

أخبرني الحِرْميّ بن العلاء قال : حدّثني الزُّبير بن بكّارٍ قال : حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله قال : خرجت عاتكة بنت الملاءة إلى بعض بَوادي البصرة فلقيت بدوياً معه نحيا سمن فقالت له :

يا بدويّ أتبيعُ هذا السمن ؟ فقال : نعم . قالت : أرِناه . ففتح نِحياً[1] فنظرَتْ إلى ما فيه ، ثم ناولَته إيّاه وقالت : افتح آخر . ففتح آخرَ فنظرتْ إلى ما فيه ثم ناولته إيّاه ، فلمّا شَغَلَتْ يديه أمرَت جواريها فجعلْن يركُلن في استه وجعلت تنادي : يا لَثارات ذات النِّحيين !

قال الزُّبير : تَعني ما صُنِع بذات النِّحيين في الجاهلية ؛ فإنّ رجلاً يقال له خَوَّات بن جُبير رأى امرأةً معها نِحيا سمنٍ فقال : أرِيني هذا . ففتحت له أحد النِّحيين ، فنظر إليه ثم قال : أريني الآخر . ففتحَتْه ، ثم دفعه إليها ، فلمّا شَغَل يديها وقع عليها ، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن ، فضربت العربُ المثل بها ، وقالت : «أشغَلُ مِنْ ذاتِ النِّحيَين[2]» . فأرادت عاتكة بنت الملاءة أنّ هذا لم يفعله أحدٌ من النساء برجلٍ كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها ، وأنّها أدركت للنساء ثأرهنّ من الرجال بما فعلَتْه .

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال : حدّثنا أبو هفان عن إسحاق الموصليّ عن الزُّبير والمسيَّبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله : أنّ المُلاءة بنت زرارة لقِيت عمر بن أبي ربيعة بمكّة وحوله جماعةٌ ينشدهم . فقالت لجاريةٍ : مَن هذا ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة ، المنتقل بغزله من ذات ودادٍ إلى أُخرى ، الذي لم يدُمْ على وصلٍ ، ولا لقوله فرعٌ ولا أصل ، أما والله لو كنتُ كبعض مَن يواصل لما رضيتُ منه بما يرضين ، وما رأيت أدناً من نساء أهل الحجاز ولا أقرَّ منهنَّ بخَسفٍ ، والله لأَمةٌ من إمائنا آنفُ منهنّ ؛ فبلغ ذلك عمر عنها ، فراسَلَها فراسلَته ، فقال[3] : [من الكامل]

حَيٍّ المنازل قد عَمِرن خَرابا ... بين الجُرَين وبين رُكنِ كُسابا[4]
بالثِّني من مَلكانَ غيّر رَسَمها ... مَرُّ السحابِ المُعقِباتِ سحابا[5]
وذيولُ مُعصِفةِ الرياح تجرّها ... دُقَقاً فأصبحت العِراصُ يبابا[6]
ولقد أُراها مَرّةً مأهولةً ... حَسَناً جَنابُ مَحلِّها مِعشابا
دارُ التي قالتْ غداةَ لقيتُها ... عِند الجِمار فما عييتُ جوابا

1 النحي : الزق .
2 المثل «أشغل من ذات النحيين» في مجمع الميداني 1 : 376 وجمهرة العسكري 1 : 564 ومستقصى الزمخشري 1 : 196 وفصل المقال : 503 .
3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 46–47 .
4 عمرن : يقين ، وفي الديوان : تركن . الجرين وكساب : موضعان . وفي الديوان : الجرير .
5 الثني : المنعطف من الوادي أو الجبل . وملكان : اسم وادٍ .
6 دقق التراب : دقاقه ، واحدها دقة . والعراص : جمع عرصة ، وهي البقعة الخالية بين الدور .

هذا الذي بـاعَ الصَّديقَ بغيره ويريـد أن أرضى بـذاك ثوابا
قلت اسمعي منِّي المَقالَ ومَن يُطِعْ بصديقـه المتملِّـقَ الكَـذّابا
وتكـنْ لديـه حبالُـه أنشوطةً في غير شيء يقطِـع الأسبـابا
إن كنت حاولتِ العتاب لتعلمي مـا عندنـا فقـد أطلتِ عتابا
أو كان ذلـك للبِعـاد فإنّـه يكفيكِ ضربُكِ دونـك الجِلبابا
وأرى بوجهـك شَرق نُورٍ بيّنٍ وبوجـهِ غيرِك طَخْيـةً وضبابا[1]

صوت

[من الخفيف]

أسعِداني يـا نَخْلَتَيْ حُلـوانِ وارثِيا لي من ريبِ هذا الزمانِ
واعلمـا أنَّ ريبَهُ لم يـزل يَفـ ـرُقُ بـين الأُلّافِ والجيرانِ
أسعِداني وأيقِنـا أنّ نحساً سوف يلقـاكما فتفتـرقانِ
ولَعمرِي لـو ذُقتما ألَمَ الفُـرْ قَـةِ أبكـاكما كما أبكاني
كم رمَتْنيَ بـه صروفُ الليالي من فـراق الأحبابِ والخُلاّنِ

الشعر لمطيع بن إياس ، والغناء لحكمٍ الواديّ ، هزج بالوسطى عن عمرٍو والهشاميّ .

1 الطخية : الظلام .

[250] ـ أخبار مطيع بن إياس ونسبه[1]

[نسبه]

هو مطيع بن غياث الكناني . ذكر الزُّبير بن بكارٍ أنه من بني الدِّيلِ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وذكر إسحاق الموصليُّ عن سعيد بن سَلْمٍ أنه من بني ليث بن بكرٍ . والدِّيل وليث أخوان لأبٍ وأُمٍّ ، أُمُّهما أمّ خارجة ، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمارِ بنِ أراشِ بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وهي التي يضرب بها المثل فيقال : «أسرع من نكاحِ أم خارجة»[2] . وقد ولدت عدّة بطونٍ من العرب حتى لو قال قائل : إنه لا يكاد يتخلّص من ولادتها كبير أحدٍ منهم لكان مقارباً . فممَّن ولدت الدِّيـل وليث والحارث وبنو بكر بن عبدِ مناة بن كنانة ، وغاضرة بن مالك بن ثعلبـة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، والعنبر وأُسيِّد والهُجيم ، بنو عمرٍو بن تميم ، وخارجـة بن يشكر ، وبـه كانت تكنـى ، ابـن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا ، وهو أبو المصطلق .

قال النسابون : بلغ من سرعة نكاحِها أنّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها : خِطْبٌ ، فتقول له : نِكْح . وزعموا أنّ بعض أزواجها طلَّقها فرحل بها ابنٌ لها عن حَيِّهِ إلى حيِّها ، فلقيها راكبٌ فلمّا تبيَّنَتْه قالت لابنها : هذا خاطبٌ لي لا شكَّ فيه ، أفتراه يُعجِلني أن أنزل عن بعيري ؟ فجعل ابنها يسبُّها .

ولا أعلم أنّي وجدتُ نسب مطيع متصلاً إلى كنانة في رواية أحدٍ إلاّ في حديثٍ أنا ذاكره ؛ فإن راويَه ذكر أن أبا قُرعة الكنانيّ جدّ مطيع ، فلا أعلم أهو جدُّه الأدنى فأصِلَ نسبَه به . أم هو بعيدٌ منه ، فذكرتُ الخبر على حاله .

[تلاحي ابن الزُّبير وجدّ مطيع]

أخبرني به عيسى بن الحسن الوراق قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدّثني العمريّ وأبو فـراس عمّـي جميعاً ، عن شُراحِيـل بن فراس ، أنّ أبا قرعة الكنانيّ ، واسمه

1 ترجمة مطيع بن إياس في طبقات ابن المعتز : 93–95 وتاريخ بغداد 13 : 226 وفوات الوفيات 4 : 145–150 وفي التذكرة الحمدونية كثير من أخباره وشعره وقد جمع غرونباوم شعره في «شعراء عباسيون» 1 : 30–76 .

2 المثل «أسرع من نكاح أم خارجة» في مجمع الميداني 1 : 348 وجمهرة العسكري 1 : 529 ومستقصى الزمخشري 1 : 166 وفصل المقال : 500 .

سلمى بن نوفلٍ ، قال : وهو جدُّ مطيع بن إياس الشاعر ، كانت بينه وبين ابن الزُّبير قبل أن يلي مقارضة[1] ، فدخل سلمى وابن الزُّبير يخطُب الناس ، وكان منه وجِلاً ، فرماه ابن الزُّبير ببصره حتى جلس ، فلمّا انصرف من المجلس دعا حَرَسيّاً فقال : امضِ إلى موضع كذا وكذا من المسجد ، فادْعُ لي سلمى بن نوفلٍ . فمضى فأتاه به ، فقال له الزبير : إيهاً أيّها الضبّ . فقال : إنّي لست بالضبِّ ولكنّ الضبَّ بالضَّمر[2] من صخر . قال : إيهاً أيّها الذِّيخ[3] . قال : إن أحداً لم يبلغ سنّي وسنَّك إلاّ سمِّي ذيخاً . قال : إنّك لهاهنا يا عاضّ بظر أمِّه . قال : أعيذك بالله أن يتحدّث العرب أنّ الشيطان نَطَقَ على فيك بما تنطق به الأَمَة الفَسْلة ، وايمُ الله ما هاهنا داد أريده على المجلس أحدٌ[4] إلاّ قد كانت أمُّه كذلك .

[والد مطيع بن إياس]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا علي بن محمد بن سليمان النوفليّ عن أبيه قال : كان إياسُ بن مسلم ، أبو مطيع بن إياسٍ شاعراً ، وكان قد وفد إلى نصر بن سيّار بخراسان فقال فيه : [من الطويل]

إذا ما نِعالي من خُراسانَ أقبلت ... وجاوزتُ منها مَخرما ثم مَخْرما[5]
ذكرتُ الذي أوليتَني ونشَرْتُه ... فإن شئتُ فاجعلني لشُكرِكَ سُلَّما

فأمّا نسب أبي قُرعة هذا فإنّه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة . ذكر ذلك المدائنيّ . قال المدائنيّ : وكان سلمى بن نوفل جواداً . وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

يسوِّدُ أقوامٌ وليسوا بسادةٍ ... بل السيِّد الميمونُ سلمى بن نوفلٍ

[رجع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره]

وهو شاعرٌ من مخضرمي الدولتين الأمويّة والعباسية ، وليس من فحول الشعراء في تلك ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حُلو العِشرة ، مليح النادرة ، ماجِناً متَّهماً في دينه بالزندقة ، ويكنى أبا سُلمى . ومولده ومنشؤه الكوفة ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أَمَدَّ بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزُّبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة وتزوَّج بها ،

---

1 المقارضة : تبادل الذم أو المدح .
2 الضمر : رملة بعينها .
3 الذيخ : ذكر الضباع .
4 هكذا وردت هذه العبارة .
5 عنى بالنعال ذوات النعال ، وهي الإبل ، أو لعلّها «بغالي» . مخرم : الجبل أنفه .

فوُلِد له مُطيع .

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى ، عن حمّادٍ عن أبيه ، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ومتصرِّفاً بعده في دولتهم ، ومع أوليائهم وعُمّالهم وأقاربهم لا يَكسُد عند أحدٍ منهم ، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات ، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً إلاّ حكايةً بوفوده على سليمان بن علي ، وأنّه ولاّه عملاً . وأحسبه مات في تلك الأيّام .

[ظريف لا تحمد صحبته]

حدّثني عمّي الحسن بن محمد ، قال : حدّثني محمد بن سعد الكرانيُّ عن العمري عن العُتبيّ عن أبيه قال : قدِم البصرة علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أرَ قطُّ أظرفَ لساناً ولا أحلى حديثاً منه ، وكان يحدِّثني عن مُطيعِ بن إياس ، ويحيى بن زيادٍ ، وحمادٍ الراوية ، وظرفاء الكوفة ، بأشياء من أعاجيبهم وطُرَفهم ، فلم يكن يحدِّث عن أحد بأحسن ممّا كان يحدّثني عن مطيع بن إياس ، فقلت له : كنت والله أشتهي أن أرى مُطيعاً ، فقال : والله لو رأيته للقِيتَ منه بلاءً عظيماً . قال : قلت : وأيُّ بلاءٍ ألقاه من رجل أراه . قال : كنتَ ترى رجلاً يصبر عنه العاقل إذا رآه ، ولا يصحبه أحدٌ إلاّ افتضح به .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا أبو سعيدٍ السكري عن محمد بن حبيب قال : سألتُ رجلاً من أهل الكوفة كان يصحب مطيعَ بن إياسٍ عنه فقال : لا تُرِدْ أن تسألني عنه . قلت : ولِم ذاك ؟ قال : وما سؤالك إيّايَ عن رجلٍ كان إذا حَضَرَ مَلَكك ، وإذا غاب عنك شاقك ، وإذا عُرفتَ بصحبته فَضَحك .

[إعجاب الوليد بن يزيد به]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عبد الله بن عمرو قال : حدّثني أبو توبة صالح بن محمدٍ عن محمد جبير ، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال : قال لي جعفر بن يحيى : ذكر حكمٌ الواديّ ، أنّه غنّى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلامٌ حديث السنّ ، فقال : [من الرجز]

إكليلُها ألوانُ ووجهُها فَتّانُ
وخالُها فريدٌ ليس لها جيرانُ
إذا مشَتْ تثنَّت كأنّها ثعبانُ
قد جُدلت فجاءت كأنّها عنانُ

فطرِب حتى زحف عن مجلسه إليّ ، وقال : أعِد فدَيتك بحياتي . فأعدته حتى صَحِل

صوتي[1] ، فقال لي : ويحك ، مَن يقول هذا ؟ فقلت : عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك . فقال : ومن هو فديتك ؟ فقلت : مطيع بن إياس الكنانيّ . فقال : وأين محله ؟ قلت : الكوفة . فأمر أن يُحمل إليه على البريد ، فحُمِل إليه . فما أشعر يوماً إلاّ برسوله قد جاءني ، فدخلتُ إليه ومطيع بن إياسٍ واقفٌ بين يديه ، وفي يد الوليد طاسٌ من ذهب يشربُ به . فقال له : غنّ هذا الصوت يا واديّ . فغنّيته إيّاه ، فشربَ عليه ، ثم قال لمطيع : مَن يقول هذا الشعر ؟ قال : عبدك أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : ادن منّي . فدنا منه ، فضمَّه الوليد وقبَّل فاه وبين عينيه ، وقبَّل مطيعٌ رجلَه والأرض بين يديه ، ثم أدناه منه حتى جلس أقربَ المجالسِ إليه ، ثم تمَّ يومه فاصطبح أسبوعاً متوالي الأيّام على هذا الصوت .

لحن هذا الصوت هزجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، والصنعة لحَكمٍ . وقد حدّثني بخبره هذا مع الوليد جماعةٌ على غير هذه الرواية ، ولم يذكروا فيها حضور مطيع .

حدّثني به أحمد بن عبيد الله بن عمّارٍ قال : حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : بلغني عن حكمٍ الواديّ ، وأخبرني الحسين بن يحيى ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا : حدّثنا حماد بن إسحاق قال : حدّثني أحمد بن يحيى المكّيّ عن أمِّه عن حكم الواديّ قال : وفدتُ على الوليد بن يزيد مع المغنّين ، فخرج يوماً إلينا وهو راكبٌ على حمارٍ ، وعليه دُرّاعة وشي ، وبيده عقد جوهرٍ ، وبين يديه كيسٌ فيه ألف دينارٍ ، فقال : مَن غنّاني فأطربني فله ما عليّ وما معي . فغنَّوه فلم يطرب ، فاندفعتُ وأنا يومئذٍ أصغرهم سنّاً فغنّيته : [من الرجز]

إكليلهـا ألـوانُ ووجهُهـا فَتّـانُ
وخالُهـا فريـدٌ ليس لـه جيرانُ
إذا مشَتْ تثنَّتْ كأنَّهـا ثعبـانُ

فرمى إليّ بما معه من المال والجوهر ، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إليَّ رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته .

[صحبته لزنادقة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ عن ابن توبة قال : كان مطيع بن إياسٍ ، ويحيى بن زيادٍ الحارثيُّ ، وابن المقفَّع ووالبةُ بن الحُباب يتنادمون ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمالٍ ولا مِلكٍ ، وكانوا جميعاً يُرمَون بالزَّندقة .

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال : حدّثني عليٌّ بن محمدٍ النوفليّ عن أبيه وعمومته ، أنّ مطيعَ بن إياسٍ وعُمارة بن حمزة مولى بني هاشم ، وكانا مرميّين بالزندقة ، نزعا إلى عبد الله بن

---

1 صحل صوتي : بح .

معاوية بن جعفر بن أبي طالبٍ لمّا خرج في آخر دولة بني أميّة ، وأوّل ظهورِ الدعوة العباسية بخراسان ، وكان ظَهَرَ على نواحٍ من الجبل : منها أصفهان وقُمّ ونَهاوَند ، فكان مطيعٌ وعُمارة ينادمانه ولا يفارقانه .

قال النوفليّ : فحدّثني إبراهيم بن يزيد بن الخشكِ قال : دخل مطيع بن إياس على عبدالله بن معاوية يوماً وغلامٌ واقف على رأسه يذبُّ عنه بمنديل ، ولم يكن في ذلك الوقت مَذابٌّ ، إنّما المذابُّ عباسية ، قال : وكان الغلام الذي يذُبُّ أمردَ حسن الصورة ، يروقُ عين الناظر ، فلمّا نظرَ مطيعٌ إلى الغلام كاد عقله يذهب ، وجعل يكلّم ابن معاوية ويُلجلِج ، فقال ابن معاوية : [من المنسرح]

إنّي ومـا أعْمَـل الحجيجُ له ... أخشى مُطيع الهوى على فرجِ

أخشـى عليـه مغامساً مَرِسا ... ليس بذي رِقْبـةٍ ولا حَرَجِ[1]

[ما قاله هو وعمارة في صاحب شرطة ابن معاوية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال : حدّثنا عليُّ بن محمد النوفليّ قال : حدّثني أبي عن عمّه عيسى قال : كان لابن معاوية صاحب شرطة يقال له : قيس بن عيلان العنسيّ النوفليّ وعيلان اسم أبيه ، وكان شيخاً كبيراً دُهريّاً لا يؤمن بالله ، وكان إذا عَسَّ لم يبقَ أحدٌ إلاّ قتله ، فأقبل يوماً فنظر إليه ابن معاوية ومعه عمارة بن حمزة ومطيع بن إياس ، قال : [من الخفيف]

إنّ قيساً وإنْ تَقَنَّـع شيباً ... لخبيثُ الهَوى على شَمَطِهْ[2]

أَجِزْ يا عُمارة . فقال : [من الخفيف]

ابنُ سبعـينَ منظراً ومَشِيبا ... وابنُ عَشرٍ يُعَـدُّ في سقطِهْ[3]

فأقبل على مطيع فقال : أجزْ . فقال : [من الخفيف]

وله شُرطـةٌ إذا جَنّـه الليـ ... ـلُ فعُوذوا بالله من شُرَطِهْ

[فعل قبيح وعذر أقبح]

قال النوفليّ : وكان مطيعٌ فيما بلغني مأبوناً ، فدخل عليه قومه فلاموه على فِعله ، وقالوا له : أنت في أدبك وشرفك وسُؤددِك وشعرك تُرمى بهذه الفاحشة القذِرة ؟ فلو أقصرتَ عنها ! فقال : جَرِّبوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين . فانصرفوا عنه ، وقالوا : قَبح الله فعلَك وعُذْرَك ، وما استقبلتنا به .

1 المغامس» الشديد الشجاع . وكذلك المرس . الرقبة : التحفظ والخشية .

2 الشمط : بياض الرأس يخالطه سواد .

3 السقط : الفضيحة .

[يفسد على حماد صاحبته]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدّثنا حمّاد عن أخيه عن النضر بن حديد قال : أخبرني أبو عبد الملك المروانيّ قال : حدّثني مطيع بن إياس قال : قال لي حماد عجردٍ : هل لك في أن أُريكَ خُشَّةَ صديقي[1] ، وهي المعروفة بظَبْية الوادي ؟ قلت : نعم . قال : إنّك إن قعدتَ عنها وخبُثت عينُك في النظر أفسدْتَها عليّ . فقلت : لا والله لا أتكلّم بكلمةٍ تسوءك ، ولأسُرَّنّك . فمضى وقال : والله لا أتكلّم ، لئن خالفتَ ما قلتُ لأخرجنّك . قال : قلت : إنْ خالفتُ إلى ما تكْرهُ فاصنَعْ بي ما أحببت . قال : امضِ بنا . فأدخلني على أظرفِ خَلْق الله وأحسنهم وجهاً ، فلمّا رأيتها أخذَني الزَّمَع[2] وفطِن لي : فقال : اسكنْ يا ابن الزانية . فسكنتُ قليلاً ، فلحظتني ولحظتُها أخرى ، فغضِبَ ووضع قُلَنسِيَتَه عن رأسه ، وكانت صَلَعَته حمراء كأنها استُ قردٍ ، فلمّا وضعها وجدتُ للكلام موضعاً فقلت : [من الهزج]

وَارِ السَّـوأةَ السوآ ... ءَ يا حَمَّاد عن خُشَّهْ

عـن الأترجَّـةِ الغَضّـ ... ـةِ والتفاحـةِ الهشَّهْ

فالتفت إليّ ، وقال : فعلتَها يا ابن الزانية ؟ فقالت له : أحسن والله ، ما بلغ صفتَكَ بعد ، فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية ! فقالت له : الزانية أُمُّك ! وثاورته وثاورَها ، فشقّت قميصه ، وبصَقَت في وجهه ، وقالت له : ما تصادِقُك وتدعُ مثل هذا إلاّ زانية ! وخرجنا وقد لقي كلَّ بلاء ، وقال لي : ألم أقلْ لك يا ابن الزانية : إنّك ستفسدُ عليَّ مجلسي . فأمسكتُ عن جوابه ، وجعل يهجوني ويسبُّني ، ويشكوني إلى أصحابنا . فقالوا لي : اهجُه ودعنا وإيّاه . فقلت فيه : [من الهزج]

ألا يـا ظبيـةَ الوادي ... وذاتَ الجسدِ الرادِ[3]

وزيـنَ المِصر والـدّارِ ... وزيـنَ الحيِّ والنادي

وذاتَ المَبسمِ العذبِ ... وذات المِيسَم البادي

أمَـا بـاللهِ تستحْيِـ ... ـنَ مـن خُلَّـة حَمّادِ[4]

فحمَّادٌ فتًـى ليسِ ... بـذي عِـزٍّ فتَنقادي

ولا مـالٍ ولا عـزٍّ ... ولا حَـظٍّ لمرتـادِ

---

1 يقال هذه صديقي وصديقتي . وخشة : اسم المرأة .

2 الزمع : شبه الرعدة .

3 الراد : الرخص اللين .

4 الخلة : الصداقة .

فتوبـي واتَّقـي اللهَ وَبُتّـي حَبْـلَ عجرادِ
فقـد مُيِّزتِ بالحسنِ عـن الخَلْقِ بإفرادِ
وهـذا البينُ قـد حُمَّ فجُـودي منكِ بالزّادِ

في الأوّل والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكمٍ الواديٍّ رمَلٌ . قال : فأخذ أصحابنا رِقاعاً فكتبوا الأبيات فيها ، وألقوها في الطريق . وخرجتُ أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم . فلمّا رآها وقرأها قال لهم : يا أولادَ الزّنا ، فعلّها ابن الزانية ، وساعدتموه عليّ !

قال : وأخذها حكمٌ الواديُّ فغنَّى فيها ، فلم يبقَ بالكوفة سَقّاءٌ ولا طَحّان ولا مُكارٍ إلاّ غنَّى فيها ، ثم غَنِيتُ مدّةً وقدِمتُ ، فأتاني فما سلَّم عليّ حتى قال لي : يا ابن الزانية ، ويلكَ أما رحِمتني من قولك لها : [من الهزج]

أمـا بـالله تستحْيِيـ ـنَ مـن خُلّة حمّادِ

بالله قتلتني قَتَلك الله ! والله ما كلّمتني حتى الساعة . قال : قلت : اللهمّ أدِمْ هجرَها له وسوءَ آرائها فيه ، وآسِفْه[1] عليها ، وأغرِه بِها ؛ فشتمني ساعةً . قال مطيع : ثم قلت له : قُم بنا حتى أمضيَ بك فأريك أختي ، وكانت لمطيع صديقة مغنّية يسمّيها «أختي» وتسمّيه أخي ، قال مطيع ، فمضينا فلمّا خرجتْ إلينا دعوت قيِّمةً لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً ، وعرّفتُها أنّ الذي معي حمّاد . فضحِكت ثم أخذت صاحبتي في الغناء . وقد علمتْ بموضعه وعرَفَته ، فكان أوّل صوت غنّت : [من الهزج]

أمـا بـالله تستحْيِيـ ـنَ مـن خُلّة حمّادِ

فقال لها : يا زانية ! وأقبل عليَّ فقال لي : وأنت يا زاني يا ابن الزانية أسررت هذا إلى قيمتها ؟ فقلت لا والله ، فقالت : كذبت والله يا ابن الزانية وشاتَمته صاحبتي ساعةً ، ثم قامت فدخلت . وجعـل يتغيَّـظ عليّ فقلت : أنتَ ترى أنّـي أمرتُها أن تغنّيَ بما غنّت ؟ قال : أرى ذلك وأظنُّه ظنّاً ، لا والله ، ولكنّي أتيقَّنه ! فحلفتُ له بالطلاق على بُطلان ظنّه ، فقال : وكيف هذا ؟ فقلت : أراد أن يفسد هذا المجلس مَن أفسد ذلك المجلس . فقال : قد والله فَعَلَ . وانصرفنا .

[يفسد صديقة يحيى الحارثي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجلٍ من أصحابه قال : قال يحيى بن زيادٍ الحارثيُّ لمطيع بن إيـاس : انطلِقْ بنا إلى فلانـة صديقتي ، فإنّ بيني وبينها مغاضبة ، لتُصلِح بيننا ، وبئس المصلح

1 آسفه : أغضبه .

أنت . فدخلا إليها فأقبلا يتعاتبان ، ومطيعٌ ساكت ، حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع : ما يُسكتك ، أسكتَ الله نأْمَتك[1] ؟ فقال لها مطيع : [من الخفيف]

أنتِ مُعتلَّة عليه وما زا ... ل مُهيناً لنفسه في رضاكِ

فأعجبَ يحيى ما سمع ، وهَشَّ له فقال له مطيع :

فدَعِيه وواصلي ابنَ إياسٍ ... جُعِلَتْ نفسُه الغداةَ فِداكِ

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت ، فما زال يَجلِد بها رأسه ويقول : ألهذا جئتُ بك يا ابن الزانية ؟ ومطيع يُغوِّث[2] حتى ملَّ يحيى ، والجارية تضحك منهما ، ثم تركه وقد سَدِر[3] .

حدّثني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال : مرِض حمّاد عجردٍ ، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلاّ مطيع بن إياس ، وكان خاصةً به ، فكتب إليه حمّاد : [من الوافر]

كفاكَ عيادتي مَن كان يرجو ... ثَـوابَ الله في صِلـة المريضِ
فإن تُحدِثْ لك الأيّامُ سُقماً ... يحـول جريضُه دونَ القريضِ[4]
يكنْ طولُ التأوُّهِ منك عندي ... بمنزلـة الطَّنينِ مـن البعوضِ

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حمّادٍ عن أبيه قال : قدِم مطيع بن إياسٍ من سفر فقدِم بالرغائب ، فاجتمع هو وحمّاد عجردٍ بصديقته ظَبيةِ الوادي ، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة ، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبته من طرائفِ ما أفاد ، فلمّا جلسوا يشربون غنَّتْ ظبيةُ الوادي فقالت : [من الطويل]

أظـنُّ خليـلي غُـدوةً سيسير ... وربِّي على أن لا يسير قديـرُ

فما فَرَغت من الصوتِ حتّى غنَّت صاحبةُ مطيع : [من الخفيف]

مـا أُبالي إذا النَّوى قرَّبتهـم ... ودنونا من حَـلَّ منهم وساروا

فجعل مطيعٌ يضحك وحمّاد يشتمها .

---

1 النأمة : الصوت .
2 يغوث : يقول «واغوثاه» .
3 سدر : تحير .
4 المثل «حال الجريض دون القريض» في مجمع الميداني وجمهرة العسكري 1 : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 55 وفصل المقال : 444 .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

أظُنُّ خليلي غدوةً سيسير ... وربِّي على أن لا يسيرَ قديرُ
عجبتُ لِمَن أمسى محبّاً ولم يكن ... له كفَنٌ في بيته وسريرُ

غنّى في هذين البيتين إبراهيم الموصليُّ ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيف رملٍ بالوسطى .

[لا يفيق من هوى مكنونة]

حدّثني الحسن قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجانيّ قال : كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له : عُمَر بن سعيد ، فعاتبه في أمر قينةٍ يقال لها «مكنونة» كان مطيع يهواها حتى اشتهر بها ، وقال له : إنّ قومك يشكونك ويقولون : إنّك تفضحهم بشُهرتك نفسَك بهذه المرأة ، وقد لحقَهم العيبُ والعارُ بك من أجلها ؛ فأنشأ مطيع يقول : [من المنسرح]

قد لامَني في حبيبتي عُمَرُ ... واللّومُ في غيرِ كُنهِهِ ضجَرُ
قال أفِقْ ، قلتُ لا ، فقال بلى ... قد شاعَ في الناس عنكما الخبرُ
قلتُ قد شاع فاعتذارِيَ ممّا ... ليس لي فيه عندهم عُذُرُ
عَجزٌ لعمري وليس ينفعُني ... فكُفَّ عنّي العتابَ يا عمرُ
وارجعْ إليهم وقُل لَهُمْ قد أبى ... وقال لي لا أُفيقُ فانتحروا
أعشق وحدي فيُؤخَذون به ... كالتُّرك تَغزُو فيُقتل الخَزَرُ

[أين المحصنات]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني ابن أبي أحمد عن أبي العِبَر الهاشميّ قال : حدّثني أبي أنّ مطيع بن إياس مرّ بيحيى بن زيادٍ ، وحماد الراوية وهما يتحدّثان ، فقال لهما : فيم أنتما ؟ قالا : في قَذْف المحصَنات . قال : أو في الأرض محصَنة فتقذِفانِها ؟!

[يضع حديثاً لتولية المهدي]

حدّثني عيسى بن الحسن الورّاق قال : حدّثني عُمَر بن محمد بن عبد الملك الزياتِ . وحدّثنيه الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدّثني محمد بن هارون قال : أخبرني الفضل بن إياس الهذليُّ الكوفيّ أنّ المنصور كان يريد البيعة للمهديّ ، وكان ابنه جعفرٌ يعترض عليه في ذلك . فأمَرَ بإحضار الناس فحضَروا ، وقامت الخطباء فتكلّموا ، وقالت الشعراء فأكثَرُوا في وصف المهديّ وفضائله ، وفيهم مطيع بن إياسٍ . فلمّا فرَغَ من كلامه

في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور : يا أمير المؤمنين . حدّثنا فلانٌ عن فلانٍ أنّ النبيّ ﷺ قال : «المهديُّ منّا محمد بن عبد الله وأمّه من غيرنا . يملؤها عدلاً كما مُلئت جَوراً» ، وهذا العباس بن محمدٍ أخوك يشهد على ذلك . ثم أقبل على العباس ، فقال له : أَنشُدُكَ اللهَ هل سمعتَ هذا ؟ فقال : نعم ، مخافةً من المنصور . فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهديّ .

قال : ولّما انقضى المجلسُ ، وكان العباس بن محمد لم يأنس به ، قال : أرأيتم هذا الزنديق إذ كَذَبَ على الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ حتى استشهدني على كِذبه ، فشهدتُ له خوفاً ، وشهد كلُّ مَن حضر عليَّ بأنّي كاذب ؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفرٍ ، وكان مطيعٌ منقطعاً إليه يخدمه . فجفاه وطرده عن خدمته . قال : وكان جعفرٌ ماجناً ، فلمّا بلغه قول مطيع هذا غاظه ، وشَقَّتْ عليه البيعة لمحمدٍ ، فأخرج أَيره ثم قال : إن كان أخي محمدٌ هو المهديّ فهذا القائم من آل محمدٍ .

[أبو جعفر يتهمه بإفساد ابنه]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : كان مطيعُ بن إياسٍ يخدُم جعفرَ بن أبي جعفر المنصور وينادمه ، فكره أبو جعفرٍ ذلك ، لما شُهر به مطيعٌ في الناس وخَشِيَ أن يُفسده ، فدعا بمطيع وقال له : عزمت على أن تفسِد ابني عليّ وتعلِّمَه زندقتك ؟ فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظنَّ بي هذا ، والله ما يسمع منّي إلاّ ما إذا وعاه جَمَّله وزيَّنه ونبَّله ! فقال : ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلاّ ما يضُرُّه ويغرُّه . فلمّا رأى مطيعٌ لجاجه في أمره قال له : أتؤمِنُني يا أميرَ المؤمنين عن غضبك حتى أصدُقَك ؟ قال : أنت آمن . قال : وأيُّ مُستصلَحٍ فيه ؟ وأيُّ نهايةٍ لم يبلُغْها في الفساد والضّلال ؟ قال : ويلك ، بأيّ شيء ؟ قال : يزعم أنّه يتعشّق امرأةً من الجنّ وهو مجتهدٌ في خِطبتها ، وجمعِ أصحاب العزائم عليها ، وهم يغُرونه ويَعِدونه بها ويمنّونه ، فوالله ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جِدٍّ ولا هزل ولا كفرٍ ولا إيمان . فقال له المنصور : ويلك ، أتدري ما تقول ؟ قال : الحقّ والله أقول ، فسل عن ذلك . فقال له : عُد إلى صحبته واجتهد أن تُزيلَه عن هذا الأمر ، ولا تعلمه أنّي علمت بذلك حتى أجتهد في إزالته عنه .

أخبرني عمّي قال : حدّثني الكَرانيّ عن ابن عائشة قال : كان مطيع بن إياسٍ منقطعاً إلى جعفرِ بن أبي جعفر المنصور ، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً ، فقال لمطيع : قد أفسدتَ ابني يا مطيع . فقال له مطيع : إنّما نحن رعيّتُك فإذا أمرتَنا بشيءٍ فَعَلْنا .

[جعفر يتعشّق امرأة من الجن]

قال : وخرج جعفرٌ من دار حرمه فقال لأبيه : ما حَملك على أن دخلتَ داري بغير إذن ؟ فقال له أبو جعفر : لعن الله من أشبهَك ، ولعنك ؛ فقال : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ، قال : وكان خليعاً ، فقال : أريد أن أتزوّج امرأةً من الجنّ ! فأصابه لمم ، فكان يُصرَع بين يَدَيْ أبيه والربيع واقف ، فيقول له : يا ربيع ، هذه قدرةُ الله .

وقال المدائنيُّ في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه : فأصاب جعفراً من كثرة وَلَعِهِ بالمرأة التي ذكر أنّه يتعشّقها من الجنّ صَرْعٌ ، فكان يصرع في اليوم مرّاتٍ حتى مات ، فحزن عليه المنصور حزناً شديداً ، ومشى في جنازته ، فلمّا دُفِن وسوِّي عليه قبره قال للربيع : أنشِدني قول مطيع بن إياس في مرثية يحيى بن زياد . فأنشده : [من المنسرح]

يا أهــليَ ابكُوا لقلبيَ القرِحِ وللدُّمــوع الـذّوارفِ السُّفُحِ
راحُوا بيحيى ولو تطاوِعُني الـ ـأقــدارُ لم يَبتكِرِ ولم يَـرُحِ
يا خيرَ من يَحْسُن البكاءُ له الـ ـيومَ ومَــن كان أمس لِلمَدحِ

قال : فبكى المنصور ، وقال : صاحبُ هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر .

أخبرني به عمّي أيضاً عن الخزاز عن المدائنيّ ، فذكر مثله .

[شعره في جارية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال ، حدّثني المغيرة بن هشامٍ الرَّبَعيّ قال : سمعت ابن عائشة يقول : مرّ مطيع بن إياسٍ بالرُّصافة ، فنظَرَ إلى جاريةٍ قد خرجَت من قصر الرُّصافة كأنّها الشمس حسناً ، وحواليَها وصائفُ يرفَعنَ أذيالها ، فوقف ينظر إليها إلى أن غابتْ عنه ، ثم التفتَ إلى رجلٍ كان معه وهو يقول : [من مجزوء الكامل]

لَمَّا خَرجْــنَ من الرُّصا فــة كالتّماثيــل الحسانِ
يَحفُفْــنَ أحــورَ كالغزا لِ يميسُ في جُدُل العِنانِ[1]
قطّعْــنَ قلبــي حسرةً وتقسُّمــاً بــين الأمــاني
ويــلي عــلى تلـك الشما ئِـلِ واللطيفِ مـن المعاني
يــا طُــولَ حَـرِّ صبابتي بــينَ الغــواني والقيــانِ

[جزع ابنته من رحيله]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعيد ، عن ابن توبة صالح بن محمد ، قال : حدّثني بعضُ ولدِ منصور بن زياد عن أبيه قال : قال محمد بن الفضل بن السكونيّ : رَحَل مطيعُ بن إياسٍ إلى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له ، فلمّا رأته بنتُه قد صَحَّح العزم على الرّحيل بَكت ، فقال لها : [من الخفيف]

اسكُتي قد حَزَزْتِ بالدّمع قلبي طالمــا حَــزَّ دمعُكُنَّ القُلوبا
وَدَعي أن تقطّعــي الآنَ قلبي وتُرِينــي في رِحلتــي تعذيبا

---

1 الجدل : جمع جديل ، وهو الزمام المجدول . يعني أنها مجدولة القوام .

فعسى اللهُ أن يُدافِعُ عنّي ريبَ ما تحذرين حتّى أءوبا
ليس شيءٌ يشاؤه ذو المعالي بعزيزٍ عليه فادعي المُجيبا
أنا في قبضةِ الإلـه إذا ما كنت بعيداً آو كنت منك قريبا

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيعٍ بغير رواية ، فكانَ أوّلها : [من الخفيف]

ولقد قلتُ لا بنتي وهي تَكوي بانسِكابِ الدُّموعِ قلباً كئيبا

وبعده بقية الأبيات .

[أومأ لقينة بقبلة فصدته]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عليُّ بن محمدٍ النوفليّ ، عن صالح الأصمّ قال : كان مطيعُ بن إياسٍ مع إخوانٍ له على نبيذٍ ، وعندهم قينةٌ تغنيهم ، فأومأ إليها مُطيعٌ بقُبلةٍ ، فقالت له : تُراب ؛ فقال مطيع : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنَّ قلبي قد تصابى بعد ما كان أنابا
ورَماه الحبُّ منه بسهامٍ فأصابا
قد دَهاه شادِن يَلـ ـبَس في الجِيد سِخابا[1]
فهو بدرٌ في نِقابٍ فإذا ألقى النقابا
قلتَ شمسٌ يوم دَجْنٍ حَسَرت عنها السَّحابا
ليتني منه على كَشْـ ـحَين قد لانا وطابا
أحضَرُ النّاس بما أكـ ـرَهُه منهُ جوابا
فإذا قُلْتُ أنِلْني قبلةً قال تُرابا

لحكم الواديِّ في هذه الأبيات هزجٌ بالبِنصر ، من رواية الهشاميّ .

[سرعة بديهته]

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ قال : ذكر موسى بن صالح بن سنحٍ بن عميرة أنّ مطيعَ بنَ إياسٍ كان أحضَرَ الناس جوابا ونادرة ، وأنّه ذاتَ يوم كان جالساً يعدِّد بطونَ قريشٍ ويذكر مآثِرَها ومَفاخرَها ، فقيل له : فأين بنو كنانة ؟ قال : [من الخفيف]

بِفَلَسْطِين يُسرِعون الرُّكوبا

أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات : [من الخفيف]

1 الشادن : الظبي الذي قوي واستغنى عن أمه . السخاب : القلادة من الزهر .

حَلَقٌ من بنـي كنانةَ حولي بفِلَسطين يُسرعون الرُّكوبا

[فضح أبا دهمان]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكُرانيّ عن العُمَريّ عن العتبيّ قال : كان أبو دهمان صديقاً لمطيع ، وكان يظهر للناس تألُّهاً[1] ومروءةً وسمتاً حسناً ، وكان ربما دعا مُطيعاً ليلة من الليالي أن يصير إليه ، ثم قطَعه عنه شُغل ، فاشتغَلَ به وجاء مطيعٌ فلم يجِده ، فلمّا كان من الغدِ جلس مطيعٌ مع أصحابه ، فأنشدهم فيه : [من المجتث]

ويلِي ممَّنْ جفاني وحُبُّه قد براني
وطَيفُه يلقاني وشخصُه غير دانِ
أغَرّ كالبدرِ يُعْشي بحسنه العينانِ
جارَيَّ لا تَعذلاني في حبِّه ودعاني
فربّ يومٍ قصيرٍ في جَوْسق وجنانِ
بالرّاح فيه يُحَيَّا والقصفِ والريحانِ
وعندنا قينتانِ وجهاهما حَسَنانِ
عُوداهُما غَردانِ كأنّما ينطقانِ
وعندَنا صاحبانِ للدّهر لا يَخضَعانِ
وربّ يوم طعانٍ شهدته أُرونانِ[2]
فكنتُ أوّل حامٍ وأوّلَ السَّرَعانِ[3]
في فتيةٍ غيرِ ميلٍ عند اختلافِ الطِّعانِ
من كلّ خَرْق نجيبٍ في السرِّ والإعلانِ
حَمّالِ كلّ عظيمٍ تضيق عنه اليدانِ
وإنْ ألَحَّ زمانٌ لم يستكِنْ للزمانِ
فزالَ ذاك جميعاً وكلُّ شيء فانِ
مَن عاذري مِن خليلٍ موافقٍ مِلْدانِ[4]
مُداهنٍ متوانٍ يكنى أبا دهمانِ

---

1 التألّه : التنسك والتعبّد .
2 أرونان : متلهب كالنار .
3 السرعان : المتسابقون .
4 ملدان : لين ناعم .

متــى يَعِــدْك لقاءً فالنّجمُ والفرقدانِ
وليس يُعتِــمُ إلاَّ سكرانَ مَــعْ سكرانِ
يسقيه كلُّ غــلامٍ كأنّه غُصنُ بــانِ
مِــن خَندريسٍ عُقارٍ كحُمْــرة الأرجُوانِ[1]

قال : فلقيه بعد ذلك أبو دهمان ، فقال : عليك لعنة الله فضحتني وهَتَفْتَ بي ، وأذَعْتَ سرِّي ، لا أُكلِّمُك أبداً . ولا أُعاشرك ما بقيت ، فما تفرُق بين صديقك وعدوِّك .

[إنكاره للزندقة]

أُخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجليّ العطّار بالكوفة ، قال : حدّثني عليُّ بن عُمْروسٍ عن عمِّه عليٍّ بن القاسم قال : كنتُ آلَفُ مطيع بن إياس ، وكان جاري ، وعنَّفني في عشرته جماعةٌ ، وقالوا لي : إنّه زنديق . فأخبرته بذلك . فقال : وهل سمعتَ منِّي أو رأيتَ شيئاً يدلُّ على ذلك ، أو هل وجدتَني أُخِلُّ بالفرائض في صلاةٍ أو صومٍ ؟ فقلت له : والله ما اتّهمتُك ولكنّي خبَّرتك بما قالوا . واستحيَيْتُ منه . فعجل عليٌّ السكر ذاتَ يوم في منزله . فنمت عنده ، ومُطِرنا في جوف الليل وهو معي ، فصاح بي مرّتين أو ثلاثاً ، فعلمتُ أنّه يريد أن يصطبح ، فكَسِلت أن أجيبَه ، فلمّا تيقّن أنّي نائمٌ جعل يردِّد على نفسه بيتاً قاله ، وهو قوله : [من الكامل]

أصبَحتُ جمَّ بلابلِ الصَّدرِ عَصراً أُكاتمُــه إلى عَصرِ[2]

فقلت في نفسي : هذا يَعمل شعراً في فنّ من الفنون . فأضاف إليه بيتاً ثانياً ، وهو قوله : [من الكامل]

إن بُحْتُ طُلَّ دمي وإن تُرِكَتْ وَقَــدَتْ عــليَّ توقُّــدَ الجمرِ[3]

فقلت في نفسي : ظفِرت بمطيع . فتنحنحتُ ، فقال لي : أما ترى هذا المطر وطيبه ، اقعدْ بنا حتى نشرب أقداحاً . فاغتنمتُ ذلك ، فلمّا شربنا أقداحاً قلت له : زعمتُ أنّك لستَ بزنديق . قال : وما الذي صَحّح عندك أنّي زنديق ؟ قلت : قولك : «إن بُحتُ طلَّ دمي» ، وأنشدته البيتين ، فقال لي : كيف حفظتَ البيتين ولم تحفظ الثالث ؟ فقلت : والله ما سمعتُ منك ثالثاً . فقال : بلى قد قلتُ ثالثاً . قلت : فما هو ؟ قال : [من الكامل]

ممّــا جنَاه على أبي حسنٍ عُمــرٌ وصاحبُه أبــو بكرِ

وحدّثني الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني إبراهيم بن

1 الخندريس : الخمرة المعتقة . والعقار : التي تذهب الوعي .
2 جم بلابل الصدر : كثير الوساوس والهموم .
3 طل دمه : أبيح .

المدبّر قال : حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال : جاء مطيع بن إياس إلى إخوانٍ له وكانوا على شراب ، فدخل الغلام يستأذن له ، فلمّا سمع صاحب البيت بذِكره خرج مبادراً ، فسمعه يقول : [من الكامل]

أمسيتُ جَمَّ بلابِلِ الصدرِ دهــراً أزجِّيــه إلى دهــرِ
إن فُهْتُ طُلَّ دمي وإن كُتِمَتْ وقَـدَت علـيَّ توقُّـدَ الجمرِ

فلمّا أحسَّ مطيعٌ بأنَّ صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال :

ممّــا جنــاه على أبـي حسن عمــرٌ وصاحبُـه أبـو بكـرِ

وكان صاحب البيت يتشيّع ، فأكبَّ على رأسهِ يُقبِّله ويقول : جَزاك الله يا أبا مسلم خيراً !

[رميت ابنته بالزندقة]

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب : أنَّ الرشيد أُتِيَ ببنت مطيع بن إياس في الزندقة ، فقرأت كتابَهم واعترفَت به ، وقالت : هذا دِينٌ علَّمَنيه أبي ، وتُبتُ منه . فقبِل توبتها وردّها إلى أهلها .

قال أحمد : ولها نسلٌ بجبلٍ في قريةٍ يقال لها : «الفراشيَّة» قد رأيتُهم ، ولا عقِب لمطيع إلاّ منهم .

[دعوة ليحيى بن زياد]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكرانيّ عن ابن عائشة قال : كان مطيع بن إياس نازلاً بكرخ بغداد ، وكان بها رجلٌ يقال له : الفهميّ ، مغنٍّ مُحسن ، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زيادٍ يدعوه بهذه الأبيات . قال : [من مجزوء الرمل]

عندنا الفهميُّ مَسرُو رٌ وزَمّــارٌ مُجيــدُ
ومُعــاذٌ وعِيــاذٌ وعُمَيــرٌ وسعيـدُ
ونَدامـى يُعْمِلون الـ ـقَلْزَ والقَلْـزُ شديدُ
بعضُهم ريحانُ بعض فهــم مِسكٌ وعُـودُ

قال : فأتاه يحيى ، فأقام عنده وشرب معهم ، وبلغت الأبيات المهديّ ، فضحك منها ، وقال : تنايَكَ القومُ وربِّ الكعبة .

قال الكرانيّ : القَلْز : المبادلة[1] .

وجدتُ هذا الخبر بخطِّ ابن مَهْرُوَيْه ، عن إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجاني .

---

1 القلز في المعجم : ضرب من الشرب أو الوثب .

فذكر أنَّ مطيعاً اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته ، واصطبح يوم الأضحى . وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات : [من مجزوء الرمل]

قـد شربنا ليلةَ الأضـ ـحـى وساقينا يزيدُ
عندنا الفهميُّ مسرو رٌ وزَمَّـــار مُجيــدُ
وسليمـــانُ فَتانـا فهــو يُبدي ويُعيدُ
ومُعـــاذٌ وعِيـــاذٌ وعُمَيـر وسَعيـــدُ
وندامــى كلُّهـم يَقْـ ـلِـزْ والقَلْـزُ شديدُ
بعضهم ريحانُ بعض فهــمُ مسك وعودُ
غابت الأنحُسُ عنهم وتلقَّتهــم سُعــودُ
فترى القــوم جُلوساً والخَنــا عنهم بعيدُ
ومطيعٌ بـنُ إيـــاس فهــو بالقَصْف وليدُ
وعــلى كـرِّ الجديديْـ ـنِ ومـا حَلَّ جليدُ

[دعوة أخرى إلى الشرب واللهو]

ووجدت في كتاب بِعقبِ هذا : وذكر محمد بن عمر الجرجاني أنَّ عوف بن زياد كتب يوماً إلى مطيعٍ : «أنا اليومَ نشيطٌ للشُّربِ ، فإن كنتَ فارغاً فَصِرْ إليّ ، وإن كان عندك نبيذٌ طيِّب ، وغناءٌ جيّد جِئتُك» . فجاءته رقعته وعنده حمادٌ الراوية وحكم الوادي ، وقد دَعَوا غلاماً أمرد ، فكتب إليه مطيع : [من مجزوء الرجز]

نَعَـمْ لنـا نبيذٌ وعندَنـا حَمّـادُ
وخيرُنـا كثيـرٌ والخيـر مُستزادُ
وكُلّنا من طَرَب يطيــرُ أو يكادُ
وعندنــا واديُّنا وهــو لنا عمادُ
ولهوُنــا لذيــذٌ لم يَلْهُــهُ العِبادُ
إنْ تشتــه فساداً فعندَنـــا فسادُ
أو تشتـهِ غلامــاً فعندنــا زيــادُ
مـا إنْ بـه التواءٌ عنـــا ولا بِعـادُ

قال : فلمّا قرأ الرقعة صار إليهم ، فأتمّ يومه معهم .

[مدح الغمر بن يزيد]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثني أبو بكرٍ العامريُّ عن عنبسة القرشيُّ الكُرَيزيّ عن أبيه قال : مدح مطيع بن إياس الغمرَ بن يزيدَ بقصيدته التي يقول

فيها : [من مجزوء الكامل]

لا تَلْحَ قلبك في شَقائِـه ودَعِ المتيَّـــمِ في بلائِـهْ[1]
داوِ الفـؤاد مـن السقام فقـد بدا لـك عظم دائِـهْ
كفكِفْ دموعَك أنْ تفيضَ بناظـــرٍ غـــرقٍ بمائِـــهْ
ودَعِ النسيبَ وذكـــرَه فبحَسب مَثلك من عنائِهْ
كم لـــذّةٍ قـد نلتَهـا ونعيـم عيشٍ في بهائِـهْ
بنواعِـمٍ شبْـهِ الدُّمـــى والليلُ في ثُنْيَـيْ عمائِـهْ[2]
واذكـــر فتًـــى بيمينـه حَتْفُ الزمان لدى التوائِهْ
وإذا أُمَيَّـةُ حُصِّلَـتْ كان المهـذَّبَ في انتمائِهْ
وإذا الأمـورُ تفاقَمَـــتْ عِظَماً فمصدَرُها برائِـهْ[3]
وإذا أردتَ مديحَـــــه لم يُكْدِ قولُك في ثنائِـهْ[4]
في وجهــه عَلَـمُ الهدى والمجـدُ في عِطْفَـيْ ردائِهْ
وكأنّمــا البـدر المنـــ ـير مُشَبَّه بـه في ضيائِـهْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّل قصيدة أخذ بها جائزة سنيّة ، وحرّكته ورفعَت من ذكره ، ثم وصلهُ بأخيه الوليد فكان من نُدَمائه .

[علاقته بيحيى بن زياد]

أنشدني محمد بن العباس اليزيديُّ عن عمِّه ، لمطيع بن إياسٍ يستعطف يحيى بن زياد في هِجْرةٍ[5] كانت بينهما وتباعُد : [من الخفيف]

يـا سَمِيَّ النبيِّ الذي خَـ ـصَّ بـه الله عبدَه زكريا
فدعاه الإلهُ يحيى ولم يَجْـ ـعَلْ له الله قبلَ ذاك سَمِيّا
كنْ بصبٍّ أمسى بحبّكَ برّاً إنّ يحيى قد كان بَرّاً تقيّا

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته : [من المديد]

قد مضى يَحْيى وغودِرْتُ فردا نُصْبَ ما سَرَّ عيونَ الأعادي

1 لا تلح : لا تلم .
2 ثنيي عمائه : كناية عن شدة الظلام .
3 رائه : رأيه .
4 لم يكد : لم يخب .
5 هجرة : جفوة .

وأرى عَيْنِيَ مُذْ غابَ يحيى / بُدِّلت من نَومها بالسُّهادِ
وسَّدتْهُ الكفُّ منّي تراباً / ولقد أرثي له من وِسادِ
بين جيرانٍ أقاموا صُموتاً / لا يُحيرونَ جواب المنادِي
أيُّها المزن الذي جاد حَتَّى / أعشبَتْ منه متونُ البوادي
اسقِ قبراً فيه يحيى فإنّي / لك بالشكرِ مُوافٍ مُغادِ

[أسفه على جوهر حين بيعت]

نسختُ من نسخةٍ بخطِّ هارون بن محمد بن عبد الملك قال : لمّا بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يُشَبِّب بها قال فيها ، وفيه غناء من خفيفِ الرمل أظنّه لحكَم : [من السريع]

صاح غرابُ البينِ بالبين / فكدتُ أنقدُّ بنصفين
قد صار لي خِدنانِ مِن بَعدهم / همٌّ وغمٌّ شرُّ خِدنَين
أفدِي التي لم ألْقَ مِن بعدها / أُنْساً وكانت قُرَّةَ العين
أصبحتُ أشكو فرقةَ البين / لمّا رأت فُرقتَهم عيني

[حج لم يتم]

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعيّ قال : حدّثنا العباس بن ميمون بن طائع قال : حدّثني ابن خرداذبه قال : خرج مطيع بن إياس ، ويحيى بن زيادٍ حاجّين ، فقدَّما أثقالَهما وقال أحدهما للآخر : هل لك في أن نمضي إلى زُرارة فنقصفَ ليلتنا عنده ، ثم نَلحَقَ أثقالنا ؟ فما زال ذلك دأبَهم حتى انصرف الناس من مكّة . قال : فركبا بعيريهما وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحجّاج المنصرفين . وقال مطيعٌ في ذلك : [من الوافر]

ألم ترني ويحيى قد حجَجْنا / وكان الحجُّ من خيرِ التجارَهْ
خرجنا طالِبَيْ خيرٍ وبِرٍّ / فمال بنا الطريقُ إلى زُرارَهْ
فعادَ الناس قد غنموا وحَجُّوا / وأُبْنا موقَرين من الخسارَهْ

وقد رُوِي هذا الخبر لبشّارٍ وغيره[1] .

[شعره في ريم الجارية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا الفضل بن محمدٍ اليزيديُّ عن إبراهيم الموصليِّ عن محمد بن الفضل قال : خرج جماعةٌ من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش ، فخرج يحيى بن زيادٍ إلى محمد بن العباس وكنت في صحابته ، فمضى إلى البصرة ، وخرج

1 انظر ترجمة بشار 3 : 128 . والأبيات فيها منسوبة إلى سعد بن القعقاع رفيق بشار .

حمّاد عجردٍ إليها معه ، وعاد حمّادٌ الراوية إلى الكوفة ، وأقام مطيعٌ بن إياس ببغداد وكان يهوى جاريةً يقال لها : «ريم» لبعض النخاسين وقال فيها : [من الكامل]

لــولا مكانُـكِ في مدينتهـمْ ... لظعنتُ في صَحبي الألى ظَعَنُوا
أُوطنــتُ بَغْــداداً بحبِّكُــم ... وبغيرهــا لولاكُــم الوطــنُ[1]

قال : وقال مطيعٌ في صبوح اصطبَحَه معها : [من الطويل]

ويــومٍ ببغداد نعِمْنــا صباحَـه ... على وجـه حوراء المدامع تُطْرِبُ
ببَيت تـرى فيـه الزُّجاجَ كأنّه ... نجومُ الدُّجى بين النَّدامى تَغَلَّبُ
يُصَرِّف ساقينـا ويقطب تـارةً ... فيا طيبَها مقطوبـةً حين يَقْطِبُ[2]
علينا سحيـقُ الزعفـران وفوقَنـا ... أكاليلُ فيهـا الياسَمين المُذَهَّبُ
فما زلتُ أُسقى بين صَنْجٍ ومِزهَرٍ ... من الرّاحِ حتّى كادت الشمس تغرُبُ

وفيها يقول : [من مجزوء الرجز]

أمسى مطيـع كلِفـا ... صبّاً حزينـا دَنِفـا
حُــرٌّ لَمن يعشَقُـه ... بِرِقِّـــه معترفـــا
يـا ريمُ فاشفي كَبِداً ... حَـرَّى وقلبـا شُغِفا
ونوِّلينــــي قبلــةً ... واحــدةً ثــمَّ كفى

قال وفيها يقول : [من السريع]

يا ريمُ قـد أتلفتِ رُوحي فما ... منها معـي إلاَّ القليلُ الحقيرْ
فأذنِبــي إن كنــتِ لم تُذْنِبــي ... فيّ ذُنوبــاً إنَّ ربِّـي غفــورْ
ماذا على أهلِكِ لو جُدتِ لي ... وزُرْتني يـا ريــمُ فيمن يزورْ
هل لك في أجـرٍ تُجازَيْ به ... في عاشقٍ يرضيه منكِ اليسيرْ
يَقبَل مــا جدتِ بــه طائعاً ... وهــو وإن قــلَّ لديــه الكثيرْ
لعمريَ مَــن أنتِ له صاحبٌ ... مــا غاب عنه في الحياة السُّرورْ

قال وفيها يقول : [من مجزوء الرجز]

يا ريــمُ يا قاتلتي ... إن لم تجودِي فَعِدي

---

1 أوطن المكان : اتخذه وطناً .

2 يقطب : يمزج .

بَيَّضْتِ بالمطل وإخلا فِكِ وعدي كَبِدي
حالَفَ عيني سُهُدي وما بها من رَمَدِ
يا ليتَني في الأحد أبليتِ منِّي جسدي
لَمن به من شِقْوتي أخذتُ حتفي بيَدي

[من غزله بجوهر]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال : أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون عن ابن النطاح لمطيع بن إياس ، يقوله في جوهر جارية بربر : [من السريع]

يا بأبي وجهُكِ من بينهمْ فإنّه أحسنُ ما أبصِرُ
يا بأبي وجهك من رائع يشبهه البدرُ إذا يَزْهَرُ
جاريةٌ أحسَنُ من حَلْيها والحَلْيُ فيه الدرُّ والجوهرُ
وجِرمُها أطيبُ من طيبها والطِّيب فيه المسكُ والعنبرُ[1]
جاءت بها بربرُ مكنونةً يا حبّذا ما جَلبتْ بَربرُ
كأنّما رِيقَتُها قهوةٌ صُبَّ عليها باردٌ أسمرُ[2]

[عبث بأبي العمير]

أخبرني الحسين بن القاسم قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا قال : حدّثني منصور بن بشر العُمركي عن محمد بن الزِّبرقان قال : كان مطيع بن إياسٍ كثير العبثِ ، فوقف على أبي العمير : رجلٍ من أصحاب المُعَلّى الخادم ، فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال : [من الوافر]

ألا أبلِغْ لديك أبا العُمير أراني الله في استِكَ نصفَ أيرِ

فقال له أبو العمير : يا أبا سلمى ، لَوْ جُدْتَ لأحدٍ بالأيرِ كلّه لجدتَ به إلى ما بيننا من الصداقة ، ولكنك بِحُبّك له لا نريده كلّه إلاّ لك . فأفحمه ، ولم يعاود العبث به .

قال : وكان مطيع يُرمى بالأُبنة .

[لا يحمد الله على السلامة]

قال : وسقط لمطيع حائط ، فقال له بعض أصدقائه : احمَد الله على السلامة ! قال : احمد الله أنت الذي لم تَرُعك هدَّته ، ولم يُصِبْك غباره ، ولم تغرم أجرةَ بنائه .

[مدح جرير بن يزيد فأجازه سرّاً]

أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليَسَع الشيعيّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : وفد مطيع بن

1 الجرم : الجسم .
2 يعني العسل .

إياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ وقد مدحه بقصيدته : [من المتقارب]

أمِـن آل ليلى عَزمـتَ البُكورا ... ولم تَلْقَ ليلى فَتَشْفي الضَّمِيرا
وقـد كنتَ دهرك فيما خلا ... لليـلى وجاراتِ ليـلى زَءُورا
ليـالي أنـت بهـا معجَـبٌ ... تَهيم إليهـا وتَعصِي الأميرا
وإذْ هـي حـوراءُ شِبهُ الغزا ... لِ تُبصِرُ في الطَّرف منها فُتُورا
تقول ابنتـي إذْ رأت حالتـي ... وقرَّبتُ للبين عَنْساً وكُورا[1]
إلى مَـن أراكَ ، وقتك الحتُو ... فَ نفسي ، تجشَّمتَ هذا المَسيرا
فقلـتُ : إلى البَجَـليِّ الذي ... يفُكُّ العُناةَ ويُغني الفقيرا[2]
أخِي العُرف أشبَه عند النـدى ... وحَمْـلِ المِئِـينَ أبـاهُ جديرا
عَشِيرِ الندى ليس يرضى النَّدى ... يـدَ الدَّهرِ بعد جَريـرٍ عشيرا
إذا استكثر المجتـدون القليـ ... ـلَ للمُعْتَفِينَ استقلَّ الكثيرا
إذا عَسُر الخير في المجتَديـ ... ـن كان لديه عَتيـداً يسيرا
وليس بمانـع ذي حاجـةٍ ... ولا خـاذلٍ مَن أتـى مُستجِيرا
فنَفسي وَقَـتْك أبـا خالـدٍ ... إذا ما الكُماةُ أغاروا النُّمورا[3]
إلى ابن يزيـدَ أبـي خالـدٍ ... أخي العرفِ أعملتُها عيسجورا[4]
لِنَلْقـى فواضلَ مـن كفِّـه ... فصادفت منـه نـوالاً غزيرا
فإن يكـنِ الشُّكرُ حُسْنَ الثّنا ... ءِ بالعرفِ مِنّي تجدْني شكورا
بصيراً بمـا يستلـذُّ الـرّوا ... ةُ من مُحْكَم الشّعر حتّى يسيرا

فلمّا بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلاً ، ولم يعلمْ أحد بحضوره ، ثم قال له : قد عرفت خبرَك ، وإنّي متعجِّل لك جائزتَك ساعتي هذه ، فإذا حضرتَ غداً فإنّي سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء ، وأزوِّدُك نفقة طريقِك وأصرِفُك ، لئلاّ يبلغَ أبا جعفرٍ خبري فيُهلكني . فأمر له بمائتيْ دينار ، فلمّا أصبحَ أتاه ، فاستأذنه في الإنشاد ، فقال له : يا هذا لقد رميتَ بآمالك غير مرمًى ، وفي أيِّ شيءٍ أنا حتّى ينتجِعَني الشعراء ؟ لقد أسأتَ إليَّ لأنـّي لا أستطيع تبليغك

1 الكور : الرحل .
2 العناة : جمع عان ، وهو الأسير .
3 الكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المدجج بالسلاح .
4 العيسجور : الناقة الصلبة السريعة .

مَحابِّك[1] ، ولا آمَن سُخطك وذمَّك . فقال له : تسمع ما قلتُ فإنّي أقبل ميسورَك ، وأبسُط عُذْرَك . فاستَمَع منه كالمتكلّف المتكرّه ، فلمّا فَرَغ قال لغلامه : يا غلام كم مبلغُ ما بقي من نفقتنا ؟ قال : ثلاثمائة درهم . قال : أعطه مائة درهمٍ لنفقة طريقه ، ومائة درهمٍ ينصرف بها إلى أهله ، واحتبِس لنفقتنا مائة درهم . ففعل الغلام ذلك ، وانصرف مطيعٌ عنه شاكراً ، ولم يعرف أبو جعفرٍ خبره .

[بعض ما غنّي فيه من شعره]

أنشدني وكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أمِّه ، لمطيع بن إياسٍ ، وفيه غناء : [من المنسرح]

واهاً لشخص رجوتُ نائلَه ... حَتَّى انثنى لي بِودِّهِ صَلَفا
لانَتْ حواشيهِ لي وأطمَعَني ... حتّى إذا قلـت نلتُه انصرفا

قال : وأنشدني حمّاد أيضاً عن أبيه ، لمطيع بن إياس ، وفيه غناءٌ أيضاً : [من مجزوء الوافر]

خليـلي مخلفٌ أبـدا ... يمنّينـي غـداً فغَـدا
وبعـد غـدٍ وبعـد غدٍ ... كـذا لا ينقضِـي أبَدا
لـه جمرٌ على كبِـدي ... إذا حَرَّكتُـه وَقَـدا
وليس بلابثٍ جَمْرُ الـ ... ـغَضى أن يُحرِق الكَبِدا

وفي هذه الأبيات لعَريب هزج .

[أطيب الأشياء]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال : حدّثنا العنزيّ عن مسعود بن بشرٍ قال : قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياسٍ : أيُّ الأشياء أطيبُ عندك ؟ قال : «صهباءُ صافية ، تمزجها غانية ، بماءِ غادية» .

قال : صدقت .

[بينه وبين يحيى بن زياد]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثني أبو عبد الله التميمي قال : حدّثنا أحمد بن عبيدٍ . وأخبرني عمِّي قال : حدّثنا الكُرّانيّ عن العمَريّ عن العُتْبيّ قـال : سكر مطيـع بن إياسٍ ليلةً ، فعربد على يحيى بن زيادٍ عربدة قبيحة وقال له وقد حلَف بالطلاق : [من مجزوء الكامل]

لا تحلِفـا بطلاقِ مَنْ ... أمسَتْ حوافرها رقيقَهْ
مهلاً فقـد علـم الأنا ... مُ بأنَّها كانت صديقَهْ

---

1 محابك : ما تحب .

فهجره يحيى وحَلَف ألاّ يكلّمه أبداً ، فكتب إليه مطيع : [من الخفيف]

إنْ تصِلْني فمثلُك اليوم يُرْجى عفوُه الذَّنبَ عن أخيه ووَصْلُهْ
ولئن كنت قد همتَ بهجري لِلذي قــد فعلتُ إنِّي لأَهلُهْ
وأحَقُّ الرِّجال أن يَغفِر الذّنـ ـبَ لإخوانــه الموفَّــرُ عقلُهْ
الكريمُ الذي لــه الحسَبُ الثّا قبُ في قومه ومن طاب أصلُهْ
ولئــن كنتَ لا تصاحِب إلاَّ صاحباً لا تَزِلّ مــا عاشَ نعلُهْ
لا تجدْه وإن جهِدْتَ ، وأنَّى بــالذي لا يكــاد يُوجَد مثلُهْ
إنَّما صاحبي الذي يغفــر الذنـ ـبَ ويكفيــه مــن أخيه أقلُّهْ
الذي يَحفظُ القديمَ من العهـ ـد وإنْ زَلَّ صاحبٌ قلَّ عذلُهْ
ورعى مــا مضى مِن العهد مِنه حين يؤذِي من الجهالة جهلُهْ
ليس مَــن يُظهِــرُ المودّةَ إفْكاً وإذا قــال خالَف القولَ فِعلُهْ
وَصْلُه للصَّديق يــومٌ فإنْ طا لَ فيومــانِ ثــم ينبــتُّ حبلُهْ

قال : فصالحه يحيى وعاوَدَ عشرته .

[الجليس الثقيل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال : حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال : حدّثني أبي عن رجلٍ من أهل الشام قال : كنتُ يوماً نازلاً بدَير كعب ، قد قدمتُ من سفرٍ ، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدَّير معه ثَقَلٌ وآلةٌ وعَيبة ، فكان قريباً من موضعي ، فدعا بطعام فأكل ، ودعا الراهبَ فوهَبَ له دينارين ، وإذا بينه وبينه صداقةٌ ، فأخرج له شراباً فجلس يشربُ ويحدِّث الراهب ، وأنا أراهما ، إذْ دخل الدَّير رجل فجلس معهما ، فقطع حديثهما وثقُل في مجلسه ، وكان غثَّ الحديث ، فأطال . فجاءني بعض غِلمان الرجل النازل فسألته عنه ، فقال : هذا مطيع بن إياس . فلمّا قام الرجل وخرج كتب مطيعٌ على الحائط شيئاً ، وجعل يشرب حتى سكر ، فلمّا كان من غدٍ رَحَلَ ، فجئت موضعَه فإذا فيه مكتوب : [من الخفيف]

طَرْبَةٌ مــا طرِبْتُ في دَيْــر كعبِ كدتُ أقضي من طَرْبتي فيه نَحْبي
وتذكّــرتُ إخوتــي ونَدامــا يَ فهــاج البكاءَ تَذْكارُ صحبي
حينَ غابوا شَتَّى وأصبحتُ فرداً ونــأَوْا بــينَ شرقِ أرضٍ وغَربِ

وهمُ ما هُم ، فحسبيَ لا أبْـ ـغي بديلاً بِهم لعمرُكَ حسبي
طلحة الخيرِ منهمُ وأبو المُنْـ ـذِرِ خِلّي ومالكٌ ذاكَ تِرْبي
أيُّها الداخِلُ الثقيلُ علينا حينَ طاب الحديثُ لي ولِصَحْبي
خِفَّ عنّا فأنتَ أثقلُ واللـ ـهِ علينا من فَرسَخَيْ دَيْر كعبِ
ومِن النّاس مَن يَخِفُّ ومِنهم كَرحى البَزرِ رُكِّبت فوقَ قلبي

أخبرنا الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عمر بن محمد قال : حدّثنا الحسين بن جهور قال : تكايد مطيع بن إياس ، ويحيى بن زيادٍ ، وزادا [في العربدة] حتى حلف يحيى بن زياد على بطلان شيء كلَّمه به ممّا دار بينهما ، فقال مطيع : [من مجزوء الكامل]

لا تحلفَنْ بطلاقِ مَنْ أمستْ حوافِرُها رقيقَهْ
هيهاتَ قد عِلِمَ الأميـ ـرُ بأنّها كانت صدِيقَهْ

فغضِب يحيى وحَلَفَ ألاَّ يكلِّم مطيعاً أبداً ، وكانا لا يكادان يفترقان في فَرَجٍ ولا حُزنٍ ، ولا شدّةٍ ولا رخاء ، فتباعد ما بين يحيى وبينه ، وتجافَيا مدّة ، فقال مطيعٌ في ذلك ، وندم على ما فَرَط منه إلى يحيى ؛ فكتب إليه بهذا الشِّعر ، قال : [من السريع]

كنت ويحيى كيد واحدةٍ نَرمِي جميعاً وترانا معا
إن عضَّني الدَّهرُ فقد عَضَّه يُوجِعُنا ما بعضَنا أوجعا
أو نامَ نامتْ أعين أربعٌ منّا وإن أسهرْ فلن يَهْجَعا
يسرُّني الدَّهرُ إذا سَرَّه وإنْ رماه فَلَنا فَجَّعا
حَتّى إذا ما الشَّيب في مَفرِقي لاحَ وفي عارضه أسْرَعا
سَعى وُشاةٌ فمشَوْا بيننا وكاد حبلُ الودِّ أن يُقطَعا
فلم أُلُمْ يحيى على فِعْلِه ولم أقُلْ مَلَّ ولا ضَيَّعا
لكنَّ أعداءً لنا لم يكن شيطانُهم يرى بنا مَطمَعا
بينا كذا غاص على غرة فأوقَدَ النِّيرانَ مستجمِعا
فلم يزل يُوقِدُها دائباً حَتّى إذا ما اضطرمت أقلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المِرداسيّ ، عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني . وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمِّه . قال إسحاق في خبره : «دخل رجلٌ على إخوانٍ يشربون» ، وقال الأصمعيّ : دخل سُراعة بن الزندبود على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد ، وعندهما قينةٌ تغنّيهما ، فسقَوه أقداحاً وكان على الريق ، فاشتدَّ ذلك عليه ، فقال مطيعٌ للقينة : غنِّي سراعةَ . فقالت له : أيَّ

شيء تختار ؟ فقال : غنّي : [من المتقارب]

طبيبيَّ داويتُما ظاهراً فمن ذا يداوي جَوًى باطنا

ففطِن مطيعٌ لمعناه ، فقال : أبِكَ أكل ؟ قال : نعم . فقدَّم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم .

[شعره في محمد بن سالم]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمد بن هارون الأزرَقيّ مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال : حدّثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشميّ عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس يهوى ابنَ مولًى لنا يقال له محمد بن سالم ، فأخرجتُ أباه إلى ضيعةٍ لي بالريّ لينظر فيها ، فأخرجه أبوه معه ، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني ، فأنشدني لنفسه : [من الطويل]

أيا ويحَه لا الصَّبر يملك قلبه فيصبرَ لَمَّا قِيل سار محمدُ
فلا الحزنُ يُفنيه ففي الموت راحةٌ فحتّى متى في جهده يتجلَّدُ
قد اضحى صريعاً باديات عظامُه سِوى أنَّ روحاً بينها تتردّدُ
كئيباً يمنّي نفسَه بلقائه على نأيه واللهُ بالحزن يشهدُ
يقول لها صبراً عَسى اليوم آئبٌ بإلفك أو جاءٍ بطلعته الغَدُ
وكنتَ يداً كانت بها الدهر قُوّتي فأصبحت ما لي منذ فارقني يدُ

في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفاً أغانٍ أغفلتُ عن نِسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه : [من المتقارب]

صوت

طبيبيَّ داويتُما ظاهرا فمن ذا يداوى جوًى باطنا
فقوما اكوياني ولا تَرحَما من الكيِّ مستحصِفا راصِنا[1]
ومُرّا على منزل بالغُمَيم فإنّي عهدتُ به شادنا
فَتورَ القيام رخيمَ الكلا مِ كانَ فؤادي به راهنا

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيبٍ عن الزُّبير بن بكارٍ ، لعمرِو بن سعيد بن زيد بن عمرِو بن نُفيلٍ القرشيّ العدويّ ، والغناء لمعبدٍ ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمرٍو ، وفيه لأبي العَنْبَس بن حمدون ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر ، وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تَشبَّه فيه بالأوائل . ولو قال قائل : إنّه أحسَنُ صنعةٍ له صَدَق .

1 المستصحف : الشديد .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد عن أبيه ، أنّ غيلان بن خرشةَ الضَّبِّيَّ دخل إلى قومٍ من إخوانه وعندهم قينة ، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هُمْ ، حتّى غَنّت القينة : [من المتقارب]

طبيبـيَّ داويتُما ظاهـراً فمن ذا يـداوي جوًى باطنا

وكان أعرابيّاً جافياً به لوثة[1] ، فغضِب ووثَب وهو يقول : السوط وربِّ غيلانَ يُداوِي ذلك الجوى ! وخرج من عندهم .

وهذا الخبر مذكورٌ في أخبار معبدٍ من كتابي هذا وغيره ، ولكنَّ ذكرَه هاهنا حسن فذكرته .

وممّا فيها من الأغاني قول مطيع

صوت

[من الكامل]

أمسيتُ جَـمَّ بلابـلِ الصدرِ دهـرا أزجيّـهِ إلى دهـرِ

إن فُهت طُلّ دمي وإن كُتِمتْ وقَـدَت عليّ توقّـدَ الجمرِ

الغناء لحكم الوادي ، هزج بالبنصر عن حبشٍ والهشاميّ .

[مطيع وجوهر]

أخبرني ابن الحسين قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال : دخلت علينا جوهر المغنّية جارية بربر[2] ، وكانت محسنةً جميلة ظريفة ، وعندنا مطيع بنُ إياسٍ وهو يلعب بالشطرنج ، وأقبل عليها بنظره وحديثه ، ثم قال : [من مجزوء الخفيف]

ولقد قلـتُ مُعلناً لسعيـدٍ وجعفـرِ

إن أتتنـي مَنيّتـي فدمي عنـد بربـرِ

قتلتْنـي بمنعهـا ليَ من وصْل جوهرِ

قال : وجوهر تضحك منه .

[هجاء حماد عجرد]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال : بلغ مُطيعَ بن إياسٍ أن حماد عجردٍ عابَ شعراً ليحيى بن زيادٍ قاله في مُنقذ بن بدرٍ الهلاليّ ، فأجابه مُنقِذٌ عنه بجوابٍ ، فاستخفَّهما حمّاد عجرد ، وطعن عليهما ، فقال فيه مطيع : [من مجزوء الخفيف]

1 لوثة : مس من الجنون .

2 ل : يزيد .

أيّها الشاعِرُ الذي عـاب يحيـى ومُنقِذا
أنتَ لـو كنتَ شاعرا لم تقـل فيهمـا كذا
لستَ والله فاعلمـنّ لـدى النقدِ جِهبذا[1]
تعـدِل الصبرَ بالرضا ء وصفواً إلى القذى

[مطيع ومكنونة]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب قال : كنت جالساً مع مطيع بن إياس ، فمرّت بنا مكنونة جارية المروانية ، وكان مطيعٌ وأصحابنا يألفونها ، فلم تسلِّم ، وعبِث بها مطيعُ بنُ إياسٍ فشتمته ، فالتفت إليّ وأنشأ يقول : [من المجتث]

فديـتُ من مـرّ بنا يومـاً ولم يتكلّـمْ
وكان فيما خلا منـ ـه كلّمـا مـرّ سلّمْ
وإنْ رآنِـيَ حيًّـا بطرفـــه وتبسّمْ
لقـد تبـدّل ، فيما أظـنّ ، والله أعلمْ
فليت شِعريَ مـاذا عـليّ في الودّ يَنْقَمْ
يـا ربُّ إنّك تعلمْ أنّي بمكنـونَ مغرَمْ
وأنّنـي في هواهـا ألقـى الهوان وأعظَمْ
يـا لائِمي في هواها احفظْ لسانك تَسْلَمْ
واعلم بأنّك مهمـا أكرمت نفسَك تُكرَمْ
إنّ الملولَ إذا مـا مـلّ الوصالَ تجرّمْ[2]
أو لا فما ليَ أُجفى من غير ذنب وأُحرَمْ[3]

[تشبيب بجوهر ثم هجر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس يألف جواري بربر ، ويهوى منهنّ جاريتها المسماة جوهر . وفيها يقول ؛ ولحكم فيه غناء : [من الهزج]

خـافي اللهَ يـا بربـرْ لقـد أفسدتِ ذا العسكرْ
إذا مـا أقبلـت جوهـرْ يفـوح المسكُ والعنبـرْ

---

1 الجهبذ : النقاد الخبير .
2 تجرم عليه : ادعى عليه لم يفعله .
3 وأحرم في ل : وأصرم .

وجوهــرُ دُرّة الغــــوّا ص مــن يمْلكُها يُحبَرْ[1]
لهـا ثغْـرٌ حكـى الـدرّ وعَيْنــا رَشَإٍ أحــــورْ

في هذه الأبيات هزج لحكمٍ الواديّ . قال وفيها يقول : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عندي جوهرهْ في قيــاس الـدرر المشْتَهِرَهْ
أو كشمسٍ أشرقت في بيتها قذفــتْ في كلّ قلب شرَرَهْ
وكأنّي ذائــقٌ مـــن فمهـا كلّمـا قبَّلـتُ فاهــا سُكّرَهْ
وكأنّي حــين أخلـــو معهـا فائـــز بالجنّـــة المُخْتَضِرَهْ

قال : فجاءها يوماً ، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها ، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصَّحّاف يهواها متخلٌ معها ، فقال مطيع يهجوها : [من الخفيف]

نــاك والله جوهــرَ الصَّحّافُ وعليها قميصُهــــا الأفوافُ[2]
شامَ فيها أيراً لــه ذا ضُلوع لم يشِنهُ ضعفٌ ولا إخطافُ[3]
جَـدَّ دفْعاً فيهـا فقالت ترفَّقْ مـا كذا يـا فتى تُناك الظّرافُ

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال ، قال محمد بن صالح بن النطاح : أُنشِد المهديُّ قول مطيع بن إياسٍ : [من الهزج]

خـافي اللهَ يـــا بربــرْ لقد أفتنتِ ذا العسكرْ
بــريح المسك والعنبر وظبــي شادنٍ أحـورْ
وجوهـــر درّة الغـوَّا ص مـن يَملكُها يُحْبَرْ
أمـا والله يــــا جوهر لقد فُقتِ على الجوهرْ
فـلا والله مـا المهديُّ أولى منـــك بـالمِنبرْ
فإن شئـتِ ففــي كفيْـ ـكِ خلعُ ابنِ أبي جعفرْ

فقال المهديّ : اللهمّ العنهما جميعاً ، ويلكم ! اجمَعوا بين هذين قبل أن تخلعَنا هذه القحبة . وجعل يضحك من قول مطيع . ووجدتُ أبياتَ مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهر في رواية يحيى بن عليّ أتمّ من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأوّلين : [من الخفيف]

زعموها قالت وقد غاب فيها قائمـاً في قيامــه استحصافُ

---

1 يحبر : يُسَرُّ .
2 الأفواف : الرقيق .
3 إخطاف : ضمور .

وهو في جـارة استِها يتلظّى ... يـا فتـى هكذا تُناك الظِّرافُ
ناكهـا ضيفُهـا وقبَّل فاهـا ... يا لقَومي لقد طغـى الأضيافُ
لم يـزَل يرهَـزُ الشهيَّةَ حتى ... زال عنها قميصُها والعِطافُ[1]

وقال هارون بن محمدٍ في خبره : بيعت جوهرُ جارية بربر ، فاشترتها امرأة هاشمية من ولدِ سليمان بن علي كانت تغنّي[2] بالبصرة وأخرجتها ، فقال مطيع فيها : [من مجزوء الكامل]

لا تبعـدي يـا جوهـرُ ... عنّـا وإن شطَّ المزارُ
ولِي لقـد بعُـدت ديا ... رُك سُلِّمت تلـك الديارُ
يُشفى بريقتهـا السَّقا ... مُ كأنَّ ريقتَهـا العُقارُ
بيضاءُ واضحـة الجبيـ ... ـنِ كأن غُرّتهـا نهارُ
القلب قلبـي وهْـو عنـ ... ـد الهاشميّـةِ مستعارُ

[هجاء كلواذى]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال : حدّثنا علي بن منصورٍ المؤدّب أنّ صديقاً لمطيع دعاه إلى بستانٍ له بِكَلواذى ، فمضى إليها ، فلم يستطبها ، فقال يهجوها : [من الخفيف]

بلـدة تُمطِر الترابَ على النـا ... س كما يُمطر السماءُ الرذاذا[3]
وإذا مـا أعـاذ ربّـي بلاداً ... من خراب كبعضِ ما قد أعاذا
خرِبت عاجلاً ولا أُمهِلَتْ يو ... مـاً ولا كان أهلُهـا كَلْواذى

[عبث مطيع وأصحابه بالتاجر الكوفيّ]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحيّ قال حدّثني عافية بن شبيب بن خاقان التميميّ أبو معْمَر قال : كان لمطيع بن إياسٍ مُعامِل من تجـار الكوفة ، فطالت صحبته إيّاه وعشرته له حتى شرب النبيذ ، وعاشر تلك الطبقة ، وأفسدوا دينه . فكان إذا شرب يعمل كما يعملون ، وقال كما يقولون ؛ وإذا صحا تهيّب ذلك وخافه . فمرّ يوماً بمطيع بن إيـاسٍ وهـو جالس على باب داره ، فقال له : مِن أين أقبلت ؟ قـال : شيَّعتُ صديقاً لي حجّ ، ورجعتُ كما ترى ميّتاً من ألمِ الحرِّ والجوعِ والعطشِ . فدعا مطيع بغلامه وقال له : أيّ شيء عندك ؟ فقال له : عندي من الفاكهة كذا ، ومن البواردِ

1 العطاف : الرداء .
2 ل : تفتن .
3 التراب في ل : السحاب .

والحارّ كذا ، ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا ، وقد رُشّ الخيشُ وفُرِغَ من الطعام . فقال له : كيف ترى هذا ؟ فقال : هذا والله العيش وشِبْه الجنّة . قال : أنتَ الشريك فيه على شريطةٍ إن وفَيتَ بها وإلاّ انصرفتَ . قال : وما هي ؟ قال : تشتِمُ الملائكة وتنزل . فنفَر التاجر وقال : قَبحَ الله عِشرَتكم قد فضحتموني وهتكتموني . ومضى فلم يبعدْ حتى لقيه حمّاد عجردٍ فقال له : ما لي أراك نافراً جزِعاً ؟ فحدّثه حديثَه . فقال : أساء مطيعٌ ، قبَحه الله ، وأخطأ ، وعنـدي والله ضِعف مـا وَصفَ لك ؛ فهل لك فيه ؟ فقال : أشدّ الهلّ ، بي والله إليه أعظم فاقـة . قال : أنت الشريك فيـه على أن تشتمَ الأنبياء فإنّهم تعبَّدونا بكلّ أمرٍ مُعنِتٍ متعِبٍ ، ولا ذنب للملائكة فنشتمهم . فنفر التاجر وقال : أنت أيضاً فقبحَك الله ، لا أدخلُ ؛ ومضى فاجتاز بيحيـى بن زيادٍ الحارثـيّ فقـال له : ما لي أراك يا أبا فلان مرتاعاً ؟ فحدّثه بقصّته . فقال : قَبحَهما الله ! لقد كلّفاك شَطَطاً ، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما ، وعندي والله أضعاف ما عندهما ، وأنت الشريك فيـه على خصلةٍ تنفعـك ولا تضرُّك ، وهي خلاف ما كلفاك إيّاه من الكفر . قال : وما هي ؟ قال : تصلي ركعتين تُطِيل ركوعهما وسجودهما ، وتصليهما وتجلس ، فنأخذ في شأننا . فضجر التاجرُ وتأفَّف وقال : هذا شرٌّ من ذاك ، أنا تعِبٌ ميِّت ، تُكلِّفني صلاةً طويلةً في غير برٍّ ولا لإطاعة يكون ثمنها أكل سُحتٍ[1] وشرب خمر وعِشرة فَجَرةٍ وسماع مغنياتٍ قِحابٍ . وسبّه وسبّهما ومضى مغضَباً . فبعث خلفَه غلامـاً وأمره بـردّه ، فـردّه كَرهاً ، وقـال : انزِل الآن على ألاّ تُصلِّيَ اليوم بتةً . فشتمه أيضاً وقال : ولا هذا . فقال : انزل الآن كيف شئتَ وأنت ثقيل غير مساعدٍ . فنزل عنده . ودعا يحيى مطيعاً وحماداً ، فعبِثا بالتاجر ساعة وشتماه ، ثم قُدّم الطعام ، فأكلوا وشربوا وصلّى التاجر الظهر والعصر ، فلمّا دبّت الكاس فيـه قـال لـه مطيع : أيُّما أحبّ إليك : تشتمُ الملائكة أو تنصرف ؟ فشتمهم . فقال له حماد : أيما أحبّ إليك : تشتمُ الأنبياء أو تنصرف ؟ فشتمهم . فقـال لـه يحيـى : أيما أحـبّ إليك : تصلّي ركعتين أو تنصرف ؟ فقام فصلّى الركعتين ، ثـم جلس فقالـوا لـه : أيما أحبّ إليك : تترك باقيَ صلاتك اليوم أو تنصرف ؟ قال : بل أتركها يا بَني الزانية ولا أنصرف . فعمل كلَّ ما أرادوه منه .

[المهديّ يهدده ثم يجيزه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السّكوني قال : رفع صاحب الخبر إلى المنصور أنّ مطيع بن إياسٍ زِنديقٌ ، وأنّه يعاشر ابنه جعفراً وجماعةً من أهلِ بيته ، ويوشك أن يفسدوا أديانهم ويُنسَبوا إلى مذهبه . فقال له المهديّ : أنا به عارف ، أمّا الزندقة

1 السحت : ما خبث من الكسب وحرم .

فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحِلّ للمحارم . قال : فأحضره وانهَهُ عن صحبةِ جعفر وسائر أهله . فأحضره المهديّ وقال له : يا خبيث يا فاسق ، قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي ، والله لقد بلغني أنهم يتقادَعون[1] عليك ، ولا يتمّ لهم سرورٌ إلاّ بك ، فقد غرّرتَهم وشهّرتهم في الناس ، ولولا أنّي شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة ممّا نُسبتَ إليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك . وقال للربيع : اضربه مائتي سوطٍ واحبسه . قال : ولِمَ يا سيدي ؟ قال : لأنك سِكّيرٍ خمّير قد أفسدت أهلي كلّهم بصحبتك . فقال له : إن أذِنتَ وسمعتَ احتججتُ . قال : قل . قال : أنا امرؤ شاعر ، وسُوقي إنمّا تنفق مع الملوك ، وقد كسدت عندكم ، وأنا في أيّامكم مُطرَّحٌ ، وقد رضيتُ فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك عشيرة غيري ، وأصفيتُه على ذلك شكري وشِعري ، فإن كان ذلك عائباً عندك تبتُ منه . فأطرق ، ثم قال : قد رفع إليّ صاحب الخبر أنّك تتماجَن على السُّؤّال وتضحك منهم . قال : لا والله ، ما ذلك من فعلي ولا شأني ، ولا جرى منّي قطّ إلاّ مرّة ؛ فإنّ سائلاً أعمى اعترضني ، وقد عبَرتُ الجسرَ على بغلتي ، وظنّني من الجند ، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح : اللهمّ سخر الخليفة لأن يُعطيَ الجندَ أرزاقهم ، فيشتروا من التجار الأمتعة ، ويربح التجار عليهم فتكثر أموالهم ، فتجبَ فيها الزكاة عليهم ، فيصدّقوا عليّ منها . فنفرت بغلتي من صياحه ورفعِه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء ، فقلت : يا هذا ما رأيت أكثر فضولاً منك ، سلِ الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يُحتاج إليها ، فإن هذه المسائل فضول ، فضحك الناس منه ، ورُفع عليّ في الخبر قولي له هذا . فضحك المهدي وقال : خلّوه ولا يُضرَب ولا يُحبس . فقال له : أدخل عليك لِمَوجِدة وأخرج عن رضًى وتبرأ ساحتي من عَضِيهة[2] وأنصرف بلا جائزة ؟ قال : لا يجوز هذا ، أعطوه مائتي دينارٍ ولا يعلم بها الأمير ، فيتجدّد عنده ذنوبه . قال : وكان المهديّ يشكر له قيامه في الخطباء ووضعَه الحديث لأبيه في أنه المهديُّ . فقال له : اخرج عن بغداد ودَعْ صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين ثم عد إليّ . فقال له : فأين أقصد ؟ قال : أكتب لك إلى سليمان بن عليّ فيُولّيك عملاً ويُحسِن إليك . قال : قد رضيتُ فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي ، فولاّه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هندٍ ، فعزله به .

حدّثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أنّ مطيع بن إياسٍ قدِم على سليمان بن علي بالبصرة ، وواليها على الصدقة داود بن أبي هند ، فعزله وولّى عليها مطيعاً .

---

1 يتقادعون : يتهافتون .

2 العضيهة : الإفك والبهتان .

[هجاء مالك بن أبي سعدة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن بعض البصريين قال: كان مالك بن أبي سَعدة عمّ جابرٍ الشطرنجيّ جميل الوجه حسن الجسم، وكان يعاشر حمّاد عجردٍ ومطيع بن إياس ويشرب معهما ثمّ فسَد ما بينهما وبينه وتباعد. فقال حماد عجردٍ يهجوه: [من المتقارب]

أتـوبُ إلى الله مـن مالكٍ   صديقاً ومن صُحبتي مالكا
فـإن كنـتُ صاحبتُهُ مـرّةً   فقد تبتُ يا ربِّ من ذلكا

قال: وأنشدها مطيعاً، فقال له مطيع، سخِنت عينُك! هكذا تهجو الناس؟ قال: فكيف كنت أقول؟ قال: كنتَ تقول: [من مجزوء الخفيف]

نظرةً مـا نظرتُهـا   يـوم أبصرتُ مالِكا
في ثيابٍ مُعَصْفَـرا   تٍ على الوجه بارِكا
تركتْنـي ألُوط مـن   بعد مـا كنتُ ناسكا
نظرة مـا نظرتُهـا   أو ردّتْنـي المهالكا

[حبذا أيام بني أمية]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال: كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور، فطالت صحبته له بغير فائدة، فاجتمع يوماً مطيعٌ وحماد عجرد ويحيى بن زياد، فتذاكروا أيّام بني أمية وسَعتَها ونَضرتَها وكثرة ما أفادوا فيها، وحسْنَ مملكتهم وطيبَ ذَراهم بالشام، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيّام المنصور، وشدّة الحرّ، وخشونة العيش، وشكوا الفقرَ فأكثروا، فقال مطيع بن إياس: قد قلتُ في ذلك شعراً فاسمعوا. قالوا: هات. فأنشدهم: [من الخفيف]

حبّذا عيشُنا الذي زال عنّـا   حبّذا ذاك حـين لا حَبَّذا ذا
أين هذا مـن ذاك سَقياً لهذا   ك ولسنا نقـول سَقيـا لهـذا
زاد هـذا الزمانُ عُسراً وشرّاً   عندنـا إذ أحلّنـا بغـداذا
بلدة تُمطر التُرابَ عـلى النا   س كما يمطـر السماءُ الرّذاذا
خَرِبت عاجلاً وأخرب ذو العر   ش بأعمـالِ أهلِهـا كَلْواذى

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال: لمّا خرج حمّاد مع محمد بن العبّاس إلى البصرة، عاشر جماعةً من أهلها وأربابها وشعرائها، فلم يجدْهم كما يريد، ولم يستطِبْ عِشرتهم واستغلظ طبعَهم، وكان هو ومطيع بن إياسٍ وحمادٌ الراوية ويحيى بن زيادٍ كأنّهم نفس واحدة، وكان أشدَّهم أُنساً به مطيع بن إياس، فقال حمادٌ يتشوّقه: [من مجزوء الرمل]

لستُ واللهِ بناسٍ ... لِمطيع بن إياسِ
ذاك إنسانٌ له فضْـ ... ـلٌ على كلِّ أُناسِ
غـرَسَ الله لـه في ... كبدي أحلى غِراسِ
فإذا ما الكاسُ دارتْ ... واحتساها مَن أُحاسي
كان ذِكرانا مُطيعا ... عندها رَيحانَ كاسي

[تشوّقه إلى يحيى بن زياد]

حدّثنا عيسى بن الحسين عن حمّادٍ عن أبيه قال: دعا مطيع بن إياسٍ صديقاً له من أهل بغداد إلى بستانٍ له بالكرخ، يقال له بستان صَبّاح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيانٍ من أهل الكرخِ مُردٍ وشبّان، ومغنين ومغنّيات، فكتب مطيع إلى يحيى بن زيادٍ الحارثيّ يخبره بأمره ويتشوّقه، قال: [من السريع]

كم ليلةٍ بالكرخ قد بِتُّها ... جذلانَ في بستانِ صَبَّاحِ
في مجلس تنفَحُ أرواحُه ... يا طِيبَها مِن ريح أرْواحِ
يُدِير كأساً فإذا ما دَنَت ... حُفَّت بأكوابٍ وأقداحِ
في فِتيةٍ بيض بهاليلَ ما ... إن لَهمُ في الناس من لاحِ
لم يَهْنني ذاك لفقْد امرىء ... أبيضَ مثلِ البدرِ وضّاحِ
كأنّما يُشرق من وجهه ... إذا بدا لي ضوءُ مِصْباحِ

قال: فلمّا قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، وحمل إليهم ما يُصلحهم من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أيّاماً على قصْفهم حتى ملّوا، ثم انصرفوا.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: قال مطيع بن إياس: جلستُ أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصَّبْوةِ[1] ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفِها البيدَ وما أشبه ذلك، فقال: [من الطويل]

لأَحسَن من بيدٍ يحارَ بها القَطا ... ومِن جَبَليْ طَيٍّ ووصفِكما سَلْعا
تَلاحُظُ عَيْنَيْ عاشِقَين كلاهما ... له مُقلةٌ في وجه صاحبِه ترعى

[عتاب المهدي له]

أخبرني محمد بن خلفِ بن المرزُبان قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو المَضاء قال: عاتب المهديّ مطيع بن إياسٍ في شيءٍ بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن

1 الصبوة: جهلة الفتوة.

كان ما بلغك عنّي حقّاً فما تُغني المعاذير ، وإن كان باطلاً فما تضرّ الأباطيل . فقبِل عذرَه وقال : فإنّا ندعُك على جملتِك ولا نكشفك .

[مع جوهر المغنية]

حدّثني عمّي الحسن بن محمدٍ قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : اجتمع حمّاد الراوية ومطيع بن إياسٍ ويحيى بن زيادٍ وحكَمٌ الوادي يوماً على شراب لهم في بستانٍ بالكوفة ، وذلك في زمن الربيع ، ودعَوْا جوهرَ المغنّية ، وهي التي يقول فيها مطيع : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عندي جوهره ... في قياسِ الدّررِ المشتهرَه

فشربوا تحت كرمٍ معروشٍ حتى سكِروا ، فقال مطيع في ذلك : [من مجزوء الوافر]

صوت

خرجنا نمتطِي الزهرا ... ونجعلُ سقفَنا الشجرا
ونشربُها مُعتَّقَةً ... تَخالُ بكأسِها شَرَرا
وجوهرُ عندنا تحكي ... بِدارةِ وجهِها القمرا
يزيدك وجهُها حُسْنا ... إذا ما زدتَه نظرا
وجوهرُ قد رأيناها ... فلم نَرَ مثلَها بَشَرا

غنّى فيه حكم الوادي غناءً خفيفاً ، فلم يزالوا يشربون عليه بقيّة يومهم . وقد رُوي أنّ بعض هذا الشعر للمهديّ وأنّه قال منه واحداً ، وأجازه بالباقي بعض الشعراء . وهذا أصحّ . لحن حكمٍ في هذا الشعر خفيف رملٍ بالوسطى .

[عقوقه لأبيه]

حدّثنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدّثني حمّاد عن أبيه قال : كان مطيع بن إياس عاقاً بأبيه شديد البغض له وكان يهجوه ، فأقبل يوماً من بُعْد ، ومطيع يشرب مع إخوان له ، فلمّا رآه أقبل على أصحابه فقال : [من مجزوء الكامل]

هذا إياسٌ مُقبلاً ... جاءت به إحدى الهَناتِ[1]
هوِّزْ فُوه وأنفُه ... كَلَمُنَّ في إحدى الصّفّاتِ
وكأنّ سعْفَصَ بطنُه ... والثغرَ شين قُرَيِّشاتِ
لمّا رأيتُك آتياً ... أيقنتُ أنّكَ شرُّ آتِ

1 الهنات : الشرور .

[مدح معن بن زائدة]

حدّثني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكونيّ قال: مدح مطيع بن إياس معنَ بن زائدة بقصيدته التي أوّلها: [من المنسرح]

أهْلاً وسهلاً بسيّد العربِ ذِي الغُرَرِ الواضحاتِ والنُّجبِ
فتى نـزارٍ وكهْلِها وأخِي الـ ـجودِ حَوى غايَتَيْهِ من كَثَبِ
قيل أتاكم أبو الوَليد فقا ل الناس طُرّاً في السهلِ والرَّحَبِ
أبو العُفاةِ الذي يلوذُ به من كانَ ذا رغبةٍ وذا رهَبِ
جاء الذي تُفرَجُ الهمومُ به حين يُلَزُّ الوَضِين بالحَقَبِ[1]
جاء وجاء المضاءُ يقدُمُه رأيٌ إذا همّ غيرُ مؤتَشِبِ[2]
شهْمٌ إذا الحربُ شبّ دائرُها أعادها عَوْدةً على القُطُبِ
يطفىء نيرانَها ويوقدُها إذا خبَت نارُها بلا حطب
إلاّ بِوقعِ المُذكَّراتِ يُشَبِّهْـ ـنَ إذا ما انتُضينَ بالشُّهُبِ[3]
لم أرَ قِرْناً له يُبارزه إلاّ أراه كالصقْر والخرَبِ[4]
لَيْثٌ بخَفَّانَ قد حَمى أَجَماً فصار منها في منزل أشِبِ[5]
شِبْلاه قد أُدِّبا به فهُما شِبْهاهُ في جِدِّه وفي لعِبِ
قد ومِقا شكلَه وسيرتَه وأحكما منه أكرمَ الأدبِ[6]
نعم الفتى تُقرنَ الصّعابُ به عند تَجاثي الخصومِ للرُّكَبِ
ونعم ما ليلة الشتاء إذا اسـ ـتَنْبحَ كلبُ القِرى فلم يُجِبِ
لا ونَعَمْ عنده مخالفة مثل اختلاف الصَعود والصَّبَبِ
يَحْصَرَ مِن لا فلا يهمُّ بها ومنه تُضحي نَعَمْ على أَرَبِ
ترى له الحِلْمَ والنُّهى خُلُقا في صولة مثل جاحِم اللَّهَبِ
سيف الإمامين ذا وذاك إذا قلّ بناةُ الوفاء والحسبِ

---

1 يلز: يقرن. الوضين: بطان عريض منسوج من شعر أو سيور. الحقب: الحزام.
2 مؤتشب: مختلط، أي أنه غير متردد.
3 المذكرات: جمع مذكر، وهو السيف.
4 الخرب: ذكر الحبارى.
5 خفان: موضع كان مأسدة، ومنه المثل: ليث بخفان خادر. الأشب: الكثير الشجر.
6 ومقا: أحبا.

ذا هَـوْدَةٍ لا يُخـــاف نبوتُها ودينُـــه لا يُشابُ بـــالريبِ[1]

فلمّا سمعها معن قال له : إن شئتَ مدحناك كما مدَحتنا وإن شئت أثبناك . فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج إلى الثواب ، فأنشأ يقول لمعنٍ : [من الوافر]

ثناءٌ مـن أميرٍ خيرُ كسْبٍ لصاحبِ مغنمٍ وأخي ثراء
ولكنّ الزمانَ بَرى عِظامي وما مِثلُ الدراهمِ من دواء

فضحك معن حتى استلقى وقال : لقد لَطَفتَ حتى تخلّصتَ منها ، صدقت ، لعَمري ما مثل الدراهم من دواء ! وأمر له بثلاثين ألف درهمٍ ، وخلع عليه وحمّله .

[ضرطة صديقه الأعرابيّ]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثني المهلّبيّ عن أبيه عن إسحاق قال : كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يجالسه ، فضرط ذات يومٍ وهو عنده ، فاستحيا وغاب عن المجلس . فتفقّده مطيع وعرف سبب انقطاعه ، فكتب إليه وقال : [من البسيط]

أظهرت منك لنـــا هجراً ومقلِيةً وغبتَ عنّا ثلاثـاً لست تغشانا[2]
هَوِّن عليك فما في الناس ذو إبلٍ إلاّ وأينقُـــــه يَشْردن أحيـــــانا

[مجون مطيع وأصحابه في الصلاة]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني العباس بن ميمون طائع قال حدّثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس ، فحدّثنا عنه قال : اجتمع يحيى بن زيادٍ ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم ، فشربوا أيّاماً تباعاً ، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سُكارى : ويْحكم ! ما صلينا منذ ثلاثة أيّامٍ فقوموا بنا حتى نصلّي . فقالوا : نعم . فقام مطيع فأذّن وأقام ، ثم قالوا : من يتقدّم ؟ فتدافعوا ذلك ، فقال مطيع للمغنّية : تقدّمي فصلّي بنا . فتقدّمت تصلّي بهم عليها غلالةٌ رقيقة مطيَّبة بلا سراويل ، فلمّا سجدت بان فرجها ، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبّله وقطع صلاته ، ثم قال : [من المتقارب]

ولّمـا بـدا فرجها جاثماً كرأس حلِيـقٍ ولم يَعتمِدْ
سَجدتُ إليـــه وقبَّلتُـهُ كما يفعل الساجدُ المجتهدْ

فقطعوا صلاتهم ، وضحكوا وعادوا إلى شربهم .

[تهنئته المهديّ]

حدّثني عمّي الحسن بن محمدٍ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن

1 الهودة : التوبة والرجوع إلى الحق .
2 مقلية : بغضاً .

القاسم مولى الهادي قال : كتب المهديّ إلى أبي جعفر يسأله أن يُوجّه إليه بابنه موسى ، فحمله إليه ، فلمّا قدم عليه قامتِ الخطباء تهنئه ، والشعراء تمدحه ، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه ، فقام مطيع بن إياس فقال : [من مجزوء الرمل]

أحمــدُ الله إلهَ الــ ـــخلق ربَّ العالمينا

الذي جــاء بموسى سالمـــاً في سالمينـا

الأميرِ ابن الأمير ابـــ ـــن أميـرِ المؤمنينا

فقال المهديّ : لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع . فأمسك الناس ، وأمر له بصلة .

[نصيحته يحيى بن زياد]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب لأبي سعيدٍ السكَّرى بخطّه . قال : حدّثني ابن أبي فنن ، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائنيّ عن ابن أبي الدواهي ، وخبر السكري أتمّ واللفظ له ، قال : كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قِيان ، وكان له ابن وضيء حسن الصورة يقال له الأصبغ ، لم يكن بالكوفة أحسنُ وجهاً منه ، وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمّاد عجردٍ وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه ويُطرِفونه[1] ، وكلّهم كان يعشق ابنه أصبغ ، حتى كان يوم نَوْروز وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبحَ مع يحيى بن زياد ، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جِداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً ؛ فقال أبو الأصبغ لجواريه : إنّ يحيى بن زيادٍ يزورنا اليوم ، فأعدِدْن له كلَّ ما يصلح لمثله . ووجّه بغلمانٍ له ثلاثةٍ في حوائجه ، ولم يبق بين يديه أحد ، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل ، فلمّا جاءه استأذن له الغلام ، فقال له يحيى : قل له يدخل ، وتنحّ أنت واغلقْ الباب ولا تَدَعِ الأصبغ يخرج إلاّ بإذني . ففعل الغلام ودخل الأصبغ ، فأدّى إليه رسالة أبيه ، فلمّا فرغ راوده يحيى عن نفسه . فامتنع ، فثاوره[2] يحيى وعاركه حتى صرعه ، ثم رام حَلّ تِكّته ، فلم يقدر عليها ، فقطعها وناكه . فلمّا فرغ أخرج من تحت مُصلاّه أربعين ديناراً ، فأعطاه إيّاها ، فأخذها ، وقال له يحيى : امض فإنّي بالأثر . فخرج أصبغُ من عنده ، فوافاه مطيعُ بن إياس ، فرآه يتبخَّر ويتطيّب ويتزيّن ، فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يُجبه ، وشمَخَ بأنفه ، وقطّب حاجبيه ، وتفخّم ؛ فقال له : ويحك ما لك ؟ نزل عليك الوحي ؟ كلمتك الملائكة ؟ بويع لك بالخلافة ؟ وهو يومىء برأسه : لا لا ، في كلّ كلامه . فقال له : كأنّك قد نكتَ أصبغ بن أبي الأصبغ قال : إي والله الساعة نكته . وأنا اليوم في دعوة أبيه . فقال مطيع : فامرأته طالق إن فارقتك أو نقبّل

1 يطرفونه : يهدون إليه الطريف .

2 ثاوره : واثبه .

متاعَك . فأبداه له يحيى حتى قبّله ثم قال له : كيف قدَرتَ عليه ؟ فقال يحيى ما جرى وحدّثه بالحديث ، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ . فتبعه مطيع ، فقال له : ما تصنعُ معي والرجل لم يدْعُك ؟ وإنّما يريد الخَلوة . فقال : أشَيّعُك إلى بابه ونتحدّث . فمضى معه ، فدخل يحيى وردّ الباب في وجه مطيع ، فصبَر ساعة ، ثم دقّ الباب فاستأذن ، فخرج إليه الرسول ، وقال له : يقول لك أنا اليوم على شغُل لا أتفرّغ معه لك . فتعذّر . قال : فابعث إليّ بدواةٍ وقرطاس ، فكتب إليه مطيع : [من الرمل]

يا أبا الأصبغ لا زلتَ على ... كلّ حـال ناعمـاً مُتَّبَعا
لا تصيِّرنيَ في الودّ كمـن ... قَطعَ التِّكّـة قطْعاً شَنِعا
وأتى مـا يشتهـي لم يَثْنِه ... خيفةٌ أو حفظُ حـقّ ضَيّعا
لو ترى الأصبَغَ مُلقًى تحتَه ... مستكينا خَجلا قـد خَضَعا
ولَـهُ دفـعٌ عليـه عَجِـل ... شَبَقٌ ساءَكَ مـا قـد صنَعا
فادعُ بالأصبغِ واعلم حالَه ... سترى أمـراً قبيحـاً شنِعا

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى : فعلتَها يا ابن الزانية ؟ قال : لا والله . فضرب بيده إلى تِكّة ابنه ، فرآها مقطوعة ، وأيقن يحيى بالفضيحة ، فتلكّأ الغلام ، فقال له يحيى : قد كان الذي كان ، وسعى بي إليك مطيعٌ ابن الزانية ، وهذا ابني وهو والله أفْره من ابنك ، وأنا عربيّ ابن عربيّة وأنتَ نَبَطيّ ابن نَبَطيّة ، فنِك ابني عشر مرّات مكان المرّة التي نكتُ ابنك ، فتكون قد ربحتَ الدنانير ، وللواحد عشرة . فضحك وضحك الجواري ، وسكن غضب أبي الأصبغ ، وقال لابنه : هات الدنانير يا ابن الفاعلة . فرمى بها إليه ، وقام خجِلاً ، وقال يحيى : والله لا أُدخِل مطيعٌ الساعي ابن الزانية . فقال أبو الأصبغ وجواريه : والله ليدخلنّ ، فقد نصحنا وغشَشْتنا . فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يحيى يشتمهم بكلّ لسان ، وهو يضحك .

[مكايدون في مجلس الأمير]

أخبرني عمّي الحسن بن محمدٍ قال حدّثنا الكرانيّ عن العُمريّ عن العتبيّ قال : حضر مطيع بن إياس وشُراعة بن الزندبوذ ويحيى بن زياد ووالبة بن الحُباب وعبد الله بن العيّاش المنتوف وحمّاد عجرد ، مجلساً لأميرٍ من أمراء الكوفة ، فتكايدوا جميعاً عنده ، ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ، ويهجونه فغلبهم جميعاً ، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما : [من البسيط]

وخَمسةٍ قد أبانوا لي كِيادَهُمُ ... وقد تلظّى لهم مِقْلًى وطِنْجيرُ[1]

---

1 طنجير : وعاء تعمل فيه الحلوى .

لو يقدرون على لحمي لمزّقه قردٌ وكلبٌ وجِرْواهُ وخِنزيرُ

[اللذة المضاعفة]

أخبرني وكيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنّه في تَخت[1]، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

[تعريض حمّادٍ بمطيع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال: كان حمّادٌ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حَلَقيّاً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، فقيل له: مَن يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة. قال حمّاد: نعم هذا شعر الحطيئة لمّا حضر الكوفة وصار بها حَلَقياً. يعرّض حمّاد بأنّه كذاب، وأنه حلقي، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك.

[خاطب لمودته]

حدّثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثني محمد بن إسحاق البغويّ قال حدّثنا ابن الأعرابيّ عن الفضل قال: جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتك خاطباً. قال: لَمن؟ قال: لمودّتك. قال: قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألاّ تقبلَ فيّ قولَ قائلٍ. ويقال إنّ الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذِكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة كان باعها فندم. فذكر الجاحظ أنّ مطيعاً حلف أنّها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتِفاها ومأكمتاها، فتدحرج تحتها الرمانَ فينفذ إلى الجانب الآخر. ويقال إنّه قالها في امرأة من أبناء الدَّهاقين كان يهواها، وشعره يدلّ على صحة هذا القول، والقول الأوّل غلط.

[شوقه إلى جودانة]

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالمٍ قال: أخبرني مطيع بن إياس الليثيّ، وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجّاج بن يوسف، أنّه كان مع سَلْم بن قتيبة، فلمّا خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجلٍ على عمله والقدوم عليه في خاصّته على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبّها، فأمرني سلم بالخروج معه، فاضطررت إلى بيع الجارية، فبعتُها وندمتُ على ذلك بعد خروجي وتمنّيت أن أكون أقمتُ؛ وتتبّعَتْها نفسي، ونزلنا حلوان،

1 التخت: وعاء من خشب أو نسيج لصيانة الثياب.

فجلست على العقبة أنتظر ثَقَلي وعنان دابّتي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى ، فتذكرت الجارية واشتقتُها وقلت : [من الخفيف]

أسعِداني يــا نخلتَيْ حُلْوانِ ... وابكيا لي من رَيْبِ هذا الزمانِ
واعلما أنّ رَيْبَه لم يـزل يفـْ ... ـرُق بـين الأُلاّف والجيرانِ
ولَعمري لو ذقتمـا أَلَمَ الفُر ... قـة قد أبكاكما الذي أبكاني
أسعـداني وأيْقنـا أن نحساً ... سوف يلقـاكما فتفترقـانِ
كم رمتني صروفُ هذِي الليالي ... بفـراق الأحبـابِ والخُلاّنِ
غير أنّي لم تلـق نفسي كما لا ... قيت من فُرقـة ابنة الدُّهقانِ
جارة لي بالرّيّ تُذهبُ همِّي ... ويُسَلِّـي دنوُّهـا أحـزاني
فجعتني الأيّامُ أغبطَ ما كنـ ... ـت بصدعٍ للبيْن غير مُدانِ
وبرغمي أن أصبحَتْ لا تراها الـ ... ـعينُ منّي وأُصبحَتْ لا تَراني
إنْ تكنْ ودّعتْ فقد تركتْ بي ... لَهبـاً في الضمير ليس بوانِ
كحريق الضّرام في قصب الغا ... ب زَفَتْـهُ رِيحـانِ تختلفانِ[1]
فعليكِ السلام مِنّيَ مـا سا ... غَ سلاماً عقلي وفاض لساني

هكذا ذكر أبو الحسن الأسديُّ في هذا الخبر وهو غلط .

نسخت خبر هذا من خطّ أبي أيّوب المدائنيّ عن حمّاد ، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال : كانت لي بالرّيّ جارية أيّام مُقامي بها مع سَلْم بن قتيبة ، فكنتُ أتستّر بها ، وكنتُ أتعشّق امرأةً من بنات الدّهاقين كنت نازلاً إلى جنبها في دار لها . فلمّا خرجنا بعثتُ الجارية وبقيَتْ في نفسي علاقةٌ من المرأة التي كنت أهواها ، فلمّا نزلنا عَقَبة حُلوان جلست مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت : [من الخفيف]

أسعـداني يـا نخلتي حُلـوان ... وارْثيا لي من ريب هذا الزمانِ

وذكر الأبيات ، فقال لي سَلْم : ويلك فيمن هذه الأبيات ؟ أفي جاريتك ؟ فاستحييت أن أصدقه فقلت : نعم . فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي . فلم يلبث أن ورد كتابه : إنّي وجدتُها قد تداولها الرجال وقد بلغت خمسة آلاف درهم ، فإن أمرت أن أشتريها فعلت . فأخبرني بذلك وقال : أيهما أحبّ إليك ؟ هي أو خمسة آلاف درهم ؟ فقلت : إما إذ كانت قد تداولها الرجال فقد عزفت نفسي عنها . فأمر لي بخمسة آلاف درهم ، ولا والله ما كان في

1 زفته : ساقته .

نفسي منها شيء ، ولو كنت أحبّها لم أبالِ إذا رجعتْ إليّ بمَن تداولها . ولم أُبالِ لو ناكها أهلُ مِنَى كلُّهم .

[الشعر في نخلتَي حلوان]

أخبرني عمّي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشميّ عن سلام الأبرش قال : لمّا خرج الرشيد إلى طُوس هاج به الدم بحُلوان ، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُمّاراً ، فأحضر دُهقان حلوان وطلب منه جمّاراً ، فأعلمه أنّ بلده ليس بها نخل . ولكن على العقبة نخلتان ، فَمُر بقطع إحداهما . فقطعت ، فأُتِي الرشيد بجمارتها ، فأكل منها وراح[1] . فلمّا انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأُخرى قائمة ، وإذا على القائمة مكتوب : [من الخفيف]

أسعداني يا نخلتي حلوانِ وابكيا لي من رَيْب هذا الزمانِ
أسعداني وأيقنا أنّ نحساً سوف يلقاكما فتفترقانِ

فاغتمّ الرشيد ، وقال : يعزُّ عليّ أن أكون نحسَكما ، ولو كنتُ سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم .

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا الحارثيّ بن أبي أسامة قال حدّثني محمد بن أبي محمد القيسيّ عن أبي سمير عبد الله بن أيّوب قال : لمّا خرج المهديّ فصار بعقبة حُلوان استطاب الموضع فتغدّى ودعا بحسنةَ فقال لها : أما ترين طيبَ هذا الموضع ؟ غنّيني بحياتي حتى أشرب هاهنا أقداحاً ، فأخذت مِحكّة كانت في يده وأوقعت على مِخَدّة وغنّته : [من الطويل]

أيا نخلتَيْ وادي بُوانَة حبَّذا إذا نام حرّاسُ النخيلِ جَناكُما

فقال : أحسنت . ولقد هَمَمْت بقطع هاتين النخلتين ، يعني نخلتَي حلوان ، فمنعني منهما هذا الصوت . وقالت له حسنة : أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحسَ المفرق بينهما . فقال لها : وما ذاك ؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه . فلمّا بلغت إلى قوله : [من الخفيف]

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقانِ

قال : أحسنت والله فيما قلتِ ، إذ نبّهتني على هذا ، والله لا أقطعهما أبداً ، ولأوكلَنّ بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييتُ . ثم أمر بأن يُفعَلَ ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات .

---

1 راح : ارتاح .

نسبة هذا الصوت الذي غنّته حسنة

[من الطويل]

أيا نخلتي وادي بُوانــة حبّذا إذا نــام حُرّاسُ النخيلِ جَناكما

فطِيبُكما أربى على النخل بهجةً وزاد على طُــولِ الفَتــاء فَتاكما

يقال إنّ الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة[1] . والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشاميّ .

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن الخرّاز عن المدائنيّ أنّ المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق ، فكانت تُضيِّقه وتزحم الأثقال عليه ، فأمر بقطعهما ، فأُنشد قول مطيع : [من الخفيف]

واعلمــا مــا بقيتما أنّ نحساً سوف يلقــاكما فتفترقــانِ

قال : لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما ، وتركهما .

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جدّه إسماعيل بن داود أنّ المهديّ قال : قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان وهممْت أن آمر بقطعهما . فبلغ قوله المنصور ، فكتب إليه : «بلغني أنّك هممت بقطع نخلتي حلوان . ولا فائدة لك في قطعهما ، ولا ضرر عليك في بقائهما ، فأنا أُعيذك بالله أن تكون النّحْسَ الذي يلقاهما ، فتفرق بينهما» . يريد قول مطيع .

وممّا قالت الشعراء في نخلتَي حلوان قول حمّاد عجرد ، وفيه غناء قد ذكرتُه في أخبار حمّاد : [من الخفيف]

جعلَ اللهُ سِدرتَيْ قصر شِيريـ ـــن فــداءً لنخلتــي حلوانِ[2]

جئت مستسعداً فلم يُسعداني ومطيعٌ بكــت لــه النخلتانِ

وأنشدني جحظة ووكيعٌ عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسَمّه : [من الخفيف]

أيُّها العاذلانِ لا تعـــذلاني ودعــاني مــن المــلام دَعـاني

وابكيــا لي فإنّنــي مستحـق منْكُمــا بالبكـاء أن تسعداني

إنّنـــي منكمــا بذلــك أُولى مـن مطيــع بنخلتَــيْ حُلوانِ

فهما تجهلان مــا كان يشكو مــن هَـــواه وأنتمـا تعلمانِ

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة : [من الخفيف]

1 ديوانه : 392 .

2 سدرتي، في ل : نخلتي .

وكذاك الزمانُ ليس وإنْ ألّـ ـف يبقى عليه مُؤتلفانِ
سلبت كفُّه الغَريَّ أخاه ثم ثَنَّى بنخلتَيْ حُلوانِ[1]
فكأنّ الغريَّ قد كان فرداً وكأنْ لم تُجاور النخلتانِ

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب الزُّبيريّ عن أبيه قال : جلس مطيع بن إياس في العلّة التي مات فيها في قبّة خضراء وهو على فُرش خضر ، فقال له الطبيب : أي شيء تشتهي اليوم ؟ قال : أشتهي ألاّ أموت . قال : ومات في علّته هذه ، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي .

قال أبو الفرج : ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع ، قال : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَمَـرّ مدامـةً صِرْفاً كأنّ صبيبها وَدَجُ[2]
كأنّ المِسك نفحتُها إذا بزِلت لها أرَجُ
فظلّ تخالُهُ ملكاً يصرفها ويمتزجُ[3]

الغناء لإبراهيم ، ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكّي . وفيه لحن آخر لابن جامع . وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

صوت

[من مجزوء الكامل]

جُدِلَت كجدْل الخيزرا ن وثُنِّيت فتثنّتِ
وَتيقّنتْ أن الفؤا د يحبها فأدلّتِ

الغناء لعبد الله بن عبّاس الربيعيّ خفيف رمل ، وذكر حبش أنّه لمقامة .

صوت

[من الخفيف]

أيّها المبتغي بِلَـوْيٍ رشادِي الـهُ عنّي فما عليك فسادي
أنتَ خِلْو من الذي بي وما يعـ ـلم ما بي إلاّ القريحُ الفؤادِ

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشاميّ .

---

1 الغري : أحد الغريين ، بناءان كانا بالكوفة .
2 الودج : عرق في العنق كناية عن الحمرة .
3 يصرفها ويمتزج : يجعلها صرفاً وممزوجة .

صوت

[من الطويل]

ألاّ إنّ أهلَ الدارِ قد ودَّعوا الدارا ... وقد كان أهلُ الدار في الدارِ أُجْوارا[1]
يبكّي على إثرِ الجَميعِ فلا يرى ... سوى نفسه فيهــا من القومِ دَيارا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر ابن المكّي أن فيه لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر .

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد .

صوت

[من المنسرح]

فيّ انقبــاضٌ وحشمةٌ فــإذا ... صادفتُ أهلَ الوَفــاء والكرمِ
أرْسلتُ نفسي على سجيّتهــا ... وقلتُ مــا قلــتُ غيرَ محتشِمِ

الشعر لمحمد بن كُناسة الأسديّ ، والغناء لقلم الصالحية ، ثقيل أوّل بالوسطى . وذكر ابن خرداذبه أن فيه لإسماعيل بن صالح لحناً .

1 أُجوار : من جموع جار .

[251] ـ أخبار محمد بن كناسة ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن كُناسة ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أُنَيف بن مازن بن صهبان ، واسم صهبان كعب ، بن ذويبة بن أُسامة بن نصر بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ؛ ويكنى أبا يحيى . شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية ، كوفيّ المولد والمنشأ ، قد حُمل عنه شيء من الحديث ؛ وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خالَه ، وكان امرءاً صالحاً لا يتصدّى لمدح ولا لهجاء ؛ وكانت له جارية شاعرة مغنّية يقال لها دنانير ؛ وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثني إبراهيم بن أبي عثمان قال حدّثني مصعب الزُّبيريّ قال : قلت لمحمد بن كناسة الأسديّ ونحن بباب أمير المؤمنين : أأنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد : [من الطويل]

رأيتُك ما يُغنيك ما دونه الغِنى وقد كان يُغني دون ذاك ابن أدهما

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها وكان لِحَقِّ الله فيها معظِّما

وأكثر ما تلقاه في القوم صامتا فإن قال بذّ القائلينَ وأحكما

فقال محمد بن كناسة : أنا قلتها وقد تركتَ أجودها . فقلت : وما أجودها ؟ فقال : [من الطويل]

أهان الهوى حتى تجنّبه الهوى كما اجتنب الجاني الدّمَ الطالبَ الدّما

[حديث ابن كناسة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان إجازة قال حدّثني عليّ بن مسرور العَتَكيّ[1] قال حدّثني أبي قال قال ابن كناسة : لقد كنت أتحدّث بالحديث فلو لم يجد سامِعُه إلاّ القُطنَ الذي على وجه أمّه في القبر لتعلّل إليه حتى يستخرجه ويهديه إليّ ، وأنا اليوم أتحدّث بذلك الحديث فما أفرغُ منه حتى أهيِّىءَ له عذراً .

[مداعبة جاريته]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازةً قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني عبيد الله بن يحيى بن فَرْقَدٍ قال سمعت محمد بن كناسة يقول : كنتُ في طريق الكوفة ، فإذا أنا بجويْرية تلعب بالكِعاب كأنّها قضيب بانٍ ، فقلت لها : أنتِ أيضاً لو ضِعتِ لقالوا ضاعت الجارية ،

1 العتكي في ل : العسكري .

ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق . فقالت : ويلي عليك يا شيخ ! وأنت أيضاً تتكلّم بهذا الكلام ؟ فكُسفتُ والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت : [من الطويل]

وإنّـــي لحُلوٌ مخبَري إن خبرتني ولكنْ يُغَطِّيني ولا ريبَ بي شَيْخْ[1]

فقالت لي وهي تلعب وتبسمت : فما أصنعُ بك أنا إذاً ؟ فقلت : لا شيء . وانصرفت .

[تفسير بيت]

أخبرنا ابن المرزبان قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر : [من الوافر]

إذا الجـــوزاءُ أردفت الثريّا ظننتُ بـآل فاطمـةَ الظنونا

فقال : يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي تُرى فيه الثريا خِفْت تفرّق الحيّ من مجمعهم ؛ والثريا تطلعُ بالغداة في الصيف ، والجوزاء تطلع بعد ذلك في أوّل القيظ .

[تعريضه بامرأته]

أخبرني ابن المرزبان قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني صالح بن أحمد بن عباد قال : مرّ محمد بن كناسة في طريق بغداد ، فنظر إلى مصلوب على جذعٍ ، وكانت عنده امرأة يبغضُها ، وقد ثقل عليه مكانُها ، فقال يَعْنيها : [من الطويل]

أيا جِذعَ مَصْلُوبٍ أتى دونَ صَلْبه ثلاثون حـولا كامِلاً هـل تُبادِلُ

فمـا أنت بالحِمْل الذي قد حمَلته بأضجرَ منّـي بالذي أنـا حاملُ

[خدمة العيال لا تنقص الكمال]

أخبرني ابن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد . وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن محمد بن عمران عن عبيد بن حسن قال : رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطنَ شاة ، فقال : هاته أحمِله عنك . فقال : لا . ثم قال : [من الرجز]

لا يَنقُصُ الكامِـــلَ مـن كمَالِهِ مـا جـرَّ مـن نفعٍ إلى عيالِهِ

[ذكاء دنانير]

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان عن أبيه قال : كنت يوماً عند ابن كناسة ، فقال لنا : أعرّفكم شيئاً من فهم دنانير ؟ يعني جاريته . قلنا : نعم . فكتب إليها : «إنّك أَمَةٌ ضعيفةٌ لكعاءُ ، فإذا جاءكِ كتابي هذا فعجِّلي بجوابي . والسلام» . فكتبت إليه : «ساءني تَهْجِينُك إيّاي عند أبي الحسين[2] ، وإنّ من أعيا العيّ الجوابَ عما لا

1 الشيخ : الشيخوخة .

2 أبو الحسين : كنية علي بن عثمان راوي الخبر .

جواب له . والسلام» .

[دنانير ترثي صديق علي بن عثمان]

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إليّ الزُّبير بن بكّار أخبرني عليّ بن عثمان الكِلابيُّ قال : جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ، ووجدتُ جاريته دنانير جالسة ، فقالت لي : ما لك محزوناً يا أبا الحسين ؟ فقلت : رجعتُ من دفنِ أخٍ لي من قريش . فسكتتْ ساعة ثم قالت : [من الوافر]

بكيتَ على أخٍ لكَ من قريشٍ ... فأبكانا بكاؤك يا عليُّ
فماتَ وما خَبرْناهُ ولكنْ ... طهارةُ صَحْبِه الخبرُ الجَليُّ

[يحفظ كرامته مع فقره]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عِمران الضبيّ قال : أَمْلَقَ محمد بن كناسة فلامه قومُه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره ، فقال لهم مجيباً عن ذلك : [من الطويل]

تُؤنِّبني أنْ صُنتُ عِرْضي عِصابةٌ ... لها بين أطنابِ اللئام بَصيصُ
يقولون لو غَمّضتَ لازددْتَ رِفعةً ... فقلتُ لهم إنّي إذنْ لَحرِيصُ[1]
أتكْلِمُ وجْهِي لا أبا لأبيكُمُ ... مطامعُ عنها للكرامِ محيصُ
مَعاشي دُوينَ القوت والعِرْض وافرٌ ... وبطْنِيَ عن جدوى اللئام خَمِيصُ[2]
سألقى المنايا لم أخالط دَنِيّةً ... ولم تَسْرِ بي في المخزياتِ قَلُوصُ

[لا حشمة عند الكرام]

حدّثنا الحسن بن علي قال حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال : أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال : [من المنسرح]

فيّ انقباضٌ وحِشْمةٌ فإذا ... صادفتُ أهلَ الوفاء والكرمِ
أرْسلتُ نفسي على سَجِيّتها ... وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحتَشمِ

قال إسحاق فقلت لابن كناسة : ودِدت أنّه نقصَ من عمري سنتان وأنّي كنت سبقتُك إلى هذين البيتين فقلتُهما .

---

1 حريص : جشع .

2 جدوى : عطية . خميص : ضامر .

[رثاء إبراهيم بن أدهم]

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضَّبيّ قال حدّثني محمد بن المِقدام العِجليّ قال : كانت أمّ محمد بن كناسة امرأةً من بني عجل ، وكان إبراهيم بن أدهَم خالَه أو ابن خالِه ، فحدّثني ابن كناسة أنّ إبراهيم بن أدهم قدِم الكوفة فوجّهت أمُّه إليه بهديّة معه ، فقبِلها ووهب له ثوباً ، ثم مات إبراهيم ، فرثاه ابن كناسة فقال : [من الطويل]

رأيتك ما يكفيك مـا دونه الغنى   وقد كان يكفي دون ذاك ابن أدهما
وكان يـرى الدنيا قليلاً كثيرُها   فكـان لأمرِ الله فيهـا مُعظِّما
أمات الهـوى حتـى تجنَّبه الهوى   كما اجتنب الجاني الدّم الطالبَ الدّما
وللحلم سلطانٌ على الجهل عنده   فما يستطيع الجهـلُ أن يَترَمْرَما[1]
وأكْثَرُ مـا تلقاه في القوم صامتاً   وإن قـال بَـذَّ القائلين وأحْكما
يُـرى مستَكيناً خاضِعاً متواضِعاً   وليْثـاً إذا لاقـى الكَتيبةَ ضيغما
على الجَدث الغربيّ من آل وائلٍ   سلامٌ وبِـرٌّ مـا أبـرّ وأكـرما

[ضعفه عن وصل إخوانه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني زكريّا بن مهران قـال : عاتب محمد بن كناسة صديقٌ له شريفٌ كان ابن كناسة يزوره ، ويألفه على تأخّره عنه ، فقال ابن كناسة : [من الطويل]

ضعُفتُ عن الإخوانِ حتى جفوْتُهم   على غير زهـدٍ في الوفاء ولا الودِّ
ولكِـنّ أيّامي تخرَّمْـنَ مُنَّتـي   فما أبْلُغُ الحاجاتِ إلاّ على جَهْدِ[2]

[الدنيا في نظره]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضَّبِّيُّ قال أنشدني ابن كناسة . قال الضَّبِّيُّ : وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها : [من الطويل]

ومِنْ عجَبِ الدنيـا تَبَقِّيك للبِـلى   وأنّـك فيهـا للبقـاء مريـدُ
وأيّ بنـي الأيـامِ إلاّ وعندَه   مـن الدهرِ ذنبٌ طارِفٌ وتَلِيدُ
ومنْ يأمـن الأيّـامَ أما انبياعُها   فخطْـر وأمـا فَجْعُهـا فعتيدُ[3]

1 رمرم : حرك فاه للكلام ولم يتكلم .
2 المنة : القوة .
3 انبياعها في ل : اتساعها . والانبياع : الوثوب من سكون . والخطر : خطر البعير بذنبه : ضرب به يميناً وشمالاً . والعتيد : الحاضر المهيأ .

إذا اعتادت النفس الرَّضاع من الهوى فإنّ فِطام النفسِ عنه شديدُ

[صفة الحيرة]

حدّثني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمد بن عمران الضبيّ قال قال لي عُبيد بن الحسن : قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع : اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنّها حسنة في هذا الوقت . فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق ، فلم يزل ينظر إلى البرّ وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق ، فأنشأ يقول : [من الكامل]

الآن حين تزيّن الظَّهْر ميْثاؤهُ وبِراقُه العُفْرُ[1]
بسط الربيع بها الرياضَ كما بُسطتْ قُطُوع اليَمْنةِ الحمرُ[2]
بَرّيّةٌ في البحرِ نابتة يُجْبى إليها البرّ والبحرُ
وجرى الفرات على مياسرها وجرى على أَيْمانِها الزهرُ
وبدا الخورنق في مطالِعها فرداً يلوح كأنّه الفجرُ
كانت منازلَ للملوك ولم يُعْلمْ بها لممَلَّك قبرُ

قال : ثم قال يصف تلك البلاد : [من مجزوء الرمل]

سَفُلتْ عَنْ بَرْد أرضٍ زادَها البردُ عذابا
وعَلَتْ عن حرِّ أُخرى تُلهب النارَ التهابا
مُزِجَت حينا ببرْدٍ فصفا العيْشُ وطابا

[اختيار الصديق]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني إسحاق بن محمد الأسديّ قال حدّثني عبد الأعلى بن محمد بن كناسة قال : رآني أبي مع أحداثٍ لم يرضَهُم ، فقال لي : [من مجزوء الكامل]

يُنْبِيكَ عن عيب الفتى تركُ الصلاة أو الخَدينُ
فإذا تهاون بالصّلاةِ فما لهُ في الناس دينُ
ويُزَنُّ ذو الحدثِ المريبِ بما يُزَنُّ به القرينُ[3]

1 الميثاء : الأرض السهلة . والبراقة : جمع برقة ، وهي أرض غليظة يختلط فيها الحجارة والرمل .
2 قطوع اليمنة : بسط اليمن .
3 يزن : يتهم .

إن العفيــفَ إذا تكنَّـــ ـفه المريبُ هــو الظنِينُ[1]

[مخالفة القول للعمل]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني أحمد بن خَلاَّد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة ، قال : كان محمد بن كناسة عمّ أبيه ، قـال : كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه ، وكان يكتب الحديث ويتفقّه ويظهر أدباً ونُسكاً ؛ وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهرَه ، فلمّا جاءه قال له : [من الكامل]

مـا مَن روى أدباً فلم يعملْ بـه ويكفّ عـن دفع الهوى بأديبِ[2]
حتى يكـون بمـا تعلّم عامـلا مـن صالح فيكـونَ غيرَ معيبِ
ولقلّما يُغنـي إصابــةُ قائـل أفعالُـه أفعــالُ غيــرِ مُصيبِ

[طبيب بني أود]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جدّه قال : أتيتُ امرأةً من بني أُوْدٍ تكحلُني من رمدٍ كان أصابني ، فكحلتني ثم قالت : اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك . فاضطجعت ، ثم تمثلت قول الشاعر : [من الطويل]

أَمُخْتَرِمي ريــبُ المنــونِ ولم أَزُرْ طبيبَ بني أُوْدٍ على النَّـأْي زينَبا

فضحكت ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا والله . فقالت : فيّ والله قِيلَ ، وأنا زينبُ التي عناها ، وأنا طبيب أُوْد ، أفتدري من الشاعر ؟ قلت : لا . قالت : عمّك أبو سماك الأسديّ .

[شعر دنانير في أبي الشعثاء]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال أخبرني عليّ بن عَثّام الكلابيُّ قال : كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنّية ، يقال لها دنانير ، وكان له صديق يكنى أبا الشَّعْثاء ، وكان عفيفاً مزّاحاً . فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرّض لها بأنّه يهواها ، فقالت فيه : [من الرمل]

لأبـي الشعثاء حبٌّ باطنٌ ليس فيــه نَهْضَةٌ للمتّهمْ
يا فؤادي فازدَجِرِ عنه ويا عبَث الحبّ بـه فاقعُد وقمْ
زارني منــه كـلامٌ صائبٌ وَوسيلاتُ المحبّـين الكَلِمْ

---

1 الظنين : المتهم .

2 دفع في ل : وقع .

صائـدٌ تأمنـهُ غِزْلانُـه مثلَ ما تأمنُ غِزْلانُ الحَرَمْ
صلِّ إن أحببتَ أن تُعطى المنى يا ابا الشَّعْثاءِ لله وصُمْ
ثُمَّ مِيعادُك يـوم الحشْرِ في جَنّةِ الخلدِ إنِ اللهُ رَحِمْ
حيثُ ألقاك غلاماً ناشئاً يافعاً قد كُملت فيه النِّعمْ

[رثاؤه دنانير]

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ المؤدّبُ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني أحمد بن محمد الأسديّ قال حدّثني موسى بن صالح قال : ماتت دنانير جارية ابن كناسة ، وكانت أديبةً شاعرة ، فقال يرثيها : [من المنسرح]

الحمـدُ لله لا شَرِيـكَ لـه يا ليتَ ما كان منكِ لم يكنِ
إن يكن القولُ قلّ فيكِ فما أفحمنـي غيـرُ شِدّة الحزَنِ

[رواية ابن كناسة للحديث]

قال أبو الفرج : وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً ، وروى عنه الثقاتُ من المحدثين ؛ فمن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مُهران الأعمش ، وإسماعيلُ بن أبي خالد ، وهشام آبن عُروة بن الزُّبير ، ومِسْعَر بن كِدام ، وعبد العزيز أبي داود ، وعُمَر بن ذر الهمْدانيّ ، وجعفر بن بُرْقان ، وسفيان الثَّوريّ ، وفِطْر بن خليفة ونظراؤهم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن سعد العوفيّ قال حدّثنا محمد بن كناسة قال حدّثنا الأعمش عن شقيق بن سلَمة عن أبي موسى الأشعريّ قال : قلت : يا رسول الله إنّ الرجل يحبّ القوم ولم يَلحَق بهم . قال : «المرء مع من أحبّ» .

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثنا محمد بن كناسة قال حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : «خير نسائها مريمُ بنتُ عمران ، وخيرُ نسائنا خديجةُ» . والله أعلم .

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثنا ابن كناسة قال حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن زِرّ بن حُبَيْش قال : كانت في أُبيّ بن كعب شراسةٌ ، فقلت له : يا أبا المنذر ، اخفض جناحك يرحمك الله ، وأخبرنا عن ليلة القدر . فقال : هي ليلة سبع وعشرين . وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط ، ليعلم صحّة ما حكيته عنه ، وليس استيعاب هذا الجنس ممّا يصلُح هاهنا .

[252] ـ أخبار قلم الصَّالحيّة

كانتْ قلمُ الصالحيّة جاريةً مولَّدة صفراءَ حُلوةً حسنةَ الغناء والضرب حاذقةً ، قد أخذت عن إبراهيمَ وابنهِ إسحاق ، ويحيى المكّي ، وزُبَيْر بن دحْمان . وكانت لصالح بن عبد الوهّاب أخي أحمد بن عبد الوهّاب كاتب صالح بن الرشيد ، وقيل : بل كانت لأبيه . وكانت لها صنْعَةٌ يسيرة نحو عشرين صوتاً ، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار .

[إعجاب الواثق بها]

فأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدثني رذاذُ أبو الفضل المغنّي مولى المتوكل على الله ، قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام ، قال : كانت قلمُ الصالحية جاريةٌ صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنّيات المحسِنات المتقدمات ، فغُنيَ بين يدي الواثق لَحْنٌ لها في شعر محمد بن كناسة ، قال : [من المنسرح]

فيَّ انقباضٌ وَحِشْمةٌ فإذا صادفْتُ أهلَ الوفاء والكرمِ
أرسلْتُ نفسي على سجيَّتِها وقُلْتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فسأل : لمن الصنعة فيه ؟ فقيل : لقلم الصالحية جاريةِ صالح بن عبد الوهاب . فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيّات فأحضره . فقال : ويلك ! من صالحُ بن عبدُ الوهاب هذا ؟ فأخبره . قال : أين هو ؟ قال : ببغداد ، قال : ابعث فأشخِصْه وأشخِص معه جاريتَه المسمّاة بقلم الصالحية . فَقدِما على الواثِق ، فدخلت عليه قلم ، فأمرها بالجلوس والغناء ، فغنّت ، فاستحسنَ غِناءها وأمرَ بابتياعها . فقال صالح : أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر . فغضِب الواثـق من ذلك ، وردّ عليه . ثم غنى بعد ذلك زرْزورٌ الكبيرُ في مجلس الواثق صوتاً ، الشعر فيه لأحمدَ بن عبد الوهاب أخي صالح ، والغناء لقَلَم ، وهو : [من الوافر]

صوت

أبـتْ دار الأحبَّـةِ أنْ تبينا أجِدَّك ما رأيتَ لها مُعينا
تَقَطَّعُ نفسُه من حبِّ ليلى نفوساً ما أُثِبْنَ ولا جُزينا

فسأل : لَمن الغناء ؟ فقيل : لقلم جارية صالح . فبعث إلى ابن الزيّات : أشخِصْ صالحاً ومعه قلم . فلمّا أشخصهما دخلت على الواثق . فأمر أن تغنّيه هذا الصوت ، فغنّته . فقال لها : الصنعة فيه لك ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين . قـال : بـارك الله عليك . وبعـث إلى صالح فأحضِر ، فقـال

له : إنّي قد رغبت في هذه الجارية فاستمْ في ثمنها سوماً يجوز أن تعطاه فقال : أما إذ وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملِك شيئاً فيه رغبة ، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين ، فإنّ من حقّها عليّ إذا تناهيتُ في قضائه أن أصَيِّرَها ملكه ، فبارك الله له فيها . فقال له الواثق : قد قبِلتها . وأمر ابن الزيّات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار ، وسمّاها احتياطاً . فلم يعطه ابن الزيات المال ومطَلَه به ، فوجّه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك ، فغنّت الواثق وقد اصطبح صوتاً ، فقال لها : بارك الله فيكِ وفيمن ربّاكِ . فقالت : يا سيّدي وما نفع مَن ربّاني منّي إلاّ التعبُ والغرم عليّ والخروج منّي صِفْرا ؟ قال : أوَلَم آمرْ له بخمسة آلاف دينار ؟ قالت : بلى ؛ ولكنّ ابن الزيّات لم يعطه شيئاً . فدعا بخادم من خاصّة الخدم ووقّع إلى ابن الزيّات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه ، وخمسة آلاف دينار أخرى معها . قال صالح : فصِرتُ مع الخادم إليه بالكتاب ، فقرّبني وقال : أمّا الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت ، والخمسة الآلاف الأُخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة . فقمت ، ثم تَناساني كأنّه لم يعرفني ، وكتبت أقْتضيه ، فبعث إليّ : اكتُبْ لي قَبْضاً بها وخذها بعد جمعة . فكرهْت أن أكتب قبضاً بها فلا يَحصُل لي شيء ، فاستترتُ في منزل صديق لي ؛ فلمّا بلغه استتاري خاف أن أشكوَه إلى الواثق ، فبعث إليّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض . ثم لقيني الخادمُ بعد ذلك فقال لي : أمرني أمير المؤمنين أن أصيرَ إليك فأسألك ، هل قبضت المال ؟ قلت : نعم قد قبضته . قال صالح : وابتعت بالمال ضيعة وتعلّقت بها وجعلتها مَعاشي ، وقعدت عن عمل السلطانِ فما تعرضت منه لشيء بعدها .

[علي بن الجهم يمدح الواثق]

أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني أحمد بن إسحاق الخراسانيّ . قال : وحدّثني محمد بن مخارق قال : لمّا بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله[1] : [من السريع]

قد فازَ ذو الدّنيا وذو الدّين بدولةِ الواثِقِ هارونِ
وعمّ بالإحسان من فضله فالناسُ في خفْضٍ وفي لِينِ
ما أكثرَ الدّاعي له بالبَقا وأكثرَ التَّالي بآمينِ

وأنشده أيضاً قوله فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

وَثِقَت بالملكِ الوا ثِقِ بالله النُّفوسُ
مَلِكٌ يشقى به الما لُ ولا يشقى الجَلِيسُ

1 ديوان علي بن الجهم : 231 .
2 ديوانه : 150–151 .

أسد تضْحَكُ عن شَـ ـدّ اتِـه الحرْبُ العبوسُ
أُنِس السيفُ بـه واسـ ـتوْحَش العِلقُ النفيسُ
يا بَني العبّاس يأبى اللّـ ـه إلاّ أنْ تَسُوسُوا

قال : فوصَله الواثق صلة سنيّة .

وتغنّت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين ، فسمع الواثق الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها ، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها ، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار .

صوت

[من الطويل]

وكنت أُعيرُ الدمعَ قبلك من بكى فأنت على مَن مات قبلك شاغِلُهْ
سقى جدَثاً أعرافُ غَمْرة دونه ببيشةَ دِيمـاتُ الربيـعِ ووابِلُهْ[1]
وما بِيَ حبُّ الأرضِ إلاّ جوارُها صَداهُ وقـولٌ ظَـنّ أنّيَ قائلُهْ

الشعر للشمردل بن شَريك من قصيدةٍ طويلةٍ مشهورةٍ يرثي بها أخاه ، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أوّل بالوسطى ، ابتداؤه نشيد ، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي ، وذكر حبش أنّ خفيف الرمل لخزرج .

1 الأعراف : ما ارتفع من الرمل ، الواحدة عرفة .

[253] ـ أخبار الشمردل ونسبه[1]

[نسبه]

الشَّمَرْدَل بن شَريك بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضِبارى بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان في أيّام جرير والفرزدق .

[هجا وكيع لتفريقه إخوته]

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدّثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : كان الشمردل بن شريك شاعراً من شعراء بني تميم في عهد جرير والفرزدق ، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقُدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سُود ، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر ، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان . فقال له الشمردل : إن رأيت أيّها الأمير أن تنفِذَنا معاً في وجه واحد ، فإنّا إذا اجتمعنا تعاونّا وتناصرنا وتناسبنا . فلم يفعل ما سأله ، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها . فقال الشمردل يهجوه ، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم[2] بن أُدّ بن طابخة : [من الكامل]

إنّي إليك إذا كتبتُ قصيدة ... لم يأتني لجوابها مَرجوعُ
أيُضيعُها الجُشَمِيّ فيما بيننا ... أم هل إذا وصلتْ إليكَ تَضيعُ
ولقد علمتُ وأنت عنّي نازحٌ ... فيما أتى كِبْدُ الحمار وكيعُ
وبنو غُدانةَ كان معروفاً لهم ... أن يُهضَموا ويَضيمَهم يَربوعُ
وعُمارة العبد المبيَّن إنّه ... واللؤم في بدن القميص جميعُ

[رثاؤه لأخويه]

قال أبو عبيدة : ولم ينشَب[3] أن جاءه نعيُ أخيه قدامة من فارس ؛ قتله جيش لقُوهم بها ، ثم تلاه نَعْيُ أخيه وائل بعده بثلاثة أيّام ، فقال يرثيهما : [من الطويل]

أعاذلُ كم روعةٍ قد شهدتها ... وغُصّةِ حزن في فِراق أخٍ جزْلِ[4]

1 للشمردل ترجمة في الشعر والشعراء : 593 والمؤتلف : 139 والسمط : 544 وقد نقل صاحب التذكرة الحمدونية بعض أخباره وشعره .

2 ل : حميس .

3 لم ينشب : لم يلبث .

4 الجزل : الكريم والعاقل .

إذا وقعــت بين الحيازيــم أسدفت ... عليّ الضحــى حتــى تنسّيني أهلي[1]
ومــا أنا إلاّ مثــلُ مــن ضُرِبتْ له ... أُسى الدّهر عن ابْنَيْ أبٍ فارقا مثلي[2]
أقــول إذا عزّيــتُ نفسي بإخوة ... مضوا لا ضِعافٍ في الحياة ولا عُزْلِ
أبــى المــوتُ إلاّ أنَّ كلَّ بني أبٍ ... سيُمسون شتّى غيرَ مجتمعي الشَّمْلِ
سبيــل حبيبــيَّ اللذيْــــن تبرّضــا ... دُموعيَ حتى أسرعَ الحُزْنُ في عقلي[3]
كأن لم نسِرْ يومـاً ونحـنُ بغبطـةٍ ... جميعاً وينزلْ عنـد رحليْهمـا رحْلي
فعينَــيّ إنْ أَفضَلْتُمـا بعـد وائـلٍ ... وصاحبه دمعـاً فعُــودَا على الفضلِ
خليليَّ مــن دون الأخِـلاّء أصبحا ... رهينَيْ وفاءٍ مــن وفــاةٍ ومن قتْلِ
فــلا يبعــدا لِلدّاعِيَيْــن إليهمـــا ... إذا اغبــرّ آفــاقُ السماء مــن المحْلِ
فقــد عَــدِمِ الأضيافُ بعدهما القِرى ... وأخمــد نــارَ الليل كلُّ فتًــى وغْلِ[4]
وكانا إذا أيــدِي الغضابِ تحطّمت ... لواغِـرِ صدر أو ضغائــنَ مــن تبلِ[5]
تَحاجزُ أيدي جُهَّـل القــومِ عنهما ... إذا أتعــب الحلــمَ التتــرّعُ بالجهلِ[6]
كمستأسِدَي عرّيسةٍ لهمــا بهــــا ... حِمًــى هابــه مــن بالحُزُونةِ والسَّهْلِ

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره .

[رثاؤه أخاه وائلاً]

قال أبو عبيدة : وقال يرثي أخاه وائلاً ، وهي من مختار المراثي وجيد شعره : [من الطويل]

لعمري لئن غالــت أخــي دارُ فُرقةٍ ... وآب إلينــــا سيفُــــه ورواحلُـهْ
وحلّـت بــه أثقالَها الأرضُ وانتهى ... بمثــواه منهــا وهْــو عــفٌّ مآكلُهْ
لقد ضُمِّنت جَلْـدَ القُوى كان يُتّقى ... بــه جانبُ الثغر المخــوفِ زلازلُهْ
وَصُولٌ إذا استغنى وإن كان مقْتِراً ... من المال لم يُحْــفِ الصديقَ مسائلُهْ
محــلٌّ لأضيــاف الشّتــاء كأنّما ... هُــمُ عنـــده أيتامــه وأراملُـهْ

---

1 الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . أسدفت : أظلمت .
2 أسى : جمع أسوة ، ما يتأسى به الحزين .
3 تبرضا دموعي : استنزفا الدموع ببطء .
4 الوغل : النذل الساقط .
5 الواغر : المتقد من الغيظ . والتبل : العداوة .
6 التترع : التسرع .

رخِيصُ نضيــجِ اللحــم مُغْــلٍ بِنِيئِه ... إذا بــردت عنــد الصِّلاء أناملُهْ
أقولُ وقــد رَجّمتُ عنه فأسرعت ... إليّ بأخبـــارِ اليقـــين محاصلُهْ[1]
إلى الله أشكـو لا إلى النــاس فقدَه ... ولوعةَ حــزن أوجعَ القلبَ داخلُهْ
وتحقيــق رؤيــا في المنــام رأيتُها ... فكان أخــي رُمْحــاً ترفَّضَ عاملُهْ[2]
سقى جدثــاً أعرافُ غمرة دونه ... ببيشةَ دِيمــاتُ الربيــع ووابــلُهْ
بمثوى غريــبٍ ليس منّا مــزارُه ... بــدانٍ ولا ذُو الودّ مِنّــا مواصلُهْ
إذا مــا أتى يــومٌ من الدهرِ دونه ... فحيّــاك عنّــا شرقُــه وأصائلُهْ
سَنا صبحِ إشراقٍ أضــاء ومَغربٌ ... من الشمس وافى جنحَ ليــلٍ أوائلُهْ
تحيــةَ مــن أدّى الرسالــةَ حُبِّبت ... إليــه ولم ترجِــع بشيءٍ رسائلُهْ
أبى الصبرَ أن العين بعــدَك لم يزَلْ ... يخالــط جَفْنيها قــذًى لا يزايلُهْ
وكنتُ أعير الدّمع قبلَكَ مَن بكى ... فأنت على مــن مــات بعدك شاغلُهْ
يذكرني هَيْــفُ الجنــوب ومُنتهى ... مسيرِ الصَّبا رَمْساً عليــه جنادلُهْ[3]
وهتّافــةٌ فــوق الغصــونِ تفجّعت ... لفقــدِ حمــام أفردتهــا حبائلُهْ
من الوُرْق بالأصْياف نواحة الضحى ... إذا الغرقد التفّــت عليــه غياطلُهْ[4]
وسَوْرةُ أيدِي القوم إذ حُلَّت الحُبا ... حُبا الشِّيبِ واستعْوى أخا الحلمِ جاهلُهْ[5]
فعينــيّ إذ أبكاكما الدهــرُ فابكيــا ... لَمن نصرُه قــد بــان منّــا ونائلُهْ
إذا استعبرت عُــوذُ النساء وشمّرت ... مآزر يــوم مــا تَــوارى خلاخلُهْ[6]
وأصبح بيت الهجرِ قــد حال دونه ... وغال امرءاً مــا كان يُخْشى غوائلُهْ
وثِقْن بــه عنــد الحفيظةِ فارعوى ... إلى صوتــه جاراتــه وحــلائلُهْ
إلى ذائــدٍ في الحرب لم يــك خاملاً ... إذا عــاذ بالسيف المجــرَّد حاملُهْ
كما ذاد عــن عِرِّيسة الغِيل مُخْــدِر ... يخــافُ الــردى ركبانُــه ورواحِلُهْ

1 رجم بالغيب : تكلم بما لم يعلم .
2 ترفض : تكسر . وعامل الرمح : صدره .
3 هيف الجنوب : ريح حارة تأتي من الجنوب .
4 الغرقد : شجر . والغياطل : ما التفّ واجتمع .
5 الحبا : جمع حبوة ، وهو الثوب . وحل الحبا كناية عن الاستعداد للحرب . واستعوى : صاح إلى الفتنة .
6 عوذ النساء : جمع عائذ ، وهي التي مضى أسبوع على وضعها لأن ولدها يعوذ بها .

فمـا كنت أُلفي لامرىء عِند مَوطنٍ ... أخاً بأخـي ، لو كان حيّـاً أبادلُهْ
وكنت بِـه أغشى القتـال فعزّني ... عليـه مـن المقـدارِ مـن لا أُقاتلُهْ[1]
لعمركَ إنّ المـوتَ منّـا لمولَـعٌ ... بمَـن كان يُرجـى نفعُـه ونوافلُهْ
فما البعـد إلاّ أنّنا بعـد صحبـة ... كأنْ لم نُبايـت وائـلاً ونقـايلُهْ[2]
سقى الضَّفِراتِ الغيثُ ما دام ثاوياً ... بهنّ وجادت أهـلَ شُوكٍ مَخايلُهْ[3]
ومـا بـي حبُّ الأرض إلاّ جوارَها ... صـداه وقـول ظُـنَّ إنّـي قائلُهْ

[رثاؤه أخاه حكم]

قال أبو عبيدة : ثم قُتِل أخوه حكم أيضاً في وجهه ، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله ، وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيُه فقال يرثيه : [من الوافر]

يقولون احتسِب حَكماً وراحوا ... بـأبيضَ لا أراهُ ولا يـراني
وقبْـلَ فراقِـه أيقنتُ أنّي ... وكلّ ابنـي أبٍ متفارِقانِ
أخٌ لِيَ لوْ دعوتُ أجابَ صوتي ... وكنتُ مجيبَه أنَّـى دعاني
فقد أفنـى البكاءُ عليه دمعي ... ولوْ أنّـي الفقيدُ إذاً بكاني
مضى لسبيله لم يُعْـطَ ضَيْما ... ولم تَرهـبْ غوائلَـه الأداني
قَتلْنـا عنـه قاتلَـه وكنّـا ... نصُولُ به لدى الحرْبِ العَوانِ
قتيلاً ليس مثل أخـي إذا مـا ... بدا الخَفِرات مِنْ هول الجَنانِ
وكنتَ سِنانَ رمحي من قناتي ... وليس الـرّمحُ إلاّ بالسّنانِ
وكنت بَنانَ كَفّي من يميني ... وكيف صلاحُها بعـد البَنانِ
وكان يهابُـك الأعداءُ فينـا ... ولا أخشى وراءك من رَماني
فقد أبدَوا ضغائنَهـم وشدُّوا ... إليّ الطَّـرفَ واغْتمزوا لَياني
فِـداكَ أخٌ نبـا عنـه غَناه ... ومولًـى لا تصولُ لـه يدانِ

[ادعاء الفرزدق بيتاً من شعر الشمردل بعد تهديده]

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا : وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمرّ فيها هذا البيت : [من الطويل]

---

1 عزني : غلبني .
2 نبايت : نبيتُ معه . ونقايله : ننام معه القيلولة .
3 الضفرات : جمع ضفرة ، وهي أرض سهلة مستطيلة . شوك : موضع .

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم غير حز الحلاقمِ

فقال له الفرزدق : والله يا شمردل لتتركنّ لي هذا البيت ، أو للتركن لي عِرضَك . فقال : خذه لا بارك الله لك فيه . فادّعاه وجعله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أوّلها : [من الطويل]

تحِنُّ بزوراء المدينة ناقتي حنينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائمِ[1]

[تأويل رؤيا الشمردل]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا غسان عن أبي عبيدة قال : رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سِنان رمحه سقط ، فعبَره على بعض من يعبُر الرؤيا ، فأتاه نعي أخيه وائلٍ ، فذلك قوله : [من الطويل]

وتَحقيقُ رؤيا في المنام رأيتُها فكانَ أخي رُمحاً ترفَّضَ عاملُهْ

[نديمه ينسى فعله من السكر]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الشمردل مغرماً بالشراب ، وكان له نديمان يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان ، أحدهما يقال له دَيْكَل من قومه ، والآخر من بني شيبان يقال له قَبيصة . فاجتمعوا يوماً على جَزورٍ ونحروه وشرِبُوا حتّى سَكِروا ، وانصرف قبيصةُ حافياً وترك نعلَه عندهم ، وأنْسيَها من السُّكر ، فقال الشمردل : [من الطويل]

شربتُ ونادمت الملوك فلم أجد على الكأس نَدمانا لها مثلَ دَيكلِ
أقَلّ مِكاساً في جَزور وإن غلت وأسرعَ إنضاجاً وإنزالَ مِرْجَلِ
ترى البازلَ الكَوْماءَ فوق خُوانه مفصَّلةً أعضاؤها لم تُفصَّلِ
سَقَيناه بعد الرَّي حتى كأنّما يرى حين أمسى أبرقى ذاتِ مأسَلِ[2]
عشيّة أنسيْنا قَبيصةَ نعلَه فَراحَ الفتى البكريُّ غيرَ مُنعَّلِ

[هلال لم يرفده فهجاه]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال : مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازنيّ واستماحه ، فوعده الرفد ، ثم ردّده زماناً طويلاً حتى ضجر ، ثم أمر له بعشرين درهماً فدفعها إليه وكيلُه غلَّة فردّها ، وقال يهجوه : [من الطويل]

يقول هلالٌ كلّما جئت زائراً ولا خيرَ عند المازنيّ أعاودُهْ
ألا ليتني أُمسي وبيني وبينه بَعيدُ مناطِ الماء غُبْرٌ فدافدُهْ[3]

1 العجول : الناقة الحزينة لفقد ولدها . البو : جلد ولد الناقة يحشى تبناً ويقرب منها لتدر . رائم : عطوف .

2 الشطر الثاني في ل : يرى حرشاً في أبرقي أم مرسل .

3 الفدفد : الفلاة .

غداً نصفُ حول منه إن قال لي غدا وبعد غد منه كحول أراصدُهْ
ولو أنّني خُيِّرت بين غَداته وبين بِرازي ديْلميّاً أجالدُهْ
تعوّضت من ساقَيّ عشرين درهماً أتاني بها من غَلّة السُّوق ناقِدُهْ
ولو قِيلَ مِثلا كنزِ قارونَ عنده وقيل التمسْ موعودَه لا أعاوِدُهْ
ومثلك منقوص اليدين رددتُه إلى مجتدٍ قد كان حينا يُجاحِدُهْ

[هجاؤه رجلاً من ضبة شمت بمقتل إخوته]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أنّ رجلاً من بني ضبّة كان عدوّاً للشمردل ، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك ، ثم خرج في البعث الذي بُعث مع وكيع ، فلمّا قُتِل إخوة الشمردل وماتوا ، بلغه عن الضبيّ سرورٌ بذلك ، وشماتةٌ بمصيبته فقال : [من البسيط]

يا أيُّها المبتغي شَتمي لأشتُمه إن كنت أعمى فأنِّي عنك غيرُ عَمِ
ما أرضعَتْ مرضعٌ سخْلا أعقَّ بها في الناس لا عَرَبٍ منها ولا عجمِ
من ابن حنكلةٍ كانت وإن عَرِبَت مُذالة لقُدور الناس والحُرَمِ [1]
عَوى ليَكسِبَها شرّاً فقلت له منْ يُكسِب الشرّ ثديَيْ أمِّه يُلَمِ
ومن تعرّض شتمي يلْقَ معطِسَهُ من النَّشُوق الذي يشفي من اللَّممِ [2]
متى أجبك وتسمعْ ما عُنيتَ به تُطْرِق على قَذَع أو ترضَ بالسَّلَمِ [3]
أوْلا فحسبُك رهطاً أن يفيدهم لا يغدِرون ولا يوفون بالذممِ
ليسوا كثعلبةَ المغبوطِ جارُهم كأنّه في ذُرى ثهلانَ أو خِيَمِ [4]
يُشَبِّهون قريشاً من تكلّمهم وطولِ أنْضِيَةِ الأعناقِ والأممِ [5]
إذا غدا المسْك يجري في مفارقهم راحوا كأنّهم مَرضى من الكرمِ
جزُّوا النواصيَ من عجْلٍ وقد وطِئوا بالخيل رهط أبي الصهْباء والحُطَمِ
ويوم أفلتهن الحَوْفَزانُ وقد شالت عليه أكفُّ القوم بالجِذَمِ [6]

1 الحنكلة : الدميمة السوداء . عربت : تـوددت إلى زوجها أو حرصت على اللهو . المذالة : المهانة .
2 اللمم : الجنون .
3 القذع : الخنا والفحش . والسلم : الاستسلام .
4 ثهلان وخيم : جبلان .
5 تكلمهم في ل : تكرمهم . الأنضية : عظام العنق . الأمم : القامات .
6 الجذم : السياط .

إنّي وإن كنتُ لا أنسى مُصابَهُم لم أدفعِ الموت عن زِيقٍ ولا حكمِ
لا يَبْعـدا فتيا جـودٍ ومكرمة لدفعِ ضيمٍ وقتل الجوعِ والقَرمِ[1]
والبعـد غالهمـا عنّـي بمنزلةٍ فيها تفـرّقُ أحيـاءٍ ومُخْترمِ
ومـا بنـاءٌ وإن شُدَّت دعائمُه إلاّ سيصبح يومـاً خاويَ الدِّعَمِ
لئن نجوتَ من الأحداث أو سلمت منهنّ نفسك لم تسلمْ مـن الهرَمِ

[رثاء عمر بن يزيد الأسيدي]

حدّثنا هاشم قال : حدّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان عمر بن يزيد الأسيدي صديقاً للشمردل بن شريك ، ومحسناً إليه كثير البرّ به والرفد له ، فأتاه نعيه وهو بخراسان ، فقال يرثيه : [من الكامل]

لبِس الصّبـاحَ وأسلمتـه ليلـة طالـت كأنّ نجومهـا لا تبرحُ[2]
من صولـة يجتاح أخـرى مثلها حتى ترى السَّدفَ القيامُ النُّوحُ[3]
عطّلـن أيديَهـنّ ثم تفجعت ليـلَ التِّمام بهـنّ عبْرى تَصدَحُ
وحليلـةٍ رزئت وأُخـتٌ وابنةٌ كالبـدر تنظـره عيـونٌ لُمَّحُ
لا يبعَـدِ ابنُ يزيـدَ سيِّدُ قومه عنـد الحفاظِ وحاجـةٍ تُستنجَحُ
حامي الحقيقةِ لا تـزال جيـادُه تغْـدو مسوَّمـة بـه وتُروِّحُ
للحربِ محتسب القتـال مشمِّرٌ بالدرع مضطمرُ الحوامـل سُرَّحُ[4]
ساد العـراق وكان أوّل وافد تأتي الملوكَ بـه المهارى الطُّلَّحُ[5]
يُعْطي الغِلاء بكلّ مجـدٍ يُشترى إن المُغـاليَ بالمكـارمِ أربـحُ

[وصف الصقر والقنص]

حدّثنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح ، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة ، وأنشدنا له قوله : [من الرجز]

قد أغتدي والصبحُ في حجابه والليـلُ لم يـاوِ إلى مآبِهِ

1 القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .
2 لبس في ل : لبث .
3 السدف : الضوء .
4 مضطمر : ضامر . الحوامل : الأرجل .
5 المهارى : نوع من الإبل . الطلح : المتعبة .

وقـد بـدا أبْلقَ من مُنْجابِهِ | بتَوَّجِـيٌّ صـادَ في شبابِهِ[1]
مُعاودٍ قـد ذلّ في إصعابه | قـد خَرَّق الضُّفارَ من جِذابِهِ
وعَرَفَ الصوتَ الذي يُدعى به | ولَمعـةَ المُلْمِـعِ في أثوابِهِ[2]
فقلـتُ للقانِص إذ أتـى بـه | قبل طُلـوعِ الآل أو سَرابِهِ
ويحك ما أبصر إذ رأى بـه | من بَطنِ مَلحوبٍ إلى لُبابِهِ[3]
قَشْعاً تـرى التّبت من جنابِهِ | فانقضَّ كالجلمودِ إذ عـلا بِهِ
غضبانَ يـوم قِنْيةٍ رمى بـه | فهنّ يلقـين مـن اغتصابِهِ
تحت جديد الأرض أو ترابـه | من كلِّ شَحَّاجِ الضُّحى ضَغابِهِ[4]
إذ لا يـزال حربه يشقى بـه | منتزع الفـؤاد مـن حجابِهِ
جاد وقـد أنشب في إهابـه | مخالبـاً ينشبـن في إنشابهِ
مثل مُـدى الجزار أو حِرابـه | كأنّما بالحلـق مـن خضابهِ
عصفرة الفـؤاد أو قضابـه | حوى ثمانـين على حسابِهِ[5]
من خَـرَبٍ وخُزَزٍ يعلى بـه | لفتيَةٍ صيدهم يدعـى بِهِ[6]
واعَدَهـم لمنزل بِتْنا بـه | يطهى به الخِربان أو يشوى بِهِ
فقـام للطبـخ ولاحتطابـه | أروع يهتـاج إذا هجنا بِهِ

[قتل الذئب الذي فتك بغنمه]

أخبرنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة ، فرصده ليلة حتى جاء لعادته ، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه : [من الوافر]

هل خُبِّرَ السِّرحان إذ يستخبِرُ | عنّي وقد نام الصِّحاب السُّمَّرُ
لّمـا رأيت الضَّـأنَ منه تنفِر | نهضت وسْنانَ وطـارَ المِئْزرُ

1 الأبلق : الذي فيه سواد وبياض . التوجّي : الصقر المنسوب إلى توج من قرى فارس .
2 الملمع : الذي يشير بالثوب ونحوه .
3 ملحوب : موضع .
4 الشحاج : الغليظ الصوت . والضغاب : المفزع بصوته .
5 الفؤاد في ل : الفصاد .
6 الخرب : ذكر الحبارى . والخزز : ذكور الأرانب .

وراع منهــا مــرح مستيْهِر كأنّــه إعصــار ريح أغبرُ[1]
فلـم أزل أطـــردُه ويعكر حتى إذا استيقنتُ ألا أعذرُ[2]
وأنّ عَقْــرى غنمِــي ستكثر طار بكفّــي وفؤادي أوجرُ[3]
ثُـمَّـتَ أهويتُ لـــه لا أُزجَر سهماً فولّى عنــه وهْـوَ يعثرُ
وبـتُّ ليــلي آمــناً أُكبِّرُ

[الأصمعيّ يستجيد شعر الشمردل]

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال الشمردل بن شريك ، وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها ، ويقول : إنّها لمن ظريف الكلام : [من الكامل]

ثـم استقـــلّ منعَّمـاتٌ كالدُّمى شُمُسُ العتــاب قليلــة الأحقادِ
كُذُب المواعدِ ما يزال أخو الهوى منهـــنّ بـين مـــودّة وبعــادِ
حتــى ينــال حِبالَهـــنّ معلقاً عقلَ الشّريد وهـــنّ غيرُ شَرادِ
والحبّ يصلح بعــد هجـرٍ بيننا ويهيـــجُ معتبـــةً بغيـــر بعــادِ

صوت

[من الطويل]

خليــليّ لا تستعجلا أن تَزوّدا وأن تَجمعا شملي وتنتظرا غدا
وإن تَنظُراني اليــوم أقْضِ لُبانةً وتَسْتوجبا منّـاً عــليّ وتُحمَدا

الشعر للحصين بن الحمام المري ، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيل بالبنصر ، من روايتها ومن رواية الهشاميّ .

* * * *

1 وراع في ل : وراح . المستيهر : الذاهب العقل .
2 يعكر : يكر وينصرف .
3 الأوجر : الخائف .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين
الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الرّابع عشر

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

14

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[254] ـ أخبار الحُصين بن الحُمام ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحُصَين بن الحُمام بن رَبيعة بن مُساب بن حَرام[2] بن وائلة بن سهْم بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

[مكانته في قومه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان الحصين بن الحمام سيِّد بني سَهم بن مُرّة . وكان خُصَيْلةُ بن مُرّة وصِرْمةُ بن مرّة وسهم بن مرّة أمّهم جميعاً حَرْقَفةُ بنت مَعْنم بن عَوف بن بَليّ بن عمرو بن الحافِ بن قُضاعة ، فكانوا يداً واحدة على مَنْ سواهم ، وكان حصين ذا رأيهم وقائدَهم ورائدَهم . قال أبو حاتم ، قال أبو عبيدة ، قال أبو عمرو : كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرّة وكان يقال له : مانع الضَّيم .

[وفود ابنه على معاوية]

وحدّثني جماعة من أهل العِلم أنّ ابنه أتى بابَ معاوية بن أبي سفيان فقال لآذِنِه : استأذِنْ لي على أمير المؤمنين وقل : ابن مانع الضيم ، فاستأذَنَ له ؛ فقال له معاوية : وَيْحَك ؛ لا يكون هذا إلاّ ابن عُرْوة بن الوَرْد العَبْسيّ ، أو الحصين بن الحُمام المُرّيّ ، أدخِلْه . فلمّا دخل إليه قال له : ابنُ مَن أنت ؟ قال : أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام ؛ فقال : صدقتَ ، ورفع مجلسه وقضى حوائجه .

[الحرب بين بني سهم بن مرّة وبني صرمة بن مرّة]

أخبرني ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان ناس من بطنٍ من قُضاعة يقال لهم : بنو سَلامان بن سعد بن زيد بن الحافِ بن قضاعة . وبنو سَلامان بن سعد إخوة عُذْرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبني صِرْمة بن مُرّة ونزولاً فيهم . وكان الحُرْقة وهم بنو حُمَيْس بن عامر بن جُهَينة حلفاء لبني سهم بن مرّة ، وكانوا قوماً يرمون بالنَّبل رمياً سديداً ، فسُمُّوا الحرقة لشدّة قتالهم . وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مُرّة . وكان في بني صِرْمة يهوديٌّ من أهل تَيْماء يقال له جُهَينة بن أبي حَمَل . وكان في بني سهم يهوديّ من أهل وادي القُرى يقال له غُصَين بن

1 ترجمة الحصين بن الحمام المري في كتب الصحابة والشعر والشعراء : 542 والمؤتلف : 91 والسمط 177 والخزانة 3 : 326–327 و ماسة المرزوقي : رقم 41 والمفضلية رقم 12 .

2 ل : حزام .

حَيّ[1] ، وكانا تاجرين في الخمر . وكان بنو جَوْشَن ، أهلُ بيت من عبد الله بن غَطَفان ، جيراناً لبني صِرمة ، وكان يُتشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصَيْلة كان يقطع الطريق وحده . وكانت أُخته وإخوته يسألون الناس عنه ، ويَنْشُدونه في كلّ مجلس وموسِم . فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجَوْشنيّ في بيت غُصَين بن حَيٍّ[1] جار بني سهم يبتاع خمراً ، فبينما هو يشتري إذ مَرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصَيلة ، فقال غُصَين : [من الوافر]

تُسائل عن أخيها كلَّ ركبٍ ... وعند جُهَينة الخبرُ اليقينُ[2]

فأرسلها مثلاً ، يعني بجهينة نفسه . فحفِظ الجوشنيّ هذا البيت ، ثم أتاه من الغد فقال له : نَشَدْتُك اللهَ ودينَك هل تعلم لأخي عِلْماً ؟ فقال له : لا وديني لا أعلم . فلمّا مضى أخو المفقود تمثّل : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما ضَلَّتْ ضلالَ ابن جَوْشن ... حَصاةٌ بليلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ

أراد أنّ تلك الحصاة يجوز أن توجد ، وأنّ هذا لا يوجد أبداً ، فلمّا سمع الجوشنيّ ذلك تركه ، حتى إذا أمسى أتاه فقتله . وقال الجوشنيّ : [من الطويل]

طَعَنتُ وقد كاد الظلامُ يُجِنّني ... غُصَيْنَ بن حَيٍّ في جِوار بني سهمِ

فأُتِيَ حصين بن الحُمام فقيل له : إنّ جارك غُصَيْناً اليهوديّ قد قتله ابن جوشن جار بني صِرْمة . فقال حصين : فاقتلوا اليهوديّ الذي في جوار بني صرمة ، فأَتَوْا جهينة بن أبي حَمَل فقتلوه . فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حُمَيس بن عامر جيرانِ بني سهم فقتلوهم . فقال حصين : اقتلوا من جيرانهم بني سَلامان ثلاثة نَفَرٍ ، ففعلوا . فاستَعَر الشرُّ بينهم . قال : وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رَهْطِ الحصين بكثير . فقال لهم الحصين : يا بني صرمة ، قتلتم جارنا اليهوديّ فقتلنا به جاركم اليهوديّ ، فقتلتم من جيراننا من قُضاعة ثلاثة نَفَرٍ وقتلنا من جيرانكم بني سَلامان ثلاثة نَفَر ، وبيننا وبينكم رَحِم ماسّة قريبة ، فمُرُوا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيرانَنا من قُضاعة فيرتحلون عنّا جميعاً ، ثم هم أعلم . فأبى ذلك بنو صرْمة ، وقالوا : قد قتلتم جارَنا ابن جوشن ، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلاً من جيرانكم ؛ فإنّك تعلم أنّكم أقلُّ منّا عدداً وأذلّ ، وإنّما بنا تُعَزّون وتُمْنعون . فناشدهم اللهَ والرّحمَ فأَبَوْا . وأقبلت الخُضْرُ من مُحارب ، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد ، فقالوا : نشهد نَهْبَ بني سهم إذا

1 ل : حيي .

2 المثل : عند جهينة الخبر اليقين : في مجمع الميدانيّ 2 : 3 وجمهرة العسكريّ 2 : 44 وفصل المقال 295–296 ومستقصى الزمخشري 2 : 169 .

انتُهِبوا فنُصيب منهم . وخذَلَتْ غَطَفان كُلُّها حصيناً ، وكرِهوا ما كان من مَنْعِه جيرانَه من قضاعة . وصافَّهم حصينٌ الحربَ وقاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألاّ يَزيدوهم على النَّبْل ، وهزمهم الحصين ، وكفَّ يدَه بعد ما أكثر فيهم القتل . وأبى ذلك البطنُ من قضاعة أن يَكُفُّوا عن القوم حتى أَثْخنوا فيهم . وكان سِنان بن أبي حارثة خذَّل الناسَ عنه لعداوته قضاعةَ ، وأحبّ سنان أن يَهُبّ[1] الحيّان من قضاعة ، وكان عُيَينة بن حِصن وزبّان بن سَيّار بن عمرو بن جابر ممّن خذَّل عنه أيضاً . فأجلبَتْ بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة ، وأجلبَتْ مُحارب بن خَصَفة معهم . فقال الحصين بن الحُمام في ذلك من أبيات : [من الطويل]

أَلا تقبَلــون النِّصْفَ منّــا وأَنتُمُ بنــو عمّنا ؟ لا بَلَّ هامَكُم القَطْرُ[2]
سنأبى كما تأبَــوْن حتــى تُلِينَكــم صفائحُ بُصْرى والأَسِنَّةُ والأَصْرُ[3]
أَيُؤكَلُ مولانــا ومــولى ابنِ عمّنا مُقيمٌ ومنصورٌ كما نُصِــرت جَسْرُ
فتلك التي لم يعلــمِ الناسُ أنّنــي خَنَعــتُ لهــا حتــى يُغيِّبَني القبرُ
فليتكُم قــد حــال دون لِقائكم سِنُونَ ثَمانٍ بعدهــا حِجَجٌ عَشْرُ
أَجَــدِّيَ لا أَلقاكُمُ الدهــرَ مَــرّةً على مَوْطِنٍ إلاّ خدودُكُمُ صُعْرُ[4]
إذا ما دُعُوا للبغي قاموا وأَشرقَتْ وجوهُهُمُ ، والرُّشْدُ وِرْدٌ له نَفْرُ[5]
فواعَجَبا حتّــى خُصَيلــةُ أصبحتْ مَوالِيَ عِــزٍّ لا تَحِلُّ لهــا الخمرُ !

قوله : موالي عِزٍّ ، يهزأ بهم . ولا تحلّ لهم الخمر ، أراد فحرَّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز ، وليسوا هناك : [من الطويل]

أَلَمّــا كَشَفنا لأْمَةَ الذُّلِّ عنكُــمُ تجرّدتَ لا بِــرٌّ جميلٌ ولا شكرُ[6]
فإنْ يَــكُ ظَنّي صادقاً تَجزِ منكُمُ جَوازِي الإلــهِ والخيانــةُ والغدرُ

قال : فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم ، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خَصَفة . وكان رئيس محارب حُمَيْضة بن حَرْمَلة . ونكَصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه ،

---

1 ل : يهلك .
2 النّصف : الأنصاف .
3 الأصر : الكسر والحبس .
4 صعر : مائلة عن الناس تهاوناً واستعلاء .
5 نفر : جماعة .
6 جميل في ل : خصيل .

وهما عَدْوان وعبد عمرو ابنا سهم ، فسار حصين ، وليس معه من بني سهم إلاّ بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرْقة ، وكان فيهم العدد ، فالتَقَوْا بدارة موضوع ، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر . وقال الحصين بن الحُمام في ذلك[1] : [من الطويل]

جَـزى اللهُ أفنـاءَ العشيرةِ كلَّها ... بِـدارةِ موضوعٍ عُقوقـاً ومأْثَما
بنـي عمِّنا الأدنَيْنَ منهـم ورَهْطنا ... فَـزارةَ إذ رامت بنا الحربَ مُعْظَما
ولّـمـا رأيـت الودّ ليس بنافعي ... وإن كان يوماً ذا كَواكِبَ مُظلما
صبَرنا وكان الصبرُ منّـا سَجيَّـةً ... بأسيافنا يَقْطَعْـنَ كَفـا ومِعْصَما
نُفَلِّـق هامـاً مـن رجـالٍ أَعِزَّةٍ ... علينـا وهـم كانوا أعَقَّ وأظلَما[2]
نُطاردهـم نستنقِذُ الجُـرْدَ بالقَنا ... ويستنقذون السَّمْهَـرِيَّ الُمقـوَّما[3]

نستنقذ الجرد ، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه . ويستنقذون السمهريَّ وهو القنا الصلب ، أي نطعنهم فتجرُّهم الرماح . [من الطويل]

لَدُنْ غُدْوةٍ حتى أتى الليلُ ما ترى ... من الخيـل إلاّ خارِجيّاً مُسَوَّما[4]
وأَجْرَد كالسِّرْحان يَضرِبُـه النَّدى ... ومحبوكةً كالسِّيدِ شَقّاءَ صِلْدما[5]
يَطَأْن مـن القَتْلى ومن قِصَدِ القنا ... خَبـاراً فما يجرِيـن إلاّ تَقَحُّما[6]
عليهنّ فتيـانٌ كساهـم مُحَرِّقٌ ... وكان إذا يكسو أجـاد وأكرما[7]
صفائحَ بُصْـرى أخلَصَتْها قُيُونُها ... ومُطَّرِداً مـن نَسج داودَ مُبْهَما[8]
جزى اللهُ عنّا عبـدَ عمـرٍو ملامةً ... وعَدْوانَ سَهْمٍ مـا أَذَلَّ وألأَما[9]

---

1 هذه الأبيات من المفضلية رقم 12 (شرح ابن الأنباري) .

2 نفلق في المفضليات : يفلقن .

3 يعني أنّهم كانوا يقتلون الفارس فيستنقذون فرسه ويطعنونهم بالرماح فتبقى غارزة فيهم .

4 الخارجي المسوم : الفائق لأقرانه والموسوم بسمة يعرف بها .

5 المحبوك : الفرس الشديد الخلق القوي . وشقاء : تذهب يميناً وشمالاً في جريها . والصلدم : الشديد الحافر . والسرحان والسيد : الذئب .

6 الخبار : الأرض اللينة الرخوة ، وفي ل : شريحاً . وتقحم الأمر : رمى بنفسه فيه ، وفي المفضليات «تجشماً» .

7 محرق : لقب الحارث بن عمرو ملك الغساسنة سمّي به لأنّه أحرق العرب في ديارهم ، وهو أيضاً لقب عمرو بن هند لأنه أحرق مائة من بني تميم .

8 مبهم : لا ثلم فيه .

9 المفضليات : أدق .

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ... ولا مُرْتقٍ من خشية الموت سُلَّما

[رثاؤه نعيم بن الحارث]

وقال أبو عبيدة : وقتل في تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عُباد بن حبيب بن وائلة بن سهل ، قتلته بنو صِرْمة يوم دارة موضوع ، وكان واداً للحصين فقال يرثيه : [من الوافر]

قَتَلْنا خمسةً ورَمَوْا نُعيماً ... وكان القتلُ للفتيان زَيْنا

لعمرُ الباكياتِ على نعيمٍ ... لقد جلَّتْ رَزِيَّتُه علينا[1]

فلا تَبْعَدْ نُعَيمُ فكلُّ حَيٍّ ... سيَلْقى من صروف الدَّهرِ حَيْنا

[لومه بني حميس حين فارقوا قومه]

قال أبو عبيدة : ثم إنّ بني حميس كرِهوا مجاورة بن سهم ففارقوهم ومضَوْا ، فلحِق بهم الحصين بن الحُمام فردّهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتالِه عشيرتَه عنهم ، وقال في ذلك : [من الطويل]

إنَّ امرءاً بعدي تَبدَّلَ نصرَكم ... بنصر بني ذُبْيان حَقّاً لخاسرُ

أولئك قومٌ لا يُهانُ ثَوِيُّهُمُ ... إذا صَرَّحَتْ كَحْلٌ وهَبَّ الصَّنابِرُ[2]

وقال لهم أيضاً : [من الوافر]

ألا أبلِغْ لديكَ أبا حُمَيْسٍ ... وعاقبةُ الملامةِ للمُليمِ

فهل لكُمُ إلى مَوْلًى نَصُورٍ ... وخَطْبُكُمُ من الله العظيمِ

فإنّ ديارَكم بجَنُوب بُسٍّ ... إلى ثَقْفٍ إلى ذات العُظومِ

– بُسّ : بناء بنته غَطَفان شبّهوه بالكعبة ، وكانوا يَحُجّونه ، ويعظّمونه ويسمّونه حَرَماً ، فغزاهم زُهَيْر بن جَناب الكلبيّ فهدمه : [من الوافر]

غَذَتكم في غَداةِ الناس حُجّاً ... غِذاءَ الجائعِ الجَدِعِ اللئيمِ[3]

فسيرُوا في البلادِ ووَدِّعونا ... بقَحْطِ الغيثِ والكَلإِ الوَخيمِ

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو : زعموا أنّ المثلَّم بن رَبَاح قتل رجلاً يقال له حُباشة في جِوار الحارث بن ظالم المُرِّي ، فلحق المثلَّم بالحصين بن الحمام ، فأجاره . فبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فطلب الحصينَ بدم حُباشة ، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانِه فقالوا : إنّا لا نَعقِل[4]

1 جلّت في ل : عزّت .
2 كحل : السنة المجدبة . الصنابر : الرياح الباردة .
3 الجدع : السيء الغذاء .
4 نعقل : نؤدي الدية .

بالإبل ، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم . فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته : [من الطويل]

خليليّ لا تستعجلا أن تزوّدا ... وأن تجمعا شَمْلي وتنتظرا غدا
فما لَبَثٌ يوماً بسائقِ مَغْنَم ... ولا سرعةٌ يوماً بسابقةٍ غدا
وإن تُنْظِراني اليومَ أقضِ لُبانةً ... وتستوجبا مَنّاً عليَّ وتُحْمَدا
لعمرُك إنّي يوم أغدو بصِرْمتي ... تناهى حُمَيْسٌ بادئين وعُوَّدا
وقد ظهرتْ منهم بوائقُ جَمَّةٌ ... وأفْرَعَ مولاهم بنا ثم أصْعَدا[1]
وما كان ذنبي فيهمُ غيرَ أنَّني ... بسطْتُ يداً فيهم وأتبعْتُها يدا
وأنّي أُحامي مِن وراء حَرِيمهم ... إذا ما المُنادي بالمُغيرة نَدّدا
إذا الفَوْجُ لا يحميه إلاّ مُحافِظٌ ... كريمُ المُحَيّا ماجِدٌ غيرُ أجردا
فإن صَرَّحَت كَحْلٌ وهبَّت عَرِيَّةٌ ... من الرِّيح لم تترك لِذِي العَرْضِ مَرْفَدا[2]
صبَرتُ على وَطْءِ الموالي وخَطْبِهم ... إذا ضَنَّ ذو القربى عليهم وأَجْمَدا[3]

[بين الحصين والبرج ابن الجلاس]

أخبرني ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان البُرْج بن الجُلاس الطائيّ خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له على الشراب ، وفيه يقول البرج بن الجُلاس : [من الوافر]

ونَدْمانٍ يَزيد الكأْسَ طِيباً ... سَقَيتُ وقد تغوَّرَتِ النجومُ
رفعتُ برأسه فكشفْتُ عنه ... بمُعْرَقَةٍ ملامةَ مَن يلومُ[4]
ونشْرَب ما شرِبْنا ثم نصحو ... وليس بجانبَيْ خَدّي كُلومُ
ونجعل عِبْأها لبني جُعَيْلٍ ... وليس إذا انتَشَوْا فيهم حليمُ

كانت للبرج أُخت يقال لها العُفاطة ، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أُخته فافتضّها ، وندِم على ما صنع لّما أفاق ، وقال لقومه : أيُّ رجل أنا فيكم ؟ قالوا : فارسُنا وأفضلنا وسيِّدنا . قال : فإنّه إن علِم بما صنعتُ أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبتُ رأسي فلم تَرَوني أبداً ، فلم يسمع بذلك أحد منهم . ثم إنّ أَمَةً لبعض طيىء

1 البوائق : الدواهي . وأفرع : نزل .
2 العرية : الريح الباردة . العرض : السعة .
3 أجمد : بخل .
4 أعرق الشراب : جعل فيه قليلاً من الماء .

وقعت إلى الحصين بن الحُمام ، فرأت عنده البرجَ الطائيّ يوماً وهما يشربان . فلمّا خرج من عنده قالت للحصين : إنّ نديمك هذا سكِر عندك ففعل بأخته كَيْتَ وكيت ، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلّما أتاك فسكِر عندك . فزجرها الحصين وسَبّها ، فأمسكَتْ . ثم إنّ البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحُمام من الحرْقة فأخذ أموالهم ، وأتى الصَّريخ الحصين بن الحمام ، فتبع القوم ، فأدركهم ، فقال للبرج : ما صَبَّك على جيراني يا برج ؟ فقال له : وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منّا . وأنشأ يقول : [من الكامل]

أَنَّى لك الحُرُقاتُ فيما بيننا ! عَنَنٌ بعيدٌ منك يا ابنَ حُمامِ[1]
أقبلتَ تُزْجِي ناقةً متباطئاً عُلُطاً تزجِّيها بغيرِ خِطامِ

تزجي : تسوق . علطاً : لا خطام عليها ولا زمام ، أي أتيت هكذا من العجلة . فأجابه الحصين بن الحمام : [من الكامل]

بُرجٌ يُؤَثِّمني ويَكفُر نعمتي صَمِّي لِما قال الكفيلُ صَمامِ[2]
مَهْلاً أبا زيدٍ فإنّك إنْ تَشأْ أُورِدْك عُرْضَ مَناهِلٍ أسْدامِ[3]
أُورِدْك أَقْلِبَةً إذا حافلْتَها خَوْضَ القَعودِ خَبيئةَ الأخصامِ[4]
أقبلتُ من أرض الحجاز بذَمَّةٍ عُطُلاً أُسوِّقها بغيرِ خِطامِ[5]
في إثْرِ إخوانٍ لنا من طيىء ليسوا بأكفاء ولا بكرامِ
لا تحسبَنَّ أخا العفاطة أنّني رَجُلٌ بخُبْرِك ليس بالعَلاّمِ
فاستنزلوك وقد بَلَلْتَ نِطاقِها عن بنتِ أُمِّك والذيولُ دوامي

ثم ناصب الحصينُ بن الحُمام البرج الحربَ ، فقتل من أصحاب البرج عدّة وهزم سائرهم ، واستنقذ ما في أيديهم ، وأسر البرج ، ثم عرف له حقّ نِدامه وعشرته إيّاه فمنَّ عليه . وجَزَّ ناصيته وخلّى سبيله . فلمّا عاد البرج إلى قومه وقد سبّه الحصين بما فعل بأُخته لامهم وقال : أشَعْتم ما فعلتُ بأُختي وفضحتموني ، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهُرهم فلحِق ببلاد الروم ، فلم يعرف له خبر إلى الآن .

---

1 أنى لك الحرقات : من أين لك قرابتهم .
2 المثل : صمي صمام في مجمع الميداني 1 : 320 ومستقصى الزمخشري 2 : 143 وفصل المقال : 474 ، 478 وجمهرة العسكري 1 : 576 ، 578 . ويضرب للداهية والحرب .
3 مياه أسدام : متغيرة .
4 أقلبة : جمع قليب وهي البئر . خبيئة الأخصام : خبيثة المشرب .
5 ذَمة : ناقة مذمومة لهزالها .

وقال ابن الكلبيّ : بل شرب الخمر صِرفاً حتى قتلته .

[يغير على بني عقيل وبني كعب]

أخبرني ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عَدِيٍّ ثم أغار على بني عُقَيل وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نَعَماً كثيراً ونساء ، فأصاب أسماء بنت عمرو سيِّد بني كعب فأطلقها ومَنّ عليها ، وقال في ذلك : [من الوافر]

فِدًى لبني عديٍّ رَكْضُ ساقي ... وما جَمَّعتُ من نَعَمٍ مُراحِ
تَركْنا من نساء بني عُقَيْلٍ ... أيامى تبتغي عَقْدَ النّكاحِ
أَرُعْيانَ الشَّوِيِّ وجدتمونا ... أَمَ آصحابَ الكريهة والنِّطاحِ[1]
لقد علمتْ هَوازنُ أنَّ خيلي ... غَداةَ النَّعْفِ صادقةُ الصَّباحِ[2]
عليها كلُّ أَرْوَعَ هِبْرِزِيٍّ ... شديدٍ حَدُّه شاكي السِّلاحِ[3]
فكَرَّ عليهمُ حتَّى التقينا ... بمصقولٍ عوارضُها صِباحِ[4]
فأُبْنا بالنِّهاب وبالسَّبايا ... وبالبِيضِ الخرائدِ واللِّقاحِ
وأعتقنا ابنة العَمْريِّ عمرٍو ... وقد خُضْنا عليها بالقِداحِ

[أدرك الإسلام]

أخبرنا ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أنّ الحصين بن الحمام أدرك الإسلام . قال : ويدلّ على ذلك قوله : [من المتقارب]

وقافيةٍ غيرِ إنسيَّةٍ ... قَرَضْتُ من الشِّعرِ أمثالَها
شَرُودٍ تَلَمَّعُ بالخافقَيْن ... إذا أُنْشِدَتْ قيل مَن قالها
وحَيرانَ لا يهتدي بالنهار ... من الظَّلْع يَتْبَعُ ضُلاَّلَها
وداعٍ دعا دعوةَ المستغيثِ ... وكنتُ كمَن كان لَبَّى لها
إذا الموتُ كان شَجاً بالحُلُوق ... وبادَرتِ النفسُ أشغالَها
صبَرتُ ولم أَكُ رِعدِيدَةً ... ولَلْصَّبْرُ في الرَّوع أنجى لَها
ويومٍ تَسَعَّرُ فيه الحروبُ ... لَبِستُ إلى الرَّوْعِ سِرْبالها

---

1 الشوي : جمع شاة .
2 الصباح : الغارة عند الصباح .
3 هبرزي : شجاع .
4 إشارة إلى النساء .

مُضعَّفـــةَ السَّرْدِ عاديَّـــةً وعَضْبَ المَضارِبِ مِفْصالَها
ومُطَّـــرِداً مـــن رُدَيْنِيَّـــة أذودُ عـــن الـــوِرْدِ أبطالَها
فلـم يبـق من ذاك إلاّ التُّقَى ونفسٌ تُعالـــج آجـــالَها
أُمـــورٌ من الله فـــوق السماء مقاديـــرُ تنـــزلُ أنـــزالَها
أعـــوذ بربِّـي مـن المُخْزِيا تِ يـوم ترى النفسُ أعمالَها
وخَـــفّ المـوازينُ بالكافريـن وزُلزِلـــتِ الأرضُ زِلـــزالَها
ونـــادى مُنـــادٍ بأهـل القبور فهبّـــوا لتُبْـــرزَ أثقـــالَها
وسُعِّرَت النارُ فيهـــا العـذابُ وكان السلاسلُ أغـــــلالَها

[رثاه أخوه عند وفاته]

حدّثنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : مات حُصَيْن بن الحُمام في بعض أسفاره ، فسُمع صائح في الليل يصيح لا يُعرف في بلاد بني مُرّة : [من الطويل]

ألا هَلَـك الحُلْـو الحَلالُ الحُلاحِلُ ومَـن عَقْـدُه حـزمٌ وعَزْمٌ ونائلُ

الحلو : الجميل . والحلال : الذي ليس عليه في ماله عيب . والحلاحل : الشريف العاقل .

ومَن خَطبُه فَصْلٌ إذا القوم أُفحِموا يُصيب مَرادِي قوله مَن يُحاوِلُ

المَرادي : جمع مرداة ، وهي صخرة تُردى بها الصخور ، أي تكسر ، قال : فلمّا سمع أخوه مُعَيَّة بن الحُمام ذلك قال : هَلَك والله الحصين ، ثم قال يرثيه : [من الوافر]

إذا لاقيـتُ جمعـاً أو فِئاماً فإنّـي لا أرى كأبـي يَزِيدا[1]
أشدَّ مهابـةً وأعـــزَّ ركنـــاً وأصلبَ ساعـةَ الضَّرَّاء عُودا
صَفِيِّـي وابنُ أُمِّـي والمُواسي إذا ما النفسُ شارفتِ الوريدا
كأنَّ مُصَدَّراً يحبـو ورائـي إلى أشبالـــه يبغِـي الأسودا

المُصَدَّر : العظيم الصدر ، شبّه أخاه بالأسد .

صوت

[من البسيط]

لا أَرَّق الله عَيْنَيْ مَـن أرِقْتُ لـه ولا مَـــلا مِثلَ قلبي قلبَـه تَرَحا
يَسُرُّني سوءُ حـــالي في مسرَّتـه فكلَّما ازددت سُقْماً زادني فرحا

الشعر لمحمد بن يسير ، والغناء لأحمد بن صَدَقة ، رَمَلٌ بالوسطى .

1 الفئام : الجماعة من الناس .

[255] ـ أخبار محمد بن يسير ونسبه[1]

[نسبه]

محمد بن يسير الرِّياشيّ ، يقال إنّه مولًى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرِّياشيّ الأخباريّ الأديب ، ويقال إنّه منهم صُلْبِيةً[2] . وبنو رِياش يذكرون أنّهم من خَثْعَم . ولهم بالبصرةِ خِطّة وهم معروفون بها . وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدّثين . متقلِّل ، لم يفارق البَصرة ، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُنْتَجِعاً ، ولا تجاوز بلده ، وصُحْبَتُه طبقتُه ، وكان ماجِناً هَجّاءً خبيثاً .

[دعوة والي البصرة له للاصطباح]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عليُّ بن القاسم بن عليّ بن سليمان طارمة قال : بعث إليّ محمد بن أيُّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان ، وهو يتولّى البصرة حينئذٍ ، في ليلةٍ صبيحتُها يومَ سبتٍ ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر . فقلت لـه : أنِمتَ وانتبهتَ أم لم تَنَم بعدُ ؟ فقال : قد قضيتُ حاجتي من النوم ، وأُريد أن أصطبح وأبتدىء الساعةَ بالشرب ، وأصِلَ ليلتي بيومي محتجباً عن الناس ، وعندي محمد بن رَباح ، وقد وجّهتُ إلى إبراهيم بن رِياش ، وحضرتَ أنت ، فمَن ترى أن يكون خامسَنا ؟ قلت : محمد بن يسير . فقال : والله ما عَدَوتَ ما في نفسي . فقال لي ابن رباح : اكْتُبْ إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طِيبَ هذا الوقت ، وكان يوم غَيم ، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع ؛ فكتب إليه ابن رَباح : [من الخفيف]

صوت

يــومُ سَبتٍ وشَنْبَــذٍ ورَذاذٍ — فعلامَ الجُلُوسُ يـا ابن يسيرِ ؟
قم بنا نأخــذ المُدامةَ من كَـ — ـفٍّ غَــزالٍ مُضَمَّخٍ بالعَبِيرِ

في هذين البيتين لعبّاس أخي بحرٍ ثقيل أوّل بالبِنصر ، وبعث إليه بالرُّقعة ، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب . فقال لهم : بعثتكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقعة ! فقالوا : لم نَلْقَه ، وإنّما كتب جوابَها في منزله ، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجُم . فقرأها فإذا فيها : [من الطويل]

---

1 ترجمة محمد بن يسير في الشعر والشعراء 756–757 وطبقات ابن المعتزّ : 280 والورقة : 112 ويتصحف إلى «بشير» . انظر الحماسة والأمالي .

2 ل : صلبية .

أجيءُ على شَرْطٍ فإن كنتَ فاعلاً ... وإلاّ فإنّي راجعٌ لا أُناظِرُ
لِيُسْرَجْ لِيَ البِرْذَوْنُ في حالِ دُلْجتي ... وأنت بدُلْجاتي مع الصبح خابِرُ
لأقضيَ حاجاتي إليه وأنثني ... إليك ، وحَجَّامٌ إذا جئتُ حاضرُ
فيأخذ من شَعري ويُصلِحُ لِحْيتي ... ومن بعدُ حَمَّامٌ وطِيبٌ وجامِرُ[1]
ودَسْتِيجَةٌ من طيِّب الرّاح ضخمةٌ ... يُرَوِّدنيها طائعاً لا يُعاسِرُ[2]

فقال محمد بن أيّوب : ما تقول ؟ فقلت : إنّك لا تقوى على مطاولته ، ولكن اضْمَنْ له ما طلب . فكتب إليه : قد أُعِدَّ لك ، وحَياتِك ، كلُّ ما طلبت فلا تُبْطِىء ؛ فإذا به قد طلع علينا . فأمر محمد بن أيّوب بإحضار المائدة . فلمّا أُحضرت أمَر بمحمد بن يسير فشُدَّ بحبل إلى أُسطوانة من أساطين المجلس ، وجلسنا نأكل بحذائه ، فقال لنا : أيُّ شيء يخلّصني ؟ قلنا : تُجيب نفسك عمّا كتبت به أقبح جواب . فقال : كُفّوا عن الأكلِ إذاً ولا تستبِقوني به فتَشْغَلوا خاطري ، ففعلنا ذلك وتوقفنا ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

أيا عَجَباً مِنْ ذا اليسيري إنّه ... لـه نَخوةٌ في نفسه وتَكابُرُ
يُشارِط لّما زار حتّى كأنّه ... مُغَنٍّ مُجيدٌ أو غلام مُؤاجَرُ
فلولا ذِمامٌ كان بيني وبينه ... لَلَطَّمَ بَشَّارٌ قَفاه وياسِرُ

فقال محمد : حسبُك ، لم نُرِدْ هذا كلّه ، ثم حلَّه وجلس يأكل معنا ، وتممنا يومنا .

[هجاؤه شاة جاره منيع]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَليّ قال : كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم ، وهو من خَثْعَم وكان من بخلاء الناس ، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق قَلَعها من داره ، فغرَس فيه أصلَ رُمّان وفَسِيلةً لطيفة ، وزَرَعَ حَوالَيه بَقْلاً ، فأفلتت شاةٌ لجارٍ له يقال له : مَنِيع ، فأكلت البقل ومَضَغت الخُوص ، ودخلتْ إلى بيته فلم تجد فيه إلاّ القراطيسَ فيها شِعرهُ وأشياءُ من سَماعاته ، فأكلَتْها وخرجَتْ ، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه ، وعاد فزرع البستان ، وقال يهجو شاة منيع : [من الرمل]

لِيَ بستانٌ أنيقٌ زاهرٌ ... ناضِرُ الخُضْرة رَيّان تَرِفْ[3]

1 الجامر : الذي يبخر بالطيب .
2 دستيجة : إناء ، فارسي معرّب .
3 ترف : مرتوٍ بالماء .

رَاسخُ الأَعْراقِ رَيَّانُ الثَّرى ... غَـدِقٌ تُرْبَتُـه ليست تجِفّ[1]
لِمجـارِي المـاء فيـه سُنَنٌ ... كيفما صَرَّفتَه فيـه انصرفْ
مُشرِق الأنوار ميّـاد النَّدى ... مُنْثَـنٍ في كلّ ريح مُنعَطِـفْ[2]
تملِـكُ الريحُ عليـه أمرَه ... فـإذا لم يُؤْنِس الريحَ وقفْ
يكتسي في الشرق ثوبَيْ يُمْنَةٍ ... ومـع الليل عليهـا يَلتَحِفْ[3]
ينطوِي الليـلُ عليـه فإذا ... واجَهَ الشرقَ تجلَّى وانكَشَفْ
صابرٌ ليس يُبـالي كَثرةً ... جُـزّ بالمِنْجَلِ أو منـه نُتِفْ
كلّما أُلحِفَ منـه جانـبٌ ... لم يُلَبِّثْ منـه تعجيلُ الخَلَفْ[4]
لا تـرى للكفِّ فيـه أثَـراً ... فيه بل يَنمِي على مسّ الأكُفّ
فترى الأطبـاقَ لا تُمْهِلـه ... صـادراتٍ وارداتٍ تختلِفْ
فيـه للخـارِفِ مـن جيرانه ... كلَّما احتـاج إليـه مُخْتَرَفْ[5]
أقْحُـوانٌ وبَهـارٌ مُونِـقٌ ... وسوى ذلك من كلّ الطُّرَفْ
وهو زَهْـرٌ للنَّدامـى أصُلاً ... بِرِضا قاطِفِهم ممّـا قَطَفْ
وهـو في الأيدي يُحَيُّون به ... وعلى الآنافِ طَوْراً يُستَشَفّ
أعْفِهِ يـا ربِّ مِـن واحدةٍ ... ثـم لا أُحْفِـلُ أنـواعَ التَّلَفْ
اكْفِـهِ شاةَ مَنيعٍ وَحْدَهـا ... يوم لا يُصْبحُ في البيت عَلَفْ
اكْفِـهِ ذاتَ سُعـالٍ شَهْلَةً ... مُتِّعتْ في شرِّ عيش بالخَرَفْ[6]
اكْفِهِ يا رَبِّ وَقْصاءَ الطُّلى ... ألْحِمِ الكِتْفين منهـا بالكَتِفْ[7]
وكَلُـوحٌ أبـداً مُفْتَـرَّةٌ ... لك عن هُتْمٍ كَلِيلاتٍ رُجُفْ[8]

---

1 غدقة : ندية مبتلة .
2 الأنوار : جمع نَور وهو الزهر .
3 يمنة : ثوب يمني موشى .
4 ألحف : استؤصل .
5 الخارف : هنا قاطف الأزهار .
6 الشهلة : العجوز .
7 وقصاء الطلى : قصيرة العنق .
8 الكالح : الذي تقلصت شفتاه من أسنانه . والهتم الرجف : الأسنان المكسرة المخلخلة .

ونَئُـوسُ الأنفِ لا يَرْقـا ولا … أبـداً تُبْصـرُه إلاّ يَكِفْ[1]
لَـم تَـزَلْ أظلافُهـا عافِيَةً … لم يُظَلِّفْ أهلُهـا منها ظِلَفْ[2]
فتـرى في كلِّ رِجْـلٍ ويـدٍ … من بقاياهنّ فوق الأرض خُفّ
تَنسِفُ الأرضَ إذا مرّت بـه … فلهـا إعْصارُ تُـرْبٍ مُنتسِفْ
تُرْهِجُ الطُّـرْقَ على مُجْتازِها … بتَدانِي المشي والخَطْوِ القَطِفْ[3]
في يَدَيها طَـرَقٌ ، مِشْيَتُها … حَلْقةُ القوس ، وفي الرجل حَنَفْ[4]
فإذا مـا سَعَلَتْ واحْدَوْدَبَتْ … جاوبَ البَعْرُ عليها فخُصِفْ[5]
وأُحِصَّ الشعرُ منهـا ، جلدُها … شَنَّةٌ في جوف غارٍ مُنْخسِفْ[6]
ذات قَرْنٍ وهي جَمَّاءُ ، ألا … إنّ ذا الوصفَ كوصفٍ مُخْتلِفْ
وإذا تدنـو إلى مُسْتَعْسِبٍ … عافَها نَتْناً إذا مـا هُو كَرَفْ[7]
لا ترى تَيْساً عليهـا مُقْدماً … رُمِيَتْ من كلِّ تَيْسٍ بالصَّلَفْ
شُوهة الخِلْقـة ، مـا أبصرَها … مِن جميع النـاس إلاّ وحَلَفْ
مـا رأى شاةً ولا يعلمُهـا … خُلِقَتْ خِلْقَتَها فيمـا سَلَفْ
عَجَبـاً منهـا ومـن تأليفها … عجباً مِن خَلْقها كيف ائتلَفْ !
لـو يُنـادُون عليهـا عَجَباً … كَسَبوا منهـا فُلُوساً ورُغُفْ
ليتَها قـد أُفلتـتْ في جَفْنـةٍ … مِن عجينٍ أو دقيـق مُجْتَرَفْ
فتلقَّـتْ شَفْـرةً مِـن أهله … قَـدَرَ الإصبع شيئاً أو أشَفّ
أحكَمَتْ كَفّاً حكيمٍ صُنْعَها … فأتت مجدولـةً فيها رَهَفْ
أُدْمِجَتْ من كلِّ وجه غيرَ ما … أَلَّلَ الأقْيانُ مـن حَدِّ الطَّرَفْ[8]

1 نئوس الأنف : سيالته .
2 عافية : طويلة . لم يظلف : لم يقلّم .
3 ترهج الطرق : تثير فيها الغبار .
4 طرق : ضعف واعوجاج . مشيتها حلقة القوس : معوجة غير مستقيمة . الحنف : اعوجاج في الرجل إلى الداخل .
5 خصف : التصق بها .
6 أحصى الشعر : انجرد وتناثر .
7 المستعبسب : الفحل الهائج المغتلم . ويكرف : يرفع رأسه إلى السماء عندما يشم طروقته .
8 ألّل الشيء : حدّد طرفه . والأقيان : جمع قين وهو الحداد .

قابِضُ الرَّونــقِ فيهــا ماتِعٌ يَخطَفُ الأبصارَ منها يُستَشَفّ
لَمَحْتهــا فاسْتَخفَّتْ نحوَهــا [عَجَلاً] ثم أحالت تنتسِفْ
فتناهَتْ بــين أضعاف المِعَى وتَبَوَّتْ بــين أثناء الشَّغَفْ[1]
أو رَمَتْها قَرْحَــةٌ زادت لهــا ذَوبانــاً كلَّ يــومٍ ونَحَفْ
كلّ يوم فيــه يدنــو يومُها أو تُرى واردةً حَوضَ الدَّنَفْ
بينما ذاك بهــا إذ أصبحَتْ كَحَميتٍ مُفْعَمٍ أو مثلَ جُفْ[2]
شاغِراً عُرْقوبُهــا قد أُعقِبَتْ بِطْنةً من بعــد إدمان الهَيَفْ[3]
وغَــدا الصِّبيةُ مــن جيرانها ليجرُّوها إلى مــأوى الجِيَفْ
فتراهــا بينهـــم مسحوبةً تَجرُفُ التُّرْب بجَنْبٍ منحرِفْ
فإذا صاروا إلى المأوى بهــا أعمَلُوا الآجُرَّ فيهــا والخَزَفْ
ثــم قالــوا : ذا جَزاءٌ للتي تأكلُ البستانَ منّــا والصُّحُفْ
لا تلوموني ، فلــو أبصرتُ ذا كلّــه فيهــا إذن لم أنتصفْ

[ردّه على عتاب امرأته]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن يسير ، وحدّثني سوار بن أبي شُراعة قال حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : هَوِيَ أبي قَيْنةً من قِيان أبي هاشم بالبصرة ، فكتبتْ إليه أمّي تعاتبه ، فكتب إليها : [من البسيط]

لا تَذْكُرِي لَوْعةً إثْري ولا جَزَعا ولا تُقاسِنَّ بعــدي الهــمَّ والهَلَعا
بَــلِ ائْتسي تجدي إن ائْتسيتِ أُساً بمثل ما قد فُجِعْتِ اليوم قد فُجِعا
ما تصنَعين بعَينٍ عنك قد طمَحَتْ إلى سواكِ وقلبٍ عنكِ قــد نَزَعا
إن قُلْتِ قد كنتُ في خَفْضٍ وتكرِمَةٍ فقد صدَقتِ ، ولكنْ ذاكِ قد نُزِعا
وايُّ شيءٍ مــن الدُّنيا سمعت بــه إلاّ إذا صار في غاياتــه انقطعا
ومَن يُطيقُ خَليعــاً عنــد صَبْوته أم مَــن يقــوم لِمستورٍ إذا خَلَعا

1 تناهت : بلغت . أضعاف المعي : أثناؤها . والشغف : غلاف القلب .
2 الحميت : الزق . وجف : الشن البالي .
3 شاغراً عرقوبها : أي مرفوعاً . البطنة : عظم البطن . والهيف : ضمور البطن .

[هجاء أبي النجم المغني]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عبد الله بن يسير أنّ أباه دُعِي إلى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النَّجم ، فعبِثَ بأبي وباغضه وأساء أدبه ، فقال يهجوه : [من الطويل]

نَشَتْ بأبـي النَّجم المغنِّي سحابةٌ ... عليه مـن الأيدي شآبيبُها القَفْدُ[1]

نَشا نَوءها بالنَّحْس حتى تصرَّمَتْ ... وغابت فلم يَطلُع لها كَوكبٌ سَعْدُ

سَقَتْه فجادتْ فارتَوى من سِجالِها ... ذُرا رأسه والوجهُ والجيدُ والخدُّ[2]

فـلا زال يَسْقِيه بهـا كلَّ مجلس ... بـهِ فِتيـةٌ أمثالَها الهَزْلُ والجِدُّ

أراد به يسقيانه .

[ردّه على جارية عاتبت صديقه داود]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال وحدَّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : كان لأبي صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهاً وأقلّهم أدباً ، إلاّ أنّه كان وافر المتاع ، فكان القِيان يواصلنه ويكثُرن عنده ، ويُهدين إليه الفواكه والنبيذ والطيب ، فيدعو بأبي فيعاشره . فهَوِيته قينةٌ من قِيان البصرة ، كانت من أحسن الناس وجهاً ، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جدّاً تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره . فسأل أبي أن يُجيبها عنه ، فقال أبي : اكْتُبْ يا بُنَيَّ قبل أن أُجيب عنها : [من الخفيف]

وابلائي مِن طول هذا الكتاب ... أَسْعِدُوني عليـه يـا أُصحابي

أَسْعِدُوني على قِـراةِ كتـابٍ ... طولُهُ مثل طولِ يوم الحسابِ

أنا فيــه مـــن البَلاءِ مُلَقًّى ... ولغيري فيـه الهوى والتَّصابي

ولــه الودُّ والهوى ، وعلينا ... فيــه للكاتبــين رَدُّ الجوابِ

ثم ممّن يا سيِّدي ؟ وإلى مَن ؟ ... مِن هَضِيم الحَشا لَعُوبٍ كَعابِ

وإلى مَنْ إنْ قلتُ فيه بِعَيْب ... لم أُحِطْ في مقالتي بالصوابِ

لا يُساوي على التأمُّل والتفـ ... ـتيش يوماً في الناس كفَّ ترابِ

[رثاؤه داود]

فقال عبد الله : وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه ، فيمشي قُدَّامه .

---

1 نشت : عاودته مرّة بعد أخرى . القفد : الصَّفْع بباطن الكف .

2 سجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة .

فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذًى لَقِي داود شرَّه وحَذِره أبي . فمات داود . وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران ، فعثَر بدُكَّان[1] وتلوَّث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عنتاً ، فقال يرثي داود : [من البسيط]

أقول والأرضُ قـد غَشَّى وجَلَّلَها ... ثوبُ الدُّجى فَهْو فوق الأرض ممدودُ
وسَدَّ كلَّ فُـروج الجـوِّ مُنْطَبِقاً ... وكلُّ فَرْجٍ بـه في الجوِّ مسدودُ
وفي الوَداع وفي الإبداء لي عَنَتٌ ... دون المسير وبابُ الدارِ مشدودُ
مَن لي بداودَ في ذي الحال يُرْشِدني ؟ ... مَن لي بداود ؟ لَهْفي ! أين داودُ ؟
لَهْفي عـلى رِجْلــه ألاّ أقدِّمَها ... قُـدَّامَ رِجــلي فتَلْقاهـا الجَلاميدُ
إذ لا أزال إذا أقبلــتُ ينكُبُنِــي ... حَرْفٌ وجُرْفٌ ودُكَّانٌ وأُخدودُ
فإن تكن شوكــةٌ كانت تَحُلّ به ... أو نكتةٌ في سواد الليـلِ أو عُودُ[2]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشميّ قال : هجمتْ شاة منيع البَقَّال على دار ابن يسير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلّها ، فقال في ذلك : [من الخفيف]

قُـلْ لبُغاة الآداب ما صَنَعَتْ ... منها إليكـم فـلا تُضيعُوها
فإن دعتكـــم إلى القراطيــ ... ـس والانقاس سرّاً فلا تطيعوها
وضمِّنوها صُحْفَ الدَّفاترِ بالـ ... ـحِبر وحُسْنَ الخُطوطِ أوعُوها
فإن عجزتم ولم يكــن عَلَفٌ ... تُسيغُــه عنـــدكم فبِيعُوها

[عربدة يوسف بن جعفر عليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني ابن شِبْل البُرْجُميّ قال : كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بـن سليمان ، وكان يوسف أشدَّ خلق الله عربدةً ، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يُعربد عليه . ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولحاءٌ ، فعربد يوسف عليه وشَجَّه ، فقال ابن يسير يهجوه : [من الكامل]

لا تجلسَنْ مع يوسفٍ في مجلسٍ ... أبداً ولم تَحمِلْ دَمَ الأَخَوَيْنِ[3]

1 دكان : مصطبة .
2 نكتة : ألقاه على رأسه .
3 دم الأخوين : نبات ذو صبغ أحمر ، العندم .

رَيْحانُه بـدمِ الشبابِ مُلَطَّخٌ   وتحيَّةُ النَّدْمانِ لَطْمُ العَينِ

[الغلام الذي نبتت لحيته]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني الحسين بن يحيى المنجّم قال حدَّثني أبو عليّ بن الخُراسانيّ قال : كان لمحمّد بن يسير البصريّ بابانِ يدخل من أحدهما وهو الأكبر ، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر ، ومَنْ يَسْتَشْرِط[1] من المُرْدِ . فجاءَ يوماً غلامٌ قد خرجتْ لحيته ، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر ، فمنع من ذلك فجعل يُخاصم لدالّته ، وبلغ ابنَ يسير فكتب إليه : [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِمَـنْ رامَ بجَهْلٍ   مَدْخَـلَ الظَّبـي الغريرِ
بعـد أن عَلّق في خَـ   ـدّيه مِخلاةَ الشَّعِيرِ
لَيتَـه يدخـل إنْ جا   ء مـن البـابِ الكبيرِ

[شعره في رجل يصيب بالعين]

وأخبرني عمّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال : كنّا في مجلسٍ ومعنا محمد بن يسير وعمرو القِصافيّ ، وعندنا مغنّيةٌ حسنة الوجه شَهْلة[2] تغنّي غناءً حسناً ، فكنّا معها في أحسن يوم ، وكان القِصافيّ يَعين[3] في كلّ شيء يستحسنه ويحبّه ، فما برِحْنا من المجلس حتى عانها ، فانصرفتْ محمومةً شاكيةَ العين . فقال ابن يسير : [من الخفيف]

إنّ عمـراً جَنى بعينيه ذنبـاً   قَلَّ منّـي فيـه عليه الدُّعاءُ
عانَ عَيْنـا ، فعينُـه للتي عـا   ن فِدًى ، وقَـلَّ منـه الفِداءُ
شرُّ عينٍ تَعِـينُ أحسَنَ عـينٍ   تَحمِلُ الأَرضُ أو تُظِلُّ السماءُ

[شعره في جار منعه حماراً]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا القاسم بن الحسن قال : استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجةٍ أرادها فأبى عليه ، فمضى إليها ماشياً ، وكتب إلى عمرو القِصافيّ ، وكان جاراً للهاشميّ وصديقاً ، يشكوه إليه ويُخبره بخبره : [من البسيط]

1 استشرط : فسد بعد صلاح .
2 شهلة : نصَف عاقلة .
3 يعين : يصيب بالعين .

إنْ كنتُ لا عَيْرَ لِي يوماً يُبلِّغني ... حاجِي وأقضي عليه حقَّ إخواني
وضَنَّ أهـلُ العَوارِي حِين أسألُهم ... من أهلِ ودِّي وخُلْصاني وجيراني
فإنَّ رِجْلَيَّ عندِي ، لا عَدِمْتُهما ، ... رِجْلا أخي ثِقةٍ مُـذْ كان جَوْلانِي
تُبلِّغانِيَ حاجاتـي وإن بَعُـدَتْ ... وتُدْنِيانِـيَ مِمّـا ليس بالدّانِي
كأنَّ خَلْفِي إذا مـا جَدَّ جِدُّهما ... إعصارَ عاصفـةٍ مِمّـا تُثِيرانِ
رِجلايَ لَـم تألَما نَكْباً كأنّهما ... قَطّـاً وقَـدّاً وإدماجـاً مَداكانِ[1]
كأن مـا بهما أخطـو إذا ارتميا ... في سِكَّةٍ مـن أي رالٍ سماكانِ[2]
إن يُبْعَثـا في دَهاسٍ تَبْعَثـا رَهَجاً ... أو في حُزُونٍ ذَكا فيهـا شِهابانِ[3]
فالحمدُ لله يـا عمرُو الذي بهما ... عن العواري ومـنٌّ الناسِ أغناني

[جلة التمر والشكوى إلى والي البصرة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال : كنّا في حَلْقة التَّوَّزِيّ ، فلمّا تقوّضتْ أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قولَه : [من البسيط]

جُهْـدُ المُقِـلِّ إذا أعطاه مصطبراً ... ومُكْثِرٌ مـن غِنًى سِيّانِ في الجودِ
لا يَعْدَمُ السائلـون الخيرَ أفْعَلُـهُ ... إمّا نَـوالي وإمّا حُسْنَ مردودِ

فقلنا له : ما هذا التكارُم ! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جُلّة[4] تَمْرٍ كانت عنده أكْثَرَها وحمَلْنا بقيَّتها . فكتب إلى والي البصرة عُمَر بن حَفْص : [من المديد]

يـا أبـا حَفْص بِحُرْمتنا ... غبتَ عنّـا حين نُنْتَهكُ
خُـذْ لنا ثـأراً بجُلَّتنا ... فبِـكَ الأوتـارُ تُـدَّرَكُ
لهفَ كفّـي حِين تَطْرَحُها ... بين أيـدي القوم تَبْتَرِكُ[5]
زارنا زَوْرٌ فـلا سَلِموا ... وأُصِيبـوا أيَّـةً سَلَكوا[6]

---

1 المداك : مدق الطيب .
2 الرأل : ولد النعام .
3 الدهاس : المكان السهل . والرهج : الغبار . والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .
4 الجلة : وعاء من خوص .
5 يقال ابتركت السحابة ، إذا اشتدّ مطرها .
6 الزور : الزائرون .

أَكَلــوا حتَّــى إذا شبِعوا | أخذوا الفضلَ الذي تَرَكوا

قال : فبعث إلينا فأحضرَنا فأغرَمَنا مائة درهم ، وأخذ من كلٍّ واحدٍ منّا جُلَّة تمرٍ ، ودفع ذلك إليه .

[بينه وبين أحمد بن يوسف]

أخبرني الأخفش قال حدَّثنا أبو العَيْناء قال : كان بين محمّد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌّ ، فزحمه أحمد يوماً بحماره تعرّضاً لشرِّه وعَبَثاً به ، فأخذ ابن يسير بأُذن الحِمار وقال له : قُلْ لهذا الحِمار الراكب فوقك لا يُؤذي الناس ، فضحك أحمد ونزل ، فعانقه وصالحه .

[يستهدي المدينيّ حماماً]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمّد بن عليٍّ الشاميّ قال : طلب محمّد بن يسير من ابن أبي عمرو المدينيّ فِراخاً من الحمام الهُدَّاء[1] ، فوعده أن يأخذها له من المُثَنَّى بن زُهَيْر ، ثم نَوَّر عليه (أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دَلَّسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه) . فقال محمد بن يسير : [من الكامل]

يــا ربِّ رَبَّ الرائحــينَ عشيَّةً | بالقومِ بــين مِنًــى وبــين ثَبِيرِ
والواقفين على الجبــالِ عشيّــةً | والشمسُ جانحـــةٌ إلى التغويرِ[2]
حتى إذا طَفَــلَ العَشيُّ ووجَّهَتْ | شمسُ النَّهــارِ وآذَنَــتْ بغُؤُورِ[3]
رحلوا إلى خَيْفٍ نَواحِــلَ ضَمَّها | طُــولُ السِّفارِ وبُعْــدُ كلِّ مَسِيرِ[4]
ابْعَــثْ على طير المَدِينــيِّ الــذي | قــال المُحــال وجــاءني بِغُرُورِ
ابعث على عَجَــلٍ إليها بعدما | يأخُــذْنَ زينَتَهــنَّ في التحسيرِ[5]
في كلِّ ما وَصَفُوا المَراحِلَ وابتَدَوْا | في المُبْتَدِيــن بهــنّ والتكسيرِ
ومَضَيْنَ عــن دُور الخُرَيْبَــةِ زُلْفَةً | دونَ القصورِ وحَجْــرَةِ الماخُورِ[6]

1 الهداء : ضرب من الحمام يعرف بالزاجل .
2 التغوير : الغروب .
3 طفلت الشمس : مالت إلى الغروب . غئور : غياب .
4 خيف : خيف منى . ورحل البعير : وضع عليه الرحل .
5 التحسير : سقوط ريش الطائر .
6 الخريبة : موضع بالبصرة .

مـع كلِّ ريح تَغتــدِي بهُبوبِها ... في الجـوِّ بـين شَواهِنٍ وصُقورِ
من كلِّ أَكلَفَ بـاتَ يَدْجُنُ ليلُهُ ... فغدا بغُـدْوَةِ ساغِــبٍ ممطورِ
ضَرِمٍ يقلِّــب طَرْفَــه مُتَأَنِّساً ... شيئاً فكُــنّ لـه مـن التقديرِ[1]
يأتــي لهــنّ ميامِنـاً ومَياسِراً ... صَكّاً بكـلِّ مُذَلَّـقٍ مَمْكُورِ[2]
مِن طائــرٍ مُتَحيِّرٍ عـن قصدِهِ ... أو ساقِطٍ خَلِج الجَناحِ كَسِيرِ
لم ينجُ منـه شَرِيدُهنّ فإن نجا ... شيءٌ فصار بجانبــاتِ الدُّورِ
لُمشَمِّرين عــن السواعِدِ حُسَّرٍ ... عنها بكـلِّ رَشِيقــةِ التَّوتيرِ[3]
سُدُدِ الأَكُفِّ إلى المَقاتِلِ صُيَّبٍ ... سَمْتَ الحُتوفِ بجُؤْجُؤٍ ونُحورِ[4]
ليس الذي تُخطـي يـداه رَمِيَّةً ... منهــم بمعــدودٍ ولا معذورِ
يَتَبوَّعُــون وتمتطــي أيديهــمُ ... في كلِّ مُعْطِيَة الجِـذابِ نَتُورِ[5]
عُطُفَ السِّياتِ دوائراً في عِطْفِها ... تُعْزى صِناعتُهــا إلى عُصفورِ[6]
يَنْفُثْن عــن جَذْب الأَكُفِّ ثواقباً ... مُتَشابهــاتِ القَــدِّ والتَّدويرِ[7]
تجري بهــا مُهَجُ النفوس وإنّها ... لَنواصِلٌ سُلْتٌ مــن التَّحبيرِ[8]
مــا إن تُقَصِّرُ عن مَدى مُتَباعِدٍ ... في الجوِّ يَحْسُرُ طَرْفَ كلِّ بصيرِ
حتَّى تــراه مُرَمَّــلاً بدمائِــهِ ... فكأنَّــه مُتَضَمِّــخٌ بِعَبيرِ
فَيَظَــلُّ يومُهُــم بعيشٍ ناصبٍ ... نُصُبَ المَراجِـلِ مُعْجَـلي التنويرِ
ويَئُــوب ناجِيهنّ بــين مُضَرَّجٍ ... بــدَمٍ ومخلـوبٍ إلى مَنْسُورِ[9]

---

1 الضرم : الذي اشتدّ جوعه . والمتأنس : البازيّ الذي يرفع رأسه وينظر .
2 صكّه صكّاً : ضربه ضرباً شديداً . ومذلق : محدّد .
3 لمشمّرين : أي أنّ هذه الصقور والشواهين لصيادين مشمرين . الرشيق من الغلمان والجواري : الخفيف الحسن القدّ .
4 السمت : الطريق والقصد . الجؤجؤ : الصدر .
5 يتبّوع : يمد باعه . ومعطية الجذاب : قوس لينة الجذب . والنتور : الشديدة الجذب . مُعطية الجذاب نَتُورِ في ل : طائفة الجدار بتور .
6 سية القوس : ما عطف من طرفيها . وعصفور القواس : إليه تضاف القسي العصفورية .
7 ثواقب : أي تثقب الهدف وتخترقه .
8 نواصل : سقطت نصالها . سلت من التحبير : أجيد بريها ولم يبق فيها نتوء .
9 مخلوب : مجروح بمخلب . ومنسور : منتوف .

عارِي الجَناح من القَوادِمِ ، والقَرا كاسٍ ، عليــه مائــرُ التَّامُورِ[1]
فيَئُــودُه مُتَبَهْنِسٌ في مشيــهِ خَطِفُ المؤخَّرِ مُشْبَعُ التَّصديرِ[2]
ذو حُلْكة مثـلِ الدُّجى أو غُبْثَةٍ شَغِبٌ شديدُ الجِــدِّ والتشميرِ[3]
فيمرُّ منهـا في البَرارِي والقُـرى مـن كلِّ أَعْصَلَ كالسِّنانِ هَصُورِ[4]
في حيَنٍ تُؤذيهـا المَبايِتُ مَوْهِناً أو بعــد ذلـك آخِـرَ التسحيرِ
يختصّ كلَّ سليــلِ سابقِ غايــةٍ مَحْضِ النِّجــار مُجـرَّبٍ مخبُورِ
عَجِّلْ عليــه بما دعوتُ له به أَرِه بـــذاك عقوبـــة التَّنويرِ
حتى يقولَ جميعُ مَنْ هو شامِتٌ هــذي إجابــةُ دعــوة ابنِ يسيرِ
فَلأُلْفِيَنَّك عنــد حالَــيْ حَسْرةٍ وتـأسُّفٍ وتَلَهُّـــفٍ وزَفيـــرِ
ولَتُلْفَيَــنَّ إذا رَمَتْــك بسهمهـا أيدي المصائب منك غيرَ صبورِ

[قصر النوشجاني]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال : خرجنا مع بعض ولد النُّوشجانيّ إلى قصرٍ له في بستانهم بالجَعْفَرِيّة ، ومعنا محمّد بن يسير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فإذا هو قد خَرِب واختلّ ، فقال فيه محمد بن يسير : [من الوافر]

أَلا يــا قصرُ قَصرَ النُّوشَجاني أرى بك بعد أَهْلِكَ ما شجاني
فلَوْ أَعفــى البــلاءُ ديارَ قــومٍ لفضلٍ منهـــمُ ولعُظْــمِ شانِ
لَما كانت تُرى بِــك بَيِّناتٍ تلــوح عليك آثــارُ الزَّمانِ

[يرثي نفسه]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا محمّد بن أَبي حرب قـال أُنشدنا يوماً محمّد ابن يسير في مجلس أَبي محمد الزاهـد صاحب الفُضَيْل بن عِياض لنفسه قال : [من السريع]

وَيْلٌ لِمَــنْ لَم يرحمِ اللهُ ومَــن تكــونُ النارُ مَثواهُ

---

1 القرا : الظهر . التامور : الدم . ومار الدم : إذا جرى .
2 متبهنس في ل : متعضن . يدعو على الحمام الباقي أن يقع بين مخالب السنانير الشبيهة بالأسود .
3 الغبثة : لون إلى الغبرة . وشغب : متهيج بالشر .
4 أعصل : ناب شديد معوجّ .

واغفلَتا في كلِّ يومٍ مضى يُذكِّرُني الموتَ وأنساهُ
مَن طال في الدُّنيا به عمْرُه وعاش فالموتُ قُصاراهُ
كأنّه قد قيل في مجلسٍ قد كنتُ آتِيهِ وأغْشاهُ
محمّدٌ صارَ إلى ربّه يَرْحَمُنا اللهُ وإيّاهُ

قال : فأبكى والله جميع مَن حضر .

[داود بن أحمد بن أبي دواد يدلّ عليه أهله]

أخبرني الحسن بن عليٍّ وعمّي قالا حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني أبو الشِّبْل قال : كان محمّد بن يسير صديقاً لداود بن أحمد بن أبي دُواد كثيرَ الغِشْيان له ففقده أهلُه أيّاماً وطلبوه فلم يجدوه ، وكان مع أصحابٍ له قد خرجوا يتنزّهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه ، فقال لهم : اطلبوه في منزل «حُسْن» المغنّية فإن وجدتموه وإلاّ فهو في حبس أبي شُجاع صاحب شُرْطة «خُمار» التركيّ . فلمّا كان بعد أيّامٍ جاءه ابن يسير فقال له : إيهِ أيّها القاضي ، كيف دَلَلتَ عليَّ أهلي ؟ قال : كما بَلَغك ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً . قال : أوَ فعلتَ ذلك أيضاً ؟ زِدْني من بِرّك ، هات ، أَيْش قلتَ ؟ فأنشده : [من الوافر]

ومُرسِلةٍ تُوجِّهُ كلَّ يومٍ إليَّ وما دعا للصبحِ داعِي
تُسائلني وقد فَقَدوه حتّى أرادوا بعده قَسْمَ المَتاعِ
إذا لم تَلْقَه في بيت «حُسْنٍ» مقيماً للشّرابِ وللسَّماعِ
ولم يُرَ في طريق بني سَدُوسٍ يَخُطُّ الأرضَ منه بالكُراعِ[1]
يَدُقُّ حُزُونَها بالوجه طَوْراً وطَوْراً باليدينِ وبالذِّراعِ
فقد أعياك مَطْلَبُه وأمسى (فلا تَغْلَط) حَبيسَ أبي شُجاعِ

قال : فجعل ابن يسير يضحك ويقول : أيّها القاضي لو غيرُك يقول لي هذا لعرفَ خبرَه . ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلَع عليه خِلْعةً من ثيابه .

[شعره في الحكم]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليُّ بن القاسم طارمةُ قال : كنت مع المعتصم لمّا غزا الروم ، فجاء بعض سَراياه بخبر عمّه[2] ، فركِب من فَوْرِه وسار أَجَدَّ سيرٍ وأنا أُسايره ، فسمع مُنْشداً يتمثّل في عسكره : [من البسيط]

1 الكراع : ما دون الركبة إلى الكعب .
2 ل : غمّه .

إنّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مَسالِكُها فالصبرُ يَفْتَح منها كلَّ مـا ارتَتَجا[1]
لا تيأسَنَّ وإنْ طالــتْ مُطالبَـةٌ إذا استعنتَ بصبر أن تـرى فَرَجا

فسُرَّ بذلك وطابت نفسه ، ثم التفت إليّ وقال لي : يا عليُّ أتَروي هذا الشعر ؟ قلت نعم . قال : من يقوله ؟ قلت : محمد بن يسير . فتفاءل باسمه ونسبه ، وقال : أمر محمود وسير سريع يَعقُب هذا الأمرَ . ثم قال : أنْشِدْني الأبيات ، فأنشدتُه قوله : [من البسيط]

ماذا يكلِّفُكَ الرَّوْحاتِ والدُّلَجا البَرَّ طوراً وطوراً تركَبُ اللُّجَجا
كَمْ مِن فتًى قَصُرَتْ في الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ألفيتَه بِسهام الرزق قــد فَلَجا[2]
لا تَيْأَسَنَّ وإنْ طالتْ مُطالبَةٌ إذا استعنَت بصبر أن ترى فَرَجا
إنّ الأمور إذا انْسَدَّت مَسالِكُها فالصبرُ يفتح منهـا كلَّ ما ارتَتَجا
أَخْلِقْ بذي الصبرِ أن يَحْظى بحاجته ومُدْمِنِ القَرْعِ للأَبـوابِ أن يَلِجا
فاطْلُبْ لرجلك قبل الخَطْوِ مَوْضِعَها لِمَنْ عَلا زَلَقــاً عن غِــرَّة زَلَجا
ولا يَغُرَّنْك صَفْوٌ أنــت شارِبُه فربّمــا كان بالتكديــر مُمتَزِجا
لا يُنتَجُ النّاسُ إلاّ مــن لِقاحِهِمُ يبدو لِقاحُ الفتى يومــاً إذا نُتِجا

[خشي أن يفرد بالصفح]

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن عليّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشِّبْل قـال : كنّا عنـد قُثَم بن جعفر بن سليمان ذاتَ يومٍ ومعنا محمد بن يسير ونحن على شرابٍ ، فأمر أن نُبخَّر ونُطَيَّـب ، فأقبلتْ وَصيفةٌ له حسنةُ الوجه ، فجعلتْ تبخِّرنا وتُغلِّفنا بغاليةٍ كانت معه . فلمّا غلَّفت ابنَ يسير وبخَّرته التفتَ إليّ ، وكان إلى جنبي ، فأنشدني : [من البسيط]

يــا باسطاً كفَّــه نَحْوي يُطيِّبني كفَّاكَ أَطيبُ يــا حِبِّي من الطِّيبِ
كفَّاكَ يجري مكانَ الطيبِ طِيبهما فــلا تَزِدْني عليهــا عند تطييبي
يا لائمي في هواها أنتَ لم ترها فأنــت مُغْـرًى بتأنيبي وتعذيبي
انْظُرْ إلى وجهها ، هل مِثلُ صورتها في الناس وجهٌ مُجَلًّى غيرُ محجوب ؟

1 ارتتج : استغلق .
2 فلج : فاز .

فقلت له : اسكت ويلَك ! لا ، تُصْفَعُ والله وتُخْرَجُ . فقال : والله لو وثقتُ بأن نُصْفَع جميعاً لأنشدتُه الأبيات ، ولكنّي أخشى أن أُفرَدَ بالصَّفْع دونك .

[وصف أهل الجدل]

أُخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا الكُرانيُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيّ قال : كان محمد بن يسير جالساً في حَلْقتنا في مسجد البَصْرة ، وإلى جانبنا حَلْقةُ قومٍ من أهل الجَدَل يتصايحون في المقالات والحجج فيها ، فقال ابن يسير : اسمعوا ما قلت في هؤلاء ، فأنشدَنا قوله : [من السريع]

يـا سائلي عـن مقالـة الشِّيَعِ   وعن صنوف الأهواء والبِدَعِ
دَعْ عنك ذِكْرَ الأهواء ناحيةً   فليس مِمَّن شَهِدتُ ذو وَرَعِ
كلُّ أُنـاسٍ بَدِيُّهـم حَسَنٌ   ثـم يصيرون بعـدُ للسُّمَعِ
أكثرُ مـا فيه أن يقالَ لهم :   لم يَـكُ في قولـه بمُنْقَطِعِ

[يستغني عن التدوين]

أُخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمد بن عليٍّ الشاميُّ قال : كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه ؛ من ذلك قوله : [من الطويل]

إذا ما غدا الطُّلاَّبُ للعلم مـا لهم   من الحظّ إلاّ ما يُدَوَّن في الكُتْبِ
غَـدَوْتُ بتشمير وجِـدٍّ عليهـمُ   فَمِحْبَرتـي أُذْني ودَفْتَرُهـا قلبـي

[من حِكَمِه]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبَّر قال : كان إبراهيم بن رِياح إذا حَزَبه الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير : [من مجزوء الكامل]

تُخْطِي النفوسُ مـع العِيا   ن وقد تُصيب مع المَظِنَّهْ
كم مـن مَضيقٍ في الفضا   ومَخْرَجٍ بـين الأسِنَّهْ

[النعل الخلق]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أَبي السَّريِّ قال : مرَّ ابن يسير بأبي عثمان المازنيّ فجلس إليه ساعة ، فرأى مَنْ في مجلسه يتعجّبون من نعل كانت في رِجله خَلَقٍ وَسِخةٍ مقطَّعة ، فأخذ ورقةً وكتب فيها : [من الخفيف]

كم أرى ذا تعجُّبٍ مـن نِعالي   ورضائي منهـا بلُبْسِ البَوالِي

كلّ جَرْداء قد تكنَّفها الخصفُ ... مـــن اقطارِهـــا بسود النِّقالِ
لا تُدانَى ، وليس تشبه في الخِلْـ ... ـقةِ إن أُبرِزَتْ ، نِعالَ المَوالي
مَن يُغالِ مـــن الرجال بنَعْلٍ ... فسِوايَ إذاً بهـــنّ يُغـالي
لـــو حَذاهـــنّ للجَمالِ فإنّي ... في سواهـــنّ زينتي وجَمالي
في إخائي وفي وفائـــي ورأيي ... ولسانـــي ومَنطِقـــي وفَعـالي
ما وقاني الحَفـــا وبلَّغني الحا ... جـــةَ منهـــا فإنّنـــي لا أُبالي

[بكاؤه على ألواح آبَنُوس سرقت منه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : دعا قُثَم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده ، فلمّا سَكِر سَرَق منه ألواح آبَنُوس كانت تكون في كمِّه ، فقال في ذلك : [من الخفيف]

عَيْـنُ بَكِّـــي بعَبْرةٍ تَسْفـــاحِ ... وأقيمـــي مآتِـــمَ الأَنْـــواحِ[1]
فـإذا مـــا بكـــى أنيس لأنْسٍ ... قـــد تـــولى فابكي على الألواحِ
أَوْحشَتْ حُجْزَتي ورُدْنايَ منها ... في بُكُوري وعنـــد كلِّ رَواحِ[2]
واذكُريها إذا ذَكَرْتِ بما قـــد ... كان فيهـــا مـــن مَرْفِقٍ وصلاحِ
آبَنُوسٌ دَهْمـــاءُ حالِكـــةُ اللَّـوْ ... نِ لُبـــابٌ مـــن اللِّطاف المِلاحِ
ذاتُ نفـع خفيفةُ القَـدْرِ والمَحْـ ... ـمِلِ حُلْكُوكَـــةُ الذُّرا والنواحي
وسريـعٌ جُفُوفُهـــا إنْ محاهـــا ... عند مُمْلٍ مُستعجِلُ القوم ماحي
هي كانـــت على عُلومـــيَ والآ ... دابِ والفقـــهِ عُدَّتـــي وسِلاحِي
كنت أغدو بهـــا على طلب العلـ ... ـمِ إذا مـــا غَدوتُ كلَّ صباحِ
هي كانت غِـذاءَ زَوْرِي إذا زا ... رَ ، وَرِيَّ النديمِ يومَ اصطباحي

يعني أنّه يعمل فيها الشعر ويطلب لزوّاره المأكول والمشروب .

آبَ عُسرِي وغاب يُسْرِي وجُودي ... حين غابتْ وغاب عنّي سَماحي

[يهجو أحمد بن يوسف]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عبد الله بن أحمد قال : كان

1 ويروى : الألواح .

2 الحجزة : معقد الإزار .

محمّد بن يسير يُعادي أحمد بن يوسف ، فبلغه أنّه يتعشَّق جاريةً سوداء مغنّية ، فقال ابن يسير يهجوه : [من السريع]

أقـــولُ لمّـــا رأيتُـــه كَلِفاً ... بكـــلِّ سوداءَ نَـزرةٍ قَذِرَهْ[1]

أهلٌ لعمري لِما كَلِفْتَ بـــه ... عند الخنازيرِ تَنْفُـــق العَذِرَهْ

أخبرني وكيع قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أبو العواذل قال : عُوتِبَ محمد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا مَحْبَرةٍ ، وأنّه لا يكتب ما يسمعه ، فقال : [من السريع]

مـــا دخـــلَ الحَمَّامَ من عِلْمِي ... فَذاكَ مـــا فـــازَ بـــه سَهْمِي

والعِلْمُ لا ينفعُنِـــي جَمْعُـــــه ... إذا جَرى الوهـــمُ على فهمي

[ألواح الآبنوس مرّة أخرى]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشر ولدَ جعفر بن سُلَيمان ، فأخذ منه قُثَمُ بن جعفرٍ ألواحَ آبنوس كان يكتب فيها بالليل[2] ؛ فقال ابن يسير في ذلك : [من المديد]

أبقتِ الألـــواحُ إذْ أُخِذَتْ ... حُرْقــةً في القلـــبِ تَضْطَرِمُ

زانَهـــا فَصّانِ مـــن صَدَفٍ ... واحْمـــرارُ السَّيّـــرِ والقلـــمُ

وتولَّـــى أخذَهـــا قُثَـــمٌ ... لا تولَّـــى نفعَهـــا قُثَـــمُ

[بينه وبين هاشمي]

أخبرني الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشميّ لِمَلالٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله : [من الكامل]

قد كنتُ مُنْقَبِضاً وأنتَ بَسَطْتَني ... حتى انبسطتُ إليك ثم قَبَضْتَني

أذْكَرْتَني خُلُـق النِّفاق وكان لي ... خُلُقاً فقـد أحسنتَ إذ أذْكَرْتَني

لو دامَ ودّك وانبسطتُ إلى امرىءٍ ... في الودّ بعدك كنتَ أنت غَرَرْتَني

فهلُمَّ نَجْتَذِب التَّذاكُـــرَ بينَنـــا ... ونعـــود بعـدُ كأنّنـــا لم نَفْطَنِ

[شعره بعد السكر]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثنا مسعود بن يسير قال : شَرِب محمد بن يسير نبيذاً مع قومٍ فأسكروه ، حتى خرَج من عندهم وهو

---

1 النزرة : القليلة الولد أو اللبن .

2 ل : بالميل .

لا يعقِل فأخذ رِداءه وعثَر في طريقه وأصاب وجهَه آثار ؛ فلمّا أفاق أنشأ يقول : [من السريع]

شاربتُ قوماً لم أُطِقْ شُرْبَهمْ   يَغْـرَقُ في بَحْرِهِـمُ بَحْري
لّمـا تَجارَيْنـا إلى غايـةٍ   قصَّر عـن صَبْرِهـم صبري
خرجتُ مـن عندهمُ مُثْخَناً   تَدْفَعُنـي الجُـدْرُ إلى الجُدْرِ
مُقَبَّحَ المَشي كَسيرَ الخُطـا   تَقْصُر عنـد الجِدِّ عن سَيْرِي
فلستُ أنسى ما تجشَّمت مِنْ   كَدْحٍ ومـن جُرْحٍ ومن أثْرِ
وشَقِّ ثـوبٍ وتَـوى آخَرٍ   وسَقْطـةٍ بـانَ بها ظُفْري[1]

حدّثني عمّي وجحظة عن أحمد بن الطيب قال : حدَّثنا بعضُ أصحابنا عن مسعود بن يسير ، ثم ساق الخبر مثلَه سواء .

[مع جعيفران الموسوس في بستان]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرزُبان قال : حدَّثني أبو العَيْناء قال : اجتمع جُعَيْفِرانُ المَوَسْوِس ومحمد بن يسير في بُستان ، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحيةً للغائط ، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه ، فقال جعيفران : [من المجتث]

قـد قلتُ لابنِ يَسيرٍ   لّما رَمـى من عِجانِهْ
في الأرض تَلَّ سَمادٍ   عَـلا عـلى كُثْبـانهْ
طُوبى لصاحب أرضٍ   خَرِئْـتَ في بُستانهْ

قال : فجعل ابن يسير يشتُم جعيفران ويقول : أيَّ شيء أردتَ منّي يا مجنونُ يا ابن الزانية حتى صيَّرتني شُهرةً بشعرك !!

[يستسقي والي البصرة نبيذاً]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني سوار بن أبي شُراعة قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشُّرْب ، وما بات قطُّ إلاّ وهو سكران ، وما نَبَذَ قَطُّ نبيذاً ، وإنّما كان يَشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم ، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطرٍ هادٍّ[2] ، ولم تُمْكِنْه معه الحركة إلى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد وكاد يُجَنُّ لّما فقد النبيذَ . فكتب إلى والي[3] البَصْرةِ وكان هاشمياً ، وهو محمد بن أيُّوب بن جعفر بن سليمان قال : [من البسيط]

1 توى : هلك .
2 المطر الهاد : الذي له صوت .
3 ل : أمير .

كَمْ في عِلاجِ نَبيذِ التمرِ لي تَعَبٌ الطبخُ والدَّلْكُ والمِعصارُ والعَكَرُ
وإنْ عَدَلْتُ إلى المطبوخ مُعْتمِداً رأيتُني منه عند الناسِ أشتهِرُ
نَقْلُ الدِّنانِ إلى الجيران يَفْضَحُني والقِدْرُ تتركني في القوم أعتذرُ
فصِرْتُ في البيت أستسقي وأطلبه من الصَّدِيقِ ورُسْلِي فيه تَبْتدِرُ
فمنهُم باذِلٌ سَمْحٌ بحاجتنا ومنهمُ كاذبٌ بالزُّور يَعْتذِرُ
فَسقِّني رِيَّ أيَّامٍ لتَمنعني عمّنْ سِواكَ وتُغْنيني فقد خَسِروا
إن كان زِقٌّ فَزِقٌّ أو فوافِرَةٌ من الدَّساتِيج لا يُزْرِي بها الصِّغَرُ
وإنْ تَكُنْ حاجتي ليستْ بحاضرةٍ وليس في البَيْتِ من آثارها أَثَرُ
فاسْتَسْقِ غيرَك أو فاذْكُرْ له خَبَري إنِ اعْتَراك حَياءٌ منه أو حَصَرُ
ما كان من ذلكم فليأتني عَجِلاً فإنَّني واقفٌ بالبابِ أنتظرُ
لا لي نبيذٌ ولا خُرٌّ فيدعوَني وقد حَمانيَ من تَطْفيليَ المَطَرُ

قال : فضحك لَمّا قرأها ، وبعث إليه بزقٍّ نبيذٍ ومائتي درهم ، وكتب إليه : اشرب النبيذ وأنفق الدراهم إلى أن يُمْسِك المطر ويتَّسع لك التطفيل ، ومتى أعوزك مكان فاجْعَلْني فَيئةً[1] لك ، والسلام .

صوت

[من المنسرح]

أنت حَدِيثي في النومِ واليَقَظَهْ أتعَبْتُ مِمّا أهْذِي بك الحفَظَهْ
كم واعظٍ فيك لي وواعظةٍ لو كنتُ مِمّن تنهاه عنك عِظَهْ

الشعر لديك الجنِّ الحِمْصيّ . والغناء لِعَريب ، هَزَج ، ذكر ذلك ذُكاء وَجْهُ الرُّزَّة وقُمْرِيٌّ جميعاً .

1 فيئة : مرجع .

[256] ـ أخبار ديك الجنّ ونسبه[1]

[نسبه]

دِيكُ الجِنّ[2] لَقَبٌ غَلَب عليه ، واسمه عبد السلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حَبيب بن عبد الله بن رَغْبان بن يزيد بن تميم . وكان جَدّه تميم ممّن أنعم الله ، عزّ وجلّ ، عليه بالإسلام منْ أهل مُؤْتَةَ على يَديْ حَبِيبِ بن مَسْلَمَة الفِهْرِيّ ، وكان شديد التشعُّب[3] والعصبيّة على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضل ، جمعتنا وإيّاهم ولادةُ إبراهيم ﷺ ، وأسلمنا كما أسلموا ، ومَنْ قَتَل منهم رجلاً منّا قُتِل به ، ولم نَجِد الله عزّ وجلّ فضّلهم علينا ، إذ جَمَعَنا الدِّين .

[شعره]

وهو شاعرٌ مُجِيدٌ يذهب مذهبَ أبي تمّام والشاميِّين في شعره . من شعراء الدَّوْلة العبّاسيّة . وكان من ساكني حِمْصٍ ، ولم يبرح نواحيَ الشام ، ولا وَفَد إلى العِراق ولا إلى غيره مُنتجعاً بشعره ولا مُتَصَدِّياً لأحد . وكان يتشيّع تشيُّعاً حسناً ، وله مَراثٍ كثيرةٌ في الحسين بن عليٍّ ، عليهما السلام ، منها قوله[4] : [من المنسرح]

يــا عــينُ لا لِلقَضا ولا الكُتُبِ بُكا الرَّزايا سِوى بُكا الطَّرَبِ[5]

وهي مشهورة عند الخاص والعام ، ويناح بها . وله عدّة أشعار في هذا المعنى . وكانت له جاريةٌ يهواها ، فاتّهمها بغلامٍ له فَقَتَلها ، واستنفد شعره بعد ذلك في مَراثيها .

[يهجو ابن عمه]

قال أبو الفرج : ونسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر ، أخبره بما فيه ابن أخ لديكِ الجنّ يقال له أبو وَهْب الحِمصي ، قال : كان عمِّي خليعاً ماجناً معتكفاً على القَصْف واللهو ، مِتْلافاً لِما وَرِثَ عن آبائه ، واكتسبَ بشعره من أحمد وجعفر ابنَيْ عليٍّ الهاشميَّين ، وكان له ابنُ عمّ يُكنى أبا الطَّيِّب يَعِظُه وينهاه عمّا يفعله ، ويحول بينه وبين ما يؤثِره ويركبه من لذّاته وربّما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمُجّان وأهلِ الخَلاعة ، فيستخفّ بهم

1 لديك الجن ترجمة في وفيات الأعيان 3 : 184–187 والدميري 1 : 488 وثمار القلوب : 27 ، 470 وله أخبار في مصارع العشاق وتزيين الأسواق ، وانظر مقدّمة ديوانه تحقيق د . أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري (بيروت) .

2 ديك الجن دويبة توجد في البساتين .

3 التشعب : من الشعوبية وهي الطعن في العرب .

4 ديوانه : 31 .

5 للقضا في الديوان : للغضا .

وبه . فلمّا كَثُر ذلك على عبد السلام قال فيه[1] : [من المنسرح]

مَولاتُنا يا غلامُ مُبْتكِرَهْ … فباكِرِ الكأسَ لي بلا نَظِرَهْ[2]
غَدَتْ على اللهو والمُجونِ ، على … أن الفتاةَ الحَيِيَّةُ الخَفِرَهْ
لِحُبِّها ، لا عَدِمْتُها ، حُرَقٌ … مطويَّةٌ في الحَشا ومُنْتَشِرَهْ[3]
ما ذُقْتُ منها سوى مُقَبَّلِها … وضَمِّ تلك الفُروعِ مَنْحَدِرَهْ
وانْتَهَرَتْني فَمِتُّ من فَرَقٍ … يا حُسْنَها في الرِّضا ومُنتَهِرَهْ !
ثم انثنتْ سَوْرَةُ الخُمارِ بنا … خِلالَ تلك الغَدائِرِ الخَمِرَهْ[4]
وليلةٍ أشرفتْ بِكَلْكَلِها … عَلَيَّ كالطَّيْلَسان مُعْتَجِرَهْ[5]
فَتَقْتُ دَيْجُورَها إلى قَمَرٍ … أثوابُهُ بالعَفافِ مُسْتَتِرَهْ
عُجْ عَبَراتِ المُدامِ نحوِيَ مِن … عَشْرٍ وعِشْرِين واثْنَتَيْ عَشَرَهْ[6]
قد ذُكِرَ الناسُ عن قِيامِهِمُ … ذِكْرى بعَقْلي ما أصبحَتْ نَكَرَهْ[7]
مَعْرفتي بالصوابِ مَعْرِفَةٌ … غَرَّاءُ إمَّا عَرَفْتُمُ النَّكِرَهْ
يا عجباً من أبي الخبيثِ ومنْ … سُرُوحِهِ في البَقائرِ الدَّثِرَهْ[8]
يَحْمِلُ رأساً تنبو المَعاوِلُ عن … صَفْحتِهِ والجلامِدُ الوَعِرَهْ
لَوِ البِغالُ الكُمْتُ ارتقتْ سَنَداً … فيهِ لَمَدَّتْ قَوائِماً خَدِرَهْ[9]
ولا المَجانِيقُ فيهِ مُغْنِيةٌ … أَلْفٌ تَسامى وأَلْفُ مُنْكَدِرَهْ[10]

---

1 ديوانه : 78–84 .
2 نظرة : التأخير في الأمر .
3 صدر البيت في الديوان : «لحبها لاعج وبي حرق» .
4 الخمرة : التي تواري .
5 معتجرة : ملتفة بالكساء .
6 عبرات المدام : ما يصب منها في الكأس .
7 نكره في ل : ظفره .
8 البقائر الدثرة : الأبراد الوسخة .
9 الكمت : جمع كميت ، وهو ما كان لونه بين السواد والحمرة ، وفي الديوان : الصلب . السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح .
10 منكدرة : منصبة .

أنظر إلى موضع المِقَصِّ من الـ ـــهامَةِ تلك الصَّفيحةُ العَجِرَهْ[1]
فَلَوْ أخذتمْ لهــا المَطارِقَ حَـــ ـرّانيَّـــةً صَنْعــةَ اليَــدِ الخَبِرَهْ
إذاً لراحـــتْ أكُــفُّ جِلَّتِهِـــمْ كَليلـــةً والأَداةُ مُنْـــكَسِرَهْ
كَـــمْ طَرَباتٍ أَفْسَدْتَهُنَّ وكَـــمْ صَفْـــوةِ عَيْشٍ غادرتَهـــا كَدِرَهْ
وكَمْ إذا مـــا رأَوْكَ يا مَلَكَ الـ ـمَوْتِ لهم مِـــنْ أنامِلٍ خَصِرَهْ[2]
وكَمْ لهـــم دَعْـــوة عليكَ وكَمْ قَذْفَـــةِ أُمٍّ شَنْعـــاءَ مُشْتَهِرَهْ
كريمـــةٍ لؤمُـــك استخَفَّ بها وناهـــا بالمَثالِــــبِ الأَشِرَهْ
قِفُـــوا على رَحْلِـــه تَـرَوْا عَجَباً في الجَهْلِ يَحكِي طَرَائِفَ البَصِرَهْ
يـــا كُلَّ مَنْـــيٍ وكلَّ طالعـــةِ نَحْسٍ ويـــا كُلَّ ساعةٍ عَسِرَهْ[3]
سبحانَ مَنْ يُمْسِكُ السماءَ على الـ ـأرض وفيهــا أخلاقُـــك القَذِرَهْ[4]

[قصته مع ورد وأشعاره فيها]

قال : وكان عبد السلام قد اشتهر بجاريةٍ نَصرانيّةٍ من أهل حِمص هَوِيها وتمادى به الأمر حتى غلبتْ عليه وذهبتْ به . فلمّا اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوّج بها ، فأجابته لعلمها برغبته فيها ، وأسلمتْ على يده ، فتزوَّجها ، وكان اسمها وَرْداً ؛ ففي ذلك يقول[5] : [من الكامل]

انظـر إلى شمسِ القُصورِ وبَدْرِها وإلى خُزاماهـــا وبَهْجـــةِ زَهْـرِها
لم تَبْـــلُ عينُك أبيضاً في أسوَدٍ جَمَع الجمالَ كوَجْهِها في شَعْرِها
وَرْدِيَّةُ الوَجَنـــاتِ يَختَبِر اسمَها مِن رِيقِها مَنْ لا يُحيط بخُبْرِها[6]
وتمايلتْ فضَحِكتُ مـن أردافِها عَجَبـاً ولكنّي بَكَيْـــتُ لخَصْرِها
تَسْقيك كأْسَ مُدامـــةٍ مـن كَفِّها وَرْدِيَّـــةٍ ومُدامـــة مـــن ثَغْرِها

قال : وكان قد أعسر واختلّت حالُه ، فرَحَل إلى سَلَمْيَةَ قاصداً الأحمد بن عليٍّ الهاشميّ ، فأقام عنده مدّة طويلة ، وحَمَل ابن عمِّه بُغْضُه إيّاه بعد مودّته له وإشفاقِه عليه بسبب هجائه

1 الصفيحة العجرة : الحجر العريض الصلب .
2 خصرة : باردة . وتبرد الأطراف عند الموت .
3 مني في ل : بغي .
4 أخلاقك في ل : طباعك .
5 ديوانه : 168–169 .
6 ريقها في ل : نعتها .

له على أنْ أذاع على تلك المرأة التي تزوَّجها عبدُ السلام أنّها تهوى غلاماً له ، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه ، وشاع ذلك الخبرُ حتى أتى عبد السلام ، فكتب إلى أحمد بن عليٍّ شعراً يستأذنه[1] في الرجوع إلى حِمص ويُعلِمه ما بلّغه من خبر المرأة من قصيدة أوّلها[2] : [من الخفيف]

إنَّ رَيْبَ الزمان طال انتكاثُه … كَمْ رَمَتْني بحادثٍ أحداثُهْ

يقول فيها :

ظَبْيُ إنسٍ قلبي مَقِيلُ ضُحاهُ … وفُؤادي بَرِيرُهُ وكَباثُهْ[3]

وفيها يقول :

خِيفَةً أن يخونَ عَهْدِي وأن يُضْـ … ـحِي لغيري حُجُولُه ورِعاثُهْ[4]

وفيها مديح لأحمد بعد هذا ؛ وهي طويلة . فأذن له فعاد إلى حمص ؛ وقدّر ابن عمِّه وقت قدومه ، فأرصد له قوماً يُعْلِمونه بمُوافاته بابَ حِمص . فلمّا وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنّفاً على تمسُّكه بهذه المرأة مع ما قد شاع من ذكرها بالفساد ، وأشار عليه بطلاقها ، وأعلمه أنّها قد أحدثتْ في مَغِيبِه حادثةً لا يجملُ به معها المُقامُ عليها ، ودسَّ الرجل الذي رماها به ، وقال له : إذا قدِم عبدُ السلام ودخل منزله فقِفْ على بابه كأنّك لم تعلَم بقدومه ، ونادِ باسمِ وَرْد ؛ فإذا قالت : مَنْ أنت ؟ فقل : أنا فلان . فلمّا نزل عبد السلام منزلَه وألقى ثيابه ، سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جوابَ مَن لم يعرف من القصّة[5] شيئاً . فبينما هو في ذلك إذ قَرَع الرجلُ البابَ فقالت : مَنْ هذا فقال : أنا فلان . فقال لها عبد السلام : يا زانية ، زعمت أنّك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً ! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتَلها ، وقال في ذلك[6] : [من الخفيف]

ليتَني لم أكُنْ لِعَطْفِك نِلْتُ … وإلى ذلك الوِصالِ وصلتُ
فالذي مِنِّيَ اشتملت عليه … ألِعارٍ ما قَدْ عليهِ اشتملتُ
قال ذو الجهل قد حَلُمْتَ ولا أعْـ … ـلَمُ أنِّي حَلُمْتُ حتى جَهِلتُ

1 يستأذنه في ل : يسأله .
2 ديوانه : 85-86 .
3 البرير : الأوّل من ثمر الأراك . والكباث : النضيج منه .
4 رعاث : جمع رعثة وهي القرط .
5 القصّة في ل : الأمر .
6 ديوانه : 87-88 .

لائـمٌ لي بجهلـه ولمــاذا أنا وَحْدِي أحببتُ ثـم قتلتُ !
سوف آسى طول الحياة وأبكيـ ـكِ على ما فعلتِ لا مـا فعلتُ

وقال فيها أيضاً[1] : [من مجزوء الخفيف]

لَـكِ نفسٌ مُواتِيَـهْ والمَنايـا مُعادِيَـهْ[2]
أيّها القلب لا تَعُـدْ لِهَـوى البيـضِ ثانيهْ
ليس بَـرْقٌ يكون أخـ ـلَب مـن بَرْقِ غانيهْ
خُنْتِ سِرِّي ولم أخُنْـ ـكِ فمُوتِـي عَلانِيَهْ[3]

قال : وبلغ السلطانَ الخبرُ فطلبه ، فخرج إلى دمشق فأقام بها أيّاماً . وكتب أحمد بن عليّ الهاشميّ إلى أمير دمشق[4] أن يُؤمّنه ، وتحمَّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته . فقَدِم حِمص وبلغه الخبرُ على حقيقته وصِحّتِه ، واستيقنه فندِم ، ومكث شهراً[5] لا يستفيق من البكاء ولا يَطْعَم من الطعام إلاّ ما يُقيم رَمَقه من بلغة يسيرة . وقال في نَدَمه على قتلها[6] : [من الكامل]

يـا طلعـةً طَلَع الحِمـامُ عَلَيْها وجَنـى لهـا ثَمرَ الرَّدى بِيَدَيْها
رَوَّيْتُ مـن دَمِها الثّرى ولَطالَما رَوَّى الهـوى شَفَتَـيَّ من شَفَتَيْها
قد بات سَيْفي في مَجال وِشاحِها ومَدامِعـي تجـري على خَدَّيْها
فوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وطيء الحَصى شيءٌ أعَـزُّ عَلَـيَّ مـن نَعْلَيْها
مـا كان قَتْلِيها لأنّيَ لم أكُـنْ أبكِـي إذا سَقَط الذُّبـابُ عليها[7]
لكـنْ ضَنَنْتُ على العيون بحُسْنها وأنِفْتُ مـن نَظَـر الحسودِ إليها

وهذه الأبيات تروى لغيرِ دِيك الجنّ .

أخبرني بها محمد بن زكريا الصحّاف قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن منصور قال : كان فتًى مـن غَطَفان يقال له السُّلَيْك بن مُجَمِّع ، وكان من الفُرْسان ،

---

1 ديوانه : 89 .
2 مُعاديه في الديوان : خنت سري مواتية .
3 سرّي ولم أخنك في ل : خنت سراً من لم يخنك .
4 ل : حمص .
5 ل : شهوراً .
6 ديوانه : 90–91 وفيه روايات كثيرة للأبيات في المصادر العديدة التي أوردتها .
7 الذباب في الديوان : الغبار .

وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قومٍ قتلهم ، وكان يهوى ابنة عمٍّ له ، وكان خطبها مُدّةً فمنعها[1] أبوها ثم زوّجه إيّاها خوفاً منه ، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أُسبوع إلى عشيرته ، فلقيه من بني فَزارَة ثلاثون فارساً كلُّهم يطلبُه بذَحْلٍ[2] ، فحلَّقوا عليه ، وقاتلهم وقتل منهم عدداً ، وأثخن بالجِراح آخرين ، وأُثخِن هو حتى أيقن بالموت . فعاد إليها فقال : ما أسمح بك نفساً لهؤلاء ، وإنّي أُحِبّ أن أُقدِّمك قبلي . قالت : افعل ، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدَك . فعاد فضربها بسيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول :

يــا طلعةً طَلَــعَ الحِمامُ عَليها

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجنّ ، ثم نزل[3] إليها فتمرَّغ في دمِها وتخضَّب به ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قُتِل ، وبلغ قومه خبرُه ، فحملوه وابنة عمِّه فدفنوهما . قال : وحفِظتْ فَزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها . قال : وبلغني أنّ قومَه أدركوه وبه رمق ، فسمِعوه يردّد هذه الأبيات ، فنقلوها وحفظوها عنه ، وبقي عندهم يوماً ثم مات .

وقال ديك الجنّ في هذه المقتولة[4] : [من الكامل]

أشفقتُ أن يَـرِدَ الزَّمـانُ بغَدْرِهِ ... أو أُبْتَـلى بعـد الوِصالِ بهَجْرِهِ
قَمَـرٌ أنا استخرجْتُه مـن دَجْنِهِ ... لِبَلِيَّتــي وجَلَوتُـه مـن خـدْرِهِ
فقتلتـــه ولـــه علـيّ كرامـــةٌ ... مِلْءَ الحشا ولــه الفؤادُ بِأَسْرِهِ
عَهْـدِي بــه مَيْتاً كأَحسنِ نائمٍ ... والحُزْن يَسْفَحُ عَبْرتـي في نَحْرِهِ
لـو كان يَدْرِي المَيتُ ماذا بعدَه ... بالحيّ حلَّ بكـى لـه في قَبْرِهِ[5]
غُصَصٌ تكادُ تَفِيظُ منهـا نَفْسُهُ ... وتكاد تُخْرِج قَلْبَـه مِنْ صَدْرِهِ[6]

وقال فيها أيضاً : [من الوافر]

أساكِـنَ حُفْـرةٍ وقَـرارِ لَحْـدِ ... مُفـارِقَ خُلَّـةٍ مِـن بعـد عهدِ

1 ل : يخطبها مدة فيمنعها .
2 ذحل : ثأر .
3 ل : عمد .
4 ديوانه : 92–93 .
5 حلَّ بكى له في ل : منه رثى له .
6 تفيظ نفسه : تخرج روحه .

أجِبْني إن قَـدَرْتَ على جوابِـي   بحـقِّ الوُدِّ كيـف ظَلِلْتَ بَعْدِي
وأين حَلَلْـتَ بعـدَ حلول قلبي   وأحشائي وأضلاعـي وكِبْدِي ؟
أمَـا واللهِ لـو عاينـتَ وَجْدِي   إذا استعبرتُ في الظُّلُمات وحدِي
وجَـدَّ تَنَفُّسِي وعـلا زَفِيـري   وفاضتْ عَبْرَتي في صَحْنِ خَدِّي
إذاً لعلِمْتَ أنِّـي عـن قريبٍ   ستُحْفَرُ حُفْرَتِـي ويُشَقُّ لَحْدِي
ويَعْذُلنـي السفيـهُ على بُكائـي   كأنّي مبتلًـى بالحـزن وحدِي
يقـول قتلتَهـا سَفَهـاً وجهلاً   وتَبكيهـا بكـاءً ليس يُجدِي
كصيَّاد الطُّيورِ لـه انتحـابٌ   عليهـا وَهْـوَ يذبحُهـا بحدٍّ

وقال فيها أيضاً[1] : [من البسيط]

ما لامرىء بيَدِ الدَّهْرِ الخئونِ يَدُ   ولا على جَلَـدِ الدُّنيا لـه جَلَدُ
طُوبى لأحبـابِ أقـوامٍ أصابَهُمُ   من قَبْلِ أن عَشِقوا موتٌ لقد سَعِدوا
وحَقِّهِـم إنّـه حـقٌّ أضِنُّ بـه   لأَنْفِـدَنَّ لهم دمعـي كما نَفِدوا
يـا دهـرُ إنَّك مَسْقِيٌّ بكأسِهِمُ   ووارِدٌ ذلك الحوضَ الذي وَرَدُوا
الخَلْـق ماضُونَ والأيّامُ تَتْبَعُهُمْ   نَفْنى جميعاً ويبقى الواحدُ الصَّمَدُ[2]

وقال فيها[3] : [من المتقارب]

أمـا آن للطَّيْـفِ أن ياتِيـا   وأن يَطْـرُقَ الوَطَـنَ الدَّانِيا
وإنِّي لأَحْسَبُ ريـبَ الزَّمـا   نِ يتركُنـي جَسَداً بـاليا
سأشكـر ذلِـكَ لا ناسِيـا   جميـلَ الصَّفـاءِ ولا قالِيا
وقـد كنتُ أنشُره ضاحِكاً   فقـد صِرْتُ أنشره بـاكِيا

وقال فيها أيضاً[4] : [من الخفيف]

قُلْ لِمَنْ كان وجهُه كضياء الشَّـ   ـمْسِ في حُسْنِـهِ وبَـدْرٍ مُنيرِ
كنت زَيْنَ الأحياء إذ كنتَ فيهمْ   ثم قَدْ صِرْتَ زَيْـنَ أهلِ القُبورِ

---

1 ديوانه : 96–97 .
2 نفنى جميعاً ويبقى في الديوان : نفنى ويبقى الاله . . .
3 ديوانه : 98 .
4 ديوانه : 99 .

بأبـي أنـت في الحيـاة وفي المَوْ ... تِ وتحتَ الثرى ويوم النُّشورِ
خُنْتَني في المَغِيب والخَـوْنُ نُكْرٌ ... وذميـمٌ في سالفـاتِ الدُّهورِ
فشفاني سَيْفِـي وأسرَعَ في حَـ ... ـزٌ التَّراقي قَطْعاً وحَـزٌ النُّحورِ

[شعره في غلامه بكر]

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان ديكُ الجنّ يهوى غلاماً من أهل حِمص يقال له بكر ، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدّثان إلى أن غاب القمر ، فقال له بكر : أريد أن أمضي قد غاب القمر فقال له[1] : [من الطويل]

دَعِ البَدْرَ فَلْيَغْرُبْ فأنتَ لنا بَدْرُ ... إذا ما تَجَلَّى منْ مَحاسِنِكَ الفجرُ
إذا مـا انقضى سِحْرُ الذين ببابلٍ ... فطرْفُكَ لي سِحرٌ وريقُكَ لي خمرُ
ولو قيل لي قُمْ فادْعُ أحسنَ مَن ترى ... لصِحتُ بأعلى الصوت يا بَكْرُ يا بَكْرُ

قال : وكان هذا الغلام يُعْرَف ببكر بن دهْمرْد . قال : وكان شديد التمنُّع والتصوُّن ، فاحتال قومٌ من أهلِ حِمْصَ فأخرجوه إلى مُتنزَّهٍ لهم يعرف بميماس ، فأسكروه وفَسَقوا به جميعاً ، وبلغ ديكَ الجنّ الخبرُ فقال فيه[2] : [من السريع]

قـلْ لِهضيم الكَشْحِ مَيَّاسِ ... انْتَقَضَ العهـدُ مـن النَّاسِ
يـا طاقـة الآسِ التي لم تمِدْ ... إلاَّ أذلَّـتْ قُضُـبَ الآسِ
وَثِقْـتَ بالكـأسِ وشُرَّابها ... وحَتْـفُ أمثالِـك في الكاسِ
وحـال مِيماسُ ويـا بعدمـا ... بـين مغيثيـك وميماسِ[3]
تَقْطِيعُ أنْفاسِك في أسرهـم ... ومَلْكِهِـمْ قَطَّـعَ أنفاسي
لا بـأسَ مـولايَ ، على أنّها ... نِهايـةُ المكـروهِ والبـاسِ
هـي اللَّيالِـي ولهـا دولةٌ ... ووحشة مـن بعـد إيناسِ
بَيْنـا أنافتْ وعَلَـتْ بالفتى ... إذْ قيـل حَطَّتْـه على الرَّاسِ
فالْـهُ ودَعْ عنـكَ أحاديثَهم ... سَيُصْبِـحُ الذَّاكِـرُ كالنَّاسي

وقال فيه أيضاً[4] : [من الكامل]

---

1 ديوانه : 100 .
2 ديوانه : 101–102 .
3 حال ميماس في الديوان : ودير ميماس .
4 ديوانه : 103–104 .

يا بكرُ ما فعلتْ بِك الأرطالُ   يـا دارُ مـا فعلتْ بِكَ الأيّامُ
في الدَّارِ بَعْـدُ بَقِيَّـةٌ نستامُها   إذ ليس فيـك بَقِيَّـةٌ تُستامُ[1]
عَرِمَ الزَّمانُ على الذين عهدتهم   وعليـكَ أيضاً للزَّمـانِ عُرامُ[2]
شَغَلَ الزَّمـانَ كَراكَ في ديوانه   فتَفَرَّغـتْ لِدَواتِـكَ الأقلامُ[3]

وقال فيه أيضاً[4] : [من البسيط]

قُولا لِبَكر بن دهْمَرْدٍ إذا اعتكرتْ   عَساكِرُ اللَّيْلِ بـين الطَّاسِ والجامِ
أَلَـم أَقُـلْ لك إنَّ البغـي مَهْلَكَةٌ   والبغيُ والعُجْبُ إفسادٌ لأقوامِ[5]
قـد كنتَ تَفْرَقُ مِـن سَهْمٍ تعاينه   فصِـرْتَ غيرَ ذميمٍ رُقْعـةَ الرَّامِي
وكنت تَفْزَعُ من لَمْسٍ ومن قُبَلٍ   فقـد ذَلَلْـتَ لإسراجٍ وإلجـامِ
إن تَدْمَ فَخْذاكَ من رَكْضٍ فَرُبَّما   أُمْسي وقلبي عليك المُوجَعُ الدَّامِي

أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكِيَةَ ، وبها أَنْشدني[6] قصيدة البُحْتُرِيّ : [من الوافر]

مَلامَـك إنّه عهـدٌ قريـبُ   ورُزْءٌ ما انقضتْ منه النُّدوبُ[7]

[تعزية جعفر بن علي]

وأَنشدني لدِيك الجنّ يُعزّي جعفر بن عليٍّ الهاشميّ[8] : [من السريع]

نَغْفُـلُ والأيّـامُ لا تَغْفُـلُ   ولا لَنـا مِـن زَمَـنٍ مَـوْئِلُ
والدَّهْـرُ لا يَسْلَمُ من صَرْفِهِ   أعصمُ في القُنَّـةِ مُسْتَوْعِلُ[9]

1 السوم : عرض السلعة للبيع . واستامه إيّاها : غالى فيها .
2 عرم : اشتدّ .
3 الزمان في ل : الظلام .
4 ديوانه : 105–106 .
5 البغي في ل : الكبر .
6 ل : وقد أنشدته .
7 انقضت في ل وديوان البحتري 2 : 95 (طبعة صادر) : عفت .
8 ديوانه : 65–71 .
9 الأعصم من الوعول : الذي في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . القنة : أعلى الجبل . واستوعل الوعل : إذا ذهب إلى قنة الجبل .

يَتَّخِذُ الشِّعْرى شِعاراً له … كأنّما الأُفقُ له مَنْزِلُ
كأنّه بين شَناظِيرِها … بارقةٌ تَكْمُنُ أو تَمْثُلُ[1]
ولا حَبابٌ صَلَتانُ السُّرى … أرقمُ لا يعرِف ما يَجْهَلُ[2]
نَضْناضُ فَيْفاءَ يرى أنّه … بالرَّمْلِ غانٍ وهُوَ المُرْمِلُ[3]
بالمزمنِ الأبرق إمّا عفَا … يسترُ فيه القرمُ المرقلُ
يَطْلُبُ من فاجئةٍ مَعْقِلاً … وَهْوَ لما يطلُب لا يَعْقِلُ
والدَّهرُ لا يَسلَمُ من صَرْفِهِ … مُسَرْبَلٌ بالسَّرْدِ مستبسِلُ
ولا عَقَنْباةُ السُّلامى لها … في كُلِّ أُفْقٍ عَلَقٌ مُهْمَلُ[4]
فَتْخاءُ في الجَوِّ خُداريّةٌ … كالغَيْمِ والغَيْمُ لها مُثْقِلُ[5]
آمَنُ مَنْ كان لِصَرْفِ الرَّدى … أنزلَها مِن جَوِّها مُنْزِلُ
والدَّهْرُ لا يَحْجُبُه مانِعٌ … يحجُبُه العامِلُ والمُنْصُلُ[6]
يُصْغِي جَدِيداهُ إلى حُكْمِهِ … ويَفْعَلُ الدَّهرُ بما يَفْعَلُ
كأنَّه مِنْ فَرْطِ عِزٍّ به … أشْوَسُ إذ أقبلَ أو أَقْبَلُ

الأقبل : الذي في عينه قَبَلٌ ، وهو دون الحَوَلِ .

في حَسَبٍ أوْفى ، له جَحْفَلٌ … يَقْدُمُه مِن رأيه جحفلُ[7]
بينا على ذلك إذ عَرَّشتْ … في عَرْشِهِ داهيةٌ ضِئْبِلُ[8]
إنْ يَكُ في العِزِّ له مِشْقَصٌ … ماضٍ فقدْ تاحَ له مَقْتَلُ
جادَ على قَبْرِك مِنْ مَيِّتٍ … بالرَّوْحِ ربٌّ لكَ لا يَبْخَلُ[9]

---

1 شناظير الجبل : أطرافه وحروفه .
2 الحباب : الحية . الصلتان : النشيط الحديد الفؤاد . والأرقم : أخبث الحيات .
3 حية نضناض : لا تستقرّ في مكان . والفيفاء : المفازة . والمرمل : مَن نفد زاده .
4 العقنباة : العقاب ذات المخالب الحداد . السلامى : عظام الأصابع . وفي معجم البلدان اسم موضع .
5 الفتخاء من العقبان : اللينة الجناح . وخدارية : سوداء .
6 مانع في ل : شامخ .
7 في حسب أوفى له في ل : في حيث أوفى فله . . .
8 عرشت : بنت عريشاً . والضئبل : الداهية .
9 الروح : الرحمة .

وحَنَّت المُـزْنُ على قبـرهِ بعـارِضٍ نَجْوَتُــه مَحْفِلُ[1]
غيثٌ تَـرى الأَرضَ على وَبْلِهِ تضحَـكُ إلاّ أنَّه يَهْمُلُ[2]
يَصِـلُ والأرضُ تُصَلِّي لـه مِـن صَلَواتٍ مَعَـه تَسْأَلُ[3]
أنتَ أبـا العَبّـاسِ عَبّاسُها إذا استطار الحَـدَثُ المُعْضِلُ
وأنـتَ يَنْبُـوع أَفانِينِهـا إذا هُـمُ في سَنَـةٍ أَمحلـوا
وأنتَ عَـلاَّمُ غُيـوبِ النَّشـا يومـاً إذا نَسْأَلُ أو نُسْأَلُ
نحـن نُعَزِّيـكَ ومنك الهُدى مُسْتَخرَجٌ والنُّـورُ مُسْتَقْبلُ
نقـول بالعقـلِ وأنـتَ الذي نـأوي إليـه وبِـهِ نَعْقِلُ
نحـن فِـداءٌ لـك مِـنْ أُمَّةٍ والأَرضُ والآخِـرُ والأَوّلُ
إذا غفـا عنـكَ وأَوْدى بهـا ذا الدَّهرُ فَهْوَ المُحْسِنُ المُجْمِلُ

[رثاؤه جعفر بن علي الهاشميّ]

قال أبو المعتصم : ثم مات جعفر بن عليٍّ الهاشميّ ، فرثاه دِيكُ الجِنّ فقال[4] : [من الطويل]

على هـذه كانتْ تـدور النوائبُ وفي كلِّ جمع للذهاب مَذاهبُ
نزلْنـا على حُكْـمِ الزَّمانِ وأَمْرِهِ وهل يَقْبَلُ النِّصْفَ الأَلَدُّ المُشاغِبُ ؟
وتَضْحَكُ سِنُّ المرءِ والقلبُ مُوجَعٌ ويرضى الفَتى عن دَهْره وهو عاتِبُ
أَلا أَيُّها الرُّكبانُ والرَّدُّ واجبٌ قِفُوا حَدِّثُونا مـا تقولُ النَّوادِبُ[5]
إلى أيِّ فِتْيانِ النَّدى قَصَدَ الرَّدى وأَيَّهُـمُ نابتْ حَمـاهُ النَّوائبُ ؟
فَيـا لأَبي العَبَّاسِ كَمْ رُدّ راغِبٌ لِفَقْدِكَ ملهوفاً وكَمْ جُبَّ غارِبُ[6]
وَيـا لأَبـي العَبَّاسِ إنّ مَناكِبـاً تَنُـوءِ بِمـا حَمَّلْتَهـا لَنَواكِبُ

1 العارض : السحاب الذي يعترض في أفق السماء . والنجوة : ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل . المحفل : مجتمع الماء .
2 على في ل : إلى . تضحك الأرض : يتفتح فيها الزهر .
3 يصل في ل : يسيل . تسأل في ل : يسبل .
4 ديوانه : 72–77 .
5 حدّثونا في ل : أخبرونا .
6 جب غارب : قطع كاهل .

فيا قبرَه جُدْ كلَّ قبرٍ بجَوْدِهِ ففيك سماءٌ ثَرَّةٌ وسَحائبُ
فإنّك لو تَدْري بما فِيك مِن عُلاً عَلَوْتَ وباتَتْ في ذَراكَ الكَواكِبُ
أخاً كنتُ أُبكيهِ دماً وهو نائمٌ حِذاراً وتَعْمى مُقْلتي وهو غائبُ
فماتَ ولا صَبْري على الأَجرِ واقفٌ ولا أنا في عُمْرٍ إلى الله راغِبُ
أأسعى لأَحظى فيك بالأَجْرِ إنَّهُ لَسَعْيٌ إذن مِنّي لدى الله خائبُ
وما الإثْمُ إلاّ الصَّبْرُ عنكَ وإنَّما عواقبُ حَمْدٍ أن تُذَمَّ العواقبُ
يقولون : مِقْدارٌ على المرء واجبٌ فقلتُ : وإعوالٌ على المرءِ واجبُ
هو القلبُ لَمّا حُمَّ يومُ ابنِ أُمِّه وَهى جانِبٌ منه وأُسْقِمَ جانِبُ
تَرَشَّفْتُ أَيّامي وهُنَّ كوالِحٌ عليك ، وغالبتُ الرَّدى وهو غالِبُ
ودافعتُ في صدر الزَّمانِ ونَحْرِهِ وأيُّ يَدٍ لي والزَّمانُ مُحارِبُ ؟
وقلت له : خَلِّ الجَوادَ لِقَوْمِهِ وهأنذا فازْدد فإنّا عَصائبُ
فوالله إخلاصاً من القول صادقاً وإلاّ فحُبِّي آلَ أحمدَ كاذِبُ
لَوَ انَّ يَدِي كانت شِفاءَكَ أو دَمِي دَمَ القَلْبِ حتّى يَقْضِبَ القلبَ قاضبُ[1]
لَسلَّمتُ تسليمَ الرِّضا وتَخِذْتُها يداً للرَّدى ما حَجَّ لله راكِبُ
فتًى كان مثلَ السيفِ مِن حيثُ جِئْتَه لِنائبةٍ نابَتْكَ فَهْوَ مُضارِبُ
فتًى هَمُّه حمدٌ على الدَّهرِ رابحٌ وإن غابَ عنه مالُه فهو عازِبُ[2]
شمائلُ إن يَشْهَدْ فهُنَّ مَشاهِدٌ عِظامٌ وإن يَرْحَلْ فهُنَّ كتائبُ
بكاكَ أخٌ لم تَحْوِهِ بِقَرابةٍ بَلى إنَّ إخوانَ الصَّفاءِ أقارِبُ
وأظلمتِ الدُّنْيا التي كنتَ جارَها كأَنَّكَ للدُّنيا أخٌ ومُناسِبُ
يُبَرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنّني أرى زمناً لم تَبقَ فيه مَصائِبُ

[أهل حمص يعزلون إمام مسجدهم]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر : إنّ خطيب أهل حِمْص كان يصلّي على النبيّ ﷺ على المِنبر ثلاث مرّات في خطبته ، وكان أهل حمص كلُّهم من اليمن ، لم يكن فيهم من مُضَر إلاّ ثلاثةُ أبيات ، فتعصَّبوا على الإمام وعزلوه ؛

---

1 قضب : قطع .
2 غاب في ل : ناب .

فقال دِيك الجنّ[1] : [من الكامل]

سَمِعُوا الصَّلاةَ على النَّبيِّ تَوالى فتَفَرَّقُوا شِيَعاً وقالوا : لا لا
ثم استمرَّ على الصلاةِ إمامُهم فتحزَّبوا ورَمى الرِّجالُ رِجالا
يا آلَ حِمْصَ تَوَقَّعُوا مِنْ عارِها خِزياً يَحِلُّ عليكُمُ ووَبالا[2]
شاهتْ وجوهُكُمُ وجوهاً طالَما رَغِمَتْ مَعاطِسُها وساءتْ حالا

صوت

[من الطويل]

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالِكٍ ويا ابْنَةَ ذي البُرْدَينِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمِسي له أَكِيلاً فإنِّي لستُ آكِلَهُ وَحْدِي

عَروضه من الطويل . الشعر لقيس بن عاصم المِنْقَرِيِّ ، والغناء لعَلُّويه ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

1 ديوانه : 110-111 .
2 يا آل في ل : يا أهل .

[257] ـ أخبار قيس بن عاصم ونسبه[1]

[نسبه]

هو قيس بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنقَر بن عُبَيد بن مُقاعس . واسم مقاعِس الحارثُ بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناةَ بن تميم . ويُكْنى أَبا عليٍّ . وأُمُّه أُمّ أَصْعَر بنتُ خَليفَة بن جَرْوَل بن مِنقَر .

وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ حليمٌ كثير الغارات ، مُظفَّرٌ في غَزَواته . أدرك الجاهليّة والإسلام فساد فيهما . وهو أحدُ مَنْ وَأَد بناتِه في الجاهليّة ، وأسلم وحسُن إسلامه ، وأتى النبيّ ﷺ ، وصَحبه في حياته ، وعُمِّر بعده زماناً ، ورَوى عنه عِدّة أحاديث .

[وأد بناته]

أَخبرني عمِّي الحسن بن محمّد قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سَعْد قال حدَّثني عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ عن أَبيه قال : وفَدَ قَيْسُ بن عاصمٍ على رسول الله ﷺ ، فسأله بعضُ الأَنصار عمّا يُتَحَدَّثُ به عنه من الموءودات التي وَأَدهنّ من بناته ، فأَخبر أنّه ما وُلدتْ له بنتٌ قَطُّ إلاّ وأَدَها . ثم أَقبل على رسول الله ﷺ يحدّثه فقال له : كنت أَخاف سوء الأُحدوثة والفضيحةَ في البنات ، فما وُلدت لي بنتٌ قطُّ إلاّ وَأَدْتُها ، وما رَحِمتُ منهنّ موءودةً قطُّ إلاّ بُنَيَّةً كانت لي ولدتْها أُمُّها وأنا في سَفَر ، فدفعتْها أُمُّها إلى أَخوالها فكانت فيهم ؛ وقَدِمتُ فسألت عن الحَمْل ، فأخبرتني المرأة أنّها ولدتْ ولداً مَيِّتاً . ومضت على ذلك سِنون حتى كَبِرت الصبيّة ويَفَعَتْ ، فزارت أُمَّها ذاتَ يوم ، فدخلتُ فرأيتُها وقد ضَفرتْ شعرها وجعلتْ في قُرونها شيئاً من خَلُوق ونظمتْ عليها وَدَعاً ، وألبستْها قِلادة جَزْعٍ[2] ، وجعلتْ في عُنُقها مخْنَقةَ[3] بلح : فقلتُ ، من هذه الصبيّة فقد أعجبني جمالُها وكَيْسُها ؟ فبكتْ ثم قالت : هذه ابنتك ، كنتُ خبّرتك أنّي ولدتُ ولداً ميّتاً ، وجعلتُها عند أخوالها حتى بلغتْ هذا المبلغ . فأمسكتُ عنها حتى اشتغلَتْ أمّها عنها ، ثم أخرجتها يوماً فحَفَرتُ لها حَفِيرةً فجعلتُها فيها وهي تقول :

---

1 لقيس بن عاصم ترجمة في الإصابة 7188 وحماسة المرزوقي : 1584 والنقائض : 1023 وسمط اللآلي 487 والمحبر 238 ، 248 وانظر أعلام الزركلي ومواضيع متفرقة من التذكرة الحمدونية ، والمثل «أغدر من قيس بن عاصم» في مجمع الميدانيّ 2 : 429 .

2 الجزع : الخرز اليماني .

3 المخنقة : القلادة .

يا أبتِ ما تصنع بي ؟! وجعلتُ أقذِف عليها التُّرابَ وهي تقول : يا أبتِ أمُغطِّيَّ أنتَ بالتُّراب ؟! أتارِكي أنت وحدي ومنصرفٌ عنّي ؟! وجعلتُ أقذِف عليها التراب ذلك حتى واريتُها وانقطع صوتها ، فما رَحِمتُ أحداً ممن واريته غيرَها . فدمعتْ عَيْنا النبيّ ﷺ ثم قال : «إنّ هذه لَقَسْوةٌ ، وإنّ مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم» أو كما قال ﷺ .

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال : حدَّثني عمّي أبو فِراس محمد بن فِراس عن عمر بن أبي بَكّار عن شيخ من بني تميم عن أبي هُرَيْرَة : أنّ قَيْسَ بن عاصمٍ دخل على رسول الله ﷺ وفي حِجْره بعضُ بَناته يَشَمُّها ، فقال له : ما هذه السَّخْلة تَشَمُّها ؟ فقال : هذه ابنتي . فقال : والله لقد وُلِدَ لي ثمانون ووأدْتُ ثماني بُنَيّات ما شَمِمْتُ منهنّ أنْثى ولا ذَكَراً قَطُّ . فقال رسول الله ﷺ : «فَهَلْ إلاّ أن يَنْزِعَ اللهُ الرحمةَ من قَلْبك» !

قال أحمد بن الهيثم قال عمّي فحدّثني عبد الله بن الأهْتَم : أنّ سَبَبَ وأْدِ قيسٍ بَناتِه أنّ المُشَمْرَجَ اليَشْكُريَّ أغار على بني سَعْدِ بن زيد مناة في بني يشكر فسَبى منهم نساءً واستاق أموالاً ، وكان في النساء امرأةٌ ، خالُها قيس بن عاصم ، وهي رَمِيمُ بنتُ أحْمَر بن جَنْدَلٍ السَّعْدِيِّ ، وأمُّها أخت قيس . فرحل قيسٌ إليهم يسألُهم أن يَهَبُوها له أو يَفْدُوها ، فوجد عمرو بن المُشَمْرَج قد اصطفاها لنفسه . فسأله فيها ، فقال : قد جعلتُ أمْرها إليها فإن اختارتك فخذها . فخُيِّرتْ ، فاختارت عمرو بن المُشَمْرَج . فانصرف قيس فوَأد كلَّ بنت له ، وجعل ذلك سُنَّةً في كلِّ بنتٍ تُولَد له ، واقتدت به العرب في ذلك ؛ فكان كلُّ سيِّد يُولَد له بنتٌ يَئِدُها خوفاً من الفضيحة .

[يطلب من يؤاكله]

أخبرني محمد بن الحسن بن درَيْد قال حدَّثني عمِّي عن العبّاس بن هِشام عن أبيه عن جَدِّه قال : تزوّج قيس بن عاصِم المِنْقريّ مَنْفوسةَ بنتَ زيد الفَوارِس الضَّبِّي ، وأتته في الليلة الثانية من بِنائه بها بطعام ، فقال : فأين أكِيلي ؟ فلم تعلم ما يريد ؛ فأنشأ يقول[1] :

أيا ابْنــةَ عبــدِ الله وابنــةَ مالِــكٍ ويا ابنةَ ذي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا مــا صَنَعتِ الزادَ فالتمِسي له أكِيلاً فإنّي لستُ آكلَــهُ وَحْدِي

1 الأبيات الأربعة الأولى في الحماسة بشرح المرزوقيّ (رقم 733) دون نسبة : «وقال آخر» ، وذكر المحقق في الحاشية أنّها لحاتم الطائيّ كما ذكر التبريزي . وفي التذكرة الحمدونية 2 : 280 لقيس بن عاصم مع بعض اختلاف .

أخاً طارِقاً أو جارَ بيتٍ فإنَّني ... أخافُ مَلاماتِ الأحاديثِ مِن بَعْدِي
وإنِّي لعبدُ الضَّيْفِ مِن غيرِ ذِلَّةٍ ... وما بِيَ إلاّ تلك من شِيَم العَبْدِ

قال: فأرسلَتْ جاريةً لها مليحة فطلبت له أكيلاً، وأنشأت تقول له: [من الطويل]

أبى المَرْءُ قيسٌ أن يذوقَ طَعامَهُ ... بغيرِ أكيلٍ إنَّه لَكَريمُ
فبُورِكْتَ حَيّاً يا أخا الجُودِ والنَّدى ... وبُورِكْتَ مَيْتاً قد حَوَتْك رُجومُ

[مدحه العباس بن مرداس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعِيّ قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عُبَيدة قال: جاورَ رجلٌ من بني القَيْنِ من قُضاعَةَ قيسَ بن عاصم، فأحسن جِوارَه ولم يَرَ منه إلاّ خيراً حتى فارقه، ثم نزل على جُوَيْن الطائيّ أبي عامر بن جُوَيْن، فوثب عليه نفر من طيىء فقتلوه وأخذوا ماله، فقال العبّاس بن مِرْداس يهجوهم ويمدَح قيساً: [من الطويل]

لَعَمرِي لقد أوفى الجوادُ ابنُ عاصمٍ ... وأحْصَنَ جاراً يومَ يَحْدِجُ بَكْرَهْ[1]
أقامَ عزيزاً مُنْتَدى القومِ عندَه ... فلم يَرَ سَوْءاتٍ ولم يَخْشَ غَدرَهْ
أقام بِسَعْدٍ يشرَب الماءَ آمناً ... ويأكل وُسْطاها ويَرْبِضُ حَجْرَهْ[2]
فإنّك إذ بادلتَ قيسَ بنَ عاصمٍ ... جُوَيْناً لَمُخْتارُ المنازلِ شَرَّهْ
فأصبَح يحدو رَحْلَهُ بمَفازةٍ ... وماذا عَدا جاراً كريماً وأُسْرَهْ
يَظَلُّ بأرض الغَدْرِ يأكُلُ عَهْدَه ... جُوَيْنٌ وشَمْخٌ خارِبَيْنِ بِوَجْرَهْ[3]
يُذِمّان بالأزواد والزادُ مَحْرَمٌ ... سَرُوقان من عِرق شروراً وفَجْرَهْ[4]

[حلمه]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدَّثنا الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدَّثني دَماذ عن أبي عبيدة قال: قال الأحنف: ما تعلّمت الحلمَ إلاّ من قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ، فقيل له: وكيف ذلك يا أبا بحر؟ فقال: قتل ابن أخ له ابناً له فأتي بابن أخيه مكتوفاً يقاد إليه، فقال:

1 وأحصنَ جاراً في ل: وأحسن جداً. أحدج بكره: شدّ عليه الحمل.
2 المثل: «يأكل وسطاً ويربض حجرة» في مجمع الميداني 2: 150 وجمهرة العسكري 2: 430 ومستقصى الزمخشري 2: 411 ومعناه أنّه يأكل وسط المرعى وهو خياره ما دام القوم في خير فإذا أصابهم شرٌّ اعتزلهم وربض ناحية.
3 يأكل عهده: ينكث. وشمخ: اسم رجل. وخاربين: لِصَّيْن. وجرة: اسم موضع.
4 يذم: يتهاون. الأزواد: جمع زاد.

ذَعَرتم الفتى . ثم أقبل عليه فقال : يا بُنيّ ، نَقَصتَ عددك ، وأوهيت[1] ركنك ، وفَتَتَّ في عضدك ، وأشمتَّ عدوَّك ، وأسأت بقومك . خلُّوا سبيله ، واحملوا إلى أمّ المقتول ديته ، قال : فانصرف القاتل وما حلّ قيس حَبوته ، ولا تغيّر وجهه[2] .

[وفوده على الرسول]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ عن أبي جُعْدُبَة وأبي اليقظان قالا : وفد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ ، فقال النبيّ عليه الصلاة والسلام : «هذا سيِّد أهلِ الوَبَر» .

[تطاوله على تاجر شرب خمره]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال : جاور داريٌّ كان يَتَّجِر في أرض العرب قيس بن عاصم ، فشرِب قيسٌ ليلةً حتى سَكر ، فرَبَط الداريَّ وأخذ ماله ومتاعه . وشرِب من شرابه فازداد سُكْراً ، وجعل من السكر يتطاول ويُثاوِرَ[3] النجوم لِيَبْلُغَها وليتناوَلَ القمر ، وقال : [من البسيط]

وتاجرٍ فاجـــرٍ جـــاء الإلهُ به ... كأن عُثنونَـــه أذنابُ أجمالِ

ثم قَسَمَ صَدَقة النبيّ ﷺ في قومه وقال : [من الطويل]

ألا أَبْلِغـــا عنِّـــي قُرَيشاً رسالةً ... إذا مـــا أتتهمْ مُهْدَيـــاتُ الوَدائعِ
حَبَوْتُ بما صدَّقتُ في العامِ مِنْقَراً ... وأيأستُ منهـــا كلَّ أطلسَ طامعِ[4]

قال : فلمّا فَعل بالداريّ ما فعل وسكر ، جعل مالَه نُهْبى ، فلم تزل امرأته تُسَكِّنه حتّى نام . فلمّا أصبح أُخبر بما كان منه ، فآلى ألاّ يُدْخل الخمرَ بين أضلاعه أبداً .

[خديعة الزِّبرقان له في الصدقات]

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني الحارث بن محمد قال حدَّثنا المدائنيّ قال : وَلي قيسُ بن عاصم على عهد رسول الله ﷺ صَدَقات بني مُقاعِس والبُطونِ كلِّها ، وكان الزِّبْرِقان بن بَدْرٍ قد وَلِي صَدَقات عوف والأبناء[5] . فلمّا تُوُفِّي رسول الله ﷺ وقد جَمع كلٌّ واحد من قيسٍ والزِّبْرِقان صَدَقاتِ مَن وَلي صدقتَه دسَّ إليه الزبرِقان مَن زَيّن له المَنْع لِما في يده وخدعه بذلك ، وقال له :

---

1 وأوهيت في ل : وأوهنت .
2 انظر رواية الخبر في العقد الفريد 2 : 277 .
3 يثاوره : يواثب .
4 المصدق : آخذ الصدقات . والأطلس هنا : اللص الخبيث .
5 الأبناء : أولاد سعد بن زيد مناة بن تميم .

إنّ النبيّ ﷺ قد توفّي ، فهَلُمَّ نجمَع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا ؛ فإن استقام الأمرُ لأبي بكر وأدّتِ العربُ إليه الزّكاة جمعناها له الثانية . ففرّق قيس الإبلَ في قَومه ؛ فانطلق الزِّبرقان إلى أبي بكر بسبعمائة[1] بعير فأدّاها إليه ، وقال في ذلك : [من الطويل]

وَفَيْتُ بأذوادِ النبيِّ محمدٍ وكنتُ امرءاً لا أُفْسِدُ الدِّينَ بالغَدْرِ

فلمّا عرف قيسٌ ما كادَه به الزّبرِقان قال : لو عاهد الزّبرِقان أُمَّه لَغَدَر بها .

[أسباب سيادته]

أخبرني عبد الله بن محمد الرّازيّ قال حدَّثنا الحارث بن أُسامة قال حدَّثنا المدائنيّ ، رأخبرني الحسن بن علّيٌ قال حدَّثنا ثعلبٌ عن ابن الأعرابيّ قال : قيل لقيس بن عاصم : بماذا سُدْتَ ؟ قال : بِبَذْلِ النّدى ، وكَفِّ الأذى ، ونَصْر المولى .

[نصيحته لبنيه]

أخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ قال : كان قيسُ بن عاصم يقول لبنيه : إيّاكم والبَغْيَ ؛ فما بَغى قومٌ قطُّ إلاّ قَلّوا وذلّوا . فكان بعضُ بَنِيهِ يَلطِمُهُ قومُه أو غيرُهم فينهى إخوتَه عن أن ينصروه .

[إمساك المال]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا الحارث عن المدائنيّ عن ابن جُعْدُبة : أنّ قيس بن عاصم قال : أتيتُ رسول الله ﷺ ، فرحَّب بي وأدناني ؛ فقلت : يا رسول الله ، المالُ الذي لا يكون عليَّ فيه تَبِعةٌ ما ترى في إمساكِه لِضَيْفٍ إن طَرَقني ، وعِيال إنْ كَثُروا عليّ ؟ فقال : «نِعْمَ المالُ الأربعون ، والأكثر الستّون ، وويلٌ لأصحاب المِئِين ، ثلاثاً ، إلاّ مَن أعطى من رِسْلها وأطرق[2] فَحْلَها ، وأفقر ظَهْرَها[3] ، ومَنَح غَزيرَتها ، وأطعم القانعَ والمُعْتَرَّ[4] . فقلت له : يا رسولَ الله ، ما أكرمَ هذه الأخلاق وأحسنها إنّه لا يُحَلُّ بالوادي الذي فيه إبلي من كَثْرتها . قال : «فكيف تصنع في الإطراق ؟» قلت : يغدو الناس ، فمَنْ شاء أن يأخذ برأس بَعِير ذهب به ، قال : «فكيف تصنع في الإفقار ؟» فقلت إنّي لأفْقِرُ النابَ المُدبرةَ والضَّرَع[5] الصغيرة . قال : «فكيف تَصْنَع في المَنيحة ؟» قلت : إنّي لأمنح في السَّنة المائة . قال :

1 ل : بتسعمائة .

2 رسلها : لبنها . وأطرق فحلها : أعاره للضراب .

3 أفقر ظهرها : أعارها للركوب .

4 القانع : السائل . والمعتر : المتعرض للمعروف دون سؤال .

5 الناب المدبرة : الناقة الهرمة . والضرع : الصغيرة .

«إنّما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبِسْتَ فأبْلَيْتَ ، أو تَصَدَّقْت فأمضيت» .

[يوم جدود[1]]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ حدَّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال : قيسُ بن عاصم هو الذي حَفَز الحَوْفَزانَ بن شَرِيكٍ الشَّيْبانيّ ، طَعَنه في استِه في يوم جَدُود .

وكان من حديث ذلك اليوم أنّ الحارث بن شَرِيك بن عمرو بن الصَّلْب بن قَيْس بن شَراحِيل بن مُرَّةَ بن هَمَّام كانت بينه وبين بني يَرْبُوع مُوادعةٌ ، ثم هَمَّ بالغدر بهم ، فجمع بني شَيْبان وبني ذُهْلٍ واللَّهازِمَ : قَيْسَ بن ثعلبةَ وتَيْمَ الله بن ثَعْلبة وغيرهم ، ثم غزا بني يربوع ، فنَذِرَ به عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهاب بن شَرِيك ، فنادى في قومه بني جعفر بن ثَعْلبة فخالفوا بين الحارث بن شريك وبين المال فقال لعتيبة : يا أبا جوزة : قد عرفت الموادعة بيني وبين بني سليط ، فهل لكم في مثلها فلا تروع بني يربوع فوادَعَه . وأغار الحارث بن شريكٍ على بني مُقاعِس وإخوتهم بني رُبَيْع فاستغاثوا ببني ربيع فلم يُجيبوهم ، فاستصرخوا بني مِنْقَرٍ فركِبوا حتى لَحِقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يومٍ شديد الحَرِّ . فما شَعَر الحَوْفَزانُ إلاّ بالأهتم بن سُمَيٍّ بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ ، واسم الأهتم سنان ، وهو واقف على رأسه ، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركِبه وقال للأهتم : مَنْ أنت ؟ فانتسب له ، وقال : هذه مِنقر قد أتتك . فقال له الحوفزان : فأنا الحارث بن شريك ! فنادى الأهتم : يا آل سعد ! ونادى الحوفزان : يا آل وائل ؛ وحمل كلٌّ واحد منهما على صاحِبه ، ولحِقت بنو مِنْقَرٍ ، فاقتتلوا أشدّ قتال وأبرحه ، ونادت نساء بني رُبَيع : يا آل سعد ؛ فاشتدّ قتال بني منقر لصياحهن ، فهُزِمتْ بكرُ بن وائل ، وخَلَّوْا مَن كان في أيديهم من بني مُقاعِس ، وما كان في أيديهم من أموالهم ، وتَبِعتهم بنو مِنْقَرٍ بين قَتْلٍ وأَسْرٍ ؛ فأَسَرَ الأهتمُ حُمْران بن عَبْدِ عمرو ، وقصد قيسُ بن عاصم الحوفزان ، ولم يكن له هِمّة غيره ، والحارث على فرس له قارحٍ يُدعى الزَّبِد ، وقيس على مُهْر فخاف قيس أن يسبِقه الحارث ، فحفزه بالرُّمح في استه ، فتحَفّز به الفرس فنجا ، فسُمِّي الحَوْفَزان . وأطلق قيس أموالَ بني مُقاعس وبني رُبَيع وسَباياهم ، وأخذ أموالَ بكر بن وائل وأساراهم . وانتقضت طعنة قيس على الحَوْفزان بعد سنةٍ فمات . وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم : [من الطويل]

جَزَى الله يَرْبوعاً بأسوأ فِعْلِها ... إذا ذُكِرتْ في النائباتِ أمورُها
ويومَ جَدُودٍ قد فضحتم ذِمارَكم ... وسالَمْتُمُ والخيلُ تَدْمى نُحورُها
سَتَخطِمُ سعدٌ والرِّبابُ أُنوفَكم ... كما حزَّ في أنف القَضيبِ جَرِيرُها

1 يوم جدود : يوم لبني منقر (من تميم) على بكر (بن ربيعة) . انظر أيّام العرب في الجاهلية : 178-181 .

وقال سَوّار بن حَـيَّانِ المِنْقَرِيّ : [من الطويل]

ونحـن حَفَزنـا الحوفزانَ بطَعْنةٍ سَقَتْه نَجيعاً من دَمِ الجَوْفِ أَشْكَلا[1]
وحُمْرانُ قَسْراً أنزلتْـه رِماحُنـا فعالَـجَ غُـلاًّ في ذِراعَيْـهِ مُقْفَلا

[يوم النباج وثيتل[2]]

قال : وأغار قيس بن عاصم بعد ذلك على اللهازم ، فتَبِعه بنو كَعب بن سعد بالنِّباج وثَيْتَل ، فتخوَّف أن يَكْرَه أصحابُه لقاءَ بكر بن وائل ، وقد كانوا يَتناجَوْن في ذلك ، فقام ليلاً فشقّ مَزادَهم ، لئلاّ يَجِدُوا بُدّاً من لِقاء العدوّ[3] ، فلمّا فَعَل ذلك أذعنوا بلقائهم وصَبَروا له ، فأغار عليهم ، فكان أَشهَرَ يوم يومَ ثَيْتَلِ لبني سعد ، وظَفِر قيسٌ بما شاء ، وملأ يديه من أموالهم وغنائمهم . وفي ذلك يقول ابنه عليّ بن قيس بن عاصم : [من الطويل]

أنـا ابنُ الذي شقَّ المَزادَ وقد رأى بثَيْتَـلَ أحيـاءَ اللَّهـازم حُضَّرا
فصَبَّحَهم بالجيش قيسُ بنُ عاصمٍ وكان إذا مـا أَورد الأمـرَ أَصْدَرا

[قتاله عبد القيس]

قال : وأَغار قيسٌ أيضاً ببني سعد على عبـد القَيْس ، وكان رئيس بنـي سَعْدٍ يومئذٍ سِنان بن خالد ، وذلك بأرض البَحْرَيْن ، فأَصابوا ما أَرادوا ، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميـم كما فُعِل بهـم بالْمُشَقَّر حين أُغلق عليهـم بابه فامتنعوا ، فقـال في ذلك سوّار بن حيّان : [من الطويل]

فيا لَكَ مِـن أَيّامِ صِدْقٍ أَعُدُّها كيَـومِ جُؤاثَى والنِّباجِ وَثَيْتَلا

[يوم الكلاب الثاني]

قال : وكان قيسُ بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكُلابِ الثاني[4] ، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يَغُوثَ بن وَقّاص بن صَلاءَةَ الحارثيّ حين أَسَرَه عِصْمةُ بن أُبَيْر التَّيْميّ ودَفَعه إلى الأَهتم ، فرفع قيسٌ قَوْسَه فضرَب فَمَ الأهتم بها فهَتَم أسنانه ؛ فيومئذٍ سُمِّي الأهتم ، والله أعلم .

1 النجيع : الدم المائل إلى السواد أو دم الجوف . والأشكل : ما يخالط سواده حمرة .
2 يوم النباج وثيتل : لتميم على بكر (بن ربيعة) . انظر أيّام العرب في الجاهلية : 175–177 .
3 ل : القوم .
4 في يوم الكلاب الثاني انظر أيّام العرب في الجاهلية : 124–131 .

[نصيحته لأولاده حين حضرته الوفاة]

أخبرنا هشام بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عُبَيدة ، وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرَّاق قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن عديٍّ قال : جمع قيسُ بن عاصمٍ ولَدَه حين حضرتْه الوفاة وقال : يا بَنيَّ ، إذا مُتُّ فسوِّدُوا كِبارَكم ، ولا تُسَوِّدُوا صِغارَكم فيُسَفِّهَ الناسُ كبارَكم . وعليكم بإصلاح المالِ فإنّه مَنْبَهةٌ للكريم ، ويُسْتَغْنى به عن اللئيم . وإذا مُتُّ فادْفِنوني في ثيابي التي كنت أصلّي فيها وأصوم . وإيّاكم والمسألة فإنّها آخِرُ مكاسبِ العبد ؛ وإنّ امرءاً لم يسأل إلاّ ترك مكسبه . وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن هذا الحيّ من بكرِ بن وائل ؛ فقد كان بيننا خُماشاتٌ[1] في الجاهلية . ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوَترٍ ، ثم قال : اكسروها فلم يستطيعوا ، ثم قال : فرِّقوا . ففرَّقوا ، فقال : اكسِروها سهماً سهماً ، فكسروها . فقال : هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفُرْقة . ثم قال : [من الخفيف]

إنّما المجدُ ما بَنى والدُ الصِّدْ ... قِ وأحيا فَعالَه المولودُ
وتَمامُ الفضلِ الشجاعةُ والحِلْـ ... ـمُ إذا زانَه عَفافٌ وجُودُ
وثلاثون يا بَنيَّ إذا ما ... جَمَعْتهم في النائبات العُهودُ
كثلاثين من قِداحٍ إذا ما ... شَدَّها للزمان قِدْحٌ شديدُ
لم تَكَسَّرْ وإن تَفرّقتِ الأسْـ ... ـهُمُ أوْدى بجمعِها التبديدُ
وذوو الحِلْمِ والأكابرُ أولى ... أن يُرى منكُمُ لهم تسويدُ
وعليكمْ حِفْظَ الأصاغرِ حتّى ... يَبْلُغَ الحِنْثَ الأصغرُ المجهودُ

[رثاء عبدة بن الطبيب له]

ثم مات ؛ فقال عَبْدَةُ بن الطَّبيبِ يَرثيه : [من الطويل]

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ ... ورحمتُه ما شاء أن يَتَرَحَّما
تحيَّةَ من أوليته منك نعمةً ... إذا زار عن شَحْطٍ بلادَكَ سَلَّما
فما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ... ولكنّه بُنيانُ قومٍ تَهَدَّما

أخبرني عُبيد الله بن محمد الرازيّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : لمّا مات عبد الملك بن مَروان اجتمع وَلَدُه حولَه ، فبكى هشامٌ حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : رَحِمك الله يا أميرَ المؤمنين ؛ فأنت والله كما قال عَبْدة بن الطّبيب : [من الطويل]

---

1 خماشات : جراحات وجنايات .

وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ولكنّــه بُنْيــانُ قــوم تهدَّما

فقال له الوليد : كذبتَ يا أحولُ يا مشؤوم ، لسنا كذلك ، ولكنّا كما قال الآخر : [من الطويل]

إذا مُقْرَمٌ مِنّــا ذَرا حَدُّ نابِهِ تَخَمَّط فينا نــابُ آخَرَ مُقْرَمِ

[علاقته بعبدة بن الطبيب]

أخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ المُهَلَّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبَّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان بين قيس بن عاصم وعَبْدَة بن الطَّبيب لِحاءٌ ، فهجره قيسُ بن عاصم ، ثم حمَلَ عَبْدةُ دماً في قومه ، فخرج يسأل فيما تَحمَّله ، فجمَع إبلاً ، ومرَّ به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدِّية ، فقال : فيمَ يسأل عَبدة ؟ فأُخبر ؛ فساق إليه الدية كاملةً من ماله ، وقال : قولوا له لِيَسْتَمْتِعْ بما صار إليه ، وَلْيَسُقْ هذه إلى القوم . فقال عَبْدة : أما والله لولا أنْ يكون صُلْحِي إيَّاه بعَقِب هذا الفِعْل عاراً عليّ لصالحتُه ، ولكني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأُصالحه . ومضى بالإبل ثم عاد ، فوجد قيساً قد مات ، فوقف على قبره وأنشأ يقول : [من الطويل]

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ ورحمتُــه مــا شاءَ أنْ يترحَّمــا

الأبيات .

[تحريمه الخمر على نفسه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأَزْهَر قال حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحَدَثان وهشامُ بن الكلبيٌّ عن أشياخهما : أنّ قيس بن عاصم المِنْقَرِيَّ سَكِرَ من الخمر ليلةً قبل أن يُسْلِم ، فغَمَزَ عُكْنة ابنتِه ، أو قال أُخته ، فهربتْ منه . فلمّا صحا منها ، فقيل له : أوما علمتَ ما صنعتَ البارحة ؟ قال : لا . فأخبروه بصُنْعه ، فحرَّم الخمر على نفسه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

وجدتُ الخمرَ جامحــةً وفيها خِصالٌ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الكريما
فَلا واللهِ أشْرَبُهــا حَياتــي ولا أدعــو لهــا أبــداً نَدِيما
ولا أُعطِي بهــا ثَمَناً حياتي ولا أُشْفــي بهــا أبــداً سقِيما
فإنَّ الخمــرَ تَفْضَحُ شارِبِيهــا وتُجْشِمُهُمْ بهــا أمراً عظِيما
إذا دارتْ حُمَيّاهــا تَعَلَّــتْ طَوالِعُ تُسْفِهُ الرَّجُــلَ الحليما

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : قال الزِّبْرِقان : إنّ تاجِراً دِيافِيّاً[1] مرَّ بِحمْل خمرٍ على قيس بن عاصم فنزل به ، فقال قيس :

1 ديافي : منسوب إلى دياف ، قرية بالشام تنسب إليها الإبل والسيوف .

أصبَحْني قَدَحاً ؛ ففعل . ثم قال له : زِدني (ثلاثاً) فقال له : أنا رجلٌ تاجرٌ طالب رِبح وخير ، ولا أستطيع أن أسْقِيك بغير ثمن . فقام إليه قيس فَرَبطه إلى دَوْحةٍ في داره حتى أصبح ، فكلَّمته أختـه في أمره ، فلَطَمها وخَمَش وَجْهَها ، وزعموا أنّه أرادها[1] على نفسها ، وجعل يقول : [من البسيط]

وتاجرٍ فاجـرٍ جـاء الإلهُ به كأنَّ لِحْيَتَـه أذنـابُ أجمـالِ

فلمّا أصبح قال : مَن فَعَل هذا بضَيْفِي ؟ قالت له أخته : الذي صنع هذا بوجهي ، أنت والله صنعتَه ، وأخبرته بما فعل . فأعطى الله عهداً ألاّ يشربَ الخمر أبداً . فهو أوّل عربيٍّ حَرَّمها على نفسه في الجاهليّة ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

فواللهِ لا أحسو يَـدَ الدَّهْـرِ خمـرةً ولا شَرْبَةً تُزْرِي بذِي اللُّبِّ والفخرِ
فكيف أذوق الخمر والخمرُ لم تَزَلْ بصاحبِها حتـى تَكَسَّعَ في الغَدْرِ[2]
وصارت بـه الأمثالُ تُضْرَبُ بَعْدَما يكونُ عميدَ القومِ في السِّرِّ والجَهْرِ
ويَبْدُرُهـمْ في كلِّ أمـرٍ يَنُوبُهـم ويَعْصِمُهم مـا نابَهم حادثُ الدَّهْرِ
فيا شارِب الصَّهْباء دَعْها لأهلها الـ ـغُواةِ وسَلِّـمْ للجسيم مـن الأمرِ
فإنَّـك لا تَـدْري إذا مـا شَرِبْتَها وأكثرتَ منها مـا تَرِيشُ وما تَبْرِي[3]

[فارقته امرأته بعد إسلامه]

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال حدَّثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المُباركيّ قال أخبرني المدائنيّ عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : قال الأحنف بن قيس : ذكرتُ بلاغةَ النساء عند زِيادٍ ، فحدّثته أنّ قيس بن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بني حنيفَة ، فأبى أهلها وأبوها أن يُسْلِمُوا وخافوا إسلامَها ، فاجتمعوا إليها وأقسموا إنّها إن أسلمتْ لم يكونوا معها في شيء ما بقيت . فطالبتْ قيساً بالفُرْقة ، ففارقها ، فلمّا احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ : أما والله لقد صَحِبْتِني سارَّة ، ولقد فارقْتِني غيرَ عارَّة ، لا صُحْبَتُك مملولة ، ولا أخلاقك مذمومة ، ولولا ما اخترتِ ما فرَّق بيننا إلاّ الموتُ ، ولكنّ أمر الله ورسوله ﷺ أحقُّ أن يُطاع . فقالت له : أُنبِئتُ بحَسَبِك وفَضْلِك ، وأنت والله إن كنتَ للدَّائِمَ المحبّة ، الكثيرَ المودّة[4] ، القليلَ اللائمة ، المُعْجِبَ الخلوة ، البعيدَ النبوّة . ولَتعلمنَّ أنّي لا أسكن بعدك

---

1 ل : راودها عن .
2 تكسّع : تمادى .
3 معنى المثل ما يريش وما يبري أي لا يضر ولا ينفع .
4 ل : العفة .

إلى زوج . فقال قيس : ما فارقتْ نفسي شيئاً قطُّ فتَبِعْته كما تبعتْها .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدَّثني أبو فِراس قال : كان قيس بن عاصم يُكنى أبا عليّ ، وكان خاقان بن الأهتم إذا ذكره قال : بَخْ ! من مثل أبي عليّ ! [من الطويل]

تُطِيفُ به كَعْبُ بن سعد كأنّما يُطِيفون عُمَّاراً ببيتٍ مُحَرَّمِ

[بنو منقر]

وقال عَلاّن بن الحسن الشُّعوبيّ : بنو مِنْقَرٍ قوم غدر ، يقال لهم الكَوادِن ، ويلقّبون أيضاً أعرافَ البِغال ، وهم أسوأ خلق الله جِواراً ، يسمُّون الغدر كَيْسان ، وفيهم بخلٌ شديد .

وأوصى قيس بن عاصم بنيه ، فكان أكثرَ وصيَّته إيَّاهم أن يحفظوا المالَ ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً . وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النَّمِر بن تَوْلَب : [من البسيط]

يـا منْقَـرُ بنَ عُبَيْدٍ إنَّ لُؤمَكُمُ مُـذْ عَهْدِ آدَمَ في الدِّيوانِ مكتوبُ
للضَّيْفِ حَقٌّ على مَنْ كان ذا كرمٍ والضَّيْفُ في مِنْقَرٍ عُرْيانُ مسلوبُ

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغَدْرَ كَيْسانَ في قصيدة هجاهم بها : [من الطويل]

إذا ما دَعَوْا كَيْسانَ كانتْ كُهُولُهمْ إلى الغَدْرِ أَدْنـى من شَبابِهمُ المُرْدِ

قال : وهذا شائع في جميع بني سَعْد ، إلاّ أنّهم يتدافعونه إلى بني مِنْقَر ، وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سِنانِ خالد بن مِنْقَر ، وهو جَدُّ قيس بن عاصم .

[تهاتره مع عمرو بن الأهتم عند النبيّ]

وحكي عن ابن الكلبيّ أنّ النبيّ ﷺ لمّا افتتح مكّة قَدِمتْ عليه وفودُ العرب ، فكان فيمن قَدِم عليه قيسُ بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عَمِّه ، فلمّا صارا عند النبيّ ﷺ تَسابًّا وتَهاتَرا ؛ فقال قيس لعمرو بن الأهتم : والله يا رسول الله ما هُمْ منّا ، وإنّهم لمن أهل الحيرة . فقال عمرو بن الأهتم : بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منّا . ثم قال له : [من البسيط]

ظَلِلْـتَ مُفْتَرِشَ الهَلْبـاء تَشْتِمُني عند الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

الهَلْباء يعني استه ، يعيره بذلك ، وبأن عانته وافية .

إن تُبْغِضُونـا فـإنّ الرُّوم أصلُكُمُ والرُّوم لا تملِك البغضاءَ للعَرَبِ
سُدْنا فسُؤدَدُنا عَـوْدٌ وسُؤدَدُكُمْ مُؤَخَّرٌ عند أَصل العَجْبِ والذَّنَبِ[1]

1 العجب : أصل الذنب .

قال : وإنّما نسبه إلى الرُّوم لأنّه كان أحمرَ . فيقال : إنّ النبيّ ﷺ نهاه عن هذا القول في قَيْس ، وقال : إن إسماعيل بن إبراهيم ، صلّى الله عليهما وسلّم ، كان أحمر . فأجابه قيس بن عاصم فقال : [من السريع]

مـا في بَني الأهْتَمِ من طائلٍ — يُرْجى ولا خَيْرٍ لَـهُ يَصْلُحونْ
قُـلْ لبني الحِيريّ مَخْصوصةً — تُظْهِرُ منهم بعضَ مـا يَكْتُمونْ
لـولا دِفاعـي كنتـم أعْبُدًا — مَسْكَنُهـا الحِيرةُ فالسَّيْلَحون[1]
جاءت بكم عَفْرةُ من أرْضِها — حِيرِيَّـةً ليست كما تزعُمونْ
في ظاهـر الكَـفِّ وفي بَطنها — وَسْمٌ من الدَّاء الذي تكْتُمونْ

[ردته عن الإسلام]

وذكر عَلاّن أنّ قَيْساً ارتدَّ بعد النبيِّ ﷺ عن الإسلام ، وآمن بسَجاحٍ ، وكان مُؤَذّنها ، وقال في ذلك[2] : [من البسيط]

أضحتْ نَبيَّتُنا أنْثى نُطِيفُ بها — وأصبحتْ أنبيـاءُ الله ذُكْرانا

قال : ثم لمّا تزوّجت سَجاحِ بمُسَيْلِمَةَ الكذّاب الحَنفيِّ وآمنت به آمن به قيسٌ معها . فلمّا غزا خالد بن الوليد اليمامة وقتل الله مسيلمةَ أخَذ قَيْسَ بن عاصمٍ أسيراً ، فادّعى عنده أنّ مُسَيْلِمَة أخذ ابناً له ، فجاء يطلبُه . فأحلفه خالد على ذلك ، فحلف فخلّى سبيله ، ونجا منه بذلك .

[أسره عبادة بن مرثد]

قال : وممّا يُعَيَّرون به أنّ عُبادة بن مَرْثَدِ بن عمرو بن مَرْثَد أسَرَ قَيْسَ بن عاصمٍ وسَبى أمَّه وأُختَيه يوم أُبْرَقِ الكِبريت ، ثم مَنَّ عليهم فأطلقهم بغير فِداء ، فلم يُثِبْه قيسٌ ولم يَشْكُرْه على فِعْله بقَوْلٍ يبلُغه . فقال عبادة في ذلك : [من الطويل]

على أُبْرَقِ الكِبْريتِ قيس بن عاصمٍ — أَسَرْتُ وأطرافُ القَنا قِصَدٌ حُمْرُ
مَتـى يَعْلَـقِ السَّعْدِيُّ منكَ بذِمَّةٍ — تَجِـدْهُ إذا يَلْـقى وشِيمَتُه الغَدْرُ

قال : وكان قيسُ بن عاصم يسمَّى في الجاهلية الكَوْدَنَ[3] .

---

1 السيلحون : بلد قرب الحيرة .
2 البيت في الطبري لعطارد بن حاجب .
3 الكودن : البغل أو البرذون .

[زيد الخيل يرميه بالكذب]

وكان زيدُ الخيل الطائيّ خَرَج عن قَوْمه وجاوَرَ بني مِنْقَر ، فأغارت عليهم بنو عِجْلٍ وزيدٌ فيهم ، فأعانهم وقاتل بني عِجْل قتالاً شديداً ، وأبلى بلاءً حسناً ، حتى انهزمتْ عجل ؛ فكفر قيس فِعْلَه وقال : ما هزمهم غيري . فقال زيد الخيل يعيِّره بالكذب في قصيدة طويلة : [من الطويل]

ولستُ بوَقَّافٍ إذا الخيلُ أَحْجمتْ ولستُ بكذَّابٍ كقَيْس بن عاصمِ

[وأده بناته]

قال[1] : وكان سبب وأد قيس بن عاصم بناته أن عمرو بن المشمرج اليشكريّ سبى رَميم بنت مزيد بن يزيد بن عبادة بن نزال ، وأمها أخت قيس بن عاصم ، فلما دخلت الأشهر الحرم وفد إليهم قيس بن عاصم ليستردّها ، فقالت للذي سباها لا تردني إليهم فاستحيا منهم وتذمم فقال لخالها قيس إنّها قد رضيت مكانها وأنا أكره أن أردها وأتذمم منها ، وأنا راغب في فدائها فخيّرها إن اختارتك ذهب عنّي ذمامها ، وإن اختارتني عهدتني ، فقال قيس : ما أظنّها تختار على أهلها أحداً قال : فدونكها ، فخيّرها قيس فاختارت عمرو بن المشمرج ، فعاهد الله قيس أن لا يستحيي له بنتاً أبداً ، وكان يئد بناته بعد ذلك . فقال . . . الفرزدق : لقد جاء الإسلام وإنّ عندنا بنتاً لقيس بن عاصم أراد أن يئدها فاشتراها صعصعة بن ناجية .

[إسلامه]

وممّا روى قيس بن عاصم عن النبيّ ﷺ : حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلْخِيّ قال : حدّثنا أبو خَيْثَمَة زُهَيْر بن حرْب قال : حدّثنا وكيع قال : حدّثنا سُفْيان الثَّوْرِيّ عن الأغرِّ المِنْقَرِيِّ عن خليفة بن حُصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جَدِّه أنّه أسلم على عهد النبيّ ﷺ ، فأمره النبيّ عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدْرٍ .

وحدَّثنا حامد قال حدَّثنا أبو خيثمة قال حدَّثنا جريرٌ عن المُغيرة عن أبيه شُعْبَةَ عن التَّوْءَم قال : سأل قيسُ بن عاصم رسولَ الله ﷺ عن الحلف ، فقال : «لا حِلْفَ في الإسلام ، ولكن تَمَسَّكوا بحِلْفِ الجاهلية[2] .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سَعد قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثني رجلٌ من الرِّباب قال : ذكر رجلٌ قَيْسَ بن عاصمٍ عند النبيّ ﷺ فقال : لقد هممتُ أنْ آتيَه فأفعلَ به وأصْنَعَ به ، كأنّه تَوَعَّده . فقال له النبيّ ﷺ «إذاً تَحُولُ سَعْدٌ دونَه بِكَراكِرِها[3]» .

1 زيادة لم ترد في نسختين .
2 يقصد أحلاف المناصرة على الخير والحق .
3 الكراكر : جمع كركرة وهي الجماعة من الناس .

قال : ولمّا مات قيسٌ رثاه مِرْداس بن عَبْدَة بن مُنَبِّه فقال[1] : [من الطويل]

وما كان قَيْسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ ولكنّــه بُنْيــانُ قــومٍ تَهَدَّمــا

صوت

[من مجزوء الخفيف]

خُذْ مــن العَيْشِ ما كَفى ومِنَ الدَّهْــرِ مــا صَفا
حَسُنَ الغَــدْرُ في الأَنا مِ كما اسْتُقْبِــحَ الــوَفا
صِلْ أَخــا الوَصْلِ إنَّه ليس بالهَجْــرِ مِــنْ خَفا
عَيْنُ مَــنْ لا يُرِيدُ وَصْـ ـلَكَ تُبْــدِي لَكَ الجَفا

الشعر لمحمد بن حازم الباهليّ ، والغناء لابن القَصَّار الطُّنْبُورِيّ ، رمَلٌ بالبِنصر . أُخبرني بذلك جحظة .

1 تقدم أن هذا الشعر لعبدة بن الطيب ، ص 53 .

[258] ـ أخبار محمد بن حازم ونسبه[1]

[نسبه]

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهليّ . ويكنى أبا جعفر . وهو من ساكِني بَغداد مولدُه ومَنْشَؤُهُ البَصرة . أخبرني بذلك ابن عَمّار أبو العبّاس عن محمد بن داوُد بن الجَرّاح عن حسين بن فَهْم .

وهو من شعراء الدولة العبّاسية ، شاعر مطبوع ، إلاّ أنّه كان كثير الهجاء للناس ، فاطُّرِح ، ولم يمدح من الخلفاء إلاّ المأمون ، ولا اتصل بواحد منهم ، فيكونَ له نباهةُ طَبَقته . وكان ساقط الهمّة ، مُتقلّلاً جداً ، يُرْضيه اليسير ، ولا يتصدّى لمدح ولا طلب .

[مع الطاهريّ]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسَدٍ قال : سمعت محمد بن حازم الباهليّ في منزلنا يقول : بعث إليّ فلانٌ الطَّاهريّ ، وكنت قد هجوته فأفرطتُ ، بألفي درهم وثياب في تخت ، وقال : أمّا ما قد مضى فلا سبيل إلى رَدِّه ، ولكن أُحِبُّ ألاّ تزيدَ عليه شيئاً . فبعثت إليه بالدراهم والثياب ، وكتبتُ : [من الكامل]

لا ألبَسُ النعمـاءَ مِـن رجلٍ ... ألبستُه عـاراً عـلى الدَّهْـرِ

[هجاء أحمد بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا أبو علي ، وسقط اسمه من كتابي ، قال قرأتُ في كتاب عَمِّي : قال لي محمد بن حازم الباهليّ : مرَّ بِي أحمد بن سَعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلِّم عليَّ سلاماً أرضاه ، فكتبتُ رُقْعَةً وأتبعته بها ، وهي : [من السريع]

وباهـليٌّ مـن بنـي وائـلٍ ... أفـادَ مـالاً بعـد إفـلاسِ
قَطَّبَ في وجْهيَ خَوْفَ القِرى ... تَقْطِيبَ ضِرْغـامٍ لَدى الباسِ
وأظهـرَ التِّيـهَ فتايَهْتُـهُ ... تِيـهَ امرىءٍ لم يَشْقَ بالنّاسِ
أعَرَتُـه إعْـراضَ مُسْتَكْبِرٍ ... في مَوْكِـب مـرَّ بـكَنَّاسِ

1 ترجمة محمد بن حازم الباهليّ في طبقات ابن المعتزّ : 311 ومعجم المرزباني : 429 وتاريخ بغداد 2 : 429 وديارات الشابشتي : 177 والورقة : 109 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

[مع سعد بن مسعود]

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثني أبو عليّ قال : لقيت محمّد بن حازم في الطريق فقلتُ له : يا أبا جعفر ، كيف ما بينَك وبين صديقِك سعد بن مَسْعود اليومَ ، وهو أبو إسحاق بن سعد ، وكان يكتب للنُّوشَجانيّ ، فأنشدني : [من السريع]

راجَـع بالعُتْبـى فأعتَبْتُـه ... وربّمـا أعْتَبَـك المُذْنـبُ
وإن في الدَّهْـر ، على صَرْفـه ... بـين الصَّدِيقَيْـن ، لُمسْتَعْتَـبُ

[في الشباب والشيب]

أخبرني محمّد بن القاسم الأنباريّ وابن الوَشَّاء جميعاً قالا حدَّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال : قال ابن الأعرابيّ : أحسنُ ما قال المُحْدَثُون من شُعَراء هذا الزَّمان في مديح الشَّباب وذَمَّ الشَّيْب قول محمد بن حازم الباهليّ : [من البسيط]

لا حِينَ صَبْرٍ فخَلٌّ الدَّمْعَ يَنْهَمِلُ ... فَقْدُ الشَّبابِ بيوم المـرء مُتَّصِلُ
سَقْياً ورَعْيـاً لأيَّام الشَّبابِ وإنْ ... لم يَبْقَ منـه لـه رسمٌ ولا طَلَلُ
جـرّ الزَّمـانُ ذُيـولاً في مَفارِقِه ... ولِلزَّمـانِ على إحسانـه عِلَلُ
وربَّما جَـرَّ أذيـالَ الصِّبا مَرَحاً ... وبين بُرْدَيْـهِ غُصْنٌ ناعِمٌ خَضِلُ
يُصبي الغَـواني ويَزْهـاه بِشِرَّتِهِ ... شَرْخُ الشَّبابِ وثوبٌ حالِكٌ رَجَلُ
لا تَكْذِبَنَّ فمـا الدُّنيـا بأجمعِها ... مـن الشَّبابِ بيَوْمٍ واحـدٍ بَدَلُ
كَفاكَ بالشَّيْب عيباً عنـد غانيةٍ ... وبالشَّبابِ شَفِيعـاً أيُّها الرَّجُلُ
بانَ الشَّبابُ ووَلَّى عنـكَ باطِلُهُ ... فليس يَحْسُنُ منك اللَّهْو والغزَلُ
أمَّا الغَواني فقد أعرَضْنَ عنك قِلًى ... وكان إعراضَهُـنَّ الدَّلُّ والخَجَلُ
أعرَنْكَ الهَجْرَ مـا لاحتْ مُطَوَّقةٌ ... فَلا وِصالٌ ولا عَهْـدٌ ولا رُسُلُ
ليـتَ المَنايـا أصابَتْني بأسْهُمِها ... فكُنَّ يَبْكِينَ عَهْدِي قبـلَ أكْتهِلُ
عهْدَ الشَّبابِ لقد أبقيتَ لي حَزَناً ... مـا جَدَّ ذِكرُك إلاّ جَـدَّ لي ثَكَلُ
إنّ الشبابَ إذا مـا حـلَّ رائدُه ... في مَنْهـلٍ رادَ يقفـو إثْـرَهُ أجَلُ

قال ابن الوَشَّاء خاصَّةً : وما أساء ولا قَصَّر عن الأُولى ، حيث يقول في هذا المعنى : [من البسيط]

أبكِـي الشَّبابَ لِنَدْمـانٍ وغانيةٍ ... وللمَغـاني وللأطـلال والكُتُبِ

وللصَّريـخ وللآجـام في غَلَسٍ ... وللقَنـا السُّمْرِ والهِنْدِيّـة القُضُبِ
وللخَيـالِ الذي قـد كان يَطْرُقُني ... وللنّدامـى ولِلّـذاتِ والطَّـرَبِ
يا صاحباً لم يَدَعْ فَقْدِي له جَلَداً ... أُضِعتُ بَعدك إنَّ الدَّهرَ ذُو عُقَبِ[1]
وقـد أكونُ ، وشَعْبانا معاً ، رَجُلاً ... يـومَ الكريهةِ فَرّاجاً عَنِ الكُرَبِ

[مع ابن حميد]

أخبرني ابن عمّار عن العَنَزيّ قال : كان محمد بن حازم الباهليّ مدح بعض بني حُمَيْد فلم يُثِبْه ، وجعل يفتش شعرَه فيعيب فيه الشيءَ بعد الشيء ، وبلغه ذلك فهجاه هجاءً كثيراً شنيعاً ، منه قوله : [من الوافر]

عَدُوّاكَ المَكـارِمُ والكِـرامُ ... وخِلُّـكَ دونَ خُلّتِـك اللّئامُ
ونَفْسُك نَفْسُ كلبٍ عند زَوْرٍ ... وعُقْبى زائـرِ الكلـبِ التِدامُ[2]
تَهِـرُّ على الجليسِ بلا احترامٍ ... لِتَحْشِمَـه إذا حَضَرَ الطّعامُ[3]
إذا مـا كانـت الهِمَمُ المَعالي ... فهَمُّك مـا يكون بـه المَلامُ
قُبِّحْـتَ ولا سَقاك اللهُ غيثاً ... وجانَبَـك التحيّـةُ والسلامُ

قال : فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكفَّ ، فلم يفعل ، وردَّ المال عليه ، وقال فيه : [من مخلّع البسيط]

موضعُ أسرارِك المُرِيبُ ... وحَشْوُ أثوابِـك العُيوبُ
وتمنَع الضيفَ فضلَ زادٍ ... ورَحْلُك الواسعُ الخَصِيبُ
يـا جامِعاً مانِعـاً بَخيلاً ... ليس لـه في العُلا نَصيبُ
أبالرُّشا يُسْتَمالُ مِثْـلي ؟ ... كَلاّ ؛ ومَنْ عنده الغُيوبُ
لا أرتـدي حُلّـةً لمُثْنٍ ... بوجهه مـن يَدِي نُدوبُ
وبيـن جنبيه لي كُلـومٌ ... دامِيـةٌ مـا لَهـا طَبيبُ
ما كنتُ في موضع الهَدايا ... منـكَ ، ولا شَعْبُنا قَريبُ
أنّى وقد نَشَّتِ المَكاوِي ... عن سِمَةٍ شأنُها عَجيبُ

1 عقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .
2 الزور : الزائر . الالتدام : النياحة .
3 يحشمه : يسمعه ما يكره .

وسار بالذَّمِّ فيك شِعْرِي وقيل لي مُحسِنٌ مُصِيبُ
مالُكَ مالُ اليتيمِ عندي ولا أرى أَكْلَه يَطِيبُ
حَسْبُكَ من مُوجِزٍ بليغ يَبْلُغُ ما يبلُغُ الخَطِيبُ

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليّ بن الحسين الشيبانيّ قال : بعث الحسن بن سَهْلٍ محمدَ بن حُمَيْد في وِجْهةٍ ، وأمره بجبايةِ مالٍ ، وبحَرْبِ قوم من الشُّراة ، فخان في المال وهَرَب من الحرب ، فقال فيه محمد بن حازم الباهليّ : [من المتقارب]

تَشَبَّه بالأَسَد الثعلبُ فغادَرَه مُعْنَقاً يُجْنَبُ[1]
وحاولَ ما ليس في طَبْعِه فأَسْلَمه النابُ والمِخْلَبُ
فلم تُغْنِ عنه أباطيلُه وحاصَ فأَحْرَزَه المَهْرَبُ[2]
وكان مَضِيّاً على غَدْره فعُيِّبَ ، والغادرُ الأَخْيَبُ
أيا ابْنَ حُمَيْدٍ كفرتَ النَّعِيـ ـمَ جهلاً ووَسْوَسَكَ المَذْهَبُ[3]
ومَنَّتْك نفسُك ما لا يَكُونُ وبعضُ المُنى خُلَّبٌ يَكْذِبُ
وما زلْتَ تسعى على مُنْعِمٍ بِبَغْيٍ وتُنْهى فَلا تُعْتِبُ
فأصبحتَ بالبَغْيِ مستبدلاً رَشاداً وقد فات مُسْتَعْتَبُ

قال : وقال فيه لمّا شخص إلى حيثُ وجَّهه الحسن بن سَهْلٍ : [من مخلّع البسيط]

إذا استقلَّتْ بك الرِّكابُ فحيثُ لا دَرَّتِ السحابُ
زالتْ سِراعاً وزُلْتَ يَجْرِي ببَينِك الظَّبْيُ والغُرابُ
بحيثُ لا يُرْتَجى إيابٌ وحيثُ لا يبلغُ الكتابُ
فَقَبْلَ معروفِك امتنانٌ ودُونَ معروفِك العذابُ
وخيرُ أخلاقِك اللَّواتي تعافُ أمثالَها الكلابُ

[قصر شعره]

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني أبي قال : قال يحيى بن أكْثَم لمحمد بن حازم الباهليّ : ما نَعِيبُ شَعرَك إلاّ أنّك لا تطيل ؛ فأنشأ يقول : [من الوافر]

---

1 معنق : في عنقه قلادة .
2 حاص : حاد وعدل .
3 وسوسه : ناجاه رسول له .

أبى لِيَ أنْ أُطيل الشعرَ قَصْدِي ... إلى المَعْنى وعِلمِي بالصَّوابِ
وإيجازي بمُخْتَصَرٍ قريب ... حذفتُ به الفضولَ من الجوابِ
فأبْعَثهُنّ أربعةً وخَمْساً ... مُثقّفةً بألفاظٍ عِذابِ
خَوالِدَ ما حَدا ليلٌ نهاراً ... وما حَسُن الصِّبا بأخي الشَّبابِ
وهُنَّ إذا وَسَمْتُ بهنّ قوماً ... كأطواقِ الحمائم في الرِّقابِ
وهُنّ إذا أقمْتُ مُسافراتٌ ... تَهادتْها الرُّواةُ مع الرِّكابِ

[مع أبي ذؤيب]

حدَّثني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال: حدَّثنا عليّ بن محمّد بن سليمان النَّوْفَليّ قال: كان بالأهواز رجلٌ يعرف بأبي ذُؤَيب من التّجار؛ وكان مَقْصِدَ الشعراء وأَهل الأدب، فقصده محمد بن حازم، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بَذَّة[1]، وهيئة رَثَّة، ولم يعرّفه نَفْسَه، وصادفهم يتكلّمون في شيء من معاني الشعر، وأبو ذؤيب يتكلّم متحققاً بالعلم بذلك، فسأله محمد بن حازم، وقد دخل عليه يوماً، عن بيتٍ من شعر الطِّرِمّاح جَهِله، فرَدَّ عليه جواباً مُحالاً كالمستصغر له وازدراه، فوثب عن مجلسه مُغْضَباً. فلمّا خرج قيل له: ماذا صنعتَ بنَفْسك وفتحتَ عليها من الشرّ؟ أتدري لَمن تعرَّضتَ؟ قال: ومَنْ ذاك؟ قال: هو الذي احتقرته أفما تعرفه؟ قال: لا، قال: هذا محمد بن حازم الباهليّ، أخبث الناس لساناً وأهجاهم. فوثب إليه حافياً حتى لَحِقه، فحلف له أنّه لم يَعْرِفه، واستقاله فأقاله، وحلف أنّه لا يقبَل له رِفْداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً، وكتب إليه بعد أن افترقا: [من الكامل]

أخْطا ورَدَّ عليَّ غيرَ جَوابي ... وزَرى عليّ وقال غيرَ صوابِ
وسكنتُ من عَجَبٍ لذاك فزادني ... فيما كَرِهتُ بِظَنّه المُرتابِ
وقضى عليَّ بظاهرٍ من كُسْوَةٍ ... لم يَدْرِ ما اشتملتْ عليه ثِيابي
مِنْ عِفَّةٍ وتكَرُّمٍ وتَحَمُّلٍ ... وتَجَلّدٍ لمصيبةٍ وعِقابِ
وإذا الزمان جنى عليَّ وجدتَني ... عُوداً لبعض صفائح الأقتابِ
ولئن سألت لَيُخْبِرَنَّك عالِمٌ ... أنّي بحيثُ أحبّ من آدابِ
وإذا نَبا بِيَ منزلٌ خَلَّيْتُه ... قَفْراً مجالَ ثَعالب وذِئابِ
وأكون مُشْتَرَكَ الغِنى مُتَبَذِّلاً ... فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أَصحابي

1 عليه ثياب بذة: رث اللباس.

لكنّـه رجعـتْ عليـه ندامةٌ لَمَّا نُسِبْتُ وخاف مَضَّ عِتابي
فأقَلْتُـه لَّمـا أقـرَّ بذنبـه ليس الكريمُ على الكريمِ بناب

[مع سعد بن مسعود]

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا النوفليّ قال : كان سعد بن مسعود القُطْرُبُّلِيُّ : أبو إسحاق بن سعد صديقاً لمحمّد بن حازم الباهليّ ، فسأله حاجةً فردَّه عنها ، فغضب محمد وانقطع عنه ، فبعث إليه بألف درهم وترضّاه ، فردّها وكتب إليه : [من السريع]

مُتَّسِعُ الصدرِ مُطِيـقٌ لِمـا يَحـارُ فيـه الحُـوَّلُ القُلَّبُ
راجَـعَ بالعُتْبـى فـأعتبته وربّمـا أعتَبَـك المُـذْنِبُ
أجَلْ وفي الدَّهـرِ ، على أنّه مـوكَّل بالبـين ، مُسْتَعْتَبُ
سَقْياً ورَعْيـاً لزمـانٍ مَضى عَنِّي ، وسَهْمُ الشَّامِتِ الأخيبُ
قـد جاءَني منكَ مُوَيْلٌ فلم أعْرِضْ لـه والحُرُّ لا يَكذبُ[1]
أخْذِيَ مـالاً منكَ بعد الذي أوْدَعْتَنِيـهِ مَرْكَـبٌ يَصْعُبُ
أبَيْتُ أن أشربَ عند الرّضا والسُّخْطِ إلاَّ مَشْرَبـاً يَعْذُبُ
أعـزَّني اليـأس وأغْنى فمـا أرجـو سِوى اللهِ ولا أرهبُ
قارونُ عندي في الغِنى مُعْدِمٌ وهِمَّتي مـا فوقَهـا مَذْهَبُ
فـأيّ هاتَيْنِ تَـراني بهـا أصبو إلى مالِـك أو أرغَبُ ؟

[مع أحمد بن يحيى]

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليزيدي وعيسى بن الحسين الورّاق ، واللفظ له ، قالا : حدَّثنا الخليل بن أسَدٍ النُّوشَجانيّ قال ، حدَّثنا حَمّاد بن يحيى قال : حدَّثنا أحمد بن يحيى قال : آخِرِ ما فارقتُ عليـه محمّدَ بن حازم أنّه قال : لم يبْقَ عليَّ شيءٌ من اللّذّات إلاّ بَيْعُ السَّنانير . فقلت لـه : سَخِنتْ عينُك ! أيْشِ لكَ في بيع السنانير من اللذّات ؟ قال : يُعجِبني أن تَجيئني العجوزُ الرَّعْناء تُخاصِمني وتقول : هـذا سِنَّوري سُرِق منّي ، وأُخاصمها وأشتُمُها وتشتمني ، وأغيظها وأباغضها ؛ ثم أنشدني : [من المجتث]

صِـلْ خمرةً بخُمارٍ وصِـلْ خُماراً بخمرِ

1 مويل : تصغير مال .

وخُــذْ بِحَظِّكَ منهــا زاداً إلى حيث تدري

قال : قلتُ : إلى أين ويحك ؟ قال : إلى النار يا أحمق .

[مع أحمد بن أبي نهيان]

أخبرني الحسن بن عليٍّ الخَفَّاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أبي السَّرِيّ قال : كان إسحاق بن أحمد بن أبي نَهِيك آنِساً بمحمد بن حازم الباهليّ يدعوه ويُعاشره مدّة . فكتب إليه يَسْتَزِيرُه ويُعاتبه عتاباً أغضبه ؛ وبلغه أنّه غضب ، فكتب إليه : [من البسيط]

مـا مُسْتَزِيرُكَ في وُدٍّ رأى خَلَــلاً في موضع الأُنْسِ أهلاً منك للغَضَبِ

قـد كنتَ تُوجِبُ لي حَقّاً وتَعْرِف لي قَدْرِي وتَحْفَظ منّي حُرمـةَ الأَدَبِ

ثم انحرفتَ إلى الأُخْرى فأَحْشَمَني[1] مــا كان منكَ بلا جُرْمٍ ولا سَبَبِ

وإنّ أدنـــى الذي عنـــدِي مُسامحـةٌ في حاجتي بعد أن أعذرتُ في الطلبِ[2]

فاخْتَرْ فعنــديَ مـن ثِنْتَيْن واحــدةٌ عُـذْرٌ جميلٌ وشُكْرٌ ليس باللَّعِبِ

فـإن تُجَــدِّد كما قـد كنتَ تفعلُه وإن أخب فبِما قـد خطّ في الكتبِ

[مع الحسن بن سهل]

حدَّثني محمد بن يونس الأنباريّ المعروف بمحصنة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : قال محمد بن حازم الباهليّ : عرضتْ لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سَهْلٍ ، فأتيتُه ، وقد كنتُ قلت في السفينة شعراً ، فلمّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له ، فَعَرفني ، فقال : ما قلت في الأمير ، فقلت ما قلت فيه شيئاً ؟ فقال له رجل كان معي : بلى ، قد قال أبياتاً وهو في السفينة ؛ فسألني أن أُنْشِدَه ، فأنشدته قولي : [من الوافر]

وقالوا لـو مدحتَ فَتًى كريماً فقلتُ وكيف لي بفَتًى كريمِ ؟

بَلَوْتُ الناسَ مُذْ خمسون عاماً وحَسْبُكَ بالمُجَرِّبِ مــن عليمِ

فمــا أحـــدٌ يُعَـدُّ ليومِ خيرٍ ولا أحــدٌ يعـــود على حميمِ

ويعجبني الفتـى وأظـنّ خيراً فأكشف منــه عن رجل لئيمِ

تَقَبَّـلَ بعضُهم بعضاً فأضْحَوْا بنــي أَبَوَيْنِ قَــدّا مــن أدِيمِ

---

1 أحشمتني : ساءني وأغضبتني .

2 أعذر : أبدى عذراً .

فطاف الناسُ بالحَسَن بن سَهْلٍ طَوافَهُـــمُ بزَمْـزَمَ والحَطِيمِ
وقالــوا سَيِّــدٌ يُعْطِي جزيلاً ويَكْشِف كُرْبَةَ الرجلِ الكظيمِ[1]
فقلتُ مضى بذَمِّ القوم شِعْري وقد يُؤْتى البَرِيءُ من السَّقيمِ
ومــا خَبَــرٌ تُرَجِّمُــه ظُنوني بأشفى مــن مُعاينــةِ الحَلِيمِ[2]
فجئــتُ وللأُمــورِ مُبَشِّراتٌ ولن يخفى الأَغَرُّ مــن البَهِيمِ
فإنْ يَــكُ مــا تَنَشَّرَ عنه حَقّاً رجعــت بأُهْبَةِ الرجــلِ المُقِيمِ
وإن يَكُ غيرُ ذاكَ حَمِدتُ ربِّي وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيمِ
ومــا الآمــال تَعْطِفُنِي عليــه ولكنَّ الكريــمَ أخــو الكريمِ

قال : فلمّا أنشدتُه هذا الشعر ، قال لي : بمثل هذا الشعر تلقى الأمير ؟ والله لو كان نَظِيرَكَ لَما جاز أن تُخاطبه بمثل هذا ؛ فقلت : صدقت ، فكذلك قلت ، إنّني لم أمدحه بعدُ ، ولكنّني سأمدحه مدحاً يُشْبِه مثله . قال : فافعل ، وأُنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعَجَبَه من جَوْدة البيت الأخير فأعجبه ، فأمر بإدخالي إليه بغير مدح ، فأُدخلت إليه . فأمرني أن أنشد هذا الشعر ، فاستعفيته فلم يُعْفِني ، وقال : قد قَنِعْنا منك بهذا القدر إذ لم تُدْخِلْنا في جملة من ذممت ، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة . فأنشدته إيّاه ؛ فضحك وقال : ويحك ؛ مالَكَ وللناس تَعُمُّهم بالهجاء ؟ حَسْبُك الآن من هذا النَمَط وأَبْقِ عليهم . فقلت : وقد وهبتهم للأمير . قال : قد قَبِلْتُ ، وأنا أُطالبك بالوفاء مطالبة من أُهديتْ إليه هدية فقبلها وأثاب عليها . ثم وصلني فأجزل وكساني . فقلت في ذلك وأنشدته : [من الوافر]

وهبتُ القومَ للحَسَن بن سَهْلٍ فعوَّضَني الجزيلَ مــن الثَّوابِ
وقــال دَعِ الهجاءَ وقُلْ جميلاً فــإنّ القصدَ أقــربُ للثوابِ
فقلت لــه : برئتُ إليكَ منهمْ فليتَهُــمُ بمُنْقَطَــعِ التُّرابِ
ولولا نعمــةُ الحَسَنِ بن سهلٍ عــليّ لَسُمْتُهُــمْ سُوءَ العذابِ
بشِعْرٍ يَعْجَبُ الشعراءُ منــه يُشَبِّــه بالهجــاء وبــالعِتابِ
أَكِيدُهُــمُ مُكايَــدةَ الأعادِي وأَخْتِلُهُــمْ مُخاتلــةَ الذِّئابِ[3]

---

1 الكظيم : المكروب .
2 الكلام المرجم : عن غير يقين .
3 ختله : خدعه .

بَلَوْتُ خيارَهــم فَبَلَوْتُ قوماً كُهولُهُمُ أَخَسُّ مــن الشَّبابِ
وما مُسخُوا كِلابـــاً غيرَ أنّي رأيتُ القـــومَ أشباهَ الكلابِ

قال : فضحِكَ وقال : ويحك ! الساعةَ ابتدأتَ بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ . فقلت : هذه بقيةٌ طَفَحتْ على قلبي ، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقى الله الأمير .

[في صديق تغيّر]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني عليّ بن الحسن الشَّيْبانيّ قال : كان لمحمّد بن حازمٍ الباهليّ صديقٌ على طول الأيّام ، فنال مرتبةً من السُّلْطان وعَلا قَدْرُه ، فجفا محمداً وتغيَّر له ؛ فقال في ذلك محمد بن حازم : [من مجزوء الكامل]

وَصْــلُ المُلــوكِ إلى التَّقــالي ووَفــا المُلــوكِ مــن المُحالِ
مــا لي رأيتُـــكَ لا تَــدُو مُ عــلى المــوَدَّةِ للــرجالِ
إنْ كان ذا أَدَبٍ وظَـــــر فٍ قلــتَ ذاك أخــو ضَلالِ
أو كان ذا نُسُكٍ ودِيـــ ـــنٍ قلــتَ ذاك مــن الثّقالِ
أو كان في وَسَطٍ مـــن الــ ـأمْرَيْنِ قلــتَ يُريــغُ مالي[1]
فبِمِثْــلِ ذا ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، تبتغـــي رُتَـــبَ المعـــالي ؟

[مع إبراهيم بن المهدي]

حدَّثني الحسن قال حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن علي الشيبانيّ قال : كان محمد بن حازمٍ الباهليّ قد نَسَك وترك شُرْبَ النبيذ[2] ، فدخل يوماً على إبراهيم بن المهديّ ، فحادثه وناشده وأكل معه لمّا حضر الطعام ، ثم جلسوا للشَّراب ؛ فسأله إبراهيم أن يشرب ، فأبى وأنشأ يقول : [من المجتث]

أبعد خمسين أصبو ؟ والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ
سِنٌّ وشَيْبٌ وجَهْلٌ ! أمــرٌ لَعَمْــرُكَ صَعْبُ
يــا ابــن الإمــامِ فهَلاَّ أيَّامَ عُــودِي رَطْبُ !
وشَيْبُ رأسي قليــلٌ ومَنْهَلُ الحُــبِّ عَذْبُ

1 يريغ : يريد ويطلب .
2 ل : الخمر .

وإذْ سِهامي صِيابٌ ونَصْلُ سَيْفِيَ عَضْبُ[1]
وإذْ شِفاءُ الغَواني مِنّي حديثٌ وقُرْبُ
فالآن لمّا رأى بي الـ ـعُذّالُ لي ما أحَبُّوا
وأقْصَرَ الجهلُ مِنّي وساعدَ الشَّيْبَ لُبُّ
وآنسَ الرُّشْدَ مِنّي قومٌ أُعابُ وأصبو
آليتُ أشربُ كأساً ما حَجَّ للهِ رَكْبُ

[مع النُّوشجاني]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أبي السَّري قال : وعد النُّوشَجانيّ محمّد بن حازمٍ شيئاً سأله إيّاه ثم مطله له ، وعاتبه فلم ينتفع بذلك ، واقتضاه ، فأقام على مَطْله ؛ فكتب إليه : [من الوافر]

أبا بِشْرٍ تَطاوَلَ بي العِتابُ وطال بِيَ التَّردُّدُ والطِّلابُ
ولم أترِكْ من الأعذارِ شيئاً أُلامُ به وإن كَثُرَ الخِطابُ
سألتُكَ حاجةً فطويتَ كَشْحاً على رَغْمٍ ، وللدهر انقلابُ[2]
وسُمْتَنِيَ الدَّنِيَّةَ مُسْتَخِفّاً كما خُزِمَتْ بآنُفِها الصِّعابُ
كأنَّك كنتَ تطلُبني بثأرٍ وفي هذا لك العَجَبُ العُجابُ
فإن تَكُ حاجتي غَلَبَتْ وأعيتْ فمعذورٌ ، وقد وَجَب الثوابُ
وإن يك وَقْتُها شَيْبَ الغُراب فلا قُضِيتْ ولا شابَ الغُرابُ
رجوتُك حين قِيل لي ابنُ كِسْرى وإنَّك سِرُّ مُلْكِهِمُ اللُّبابُ
فقد عَجَّلْتَ لي من ذاك وَعْداً وأقربُ من تَناوِلهِ السَّحابُ
وكلٌّ سوف يُنْشَرُ غيرَ شَكٍّ ويَحْمِلُه لِطِيَّتِهِ الكتابُ[3]

[مع ولد سعيد بن سالم]

أخبرني الحسن قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أبي السّرِيّ قال : قصد محمد بن حازمٍ بعضَ وَلَدِ سَعِيدِ بن سالمٍ وقد وَلِي عملاً ، واسترفده ؛ فأطال مُدَّته ولم يُعْطِه شيئاً ؛ وانصرف عنه وقال : [من الوافر]

1 صياب : صائبة .
2 طوى كشحه : أعرض .
3 الطية : الوجهة .

أَللدُّنيا أُعِدُّكَ يا ابنَ عَمِّي ... فأَعْلَمَ أم أُعِدُّك للحسابِ
إلى كَمْ لا أَراكَ تُنِيلُ حتّى ... أُهُزَّك ! قد بَرِمتُ من العتابِ
وما تنفكُّ من جَمْعٍ ووضعٍ ... كأَنَّك لستَ تُوقِنُ بالإيابِ
فشَرُّكَ عن صديقك غيرُ ناءٍ ... وخَيْرُك عند مُنْقَطَعِ الترابِ
أتيتُك زائراً فأتيتُ كلباً ... فحَظِّي من إخائك لِلْكِلابِ
فبئس أخو العشيرةِ ما عَلِمْنا ... وأخبثُ صاحبٍ لأخي اغترابِ
أَيَرْحَلُ عنك ضَيْفُك غيرَ راضٍ ... ورَحْلُك واسعٌ خِصْبُ الجنابِ
فقد أصبحتَ من كرمٍ بعيداً ... ومن ضِدّ المكارم في اللُّبابِ
وما بِيَ حاجةٌ لجَداك لكن ... أُرُدُّك عن قَبِيحِك للصَّوابِ

[المتوكّل يتمثّل بشعره]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني يزيد بن محمد المهلَّبيّ قال : كنّا عند المتوكّل يوماً وقد غاضبته قَبيحةٌ ، فخرج إلينا فقال : مَن يُنشِدُني منكم شعراً في معنى غَضَب قبيحةٍ عليّ ، وحاجتي أن أخضَعَ لها حتى ترضى ؟ فقلت له : لقد أحسنَ محمد بن حازمٍ الباهليُّ يا أُمير المؤمنين حيث يقول : [من الطويل]

صوت

صفحتُ برَغمي عنك صَفْحَ ضرورةٍ ... إليك وفي قلبي نُدوبٌ من العَتْبِ
خضعتُ وما ذَنْبِي إنِ الحُبَّ عَزَّني ... فأغضيتُ صفحاً عن معالجَة الحبِّ[1]
وما زال بي فقرٌ إليك مُنازِعٌ ... يُذَلِّل منّي كلَّ مُمْتَنِع صَعْبِ
إلى الله أشكو أنّ وُدِّي مُحَصَّلٌ ... وقلبي جميعاً عند مُقْتَسِمِ القَلْبِ

الغناء لعُبيدة الطُّنبوريّة رملٌ بالوسطى . قال : أحسنت وحياتي يا يزيد ! وأَمر بأن يُغَنَّى فيه ، وأَمر لي بألف دينار .

[هجاء بني نمير]

حدَّثني الحسن بن عليٍّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عليُّ بن خالد البرمكيّ قال : سافر محمد بن حازم الباهليُّ سفراً ، فمرَّ بقومٍ من بني نُمَيْرٍ ، فسَلُّوا منه بعيراً له عليه ثَقَلُه[2] ؛

1 عزني : غلبني .
2 ثقله : متاعه .

فقال يهجوهم : [من الطويل]

نُمَيْرٌ : أَجُبْناً حين يختلف القَنا ... ولُؤْماً وبُخْلاً عند زادٍ ومِزْوَدِ ؟
ومَنْعَ قِرى الأضيافِ من غيرِ عِلَّةٍ ... ولا عَدَمٍ ، إلاّ حِذارَ التَّعوُّدِ
وبَغْياً على الجارِ الغريبِ إذا طَرا ... إليكم وخَتْلَ الرَّاكِبِ المُتفرِّدِ
على أنّكم تَرْضَوْنَ بالذُّلّ صاحباً ... وتُعْطُون مَنْ لاحاكُمُ الضَّيْمَ عن يَدِ
أما وأبي إنّا لَنَعْفُو وإنّنا ... على ذاك أحياناً نجُورُ ونعتدي
نَكِيدُ العِدا بالحِلْمِ من غير ذِلّةٍ ... ونَغْشى الوَغى بالصِّدْقِ لا بالتَّوَعُّدِ
نَفى الضَّيْمَ عنّا أنفسٌ مُضَرِيَّةٌ ... صِراحٌ وطَعْنُ الباسلِ المُتَمَرِّدِ
وإنّا لَمِن قَيْسِ بن عَيْلانَ في التي ... هي الغايةُ القُصْوى بعِزٍّ وسُودَدِ
وإنَّ لنا بالتُّرْكِ قَبْراً مُبارَكاً ... وبالصِّينِ قبراً عِزَّ كلِّ مُوَحِّدِ
وما نابَنا صَرْفُ الزمانِ بِسَيِّدٍ ... بَكَيْنا عليه أو يُوافي بسَيِّدِ
ولو أنَّ قوماً يَسْلَمُونَ من الرَّدى ... سَلِمْنا ولكنّ المنايا بِمَرْصَدِ
أَبى الله أن يَهْدِي نُمَيْراً لِرُشْدِها ... ولا يَرْشُدُ الإنسانُ إلاّ بِمُرْشِدِ

[مع عامل محمد بن حامد]

حدَّثني الحسن بن عليٍّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلَد البَخْتَكان[1] من الأهوازيّين . أنّ محمد بن حامد ولي بعضَ كُوَر الأهواز في أيّام المأمون ، وأنّ محمد بن حازمٍ الباهليَّ قَدِم عليه زائراً ومَدَحه ، فوَصَله وأحسن إليه ، وكتب له إلى تُسْتَرَ[2] بحِنْطة وشعير ، فمضى بكتابه ، وأَخذ ما كُتِب له به ، وتزوّج هناك امرأةً من الدَّهاقين[3] ، فزَرَع الحِنطة والشعير في ضَيْعَتها ؛ وولَّى محمد بن حامدٍ رجلاً من أَهل الكوفة الخَراج بِتُستَرَ ، فوكل بِغَلّةِ محمد بن حازمٍ ، وطالبه بالخراج فأدّاه ، فقال يهجوه : [من الطويل]

زَرَعنا فلمّا سلّم الله زَرْعَنا ... وأَوفى عليه مِنْجَلٌ بحَصادِ
بُلِينا بكُوفيٍّ حَليف مجاعةٍ ... أَضَرَّ علينا من دَباً وجَرادِ[4]

1 البختكان : والد بزرجمهر .
2 تستر : مدينة بالأهواز .
3 الدهاقين : جمع دهقان وهو رئيس الفلاحين .
4 الدبا : الجراد .

أتى مُسْتَعِدّاً ما يُكَذِّبُ دونه ولَـجَّ بإرغـامٍ لـه وبِعادِ
فَطوراً بإلحـاحٍ عليَّ وغِلْظَةٍ وطَـوْراً بخَبْطٍ دائم وفسادِ
ولولا أبو العبّاس أعني ابنَ حامِدٍ لرَحَّلْتُـه عـن تُسْتَرٍ بسَوادِ
فكُفُّوا الأذى عن جارِكم وتَعَلَّموا بأنِّي لكم في العالمـين مُنادِي

فبعث محمد بن حامد إلى عامله فصرفه عن الناحية ، وقال له : عَرَّضْتني لِما أكْرَه ، واحتمل خراج محمد بن حازم .

[أحسن قوله في الشيب]

أخبرني محمد بن الحسين بن الكِنْدِيّ المؤدِّب قال : حدَّثنا الرِّياشيّ قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : قال هذا الباهليُّ محمّد بن حازمٍ في وصف الشَّيْب شيئاً حَسَناً ، فقال له أبو محمّد الباهليّ : لعلّك تعني قولَه : [من البسيط]

كفاك بالشيب ذنباً عنـد غانيةٍ وبالشَّبابِ شفيعاً أيُّها الرَّجُلُ

فقال : إيّاه عنَيتُ . فقال له الباهليّ : ما سمعتُ لأحدٍ من المُحْدَثين أحسنَ منه .

[مع الأمين]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثنا حسين بن فَهْم قال : حدَّثني أبي قال : دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير ، فدعاه إلى أن يشرَب معه ، فامتنع وقال[1] : [من المجتث]

أبعـد خمسين أصبو والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ
سِنٌّ وشَيْبٌ وجهلٌ ! أمـرٌ لَعَمْـرُك صَعْبُ
يـا ابـنَ الإمامِ فهَلاَّ أيَّامَ عُـودِيَ رَطْبُ !
وشيبُ رأسي قليلٌ ومَنْهَلُ الحُـبِّ عَذْبُ
وإذْ شفـاءُ الغَـواني منِّـي حديثٌ وشُرْبُ
الآن حـين رأى بـي عَواذِلي مـا أَحَبُّوا !
آليـتُ أشْرَبُ كأساً مـا حـجَّ للهِ رَكْبُ

قال : فأعفاه محمد بن زبيدة ووَصَله .

1 تقدّم أنّ هذه الأبيات مع إبراهيم بن المهديّ ، ص 68 .

[259] ـ أخبار ابن القَصّار ونسبه

[نسبه]

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن بُرْد الخِيار ، سليمان بن عليٍّ . وذكره جحظة في كتاب الطُّنْبُوريِّين ، فثلبه في نفسه وأخلاقه ومَدَح صَنْعَتَه ، وقال : ممّا أحْسَنَ فيه قوله : [من الطويل]

أرِقْتُ لِبَرْقٍ لاحَ في فَحْمةِ الدُّجى ... فأذكَرَني الأحبابَ والمنزلَ الرَّحْبا

قال : وهذا خفيف رمل مطلق . ومّما أحسن فيه أيضاً : [من المتقارب]

تعالَيْ نُجَـدِّدُ عهـدَ الصِّبا ... ونَصْفَحُ للحُبِّ عمّا مَضى

[موضع للثلب والتندر]

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً . وذكر أنّه كان مع أبيه قَصَّاراً ، ثم تعلّم الغِناء فبَرَع فيه . ومن طَيِّب ما ثَلَبه به جَحْظة وتنادَرَ عليه به ، وأراها مصنوعةً ، أنّه مرّ يوماً على أبيه ، ومعه غلامٌ يحمِل قاطرميز نبيذ ، وجوامرجة[1] مذبوحة مسموطة ، فقال : الحمد لله الذي أراني ابني قبلَ موتي يأكُلُ لَحم الجواميرات ، ويَشْرَب نبيذ القاطرميزات .

وحدَّث عن بعض جيرانه أنّ ابن القَصَّار غنّى له يوماً بحبلٍ ودَلْوٍ ، وأنّ إسماعيل بن المتوكِّل وَهَب له مائتي أتْرُجّة كانت بين يديه ، فباعها بثلاثة دنانير ، وأنّه يَحْمل بلبكيذه إلى دار السلطان ، وله فيه خُبْزٌ وجبنٌ فيأكله ، ويحمل في البلبكيذ ما يُوضَع بين يديه في دار السلطان ، فيدعو إخوانه عليه . وأكثرَ من ثَلْبِ الرجل ممّا لا فائدة فيه . ولو أراد قائلٌ أنْ يقول فيه ما لا يَبْعُد من هذه الأخلاق لَوَجَد مقالاً واسعاً ، ولكنّه ممّا يَقْبُح ذكره ، سيّما وقد لَقِيناه وعاشرناه . عفا الله عنّا وعنه .

[من أفضل الطنبوريين]

أخبرنا ذُكاء وجه الزُّرَّة قال : كنّا نجتمع مع جماعةٍ في الطُّنْبُوريِّين ، ونشاهدهم في دُور الملوك وبحضرة السلطان ، فما شاهدت منهم أفضلَ من المسدود وعمر المَيْدانيّ وابن القَصَّار .

وحدَّثتْني قُمْرِيّة البَكْتَمُرِيّة قالت : كنت لرجلٍ من الكُتَّاب يُعْرَفُ بالبَلُّوريّ ، وكان شيخاً ، وكانت سِتِّي التي ربّتني مولاته ، وكانت مُغنِّيةً شَجِيَّةَ الصَّوتِ حسَنة الغِناء ،

---

1 لعلّها دجاجة .

وكانت تَعْشَق ابن القَصَّار ، وكان علامةُ مصيره إليها أن يجتاز في دِجْلةَ وهو يُغَنِّي ، فإنْ قَدَرتُ على لِقائه أوصلتُه إليها ، وإلاّ مضى . فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلةٍ مُقْمِرةٍ وهو يُغَنِّي خفيفَ رَمَلٍ قال : [من مجزوء الرمل]

أنـا في يُمْنى يَدَيْهـا | وهي في يُسْرى يَدَيَّهْ
إنَّ هــذا لَقَضــاءٌ | فيــه جَــوْرٌ يـا أُخَيَّهْ

ويُغَنَّى في آخِرِه رَدّه :

وَيْل وَيْلي يــا أبيَّهْ

وكانت سِتّي واقفةً بين يَدَي مولاها ، فما ملكتْ نفسَها أن صاحتْ : أحسنت والله يا رجُل ! فتفَضَّلْ وأَعِد ، ففعل وشَرِب رطلاً وانصرف ، وعَلِم أنّه لا يَقْدِر على الوصول إليها . وكان مولاها يعرف الخبر . فتغافلَ عنها لمَوْضِعها من قلبه ؛ فلا أذكُر أنِّي سمعت قطُّ أحسنَ من غنائه .

صوت

[من الخفيف]

باح بالوجـدِ قلبُك المُسْتَهامُ | وجــرتْ في عِظامك الأسقامُ
يوم لا يملك البكاءَ أخو الشَّوْ | قِ فيشْفــى ولا يُــرَدُّ سلامُ

لم يقع إليّ قائلُ هذا الشعر . والغناء لمعبد اليَقْطِيني ثاني ثقيل بالبِنْصَر عن أحمد بن المكّيّ .

[260] ـ أخبار معبد اليقطيني

[نسبه]

كان مَعبدٌ اليَقْطِينيّ غلاماً مُوَلَّداً خَلاسيّاً[1] من موَلَّدي المدينة ، اشتراه بعض وَلَد عليّ بن يَقْطِين . وقد شَدا بالمدينة ، وأخذ الغِناء عن جماعةٍ من أهلها ، وعن جماعة أُخرى من عِلْيَةِ المُغَنِّين بالعراق في ذلك الوقت ، مثل إسحاق وابن جامع وطَبَقتهما ، ولم يكن فيما ذُكِر بطيّب المسموع ، ولا خَدَم أحداً من الخُلفاء إلاّ الرشيدَ ، ومات في أيّامه ، وكان أكثرُ انقطاعه إلى البرامكة .

[قصة المدني العاشق]

أَخبرني عمّي الحسن بن محمد قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سَعْد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : حدَّثني مَعْبَدٌ الصغير المُغَنّي مولى عليٍّ بن يقطين قال : كنت منقطعاً إلى البرامكة ، أخدمهم وأُلازمهم . فبينا أنا ذاتَ يومٍ في منزلي إذا بابي يُدَقُّ ، فخرج غلامي ثم رجع إليَّ فقال : على البابِ فتًى ظاهرُ المُروءة يستأذن عليك ؛ فأذِنتُ له . فدخل عليّ شاب ما رأيتُ أحسنَ وجهاً منه ، ولا أنظف ثوباً ، ولا أجملَ زِيّاً منه ، من رجلٍ دَنِفٍ عليه آثارُ السَّقَمِ ظاهرة ، فقال لي : إنّي أرجو لُقاكَ منذ مُدّةٍ فلا أجِدُ إليه سبيلاً ، وإنّ لي حاجة . قلت : ما هي ؟ فأخرجَ ثلثمائة دينار فوَضعها بين يَدَيَّ ، ثم قال : أسألك أن تَقْبَلها وتَصنَع في بيتين قلتُهما لحناً تُغنّيني به . فقلت : هاتهما ، فأنشدهما ، وقال : [من البسيط]

صوت

والله يـا طَرْفِي الجاني على بَدَني ... لَتُطْفِئَنَّ بدَمْعي لوعـةَ الحَزَنِ
أو لأبوحَنَّ حتّى يَحْجُبُوا سَكَني ... فلا أراه ولو أُدْرِجْتُ في كَفَني[2]

الغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى الوُسْطى ، قال : فصنعت فيهما لحناً ثم غَنَّيته إيّاه ؛ فأُغمِي عليه حتى ظننته قد مات . ثم أفاق فقال : أعِدْ فديتك ! فناشدته اللّهَ في نفسه وقلت : أخشى أن تموت . فقال : هيهات ! أنا أشْقى من ذاك . وما زال يخضع لي ويتضرَّع حتى أعدتُه ، فصَعق صعقةً أشدَّ من الأولى ، حتى ظننت أنّ نفسَه قد فاظت . فلمّا أفاق رددت الدنانير

---

1 الخلاسي : المولود من أبوين أبيض وأسود .

2 السكن : المحبوب الذي يسكن إليه .

عليه ووضعتُها بين يديه ، وقلت : يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عنّي ؛ فقد قضيتَ حاجتك ، وبلغتَ وطَراً ممّا أردته ، ولستُ أُحِبُّ أن أَشْرَكَ في دَمِك . فقال : يا هذا ؛ لا حاجةَ لي في الدنانير وهذا مثلها لك ثم أخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي . وقال : أعد عليَّ الصوت مرّة أُخرى ، وحلال لك دمي ، فشرهت نفسي إلى الدنانير ، فقلت : لا والله ولا بعشرةَ أضعافها إلاّ على ثلاث شرائط . قال : وما هنّ ؟ قلت : أوّلها أن تُقيم عندي وتتحرّم بطعامي ، والثانية أن تَشرب أقداحاً من النَّبيذ تَشُدُّ قلبَك وتُسَكِّن ما بك ، والثالثة أن تُحدّثني بقصَّتك . فقال : أفعل ما تريد . فأخذت الدنانير ، ودعوت بطعامٍ فأصاب منه إصابةَ مُعذِر ، ثم دعوتُ بالنبيذ فشرب أقداحاً ، وغنَّيته بشعرٍ غيره في معناه ، وهو يشرب ويبكي . ثم قال : الشرط أعزّك الله ، فغنَّيته ، فجعل يبكي أحرَّ بكاء ويَنْشِج أشدّ نَشيج وينتحب . فلمّا رأيت ما به قد خفَّ عمّا كان يَلْحَقه ، ورأيتُ النّبيذ قد شدّ من قلبه ، كررت عليه صَوتَه مِراراً ، ثم قلتُ : حدِّثني حديثَك . فقال : أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجتُ مُتَنَزِّهاً في ظاهرها وقد سال العقيقُ ، في فتية من أقراني وأخداني ، فبصُرْنا بقَيْناتٍ قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسنَ حَجْرَةً منّاً ، وبَصُرْتُ فيهنّ بفتاةٍ كأنّها قضيبٌ قد طلَّه الندى ، تنظر بعينين ما ارتدّ طرْفُهما إلاّ بنَفْسِ مَن يُلاحِظهما . فأطلنا وأَطَلْن ، حتى تفرّق الناس ، وانصرفن وانصرفنا ، وقد أبقتْ بقلبي جُرْحاً بطيئاً اندِمالُه . فعُدْتُ إلى منزلي وأنا وَقيذٌ[1] . وخرجتُ من الغدِ إلى العقيق ، وليس به أحدٌ ، فلم أرَ لها ولا لصواحباتها أثراً . ثم جعلتُ أتتبَّعها في طُرُق المدينة وأسواقها ، فكأنّ الأرض أضمرتْها ، فلم أُحِسّ لها بعين ولا أثر ، وسَقِمْتُ حتى أيِسَ منِّي أهلي . ودخلتْ ظِئري فاستعلمتْني حالي ، وضَمِنَتْ لي كتمانها والسعي فيما أُحِبُّه منها ؛ فأخبرتُها بقصَّتي ، فقالت : لا بأسَ عليك ؛ هذه أيّام الربيع ، وهي سَنَة خِصْبٍ وأنواء ، وليس يَبْعُدُ عنك المَطَر ، وهذا العقيق ، فتخرُج حينئذٍ وأخرج معك ؛ فإنّ النسوة سيجئن . فإذا فعلن ورأيتُها تَبعْتُها حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينك وبينها ، وأسعى لك في تزويجها . فكأنّ نفسي اطمأنّت إلى ذلك ، ووثِقتْ به وسَكَنَتْ إليه ؛ فقَوِيتُ وطَمِعْتُ وتراجعْتْ نفسي ، وجاء مطر بعَقب ذلك ، فأسالَ الواديَ ، وخرج الناسُ وخرجتُ مع إخواني إليه ، فجلسنا مجلسَنا الأوّل بعَيْنه ، فما كنّا والنسوة إلاّ كفرَسيْ رِهانٍ . وأومأتُ إلى ظئري فجلستْ حَجْرَةً منّا ومنهنّ ، وأقبلتُ على إخواني فقلت : لقد أحسن القائلُ حيث قال : [من الطويل]

رَمَتْني بسهم أَقْصَدَ القلبَ وانْثَنَتْ وقــد غادرتْ جُرْحاً بــه ونُدُوبا

فأقبلـتْ على صواحباتِهـا فقالـت : أَحسنَ والله القائـل ، وأَحسَنَ مَن أجابه حيث

1 وقيذ : صريع .

يقـول : [من الطويل]

بِنـا مثلُ مـا تَشْكُو ، فصَبْراً لعلَّنا نرى فَرَجـاً يَشْفي السَّقامَ قَرِيبا

فأمسكتُ عن الجواب خوفاً من أن يظهر منّي ما يَفْضَحُني وإيّاها ، وعرفتُ ما أرادتْ . ثم تفرّق الناس وانصرفنا ، وتَبِعْتُها ظِئري حتّى عرفتْ منزلَها ، وصارت إليَّ فأخذتْ بيدي ومَضَيْنا إليها . فلم تَزَلْ تتلطَّف حتّى وصلتْ إليها . فتَلاقَيْنا وتزاوَرنا على حالِ مُخالسةٍ ومُراقَبَة حتى شاع حديثي وحديثُها ، وظَهَر ما بيني وبينها ، فحجبها أهلُها ، وتشدّد عليها أبوها . فما زِلْتُ أجتهد في لِقائِها فلا أقدر عليه . وشكوتُ إلى أبي ، لشدّة ما نالني ، حالي ، وسألته خِطْبَتها لي . فمضى أبي ومَشْيَخةُ أهلي إلى أبيها فخطبوها . فقال : لو كان بَدَأَ بهذا قبل أن يَفْضَحَها ويشهَرَها لأسعفتُه بما التمس ، ولكنّه قد فَضَحها ، فلم أكُنْ لأُحَقِّقَ قولَ الناس فيها بتزويجه إيّاها ؛ فانصرفتُ على يأسٍ منها ومن نَفْسي . قال معبد : فسألته أن ينزلَ ، فجَبَرني وصارت بيننا عِشْرةٌ . ثم جلس جعفر بن يحيى للشُّرْب فأتيتُه ؛ فكان أوَّلَ صوتٍ غنَّيته صوتي في شعر الفتى ، فطرِب عليه طَرَباً شديداً ، وقال : ويحك ؛ إنّ لهذا الصوت حديثاً ، فما هو ؟ فحدّثته ، فأمر بإحضار الفتى ، فأُحضر من وقته ، واستعاده الحديثَ ، فأعاده عليه . فقال : هي في ذِمَّتي حتى أُزَوِّجك إيَّاها ، فطابت نفسه ، وأقام معنا ليلَتنا حتى أصبح . وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدَّثه الحديث ، فعجِب منه ، وأمر بإحضارنا جميعاً ، فأُحضِرنا ، وأمر بأن أُغَنِّيه الصوتَ فغنَّيْته ، وشرب عليه ، وسَمِع حديثَ الفتى ، فأَمَر مِن وقته بالكِتاب إلى عامل الحِجاز بإشخاص الرَّجل وابنته وجميع أهله إلى حَضرته ، فلم يمضِ إلاّ مسافة الطريق حتى أُحضر . فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأُوصِل ، وخطب إليه الجارية للفتى ، وأقسم عليه ألاّ يُخالف أمرَه ، فأجابه وزوّجه إيّاها ، وحَمَل إليـه الرشيد ألـفَ دينار لِجهازها ، وألف دينارٍ لنفقة طريقه ، وأمـر للفتى بألـفِ دينار ، وأمر جعفرٌ لي وللفتى بألف دينار . وكان المدنيّ بعد ذلك في جملة نُدَماء جعفر بن يحيى .

صوت

[من المنسرح]

هل نَفْسُك المستهامة السَّدِمَهْ سَالِيـةٌ مَـرَّةً ومُعْتَزِمَـهْ[1]
عن ذكر خَوْدٍ قَضى لها المَلِكُ الْـ ـخالِـقُ ألاّ تُكِنَّهـا ظُلَمَـهْ

الشعر لابن أبي الزوائد ، والغناء لحَكَم رملٌ بالوُسْطى عن الهِشاميّ .

1 السدمة : المهمومة .

[261] ـ أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

[نسبه]

اسمه سُلَيْمان[1] بن يحيى بن زَيْدِ بن مَعْبَدِ بن أيُّوب بن هِلال بن عَوْفِ بن نضلة بن عُصَيَّةَ بن نَصْرِ بن سَعْدِ بن بَكْر بن هوازن بن منصور . ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً . شاعرٌ مُقِلٌّ ، من مُخَضْرَمي الدّولتَين ، وكان يَـؤُمُّ الناس في مسجد رسول الله ﷺ .

[عشقه جارية الصهيبيين كان يتعشّقها]

أخبرني بذلك محمد بن خَلَف وكيعٌ قال : حدَّثنا ابن أبي خَيْثَمَةَ عن بعض رجاله عن الأصمعيّ ، وأخبرني وكيعٌ قال : حدَّثني طَلْحة بن عبد الله الطَّلْحيّ قال : أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال : كان ابن أبي الزوائد يَتَعَشَّق جاريةً سوداء مولاةَ الصُّهيبيّين ، وكان يختلف إليها وهي في النَّخْل بحاجزة . فلمّا حان الجَدادُ قال : [من المنسرح]

حُجَيْجُ أمسى جَدادُ حاجزةٍ ... فليـتَ أنَّ الجَـداد لم يَحِنِ[2]
وشَتَّ بَيْنٌ وكُنْتِ لي سَكَناً ... فيما مَضى كان ليس بالسَّكَنِ
قـد كان لي مِنْكِ ما أُسَرُّ به ... وليتَ مـا كان مِنْكِ لم يَكُنِ
نَعِفُّ في لَهْونـا ويَجْمَعُنا الـ ... ـمَجْلِسُ بـين العريش والجُرُنِ
يُعْجِبُنا اللَّهْـوُ والحديثُ ولا ... نَخْلِط في لَهْونـا هَنـاً بهَنِ
لَوْ قَـدْ رحلتُ الحمارَ منكشفاً ... لم أرَهـا بَعْدَهـا ولم تَرَنِي

فقال له أبو محمد الجُمَحِيُّ : إنَّ الشعراء يذكرون في شِعْرِهم أنَّهم رَحَلوا الإبل والنَّجائب ، وأنتَ تذكر أنَّك رَحَلْت حِماراً . فقال : ما قلتُ إلاّ حقّاً ، والله ما كان لي شيء أرْحَلُه غيره . قال : وقال فيها أيضاً : [من السريع]

يـا ليتَ أنَّ العَرَبَ اسْتَلْحَقُوا ... رِيـمَ الصُّهَيْبِيِّـينَ ذاكَ الأجَمّ
وكانَ منهـم فتزوّجتُـه ... أو كنتُ من بعض رجال العَجَمْ

1 ل : سلمة .

2 حجيج : اسم الجارية . وحاجزة : البقعة التي فيها النخل الذي حان جداده .

[تنافره مع صديق له]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني طلحة بن عبد الله بن الزّبَير بن بكّار عن عَمِّه قال : كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عُبَيدةَ عنه ، فهجره من أجله ، فهجاه ؛ فقال : [من مجزوء الكامل]

قطعَ الصفاءَ ، ولم أكن أهلاً لذاك ، أبو عُبَيْدَهْ
لا تَحْسَبَنّك عاقِلاً فَلأَنْتَ أحمقُ من حُمَيْدَهْ[1]

حميدة : امرأة كانت بالمدينة رعناء يُضرَب بها المَثَلُ في الحمق .

[قيان حماد بن عمران]

حدَّثني عَمِّي ووكيع قالا : حدَّثنا الكُرانيّ عن أبي غسَّان دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال : دخل ابن أبي الزوائد إلى حمّاد بن عِمران الطُّلَيْحِي ، وكان يُلَقَّبُ بعُطْعُط ، وكان له قِيانٌ يسمعهنّ الناسُ عنده ، فرآهن ابن أبي الزوائد فقال فِيهنّ : [من المتقارب]

أقول وقد صُفَّتِ البُظْرُ لي : أَلِلْبُظْرِ أدخلني عُطْعُطُ ؟
فإنّي امرؤٌ لا أُحِبُّ الزِّنا ولا يَسْتَفِزُّنِيَ البَرْبَطُ
ولو بَعْضُهنّ ابتغى صَبْوتي لَخالَطَ هامَتَها المِخْبَطُ[2]
لبئس فِعالُ امرىءٍ قد قَرا وهَمَّتْ عَوارِضُه تَشْمَطُ[3]
وما كنتُ مفترشاً جارتي وسَيِّدُها نائمٌ يَضْرِطُ
أأُفْرِغُ في جارتي نُطْفَةً حَراماً كما يُفْرَغُ المُسْعُطُ

[هجاؤه لامرأته]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثني أبو هَفَّان قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : حدَّثني المُسَيَّبيّ : أنّ ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصاريّة ، فطال لُبْثُها عنده حتى مَلَّها وأبغضها ، فقال يهجوها : [من الكامل]

يا رَمْلُ أنتِ الغُولُ بين رِمالِ لم تَظْفَرِي بتُقًى ولا بِجَمالِ

---

1 لم نعثر على المثل «أحمق من حميدة» في كتب الأمثال . والأمثال بلفظ «أحمق من . . .» كثيرة .

2 المخبط : العصا .

3 الشطر الأول في ل : لبئس إذن فعل من قد قرا . العارضة : صفحة الخد . والشمط : اختلاط السواد والبياض في الرأس .

يا رَمْلُ لو حُدِّثْتُ أنَّكِ سَلْفَعٌ شَوْهاءُ كالسِّعْلاةِ بين سَعالي[1]
ما جاء يطلُبُك الرسولُ بخِطْبَةٍ مِنّي ولا ضُمَّت عليكِ حِبالي
ولقد نَهى عنكِ النَّصيحُ وقال لي : لا تَقْرِنَنَّ بَذِيَّةً بِعِيالِ
لَمّا هَزَزْتُ مُهَنَّدِي وقذفتُه فيها وقد أرهفتُه بصِقالِ
رَجَع المُهَنَّدُ ما لَه من حِيلةٍ وهناك تَصْعُبُ حِيلةُ المحتالِ
وكأنَّما أولجتُه في قُلَّةٍ قد بُرِّدتْ للصومِ أو بوقالِ[2]
ورأيتُ وجهاً كاسفاً مُتَغَيِّراً وحِراً أشَقَّ كمِرْكَنِ الغَسَّالِ
ما كان أيْرُ الفيلِ بالِغَ قَعْرِهِ بتحامُلٍ عَنْهُ ولا إدخالِ
ولقد طعنت مَبالَها بسُلاحِها فوجدتُ أخبثَ مَسْلَحٍ ومَبالِ

قال : وقال لها وقد فخرَتْ : [من الكامل]

هلاَّ سألتِ مَنازِلاً بِغُرارِ عَمَّنْ عَهِدْتُ به من الأحرارِ[3]
أين انْتَأَوْا ونَحاهُمُ صَرْفُ النوى عنّا وصَرْفُ مُقَحِّمٍ مِغْيارِ
كَرِهَ المُقامَ وظَنَّ بي وبأهلِها ظَنّاً فكان بنا على إصْرارِ
عُدِّي رِجالَكِ واسْمَعِي يا هَذِهِ عَنِّي مَقالةَ عالِمٍ مِفْخارِ
سأعُدُّ ساداتٍ لنا ومَكارِماً وأُبُوَّةً ليستْ عليَّ بعارِ
قَيْسٌ وخِنْدِفُ والدِيَّ كِلاهُما والعَمُّ بَعْدُ ربيعةُ بنُ نِزارِ
مَنْ مِثْلُ فارِسنا دُرَيْدٍ فارساً في كلِّ يومِ تَعانُقٍ وكِرارِ
وبنو زِيادٍ مَنْ لِقَوْمِكِ مِثْلُهُمْ أو مِثْلُ عنترةَ الهِزَبْرِ الضّاري
والحيُّ من سعدٍ ذُؤابةُ قَوْمِهِم والفَخْرُ منهم والسَّنامُ الواري[4]
والمانِعُونَ من العَدُوِّ ذِمارَهُمْ والمُدْرِكُونَ عَدُوَّهم بالثّارِ
والناكحون بناتِ كلِّ مُتَوَّجٍ يومَ الوَغى غَصْباً بلا إمهارِ
وبنو سُلَيْم ثُكْلُ مَنْ عاداهُمُ وحَيا العُفاةِ ومَعْقِلُ الفُرّارِ[5]

---

1 السلفع : الصخابة البذيئة . والسعلاة : الغول .
2 بوقال : كوز بلا عروة .
3 غرار : جبل بتهامة .
4 قومهم في ل : بيتهم . الواري : الشحم السمين .
5 الحيا : الخصب . والعفاة : طلاب الرزق .

ليسوا بأنكـــاسٍ إذا حاسبتهـــم للمَـــوْتِ ثُمَّتَ صَمَّمُوا لِمُغارِ[1]

[تشوّقه إلى المدينة]

أُخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار عن عَمِّه قال : كان ابن أُبي الزوائد وفَدَ إلى بغداد في أيّام المهديّ ، فاستوخمها ، فقال يتشوّق إلى المدينة ويخاطب أبا غسّان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً : [من الخفيف]

يا ابنَ يحيى ماذا بَدا لك ماذا أمُقامٌ أم قــد عَزَمْتَ الخياذا[2]
فالبراغيثُ قــد تَثَــوَّرَ منهــا سامرٌ مـا نَلُــوذَ منهـــا مَلاذا
فَنَحُكُّ الجُلُودَ طـــوراً فتَدْمى ونَحُــكُّ الصّدُورَ والأفخاذا
فسَقى الله طَيْبَة الوَبْـــلَ سَحّاً وسقى الكَرْخَ والصَّراةَ الرَّذاذا[3]
بلدةٌ لا تــرى بهـا العَيْنُ يوماً شاربـــاً للنّبيـــذِ أو نَبّاذا[4]
أو فتًى ماجناً يرى اللَّهْوَ والبا طِلَ مجـــداً أو صاحباً لَوَّاذا[5]
هــــذه الذال فاسمعوها وهاتُوا شاعِراً قـــال في الرَّوِيِّ على ذا
قالها شاعــرٌ لَـوَ آنَّ القــوافي كُنّ صخراً أطارَهُـــن جُذاذا[6]

[شرب خمراً دون أن يعرف]

قال الزُّبَير : وأنشدني له أُبو غسّان محمد بن يحيى ، وكان قد دخل إلى رجلين من أُهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجَوَّاب ، والآخر أبو أيُّوب ، فسقياه نبيذاً على أنّه طَرِيّ لا يُسْكِر ، فأسكره ؛ فقال : [من الوافر]

سَقاني شربــةً فسَكِرْتُ منهـــا أبو الجَوَّابِ صاحِبيَ الخبيثُ
وعاونَـــه أُبـــو أيُّوبَ فيهـــا ومِنْ عاداتــه الخُلُــقُ الخَبِيثُ
فلمّـــا أن تَمَشَّتْ في عِظامي وهَمّتْ وَثْبَتِـي منها تَرِيثُ[7]

1 أنكاس : جمع نكس وهو الضعيف المقصر عن النجدة . والمغار : الإغارة .
2 الخياذا في ل : الحياذا . والخواذ : الفراق ، والحياذ : البعد .
3 طيبة : المدينة المنورة . الوبل : المطر الشديد . والصراة : نهر كان ببغداد .
4 النباذ : بائع النبيذ .
5 ماجناً في ل : مترفاً .
6 الجذاذ : القطع .
7 راث : أبطأ .

علمتُ بأنّني قــد جئتُ أمراً ... تسوءُ بــه المقالــةُ والحديثُ
فدَعهمْ ، لا أباللك ، واجْتَنِبْهُمْ ... فإنَّ خَلِيطَهُمْ لَهُـــوَ اللّوِيثُ[1]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين : [من المنسرح]

كالشمس في شَرْقِها إذا سَفَرتْ ... عنهــا ومِثْـلُ المَهــاةِ مُلْتَثِمَهْ
مـا صَوّرَ اللهُ حـين صَوّرها ... في سائــر الناسِ مثلَها نَسَمَهْ
كلَّ بــلادِ الإلهِ جئـــتُ فما ... أبصرتُ شِبْهاً لها ، وقد عَلِمَهْ ،
أُنْثــى مــن العالمين تُشْبِهُها ... عابسةً هكَـــــذا ومُبْتَسِمَــهْ
فَتَّانــةُ المُقْلَتَيْنِ مُخْطَفَـــةُ الـــ ... ـأحشاء منها البَنــانُ كالعَنَمَهْ[2]
إذا تعاطــتْ شيئــاً لتأخــذَه ... قلــتَ غَــزالٌ يَعْطُو إلى بَرَمَهْ[3]
يا طِيبَ فِيهـــا وطِيبَ قُبْلتها ... والقُرْبِ مِنْها في اللَّيلة الشَّبِمَهْ[4]
إنّ مــن اللــذّةِ التي بَقِيَتْ ... غِشْيانَكَ الخَوْدَ من بني سَلَمَهْ
لا تَهْجُــرِ الخَوْدَ أن يقالِ صبا ... بعـد سُلُوٍّ ، وقبـــلَ ذاك فَمَهْ[5]
آتِي مُعِــدّاً لهـــا الكلامَ فما ... أنْطِقُ مــن هيبــةٍ ولا كَلِمَهْ
أُحـــبُّ واللهِ أن أزورَكُـــمُ ... وَحْدِي كـذا أو أَزورَكم بِلُمَهْ[6]
هذا الجمالُ الذي سمعتَ بــه ... سبحانَ ذي الكِبْرِياء والعَظَمَهْ
مَــنْ أبصرتْ عَيْنُه لهـا شَبَهاً ... حَلّ عليــه العــذابُ والنَّقِمَهْ

صوت

[من المنسرح]

يــا هِنْدُ يــا هِنْدُ نَوِّلي رَجُلاً ... وكيف تنويلُ مَنْ سَفَكْتِ دَمَهْ
أو تُدْرِكي نَفْسه فقد هَلَكتْ ... أو تَرْحَميـــهِ فمِثْلُكم رَحِمــهْ

1 اللويث : الألوث هو الأحمق أي الذي فيه لوثة .
2 مخطفة الحشا : ضامرة . والعنم : شجر له ثمر أحمر .
3 يعطو : يتناول برفع الرأس واليدين . والبرم : ثمر الأراك .
4 الشبمة : الباردة .
5 مه : كفّ .
6 اللمة : الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة .

[المنافيات للمنافين]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن جعفر بن قادمٍ مولى بني هاشم قال : حدَّثني عمِّي أحمدُ بن جعفر عن ابن دَأْب قال : خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السِّعْلاء ومعنا مُصْعَبُ بن عبد الله النَّوْفليُّ وثابتٌ والزُّبَير ابنا خُبَيْب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَير وابنُ أبي الزوائد السعديّ وابنُ أبي ذِئْب مُتنزِّهين إلى العَقيق . وقد سأل يومئذٍ ، إذ أتانا آتٍ ونحن جُلوس ، فسألناه عن الخبر بالمدينة ؟ فقال : وَرَدَ كتابٌ من أمير المؤمنين المنصور يأمر أن لا تتزوّج مَنافِيّةٌ إلاّ مَنافِيّاً . قال ابن أبي ذِئْب : إذن والله لا يَخْطُب قرشيٌّ إلاّ من لا يُحبُّها ، ولا يَرغب فيمن لا يرغب فيها ممّن لا فضلَ له عليها ، وكان غير حسن الرأي في بني هاشم . وتكلّم ابنا خُبَيْبٍ بمثل ذلك ، وقال أحدُهما : إنّ نَسَبَنا من بني عبد مناف قد طال ، فأدالنا[1] الله منهم . قال : فغَضِب مُصْعَبٌ النَّوْفَليُّ وكان أَحْوَلَ فازدادت عيناه انقلاباً ، فقال : أمّا أنت يا ابن أبي ذِئْب فوالله ما شَرَّفَتْك جاهليَّة ولا رَفَعك إسلام . فيقَع في بال أحد أنّك عُنِيتَ بما جَرى ؛ وأمّا أنتما يا بَني خُبَيْبٍ فبُغْضُكما لبني عبد مناف تالدٌ موروث ، ولا يزال يتجدَّد كلّما ذكرتم قَتْلَ الزُّبَير ، وإنّكم لمن طِينتين مختلفتين : أما إحداهما فمِن صَفيّة ، وهي الطِّينة الأَبطحيّة السَّنِيَّة ، تَنْزِعانِ إليها إذا نافرتما ، وتَفخَران بها إذا افتخرتما ، والأُخرى الطِّينة العَوَّاميّة التي تَعْرِفانها ، ولو شئتُ أن أقول لقلتُ ، ولكنّ صفيَّةَ تَحْجُزُني ، فأَحْسِنا الشُّكْرَ لِمَنْ رَفَعكما ، ولا تَميلا عليه بمَن وضعكما . فقالا له : مَهْلاً ، فوالله لقدِيمُنا في الإسلام أفضلُ من قديمك ، ولَحَظُّنا فيه بالزُّبير أفضلُ من حَظِّك . فقال مُصْعَبٌ : والله ما تفْخَرانِ في نسَبِكما إلاّ بعَمّتي ، ولا تفضُلان في دِينكما إلاّ بابن عمِّي ﷺ ؛ فمُفاخِرُه لي دونكما . ثم تفرّقوا ؛ فقال ابن أبي الزوائد : [من الطويل]

لَعَمْرُكُما يابْنَيْ خُبَيْبِ بن ثابتٍ تجاوزتما في الفَخْرِ جَهْلاً مَداكُما
وأنكرتُما فضلَ الذيـن بِفَضْلِهم سَمَتْ بين أيدي الأَكْرَمينَ يَداكُما
فإنّكمـا لم تَعْرِفـا إذ سَمَوْتُما إلى العِـزِّ مِـنْ آل النبيِّ أباكُما
ولَمْ تَعْرِفا الفضلَ الذي قد فَخَرْتُما فليس مـن العَـوّامِ حَقّاً أتاكُما
فلولا الكِرامُ الغُـرُّ من آل هاشمٍ ــ فلا تجهلا ــ لَم تَدفَعا مَنْ رَماكُما

1 أدال الله من عدوّه : نصره عليه .

صوت

[من مجزوء الوافر]

مُحِبٌّ صَدَّ آلِفُهُ فليس لِلَيْلِه صُبْحُ
يُقلِّبُه على مَضَضٍ مَواعِدُ مالَها نُجْحُ
له في عَيْنِه غَرْبٌ وفي أحشائه جُرْحُ[1]
صَحا عنه الذي يرجو زِيارَتَه وما يَصْحُو

الشعر لأبي الأسد ، والغناء لِعَلُّويَه ، هَزَجٌ بالوُسْطى وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى .

1 الغرب هنا : الدمع .

[262] ـ أخبار أبي الأسد ونسبه

[نسبه]

اسمه ، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تينَة عن القَحْذَميّ ، نُباتةُ بن عبد الله الحمّاني[1] . وذكر أبو هَفَّانَ المِهْزَميُّ أنّه من بني شَيْبان . وهو شاعر مطبوع متوسِّط الشِّعْر ، من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الدِّينَوَرِ . وكان طيّباً مليحَ النَّوادِرِ مَزّاحاً خبيث الهجاء ، وكان صديقاً لعَلُّويَه المُغَنّي الأعسر ، يُنادمه ويُواصل عِشْرَته ويَصِلُه عَلُّويَه بالأكابر ، ويُعَرِّضُه للمنافع ، وله صنعةٌ في كثير من شعره .

[في جارية أخلفت ميعادها]

فأخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الأبزاري قال : كان أبو الأسَد الشاعر صديقاً لعلُّويَه ، وكان كثيراً ما يغنّي في شعره . فدعانا عَلُّويَه ليلةً ، ووعدته جارية لآل يحيى بن مُعاذ ، وكانت تأخذ عنه الغناء ، أن تزورَه تلك الليلة ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغِناء ، وكان عَلُّويَه يَهِيمُ بها ، فانتظرناها حتى أيِسْنا منها احتباساً . فقال علُّويَه لأبي الأسَد : قُلْ في هذا شعراً ؛ فقال : [من مجزوء الوافر]

محـــبٌّ صـدَّ آلِفُـــه فليس لِلَيْلِـه صُبْحُ
صحا عنه الذي يرجو زيارتَـه ومـا يصْحُو

قال : فصَنَع علُّويَه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ في أيدي الناس ، وغنّانا فيه ؛ فلم نَزَل نشرب عليه حتى أصبحنا . وضع في تلك الليلة بحَضْرَتنا لحنه من الرَّمَل في شعر أبي وَجْزَة السَّعْدِيّ : [من الخفيف]

قَتَلَتْني بغير ذنـبٍ قَتُـولُ وحَلالُ لهـا دَمي المطلولُ
ما على قاتـلٍ أصابَ قَتِيلاً بـدَلالٍ ومُقْلَتَيْـنِ سَبِيلُ

[طلب من موسى بن الضحاك يقاسمه غلمانه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني أبو هَفَّان قال : كتب أبو الأسَد وهو من بني حِمّان إلى موسى بن الضحّاك : [من الوافر]

1 الحماني : بكسر الحاء نسبة إلى حمان وهم حي من تميم .

لِموسى أَعْبُـدٌ وأَنـا أخـوهُ ... وصاحِبُـه ، وما لي غيرُ عَبْدِ
فلـو شاءَ الإلهُ وشاء موسى ... لآنسَ جانِبـي فَـرَجٌ بِسَعْـدِ

قال : و«فَرَجٌ» غلامٌ كان لأبي الأسَد ، و«سَعْدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد ، وقاسمه بعدَه بقيَّةِ غِلْمانه ، فأخذ شَطْرَهم وأعطاه شَطْرَهم .

[هجاؤه أحمد بن أبي دواد]

أخبرني محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني العبّاس بن ميمون طائع قال : هجا أبو الأسد أحمد بن أبي دوادٍ فقال : [من الكامل]

أنتَ امـرؤٌ غَـثُّ الصَّنِيعَةِ رَثُّها ... لا تُحْسِنُ النُّعْمـى إلى أمثـالي
نُعْماك لا تَعْـدُوكَ إلاّ في امرىءٍ ... في مَسْكِ مِثْلِك من ذَوي الأشْكالِ[1]
وإذا نظرتَ إلى صَنِيعِك لم تَجِـد ... أحَـداً سَمَوْتَ بـه إلى الإفْضالِ
فاسْلَمْ بغير سَلامـةٍ تُرْجى لهـا ... إلاّ لِسَدِّكَ خَلَّـةَ الأنـذالِ[2]

قال : فأدَّى إليه سَلامةُ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبياتَ عن أبي الأسَد ، فبعث إليه بِبُرْد واسْتَكفَّه ، وبعث بابن عائشة على مَظالِمِ ماسَبَذان[3] ، وقال له : قد شَرِكْتَه في التَّوبيخ لنا فشَرِكْناك في الصَّفْقَةِ[4] ، فإنْ كنتما صادِقَيْنِ في دَعْواكما[5] كنتما من الأنذال ، وإن كنتما كاذبين فقد جزيتكما بالقبيح حَسَناً .

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : كان سَبَبُ هجاء أبي الأسَدِ أحمدَ بن أبي دُوادٍ أنّه مَدَحه فلم يُثِبْه ، ووعَده بالثواب ومَطَلَه ؛ فكتب إليه[6] : [من المنسرح]

ليتَـك أدبتنـي بواحـدةٍ ... تُقْنِعُنـي منـك آخِـرَ الأبَدِ
تَحْلِـفُ ألاّ تَبَـرَّني أبَـداً ... فإنَّ فيهـا بَرْداً على كَبِدي

---

1 مسك : جلد .
2 الخلة هنا : الحاجة .
3 ماسبذان : كورة من فارس .
4 ل : الصنيعة .
5 في دعواكما في ل : فيّ .
6 أورد ابن المعتزّ في طبقاته بعض هذه الأبيات في ترجمة منصور الأصبهاني (344–348) وأضاف «وقد رويت هذه الأبيات لأبي الأسد وهي لمنصور أثبت» . غير أنّ البيت الأخير يرجّع نسبتها إلى أبي الأسد .

اشْفِ فُؤادِي مِنّـــي فإنَّ بــه مِنّيَ جُرْحــاً نَكَــأْتُه بِيَدِي
إنْ كان رِزْقي إليكَ فارْمِ به في ناظِـرَيْ حَيَّــةٍ على رَصَدِ
قد عشْتُ دهراً وما أقدِّر أنْ أرضى بما قد رَضِيتُ من أحدِ
فكيف أخطأتُ ؟ لا أصبتُ ولا نَهَضْتُ مــن عَثْرةٍ إلى سَدَدِ
لو كنتُ حُرّاً كما زعمتُ وقد كَدّرتنــي بـــالمِطالِ لم أعُدِ
صَبَرْتُ لَمَّا أسأتَ بــي ، فإذا عُــدْتُ إلى مِثْلِها فعُــدْ وعُدِ
فإنّني أهــلُ ذاكَ في طَمَعِــي وفي خَطائي سبيـــلَ مُعْتَمِدِ
أبْعَــدَنِي اللهُ حــين يَحمِلُني حِرْصِي على مِثْلِ ذا من الأَوَدِ[1]
الآنَ أيقنتُ بعــد فِعْلِكَ بي أنّــيَ عَبْــدٌ لأَعْبُــدٍ قُفُــدِ[2]
فصِرْتُ من سُوء ما رُمِيتُ به أُكْنَى أبا الكَلْبِ لا أبا الأسَدِ

[مديح الفيض بن صالح]

أخبرني عليّ بن الحسين بن عبد السميع المَرْوَزِيّ الوَرّاق قال : حدَّثني عيسى بن إسماعيل تينةُ عن القَحْذَميّ قال : كان أبو الأسد الشاعر ، واسمه نُباتة بن عبد الله الحِمَّانيّ ، منقطعاً إلى الفَيضِ بن صالح وزير المَهْدِيّ ، وفيه يقول[3] : [من الطويل]

ولائمةٍ لامَتْكَ يــا فَيْضُ في النَّدى فقلتُ لهــا لن يَقْدَحَ اللَّوْمُ في البَحْرِ
أرادتْ لِتَنهى الفَيْضَ عن عادةِ النَّدى ومَنْ ذا الذي يَثْني السَّحابَ عن القَطْرِ ؟
مَواقِعُ جُــودِ الفَيْضِ في كلّ بلــدةٍ مَواقِــعُ مــاءِ المُزْنِ في البَلَــدِ القَفْرِ
كأنّ وُفــودَ الفَيْضِ لمــا تَحَمَّلُوا إلى الفيض لاقَــوْا عندَه ليلــةَ القَدْرِ

وكان أبو الأسد قَبْلَه منقطعاً إلى أبي دُلَف مُدّة ، فلمّا قَدِم عليه عليُّ بن جَبَلةَ العَكَوَّكُ غَلَب عليه ، وسقطتْ منزلةُ أبي الأسَدِ عنده ، فانقطع إلى الفيض بعد عَزْلِه عن الوزارة ولزومِه منزلَه ، وذلك في أيّام الرشيد . وفيه يقول : [من الوافر]

أتيــتُ الفَيْضَ مُشْتَكِياً زَماني فأَعْــداني عليــهِ جُــودُ فَيْضِ[4]
وفاضــتْ كَــفُّه بالبَذْلِ منــه كما كَفُّ ابنِ عيسى ذاتُ غَيْضِ

1 الأود : الاعوجاج .
2 القفد : جمع أقفد وهو المسترخي العنق أو الغليظه .
3 أورد ابن قتيبة هذه الأبيات في مقدّمة الشعر والشعراء (18) .
4 أعداني : نصرني .

[يمدح ويهجو]

أخبرني عيسى بن الحُسَين قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليٌّ بن الحسن بن الأعرابيّ قال : سأل أبو الأسَد بعضَ الكُتَّاب ، وهو عليٌّ بن يحيى المنجِّم ، حاجةً يسأل فيها بعض الوزراء ، فلم يفعل . وبلغ حَمْدُونَ بن إسماعيل الخبرُ ، فسأل له فيها مبتدئاً ونَجَزها وأنفذها إليه . فقال أبو الأسَد يهجو الرجلَ الذي كان سأله الحاجةَ ، ويمدَح حمدونَ بن إسماعيل : [من البسيط]

صُنْعٌ من اللهِ ! أنِّي كنتُ أعْرِفكم ... قبـلَ اليَسارِ وأنتـمْ في التَّبابِـينِ
فمـا مضتْ سَنَةٌ حتَّـى رأيتُكُم ... تَمْشُونَ في القَزِّ والقُوهِـيّ واللِّينِ[1]
وفي المَشارِيق مـا زالتْ نساؤكُـم ... يَصِحْن تحت الدَّوالِي بالوَراشِينِ[2]
فصرْنَ يَرْفُلْنَ في وَشْي العِراقِ وفي ... طَرائِف الخَزِّ من دُكْنٍ وطارُوني[3]
أنْسِينَ قَطْعَ الحُلاوى من مَعادِنها ... وحَمْلَهُـنَّ كَشُوثـاً في الشَّقابِينِ[4]
حتى إذا أيسروا قالوا ، وقد كذبوا : ... نحـن الشَّهاريـجُ أولادُ الدَّهاقِينِ[5]
في است امٍّ ساسانَ أَيْري إنْ أقرّ بكم ... وأيْـرُ بَغْلٍ مُشِظٌّ في اسْتِ شِيرِين[6]
لـو سِيلَ أوْضَعُهُم قَدْراً وأنْذَلُهم ... لقال من فَخْرِه إنِّي ابنُ شُوبِينِ[7]
وقال أقطَعنـي كِسْرى ووَرَّثنـي ... فمَـنْ يُفاخِـرُني أم مَن يُناوِيني[8]
مـن ذا يُخبِّر كسْرى وهو في سَقَر ... دعوى النَّبيط وهم بَيْضُ الشياطينِ[9]
وأنَّهـم زعمـوا أنْ قـد ولدتَهُمُ ... كما ادّعى الضبّ إنّي نُطْفـةُ النُّونِ[10]

---

1 اللين : خفض العيش . والدوالي : النواعير .
2 الورشان : طائر كالحمامة . وفي المثل : «بعلة الورشان يأكل رطب المشان» والورشان أطيب التمر .
3 الطارون : نوع من الخز .
4 الحلاوي : نبتة زهرتها صفراء ولها شوك كثير . والكشوث : نبات أصفر يتعلّق بأغصان الشجر . الشقبان : وعاء يجمع فيه الحشيش .
5 الشهاريج : الوجوه .
6 ساسان : أبو ملوك الفرس . ومشظ : منعظ . وشيرين : زوجة أبرويز ملك الفرس .
7 شوبين : صاحب الجيش لدى هرمز بن أنو شروان .
8 يناويني في ل : يساويني .
9 بيض الشياطين : أولادهم .
10 النون : الحوت .

فكان يَنْحَزُ جَوْفَ النار واحدةً تَفْرِي وتَصْدَعُ خوفاً قلبَ قارونِ
أَمـا تراهـم وقد حَطُّوا بَرادِعَهُمْ عـن أُتْنهـمْ واستبدُّوا بالبَراذِينِ
وأفرجوا عن مَشارات البُقول إلى دُورِ المُلـوكِ وأبـوابِ السَّلاطِينِ[1]
تَغْلي على العُرْبِ من غَيْظٍ مَراجِلُهُمْ عـداوةً لِرسول الله في الدِّيـنِ
فقـل لهـم وهُـمُ أهـلٌ لتَزْنِيَةٍ شَرَّ الخَلِيقَـةِ يـا بُخْـرَ العَثانِينِ
مـا النَّاسُ إلاّ نِـزارٌ في أُرومَتها وهاشمٌ سُرْجُهـا الشُّمُّ العَـرانِينِ
والحَـيُّ مـن سَلَفَيْ قَحْطانَ إنَّهمُ يُـزْرُونَ بالنَّبَـطِ اللُّكْـنِ المَلاعِينِ
فمـا على ظهرهـا خَلْقٌ له حَسَبٌ ممّـا يُناسب كِسْرى غيرُ حَمْدونِ
قَـرْمٌ عليـه شَهَنْشاهِيَّةٌ ونَبـاً يُنْبِيكَ عن كسرويّ الجَدِّ مَيْمُونِ[2]
وإنْ شَكَكْتَ ففي الإيوانِ صُورتُه فانْظُـرْ إلى حَسَبٍ بادٍ ومخزونِ

أخبرني عمّي قال : أخبرنا ميمون بن هارون قال : مدح أبو الأسد الفيض بن صالح وهو يومئذٍ ملازم بيته غير والٍ على شيء فأثابه ثواباً جزيلاً فقال يمدحه :

ولائمةٍ لامَتكَ يـا فيضُ في النَّدى فقلتُ لهـا لن يقدحَ اللومُ في البَحْرِ

الأبيات . . . وقد مرّت .

[عتاب أبي دلف]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمد بن أبي طاهر . أنّ أبا الأسدَ زار أبا دُلف في الكَرَج[3] ، فحُجِب عنه أيّاماً ، فقال يعاتبه وكتب بها إليه : [من الخفيف]

ليت شعري أضاقتِ الأرضُ عَنّي أم بِفَـجٍّ أنـا الغداةَ طَرِيـدُ ؟[4]
أم أنا قانـعٌ بأدنـى مَعاشٍ هِمَّتِي القُوتُ والقليـلُ الزَّهِيدُ[5]
مِقْوَلـي قاطِـعٌ وسيفي حُسامٌ ويَـدِي حُـرَّةٌ وقلبي شَديدُ
رُبَّ بـابٍ أعزَّ من بابك اليَوْ مَ عليـه عَساكِـرٌ وجُنـودُ

---

1 المشارات : مجاري الماء والمساقي .
2 شهنشاه : ملك الملوك .
3 الكرج : مدينة بفارس .
4 الفج : الطريق الواسع .
5 همتي في ل : همّني .

قد ولَجْناهُ داخلــينَ غُدُوّاً ورَواحــاً وأنت عنــه مَذُودُ
فاكْفُفِ اليومَ من حِجابِكَ إذ لسـ ـتَ أميراً ولا خَميساً تَقُـودُ
واعترف من فراقي الصدَّ إذ لسـ ـتُ أسيراً ولا عــليّ قُيُـودُ
لا يُقيـمُ العزيــزُ في بلــد الهُو ن ولا يُكْبَتُ الأرِيبُ الجَلِيدُ

[صديقه بسطام]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال : أنشدني أبو هفّان لأبي الأسَد في صديق له يقال له بِسْطام كان برًّا به . قال : وهذا من جَيِّد شعره ، وقد سرق البُحْتِرِيُّ معناه منه في شعر مدح به عليَّ بن يحيى المنجِّم : [من البسيط]

أغْـدُو على مـال بِسْطامٍ فأَنْهبُهُ كما أشاءُ فـلا تُثْنـى إليَّ يَدِي
حتى كأنّيَ بِسْطامٌ بما احتكمتْ فيــه يَـدايَ وبِسْطامٌ أبو الأسَدِ

[رثاء إبراهيم الموصليّ]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الكاتب الأنباري قال : حدَّثني أبو هفّان ، وأخبرني به يحيى بن عليٍّ بن يحيى قال : حدَّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال : حدَّثنا أبو هفّان قال : حدَّثني أبو دِعامَة قال : لمّا مات إبراهيم المَوْصِلِيُّ قِيل لأبي الأسَدِ ، وكان صديقه ، ألاّ تَرثِيه ؟ فقال يرثيه[1] : [من الوافر]

تَوَلّى المَوْصِلِيُّ فقــد تَولَّتْ بَشاشاتُ المَزاهِــرِ والقِيانِ
وأيُّ مَلاحــةٍ بَقِيَتْ فتَبْقى حياةُ المَوْصِلِيِّ على الزَّمانِ
ستَبْكِيهِ المَزاهِــرُ والمَلاهِي ويُسْعِدُهُنَّ عاتقــةُ الدِّنانِ
وتَبْكِيــهِ الغَوِيَّــةُ إذ تَوَلّى ولا تَبْكِيــهِ تاليـــة القُرانِ

فقيل له : وَيْحَكَ فضحته وقد كان صديقك . فقال : هذه فضيحة عند من لا يعقل ، أما من يعقل فلا . وبأيِّ شيء كنت أذكره وأرثيه به ؟ أبِالْفِقْه أم بالزُّهْد أم بالقِراءة ؟ وهل يُرثى مغنٍّ إلاّ بهذا وشِبْهه !

[شاهين بن أخي أبي دلف]

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب لأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطُّوسيّ قال : كنت مقيماً بالجبل فمرَّ بي أبو

1 تقدّم في ترجمة إبراهيم الموصليّ أنّ هذه الأبيات لابن سيابة وتنسب لأبي الأسد ، وتراجع بقية الخبر 5 : 102 .

الأَسَد الشاعر الشَّيبانيّ ، فأنزلته عندي أيّاماً ، وسألته عن خبره فقال : قصدت شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دُلف ، فما احتبسني ولا برَّني ولا عرض عليَّ المُقام عنده ، وقد حضرني فيه أبيات فاكْتُبْها ، ثم أنشدني : [من البسيط]

إنِّي مررتُ بِشاهينٍ وقد نَفَحتْ ... رِيحُ العَشيِّ وبَرْدُ الثَّلجِ يُؤذِينِي
فما وَقى عِرْضَهُ مِنِّي بِكُسْوَتِهِ ... لا على حَسَبٍ حامى ولا دِينِ
إن لَم يكن لَبَنُ الدَّاياتِ غَيَّرَه ... عن طبع آبائــه الشُّمِّ العَرانِينِ
فرُبَّما غابَ بعــلٌ عن حَلِيلَته ... فناكهــا بعضُ سُوَّاسِ البَراذِينِ
ومــا تحرَّك أيــرٌ فامتلا شَبَقاً ... إلاّ تَحَرَّك عرْقٌ في اسْت شاهينِ

ثم قال : والله لأُمَزِّقَنَّه كلَّ مُمَزَّقٍ ، ولأصِيرَنَّ إلى أبي دُلَفَ فَلأُنشدَنَّه . ومضى من فَوْره يريد أبا دُلَفَ ، فلم يصل إليه ، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ ، فشقّ عليه وغَمَّه . وأتاه أبو الأسَد فدخل عليه ، فسأله عن قِصَّته مع شاهين ، فأُخبره بها ؛ فقال : هَبْه لي . قال : والله لا وهبته لك وقد حرمني واستخفّ بي ولكن اشْتَرِ مني عرضه . قال : بكم ، قال : بديته عشرة آلاف درهم ، فأمسك عنه .

قال أبو الفرج : هذا البيت الأخير لبَشّار ، وكان عَرَض له فقال :

ومــا تحرَّك أَيرٌ فامتلا شَبَقاً ... إلاّ تحرَّك عِرْقٌ في است . . . . . .

ثم قال : في است مَن ؟ ومرَّ به تسنيم بن الحوارى[1] فسلَّم عليه ، فقال : في است تسنيم والله . فقال له : أيُّ شيء ويلك ؟ فقال : لا تَسَلْ . فقال : قد سمعتُ ما أُكره ، فاذكر لي سَبَبه . فأنشده البيت ، فقال : ويلك ! أيُّ شيء حَمَلك على هذا ؟ قال : سَلامُك عليّ . قال : لا سَلَّم الله عليك ولا عليّ إن سلَّمت عليك بعدها ، وبَشَّار يضحك . وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشّار .

صوت

وقد جُمِع معه كلّ ما يُغنَّى في هذه القصيدة : [من الطويل]

أَجِدَّكَ إنْ نُعْمٌ نـأتْ أنت جازِعُ ... قَـدِ اقْتربـتْ لَـوْ أنَّ ذلك نافعُ
وحَسْبُكَ مِــن نأي ثلاثــةُ أشْهُر ... ومــن حَزَنٍ أنْ شاقَ قَلبَك رابعُ

1 يضبط الحَواريّ أو الحُوّارى .

بكتْ عَيْنُ مَنْ أُبكاكَ ليس لك البُكى ... ولا تَتَخالجْـك الأُمـورُ النَّوازِعُ
فـلا يَسْمَعَنْ سِرِّي وسِرَّك ثالثٌ ... ألا كلُّ سِرٍّ جـاوَزَ اثْنَيْـن شائعُ[1]
وكيـف يَشيعُ السِّرُّ مِنِّي ودُونَه ... حجابٌ ومن فوق الحِجابِ الأَضالِعُ
كأنَّ فُؤادي بـين شِقَّينِ من عَصاً ... حِذارَ وُقـوعِ البَيْنِ والبَيْنُ واقعُ
وقالـت وعيناها تَفيضانِ عَبْرةً ... بأَهليَ ، بَيِّنْ لي مَتى أَنتَ راجعُ ؟
فقلـتُ لها باللهِ يَـدْرِي مُسافِرٌ ... إذا أَضمرته الأرضُ ما اللهُ صانعُ ؟
فشَدَّت على فِيها اللِّثام وأَعرضتْ ... وأَقبلنَ بالكُحْلِ السَّحِيقِ المَدامعُ

عَروضه من الطويل . الشعر لِقَيْسِ بن الحُدادِيّة ، والغناء لإسحاق في الأوّل والثاني من الأبيات خفيف رملٍ بالوُسْطى ، وفي الثالث وما بعده أربعة أبيات ليحيى المكّي رمل بالوسطى من كتابه .

---

1 مثل .

[263] ـ أخبار قيس بن الحُدادِيّة ونسبه[1]

[نسبه]

هو قيس بن مُنقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حَبَشية بن سَلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خُزاعة بن عمرو وهو مُزَيقِياء بن عامر وهو ماءُ السماء بن حارثة الغِطرِيف بن امرىء القيس البِطْريق بنِ ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وهو «رداء[2] ، ويقال : رديني»[3] ، وقد مضى نسبه متقدّماً ؛ والحُدادية أمّه ، وهي امرأة من مُحارب بن خَصَفة بن قيس بن عيلانَ بنِ مُضَر ، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حِداد . شاعر من شعراء الجاهليّة ، وكان فاتكاً شجاعاً صُعْلوكاً خليعاً ، خلعتْه خُزاعةُ بسُوق عكاظ ، وأشهدتْ على أنفُسها بخَلْعها إيّاه ، فلا تَحتمِل جريرةً له ، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحدٌ عليه .

[غاراته]

قال أبو الفرج : نسختُ خبَره من كتاب أبي عمرو الشَّيْبانيّ : لمّا خلَعتْ خُزاعةُ بن عمرو ، وهو مُزَيْقِياء بن عامر ، وهو ماء السماء بن الحارث ، قيسَ بن الحِداديّة ، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعياً قوم منهم يقال لهم : بنو قُمَير بن حبشيّة بن سَلُول ، فجَمَعَ لهم قيسٌ شُذّاذاً من العَرَب وفُتّاكاً من قومه ، وأغار عليهم بهم ، وقتل منهم رجلاً يقال له ابن عُش ، واستاق أموالَهم ، فلحقه رجل من قومه كان سيِّداً ، وكان ضَلْعه[4] مع قيس فيما جَرى عليه من الخلع ، يقال له ابن محرِّق ، فأقسم عليه أن يردّ ما استاقَه ، فقال : أمّا ما كان لي ولقومي فقد أبررتُ قسَمَك فيه ، وأمّا ما اعتَوَرته أيدي هذه الصعاليك فلا حيلةَ لي فيه ، فردّ سهمَه وسهمَ عشيرته ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فأقسم لولا أَسْهَم ابنُ محرِّقٍ ... مع الله ما أكثرتُ عَدَّ الأَقاربِ
تركت ابن عُشٍّ يرفعون برأسه ... يَنوءُ بساقٍ كعبُها غيرُ راتبِ[5]
وأنهاهُــم خلعي على غير مِيرةٍ ... من اللحم حتى غُيِّبوا في الغوائبِ

وقال أبو عمرو : أغار أبو بردة بنُ هلال بنِ عُوَيْمِر ، أخو بني مالك بن أفصى بن حارثة بن

---

1 لقيس بن الحدادية ترجمة في معجم المرزباني : 202 والزهرة : 189 وأمالي اليزيدي : 153 .

2 ل : دارى .

3 ل : درا .

4 ضلعه : ميله وهواه .

5 غير راتب : غير مستقيم .

عمرو بن عامر بن امرىء القيس على هَوازِنَ في بلادها ، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فاقْتَتَلوا قتالاً شديداً ، فانهزمتْ بنو عامر وبنو نصر ، وقَتَل أبو بردة قيسَ بنَ زهير أخا خِداش بن زهير الشاعر ، وسَبى نسوةً من بني عامر : منهن صخرةُ بنتُ أسماءَ بن الضَّريبة النَّصريّ ، وامرأتين منهم يقال لهما : بَيْقر وَرَيّا ، ثم انصرفوا راجعين ، فلمّا انتهوا إلى هَرْشى خَنَقتْ صخرة نفسَها فماتت ، وقَسَم أبو بُرْدة السبيَ والنَّعَم والأموال في كلّ مَن كان معه ، وجعل فيه نصيباً لمَن غاب عنها من قومه وفرّقه فيهم .

ثم أغارت هوازنُ على بني ليث ، فأصابوا حيًّا منهم يقال لهم : بنو الملوح بن يَعْمَر بن عوف ، ورِعاءً لبني ضاطر بن حبشية ، فقتلوا منهم رَجْلاً وسَبَوْا منهم سبياً كثيراً واستاقوا أموالَهم ، فقال في ذلك مالك بن عوف النَّصْريّ : [من الطويل]

نحن جلبْنا الخيلَ من بطن لِيّةٍ ... وجِلدانَ جُرْداً مُنْعَلاتٍ ووُقَّحا[1]
فأصبحنَ قد جاوزن مَرّاً وجُحْفةً ... وجاوزن من أكناف نخلةَ أبطَحا
تلقَّطن ضَيطارِي خُزاعة بعدما ... أبَرْنَ بصحراء الغميمِ الملَوَّحا[2]
قتلناهُم حتى تركنا شريدهمْ ... نساء وأيتاماً ورَجْلاً مُسَدَّحا
فإنّك لو طالعتهم لحِسبتهم ... بمنعرَج الصَّفراء عِتْراً مُذَبحا[3]

فلمّا صنعتْ هوازنُ ببني ضاطر ما صنعتْ ، جَمع قيس بنُ الحِداديّة قومَه ، فأغار على جُموع[4] هوازن ، فأصاب سَبْياً ومالاً ، وقتل يومئذٍ من بني قشير : أبا زيد وعُروة وعامراً ومُرّحاً ، وأصاب أبياتاً من كلاب خُلوفاً[5] ، واستاق أموالَهم وسبى نساءهم ، ثم انصرف وهو يقول : [من الطويل]

نحن جَلَبْنا الخيلَ قُبّاً بطونُها ... تَراها إلى الدّاعي المَثوِّب جُنَّحا[6]
بكلّ خُزاعيٍّ إذا الحربُ شمَّرتْ ... تسربَلَ فيها بُردهُ وتَوشَّحا
قرعْنا قُشَيراً في المحلّ عشيَّةً ... فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا

---

1 وقح : صلاب الحوافر .
2 الضيطار : الضخم اللئيم . وأبار : أهلك . والغميم : موضع .
3 العتر : الرجيبة ، وهي شاة كانت تذبح في رجب تقرباً إلى الآلهة .
4 ل : مصنوع .
5 خلوف : نساء لا رجال عندهن .
6 قب البطون : ضامرتها .

قتلْنا أبــا زيــــد وزيــداً وعامراً وعــروةَ أقصَدْنــا بهــا ومُرَوّحا[1]
وأُبْنا بإبْلِ القوم تُحدى ، ونسوةٍ يبكّــين شِلْواً أو أَسيراً مُجرَّحا
غداةَ سَقَينا أَرضَهم من دمائهم وأُبنـــا بِأُدْمٍ كنّ بالأَمس وُضَّحا[2]
ورُعْنــا كلابـــاً قبــل ذاك بِغارة فسُقْنا جِـلاداً في المبارِكِ قُرَّحا[3]
لقـــد علمتْ أفناءُ بكر بنِ عامرٍ بأنّا نَـــذودُ الكاشحَ المتزحزِحا
وأنا بلا مَهــرٍ سوى البِيض والقَنا نُصيب بأَفنــــاء القبائــلِ مَنكَحا

[قيس بن عيلان وخزاعة]

وقال أَبو عمرو : وزعموا أَنَّ قيسَ بن عيلانَ رغِبتْ في البيت ، وخُزاعة يومئذٍ تليه ، وطمِعوا أن ينزِعوه منهم ، فساروا ومعهم قبائـلُ من العَرَب ورأَّسوا عليهم عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانيّ ، فساروا إلى مكّة في جمعٍ لُهام[4] ، فخرجتْ إليهم خُزاعة فاقتتلوا ، فهُزِمَتْ قيس ، ونجا عامرٌ على فرس له جواد . فقال قيس بن الحُداديّة في ذلك : [من المتقارب]

لقد سُمْتَ نفسَك يا ابنَ الظَّرِبْ وجشَّمتهمْ منزلاً قد صَعُبْ[5]
وحمَّلتهـــمْ مركبــاً باهِظـــاً من العِبْء إذ سُقتَهم للشَّغَبْ[6]
بحـربِ خُزاعـــة أَهـلِ العُلا وأَهـلِ الثّناء وأَهـلِ الحسبْ
هـــم المانعو البيت والذائدون عـــن الحُرُمات جميعَ العربْ
نَفَـوا جُرْهُمــاً ونَفَوا بعدهم كِنانــةَ غَصْباً بِبِيض القُضُبْ
وسُمْرِ الرِّمــاح وجُرْدِ الجياد عليهــا فــوارسُ صدق نُجُبْ
وهـــمْ أُلحقـــوا أَسَداً عَنوةً بأَحياء طيٍّ وحازُوا السَلَبْ[7]
خُزاعةُ قومـــي فـــإن أفتخِرِ بهـــمْ يَزْكُ مُعتَصَري والنَّسبْ
هم الرأس والناس من بعدِهم ذُنابى ، وما الرأس مِثلُ الذَّنَبْ[8]

---

1 أقصده : طعنه فلم يخطئه .
2 أي سبايا أدم اكتسبن السمرة بعد أن كنّ بيضاً .
3 الجلاد : الإبل الغزيرة اللبن .
4 لهام : كثير عظيم .
5 منزلاً في ل : مركباً .
6 مركباً في ل : مثقلاً .
7 بأحياء في ل : بأجبال .
8 مثل .

يُواسى لدى المَحْلِ مولاهمُ ... وتُكشَف عنه غُموم الكُرَبْ
فجارهُمُ آمِنٌ دهرَه ... بهمْ أن يُضامَ وأن يُغتصَبْ
يلبُّون في الحرب خوف الهجاء ... ويَبْرُون أعداءهم بالحَرَبْ[1]
ولو لم ينجِّك من كيدهم ... أمينُ الفُصوص شديدُ العَصَبْ[2]
لزرتَ المنايا ، فلا تكفُرَنْ ... جوادَك نُعْماه يا ابن الظَّرِبْ
فإنْ يلتقوك يزُرْك الحِما ... م أو تنجُ ثانيةً بالهربْ

قال أبو الفرج : هذه القصيدة مصنوعة ، والشعر بيّن التوليد .

[غارة هوازن على خزاعة]

وقال أبو عمرو : أغارت هوازنُ على خزاعة وهم بالمحصَّب من مِنى ، فأوقعوا ببطن مِنهم يقال لهم بنو العَنْقاء ، وبقوم من بني ضاطر ، فقتَلوا منهم عَبْداً وعوفاً وأقرم وغبشان ، فقال ابن الأحبّ العَدْوانيّ يفخر بذلك : [من الطويل]

فلو شهدت أم الصبيَّين حملنا ... على ضاطر بالمقربات السواهمِ
غداةَ التقينا بالمحصَّب من مِنًى ... فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائمِ
تَرَكْنا بها عَوْفاً وعَبداً وأقرَماً ... وغبشانَ سُؤراً للنُّسور القشاعمِ[3]

فأجابه قيس بن الحدادية ، فقال يعيّره أن فخر بيوم لي لقومه : [من الطويل]

فخرْتَ بيوم لم يكن لك فخرُه ... أحاديثُ طَسْمٍ إنّما أنتَ حالمُ[4]
تفاخِر قوماً أطرَدتْك رماحُهمْ ... أكعبُ بنَ عمرو : هل يُجاب البهائمُ
فلو شهدت أُمُّ الصبيَّين حَملَنا ... وركْضَهمُ لابيضّ منها المَقادمُ
غداةَ تولَّيتمْ وأدبَر جمعُكمْ ... وأُبْنا بأَسْراكم كأنّا ضَراغِمُ

[حماه أسد بن كرز فمدحه]

قال أبو عمرو : وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خُزاعة هو وناس من أهل بيته ، فهربوا فنزلوا في فِراس بن غَنَم ، ثم لَم يَلبَثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً ، فهربوا فنزلوا في بَجيلةَ على أسَد بم كُرز ، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمّل عنهم ما أصابوا في خُزاعة وفي

---

1 خوف الهجاء في ل : حوز الهجان .
2 أمين الفصوص : قوي المفاصل .
3 السؤر : البقية والفضلة .
4 المثل «أحاديث طسم وأحلامها» في مجمع الميداني 1 : 204 .

فِراس ، فقال قيس بن الحدادية يمدح أُسد بن كرز : [من البسيط]

لا تعذليني سلمى اليومَ وانتظري ... أن يجمع الله شَملاً طالما افترَقا

إن شتّت الدَّهر شَملاً بين جيرتكم ... فطال في نعمةٍ يا سَلْم ما اتفقا

وقد حللنا بِقَسْرِيٍّ أخي ثقةٍ ... كالبدرِ يجلو دُجى الظلماء والأُفقا

لا يَجبرُ الناسُ شيئاً هاضَه أُسدٌ ... يوماً ولا يَرتَقُون الدَّهرَ ما فَتَقا

كم من ثناءٍ عظيم قد تَدارَكَه ... وقد تفاقَمَ فيه الأَمرُ وانخرقا

قال أبو عمرو : وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيّين ، وغيرُهم يزعم أنّها مصنوعة ، صنعها حمّاد الرّاوية لخالد القَسريّ في أيّام ولايته ، وأنشده إيّاها فوَصَله ، والتوليد بيّن فيها جدّاً .

[غارة ضريس على بني ضاطر]

وقال أبو عمرو : غزا الضَّريس القشيريّ بني ضاطر في جماعة من قومه ، فثبتوا له وقاتَلوه حتى هزموه ، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم ، فقال قيس بن الحِدادية في ذلك : [من الطويل]

فِدًى لبني قيس وأفناء مالكٍ ... لدى الشِّسْعِ من رجلي إلى الفَرْق صاعدا

غداةَ أتى قوم الضَّريس كأنّهم ... قَطا الكُدْرِ من ودّان أَصبحَ واردا[1]

فلم أرَ جمعاً كان أكرمَ غالباً ... وأحمى غلاماً يوم ذلك أطردا

رميناهُم بالحُوِّ والكُمْتِ والقَنا ... وبِيضٍ خِفافٍ يختلِين السواعدا[2]

[آواه بنو عديّ فمدحهم]

قال أبو عمرو : ولمّا خلعتْ خُزاعةُ قيساً ، تحوَّلَ عن قومه ، ونزل عند بطنٍ من خزاعة ، يقال لهم بنو عدِيّ بن عمرو بن خالد ، فآوَوه وأَحسنوا إليه ، وقال يمدحهم : [من الطويل]

جزى الله خيراً عن خليع مطَرَّدٍ ... رجالاً حَمَوْه آل عَمْرو بن خالدِ

فليس كمَن يغزو الصديق بنَوْكِه ... وهمتُه في الغزو كسبُ المَزاودِ[3]

عليكم بعرْصات الديار فإنَّني ... سواكم عدِيدٌ حين تُبلى مَشاهِدي

ألاوَذْتُمُ حتى إذا ما أَمِنتم ... تَعاوَرْتُمُ سَجْعاً كسجع الهداهدِ

تجنّى عليَّ المازنان كلاهما ... فلا أَنا بالمغضي ولا بالمساعدِ[4]

1 الكدر وودان : موضعان . والقطا الكدري : الأغبر اللون المرقّش .

2 يختلين : يقطعن .

3 النوك : الحمق .

4 بالمساعد في ل : بالمباعد .

وقــد حدبــت عمرو عليَّ بعزّها وأبنائهــا مــن كلّ أروَعَ ماجدِ
مَصاليتُ يومَ الرَّوع كَسْبُهم العُلا عِظامُ مَقِيل الهام شُعْرُ السواعدِ
أولئك إخــواني وجُــلُّ عشيرتي وثروتُهــم والنصرُ غيرُ المُحاردِ[1]

[أعتقه عديّ بن نوفل فمدحه]

أخبرني أحمد بن سليمان الطّوسيّ ، والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا : حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال : أخبرني عمّي أنَّ خُزاعةَ أغارت على اليمامة ، فلم يَظفروا منها بشيء ، فهزموا وأسر منهم أسرى ، فلمّا كان أوان الحجّ ، أخرجَهم من أسرهم إلى مكّة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم ، فغَدوا جميعاً إلى الخَلْصاء[2] ، وفيهم قيس بن الحداديّة ، فأخرجوهم وحملوهم ، وجعلوهم في حَظيرة ليحرقوهم ، فمرّ بهم عديّ بن نوفل ، فاستجاروا به ، فابتاعهم وأعتَقَهم ، فقال قيس يمدحه : [من الطويل]

دعوتُ عديّــاً والكُبــولُ تَكُبني ألا يــا عديُّ يــا عديّ بن نوفلِ
دعوت عديّــاً والمنايـا شوارِعٌ ألا يــا عــدِيّ للأسير المكبّلِ
فما البحر يجري بالسَّفين إذا غدا بأجودَ سَيْباً منـه في كلّ مَحفِلِ
تداركت أصحاب الحظيرة بعدما أصابهــمُ منّــا حريــقُ المحلّلِ[3]
وأتبعــت بــين المَشْعَرينِ سِقايةً لحجّـاج بيت الله أكـرم مَنهلِ[4]

[هجرة خزاعة بسبب الجدب]

قال أبو عمرو : وكان قيس بنُ الحداديّة يَهوى أُمَّ مالك بنت ذؤيب الخزاعيّ ، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالِين إلى مصر والشام لأنّهم أجدَبوا ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، رأوا البوارق خلفَهم ، وأدركهم من ذكر لهم كثرةَ الغيث والمطر وغزارتَه ، فرجع عمرو بن عبادة بن عبد مَناة في ناس كثير إلى أوطانهم ، وتقدّم قَبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أمّ مالك ، واسمها نُعم بنت ذؤيب ، فمضى ، فقال قيس بن الحداديّة هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور : [من الطويل]

أَجِـدَّك إنْ نُعْمٌ نـأَت أنت جازِعُ قــد اقترَبَــتْ لــو أنّ ذلـك نافِعُ

1 غير المحارد : غير المنقطع .
2 الخلصاء : بلد بالدهناء .
3 المحلل : الذي حلل إحراقنا في الأشهر الحرم .
4 أكرم في ل : أفضل .

قــد اقتربت لو أنّ في قُرب دارها ... نــوالاً ، ولكــن كلُّ من ضَنَّ مانعُ
وقـد جاورَتْنـا في شهـور كثيرة ... فمـا نوَّلَـتْ ، واللّهُ راءٍ وسامعُ
فإنْ تَلقَيْن نعمـى هُدِيـتَ فحيِّها ... وسل كيـف تُرعى بالمَغِيبِ الودائعُ
وظنّي بهـا حفـظٌ لِغَيبي ، ورِعيةٌ ... لِما استُرعِيَتْ ، والظَّن بالغيب واسعُ
وقلـت لهـا في السرّ بيني وبينها ... على عجـلٍ : أيّان مَن سار راجعُ ؟
فقالت : لقاءٌ بعـد حَـول وحِجّـةٍ ... وشَحطُ النوى إلاّ لذي العهدِ قاطعُ
وقد يلتقي بعـد الشَّتات أولو النَّوى ... ويسترجع الحـيَّ السحابُ اللوامعُ
ومـا إنْ خَذولٌ نازعَتْ حبلَ حابلٍ ... لتنجوَ إلاّ استسلَمتْ وهـي ظالِعُ[1]
بأحسنَ منهـا ذاتَ يـوم لَقيتُهـا ... لها نظـرٌ نحـوي كذي البَثِّ خاشعُ
رأيت لهـا ناراً تُشَب ، ودونهـا ... طويلُ القَرا مـن رأس ذَروةَ فارعُ[2]
فقلت لأصحابي : اصطَلُوا النار إنّها ... قريبٌ ، فقالـوا : بل مكانك نافعُ
فيا لـك مـن حادٍ حَبوت مقيَّداً ... وأُنحـى على عِرنـينِ أنفِـك جادِعُ
أغيظاً أرادَتْ أن تُخـبَّ جمالُهـا ... لتفجَـعَ بالإظعانِ مَـن أنـتَ فاجعُ
فمـا نُطفـة بالطَّـود أو بضَرِيَّـة ... بقيّـة سيـلٍ أحرزَتْهـا الوقائعُ[3]
يطيف بهـا حَرّانُ صادٍ ولا يـرى ... إليهـا سبيـلاً غيـرَ أنْ سيطالعُ
بأطيبَ مِـن فِيهـا إذا جئت طارقاً ... من الليـل واخضلّت عليك المَضاجعُ
وحَسْبُك مـن نـأيٍ ثلاثـةُ أشهر ... ومِن حَـزَنٍ أن زادَ شوقَك رابعُ
سعى بينهـم واشٍ بأفْـلاق بِرْمَـةٍ ... ليفجَع بالأظعان مَـن هـو جازِعُ[4]
بكت مـن حديث بَثَّـه وأشاعـه ... ورصَّعـه واشٍ مـن القـوم راصِعُ
بكت عينُ من أبكاكِ ليس لك البكا ... ولا تتخالجـك الأُمـور النوازعُ
فـلا يسْمَعْن سرّي وسرّك ثالـثٌ ... ألا كلُّ سرّ جـاوز اثنـين شائعُ[5]

---

1 الخذول من الظباء والبقر : التي تتخلّف عن القطيع . وظلع : غمز في مشيه .
2 القرا : الظهر . وذروة : اسم جبل . والفارع : العالي .
3 الطود : الجبل . وضرية : بئر . الوقائع : جمع وقيعة ، وهي النقرة في الجبل يتجمّع فيها الماء .
4 أفلاق : جمع فلق ، وهو المطمئنّ من الأرض بين ربوتين .
5 مثل .

وكيــف يَشيع السرُّ منّــي ودُونَــه حجاب ومِن دون الحجاب الأَضالعُ !
وحِــبٌّ لهــذا الرَّبــع يمضي أَمامه قليــلُ القِــلى منــه جليلٌ ورادعُ
لهَـوتُ بــه حتــى إذا خِفتُ أَهلَه وبيّــنَ منــه للحبيــبِ المخادعُ
نزعــتُ فمــا سِرِّي لأوّل سائل وذو السرّ مـا لم يَحفظ السرَّ ماذعُ[1]
وقــد يَحمد الله العــزاءَ من الفتى وقـد يجمـع الأمرَ الشتيتَ الجوامعُ
أَلا قد يُسلَّى ذو الهــوى عن حبيبه فيَسْلى ، وقــد تُردِي المطيَّ المطامعُ
ومــا راعَنــي إلاّ المنادي أَلاَ أظعَنوا وإلاّ الرواغِــي غُــدوةً والقعاقعُ[2]
فجئــت كأنّي مستضيفٌ وسائل لأُخبرهــا كلَّ الذي أَنــا صانِعُ
فقالت : تزحْزح مـا بنا كُبْرُ حاجةٍ إليــك ولا منّــا لفقــرك راقِعُ
فما زلتُ تحت السِّتر حتى كأنّني من الحُــر ذو طِمْرَيْن في البحر كارِعُ
فهـزَّت إليّ الرأس منّــي تعجُّبــاً وعُضّض ممّــا قــد فعلتُ الأصابعُ
وإنّي لأنهــى النفس عنهــا تجهّــلاً وقلبي إليها الدهــر عطشان جائعُ
أيثبت بأهــوار الجميــع فساكن ومنتجع فخــراً فمــا أنــت صانعُ
فأَيُّهمــا مــا أُتبعَــنّ فإنّنــي حزيــن على إثــر الذي أَنا وادِعُ
وأنشر ثوبــي نحــو داخــن نارها ومـا بيننا مـن شقـة الأَرض واسعُ
بكى من فــراق الحيّ قيسُ بنُ مُنقِذ وإذراءُ عيني مثلَــه الدمــعَ شائعُ
بأربعــة تنهــلُّ لمّــا تفرقــت بهــم طُــرُق شتّى وهــنّ جوامعُ
ومـا خِلْتُ بينَ الحــيّ حتى رأيتهم بَبينونــةَ السفلى وهبَّــت سَوافعُ[3]
كأن فؤادي بين شِقَّين مــن عَصاً حِــذار وقــوعِ البين والبينُ واقِعُ
يحُــثُّ بهــم حــادٍ سريعٌ نَجاؤه مُعْــرّى عن الساقــين والثوب واسِعُ
فقلت لهــا يــا نُعــم حُلِّي محلّنا فإن الهــوى يــا نُعم والعيش جامعُ
فقالــت وعيناهــا تَفيضان عَبرةً بأهلي بَيِّنْ لي متــى أَنت راجعُ ؟

1 ماذع في ل : وادع .
2 ألا اظعنوا في ل : أن أظعنوا .
3 بينونة : موضع . والسوافع : لوافح السموم .

فقلـت لهـا تالله يـدري مسافر إذا أضمرتْه الأرضُ مـا الله صانعُ
فشدَّت على فِيهـا اللثامَ وأعرضتْ وأمعـن بالكُحـلِ السَّحيقِ المدامِعُ
وإنّي لِعهـد الودّ راعٍ ، وإنّنـي بوصلك مـا لم يطوني الموتُ طامِعُ

قال أبو عمرو : فأنشدت عائشةَ بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة ، فاستحسنتْها وبحضرتها جماعة من الشعراء . فقالت : من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويَدخل في معناها فله حُلّتي هذه ، فلم يقدر أحد منهم على ذلك .

[شعره في معشوقته نعم]

قال أبو عمرو : وقال قيس أيضاً يذكرَ الحيّ وتفرّقهم ويُنسبُ بنعم ويذكرها : [من الطويل]

سقى الله أطلالاً بنعـمٍ ترادفت بهـن النَّوى حتـى حَلَلْن المَطاليا[1]
فإن كانـت الأيام يـا أمَّ مالك تسلِّيكُم عنـي وتُرضي الأعاديا
فلا يأمَنَنْ بعدي امرؤ فجَع لذَّةٍ من العيش أو فجعَ الخطوبِ العَوافِيا
وبُدِّلت مِـن جَدواكِ يا أُمَّ مالكٍ طـوارقَ هـمٍّ يحتضِرْن وِسادِيا
وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُنَّةٍ أُساقي الكماةَ الدارعين العَواليا
فيَوْمايَ يـومٌ في الحديد مُسربَلا ويوم مـع البِيضِ الأوانِس لاهيا
فـلا مدركاً حظّاً لدى أُمِّ مالك ولا مستريحـاً في الحياة فقاضيا
خليليّ إن دارت عـلى أُمِّ مالكٍ صُروفُ الليالي فابعثـا ليَ ناعِيا
ولا تتـركاني لا لخيرٍ معجَّـلٍ ولا لبقـاءٍ تنظـران بقائيا
وإنّ الذي أمَّلْتُ مـن أُمّ مالكٍ أشابَ قَـذالي واستهـامَ فؤادِيا
فليـت المنايـا صبَّحتنـي غُدَيَّـةً بذَبـحٍ ولم أسمـع لبَيْـنٍ منادِيا
نظـرتُ ودوني يذبُـلٌ وعَمايـةٌ إلى آل نُعـمٍ مَنظـراً مُتنائيا
شكوت إلى الرحمن بُعْدَ مَزارِها وما حمَّلتنـي وانقطـاعَ رجائيا
وقلتُ ولم أملكْ أعمرو بن عامرٍ لِحتفٍ بـذات الرَّقْمتين بدا لِيا
وقـد أيقنتْ نفسي عشيّة فارَقوا بأسفل وادي الدَّوحِ أن لا تلاقِيا
إذا مـا طواكِ الدّهرُ يا أُمَّ مالكٍ فشأنُ المَنايـا القاضياتِ وشانِيا

قال أبو عمرو : وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون .

1 المطالي : الأرض السهلة اللينة .

[مقتله]

قال أبو عمرو : وكان من خبرَ مقتَل قيس بن الحداديّة أنّه لقِيَ جَمْعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض مَن يجدون منه غِرّة ، فقالوا له : استأسِر ، فقال : وما ينفعكم منّي إذا استأسرتُ وأنا خليع ؟ والله لو أسرتموني ثم طَلَبْتم بي من قومي عنزاً جَرْباء جَدْماء ما أُعطِيتموها ، فقالوا له : استأسر لا أُمَّ لك ! فقال : نفسي عليَّ أكرم من ذاك وأشدّ من ذلك وقاتَلَهم حتى قُتِل . وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

هل هــو إلاّ الموت يعني غاليهْ
أنــا الذي تَخلَعــــه مــواليهْ
وكلُّهـــم بعـد الصَّفــاء قاليهْ
وكلّهـم يُقْسم لا يباليــــهْ
أنــا إذا المــوت ينــوب غاليهْ
مختلــطٌ أسفلــهُ بعاليــــهْ
قــد يعلم الفتيــان أنّــي صاليهْ
إذا الحديـــد رفعــتْ عَواليـــهْ

قال أبو عمرو : وقد قيل في مقتله غير هذا ، فذكر إنّه كان يتحدّث إلى امرأة من بني سُلَيم يقال لها أمّ كاهل فأغاروا عليه وفيهم زوجُها فجعل ينشد عليهم ويقول : [من الرجز]

خلِّي الطريق فعل أم كاهل   خلٍّ طريــق البطل المنازلْ

فأفلت قيس من الوقعة ثم أتى ظلاً وقد تعب ، فنام فيه وهو لا يَخشى أن يطلبه القوم ، فاتّبعوه فوجدوه ، فقاتلهم ، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتِل .

صوت

[من البسيط]

صَرَمْتِني ثــم لا كلَّمتِنــي أبــداً   إن كنت خنتُكِ في حالٍ من الحالِ
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم   ولا جَرَتْ خَطرةٌ منـه على بالي
فسوِّغيني المُنـــى كيما أعيشَ بها   وأُمسكي البذلَ مـــا أُطلعتِ آمالي
أو عجِّلي تَلَفــي إن كنــتِ قاتلتي   أو نوِّلينـــي بـــإحسان وإجمالِ

الشعر لابن قُنْبُر ، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وذكر إسحاق أنّه لسليم ولم يذكر طريقته .

[264] ـ أخبار ابن قُنْبُر ونسبه

[نسبه]

هو الحكم بن محمد بن قُنْبُر المازنيّ مازن بني عمرو بن تميم ، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية ، وكان يهاجي مسلمَ بنَ الوليد الأنصاري مدّة ، ثم غلبه مسلم .

[مهاجاته مسلم بن الوليد]

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه : حدَّثني الحسن بن سعيد قال : حدَّثني منصور بن جهْوَر قال : لمّا تَهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر ، أمسكَ عنه مُسلم بعد أن بسط عليه لسانه ، فجاء مسلماً ابن عم له فقال : أيها الرجل ، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر ، وقد بعثتَ عليه لسانَك ثم أمسكتَ عنه ، فإمّا أن قاذعتَه ، وإمّا أن سالمتَه ؛ فقال له مسلم : إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد فيه ، وبين ذلك دعواتٌ يدعو بها ، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إيّاه ، فأطرق الرجلُ ساعةً ثم قال : [من الكامل]

غَلَبَ ابن قُنْبر واللئيم مغلّب ... لمـا اتَّقَيْتَ هجـاءه بـدعاءِ

ما زال يقذف بالهجاء ولذعِهِ ... حتـى اتّقـوه بدعـوة الآباءِ

قال : فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر لِيبلغَ منّي هذا ، فأمسِك عنّي لسانك وتعرّف خبره بعد ، قال : فبعث الرجل والله عليه من لسانِ مسلمٍ ما أسكتَه .

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العبديّ القَسْريّ قال : رأيت مسلم بنَ الوليد والحكَم بنَ قنبر في مسجد الرُّصافة في يوم جمعة ، وكلّ واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجيان ، فبدأ مسلمٌ فأنشد قصيدتَه : [من الطويل]

أنا النار في أحجارها مستكِنّة ... فإن كنتَ مّمن يقدِح النار فاقدِحِ

وتلاه ابن قنبُر فأنشد قوله : [من البسيط]

قد كدتَ تهوِي وما قوسي بموترَةٍ ... فكيف ظنُّك بي والقوسُ في الوَتَرِ

فوثب مسلم وتواخزا وتَواثَبا حتى حجز الناسُ بينهما فتفرّقا ، فقال رجل مسلم ، وكان يتعصّب له : وَيْحك ! أعَجزْتَ عن الرجل حتى واثبته ؟ قال : أنا وإيّاه لكما قال الشاعر :

هنيئـاً مريئـاً أنت بالفُحْش أبصرُ

وكان ابن قُنبر مستعلياً عليه مدّة ، ثم غلبه مسلم بعد ذلك ، فمن مُناقَضتهما قولُ ابنِ قُنبر فيه : [من الطويل]

ومِـن عَجَـب الأشيـاء أنّ لمسلم إليّ نزاعـاً في الهجـاء ومـا يدري
ووالله مـا قِيستْ عـليّ جُـدودُه لدى مَفخَر في الناس قوساً ولا شعري[1]

ولابن قُنبُر قولُه : [من الخفيف]

كيـف أهجـوكَ يـا لئيم بِشعْري أنـت عنـدي فاعلمْ هِجاءُ هجائي
يا دعـيَّ الأنصارِ بـل عبدَهـا النذ لَ تعرّضـتَ لي لـدَرْك الشقـاء

[إعجاب المأمون ببيتين له]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو توبة ، عن محمد بن جُبَير عن الحسين بن محرز المغنّي المَديني قال : دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد : [من الطويل]

صوت

فما أقصرَ اسمَ الحبّ يا وَيْحَ ذي الحبّ وأعظـمَ بلواه على العاشق الصبِّ
يمـرّ بـه لفـظُ اللّسان مشمِّراً ويغرق من ساقاه في لُجَج الكربِ

فلمّا بصُر بي قال : تعال يا حسين ، فجئت ، فأنشدني البيتين ، ثم أعادهما عليّ حتى حفِظتُهما ، ثم قال : اصنَع فيهما لحْناً ، فإن أجدتَ سررتُك ، فخلوت وصنعتُ فيهما لحني المشهور ، وعُدتُ فغنّيته إيّاه ، فقال : أحسنت ، وشرِب عليه بقيّة يومه ، وأمر لي بألف دينار ، والشعر لحكم بن قُنبر .

[نسيبه]

أخبرني محمد بن الأزهر قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلاّم قال : أنشدني ابن قُنبر لنفسه : [من البسيط]

وَيْلِـي على مـن أطارَ النومَ وامتَنعا وزاد قلبـي على أوجاعِـهِ وَجَعا
ظبيٌ أغـرُّ تـرى في وجهه سُرُجاً تُعشي العيـونَ إذ مـا نورهُ سطعا

1 قوساً ولا شعري في ل : يوماً ولا الشعر .

كأنّما الشمس في أثوابــه بزغَــتْ حُسنا ، أو البــدرُ في أردانِـه طلعا
فقد نسيتُ الكرى من طُول ما عطِلتْ منـه الجفونُ وطارت مهجتي قِطَعا

[قيان يعرينه في الطريق]

قال ابن سلاّم : ثم قال ابن قُنبُر : لقيتني جوارٍ من جواري سليمانَ بن عليّ في الطريق الذي بين بين المِربَد وقَصْر أوس ، فقلن لي : أنت الذي تقول :

ويلي على مَن أطار النومَ وامتنعا

فقلتُ : نعم . فقلن : أمع هذا الوجه السَّمِج تقول هذا ؟ ثم جعلن يجذبنني ويَلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي ، فرجعتُ عارياً إلى منزلي . قال : وكان حسنَ اللباس .

[تحفيظ شعره الصبيان]

أخبرني محمد بن الحسين الكِنْدِيّ مؤدّبي قال : حدّثني علي بن محمد النُّوفلي قال : حدّثني عمّي قال : دخل الحكم بن قُنبُر على عمّي ، وكان صديقاً له ، فبَشّ به ورفع مجلسه ، وأظهر له الأنس والسرور ، ثم قال : أنشِدني أبياتَك التي أقسمتَ فيها بما في قلبك . فأنشده : [من الطويل]

وحــقٌ الذي في القلب منك فإنّه عظيم لقد حصّنت سرّك في صدري
ولكنّمــا أفشاه دمعــي ، وربّمــا أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
فهبْ لي ذنوب الدمع ، إنّي أظنّه بمـا منه يـبدو إنّمـا يَبتَغي ضرّي
ولو يَبتَغي نفعي لخلّى ضمائــري يــردّ على أسرار مكنونهـا ستري

فقال لي : يا بنيّ اكتبها واحفظْها ، وسأله أن يكتبنيها ففعل ، فحفظتُها يومئذٍ وأنا غلام .

[مبالغة في اليمين]

أخبرني اليزيديّ قال : أخبرني عمّي عن ابن سلاّم ، وأخبرني به أحمد بن العبّاس العسكري عن العنبري عن محمد بن سلام قال : أنشدني ابن قُنبُر لنفسه قوله : [من البسيط]

صرمْتِني ثــم لا كلّمتِنــي أبـداً إن كنت خنتك في حالٍ من الحالِ
ولا اجترمت الذي فيــه خيانتكم ولا جــرتْ خَطرة منــه على بالي

قال : فقلت له وأنا أضحك : يا هذا لقد بالغتَ في اليمين . فقال : هي عندي كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هي عندي .

قال اليزيدي : قال عمّي وهو الذي يقول (وفيه غناء) : [من المديد]

صوت

ليس فيهما مـــا يقال له كملتْ لـو أنّ ذا كَمَلا
كلّ جـــزء من محاسنها كائــنٌ في فضلـــه مَثَلا
لـــو تمنّت في مَلاحتِها لم تجد مــن نفسها بَدَلا

فيه لحنٌ لابن القصّار رَمَل .

[أبيات تنسب له وللعتابيّ]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرُويَه قال : قال لي إبراهيم بن المدبِّر : أتعرف الذي يقول : [من السريع]

إن كنــتَ لا تَرهبُ ذَمّي لما تَعرف من صفحي عن الجاهلِ
فاخشَ سُكوتــي فَطِنا مُنصِتا فيــك لتحسين خنــا القائلِ
مقالــةُ السّوء إلى أهلهـــا أسرع مـــن منحـــدر سائلِ
ومــن دعـــا الناسَ إلى ذمِّـــه ذمُّـــوه بالحَـــقّ وبـــالباطلِ

فقلت : هذه للعتّابيّ ، فقال : ما أنشدتُها إلاّ لابن قُنبُر ، فقلت له : من شاء منهما فليقُلْها ، فإنّه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة : [من الطويل]

وإن أنـــا لم آمر ولم أنهَ عنكما سكتّ له حتى يلجَّ ويستشري

[أخلاق قريش]

أُخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مهرويَه قال : حدَّثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال : أطعَمَ رجل من وَلَد عبد الله بنِ كُرَيز صديقاً له ضيعة ، فمكثتْ في يده مدّة ، ثم مات الكُرَيزيّ ، فطالب ابنُه الرجلَ بالضيعة ، فمنعه إيّاها ، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن ، فقيل له : ألا تستحي ! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت ، وإن كنت صادقاً فإنّما تريد أن تنقض مكرُمةً لأبيك ، فقال له ابن الكريزي ، وكان ساقطاً : الشحيح أعظم من الظالم أعزّك الله ، فقال له عبيد الله بن الحسن : هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك ، وهذا موضع هذا القول ، اللهمّ اردُدْ على قريش أخطارَها ، ثم أقبَلَ علينا فقال : لله دَرّ الحكم بن قُنبُر حيث يقول : [من الوافر]

إذا القُرَشيّ لم يُشبِـــه قريشاً بفعلهـــم الذي بَـــذَّ الفعالا
فجَرْمـــيٌّ لـــه خُلـقٌ جميل لدى الأقوام أحسنُ منه حالا

[تمثل الرشيد بشعره]

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزِيّ قال : حدَّثنا مسعود بن بشر قال : شكا العبّاس بن محمد إلى الرشيد أنّ ربيعة الرَّقّيّ هجاه فقال له : قد سمعتُ ما كان مَدَحك به ، وعرفتُ ثوابَك إيّاه ، وما قال في ذمّك بعد ذلك ، فما وجدتُه ظلمك به ، ولله درّ ابن قنبر حيث قال : [من السريع]

ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطل

وبعد ، فقد اشتريتُ عِرضَك منه ، وأمرتُه بأن لا يعود لذمّك تعريضاً ولا تصريحاً .

[مرض موته]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم قال : مرض ابن قُنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ولقد قلتُ لأهلي إذ أتَوْني بخَصيبِ
ليس والله خصيبٌ لِلّذي بي بطبيبِ
إنّما يَعرِف دائي من به مِثل الذي بي

قال : وكان خصيب عالِماً بمرضه ، فنظر إلى مائه فقال : زعم جالِينوس أنّ صاحب هذه العلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يعِشْ ، فقيل له : إنّ جالِينوس ربّما أخطأ ، فقال : ما كنت إلى خطئه أحوَج منّي إليه في هذا الوقت . قال : ومات من علّته .

صوت

[من الطويل]

خليليَّ من سعد أَلِمّا فسلِّما على مريمٍ ، لا يبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمتِه فهل من نوال قبل ذاك فنعلما[1]

الشعر للأسود بن عمارة النوفليّ ، والغناء لدهمان ثاني ثقيل بالوسطى .

1 فنعلما في ل : فيعلما .

[265] ـ أخبار الأسود ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما أخبرني به الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ ، عن الزُّبير بن بكّار ، عن عمّه ، الأسود بن عمارة بن الوليد بن عديّ بن الخِيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وكان الأسود شاعراً أيضاً ، من مخضرمي الدولتين .

[شعر عمارة أبي الأسود]

قال الزُّبير ، فيما حدَّثنا به شيخانا المذكوران عنه : وحدَّثني عمِّي قال : كان عمارة بن الوليد النَّوفليّ أبو الأسود بن عمارة شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الخفيف]

صوت

تلك هنـدٌ تُصدُّ للبَيْن صدّاً — أدلالاً أم هنـدُ تهجُـرُ جدّا
أم لِتَنْكا بـه قُروحَ فؤادي — أم أرادت قتلي ضِراراً وعمدا
قد براني وشفَّني الوجدُ حتى — صرتُ ممّا أُلقى عظاماً وجِلدا
أيّـها الناصح الأمـين رسولاً — قل لهندٍ عنّي إذا جئتَ هندا
عَلِم الله أن قـد آوتيتِ منّي — غيرَ مَـنٍّ بذاك نصحاً وودّا
مـا تقرّبـتُ بالصفاء لأدنو — منكِ إلاّ نأيتِ وازددتِ بعدا

الغناء لعَبادِل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وفي كتاب حَكَمَ : الغناء له خفيف رمل ، وفي كتاب يونس : فيه لحن ليونس غير مجنَّس ، وفيه ليحيى المكّي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أوّل .

[ولايته بيت المال]

قال الزُّبير : قال عمِّي : من لا يعلم يروي هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفليّ ، قال : وكان الأسود يتولّى بيت المال بالمدينة ، وهو القائل : [من الطويل]

خليليَّ مـن سعدٍ أَلِمَّا فسلِّما — على مريم ، لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

[شعره في محمد بن عبد الله بن كثير]

قال : وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كُثَير بن الصَّلْت : [من الطويل]

ذكرناك شُرْطيّاً فأصبحت قاضياً وصرت أميراً ، أبشري يا لقحطانُ
أرى نَـزَواتٍ بينهـنّ تفـاوتٌ وللدَّهـر أحـداث وذا حَدَثـانُ
أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربَعي لكـلّ أُنـاس دولـة وزمانُ[1]

قال : وإنّما خاطب بني عمرو بن عوف هاهنا لأن الكثيريّ كان تزوّج إليهم ، وإنّما قال : «أبشري قحطان» لأنّ كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش .

[عشقه مريم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني علي بن سليمان النوفليّ أحد بني نوفل بن عبد مناف قال : كان أبي يتعشّق جارية مولَّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة ، ويقال للجارية مريم ، فغاب غَيبة إلى الشام ، ثم قدِم فنزل في طرف المدينة ، وحمل متاعه على حمّالين ، وأقبل يريد منزلَه ، وليس شيء أحبّ إليه من لقاء مريم ، فبينا هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قابضة على ذراعها ، وعيناها تدمَعان ، فساءها وساءلَتْه ، فقال للعجوز : ما هذه المصيبة التي أُصبتِ بها ؟ قالت : لم أُصِب بشيء إلاّ مَبيعي مريم ، قال : وممّن بعتها ؟ قالت : من رجل من أهل العراق ، وهو على الخروج ، وإنّما ذهبتُ بها حتى ودَّعَتْ أهلَها ، فهي تبكي من أجل ذلك ، وأنا أبكي من أجل فراقها ، قال : الساعةَ تخرج ؟ قالت : نعم الساعة تخرج ، فبقي متبلّداً حائراً ، ثم أرسَل عينيه يبكي ، وودَّع مريمَ وانصرف ، وقال قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

خليليّ مـن سعد أَلِمّـا فسلِّما على مريمٍ ، لا يُبعِد الله مريَما
وقُولا لهـا هـذا الفراق عزمتِه فهل من نوال قبل ذاك فنعلَما[2]

قال : وهي طويلة ؛ وقد غنّى بعضُ أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زَيانبيّا[3] . هكذا قال ابن عمّار في خبره .

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويَه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو العبّاس أحمد بن مالك اليماميّ ، عن عبد الله بن محمد

---

1 اربعي : انتظري .
2 فنعلما في ل : فيعلما .
3 الزيانب : أصوات يونس الكاتب السبعة في شعر ابن رهيمة في زينب بنت عكرمة .

البواب قال : سألَت الخيزرانُ موسى الهادي أن يولي خاله الغِطريف اليَمَن ، فوعدها بذلك ودافَعَها به ، ثم كتبتْ إليه يوماً رُقعةً تتنجّزه فيها أَمرَه ، فوجّه إليها برسولها يقول : خيِّريه بين اليمن وطلاق ابنته ، أو مُقامي عليها ولا أولِّيه اليمن ، فأيَّهما اختار فعلته ، فدخل الرسول إليها ، ولم يكن فهم عنه ما قال ، فأخبرها بغيره ، ثم خرج إليه فقال : تقول لك : ولاية اليمن ، فغضب وطلّق ابنته وولاّه اليمن ، ودخل الرسول فأعلمه بذلك ، فارتفع الصياح من داره ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : من دار بنت خالك ، قال : أو لم تخترْ ذلك ! قالوا : لا ، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدَّى غيرَه ، وعجلت بطلاقها ، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلّى وقال له : أقمْ على رأس كل رجل بحضرتي من النُّدماء رجلاً بسيف ، فمن لم يطلّق امرأته منهم فليضرب عنقه ، ففعل ذلك ، ولم يبرح من حضرته أحد إلاّ وقد طلّق امرأته ، قال ابن البواب : وخرج الخدم إليّ فأخبَروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفِّع بطَيْلَسانه يراوح بين رجليه ، فخطر ببالي : [من الطويل]

خليليَّ من سعد أَلِمّا فسلِّما ... على مريم ، لا يُبعِدِ اللهُ مَريما
وقُولا لها : هذا الفراق عزمتِه ... فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

فأنشدته فيعلما بالياء ، فقال لي : فنعلما بالنون ، فقلت له : فما الفرق بينهما ؟ فقال : إنّ المعاني تُحسِّن الشعر وتفسده ، وإنّما قال : «فنعلما» ليعلم هو القصّة ، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سرّه ، فقلت : أنا أُعلم بالشعر منك ، قال : فلمن هو ؟ قلت : للأسود بن عمارة النوفليّ . قال : أو تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : فأنا هو ، فاعتذرتُ إليه من مراجعتي إيّاه ، ثم عرّفته خبرَ الخليفة فيما فعله ، فقال : أحسن الله عزاءك ، وانصرف وهو يقول : «هذا أحقّ منزل بِتَرْكِ»[1] .

[شرطي صار قاضياً وأميراً]

أُخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال : كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصّلت على شُرْطة المدينة ، ثم ولي القضاء ، ثم ولاّه أَبو جعفر المدينة وعزل عبد الصَّمد بن علي ، فقال الأسود بن عمارة : [من الطويل]

ذكرتك شُرْطيّاً فأصبحت قاضياً ... فصرتَ أميراً ، أَبشِري يا لقَحْطانُ[2]
أَرى نَـزَواتٍ بينهنّ تَفاوُتٌ ... وللدهر أَحداث وذا حَدَثانُ

---

1 المثل : «هذا أحقّ منزل بترك» في مجمع الميدانيّ 2 : 387 ومستقصى الزمخشري 2 : 384 .
2 ذكرتك في ل : حضرتك .

أَرى حَدَثاً مِيطانُ منقطِعٌ له ومنقطع مِن بعده وَرِقانُ[1]
أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربَعِي لكلّ أُناس دولةٌ وزمانُ

صوت

[من الخفيف]

هل لدهر قد مضى من مَعادِ أو لهمٍّ داخلٍ من نَفادِ
أذكرتْني عِيشةً قد تولَّت هاتفاتٌ نُحْنَ في بطن وادي
هِجْنَ لي شوقاً وألهبْنَ ناراً للهوى في مستَقَرِّ الفؤادِ
بان أحبابي وغُودرتُ فَرداً نُصْبَ ما سَرَّ عيونَ الأَعادي

الشعر لعلي بن الخليل ، والغناء لمحمد الرف ، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة .

1 ميطان وورقان : جبلان .

[266] ـ أخبار عليّ بن الخليل

[نسبه]

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيبانيّ ، ويكنى أبا الحسن ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدّوس لا يكاد يفارقه ، فاتُّهم بالزَّندقة ، وأُخِذ مع صالح ثم أُطلِق لمّا انكشف أمره .

[الرشيد يؤمنه ويجيزه]

قال محمد بن داود بن الجراح : حدَّثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطّاب عن الرشيد ، أنّه جلس بالرافِقة للمظالم ، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكىء على عصا ، وعليه ثياب نظاف ، وهو جميل الوجه حسن الثياب ، في يده قصّة ، فلمّا رآه أمر بأخذ[1] قصّته ، فقال له يا أمير المؤمنين : أنا أحسن عبارة لها ، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت . قال : اقرأها ، فاندفع ينشده فيها قصيدته : [من الكامل]

يا خير مــن وَخَدَت بأَرْحُلِه   نُجُبُ الرِّكاب بمَهْمَهٍ جَلْسِ[2]

حتى أتى عليها ، فاستحسنها الرشيد وقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا عليّ بن الخليل الذي يقال فيه أنّه زنديق ، فضحك وقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخُصّ به بعد ذلك وأكثر مدحه .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال[3] : كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة ، وكان علي بن الخليل أستاذ أبي نواس في الشعر ، فأنشده علي بن الخليل : [من الكامل]

يــا خير من وخدَتْ بأَرحُلِه   نُجُبٌ تخُــبُّ بمَهْمَهٍ جَلْسِ
تَطوي السباسِبَ في أزمَّتِهــا   طَــيَّ التِّجــار عمائمَ البُرْسِ
لـمّــا رأتك الشمسُ إذ طلعتْ   كسفتْ بوجهك طلعةَ الشمسِ
خير البريّــة أنــت كلّهِــمُ   في يومـك الغادي وفي أمسِ

---

1 بأخذ في ل : بإحضاره وأخذ .
2 وخد : أسرع في السير . والمهمه الجلس : المفازة الغليظة الأرض .
3 قارن بأمالي المرتضى 1 : 146–147 .

وكذاك لـــن تنفكَّ خيرَهُــمُ   تُمسي وتُصبح فوق ما تُمسي
لله مـــا هـــارون من مَلِك   بَـــرٌّ السريرة طاهِـــر النفسِ
ملـــك عليـــه لربِّـــه نِعَـــمٌ   تـــزداد جِدَّتُهـــا على اللُّبسِ
تَحكـــي خلافتُــــه ببهجتها   أَنَــقَ السرور صبيحَــةَ العُرْسِ
مـــن عِترةٍ طابـــت أُرومتُهُم   أهلِ العفاف ومنتهى القُدسِ[1]
نُطُقٍ إذا احتُضِرت مجالسُهم   وعن السفاهــة والخنا خُرسِ
إنّي إليك لجأتُ مـــن هربٍ   قـــد كان شرَّدني ومن لَبسِ[2]
واخترتُ حكمَكَ لا أجاوزُهُ   حتى أوسَّدَ في ثَـــرى رَمْسي
لمـــا استخرتُ الله في مَهَـــلٍ   يَمَّمتُ نحـــوَك رحلَـــةَ العَنْسِ
كم قـــد قطعتُ إليك مُدَّرِعاً   ليـــلاً بَهيمَ اللَّـــونِ كالنِّقسِ[3]
إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ   كان التوكّل عنـــده تُرسي
مـــا ذاك إلاّ أنّني رجـــلٌ   أصبـــو إلى بَقَـــر مـــن الإنسِ
بقـــر أوانسَ لا قُـــرونَ لها   نُجْـــلِ العيـــون نواعـــمٍ لُعْسِ
رَدْعُ العَبير عـــلى ترائبهـــا   يُقبلْـــن بالترحيبِ والخلْسِ[4]
وأُشاهـــد الفتيـــان بينهـــمُ   صفراءُ عنـــد المَزْج كالوَرْسِ
للمـــاء في حافاتهـــا حَبَـــبٌ   نُظُم كرَقْم صحائف الفُرسِ
والله يعلـــــم في بقيتـــــه   ما إن أضعْتُ إقامةَ الخَمْسِ[5]

فأطلقه الرشيد، وقتل صالح بن عبد القدوس[6]، واحتج عليه في أنّه لا يقبل له توبة بقوله : [من السريع]

والشيخ لا يتـــرك أخلاقـــه   حتى يُـواری في ثـــرى رَمْسِه

وقال : إنّما زعمت أنّك لا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً .

---

1 أهل في ل : أصل .
2 هرب في ل : ريب .
3 النقس : المداد .
4 ردع العبير : أثره . والخلس : النظر خلسة .
5 بقية الله : طاعته وانتظار ثوابه .
6 قتل صالح بن عبد القدوس على يد المهديّ سنة 167هـ ، فيبدو أن الأمر اختلط على أبي الفرج .

[شعره في يعقوب بن داود وابن علاثة]

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدَّثني أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان عافيةُ بن يزيد يصحب ابنَ عُلاثة[1]، فأدخله على المهديّ، فاستقضاه معه بعسكر المهديّ وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله[2] كذلك، أدخله إلى المهديّ ليعرض عليه، فغلب عليه، فقال علي بن الخليل في ذلك: [من مجزوء الكامل]

عجباً لتصريف الأمو ... ر مسرَّةً وكراهيَهْ
رَثَّتْ ليعقوبَ بن دا ... ودِ حبالُ معاويَهْ
وعدت على ابن عُلاثة الـ ... ـقاضي بوائقُ عافيَهْ
أدخلتَه فعلا عليـ ... ـك كذاك شؤمُ الناصيَهْ
وأخذتَ حتفكَ جاهداً ... بيمينك المتراخيَهْ
يعقوب ينظر في الأمو ... ر وأنت تنظرُ ناحيَهْ

[محمد بن الجهم ينشد المأمون أبياتاً فَيُوَلِّيه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمرو بن فراس الذُّهْليّ عن أبيه قال: قال لي محمد بن الجَهْم البرمكيّ: قال لي المأمون يوماً: يا محمد، أنشدني بيتاً من المديح جيّداً فاخراً عربيّاً لمحدَث حتى أولّيَكَ كُورةً تختارها. قال قلت: قول علي بن الخليل: [من الكامل]

فمع السماء فروعُ نَبْعتهم ... ومع الحضيض مَنابِتُ الغَرْسِ
متهلّلين على أسِرَّتهم ... ولدى الهِياج مَصاعب شُمْسِ[3]

فقال: أحسنت، وقد ولّيتك الدِّينَوَر، فأنشِدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أولّيك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول: [من الكامل]

قُبحتْ مناظرُهم فحين خَبَرتهم ... حسُنت مناظرُهم لقُبح المَخبَرِ[4]

---

1 عافية بن يزيد الأودي ومحمد بن عبد الله بن علاثة الكلابيّ استقضاهما المهديّ سنة 161هـ، فكانا يقضيان في عسكره.

2 يعقوب بن داود: وزير المهديّ بعد أن عزل أبا عبيد الله معاوية بن يسار، ومن بعد ما عزل المهديّ يعقوب ونكبه.

3 المصعب: الفحل الذي لم يمسسه حبل ولم يركب.

4 هذا البيت والذي يليه لمسلم بن الوليد.

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك هَمَذان[1] ، فأنشِدني مَرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أُخرى ، فقلت : قول الذي يقول : [من الطويل]

أَرادوا ليُخفوا قبرَه عن عدوِّه فطِيبُ تراب القبر دلّ على القبرِ

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك نَهاوَنْد ، فأنشِدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أُخرى ، فقلت : قول الذي يقول : [من الطويل]

تعالَيْ نجدِّد دارس العِلم بيننا كلانا على طـول البعاد مَلُومُ

فقال : قد أحسنت ، قد جعلت الخيار إليك فاختر ، فاخترت السُّوس من كُوَر الأهواز ، فولاّني ذلك أجمع ، ووجّهت إلى السوس بعض أهلي .

أَخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، عن التَّوَّزيّ قال : نزل أَبو دُلامة بدِهقان يُكنى أَبا بِشْر ، فسقاه شراباً أعجبه ، فقال في ذلك : [من الطويل]

سقاني أبو بشر من الراح شَربةً لهـا لـذّةٌ مـا ذُقتها لشرابِ

ومـا طبخوها غير أنّ غلامهمْ سعى في نواحي كرمها بشِهابِ

قال : فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال : أحرقه العبد أحرقه الله .

[تهنئته بمولود]

أَخبرني الحسن بن عليّ ، وعمِّي الحسن بن محمد ، قالا : حدَّثنا ابن مهرويه قال : حدَّثني محمد بن عمران الضَّبِّيّ عن عليّ بن يزيد قال ، ولد ليزيد بن مَزْيَد ابنٌ ، فأتاه عليّ بن الخليل فقال : اسمع أيّها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد ، فتبسّم وقال : هاتِ ، فأنشده : [من السريع]

يزيدُ يـا ابن الصِّيد من وائلٍ أهـلِ الرياسات وأَهـلِ المعالْ

يـا خير مـن أنجبَـه والد لِيَهنِـك الفارسُ ليـث النزالْ

جاءت بـه غَـرّاءُ ميمونـة والسعد يبدو في طلوع الهلالْ[2]

عليه مـن مَعْنٍ ومـن وائلٍ سِيما تباشيرٍ وسيما جَلالْ

والله يُبقيـه لنـا سيّـداً مدافِعاً عنّا صُروفَ الليالْ

حتـى نـراه قـد عـلا مِنبراً وفـاض في سؤّالـه بالنوالْ

وسَدَّ ثَغْـراً فكفـى شرّه وقـارَعَ الأبطالَ تحت العَوالْ

1 ل : نهاوند .

2 ل : قد أوفى طلوع .

كما كفانـــــا ذاك آبــــــاؤه فَيحتذِي أفعالَهــــمْ عــن مِثالْ

فأمر له عن كل بيت بألف دينار[1] .

[توبته عن شرب الخمر]

أُخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني ابن الأعرابيّ المنجِّم الشيبانيّ ، عن عليّ بن عمرو الأنصاريّ ، قال : دخل علي بن الخليل على المهديّ فقال له : يا عليّ ، أنت على معاقَرتك الخمر وشربِك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : تبت منها . قال : فأين قولك ؟ : [من المديد]

أُولِعــــتْ نفسي بلذّتهـــا مـــا ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك ؟ : [من الوافر]

إذا مـــا كنتَ شارِبَها فسِرّاً ودع قولَ العواذل واللَّواحِي[2]

قال : هذا شيء قلتُه في شبابي ، وأنا القائل بعد ذلك : [من الوافر]

على اللــــذات والراحِ السلامُ تقضَّى العهــدُ وانقطــع الذِّمامُ
مضى عهد الصِّبا وخرجتُ منه كما مِــن غِمده خــرج الحسامُ
وقُرتُ على المَشيبِ فليس منّي وصالُ الغانيــات ولا المُــدامُ
ووَلّى اللهــوُ والقَيْناتُ عنّي كما ولّــى عــن الصبح الظلامُ
حلبْتُ الدهــرَ أشطُرَه فعندي لصَرف الدهــرِ محمودٌ وذامُ[3]

[عند معن بن زائدة]

أُخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن الحَرون ، عن عليّ بن عبيدة الشيبانيّ ، دخل عليّ بن الخليل ذاتَ يوم إلى معن بن زائدة فحادَثه وناشَده ، ثم قال له معن : هل لك في الطعام ؟ قال : إذا نشِط الأمير ، فأُتِيا بالطعام ، فأَكلا ، ثم قال : هل لك في الشراب ؟ قال : إن سقيتَني ما أُريد شربتُ ، وإن سَقَيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه ، فضحِك ثم قال : قد عرفت الذي تريد ، وأنا أسقيك منه ثم أُمر فأُتِي بشراب عتيق ، فلمّا شرب منه وطابت نفسُه أنشأ يقول : [من الكامل]

---

1 ل : درهم .

2 اللواحي : جمع لاحية ، وهي اللائمة .

3 المثل «حلب الدهر أشطره» في مجمع الميداني 1 : 195 ومستقصى الزمخشري 2 : 640 وجمهرة العسكري 1 : 346 ، ومعناه أنّه اختبر حالات الدهر : خيره وشرّه . الذام : الذم .

يا صاحِ قد أنعمتَ إصباحِي ... ببارد السَّلسال والراحِ
قد دارت الكأسُ برَقْراقَةٍ ... حياةِ أبدانٍ وأرواحِ
تجري على أغيَدَ ذي رَونقٍ ... مهذَّب الأخلاقِ جَحْجاحِ[1]
ليس بفحّاش على صاحب ... ولا على الرّاح بفَضّاحِ
تسرّه الكأسُ إذا أقبلت ... بريح أُترُجٍّ وتُفّاحِ
يَسعى بها أزهَرُ في قُرْطَقٍ ... مقلَّد الجيد بأوضاحِ[2]
كأنّها الزّهرة في كفّه ... أو شُعلة من ضوء مصباحِ

[هجاء الدهقان الدعي]

حدَّثنا عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان لعليّ بن الخليل الكوفيّ صديق من الدَّهاقين يعاشره ويبَرّه ، فغاب عنه غيبة طويلة وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالاً ورفعة ، وقويتْ حالُه ، فادعى أنّه من بني تميم ، فجاءه عليّ بن الخليل فلم يأذن له ، ولقيه فلم يسلِّم عليه ، فقال يهجوه : [من الهزج]

يَروُح بِنِسبة المَوْلى ... ويصبح يَدَّعي العَرَبا
فلا هذا ولا هذا ... ك يدركُه إذا طَلبا
أتيناه بشَبُّوطٍ ... ترى في ظهره حَدَبا[3]
فقال : أمَا لبخلك من ... طعامٍ يُذهب السَّغَبا[4]
فصد لأخيك يَرْبوعاً ... وضَبّاً واترك اللعبا
فَرشتُ له قَريح المسـ ... ـك والنِّسرينَ والغَرَبا[5]
فأمسَكَ أنفَه عنها ... وقام مولِّياً هَرَبا
يشمُّ الشِّيحَ والقَيْصو ... مَ كي يستوجبَ النسبا
وقام إليه ساقينا ... بكأسٍ تَنظِم الحبَبا
معتَّقةٍ مروَّقةٍ ... تسلّي همَّ من شَرِبا

1 الجحجاح : السيد .
2 القرطق : لباس يشبه القباء . والأوضاح : حلي من الفضة .
3 الشبوط : ضرب من السمك .
4 السغب : الجوع .
5 قريع المسك : خالصه . والنسرين : زهر . والغرب : نوع من الشجر .

فـــآلى لا يُسَلْسلهـــا وقال اصبُبْ لنـا حَلَبا[1]
وقـــد أبصرتُه دهـــراً طويـلاً يشتهـــي الأدبا
فصار تشبُّهـــاً بالقـــو م جِلفـــاً جافِيـاً جَشِبا[2]
إذا ذُكِـر البَرِيـــرُ بكى وأبـدى الشوقَ والطَّربا[3]
وليس ضميرُه في القـو م إلاّ التِّـــينَ والعنبا
جحدتَ أبـــاك نسبتَه وأرجـــو أن تفيـــد أبا
أراك رغبت عـن كسرى ومـا عـن مثلهـم رُغبا

قال عليّ بن سليمان : وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعاً لعليّ بن الخليل في هذا الذكر ، وذكر ثعلب أنّ إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعليّ ، قال : [من السريع]

يـا أيّها الرّاغب عن أصله مـا كنتَ في موضعِ تهجينِ[4]
متـى تعرَّبـتَ وكنـت امرءاً مـــن المـوالي صالحَ الدِّينِ
لـو كنتَ إذ صرتَ إلى دِعوة فزتَ مـــن القـوم بتمكينِ[5]
لكَفَّ من وجدي ، ولكنّني أراك بـــين الضَّبِّ والنُّـونِ
فلـــو تـــراه صارفـــاً أنفَـه مـــن ريح خِيريٍّ ونسرينِ[6]
لقلتَ : جِلفٌ من بنـي دارمٍ حَـــنَّ إلى الشِّيـحِ بِيَبْرِينِ
دُعْموصُ رمل زَلَّ عن صخرةٍ يعـــاف أرواحَ البساتـينِ[7]
تنبـو عـــن الفاقـم أعطافُـه والخَـزِّ والسِّنجابِ واللِّينِ[8]

[النظر الجميل والنظر الملح]

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً ، قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال :

1 الحلب : اللبن المحلوب .
2 الجشب : الخشن الغليظ .
3 البرير : ثمر الأراك .
4 تهجين : تقبيح .
5 دِعوة : ادّعاء النسب .
6 الخيري : المنثور الأصفر .
7 دعموص : دويبة صغيرة .
8 السنجاب : فرو السنجاب .

كان عليّ بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور ، وكان الفتى يهوى جارية لعُتبة مَولاة المهديّ ، فمرّت به عُتبة في موكِبها والجارية معها ، فوقفتْ عليه وسلّمتْ ، وسألت عن خبره ، فلم يوفِّها حقَّ الجواب ، لشغل قلبه بالجارية ، فلمّا انصرفتْ أقبل عليه عليّ بن الخليل ، فقال له : [من مجزوء الكامل]

راقِب بطَرْفك مَن تخا ... ف إذا نظرت إلى الخليلِ
فـإذا أمِنـتَ لِحاظَهمْ ... فعليـك بالنظـر الجميلِ
إنّ العيـون تَـدُلّ بالـ ... ـنظر الملـحُّ على الدَّخيلِ
إمّـا عـلى حـبٍّ شديـ ... ـدٍ أو على بُغضٍ أصيلِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينة قال : كان عليّ بن الخليل يَصحَب بعض ولد جعفر بن المنصور ، فكتب إليه والبةُ بنُ الحُباب يدعوه ، ويسأله ألاّ يشتغل بالهاشميّ يومَه ذلك عنه ، ويصف له طِيبَ مجلسه وغناءٍ حصّله وغلاماً دعاه ، فكتب إليه عليّ بن الخليل : [من مجزوء الوافر]

أمـا ولحـاظِ جاريـة ... تُذيـب حُشاشة المُهَـجِ
وسحر جفونهـا المُضْنيـ ... ـك بين الفَقْر والدَّعَجِ[1]
مليحــةُ كلِّ شيء مـا ... خلا مـن خُلْقها السَّمِجِ
وحُرْمـةِ دَنِّـك المبزو ... لِ والصهباءِ منـه تَجي[2]
كأنّ مجيئهـا في الكأ ... س حين تُصَبُّ من وَدَجِ[3]
لـو انعـرج الأنـام إلى ... بشاشة مجلسٍ بَهِـجِ
وكنـت بجانب جـدْبٍ ... لكان إليـك مُنعَرجي

وصار إليه في إثر الرقعة .

1 الدعج : سواد العين مع سعتها .
2 المبزول : المثقوب .
3 الودج : وريد في العنق .

[267] ـ أخبار محمد الزَّفّ

[نسبه وبعض صنعاته]

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم ، كوفيّ الأصل والمولد والمنشأ ؛ والزّف : لقب غلب عليه ، وكان مغنّياً ضارباً طيّب المسموع ، صالح[1] الصنعة ، مليح النادرة ، أسرع خلق الله أخذاً للغناء ، وأصحّهم أداء له ، وأذكاهم ، إذا سمع الصوت مرّتين أو ثلاثاً أدّاه لا يكون بينه وبين مَن أخذه عنه فرق ، وكان يتعصّب على ابن جامع ، ويميل إلى إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، فكانا يرفعان منه يقدّمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء ، وكانت فيه عربدة إذا سكر ، فعربد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه ، ومنعه من الوصول إليه ، وجفاه وتناساه ، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين .

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكّي المرتجِل .

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنّى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد : [من الطويل]

صوت

جَسورٌ على هجري ، جبانٌ عن الوصل ... كَذوب غـدا يستتبع الوعد بالمطلِ
مقـدِّم رِجـل في الوصال مؤخِّـر ... لأخرى ، يشوب الجِدّ في ذاك بالهزلِ
يهمّ بنـا حتـى إذا قلتُ قـد دنـا ... وجاد ثَنـى عِطفاً ومـال إلى البخلِ
يزيد امتناعـاً كلّما زِدتُ صبـوةً ... وأزداد حرصـاً كلّمـا ضنّ بالبذلِ

فأحسن فيه ما شاء وأجمل ، فغمزت عليه محمداً الزَّفّ ، وفطن لما أردت ، واستحسنه الرشيد ، وشرب عليه ، واستعاده مرّتين أو ثلاثاً ، ثم قمت للصلاة وغمزت الزفّ وجاءني ، وأومأت إلى مخارِق وعلّويَه وعقيد فجاءوني ، فأمرته بإعادة الصوت ، فأعاده وأدّاه كأنّه لم يزل يرويه ، فلم يزل يكرّره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم ، ثم عدت إلى المجلس ، فلمّا انتهى الدَّور إليّ بدأت فغنّيته قبل كلّ شيء غنّيته ، فنظر إليّ ابن جامع محدِّداً نظره ، وأقبل عليّ

1 صالح في ل : صحيح .

الرشيد فقال : أكنت تروي هذا الصوت ؟ فقلت : نعم يا سيدي . فقال ابن جامع : كذب والله ، ما أخذه إلاّ منّي الساعة . فقلت : هذا صوت أرويه قديماً ، وما فيمن حضر أحد إلاّ وقد أخذه منّي ، وأقبلت عليه ، فغنّاه علّويه ثم عقيد ثم مخارق ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أنه لحن صنعه منذ ثلاث ليال ، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت ، فأقبل عليّ فقال : بحياتي اصدقني عن القصة ، فصدَقتُه ، فجعل يضحك ويصفّق ويقول : لكلّ شيء آفة ، وآفة ابن جامعٍ الزَّفّ .

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، والصنعة لابن جامع من رواية الهشاميّ وغيره .

[قوة حفظه وبراعته]

قال أبو الفرج : وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد ، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية ، فقال فيه : كان محمد الزّفّ أروى خلق الله للغناء ، وأسرعَهم أخذاً لما سمعته منه ، ليست عليه في ذلك كلفة ، وإنّما يسمع الصوت مرّة واحدة وقد أخذه ، وكنّا معه في بلاء إذا حضر ، فكان من غنّى منّا صوتاً فسأله عدوٌّ له أو صديق أن يلقيه عليه ، فبخل ومنعه إيّاه ، سأل محمداً الزَّفَّ أن يأخذه ، فما هو إلاّ أن يسمعه مرّة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله ، فكان أبي يَبرّه ويصله ويُجدِيه[1] من كل جائزة وفائدة تصل إليه ، فكان جانبنا عنده حِمى مصونا لا يقربه ، ولم يكن طيِّب المسموع ، ولكنّه كان أطيب الناس نادرةً ، وأملَحهم مجلساً ، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنِّين لبخله ، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلاّ وضع عينه عليه ، وأصغى سمعَه إليه ، حتى يحكيه ، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ورِفد ، فغنّى يوماً بحضرة الرشيد : [من الخفيف]

صوت

أرسلت تُقرىء الغلامَ الرَّبابُ ... في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ

فيـه : لو زُرتَنا لزرناك ليـلاً ... بمِنًـى حيث تستقلّ الركابُ

فأجبتُ الرَّباب : قد زرت لكن ... ليَ منكم دون الحجاب حجابُ

إنّمـا دهرك العتاب وذمّي ... ليس يُبقي على المحبّ عتابُ

ولحنه من الثقيل الأوّل : فأحسن فيه ما شاء ، ونظرتُ إلى الزَّفّ فغمزتُه وقمت إلى الخلاء ، فإذا هو قد جاءني ، فقلت له : أي شيء عملت ؟ فقال : قد فرغت لك منه ، قلت : هاته ، فردّه

1 يجديه : يعطيه .

عليّ ثلاثَ مرّات ، وأخذتُه وعدت إلى مجلسي ، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً ، فقاما ، وتَبِعَهما فألقاه عليهما ، وابن جامع لا يعرف الخبر ، فلمّا عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه ، فعرّفاني أنّهما قد أخذاه ، فلمّا بلغ الدَّور إليّ كان الصوت أوّل شيء غنّيته ، فحدّد الرشيد نظره إليّ ، ومات ابن جامع وسُقِط في يده ، فقال لي الرشيد : من أين لك هذا ؟ قلت : أنا أرويه قديماً ، وقد أخذه عنّي مخارق وعقيد ، فقال : غنّياه . فغنّياه ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية ، ما سبق إليه ابن جامع أحد ، فنظر الرشيد إليّ ، فغمزْته بعيني أنّه صدق ، وجدّ الرشيد في العبث به بقيّة يومه ، ثم سألني بعد ذلك عن الخبر ، فصدّقته عنه وعن الزّفّ ، فجعل يضحك ويقول : لكلّ شيء آفة ، وآفة ابن جامع الزّفّ ، قال حمّاد ، وللزّفّ صنعة يسيرة جيّدة منها في الرمل الثاني : [من الكامل]

صوت

لَمِن الظعائن سيرُهــنّ تزحُّفُ ... عَوْمَ السَّفِين إذا تقاعس مجذَفُ
مرّت بذي حُسُمٍ كأنّ حُمولَها ... نخــل بيثربَ طلعها مُضَعَّفُ
فلئن أصابتْني الحــروب لربّما ... أُدعى إذا مُنع الرِّدافُ فأردفُ
فأثير غــاراتٍ وأشهــد مَشْهَداً ... قلبُ الجبان به يَطيش فَيرجُفُ

قال : ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة : [من الطويل]

صوت

إذا شئت غنّتني بأجــراع بيشةٍ ... أو النخل من تَثْليثَ أو من يَلَمْلَما
مطوَّقــةٌ طَوْقــاً وليس بحلْيــةٍ ... ولا ضربَ صوّاغٍ بكفّيه دِرهما
تُبكّــي على فرخٍ لهـا ثم تَغتدِي ... مدلَّهــةً تَبغـي لــه الدهرَ مَطعَما
تؤمــل منــه مؤنساً لانفرادهـا ... وتبكي عليه إن زَقــا أو ترنَّما[1]

ومن صنعته في هذه الطريقة : [من مخلع البسيط]

صوت

يــا زائرَيْنا مــن الخيامِ ... حيّــاكما الله بـالسلامِ
يَحزُننــي أن أطعتُماني ... ولَـم تَنالا سوى الكلامِ

1 زقا : صاح .

بُورِكَ هـــارونُ من إمامٍ بطاعة الله ذي اعتصامِ
له إلى ذي الجلال قُربى ليست لعـدل ولا إمامِ

وله في هذه الطريقة : [من البسيط]

صوت

بان الحبيبُ فلاحَ الشَّيبُ في رأسي وبتُّ منفرداً وحــدي بِوَسْواسِ
ماذا لقيتُ فدتــكِ النفسُ بعدَكم مــن التبــرّم بالدُّنيـــا وبالناسِ
لو كان شيء يسلي النفسَ عن شَجَن سلّت فؤاديَ عنكم لذّةُ الكاسِ

[شعر لأبي الشبل البرجميّ]

صوت

[من مجزوء الرمل]

بأبي رِيــمٌ رَمــى قلـ ـبــي بألحـاظٍ مِراضِ
وحَمَى عينـيَ أن تلـ ـتذَّ طِيبَ الإغتماضِ
كلّما رُمْــت انبساطا كــفّ بَسْطي بانقباضِ
أو تعــالى أمــلي فيــ ـه رَمَــاهُ بانخفاضِ
فمتى ينتصفُ المظلـ ـلُوم والظالمُ قاضي

الشعر لأبي الشِّبْل البُرْجُميّ ، والغناء لعَثعث الأسودَ ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لكثير رمل ؛ ولبُنان خفيف رمل .

[268] ـ أخبار أبي الشبِّل ونسبه[1]

[نسبه]

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم ، مولده الكوفة ، ونشأ وتأدّب بالبصرة .

[مجونه واتصاله بالمتوكّل]

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن عليّ بن الحسين الأعرابيّ .

وقدِم إلى سُرَّ مَن رأى في أيّام المتوكّل ومدحه ، وكان طبّاً نادراً ، كثير الغزل ماجناً ، فنفَق عند المتوكّل بإيثاره العَبَث ، وخدمه ، وخُصَّ به ، فأثرى وأفاد ، فذكر لي عمّي عن محمد بن المرزُبان بن الفيرزان عن أبيه أنّه لمّا مدحه بقوله : [من مجزوء الرمل]

أقبِـلي فالخيرُ مقبـلْ ... واتركـي قـولَ المعلِّلْ

وثِقـي بالنُّجح إذ أبـ ... ـصرت وجـه المتوكِّلْ

ملِكٌ يُنصِف يـا ظـا ... لمتـي فيـكِ ويَعْدلْ

فهُـو الغايـةُ والمـأ ... مـول يرجـوه المؤمِّلْ

أمر له بألف درهم لكلّ بيت ، وكانت ثلاثين بيتاً ، فانصرف بثلاثين ألفَ درهم .

[الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكّي رمل بالبنصر]

أخبرني يحيى بن علي ، عن أبي أيّوب المديني ، عن أحمد بن المكّي قال : غنّيتُ المتوكّل صوتاً شعرُه لأبي الشبل البُرْجُميّ وهو : [من مجزوء الرمل]

أقبِـلي فالخير مقبـلْ ... ودعـي قـول المعلِّلْ

فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فقلت : يا سيّدي أسأل الله أن يبلِّغك الهُنَيدة ، فسأل عنها الفتح فقال : يعني مائة سنة ، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى .

وحدَّثَنيه الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات ، عن أحمد بن المكّي مثله .

[دعوة سكّر]

حدَّثني الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشّبل عاصم بن وهب

---

1 ترجمة أبي الشبل في طبقات ابن المعتزّ : 379–380 ، ومعجم المرزباني ، واسمه فيه عُصْم بن وهب وسيرد هكذا في أبيات أحمد بن أبي النجم .

الشاعر ، وهو القائل :

أَقبِــلي فالخير مقبلْ ودعِي قــولَ المعلِّلْ

قال : كانت لي جارية اسمها سُكّر ، فدخلتُ يوماً منزلي ولبستُ ثيابي لأمضي إلى دعوة دُعيتُ إليها ، فقالت : أقِم اليومَ في دعوتي أنا ، فأقمتُ وقلت : [من مجزوء الرمل]

أنــا في دعــوةِ سُكَّرْ والهــوى ليس بمنكَرْ
كيف صبري عن غزالٍ وجهُــه دلــو مُقَيَّرْ

فلمّا سَمِعَت الأوّل ضحكتْ وسُرّت ، فلمّا أنشدتُها البيتَ الثانيَ قامت إليّ تضربني وتقول لي : هذا البيت الأخير الذي فيه «دلوٌ» لِمالِكٍ ، لولا الفضول ؛ فما زالت ، يعلم الله ، تضربني حتى غُشي عليّ .

[يمدح ويذم مالك بن طوق]

وذكر ابن المعتزّ أنّ أبا الأغرّ الأسَدِيّ حدَّثه قال : مدح أبو الشبل مالكَ بن طَوْق بمدح عجيب ، وقدَّرَ منه ألفَ درهم ، فبعث إليه صُرَّةً مختومة فيها مائة دينار ، فظنَّها دراهم ، فردّها وكتب معها قوله في رقعة : [من الطويل]

فليت الذي جادت به كفُّ مالكٍ ومالك مَدسوسان في اسْت أمِّ مالِكِ
فكان إلى يــوم القيامــة في استها فأيسَرُ مفقــودٍ وأيسَرُ هــالكِ

وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأهواز ، فلمّا قرأ الرقعة أمر بإحضاره ، فأُحضر ، فقال له : يا هذا ظلمتَنا واعتديتَ علينا ، فقال : قد قدَّرتُ عندَك ألفَ درهم فوصلْتني بمائة درهم ، فقال : افتحها ، ففتحتُها فإذا فيها مائة دينار ، فقال : أقلْني أيّها الأمير . قال : قد أقلتُك ، ولك عندي كلّ ما تحبّ أبداً ما بقيتُ وقصدتني .

[الطبيب الأحمق]

حدَّثنا الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : قال لي أبو الشبل البُرْجُميّ : كان في جيراني طبيب أحمقُ ، فمات فرثيتُه فقلت : [من الخفيف]

قــد بكــاه بَولُ المريضِ بدمعٍ واكِفٍ فــوق مُقلتيــه ذَرُوفِ
ثــم شقَّت جيوبَهــن القواريـــ ــرُ عليه ونُحْنَ نَوحَ اللَّهيفِ[1]
يا كسادَ الخِيــار شَنْبَرَ والأقـ ـراصِ طرّاً ويا كسادَ السَّفوفِ

---

1 اللهيف : الملهوف .

كنتَ تمشي مع القويّ فإن جا ء ضعيفٌ لم تَكترثْ بالضّعيفِ
لهفَ نفسي على صُنوفِ رَقاعا تٍ تولّت منه وعقلٍ سخيفِ

[عبثه بخالد بن يزيد]

حدّثنا الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا أبو الشبل قال : إن خالد بن يزيد بن هُبَيرة كان جاراً لنجاح وكان يشرب النبيذ ، فكان يغشانا ، وكانت له جارية صفراء مغنّية يقال لها لَهَب ، تغشانا معه ، فكنت أعبث بهما كثيراً ويشتُماني ، فقام مولاها يوماً إلى الخابية يَستقي نبيذاً ، فإذا قميصه قد انشقّ ، فقلت فيه : [من البسيط]

قالت له لهبٌ يوماً وجادَلَها بالشعر في باب فَعْلانٍ ومفعولِ
أمّا القميص فقد أودى الزمان به فليت شعري ما حال السراويلِ ؟

فبلغ الشعرُ أبا الجَهْم أحمد بن يوسف فقال : [من البسيط]

حالُ السراويل حالٌ غيرُ صالحة تَحكي طرائقُه نَسجَ الغرابيلِ
وتحته حفرة قَوْراء واسعة تسيل فيها مَيازيبُ الأحاليلِ

قال أبو الشبل : وكانت أمّ خالد هذا ضرّاطة ، تضرط على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع ، فقلت فيه : [من المنسرح]

في الحيِّ مَن لا عدِمتُ خُلّتَه فتًى إذا ما قطعتُه وَصَلا
له عجوز بالحَبْق أبصرُ مَنْ أبصرتَه ضارِباً ومرتجِلا[1]
نادمتُها مرّةً وكنت فتًى ما زلتُ أهوى وأشتهي الغزَلا
حتى إذا ما أمالَها سَكَرٌ يَبْعث في قلبها لها مَثَلا
اتّكأتْ يَسرةً وقد حَرَقتْ أشراجَها كي تقوِّم الرَّملا
فلَمْ تزلْ باستها تُطارِحني اسمَعْ إلى مَن يَسومُني العِللا

[المازنيّ يذم شعره]

حدّثني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني أبو الشبل قال : لما عَرَض لي الشعرُ أتيتُ جاراً لي نحوياً ، وأنا يومئذٍ حديث السنّ ، أظنّه قال إنّه المازنيّ ، فقلت له : إن رجلاً لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاشَ صدرُه بشيء من الشعر ، فكره أن يُظهِرَه حتى تسمعَه . قال : هاتِه ، وكنتُ قد قلت شعراً ليس بجيّد ، إنّما هو قول مبتدىء ، فأنشدته

1 الحبق : الضراط .

إيّاه ، فقال : مَن العاضُّ بَظْرَ أُمِّه القائلُ لهذا ؟ فقمت خجِلاً ، فقلت لأبي الشبل : فأي شيء قلت له أنت ؟ قال : قلت في نفسي : أعضَّك الله بَظْر أُمِّك ونهضت .

[بعض نوادره]

أخبرني عمّي عن محمد بن المَرزُبان بن الفيرزان قال : كنت أُرى أبا الشبل كثيراً عند أبي ، وكان إذا حضر أضحك الثَّكلى بنوادره ، فقال له أبي يوماً : حدِّثنا ببعض نوادِرك وطرائِفك ؛ قال : نعم ، من طرائف أموري أنّ ابني زَنى بجارية سِنْدية لبعض جيراني ، فحبِلتْ وولدتْ ، وكانت قيمةُ الجارية عشرين ديناراً ، فقال : يا أبتِ ، الصبيُّ واللهِ ابني ، فساومتُ به ، فقيل لي : خمسون ديناراً ، فقلت له : ويلَك ! كنت تخبرني الخبر وهي حُبلى فأشتريها بعشرين ديناراً ، ونربح الفضل بين الثَّمَنَين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبيّ حتى اشتريتُه من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانياً فولدتْ له ابناً آخر ، فجاءني يسألني أن أبتاعه ، فقلت له : عليك لعنة الله ، أيش يحملك على أن تُحبِل هذه ؟ فقال : يا أبتِ لا أستحبّ العَزْل ، وأقبل على جماعة عندي يعجِّبهم منّي ، ويقول : شيخ كبير يأمرني بالعَزْل ويستحلّه ! فقلت له : يا ابن الزانية ، تستحلّ الزّنا وتتحرّج من العَزْل ! فضحكنا منه .

[مع خمار يهودي]

وقلت له : وأيّ شيء أيضاً ؟ قال : دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى حانة يهوديّ خَمّار ، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً ، فظننّاه خمراً بنتَ عشر ، قد أنضَجَها الهَجير ، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا ، فقلت له : اشرب معنا ، قال : لا أستحلّ شُربَ الخمر ، فقال لي محمود : وَيْحك ! رأيت أعجب ممّا نحن فيه . يهوديّ يتحرّج من شرب الخمر ، ونشربها ونحن مسلمون ! فقلت له : أجَلْ ، والله لا نُفلِح أبداً ، ولا يَعبأ الله بنا ، ثم شربْنا حتى سَكِرنا ، وقمنا في الليل فنكنا بنتَه وامرأتَه وأختَه ، وسرقْنا ثيابَه ، وخَرِينا في نقِيرات نبيذِ له وانصرفْنا .

[هجاء هبة الله بن إبراهيم]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال : أخبرنا عون بن محمد الكِنْدِيّ ، قال : وقعتْ لأبي الشبل البُرْجُميّ إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ حاجة فلم يَقْضِها فهجاه ، فقال : [من الرمل]

صَلَفٌ تندقُّ منه الرقبهْ ومَساوٍ لم تُطِقْها الكَتَبَهْ
كلَّما بادَرَه بدرٌ بما يشتهيه منه نادى يا أَبَهْ
ليته كان التوى الفَرْجُ به لم يزد في هاشمٍ هذي هِبَهْ

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمّى بدراً ، وكان غالباً على أمره .

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني القاسم بن إسماعيل قال : قال رأى أبو الشبل إبراهيمَ بن

العبّاس يكتب ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

ينظِّــم اللؤلــؤَ المنثــورَ مَنطقُه ... وينظِم الدرَّ بالأقلام في الكُتُبِ

[عبيد الله بن يحيى بن خاقان]

حدَّثنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشبل البرجميّ قال : حضرتُ مجلسَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان إليّ محسناً ، وعليّ مُفضِلاً ، فجرى ذكرُ البرامكة ، فوصَفَهم الناس بالجود ، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثَروا ، فقمتُ في وسط المجلس ، فقلت لعبيد الله : أيّها الوزير ، إنّي قد حكمتُ في هذا الخطب حكماً نظمته في بيتَيْ شعر لا يقدر أحد أن يردّه عليّ ، وإنّما جعلته شعراً ليدور ويَبقى ، فيأذن الوزير في إنشادهما قال : قل ، فرُبَّ صوابٍ قد قلتَه ، فقلت : [من الطويل]

رأيــتُ عبيدَ الله أفضــلَ سُؤدَداً ... وأكرمَ مِن فضلٍ ويحيى بنِ خالدِ

أولئــك جادوا والزّمــانُ مُساعِدٌ ... وقد جــاد ذا والدَّهرُ غيرُ مُساعدِ

فتهلّل وجهُ عبيد الله وظَهر السرور فيه ، وقال : أفرطـتَ أبا الشِّبْل ، ولا كلّ هذا ، فقلت : والله ما حابيْتُك أيّها الوزير ، ولا قلت إلاّ حقّاً ، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه ، فما خرجت من مجلسه إلاّ وعليّ الخِلَع ، وتحتي دابّة بسَرْجِه ولجامه ، وبين يديّ خمسةُ آلافِ درهم .

[الجاريتان الشاعرتان]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني علي بن الحسن الشيبانيّ قال : حدَّثني أبو الشِّبْل الشاعر قال : كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخّاسين كانتا تقولان الشعر ، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ إليها ، ثم أنشدتُها بيتاً لأبي المستهلّ شاعر منصور بن المهديّ في المعتصم : [من المتقارب]

أقام الإمــامُ مَنــارَ الهُدى ... وأخرَسَ ناقـوسَ عَمُّورِيَهْ

ثم قلت لها : أجيزي ؛ فقالت : [من المتقارب]

كساني المليــكُ جلابيبَه ... ثيــابٌ عَلاهــا بسَمُّورِيَهْ

ثم دَعَتْ بطعام فأكلْنا ، وخرجتُ من عندها ، فمضيت إلى الأخرى ، فقالت : من أين يا أبا الشبل ؟ فقلت : مِن عندِ فلانة ، قالت : قد علمتُ أنّك تبدأ بها ، وصدقتْ ، كانت أجملهما فكنتُ أبدأ بها ، ثم قالت : أمّا الطعام فاعلم أنّه لا حيلة لي في أن تأكله ، لعلمي بأنّ تلك لا تَدَعُك تنصرف أو تأكل . فقلت : أجل . قالت : فهل لك في الشراب ؟ قلت : نعم ، فأحضرْته

وأخذْنا في الحديث ، ثم قالت : فأَخبِرني ما دار بينكما ؟ فأخبرتُها ، فقالت : هذه المسكينة كانت تجد البرد ، وبيتُها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سّمورية ، أفلا قالت : [من المتقارب]

فأضحى بـه الدِّين مستبشراً وأضحت زِنادُهـا وارِيَهْ

فقلت : أنت والله أشعَرُ منها في شِعرِها ، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك . والله أعلم .

[شعره في الشيب]

أُخبرنا الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : أنشدني أبو الشبل لنفسه : [من الهزج]

عَذِيري مِن جَواري الحـ ـيِّ إذ يَرغبن عن وصلي
رأيـن الشيبَ قـد ألبـ ـسني أُبَّهـةَ الكَهـْلِ
فأعرضْنَ وقـد كـنّ إذا قيـل أبـو الشبـلِ
تَساعَيْـن فرقَّعْـن الـ ـكُوى بـالأعيُن النُّجلِ

قال : وهذا سرقه من قول العُتْبيّ : [من الطويل]

رأين الغواني الشيب لاح بمَفرِقي فأعرضْن عنّي بالخدودِ النواضرِ
وكـنّ إذا أبصرنني أو سمعنني سعَيْن فرقَّعن الكُوى بالمَحاجِرِ

[بخل حاتم بن الفرج]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشبل قال : كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني ، وكان أهتم ، قال أبو الشبل : وأنا أهتم ، وهكذا كان أبي وأهل بيتي ، لا تكاد تَبقى في أفواههم حاكّة ، فقال أبو عمرو أحمد بن أبي النجم : [من السريع]

لِحاتـمٍ في بُخلـه فِطنةٌ أدقُّ حِسّاً من خُطا النملِ
قـد جعل الهُتمانَ ضيفانَه فصار في أمنٍ مـن الأَكلِ
ليس على خبز امرىء ضَيعةٌ أكيلُه عُصْمٌ أبـو الشبلِ[1]
مـا قدرُ مـا يحملـه كفُّه إلى فـمٍ مـن سِنّه عُطْلِ
فحاتمُ الجُود أخـو طيء مضى وهـذا حاتمُ البخلِ

[الجارية السوداء]

أُخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أبو العَيْناء قال : كانت لأبي الشبل

1 هكذا ورد اسمه في معجم المرزباني كما تقدّم .

البُرجُمِيّ جارية سوداء ، وكان يحبّها حبّاً شديداً ، فعوتب فيها ، فقال : [من المنسرح]

غـدتْ بطـولِ المـلام عاذلةٌ تلومُنـي في السواد والدَّعَـجِ
ويحكِ كيف السلوّ عن غُـرَرٍ مفترِقات الأرجـاء ، كالسَّبَجِ[1]
يحملـن بـين الأفخاذ أسْنِمَةً تحـرق أوبارهـا مـن الوَهْجِ
لا عـذّب الله مسلِمـاً بهـمُ غيري ولا حـان منهمُ فَرَجِي
فإنّنـي بـالسوادِ مبتهِـجٌ وكنـتُ بـالبيض غيرَ مبتهجِ

[هجا جارية هاشم النحويّ]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن الطيّب قال : حدَّثني أبو هريرة البصريّ النحويّ الضرير قال : كان أبو الشبل الشاعر البرجميّ يعابث قَينة لهاشم النحوي يقال له خَنْساء ، وكانت تقول الشعر ، فعبِث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها ، فقالت له : ليت شعري ، بأيّ شيء تُدِلّ ؟ أنا والله أشعَرُ منك ، لئن شئت لأهجونّك حتى أفضحَك ، فأقبل عليها وقال : [من مخلع البسيط]

حسناءُ قـد أفرطتْ علينا فليس منهـا لنـا مجيرُ
تاهـت بأشعارهـا علينا كأنّمـا ناكَهـا جـريرُ

قال : فخجلتْ حتى بان ذلك عليها وأمسكتْ عن جوابه .

[ذم المطر]

قال عمِّي : قال أحمد بن الطيّب : حدَّثني أبو هريرة هذا قال : حدَّثني أبو الشبل أنّها وعدتْه أن تزورَه في يوم بعينه كان مولاها غائباً فيه ، فلمّا حضر ذلك اليوم جاء مطرٌ منعها من الوفاء بالموعد ، قال : فقلتُ أذمّ المطر : [من البسيط]

دَع المواعيـدَ لا تَعرِض لوجْهتها إنّ المواعيـد مقـرونٌ بهـا المطرُ
إنّ المواعيـد والأعيادَ قـد مُنِيَتْ منـه بأنكدِ مـا يُمْنى بـه بَشَرُ
أمّا الثياب فـلا يغررْك إن غسِلتْ صَحوٌ شديد ولا شمس ولا قمرُ
وفي الشخوص لـه نـوءٌ وبارقةٌ وإن تبيّت فذاك الفالـجُ الذكرُ[2]
وإن هممتَ بأن تدعـو مغنّيـةً فالغيث لا شكّ مقرونٌ به السَّحَرُ

---

1 مفترقات الأرجاء : مختلفات نواحي الحسن . والسبج : خرز أسود .

2 الشخوص : الخروج . تبيّت : تحبس . الفالج الذكر : الشلل الشديد .

[نسيم من كلب وخنزيره]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم ، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البُرْجُميّ سأله إيّاها ، فأخّرها نسيم ، فشكاه إلى عبيد الله ، فأمر عبيد الله غلاماً له آخرَ فقضاها بين يديه ، فقال أبو الشِّبل يهجو نسيماً : [من السريع]

قــل لنسيمٍ أنت في صوره ... خُلِقَتْ مــن كلــبٍ وخِنزيرَه
رَعَيت دهــراً بعــد أعفاجها ... في سَلْح مخمورٍ ومخمورَه[1]
حتى بدا رأسك مِن صَدْعِها ... زانيـــة بالفسق مشهـــورَه
لا تقــرب المــاء إذا أجنَبَتْ ... ولا تَــرى أن تقــربَ النُّورَه
ترى نباتَ الشَّعر حَولَ استها ... دَرابزينــاً حــول مَقْصُــورَه

[يهجو محمد بن حماد]

حدَّثني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حمّاد بن دلقيش ، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه ، فقال أبو الشبل فيه : [من مجزوء الرمل]

لابــن حمّــاد أيادٍ ... عندنــا ليست بدونِ
عنــده جاريــة تشـ ... ـفي مــن الداء الدفينِ
ولهــا في رأس مــولا ... هــا أكاليــلُ قُــرونِ
ذات صَدْعٍ حاتميّ الـ ... ـفعل في كِــن مَكينِ
لا يَرى مَنْعَ الذي يحـ ... ـوي ولــو أمَّ البنينِ

[رثاء السراج]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن الطيب قال : حدَّثني أبو هريرة النحويّ قال : كان أبو الشبل البرجميّ قد اشترى كبشاً للأضحى ، فجعل يعلفه ويسمّنه ، فأفلت يوماً على قنديل له كان يُسرجه بين يديه ، وسراجٍ وقارورةٍ للزيت ، فنطحه فكسره ، وانصبّ الزيت على ثيابه وكتبِه وفِراشه ، فلمّا عاين ذلك ذبح الكبشَ قبلَ الأضحى ، وقال يرثي سراجَه : [من المنسرح]

يــا عــين بكّي لفقد مسْرَجةٍ ... كانــت عمود الضياء والنورِ

---

1 الأعفاج : الأمعاء .

كانت إذا مـا الظلام ألبسني ... من حِندِس الليل ثوبَ دَيْجورِ[1]
شقّـت بنبراسهـا غياطِلَـه ... شقّاً دَعـا الليـلَ بالدَّياجيرِ[2]
صينية الصين حـين أبدعها ... مصـوِّر الحسن بـالتصاويرِ
وقبـل ذا بدعـةٌ أتيـح لهـا ... مِن عُقَب الدهر قرنُ يَعْفورِ[3]
وصَكّها صكّـةً فمـا لبثت ... أنْ وَرَدت عسكـر المكاسيرِ
وإن تولّت فقـدْ لهـا تركَتْ ... ذِكـراً سيبقى على الأعاصيرِ
مَـن ذا رأيتَ الزمـانَ ياسَرَه ... فلـم يَشُـب يُسرَه بتعسيرِ
ومن أبـاح الزمـانُ صفوتَه ... فلـم يشب صفـوَه بتكديرِ
مسْرجتي لو فديتِ ما بَخِلَتْ ... عنك يـدُ الجـود بالدَّنانيرِ
ليس لنـا فيـكِ ما نقدِّره ... لكنّمـا الأمـر بـالمقاديرِ
مسرجتي كم كشفتِ من ظُلَمٍ ... جلّيـتِ ظلماءهـا بتنويرِ
وكم غـزال على يديـك نجا ... مـن دقّ خُصييه بالطواميرِ[4]
مَن لي إذا ما النديمُ دبَّ إلى النّـ ... ـدمان في ظُلمـة الدَّياجيرِ
وقام هـذا يَبُوس ذاك ، وذا ... يُعْنِـق هـذا بغير تقديرِ[5]
وازدَوَج القومُ في الظلام فما ... تسمـعُ إلاّ الرِّشاءَ في البِيرِ
فما يُصلُّون عنـد خَلوتهـمْ ... إلاّ صـلاةً بغيـر تطهيـرِ
أوحشَتِ الدارُ من ضيائك والـ ... ـبيت إلى مطبـخ وتَنُّـورِ
إلى الرواقـين فالمجالسُ فالـ ... ـمِربَدُ مـذ غبتِ غيرُ معمورِ[6]
قلبـي حزين عليك إذ بخلتْ ... عليك بالدَّمـع عـينُ تنميرِ
إن كان أودى بكِ الزمان فقد ... أُبقيتِ منك الحديثَ في الدُّورِ
دَع ذكرَها واهجُ قَرْنَ ناطِحِها ... واسرُد أحاديثَـه بتفسيرِ[7]

---

1 الحندس والديجور : الظلمة .
2 غياطل الليل : اشتداد سواده .
3 اليعفور : ظبي بلون التراب ، ويعني هنا أن قرن الكبش كان كقرن اليعفور .
4 الطوامير : جمع طومار أو طامور ، وهو الصحيفة .
5 يعنق : يعانق على غير قياس .
6 المربد : محبس الإبل .
7 أسرد في ل : وانشر .

كان حديثي أنّي اشتريتُ فما اشـ ـتريت كَبْشاً سليلَ خِنزيرِ
فلم أَزَل بالنَّوى أسمِّنه والتبن والقَتِّ والأثاجيرِ[1]
أبرِّد الماء في القِلال له وأتَّقي فيه كلَّ محذورِ
تخدِمُه طولَ كلّ ليلتها خِدمَة عبدٍ بالذل مأسورِ
وهي من التِّيه ما تكلّمني الـ ـفصيح إلاّ من بعد تفكيرِ
شمس كأنّ الظلام ألبسها ثوباً من الزِّفت أو من القِيرِ
من جلدها خُفُّها وبرقعها حَوراءُ في غير خِلقة الحُورِ
فلم يزل يغتذي السرورَ، وما الـ ـمحزونُ في عيشةٍ كمسرورِ
حتى عدا طَورَه، وحُقَّ لَمن يكفُرُ نُعمى بقُرْبِ تغييرِ
فمدَّ قرنيه نحو مسرجةٍ تُعَدُّ في صون كلِّ مذخورِ
شدَّ عليها بقَرْن ذي حَنَقٍ معوَّدٍ للنِّطاح مشهورِ
وليس يَقوى بِرَوْقِه جَبَلٌ صَلْدٌ من الشُّمَّخ المَذاكِيرِ[2]
فكيف تَقوى عليه مِسرجَةٌ أرقُّ من جَوهَر القَواريرِ
تكسَّرتْ كسرةً لها أَلَمٌ وما صحيحُ الهوى كمكسورِ[3]
فأدركتْه شَعوبُ فانشعبتْ بالرُّوعِ والشِّلْوُ غير مقتورِ[4]
أُديلَ منه فأدركتْه يدٌ من المنايا بحَدٍّ مطرورِ[5]
يَلتهب الموتُ في ظُباه كما تلتهب النارُ في المساعيرِ[6]
ومزّقْته المُدى فما تركت كفُّ القِرا منه غيرَ تعسيرِ[7]
واغتاله بعد كسرها قَدَرٌ صيره نُهْزَة السَّنانيرِ
فمزّقَتْ لحمَه بَراثِنُها وبذَّرتْه أَشدَّ تبذيرِ

1 الثجير: ثفل كل شيء يعصر.
2 الروق: القرن. والشمخ المذاكير: الشاهقة القوية.
3 تكسرت في ل: فانكسرت.
4 الشعوب: المنية. والروع: القلب. والشلو: الجسد.
5 حد مطرور: حد سكين محدّد.
6 المساعير: ما تسعر به النار.
7 تعسير: التضييق ويعني به القليل.

واختلسته الحِداءُ خَلْساً مع الـ ـغِرْبـان لم تزدجـرْ لتكبيرِ
وصار حـظَّ الكلاب أعظُمُه تهشـم أنحاءَهـا بتكسيرِ
كم كاسرٍ نحـوَه وكاسرةٍ سلاحُهـا في شغـا المناقيرِ
وخامـعٍ نحـوَه وخامعـةٍ سلاحُهـا في شَبا الأظافيرِ[1]
قـد جعلتْ حول شِلْوِه عُرُساً بـلا افتقـار إلى مزاميرِ
ولا مغَـنٍّ سوى هَماهِمهـا إذا تمطّـت لـواردِ العِيرِ[2]
يا كبشُ ذق إذ كسرتَ مسرجتي لمدية المـوت كأس تنحيرِ
بغيتَ ظُلماً والبغيُ مصرعُ مَن بَغـى عـلى أهلـه بتغييرِ
أُضحيَّة مـا أظـنّ صاحبها في قَسْمه لحمَهـا بمأجورِ

[رثاء قرطاس سرق]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني الحسن بن عليّ الشَّيبانيّ قال : دخلتُ على أبي الشبل يوماً فوجدتُ تحت مخدّته ثُلثَ قرطاس ، فسرقتُه منه ولم يَعلَم بي ، فلمّا كان بعد أيّام جاءني فأنشدني لنفسه يَرثي ذلك الثلثَ القرطاس : [من الخفيف]

فِكَـر تَعتري وحزنٌ طويلُ وسقيمٌ أنْحـى عليـه النُّحُولُ
ليس يبكي رَسْماً ولا طَلَلا مَـ ـحَّ كما تُنْدَب الرُّبا والطُّلولُ
إنّما حزنُه على ثُلْثِ قرطاسٍ لحاجاتـه فغالتْـه غُـولُ
كان للسر والأمانـة والكتـ ـمان إن باح بالحديث الرسولُ
كان مثلَ الوكيل في كلّ سوق إنْ تلكَّا أو مـلَّ يوماً وكيلُ
كان للهمِّ إن تراكَمَ في الصد ر فلم يُشْفَ من عليلٍ غليلُ
لم يكن يبتغي الحِجابَ من الحُجّا ب إن قيل ليس فيهـا دخولُ
إنْ شكا حاجباً تَشدَّد في الإذ ن فللحاجب الشقـيِّ العويلُ
يُرفَع الخيرُ عنه والرزق والكسـ ـوةُ فهو المطرود وهو الذليلُ
كان يُثْنى في جَيب كلِّ فتـاةٍ دونَها خَنـدقٌ وسُورٌ طويلُ

1 الخامع : الذي يعرج في مشيه ، ويعني بها الضواري .

2 الهماهم : جمع همهمة . والعير : الإبل .

يقف الناس وهو أوّل مـن يد   خلـه القصرَ غـادةٌ عُطْبولُ[1]
فإذا أبرزَتْه بـاح بـه في الـ   ـقصر مسكٌ وعنبر مَعْلـولُ[2]
ولـه الحـبّ والكرامـة ممّن   بـات صَبّاً والشمّ والتقبيلُ
ليس كالكاتب الذي بأبي الخـ   ـطّاب يُكْنى قـد شابه التطفيلُ
ذا كريـمٌ يُدْعى ، وهذا طفيلـ   ـيٌّ وهـذا وذا جميعاً دليلُ
ذاك بالبشر والكرامـة يُلقـى   ولهـذا الحجـاب والتنكيلُ
لم يفِد وفدُه الزمانَ على الألـ   ـسن منـه عطفٌ ولا تنويلُ
كان مع ذا عدل الشهادة مقبو   لاً إذا عَـزَّ شاهـداً تعديلُ
وإذا مـا التوى الهوى بالأليفَيـ   ـن فلم يَرْعَ واصلاً مَوْصولُ
فهـو الحـاكمُ الذي قولُه بيـ   ـن الأليفَـين جائـزٌ مقبولُ
فلئن شَتَّت الزمانُ بـه شَمـ   ـلَ دَواتي وحانَ منـه رحيلُ
لَقديماً مـا شَتَّت البينُ والألـ   ـفَةُ من صاحبٍ ، فصبر جميلُ
لا تَلُمْني عـلى البكاء عليـه   إنَّ فقـدَ الخليل خطبٌ جليلُ

قال : فرددتُه عليه ، وكان اتّهم به أبا الخطّاب الذي هجاه في هذه القصيدة ، فقال لي : ويلك ، جنيتَ ووقع أبو الخطّاب بلا ذنب ، ولو عرفتُ أنّك صاحبها لكان هذا لك ، ولكنّك قد سلمتَ .

1 العطبول : المرأة الفتية الجميلة الطويلة العنق .
2 معلول : مضاعف .

[269] ـ أخبار عَثعَث

[نسبه]

كان عَثْعَث أسودَ مملوكاً لمحمد بن يحيى بن مُعاذ ، ظهر له منه طبع وحُسْنُ أخذٍ وأداء ، فعلّمه الغناء ، وخرّجه وأدّبه ، فبرع في صناعته ، ويكنى أبا دُلَيْجة وكان مأبوناً ؛ والله أعلم .

أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ عن ميمون بن هارون قال : حدَّثني عثعث الأسود ، قال : مُخارق كنّاني بأبي دُلَيْجة ، وكان السبب في ذلك أنّ أوّل صوت سمعني أغنِّيه : [من البسيط]

أبا دُلَيجةَ مَـنْ توصِـي بأرمَلـةٍ ... أم من لأشعثَ ذي طِمْرَين مِمحالِ[1]

فقال لي : أحسنت يا أبا دُليجَة ، فقبلتُها وقبّلت يده ، وقلتُ : أنا يا سيّدي أبا المُهنّا ؛ أتشرّف بهذه الكنية إذا كانت نِحلة منك . قال ميمون : وكان مخارق يشتهي غناءه ويَحزُنه إذا سمعه .

[ما وقع له في مجلس غناء]

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب عليّ بن محمد بن نصر بخطّه ، حدَّثني يعني بن حمدون قال : كنّا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكّل ، وقد عزمْنا على الصَّبوح ومعنا جعفر بن المأمون ، وسليمان بنُ وهب ، وإبراهيم بن المدبِّر ، وحضرتْ عَريب وشارية وجواريهما ، ونحن في أتمّ سرور ، فغنَّت بدعة جارية عريب : [من الطويل]

أعاذلتـي أكثرتِ جَهْلا مـن العَذْلِ ... على غير شيءٍ من مَلامي وفي عَذْلِي[2]

والصنعة لعَريب ؛ وغنّت عِرفان : [من الطويل]

إذا رام قلبي هجرَهـا حالَ دونَه ... شَفيعان مِـنْ قلبـي لهـا جَدِلانِ

والغناء لشارية ، وكان أهل الظَّرْف والمتعانون في ذلك الوقت صنفين : عريبيّة وشارية ، فمال كلّ حزب إلى من يتعصّب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح ، وعريب وشارية ساكتتان لا تَنطقان ، وكلّ واحدة من جواريهما تغنّي صنعةَ سِتِّها لا تتجاوزها ، حتى

1 البيت لأوس بن حجر ورواية الديوان ص 103 : من يُوصى . . . طملالِ ، وهو الفقير .

2 البيت لجميل بن معمر كما سيأتي .

غنّت عرفان : [من الخفيف]

بأبـي مَن زارني في منامي فدنـا منّـي وفيـهِ نِفارُ

فأحسنتْ ما شاءت ، وشربْنا جميعاً ، فلمّا أمسكتْ قالت عريبِ لشارية : يا أختي لَمن هذا اللحن ؟ قالت : لي ، كنت صنعتُه في حياة سيّدي ، تعني إبراهيم بنَ المهديّ ، وغنّيتُه إيّاه فاستحسنه ، وعَرضَه على إسحاق وغيرِهِ فاستحسنوه ، فأسكتتْ عَريب ، ثم قالت لأبي عيسى : أحبّ يا بنيّ ، فديتك ، أن تَبعث إلى عَثعَث الأسود فتجيئني به ، فوجَّه إليه ، فحضر وجلس ، فلمّا اطمأنّ وشرِب وغنّى ، قالت له : يا أبا دليجة أو تذكر صوتَ زبير بن دَحْمان عندي وأنت حاضر ، فسألته أن يَطرحَه عليك ؟ قال : وهل تَنسى العَذْراء أبا عُذْرِها ، نعم ، والله إنّي لذاكرُه حتّى كأنّنا أمسِ افترقْنا عنه . قالت : فغنّه ، فاندفع فغنّى الصوتَ الذي ادّعتْه شارية حتى استوفاه وتضاحكتْ عَريب ، ثم قالت لجواريها : خذوا في الحقّ ، ودَعونا من الباطل ، وغنُّوا الغناء القديم . فغنّت بدعة وسائر جواري عَريب ، وخجلتْ شارية وأطرقتْ وظهر الانكسار فيها ، ولم تنتفع هي يومئذٍ بنفسها ، ولا أحدٌ من جواريها ولا متعصّبيها أيضاً بأنفسهم .

[في مجلس المتوكّل]

قال : وحدَّثني يحيى بنُ حَمدون قال : قال لي عَثعَث الأسود : دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو مصطبح وابن المارقيّ يغنّيه قوله : [من الطويل]

أقاتلتي بالجِيـد والقـدِّ والخدّ وباللون في وجهٍ أرقَّ من الوردِ

وهو على البِركة جالس ، وقد طرِب واستعاده الصوتَ مراراً وأقبل عليه ، فجلست ساعةً ثم قمت لأبولَ ، فصنعت هزَجاً في شعر البحتريّ الذي يصف فيه البِركة : [من البسيط]

صوت

إذا النجومُ تـراءت في جوانبهـا ليلاً حسبتَ سمـاءً ركِّبـت فيها
وإن عَلتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكاً مثلَ الجَواشن مصقولاً حواشيها[1]
وزادهـا زينـةً مـن بعـد زينتها أن اسمه يـومَ يُدْعى مـن أساميها

فما سكت ابنُ المارقي سكوتاً مستوجباً حتى اندفعتُ أغنّي هذا الصوت ، فأقبل عليّ وقال لي : أحسنتَ وحياتي ، أَعِدْ ؛ فأعدتُ ، فشرب قدحاً ، ولم يزل يستعيدُنيه ويشرب

1 الجواشن : جمع جوشن وهو الدرع .

حتى اتّكأ ، ثم قال للفتح : بحياتي ادفع إليه الساعة ألف دينار وخِلْعة تامّة واحمله على شِهْري[1] فارِهٍ بسَرْجِه ولجامه ، فانصرفتُ بذلك أجمَعَ .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الطويل]

أعاذِلتــي أكثرتِ جهلاً مِن العَذْلِ ... على غير شيء من ملامي ولا عذلي
نأيتِ فلم يُحدِث لي النأي سَلوةً ... ولم أُلفِ طول النأي عن خُلة يُسْلِي

عَروضُه من الطويل ، الشعر لجَميل ، والغناء لعَريب ، ثقيل أوّل بالبنصر .

صوت

[من الطويل]

إذا رامَ قلبي هجرَهــا حالَ دونَه ... شفيعان مــن قلبي لهــا جَدِلانِ
إذ قلتُ لا ، قالا بــلى ، ثم أصبَحا ... جميعــاً على الرأي الذيــن يَرَيانِ

عروضه من الطويل ، والناس يَنسُبون هذا الشعر إلى عُروة بن حِزام ، وليس له .

الشعر لعليّ بن عمرو الأنصاريّ ، رجل من أهل الأدب والرواية ، كان بسُرَّ مَن رأى كالمنقطع إلى إبراهيمَ بنِ المهدي ، والغناء لشارية ، ثقيل أوّل بالوسطى ، وقيل إنّه من صنعة إبراهيم ، ونَحَلها إيّاه ، وفيه لعَريبَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .

صوت

[من الخفيف]

بأبــي مــن زارني في منامي ... فدنــا منّــي وفيــه نِفــارُ
ليلــةً بعــدَ طُلــوعِ الثُّريّا ... وليــالي الصّيــف بُتْر قِصارُ
قلت هُلكي أم صلاحي فعَطْفاً ... دون هــذا منك فيــه الدَّمارُ
فدنــا منّــي وأعطى وأرضى ... وشفــى سُقْمي ولــذَّ المَزارُ

لَم يقعْ إلينا لِمن الشعرُ ، والغناء لزُبَير بن دَحمان ، ثقيل أوّل بالوسطى ، وهو من جيّد صنعتِهِ وصدورِ أغانيهِ .

---

1 الشهري : ضرب من البراذين .

أَخبرني ابن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أَحمد بن طَيْفور قال : كتب صديق لأَحمدَ بن يوسف الكاتب إليه في يوم دَجْن : «يومُنا يومٌ ظريفُ النواحي ، رقيقُ الحواشي ، قد رَعَدتْ سماؤه وبَرَقتْ ، وحنّت وارجحنّت[1] ، وأنت قطبُ السرور ، ونِظامُ الأمور ، فلا تُفْرِدنا منك فنَقلّ ، ولا تنفردْ عنّا فنَذِلّ ، فإنّ المرءَ بأَخيه كثير ، وبمساعدته جدير» . قال : فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل ، وحضرهم عَثعَث الأسود ، فقال أحمد : [من الوافر]

صوت

أَرى غَيْمـاً يؤلِّفـه جَنُوبُ ... وأحسَبه سيأتينـا بهَطْلِ
فعينُ الرأي أن تدعو برِطْلٍ ... فتشربَه وتدعـو لي برِطلِ
وتسقيـه نَدامانـا جميعـاً ... فينصرفون عنـه بغير عَقْلِ
فيوم الغَيْم يومُ الغَمّ إن لم ... تبـادر بالْمُدامـة كلَّ شغلِ
ولا تُكْرِه محرِّمَهـا عليهـا ... فإنِّـي لا أَراه لهـا بأَهلِ

قال : وغَنَّى فيه عَثعَث اللحنَ المشهور الذي يغنَّى به اليوم .

صوت

[من الطويل]

ترى الجُندَ والأعرابَ يغشَون بابَه ... كما وردت مـاءَ الكُلاب هَوامِلُهْ
إذا مـا أَتَوا أَبوابه قـال : مرحباً ... لِجُوا الدار حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُهْ

عَروضُه من الطويل . الهوامل : التي لا رِعاء لها ، ولِجوا : ادخلوا ، يقال : ولج يَلِج وَلْجاً . وقوله : «حتى يقتل الجوع قاتله» : أي يطعمكم فيذهب جوعكم ، جعل الشبَع قاتلاً للجوع .

الشعر لعبد الله بن الزَّبِير الأسدي ، والغناء لابن سُرَيج ، رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

1 ارجحن السحاب : مال من ثقله .

[270] ـ أخبار عبد الله بن الزَّبِير ونسبه[1]

[نسبه]

عبد الله بن الزَّبير بن الأَشْيَم بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن مُنقِذ بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين بن الحرث بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَد بن خزيمة .

أَخبرني بذلك أَحمد[2] عن الخرّاز عن ابن الأعرابيّ وعن ابن مَهْرُوَيْه عن أَبي مسلم عن ابن الأعرابيّ ، وهو شاعر كوفيّ المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان من شيعة بني أميّة وذوي الهَوى فيهم والتعصّب لهم والنُّصْرة على عدوّهم ، فلمّا غلب مصعب بن الزُّبير على الكوفة أُتِيَ به أسيراً فمنّ عليه ووصله وأحسَنَ إليه ، فمدحه وأكثر ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قُتِل مصعب ، ثم عَمِيَ عبدُ الله بن الزَّبير بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ، ويُكنى عبد الله أبا كثير ، وهو القائل يعني نفسَه : [من الوافر]

فقالت : ما فعلتَ أبا كثير   أصحّ الودّ أم أخلفتَ بَعدِي[3] ؟

وهو أحد الهَجائين للناس ، المرهوبِ شرّهم .

[خلافه مع عبد الرحمن بن أم الحكم]

قال ابن الأعرابيّ : كان عبد الرحمن بنُ أمّ الحَكَم على الكوفة من قِبَل خاله معاوية بن أَبي سفيان ، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأَشْيَم ، من رهط عبد الله بن الزَّبير دِنِيةً[4] ، فخرج عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم وافداً إلى معاوية ، ومعه ابنُ الزَّبير ورفيقان له من بني أَسَد ، يقال لأحدهما أَكل[5] بن ربيعة من بني جذِيمة بن مالك بن نصر بن قُعَين ، وعديّ بن الحرث أحد بني العِدان من بني نصر ، فقال عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم لابن الزَّبير : خذْ من بني عمِّك دِيَتَين لقتيلك ، فأَبى

1 ترجمة عبد الله بن الزَّبير الأسدي في خزانة البغدادي 2 : 264–266 وشرح الحماسة للمرزوقي : 941–942 . وقد جمع د . يحيى الجبوري شعره ، فانظر مقدمته وأعلام الزركلي .

2 ل : عمي .

3 سيرد البيت بلفظ «أم أخلفت عهدي» .

4 دنية : لحّاً .

5 لعلّه أُكَيل أو أكتل .

ابن الزَّبير ، وكان ابن أمّ الحكم يميل إلى أهل القاتل ، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقال له فيّاض ، فخالف ابن الزَّبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية ، فعاذ به ، فأعاذه وقام بأمره ، وأمره يزيد بأن يهجو ابن أُمِّ الحَكَم ، وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويَعيبه ، فقال فيه ابن الزَّبير قصيدةً أوّلها قولُه[1] : [من الطويل]

أبى الليلُ بالمَرَّان أن يتصرّما كأنّي أُسومُ العَينَ نوماً مُحرَّما[2]
ورُدَّ بثنيَيْه كأن نجومه صُوارٌ تناهى من إرانٍ فقَوَّما[3]
إلى الله أشكو لا إلى الناس أنّني أمُصّ بنات الدرِّ ثديا مُصرَّما[4]
وسَوقَ نساء يسلبون ثيابها يُهادُونها هَمْدانَ رِقّاً وخَثْعَما[5]
على أيِّ شيء يا لؤيُّ بن غالب تُجيبونَ مَن أُجرى عليَّ وأُلجما[6]
وهاتوا فقُصُّوا آيةً تقرؤونها أحلَّتْ بلادي أن تباح وتُظلَما
وإلاّ فأقصى الله بيني وبينكم وولّى كثيرَ اللؤمَ مَن كان ألأما
وقد شهدَتْنا من ثقيفٍ رَضاعةٌ وغيَّب عنها الحَوْمَ قُوَّامُ زمزما[7]
بنو هاشم لو صادفوك تجُدُّها مججتَ ولم تملك حَيازيمَك الدما[8]
ستعلم إن زلَّتْ بك النعلُ زَلّةً وكلّ امرىء لاقي الذي كان قدَّما
بأنّك قد ماطَلْتَ أنيابَ حيّةٍ تزجّي بعينيها شُجاعاً وأرقَما
وكم من عدوّ قد أراد مساءتي بغَيب ولو لاقيتُه لتندَّما
وأنتم بني حام بنِ نُوح أرى لكم شِفاهاً كأذناب المشاجر وُرَّما[9]
فإن قلتَ خالي من قريش فلم أجِد من الناس شرّاً من أبيك وألأما

---

1 شعره : 126–129 عن الأغاني .
2 المران : موضع .
3 ثنيا الجبل : طرفاه . الصوار : القطيع من البقر . الأران : النشاط . وقومت الدابة : إذا أكلت وأعيت فوقفت ولم تسر .
4 الدر : اللبن . المصرم : المقطوع .
5 يهادونها في ل : يقيدونها .
6 أجرى : أي أجرى الخيل للغارة .
7 قوام زمزم : القائمون بسقاية الحاج .
8 تجدها : تقطعها . والحيزوم : وسط الصدر .
9 المشاجر : جمع مشجر وهو عود الهودج .

صغيراً ضغـا في خرقة فأمضَّه ... مُربِّيه حتى إذ أهـمّ وأفطما[1]
رأى جلدةً مـن آل حـامٍ متينـةً ... ورأساً كأمثـال الجَرِيب مُؤَوَّما[2]
وكنتم سقِيطاً في ثقيفٍ ، مكانكم ... بني العبد ، لا تُوفي دماؤكمو دما[3]

قال ابن الأعرابيّ : ثم عُزل ابنُ أمّ الحكم عن الكوفة ، ووليها عبيد الله بن زُياد ، فقال ابن الزُّبير[4] : [من الطويل]

أبلِغ عبيـدَ الله عنّـي فإنّنـي ... رميتُ ابن عَوذ إذ بدَتْ لي مقاتِلُهْ
على قفرةٍ إذ هابَـه الوفـدُ كلُّهم ... ولم أَكُ أُشوِي القِرنَ حين أُناضِلُهْ[5]
وكان يُماري مِـن يزيـدَ بوقعةٍ ... فما زال حتـى استدرجَتْه حَبائلُهْ
فتُقصيه من ميراث حربٍ ورَهْطِه ... وآلَ إلى مـا ورثَتْـه أوائِـلُهْ
وأَصبحَ لمّـا أسلمتْـه حِبالُهـم ... ككلب القطار حُلَّ عنه جَلاجِلُهْ[6]

ونسخت من كتاب جدّي لأُمِّي يحيى بن محمد بن ثوابة ، قال يحيى بن حازم وحدَّثنا عليّ بن صالح صاحب المصلَّى عن القاسم بن مَعْدان : أنّ عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم غضب على عبد الله بن الزَّبير الأسديّ لمّا بلغه أنّه هجاه ، فهَدَم داره وأخرجه ، فأتى معاوية فشكاه إليه ، فقال له : كم كانت قيمةُ دارك ؟ فاستشهد أسماءَ بن خارجة ، وقال له : سَلْه عنها ؛ فسأله ؛ فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها ، ولكني رأيته بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج[7] ، فأمر له معاوية بألفِ[8] درهم ، قال : وإنّما شهد له أسماء كذلك ليُرفده عند معاوية ، ولم تكن داره إلاّ خِصاص قَصَب .

وكان عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم لمّا وَلِي الكوفةَ أساء بها السيرة ، فقدم قادمٌ من الكوفة إلى المدينة ، فسألتْه امرأة عبد الرحمن عنه ، فقال لها : تركتُه يسأل إلحافاً ، وينفِق إسرافاً ، وكان محمَّقاً ، ولاّه معاويةُ خالُه عدّة أعمال ، فذمَّه أهلُها وتظلّموا منه ؛ فعزله وأطرحه ، وقال له : يا

1 ضغا : ضج وصاح . أمضه : آلمه . أهم : جعل آله وذويه يهتمون به .
2 الجريب : مكيال . المؤوم : العظيم الرأس أو المشوه .
3 السقيط : الأحمق الناقص العقل ، واللئيم في حسبه ونفسه .
4 شعره : 118 عن الأغاني .
5 أشوي : أصيب ما ليس مقتلاً .
6 الجلاجل : السيور .
7 الساج : خشب أسود رزين .
8 سترد بهذه الحكاية مرّة أخرى ولكن رقمي ثمن الساج والعطية سيصبحان عشرين ألفاً ومائة ألف .

بُنَيّ ، قد جَهَدتُ أن أنفّقك وأنت تزداد كساداً .

وقالت له أخته أُمُّ الحَكَم بنت أَبي سُفْيان بن حرب : يا أُخي ، زَوِّج ابني بعضَ بناتِك ؛ فقال : ليس لهنّ بكفء ؛ فقالت له : زوّجني أَبو سفيان أَباه ، وأَبو سفيان خير منك ، وأَنا خير من بناتك ؛ فقال لها : يا أُخيَّة : إنّما فعل ذلك أَبو سفيان لأنّه كان حينئذٍ يشتهي الزَّبيب ، وقد كثر الآن الزبيبُ عندنا ، فلن نزوّج إلاّ الأكفاء .

[مدح عمرو بن عثمان بن عفّان]

حدَّثنا الحسن بنُ الطيّب البَلْخي الشجاعيّ قال : حدَّثني أَبو غسّان قال : بلغني أنّ أوّل من أخَذ بعِينةٍ[1] في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفّان ، أتاه عبد الله بن الزَّبير الأسديّ ، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رَثّاً ، فدعا وكيلَه وقال : اقترِض لنا مالاً ؛ فقال : هيهات ! ما يعطينا التجار شيئاً . قال : فأَربِحْهم ما شاءوا ، فاقترض له ثمانية آلافِ درهم ، باثني عشرة ألف ، فوجّه إليه مع تخت ثياب ، فقال عبد الله بن الزّبير في ذلك[2] : [من الطويل]

سأشكر عمراً إن تراخــت منيّتي أيــاديَ لم تُمْنَنْ وإن هي جَلّتِ
فتًى غير محجوبِ الغِنى عن صديقِهِ ولا مُظهِرِ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ
رأى خَلَّتي من حيثُ يَخفى مكانُها فكانت قَذى عينيه حتى تجلَّتِ[3]

[مدحه أسماء بن خارجة]

أُخبرني الحسينُ بنُ القاسم الكوكبيّ إجازةً قال : حدَّثني أَحمد بنُ عرفة المؤدِّب قال : أُخبرني أَبو المصبِّح عادية بن المصبِّح السَّلوليّ قال : أَخبرني أَبي قال : كان عبد الله بن الزَّبير الأَسديّ قد مدح أَسماء بنَ خارجة الفَزاريَّ فقال : [من الطويل]

صوت

تــراه إذا مــا جئتَــه متهلِّــلاً كأنّك تعطيــه الذي أنتَ نائلُهْ
ولو لَم يكن في كفِّــه غيرُ رُوحه لجــاد بهـــا فليتَّــقِ اللهَ سائلُهْ

[غنّى في هذين البيتين هزجاً بالبنصر]

فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه ، فغضب وقال يهجوه[4] : [من الطويل]

---

1 العينة : الربا .

2 شعره : 142 . وقد جعلها جامعه في ما ينسب إلى ابن الزّبير وغيره . وفي وفيات الأعيان (3 : 478 ، 6 : 232) أن هذه الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي في عمرو بن مسعدة .

3 الخلة : الحاجة والفقر .

4 شعره : 93 .

بَنَت لكـــمُ هنـدٌ بتلذيع بَظْرها دكاكينَ من جِصٍّ عليها المَجالسُ
فواللهِ لـــولا رَهْـزُ هند ببظرها لَعُـدَّ أَبوهـــا في اللئام العوابسِ[1]

فبلغ ذلك أسماء ، فركب إليه ، فاعتذَرَ من فعله بضِيقةٍ شكاها ، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفةً في كلّ سنة ، واقتطعه جَنَّتَيْهِ ، فكان بعد ذلك يمدحُه ويفضّله . وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قطّ جصّاً في بناءٍ ولا غيره إلاّ ذكرتُ بَظْر أُمِّكم هند فخجلتُ .

[ابن أمّ الحكم يحبسه]

أُخبرني عمّي عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن أَبي مسلم ، عن ابن الأعرابيّ قال : حبس ابن أُمّ الحَكَم عبد الله بن الزَّبير وهو أمير في جناية وضَعَها عليه ، وضربه ضرباً مبرِّحاً لهجائه إيّاه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يزل يَلطُف في أمره ، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابن أمّ الحَكَم في أمره حتى يخلّصه ، فأطلق[2] شفاعته ، وكساه أسماءُ ووصله ! وجعل له ولعياله جرايةً دائمة من ماله ، فقال فيه هذه القصيدة التي أوّلها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزَّبير ، يقول فيها[3] : [من الطويل]

ألم تَـــرَ أنّ الجُـودَ أُرسَلَ فانتقى حَليـــفَ صفاءٍ وأُتَـــلى لا يُزايلُهْ
تخيَّر أسماءَ بـــنَ حِصنٍ فبُطِّنتْ بفعـــل العُـــلا أيمانُه وشمائلُهْ
ولا مجــــدَ إلاّ مجدُ أسماءَ فوقه ولا جريَ إلاّ جريُ أسماءَ فاضِلُهْ
ومحتملٍ ضِغناً لأسماءَ لـــو جرى بسَجْلَيْنِ من أَسماءَ فارت أَباجِلُهْ[4]
عَوى يستجيشُ النابحـاتِ وإنّما بأنيابه صُـــمُّ الصَّفـــا وجَنادِلُهْ[5]
وأقصَرَ عن مجـــراةِ أسمـــاء سعيُه حَسِيراً كما يلقى من التُّرب ناخلُهْ[6]
وفضَّل أسمـــاءَ بـــنَ حِصنٍ عليهمُ سماحةُ أسمـــاءِ بـــن حصن ونائلُهْ
فمَن مثلُ أسماءَ بن حصن إذا غَدَت شآبيبُـــــه أم أيُّ شيء يعـادِلُهْ

1 في البيت إقواء .
2 أطلق شفاعته : أي قبل شفاعته دون شرط أو استثناء .
3 شعره : 120–123 .
4 السجل : الشوط . الأباجل : جمع أبجل وهو العرق الأكحل في الذراع .
5 يستجيش النابحات : يستثير الكلاب النابحة . والصفا : الحجر الصلد . أي أنّه لا ينال منه إلاّ ما يناله العاض على الحجارة الصلدة .
6 حسير : كليل .

وكنت إذا لاقيت منهم حَطيطةً ... لقيتُ أَبا حسّانَ تَنْدى أصائلُهْ[1]
تَضَيَّفُــه غسّانُ يَرجــون سَيْبَه ... وذو يَمَــنٍ أُحبُــوشُه ومَقاوِلُهْ[2]
فتًى لا يزال الدَّهر ما عاش مُخْصِباً ... ولو كان بالمَوْماة تَخْدِي رَواحِلُهْ[3]
فأصبح : ما في الأرض خَلَقٌ علمتُه ... من النــاس إلاّ باعُ أسماءَ طائلُهْ
تــراه إذا مــا جئتَــه متهلّــلاً ... كأنّك تعطيه الذي أنت سائلُهْ[4]
ترى الجندَ والأعرابَ يغشَون بابه ... كما وردت مــاءَ الكُلاب نواهلُهْ
إذا مــا أَتَوا أبوابه قــال : مرحباً ... لِجُوا الباب حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُهْ
تــرى البازِلَ البُخْتيَّ فوق خِوانه ... مقطَّعــةً أعضــاؤه ومفاصلُهْ
إذا مــا أتوا أسماءَ كان هو الذي ... تحلّــب كفّــاه النــدى وأناملُهْ
تراهــمْ كثيراً حــين يغشَون بابَه ... فتسترهــم جُدْرانُــه ومنازِلُهْ

قال : فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم .

[عند عبيد الله بن زياد]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال : حدَّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، وقال ابن الأعرابيّ أيضاً : دخل عبد الله بن الزّبير يوماً على عُبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدِم ابن الزَّبير من الشام ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول[5] : [من البسيط]

حنَّت قَلوصيَ وَهْناً بعــد هَدْأتها ... فهيّجتْ مغرَمــا صَبّاً على الطَّرَبِ
حنّت إلى خيرِ مَن حُثَّ المطيُّ له ... كالبدرِ بــين أبي سفيان والعُتبُ
تذكَّرتْ بِقُــرى البَلقــاء نائلَه ... لقد تذكرتُــه مِــن نازحٍ عَزَبِ[6]
والله مــا كان بــي لــولا زيارته ... وأن أُلاقــي أبا حسان من أَرَبِ
حنّت لتَرجِعني خلفي فقلت لها ... هذا أمامــك فالقَيْه فتــى العربِ

---

1 الحطيطة : النقص والبخس . وأبو حسان : كنية أسماء بن خارجة .
2 أحبوش : جماعة الحبش . والمقاول : جمع مقول والقيل ، وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .
3 الموماة : المفازة .
4 هذا البيت لزهير في ديوانه : 124 .
5 شعره : 60–61 .
6 العزب : البعيد .

لا يحسب الشرّ جاراً لا يفارقه ولا يعاقِب عنـد الحِلم بالغضبِ
مِن خير بيت عَلِمنـاه وأكرَمِهِ كانت دماؤهم تُشفي من الكَلَبِ

قال ابن الأعرابيّ : كانت العربُ تقول : مَن أصابه الكَلَب والجنونُ لا يَبرأ منه إلى أن يُسقى من دمِ مَلِك ، فيقول : إنّه من أولاد الملوك .

بقية أخبار عبد الله بن الزَّبير

[من الذي هدم دار أسماء]

أخبرني أحمد بن عيسى العجليّ بالكوفة قال : حدَّثنا سليمان بن الربيع البرجميّ قال : حدَّثنا مُضَرُ بن مُزاحم ، عن عمرو بن سعد ، عن أبي مِخنَف ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكَنُود ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الحارث بن محمد قال : حدَّثنا ابن سعد عن الواقديّ ، وذكر بعض ذلك ابنُ الأعرابيّ في روايته عن المفضَّل ، وقد دخل بعضهم في حديث الآخرين ، أنّ المختار بن أبي عبيد خطب الناسَ يوماً على المِنبر فقال : «لتَنزلنّ نار من السماء ، تسوقها ريح حالكة دَهْماء ، حتى تحرق دار أسماء وآلَ أسماء» . وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة ، يعدّونه في قَتَلَة الحسين عليه السلام ، لِما كان من معاونته عبيدَ الله بنَ زياد على هانيء بن عُروة المُراديِّ حتى قتل ، وحركتِه في نُصْرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وقد ذكر ذلك شاعرُهم فقال[1] : [من الطويل]

أيركب أسمـاءُ الهماليجَ آمِنا وقد طلبْته مَذْحِجٌ بقتيـلِ ![2]

يعني بالقتيل هانيءَ بنَ عروة المُراديّ ، وكان المختار يحتال ويدبِّر في قتله من غير أن يُغضب قيساً فتنصره ، فبلغ أسماء قول المختار فيه ، فقال : أوقَد سَجَع بي أبو إسحاق ؟ لا قَرارَ على زأرٍ من الأسد[3] ، وهرب إلى الشام ، فأمر المختار بطلبه ، ففاته ، فأمر بهدم داره ، فما تقدّم عليها مضريّ بتّةً لموضع أسماء وجلالةِ قدرهِ في قيس ، فتولّت ربيعةُ واليمنُ هدمَها ، وكانت بنو تَيْم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار ، فقال في ذلك عبد الله بن الزَّبير[4] : [من الطويل]

1 هذا البيت ينسب لابن الزَّبير ولغيره . انظر مجموع شعره : 115–117 .
2 في مجموع شعره : «بذحول» بدلاً من «بقتيل» .
3 المثل «لا قرار على زأر الأسد» في مجمع الميداني 2 : 226 وجمهرة العسكري 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 380 ، وهو عجز بيت للنابغة :
أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسدِ
4 شعره : 74–78 .

نأوَّبَ عـينَ ابنِ الزّبيرِ سُهودُها ... ووَلّى على ما قد عراها هُجودُها
كأنّ سواد العـين أبطَـنَ نخلـةً ... وعاوَدَهـا ممّـا تَذكّـرُ عِيدُها[1]
مخصَّرةً من نخـل جَيْحانَ صعبةً ... لَـوى بجناحيها وليدٌ يَصيدُها[2]
من الليل وَهْنـاً ، أو شَظِيَّةَ سُنبلٍ ... أذاعت به الأرواحُ يُذرى حَصيدُها[3]
إذا طُرِفـت أذرَتْ دموعـاً كأنّها ... نَثيرُ جُمانٍ بـانَ عنهـا فَريدُها[4]
وبـتُّ كأنّ الصدرَ فيـه ذُبالـةٌ ... شَبا حرَّها القِنديل ، ذاكِ وَقودُها
فقلتُ أُناجي النفسَ بيني وبينها ... كذاك الليـالي نحسُها وسُعودُها
فـلا تجزعـي ممّـا ألَمّ فإنّني ... أرى سَنةً لَم يَبقَ إلاّ شَريدُها[5]
أتـاني وعُرْضُ الشامِ بينـي وبينها ... أحاديثُ والأنباءُ يَنمِي بعيدُها
بـأنّ أبـا حَسّانَ تهـدِم دارَه ... لُكَيزٌ سَعـت فُسّاقُها وعَبيدُها[6]
جزَتْ مُضَراً عنّي الجوازِي بفعلها ... ولا أصبحـتْ إلاّ بشرٍّ جُدودُها
فمـا خيرُكم ؟ لا سيِّـداً تنصرونه ... ولا خائفاً إن جـاء يوماً طريدُها
أخذلانَـه في كلّ يـومِ كَريهـةٍ ... ومسألة مـا إن ينادى وليدُها[7]
لأمِّكـم الوَيْـلاتُ أنَّى أُتيتُـمُ ... جماعات أقـوامٍ كثيرٍ عديدُها
فيا لَيتَكم مِـن بعد خذلانِكُمْ له ... جـوارٍ على الأعناق منها عُقودُها
ألم تغضبوا تَبّاً لكم إذ سَطَتْ بكم ... مَجُوسُ القُرى في داركم ويَهودُها !
تركتـمْ أبـا حسّان تُهـدَم دارُه ... مشيَّـدةً أبوابهـا وحديـدُها
يهدِّمهـا العِجليّ فيكـمْ بشرْطة ... كما نَبَّ في شِبْل التَّيـوس عَتُودُها[8]
لعمري لقد لـفَّ اليهوديُّ ثوبَه ... على غَـدرة شنعاءَ بـاق نَشيدُها

---

1 عيدها : العيد هو ما اعتاده المرء من هم أو حزن أو مرض .
2 جيحان : نهر بالشام .
3 أذاعت به : ذهبت به . والأرواح : جمع ريح .
4 فريدها : نفيسها .
5 السنة : القحط .
6 لكيز : قبيلة .
7 من المثل : «هم في أمر لا ينادى وليده» ، أي في شدّة تنسى الأم وليدها فلا تناديه .
8 نب التيس : صاح عند الهياج . العتود من ولد الماعز : ما رعى وقوي حتى أتى عليه الحول .

فلو كان من قحطانَ أسماء شمَّرت كتائبُ من قحطانَ صُعْرٌ خدودُها
ففي رجب أو غُرَّةِ الشهر بعده تزوركُم حُمْرُ المنايا وسُودها
ثمانون ألفاً دِينُ عثمانَ دينُهم كتائبُ فيها جَبْرَئيل يقودُها
فمَن عاش منكم عاش عبداً ومَن يمت ففي النارِ سُقياه هناك صَدِيدُها

وقال ابن مَهْرُوَيْه : أخبرني به الحسن بن علي عنه ، حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبيّ : أنّ مصعب بن الزّبير لمّا وليَ العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام ، وبها يومئذٍ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة ، وقتل عمرو بن سعيد ، وكان أسماء أُمَويّ الهوى ، فهدم مصعب بن الزّبير داره وحرقها ، فقال عبد الله بن الزَّبير في ذلك : [من الطويل]

تأوّب عين ابن الزَّبير سهودها

وذكر القصيدة بأسرها ، وهذا الخبر أصحّ عندي من الأوّل ، لأنّ الحسن بن علي حدَّثني قال : حدَّثنا أُحمد بن سعيد الدمشقيّ قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي مصعب قال : لمّا ولي مصعب بن الزّبير العراق ، دخل إليه عبد الله بن الزَّبير الأسديّ ، فقال له : إيهٍ يا ابن الزّبير ، أنت القائل : [من الطويل]

إلى رَجَب السبعينَ أو ذاك قبلَه تصبِّحكمْ حُمر المنايا وسُودُها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينُهم كتائبُ فيها جَبْرَئيلُ يَقودُها

فقال : نعم أنا القائل لذلك ، وإنّ الحقِين ليأبى العِذْرة[1] ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، فاصنع ما أنت صانع ؛ فقال : أما إنّي ما أُصنع بك إلاّ خيراً ، أحسن إليك قوم فأحببتَهم وواليتَهم ومدحتَهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ، وردّه إلى منزله مكرَّماً ، فكان ابنُ الزَّبير بعد ذلك يمدحه ويَشِيد بذكره ، فلمّا قتل مصعب بن الزُّبير اجتمع ابن الزَّبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيانَ في مجلس ، فعرف ابنُ الزَّبير خَبره ، وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزُّبير ، فاستقبَلَه بوجهه وقال له : [من الطويل]

أَبا مطر شَلَّت يمينٌ تفرَّعتْ بسيفك رأسَ ابنِ الحَوارِيِّ مصعبِ

فقال له ابنُ ظَبْيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ قال : لا نجاة ، هيهات ! «سَبَق السيفُ

1 المثل «أبى الحقين العذرة» في مجمع الميداني 1 : 42 وجمهرة العسكري 1 : 28 ومستقصى الزمخشري 1 : 31 ، ومعناه أن اللبن المحقون يكذب الاعتذار بعدم وجود اللبن ، يُضرب للرّجل يعتذرُ ولا عُذْرَ له .

العَذَلَ[1]» ، قال : فكان ابن ظبيانَ بعد قتلِه مصعباً لا يَنتفع بنفسِه في نوم ولا يَقَظة ، كان يهوَّل عليه في منامه فلا ينام ، حتى كَلَّ جسمُه ونُهِك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

[عبيد الله بن زياد يجيزه]

وقال ابن الأعرابيّ : لمّا قدِم ابنُ الزَّبير من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه ، فأوصله إليه ، ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذِن له ، فأنشده قصيدته التي أوّلها[2] : [من الطويل]

صوت

أصَرْمٌ بليلى حادِثٌ أم تجنُّبُ ... أم الحبل منها واهِنٌ متقضّبُ
أم الودّ من ليلي كعهدي مكانه ... ولكنّ ليلى تستزيد وتَعتبُ

غَنّى في هذين البيتين حُنين ثاني ثقيل عن الهشاميّ . [من الطويل]

ألم تعلمي يا لَيْلَ أنّيَ ليّنٌ ... هَضومٌ وأنّي عَنْبَسٌ حين أُغضبُ[3]
وأنّي متى أُنفقْ من المال طارِفاً ... فإنّيَ أرجو أن يَثُوبَ المثوّبُ
أأَنْ تَلِفَ المالُ التِّلادُ بحقِّه ... تَشَمَّسُ ليلى عن كلامي وتَقْطِبُ
عشيةَ قالت والركابُ مُناخةٌ ... بأكوارِها مشدودةً : أين تذهبُ ؟
أفي كلّ مصرٍ نازحٍ لك حاجةٌ ... كذلك ما أمرُ الفتى المتشعِّبُ
فوالله ما زالت تُلبِّثُ ناقتي ... وتقسم حتى كادت الشمسُ تغربُ
دعينيَ ما للموت عنّيَ دافعٌ ... ولا للذي ولّى من العيش مَطْلَبُ
إليك عبيدَ الله تَهوي ركابُنا ... تَعسَّفُ مجهولَ الفلاة وتدأبُ
وقد ضمرت حتّى كأنّ عيونَها ... نِطافُ فَلاةٍ ماؤها متصبّبُ
فقلت لها : لا تشتكي الأَيْنَ إنّه ... أمامَكِ قَرْمٌ من أُميّة مُصْعَبُ[4]
إذا ذَكروا فضلَ امرىء كان قبلَه ... ففضلُ عبيدِ الله أثرى وأطيَبُ

---

1 المثل «سبق السيف العذل» في مجمع الميداني 1 : 73 وفصل المقال 67 ومستقصى الزمخشري 2 : 115 وجمهرة العسكري 1 : 377 .

2 شعره : 49-51 .

3 الهضوم : المنفق لماله . والعنبس : الأسد .

4 الأين : الاعياء . ومصعب : مسوّد .

وأنّك لو يُشفِي بك القَرْحُ لم يُعد | وأنت على الأعداء نابٌ ومِخلبُ
تصافى عبيدُ الله والمجدُ صفوةَ الـ | ـحليفين مـا أرسى ثَبِيرٌ ويَثْرِبُ
وأنـت إلى الخيرات أوّل سابق | فأبشِر ، فقد أدركتَ ما كنتَ تطلبُ
أعِنّي بسَجْل مـن سِجالك نافع | ففي كلّ يوم قد سَرى لك مِحلبُ[1]
فإنّك لـو إيّـاي تطلب حاجةً | جرى لك أهلٌ في المقال ومَرْحَبُ

قال : فقال له عُبيد الله ، وقد ضحك من هذا البيت الأخير : فإنّي لا أطلب إليك حاجة ، كم السَّجل الذي يُرويك ؟ قال : نوالُك أيّها الأمير يكفيني ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[الصديق المتغيّر]

قال ابن الأعرابيّ : كان نُعَيم بنٌ دُجانة بنِ شَدّاد بن حُذَيفة بن بكر بن قيس بن مُنقِذ بن طَريف صديقاً لعبد الله بن الزَّبير ، ثم تغيَّر عليه ، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك[2] : [من الوافر]

أَلا طرقـتْ رُوَيمةُ بعـد هَدْءٍ | تَخَطَّى هـولَ أنمـارٍ وأُسْدِ[3]
تجُـوس رحالنـا حتى أتتنا | طُروقاً بـين أعـرابٍ وجُنْدِ
فقالت : مـا فعلتَ أبا كثيرٍ | أصحَّ الودُّ أم أخلفتَ عهدي ؟
كأنّ المسك ضمّ على الخُزامى | إلى أحشائها وقضيـبَ رَنْـدِ
ألا مَـن مُبْلِـغ عنّـي نُعيْما | فسوف يجرِّبُ الإخوانَ بعدِي
رأيتك كالشموس تُرى قريباً | وتمنـع مسحَ ناصيـةٍ وخَدِّ
فإنّي إن أَقَـعْ بـك لا أُهَلِّلْ | كوقع السيف ذي الأَثْر الفِرِندِ[4]
فـأَوْلى ثـم أَوْلى ثـم أَوْلى | فهـل للدَّرِّ يُحْلَب من مَرَدٍّ ؟

[قسوة عبد الله بن الزّبير على أخيه]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني عيسى بنُ إسماعيل تِينة ، وأخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ عن خالد بنِ سعيد عن أبيه قال : كان عبد الله بن الزَّبير صديقاً لعمرو بن الزُّبير بن العوّام ، فلمّا أقامه أخوه[5] ليُقتصّ منه بالغ كلّ ذي

1 السجل : الدلو العظيمة مملوءة .
2 شعره : 71–72 عن الأغاني .
3 أنمار وأسد : رجال شجعان كالنمور والأسود .
4 هلل عن الأمر : جبن وفزع .
5 أي عبد الله بن الزّبير .

حِقدٍ عليه في ذلك ، وتدسّس فيه من يتقرّب إلى أخيه ، وكان أخوه لا يسأل من ادّعى عليه شيئاً بيّنةً ، ولا يطالبه بحجّة ، وإنّما يقبل قوله ثم يُدخله إليه السجنَ ليقتصّ منه ، فكانوا يضربونه والقيْحُ ينتضِح من ظهره وأكتافِه على الأرض لشدّة ما يمرّ به ، ثم يُضرَب وهو على تلك الحال ، ثم أُمِر بأن يُرسَل عليه الجِعْلان ، فكانت تدِبّ عليه فتثقُب لحمه ، وهو مقيّد مغلول ، يستغيث فلا يغاث ، حتى مات على تلك الحال ، فدخل الموكَّل به على أخيه عبد الله بن الزَّبير وفي يده قدحُ لبن يريد أن يتسحَّر به وهو يبكي فقال له : ما لك ؟ قال : أمات عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أبْعده الله ، وشرب اللبن ، ثم قال : لا تُغسِّلوه ولا تكفِّنوه ، وادفنوه في مقابر المشركين ، فدُفِن فيها ، فقال ابن الزَّبير الأسديّ يرثيه ويؤنّب أخاه بفعله ، وكان له صديقاً وخِلاًّ ونديماً[1] : [من الطويل]

أيـا راكِبـاً إمّـا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ ... كبيرَ بني العوّام إن قيـل مَن تَعني
ستعلم ، إن جالت بك الحربُ جولةً ... إذا فَوّق الرامون ، أسهم مَن تُغْني
فأصبحتِ الأرحامُ حـين وَليتها ... بكفّيـك أكراشاً تُجـرُّ على دِمْنِ
عقدتـمْ لعمـرو عُقـدةً وغَدرتُمُ ... بأبيضَ كالمصباح في ليلة الدَّجْنِ
وكبَّلتـه حَـوْلاً يجـود بنفسه ... تَنُوء بـه في ساقـه حَلَقُ اللَّبْنِ[2]
فما قـال عمرو إذ يجود بنفسه ... لضاربه ، حتى قضى نَحبَه : دَعْنِي
تحـدِّثُ مَـن لاقيتَ أنّك عائـذٌ ... وصرَّعتَ قَتلى بين زمزمَ والرُّكنِ[3]
جعلتم لضرب الظَّهرِ منه عِصِيَّكم ... تُراوِحُـه ، والأَصْبَحِيَّـةُ للبطنِ[4]
تُعـذِّر منـه الآن لّمـا قتلتَـه ... تَفاوُتَ أرجاءِ القليبِ مـن الشَّطْنِ[5]
فلَم أرَ وَفْـداً كان للغـدرِ عاقِـداً ... كوفدِكَ شدُّوا غيرَ مُوفٍ ولا مُسْنِي[6]
وكنتَ كذاتِ الفِسقِ لم تدرِ ما حَوَتْ ... تَخَيَّرُ حالَيْهـا أتسرق أم تـزني
جزى الله عنّي خالداً شرَّ مـا جَزى ... وعُروةَ شرّاً ، مِن خليلٍ ، ومن خِدنِ[7]

1 شعره : 133–136 .
2 اللبن : الضرب الشديد .
3 كان عبد الله بن الزَّبير يدعى العائذ لأنه عاذ بالبيت الحرام .
4 الأصبحية : السياط .
5 تعذر : تتكلّف العذر . والقليب : البئر . والشَطَن : الحبل الطويل .
6 أسناه : رفعه .
7 خالد وعروة أخوا عبد الله بن الزَّبير .

قتلتم أخـــاكم بالسِّياطِ سفاهـــةً … فيا لَكَ لِلـــرأي المضلَّـــل والأفْنِ[1]
فلـــو أنّكـــمْ أجهزتـــم إذ قتلتُـــم … ولكـــنْ قَتلتمْ بالسِّياطِ وبالسِّجْنِ
وإنّي لأرجو أن أرى فيك ما ترى … به من عِقاب الله مـا دونه يُغنِي
قطعتَ مـــن الأرحام ما كان واشِجاً … على الشَّيبِ ، وابتعتَ المخافةَ بالأمنِ
وأصبحت تَسعى قاسِطاً بكتيبةٍ … تهدِّمُ مـا حول الحَطِيم ولا تبني[2]
فـلا تَجْزَعَـنْ من سُنَّةٍ قد سَنَنْتَها … فما للدماء الدهرَ تُهْرَق مِن حَقْنِ[3]

[رثاء يعقوب بن طلحة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الخرّاز عن المدائنيّ قال : قتل يعقوب بن طلحة بن عبيد الله يوم الحَرَّة ، وكان يعقوب ابن خالة يزيد بن معاوية فقال يزيد : يا عجباً قاتلني كلّ أحد حتى ابن خالتي ! قال : وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكَرَوَّس ، فقال ابن الزَّبير الأَسَديّ يرثيه[4] : [من الطويل]

لعمرك مـــا هـــذا بعيش فيُبْتَغى … هنيء ولا مـــوتٍ يُريحُ سريعِ
لعمري لقد جـــاء الكَرَوَّسُ كاظماً … على أمـــرِ سَوْءٍ حين شاع فظيعِ
نعى أسرةً يعقوبُ منهم فأقفرتْ … منازلُهـــم مـــن رُومـــةٍ فبَقِيعِ[5]
وكلّهمُ غيـــثٌ إذا قُحِـــط الورى … ويعقـــوبُ منهـــم للأنـــامِ ربيعُ[6]

وقال ابن الأعرابيّ : كان على ابن الزَّبير دَين لجماعة ، فلازموه ومنعوه التصرّف في حوائجه ، وألحّ عليه غريم له من بني نَهْشَل يقال له : ذئب ، فقال ابن الزَّبير[7] : [من الطويل]

أحابِسَ كيدِ الفيل عن بطن مكّةٍ … وأنتَ على ما شئتَ جمُّ الفواضلِ[8]
أرِحْني من اللائي إذا حَلّ دَينُهم … يمشُّون في الدارات مشيَ الأراملِ[9]

---

1 الأفن : ضعف العقل والرأي .
2 قاسط : ظالم جائر .
3 تهرق في ل : ما عشت .
4 شعره : 96–97 .
5 رومة : أرض بالمدينة . والبقيع : مقبرة أهل المدينة .
6 في البيت إقواء .
7 شعره : 113–114 عن الأغاني .
8 حابس كيد أصحاب الفيل عن مكّة هو الله . فهذا دعاء .
9 هذا البيت شاهد على استعمال «اللائي» بمعنى الذين .

إذا دخلوا قالوا : السلام عليكم وغير السلام بـالسلام يُحـاوِلُ[1]
أَلِـينُ إذا اشتدّ الغريــم وألتوي إذا استدّ حتى يُدركَ الدينَ قابلُ[2]
عرضت على «زَيْد» ليأخذ بعض ما يحاولــه قبـل اشتغال الشواغلِ[3]
تثاءب حتـــى قلتُ : داسِع نفسِه وأخـــرجَ أنيابـاً لـــه كالمَعاوِلِ[4]

[دخوله المدينة مع مروان بن الحكم]

وقال ابن الأعرابيّ : استجار ابن الزَّبير بمروانَ بنِ الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أمّ الحكَم ، فأجاراه وقاما بأمره ، ودخل مع مروان إلى المدينة ، وقال في ذلك[5] : [من الطويل]

أجِدِّي إلى مَـرْوانَ عَدْواً فَقَلِّصي وإلاّ فرُوحي واغتــدِي لابن عامرِ
إلى نفــرٍ حَـــول النبــيِّ بيوتُهــم مكاريمُ للعـــافي رِقــاقُ المآزِرِ[6]
لهمْ سورة في المجد قد عُلِمتْ لهم تُذَبذِبُ بـــاعَ المتعَـــب المتقاصِرِ
لهم عامـر البَطْحاء من بطن مكّة ورُومــة تسقى بالجمال القياسِرِ[7]

[حبسه زفر لأمويته]

وقال ابن الأعرابيّ : عرض قوم من أهل المَدْراء[8] لابن الزَّبير الأسديّ في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقَرْقِيسياء[9] ، فاستعدَوا عليه زُفَرَ بن الحارث الكِلابيّ وقالوا : إنّه أُمويّ الهوى ، وكانت قيس يومئذ زُبَيْرية ، وقَرقيسياء وما والاها في يد ابن الزَّبير ، فحبسه زفر أيّاماً وقيّده ، وكان معه رفيق من بني أميّة يقال له : أبو الحَذْراء ، فرحل وتركه في حبسه أيّاماً ، ثم تكلّمتْ فيه جماعة من مُضَر ، فأُطلق ، فقال في ذلك[10] : [من الطويل]

1 في البيت هذا والذي بعده إقواء .
2 في مجموع الشعر : «إذا لان حتى يدرك الدين قابلي» وهي رواية التاج .
3 في مجموع الشعر : «عرضت على ذئب» وهو أقرب إلى الصواب .
4 داسع : فاعل من الدسع وهو الدفع ، ودسعه كدفعه وزناً ومعنى .
5 شعره : 90 عن الأغاني .
6 رقاق المآزر : كناية عن النعيم والترف .
7 القياسر : الإبل الضخمة القوية .
8 أهل المدراء : الحضر .
9 قرقيسياء : بلد على الفرات .
10 شعره : 67–68 عن الأغاني .

أغـادٍ أبـو الحَـدْراء أم متروِّحُ ؟ كذاك النَّـوى ممّـا تُجِدّ وتَمزحُ
لعمري لقد كانـت بلادٌ عريضةٌ لي الرَّوْحُ فيهـا عنك والمتسرَّحُ[1]
ولكنّه يدنـو البغيضُ ويبعد الـ ـحبيبُ وينأى في المَـزارِ وينزَحُ
ألا ليت شعري هل أتى أُمَّ واصلٍ كُبُولٌ أعَضُّوها بساقَـيَّ تَجْرَحُ
إذا ما صرفتُ الكعبَ صاحت كأنّها صريفُ خَطاطيفٍ بدَلوين تَمتَحُ[2]
تُبَغّـي أباهـا في الرفـاق وتنثني وألـوى به في لُجَّةِ البحر تِمْسَحُ[3]
أمرتحِلٌ وفـدُ العـراق وغُودِرت تحِـنُّ بأبـواب المدينـة صَيْدَحُ[4]
فإنّـكِ لا تدريـن فيمـا أصابني أريثُكِ أم تعجيـلُ سَيرِكِ أنجَحُ
أظَنَّ أبـو الحدراء سَجني تجارةً ترجَّى ومـا كلّ التجارة تَربحُ !

[القتل أو اللحاق بالمهلّب]

أخبرني محمد بن عمرانَ الصَّيرفيُّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل قال : حدَّثني محمد بن معاوية الأسديّ قال : لما قدم الحجّاج الكوفة والياً عليها صعِد المِنبرَ ، فخطَبَهم فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوىء الأخلاق ، إنّ الشيطان قد باض وفرّخ في صدوركم ، ودبَّ ودَرج في حُجوركم ، فأنتم له دِين ، وهو لكم قرين ، ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً﴾ . ثم حثّهم على اللَّحاق بالمهلَّب بن أبي صُفرة ، وأقسم ألاّ يجدَ منهم أحداً اسمُه في جريدة المهلّب بعد ثالثة بالكوفة إلاّ قتله ، فجاء عُمَير بن ضابىء البُرْجُميّ فقال : أيّها الأمير ، إنّي شيخ لا فضل فيَّ ، ولي ابنٌ شابٌّ جَلْد ، فاقبله بدلاً منّي ؛ فقال له عَنبسة بن سعيد بن العاص : أيّها الأمير ، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول ، فرفَسَه وكسرَ ضِلْعين من أضلاعه ، وهو يقول :

أين تركتَ ضابئاً يـا نَعْثَلُ

فقال له الحجّاج : فهلاّ يومئذ بعثتَ بديلاً ، يا حَرَسيّ ! اضربْ عنقه ، وسمع الحجّاج ضَوءضاء ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هذه البراجم جاءت لِتنصُر عميراً فيما ذكرَت ، فقال :

---

1 الروح : الراحة . والمتسرح : انفراج الضيق .
2 صرفت : حركت . والخطاطيف : جمع خطاف وهو حديدة حجناء في جانبي البكرة . والصريف : صوت البكرة عند الاستسقاء .
3 تمسح : تمساح .
4 صيدح : اسم ناقة ذي الرمة ، ويبدو أنه اسم ناقة ابن الزّبير أيضاً .

أتحفوهم برأسه ، فرموهم برأسه ، فولّوا هاربين ، فازدحم الناسُ على الجِسر للعُبور إلى المهلّب حتى غرق بعضُهم ، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ[1] : [من الطويل]

أقـــول لإبراهيـــمَ لَمّـــا لقيتُـــه أرى الأَمر أُمسى واهيـاً متشعبا[2]
تخيرْ فإمّا أن تزور ابن ضابىءٍ عميراً وإمّا أن تـــزور المهلَّبـا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجاؤك منهما ركوبُك حَوْلِيّاً من الثلج أشهبا[3]
فأضحى ولو كانت خُراسانُ دونَه رآها مكان السَّوقِ أو هـــي أقربا

[مصعب لا يقبل مديحه]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدَّثني علي بن عَثّام الكلابيّ قال : دخل عبد الله بن الزَّبير الأسديُّ على مصعب بن الزُّبير بالكوفة لّما وَلِيَها وقد مدحه ، فاستأذنه الإنشاد ، فلمْ يأذن له ، وقال له : ألَم تُسقِط السماء علينا وتمنعْنا قَطْرها في مديحك لأسماءَ بن خارجة ؟ ثم قال لبعض من حضر : أنشِدْها ، فأنشَدَه[4] : [من الوافر]

إذا مات ابنُ خارجةَ بن حِصنٍ فلا مَطَرتْ على الأرض السماءُ
ولا رجعَ الوُفود بغُنم جيشٍ ولا حَملتْ على الطُّهر النساءُ
ليَـومٌ منـك خيرٌ مـن أُناسٍ كثيرٍ حَولَهـم نَعَـمٌ وشاءُ
فبُـورِك في بنيـك وفي أَبيهمْ إذا ذُكِروا ونحـن لك الفداءُ

فالتفت إليه مصعب وقال له : اذهب إلى أسماء ، فما لك عندنا شيء ، فانصرف ، وبلغ ذلك أسماء ، فعوّضه حتى أرضاه ، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك ، وخُصّ به ، وسمع مديحَه ، وأحسن عليه ثوابَه .

[مع بشر بن مروان]

قال ابن الأعرابيّ : لِما ولِي بشر بن مروانَ الكوفةَ أدنى عبدَ الله بنَ الزّبير الأسديّ وبرَّه وخصَّه بأنسه ، لعلمه بهواه في بني أميّة ، فقال يمدحه[5] : [من الطويل]

---

1 شعره : 54–56 .
2 في رواية :
أقـول لعبد الله يـــوم لقيتـــه أرى الأمر أمسى منصباً متشعبا
3 أي هناك أمران فيهما الهوان والهلاك ، ولا ينجي منهما إلاّ اللجوء إلى جبل يغطيه الثلج طوال العام .
4 شعره : 47–48 .
5 شعره : 80 عن الأغاني .

أَلَمْ تَـرَني والحمـد لله أنّنـي ... برئـت وداواني بمعْروفِـه بِشرُ
رعـى مـا رعى مروانُ مِنّيَ قَبلَه ... فصحَّت له منّي النصيحة والشكرُ[1]
ففي كلّ عام عاشَه الدهرَ صالحاً ... عليّ لـربّ العالَمـين لـه نَذْرُ
إذا مـا أَبو مـروان خَلَّى مكانَه ... فلا تَهنـأ الدنيا ولا يُرسَل القطرُ
ولا يَهنِىء النـاسَ الولادةُ بينهم ... ولا يَبقَ فوق الأرض من أَهلها شَفْرُ[2]
فليس البحـور بالتـي تخبرونني ... ولكن أَبو مروان بشرٌ هـو البحرُ

وقال فيه أيضاً فذكر أمّه قُطْبة بنت بشر بن مالكٍ مُلاعب الأسنّة[3] : [من الكامل]

جاءت بـه عُجُـزٌ مقابَلـةٌ ... مـا هن مِن جَرْم ومن عُكْلِ[4]
يا بشرُ يـا ابن الجعفريّة ما ... خَلَـق الإلـهُ يديْك للبُخلِ
أنتَ ابـن سادات لأَجمَعِهم ... في بطـن مكَّـةَ عـزَّةُ الأَصلِ
بحـر مـن الأعياصِ جُدْن به ... في مغـرِسٍ للجُـودِ والفضلِ
متهلّـلٌ تَنْـدى يَـداه إذا ... ضنَّ السحاب بوابـلٍ سَجْلِ

[خبره مع الحجاج]

أَخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ قال : حدَّثنا العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش قال : أخبرني مشيخةٌ من بني أسد أن ابن الزَّبير الأسديَّ لمّا قفل من قتال الأزارقة صُوِّب[5] بعثٌ إلى الرَّيّ ، قال : فكنتُ فيه ، وخرج الحجّاج إلى القنطرة يعني قنطرةَ الكوفة التي بزُبارَةَ لِيَعرِض الجيشَ ، فعرضهم ، وجعل يسأل عن رجلٍ رجلٍ من هو ؟ فمرّ به ابنُ الزّبير ، فسأله من هو ؟ فأخبره ، فقال أَنت الذي تقول : [من الطويل]

تَخيَّرْ فإمّا أَن تزور ابنَ ضابىءٍ ... عُمَيراً ، وإمّـا أن تزور المهلَّبا

قال ، بلى ، أَنا الذي أَقول[6] : [من الطويل]

1 النصيحة في ل : الصنيعة .
2 شفر : أحد ، وفي رواية «سفر» .
3 شعره : 107-108 .
4 عجز : جمع عجوز . مقابلة : كريمة النسب من الأب والأم وجرم وعكل : بطنان من عرب اليمن . وعكل ترمى بالغباوة وقلّة الفهم .
5 صوب : أرسل .
6 شعره : 69-70 .

أَلَم تَـرَ أنّي قـد أُخـذتُ جَعِيلةً وكنتُ كمَن قاد الجَنيبَ فأسمَحا[1]

فقال له الحجّاج : ذلك خير لك ، فقال : [من الطويل]

وأُوقَدَتِ الأَعداء يـا مَـيَّ فاعلَمي بكلّ شَرًى نـاراً فلَمْ أَرَ مَجْمَعا[2]

فقال له الحجّاج : قد كان بعض ذلك ، فقال : [من الطويل]

ولا يَعدَم الدّاعي إلى الخير تابعـاً ولا يَعدَم الدّاعي إلى الشرّ مَجْدَحا[3]

فقال له الحجّاج : إن ذلك كذلك ، فامض إلى بَعْثِك ، فمضى إلى بعثه فمات بالرّيّ .

[سبب هجائه ابن أمّ الحكم الأسديّ]

أُخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قـال : حدَّثـني عمِّي قال : لما وليَ عبدُ الرحمن ابن أمّ الحكم الكوفة ، مدحه عبد الله بن الزَّبير الأسدي فلم يُثِبه ، وكان قدِم في هيئة رثّة ، فلمّا اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبّر ، فقال ابن الزَّبير فيه[4] : [من الطويل]

تبقّلْت لـمـا أن أُتيتَ بلادكمْ وفي مصرنا أنت الهمام القَلَمَّسُ[5]

ألستَ ببغـــل أمّــه عربيّــة أبـوك حمار أدبرُ الظهرِ يُنخَسُ

قال : وكان بنو أميّة إذا رأوا عبدَ الرحمن يلقّبونه البغلَ ، وغلبتْ عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً ، يظنّه يعرّض به .

[تشفيه بقتل عبد الله بن الزّبير]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ عن العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : لمّا قُتِل عبد الله بن الزُّبَير صلب الحَجّاج جسدَه ، وبعث برأسه إلى عبد الملك ، فجلس على سريره وأُذِن للناس فدخلوا عليه ، فقام عبدُ الله بن الزَّبير الأسديّ فاستأذنه في الكلام ، فقال له : تكلّم ولا تقل إلاّ خيراً ، وتوخّ الحقَّ فيما تقولُه ، فأنشأ يقول[6] : [من الطويل]

مشى ابن الزُّبَير القَهْقَرى فتقدّمت أميّــة حتّــى أحرزوا القَصَباتِ

1 الجعيلة : ما يجعل للمرء على عمله . الجنيب : الذي يقاد إلى الجنب . وأسمحَ : لان وانقاد .
2 الشرى : الطريق والناحية . ومجمح : مفر ومهرب .
3 جدح السويق : لته . ومجدع : خشبة يحرك بها .
4 شعره : 94 . وفيه «تثعلبت» بدلاً من «تبتلت» .
5 تبقّلت في مجموع شعره : بثعلبت . القلمس : البحر ، والرجل الخير المعطاء والسيد العظيم .
6 شعره : 64 .

وجئتَ المجلّي يا ابنَ مروان سابقاً أمامَ قريش تنفُض العُذُراتِ[1]
فلا زلتَ سبّاقاً إلى كلّ غاية من المجد نجّاء من الغمَراتِ[2]

[في المُحِلّ الحجّاج]

قال : فقال له : أحسنت فسل حاجتك : فقال له : أنت أعلى عيناً بها وأرحَبُ صَدْراً يا أمير المؤمنين ؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال : لا ، ولكن أبياتك في المُحِلّ[3] فيّ وفي الحجّاج التي قلتَها : فأنشده[4] : [من الطويل]

كأنّي بعبد الله يركب رَدْعَه وفيه سنان زاعِبيٌّ مُحَرَّبُ[5]
وقد فرّ عنه الملحِدون وحلّقتْ به وبمن آساه عَنقاءُ مُغْرِبُ[6]
تولّوا فخلّوه فشالَ بشِلوه طويل من الأجذاع عارٍ مُشذَّبُ
بكفَّيْ غلام من ثقيفٍ نَمَت به قريش وذو المجد التليدُ مُعتَّبُ

فقال له عبدُ الملك : لا تقل غلام ، ولكن هُمام ، وكتب له إلى الحجّاج بعشرة آلاف درهم أُخرى ؛ والله أعلم .

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد قال : قَتَل ابنُ الزُّبير من شيعة بني أميّة قوماً بلغه أنّهم يتجسّسون لعبد الملك ، فقال فيه عبد الله بنُ الزَّبير في ذلك يهجوه ويعيِّره بفعله[7] : [من الرمل]

أيّها العائذ في مكّة كَمْ من دمٍ أهرَقْتَه في غير دمْ[8]
أيَدٌ عائذةٌ معصمةٌ ويد تقتل مَن حلَّ الحَرَمْ ![9]

1 العذرة : الناصية .
2 الغمرة : الشدّة .
3 كان عبد الله بن الزُّبير يدعى «المحل» لاحلاله القتل في الحرم .
4 شعره : 52 .
5 يقال للقتيل «ركب ردعه» إذا خر لوجهه على دمه . والسنان المحرب : المحدد . والزاعبي : المنسوب إلى زاعب ، ولعلّه اسم رجل أو بلد ، وهو الرمح الذي إذا هز تدافع كلّه (اللسان ـ زعب) .
6 عنقاء مغرب : أي التي أغربت في البلاد فنأت ولم تحس ولم ترَ .
7 شعره : 132 .
8 أهرقته في شعره : أجريته .
9 حلّ في شعره : جاء .

[مدائحه في بشر بن مروان]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه ، والكتاب بخطّ النضر بن حديد من أخبار عبد الله بن الزّبير وشعرِه ، قال : دخل عبد الله بن الزّبير على بشر بن مروانَ وعليه ثياب كان بشرٌ خلَعَها عليه ، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه ، فجفاه ، فلمّا وصل إليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمّل مَن حَوالَيه من بني أميّة ، ويجيل بصرَه فيهم كالمتعجّب من جمالهم وهيئتهم ، فقال له بشر ، إن نظرك يا ابن الزَّبير ليدلّ أنّ وراءَه قولاً ؛ فقال : نعم ، قال : قل ؛ فقال[1] : [من الوافر]

كأنّ بنـي أميّـة حـول بشر ... نجومٌ وَسْطَهـا قمـر منيرُ
هـو الفرع المقدَّم مـن قريش ... إذا أخذتْ مآخِذَهـا الأمورُ
لقـد عمت نوافلُـه فأضحى ... غنيّـاً مِـن نوافلـه الفقيرُ
جبَرْتَ مَهِيضَنا وعَدَلْتَ فينـا ... فعـاش البائس الكَلُّ الكَسِيرُ[2]
فأنت الغيثُ قد علمتْ قريش ... لنـا ، والواكِفُ الجَوْنُ المَطِيرُ[3]

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضيَ عنه ، فقال ابن الزَّبير[4] : [من الطويل]

لِبِشرِ بنِ مـروانٍ على الناس نعمة ... تـروح وتغـدو لا يطـاقُ ثوابُها
بـه أمّن الله النفوسَ مـن الرّدى ... وكانـت بحـال لا يَقَـرُّ ذُبابُها[5]
دمغْتَ ذوي الأضغان يا بشر عَنوةً ... بسيفك حتى ذَلَّ منهـا صِعابُها
وكنت لنا كهفاً وحِصناً ومَعقِلاً ... إذا الفِتنة الصّمّاء طارت عُقابُها[6]
وكم لك يا بشر بنَ مروانَ من يدٍ ... مهذَّبـةٍ بيضـاءَ راسٍ ظِرابُها[7]
وَطَدْتَ لنـا ديـنَ النبيّ محمـدٍ ... بحلمك إذ هرَّت سَفاهاً كِلابُها
وسُدتَ ابنَ مروانٍ قريشاً وغيرَها ... إذا السنةُ الشهباءُ قـلَّ سَحابُها[8]

1 شعره : 82-83 .
2 هاض العظم : كسره بعد أن جبر أوكاد .
3 الجون هنا : السحاب الأسود .
4 شعره : 62-63 .
5 الذباب : الشر .
6 الكهف : الملجأ . والفتنة الصماء : التي لا سبيل إلى تسكينها .
7 الظراب : الجبل المنبسط .
8 السنة الشهباء : المجدبة .

رَأَبْتَ ثَآنـا واصطنعـتَ أياديـاً إلينا ونـارُ الحـربِ ذاكٍ شِهابُها[1]

قال النضر بن حديد في كتابه هذا : ودخل عبد الله بنُ الزَّبير إلى بشر بنِ مروان متعرّضاً له ويُسمِعَه بيتاً من شعره فيه ، فقال له بشر : أراك متعرّضاً لأن أسمع منك ، وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودّك شيئاً ؟ لقد نزحتَ فيه بحرَك يا ابنَ الزَّبير ؛ فقال : أصلح الله الأمير ، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً ، وكانت له عندي أيادٍ كثيرة ، وكنتُ لمعروفه شاكراً ، وأيادي الأمير عندي أجلّ ، وأمَلِي فيه أعظم ، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبِل به ميسورهم ، وإن أذن لي في الإنشاد رجوتُ أن أوفَّق للصواب . فقال : هات ، فقال[2] : [من الطويل]

تداركنـي بشرُ بنُ مـروانَ بعدما تعاوَتْ إلى شِلوِي الذئابُ العواسِلُ[3]
غِياث الضعاف المُرمِلين وعصمةُ الـ ـيتامى ومَـنْ تأوي إليهِ العباهلُ[4]
قَريعُ قريشٍ والهمـامُ الذي لـه أقرَّت بنـو قحطان طُرّاً ووائلُ[5]
وقيسُ بن عَيـلانٍ وخِنْدِفُ كلُّها أقرّت وجِنُّ الأرض طُرّاً وخابِلُ[6]
يداك ابنَ مروان يـدٌ تقتل العدا وفي يدك الأُخرى غياثٌ ونائلُ[7]
إذا أمطرَتْنا منك يومـاً سحابةٌ رَوِينا بمـا جادت علينا الأناملُ
فلا زلت يا بشر بن مروانَ سيّداً يُهـلّ علينـا منـك طَلٌّ ووابلُ
فأنت المصفَّى يا ابن مروانَ والذي توافـت إليـه بالعطـاء القبائلُ
يرجُّون فضلَ اللهِ عنـد دعائكمْ إذا جمَعتكـمْ والحجيجَ المنازلُ
ولولا بنـو مروان طاشت حُلومنا وكنّـا فَراشاً أحرقتْهـا الشعائلُ

[ثناء وتعرّض]

فأمر له بجائزة وكساه خِلعة ، وقال له : إنّي أُريد أن أوفِدَكَ على أمير المؤمنين ، فتهيّأْ لذلك يا ابنَ الزَّبير ، قال : أنا فاعل أيّها الأمير ، قال : فماذا تقول له إذا وفدتَ عليه ولقيته إن

1 الثأى : الإفساد .
2 شعره : 101–102 .
3 الذئب العاسل : المضطرب في عدوه .
4 المرمل : الفقير أو الذي نفد زاده . والعباهلة : الذين أُقروا على ملكهم لا يُزالون عنه .
5 القريع : السيد .
6 الخابل : الجن .
7 غياث في ل : عقاب .

شاء الله . فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال[1] : [من الطويل]

أقــول : أميرَ المؤمنــين عَصَمتَنا ببشر من الدَّهــر الكثير الزَّلازلِ[2]
وأطفــأتَ عنّــــا نــارَ كلّ منافق بأبيضَ بُهلــولٍ طويــل الحمائلِ[3]
نَمَتْــهُ قُــرومٌ مــن أُميّــة للعلا إذا افتخـر الأقـوام وَسْط المحافلِ
هـو القائد الميمونُ والعِصمة التي أتى حقُّهـا فينـا على كلّ باطلِ
أقـام لنـا الديـنَ القويـمَ بحلمِهِ ورأي لــه فضـلٌ على كلّ قائـلِ
أخـوك أمير المؤمنـين ومن بـه نُجادُ ونُسقى صَوْبَ أسحَم هاطِلِ
إذا مــا سألنا رِفــده هَطَلَت لنا سحابــة كفَّيــه َبجَــوْدٍ ووابِلِ
حليمٌ على الجُهّـال منّـا ورحمـةٌ على كلِّ حــافٍ من مَعَدٍّ وناعلِ

[شعر الفرزدق في بشر بن مروان]

فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ؟ هذا والله الشعر ، وهذه القدرة عليه ! فقال له حَجَّار بن أبجر العجليّ ، وكان من أشراف أهل الكوفة ، وكان عظيم المنزلة عند بشر : هذا أصلَح الله الأميرَ أشعرُ الناس وأحضَرُهم قولاً إذا أراد ، فقال محمد بن عمير بن عطارِد ، وكان عدوّاً لحجّار ، أيّها الأمير ، إنّه لشاعر ، وأشعَرُ منه الذي يقول[4] : [من الطويل]

لبشرِ بــنِ مــروانٍ على كلّ حالةٍ من الدَّهرِ فضلٌ في الرخاء وفي الجهدِ
قرِيــع قريش والذي بــاع مالــه ليَكسِب حَمْداً حين لا أحدٌ يُجْدِي[5]
ينافس بشر في السماحة والنّدى ليُحرز غايــاتِ المكـارمِ بالحمدِ
فكم جبرتْ كفّاك يا بِشرُ من فتًى ضَريكٍ ، وكم عيَّلت قوماً على عَمَدِ[6]
وصيّرتَ ذا فقــرٍ غنيّاً ، ومثريـاً فقيراً ، وكلاًّ قد حذوتَ بلا وعدِ

فقال بشر : من يقول هذا ؟ قال : الفرزدق ، وكان بشر مُغضَباً عليه ، فقال : ابعثْ إليه

1 شعره : 111–112 .
2 الزلازل : البلايا والشدائد .
3 أبيض : نقي العرض من الدنس والعيوب ، ولا يراد به اللون . والبهلول : السيد الجامع لكلّ خير . الحمائل : جمع حمالة ، وهي علاقة السيف . وطول الحمالة كناية عن طول القامة .
4 ديوان الفرزدق 1 : 179 .
5 يجدي : يعطي .
6 الضريك : الفقير .

فأحضِرْه ، فقال له : هو غائب بالبصرة ، وإنّما قال هذه الأبيات وبعث بها لأُنشِدَكَها ولتَرضى عنه ، فقال بشر : هيهات ! لست راضياً عنه حتى يأتيَني ، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق ، فتهيّأ للقدوم على بشر ، ثم بلغه أن البَصْرة قد جُمِعتْ له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومَه ، فقال عبد الله بن الزَّبير لمحمّد بن عُمَير في مجلسه ذلك بحضرة بِشر : [من الطويل]

بني دارمٍ هل تعرفون محمداً ... بِدعوَته فيكم إذا الأمر حُقِّقا[1]
وساميتُم قوماً كراماً بمجدكم ... وجاء سُكَيْتاً آخر القوم مخفِقا
فأصلُك دُهْمان بنُ نصرٍ فردَّهم ... ولا تك وَغْداً في تميم معلَّقا
فإن تميماً لستَ منهم ولا لهمْ ... أخاً يا ابن دُهمانٍ فلا تك أحمقا
ولولا أبو مروان لاقَيْتَ وابِلاً ... من السوط يُنسيك الرَّحيق المعتَّقا
أحينَ عَلاكَ الشيبُ أصبحتَ عاهراً ... وقلت اسقني الصَّهباء صِرفا مروَّقا
تركت شرابَ المسلمين ودينَهم ... وصاحبتَ وَغْداً من فَزارة أزرقا[2]
تبيتان من شُرب المدامةِ كالذي ... أُتيح له حبلٌ فأضحى مخنَّقا

فقال بشر : أقسمتُ عليك إلاّ كففتَ ، فقال : أفعلُ أصلحك الله ، والله لولا مكانك لأنفذتُ حِضْنَيْه[3] بالحقّ ، وكفّ ابن الزَّبير وأحسن بشر جائزته وكسوته ، وشمِت حجّار بن أبجر بمحمد بن عمير ، وكان عدوَّه ، وأقبلت بنو أسد على ابن الزَّبير فقالوا : عليك غضب الله ، أشمتَّ حجّاراً بمحمد ، والله لا نرضى عنك حتى تهجوَه هجاءً يَرضى به محمد بن عمير عنك ، أو لست تعلم أنّ الفرزدق أشعَرُ العرب ؟

قال : بلى ، ولكن محمداً ظلمني وتعرّض لي ، ولم أكن لأَحلُمَ عنه إذ فعل ، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجّاراً ، فقال[4] : [من الطويل]

سليلَ النّصارى سُدّتَ عِجلاً ولم تكن ... لذلك أهْلاً أن تسود بني عِجْلِ
ولكنّهم كانوا لئاماً فَسُدْتَهمْ ... ومثلُك من ساد اللئامَ بلا عَقْلِ
وكيف بِعجلٍ إن دنا الفِصْحُ واغتدتْ ... عليك بَنُو عجل ومِرجَلُكم يَغْلي

1 دِعوة : ادّعاء النسب إلى غير الأب أو العشيرة .
2 أزرق : أي أزرق العينين ، وكانت الزرقة مكروهة عند العرب لأنها من صفات الروم .
3 الحضن : الجنب .
4 شعره : 109 عن الأغاني .

وعندك قِسّيس النصارى وصُلْبُها وعانيّةٌ صَهْباءُ مثلُ جَنى النحلِ[1]

قال : فلمّا بلغ حجّاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان ، فقال له بشر : هجوت حجّاراً ؟ فقال : لا والله أعزّ الله الأمير ، ما هجوتُه ، لكنّه كذب عليّ ، فأتاه ناس من بني عجل وتهدّدوه بالقتل ، فقال فيهم[2] : [من الطويل]

تُهدّدني عجلٌ ، وما خِلتُ أنّني خَلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بعلُ
وما خِلتُني والدَّهرُ فيه عجائبٌ أُعمَّر حتى قد تهدّدني عِجلُ
وتُوعِدُنِي بالقتل منهم عصابةٌ وليس لهم في العزّ فرعٌ ولا أُصلُ
وعجلٌ أُسود في الرخاء ، ثعالبٌ إذا التقت الأبطال واختلف النَّبلُ
فإن تَلْقَنا عِجلٌ هناك فمالنا ولا لهمُ مِ الموتِ مَنْجًى ولا وَعْلُ[3]

[لجوؤه إلى سويد بن منجوف]

وقال النضر في كتابه : لمّا منع عبد الرحمن بن أُمّ الحَكَم عبد الله بن الزَّبير الخروجَ إلى الشام ، وأراد حبسه ، لجأ إلى سُوَيد بن مَنْجوف ، واستجار به ، فأخرجه مع بني شيبانَ في بلادهم ، وأجازه[4] عَمل ابن أُمّ الحكم ، فقال يمدحه[5] : [من الطويل]

أليس ورائي إن بلادٌ تجهَّمتْ سويدُ بنُ مَنْجُوفٍ وبكر بن وائلِ
حصونٌ بَراها الله لم يُرَ مِثلُها طِوالٌ أعاليها شِدادُ الأَسافلِ
هُم أَصْبَحوا كَنْزي الذي لَسْتُ تاركاً ونَبْلي التي أعددتُها للمُناضِلِ

[منعه حاجب بشر]

وقال أيضاً في هذا الكتاب : جاء عبد الله بن الزَّبير يوماً إلى بشر بنِ مروان ، فحجبه حاجبُه ، وجاء حجّار بن أُبجرَ فأذِن له ، وانصرف ابن الزَّبير يومئذٍ ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوساً ، فدخل إليه ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول[6] : [من الطويل]

أَلم تَرَ أنّ الله أَعطى فَخَصَّنا بأبيضَ قَرمٍ من أميّةَ أَزهرا

---

1 العانية : الخمر المنسوبة إلى عانة بلدة بالعراق .
2 شعره : 103 عن الأغاني .
3 الوعل : الملجأ .
4 أجازه : سهل له اجتياز حدود ولايته .
5 شعره : 110 عن الأغاني .
6 شعره : 85–86 .

طَلوع ثنايا المجـد ، سامٍ بطَرفـه … إذا سُئـل المعـروفَ ليس بأَوْعرا
فلولا أَبو مروان بِشْرٌ لقـد غَـدت … ركابيَ في فَيْف مـن الأَرْض أَغبرا[1]
سِراعـاً إلى عبـد العزيـز دوائبـاً … تَخلَّـلُ زَيتونـا بمصر وعَـرْعَرا
وحاربتُ في الإسلام بكـرَ بنَ وائل … كحـربِ كليـب أو أمـرَّ وأمْقَرا[2]
إذا قـادتِ الإسلامَ بَكر بـن وائلٍ … فهَـبْ ذاك دِينـا قـد تغيَّر مُهتَرا[3]
بـأيّ بـلاءٍ أم بـأيّ نصيحـةٍ … تُقـدِّم حَجّاراً أمامـي ابنَ أَبجَرا
وما زلتُ مـذ فارقتُ عثمان صادِياً … ومـروانَ مُلتاحـاً عن المـاء أزورا[4]
أَلا ليتنـي قُدِّمـتُ واللهِ قَبْلَهُـمْ … وأن أُخـي مَـرْوان كان المؤخّرا
بهم جُمِعَ الشمل الشَّتيتُ ، وأُصْلَح الـ … ـإله ، وداوى الصَّدْعَ حتـى تَجَبَّرا
قضـى الله : لا ينفـكّ منهـم خليفةٌ … كريـم يسوس الناسَ يركـبُ مِنبرا

فاعتذر إليه بشرٌ ووصلَه وحمله ، وأنكر على حاجبه ما تشكّاه ، وأَمر أن يأذن له عند إذنه لأخصِّ أَهله وأوليائه .

[الزُّبير بن الأشيم شاعر]

وقال النضر في كتابه هذا : كان الزَّبير بن الأَشْيَم ، أَبو عبد الله بن الزَّبير شاعراً ، وكان لعبد الله بنِ الزَّبير ابن يقال له الزَّبير شاعر ، فأمّا أَبوه الزّبير بن الأشيم فهو الذي يقول : [من الطويل]

أَلا يـا لقَومـي للرّقـاد المؤرِّقِ … وللرَّبْـع ، بعـد الغبْطـة ، المتفرِّقِ
وهمٍّ الفتى بالأَمْرِ من دون نَيْله … مراتبُ صعباتٌ على كُلّ مُرْتَقي
ويوم بصحراء البَدِيدَيْـنِ قِلته … بمنزلـة النُّعمـان وابـن محرِّقِ
وذلك عيش قد مَضَى كان بَعْدَه … أمورٌ أشابَـتْ كلَّ شأن ومَفْرَق
وغيَّر ما استنكرتِ يا أمّ واصلٍ … حوادثُ إلاّ تَكْسر العظم تَعرِقِ
فـراقُ حبيبٍ أَو تغيُّر حالـةٍ … من الدَّهرِ أَورامٍ لشخصي مُفوِّقِ

1 الفيف : المفازة .
2 أمقر : أمرّ .
3 أُهتر الرجل : ذهب عقله فهو مهتر .
4 الملتاح : المتغير .

على أنّني جَلْــدٌ صبورٌ مرزّأ وهل تتركُ الأيّــامُ شيئاً لمشفِقِ ؟

[شعر لابن عبد الله]

وأمّا ابنه الزّبير بن عبد الله بن الزّبير ، فهو القائل يمدح محمد بنَ عيينة بنِ أسماء بن خارجةَ الفَزاريّ : [من مجزوء الكامل]

قالــت عبيدَةُ مَوْهِنـاً أيــن اعْتَراكَ الهــمُّ أينَهْ
هــل تبلغنَّ بــك المُنى مــا كنت تأمُل في عُيينهْ
بــدرٌ لــه الشّيَم الكرا ئــم كامــلاتٌ فاعتَلَيْنَهْ
والجــوعُ يَقتُله النّــدى منــه إذا قَحْــطٌ ترَيْنَهْ
فهنــاك يَحْمَــدُه الورى أخلاق غيركم اشتكينهْ

قال : وهو القائل في بعض بني عمّه : [من الطويل]

ومولى كَداءِ البَطْنِ أو فوق دائه يزيدُ موالي الصدّقِ خيراً وينقصُ
تلوّمتُ أرجـو أن يَثُوب فيرْعَوِي بـه الحلمُ حتّى استيأسَ المتربِّصُ

[هرب إلى معاوية]

وقـال النضر في كتابه هذا : لمّا هرب ابن الزّبير من عبد الرحمن بن أم الحَكَم إلى معاوية ، أحرق عبدُ الرحمن داره[1] ، فتظلّم منه وقال : أحرق لي داراً قد قامت عليّ بمائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر ، فمَن يعرف صحّة ما ادّعيت ؟ قال : هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك ، فقال معاوية للمنذر : ما عندك في هذا ؟ قال : إنّي لم آبَهْ لنفقته على داره ومبلغها ، ولكنّي ما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها ، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة ، ففعلت ، فقال معاوية : إنّ داراً اشتُري لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم ! وأمر له بها ، فلمّا خرجا أقبل معاوية على جلسائه ، ثم قال لهم : أيّ الشيخين عندكم أكذب ؟ والله إنّي لأعرف داره ، وما هي إلاّ خِصاص قصب ، ولكنّهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا فننخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

[مدح إبراهيم بن الأشتر فأجازه]

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا : حدّثنا محمد بن زكريّا الغِلابيّ عن عبد الله بن الضحاك ، عن الهيثم بن عديّ قال : أتى عبدُ الله بن الزّبير إبراهيم بن الأشتر النّخَعيّ فقال له : إنّي قد مدحتك بأبيات فاسمعهنّ ، فقال : إنّي لست أعطي الشعراء ، فقال : اسمعْها منّي وترى

---

1 تقدّمت هذه الحكاية بشكل مختلف .

رأيك ، فقال : هات إذاً ، فأنشده قوله[1] : [من الكامل]

اللهُ أَعْطاكَ المهابَةَ والتُّقى   وأَحَلَّ بيتَك في العَدِيدِ الأَكثرِ
وأقرّ عينَك يوم وقْعَةِ خازِرٍ   والخيلُ تعثُر بالقَنا المتكسّرِ[2]
إنّي مدحتُك إذ نَبا بيَ منزلي   وذممتُ إخوانَ الغِنى مِنْ مَعْشَرِ
وعرفتُ أنّك لا تخيّب مِدْحتي   ومتى أُكن بسبيل خيرٍ أُشكرِ
فهلمّ نحوي من يمينك نَفحةً   إنّ الزمان ألحّ يا ابنَ الأَشْتَرِ

فقال : كم ترجو أن أُعطيكَ ؟ فقال : ألف درهم أُصلِح بها أَمرَ نفسي وعيالي ، فأمر له بعشرين ألف درهم .

صوت

[من الكامل]

ما هاج شوقَك من بُكاء حَمامَةٍ   تَدْعُو إلى فَنَنِ الأَراكِ حَماما
تَدعو أَخا فَرْخين صادَفَ ضارِياً   ذا مِخلبين من الصُّقُورِ قَطاما
إلاّ تَذَكُّرُكَ الأوانسَ بَعْدَما   قطع المطيُّ سَباسباً وهُياما

الشعر لثابت قُطْنة ؛ وقيل إنّه لكعب الأشقريّ ، والصحيح أنّه لثابت ، والغناء ليحيى المكّيّ ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، من رواية ابنه والهشاميّ أيضاً .

1 شعره : 91 عن الأغاني .
2 خازر : نهر بين اربيل والموصل كانت عنده معركة قتل فيها عبيد الله بن زياد . وكان إبراهيم بن الأشتر قد خرج مع المختار الثقفيّ .

[271] ـ أخبار ثابت قطنة[1]

[نسبه]

هو ثابت بن كعب ، وقيل ابن عبد الرحمن بنِ كعب ، ويكنى أبا العَلاء ، أخو بني أسد بن الحارث بن العَتِيك ؛ وقيل : بل هو مولى لهم ، ولقّب قطنةَ لأنّ سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب التّرك ، فكان يجعل عليها قطنة . وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان في صحابة يزيد بن المهلّب ، وكان يولّيه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيُحمد فيها مَكانُه لكفايته وشجاعته .

فأخبرني إبراهيم بن أيّوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مُسْلِم بن قُتَيبة ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان ثابت قطنة قد ولي عملاً من أعمال خراسان ، فلمّا صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام ، فتعذَّر عليه وحَصِر ، فقال : ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ ، وبعد عِيٍّ بَياناً ، وأنتم إلى أمير فعّال ، أحوجَ منكم إلى أمير قوّال : [من الطويل]

وإلاّ أكـن فيكـمْ خطيباً فإنّني بسَيْفِي إذا جـدّ الوغى لخطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بنَ صَفْوان ، ويقال الأحنفَ بن قيس ، فقال : والله ما علا ذلك المِنبَر أخطبُ منه في كلماته هذه ، ولو أنّ كلاماً استخفّني ، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له ، لأخرجتْني هذه الكلمات إلى قائلها ، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبهُ منه بالأحنف .

[هجاء حاجب الفيل له]

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال : حدَّثني أحمد بن زهير بن حرب ، عن دعبل بن علي ، قال : كان يزيد بن المهلّب تقدّم إلى ثابت قطنة في أن يصلّي بالناس يوم الجمعة ، فلمّا صعد المِنبر ولم يُطِق الكلام ، قال حاجبُ الفيل يهجوه : [من البسيط]

أبـا العَـلاء لقد لُقِّيتَ معضلةً يومَ العَروبة مـن كربٍ وتخنيقِ
أمّا القُران فلـم تخلَـق لمحكَمه ولم تسدَّد مـن الدنيـا لتوفيقِ
لمّـا رمتْكَ عيـونُ الناس هِبتَهمُ فكـدتَ تَشرَق لمّـا قمتَ بالرِّيقِ

1 لثابت قطنة ترجمة في الشعر والشعراء : 526 وفي وفيات الأعيان 6 : 307 وخزانة البغدادي 9 : 582 . وقد جمع شعره ماجد أحمد السامرائي ولكن لم تتيسر لنا نسخة منه .

تلوِي اللسان وقد رُمْتَ الكلام به ... كما هَوى زَلِقٌ مــن شاهقِ النِّيقِ[1]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الصباح قال : كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازنيّ ، وهو حاجب الفيل ، والفيل لقب لقّبه به ثابت قطنة وكعب الأشقريّ ، أنّ حاجباً دخل على يزيد بن المهلّب ، فلمّا مثل بين يديه أنشده : [من الطويل]

إليك امتطيتُ العِيسَ تسعين ليلة ... أرجِّي نـدى كفَّيكَ يا ابن المهلَّبِ
وأنتَ امـرؤٌ جـادَتْ سماءُ يمينِهِ ... على كلِّ حـيٍّ بين شَرْق ومَغْرب
فَجُـدْ لي بطِرْف أعوَجِـيٍّ مشهَّرٍ ... سَليم الشَّظا عَبْلِ القوائم سَلْهَبِ[2]
سبوحٍ طموح الطَّرف يَسْتَنُّ مِرْجَمٍ ... أُمِـرَّ كإمـرار الرِّشاء المشذَّبِ[3]
طوى الضُّمرُ منه البطنَ حتى كأنَّه ... عقاب تدلَّت من شماريخ كَبكَبِ[4]
تُبادر جُنْـحَ الليلِ فَرْخـين أقْوَيا ... من الزادِ في قَفْرٍ من الأرض مجدِبِ[5]
فلمّـا رأت صَيْداً تدلّتْ كأنها ... دَلاةٌ تَهاوى مَرْقَبـاً بعد مَرقَبِ[6]
فشكّت سوادَ القلب من ذئبِ قَفرةٍ ... طويلِ القَرا عارِي العظامِ معصَّبِ[7]
وسابغةٍ قد أُتْقَن القَـينُ صنعَها ... وأسمـرَ خَطِّـيٍّ طويـلٍ مُحَرَّبِ[8]
وأبيضَ مــن مـاء الحديدِ كأنّه ... شِهابٌ متى يَلْقَ الضَّريبةَ يَقْضِبِ[9]
وقل لي إذا ما شئت في حَوْمة الوغى ... تقدَّمْ أو اركبْ حومةَ الموت أركبِ
فإنّـي امـرؤٌ مــن عُصْبَةٍ مازِنيّةٍ ... نَماني أبٌ ضخمٌ كريـمُ المركَّبِ

---

1 النيق : أرفع موضع في الجبل .
2 أعوجي : نسبة إلى أعوج وهو فحل تنسب إليه الخيل العتاق . والشظا : عظم لاصق بالركبة . والعبل : الضخم . والسلهب : ما عظم وطالت عظامه .
3 سبوح : يسبح في سيره . يستن : يقمص ويعدو من النشاط . مرجم : يرجم الأرض بحوافره . أمر الحبل : أحكم فتله .
4 كبكب : جبل بعرفات . والشماريخ : رؤوس الجبال .
5 أقوى : افتقر .
6 الدلاة : الدلو . والمرقب : الموضع المشرف .
7 القرا : الظهر . والمعصب : الجائع .
8 وسابغة : معطوف على «طرف» .
9 يقضب : يقطع .

قال : فأمر له يزيدُ بدِرع وسيف ورُمح وفرس ، وقال له : قد عرفتَ ما شرطْتَ لنا على نفسك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، حجّتي بيّنة ، وهي قول الله عزَّ وجلّ : ﴿والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ . وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ . فقال له ثابت قطنة : ما أعجَبَ ما وَفدتَ به من بلدك في تسعين ليلة ! مدحتَ الأمير ببيتين ، وسألتَه حوائجك في عشرة أبيات ، وختمتَ شِعرَك ببيت تفخَر عليه فيه ، حتى إذا أعطاك ما أردتَ حِدتَ عمّا شرطتَ له على نفسك فأكذبْتَها كأنّك كنت تخدعه . فقال له يزيد : مَهْ يا ثابت ، فإنّا لا نُخدَع ، ولكنّا نتخادع ، وسوّغه ما أعطاه ، وأمر له بألفَي دِرهم . ولجّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه : [من البسيط]

لا يعـرفُ الناسُ مِنْـه غيرَ قُطنَتِه ... ومـا سِواها من الأنسابِ مَجهُولُ

[تهاجي ثابت وحاجب]

قال : ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلّب ، وعنده ثابتُ قطنة وكعب الأشقريّ ، وكانا لا يفارقان مجلسَه ، فوقف بين يديه فقال له : تكلّم يا حاجب ، فقال : يأذن لي الأمير أن أنشِده أبياتاً ، قال : لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك ؛ قال : أيّها الأمير ، إنّه ليس أحد ولو أطنب في وصفِك موفّيك حقّك ، ولكنّ المجتهد محسن ، فلا تهجني بمنعي الإنشادَ ، وأذِن لي فيه ، فإذا سمعتَ فجودُك أوسعُ من مسألتي . فقال له يزيد : هات ، فما زلتَ مُجيداً محسِناً مجمِلاً . فأنشده : [من الكامل]

كَم مـن كِميٍّ في الهِيـاجِ تركتَه ... يَهـوي لِفيـه مُجـدَّلاً مقتولا
جلّلتَ مفـرِقَ رأسِه ذا رَونـق ... عضْبَ المهزّة صارِمـاً مصقولا
قُدْتَ الجِيادَ وأنت غِـرٌّ يافـعٌ ... حتـى اكتهلتَ ولم تـزل مأمولا
كَم قد حَرَبْت وقد جَبَرت مَعاشراً ... وكم امتننـت وكم شفَيـتَ غليلا

فقال له يزيد : سَلْ حاجتَك ، فقال : ما على الأمير بها خفاء ، فقال : قل ، قال : إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأمير أعزّه الله مع عظم قدره ؛ قال : أجل ، فقل يُفعَل ، فلستَ بما تصير إليه أغبَطَ منّا ؛ قال : تحمِلني وتُخدِمُني وتجزِل جائزتي ، فأمر له بخمسة تخوتِ ثيابٍ وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبِرْذَوْن وخمسة آلاف درهم ، فقال حاجب : [من الطويل]

شِمِ الغَيْثَ وانظُرْ وَيْكَ أين تبعَّجتْ ... كُلاه تَجِدْها في يَـدِ ابن المهلّبِ
يداه يدٌ يُخْزي بها الله مَن عصى ... وفي يَدِهِ الأُخرى حيـاةُ المعصَّبِ

قال : فحسده ثابتُ قُطْنة وقال : والله لو على قدر شِعرِك أُعطاك لما خرجتَ بملء كفّك نوًى ، ولكنّه أعطاك على قدره ، وقام مغضَباً ؛ وقال لحاجبِ يزيدَ بن المهلَّب : إنّما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيّة لمثل هذا ، وإلاّ فلو أنّا اجتهدنا في مديحه ما زادَنا على هذا ، وقال ثابت قطنة يهجو حاجباً حينئذٍ : [من الطويل]

أَحاجبُ لولا أنّ أصْلَكَ زَيِّفٌ ... وأنّك مطبوعٌ على اللؤمِ والكفرِ
وأنّيَ لو أكثرتُ فيك مقصِّرٌ ... رميتُك رمياً لا يَبيد يَدَ الدَّهرِ
فقل لي ولا تكذِبْ فإنّيَ عالِمٌ ... بمِثْلِكَ هل في مازنٍ لك من ظَهرِ ؟
فإنّك مِنْهمْ غيرَ شكٍ ولم يَكُنْ ... أبوكَ من الغُرِّ الجحاجِحَة الزُّهرِ
أَبوكَ دِيافيٌّ وأُمُّك حُرَّةٌ ... ولكنَّها لا شَكّ وافيةُ البَظْرِ[1]
فلست بهاجٍ ابنَ ذُبيان إنّني ... سأُكْرِمُ نفسي عن سِبابِ ذوي الهُجْرِ

فقال حاجب : والله لا أُرضى بهجاء ثابتٍ وحدَه ، ولا بهجاء الأزدِ كلِّها ، ولا أُرضى حتى أَهجو اليمن طُرّا ؛ فقال يهجوهم : [من الطويل]

دعُوني وقحطاناً وقولوا لثابتٍ ... تنحَّ ولا تقرَبْ مُصاوَلة البُزْلِ
فلِلزِنْج خيرٌ حين تُنْسَب والداً ... من ابناء قحطانَ العفاشلةِ الغُرْلِ[2]
أُناسٌ إذا الهيجاء شَبّتْ رأيتَهمْ ... أَذَلَّ على وَطْءِ الهَوانِ من النَّعْلِ
نساؤُهم فوضى لِمَن كان عاهِراً ... وجيرانهمْ نَهبُ الفَوارِسِ والرَّجْلِ

[ثابت يهجو نفسه]

أخبرني وكيع قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : وحدَّثني دِعبِل قال : بلغني أنّ ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال : [من البسيط]

لا يَعْرِف الناسُ منه غيرَ قطنته ... وما سِواها من الأنْسابِ مجهولُ

وقال : هذا بيت سوف أُهجى به أو بمعناه ، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال : اشهدوا أنّي قائله ، فقالوا : ويحك ما أردت إلاّ أن تهجو نفسك به ، ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هذا . فقال : لا بدّ من أن يقع على خاطر غيري ، فأكون قد سبقتُه إليه ، فقالوا له : أما هذا فشرٌ قد تعجّلته ، ولعلّه لا يقع لغيرك ، فلمّا هجاه به حاجبُ الفيل استشهدَهم

---

1 ديافي : نسبة إلى قرية دياف ، وكان أهلها من النبط .

2 العفاشلة في ل : التنابلة . الغرل : غير المختونين .

على أنّه هو قائله ، فشهدوا على ذلك ، فقال يردّ على حاجب : [من البسيط]

هَيْهاتَ ذلك بيتٌ قد سُبقت به فاطلبْ له ثانياً يـا حاجبَ الفيلِ

[قوله بالإرجاء]

أخبرني أحمد بن عثمان العسكريّ المؤدّب قال : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثنا قُعْنُب بن المحرز الباهليّ عن أبي عبيدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المرجئة كانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأحبّه ، فلمّا اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدةً قالها في الإرجاء : [من البسيط]

يا هِندُ إنّي أظنُّ العيشَ قـد نفِدا ولا أرى الأمرَ إلاّ مُدْبـرا نَكِدا
إنّي رَهينَـةُ يـومٍ لستُ سابقـه إلاّ يكن يومُنا هـذا فقـد أفِدا[1]
بايعتُ ربّـيَ بيعاً إن وفيتُ بـه جاورتُ قتلى كراماً جاوَروا أُحُدا
يـا هنـدُ فاستمعي لي إنّ سيرتَنا أن نَعْبُـد اللهَ لَمْ نشركْ بـه أحَدا
نُرجي الأمـورَ إذا كانتْ مشبَّهة ونَصدُق القولَ فيمن جارَ أو عندا[2]
المسلمون عـلى الإسلام كلّهـم والمشركونَ أشَتُّوا دِينهـم قِدَدا[3]
ولا أرى أنّ ذنبـاً بالـغٌ أحَـداً مِ الناسِ شِركاً إذا ما وحَّدوا الصمَدا
لا نَسفِك الدمَ إلاّ أن يـراد بنا سَفْكُ الدماءِ طريقاً واحداً جدَدا[4]
مَـن يتّقِ اللهَ في الدُّنيـا فإنّ لـه أجـرَ التقيِّ إذا وَفَّى الحسابَ غدا
وما قَضى اللهُ مـن أمرٍ فليسَ لـه رَدٌّ ، وما يَقضِ من شيءٍ يكن رَشَدا
كلّ الخَوارجِ مُخْـطٍ في مَقالَتِـه ولـو تَعَبَّـد فيما قـالَ واجْتَهَدا
أمـا عـليٌّ وعثمـانٌ فإنّهمـا عَبْدان لَم يُشرِكا باللهِ مـذ عَبَدا
وكان بينهما شَغْبٌ وقـد شهِـدا شقَّ العصا ، وبعيْنِ اللهِ مـا شَهِدا
يُجزى عـليٌّ وعثمـانٌ بسَعْيِهما ولستُ أدري بحـقٍّ أيّـةً وَرَدا
اللهُ يعلـم مـاذا يَحضُرانِ بـه وكلُّ عبـد سيلقـى اللهَ منفردا

---

1 أفدا : دنا .

2 عند عن الطريق : مال .

3 أشتوا : فرقوا .

4 الطريق الجدد : المستوي .

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب بخطّ المُرهبيّ الكوفيّ في شعر ثابت قطنة ، قال : لمّا ولِيَ سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نُعَيم ، جلس يَعرِض الناسَ وعنده حميد الرُّؤاسي وعُبادة المحاربيّ ؛ فلمّا دُعِيَ بثابت قطنة تقدّم ، وكان تامَّ السلاح ، جَوادَ الفرس ، فارساً من الفرسان ؛ فسأل عنه ، فقيل : هذا ثابتُ قطنة ، وهو أحد فُرسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه ؛ فلمّا انصرف قال له حميد وعبادة : هذا أصلحك الله الذي يقول : [من الكامل]

إنا لضرّابون في حَمَس الوَغى رأسَ الخليفة إن أراد صدودا[1]

فقال سعيد : عليّ به ، فردّوه وهو يريد قتله ، فلمّا أتاه قال له : أنت القائل :

إنّا لضرّابون في حَمَس الوغى

قال : نعم ، أنا القائل : [من الكامل]

إنّا لضرّابون في حَمَس الوغى رأسَ المتوَّجِ إنْ أراد صُدُودا
عن طاعة الرحمن أو خُلَفائه إن رام إفساداً وكرَّ عُنُودا

فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنّك خرجتَ منها لضربتُ عنقكَ ، قال : وبلغ ثابتاً ما قاله حُميد وعُبادة ، فأتاه عبادة معتذراً ، فقال له : قد قبلت عذرك ، ولم يأته حميد ، فقال ثابت يهجوه : [من الوافر]

وما كان الجُنَيد ولا أخوه حميدٌ من رؤوسٍ في المعالي
فإن يكُ دَغْفَلٌ أمسى رهيناً وزيدٌ والمقيم إلى زوالِ
فعندكُمُ ابن بشرٍ فاسألوه بمرِو الرُّوذِ يَصدُق في المقالِ
ويخبر أنّه عبدٌ زَنيمٌ لئيم الجدّ من عَمٍّ وخالِ

قال : واجتاز ثابت قطنة في بعض أسفاره بمدينةٍ كان أميرُها محمد بن مالك بن بدر[2] الهَمدانيّ ثم الخيوانيّ ، وكان يُغمَز في نسبه ، وخطب إلى قوم من كِنْدة فردّوه ، فعرف خبر ثابت في نزوله ، فلم يُكرمه ، ولا أمَر له بِقِرًى ، ولا تفقّده بنُزلٍ ولا غيره ، فلمّا رحل عنه قال يهجوه ويعيِّره بردّ من خطب إليه : [من المتقارب]

لو آنّ بَكيلاً همُ قومُه وكان أبوه أبا العاقِبِ[3]

---

1 حمس الوغى : شدّة الحرب .
2 ل : يزيد .
3 بكيل : حي من همدان . العاقب : الذي يخلف السيد .

لأكرمَنـــا إذ مَرَرْنـــا بـــه كرامــةَ ذي الحَسبِ الثاقبِ
ولكــنّ خيــوانَ هـــمْ قومُه فبئسِ هــم القومُ للصَّاحِبِ[1]
وأنـــتَ سَنِيدٌ بِهـــم مُلصَقٍ كما أُلصِقتْ رُقعــةُ الشاعبِ[2]
وحَسْبُكَ حَسْبُكَ عند النَّثا بأفعــالِ كِنــدةَ مــن عائبِ
خَطبتَ فجازَوْك لمـا خطبتَ جزاء يَسارٍ مِـــن الكاعِبِ[3]
كذبتَ فزيّفتَ عقـدَ النكاحِ لِمَتّـكَ بـالنَّسَب الكاذبِ
فـــلا تخطبنْ بعدهـــا حُـرّةً فتُثنــى بوَسْمٍ عــلى الشاربِ

[يهجو قتيبة بن مسلم وقومه]

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان لثابت قطنة راويةٌ يقال له النضر ، فهجا ثابتُ قطنةَ قتيبةَ بنَ مسلم وقومَه ، وعيّرهم بهزيمةٍ انهزموها عن التُّرْك ، فقال : [من الطويل]

تَوافَتْ تميمٌ في الطِّعان وعرّدتْ بُهَيْلةُ لَمّـا عاينــتْ معشراً غُلْبا[4]
كُماة كُفاة يرهَب الناسُ حدَّهم إذا ما مشَوْا في الحربِ تَحْسَبهم نُكْبا[5]
تُسامون كعبــاً في العُـلا وكِلابَها وهيهاتَ أن تلقَوْا كِلاباً ولا كَعْبا

قــال : فأفشى عليــه راويتُـه مـا قالــه ، فقـال ثابـت فيـه وقـد كان استكتمـه هـذه الأبيات : [من البسيط]

يــا ليت لي بأخي نضرٍ أخا ثقةٍ لا أرهب الشرَّ منه غابَ أم شهدا
أصبحتُ منك على أسبابِ مَهْلكةٍ وزَلّــةٍ خائفــاً منــك الرّدى أبدا[6]
ما كنتَ إلاّ كذئب السُّوءِ عارضَهُ أخوه يَدْمَى فَفَــرّى جِلْدَه قِددا
أو كابن آدم خلَّى عن أخيه وقد أدمى حَشاهُ ولم يبسط إليْهِ يدا[7]

---

1 هم القوم للصاحب في ل : أخو القوم والصاحب .
2 سنيد : دعيّ . الشاعب : من يصلح الإناء المصدوع .
3 المثل : «لقي ما لاقى يسار الكواعب» في مجمع الميداني 2 : 412 وجمهرة العسكري 1 : 446 . ويسار عبد أسود دميم الخلقة ظن أن زوجة مولاه (أو ابنته) تريده ، فأوهمته أنها تريد أن تبخّره ، وقطعت مذاكيره ، فقال : صبراً على مجامر الكرام .
4 عردت : هربت . بهيلة : تصغير باهلة ، قوم قتيبة .
5 نكب : جمع نكباء ، وهي كل ريح انحرفت عن إحدى الجهات الأربع .
6 منك الرَّدى في ل : من شرها .
7 إشارة إلى قصة قابيل وهابيل .

أهـم بالصَّرْفِ أحيانـاً فيمنعني حيّـاً ربيعةَ والعَقْـد الذي عَقدا

[رثاء المفضل بن المهلّب]

ونسخت منه أيضاً قال : لمّا قتل المفضل بن المهلّب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلّب ، والناس حولها جلوس يعزّونها ، فأنشدها : [من البسيط]

يا هند كيف بِنُصْبٍ بات يَبْكيني وعائرٍ في سَواد الليـل يؤذيني[1]
كأنّ لَيْلِـيَ والأصداءُ هاجـدةٌ ليـلُ السَّليم ، وأَعيا من يُداويني[2]
لمّا حنى الدَّهرُ من قَوْسي وعذّرني شيبي وقاسيت أمرَ الغلْظ واللِّين[3]
إذا ذكـرتُ أبـا غسّانَ أرّقَني همٌّ إذا عَرَّس السَّارُونَ يُشجيني[4]
كان المفضّل عِزّاً في ذوي يَمنٍ وعِصمـةً وثِمـالاً للمساكين[5]
مـا زلتُ بعدَك في همٍّ تجيش به نَفْسي وفي نَصَب قـد كادَ يُبليني
إنّي تذكّرتُ قتـلى لـو شهدتُهُمُ في حَوْمَةِ الموت لم يَصلَوْا بها دُوني
لا خَيرَ في العَيْشِ إن لم أَجْنِ بعدَهم حرباً تُبيءُ بهـم قتلى فيشفوني

فقالت له هند : اجلس يا ثابت ، فقد قضيتَ الحقّ ، وما من المرثية بُدٌّ ، وكم من مِيتةِ ميّتٍ أشرفُ من حياةِ حَيّ ، وليست المصيبة في قتل من قتل واستشهد ذاباً عن دينه ، مطيعاً لربّه ، وإنّما المصيبة فيمن قلّت بصيرته ، وخَمل ذكرُه بعد موته ، وأَرجو ألاّ يكون المفضَّل عند الله خاملاً ، يقال : إنّه ما عُزّي يومئذٍ بأَحسن من كلامها .

[ردّه على ابن الكوّاء]

قال أَبو الفرج : ونسخت من كتابه أيضاً قال : كان ابن الكَوّاء اليشكريّ مع الشُّراة والمهلّب يحاربهم ، وكان بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلّب وعمَّ الأَزْد بالهجاء ، فقال لثابت : أَجِبه فقال له ثابت : [من البسيط]

كلُّ القبائـلِ مـن بكـرٍ نعدُّهُم واليشكُريّـون منهـم أَلأَمُ العَرَبِ
أَثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدتْ بيشكـرٍ أُمُّـه المَعـرورة النَّسبِ

1 النصب : الداء والبلاء . والعائر : ما أعل العين والرمد والقذى .
2 السليم : الملدوغ .
3 عذرني : هدني .
4 عرّس السارون : نزل المسافرون في الليل للاستراحة .
5 ثمال : غياث .

نَحّاكُمُ عن حياضِ المجدِ والدُكَمْ فما لكم في بني البَرْشاء من نسبِ
أنتم تَحلُّون مـن بكـرٍ إذا نُسبوا مثل القُراد حَوالَيْ عُكْوَة الذَّنبِ[1]
نُبِّئت أن بنـي الكَوّاء قد نبحوا فِعلَ الكلاب تتلّى اللَّيث في الأشبِ[2]
يَكـوِي الأُبَيْجر عبد الله شيخكم ونحن نُبري الذي يكوى من الكَلَبِ[3]

[يحرض يزيد بن المهلّب]

ونسختُ من كتابه أيضاً قال : كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلّب يحرّضه : [من الكامل]

إن امـرءاً حدبـت ربيعةُ حولَـه والحيُّ مـن يَمَنٍ وهابَ كؤودا[4]
لَضعيفُ ما ضمّت جوانحُ صدرِه إن لم يَلُـفَّ إلى الجُنودِ جنودا
أيزيـد كُنْ في الحَرْبِ إذ هيّجتَها كأبيـك لا رَعِشاً ولا رِعْديدا
شاوَرْتَ أَكْـرَم من تناول ماجدٍ فرأيتُ هَمَّـك في الهموم بعيدا
مـا كان في أبويك قادحُ هُجْنة فيكون زنـدُك في الزناد صَلودا[5]
إنّا لضرّابونَ في حَمَس الوَغـى رأس المتـوَّج إنْ أراد صُدودا
وقُـرٌ إذا كَفَـر العَجاج تَرى لنا في كلّ معركـة فـوارسَ صِيدا
يـا ليـت أسْرتك الذين تَغيَّبوا كانـوا ليومك بالعِـراق شُهودا
وتـرى مواطنهم إذا اختلف القنا والمشرفيَّـة يلتظـين وقـودا

فقال يزيد لما قرأ كتابه : إنّ ثابتاً لغافل عمّا نحن فيه ، ولعمري لأطيعنّه ، وسَيَرى ما يكون ، فاكتبوا إليه بذلك .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : أُنشِدَ مَسلمةُ بنُ عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلَّب قولَ ثابت قطنة : [من الكامل]

يـا ليت أسْرتك الذين تَغيَّبوا كانوا ليومك يـا يزيد شُهودا

فقالَ مَسلمة : وأنا والله لودِدت أنّهم كانوا شهوداً يومئذٍ ، فسقيتُهم بكأسه ، قال : فكان مَسلمةُ أحَد من أجاب شعراً بكلام منثورٍ فغلَبَه .

1 عكوة الذنب : أصله .
2 الأشب : شدّة التفاف الشجر .
3 الأبيجر : تصغير الأبجر ، وهو العظيم البطن .
4 الكؤود : المرتقى الصعب .
5 الزناد الصلود : الذي لا يورى .

[سفيره يخطب لنفسه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفيّ قال : حدَّثني محمد القحذميّ عن سليمان بن ناصح الأسديّ قال : خطب ثابت قطنة امرأةً كان يميل إليها ، فجعل السفير بينه وبينها جُوَيْبِر بن سعيد المحدِّث ، فاندسّ فخطبها لنفسه ، فتزوّجها ودفع عنها ثابتاً ، فقال ثابت حين بان له الأمر : [من الكامل]

أفْشى عليّ مقالــةً ما قلتها ... وسعــى بأمرٍ كان غيرَ سديدِ
إنّي دعوت الله حين ظلمتَني ... ربِّـي وليس لَمـن دعــا ببعيدِ
أن لا تــزال متيَّمــاً بخريدةٍ ... تَسبي الرجال بمقلتين وجِيدِ
حتى إذا وجب الصّداق تلبّستْ ... لك جلدَ أُغْضَفَ بارزٍ بصعيدِ[1]
تدعــو عليـك الحاريات مُبِرّة ... فترى الطلاق وأنت غيرُ حميدِ[2]

قال : فلقِيَ جُوَيْبِرُ كلَّ ما دعا عليه ثابت به ، ولحقه من المرأة كلُّ شرّ وضُرّ حتى طلّقها بعد أن قبضتْ صداقَها منه .

[رثاء يزيد بن المهلّب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلّب في يوم العُقْر[3] ، فلمّا خذله أهل العراق وفرّوا عنه فقتل ، قال ثابتُ قطنةَ يرثيه : [من الكامل]

كلّ القبائل بايَعوك على الذي ... تدعــو إليـه وتابَعوك وساروا
حتى إذا حَمِس الوَغى وجعلتهم ... نصبَ الأسِنَّة أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإنّ قتلَك لم يكـن ... عاراً عليك ، وبعضُ قتـلٍ عارُ

[هجاؤه ربيعة]

قالِ أبو الفرج : ونسخت من كتاب المرهِبيّ قال : كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلّب تنزل حواليه هي والأزد ، فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر ، فشغِبت عليه حتى أرضاها فيه ، فقال ثابت قطنة يهجوهم : [من الطويل]

---

1 أغضف : كلب .

2 الحاريات : جمع حارية ، وهي الأفعى التي كبرت ونقص جسمها فصارت من أخبث الأفاعي ؛ ويقال : رماه الله بالحارية . ومبرة : غالبة قاهرة .

3 العقر : موضع قرب كربلاء كانت فيه الوقعة بين مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن المهلّب .

عصافير تَنْزُو في الفساد ، وفي الوغى إذا راعَهـا رَوْعٌ جماميحُ بَرْوَقِ

الجماميح : ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً ، وواحده جماح ، فإذا دُقّ تَطاير . وبَرْوَق : نبت ضعيف . [من الطويل]

أأحلمُ عـن ذِبّان بكـر بن وائلٍ ويعلق من نفسي الأذى كلّ مَعلِقِ
ألم أَك قـد قلّدتكم طوقَ خِزْيَةٍ وأنكلتُ عنكمْ فيكمُ كلَّ مُلصَقِ[1]
لعمركَ ما استخلفتُ بكراً لِيَشغَبوا عليّ ، ومـا في حِلْفكم من مُعلّقِ[2]
ضممتكُـم ضمّـاً إليّ وأنتـمُ شَتاتٌ كفَقْع القاعـة المتفرّقِ[3]
فأنتـم على الأدنـى أسودُ خفِيّـةٍ وأنتم على الأعداءِ خِـزّانُ سَمْلَقِ

[سخاء يزيد بن المهلّب]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني أبو بكر العامريّ قال : قال القَحْذميّ : دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان ، أظنّه قتيبة بن مسلم ، فمدحه وسأله حاجة ، فلم يقضها له ، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه : لكن يزيد بن المهلّب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردّني عنه ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

أبا خالـدٍ لم يَبْقَ بـعدك سُوقةٌ ولا مَلك ممّن يُعـين على الرِّفْدِ[4]
ولا فاعـلٌ يرجـو المقلُّون فضله ولا قائلٌ يَنْكا العدوَّ على حقدِ[5]
لو انّ المَنايا سامحتْ ذا حَفيظـة لأكرمنه أو عُجْن عَنـه على عمدِ

[عتابه قومه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استَنصَرَ عليها بعضهم فلم ينصره فقال في ذلك : [من الطويل]

تعفّفتُ عـن شَتم العشيرة إنّني وجدتُ أبي قد عَفَّ عن شَتمها قَبْلي[6]
حليمٌ إذا ما الحلـمُ كان مـروءةً وأجهَـلُ أحيانـاً إذا التمسوا جهلي

---

1 أنكلت : دفعت .
2 من معلق : أي ما يتعلّق به ويعتمد عليه .
3 المثل «أذل من فقع بقاع» في مستقصى الزمخشري 1 : 134 والدرة الفاخرة 1 : 203 .
4 أبو خالد : يزيد بن المهلّب .
5 فضله في ل : رفده .
6 عَفَّ في ل : كف .

[حمق أمية بن عبد الله بن خالد]

أخبرني عمّي قال : حدّثني العَنزيّ عن مسعود بن بشر قال : كان ثابت قطنة بخراسان ، فوليها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد لعبد الملك بن مروان ، فأقام بها مدّة ، ثم كتب إلى عبد الملك : «إن خراج خُراسان لا يفي بمطبخي» ، وكان أميّة يحمَّق ، فرفع ثابتُ قُطنة إلى البريد رقعة وقال : أوصِل هذه معك ، فلمّا أتى عبد الملك أوصل إليه كتابَ أمية ، ثم نَثَل[1] كنانَتَه بين يديه فقرأ ما فيها ، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة ، فقرأها ثم عزله عن خُراسان .

صوت

[من الوافر]

طَرِبتُ وهاجَ لي ذاك اذكارا بكَشٍّ وقد أطلْت به الحِصارا[2]
وكنتُ الَذّ بعضَ العيش حتى كبِرتُ وصار لي همِّي شِعارا
رأيتُ الغانيات كرِهن وصلي وأبديــن الصَّريمة لي جِهارا

الشعر لكعب الأشقريّ ، ويقال إنّه لثابت قطنة ، والصحيح أنّه لكعب ، والغناء للهُذليّ ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمرو بن بانة ، وذكر في نسخته الثانية أنّ هذا اللحن لقَفا النجّار .

1 نثل كنانته : نثر ما فيها .
2 كش : قرية من قرى أصبهان .

[272] ـ أخبار كعب الأشقريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو كعب بن مَعْدان الأشقريّ ، والأشاقر : قبيلة من الأَزْد ، وأمّه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلّب والمذكورين في حروبه للأزارقة ، وأوفده المهلّب إلى الحجّاج ، وأوفده الحجّاج إلى عبد الملك .

[شعراء الإسلام الأربعة]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا أبي قال حدَّثنا وهب بن جرير قال : حدَّثنا أبي عن قتادة قال : سمعت الفرزدق يقول : شعراء الإسلام أربعة : أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكعب الأشقريّ .

أخبرني وكيع قال : حدَّثني أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا أبي قال : حدَّثنا وهب بن جرير قال : حدَّثنا أبي عن المتلمّس قال : قلت للفرزدق : يا أبا فراس ، أشعرتَ أنّه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له «كعب» ؟ فقال الفرزدق : «إي والذي خلَق الشِّعر» .

[وقعة المهلّب مع الأزارقة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، وأخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ ، واللفظ له وخبره أتمّ ، قال : أوفد المهلَّب بن أبي صُفرة كعباً الأشقريَّ ومعه مُرّة بنُ التلِيد الأزدي إلى الحجّاج بخبر وقعةٍ كانت له مع الأزارقة ، فلمّا قدِما عليه ودخَلا دارَه بَدَرَ كعب بن مَعدانَ فأنشد الحجّاج قولَه : [من البسيط]

يــا حفْصَ إنّي عَداني عنكُم السَّفَرُ ... وقــد سهِـرتُ فـآذَى عينيَ السَّهَرُ
عُلِّقتَ يا كعـــبُ بعد الشَّيب غانيةً ... والشيب فيــه عــن الأهــواء مزدجرُ
أممسِكٌ أنــتَ منهــا بالذي عهدتْ ... أم حبلُهــا إذ نَأَتْكَ اليـــومَ منبترُ
ذكــرتُ خَوْداً بأعلى الطَّفِّ منزلُها ... في غُرفــةٍ دونَهـا الأبوابُ والحجرُ
وقــد تركــتُ بشطِّ الزَّابِيَيْنِ لهــا ... داراً بهــا يَسعَد البـادُونَ والحَضَرُ[2]
واخترتُ داراً بهـا قــوم أُسَرُّ بِهِمْ ... مــا زال فيهم لِمَن تَختارهــم خِيَرُ

---

1 لكعب الأشقريّ ترجمة في أمالي القالي 1 : 265 ومعجم المرزباني : 236 وتاريخ الطبري وسمط اللآلي : 588 وانظر أعلام الزركلي .

2 الزابياذ : نهران بالعراق .

أبـا سعيـدٍ فإنّـي سرتُ منتجعـاً ... وطالـبُ الخَيْـرِ مُرْتـاد ومنتظِرُ[1]
لـولا المهلَّـب مـا زُرْنـا بلادَهمُ ... مـا دامتِ الأرضُ فيها الماء والشجرُ
وما مـن الناس مـن حـيٍّ علمتُهمُ ... إلاّ يُـرى فيهُـم مـن سَيْبِكـم أثرُ

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرُّواة في الخبر ، فتركتُ ذكرَها لطولها[2] ، يقول فيها : [من البسيط]

فمـا يجاوز بـابَ الجسْر مـن أحدٍ ... قد عضَّتِ الحربُ أهلَ المصر فانْجَحَروا
كنّا نهـوِّن قبـل اليـوم شأنهمُ ... حتـى تفاقَـم أمـرٌ كان يُحتَقـرُ[3]
لَمـا وَهَنَّـا وقـد حلُّـوا بساحتنا ... واستنفرَ النـاسُ تاراتٍ فمـا نَفَروا
نادى امـرؤٌ لا خـلافٌ في عشيرته ... عنـه وليس بـه عـن مثلهـا قِصَرُ

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلَّب في بلدٍ بلد ، فقال : [من البسيط]

خبَّـوا كمينَهمُ بـالسَّفْح إذ نزلـوا ... بكـازَرُونَ فمـا عَزّوا وما نَصَروا[4]
باتـتْ كتائبُنـا تَـردِي مسوَّمـةً ... حـولَ المهلَّـب حتـى نـوّر القمرُ[5]
هناك ولَّوا خَزايا بعـد مـا هُزِموا ... وحـال دُونَهُـمُ الأنهـارُ والجُدُرُ
تأبـى علينـا حـزازاتُ النفوس فما ... نُبقـي عليهـمْ ولا يُبقون إن قَدروا

فضحك الحجّاج وقال له : إنّك لمنصف يا كعب[6] ، ثم قال الحجّاج : أخطيب أنت أم شاعر ؟ فقال : شاعر وخطيب . فقال له : كيف كانت حالُكم مع عدوّكم ؟ قال : كنّا إذا لقيناهم بعفوِنا وعفوِهم ، أُنسنا منهم ، فإذا لقِيناهم بجهدنا وجهدِهم طمعنا فيهم ؛ قال : فكيف كان بنو المهلّب ؟ قال : حماة للحريم نهاراً ، وفرسانٌ بالليل أيقاظاً ، قال : فأين السماع من العيان ؟ قال : السماع دون العِيان ؛ قال : صفهم رجلاً رجلاً ، قال : المغيرة فارسُهم وسيّدهم ، نار ذاكية ، وصَعْدة[7] عالية ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، ليثُ

1 أبو سعيد : المهلّب بن أبي صفرة .
2 انظر القصيدة في تاريخ الطبري 6 : 304 .
3 اليوم في ل : الموت .
4 كازرون : مدينة بفارس .
5 تردي : تضرب الأرض بحوافرها .
6 ل : كعيب .
7 الصعدة : القناة المستوية .

غاب ، وبحرٌ جمٌّ العُباب ، وجَوادُهم قَبيصة ، ليث المَغار ، وحامي الذِّمار ، ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مُدرِك ، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضر ، والأسد الخادر ، وعبد الملك سمٌّ ناقع ، وسيف قاطع ، وحبيب الموتُ الذُّعاف ، إنّما هو طَوْد شامخ ، وفخر باذخ ، وأبو عيينة البطل الهمام ، والسيف الحسام ، وكفاك بالمفضّل نجدة ، ليثٌ هدّار ، وبحْرَ موّار ، ومحمد ليث غاب ، وحسامٌ ضِراب ، قال : فأيّهم أفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرَغة لا يُعرف طرفاها ؛ قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أحسن حال ، أدركُوا ما رجَوْا ، وأَمِنوا ممّا خافوا ، وأرضاهم العدل ، وأغناهم النّفل[1] ، قال : فكيف رضاهم عن المهلّب ؟ قال : أحسن رضا ، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد ، ولا يعدم منهم برَّ الولد ؟ قال : فكيف فاتكم قَطَريّ ؟ قال : كدناه فتحوّل عن منزله وظنّ أنّه قد كادنا ؛ قال : فهلاّ تبعتموه ! قال : حالَ الليلُ بيننا وبينه ، فكان التحرّز ، إلى أن يقع العيان ، ويعلم امرؤٌ ما يصنع ، أحزم ، وكان الحدّ عندنا آثَر من الفَلّ ، فقال له : المهلّب كان أَعلَم بك حيث بعثك وأَمَر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأَمر له بعشرة آلاف أُخرى .

[شعره في المهلّب وولده]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني أَبو عمرو بُنْدار الكرجيّ قال : حدَّثنا أَبو غسّان التميميّ عن أَبي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء : تشبِّهونني مرّة بالأسد ، ومرّة بالبازيّ ، ومرّة بالصقر ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقريّ في المهلّب وولده : [من الوافر]

بَــراكَ الله حِـينَ بَـراكَ بحْراً ... وفَجَّـر مِنْــكَ أنهــاراً غِزارا
بنوك السابقــون إلى المعــالي ... إذا مــا أَعظَم الناسُ الخِطارا[2]
كأَنَّهُمُ نجــومٌ حــولَ بَـدْر ... دَرارِيٌّ تَكمَّــل فــاسْتَدارا
ملــوك ينزلــون بكلّ ثَغْــرٍ ... إذا مــا الهامُ يــومَ الرَّوْع طارا
رِزانٌ في الأمــور تَـرى عليهم ... مِن الشَّيخ الشمائلَ والنجارا[3]
نجومٌ يُهتَدى بهــمُ إذا مــا ... أَخو الظَّلْماء في الغَمَراتِ حارا

---

1 النفل : الغنيمة .
2 الخطار : المرهنة .
3 النجار : الأصل والحسب .

وهذه الأبيات من القصيدة التي أوّلها :

طربتُ وهاج لي ذاك ادّكارا

التي فيها الغناء .

[تهاجيه مع زياد الأعجم]

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ قال : حدّثنا غسّان بنُ ذَكْوانَ الأهوازيّ قال : ذكر العُتْبيّ أنّ زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقريّ ، واتّصل الهجاء بينهما ، ثم غلبه زياد ، وكان سبب ذلك أنّ شرّاً وقع بين الأزد وبين عبد القيس ، وحرْباً سكّنها المهلّب وأصلَحَ بينهم ، وتحمّل ما أحدثه كلُّ فريق على الآخر ، وأدّى دِياته ، فقال كعب يهجو عبد القيس : [من البسيط]

إنّي وإن كنتُ فرعَ الأزْد قد عَلموا أخزى إذا قيل عبدُ القيس أخْوالي
فَهْمٌ أبو مالكٍ بالمجد شرّفني ودنَّس العبدُ عبدُ القيسِ سِرْبالي

قال : فبلغ قوله زياداً الأعجم فغضب وقال : يا عجباً للعبد بن العبد بنِ الحِيتان والسَّرطان ، يقول هذا في عبد القيس ، وهو يعلم موضعي فيهم ! والله لأدعنّه وقومَه غَرَضاً لكل لسان ، ثم قال يهجوه : [من البسيط]

نبِّئت أشقرَ تَهجُونا فقلتُ لهمْ ما كنتُ أحسبهمْ كانوا ولا خُلِقوا
لا يَكثرون وإن طالت حياتُهمُ ولو يبول عليهمْ ثعلبٌ غَرِقوا
قومٌ من الحَسَب الأدنى بمنزلةٍ كالفَقْع بالقاع لا أصْلٌ ولا وَرَقُ
إنّ الأشاقرَ قد أضحَوْا بمنزلة لو يُرهَنون بنَعلَيْ عبدِنا غَلِقوا[1]

قال : وقال فيه أيضاً : [من المنسرح]

هل تَسمع الأزْد ما يقال لها في ساحة الدّار أم بها صَمَمُ ؟
اختَتَن القومُ بعد ما هَرِموا واستَعربوا ضَلَّةً وهمْ عَجَمُ

قال : فشكاه كعبٌ إلى المهلّب وأنشده هذين البيتين ، وقال : والله ما عَنى بهما غيرَك ، ولقد عمَّ بالهجاء قومَك ، فقال المهلَّب : أنت أسمعتَنا هذا وأطلقتَ لسانه فينا به ، وقد كنتَ غنيّاً عن هجاء عبد القيس وفيهم مِثلُ زياد ، فاكفف عن ذكره ، فإنّك أنت بدأته ، ثم دعا بزياد فعاتبه ، فقال : أيّها الأمير ، اسمع ما قال فيّ وفي قومي فإن كنتُ ظلمتُه فانتصِر ، وإلاّ

1 غلق الرهن : استحقّ الوفاء .

فالحجة عليه ، ولا حُجّة على امرىءٍ انتَصَر لنفسه وحسَبِه وعشيرتِه ، وأنشده قولَ كعب فيهم : [من الطويل]

لعلّ عُبيدَ القيس تَحسَب أنّها كتغلبَ في يوم الحفيظة أو بكرِ
يُضَعضِع عبدَ القيس في النّاس مَنصِبٌ دنيءٌ وأحسابٌ جُبِرن على كَسرِ
إذا شاع أمرُ الناس وانشقَّت العصا فإنّ لُكَيزاً لا تَريشُ ولا تَبري[1]

فقال المهلّب : قد قلتَ له أيضاً ، قال : لا والله ما انتصَرْتُ ، ولولاك ، ما قصَّرت وأيّ انتصار في قولي له : [من البسيط]

يا أيّها الجاهلُ الجاري ليُدركَني أقصِرْ فإنّكَ إن أدركتَ مصروعُ
يا كعبُ لا تَكُ كالعَنْزِ التي بَحثتْ عن حَتْفِها وجَنابُ الأرض مَرْبوع

وقولي : [من البسيط]

لئن نَصبتَ لي الرَّوْقين مُعْتَرِضاً لأرمينَّكَ رمْياً غيرَ ترفيعِ
إنّ المآثرُ والأحسابَ أورَثني منها المَجاجِيعُ ذِكراً غيرَ مَوْضوعِ

يعني مَجاعة بن مرّة الحنفيّ ، ومَجاعة بن عمرو بن عبد القيس ، فأقسم عليهما المهلَّب أن يصطلحا ، فاصطلحا وتكافّا ، وممّا هجا كعبٌ الأشقريُّ عبد القيس به قوله : [من الوافر]

ثَوى عامين في الجِيَف اللواتي مطرَّحة على باب الفصيلِ
أحَبُّ إليّ من ظِلٌ وكِنٌّ لعبد القيس في أصل الفَسِيلِ[2]
إذا ثارَ الفُساءُ بهمْ تَغَنَّوْا . ألَم تَربَعْ على الدِّمَن المُثولِ
تَظَلّ لها ضَباباتٌ علينا موانعُ من مَبيتٍ أو مَقيلِ

[هجاء ربيعة واليمن]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب للنضر بن حديد : كانت ربيعةُ واليمنُ متحالِفةً ، فكان المهلّب وابنه يزيدُ يُنزلان هاتين القبيلتين في محلتهما ، فقال كعبٌ الأشقريّ ليزيد : [من البسيط]

لا ترجَونَّ هِنائيّا لصالحةٍ واجعلهمُ وهَداداً أسوةَ الحمُرِ[3]

---

1 من المثل «كالباحثة عن حتفها بظلفها» .
2 الكن : الستر . الفسيل : النخلة الصغيرة .
3 هنائي : من بني هناء . وهداد : حي من اليمن .

حَيّانِ مالهما في الأَزْد مأثُرةٌ غيرُ النَّواكةِ والإفراطِ في الهَذرِ[1]
واجعل لُكَيزاً وراءَ الناس كلِّهم أهلَ الفُساء وأهلَ النَّتْن والقَذَرِ
قومٌ علينا ضَبابٌ من فُسائهمُ حتى تَرانا له مِيداً من السُّكُرِ[2]
أَبلغ يزيدَ بأنا ليس يَنْفَعُنا عيشٌ رَغِيدٌ ولا شيءٌ من العِطرِ
حتى تُحِلَّ لُكَيْزا فوق مَدْرَجةٍ من الرِّياح على الأَحياء مِنْ مُضَرِ
ليأْخُذوا لنِزار حَظَّ سُبّتِها كما أخذنا بحظِّ الحِلْف والصِّهرِ

[شعره في المهلّب أمام رسول الحجّاج]

أَخبرني محمد بنُ خلف وكيع قال: حدّثنا أَحمد بن زهير بن حرب قال: حدَّثنا أَبي قال: كتب الحجّاج بن يوسف إلى المهلّب يأمره بمناجزَة الأزارقة ويستبطئه ويضعِّفه، ويعجِّزه في تأخيره أمرَهم ومطاولَتهم، فقال المهلّب لرسوله: قل له: إنّما البلاء أنّ الأمر إلى مَن يَملِكه لا إلى من يعرفه، فإن كنتَ نصبتَني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبِّرها كما أَرى، فإن أمكنتْني الفرصة انتهزتُها، وإن لم تُمْكِنِّي توقّفت، فأنا أدبر ذلك بما يُصلحه، وإن أردتَ منّي أن أَعمل وأَنا حاضر برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن كان خطأً فعليّ، فابعث من رأيتَ مكاني، وكتب من فَوْره بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: لا تُعارض المهلَّب فيما يراه ولا تُعجِلْه، ودَعْه يدبّر أَمره، وقام الأشقريّ إلى المهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجّاج: [من الكامل]

إن ابنَ يوسف غرّه من غزوِكمْ خفضُ المُقام بجانب الأَمصارِ
لو شاهَدَ الصفَّين حين تَلاقَيا ضاقت عليه رَحِيبةُ الأقطارِ
من أَرض سابُورِ الجُنودِ، وخَيْلُنا مِثْلُ القِداح بَرَيْتَها بشِفارِ
من كلّ خنذيذ يُرى بلَبانِه وَقْعُ الظُّباة مع القنا الخَطّارِ[3]
ورأى معاوَدَة الرِّباعِ غنيمةً أزمانَ كان محالفَ الإقتارِ
فدع الحروبَ لشيبِها وشَبابها وعليك كلّ خريدةٍ مِعطارِ

فبلغت أبياتُه الحجّاج، فكتب إلى المهلّب يأمره بإشخاص كعب الأشقريّ إليه، فأَعلَم المهلّبُ كعباً بذلك، وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته، وكتب إليه يستوهبه منه،

1 النواكة: الحماقة.
2 ميد: ما يصيب الإنسان من الدوار.
3 الخنذيذ: الفرس الطويل الصلب.

فقدم كعب على عبد الملك ، واستنشدَه فأعجبه ما سمع منه ، فأوفده إلى الحجّاج ، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفوَ عنه ويُعرِض عمّا بلغه من شعره ، فلمّا وصل إليه ودخل عليه قال : وإيه يا كعب .

ورأى معاوَدَة الرِّباعِ غنيمةً

فقال له : أيّها الأمير ، والله لقد وددتُ في بعض ما شاهدتُه في تلك الحروب وأزماتها ، وما يُورِدُناه المهلَّب من خطرها ، أن أنجوَ منها وأكونَ حجّاماً أو حائكاً ، فقال له الحجّاج : أَولى لك ، لولا قَسمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أَسمعَ ، فالحقْ بصاحبك ، وردَّه من وقته .

[هروبه إلى عُمان]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النضر بن حديد : لمّا عُزِل يزيد بن المهلّب عن خراسان ووَلِيَها قتيبةُ بن مسلم ، مدحه كعب الأشقريّ ، ونال من يزيد وثَلَبه ، ثم بلغتْه وِلايةُ يزيدَ على خراسان ، فهربَ إلى عُمانَ على طريق الطَّبَسَيْن وقال : [من الوافر]

وإنّي تـاركٌ مَـرْواً ورائي ... إلى الطَّبَسَيْن معتامٌ عُمـانا
لآوِي معقِلاً فيها وحِرْزاً ... فكنّا أهـل ثروَتهـا زمانا[1]

فأقام بعُمانَ مدّة ثم اجتواها[2] ، وساءت حالُه بها ، فكتب إلى المهلّب معتذراً : [من البسيط]

بئس التبــدُّل من مَـرْوٍ وساكِنِها ... أرضُ عُمــانَ وسُكنى تحت أطوادِ
يُضحِي السحابُ مَطيراً دونَ مُنصِفها ... كأنّ أجبالَهـا عُلّـت بفِرصادِ[3]
يا لهف نفسي على أمرٍ خطِلت به ... وما شَفَيتُ به غِمْري وأحقادي[4]
أفنيتُ خمسين عاماً في مديحكمُ ... ثم اغتررتُ بقـول الظالم العادي
أبلغ يزيدَ قريـنَ الجُود مألُكةً ... بـأنّ كعبـاً أسيرٌ بـين أصفادِ
فإن عفوتَ فبيتُ الجـود بيتُكُـم ... والدَّهرُ طَوْران من غَـيٍّ وإرشادِ
وإن مننتَ بصفحٍ أو سمحتَ بـه ... نزعـتُ نحـوَك أطنابي وأوتادي

وذكر المدائنيّ أنّ يزيد بن المهلّب حبسه ودسّ إليه ابن أخ له فقتله .

---

1 الثروة : الكثرة من المال والناس .

2 اجتواها : كرهها .

3 المنصف من كل شيء : وسطه . علت : سقيت . والفرصاد : صبغ أحمر .

4 الغمر : الحقد .

[مقتل بني الأهتم]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النَّضر أيضاً أنّ الحجّاج كتب إلى يزيد بن المهلّب يأمره بقتل بني الأهتم ، فكتب إليه يزيد : إنّ بني الأهتم أصحابُ مَقال وليسوا بأصحاب فَعال ، فلا تُقدِّرْ أن نُحدِث فيهم ضرراً ، وفي قتلهم عار وسُبّة ؛ واستوهَبَهم منه ، فتغافَلَ عنهم ، ثم انضمّوا إلى المفضل بنِ المهلّب ، فكتب إليه الحجّاج يأمره بقتلهم ، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه ، فأعفاهم ، ثم ولي قتيبةُ بن مسلم ، فخرجوا إليه والتَقوا معه ، وذكروا بني المهلّب فعابوهم ، فقبلهم قتيبةُ واحتوى عليهم ، فكانوا يُغرون الجندَ عليه ويَحمِلونهم على سُوء الطاعة ، فكتب يشكوهم إلى الحجّاج ، فكتب إليه يأمره بقتلهم ، فقتلهم جميعاً ، فقال كعب الأشقريّ في ذلك : [من الكامل]

قــل للأهاتم من يَعُود بفَضْله ... بعـد المفضَّل والأغَـرُّ يزيــدِ
رَدّا صحائفَ حَتْفِكم بمَعاذرٍ ... رجعتْ أشائمَ طيرِكم بسعودِ
رَدّا على الحجّــاج فيكمْ أمرَه ... فجَزيتــمُ إحسانَــه بجحــودِ
فاليوم فاعتبِروا فَعــالَ أخيكمُ ... إنّ القياس لِجاهــل ورشيدِ

[هجاء عمرو بن عمير]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتابه أيضاً قال : وَلَّى يزيدُ بنُ المهلَّب رجلاً من اليَحْمَد يقال له عمرو بنُ عُمَير الزَّمّ ، فلقيه كعب الأشقريّ فقال له : أنت شيخ من الأزد يولِّيك الزَّمَّ . ويولِّي ربيعةَ الأعمالَ السنيّة ، وأنشده : [من الوافر]

لقــد فــازَتْ ربيعةُ بالمَعــالي ... وفــازَ اليَحْمديُّ بعهْــدِ زَمِّ[1]
فإن تَــكُ راضياً منهمْ بهــذا ... فــزادَك ربُّنــا غمّــاً بغَــمِّ
إذا الأزْدِيُّ وَضَّــح عارِضاه ... وكانت أُمُّه مِــنْ حيٍّ جَرْمِ[2]
فثَــمَّ حماقــةٌ لا شكَّ فيهــا ... مُقابلــةٌ فمــن خــالٍ وعَمِّ[3]

فردَّ اليَحمديّ عهد يزيد عليه ، فحلف لا يستعمله سنة ، فلمّا أجحفتْ به المؤونة قال لكعب : [من البسيط]

1 زم : بلد على نهر جيحون .
2 وضّح : ابيضّ شعره . والعارضان : جانبا الوجه .
3 مقابلة : أي من طرف الأب والأم .

لـو كنتَ خلّيتَني يا كعبُ متّكئاً في دُور زَمَّ لما أُقفرتُ مِن عَلفِ
ومن نبيذٍ ومـن لحـمٍ أُعَلُّ بـه لكنّ شِعرَك أمـرٌ كان من حِرفي
إنّ الشقيّ بمروٍ مَـن أقـام بهـا يُقارع السُّوقَ من بَيْع ومن حَلفِ

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثني الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال : قال كعب الأشقريّ يهجو زياداً الأعجم : [من الطويل]

وأقلفَ صلَّى بعـد مـا ناكَ أمَّه يَرى ذاك في دِين المَجوسِ حَلالا

فقال له زياد : يا ابن النّمامة أهي أخبرتْك أنّي أقلف ؟ فغلبه زياد . والقصيدة التي أوّلها :

طربتُ وهـاج لي ذاك ادّكارا

[قصيدته في المهلّب]

وفيه الغناء المذكور بذكرِه خبرُ كعب الأشقريّ ، يمدح بها المهلَّب بن أبي صُفرة ويذكر قتالَه الأزارقة ، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة التي فيها الغناء : [من الوافر]

غَرِضْن بمجلِسي وكرهْنَ وَصلي أوانَ كُسيتُ مـن شَمَطٍ عِذارا[1]
زَرَيْـن علـيَّ حـين بَدا مَشيبي وصارت ساحَتـي للهـمّ دارا[2]
أتـاني والحديـثُ لـه نَمـاءٌ مقالـةُ جائـر أحفـى وجارا
سلـوا أهـلَ الأباطِحِ من قريشٍ عـن العـزّ المؤثَّـدِ أيـن صارا
ومَـن يَحمي الثغورَ إذا استحرّت حـروبٌ لا يَنـون لهـا غِرارا[3]
لقومي الأزد في الغَمَرَات أمضى وأوفـى ذِمّـةً وأعـزُّ جـارا
هـمُ قادوا الجيـادَ على وَجاهـا مـن الأمْصار يقذِفْـن المِهـارا[4]
بكـلّ مَفـازة وبكـلّ سَهْـبٍ بَسابِسَ لا يَـروْنَ لهـا مَنارا[5]
إلى كِرمـانَ يحملـن المنايـا بكـلّ ثنيّـة يوقِـدن نـارا
شَوازب لم يصِبن الثـار حتـى رددناهـا مكلَّمـةً مِـرارا[6]

1 غرضن : مللن .
2 زرين : عبن .
3 لا ينون : لا يفترون . غرار : غافلون .
4 الوجى : الحفا .
5 المفازة والسهب : الفلاة ، وكذلك البسبس . والمنار : العلم .
6 الشوازب : الخيل الضامرة . ومكلمة : مجرحة .

ويشجرن العــوالي السُّمْر حتــى تَــرى فيهــا على الأَسَل ازوِرارا[1]
غـداةَ تَرَكن مصرعَ عَبـدَ ربٌّ يُثرن عليــه مــن رَهَجٍ عِصارا[2]
ويوم الزحــف بالأهــواز ظِلْنـا نــروِّي منهــمُ الأَسَل الحِــرارا[3]
فقــرّت أعيُــنٌ كانــت حديثـاً ولم يــك نومهـــا إلاّ غِــرارا
صنائعنـــا السَّوابــغ والمَذاكـــي ومَــن بـالمِصر يحتلــب العِشارا[4]
فهــنّ يبحـــن كلَّ حِمًى عزيزٍ ويَحمــين الحقائــقَ والذِّمــارا
طُــوالاتُ المُتــون يُصَــنَّ إلاّ إذا سار المهلَّــب حيــث سارا
فلــولا الشَّيخ بالمِصْرَيـن يَنفِي عدوَّهمُ لقــد تَركــوا الديــارا[5]
ولكنْ قــارعَ الأبطــالَ حتــى أَصابوا الأَمــنَ واجتنبوا الفــرارا
إذا وَهَنــوا وحَــلَّ بهــمْ عظيمُ يَــدُقّ العظــمَ كان لهــمْ جبارا
ومُبْهَمَــةٍ يَحيــد النــاسُ عنهــا تَشُبُّ المــوتَ شَدَّ لهــا الإزارا
شِهــابٌ تَنجلِــي الظَّلمــاء عنــه يَــرى في كلّ مبهمــةَ مَنارا
بــل الرحمــنُ جــارُك إذ وَهنَّا بِدفعِــك عــن مَحارِمنا اختْيارا
بَــراك اللهُ حــين بَــراك بحْـراً وفجّــر منــك أنهــاراً غِزارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدِّمةً فيما سلف من أخبار كعبٍ وشعرِه .

[مزيد من شعره في المهلّب وولده]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : قال عبد الملك بن مُروان : يا معشر الشعْراء ، تشبِّهوننا بالأسد الأبخر ، والجبَل الوَعْر ، والمِلْح الأُجاج ؟ ألا قلتم كما قال كعبٌ الأشقريّ في المهلب وولدِه : [من الوافر]

براك الله حين براك بحــراً وفجـر منـك أنهاراً غزارا

1 السمر والأسل : الرماح . والعوالي : الرماح المستقيمة .
2 عبد ربّه : قائد الخوارج بعد قطري بن الفجاءة . الرهج : الغبار . والعصار : الغبار الشديد .
3 الحرار : العطشى .
4 السوابغ : الدروع . والمذاكي : الخيل التي مضى على قروحها سنة أو سنتان . والعشار : التي مضى لحملها عشرة أشهر .
5 المصران : البصرة والكوفة .

شهاب تنجلي الظلماء عنه يـرى في كلّ مبهمة منارا

قال النضر : وكان لكعب الأشقريّ ابن أخ شاعر فمدح رجلاً من بني عجل كان مع يزيد بن المهلّب يقال له عمرو . فأمر له بشعير فقال ابن أخي كعب يهجوه : [من الطويل]

لقد خـاب أقوامٌ سَرَوْا ظُلَمَ الدُّجى يَؤُمّـون عَمـراً ذا الشعيرِ وذا البُرِّ
يؤمُّون مَـن نـال الغِنـى بعد شَيْبِه وقاسى وَليـداً مـا يقاسي ذوو الفقرِ
فقل للُجَيْـمٍ يـا لَبَكر بـن وائـل مقالَةَ مَـن يَلحى أُخـاه ومن يُزْري
فلـو كنتـمُ حيّـاً صميمـاً نَفَيْتـمُ بخيلكُـم بالرَّغـم منـه وبالصُّغرِ[1]
ولكنّكم يـا آلَ بكـر بـنِ وائـلٍ يسودُكُمُ مَـن كان في المـال ذا وَفْرِ
هـو المانـع الكلـبَ النُّباحَ وضَيْفُه خَميصُ الحَشا يَرعى النجومَ التي تَسرِي

[هجاؤه لابن أخيه]

قال : وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا تباعد وعداوة ، وكانت أمّه سوداءَ فقال يهجوه : [من البسيط]

إنّ السواد الذي سُرْبلتَ تَعرفـه ميراث جَـدِّك عن آبائـه النُّوبِ
أشبهتَ خالَكَ خالَ اللؤمِ مؤتَسِياً بهَدْيـه سالكـاً في شرّ أُسْلوبِ

[مقتله]

قال المَدائنـيّ في خبره : وكان ابن أُخـي كعب هـذا عدوّاً له يسعى عليه ، فلمّا سأل مَجزأةُ بنُ زياد بن المهلّب أباه في كعب فخلاّه ، دسّ إليه زيادُ بنُ المهلّب ابنَ أخيه الشاعر ، وجعل له مالاً على قتله ، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة ، فضرب رأسه بفاس فقتله ، وذلك في فتنة يزيدَ بن المهلّب وهو بعمان يومئذٍ . وكان لكعب أخ غيرُ أخيه الذي قتله ابنه ، فلمّا قُتِل يزيد بنُ المهلّب فرّق مسلمةُ بنُ عبد الملك أعمالَه على عمّالٍ شتّى فولّى البصرةَ وعُمانَ عبدَ الرحمن بن سليمان الكلبيّ ، فاستخلف عبدُ الرحمن على عُمانَ محمدَ بنَ جابر الراسِبيّ ، فأخذ أُخو كعبٍ الباقي ابنَ أُخيه الذي قَتَل كعباً ، فقدّمه إلى محمد بن جابر ، وطلب القَوَد منه بكعب ؛ فقيل له : قُتِل أخوك بالأمس ، وتَقتلَ قاتلَه وهو ابن أُخيك اليوم ؟ وقد مضى أُخوك وانقضى ، فتَبقى فرداً كقَرْن الأعضب[2] ! فقال : نعم إنّ أُخي كعباً كان سيّدَنا وعظيمَنا ووَجْهَنا ، فقتله هـذا ، وليس فيـه خير ، ولا في بقائِه عزّ ، ولا هو خَلَفٌ من

1 الصغر : الصغار ، الذل .
2 الأعضب : الذي كسر أُحد قرنيه .

كَعب فأنا أقتلُه به ، فلا خير في بقائه بعد كعب ، فقدّمه محمد بن جابر فضرب عنقَه والله أعلم .

[مدح قتيبة بن مسلم]

أخبرنا أبو بكر محمد بنُ خلف بن المَرزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بنِ عديّ ولَقيط وغيرهما ، قالوا : حاصر يزيد بنُ المهلَّب مدينةَ خُوارزمَ في أيّام ولايته ، فلم يَقدِر على فتحها ، واستصعَب عليه ، ثم عُزِل ووُلِّي قتيبةُ بنُ مسلم ، فزحف إليها ، فحاصرها ففتحها ، فقال كعب الأشقريّ يمدحه ويهجو يزيد بنَ المهلَّب بقوله : [من البسيط]

رمتكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمتْ ... من بعد ما رامها الفَجْفاجةُ الصَّلِفُ
صريحَ قيس وبعضُ الناس يجمعهمْ ... قُرًى وريفٌ ومنسوبٌ ومُقترِفُ[1]
منهم شُناسٌ ومَرداذاءُ نَعرفُه ... وفَسْخَراء ، قُبورٌ حَشْوُها القلُفُ
لم يَركَبوا الخيلَ إلاّ بعدما هَرِموا ... فهمْ ثِقالٌ على أكتافها عُنُفُ

قال : الفيل الذي ذكره هو حصن خُوارَزم يقال له الكُهُنْدَر ، والكُهُنْدَر : الحصن العتيق ، والفَجْفاجة : الكثير الكلام . وشُناس : اسم أبي صُفرة ، فغيّره ، وتَسمّى ظالماً ، ومَرْداذاء : أبو أبي صُفْرة ، وسمَّوْه بسراق لمّا تَعرَّبوا ، وفَسْخَراء : جدّه ، وهم قوم من الخُوز[2] من أهل عُمان ، نزلوا الأَزْد ، ثم ادّعَوا أنّهم صَلِيبةٌ صُرَحاءُ منهم .

صوت

[من الطويل]

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارسا ... وقفتُ به يوماً إلى الليلِ حابِسا
فجئنا بهيتٍ لا نَرى غيرَ منزِلٍ ... قليل به الآثارُ إلاّ الروامِسا[3]
يدورون بي في ظلّ كلّ كنيسةٍ ... فينسُونني قومي وأهوى الكنائسا

البيت الأوّل من الشعر للعبّاس بن مِرْداس السُّلَميّ ، وبيت العبّاس مصراعُه الثاني : [من الطويل]

1 قرفه : رماه بسوء .
2 الخوز : جيل من الناس ، فارسي معرب .
3 هيت : بلدة على الفرات . الروامس : الرياح التي تثير التراب .

توهّمتُ منــه رَحْرَحانَ فراكِسا

وغيّره يزيد بن معاوية فقال مكان هذا المصراع : [من الطويل]

وقفتُ بــه يوماً إلى الليل حابِسا

والبيت الثاني للعبّاس بن مِرْداس ، والثالث ليزيدَ بن معاوية ، ذكر بعضُ الرُّواة أنّه قاله على هذا الترتيب وأمَر بُدَيحاً أن يغنّيَ فيه ، ففعل ؛ ولم يأتِ ذلك من جهة يوثَق بها ، والصحيح أنّ الغناء لمالك ، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ ويحيى المكّيّ ، وهذا صوت زعموا أنّ مالِكاً صنعه على لحن سمعَه من الرُّهبان .

أخبرني الحسن بنُ يحيى ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أحمد بن المكّيّ ، عن أبيه ، عن سِياط ، أنّ مالِكاً دخل مع الوليد بن يزيد دَيْراً ، فسمع لَحْناً من بعض الرُّهبان فاستحسنه ، فصنع عليه .

ليس رَسمٌ على الدَّفِين ببــالي

فلمّا غنّاه الوليدَ قال له : الأوّل أحسن فعد إليه . اللحن الثاني الذي لمالك ، ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو ، وأوّله[1] : [من الخفيف]

دَرَّ دَرُّ الشَّباب والشعرِ الأسـ ـوَدِ والضامراتِ تحت الرحالِ
والخناذيذ كالقداح مــن الشو حط يحملــنَ ،شِكّــة الأبطالِ

1 البيتان لعبيد بن الأبرص في ديوانه (دار صادر) : 115 . وفيه «والراتكات» بدل «والضامرات» «والعناجيح» بدل «والخناذيذ» . والراتكات : التي تعدو في خطو متقارب . والعناجيج كالخناذيذ : الخيل الطويلة الصلبة . والشوحط : شجر تتّخذ منه القسي . والشكة : السلاح .

[273] ـ أخبار العباس بن مرداس ونسبه[1]

[نسبه]

العبّاس بن مرداس بن أَبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بنِ مضَر بن نزار ، ويكنى أبا الهيثم ، وإيّاه يعني أخوه سُراقة بقوله يرثيه : [من المتقارب]

أعَيْن ألا أبكـي أَبا الهَيْثَمَ وأُذرِي الدموعَ ولا تسأمي

وهي أبيات تُذكر في أخباره ، وأمّه الخَنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشَّريد ، وكان العبّاس فارساً شاعراً شديد العارضة والبيان ، سيّداً في قومه من كلا طرفيه ، وهو مخضرَم أدرك الجاهلية والإسلام ، ووفد إلى النبيّ ﷺ ، فلمّا أُعطى المؤلَّفةَ قلوبُهم فَضّل عليه عيينةَ بنَ حِصن والأقرعَ بنَ حابس ، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك ، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي ، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع .

[إسلامه]

أَخبرني محمد بنُ جرير الطبريّ قال : حدَّثنا محمد بن حُميد قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمِر ، عن قَبيصة ، عن عمرو والخُزاعيّ عن العبّاس بن مِرداس بن أبي عامر أنّه قال : كان لأبي صنم اسمه ضِمار ، فلمّا حضره الموتُ أوصاني به وبعبادته والقيام عليه ، فعمَدتُ إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت ، وجعلت آتيه في كلّ يوم وليلة مرّة ، فلمّا ظهر أمرُ رسول الله ﷺ سمعتُ صوتاً في جوف الليل راعَني ، فوثبتُ إلى ضِمار ، فإذا الصوت في جوفه يقول : [من الكامل]

قل للقبائل مـن سُليـمٍ كلِّهـا هَلَكَ الأَنيسُ وعاشَ أَهلُ المسجدِ
إن الذي وَرِث النبوّة والهدى بعد ابن مريمَ من قريشٍ مهتدي
أُودى الضِّمارُ وكان يُعبَدُ مَرّةً قبـل الكتابِ إلى النبـيّ محمدِ

قال : فكتمتُ الناسَ ذلك ، فلم أُحدِّث به أَحداً حتى انقضت غَزوة الأحزاب ، فبينا أنا

---

1 للعبّاس بن مرداس ترجمتان في الشعر والشعراء : 218 ، 632 وفي الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وكتب السيرة ومعجم المرزباني : 262 والسمط : 32 والطبري 3 : 172 والخزانة 1 : 152–153 وانظر مقدمة ديوانه ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري .

في إبلي في طرف العَقيق وأنا نائم ، إذ سمعتُ صوتاً شديداً ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا برجل على حِيالي بعمامة يقول : إنّ النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء[1] ، في ديار بني أخي العَنْقاء ، فأجابه طائف عن شماله لا أُبصِره فقال : بَشِّر الجنَّ وأجناسَها ، أن وضعت المَطِيّ أحلاسَها ، وكفّت السماء أحراسَها ، وأن يُغِصَّ السَّوْقُ أنفاسَها ، قال : فوثبتُ مذعوراً وعرفتُ أنّ محمداً رسول الله ﷺ مصطفى ، فركبتُ فرسي وسرتُ حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلَمْت ، وانصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار .

وقال أبو عبيدة : كانت تحت العبّاس بنِ مِرداس حبيبة بنتُ الضحّاك بن سُفيان السُّلَميّ أحد بني رِعْل بن مالك ، فخرج عبّاس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبيّ ﷺ ، فبات بها ، فلمّا أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله ، وقال له : من سألك عنّي فحدِّثْه أنّي لحقتُ بيثربَ ، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلاّ آتياً محمداً وكائناً معه ، فإنّي أرجو أن يكون رحمة من الله ونوراً ، فإن كان خيراً لم أُسبَق إليه ، وإن كان شرّاً نصرتُه لخئُولته ، على أنّي قد رأيت الفضلَ البيِّن وكرامةَ الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته ، واتّباعه ومبايعته ، وإيثارِ أمرِه على جميع الأمور ، فإنّ مناهج سبيله واضحة ، وأعلامَ ما يجيء به من الحقّ نيرة ، ولا أرى أحداً من العرب يَنصِب[2] له إلاّ أُعطِيَ عليه الظفَر والعلوّ ، وأراني قد أُلقِيتْ عليَّ محبّةٌ له ، وأنا باذلٌ نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض ؛ قال : ثم سار نحو النبيّ ﷺ ، وانتهى الرّاعي نحو إبله ، فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبيّ ﷺ ، فقامت فقوّضتْ بيتَها ، ولحقتْ بأهلها ، فذلك حيث يقول عبّاس بن مُرداس ، حين أحرق ضِماراً ولحق بالنبيّ ﷺ[3] : [من الطويل]

لَعَمري إنّي يــوم أجعَل جاهداً ضِماراً لــربّ العالمـين مُشارِكا
وتركي رسول الله والأوسُ حوله أولئك أنصار لــه ، مـا أولئكا ؟
كتارك سهلِ الأرضِ ، والحَزَن يبتغي ليَسلُك في غيب الأمور المسالكا
فآمنــتُ بـالله الذي أنـا عبــدُه وخالفتُ من أمسى يريد الممالكا
وَوَجّهتُ وجهي نحو مكّة قاصداً وتابعت بـين الأخشبين المبارِكا[4]

1 العضباء : اسم ناقة النبي ﷺ .
2 ينصب له : يعاديه .
3 ديوانه : 93–94 عن الأغاني .
4 الأخشبان : جبلان مطيفان بمكّة وهما أبو قبيس والأحمر .

نبيٌّ أتانــا بعــدَ عيسى بناطــق ... مــن الحقّ فيه الفصل منــه كذلكا
أميناً على الفرقــان أوّل شافــع ... وآخــر مبعــوث يجيــب الملائكا
تَلافى عُرى الإسلام بعد انفصامها ... فأحكَمَهــا حتّــى أقــام المَناسِكا
رأيتــك يــا خير البريّــة كلّهــا ... توسّطتَ في القربى من المجد مالِكا
سبقتَهمُ بالمجــدِ والجُــودِ والعُلا ... وبالغاية القصوى تَفوت السَّنابكا
فأنتَ المصفّى من قريش إذا سمتْ ... غَلاصِمُها تَبغِي القُروم الفوارِكا[1]

قال : فقدِم عبّاس على رسول الله ﷺ المدينة حيث أراد المسير إلى مكّة عامَ الفَتْح ، فواعَدَ رسول الله ﷺ قُدَيدا[2] ، وقال : القَني أنت وقومك بقديد ، فلمّا نزل رسول الله ﷺ قُديداً وهو ذاهب ، لقيه عبّاس في ألف من بني سُليم ، ففي ذلك يقول عبّاس بنُ مرداس[3] : [من الطويل]

بلِّــغْ عباد الله أنّ محمــــداً ... رسولَ الإلــه راشدٌ أيــن يمّما
دعــا قومَــه واستنصر اللهَ ربَّــه ... فأصبح قد وافى الإله وأنعما[4]
عشية واعدنــا قُدَيــداً محمّداً ... يــؤمّ بنا أمراً من الله مُحكَما
حلفــت يمينــاً بَرّةً لمحمّــد ... فأوفيته ألفاً مـن الخيل مُعلَما
سرايا يراهــا الله وهــو أميرُها ... يؤمّ بها في الدِّين من كان أظلَما[5]
على الخيل مشدوداً علينا دُروعُنا ... وخيلاً كدُفّـاع الأتيِّ عرمرما[6]
أطعناك حتى أسلم الناس كلّهم ... وحتّى صبَحْنا الخيلَ أهل يَلَمْلَما

وهي قصيدة طويلة .

[موقف زوجته من إسلامه]

قال : ولمّا عرّف راعي العبّاس بن مرداس زوجتَه بنت الضحّاك بن سفيان خبره وإسلامَه

1 الغلاصم هنا : السادة . والقرم : السيد . والفوارك : جمع فارك وهو المبغض لزوجته أو المبغضة لزوجها . أي الذين لا تلهيهم النساء عن عظائم الأمور .
2 قديد : موضع قرب مكّة .
3 ديوانه : 101–103 وفيه اختلاف كبير في اللفظ والترتيب .
4 وافى الله حقّه : أدّاه . وأنعم : زاد .
5 أظلم : ظالم .
6 الدفاع : كثرة الماء وشدّة جريانة . والأتي : السيل . والجيش العرمرم : الكثير .

قوّضتْ بيتها ، وارتحلتْ إلى قومها ، وقالت تؤنّبه : [من الطويل]

ألم ينـه عبّاس بن مِرْداسَ أنّني رأيت الورى مخصوصةً بالفجائعِ
أتاهمْ مـن الأنصار كلُّ سَمَيْذعٍ من القوم يَحمِي قومَه في الوقائعِ
بكلّ شديد الوَقْع عَضْب ، يقودُه إلى الموت هامُ المُقربات البرائعِ[1]
لَعَمري لئن تابعـت دينَ محمد وفارقت إخـوانَ الصّفا والصنائعِ
لبدّلت تلـك النفسَ ذلاً بعِـزّة غداةَ اختلاف المُرهَفات القواطعِ
وقوم هم الرأس المقدَّم في الوغى وأهـلُ الحِجا فينا وأهلُ الدَّسائعِ[2]
سيوفُهُم عـزُّ الذَّليـل وخيلُهـمْ سِهام الأعادي في الأمور الفظائعِ[3]

[احتجاجه على قسمة الغنائم]

فأخبرني أحمد بن محمد بن الجعد قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال : حدَّثنا محمد بن فُلَيج عن موسى بن عقبة ، عن ابن شِهاب ، وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي غَيْلان الثَّقَفيّ قال : حدَّثنا داود بن عمرو الضَّبّيّ قال : حدَّثنا محمد بن راشد عن ابن إسحاق ، وحدَّثنيه محمد بنُ جرير قال : حدَّثنا محمد بن حُمَيد قال : حدَّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ، وقد دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض ، أنّ رسول الله ﷺ قسّم غنائمَ هَوازنَ ، فأكثر العطايا لأهل مكّة ، وأجزل القَسْم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حُنين ، حتى إنّه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة ، والآخر ألف شاة ، وزَوى كثيراً من القَسْم عن أصحابه ، فأعطى الأقرعَ بنَ حابس وعيينةَ بن حصن والعبّاسَ بنَ مرداس عطايا فضّل فيها عيينةَ والأقرعَ على العبّاس ، فجاءه العبّاس فأنشَدَه[4] : [من المتقارب]

وكانت نِهاباً تلافيتُهـا بِكَرِّي على المُهْر في الأَجرَعِ
وإيقاظِيَ الحـيَّ أن يرقُدوا إذا هجع القـومُ لم أهجَعِ
فأصبحَ نَهبِـي ونَهبُ العُبيـ ـدِ بين عُيينةَ والأقرعِ[5]

---

1 المقربات : جمع مقربة ، وهي الفرس التي تقرب وتكرم ، أو التي ضمرت للركوب . والبرائع : جمع بريعة ، وهي المرأة الجميلة العاقلة ، وقد جعلت هنا وصفاً للفرس .
2 الدسائع : جمع دسيعة وهي العطية الجزلة .
3 سهام في ل : سمام .
4 ديوانه : 83-85 .
5 العبيد : فرس العباس بن مرداس .

وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرإٍ ... فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمنَعِ[1]

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان مرداسَ في مجمعِ

وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تصنع اليومَ لا يُرفعِ

فبلغ قومه رسولَ الله ﷺ ، فدعاه فقال له : أنت القائل : «أَصْبَحَ نَهبِي ونهبُ العبيد بين الأَقرع وعيينة ؟» فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ، لم يقل كذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ، ولا ينبغي لك الشعرُ ، وما أنت براوية ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : هما سواء ، لا يضرّك بأيّهما بدأت : بالأقرع أمّ بعيينة ، فقال رسول الله ﷺ : اقطعوا عنّي لسانَه ، وأمر بأن يُعطوه من الشّاء والنَّعَم ما يرضيه ليُمسِك ، فأُعطِيَ ، قال : فوجَدَتِ الأنصارُ في أنفسها ، وقالوا : نحن أصحاب مَوْطِن[2] وشدّة ، فآثر قومه علينا ، وقسم قَسْماً لم يقسمه لنا ، وما نراه فعل هذا إلاّ وهو يريد الإقامة بين أظهرهم ، فلمّا بلغ قولُهم رسولَ الله ﷺ أتاهم في منزلهم فجمعهم ، وقال : من كان هاهنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ، قد بلغتني مقالةٌ قلتموها ، وموجِدة وجَدْتموها في أنفسكم ، أَلَم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله ؟ قالوا : بلى . قال : أَلَم آتكم قليلاً فكثركم الله ؟ قالوا : بلى . قال : أَلَم آتكم أعداءً فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى .

قال محمد بن إسحاق : وحدَّثني يعقوب بن عيينة أنّه قال : أَلَم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها ؟ قالوا : بلى . قال : أفلا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ قالوا : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات ، فأخرَجنا اللهُ بك إلى النور ، وجئتَنا يا رسول الله ونحن على شفا حُفْرة من النار ، فأنقذنا الله ، وجئتَنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزّنا الله بك ، فرضينا بالله ربّاً ، وبالإسلام دِيناً ، وبمحمد رسولاً . فقال ﷺ : أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا ، فقلتم : جئتَنا طريداً فآويناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وعائلاً فأغنيناك ، ومكذَّباً فصدّقناك ، وقبِلْنا منك ما ردّه عليك الناسُ ، لقد صدقتم . فقال الأنصار : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم ، وبكى رسول الله ﷺ ، وقال : يا معشر الأنصار وَجَدْتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرتُ بها ناساً أتألّفهم على الإسلام ليُسلِموا ، ووكَلْتكم إلى الإسلام ، أو لا ترضَون أن يذهب الناسُ بالشاء والإبل ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ والذي نفس محمد بيده

1 ذو تدرأ : ذو دفع من قومي .

2 موطن : مشهد في الحرب .

لو سلك الناسُ شِعْباً وسلك الأنصار شِعْباً لسلكتُ شِعب[1] الأنصار ، ولولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار ، ثم بكى القوم ثانيةً حتى أخضَلوا لِحاهُم ، وقالوا : رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حَظّاً وقَسْماً ، وتفرّق القوم راضين ، وكانوا بما قال لهم رسولُ الله ﷺ أشدَّ اغتباطاً من المال .

وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر : أُعطي رسولُ الله ﷺ جماعةً من أشراف العرب عطايا يتألّف بها قلوبَهم وقومَهم على الإسلام ، فأَعطى كلَّ رجلٍ من هؤلاء النّفر ، وهم : أبو سفيان بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن هشام ، وسُهَيل بن عمرو ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ، وصفوان بن أميّة ، والعلاء بن حارثة الثَّقَفيّ حليفُ بن زُهرة ، وعيينة بن حِصْن ، والأقرع بن حابس ، مائةً من الإبل ، وأَعطى كلَّ واحد من مَخْرَمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤيّ وسعيد بن يربوع ، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقلّ ، وأعطى العبّاس بنَ مرداس أباعر ، فتسخَّطَها وقال الأبيات المذكورة ، فأعطاه حتى رضي .

[بين عبد الملك وعبد الله بن الزُّبير]

حدَّثنا وكيع قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا عطاء بنُ مصعب ، عن عاصم بنِ الحَدَثان قال : كتب عبد الملك بن مروانَ إلى عبد الله بن الزُّبير كتاباً يتوعّده فيه وكتب فيه : [من الطويل]

إنّي لَعِندَ الحرب تحمل شِكّتي ... إلى الرَّوْعِ جَرْداء السَّيالة ضامرُ

والشعر للعبّاس بن مرداس . فقال ابن الزُّبير : أبالشعر يقوى عليّ ؟ والله لا أجيبه إلاّ بشعر هذا الرجل ؛ فكتب إليه[2] : [من الوافر]

إذا فُـرِس العَـوالي لم يخالجْ ... هُمومي غير نصرٍ واقترابِ[3]
وإنّا والسَّوابح يـومَ جُمْـعٍ ... وما يتلو الرسول من الكتابِ[4]
هزمْنا الجمعَ جمعَ بني قِسِيٍّ ... وحكّت بَرْكَهـا ببني رِئابِ[5]

هـذه الأبـيات مـن قصيـدة يفخـر بهـا العبّـاس برسول الله ﷺ ونصرِه لـه ، وفيهـا يقـول : [من الوافر]

1 ل : مسلك .
2 ديوانه : 33–34 وفيه اختلاف .
3 فُرِس : دقّ وكسر .
4 جمع في ل : بدر .
5 البرك : كلكل البعير . ويقال في شدّة الحرب «حكت بركها بهم» .

بذي لَجَــب رسولُ الله فيــه   كتيبتُه تَعــرَّضُ للضِّــراب[1]
ولو أدركن صِرم بنــي هلالٍ   لآمَ نساؤهــمْ والنَّقْــع كابي[2]
ركضن الخيل فيهم يوم لبنى :   إلى الأرواد تنحط بـالنهابِ

[مقتل أخيه هريم]

قال أبو عبيدة : وكان هُرَيم بنُ مرداس مجاوراً في خُزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر ، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُوَيْلد ، وبلغ ذلك أخاه العبّاس بن مرداس ، فقال يحضّ عامراً على الطلب بثأر جاره ، فقال : [من الطويل]

إذا كان باغٍ منك نالَ ظُلامةً   فإنّ شفاء البغي سيفُك فافصِلِ
ونبّئت أن قــد عوّضوك أباعراً   وذلك للجيران غــزل بمغزلِ
فخذها فليست للعزيز بنُصرةٍ   وفيهــا متــاعٌ لامرىء متذلّلِ

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لّما دعاه عليّ عليه السلام إلى البيعة ، وتحدّث الناسُ أنّه وعده أن يولّيه الشام إذا بايعه .

قال : فلمّا بلغتْه هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغُسل حتى يثأر بهُرَيم ، ثم إنّ أبا حُلَيْس النَّصْرِيَّ لقِي خويلداً قاتِلَ هُرَيم فقتَله ، فقال بنو نصر : بُؤْ بدم فلان النصريّ ، رجل كانت خزاعة قتلتْه ، فقال أبو الحليس : لا ، بل هو بُؤْ بدم هُرَيم بن مرداس ، وبلغ ذلك العبّاس ، فقال يمدحه بقوله[3] : [من الطويل]

أتاني من الأنباء أنّ ابنَ مالكٍ   كفى ثائراً من قومــه مَن تغيَّبا
ويَلقاك ما بين الخَميس خُويلدٌ   أرى عَجَباً بل قتله كان أعجبا
فِدًى لك أُمّي إذ ظَفِرتَ بقتلِهِ   وأقسم أبغي عنك أمّا ولا أبا[4]
فمثلُكَ أدّى نُصرةَ القوم عَنوةً   ومثلُك أعيا ذا السّلاح المجرّبا

[حرب بني نصر]

قال أبو عبيدة : أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بني سُلَيم ، فبلغ ذلك العبّاس بنَ مرداس ، فخرج إليهم في جمع من قومه ، فقاتلهم حتى أكثَر فيهم القتل ، وظهرت عليهم بنو سُلَيم ، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم ، وأخذتْ بنو نصر فرساً للعبّاس

1 الشطر الثاني في ل : كعارضة . . . للضراب .
2 كابي : مرتفع .
3 ديوانه : 113 عن الأغاني .
4 أقسم أبغي : أقسم لا أبغي .

عائرةً يقال لها زِرّة[1] ، فانطلق بها عطيّة[2] بنُ سُفْيان النَّصْرِيّ ، وهو يومئذٍ رئيس القوم ، فقال في ذلك العبّاس[3] : [من الطويل]

أبى قومنا إلاّ الفرارَ ومن تكن هوازنُ مولاه من الناس يُظلمِ
أغار علينا جمعُهمْ بين ظالمٍ وبين ابن عمٍّ كاذبِ الودِّ أَيْهَمِ[4]
كلاب وما تفعل كلابٌ فإنّها وكعب سراة البيت ما لم تهدَّمِ
فإن كان هذا صُنعُكم فتجرَّدوا لألفين منّا حاسر ومُلأَّمِ[5]
وحربٍ إذا المرء السَّمين تمرّستْ بأعطافه بالسيف لم يترمرمِ[6]
ولم أحتَسِبْ سُفيانَ حتى لقيتُه على مأقط إذ بيننا عِطر مَنْشمِ[7]
فقلت وقد صاح النساء خلالَهم لخيليَ شُدّي إنّهم قومُ لَهذَمِ[8]
فما كان تهليلٌ لُدنْ أن رميتُهمْ بزِرّةَ رَكْضاً حاسِراً غيرَ مُلجَمِ
إذا هي صدّت نحرَها عن رماحِهم أقدّمها حتى تَنعَّل بالدمِ
وما زال منهم رائغٌ عن سبيلها وآخَرُ يَهوِي لليدين وللفمِ
لَدُن غُدوةً حتى استُبيحوا عشيّةً وذلّوا فكانوا لحْمَة المتلحِّمِ[9]
فآبوا بها عُرْفاً وألقيتُ كَلْكَلي على بَطَل شاكي السِّلاح مكلَّمِ[10]
ولن يمنع الأقوام إلاّ مُشايحٌ يُطارد في الأرض الفضاء ويرتمي[11]

قال : ثم إنّ العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر ، وكانوا ثلاثين رجلاً ،

---

1 ل : زورة .
2 ل : غبطة .
3 ديوانه : 145–146 عن الأغاني .
4 أيهم : لا عقل له ولا فهم .
5 حاسر : بلا درع أو بيضة . والملأم : اللابس عدّة الحرب .
6 السمين في ل : السليم . ترمرم : حرّك فاه بالكلام .
7 المثل : «أشام من عطر منشم» أو «دقوا بينهم عطر منشم» في معظم كتب الأمثال . والمأقط : الضيق الذي يتقاتلون فيه .
8 لخيلي شدي في ل : لقومي شدوا . اللهذم : القاطع من الأسنة .
9 المتلحّم : طالب اللحم .
10 عرفاً : معترفين بالهزيمة .
11 مشايح : مقاتل .

فأطلقهم ، وظنّ أنّهم سيثيبونه بفعله ، وأنّ سفيانَ سيردّ عليه فرسَه زِرّةَ ، فلم يفعلوا ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أزِرّة خيرٌ أم ثلاثــون منكــمُ طليقــاً رددناه إليكُــمْ مسلَّما

قال : وجعل العباسُ يهجو بني نصر ، فبلغه أنّ سفيانَ بن عبد يغوثَ يتوعّده في ذلك ، فلقِيَه عبّاس في المواسم ، فقال له ألا توفيني ما زعمت ؟ فقال له سفيان : والله لتنتهينّ أو لأصرمنّك ، فقال عباس : [من الطويل]

أتوعدني بالصَّرْم إن قلـت أوفني فاوفِ وزِدْ في الصَّرم لِهزمَةَ النتنِ

وقال العباس أيضاً فيه[1] : [من الوافر]

ألا مَــن مُبلـغ سُفيانَ عنّــي وظنّــي أن سيبلغــه الرسولُ
ومــولاه عطيّـــة أنّ قِيـــلا خلا منّي وأن قد بات قِيلُ[2]
سئمتمْ ربَّكــمْ وكفرتمــوه وذلكـــــمُ بأرضكــمُ جميلُ
ألا تُــوفي كما أوفى شبيبٌ فحلّ لــه الولايــةُ والشُّمولُ
أبــوه كان خيــركم وفــاءً وخيــركم إذا حُمِـد الجميلُ
ألام على الهجـاء وكلّ يــوم تلاقيني مــن الجيران غولُ[3]
سأجعلها لأجمَعِكــم شِعــاراً وقــد يَمضي اللسان بما يقولُ

وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخبارَه بذكرها ، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غَزاةٍ غزاها بني زُبيد باليمن .

[حربه مع بني زبيد]

قال أبو عمرو وأبو عُبيدة : جمع العبّاس بن مرداس بن أبي عامر ، وكان يقال للعبّاس : مقطِّع الأوتاد ، جمعاً من بني سُلَيم فيه من جميع بطونها ، ثم خرج بهم حتى صبّح بني زبيد بتثليثَ من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ؛ فقتل فيها عدداً كثيراً ، وغنم حتّى ملأ يديه ، فقال في ذلك[4] : [من الطويل]

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليــومَ دارسا وقفتُ بــه يوماً إلى الليل حابِسا

1 ديوانه : 125 عن الأغاني .
2 القيل : القول . خلا : مضى .
3 الغول : الداهية .
4 ديوانه : 68–71 وفيه اختلاف .

يقول فيها : [من الطويل]

فدع ذا ولكنْ هل أتاكَ مَقادنا لأعدائنا نزجي الثقالَ الكَوادِسا[1]
سموْنا لهم تسعاً وعشرين ليلةً نُجيزُ من الأعراض وَحشاً بَسابِسا[2]
فلم أرَ مِثلَ الحيِّ حيّاً مصبِّحا ولا مِثلَنا يوم التقَينا فوارِسا
إذا ما شددْنا شَدَّةً نصَبوا لنا صدورَ المَذاكي والرماحَ المَداعِسا[3]
وأحصَنَنا منهمْ فما يبلغوننا فوارسُ منّا يحبسون المَحابسا
وجُرْدٌ كأنّ الأُسد فوق مُتونها من القوم مرؤوساً كَمِيّا ورائسا
وكنتُ أمامَ القوم أوّلَ ضاربٍ وطاعنتُ إذ كان الطِّعان مُخالسا[4]
ولو مات منهمْ من جرحْنا لأصبحتْ ضِباعٌ بأكناف الأُراكِ عرائسا

فأجابه عَمرو بنُ معديكَرِبَ عن هذه القصيدة بقصيدة أوّلها : [من الطويل]

لِمن طللٌ بالخَيْفِ أصبَحَ دارسا تبدَّل آراما وعِيناً كوانِسا

وهي طويلة ، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة ، وإنّما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أوّلها !

[بكاؤه على جلاء بني النضير]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا أبو غَزِيّة عن فُليح بن سليمان قال : قال العبّاس يذكر جَلاء بني النَّضير ويبكيهم بقوله[5] : [من الطويل]

لو آن قَطِينَ الدّار لم يتحمّلوا وجدت خلال الدار مَلْهى ومَلعَبا
فإنّك عَمري هل رأيتَ ظعائنا سَلَكن على رُكن الشظاة فميثَبا[6]
عليهنّ عِينٌ من ظِباءِ تَبالةٍ أوانس يُصبين الحليمَ المجرّبا
إذا جاء باغي الخيرِ قلن بشاشةً له بوجوهٍ كالدّنانير : مَرحَبا

1 الكوادس : المسرعة .
2 الأعراض : قرى بين الحجاز واليمن . البسابس : القفار .
3 المداعس : جمع مدعس وهو الرمح الغليظ الشديد .
4 مُخالسا في ل : تخالسا .
5 ديوانه : 38–39 وفيه اختلاف .
6 الشظاة وميثب : موضعان .

وأهـلاً فـلا ممنـوع خيرٍ طلبتَه — ولا أنتَ تَخشى عندنـا أن تُؤنَّبا
فلا تَحسَبَنّي كنتُ مولى ابن مِشْكمٍ — سلامٍ ولا مـولى حُيَيّ بن أخطبا[1]

فقال خوّات بنُ جُبير يجيب العبّاس : [من الطويل]

أتبكي على قتـلى يهودَ وقد ترى — من الشَّجْو لـو تبكي أحقَّ وأقربا
فهـلاّ على قتـلى ببطـنِ أُوارةٍ — بكيتَ وما تبكي من الشجو مغضبا
إذا السِّلم دارت في الصديق رددتَها — وفي الدِّين صَدّادا وفي الحرب ثعلبا
وإنّـك لمـا أن كلِفت بمدحـةٍ — لِمـن كان مَيْنـا مدحُـه وتكذُّبا
وجئـتَ بأمـر كنت أهلاً لمثله — ولم تُلفِ فيهم قائـلاً لكَ مرحبا
فهـلاَّ إلى قـوم ملوكٍ مدحتَهمْ — بَنوا مـن ذُرا المجد المقدَّم مَنصبا
إلى معشر سادوا الملوكَ وكُرِّمـوا — ولَم يُلَف فيهم طالبُ الحقِّ مُجدِبا
أولئك أولى مـن يهـودَ بمِدحةٍ — تراهمْ وفيهم عـزّةُ المجدِ تُرْتَبا[2]

فقال عبّاس بن مرداس يجيبه : [من الطويل]

هجوتَ صريحَ الكاهنَين وفيكمُ — لهم نِعَم كانت من الدَّهـرِ تُرْتَبا[3]
أولئك أحـرى إن بكيتَ عليهمُ — وقومُك لو أدَّوا مـن الحقِّ موجَبا
من الشكرِ إنّ الشكر خيرُ مَغبّةٍ — وأوفَقُ فِعـلاً للذي كان أصوَبا[4]
فصرتَ كمَن أمسى يقطِّع رأسَه — ليبلغَ عـزّاً كان فيـه مركَّبا
فبَكِّ بني هارونَ واذكـر فَعالَهمْ — وقتلهمُ للجـوع إذ كُنْتَ مُسغبا

قال الزُّبير : فحدَّثني محمد بن الحسن عن مُحرِز بن جعفر قال : التقى عبّاس بنُ مرداس وخوّات بنُ جبير يوماً عند عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقال خوّات : يا عبّاس أأنت الذي رثيتَ اليهود ، وقد كان منهم في عداوة رسول الله ﷺ ما كان ! فقال عباس : إنّهم كانوا أخلاّئي في الجاهلية ، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرمونني ، ومثلي يشكر ما صُنِع إليه من الجميل ، وكان بينهما قول حتى تجاذبا . فقال له خوّات : أما والله لئن استقبلت غَرْب[5]

1 مشكم في ل : سالم . حيي بن أخطب : سيد بني النضير .
2 عزة المجد ترتبا في ل : طابع اللؤم يرتبا .
3 الترتب : المقيم الثابت .
4 فعلاً في ل : قدماً .
5 غرب الشباب : شدته .

شبابي ، وشَبا أنيابي ، وخَشِن جوابي ، لتكرهنّ عتابي . فقال عبّاس : والله يا خوّات ، لئن استقبلت عَنِّي وفَنِّي[1] وذكاءَ سِنِّي ، لَتفِرّنّ منِّي ، إيّاي تتوعّد يا خوّات ، يا عاني[2] السوآت ! والله لقد استقبلك اللؤمُ فرَدَعَك[3] ، واستدْبَرك فكسَعَك ، وعَلاك فوَضَعك ، فما أَنت بمهجوم عليك من ناحية إلاّ عن فضل لؤم ؛ إيّاي ، ثكِلتْك أُمُّك ، تروم ؟ وعليّ تقوم ؟ والله ما نُصيبتْ سُوقُك ، ولأظهرنّ عليك بعدُ ؛ فقال عمر لهما : إمّا أن تسكتا وإمّا أن أوجِعَكما ضرباً ، فصَمَتا وكَفّا .

أُخبرني بذلك علي بن نصر قال : حدَّثني الحسن بن محمد بن جرير ، وحدَّثني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك .

وللعبّاس مع خَوّات مناقضات أُخَرُ في هذا المعنى ، كرهتُ الإطالةَ بذكرها .

[رثاء أخيه له]

قال أَبو عبيدة : وكان العبّاس وسراقة وخَزن وعمرو بنو مِرْداس كلّهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وكلّهم كان شاعراً ، وعبّاس أشعرهم ، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم ، ومات في الإسلام ، فقال أخوه سراقة يرثيه : [من المتقارب]

أعينِ ألا أبكي أبا الهيثم وأذرِي الدموعَ ولا تسأَمِي
وأثْني عليه بآلائه بقول امرىء موجَع مؤلَمِ
فما كنتُ بائعه بامرىء أراهُ ببَدْوٍ ولا مَوْسمِ
أشدّ على رجل ظالم وأدهى لداهية مِيثَمِ[4]

وقالت أخته عمرة ترثيه : [من الطويل]

لِتَبكِ ابنَ مرداسٍ على ما عَراهُمُ عشيرتُه إذ حُمَّ أَمسِ زَوالُها
لدى الخصم إذ عند الأَمير كفاهُمُ فكان إليه فصلُها وجِدالُها
ومُعضِلة للحاملين كفيتها إذا أنهلت هُوج الرياح طِلالُها[5]

---

1 العن : الاعتراض . والفن : الأمر العجب . يقال رجل معن مفن .

2 ل : مآوي .

3 ردعه بالشيء : لطخه به . وكسعه : ضرب دبره .

4 الميثم : الشديد الوطء .

5 طلال : جمع طل ، وهو المطر الخفيف .

[دعاء النبيّ لأمّته يوم عرفة]

وقد روى العباسُ بنُ مرداس عن النبيّ ﷺ ، ونقل عنه الحديث .

حدَّثنا الحسين بن الطيّب الشجاعيّ البَلْخيّ بالكوفة قال : حدَّثنا أيّوب بن محمد الطّلحيّ قال : حدَّثنا عبد القاهر بن السريّ السُّلَميّ قال : حدَّثنا عبد الله بن كِنانة بن عباس بن مرداس السلميّ أن أباه حدّثه عن جدّه عبّاس بن مرداس أنّ النبيّ ﷺ دعا لأمّته عشيّةَ عَرَفة قال : فأُجيبَ لهم بالمغفرة إلاّ ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض ، قال : فإنّي آخذ للمظلوم من الظالم ، قال : أيْ ربِّ إن شئت أعطيتَ للمظلوم من الجنّة ، وغفرتَ للظالم ، فلم يجب في حينه ، فلمّا أصبح في المزدلفة أعاد الدعاء ، فأجيب لهم بما سأل ؛ فضحك النبي ﷺ أو تبسّم ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : بأبي أنت وأمّي ! إنّ هذه لساعة ما كنتَ تَضحك فيها أو تَبسَّم ، فقال : إنّ إبليس لمّا علِم أنّ الله غفر لأمّتي جعل يَحثُو الترابَ على رأسه ، ويدعو بالوَيْل والثُّبور ، فضحكتُ مِن جَزَعه . تمّت أخبارُ العبّاس .

صوت

[من البسيط]

أرجوكَ بعد أَبي العبّاس إذ بانا ... يا أَكرم الناسِ أعراقاً وعِيدانا
أَرجوك من بعدِه إذ بان سيِّدنا ... عنّا ولولاك لاستسلمت إذ بانا
فأَنت أَكرمُ من يَمشي على قدم ... وأنضرُ الناس عند المَحَلْ أغصانا
لو مَجَّ عُودٌ على قومٍ عُصارَتَه ... لمجّ عودُك فينا المِسكَ والبانا

الشعر لحمّاد عَجْرد ، والغناء لحَكَم الواديّ ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبِنصر في مجراها .

[274] ـ أخبار حمّاد عَجْرد ونسبه[1]

[نسبه]

هو حمّاد بنُ يحيى بن عمر بن كُلَيب ، ويُكنى أبا عُمَر ، مولى بني عامر بن صعصعة ، وذكر ابن النطّاح أنّه مولى بني سَراةَ ، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنّه مولى بني عُقيل ، وأصلُه ومنشؤه بالكوفة ، وكان يَبرِي النَّبل ، وقيل : بل أبوه كان نَبّالاً ، ولم يتكسّب هو بصناعة غير الشعر .

وقال صالح بن سليمان : كان عمٌّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس بن كليب ، وكانت له هيئة ، وابن عمّه عُمارة بن حمزةَ بن كليب ، انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً ، فكانوا بها ، وحمّاد من مخضرَمي الدولتين الأمويّة والعباسيّة ، إلاّ انّه لم يشتهر في أيّام بني أميّة شهرتَه في أيّام بني العبّاس ، وكان خليعاً ماجِناً ، متّهماً في دِينه ، مرمّياً بالزندَقة .

[هجاء بشّار له]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمد بن أبي طاهر قال : قال أبو دعامة : حدَّثني عاصمُ بن أفلَحَ بن مالك بن أسماء قال : كان يحيى أبو حمّاد عجرد مولًى لهندِ بنت أسماءَ بن خارجة ، وكان وكيلاً لها في ضَيْعتها بالسَّواد ، فولدتْ هندٌ من بِشرِ بنِ مروان عبدَ الملك بن بِشر ، فجرّ عبد الملك ولاء مَوالي أمّه فصاروا مَواليه . قال : ولّما كان والدُ حمّاد عَجْرد بالسواد في ضَيْعتها نَبَّطه[2] بشّارٌ لّما هَجاه بقوله : [من البسيط]

واشدُدْ يديك بحمّاد أبي عُمرٍ   فإنّــه نَبَطِــيٌّ مِــن زَنابِيــرِ[3]

[تلقيبه عجرد]

قال : وإنّما لقّبه بعجرد عمرو بن سِنْدِيّ مولى ثقيف لقوله فيه : [من الخفيف]

---

1 لحماد عجرد ترجمة في الشعر والشعراء : 663–665 وطبقات ابن المعتزّ : 67–72 ومعجم الأدباء : 1196–1198 ووفيات الأعيان 2 : 210–214 وأنساب الأشراف 3 : 180 . وتاريخ بغداد 8 : 148 وسير الذهبي 7 : 159 وأمالي المرتضى 1 : 133 . والوافي 13 : 142 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 نبّطه : نسبه إلى النبط .

3 زنابير : أرض باليمن ، وفي ل : دنانير .

سَبَحَتْ بغلــةٌ ركبتَ عليهـا عجباً منــك خَيبةٌ للمَسيرِ
زعمــتْ أنّهـــا تَـــراه كبيراً حَملَها عَجردَ الزّنــا والفُجورِ
إن دهراً ركبتَ فيــه على بَغْـ ـــلٍ وأوقَفتَــه بباب الأميرِ
لَجديرٌ ألاَّ نَـــرى فيــه خيراً لصغيـــر منّـــــا ولا لِكبيرِ
ما امرؤ ينتَقيك يا عُقْدة الكَلْـ ـب لأسراره بجِـــدٍّ بَصيرِ[1]
لا ولا مجلسٌ أجَنَّـــك للّـــ ـذّ ات يــا عَجْرَدَ الخَنا بسَتيرِ[2]

يعني بهذا القول محمد بنَ أبي العبّاس السفّاح ، وكان عَجْرَد في نُدَمائه ، فبلغ هذا الشعرُ أبا جعفر ، فقال لمحمد : ما لي ولعجرد يَدخُل عليك ؟ لا يَبلغُني أنّك أذنتَ له ، قال : وعَجرد مأخوذٌ من المعجرِد ، والعُريان في اللغة ، يقال : يتعجرد الرجلُ إذا تَعرَّى فهو يتعجرد تعجرداً : وعجردتُ الرجلَ أُعجردُه عَجردةً إذا عرّيته .

[الحمادون الثلاثة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، ونسختُ من كتاب عبد الله بن المعتزّ ، حدَّثني الثقفيُّ عن إبراهيم بن عمر العامريّ قال : كان بالكوفة ثلاثة نَفَر يقال لهم الحَمّادون : حمّاد عَجْرد وحَمّاد الراوية ، وحمّاد بن الزِّبرِقان ، يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرةً جميلة ، وكانوا كأنّهم نفس واحدة ، يُرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حمّادُ عَجرد .

أخبرنا الفضل بن الحُباب الجُمَحيّ أبو خليفة إجازةً عن التوّزيّ : أنّ حمّاداً لقِّب بعجرد لأنّ أعرابيّاً مرَّ به في يوم شديدِ البَرْد وهو عُريان يلعب مع الصِّبيان فقال له : تعجردتَ يا غلام ؛ فسمِّيَ عجرداً .

قال أبو خليفة : المتعجرِد : المتعرِّي ؛ والعَجْرد أيضاً : الذهب .

[تهاجيه مع بشار]

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، عن عليّ بن مهديّ ، عن عبد الله بن عطيّة ، عن عبّاد بن الممزّق ، وأخبرني أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : كان السبب في مهاجاة حمّاد عجردٍ بشّاراً أنّ حمّاداً كان نديماً لنافع بن عُقبة ، فسأله بشّار تنجُّز حاجة له مِن نافع ، فأبطأ عنها ، فقال بشّارٌ فيه : [من الطويل]

1 عقدة الكلب : قضيبه .
2 أجنّك : سترك . ستير : مستور .

مواعيــدُ حمّــادٍ سمــاءٌ مُخيلــةٌ ... تَكشّفُ عن رعد ولكن ستَبرُقُ[1]
إذا جئتَــه يومــاً أَحالَ على غــدٍ ... كما وعد الكَمُّون ما ليس يَصدقُ[2]
وفي نافــع عنّــي جَفــاءٌ ، وإنّني ... لأُطرق أحياناً ، وذو اللُّبّ يُطرِقُ
وللنَّقَرى قــومٌ فلــو كنتُ منهمُ ... دُعيتُ ولكن دونِيَ البابُ مغلقُ[3]
أَبا عُمَرٍ خَلّفْتَ خلفَــك حاجتــي ... وحاجةُ غيري بــين عينيك تَبرُقُ
وما زلتُ أستأنيك حتى حسرتَني ... بوعدٍ كجاري الآلِ يَخفى ويخفقُ[4]

قال : فغضب حمّاد وأنشَد نافعاً الشِّعرَ ، فمَنَعه من صلة بشّار ، فقال بشّار : [من الطويل]

أَبا عُمرٍ مــا في طِلابِكَ حاجةٌ ... ولا في الذي منَّيتنا ثــمّ أصحرا
وعَدْتَ فلم تَصدُق وقلتَ غداً غَداً ... كما وُعِــدَ الكَمُّون شِرْبــاً مؤخَّرا

قال : فكان ذلك السبب في التّهاجي بين بشّار وحمّاد .

[من كبار الزنادقة]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني أَبو إسحاق الطَّلْحيّ قال : حدَّثني أَبو سُهيل قال : حدَّثني أَبو نواس قال : كنت أتوهّم أنّ حمّاد عجرد إنّما رُمِيَ بالزندقة لمُجونه في شعره ، حتى حُبِستُ في حبس الزَّنادقة ، فإذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمّتهم ، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرؤون به في صلاتهم ، قال : وكان له صاحب يقال له حريث على مذهبه ، وله يقول بشّارٌ حين مات حمّادُ عجردٍ على سبيل التعزية له : [من البسيط]

بَكــى حُريثٌ فوقّــره بتعزيــةٍ ... مات ابن نِهْيا وقد كانا شريكَيْنِ
تَفاوَضا حين شابــا في نسائهما ... وحَلّــلا كلَّ شيء بــين رِجلَيْنِ[5]
أَمسى حُريثٌ بما سَدَّى لــه غَيَراً ... كراكب اثنين يرجــو قــوّةَ اثنينِ
حتى إذا أَخَــذا في غير وجهِهما ... تفرَّقــا وهــوى بــين الطّريقَينِ

يَعنِي أنّه كان يقول بقول الثَّنويَّة في عبادة اثنين ، فتفرَّقا وبقِيَ بينهما حائراً ، قال : وفي حمّاد يقول بشّار أيضاً وينسُبه إلى أنّه ابن نِهْيا : [من الخفيف]

---

1 السحابة المخيلة : التي يقدر فيها المطر ولا تمطر .

2 المثل «مواعيد الكمّون» في مجمع الميداني 1 : 254 والدرة الفاخرة 1 : 178 ويقال أيضاً «أخلف من شرب الكمون» .

3 يدعو النقرى : يدعو بعضاً دون بعض ، وخلافه الجفلى .

4 استأنى : تمهّل .

5 تفاوضا : تشاركا .

يا ابن نِهْيا رأسٌ عليّ ثقيلُ ... واحتمالُ الرؤوس خَطْبٌ جليلُ
ادْعُ غيري إلى عبادة الاثْنَيْـ ... ـنِ فإنّي بواحدٍ مشغولُ
يابن نِهْيا برئتُ منك إلى اللـ ... ـه جهاراً ، وذاك منّي قليلُ

قال : فأشاعَ حمّاد هذه الأبيات لبشّار في الناس ، وجعل فيها مكان «فإنّي بواحد مشغول» : «فإنّي عن واحد مشغول» ليصحّح عليه الزندقة والكفرَ بالله تعالى ، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشّار ، فاضطرب منها وتغيّر وجزع وقال : أَشاطَ ابنُ الزانية بِدَمي[1] ، والله ما قلت إلاّ «فإنّي بواحد مشغولُ» فغيّرها حتى شَهَرني في الناس بما يهلكني .

أخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أَبي شيخ قال : حدَّثني صالح بنُ سليمانَ الخَثْعَميّ قال : قيل لعبد الله بن ياسين : إنّ بشاراً المرعَّثَ[2] هجا حمّاداً فنبَّطه ، فقال عبد الله : قد رأيتُ جدّ حمّاد ، وكان يسمَّى كُليباً ، وكانت صناعتُه صناعة لا يكون فيها نَبَطِيّ ، كان يَبرِي النّبالَ ويَريشُها ، وكان يقال له : كُلَيب النّبّال ، مولى بني عامر بن صعصعة .

أُخبرني أَحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ، قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيُّ قال : حدَّثني أَحمد بنُ خَلاّد قال : كان بشّارٌ صديقاً لسُلَيْم بن سالمٍ مولى بني سعد ، وكان المنصورُ أيّامَ استَتَر بالبَصرة نزل على سلَيْم بن سالم ، فولاّه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السُّوسَ وجُنْدَيْسابور ، فانضَمَّ إليه حَمّاد عجرد ، فأفسده على بشّار ، وكان له صديقاً ، فقال بشّار يهجوهما : [من البسيط]

أمسى سُلَيم بأَرض السُّوسِ مُرتَفِقاً ... في خَزّها بعدَ غِرْبالٍ وأَمدادِ[3]
ليس النعيم وإنْ كُنّا نُزَنّ به ... إلاّ نعيم سُلَيم ثمّ حمّادِ[4]
نِيكا وناكا ولَم يَشعُر بذا أحدٌ ... في غفلةٍ مِن نبيّ الرحمة الهادي

فنَشِب الشرُّ بين حمّاد وبشّار .

أُخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمّد بنُ القاسم بن مَهْرُويَه ، عن عمرَ بنِ شبّة ، عن أَبي أيّوب

1 أشاط بدمي : عمل على هلاكي .
2 لقّب بشار بالمرعث لرعثة كانت له وهو صغير في أذنه . والرعثة كل ما يعلق بالأذن من قرط ونحوه .
3 أمداد : جمع مُدّ .
4 يزن : يتّهم .

الزباليّ[1] ، قال : كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد وبشّار على اتّفاق منهما ورِضاً بأن يَنقُلَ إلى كلّ واحدٍ منهما وعنه الشِّعر الذي مرَّ ، فدخل يوماً إلى بشّار فقال له : إيهٍ يا فلان ، ما قال ابن الزانية فيّ ؟ فأنشده : [من السريع]

إنْ تـاهَ بَشّارٌ عليكمْ فقد أُمكنتُ بشّاراً مـن التِّيـهِ

فقال بشّار : بايّ شيء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سَمّيتُه باسمـه ولم يكـن حُـرٌّ يسمِّيـهِ

فقال : سَخِنتْ عينُه ، فبأيّ شيء كنت أُعرَف ؟ إيهٍ ، فقال :

فصار إنساناً بذكـري لـه ما يَبتغي مِن بعد ذكريه ؟

فقال : ما صنع شيئاً ، إيهٍ ويحك ؟ فقال :

لم أهـجُ بشّاراً ولكنّني هجـوتُ نفسي بِهجائِيـهِ

فقال : على هذا المعنى دارَ ، وحولَه حام ، إيهٍ أيضاً ، وأيّ شيء قال ؟ فأنشده : [من مجزوء الكامل]

أَنتَ ابن بـرد مِثـلُ بُـرْ دٍ في النّذالـة والرَّذالـهْ
مـن كان مثـلَ أبيك يـا أعمى أبوه فـلا أبـا لَـهْ

فقال : جَوَّدَ ابنُ الزانية ، وتمام الأبيات الأُوَل : [من السريع]

لَم آتِ شيئاً قطُّ فيما مضى ولست فيما عشتُ آتيـهِ
أسوأ لي في النـاسِ أحدوثـةً مـن خطـإٍ أخطأتُه فيـهِ
فأصبح اليـوم بِسبيٍّ لـه أعظمَ شأناً مـن مَوالِيهِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بنُ شبّة ، عن خلاّد الأرْقَط قال : أنشَدَ بشّاراً روايتُه قولَ عجرد فيه : [من الطويل]

دعيـتَ إلى بُـرْدٍ وأنـت لغيرهِ فَهبْكَ ابن بُرْدٍ نكتَ أُمَّكَ مَنْ بُرْدُ ؟

فقال بشار لراويته : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ما شاء ابن الزانية .

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُليل العَنَزِيُّ قال : حدَّثني محمد بن يزيد المهلّبي قال : محمد بنُ عبد الله بنِ أبي عُيَينة قال : قال حمادُ عجرد لَمّا أُنشِد قولَ بشّار فيه : [من الخفيف]

---

1 ل : الريادي .

يا ابنَ نِهيـا رأسٌ عليّ ثقيل   واحتمالُ الرأسين أمرٌ جليلُ
فادعُ غيري إلى عبادة ربَّيْـ   ـنِ فإنّي بواحد مشغولُ

والله ما أُبالي بهذا من قوله ، وإنما يغيظني منه تجاهلُه بالزندقة ، يوهم الناس أنّه يظنّ أنّ الزنادقة تعبد رأساً ليظنّ الجهّال أنّه لا يعرفها ، لأن هذا قولٌ تقوله العامّة لا حقيقة له ، وهو والله أعلمُ بالزَّندقَة من ماني .

أُخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار وحبيب بن نصر المهلّبيّ ، قالوا : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدَّثنا أبو أيوب الزبالي[1] قال : قال بشّار لراويةِ حمّاد : ما هجاني به اليومَ حمّاد ؟ فأنشدَه : [من الهزج]

أَلا مَن مُبلغٌ عنّي الذ   ي والـدُه بُــرْدُ

فقال : صدق ابن الفاعلة ، فما يكون ؟ فقال :

إذا مـا نُسب الناسُ   فـلا قَبْـلٌ ولا بَعْـدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العرصات من عُقَيل ؟ فما يكون ؟ فقال :

وأعمى قَلْطَبانٌ مـا   على قاذِفِــه حَـدّ[2]

فقال : كذب ابن الفاعلة ، بل عليه ثمانون جَلْدَةً ، هِيه ، فقال : [من الهزج]

وأعمى يشبه القِـرْدَ   إذا مـا عَمِـيَ القِرْدُ

فقـال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبّهني بقِرد ، حسبُك حسبُك ، ثم صفّق بيديه ، وقال : ما حيلتي ؟ يراني فيشبِّهُني ولا أُراه فأشبِّهه .

وقال : أخبرني بهذا الخبر هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا أَبو غسّان دَماذ فذَكَر مثلَه ، وقال فيه : لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار :

شبيهُ الوجـه بالقردِ   إذا ما عَمِـيَ القِردُ

بكى بشّار ، فقال له قائل : أتبكي من هجاء حمّاد ؟ فقال : والله ما أَبكي من هجائه ولكن أبكي لأنّه يراني ولا أُراه ، فيصفُني ولا أصفُه ، قال : وتمامُ هذه الأبيات : [من الهزج]

ولــو يَنْكَـهُ في صَلْدٍ   صَفاً لانصدع الصَّلْدُ[3]

---

1 ل : الربالي .

2 القلطبان : القرطبان وهو الديوث أو القوّاد .

3 ينكه : يتنفس .

دنيٌّ لم يَـــرُح يومـاً إلى مجـدٍ ولم يَغْـدُ
ولم يحضرْ مـع الحُضّا رِ في خيرٍ ولَـم يَبْـدُ
ولَـم يُخْشَ لـه ذمٌّ ولم يُـرجَ لــه حَمدُ
جَرى بالنَّحْسِ مذ كان ولَم يجـرِ لــه سعدُ
هـو الكلب إذا مـا مـا تَ لم يوجَد لـه فَقدُ

أُخبرني . بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : حدَّثني خلاّد الأُرْقَط قال : أشاعَ بشّار في الناس ،ن حمّاد عجردٍ كان يُنشِد شعراً ورَجُلٌ بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه ، فقال حمّاد : عَلامَ اجتمعوا ؟ فوالله لَما أقولُ أحسنُ ممّا يقول .

قال : وكان بشّار يقول : لمّا سمعت هذا من حمّاد مَقَتُّه عليه .

أُخبرني أحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار قال : أخبرني أبو إسحاق الطَّلْحيّ قال : حدَّثني أبو سُهَيل عبدُ الله بن ياسين أن بشّاراً قال في حمّاد عجرد وسهيلِ بنِ سالم ، وكان سهيلٌ من أشراف أهل البصرة ، وكان من عمّال المنصور ، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب ، وكان حمّادٌ وسهيلٌ نديمَينِ : [من البسيط]

ليس النعيــمُ وإن كنّا نُـزَنّ بـه إلاّ نعيــم سُهَيْــلٍ ثـمّ حمّـادِ
ناكَـا ونيكا إلى أن لاح شَيْبُهما في غفلةٍ عن نبيّ الرحمـة الهادي
فَهْدَيْن طـوراً وفَهّاديــن آونـةً مــا كان قبلَهمـا فَهْـدٌ بفَهّادِ[1]
سبحانك اللهُ لو شئتَ امتَسَخْتَهُما قِردَيــن فاعْتَلَجـا في بيت قرّادِ[2]

قال : يعني بقوله * ما كان قبلهما فهدٌ بفهّاد * أي لم يكن الفَهد فَهّادا ، كما تقول : لم يكن زيد بظريف ، ولم يكن زيدٌ ظريفاً ، قال ابن ياسين : وفيه يقول بشّار أيضاً : [من السريع]

مـا لُمتُ حمّاداً على فِسقِه يلومــه الجاهـل والمائقُ[3]
وما هَما من أَيْرِه واستِه ؟ مَلَّكــه إيّاهمـا الخـالقُ
مـا بـات إلاّ فوقــه فاسقٌ يَنيكــهُ أو تحتَـه فاسقُ

أُخبرني أحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار قال : أنشِدني ابنُ أبي سعد لحمّاد عجرد في بشّار .

---

1 الفهاد : صاحب الفهود الذي يعلمها الصيد .

2 اعتلجا : تصارعا .

3 المائق : الأحمق .

قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه : [من السريع]

نهـارُه أخبثُ مـن ليلِهِ ويومُـه أخبثُ مـن أمسِهِ
وليس بالمُقلِعِ عـن غيِّـه حتى يُوارى في ثَرى رَمْسِهِ

قال : وكان أغلَظَ على بشّار من ذلك كلّه وأوجعَه له قولُه فيه : [من السريع]

لـو طُليتْ جلدتُـه عنبراً لأفسدتْ جلدتُـه العنبر
أو طُلِيتْ مِسكاً ذكيّاً إذاً تحـوَّلَ المسكُ عليـه خرا

قال ابن أبي سعد : وقد بالغ بشّارٌ في هجاء حمّاد ، ولكن حكم الناسُ عليه لحمّاد بهذه الأبيات .

[اتّصاله بالربيع]

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال : حدَّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني أحمد بن إسحاق قال : حدَّثني عثمان بن سُفيانَ العطّار قال : اتّصل حمّاد عجرد بالربيع يؤدِّب ولدَه ، فكتب إليه بشّارٌ رقعةً ، فأُوصِلَتْ إلى الربيع ، فطرده لمّا قرأها ، وفيها مكتوب : [من مجزوء الخفيف]

يا أبـا الفضل لا تَنَمْ وقـعَ الذئبُ في الغَنَمْ
إنّ حمّـــادَ عَجْـردٍ إنْ رأى غفلـةً هَجَمْ
بـين فَخْذَيـه حَرْبـةٌ في غِلافٍ مـن الأَدَمْ[1]
إنْ خلا البيتُ ساعـةً مَجمَـجَ الميـمَ بالقَلَمْ

فلمّا قرأها الربيع قال : صيّرني حمّاد دريئةَ الشعراء ، أخرِجوا عنّي حمّاداً ، فأُخرِج .

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة ، عن علي بن مهدي ، عن عبد الله بن عطيّة ، عن عبّاد بن الممزّق أنّ حمّاد عجردٍ كان يؤدّب ولدَ العبّاس بن محمد الهاشميّ ، فكتب إليه بشّارٌ بهذه الأبيات المذكورة ، فقال العبّاس : ما لي ولبشّار ؟ أخرجوا عنّي حمّاداً فأُخرِج .

[هجاؤه لبشّار]

أخبرني يحيى بن عليّ قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم قال : حدَّثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزُّبَيريّ قال : لما أخرج العبّاس بن محمد حمّاداً عن خدمته ، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه ، أوجعه ذلك ، فقال يهجو بشّاراً : [من الطويل]

1 غلاف في ل : إهاب .

لقد صار بشّار بصيراً بدُبْـره   وناظِـرُه بـين الأنـام ضَرِيرُ
لـه مُقلةٌ عمياءُ واستٌ بصيرةٌ   إلى الأيْرِ من تحت الثياب تشيرُ
على وُدِّه أن الحمير تَنِيكُــه   وأنّ جميــعَ العالَمـين حَميرُ

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وقد فعل مِثلَ هذا بعينه حمّاد عجردٍ بقُطْرُب .

[شعره في قطرب]

أخبرني عمّي عن عبد الله بن المعتزّ قال : حدَّثني أبو حفص الأعمى المؤدِّب ، عن الزُّباليّ[1] قال : اتّخذ قطرب النحويُّ مؤدِّباً لبعض ولد المهديّ ، وكان حمّاد عجرد يطمع في أن يُجعَل هو مؤدِّبه ، فلم يتمّ له ذلك ، لتهتّكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشّار ؛ فلمّا تمكن قطرب في موضعه صار حمّاد عجرد كالمُلقى على الرَّضَف[2] ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس ، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها : [من البسيط]

قل للإمام جــزاكَ الله صالحــةً   لا تَجمع الدَّهر بين السَّخْل والذيبِ
السَّخلُ غِـرٌّ وَهــمُّ الذئبِ فُرصَتُه   والذئب يَعلَم ما فيَ السَّخْل من طِيبِ

فلمّا قرأ هذين البيتين قال : انظُروا لا يكون هذا المؤدِّب لُوطيّاً ؛ ثم قال : انفُوهُ عن الدار ، فأُخرِج عنها ، وجيء بمؤدِّب غيره ، ووُكّل به تسعون خادماً يتناوبون ، يحفظون الصبيّ . فخرج قطرب هارباً ممّا شهِر به إلى عيسى بن إدريسَ العِجْليّ بن أبي دُلَف فأقام معه بالكَرَج إلى أن مات .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : لمّا قال حمّادٍ عجردٍ في بشّار : [من الهزج]

ويا أقبحَ مِـن قِردٍ   إذا مــا عَمِيَ القردُ

قال بشّار : لا إله إلاّ الله ، قد والله كنت أخاف أن يأتيَ به ، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة ، فما نطقتُ به خوفاً من أن يُسمَع فأُهجى به ، حتى وقع عليه النَّبطيُّ ابنُ الزانية .

[بينه وبين أبي حنيفة صديقه]

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب عبد الله بن المعتزّ ، حدَّثني العِجْليّ قال : حدَّثني أبو دُهْمان قال : كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحمّاد عجرد ، فنَسَكَ أبو حنيفة وطلبَ الفقه ،

---

1 ل : الريالي .

2 الرضف : الحجارة المحمّاة بالشمس أو النار .

فبَلَغ فيه ما بلغ ، ورَفَض حمّاداً وبَسَط لسانَه فيه ، فجعل حمّاد يلاطفه حتى يكفَّ عن ذِكره ، وأبو حنيفة يذكره ، فكتب إليه حمّادٌ بهذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

إن كان نسكُكَ لا يتـ ـمّ بغير شَتمي وانتقاصي
أو لم تكـن إلاّ بـه ترجـو النجاة من القصاصِ
فاقعـد وقم بي كيف شئـ ـتَ مع الأداني والأقاصي
فلطالمـا زكّيْتَنـي وأنـا المقيـم على المعاصي
أيّـام تَـأخذهـا وتُعـ ـطِي في أباريـقِ الرَّصاصِ

قال : فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه .

[بينه وبين يحيى بن زياد]

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن النّضر بن حديد قال : كان حمّاد عجرد صديقاً ليحيى بن زياد ، وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يَجتمع عليه مِثلُهما ، ثم إن يحيى بن زياد أظهر تورُّعاً وقراءةً ونزوعاً عمّا كان عليه ، وهجرَ حمّاداً وأشباهَه ، فكان إذا ذُكر عنده ثَلَبه وذكر تهتُّكه ومُجونَه ، فبلغ ذلك حمّاداً ، فكتب إليه : [من مجزوء الكامل]

هـل تذكرنْ دَلَجـي إليـ ـكَ على المضمَّرة القِلاصِ[1]
أيّـامَ تعطينـي وتـأ خُذُ مـن أباريقِ الرَّصاصِ
إن كان نُسكُكَ لا يتـ ـمّ بغير شَتْمِي وانتقاصي
أو كنـتَ لستَ بغيـر ذا كَ تنالُ منزلـةَ الخَلاصِ
فعليـك فاشتـمْ آمِنـاً كلَّ الأمان مـن القِصاصِ
واقعد وقمْ بـي مـا بـدا لـك في الأداني والأقاصي
فَلَطالَمـا زكّيتَنـي وأنـا المقيـمُ على المعاصي
أيّـام أنـتَ إذا ذُكِـرْ تُ مناضِلٌ عنّـي مُناصي[2]
وأنـا وأنـت على ارتكا بِ المُوبِقات مـن الحِراصِ

---

1 الدلج : السير من أول الليل . القلاص : الإبل الشابة ، واحدتها قلوص .

2 مناصي : يجاذب بالنواصي .

وبِنَــا مواطــنُ مــا يُنـا في البرِّ آهلــةُ العِراصِ[1]

فاتّصل هذا الشعر بيحيى بن زياد ، فنسب حمّاداً إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام ، فقال حمّاد فيه : [من السريع]

لا مؤمـنٌ يُعرَف إيمانُـه وليس يَحيى بالفتى الكافِرِ
منافــقٌ ظاهــرُه نـاسِكٌ مُخالِــف الباطـن للظاهِرِ

[صديق انقطع عن مجلسه]

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا ابن أبي سعد ، عن النضر بن عمرو قال : كان لحمّادِ عجردٍ إخوانٌ ينادمونه ، فانقطع عنه الشراب ، فقطعوه ، فقال لبعضهم : [من السريع]

لستَ بغَضْبـان ولكنّنــي أعرِف ما شأنك يا صاحِ
ألان فَقدتُ الرّاحَ جانبتَني مـا كان حبِّيك على الراحِ
قد كنتَ من قبلِ وأنت الذي يعنيكَ إمسائي وإصباحي
ومـا أرى فِعلَك إلاّ وقـد أفسدني من بعد إصلاحي
أنتَ مِن الناس وإن عبتَهم دُونَكَهــا منّــي بـإفصاحِ

[ينادم الوليد بن يزيد]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثني ميمـون بن هـارون عـن أبي محلّم أن الوليد بنَ يزيد أمرَ شُراعةَ بن الزَّنْدَبُوذ أن يسمِّي له جماعةً ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة ، فسَمَّى له مطيعَ بنَ إيّاس وحمّادَ عجردٍ والمُطيعيَّ المغنّي ، فكتب في إشخاصهم إليه ، فأُشخصوا ، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قُتِل ، ثم عادوا إلى أوطانهم .

[زواجه]

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال : حدَّثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السَّكونيّ قال : تزوّج حمّادُ عجردٍ امرأة ، فدخلْنا إليه صبيحةَ بنائه بها نهنّئه ونسأله عن خبره ، فقال لنا : كنت البارحةَ جالساً مع أصحابي أشرب ، وأنا منتظرٌ لامرأتي أن يؤتى بها ، حتى قيل لي : قد دخلتْ ، فقمتُ إليها فوالله ما لبّثتُها حتى افتضضتُها ، وكتبت من وقتي إلى أصحابي : [من المديد]

قد فتحتُ الحِصنَ بعد امتناعٍ بمُشيـحٍ فاتـحٍ للقِـلاعِ

1 العراص : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة الخالية من البناء .

ظَفِرتْ كفِّي بتفريقِ شَملٍ ... جاءَنـا تفريقُـه باجتماعِ
فإذا شَعبي وشَعْب حَبيبي ... إنّمـا يَلتامُ بعـدَ انصداعِ

[مع وجوه البصرة]

أُخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ عن أُبيه ، وأُخبرني الحسن بن عليّ عـن القاسم بن محمـد الأنباريّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أُحمد بن الأسود بن الهيثم ، عن إبراهيمَ بنِ محمّد بن عبد الحميد ، قال : اجتَمع عمِّي سهم بنُ عبـد الحميـد وجماعـةٌ مـن وجوه أُهلُ البَصرة عند يحيى بن حُميد الطويل ، ومعهم حمّـاد عجـرد ، وهـو يومئذٍ هاربٌ من محمد بن سليمان ، ونازلٌ على عُقبةَ بنِ سَلْم وقد أُمِن ، وحضر الغَداء ، فقيـل لـه : سهمُ بنُ عبد الحميد يصلّي الضحى ، فانتظر ، وأُطالَ سَهمٌ الصلاةَ ، فقال حمّاد : [من الطويل]

ألا أيُّهــذا القانِـــتُ المتهجِّـــدُ ... صلاتُك للرّحمن أم ليَ تَسجُدُ ؟
أما والذي نادى من الطُّور عبدَه ... لِمَنْ غيرِ مـا بِـرٍّ تقـوم وتَقعدُ
فهــلاّ اتّقيتَ اللّهَ إذ كنتَ والياً ... بصنعاء تَبْرِي من وَليتَ وتَجردُ
ويَشهد لي أنّـــي بذلـك صادقٌ ... حُرَيثٌ ويَحيى لي بذلـك يَشهدُ
وعند أبـــي صَفوانَ فيك شهادةٌ ... وبكْـــرٍ ، وبكــرٌ مُسلِمٌ متهجِّدُ
فإن قلتَ زِدْني في الشهودِ فإنّه ... سيشهد لي أيضـاً بـذاك محمّدُ

قال : فلمّا سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً ، فقال له : قبّحك الله يا زِنديق ، فعلتَ بي هذا كلّه لشَرَهك في تقديم أكلٍ وتأخيرِه ! هاتوا طعامَكم فأطعِموه لا أُطعَمَه الله تعالى ، فقدِّمت المائدة .

[اعتذار ابن السكوني]

أُخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أُبيه ، عن إسحاق الموصليّ ، عن محمد بن الفضل السَّكونيّ قال : لقيت حمّادَ عجردٍ بواسط وهو يمشي وأنا راكب ، فقلت له : انطلِق بنا إلى المنزل ، فإنّي الساعةَ فارغ لنتحدّث ، وحبستُ عليه الدّابة ، فقطعني شُغْلٌ عَرَض لي لم أقدرْ على تَركه ، فمضيتُ وأُنسيتُه ، فلمّا بلغتُ المنزلَ خفتُ شرَّه ، فكتبت إليه : [من الطويل]

أبـا عُمـرٍ اغفِـرْ هُديـتَ فإنّني ... قـد آذنبتُ ذنباً مخطئاً غيرَ عامدِ
فــلا تَجِـدْن فيــه علـيَّ فإنّني ... أُقِــرُّ بإجرامــي ولستُ بعــائدِ
وهبْــه لنـــا تفديك نفسي فإنّني ... أُرى نعمةً إن كنتَ لستَ بواجِدِ

وعُدْ منك بالفضل الذي أنتَ أهلُه ... فإنّــكَ ذو فضل طريــفٍ وتالدِ

فكتب إليّ مع رسولي : [من الطويل]

محمدُ يــا ابن الفَضْل ياذا المَحامدِ ... ويا بهجةَ النادي وزينَ المَشاهدِ

وحقّكَ ما أذنبت منــذ عرفتَني ... على خطأ يومــاً ولا عَمْد عامِدِ

ولــو كان ، مــا أُلفيتَني متسرِّعاً ... إليــكَ بــه يومــاً تسرُّعَ واجِدِ

أي لو كان لكَ ذنب ما صادَفْتَني مسرِعاً إليك بالمكافأة : [من الطويل]

ولــو كان ذُو فضلٍ يسمَّى لفضلِهِ ... بغير اسمــه سُميــت أُمَّ القــلائدِ

قال : فبينا رقعتُه في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءني رسولُه برقعة فيها : [من مجزوء الرمل]

قد غَفرْنا الذنب يا ابن الـ ... ـفضلِ والذنــبُ عظيمُ

ومسيءٌ أنتَ يا ابنَ الـ ... ـفضــل في ذاك مُليــمُ

حــينَ تخشاني على الذنـ ... ــبِ كما يُخشى اللّئيــمُ

ليس لي إن كان ما خِفـ ... ــتَ مــن الأمــر حريــمُ

أنــا واللهِ ، ولا أفــ ... ــخَرُ ، للغيــظِ كَظومُ

ولأصحابـــــي وَلاءٌ ... رَبُّــه بَــرٌّ رحيـــمُ

وبما يُرضيهمُ عنّي ويُرضيني عليمُ

[يوم بفَساء]

أخبرني يحيى بن عليّ ، عن أبيه عن إسحاق قال : خرج حمّادُ عجردٍ مع بعض الأمراء إلى فارسَ ، وبها جِلّةٌ من أبناء الملوك ، فعاشر قوماً من رؤسائها ، فأحمد معاشرتَهم ، وسُرَّ بمعرفتهم ، فقال فيهم : [من مجزوء الرمل]

ربّ يـــــوم بفَساءٍ ... ليس عنــدي بذميــمِ[1]

قــد قرعتُ العيشَ فيــه ... مَــعَ نَدْمــانٍ كريـــمِ

مِن بنــي صَيْهون في البيـ ... ــت المعلّــى والصّميمِ

في جِنــانٍ بــين أنْهــا ... رٍ وتعــريشِ كُــرومِ

نَتعاطــى قهــوةً تُشــ ... ـخِص يَقظــانَ الهُمومِ

---

1 فسا : مدينة بفارس .

بنتَ عشرٍ تترك المُكْـ ـثِرَ منهــا كالأَمِيـمِ[1]
فيهــا دَأَبــاً أُحيِّــي ويحيِّينــي نديمــي
في إنـــاءٍ كِسْرَويٍّ مستخِــفٌّ للحليــمِ
شَرْبــةٌ تَعـدِلُ منــه شربتــي أمّ حَكيــمِ
عندنــا دِهْقانَــةٌ حُسـ ـانــةٌ ذاتُ هَميــمِ[2]
جَمعتْ ما شئتَ من حُسـ ـنٍ ومــن دَلٍّ رَخيـمِ
في اعتدال مــن قَــوامٍ وصفــاءٍ مِــن أُديــمِ
وبَنــانٍ كالمَــداري وثَنايــا كالنجــومِ[3]
لم أَنَلْ منهــا سوى غَمْـ ـزَةِ كــفٍّ أو شَمِيمِ
غيــرَ أنْ أَقْرُصَ منهــا عُكْنَــةَ الكَشْحِ الهَضيمِ
وبَــلى أَلْطِــم منهــا خدَّهــا لطــمَ رَحيـمِ
وبنفسي ذاكَ يــا أَسْـ ـوَدُ مــن خــدٌّ لَطِيمِ

يعني الأسود بنَ خلف كاتب عيسى بن موسى .

[يعيب حريثاً بالبخل]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أَبي الأَزهر قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق ، عن أَبيه عن أَبي النضر قال : كان حريث بن أَبي الصلت الحنفيُّ صديقاً لحمّاد عجرد ، وكان يعابِثُه بالشِّعر ، ويَعيبُه بالبخل ، وفيه يقول : [من المتقارب]

حُريثٌ أَبو الفضل ذو خِبْرةٍ بمــا يُصلِـح المِعَد الفاسدهْ
تخــوَّف تُخْمــةَ أضيافه فعوَّدَهــم أكلــةً واحــدهْ

أُخبرني هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل تينَة ، عن ابن عائشة قال : ضَرَط رجل في مَجلس فيه حمّاد عجرد ومطيع بنُ إيّاس ، فتجلّد ، ثم ضرط أُخرى متعمّداً ، ثم ثَلّث ، ليظنّوا أن ذلك كلّه تعمُّد ، فقال له حمّاد : حَسبُك يا أَخي فلو ضرطت أَلفاً لعُلم بأنّ المُخلِف[4] الأوّل مُفلِت .

1 يقال رجل أميم ، أي يهذي من أم رأسه .
2 الهميم : الدبيب .
3 المداري : جمع مدرى ، وهو المشط .
4 المخلف : الكريه الرائحة .

[قوله في قريش]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال : حدَّثني مُعاذ بنُ عيسى مولى بني تميم قال : كان سليمانُ بنُ الفُرات على كَسْكَر ، ولاّه أبو جعفر المنصور ، وكان قُرَيْشٌ مولى صاحبِ المصلَّى بواسِط في ضِياعِ صالح ، وهو سِنْدِيّ ، فحدّثني مُعاذ بنُ عيسى قال : كنّا في دار قريشٍ ، فحضرت الصلاةُ ، فتقدَّم قريشٌ فصلَّى بنا وحمّاد عجرد إلى جَنْبي ، فقال لي حَمّاد حين سلّم : اسمَع ما قلتُ ، وأنشَدَني : [من مجزوء الرمل]

قد لقيتُ العامَ جَهْداً مِـن هَنـاتٍ وهَناتِ
مِـن هـمـومٍ تعتريني وبلايـــا مطبِقـاتِ
وجَـوًى شيّب رأسي وحَنـى منّـي قَناتي
وغُــدُوّي ورَواحـي نحْـوَ سَلْم بن الفراتِ
وائتمامِــي بالقَمـار يٍّ قريشٍ في صَلاتي[1]

[الغلام الأمرد]

أخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدَّثنا أبو أيّوبَ المدينيُّ عن مصعبِ الزُّبيريّ قال : حدَّثني أبو يعقوبَ الخرَيميّ قال : كنت في مجلس فيه حمّاد عجرد ، ومعنا غلام أمرَد ، فوضع حمّاد عَيْنَه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه ، فلمّا كان الليلُ اختلفتْ مواضعُ نومِنا ، فقمتُ فنِمتُ في موضع الغلام ، قال : ودَبَّ حمّاد إليّ يظُنُّني الغلامَ ، فلمّا أحسستُ به أخذتُ يدهُ فوضعتُها على عيني العَوْراء ، لأعلمه أنّي أبو يعقوب ، قال : فنتر يَده ومضى في شأنه وهو يقول : ﴿وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ .

[جوهر]

أخبرني عمّي قال : حدّثني مصعب قال : كان حمّاد عجردٍ ومُطيعُ بن إيّاس يختلفان إلى جوهر جاريةِ أبي عَوْن نافع بنِ عَوْن بن المُقْعَد ، وكان حمّاد يحبّها ويُجَنّ بها ، وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

إنّي لأهوى جوهراً ويُحِبّ قلبـي قلبَها
وأُحِبُّ من حبّي لهـا مَـن وَدَّهـا وأَحَبَّها
وأُحبُّ جاريـةً لهـا تُخفي وتكتـمُ ذنبَها
وأحبُّ جيرانـاً لهـا وابــنَ الخبيثـة ربَّها

1 القماري : نسبة إلى قمار ، موضع ببلاد الهند ينسب إليها العود .

[رثاء الأسود بن خلف]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال : حدَّثني أبيَضُ بن عمرو قال : كان حمّاد عجردٍ يعاشر الأسوَدَ بن خلَف ولا يكادان يفترقان ، فمات الأسود قبله ، فقال يرثيه . وفي هذا الشعر غناء : [من مخلّع البسيط]

صوت

قلــتُ لحنّانــةٍ دَلــوحِ   تَسُحُّ مــن وابلٍ سَفوحِ[1]
جــادَت علينا لهــا رَبابٌ   بواكــفٍ هاطــلٍ نَضوحِ[2]
أمــّـي الضَّريحَ الذي أسمّي   ثــم استهلّي على الضَّريحِ[3]
على صَدى أسودَ المُوارَى   في اللّحد والتُّرب والصَّفيحِ
فاَسقِيه رِيّـــاً وأُوطِنِيــهِ   ثــم اغتدي نحوَه ورُوحي
اغــدِي بسُقيَايَ فاصبحيه   ثــم اغبِقيه مــع الصَّبوحِ
ليس من العدل أن تَشِحّي   على امرىء ليس بالشحيحِ

الغناء ليونسَ الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنّسْه .

[هجاء أبي عون]

أخبرني عمّي قال : أنشدَنا الكُرانيّ قال : أُنشَد مصعبٌ لحمّاد عجردٍ يهجو أبا عَوْن مولَى جَوْهر ، وكان يُقيّنُ عليها ، وكان حمّاد عجردٍ يميل إليها ، فإذا جاءهم ثقل ، ولم يمكّنْ أحداً من أصدقائها أن يخلو بها ، فيضرّ ذلك بأبي عون ، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجاريته ، فحجبها عنه ، فقال فيه : [من السريع]

إنّ أبــا عــون ولن يرعَوِي   ما رقّصتْ رَمْضاؤهــا جُنْدُبا
ليس يَرى كَسْباً إذا لم يكن   من كسبِ شُفْرَيْ جوهرٍ طيّبا
فسلّط الله عــلى مــا حَــوى   مئزرُهـــا الأفعــى أو العقربا
يُنْسَب بالكَشْخ ولا يَشتَهــي   بغيــر ذاكَ الإسمِ أن يُنْسَبا

1 سحابة حنانة : أي لها صوت يشبه حنين الإبل . ودلوح : كثيرة الماء .
2 الرباب : السحب المتراكبة .
3 أمي : اقصدي . استهلي : ارفعي الصوت بالبكاء .

وقال فيه أيضاً : [من المديد]

إن تكـن أغلقتَ دونيَ بابـاً فلقـد فتّحـتَ للكَشْخِ بـابا

وقال فيه أيضاً :

قـد تخرطمـتَ علينـا لأنّا لم نكن نأتيك نبغـي الصّوابا
إنّمـا تُكـرِمَ مَـن كان منّا لسنانِ الحَقْـو منهـا قِرابا[1]

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الرجز]

يا نافعُ ابـنَ الفاجـرَهْ يـا سيِّـدَ المؤاجِرَهْ
يا حِلْـفَ كلِّ داعِـرٍ وزوجَ كلِّ عاهـرَهْ
مـا أَمَـةٌ تملِكهـا أو حُـرَّةٌ بطاهـرَهْ
تجـارةٌ أحدثْتَهـا في الكشخِ غيرُ بـائرَهْ
لـو دخلـتْ عفيفةٌ بيتَك صارت فاجرَهْ
حتّى متى تَرتَع في الـ ـخُسْران يا ابن الخاسرَهْ
تَجمَع في بيتـك بيـ ـن العِـرْس والبَرابِرهْ

وقال يهجوه : [من مجزوء الرمل]

أنـتَ إنسانٌ تُسمَّـى داره دارَ الـزّواني
قـد جرى ذلك بالكَرْ خ عـلى كلّ لسـانِ
لك في دارِ حِـرٌ يَـزْ نِـي وفي دارٍ حِـرانِ

وقال فيه : [من السريع]

تفرحُ إن نيكَتْ ، وإنْ لم تُنَكْ بـتَّ حزيـنَ القلب مستعبرا
أسكَـرَكَ القـومُ فساهَلْتَهمْ وكنتَ سهلا قبل أن تَسكَرا

وقال فيه : [من الكامل]

قـل للشقيّ الجَدِّ غير الأسعَدِ أتحِبُّ أنّكَ فقْحةُ ابنِ المُقْعَدِ ؟
لو لَم يجِد شيئاً يسكِّنها بـه يوماً لسكَّنها بـزُبِّ المَسجِدِ

---

1 الحقو : الخصر .

وقال فيه : [من الهزج]

أبــا عــون لقد صَفَّـ ـــرَ زُوّارُك أُذنَيْكـا ؟
وعينـاكَ تَـــرى ذاكَ فأعمـــى اللهُ عينيكـا

[بيت في بشار]

أخبرني حبيب بنُ نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار : [من الطويل]

نُسِبْتَ إلى بُــرْدٍ وأنــتَ لغَيْره وَهَبْكَ لبُردٍ نِكْتَ أُمَّكَ مَن بُرْدُ ؟

قال بشّار : تهيّأ له عليّ في هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء ، قوله «نسِبتَ إلى بُرد» معنًى ؛ ثم قوله : «وأنت لغيره» معنًى آخر ، ثم قوله : «فهبك لبرد» معنًى ثالث ، وقوله : «نكت أُمَّك» شتمٌ مفرَد ، واستخفافٌ مجدَّد ، وهو معنًى رابع ، ثم ختمها بقوله : «مَنْ بُـرْدُ ؟» ولقد طَلَب جرير في هجائه للفرزدق تكثيرَ المعاني ، ونحا هذا النحوَ ، فما تهيّأ له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت ، وهو قوله : [من الكامل]

لمّا وَضعتُ على الفــرزدقِ مِيسَمِي وضَغا البَعيثُ جَدَعتُ أنفَ الأخطلِ

فلم يُدرِك أكثَر من هذا .

أخبرني حبيب بنُ نصر قال : حدَّثنا عمر بنُ شبّة قال : قال أبو عبيدة : ما زال بشّارٌ يهجو حمّاداً ولا يَرْفِثُ في هجائه إيّاه حتى قال حمّاد : [من مجزوء الكامل]

مَـــن كان مِثلَ أبيك يا أعمى أبـوه فـلا أبا لَهْ
أنت ابنُ بُـرْد مَثلُ بُـرْ دِ في النَّذالـــة والرذالَهْ
زَحَرَتْك مِن جُحْر استِها في الحُشّ خارئـةً غَزالَهْ[1]
من حيث يَخرج جَعْرُ مُنـ ـتِنــة مدنَّسة مُـذالَهْ[2]
أعمى كستْ عينيه مِـن وَذَح استِها وكَسَت قَذالَهْ
خِنزيـرةٌ بَظْـراءُ منـــ ـتنةُ البُداهَـــة والعُلالَهْ
رَسْحاء خضراءُ المَغـا بِـنِ ريحُهـا ريحُ الإهالَهْ
عَـذْراءُ حُبلـى يـا لَقوْ مـي لِلمَجانة والضَّلالَهْ

1 زحرتك : ولدتك .
2 الجعر : ما يبس من العذرة في الدبر . مذالة : أمة .

مَرَقتْ فصارت قَحبةً بِجعالةٍ وبلا جِعالَهْ[1]
ولقد أقلتُك يا ابنَ بُرْ دٍ فاجترأتَ فلا إقالَهْ

فلمّا بلغتْ هذه الأبياتُ بشّاراً أطرق طويلاً ، ثم قال : جزى الله ابنَ نِهْيا خيراً ، فقيل له : علامَ تَجزِيه الخيرَ ؟ أعلى ما تَسمع ؟ فقال : نعم ، والله لقد كنت أردّ على شيطاني أشياءَ من هجائه إبقاءً على المودّة ، ولقد أُطلَق من لساني ما كان مقيَّداً عنه ، وأهدَفَني عورةً ممكِنةً منه ، فلم يزل بعد ذلك يذكرُ أُمَّ حمّاد في هجائه إيّاه ، ويذكُرُ أباه أقبحَ ذِكر ، حتى ماتت أُمُّ حمّاد ، فقال فيها يخاطب جاراً لحمّاد : [من الطويل]

أبا حامدٍ إن كنتَ تَرثي فأَسْعِدِ وبَكِّ حِراً ولَّتْ به أُمُّ عَجرَدِ
حِراً كان للعُزّاب سَهْلاً ولم يكن أبِيّاً على ذي الزوجة المتودِّدِ
أُصيب زُناةُ القومِ لمّا توجّهتْ به أُمُّ حمّادٍ إلى المضجَع الرَّدي
لقد كان للأدنى وللجارِ والعِدا وللقاعد المعترِّ والمتزيِّدِ[2]

أُخبرنا محمد بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال : حدَّثنا أُبو حاتم قال : قال يحيى بن الجَوْن العبدِيّ راويةُ بشّار : أُنشدتُ بشّاراً يوماً قولَ حمّاد : [من الطويل]

ألا قل لعبد الله إنّك واحدٌ ومِثلُك في هذا الزمان كثيرُ[3]
قَطعتَ إخائي ظالماً وهجرتَني وليس أخي مَن في الإخاء يَجورُ
أُدِيمُ لأهل الوُدِّ وُدّي ، وإنّني لَمَن رام هجري ظالِماً لَهَجورُ
ولو أنّ بَعضي رابَني لقطعْته وإنّي بقطع الرائبين جديرُ
فلا تحسبنْ مَنْحِي لك الودَّ خالصاً لعِزٍّ ولا أنّي إليك فقِيرُ
ودونَك حظّي منكَ لستُ أُريدُه طَوالَ الليالي ما أَقامَ ثَبيرُ

فقال لي بشّار : ما قال حمّادٌ شعراً قطُّ هو أشدّ عليّ من هذا ، قلتُ : كيف ذاك ولم يَهْجُك فيه ؟ وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع . قال : لأنّ هذا شعر جيّد ومِثلُه يُروى ، وأنا أنفَس عليه أن يقول شعراً جيّداً .

[الخرس أستر من شعره]

أُخبرني عليّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : حدَّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجِّم قال :

1 أي بأجر أو دون أجر .
2 المتزيد في ل : والمتردد .
3 الزمان في ل : الأنام .

حدَّثني عليّ بن مهديّ قال : حدَّثني محمد بن النطّاح قال : كنت شديدَ الحبّ لشعر حمّاد عجرد ، فأنشدتُ يوماً أخي بكرَ بنَ النطّاح قولَه في بشّار : [من السريع]

أسأتُ في رَدّي على ابن استِها   إساءةً لَم تُبقِ إحسانا
فصار إنساناً بذكري له   ولم يكن من قبلُ إنسانا
قرَعْتُ سِنّي نَدماً سادِماً   لو كان يغني ندمي الآنا[1]
يا ضيعةَ الشعر ويا سَوْءَتا   لي ولأزمانيَ أزمانا
من بعد شتمي القِردَ لا والذي   أنزلَ توراةً وقرآنا
ما أحدٌ مِن بعد شَتْمي له   أنذَلُ مِنّي ، كانَ مَن كانا

قال : فقال لي : لَمن هذا الشعر ؟ فقلت : لحمّاد عجردٍ في بشّار ، فأنشأ يتمثّل بقول الشاعر : [من الرمل]

ما يَضُرّ البحرَ أمسى زاخراً   أنْ رَمى فيه غلامٌ بحَجَرْ

ثم قال : يا أُخي ، إنْسَ[2] هذا الشعر فنسيانه أزيَن بك ، والخَرَسُ كان أسترَ على قائله .

[تفوّق بشار عليه في الهجاء]

أخبرني عليّ بنُ سليمان قال : حدَّثني هارون بن يحيى قال : حدَّثني عليّ بن مهديّ قال : أجمعَ العلماءُ بالبصرة أنّه ليس في هجاء حمّاد عجردٍ لبشّارٍ شيءٌ جيّد إلاّ أربعين بيتاً معدودةً ، ولبشّار فيه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيّد ، قال : وكلّ واحد منهما هو الذي هتَك صاحبَه بالزَّندَقة وأظهرَها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حمّاد عجردٍ وتهتّك بفضل بلاغةِ بشّار وجَوْدة معانيه ، وبقِيَ بشّارٌ على حاله لم يَسقط ، وعُرِف مذهبُه في الزندقة فقُتِل به .

[مجاشع بن مسعدة يهجو حماداً ليرتفع]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدَّثني عمّي الفضلُ عن إسحاق الموصليّ أنّ مُجاشِعَ بنَ مَسعدة أخا عَمرِو بنِ مَسعدة هجا حمّاد عجردٍ وهو صبيٌّ حينئذٍ ليرتفع بهجائه حمّاداً ، فتركه حمّاد وشبّب بأمّه ، فقال : [من مجزوء الكامل]

راعتْكَ أُمُّ مُجاشع   بالصدِّ بعد وِصالِها
واستَبدَلتْ بِكَ والبلا   ءُ عليكَ في استبدالها

1 ندماً في ل : نادماً . السادم : المهموم النادم .
2 ل : أيش .

جِنّيّــةٌ مِــن بَرْبَــرٍ مشهــــورةٌ بجَمــالها
فحرامُها أَشهــى لنــا ولَهــا مــن استحلالها

فبلغ الشعرُ عَمرو بنَ مَسعدة ، فبعث إلى حمّاد بصلة ، وسأله الصفحَ عن أُخيه ، ونال أُخاه بكلّ مكروه ، وقال له : ثكلتْك أُمُّك ، أتتعرّض لحمّاد وهو يُناقِف بشّاراً ويقاومُه ، والله لو قاومتَه لما كان لك في ذلك فخر ، ولئن تعرّضت له ليهتِكَنّك وسائر أُهلك ، وليَفضَحَنّا فضيحةً لا نغسلها أبداً عنّا .

[الجارية العابثة]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال : حدَّثني أُبو عليّ بنُ عمّار قال : كان حمّاد عجردٍ عند أُبي عمرو بن العلاء ، وكانت لأَبي عَمرو جاريةٌ يقال لها مَنِيعة ، وكانت رسحاءَ[1] عظيمةَ البَطْن ، وكانت تَسخر[2] بحمّاد ، فقال حمّاد لأَبي عمرو : أَغن عنّي[3] جاريتَك فإنّها حَمْقاء ، وقد استغلقتْ لي ، فنهاها أُبو عمرو فلم تنته فقال لها حمّاد عجرد : [من الخفيف]

لــو تأتّى لــك التحوُّلُ حتّى تجعلي خَلفَـكِ اللطيفَ أُماما
ويكونُ القُدَّامُ ذو الخِلْقة الجَزْ لــة خَلْقــاً مؤثَّـلا مستكاما
لإذاً كنتِ يــا مَنيعةُ خيرَ النّا سِ خَلْفــاً وخيرَهــم قُــدّاما

[حرص محمد بن طلحة على الضيف]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثني الكرانيّ قال : حدَّثني الحسن بن عُمارة قال : نزل حمّاد عجرد على محمد بنِ طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، فاشتد جوعه ، فقال فيه حمّاد : [من السريع]

زرتُ امــرءاً في بيته مرّةً لــه حَيــاءٌ ولــه خِيرُ[4]
يَكــرَه أن يُتخِم أضيافَه إنّ أُذى التُّخْمــة محذورُ
ويَشتهي أن يؤجَرُوا عندَه بالصَّــوْم والصالحُ مأجورُ

قال : فلمّا سمعها محمد قال له : عليك لعنة الله ، أي شيء حملك على هجائي ، وإنّما انتظرتُ أن يُفرَغ لك من الطعام ؟ قال : الجوعُ وحياتِك حملَني عليه ، وإن زدتَ في الإبطاء زدتُ في القول ، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة .

---

1 رسحاء . ضئيلة العجز والفخذين .
2 ل : تعبث .
3 أغنها عني : كفّها .
4 خير : كرم وشرف .

[وجه مبني على اللحن]

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزهر قالوا : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان حفص بن أبي وزّة صديقاً لحمّاد عجرد ، وكان حفص مرمياً بالزَّندقة ، وكان أعمشَ أفطسَ أغضفَ[1] مقبَّح الوجه ، فاجتمعوا يوماً على شراب ، وجعلوا يتحدّثون ويتناشدون ، فأخذ حفص بن أبي وَزّةَ يطعن على مرقّش ويعيب شعرَه ويلحِّنُه ، فقال له حمّاد : [من الطويل]

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغلٌ ... وأنفٌ كَثِيلِ العَوْدِ عمّا تَتَّبعُ[2]
تَتَبَّعُ لَحْناً في كلامِ مرقِّشٍ ... ووجهُك مبنيٌّ على اللَّحنِ أجمعُ
فأُذْناك إقواءٌ وأنفُك مُكْفَأٌ ... وعيناك إيطاءٌ فأنت المرقَّعُ

[عاشق جبة أحد الكتاب]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أبو دِعامَةَ عن عاصم بن الحارث بن أفلح ، قال : رأى حمّاد عجردٍ على بعض الكتّاب جُبّةَ خزٍّ دَكْناء فكتب إليه : [من الخفيف]

إنّني عاشق لجبّتك الدكـ ... ـناء عشقاً قد هاج لي أطرابي
فبحقّ الأميرِ إلاّ أتتني ... في سَراحٍ مقرونةً بالجَوابِ
ولك اللهُ والأمانةُ أن أجـ ... ـعَلها أشهُراً أميرَ ثيابي

فوجّه إليه بها ، وقال للرسول : قل له وأيّ شيء لي من المنفعة في أن تجعَلها أمير ثيابك ؟ وأيّ شيء عليّ من الضرر في غير ذلك مِن فِعْلِك ، لو جعلتَ مكانَ هذا مدحاً لكان أحسن ، ولكنّك رَذَّلْت لنا شعرك فاحتملناك .

[عتبه على مطيع بن إياس]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ والحسن بن عليّ الخَفّاف ، قالا : حدَّثنا الحسن بن عليل العَنَزيّ عن عليّ بن منصور قال : مرِض حمّاد عجردٍ فلم يَعُدْه مُطيع بن إيّاس ، فكتب إليه : [من الوافر]

كفاكَ عيادتي من كان يرجو ... ثوابَ الله في صلةِ المريضِ

1 الأغضف : المتدلي الأذنين .

2 ثيل العود : قضيب الجمل المسن .

فإنْ تُحدثْ لك الأيّام سُقْماً يَحولُ جَريضُه دونَ القَريضِ[1]
يكنْ طُول التأوُّه منكَ عندي بمنزلة الطَّنينِ مِن البَعوضِ

[قضاء حاجة والبة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا ابن أبي سعد قال : زعم أبو دِعامَة أنّ التَّيَّحان بن أبي التَّيّحان قال : كنت عند حمّاد عجردٍ فأتاه والِبة بن الحباب ، فقال له : ما صنعت في حاجتي ؟ فقال : ما صنعت شيئاً ، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى عليّ : [من مجزوء الكامل]

عثمانُ مـا كانت عِـدا تُـكَ بـالعِداتِ الكاذبَهْ
فعَـلامَ يـا ذا المَكرُما تِ وذا الغُيوثِ الصائبَهْ[2]
أخَّرْتَ وهـيَ يسيرةٌ في الرُّزْء حاجـةَ والبَهْ ؟
فأبُـو أُسامـةَ حَقُّـه أحـدُ الحقـوق الواجبَهْ
فاستحِي مِـن تَـرْدادِه في حاجـةٍ متقـارِبَهْ
ليست بكاذبـةٍ ، ولـو واللهِ كانـت كاذبَـهْ
فقضَيتَها أحْمَـدْتَ غِـ ـبَّ قضائهـا في العاقبَهْ
إنّي ومـا رأيـي بعـا دمِ عاتـبٍ أو عاتِبَـهْ
لأرى لِمثلـك كلّمـا نابـت عليـه نائبَـهْ
ألاّ يَـرُدّ يَـدَ امـرىءٍ بُسطـت إليـه خائبَـهْ

قال : فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلت له : ما صنعتَ ؟ فقال : قَضى حاجتي وزاد .

[المفضّل بن بلال يقدم بشاراً]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه عن الزبالي قال : بلغ حمّاد عجردٍ أنّ المفضّل بنَ بلالٍ أعانَ بشّاراً عليه وقدّمه وقرَّظه ، فقال فيه : [من الخفيف]

عَجباً للمفضَّل بنِ بلالِ ما له يا أَبا الزُّبَيرِ وما لِي
عربيٌّ لا شكّ فيه ولا مِرْ يـةَ بالُـه وبـالُ الموالِي

قال : وأبو الزُّبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بنُ الزُّبير ، وكان قُبَيْس ويونُس بنُ أبي فَروة

1 المثل «حال الجريض دون القريض» في مجمع الميداني 1 : 191 وجمهرة العسكري 1 : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 55 وفصل المقال : 44 ومعناه أن الغصة حالت دون قول الشعر .
2 الصائبة : المنصبة .

كاتبُ عيسى بن موسى صديقَين له ، وكانوا جميعاً زنادقة ، وفي يونس يقول حمّاد عجردٍ وقد قَدِم من غيبة كان غابها : [من مجزوء الرمل]

كيف بَعدِي كنتَ يا يو … نُسُ لا زلتَ بخيـرِ
وبغيـرِ الخيـرِ لا زا … لَ قُبيسُ بـنُ الزُّبَيرِ
أنـتَ مطبوعٌ على مـا … شئتَ مـن خَيْرٍ ومَيْرِ[1]
وهـو إنسانٌ شبيـهٌ … بكُسَيْـرٍ وعُوَيـرِ[2]
رَغْمُه أهـوَنُ عند النـ … ـاس مِـن ضَرْطةِ عيرِ

[بينه وبين مطيع وسعاد الجارية]

أخبرني عليّ بنُ سليمانَ الأخفش ووَكيع قالا : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمد اليزيديّ قال : حدَّثني إسحاق المَوْصِليّ عن السَّكونيّ قال : ذَكر محمدُ بنُ سنان أنّ حمّادَ عجردٍ حضر جاريةً مغنّية يقال لها سُعاد ، وكان مولاها ظريفاً ، ومعه مطيع بنُ إياس ، فقال مطيع : [من الخفيف]

قبِّلينـي سعادُ بـالله قُبلَـهْ … واسأَليني لهـا فديتكِ نِحلهْ[3]
فوربٍّ السماءِ لو قلتِ لي صَـ … ـلِّ لوجهي جعلتُهُ الدهرَ قِبلهْ

فقالت لحمّاد : اكفِنيهِ يا عمّ ، فقال حمّاد : [من الخفيف]

إنّ لي صاحبـاً سواكَ وَفِيّـاً … لا مَلـولاً لنـا كما أنتَ مَلّهْ[4]
لا يُباع التقبيل بَيْعاً ولا يُشـ … ـرى فـلا تَجعل التعشُّقَ عِلّهْ

فقال مطيع : يا حمّاد ، هذا هجاء : وقد تعدّيتَ وتعرّضتَ ، ولَم تأمرْك بهذا ؛ فقالت الجارية ـ وكانت بارِعة ظريفة ـ أجَل ؛ ما أردنا هذا كلّه ، فقال حمّاد : [من الخفيف]

أنـا واللهِ أشتهـي مِثلَها منـ … ـكِ بنُحْل ، والنُّحْل في ذاكَ حِلّهْ[5]
فأجيبي وأنعِمـي وخُـذي البَذ … لَ وأُطفِـي بقُبلـةٍ منـكِ غُلّـهْ

فرضيَ مطيع ، وخجلتْ الجارية ، وقالت : اكفِياني شرَّكما اليوم ، وخُذا فيما جئتُما له .

---

1 المير : جلب الميرة ، أي الطعام .
2 المثل «كسير وعوير وكل غير خير» في مجمع الميداني 2 : 147 ومستقصى الزمخشري 2 : 172 ويضرب في الشيء يكره ويذم من وجهين لا خير فيه .
3 نحلة : عطية .
4 مله : سريع الملل لإخوانه .
5 النحل : الهبة . وحلة : حلال .

[غلام مطيع]

أخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ ، عن مصعب الزُّبَيريّ عن أبي يعقوب الخُرَيميّ قال : أهدى مطيعُ بنُ إيّاس إلى حمّاد عجرد غلاماً وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بغلامٍ تتعلّم عليه كَظْمَ الغيظ .

[بنت الدهقان]

أخبرني وكيع قال : حدَّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال : ذكر محمدُ بنِ سِنانٍ أنّ مطيع بنَ إيّاس خرج هو وحمّاد عجردٍ ويحيى بن زياد في سفر ، فلمّا نزلوا في بعض القرى عُرِفوا ، ففرِّغ لهم منزل ، وأُتُوا بطعامٍ وشراب وغناء ، فبينا هم على حالهم يشربون في صحن الدار ، إذ أشرفتْ بنتُ دِهْقان من سطح لها بوجه مشرِق رائق ، فقال مطيع لحمّاد : ما عِندَك ؟ فقال حمّاد : «خذ فيما شئت[1]» فقال مطيع : [من الهزج]

ألا يــا بأبــي الناظــ ــر مــن بينهــمُ نحوِي

فقال حمّاد عجردٍ : [من الهزج]

ألا يا ليتَ فوقَ الحَقْـ ـوِ منها لاصِقاً حَقْوِي

فقال مطيع : [من الهزج]

وأنّ البُضْعَ يـا حمّـا دُ منها شَوْبُك المُرْوي[2]

فقال يحيى بن زياد : [من الهزج]

ويــا سَقْياً لسَطْح أشـ ـرقتْ من بينهمْ حَذْوِي[3]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه : أنّ حمّادَ عجردٍ قال في جوهر جارية أبي عَوْن : قال : وفيه غناء : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّــي أُحبُّـك فاعلمي إن لم تكـوني تعلمينا
حبّــاً أقــلُّ قليلــهِ كجَميعِ حُبٍّ العالَمينا

---

1 ل : شبب بها .

2 الشوب : العسل ، واللبن .

3 حذوي : إزائي أو مقابلي .

[وداع أبي خالد الأحول]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان حمّاد عَجْرِدٍ صديقاً لأبي خالد الأحولَ أبي أحمد بن أبي خالد ، فأراد الخروج إلى واسِط ، وأرادَ وَداعَ أبي خالد ، فلمّا جاءه لذلك حَجَبه الغلام وقال له : هو مشغول في هذا الوقت ، فكتب إليه يقول : [من المتقارب]

عليكَ السلامُ أبا خالدٍ … وما لِلوَداعِ ذكرتُ السَّلاما
ولكنْ تحيّة مستطرِبٍ … يُحِبُّك حبَّ الغَوِيِّ المداما
أردت الشُّخُوصَ إلى واسطٍ … ولستُ أطيل هناك المُقاما
فإن كنتَ مكتفياً بالكِتا … ب دون اللِّمام تركتُ اللِّماما[1]
وإلاّ فأوصِ هَداك المَليـ … ـكُ بوّابكم بي وأوصِ الغلاما
فإن جئتُ أُدخلت في الداخليـ … ـن إمّا قعوداً وإمّا قياما
فإنْ لم أكن منكَ أهلاً لذاكَ … فلا لومَ لستُ أُحِبُّ المَلاما
لأنّي أذُمّ إليكَ الأنا … مَ أخزاهمُ اللهُ طرّاً أناما
فإنّي وجدتُهمُ كلَّهمُ … يُميتون حمداً ويُحيُون ذاما[2]
سوى عُصبةٍ لستُ أعنِيهمُ … كرامٍ فإنّي أُحبّ الكراما
وأقلِلْ عَديدَهم إنْ عددتَ … فما أكثرَ الأرذَلين اللِّئاما

[ممازحة شاعرين ابن إياس]

أُخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال : قال ابن عبد الأعلى الشيبانيّ : حضر حمّاد عجردٍ ومطيعُ بنُ إيّاس مجلسَ محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي العبّاس ، فتمازَحا ، فقال حمّاد : [من مجزوء الرمل]

يا مُطيعُ يا مُطيعُ … أنتَ إنسانٌ رَقِيعُ
وعن الخير بطيءٌ … وإلى الشرّ سريعُ

فقال مطيع : [من مجزوء الرمل]

إنّ حمّاداً لئيمُ … سِفْلةُ الأصل عديمُ

---

1 اللمام : الزيارات القليلة .

2 الذام : العيب .

لا تَـراه الدهـرَ إلاّ ... بِـهَـنِ العَيْرِ يَهيـمُ

فقـال لـه حمّاد : ويلـك ، أترمينـي بدائـك ، والله لـولا كراهتـي لِتَمـادي الشرّ ولجـاجَ الهجـاء لقلـتُ لـك قولاً يَبقى ، ولكنّـي لا أُفسد مودّتـك ، ولا أُكافئك إلاّ بالمديح ، ثم قال : [من مجزوء الرمل]

كلّ شيء لي فـداءٌ ... لمطيـعِ بـنِ إيـاسِ
رجــلٌ مستملَحٌ في ... كلّ لــينٍ وشِماسِ[1]
عِدْلُ رُوحي بين جَنْـ ... ـبَيّ وعينــيّ بـراسي
غَــرس اللهُ لـــه في ... كبِـدي أحـلى غِراسِ
لستُ دهري لمطيع بـ ... ـنِ إيـاسٍ ذا تناسِ
ذاكَ إنسانٌ لـه فضـ ... ـلٌ عـلى كلّ أُناسِ
فإذا مـا الكأس دارتْ ... واحتساها مَن أُحاسي[2]
كان ذِكرانـا مُطيعاً ... عندهـا رَيْحان كاسي

[هجائه عيسى بن عمرو]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ ومحمد بن عمرانَ الصَّيْرَفيّ قالا : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنزيّ قال : حدّثنا التّوزِيّ قال : كان عيسى بنُ عمرو بن يزيدَ صديقاً لحمّاد عَجْرد ، وكان يواصله أيّامَ خدمته للربيع ، فلمّا طرده الربيع واختلّت حالُه جفاه عيسى ، وإنّما كان يصله لحوائجَ يسأل له الرَّبيع فيها ، فقال حمّاد عجرد فيه : [من الرمل]

أوصلُ النـاس إذا كانـت لـه ... حاجةٌ عيسى وأقضاهمْ لِحَقْ
ولِعيسى إنْ أتى في حاجـة ... مَلَـقٌ يُنسى بــه كلَّ مَلَـقْ
فـإن استغنـى فمـا يَعدِلُـه ... نخوةً كِسرى على بَعْضِ السُّوَقْ
إن تكن كنتَ بعيسى واثقـاً ... فبهذا الخُلْق مـن عيسى فثِقْ

قال العَنَزيّ : وأنشدني بعضُ أصحابنا لحمّاد في عيسى بنِ عمر أيضاً : [من الكامل]

كم من أخٍ لك لستَ تنكِرُهُ ... مـا دمـتَ من دنياكَ في يُسْرِ

1 الشماس : النفور والاباء .
2 أحاسي : أساقي .

متصنّعٌ لـك في مودّتِـه يلقـاك بالتّرحيـب والبِشرِ
يُطري الوفاءَ وذا الوفاء ويَلـ ـحى الغدرَ مجتهداً وذا الغَدْرِ
فإذا عَـدا والدَّهـرُ ذو غِيَرٍ دهرٌ عليـك عَـدا مع الدَّهرِ
فارفض بإجمـالٍ مـودّة مَـن يَقلي المُقِـلَّ ويَعشَق المُثري
وعليك مـن حـالاه واحـدةٌ في العُسْر إمّـا كنتَ راليسرِ
لا تخلطنّهـم بغيرهـمُ من يَخلط العِقْيـان بالصُّفْرِ[1]

[حشيش الكوفي]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال : حدَّثني ابن أبي فَنَن قال : حدَّثني العتّابيّ ، وأخبرني عمّي عن أحمدَ بن أبي طاهر قال : قال العتابيّ : وحديث ابن أبي طاهر أتمّ ، قال : كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعِثةَ يقال له حُشَيش وكانت أُمّه حارثيّة ، فمدحه حمّاد عجردٍ فلم يُثِبه ، وتهاوَنَ به ، فقال يهجوه : [من مجزوء الرمل]

يـا لقَومـي للبـلاء ومَعاريـضِ الشَّقـاء
قسَمَـتْ ألوِيـةً بيـ ـنَ رجـالٍ ونساء
ظفرتْ أخْت بني الحا رث منهـا بِلِـواء
حادثٌ في الأَرضِ يرتا عُ لـه أَهـلُ السماء

قال : فعُرِضتْ أَسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حُشيش ، فقال : أَهو الذي يقول فيه الشاعر : [من مجزوء الرمل]

يـا لَقومـي للبـلاء ومَعاريـضِ الشقاء ؟

قالوا : نعم يا أَمير المؤمنين ؛ فقال : لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر ، ولم يستعمله ، قال : وقال حمّاد فيه أيضاً يخاطب سعيدَ بنَ الأسود ويعاتبه على صحبة حُشَيش وعِشرتِه : [من مجزوء الرمل]

صرتَ بعدي يا سعيد مِـن أخِـلاّء حُشَيْشِ
أتلوّطْـتَ أم استُخـ ـلِفتَ بعدي أم لأَيشِ
حَلَقِـيٌّ استُـه أَو سعُ مـن استِ بُحَيْشِ

---

1 العقيان : الذهب .

ثـــم بَغّـــاءٌ عـلى ذا أبلــغُ النـــاسِ لفَيْشِ
يا بَني الأشْعَث ما عَيْـ ـشُكُمُ عنـدي بعَيْشِ
حـين لا يُوجد منكمْ غَيرَه قائــــدُ جَيْشِ

قال : وكان بُحَيْش هذا رجلاً من أهلِ البَصْرة لم يكن بينه وبين حمّاد شيء ، فلمّا بلغه هذا الشعرُ وَفَد من البَصرة إلى حمّاد قاصداً ، وقال له : يا هذا ، ما لي ولك ، وما ذنبي إليك ؟ قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا بُحَيْش ، أما وجدتَ أحداً أوسعَ دُبُراً منّي يُتمثّل به ؟ فضحك ثم قال : هذه بليّة صبّتها عليك القافية ، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله فودعه وانصرف وقال : الله بيني وبينك فقد أبقيت عليَّ سبة لا أعرف لها سبباً .

[هجاء أبي عون]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بنُ الحسن بن الحَرون . قال : كان حمّاد عجرد يعاشر أبا عَوْن جدّ ابن أبي عون العابد ، وكان ينزل الكرخ ، وكان عجرد إذا قدِم بغداد زاره ، فبلغ أبا عون أنّه يحدِّث الناسَ أنّه يهوى جاريةً له يقال لها جوهر ، فحجبه وجفاه واطَّرحه ، فقال يهجو أبا عون : [من الهزج]

أبـا عَـوْنٍ لَحاك اللّـ ـهُ ، يا عُرّةُ ، إنسانا[1]
فقد أصبحتَ في الناس إذا سُمّيت كَشْخانا[2]
بَنَيْت اليومَ في الكَشْخِ لأهــل الكَـرْخ بنيانا[3]
وشرَّفتَ لهـم في ذا كَ أبوابـــاً وحيطانا
وألفَيْـــتَ عـلى ذاكَ مــن الفُسّاقِ أعوانا
ومُجّانـــا ولَـــنْ تَعــدَ مَ مَـنْ يَمْجُن مُجّانا
فأخزى الله مـن كنتَ أخـاه كان مَـن كانا
ولا زلــت ولا زال بأخلاقــك خَــزْيانا
وعُرْيانـــا كما أصبحـ ـتَ من دِينك عُرْيانا

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الرجز]

إنّ أبــا عَــوْن ولا أقــولُ فيــه كَذبــا

1 العرة : الجرب .
2 كشخان : ديوث .
3 بنياناً في ل : ميدانا .

غـاوٍ أتـى مدينَـةً فسَنَّ فيهـا عَجَبا
إخوانُـه قـد جَعلوا أُمَّ بَنِيـه مَركَبـا
واتَّخَـذوا جوهـرةً مِبْوَلَـةً ومَلْعَبـا
إن نِكتَهـا أرضيتَـه أو لم تَنِكْها غضِبـا
أحبهـمْ إليـه مَـن أدخَـلَ فيها ذَنَبـا
ومَن إذا مـا لَمْ يَنِك جَـرَّ إليهـا جلَبـا

[غيلان جمع الدمامة والخيانة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الغَلاّبيّ عن مهديّ بن سابق قال : استعمل محمد بنُ أبي العبّاس وهو يَلي البَصرة غَيلانَ جدَّ عبد الصَّمد بنِ المعَذَّل على بعض أعشار البصرة ، وظهرَ منه على خيانة ، فعزلَه ، وأُخَذ ما خانه فيه ، فقال حمّاد عجردٍ يهجوه : [من الكامل]

ظَهَـرَ الأميرُ عليـكَ يا غَيْلانُ إذ خُنتَـه إنّ الأميرَ مُعـانُ
أَمَعَ الدمامة قد جَمعتَ خِيانةً ! قبحَ الدَّميمُ الفاجِـرُ الخَوّانُ

[شعره في أبي بشر]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامة قال : أُنشد بشّارٌ قولَ حمّاد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بِشر : [من الطويل]

صوت

أخي كُفَّ عن لومي فإنّك لا تدري بمـا فعـل الحبُّ المبرِّح في صدري
أخي أنـتَ تَلحـاني وقلبُـك فارغٌ وقلبـيَ مشغـولُ الجـوانح بالفِكرِ
أخي إنّ دائـي ليس عنـدي دواؤه ولكن دوائـي عنـد قلبِ أبي بشرِ
دوائي ودائي عنـد مَـن لـو رأيتَه يقلّب عينيه لأقصرتَ عـن زَجري
فأُقسم لو أُصبحت في لوعـة الهوى لأقصرتَ عن لومي وأطنبتَ في عذري
ولكن بلائـي منـك أنّك ناصحٌ وأنّك لا تـدري بأنّـك لا تدري

فطرب بشّار ثم قال : وَيْلَكم ، أحسنَ والله ؛ مَن هذا ؟ قالوا : حمّاد عجرد ؛ قال : أوَّه ، وكَلْتُموني والله بقيّةَ يومي بهَمٍّ طويل ، والله لا أُطعَم بقيّةَ يومي طعاماً ولأصوم غَمّاً بما يقول النَّبَطيّ ابنُ الزانية مِثل هذا .

في الأوّل والثاني من هذه الأبيات لحن من الثقيل الأوّل ذَكر الهشاميُّ أنّه لعَطرَّد .

أنشدَني جَحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أُبيه لحمّاد عجردٍ : [من مجزوء الوافر]

خليـلي لا يَفِـي أُبَداً يمنِّيني غـداً فغَـدا
وبعدَ غـدٍ وبعدَ غدٍ كذا لا ينقضي أبـدا
له جَمْرٌ على كَبِدي إذا حَرّكتَـه اتّقـدا

[مدحه يحيى بن زياد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : حدَّثنا الزّباليّ قال : كان المهديّ سأل أباه أن يولّي يحيى بن زياد عملاً ، فلم يجبه ، وقال : هو خليعٌ متخرِّق في النفقة ماجِن ، فقال : إنّه قد تاب وأناب ، وتَضَمَّنَ عنه ما يُحبّ ، فولاّه بعض أعمال الأُهواز ، فقَصَدَه حماد عجردٍ إليها ، وقال فيه : [من المتقارب]

فمَـن كان يسأل أينَ الفَعالُ فعنـدي شفاءٌ لِـذا الباحثِ
مَحَـلُّ النّدى وفَعـالُ النُّهى وبيتُ العُلا في بنـي الحارثِ
حَلَلْـن بِيَحيـى فحالفْنَـه حَيـاءٌ مـن الباعث الوارثِ
فـلا تعدِلـنّ إلى غيـره لعاجِـلِ أمـرٍ ولا رائِـثِ[1]
فـإنّ لديـه بـلا مِنّـةٍ عطـاءَ المرحّـلِ والماكِثِ

قال : وقال فيه أيضاً : [من السريع]

يحيـى امـرؤٌ زيّنَـه ربُّـه بفعلـه الأقـدَمِ والأحـدَثِ
إن قال لم يَكذِب ، وإن وَدَّ لم يَقطَع ، وإن عاهَـد لم يَنكُثِ
أصبحَ في أخلاقـه كلِّهـا موكَّـلاً بالأسهـلِ الأدمَثِ
طبيعـةٌ منـه عليهـا جَرى في خُلُـقٍ ليس بمستحدَثِ
ورَّثَـه ذاكَ أبـوه فيـا طِيبَ نَثـا الوارث والمُورِثِ[2]

فوصله يحيى بصلة سنيّة وحَمَله وكساه ، وأقام عنده مدّةً ثم انصرف .

[تحريضه عيسى بن عمرو على بشار]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكُرانيّ عن النضر بن عمرو قال : وليَ عيسى بنُ عَمرو إمارةَ البصرة مِن قِبَل محمد بن أبي العبّاس السفّاح لمّا خرج عنها عليلاً ، فقال له حمّاد

1 الرائث : البطيء .
2 النثا : الذكر .

عجرد : [من الخفيف]

قُل لعيسى الأَمير عيسى بنِ عَمرٍو ذي المساعي العِظـام في قَحْطانِ
والبناءِ العالي الذي طـال حتّى قَصُـرَتْ دونَـه يَـدا كلِّ بانِ
يابـن عمرٍو عمرٍو المكارم والتقـ ـوى وعَمرو النَّدى وعمرو الطِّعانِ
لك جارٌ بالِمصر لَم يجعـل اللـ ـه لـه منـكَ حُرمَـةَ الجيرانِ
لا يصلّي ولا يصومُ ولا يَقـْ ـرأ حرفـاً مـن مُحكَم القرآنِ
إنّمـا مَعـدِن الزُّناة مـن السِّفـ ـلةِ في بَيتِـهِ ومـأوى الزَّواني
وهو خِدنُ الصِّبيانِ وهو ابن سبعيـ ـنَ ، فماذا يهوى من الصِّبيانِ ؟
طَهِّرِ المصر منـه يـا أيّها المـو لى المسمَّى بالعـدلِ والإحسانِ
وتقرَّبْ بـذاك فيـه إلى اللـ ـه تَفُزْ منـه فـوزَ أَهلِ الجِنانِ
يا ابن بُرْد إخسأْ إليكَ فمِثلُ الـ ـكلبِ في الناسِ أنتَ لا الإنسانِ
ولَعمري لأنت شرٌّ مـن الكَلْـ ـب وأَولى منـه بكـلِّ هَوانِ

[هجاء يقطين]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : حدَّثني محمد بنُ صالح الجُبُلّيّ قال : كان حمّاد عجردٍ قد مدح يَقْطِيناً فلم يُثبه ، فقال يهجوه : [من السريع]

متى أَرى فيما أَرى دولةً يَعِـزّ فيهـا ناصرُ الدِّينِ
ميمونَـة مجّدهـا ربُّهـا بصادق النيّـة ميمـونِ[1]
تَـرُدُّ يقطينـاً وأشياعـه منهـا إلى أَبـزار يقطينِ

قال : وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية بخُراسانَ حائكاً .

قال : ومرَّ يوماً بيونسَ بن فَروةَ الذي كان الرَّبيع يزعم أنّه ابنُه ، فلَم يَهَشَّ له كما عوّده ، فقال يَهجوه : [من الكامل]

أَمـا ابنُ فـروةَ يونسٌ فكأنّه مـن كِبْره أيـر الإمام القائمِ

وقال فيه : [من الكامل]

ولقـد رضيتَ بعُصبة آخيتَهمْ وإخاؤهـم لـكَ بالمعَرّة لازمُ

---

1 مجّدها في ل : أيدها .

فعلمتُ حين جعلتَهم لك دِخْلةً ... إنّــي لِعرضي في إخائك ظالِمُ

[شعره في ولد بشّار]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني المغيرة بنُ محمد المهلّبيّ قال : حدَّثني أبو مُعاذ النُّميريُّ أنّ بشّاراً وُلد له ابنٌ ، فلمّا وُلد قال فيه حمّاد عجرد : [من مجزوء الرمل]

سائـلْ أُمامـة يـا ابن بُر ... دٍ من أبو هـذا الغلامِ ؟
أمِـن الحـلالِ أتتْ بـه ... أم مِـن مقارَفَـة الحـرامِ
فلتُخبِرنّـــك أنّـــه ... بـينَ العراقـي والشآمِي
والآخَـرِ الرومـيّ والنّـ ... ـبطيّ أيضاً وابـن حامِ
أجَعلـتَ عِرسَكَ شِقْوةً ... غرضاً لأسْهُـمِ كلِّ رامِ

أخبرني أحمد بنُ العبّاس العسكريُّ قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني مسعود بنُ بشر قال : مرّ حمّاد عجردٍ بقصرِ شِيرينَ ، فاستظَلّ من الحرّ بين سِدْرَتَين كانتا بإزاء القصر ، وسمع إنساناً يغنّي في شعر مطيع بنِ إياس : [من الخفيف]

أسعِداني يا نَخْلتيْ ، حُلْوانِ ... وارثيا لي مِن رَيْب هذا الزمانِ
أسعِداني وأيقِنا أنّ نَحساً ... سوف يلقـاكما فتفتـرقانِ

فقال حمّاد عجرد :

جعل الله سِدرتيْ قصرِ شِيريـ ... ـنَ فـداءً لنخلتـيْ حُلوانِ
جئتُ مستسعِداً فلم يُسعداني ... ومطيعٌ بكـت لـه النَّخْلتانِ

[استنجاز وعد محمد بن أبي العباس]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن أبيه ، عن إسحاق ، عن محمد بن الفضل السَّكونيّ ، قال : كان محمد بن أبي العبّاس قد وعد حمّاد عجردٍ أن يحمله على بغل ، ثم تشاغل عنه ، فكتب إليه حمّاد : [من الهزج]

طلبـتُ البَـذْلَ ممّـن خُـ ... ـلقـتْ كفّـاه للبـذلِ
ومَن يَنفي عـن المُحِـ ... ـلِ بالجُـودِ أذى المَحْلِ
ألا يـا ابـن أبـي العبّا ... س يـا ذا النائـل الجَزلِ
أمـا تَذكـر يـا مـولا ... يَ ميعادَك في البغـلِ ؟
وذاك الرِّجْس في الـدار ... جليسٌ لأبـي سَهْـلِ

يريكَ الحزمَ في الإخـلا ف للميعـادِ والمَطْـلِ

[شعره في عثمان بن شيبة]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال : حدَّثنا سليمانُ المَدِينيّ قال : كان عثمان بنُ شيبة مبخَّلا ، وكان حمّاد عجردٍ يهجوه ، فجاء رجل كان يقول الشعرَ إلى حمّاد فقال له : [من الوافر]

أَعِنّي مِـنْ غِناكَ ببيتِ شِعْرٍ على فقري لعثمانَ بـنِ شَيْبَهْ

فقال له حمّاد : [من الوافر]

فإنّك إنْ رَضِيتَ بـه خليلاً ملأتَ يديـك من فقرٍ وخَيبهْ

فقال له الرجل : جزاك الله خيراً ، فقد عرّفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه ، فصنتُ وجهي عنه .

[هجاؤه مطيع بعد الصداقة]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال : كان حمّاد عجردٍ يهوى غلاماً من أهل البَصْرة من موالي العَتِيك يقال له : أبو بشر الحلو بن الحلال ، أحسبه من موالي المهلَّب ، وكان موصوفاً بالجمال ، فاندسّ له مطيع بنُ إيّاس ، ولم يزل يحتالُ عليه حتى وطِئَه ، فغضب حمّاد عجرد من ذلك ، ونَشِب بينهما بسببه هجاء ، فقال فيه حمّاد : [من مجزوء الرمل]

يـا مطيعُ النَّذْلُ أنتَ الـ ـيومَ مخـذولٌ جَهـولُ
لا يغرَّنْـك غَـرورٌ ذو أفانـينَ مَلُـولُ
ليس يحلـو الفعـلُ منـه وهـو يحلـو مـا يقولُ
مَلْـذانيٌّ مـع الرِّيـ ـحِ إذا مالـت يميـلُ[1]
وجَـوادٌ بالمواعيـ ـدِ وبالبَـذْلِ بخيـلُ
ليس يُرضِيه مـن الجُعْ ـلِ كثيـرٌ أو قليـلُ
ذاكَ مـا اخترت خليلاً بئس واللهِ الخليـلُ
إنّمـا يكفِيـك أن يـأ تيـك في السرِّ رسولُ
ساخـراً منـكَ يمنِّيـ ـكَ أمـانيَّ تطـولُ

1 ملذاني : كذوب .

وقال في مطيع أيضاً وقد لَجَّ الهجاء بينهما : [من البسيط]

عجبتُ للمدَّعي في الناس منزلةً وليس يَصلح للدّنيا وللدِّينِ
لو أبصَروا فيك وجهَ الرأي ما تركوا حتى يَشُدُّوكَ كَرْهاً شَدَّ مجنونِ
ما نالَ قطُّ مطيعٌ فضلَ مَنزلةٍ إلاّ بأن صرتُ أهجوه ويهجوني
ولو تركتُ مطيعاً لا أُجاوبُهُ لكان ما فيه م الآفات يكفيني
يختار قربَ الفُحول المُرْد معتمِداً جَهْلاً ويترُك قُربَ الخرَّدِ العِينِ

[يمدح ويعزّي داود بن إسماعيل]

أخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى إجازةً عن أبيه عن إسحاق قال : قال حمّاد عجرد في داود بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس يمدحه ويعزّيه عن ابن مات له ويستجيزه : [من الخفيف]

إنّ أرجى الأنامِ عندي وأوْلا هُمْ بمَدْحِي ونصرتي داودُ
إن يعشْ لي أبو سليمان لا أحْـ ـفِلُ ما كادَني به من يكيدُ
هدّ رُكني فَقدِي أباكَ فقد شُـ ـدّ بك اليومَ ركنيَ المهدودُ
قائلٌ فاعلٌ أبيٌّ وفيٌّ مُتلِفٌ مخلِفٌ مُفيدٌ مُبيدُ
وَفَتى السِّنِّ في كَمالِ ابنِ خمسيـ ـنَ دَهاءً وإرْبَةً بل يزيدُ[1]
مِخلَطٌ مِزْيَلٌ أريبٌ أديبٌ راتقٌ فاتقٌ قريبٌ بعيدُ[2]
وهو الذائد المدافِع عنّي وعزيزٌ ممنَّعٌ مَن يَذودُ

[ولاية محمد بن أبي العبّاس على البصرة]

أخبرني أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : حدَّثني عبد الملك بنُ شيبان قال : ولّى أبو جعفر المنصورُ محمدَ بنَ أبي العبّاس السفّاح البَصرة ، فقدِمها ومعه جماعة[3] من الشعراء والمغنّين منهم حمّادِ عجرد ، وحَكَم الوادي ودَحْمان ، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه ، وشَرِب الشرابَ وعاث ، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله ، قال : وكان ابن أبي العبّاس كثيرَ الطيِّب ، يملأ لحيتَه بالغالية حتى تسيلَ على ثيابه فتسودّ ، فلقّبوه أبا الدِّبس ، وقال فيه بعض شعراء أهلِ البَصرة : [من السريع]

1 الأربة : العقل .
2 مزيل : كيّس لطيف .
3 ل : عدة .

صِرْنا مِـن الرِّبح إلى الوَكْس إذْ وَلِـي المصرَ أبـو الدِّبسِ[1]
ما شئتَ مِن لُـؤمٍ على نفسِه وجنسُه مِـن أكـرم الجنسِ

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثنا عليّ بنُ محمد النَّوْفليّ قال : حدَّثني أبي قال : كان أبو جعفر المنصور يُبغِضُ محمدَ بنَ أبي العبّاس ويُحبّ عيبَه ، فولاّه البصرة بعقِب مَقتَل إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فقدِمَها ، وأصحبَه المنصورُ قوماً يعاب بصُحبتهم مُجّاناً زنادِقة : منهم حمّاد عجرد ، وحمّاد بن يُحيى ، ونُظَراء لهم ، ليَغُضّ منه ويرتفع ابنُه المهديّ عند الناس ، وكان محمد بنُ أبي العبّاس محمَّقاً ، فكان يغلِّف لحيتَه إذا ركِب بأواقٍ من الغالية ، فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة ، فلقّبه أهلُ البَصرة أبا الدِّبس ؛ قال ولمّا أقام بالبصرة مدّة قال لأصحابه : قد عزمتُ على أن أعترض أهلَ البصرة بالسيف في يوم الجمعة ، فأقتلَ كلّ مَن وجدتُ ، لأنّهم خرجوا مع إبراهيم بنِ عبد الله بن حسن . فقالوا له : نعم ، نحن نفعل ذلك ، لما يعرفونه منه ، ثم جاءوا إلى أمّه سَلمَة بنت أيّوب بنِ سلمةَ المخزوميّة فأعلَموها بذلك ، وقالوا : والله لئن هَمّ بها ليُقْتلنّ ولنُقْتلنّ معه ، فإنّما نحن في أهل البصرة أكلةُ رأس ، فخرجتْ إليه وكشفتْ عن ثدييها وأقسمتْ عليه بحقّها حتى كفّ عمّا كان عزم عليه .

[غزل بزينب بنت سليمان بن علي]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال : حدَّثني أبي عن إسحاق الموصليّ قال : كان حمّاد عجرد في ناحية محمد بن أبي العبّاس السفّاح ، وهو الذي أدّبه . وكان محمد يَهوى زينبَ بنتَ سليمان بن علي ، وكان قد قدِم البصرة أميراً عليها مِن قِبَل عمّه أبي جعفر ، فخطبها ، فلم يزوِّجوه لشيء كان في عَقْله ، وكان حمّاد وحَكَم الوادي ينادمانه ، فقال محمد لحمّاد : قل فيها شعراً ، فقال حمّاد فيها على لسان محمد بن أبي العبّاس ، وغنّى فيه حَكَم الوادي : [من السريع]

صوت

زينبُ مـا ذنبي وماذا الذي غضِبتمُ منـه ولَـم تُغضَبوا[2]
واللهِ مــا أعـرِف لي عندكمْ ذنباً ففيمَ الهجرُ يـا زينبُ ؟
إن كنتُ قد أغضبتكُمْ ضَلَّةً فاستعتِبـوني إنّنـي أُعتبُ[3]
عُودُوا عـلى جَهلي بأحلامكم إنّي ، وإن لم أُذنِب ، المذنبُ

1 الوكس : النقص .
2 لم تغضبوا : على البناء للمجهول ، أي لم آت ما يغضبكم .
3 استعتب : طلب العتبي أي الرضا .

الغناء لحَكَم ، في هذه الأبيات خفيف ثقيل ، الأوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وفيه هَزَج يقال : إنّه لخليد بن عبيد الواديّ ، ويقال لعَريب .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال : حدَّثني عمرو بن بانة قال : كان لمحمّد بن أبي العبّاس السّفّاح شعر في زينبَ ، وغنّى فيه حَكَم الوادي : [من مجزوء الكامل]

صوت

قُــولا لزينــبَ لــو رأيــ ـــتِ تشوُّقي لــكِ واشترافي
وتلفُّتـــــي كيمـــــا أرا كِ وكان شخصُكِ غيرَ خافِ
وشَممْتُ رِيحَــكِ ساطعـاً كالبيــت جُمِّـــر للطَّوافِ
فتركتِنـــــي وكأنّمـــــا قلبــي يغــــرَّز بــالأشافي[1]

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال : حدَّثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ قال : خطب محمد بنُ أبي العبّاس زينبَ بنتَ سليمان ، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء ، إلاّ أنّه قال فيه : فقال محمد بن أبي العبّاس فيها ، وذَكر الأبيات كلَّها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمّاداً .

قال أبو الفرج مؤلِّف هذا الكتاب : هذا فيما أراه غَلطٌ مِن رواته ، لمّا سمعوا ذكر زينبَ ولحنَ حَكَم ، نسبوه إلى محمد بن أبي العبّاس ، وقد ذَكَرَ هذا الشعرَ بعينه إسحاقُ المَوْصليّ في كتابه ، ونسبه إلى ابن رُهَيْمة وهو من زَيانب يونسَ الكاتب المشهورة ، معروفٌ ومنها فيه يقول : [من مجزوء الكامل]

فذكَـرتُ ذاكَ ليـونسٍ فذكرتُــه لأخٍ مُصــافِ

وذكر إسحاقُ أنّ لحن يونسَ فيه خفيف رمل بالبنصر في مجرى الخِنصر ، وأنّ لحن حَكَم من الثقيل الأوّل بالبنصر ، قال محمد بن يحيى : ولمحمد بن أبي العبّاس في زينبَ أشعارٌ كثيرة ممّا غنّى فيها المغنُّون ، منها : [من السريع]

صوت

زينبُ ما لي عنكِ من صبرِ وليس لي منكِ سوى الهجرِ
وجهُـكِ والله وإن شَفَّني أحسنُ من شمسٍ ومِن بدرِ

---

1 الأشافي : جمع إشفى ، وهو المثقب .

لو أبصَرَ العاذلُ منكَ الذي أبصرتُه أسرع بالعذرِ

الغناء في هذه الأبيات لحَكَم خفيف رمل بالوسطى .

وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغَلاّبيّ قال : حدَّثني عبد الله بنُ الضَّحّاك عن هشام بن محمد قال : دخل دَحْمانُ المغنِّي مولى بني مخزوم ، وهو المعروف بدَحمانَ الأشقر ، على محمد بن أبي العبّاس وعنده حَكَم الوادي ، فأحضر محمدٌ عشرةَ آلاف دِرهم وقال : من سَبق منكما إلى صوت يُطربني فهذه له ؛ فابتدأ دَحمانُ يغنّي في شعر قيس بن الخَطيم : [من المنسرح]

حَوْراءُ ممكورةٌ منعَّمةٌ كأنّما شَفَّ وجهَها تَرَفُ

فلم يهشّ له ، فغنّى حَكَم في شعر محمّدٍ في زينب : [من السريع]

زينبُ ما لي عنكِ من صبرِ وليس لي منكِ سوى الهجرِ

قال : فطرِب وضرب برِجله وقال له : خُذْها ، وأَمَر لدَحمانَ بخمسة آلاف درهم ، قال : ومن شعره فيها الذي غنّى فيه حَكَم أيضاً : [من مجزوء الكامل]

صوت

أحببتُ من لا يُنصفُ ورجوتُ من لا يُسعِفُ
نسبٌ تليدٌ بيننا ووِدادُنا مستطرَفُ
باللهِ أحلِفُ جاهداً ومصدَّقٌ مَن يَحلِفُ
إنّي لأكتمُ حبَّها جَهْدِي لِما أتخوّفُ
والحبّ يَنطِق إن سَكَـ ـتُّ بما أُجِنّ ويُعرَفُ

الغناء في هذه الأبيات لحَكَم الواديّ ، ولحنه ثقيل أوّل . قال : ومن شعر محمد فيها الذي غنّى فيه حَكَم .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

أسعِد الصبَّ يا حَكَمْ وأعِنْهُ على الألَمْ
وأدِرْ في غنائِهِ نَغَما تشبه النِّعَمْ
أجميلٌ بأن يُري نائماً وهو لم يَنَمْ
لائمي في هوايَ زيـ ـنَبَ أنصِفْ ولا تَلُمْ

لَبِس الجسمُ حُلّــــةً   في هواهـا من السَّقَمْ

غنّاه حَكَم ، ولحنُه هَزَج .

[سكر حمّاد مع حكم الوادي عند محمد بن أبي العبّاس فناموا دونه]

وقد أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا أبو أيّوبَ المَدِينيّ قال : قال بُرَيْه الهاشميّ حدَّثني من حضر محمد بن أبي العبّاس وبين يديه حمّاد وحَكَمٌ الواديُّ يَغنّيه ، وندماؤه حضور ، وهم يشربون حتى سَكِرَ وسَكِروا ، فكان محمّد أوّل مَن أفاق منهم ، فقام إلى جماعتهم ينبِّههم رجلاً رجلاً ، فلم يجد فيهم فَضْلاً سوى حمّاد عجرد وحَكَم الواديّ ، فانتبَها ، وابتدؤوا يشربون ، فقالَ عجردٌ على لسانه ، وغَنَّى فيه حَكَم : [من مجزوء الخفيف]

أسعِد الصبَّ يا حَكَم   وأَعِنْــه عـلى الألَمْ

أجميلٌ بـأن يُـرى   نائمـاً وهوَ لم يَنَـمْ

هكذا ذَكر هذا الخبرَ الحسن ، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً .

أخبرني محمد بن يحيى قال : أنشدني أبو خليفة وأبو ذَكْوانَ والغلاّبيّ لمحمّد بن أبي العبّاس في زينب بنتِ سليمان بن عليّ : [من السريع]

يا قمرَ المِرْبَد قد هِجتِ لي   شوقـاً فمـا أنفَكّ بالمِرْبَدِ

أُراقبُ الفَرقَد مِـن حبِّكمْ   كأنّنــي وُكِّلــتُ بالفَرْقَدِ

أهيم ليـلي ونهـارِي بكمْ   كأنّـني منكمْ على مَوعدِ

عُلِّقْتُها رَيّـا الشَّوى طَفْلَةٌ   قريبةَ المولِدِ مِــن مَولِدِي

جَدٌّي إذا ما نُسبتْ جدّها   في الحَسَبِ الثاقبِ والمحتَدِ

والله مـا أنساكِ في خَلوتي   يا نــورَ عينيّ ولا مَشهَدِي

[شدّة محمد]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني الحارث بن أبي أسامة قال : حدَّثني المدائنيّ قال : كان محمدُ بنُ أبي العبّاس نهايةً في الشدّة ، فعاتَبه يوماً المهديُّ ، فغَمزَ محمدٌ ركابَه حتى انضغطتْ رِجلُ المهديّ في الركاب ، ثم لم تخرج حتى ردّ محمّد الركابَ بيَده ، فأخرَجَها المهديّ حينئذٍ .

[حمّاد يمدح محمّد بن أبي العبّاس]

أخبرني محمد قال : حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : حدَّثنا العُتْبِيّ قال : كان محمد بن أبي العبّاس شديداً قويّاً جَواداً ممدَّحاً ، وكان يلوي العمودَ ثم يلقيه إلى أخته رَيْطَة فتردّه ، وفيه

يقول حمّاد عجرد : [من البسيط]

أرجوك بعدَ أبي العبّاس إذ بانا ... يـا أكرم الناس أعراقاً وعِيدانا
فأنت أكرمُ من يمشِي على قَدَمٍ ... وأنضرُ الناس عنـد المَحْل أغصانا
لو مَجَّ عُودٌ على قـوم عُصارتَه ... لَمَجَّ عُودُك فينا المِسْكَ والبانا

[عزل محمد بن أبي العبّاس]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغلابيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الرحمن قال : لما أراد محمد بن أبي العبّاس الخروجَ عن البَصرة لمّا عزله المنصورُ عنها قال : [من المتقارب]

أيـا وقفـةَ البين ماذا شَبَبْتِ ... مـن النّـار في كَبِـدِ المُغرمِ !
رَميتِ جوانحَـه إذ رَميـتِ ... بقـوسٍ مُسدَّدةِ الأسهُـمِ
وقفنا لزينبَ يـومَ الـوَداعِ ... على مِثْـلِ جَمر الغَضى المُضرَمِ
فمِنْ صَرْف دمع جرى للفراقِ ... لمتـزِجٍ بعـدَه بـالدّمِ

أخبرني محمد قال : حدَّثنا الفضل بنُ الحُباب قال : حدَّثنا أبو عثمانَ المازنيّ قال : قال حمّاد عجردٍ يشبِّب بزينبَ بنتِ سليمان على لسان محمد بن أبي العبّاس : [من الطويل]

ألا مَـن لقلبٍ مستهامٍ معذَّبِ ... بحـبِّ غزالٍ في الحِجالِ مُربَّبِ
يـراه فـلا يسطيع رَدّاً لطَرْفِه ... إليـه حِـذارَ الكاشحِ المترقِّبِ
ولولا مليكٌ نافـذٌ فيـه حُكمُه ... لأدْنى وصالاً ذاهباً كلَّ مَذهبِ
تَغبَّرتُ خِلْفَ اللّهو بعـد صِراوةٍ ... فبحتُ بما ألقاه من حبّ زينبِ[1]

قال : فبلغ الشعرُ محمدَ بن سليمان ، فنذَرَ دمَه ، ولم يقدر عليه لمكانه من محمّد .

[رثاء محمد بن أبي العبّاس]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني الغلاّبيّ عن محمد بن عبد الرحمن قال : مات محمّد بن أبي العبّاس في أوّل سنة خمسين ومائة ، فقال حمّاد يرثيه بقوله : [من الخفيف]

صرتُ للدَّهـر خاشعاً مستكيناً ... بعد ما كنت قد قهرتُ الدّهورا
حين أودى الأمير ذاك الذي كنـ ... ـتُ به حيث كنتُ أُدعى أميرا
كنتُ إذ كان لي أجير به الدَّهـ ... ـر فقد صرتُ بعدَه مستجيرا

1 تغبر الناقة : احتلب غبرها ، وهو بقية اللبن في الضرع . والصراوة : الانقطاع والاحتباس .

يا سميّ النبيّ يا ابن أبي العبـ ـاس حققتَ عنديَ المحذورا
سلبتْني الهمومُ إذ سلبتنيـ ـك سروري فلست أرجو سرورا
ليتني متّ حين موتك لا بل ليتني كنت قبلَك المقبورا
أنتَ ظلّلتني الغمامَ بنعما ك ووطّأتَ لي وِطاءً وَثيرا
لَم تَدَعْ إذ مضيتَ فينا نظيراً مِثل ما لَم يدَع أبوكَ نظيرا

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم الجُمَحيّ قال : كان خَصيب الطبيب نصرانيّاً نبيلاً ، فسقى محمد بن أبي العبّاس شربةَ دَواءٍ وهو على البصرة ، فمرِض منها ، وحُمِل إلى بغداد فمات بها ، واتُّهم خصيب . فحُبس حتى مات . وسُئل عمّا به فنظر في علّته إلى مائه فقال : قال جالينوس : إنّ مثل هذا لا يعيش صاحبه ؛ فقيل : له إنّ جالينوس ربّما أخطأ ؛ فقال : ما كنت قطّ إلى خطئه أحوَج منّي اليوم ، وفي خصيب يقول ابن قنبر : [من مجزوء الرمل]

ولقد قلتُ لأهلِي إذ أتوْني بخَصيبِ
ليس والله خصيبٌ لِلّذي بي بطبيبِ
إنّما يَعرِف ما بي مَن به مِثلُ الذي بِي

[استجار بقبر سليمان بن علي]

أخبرني حبيبُ بن نصر وأحمدُ بنُ عبد العزيز وإسماعيل بنُ يونسَ ، قالوا : حدَّثنا عمر بنُ شبّة قال : حدَّثني عبد الله بن شيبان وابن داحة ، وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال : حدَّثني أبي عن إسحاق قال : لمّا مات محمد بن أبي العبّاس طلب محمد بنُ سليمانَ حمّاد عجردٍ لما كان يقوله في أخته زينبَ من الشعر ، فعلِم أنّه لا مُقام له معه بالبصرة ، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمانَ بن عليّ ، وقال فيه : [من الخفيف]

مِن مقرّ بالذنب لم يوجب اللـ ـه عليه بسيِّىء إقرارا
ليس إلاّ بفضل حِلمِك يَعتـ ـدّ بلاءً ، وما يُعدّ اعتذارا
يا ابن بنت النّبيّ أحمدَ لا أجـ ـعَلُ إلاّ إليكَ منك الفرارا
غير أنّي جعلتُ قبرَ أبي أيّو بَ لي من حوادث الدَّهرِ جارا
وحَرِيٌّ مَن استجار بذاكَ الـ ـقبرِ أن يأمَنَ الردى والعِثارا
لم أجِد لي من العباد مجيراً فاستجرتُ الترابَ والأحجارا

لستُ أعتاضُ منك في بغيةِ العِـ ـزّة قحطـانَ كلّهـا ونزارا
فأنا اليـوم جارُ من ليس في الأر ض مجيرٌ أعـزُّ منه جـوارا
يا ابن بيتِ النبيّ يا خَير من حَطّـ ـت إليـه الغَـواربُ الأكوارا[1]
إن أكن مُذنِباً فأنتَ ابنُ مَن كا ن لمَـن كان مُذنبـاً غَفّـارا
فاعفُ عنّي فقد قَدرتَ وخيرُ الـ ـعفوِ مـا قلتَ كن فكان اقتدارا
لـو يطيـل الأعمارَ جـارٌ لِعزٌّ كان جـاري يطـوّل الأعمارا

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ ومحمّد بنُ عمرانَ الصَّيْرَفيّ قالا : حدَّثنا الحسنُ بنْ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني عليّ بنُ الصبّاح قال : كان محمد بن سليمانَ قد طلب حمّاد عجردٍ بسبب نَسبه بأخته زينب ، ولم يكن يَقدِر عليه لمكانه من محمد بن أبي العبّاس ، فلمّا هلك محمّد جَدَّ ابنُ سليمانَ في طلبه ، وخافَه حمّاد خوفاً شديداً ، فكتب إليه : [من الخفيف]

يـا ابن عـمِّ النبيّ وابـنِ النبيّ لعـليٌّ إذا انتَمـى وعـليٍّ
أنتَ بـدرُ الدّجى المُضيءِ إذا أظـ ـلَمَ واسودّ كلُّ بـدرٍ مُضِـيِّ
وحَيا النـاسِ في المُحول إذا لم يُجْـدِ غيـثُ الربيـعِ والوَسْميّ
إنّ مولاكَ قـد أساءَ ومـن أعـ ـتب مـن ذنبـه فغيـر مُسيّ
ثـم قـد جاء تائباً فاقبـل التو بـة منـه يـا ابنَ الوَصيِّ الرضيّ

قال : ومضى إلى قبر أبيه سليمانَ بن عليّ فاستجار به ، فبلغه ذلك ، فقال : والله لأبلّنّ قبرَ أبي من دمه ، فهرب حمّاد إلى بغداد ، فعاذ بجعفر بن المنصور ، فأجاره ، فقال : لا أرْضى أو تهجوَ محمد بنَ سليمان ، فقال يهجوه : [من الخفيف]

قل لوجه الخَصيِّ ذي العار إنّي سوف أُهـدِي لزينـبَ الأشعارا
قد لعمري فررتُ مِن شدّة الخو ف وأنكـرتُ صاحبـيَّ نهـارا
وظننـتُ القبـورَ تَمنَـع جـاراً فاستجـرت التـرابَ والأحجارا
كنتُ عنـد استجارتي بأبي أيّـ ـوبَ أبغِـي ضلالـةً وخَسارا
لم يُجِـرني ولم أجِد فيـه حظّاً أضـرم اللهُ ذلـك القبرَ نـارا

قال : وقال فيه : [من الطويل]

1 الغوارب : جمع غارب ، وهو أعلى الظهر . والأكوار : الرحال .

لـه حَزْمُ بُرغوثٍ وحِلمُ مُكاتبٍ وغُلْمَـةُ سِنَّوْرٍ بلَيْـلٍ تَوَلْـوِلُ

وقال فيه يهجوه : [من المنسرح]

يا ابـنَ سليمانَ يـا محمّدُ يا من يشتري المكرُمات بالسَّمَنِ
إنْ فخرتْ هاشمٌ بمَكرُمـةٍ فخَرتَ بالشَّحمِ منكَ والعُكَنِ
لُؤْمـكَ بـادٍ لِمَن يراك إذا أقبلـتَ في العارِضَـينِ والذَّقَنِ
ليتَك إذ كنـتَ ضيِّقاً نَكِراً لم تُدْعَ مـن هاشمٍ ولم تكُنِ
جَدَّاك جَدّان لَم تُعَـب بهما لكنّما العيبُ منك في البدنِ

قال : فبلغ هجاؤه محمدَ بنَ سليمان فقال : واللهِ لا يُفلِتني أبداً ، وإنّما يزداد حتْفاً بلسانه ، ولا واللهِ لا أُعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً .

وقد اختُلِف في وفاة حمّاد .

[مقتله]

فأخبرني أحمد بنُ عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو داحة وعبد الملك بنُ شيبان أن حمّاداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتِراً ، وبلغ محمداً خبرُه ، فأرسل مولًى له إلى الأهواز ، فلم يزل يَطلبُه حتى ظفر به فقتله غِيلة .

وأخبرني أحمد بن العبّاس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عِمران قالوا : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ عن أحمد بن خَلاّد أنّ حمّاداً نزل بالأهواز على سُلَيم بن سالم فأقام عنده مدّة مستتراً من محمد بن سليمان ، ثم خرج من عنده يريد البَصرة ، فمرّ بشيْرزاذانَ في طريقه ، فمَرِض بها ، فاضطرّ إلى المُقام بها بسبب علّته ، فاشتدّ مرضُه ، فمات هناك ودُفِن على تَلْعة ، وكان بشّار بلغه أنّ حمّاداً عليل لِما به ، ثم نُعِي إليه قبل موته ، فقال بشّار : [من السريع]

لـو عـاش حمّاد لهونـا بـه لكنّـه صـار إلى النـارِ

[شعر له وهو يحتضر]

فبلغ هذا البيتُ حمّاداً قبل أن يموت وهو في السِّياق[1] ، فقال يردّ عليه : [من السريع]

نُبِّئـتُ بشّاراً نَعـاني وللـ ـموت بَراني الخالـقُ الباري
يـا ليتني مِـتّ ولم أهْجُه نعـمْ ولـو صرتُ إلى النارِ
وأيُّ خِزيٍ هو أُخزى مِن انْ يقـالَ لي يـا سِبَّ بَشّارِ

---

1 السياق : نزع الروح .

قال : فلمّا قَتل المهديُّ بشّاراً بالبَطيحة اتّفق أن حُمل إلى منزله ميتاً ، فدُفن مع حمّاد على تلك التّلعة ، فمرّ بهما أبو هشام الباهليُّ الشاعر البَصْريّ الذي كان يُهاجِي بشّاراً ، فوقف على قبريهما وقال : [من السريع]

قــد تَبِــع الأعمى قَفا عَجردِ فأصبَحـا جارَيــن في دارِ
قالت بِقاع الأرض لا مَرْحَبا بقُــرب حمّــاد وبَشّارِ
تجــاوَرا بعـــد تَنائِيهمـا مــا أبغَضَ الجـارَ إلى الجارِ
صارا جميعاً في يديْ مالِكٍ في النّار والكافــرُ في النارِ

صوت

[من البسيط]

هل قلبُكَ اليومَ عن شَنْباء منصرِفُ وأنتَ ما عشتَ مجنونٌ بها كَلِفُ
ما تُذْكَرُ الدَّهرَ إلاّ صدّعت كبِداً حَرَّى عليكَ وأذْرت دمعةً تَكِفُ

ذَكر أبو عمرو الشيبانيّ أنّ الشِّعر لحُرَيث بن عتّاب الطائيّ ، وذكر عمرُو بنُ بانة أنّه لإسماعيل بن يسار النّساء ، والصحيح أنّه لحُرَيث ، والغناء لغَريض ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وذَكَر الهشاميُّ أنّه لمالِك .

[275] ـ أخبار حُرَيث ونسبه[1]

[نسبه]

حُرَيث بنُ عَنّابُ (بالنون) ابن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عُنَين بن نائل بن أَسوَدان ، وهو نبهان بنُ عمرو بنِ الغَوْث بن طيىّء ، شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، وليس بمذكور من الشعراء ، لأنّه كان بدويّاً مُقِلاً غيرَ متصدٍّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ، ولا يَعْدو شعره أَمَر ما يخصّه .

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمّي عن الحَزَنْبُل عن عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ ، عن أبيه ، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأوّلين قوله : [من البسيط]

يـدومُ وُدّي لِمَن دامت مودَّتُه ... وأصرف النفسَ أحياناً فتنصرفُ
يا وَيْـح كلّ محبٍّ كيـف أرحمُه ... لأنّني عارف صدقَ الذي يصفُ
لا تأمننْ بعـد حُبّـي خُلّـة أبَداً ... على الخيانة إنَّ الخائـن الطَّرِفُ
كأنّهـا رِيشةٌ في أَرض بَلقَعـة ... من حيثما واجهتْها الريحُ تنصرفُ
يُنسي الخليلين طُولُ النأي بينهما ... وتَلتقي طُـرُقٌ شتّـى فتأتلِفُ

قال أبو عمرو ، قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حُبَّى بنت الأسود من بني بُحْتُر بن عَتُود ، وكان يهواها ويتحدّث إليها ، ثم خطبها ، فوعَدَه أهلُها أن يزوّجوه ووعدته ألاّ تجيب إلى تزويج إلاّ به . فخطبها رجلٌ من بني ثُعَل وكان موسراً فمالت إليه وتركت حُرَيثاً ، وقد خُيِّرت بينهما فاختارت الثُّعَليَّ ، فتزوّجها ، فطَفِق حريث يهجو قومَها وقوم المتزوّج بها من بني بُحْتُر وبني ثُعَل ، فقال يهجو بني ثُعَل : [من الطويل]

بني ثُعَلٍ أهلَ الخنا ما حديثُكمْ ... لكم منطق غـاوٍ وللنّاس مَنطِقُ
كأنّكُم مِعـزىً قَواصعُ جِرّةٍ ... من العِيّ أو طيرٌ بخفّانَ يَنعِقُ
ديافيّـة قُلْـفٌ كأنّ خطيبَهم ... سَراةَ الضُّحى في سَلْحه يتمطّقُ

قال أَبو عمرو : ولم يزل حريثٌ يهجو بني بُحْتُر وبني ثُعَلٍ من أَجل حُبَّى ؛ فبينا هو ذات

1 لحريث بن عناب ترجمة في خزانة البغدادي 11 : 449 وسمط اللآلي : 83 .

يوم بخيبَر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفِنائه ينشِد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثُعَل وبني بُحْتر ابنَي عَتود ، وبخيبرَ يومئذٍ رجل من بني جُشَم بن أبي حارثة بن جُدَيّ بن تَدُولَ بن بُحْتُر يقال له أوْفى بنُ حُجْر بن أسيد بن حُيَيّ بن ثُرْمُلة بن ثرغل بن خثيم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش ، فمرّ أوفى هذا بحريث بن عَنّاب وهو يُنشِد شعراً هجا به بني بحتر ، فسمعه أوفى وهو ينشد قولَه : [من الطويل]

وإنَّ أحـقَّ الناسِ طُـرّاً إهانةً عَتودٌ يُباريهِ فَريــرٌ وثَعلبُ[1]

العَتود : التيس الهَرِم . والفَرير : ولد الظبية . ويباريه : يفعل فعلَه . فدنا منه أوفى وقال : إنّي رجل أصمُّ لا أكاد أسمع ، فتقرّب إليّ ، فقال له : ومن أنت ؟ فقال : أنا رجل من قيس ، وأنا أهاجِي هذا الحَيّ من بني ثُعَلٍ وبني بُحتُر ، وأحبّ أن أرويَ ما قيل فيهم من الهجاء ، فأدنَوْه منه ، وكانت معه هِراوة قد اشتمل عليها ، فلمّا تمكّن من ابن عَنّابٍ جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفَه فحطَمه ، وسقَط على وجهه ووثب القرشيّ على أوفى فأخذه ، فوَثَبَ بنو أُخته فانتزعوه من القرشيّ ، وكاد أن يقع بينهم شرّ ، وأفلتَ أوفى ودُورِي ابنُ عنّاب حتى صَلَح واستوى أنفُه ، فقال أوفى في ذلك : [من الكامل]

لاقى ابنُ عَنّاب بخيبرَ ماجداً يَـزَعُ اللئـامَ وينصرُ الأحسابا
فضربتــهُ بهِراوتــي فتركتــهُ كالحِلْس منعفرَ الجبـينِ مصابا

قال : ثم لحِق أوفى بقومه . فلمّا كان بعد ذلك بمدّة اتّهمه رجلٌ من قريش بأنّه سرق عبداً له وباعه بخيبر ، فلم يزل القرشيُّ يطلبُه حتى أخذه وأقام عليه البيّنة ، فحُبس في سجن المدينة ، وجُعلتْ للقرشيّ يدُه فبعَث ابنُ عنّاب إلى عشيرته بني نَبْهان ، فأبوا أن يعاونوه . وأقبلَ عُرفاء بني بُحْتُر إلى المدينة يريدون أن يؤدّوا صدقاتِ قومِهم فيهم حصنٍ وسلامة ابنا معرِّض ، وسعدُ بنُ عمرو بن لأم ، ومنصور بنُ الوليد بن حارثة ، وجَبّار بن أُنَيف ، فَلَقُوا القرشيَّ وانتَسبوا له ، وقالوا : نحن نعطيك العِوَض مِن عَبْدِك ونرضيك ، ولم يزالوا به حتى قَبِل وخلّى سبيلَه . فقال حُرَيثٌ يمدحُهم ويهجو قومَه الأدنَيْن مِن بني نَبْهان : [من الطويل]

لما رأيتُ العبدَ نَبْهـانَ تارِكِي بلمّاعةٍ فيها الحوادثُ تَخطُرُ[2]
نُصِرتُ بمنصورٍ وبابنيْ معرِّضٍ وسعدٍ وجَبّارٍ بـل اللهُ يَنصرُ

1 طُرّاً إهانةً في ل : ألا أهابه .
2 اللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

وذو العرش أعطاني المودّة منهمُ وثبَّتَ ساقي بعدما كدتُ أعثُرُ
إذا رَكب الناسُ الطريقَ رأيتَهم لهم خابِطٌ أعمى وآخَر مُبصرُ
لكلّ بني عمرو بن غَوْثٍ رِباعةٌ وخيرُهمُ في الشرّ والخيرِ بُحْتُرُ[1]

وقال أبو عمرو : مرّ ابن عنّاب بعدما أسنّ بنسوةٍ من بني قُلَيع وهو يتوكّأ على عَصاً فضحكن منه ، فوقف عليهنّ وأنشأ يقول : [من الكامل]

هزئتْ نساءُ بني قُلَيع أن رأتْ خَلَقَ القميصِ على العصا يترَكَّعُ
وجعلْنني هُزُؤاً ولـو يعرفْنني لعلمن أنّي عند ضَيْمي أرْوَعُ

[إغارته على بني أسد]

قال أبو عمرو : وكان حريثُ بنُ عنّاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلاً لهم ، فطَلَبَه السلطان ، فهرب من نواحي المدينة وخيبَرَ إلى جَبَلين في بلاد طيىء يقال لهما : مُرَّى والشَّمُوس حتى غَرِمَ عنه قومُه ما طلب ، ثم عاوَدَ وقال في ذلك : [من الطويل]

إذا الدِّين أودى بالفساد فقل لـه يدَعْنـا ورُكْناً من مَعَـدٍّ نصادمُهْ
ببيضٍ خِفـافٍ مرهَفلتٍ قواطع لـداودَ فيهـا أثْـرُه وخَواتِمُهْ[2]
وزُرْقٍ كستْها ريشَها مَضْرَحيّةٌ أثيثٌ خَوافِـي رِيشها وقوادِمُهْ[3]
إذا ما خرجْنا خرّت الأُكم سُجَّداً لعـزٍّ عَـلا حَيْزُومُـه وعَلاجِمُهْ[4]
إذا نحن سِرْنا بين شرقٍ ومَغرب تحـرَّكَ يقظـانُ التّراب ونائمُهْ
وتفزَع منّا الإنسُ والجِنُّ كلُّها ويُشرب مهجـورُ المِيـاه وعائمُهْ
ستَمنَع مُـرَّى والشَّمُوس أخاهما إذا حكم السلطان حُكْماً يُضاجمُهْ

يميل فيه . ويروى : يصاحمه ، وقال أبو عمرو : يصاحمه : يزاحمه . والأصحم منه مأخوذ .

* * * *

---

1 رباعة : سيادة .
2 أثر السيف : جوهره ووشيه .
3 الزرق : النصال . والمضرحي : النسر أو السيد . والأثيث : الكثير .
4 الحيزوم هنا : الغليظ أو المرتفع من الأرض . العلاجم : جمع علجم ، وهو الطويل من الإبل .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين　　　　الأستاذ بكر عباس

المجلد الخامس عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

15

الطبعَـة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعـة الثـانية
1426هـ - 2005م
الطبعـة الثـالثة
1429هـ - 2008م

دار صادر
تأسست سنة 1863
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان
© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

بسم الله الرحمن الرحيم

صوت

وقال :   [من المنسرح]

هَلْ في ادِّكار الحبيبِ من حَرجِ   أَمْ هَـلْ لهـمٍّ الفؤادِ مِن فَرَجِ
أم كيفَ أنْسى رحيلَنا حُرُماً   يـومَ حَلَلنا بالنَّخلِ من أَمِجِ[1]
يومَ يقولُ الرسولُ قـد أَذِنَتْ   فائْـتِ على غير رِقْبَـةٍ فَلِجِ
أَقبلْتُ أَسعـى إلى رِحالِهـمُ   في نَفحةٍ مـن نسيمِها الأَرِجِ

الشعر لجعفر بن الزُّبير[2] ، والغناء للغَرِيض ، خفيفُ ثقيلٍ أَوّل ، بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، عن إسحاق ، وذكر عَمرو بن بانةَ أنّه لدَحْمانَ في هذه الطريقة والمجرى . وذكره يونُس بغير طريقةٍ وقال : فيه لحنان : لابن سُريج والغَرِيض . وذكر الهشاميّ أنّ لحن ابنُ سُريج رملٌ بالوُسطى .

1 أمج : موضع بين مكّة والمدينة .

2 تنسب هذه الأبيات إلى ابن قيس الرقيات (انظر ديوانه : 78) .

[276] ـ أخبار جعفر بن الزُّبير ونسبه

[نسبه]

جعفر بن الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلِد بنِ أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب . وأمّ جعفر بن الزُّبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو ، من بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل .

[سليمان بن عبد الملك وفروض الأعطيات]

أخبرني الطُّوسيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني مصعب بن عثمان قال : أخبرني جدّك عبد الله بن مُصعب عن أبي عثمان بن مصعب ، عن شعيب بن جعفر بن الزُّبير قال : فرضَ سليمانُ بن عبد الملك للناس في خلافته ، وعُرِض الفرضُ[1] . قال : وكان ابن حزمٍ في ذلك محسناً ، يَعْلَم الله إنّه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعَهم بذلك .

قال شُعيب بن جعفر بن الزُّبير : فقال لي سليمان بن عبد الملك : مَن أنتَ ؟ قلت : شعيب بن جعفر بن الزُّبير . فقال : ما فَعَل جعفر ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين على الكبَر والعيال . فقال : قُلْ له يحضُر الباب . فقال لجعفر ، احضُر الباب . فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير ، فرفع معه رقعةً وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز ، فيها قوله : [من الرجز]

يا عُمَرَ بن عمر بن الخطّابْ إنّ وقوفِي من وراء الأبوابْ
يَعدِلُ عندي حَطْمَ بعضِ الأنيابْ[2]

قال : فلمّا قرأها عمر عَذَرَه عند سليمان ، فأمَر له سليمانُ بألفِ دينارٍ في دَينه ، وألفِ دينارٍ معونةً على عيالِه ، وبرقيقٍ من البِيض والسُّودان ، وكثيرٍ من طعام الجاري ، وأن يُدان من الصَّدقة بألفَي دينار . قال : فلمّا جاء ذلك إلى أبي قال : أُعطِيتُه من غير مسألة ؟ فقيل : نعم . قال : الحمد لله ، ما أسخى هذا الفتى ! ما كان أبوه سخيّاً ولا ابن سخيٍّ . ولكنّ هذا كأنّه من آل حرب . ثم قال : [من الطويل]

فما كنت دياناً فقد دِنت إذ بَدَتْ صُكُوكَ أميرِ المؤمنين تدورُ
بِوَصْلِ أولي الأرحامِ قَبْلَ سؤالِهِم وذلك أمرٌ في الكرامِ كثيرُ

قال بعض مَن روى هذا الخبر عن الزبير : الناس لا ينظرون في عَيب أنفسهم ، وما كان

1 أي الجند المفروض لهم .
2 يَعدِلُ في ل : بعدك .

لجعفرٍ أن يعيبَ أحداً بالبخل ؛ وما رئي في الناس أحدٌ أبخل منهم أهلِ البيتِ ولا من عبد الله بن الزُّبير خاصة ، وما كان فيهم جوادٌ غيرَ مصعب .

قال الزُّبير : حدَّثني عمّي ، قال : كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصدقة أدانَ مَن أراد من قريش منه ، وكتب بذلك صَكّاً عليه ، فيستعبِدُهم به ، ويختلفون إليه ، ويديرونه ، فإذا غضب على أحدٍ منهم استخرَج ذلك منه ، حتى كان هارونُ الرشيدُ ، فكلَّمه عبدُ الله بن مصعب في صُكوكٍ بقيت من ذلك على غيرِ واحدٍ من قريش ؛ فأمر بها فخُرِّقت عنهم ، فذلك قولُ ابنِ الزُّبير : [من الطويل]

فما كنتُ ديّاناً فقد دِنتُ إذ بَدَتْ ... صكـوكُ أمير المؤمنـين تـدورُ

قال الزُّبير : وحدّثني عمِّي مُصعبٌ قال : شهد جعفرُ بنِ الزُّبير مع أخيه عبدِ الله حربَه ، واستعمله عبد الله على المدينة ، وقاتل يومَ قُتِل عبد الله بن الزُّبير ، حتى جَمَد الدمُ على يده ؛ وفي ذلك يقول جعفر : [من الطويل]

لعمْرُكَ إنِّي يـوم أُجْلَـتْ ركائبي ... لأُطْيَبُ نفساً بالجِلادِ لدى الرُّكْنِ
ضنينٌ بِمَن خَلْفِي شحيحٌ بطاعتي ... طِـراد رجال لا مُطاردة الحُصْنِ[1]

الحصن : جمع حِصان ، يقول : هذا طرادُ القتال لا طراد الخيل في الميادين .

غـداةَ تحامَتْنـا تُجيبُ وغافِـقٌ ... وهَمْدانُ تبكِي من مُطاردةِ الضِّبْنِ[2]

[عتابه أخاه عروة]

قال الزُّبير : وحدّثني عمّي مصعبُ بن عثمان ؛ أنَّ جعفر بن الزُّبير كانت بينه وبين أخيه عروةَ معاتبةٌ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

لا تَلحينِّي يـا ابْنَ أُمِّـي فإنّني ... عدُوٌّ لِمَن عاديتَ يـا عُروَ جاهدُ
وفارقـتُ إخـواني الذيـن تَتابَعوا ... وفارقتُ عبدَ الله والمـوتُ عاندُ[3]
ولــولا يمـينٌ لا أزالُ أبرُّهـا ... لقـد جمعَتْنـا بالفِنـاء المقـاعدُ

[رثاء ولده]

قال الزُّبير : أنشدتني عَمّتي أسماءُ بنت مصعبِ بن ثابتٍ ، لجعفرِ بن الزُّبير ، وأنشدنيه غيرُها يرثي ابناً له : [من الطويل]

1 طِراد في ل : طريد . وهذا مثل .
2 تجيب : بطن من كندة . وغافق وهمدان : قبيلتان .
3 العاند : العاتي الشديد .

صوت

أَهاجَكَ بينٌ من حبيبٍ قد احتمَلْ ... نَعَمْ ففؤادي هائــمُ العقلِ مُخْتَبَلْ
وقالــوا صُخَيْرات اليمــام وقدَّموا ... أَوائِلَهم مــن آخرِ الليــل في الثَّقَلْ[1]
مررنَ على مــاءِ العُشَيرَةِ والهوى ... على مَلِلٍ يــا لَهفَ نفسي على مَلَلْ
فَتى السنِّ كهلُ الحِلـمِ يهتزُّ للندى ... أمرُّ من الدِّفْلى وأَحلى مـن العَسَلْ

في هذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر ، نسبه يحيى المكّي إلى ابن سريج ، ونسبه الهشاميّ إلى الأبجر ، قال : ويقال إنه لابن سهيل .

[الشيخ الطروب]

فأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ وحدّثنيه محمد بن جعفر النحوي قال : حدّثنا محمد بن موسى قال : حدّثنا الخرّاز ، وخبره أتمّ ، قال[2] : اصطحب قوم في سفر ، ومعهم رجلٌ يغنّي ، وشيخٌ عليه أثر النُّسك والعبادة ، فكانوا يَشتَهونَ أن يغنّيهم الفتى ويَسْتحْيُون من الشّيخ ، إلى أن بلغوا إلى صُخَيرات اليمام ، فقال له المغنّي : أيّها الشيخ إنّ عليّ يميناً أن أُنشدَ شعراً إذا انتهيتُ إلى هذا الموضع ، وإنّي أهابُكَ وأستحي منك ؛ فإن رأيت أن تأذَنَ لي في إنشادِهِ أو تتقدَّم حتّى أُوفِيَ بيميني ثم نلحقَ بك فافْعَلْ . قال : وما عليّ من إنشادك ؟ أَنشِدْ ما بدا لك . فاندفع يغنّي : [من الطويل]

وقالوا صُخَيْرات اليمام وقدَّموا ... أُوائِلَهم مـن آخرِ الليلِ في الثَّقَلْ
وردنَ على ماء العُشَيْرَةِ والهوى ... على مَلَلٍ يا لهف نفسي على مَلَلْ

فجعل الشيخُ يبكي أَحَرَّ بكاءٍ وأَشجاه ، فقالوا له : ما لكَ يا عمِّ تبكـي ؟ فقال : لا جُزِيتُمْ خيراً ؛ هذا معكم طُولَ هذا الطريق وأنتم تبخَلُونَ عليّ به أتفـرّج به ويقطع عنّي طريقي ؛ وأَتذكّر أيّامَ شبابي . فقالوا : لا والله ما كانَ يمنعُنا منه غيرُ هيبتك . قال : فأنتم إذاً معذورون . ثم أقبل عليه ؛ فقال : عُدْ فَدَيْتُك إلى ما كنتَ عليه . فلم يَزَلْ يغنّيهم طُولَ سفرِهم حتّى افترقوا .

قال الزُّبير : وأخبرني مصعب بن عثمان أنّ أُمّ عروة بنت جعفرِ بن الزُّبير أَنشدته لأَبيها جعفرٍ وكان يرقّصها بذلك : [من الرجز]

يــا حبّذا عُروةُ في الدَّمالِج ... أَحَبُّ كلٌّ داخــلٍ وخارجِ

1 صخيرات اليمام والعشيرة وملل : مواضع بين مكة والمدينة .
2 اقتبس صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر (9 : 40) .

[قوله في غزو ابنه صالح أرض الروم]

قال : وأخبرتني أنّ أخاها صالحَ بنَ جعفرٍ غزا أرضَ الرّوم ، فقال فيه جعفر : [من الرجز]

قد راحَ يوم السبتِ حِينَ راحُوا مــع الجَمال والتُّقــى صَلاحُ
مِــنْ كلِّ حــيٍّ نَفَــرٌ سمــاحُ بيضُ الوجــوهِ عَرَبٌ صِحاحُ
وفزِعــــوا وأخــــذ السلاح وهـم إذا مــا كُــرِه الشِّياحُ[1]
مصاعبٌ يكرهها الجراحُ

قال الزُّبير : ولجعفر شعرٌ كثير قد نُحِلَ عمرَ بن أبي ربيعة ودَخَلَ في شعره . فأمّا الأبياتُ التي ذَكرتُ فيها الغِناءَ فمن الناس مَن يرويها لعمر بن أبي ربيعة ، ومنهم مَنْ يرويها للأحوص وللعَرْجيّ ؛ وقد أنشَدنيها جماعةٌ من أصحابنا لجعفر بن الزُّبير . وأخبرني بذلك الحِزْمِيُّ ، والطوسيُّ ، وحبيب بن نَصر المهلَّبيّ ، وذكر الأبيات . وأخبرنيه عمِّي عن ابن أبي سعد عن سعيد بن عمرو عن أمّ عروة بنت جعفر مثله . قال ابن أبي سعد : قال الحزاميّ : الناس يَروُونها للعَرْجيّ ، وأُمُّ عروةَ أَصْدَقُ .

أخبرني الطوسيّ قال حدّثنا الزُّبير قال : حدَّثني سعيد بن عمرو الزُّبيريّ قال : تزوّج جعفر بـن الزُّبير امرأة من خُزاعة وفيها يقول :

هل في ادّكارِ الحبيبِ من حَرَج

الأبيات . وزاد فيها بيتين وهما : [من المنسرح]

تُسفِرُ عن واضح إذا سَفَرتْ ليس بذي آمَـةٍ ولا سَمِجِ[2]

وسقط البيت الآخر من الأصل .

[وفاته]

قال الزُّبير في رواية الطُّوسيّ : حدّثني مصعب بن عثمان وعمّي مصعب قالا : كان جماعةٌ من قريش مُتنَحِينَ عن المدينة ، فصدر عن المدينة بَدَويّ فسألوه : هل كان للمدينة خبر ؟ قال : نعم مات أبو الناس . قالوا : وأنَّى ذلك ؟ قال : شهده أهل المدينة جميعاً ؛ وبُكِيَ عليه من كلّ دار . فقال القوم : هذا جعفر بن الزُّبير ، فجاءهم الخبر بَعْدُ أنَّ جعفرَ بن الزُّبير مات .

[زواج الحجّاج بنت عبد الله بن جعفر]

أخبرني عمِّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني إبراهيم بن معاوية عن

---

1 الشياح : المقاتلة .
2 الآمة : العيب .

أبي محمد الأنصاريّ ، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه ؛ قال : لمّا تزوّج الحجّاجُ وهو أميرُ المدينة بنتَ عبدِ الله بن جعفرِ بن أبي طالب ، أتى رجلٌ سعيدَ بن المسيِّب فذكر له ذلك ، فقال : إنّي لأرجو أن لا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل ، وعسى الله ، فإن أباها لم يزوِّج إلاّ الدراهم . فلمّا بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أَبرَدَ البريدَ إلى الحجّاج ، وكتب إليه يُغْلِظ له ويقصِّر به ، ويذكُر تجاوُزَه قدْرَه ، ويُقْسِمُ بالله لئن هو مَسَّها ليقطعن أحبَّ أعضائِهِ إليه ، ويأمُره بتسويغِ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها . ففَعَلَ ، فما بقي أحد فيه خير إلاّ سَرَّه ذلك .

وقال جعفر بن الزُّبير وكان شاعراً في هذه القصّة : [من الطويل]

وجدتُ أميرَ المؤمنينَ ابنَ يوسُفٍ حَمِيّاً من الأَمر الذي جئتَ تَنْكَفُ[1]
ونبِّئتُ أنْ قد قالَ لمّا نكحتَها وجاءت به رسْلٌ تُخِبُّ وتُوجِفُ[2]
ستَعلَمُ أنِّي قد أَنِفتُ لما جَرى ومثلُكَ منه عَمْرَكَ اللّهَ يُؤنفُ
ولولا انتكاسُ الدّهرِ ما نالَ مثلها رجاؤُك إذ لم يرجُ ذلك يُوسَفُ
أبِنتَ المصفَّى ذِي الجناحَينِ تبتَغِي لقد رُمْتَ خَطْباً قدرهُ ليس يُوصَفُ[3]

صوت

[من الطويل]

كأنْ لَم يكُنْ بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا أَنيس ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ
بَلى نحنُ كنّا أَهلَها فأَبادنا صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ[4]

عروضه من الطويل . الشعر فيما ذكر ابنُ إسحاق صاحب المغازي لُمضاض بن عمرو الجرهميّ . وقال غيره : بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض .

أخبرنا بذلك الجوهريُّ عن عُمَر بن شبة عن أبي غسان محمد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد . وقال عبد العزيز بن عمران : هو عمرو بن الحارث بن مضاض . والغناء ليحيى المكّي ، رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم الموصليّ ماخوريّ بالبنصر . وفيه لأهل مكّة لحنٌ قديم ذَكَرَه إبراهيمُ ولم يجنِّسْه .

1 ابن يوسف : منادى ، أي يا ابن يوسف . الحمي : الذي تأخذه الحمية . ونكف عن الشيء : عدل .
2 الخبب والايجاف : ضربان من السير .
3 ذو الجناحين : جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .
4 الجدود : الحظوظ .

[277] ـ ذكر خبر مُضاض بن عمرو[1]

[إسماعيل تزوج ابنته]

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهميّ . وكان جدُّه مضاضٌ قد تزوّج ابنتَه رَعْلة ، إسماعيل بنَ إبراهيم خليلِ الرحمن ، فولدت له اثني عَشَر رجلاً أكبرُهم قَيذارُ ونابت . وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمرهُ بذلك لأنّه لما بنى مكّة وأنزلها ابنَه قدِم عليه قَدمةً من قَدَماتِه ، فسمع كلامَ العرب وقد كانت طائفةٌ من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل ، فأعجَبَتْه لغتُهم واستحسَنَها ، فأمر إسماعيل عليه السلام أن يتزوَّجَ إليهم ، فتزوّجَ بنتَ مضاض بن عمرو ، وكان سيِّدَهم .

[حرب جرهم وقطوراء]

فأخبرنا محمد بن جرير ، قال : حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق . وأخبرني محمد بن جعفرٍ النحويّ قال : حدّثنا إسحاق بن أحمد الخزاعيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله الأزرقيّ قال : حدّثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساجٍ عن محمد ابن إسحاق . ورواية إسحاق بن أحمد أتمُّ . وقد جمعتها : أن نابتَ بن إسماعيلَ وليَ البيتَ بعد أبيه ثم توُفِّيَ ، فولِيَ مكانه جدُّه لأُمّه مُضاضُ بن عمرو الجرهميّ ، فضمَّ ولدَ نابت بن إسماعيل إليه ، ونزلت جُرهمٌ مع مَلِكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكّة ، ونزلَتْ قَطُوراء مع ملكهم السَّمَيْدع أجيادَ ، أسفلَ مكّة . وكان هذان البطنانِ خرجا سَيّارةً من اليمن ، وكذلك كانوا لا يَخرُجون إلاّ مع ملكٍ يُملِّكونه عليهم . فلمّا رأوا مَكّةَ رأَوْا بلداً طيِّباً ، وماءً وشجراً ، فنزلا ورضي كلٌّ واحدٍ منهما بصاحبه ولم ينازعه . فكان مُضاض يَعْشِرُ[2] من جاء مكّةَ من أعلاها ، وكان السَّميدع يَعشِرَ مَن جاءها مِن أسفلها ومن كَداء ، لا يدخُل أحدُهما على صاحبه في أمره . ثم إن جرهماً وقَطُوراءَ بَغى كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه ، فتنافَسوا في المُلْك حتّى نَشِبت الحربُ بينهم ؛ وكانت ولايةُ البيت إلى مُضاضٍ دونَ السَّميدع . فخرجَ مضاضٌ من بطنِ قُعَيقِعان مع كتيبتِهِ في سلاحٍ شاك يتقعقع . فيقال : ما سميت قعَيْقِعان إلاّ بذلك ، وخرج السّميدع من شِعب أجيادَ ، في الخيل الجيادِ والرجال . ويقال : ما سميت أجياداً إلاّ بذلك ، حتى التَقوا بفاضح ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل السّميدع وفُضِحت قَطُوراء ، ويقال : ما سمّي فاضحاً إلاّ

1 أخبار مضاض بن عمرو وجرهم في كتاب التيجان لوهب بن منبه ، وأخبار ابن عبيد ، وانظر مروج الذهب للمسعودي 2 : 50–55 وأعلام الزركلي .

2 يعشر : يأخذ عشر الأموال .

بذلك ، ثم تداعى القومُ إلى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شِعباً بأعلى مكّة ، وهو الذي يقال له الآن شِعب ابنِ عامر فاصطلحوا هناك ، وسلَّموا الأمر إلى مضاض ؛ فلمّا اجتمع له أمرُ مكّة ، وصار مَلِكَها دونَ السَّميدع نَحَرَ للناس فطَبَخُوا هناك الجُزُر ، فأكلوا ، وسمِّي ذلك الموضع المطابخ . فيقال : إنّ هذا أوّلُ بَغْيٍ بمكّة . فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب : [من الطويل]

نحــنُ قتلنـا سيِّدَ الحــيِّ عَنــوةً فأصبحَ منهـا وهـو حيرانُ مُوجَعُ

يعني أنّ الحيَّ أصبح حَيرانَ موجَعاً .

ومـا كان يَبغي أن يكونَ سَواؤنا بهـا مَلِكاً حتّـى أتانا السَّميدعُ[1]
فذاق وبــالاً حـين حاوَلَ مُلْكَنا وحـاول مِنّـا غُصَّـة تُتجرَّعُ[2]
ونحــنُ عمَرنــا البيتَ كُنّا وُلاتَه نُضارِب عنــه مَـنْ أتانا وندفعُ
وما كان يبغي ذاكَ في الناس غيرُنا ولم يَـكُ حــيٌّ قبلنا ثَـمَّ يمنعُ
وكُنّا ملوكاً في الدهورِ التي مَضَتْ ورِثْنا مُلــوكاً لا تُـرام فتُوضَعُ

[استخفاف جرهم بالبيت]

قال عثمان بن ساج في خبره : وحدّثني بعضُ أهلِ العِلم أنّ سيلاً جاءَ فدخل للبيتَ فانهدم ، فأعادته جرهم على بناء إبراهيم ، بناهُ لهم رجلٌ منهم يقال له أبو الجدرة واسمه عمر الجارود ، وسمِّي بنوه الجَدَرة . قال : ثم استخفّتْ جرهمٌ بحقِّ البيت ، وارتكبوا فيه أموراً عظاماً ، وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة ؛ وكان للبيت خِزانة ، وهي بئرٌ في بطنه ، يُلقى فيها الحَلْيُ والمتاع الذي يهدى له ، وهو يومئذٍ لا سَقْفَ عليه ؛ فتواعَدَ عليه خمسةٌ من جرهم أن يَسرِقُوا كلَّ ما فيه ، فقام على كلِّ زاوية من البيت رجلٌ منهم واقتحم الخامس ، فجعل الله عزّ وجلّ أعلاه أسفَلَه ، وسقط منكَّساً فهَلِكَ ، وفرّ الأربعة الآخرون .

قالوا : ودخل إسافٌ ونائلةُ البيتَ ففجَرا فيه ، فمسَخَهما الله حَجَرين ، فأُخرِجا من البيت . وقيل أنّه لم يَفْجُر بها في البيت . ولكنّه قبّلها في البيت .

وذكر عثمان بن ساج عن أبي الزّناد ، أنّه إساف بن سهَيل ، وأنّها نائلة بنت عمرو بن ذئب . وقال غيره : إنّها نائلة بنت ذئب . فأُخرِجا من الكعبة ، ونُصِبا ليعتَبِر بهما مَن رآهما ، ويزدجرَ النّاسُ عن مِثْلِ ما ارتكَبا ، فلمّا غَلَبَتْ خُزاعةُ على مكّة ونُسِيَ حديثُهما ، حوَّلهما عَمرُو بن لحي بن كلابٍ بعد ذلك ؛ فجعلهما تجاهَ الكعبة يُذبَحُ عندَهما عند موضعِ زمزم .

1 سواؤنا : سوانا .
2 وحاول في ل : وعالج .

قالوا : فلمّا كثر بغيُ جرهمٍ بمكّة قام فيهم مُضاض بن عمرٍو بنِ الحارث بن مضاض فقال : يا قوم احذَرُوا البغيَ ، فإنّه لا بقاء لأهله ، وقَدْ رأيتم مَن كان قبلكم من العماليق استخفُّوا بالحَرَمِ ولَم يعظِّموه وتنازعوا بينَهم واختلفوا ، حتّى سلّطكم الله عليهم فاجتحتموهم[1] فتفرّقوا في البلاد ، فلا تستخفُّوا بحقِّ الحرمِ وحُرمةِ بيت الله ، ولا تظلموا مَنْ دخَله وجاءه معظِّماً لحُرماته ، أو خائفاً ، أو رغب في جواره ، فإنّكم إنْ فعلتم ذلكم تخوّفْتُ أن تخرجوا منه خروجَ ذُلٍّ وصَغار ، حتّى لا يقدرَ أحدٌ منكم أن يصلَ إلى الحرم ، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حِرزٌ وأمْن ، والطَّيرُ تأمَن فيه .

فقال قائل منهم يقال له مجدع : ومن الذي يُخرجنا منه ؟ ألسنا أعزَّ العربِ وأكثَرهم مالاً وسلاحاً ؟ فقال مضاض : إذا جاء الأمرُ بَطَلَ ما تذكرون ؛ فقد رأيتم ما صَنَعَ الله بالعماليق ! قالوا : وقد كانت العماليق بَغَتْ في الحرم ، فسلَّطَ الله عَزَّ وجلّ عليهم الذَرّ فأخرجهم منه ، ثم رموا بالجَدْبِ ، وبعث الغيث أمامهم فجعلوا يطلبونه فلا يجدونه ويكون أمامهم أبداً فيطلبونه ويساقون من خلفِهم حتّى ردَّهم الله إلى مساقط رؤوسهم ، ثم أرسَل عليهم الطوفان ــ قال : والطوفان : الموت ــ قال : فلمّا رأى مضاض بن عمرو بَغْيَهم ومُقامَهم عليه ، عَمَد إلى كنوز الكعبة ، وهي غَزالانِ من ذهبٍ ، وأسيافٌ قَلَعية[2] ، فحفر لها ليلاً في موضع زمزم ، ودفنها . فبيناهمْ على ذلك إذ سارت القبائلُ من أهلِ مأرِب ، ومعهم طريفة الكاهنة ، حين خافوا سَيلَ العِرم ، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان . فقالت لهم طرَيفة لّما قاربوا مكّة : «وحَقٌّ ما أقول ، وما علَّمني ما أقولُ إلاّ الحكيمُ المحكَّم ، ربُّ جميعِ الامَم من عَرَب وعَجَم» . قالوا لها : ما شأنُك يا طريفة ؟ قالت : «خُذُوا البعيرَ الشدقم[3] ، فخضبُوه بالدّم ، تكنْ لكم أرْضُ جُرهم ، جيرانِ بيتِه المحرَّم» . فلمّا انتَهوْا إلى مكّة وأهلِها أرسلَ إليهم عمرٌو ابنهُ ثعلبة ، فقال لهم : يا قوم ، إنّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزِلْ بلدةً إلاّ أفسحَ أهلُها لنا ، وتزحزحوا عَنّا ، فنقيم معهم حتّى نُرسِلَ رُوّاداً فيرتادوا لنا بلداً يَحمِلنا ، فافسَحُوا لنا في بلادكم حتّى نقيمَ قَدْرَ ما نستريح ، ونرسل رُوّادنا إلى الشّام وإلى الشرق ، فحيثُما بَلَغَنا أنّه أمْثَلُ لحِقنا به ، وأرجو أن يكون مُقامنا معكم يسيراً . فأبت ذلك جرهمٌ إباءً شديداً ، واستكبروا في أنفسهم ، وقالوا : لا والله ؛ ما

---

1 ل : فأخرجتموهم .

2 القلعيّة : نسبة إلى مرج القَلَعة وهو موضع بالبادية ، وقيل بل هو بلد بالهند تنسب إليه السيوف الجياد .

3 الشدقم : الواسع الشدق .

نحبُّ أن تنزلوا معنا فتضيِّقوا علينا مَرابِعنا[1] ومَواردنا ، فارحَلوا عنّا حيثُ أحببتم ، فلا حاجةَ لنا بجوارِكم . فأرسلَ إليهم : إنّه لا بدّ من المقامِ بهذا البلدِ حولاً ، حتى ترجع إليَّ رسلي التي أرسلتُ ، فإن أنزلتموني طَوعاً نزلتُ وحمِدتُكم وآسَيتُكم[2] في الرِّعي والماء ، وإنْ أبيتم أقمتُ على كَرْهكم ثم لم تَرتَعوا معي إلاّ فَضْلاً ، ولم تشربوا إلاّ رَنْقا[3] ، وإنْ قاتلتموني قاتلتكم ، ثمّ إنْ ظَهَرتُ عليكم سَبَيْتُ النساء ، وقتلتُ الرجال ، ولم أترك منكم أحداً يَنزل الحرمَ أبداً ؛ فأبَتْ جرهمٌ أن تُنزِلَه طَوعاً وتَعَبَّتْ لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثةَ أيّامٍ أُفرِغَ عليهم فيها الصبرُ ، ومُنِعوا النصر[4] ، ثم انهزمَتْ جُرهمٌ فلم يُفلِتْ منهم إلاّ الشَّريد . وكان مُضاض بن عمرٍو قد اعتزلَ حربَهم ولم يُعِنْهم في ذلك ، وقال : قد كنتُ أُحذِّركم هذا . ثم رَحَلَ هو وولدُه وأهلُ بيته حتّى نزلوا قَنَوْنى[5] وما حولَه ، فبقايا جُرهم به إلى اليوم ، وفَنِيَ الباقون ؛ أفناهم السيفُ في تلك الحروب .

قالوا : فلمّا حازت خزاعةُ أَمرَ مكّةَ وصاروا أَهلَها ، جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حربَ جرهم وخُزاعة ، فلم يدخلوا في ذلك . فسألوهم السُّكنى معهم وحَولَهم فأذِنُوا لهم ؛ فلمّا رأى ذلك مضاضُ بن عمرٍو بن الحارث وقد كان أصابه من الصَّبابة إلى مكّةَ أمرٌ عظيم ، أرسل إلى خزاعةَ يستأذنها ، ومَتَّ[6] إليهم برأيه وتوريعه[7] قومه عن القتال ، وسوءِ العشْرة في الحرم ، واعتزالِه الحرب ، فأبَتْ خزاعةُ أن يُقرُّوهم وَنَفَوْهم عن الحرم كلِّه ، وقال عمرو بن لحي لقومه : من وجدَ منكم جرهميّاً قد قاربَ الحَرَمَ فدمُه هَدَر ! فنزعَتْ إبلٌ لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو ، مِنْ قَنَوْنى تريد مكّة ، فخرجَ في طلبها حتّى وجدَ أثرها قد دخلَتْ مكّة ، فمضى على الجبال نحوَ أجياد ، حتّى ظهَرَ على أبي قُبيس[8] يتبصّر الإبل في بطن وادي مكّة ، فأبصر الإبلَ تُنحَرُ وتؤكل ولا سبيلَ له إليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يُقْتَل ، فولّى منصرِفاً إلى أهلِه وأنشأ يقول : [من الطويل]

كأنْ لم يكن بينَ الحَجُون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسمُرْ بمَكّةَ سامرُ

---

1 المرابع : جمع مربع ، وهو مكان الإقامة في الربيع .

2 آساه : ساواه .

3 رنق : كدر .

4 منعوا النصر : لم ينتصر أحد الطرفين على الآخر .

5 قنونى : من أودية السراة .

6 مت : توسل .

7 ورّعه : كفه .

8 ظهر على أبي قبيس : علاه . وأبو قبيس : جبل بمكّة .

ولم يَتربَّــعْ واسِطــاً فَجُنوبَــه ... إلى المنحَنى من ذي الأُراكة حاضرُ[1]
بَــلى نحــنُ كنّا أهلَهــا فأبادنــا ... صروفُ اللَّيــالي والجدود العواثرُ
وأبدَلَنــا ربّــي بهــا دارَ غُربــةٍ ... بها الذئبُ يعوي والعدوُّ المخامرُ[2]
أقولُ إذا نــام الخــلي ولم أَنم ... أذا العرشِ لا يَبْعَدْ سُهيلٌ وعامرُ
قدْ ابدِلتُ منهم أوجُهاً لا أريدُها ... وحِمْيَرُ قــد بُدّلْتُهــا واليُحابِرُ[3]
فإن تَمِــلِ الدُّنيــا علينــا بكَلّهــا ... ويُصبِــحُ شرٌّ بيننــا وتشاجُــرُ[4]
فنحنُ ولاةُ البيتِ مِن بَعد نابتٍ ... نُمشّي بِــهِ والخيرُ إذْ ذاكَ ظاهِرُ
وأَنكحَ جدّي خَيْرَ شخصٍ علمتَهُ ... فأبناؤه مِنّــا ونحــنُ الأصاهرُ[5]
وأخرجَنــا منهــا المليكُ بقدرةٍ ... كذلك يالَلنّاسِ تجــري المقادِرُ
فصرنا أحاديثــاً وكُنّــا بغِبطــةٍ ... كذلــك عَضّتنا السّنونَ الغوابرُ
وَسَّحتْ دموعُ العين تَبكِي لبلدةٍ ... بهــا حَــرَمٌ أَمْنٌ وفيها المشاعِرُ
ويا ليتَ شعري مَنْ بأجيادَ بعدَنا ... أَقــامَ بمُفْضى سَيلــه والظَّواهِرُ
فبطنُ مِنًى أمسى كأنْ لَم يكنْ بِهِ ... مُضاضٌ ومن حَيَّــيْ عديٍّ عمائِرُ[6]
فهــل فَــرَجٌ آتٍ بشَيْءٍ نحِبُّه ... وهــل جزَعٌ مُنْجيكَ مِمّا تحاذِرُ

قالوا : وقال أيضاً : [من البسيط]

يا أيُّها الحيُّ سيرُوا إنّ قَصْرَكُم ... أن تُصبحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا[7]
إنّــا كما أنتــمُ كُنّــا فغَيَّرَنا ... دهرٌ بصَرفٍ كما صِرنــا تصيرونا[8]
أزجُوا المطيَّ وأرخُوا من أزِمَّتها ... قَبْلَ المماتِ وقَضُّوا مــا تُقضُّونا
قــد مال دهــرٌ علينا ثــمَّ أَهلَكَنا ... بالبَغْي فيــه فقــد صِرنا أفانينا

1 واسط وذو الأراكة : موضعان .
2 المخامر في ل : المحاصر . والمخامر : المستتر .
3 اليحابر : أبو قبيلة .
4 كلّها : ثقلها ، وفي رواية : بكلكل .
5 الأصاهر في ل : الأياصر .
6 العمائر : جمع عمارة ، وهي أصغر من القبيلة وأكبر من البطن .
7 قصركم : قصاراكم ، أي نهايتكم .
8 الصرف : واحد صروف الدهر ، وهي نوائبه .

كنّا زماناً ملـوكَ الناسِ قَبلكُـم ... نأوي بلاداً حرامـاً كان مسكونا

قال الأرزقيّ : فحدّثني محمد بن يحيى قال : حدّثني عبد العزيز بن عمران قال : وخرج أبو سلمة بن عبد الأسدِ المخزوميّ قُبيل الإسلام في نفرٍ من قريش يريدون اليمنَ ، فأصابهم عطشٌ شديد ببعضِ الطريق ، وأمسَوْا على غيرِ الطريق ، فتشاوروا جميعاً ، فقال لهم أبو سلمة : إنّي أرى ناقتي تُنازعني شِقّاً[1] ؛ أفلا أرسِلُها وأتبعها ؟ قالوا : فافعَلْ . فأرسل ناقته وتبعها فأضحَوْا على ماءٍ وحاضِرٍ[2] ، فاستقَوا وسَقَوا ؛ فإنّهم لَعَلى ذلك إذْ أقبلَ إليهم رجلٌ فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : من قريش . فرجَع إلى شجرةٍ أمام الماء فتكلَّمَ عندها بشيء ثم رجع إلينا ، فقال : أينطلق معي أحدُكم إلى رجل نَدْعوه . قال أبو سلمة : فانطلقتُ معه فوقَفَ بي تحتَ شجرةٍ ، فإذا وكر معلّقٌ فصوَّتَ : يا أبتِ ! فزعزع[3] شَيخٌ رأسَه ، فأجابه فقال : هذا الرجل . فقال لي : مِمّن الرجل ؟ قلت : من قريش . قال : من أيّها ؟ قلت : من بني مخزومٍ بن يَقَظة . قال : مِن أيِّهم ؟ قلت : أنا أبو سلمة بن عبدِ الأسد بنِ عبدِ الله بنِ عمرو بن مخزومٍ بن يقظة . قال : أيهات منك ! أنا ويَقظةُ سِنّ[4] ، أتدري من يقول : [من الطويل]

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُـر بمكّـة سامـرُ

بَـلى نحـنُ كنّـا أهلَهـا فأبادَنـا ... صُروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ

قلت : لا . قال : أنا قائلها ، أنا عمرو بن الحارث بنِ مضاض الجرهميّ . أتدرِي لِمَ سُمِّي أجيادُ أجياداً ؟ قلت : لا . قال : جادت بالدِّماء يوم التقينا نحن وقَطُوراء ؛ أتدري لِمَ سُمِّي قُعَيْقِعانُ ؟ قلت : لا . قال : لتقعقُع السلاحِ على ظهورِنا لمّا طلعنا عليهم منه .

وأخبرني بهذا الخبر الحِرْميُّ بن أبي العلاء ؛ قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدّثني إبراهيم بن المنذِر الحزاميّ ؛ قال : حدَّثنا عبد العزيز بن عمران ؛ قال حدَّثني راشد بن حفصِ بنِ عمر بنِ عبدِ عوف ، قال : قال أبو سلمة بن عوف : وخرجت في نفرٍ من قريشٍ يُريدون اليمن . وذكر الخبرَ مثلَ حديثِ الأزرقيّ . والله أعلم .

[تغريب ربيعة بن أميّة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا غسان بن عبد العزيزِ بن عبد الحميد أنّ ربيعة بن أُميّة بنِ خَلَفٍ كان قد أدْمَنَ الشرابَ ،

1 شق : جانب .

2 الحاضر : القوم المقيمون على الماء .

3 زعزع : حرّك .

4 أي في سن واحدة .

وشرب في شهر رمضان ، فضرَبه عمرُ رضي الله عنه وغرَّبه إلى ذِي المروةِ ، فلم يزل بها حتّى تُوُفِّي واستخلِف عثمانُ رضي الله عنه ؛ فقيل له : قد توفّي عمرُ واستخلِف عثمانُ فلو دَخلتَ المدينة ما ردَّك أحد . قال : لا والله لا أدخل المدينة فتقولَ قريشٌ قد غرَّبه رجلٌ من بني عديّ بنِ كعبٍ . فلحِق بالرُّوم وتنصَّرَ ، فكان قيصرُ يَحْبُوه ويُكرِمه ، فأُعقِبَ بها .

قال غسان : حدَّثني أبي قال : قدِم رسولُ يزيد بن معاوية على معاوية من بلادِ الرّوم ؛ فقال له معاوية : هل كان للناسِ خبر ؟ قال : بينا نحن مُحاصِرون مدينةَ كذا وكذا إذْ سمِعنا رجلاً فصيحَ اللسانِ مُشرِفاً من بين شُرفتين من شُرَفِ الحِصن ، وهو يُنشد : [من الطويل]

كأنْ لَم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا … أنيسٌ ولَم يسمُر بمكّــةَ سامِـرُ

فقال معاوية : ويحكَ ، ذاك الربيعُ بن أُميّة يتغنّى بشعرِ عمرِو بن الحارث بن مُضاضٍ الجرهميّ .

[ابن جامع يغني بشعر مضاض]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال ؛ حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : قال لي أبي : مُرْ بالدوابِّ تُسرَجْ سحراً حتّى نَغْدو إلى ابن جامعٍ نستقبلُه بالياسِريةِ[1] بسُحرةٍ لا تأخذْنا الشَّمس . قال : فأمرت بذلك . وركبنا في السحَر فأصبَحْنا دون الياسرية ، وقد طلعَتْ علينا الشَّمس . قال : فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضِبٌ وعلى رأسِه ولحيته خِرَقُ الخضابِ ، وإذا بِقدْرٍ تُطبخ في الشَّمس ؛ فلمّا نظَرَ إلينا رحَّبَ بنا ، وقام إلينا فسلَّم علينا ، ثم دعا بالماء فغسَل رأسه ولحيتَه ، ثم دعا بالغَداء فأُتِيَ بَغدائه ، فغرفَ لنا من تلك القِدْرِ التي في الشمس ؛ فتقزَّزْت وبَشِعتُ[2] من ذلك الطعامِ الذي طُبِخ ، فأشار إليَّ أبى : بأنْ كُلْ . فأكلْنا حتّى فَرَغْنا من غَدائنا ، فلمّا غَسلْنا أيديَنا نادى ابنُ جامع : يا غلام هاتِ شرابنا ! فأتي بنبيذٍ في زُكْرةٍ[3] قد كانت الزُّكرة في الشمس ، فكرهت ذلك ، فأشار إليّ أبي ، أنْ لا تمتنعْ ؛ ثم أتوا بقَدَح جَيشانيّ[4] مِلءِ الكفِّ ، فصُبَّ النبيذُ فيه وهو يُشبه ماءً قد أُغلِيَ بالنار ، ثم غَنَّى ابنُ جامع فقال : [من الطويل]

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا … أنيسٌ ولَمْ يسمُرْ بمكّــةَ سامِـرُ

1 الياسرية : قرية على نهر عيسى قريبة من بغداد . والسحرة : وقت السحر .
2 ل : فتقدمت وكشفت .
3 الزكرة : زق صغير للخمر .
4 جيشاني : نسبة إلى جيشان ، وهو مخلاف باليمن .

بَــلى نحــنُ كنّا أَهلَهــا فأزالَنــا صُروفُ الليــالي والجُدودُ العواثرُ

ثم غنّى ، للعرجيّ : [من البسيط]

صوت

لــو أنَّ سلمى رأَتْنا لا يَـراعَ لنا لَما هَبَطْنا جميعاً أَبْطُـن السوقِ[1]

وكَشْرَنا وكُبــولُ القَـينِ تنكؤنا كالأُسدِ تَكشِرُ عن أنيابِها الرُّوقِ[2]

ثم تغنّى : [من الوافر]

صوت

أجــرَّرُ في الجوامع كُلَّ يــومٍ فيــا للهِ مَظْلِمَتــــي وصَبْرِي

ثم أَمر بالرَّحيل . وقد غنّى هذه الثلاثة الأصوات . فقال لي أبي : يا بنيّ بشِعتَ لِما رأيتَ من طعامِ ابنِ جامع وشرابِه ، فعليَّ عِتقُ ما أَملِك إنْ لَم يكن شُربُ الدَمِ مع هـذا طيِّباً . ثـم قـال : أسمِعتَ بنيَّ غِناءً قطُّ أَحسَن من هذا ؟ فقلت : لا واللّهِ ما سمعتُ . قال : ثمّ خرج ابنُ جامع حتى نزلَ ببابِ أميرِ المؤمنين الرشيدِ ليلاً ، واجتمع المغنّون على الباب ، وخرجَ الرسولُ إليهم فأذِنَ لهم ؛ والرشيدُ خلف السِّتارةِ ، فغَنَّوْا إلى السَّحَر ؛ فأعطاهم أَلفَ دينارٍ إلاّ ابنَ جامع فلم يعطِهِ شيئاً ، وانصرفوا متوجعين له ، وعَرَضُوا عليه جميعاً فلم يقبل ؛ وانصرفوا ، فلمّا كان في الليلة الثانية دُعُوا فغَنَّوا ساعةً ، ثم كُشِفت الستارة ، وغنّى ابن جامعٌ صوتاً عَرَّض فيه بحالِهِ وهو : [من الطويل]

صوت

تقولُ أَقِــمْ فينا فقيراً ومــا الذي تَــرى فيــه ليــلى أن أُقيمَ فقيرا

ذَريني أَمُتْ يا ليل أو أكسِبَ الغنى فإنّــــي أُرى غَيرَ الغنــيِّ حقيرا

يُدَفَّــع في النادي ويُرفَض قولــه وإن كان بــالرأي السَّديدِ جديرا

ويُلزَمُ مــا يَجني سواه وإن يُطِفْ بذنبٍ يكــن منــه الصغيرُ كبيرا

قالوا : فأعجَبَ الرّشيدَ ذلك الشعرُ واللحنُ فيه ، وأَمال رأسَه نحوه كالمستدعي له . وغنّاه أيضاً : [من الطويل]

1 اليراع : الضعاف من الغنم وغيرها .

2 الكشر : بدو الأسنان في الفحل وغيره ، وكشر السبع عن نابه إذا هرّ الحراش وكشر فلان لفلان إذا تنمّر له وأوعده . والكبول : القيود . والقين : الحداد . وتنكؤنا : تجرحنا . والروق : جمع أروق وهو الذي طالت أسنانه العليا على السفلى .

صوت[1]

لئن مِصرُ فاتَتْنِي بما كنتُ أرتجِي ... وأخلَفَنِي منهــا الذي كنتُ آمُلُ[2]
فما كلُّ مــا يَخشى الفتى نازِلٌ بِهِ ... ولا كُلُّ مــا يرجو الفتى هو نائلُ
وواللهِ مــا فرّطت في وجــهِ حِيلةٍ ... ولكنَّ مـــا قــد قَــدَّر اللهُ نازلُ
وقد يَسْلَم الإنسانُ من حيث يتَّقِي ... ويُؤتى الفتى مِن أمنِــهِ وهو غافِلُ

ثم أُمروا بالانصراف فانصرفوا ، فلمّا بلغوا السِّتْرَ صاح به الخادم : يا قرشيُّ مكانَك . فوقَف مكانَه فخرج إليه بخِلَع وسبعةِ آلاف دينار ، وأُمِرَ إنْ شاء أن يقيم ، وإنْ شاء أن ينصرف .

[جرهمية تغنّي بشعر مضاض]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال : ذكر الكلبيّ عن أبيه : أنّ الناس بينا همُ في ليلةٍ مُقْمِرَةٍ في المسجد الحرام ، إذْ بصرُوا بشخصٍ قد أُقبلَ كأنَّ قامتَه رُمح ؛ فهَرَبوا من بين يديه وهابوه ؛ فأقبل حتى طاف بالبيت الحرامِ سبعاً ثم وقف فتمثَّل : [من الطويل]

كأنْ لَم يكُنْ بين الحَجون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولَــم يسمُرْ بمكَّــةَ سامِــرُ

قال : فأتاه رجلٌ من أهل مكّة ؛ فوقف بعيداً منه ثم قال : سألتُك بالذي خلَقكَ أجِنّيٌّ أنتَ أم إنسيّ ؟ فقال : بل إنسيّ ، أنا امرأةٌ من جُرهمٍ ، كنّا سُكّانَ هذه الأرض وأهلَها ، فأزالَنا عنها هـذا الزّمانُ الذي يُبلِي كُلَّ جديد ويغيِّره ! ثم انصرفَتْ خارجةً عن المسجدِ حتّى غابت عنهـم ، ورَجعوا إلى مواضعهم .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أبي عن جدّي قال : قال لي يحيى بن خالدٍ يوماً : أُخبِرك برؤيا رأيتها ؟ قلت : خيراً رأيتَ . قال : رأيتُ كأنّي خرجتُ من داري راكِباً ، ثم التفتُّ يميناً وشِمالاً فلَم أرَ معي أحداً ، حتّى صرت إلى الجسر ، فإذا بصائح يَصيح من ذلك الجانب : [من الطويل]

كأنْ لَم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولَــم يسمُرْ بمَكّةَ سامِــرُ

فأجبتُه بقوله : [من الطويل]

بــلى نحــــنُ كنّا أهلَهـــا فأبادَنا ... صُروفُ اللَّيــالي والجدودُ العواثرُ

فانصرفتُ إلى الرشيد فغنَّيتُه الصوتَ ، وخبّرتُه الخبر ، فعجِبَ منه . وما مضَت الأيّام حتّى أوقعَ بهم .

---

1 الأبيات لأبي دهمان الغلابي كما جاء في البيان والتبيين 2 : 291 .

2 فاتتني في ل : عنتني .

صوت[1]

[من الخفيف]

شاقَنـــي الزائراتُ قَصْرَ نُفَيْسٍ مُثْقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطونِ

يتربَّعنَـــــه الربيـــعَ ويَنْزِلْـــ ـنَ إذا صِفْنَ منزلَ الماجِشونِ

يتربَّعْنَـه : يَنْزِلْنَـه في أيّام الربيع . يقال لمنزِل القومِ في أيّام الرّبيع : مُتَربَّعهم . قال الشاعر : [من الطويل]

أمِن آلِ ليلى بالمَــلا متربَّـعُ كما لاحَ وشمٌ في الذِّراعِ مُرجَّعُ[2]

[ألقاب سُكينة]

والماجِشونُ : رجلٌ من أهل المدينة يُروى عنه الحديث . والماجِشونُ لَقَبٌ لقَّبته به سُكينةُ بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، وهو اسمُ لونٍ من الصِّبغ أصفرَ تخالطُه حمرة ؛ وكذلك كان لونَه . ويقال : إنّها ما لَقَّبَتْ أحداً قطُّ بلقبٍ إلاّ لُصِقَ به .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا مصعبٌ الزُّبيريُّ ، قال : حدَّثني ابن الماجشون ، قال : نظَرْت سُكينَةُ إلى أبي ، فقالت : كأنَّ هذا الرجلُ الماجشونُ ، وهو صِبغٌ أصفرُ تخالطه حُمرة ، فلُقِّب بذلك .

قال عبد العزيز : ونظرَتْ إلى رجلٍ من ولدِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه وكانت فيه غِلْظة ، فقالت : هذا الرجل في قريشٍ كالشِّيرَجِ في الأدهان ! فكان ذلك الرجلُ يسمَّى : فلانُ شِيرَجٍ حتّى مات .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لإبراهيم الموصِليّ . خفيف رمل مطلق في مجرى البِنصر ، وفيه لبصبص جاريةِ ابنِ نُفَيسٍ التي قِيل هذا الشعر فيها : رمل . وذكر حبش أن لها فيه أيضاً ثقيلَ أوّل بالوسطى .

---

1 لم نعثر على البيتين في ديوانه .

2 مرجع : وشم مرة بعد مرة .

[278] ـ ذكر أخبار بَصْبص جاريةِ ابن نُفَيسٍ[1] وأخبارها

كانت بصبصُ هذه جاريةً مولَّدة من مولَّدات المدينة ، حُلوَة الوجهِ ، حَسَنة الغِناء ، قد أخذَتْ عن الطبقةِ الأولى من المغنِّين ، وكان يحيى بن نُفَيْسٍ مولاها ، وقيل نفيس بن محمدٍ ، والأوّل أصحّ ، صاحبَ قِيانٍ يَغْشاه الأشراف ، ويسمعون غناءَ جواريهِ ، وله في ذلك قصصٌ نذكرها بعد ، وكانت بصبصُ هذه أَنفَسَهنَّ وأشدَّهنّ تقدّماً .

[والدة علية بنت المهدي]

وذكر ابن خُرداذبه : أنَّ المهديَّ اشتراها وهو وليُّ العهد سِرّاً من أبيه بسبعةَ عشرَ ألفَ دينار ، فولدت منه عُلَيّةَ بنتَ المهديّ .

وذكر غيرُه أنّ ابن خُرداذبه غَلِط في هذا ، وأنّ الذي صَحَّ أنّ المهديَّ اشترى بهذه الجملة جاريةً غيرَها ، وولدت عُلَيّة .

وذكر هارون بن محمدِ بنِ عبدِ الملك الزياتِ : أن ابن القداح حدّثه قال : كانت مكنونة جاريةُ المروانيّةِ ، وليست من آل مروان بن الحكم ؛ وهي زوجةُ الحسين بن عبد الله بن العبّاس ، أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهاً ، وكانت رَسحاء[2] ، وكان بعضُ مَن يُمازِحها يعبَثُ بها ، ويصيح : طَسْت طست ! وكانت حسنةَ الصَّدرِ والبطنِ ، وكانت تُوضِح بهما[3] ، وتقول : ولكن هذا ! فاشتريت للمهديّ في حياة أبيه بمائة أَلفِ درهمٍ فغلبَتْ عليه ، حتّى كانت الخيزرانُ تقول : ما ملك أَمَةً أغلَظ عليّ منها . واستتر أمرُها على المنصور حتّى مات . وولدت من المهديّ عُلَيَّةَ بنت المهديّ .

والذي قال ابنُ خُرْداذبه غير مردودٍ إذا كان هذا صحيحاً .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بنِ إسحاق عن أبيه عن غُرَيرِ بنِ طلحة قال : اتَّعَدَ[4] محمد بن يحيى بن زيدِ بن عليّ بنِ الحسين ، وعبد الله بن يحيى بنِ عَبّادِ بن عبدِ الله بن الزُّبير ،

---

1 ضبط في معجم البلدان «نفيس» بفتح فكسر ، 5 : 297 .

2 رسحاء : ضئيلة العجز والفخذين .

3 توضح : تتباهى .

4 اتعد : تواعد .

وعبد الله بن مصعب الزُّبيريّ ، وأبو بكر بن محمدِ بنِ عثمان الربعيّ ، ويحيى[1] بن عقبة ، أن يأتوا بَصبَص جاريةَ ابنِ نُفَيسٍ ، فعجِلَ محمد بن يحيى ، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ، ليَخرُجَ إلى الكوفةِ ، فقال عبد الله بن مصعب : [من السريع]

أرائحٌ أنتَ أبا جَعفَرٍ ... من قبلِ أن تَسمع مِنْ بَصْبَصا
هيهاتَ أن تَسمع منها إذا ... جاوَزَت العِيسُ بِكَ الأعوصا[2]
فخُذْ عليها مجلسَيْ لذّةٍ ... ومجلساً مِنْ قَبلِ أن تَشْخَصا
أُحلِفُ بالله يميناً ومَنْ ... يحلفُ بالله فقد أَخْلَصا
لو أنَّها تدعُو إلى بَيْعة ... بايعتُها ثمّ شققتُ العصا

قال : وفيها غِناء لبصبص . قال : فاشتراها سابق أبو غسّان مولى منيرة للمهديّ بسبعة عشر ألفَ دينار .

قال حمّاد : وحدَّثني أبي عن الزُّبير أنّ عبد الله بن مصعبٍ خاطب بهذا الشعرِ أبا جعفرٍ المنصورَ لّما حجّ فاجتاز بالمدينة منصرفاً من الحجّ ، لا أبا جعفر محمد بن يحيى بنِ زيد .

أُخبرني إسماعيل بن يونُس الشِّيعيّ إجازة قال : حدّثنا عُمَر بن شبّة قال : حدَّثني محمد بن سلامٍ قال : حدَّثني موسى بن مِهْران قال : كانت بالمدينة قَينةٌ لآلِ نُفَيسِ بن محمدٍ يقال لها بَصْبَص ، وكان مولاها صاحبَ قصرِ نُفَيسٍ الذي يقول فيه الشاعر : [من الخفيف]

شاقَني الزائراتُ قَصْرَ نُفيسٍ ... مُثقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطونِ

قال : وكان عبد اللهِ بنِ مصعَب بن ثابت بنِ عبد الله بن الزُّبير يأتيها ، فيسمعُ منها ، وكان يأتيها فِتْيانٌ من قريشٍ فيسْمَعون منها ، فقال عبد الله بن مصعب حين قدِم المنصور منصرفاً من الحجّ ومرَّ بالمدينةِ يذكر بصبص : [من السريع]

أراحِلٌ أنتَ أبا جعفرٍ ... مِن قبلِ أن تَسمع مِن بصبصا

وذكر الأبيات ، فبلغت أبا جعفرٍ ، فغضب فدعا بهِ ؛ فقال : أَما إنّكم يا آلَ الزُّبيرِ قديماً ما قادتكم النساء ، وشَققتم مَعَهنَّ العصا ، حتّى صرتَ أنتَ آخرَ الحمقى تُبايع المغنّياتِ ، فدونَكم يا آل الزُّبيرِ هذا المرتَعَ الوخيم .

قال : ثمّ بلغ أبا جعفرٍ بعد ذلك أنَّ عبد الله بن مصعبٍ قد اصطَبح مع بصبصَ وهي تغنّيه بشعره : [من السريع]

---

1 ل : يعلى .
2 الأعوص : موضع قرب المدينة .

صوت

إذا تمـــزّزتُ صُراحِيّـــةً كمثلِ ريح المسكِ أو أطيبُ[1]
ثـــم تَغَنَّـــى لِـــي بأهزاجِهِ زيـدٌ أخو الأنصار أو أشعَبُ
حسِبتُ أنّـــي مالـكٌ جالسٌ حَفَّتْ بـِهِ الأملاك والموكِبُ
فـــلا أُبالِـــي وإلـــهِ الـــوَرى أشرَّقَ العالَـمُ أم غَرَّبـــوا

الغناء لزيدٍ الأنصاريّ ، هزجٌ مطلقٌ في مَجرى الوسطى عن الهشاميّ وغيره ، وذكر غيرُه أنّه لأشعَبَ . فقال أبو جعفر : العالَمُ لا يبالون كيف أصبحتَ وكيف أمسيت .

[المنصور يجيز الحادي درهماً]

ثم قال أبو جعفرٍ : ولكنّ الذي يعجبني أن يَحدُوَ بي الحادِي الليلةَ بشعرِ طريفٍ العنبريِّ ، فهو آلَفُ في سمعي من غناء بَصبصَ ، وأحرى أن يختـاره أهلُ العقلِ . قال : فدعا فلاناً الحادِيَ ، قد ذكره وسقط اسمه ، وكان إذا حدا وضَعت الإبل رؤوسها[2] لصوتِه وإنقادَت انقياداً عجيباً ، فسأله المنصورُ : ما بلغَ من حُسن حُدائه ؟ قال : تُعطَّش الإبلُ ثلاثاً أو قال خمساً وتُدنى من الماء ، ثمّ أحدو فتتبع كلُّها صوتي ، ولا تقرَب الماء . فحُفِظَ الشعرُ ، وكان : [من الكامل]

إنّي وإن كان ابن عمِّي كاشحاً لَمُزاحِـمٌ مِن دُونِـهِ وورائِهِ[3]
ومُمِدُّهُ نصرِي وإنْ كان امـرءاً متزحزِحـاً في أرضِهِ وسمائِهِ[4]
وأكونُ مـأوى سِرِّه وأصونُه حتّى يَحِـقَّ عليّ يـومُ أدائِهِ
وإذا أتى مـن غَيبِـهِ بطَريفةٍ لَم أُطَّلِـعْ مـاذا وراءَ خِبائِهِ
وإذا تَحيَّفَتِ الحـوادثُ مالَـه قُرِنَتْ صحيحتُنـا إلى جَربائِهِ
وإذا تَرَيَّشَ في غِنـاه وفَرتُـه وإذا تَصعلَكَ كنتُ من قرنائِهِ
وإذا غدا يومـاً ليركب مَركَباً صَعباً قعدتُ له على سِيسائِهِ[5]

فلمّا كان الليلُ حدا به الحادِي بهذه الأبيات ، فقال : هذا والله أحَثُّ على المروءة وأشبه بأهلِ الأدَبِ من غِناء بَصبص . قال : فحدا به ليلته أجمع ، فلمّا أصبح قال : يا ربيعُ أعطِه

1 الصراحية : الخمر الخالصة .
2 وضعت رؤوسها : خفضتها .
3 كاشح : مضمر العداوة .
4 متزحزح : بعيد .
5 السيساء : الظهر .

درهماً . فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ حدوتُ بهشامِ بنِ عبدِ الملك ، فأَمَرَ لِي بعشرين ألف درهمٍ وتأمر أنت بدرهمٍ ! قال : إنّا لله ! ذكرتَ ما لم يجب أن تذكره ؛ ووصفتَ أنّ رجلاً ظالماً أخذ مالَ اللهِ من غير حِلِّه ؛ وأنفقَهُ في غير حقِّهِ ؛ يا ربيع اشدُد يديكَ به حتّى يردّ المال . فبكى الحادي ، وقال : يا أمير المؤمنين قد مضت لهذا السِّنون ، وقُضِيت به الديون ، وتمزَّقَتْه النَّفقاتُ ؛ ولا والذي أُكرمَكَ بالخلافةِ ما بَقِيَ عندي منه شيء . فلَم يزلْ أهله وخاصتُه يسألونه حتّى كفَّ عنه ، وشرَطَ عليه أن يحدوَ به ذاهِباً وراجعاً ، ولا يأخُذَ منه شيئاً .

[رهان بصبص على مزبد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة قال : حدَّثني القاسم بن زيدٍ المدينيّ قال : اجتمع ذاتَ يوم عند بصبصَ جارية ابنِ نُفَيسٍ عبد الله بن مصعب الزّبيريّ ومحمد بن عيسى الجَعفريّ ، في أشراف من أهل المدينة ، فتذاكَروا مُزَبِّداً المدينيَّ صاحبَ النوادر وبُخْلَه ، فقالت بصبصُ : أنا آخذُ لكم منه درهماً . فقال لها مولاها : أنت حُرّةٌ لئن فعلتِ إنْ لم أشترِ لكِ مخنقة[1] بمائة دينارٍ وإنْ لَم أشترِ لكِ ثوبَ وشيٍ بما شئتِ ؛ وأَجعَلْ لكِ مجلِساً بالعقيقِ أنْحَرُ لكِ فيهِ بَدَنةً[2] لم تُقْتَبْ[3] ولَم تُركَب . فقالت : جيء به وارفَعْ عنّي الغَيرة . فقال : أنتِ حُرّة أنْ لو رَفَع برجلَيْكِ لأعنتُهُ على ذلك . فقال عبد الله بن مصعبٍ : فصلَّيت الغداةَ في مَسجدِ المدينةِ ، فإذا أنا به ، فقلت : أبا إسحاقَ ، أما تحبُّ أن ترى بَصبصَ جارية ابنِ نُفَيس ؟ فقال : امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً عليَّ فيها ، وإن لَم أكُنْ أسأله أن يُرِينِيها منذُ سنة فما يَفعل . فقلت له : اليومَ إذا صلّيتَ العصر فَوافِنِي ههنا . قال : امرأته طالقٌ إن بَرِحْت من ههنا حتّى تجيءَ صلاةُ العصر . قال : فتصرَّفتُ في حوائجي حتّى كانت العصر ، ودخلْتُ المسجد فوجدتُه فيه ، فأخذتُ بيده وأتيتُهم به ، فأكلوا وشَرِبوا ، وتساكَرَ القومُ وتناوَموا ، فأقبلتْ بصبصُ على مُزَبِّدٍ ، فقالت : أبا إسحاق ، كأنَّ في نفسك تشتهي أن أُغَنِّيكَ الساعة : [من مجزوء الوافر]

لقــد حَثُّوا الجِمال لِيَهْـ ـــرَبُوا منّــا فلَم يَئِلوا

فقال : زوجتُه طالقٌ إن لم تكوني تعلمين ما في اللَّوح المحفوظ ! قال : فغنَّتْه ساعةً ثم مكَثَتْ ساعةً فقالت : أبا إسحاق كأنَّ في نفسِكِ تَشتَهِي أن تقومَ من مجلسك فتجلسَ إلى جانبي فتقرُصَني قَرَصاتٍ ، وأُغَنِّيَك : [من البسيط]

---

1 مخنقة : قلادة .

2 البدنة : الواحدة من الإبل والبقر .

3 الأقتاب : وضع القتب على البعير ، وهو الرحل .

قالتْ وأبثثتها وجدي فبُحْتُ بِهِ   قد كنتَ قِدَماً تحبُ السَّترَ فاستترِ
ألستَ تُبصِرُ مَن حَولي فقلتُ لها   غَطّى هواكِ وما أُلقى على بصري

فقال : امرأته طالق إن لَم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسِب الأنفُس غداً ، وبأيِّ أرضٍ تموت ! فغنّته ثم قالت : بَرِحَ الخفاءُ[1] ، أنا أعلم أنَّك تشتهي أن تقبّلني شَقَّ التِّين وأغنّيَكَ هزَجاً : [من الهزج]

أنـــا أبصرتُ بالليــلِ   غُلامــاً حَسَنَ الدَّلِّ
كغصنِ البان قد أصـ   ـبَحَ مسقيّاً من الطلِّ

لم يُذكَر صانعُه ، وهو هَزَجٌ على ما ذكر .

فقال : أنتِ نبيّةٌ مُرسَلة ! فقبّلها فغنّته ثم قالت : أبا إسحاق ، أرأيتَ أسْقَطَ مِن هؤلاء ! يَدْعُونَكَ ويُخرِجونني إليك ولا يشترون رَيحاناً بدرهم ، أي أبا إسحاق ؛ هلُمَّ درهماً نشتري به ريحاناً ! فوثَبَ وصاح : واحَرَباه ، أيْ زانية ، أخطأتِ استُكِ الحُفرة[2] ، انقَطَعَ والله عنك الوحي الذي كان يُوحى إليك ! وعَطعط القوم بها ، وعَلِموا أنَّ حيلتها لم تَنفُذْ عليه ، ثمّ خَرجوا فلَم يَعُدْ إليها ، وعاودَ القومُ مجلسَهم ، فكان أكثرَ شغلِهم فيه حديثُ مزبّدٍ معها والضَّحِكِ منه .

[غزل ابن أبي الزوائد في بصبص]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملكِ الزيّات : أنشدني الزُّبير بن بكّار ، قال : أنشدني غُرَير بن طَلحة لابن أبي الزوائد ، وهو ابن ذي الزوائد ، في بصبص : [من السريع]

بَصْبَصُ أنتِ الشمسُ مُزدانـةً   فـإنْ تبذَّلـتِ فأنـتِ الهلالْ
سُبحانَكَ اللَّهـمَّ مـا هكـذا   فيما مضى كان يكونُ الجَمالْ
إذا دَعَـتْ بالعُـود في مَشهدٍ   وعاونَتْ يُمنى يَدَيهـا الشِّمالْ
غَنَّـتْ غنـاءً يستفزُّ الفَتـى   حِذقاً وزان الحِذقَ منها الدَّلالْ

قال هارون : قال الزُّبير : وأنشدَني غُرَير أيضاً لنفسه يهجو مولاها : [من البسيط]

يا ويحَ بصبصَ من يَحيى لقد رُزِقَتْ   وجهاً قبيحاً وأنفاً من جَعاميسِ[3]

---

1 المثل «برح الخفاء» في مجمع الميداني 1 : 95 وجمهرة العسكري 1 : 27 و205 ومستقصى الزمخشري 2 : 7 وفصل المقال : 61 .

2 المثل «أخطأت استه الحفرة» في مجمع الميداني 1 : 245 .

3 الجعاميس : جمع جعموس ، وهو الرجيع .

يمُجُّ من فيهِ في فيها إذا هجعَت ريقــاً خبيثاً كأرواح الكرابيسِ[1]

[هوى محمد بن عيسى بها]

أَخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاءِ قال : حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني عمِّي قال : هَوِيَ محمدُ بن عيسى الجعفريُّ بصبصَ جاريةَ ابنِ نُفَيس ، فهام بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له : لقد شَغَلَتْني هذه عن صَنعتي وكلِّ أمري ، وقد وجدتُ مَسَّ السُلوِّ فاذهبْ بنا حتّى أُكاشفَها بذلك فأستريح . فأتياها فلمّا غنَّتْ لهما قال لها محمد بن عيسى : أتغنِّين : [من الوافر]

وكنتُ أُحِبُّكم فسلوتُ عنكم عليكُــمُ في ديارِكُم السَّلامُ

فقالت : لا ولكنّي أُغنِّي : [من الوافر]

تحمَّــلَ أهلُهــا عنهــا فبانــوا عَلى آثارِ مَــن ذهَــبَ العفاءُ[2]

فاستحيا وازدادَ بها كلَفاً ، ولها عِشْقاً ، فأَطرَقَ ساعةً ثم قال : أتغنِّين : [من الطويل]

وأَخضَعُ بالعُتبى إذا كنتُ مذْنِباً وإن أذنبَتْ كنتُ الذي أتنصَّلُ

قالت : نعم وأُغنِّي أحسَنَ منه : [من الطويل]

فإن تُقْبِلوا بــالودِّ نقبلْ بمثلِهِ ونُنْزِلْكــم منّــا بأَقــربِ مَنزلِ

قال : فتقاطَعا في بيتين ، وتواصَلا في بيتين . وفي هذه الأبياتِ الأربعةِ غناءٌ كان محمد قريضٍ ، وذُكاءُ ، وغيرهما ممّن شاهدنا من الحُذَّاق يغنُّونَه في الابتداءين لحنينِ من الثقيل الأوّل ، وفي الجوابَين لحَنين من خفيف الثقيل ، ولا أعرف صانِعَهما .

[طرب أبي السائب لغنائها]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني هارون بن محمد بنِ عبدِ الملك قال : حدَّثني أبو أيّوب المدينيّ عن مُصعبٍ قال[3] : حضَرَ أبو السائبِ المخزوميّ مجلساً فيه بصبصُ جاريةُ يحيى بنِ نُفَيس ، فغنّت : [من المنسرح]

قلبــي حبيسٌ عليكِ موقــوفُ والعينُ عَبرى والدَّمعُ مذروفُ
والنَّفْسُ في حسرةٍ بغُصَّتِهــا قــد شَفَّ أرجاءها التَّساويفُ
إن كُنتِ بالحسنِ قد وُصِفْتِ لنا فإنَّنــي بالهــوى لَموصُوفُ

1 أرواح : جمع ريح . والكرابيس : جمع كرباس ، وهو الكنيف .
2 البيت لزهير .
3 أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر (9 : 41) .

يا حسرتا حسرةً أموتُ بِها إن لَم يكنْ لِي لديك معروفُ

قال : فطرِب أبو السائبِ ونَعَر ، وقال : لا عَرَفَ الله قدْرَه إن لَم أعْرِفْ لَكَ معروفَكِ . ثم أخذ قِناعَها عن رأسِها وجعَلَه على رأسِهِ ، وجعل يَلطِمُ ويبكي ، ويقول لها : بأبي واللهِ أنتِ ، إنِّي لأرجو أن تكوني عندَ الله أفضلَ من الشُّهداء ، لِما تُولِيناهُ من السّرورِ ، وجعل يَصيح ، واغوثاه ! يا للهِ لِما يَلقى العاشقون .

[فتى ينسى أن يلبس نعله]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدَّثني أبو بكر العامريّ قال حدَّثني عمرو بن عبد الله البصريّ قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى عن عثمانَ بنِ محمد الليثيّ قال : كنت يوماً في مجلسِ ابن نُفَيسٍ ، فخرجَتْ إلينا جاريتُه بَصبص ، وكان في القوم فتًى يحبُّها ، فسألتْهُ حاجة ، فقامَ ليأتيها بها ، فنسِيَ أن يَلبَس نَعلَه ، ومَشى حافياً ؛ فقالت : يا فلان ، نسيتَ نَعلك . فرجع فلبسها وقال : أنا والله كما قال الأوّل : [من الطويل]

وحُبُّكِ يُنسيني عن الشَّيء في يدي ويَشْغَلُني عن كلِّ شيءٍ أُحاولُهْ

فأجابته فقالت : [من الطويل]

وبِي مثلُ ما تشكوه منّي وإنَّني لأُشفِق من حُبٍّ أراكَ تزاولُهْ

صوت

[من المنسرح]

يَشتاقُ قلبي إلى مليكة لو أمسَتْ قريباً مِمّن يطالبُها
ما أحسَنَ الجيدَ من مُلَيكة والـ ـلَّبَّاتِ إذ زانها ترائبُها
يا لَيْتَني ليلةً إذا هجع الـ ـنَّاسُ ونامَ الكلابُ صاحبُها
في ليلةٍ لا يُرى بها أحدٌ يَسعى علينا إلاّ كواكبُها

الشعر لأحيحة بن الجلاحِ ، والغناء لابن سريج . رملٌ بالخِنْصر في مجرى البِنصِر . وفيه لحنٌ لمالكٍ من رواية يونس .

[279] ـ ذكر أحيحة بن الجُلاح ونسبه وخبره[1] والسبب الذي من أجله قال الشعر

[نسبه]

هو أُحيحة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجَبى بنِ كُلْفَة بن عوفِ بنِ عمرو بن عوفِ بنِ مالك بن الأوسِ . ويكنى أحيحةُ أبا عمرو .

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العلاءِ قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّارٍ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبدِ العزيزِ قال : ركِب الوليد بن عبدِ الملكِ إلى المساجد ، فأَبى مَسجِدَ العُصْبَة[2] ، فلمّا صلَّى قال للأحوصِ : يا أَحوَصُ أينَ الزَّوراء التي قال فيها صاحبُكم : [من البسيط]

إنِّي أُقِيمُ على الزَّوراء أَعْمُرُها إنَّ الكريمَ على الإخوانِ ذُو المالِ
لها ثلاثُ بِئارٍ في جَوانِبها في كلِّها عُقَبٌ تسقى بأَقبالِ[3]
استغْنِ أَو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذو نشبٍ من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ

قال الزُّبير : العُقَب الذي في أَوّل المالِ عند مَدخَلِ الماء ، والطلب الذي في آخره . قال : فأشار له الأحوص إليها وقال : ها هي تلك ، لو طَوَّلتَ لأشقَرِك هذا لجالَ عليها ، فقال الوليد : إنّ أبا عمرٍو كان يراه غنيّاً بها . فعَجب الناسُ يومئذٍ لعنايةِ الوليدِ بالعِلْم ، حتَّى علمَ أنّ كنية أحيحة أبو عمرٍو .

وفي بعض هذا الشعرِ غناء ، وهو : [من البسيط]

صوت

استَغْنِ أَو مُتْ ولا يغررك ذُو نَشَبٍ من ابن عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ
يَلْوُونَ ما لهم عن حقّ أَقربِهمْ وعَنْ عشيرتِهم ؛ والحقُّ للوالي[4]

غَنَّاه الهُذَلي رَملاً بالوسطى من روايةِ الهشاميّ وعَمرِو بن بانة .

1 لأحيحة بن الجلاح ترجمة في خزانة البغدادي 3 : 357–359 وأنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 9 : 721–723 وأعلام الزركلي . وهو قائل المثل : «إنّ البيع مرتخص وغال» في مجمع الميداني .

2 العصبة : دار بني جحجبى .

3 بئار : جمع بئر . وأقبال الجداول : رؤوسها وأوائلها .

4 يلوون : يجحدون .

[سبب قول أحيحة هذا الشعر]

وأمّا السَّببُ في قول أحيحةَ هذا الشعرَ فإنّ أحمد بن عبيدٍ المكتِّب ذكر أنّ محمد بن يزيدَ الكلبيّ حدّثه ، وحدّثه أيضاً هشامُ بن محمد عن الشَّرقيّ بن القَطاميّ قال هشام : وحدَّثني به أبي أيضاً .

قال : وحدَّثني رجلٌ من قريش عن أبي عبيدةَ بن عمَّارِ بن ياسرٍ ، قال : وحدَّثني عبد الرحمن بن سليمان الأنصاريّ ، قالوا جميعاً : أقبَلَ تبّعٌ الأخير وهو أبو كرِبِ بن حسّان بن أسعد الحميريِّ ، من اليمن سائراً يريد المشرق كما كانت التَّبابعة تفعل ، فمرّ بالمدينةِ فخلَّفَ بها ابناً له ، ومضى حتّى قدم الشّامَ ، ثم سار من الشام حتّى قدِم العراقَ فنزل بالمشقّرِ[1] ، فقُتِل ابنه غِيلةً بالمدينة ، فبلغه وهو بالمشقَّر مقتلُ ابنِهِ ، فكرَّ راجعاً إلى المدينة وهو يقول : [من الكامل]

يــا ذا مُعاهِرَ مــا تَزالُ تَرُودُ رَمَـدٌ بعينكَ عادهـا أم عُودُ[2]
منعَ الرُّقادَ فما أغمِّضُ ساعةً نَبَـطٌ بيثربَ آمنـــون قُعودُ
لا تَستقي بيدَيْكَ إنْ لم تلقها حَرْبـاً كأنَّ أشاءهـا مجرودُ[3]

ثم أقبلَ حتّى دخل المدينةَ وهو مُجمِعٌ على إخرابها وقطعِ نخلِها ، واستئصالِ أهلِها ، وسبي الذرِّية ؛ فنزل بسفح أُحُدٍ فاحتفر بها بئراً ، فهي البئرُ التي يقال لها إلى اليوم بئر المِلِك ، ثم أرسل إلى أشرافِ أهل المدينةِ ليأتوه فكان فيمن أرسَلَ إليه زيدٌ بن ضُبيعة بن زيد بن عمرو بنِ عوف ، وابن عمّه زيد بن أميّة بنِ زيدٍ ، وابن عمِّه زيد بن عبيدِ بنِ زيدٍ ، وكانوا يسمَّوْن الأزيادَ ، وأحيحةٌ بن الجلاحِ ؛ فلمّا جاء رسولُه قال الأزياد : إنّما أرسَلَ إلينا ليملِّكنا على أهلِ يثرب . فقال أحيحة : واللهِ ما دعاكم لخيرٍ ! وقال : [من الرمل]

ليتَ حَظِّي من أبي كربٍ أنْ يَـرُدَّ خَيْـرُهُ خَبَلَهْ

فذهبَتْ مثلاً[4] . وكان يقال : إنّ مع أحيحة تابعاً من الجنّ يُعلِمه الخَبَر لكثرةِ صوابِهِ ؛ لأنّه كان لا يظُنُّ شيئاً فيخبر به قومَه إلاّ كان كما يقول . فخرجوا إليه ، وخرج أحيحةُ ومعه قَينةٌ له ، وخِباء وخمر ، فضَرب الخباءَ وجَعِل فيه القينةَ والخمر ، ثم خرج حتّى استأذن على تُبّع ، فأذِن له ، وأجلسَه معه على زِرْبِيّةٍ[5] تحته ، وتحدَّث معه وسأله عن أموالِهِ بالمدينة ؛ فجعل

1 المشقر : حصن بالبحرين .
2 ذو معاهر : من أقيال اليمن .
3 الأشاء : صغار النخل . ومجرود : جرد عنه الخوص .
4 هذا المثل في مجمع الميداني 2 : 192 وفصل المقال : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 302 وجمهرة العسكري 1 : 484 .
5 الزربيّة : واحدة الزرابي ، وهي ما يتّكأ عليه .

يُخْبِره عنها ، وجعل تُبّع كلَّما أَخبره عن شيءٍ منها يقول : كلٌّ ذلك على هذه الزربيّة . يريد بذلك تُبَّعٌ قتلَ أُحيحة ، ففَطِنَ أحيحة أنّه يريد قتله ، فخرج من عندِه فدخَل خِباءَه ، فشرِب الخمرَ ، وقَرَضَ أبياتاً ، وأَمر القينةَ أن تغنّيه بها ، وجَعل تُبَّعٌ عليه حَرَساً ، وكانت قينته تُدعى مُليكةَ فقال : [من المنسرح]

يشتاقُ قلبي إلى مُلَيكة لـو   أمسَتْ قريباً مِمّن يطالبُها

الأبيات . وزاد فيها ممّا ليس فيه غناء :

لِتبكِنــي قَينــةٌ ومِزهرُهــا   ولتبكِنـي قهـوةٌ وشاربُهـا
ولْتبكِنــي ناقــةٌ إذا رُحِلَتْ   وغابَ في سَرْدحٍ مَناكِبُها[1]
ولْتَبْكِنِي عُصبةٌ إذا جُمِعَتْ   لَم يعلم الناسُ مـا عواقِبُها

فلَم تزل القينة تُغَنّيه بذلك يومه وعامّةَ ليلتِه ؛ فلمّا نامَ الحرّاس قال لها : إنّي ذاهب إلى أَهلي فشُدّي عليك الخباءَ ، فإذا جاء رسولُ الملكِ فقولي له : هو نائم ؛ فإذا أَبَوْا إلاّ أن يُوقظوني فقولي : قد رَجع إلى أهلِهِ وأَرسَلَنِي إلى الملك برسالةٍ ؛ فإن ذهبوا بك إليه فقولي له : يقول لَكَ أُحيحة : «أغدِر بقينةٍ أَو دَعْ»[2] . ثم انطلَقَ فتحصَّنَ في أُطُمِهِ الضَّحْيانِ ، وأرسل تُبَّعٌ من جَوفِ الليلِ إلى الأزيادِ فقتَلهم على فَقارةٍ من فَقار تلك الحَرَّة . وأَرسل إلى أُحيحة ليقتله ، فخرجتْ إليهم القينة ، فقالت : هو راقد . فانصرَفُوا وتردَّدُوا عليها مراراً ؛ كلّ ذلك تقول : هو راقد . ثم عادوا فقالوا : لِتوقِظنّه أو لندخُلَنَّ عليك . قالت : فإنّه قد رجع إلى أَهلِهِ ، وأرسلني إلى الملك برسالـةٍ . فذهبوا بها إلى الملكِ ، فلمّا دخلَتْ عليه سأَلها عنه ، فأَخبرته خَبَرَه ، وقالت : يقول لك : «اغدِر بقَينةٍ أَو دَعْ» . فذهبتْ كلمةُ أُحيحة هذه مَثلاً ؛ فجرّدَ له كتيبةً من خيلِهِ ، ثم أرسلَهم في طلبِهِ فوجَدُوه قد تحصَّنَ في أُطُمِه ، فحاصروه ثلاثاً ؛ يقاتلُهم بالنّهار ويرميهم بالنبل والحجارة ، ويرمي إليهم بالليلِ بالتمر ، فلمّا مضت الثلاثُ رجعوا إلى تُبَّعٍ فقالوا : بَعَثْتَنا إلى رجـلٍ يقاتلنا بالنهارِ ، ويضيفنا بالليل ؟ فتركه ؛ وأَمرهم أن يُحرِّقوا نخلَه . وشبّت الحربُ بين أَهلِ المدينة : أَوْسِها وخَزْرجِها ويهودِها ، وبين تُبّع ، وتحصَّنوا في الآطام . فخرج رجلٌ من أَصحابِ تُبّع حتى جاء بني عديّ بن النجّار ؛ وهم متحصِّنون في أطمِهم ، الذي كان في قِبلةِ مسجدِهـم ، فدخـل حديقةً من حدائِقِهم ، فرقِيَ عِذْقاً منها يجدُّها ، فاطَّلَع إليهِ رجلٌ من بني عديّ بن النجارِ من الأطمِ يقال له أَحمر أَو صخر بن سليمان

1 السردح : الأرض اللينة المستوية .

2 هذا مثل .

من بني سَلمة ، فنزل إليهِ فضرَبه بِمنجل حتّى قتله ثم أَلقاه في بئر ! وقال : جاءنا يجدُّ نخلنا ، «إنّما النخل لِمَنْ أَبرَه»[1] ، فأرسَلها مثلاً . فلمّا انتهى ذلك إلى تُبّع زاده حَنَقاً وجرَّدَ إلى بني النجّار جريدةً من خيلِهِ ، فقاتلهم بنو النجّار ، ورئيسُهم عمرو بن طَلّة[2] أخو بني معاوية بنِ مالِكِ بنِ النجّارِ ؛ وجاء بعضُ تلك الخيول إلى بني عَديّ وهم متحصِّنون في أُطمِهم الذي في قِبلةِ مسجِدهم ، فرامَوْا بني عديٍّ بالنَّبل ، فجعلت نَبلُهم تقع في جدار الأُطمِ ، فكان على أُطمِهم مثل الشَّعَرِ من النبلِ ، فسمِّي ذلك الأطم الأشعر ، ولم تَزلْ بقايا النّبل فيه حتّى جاء الله عزّ وجلّ بالإسلام ، وجاء بعضُ جنودِهِ إلى بني الحارث بنِ الخزرج ، فجذَمُوا نخلَهم من أنصافِها ، فسمِّيت تلك النخلُ جُذْمان . وجدَعُوا هم فرساً لتبّع ، فكان تُبّع يقول : لقد صَنَع بي أهلُ يثربَ شيئاً ما صَنَعه بي أَحد ؛ قتلوا ابني وصاحبي ، وجَدَعوا فرسي ! قالوا : فبينا تُبَّعُ يريد إخرابَ المدينةِ ، وقَتل المقاتِلة ، وَسبْيَ الذرِّيّة ، وقَطْعَ الأموالِ أتاه حَبرانِ من اليهودِ فقالا ، أيّها الملك انصرفْ عن هذهِ البلدةِ فإنّها محفوظة ، وإنّا نجد اسمها كثيراً في كتابنا ، وأنّها مُهاجرَ نبيٍّ من بني إسماعيل اسمهُ أَحمد ، يخرج من هذا الحرم من نحو البيتِ الذي بمكّة ، تكون دارَه وقَرارَه ، ويَتْبعه أكثرُ أهلِها . فأعجبَه ما سمِع منهما ، وكفَّ عن الذي أراد بالمدينةِ وأهلِها ، وصَدَّق الحَبْرَينِ بما حدّثاه ، وانصرف تُبّعٌ عمّا كان أراد بها ، وكفَّ عن حربهم ، وآمنهم حتّى دخلوا عسكره ، ودخَل جنْدُه المدينة ؛ فقال عمرو بن مالكِ بنِ النجّار ، يذكر شأن تُبّع ، ويمدح عمرو بن طَلّة : [من المديد]

أَصحا أَمْ انتحى ذِكَرَهْ	أم قضى من لذّةٍ وَطَرَهْ
بعد ما وَلّى الشباب وما	ذِكْرُهُ الشَّبابَ أَو عُصُرَهْ[3]
إنّها حَربٌ يمانيّةٌ	مِثلها آتى الفتى عِبَرَهْ
سائِلي عِمْرانَ أَو أُسَداً	إذْ أَتَتْ تعدُو مع الزُّهرَهْ
فَيْلَقٌ فيه أَبو كَرِبٍ	سُبَّعٌ أَبدانُه ذَفِرَهْ
ثم قالوا مَنْ يؤُمُّ بِنا	أَبنو عوفٍ أَم النَّجرَهْ[4]
يا بَنِي النّجارِ إنّ لنا	فِيكُمُ ذَحْلاً وإنَّ تِرَهْ

1 هذا مثل .

2 ل : طلحة .

3 في رواية : ذكرت شبانه عصره .

4 النجرة : يعني بني النجار .

فتلقّتهـــم مُسايفـــةٌ مَدُّهـــا كالغَبْيـةِ النَّثِرَهْ[1]

الغَبْية : السحابة التي فيها مطر وبرق برعد .

فيهمُ عَمرو بـن طَلَّةَ لا هُمَّ فامنَحْ قومَـه عُمُرَهْ
سَيِّدٌ سامى الملوكَ ومَنْ يَدْعُ عَمراً لا تَجدْ قَدَرَهْ[2]

وقال في ذلك رجلٌ من اليهود : [من المتقارب]

تكلِّفنـــي مِـــن تكاليفهـــا نَخيـلَ الأساويـفِ والمَصْنَعَهْ[3]
نخيـــلاً حَمَتْها بنـو مالـكٍ جُنـودَ أبـي كَربَ المُفْظِعَهْ

وقال أُحيحة يرثي الأزياد الذين قتَلَهم تُبّع : [من الوافر]

ألا يــا لهفَ نفسي أيَّ لهفٍ على أهـلِ الفقــارةِ أيَّ لهفِ
مَضَوا قَصْدَ السَّبيلِ وخَلّفوني إلى خَلَفٍ مـن الأبرام خَلْفٍ[4]
سُدًى لا يكتَفـون ولا أُراهم يُطيعُونَ امرءاً إن كان يكفي[5]

قالوا : فلمّا كفَّ تُبَّعٌ عن أهلِ المدينةِ اختلطوا بعسكره فبايَعُوه وخالطوهم . ثم إنَّ تبّعاً استَوبأ[6] بئرَه التي حَفَرها ، وشكا بَطنَه عن مائها ؛ فدخلت عليه امرأةٌ من بني زُرَيقٍ يقال لها فَكِهةُ بنت زيدِ بنِ كلدة بن عامرِ بن زريقِ ، وكانت ذاتَ جَلَدٍ وشرف في قومِها ، فشكا إليها وبأ بئرِه ، فانطلقتْ فأخذَتْ قِرَباً وحمارين حتّى استَقَتْ له من ماءِ رُومة ، فشربَه فأعجبَه ، وقال : زيديني من هذا الماء . فكانت تختلفُ إليهِ في كلِّ يوم بماء رُومة ، فلمّا حان رحيلُه دعاها ، فقال لها : يا فكهة ، إنّه ليس مَعَنا من الصفراء والبيضاء[7] شيء ، ولكنْ لكِ ما تركْنا من أزوادنا ومتاعِنا . فلمّا خرجَ تبّعٌ نقلت ما تركوه من أزوادِهم ومتاعِهم ؛ فيقال إنّه لم تزل فكهةُ أكثرَ بني زُرَيقٍ مالاً حتّى جاء الإسلام .

قال : وخرج تبّعٌ يريد اليمن ومعه الحبرانِ اللذان نَهَياه عن المدينة ، فقال حين شَخِصَ من منزلِهِ : هذه قُباء الأرضِ . فسمِّيت قُباء . ومرّ بالجُرُف فقال : هذا جُرُف الأرضِ . فسمِّي

1 المسايف : الضارب بالسيف .
2 قدره : مثله وكفاه .
3 الأساويف والمصنعة : موضعان .
4 الأبرام : جمع برم ، وهو الجبان أو الذي لا يشارك في الميسر . والخلف : الأشرار .
5 سدى : همل .
6 استوبأ البئر : وجدها وخيمة .
7 أي الدنانير والدراهم .

الجُرُف ؛ وهو أرفعها . ومرّ بالعَرْصةِ وتسمَّى السليل فقال : هذه عَرْصة الأرضِ . ثم انحدر في العقيقِ فقال : هذا عقيقُ الأرضِ . فسمِّي العقيق . ثم خرجَ يسير حتّى نزل البَقِيع ، فنزلَ على غديرِ ماءٍ يقال له بَراجمُ ، فشرِبَ منه شربة فدخلت في حَلْقِه عَلَقَةٌ فاشتكى منها . فقال فيما ذكر أبو مسكينٍ قوله : [من الكامل]

ولقد شربتُ على براجِمَ شَربةً كادت بباقيــةِ الحيــاة تُذِيعُ[1]

ثم مضى حتى إذا كان بحمدان جاءه نفرٌ من هُذَيل فقالوا له : اجعَلْ لنا جُعْلاً وندلَّك على بيتِ مالٍ فيه كنوزٌ من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفِضّة ، ليست لأهلِهِ مَنَعةٌ ولا شَرَف . فجعل لهم على ذلك جُعْلاً ؛ فقالوا له : هو البيت الذي تحجُّه العربُ بمكّة . وأرادوا بذلك هَلاكَه . فتوجَّه نحوَه فأخذَتْه ظُلمةٌ منعَتْه من السَّير ، فدعا الحَبرينِ فسألهما ، فقالا : هذا لِما أجمعْتَ عليه في هذا البيت ؛ واللهُ مانِعُه منك ، ولن تصل إليه ، فاحذَرْ أن يصيبك ما أصابَ مَن انتهك حُرماتِ الله ؛ وإنّما أراد القومُ الذين أمروك به هلاكَك ؛ لأنّه لم يَرُمْهُ أحدٌ قطُّ بشرٍّ إلاّ أهلكَه الله ، فأكرِمْه وطُفْ بِهِ ، واحلِقْ رأسَك عنده . فترَكَ الذي كان أجمعَ عليه ، وأمر بالهذليّين فقطّع أيديَهم وأرجلَهم ، ثم خرجَ يسير حتّى أتى مكّة فنزل بالشِّعب من الأبطح ، وطاف بالبيت ، وحَلَقَ رأسه ، وكساه الخَصَف[2] .

قال هشامٌ : وحدَّثني ابنٌ لجرير بن يزيدَ البجَلي عن جعفرِ بنِ محمدٍ عن أبيهِ . قال هشام : وحدَّثني أبي عن صالح عن ابنِ عبّاس قال : لمّا أقبلَ تبّعٌ يريد هدْمَ البيتِ وصَرْفَ وجوهِ العربِ إلى اليمن ، بات صحيحاً فأصبح وقد سالَتْ عيناه على خدَّيه ، فبعَثَ إلى السَّحَرة[3] والكُهّان والمنجِّمين ، فقال : مالي ، فواللهِ لقد بتُّ ليلتي ما أجد شيئاً ، وقد صرت إلى ما تَرَون . فقالوا : حدِّثْ نفسَك بخيرٍ . فَفَعَلَ فارتدَّ بصيراً ، وكسا البيت الخَصَف .

هذه رواية جعفرِ بن محمدٍ عن أبيه . وفي رواية ابنِ عبّاسٍ : فأتي في المنامِ فقيل له : اكسُه أحسَنَ من هذا . فكساه الوصائلَ ، قال : وهي بُرود العَصْب ، سمِّيت الوصائل لأنّها كانت يُوصل بعضُها ببعضٍ ، قال : فأقام بمكّةَ ستّة أيّامٍ يُطعم الطعام ، وينحر في كلِّ يوم ألفَ بعيرٍ ، ثم سار إلى اليمن وهو يقول : [من الخفيف]

ونَحَرنــا بالشِّعبِ ستَّة آلا فٍ تَرى الناس نَحوهنّ وُرودا

---

1 تذيع : تذهب .

2 الخصف : ثياب غلاظ جداً .

3 ل : الحزاة .

وكسَونا البيتَ الذي حَرَّمَ اللّـ ـــهُ مُــلاءً معضَّدًا وبُرودا
وأقمنـا بِـهِ مـن الشَّهرِ ستّاً وجعلنــا لــه بــهِ إقليـدا
ثــم أُبْنا منـه نـؤمُّ سُهَيْـلاً قــد رفَعنــا لواءنـا المعقودا[1]

قال : وتهوّد تبّع وأهلُ اليمن بذينِك الحبرين .

[خلاف أُحيحة مع بني النجار]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حدَّثني أبو البَخْتريّ عن أبي إسحاق ، قال : أخبرني أيّوب بن عبد الرحمن : أنّ رجلاً من بني مازن بنِ النجار يقال له كعب بن عمرٍو ، تزوّج امرأةً من بني سالم بنِ عوفٍ فكان يختلف إليها . فقعَدَ له رهطٌ من بني جَحْجَبى بمرصَدٍ ، فضربوه حتّى قتلوه أو كادوا ، فأدركه القوافل فاستنقذوه ، فلمّا بلغ ذلك أخاه عاصمَ بن عمرٍو خرج وخرج معه بنو النجار ، وخرج أُحيحة بن الجُلاح ببني عمرٍو بنِ عوفٍ ، فالتقَوا بالرُّحابة[2] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقَتل أخا عاصم يومئذٍ أُحيحة بن الجُلاح ، وكان يكنى أبا وحوحة ، فأصابه في أصحابه حين انهزموا ، وطلبَ عاصمٌ أُحيحة حتّى انتهى إلى البيوتِ ، فأدركه عاصمٌ عند بابِ دارِهِ فزجّه بالرّمح ، ودخلَ أُحيحة البابَ ، ووقع الرُّمح في الباب ، ورجع عاصمٌ وأصحابه فمكث أيّاماً . ثم إنّ عاصِماً طلبَ أُحيحة ليلاً ليقتله في داره ، فبلغ ذلك أُحيحة ، وقيل له إنّ عاصماً قد رئي البارحَة عند الضَّحيان والغابة[3] ـ وهي أرضٌ لأُحيحة ، والضَّحيان : أُطُم له ـ وكان أُحيحة إذ ذاك سيِّدَ قومِهِ من الأوسِ ، وكان رجلاً صنَعاً للمال[4] ، شحيحاً عليه ، يبيع بَيْعَ الربا بالمدينة ، حتّى كاد يُحِيط بأموالهم ، وكان له تسعٌ وتسعون بعيراً كلُّها ينضَحُ عليها ، وكان له بالجُرُفِ أصوار[5] من نخلٍ قلَّ يومٌ يمرُّ بـه إلاّ يطَّلع فيـه ؛ وكان لـه أُطُمانِ : أُطمٌ في قومه يقال له المستظلّ ، وهـو الذي تحصَّن فيه حين قاتل تبّعاً أسعدَ أبا كـربٍ الحميريّ ، وأُطُمه الضَّحيان بالعُصْبَةِ في أرضِهِ التي يقال لها الغابة[6] بَناه بحجارة سُودٍ وبَنى عليه نَبْرةً[7] بيضاءَ مثلَ الفِضّة ، ثم جعل عليها مِثلَها ، يراها الراكبُ من مسيرة يومٍ أو نحوه . وكانت الآطام هي عِزَّهم ومنعتهم

1 نؤم سهيلاً : نقصد اليمن .
2 الرحابة : موضع بالمدينة .
3 ل : العباية .
4 الصنع : الحاذق الماهر .
5 الأصوار : النخل الصغار ، جمع صور .
6 ل : العباية .
7 النبرة : كل شيء مرتفع فوق شيء .

وحُصونَهم التي يتحَرّزون فيها من عدوِّهم . ويزعمون أنَّه لمّا بَناه أشرف هو وغلامٌ له ، ثم قال : لقد بنيتُ حِصناً حصيناً ما بنى مثله رجلٌ من العرب أمنعُ ولا أكرمُ ، ولقد عَرَفتُ موضعَ حجرٍ منه لو نُزِع لوقع جميعاً ! فقال غلامُه : أنا أعرفه . فقال : فأرِنيه يا بُنيّ . قال : هو هذا ، وصرفَ إليه رأسه . فلمّا رأى أُحيحة أنّه قد عَرَفَه دفعَه من رأسِ الأطُمِ فوقع على رأسِهِ فمات ، وإنّما قَتَله إرادةَ ألاّ يعرِف ذلك الحجرَ أحَدٌ . ولّما بناه قال : [من الرجز]

بنيتُ بعد مُستظَلٍّ ضاحيا بنيته بعُصْبةٍ من ماليا
والسرُّ مِمّا يتبع القواصيا أخشى رُكَيباً أو رُجَيلاً عادِيا[1]

وكان أُحيحة إذا أمسى جلسَ بحذاء حِصنِهِ الضَّحيانِ ، ثم أرسل كِلاباً له تنبح دُونَه على مَن يأتيه مِمَّن لا يعرف ، حذراً أن يأتيه عدوٌّ يصيب مِنه غِرّة . فأقبل عاصم بن عمرٍو يريده في مجلِسِهِ ذلك ليقتلَه بأخيه ، وقد أخذ معه تمراً ، فلمّا نبحته الكلابُ حين دنا منه ألقى لها التَّمر فوقفَتْ ، فلمّا رآها أُحيحة قد سكَنَت حذِر فقامَ فدخلَ حِصنَه . ورماه عاصمٌ بسهمٍ فأحرزَه منه الباب ، فوقع السَّهمُ بالباب ؛ فلمّا سمع أُحيحة وقْعَ السَّهم صرخَ في قومِه ، فخرج عاصم بن عمرو ، فأعجزَهم حتّى أتى قومَه . ثمّ إنّ أُحيحة جمع لبني النجّارِ ، فأراد أن يغترَّهم فواعدَهُم وقومَه لذلك ، وكانت عند أُحيحة سَلْمى بنت عمرٍو بن زيدِ بن لَبيد بن خِداشٍ إحدى نساءِ بني عديٍّ بن النجّارِ ، له منها عمرو بن أُحيحة ؛ وهي أُمُّ عبد المطّلب بن هاشم ، خلَفَ عليها هاشمٌ بعد أُحيحة ؛ وكانت امرأةً شريفة لا تَنكِح الرجالَ إلاّ وأمرُها بيدِها ، إذا كرِهتْ من رجلٍ شيئاً تركته .

فزعم ابنُ إسحاقَ أنه حدَّثه أيّوبُ بن عبدِ الرحمنِ ، وهو أحد رهطِها ، قال : حدَّثني شيخٌ منّا أنَّ أُحيحة لمّا أجمعَ بالغارةِ على قومِها ومعها ابنها عَمرو بن أُحيحة ، وهو يومئذٍ فَطيمٌ أو دونَ الفطيم ، وهو مع أُحيحة في حِصنِهِ عَمَدت إلى ابنها فرَبَطَتْه بخيطٍ ، حتّى إذا أوجعت الصبيَّ تركَتْهُ فبات يبكي ، وهي تَحمِله ؛ وبات أُحيحة معها ساهِراً ، يقول : ويحِك ما لابني ؟ فتقول : واللهِ ما أدرِي مالَه . حتّى إذا ذهبَ اللَّيلُ أطلقت الخيطَ عن الصبيِّ فنام . وذكروا أنّها ربطت رأسَ ذكره ، فلمّا هدأ الصبيُّ قالت : وارأساه ! فقال : أُحيحة : هذا واللهِ ما لَقِيت من سهر هذه الليلة . فبات يعصِبُ لها رأسها ويقول : ليس بك بأس . حتّى إذا لم يبقَ من الليل إلاّ أقلّه قالت له : قُم فنَمْ ، فإنّي أجدُني صالحةً قد ذهب عنّي ما كنتُ أجده . وإنّما فعلَتْ به ذلك ليثقُلَ راسُه ، وليشتدَّ نومُه على طولِ السَّهَر . فلمّا نام قامت وأخذَتْ حبلاً

1 الركيب : مصغّر الراكب ، وهم الجماعة الراكبون . والرجيل : مصغّر الرَّجل ، وهم الجماعة الراجلون .

شديداً وأوثقته برأس الحِصنِ ، ثم تدلَّت منه وانطلقت إلى قومِها ، فأنذرَتْهم وأخبرَتْهم بالذي أجمعَ هو وقومه من ذلك ، فحذِر القومُ وأعدُّوا واجتمعوا . فأقبلَ أُحيحة في قومِهِ فوجد القومَ على حذرٍ قد استعدُّوا ، فلم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ؛ ثم رجَع أُحيحة فرجَعوا عنه ، وقد فقَدَها أُحيحة حين أصبحَ ؛ فلمّا رأى القومَ على حذَرٍ قال : هذا عملُ سَلْمى ! خدعَتْني حتّى بلغَتْ ما أرادت . وسمّاها قومُها المتدلِّية ؛ لتدلِّيها من رأسِ الحصن . فقال في ذلك أُحيحة وذكَر ما صنعت به سَلْمى : [من الوافر]

تفهّـمْ أيُّها الرَّجُـل الجهولُ ولا يَذْهَبْ بِـك الرأيُ الوبيلُ
فإنَّ الجهـلَ مَحمَلُه خفيـفٌ وإنَّ الحِلْـمَ مَحمَلُـه ثقيلُ

وفيها يقول :

لَعَمْـرُ أبيـكَ مـا يُغني مَقامِي مـن الفتيانِ رائحـةٌ جَهولُ
نَؤُوم مـا يقلِّـصُ مستقِـلاً على الغايـات مَضجعُه ثقيلُ
إذا باتـت أعصِّبُها فنامـت عَلَيَّ مكانَهـا الحُمَّى الشَّمولُ[1]
لعـلَّ عِصابَهـا يَبغِيك حَربـاً ويأتيهـم بعورَتِـكَ الدَّليلُ
وقد أعددتُ للحَدَثان عَقْـلاً لَـو آنَّ المـرء تنفعه العُقولُ[2]

وقال فيها وفيما صَنَعَتْ به : [من الخفيف]

أُخلَق الرَّبعُ من سُعادَ فأمسى رَبعُـه مُخلِقـاً كدَرْسِ المُلاةِ[3]
بالِيـاً بعـد حاضرٍ ذي أُنيسٍ مِن سليمى إذْ تغتـدِي كالمَهاةِ

وهي قصيدةٌ طويلة ، يقال إنّ في هذين البيتين منها غناء .

[مساومة في درعه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين : أنَّ قيسَ بن زهير بن جَذِيمة أتى أُحيحة بن الجُلاح لَمّا وقَع الشرُّ بينه وبين بني عامر ؛ وخرج إلى المدينة ليتجهَّز ، بعثَ إليهم حين قتل خالدُ بن جعفرٍ زُهيرَ بن جَذيمة ، فقال قيس لأُحيحة : يا أبا عمرو ، نُبِّئت أنّ عندك دِرعاً ليس بيثرب درعٌ مثلها ؛ فإن كنت فُضُلاً فبِعْنيها ، أو فَهَبْها لِي . فقال : يا أخا بني عَبْس ، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يَفضُل عنه ، ولولا أنّي أكره أن

1 الحمى الشمول : الحمى الباردة التي تسبب القشعريرة .
2 العقول : جمع عقل ، وهو الحصن .
3 الملاة : مخفف الملاءة .

أستليم[1] إلى بني عامر لوهبتُها لك ، ولحملتك على سوابِقِ خيلي ، ولكن اشتَرِها يا أبا أيّوب ، فإنّ البَيع مُرتَخَصٌ وغالٍ[2] فأرسلها مثلاً . فقال له قيس : فما تكرهُ من استِلامتك إلى بني عامر ؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالدُ بن جعفر الذي يقول : [من الطويل]

إذا ما أردْتَ العزَّ في آل يثربٍ فنادِ بصوت يا أحيحة تُمنَعِ
رأيت أبا عمرٍو أحيحةَ جارُه يبيت قَريرَ العين غيرَ مروَّعِ
ومَن يأتِهِ مِن خائفٍ يَنْسَ خوفَه ومَن يأتِهِ من جائعِ الجَوْفِ يشبعِ
فضائلُ كانت للجلاحِ قديمةً وأكرِمْ بفخرٍ من خصالكَ الأربعِ

فقال قيس : وما عليكَ بعد ذلك من لَوم . فلَها عنه ثمّ عاودَه فساومه ، فغضب أحيحة وقال له : بِتْ عندي . فباتَ عنده ، فلمّا شرب تغنّى أحيحة وقيسٌ يسمع : [من الوافر]

ألا يا قيسُ لا تَسُمَنَّ دِرعِي فما مثلي يُساوَم بالدُّروعِ
فلولا خَلَّةٌ لأبي جُوَيٍّ وأنّي لستُ عنها بالنَّزوعِ
لأُبتَ بمثلها عَشْرٍ وطِرفٍ لَحُوق الإطْلِ جَيّاشٍ تَليعِ[3]
ولكنْ سَمٌّ ما أحببت فيها فليس بمنكَرٍ غَبْنُ البيوعِ
فما هِبة الدُّروع أخا بغيضٍ ولا الخيلِ السَّوابِقِ بالبديعِ[4]

وقال : فأمسك بعد ذلك عن مُساومَته .

[إسحاق الموصليّ يسأل حفيد معبد]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافية بن شبيب ، قال : حدَّثني أبو جعفرٍ الأسديّ ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعيّ إجازة ، عن عُمَر بن شَبَّة عن إسحاق قال : دعاني الفضلُ بن الرَّبيع يوماً فأتيته ، فإذا عنده شيخٌ حجازيٌّ حسَنُ الوجه والهيئة ، فقال لي : أتعرف هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا ابن أُنيسَة بنت مَعْبد ، فسَلْه عمّا أحببتَ من غناء جدِّه . فقلت : يا أخا أهل الحجاز ، كم غِناءُ جدِّك ؟ قال ستّون صوتاً . ثم غنّاني : [من المنسرح]

ما أحسنَ الجِيدَ من مُليكة والـ ـلَّبّاتِ إذ زانَها ترائبُها

---

1 أستليم : آتي ما ألام عليه .

2 المثل «إن البيع مرتخص وغال» في مجمع الميداني 1 : 19 والدرة الفاخرة : 162 .

3 اللحوق : الضامر . والإطل : الخاصرة . والتليع : الطويل العنق .

4 بغيض : قبيلة قيس بن زهير . والبديع : المبتدع .

قال : فغنّاه أحسن غِناءٍ في الأرض ، ولم آخُذْه منه اتّكالاً على قدرتي عليه . واضطرب الأمر على الفَضْل وصار إلى التغيُّب ، وشخَص الشيخُ إلى المدينة ، فبقِيتُ أنشُد الشِّعر وأسأل عنه مَشايخ المغنِّين ، وعجائز المغنِّيات ، فلا اجِد أحداً يَعرفه ، حتّى قدِمتُ البصرةَ ، وكنتُ آتي جزيرَتها في القيظ فأبيتُ بها ثم أُبْكُر بالغداة إلى منزلي . فإنّي لَداخِلٌ يوماً إذا بامرأتين نبيلتين ، قد قامتا فأخذَتا بلجام حماري ، فقلت لهما : مَه ! قال أبو زيد في خبره : فقالت إحداهما : كيف عشقُك اليوم لـ «ما أحسَنَ الجِيد من مُليكةَ» وشَغفُك به ، فقد بلَغني أنّك كنت تطلبه من كلِّ أُحد ؟ وقد كنتُ رأيتك في مَجلس الفضل وقد استخفَّك الطَّربُ لهذا الصوت حتّى صفقّت . قال : فقلت لها : أَشدُّ والله ما كنت عشقاً له ، وقد أُهبتِ بذكركِ إيّاه في قلبي جَمْراً ، ولقد طلبتُه ببغداد كلِّها فلَم أُجدْ أحداً يُسْمِعُنيه . قالت : أفتحبُّ أن أُغنِّيك إيّاه . قلت : نعم . فغنَّته والله أحسَنَ مِمَّا سمعتُه قديماً بصوتٍ خافض . فنزلتُ إليها فقبَّلْتُ يديها ورجليها وقلتُ : جَعَلني الله فِداكِ ، لو شئتِ لِصرتِ معي إلى منزلي . قالت : أصنع ماذا ؟ قلتُ : أغنّيكِ وتغنِّيني يومَنا إلى الليل . قالت : أنت والله أطْفَسُ[1] من أن تفعل ذاك ، وإنّما هو عَرْضٌ ، ولكنّي أُغنيك حتّى تأخُذه . فقلت : بأبي أنتِ وأُمّي ، وجعلني الله فداكِ مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا وهبة جارية محمّد بن عمران القَرَويّ ، التي يقول فيها فَرُّوج الرّفاء الطَّلْحي : [من البسيط]

صوت

يا وَهبُ لم يَبْقَ لِي شيء أُسَرُّ بِهِ	إلاّ الجلوسُ فَتَسقِيني وأُسقِيكِ
وتُمزجِينَ بريقٍ منـــكِ لِي قَدَحاً	كأنّ فيه رضابَ المِسْكِ من فِيكِ
يا أُطيبَ النّاسِ ريقــاً غيرَ مُختبَرٍ	إلاّ شهادةَ أُطـرافِ المَساوِيكِ[2]
قد زُرتنا زورةً في الدَّهــرِ واحدةً	ثَنِّي ولا تجعلِيهـــا بيضةَ الدِّيكِ[3]
ما نلتُ منك سِوى شيءٍ أُسَرُّ بِهِ	ولستُ أبصر شيئاً مــن مَساوِيكِ
قالت مُلِكتَ ولم تَمْلِكْ فقُلت لها	مـــا كلُّ مالكةٍ تُــزري بمملوكِ

قال أبو زيد خاصّةً : قال إسحاق : وأنْشدتْنِيه وغنّتْني فيه بصوتٍ مليح قد صنعَتْه فيه ، ثم

1 ل : أنفس . وأطفس : أقذر .

2 هذا البيت ينسب أيضاً إلى بشار .

3 المثل «كانت بيضة الديك» في مجمع الميداني 2 : 131 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 وفصل المقال : 437 ، ويضرب للندرة .

صارت إليَّ بعد ذلك ، وكانت من أحسن الناس غِناء ، وأحسنهم روايةً . فما كانت تفوق فيه من صَنعتها سائرَ الناس صوتُها ، وهو : [من المنسرح]

صوت

لا بُدَّ من سَكرةٍ على طربِ لعلَّ رَوْحاً يُدالُ من كَرَبِ[1]
فَعاطِنِيها صفراء صافيةً تَضحكُ من لؤلؤ على ذَهَبِ

قال : ولها فيه عملٌ فاضل . ومن صنعتها قوله : [من مجزوء الكامل]

صوت

الكأسُ بعد الكأس قد تُصبي لَكَ الرجلَ الحليما
وتُقَرِّب النسَبَ البعيـ ـدَ وتبسُط الوجهَ الشَّتيما[2]

قال : ومِمّا برَّزَت فيه من صنعتها : [من الخفيف]

صوت

هاتِها سُكَّرِيَّةً كشُعاعِ الـ ـشَّمْسِ لا قَرقَفاً ولا خَنْدَريسا[3]
في رُبى يخلَع الولِيُّ عليها ما يحيِّي بِهِ الجليسُ الجَليسا[4]
فَلِنُوَّارِها نسيمٌ إذا ما حَرَّكته الرِّياح ردّ النُّفوسا

صوت

[من البسيط]

أَمْسى لسَلاَّمَة الزَّرقاءِ في كَبِدِي صَدْعٌ مقيمٌ طَوالَ الدَّهْرِ والأَبَدِ
لا يستطيعُ صَناعُ القومِ يَشْعَبَه وكيف يُشعَب صَدعُ الحبِّ في الكبِدِ
إلاّ بوَصْلِ التي من حبِّها انصدعَتْ تلك الصُّدوعُ من الأسقامِ والكَمَدِ

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفيّ ، أحد بني زُهْرة من قريش . ولحنه من خفيف الثَّقيل الأوّل بالبنصر .

وسَلاّمة الزرقاء هذه جارية ابنِ رامِين ، وكانت إحدى القينات المُحْسِنات .

---

1 الروح : الراحة . ويدال : يبدل .

2 الشتيم : القبيح .

3 القرقف : التي ترعد شاربها . والخندريس : المعتقة .

4 الولي : المطر المتوالي . ما يحيي به الجليسُ الجليسَ : الزهر .

[280] ـ ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، ذكر أنَّ أبا أيّوب المدينيّ حدّثه عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال : كان محمد بن الأشعث القرشيّ ثم الزهريّ كاتباً ، وكان من فتيان أهل الكوفة وظُرفائهم وأدبائهم ، وكان يقول الشعرَ ويتغنّى فيه . فمن ذلك قولُه في زرقاءَ جارية بن رامينَ ، وكان يألفها : [من البسيط]

أمسى لسَلاّمة الزَّرقاء في كبِدِي

وذكر الأبيات .

قال : ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حَجّ وأخرج معه جواريَه كلَّهنّ ، هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم . وهذا الشعر الثاني لإسماعيلَ بن عَمّارٍ الأسديّ ، وقد ذكرت أخبارَه في موضع آخر .

صوت

[من مجزوء الرجز]

أيَّةُ حـالٍ يـا ابنَ رامِيْن   حـالُ المحبِّـينَ المساكينْ
تركتَهمْ موتى ولَم يَتْلَفوا   قـد جُرِّعوا منك الأَمَرَّينْ

ويروى : «تركْتَهُمْ مَوْتى وما مَوَّتوا» ، وجدتُه بخطِّ حَمّادٍ .

وسِرْتَ في رَكْبٍ على طِيَّةٍ   ركـبٍ تَهـامٍ ويَمـانِينْ
يا راعيَ الذَّودِ لقد رُعْتَهم   ويلَكَ مـن رَوْع المحبِّينْ
فرَّقتَ جمعاً لا يُرى مثلُهم   بين دُروب الرُّوم والصِّينْ

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها ، عن ابن المكّي وغيره .

قال : ودخل ابنُ الأشعث يوماً على ابن رامينَ فخرجت إليه الزَّرقاء ، فبينما هو يُلقِي عليها إذْ بَصُرَ بوصيفةٍ من وصائفهم فأعجبته ، فقال شعراً في وقتِهِ ، وتغنّى فيه ، فأخذته منه الزرقاء ، وهو قوله : [من الخفيف]

صوت

قل لأختي التي أُحبُّ رضاها   أنتِ لِي فاعلميه رُكنٌ شديدُ

إنَّ لِي حاجـةً إليكِ فقولِي : بين أُذْنِـي وعاتِقي مـا تريدُ

يعني قولي : ما تريد في عنقي حتّى أفعَلَه . ففطِنت الزّرقاء للذي أراد ، فوهَبتْ له الوصيفَة ، فخرج بها .

الغناء فيه رمل بالوسطى . ذكر عَمرو بن بانة أنّه لابنُ سريج ، وقد وَهِمَ في ذلك ، بل الغناء لمحمّد بن الأشعث لا يُشَكُّ فيه .

قال هارون : وحدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال : وحدَّثني أبو عبد الله الأسَكّ أمير المغنّين أن محمد بن الأشعث الزهري ، وهشام بن محمد بن أبي عثمان السُّلَميّ اجتمَعا عند ابن رامين ، وكان هشامٌ قد أنفق في منزله مالاً عظيماً ، وكان يقال لأبيه بِسِيارْدِرَمْ ، وتفسيره بالعربية : الكثير الدراهم ، فقال محمد بن الأشعث : يا هشام قُلْ ما تشاء . قال : [من الخفيف]

قل لأختي التي أُحبُّ رِضاها أنتِ لِي فاعلميهِ ركنٌ شديدُ

وأشار بذلك إلى سَلاّمة الزّرقاء . قالت وقد سمِعَتْ : فقل . فقال : [من الخفيف]

إنّ لِـي حاجةً إليكِ فقولي بين أُذْني وعاتِقِي مـا تريدُ

ففطنت الزّرقاء للذي أراد ، فقالت : بين أذْني وعاتِقِي ما تريد ، فما هو ؟ قال : وصيفتِك هذه ، فإنّها قد أعجبتني . قالت : هي لك . فأخذها فما ردَّ ذلك ابنُ رامينَ ولا تكلَّمَ فيه .

وهذا الشعر والغناء فيه لمحمّد بن الأشعث .

[قاطع ابن رامين ومال إلى سحيقة]

قال هارون : وحدَّثني أبو أيّوب عن أحمد بن إبراهيم قال : ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التميميّ ، أنّ محمد بن الأشعث كان ملازماً لابن رامينَ ولجاريته سَلاَّمة الزّرقاء ، فشُهِر بذلك ، وكان رجلاً قَصّافا[1] فلامَه قومُه في فعله فلم يحفِلْ بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم ، حتّى رأى بعضَ ما كرِه في منزل ابن رامين ، فمال إلى سَحِيقة جارية زُرَيق بن منيح ، مولى عيسى بن موسى . وكان زُرَيقٌ شيخاً سخيّاً كريماً نبيلاً يجتمع إليه أشْرافُ الكوفة من كلِّ حيّ ، وكان الغالبُ على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد الغفّار العجليّ ، كغَلبة محمد بن الأشعث على منزل ابنِ رامين ، فتواصَلا على ملازمة بيت زُرَيق . ففي ذلك يقول محمد بن الأشعث : [من الخفيف]

يـا ابن رامينَ بُحْتَ بالتَّصريح في هَـوايَ سَحِيقـةَ ابنِ منيحِ
قَينــةٌ عَفَّـةٌ ومولًـى كريـمٌ ونديــمٌ مـن اللُّبابِ الصَّرِيحِ

1 قصاف : كثير اللهو واللعب على الطعام .

رَبَعــــيٌّ مهـــذَّبٌ أَرْيَحِـــيٌّ يَشتري الحمدَ بالفَعال الرَّبيحِ[1]
نحنُ منه في كلِّ ما تشتهي الأنـ ـفُسُ مـن لـذَّةٍ وعيشٍ نجيحِ
عندَ قَرْمٍ من هاشم في ذُراها وغنــاءٍ مــن الغـزالِ المليحِ
في سُرورٍ وفي نعيم مُقيــم قــد أمِنّـا مـن كلِّ أمرٍ قبيحِ
فاسلُ عنّــا كما سلونــاكَ إنّي غيرُ سالٍ عن ذاتِ نَفْسي ورُوحِي
حافِظٌ منك كلَّ ما كنت قد ضـ ـيَّعْتَ مِمّا عصيتُ فيه نصيحِي
فالقِلى ما حييتَ منّي لكَ الدَّهـ ـرَ بــوُدٍّ لُمْنيتِـي ممنــوحِ
يا ابنَ رامينَ فالزمَنْ مسجدَ الحـ ـيِّ وطُولَ الصَّلاة والتَّسبيحِ

قال عمرو بن نوفل : فلم يَدعِ ابنُ رامين شريفاً بالكوفة إلاَّ تحمَّلَ به على ابن الأشعث وأن يَرضى عنه ، ويعاودَ زيارتَه ، فلم يَفْعَل ، حتّى تحمَّلَ عليه بالجَحْوانيِّ ، وهو محمد بن بشر بن جَحْوان الأسديّ ، وكان يومئذٍ على الكوفة ، فكلّمهُ فرضيَ عنه ورجع إلى زيارتِهِ ، ولم يقطع منزلَ زُرَيق ، وقال في سحيقة : [من الوافر]

سحيقة أنــتِ واحــدة القيانِ فما لــكِ مُشْبهٌ فيهـنّ ثانِ
فَضَلتِ على القيانِ بِفضلِ حِذقٍ فحُزتِ على المدى قَصَبَ الرِّهانِ
سجدنَ لـكِ القيـانُ مكفِّراتٍ كما سجَـدَ المجـوسُ لمرزُبانِ
ولا سِيَمــا إذا غنِّيـتِ صوتـاً وحرّكــتِ المَثالــث والمثانِي
شربتُ الخمرَ حتّى خلتُ أنّي أبــو قابـوسَ أو عَبْــدُ المَدانِ
فإعمالُ اليَسارِ على المَــلاوِي ومِــن يُمنـاكِ ترجمةُ البيانِ[2]

[حيلة سلامة على روح بن حاتم]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان ، عن حمّاد عن أبيه قال : كان روح بن حاتم المهلبيّ كثير الغِشْيان لمنزل ابن رامِينَ ، وكان يختلف إلى الزَّرْقاء جاريةِ ابن رامين ، وكان يهواها محمدُ بن جَميلٍ وتهواه ، فقال لها : إنَّ رَوح بن حاتم قد ثَقُلَ علينا . قالت : فما أصنع ، قد غَمَرَ مولاي بِبرِّه ! فقال : احتالي له . فبات عندهم رَوحٌ ليلةً ، فأخذتْ سراويلَه وهو نائمٌ فغسلَتْه ، فلمّا أصبحَ سأل عنه فقالت : غَسَلْناه . ففطِنَ أنّه أحدَثَ فيه فاحتيج إلى غَسْلِهِ ، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها ، وخلا وجهُها لابن جميل .

1 ربعي : نسبة إلى ربيعة .
2 الملاوي : ملاوي العود التي تشد بها الأوتار .

[جواري ابن رامين]

قال هارون : وأخبرني حمّاد عن أبيه قال : ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين ، مولى عبد الملك بن بشر بن مَرْوان . وجواريه سَعْدة ، ورُبَيْحة ، وسَلاّمة الزرقاء . وفيهن يقول إسماعيل بن عمّار الأسديّ وأنشدناه الحِرْمِيّ عن الزُّبير عن عمِّهِ ، وروايته أتمُّ[1] : [من البسيط]

هَل مِن شفاءٍ لقلبٍ لَجَّ مَحزونِ ... صَبا ، وصبٌّ إلى رِيم ابن رامينِ
إلى رُبَيحةَ إنَّ اللهَ فضَّلَها ... بحُسنِها وسَماعٍ ذي أفانينِ[2]
نَعَمْ شفاؤك منها أن تقولَ لَها ... قَتلتِني يومَ دَير اللُّجِّ فاحيِيني[3]
أَنتِ الطبيبُ لداءٍ قد تَلبَّسَ بِي ... من الجَوى فانفُثي في فيَّ وارقيني
نفسي تأبَّى لكمْ إلاّ طَواعِيةً ... وأَنْتِ تَحمَيْنَ أَنفاً أن تُطيعيني[4]
فتلك قسمةُ ضِيزى قد سمعتُ بها ... وأنتِ تتلينها ما ذاكِ في الدينِ[5]
ما عائذُ الله لي إلفٌ ولا وطنٌ ... ولا ابنُ رامينَ ، لولا ما يمنِّيني[6]
يا ربِّ ما لابن رامينٍ ، له بقَرٌ ... عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذينِ
لو شئتَ أعطيتَه مالاً على قدَرٍ ... يرضى بِهِ منكَ غيرَ الخُرَّدِ العِينِ
لِعائِذِ الله بيتٌ ما مررتُ بِهِ ... إلاّ وُجِئْتُ على قلبي بِسِكِّينِ[7]
يا سَعدةُ القينةُ البيضاءُ ، أنتِ لَنا ... أُنسٌ لأنَّكِ في دارِ ابنِ رامينِ
لا تَحْسَبَنَّ بياضَ الجِصِّ يؤنسني ... وأنتِ كنتِ كمثلِ الخَزِّ في اللينِ
لولا رُبَيحة ما استأنستُ ما عَمَدت ... نفسي إليكِ ولَوْ مُثِّلتِ في طِينِ
لَم أَنْسَ سَعْدَةَ والزّرقاءَ يومَهما ... باللُّجِّ شرقيَّهُ فوقَ الدَّكاكينِ
تُغنِّيانِ ابنَ رامينٍ ضَحاءَهما ... بالمسجحيِّ وتشبيبِ المحبِّينِ[8]

1 سبق أن وردت هذه القصيدة في ترجمة إسماعيل بن عمار في الجزء الحادي عشر ، ص 245 .
2 أفانين : ضروب .
3 دير اللج : بالحيرة .
4 تحمين أنفاً : تأنفين .
5 القسمة الضيزى : الجائرة .
6 عائذ الله : حي من العرب .
7 وجأه : ضربه .
8 المسجحي : الغناء المنسوب إلى ابن مسجح .

فما دَعوتُ بِـهِ من عيش مَمْلكةٍ ولَم نَعِشْ يومَنـا عيشَ المساكِينِ
أذاكَ أنْعَـمُ أم يـومٌ ظَلِلتُ بِـهِ منعَّـمَ العيشِ في بُستـانِ شُورينِ
يشوي لنا الشَّيخ شُورِينٌ دواجِنَه بالجَرْدَنـاجِ وسحـاج الشقابينِ[1]
نُسْقَـى شرابـاً لعمـرانٍ يعتِّقه يُمسي الأَصحّـاءُ منـه كالمجانينِ

يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله .

إذا ذكرنا صلاةً بَعدما فَرَطَتْ قُمْنا إليها بِـلا عقـلٍ ولا دينِ[2]
نمشي إليها بِطـاءً لا حَـراكَ بِنا كأنَّ أرجلَنا تُقْلَعـنَ مـن طينِ
نمشي وأرجلُنا عوجٌ مطارِحُها مَشيَ الإوَزِّ التي تأتي من الصينِ
أو مَشْيَ عُميانِ دَيرٍ لا دليـلَ لهم إلاّ العصيُّ ، إلى عِيـدِ السَّعانينِ

وقال فيه أيضاً : [من الخفيف]

لابن رامينَ خُـرَّدٌ كمها الرَّمْـ ـلِ حِسانٌ وليس لِي غير بَغْلِ
ربِّ فَضَّلتَـه عليَّ ولَـوْ شئـ ـتَ لفضَّلتني عليـه بفَضْلِ

قال حمّاد : وأخبرني أبي قال : حدَّثني السَّكونيّ ، أنَّ جعفر بن سليمان اشترى رُبيحة بمائة ألف درهم ، واشترى صالحُ بن عليٍّ سَعْدة بتسعين ألف درهم ، واشترى مَعْن بن زائدة الزرقاء .

قال مؤلّف هذا الكتاب : هذا خطأ ، الزّرقاء اشتراها جعفر بن سليمان ، ولعلَّ مَعْناً اشترى غيرَها .

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الحسَن الشيبانيّ ، عن عبد الملك بن ثوبان قال : قال إسماعيل بن عمّار : كنت أختلف إلى منزل ابن رامينَ فأسمع جاريتيه : الزرقاء وسَعْدة ، وكانت سَعدة أظرَفَ من الزَّرقاء ، فأُعجِبْتُ بِها وعَلمتْ ذلك منِّي ؛ وكانت سَعدة كاتبةً ، فكتبتُ إليها أشكو ما ألقى بها ، فوعدتني فكتبتُ إليها رقعةً مع بعض خَدَمِهم : [من البسيط]

يا ربِّ إنّ ابن رامينِ له بَقَرٌ عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذينِ

---

1 بالجردناج : أي مُتَبَّلاً بالأفاويه . والشقابين : جمع شقبان وهو نوع من الطير .
2 فرطت : سبقت .

وذكر الأبيات الماضية . قال : فجاءَني الخادم وقال : ما زالت تقرأ رُقعتك وتضحك من قولك . [من البسيط]

فإن تجودِي بذاكِ الشيء أحْيَ بِهِ وإنْ بخِلتِ بِهِ عنّي فزَنّيني

وكتبت إليّ : «حاشاك من أن أزنّيك ، ولكنّي أسير إليك فأُغنّيك وأُلَهّيك وأُرضيكَ» . وصارت إليّ فأرضتني بعدَ ذلك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، عن الحسين بن محمد الحرّانيّ ، وأخبرني الجوهريّ عن عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه : أنّ جعفر بن سليمان اشترى الزّرقاءَ صاحبة ابن رامينَ بثمانين ألف درهم ، وستَرها عن أبيه ، وأبوه يومئذٍ على البصرة في خلافة المنصور ، وقد تحرّك في تلك الأيّام عبدُ الله بن علي ، فهَجَمَ عليهما يوماً سليمان بن عليّ فأخفيا العُودَ تحتَ السَّرير ودخَل ، فقال له : ويحكَ نحن على هذه الحالِ نتوقَّع الصيلم[1] وأنتَ تشتري جاريةً بثمانين ألفَ درهم !؟ وأظهرَ له غضباً عليه وتسخُّطاً لما فعَل ؛ فغمز خادماً كان على رأسِه فأخرجها إلى سليمان ، فأكبَّتْ على رأسه فقبَّلته ، ودعَتْ له ، وكانت عاقلةً مقبولةً متكلّمة ، فأعجبه ما رأى منها ، وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك .

قال : ولّما مضت لها مُدّةٌ عند جعفرٍ سألها يوماً : هل ظفِرَ منك أحدٌ مِمّن كان يهواكِ بخلوةٍ أو قُبْلَة ؟ فخشيت أن يبلُغه شيءٌ كانت فعلَتْه بحضرةِ جماعةٍ أو يكونُ قد بلغه ، فقالت : لا والله إلاّ يزيد بن عون العِبـاديُّ الصَّيرفيّ ؛ فإنّه قبّلني قُبلةً وقذف في فِيَّ لؤلؤةً بعتها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفرٌ يحتال له ويطلبه حتّى وقع في يده ، فضرَبَهُ بالسِّياط حتّى مات .

[استقبال سلامة الزّرقاء ليزيد بن عون]

قال هارون : وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال . حدَّثني أبو عوف الدَّوسيّ ، عن عبد الرحمن بن مُقَرِّنٍ قال : كتبتُ إلى ابن رامينَ أستأذِنه في إتيانه ، فكتب إليّ : «قد سبقَكَ رَوحُ بن حاتم ، فإن كنتَ لا تحتشِمُ منه فَرُحْ . فَرُحْتُ ، فكنّا كأنَّنا فرسا رِهان ، والتقينا فعانقني وقال لي : أنّى تريد ؟ قلت : حيثُ أردتَ . قال : فالحمد لله . فدخلنا فخرجَت الزّرقاءُ في إزارٍ ورداءٍ قُوهِيَّين[2] مورَّدين ، كأنَّ الشمس طالعةٌ من بين رأسها وكتِفيها ، فغنّتنا ساعةً ثم جاء الخادم الذي يأذَن لها ، وكان الإذْن عليها دونَ مولاها ،

---

1 الصيلم : الداهية .

2 القوهي : ضرب من الثياب ، منسوبة إلى قوهستان .

فقام دونَ الباب وهي تغنّي ، حتّى إذا قطَعَتْ نظرَتْ إليه فقالت : مَن ؟ فقال : يزيد بن عَون العباديُّ الصَّيرفيّ ، الملقَّب بالماجن ، عَلى الباب . فقالت : أدخِلْه . فلمّا استقبَلَها كفَّرَ[1] ثم أقعى بين يديها . قال : فوجَدَتْ[2] والله له ورأيتُ أثَرَ ذلك ، وتنوَّقَتْ تنوُّقاً[3] خلافَ ما كانتِ تَفعلُ بنا . فأدخلَ يَده في ثوبِه فأخرج لؤلؤتين وقال : انظري يا زَرقاء جُعِلت فداكِ ! ثم حَلَف أنّه نَقَدَ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم . فقالت : فما أصنع بذلك ؟ قال : أردت أن تعلمي . فغنَّتْ صوتاً ثم قالت : يا ماجِنُ هَبْهما لِي ويحك . قال : إن شئتِ واللهِ فعلتُ . قالت : قد شئتُ . قال : واليمينُ التي حلفتُ بها لازمةٌ لِي إنْ أخذتهما إلاّ بشفتيك من شَفَتيَّ . قال : فذهب رَوْحٌ يتسرَّع إليه ، فقالت له : أَلَكَ في بيت القوم حاجة ؟ قال : نعم . فقلت : إنّما يتكسَّبون مِمّا ترى . وقام ابن رامينَ فقال : ضَعْ لِي يا غلامُ ماء . ثم خَرَج عنا فقالت : هاتهما . فمشى على ركبتيه وكفَّيه وهما بين شفتَيه . فقال : هاكِ . فلمّا ذهبَتْ بشفتيها جعل يصدُّ عنها يميناً وشمالاً ليستكثر منها ، فغمزَتْ جاريةً على رأسها فخرجتْ كأنَّها تريد حاجة ، ثم عطفَتْ عليه ، فلمّا دنا منها وذهب ليزُوغَ دفَعْت مَنكِبيه وأمسكَتْهما حتّى أخذت الزَّرقاءُ اللؤلؤتين بشفتَيها من فمه ، ورَشَح جَبينُها حياءً منّا . ثم تجلَّدَتْ علينا فأقبلَتْ عليه فقالت له : «المغبونُ في استِهِ عُوْد» فقال : أمّا أنا فما أُبالِي ، لا يزال طِيبُ هذه الرائحةِ في أنفي وفَمِي أبداً ما حَيِيت .

[سعدة تعبث بثياب الزائرين]

قال هارون : وحدّثني ابن النطّاح عن المدائنيّ ، عن علي بن أبي سليمان ، عن أبي عبد الله القرشيّ ، عن أبي زاهر بن أبي الصباح ، قال : أتيتُ منزلَ ابن رامينَ مع رجلٍ من قريش ، فأخرج الزّرقاءَ ، وسَعْدَة ، فقام القرشيُّ ليبول وترك مُطرَفه[4] ، فلبِسَتْه سَعدةُ وخرجَتْ ، فرجعَ القرشيُّ وعليها المُطْرف قد خاطته فصار دِرعاً[5] ، فقالت : أرأيتم أسرعَ مِن هذا ؟ صار المُطرف درعاً ! فقال القرشيُّ : هو لكِ . قال : وعليَّ طيلسانٌ مثنيّ ، فأردت أن أبول فلففته وقُمت ، فقالت سَعدة : دَع طَيلسانك . فقلت : لا أدَعهُ ، أخافُ أن يتحوّل مطرَفاً .

---

1 كفَّر : قام بأحد تعابير التعظيم كالإنحناء أو الركوع . . . إلخ .

2 وجدت : لحقها الوجد .

3 تنوقت : تأنقت .

4 المطرف : ثوب من خزّ مخطّط .

5 الدرع : القميص .

[دراج ابن المقفّع]

وحدَّثني قبيصة بن معاوية قال : قال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : شرِبتْ زرقاءُ ابن رامينَ دواءً فأهدى لها ابن المقفّع ألف دُرّاجة على جمل قُراسيّ[1] .

[أب يتخوّف على ابنه من عشقه الزّرقاء]

قال هارون : وحدَّثني حماد عن أبيه : أنّ محمدَ بن جميلٍ كان يتعشّق الزّرقاءَ ، وكان أبوه جميلٌ يغدو كلَّ يوم يسأل مَن يَقْدَم عن ابنه محمّد ، إلى أنْ مرَّ بهِ صديقٌ له يكنى أبا ياسرٍ ، فسأله عنه فقال له أبو ياسر : تركتُه أعظَمَ النّاس قَدْراً ، يعامل الخليفةَ كلَّ يوم في خَراجه ، فيحتاج إليه ولدُه ، وصاحبُ شرطته ، وصاحبُ حرسه ، وخَدَمُهُ . فقال له : يا أخي : فكيف بهذه الجارية التي قد شُهِر بها ؟ فقال له الرجل : لا تهتمَّ بها ، قد مازحَهُ أمير المؤمنين فيها ، وخاطَبَه بشعرٍ قيل فيه . قال : وما هو ؟ قال : [من السريع]

وابنُ جميـلٍ فاعلموا عاجـلاً لا بـدّ موقوف على مَسْطَبَهْ
يُوقَـف في زرقـاءَ مشهـورةٍ تُجيد ضَرب العُود والعَرطَبَهْ[2]

فقال جميل : والله ما بي من هذا الأمر إلاّ أنّي أتخوَّفُ أن يكون قد شُهِر بها هذه الشُّهرةَ ولَم يَنِكها .

قال هارون : وأحسب هذه القصّة لزرقاءِ الزّرادِ ، لا زرقاءِ ابن رامين .

[منافسة في تقديم الألطاف للزّرقاء]

قال هارون : وحدّثني أبو أيوب قال : حدّثني محمد بن سلام ، قال : اجتمع عند ابن رامين معنُ بن زائدة ، ورَوْح بن حاتم ، وابن المقفّع ، فلمّا تغنّت الزّرقاءُ وسَعدة ، بعثَ معنٌ إليها بَدْرةً فصُبَّت بين يديها ، فبعثَ روح إليها أخرى فصُبَّت بين يديها ، ولم يكن عند ابن المقفَّع دراهم فبعثَ فجاء بصَكٍّ ضيعته وقال : هذه عُهدةُ ضَيعتي خُذِيها ، فأمّا الدَّراهم فما عندي منها شيء .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا فضلٌ اليزيديُّ قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال سليمان الخشَّاب : دخلتُ منزلَ ابن رامينَ فرأيتُ الزّرقاءَ جاريتَه وهِي وصيفةٌ ، حين شالَ نهودُها ثوبَها عن صدرها ، لها شاربٌ كأنَّه خُطَّ بمسك ، يلحَظُه الطَّرف ، ويقصُرُ عنه الوصف ، وابن الأشعثِ الكوفيُّ يلْقِي عليها ، والغناء له : [من مجزوء الرجز]

---

1 جمل قراسي : ضخم شديد .
2 العرطبة : العود أو الطنبور .

أيّةُ حالٍ يا ابنَ رامِينَ حال المحبِّين المساكِينْ
تركتَهم موتى وما مَوَّتوا قد جُرِّعوا منكَ الأَمَرِّينْ
وسِرتُ في رَكْبٍ على طِيَّةٍ ركبِ تَهامٍ ويَمانِينْ
يا راعِيَ الذَّود لقد رُعْتَنا ويلَكَ من رَوعِ المحبِّينْ
فرّقتَ جمعاً لا يُرى مثلُهم فَجَّعتهم بالرَّبربِ العِينْ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثني هارون بن محمد الزيّات قال: قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل: كان ابن رامِينَ مولى الزّرقاء أجلَّ مُقَيِّنٍ بالكوفة وأكبَرَهم، ورامين أبوه مولى بِشر بن مروان.

[ابن الأشعث يعلّم الغناء]

قال هارون: فحدّثني سليمان المدينيّ قال: قال حمّاد بن إسحاق قال أبي: قال مُعاذ بن الطَّبيب: أتيتُ ابن رامينَ وعنده جواريه: الزَّرقاء وصواحباتها، وعندهنّ فتى حسنُ الوجهِ نظيفُ الثِّياب، عَطِرِ الرّيح، يُلقِي عليهنّ، فسألتُ عنه فقيل لي: هذا محمد بن الأشعث بن فجوة الزُّهريّ. فمضيتُ به إلى منزلي وسألته المقام ففعلَ، وأتيتُه بطعام وشَراب وغنَّيته أصواتاً من غِناء أهل الحجاز، فسألني أن أُلقيَها عليه، فقلتُ: نَعَم وكرامةً وحبّاً، على أن تلقِيَ عليَّ أصواتاً من صنعتك ألتذّ بها، وأقطعُ طريقي بروايتها، وأطرِف أهلَ بلدي بها. ففعلتُ وفعلَ، فكان مِمّا أخذْته عنه من صنعته: [من الرمل]

صوت

صاحِ إنِّي عادَ لي ما ذَهَبا مِن هوًى هاجَ لقلبي طَرَبا
أذكَرَتْني الشَّوق سَلاّمةُ أَن لَم أَكُنْ قضَّيت منها أَرَبا
وإذا ما لامَ فيها لائِمٌ زاد في قلبي لحبِّي عجبا
مِن ذَواتِ الدَّلِّ لو دَبَّ على جِلدها الذَّرُّ لأَبدى نَدَبا

الغناء لمحمد بن الأشعث، ثقيلٌ عن الهِشاميّ. وفيه ليونس خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة، في مَجرى البِنصر عن إسحاق. وذكر أحمد بن عبيد أنَّ فيه لحناً من الثقيل الثاني لا يدرى لِمَن هو؟

قال: ومنها: [من الطويل]

صوت

لِذِكْرِ الحبيبِ النَّازحِ المتعتِّبِ طرِبتُ ومَن يَعْرِضْ له الشَّوق يطربِ

لحنه رمل. وقال منها: [من الطويل]

صوت

خليليَّ عُوجـا ساعةً ثم سلِّما　　　على زَينبٍ سَقْياً ورَعياً لزينبِ

لحنه رمل . وقال منها : [من مجزوء الكامل]

صوت

رَحُبَـت بلادُكِ يـا أُمامهْ　　　وسَلِمتِ ما سَجَعَت حَمامَهْ
وسقـى ديـارَكِ كلّمـا　　　حنَّـت إلى السُّقيا غَمامَهْ
إنِّـي وإن أقصَيتِنِـي　　　سَفَهاً أُحبُّ لكِ الكرامَهْ
وأرى أُمـورَكِ طاعـةً　　　مفروضـةً حتّى القيامَهْ

لحنه خفيفُ رملٍ . قال : ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

ما بالمَغاني مِـن أَحَدْ　　　إلاّ حمامـاتٌ فُـرُدْ[1]
أضحت خَـلاءً دُرَّساً　　　للرِّيح فيهـا مُطَّـرِدْ
عهدِي بها فيما مَضى　　　ينتابهـا بِيضٌ خُـرُدْ[2]
فاستبدلَت وَحشاً بهم　　　والوُرق تدعو والصُّرَدْ[3]

لحنه هزج . قال : ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

ليتَ مَـن طَيَّرَ نومي　　　ردَّ في عينـي المنامـا
أو شَفى جسماً سقيماً　　　زاده الهجـرُ سَقامـا
نظرَتْ عينـي إليهـا　　　نَظـرةً هاجـت غَراما
تركَتْ قلبـي حزينـاً　　　بهواهـا مُستَهامـا

لحنه رمل .

قال ابن الطبيب : وأخذتُ منه مع هذه أصواتاً كثيرة ، ورأيتُ النّاسَ بعد ذلك ينسبونها إلى قُدماءِ المغنّين .

---

1 فرد : فريدات .
2 خرد : جمع خريدة وهي البكر أو الحيية .
3 الصرد : طائر أبقع يصطاد صغار العصافير .

قال هارون : وحدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حدَّثني إسماعيل بن جَعفر بن سليمان : أنَّ الزَّرقاء صاحبة ابن رامينَ صارت إلى أبيه ، وكان يقال لها أمّ عثمان . وأنّ رُبَيحة جاريةَ ابنِ رامينَ صارت إلى محمد بن سليمان ، وكانت حَظِيَّةً عنده . قال إسماعيل : فأتى سليمانُ بن عليّ ابنَه جعفراً فأخرج إليه الزَّرقاءَ ، فقال لها سليمان : غَنِّيني . قالت : أيَّ شيءٍ تحبُّ ؟ قال : غنيني : [من الهزج]

إذا مــا أُمُّ عبدِ اللَّـ ـــهِ لَم تَحْلُل بِواديهِ
ولَم تَشفِ سقيماً هَيَّـ ـجَ الحُــزن دواعيــهِ

فقالت : فَدَيتك ، قد ترك الناسُ هذا منذ زمان . ثم غنَّته إيّاه .

قال إسماعيل : قد ماتَ سليمانُ منذ ثلاثٍ وسبعين سنة ، وينبغي أن يكون رأي الزّرقاءَ قبل موته بسنتين أو ثلاثٍ . قال : وقالت هي : قد تَرك الناس هذا منذُ زمانٍ . فهذا من أقدم ما يكون من الغناء .

[شعر في جواري ابن رامين]

قال هارون : وقال شُراعة بن الزَّندَبُوذ : [من البسيط]

قالوا شُراعَةُ عِنِّــينٌ فقلتُ لهـم اللهُ يعلــمُ أنِّـــي غير عِنِّـــينِ
فإنْ أبيتم وقلتــم مثــلَ قولِهِــم فأقْحِمونِـــيَ في دارِ ابــنِ رامــينِ
ثم انظروا كيفَ طعني عند مُعتَرَكِي في حِرِ مَنْ كنتُ أرميها وتَرميني

قال هارون : وحدَّثني أبو أيّوب المدينيّ ، عن أحمد بن إبراهيم قال : قال بعض المدنيِّين : أتيتُ منزلَ ابن رامينَ ، فوجدتُه عندهُ جاريةً قد رفع ثديُها قميصاً ، لها شاربٌ أخضرُ ممتدٌّ على شفتيها امتدادَ الطِّراز ، كأنّـما خُطَّت طُرَّتُها وحاجباها بقَلَم ، لا يلحقُها في ضربٍ من ضُروبِ حُسنها وصفُ واصف ، فسألتُ عن اسمها فقيل : هذه الزَّرقاء .

نسبة الصوت الذي في الخبر

صوت[1]

[من الهزج]

إذا مــا أُمُّ عبد اللَّـ ـــهِ لم تَحْلُلْ بواديهِ
ولَمْ تَشفِ سقيماً هـ ـيَّجَ الحــزنُ دواعيهِ

---

1 انظر شعر النعمان بن بشر (د . يحيى الجبوري ـ بغداد) : 162-164 .

غَـزالٌ راعَــه القَنّــا ... صُ تحميــه صياصيهِ[1]
عرفتُ الرَّبع بالإكليـ ... ــلِ عَفَّتــه سوافيهِ[2]
بجــوٍّ ناعِــمِ الحَــوذا ... نِ مُلتــفٍّ رَوابيهِ[3]
ومـا ذِكري حبيباً و ... قليــلاً مــا أُواتيــهِ
كذِي الخمرِ تَمنّاهـا ... وقَــد أَسْرفَ ساقِيهِ

ذكر الزُّبير بن بَكّارٍ أنّ الشِّعرَ لعديّ بن نوفل ، وقيل إنّه للنُّعمان بن بشيرٍ الأنصاريّ وذاك أصحُّ .

وقد أخرجتُ أخبارَ النُّعمان فيه مفردةً في موضع آخر ، وذكرتُ القصيدة بأسرها . ورواها ابنُ الأعرابيّ وأبو عمرو الشيبانيّ للنُّعمان ، ولم يذكر أنّها لعديٍّ غير الزُّبير بن بكّار .

والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمَعْبدٍ ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى . وذكر إسحاقُ أنّ فيه خفيفَ رملٍ بالسبّابة في مَجرى البِنصر ، يمانٍ . وفيه للغريض ثَقيلٌ أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ ، في الأوّل والثاني والرابع والخامس .

1 الصياصي : الحصون .
2 الإكليل : موضع . والسوافي : الرياح التي تسفي التراب .
3 الجو : المنخفض من الأرض . الحوذان : نبت نوره أصفر .

[281] ـ نسب عديّ بن نَوْفل وخبره

[نسبه]

هو عدِيُّ بن نوفلٍ بن أُسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ . وأُمّه آمنةُ بنت جابر بن سفيان ، أختُ تأبَّطَ شرّاً .

وكان عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه استعمَلَه ، أو عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فيما أُخبرنا به الطُّوسيُّ عن الزُّبير بن بكّار ، على حَضرَمَوْت .

قال الزُّبير : ودارُ عديٌّ بن نوفلٍ بين المسجد والسُّوق معروفة ، وفيها يقول إسماعيل بن يسار النّسائيّ : [من الخفيف]

إنَّ مَمْشاكِ نحوَ دارِ عديٍّ ... كان للقلب شِقوةً وفُتونا
إذْ تراءت على البلاطِ فلمّا ... واجَهْتها كالشَّمْسِ تُعشي العُيونا
قال هارونُ قِفْ فيا ليتَ أنّي ... كنتُ طاوعتُ ساعةً هارونا

وقد قيل إنّ هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة[1] .

[نشوز امرأته]

قال الزُّبير : كان تحتَ عدِيّ بن نوفلٍ أُمُّ عبد الله بنت أَبي البَخْترِيّ بن هاشم بن الحارث بن أسدِ بن عبد العُزّى ، فغاب مدّةً وكتب إليها أن تَشخَص إليه ، فلَم تَفعلْ ، فكتبَ إليها قولَه : [من الهزج]

إذا ما أُمُّ عبد اللّـ ... ـهِ لَم تَحلل بواديه

وذكر البيتين فقط ، فقال لها أخوها الأسودُ بن أَبي البَخْتريّ ، وهما لأبٍ وأُمّ ، أُمُّهما عاتكة بنت أُميّة بن الحارث بن أَسَد بن عبد العُزّى : قد بلغ الأَمرُ هذا من ابن عَمّك . فاشخَصي إليه .

1 الأبيات، في ديوان عمر (صادر) : 431 .

صوت

[من المتقارب]

أعينيَّ جُــودا ولا تَجمُدا ... أَلا تبكيــانِ لصَخْرِ النَّدى
أَلا تبكِيانِ الجرِيَّ الجميلَ ... أَلا تبكيانِ الفَتى السيِّدا

الشعر للخنساء بنت عمرٍو بن الشَّريد ، ترثي أُخاها صخراً ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، ثقيلٌ أوّل مطلق في مَجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيه لابن سُريج خفيفُ رملٍ بالوُسطى ، عن عمرو ، والهشاميّ ، وحَبَش .

[282] ـ نسب الخنساء وخبرها[1] وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية

[نسب الخنساء]

هي الخنساء بنت عَمرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر . واسمُها تماضر .

[شعر دريد بن الصمة فيها]

والخنساء لقبٌ غَلَبَ عليها ، وفيها يقول دُريد بن الصِّمَّة ، وكان خَطَبها فردّته ، وكان رآها تَهْنأ بعيراً[2] : [من الكامل]

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعُوا صَحبِي وقِفُوا فإنَّ وقوفَكم حسبي
أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم وأصابَه تَبْلٌ من الحُبِّ[3]
ما إن رأيتُ ولا سَمِعتُ بِهِ كاليومِ طالي أينُقٍ جُربِ
متبذِّلاً تبدو محاسنُه يضع الهِناءَ مواضِعَ النُّقْبِ

قال أبو عبيدة ومحمّد بن سلاّم : لمّا خطبها دُريدٌ بعثت خادماً لها وقالتْ : انظري إليه إذا بالَ ، فإن كان بولُه يَخرِق الأرض ويخدُّ فيها ففيه بقيّة ، وإن كان بولُه يَسيح على وجهها فلا بقيّةَ فيه . فرجعَتْ إليها وأخبَرَتْها ، فقالت : لا بَقِيّة في هذا . فأرسلَتْ إليه : ما كنتُ لأَدَعَ بني عمِّي وهم مثلُ عوالِي الرّماح ، وأتزوَّجَ شيخاً ! فقال[4] : [من الوافر]

وقاكِ اللهُ يا ابنةَ آل عمرو مِنَ الفتيانِ أشباهِي ونَفْسي
وقالت إنّني شيخٌ كبيرٌ وما نَبّأتها أنّي ابنُ أمْسِ

1 ترجمة الخنساء في الشعر والشعراء : 260–264 وشرح شواهد المغني : 89 وخزانة البغدادي 1 : 433–438 وكتب الصحابة وراجع بروكلمان 1 : 164–165 وقد طبع ديوانها مرات عديدة وآخرها بشرح ثعلب تحقيق د . أنور أبو سويلم (ط . دار عمار) وفيه تخريج كثير واستقصاء للروايات .

2 ديوان دريد : 34 .

3 التبل : السقام .

4 ديوان دريد : 82 .

فـلا تلِدِي ولا يَنكحْكِ مثلي إذا مـا ليلـة طَرَقَتْ بِنَحْسِ
تريـدُ شَرَنْبَثَ القدمـينِ شَثْناً يُباشِرِ بـالعَشِيَّة كلَّ كِرسِ [1]

فقالت الخنساء تُجيبه [2] : [من الوافر]

مَعـاذ اللهِ ينكِحُنِي حَبَرْكـى يُقال أَبـوه من جُشَمَ بنِ بَكرِ [3]
ولَو أصبحتُ في جُشَم هَدِيّاً إذاً أَصبحتُ في دَنَس وفقـرِ

وهذا الشعر [4] ترثي به أَخاها صخراً وقتله زيدُ بن ثَورٍ الأسديّ يوم ذي الأَثْل .

[مقتل صخر]

أَخبرنا بالسببِ في ذلك محمد بن الحسن بن دُريد ، عن أبي حاتم ، عن أَبي عبيدة ، وأضفتُ إليه روايةَ الأثرم عن أَبي عبيدة قال [5] : غزا صَخْر بن عمرو ، وأَنس بن عَبّاسٍ الرِّعْلِيُّ في بني سُلَيم ، بني أسد بن خزيمة ، قال أبو عبيدة : وزعم السُّلَميّ أنّ هذا اليوم يقال له يوم الكُلاب ويومُ ذي الأَثْل ، في بني عوفٍ وبني خُفاف . وكانا متساندِين ، وعلى بني خُفافٍ صخرُ بن عمرٍو الشَّريديّ ، وعلى بني عوفٍ أنسُ بن عبّاس . قال : فأَصابوا في بني أسدِ بن خزيمة غنائِمَ وسَبْياً ، وأَخذ صخرٌ يومئذٍ بُدَيلَة امرأةٌ . قال : وأصابت صخراً يومئذٍ طعنةٌ ، طعنه رجلٌ يقال له ربيعة بن ثَور ، ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفَه حَلَقاً من الدِّرع فاندملَ عليه حتّى شُقَّ عنه بعد سنين ، وكان سبب موته .

قال أبو عبيدة : وقال غيره : بل وردَ هو وبلعاءُ بن قيسٍ الكنانيّ . قال : وكانا أَجملَ رجلين في العرب . قال : فشرِبا عند يهوديٍّ خمّارٍ كان بالمدينة . قال : فحسدَهما لِما رأى من جمالهما وهيأتهما ، وقال : إنّي لأحسد العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذين ! فسقاهما شَربةً جَوِيا منها [6] . قال : فمرَّ بصخرٍ طبيبٌ بعد ما طال مرضُه ، فأَراه ما به ، فقال : أَشُقُّ عنك فتُفيق . قال : فعمَد إلى شِفارٍ فجعل يَحميها ثم يشقُّ بها عنه ، فلَم يَنْشَبْ أن مات .

قال أَبو عبيدة : وأمّا أَبو بلال بن سهم فإنّه قال : اكتَسح صخرٌ أَموال بني أسدٍ وسَبى

1 شرنبث القدمين : غليظهما . والشثن : الغليظ . والكرس : أَبوال الغنم وأبعارها .
2 ديوانها : 372 وفيه : .
معـاذ الله يرضعنـي حبركـى قصير الشبر من جسم بن بكر
3 الحبركى : الطويل الظهر القصير الرجلين .
4 يعني الشعر الذي فيه الغناء .
5 انظر أيام العرب في الجاهلية : 399 .
6 جوي : أصابه الجوى ، وهو السل وتطاول المرض ودار في الصدر .

نساءَهم ، فأَتاهم الصَّريخُ فتبِعوه فتلاحَقُوا بذات الأَثْل ، فاقتتلوا قتالاً شدِيداً ، فطعن ربيعةُ بن ثورٍ الأسديُّ صخراً في جَنْبه ؛ وفات القومَ فلَم يُقْعَص[1] وجَوِي منها ، ومرِض قريباً من حولٍ ، حتّى ملَّه أَهله . قال : فسمع صخرٌ امرأةً وهي تسأَل سَلمى امرأَةَ صخر : كيف بَعلُك ؟ فقالت سلمى : لا حيٌّ فيُرجى ، ولا مَيْت فيُنعى[2] ، لقِينا منه الأَمَرَّين !

قال : وزعم آخر أنّ التي قالت هذه المقالةَ بُديلةُ الأسديّة التي كان سباها من بني أَسد فاتَّخذَها لنفسه . فأَنشَدَ هذا البيت[3] : [من الطويل]

أَلا تلكُمُ عِرسي بُدَيلةُ أوجَسَتْ　　فِراقي ومَلَّت مَضجَعِي ومكانِي

وأَمّا أَبو بلال بن سهم فزَعم أنّ صخراً حين سمع مقالَةَ سَلْمى امرأته قال : [من الطويل]

أَرى أُمَّ صخرٍ لا تملُّ عيادتي　　ومَلَّتْ سُلَيْمى مَضجعِي ومَكانِي
وما كنتُ أَخشى أَن أَكونَ جِنازةً　　عليكِ ومَن يغترُّ بالحَدَثانِ
أَهُمُّ بأَمرِ الحَزْمِ لو أَستطيعُه　　وقد حِيلَ بين العَيرِ والنّزَوانِ[4]
لَعَمري لقد نَبَّهتِ مَن كان نائماً　　وأَسمعتِ مَن كانت لهُ أُذُنانِ
ولَلموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنَّها　　مَحَلَّةُ يعسوب برأسِ سنانِ
وأيُّ امرىءٍ ساوى بأُمٍّ حليلةً　　فلا عاشَ إلاَّ في شَقاً وهَوانِ

فلمّا طال عليه البلاءُ وقد نتأت قطعةٌ مثل اللِّبْد في جنبه في موضع الطَّعنة ، قالوا له : لو قطعتَها لرَجونا أن تبرأ . فقال : شأنكم . فأَشفقَ عليه بعضُهم فنهاهم ، فأَبى وقال : الموتُ أَهوَنُ عليَّ مِمّا أنا فيه ! فأَحمَوْا له شَفرةً ثم قطعوها فيَئِسَ من نفسه .

قال : وسمع صخرٌ أختَه الخنساءَ تقول : كيف كان صبرُه ؟ فقال صخرٌ في ذلك : [من الطويل]

أَجارَتنا إنّ الخطوبَ تنُوب　　على النّاس ، كلَّ المخطئين تُصِيبُ
فإن تسأَليني هَلْ صبرتَ فإنَّني　　صَبورٌ على رَيْبِ الزّمانِ صَليبُ
كأنِّي وقد أدنَوْا إليَّ شِفارَهم　　من الصَّبرِ دامِي الصَّفْحتينِ رَكوبُ

1 لم يقعص : لم يمت مكانه .
2 المثل «لاحي فيرجى ولا ميت فينسى» في مجمع الميداني 2 : 241 .
3 انظر ديوان الخنساء : 362 .
4 المثل «قد حيل بين العير والنزوان» في مجمع الميداني 2 : 96 وجمهرة العسكري 1 : 371 والدرة الفاخرة 2 : 20 .

أجارَتنـا لستُ الغـداةَ بظاعـنٍ ... ولكنْ مقيـمٌ مـا أقـامَ عسيبُ

عن أبي عبيدة : عَسِيبٌ : جبلٌ بأرض بني سُلَيم إلى جنب المدينة ، فقبرُه هناك مَعْلَم .

وقال أبو عبيدة : فمات فدُفِنَ هناك ، فقبره قريبٌ من عَسيب .

[مراثي الخنساء في صخر]

فقالت الخنساء ترثيه[1] : [من المتقارب]

ألا مـا لعينِكَ أم مالَهـا ... لقـد أخضَلَ الدَّمعُ سِرْبالَها

ابعدَ ابنِ عمرٍو من آل الشَّريـ ... ـدِ حَلَّتْ بِهِ الأرض أثقالَها

فإن تَـكُ مُـرَّةُ أودَتْ بِهِ ... فقـد كان يُكثِـر تَقتـالَها

سأحمِلُ نفسي على خُطّـةٍ ... فإمّـا عليهـا وإمّـا لها

فإنْ تصبر النّفسُ تلقَ السُّرورَ ... وإنْ تجزع النفسُ أشقى لها

غنّى فيه ابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبِنصِر .

قال السُّلميّ : ليست هذه في صخر ، هذه إنّما رثت بها معاويةَ أخاها ، وبنو مُرّة قتلَتْه . ولكنّها قالت في صخر[2] : [من البسيط]

قَـذًى بعَينِـكَ أم بالعَيْنِ عُـوّارُ ... أم أقفرَتْ إذْ خلَتْ من أهلِها الدّارُ

تبكي لصخرٍ، هي العَبْرى وقد ثَكِلَتْ ... ودونَه مـن جَديـد التُّرب أستارُ

لا بُـدَّ مـن ميتةٍ في صَرفِها غِيَرٌ ... والدَّهـرُ في صَرفِـهِ حَولٌ وأطوارُ

يـا صخرُ وَرّادَ ماءٍ قـد تناذَرَه ... أهـلُ المواردِ ما في وِرده عارُ

مَشْيَ السبنتى إلى هيجاءَ مُعضِلَةٍ ... لـه سلاحـانِ أنيـابٌ وأظفارُ[3]

فمـا عَجُـولٌ على بَـوٍّ تُطيفُ بِهِ ... لهـا حنينـانِ إصغـارٌ وإكْبارُ[4]

ترتَعُ مـا رتَعتْ حتّى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنّمـا هِـيَ إقبـالٌ وإدبارُ

لا تَسمَنُ الدَّهرَ في أرضٍ وإنْ رتَعَت ... فإنّمـا هِـي تَحنـانٌ وتَسجارُ[5]

---

1 ديوانها : 78 .

2 ديوانها : 378 ورواية المطلع فيه :

ما هـاج حزنك أم بالعين عـوار ... أم ذرّفت أم خلت من أهلها الدار

3 السبنتى : النمر والجرىء .

4 أي بصوت خفيف ومرتفع .

5 التسجار : مد الناقة صوتها في الحنين .

يوماً بأوجَدَ منّي يومَ فارقَني صخرٌ وللدّهرِ إحلاءٌ وإمرارُ
فإنّ صخراً لوالينا وسيِّدُنا وإنّ صخراً إذا نَشتُو لنحّارُ
وإنْ صخراً لتأتمُّ الهداةُ بهِ كأنّه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

غنّى في هذين البيتين الأوّلين ابنُ سُريج ، من رواية يونس : [من البسيط]

لَم تَرَهُ جارةٌ يمشي بساحَتِها لِريبةٍ حين يُخلِي بيتَه الجارُ
ولا تراهُ وما في البيت يأكلُه لكنّه بارزٌ بالصَّحْنِ مِهمارُ[1]
مثلُ الرُّدَينيِّ لَم تنفَدْ شبيبتُهُ كأنّه تحتَ طَيِّ البُرد أُسوارُ
في جوفِ رمسٍ مُقيم قد تضمَّنَه في رِمسِهِ مُقْمَطِرّاتٌ وأحجارُ
طَلْق اليدين بِفعلِ الخير ذو فَجَرٍ ضَخْم الدَّسيعة بالخيراتِ أمّارُ
ورُفقةٍ حارَ هاديهم بمهلِكةٍ كأنَّ ظلمتَها في الطَّخْيةِ القارُ

عروضه ثانٍ من البسيط .

العُوّار والعائر : وجَع ، وهو مثل الرمد . وذَرَّفَتْ : قطرَت قطراً متتابعاً لا يبلغ أن يكون سَيلاً . والعَبْرى ، يقال امرأة عَبْرى وعابِرٌ . والعَبرة : سُخنة العين . والولَه : ما يصيب الرجلَ والمرأة من شدّة الجزَع على الولد . حَوْل وأطوار ، أي تحوُّلٌ وتقلُّبٌ وتصرُّفٌ . قد تناذَرَه ، أي أنذر بعضُهم بعضاً هَوْلَه وصعوبته . ويروى : «تبادره» . وقولها «ما في وِرده عار» أرادت ما في ترك وِرده عار ، أي لا يُعيَّر أحدٌ إنْ عجز عنه من صعوبةِ وِرده . العَجُول : الثَّكول . والبَوُّ : أن يُنحَر ولدُ الناقة ويؤخَذ جلدُه فيُحشى ويُدنى من أُمِّه فترأمَه . إحلاءٌ وإمرار ، يقال : ما أَحلى ولا أَمَرَّ ، أي ما أَتى بحلوةٍ ولا مُرّةٍ . والمعنى أنّ الدّهرَ يأتي بالمشقّة والمحنة . «كأنّه علَمٌ في رأسِهِ نار» أي إنّه مشهور . والعَلَم : الجبل ، وجمعه أعلام . «كأنّه تحتَ طيِّ البُرد أُسوار» ، أي من لطافة بَطنِهِ وَهَيَفِهِ شبيه أسوارٍ من ذهب . والرديني : الرمح منسوب إلى رُدَينة : امرأةٍ كانت تقوِّم الرماح . أي هو معصوب البدَن ليس بمهبَّج منحَلٍّ . وهذا كلّه من انتفاخ الجلد والسِّمَن والاسترخاء . وقال أبو عمرو : مُقْمطِرّات : صخورٌ عظام . والأحجار صِغار . ذو فَجَرٍ : يتفجّر بالمعروف . والدَّسيعة : العطاء . الطخية ، من الطخّاء ، وهو الغيم الرقيق الذي يُواري النُّجومَ فيتحيَّرُ الهادي .

وقالت الخنساء أيضاً ترثي صخراً[2] : [من الوافر]

---

1 مهمار : يكثر لأضيافه .

2 ديوانها : 278 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

بكت عيني وعاودَهــا قَذاها بعُــوّارٍ فَمــا تَقضِــي كَراها
على صَخْرٍ وأيُّ فتًى كصخرٍ إذا مــا النابُ لَم تَرأَمْ طَلاها[1]

الطلا : الولد ، أي لم تعطف عليه من الجدب .

فتــى الفتيانِ مــا بلغوا مَداها ولا يُكدِي إذا بلغت كُداها[2]
لئن جزِعت بنو عمــرٍو عليــه لقــد رُزِئت بنو عمــرٍو فتاها
حلفت بربّ صهب معملات إلى البيــت المحــرم فنهــاها[3]

غنّى في هذه الأبيات ابنُ جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر حبشٌ أنّ له أيضاً فيه خفيف رمل بالبنصر .

لــه كــفّ يشقّ بهــا بخلب وأخرى ما يجف ثرى نداها[4]
ترى الشمّ الجَحاجحَ من سُليم وقــد بَلَّــتْ مدامِعُها لِحاها

إذا وُصِف السيد بالشمم فإنّه لا يدنو لدناءة ، ولا يضع لها أَنفَه .

وخَيلٍ قد كففتَ بجَوْل خيلٍ فدارَتْ بــين كبشَيها رحاها[5]

وجَول خيلٍ : جَوَلان . ويقال : قطعةُ خيلٍ تجول ، أي تذهب وتجيء .

ترفّــع فَضــلَ سابغــةٍ دِلاصٍ على خَيفانــةٍ خِفــقٍ حَشاها[6]
وتسعى حينَ تشتجِرُ العوالِي بكأسِ الموتِ ساعةَ مُصطلاها
محافَظَــةً ومَحمِيَــةً إذا مــا نَبا بالقومِ مــن جَزَعٍ لَظاها[7]
فتتركُها قــد اشتجرتْ بطعنٍ تضمَّنُه ، إذا اختلفت ، كُلاها
هُنالك لـو نزلتَ بآل صخــرٍ قَرى الأَضيافَ سُخناً من ذُراها[8]

1 الناب : الناقة المسنة .
2 يكدي : يبخل عند السؤال . والكدية : الأرض الصلبة . أي إذا أجدبوا وأعسروا .
3 الصهب : الإبل في ألوانها صهبة ، أي بياض مختلط بحمرة . والمعملات : التي تعمل في السير .
4 رواية الديوان :

لــه كــف يشدّ بهــا وكفّ تجود فمــا يجف ثرى نداها

5 الكبش : الرئيس .
6 الخيفانة : الفرس الخفيفة السريعة .
7 المحمية : الحمية والأنفة .
8 الذرى : أسنمة النوق . وفي الديوان «شحماً من ذراها» .

فمن للضَّيفِ إن هبّت شَمالٌ مُزعزِعةٌ يجاوبُها صَداها
وألجأ بردُها الأشْوالَ حُدْباً إلى الحَجَراتِ بارزةٌ كُلاها[1]
أمطعِمَكم وحامِلَكم تَركْتمْ لدى غَبراءَ منهدمٍ رَجاها
لَيَبكِ عليكَ قومُكَ للمعالي وللهيجاءِ إنّكَ ما فتاها[2]
وقد فَوَّزْتَ طَلْعَةَ فاستراحَتْ فليتَ الخيلَ فارِسُها يراها[3]

وقال خُفافَ بن عُميرٍ يرثي صخراً ومعاوية ابنَيْ عمرو ، ورجالاً منهم أُصيبوا[4] : [من الوافر]

تطاول همُّه بِبِراقِ سُعرٍ لذِكراهُمْ وأيُّ أوانِ ذِكرِ[5]
كأنّ النارَ تُخرِجها ثيابي وتَدخلُ بعد نومِ الناسِ صدري
لَباتت تضربُ الأمثالَ عندي على نابٍ شَرِبْتُ بها وبَكْرِ[6]
وتَنْسى من أُفارقُ غيرَ قالٍ وأُصبر عنهمُ مِنْ آل عمرِو
وهل تدرين أنْ ما رُبَّ خرقٍ رُزئتُ مبرّأ بقِصاصِ وترِ[7]
أخِي ثقةٍ إذا الضَّرَّاءُ نابت وأهلِ حِباءِ أُضيافٍ ونحرِ
كصخرٍ للسَّرِيَّةِ غادروه بذِروة أو معاويةَ بن عمرو[8]
ومَيْتٍ بالجَنابِ أثَلَّ عرشي كصخرٍ أو كعمرٍو أو كبشرِ[9]
وآخرَ بالنواصِفِ من هدامٍ فقد أودى وربٌّ أبيك صَبري[10]
فلم أرَ مثلَهم حَيّاً لَقاحاً أقاموا بين قاصيَةٍ وحَجْرِ[11]

---

1 الأشوال : النوق التي خفّ لبنها . حدب : مقوسات الظهر من الهزال . والحجرات : خطائر الإبل .
2 ما فتاها : ما زائدة .
3 طلعة : اسم فرسه . وفوزت : أهلكتها حزناً .
4 ديوان خفاف بن ندبة رقم 5 ص 49 .
5 سعر : جبل . والبراق : الحجارة والرمل .
6 شربت بها : بعتها وشربت بثمنها .
7 الخرق : الفتى الكريم السخي .
8 ذروة : موضع .
9 الجناب : موضع .
10 النواصف : موضع .
11 الحي اللقاح : الذين لم يدينوا للملوك ولم يصبهم سباء .

أشدَّ عـلى صُروف الدَّهرِ إدّاً وآمَـرَ منهـم فيهـا بِصَبْرِ[1]
وأكرَم ، حين ضَنَّ الناسُ ، خِيَما وأحمـد شِيمةً ونَشِيلَ قِدرِ[2]
إذا الحسناء لم ترحَضْ يَدَيْهـا ولم يُقصَر لهـا بَصَرٌ بسترِ
قَـرَوْا أضيافَهم رُبَحـاً ببُحٍّ تجـيءُ بعبقريٍّ الوَدقِ سُمرِ[3]
رماح مثقّـفٍ حَملتْ نِصالاً يَلُحْـنَ كأنّهُـنّ نجومُ فجرِ
جَلاها الصَّيقَلون فأخلَصُوها مواضِـيَ كلُّهـا يَفْرى ببترِ
همُ الأيسارُ إن قَحَطت جُمادى بكـلِّ صَبير سارِيةٍ وقَطرِ[4]
يَصُدّونَ المغيرةَ عـن هَواهـا بطعنٍ يَفلِـقُ الهامـاتِ شَزرِ[5]
تعلَّـمَ أنّ خيرَ النـاسِ طُـرّاً لوِلـدانٍ ، غـداةَ الريحِ ، غُبرِ
وأرملـةٍ ومُعتـرٍّ مُسِيـفٍ عديـم المال ، عِجزةُ أُمٍّ صخرِ[6]

ومِمّا رثت به الخنساء صخراً وغُنِّيَ فيه[7] : [من المتقارب]

صوت

أعَينيَّ جُـودا ولا تَجمُـدا ألا تبكيـانِ لصخرِ النَّدى
ألا تَبكيانِ الجـريءَ الجميلَ ألا تبكيـان الفتـى السيِّدا
طويـلُ النِّجادِ رفيـعُ العِما دِ ساد عشيرتَـه أمْـرَدا
إذا القـومُ مَـدُّوا بأيديهـمُ إلى المجـدِ مَـدَّ إليـهِ يدا
فنـال الذي فـوقَ أيديهمُ من المجدِ ثـمَّ مضى مُصْعِدا
يحمِّلُـه القـومُ مـا عالَهـم وإن كان أصغرَهـمْ مَولدا

1 الإد : الداهية .
2 الخيم : الطبع .
3 الربح : الفصيل أو الشحم . والبح : قداح الميسر . ولعلّه يقصد ما يربحونه بالميسر .
4 الأيسار : جمع يَسَر وهم الذين يقتمسون بالميسر . والصبير : السحاب .
5 المغيرة : الخيل المغيرة . والطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .
6 المعتر : المعترض للمعروف . والمسيف : الفقير المعدم . والعجزة : آخر الأولاد .
7 ديوانها : 142 مع اختلاف في الرواية والترتيب .

تـــرى المجـدَ يهوِي إلى بيته يرى أفضلَ المجدَ أن يُحمدا[1]
وإن ذُكِـرَ المجــدُ ألفيتَــه تــأزَّرَ بالمجـدِ ثـمَّ ارتـدى

[خبر مقتل معاوية بن عمرو]

ونذكر الآنَ هاهنا خبرَ مقتل معاوية بن عمرو أخيهما ، إذْ كانت أخبارهما وأخبارها يدعو بعضُها إلى بعض .

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو بلال بن سهم بن عبّاس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور قال : غزا معاوية بن عمرو ، أخو خنساء ، بني مرّة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة ، ومعه خُفاف بن عمير بن الحارث ، وأمّه «نُدبة» سوداء ، وإليها ينسب ، فاعتَوره هاشمٌ ودريد ابنا حَرملة المرّيّان . قال ابن الكلبيّ : وحرملة هو حرملة بن الأسعر بن إياس بن مُرَيطة بن ضَمرة بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان . قال أبو عبيدة : فاستطردَ له أحدُهما ثم وقف ، وشدَّ عليه الآخرُ فقتلَه ، فلمّا تنادَوْا : قُتِلَ معاوية ! قال خُفاف : قتلني الله إنْ رِمتُ حتّى أثأرَ بِهِ ! فشدَّ على مالك بن حِمارٍ الشمخيّ ، وكان سيّد بني شَمْخ بن فزارة ، فقتله . قال : وهو مالك بن حمار بن حزن بن عمرو بن جابر بن عَقيل بن هلال بن مازن بن فزارة . فقال خفاف في ذلك : [من الطويل]

فإنْ تَكُ خيلي قد أُصِيبَ صميمُها فعَمْـداً على عَـينٍ تيمّمتُ مالِكا

يعني مالك بن حمار الشَّمْخِيّ .

قال أبو عبيدة : فأجمل أبو بِلالٍ الحديث . قال : وأمّا غيره فذكر أنّ معاوية وافى عكاظَ في موسم من مواسم العرب ، فبينا هو يمشي بسُوق عُكاظ ، إذ لقيَ أسماءَ المرّيّة ، وكانت جَميلةً ، وزعم أنّها كانت بغيّاً ؛ فدعاها إلى نفسه فامتنعَتْ عليه وقالت : أمَا علمتَ أنّي عند سيِّد العرب هاشم بن حَرمَلَة ؟! فقال : أما والله لأقارعنَّه عَنْكِ . قالت : شأنَكَ وشأنَه . فرجعَتْ إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له ، فقال هاشم : فلَعمري لا يَرِيم أبياتَنا حتّى ننظر ما يكون من جَهده . قال : فلمّا خرجَ الشهرُ الحرام وتراجَعَ النّاس عن عكاظ ، خرج معاويةُ بن عمرٍو غازِياً يريد بني مُرّة وبني فزارة ، في فرسانِ أصحابِهِ من بني سُلَيم ، حتى إذا كان بمكانٍ يُدعى الحَوْزة أو الجَوْزة ، والشكّ من أبي عبيدة ، دَوَّمَتْ[2] عليه طيرٌ وسَنَح له ظبيٌ ، فتطيَّر منهما ورجَعَ في أصحابِهِ . وبلغ ذلك هاشمَ بن حَرملة فقال : ما مَنَعه

1 هذا البيت والذي بعده لم يردا في متن الديوان .
2 دوّمت : حلقت .

من الإقدام إلاّ الجُبن ! قال : فلمّا كانت السنة المقبلة غزاهم ، حتّى إذا كان في ذلك المكان سنح له ظبي وغراب فتطيَّر فرجع ، ومضى أصحابُه وتخلّف في تسعةَ عشر فارساً منهم لا يُريدون قِتالاً ، إنّما تخلَّفَ عن عُظْم الجيش راجعاً إلى بلادِهِ . فوردوا ماء وإذا عليه بيتُ شعر ، فصاحوا بأهله فخرجَتْ إليهم امرأةٌ فقالوا : ما أنتِ ؟ مِمّن أنتِ ؟ قالت : امرأةٌ من جُهينة ، أحلاف لبني سهم بن مُرّة بن غطفان . فوردوا الماءَ يَسقُون ، فانسلَّتْ فأتت هاشِمَ بن حَرملَة ، فأخبرته أنّهم غير بعيد ، وعَرَّفته عِدَّتَهم وقالت : لا أرى إلاّ معاوية في القومِ . فقال : يا لَكاعِ ، أمعاويةَ في تسعةَ عشر رجلاً ، شبَّهتِ أو أبطَلتِ . قالت : بل قلتُ الحقَّ ، ولئن شئتَ لأصِفَنَّهمُ لكَ رجلاً رجلاً . قال : هاتِي .

قالت : رأيت فيهم شابّاً عظيم الجُمَّة ، جبهتُه قد خرجَتْ من تحت مِغفره ، صبيحَ الوجه ، عظيمَ البطن ، على فرسٍ غرّاء . قال : نعم هذه صفتُه . يعني معاويةَ وفرسَه الشَّمَّاء .

قالت : ورأيتُ رجلاً شديد الأُدْمة شاعراً يُنشِدهم . قال : ذلِكِ خُفاف بن عمير .

قالت : ورأيتُ رجلاً ليس يبرح وَسْطَهم ، إذا نادَوْه رفَعوا أصواتهم . قال : ذاكِ عبّاسٌ الأصمّ .

قالت : ورأيتُ رجلاً طويلاً يكنّونه أبا حبيب ، ورأيتُهم أشدَّ شيءٍ له توقيراً . قال : ذاكِ نُبَيشة بن حبيب .

قالت : ورأيت شابّاً جميلاً له وَفرةٌ حسنَة . قال : ذاكِ العبّاس بن مِرداس السُّلَميّ .

قالت : ورأيتُ شيخاً له ضَفيرتان ، فسمعته يقولُ لمعاوية : بأبي أنتَ أطلتَ الوقوف ! قال : ذاكِ عبد العُزَّى زوج الخنساء أُختِ معاوية .

قال : فنادى هاشمٌ في قومه وخرج ، وزعم المريُّ أنّه لم يخرج إليهم إلاّ في مثل عِدّتهم من بني مرّة . قال : فلم يشعر السُّلميّون حتّى طلعوا عليهم ؛ فثاروا إليهم فلقُوهم فقال لهم خُفاف : لا تنازلُوهم رجلاً رجلاً ؛ فإنَّ خيلَهم تثبُت للطِّراد وتحمل ثِقْل السلاح ، وخيلَكم قد أَمَنَّها[1] الغزوُ وأصابها الحَفا .

قال : فاقتتلوا ساعةً وانفرد هاشم ودريدٌ ابنا حرملة المريان لمعاوية ، فاستطرد له أحدُهما فشدَّ عليه معاويةُ وشَغَله ، واغترّهُ الآخَرُ فطعنه فقتَله . واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيّهما قتله ، وكانت بالذي استطرد له طعنةٌ طعنَهُ إيّاها معاوية . ويقال : هو هاشم . وقال آخرون : بل دريد أخو هاشم .

1 أمنّها : ذهب بمنّتها ، أي أضعفها وأعياها .

قال : وشدّ خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد على مالك بن حمار سيِّدِ بني شَمْخ بن فَزارة فقتله . وقال خفاف في ذلك وهو ابن نُدبة ، وهي أَمَةٌ سوداءُ كانت سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب فوهبها لابنه عُمير فولدت له خفافاً . ويقال في نُدبة إنّها ابنة الشيطان بن بنان ، من بني الحارث بن كعب . فقال[1] : [من الطويل]

أقـولُ لـــه والرّمْحُ يأطِـرُ مَتْنَهُ ... تأمّــلْ خُفافــاً إنّني أنا ذلكا[2]
وقفتُ له جَلْوى وقد خامَ صُحبتي ... لأبنِــيَ مجـداً أو لأثأر هالكا[3]
لدُن ذرّ قرنُ الشّمس حين رأيتُهم ... سراعــاً على خيلٍ تـؤمُّ المسالِكا
فلمّــا رأيتُ القــوم لا وُدَّ بينهمْ ... شَريجَين شتّى طالِبـاً ومُواشِكا[4]
تيمّمتُ كبشَ القــومِ حتّى عرفتُه ... وجانَبتُ شُبّانَ الرِّجالِ الصّعالِكا
فجادت لــهُ يُمنى يَـدَيَّ بطعنةٍ ... كسَتْ متنَهُ من أسودِ اللّونِ حالِكا
أنا الفارسُ الحامِي الحقيقةِ والذي ... بِــهِ أُدْرِكُ الأبطال قِدمـاً كذلكا
فــإنْ يَنــجُ منهــا هاشمٌ فبطعنةٍ ... كَسَتْه نجيعاً من دمِ الجوفِ صائِكا[5]

[مراثي الخنساء في معاوية]

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية[6] : [من الطويل]

ألا لا أرى في الناس مثلَ معاويهْ ... إذا طَرَقَتْ إحـدى الليالي بداهيَهْ
بداهيةٍ يُصغِي الكلابَ حسيسُها ... وتُخرِج مـن سِرٍّ النجـيٍّ عَلانيَهْ[7]
ألا لا أرى كفارسِ الوَرْدِ فارساً ... إذا مــا عَلَتْــهُ جُـرْأةٌ وغَلابِيَهْ[8]
وكان لِزازَ الحربِ عنــد شُبوبها ... إذا شَمَّرت عن ساقها وهي ذاكيَهْ
وقَوّادَ خيــلٍ نحــوَ أخرى كأنّها ... سَعــالٍ وعِقبــانٌ عليها زَبانِيَهْ[9]

1 ديوان خفاف : 64–69 .
2 يأطره : يعطفه ويثنيه .
3 جلوى : اسم فرسه ، وفي رواية : علوى . وخام : جبن ونكص .
4 شريجان : قسمان . المواشك : المسرع .
5 الدم الصائك : الجامد واللازق .
6 ديوانها : 58 مع اختلاف كبير في الرواية والترتيب .
7 يصغي : يجعلها تنتبه وتصغي . والنجي : المتناجون .
8 الورد : فرسه . وفي الديوان : الجون . والغلابية : القهر والغلبة .
9 السعالي : جمع سعلاة ، وهي الغول .

بلينا ومـا تبـلى تَعارُ ومـا تُرى ... على حـدث الأيّامِ إلاّ كما هيَهْ[1]
فأقْسمْتُ لا ينفكُّ دمعِي وعَولتي ... عليكَ بحزنٍ مـا دَعـا اللهَ داعيَهْ

وقالت الخنساء في كلمة أُخرى ترثيه أيضاً : [من المتقارب]

ألا مـا لعينيـكِ أَمْ ما لَهـا ... لقـد أخضَلَ الدّمـعُ سربالَها
أبعـد ابنِ عمرٍو منَ آل الشريـ ... ـدِ حَلَّت بـه الأرضُ أثقالها
وأقسمـتُ آسى على هالـك ... وأسأَلُ نائحـةً مالهَـا
لتأتِ المنيّـة ـ بعـد الفتى ... المغـادَر بالمحـو ـ أذلالهـا
سأحمـلُ نفسي عـلى آلـة ... فإمّـا عليهـا وإمّـا لها
همـت بنفسي كل الهموم ... فـأولى لنفسي أولى لهـا
وخيـل تكدّس مشي الوعو ... لِ نازلتَ يوم الكريهة أبطالها
نُهِـينُ النفوسَ وهُـون النّفو ... سِ يـوم الكريهة أَبقـى لها
ورجراجـةٍ فوقَهـا بيضُهـا ... عليهـا المضاعَـفُ زِفْنا لها[2]
ككِرفئةِ الغَيثِ ذات الصَّبيـ ... ـرِ تَرمِي السحابَ ويَرمِي لها
وقافيـةٍ مثـل حـدِّ السِّنا ... ن تبقـى ويَهلِكُ مَـن قالها
نطقـتَ ابن عَمرو فسهَّلتَها ... ولَـم يَنطِـق الناسُ أَمثالَها
فإن تـكُ مُـرَّةُ أودَتْ بـهِ ... فقـد كان يُكثـر تَقتـالها
فـزالَ الكواكِبُ مِـن فَقدِهِ ... وجُلِّلـت الشمسُ أَجلالَهـا
وداهيـةٍ جَرَّهـا جـارمٌ ... تُبيـل الحَواصـنَ أَحبالهـا[3]
كفاها ابنُ عمرٍو ولَم يَستَعِنْ ... ولَـوْ كان غيرُكَ أَدنـى لَها
وليس بـأَولى ولكنّـه ... سيَكفِـي العشيرةَ مـا عالَها
بمعتَـرَكٍ ضَيِّـقٍ بينَـه ... تجُـرُّ المنيّـةُ أَذيالَهـا
وبِيضٍ مَنعـتَ غـداةَ الصّبا ... حِ تكشف للـرَّوع أذيالهـا

---

1 تعار : اسم جبال .
2 الرجراجة : الكتيبة . زفنا : أسرعنا .
3 الحواصن من النساء : الحبالى . والأحبال : حمل النساء . أي أنّ الداهية تجعل الحبالى يسقطن حملهنّ من الفزع .

ومُعمَلــةٍ سُقتَهــا قاعــداً فأعلمــت بـالسيف أُغفـالَها
وناجيــــةٍ كأتــانِ الثَّميــ ـلِ غادرت بـالخَلِّ أوصالَها
إلى مَلِــكٍ لا إلى سُوقــة وذلــك مــا كان إعمـالَها
وتمنح خيلَــكَ أرضَ العدوِّ وتَنبِــذُ بالغَــزْوِ أُطفالَهـا
ونَـوحٍ بعثــتَ كمثـل الإرا خِ آنسَتِ العِيـنُ أسبالَهـا[1]

التفسير عن أبي عبيدة : قوله حلَّت به الأرض ، قال بعضهم : حلّت من الحلية أي زيَّنت بهِ الأرضُ موتاها ، حين دفن بها . وقال بعضهم : حَلَّت من حللت الشيء . والمعنى ألقت مَراسِيها ، كأنّه كان ثِقْلاً عليها . قال : اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر ، كما قال جرير : [من الوافر]

ألستم خيرَ مَـن ركِب المطايا وأندى العالَمِين بطــونَ راحِ

قال : جوابُ «أبْعَد» في «آسى» أي أَبعد ابنِ عمرو آسى وأسأل نائحةً مالها . وقال أبو عبيدة : هذا البيت لميّة ضِرار بن عَمرٍو الضَّبّيّة ترثي أخاها . قال أبو الحسن الأثرم : سمعت أبا عمرو الشيبانيّ يقول : أُمور الناس جاريةٌ على أَذلالها ، أي على مسالكها ، واحدها ذِلّ . آلـة : حالة . تقول : فإمّا أنّ أموت وإمّا أن أنجو . ولَو قالت على آلّةٍ لَم تنج ؛ لأنّ الألّة هي الحَرْبَة .

هممت بنفسي ، قال أبو عبيدة : هذا توعد . قال الأصمعيّ : «كلّ الهموم» . قال الأثرم : كأنّها أرادت أن تقتل نفسَها .

أبو عبيدة ؛ التكدّس : التتابع ، يتبع بعضها بعضاً ، أي يغزو ويجاهد في الغزو ، كما تتوقّل الوعولُ في الجبال ؛ عن أبي عبيدة . قال الأصمعيّ : التكدُّس : أن تحرِّك مناكبَها إذا مشَتْ وكأنّها تنصبُّ إلى بين يديها ، وإنّما وصفَتْها بهذا . تقول : لا تسرع إلى الحرب ، ولكنْ تمشي إليها رويداً . وهذا أثبتُ له من أن يلقاها وهو يركض . ويقال : جاء فلان يتكدَّس ، وهي مشيةٌ من مَشي الغِلاظ القِصار . وقال أبو زياد الكلابيّ : الكُداس : عُطاس الضأن . قال السُّلَميّ : التكدُّس : تكدّس الأوعال ، وهو التقحُّم . والتكدّس هو أن يرمي بنفسه رمياً شديداً في جريه . نُهِين النّفوس ، تريد غداةَ الكريهة . وقولها : «أبقى لها» لأنّها إذا تذامرت[2]

1 النوح : جماعة النائحات . والإراخ : البقر . وآنست : أبصرت . العين : الواسعة العيون . والأسبال : جمع سَبَل ، وهو المطر .

2 تذامر القوم : تحاضوا وحثّ بعضهم بعضاً على القتال .

وغشيت القِتال كان أُسلَم لها من الانهزام . كقول بِشر بنِ أَبي خازم : [من الوافر]

ولا يُنجي مــن الغَمَـرات إلاَّ بَــراكاءُ القِتــال أَو الفِــرارُ[1]

قال بعضهم : أَبقى لَها في الذِّكر وحُسن القول . والرجراجة : التي تتمخَّض من كثرتها . وقال الأصمعيّ : الكِرفِئة ، وجمعها كرِفِىءٌ : قِطعٌ من السحاب بعضها فوقَ بعض . وقوله : «ترمي السحاب» أي تنضمُّ إليه وتَّصل به . ويرمي لها ، أي ينضمُّ إليها السَّحاب حتى يستوِي . مثل حدِّ السنان ، لأنّها ماضية . سَهَّلتَها : جئتَ بها سهلة . وجُلِّلت الشمس ، أي كُسِفَت الشمسُ وصار عليها مثل الجُلّ . تُبيل الحواصن ، وهي الحوامِلُ من النِّساء ، أولادَها من شدّة الفزع . أي ما كان وَلِيَها ولا دَنا إليها ، ولكنّه يكفِي القريب والبعيد . ما عالها ، قال أَبو عمرو : عالَها : غلبها . وقال أبو عبيدة : يقال إنَّه ليعولني ما عالَكَ ، أي يغمُّني ما غمّك . ويقال : افعلْ كذا وكذا ولا يَعُلْكَ أن تأتِيَ غيرَه ، أي لا يُعْجِزْك . ويقال : قد يعولك أن تفعَل كذا ، أي قد دنا لك أن تفعل ذاك . وأنشد : [من الرجز]

ضرباً كما تَكَدَّسُ الوُعولُ يَعُــول أَن أُبطِهَــا يَعُولُ

أي قد دنا ذلك . ويقال : عال كذا وكذا منك ، أي دنا منك . ويروى : «وليس بأدنى ولكنّه» . وقولها معملة : إبل . وقولها : قاعداً ، أي على فرسك . قال النابغة[2] : [من الطويل]

قُعوداً على آل الوجيهِ ولاحقٍ

والأغفال : ما لا سِمةَ عليها ، واحدها غُفل . والأتان : الصخرة . والثميل : بقيّة الماء في الصخرة . والخَلُّ : الطريق في الرمل . يقول : أعيَتْ فتركتَها هنالك . ويروى :

غادرتَ بالنَّخْل أَوصالهــا

قال الأصمعيّ : ناجية : سريعة . ويروى : «إلى ملك وإلى شانىء» . تقول : تقود خيلك إلى ملك أو عدوّ . ويروى : «ما كان إكلالها» ما صلة . الإراخ : بقر الوحش . تقول : خَرجت من بيوتهن كما خرجت هذه البقرُ من كُنُسها فرَحاً بالمطر . ومثله في الفرح بالمطر لابنِ الأَحمرِ قولُه : [من البسيط]

ماريّــةٌ لُؤلُؤانُ اللــونِ أَورَدَها طَلٌّ وبَنَّسَ عنها فَرقَـدٌ خَصِرُ[3]

---

1 براكاء القتال : مداومة القتال على الركب .

2 صدر بيت عجزه : يقيمون حولياتها بالمقارع

3 المارية : البقرة الوحشية . ولؤلؤان اللون : براقة اللون . وبنّس : تأخّر . وفرقد : ابنها . والخصر : الذي لحقه البرد .

أي قَوَّى أنفسَها المطرُ ، لمّا رأته . ومثله[1] : [من الوافر]

أَلا هَلَكَ امـــرؤٌ قامَــتْ عليه بجَنْبِ عُنيزَةَ البقَـــرُ الهجودُ

أي لَم يَقَرْنَ في البيوت فتستُرَهنَّ البيوت ، بَل هُنَّ ظَواهرُ . وإنّما شبه اجتماعَ هؤلاء النّساء باجتماع العِين وخُروجِهنّ للمطر . قال : وبَقَر الوحش تفرح بالمطر .

[رثاء دريد لمعاوية]

وقال دُريدٌ يرثي معاوية أخا الخنساء ، لمّا قتلتْه بنو مرّة[2] : [من الوافر]

أَلا بَكرتْ تلومُ بغيرِ قَـدْرٍ فقد أَحْفَيتني ودخلتِ سِترِي[3]
فإنْ لَم تَترُكِي عَذَلِي سَفاهاً تَلُمْـكِ عليَّ نفسُكِ أيَّ عَصرِ
أَسَرَّكِ أن يكونَ الدَّهـرَ هذا عليَّ بشَرِّهِ يغـدو ويسري
وأَلاَّ تُرزَئـــي نفساً ومـــالاً يضرُّك هُلكُه في طُولِ عمري
فقد كذَبَتْكِ نفسُك فاكذبيها فإنْ جزَعٌ وإن إجمالُ صبرِ
وإنَّ الرزء يـومَ وقفتُ أَدعو فلَم أُسمِع معاويـةَ بنَ عمرِو
رأيت مكانَـه فعَرضتُ بَدْءاً وأيُّ مَقيـلِ رُزْءٍ يا ابنَ بكرِ
إلى إرَمٍ وأَحجـارٍ وصِيـرٍ وأغصانٍ من السَّلَماتِ سُمرِ

صِيَر ، الواحدة صيرة ، وهي حظيرة الغنم . وقوله : وأغصان من السلمات ، أي أُلقِيتْ على قبرِهِ .

وبُنيـان القبـور أتـى عليهـا طَوالُ الدَّهر مـن سنة وشهرِ
ولَـوْ أَسمعتِـه لَسَرى حثيثاً سَريعَ السَّعي أو لأتاكِ يجري
بِشكّةِ حـازمٍ لا عيـبَ فيـه إذا لبِسَ الكُماةُ جلـودَ نُمْرِ

أي كأنَّ أَلوانَهم ألوانُ النمور ، سوادٌ وبياض من السلاح . عن أَبي عبيدة .

فإمَّا تمسِ في جَـدَثٍ مقيماً بمَسْهَكَةٍ مـن الأَرواحِ قفرِ[4]
فعَـزَّ عليَّ هُلكُكَ يا ابنَ عمرٍو وما لي عنكَ مـن عَزْمٍ وصبرِ

---

1 البيت لامرأة من بني حنيفة (المفضلية رقم 69) .
2 ديوان ابن دريد : 68–70 وانظر ترجمة دريد .
3 أحفاه : ألحّ عليه في المسألة .
4 المسهكة : ممر الريح . ويقال مسهكت الريح ، أي مرّت مرّاً شديداً .

قال أبو الحسن الأثرم : فلمّا دخل الشهر الحرام ـ فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي بِلال بن سَهم ـ من السَّنَة المقبلة ، خرجَ صخرُ بن عمرو حتّى أتى بني مرّة بن عوف بن ذبيان ، فوقف على ابنَيْ حرملة ، فإذا أحدُهما به طعنةٌ في عَضُده ـ قال : لم يسمِّه أبو بلال بن سهم . فأمّا خُفاف بن عُمير فزعم في كلمته تلك أنَّ المطعون هاشم ـ فقال : أيُّكما قَتل أخي معاويةَ ؟ فسكتا فلَم يُحيرا إليه شيئاً ، فقال الصَّحيح للجريح : ما لكَ لا تُجيبه ؟ فقال : وقفتُ له فطعَنَني هذه الطعنة في عضدي ، وشدَّ أخي عليه فقتلَه ، فأيَّنا قَتلتَ أدركتَ ثارَك ، إلاَّ أنا لم نَسْلُبْ أخاك . قال : فما فعلَتْ فرسُه الشَّمَّاء ؟ قال : ها هي تلك خُذْها . فردّها عليه فأخذَها ورجع ، فلمّا أتى صخرٌ قومه قالوا له : اهجُهُم . قال : إنَّ ما بيننا أجلُّ من القَذَع ، ولَو لَم أكفُفْ نفسي إلاّ رغبةً عن الخَنا لفعلت .

وقال صخرٌ في ذلك : [من الطويل]

وعاذلــة هَبَّــتْ بليــل تلومنــي ... ألا لا تلوميني كَفَـى اللومَ ما بِيا

قال : أراد تباكره باللّوم ، ولَم يرِد الليلَ نفسه ، إنّما أراد عَجَلَتَها عليه باللّوم ، كما قال النمر بن تَولب العُكْليّ :

بَكَــرتْ باللَّــوم تلحانا

وقال غيره : تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفِعل المكارم ، والأضياف ، والنظرِ في الحَمالات وأُمورِ قومه ، لأنّه قِوامهم : [من الطويل]

تقــولُ ألا تهجــو فَوارسَ هاشم ... وما لِــيَ إذْ أهجوهُمُ ثــمّ مالِيا

أبى الشتمَ أنّي قد أصابوا كريمتي ... وأنْ ليس إهداءُ الخَنا من شمالِيا

[أي من شمائلي . ويروى : «من فِعاليا»] .

إذا ذُكِــر الإخــوانُ رقرقتُ عبرةً ... وحيَّيــتُ رمساً عنــد لِيَّــة ثاويا[1]

إذا مــا امــرؤٌ أهدى لميتٍ تحيّةً ... فحيّـاكَ ربُّ النّــاس عنّــي معاوِيا

وهــوّنَ وجدِي أنّني لَــم أقلْ لَهُ ... كذبــتَ ولَــم أبخلْ عليــهِ بمالِيا

فنعمَ الفتى أدَّى ابن صِرمةَ بــزّه ... إذا الفحلُ أضحى أحدبَ الظَّهرِ عارِيا

قال أبو عبيدة : ثم زاد فيها بيتا بعد أن أوقَعَ بهم ، فقال :

وذي إخــوة قطّعتُ أقرانَ بينِهم ... كما تَرَكوني واحــداً لا أخا لِيا[2]

---

1 لِيّة : موضع بالطائف .

2 أقران بينهم : الحبال التي تصل بينهم .

[غزو صخر لبني مرّة]

قال أبو عبيدة : فلمّا كان في العام المقبل غَزاهم وهو على فَرسه الشَّمَّاء ، فقال : إنِّي أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غُرَّةَ الشمّاء ، فيتأهَّبوا . قال : فحمَّمَ[1] غُرَّتها . قال : فلمّا أشرفَتْ على أدنى الحيِّ رأوها . فقالت فتاةٌ منهم : هذه واللهِ الشمّاء ! فنظروا فقالوا : الشمّاء غَرّاءُ وهذه بَهيم ! فلم يشعروا إلاّ والخيل دوائسُ ، فاقتتلوا فقَتل صخر دريداً ، وأصاب بني مرّةَ فقال : [من الكامل]

ولقـد قتلتُكُم ثُنـاءَ ومَوحَداً ... وتركتَ مُرّةَ مثـلَ أمسِ المُدْبِرِ

قال الأثرم : مثنى وثناء لا ينوّنان . قال ابن عَنَمة الضَّبّيّ : [من الكامل]

يُباعُونَ بالنِّغْرانِ مَثنى ومَوحَدا

لا ينوّنان لأنَّهما مِمّا صُرِف عن جهته ، والوجه أن يقول : اثنين اثنين . وكذلك ثُلاث ورُباع . قال صخر الغيّ : [من الوافر]

مَنَتْ لَكَ أنْ تلاقيَنِـي المَنايـا ... أُحادَ أُحـادَ في الشهر الحلالِ

قال : ولا تجاوز العرب الرُّباع ، غير أنَّ الكميت قال : [من المتقارب]

فلـم يستريثوكَ حتّـى رميـ ... ـتَ فوقَ الرجالِ خِصالاً عُشارا[2]

* * *

ولقد دفعتُ إلى دُريـدَ بطعنـةٍ ... نجلاءَ تُزغِل مثلَ عَـطِّ المنحَرِ[3]

تُزغِل : تخرج الدم قِطَعاً قطعاً . قال : والزُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدم والبول . قال :

فأزغلَتْ في الحلْـقِ إزْغالةً[4]

وقال صخر أيضاً فيمن قتل من بني مُرّة : [من الوافر]

قتلـتُ الخالِدَينِ بِـهِ وبشراً ... وعمراً يـوم حَوْزَةَ وابنَ بشرِ

ومِن شَمْخ قتلتُ رجالَ صِدقٍ ... ومن بدر فقد أوفيت نذري[5]

ومُـرّةُ قــد صَبَحناهـا المنايا ... فروَّيْنـا الأسنّـةَ ، غيرَ فخـرِ

ومِـن أفناء ثعلبةَ بـنِ سعـدٍ ... قَتلـت ومـا أبيئهـمُ بوِترِ

---

1 حمم : سوّد .

2 يستريثوك : لم يجدوك رائثاً ، أي بطيئاً . ورميت : زدت .

3 العط : الشق .

4 البيت لابن أحمر ، وعجزه : لم تخطىء الجيد ولم تشفتر

5 شمخ وبدر : قبيلتان .

ولكنّا نُريد هلاكَ قومٍ فنقتلُهم ونشريهمْ بكَسرٍ[1]

وقال صخر أيضاً : [من الطويل]

ألا لا أرى مستعتِبَ الدّهر مُعْتَبا ولا آخِذٌ منه الرّضا إنْ تَغَضَّبا
وذي إخوةٍ قطّعتُ أقرانَ بينِهم إذا ما النُّفوسُ صِرنَ حَسرى ولُغَّبا[2]
أقول لرمسٍ بين أجراعِ بيشةٍ سقاكَ الغوادِي الوابلَ المتحلِّبا
لَنِعمَ الفتى أدّى ابنُ صِرمَةَ بَزَّه إذا الفحلُ أمسى عاريَ الظهرِ أحدبا

[لقاء قيس بن الأصور لهاشم بن حرملة]

قال أبو عبيدة : ثم إنّ هاشم بن حرملة خرجَ غازياً ، فلمّا كان ببلاد جُشَم بن بكر بن هَوازن نزل منزلاً وأخذ صُفناً[3] وخلا لحاجته بين شَجَر ، ورأى غَفلتَه قيسُ بن الأصْوَر الجَشميّ فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ! لا وألَتْ نفسي إن وأل[4] ! فلمّا قعَد على حاجته تقتَّرَ[5] له بين الشَّجر ، حتّى إذا كان خلفَه أرسل إليه مِعبَلَةً[6] فقتله .

[ثناء الخنساء على قاتل أخيها]

فقالت الخنساء في ذلك ، قال ابن الكلبيّ : وهي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شَريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصيَّةَ بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سُليم : [من الوافر]

فِدًى للفارسِ الجشَميّ نفسي وأُفديهِ بمَن لِي مِن حَميمِ
أفدِّيهِ بجُلّ بني سُلَيم بظاعِنِهم وبالأَنَس المُقيمِ
كما من هاشمٍ أقررتُ عيني وكانت لا تَنام ولا تُنيمُ[7]

[صفة هاشم بن حرملة]

قال أبو عبيدة : وكان هاشمُ بن حرملة بن صِرمة بن مُرّة أسود[8] العرب وأشدَّهم ، وله يقول الشاعر : [من الرجز]

1 نشريهم بكسر : نبيعهم بأرخص الأثمان .
2 حسرى : معيية . واللغب : جمع لاغب ، وهو المتعب .
3 الصفن : مثل الدلو أو الركوة يتوضأ فيه .
4 وأل : نجا .
5 تقتر : تهيأ للقتال .
6 المعبلة : نصل طويل عريض .
7 المثل «السليم لا ينام ولا ينيم» في مجمع الميداني 1 : 339 . وفي البيت إقواء .
8 أسود : من السيادة .

أحيــا أبــاه هاشمُ بن حَرمَلــه يــوم الهَباتَينِ ويــوم اليَعْمَلَهْ[1]

يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنبَ له إذِ الملــوكُ حولَــه مُغربلَــهْ[2]

وسيفُه للوالدات مثكلَهْ

حدَّثني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : حدَّثنا الكسروي عن الأصمعيّ قال : مررت بأعرابيٍّ وهو يَخْضِد شجرةً وقد أعجبته سماحتُها ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

لو كنتِ إنساناً لكنتِ حاتماً أو الغــلامَ الجُشَمِيّ هاشما

قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أوَلا تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هو الذي يقول : [من الطويل]

وعاذلــةٍ هَبَّــتْ بليــلٍ تلومُني كأنّي إذا أنفقتُ مــالي أُضيمها

دعِيني فإنّ الجود لن يتلِفَ الفتى ولــن يُخْلدَ النَّفسَ اللئيمةَ لُومُها

وتُذكَر أخــلاقُ الفتى ، وعظامُهُ مفرَّقَــةٌ في القبر بــادٍ رميمُها

سَلِي كلّ قيسٍ هــل أُبارِي خيارَها ويُعرِض عنِّــي وغْدُهــا ولئيمُها

وتذكــرُ فِتيانِيَّتــي وتكرمــي إذا ذُمَّ فِتيانيُّهــــا وكــريمُها[3]

قلت : لا أعرفه . قال : لا عرفت ، هو الذي يقول فيه الشاعر :

أحيا أباه هاشمُ بن حَرملــه يقتُل ذا الذنب ومَن لا ذنبَ لَهْ

تَــرى الملــوكَ حولَــهُ مُغربَلَهْ

مضى الحديث .

1 الهباتان واليعملة : موضعان . وكان في كل منهما يوم من أيام العرب .

2 مغربلة : مقتولون .

3 فتيانيتي : من الفتوة ، وهي السخاء والكرم .

283 ـ [خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم]

صوت[1]

[من البسيط]

تأبّد الرّبعُ من سَلْمى بأَحفار وأقفرتْ من سُلَيمى دِمنةُ الدّارِ
وقد تَحُلُّ بها سَلمى تحدّثني تَساقُطَ الحَلي حاجاتي وأسراري

الشعر للأخطل ، والغناء لعمرَ الواديّ ، هزج بالسبابة في مجرى الوسطى ، وفيهما رمل بالبنصر يقال إنّه لابن جامع ويقال إنّه لغيره ، وفيهما خفيف رمل بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه لحكم . وذكر حبش أنّ فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . ومِمّا يغنّى فيه من هذه القصيدة : [من البسيط]

وشاربٍ مُرْبحٍ بالكأس نادَمَني لا بالحَصُور ولا فيها بَسآّرِ[2]
نازعتُه طيِّبَ الراحِ الشَّمولِ وقد صاح الدَّجاجُ وحانت وَقعةُ الساري[3]
لما أتَوها بمصباحٍ ومِبزلهمْ سَمَتْ إليهم سموَّ الأبجلِ الضاري[4]

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رملٍ بالبِنصر عن الهشاميّ . وذكر غيره أنّها للدّلال . ومنها : [من البسيط]

فردٌ تغنّيه ذِبّانُ الرِّياضِ كما غَنَّى الغُواةُ بصَنْجٍ عند أُسوارِ[5]

---

1 ديوان الأخطل (الصالحاني) : 112–120 .

2 المربح : الذي يربح صاحب الخمر . والحصور : البخيل . والسآر : الذي يترك فضلة في القدح . ويروى «بسوار» ، وهو المعربد .

3 وقعة الساري : وقت غروب النجوم .

4 بمصباح : يريد أنهم بذلوها ليلاً . والمبزل : الحديدة التي يفتح بها الدن . الأبجل : عرق . والضاري : الذي يتدفق منه الدم .

5 فرد : منفرد ، وهو الثور في أبيات سابقة . والأسوار : قائد الفرس .

كأنّـــه مــن نَدى القُرّاص مُغتمرٌ   بالوَرْسِ أو خارجٌ من بيت عَطّارِ[1]

غنّاه ابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأوسط ، من الثقيل الأوّل ، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر الهشاميّ أنّ لمالِكٍ فيه ثقيلاً أوّلاً . ووافقه يونُس في نسبته إلى مالك ، والحكم في قوله :

فـردٌ تغنّيـهِ ذِبّانُ الرّياضِ كما

وبعده قوله : [من البسيط]

صَهباء قد عَنَسَتْ من طُولِ ما حُبِست   في مُخدَعٍ بـين جنّـاتٍ وأنهارِ

خفيف ثقيل بالبنصر . ومنها :

لسَكّنتنـي قـريشٌ في ظِلالهـمُ   ومَوّلتنـي قـريشٌ بعـد إقتـارِ
قـومٌ إذا حاربـوا شَدُّوا مآزرَهم   عن النِّساء ولـو باتَـتْ بأطهارِ

ليونس فيها لحن من كتابه ولم يجنّسه .

وهذه القصيدة مدح بها الأخطل يزيدَ بن معاوية لمّا مَنَع من قَطْع لسانه حين هجا الأنصار ، وكان يزيدُ هو الذي أمَرَه بهجائهم . فقيل : إنّ السبب في ذلك كان تشبُّب عبدِ الرحمن بن حسّان برملةَ بنتِ معاوية ، وقيل بل حَمِيَ لعبد الرحمن بن الحكم .

[تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة]

أخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو يحيى الزُّهريّ قال : حدَّثني ابن أبي زريق قال : شَبَّبَ عبدُ الرّحمن بن حسّانَ برملةَ بنت معاوية فقال[2] : [من الخفيف]

رَمْلَ هـل تذكرين يومَ غزالٍ   إذْ قطعنا مَسيرنـا بالتّمنّي
إذْ تقولين عمرَكَ اللهَ هل شَيْ   ءٌ وإنْ جَلَّ سوف يُسليكَ عنّي
أمْ هَلْ اطمِعتُ منكمُ بابن حَسّا   نَ كما قـد أراكَ أُطعِمتَ منّي

قال : فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضِب ، فدخلَ على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا تَرى إلى هذا العِلجِ من أهلِ يثرب ، يتهكّم بأعراضنا ويشبِّب بنسائنا ؟ قال : ومَن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسان ، وأنشده ما قال ؛ فقال : يا يزيد ليست العقوبةُ من أحدٍ أقبحَ منها من ذوي القُدرة ، ولكن أمهِلْ حتّى يَقدَمَ وفدُ الأنصار ثمّ ذكّرني . قال : فلمّا قدِموا أذكره به ، فلمّا دخلوا عليه قال : يا عبدَ الرّحمن ، ألَم يبلغني أنّك تشبّب برملةَ بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو

1 القراص : نبت . والورس : نبت أصفر . ومغتمر : مطلي .
2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 59 .

علمتُ أنّ أحداً أشرِّف به شعري أشرفَ منها لذكرتُه . قال : وأين أنت عن أختها هند ؟ قال : وإنَّ لها لأختاً ؟ قال : نعم . قال : وإنّما أراد معاوية أن يشبِّب بهما جميعاً فيُكذِبَ نفسَه . قال : فلَم يَرضَ يزيدُ ما كان من معاوية في ذلك : أن يشبِّب بهما جميعاً ؛ فأرسل إلى كعب بن جُعَيل فقال : اهج الأنصار . فقال : أُفرَق من أمير المؤمنين ؛ ولكنْ أدلّك على الشاعر الكافر الماهر .

[هجاء الأخطل للأنصار]

قال : ومن هو ؟ الأخطل . قال : فدعا به فقال : اهجُ الأنصار . قال : أَفْرَقُ من أمير المؤمنين ! فقال : لا تَخَفْ شيئاً ؛ أنا لَكَ بذلك . قال : فهجاهم فقال : [من الكامل]

وإذا نسَبْتَ ابنَ الفُريعةِ خِلتَه كالجحش بين حِمارةٍ وحمارِ

لَعَنَ الإلهُ مـن اليهودِ عِصابةً بالجِزْع بين صُلَيصِلٍ وصِرارِ[1]

قومٌ إذا هَـدَرَ العصيرُ رأيتَهم حُمراً عيونهـمُ من المُصطارِ[2]

خلُّوا المكارمَ لستمُ مِن أهلها وخُذوا مساحِيَكم بني النجّارِ[3]

إنّ الفوارس يَعلمون ظهورَكم أولادَ كلِّ مقبَّـح أكّـارِ[4]

ذَهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا واللؤمُ تحـتَ عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بن بَشيرٍ فدخلَ على معاوية فحسر عن رأسه عمامتَه ، وقال : يا أمير المؤمنين : أتَرى لؤماً ؟ قال : لا بلْ أرى كرَماً وخيراً ، ما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أنّ اللؤمَ تحت عمائمنا . قال : أوَفَعَل ؟ قال : نعم . قال : لك لسانُه . وكتب فيه أن يؤتى به . فلمّا أتى به سأل الرسولَ ليدخلَ إلى يزيد أوّلاً ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذي كنتُ أخاف . قال : لا تخَفْ شيئاً . ودخل على معاوية فقال : علامَ أُرسِلَ إلى هذا الرجلِ وهو يَرمِي من وراء جمرتنا ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومن زعم ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير . قال : لا تقبلْ قوله عليه وهو يدَّعي لنفسه ، ولكن تَدْعوه بالبيِّنة ، فإن ثَبَّتَ شيئاً أخذتَه به له . فدعاه بالبينة فلم يأتِ بها ، فخلَّى سبيلَه . فقال الأخطل[5] : [من الطويل]

وإنّـي غـداةَ استعبَرَتْ أُمُّ مالـكٍ لَـراضٍ مـن السُّلطـان أن يتهـدّدا

1 صليصل وصرار : يشير إلى موضعين بالمدينة .

2 المصطار : الخمر الحامضة .

3 المساحي : جمع مسحاة ، وهي المجرفة من الحديد . أي أنهم أهل زراعة .

4 أكار : حراث .

5 ديوان الأخطل : 90–96 .

ولَـوْلا يزيــدُ ابنُ الملـوك وسعيُـه تجلَّلتُ حِدبــاراً مــن الشّرّ أَنكدا[1]
فكــم أنقذَتْني مِــن خُطـوبٍ حبالُهُ وخرساءَ لَـو يرمى بهـا الفيل بَلَّدا[2]
ودافع عنِّــي يــومَ جِلِّـقَ غَمـرةً وهَمّــاً يُنسِّينــي السُّلافَ المبـرّدا
وبــاتَ نجيّــاً في دمشق لحيّــةٍ إذا هــمّ لم يُنــمِ السليمَ فأقصدا[3]
يُخافِتـــه طــوراً وطـوراً إذا رأى مــن الوجـه إقبــالاً ألحَّ وأجهدا
وأطفأتَ عنِّــي نــارَ نُعمانَ بعدما أعــدَّ لأمــرٍ فاجــرٍ وتجـرّدا
ولّمــا رأى النُّعمانُ دوني ابنَ حُـرّةٍ طَوى الكشحَ إذْ لَم يستطعني وعَرّدا[4]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال: شبَّب عبد الرحمن بن حسّان بأخت معاوية، فغضب يزيدُ فدخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، اقتلْ عبدَ الرّحمن بن حسّان. قال: ولِمَ؟ قال: شبَّب بعمَّتي. قال: وما قال؟ قال قال[5]: [من الخفيف]

طال ليــلي وبــتُّ كالمحزونِ ومللــت الثّــواءَ في جَيرونِ

قال معاوية: يا بُنيَّ وما علينا من طُولِ ليلِهِ وحزنِهِ أبعده الله؟ قال: إنّه يقول:

فلذاكَ اغتربتُ بــالشام حتَّى ظَنَّ أَهلِـي مرجّماتِ الظنونِ

قال: يا بنيّ، وما علينا من ظَنّ أهله؟ قال: إنّه يقول:

هــي زهراءُ مثــلُ لؤلؤةِ الغـ ـوَّاصِ مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ

قال: صدق يا بنيّ. قال: إنّه يقول:

وإذا مــا نسبتَهــا لَم تجِدْهــا في سناءٍ مــن المكـارمِ دُونِ

قال: صَدَقَ يا بنيّ، هي هكذا. قال: إنّه يقول:

ثم خاصرتُها إلى القُبَّة الخضـ ـراء تمشي في مَرمرٍ مَسنونِ[6]

1 الحدبار: الناقة العجفاء الهزيلة.
2 الخرساء: الداهية. وبلّد: لصق بالأرض ممّا دهاه.
3 السليم: الملدوغ. لم ينم: لم ينج. أقصدت الحية: لدغت فقتلت.
4 طوى الكشح: أضمر العداوة ولم ينطق. وعرد: هرب.
5 تقدّمت هذه الأبيات في ترجمة أبي دهبل منسوبة إليه في المجلد السابع، ص 93. وانظر شعر عبد الرحمن: 59-60.
6 المسنون: المملس.

خاصرتُها : أخذتُ بخَصْرها وأخذَتْ بخصري . قال : ولا كلُّ هذا يا بني ! ثم ضحك وقال : أنشدني ما قال أيضاً . فأنشده قوله : [من الخفيف]

قُبّـة مـن مَراجـلٍ نَصَبوها عنـد خـدٌ الشتاء في قَيطونِ
عَن يساري إذا دخلتُ من البا بِ وإن كنتُ خارجاً فيميني
تجعـل النَّـدَّ والأُلُـوَّةَ والعُو دَ صِلاءً لَهـا على الكانونِ[1]
وقِبابٌ قـد أُشْرِجَتْ وبيوتٌ نُطِّقت بالريحـانِ والزَّرَجُونِ[2]

قال : يا بني ، ليس يجبُ القتل في هذا ، والعقوبةُ دون القتل ، ولكِنّا نكُفّه بالصلة له والتجاوز .

نسبة ما في هذه الأبيات من الغناء

صوت

[من الخفيف]

هِـي زهراءُ مثـل لؤلؤة الغـ ـوّاص مِيزَتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا مـا نسبتَها لَم تجدْهـا في سناء مـن المَكـارِمِ دُونِ

نسخت من كتاب ابن النطاح : وذكر الهيثم بن عديّ عن ابن دأب قال : حدَّثنا شُعيب بن صفوان أنّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبِّب بابنة معاوية ، ويذكُرها في شعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلْتَه نَكالاً ؟ فقال : لا ، ولكن أُداوِيهِ بغير ذلك . فأذِن له وكان يدخل عليه في أُخريات النّاس ، ثمّ أَجلسه على سريره معه ، وأَقبلَ عليه بوجهه وحديثه ثم قال : ابنتي الأُخرى عاتبةٌ عليك . قال : في أيِّ شيء ؟ قال : في مِدحتك أُختَها وتركِكَ إيّاها . قال : فلها العُتْبى وكرامة ، أنا ذاكرها وممتدِحُها . فلمّا فعلَ وبلغ ذلك الناس قالوا : قد كنّا نرى أنّ نسيب بن حسّان بابنةِ معاويةَ لشيء ، فإذا هو عَنْ رأيِ معاويةَ وأمره . وعلم مَن كان يعرف أنّه ليس له بِنْتٌ أُخرى ، إنّه إنّما خدَعه ليشبِّب بها ، ولا أَصل لها فيعلم الناس أنّه كذب على الأولى لما ذكر الثانية .

وقد قيل في حمل يزيدَ بن معاوية الأخطلَ على هجاء الأنصار : إنّه فعلَ ذلك تعصُّباً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أُميّة ، أخي مروانَ بن الحَكَم في مهاجاته عبدَ الرحمن ، وغضباً له ، لّما استعلاه ابن حسّان في الهجاء .

1 الألوة : ضرب من البخور .
2 أشرجت : شدّت أجزاؤها بالعرى والحبال . ونطقت : جعل لها نطاق . والزرجون : الكرم أو أعواده .

ذكر خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أبو سعيد السكري . قال : حدَّثنا أبو غَسّانَ دماذ ، عن أبي عبيدة قال : أخبرني أبو الخطّاب الأنصاريّ قال : كان عبد الرحمن بن حسّان خليلاً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص مخالطاً له ، فقيل له : إن ابنَ حسانَ يَخلُفُك في أهلك . فراسَلَ امرأةَ ابن حسّان فأُخبرتْ بذلك زوجَها وقالت : أرسَلَ إليّ : إنّي أُحبُّك حبّاً أُراه قاتلي ؛ فأرسل ابنُ حسّانَ إلى امرأة ابنِ الحكم وكانت تواصلُه وقال للرسول : إذهب إليها وقُل لها : إنّ امرأتي تزورُ أهلَها اليومَ فزُوريني حتّى نخلوَ . فزارتْه فقعَدَ معها ساعةً ثم قال لها : قد واللهِ جاءت امرأتي . فأدخلها بيتاً إلى جَنْبِهِ وأَمَرَ امرأتَه فأرسلت إلى عبد الرّحمنِ بن الحَكَم : إنّك ذكرتَ حبَّكَ إيّايَ وقد وقعَ ذلك في قلبي ، وإنّ ابن حسّان قد خرجَ اليوم إلى ضَيعته فهلمَّ فتهيَّأ ثمَّ أقبِلْ . فإنّه لقاعِدٌ معها إذْ قالت له : قد جاء ابنُ حسّان فادخُلْ هذا البيت فإنّه لا يشعر بك . فأدخلته البيتَ الذي فيه امرأتُه ، فلمّا رآها أيقنَ بالسَّوأة ووقَعَ الشَرُّ بينهما ، وهجا كلٌ واحدٍ منهما صاحبه .

قال أبو عبيدة : هذه رواية أبي الخطّاب الأنصاريّ ، وأمّا قريش فإنّهم يزعُمون أنّ امرأة ابن حسّان كانت تحبُّ عبدَ الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبى ذلك ، حفظاً لِما بينه وبين زوجها ، وبَلَغَ ذلك ابنَ حسّانَ فراسلَ امرأة ابن الحَكَم حتّى فضحها ، وبلغ ذلك ابنَ الحكم وقيل له . إنّكَ إذا أتيت ضَيعتَك أرسلَتْ إلى ابن حسّانَ فكان معها . فأمر ابنُ الحَكَم أهلَه فقال : عالجوا سُفرةً حتّى أُطالِعَ مالِي بمكان كذا وكذا . فخرج وبعثت امرأتُه إلى ابن حسّانَ فجاء كما كان يفعل ، ورجع ابنُ الحَكَم حين ظَنَّ أنّ ابن حسّانَ قد صار عندها ، فاستفتح فقالت : ابنُ الحَكَم والله ! وخبَّأته خلفها في بيت ، ودخل عبدُ الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسّان : إنّه قد وقَعَتْ لك في قلبي مِقَةٌ[1] ، فأقبلي إليّ الساعةَ . فتهيّأتْ وأقبلَتْ حتّى دخلت عليه ، فوضعت ثيابَها وزوجُها ينظر فقال لها : قد كنتِ أكثرتِ الإرسال إليَّ فما شأنُك ؟ قالت : إنّي والله هالكةٌ من حبِّك . قال : وزوجها يسمع ، وإنّما أراد أن يُعلِمه أنّها قد كانت ترسل إليه ويأبى عليها . وزعم أنّها هي التي قالت لابن الحكم إنّ ابن حسّان يخلفُكَ في أهلك . فلمّا فرغَ من كلامه وأسمعه زوجَها قال لها : قد جاءت امرأتي . وأدخلها البيتَ الذي فيه ابن حسّان ، فلمّا جمعهما في مكانٍ واحد خرجَ عنهما ، فخرجا وطلّقَ امرأته .

---

1 مقة : حب .

أُخبرني ابن دريد قال : أُخبرني الرياشيّ قال : حدَّثنا ابن بكير عن هشامِ بن الكلبيّ عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : رأيت مروانَ بن الحَكَم يطوف بالبيت ويقول : اللهمّ أذهِبْ عنّي الشِّعر ! وأخوه عبد الرحمن يقول : اللهمّ إنّي أسألك ما استعاذَ منه ! فذهب الشعر عن مروان ، وقاله عبد الرحمن .

وأمّا هشام بن الكلبيّ فإنّه حدَّث عن خالدٍ وإسحاقَ ابني سعيد بن العاصي ، أنّ سبب التهاجي بينهما أنّهما خرجا إلى الصيد بأكلبٍ لهما في إمارة مَرْوان ، فقال ابن الحَكَم لابن حسّان : [من الكامل]

ازجُر كلابَك إنّها قَلَطيّةٌ بُقْعٌ ومثلُ كلابكم لم تَصْطَدِ[1]

فردّ عليه ابنُ حسّان[2] : [من الكامل]

مَن كان يأكلُ من فَريسةِ صيدِهِ فالتَّمْرُ يُغنينا عن المتصيَّدِ[3]
إنّا أناس رَيِّقون وإنّكم ككلابكم في الوَلْغ والمتَرَدَّدِ[4]
حُزْناكُمُ للضَّبِّ تحترشُونه والريفِ ، نمنعُكم بكلِّ مهنَّدِ[5]

ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان ، فقال عبد الرحمن بن الحَكَم في قصيدة : [من البسيط]

ومثلُ أُمِّك أُمُّ العبدِ قد ضُرِبت عندي ولي بفِنائي مِزهرٌ جَرِمُ[6]
وأنتَ عند ذُناباها تُعاونها على القُدورِ تَحَسَّى خاثر البُرَمِ[7]

فنقضها عبد الرحمن بن حسّان عليه بقصيدته التي يقول فيها[8] : [من البسيط]

يا أيُّها الرّاكِبُ المُزْجِي مَطيَّته إذا عرَضْت فسائِل عن بني الحَكَمِ
القائلين إذا لاقَوْا عدوَّهمُ فِرُّوا فكُرُّوا على النِّسوانِ والنَّعَمِ
كَم من أَمينٍ نَصيح الجيب قال لكمْ أَلاَّ نهيتمْ أَخاكم يا بني الحَكَمِ

1 الكلاب القلطية : القصيرة المجتمعة . والبقع : التي يتراوح فيها السواد والبياض .
2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 22 .
3 المتصيد : ما يصاد .
4 الريق : الذي على الريق لم يفطر .
5 احتراش الضب : صيده .
6 الجرم : الصافي الصوت .
7 الخاثر : الغليظ .
8 شعر عبد الرحمن بن حسان : 53 عن الأغاني .

عَن رجــلٍ لا بَغيضٍ في عشيرتِهِ ولا ذليــلٍ قصيرِ البــاعِ مُعتصِمِ

وقال ابن حسّان[1] : [من البسيط]

صار الذليــل عزيــزاً والعزيزُ بِهِ ذُلٌّ وصارَ فُــروع النــاس أذنابا
إنِّــي لملتمسٌ حتّــى يبِــينَ لكــمْ فيكمْ متــى كنتــمُ للنّاسِ أربابا
فارْقَوْا على ظلعكم ثم انظروا وسلُوا عَنّـا وعنكمْ قديــمَ العلم نَسّابا[2]
فسوفَ يضحكُ أو تعتاده ذِكَــرٌ يا بــؤسَ للدَّهــرِ للإنسان رَيّابا

ولهما نقائضُ كثيرة لا معنى لذكر جميعِها هاهنا .

[عقاب معاوية لهما]

قال دماذ : وحدَّثني أبو عبيدة عن أبي الخطّاب قال : لمّا كثُر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاويةُ يومئذٍ وهو الخليفة ، إلى سعيد بنُ العاص وهو عاملُه على المدينة ، أن يجْلِد كلَّ واحدٍ منهما مائة سوط . قال : وكان ابنُ حسّانَ صديقاً لسعيد ، وما مَدَحَ أحداً قطّ غيرَه ، فكرِه أن يضربَه أو يضرب ابن عمِّه ، فأمسكَ عنهما ؛ ووليَ مروانُ فلمّا قـدِم أخـذَ ابن حسّان فضربَه مائةَ سوط ولَم يَضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسّان إلى النّعمان بن بَشيرٍ وهو بالشام ، وكان كبيراً مكيناً عند معاوية[3] : [من الخفيف]

ليتَ شِعري أغائبٌ أنتَ بالشا مِ خليــلي أُم راقِــدٌ نَعْمانُ
أيّةً مــا يكنْ فقد يرجع الغا ئب يومــاً ويُوقَــظ الوسنانُ
إنّ عَمــراً وعامــراً أَبوَينـا وحراماً قِدماً على العهدَ كانوا
أفَهُمْ مانِعُوك أمْ قِلّــة الكُــ ـتّابِ أُم أنتَ عاتِبٌ غضبانُ
أُم جفاءٌ أم أعوزَتكَ القراطيـ ـسُ أَم أمرِي بــه عليكَ هوانُ
يومَ أنبئتَ أنَّ ساقِــيَّ رُضَّتْ وأَتاكُــمْ بذلــك الرُّكبانُ
ثمَّ قالوا إنّ ابنَ عمِّك في بَلْـ ـــوى أُمورٍ أَتى بِهــا الحَدَثانُ
فتَئطُّ الأَرحامُ والودُّ والصُّحـ ـبةُ فيمـا أَتــى بِهِ الحدثانُ[4]

1 شعر عبد الرحمن بن حسان : 15 .
2 المثل «أرق على ظلعك» في مجمع الميداني 1 : 293 وفصل المقال : 456 ومستقصى الزمخشري 1 : 142 ومعناه أن يتكلف المرء ما لا يطيق .
3 شعر عبد الرحمن بن حسان : 56–58 .
4 تئط : تحنّ .

إنّمـــا الرّمح فاعلمــنّ قَنــاةٌ أو كبعض العيدانِ لولا السِّنانُ

وهي قصيدة طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّك أمرتَ سعيداً أن يضرب ابنَ حسّان وابن الحكَم مائةً مائة فلم يفعَلْ ، ثم وَلَّيتَ مَروانَ فضربَ ابنَ حسّانَ ولَم يَضرب أخاه . قال : فتريد ماذا ؟ قال : أن تكتبَ إليه بمثل ما كتبتَ إلى سعيد . فكتب معاوية يعزم عليه أن يضربَ أخاه مائة ، وبعثَ إلى ابن حسّانَ بحُلّة . فلمّا قدِم الكتابُ على مروانَ بعث إلى ابن حسان : إنّي مُخرِجك ، وإنّما أنا مثلُ والدك ، وما كان ما كان منّي إليك إلاّ على سبيل التأديب لك . واعتذر إليه ، فقال ابن حسّان : ما بدا له في هذا إلاّ لشيءٍ قد جاءه . وأبى أن يَقبلَ منه ، فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ فوجَّهه إليه بالحُلَّة فرمى بها في الحُشّ . فقيل له : حُلّة أميرِ المؤمنين وترمي بِها في الحُشّ ؟ قال : نعم وما أصنعُ بِها ! وجاءه قومُه فأخبروه الخبر ، فقال : قد علمت أنّه لَم يفعل ما فعل إلاّ لأمرٍ قد حَدَث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ، قد أبى أن يعفوَ فهلُمَّ أخاك . فبعث مَروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يَطلبوا إليه أن يضربَه خمسين فإنّه ضعيف . فطلبوا إليه فأجابَهم ، فأخرجه فضربَه خمسين . فلقِيَ ابنَ حسّان بعضُ مَن كان لا يهوى ما تَرَكَ من ذلك ، فقال له : أَضرَبَكَ مائةً ويضربُه خمسين ، بئس ما صنعتَ إذْ وهبتَها له . قال : إنّه عبدٌ وإنّما ضربه ما يُضرَب العبدُ نِصفَ ما يُضرَب الحُرّ ! فحُمِل هذا الكلام حتّى شاع بالمدينة وبلغ ابنَ الحكَم فشقّ عليه . فأتى أخاه مروان فخبَّره الخبر وقال : فضحتني ، لا حاجةَ لِي فيما تركت فهلمَّ فاقتصّ . فضربَ ابنَ الحكَم خمسين أخرى ، فقال عبد الرّحمن يهجو ابن الحكَم[1] : [من الكامل]

دَعْ ذا وعَدِّ قريضَ شعرِك في امرىءٍ يَهـذِي ويُنشِد شعـرَه كالفاخِرِ
عُثمـانُ عمُّكـمُ ولستـمْ مِثلَه وبنـو أُميّـةَ منكـم كالآمِـرِ
وبنـو أبيـهِ سَخيفـةٌ أَحلامُهُمْ فُحُشُ النّفوسِ لدى الجليسِ الزّائرِ
أَحياؤهم عـارٌ عـلى أمواتهـم والمَيِّتـونَ مَسَبَّـةٌ للغـابِرِ
هـمْ ينظرونَ إذا مَددتَ إليهمُ نظـرَ التّيوس إلى شِفـارِ الجازرِ
خُـزْرَ العيـونِ منكِّسي أذقانِهم نظـرَ الذّليـلِ إلى العزيزِ القاهِرِ

فقال ابن الحكَم : [من الوافر]

1 شعر عبد الرحمن بن حسان : 24–26 عن الأغاني .

لقد أَبقى بنو مروانَ خزياً مُبيناً عارُه لبني سَوادِ
أطافَ بِهِ صَبيحٌ في مشيدٍ ونادى دَعوة : يا ابْنَيْ سُعادِ
«لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكن لا حياة لِمَن تنادِي»

[أبو واسع ينتصر لابن الحَكَم]

قال أبو عبيدة : فاعتَنَّ[1] أبو واسع أَحدُ بني الأسعر من بني أَسَد بن خُزَيمة ، لابن حَسّان دون ابنِ الحَكَم ، فهجاه وعيَّره بضرب ابن المعطلِ أباه حسّانَ على رأسِهِ ، وعيَّرهم بأكل الخُصى ، فقال : [من الوافر]

إنَّ ابن المعطَّل من سُلَيم أَذَلَّ قِيادَ رأسِكَ بالخِطامِ
عَمِدتَ إلى الخُصى فأكلتَ منها لقد أخطأتَ فاكهةَ الطَّعامِ
وما للجارِ حينَ يَحلُّ فيكمْ لديكم يا بني النجّارِ حامِ
يَظلُّ الجار مفترشاً يديهِ مخافَتكم لدى مَلَثِ الظَّلامِ[2]
وينظُر نظرةً في مِذروَيهِ وأُخرى في استِهِ والطَّرفُ سامِ[3]

[مصرع أبو واسع]

قال : فلمّا عَمَّ بني النجّار بالهِجاء ولا ذنبَ لهم دَعَوُا الله عزّ وجلّ عليه ، فخرجَ من المدينة يريد أهلَه فعرَضَ له الأسدُ فقَضْقَضه[4] ، فقال ابنُ حسّان في ذلك[5] : [من السريع]

أبلغْ بني الأسعر إن جئتَهم ما بالُ أَبناء بني واسعِ
والليث يعلوهُ بأنيابه معتفِراً في دمه الناقِعِ
إذ تركوهُ وهو يَدعوهمُ بالنَّسب الدّانِي وبالشاسعِ
لا يرفَع الرحمنُ مصروعَكم ولا يُوهِّي قوّةَ الصّارِعِ

فقالت له امرأته : ما دعا أحدٌ قبلك للأسدِ بخيرٍ قطّ . قال : ولا نَصَر أحداً كما نصرني .

[دعوة مسكين الدارمي]

وقال ابن الكلبيّ : كان الأخطلُ ومسكينٌ الدارميُّ صديقين لابن الحَكَم ، فاستعان بهما

---

1 اعتن : اعترض .
2 ملث الظلام : اختلاطه .
3 المذروان : فرعا الأليتين .
4 قضقضه : كسره وحطّمه .
5 شعر عبد الرحمن بن حسان : 20–21 . وفيه «أبلغ بني الأشتر» .

على ابن حسّان ، فهجاه الأخطل ، وقال له مسكين : ما كنتُ لأُهجوَ أحداً أو أُعذِرَ إليه[1] .
فكتب إليه مِسكينٌ بقصيدته اللاميّة يدعوه إلى المفاخرة والمنافرة ، فقال في أوّلها : [من الوافر]

ألا إنَّ الشّبابَ ثيـاب لُبسٍ وما الأَمـوالُ إلاّ كالظِّـلالِ
فإن يبـلَ الشّابُ فكلُّ شيء سمعتَ بِـهِ سوى الرّحمنِ بالِ

وهي طويلةٌ جدّاً ، يفخرَ فيها بمآثر بني تميم . فأَجابه ابن حسّان فقال[2] : [من الوافر]

أتاني عنك يـا مسكينُ قـولٌ بذلتُ النِّصفَ فيـه غيرَ آلِ[3]
دعـوت إلى التناضُل غيرَ قَحْمٍ ولا غُمـرٍ يَطير لدى النضالِ[4]

وهي أطول من قصيدة مسكين . ثم انقطع التناضُل بينهما .

[هجاء الأخطل للأنصار]

قال دماذ : فحدَّثني أبو عبيدة قال : حدَّثني أبو حيّة النميريّ قال : حدَّثني الفرزدق قال : كُنّا في ضيافةِ معاوية ، ومعنا كعبُ بن جُعَيل التَّغلبيّ ، فحدَّثني أنّ يزيد بن معاوية قال له : إنّ ابن حسّان فضحَ عبدَ الرّحمن بن الحَكَم وغلَبه ، وفضحنا ، فاهجُ الأنصار . قال : فقلت له : أرادِّي أنت في الشرك ؟ أأهجو قوماً نصروا رسولَ الله ﷺ وآله وآوَوْه ؟ ولكنّي أدلُّكَ على غلامٍ منّا نصرانيٌّ لا يبالي أن يهجوَهم ، كأنّ لسانَه لسانُ ثور . قال : مَن هو ؟ قلت : الأخطل . فدعاه وأمره بهجائهم ، فقال : على أن تمنعَني ؟ قال : نعم .

قال أبو عبيدة : إنّ معاويَة دسَّ إلى كعبٍ وأمره بهجائهم ، فدلَّه على الأخطل ، فقال الأخطل قصيدتَه التي هجا فيها الأنصار ، وقد مضت ومضى خبرُها وخبر النعمان بن بشير .

وزاد أبو عبيدة عمّن روينا ذلكَ عنه : أنّ النّعمان بن بشيرٍ ردَّ على الأخطل فقال : [من الكامل]

أبلِغ قبائِـل تغلـبَ ابنةِ وائلٍ مَن بالفرات وجانِبِ الثَّرثارِ[5]
فاللؤمُ بين أنوفِ تغلـبَ بَيِّنٌ كالرَّقْمِ فـوقَ ذراعِ كلِّ حمارِ

1 أعذر إليه : أجعله موضع عذر .
2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 35 .
3 النصف : الأنصاف . غير آل : غير مقصر أو تارك .
4 القحم : الهرم المهزول . والغمر : الجاهل الغرّ .
5 شعر النُعمان بن بشير : 148 .

قال : فخافه الأخطلُ أن يهجوَه ، فقال فيه[1] : [من الوافر]

عذرت بني الفُرَيعة أن هَجَوني فما بـالي وبـالُ بني بشيرِ
أُفيحِجُ من بنـي النجّارِ شَثْنٌ شديدُ القُصْرَيَيْنِ من السُّحورِ[2]

ولم يرد على هذين البيتين شيئاً في ذِكرِهِ .

قال أبو عبيدة في خبره أيضاً : إنّ الأنصار لمّا استعدَوْا عليه معاوية قال لهم : لكم لسانُه إلاّ أن يكون ابني يزيدُ قد أجاره . ودسَّ إلى يزيد من وقته : إنّي قد قلتُ للقوم كيت وكيت فأَجِرْه . فأجاره ، فقال يزيد بن معاوية في إجارته إيّاه : [من الطويل]

دعا الأخطلُ الملهوف بالشَّرِّ دعوةً فأيَّ مجيـبِ كنـتُ لَمّـا دعانِيا
ففرّجَ عنه مَشهدَ القـوم مشهدي وألسِنَـةَ الواشين عنـه لسانيا

صوت[3]

[من الخفيف]

كان لِي يا شُقَير حبُّـكِ حَيْنا كاد يقضي عـليَّ لَمّـا التقينا
يعلـمُ الله أنّكم لـو نأيتُـمْ أو قَرُبْتـم أحـبُّ شيء إلينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، ولحنها ثاني ثقيل بالوسطى ، وجعلت مكان «يا شقير» : «يا يزيد» . وفي هذا الشعر للهذلي خفيف ثقيل أوّل مطلق بالوسطى . وزعم عمرو بن بانة أنّه للأبجر . وقال الهشاميّ : لحن الأبجر ثقيل أوّلٍ بالبنصر . وفيه للدارميّ وابن فروخ خفيف ثقيل ، ولحن الدارميّ فيهما مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق .

1 ديوان الأخطل رقم 98 ، ص 151–152 ، (طبعة دار صادر) .
2 الأفيحج : تصغير أفحج ، وهو الذي تتدانى قدماه ويتباعد عقباه . والشثن : الغليظ . والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين . والسحور : جمع سَحَر ، وهي الرئة .
3 ديوان عمر : 436 .

[284] ـ أخبار حَبابة

كانت حَبابة مولَّدة من مولدات المدينة ، لرجل من أهلها يعرف بابن رُمّانة ، وقيل ابن مِينا . وهو خَرَّجها وأدَّبها . وقيل : بل كانت لآل لاحق المكّيّين . وكانت حلوة جميلةَ الوجه ظريفةً حسنةَ الغناء ، طيِّبة الصوت ، ضاربةً بالعود . وأخذت الغناء عن ابن سريج ، وابن مُحرز ، ومالك ، ومعبد ، وعن جميلةَ وعزَّةَ الميلاء . وكانت تسمَّى العالية ، فسمّاها يزيد لمّا اشتراها حَبابَة . وقيل : إنّها كانت لرجل يعرف بابن مينا .

[يزيد يشتري حبابة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : حدَّثني حاتم بن قبيصة قال : وكانت حبابة لرجلٍ يدْعى ابنَ مينا ، فأُدخِلت على يزيد بن عبدِ الملك في إزارٍ له ذَنَبانِ ، وبيدها دفّ تَرمي به وتتلقّاه ، وتتغنَّى : [من المنسرح]

ما أحسنَ الجيد من مُلَيكةَ واللبّـ ـاتِ إذْ زانَهـا تـرائبُها
يـا ليتني ليلـة إذا هجع النّـ ـاسُ ونام الكلاب صاحبُها
في ليلـةٍ لا يُـرى بهـا أحدٌ يسعـى علينـا إلاّ كـواكبها

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية ، فلمّا كان بعد ما ولِيَ يزيدُ اشتراها .

وروى حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جرير المدينيّ ، ورواه الزُّبير بن بكّار عن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال : قال لي يزيد بن عبد الملك : ما تقَرُّ عيني بِما أوتيتُ من الخلافة حتّى أشتريَ سَلاّمة جارية مُصعب بن سهيل الزّهريّ ، وحَبابةَ جارية لاحقٍ المكّيّة . فأرسلَ فاشتُرِيتا له ، فلمّا اجتمَعَتا عندَه قال : أنا الآنَ كما قال القائل [1] : [من الطويل]

فألقَتْ عصاها واستقرَّت بها النّوى كما قَـرَّ عينـاً بالإيـاب المسافرُ

قال إسحاق : وحدَّثني أبو أيّوب عن عَباية قال : كانت حبابة لآل رمّانة ، ومنهم ابتيعت ليزيد .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار قال : أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافِنَّةَ عن شيخ من أهل ذي خُشُب [2] قال :

1 هو معقر بن حمار البارقي .
2 ذو خشب : واد قرب المدينة .

خرجنا نريد ذا خُشب ونحن مُشاةٌ ، فإذا قبّةٌ فيها جارية ، وإذا هي تغنّي : [من مجزوء الرمل]

سلكوا بطـنَ مَحِيصٍ ثم ولَّــوْا راجعينا[1]
أورثـوني حِيـنَ ولَّـوْا طُـولَ حُــزنٍ وأنينـا

قال : فسرنا معها حتّى أتينا ذا خُشب ، فخرج رجل معها ، فسألناه ، وإذا هي حَبابةُ جارية يزيد ، فلمّا صارت إلى يزيد أخبَرَتْهُ بِنا ، فكتبَ إلى والي المدينة يعطي كلَّ واحدٍ منّا ألفَ درهمٍ ألف درهم .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني إسحاق عن المدائنيّ . وروى هذا الخبر حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ ، وخبرهُ أتمّ : أنّ حَبابة كانت تسمى العالية ، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة ، فقدّم يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان فتزوّج سَعْدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، على عشرين ألف دينار ، وربيحة بنت محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك ، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجُرنَّ عليه . فبلغ يزيدَ قولُ سليمان فاستقال مولى حبابة ، ثم اشتراها بعد ذلك رجلٌ من أهل إفريقية ، فلمّا وليَ يزيدُ اشترتها سَعدة امرأتُه وعلمتْ أنّه لا بدّ طالبها ومشتريها ؛ فلمّا حصلت عندها قالت له : هل بقي عليك من الدُّنيا شيء لم تنله ؟ فقال : نعم ، العالية . فقالت : هذه هي ، وهي لك . فسمَّاها حبابة ، وعظم قدر سَعدة عنده . ويقال إنّها أخذَتْ عليها قبل أن تهبهـا لـه أن تـوطِّىء لابنها عنده في ولاية العهد وتحضِرها ما تحبّ إذا حضرت .

وقيل إنّ أُمّ الحجّاج أمّ الوليد بن يزيد هي التي ابتاعتها له ، وأخذت عليها ذلك ، فوفَتْ لها بذلك . هكذا ذكر الزّبير فيما أُخبرنا به الحسن بن علـيّ عن هـارون بن محمد ، عنه عن عمّه . قال : ومَن زعم أنّ سعدة اشترتها فقد أخطأ .

قال المدائنيّ : ثم خطب يزيدُ إلى أُخيها خالدٍ بنتَ أُخ له ، فقال : أما يكفيه أنّ سَعدة عنده حتّى يخطب إلى بناتِ أخي ؟ وبلغ يزيدَ فغضب ، فقدم عليه خالدٌ يسترضيه ، فبينا هو في فُسطاطه إذ أتته جاريةٌ لحبابة في خَدَمِها فقالت له : أمُّ داود تقرأ عليك السلام وتقول لك : قد كلّمتُ أميرَ المؤمنين فرضِيَ عنـك . فالتفتَ فقال : مَن أمّ داود ؟ فأخبره مَن معه أنّها حبابـة ، وذكر له قدرَها ومكانها من يزيد . فرفع رأسَه إلى الجارية فقال : قُولِي لها : إنَّ الرّضا عنّي بسبب لستِ بِهِ . فشكت ذاك إلى يزيد فغضب ، وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشيء حتى أتاه رسولُ حَبابة به فيمن معه من الأعوان ، فاقتلعوا فُسطاطَه وقَلَعوا أطنابه ، حتى سقَط عليهِ

1 محيص : موضع بالمدينة .

وعلى أصحابه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟

قالوا : رُسُل حبابة ، هذا ما صنعتَ بنفسك . فقال : ما لها أخزاها الله ، ما أشبه رضاها بغضبها !

[شعر الحارث بن خالد في حبابة]

قال إسحاق : وحدَّثني محمد بن سلام عن يونس بن حبيب ، أنّ يزيد بن عبد الملك اشترى حبابة ، وكان اسمها العالية ، بأربعة آلاف دينار ، فلمّا خرج بها قال الحارث بن خالد فيها[1] : [من الكامل]

ظَعن الأميرُ بأحسنِ الخلقِ وغدَوْا بلُبِّك مطلِعَ الشرقِ
مَرَّت على قَرَن يُقاد بها تعدو أمامَ بَراذنٍ زُرقِ
فظلِلتُ كالمقمور مُهْجَتَه هذا الجنونُ وليس بالعشقِ[2]
يا ظبيةً عبِقَ العبيرُ بها عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ

وغنّته حبابة في الشعر ، وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته ، فقال لها : غنّيني به . فغنّته فأجادت وأطربته ، فقال إسحاق : ولعمري إنّه من جيد غنائها .

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : هذا غلط مِمّن رواه في أبيات الحارث بن خالد ؛ لأنّه قالها في عائشة بنت طلحة ، لمّا تزوّجها مصعب بن الزُّبير وخرج بها . وفي أبياته يقول : [من الكامل]

في البيت ذي الحَسَب الرفيع ومِن أهل التُّقى والبِرّ والصِّدقِ

وقد شُرِحَ ذلك في أخبار عائشة بنت طلحة .

قال إسحاق : وأخبرني الزُّبيريّ أنّ يزيد اشتراها وهو أمير ، فلمّا أراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها[3] : [من البسيط]

قد سُلَّ جسمي وقد أودى بهِ سَقَمٌ من أجل حَيٍّ جلَوْا عن بلدةِ الحَرَمِ
يحنُّ قلبي إليها حين أذكُرها وما تذكّرتِ شوقاً آب من أمَمِ[4]
إلاّ حنيناً إليها إنّها رشَأ كالشّمس رُودٌ ثَقالٌ سهلة الشيَمِ[5]

1 شعر الحارث بن خالد : 75–76 .
2 المقمور : المغلوب في القمار .
3 شعر الحارث بن خالد : 98–99 .
4 أمم : قرب .
5 الرود : الشابة الحسنة .

فضَّلها اللهُ ربُّ الناس إذ خُلِقت على النساء منَ اهل الحزم والكرمِ

وقال فيها الشعراء فأكثروا ، وغنَّى في أشعارهم المغنّون من أهل مكّة والمدينة ، وبلغ ذلك يزيدَ فاستشنعه ، فقال : هذا قَبلَ رحلتِنا وقد هَمَمنا ، فكيف لو ارتحلنا ؟ ! وتذكر القومُ شدّة الفراق ، وبلغه أيضاً أن سليمانَ قد تكلَّم في ذلك ، فردّها ، ولَمْ تزلْ في قلبه حتى مَلَكَ ، فاشترتها سعدة امرأته العثمانية ، ووهبتها له .

[منزلتها عند يزيد]

أُخبرني ابن عمّار قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني إسحاق قال : حدَّثني أُبو ذُفافة المنهال بن عبد الملك ، عن مروان بن بشر بن أبي سارَةَ مولى الوليد بن يزيد ، قال : أوّل ما ارتفعت به منزلةُ حبابة عند يزيد أنّه أَقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه ، فقام من وراء الستر فسمعها تترنّم وتغنّي وتقول : [من الخفيف]

كان لِي يـا يزيدُ حبُّكَ حَينا كاد يقضي عـليَّ لمـا التقينا

والشعر كان «يا شُقير» ، فرفع الستر فوجدَها مضطجعةً مُقْبلة على الجدار ، فعلِم أنّها لَم تَعلمْ به ولَم يكـن ذاكَ لمكانـه ، فـألقى نفسَه عليها وحَرَّكت منه .

قال المدائنيّ : غلبت حبابة على يزيد ، وتَبَنّى بِها عمر بن هبيرة فعلت منزلته ، حتى كان يدخُل على يزيـد في أيِّ وقـت شاء . وحسَد ناسٌ مـن بني أُميّة مَسلمة بن عبد الملك على ولايته ، وقدَحوا فيه عند يزيد ، وقالوا : إنّ مسلمة إنّ اقتطِع الخراج لم يحسُن يا أُمير المؤمنين أن تَفتِشه أو تكشفه عن شيء ، لسِنِّهِ وحقِّه ، وقد علمتُ أنّ أُمير المؤمنين لم يُدخل أُحداً من أُهل بيته في الخراج . فوَقَر ذلك في قلب يزيد ، وعزَم على عزله ، وعمل ابنُ هبيرة في ولاية العراق من قبل حَبابـة ، فعمِلت لـه في ذلك . وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوةٌ ، وكانا يتنازعان ويتحاسدان . فقيل للقعقاع لقد : نزل ابن هبيرة من أُمير المؤمنين منزلةً ، إنّه لصاحِب العراقِ غداً . ومن يطيق ابن هبيرة ! حبابة بالليل ، وهداياه بالنهار ، مع أنّه وإن بَلَغَ فإنّه رجلٌ من بني سُكين . فلم تزل حبابة تعمل له حتى وليها .

حدَّثنا أُحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدث بهذا الحديث ، فحفِظته ولَم أحفظ إسناده . وحدَّثنا محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثني أُحمد بن زهير قال : حدَّثنا مصعب الزُّبيريّ ، عن مصعب بن عثمان ، وقد جمعت روايتيهما قالا : أُراد يزيدُ بن عبد الملك أن يتشبَّه بعمر بن عبد العزيز وقال : بماذا صار عمر أُرْجى[1] لربّه جلّ وعزّ منّي ؟ فشقّ ذلك على حبابة ؟ فأرسلت إلى الأحوص .

---

1 أرجى : أخوف .

[مسلمة ويزيد]

هكذا في رواية وكيع ، وأمّا عمر بن شبة فإنّه ذكر أنّ مسلمة أُقبلَ على يزيد يلُومه في الإلحاح على الغناء والشُّرب ، وقال له : إنّك وَلِيت بعقب عمر بن عبد العزيز وعَدلِهِ ، وقد تشاغَلَت بهذه الأمّة عن النظر في الأمور ، والوفُود ببابك ، وأصحابُ الظُّلامات يصيحون[1] ، وأنت غافل عنهم . فقال : صدقتَ والله ، وأعتبَه وهمَّ بتركِ الشُّرب ، ولم يدخل على حبابة أيّاماً ، فدَسَّت حَبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتاً في ذلك وقالت له : إن رددته عن رأيه فلك ألفُ دينار . فدخل الأحوص إلى يزيد ، فاستأذَنَ في الإنشاد ، فأَذِن له .

قال إسحاق في خبره : فقال الأحوص[2] : [من الطويل]

صوت

أَلا لا تلُمْــه اليــومَ أن يتبلَّــدا   فقــد غُلِــب المحــزونُ أن يتجلَّدا
بكيتُ الصِّبا جَهدي فمَن شاء لامني   ومَن شاء آسى في البكاء وأُسْعَدا
وإنّي وإنْ فُنِّدتُ في طلب الغنى   لأَعلَمُ أنّي لستُ في الحبِّ أَوحدا[3]
إذا أَنْتَ لم تعشِق ولَم تَدْرِ ما الهوى   فكن حجراً من يابس الصخرِ جلمدا
فما العيشُ إلاّ مــا تَـلَذُّ وتشتهِي   وإنْ لامَ فيــه ذو الشَّنانِ وفَنّدا[4]

الغناء لمعبد ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر ، وفيه رمل للغريض . ويقال إنّه لحبابة .

قال : ومكث جُمعةً لا يرى حَبابة ولا يدعو بها . فلمّا كان يومُ الجمعة قالت لبعض جواريها : إذا خرجَ أميرُ المؤمنين إلى الصلاة فأعلِميني . فلمّا أراد الخروجَ أعلَمَتْها ، فتلقّته والعودُ في يدها ، فغنّت البيت الأوّل ، فغطّى وجهه وقال : مَهْ لا تفعلي . ثم غنّت : [من الطويل]

وما العيشُ إلاّ ما تَلَذُّ وتشتهي

فعدل إليها وقال : صدقتِ والله ، فَقَبَح الله مَن لامني فيكِ ، يا غلام مُرْ مسلمةَ أن يصلّيَ بالناس . وأقام معها يشربُ وتغنّيه ، وعاد إلى حاله .

وقال عمر بن شبّة في حديثه : فقال يزيد : صدقتِ والله ، فعلى مسلمةَ لعنةُ الله ! وعاودَ

---

1 ل : يضجون .
2 ديوان الأحوص : 56–58 .
3 التفنيد : التكذيب وتخطئة الرأي .
4 الشنان : الشنآن ، العداوة والبغضاء .

ما كان فيه ، ثم قال لها : مَن يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص . فأُحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها ، وأوّلها قوله[1] : [من البسيط]

يا مُوقِــد النّــار بالعَلياء من إضم أوقِدْ فقد هجتَ شوقاً غير منصرمِ[2]

وهي طويلة . فقال له يزيد : ارفع حوائجك . فكتب إليه في نحوٍ من أربعين ألفَ درهم من دَينٍ وغيره ، فأمر له بها .

وقال مصعب في خبره : بل استأذن الأحوص على يزيد ، فأذِن له ، فاستأذن في الإنشاد ، فقال : ليس هذا وقتك . فلم يزل به حتى أذِن له . فأنشده هذه الأبيات ، فلمّا سمعها وثَبَ حتّى دخل على حَبابة وهو يتمثّل : [من الطويل]

وما العيش إلاّ ما تلَذُّ وتشتهي وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنانِ وفَنّدا

فقالت له : ما ردّكَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أبياتٌ أنشَدنيها الأحوص ، فسلي ما شئت . قالت : ألف دينار تُعطيها الأحوص . فأُعطاه ألف دينار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

يا مُوقِدَ النّار بالعَلْياء مِــن إضَم أوقِدْ فقد هِجتَ شوقاً غيرَ منْصرمِ

يا مُوقِدَ النّار أوقِدهــا فــإن لهــا سَناً يَهيج فــؤادَ العاشِقِ السّدِمِ

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، عن يونس وإسحاق وعمرو . وذكر حَبش أن فيه خفيف ثقيلٍ آخر لابن جامع .

[مولى خراسانيّ يعظ يزيد]

أُخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني علي بن القاسم بن بشير قال : لمّا غلبَ يزيدُ بن عبد الملك أهلَه وأبى أن يسمعَ منهم كلّموا مولًى له خراسانيّاً ذا قَدْر عندهم ، وكانت فيه لُكنة ، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عمّا قد ألحَّ عليه من السّماع للغِناء والشراب . فقال له يزيد : فإنّي أُحضِرك هذا الأمرَ الذي تنهى عنه ، فإن نهيتَني عنه بعد ما تَبلوه وتحضُره انتهيتُ ، وإنّي مخبر جوارِيَّ أنّك عمٌّ من عُمومتي ، فإيّاك أن تتكلّم فيعلمْنَ

1 ديوان الأحوص : 202 .
2 إضم : واد في الحجاز .

أنّي كاذب ، وأنّك لست بعمّي . ثم أدخله عليهنّ فغنّين ، والشيخُ يسمع ولا يقول شيئاً ، حتّى غنّين : [من الطويل]

وقــد كنتُ آتيكم بعِلّةِ غيركم ... فأفنيتُ عِلاتــي فكيف أقــولُ

فطرِب الشيخ وقال : لا فَيف ، جعلني الله فِداكنّ ! يريد : لا كيف . فعلمن أنّه ليس عمَّه ، وقمن إليه بعيدانهنّ ليضْرِبْنه بِها ، حتّى حجزهنّ يزيدُ عنه . ثم قال له بعدما انقضى أمرُهنّ : ما تقول الآنَ ، أدعُ هذا أم لا ؟ قال : لا تدعه !

[حبابة تعزل وتستعمل]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني خالد بن يزيد بن بحر الخزاعيّ الأسلميّ ، عن محمد بن سَلَمة ، عن أبيه عن حمادٍ الراوية قال : كانت حَبابة فائقةً في الجمالِ والحسن ، وكان يزيدُ لها عاشقاً ، فقال لها يوماً : قد استخلفتُك على ما وردَ عليّ ، ونصبتُ لذلك مولايَ فلاناً فاستخلِفيهِ لأقيم معكِ أيّاماً وأستمتِع بك . قالت : فإنّي قد عزلتُه . فغضب عليها وقال : قد استعملتُه وتعزلينه . وخرجَ من عندها مغضَباً ، فلمّا ارتفع النّهار وطال عليه هَجرُها دعا خَصيّاً له وقال : انطلقْ فانظر أيَّ شيء تصنع حَبابة ؟ فانطلق الخادم ثم أتاه ، فقال : رأيتها مؤتزرة بإزار خَلوقيّ قد جعلَتْ له ذَنَبين وهي تلعبُ بلُعَبِها . فقال : ويحكَ احتلْ لها حتّى تمرّ بها عليّ . فانطلق الخادمُ إليها فلاعبَها ساعة ، ثم استلبَ لُعبة من لعبها وخرجَ ، فجعلت تُحضِر في أثره ، فمرّت بيزيدَ فوثب وهو يقول : قد عزلتُه ! وهي تقول : قد استعملته ! فعزل مولاه وولاّه وهو لا يدري . فمكث معها خالياً أيّاماً حتّى دخل عليه أخوه مَسلمة فلامه ، وقال : ضيعتَ حوائج النّاس واحتجبتَ عنهم ، أترى هذا مستقيماً لك ؟! وهي تسمعُ مقالته ، فغنّت لما خرج : [من الطويل]

ألا لا تلمْهُ اليومَ أن يتبلّدا

فذكرت الأبيات . فطربَ وقال : قاتلَكَ الله أبيتِ إلاّ أن ترديني إليكِ . وعاد إلى ما كان عليه .

أخبرني إسماعيل قال : حدَّثني عمّي قال : حدّثني إسحاق قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حسّان قال : قال مسلمة ليزيد : تركتَ الظُّهور وشهودَ الجمعة الجامعة ، وقعدتَ في منزلك مع هذهِ الإماء ! وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقالتا للأحوص : قل في ذلك شعراً . فقال : [من الطويل]

وما العيشُ إلاّ مـا تَلـذُّ وتَشتهي ... وإنْ لامَ فيــه ذو الشَّنـانِ وفنّدا
بكيتُ الصِّبا جَهدِي فمَن شاء لامَني ... ومَن شاء آسى في البكـاءِ وأسعدا

وإنّي وإن أُغرقتُ في طَلَب الصِّبا لأعلمُ أنّي لستُ في الحبِّ أوحدا
إذا كنتَ عِزْهاةً عن اللّهو والصِّبا فكُن حجراً من يابس الصّخرِ جَلمدا[1]

قال : فغنتا يزيد فيه ، فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال : صدقتما فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به . قال : وطرب يزيد فقال : هاتيا . فغنّتاه من هذه القصيدة : [من الطويل]

وعَهدِي بها صفراءَ رُودًا كأنّما نضا عَرَقٌ منها على اللون مُجسَدا[2]
مهفهفة الأعلى وأسفل خلقِها جرى لحمُه ما دونَ أن يتخددا[3]
من المدمَجات اللحمِ جَدلاً كأنّها عِنانُ صَناعٍ مدمجُ الفتل محصَدا[4]
كأنّ ذكيَّ المسك بادٍ وقد بدت وريحَ خُزامى طَلّةٍ تنفح النّدى[5]

فطرِب يزيدُ وأخذ فيه من الشراب قدرَه الذي كان يطرب منه ويسرُّه ، ولم تَرَه أظهر شيئاً ممّا كان يفعله عند طربه ، فغنّته : [من الطويل]

ألا لا تَلمْه اليومَ أن يتبلّدا فقد غُلِب المحزونُ أن يتجلّدا
نظرتُ رجاء بالموقَّر أن أرى أكاريس يحتلُّون خاخاً فمنشدا[6]
فأوفيتُ في نَشْزٍ من الأرض يافع وقد تُسعِف الأيفاعُ مَن كان مُقصَدا[7]

فلمّا غنّته بهذا طرب طرَبه الذي تعهّده ، وجعل يدور ويَصيح : الدُّخن بالنّوى ، والسمَك في بيطار جِنان[8] . وشقّ حلّته وقال لها : أتأذنين أن أطير ؟ قالت : وإلى مَن تَدَع النّاس ؟ قال : إليك .

قال : وغنّته سَلاّمةُ من هذه القصيدة : [من الطويل]

فقلتُ ألا يا ليت أسماءَ أصقَبتْ وهل قولُ ليتٍ جامعٌ ما تبدّدا[9]
وإنّي لأهواها وأهوى لِقاءها كما يشتهي الصادِي الشرابَ المبرَّدا

1 العزهاة : المنقبض المعرض عن اللهو والغناء .
2 مجسد : مصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران .
3 مهفهفة : ضامرة .
4 محصد : مفتول . والعنان : الحبل .
5 طلة : التي أصابها الطلّ ، وهو الندى .
6 الموقر : وخاخ ومنشد : مواضع . والأكاريس : جمع كِرس ، وهو الجماعة من الناس .
7 والمقصد : الذي رمي فأصيب .
8 كلام لا معنى له .
9 أصقبت : دنت .

علاقَــة حبٌّ لَجَّ في سَنَن الصِّبا فأَبــلى ومــا يــزداد إلاّ تجدُّدا
سُهــوبٌ وأَعلام تخــال سرابَها إذا استَنّ في القَيْظِ المُلاءِ المعضَّدا[1]

قال : وغنّته حَبابة منها أيضاً :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذي أَقَــرّت لــه بالملك كَهلاً وأَمردا
وليس عطاءٌ كان منــه بمانــع وإن جَلَّ من أَضعاف أضعافه غدا
أَهانَ تِــلاد المــالِ في الحمد إنّه إمامُ هدًى يجري على مــا تعوَّدا
تــردَّى بمجــدٍ مــن أَبيهِ وأُمِّهِ وقــد أورثــا بنيانَ مجد مشيَّدا

فقال لها يزيد : ويحكِ يا حبابة ، ومن مِن قريش هذا ؟ قالت : أَنت . قال : ومَن يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يا أمير المؤمنين . وقالت سلامة : فليسمع أميرُ المؤمنين باقي ثنائه عليه فيها . ثم اندفعت فغنّته : [من الطويل]

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخْلِدا مــن النّاس إنساناً لكنتَ المخلَّدا
فأقسمُ لا أنفكّ ما عِشتُ شاكِراً لنعماكَ مــا طــارَ الحمامُ وغَرّدا

[قضاء معبد بتفضيل حبابة]

أخبرني إسماعيل قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : علي بن الجعد قال : حدَّثني أبو يعقوب الخُرَيمي ، عن أبي بكر بن عَيّاش : أنّ حَبابة وسَلاّمة اختلفا في صوت معبد : [من الوافر]

أَلا حــيٍّ الدّيــار بسَعد إنّي أُحِبُّ لحبٌّ فاطمة الديارا

فبعثَ يزيد إلى معبد فأتي به ، فسأل : لِمَ بَعَث إليه ؟ فأُخبر ، فقال : لأيَّتهما المنزلة عند أَمير المؤمنين ؟ فقيل : لحبابة . فلمّا عَرضَتا عليه الصوت قضى لحبابة ، فقالت سلامة : والله ما قَضى إلاّ للمنزلة ، وإنّه ليعلم أنّ الصوابَ ما غنّيت ، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صِلته لأنّ له عليَّ حقّاً . قال : قد أذنت . فكان ما وصلَته به أكثر من حبابة .

نسبة هذا الصوت

[من الوافر]

أَلا حَــيٍّ الديــارَ بسَعدَ إنّي أحــبُّ لحــبٍّ فاطمــةَ الديارا
إذا مــا حَلَّ أَهلكِ يــا سليمى بدارة صُلصلٍ شَحَطوا مَزارا[2]

الشعر لجرير ، والغناء لابن مُحرِز ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

1 واستن : أسرع . المعضدا في ل : المعمدا .
2 دارة صلصل : موضع . وشحطوا : بعدوا .

[بين الفرزدق والأحوص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : نزل الفرزدق على الأحوص حين قدِم المدينة فقال له الأحوص : ما تشتهي ؟ قال : شِواءٌ وطِلاء[1] وغِناء . قال : ذلكَ لك . ومضى به إلى قَينةٍ بالمدينة فغنّته : [من الوافر]

ألا حَـيٍّ الدّيـار بسعدَ إنّـي أُحبُّ لحـبِّ فاطمـةَ الديارا

أرادَ الظاعنـون ليحزنُونـي فهاجُوا صَدعَ قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق : ما أرقَّ أشعاركم يا أهلَ الحجاز وأملَحها ! قال : أو ما تدري لَمن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله . قال : هو لجرير ، يَهجوك به . فقال : ويل ابنِ المراغة ما كان أحوجَه مع عفافِهِ إلى صلابةِ شعرِي ، وأحوجَني مع شهواتِي إلى رقّة شعره .

وقد روى صالح بن حسّان أنّ الصوت الذي اختلفت فيه حبابة وسلامة هو : [من الكامل]

وترى لها دَلاًّ إذا نطقَتْ بِـهِ تركَتْ بنـاتِ فُـؤادِهِ صُعْرا[2]

ذكر ذلك حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ : أنّهما اختلفتا في هذا الصوت بين يَدَيْ يزيد ، فقال لهما : من أينَ جاء اختلافكُما ، والصوت لمعبد ومنه أخذتماه ؟ فقالت هذه : هكذا أخذته ، وقالت الأخرى ، هكذا أخذته . فقال يزيد : قد اختلفتما ومعبدٌ حيٌّ بعد ؟ فكتَب إلى عاملِهِ بالمدينة يأمره بحمله إليه .

ثم ذكر باقِيَ الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عيّاش .

قال صالح بن حَسّان : فلمّا دخل مَعبَدٌ إليه لَم يسأله عن الصوت ، ولكنّه أَمَره أن يغنّي ، فغنّاه فقال : [من الطويل]

فيا عَـزّ إنْ واشٍ وَشى بِيَ عندَكم فلا تكرمِيــه أن تقولِي لـه أهلا

فاستحسنه وطرب ثم قال : إنّ هاتين اختلفَتا في صوتٍ لك فاقضِ بينهما . فقال لحبابة : غَنِّي . فغنَّت ، وقال لسلامة : غنّي . فغنَّت ، وقال : الصواب ما قالت حبابة . فقالت سلاّمة : والله يا ابنَ الفاعلة إنّك لتعلمُ أنّ الصواب ما قلت ، ولكنّك سألت أيّتهما آثَرُ عند أمير المؤمنين فقيل لك حبابة ، فاتّبعتَ هواه ورِضاهَ ! فضحِكَ يزيدُ وطرب ، وأخذ وِسادةً فصيَّرها على رأسه ، وقام يَدُور في الدار ويرقص ويصيح : «السمك الطريّ أربعة أرطال ، عند بيطار من خيان» حتى دار الدارَ كلَّها ثم رجع فجلس مجلسه وقال

1 الطلاء : الخمر .

2 صعر : مائلات .

شعراً ، وأمر معبداً أن يغنّي فيه ، فغنّى فيه وهو : [من البسيط]

أبلغَ حَبابة أَسْقى ربعَهـا المطرُ ما للفؤادِ سِوى ذكراكُم وطرُ
إنْ سار صحبِيَ لم أَمْلِكْ تذكُّرَكم أو عَرَّسوا فهمومُ النّفسِ والسَّهرُ

فاستحسنه وطرب . هكذا ذكر إسحاق في الخبر . وغيره يذكر أنّ الصنعة فيه لحبابة ، ويزعم ابنُ خُرداذبه أنّ الصنعة فيه ليزيد . وليس كما ذكر ، وإنّما أراد أن يوالِي بين الخلفاء في الصنعة ، فذكره على غير تحصيل ، والصحيح أنّه لمعبد .

قال معبد : فسُرَّ يزيدُ لمّا غنّيته في هذين البيتين ، وكسانِي ووصلني ، ثم لما انصرَمَ مجلسه انصرفتُ إلى منزلي الذي أُنزلتُه ، فإذا أَلطاف من سَلاّمة قد سبقت أَلطافَ حَبابة ، وبعثت إليّ : إنّي قد عذرتُك فيما فعلتَ ، ولكنْ كان الحقُّ أولى بك . فلم أَزَلْ في أَلطافهما جميعاً حتى أَذِن لي يزيد ، فرجعتُ إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه معبد الذي أوّله

فيا عَزَّ إنْ واشٍ وشَى بِي عندَكم

صوت[1]

[من الطويل]

أَلَمْ يأنِ لِي يا قلبُ أن أتركَ الجهلا وأنْ يُحدث الشيبُ الملِمُّ لِيَ العقلا
على حين صار الرأسُ منّي كأنّما عَلَت فوقَـه نَدّافةُ العُطُبِ الغزلا[2]
فيا عـزَّ إن واشٍ وشَى بِيَ عندَكم فـلا تُكرمِيهِ أنْ تقولِـي لـه أَهلا
كما لـو وَشى واشٍ بودِّك عندنا لقلْنا تزحزَحْ لا قَرِيباً ولا سَهلا
فأهلاً وسهلاً بالذي شَدَّ وصلنا ولا مرحباً بالقائلِ اصرِم لها حبلا

الشعر لكثيِّر ، والغناء لحنين ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر ابن المكّيّ وعمرو والهشاميّ أنّه لمعبد . وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى ابن سريج ، وليس بصحيح ، ويقال إنّه لمعبد .

أَخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثتني ظبيةُ قالت : أنشدَتْ حبابةُ يوماً يزيدَ بن عبد الملك : [من الوافر]

1 ديوان كثيّر : 383 .
2 العطب : القطن .

لعمركَ إنّني لأُحِبُّ سَلْعاً لرؤيتها ومَنْ بجَنوب سَلعِ

ثم تنفَّستْ تنفّساً شديداً فقال لها : ما لكِ ، أنتِ في ذمّة أبي ، لئن شئتِ لأنقلنَّه إليكِ حجراً حجراً . قالت : وما أصنع به : ليس إيّاه أردتُ ، إنّما أردت صاحبَه . وربّما قالت : ساكِنَه ، والله أعلم .

نسبة هذا الصوت

[من الوافر]

لعمركَ إنّني لأُحِبُّ سَلعا لرؤيتها ومَن بجنوبِ سَلْعِ
تقَرُّ بقُربها عيني وإنّي لأخشى أن تكونَ تريدُ فجعي
حلفتُ بربٍّ مكّةَ والهدايا وايدي السّابحاتِ غداةَ جَمعِ[1]
لأنتِ على التنائي فاعلميهِ أحبُّ إليَّ مِن بصرِي وسمعِي

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى ، ممّا لا شكّ فيه من غنائه .

قال الزُّبير : وحدَّثتني ظَبيةُ أنّ يزيد قال لحبابة وسَلاّمة : أيّتُكما غَنَّتْني ما في نفسي فَلَها حُكمها . فغنَّت سلاّمة فلم تُصِب ما في نفسه ، وغنَّته حبابة : [من الخفيف]

حِلَقٌ من بني كِنانةَ حَوْلِي بفِلَسطِين يُسرِعونَ الرّكوبا

فأصابت ما في نفسه فقال : احتكمي . فقالت : سلامةُ ، تهبُها لِي ومالَها . قال : اطلبي غيرَها . فأبَتْ ، فقال : أنتِ أولى بِها ومالِها . فلقيت سَلاّمة من ذلك أمراً عظيماً ، فقالت لها حبابة : لا ترين إلاّ خيراً ! فجاء يزيدُ فسألها أن تبيعَه إيّاها بحكمها ، فقالت : أُشهِدَكَ أنّها حرّة ، واخطُبْها إليَّ الآنَ حتّى أزوّجكَ مولاتِي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني إسحاق عن المدائنيّ بنحوِ هذه القصّة . وقال فيها : فجزعت سَلاّمة ، فقالت لها : لا تجزعي فإنّما ألاعِبه .

نسبة هذا الصوت

[من الخفيف]

حِلقٌ من بني كِنانة حَولي بفلسطين يُسرِعون الرّكوبا
هَزِئتْ أن رأت مشيبِيَ عِرْسي لا تلُومِي ذوائبِي أن تَشيبا

الشعر لابن قيس الرقيات ، والغناء لابن سريج ، ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

---

1 جمع : المزدلفة .

[اعتراف حبابة بفضل سلاّمة]

قال حمّاد بن إسحاق : حدَّثني أبي عن المدائنيّ ، وأيّوب بن عباية قالا : كانت سَلاّمة المتقدّمة منهما في الغناء ، وكانت حبابة تنظرُ إليها بتلك العين ، فلمّا حَظِيت عند يزيد ترفَّعت عليها فقالت لها سلاّمة : ويحكِ أينَ تأديب الغناء وحقُّ التعليم ؟ أنسيتِ قولَ جميلة لك : خذي أحكامَ ما أُطارِحكِ إيّاه من سلاّمة ؟ ! فلن تزالي بخيرٍ ما بقيتُ لكِ وكان أمركما مؤتلفاً . قالت : صدقتِ يا خليلتي ، والله لا عدتُ إلى شيءٍ تكرهينه . فما عادت بعد ذلك لها إلى مكروه . وماتت حبابة وعاشت سَلاّمة بعدها دهراً .

قال المدائنيّ : فرأى يزيدُ يوماً حَبابةَ جالسةً فقال : ما لكِ ؟ فقالت : أنتظر سلامة . قال : تحبِّين أن أهبَها لك ؟ قالت : لا والله ، ما أحبّ أن تهب لِي أُختي .

قال المدائنيّ : وكانت حبابة إذا غنّت وطرِب يزيدُ قال لها : أَطير ؟ فتقول له : فإلى مَن تَدعُ الناس ؟ فيقول : إليك : والله تعالى أعلم .

[وساطة حبابة للبيذق الأنصاري]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أيّوب بن عَباية ، أنّ البيذق الأنصاريّ القارىء كان يَعرف حبابة ويدخُل عليها بالحجاز ، فلمّا صارت إلى يزيد بنِ عبد الملك وارتفعَ أمرُها عنده ، خرجَ إليها يتعرّضُ لمعروفها ويستميحها ، فذكرته ليزيدَ وأخبرتْه بحسن صوته . قال : فدعاني يزيدُ ليلةً فدخلتُ عليه وهو على فُرُش مُشرِفة قد ذَهَبَ فيها إلى قريبٍ من ثدييه ، وإذا حَبابة على فُرش أُخَر مرتفعة ، وهي دونَه ، فسلّمتْ فردّ السلام ، وقالت حبابة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبي ، وأشارت إليَّ بالجلوس ، فجلست وقالت لِي حَبابةُ : اقرأ يا أبتِ . فقرأتُ فنظرتُ إلى دموعه تَنْحدِر ، ثم قالت : إيهِ يا أَبَتِ حدِّثْ أمير المؤمنين ، وأشارتْ إليَّ أن غنِّهِ . فاندفعتُ في صوت ابن سُرَيج : [من مجزوء الخفيف]

من لصبّ مفنَّـــدِ هائم القلب مُقْصَدِ

فطَرِب والله يزيدُ فحذَفني بمُدهُنٍ فيه فصوصٌ من ياقوتٍ وزبرجد ، فضربَ صَدرِي ، فأشارت إليّ حَبابة : أن خُذْه . فأخذتُه فأدخلتُه كمي ، فقال : يا حَبابةُ ألا ترين ما صنعَ بنا أبوك ، أخذ مُدهُننا فأدخلَه في كُمّه ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ما أحوجَه واللهِ إليه ! ثم خرجتُ من عنده فأمر لِي بمائةِ[1] دينارٍ .

1 ل : بمائتي .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

مـــن لصـــبٍّ مُفَنَّدِ هائم القلـــبِ مُقصَدِ
أنتِ زوَّدتـــه الضَّنى بئسَ زادُ المـــــزوَّدِ
ولَو انّـــي لا أرتجيـ ـيك لقد خَفَّ عوَّدِي
ثاويـــاً تحـتَ تُربةٍ رهـــنَ رمسٍ بقَدفدِ
غيرَ أنّـــي أعلّـــل النـ ـفسَ باليـــومِ أو غدِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . وذكر الزُّبير بن بكّار أنّه لجعفر بن الزُّبير ، والغناء لابن سريج ، خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

[أطرب من يزيد]

وقال حمّاد : حدَّثني أبي عن مخلد بن خِداش وغيرِه ، أنّ حبابة غنّت يزيد صوتاً لابن سريج ، وهو قوله : [من المنسرح]

ما أَحسنَ الجيدَ من مُليكةَ والـ ـلَّبَّـاتِ إذْ زانَهـــا ترائبُها

فطرب يزيد وقال : هل رأيتِ أحداً أطرب منّي ؟ قلت : نعم ، ابن الطَّيّار معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحّاك فحمِل إليه ، فلمّا قدِم أرسلَتْ إليه حبابةُ : إنّما بعثَ إليكَ لكذا وكذا ، وأخبرَتْه ، فإذا دخلتَ عليه فلا تظهِرنّ طرباً حتّى أُغنّيه الصوت الذي غنَّيته . فقال : سواْةٌ على كبر سنّي ؟ فدعا به يزيدُ وهو على طِنفسة خزّ ، ووُضِع لمعاويةَ مثلُها ، فجاءوا بجامَين فيهما مسكٌ فوضعت إحداهما بين يَديْ يزيد والأُخرى بين يَدَيْ معاوية ، فقال : فلم أدرِ كيف أصنع . فقلت : انظر كيف يصنعُ فاصنعْ مثلَه . فكان يقلّبه فيفوحُ ريحه وأفعلُ مثل ذلك ، فدعا بحبابة فغنَّتْ ، فلمّا غنّت ذلك الصوتَ أخذ معاويةُ الوسادة فوضَعها على رأسه وقام يدورُ وينادي : «الدُّخن بالنوى» يعني اللُّوبيا . قال : فأَمر له بصِلاتٍ عدّةَ دَفعات إلى أن خرج ، فكان مبلغُها ثمانيةَ آلافِ دينار .

[اختبار طرب مولى حبابة]

أُخبرني إسماعيل بن يونس قال : أَخبرني الزُّبير بن أَبي بكر ، عن ظَبية : أنّ حَبابة غنَّتْ يوماً بين يدي يزيدَ فطرِب ثم قال لها : هل رأيتِ قطُّ أطربَ منّي ؟ قالت : نعم ، مولاي الذي باعني . فغاظه ذلك فكتبَ في حَملِهِ مقيَّداً ، فلمّا عرف خبره أَمر بإدخالِهِ إليه ، فأُدخِل يرسُف في قَيدِه ، وأمرها فغنّتْ بَغتةً : [من المتقارب]

تُشِطُّ غــداً دارُ جيرانِنا وَلَلدّارُ بعــد غــدٍ أبعدُ

فوثَب حتّى ألقى نفسَه على الشمعة فأحرقَ لحيتَه ، وجَعَل يصيح : الحريقُ يا أولاد الزّنا ! فضحِكَ يزيد وقال : لعمري إنَّ هذا لأطربُ الناسِ ! فأمر بحلِّ قيودِهِ ، وَوَصَلَه بألفِ دينار ، ووصلته حبابةُ ، وردّه إلى المدينة .

[يزيد وأم عوف]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال إسحاق : كان يزيدُ بن عبد الملك قبلَ أن تُفضيَ إليه الخلافةُ ، تختلف إليه مغنّيةٌ طاعِنةٌ في السِّنِّ تدعى أُمَّ عَوف ، وكانت مُحسنة ، فكانَ يختار عليها : [من البسيط]

متــى أُجِرْ خائفاً تَسرحْ مطِيّتُه وإن أُخِف آمِناً تنبو بـه الدّارُ[1]

سِيروا إليَّ وأرخوا من أعنَّتِكم إنّي لكلِّ امرىءٍ من وِترِهِ جارُ

فذكرها يزيدُ يوماً لحبابة ، وقد كانت أخذَتْ عنها فلم تقدر أن تَطعن عليها إلاّ بالسنّ ، فغنّت : [من الطويل]

أبى القلــبُ إلاّ أُمَّ عوفٍ وحبَّها عجوزاً ومن يُحبِب عجوزاً يفنَّدِ[2]

فضحِك وقال : لَمن هذا الغناء ؟ فقالت : لمالك . فكان إذا جلسَ معها للشُّرب يقول : غنّيني صوتَ مالكٍ في أُمّ عوف .

[شرقت بحبة رمّان فماتت]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدَّثني عمر بن شبّة قـال : حدَّثني عبد الله بن أحمد بن الحارث العَدويّ قال : حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمَّليّ قال : حدَّثني أبو غانم الأزديّ قال : نزل يزيدُ بن عبد الملك ببيتِ رأسٍ بالشام ، ومعه حَبابة فقال : زعموا أنّه لا تصفو لأحدٍ عِيشةٌ يوماً إلى الليلِ إلاّ يكدرها شيءٌ عليه ، وسأجرِّب ذلك . ثم قال لَمن معه : إذا كان غداً فلا تُخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب . وخلا هو وحَبابة فأُتيا بِما يأكلان ، فأكلَتْ رُمّانةً فشرِقت بحبّةٍ منها فماتت ، فأقام لا يَدفنها ثلاثاً حتّى تغيّرت وأنتنت ، وهـو يَشمُّها ويرشُفها ، فعاتبه على ذلك ذَوُو قرابته وصديقه ، وعابوا عليه ما يصنع ، وقالوا : قد صارت جيفةً بين يديك ! حتّى أذِن لهم في غسلها ودَفْنها ، وأَمَرَ فأُخرِجَتْ في نِطع ، وخرج معها لا يتكلّم حتّى جلس على قَبرِها ، فلمّا دُفِنت قال : أصبحتُ والله كما قال كُثَيِّر[3] : [من الطويل]

1 تنبو في ل : تُغلَقْ .

2 من الحماسة 543 وذكر التبريزي أنها لأبي الأسود الدؤلي . وفيها «أم عمرو» .

3 ديوان كثير : 435 .

فإن يسلُ عنكِ القلبُ أو يدعِ الصِّبا فباليأس يَسلو عنك لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ مِنَ اجلك : هذا هامة اليومِ أو غدِ[1]

فما أَقام إلاّ خمسَ عشرةَ ليلةً حتّى دُفِن إلى جنبها .

أُخبرني أحمد قال : حدَّثني عمر قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : حدَّثني الفضل بن الرَّبيع عن أبيه عن إبراهيم بن جبلة بن مَخرمة عن أبيه أنّ مسلمةَ بن عبدِ الملك قال : ماتت حَبابة فجزِع عليها يزيد ، فجعلْتُ أؤسِّيه وأُعزِّيه ، وهو ضاربٌ بذَقَنِهِ على صدره ما يكلِّمني حتّى دفَنَها ورَجع ، فلمّا بلغ إلى بابه التفتَ إليَّ وقال : [من الطويل]

فإنْ تسلُ عنكِ النَّفسُ أو تدعِ الصِّبا فباليأس تَسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ

ثم دخل بيتَه فمكثَ أربعين يوماً ثم هلك .

قال : وجزِع عليها في بعض أيّامه فقال : أنبِشُوها حتّى أنظرَ إليها . فقيل : تصير حديثاً !! فرجع فلم ينبشها .

وقد روى المدائنيّ أنّه اشتاق إليها بعدَ ثلاثةِ أيّام من دفنه إيّاها ، فقال : لا بدّ من أن تُنبَش . فنُبِشت وكُشِف له عن وجهها وقد تغيَّر تغيُّراً قبيحاً فقيل له : يا أُمير المؤمنين ، اتّقِ الله ، أَلا ترى كيفَ قد صارت ؟ فقال : ما رأيتُها قطُّ ! أحسَن منها اليومَ ، أخرِجوها . فجاءه مسلمةُ ووجوهُ أهله ، فلم يزالوا به حتّى أزالوه عن ذلك ودَفنوها ، وانصرف فكمِد كمداً شديداً حتّى مات ، فدُفِن إلى جانبها .

[صلاة الجنازة]

قال إسحاق : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الشفافي عن العبّاس بن محمد ، أنّ يزيد بن عبد الملك أرادَ الصلاةَ على حبابة ، فكلَّمه مَسلمةُ في أن لا يخرج وقال : أنا أكفيك الصلاةَ عليها . فتخلَّفَ يزيدُ ومضى مَسلَمة ، حتّى إذا مضى الناسُ انصرفَ مسلمةُ وأُمر مَن صلَّى عليها .

وروى الزُّبير ، عن مصعب بن عثمان ، عن عبد الله بن عروة بن الزُّبير قال : خرجت مع أبي إلى الشام في زمن يزيدَ بن عبد الملك ، فلمّا ماتت حَبابةُ وأخرجت لَم يستطع يزيدُ الركوب من الجزع ولا المشي ، فحُمِل على مِنبرٍ على رقاب الرجال . فلمّا دُفِنت قال : لم أُصلِّ عليها ، انبِشوا عنها . فقال له مسلمة : نَشَدتك اللهَ يا أُمير المؤمنين ، إنّما هي أَمَةٌ من الإماء ، وقد واراها الثَّرى ! فلَم يأذن للناس بعدَ حبابةَ إلاّ مرّةً واحدة . قال : فوالله ما

1 المثل «هامة اليوم أو غد» في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري 2 : 389 .

استتمّ دخولُ الناسِ حتى قال الحاجب : أَجِيزُوا رحمكم الله . ولَم ينشَب يزيدُ أن مات كمدا .

أُخبرني أُحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني إسحاق قال حدَّثني ابن أبي الحويرث الثقفيّ ، قال : لمّا ماتت حَبابةُ جزع عليها يزيدُ جزعاً شديداً ، فضمَّ جُويريّة لها كانت تخدُمها إليه ، فكانت تحدِّثه وتُؤنِسه ، فبينا هو يوماً يدور في قصره إذْ قال لها : هذا الموضع الذي كنّا فيه . فتمثَّلَتْ : [من الطويل]

كَفى حَزَناً للهائم الصبِّ أن يَرى ... مَنازِلَ مَن يهوى معطَّلةً قَفرا

فبكى حتّى كاد يموت . ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكّر بها حبابة حتّى مات .

صوت

[من الطويل]

أيدعونني شيخاً وقد عِشتُ حِقبةً ... وهنّ من الأزواجِ نحوي نوازِعُ

وما شابَ رأسي من سِنِينَ تَتابَعَتْ ... عليَّ ولكنْ شيّبَتْه الوقائِعُ

الشعر لأبي الطّفيلِ صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، عن عمرو وغيره .

[285] ـ أخبار أبي الطفيل ونسبه[1]

[نسبه]

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حُمَيس بن جُدَيٍّ بر سعد بن لَيث بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار .

[صحبته وتشيّعه]

وله صحبةٌ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ورواية عنه . وعُمِّر بعده عُمراً طويلاً ؛ وكان مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وروَى عنه أيضاً ، وكان من وجوه شيعته ، وله منه مَحَلٌّ خاصّ يستغنى بشهرته عن ذكره . ثم خرج طالباً بدمِ الحسين بن عليّ عليهما السلام ، مع المختارِ بن أبي عُبيد ، وكان معه حتّى قتِل وأفلتَ هو ، وعمِّر أيضاً بعد ذلك .

[رأى الرسول في حجّة الوداع]

حدَّثني أحمد بن الجعد قال حدَّثنا محمد بن يوسف بن أسوار الجمحيّ بمكّة ، قال : حدَّثنا يزيد بن أبي حَكيم قال : حدَّثني يزيد بن مُلَيل ، عن أبي الطُّفيل أنّه رأى النبيَّ ﷺ في حَجّة الوداع يَطُوف بالبيت الحرام على ناقته ، ويَستلم الرُّكن بمِحجنِه .

أخبرناه محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الرياشي قال : حدَّثنا أبو عاصم عن معروف بن خرّبوذ عن أبي الطُّفيل بمثله ، وزاد فيه : «ثم يقبل المحجن» .

[علي يجيب أسئلة]

حدَّثني أبو عبيد الله الصيرفيّ قال : حدَّثنا الفضل بن الحسن المصري قال : حدَّثنا أبو نعيم عن بَسّامِ الصَّيرفيّ عن أبي الطُّفيل قال : سمعتُ عليّاً عليه السلامُ يخطب فقال : سَلُوني قبل أن تفقِدوني . فقام إليه ابن الكوّاء ، فقال : ما ﴿الذَّارياتِ ذروًا﴾ ؟ قال : الرياح . قال : فـ﴿ـالجارياتِ يُسْرا﴾ ؟ قال : السُّفن . قال : فـ﴿ـالحاملاتِ وِقْراً﴾ ؟ قال : السحاب . قال : فـ﴿ـالمقسِّمات أمرًا﴾ ؟ قال : الملائكة . قال : فمن ﴿الذين بَدَّلوا نِعمةَ الله كُفْراً﴾ ؟ قال : الأفجرانِ من قريشٍ : بنو أُميَّة وبنو مخزوم . قال : فما كان ذُو القرنين ، أنبياً أم ملكاً ؟ قال : كان

1 لأبي الطفيل ترجمة في خزانة البغدادي 4 : 40–44 وتهذيب ابن عساكر 7 : 200 والإصابة ، وانظر أعلام الزركلي .

عبداً مؤمناً ، أو قال صالحاً ، أُحبَّ اللهَ وأَحبَّه ، ضُرِب ضربةً على قرنِهِ الأيمنِ فمات ، ثم بُعِث وضُرِب ضربةً على قرنِهِ الأيسرِ فمات . وفيكم مثله .

وكتب إليّ إسماعيل بن محمد المريّ الكوفيّ يذكر أنّ أبا نعيم حدّثه بذلك عن بسامٍ . وذكر مثله .

[تقديم شعره]

أُخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : بلَغني أنّ بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنَيم : أنشِدْني أفضلَ شعرٍ قالته كنانة . فأنشده قصيدةَ أبي الطُّفيل : [من الطويل]

أَيَدْعُونني شيخاً وقد عِشتُ برهةً … وهنَّ من الأَزواجِ نَحـوِي نوازعُ

فقال له بشر : صدقتَ هذا أشعر شعرائكم . قال : وقال له الحجّاج أيضاً : أنشدني قولَ شاعركم : «أيدعونني شيخاً» ، فأنشده إيّاه فقال : قاتله الله مُنافِقاً ، ما أشعره !

[محاورة معاوية له]

حدَّثني أَحمد بن عيسى العجليّ الكوفي ، المعروف بابن أبي موسى ، قال : حدَّثنا الحسين بن نصر بن مُزاحم قال : حدَّثني أبي قال حدَّثني عمرو بن شمر عن جابرٍ الجُعفى قال : سمعت ابن حِذْيمٍ الناجيّ يقول : لمّا استقامَ لمعاوية أمرُه لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من لقاء أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، فلم يزل يكاتبُه ويَلطُف له حتّى أتاه ، فلمّا قدِم عليه جعلَ يسائله عن أمر الجاهلية ، ودخل عليه عَمرو بن العاص ونفرٌ معه ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا خليل أبي الحَسَن . ثم قال : يا أبا الطُّفيل ما بَلَغَ من حبِّك لعليّ ؟ قال حبُّ أُمِّ موسى لموسى . قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء العجوز الثَّكلى والشَّيخِ الرقوب[1] ، وإلى الله أَشكو التقصير . قال معاوية : إنّ أصحابي هؤلاءِ لو سُئِلوا عنّي ما قالوا فيّ ما قلتَ في صاحبك . قالوا : إذاً والله ما نقولُ الباطل . قال لهم معاوية : لا والله ولا الحقَّ تقولون . ثم قال معاوية : وهو الذي يقول : [من الطويل]

إلى رجَـبِ السَّبعِـينَ تعتَرِفونني … مع السيف في حَوّاءَ جَـمٍّ عديدُها[2]
رَجوفٍ كمتنِ الطَّـود فيهـا معاشرٌ … كغُلْـبِ السِّباعِ نُمرُهـا وأسودُها[3]
كُهـولٌ وشبّـان وساداتُ معشرٍ … على الخيـلِ فُرسانٌ قليـلٌ صدودها

1 الرقوب : الذي مات ولده .
2 حواء : سوداء ، وهو يصف كتيبة .
3 رجوف : تضطرب لكثرتها . الغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة .

كأنَّ شعــاعَ الشَّمس تحــتَ لوائِها ... إذا طَلعت أعشى العيــونَ حديدُها
يَمُورون مَــوْرَ الرِّيحِ إمّــا ذُهِلتُم ... وزَلّــت بأَكفــالِ الرِّجــالِ لبودُها[1]
شِعارهُــم سِيما النبــيِّ ، ورايــةٌ ... بهــا انتقــمَ الرحمــنُ مِمّن يَكيدُها
تَخطَّفُهــم إيّاكُــم عنــدَ ذكرِهِــم ... كخَطف ضوارِي الطَّير طيراً تصيدُها[2]

فقال معاويةُ لجلسائه : أعَرَفتموه ؟ قالوا : نعم ، هذا أفحشُ شاعرٍ وألأم جليس . فقال معاوية : يا أَبا الطُّفيل أتعرفهم ؟ فقال : ما أعرِفُهم بخيرٍ ، ولا أُبعدهم من شرّ . قال : وقام خُزيمة الأسديُّ فأجابه فقال : [من الطويل]

إلى رجبٍ أو غُــرّةِ الشهرِ بعده ... تصبِّحكم حُمــرُ المنايــا وسودُها
ثمانون ألفاً دِيــنُ عثمانَ دينُهــم ... كتائبُ فيهــا جِبرَئيــلُ يقودُها
فمَن عاشَ منكم عاش عبداً ومَن يمت ... ففي النارِ سُقياهُ هناكَ صديدُها

[يخرج ابن الحنفية من الحبس]

أُخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث قال : حدَّثنا المدائنيّ عن أبي مِخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق ، قال : لمّا رجعَ محمد بن الحنفية من الشام حبسَه ابن الزُّبير في سِجنِ عارم ، فخرج إليه جيشٌ من الكوفة عليهم أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، حتى أتوا سجنَ عارمٍ فكسروه وأخرجُوه ، فكتب ابنُ الزُّبير إلى أخيه مُصعب : أن يسيِّر نساءَ كلِّ مَن خرج لذلك . فأخرج مصعبٌ نساءهم وأخرج فيهن أُمَّ الطُّفيل امرأةَ أبي الطُّفيل ، وابناً له صغيراً يقال له يحيى ، فقال أبو الطُّفيل في ذلك : [من المتقارب]

إن يَــكُ سيَّرهــا مصعبُ ... فإنّي إلى مصعبٍ مذنِبُ
أقــودُ الكتيبةَ مستلئمــا ... كأنّــي أَخــو عُــرّةٍ أجربُ[3]
عــليَّ دِلاصٌ تخيّرتُهــا ... وفي الكفِّ ذو رونقٍ مقضبُ
سعرت عليهم مع الساعرين ... نــاراً إذا خمدت تنقبُ
فلــو أن يحْيــى بــه قوة ... فيغدو مع القوم أو يركبُ
ولكن يحيى كفرخ العقاب ... والوكــر مستضعف أزغبُ

---

1 زل لبودها : كناية عن اشتداد المعركة واضطرابها .
2 طيراً في ل : صيداً .
3 العرة : الجرب .

[تشيّع أبي الطُّفيل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرّازي قال : حدَّثنا سَلَمة بن الفضل عن فِطر بن خليفة قال : سمعت أبا الطُّفيل يقول : لم يبق من الشِّيعة غيري . ثم تمثَّل : [من الطويل]

وخُلّفتُ سهماً في الكنانة واحداً سيُرمى بِهِ أو يكسِر السهمَ كاسرهُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو عاصم قال : حدَّثني شيخٌ من بني تيم اللات قال : كان أبو الطُّفيل مع المختار في القصر ، فرَمى بنفسه قبل أن يُؤخَذ وقال : [من الطويل]

ولّما رأيت البابَ قـد حِيلَ دونه تكسَّرت باسمِ الله فيمـن تكسَّرا

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن شداد النُّشابيّ قال : حدَّثني المفضّل بن غسّان قال : حدَّثني عيسى بن واضح ، عن سليم بن مسلم المكيّ ، عن ابن جُريج عن عطاء قال : دخل عبد الله بن صفوانَ على عبدِ الله بن الزُّبير ، وهو يومئذٍ بمكّة ، فقال : أصبحتُ كما قال الشاعر[1] : [من البسيط]

فإنْ تصبكَ مـن الأيّامِ جائحةٌ لا أبكِ منكَ على دُنيا ولا دِينِ

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عبّاس يفقّه الناس ، وعبيد الله أخوه يُطعم النّاس ، فما بَقّيا لك ؟ فأحفَظَه ذلك فأرسَلَ صاحبَ شُرطته عبد الله بن مطيع فقال له : انطلِق إلى ابنَيْ عبّاسٍ فقل لهما : أعمَدْتُما إلى رايةٍ تُرابيّة[2] قد وضَعَها الله فنصبتماها ، بدِّدا عنّي جَمْعَكما ومن ضَوى[3] إليكما مِن ضُلاّل أهل العراق ، وإلاّ فعلتُ وفعلت ! فقال ابن عبّاس : قل لابن الزُّبير : يقول لك ابن عبّاس : ثكِلَتْك أُمُّك ، والله ما يأتينا من النّاس غيرُ رجلين : طالبِ فقهٍ أو طالِبِ فَضل ، فأيَّ هذين تمنَع ؟ فأنشأ أبو الطُّفيلْ عامرُ بن واثلة يقول : [من البسيط]

لا دَرّ درُّ الليـالي كيف تُضحِكنا منهـا خطـوب أعاجيبٌ وتبكينا
ومثلُ مـا تحدِث الأيّامُ مـن غِيَرٍ يـا ابنَ الزُّبير عـن الدُّنيا يُسلِّينا
كنّا نجـيءُ ابنَ عبّاسٍ فيُقبِسنا عِلمـاً ويُكسِبنا أجـراً ويَهدينا

1 ذو الاصبع العدواني (المفضليات) .
2 نسبة إلى أبي تراب ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
3 ضوى : انضم .

ولا يـزالُ عبيـدُ اللهُ مترعَـةً جِفانُه مُطعِمـاً ضَيفـاً ومسكينا
فالبرُّ والدِّيـنُ والدُّنيـا بدارِهمـا نَنال منهـا الذي نبغـي إذا شِينا
إنّ النبيّ هـو النّور الذي كُشِفَت بِـهِ عَمايـاتُ باقينـا وماضينا
ورهطُـه عِصمـةٌ في ديننا ولهمْ فضلٌ علينـا وحـقٌّ واجبٌ فينا
ولستَ فاعلمْهُ أولى منهمُ رحِماً يـا ابنَ الزُّبير ولا أُولى بِـهِ دِينا
ففيـمَ تَمنعُهـمْ عَنَّـا وتمنعنـا منهـم ، وتؤذيهـمُ فينا وتؤذينا
لن يؤتي اللهُ مَـنْ أخزى ببغضهم في الدِّين عِزّاً ولا في الأرضِ تمكينا

[بكاؤه على ابنه]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني بعض أُصحابنا : أنّ أبا الطُّفيل عامر بن واثلة دُعِي في مأدُبةٍ ، فغنَّت فيها قينةٌ قولَه يرثي ابنه : [من البسيط]

خَلَّـى طفيـلٌ عليَّ الهـمَّ وانشعبا وهـدَّ ذلك ركنـي هَـدَّةً عجبا

فبَكي حتّى كاد يموت .

وقد أُخبرني بهذا الخبر عمِّي عن طلحة بن عبد الله الطلحيّ ، عن أُحمد بن إبراهيم : أنَّ أُبا الطُّفيل دُعِي إلى وليمةٍ فغنّت قينة عندهم : [من البسيط]

خَلَّى عـليَّ طُفيـلُ الهمَّ وانشعبا وهـدَّ ذلك ركنـي هدَّةً عَجبا
وابنَـيْ سُميّـةَ لا أنساهما أبداً فيمن نِسيت وكلٌّ كان لِي وصَبا

فجعل يَنْشِج ويقول : هاه هاه طُفيل ! ويبكي حتّى سَقط على وجهه ميتا .

وأُخبرني محمد بن مزيد قال : حدّثنا حمّاد عن أبيه بخبر أبي الطُّفيل هذا ، فذكر مثل ما مضى ، وزاد في الأبيات : [من البسيط]

فاملِكْ عـزاءَكَ إنْ رزءٌ بليتَ بِهِ فلنْ يـردَّ بكاءُ المرء مـا ذهبا
وليس يَشفِي حزيناً مِـن تذكُّره إلاّ البكاءُ إذا مـا ناحَ وانتحبا
فإذْ سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها ولا مَحالـةَ أن يأتـي الذي كُتِبا
فمـا لبطنك مـن ريٍّ ولا شِبَـع ولا ظَلِلْـتَ بباقـي العيش مُرْتغِبا

[غناء طويس بشعره]

وقال حمّاد بن إسحاق حدَّثني أبي قال : حدَّثني أبو عبد الله الجمحيّ عن أبيه قال : بينا فتيةٌ من قريشٍ ببطنِ محسِّر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار ، إذْ أقبلَ طُويسٌ وعليه قميص

قُوهيٌّ وحِبرَة قد ارتَدى بِها ، وهو يَخطِر في مِشيتِه ، فسلَّم ثم جلس ، فقال له القومُ : يا أبا عبدِ المنعم ، لو غَنّيتنا ؟ قال : نَعَمْ وكرامةً أُغنّيكم بشعرِ شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ ، من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وصاحِبِ رايته ، أدركَ الجاهلية والإسلام ، وكان سيّدَ قومه وشاعرَهم . قالوا : ومَن ذاك يا أبا عبد المنعم فَدَتك أنفُسنا ؟ قال : ذلك أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، ثمَّ اندفع فغنّى : [من الطويل]

أَيَدعونني شيخاً وقد عِشتُ حِقبةً وهُنَّ من الأزواجِ نَحوِي نوازعُ

فطرِب القومُ وقالوا : ما سمعنا قطُّ غناءً أحسنَ من هذا .

وهذا الخبر يدلُّ على أنّ فيه لحناً ولكنّه ليس يُعرف .

صوت[1]

[من الخفيف]

لِمَــن الدّارُ أقفـرت بِمَعـانِ بين شاطى اليَرموك فالصَّمّانِ
فالقُرَيّات مــن بلاس فـدارَ يّـا فسَكّاءَ فالقُصورِ الدواني[2]
ذاك مغنًى لآل جفنةَ في الدَّهـ ـرِ وحــقٌّ تصرُّفُ الأزمانِ
صلوات المسيحِ في ذلك الديـ ـرِ دعاءُ القِسِّيسِ والرُّهبانِ

الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لحُنَين بن بَلوعٍ ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى .

وهذا الصوت من صُدور الأغاني ومختارها ، وكان إسحاق يقدِّمه ويفضِّله . ووجدتُ في بعض كتبه بخطّه قال : الصَّيحة التي في لحن حنين : [من الخفيف]

لَمَــن الدّارُ أقفـرت بِمَعانِ

أُخرِجَت من الصّدر ، ثم من الحلق ، ثم من الأنف ، ثم من الجبهة ، ثم نُبِرَت فأُخرِجت من القِحف ، ثم نُوِّنت مردودةً إلى الأنف ، ثم قُطِعَت .

وفي هذه الأبيات وأبياتٍ غيرها من القصيدة ألحانٌ لجماعةٍ اشتركوا فيها ، واختلف أيضاً مؤلّفو الأغاني في ترتيبها ونسبةِ بعضِها مع بعضٍ إلى صاحبها الذي صنعها ، فذكِرتُ هاهنا على ذلك وشَرحِ ما قالوه فيها . فمنها : [من الخفيف]

---

1 ديوان حسان : 255 وفيه «فالخمان» .

2 جميع ما ذكر أسماء مواضع أو بلاد .

صوت

قـد عفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ فالحوانِـي فجانِـبُ الجَولانِ
فحِمـى جاسم فأبنيـةُ الصُّفَّـ ـرِ مغنـى قنابـلٍ وهجانِ[1]
فالقُريات مـن بَلاسَ فـدارَ يّـا فسَكّاء فالقصور الدَّواني
قد دنا الفِصح فالولائدُ يَنظِمـ ـن سِراعـاً أكِلَّـةَ المَرْجانِ
يتبارَيْـنَ في الدّعـاء إلى اللّـ ـهِ وكلٌّ الدّعـاء للشيطانِ
ذاك مغنًى لآل جفنةَ في الدَّهـ ـرِ وحَـقٌّ تصـرُّف الأزمانِ
صلواتُ المسيحِ في ذلك الدَّيـ ـر دعاءُ القسِّيس والرُّهبانِ
قـد أراني هُناك حقَّ مَكينٍ عند ذي التاج مَقعدِي ومكاني

ذكر عمرو بن بانة أنّ لابن محرز في الأوّل من هذه الأبيات والرّابع خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

وذكر عليّ بن يحيى أنّ لابن سريج في الرابع والخامس رملاً بالوسطى ، وأنّ لمعبدٍ فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيفَ ثقيل ، ولمحمد بن إسحاق بنُ برثع[2] ثقيلَ أوّل في الرابع والثامن .

وذكر الهشاميّ أنَّ في الأوّل لمالك خفيفَ ثقيل ، ووافقه حبش . وذكر حبشٌ أنّ لمعبد في الأوّل والثاني والرابع ثقيلاً أوّل بالبنصر .

1 القنابل : جماعات الخيل والناس ، واحدتها قَنبل وقَنبلة .
2 ل : بزبع .

[286] ـ أخبار حسّان وجَبَلَة بن الأيْهَم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني هارون بن عبد الله الزُّهري قال : حدَّثني يوسف بن الماجِشُون عن أبيه قال : قال حسّان بن ثابت : أتيتُ جبلةَ بن الأيهم الغَسّانيّ وقد مدحتُه ، فأذِن لِي فجلستُ بين يديه ، وعن يمينه رجلٌ له ضفيرتانِ ، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أمّا هذا فأعرفه ، وهو النابغة ، وأمّا هذا فلا أعرفه . قال : فهو عَلقمة بن عَبَدة ، فإن شئتَ استنشدتَهما وسمعتَ منهما ، ثم إنْ شئتَ أن تُنشِد بعدهما أنشدتَ ، وإن شئتَ أن تسكتَ سكتَّ . قلت : فذاك . قال : فأنشده النابغة : [من الطويل]

كِلِيني لهـمٍّ يـا أميمـةَ ناصبِ وليـلٍ أُقاسيـهِ بطـيءِ الكواكِبِ

قال : فذهبَ نِصفي . ثم قال لعلقمة : أنشدْ . فأنشَدَ : [من الطويل]

طَحا بك قلبٌ في الحسانِ طروبُ بُعيدَ الشباب عصرَ حانَ مشيبُ[1]

فذهب نصفي الآخر فقال لي : أنت أعلم ، الآنَ إن شئت أن تنشِدَ بعدهما أنشدتَ ، وإن شئت أن تسكت سكتَّ . فتشدّدتُ ثم قلت : لا بل ، أُنشِد . قال : هات . فأنشدتُه[2] : [من الكامل]

لله دَرُّ عصابَـةٍ نادمتُهـا يوماً بجلِّق في الزَّمـانِ الأوّلِ
أَولادِ جَفنة عنـدَ قبر أبيهم قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ[3]
يَسقُون مَن وَرَد البريصَ عليهم كأساً تُصفَّق بالرحيق السلسلِ[4]
يُغشَونَ حتّى مـا تهرُّ كلابُهم لا يسألون عـن السَّوادِ المقبلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم شمُّ الأنوفِ من الطّرازِ الأوّلِ

فقال لي : ادنُهْ ادنهْ ، لعمري ما أنتَ بدونهما . ثم أمر لِي بثلثمائة دينار ، وعشرةِ أقمصةٍ لها جيبٌ واحد ، وقال : هذا لك عندنا في كلِّ عام .

---

1 طحا : ألقى .
2 ديوان حسان : 74–75 .
3 أولاد في ل : أبناء . الكريم في ل : الجواد .
4 البريص : نهر بدمشق .

وقد ذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ هذه القصة لحسّانَ ووصفها وقال : إنّما فضَّله عمرو بن الحارث الأعرج ، ومدحه بالقصيدة اللامية . وأتى بالقصّة أتمَّ من هذه الرواية .

قال أبو عمرو : قال حسان بن ثابت : قدمتُ على عمرِو بن الحارث فاعتاصَ عليَّ الوصولُ إليه ، فقلتُ للحاجب بعد مدّة : إنْ أذنتَ لي عليه وإلاّ هجوتُ اليمنَ كلّها ثم انقلبتُ عنكم . فأُذِن لي فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغةَ وهو جالسٌ عن يمينه ، وعلقمةَ بن عَبَدة وهو جالسٌ عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفُرَيعة ، قد عرَفتُ عِيصَك[1] ونَسَبك في غَسّان فارجعْ فإنّي باعثٌ إليك بصِلة سَنيّة ، ولا أحتاجُ إلى الشعر ، فإنِّي أخاف عليك هذين السَّبُعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتُك فضيحتي ، وأنتَ والله لا تحسنُ أن تقول : [من الطويل]

رِقــاق النِّعال طيِّبٌ حجزاتهمْ ... يُحَيَّون بالريحانِ يوم السَّباسِبِ

فأبيتُ وقلت : لا بدّ منه . فقال : ذاك إلى عَمَّيك . فقلت لهما : بحقِّ الملكِ إلاّ قدّمتماني عليكما . فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحارث : هاتِ يا ابن الفُريعة . فأنشأت : [من الكامل]

أسأَلْت رسمَ الدَّارِ أم لَم تسألِ ... بَيْنَ الحوابي فالبُضَيع فحَوملِ[2]

فقال : فلم يزل عمرو بن الحارث يَزْحل[3] عن موضعه سُروراً حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيكَ الشِّعرُ ، لا ما تُعلِّلاني به منذُ اليوم ! هذه والله البتّارة[4] التي قد بَتَرت المدائح ، أحسنتَ يا ابن الفريعة ، هات له يا غلامُ ألفَ دينار مرجوحة وهي التي في كلِّ دينار عشرةُ دنانير . فأُعطِيتُ ذلك ثم قال : لك عليَّ في كلّ سنةٍ مثلُها .

ثم أقبلَ على النابغة فقال : قم يا زيادُ فهاتِ الثَّناءَ المسجوع . فقام النابغة فقال : ألا أنعِم صباحاً أيُّها الملِك المبارَك ، السَّماء غِطاؤك ، والأرض وِطاؤك ، ووالديّ فداؤك ، والعربُ وِقاؤك ، والعجم حِماؤك ، والحكماء جُلساؤك ، والمَداره سُمّارك ، والمقاول إخوانك[5] ، والعقل شِعارُك ، والحلم دِثارك ، والسكينة مِهادُك ، والوَقار غِشاؤك ، والبرُّ وِسادك ، والصِّدق رداؤك ، واليُمْن حِذاؤك ، والسَّخاء ظِهارتك ، والحَمِيّة بِطانتُك ، والعَلا عَلايتك[6] ، وأكرم الأحياء أحياؤك ، وأشرفُ الأجدادِ أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ،

1 العيص : الأصل .
2 فالبضيع في ل : فالنصيع .
3 زحل : تنحى وتباعد .
4 ل : البتاتة .
5 المقاول : جمع مقول وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .
6 العلاية : الموضع المرتفع .

وأَسْرى الأخوالِ أَخوالك ، وأعفُّ النساء حلائلك ، وأفخر الشبّان أبناؤك ، وأطهر الأمّهات أمّهاتك ، وأعلى البنيانُ بُنيانك ، وأعذبُ المياه أمواهُك ، وأفْيَح الداراتِ داراتك[1] ، وأنزه الحدائقِ حدائقُك ، وأرفع اللباس لباسُك ، قد حالفَ الإضريجُ[2] عاتقَيك ، ولاءم المِسكُ مَسْكك[3] ، وجاوَرَ العنبر ترائبك ، وصاحَبَ النعيمُ جسدَك . العسجدُ آنيتك ، واللُّجَين صِحافُك ، والعَصْب مَناديلك ، والحُوَّارى[4] طعامُك ، والشُّهد إدامُك ، واللذات غذاؤك ، والخُرطوم[5] شَرابك ، والأبكار مُستراحك ، والأشراف مَناصفك[6] ، والخير بفنائك ، والشرُّ بساحة أعدائك ، والنّصر مَنُوطٌ بلوائك ، والخِذلان مع ألوية حُسّادك ، والبِرّ فِعلُك ، قد طحطح[7] عدوَّك غضبك ، وهزم مقانبهم مشهدُك ؛ وسارَ في الناس عدلُك ، وشَسَع[8] بالنصر ذكرك ، وسكَّن قوارعَ الأعداء ظفرك . الذّهبُ عطاؤك ، والدّواة رمزك ، والأوراق لحظُك وإطراقك ، وألف دينارٍ مرجوحةٍ إنماؤك . أيفاخرك المنذرُ اللخميّ ، فوالله لَقفاكَ خيرٌ من وجهه ، ولِشمالك خيرٌ من يمينه ، ولأخمَصُك خيرٌ من رأسه ، ولخطَاؤك خير من صوابه ، ولصمتُك خيرٌ من كلامه ، ولأمّك خير من أبيه ، ولخدَمك خيرٌ من قومِه . فهبْ لِي أُسارى قومي ، واستَرهن بذلك شكري ؛ فإنّك من أشراف قحطان ، وأنا من سَرَوات عدنان .

فرفع عمرٌو رأسَه إلى جاريةٍ كانت قائمةً على رأسه وقال : بمِثل هذا فليُثْنَ على الملوك ، ومِثلُ ابن الفُريعة فليمدحْهم ! وأطلق له أسرى قومه .

وذكر ابن الكلبيّ هذه القصّة نحوَ هذا وقال : فقال له عمرو : اجعَل المفاضلةَ بيني وبين المنذر شعراً فإنّه أَسْيَر[9] . فقال : [من المتقارب]

ونُبِّئْــت أن أَبــا منــذرٍ يُسامِيك للحــدَث الأكبرِ
قَذَالك أحسنُ مــن وجههِ وأُمّــكَ خيرٌ مــن المنذرِ

---

1 أفيح : أوسَع .
2 الإضريج : ضرب من الأكسية أصفر ، أو هو الخزّ الأحمر .
3 المَسك : الجلد .
4 الحوارى : الدقيق الأبيض .
5 الخرطوم : الخمر القوية .
6 المناصف : جمع منصف ، وهو الخادم .
7 طحطح : بدّد وفرّق .
8 شسع : ذاع .
9 أسير : أكثر سيراً بين الناس .

ويُسراك أَجْوَدُ من كفّه الـ ـيمينِ فقُـولا لـه أَخْرِ

وقد ذكر المدائنيّ أنّ هذه الأبيات والسجعَ الذي قبلها لحسان ، وهذا أصحّ .

[قدوم جبلة بن الأيهم على عمر]

قال أبو عمرو الشيباني : لمّا أسلم جَبَلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جَفنة ، كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القُدوم عليه ، فأَذِنَ له عمر . فخرج إليه في خَمسمائة من أهل بيته ، من عَكٍّ وغسّان ، حتّى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عُمر يُعْلمه بقدومه ، فسُرّ عمر رضوان الله عليه ، وأمر الناسَ باستقباله ، وبعث إليه بأنزالٍ[1] ، وأمر جبلةُ مائتي رجلٍ من أصحابه فلبِسوا الدِّيباج والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضّة ، ولبس جبلةُ تاجَه وفيه قُرطا ماريةَ ، وهي جدّته ، ودخل المدينة ، فلم يبقَ بها بكرٌ ولا عانِسٌ إلاّ تبرّجت وخرجَتْ تنظر إليه وإلى زِيّه ، فلمّا انتهى إلى عُمر رحَّبَ به وأَلطفَه وأدنى مجلسَه ؛ ثم أراد عمرُ الحجَّ فخرج معه جبلةُ ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم ، إذ وطىء إزارَه رجلٌ من بني فزارة فانحلَّ ، فرفع جبلةُ يَدَه فهشم أنفَ الفزاريّ ، فاستعدى عليه عمرَ رضوان الله عليه ، فبعثَ إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نَعَمْ يا أمير المؤمنين ، إنّه تعمّدَ حلَّ إزاري ، ولولا حُرمة الكعبة لضربتُ بين عينيه بالسَّيف ! فقال له عمر : قد أقررت فإمّا أنْ رضيَ الرجلُ وإمّا أن أقيدَه منك . قال جبلة : ماذا تصنع بِي ؟ قال : آمُر بهشْم أنفك كما فعلتَ . قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو سُوقةٌ وأنا ملك ؟ قال : إنّ الإسلام جَمَعك وإيّاه ، فلستَ تفضُله بشيءٍ إلاّ بالتُّقى والعافية !! قال جبلة : قد ظننتُ يا أمير المؤمنين أنّي أكون في الإسلام أعزَّ منّي في الجاهلية . قال عمر : دَعْ عنك فإنّك إن لم تُرضِ الرجلَ أقدتهُ منك . قال : إذاً أتنصّرَ . قال : إنْ تنصّرتَ ضربتُ عنقك ، لأنّك قد أسلمت ، فإن ارتددتَ قتلتُك . فلمّا رأى جبلةُ الصِّدقَ من عمر قال : أنا ناظرٌ في هذا ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا وحيٍّ هذا خلقٌ كثير ، حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فلمّا أمسَوْا أذِن له عمر في الانصراف ، حتّى إذا نام الناس وهدأوا تحمل جبلةُ بخيله ورَواحله إلى الشام ، فأصبحتْ مكّةُ وهي منهم بَلاقع ، فلمّا انتهى إلى الشام تحمل في خمسمائةٍ رجل من قومه حتّى أتى القُسطنطينية ، فدخل إلى هِرَقل ، فتنصّر هو وقومه ؛ فسُرَّ هرَقلُ بذلك جدّاً وظنّ أنّه فتحٌ من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيثُ شاء ، وأَجرى عليه من النُّزل ما شاء ، وجعلَه من محدِّثيه وسُمّاره . هكذا ذكر أبو عمرو الشيبانيّ .

وذكر ابن الكلبيّ أنّ الفزاريَّ لمّا وطىء إزارَ جبلة لطم جبلةَ كما لطمه ، فوثبت غَسّان

1 أنزال : جمع نُزُل ، وهو ما يهيأ للضيف .

فهشموا أنفَه وأتَوا به عمر ، ثم ذكر باقي الخبر نحو ما ذكرناه .

وذكر الزُّبير بن بكّار فيما أخبرنا به الحِرْميّ بن أبي العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدّثه عن أبيه : أنّ جبلةَ قدم على عمر رضي الله عنه في ألفٍ من أهل بيته فأسلم . قال : وجرى بينه وبين رجلٍ من أهل المدينة يوماً كلامٌ ، فسبَّ المديني فردّ عليه ؛ فلطمه جبلة فلطمه المديني ، فوثَب عليه أصحابُه فقال : دَعُوه حتّى أسألَ صاحبه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره فقال : إنّك فعلتَ بهِ فِعلاً ففعَل بك مثلَه . قال : أوَ ليس عندك من الأمر إلاّ ما أرى . قال : لا فما الأمر عندكَ يا جبلة ؟ قال : من سَبَّنا ضربناه ، ومَن ضَرَبَنا قتلناه . قال : إنّما أُنزِل القرآن بالقصاص . فغضِب وخرج بمَن معه ودخلَ أرض الرّوم فتنصَّر ، ثم ندم وقال :

تنصَّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ

وذكر الأبيات ، وزاد فيها بعد : [من الطويل]

ويا ليتَ لي بالشام أدنى معيشة أُجالسُ قومِي ذاهبَ السمعِ والبصَرْ
أدين بما دانوا به من شريعةٍ وقد يحبس العَود الضَّجور على الدَّبَرْ[1]

[دعوة معاوية وعمر جبلة بن الأيهم للرجوع إلى الإسلام]

وذكر باقي خبره فيما وجّه به إلى حسّان مثله ، وزاد فيه : أنّ معاوية لمّا ولِيَ بعثَ إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ، ووعده إقطاع الغُوطة بأسْرها ، فأَبى ولم يقبل . ثم إنّ عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتبَ إلى هرقل يدعوه إلى الله جلّ وعزّ وإلى الإسلام ، ووجّه إليه رجلاً من أصحابه ، وهو جَثّامة بنُ مساحِق الكنانيّ ، فلمّا انتهى إليه الرجُل بكتاب عمرَ أجاب إلى كلِّ شيءٍ سوى الإسلام ، فلمّا أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابن عمِّك هذا الذي جاءَنا راغباً في ديننا ؟ قال : لا . قال : فالقَه . قال الرجل : فتوجهتُ إليه فلمّا انتهيت إلى بابه رأيتُ من البهجة والحسن والسرور ما لم أرَ مثله ببابِ هرقل ؛ فلمّا أُدخِلت عليه إذا هو في بهوٍ عظيم ، وفيه من التصاوير ما لا أحسِن وصفَه ، وإذا هو جالس على سريرٍ من قَوارير ، قوائمه أربعةُ أُسْدٍ من ذهب وإذا هو رجلٌ أصهب ذو سبالٍ وعُثنون ؛ وقد أَمر بمجلِسِه فاستُقبِل به وجه الشمس ، فما بينَ يديه من آنية الذهب والفضّة يلوح ، فما رأيتُ أحسنَ منه . فلمّا سلمتُ ردَّ السلام ورحّب بِي ، وألطَفني ولامني على تركي النزول عنده ، ثم أَقعدني على شيءٍ لم أثبته ، فإذا هو كرسيٌّ من ذَهب ، فانحدرت عنه فقال : ما لكَ ؟ فقلت : إن رسول الله ﷺ نَهى عن هذا . فقال جبلة أيضاً مثلَ قولِي في النبيّ ﷺ حين ذكرته ، وصلّى عليه . ثم قال : يا هذا إنّك إذا

1 العود : المسن من الإبل .

طهَّرتَ قلبك لم يَضِركَ ما لبسته ولا ما جلست عليه . ثم سألني عن الناس وألحفَ في السؤال عن عمر ، ثم جعل يفكّر حتى رأيت الحزنَ في وجهه ؛ فقلتُ : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟ قال : أبعدَ الذي قد كان ؟ قلت : قد ارتدّ الأشعثُ بن قيس ومنعَهُم الزكاةَ وضربهم بالسّيف ثم رجع إلى الإسلام . فتحدّثْنا مليّاً ثم أومأ إلى غلامٍ على رأسِهِ فولّى يُحْضِر ، فما كان إلاّ هنيهةً حتى أقبلت الأخْوِنةُ يحملها الرجال فوضِعت ، وجيء بخوان من ذهبٍ فوضِع أمامي فاستعفيتُ منه ، فوضع أمامي خُوانُ خَلَنج[1] وجاماتُ قوارير[2] ، وأديرت الخمر فاستعفَيت منها ، فلمّا فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب به خَمساً عدداً . ثم أومأ إلى غلامٍ فولّى يُحضر ، فما شعرتُ إلاّ بعشْر جَوارٍ يتكسَّرن في الحَلْي ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمسٌ عن شِمالِه ، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائي ، فإذا أنا بعشرٍ أفضلَ من الأوّلِ عليهن الوشيُ والحَلْي ؛ فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن شماله ؛ وأقبلت جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنّه لؤلؤة ، مؤدَّب ، وفي يدها اليمنى جامٌ فيه مِسك وعنبر قد خُلِطا وأنعِم سحقُهما ، وفي اليسرى جامٌ فيه ماء ورد ، فألقت الطائر في ماء الورد ، فتمعَّك بَين جناحيه وظهره وبطنه ، ثم أخرجَتْه فألقتهِ في جام المسكِ والعنبر ، فتمعَّك فيها حتى لم يدَعْ فيها شيئاً ، ثم نَفَّرته فسقط على تاج جَبَلة ، ثم رفرف ونفض ريشَه فما بَقِي عليه شيءٌ إلاّ سَقط على رَأس جبلة ، ثم قال للجواري : أطرِبْنني . فخفَقْن بعيدانهنّ يغنين : [من الكامل]

لله درُّ عصابةٍ نادمتُهم ... يوماً بجِلّق في الزمان الأوّلِ
بِيض الوجوه كريمةٍ أحسابُهم ... شُمِّ الأُنوف من الطِّرازِ الأوّلِ
يُغشَونَ حتّى ما تهرُّ كلابهم ... لا يسألون عن السَّواد المقبل

فاستهلَّ واشتبشر وطرِب ثم قال : زِدنني . فاندفَعن يغنين : [من الخفيف]

لِمَن الدارُ أقفرَتْ بمَعانِ ... بين شاطِي اليرموك فالصَّمَّانِ
فحِمى جاسم فأبنية الصُّفَّـ ... ـرِ مَغنى قنابلٍ وهجانِ
فالقُرياتِ من بَلاس فدارَ ... يّا فَسَكّاءَ فالقصورِ الدواني
ذاكَ مغنّى لآل جفنة في الدَّ ... ارِ وحقٌّ تعاقُب الأزمانِ
قد دنا الفِصح فالولائد يَنظِمـ ... ـنَ سِراعاً أكِلّةَ المَرْجانِ

---

1 الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأواني .

2 قوارير : من الزجاج .

لم يُعلَّلْـنَ بـالمغافير والصّمـ ـغ ولا نَقْفِ حَنظل الشّريانِ
قـد أُراني هناكَ حقّـاً مكينا عند ذي التاج مَقعدي ومكاني

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلُنا في مُلكنا بأكناف دمشق ، وهذا شعر ابنِ الفُريعة حسّانَ بن ثابت ، شاعرِ رسول الله ﷺ . قلت : أما إنّه مضرورُ البصرِ كبير السنّ . قـال : يا جاريةُ هاتي . فأتته بخمسمائةِ دينارٍ وخمسة أثوابٍ من الدِّيباج ، فقال : ادفعْ هذا إلى حسانَ وأقرئه منّي السلام . ثم أرادني على مثلها ، فأبيتُ فبكى ، ثم قال لجواريه : إبكينني . فوضعن عِيدانَهنَّ وأنشأن يقلن : [من الطويل]

تنصَّرَتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ وما كان فيها لو صَبرتُ لها ضَرَرْ
تكنَّفني فيهـا لَجـاجٌ ونَخوةٌ وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعوَرْ
فيـا ليـتَ أُمِّـي لم تلِدْني وليتني رجعتُ إلى القول الذي قال لِي عمرْ
ويا ليتنـي أرعـى المخاضَ بقفرةٍ وكنتُ أسيراً في ربيعـةَ أو مُضرْ
ويـا ليت لي بالشأم أدنى معيشةٍ أُجالسُ قومي ذاهبَ السَّمعِ والبصرْ

ثم بكى وبكيتُ معه حتّى رأيت دموعَه تجول على لحيته كأنَّـها اللؤلؤ ، ثمّ سلَّمت عليه وانصرفت ، فلمّا قدِمتُ على عمرَ سألني عن هِرَقْل وجَبَلة ، فقصصتُ عليه القصّة من أوّلها إلى آخرهـا ، فقال : أوَ رأيتَ جبلة يشرب الخمر ؟ قلت : نعم . قال : أبعده الله ، تعجَّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فما رَبِحتْ تجارته ، فهل سَرَّح معك شيئاً ؟ قلت : سَرَّح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسةَ أثواب ديباج . فقال : هاتها . وبعثَ إلى حسانّ فأقبل يقودُه قائده حتّى دنا فسلّم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي لأجد أرواحَ آلِ جفنة . فقال عمر رضي الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رَغْم أنفه ، وأتاك بمعونة . فانصرفَ عنه وهو يقول[1] : [من الكامل]

إنَّ ابنَ جفنةَ من بقيّة مَعشرٍ لَـم يَغذُهـم آباؤهـم باللُّومِ
لم يَنسني بالشَّأم إذ هـو ربُّها كَـلاَّ ولا متنصِّـراً بالرّومِ
يُعطِي الجزيل ولا يَراه عنده إلاَّ كبعض عطيّـةِ المـذمومِ
وأتيتُـه يومـاً فقرَّب مجلسي وسقى فروَّاني مـن الخُرطومِ

فقال له رجلٌ في مجلس عمر : أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم ؟ ! فقال : ممّن الرّجل ؟ قال : مُزَنيّ . قال : أَما والله لولا سوابقُ قومِك مع رسول الله ﷺ لطَوّقتُك طَوقَ الحمامة . وقال : ما كان خليلي ليُخِلّ بِي ، فما قال لك ؟ قال : قال إنْ وجدتَه حيّاً فادفعها

1 ديوان حسان : 439 .

إليه ، وإن وجدتَه ميّتاً فاطرح الثيابَ على قبره ، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْناً فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتَك وجدتني ميّتاً ففعلتَ ذلك بِي ؟

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير قال : قال لي عبد الرحمن بن عبد الله الزُّبيريّ : قال الرسولُ الذي بعثَ به إلى جبلة . ثم ذكر قصته مع الجارية التي جاءت بالجامَين والطائر الذي تمعَّك فيهما ، وذكر قولَ حسان : [من الكامل]

إن ابــنَ جفنةَ من بقية معشرٍ

ولم يذكر غير ذلك . هكذا روى أبو عمرو في هذا الخبر .

[رسول معاوية وجبلة]

وقد أخبرني به أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال عبد الله بن مَسعدة الفزاريّ : وجَّهني معاويةُ إلى ملك الروم ، فدخلتُ عليه ، فإذا عنده رجلٌ على سرير من ذهب دونَ مجلسه ، فكلَّمني بالعربية فقلت : مَن أنتَ يا عبد الله ؟ قال : أنا رجلٌ غلَب عليه الشَّقاء ، أنا جبلة بن الأيْهَم ، إذا صرتُ إلى منزلي فألقَني . فلمّا انصرفَ وانصرفتُ أتيتُه في داره فألفيته على شرابه ، وعنده قَينتانِ تغنّيانه بشعر حسّان بن ثابت : [من الخفيف]

قــد عَفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ فالجوابــي فجانب الجَوْلانِ

وذكر الأبيات . فلمّا فَرغَتا من غنائِهما أقبل عليّ ثم قال : ما فعل حسّانُ بن ثابت ؟ قلت : شيخٌ كبير قد عَمِي . فدعا بألف دينار فدفعَها إليَّ ، وأمرني أن أدفعَها إليه ثم قال : أتُرى صاحبك يَفِي لي إن خرجتُ إليه ؟ قال : قلت قل ما شئت أعرضْه عليه . قال : يُعطيني الثنيّة فإنّها كانت منازلَنا ، وعشرين قريةً من الغُوطة منها داريّا وسَكّاء ، ويفرضُ لجماعتنا ويحسِنُ جوائزَنا . قال : قلت أُبلِغهُ . فلمّا قدِمتُ على معاوية قال : ودِدتُ أنّك أجبتَه إلى ما سأَلَ فأجزته له . وكتب إليه معاوية يُعطيه ذلك ، فوجَده قد مات .

قال : وقدِمتُ المدينةَ فدخلت مسجد رسول الله ﷺ ، فلقيتُ حسانَ فقلت : يا أبا الوليد ، صديقُك جَبَلة يقرأ عليك السلام . فقال : هات ما معك . قلت : وما عِلمُك أنَّ معي شيئاً ، قال : ما أرسل إليَّ بالسَّلام قطّ إلاّ ومعَه شيء . قال : فدفعت إليه المال .

أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مُسلم قال : حدَّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، عن أهل المدينة قالوا : بعث جبلةُ إلى حسّانَ بخمسمائة دينارٍ وكُسًى وقال للرسول : إنْ وجدتَه قد مات فابسُط هذه الثيابَ على قبره . فجاء فوجدهُ حيّاً ، فأخبره فقال : لوددت أنـّكَ وجدتَني ميتاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الطويل]

تنصَّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ   وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ

الأبيات الخمسة .

الشعر لجبلة بن الأيهم ، والغناء لعريب نصب خفيف ، وبسيط رملٍ بالوسطى ، ومنها :

صوت

[من الكامل]

إنّ ابن جفنةَ من بقيةِ معشرٍ   لم يَغذُهم آباؤهم باللُّومِ

الأبيات الأربعة . الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لعريب ، هزج بالبنصر .

[حديث حسان مع الحارث بن أبي شمر]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا عمِّي يوسف بن محمد قال : حدَّثني عمِّي إسماعيل بن أبي محمد قال : قال الواقديّ : حدَّثني محمد بن صالح قال : كان حسّان بن ثابت يَغدُو[1] على جبلة بن الأيهم سنةً ويقيم سنةً في أهله ، فقال : لو وفدتُ على الحارث بن أبي شمر الغَسّانيّ ، فإنّ له قرابةً ورحِماً بصاحبي ، وهو أبذلُ الناس للمعروف ، وقد يَئس منّي أن أفِدَ عليه ، لما يَعرِف من انقطاعي إلى جَبَلة .

قال : فخرجتُ في السنة التي كنت أُقيم فيها بالمدينة ، حتى قدمت على الحارث وقد هيَّأتُ له مديحاً ، فقال لي حاجبُه ، وكان لي ناصحاً : إنّ الملك قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يدعُك حتّى تذكر جبلة ، فإيّاك أن تقعَ فيه فإنّه إنّما يختبرك ، وإن رآك قد وقعتَ فيه زهِدَ فيك ؛ وإن رآكَ تذكر محاسنَه ثَقُل عليه فلا تبتدىء بذكره ، وإن سألَكَ عنه فلا تُطنِب في الثناء عليه ولا تَعِبْه ، امسحْ ذكره مَسْحاً ، وجاوزْه إلى غيره ، فإنّ صاحبك ، يعني جبلةَ ، أشدُّ إغضاءٍ عن هذا مِن هذا ، أي أشدُّ تغافلاً وأقلُّ حَفْلاً به ، وذلك أنّ صاحبك أعقلُ مِن هذا وأبين ، وليس لهذا بيان ، فإذا دخلتَ عليه فسوف يدعُوك إلى الطعام ، وهو رجلٌ يثقُل عليه أن يؤكل طعامُه ولا يبالي الدرهمَ والدينار ، ويثقل عليه أن يشرب شرابُه أيضاً ؛ فإذا وُضِع طعامُه فلا تضَعْ يدك حتّى يدعوَك ، وإذا دعاك فأصِبْ من طعامِهِ بعضَ الإصابة . قال : فشكرتُ لحاجبه ما أمرني به .

قال : ثم دخلتُ عليه فسألني عن البلاد وعن الناس ، وعن عَيشنا بالحجاز ، وعن رجالِ يهودَ ، وكيف ما بَيْننا من تلك الحروب . فكلَّ ذلك أُخبره حتَّى انتهى إلى ذكر جبلة ، فقال :

---

1 ل : يفد .

كيف تجدُ جبلة ، فقد انقطَعْتَ إليه وتركتَنا ؟ فقلت : إنّما جبلة منك وأنت منه . فلم أجْرِ إلى مدح ولا عيب ، وجاز ذلك إلى غيره ثم قال : الغَداء . فأُتِي بالغَداء ، ووُضِع الطعام ، فوضعَ يدَه فأكلَ أكلاً شديداً ، وإذا رجلٌ جبّار ، فقال بعد ساعة : ادنُ فأصِبْ مِن هذا . فدنوتُ فخطّطتُ تخطيطاً ، فأُتِيَ بطعام كثير ، ثم رُفِع الطعام وجاء وُصفاءُ كثيرٌ عددهم ، معهم الأباريقُ فيها ألوانُ الأشربة . ومعهم مناديلُ اللّين فقاموا على رؤوسنا ، ودعا أصحابَ برابِطَ من الرّوم فأجلسَهم وشرِب فألهَوْه ، وقام الساقي على رأسي فقال : اشربْ . فأبيتُ حتى قال هو : اشربْ . فشربت ، فلمّا أخَذَ فينا الشرابُ أنشدتُه شعراً فأعجبه ولذَّ به ، فأقمتُ عنده أيّاماً فقال لي حاجبه : إنّ له صديقاً هو أخفُّ الناس عليه ، وهُو جاءٍ ، فإذا هو جاءَ جفاكَ وخلص به ، وقد ذُكِر قدومه ؛ فاستأذِنْه قبل أن يقدم عليه ، فإنّه قبيحٌ أن يجفوكَ بعد الإكرام ، والإذنُ اليوم أحسن . قلت : ومن هو ؟ قال : نابغة بني ذبيان . فقلت للحارث : إنْ رأى الملكُ أن يأذن لي في الانصراف إلى أهلي فَعل . قال : قد أذنتُ لك وأمرتُ لك بخمسمائة دينار وكُسًى وحُمْلان . فقبضتُها وقدم النابغةُ وخرجتُ إلى أهلي .

صوت[1]

[من الطويل]

ألا إنّ ليلى العامريّـة أصبحَتْ — على النأي منّي ذنـبَ غيريَ تنقِمُ
وما ذاك من شيءٍ أكونُ اجترمتُه — إليها فتجزيني بــه حيــثُ أعلمُ
ولكنّ إنساناً إذا مــلَّ صاحبـاً — وحاول صَرماً لم يـزل يتجرّم[2]
وما زال بي ما يُحدِث النأيُ والذي — أُعالـج حتّى كدت بالعيش أبْرَمُ
وما زال بِي الكتمانُ حتّى كأنّني — بِرجعِ جَوابِ السائلي عنك أُعجمُ
لأسلمَ من قـول الوُشاة وتسلمي — سَلِمْتِ وهل حيّ من الناس يسلمُ

عروضه من الطويل . الشعر لنُصَيب ، ومن الناس من يروي الثلاثة الأبياتِ الأوّل للمجنون . والغناء لبديح مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله .

وفي الأبيات الأوّل منها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش . وذكره حمّاد بن إسحاقَ ولم يجنِّسه . وفيه لابن سُريج هزج خفيف بالبنصر في مجراها عن إسحاق في البيتين الأخيرين . وفيه لمعبد في البيتين الأوّلين خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

---

1 الأبيات في ديوان نصيب : 123 والثلاثة الأولى منها في ديوان مجنون ليلى أيضاً .

2 يتجرم عليه : يدّعي عليه ذنباً لم يفعله .

[287] ـ خبر بُديح في هذا الصوت وغيره

[صنعة بديح]

بُديح مولى عبد الله بن جعفر ، وكان يقال له بديح المليح . وله صنعة يسيرة وإنّما كان يغنّي أغاني غيره مثل سائب خاثر ، ونَشيط ، وطُوَيس ، وهذه الطبقة . وقد روى بُديح الحديثَ عن عبد الله بن جعفر .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا العبّاس بن محمد الدُّوري قال : حدَّثنا أبو عاصم النَّبيل عن جُويرية بنِ أسماء ، عن عيسى بن عمر بن موسى ، عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال : لما قدِم يحيى بن الحكم المدينةَ دخل إليه عبدُ الله بن جعفر في جماعةٍ فقال له يحيى : جئتَني بأوباشٍ من أوباش خبِثة ؟ فقال عبد الله : سمّاها رسول الله ﷺ طِيبةَ وتسمّيها أنت خبِثة ؟!

[رقية بديح لعبد الملك بن مروان]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : قال داود بن جميل حدَّثني من سمع هذا الحديث من ابن العتبيّ يذكره عن أبيه قال : دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوّه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أدخلتَ عليك من يُؤْنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار ؟ قال : لستُ صاحبَ هزل ، والجِدّ مع عِلّتي أحْجى بي . قال : وما علّتكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : هاجَ بِي عِرق النَّسا في ليلتي هذه ، فبلغَ مني . قال : فإنّ بُديحاً مولاي أرقى الناسِ منه . فوجَّه إليه عبد الملك فلمّا مضى الرسول سُقِط في يَدَيْ ابن جعفر وقال : كِذبةٌ قبيحة عندَ خليفة . فما كان بأسرعَ من أن طلع بديح فقال : كيف رُقيتك من عِرق النَّسا . قال : أرقى الخلق يا أمير المؤمنين . قال : فسُرِّي عن عبد الله لأنّ بُديحاً كان صاحبَ فكاهةٍ يُعرف بها ؛ فمدَّ رجلَه فتَفَل عليها ورقاها مِراراً ، فقال عبد الملك : الله أكبر ، وجدتُ والله خِفّاً ، يا غلامُ ادعُ فلانة حتّى تكتبَ الرُّقية ، فإنّا لا نأمَنُ هَيْجَها بالليل فلا نَدْعر بُديحاً . فلمّا جاءت الجاريةُ قال بديح : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاقُ إن كتَبْتُها حتى تعجِّل حِبائي . فأمَر بأربعة آلاف درهم فلمّا صار المالُ بين يديه قال : وامرأته الطلاقُ إن كتَبْتُها أو يصير المال إلى منزلي . فأمر به فحُمِل إلى منزله ، فلمّا أحرزه قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاق إن كنتُ قرأت على رجلك إلاّ أبياتَ نصيب : [من الطويل]

أَلا إنَّ ليلى العامريّةَ أصبحَتْ ... على النأي منّي ذنبَ غيري تَنقِمُ

وذكر الأبيات وزاد فيها :

وما زلتُ أستصفي لكِ الودَّ أبتغي مُحاسَنةً حتّى كأنّي مُجرمُ

قال : ويلكَ ما تقول ؟ قال امرأته الطلاق إنْ كان رقاك إلاّ بما قال . قال : فاكتمْها عليّ . قال : وكيف ذاكَ وقد سارت بها البُردُ إلى أخيك بمصر ؟ ! فطفق عبد الملك ضاحِكاً يفحَص برجليه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني الأصمعيّ عن المنتجعِ النَّبهانيّ ، عن أبيه بهذا الخبر مثل الذي قبله . وزاد في الشعر : [من الطويل]

فلا تصرِميني حينَ لا لِيَ مرجعٌ ورائي ولا لي عنكمُ متقدّم

وقال فيه : فسكَن ما كان يجدُه عبد الملك ، وأمر لبُديح بأربعة آلاف درهم ، فقال ابن جعفر لبديح : ما سمعتُ هذا الغناءَ منكَ مذْ ملكتُك ! فقال : هذا من نُتَف سائب خاثر .

أخبرني إسماعيل قال حدَّثنا عمر قال حدَّثني القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزناد عن نافع ، أراه نافع الخير مولى ابن جعفر ، بهذا الخبر مثلَه ، وزاد فيه أنّ بُديحاً رفع صوتَه يغنّيه به لّما قال له أن يكتبَ الرقية . وزاد فيه : فجعل عبدُ الملك يقول : مهلاً يا بُديح . فقال : إنّما رقيتك كما عُلّمتُ يا أمير المؤمنين .

أخبرني إسماعيل قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو سَلمة الغِفاريّ عن عبد الله بن عِمران بن أبي فَروة قال : كان ابن جعفر يحبُّ أن يُسمعَ عبدَ الملك غناء بُديح ، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبدُ الملك رُكبته فقال له ابنُ جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لي مولًى كانت أمّه بربريّة ، وكانت تَرقي من هذه العلّة ، وقد أُخذَ ذلك عنها . قال : فادعُ به . فدُعِي بُديح ، فجعل يتفُل على ركبة عبد الملك ويُهمهِم ، ثم قال : قُم يا أمير المؤمنين جعلني الله فِداك . فقام عبد الملك لا يجدُ شيئاً . فقال عبد الله : يا أميرَ المؤمنين مولاك لا بدَّ له من صلة . قال : حتّى تكتب رُقيتَه . ثم أمر جاريةً له فكتبَتْ :

بسمِ الله الرحمن الرحيم . فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال : كيف تكون ويلكَ رقيةٌ ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : فهو ذاك . قال : فاكتبيها على ما فيها . فأملى عليها : [من الطويل]

ديارَ سُليمى بين عَيقة فالُمهدِي سُقيتِ ، وإن لَم تَنطقي ، سَبَل الرعدِ

ثم قال له ابن جعفر : لو سمعتَه منه . قال : أوَيُجيد ؟ قال : نعم . قال : هات . فما برح والله حتّى أفرغَها في مسامعه .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال حدَّثني عمّي عبيد الله قال : حدَّثني سليمان بن أبي شَيخ قال : كنّا عند أبي نعيم الفَضل بن دُكَين فجاءه رجل فقال : يا أبا نُعيم ، إنّ الناس

يزعمُون أنّك رافضيّ . قال : فأطرق ساعةً ثم رفع رأسَه وهو يبكي وقال : يا هذا أصبحتُ فيكم كما قال نُصيب : [من الطويل]

ومـا زال بي الكِتمان حتّى كأنني برَجعِ جوابِ السّائلي عنكِ أعجمُ
لأسلمَ من قول الوشاةِ وتَسلمي سَلمتِ وهل حيٌّ من الناس يسلمُ

صوت[1]

[من الرمل]

يـا غرابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ إنّمـا تنطِـق شيئاً قـد فُعِلْ
إنَّ للخيـرِ وللشرّ مَـدًى لِكـلا ذَينِكَ وقـتٌ وأَجَلْ[2]
كلُّ بؤسٍ ونعيـم زائـلٌ وبنـات الدهـرِ يَلعبنَ بكلّ
والعطِيّـاتُ خِساسٌ بينهـم وسواءٌ قبـرُ مُثْـرٍ ومقِـلّ

الشعر لعبد الله بن الزِّبَعرى السهميّ ، يقوله في غَزاة أُحد ، وهو يومئذٍ مشرك . والغناء لابن سُريج خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبِنصر ، عن عمرو على مذهب إسحاق . وفيه لحنٌ لابن مُسْجع من رواية حماد عن أبيه في كتاب ابن مسجح .

1 شعر ابن الزبعرى : 41–43 .
2 مجموع شعره : «وجه وقبل» .

[288] ـ نسب ابن الزِّبعرى وأَخبارُه وقصّة غَزْوة أُحُد[1]

[نسبه]

هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

[يهجو المسلمين ويمدحهم]

وهو أَحدُ شعراء قريشٍ المعدودين . وكان يهجو المسلمين ويحرِّض عليهم كفارَ قريش في شعره ، ثم أسلَم بعد ذلك فقبِل النبيُّ ﷺ إسلامَه وأَمَّنه يومَ الفتح .

وهذه الأبياتُ يقولُها ابنُ الزِّبعرى في غزوة أُحُد .

[غزوة أُحُد]

حدَّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبريّ قال حدَّثنا ابن حميد قال : حدَّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق قال حدَّثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهريّ ، ومحمد بن يحيى بن حيان ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث ، فقد اجتمع حديثُهم كلُّهم فيما سُقت من الحديث عن يوم أُحُد . قالوا : لمّا أُصيبت قريشٌ ، أو مَن قاله منهم يومَ بدرٍ من كفّار قريش ، من أصحاب القَلِيب ، فرجعَ فَلُّهم[2] إلى مكّة ، ورجع أبو سفيانَ بن حرب بِعِيرِه ، مشى عبد الله بن أُبي ربيعة ، وعكرُمة بن أبي جَهلٍ ، وصَفْوان بن أُميّة ، في رجالٍ من قريش ، مِمّن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومَن كان له في تلك العير من قريش تجارة ؛ فقال أبو سفيان : يا معشَر قريش ، إنَّ محمداً قد وَتَركم وقتلَ خيارَكم ، فأعينونا بهذا المال على حَربه ، لعلَّنا أن ندرك ثأراً مِمّن أُصيبَ منّا . ففعلوا ، فاجتمعتْ قريش لحرب رسول الله ﷺ ، حينَ فعل ذلك أبو سفيانَ وأصحاب العير بأحابيشها[3] ومَن أطاعها من قبائل

---

1 لعبد الله بن الزبعرى ترجمة في طبقات ابن سلام : 435–444 والمؤتلف والمختلف : 194 وسمط اللآلي : 387 ، 833 وشرح شواهد المغني 1 : 391 وقد جمع شعره د . يحيى الجبوري ، بيروت .

2 الفلّ : الجماعة المنهزمة .

3 أحابيش قريش : قوم من قريش وكنانة وخزيمة وخزاعة اجتمعوا في الحبشي ، وهو جبل بأسفل مكّة وتحالفوا بالله أنهم يد واحدة ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا الحبشي .

كِنانة وأَهل تهامة ، وكلُّ أولئك قد استغوَوْا[1] على حرب رسول الله ﷺ . وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ قد منَّ عليه رسولُ الله ﷺ يومَ بدر ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول الله ، إنِّي فقيرٌ ذو عيال وحاجةٍ قد عرفْتَها ، فامنُنْ عليَّ صلّى الله عليك . فمنّ عليه رسول الله ﷺ ؛ فقال صفوان بن أُميّة : يا أبا عزّة ، إنّك امرؤٌ شاعر فاخرجْ معنا فأعِنّا بنفسك . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ ، فلا أريد أن أظاهِرَ عليه . فقال : بلى فأعِنّا بنفسك ، ولك الله إن رجعتَ أن أعينَك ، وإن أصِبتَ أن أجعل بناتِك مع بناتي ، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسر أو يسر . فخرج أبو عزّة يسير في تِهامة ويدعو بني كنانة ، وخرج مُسافع بن عَبْدة بن وهب بن حُذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كنانة يحرِّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، ودعا جُبير بن مُطعِم غلاماً يقال له وحشيّ ، وكان حبشيّاً يَقذِف بحربةٍ له قَذْفَ الحبشة ، قلّما يخطىء بها فقال : اخرجْ مع الناس ، فإن أنت قَتلتَ عمَّ محمدٍ بعمي طُعَيمة بن عديّ فأنت عتيق . وخرجت قريشٌ بحدِّها وأحابيشها ومَن معها من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا بالظُّعُن التماسَ الحفيظة ، ولئلاّ يفرّوا . وخرج أبو سفيانَ بن حربٍ وهو قائد الناس ، معه هندُ بنت عتبة بن ربيعة ، وخرج عِكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة ، بأم حكيم وخرج صَفْوان بن أميّة بن خلَف ببرزةَ ، وقيل ببَرَّةَ من قول أبي جعفر ، بنت مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفية ، وهي أمّ عبد الله بن صَفْوان . وخرج عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبدُ الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بسُلافة بنت سعدِ بن سُهيل ، وهي أمّ بني طَلْحة : مُسافع ، والجُلاس ، وكلاب ، قُتلوا يومئذٍ وأبوهم . وخرجت خُناسُ بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بني مالك بن حِسل مع ابنها أبي عَزّة بن عمير ، وهي أُمّ مصعب بن عمير . وخرجت عمرة بنت عَلقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة .

وكانت هندُ بنت عتبة بن ربيعة إذا مرّتْ بوحشيّ أو مرّ بها قالت : إيه أبا دَسْمة اشتَفِ . فنزلوا ببطن السَّبخة من قَناةٍ على شفير الوادي ممّا يلي المدينة . فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله ﷺ للمسلمين : «إنّي قد رأيتُ بقراً تُذبَح فأوّلتها خَيْراً ، ورأيتُ في ذُباب سيفي ثَلْماً ، ورأيت أنّي أَدخلتُ يدي في دِرعٍ حصينة ، وهي المدينة ؛ فإنْ رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وَتَدعوهم حيث نزلوا فإنْ أقاموا أقاموا بشرٍّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا فيها قاتلناهم» .

ونزلت قريشٌ منزلَها من أُحد يوم الأربعاء ، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم

1 يستغوي : يستغيث .

الجمعة ، وراح رسولُ الله ﷺ حينَ صلَّى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أحد ، فالتَقوا يومَ السبت للنصف من شوال . وكان رأيُ عبدِ الله بن أُبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يَرى رأيَه في ذلك : أن لا يخرج إليهم ، وكان رسولُ الله ﷺ يكره الخروجَ من المدينة . فقال رجالٌ من المسلمين ، مِمّن أكرم الله جلَّ ثناؤه بالشهادةَ يوم أُحد وغيرُهم ممّن فاته بدر وحضوره : يا رسولَ الله صلّى الله عليك اخرجْ بنا إلى أعدائنا لا يَرَون أنا جَبُنّا عنهم وضَعُفنا . فقال عبد الله بن أبيّ بن سلول : يا رسولَ الله أقمْ بالمدينة ، ولا تخرجْ إليهم ، فوالله ما خرجْنا منها إلى عدوٍّ قطّ إلاّ أصابَ منّا ، ولا يدخلُها علينا إلاّ أصبنا منهم ، فدَعْهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مجلِس ، وإن دخلُوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساءُ والصِّبيان بالحجارة من فوق رؤوسهم ، وإن رجعوا رجَعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء العدوّ ، حتّى دخل رسول الله ﷺ فلبِس لأمتَه ، وذلك يومَ الجمعة ، حين فرغَ رسول الله ﷺ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني النجّار فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناسُ : وقالوا استكرَهْنا رسولَ الله ﷺ ولم يكن ذلك لنا ! فخرجَ رسول الله ﷺ عليهم فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكنْ ذلك لنا ، فإن شئتَ فاقعدْ صلّى الله عليك . فقال عليه السلام : «ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمتَه أن يضعَها حتّى يقاتل» قال : فخرج رسول الله ﷺ في ألفِ رجلٍ من أصحابه ، حتّى إذا كانوا بالشوط ، بين أحد والمدينة ، انخزلَ عنه عبد الله بن أبيّ بن سَلول بثلث الناس ، وقال : أطاعَهم فخرجَ وعصاني ، والله ما ندري علامَ نقتلُ أنفسَنا هاهنا أيُّها الناس . فرجع بمِن اتَّبعه من الناس مِن قومه ، من أهلِ النِّفاق والرَّيب ، واتَّبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرامَ أحد بني سلمة يقول : يا قوم أذكرّكم اللهَ أن تخذُلوا نبيَّكم وقومَكم عندما حضر من عدوّهم . فقالوا : لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكنّا لا نرى أنّه يكون قتال . فلمّا استَعْصوا عليه وأَبوا إلاّ الانصراف قال : أبعدَكم الله أعداءَ الله ، فسيُغْنِي الله عزّ وجلّ عنكم .

وقال محمد بن عمر الواقديّ : انخزل عبد الله بن أبيّ عن رسول الله ﷺ من الشَّيخين[1] بثلثمائة ، فبقي رسولُ الله ﷺ في سبعمائة ، وكان المشركون في ثلاثة آلاف ، والخيل مائتا فارس ، والظُّعن خَمسَ عشرةَ امرأة . قال : وكان في المشركين سبعُمائة دارع ، ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فَرَسانِ : فرسٌ لرسول الله ﷺ ، وفرس لأبي بُردة بن نيار الحارثي . فادّلج[2] رسول الله ﷺ من الشَّيخين حتّى طلع الحمراء ، وهما أُطُمانِ كان يهوديٌّ ويهودية أعميان يقومان

1 الشيخان : موضع بالمدينة كان فيه معسكر الرسول .
2 ادّلج : سار في آخر الليل .

عليهما فيتحدّثان ، فلذلك سمّيا الشيخين ، وهما في طرف المدينة .

قال : وعرضَ رسول الله ﷺ المقاتلةَ بعد المغرب ، فأجاز مَن أجاز ، وردَّ مَن ردَّ . قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت ، وأبو عمرو أُسيد بن ظهير ، والبَراء بن عازب ، وعَرابة بن أوس . قال : وهو عَرابة الذي قال فيه الشمّاخ : [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لمجدٍ تَلقَّاها عَرابةُ باليمين

قال : وردَّ أبا سعيدٍ الخدريَّ ، وأجاز سَمُرة بن جُندب ، ورافعَ بن خَدِيج . وكان رسول الله ﷺ قد استصْغَر رافعاً ، فقام على خفّين له فيهما رِقاع ، وتطاوَلَ على أطراف أصابعه ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ أجازَه .

قال محمد بن جرير : فحدّثني الحارث قال : حدّثنا ابن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : كانت أُمّ سمرة تحتَ مُرَيِّ بن سِنان بن ثعلبة ، عمِّ أبي سعيد الخدري ، وكان ربيبَه ، فلمّا خرج رسول الله ﷺ إلى أُحدٍ وعَرض أصحابَه فردَّ مَن استصغر ، ردَّ سمرة بن جندب ، وأجاز رافعَ بن خديج ، فقال سَمُرة لربيبه مُريٍّ بن سِنان . أجاز رافعاً وردّني وأنا أصرعُه ! فقال يا رسول الله : رددتَ ابني وأجزتَ رافع بن خَدِيج وابني يصرعُه ؟ فقال النبيّ ﷺ لرافع وسَمُرة : اصطرِعا . فصرعَ سمرةُ رافعاً ، فأجازه رسول الله ﷺ ، فشهدها مع المسلمين ، وكان دليلَ النبيّ ﷺ أبو خَيثَمة الحارثيّ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حَرّة بني حارثة ، فذبَّ فرس بذَنبه فأصاب كُلاّبَ سيفٍ فاستلّه ، فقال رسول الله ﷺ ، وكان يحبُّ الفأل ولا يعتاف ، لصاحبِ السيف : «شِمْ سيفَك فإنّي أرى السيوفَ سَتُستَلُّ اليوم» ! ثم قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه : «مَنْ رجلٌ يخرجُ بنا على القوم مِن كَثَبٍ مِن طريقٍ لا يمرُّ بنا عليهم ؟» ، فقال أبو خيثمة ، أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فقدّمَه فنفذ به في حَرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتّى سلك به في مال المِرْبع بن قَيظيّ ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ، فلمّا سمِع حِسَّ رسولِ الله ﷺ ومَن معه من المسلمين قام يَحثي التراب في وجوههم ويقول : إن كنتَ رسولَ الله فلا أُحِلّ لك أن تَدخُل حائطي . قال : وقد ذُكِر لي أنّه أخذَ حَفنةً من ترابٍ في يده ثم قال : لو أنّي أُعلم أنّي لا أُصيبُ بها غيرَك لضربتُ بها وجهَك ! فابتدره القومُ ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : «لا تفعلوا فهذا الأعمى البصرِ الأعمى القلب !» وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نَهى رسول الله ﷺ عنه ، فضربَه بالقوس في رأسه فشجَّه ، ومضى رسولُ الله ﷺ على وجهه حتّى نزل الشعب من أُحدٍ في عُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد ،

وقال : لا يُقاتلن أحدٌ أحداً حتى نأمرَه بالقتال . وقد سرَّحت قريشٌ الظَّهر والكراع[1] في زُروع كانت بالصَّمْغة من قناةٍ للمسلمين ، فقال رجلٌ من المسلمين حينَ نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروعُ بني قَيلة ولمّا نضارب ! وتعبَّى رسول الله ﷺ وهو في سبعمائة رجلٍ ، وتعبأت قريشٌ وهم ثلاثة آلافٍ ، ومعهم مائتا فارس قد جَنَبوا خيولهم ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكرمَة بن أبي جهل . وأمَّر رسول الله ﷺ على الرماة عبدَ الله بن جُبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو يومئذٍ مُعلِمٌ بثياب بِيض ، والرّماة خمسون رجلاً . وقال : انضَحْ عنّا الخيلَ بالنَّبل لا يأتونا مِن خلفنا إنْ كانت لنا أو علينا ، فاثبتْ بمكانك لا نُؤتَيَنَّ من قِبلك . وظاهَر رسول الله ﷺ بين دِرعين .

قال محمد بن جرير : فحدَّثنا هارون بن إسحاق قال : حدَّثنا مُصعب بن المقدام قال : حدَّثنا أبو إسحاق عن البراء قال : لمّا كان يومَ أُحُد ولقِيَ رسولُ الله ﷺ المشركين أجلَسَ رسولُ الله ﷺ رجالاً بإزاء الرماة ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جُبير وقال لهم : «لا تَبرحوا مكانكم وإنْ رأيتمونا ظَهَرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظَهَروا علينا فلا تعينونا» . فلمّا لقِيَ القومَ هزمَ المشركين ، حتّى رأيت النساء قد رفعن عن سُوقهنّ وبدت خَلاخيلهنَّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمةَ الغنيمة !! فقال عبد الله : مهلاً أمَا علمتم ما عَهِدَ إليكم رسول الله ﷺ . فأبوا فانطلقوا ، فلمّا أتَوهم صُرِفَتْ وُجوههم فأُصيب من المسلمين سبعون رجلاً .

قال محمد بن جرير : حدَّثني محمد بن سعد قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أبي عن أبيه عن ابن عبّاس قال : أقبلَ أبو سفيانَ في ثلاثِ ليالٍ خَلَون من شوّال حتّى نزل أحداً ، وخرج رسولُ الله ﷺ فأذَّنَ في الناس فاجتَمعوا ، وأمَّر الزّبير على الخيل ، ومعه يومئذٍ المِقداد الكِنديّ ، وأعطى رسولُ الله ﷺ الرايةَ رجلاً من قُريش يقال له مصعب بن عمير . وخرجَ حمزةُ بن عبد المطّلب رضي الله عنه بالجيش ، وبُعِثَ حمزةُ بين يديه . وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ، ومعه عِكرمة بن أبي جهل ، فبعثَ رسول الله ﷺ الزُّبير ، وقال استقبلْ خالد بنَ الوليد فكُنْ بإزائِهِ حتّى أوذِنَك . وأمَر بخيلٍ أُخرى فكانوا من جانبٍ آخر ، فقال : لا تبرحُنَّ حتى أوذِنَكم . وأقبل أبو سفيانَ يحمل اللات والعزى ، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى الزُّبير أن يَحمِل . فحملَ على خالد بن الوليد فهزَمه الله تعالى ومَن معه ، فقال جلّ وعزّ : ﴿ولقد صَدَقَكُم اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهم بإذنه﴾ إلى قوله تبارك وتعالى : ﴿مِنْ بَعدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّون﴾ وإنّ الله تعالى وعَدَ المؤمنين النَّصرَ وأنّه معهم . وإنّ رسول الله ﷺ بعثَ ناساً من

1 الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

النّاس فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله ﷺ : كونوا هاهنا ، فردُّوا وجهَ مَن فَرَّ مِنّا وكونوا حرساً مِن قِبَلِ ظهورنا . وإنّه عليه السلام لمّا هزم القومَ هو وأصحابه قال الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضُهم لبعض ، ورأوا النساء مُصْعِداتٍ في الجبلِ ، ورأوا الغنائم : انطلِقوا إلى رسول الله ﷺ وأدرِكوا الغنائم قبل أن تُسبَقوا إليها . وقالت طائفةٌ أُخرى : بل نطيع رسول الله ﷺ فنثبتُ مكاننا . فقال ابن مسعود : ما شعرتُ أنّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يريد الدنيا وعَرضَها حتّى كان يومئذٍ .

قال محمد بن جرير : حدَّثني محمد بن الحسين قال : حدَّثنا أحمد بن الفضل قال حدَّثنا أسباط عن السُّدّي قال : لمّا برزَ رسول الله ﷺ بأُحُدٍ إلى المشركين أمَر الرّماة فقاموا بأصل الجَبل في وُجوه خيل المشركين وقال لهم : لا تَبرحوا مكانكم إنْ رأيتم قد هَزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتُّم مكانَكم . وأمَّر عليهم عبدَ الله بن جُبير أخا خَوّات بن جُبير . ثم إنّ طلحة بن عثمان صاحبَ لواء المشركين قام فقال : يا معاشرَ أصحابِ محمد ، إنّكم تزعمون أنّ الله عزّ وجلّ تَعجّلنا بسيوفكم إلى النار ، وتعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة ، فهلْ منكم أحدٌ يعجّله اللهُ بسيفي إلى الجنّة ، أو يعجّلني بسيفِهِ إلى النار ؟ فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : والذي نفسي بيدِهِ لا أُفارقُك حتّى يعجّلك الله عزَّ وجلّ بسيفي إلى النار ، أو يعجّلني بسيفك إلى الجنّة ! فضربه عليٌّ فقطع رِجلَه فبدت عورتُه فقال : أنشُدك اللهَ والرحمَ يا ابنَ عمّ . فتَركه فكبّر رسول الله ﷺ ، وقال لعليّ وأصحابه : ما منعَكَ أن تُجهزَ عليه ؟ قال : إنَّ ابن عمّي ناشَدني حين انكشفت عورتُه ، فاستحييتُ منه . ثم شدَّ الزُّبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحَمل النبيُّ ﷺ وأصحابُه فهزموا أبا سفيان ، فلمّا رأى ذلك خالدُ بن الوليد وهو على خَيل المشركين حَمَل فرمته الرماة فانقمعَ[1] ، فلمّا نظر الرّماةُ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه في جوف عَسكر المشركين يَنتهبونه بادَرُوا الغنيمةَ فقال بعضهم : لا نتركُ أَمرَ رسول الله ﷺ . وانطلق عامّتُهم فلحِقوا بالعسكر ، فلمّا رأى خالدْ قِلّة الرّماة صاحَ في خيله ، ثم حَمل فقتل الرّماة ، وحَمل على أصحاب رسول الله ﷺ ، فلمّا رأى المشركون أنّ خيلَهم تُقاتِل تبادَروا فشدُّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم .

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله ﷺ : مَن يأخذ هذا السيفَ بحقِّه ؟ فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه بينَهم ، حتّى قام إليه أبو دُجانة ، سِماكُ بن خَرَشة أخو بني ساعدةَ ، فقال : ما حقُّه يا رسولَ الله ؟ قال : أن

1 انقمع : اختفى .

تضربَ به في العدوّ حتى ينحنيَ . فقال : أنا آخذه بحقّه يا رسول الله . فأعطاه إيّاه . وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلَمَ على رأسه بعصابةٍ له حمراءَ عِلم النّاس أنّه سيقاتل ، فلمّا أخَذَ السيفَ من يدِ رسول الله ﷺ وآله أخذَ عِصابَته تلك فعصَب بها رأسه ، ثم جعلَ يَتبختر بين الصَّفّين .

قال محمد بن إسحاق : حدَّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، عن رجلٍ من الأنصار من بني سَلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنّها مِشيةٌ يُبغِضها الله إلاّ في هذا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً فقال : يا معشرَ الأوس والخزرج ، خلُّوا بيننا وبين ابن عمّنا نَنصرفْ عنكم ، فإنّه لا حاجةَ بنا إلى قتالكم . فرَدُّوه بما يكره .

وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قَتادة أنّ أبا عامر عمرو بن صيفيّ بن النُّعمان بن مالك بن أُميّة ، أحد بني ضُبيعَة وقد خرج إلى مكّة مباعِداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، منهم عثمان بن حُنَيف ، وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر ، فكانَ يعِدُ قريشاً أنْ لو قد لقِيَ محمّداً لم يختلف عليه منهم رجلان . فلمّا التقى الناس كان أوّلَ مَن لقيهم أبو عامرٍ في الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكّة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعَمَ الله بك عيناً يا فاسق . وكان أبو عامرٍ يسمَّى في الجاهلية الراهب ، فسمّاه رسول الله ﷺ الفاسق . فلمّا سمِعَ ردَّهم عليه قال : لقد أصابَ قومِي بعدي شَرٌّ ! ثم قاتَلهم قتالاً شديداً ثم راضَخَهم[1] بالحجارة . وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال : يا بني عبدِ الدار ، إنّكم ولِيتم لواءنا يومَ بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤتى الناس مِن قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإمّا أن تكفُونا لواءَنا ، وإمّا أن تُخلُّوا بيننا وبينه فسنكفيكُموه . فهمُّوا به وتوعّدوه وقالوا : نحن نسلم إليك لواءَنا ؟ ! ستعلمُ غداً إذا التقينا كيفَ نصنع ! وذلك الذي أراد أبو سفيان . فلمّا التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النِّسوة اللواتي معها ، وأخذن الدُّفوف يَضرِبن خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هندٌ فيما تقول : [من مجزوء الرجز]

إنْ تُقبلوا نُعانقْ ... ونَفرش النمارقْ
أو تدبروا نفارقْ ... فِراقَ غيرِ وامقْ

وتقول : [من مجزوء الرجز]

---

1 راضخهم : راماهم .

إيهاً بني عبد الدّارْ إيهاً حُماةَ الأدبار

ضرباً بكلِّ بتّارْ

واقتتل الناسُ حتّى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتّى أمعن في الناس ، وحمزة بن عبد المطّلب وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام في رجالٍ من المسلمين ، فأنزل الله نَصره ، وصَدَقهم وعده ، فحسُّوهم[1] بالسَّيف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه عن جدّه قال قال الزُّبير : والله لقد رأيتني أنظُر إلى هندٍ بنت عُتبةَ وصواحبها مشمِّرات هواربَ ، ما دون أخْذهنّ قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرُّماة إلى الكَرّ حتّى كشفنا القومَ عنه يُريدون النّهب ، وخلّوا ظهورَنا للخيل ، فأُتينا من أدبارنا وصَرخ صارخٌ : ألا إنَّ محمداً قد قُتِل ! فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء ، حتّى ما يدنو إليه أحدٌ من القوم .

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العِلم أنّ اللواءَ لم يزل صريعاً حتّى أخذته عَمرة بنت علقمةَ الحارثيّة ، فرفعَتْه لقريشٍ فلاذُوا بها ، وكان اللواء مع صَؤابٍ غلام لبني أبي طلحة حَبَشيّ ، فكان آخرَ من أخذه منهم ، فقاتَلَ حتّى قُطعت يداه ، فبرك عليه وأخذَ اللواءَ بصدره وعُنقه حتّى قُتل عليه وهو يقول : اللهمّ قد أعذَرْت ! فقال حسّان بن ثابت في قَطع يد صوابٍ حينَ تقاذفوا بالشعر[2] : [من الوافر]

فَخرتم باللــواءِ وشرُّ فخـرٍ لـواءٌ حـينَ ردّ إلى صُؤابِ

جَعلتم فخـرَكم فيهـا لعبـدٍ مِنَ الأمِ من وَطي عَفَرَ الترابِ

ظننتـم والسَّفيه لـه ظُنــونٌ ومـا إن ذاكَ من أمر الصَّوابِ

بـأنَّ جلادَنــا يــوم التقينا بمكّةَ بيعُكـم حُمرَ العِيابِ[3]

أقَـرَّ العـينَ أن عُصِبَت يـداه ومـا إن يُعصَبانِ على خِضابِ

قال محمد بن جرير : وحدَّثنا أبو كُريب قال : حدَّثنا عثمان بن سعيد قال حدَّثنا حِبّان بن عليّ عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه عن جدّه قال : لّما قُتِل أصحابُ الألويةِ يوم أحد ، قَتَلَهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، أبصَرَ رسولُ الله ﷺ جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ : احمل عليهم . فحملَ عليٌّ ففرَّقَ جَمعَهم ، وقَتل عَمرَو بنَ عبد الله بن الجمحيّ ،

1 حسّوهم : استأصلوهم .

2 ديوان حسان : 367 .

3 أي حسبتم لقاءنا هيناً كما تبيعون الثياب في الحقائب .

ثم أبصر جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ : احملْ . فحمَل عليٌّ ففرّق جمعهم ، وقَتل شَيبةَ بن مالك أحد بني عامر بن لؤي . فقال جبريل عليه السلام : يا رسول الله إنَّ هذه للمواساة . فقال رسول الله ﷺ : «هو منّي وأنا منه» ، فقال جبريل عليه السلام : وأنا منكم ! قال : فسمعوا صوتاً : [من الرجز]

لا سيفَ إلاّ ذو الفَقا رِ ولا فتًى إلاّ عَلي

فلمّا أُتِيَ المسلمون مِن خَلفهم انكشفوا ، وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلثٌ قتيل ، وثلثٌ جريح ، وثلث منهزمٌ وقد جهدَتْه الحربُ حتّى ما يدري ما يصنع . وأصيبت رَباعِيَة[1] رسول الله ﷺ السُّفلى ، وشُقّت شَفته ، وكُلِم في وجنته وجَبْهته في أُصول شعره ، وعلاه ابن قمئة بالسَّيف على شِقّه الأيمنِ ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

قال محمد بن جرير : وحدَّثنا ابن يسار قال حدَّثنا ابن أبي عديّ عن حميد عن أنس بن مالك قال : لمّا كان يوم أُحُد كسرت رباعِية رسول الله ﷺ وشُجَّ ، فجعل الدمُ يسيل على وجهه ، وجَعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : «كيف يُفلح قومٌ خَضَبوا وجهَ نبيِّهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى !» . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شيءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم﴾ الآية . وقد قال رسول الله ﷺ حين غشيَه القومُ : «مَن رجلٌ يَشرِي لي نفسه ؟!» .

[دفاع الصحابة عن الرسول]

قال محمد : فحدَّثني ابن حميد قال حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن إسحاق قال : حدَّثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السَّكَن قال : فقام زياد بن السّكن في نفرٍ خمسةٍ من الأنصار ، وبعضُ الناس يقول : إنّما هو عُمارة بن زياد بن السكن ، فقاتلوا دونَ رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً ، يُقتَلون دونه حتّى كان آخرهم زياد بن عُمارة بن زياد بن السّكن ، فقاتَلَ حتّى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت من المسلمين فِئةٌ حتّى أجهضُوهم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : أدنُوه منّي . فأدنَوْه منه فوسَّده قدمَه ، فمات وخدُّه على قدم رسول الله ﷺ . وتَرَّسَ من دون النبيّ ﷺ أبو دُجانة بنفسه ، يَقعُ النّبل في ظهره وهو منحنٍ عليه حتّى كثرت فيه النَّبْل . ورَمى سعدُ بن أبي وقاص دونَ رسول الله ﷺ . قال سعد : فلقد رأيته يُناوِلني ويقول : فداكَ أبي وأُمّي ، حتّى إنّه لَيناوِلُني السهمَ ما فيه نصلٌ فيقول : ارمِ به !

---

1 الرباعية : السن بين الثنية والناب .

وعن محمد بن إسحاق قال حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ رسول الله ﷺ رَمى عن قوسه حتّى اندقّت سِيَتُها ، فأخذَها قَتادةُ بن النعمان فكانت عنده ، وأُصيبت يومئذٍ عين قَتادة حتى وقعَتْ على وَجنته .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ رسول الله ﷺ ردَّها بيدِهِ فكانت أحسنَ عينيهِ وأحَدَّهما . وقاتل مُصعبُ بن عُمير دونَ رسول الله ﷺ ومعه لِواؤُهُ حتّى قُتل ، وكان الذي أصابه ابن قمئة اللَّيثيّ وهو يظنُّ أنّه رسول الله ﷺ ، فرجعَ إلى قريش فقال : قد قتلتُ محمداً ؛ فلمّا قُتِل مُصعب بن عمير أَعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن طالب عليه السلام . وقاتَلَ حمزةُ بن عبد المطّلب رضي الله عنه حتّى قتل أرطأةَ بن شُرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ ، وكان أحدَ النَّفَر الذين يحملون اللواء ؛ ثم مَرَّ بهِ سِباعُ بن عبد العُزَّى الغَبْشانيّ ، وكان يُكنى أبا نِيار ، فقال له حمزة : هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ مقطِّعة البظور ، وكانت أُمُّه خَتّانة بمكّة مولاةَ شَريقِ بن عمرو بن وهب الثقفيّ ، فلمّا التَقيا ضربَه حمزةُ عليه السلام فقتله ؛ فقال وحشيٌّ غلامُ جُبير بن مُطعِم : إنِّي لأنظرُ إلى حمزةَ يهذّ[1] الناس بسيفه ما يُلِيقُ[2] شيئاً يمرّ به ، مثلَ الجملِ الأورَق ، إذْ تقدَّمَني إليه سِباع بن عبد العُزّى فقال له حمزة : هلمَّ إليَّ يا ابن مقطِّعة البظور . فضربَه فما أخطأ رأسَه ، وهززتُ حربتي حتّى إذا ما رضيتُ دفعتُها عليه فوقَعتْ عليه في لَبَّته حتّى خرجَتْ من بين رجليه ، وأقبَلَ نحوي فغُلِب فوقَع ، فأمهلْتُه حتّى إذا مات جئتُ فأخذتُ حربتي ثم تنحَّيتُ إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيءٍ حاجة غيره . وقد قَتَلَ عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلَح ، أَحدُ بني عمرو بن عَوف ، مُسافِعَ بنَ طلحة وأَخاه كلابَ بن طلحة ، كلاهما يُشعِره سهماً[3] فيأتي أُمَّهُ فيضعُ رأسَه في حجرها فتقول : يا بُنيَّ مَن أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً يقول حينَ رماني : خُذْها إليكَ وأنا ابن أبي الأقلح ! فتقول : أَقْلَحيٌّ ؟ ! فنذرَتْ لله إنِ اللهُ أَمكنَها من رأس عاصِمٍ أن تشربَ فيه الخمر . وكان عاصِمٌ قد عاهَدَ اللهَ عزّ وجلّ أن لا يمسَّ مشركاً ولا يمسَّه .

[أنس بن النضر]

عن ابن إسحاقَ قال حدَّثني القاسم بن عبد الرّحمن بن رافع ، أَخو بني عديّ بن النجّار قال : انتهى أنسُ بن النضر ، عمُّ أنس بن مالكٍ ، إلى عمرَ بن الخطّاب وطلحةَ بن عبيد الله ، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وقد أَلقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ههنا ؟ فقالوا :

---

1 يهذّ : يقطّع .

2 ما يليق : ما يترك .

3 أشعره السهم : خالطه به .

قُتِل رسول الله ﷺ ! قال : فما تَصنعون بالحياة بعدَه ؟ قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه . ثم استقبل القومَ فقاتَلَ حتّى قُتِل . وبِه سمّي أُنس بن مالك .

عن ابن إسحاق قال : حدَّثني حُميد الطَّويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذٍ سبعينَ ضربةً وطعنة ، فما عرفتْه إلاّ أختُه ، عَرَفَتْه بحُسْن بَنانه .

عن ابن إسحاق قال : كان أوّل مَن عرف رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة وقولِ الناس : قُتل رسول الله ﷺ ، كما حدَّثني ابن شهابٍ الزُّهريّ ، كعبُ بن مالكٍ أخو بني سَلِمة . قال : عرفتُ عينيهِ تَزهَران تحت المِغفر ، فناديتُ بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشِروا ، هذا رسولُ الله ﷺ ! فأشار إليَّ عليه السلام : أنْ أنصِتْ . فلمّا عَرَف المسلمون رسولَ الله ﷺ نَهَضوا به ، ونهض نحوَ الشعب معه أبو بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطّاب ، وعليُّ بن أبي طالب ، وطلْحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوّام ، والحارث بن الصِّمّة ، في رهطٍ من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين .

[الرسول يقتل أُبيّ بن خلف]

فلمّا أُسند رسولُ الله ﷺ في الشِّعب ، أُدركه أُبيّ بن خَلَف وهو يقول : يا محمد لا نجوتُ إنْ نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله أيعطف عليه رجلٌ منّا ؟ فقال : دَعُوه . فلمّا دنا تناولَ رسول الله ﷺ الحربةَ من الحارث بن الصِّمّة . قال : يقول بعض الناس فيما ذُكِر لي : فلمّا أخذَها رسولُ الله ﷺ انتفضَ بها انتفاضةً تطايَرْنا عنه تَطايُرَ الشَّعْراء[1] عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبلَه فطعنَه في عُنقه طعنةً تَدأدأَ[2] بها عن فرسه مِراراً . وكان أُبيُّ بن خلف ، كما حدَّثنا ابن حميد قال حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يَلقى رسول الله ﷺ بمكّة فيقول : يا محمد ، إنّ عندي العَوْدَ أُعلِفُه كلَّ يوم فَرْقاً[3] من ذُرَة أقتُلك عليه ! فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى . فلمّا رجعَ إلى قريش وقد خَدَشَه في حَلْقه خدشاً غيرَ كبير ، فاحتَقَن الدّم قال : قتلَني واللهِ محمّد ! قالوا : ذَهَب والله فؤادُك ، والله ما بكَ بأس . قال : إنّه كانَ بمكّة قال لِي : أنا أقتُلُك ، فوالله لو بَصَقَ عليَّ لقتلَني . فماتَ عدوُّ الله بسَرِف[4] وهم قافلون به إلى مكّة . فلمّا انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فَم الشِّعب خرج عليُّ بن أبي

1 الشعراء : ذباب يقع في الإبل فيؤذيها .
2 تدأدأ : تدحرج .
3 الفرق : مكيال مقداره ثلاثة أصوع
4 سرف : موضع قريب من مكة .

طالب حتى مَلأَ دَرَقَتَه من المِهراس[1] ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فشرِبَ منه وغَسَل عن وجهه الدّم ، وصَبَّ على رأسه وهو يقول : «اشتدَّ غضبُ الله عزّ وجلّ على من دَمَّى وجهَ نبيه» .

قال محمد بن إسحاق : حدَّثني صالح بن كيسان عمّن حدَّثه عن سعد بن أبي وقاص أنّه كان يقول : والله ما حَرَصت على قَتل رجلٍ قطُّ ما حَرَصت على قتلِ عتبة بن أبي وقّاص ، وإنْ كان ما علمت لسَيِّيء الخلق مبغَضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قولُ رسولُ الله ﷺ : «اشتدّ غضَبُ الله على مَن دَمَّى وجه رسول الله» .

[التمثيل بقتلى المسلمين]

قال حدَّثنا محمد بن إسحاق قال : حدَّثني صالح بن كيسان قال : خرجَتْ هندٌ والنسوة اللواتي معها يمثُلن بالقتلى من أُصحاب رسول الله ﷺ يَجْدَعْنَ الآذانَ والآنُفَ ، حتَّى اتّخذت هندٌ من آذان الرجال وآنفهم خَدَماً[2] وقلائد ، وأعطت خَدَمها وقلائدَها وقُرطَها وحشيّاً غلامَ جُبير بن مُطعِم ، وبَقَرت عن كبد حمزَة عليه السلام ، فأخرجَتْ كبده فلاكَتْها ، فلم تستطع أن تُسيغَها فلفظتها ، ثم علَتْ على صخرةٍ مشرفةٍ فصاحَتْ بأعلى صوتها بما قالتْ من الشعرِ ؛ حِين ظفروا بما أصابوا من أُصحاب رسول الله ﷺ .

[حسان يهجو هنداً]

قال : حدَّثني صالح بن كيسان أنّه حُدِّث أنّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان : يا ابنَ الفُريعة ، لو سمعتَ ما تقول هند ورأيتَ أشَرها[3] قائمةً على صَخرةٍ ترتجز بنا وتذكر ما صنعَتْ بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنِّي لأنظرُ إلى الحربة تَهوِي وإنِّي على رأس فارع ، يعني أطُمَه ، فقلت : والله ، إنّ هذه لسلاحٌ ما هي بسلاحِ العرب ، وكأنّها إنّما تَهوِي إلى حمزة ولا أدري ، أسمِعْنِي بعضَ قولها أكفِكُموها . قال : فأنشده عمرُ بعضَ ما قالتْ ، فقال حسّان يهجو هنداً[4] : [من الكامل]

أشِرَتْ لَكاعِ وكان عادتُها ... لؤماً إذا أشِرت من الكُفْرِ[5]
لعنَ الإلـهُ وزوجَها معهـا ... هِنـدَ الهنود طويلـةَ البَظْرِ

1 المهراس : ماء بأحد
2 الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال .
3 الأشر : المرح والبطر .
4 ديوان حسان 1 : 384 .
5 لكاعِ : كقطامِ ، لئيمة . وفي الديوان مع الكفر .

أخَرجتِ مرقصةً إلى أحـدٍ | في القومِ مُقتِبــةً على بَكرِ [1]
[بَكرٍ ثَقال لا حَـراكَ بِهِ | لا عن مُعاتبةٍ ولا زجر] [2]
وعصاكِ استُكِ تتَّقين بها | دُقِّي العُجايَةَ منك بالفهرِ [3]
قَرِحت عجيزتُها ومَشرجُها | مِن دَأبِها نصّاً على القُتْرِ [4]
ظلَّـتْ تُداويهــا زميلتُها | بالمـاء تَنضحـه وبالسِّدرِ
أخَرجتِ ثائــرةً مبـادِرةً | بأبيك فاتِكِ يومِ ذي بدرِ
وبعمِّكِ المستُوهِ في رَدَع | وأخيكِ مُنعفِرينِ في الجَفْرِ [5]
ونَسيتِ فاحشةً أتيتِ بِهـا | يا هندُ ويحكِ سَيْئَةَ الذكرِ [6]
فرجَعتِ صاغرةً بـلا تِرةٍ | منّـا ظَفرتِ بهـا ولا نَصرِ
زعمَ الولائـدُ أنّها ولدت | وَلداً صغيراً كان مـن عَهْرِ

[تعقّب أبي سفيان للمسلمين ووعيده لهم]

قال محمد بن جرير : ثـم إنّ أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم فيما حدَّثنا هارون بن إسحاق قال : حدَّثنا مصعب بن المقدام قال حدَّثنا إسرائيل ، وحدَّثنا ابن وكيع قال : حدَّثنا أبي عن إسرائيل قال حدَّثنا ابن إسحاق عن البراء قال : ثم إنّ أبا سفيان أشرفَ علينا فقال : أفِي القوم محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا تُجيبوه ! مرَّتين ، ثم قال : أفِي القوم ابنُ أبي قحافة ؟ ثلاثاً . فقال رسول الله ﷺ : لا تجيبوه ! ثم قال أفِي القوم ابن الخطّاب ثلاثاً ، فقال رسول الله : لا تجيبوه . ثم التفت إلى أصحابه فقال : أمّا هؤلاء فقد قتلوا ، لو كانوا في الأحياء لأجابوا ! فلم يملك عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه نفسه أن قال : كذبتَ يا عدوَّ الله ، قد أبقى الله لك ما يُخْزيك . فقال : أَعلُ هُبَل ، أعل هُبل ! فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا «الله أعلى وأجلّ» . قال أبو سفيان : «لَنا العُزَّى ولا عُزّى لكم» . فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» . قال أبو سفيان : «يومٌ بيوم

1 المرقصة : التي تحمل البعير على الخبب . والمقتبة : الراكبة على القتب ، وفي الديوان : معنقة .
2 الثقال : البطيء من الإبل .
3 عصاه استه : لم يكن معه ما يحفز الدابة فيحرك استه على الدابة ليحثّها على السير . والعجاية : عصبة في باطن الفرس ، وأضاف في اللسان : إذا جاع أحدهم دقّها بين فهرين (حجرين) وأكلها . وفي الديوان : عاري الفهر .
4 النصّ : ضرب من السير السريع . والقتر : الناحية والجانب . وفي الديوان «من نصّها نصّاً على القهر» .
5 المستوه : المضروب في استه . والردع : الدم . والجفر : البئر .
6 الديوان : سبة الدهر .

بدر ، والحربُ سِجالٌ» ، أما إنّكم ستَجدون في القوم مُثلاً لم آمُرْ بها ولم تسؤني .

قال ابن إسحاقَ في حديثه : لَمّا أجابَ عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلمَّ يا عمر . فقال رسول الله ﷺ : ايتِهِ فانظرْ ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشُدكَ الله يا عمر أقتَلْنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهمَّ لا ، وإنّه ليسمعُ كلامَكَ الآن . قال : أنت أصدقُ عندي من ابن قمئة وأبرّ ؛ لقول ابن قمئة لهم : إنّي قتلتُ محمداً . ثم نادى أبو سفيان فقال : إنّه قد كان مُثَلٌ[1] والله ما رضِيتُ ولا سَخِطت ، ولا أمرتُ ولا نهيت ، وقد كان الحُلَيس بن زبّان ، أخو بني الحارث بن عَبد مَناة ، وهو يومئذٍ سيِّد الأحابيش ، قد مرَّ بأبي سفيان بن حرب وهو يَضرِب في شِدق حمزَةَ عليه السلام وهو يقول : ذُقْ عُقَق[2] ! فقال الحُلَيس : يا بني كنانة ، هذا سيِّد قريش يصنع بابن عمّه كما ترَوْن لحَماً ! فقال : اكتمْها عليّ فإنّها كانت زَلَّةً . قال : فلمّا انصرفَ أبو سفيان ومَن معه نادى : إنّ موعدَكم بدرٌ ، العامَ المقبل . فقال رسول الله ﷺ وآله لرجلٍ من أصحابه : «قل : نعم ، هي بيننا وبينك مَوعد» .

[خروج علي في أثر المشركين]

ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : اخرجْ في آثار القوم فانظرْ ماذا يصنعون ، فإنْ كانوا قد جَنَبوا وامتَطوا الإبلَ فإنّهم يريدون مكّة ، وإنْ ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيدِهِ لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم ثم لأناجزنَّهم . قال عليّ : فخرجتُ في آثارهم أنظُرُ ما يصنعون ، فلمّا جَنَبوا الخيل وامتَطوا الإبل توجَّهوا إلى مكّة . وكان رسول الله ﷺ قال لي : أيَّ ذلك كان فأخفِهِ حتّى يأتيني . قال عليّ : فلمّا رأيتُهم قد توجَّهوا إلى مكّة أقبلْتُ أصيح ، ما أستطيع أنْ أكتم الذي أمَرَني به رسولُ الله ﷺ ، لما بِي من الفرح ، إذْ رأيتهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة ، وفَرِغ الناس لقتلاهم . فقال رسول الله ﷺ ، كما حدَّثنا ابن حُميد قال : حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي صعصعة المازنيّ أخي بني النجار ، أنّ رسول الله ﷺ قال : «مَنْ رجلٌ ينظُر لي ما فعلَ سعد بن الرّبيع ، وسعدٌ أخو بني الحارث بن الخزرج ، أفي الأحياءِ هو أم في الأموات ؟» . فقال رجلٌ من الأنصار : أنا أنظرُ لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجَده جريحاً في القتلى به رَمَق . قال : فقلت له : إنّ رسولَ الله ﷺ أمرني أن أنظر له في الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : فأنَا في الأموات . أبلغْ رسولَ الله ﷺ وقلْ له : إنّ سعد بن الربيع يقول لك : جزاكَ الله خيرَ ما جَزى نبيّاً عن أمّته ، وأبلغْ قومَك عنّي السلام وقُل لهم : إنّ سعد بن الربيع يقول : لا عُذَر لكم عند الله

1 مثل : جماعة .

2 أي ذق جزاء فعلك يا عاق .

جلّ وعزّ إنْ خُلِصَ إلى نبيّكم وفيكم عينٌ تَطرِف . ثم لَم أبرحْ حتّى مات رحمه الله ، فجئتُ رسول الله ﷺ وأخبرته الخبر .

[بحث الرسول عن حمزة]

وخرج رسولُ الله ﷺ ، فما بلغني ، يلتمس حمزةَ بن عبد المطلب عليه السلام ، فوجَده ببطن الوادي قد بُقِر بطنُه عن كبده ، ومُثِّل به فجُدِع أنفُه وأُذناه .

وعن ابن إسحاق قال : فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين رأى بحمزة ما رأى : «لولا أنْ تَحزَن صفيةُ أو تكونَ سنةً من بعدي لتركتُه حتّى يكون في أجواف السباع وحَواصل الطير ، ولئنْ أنا أظهرني اللهُ على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأُمثِّلنَّ بثلاثينَ رجلاً منهم» . فلمّا رأى المسلمون حُزنَ رسول الله ﷺ وغيظَه على ما فُعِل بعمِّه قالوا : واللّه لئن أظهَرَنا الله عليهم يوماً من الدَّهر لنَمثُلنّ بهم مُثْلة لم يُمثلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قطّ .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني بُريدة بن سفيان بن فَروة الأسلميّ عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن ابن عبّاس . قال ابن حميد قال سلمة ، وحدَّثني محمد بن إسحاق قال : فحدّثنا الحسن بن عمارة عن الحكم بن عُتيبة عن مِقْسم عن ابن عبّاس : أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ : ﴿وإنْ عاقبتُم فعاقِبوا بمثل ما عُوقِبتم به ولئن صَبرتم لهو خيرٌ للصَّابرين﴾ إلى آخر السورة . فعفا رسولُ الله ﷺ وصبر ، ونَهى عن المُثلة .

[نظر صفية بنت عبد المطلب إلى حمزة]

قال ابن إسحاق فيما بلغني : أن صفيّة بنت عبد المطلب أتت لتنظرَ إلى حمزة وكان أخاها لأمّها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزُّبير : القها فأرجِعْها لا تَرى ما بأخيها . فلقيَها الزُّبير فقال : يا أُمَّه ، إنّ رسول الله ﷺ يأمُرك أن تَرجِعِي . فقالت : ولِمَ ، فقد بلغني أنّه مُثِّل بأخي ، وذلك في الله جلّ وعزّ قليلٌ ، فما أرضانا بما كان مِن ذلك ، لأحتسبنَّ ولأصبرنّ إن شاء الله تعالى ! فلمّا جاء الزُّبير رسولَ الله ﷺ فأخبره بذلك قال : خلِّ سبيلها . فأتته فنظرَتْ إليه وصلَّت عليه واسترجَعت واستغفرتْ له ، ثم أَمَر رسول الله ﷺ به فدُفِن .

[شهداء آخرون]

قال : حدَّثني محمد بن إسحاق قال : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : لمّا خرجَ رسولَ الله ﷺ إلى أُحُد ، رجع حُسَيل بن جابر ، وهو اليمانِ أبو حَذيفة بن اليمان ، وثابت بن وَقْش بن زعُورا في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبا لك ما تنتظر ، فوالله إنْ بقِي لواحدٍ منّا من عُمره إلاّ ظِمء حمار[1] ، إنّما نحن

1 ظمء الحمار : ما بين شربين .

هامةُ اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيافَنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعلَّ الله يرزقنا شهادةً معه . فأخذا أسيافَهما ثم خرجا حتّى دخلا في الناس ، ولم يعلم أحدٌ بهما . فأمّا ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأمّا حُسَيل بن جابرٍ اليمانِ فاختلفَتْ عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه ، فقال حذيفة : أبي ! قالوا : والله إنْ عَرفناه . وصَدَقوا . قال حذيفة : يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين . فأراد رسول الله ﷺ أنْ يَدِيَـه ، فتصدَّق حذيفةُ بديته على المسلمين ، فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً .

[مصرع قزمان]

قال حدَّثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أُتيٌّ[1] لا ندري مِن أين هو ، يقال له قُزمان . فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكَره : «إنّه لَمِن أهلِ النار» فلما كان يومَ أحد قاتلَ قتالاً شديداً فقَتَل هو وحدَه ثمانيةً من المشركين أو تسعة ، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ، فأثبتَتْه الجراحة فاحتُمِلَ إلى دار بني ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبلَيتَ اليوم يا قُزْمان ، فأَبشِرْ . قال : بِم أُبْشِر ؟ فوالله أنْ قاتلتُ إلاّ على أحسابِ قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . فلمّا اشتدّت عليه جِراحتُه أخذ سهماً من كِنانته فقطع رواهِشَه فنزفه الدمُ فمات ؛ فأُخبِر رسولُ الله ﷺ بذلك فقال : إنّي رسولُ الله حقّاً .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني حسين بن عبد الله عن عِكرمة قال : كان يومُ أُحُد يوم السبت للنصف من شوّال ، فلمّا كان الغد من يوم أحد ، وذلك يومَ الأحد لستٍّ عشرةَ ليلةً خلت من شوّال ، أذَّن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بِطلبِ العدوّ ؛ وأذّن مؤذّنه أن لا يخرجنَّ معنا إلاّ من حضر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرامٍ الأنصاريّ فقال : يا رسول الله ، إنّ أبي كان خلَّفني على أخَواتٍ لي سبع وقال لي : يا بنيّ ، إنّه لا ينبغي لِي ولا لك أن نتركَ هـؤلاء النسوةَ بلا رجلٍ فيهن ، ولستُ بالذي أوثرك بالجِهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلَّفْ على أخواتك . فتخلَّفت عليهنّ . فأذِن له رسول الله ﷺ فخرج معه ؛ وإنّما خرج رسولُ الله ﷺ مُرهِباً للعدو ، وأنّهم خرجوا في طلبهم فيظنّون أنّ بهم قوّة ، وأنّ الذي أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم .

[بعض الجرحى يعاودون القتال]

عن محمد بن إسحاق : قال فحدّثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفّان ، أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهِد أُحُداً . قال : فشهدتُ رسولَ الله ﷺ أنا وأخٌ لِي ، فرجَعنا جريحَين ،

1 الأتي : الغريب .

فلمّا أذَّن مؤذِّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ قلتُ لأخي وقال لي : أتفوتُنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ ، والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منّا إلاّ جريحٌ ثقيل . فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنتُ أيسرَ جُرحاً منه فكنتُ إذا غُلِب عليه حَملتُه عُقبة[1] حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج إليه رسول الله ﷺ حتّى انتهينا إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجعَ إلى المدينة .

[تخذيل معبد الخزاعيّ وهو مشرك لأبي سفيان]

قال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، أنّه مرَّ برسول الله ﷺ معبدٌ الخزاعيّ ، وكانت خُزاعة مسلمُهم ومشركهم عَيبة[2] رسولِ الله ﷺ صفقتهم معه ، لا يُخفون عليه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ يومئذٍ مشرك ، فقال : أما والله يا محمد لقد عَزَّ علينا ما أصابَكَ في أصحابك ، ولودِدتُ أنَّ الله قد أعفاك منهم . ثم خرج مِن عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتّى لقِيَ أبا سفيان بن حربٍ بالرَّوحاء ومَن معه ، وقد أجمعوا الرَّجعةَ إلى رسول الله ﷺ وقالوا : أصبنا حدّ أصحابِهِ وقادتِهم وأشرافهم ؛ ثم رَجعْنا قبل أن نستأصلَهم ، لَنكُرَّنَّ على بقيّتهم فلنفرُغنّ منهم ! فلمّا رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج في أصحابه يَطلبكم في جمعٍ لَم أرَ مثلَه قطّ يتحرّقون عليكم تحرُّقاً ، قد اجتمعَ معه مَن كان تخلّف عنه في يومكم ، وندِموا على ما صنعوا فيهم من الحَنَق عليكم ، شيء لم أرَ مثلَه قطّ . قال : ويلَكَ ما تقول ! قال : والله ما أراكَ ترتحل حتّى ترى نواصيَ الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرَةَ لنستأصلَ شأفتهم . قال : فإنّي أنهاكَ عن ذلك ، فوالله لقد حَمَلني ما رأيتُ على أن قلتُ فيه أبياتاً من شعر . قال : وماذا قلت ؟ قال قلت : [من البسيط]

كادت تُهَدُّ من الأصواتِ راحلتي ... إذْ سالت الأرضُ بالجُردِ الأبابيلِ[3]
فظِلْتُ عـدْواً أظنُّ الأرضَ مائلـة ... لّمـا سَمـوْا برئيسٍ غيرِ مخذولِ
فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم ... إذا تَغَطمطتِ البطحاءُ بالجِيلِ[4]
إنّي نذيـرٌ لأهـلِ السَّيلِ ضاحيـةً ... لكلِّ ذي إربـةٍ منهـم ومعقولِ[5]

---

1 العقبة : النوبة .
2 العيبة : موضع السر .
3 تهدّ : تكسر . الأبابيل : الجماعات .
4 تغطمطت : اضطربت . الجيل : الأمة .
5 السيل : من أسماء مكّة . ضاحية : علانية .

من جيشِ أَحمــدَ لا وَخشٍ تنابلةٍ   وليس يوصَف مـا أنذرت بالقِيلِ[1]

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومَن معه ، ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : فَلِمَ ؟ قالوا : نُريد المِيرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنِّي مَحمداً رسالةً أرسلُكم بها إليه ، وأُحمِّل لكم إبلَكم هذه غداً زبيباً بعكاظَ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنْ قد أجمعْنا السّير إليه وإلى أصحابه ، لنستأصلَ شأفتهم . فمرَّ الراكب برسول الله ﷺ فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه : «حَسبنا الله ونعم الوكيل» .

صوت[2]

[من الوافر]

أمِن ريحانــةَ الدّاعِي السَّميعُ   يؤرِّقُنِــي وأصحابــي هُجوعُ
براني حــبُّ مَــن لا أستطيعُ   ومن هــو للذي أهوى مَنوعُ
إذا لم تستطعْ شيئــاً فدَعْــه   وجــاوِزهُ إلى مــا تستطيعُ

الشعر لعمرو بن معديكرب الزبيدي ، والغناء للهذليّ ، ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، من رواية إسحاق . وفيه ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى من رواية حمّاد عن أبيه .

1 الوخش : أرذال الناس . والتنبل : القصير .

2 ديوان عمرو بن معديكرب : 136–143 ، وليس فيه البيت الثاني لا في متن القصيدة ولا في الأبيات المضافة .

[289] ـ ذكر عمرو بن معديكرب وبعض أخباره[1]

[نسبه]

هو عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبَيد ، وهو منبِّه . هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه .

وذكر عمر بن شبّة عن أبي عبيدة أنّه عمرو بن معديكرب بن ربيعةَ بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن زبيد بن منبِّه بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنبّه بن صَعب بن سَعد العشيرة بن مَذْحِج بن أُدد بن زيد بن يشجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشْجُب بن يعرب بن قحطان .

ويكنى أبا ثور ، وأُمُّه وأُمّ أخيه عبدِ الله امرأةٌ من جرم فيما ذُكِر ، وهي معدودة من المنْجِبات .

أخبرنا محمد بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : عمرو بن معديكرب فارس اليمن ، وهو مقدَّم على زيد الخيل في الشدّة والبأس .

[استعداده لقتال خثعم]

وروى علي بن محمد المدائنيّ عن زيد بن قُحَيف الكلابيّ قال : سمعتُ أشياخنا يزعمون أنَّ عمرو بن معديكربَ كان يقال له «مائق بني زبيد» ، وكان لا يدعى في الخفه . فبلغهم أنّ خثعم تريدُهم ، فتأهَّبوا لهم ، وجمع معديكربُ بني زُبيد ، فدخل عمرٌو على أخته فقال : أشبِعيني إنِّيَ غداً لِكتيبةِ خثعم . قال : فجاء معديكرب فأخبرته ابنتُه فقال : هذا المائق يقول ذاك ؟ قالت : نعم . قال فسَليه ما يُشبعه . فسألته فقال : فَرقٌ من ذرة ، وعَنزٌ رَباعيّة . قال : وكان الفَرق يومئذٍ ثلاثةَ أصُوع . فصَنَعَ له ذلك ، وذبحَ العنزَ وهيّأ له الطعام . قال : فجلسَ عليه فَسَلَتَه[2] جميعاً . وأتتهم خثعمٌ الصباحَ فلقُوهم ، وجاء عمرو فرمى بنفسه ، ثم رفَعَ رأسَه فإذا لواءُ أبيه قائم ، فوضع رأسَه فإذا لواء أبيهِ قد زالَ ، فقام كأنّه سرحةٌ مُحرقة ، فتلقّى أباه وقد انهزموا فقال : انزلْ عنها ، فاليومُ ظَلَم[3] . فقال له : إليكَ يا مائق ! فقال له بنو زبيد :

---

1 ترجمة عمرو بن معديكرب في الشعر والشعراء : 289–291 والمؤتلف : 233 ومعجم المرزباني : 15 وخزانة البغدادي 2 : 444–446 وكتب الصحابة وأخباره في الفتوح في كتب التاريخ . وقد جمع هاشم الطعان ديوانه (سلسلة كتب التراث ـ بغداد) وفيه تخريج كثير . وانظر مواضع متفرقة في التذكرة الحمدونية .

2 سلته : مسحه .

3 المثل «اليوم ظلم» في مجمع الميداني 2 : 416 وجمهرة العسكري 2 : 433 . وفصل المقال : 373 ومستقصى الزمخشري 1 : 358 .

خلِّه أيّها الرجلِ وما يريد ، فإن قُتِل كفِيتَ مؤنته ، وإن ظهر فهو لك . فألقى إليه سلاحَه فركِب ، ثم رَمى خثعَم بنفسه حتى خَرَجَ من بين أظهُرهم ، ثم كرّ عليهم وفعلَ ذلك مراراً ، وحملت عليهم بنو زُبيد فانهزمت خثعم وقُهِروا ، فقيل له يومئذٍ : فارسُ زبيد .

[وفوده على الرسول]

قال ابو عمرو الشيبانيّ : كان من حديث عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن زبيد بن منبه بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سَعد العشيرة بن مالك ، وهو مذحج ، بن أدد بن زيد بن يشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان ، أنّه قال لقيس بن مكشوحٍ المراديّ ، وهو ابن أُخت عمرو ، حينَ انتهى إليهم أمرُ رسول الله ﷺ : يا قيسُ ، إنّك سيِّدُ قومِك ، وقد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش يقال له محمدٌ قد خَرَجَ بالحجاز ، يقال له نبيٌّ ، فانطلِقْ بِنا حتّى نعلمَ عِلمَه ، وبادِرْ فروة لا يغلبْك على الأمر . فأبى قيسٌ ذلك وسَفَّه رأيه وعَصاه ، فركب عمرٌو متوجّهاً إلى النبيّ ﷺ وقال : خالفتَني يا قيس ! وقال عمرو في ذلك[1] : [من الهزج]

أمرتُــك يومَ ذي صَنعا ء أمــراً بيِّنــــا رشَدُهْ
امرتُــك باتِّقــاء اللــ ــهِ تأتيــه وتَتّعـدُه
فكنتَ كذي الحُميِّر غـر رَهُ مــن أيـرِهِ وَتِــدُهْ

قال أبو عبيدة : حدَّثنا غير واحدٍ من مَذحج قالوا : قدِم علينا عمرو في وفد مذحج ، مع فَرَوة بن مُسيكٍ المراديّ ، على النبيّ ﷺ ، فأسلَموا وبعثَ فروةُ على صدقاتٍ من أسلَمَ منهم وقال له : ادعُ الناس وتألّفْهم ، فإذا وجدتَ الغفلةَ فاهتبلْها واغزُ .

قال أبو عمرو الشيبانيّ : وإنّما رحلَ فروةُ مفارقاً لملوك كِندة مباعِداً لهم ، إلى رسول الله ﷺ ؛ وقد كانت قبل الإسلام بين مُراد وهَمدانَ وقعةٌ أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتى أثخنوهم ، في يوم يقال له يوم الرَّزْم ، وكان الذي قاد هَمْدانَ إلى مراد الأجدعَ بن مالكَ بنَ حريم الشاعر الهمْدانيّ بن مسروق بن الأجدَع ، ففضحَهـم يومئذٍ ، وفي ذلك يقـول فَـروة بنُ مسيك المراديّ : [من الوافر]

فــإن نَغلِبْ فغلاّبون قِدماً وإن نُهْــزَم فغير مهزَّمينــا

فلمّا توجَّه فروةُ إلى النبيّ ﷺ أنشأ يقول : [من الكامل]

لّما رأيتُ ملوكَ كندةَ أعرضَتْ كالرِّجل خانَ الرجلَ عِرقُ نَساها

---

1 ديوانه : 83 وفيه في البيت الثالث «غره من عيره» .

يَمَّمْــتُ راحلتــي أَمـامَ محمدٍ ... أرجــو فواضلَهـا وحسنُ ثَراها

فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له فيما بلغنا : هل ساءَكَ ما أُصاب قومَك يوم الرزْم ؟ قال : يا رسول الله ، مَن ذا الذي يصيب قومَه مثلُ الذي أصابَ قومِي ولا يسوءه . فقال له : أما إنّ ذلك لم يَزِد قومَك في الإسلام إلاّ خيراً ! واستعملَه على مرادٍ وزبيد ومَذحج كلّها .

[ارتداد عن الإسلام]

قال أبو عبيدة : فلم يلبثْ عمرو أن ارتدَّ عن الإسلام ، فقال حين ارتدّ[1] : [من الوافر]

وجدنا مُلك فــروةَ شرَّ ملك ... حِمارٌ سافَ منخــرَه بقَذْرِ[2]

وإنَّــكَ لـو رأيتَ أَبــا عميرٍ ... ملأتَ يديك مــن غَدرٍ وختَرِ

قال أبو عبيدة : فلمّا ارتدَّ عمرو مع مَن ارتدَّ عن الإسلام من مذحج ، استجاش فروةُ النبيّ ﷺ ، فوجَّه إليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد ، وقال لهما : إذا اجتمعتم فعليُّ بن أبي طالب أميركم وهو على الناس . ووجَّه عليّاً عليه السلام فاجتمعوا بكَسْرٍ[3] من أرض اليمن ، فاقتتلوا وقُتِل بعضهم ونجا بعضٌ ، فلم يزل جعفرٌ وزُبيدٌ وأُودٌ بنو سعد العشيرة بعدَها قليلة . وفي هذا الوجه وقعت الصمصامةُ إلى آل سعيد ، وكان سببُ وقوعها إليهم أنّ ريحانةَ بنت معديكرب سُبِيت يومئذٍ ، ففداها خالد ، وأثابَه عمرٌو الصمصامة ، فصار إلى أخيه سعيد ، فوُجِد سعيدٌ جريحاً يوم عثمان بن عفّان رضي الله عنه حين حُصِر وقد ذهب السيف والغِمد ، ثم وُجِد الغمد ، فلمّا قام معاويةُ جاءَه أعرابيٌّ بالسيف بغير غمد ، وسعيد حاضر ، فقال سعيد : هذا سيفي ! فجحَد الأعرابيُّ مقالَته ، فقال سعيد : الدليلُ على أنّه سيفي أنْ تبعث إلى غِمدِه فتُغمِده فيكون كِفافَه . فبعث معاويةُ إلى الغِمد فأُتي به من منزل سعيد فإذا هو عليه ، فأقَرَّ الأعرابيُّ أنّه أصابه يومَ الدار ، فأخذه سعيدٌ منه وأثابه . فلم يزلْ عندَه حتّى أصعد المهديُّ من البصرة ، فلمّا كان بواسطٍ بعث إلى سعيدٍ فيه ، فقال : إنّه للسبيل . فقال : خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيفٍ واحد . فأعطاهم خمسينَ ألفَ درهم وأخذه .

[إسلام عمرو]

وذكر ابن النطّاح أنّ المدائنيّ حكى عن أبي اليقظان عن جُويرية بن أسماء قال : أقبلَ النبيُّ ﷺ من غزاةِ تَبوك يريد المدينة ، فأدركه عَمرو بن معديكربَ الزُّبيديّ في رجالٍ من زبيد ، فتقدّم عمرٌو ليلحق برسول الله ﷺ ، فأُمسِك حتى أُوذِنَ به . فلمّا تقدّم رسول الله ﷺ يسير

---

1 ديوانه : 105 .

2 ساف : شم .

3 الكسر : قرى كثيرة بحضرموت .

قال : حَيّاك الله إلهُك ، أبيتَ اللعن ! فقال رسول الله ﷺ : «إنَّ لعنةَ الله وملائكتِه والنّاس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . فآمِن بالله يؤمِنْك يومَ الفَزَع الأكبر» . فقال عمرو بن معديكرب : وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله ﷺ : «إنّه فزعٌ ليس كما تحسَب وتظُنّ ، إنّه يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى حيٌّ إلاّ مات ، إلاّ ما شاء الله من ذلك ، ثم يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى ميّتٌ إلاّ نُشِر ، ثم تلجُّ تلك الأرضُ بدويٍّ تنهدّ منه الأرض ، وتخرُّ منه الجبال ، وتنشقّ السماءُ انشقاقَ القَبْطيّة الجديد[1] ما شاء الله في ذلك ، ثم تَبرز النارُ فيُنظر إليها حمراءَ مظلمةً قد صار لها لسانٌ في السماء ، تَرمِي بمثل رؤوس الجبال من شَرَر النار ، فلا يبقى ذو رُوح إلاّ انخلعَ قلبه ، وذكر ذنبه . أين أنتَ يا عمرو !» . قال : إنّي أسمع أمراً عظيماً ! فقال رسول الله ﷺ : «يا عمرو أسلِمْ تَسلم» . فأسلَمَ وبايَع لقومه على الإسلام ، وذلك مُنصرفَ رسول الله ﷺ من غزاة تبوك ، وكانت في رجب من سنة تسع .

[ضخامة جسده]

وقال أبو هارون السَّكسكيّ البصريّ : حدَّثني أبو عمرٍو المدينيّ أنَّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان إذا نظرَ إلى عمرو قال : «الحمد لله الذي خَلَقَنا وخلق عمراً !» تعجُّباً من عِظَم خَلقه .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبّة عن خالد بن خِداش عن أبي نُميلة قال : أخبرني رُمَيح عن أبيه قال : رأيت عمرو بن معديكرب في خلافة معاوية شيخاً أعظمَ ما يكون من الرجال ، أجشَّ الصوت ، إذا التفتَ التفتَ بجميع جسده .

[موته وقبره]

وهذا خطأ من الرواية ، والصحيح أنّه مات في آخر خلافةِ عمر رضي الله عنه ، ودُفن بِرُوذة بين قُمّ والريّ . ومن الناس من يقول إنّه قتل في وقعة نَهاوَند ، وأنّ قبرَه في ظاهرها موضعٌ يعرف بقبديشجان ، وأنّه دُفِن هناك يومئذٍ هو والنعمان بن مقرِّن .

وروي أيضاً من وجهٍ ليس بالموثوق به ، أنّه أدرك خلافةَ عثمان رضي الله عنه ، روى ذلك ابن النطّاح عن مَروان بن ضِرار عن أبي إياسٍ البصريّ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جُويريّة الهذَليّ في حديثٍ طويل قال :

رأيت عمرو بن معديكربَ وأنا في مسجدِ الكوفة في خلافة عثمان ، حين وجّهه إلى الريّ ، كأنّه بعيرٌ مهنوء .

وقال ابن الكلبيّ : حدَّثني أسعر ، عن عمرو بن جرير الجُعفيّ قال : سمعت خالد بن قطن

---

1 القبطية : ثياب رقيقة بيضاء . والجديد : المقطوعة .

يقول : خرج عمرو بن معديكرب في خلافةِ عثمان رضي الله عنه إلى الريّ ودَستبى ، فضربه الفالجُ في طريقه فمات بِرُوذة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : أخبرني خالد بن خداش قال حدَّثنا حمّاد بن زيد عن مجالد عن الشعبيّ : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فَرَضَ لعمرو بن معديكرب في ألفين ، فقال له : يا أمير المؤمنين ألفٌ ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيمن ، وألف ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيسر ، فما يكون هاهنا ؟ وأومأ إلى وسطه بطنه . فضحك عمر رضوان الله عليه وزاده خمسمائة .

[مَن يخاف على الظعينة ؟]

قال علي بن محمد : قال أبو اليقظان : قال عمرو بن معديكرب : لو سرت بظعينةٍ وحدي على مياهِ معدٍّ كلّها ما خفتُ أن أُغلبَ عليها ، ما لم يَلقَني حُرَّاها أو عبداها . فأمّا الحُرّان فعامر بن الطُّفيل وعُتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأمّا العبدان فأسودُ بني عبس ، يعني عنترةَ والسُّليك بن السُّلَكة ، وكلّهم قد لقيت . فأمّا عامر بن الطُّفيل فسريع الطَّعن على الصوت ، وأمّا عتيبة فأوّل الخيل إذا غارت ، وآخرها إذا آبت . وأمّا عنترة فقليل الكَبوة ، شديدُ الكَلَب[1] . وأمّا السُّليك فبعيد الغارة ، كالليث الضاري . قالوا : فما تقول في العبّاس بن مرداس ؟ قال : أقول فيه ما قال فيّ : [من الطويل]

إذا مات عمرٌو قلتُ للخيل أَوطئوا زُبيداً فقد أُودى بنجدتِها عَمرُو

وقام مُغضَباً وعلِم أنّهم أرادوا توبيخَه بالعبّاس .

قال علي : وقال أبو يقظان : أحسب في اللفظ غَلطاً وأنّه إنّما قال : «هَجينا مُضَر ؛ لأنّ عنترة استرِقّ ، والعبّاس لم يسترقّ قطّ .

[رجل بألف]

أخبرني أبو خليفة قال حدَّثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أحمد بن جَناب عن عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس : أنّ عمر رضي الله عنه كتبَ إلى سعد بن أبي وقّاص : إنّي قد أمددتُك بألفَيْ رجل عمرو بن معديكرب ، وطليحة بن خويلد ، وهو طليحة الأسديّ ، فشاوِرْهما في الحرب ولا تولِّهما شيئاً .

[شجاعة عمرو]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أحمد بن جناب قال حدَّثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : شهدتُ القادسيةَ وكان سعدٌ على الناس ، فجاء

1 الكلب : الغضب والإلحاح في القتال .

رُستم فجعل يمرُّ بنا وعمرو بن معديكرب الزبيديّ يمرُّ على الصفوف يحضُّ الناس ويقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسداً أغنى[1] شأنه ، فإنّما الفارسيُّ تيسٌ بعد أن يُلقي نيزَكَه[2] .

قال : وكان مع رستم أسوارٌ لا تسقُط له نُشّابة . فقال له : يا أبا ثور ، اتَّق ذاك ! فإنّا لنقولُ له ذلك إذْ رماه رميةً فأصاب فرسَه ، وحمل عليه عمرٌو فاعتنقه ثم ذبَحَه ، وسلبه سوارَيْ ذهبٍ كانا عليه ، وقَباءَ ديباج .

قال أبو زيد[3] : فذكر أبو عبيدة أنّ عمراً حمَلَ يومئذٍ على رجلٍ فقتلَه ثم صاح : يا معشرَ بني زبيد ، دونكم فإنَّ القوم يموتون !

وقال علي بن محمد المدائنيّ : وأخبرنا محمد بن الفضل وعبدُ ربِّه بنُ نافع ، عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال : حضر عمرٌو الناسَ وهم يقاتِلون ، فرماه رجلٌ من العجم بنشّابةٍ فوقعت في كَتفه ، وكانت عليه درعٌ حصينة فلم تنفُذ ، وحَملَ على العِلج فعانقه فسقطا إلى الأرض ، فقتله عمرٌو وسلبهُ ، ورجع بسلبِهِ وهو يقول : [من الرجز]

أنا أبو ثَور وسيفي ذو النُّونْ ... أضربهُم ضربَ غـلامٍ مجنونْ
يـالَ زُبيـد إنَّهـم يموتـون

قال أبو عبيدة : وقال في ذلك عمرو بن معديكرب[4] : [من السريع]

صوت

أَلِمِ بسلمى قبـلَ أن تظَعنا ... إنَّ لنا مـن حبِّهـا ديدنا
قـد علمتْ سَلمى وجاراتُها ... مـا قطَّـرَ الفارسَ إلاّ أنا
شككـتُ بـالرمح حيازيمَه ... والخيـلُ تعـدو زِيَماً بيننا[5]

غنّى فيه الغريضُ ثانيَ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البِنصِر . وفيه رَملٌ بالبنصر يقال إنّه لمعبَد . ويقال إنّه من منحول يحيى المكّيّ .

قال أبو عبيدة في رواية أبي زيد عمر بنِ شبّة : شهِد عمرو بن معديكرب القادسية وهو ابن مائةٍ وستٍّ سنين . وقال بعضهم : بل ابن مائة وعشر . قال : ولمّا قَتَلَ العلجَ عبَر نهر

1 أغنى شأنه : كفى نفسه .
2 النيزك : الرمح القصير .
3 أبو زيد : عمر بن شبّة .
4 ديوانه : 176 .
5 زيم : متفرقة .

القادسية هو وقيسُ بن مكشوح المرادي ، ومالك بن الحارث الأشتر .

قال : فحدَّثني يونس أنّ عمرو بن معديكرب كان آخرَهم ، وكانت فرسُه ضعيفةً فطلبَ غيرَها ، فأُتِيَ بفرسٍ فأخَذ بعُكْوةِ[1] ذنبه وأخلدَ إلى الأرض ، فأقعى الفَرس فردَّه ، وأُتِيَ بآخرَ ففعل به مثلَ ذلك فتحلحلَ ولم يقعِ فقال : هذا على كلِّ حالٍ أقوى من تلك ، وقال لأصحابه : إنّي حاملٌ وعابِرٌ الجِسر ، فإنْ أسرعتم بمقدار جَزْر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أُقاتِلُ به تلقاءَ وجهي ، وقد عَفَر بي القومُ وأنا قائمٌ بينهم وقد قتَلتُ وجَرَّدت . وإنْ أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم وقد قُتِلتُ وجُرِّدت . ثم انغمَسَ فحمل في القوم فقال بعضُهم : يا بني زُبيد ، على مَ تدَعون صاحبَكم والله ما نرى أن تُدرِكوه حيّاً . فحملوا فانتهَوْا إليه وقد صُرِع عن فرسه ، وقد أخذ برِجْلِ فرسِ رَجُلٍ من العجم فأمسَكها ، وإنّ الفارس ليضربُ الفرسَ فما تقدر أن تتحرّك من يده . فلمّا غَشيناه رمى الأعجميُّ بنَفْسِهِ وخلَّى فرسَه ، فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور ، كِدتم والله تفقدونني ! قالوا : أين فرسُك ؟ قال رُمِي بنُشّابةٍ فشَبَّ فصرعَني وعار .

ورَوى هذا الخبر محمد بن عمر الواقديّ عن ابن أبي سَبْرة عن أبي عيسى الخياط . ورواه عليٌ بن محمد أيضاً عن مُرّة عن أبي إسماعيل الهمذاني عن طَلحة بن مصرِّف . فذكرا مثل هذا .

[مصرع رستم]

قال الواقديّ : وحدَّثني أُسامة بن زيد ، عن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معديكرب يوم القادسية : ألزِمُوا خراطيمَ الفيلة السُّيوف ، فإنّه ليس لها مقتلٌ إلاّ خراطيمها . ثم شدّ على رُستمَ وهو على الفيل فضربَ فيلَه فجذَمَ عُرقوبيه فسقط ، وحُمل رستم على فرسٍ وسَقَط من تحته خُرجٌ فيه أربعون ألف دينار ، فحازه المسلمون ، وسقط رُستم بعد ذلك عن فرسه فقتله .

قال علي بن محمد المدائنيّ : حدَّثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق قال : لمّا ضرب عَمْرٌو الفيل وسَقَط رستم ، سقط على رستم خُرجٌ كان على ظهر الفيلِ فيه أربعون ألف دينار ، فمات رستمُ من ذلك ، وانهزم المشركون .

وقال الواقديّ : حدَّثني ابن أبي سَبْرة ، عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى آل الزُّبير قال : حدَّثنا نِيار بن مُكرم الأسلميّ ، قال : شهدت القادسيةَ فرأيتُ يوماً اشتدَّ فيه القتال بيننا وبين الفُرس ، ورأيت رجلاً يفعل يومئذٍ بالعدوّ أفاعيل ، يُقاتل فارساً ثم يقتحم عن فرسه ويربط مِقودَه في حَقْوِه فيقاتل ، فقلت : مَن هذا جزاهُ الله خيراً ؟ قالوا : هذا عمرو بن معديكرب .

---

1 عكوة الذنب : أصله .

[تحليله الخمر]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبيّ ، عن خالد بن سعيد ، عن أبي محمد المرهبيّ قال : كان شيخٌ يجالس عبدَ الملك بن عُمير ، فسمعته يحدِّث قال : قدِم عيينةُ بن حصنٍ الكوفةَ فأقام بها أيّاماً ثم قال : والله ما لي بأبي ثَور عهدٌ منذُ قدِمنا هذا الغائط ، يعني عمرو بن معديكرب ، أسرِجْ لي يا غلامُ . فأسرج له فرساً أنثى من خَيله ، فلمّا قرَّبها إليه قال لـه : ويحكَ أرأيتني ركبتُ أنثى في الجاهلية فأركَبها في الإسلام ؟ فأسرجَ له حِصاناً فركبه ، وأقبل إلى مَحَلّة بني زبيد فسأل عن محلّة عمرو فأرشِدَ إليها ، فوقف ببابه ونادى : أي أبا ثور ، اخرجْ إلينا . فخرج إليـه مؤتزراً كأنّـما كُسِر وجبر ، فقال : انعِمْ صباحاً أبا مالك . فقال : أو ليس قد أبدلَنا الله تعالى بهذا : السَّلامُ عليكم ؟ قال : دَعْنا ممّا لا نعرف ، انزلْ فإنّ عندي كبشاً ساحّاً[1] . فنزل فعمَد إلى الكبش فذَبحه ثم كشط عنه وعَضّاه[2] ، وألقاه في قِدر جِماع[3] ، وطبخَه حتّى إذا أدرك جاء بجَفْنةٍ عظيمة فثَرد فيها فأكفأ القِدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أيُّ الشراب أحبّ إليك : آللبن أم ما كنّا نتنادم عليه في الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حرّمها الله جلّ وعزّ علينا في الإسلام ؟ قال : أنت أكبر سنّاً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فأنت أقدمُ إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فإنّي قد قرأت ما بين دَفّتي المصحف فوالله ما وجَدتُ لها تحريماً إلاّ أنّه قال : ﴿فهل أنتم منتهون﴾ فقلنا : لا . فسكتَ وسكتْنا ! فقال له : أنت أكبرُ سِنّاً وأقدم إسلاماً . فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ، ويذكران أيّام الجاهلية ، حتى أمسيا ، فلمّا أراد عيينة الانصراف . قال عمرو : لئـن انصرفَ أبو مالك بغيرِ حبـاءٍ إنّه لوصمةٌ عليَّ . فأمر بناقةٍ له أرحَبيّةٍ[4] كأنّها جَبيرة لُجَين[5] ، فارتحلَها وحمَله عليها ، ثم قال : يا غلامُ هاتِ المِزْود . فجاء بمزودٍ فيه أربعة آلافِ درهم ، فوضَعَها بين يديه ، فقال : أمّا المال فوالله لا قَبِلتُه . قال : والله إنّه لَمِن حِباءِ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . فلم يَقبلْه عيينة وانصرفَ وهو يقول : [من الطويل]

جُزِيتَ أبـا ثَـورٍ جـزاءَ كرامةٍ فنعـم الفتـى المـزدارُ والمتضيَّفُ
قريـتَ فأكرمت القِرى وأفَدتنا نَخيلَةَ عِلـم لم يكن قـطٌّ يعرفُ

1 الساح : السمين جدّاً .
2 عضاه : قطّعه أجزاء .
3 القدر الجماع : العظيمة .
4 أرحب : قبيلة من بني رحب أو فحل أو مكان تنسب إليه النجائب الأرحبيات .
5 جبيرة لجين : أسورة من الفضة .

وقلت : حَلالٌ أن تُديرَ مُدامةً كلونِ انعقاق البرقِ والليلُ مسدِفُ
وقدّمتَ فيها حُجَّةً عربيةً تَردُّ إلى الإنصاف مَن ليس ينصِفُ
وأنت لنا واللهِ ذي العرش قُدوةٌ إذا صَدَّنا عن شربها المتكلِّفُ
نَقول : أبو ثورٍ أحلَّ حرامَها وقولُ أبي ثورٍ أسدُّ وأعرفُ

[غداؤه عند عمر]

وقال علي بن محمد : حدَّثني عبد الله بن محمد الثقفيّ عن أبيه ، والهذليّ عن الشَّعبيّ قال : جاءت زيادةٌ من عندِ عمر بعد القادسية فقال عَمرو بن معديكرب لطُليحة : أما تَرى أنّ هذه الزعانفَ تُزاد ولا نزاد ، انطلقْ بنا إلى هذا الرجل حتّى نكلّمه . فقال : هيهاتَ ، كلا والله لا ألقاه في هذا المعنى أبداً ، فلقد لقيَني في بعض فجاج مكّة فقال : يا طليحة ، أقَتَلتَ عكاشة ؟! فتوعَّدَني وعيداً ظننتُ أنَّه قاتلي ، ولا آمنه . قال عمرو : لكنّي ألقاه . قال : أنتَ وذاك . فخرج إلى المدينة فقدِم على عُمر رَضِي الله عنه وهو يغدّي الناس وقد جَفَّن لعَشرةٍ عشرة ، فأقعده عمرُ مع عشرة فأكلوا ونَهَضوا ، ولم يَقُم عمرو ، فأقعد معه تكملةَ عشرةٍ فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو ، فأقعده مع عشرة حتّى أكل مع ثلاثين ثم قام . فقال : يا أمير المؤمنين إنّه كانت لي مآكلُ في الجاهلية منعني منها الإسلام ، وقد صررتُ في بطني صرّتين وتركت بينهما هواءً فسُدَّه . قال : عليك حجارةً من حجارةِ الحَرّة فسُدّه به يا عمرو ، إنّه بلَغني أنك تقول إنّ لي سيفاً يقال له الصمصامة ، وعندي سيفٌ أسمّيهِ المصمِّم ، وإنّي إنْ وضعته بين أُذنيك لم أرْفعه حتّى يخالطَ أضراسك .

[من الذي أذرى عمراً عن فرسه]

وذكر ابن الكلبيّ ومحمد بن كناسة أنّ جُبيلة بن سُويد بن ربيعة بن رباب ، لقِيَ عَمرو بن معديكرب وهو يسوقُ ظُعناً له . فقال عمرو لأصحابه : قِفُوا حتّى آتيكم بهذه الظعن . فقرَّبَ نحوه حتى إذا دنا منه قال : خلِّ سبيلَ الظُّعن . قال : فلِمَ إذاً ولَدْتني ؟ ثم شدَّ على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسِهِ وأخذَ فرسَه ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : ما وراءك ؟ قال : كأنّي رأيت منيّتي في سنانه .

وبنو كنانة يذكُرون أنَّ ربيعةَ بن مكدِّم الفِراسيّ ، طعن عمرو بن معديكرب فأذراه عن فَرسه وأَخذ فرسَه . وأنّه لقيه مرّةً أُخرى فضربه فوقعت الضربةُ في قَرَبوس السَّرج فقطعه حتّى عضّ السيفُ بكائبة[1] الفرس فسالمه عمرٌو وانصرف .

1 كائبة الفرس : مجتمع كتفيه ؟

[صفة بني مجاشع]

قال المدائنيّ : حدَّثني مسلمةُ بن محارب ، عن داود بن أبي هند قال : حمل عمرو بن معديكرب حَمالة ، فأتى مجاشعَ بن مسعود يسأله فيها .

وقال خالد بن خداش : حدَّثني أبو عَوانة عن حُصين بن عبد الرحمن قال : بلغني أنَّ عَمراً أتى مجاشعَ بن مسعود فقال له : أسألكَ حُملانَ مِثلي ، وسلاحَ مثلي . قال : إنْ شئتَ أعطيتُك ذاك من مالي . ثم أعطاه حُكْمه . وكان الأحنف أمر له بعشرين ألف درهم ، وفرسٍ جَواد عتيق ، وسيف صارم ، وجارية نفيسة . فمرَّ ببني حنظلةَ فقالوا له : يا أبا ثَور ، كيف رأيتَ صاحبَك ؟ فقال : لله بنو مجاشع ما أشدَّ في الحرب لقاءها ، وأجزلَ في اللَّزْبات[1] عطاءها ، وأحسن في المكرُمات ثناءها ، لقد قاتلتُها فما أقللتُها[2] ، وسألتُها فما أبخلتُها ، وهاجيتُها فما أفحمتها !!

[ما بقي من قوّته]

وقال أبو المِنهالُ عُيينة بن المنهال : سمعت أبي يحدّث قال : جاء رجلٌ وعمرو بن معديكرب واقفٌ بالكُناسة[3] على فرسٍ له ، فقال : لأنظرنَّ ما بَقِيَ من قُوّة أبي ثور . فأدخل يدَه بين ساقَيه وبين السَّرج ، وفطِن عمرٌو فضمَّها عليه وحرّك فرسَه ، فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يدَه ، حتّى إذا بَلَغ منه قال : يا ابن أخي ، ما لَكَ ؟ قال : يدي تحتَ ساقِكَ ! فخلَّ عنه ، وقال : يا ابنَ أخي ، إنّ في عمّك لَبقيّة ! .

[كذب عمرو]

وكان عمرو مع ما ذكرنا من محلّه مشهوراً بالكذب : أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد النحويّ المبرّد ولم يتجاوزه . وذكر ابن النطّاح هذا الخبرَ بعينه عن محمد بن سلام ، وخبر المبرّد أتمُّ قال : كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهِرها يتناشدون الأشعار ، ويتحدّثون ويتذاكرون أيّامَ الناس . فوقف عمرٌو إلى جانب خالد بن الصَّقعب النهديّ ، فأقبلَ عليه يحدِّثه ويقول : أغرتُ على بني نهدٍ فخرجوا إليَّ مسترعِفين[4] بخالد بن الصَّقعب يقْدُمهم ، فطعنتُه طعنةً فوقع ، وضربتُه بالصمصامة حتّى فاضت نفسه ! فقال له الرجل : يا أبا ثور إنّ مقتولك الذي تحدِّثه . فقال : اللهمّ غَفراً إنّما أنتَ محدَّثٌ فاسمع ، إنّما نتحدَّث بمثل هذا وأشباهه لنُرهِب هذه المعدِّيّة .

---

1 اللزبات : الشدّة والقحط .

2 ما أقللتها : لم أجدها قليلة .

3 الكناسة : محلّة بالكوفة .

4 الاسترعاف : السبق والتقدّم .

قال محمد بن سلام : وقال يونس : أَبَتْ العربُ إلاّ أنّ عمراً كان يكذب . قال : وقلتُ لخلفٍ الأحمر وكان مولى الأشعريين ، وكان يتعصَّب لليمانية : أكان عمرٌو يَكذب ؟ قال : كان يكذب باللِّسان ، ويصدُق بالفعال .

[تقارضه الثناء مع سعد]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة : أنّ سعداً كَتَب إلى عُمَر رضي الله عنه يثني على عمرو بن معديكرب ، فسأله عمرُ عن سعد فقال : «هو لنا كالأب أعرابيٌّ في نَمْرته[1] ، أسدٌ في تامورته[2] ، يَقسِم بالسويّة ، ويَعدِل في القضيّة ، ويَنفِر في السريّة ، وينقُل إلينا حقَّنا كما تنقل الذرة» فقال عمر رضوان الله عليه : لَشدَّ ما تقارضتُما الثناء[3] .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا الحارث عن ابن سعد عن الواقديّ عن بُكير بن مِسمار عن زيادٍ مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول ، وبلغَه أنَّ عمرو بن معديكرب وقَع في الخمر ، وأنّه قد دُلِّهَ . فقال : لقد كان له موطنٌ يوم القادسية ، عظيم الغَناء ، شديد النِّكاية للعدوّ . فقيل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذلُ لنفسه من قَيس ، وإنّ قيساً لَشُجاع .

[وفاته]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمّر بن شبّة وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة . ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبيّ خاصة : حدَّثني أسعر بن عمرو بن جرير ، عن خالد بن قَطَن قال : حدَّثني من شهد موتَ عمرو بن معديكرب ، والرواية قريبة ، وحكايتا عُمَر بن شبّة وابنِ قتيبة عن أنفسهما ولم يتجاوزاها ، قالا : كانت مَغازِي العرب إذ ذاك الريّ ودستَبى ، فخرج عمرٌو مع شباب من مَذحِج حتّى نزل الخان الذي دُون روذَة ، فتغدَّى القومُ ثم ناموا ، وقام كلُّ رجلٍ منهم لقضاء حاجته . وكان عمرٌو إذا أراد الحاجة لم يجترىء أحدٌ أن يدعوَه وإن أبطأ ، فقام الناسُ للرحيل وترحَّلوا إلاّ مَن كان في الخان الذي فيه عمرو ، فلمّا أبطأ صِحْنا به : يا أبا ثور . فلم يُجبنا وسمعنا عَلَزاً شديداً[4] ، ومِراساً في الموضع الذي دخَله ، وقَصَدناه فإذا به محمرةً عيناه ، مائلاً شِدقُه مفلوجاً ، فحملناه على فرسٍ وأمَرنا غلاماً شديد الذِّراع فارتدفَه ليعدِلَ ميله ، فمات بِرُوذة ودُفِن على قارعة الطريق . فقالت امرأته الجُعفية ترثيه : [من الطويل]

1 النمرة : الشملة فيها خطوط بيض وسُود .
2 التامورة : عرين الأسد .
3 ل : الشهادة .
4 العلز : الكرب والقلق عند الموت .

لقد غـادَرَ الركبُ الذين تحمَّلُوا بِرُوذَةَ شخصاً لا ضعيفا ولا غُمْرا
فقـل لزُبيدٍ بـل لمذحِـجَ كلِّها فَقدتـم أبا ثـورٍ سِنانَكم عَمْرا
فإن تجزعوا لا يُغـنِ ذلك عنكمُ ولكن سَلُوا الرحمن يُعْقِبكُم صبرا

[ريحانة التي ذكرها في شعره]

والأبيات العينية التي فيها الغناء ، وبها افتُتِحَ ذكرُ عمرو ، يقولها في أخته ريحانة بنت معديكرب لمّا سباها الصِّمة بن بكر ، وكان أغار على بني زُبيد في قيس فاستاقَ أموالَهم وسَبى رَيحانة ، وانهزمت زُبيد بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معديكرب ، ثم رجع عبد الله واتَّبعه عمرو .

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أنّ عمراً اتّبعه يناشِدُه أن يخلِّيَ عنها ، فلم يفعل ، فلمّا يئس منها ولَّى وهي تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ! فلم يقدِرْ على انتزاعها ، وقال : [من الوافر]

أمِنْ ريحانـةَ الدَّاعي السَّميعُ يؤرِّقنـي وأصحابـي هُجوعُ
سَباها الصِّمَّةُ الجشميُّ غَصْباً كأنّ بيـاضَ غرَّتهـا صَدِيعُ[1]
وحالت دونَهـا فُرسانُ قيسٍ تكشَّفُ عن سواعدها الدُّروعُ
إذا لم تستطِع شيئـاً فدعْـهُ وجـاوِزْه إلى مـا تستطيعُ

وزاد الناس في هذا الشعر وغنّي فيه : [من الوافر]

وكيف أحبُّ مَن لا أستطيع ومن هـو للذي أهوى مَنوعُ
ومَن قد لامَني فيـه صديقي وأهـلي ثـمَّ كُلاًّ لا أُطيعُ
ومَن لـو أظهرَ البغضاءَ نحوي أتاني قابضُ المـوتِ السريعُ
فِدًى لهمُ معـاً عمِّي وخالي وشَرخ شبابِهـم إن لَم يُطيعوا

وقد أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأت على أبي : وأمّا قصّة ريحانة فإن عمرو بن معديكرب تزوَّجَ امرأةً من مُراد ، وذهب مُغيراً قبل أن يدخُل بها ، فلمّا قدِم أُخبِر أنّه قد ظهر بها وضَح ، وهو داءٌ تحذره العرب ، فطلَّقها وتزوَّجها رجلٌ آخر من بني مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً وأنّ الذي قيل فيها باطلٌ ، فأخذ يشبِّب بها ، فقال قصيدتَه وهي طويلة : [من الوافر]

أمِن ريحانةَ الدّاعي السميعُ يؤرِّقني وأصحابـي هجوعُ

---

1 الصديع : الفجر .

[توليه رئاسة بني زبيد]

وكان عبد الله بن معديكرب ، أخو عمرو ، رئيسَ بني زبيد ، فجلس مع بني مازن في شَرب منهم . فتغنّى عنده حبشيٌّ عبدٌ للمخزّم ، أحد بني مازن ، في امرأةٍ من بني زبيد ، فلطمه عبدُ الله وقال له : أمَا كفاكَ أن تشربَ معنا حتى تشبب بالنساء ؟ فنادى الحبشيُّ : يا آل بني مازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، وكان الحبشيُّ عبداً للمخزم ، فرئِسَ عمرٌو مكانَ أخيه ، وكان عمرٌو غزا هو وأُبيٌّ المراديّ فأصابوا غنائم ، فادّعى أُبيٌّ أنّه قد كان مسانِداً ، فأبى عمرٌ أن يعطيَه شيئاً ، وكَرِه أبيٌّ أن يكون بينهما شرّ ، لحداثةِ قتل أبيه ، فأمسَكَ عنه . وبلغ عمراً أنّه توعّده ، فقال عمرو في ذلك قصيدةً له أوّلها[1] : [من الوافر]

صوت

أعاذلَ شِكَّتي بـدَني ورُمحي ... وكلُّ مقلّـص سَلِس القِيادِ[2]

أعـاذل إنّما أفنـى شبابـي ... وأقْـرحَ عاتقـي ثِقَـل النِّجادِ

تَمنَّانِـــي ليلقـــاني أبـــيٌّ ... ودِدتُ وأينَما منّي ودادي[3]

ولـو لاقيتَني ومعـي سِلاحي ... تكشَّف شحمُ قلبِك عن سوادِ

أُريـد حِبـاءَه ويريدُ قتلي ... عذيرَكَ مِن خليلكَ من مرادِ[4]

وتمام هذه الأبيات : [من الوافر]

تمنّـاني وسابغتـي دِلاصٌ ... كأنَّ قتيرَهـا حـدَقُ الجرادِ[5]

وسيفي كان من عهدِ ابن صدٍّ ... تخيَّره الفتـى مـن قَـوم عادِ

ورمحـي العنبريُّ تخـال فيه ... سِناناً مثـلَ مِقبـاس الزِّنادِ

وعِجلِزة يـزلُّ اللِّبْدُ عنهـا ... أَمَـرَّ سَراتَهـا حَلَقُ الجيادِ[6]

إذا ضُرِبَتْ سمعتَ لهـا أزيزاً ... كوقع القَطْرِ في الأدمِ الجِلادِ

إذاً لوجدتَ خالكَ غيرَ نِكسٍ ... ولا متعلّمـاً قتـلَ الوحادِ[7]

---

1 ديوانه : 60–65 مع بعض اختلاف .
2 البدن : الدرع . والمقلص : الفرس .
3 أُبي في الديوان : قيس .
4 الديوان : أريد حياته .
5 القتير : رؤوس مسامير الدرع . وحدق الجراد : عيون الجراد .
6 العجلزة : الفرس الشديدة .
7 هذا يجعل المخاطب ابن أخته قيس بن مكشوح المرادي .

يقلِّــب للأُمــورِ شَرنبثــاتٍ　　بأَظفــارٍ مَغارِزُهــا حِــدادِ[1]

لابن سُريج في الأوّل والثاني ثاني ثقيل بالبنصر ، ولابن محرز في السادس والخامس ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفي الرابع والخامس والسادس لحنٌ للهذليّ من رواية يونس .

وهذا البيت الخامس كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذا نظر إلى ابن مُلجَم تمثّل به .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا حَيَّان بن بشر قال حدَّثنا جرير عن حمزة الزيّات قال : كان عليٌّ عليه السلام إذا أعطى الناس فنظر إلى ابنِ مُلجَم قال : [من الوافر]

أريــد حِباءه ويريدُ قتــلي　　عَذيرَكَ من خليلك من مرادِ

حدَّثني العبّاس بن عليّ بن العبّاس ، ومحمد بن خلفٍ وكيع قالا : حدَّثنا أحمد بن منصور الرماديّ قال : حدَّثنا عبد الرزّاق قال : أخبرنا مَعمر ، عن أيّوب ، عن ابن سيرين ، عن عَبِيدة السَّلْمانيّ قال : كان عليٌّ بن أبي طالب إذا أعطى الناس فرأى ابنَ ملجَم قال : [من الوافر]

أريــد حِبــاءه ويريد قتلي　　عذيرَكَ من خليلكِ من مُرادِ

حدَّثني محمد بن الحسن الأُشناني قال : حدَّثنا عليّ بن المنذر الطَّريفيّ قال : حدَّثنا محمد بن فُضَيل قال : حدَّثنا قطن بن خليفة عن أبي الطُّفيل عامرِ بن واثلة ، والأصبغ بن نباتة قال : قال علي عليه السلام : ما يحبس أشقاها ؟ والذي نفسي بيده لتُخضبنَّ هذه من هذا .

قال أبو الطُّفيل : وجمع عليٌّ الناس للبَيعة فجاء عبد الرحمن بن مُلجَم المراديّ ، فردّه مرّتين أو ثلاثاً ثم بايعه ، ثم قال : ما يحبس أشقاها ؟ فوالذي نفسي بيده لتُخضبَنَّ هذه من هذا . ثم تمثّل بهذين البيتين : [من مجزوء الوافر]

اشددْ حيازيمَكَ للموتِ　　فــإنَّ المــوتَ يأتيكَ[2]
ولا تجــزعْ مــن القتلِ　　إذا حَــلَّ بــواديكَ

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

[أخته تعيّره بقبوله الدية]

قال : وجاءت بنو مازنٍ إلى عمرو فقالوا : إنّ أَخاك قتَلَه رجلٌ منّا سفيه وهو سكرانُ ، ونحن يدُك وعَضُدك ، فنسألك الرحِمَ وإلاّ أخذت الديةَ ما أحببت ! فهمَّ عمرو

1 الشرنبث : الغليظ الكفّين .
2 يأتيك في ل : لاقيك .

بذلك . وقال[1] :

إحدى يـديَّ أصابتني ولم ترد

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كَبْشة ، وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب ، فغضبت ، فلمّا وافى الناسُ من الموسم قالت شعراً تعيِّر عمراً : [من الطويل]

أأرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه ... إلى قومـه لا تَعقِلوا لهـمُ دمي
ولا تأخذوا مِنهـم إفالاً وأبكُراً ... وأُتـركَ في بيتٍ بصَعدةَ مظلمِ[2]
ودَعْ عنك عَمراً إنّ عمراً مسالمٌ ... وهل بطنُ عمرو غيرُ شِبرٍ لمطعمِ
فـإن أنتـمُ لم تقبلوا واتَّديتُمُ ... فمشُّوا بـآذان النَّعـامِ المصلَّمِ[3]
أيقتُـل عبدَ الله سيِّـدَ قومِـهِ ... بنو مازن أن سُبّ راعِي المخزَّمِ

فقال عمرٌو قصيدةً له عند ذلك يقول فيها[4] : [من المتقارب]

صوت

أرِقتُ وأَمسيتُ لا أرقُدُ ... وساوَرَني الموجعُ الأسودُ
وبتُّ لذِكرى بني مازنٍ ... كأنِّـيَ مرتفِقٌ أُرمـدُ[5]

فيه لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، نسبه يحيى المكّيّ إلى ابن محرز ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول .

ثم أكبَّ على بني مازنٍ وهم غارُّونَ[6] فقتلهم ، وقال في ذلك شعراً : [من الوافر]

خـذُوا حُقُقـاً مخطَّمة صفايا ... وكَيدِي يـا مخزَّم أن أَكيدا[7]
قتلتـمْ سادتـي وتركتمـوني ... عـلى أكتافكـم عبئـاً جديدا
فمن يأبى مـن الأقوام نصراً ... ويتركنـا فإنّـا لـن نريدا

---

1 هذا عجز بيت في الحماسة قاله أعرابيّ قتل أخوه ابنه :

أقـول للنفس تأساء وتعزيـة ... إحـدى يـدي أصابتني ولم تردِ
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

2 الأفال : صغار الإبل . وفي ذكر الأفال والأبكر تصغير لشأن الدية . وصعدة : مدينة باليمن .

3 الآذان المصلمة : المقطوعة .

4 ديوانه : 89–90 .

5 مرتفق : مستند على مرفقه .

6 غارون : أي وهم في غارة .

7 الحقق : الإبل التي أتمّت سنتها الثالثة ودخلت في الرابعة .

وأرادت بنو مازن أن تردّ عليهم الديّة لمّا آذنهم بحرب ، فأبى عمرو ، وكانت بنو مازن من أعداء ، مذحج . وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمّها دون عمرو ، وكان عمرو قد هَمَّ بالكفّ عنهم حين قَتَلَ من قتل منهم ، فركبت كبشةُ في نساءٍ من قومها ورثت أخاها عبد الله وتركت عمراً أخاها وعَيَّرته فأحمته . فأكبّ عليهم أيضاً بالقتل ، فلمّا أكثر فيهم القتلَ تفرّقوا ، فلحقت بنو مازنٍ بصاحبهم بتميم ، ولحقت ناشرة ببني أسد ، وهم رهطُ الصقعب بن الصحصح ، ولحقت فالج بسليم بن منصور . وفالج وناشرة ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن منبّه بن صعب بن سعد العشيرة ، وأمّهما هند بنت عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . فقال كابية بن حرقوص بن مازن : [من مجزوء الكامل]

يا ليلتي ما ليلتي بالبلدةِ رُدّتْ عليَّ نجومُها فارتدتِ
مَن كان أسرعَ في تفرُّق فالج فلبُونه جربتْ معاً وأغدّتِ
هَلاّ كناشرة الذي ضيّعتُمُ كالغصن في غلوائه المتنبتِ

وقال عمرو في ذلك[1] : [من الوافر]

تمنّت مازنٌ جهلاً خِلاطي فذاقتْ مازن طَعم الخِلاطِ
أطَلتُ فِراطَكم عاماً فعاماً ودينُ المَذحِجيِّ إلى فِراطِ[2]
أُطلتُ فراطكم حتّى إذا ما قتلتُ سراتكم كانت قَطاطِ[3]
غدرتمْ غدرة وغدرتُ أُخرى فما إنْ بيننا أبداً يَعاطِ[4]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأت على أبي قال المدائنيّ : حدَّثني رجلٌ من قريش قال : كنّا عند فلانٍ القرشيّ فجاءه رجلٌ بجاريةٍ فغنّته : [من السريع]

بالله يا ظبي بني الحارث هل مَن وفى بالعهدِ كالناكثِ

وغنّته أيضاً بغناء ابن سُريج : [من المنسرح]

يا طولَ ليلي وبتُّ لَم أنِم وساديَ الهمُّ مُبطَنٌ سَقَمِي

فأعجبته واستام مولاها ، فاشتطّ عليه فأبى شراءها ، وأُعجبت الجارية بالفتى ، فلمّا امتنع مولاها من البيع إلاّ بشططٍ قال القرشيّ : فلا حاجة لنا في جاريتك . فلمّا قامت الجارية

---

1 ديوانه : 127 .
2 أطلت فراطكم : أمهلتكم طويلاً .
3 قطاط : حسبي .
4 يعاط : كلمة للإنذار .

للانصراف، رفعَتْ صوتها تغنّي وتقول : [من الوافر]

إذا لم تستطـعْ شيئاً فدعْه وجـاوزْه إلى مـا تستطيعُ

قال : فقال الفتى القرشيّ : أفأنا لا أستطيع شراءكِ ، والله لأشترينَّك بما بلغت . قالت الجارية : فذاكَ أردتُ . قال القرشيُّ : إذا لا أخيّبك . وابتاعها من ساعتِهِ . والله أعلم .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من السريع]

بالله يـا ظَبيَ بنـي الحارثِ هل مَن وفى بالعهدِ كالناكِثِ
لا تخدَعَنّـي بالمنى باطـلاً وأنـت بِـي تلعبُ كالعابثِ

عروضه من السريع ، الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالبِنصِر ، وفيه لسِياطٍ خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى ، وفيه لإبراهيم الموصليِّ لحنٌ من رواية بَذْل .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

يـا طـولَ ليلي وبتُّ لَـم أَنَم وِسادِيَ الهـمُّ مُبْطَـنٌ سَقَمِـي
إذْ قمتُ ليـلاً على البلاطِ فأبـ ـصرتُ ربيبـاً فليـتَ لَـم أَقُمِ
فقلـتُ عُوجِـي تُخبِّري خَبراً وأنـتِ منـه كصاحـب الحُلُمِ
قالتْ بل اخشى العيونَ إذْ حضرت حَولِـي وقلبـي مُباشِرُ الأَلَمِ

عروضه من المنسرح . والشعر والغناء لابن سريج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

[مناظرة في حضرة المأمون]

وذكر محمد بن الفضل الهاشميّ قال حدَّثنا أبي قال[1] : كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلامَ والمناظرةَ في مجلسه ، فناظَرَ بين يديه محمّدُ بن العبّاس الصوليُّ عليَّ بنَ الهيثم جُوْنقاً في الإمامة ، فتقلّدهـا أحدُهما ودفَعها الآخر ، فلجَّت المناظَرةُ بينهما إلى أن نبَّط محمدٌ علياً فقال له عليّ : إنّما تكلّمتَ بلسان غيرك ، ولو كنتَ في غير هذا المجلس لسمعتَ أكثر ممّا قلت ! فغضِب المأمونُ وأنكر على محمدٍ ما قاله وما كان منه من سُوء الأدَب بحضرته ، ونَهَض عن فَرشِهِ ونهض

1 نقل صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر بكامله (9 : 172–176) .

الجلساءُ فخرجوا . وأراد محمدٌ الانصرافَ فمنعه علي بن صالح صاحبُ المصلّى ، وهو إذْ ذاك يحجُب المأمون ، وقال : أفعلتَ ما فعلتَ بحضرة أمير المؤمنين ونَهَضَ على الحال التي رأيتَ ، ثم تنصرفُ بغير إذن ، اجلسْ حتّى نعرفَ رأيه فيك . وأمر بأن يَجلِس .

قال : ومكث المأمونُ ساعةً فجلسَ على سريره ، وأَمَر بالجلَساء فرُدُّوا إليه . فدخل إليه عليُّ بن صالح فعرّفه ما كان من قَول محمد في الانصراف ، وما كانَ مِن مَنْعه إيّاه . فقال : دَعْه ينصرف إلى لعنةِ الله . فانصرف . وقال المأمون لجلسائه : أتدرونَ لِمَ دخَلتُ إلى النساء في هذا الوقت ؟ قالوا : لا . قال : إنّه لمّا كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمَنْ فلتاتِ الغضَب ، وله بنا حُرمة ، فدخلتُ إلى النساء فعابثْتُهُنّ حتّى سكن غضبي .

قال : وما مضى محمدٌ عن وجهه إلاّ إلى طاهر ، فسأله الركوبَ إلى المأمون ، وأن يستوهبَه جُرْمه ، فقال طاهر : ليس هذا من أوقاتي ، وقد كتب إليّ خليفتي في الدّار أنّه قد دعا بالجلساء . فقال : أكرهُ أن أبيتَ ليلةً وأميرُ المؤمنين عليّ ساخط . فلم يَزَلْ بِهِ حتّى ركب طاهرٌ معه ، فأَذِن له فدخل ومجيرٌ الخادم واقفٌ على رأس المأمون . فلمّا بَصُرَ المأمون بطاهر أخَذَ منديلاً فمسح به عينَيْه مرّتين أو ثلاثاً ، إلى أنْ وصل إليه وحرَّك شفتَيه بشيءٍ أنكره طاهر ، ثم دنا فسلَّم ، فردّ السلامَ وأمَرَه بالجلوس فجلسَ في موضعه . فسأله عن مجيئه في غير وقته ، فعرّفه الخبرَ واستوهبه ذنبَ محمد ، فوهبه له وانصرف ؛ وعرَّف محمداً ذلك . ثم دعا بهارون بن خنعويه ، وكان شيخاً خراسانيّاً داهيةً ثقةً عنده ، فذكر له فعلَ المأمون وقال له : القَ كاتب مُجيرٍ والطُفْ له ، واضمنْ له عَشرة آلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون . ففعل ذلك ولطَف له ، فعرّفه أنّه لّما رأى طاهراً دمَعت عيناه وترحَّم على محمدٍ الأمين ، ومسح دمعَه بالمنديل . فلمّا عرَف ذلك طاهرٌ ركِب من وقته إلى أحمدَ بن أبي خالدِ الأحول ، وكان طاهرٌ لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلُّهم يَركب إليه ، فقال له : جئتكَ لتولِّينيَ خراسان وتحتالَ لِي فيها . وكان أحمد يتولّى فضَّ الخرائط بين يدَيّ المأمون ، وغسّان بن عبّاد يتولّى إذْ ذاك خراسان ، فقال له أحمد : هلاّ أقمتَ بمنزلك وبعثت إليّ حتّى أصيرَ إليك ولا يُشهَر الخبرُ فيما تريده بما ليس من عادتك ، لأنّ المأمون يعلم أنّك لا تركب إلى أحدٍ من أصحابه ، وسيبلُغه هذا فينكره ، فانصرِف وأغضِ عن هذا الأمر وأمهِلْني مدّةً حتّى أحتال لك . ولبث مدّةً ، وزوّر ابن أبي خالد كتاباً عن غسّان بن عباد إلى المأمون ، يذكر فيه أنّه عليل وأنّه لا يأمن على نفسه ، ويسأل أن يستخلف غيرَه على خراسان ، وجعلَه في خريطةٍ وفَضَّها بين يدي المأمون ، في خَرائط وردَتْ عليه . فلمّا قرأ على المأمون الكتابَ اغتمَّ بِهِ وقال له : ما ترى ؟ فقال : لعلَّ هذه عِلّةٌ عارضة تزول ، وسَيَرِدُ بعد هذا غيره فيرى حينئذٍ أمير المؤمنين رأيَه . ثم أمسَكَ أيّاماً وكتب كتاباً آخرَ ودسَّه في الخرائط ، يذكُر

فيه أنّه تناهى في العِلّة إلى ما لا يرجو معه نفْسَه. فلمّا قرأه المأمونُ قلِق وقال: يا أحمد، إنّه لا مَدفعَ لأمر خراسان فما ترى؟ فقال: هذا رأي[1] إن أشرت فيه بما أرى فلم أصِب لم أستقبله، وأمير المؤمنين أعلَمُ بخدَمِه ومن يصلحُ بخراسان منهم. قال: فجعلَ المأمونُ يسمّي رجالاً ويطعن أحمد على واحدٍ واحدٍ منهم، إلى أن قال: فما تَرى في الأعور؟ قال: إن كان عندَ أحدٍ قيامٌ بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده. فدعا به المأمون فعقَد له على خراسان، وأمره أن يُعسكر، فعسكِر بباب خراسان. ثم تعقَّب الرأيَ فعلِم أنّه قد أخطأ، فتوقَّف عن إمضائِهِ وخشي أن يُوحِش طاهراً بنقْضه، فمضى شهرٌ تامٌّ وطاهر مقيم بمعسكره. ثم إنّ المأمون في السَّحر من ليلة أحدٍ وثلاثين يوماً من عَقْدِهِ له، عقد اللواءَ لطاهرٍ ظاهراً، وأمر بإحضار مُخارقٍ المغنّي، فأُحضِر وقد صلّى المأمون الغداةَ مع طلوع الفجر، فقال: يا مخارق، أتغنّي: [من الوافر]

إذا لم تستطــع شيئاً فدعْــهُ وجــاوِزْهُ إلى مــا تستطيعُ
وكيف تريدُ أن تُدعى حكيماً وأنــتَ لكلٍّ ما تهوى تَبوعُ

قال: نعم. قال: هاته. فغنّاه فقال: ما صنعتَ شيئاً، فهل تعرفُ مَن يقوله أحسنَ ممّا تقوله؟ قال: نعم، علويه الأعسر. فأمر بإحضاره فكأنَّه كان وراء السِّتر، فأمره أن يغنِّيَه، فغنّاه واحتفلَ فقال: ما صنعتَ شيئاً أتعرف مَن يقوله أحسنَ ممّا تقوله؟ قال: نعم عَمرو بن بانة شيخُنا. فأمر بإحضارِهِ فدَخلَ في مقدار دُخول علويه، فأمر بأن يغنّيه الصوتَ، فغنّاه فأحسن فقال: أَحسنتَ ما شئت، هكذا ينبغي أن يُقال، ثم قال: يا غلام اسقِني رِطلاً واسقِ صاحبيهِ رِطلاً رطلاً. ثم دعا له بعشرة آلافِ درهم، وخِلعةِ ثلاثة أثواب، ثم أمره بإعادته، فأعاده فردّ القولَ الذي قاله، وأمر له بمثلِ ما أمر، حتّى فعل ذلك عشراً، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوباً. ودخَلَ المؤذّنون فأذَّنوه بالظهر، فعقد إصبعَه الوسطى بإبهامِهِ وقال: «برقٌ يَمانٍ، برقٌ يمانٍ». وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرفَ مَن بحضرته من الجلساء. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، قد أنعمتَ عليّ وأحسنتَ إليّ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لِي في مقاسمة أخويَّ ما وصل إليَّ فقد حَضَراه؟ فقال: ما أَحسنَ ما استَمحْتَ لهما، بل نُعطيهما نحنُ ولا نُلحِقهما بك. وأمَرَ لكلٍّ واحدٍ بمثل نصف جائزة عمرو، وبَكَر إلى طاهر فرحَّله، فلمّا ثنى عِنانَ دابتِهِ منصرفاً دنا منه حُميدٌ الطوسيُّ فقال: اطرح على ذَنَبه تراباً. فقال: اخسَأْ يا كلب! ونَفذ طاهرٌ لوجهه. وقدِم غسّان بن عبّاد فسأله عن علّته وسببِها، فحلف له أنّه لم يكن عليلاً، ولا كَتَبَ بشيء في هذا. فعلِم المأمون أنَّ طاهراً احتال عليه بابن

1 ل: أمر.

أبي خالد ، وأمسكَ على ذلك . فلمّا كان بعد مدّةٍ من مقدمِ طاهرٍ إلى خراسان قَطَعَ الدّعاءَ للمأمون على المِنبرِ يوم الجمعة ، فقال له عونُ بن مجاشِعٍ بن مَسعدة صاحب البريد : لم تَدْعُ في هذه الجمعة لأمير المؤمنين ؟ فقال : سهوٌ وقع فلا تكتبْ به . وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية ، وقال لعون : لا تكتب به ، وفعله في الجمعة الثالثة فقال له عون : إنّ كتب التجّارِ لا تنقطع من بغداد ، وإن اتّصَلَ هذا الخبر بأمير المؤمنين مِن غيرنا لم آمَنْ أن يكون سببَ زوالِ نعمتي . فقال : اكتبْ بِما أحببت . فكتب إلى المأمون بالخبر ، فلمّا وصل كتابُه دعا بأحمدَ بن أبي خالد وقال : إنّه لم يذهب عليَّ احتيالك عليّ في أمر طاهر ، وتمويهُك له ، وأنا أعطي اللهَ عهداً لئن لم تَشخصْ حتّى تُوافيني بهِ كما أخرجتَه من قَبْضَتي وتُصلِحْ ما أفسدته عليَّ من أمر مُلكي لأبيدَنَّ غَضْراءك[1] ! فشخَص أحمدُ وجعل يتلوَّم[2] في الطريق ، ويقول لأصحاب البُرُد : اكتبوا بخبر علّةٍ أجدُها . فلمّا وصل الريَّ لقيته الأخبارُ ووافاه رسلُ طلحة بن طاهر بوفاة طاهر . فأغذَّ السّير حتّى قدِم خراسانَ ، فلقيه طلحةُ على حَدِّ غَفلة فقال له أحمد : لا تكلِّمْني ولا تُرِني وجهَك فإنّ أباك عرَّضني للعطَبِ وزوال النعمة ، مع احتيالي له وسعيي كان في محبّته . فقال له : أبي قد مضى لسبيله ولو أدركتَه لما خرَجَ عن طاعتك ، وأمّا أنا فأحلف لك بكلٍّ ما تسكن به نفسُك وأبذل كلَّ ما عندي من مال وغيرِهِ ، فاضمنْ له عنّي حسنَ الطّاعة ، وضبط الناحية ، والإخلاصَ في النصيحة . فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون ، وأشار بتقليده ، فأنفذ المأمونُ إليه اللواءَ والخلعَ والعهد ، وانصرفَ أحمد إلى مدينة السّلام .

[ابن هرمة والقرشيّ]

أخبرني وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : مدح ابنُ هَرْمَةَ رجلاً من قريش فلم يثُبه ، فقال له ابنُ عمٍّ له : لا تفعل ، فإنّه شاعرٌ مفوّه . فلم يقبلْ منه ، فقال فيه ابن هَرْمة : [من الوافر]

فهلاَّ إذْ عجزتَ عن المعالي ... وعمّا يفعل الرجلُ القريعُ[3]
أخذتَ برأي عمرٍو حين ذَكّى ... وشُبَّ لناره الشرفُ الرفيعُ
إذا لم تستطع شيئاً فدَعْه ... وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

1 الغضراء : النعمة وسعة العيش .
2 يتلوم : يتلبث .
3 القريع : السيد والرئيس .

[مما قاله في أخته ريحانة مما يتغنى به]

وممّا قاله عمرو بن معديكرب في ريحانة أخته ، وغُنِّيَ فيه ، قوله[1] : [من البسيط]

هاج لك الشوقُ من ريحانةَ الطربا إذْ فارقتكَ وأَمست دارها غُرُبا[2]
ما زلتُ أُحبِس يومَ البينِ راحلتي حتّى استمرّوا وأذرتْ دَمعَها سَرَبا
حتّى ترفَّعَ بالحُزّان يركُضها مثلَ المهاةِ مَرَتْه الريحُ فاضطربا[3]
والغانياتُ يقتّلنّ الرجال إذا ضَرَّجن بالزعفرانِ الرَّيطَ والنّقَبا[4]
من كلِّ آنسةٍ لم يَغذُها عُدُمٌ ولا تشدُّ لشيءٍ صوتَها صَخَبا
إنّ الغوانِيَ قد أُهلكنني وأُرى حِبالهنَّ ضعيفات القُوى كُذُبا

غنّى في هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقيلٍ من رواية حمّاد ، وفيه رمل نسبه حبش إليه أيضاً .

وقال الأصمعيّ : هذا الشعر لسهلٍ بن الحنظليّة الغَنَوِيّ ثم الضُّبينيّ ثم الجابريّ ، وهو جابر بن ضبينة .

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وسَهل بن الحنظلية أَحدُ أَصحاب رسول الله ﷺ ، وقد روى عنه حديثاً كثيراً .

فذكر الأصمعيُّ أنّ السببَ في قولِهِ هذا الشعرَ أنّه اجتمع ناسٌ من العربِ بعُكاظ ، منهم قُرّة بن هُبيرة القشَيريّ ، في سنينَ تتابَعَتْ على النّاس ، فتواعَدُوا وتواقفوا أن لا يتغاوروا حتّى يُخصِبَ النّاس ثم قالوا : ابعثوا إلى المنتشر بن وهبٍ الباهليّ ثم الوائليّ فليشهدْ أمرنا ، ولُندخلْه معنا . فأتاهم فأعلموه ما صنعوه ، قال : فما يأكل قومي إلى ذاك ؟ فقال له ابن جارمٍ الضبّيّ : إنّك لهناك يا أخا باهلة ؟ قال : أمَّا أنا فالغسل والنساءُ عليَّ حرامٌ حتّى آكلَ من قَمَع إبلك . فتفرّقوا ولم يكن إلاّ ذلك . وقال ابن جارم للمنتشر عند قوله : استُك أَضيَقُ من ذاك ! فأَغارَ المنتشرُ على ابن جارم ، فلمّا رآه ابن جارمٍ رمى بنفسه في وِجارِ ضبَع ، وأطرد المنتشرُ إبلَه ورعاءها ، فقال سهلٌ في ذلك : [من البسيط]

هاج لك الشّوقُ من ريحانـةَ الطّربا

---

1 ديوانه : 27–28 .

2 غُرُب : غريب .

3 الحزان : الغليظ من الأرض .

4 الريط : جمع ريطة وهي ملاءة بلفقين . والنقب : جمع نقبة وهي ثوب كالإزار تجعل له حجزة مطينة ويشد كما تشد السراويل .

في قصيدةٍ طويلة له حسنة . وقال في ذلك أعشى باهلة : [من الطويل]

فدًى لك نفسي إذْ تركتَ ابنَ جارمٍ أجبَّ السَّنام بعدَ ما كانَ مُصعبا[1]

وقال المخبل في ذلك : [من الطويل]

إنَّ قشيراً من لقاحِ ابن جارم كغاسلةٍ حَيضاً وليست بطاهرِ
وأنبأتماني أنَّ قُرَّةَ آمنٌ قتالاً أباه من مجيرٍ وخافرِ
فلا تُوكلوها الباهليَّ وتقعُدوا لَدى غرضٍ أُرميكمُ بالنواقرِ[2]
إذا هي حلّتْ بالذِّهابِ وذي حُسًى وراحتِ خِفافَ الوطء حُوسَ الخواطرِ[3]

[بين الأشعث وعمرو]

أخبرنا أحمد بن عمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل ، قال حدَّثني قعنب بن المحرز قال أخبرنا الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش عن محمد بن المنتشر قال :

أخبرني مَن شهد الأشعثَ بن قيسٍ وعمرو بن معديكرب وقد تنازعا في شيء ، فقال عمرٌو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونكنا أمَّك ! فقال سعد : قُوما أُفٍّ لكما ! فقال الأشعث لعمرو : والله لأضرِّطنَّك . فقال : كلاّ إنّها عَزوزٌ موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجليّ : فأخذتُ بيد الأشعث فنترته فوقَعَ على وجهه ، ثم أخذتُ بيد عمرٍو فجذبته فما تحلحَلَ والله ، لكأنّما حركت أسطوانة القصر .

[بين عمرو والأجلح الفهميّ]

وقال أبو عبيدة : قدِم عمرو بن معديكرب والأجلحُ بن وقّاصٍ الفهميّ على عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فأتَياه وبين يديه مالٌ يوزَن ، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يومَ الخميس . قال : فما حبَسَكما ؟ قالا : شُغِلنا بالمنزل يوم قدِمنا ، ثم كانت الجمعة ، ثم غدونا عليكَ اليوم . فلمّا فَرَغَ من وزن المالِ نحّاه ، ثم أقبل عليهما فقال : هِيه ! فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، هذا الأجلح بن وقّاص ، شديد المِرّة ، بعيد الفرّة ، وشيكُ الكرة ، والله ما رأيت مثلَه من الرّجالِ صارعاً ومصروعاً ، والله لكأنّه لا يموت ؛ فقال عُمر للأجلح بن وقّاص ، وأقبلَ عليه : هيه . قال : وأنا أعرف الغضبَ في وجهه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ الناسُ صالحون كثير نسلُهم ، دارّة أرزاقُهم ، خصبٌ نباتُهم ، أجْرِياءُ على عدوّهم ، جبان هدوُّهم عنهم ، صالحون بصلاحِ

1 الأجب : المقطوع السنام . والمصعب : الفحل المكرم .
2 النواقر : السهام الصائبة .
3 الذهاب وذو حسى : موضعان . حوس : جمع أحوس ، هو البطيء الحركة .

إمامهم ؛ والله ما رأينا مثلَكَ إلاّ مَن تقدّمك ، فنستمتع اللّهَ بك . فقال : ما منعك أن تقول في صاحبك مثلَ الذي قال فيك ؟ قال : منعَني ما رأيتُ في وجهك . قال : قد أصبتَ ، أما لو قلت له مثلَ الذي قال لك لأوجعتكُما عقوبة ، فإن تركتُك لنفْسك فسوف أتركه لك ، والله لوددتُ لو سلمتْ لكم حالُكم هذه أبداً ، أما إنّه سيأتي عليك يومٌ تعضُّه وينهشك ، وتهرُّه وينبحك ، ولستَ له يومئذٍ وليس لك ، فإنْ لَم يكن بعهدكم فما أقربهُ منكم .

[توزيع غنائم القادسية]

قال أبو عبيدة : حدَّثنا يونس وأبو الخطّاب قالا : لمّا كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجاناً ومناطق ورِقاباً فبلغت مالاً عظيماً ، فعزل سعدٌ الخُمْس ثم فضَّ البقية ، فأصاب الفارسَ ستّة آلاف ، والراجلَ ألفان ، فبقي مالٌ دَثْر[1] . فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل ، فكتب إليه أنْ ردَّ على المسلمين الخُمس ، وأعطِ من لَحِقَ بِك ممّن لَم يشهَد الوقعة . ففعل فأجراهم مَجرى مَن شَهِد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه أنْ فُضَّ ما بَقِيَ على حَمَلة القرآن . فأتاه عمرو بن معديكربَ فقال : ما معك مِن كتاب الله تعالى ؟ فقال : إنّي أسلمتُ باليمن ، ثم غزوتُ فشُغِلت عن حفظ القرآن . قال : ما لك في هذا المال نصيب .

قال : وأتاه بشر بن ربيعة الخَثعَميّ ، صاحبُ جبّانة بِشر فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم . فضَحِكَ القومُ منه ولم يُعطِهِ شيئاً ، فقال عمرو في ذلك : [من البسيط]

إذا قُتِلنا ولا يبكي لنا أحـدٌ ... قالـت قريشٌ أَلا تلك المقاديرُ
نُعطى السويّةَ من طَعنٍ له نَفَذٌ ... ولا سوِيّةَ إذ تُعطى الدّنانيرُ[2]

وقال بشر بن ربيعة : [من الطويل]

أنختُ بباب القادسيّةِ ناقتي ... وسعدُ بـن وقّاصٍ علـيَّ أميرُ
وسعـدٌ أمير شرُّه دونَ خيره ... وخيرُ أميـرٍ بالعـراقِ جريرُ
وعنـد أمير المؤمنـين نوافلٌ ... وعنـد المثنّى فِضّـة وحريرُ
تذكَّرْ هداكَ الله وَقْعَ سيوفِنا ... بـباب قُدَيس والمكَـرُّ عسيرُ[3]
عشيّةَ ودَّ القومُ لو أنَّ بعضَهم ... يُعـار جَناحَـيْ طائـرٍ فيَطيرُ
إذا مـا فرغنا من قِراعِ كتيبةٍ ... دَلَفنا لأُخرى كالجِبالِ تسيرُ

1 دثر : كثير .
2 السوية : المساواة .
3 قديس : موضع قرب القادسية .

ترى القومَ فيها واجمين كأنَّهم ... جمالٌ بأحمالٍ لهنَّ زفيرُ

فكتب سعدٌ إلى عمر رضي الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردًّا عليه ، وبالقصيدتين ، فكتبَ أنْ أعطِهما على بلائهما . فأعطى كلَّ واحدٍ منهما ألفَيْ درهم .

قال : وحدَّثني أبو حفص السلميّ قال : كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهليّ : إنّ في جندك عَمرو بن معديكرب ، وطلحةَ بن خُويلد الأسديّ ، فإذا حضر الناسُ فأدنِهما وشاورْهما وابعثْهما في الطَّلائع ، وإذا وضعت الحربُ أوزارها فضعْهما حيثُ وضَعا أنفسَهما . يعني بذلك ارتدادهما ، وكان عمرٌو ارتدَّ وطليحةُ تنبَّأ .

[بين سلمان بن ربيعة وعمرو]

قال : وحدَّثنا أبو حفص السلميّ قال : عرضَ سَلمان بن ربيعة جُندَه بأرمينية ، فجعلَ لا يقبل إلاّ عتيقاً . فمرّ به عمرو بن معديكرب بفرسٍ غليظ ، فقال سلمان : هذا هَجين . فقال عمرو : والهجينُ يعرف الهجين ! فبلغ عمرَ رضي الله تعالى عنه قولُه فكتب إليه : «أمّا بعد فإنّك القائلُ لأميرك ما قلتَ ، وإنّه بلغني أنّ عندك سيفاً تسمِّيه الصمصامة ، وعندي سيفٌ أُسمِّيه مصمِّماً ، وأقسم لئنْ وضعتُه بين أُذنيك لا أُقلِع حتى يبلغ قِحفَك» . وكتب إلى سَلمانَ يلُومه في حلمه عنه .

[تقدير عمر له]

قال : وزعموا أنّ عَمراً شهد فتح اليرموك ، وفَتْحَ القادسية ، وفتح نهاوند مع النُّعمان بن مقرِّن المزنيّ ، وكتب عُمر إلى النُّعمان : إنّ في جندك رجُلين : عمرو بن معديكرب ، وطُليحة ابن خويلد الأسديّ من بني قُعَين ، فأحضِرْهما الحربَ وشاوِرْهما في الأمر ، ولا تولِّهما عملاً . والسلام .

صوت

[من الطويل]

خليـلَيَّ هُبّـا طالما قـد رقدتُما ... أَجِدَّكُمـا لا تَقضِيـان كَـراكما
سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي ... يـردُّ على ذي لَوعـةٍ إن بكاكما

ويروى : «ذي عولة» .

الشعر لقُس بن ساعِدَة الإيادي ، فيما أُخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ في خبرٍ أنا ذاكرُه هاهنا .

وذكر يعقوبُ بن السكِّيت أنّه لعيسى بن قُدامة الأَسَديّ .

وذكر العتبيّ أنَّه لرجل من بني عامر بن صعصعة ، يقال له الحسن بن الحارث . والغناء لهاشم بن سليمان ، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن عمرو .

[290] ـ ذكر خبر قُسّ بن ساعدةَ ونسبه وقصّته في هذا الشعر[1]

[نسبه]

هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو ، وقيل مكان عمرو شِمْر ، بن عديّ بن مالك بن أيدعان بن النّمر بن واثلة بن الطَّمَثان بن زيد مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعميّ بن إياد . خطيبُ العرب وشاعرها ، وحليمها وحكيمها في عصره . يقال : إنّه أوّلُ مَن عَلا على شَرَفٍ وخطب عليه . وأوّل مَن قال في كلامه : أمَّا بعد ، وأوّل مَن اتّكأ عند خطبته على سَيفٍ أو عصا .

وأدركه رسولُ الله ﷺ قبل النبوّة ، ورآه بعكاظ فكان يأثُر عنه كلاماً سمِعه منه ، وسئل عنه فقال : «يُحشر أُمّةً وحدَه» .

وقد سمعت خبرَه من جهاتٍ عِدّة ، إلاّ أنّه لَم يَحضُرني وقتَ كتبتُ هذا الخبر غيره ، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً ، فهو من أتمّها .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أبو شعيب صالح بن عمران قال : حدَّثني عمر بن عبد الرحمن بن حفص النسائيّ قال : حدَّثني عبد الله بن محمد قال : حدَّثني الحسن بن عبد الله قال : حدَّثني محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : لَمّا قدِم وفدُ إيادٍ على النبيّ ﷺ قال : ما فَعَلَ قُسّ بن ساعدة ؟ قالوا : مات يا رسول الله . قال : «كأنّي أنظرُ إليه بسوقِ عُكاظَ على جملٍ له أورق[2] ، وهو يتكلّم بكلامٍ عليه حلاوةٌ ما أجِدُني أحفظه» . فقال رجلٌ من القوم : أنا أحفظُه يا رسولَ الله . قال : كيف سمعتَه يقول ؟

[خطبته]

قال سمعتُه يقول : أيُّها النّاس اسمَعُوا وعُوا ، مَن عاشَ مات ، ومَن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت . ليلٌ داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ، بحارٌ تزخَر ، ونجومٌ تزهر[3] ، وضوءٌ وظَلام ، وبِرٌّ وآثام ، ومَطعَمٌ ومشرَب ، وملبَس ومركب . ما لي أرى النّاسَ يذهبونَ ولا

1 لقس بن ساعدة الإيادي ترجمة في البيان والتبيين 1 : 27 والشريشي 2 : 251 ومعجم المرزباني : 222 وخزانة البغدادي 2 : 88–91 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 الأورق : الذي بلون الرماد .

3 تزهر : تتلألأ .

يرجعون ، أرَضُوا بالمُقام فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموا . وإلهِ قُسٍّ بن ساعدةَ ما على وجهِ الأرض دِينٌ أفضلُ من دِينٍ قد أظلَّكم زمانُه ، وأدرَكَكم أوانه ، فطُوبى لِمَن أدرَكه ، فاتّبعه ، وويلٌ لِمَن خالفه . ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

في الذّاهبــين الأوَّليـــــــنَ من القُرونِ لنا بصائرْ
لَمّـــا رأيـــتُ مـــوارِداً للمـوت ليس لها مَصادرْ
ورأيــتُ قومــي نحوهـــا يَمضي الأصاغـرُ والأكابرْ
أيقنـــتُ أنّـــي لا مَحا لةَ حيثُ صار القومُ صائرْ

فقال النبيّ ﷺ : «يرحم الله قُسّاً ، إنّي لأرجو أن يُبعَثَ يوم القيامة أُمّةً وحده» .

[مناسبة الشعر المنسوب إليه]

فقال رجلٌ يا رسول الله : لقد رأيتُ من قسٍّ عجباً . قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجبلٍ يقال له سِمعان في يومٍ شديد الحرّ ، إذْ أنا بقُسٍّ بن ساعدةَ تحت ظلِّ شجرة عند عينِ ماء ، وعنده سباعٌ ، كلّما زأر سَبْعٌ منها على صاحبه ضربَه بيده وقال : كُفَّ حتى يشرَب الذي وَرَد قبلَك . قال : ففرِقْت ، فقال : لا تَخَفْ . وإذا أنا بقبرين بينهما مسجدٌ ، فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا ، فاتّخذْتُ بينهما مسجداً أعبدُ الله جلّ وعزّ فيه حتّى ألحقَ بهما . ثم ذكر أيّامهما فبكى ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

خليـلي هبّا طالما قـد رقدتما أجِـدَّكما لا تَقضِيـان كـراكما
ألَم تعلما أنّي بسِمعانَ مفرَدٌ وما لِيَ فيـه من حبيبٍ سِواكما
أُقيمُ على قبرَيْكما لستُ بارِحاً طَوالَ الليالي أو يجيبَ صَداكما
كأنّكما والمـوتُ أقربُ غايةٍ بجسمِيَ في قبْرَيكما قد أتاكما
فلو جُعِلت نفسٌ لنفسٍ وقاية لجُدتُ بنفسي أن تكون فِداكما

فقال النبيّ ﷺ : «يرحم الله قُسّاً» .

وأمّا الحكاية عن يعقوب بن السِّكِّيت أنّ الشعر لعيسى بن قُدامة الأسديّ فأخبرني بها عليّ بن سليمان الأخفش ، عن السكونيّ قال : قال يعقوب بن السِّكِّيت : قال عيسى بن قُدامة الأسديُّ ، وكان قدِم قاسان ، وكان له نديمان فماتا ، وكان يجيءُ فيجلس عند القبرين ، وهما براوَند ، في موضعٍ يقال له خُزاق ، فيشرب ويصبُّ على القبرين حتّى يقضيَ وطرَه ، ثم ينصرف وينشد وهو يشرب : [من الطويل]

خليـليَّ هُبَّـا طالمـا قـد رقدتُما ... أجَـدَّكما لا تقضِيـان كـراكما
ألَم تعلمـا مـا لي براوَنـد هـذهِ ... ولا بخُـزاقٍ مـن نديـمٍ سواكما
مقيـمٌ على قبرَيكمـا لستُ بارِحاً ... طَـوالَ الليـالي أو يجيبَ صداكما
جَرى الموتُ مجرى اللحمِ والعظمِ منكما ... كأنّ الذي يَسقِـي العُقـارَ سَقاكما
تحمَّلَ مَـنْ يَهوى القُفولَ وغادَروا ... أخاً لكما أشجاه مـا قـد شجاكما
فـأيُّ أخٍ يجفـو أخـاً بعـد موتِهِ ... فلستُ الذي من بعـدِ موتٍ جفاكما
أُصـبُّ على قبريكمـا مـن مُدامةٍ ... فـإلاّ تذوقـا أُروِ منهـا ثَراكما
أُناديكمـا كيمـا تجيبـا وتَنطقا ... وليس مجابـاً صوتُـهُ مَن دعاكما
أمِن طـوالِ نـومٍ لا تُجيبانِ داعياً ... خليـليَّ مـا هـذا الذي قد دهاكما
قضَيـتُ بأنِّـي لا محالـةَ هالِـكٌ ... وأنِّـي سيعروني الذي قـد عراكما
سأبكيكما طـولَ الحياةِ وما الذي ... يـردُّ على ذي عَولـةٍ إنْ بكاكما

وأخبرني ابن عمّار أبو العبّاس أحمد بن عبَيْد الله بخبر هؤلاء ، عن أحمد بن يحيى البَلاذُريّ قال : حدَّثنا عبد الله بن صالح بن مُسلم العجليّ قال : بلغني أنَّ ثلاثةَ نفرٍ من أهلِ الكوفة كانوا في الجيش الذي وجَّهه الحجّاج إلى الدَّيلم ، وكانوا يتنادمون لا يُخالِطون غيرَهم . فإنَّهم لعَلى ذلك إذْ ماتَ أحدُهم فدفنه صاحباه ، وكانا يشربان عند قبره ، فإذا بلغَه الكأسُ هَراقاها على قبره وبكيا . ثم إنّ الثانِيَ مات فدفنه الباقي إلى جَنْب صاحبه ، وكان يجلُس عند قبريهما فيشرب ويصبُّ الكأسَ على الذي يليه ثم على الآخر ويبكي ، وقال فيهما :

نديمي هُبّا طالما قد رقدتما

وذكر بعضَ الأبيات التي تقدّم ذكرها . وقال مكان «براوند» هذه : «بقزوين» ، وسائر الخبر نحو ما ذكرناه . قال ابن عمّار : فقبورهم هناك تُعرف بقبور الندماء .

وذكر العُتبيّ عن أبيه أنّ الشِّعر للحزين بن الحارث ، أحد بني عامر بن صعصعة ، وكان أحدُ نديميه من بني أسد والآخرين من بني حَنيفة ، فلمّا مات أحدُهما كان يشرب ويصبُّ على قبره ويقول : [من الرمل]

لا تصردْ هامـةً مـن كأسها ... واسقِهِ الخمرَ وإن كان قُبِرْ[1]

1 صرد : قطع الشراب أو قلّله .

كان حُرّاً فهـوى فيمن هوى　　كلُّ عودٍ ذي شُعوب ينكسرْ

قال : ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد : [من الطويل]

خليليَّ هبّا طالما قــد رقدتما　　. . . . .

الأبيات .

قال : ثم قالت له كاهنةٌ : إنَّك لا تموت حتّى تنهشَك حيّةٌ في شجرةٍ بوادِي كذا وكذا . فورد ذلك الوادِيَ في سفر له وسأل عنه فعرَفَه ، وقد كان خَطَّ[1] في أصل شجرة ، ومدّ رجلَه عليها ، فنهشتْه حيّة فأنشأ يقول : [من الطويل]

خليــليَّ هذا حيثُ رمسِي فعرِّجا　　عــليَّ فإنِّــي نــــازلٌ فمعرِّسُ
لبستُ رداءَ العيش أَحْوى أجرُّه الـ　　ـعَشيّاتِ حتّى لَم يكنْ فيه مَلبِسُ[2]
تركتُ خِبائي حيثُ أرسى عمادَه　　عليَّ ، وهذا مَرمَسِي حيث أُرمَسُ
أحَتْفِي الذي لا بــدَّ أنَّكَ قاتِلِي　　هَلمَّ فمــا في غابر العيش مَنْفَسُ
أبعــدَ نديمـــيَّ اللذَّيْـنِ بعاقـلٍ　　بكيتُهمــا حــولاً مَدًى أُتوجَّسُ

1 أي خطّ لنفسه قبراً .
2 أحوى : أسود الشعر .

[291] ـ ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

[نسبه]

هو هاشم بن سليمان مولى بني أميّة ، ويكنى أبا العبّاس ، وكان موسى الهادي يسمِّيه أبا الغَريض . وهو حَسَن الصنعة عزيزها ، وفيه يقول الشاعر : [من السريع]

يـا وَحشتي بعدك يا هاشمُ غِبتَ فشجوي بِك لِـي دائمُ
اللهـوُ واللـذّةُ يـا هاشمُ مـا لَـم تكـن حاضِرَه مأتَمُ

أُخبرني علي بن عبد العزيز قال حدَّثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرداذبه قال : كان موسى الهادي يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحُه ، ويلقِّبه أبا الغريض .

[غناؤه لموسى الهادي]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد قال : بلغني أنّ هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادي فغنّاه : [من مجزوء الكامل]

صوت

لـو يُرسِل الأزْلُ الظِّبـا ء تَـرودُ ليس لهـنَّ قائدْ[1]
لتَيَمَّمَتْـك تدلُّهـا رَيّـاكَ للسُّبُـل المـواردْ
وإذا الرّيـاحُ تنكَّـرتْ نُكْباً هواجرهـا صَوارِدْ[2]
فالنّـاس سائلـةٌ إليـ ـكَ فصادِراً تُغني ووارِدْ[3]

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفيّ ، يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لهاشم بن سليمان ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

فطرب موسى ، وكان بين يديه كانونٌ ضخمٌ عليه فحم ، فقال له : سَلْنِي ما شئت . قال : تملأ لِي هذا الكانونَ . فأمَر له بذلك ، وفرِّغ الكانونُ فوسِعَ ستَّ بُدور ، فدفعها إليه .

وقد أُخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن أبي تَوبة ، عن محمد بن جَبْر ، عن هاشم بن سليمان قال : أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعةٌ منّا ، فقال : يا هاشم غنِّني : [من الكامل]

أبَهارُ قـد هَيَّجتِ لِي أوجاعا

---

1 الأزل : الشدّة والضيق .
2 النكب : جمع نكباء وهي الريح المائلة عن أي الجهات الأربع . والصوارد : البوارد .
3 سائلة : كثيرة الورود .

فإن أصبتَ مُرادِي فيه فلك حاجةٌ مقضيّة . فغنّيته فقال : قد أُصبتَ وأُحسنت سَلْ حاجتَك . فقال : يا أمير المؤمنين تأمُر أن يُملأ هذا الكانون دراهمَ . قال : وبين يديه كانونٌ عظيم ، فأمر به فملىء فوسع ثلاثين ألف درهم ، فلمّا حَصَّلتها قال : يا ناقصَ الهمَّة ، والله لو سألتَني أن أملأه دنانيرَ لفعلت . فقلت : أقِلْنِي يا أمير المؤمنين . فقال : لا سبيل إلى ذلك فلم يُسْعِدك الجَدُّ بِهِ .

نسبة هذا الصوت[1]

[من الكامل]

أبهارُ قــد هيَّجــتِ لِي أُوجاعا وتركتِنــي عبــداً لكــم مِطواعا
بحديثك الحسنِ الذي لــو كُلِّمتْ وَحشُ الفــلاةِ بِــهِ لَجئْنَ سِراعا
وإذا مــررتُ على البَهارِ منضَّدا في السُّوق هَيَّجَ لِـي إليكِ نزاعا
والله لَــو عَلِـم البَهــارُ بأَنَّها أضحَــتْ سميَّتَــه لصار ذِراعا

الغناء لهاشم ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ، وفيه ثقيل أوّل بالبنصر ، ينسب إلى إبراهيم الموصليّ ، وإلى يحيى المكّيّ ، وإلى إسحاق .

[مجلس غناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني بعض أصحابنا قال : كنّا في منزل محمد بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ، وكان عالِماً بالغناء والفِقه جميعاً ، وقد كان يحيى بن أُكثم وصَفَه للمأمون بالفقه ، ووصَفَه أحمد بن يوسف بالعِلم بالغناء ، فقال المأمون : ما أعجَبَ ما اجتمع فيه : العِلم بالفقه والغناء ! فكتبتُ إلى إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ أن يتحوّلَ إلينا وكان في جوارِنا ، وعندنا يومئذٍ محمد بن أيّوب بنُ جعفر بن سليمان ، وذُكاءُ وصغيرٌ غلاما أحمد بن يوسف الكاتب . فكتب إلينا إسحاق : جُعِلتُ فداءكم ، قد أخذت دواءً ، فإذا خرجتُ منه حَملتُ قِدري وصرتُ إليكم . وكتب في أسفل كتابِهِ : [من الرجز]

أنا شماطيط الذي حُدِّثتَ بِهِ مَتــى أُنبَّــه للغَــداءِ أنتبــهْ
ثــم أُدور حولَــه وأحتبِــــهْ حتّى يقــال شَرِهٌ ولستُ بِــهْ

ثم جاءنا ومعه بُدَيح غلامه ، فتغدَّينا وشربنا ، فغنّى ذكاء غلام أحمد بن يوسف : [من الكامل]

أبهارُ قــد هيّجتِ لِي أُوجاعا

فسأله إسحاق أن يعيدَه فأعاده مِراراً ، ثم قال له : مِمَّن أخذت هذا ؟ فقال : من مُعاذ بن

1 الشعر للمؤمل بن أميل المحاربي (معجم المرزباني : 298–299) .

الطَّبيب . قال : والصنعة فيه له . فقال له إسحاق : أُحبُّ أن تُلقيَه على بُديح . ففعل . فلمّا صُلِّيَت العِشاءُ انصرفَ ذكاء ، وقعد أبو جعفرٍ يشرب ، يعني مولاه ، وعنده قومٌ ، وتخلّف صَغِير فغنّانا ، فقال له إسحاق : أنت والله يا غُلام ماخوريٌّ . وسكر محمد بن إسماعيل في آخر النَّهار فغنّانا : [من المتقارب]

هبوني أغُضُّ إذا ما بـدت وأملِكُ طـرفي فَـلا أنظرُ

فقال إسحاق لمحمد بن الحسن : آجرَك الله في ابن عَمِّك ! أي قد سَكِرَ فأقدَمَ على الغناء بحضرتي .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من المتقارب]

هَبُونِـي أغُضُّ إذا مـا بَدَتْ وأملِـكُ طَـرفي فـلا أنظُرُ
فكيف احتيالي إذا ما الدّموعُ نَطقنَ فبُحـنَ بِمـا أضمِرُ
أيـا مَـن سروري بِهِ شقوةٌ ومَن صفوُ عيشي بِـهِ أكدرُ
أمنّي تخاف انتشارَ الحديثِ وحظِّـيَ في سَترِهِ أوفَـرُ
ولـو لَـم أصُنْه لِبُقْيا عليك نظـرتُ لنفسي كما تنظـرُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء للزبير بن دُحمان ، ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو في الأبيات الثلاثة الأوّل . وفيها لعمرو بن بانة ماخوريّ . وفي : [من المتقارب]

أيـا مَـن سُروري بِهِ شِقوةٌ

لسُلَيم هَزج . وفيه ثاني ثقيل ينسَب إلى حُسَين بن محرز ، وإلى عبّاس مِنقار .

صوت

[من الرجز]

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زِيَمْ قـد لَفَّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ
ليسَ براعِـي إبـلٍ ولا غَنَمْ ولا بجَـزّارٍ على ظهـرِ وَضَمْ

عروضه من الرجز . الشعر لرُشَيد بن رُمَيض العَنَزيّ يقوله في الحُطَم ، وهو شُريح بن ضُبيعة ، وأمّه هندُ بنت حسّان بن عمرو بن مَرثد ، والغناء ليزيد حوراء ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنّه لأحمد المكّيّ .

---

1 ديوان العباس بن الأحنف : 170–171 .

292 ـ [الحطم والعلاء الحضرمي]

[الحطم ونجاته]

قال أبو عبيدة : كان شُريح بن ضُبيعة غزا اليمنَ في جموعٍ جَمَعها من ربيعة ، فغنَم وسبَى بعد حرب كانت بينه وبين كِندة ، أسر فيها فُرعان بن مهديّ بن معديكرب عمّ الأشعث بن قيس ، وأخذَ على طريق مفازةٍ فضلَّ بهم دليلُهم ثمّ هرب منهم وماتَ فُرعان في أيديهم عطَشاً ، وهلكَ منهم ناسٌ كثير بالعطش . وجعل الحُطمُ يسوق بأصحابه سَوقاً عنيفاً . حتى نَجَوْا ووردُوا الماء . فقال فيه رُشَيد : [من الرجز]

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زِيَمْ ليسَ براعـي إبلٍ ولا غَنَمْ[1]
ولا بجـزّارٍ على ظهـرِ وضَمْ نامَ الحداةُ وابن هنـدٍ لم يَنَمْ[2]
باتتْ يقاسِيها غـلامٌ كالزَّلَم خَدلَّج السَّاقين خَفّاقُ القدَمْ[3]
قد لَفَّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ

فلُقِّب يومئذٍ «الحُطَم» لقول رُشيدٍ هذا فيه .

وأدرك الحطمُ الإسلام فأسلم ، ثم ارتدَّ بعد وفاة رسول الله ﷺ .

[إسلام الجارود بن المعلّى]

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال حدَّثنا عبد الله بن سعد الزهريّ قال أخبرنا عمِّي يعقوب قال : أخبرني سيف قال : خرج العلاء بن الحضرميّ نحو البحرين ، وكان من حديث البحرين أنَّ رسول الله ﷺ لّما ماتَ ارتدّوا ففاءت عبدُ القيس منهم ، وأمّا بكر فتمَّت على رِدّتها . وكان الذي ثَنى عبدَ القيسِ الجارودَ بن المعلَّى .

فذكر سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم [عن الحسن بن أبي الحسن قال[4] : قدم الجارود بن المعلّى على النبيّ ﷺ مُرتاداً ، وقال : أسلِمْ يا جارود . فقال : إنَّ لي دِيناً . فقال له النبيّ ﷺ : إنّ دِينك يا جارود ليسَ بشيء ، وليسَ بدِين . فقال له جارود : فإن أنا أسلمْتُ فما كان مِن تبعةٍ في

1 زيم : قيل إنه اسم فرس وقيل إنه الغارة . وقد جرى هذا الشطر مجرى المثل . انظر مجمع الميداني 2 : 391 وفصل المقال : 404 وجمهرة العسكري 2 : 352 ومستقصى الزمخشري 2 : 385 .

2 الوضم : كل ما يوضع عليه اللحم .

3 الزلم : السهم . وخدلج الساقين : عظيمهما .

4 انظر تاريخ الطبري : حوادث سنة 11 .

الإسلام فعليك ؟ قال : نعم . فأسلم وأقام بالمدينة حتّى فَقُه .

[المنذر الغرور]

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل عن أبي إسحاق قال : اجتمعت ربيعةُ بالبحرين ، فقالوا : رُدُّوا الملكَ في آل المنذر ، فملّكوا المنذر بن النُّعمان بن المنذر ، وكان يسمّى الغَرُور ، ثم أسلم بعد ذلك وقال : لستُ بالغَرور ولكنّي المغرور .

[ارتداد الحُطم]

حدَّثنا محمد بن جرير قال : حدَّثنا عبد الله بن سعد قال : أخبرني عمّي قال أخبرنا سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم عن عُمَير بن فلان العبديّ قال : لمّا ماتَ رسول الله ﷺ خرج الحُطَم من ضُبَيعة ، في بني قيس بن ثعلبة ومن اتّبعه من بكر بن وائلٍ على الردّة ، ومَن تأشّبَ إليه[1] من غير المرتدّين ممّن لَم يزَلْ كافراً ، حتّى نزل القطيف وهَجَر ، واستغوى الخَطَّ ومَن كان بهما من الزُّطّ والسيابجة ، وبعثَ بعثاً إلى دارين فأقاموا له ليجعلَ عبد القَيس بينهم وبينه ، وكانوا مخالِفين له يُمدّون المنذر والمسلمين . وأرسل إلى الغَرور بن سويد بن المنذر بن أخي النُّعمان بن المنذر ، فقال له : اثبت فإنّي إنْ ظفرتُ ملّكتك البحرين ، حتّى تكون كالنُّعمان بالحِيرة . وبعث إلى رواثا وقيل إلى جُؤاثا ، فحاصرهم وألَحّ عليهم ، فاشتدَّ الحِصار على المحصورين من المسلمين ، وفيهم رجلٌ من صالحي المسلمين يقال له عبد الله بن حَذَف ، أحد بني أبي بكر بن كِلاب ، فاشتدّ عليه وعليهم الجوعُ حتّى كادوا يَهلِكون ، فقال عبد الله بن حَذَف : [من الوافر]

أَلا أبلغْ أبا بكرٍ رسولاً وفتيانَ المدينةِ أجمعينا
فهلْ لكُم إلى قومٍ كرامٍ قُعودٍ في جُؤاثا مُحصَرِينا
كأنَّ دماءهمْ في كلِّ فجّ شُعاعُ الشّمسِ يُعشي النّاظرينا
توكّلْنا على الرّحمن إنّا وجَدنا النَّصرَ للمتوكّلينا

[قتال المرتدّين بالبحرين]

حدَّثني محمد بن جرير قال كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن الصقعب بن عطيّة بن بلال ، عن سهم بن مِنجاب ، عن منجاب بن راشد قال[2] : بعث أبو بكرٍ العلاءَ بن الحضرميّ على قِتال أهل الردّة بالبحرين ، فتلاحَقَ بِهِ مَن لَم يرتدّ من

1 تأشّب : تجمّع .

2 تاريخ الطبري 3 : 306 . وقد أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر نقلاً عن تاريخ الطبري والأغاني (9 : 178-181) .

المسلمين ، وسلك بِنا الدَّهناء حتّى إذا كنّا في بُحبوحتها أراد الله عزّ وجلّ أن يُرِيَنا آية ، فنزل العلاءُ وأمرَ النّاسَ بالنّزولِ ، فنفرت الإبلُ في جوف الليل ، فما بقي بعيرٌ ولا زادٌ ولا مَزاد ولا بِناءٌ ، يعني الخيم قبل أن يحطُّوا ، فما علمت جمعاً هجم عليه من الغمِّ ما هَجَمَ علينـا ، وأوصى بعضُنا إلى بعض ، ونادى منادي العلاء : اجتمِعُوا . فاجتمعنا إليه فقال : ما هذا الذي ظَهَرَ فيكم وغلبَ عليكم ؟ فقال النّاس : وكيفَ نلام ونحنُ إن بَلَغْنا غداً لم تحمَ شمسُه حتّى نصيرَ حديثاً . فقال : أيُّها النّاس ، لا تُراعوا ، ألستم مسلمين ؟ ألستم في سبيل الله ؟ ألستم أنصارَ الله ؟ قالوا : بـلى . قال : فأبشِروا ، فوالله لا يخذُل الله تبارك وتعالى مَن كان في مثلِ حالكم . ونادى المنادِي بصلاة الصُّبح حينَ طلع الفجر ، فصلَّى بنا ، ومنّا المتيمّم ومنّا مَن لم يزلْ على طَهوره ، فلمّا قضى صلاتَه جثا لركبتيه ، وجثا الناس معه ، فنُصِبَ[1] في الدّعاء ونَصِبوا فلمع لهم سرابٌ فأقبلَ على الدّعاء ، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد : ماء . فقام وقام النّاسُ فمشينا حتّى نزلنا عليه فشرِبنا واغتسَلنا ، فما تعالى النّهارُ حتّى أقبلت الإبل من كلِّ وجه وأناخت إلينا ، فقام كلُّ رجلٍ إلى ظهره فأخذَه ، فما فقدنا سِلكاً ، فأرويناها العَلَلَ بعد النَّهل وتروّينا ثم تروَّحنا .

وكان أبو هريرةَ رفيقي ، فلمّا غِبْنا عن ذلك المكانِ قال لِي : كيف عِلمُكَ بموضِع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا أهدى النّاس بهذه البلاد . قال : فكُرَّ معي حتى تُقيمَنِي عليه . فكررتُ بِهِ فأنخت على ذلك المكان بعينه ، فإذا هو لا غديرَ بِهِ ، ولا أثَرَ للماء . فقلت له : والله لولا أنّي لا أرى الغديرَ لأخبرتك أنَّ هذا هو المكان ، وما رأيتُ بهذا المكان ماءً قبل ذلك . فنظر أبو هريرة فإذا إداوةٌ مملوءَة فقال : يا سهمُ ، هذا والله المكانُ ولهذا رجعتُ ورجعت بِك . وملأتُ إداوتي هذه ثم وضعتها على شفير الوادِي فقلت : إن كان مَنّاً من المنّ وكانت آيةً عرفتها ، وإن كان غِياثاً عرفته . فإذا مَنٌّ من المنّ وحمِدت الله جلّ وعزّ . ثمّ سرنا حتّى نزلنا هجر فأرسل العلاءُ إلى الجارود ورجلٍ آخر : أن انضمّا في عبد القيس حتّى تنزلا على الحُطَم ممّا يليكما . وخرج هو فيمن معه وفيمن قدِم عليه حتى ينزل ممّا يَلِي هجر . وتجمّعَ المسلمون كلّهم إلى العلاء بن الحضرميّ ، ثم خندقَ المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويَرجِعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهراً . فبينا النّاسُ ليلةً كذلك إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاءَ شديدة ، فكأنّـها ضوضاءُ هزيمة . فقال العلاء : مَن يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حذَف : أنا آتيكم بخبر القوم ، وكانت أمُّه عِجْليّة ، فخرج حتّى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له : مَن أنت ؟ فانتسب لهم وجعل ينادي يا أبجراه ! فجاء أبجر بن

1 نصب في الدعاء : تعب واجتهد .

بُجَير فعرفه فقال : ما شأنك ؟ فقال لا أُضيعنَّ الليلةَ بين اللَّهازِم ، علامَ أُقتَل وحولي عساكِرُ من عجل وتَيم اللات وعَنَزة وقيس ؟ أيتلاعبُ بِي الحُطَم ونُزّاعُ القبائل وأنتم شهود ؟ فتخلَّصه وقال : والله إنِّي لأظنّك بئسَ ابن الأخت لأخوالك الليلةَ . دعني من هذا وأطعمني ، فقد مِتُّ جوعاً . فقرب إليه طعاماً فأكل . ثم قال : زوِّدني واحمِلني وجوِّزْني انطلق إلى طِيَّتي . ويقول ذلك لرجلٍ قد غلبَ عليه الشراب ، ففعل وحمَله على بعير وزوّده وجَوَّزه . وخرج عبدُ الله حتّى دخل عسكر المسلمين ، فأخبرهم أنّ القومَ سُكارى ، فخرج القومُ عليهم حتى اقتحموا عَسكَرهم فوضعوا فيهم السيوفَ حيث شاءوا ، واقتحموا الخندقَ هُرّاباً ، فمُترَدٌّ وناجٍ ، ودَهِشٌ ومقتولٌ ، ومأسور . واستولى المسلمون على ما في العسكر ، ولم يُفلت رجلٌ إلاّ بما عليه . فأمّا أبجر فأفلتَ ، وأمّا الحُطَم فإنّه بَعِلَ[1] ودُهِش وطار فؤاده ، فقام إلى فرسِه والمسلمون خِلالهم يَجُوسونهم ليَركبه ، فلمّا وضع رِجلَه في الرّكاب انقطع ، فمرّ به عفيف بن المنذر أحَد بني عمرو بن تميم ، والحطم يستغيث ويقول : ألا رجلَ من بني قيس بن ثعلبة يَعقِلني ؟ فرفع صوتَه فعرفه عفيفٌ فقال : أبو ضبيعة ؟ قال : نعم . قال : أعطِني رجلَكَ أعقلك . فأعطاه رجلَه يعقلُها فنفحَها فأطنَّها[2] من الفخذ وتركه ، فقال : أجهِزْ عليّ . فقال : إنِّي لأُحبُّ أن لا تموتَ حتى أمِضَّك . وكان مع عفيف عِدّةٌ من ولدِ أبيه فأُصيبوا ليلتئذٍ ، وجعل الحطم يطلب مَن يقتله ، يقول ذلك لِمَن لا يعرفه ، حتّى مرَّ به قيس بن عاصم فقال له ذلك فعرفَه ، فمالَ عليه فقتله . فلمّا رأى فخذَه نادرة[3] قال : واسوأتاه ! لو عرفتُ الذي به لم أُحرِّكْه . وخرج المسلمون ، بعد ما أحرزُوا الخندق ، على القوم يطلبونهم ، فاتّبعوهم فلحق قيسُ بن عاصم أبجرَ ، وكان فرس أبجر أقوى من فرسِ قيس ، فلمّا خَشِي أن يفوتَه طعنَه في العرقوب فقَطَع العصبَ وسَلِم النَّسا . فقال عفيفُ بن المنذر في ذلك : [من الطويل]

فإن يرقأ العرقوبُ لا يرقأ النَّسا ... وما كلُّ مَن تلقى بذلك عالِمُ[4]
ألم تَـرَ أنّا قـد فللنا حُماتَهم ... بأسرةِ عمرٍو والرِّباب الأكارِمُ[5]

وأسر عفيف بن المنذر ، الغرورَ بن أخي النُّعمان بن المنذر ، فكلّمته الرِّباب فيه وكان ابنَ أختهم وسألوه أن يُجيره ، فجاء به إلى العلاء قال : إنِّي أجرته . قال : ومَن هو ؟ قال :

1 بعل : دهش وفرق .
2 نفحه بالسيف : تناوله من بعيد أو ضربه بطائفة منه . وأطنها : قطعها .
3 نادرة : ساقطة .
4 رقأ : انقطع .
5 فللنا في ل : قتلنا .

الغرور . قال العلاء : أنتَ غررتَ هؤلاء ؟ قال : أيُّها الملك إنّي لست بالغَرور ، ولكنّي المغرور . قال : أسلِمْ . فأسْلَمَ وبقِيَ بهجَر . وكان الغَرور اسمَه ، ليس بلقبٍ . وقتل العفيف أيضاً المنذرَ بن سويد أخا الغرور لأمِّه ، وكان له يومئذٍ بلاءٌ عظيم فأصبح العلاء يقسِّم الأنفال ، ونفَّل رجالاً من أهلِ البلاء ثياباً فكان فيمن نَفَّل عفيفُ بن المنذر ، وقيسُ بن عاصم ، وثُمامة بن أُثال . فأمّا ثُمامة فنفَّل ثياباً فيها خَميصة[1] ذات أعلام ، وكان الحُطَم يُباهِي فيها . وباع الباقي ، وهرَبَ الفَلّ إلى دارِينَ فركبوا إليها السُّفن ، فجمعَهم الله عزّ وجلّ بها . وندبَ العلاءُ النّاسَ إلى دارِينَ ، وخطبهم فقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جمعَ لكم أحزابَ الشيطان ، وشُذّاذ الحرب في هذا اليوم ، وقد أراكم من آياتِهِ في البرِّ لتعتبروا بها في البحر ، فانهضُوا إلى عدوّكم ثم استعرِضوا البحرَ إليهم ، فإنَّ الله جلّ وعزّ قد جمعهم بِهِ . فقالوا : نفعلُ ولا نَهاب واللهِ بعدَ الدّهناء هَولاً ما بقينا ! فارتحلَ وارتحلوا حتّى أتى ساحلَ البحر فاقتحموا على الخيلِ ، هم والحَمولة والإبلُ والبِغال ، الراكب والرّاجِل ، ودعا ودعَوا . وكانَ دعاؤه دعاؤهم : يا أرحَمَ الراحمين ، يا كريمُ يا حليم ، يا صمدُ يا حيُّ يا محيي الموتى ، يا حيُّ يا قيّوم ، لا إلٰه إلاّ أنتَ يا ربّنا . فأجازوا ذلك الخليجَ بإذن الله ، يمشُون على مثل رملةٍ مَيثاء[2] فوقها ماءٌ يغمرُ أخفافَ الإبل ، وبين الساحل ودارينَ مسيرةُ يومٍ وليلةٍ لسُفُن البحرِ . ووصلَ المسلمون إليها فما تَرَكوا من المشركين بها مُخبِراً ، وسَبَوا الذّراري ، واستاقُوا الأموالَ . فبلغ من ذلك نَفَل الفارسِ من المسلمين ستّة آلاف ، والرّاجِل ألفين . فلمّا فرغُوا رَجعوا عَودَهم على بَدئِهم ، وفي ذلك يقول عَفيف : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ ذلَّلَ بحرَه ... وأنزَلَ بالكفّارِ إحدى الجلائلِ
دعَونا الذي شَقّ البحارَ فجاءَنا ... بأعجَبَ مِن شقّ البحارِ الأوائلِ

وأقفَلَ العلاءُ النّاسَ إلاّ من أحبَّ المُقام . فاختار ثُمامة بن أثال الذي نفّله العلاء خميصةَ الحُطَم حين نزل على ماءٍ لبني قيس بن ثعلبة ، فلمّا رأوه عَرَفوا الخميصة فبعثوا إليه رجلاً فسألوه : أهو الذي قتل الحُطَم ؟ قال : لا ، ولودِدتُ أنّي قتلته . قال : فأنّى لك حُلّته ؟ قال : نُفِّلتها . قالوا : وهل يُنفّل إلاّ القاتل . قال : إنّها لم تَكُن عليه إنّما كانت في رَحلِه . قالوا : كذبت . فقَتَلوه . وكان بهجرٍ راهبٌ فأسلَمَ فقيل له : ما دَعاكَ إلى الإسلامِ فقال : ثلاثة أشياءَ خشيتُ أن يمسخني الله بعدها إن أنا لَم أفعلْ : فَيْضٌ في الرِّمال ، وتمهيدُ أثباج البحور ،

1 الخميصة : كساء مربّع له علمان أو ملاءة من صوف أو خزّ معلّمة .
2 ميثاء : أرض سهلة .

ودعاءً سمعته في عسكرهم في الهواء من السَّحر . قالوا : وما هو ؟ قال : اللهمَّ إنّك أنتَ الرحمن الرحيم ، لا إله غيرَك ، والبديع ليس قبلَكَ شيء ، والدّائم غيرُ الغافل ، والحيُّ الذي لا يموت ، وخالِقُ ما يُرى وما لا يُرى ، وكلَّ يومٍ أنتَ في شأن ، وعَلِمْتَ اللهمّ كلَّ شيء بغيرِ تعليم» . فعلمتُ أنَّ القومَ لم يُعاوَنوا بالملائكة إلاّ وهم على أمرِ الله جلّ وعزّ .

فلقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ يسمعون هذا من ذلك الهجريّ بعد .

صوت[1]

[من الخفيف]

يـا خليليَّ مـن مَلامٍ دعانِي ... وأَلِمـَّا الغـداةَ بـالأَظعانِ

لا تَلوما في آلِ زينبَ إنّ الـ ... ـقلبَ رهـنٌ بآلِ زينبَ عانِ

لَم تَدعْ للنِّساء عندي نَصِيباً ... غيرَ مـا قلتُ مازِحـاً بلساني

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ، خفيف رمل بالبنصر . وهذا الشعر يقوله في زينب بنت موسى ، أخت قُدامة بن موسى الجمحيّ .

1 ديوان عمر : 416 .

293 ـ [عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، قال : حدَّثني قُدامة بن موسى قال : خرجتُ بأُختي زينبَ بنت موسى إلى العُمرة ، فلمّا كنتُ بسَرِف لقيَني عمرُ بن أبي ربيعة على فرسٍ فسلَّم عليَّ ، فقلت : إنّي أراك متوجِّهاً يا أبا الخطّاب ؟ قال : ذُكرت لي امرأةٌ من قَومي بَرْزَة الجمال ، فأردت الحديث معها . قلت : أما علمتَ أنّها أُختي ؟ قال : لا والله . واستحيا وثَنى عنقَ فرسِه راجعاً إلى مكّة .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثني الزُّبير : قال حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ قال : نسَبَ[1] ابن أبي ربيعة بزينبَ بنت موسى الجمحيّ ، أُخت قُدامة بن موسى ، فقال :

يــا خليليَّ مــن ملامٍ دَعانِي

وذكر البيتين وبعدهما : [من الخفيف]

لم تَدَعْ للنِّساء عندي نصيباً غيرَ مــا قلتُ مازِحاً بلسانِي

فقال له ابن أبي عتيق : أمّا قلبك فمغيَّب عنّا ، وأمّا لسانُكَ فشاهِدٌ عليك .

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ : لمّا نسَب عمر بن أبي ربيعة بزينب قال : [من الخفيف]

لَم تَدَعْ للنِّساء عندِي نصِيباً غيرَ مـا قلتُ مازِحاً بلسانِي

قال له ابن أبي عتيق : رضِيت لها بالمودَّة ، وللنساءِ بالدَّهفشَة .

قال : والدهفشة : التجميش والخديعة بالشيء اليسير .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير قال : أخبرني مثلَ ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن يوسف بن الماجِشون قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السهميّ فأنكره ، فقيل لابن أبي عتيق : أبو وداعة قد اعترضَ لعمر بن أبي ربيعة دونَ زينبَ بنت موسى الجمحيّ وقال : لا أُقِرُّ له أن يذكرَ في الشعر امرأةً من بني هُصَيص . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقند على أهلِ عدن .

قال عبد الملك : وفيها يقول أيضاً عمر[2] : [من الخفيف]

طــالَ عن آلِ زينبَ الإعراضُ للتعــزِّي ومــا بِنــا الإبغاضُ

1 ل : تشبب .

2 ديوان عمر : 226 .

ووليداً قــد كان عُلِّقها القلـ ـبُ إلى أَنْ عَلا الرؤوسَ البياضُ[1]
حبلُها عندنـــا مَتـينٌ وحَبلِي عندَها واهنُ القــوى أنقاضُ

غنّاه ابن محرز خفيف رمل بالبنصر عن حبش . وفيها يقول أيضاً : [من الخفيف]

صوت[2]

أيّهـــا الكاشِحِ المعيِّــر بـــالصُّر مِ ترحْــزَحْ فمــا بِهـــا الهِجرانُ
لا مطـــاعٌ في آلِ زينبَ فارجِـعْ أَو تكلَّـــمْ حتّـــى يمـــلَّ اللِّسانُ
فاجعلِ اللّيلَ مَوعِـــداً حِينَ يمسي ويُعفّـــي حديثَنـــا الكتمـــانُ
كيف صبرِي عن بَعْضِ نفسي وهل يَصـ ـبِر عـــن بعـضِ نفسِهِ إنسانُ
ولقد أشهدُ المحــدّث عنــد الـــ ـقَصرِ فيـــهِ تعفّــف وبَيــانُ
في زمـــانٍ مـــن المعيشة لَــذٌّ قــد مَضـى عصرُه وهــذا زمانُ

عروضه من الخفيف ، غنّاه ابن سريج ، ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ، ووافقته دنانير . وذكر يونس أنَّ فيه لابن محرز ولابن عباد الكاتب لحنين ، ولم يجنِّسهما . وأوّل لَحن عباد : «لا مطاع في آل زينب» ، وأوّل لحنِ ابن محرز : «ولقد أشهد المحدّث» .

قال : وفيها يقول أيضاً[3] : [من الطويل]

صوت

أحــدّث نفسي والأَحاديثُ جمّةٌ وأَكبر همِّــي والأَحاديــثِ زينبُ
إذا طلعَتْ شمسُ النّهارِ ذكرتُها وأحدِث ذكراها إذا الشمسُ تَغرِبُ

ذكر حمَّادٌ عن أبيه أن فيه للهذليّ لحناً لم ينسبه .

صوت

[من مجزوء الكامل]

يـــا نُصـــبَ عينـيَ لا أرى حيــثُ التفــتُّ سواكِ شَيّــا
إنِّـــي لَمَيْـــتٌ إنْ صَـدَد تِ وإن وصلتِ رجعتُ حيّا

الشعر لعليّ بن أديم الجعفيّ الكوفيّ ، والغناء لعمرو بن بانة ، رمل بالوسطى .

---

1 ووليداً في الديوان : ووليدين .
2 ديوان عمر : 420–421 مع اختلاف في الترتيب .
3 ديوان عمر : 19 .

[294] ـ ذكر علي بن أُديم وخبره

هو رجلٌ من تجّار أهل الكوفة كان يبيع البزّ ، وكان متأدِّباً صالحَ الشِّعر ، يهوى جاريةً يقال لها منهلة ، واستُهيم بها مدّة ثم بيعت فمات أسفاً عليها . وله حديثٌ طويل معها في كتاب مفرد مشهور ، صنعهُ أهلُ الكوفة لهما ، فيه ذكر قِصصهما وقتاً وقتاً ، وما قال فيها من الأشعار . وأمرُهما متعالَم عند العامّة ، وليس ممّا يصلح الإطالة به .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : قال دعبل بن عليّ : كان بالكوفة رجلٌ يقال له عليّ بن أُديم ، وكان يهوى جاريةً لبعض أهلها ، فتعاظَمَ أمرُه وبيعت الجاريةُ فمات جزعاً عليها ، وبلغها خبرُه فماتت . قال : وحدَّثني بعضُ أهل الكوفة أنّه عَلِقها وهي صبيّةٌ تختلف إلى الكتّاب ، فكان يجيء إلى ذلك المؤدِّب فيجلس عنده لينظرَ إليها ، فلمّا أن بلغَتْ باعها مواليها لبعض الهاشميين ، فمات جزعاً عليها . قال : وأنشدني له أيضاً : [من الكامل]

صوت

صاحُوا الرَّحيلُ وحثَّني صحبي قالــوا الرواحُ فطيِّروا لبِّــي
واشتقتُ شوقــاً كاد يقتلني والنفسُ مشرِفـة عـلى نَحْبِ
لَم يَلــقَ عند البينِ ذو كلفٍ يوماً كما لاقيتُ من كَــربِ
لا صبرَ لِي عند الفراق على فَقْـدِ الحبيبِ ولوعــةِ الحبِّ

الشعر لعليّ بن أديم الكوفيّ الجعفيّ ، والغناء لحكم الواديّ . وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم بن أبي الهيثم فيه لحناً ، والله أعلم .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثني أبو بكر العمريّ قال : حدَّثني دِعبل بن عليّ قال : كان بالكوفة رجلٌ من بني أسد يقال له عليّ بن أديم ، فهوِيَ جارية لبعض نساء بني عبس ، فباعَتْها لرجل من بني هاشمٍ ، فخرج بها عن الكوفة ، فمات عليّ بن أُديم جزعاً عليها بعد ثلاثةِ أيّام من خروجِها ؛ وبلغها خبرُه فماتت بعده ، فعمِل أهلُ الكوفة لهما أخباراً هي مشهورةٌ عندهم .

حدَّثني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثنا أبو بكر العمريّ قال حدَّثنا أبو صالح الأزديّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسين الكوفيّ قال : حدَّثنا محمد بن سَماعة قال : آخر مَن مات من العشق عليُّ بن أُديم الجُعْفيّ ، مرَّ بمكتبٍ في بني عبس بالكوفة ، فرأى فيه جارية تسمَّى مَنهلةَ ، عليها ثيابُ سوادٍ ، فاستُهيم بها وأعجبتْه ، وكلِف بها وقال فيها[1] : [من مجزوء الكامل]

إنِّـــي لَمـــا يعتـــادني مـن حبٍّ لابسة السوادِ
في فتنـــةٍ وبليّـــةٍ مـا إنْ يطيقهما فُـؤادِي
فبقِيـــتُ لا دنيـا أصبـ ـتُ وفاتنـي طلبُ المَعادِ

وسأل عنها فإذا لها مالكةٌ عبسيّة . وكان ابن أديم خَزّازاً[2] ، فتحمّل أبوه بجماعةٍ من التجّار على مولاتها لتَبيعها فأبت ، وخرج إلى أُمِّ جعفر ورفع إليها قصّتَه يسألها فيها المعونةَ على الجارية ، فخرج له توقيعٌ بما أحبّ ، وأقام يَتَنَجّز تمامَ أمره . فبينا هو ذاتَ يومٍ على باب أمّ جعفر إذْ خرجت امرأة من دارها فقالت : أينَ العاشق ؟ فأشاروا إليه فقالت : أنت عاشقٌ وبينك وبين مَن تحبّ القناطرُ والجسور ، والمياه والأنهار ، مع ما لا يُؤمَنَ من حدوث الحوادث ، فكيف تصبر على هذا ، إنّك لَجَسُورٌ صَبور ؛ فخامر قلبَه هذا القولُ وجزع ، فبادر فاكترى بغلاً إلى الكوفة ، على الدّخول ، فماتَ يوم دخول الكوفة .

1 الخبر في مصارع العشاق 1 : 205–206 .
2 الخزاز : بائع الخز .

[295] ـ ذكر عمرو بن بانة

[نسبه]

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، مولى ثقيف . وكان أبوه صاحبَ ديوانٍ ووجهاً من وجوه الكتّاب ؛ وينسَب إلى أُمّه بانة ، بنت رَوح القَحطَبيّة . وكان مغنّياً محسناً ، وشاعِراً صالح الشعر ، وصنعته صنعةٌ متوسِّطة ، النادِر منها ليس بالكثير . وكان يُقعده عن اللِّحاق بالمتقدِّم في الصنعة أنّه كان مرتجلاً ، والمرتجل من المحدَثين لا يلحق الضُّرّابَ . وعلى ذلك فما فيه مَطعن ، ولا يقصِّر جيّد صنعته عن صنعة غيره من طبقته وإن كانت قليلة ، وروايته أَحسنُ رواية . وكتابه في الأغاني أَصلٌ من الأصول ، وكان يذهبُ مذهبَ إبراهيم بن المهديّ في الغناء وتجنيسه ، ويخالف إسحاقَ ويتعصَّب عليه تعصُّباً شديداً ، ويواجهُه بذلك وينصرُ إبراهيم بن المهديّ عليه . وكان تَيّاهاً معجباً شديدَ الذهاب بنفسه ، وهو معدودٌ في ندماء الخلفاء ومغنِّيهم ، على ما كان به من الوضَح . وفيه يقول الشاعر : [من المتقارب]

أقولُ لعمرٍو وقــد مرَّ بِي فسلَّــم تسليمــةً جافيــه
لئن فضَّلوك بفَضْل الغناء لقــد فضَّــل الله بالعافيه

وقال ابن حمدون : كان عمرو حسن الحكاية لِمَن أَخذ الغناءَ عنه ، حتّى كان مَن يسمعُه لَو توارى عن عينه عمرو ثم غنَّى لم يشكُك في أنّه هو الذي أَخذ عنه ، لحسْن حكايته ، وكان محظوظاً ممّن يعلِّمه ، ما علّم أحداً قطُّ إلاّ خَرج نادراً مبرِّزاً .

فأَخبرَني جَحظة قال حدَّثني أَبو العَنْبَس بن حمدون قال : قال لي عمرو بن بانة : علّمتُ عشرةَ غلمان كلُّهم تبيَّنت فيهم الثقافة والحِذق ، وعلمتُ أنّه يتقدّم ، أُحدهم أنت ، وتمرة ، وما تبيّنت قطُّ من أحدٍ خلافَ ذلك فعلّمتُه .

[بينه وبين إسحاق]

وقال محمد بن الحسن الكاتب : حدَّثني أبو حارثةَ الباهليّ عن أُخيه أبي معاوية قال : سمعتُ عمرو بن بانةَ يقول لإسحاقَ في كلام جرى بينهما : ليس مثلي يقاس بمثلك ، لأنَّكَ تعلَّمت الغنـاء تَكسُّباً ، وتعلّمتُـه تطرّبـاً ، وكنت أُضرَب لئلاّ أتعلّمه ، وكنتَ تضرب حتّى تتعلّمه .

[اتهامه بخادم يقال له مفحم]

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : اجتمع عمرو بن بانة والحسين بن الضحّاك في منزل ابن شَعوف ، وكان له خادمٌ يقال له مُفحم ، وكان عمرو يتَّهم به . فلمّا أخذ فيه الشراب سأل عمرٌو الحسينَ بن الضحّاك أن يقول في مُفْحَم شعراً لِيغني فيه ، فقال الحسين : [من المنسرح]

وا بأبـــي مُفحـم لِغرّتــه   قلتُ له إذ خلوتُ مكتتما
تحبّ بالله من يخصُّك بالحـ   ـبِّ فمـا قال لا ولا نعما

الشعر للحسين بن الضحاك ، والغناء لعَمرو بن بانة ، ثاني ثقيل بالبنصر .

قال : فغنّى فيه عمرو . ولم يزل هذا الشعرُ غِناءهم ، وفيه طربُهم ، إلى أن تفرَّقوا . وأتاهم في عشيَّتهم إسحاق بن إبراهيم الموصليّ فسألوا ابن شَعوف أن لا يأذن له ، فحجبَه ، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصليّ إلى منزله ، فلمّا تفرَّقوا مرَّ به الحسينُ بن الضحّاك وهو سكران ، فأخبره بجميع ما دارَ بينهما في مجلسهم ، فكتب إسحاق إلى ابن شعوف : [من المنسرح]

يا ابن شعوفٍ أما سمعتَ بما   قـد صار في الناس كلِّهم عَلَما
أتـــاكَ عمــرٌو فبـات ليلَته   في كلِّ مـا يُشتَهى كما زَعَما
حتّى إذا مـــا الظلامُ خالطَـه   سرى دبيبـاً فجامع الخدَما
ثُمّـــتَ لم يـرضَ أن يفوز بذا   سِرّاً ولكن أبدى الذي كَتَما
حتّى تَغنَّـى لفـرط صَبوتـه   صوتاً شفَى من فؤادِهِ السَّقَما
«وا بأبـي مفحَـم لِغرّتـه   قلتُ لـه إذ خلوت مكتتما
تحبُّ بالله مَـن يخصّك بالـ   ـودّ فمـا قـال لا ولا نعما»

فهجر ابن شعوف عمرو بن بانة مدّةً وقطع عِشرته .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ بهذا الخبر قال : حدَّثني ميمون بن الأزرق[1] قال : كان لمحمد بن شعوف الهاشميِّ ثلاثةُ غلمانٍ مغنِّين ، ومنهم اثنان صَقْلبيان مجبوبان : خاقانُ وحسين ، وكان خاقانُ أحسنَ الناس غِناء ، وكان حسين يغنّي غناءً متوسطاً ، وهو مع ذلك أضْرَبُ النّاس ، وكان قليلَ الكلام جميلَ الأخلاق ، أحسنَ النّاس وجهاً وجسماً ، وكان الغلام الثالث فحلاً يقال له حجّاج ، حسن الوجه روميٌّ حسن الغناء ، فتعشَّق عمرُو بن بانة

1 ل : هارون .

منهم المعروفَ بحسين وقال فيه : [من المنسرح]

وا بأبـــي مفحـــم لغِرّتـــه قلتُ لـــه إذ خلـوت مكتتما
تحـبُّ بالله مَـن يخصُّك بالـ ـودِّ فمـا قـال لا ولا نعما

ولم يذكر غير هذا .

وقال محمد بن الحسن : حدَّثني أبو الحسين العاصميّ قال : دخلت أنا وصديقٌ لِي على عمرو بن بانة في يومٍ صائف ، فصادفْناه جالساً في ظِلٍّ طويلٍ مُمْتع ، فدعاني إلى مشاركته فيه ، وجعل يغنِّينا يومَه كلَّه لحنَه : [من الوافر]

صوت

نِقابُـــكِ فاتـــنٌ لا تفتنينا ونشرُكِ طيّـبٌ لا تحرِمينا
وخاتَمك اليماني غيرَ شَكٍّ خَتمتِ بـــه رقابَ العالمينا

الغناء لعمرو بن بانة ، هزج خفيف بالبنصر .

قال : فما طربت لغناءٍ قطّ طربي له ، ولا سمعت أشجى ولا أكثر نَغَماً ، ولا أحسنَ من غنائه .

[عمرو وجعفر الطبّال]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني أبو حشيشة قال : كنت يوماً عند عمرو بن بانة ، فزاره خادمٌ كان يحبُّه فأقام عنده فطلب عمرٌو في الدنيا كلِّها مَنْ يضرِب عليه فلم يجد أحداً ، فقال له جعفرٌ الطبّال : إنْ أنا غنّيتُكَ اليوم على عُودٍ يُضرَب به عليك ، أيُّ شيءٍ لِي عندك ؟ قال : مائة درهم ودَستيجة نبيذ . وكان جعفرٌ حاذِقاً متقدّماً نادراً طيّباً ، وكان نذلَ الهمّة ، فقال : أسمِعني مخرج صوتك . ففعلَ فسوَّى عليه طبلَه كما يسوّي الوَتر ، واتّكأ عليه بركبته فأوقعَ عليه . ولم يزل عمرٌ يغنّي بقيّة يومِه على إيقاعه لا ينكِر منه شيئاً حتّى انقضى يومُنا ودفع إليه مائةَ درهم ، وأحضر الدستيجة فلم يكن له مَن يحملها ، فحملها جعفرٌ على عنقه ، وغطّاها بطيلسانه وانصرفْنا .

[جعفر الطبّال يقاضي إبراهيم بن المهديّ]

قال أبو حشيشة : فحدَّثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بَزيع ، وكان صديقَ إبراهيم بن المهديّ ، فحدّثني أنّ إبراهيم بن المهديّ قال له : يا جعفر حَذِّقْ فلانةَ جاريتي ضربَ الطبل ، ولك مائةُ دينار أعجِّل لك منها خمسين . قال : نعم . فعجِّلت له الخمسون وعلّمها ، فلمّا حَذِقَت طالبَ إبراهيمَ بتتمَّة المائة فلم يعطِه ، فاستعدى عليه أحمد بن أبي دُوادٍ الحسني خليفتَه فأعداه ، ووكّل إبراهيم وكيلاً ، فلمّا تقدّم مع الوكيل إلى القاضي أراد الوكيلُ

أن يكسِر حجّة جعفر فقال : أُصلحَ اللهُ القاضي ، سَلْه من أين له هذا الذي يدّعِي ؟ وما سببه ؟ فقال جعفر : أُصلح الله القاضي أنا رجلٌ طبّالٌ ، وشارطني إبراهيمُ على مائة دينارٍ على أن أحذّق جاريتَه فلانة ، وعجّل لي بخمسين ديناراً ومنعني الباقيَ بعد أن رَضِي حِذْقها ، فيُحضِر القاضي الجارية وطبلَها ، وأُحضِر أنا طبلي ، ويسمعنا القاضي ، فإن كانت مثلي قضى لِي عليه ، وإلاّ حذّقتها فيه حتى يرضى القاضي . فقال له القاضي : قُمْ عليك وعليها لعنة الله ، وعلى مَن يرضى بذلك منك ومنها . فأخذ الأعوانُ بيده فأقاموه .

[رزقٌ غلام علويه]

وقال عليّ بن محمد الهشاميّ[1] : حدَّثني جدّي ابن حمدون قال : كنت عند عمرو بن بانة يوماً ففتح بابَ داره فإذا بخادمٍ أبيضَ شيخٍ قد دخَلَ يقود بغلاً له عليه مَزادة ، فلمّا رآه عمرٌو صرخ : لا إله إلاّ الله ، ما أعجب أمرك يا دنيا ! فقلت له : ما لك ؟ قال : يا أبا عبد الله ، هذا الخادم رِزقٌ غلام علُّويه المغنّي ، الذي يقول فيه الحسين بن الضحّاك الشاعر : [من الكامل]

يا ليت رزقــاً كان من رزقي ... يــا ليتَــه حظِّي مــن الخَلْقِ

قد صار إلى ما تَرى . ثم غنّاني لحناً له في هذا الشعر ، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت .

نسبة هذا اللحن

صوت

[من الكامل]

يــا ليت رزقاً كان من رِزقي ... يــا لَيتَــه حظِّــي من الخلقِ

يــا شادنـــاً ملّكتُـــه رقِّـــي ... فلستُ أَرجُــو راحــةَ العتــقِ

الشعر للحسين بن الضحّاك ، والغناء لعمرو بن بانة ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى .

[يطلب من المتوكّل بيتاً]

وقال عليّ بن محمد الهشاميّ[2] : حدَّثني جدّي ، يعني ابن حمدون ، قال : كنّا عند المتوكّل ومعنا عمرو بن بانة ، في آخر يومٍ من شعبان فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، تأمرُ لِي بمنزلٍ فإنّه لا منزل لي يَسَعُنِي . فأمر المتوكّل عبيدَ الله بن يحيى بأن يبتاع له منزلاً يختاره . قال : وهجم الصوم وشُغِل عبيد الله ، وانقطع عمرٌو عنّا ، فلمّا أهلَّ شوّالٌ دعا

---

1 ل : البسامي .

2 ل : البسامي .

بنا المتوكّل فكان أوّلَ صوتٍ غنّاه عمرٌو في شعرٍ هذا : [من المنسرح]

صوت

مــلاَّك ربِّي الأعيــادَ تُخلِقها ... في طولُ عمرٍ يـا سيدَ النّاسِ[1]
دُفِعــتُ عــن منزلٍ أمرتَ بِهِ ... فإنَّنــي عنــه مباعــدٌ خاسِ[2]
فمــرْ بتسليمِــهِ إليّ عــلى ... رَغْـم عـدوِّي بحرمة الكاسِ
أعــوذ بــالله والخليفــة أن ... يرجــع مــا قلته على راسي

لحن عمرٍو في هذا الموضع هزج بالبنصر .

فدعا المتوكِّل بعبيد الله بن يحيى فقال له : لِمَ دافعتَ عمراً بابتياع المنزل الذي كنت أمرتُك بابتياعه ؟ فاعتلّ بدخول الصّوم وتشعُّب الأشغال . فتقدَّم إليه أن لا يؤخِّر ابتياعَ ذلك إليه ، فابتاعَ له الدور في دورِ سُرَّ مَن رأى ، بحضرة المعلَّى بن أيّوب . وفيها توفّي عمرو .

[عبد الله بن طاهر يمتحن المغنّين]

أخبرني محمد بن إبراهيم قِريص قال : سمعت أحمد بن أبي العلاء ، يحدّث أستاذي ، يعني محمد بن داود بن الجرّاح قال : جمع عبد الله بن طاهر بين المغنِّين وأراد أن يمتحنهم ، وأخرج بَدرةَ دراهمَ سَبَقاً[3] لَمن تقدَّم منهم وأحسن ، فحضره مُخارق ، وعلُّويه ، وعمرو بن بانة ، ومحمد بن الحارث بن بسخُنَّر ، فغنّى فلم يصنَعْ شيئاً ، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيلَه ، وامتدّت الأعينُ إلى مخارقٍ وعمرو ، فبدأ مخارقٌ فغنّى : [من مجزوء الكامل]

إنِّــي امــرؤٌ مــن خيرهم ... عمِّي وخــالي مــن جذامْ

فما نهنههُ عمرٌو مع انقطاع نَفَسه حتّى غنّى : [من السريع]

يــا ربعَ سلاّمــة بالمنحنى ... بخَيف سَلْع جادَكَ الوابلُ

وكان إبراهيم بن المهديّ حاضراً فبكى طرباً وقال : أحسنتَ والله واستحققت ، فإن أعطيتَه وإلاّ فخُذه من مالي ، يا حبيبي عنّي أخذتَ هذا الصوت ، وقد والله زدتَ عليّ فيه وأحسنتَ غاية الإحسان ، ولا يزال صوتي عليك أبداً . فقال له عبد الله : مَن حكَمت له بالسَّبق فقد حَصَل . وأمر له بالبَدرة فحُمِلت إلى عمرو .

1 ملاك الأعياد : متعك بها وأطال عمرك . تخلقها : تبليها .
2 خاسيء : مبعد .
3 السبق : ما يجعل رهناً على المسابقة .

ثمّ حدَّثنا بعد ذلك أن إسحاق لقِي عمرو بن راشد الخناق فقال له : قد بلغني خبرُ المجلس الذي جمع عبدُ الله فيه المغنِّين يمتحنهم ، ولو شاء لكان في راحةٍ من ذلك . قلت : وكيف ؟ قال : أمّا مخارق فأحسنُ القوم غناء إذا اتّفق له أن يحسن ، وقلّما يتّفق له ذلك . وأمّا محمد بن الحارث فأحسنهم شمائلَ ، وأملحهم إشارةً بأطراف وجهه في الغناء ، وليس له غير ذلك . وأمّا عمرو بن بانة فأعلمُ القوم وأرقاهم . وأمّا علّويه فمَن أدخله ابنُ الزانية مع هؤلاء ؟

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من مجزوء الكامل]

إنِّي أمرؤ مـــن خيرهمْ عمِّي وخالي من جُذامْ
خَودٌ كضوء البـدر أو أضْوا لَدى الليـلِ التمامْ
يجرِي وشاحاهـا عـلى نحـرٍ نقـــيٍّ كالرُّخامْ

والغناء لابن جامع ، رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

صوت

[من الخفيف]

يــا خليـــليَّ مــن بني شيبانِ أنـــا لا شكَّ ميّتٌ فابكياني
إنّ روحِي لم يَبقَ منها سِوى شي ءٍ يسير مُعَلّـــقٍ بلسانِـــي

الشعر لأبي العتاهية[1] ، والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وإبراهيم .

1 ديوان أبي العتاهية : 658 .

296 ـ [أبو العتاهية وأبناء معن بن زائدة]

[يزيد بن معن غضب عليه]

وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبد الله وزائدة بن معن بن زائدة الشيبانيّ ، وكان صديقاً وخاصّاً بهما . ثم إنّ يزيد بن معن غضِب لمولاةٍ لهم يقال لها سُعدى ، وكان أبو العتاهية يشبِّب بها ، فضربه مائة سوط ، فهجاه وهجا إخوته ، ثم أُصلحَ بينهم مندلُ بن عليٍّ العبديّ ، وهو مولى أبي العتاهية ؛ فعادَ إلى ما كان عليه لهم .

فأخبرني وكيع قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه . وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني علي بن محمد النوفليّ عن أبيه قالا : قولُ أبي العتاهية : [من الخفيف]

يـا خَليليَّ مـن بني شيبان

يخاطب به عبدَ الله ويزيد ابنَي مَعن بن زائدة ، أو قال عبد الله وزائدة .

[شعره في سعدى]

أُخبرني ابن عمّار قال : حدَّثني زيد[1] بن موسى بن حمّاد . وأُخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني محمد بن سعيد . قال حدَّثني أبو سويد عبد القوي عن محمد بن أبي العتاهية قال : كان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأةً من أهل الحيرة نائحة ، لها حُسنٌ وجمال ودَماثة ، وكان ممّن يهواها أيضاً عبد الله بن معن بن زائدة أبو الفضل ؛ وكانت مولاةٌ لهم يقال لها سعدى ، وكان أبو العتاهية مغرماً بالنساء فقال فيها[2] : [من الطويل]

أَلا يا ذَواتِ السحق في الغرب والشرق أفقنَ فإنّ النيكَ أشهى من السحقِ
أفقـن فـإنَّ الخبز بالأدم يشتَهى وليس يسوغ الخبزُ بالخبزِ في الحلقِ
أراكـنَّ تَرقعـن الخـروقَ بمثلِها وأيُّ لبيب يرقـع الخرق بالخرقِ
وهل يَصلُح المِهـراسُ إلاّ بعـودِهِ إذا احتيج منـه ذاتَ يوم إلى الدقِّ

قال وقال فيه أيضاً[3] : [من الخفيف]

قلتُ للقلب إذْ طوى وَصْلَ سُعدى لهـواهُ البعيـدة الأنسابِ

1 ل : محمد .
2 ديوانه : 588 .
3 ديوانه : 490 .

أنتُ مثـل الذي يفرُّ مـن القَطـ ـرِ حِـذارَ النّدى إلى الميزابِ

قال محمد بن محمد في خبره : فغضبَ عبد الله بن معنٍ لسُعدى ، فضرب أبا العتاهيةِ مائةً فقال [1] : [من مجزوء الخفيف]

جلدَتْنـي بكفِّهـا بنتُ معـن بن زائدهْ
جلدَتنـي بكفِّهـا بأبـي أنـتِ جالـدهْ
جلدَتنـي وبالغَـتْ مائـةً غيـرَ واحـدهْ
اجلدي اجلدي اجلدي إنّمـا أنـتِ والـدهْ

[بينه وبين عبد الله بن معن]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني أبو أيّوب المدينيّ قال : احتال عبد الله بن معن فضربَ أبا العتاهيـة ضربـاً غير مبرِّح ، إشفاقاً ممّا يغنّى به ، فقال : [من مجزوء الخفيف]

اجلدي اجلدي اجلدي إنّمـا أنـت والـدهْ

أخبرني محمد بن يحيى قالْ : حدَّثنا الغلابيّ قال : حدَّثني مهدي قال : تهدد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخوَّفه ونَهاه أن يعرِض لمولاته سُعدى ، فقال أبو العتاهية قوله [2] : [من الهزج]

ألا قل لابن معـن والذ ي في الودِّ قـد حالا
لقد بلِّغـتُ مـا قـال فمـا باليتُ مـا قالا
ولـو كان مـن الأُسدِ لَمـا راعَ ولا هـالا
فصُغْ مـا كنتَ حلّيتَ بـهِ سيفَـكَ خَلخالا
فمـا تصنع بـالسيفِ إذا لَـم تـكُ قَتّالا
ولَـوْ مَـدَّ إلى أذنيـ ـهِ كفَّيـهِ لَمـا نـالا
قصير الطُّـولِ والطَّـوْل فـلا شبَّ ولا طـالا
أرى قومَـكَ أبطـالا وقـد أصبحـتَ بطّالا

[فزع من الهجاء]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثني الحسن بن عليّ الرّازيّ قال حدَّثني أحمد بن أبي فَنَن قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ فذكرَ قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي : [من الطويل]

إذا كلّمْتُـهُ ذاتُ دَلٍّ لحاجـةٍ فهمَّ بأن يقضي تنحنحَ أو سعَلْ

1 ديوانه : 523–524 .
2 ديوانه : 609 .

وأنّ عبد الملك بن سليمان بن عمير قال : تركَني والله وإنّ السَّعلة لتَعرِض لِي في الخلاء فاذكر قولَه فأتركها . قال : فقلت له : هذا عبدُ الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية : [من الهزج]

فصُغْ ما كنتَ حلّيتَ ... بِــهِ سيفـك خلخالا
ومــا تصنعُ بالسيفِ ... إذا لم تَــكُ قتّــالا

قال : فقال عبد الله : ما لبست السيفَ قطُّ فلمحني إنسانٌ إلاّ قلت إنّه يحفظ شعر أبي العتاهية فيَّ ، فينظر إليّ بسببه . فقال ابن الأعرابيّ : اعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه ! وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان .

[هجاؤه عبد الله بن معن]

وقال محمد بن موسى في خبره : وقال أبو العتاهية يهجو عبدَ الله بن مَعن[1] : [من السريع]

لا تُكثرا يــا صاحبَيْ رحلي ... في شتم مَــن أكثَرَ من عذلِي
سبحانَ مَن خصَّ ابنَ معنٍ بما ... أرى بِــهِ مــن قلّــة العقلِ
قــال ابن معــن وجــلا نفسَه ... على مَــن الجِلوةُ يــا أهْلي
أنا فتــاةُ الحــيِّ مــن وائلٍ ... في الشَّرَفِ البــاذخ والنُّبلِ
مــا في بني شيبان أهلِ الحِجى ... جاريـــةٌ واحـــدةٌ مثـــلِي
يــا ليتَنِي أبصرتُ دلاّلــة ... تدلُّنِـــي اليـــوم على فحلِ
والهفتــا اليـــومَ عـــلى أمردٍ ... يُلصِق منِّـــي القُــرط بالحجْلِ
أتيتُـــه يومـــاً فصافحتُه ... فقال دَعْ كَفِّي وخُــذْ رِجلِي
يُكنى أبا الفضل فيا مَن رأى ... جاريــةً تكنــى أبــا الفضلِ
قـــد نقّطتْ في خدِّها نقطةً ... مخافـــةَ العـــين مــن الكُحْلِ
إنْ زُرتموهـــا قـــال حُجّابُها ... نحـــنُ عـــن الزوّارِ في شغلِ
مولاتُنــــا خاليـــــةٌ عندَهـــا ... بعــــلٌ ولا إذنَ عـــلى البعلِ
قـــولا لعبـــد الله لا تجهلَنْ ... وأنـــتَ رأس النُّوك والجهْلِ
أتجلِـــد النّاسَ وأنـــتَ امرؤٌ ... تُجلـــدَ في الدُّبـــرِ وفي القُبْلِ
تبذلُ مـــا يمنع أهلُ النّدى ... هـــذا لعمـــري مُنتهى البذلِ
مـــا ينبغِـــي للنّاس أن يَنسُبوا ... مَــن كان ذا جودٍ إلى البخلِ

1 ديوانه : 620–622 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

وقال في ضربِهِ إيّاه[1] : [من الخفيف]

ضربَتْني بكفِّهـا بنـت معـنٍ أوجَعتْ كفَّهـا ومـا أُوجعتْني
ولعمري لـولا أذى كفِّها إذ ضربَتْني بالسَّوْط مـا تركتَني

[هجاؤه يزيد بن معن]

أُخبرني ابن عمّار قال حدَّثني محمد بن موسى . وأُخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثني جبلة بن محمد قالا : لمّا اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن غَضِبَ من ذلك أُخوه يزيدُ بن معن ، فهجاه أبو العتاهية فقال[2] : [من الوافر]

بَنى معـنٌ ويهدِمُه يزيدُ كذاك اللهُ يفعلُ مـا يريدُ
فمعـنٌ كان للحسّادِ غَمّاً وهذا قد يُسرُّ به الحسودُ
يزيدُ يزيد في مَنع وبُخل وينقُصُ في النّوالِ ولا يزيدُ

أُخبرني محمد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدَّثني أبي قال : لمّا هجا أُبو العتاهية بني معن فمَضَوا إلى مندلٍ وحيانَ ابنَيْ عليٍّ العَنَزِيَّين الفقيهَيْن ، وكانا من سادات أهل الكوفة ، وهما من بني عمرو بن عمرو ، بطن مَن يقدم بن عنزة ، فقالوا لهما : نحن بيتُ واحد وأهلٌ ولا فرق بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتى من بعيد الولاء لوجَبَ أن تردَعاه . فأحضَرا أبا العتاهية ولَم يكن يمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيدَ ابنَيْ معن ، وضَمِنا عنه خُلوصَ النيّة ، وعنهما ألاّ يَتتبَّعاه بسوء ، وكانا ممّن لا يمكن خلافُهما ، فرجعت الحال إلى المودَّة والصفاء ، وجعل الناسُ يعذِلون أبا العتاهية فيما فرطَ منه ، ولامه آخرون على صُلحه لهم ، فقال[3] : [من مجزوء الرمل]

مـــا لعـذّالي وما لِي أَمَـروني بـالضلالِ
عَذَلُونـي في اغتفاري لابن معن واحتمالي
أنـا منه كنـت أكْبى زَنـدةً في كلّ حـالِ
كلُّ ما قد كان منه فلقُبـح مـن فِعـالي
إنّمـا كانـت يميني صَرَمتْ جهلاً شمالِي
مالـهُ بـل نفسُه لِي ولــه نفسي ومالِي

1 ديوانه : 655 .
2 ديوانه : 520 .
3 ديوانه : 622–624 .

قُل لِمَن يعجَب من حسـ ـن رُجوعِي وانتقالِي
قــد رأينـا ذا كثيراً جاريـــاً بين الرِّجالِ
رُبَّ وصلٍ بعد صَدٍّ وقِلًـى بعـد وصالِ

[يرثي زائدة بن معن]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثنا محمد بن موسى قال : كان أبو العبّاس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية ، ولم يُعِنْ أُخوَيه عليه ، فماتَ فرثاه فقال[1] : [من الوافر]

حزِنتُ لِمَوْتِ زائـدةَ بنِ معن حقيقٌ أن يطولَ عليـه حزني
فَتـــى الفتيانِ زائـدةُ المصفَّى أبــو العبّاس كان أخِي وخِدني
فَتى قَوْمِي وأيُّ فَتًى توارت بهِ الأكفانُ تحت ثـرًى ولِبْنِ
ألا يـــا قبرَ زائـدةَ بنِ معـن دعوتُكَ كي تجيبَ فلَم تجِبْنِي
سَلِ الأيّـامَ عن أركان قَوْمِي أصِيبت بهنّ ركناً بعـد رُكْنِ

صوت

[من الطويل]

فمـــا روضةٌ بالحَزْنِ طيّبةُ الثَّرى يمجُّ النَّـدى جَثجاثُهـا وعَرارُها
بأطيبَ مــن أردانِ عَــزّة موهِناً وقد أُوقِدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطبِ نارُها
فإنْ خفِيتْ كانت لعينيك قُرّةً وإن تبدُ يومـــاً لَم يعمّك عارُها
من الخَفِراتِ البِيضِ لم تَــرَ شِقوةً وفي الحسب المكنون صافٍ نِجارُها

الشعر لكثيّر[2] ، والغناء لمعبد في الأوّل والثاني ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن سُريج . وللغريض في الرابع والثالث ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرو وحبش .

وذكر الهشاميّ أنّ في الأوّل والثاني رملاً لابن سريج بالوسطى .

وذكر عمرو وحبش أنّ فيه رملاً لابن جامع بالبنصر .

وفي الأبيات خفيف ثقيل يقال إنّه لمعبد ، ويقال إنّه للغريض ، وأحسبه للغريض .

1 ديوانه : 656 .

2 ديوان كثير : 429–430 .

297 ـ [كثيِّر وقطام]

[لقاء كثير لقطام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة هكذا موقوفاً لم يتجاوزه وأخبرني أنّ كثيِّر بن عبد الرحمن كان غالياً في التشيُّع . وأخبر عن قَطامِ صاحبةِ ابن مُلجَم في قَدمةٍ قدِمَها الكوفة فأرادَ الدّخول عليها ليوبِّخها ، فقيل له : لا تزرها فإن لها جواباً . فأبى وأتاها فوقَف على بابها فقرعَه فقالت : مَن هذا ؟ فقال : كثيِّر بن عبد الرحمن الشاعر . فقالت لبناتِ عمٍّ لها : تَنحَّينَ حتى يدخلَ الرجل . فولجنَ البيتَ وأُذِنَتْ له ، فدخلَ وتنحَّت من بين يديه ، فرآها وقد ولّت فقال لها : أنتِ قطامِ ؟ قالت : نعم . قال : صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ قالت : صاحبة عبد الرحمن بن مُلجم . قال : أليس فيك قُتِل علي بن أبي طالب ؟ قالت : بل مات بأجَلِهِ . قال : أمَا والله لقد كنتُ أُحبُّ أن أراكِ ، فلمّا رأيتك نبَتْ عيني عنك ، فما احلوليتِ في خَلَدِي . قالت : والله إنّك لقصير القامة ، عظيم الهامة ، قبيحُ المنظر ، وإنّك لكما قال الأوّل : «تسمع بالمَعِيدِيّ خير من أن تراه»[1] . فقال : [من الطويل]

رأتْ رجلاً أُودى السِّفارُ بوجهه ... فلَم يبــقَ إلاّ منظرٌ وجَنـاجنُ[2]
فإنْ أكُ معــروقَ العِظـامِ فإنّني ... إذا وُزِنَ الأقوامُ بـالقومِ وازنُ[3]
وإنّي لمـا استودعتنـي مــن أمانةٍ ... إذا ضاعــت الأسرار للسرّ دافنُ

فقالت : أنت لله أبوكَ كثيِّر عزّة ؟ قال : نعم . قالت : الحمدُ لله الذي قصَّر بِك فصرتَ لا تُعرَف إلاّ بامرأة ! فقال : الأمر كذلكِ ، فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذِكري ، وقَرُبَ من الخليفة مجلسي ، وأنا لكما قلتُ : [من الطويل]

فإن خفيتْ كانت لعينك قُـرّةً ... وإن تبــدُ يومــاً يعمَّك عارُها

1 المثل «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» في مجمع الميداني 1 : 129 وجمهرة العسكري 1 : 266 ومستقصى الزمخشري 1 : 370 وفصل المقال : 135 .

2 السفار : السفر . والجناجن : جمع جنجن ، وهي عظام الصدر .

3 معروق العظام : انحسر اللحم عن عظامه فأصبح قليل اللحم . وازن : راجح .

فمـــا روضةٌ بالحزنِ طيبة الثّرى يمـجُّ النّدى جَثجاثَهـا وعَرارُها
بأطيبَ مـــن أردانِ عـــزة مَوهِناً وقـد أُوقِدتْ بالمندلِ اللَّدنِ نارُها

فقالت : باللّه ما رأيتُ شاعراً قطّ أنقصَ عقلاً منك ، ولا أَضعفَ وصفاً ، أين أنت من سيّدك امرىء القيس حيث يقول : [من الطويل]

ألَـم تَرَيانِـــي كلّما جئتُ طارِقاً وجدت بِها طيباً وإن لَم تَطَيَّبِ

فخرج وهو يقول[1] : [من مجزوء الرمل]

الحقُّ أبلج لا يُخيـــل سبيلُه والحقُّ يعرفه ذوو الألبابِ[2]

صوت

[من مجزوء الرمل]

هـــاكَ فاشربْهـــا خليلي في مَـدى الليــلِ الطويلِ
قهـــوةً في ظـــلِّ كـــرم سُبِيتْ مـــن نهـــر بِيـلِ
في لسانِ المـــرء منهـــا مثـــلُ طعـــمِ الزنجبيلِ
قـــل لِمَـــن يلحاكَ فيها مِـــن فقيـــهٍ أو نبيـــلِ
أنتَ دعْها وارجُ أُخرى مِـــن رحيـــقِ السلسبيلِ
تعطش اليـــومَ وتُسقـــى في غَـــدٍ نعـتَ الطُّلولِ[3]

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، هزج بالبنصر عن حبش . ولإبراهيم بن المهديّ في الخامس والسادس والأوّل خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ . ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر ، وقيل لعبد الرحيم .

1 ديوان كثير : 501 وانظر أيضاً 509 حيث أبدلت «ذوو الألباب» إلى «ذوو الأحلام» وربّما كان ممّا تمثل به كثير وليس من نظمه .
2 لا يخيل : لا يشتبه ولا يلتبس .
3 الشطر الأول في ل : تنعم اليوم وتلقى .

[298] ـ ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

[نسبه]

آدم بن عبد العزيز عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمّه أُمّ عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضاً . وهو أَحَد مَن مَنَّ عليه أَبو العبّاس السفّاحُ من بني أُميّة لمّا قتلَ مَن وَجَدَ منهم .

[كان خليعاً ثم نسك]

وكان آدم في أوّل أُمره خليعاً ماجناً منهمِكاً في الشراب ، ثم نسكَ بعد ما عُمِّر ، ومات على طريقة محمودة .

[عتاب المهديّ له]

وأَخبرني الحسين بن عليّ عن أَحمد بن سعيدٍ الدمشقيّ ، عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه : أنّ المهديَّ أُنشِدَ هذه الأبياتَ وغُنِّي فيها بحضرته : [من مجزوء الرمل]

أنتَ دَعْها وارجُ أُخرى مــن رحيــق السلسبيلِ

فسأل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فدعا به فقال له : ويلَكَ تزندقتَ ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ومتى رأيتَ قرشيّاً تزندق ؟ والمِحنة في هذا إليك[1] ، ولكنّه طَرَبٌ غلَبَني ، وشِعرٌ طَفح على قلبي في حال الحَداثة فنطقتُ به . فخلّى سبيله .

قال : وكان المهديُّ يحبّه ويُكرمه ، لظَرَفِه وطِيب نفسه .

ورُوي هذا الخبر عن مصعب الزُّبيريّ وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : كان آدمُ بن عبد العزيز يَشرب الخمر ويُفرِط في المجون ، وكان شاعراً ، فأَخذه المهديُّ فضربه ثلثمائة سوط على أن يُقرَّ بالزندقة ، فقال : والله ما أشركتُ بالله طَرفَة عين ، ومتى رأيتَ قرشيّاً تزندق ؟ قال : فأين قولك : [من مجزوء الرمل]

اسقِني واسقِ غُصَيَنــا لا تَبِـعْ بالنقــدِ دَينا
اسقنيهــا مُــزّة الطعـ ـم تُرِيـك الشَّينَ زَينا

في هذين البيتين لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى ، ولإبراهيم هزج بالبنصر .

1 المحنة : الامتحان .

قال : فقال لئن كنتَ قلت ذاك فما هو ممّا يشهدُ على قائله بالزندقة . قال : فأينَ قولك : [من مجزوء الرمل]

اسقِني واسقِ خليلي في مَدى الليلِ الطويلِ
قهوةً صهباءَ صِرفاً سُبِيت من نهر بِيلِ
لونُها أصفرُ صافٍ وهْيَ كالمِسكِ الفتيلِ
في لسانِ المرءِ منها مثلُ طعمِ الزّنجبيلِ
ريحُها يَنفَح منها ساطِعاً من رأسِ ميلِ
مَن يَنَلْ منها ثلاثاً يَنْسَ منهاجَ السبيلِ
فمتى ما نال خمساً تركَتْه كالقَتيلِ
ليس يَدري حينَ ذاكمْ ما دَبِيرٌ من قَبِيلِ[1]
إنَّ سمعي عن كلام الـ ـلائمي فيها الثقيلِ
لشَدِيدُ الوَقْر ، إنّي غير مطواعٍ ذليلِ
قُلْ لِمَن يلحاكَ فيها مِن فقيهٍ أو نبيلِ
أنتَ دعها وارجُ أُخرى من رحيقِ السلسبيلِ
نعطش اليومَ ونُسقى في غدٍ نعتَ الطلولِ

فقال : كنت فتًى من فتيان قريش ، أشربُ النبيذ وأقول ما قلتُ على سبيل المجون ، والله ما كفرتُ بالله قطُّ ، ولا شككتُ فيه . فخلَّى سبيلَه ورقَّ له .

قال مصعب : وهو الذي يقول : [من مجزوء الخفيف]

صوت

اسقِني يا معاويه سبعةً أو ثمانيَهْ
اسقنيها وغنِّني قبلَ أخذِ الزَّبانيَهْ
اسقِنيها مُدامةً مُزّةَ الطَّعمِ صافيَهْ
ثمَّ مَن لامَنا عليـ ـها فذاك ابنُ زانيَهْ

فيه خفيف رملٍ بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكّيّ ، وإلى حكم الواديّ .

قال : وآدم الذي يقول : [من الوافر]

1 لا يدري ما دبير من قبيل : لا يعرف شيئاً .

أقولُ وراعَنِي إيوانُ كسرى بـرأسِ مَعـانَ أو أدرُوسفانِ
وأبصرتُ البِغـالَ مربّطـاتٍ بِـهِ مـن بعـد أزمِنةٍ حسانِ
يعـزُّ على أبي ساسان كسرى بموقِفِكـنَّ في هـذا المكانِ
شربتُ على تذكُّرِ عيشِ كسرى شرابـاً لونُـه كالزعفرانِ
ورحتُ كأنّني كسرى إذا ما عَـلاهُ التّاجُ يـوم المِهرجانِ

قال وهو الذي يقول : [من المتقارب]

أُحبُّـكِ حُبَّيـنِ لِـي واحدٌ وآخـر أنَّـكِ أهـلٌ لذاكِ
فأمّـا الذي هو حـبُّ الطباعِ فشيءٌ خُصِصتِ بِهِ عن سواكِ
وأمّا الذي هو حـبُّ الجمال فلستُ أُرى ذاكِ حتّـى أراكِ
ولستُ أُمِـنُّ بهـذا عليكِ لكِ المـنُّ في ذا وهذا وذاكِ

[عتاب صديقه فليح له بعد لقائِهِ خالصة]

أُخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي عن فليح بن سليمان قال : مررنا يوماً مع خالصة[1] في موكبها ، فوقفَتْ على آدم بن عبد العزيز فقالت : يا أخي طلبتَ منّا حاجةً فرفعناها لك إلى السيِّدة وأمَرَتْ بها وهي في الديوان ، فساء ظنُّك بها فقعدْتَ عن تنجُّزها . قال : فموّه لها عذراً اعتذرَ به فوقفت عن الموكب حتّى مضت ، ثم قلت له : أخملْتَ نفسَك ، والله ما أحسبُ أنّه حبسك عنها إلاّ الشراب ، أنت ترى النّاسَ يركُضون خلفها وهي تَرِفّ[2] عليك لحاجتك . فقال : والله هو ذاكَ ، إذا أصبحْتَ فكُلْ كسرةً ولو بملحٍ ، وافتَحْ دَنَّكَ فإن كان حامِضاً دبغَ معدتك ، وإن كان حُلواً خَرطك[3] ، وإن كان مدرِكاً فهو الذي أردت . قلت : لا أبارك الله عليك . ومضيت ، ثم أقلع بعد ذلك وتاب . فاستأذن يوماً على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقـال يعقوب : ارفعوا الشراب فإنَّ هذا قد تاب وأحسَبُه يكره أن يراه . فرُفع وأُذِن له ، فلمّا دَخلَ قال : ﴿إنِّي لأَجِد ريحَ يوسفَ لَوْلا أنْ تفنِّدون﴾ . قال يعقوب : هو الذي وجدتَ ، ولكنّا ظنَنّا أن يثقل عليك لتركِكَ الشراب . قال : إي والله ، إنّه ليثقُل عليّ ذاك . قال : فهل قلتَ في ذلك شيئاً منذ تركتَه ؟ قال قلت : [من الطويل]

ألا هل فتًى عن شُربها اليومَ صابر لِيَجزِيَـه يومـاً بذلـك قـادِرُ

1 خالصة : إحدى جواري الخيزران .
2 ترف : تعطف وتشفق .
3 خرط : أسهل .

شربتُ فلمّا قيل ليس بنازعٍ نزعتُ وثوبي من أذى اللّومِ طاهِرُ

[هجاء لطول اللحية]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال : حدّثني أبو هفّان عن إسحاق قال : كان مع المهديّ رجلٌ من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار ، وكانت له لحيةٌ عظيمة ، فذهب يوماً ليركبَ فوقعت لحيتُه تحت قدمِه في الرّكاب فذهَبَ عامّتُها ، فقال آدمُ بن عبد العزيز قولَه : [من الهزج]

قد استوجَبَ في الحُكمِ سليمانُ بنُ مختارِ
بما طَوَّل من لحيـ ـتِهِ جَزّاً بمنشارِ
أو السيفِ أو الحَلْقِ أو التحريقِ بالنّارِ
فقد صار بِها أشهـ ـرَ من رايةِ بَيطارِ

فقال : ثم أنشدها عُمر بن بَزِيغ المهديَّ فضحك ، وسارت الأبياتُ ، فقال أسيد بن أسيد ، وكان وافر اللحية : ينبغي لأمير المؤمنين أن يكفَّ هذا الماجِنَ عن النّاس . فبلغت آدَمَ بنَ عبد العزيز فقال : [من مجزوء الرمل]

لحيةٌ تمَّتْ وطالت لأَسِيد بن أُسِيدِ
كشِراعٍ من عَباءٍ قطعت حَبْلَ الوريدِ
يَعجب الناظرُ منها مِن قريبٍ وبَعِيدِ
هي إنْ زادَت قليلاً قطعَتْ حبلَ الوريدِ

وقال : وكان المهديُّ يُدْنِي آدَمَ ويحبّه ويقرّبه ، وهو الذي قال لعبدِ الله بن عليّ لَمّا أُمَرَ بقتلِهِ في بني أُميّة بنهر أبي فُطراس[1] : إنَّ أبي لَم يكن كآبائهم ، وقد علمتَ مذهبَه فيكم . فقال : صدقتَ ، وأطلقَه . وكان طيِّب النَّفس متصوّفاً ، ومات على توبةٍ ومذهب جميل .

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا يا صاحِ للعَجبِ دعَوتُكَ ثم لَم تُجِبِ
إلى القَيناتِ واللّذّا تِ والصَّهباء والطَّرَبِ
ومنهنَّ التي تبَلَتْ فؤادَك ثمّ لَم تتُبِ

الشعر ليزيد بن معاوية ، يقوله للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام . والغناء لسائب خاثر ، خفيف رمل بالوسطى عن حبش .

1 أبو فُطرُس موضع قرب الرملة كانت به وقعة بين العباسيين والأمويين .

299 ـ [يزيد والحسين]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني المدائنيّ قال : قَدِمَ سَلْم بن زياد على يزيدَ فنادمه ، فقال له ليلةً : ألا أولّيك خُراسان ؟ قال : بلى وسجِستان . فعَقَد له في ليلتِهِ فقال : [من الخفيف]

اسقِني شربةً فروٌّ عظامِي ثمّ عُدْ واسقِ مثلَها ابنَ زيادِ
موضع السرِّ والأمانةِ منّي وعلى ثغر مَغْنَمِي وجِهادِي

[لوم الحسين ليزيد]

قال : ولمّا رجع في خلافة أبيه جَلس بالمدينة على شراب ، فاستأذن عليه عبدُ الله بن العبّاس ، والحسينُ بن علي ، فأمَر بشَرابه فرفع وقيل له : إنَّ ابن عبّاسٍ إن وَجَدَ ريح شرابَكَ عرَفه . فحجَبه وأُذِن للحسين ، فلمّا دخَلَ وجَدَ رائحة الشراب مع الطِّيب فقال : لله درُّ طِيبك هذا ما أطيبه ، وما كنتُ أحسبُ أحداً يتقدّمنا في صنعة الطِّيب ، فما هذا يا ابنَ معاوية ؟ فقال : يا أبا عبد الله ، هذا طِيبٌ يُصنع لنا بالشام . ثم دَعا بقَدح فشربه ، ثم دعا بقدح آخر فقال : اسقِ أبا عبد الله يا غلام . فقال الحسين : عليك شرابَكَ أيّها المرء ، لا عينَ عليك منّي . فشرب وقال : [من مجزوء الوافر]

ألا يا صاحِ للعجبِ دعوتُكَ ثمّ لَم تُجِبِ
إلى القيناتِ واللذّا تِ والصَّهباء والطَّرَبِ
وباطيةٍ مُكلَّلَة عليها سادةُ العَرَبِ
وفيهنّ التي تَبَلَتْ فؤادَكَ ثم لَم تَتُبِ

فوثب الحسين عليه السلام وقال : بل فؤادَكَ يا ابن معاوية !

صوت

[من الوافر]

أأن نادى هدِيلاً يومَ فَلْج مع الإشراق في فَنَنٍ حمامُ

ظَلِلتَ كأنّ دمعَكَ دُرُّ سِلكٍ وَهـي خيطـاً وأسلمَه النِّظامُ
تموتُ تشوُّقـاً طـوراً وتحيا وأنـتَ جديـرُ أنّكَ مُستهامُ
كأنّكَ مـن تذكُّرِ أُمِّ عمرٍو وحبـلُ وصالِها خَلَـقٌ رِمامُ[1]
سلامُ الله يـا مطـر عليها وليس عليكَ يا مطـرُ السّلامُ
فإنْ يكُن النِّكاحُ أَحَلَّ أُنثى فـإنَّ نِكاحهـا مطـراً حرامُ
ولا غَفَـرَ الإلـه لمُنكحِيها ذُنوبهـمُ وإنْ صلُّوا وصاموا
فطلِّقْها فلستَ لهـا بكُفء وإلاّ عـضَّ مَفرِقَـكَ الحُسامُ

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم الموصليّ في الأربعة الأبيات الأوّل ثاني ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

1 الخلق : البالي ومثله الرمام .

300 ـ [الأحوص ومطر]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خَلاَّد الأنصاريّ قال : حدَّثني أبو عبد الله بن سعد الأنصاريّ قال : قدِم الأحوص البصرةَ فخطب إلى رجل من تميم ابنته ، وذكر له نسبه ، فقال : هاتِ لي شاهداً واحِداً يشهد أنّكَ ابن حميّ الدَّبر[1] وأُزوِّجك . فجاءه بمَن شهد له على ذلك ، فزوَّجه إيّاها ، وشرطت عليه ألاّ يمنعها من أحَد من أهلها ، فخرج بها إلى المدينة وكانت أُختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعدِل بي إلى أُختي . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ، وكانت من أُحسن النّاس ، وكان زوجُها في إبِلِه . فقالت زوجة الأحوص له : أَقِمْ حتّى يأتي . فلمّا أَمسَوْا راح مع إبِلِهِ ورِعائه ، وراحت غنمُه فراح من ذلك أمرٌ كثير . وكان يُسمَّى مَطَراً ، فلمّا رآه الأحوصُ ازدراه واقتحمتْه عينُه ، وكان قبيحاً دميماً . فقالت له زوجتُه : قُمْ إلى سِلْفِك وسلِّم عليه . فقال وأشار إلى أُخت زوجته : بإصبعه : [من الوافر]

سلامُ الله يـا مطـرٌ عليهـا ... وليس عليكَ يـا مطرُ السلامُ

وذكر الأبيات وأشار إلى مطرٍ بإصبعه ، فوثب إليه مطرٌ وبنوه ، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجِز بينهم .

قال الزُّبير : قال محمد بن ثابت : أبو عبد الله بن سعد الذي حدَّث بهذا الحديث ، أُمّه بنت الأحوص ، وأُمّها التميميّة أُخت زوجة مطر .

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال : حدَّثنا حمّاد عن أبيه ، أنّ امرأة الأحوص التي تزوّجها ، إحدى بني سعد بن زيد مناه بن تميم . وذكر باقي القصيدة ، وهو قوله : [من الوافر]

كأنّكَ مِـن تذكُّـرِ أُمِّ عمرٍو ... وحبـلُ وِصالهـا خَلَـقٌ رِمامُ
صَريع مُدامــةٍ غَلَبَـتْ عليـهِ ... تموتُ لَهـا المفاصِلُ والعِظامُ
وأنَّى مِن بِـلادِك أُمّ عمرٍو ... سقَى داراً تَحُـلُّ بِهـا الغمامُ
تحلُّ النَّعفَ مِـن أُحُدٍ وأَدنى ... مَساكنها الشُّبيكـة أَو سَنامُ[2]
فلـو لَم ينكِحـوا إلاّ كفِيّـاً ... لَكـانَ كفيَّهـا الملكُ الهمامُ

أُخبرني الحسين قال : قال حمّاد : قرأت على أبي : حدَّثنا ابن كناسة قال : مَرَّ بنا أُشعبُ

1 الدبر : النحل . ابن حمي الدبر هو عاصم بن ثابت جدّ أبي الأحوص .
2 الشبيكة في ل : السكينة . وسنام : جبل بالحجاز .

ونحن جماعةٌ في المجلس ، فأتى جارٌ لنا صاحب جَوارٍ يقال له أبان بن سُليمان ، وعليه رداء خَلَق ، قد بدا منه ظهرُه وبهِ آثار ، فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السلامَ ، فلمّا مضى قال بعضُ القوم : مَدَنيٌّ مجلود ! فأراه سمعَها أو سمعها رجلٌ يمشي معه فأخبره ، فلمّا انصرفَ وانتهى إلى المجلس قال : [من الوافر]

سلامُ اللهِ يـا مطـرٌ عليهـا   وليس عليكَ يـا مطرُ السلامُ

فقلت للقوم : أنتم واللهِ مَطَر .

ومثل ما جرى في هذا الخبر من قوله في المرأة ، خبرٌ له آخر شبيه به مع ابن حزم .

[لومه معمر بن عبد الله على تزويجه أخته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا محمد بن فضالة ، عن جميع بن يعقوب قال : خطب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، إلى أخيها مَعْمَر بن عبد الله ، فزوَّجَه إيّاها ، فقال الأحوص أبياتاً وقال لفتًى من بني عمرو بن عوف : أنْشِدْها مَعْمَر بنَ عبدِ الله في مجلسِه ولك هذه الجُبّة . فقال الفتى : نَعم . فجاءه وهو في مجلسه فقال : [من البسيط]

يا معمر يا ابن زيدٍ حينَ تَنكحها   وتستبدُّ بأمـر الغـيِّ والرشَدِ

فقال : كان ذلك الرّجل غائباً . فقال الفتى : [من البسيط]

أمـا تذكّـرتَ صيفيّاً فتحفظه   أو عاصِماً أو قتيلَ الشِّعبِ من أُحُدِ

قال : ما فعلتُ ولا تذكّرتُ . فقال الفتى : [من البسيط]

أكنتَ تجهل حزمـاً حِينَ تَنكحِها   أم خفتَ ، لا زلتَ فيها جائع الكبِدِ

قال معمر : لم أَجْهَلْ حزماً . فقال الفتى : [من البسيط]

أبعدَ صِهرِ بني الخطاب تجعلهمُ   صِهراً وبعد بني العوّامِ من أَسَدِ

فقال معمر : قد كان ذلك . فقال الفتى : [من البسيط]

هَبْها سليلةَ خَيـلٍ غيرِ مُقْرِفةٍ   مظلومةً حُبِست للعَيرِ في الجددِ

قال : نعم أعانَها اللهُ وصَبَّرَها . فقال الفتى : [من البسيط]

فكلُّ ما نالَنا من عارِ مَنكَحِها   شَوًى إذا فارقتْه وهِي لَم تَلِدِ

قال : نعم إلى اللهِ عزّ وجلّ في ذلك الرغبة .

قال الزُّبير : أمّا قوله «صهر بني الخطّاب» فإنّ جميلةَ بنتَ أبي الأَقلح كانت عند عمر بن الخطّاب ، فولدت له عاصم بن عمر : وأمّا «صهر بني العوام» فإنّ نهِيسة بنت النُّعمان بن عبد الله بن أبي عُقبة ، كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، فولدت له أبا بكر ومحمداً .

[أمّ جعفر تكره أصواتاً من الغناء القديم]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء ، قال : حدّثنا الزُّبير قال : حدّثني مصعب قال : قال الهدير : كرهَتْ أمُّ جعفر أصْواتاً من الغِناء القديم ، فأرسلَتْ لها رسولا يُلقيها في البحر ، ثم غنّتها جاريةٌ بعد ذلك : [من الوافر]

سلامُ الله يـا مطـرٌ عليهـا وليس عليك يـا مطرُ السلامُ

فقالت : هذا أرسِلُوا به رسولاً مفرداً إلى دَهلك[1] ليلقيَه في البحر خاصّة . قال : والذي حمل أمَّ جعفرٍ على هذا التطيّر على ابنها محمد بن الأمين من هذه الأصوات ، أيّام محاربته المأمون فمنها قوله : [من الطويل]

كُليبٌ لَعمـرِي كان أكثَرَ ناصراً وأيسَرَ جرمـاً منك ضُرِّج بالدمِ[2]

ومنها قوله : [من الطويل]

همُ قَتلـوه كَـيْ يكونوا مكانَـه كما غدَرتْ يوماً بِكسرى مَرازِبُهْ[3]

ومنها قوله : [من الطويل]

رأيت زُهيراً تحـت كلكل خالـدٍ فأقبلتُ أسعـى كالعَجُـولِ أُبادِرُ[4]

ومنها قوله : [من الطويل]

أبـا منـذرٍ أفنيـتَ فاستَبْقِ بعضَنا حنانَيكَ بعضُ الشرِّ أهْوَنُ من بعضِ[5]

مضى الحديث .

صوت

[من الطويل]

وكنّـا كنَدْمانَـيْ جَذِيمةَ حِقبـةً مـن الدَّهْـرِ حتَّى قيل لن يتصدَّعا
فلمّـا تفرَّقنـا كأنّـي ومالِكـاً لِطولِ اجتماعٍ لَم نَبِتْ ليلـةً معا

الشعر لمتمِّم بن نُوَيرة ، يرثي أخاه مالِكاً . والغناء لسياط .

1 دهلك : جزيرة في البحر الأحمر .
2 البيت للنابغة الجعدي وقد تقدّم في ترجمته .
3 البيت للوليد بن عقبة .
4 البيت لورقاء بن زهير .
5 البيت لطرفة في ديوانه ، والمثل «بعض الشر أهون من بعض» في مجمع الميداني 1 : 94 ومستقصى الزمخشري 2 : 10 والدرة الفاخرة 2 : 456 وفصل المقال : 244 . وفي بيت أبي خراش الهذلي :
حمـدت إلهـي بعـد عـروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض .

[301] ـ ذكر متمّم وأخباره وخبر مالك[1] ومقتله
[واستطراد بقصة جذيمة والزبّاء]

[نسبه]

هو متمِّم بن نويرة بن عمرو بن شدّاد بن عبيد بن ثَعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . ويكنى متمِّم بن نويرة أبا نهشل .

[أخوه مالك]

ويُكنى أخوه مالك أبا المِغوار . وكان مالكٌ يقال له فارسُ ذي الخِمار ، قيل له ذلك بفرسٍ كان عنده يقال له «ذو الخمار» ، وفيه يقول وقد أحمَدَه في بعض وقائعه : [من الطويل]

جزاني دَوائي ذُو الخمار وصَنعتي بِما بـاتَ أطْواءِ بنـيَّ الأصاغِرُ

[مقتل مالك]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : كان مالك بن نويرة شريفاً فارساً شاعراً ، وكان فيه خُيَلاءُ وتقدُّم ، وكان ذا لِمّة كبيرة ، وكان يقال له الجَفول .

وكان مالِكٌ قُتِل في الرِّدّة ، قتله خالدُ بن الوليد بالبِطاح في خلافة أبي بكرٍ ، وكان مقيماً بالبِطاح ، فلمّا تنبأتْ سَجاحِ اتّبعها ثم أظهَرَ أنّه مسلم ، فضربَ خالدٌ عنقَه صَبْراً ؛ فطَعن عليه في ذلك جماعةٌ من الصحابة ، منهم عُمر بن الخطّاب ، وأبو قَتادة الأنصاريّ ، لأنّه تزوّج امرأةَ مالكٍ بعده . وقد كان يقال إنّه يهواها في الجاهلية واتُّهم لذلك أنّه قَتله مسلماً ليتزوّج امرأتَه بعده .

حدَّثنا بالسبب في مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبريّ قال : كتب إليّ السريّ بن يحيى ، يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيميّ ، عن سيف بن عُمر ، عن الصَّقعب بن عطيّة عن أبيه : أنّ رسول الله ﷺ استعمل عمالَه على بني تميم ، فكان مالك بن نويرة عاملَه على بني يربوع . قال : ولّما تنبأت سَجاح بنتُ الحارث بن سويد بن عُقْفان وسارت من الجزيرة ، راسلت مالكَ بن نويرة ودَعَتْه إلى الموادعة ، فأجابَها وفَثّأها[2] عن غَزْوها ، وحَمَلَها على أحياءٍ

1 ترجمة متمّم بن نويرة في طبقات ابن سلام : 169–174 والشعر والشعراء 254–258 وخزانة البغدادي 2 : 22–24 وتاريخ الطبري 3 : 24 ومعجم المرزباني : 432 وشعره في المفضليات والجمهرة وأمالي اليزيدي وحماسة اليزيدي وكامل المبرد . وقد اتصلت أخباره بأخبار أخيه . وقد جمعت ابتسام مرهون الصفّار شعر مالك ومتمّم من مختلف المصادر مع مقدمة طويلة وتخريج مستفيض .

2 فثأها : كفّها .

من بني تميم ؛ فأجابته وقالت : نَعَمْ فشأنَكَ بمَن رأيت ، وإنّما أنا امرأةٌ من بني يربوع ، وإن كان مُلكٌ فهو مُلكُكم . فلمّا تزوّجها مسيلمةُ الكذّاب ودخل بِها انصرفَتْ إلى الجزيرة وصالحتْه على أن يحمل عليها النِّصفَ من غَلاّت اليمامة . فارعَوى حينئذٍ مالكُ بن نُوَيرة ونَدِمِ وتحيَّر في ادمرِهِ ، فلحِق بالبِطاح ، ولَم يبقَ في بلاد بني حنظلة شيء يُكره إلاّ ما بَقِيَ من أمر مالك بن نويرة ومَنْ تأشَّب إليه[1] بالبِطاح ، فهو على حاله متحيِّر ما يدري ما يصنع .

وقال سيف : فحدَّثني سهلُ بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالا : لّما أراد خالدُ بن الوليد المسيرَ خرج مِن ظَفَر[2] وقد استبرأ أسداً وغطفان وطيئاً . فسار يريد البِطاح دون الحَزْن ، وعليها مالكُ بن نويرة وقد تردّد عليه أمرُه وقد تردَّدت الأنصار على خالد وتخلّفتْ عنه ، وقالوا : ما هذا بِعهدِ الخليفة إلينا ؛ فقد عهد إلينا إن نحنُ فرَغنا من البُزاخة[3] واستبرأنا بلادَ القوم ، أن يكتب إلينا بما نعمل . فقال خالد : إن يكنْ عَهِد إليكم هذا فقد عَهِد إليّ أن أمضي ، وأنا الأميرُ وإليّ تنتهي الأخبار ، ولَو أنّه لَم يأتني له كتابٌ ولا أمْر ثم رأيتُ فرصةً إن أعلمته بِها فاتَتْني لم أعلمه حتّى أنتهزَها . وكذلك لو ابتُلِينا بأمرٍ ليس منه عهدٌ إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ونَعمَل به . وهذا مالك بن نُويـرة بِحِيالنـا ، وأنا قاصدٌ بِمَن معي من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان ، ولستُ أُكرِههم . ومضى خالدٌ وبرِمـت الأنصـارُ وتذامروا[4] وقالوا : لئن أصاب القومُ خيراً إنّه لخيرٌ حُرِمتموه ، ولئنْ أصابتهـم مصيبـةٌ ليجتَنِبَنَّكُم النّاس . فأجمعوا على اللَّحاق بخالد ، وجَرّدوا إليه رسولاً ، فأقام عليهـم حتّـى لحِقوا بِهِ ، ثم سار حتّى لحِقَ البِطـاح فلَم يجد بِـهِ أحـداً .

قال السريّ عن شعيب ، عن سيف عن خزيمة بن شجرة العُقفانيّ عن عثمان بن سُويد ، عن سويد بن المنعبة الرِّياحِيّ قال : قدِم خالد بن الوليد البِطاحَ فلَم يجِدْ عليه أحداً ، ووجد مالك بن نويرة قد فرَّقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع ، فبثَّ السرايا وأمَرَهم بداعيةِ الإسلام ، فمَن أجابَ فسالِموه ومن لم يُجِبْ وامتنَع فاقتلوه .

وكان فيما أوصاهم أبو بكر : إذا نزلتم منزِلاً فأذّنوا وأقيموا ، فإنْ أذّن القومُ وأقاموا فكُفُّوا عنهم ، وإنْ لم يفعلوا فلا شيء إلاّ الغارة . ثم اقتلوهم كلَّ قِتلة : الحرق فما سواه . فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن هم أقرّوا بالزّكاة قَبِلتم منهم ، وإلاّ فلا شيء إلاّ الغارة ولا كلمة . فجاءته الخيلُ بمالك بن نويرة في نفرٍ معه من بني ثعلبة بن يربوع ، ومن بني عاصم ، وعبيد ،

1 تأشب إليه : تجمع .

2 ظفر : موضع .

3 البزاخة : ماء لبني أسد .

4 تذامروا : حصنوا بعضهم بعضاً على القتال .

وعرين ، وجعفر ، واختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة . وكان ممّن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصَلّوا . فلمّا اختلفوا فيهم أمَرَ بحبسهم ، في ليلةٍ باردة لا يقوم لها شيء ، وجعلَتْ تزداد برداً ، فأمر خالدٌ منادياً فنادى : «دافئوا أسراكم» . وكان في لغة كنانة إذا قالوا : دافأنا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى اقتلوه من الدفء . فظنّ القوم أنّه يريد القتل فقتلوهم . فقتل ضرار بن الأزور مالِكاً ، فسمع خالدٌ الواعية[1] ، فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه . وقد اختلف القومُ فيهم فقال أبو قَتادة : هذا عملك ! فزبره خالد فغضب ومضى حتّى أتى أبا بكر ، فغضِب عليه أبو بكر حتّى كلّمه عمر بن الخطّاب فيه ، فلم يَرضَ إلاّ بأن يرجع إليه ، فرجَع إليه فلم يزل معه حتّى قدِم المدينة . وقد كان تزوّج خالدٌ أُمّ تميم بنت المِنهال وتَركها لينقضيَ طُهرها ، وكانت العرب تكره النساءَ في الحرب وتعايرُه ، فقال عُمر لأبي بكر : إنّ في سيف خالدٍ رَهَقا ، وحقّ عليه أن تُقيده . وأكثَرَ عليه في ذلك . وكان أبو بكرٍ لا يُقيد من عُمّاله ولا من وزَعَته[2] ، فقال : هيه يا عمر تأوَّل فأخطأ . فارفعْ لسانك عن خالد . ووَدَى مالكاً ، وكتب إلى خالد أن يقدَم عليه ، ففعل وأخبره خبره فعذَره ، وقَبِل منه ، وعنّفه بالتزويج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك .

فذكر سيفٌ عن هشام بن عروة عن أبيه قال : شهد قوم من السريّة أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، وشهِد آخرون أنّه لم يكن من ذلك شيء فقُتِلوا . وقدِم أخوه متمّم يَنشُد أبا بكرٍ دَمَه ويَطلب إليه في سَبْيِهم ، فكتب له بردّ السَّبي ، وألحَّ عليه عمر في خالد أن يعزله وقال : إنّ في سيفه لرَهَقاً ! فقال له : لا يا عمر ، لم أكن لأشيمَ سيفاً سلَّه الله على الكافرين .

حدَّثنا محمد بن إسحاق قال : كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن خزيمة عن عثمان عن سويد قال : كان مالكٌ من أكثر الناس شَعراً ، وإنّ أهل العسكر أثَّفوا القُدور برؤوسهم[3] ، فما منها رأسٌ إلاّ وَصَلت النّارُ إلى بشرته ، ما خلا مالِكاً فإنّ القدر نضِجت وما نضِج رأسُه من كثرة شَعره ، ووقى الشعرُ البشرةَ من حرِّ النّار أن تبلغَ منه ذلك .

قال : وأنشد متمّم عمر بن الخطّاب وذكر خَمَصه ، يعني قوله : [من الطويل]

لقــد كفــن المِنهالُ تحــت ردائه ... فتًــى غيرَ مِبطانِ العشيّاتِ أروَعا

فقال : أكذاكَ كان يا متمّم ؟ قال : أمَّا ما أعني فنعم .

أخبرني اليزيديُّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن فليح ، عن موسى بن عُقبة ،

---

1 الواعية : الصراخ على الميت .

2 الوزعة : جمع وازع ، وهو الذي يدير أمور الجيش ويرد من شذ منهم .

3 أثفوا القدور برؤوسهم : جعلوا أثافيها من رؤوس القتلى .

عن ابن شهاب . وحدَّثنيه أحمد بن الجعد قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيَّبيّ قال : حدَّثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب : أنّ مالك بن نويرة كان من أكثر النّاس شَعراً ، وأنّ خالداً لمّا قتله أمَر برأسِهِ فجعل أُثفِيّة لقدرٍ ، فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النّارُ إلى شَواته .

أخبرني محمد بن جرير قال : حدَّثنا محمد بن حميد قال حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

أنّ أبا بكر كان مِن عهده إلى جيوشه : أنْ إذا غَشِيتم داراً من دُورِ النّاس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسِكُوا عن أهلِها حتّى تسألوهم ماذا نَقِموا ، وإذا لم تسمعوا أذاناً فشُنُّوا الغارةَ واقتُلُوا وحَرِّقوا . فكان مِمّن شهدَ لمالك بالإسلام أبو قَتادة الأنصاريّ ، واسمه الحارث بن رِبعيّ أخو بني سَلمة ، وقد كان عاهَدَ الله أنّه لا يشهد حرباً بعدها أبداً . وكان يحدّث أنّهم لمّا غَشُوا القومَ راعُوهم تحت الليل ، فأخذَ القومُ السلاحَ . قال : فقلنا لهم : إنّا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون . قلنا : فما بالُ السلاحِ معكم ؟ فإن كنتم كما تقولون فضَعُوا السلاح . ففعلوا ثم صلَّينا وصلَّوا . وكان خالدٌ يعتذر في قتلِهِ أنّه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبَكم ، يعني النبيّ ﷺ ، إلاّ وقد كان يقول كذا وكذا . فقال خالد : أو ما تعدُّه صاحباً ؟ ثم قدَّمه فضربَ عنقَه وأعناق أصحابِهِ ، فلمّا بلغ قتلُهم عمرَ بن الخطّاب تكلَّم فيه عند أبي بكر رضي الله عنه ، وقال : عدوُّ الله عَدا على امرىء مسلم فقتلَه ، ثم نَزا على امرأته . وأقبل خالدُ بن الوليد قافلاً حتّى دخل المسجدَ وعليه قباءٌ له ، وعليه صدأُ الحديد ، معتجراً بعمامة غرز فيها أسهُماً ، فلمّا أنْ دخل المسجدَ قام إليه عُمر فانتزع الأسهمَ من رأسِهِ فحطَّمها ثم قال : أقتلتَ امرءاً مسلماً ثم نَزوتَ على امرأته ، والله لأرجُمنّكَ بأحجارك ! ولا يكلِّمه خالد بن الوليد ولا يظنُّ إلاّ أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمرَ فيه ، حتّى دخل على أبي بكر فأخبره الخبرَ واعتذر إليه ، فعذَره أبو بكرٍ وتجاوَزَ له عمّاً كان في حربه تلك . فخرج خالدٌ حين رضي عنه أبو بكر ، وعمرُ جالسٌ في المسجد الحرام ، فقال : هلمَّ إليّ يا ابن أُمّ شَملة . فعرف عمرُ أنّ أبا بكر قد رضيَ عنه ، فلم يكلِّمه ودخل بيتَه . وكان الذي قتل مالكَ بنَ نويرة عبدُ بن الأزوَر الأسديّ .

وقال محمد بن جرير : قال ابن الكلبيّ : الذي قتل مالكَ بن نويرة ضِرارُ بن الأزور .

[أخبار في عذر خالد]

وهكذا روى أبو زيد عُمر بن شَبّة عن أصحابِهِ ، وأبو خليفة عن محمد بن سلام قال : قَدِم مالِكُ بن نُويرة على النبيّ ﷺ فيمَن قَدِم من أمثالِهِ من العربِ ، فولاّه صدقاتِ قومِهِ بني يربوع ، فلمّا ماتَ النبيُّ ﷺ اضطربَ فيها فلم يُحمَد أمرُه ، وفرَّقَ ما في يدِهِ من إبل الصدقة ، فكلّمه

الأقرع بن حابسٍ المُجاشعيّ ، والقَعقاع بن مَعبد بن زُرارة الدارِميّ فقالا له : إنَّ لهذا الأمر قائِماً وطالباً ، فلا تَعْجَلْ بتفرقةِ ما في يدك . فقال[1] : [من الوافر]

أراني الله بالنَّعَمِ المندَّى ببُرقةِ رحرحانَ وقد أراني
تَمشَّى يا ابنَ عَوذَةَ في تميمٍ وصاحبُكَ الأُقيرعُ تَلْحياني
حميتُ جميعَها بالسَّيفِ صَلتاً ولَم تُرعَش يداي ولا بناني

يعني أُمُّ القعقاع ، وهي مُعاذَةُ بنت ضِرار بن عمرو . وقال أيضاً[2] : [من الطويل]

وقُلْتُ خُذوا أموالَكم غيرَ خائفٍ ولا ناظرٍ فيما يجيءُ من الغدِ
فإنْ قامَ بالأمرِ المخوّف قائمٌ مَنعنا وقلنا الدِّينُ دِينُ محمَّدِ

قال ابن سلام : فمَن لا يعذِر خالداً يقول : إنّه قال لخالد : وبهذا أمَرَك صاحبُك ، يعني النبيّ ﷺ ، وأنّه أرادَ بهذه القرشيّة . ومَن يعذر خالداً يقول : إنّه أراد انتفاءه من النبوّة ، ويحتجّ بشعرَيه المذكورَين آنفاً . ويذكُر خالدٌ أنّ النبيّ ﷺ لمّا وجَّهه إلى ابن جُلندَى قال له : يا أبا سليمان ، إنْ رأت عينُك مالِكاً فلا تزايلْه أو تقتلَه .

قال محمد بن سلاّم : وسمعني يوماً يونسُ وأنا أُرادُّ التميمية في خالدٍ وأعذرُه ، فقال لِي : يا أبا عبد الله ، أما سمعتَ بساقَيْ أمّ تميمٍ ؟ يعني زوجةَ مالك التي تزوّجها خالدٌ لما قتله ، وكان يقال إنّه لم يُرَ أحسَنُ من ساقيها . قال : وأحسنُ ما سمعتُ من عذر خالد قول متمّم بأنّ أخاه لم يُستشهَدْ . ففيه دليلٌ على عذر خالد .

[متمّم ينشد أبا بكر]

أخبرنا اليزيديّ قال : حدَّثنا الرياشي قال : حدَّثني محمد بن الحكم البَجلي عن الأنصاريّ قال : صلَّى متمّم بن نويرة مع أبي بكرٍ الصُّبح ، ثم أنشده قوله[3] : [من الكامل]

نِعمَ القتيلُ إذا الرياحُ تَناوحَتْ تحت الإزار قَتلتَ يا ابن الأزورِ
أدعوتَه باللهِ ثُمّ قتلتَه لو هُو دَعاكَ بذِمّةٍ لم يَغدرِ

فقال أبو بكر : والله ما دعوتُه ولا قتلته . فقال :

لا يُضمِر الفحشاءَ تحت ردائِهِ حلوٌ شمائله عفيفُ المِئزرِ
ولَنِعمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنت وحاسراً ولَنِعمَ مأوى الطارقِ المتنوِّرِ

1 شعر مالك بن نويرة : 80–81 .
2 شعر مالك : 66 .
3 شعر متمم بن نويرة : 91–92 .

قال : ثم بكى حتّى سالت عينُه ، ثم انخرط على سِيَة قوسِه متكئاً . يعني مغشيّاً عليه .

[وصف متمّم لمالك]

أُخبرني اليزيديّ قال حدَّثنا الرياشيّ قال حدَّثني محمد بن صخر بن خلخلة قال : ذَكَرَ متمّم بن نويرة أَخاه في المدينة فقيل له : إنّك لتذكر أخاك ، فما كانت صِفتُه ، أو صِفْهُ لنا ؟ فقال : «كان يركب الجَمَل الثّفالَ[1] في الليلة الباردة ، يرتوي لأهلِهِ بين المزادتين المضرَّجتين[2] ، عليه الشَّملةُ الفلوت[3] ، يقود الفَرَس الجرور[4] ، ثم يصبح ضاحِكاً» .

[تكفين المنهال لمالك]

أُخبرني اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، عن الزُّبير بن حبيب بن بدر الطائيّ وغيره : أنّ المنهال رجلاً من بني يربوع ، مَرَّ على أشلاء مالك بن نويرة لّما قَتَله خالد ، فأخذ ثوباً وكفّنه فيه ودفنه ، ففيه يقول متمّم[5] : [من الطويل]

صوت

لعمري وما دَهري بتأبينِ مالك ولا جَـزعٍ ممّـا أُصابَ فأَوجَعا
لقــد كَفَّــنَ المِنهــالُ تحت ردائِهِ فتًــى غَيرَ مبطانِ العشيّاتِ أَروعا

غنّاه عمرو بن أبي الكنّاتِ ، ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش .

[متمّم ينشد عمر رثاءه]

أُخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن محمد البصريّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن إسماعيل القُضاعيّ قال حدَّثني أحمد بن عمّار العبديّ ، وكان من العلم بموضع قال : حدَّثني أبي عن جدِّي قال : صلّيتُ مع عمر بن الخطّاب الصبحَ ، فلمّا انفتلَ من صلاته إذا هو برجلٍ قَصير أعوَرَ متنكّباً قوساً ، وبيدِهِ هِراوة ، فقال : مَن هذا ؟ فقال : متمّم بن نويرة . فاستنشده قولَه في أخيه ، فأنشده : [من الطويل]

لعمرِي وما دَهرِي بتأبين مالك ولا جَـزعٍ مِمّا أُصابَ فأَوجعا
لقــد كفَّــنَ المِنهال تحـتَ ثيابه فتًـى غيرَ مبطانِ العشياتِ أَروعا

حتّى بَلغ إلى قوله :

1 الثفال : البطيء .

2 المضرجتين : المشقوقتين . وفي رواية النضوحتين .

3 الشملة الفلوت : المئزر الذي لا ينضم طرفاه .

4 الفرس الجرور : الذي لا ينقاد فيجب جرّه .

5 هذه العينية هي المفضلية 57 ، فانظرها في شرح ابن الأنباري وفي مجموع شعر متمّم : 106 .

وكنّا كندمانَيْ جَذيمةَ حِقبةً ... من الدَّهرِ حتّى قِيل لن يتصدّعا[1]
فلمّا تفرَّقنا كأنّي ومالِكاً ... لِطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

فقال عُمر : هذا والله التأبين ، ولَودِدتُ أنّي أُحسِنُ الشِّعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثَيتَ بِهِ أخاك . فقال متمّم : لو أنّ أخي ماتَ على ما مات عليه أخوك ما رثيته ، وكان قُتل باليمامة شهيداً ، وأمير الجيش خالدُ بن الوليد ، فقال عمر : ما عزّاني أحد عن أخي بمثل ما عزّاني به متمّم .

وقال : وكان عمر يقول : ما هبت الصَّبا من نحو اليمامة إلاّ خُيِّل إليّ أنّي أشم ريح أخي زيد .

قال : وقيل لمتمّم : ما بلغَ من وجدك على أخيك ؟ فقال أُصِبتُ بإحدى عينيّ فما قَطرت منها دمعةٌ عشرينَ سنة ، فلمّا قُتِل أخي استَهلّت فما تَرقأ[2] .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ قال : حدَّثنا عبد الله بن لاحق ، عن ابن أبي مليكة قال : مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحُبْشيّ[3] خارج مكّة ، فحُمِل فدفن بمكّة ، فقدِمت عائشةُ فوقفَتْ على قبره وقالت متمثلة : [من الطويل]

وكنّا كندمانَيْ جذيمةَ حِقبةً ... من الدَّهر حتّى قيل لن يتصدّعا
فلمّا تفرَّقنا كأنّي ومالِكاً ... لِطولِ اجتماعٍ لم نبِتْ ليلة معا

أمَا والله لو حضرتُكَ لدفنتك حيث مِتّ ، ولو شَهِدتك ما زرتك .

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدَّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أنّ متمّم بن نويرة دخل على عمر بن الخطّاب فقال له عمر : ما أرى في أصحابك مِثلَك . فقال : يا أمير المؤمنين أمَا والله إنّي مع ذلك لأركب الجمَل الثّفال ، وأعتقِل الرُّمحَ الشَّطون[4] ، وألبَسُ الشَّملةَ الفَلُوت . ولقد أسرَتْني بنو تغلبَ في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالِكاً فجاء ليفديَني منهم ، فلمّا رآه القومُ أعجبهم جَمالُه ، وحدَّثهم فأعجبهم حديثُه ، فأطلقوني له بغير فداء .

---

1 المثل «هما كندماني جذيمة» في مجمع الميداني 2 : 139 وجمهرة العسكري : 365 وفصل المقال : 257 ومستقصى الزمخشري 2 : 234 .

2 ما ترقأ : ما يجفّ دمعها وينقطع .

3 الحبشيّ : جبل بأسفل مكّة تحالفت عنده قبائل فسمّوا الأحابيش .

4 الرمح الشطون : الطويل الأعوج .

[إنقاذ مالك لمتمّم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني النوفليّ عن أبيه وأهله قالوا : لمّا أنشد متمّم بن نويرة عمرَ بن الخطّاب قولَه يرثي أخاه مالِكاً : [من الطويل]

وكنّا كندمانَيْ جذيمة حِقبةً ... من الدَّهر حتّى قيل لَن يتصدّعا

فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالِكاً ... لِطولِ اجتماعٍ لم نَبتْ ليلةً معا

قال له عمر : هل كان مالِكٌ يحبُّكَ مثلَ محبّتك إيّاه ، أم هل كان مثلَكَ ؟ فقال : وأين أنا من مالك ، وهل أبلغُ مالكاً ، والله يا أمير المؤمنين . لقد أَسَرني حيٌّ من العرب فشدّوني وَثاقاً بالقِد ، وألقَوني بفنائهم ، فبلغه خبري فأقبلَ على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوسٌ في ناديهم . فلمّا نظر إليّ أعرضَ عنّي ، ونظر القومُ إليه فعَدَلَ إليهم ، وعرفتُ ما أراد ، فسلَّم عليهم وحادثهم وضاحَكهم وأنشدهم ، فوالله إنْ زال كذلك حتى ملأهم سروراً ، وحضَر غَداؤهم فسألوه ليتغدَّى معهم فنزلَ وأكل ، ثم نظر إليّ وقال : إنّه لقبيح بنا أن نأكلَ ورجلٌ ملقًى بين أيدينا لا يأكل معنا ! وأمسكَ يَدَه عن الطّعام . فلمّا رأى ذلك القومُ نَهضُوا وصبُّوا الماء على قدّي حتى لانَ وخلَّوني ، ثم جاءوا فأجلسوني معهم على الغَداء ، فلمّا أكلنا قال لهم : أما ترون تَحرُّم هذا بنا وأكلَه معنا ، إنّه لقبيح بكم أن تردُّوه إلى القِدّ . فخلَّوا سبيلي فكان كما وصفت . وما كذبتُ في شيء من صفته إلاّ أنّي وصفتُه خميصَ البطن ، وكان ذا بطن .

[خلاف متمّم مع زوجته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن نصر العتيقيّ قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقيّ ، عن أبيه عن مروان بن موسى . ووجدت هذا الخبر أيضاً في كتاب محمد بن عليّ بن حمزة العلويّ ، عن عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه : أنّ عمر بن الخطّاب قال لمتمّم بن نويرة : إنّكم أهلُ بيت قد تَفانيتم ، فلو تزوّجتَ عسى أن تُرزقَ ولداً يكون فيه بقيّةٌ منكم . فتزوّج امرأةً بالمدينة فلم ترضَ أخلاقه لشدّة حُزنه على أخيه ، وقِلّة حَفْلِه ، فكانت تُماظُّه[1] وتؤذيه ، فطلَّقها وقال[2] : [من الطويل]

أقول لهندٍ حينَ لم أرض فِعلَها ... أهذا دلالُ الحبّ أم فعلُ فاركِ[3]

أمِ الصرمُ ما تبغي ، وكلُّ مُفارقٍ ... يسيرٌ علينا فقدُه بعدَ مالكِ

1 تماظه : تخاصمه وتشاتمه .

2 شعر متمم : 128 .

3 الفارك : المبغضة لزوجها .

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحوي قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أحمد بن معاوية ، عن سلمويه بن أبي صالح ، عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبي عمرو الرازيّ قال : بينا طلحةُ والزُّبير يسيران بين مكّة والمدينة إذْ عرَضَ لهما أعرابيّ ، فوقفا ليمضيَ فوقف ، فتعجَّلا ليسبقاه فتعجَّل ، فقالا : ما أثقلَكَ يا أعرابيّ ، تَعجَّلنا لنسبقَك فتعجّلت ، فوقفنا لتمضيَ فوقفت ؟ فقال : لا إله إلاّ الله مُفْني أغدَرَ النّاس ، أغدر بأصحاب محمد ﷺ ؟ هَبانِي خِفتُ الضّلالَ فأحببت أن أستدلَّ بكما ؛ أو خِفتُ الوَحشة فأحببت أن أستأنس بكما . فقال طلحة : من أنت ؟ قال : أنا متمّم بن نويرة . فقال طلحة : واسوأتاه ، لقد مَلِلْنا غيرَ مملول . هاتِ بعض ما ذكرتَ في أخيك من البكاء . فزوّجوه أُمَّ خالد ، فبينا هو واضعٌ رأسَه على فخذها إذْ بكى فقالت : لا لإله إلاّ الله ، أما تنسى أخاك . فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

أقولُ لها لما نَهتْني عن البُكا أَفي مالكٍ تَلحَيْنني أُمَّ خالدِ
فإن كان إخواني أُصيبوا وأخطأتْ بني أُمّكَ اليومَ الحُتوف الرواصدُ[2]
فكلُّ بني أُمّ سيمسونَ ليلةً ولَم يَبْقَ من أَعيانِهم غيرُ واحدِ

أمّا معنى قول متمّم : [من الطويل]

وكنّا كندمانَيْ جذيمة حِقبة

فإنّه يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك ، وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عُدثان الأسْديّ[3] .

وكان الخبر في ذلك ما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السكري ، عن محمد بن حبيب . وذكر ابن الكلبيّ عن أبيه والشرقيّ وغيره من الرّواة أنّ جذيمة الأبرش ، وأصله من الأزد ، وكان أوّل مَن ملك قُضاعة بالحِيرة ، وأوّل مَن حَذا النّعال ، وأُدلج من الملوك ، ورُفِع له الشَّمَع ، قال يوماً لجلسائه : قد ذُكِر لي عن غلامٍ من لخم ، مُقيم في أخوالِهِ من إيادٍ ، له ظَرف ولُبٌّ ، فلو بعثتُ إليه يكون في نِدماني ، وولّيته كأسي والقيامَ بمجلسي ، كانَ الرأي ، فقالوا : الرأي ما رأى الملكُ ، فليبعثْ إليه . ففعل فلمّا قَدِم فَعل به ما أراد له ، فمكث كذلك مدّة طويلةً ثم أشرفَتْ عليه يوماً رَقاشِ ابنةُ الملك ؛ أختُ جذيمة ، فلَم تزلْ تراسلُه حتّى اتّصل بينهما ، ثم قالت له : يا عديّ ، إذا سقيتَ القوم فامزجْ لهم واسقِ الملك صِرفاً ، فإذا أخذَتْ منه

1 شعر متمم : 88 .
2 في هذا البيت إقواء .
3 الأسد : بسكون السين لغة في الأزد .

الخمر فاخطُبني إليه فإنّه يزوّجك ، وأَشهِد القومَ عليه إنْ هو فعل . ففعل الغلام ذلك فخطبَها فزوّجه ، وانصرف الغلامُ بالخير إليها فقالت : عرِّسْ بأهلك . ففعل فلمّا أصبحَ غَدا مضرَّجاً بالخَلُوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثارُ يا عديّ ؟ قال : آثار العُرس . قال : أيُّ عرس ؟ قال : عرس رَقاشِ . قال : فنخرَ وأكبَّ على الأرض ، ورفع عديٌّ جراميزه[1] ، فأسرع جذيمةُ في طلبه فلم يحسسْهُ ، وقيل إنّه قتله وكتب إلى أُخته : [من الخفيف]

حَدِّثيني رَقَــاشِ لا تكذِبيني ... أَبِحُــرٍّ زنيــتِ أَم بهجــينِ

أَم بعبدٍ فأنــتِ أَهــلٌ لعبــدٍ ... أَم بِــدُونٍ فأنتِ أَهــلٌ لدونِ

قالت : بل زوّجْتَني امرءاً عربيّاً . فنقَلَها جذيمة وحصَّنها في قصره ، واشتملت على حَملٍ فولدت منه غلاماً وسمّته عمراً وربَّتْه ، فلمّا ترعرع حَلَّته وعَطَّرتْه وألبسَته كُسوةَ مثلِهِ ، ثم أَرَتْه خالَه فأعجِبَ بِهِ ، وألقيَتْ عليه مِنه مَحَبّةٌ ومودّة ، حتّى إذا وصُف[2] خرجَ الغلمان يجتنون الكمأة في سنةٍ قد أكمأتْ ، وخرجَ معهم ؛ وقد خرج جذيمة فبسِط له في روضةٍ ، فكان الغلمانُ إذا أصابوا الكمأة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبَأها ، ثم أقبلوا يتعادَوْن وهو معهم يَقدُمهم ويقول : [من الرجز]

هــذا جنــايَ وخِياره فيــه ... إذْ كلُّ جــانٍ يــده إلى فيــهِ[3]

فالتزمه جذيمةُ وحَباه وقرُبَ من قلبه ، وحلَّ منه بكلّ مكان . ثم إنّ الجنّ استطارتـه ، فلَم يزلْ جذيمةُ يرسِل في الآفاق في طلبِهِ فلم يُسمَع له بخبر ، فكفَّ عنه . ثم أَقبل رجلانِ يقال لأحدهما عَقيل والآخر مالك ، ابنا فالج ، وهما يريدان الملكَ بهدية ، فنزلا على ماء ومعهما قينةٌ يقال لها أُمّ عمرو ، فنصبَتْ قدراً وأصلحت طعاماً ، فبينما هما يأكلانِ إذْ أَقبل رجلٌ أشعثُ أَغبر ، قد طالت أَظفارُه وساءت حاله ، حتّى جلس مَزْجَر الكلب ، فمدَّ يدَه فناولتْه شيئاً فأكله ، ثم مدّ يده فقالت : «إن يُعطَ العبدُ كُراعاً يتّسع ذراعاً»[4] فأرسلَتْها مثلاً . ثم ناولتْ صاحبيها من شرابها وأوكت[5] دَنّها ، فقال عمرو بن عديّ[6] : [من الوافر]

---

1 الجراميز : ما انتشر من الثياب .

2 وصف : شب .

3 هذا المثل في مجمع الميداني 2 : 138 و397 وجمهرة العسكري 2 : 136 ومستقصى الزمخشري 2 : 386 .

4 المثل «إن تعطِ العبد كراعاً يطلب ذراعاً» في مستقصى الزمخشري . وبلفظ «أعطي . . . فطلب . . .» في جمهرة العسكري 1 : 107 وفصل المقال : 397 .

5 أوكت : ربطت .

6 هذان البيتان في معلقة عمرو بن كلثوم .

صوت

صَددتِ الكأسَ عنّا أُمَّ عمرٍو وكان الكأسُ مَجراهـا اليمينا
ومـا شرُّ الثلاثـة أُمَّ عمرو بصاحبِـك الذي لا تَصبَحينا

غنّاه معبد فيما ذكر عن إسحاق في كتابه الكبير . وقد زعم بعض الرّواة أنّ هذا الشعر لعمرو بن معديكرب .

وأَخبرنا اليزيديّ قال : حدَّثنا الخليل بن أسد النُّوشجانيّ قال : حدّثنا حفص بن عمرو ، عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، أنّ هذا الشعر لعمرو بن معديكرب في ربيعةٍ بن نصرٍ اللخميّ .

رجع الحديث إلى سياقه

فقال الرجلان : ومَن أنت ؟ فقال : «إن تنكراني أو تنكرا نسبي ، فإنّني عمرو وعديّ أبي» ، فقاما إليه فلَثماه ، وغَسَلا رأسه وقلّما أُظفاره ، وقصّرا من لِمَّتِه ، وأُلبساه من طرائفِ ثيابهما وقالا : ما كُنّا لنهديَ إلى الملك هديّةً أنفس عنده ولا هو عليها أحسن صَفَدا[1] من ابن أخته ، فقد ردّه الله عزّ وجلّ إليه . فخرجا حتى إذا دَفَعا إلى باب الملك بشَّراه به ، فصرفَه إلى أُمِّه ، فألبستْه ثياباً من ثياب الملوك ، وجعلَتْ في عنقه طوقاً كانت تُلبِسه إيّاه وهو صغير ، وأَمرَتْه بالدّخول على خالِهِ ، فلمّا رآهُ قال : «شبّ عمرٌو عن الطوق»[2] فأرسلها مثلاً . وقال للرجلين اللذين قدما به : احكما فلكما حكمكما . قالا : منادمتُك ما بقيتَ وبقِينا . قال : ذلك لكما . فهما نديماً جذيمةَ اللذان ذكرهما متمّم ، وضَربت بهما الشعراءُ المثَل . قال أبو خِراشٍ الهذَليّ : [من الطويل]

أَلَـم تَعلمِي أَنْ قَـد تفرَّقَ قبلنا خليـلا صفـاءٍ مالِكٌ وعقيلُ

قال ابن حبيب في خبره : وكان جذيمةُ من أَفضل الملوك رأياً ، وأَبعَدِهم مُغاراً ، وأشدِّهم نكاية ، وهو أوّل من استجمع له الملكُ بأرض العراق ، وكانت منازلُه ما بين الأنبار وبَقّة وهِيت وعَين التمر ، وأطراف البرّ والقُطقطانة[3] والحيرة ، فقَصد في جموعه

---

1 الصفد : العطية .

2 المثل «شبّ عمرو عن الطوق» في جمهرة العسكري 1 : 547 ومستقصى الزمخشري 2 : 126 وفصل المقال : 125 وبلفظ «كبر عمرو . . .» في مجمع الميداني 2 : 137 .

3 القطقطانة : موضع قرب الكوفة .

عمرو بن الظَّرِب بن حسّان بن أُذينة بن السميدع بن هَوبر العامليّ ، من عاملة العماليق ، فجمَع عمرو جموعَه ولقيه ، فقتله جذيمةُ وفضّ جموعه . فانفلّوا[1] وملَّكوا عليهم ابنته الزبّاء ، وكانت من أحزم الناس ، فخافت أن تغزوَها ملوكُ العرب فاتّخذتْ لنفسها نَفَقاً في حصنٍ كان لها على شاطىء الفرات ، وسَكّرت الفراتَ في وقت قِلّة الماء ، وبنت أزجا[2] من الآجُرّ والكِلْس ، متَّصِلاً بذلك النفق ، وجعلتَ نَفقاً آخر في البرّيّة متّصلاً بمدينةٍ لأختها ، ثم أُجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدُوّاً دخَلت النفَق . فلمّا اجتمعَ لها أمرُها واستحكم مُلكها أجمعت على غَزْو جذيمة ثائرةً بأبيها ، فقالت لها أختُها وكانت ذاتَ رأيٍ وحزم : إنّكِ إن غزوتِ جذيمة فإنّه امرؤٌ له ما يصدّه ، فإن ظفرتِ أصبتِ ثأرَكِ ، وإن ظفِر بك فلا بقيّة لك ، والحربُ سِجال ، ولا تَدرين كيفَ تكون أَلَكِ أم عليك ؛ ولكن ابعثي إليه فأعلميه أنّكِ قد رغبتِ في أن تتزوّجيه وتجمعي ملكَك إلى ملكه ؛ وسَليه أن يجيبَك إلى ذلك ، لأنّه إن اغتر ففعل ظفِرتِ به بلا مُخاطَرة . فكتبت الزباء في ذلك إلى جَذيمة تقول له : إنّها قد رغِبَت في صلة بلدها ببلده ، وإنّها في ضعفٍ من سلطانها ، وقلّة ضبطٍ لمملكتها ، وإنّها لم تجد كفئاً غيره ، وتسأله الإقبالَ عليها وجَمْعَ مُلكِها إلى مُلكِهِ . فلمّا وصلَ ذلك إليه استخفَّه وطمع فيه ، فشاور أصحابَه فكلٌّ صوَّبَ رأيهُ في قصدها وإجابتها ، إلاّ قصيرَ بنَ سعدِ بن عمرو بن جَذيمة بن قيس بن هلال بن نُمارة بن نخم ، فقال : هذا رأيٌ فاتر ، وغَدرٌ حاضر[3] ، فإن كانتْ صادقة فلتُقْبلْ إليك وإلاّ فلا تمكنها من نفسك فتقعَ في حبالها وقدْ وتَرتها في أبيها . فلم يوافقْ جذيمةَ ما قال وقال له : «أنت امرؤٌ رأيك في الكِنّ لا في الضِّحّ»[4] . ورحلَ فقال له قصير في طريقه : انصرفْ ودمُك في وجهك . فقال جذيمة : «ببَقَّةَ قُضيَ الأمر»[5] فأرسلَها مثلاً . ومضى حتّى إذا شارف مدينتَها قال لقَصير : ما الرأي ؟ قال : «ببقّة تركتُ الرأي» . قال : فما ظنُّك بالزبّاء ؟ قال : «القولُ رِدافٌ ، والحزمُ عَيْرانَةٌ لا تخاف»[6] . واستقبله رسلُها بالهدايا والألطاف فقال : يا

1 أنفلوا : انهزموا .

2 الأزج : البيت المستطيل .

3 المثل «رأي فاتر وغدر حاضر» في مجمع الميداني 1 : 233 ومستقصى الزمخشري 2 : 92 .

4 الضح : الشمس والبارز من الأرض . والكن : البيت . وهذا المثل في مجمع الميداني 1 : 233 ومستقصى الزمخشري 2 : 380 .

5 المثل «ببقة قضي (صرم) الأمر» في مجمع الميداني 1 : 90 ومستقصى الزمخشري 2 : 6 وجمهرة العسكري 1 : 203 وفصل المقال : 125 ، وكذلك المثل «ببقة تركت (خلفت) الرأي» .

6 المثل «القول رداف والحزم عيرانة لا تخاف ، أو والحزم عترانة تخاف» في مجمع الميداني 1 : 234 .

قَصير ، كيف ترى ؟ قال «خطر يسير في خطب كبير»[1] ، وستلقاك الخيول ، فإن سارتْ أمامَك فالمرأةُ صادقة ، وإن أخذَتْ في جنبيك وأحاطت بِكَ فالقومُ غادرون . فلقيته الخيولُ فأحاطت به ، فقال له قصير : اركبِ العصا فإنها لا تُدرَك ولا تُسبَق ، يعني فرساً له كانت تُجنَب ، قبلَ أن يَحُولوا بينك وبين جنودك . فلم يفعلْ ، فجال قصيرٌ في ظهرها فمرّتْ به تعدو في أوّل أصحاب جذيمة . ولمّا أُحيط بجذِيمةَ التفتَ فرأى قصيراً على فرسه العصا في أوّل القوم ، فقال : «لَحازِمٌ مَنْ يُجرِي العصا في أوّل القوم»[2] . فذكر أبو عبيدة والأصمعيّ أنّها لم تكن تَقِف ، حتّى جرت ثلاثين ميلاً ، ثم وقفت فبالت هناك ، فبُنِي على ذلك الموضع برجٌ يسمَّى العصا ، وأُخِذ جذيمةُ فأُدخِلَ على الزباء فاستقبلتْه قد كشفت عن فرجها ، فإذا هي قد ضَفَرتِ الشعر عليه ، فقالت : يا جَذِيم أذاتَ عروسٍ تَرى ؟ قال : بل أُرى مَتاعٍ أَمَةٍ لكْعاءَ غيرِ ذاتِ خفر . ثم قال : بُلغ المَدى ، وجفَّ الثَّرى ، وأمرَ غدرٍ أُرى . قالت : واللهِ ما ذلك من عَدم مَواسٍ ، ولا قلّة أواس[3] ، ولكنّها شيمةُ ما أناسٍ . ثم قالت لجواريها : خُذْنَ بعَضُدِ سيِّدِكنَّ . ففعلنَ ثم دَعَتْ بنطعٍ فأجسلته عليه ، وأمرَت برواهشه[4] فقُطعت في طَستٍ من ذهب يسيلُ دمه فيه ، وقالت له : يا جَذيم لا يضيعنّ مِن دمك شيءٌ فإنّي أريده للخَبْل[5] . فقال لها : وما يَحزنُكِ من دمٍ أضاعَه أهله[6] . وإنّما كان بعض الكهّان قال لها : إنْ نَقط من دمه شيءٌ في غير الطست أُدرِكَ بثأره . فلم يزلْ دمُه يجري في الطِّست حتى ضعُف ، فتحرّكَ فنقطت من دمه نُقطة على أسطوانة رخامٍ ومات .

قال : والعرب تتحدّث في أنَّ دماء الملوك شفاءٌ من الخَبْل . قال المتلمس : [من الطويل]

من الدارميِّينَ الذين دماؤهــمْ شِفاءٌ من الداء المجَنَّةِ والخبلِ

قال : وجمعت دمَه في بَرنيّة وجعلتْه في خزانتها ، ومضى قصيرٌ إلى عمرو بن عبد الحُرّ التَّنوخيّ فقال له : اطلبْ بدم ابن عمّك وإلاّ سبَّتْك به العرب ، فلم يحفِل بذلك . فخرج قصيرٌ إلى عمرو بن عديّ ابن أخت جذيمة فقال : هل لك في أن أصرفَ الجنودَ إليك على

1 في سياق شرح المثل «خطب (خطر) يسير في خطب كبير» . وانظر مستقصى الزمخشري 2 : 174 .
2 المثل «ويل أمه حزماً على متن العصا» في مجمع الميداني 1 : 234 .
3 أواسي : جمع آسية وهي الخاتنة .
4 الرواهش : عروق في باطن الذراع .
5 الخبل : الجنون .
6 المثل «لا يحزنك دم أضاعه (هراقة) أهله» في مجمع الميداني 2 : 231 . ومستقصى الزمخشري 2 : 268 وجمهرة العسكري 2 : 235 .

أن تطلبَ بثأر خالك ؟ فجعلَ ذلك له ، فأتى القادةَ والأعلامَ فقال لهم : أنتم القادةُ والرؤساء ، وعِندنا الأموالُ والكنوز . فانصرفَ إليه منهم بشَرٌ كثير ، فالتقى بعمرٍو التنوخيّ فلمّا صافُّوا القتال تابَعه التنوخيّ ومالك بن عمرٌو بن عديّ . فقال له قصير : انظرْ ما وعدتَني في الزبّاء . فقال : وكيف وهي أمنعُ من عُقاب الجوّ[1] ؟ فقال : أمّا إذْ أبيتَ فإنّي جادعٌ أنفي وأُذُني ، ومحتالٌ لقتلها ، فأعِنّي وخَلاك ذمّ[2] . فقال له عمرو : وأنت أبصَر . فجدعَ قصيرٌ أنفه[3] ثم انطلق حتّى دخل على الزبّاء فقالت : مَن أنت ؟ قال : أنا قصير ، لا وربِّ البشَر ما كان على ظهر الأرض أحدٌ أنصحَ لجذيمة منّي ولا أغشَّ لكِ حتّى جدَع عمرو بن عديّ أنفي وأُذُني ، فعرفتُ أنّي لَن أكونَ مع أحد أثقلَ عليه منك . فقالت : أيْ قصيرُ نقبَل ذلك منك ، ونصرّفك في بِضاعتنا . وأعطتْه مالاً للتجارة ، فأتى بيت مالِ الحيرة فأخذ منه بأمر عديّ ما ظنَّ أنّه يُرضيها ، وانصرف إليها به ، فلمّا رأت ما جاء به فرحَتْ وزادته . ولم يزلْ حتّى أنستْ به فقال لها : إنّه ليس مِن ملكٍ ولا ملِكة إلاّ وقد ينبغي له أن يتّخذ نَفقاً يهرُب إليه عند حُدوث حادثة يخافها . فقالت : أمَا أنّي قد فعلتُ واتّخذْت نفقاً تحت سريري هذا ، يخرجُ إلى نفَقٍ تحت سرير أُختي . وأرَتْه إيّاه ، فأظهـرَ لها سروراً بذلك . وخرج في تجارته كما كان يفعل ، وعرف عمرُو بنُ عديٍّ ما فعله ، فركب عمرو في ألفَيْ دارعٍ على ألف بعير في الجَوالق حتّى إذا صاروا إليها تقدَّمَ قصيرٌ يسبق الإبـل ودَخـل على الزبّاء فقال لها : اصعَدي في حائط مدينتك فانظُري إلى مالكِ ، وتَقدّمي إلى بوّابِك فلا يعرضْ لشيءٍ من أعكامنا[4] ، فإنّي قد جئتُ بمالٍ صامت . وقد كانت أمِنته فلم تكن تتّهمه ولا تخافه ، فصعِدت كما أمرها فلمّا نظَرتْ إلى ثِقل مَشْي الجمال قالت ، وقيل إنّه مصنوع منسوب إليها : [من الرجز]

مـــا للجمالِ مشيُها وئيدا   أجندلاً يَحمِلنَ أم حديدا
أم صرَفاناً بـارِداً شديداً   أم الرجـــالُ جُثَّما قُعودا[5]

---

1 المثل «أمنع من عقاب الجو» في مجمع الميداني 1 : 235 والدرة الفاخرة 2 : 386 وجمهرة العسكري 2 : 227 ومستقصى الزمخشري 1 : 369 .

2 المثل «. . . وخلاك ذم» في مجمع الميداني 1 : 224 وفصل المقال : 313 ومستقصى الزمخشري 1 : 224 .

3 المثل «لأمر ما جدع قصير أنفه» في مجمع الميداني 1 : 235 والدرة الفاخرة 1 : 106 ومستقصى الزمخشري (حز) 1 : 240 وأمثال الضبي : 146 .

4 الأعكام : جمع عكم وهو العدل .

5 الصرفان : ضرب من التمر . وقيل الرصاص .

فلمّا دخل آخِرُ الجمال نَخس البوّابُ عِكماً من الأعكام بمِنخسةٍ معه ، فأصابت حاضرةَ رجلٍ فضَرَط ، فقال البوّاب : «شرٌّ والله عكمتم به في الجُوالقات[1] . فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف ، فانصرفت راجعةً فاستقبلها عمرو بن عدي فضربَها فقتلها ، وقيل بل مَصَّت خاتَمها وقالت : «بيدي لا بيدِ عمرو[2] . وخُربت المدينة وسُبيت الذراريّ ، وغنم عمرٌو كلَّ شيء كان لها ولأبيها وأختها . وقال الشعراء في ذلك تَذكُر ما كان من قصير في مَشُورته على جَذيمة ، وفي جدعه أنفَه ، فأكثروا . قال عديُّ بن زيد : [من الوافر]

ألا يا أيُّها المُثْرِي المرجِّي ألَم تَسمع بخَطْب الأوّلينا
دَعا بالبَقَّة الأُمراءَ يَوماً جذيمةَ ينتحي عُصَباً ثُبِينا[3]
فطاوَعَ أمرَهم وعصى قَصيراً وكان يقول لو سَمِع اليقينا

وهي طويلة . وقال المتلمّس يذكر جَدْع قصير أنفه :

ومِن حَذَر الأيّام ما حَزَّ أنفَه قصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيف بيهسُ

وفي هذا المعنى أشعارٌ كثيرة يطول ذِكرها .

[كان جذيمة ملكاً شاعراً]

وكان جَذيمة الملكُ شاعراً ، وإنّما قيل له الوضاح لبرصٍ كان به ، وكان يُعظِم أن يسمَّى بذلك ، فجعل مكانه الأبرشَ والوضَّاح . وهو الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

والمُلكُ كان لذي نُوا سٍ حَولَه تَردِي يحابرْ
بالسابغات وبالقَنا والبِيض تَبرق والمَغافرْ
أزمَانَ لا مُلكٌ يُجيـ ـر ولا ذِمامَ لِمَن يُجاورْ
أودى بهم غِيَرُ الزما نِ فمنجدٌ منهم وغائرْ

وهو الذي يقول : [من المديد]

ربَّما أوفيتُ في عَلَم تَرْفَعنْ ثوبي شمالاتُ
في شبابٍ أنا رابئهم هم لذي العَورةِ صِمّاتُ

1 المثل «شر في الجوالق» في مجمع الميداني 1 : 236 ومستقصى الزمخشري 2 : 130 .
2 المثل «بيدي لا بيد عمرو» في جمهرة العسكري 1 : 203 ، 226 وأمثال الضبي : 147 .
3 ينتحي : يقصد . والثبون : الجماعات من الناس ، مفردها ثُبة .

لَيتَ شعري ما أَطافَ بهم نحـن أدلجنـا وهُـم باتوا
ثُـمَّ أُبنـا غانِمِـينَ وكَم كَـرَّ نـاسٌ قبلنـا ماتوا

فيه غناء يقال إنّه ليمانٍ ، ويقال إنّه لمعبد ، ولم يصحّ .

صوت

[من البسيط]

في كَفِّـه خَيزُرانٌ ريحُـه عَبِقٌ من كفِّ أروعَ في عِرنينه شَمَمُ
يُغضي حياءً ويُغضى من مَهابته فمـا يُكلَّـم إلاّ حـين يبتسمُ

الشعر لحزينٍ بن سُليمان الدِّيلِيّ ، والغناء لإسحاق ، ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش ، وفيه لعريب رملٌ عملته على لحن ابن سُريج .

[302] ـ أخبار الحزين ونسبه [1]

[نسبه]

ذكر الواقديّ أنّه من كِنانة وأنّه صَليبة ، وأنَّ الحزين غلب [2] عليه ، وأن اسمه عمرو بن عبيد بن وُهَيب بن مالك ، ويكنى أبا الشَّعثاء ، بن حُرَيث بن جابر بن بُجير ، وهو راعي الشمس الأكبر ، بن يعمر بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة .

أُخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة ، عن الواقديّ .

قال : وأمّا عمر بن شبّة فإنّه ذكر أنَّ الحزين مولًى ، وأنّه الحزين بن سليمان ، ويُكنى سُليمان أبا الشعثاء ، ويُكنى الحزين أبا الحَكَم . من شعراء الدولة الأُمويّة حجازيّ مطبوعٌ ليس من فُحول طبقته . وكان هَجَّاءً خبيثَ اللسان ساقِطاً ، يُرضيه اليسير ، ويتكسَّب بالشَّرّ وهجاء النّاس ، وليس مِمّن خَدَم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ، ولا كانَ يَرِيم الحجاز حتّى مات .

[تعريف بعبد الله بن عبد الملك]

وهذا الشِّعر يقوله الحزينُ في عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وكان عبد الله من فِتيان بني أُميّة وظرفائهم . وكان حسنَ الوجه حسنَ المذهب ، وأُمُّه أمُّ ولد . وزَوجةُ عبدِ الله رملةُ بنت عبد الله بن عبد الله ، وعبد الله هذا هو عبد الحجر بن عبد المدان بن الديّان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو . وزوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن مطّلب بن أسَد بن عبد العزى بن قُصيّ ، تزوّجها [3] لِما كان يُقال إنّها ناتق [4] في وِلادها [5] ، فمات عنها ولم تَلِدْ له . فخلَفَه محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى ، وبناتٍ .

أُخبرني بذلك عُمر بن عبد الله بن جميل العَتَكي ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، ويحيى بن علي بن يحيى ، قالوا : حدَّثنا عمر بن شبّة عن ابن رَواحة وغيره . وأخبرني به الطّوسيّ والحِرْميّ عن الزُّبير عن عمّه .

---

1 للحزين الديلي ترجمة في المؤتلف والمختلف : 122–123 وانظر أعلام الزركلي .

2 ل : وقع .

3 الضمير هنا عائد إلى رملة .

4 الناتق : الكثيرة الأولاد .

5 الولاد : الولادة .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثني الزّبير قال : حدَّثني عمّي أنّ عبد الله بن عبد الملك حَج ؛ فقال له أبوه : سيأتيك الحزينُ الشاعر بالمدينة ، وهو ذَرِب اللسان ، فإيّاك أن تحتَجِب عنه ، وأرضِه . وصِفتُه أنّه أشعر[1] ذو بطنٍ عظيمُ الأنف . فلمّا قَدِمَ عبد الله المدينة وصفَه لحاجبه وقال له : إيّاك أن تردَّه . فلم يأتِ الحزين حتى قام فدخَلَ لينام ، فقال له الحاجب : قد ارتَفَعَ . فلمّا ولّى ذَكَرَ فلحقَه فقال : ارجعْ ، فاستأذنْ له فأدخِلْه . فلمّا صار بين يديه ورأى جمالَه وبهاءَه ، وفي يده قضيبُ خيزُران ، وقف ساكتاً . فأمهله عبدُ الله حتى ظنَّ أنّه قد أراح ثم قال له : السلامُ رحمكَ اللهُ أوّلاً . فقال : عليك السلامُ وحَيّا الله وجهَكَ أيُّها الأمير ، إنّي قد كنت مدحتُك بشعر ، فلمّا دخلتُ عليك ، ورأيت جمالَك وبهاءَك أذهلَني عنه فأنْسِيتُ ما كنتُ قلتُه ، وقد قلتُ في مقامي هذا بيتين . فقال : ما هما ؟ قال : [من البسيط]

في كفِّــه خيزرانٌ ريحُهــا عبِــقٌ ... مــن كفٍّ أروعَ في عرنينه شممُ
يُغضي حياءً ويُغضى مــن مهابته ... فمــا يكلَّــم إلاّ حــين يبتسمُ

فأجازه فقال : أخدمْني[2] أصلحك الله ، فإنّه لا خادم لِي . فقال : اختر أحد هذين الغلامين . فأخذ أحدَهما فقال له عبد الله : أعلينا تُرذِل[3] ، خُذ الأكبر .

[الخلاف في نسبة بيتين للحزين]

والنّاس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام ، التي أوّلها : [من البسيط]

هذا الذي تعرِف البطحاءُ وطأتَه ... والبيتُ يعرفــه والحِــلُّ والحرمُ

وهو غلطٌ ممّن رواه فيها . وليس هذان البيتان ممّا يُمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المُتعالَم ما ليسَ لأحد .

حدَّثني محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال : حدَّثني محمد بن عمر العدني قال : حدَّثني سفيان بن عيينة عن الزّهري قال : ما رأيت هاشِميّاً أفضلَ من علي بن الحسين .

[أخلاق علي بن الحسين]

حدَّثني محمد قال حدَّثنا يوسف بن موسى القطّان قال : حدَّثنا جرير بن المغيرة قال : كان علي بن الحسين يُبخَّل ، فلمّا مات وجدُوه يَعول مائةَ أهل بيتٍ بالمدينة .

---

1 الأشعر : الكثير الشعر .
2 أخدمني : اجعل لي خادماً .
3 ترذل : تأخذ الرذل الدون .

حدَّثني الحسن بن علي قال : حدَّثني محمد بن معرّس قال حدَّثنا محمد بن ميمون قال حدَّثنا سفيان عن ابن أبي حمزة الثُّمالي قال : كان علي بن الحسين يحمل جِرابَ الخبز على ظهره فيتصدّق به ويقول : «إنّ صدقة اللَّيْل تطفىء غضبَ الربّ» .

حدَّثني أبو عبد الله الصَّيرفيّ قال حدَّثنا الفضل بن الحسين المصري قال : حدَّثنا أحمد بن سليمان قال حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثنا سعد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع قال : قال علي بن الحسين : ما أكلتُ بقرابتي من رسول الله ﷺ شيئاً قطّ .

حدَّثنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدَّثني إسحاق بن موسى الأنصاريّ قال : حدَّثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يَدرون من أين عَيشُهم ، فلمّا مات علي بن الحسين فَقَدوا ما كانوا يُؤتَوْن به بالليل .

[أبيات الفرزدق]

وأمّا الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها ، فحدَّثني بها أحمد بن محمد بن الجعد ، ومحمد بن يحيى قالا : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حجّ هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساءُ أهل الشام ، فجهد أن يستلم الحجَر فلم يقدِر من ازدحام الناس ، فنُصِب له منبرٌ فجلس عليه ينظر إلى الناس ، وأقبل علي بن الحسين وهو أحسنُ النّاس وجهاً ، وأنظفُهم ثوباً ، وأطيبهم رائحة ، فطاف بالبيت ، فلمّا بلغ الحجرَ الأسودُ تنحَّى النّاس كلُّهم وأخلَوْا له الحَجَر ليستلمه ، هيبةً وإجلالاً له ، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : مَن هذا أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أعرفه ، وكان به عارفاً ، ولكنّه خافَ أن يَرغَب فيه أهل الشام ويَسمعوا منه . فقال الفرزدق وكان لذلك كلّه حاضراً : أنا أعرِفه ، فسَلْني يا شاميّ . قال : ومَن هو ؟ قال[1] : [من البسيط]

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأتَه ... والبيتُ يعرِفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عباد الله كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطّاهر العلمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يكادُ يُمسِكه عِرفانَ راحته ... رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
فليس قولُك مَن هذا بضائرِه ... العُرْب تعرِف مَن أنكرتَ والعجمُ

1 ديوان الفرزدق 2 : 179–180 .

أيُّ الخَلائق ليست في رقابهم ... لأوّليّةِ هذا أو لَهُ نِعَمُ[1]

مَن يعرِف الله يعرفْ أوّليّةَ ذا ... فالدِّين من بيتِ هذا ناله الأممُ

[حبس هشام للفرزدق لمديحه للحسين]

فحبسه هشام فقال الفرزدق[2] : [من الطويل]

أيحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوبُ الناس يَهوِي مُنيبُها

يُقلِّب رأساً لَم يكن رأسَ سيدٍ ... وعيناً له حَولاءَ بادٍ عيوبُها

فبعث إليه هشامٌ فأخرجه ، ووجّه إليه عليُّ بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال : أعذِرْ يا أبا فراس ، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثرُ من هذا لوصَلْناك به . فردّها وقال : ما قلت ما كانَ إلاّ لله ، وما كنتُ لأرزأ عليه شيئاً . فقال له عليّ : قد رأى الله مكانَكَ فشكرك ، ولكنّا أهلُ بيت إذا أنفذنا شيئاً ما نرجع فيه . فأقسم عليه فقبلها .

[الخلاف في نسبة هذا الشعر]

ومن الناس أيضاً مَن يروي هذه الأبياتَ لداود بن سَلْم في قُثَم بن العبّاس ، ومنهم مَنْ يرويها لخالد بن يزيد فيه ؛ فهي في روايته : [من البسيط]

كم صارخٍ بِك من راجٍ وراجيةٍ ... يَرجُوك يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثمُ

أيُّ العمائر ليست في رقابهمُ ... لأوّليّةِ هذا أوله نِعَمُ[3]

في كفِّه خيزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أروَعَ في عِرنينه شممُ

يُغضِي حياء ويُغضى من مهابته ... فما يُكلَّم إلاّ حينَ يبتسِمُ

ومِمّن ذكر لنا ذلك الصوليّ عن الغلابيّ عن مَهديّ بن سابق ، أنَّ داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأوّل في شعره في علي بن الحسين عليه السلام .

وذكر الرياشيّ عن الأصمعيّ أنّ رجلاً من العربِ يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال : [من البسيط]

يكاد يُمسِكه عِرفانَ راحتِهِ ... رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يَستلمُ

كم صارخ بِك من راجٍ وراجيةٍ ... في النّاس يا قثمَ الخيراتِ يا قثمُ

فأمر له بجائزة سنيّة .

---

1 الأولية : مفاخر الآباء والأجداد .

2 ديوان الفرزدق 1 : 47 مع بعض اختلاف .

3 العمائر : جمع عمارة ، وهي الحي العظيم أو هي دون القبيلة .

والصحيح أنّها للحزين في عبدالله بن عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة في إدخالِهِ البيتين في تلك الأبيات . وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة ، تنبىء عن نفسها . وهي : [من البسيط]

اللهُ يعلمُ أنْ قد جُبت ذا يمنٍ ثمَّ العراقَين لا يَثنيني السَّأمُ
ثم الجزيرةَ أعلاها وأسفلَها كذاك تَسري على الأهوالِ بِي القدمُ
ثم المواسِمَ قد أُوطنْتها زمناً وحيث تُحلَقُ عند الجمرة اللِّممُ
قالوا دِمشقُ يُنبِّيك الخبيرُ بها ثم ائتِ مصرَ فثَمَّ النائلُ العَمَمُ[1]
لمّا وقفت عليها في الجموع ضُحًى وقد تعرّضَتِ الحجّابُ والخَدَمُ
حَيّيته بسَلامٍ وهو مرتفقٌ وضَجَّةُ القومِ عند الباب تَزدحِمُ
في كفِّه خيزُران ريحُها عبقٌ من كفِّ أُروعَ ، في عِرنينه شممُ
يُغْضي حياءً ويُغضى مِنْ مهابته فما يكلِّم إلاّ حينَ يبتسمُ
ترى رؤوسَ بَني مَرْوانَ خاضعةً يمشُون حولَ ركابِهِ وما ظلموا
إنْ هشَّ هشُّوا له واستبشَروا جذَلاً وإنْ هُمُ آنسوا إعراضَه وجَموا
كلتا يديه ربيعٌ عند ذي خُلُفٍ بحرٌ يفيض وهادِي عارضٍ هزِمُ[2]

ومن الناس مَن يقول : إنّ الحزينَ قالها في عبد العزيز بن مروان ، لذكره دمشق ومصر . وقد كان ثَمَّ عبدُ الله بن عبد الملك أيضاً في مصر ، والحزين بها .

[الحزين يستهدي غلاماً]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى أبو غسّان عن عبد العزيز بن عمران الزُّهريّ قال : وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك ، وفي الرقيق أَخَوانِ ، فقال عبدُ الله للحزين : أيُّ الرّقيق أعجبُ إليك ؟ قال : ليخترْ لِي الأمير . قال عبد الله : قد رضيتُ لك هذا ، لأحدهما ، فإنّي رأيته حسنَ الصلاح . قال الحزين : لا حاجة لِي بِهِ فأعطِني أخاه . فأعطاه إيّاه . قال : والغلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز ، وتميم أبو محمد بن تميم ، وهو الذي اختاره الحزين . قال : فقال في عبد الله يمدحه : [من البسيط]

اللهُ يعلم أنْ قد جُبْتَ ذا يمنٍ

وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل .

1 العمم : الكثير .
2 الهادي : المقدم . والعارض : السحاب . والهزم : المتبعق الذي لا يستمسك .

[إقامة الحد على الحزين في الخمر]

أُخبرني وكيع عن محمد بن عليّ بن حمزة العلويّ قال : حدَّثنا أبو غسّان دَماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان على المدينة طائفٌ يقال له صفوان ، مولى لآلِ مَخرمةَ بن نوفل . فجاء الحزينُ الدِّيليّ إلى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حمارَه وذهب إلى العقيق فشرِب ، وأقبلَ على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحِمارُ حتّى وقفَ به على باب المسجد كما كان صاحبُه عوّده إيّاه . فمرّ به صفوانُ فأخذه فحبسَه وحبسَ الحِمار ، فأصبح والحِمارُ محبوسٌ معه . فأنشأ يقول : [من الوافر]

أيا أهــلِ المدينةِ خبِّروني   بأيٍّ جريرة حُبِس الحِمارُ
فما للعَيرِ من جُرمٍ إليكم   وما بالعير إنْ ظُلِم انتصارُ

فرَدُّوا الحِمار على صاحبه ، وضربوا الحزينَ الحدّ ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو في المسجد فقال : [من الطويل]

نشَدْتُك بالبيت الذي طيفَ حولَه   وزمـزمَ والبيتِ الحـرامِ المحجّبِ
لِزانيـــةٍ صفـــوانُ أم لعفيفـــةٍ   لأعلـــمَ مـا آتـي ومـا أتجنّبُ[1]

فقال مولاه : هو لِزانية . فخرج وهو ينادي : إنّ صفوان ابن الزانية ! فتعلّق به صفوانُ فقال : هذا مولاك يشهدُ أنّك ابنُ زانية . فخلّى عنه .

[نصيحته لابن عمّه في الزواج]

وقال محمد بن عليّ بن حمزة : وأُخبرني الرياشيّ أنّ ابن عمٍّ للحزين استشارَه في امرأةٍ يتزوّجها ، فقال له : إن لها إخوة مشائيم وقد رَدُّوا عنها غيرَ واحد ، وأخشى أن يردّوك فتُطْلِق عليك ألسُناً كانت عنكَ خُرْساً . فخطبها ولم يُقْبل منه فردّوه ، فقال الحزين : [من الطويل]

نهيتُك عن أمــرٍ فلَم تَقبل النُّهى   وحذَّرتك اليومَ الغُــواةَ الأشائما
فصرتَ إلى مـا لَم أكُـنْ منه آمِناً   وأشمتَّ أعدائـي وأنطقتَ لائِما
ومـا بهمُ مِن رغبةٍ عنك قلْ لَهُم   فـإن تسألوني تسألـوا بِـيَ عالِما

نسخت من كتاب لعليّ بن محمد الشاميّ[2] : حدَّثني أبو محلّم . ولَم يتجاوزه .

[يهجو ابن سهيل ويمدح سفيان بن عاصم]

وأُخبرني عيسى بن الحسن قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثني عمر بن سلام

---

1 في البيت إقواء .

2 ل : الساعي .

مولى عمر بن الجعّاب : أنّ الحزين الدِّيليّ خرجَ مع ابنٍ لسهيل بن عبد الرّحمن بن عوف ، إلى منتزهٍ لهم ، فسكر الحزينُ وانصرف ، فبات في الطريق وسُلِب ثيابَه ، فأرسل إلى ابن سهيلٍ يخبره الخبرَ ويستمنحه فلم يمنحْه ، وبلغ الخبرُ سفيانَ بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه ، وعوّضه ثمنَ ثيابه ، فقال الحزينُ في ذلك : [من المنسرح]

هَلاَّ سُهيلاً أشبهتَ أَو بعض أعما ... مك يـا ذا الخلائقِ الشكسَهْ
ضيَّعتَ نَدمانك الكريمَ ولَم تُشْـ ... ـفِقْ عليه من ليلةٍ نَحسَهْ
ثم تعالَلتَ إذْ أَتاك له ... صُبحاً رسولٌ بعِلَّة طفِسَهْ[1]
لكنّ سفيانَ لَم يكن وَكَلاً ... لَمّا أتتنا صِلاتُه سلِسَهْ[2]
سما به أروعٌ ونفسُ فتًى ... أَروعَ ليست كنفسك الدنِسَهْ

[هجاء بني كعب]

حدَّثنا الصُّولي قال : حدَّثنا ثعلب قال حدَّثني عبد الله بن شبيب قال : مرّ الحزين الدِّيليّ على مجلسٍ لبني كعب بن خُزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال : [من البسيط]

لا بارَكَ اللهُ في كعبٍ ومجلِسِهم ... ماذا تجمَّعَ من لؤمٍ ومن ضَرَعِ[3]
لا يدرُسون كتابَ الله بينهمُ ... ولا يصومون من حِرص على الشبعِ

فوثب إليه مشايخُهم فاعتذروا منه ، وسألوه الكفَّ وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله ، فأَجابهم وانصرف .

[يصرّ على هجاء كثير]

أَخبرني الحِرْميّ قال : حدّثنا الزُّبير قال : حدّثنا عمرو بن أَبي بكر المؤمّليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي عبيدة قال : كان الحزين قد ضرب على كلّ رجلٍ من قريش درهمين درهمين في كلِّ شهر ، منهم ابن أبي عَتيق ، فجاءهُ لأخذ دِرهميه وهو على حمارٍ أعجفَ ، قال : وكثيّر مع ابن أَبي عتيق ، فدعا ابن أَبي عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين : مَن هذا معك ؟ قال : هذا أَبو صخر كثيِّر بن أبي جمعة . قال : وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزين : أتأذن لِي أن أَهجوَه ببيت ؟ قال : لا لعمري لا آذنُ لك أن تهجو جليسي ، ولكن أشتري عرضَه منك بدرهمين آخرين . ودعا له بهما ، فأصغى ثمّ قال : لا بُدَّ لِي من هجائِهِ ببيت . قال : أَوَ أشتري

1 طفسة : قذرة .
2 الوكل : الذي يتكل على غيره .
3 الضرع : الذلّ والمهانة .

ذلك منك بدرهمين آخرين . ودَعا له بهما فأخذهما وقال : ما أنا بتارِكِه حتّى أهجوَه . قال : أوَ أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ فقال له كثيّر : ائذن له ، وما عسى أن يقول فيّ ؟ فأذِن له ابن أبي عتيق فقال : [من الطويل]

قصير القميص فاحش عند بيته يَعَضُّ القُراد باستِهِ وهــو قائمُ

فوثب كثيِّر إليه فوكَزه فسقط هو والحمار ، وخلَص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثيّر : قَبَحك الله ، أتأذن له وتبسطَ إليه يَدَك . قال كثيِّر : وأنا ظننته يبلغ في هذا كلِّه في بيتٍ واحد !

ولكثيِّر مع الحزين أخبار أُخَر قد ذُكِرَت في أخبار كثيِّر .

[جزعه لبيع قينة أخرجت عن المدينة]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني عمِّي عن الضحّاك بن عثمان قال : حدَّثني ابن عُروة بن أذينة قال : كان الحزين صديقاً لأبي وعشيراً على النبيذ ، وكان كثيراً ما يأتيه . وكان بالمدينة قَينةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غِشيانَها ، فبِيعت وأُخرِجت عن المدينة ، فأتى الحزينُ أبي وهو كئيبٌ حزين كاسمه ، فقال له أبي : ما لك يا أبا حكيم ؟ قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيّر [1] : [من الطويل]

لعمرِي لئن كانَ الفؤادُ من الهوى بَغــى سَقَمــاً إنِّــي إذاً لسقيمُ
سألت حكيماً أين شطَّت بها النَّوى فخبَّرني مــا لا أُحــبُّ حكيمُ

فقال له أبي : أنتَ مجنونٌ إن أقمتَ على هذا .

[كساه جعفر بن محمد فمدحه]

أخبرني أحمد بن سليمان الطُّوسيّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني مصعب قال : مرَّ الحزينُ على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث ، وعليه أطمارٌ ، فقال له : يا ابنَ أبي الشعثاء ، إلى أين أصبحت غادياً ؟ قال : أمتع الله بك ، نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرَّةَ يريد الحجّ ، وقد كنت وفدتُ إليه بمصرَ فأحسنَ إليَّ . قال : أَفَما وجدتَ شيئاً تلبسُه غير هذه الثياب ؟ قال : قد استعرت من أهل المدينة فلَم يُعِرني أحد منهم غير هذه الثياب . فدَعا جعفرٌ غلاماً فقال : ائتني بجبّة صوف ، وقميصٍ ورداء . فجاه بذلك فقال : أَبْلِ وأخلِقْ . فلمّا ولّى الحزينُ قال جُلساء جعفرٍ له : ما صنعتَ ؟ إنّه يَعمِد إلى هذه الثياب التي كسوتَه إيّاها فيبيعها ، ويُفسد بثمنها . قـال : مـا أُبالي إذا كافأتُه بثيابه ما صنعَ بِها . فسمع الحزينُ قولَهم وما ردَّ عليهم ، ومضى حتّى أتى عبدَ الله بن عبد الملك فأحسنَ إليه وكساه . فلمّا أصبح

---

1 ديوان كثير : 127 .

الحزينُ أتى جعفراً ومعه القومُ الذين لاموه بالأمس وأنشده : [من الطويل]

وما زال ينمو جعفرُ بنُ محمّدٍ إلى المجدِ حتّى عَبْهَلَتْهُ عواذِلُهْ[1]
وقُلن لـه هلْ مِن طريفٍ وتالد من المال إلاّ أنت في الحقِّ باذلُهْ
يُحاولنَه عن شِيمةٍ قد علِمنَها وفِي نفسه أمرٌ كريـمٌ يُحاوِلُهْ

ثم قال له : بأبي أنتَ وأمِّي ، سمعتُ ما قالوا وما رددْتَ عليهم .

[هجاؤه لأبي بعرة]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزّبير قال حدَّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : صَحِبَ الحزينُ رجلاً من بني عامر بن لؤيّ يلقّب أبا بعرة ، وكان استُعمِل على سِعايات[2] فلَم يصنعْ إليه خيراً ، وكان قد صحب قبله عَمرو بن مُساحق وسعد بن نوفل فأحمدهما[3] ، فقال له : [من الطويل]

صحبتُك عامـاً بعد سَعدِ بن نوفلٍ وعمرٍو فما أشبهتَ سعداً ولا عمرا
وجـادا كما قصّرت في طلبِ العُـلا فحُـزتَ بِـه ذمّـاً وحازا به شكرا

قال : وأبو بعرة هذا هو الذي كان يعبث بجاريةٍ لابن أبي عتيق ، فشكته إليه فقال لها : عِدِيهِ فإذا جاءَكِ فأدخِليه إليّ . ففعلَتْ فأدخلته عليه ، وهو وشيخ من نظرائه جالسان في حَجَلة[4] ، فلمّا رآهما قال : أقسم بالله ما اجتمعتما إلاّ على ريبة . فقال له ابن أبي عتيق : استر علينا سترَ الله عليك .

قال : وآل أبي بعرة هم موالي آل أبي سمير . قال : فلمّا وَلِيَ المهديُّ باعوا ولاءهم منه .

قال الزّبير : وأنشدني عمِّي تمامَ الأبياتِ التي هجا بها أبا بعرة ، وسمّاه لِي فقال : وكان اسمه عيسى ، وهي : [من الطويل]

أُولاك الجِعاد البِيض من آلِ مالكٍ وأنتـم بنـو قَينٍ لحِقتم بِهِ نَزْرا

نصب «نزرا» على الحال ، كأنّه قال : لحقتم به نزراً قليلاً من الرِّجالِ .

نسوِّق بيعـوراً أميراً كأنّـما نَسوق بِـهِ في كلِّ مَجمعةٍ وَبْرا[5]
فإن يكـن البيعـور ذمَّ رفيقُـه قـراه فقـد كانت إمارتُه نكْرا

---

1 عبهل : لام وعاتب .
2 السعاية : العمل على الصدقات .
3 أحمده : رضي فعله .
4 الحجلة : موضع يزين بالثياب والأسرة والستور للعروس ، أو هي ستر العروس في جوف البيت .
5 بيعور : عبث باسم أبي بعرة . والوبر : دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء يشبه بها الرجل تحقيراً له .

ومتّبع البيعورِ يرجُو نوالَه ... فقد زاده البيعورُ في فَقره فَقْرا

[هجاؤه لعمرو بن عمرو]

أخبرني الحِرْميّ قال: حدَّثني الزُّبير قال: حدَّثني صالح، عن عامر بن صالح قال: مدح الحزينُ عمرو بن عمرو بن الزُّبير فلَم يُعطِهِ شيئاً.

وأخبرني بهذا الخبر عمِّي تامّاً واللَّفظ له، ولَم يذكر الزُّبير منه إلاّ يسيراً، قال: حدَّثنا الكُرانيّ قال: حدَّثنا العمريّ قال: حدَّثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزُّبير بن العوّام منزلَه، فامتدحَه وسأله حاجةً، فقال له: ليس إلى ما تطلبُ سبيل، ولا نقدر أن نملأ الناس معاذيرَ، وما كلُّ مَن سألَنا حاجةً استحقّ أن نقضيها، ولرُبَّ مستحقٌ لها قد منعناه حاجتَه. فقال الحزين: أفَمِنَ المستحقِّين أنا؟ قال: لا والله، وكيف تكون مستحقّاً لشيءٍ من الخير وأنت تشتم أعراضَ النّاسِ وتهتِك حريمَهم، وترميهم بالمُعضِلاتِ، إنّما المستحقّ من كفَّ أذاه، وبذل نداه، ووقَمَ[1] أعداه. فقال له الحزين: أفمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تُبعِدني لا أُمّ لك من هذه المنزلة وأفضلَ منها! فوثب الحزينُ من عنده وأنشأ يقول: [من الوافر]

حَلفتُ وما صَبرتُ على يمينٍ ... ولَو أُدعى إلى أيمان صبرِ[2]
بربِّ الراقصاتِ بشُعثٍ قومٍ ... يُوافون الجِمارَ لصُبحِ عشرِ[3]
لَوَ انَّ اللؤم كان مع الثريَّا ... لكان حليفَه عمرُو بنُ عمرو
ولو أنّي عرفتُ بأنّ عمراً ... حليفُ اللؤم ما ضيَّعت شِعري

فقال العمري: وحدَّثني لقيطٌ أنّ الحزين قال فيه أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم، وجاءه فشكا إليه عَمراً، فوصله وأحسن إليه. قال: [من الطويل]

إذا لَم يَكُنْ للمرء فضلٌ يَزِينُه ... سِوى ما ادَّعى يوماً فليس له فَضلُ
وتَلقى الفتى ضخماً جميلاً رُواؤه ... يَرُوعك في النّادِي وليس له عقلُ
وآخرُ تنبو العين عنه مهذّب ... يجود إذا ما الضَّخم نَهْنَهَهُ البخلُ
فيا راجياً عمرو بنَ عمرٍو وسَيبَه ... أتعرف عمراً أم أتاه بك الجهلُ

---

1 وقم: أذل وقهر.

2 يمين الصبر: هي اليمين التي يحبسه السلطان حتى يحلفها.

3 الراقصات: الإبل ترقص في مشيها.

فإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطىء الفتى وإن كنتَ ذا حزم إذاً جارت النّبلُ
جهِلَت ابنَ عمرو فالتمس سيبَ غيره ودونك مرمًى ليس في جدّه هزلُ
عليك ابنَ مروان الأغرَّ محمداً تجدْه كريماً لا يطيش له نَبلُ

قال لقيط : فلمّا أنشد الحزينُ محمد بن مروان هذا الشعر أُمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال له : اكففْ يا أَخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمُك . فقال : لا والله ولا بحُمْرِ النَّعَم وسُودِها ، لو أُعطيتُها ما كففتُ عنه ، لأنّه ما علمتُ كثيرُ الشرِّ ، قليل الخير ، متسلِّط على صديقه ، فَظٌّ على أهله . «وخير ابن عمرو بالثريا معلق» .

فقال له محمد بن مروان : هذا شعر . فقال : بعد ساعةٍ يصير شعراً ، ولو شئت لعجَّلته . ثم قال : [من الطويل]

شرُّ ابنِ عمرٍو حاضرُ لصديقه وخَير ابن عمرٍو بالثريّا معلَّقُ
ووجهُ ابن عمرٍو باسرٌ إن طلبته نوالاً إذا جاد الكريم الموفَّقُ[1]
فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدَتْ كتائب هيجاء المنيّة تبرَقُ
فلا زال عمروٌ للبلايا دريّةً تباكِره حتّى يموت وتطرقُ[2]
يهرّ هريرَ الكلب عمرٌو إذا رأى طعاماً فما ينفكّ يبكي ويَشهقُ

قال : فزجره محمد عنه ، وقال له : أُفٍّ لك ، قد أكثرتَ الهجاء ، وأبلغت في الشَّتيمة .

قال العمريّ : وحدَّثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي ، قال : قال الحزين الدِّيليّ يهجو عمرو بن عمرو بن الزُّبير : [من الطويل]

لعمرك ما عمرو بن عمرٍو بماجدٍ ولكنّه كزُّ اليدين بخيلُ
ينام عن التّقوى ويُوقِظه الخنا فيخبطُ أثناءَ الظّلامِ يجولُ
فلا خَير في عمرٍو لجارٍ ولا له ذِمامٌ ولكنْ للئام وصولُ
مواعيدُ عمرٍو تُرَّهاتٌ ووجهُه على كلِّ ما قد قلت فيه دليلُ
جبانٌ وفحّاشٌ لئيمٌ مذمَّمٌ وأكذبُ خَلقِ الله حين يقولُ
كلام ابنِ عمرٍو صُوفةٌ وسطَ بَلقع وكفُّ ابنِ عمرٍو في الرَّخاء تطولُ
وإن حَزَبته الحازباتُ تَشنَّجتْ يداه ورمحٌ في الهَياجِ كليلُ

---

1 باسر : كالح .
2 الدريئة والدرية : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

فبلغ شعرُه عمراً فقال : ما له لعنَه الله ولعنَ مَن ولده ، لقد هجانِي بنيّةٍ صادقة ولسان صَنَعٍ ذَلْق ، وما عَداني إلى غيري . قال : فلقي الحزين عروة بن أُذينة الليثيّ فأنشده هذه الأبيات فقال له : وَيْحك ، بعضُها كان يكفيكَ ، فقد بنيتَها ولَم تُقِمْ أَوَدَها ، وداخَلْتَها وجعلتَ معانيها في أكمّتها . قال الحزين : ذلك والله أرغبُ للناس فيها . فقال له عروة : خيرُ الناس مَن حَلُم عن الجهّال ، وما أُراه إلاّ قد حَلَم عنك . فقال الحزين : حَلُم والله عنّي شاءَ أو أبى ، برغمه وصَغَره[1] .

[هجاؤه بني الزُبير]

قال العمريّ : فحدّثنا عطاء عن عاصم بن الحدثان قال : لَقِيَ شُبّانٌ من ولد الزُّبير الحزينَ ، فتناولوه بألسنتهم ، وهمُّوا بضربه ، فحال بينهم وبينه ابنٌ لُمصعب بن الزبير . فقال الحزينُ يهجوهم ويهجو جماعةً من بني أَسد بن عبد العُزّى ، سوى بني مصعب الذين منعوهم منه ، قال : [من الطويل]

لحـا الله حيّاً مـن قُريشٍ تحالفوا ... على البُخل بالمعروف والجودِ بالنُّكْرِ
فصاروا لخَلق اللهِ في اللؤمِ غاية ... بهم تُضرب الأَمثال في النثر والشعرِ
فيا عمرو لو أشبهت عمراً ومصعباً ... حُمِدتَ ولكنْ أنت منقبضُ البِشرِ[2]
بني أسدٍ ، سادَتْ قريشٌ بجودِها ... معـدّاً وسادتْكُمْ معدٌّ يَـدَ الدَّهرِ
تجود قريشٌ بالنَّـدى ورضيتمُ ... بنـي أَسد باللُّـؤم والذّلّ والغدرِ
أَعمرو بنَ عمرٍو ، لست ممّن تَعدُّه ... قريشٌ إذا ما كاثَروا الناسَ بالفخرِ
أبَـتْ لك يا عمرو بنَ عمرٍو دناءةٌ ... وخُلقٌ لئيم أن تَرِيش وأن تبرِي

[يهجو ويمدح على إطعامه]

أَخبرني الحِرْمي قال : حدَّثنا الزبير قال : حدَّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال : حدَّثني أبي قال : كان الحزين سفيهاً نَذْلاً يمدح بالنَّزْر إذا أُعطِيَه ، ويهجو على مثله إذا مُنِع ، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يَقْرِه ، فقال يهجوه بقوله : [من الطويل]

سِيروا فقـد جُـنَّ الظّلامُ عليكـم ... فباستِ الذي يرجو القِرى عند عاصمِ
ظَلِلنـا عليـه وهـو كالتّيس طاعِماً ... نَشُـدّ عـلى أكبادِنـا بـالعمائمِ

1 الصَّغَر : الذل والمهانة .
2 البشر في ل : الشبر .

وما لِي من ذنبٍ إليه علمتُه ... سوى أنّني قد جئتُه غيرَ صائمِ

فقيل له : إنّ عاصماً كثيراً ما تسمّي به قريش . فقال : أما والله لأبيّننّه لهم فقال : [من الطويل]

إليك ابن عثمان بن عفّان عاصم بـ ... ـنَ عمرٍو سرَتْ عَنْسي فخابَ سُراها

فقد صادفَتْ كزَّ اليَدَينِ مبخَّلا ... جباناً إذا ما الحرب شُبَّ لظاها

بخيلاً بما في رحلِه غير أنّه ... إذا ما خَلَتْ عِرسُ الخليل أتاها

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : قال الحزين لهلالِ بن يحيى بن طلحة قوله : [من الطويل]

هلالُ بن يحيى غُرّةٌ لا خَفا بها ... على النّاسِ في عُسرِ الزّمانِ ولا اليُسرِ

وسعدُ بن إبراهيم ظُفرٌ موسَّخٌ ... فهل يستريح الناسُ من وَسَخ الظفرِ

يعني سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان وليَ قضاءَ المدينة من هشام بن عبد الملك ، فلَم يُعطِ الحزينَ شيئاً فهجاه . وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

أتيتُ هلالاً أرتجي فَضْلَ سَيبِهِ ... فأفلتَنِي مِمّا أحبُّ هلالُ

هِلال بن يحيى غُرّةٌ لا خفا بها ... لكلِّ أُناس غُرّةٌ وهلالُ

صوت[1]

[من الطويل]

أَلَم تَشهدِ الجونينِ والشِّعب ذا الصَّفا ... وكَرّاتِ قَيس يوم دَيْرِ الجَماجِمِ

تحرَّض يا ابنَ القَينِ قيساً ليَجعلوا ... لقومك يوماً مثلَ يوم الأراقِمِ

بسيفِ أبي رَغْوان سيف مُجاشع ... ضربتَ ولَم تَضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

ضربتَ به عند الإمام فأُرعِشَتْ ... يداك وقالوا مُحدَثٌ غير صارمِ

الشعر لجرير ، والغناء لابن محرز ، ثقيل أوّل بالبنصر .

1 ديوان جرير : 461–462 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

303 ـ [جرير والفرزدق وضربة الرومي]

وهذه الأبياتُ يقولها جريرٌ يهجو الفرزدق ، ويعيِّره بضربةٍ ضربَها بسيفه رجلاً من الرّوم ، بحضرة سليمان بن عبد الملك فلَم يَصنَعْ شيئاً .

فحدّثنا بخبره في ذلك محمَّد بنُ العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أَبي شيخ قال : حدَّثنا صالح بن سليمان ، عن إبراهيم بن جبلة بن مَخْرَمة الكنديّ ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان ، ثم كان من أصحاب المنصور ، قال : كنتُ حاضراً سليمان بن عبد الملك .

وأخبرنا عليّ بن سليمان الأَخفش واليزيديّ عن السّكريّ عن محمد بن حبيب عن أَبي عبيدة ، وعن قتادة عن أبي عبيدة في كتاب النقائض ، عن رؤبة بن العجّاج قال : حجَّ سليمان بنُ عبد الملك ومعه الشُّعراءُ ، وحججْتُ معهم ؛ فمرَّ بالمدينة منصرِفاً فأُتِيَ بأسرى من الرُّوم نحوٍ من أربعمائة . فقعدَ سليمانُ وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسَن بن علي عليهم السلام ، وعليه ثوبان ممصَّران[1] ، وهو أَقربهم منه مجلساً ، فأَدنَوْا إليه بِطْرِيقَهم وهو في جامعةٍ[2] . فقال لعبد الله بن الحسن : قُمْ فاضرِب عنقه . فقام فما أعطاه أحدٌ سيفاً حتى دفع إليه حَرَسيٌّ سيفاً كليلاً ، فضربَه فأَبانَ عنقَه وذراعَه ، وأَطَنَّ[3] ساعدَه وبعضَ الغُلّ . فقال له سليمان : اجلسْ فوالله ما ضربتَه بسَيفك ولكن بحسَبك . وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه وإلى الناس فيقتلونهم ، حتّى دفع إلى جريرٍ رجلاً ، فدسَّتْ إليه بنو عبسٍ سَيفاً قاطِعاً في قِراب أبيض ، فضربَه فأبانَ رأسَه ، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فدسَّت إليه القيسية سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسيرَ ضَرَباتٍ فلم يصنع شيئاً . فضحك سليمانُ وضَحِك النّاس معه .

هذه رواية أبي عبيدة عن رؤبة .

وأمّا سليمان بن أَبي شَيخ فإنّه ذكر في خبره أنّ سليمان لّما دفع إليه الأسير دفعَ إليه سيفاً وقال له : اقتلْه به . فقال : لا بل أَضربهُ بسيفِ مُجاشِع ، واخترط سيفَه فضربَه به فلم يُغْنِ شيئاً . فقال له سليمان : أَما والله لقد بَقِيَ عليك عارُها وشنارُها ! فقال جرير قَصيدتَه التي يهجوه فيها ، ومنها الصوت المذكور ، وأوّلها قوله : [من الطويل]

---

1 الثوب الممصر : المصبوغ بالحمرة أو الصفرة الخفيفة .

2 الجامعة : الغل الذي يجمع اليدين إلى العنق .

3 أطن : قطع .

أَلاَّ حَـيِّ رَبْعَ المنزلِ المتقادِمِ وما حُلَّ مُذْ حَلَّتْ بِهِ أمُّ سالِمِ

وهي طويلة . فقال الفرزدق[1] : [من الطويل]

صوت

فهل ضَرْبَةُ الرُّوميِّ جاعلـةٌ لكم أبـاً عـن كُليبٍ أو أباً مِثـلَ دارمِ
كذاك سيوفُ الهِندِ تَنْبو ظُباتُها وتَقطع أحيانـاً مَنـاطَ التمائمِ
ولا نَقتُل الأَسرى ولكـنْ نفكُّهمْ إذا أَثقَـلَ الأَعناقَ حمـلُ المَغارِمِ

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لابن محرز ، ولم يجنّسه .

وقال يعرِّض بسليمان ويعيِّره بنبوِّ سيفِ ورقاءَ بن زهيرٍ العبسيّ عن خالدِ بن جعفر ، وبنو عبس أخوال سليمان ، قال[2] : [من الطويل]

فإنْ يـكُ سيفٌ خانَ أو قدرٌ أَتى بتعجيلِ نفسٍ حَتْفُهـا غير شاهدِ
فسيفُ بني عَبسٍ وقد ضَرَبوا بـه نَبا بيدَيْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ
كذاك سيوفُ الهنـدِ تنبو ظُباتُها وتقطـع أحيانـاً مَنـاطَ القلائدِ

ورُوِيَ هذا الخبرُ عن عَوانة بن الحَكَم ، قال فيه : إنّ الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هبْ لِي هذا الأسير . فوهَبَهُ له فأَعتَقَه ، وقال الأبياتَ التي تقدَّم ذِكرُها ، ثم أقبلَ على رُواته وأَصحابه . فقال : كأنّي بابنِ المراغةِ وقد بلغه خَبري فقال : [من الطويل]

بِسَيفِ أَبي رَغْوان سيفِ مُجاشع ضَربتَ ولم تَضْرِب بسيفِ ابنِ ظالمِ
ضربتَ بـه عِند الإمام فأُرْعِشَتْ يداكَ وقالوا مُحـدَث غير صارمِ

قال : فما لبثنا غير مدّةٍ يسيرة حتى جاءتنا القصيدةُ وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فِطنة الفرزدق .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا محمد بن عيسى بن حمزة العلويّ ، قال : حدَّثنا أبو عثمان المازنيّ قال : زعم جهم بن خلف أنّ رؤبة بن العجّاج حدَّثه ، فذكر هذه القصيدةَ وزاد فيها .

قال : واستوهب الفرزدقُ الأسيرَ فوهبَه له سليمان ؛ فأَعتَقَه وكساه ، وقال قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

1 ديوان الفرزدق 2 : 314 .
2 ديوان الفرزدق 1 : 157 .

ولا نقتُل الأسرى ولكن نفكُّهمْ ... إذا أُثْقِلَ الأعناقَ حَمْلُ المغارمِ

قال : وقال في ذلك : [من الطويل]

تَباشَرَ يربوعٌ بنبوةِ ضربةٍ ... ضَربتُ بها بين الطُّلا والحراقِدِ[1]

ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقه ... إلى عَلَق بين الحجابَين جامدِ

فإنْ يَنبُ سيفٌ أو تراخَتْ منيَّةٌ ... لِميقاتِ نَفْسٍ حتفُها غيرُ شاهِدِ

فسيفُ بني عبسٍ وقد ضَرَبوا بِهِ ... نَبا بيدَيْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ

قال : وقال في ذلك[2] : [من البسيط]

أَيضْحَكُ النّاسُ أن أُضحكتُ سيِّدَهم ... خليفةَ الله يُستَسْقى بِهِ المطرُ

فما نبا السيفُ عن جُبنٍ ولا دَهَش ... عند الإمام ولكنْ أُخِّرَ القدرُ

ولو ضَربتُ بِهِ عمراً مقلَّدَه ... لخرَّ جُثمانُه ما فوقَه شَعَرُ[3]

وما يقدِّم نفساً قبل مِيتَتِها ... جَمعُ اليَدَينِ ولا الصَّمصامةُ الذكَرُ[4]

[خبر يوم الجونين]

فأمّا يوم الجونين الذي ذكره جرير ، فهو اليوم الذي أُغار فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب على بني كلاب ، وهو يوم الرَّغام[5] .

أُخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن السكريّ عن ابن حبيب ، ودماذ عن أبي عبيدة وعن إبراهيم بن سعدان عن أبيه : أنّ عتيبةَ بن الحارث بن شهابٍ أغار في بني ثعلبة بن يربوعٍ على طوائفَ من بني كلابٍ يوم الجونين فاطّرد إبلَهم ، وكان أُنسُ بن العبّاس الأصمُّ ، أُخو بني رعلٍ من بني سليم ، مجاوِراً في بني كلاب ، وكان بين بني ثعلبة بن يربوع وبين بني رِعْل عهد : لا يُسفَك دم ولا يؤكل مال . فلمّا سمع الكلابيّون الدّعوى : يالَ ثعلبة ! يالَ عبيد ! يالَ جعفر ! عرفوهم ، فقالوا لأنس بن العبّاس : قد عَرَفنا ما بين بني رِعل وبني ثعلبة بن يربوع ، فأدرِكْهم فاحبسْهم علينا حتّى نلحق . فخرج أنسٌ في آثارهم حتى أدركَهم ، فلمّا دنا منهم قال عُتيبة بن

1 لم يرد هذا البيت في الديوان . والطلا : أصل الرقبة . والحراقد : جمع حرقدة وهي عقدة الحنجور .

2 ديوان الفرزدق 1 : 291 .

3 الديوان : ولو ضربت على عمد . . .

4 الديوان : ما يعجل السيف نفساً .

5 أيام العرب في الجاهلية : 370–372 والنقائض : 410 وما بعدها . والرغام : رملة بعينها في نواحي اليمامة .

الحارث لأخيه حنظلة : أغنِ عنّا هذا الفارس . فاستقبله حنظلةُ فقال له أنس : إنّما أنا أخوكم وعَقيدُكم ، وكنتُ في هؤلاء القوم فأغرتم على إبلي فيما أغرتم عليه ، وهو معكم . فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له : حيّاك الله ، وهلمّ فَوالِ إبلك ، أي اعزلْها . قال : والله ما أعرفها ، وبنو أخي وأهل بيتي معي وقد أمرتُهم بالركوب في أثري ، وهم أعرفُ بها منّي . فطلع فوارس بني كلاب فاستقبلَهم حنظلة بن الحارث في فوارس فقال لهم أنس : إنّما هم بَنيَّ وبنو أخي . وإنّما يريِّثُهم لتلحق فوارسُ بني كلاب . فلحقوا فحمَل الحَوثرةُ بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتلَه ، وحَمَل لأم بن سَلَمة أخو بني ضِبارى بن عبيد بن ثعلبة على الحوثرة هو وابن مُزنة أخو بني عاصم بن عبيد ، فأسَراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صَبْراً ؛ وهُزِم الكلابيّون ومضى بنو ثَعلبة بالإبل وفيها إبلُ أنس ، فلم تُقِرَّ أنساً نفسُه حتى اتّبعهم رجاءَ أن يُصيب منهم غِرّة وهم يسيرونَ في شَجْراء[1] . فتخلّف عتيبةُ لقضاء حاجته ، وأمسك برأسِ فرسه فلم يشعرْ إلاّ بأنسٍ قد مرّ في آثارهم ، فتقدَّم حتى وثب عليه فأَسَره ، فأتى به عتيبةُ أصحابَه ، فقال بنو عبيدة : قد عرفنا أنّ لأم بن سلمة وابن مزنة قد أُسرا الحوثرة فدفعاه إليك فضربت عنقه ؛ فأعقِبْهما في أنس بن عبّاس ، فمن قَتَلْتَه خيرٌ من أنس . فأبى عتيبةُ أن يفعل ذلك حتّى افتدى أنسٌ نفسَه بمائتي بعير . فقال العبّاس بن مرداس يعيِّر عتيبة بن الحارث بفعله : [من الكامل]

كثُر الضِّجاجُ وما سمعتُ بغادرٍ كعُتيبةَ بنِ الحارث بن شهابِ
جَلّلتَ حنظلة المَخانَةَ والخنا ودنِسْتَ آخَر هذه الأحقابِ[2]
وأَسَرتُمُ أنساً فما حاولتمُ بإسارِ جارِكُم بني المِيقابِ

الميقاب : التي تلد الحمقى . والوقْب : الأحمق . [من الكامل]

باستِ التي ولدتك واستِ معاشرٍ تَرَكوك تمرسهم من الأحسابِ

فقال عتيبة بن الحارث : [من الوافر]

غدرتمْ غدرةً وغدرتُ أُخرى فليسَ إلى توافينا سبيلُ
كأنّكمْ غداة بني كلابٍ ـ تفاقدتمْ ـ عليَّ لكم دليلُ

قوله : تفاقدتُمْ ، دعاء عليهم أن يفقد بعضُهم بعضاً .

1 الشجراء : الأرض الكثيرة الشجر .
2 المخانة : الخيانة .

صوت

[من الطويل]

وبالعُفْر دارٌ مِن جميلةَ هيجت سوالفَ حُبٍّ في فؤادكَ مُنصِبِ
وكنتَ إذا ناءت بها غربة النوى شديدَ القِوى لم تدر ما قولُ مِشْغَبِ
كريمة حُرِّ الوجه لم تدْعُ هالِكاً من القوم هُلكاً في غدٍ غيرِ مُعْقِبِ
أَسِيلةُ مَجرى الدّمع خُمصانةُ الحشا بَرُوق الثّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشرعَبِ

العُفْر : منازِل لقيس بالعالية . سوالف : مواضٍ . يقول : هيّجَتْ حبّاً قد كان ثُمَّ انقطع . ومُنصِب : ذو نصب . ونأت وناءت وبانت بمعنًى واحد ، أي بعدت . ومِشْغَب : ذو شغَبٍ عليك وخلافٍ في حبّها . ويروى : «مشعب» أي متعدّد يصرفك عنها . وقوله : «لم تَدعُ هالِكاً» أي لم تندبْ هالِكاً هلكَ فلم يُخْلِف غيره ولم يُعْقِب . ومعنى ذلك أنّها في عددٍ وقوم يخلفُ بعضُهم بعضاً في المكارم ، لا كمَن إذا مات سيد قومها أو كريمٌ منهم لم يقُمْ أحد منهم مقامه . والمشرعب : الجسيم الطويل . والشَّرعبيّ : الطويل .

الشعر لطفيلٍ الغنوي[1] ، والغناء لجميلة ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشامي . وذكره حماد عن أبيه أنّه لها ولم يجنّسه . وروى إسحاق عن أبيه عن سياط عن يونس أنّ هذا أحسن صوتٍ صنعته جميلة .

1 ديوان الطفيل الغنوي (تحقيق محمد عبد القادر أحمد ـ دار الكتاب الجديد) : 17–18 .

[304] ـ نسب الطُّفَيل الغَنَويّ وأَخباره[1]

قال ابن الكلبيّ : هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضُبَيْس بن خُليف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غَنْمْ بن غَنيّ بن أَعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان .

ووافقه ابن حبيب في النسب إلاّ في خلف بن ضبيس فإنّه لم يذكر خلَفا وقال : هو طفيل بن عوف بن ضبيس . قال أبو عبيدة : اسم غنيّ عمرو ، واسم أَعصُر منبه ، وإنّما سمِّيَ أَعصُرَ لقوله : [من الكامل]

قالتْ عُميرةُ ما لرأسِكَ بعدما ... فُقِدَ الشبابُ أَتى بلونٍ منكَرِ
أَعُمَير إنَّ أَبـــاكِ غيَّر رأسَه ... مــرُّ الليالي واختلافُ الأعصرِ

فسمِّي بذلك .

وطفيلٌ شاعر جاهليّ من الفحول المعدودين ، ويكنى أَبا قُرَّان ، يقال إنّه من أَقدَم شعراء قيس . وهو من أوصف العرب للخيل .

[نعّات الخيل]

أَخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دُلَفَ الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريبٍ الأنصاريّ قال : قال لي عمِّي : إنّ رجلاً من العربِ سمِعَ الناسَ يتذاكرون الخيل ومعرفتَها والبَصَر بها ، فقال : كان يقال إنّ طفيلاً رَكِبَ الخيلَ ووليَها لأهله ، وإنّ أبا دُوادٍ الأيادي مَلكها لنفسه ووليها لغيره ، كان يليها للملوك ، وأنّ النابغة الجعديّ لمّا أسلمَ النّاسُ وآمَنوا اجتمعوا وتحدَّثوا ووصفوا الخيل ، فسمِعَ ما قالوه فأضافَه إلى ما كان سمِعَ وعَرَف قبل ذلك في صفة الخيل . وكان هؤلاء نُعَّاتَ الخيل .

أَخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا عبد الرحمن ، قال حدَّثني عمِّي قال : كان طفيلٌ أَكبرَ من النابغة ، وليس في قيس فحلٌ أقدَم منه .

قال : وكان معاوية يقول : خلُّوا لِي طُفَيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء .

أَخبرني عبد الله بن مالك النحويّ قال : حدَّثنا محمد بن حبيب قال : كان طفيلٌ الغنويّ يُسمَّى «طُفيلَ الخيل» لكثرة وصفِهِ إيّاها .

---

1 للطفيل بن كعب الغنويّ ترجمة في الشعر والشعراء : 364–365 والمؤتلف والمختلف : 207 والسمط : 210 وخزانة البغدادي 9 : 45–46 .

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ خطيب مسجد القادسية ، قال : حدَّثني الرياشيّ قال : حدَّثني الأصمعيّ قال : كان أهل الجاهلية يسمُّون طفيلاً الغَنويَّ «المحبَّر» ؛ لحُسْن وصْفِه الخيل .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد قال : قال أبو عبيدة : طُفيلٌ الغَنَويّ ، والنّابغة الجَعْدِيّ ، وأبو دُوادٍ الإياديّ ، أعلَم العرب بالخيل وأوصفُهم لَها .

[أعفّ بيت وأجود بيت في الحرب والصبر]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال : حدَّثنا العمريّ عن لقيط قال : قال قتيبة بن مسلم لأعرابيّ من غَنيّ قِدَم عليه من خُراسان : أيُّ بيتٍ قالته العربُ أعفُّ ؟ قال : قولُ طفيلٍ الغنويّ[1] : [من البسيط]

ولا أكونُ وِكاءَ الزّادِ أحبسه لقد علمت بأنّ الزّادَ مأكولُ

قال : فأيُّ بيتٍ قالته العرب في الحرب أجْودَ ؟ قال : قول طفيل[2] : [من الطويل]

بحـيٍّ إذا قيـل اركبوا لم يقل لهم عَواويرُ يَخْشَوْنَ الرَّدى أين نَركَبُ

قال : فأيّ بيتٍ قالته العرب في الصَّبر أجود ؟ قال : قول نافع بن خليفة الغنويّ : [من الطويل]

ومِن خيرِ مـا فينا من الأمر أنّنا متى ما نُوافِي مَوطِنَ الصَّبر نصبرُ

قال : فقال قتيبة : ما تركت إخوانك من باهلة ؟ قال : قول صاحبهم[3] : [من الطويل]

وإنّا أُنـاسٌ مـا تَزالُ سَوامُنا تنـوِّر نيـرانَ العـدوِّ مَناسِمُه
وليس لنا حـيٌّ نُضافُ إليهمُ ولكن لَنا عَودٌ شديد شكائمه
حـرامٌ وإن صَلَّيتَـه ودَهنته تأوُّده ما كان في السيف قائمُه

وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يقولها طفيلٌ في وَقْعةٍ أوقعها قومُه بطيء ، وحربٍ كانت بينَه وبينهم .

[غزوه لطييء]

وذكر أبو عمرٍو الشيبانيُّ والطُّوسيُّ فيما رواه عن الأصمعيّ وأبي عبيدة : أنَّ رجلاً من غنيّ ، يقال له قيس النَّدامى ، وَفَدَ على بعض الملوك ، وكان قيسٌ سَيِّداً حواداً ، فلمّا حفَل

1 ديوانه : 58 .
2 ديوانه : 42 . والعواوير : جمع عُوّار وهو الضعيف الجبان السريع إلى الفرار .
3 جاء البيتان الأول والثاني في ديوان طفيل : 112–113 ولم يرِد الثالث ، مع أن النص هنا يقطع بأن الأبيات لرجل من باهلة ، ولم يشر محقق الديوان إلى شيء من ذلك .

المجلسُ أقبلَ الملك على مَن حضره من وفود العرب فقال : لأَضَعَنَّ تاجي على أكرمِ رجلٍ من العرب . فوضعه على رأسِ قيس وأعطاه ما شاء ، ونادمَه مُدّة ، ثم أُذِن له في الانصراف إلى بلده . فلمّا قرُب من بلاد طيىءٍ خرجوا إليه وهم لا يعرفونه ، فلقُوه برَمّان فقتلوه . فلمّا علِموا أنّه قيس ندِموا لأياديه كانت فيهم ، فدفنوه وبنوا عليه بيتاً . ثم إنّ طُفيلاً جمع جموعاً من قيس فأغارَ على طيىءٍ فاستاقَ من مواشيهم ما شاء ، وقتل منهم قَتلى كثيرة . وكانت هذه الوقعة بين القَنان وشرقيّ سَلْمى ، فذلك قول طفيل في هذه القصيدة[1] : [من الطويل]

فذُوقــوا كما ذُقْنــا غَداةَ محجَّرٍ مــن الغَيْظِ في أكبادِنا والتحوُّبِ[2]

فبِالقتــلِ قَتْــلٌ والسَّوامُ بمثلِـهِ وبــالشَّلّ شَلٌّ الغائــطِ المتصوِّبِ[3]

أخبرني عليّ بن الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الحارث بن محمد ، عن المدائنيّ ، عن سلمة بن محارب قال : لمّا مات محمد بن الحجّاج بن يوسف جزِعَ عليه الحجّاجُ جزَعاً شديداً ، ودخل النّاسُ عليه يعزّونه ويسلُّونه ، وهو لا يَسلُو ولا يزداد إلاّ جزَعاً وتفجُّعاً ، وكان فيمن دَخَلَ عليه رجلٌ كان الحجّاج قتلَ ابنَه يومَ الزاوية ، فلمّا رأى جزعَه وقلّة ثَباته للمصيبة شمِتَ بِهِ وسُرّ لما ظَهَر له منه ، وتمثَّلَ بقول طُفيل : [من الطويل]

فذُوقوا كما ذُقْنــا غــداةَ محجَّرٍ من الغَيظ في أكبادِنا والتحوّبِ

وفي هذه القصيدة يقول طُفيل : [من الطويل]

تَرى العينُ ما تَهوى وفيها زيادةٌ من اليُمْنِ إذْ تبدو ومَلْهًى لملعبِ

وبيت تهــبُّ الرِّيحُ في حَجَراتِهِ بــأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّبِ[4]

سَماوتُــه أسمــالُ بُــرْدٍ محبَّرٍ وصَهوته مِنْ أَتحميِّ معصَّبِ[5]

[أكرم بيت وصفته العرب]

أُخبرني عيسى بن الحسين بن الورّاق قال : حدَّثنا الرياشيّ عن العتبيّ عن أبيه قال : قال عبد الملك بن مَرْوان لولده وأهلِهِ : أيُّ بيتٍ ضربته العربُ على عصابة ووصفَتْه أشرفُ حِواء ، وأهْلاً وبناء ؟ فقالوا فأكثروا ، وتكلَّم مَن حضَرَ فأطالوا ، فقال عبد الملك : أكرم بيتٍ وصفته العرب بيت طُفيلٍ الذي يقول فيه : [من الطويل]

1 هذه البائية أولى قصائد الديوان وتتألف من 77 بيتاً (17–36) .
2 التحوب : التوجع .
3 الغائط : يقال غاط في الوادي إذا ذهب إليه . والتصويب : الانحدار .
4 الحجرات : النواحي ، مفردها حَجرة .
5 وصهوته في ل : وسائره .

وبيتٍ تهبُّ الرّيحُ في حَجَراتِهِ بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّبِ
سَماوتُهُ أَسمالُ بُردٍ محبَّرٍ وصَهوتُه من أتحميٍّ معصَّبِ[1]
وأَطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها صُدورُ القَنا من بادئٍ ومعقبِ[2]
نصبتُ على قومٍ تُدِرّ رماحُهم عروقَ الأعادِي من غَريرٍ وأَشْيَبِ

[طفيل يمنّ على قبيلتين]

وقال أَبو عمرو الشيبانيّ : كانت فزارةُ لقِيتْ بني أَبي بَكر بن كلاب وجيرانَهم من مُحارب ، فأَوقعت بهم وقعةً عظيمة ، ثم أَدركتْهم غنِيٌّ فاستنقذَتْهم ، فلمّا قتلتْ طيّئٌ قيس النَّدامى ، وقتلتْ بنو عَبسٍ هُرَيم بنَ سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشة بن عبيد بن سعد بن كعب بن جِلاّن بن غَنْم بن غنيّ ، وكان فارساً حَسِيباً قد ساد ورأس ، قتله ابن هِدْم العبسيّ طريد الملك ، فقال له الملك[3] : كيف قتلته ؟ قال : «حملت عليه في الكَبّة ، وطعنته في السَّبّة ، حتى خرجَ الرّمح من اللَّبّة»[4] . وقُتِل أسماءُ بن واقدِ بن رُفَيد بن رياح بن يربوع بن ثَعْلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جِلاّن ، وهو من النجوم ، وحصن بن يربوع بن طريف وأُمُّهم جُندع بنت عمرو بن الأغرّ بن مالك بن سعد بن عوف . فاستغاثت غنِيٌّ ببني أَبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم . فقال طُفيل في ذلك يمنُّ عليهم بما كان منهم في نُصرتهم ، ويرثي القتلى ، قال[5] : [من الطويل]

تأَوَّبَنِي هَمٌّ من اللَّيْلِ مُنْصِبُ وجاء من الأَخبارِ ما لا أُكذِّبُ
تتابَعْنَ حتّى لم تكنْ لِيَ رِيبةٌ ولَم يَكُ عمّا خبَّروا مُتعقَّبُ[6]
وكان هُرَيمٌ من سِنانٍ خليفةً وحصنٍ ومن أَسماءَ لَمّا تَغَيَّبوا
ومن قيسٍ الثّاوي بِرَمّانَ بيتُه ويومَ حَقِيلٍ فادَ آخرُ مُعجِبُ[7]
أشمُّ طويلُ السّاعدين كأنّه فَنِيقُ هِجانٍ في يديه مُرَكَّبُ[8]

---

1 سماوتُه : أعلاه . الأتحمي المعصب : ضرب من برود اليمن .
2 البادىء : الذي غزا أول غزوة . والمعقب : الذي غزا مراراً .
3 هو النعمان بن المنذر كما في اللسان (سبب) .
4 الكبة : الحملة في الحرب . والسبة : الإست . واللبة : وسط الصدر والمنحر .
5 ديوان : 37–40 .
6 الديوان : تظاهرن . ولم يك . . . متعقب : لم أُستطع تعقب أخبارهم بتكذيب ما ظهر .
7 رَمان : الموضع الذي قتل فيه قيس الندامى كما تقدم . وحقيل : موضع في بلاد بني أسد . وفاد : مات .
8 لم يرد هذا البيت في الديوان . والفنيق : الفحل المكرم .

ربالسَّهبِ ميمــونُ النَّقيبة قولُـــه   لملتمس المعروف أُهــلٌ ومَرحَبُ

صوت

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضّ كوكبٌ   بَدا وانجلت عنه الدُّجُنَّةُ كَوكبُ

الغناء لسليم أُخِي بابويه ، ثاني ثقيل عن الهشامي . وهي قصيدةٌ طويلة ، وذكرتُ منها هذه الأبياتَ من أجلِ الغناء الذي فيها . ومن مختار مرثيته فيها قوله :   [من الطويل]

لعمري لقد خَلَّى ابنُ جندع ثَلمةً   ومن أَينَ إنْ لَم يرأَب اللهُ تُرأَبُ[1]
ندامايَ أَمسَوْا قــد تخلَّيتُ عنهمُ   فكيف أَلَذُّ الخمرَ أَم كيف أَشربُ
مضَوْا سلَفــاً قَصْدَ السَّبيل عليهم   وصَرْف المنايـــا بالرِّجالِ تقلّبُ

صوت

[من السريع]

فَدَيت مَـن بــاتَ يغنِّيني   وبـــتُّ أُسقِيـهِ ويَسْقيني
ثم اصطبَحْنا قَهوةً عُتِّقَتْ   مِن عَهــدِ سابورَ وشِيرِينِ[2]

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القَرْعة ، ولحنه فيه رمل أُوّل بالبنصر ، لا نعرف له صنعة غيره .

1 ابن جندع في الديوان : ابن خندع .
2 وشيرين في ل : وشروين .

[305] ـ نسب محمد بن حمزة بن نُصَير الوصيف وأخباره

هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور ، ويُكنى أبا جعفر ، ويلقَّب وَجهَ القَرعة .

وهو أحد المغنّين الحُذّاق الضُرّاب الرُّواة . وقد أخَذ عن إبراهيم الموصليّ وطبقتِه ، وكان حسنَ الأداء طيِّبَ الصوت ، لا علّة فيه ، إلاّ أنّه كان إذا غنّى الهَزَجَ خاصّةً خرج بسببٍ لا يعرف ، إلا لآفة تعرض للحِسّ في جنسٍ من الأجناس فلا يصحُّ له بتّةً .

[إسحاق يثني عليه]

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أنّ إسحاق بن محمد الهاشميّ حدَّثه عن أبيه ، أنّه شهد إسحاقَ بن إبراهيم الموصليَّ عند عمّه هارون بن عيسى ، وعنده محمد بن الحسن بن مُصعَب ، قال : فأتانا محمدُ بن حمزةَ وجهُ القَرعة ، فسرَّ به عمِّي . وكان شرسَ الخُلُق أبيَّ النَّفس ، فكان إذا سُئل الغِناءَ أباهُ ، فإذا أُمسِكَ عنه كان هو المبتدىء بِهِ ، فأمسكْنا عنه حتّى طلبَ العُودَ فأُتِيَ بِهِ فغنَّى ، وقال : [من مجزوء الرمل]

مـرَّ بِـي سِربُ ظِباء رائحـاتٍ مـن قُبـاء

قال : وكان يُحسِنه ويُجيده ، فجعل إسحاقُ يشرب ويستعيده حتّى شرب ثلاثة أرطال ثم قال : أحسنتَ يا غلام ، هذا الغناء لِي وأنت تتقدّمُني فيه ، ولا يُخلقُ الغناءُ ما دام مثلُك ينشأ فيه .

[مخارق يعجب بغنائه]

قال : وحدَّثني إسحاق الهاشميّ عن أبيه قال : كنّا في البستان المعروف ببستان خالصٍ النصرانيّ ببغداد ، ومعنا محمد بن حمزة وجهُ القرعة ، فيغنّينا قولَه : [من مجزوء الكامل]

يـا دارُ أقفـرَ رسمُهـا بين المحصَّبِ والحَجُونِ
يـا بشرُ إنِّي فاعلمي واللهِ مجتهـداً يمينـي

فإذا برجل راكب على حمارٍ يؤمُّنا وهو يصيح : أحسنتَ يا أبا جعفر ، أحسنتَ واللهِ ! فقلنا : اصعد إلينا كائناً مَن كنت . فصعِد وقال : لو منعتموني من الصُّعود لما امتنعتُ . ثم سَفَرَ اللِّثامَ عن وجهه فإذا هو مُخارِق ، فقال : يا أبا جعفر أعِدْ عليَّ صوتَك . فأعاده فشرِب رِطلاً من شرابنا وقال : لولا أنّي مدعوّ إلى خدمة الخليفةِ لأقمتُ عندكم واستمعتُ هذا الغناء الذي هو أحسَنُ من الزَّهَر ، غِبَّ المَطَر .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

منها : [من مجزوء الكامل]

صوت

مرَّ بِـي سِربُ ظِباء رائحـاتٍ مـن قُباء
زُمَـراً نحـوَ المصلَّى يَتَمشَّينَ حِـذائِي
فتجاسَـرتُ وألقيْـ ـتُ سَرابيـلَ الحياء
وقديمـاً كان لَهْوِي وفُتونِـي بـالنِّساء

الغناء لإسحاق ممّا لا يشكّ فيه من صنعته ، ولحنه من ثقيلٍ أوَّلَ مطلقٍ في مجرى الوسطى . وذكر محمد بن أحمد المكّي أنّه لجدِّه يحيى . وذكر حبشٌ أنّ فيه لابنَ جامع ثانِيَ ثقيلٍ بالوسطى .

ومنها[1] : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـا بِشرُ إنّي فاعلمِي واللهِ مُجتهـداً يمينـي
ما إن صرمتُ حِبالَكمْ فصِلِي حبالِي أو ذَرِينِي
استبدَلُوا طَلَبَ الحِجا زِ وسُرَّةِ البلـدِ الأمينِ
بحدائـقٍ محفوفـةٍ بالبيتِ من عِنَبٍ وتِينِ
يـا دارُ أقفَـرَ رسمُهـا بين المحصَّبِ والحَجُونِ
أقـوَتْ وغيَّرَ آيَهـا طُـولُ التَّقادُمِ والسِّنينِ

الشعر للحارث بن خالد ، والغناء لابن جامع في الأربعة الأبيات الأُوَل ، رمل بالوسطى ، ولابن سريج في الخامس والسادس والأوّل والثاني ثقيل أوّل بالبنصر .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن مهرويَه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني الفضل بن المغنِّي ، عن محمد بن جبر قال : دخلنا على إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ نعودُه من علّةٍ كانَ وجدَها ، فصادفْنا عنده مُخارِقاً ، وعَلُّويَه ، وأحمد بن المكّيّ وهم يتحدَّثون ، فاتَّصل الحديث بينهم ، وعرضَ إسحاقُ عليهم أن يقيموا عندَه ليتفرَّجَ بهم ، ويُخرجَ إليهم سِتارَته يغنُّون من ورائها . ففعَلوا وجاء محمد بن حمزة وجهُ القَرعة على تفئة

1 شعر الحارث بن خالد : 107 وفيه يا بسر .

ذلك فاحتبسه إسحاقُ معهم ، ووُضِع النبيذُ وغَنَّوا ، فغنَّى مخارقٌ أو عَلُّويَه صوتا من الغناء القديم ، فخالفه محمدٌ فيه وفي صانعه ، وطال مِراؤهما في ذلك ، وإسحاقُ ساكت ، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمدٍ . وراجعه علويه ، فقال له إسحاق : حسبُك ، فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسِهِ منه . ثم غنَّى أحمد بن يحيى المكّيّ قوله :

قُل للجُمانةِ لا تَعْجَلْ بإسراج

فقال محمد : هذا اللَّحن لمعبد ولا يُعرف له هزَجٌ غيره . فقال أحمد : أمّا على ما شَرَطَ أبو محمّد آنفاً من أنّه ليس في الجماعة أدرى بِما يَخرُج من رأسِهِ منك فلا مُعارضَ لك . فقال له إسحاق : يا أبا جعفرٍ ، ما عنيتُك والله فيما قلتُ ، ولكِنْ قد قال إنّه لا يُعرفُ لمعبدٍ هزجٌ غير هذا ، وكلّنا نعلم أنّه لمعبد ، فأكذِبْه أنتَ بهزَجٍ آخَر له مِمّا لا يُشَكّ فيه . فقال أحمد : ما أعرف .

نسبة هذا الصوت

قال محمد بن الحسن : وحدَّثني إسحاقُ الهاشميّ عن أبيه : أنّ محمداً دخلَ معه على إسحاقَ الموصليّ مهنّئاً له بالسلامة من عِلّةٍ كان فيها ، فدَعا بعُود ، فأمر به إسحاقُ فدُفِع إلى محمد ، فغنّى أصواتاً للقدماء وأصواتاً لإبراهيم ، وأصواتاً لإسحاق ، في إيقاعاتٍ مختلفة . فوجَّه إسحاقُ خادِماً بين يديه إلى جوارِي أبيه ، فخرجْنَ حتّى سمعْنَه من وراء حجابٍ ، ثم ودّعَهُ وانصرف ، فقال إسحاقُ للجواري : ما عندكنّ في هذا الفَتى ؟ فقلن : ذكَّرَنا والله أباك فيما غنّاه . فقال : صَدَقتنّ . ثم أقبلَ علينا فقال : هو مغنٍّ مُحْسِن ، ولكنّه لا يصلحُ للمطارحة لكثرة زوائدِه ، ومثله إذا طارحَ جَسَر الذي يأخُذُ عنه فلم ينتفعْ بِهِ ، ولكنّه ناهيك به مِنْ مغنّ مُطْرِب .

[يصلح غناء جواري مخارق]

قال إسحاق : وحُدِّثتُ أنّه صار إلى مخارقٍ عائداً ، فصادف عنده المغنِّين جميعاً ، فلمّا طلَعَ تغامَزُوا عليه ، فسلَّم على مخارقٍ وسأله به ، فأقبل عليه مخارقٌ ثم قال له : يا أبا جعفر ، إنّ جواريكَ اللواتي في مِلكي قد تَرَكْنَ الدَّرسَ من مُدّة ، فأُحِبُّ أن تدخلَ إليهمّ وتأخذَ عليهنّ وتُصلِح من غنائهنّ . ثم صاحَ بالخدم فسعَوْا بين يديه إلى حُجرةِ الجواري ، ففعلَ ما سأله مخارق ، ثم خرجَ فأعلَمَه أنّه قد أتى ما أحبَّه ، والتفت إلى المغنِّين فقال : قد رأيتُ غَمْزَكم ، فهل فيكم أحدٌ رضيَ أبو المهَنّا أعزّه الله حِذقَه وأدَبه وأمانته ، ورضِيَه لجواريه غَيري ؟ ثم ولَّى فكأنّما ألقمَهُم حَجرا ، فما أجابه أحد .

صوت[1]

[من الكامل]

عَفَتِ الدِّيارُ مَحلُّها فمُقامُها   بِمنى تأبّــدَ غَوْلُهــا فرِجامُها
فَمَدافعُ الرّيّانِ عُــرِّي رسمُها   خَلَقاً كما ضَمِنَ الوحِيَّ سِلامَها[2]
فاقنعْ بما قسمَ الإلــهُ فإنَّما   قَسَم الخلائــقَ بيننا عَلاّمُها

عروضه من الكامل . عفت : درست . ومِنًى : موضعٌ في بلاد بني عامر ، وليس مِنى مكّة . تأبّد : توحَّشَ . والغَول والرِّجام : جَبَلانِ بالحِمى . والرّيانُ : وادٍ . مدافعهُ : مَجاري الماء فيه . وعُرِّيَ رسمها ، أي تُرك وارتُحِل عنه . يقول : عُرِّيَ من أهلِهِ . وسِلامها : صُخورها ، واحدتها سَلِمة .

الشعر للبيدِ بن ربيعةَ العامريّ ، والغناء لابن سُرَيج ، رملٌ بالسبابة في مجرى البِنصِر عن إسحاق ، وفيه لابن مُحرز خفيفُ رملٍ أوّلَ بالوسطى عن حَبَش ، وذكر الهشاميّ إنّ فيه رملاً آخَر للهذليّ في الثالث والأوّل .

1 هذه الأبيات من معلقة لبيد .

2 الوحي : الكتابة .

[306] ـ نسب لبيد وأخباره[1]

[نسبه]

هو لَبِيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر .

وكان يقال لأَبيه «ربيعُ المُقْتِرين» لجوده وسخائه . وقتلته بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه .

وعمُّه أَبو بَراءٍ عامرُ بن مالك ملاعب الأسنّة ، سُمِّي بذلك لقول أُوسِ بن حجر فيه[2] : [من الطويل]

فلاعَبَ أَطرافَ الأسنّة عامرٌ   فراحَ لـه حظُّ الكتيبةِ أجمعُ

وأُمُّ لبيد تامرة بنت زِنباع العبسيّة ، إحدى بنات جَذِيمة بن رَواحة .

[صفات لبيد]

ولبيدٌ أَحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرَمين ممّن أَدركَ الإسلام ، وهو من أَشراف الشُّعراء المُجيدين الفُرسان القُرّاء المعمَّرين ، يقال إنّه عمِّر مائةً وخمساً وأربعين سنة .

أَخبرني بخبره في عُمره أَحمد بن عبد العزيزي الجوهريّ قال : حدَّثنا عُمَر بن شبّة عن عبد الله بن محمد بن حكيم ؛ وأَخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا بن مهرويه قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن علي بن الصباح ، عن ابن الكلبيّ ، وعن عليّ بن المِسور عن الأصمعيّ ، وعن المدائنيّ وعن رجالٍ ذكرهم ، منهم أبو اليقظان وابن دأب ، وابن جعدبة ، والوقاصيّ .

أنّ لَبيد بن ربيعة قدِم على رسول الله ﷺ في وفدِ بني كلاب بعدَ وفاة أَخيه أَربَدَ وعامِر بن الطُّفيل ، فأسلَمَ وهاجر وحسُن إسلامه ، ونزل الكوفةَ أيّام عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه فأَقام بها . ومات بها هناك في آخر خلافة معاوية ، فكان عمره مائةً وخمساً وأَربعين سنة ، منها تسعون سنةً في الجاهلية ، وبقيّتُها في الإسلام .

1 ترجمة لبيد في الشعر والشعراء : 194–204 وطبقات ابن سلام : 113 وخزانة البغدادي 2 : 246–257 وطبقات ابن سعد والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ومقدمة ديوان لبيد (إحسان عبّاس ـ الكويت) وإليه نشير .

2 ديوان أوس : 58 .

[توقيته مراحل عمره]

قال عمر بن شبّة في خبره : فحدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم أنّ لبيداً قال حين بلغ سبعاً وسبعين سنة[1] : [من البسيط]

قامت تَشَكَّى إليَّ النَّفسُ مُجْهِشةً وقــد حَمَلتك سبعا بعــد سبعينا
فــإنْ تُـزادِي ثلاثــاً تبلُغــي أَملاً وفــي الثّـلاثِ وفــاءٌ للثمانينا

فلمّا بلغ التسعينَ قال[2] : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزتُ تسعين حِجَّةً خلعــتُ بِهــا عــن مَنكِبيَّ ردائِيا

فلمّا بلغ مائةً وعشراً قال[3] : [من البسيط]

أَليس في مائــةٍ قــد عاشَها رجلٌ وفي تكامُــلِ عَشْرٍ بعدَهـا عُمُرُ

فلمّا جاوزها قال[4] : [من الكامل]

ولقد سئِمتُ من الحياةِ وطُولها وسُؤالِ هذا الناسِ كيفَ لَبيدُ
غَلَب الرّجالَ وكان غيرَ مغلَّب دَهــر طويــلٌ دائـمٌ ممدودُ
يومــاً أرى يأتــي عليَّ وليلةٌ وكلاهمــا بَعــدَ المضاء يعودُ
وأَراه يأتــي مثلَ يــوم لقيتُه لم يُنتقَص وضَعُفتُ وهو يزيدُ

[خبره مع الربيع بن زياد]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا أَبو حاتم السجستاني قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : وفد عامر بن مالكٍ ملاعبُ الأسنّة ، وكان يكنى أبا البَراء ، في رهطٍ من بني جعفر ، ومعه لبيدُ بن ربيعة ، ومالكُ بن جعفر ، وعامر بن مالكٍ عمّ لبيد ، على النُّعمان ، فوجدوا عنده الربيعَ بن زيادٍ العبسيّ ، وأُمُّه فاطمةُ بنت الخُرشُب ، وكان الرّبيع نديماً للنُّعمان مع رجلٍ من تُجّار الشام يقال له زَرجون بن توفيل ، وكان حرِيفاً[5] للنُّعمانِ يُبايعه ، وكان أَدِيباً حسنَ الحديث والنِّدام ، فاستخفّه النُّعمان ؛ وكان إذا أراد أن يخلوَ على شرابه بَعَثَ إليه وإلى النِّطاسيّ : متطبِّب كان له ، وإلى الربيع بن زياد فخَلا بهم . فلمّا قدِم الجعفريُّون كانوا

1 ديوانه : 352 .
2 لم يرد هذا البيت في الديوان .
3 ديوانه : 350 .
4 ديوانه : 35 مع بعض اختلاف .
5 حريف الرجل : الذي يعامله في حرفته .

يحضُرون النُّعمانَ لحاجتهم ، فإذا خرجوا من عنده خَلا به الرّبيعُ فطعَن فيهم وذكر مَعايبَهم . وكانت بنو جعفرٍ له أعداء ، فلم يزَل بالنُّعمانِ حتّى صَدَّه عنهم . فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً ، وقد كان يُكرمهم ويُقرِّبهم . فخرجوا غِضاباً ولبيدٌ متخلِّف في رِحالِهم يَحْفظ متاعهم ، ويغدو بإبلهم كلّ صباحٍ يرعاها ، فأتاهم ذاتَ ليلةٍ وهم يتذاكرون أمرَ الرَّبيع ، فسأَلهم عنه فكتموه ، فقال : والله لا حفِظتُ لكم متاعاً ، ولا سرّحتُ لكم بعيراً أو تُخْبروني فيم أنتم ؟ وكانت أُمّ لبيدٍ يتيمةً في حِجْر الرّبيع ، فقالوا : خالُكَ قد غَلَبنا على الملكِ وصَدَّ عنّا وجهَه . فقال لبيد : هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأَزجُرَه عنكم بقول مُمِضّ لا يلتفت إليه النُّعمان أبداً ؟ فقالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنّا نبلوك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : تشتم هذه البَقْلة ، وقدّامهم بَقلةٌ دقيقة القُضْبان ، قليلةُ الورق ، لاصقة بالأرض ، تدعى التَّربَة[1] ، فقال : «هذه التَّرِبة التي لا تُذكِي ناراً ولا تُؤهِل داراً ، ولا تسُرُّ جاراً ، عودُها ضئيل ، وفرعها كليل ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مرعًى ، وأقصرها فرعاً ، وأشدُّها قلعاً . بلدها شاسع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع ، فالقَوْا بي أخا عَبْس ، أردّه عنكم بتَعْس ، وأتركه من أمره في لَبْس» . قالوا : نصبحُ ونَرى فيك رأينا . فقال عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، يعني لبيداً ، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، إنّما هو يتكلّم بما جاء على لسانه ، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبُه . فرمَقوه فوجدوه وقد ركب رحْلاً وهو يكدم[2] وسطه حتّى أصبح ، فقالوا : أنت والله صاحبُه . فعَمَدوا إليه فحلقوا رأسَه وتركوا ذؤابته ، وأُلبسوه حُلَّةً ثم غدا معهم وأُدخلوه على النُّعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الربيعُ بن زيادٍ ، وهما يأكلان لا ثالثَ لهما ، والدّار والمجالس مملوءة من الوُفود . فلمّا فَرغ من الغداء أَذِن للجعفريِّين فدَخلوا عليه ، وقد كان أَمْرُهم تقارَبَ ، فذكروا الذي قدِموا له مِن حاجتهم ، فاعترض الربيعُ بن زياد في كلامهم ، فقال لبيد في ذلك[3] : [من الرجز]

أكلَّ يومٍ هامتي مقَزَّعهْ ... يا رُبَّ هيجا هي خيرٌ من دَعَهْ
نحن بني أُمّ البنينَ الأربعه ... سيوفُ حَزٌّ وجفانٌ مُترَعَهْ
نحن خيارُ عامرِ بن صعصعه ... الضاربون الهام تَحتَ الخَيْضَعهْ[4]

---

1 التربة : شجرة شاكة ثمرتها كالبسرة المعلقة (اللسان ـ ترب) .

2 يكدم : يعض .

3 ديوانه : 340–343 .

4 الخيضعة : الغبار والمعركة واختلاف الأصوات في الحرب . وقيل هي البيضة .

والمطعمون الجَفنةَ المُدعَدعه ... مهلاً أبيتَ اللّعْنَ لا تأكلْ معه[1]
إنّ استَه من بَرَص مُلمَّعه ... وإنّه يُدخِل فيها إصبعَهْ
يُدخِلها حتّى يُواري أشجعَهْ ... كأنّه يطلبُ شيئاً ضيعَهْ[2]

فرفع النُّعمانُ يَدَه من الطّعام وقال : خَبّثْتَ والله عليَّ طعامِي يا غلام ؛ وما رأيتُ كاليوم . فأقبل الربيعُ على النُّعمان فقال : كذَبَ والله ابنُ الفاعلة[3] ، ولقد فعلتُ بأمّه كذا وكذا . فقال له لبيد : مثلُك فعلِ ذلك بربيبةِ أهلِهِ والقريبةِ من أهلِهِ ، وإنّ أمّي من نساءٍ لم يكنَّ فواعلَ ما ذكرت . وقضى النُّعمانُ حوائج الجعفريِّين ، ومضى مِن وقتِهِ وصَرَفهم ، ومضى الرّبيعُ بن زياد إلى منزلِهِ مِن وقتِه . فبعث إليه النُّعمانُ بضِعفِ ما كان يَحبوه ، وأمره بالانصراف إلى أهلِهِ . فكتب إليه الربيع : إنّي قد عرفتُ أنّه وَقَعَ في صدرِك ما قال لبيد ، وإنّي لستُ بارِحاً حتّى تبعثَ إليّ مَن يجرِّدني فيعلمَ مَنْ حضَرَكَ من النّاسِ أنّي لست كما قال لبيد . فأرسل إليه : إنّك لستَ صانِعاً بانتفائك ممّا قال لبيدٌ شيئاً ، ولا قادِراً على ردِّ ما زَلّت به الألسُن ، فالحقْ بأهلِك . فلَحِقَ بأهلِهِ ثم أرسل إلى النُّعمان بأبياتِ شعرٍ قالها ، وهي : [من البسيط]

لئن رحلتُ جِمالِي لا إلى سَعةٍ ... ما مثلُها سَعةٌ عرضاً ولا طُولا
بحيثُ لو وردَتْ لخمٌ بأجمعها ... لم يَعدِلوا ريشةً من رِيش سَمويلا[4]
ترعى الروائمُ أحرارَ البقولِ بها ... لا مثلَ رَعيكم مِلحاً وغَسْويلا[5]
فاثبُتْ بأرضك بعدي واخلُ متكئاً ... مع النِّطاسيِّ طوراً وابن تُوفيلا

فأجابه النُّعمانُ بقوله : [من البسيط]

شرِّدْ برحلكَ عنّي حيثُ شئتَ وَلا ... تُكثِر عليَّ ودعْ عنكَ الأباطِيلا
فقد ذُكِرتَ بشيءٍ لستُ ناسيَه ... ما جاورت مصرُ أهلَ الشّام والنِّيلا
فما انتفاؤك منه بعد ما جَزَعَتْ ... هُوجُ المطيِّ به نحو ابن سَمويلا[6]

1 المدعدعة : المملوءة .
2 الأشجع : أصل الإصبع .
3 ل : الحمق .
4 السمويل : طائر أو بلد كثير الطيور .
5 الروائم : التي تعطف على أولادها . وأحرار البقول : ما رق منها ورطب . والغسويل : نبت ينبت في السبخات .
6 جزعت : قطعت .

قـد قيل ذلك إنْ حقّـاً وإنْ كذباً   فمـا اعتذارُك من قـولٍ إذا قيلا[1]
فالحقْ بحيثُ رأيـتَ الأرضَ واسعةً   فانْشر بها الطَّرفُ إنْ عرضاً وإن طُولا

قال : وقال لبيد يهجو الربيعَ بنَ زياد ، ويزعمون أنّها مصنوعة . قال : [من الرجز]

رَبيعُ لا يَسُقْكَ نحـوي سائقُ   فتُطلَبَ الأذْحـالُ والحقائقُ[2]
ويُعلَـمَ المُعْيـا بـه والسّابقُ   ما أنتَ إن ضُمَّ عليك المازِقُ
إلاّ كشيءٍ عاقَـه العوائـق   إنّـك حـاسٍ حُسوةً فذائقُ
لا بـدّ أن يغمز منك العاتقُ   غمزاً تـرى أنّك منه ذارقُ
إنّـك شيخٌ خائـن منافـقُ   بالمخزيـات ظاهـرٌ مطابِقُ

[أظهر شعره بعد المعلقة]

وكان لبيد يقول الشعر ويقول : لا تُظْهِروه ، حتى قال : [من الكامل]

عفَت الدِّيـارُ محلُّهـا فمُقامها

وذكر ما صنع الرّبيع بن زياد ، وضَمْرة بن ضَمرة . ومَنْ حَضَرهم من وجوه النّاس ، فقال لهم لبيدٌ حينئذٍ : أظهروها .

قال الأصمعيّ في تفسير قوله : الخيضعة ، أصله الخضعة بغير ياء ، يعني الجلبة والأصوات ، فزاد فيها الياء . وقال في قوله «بالمخزيات ظاهر مطابق» : يقال طابق الدّابةُ ، إذا وضع يديه ثم رفَعهما فوضع مكانَهما رجليه ، وكذلك إذا كان يطأ في شوك . والمأزق : المضيق . والنازق : الخفيف .

نسخت من كتاب مرويٍّ عن أبي الحَكَم قال : حدَّثني العلاء بن عبد الله الموقّع قال : اجتمع عندَ الوليد بن عقبة سُمّارُه وهو أمير الكوفة وفيهم لبيدٌ ، فسأل لبيداً عمّا كان بينه وبين الرَّبيع بن زيادٍ عند النُّعمان ، فقال له لبيد : هذا كانَ من أمر الجاهليّة وقد جاء اللهُ بالإسلام . فقال له : عزمتُ عليك ، وكانوا يَرَون لعَزْمة الأميرِ حقّاً ، فجعَل يحدِّثُهم ، فحسده رجلٌ من غنِيٍّ فقال : ما عَلِمْنا بهذا . قال : أجَلْ يا ابن أخي ، لم يُدْرِكْ أبوك مثلَ ذلك ، وكان أبوك مِمّن لم يشهد تلك المشاهدَ فيحدّثك .

[ما سمع من فخره في الإسلام]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكرانيّ قال حدَّثني العمريُّ قال : حدَّثني الهيثم عن ابن عيّاش عن

1 المثل «قد قيل . . . إذا قيلا» في أمثال الضبّيّ : 172 وجمهرة العسكري 2 : 118 ومستقصى الزمخشري 2 : 191 وفصل المقال : 90 ، 92 .
2 الأذحال : جمع ذحل ، وهو الثأر .

محمد بن المنتشر قال : لم يُسمَع من لبيدٍ فخرُه في الإسلام غيرَ يومٍ واحد ، فإنّه كان في رَحَبة غنيٍّ مستلقياً على ظهره قد سَجَّى نفسَه بثوبه ، إذ أقبل شابٌّ من غنيٍّ فقال : قَبَحَ الله طُفَيْلاً حيث يقول[1] : [من الطويل]

جَزى اللهُ عنّا جعفراً حيثُ أشرفَتْ ... بنا نعلُنا في الواطئين فزَلَّتِ
أبَوْا أن يَملُّونا ولَو أنَّ أُمَّنا ... تُلاقِي الذي يَلقَوْن منّا لَملَّتِ
فذو المال موفورٌ وكلّ مُعصَّبٍ ... إلى حُجُرات أدفأت وأظَلَّتِ[2]
وقالت هلُمُّوا الدّار حتّى تبيَّنُوا ... وتنجَلِيَ الغَمَّاءُ عمّا تجلَّتِ

ليت شعرِي ما الذي رأى من بني جعفر حيث يقول هذا فيهم ؟ قال : فكشفَ لبيدٌ الثَّوبَ عن وجهه وقال : يا ابن أخي ، إنّكَ أدركتَ الناسَ وقد جُعِلت لهم شُرطةٌ يَزعُون بعضَهم عن بعض ، ودارُ رزقٍ تَخرُجُ الخادِمُ بجرابها فتأتي برزقِ أهلها ، وبيتُ مال يأخذون منه أعطيتَهم ، ولو أدركتَ طُفيلاً يوم يقول هذا لم تَلُمْه . ثم استَلقى وهو يقول : أستغفر الله . فلَم يزل يقول : أستغفر الله ؛ حتى قام .

[سؤال عن أشعر العرب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد قال : قال مَرَّ لبيدٌ بالكوفة على مجلسِ بني نَهد وهو يتوكّأ على مِحجن له فبعثوا إليه رسولاً يسأله عن أشعر العرب . فسأله فقال : الملك الضِّليل ذو القُروح . فرجعَ فأخبرهم فقالوا : هذا امرؤ القيس . ثم رجع إليه فسأله : ثم مَن ؟ فقال له : الغلامُ المقتول من بني بكر . فرجَع فأخبرهم فقالوا : هذا طرفة . ثم رجع فسأله ثم من ؟ فقال : ثم صاحب المِحجَن ، يعني نفسه .

[شعره في الإسلام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو عبيدة قال : لم يقل لبيدٌ في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً ، وهو[3] : [من البسيط]

---

1 ديوان الطفيل الغنوي : 98 .

2 المعصب : الذي يعصب بطنه من الجوع . صدر البيت في الديوان :
«هم خلطونا بالنفوس وألجأوا»

3 قال ذلك ابن قتيبة في الشعر والشعراء : 195 ، وعنه أخذه صاحب الخزانة وأضاف ابن قتيبة قال إنّ أبا اليقظان ، وهو : الحمد لله . . . وقال غيره ، بل هو :
ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح
وفي الاستيعاب والإصابة ومعجم المرزباني أن البيت الأوّل لقردة بن نفاثة . والصواب أنّ لبيداً قال شعراً كثيراً في الإسلام كما يستدلّ من مراجعة قصائده . وانظر شعره فيما تقدم من ترجمته عندما بلغ المائة وعندما جاوزها ، وكان وقتئذٍ مسلماً . وانظر فيما بعد شعره عند احتضاره .

الحمدُ لله إذْ لم يأتِنـي أجَـلـي حتّى لبستُ من الإسلام سِربالا

أخبرني أحمد قال : أخبرني عمّي قال : حدَّثني محمد بن عباد بن حبيب المهلّبيّ قال : حدَّثنا نصر بن دأب عن داود بن أبي هند عن الشّعبيّ قال : كتبَ عمر بن الخطّاب رضيَ الله عنه إلى المغيرة بن شُعبة وهو على الكوفة : أن استنشِد من قِبَلك من شُعراء مِصرك ما قالوا في الإسلام . فأرسل إلى الأغلب الراجزِ العِجْلِيّ ، فقال له : أنشدني . فقال : [من الرجز]

أرَجَـزاً تريـدُ أم قصيدا لقـد طلبتَ هيّناً موجودا

ثم أرسل إلى لبيدٍ فقال : أنشِدْني . فقال : إنْ شئت ما عُفِيَ عنه ، يعني الجاهلية ، فقال : لا ، أنشِدْني ما قلتَ في الإسلام . فانطلق فكتب سُورة البقرة في صحيفةٍ ثم أتى بِها وقال : أبدلَني الله هذه في الإسلام مكانَ الشعر . فكتب بذلك المغيرةُ إلى عمرَ ، فنقص من عَطاءِ الأغلبِ خمسمائةٍ وجَعَلَها في عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فكتب الأغلب : يا أمير المؤمنين أتنقُص عطائي أن أطَعتُك ؟! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ عطاءَ لبيدٍ على ألفين وخمسمائة .

[معاوية يحاول إنقاص عطائه]

قال أبو زيد : وأراد معاويةُ أن ينقُصَه من عطائه لّما ولِي الخلافة ، وقال : هذان الفَودان ، يعني الألفين ، فما بال العِلاوة ؟ يعني الخمسمائة . فقال له لبيد : إنّما أنا هامةُ اليومِ أو غد ، فأعِرني اسمها ، فلعلّي لا أقبضُها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان . فرقّ له وترك عطاءه على حالِهِ ، فمات ولم يقبضْه .

[نحره كلّما هبت صبا]

وقال عمر بن شبّة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم . وأخبرني به إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم قالا : كان لبيد من جُوداء العرب ، وكان قد آلى في الجاهليّة أن لا تَهُبَّ صبا إلاّ أطعم ، وكان له جفنتان يَغدو بهما ويَروحُ في كلِّ يومٍ على مسجد قومه فيُطعِمهم . فهبّت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة ، فصعِد الوليدُ المنبر فخطبَ النّاس ثم قال : إنّ أخاكم لبيدَ بن ربيعة قد نذَر في الجاهلية ألاّ تهبَّ صَباً إلاّ أطعم ، وهذا يومٌ من أيّامه ، وقد هبَّتْ صباً فأعينوه ، وأنا أوَّلُ من فَعَل . ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائةِ بكرة ، وكتب إليه بأبياتٍ قالها : [من الوافر]

أرى الجزّارَ يشحَذُ شفرتَيـهِ إذا هبَّتْ ريـاحُ أبي عَقيلِ
أشمُّ الأنـف أصيدُ عامـريٌّ طويلُ البّاعِ كالسَّيفِ الصَّقيلِ

وَفَى ابنُ الجعفريِّ بحَلْفَتِهِ   على العِلاَّتِ والمالِ القليلِ[1]
بِنَحرِ الكُومِ إذ سُحِبت عليه   ذيولُ صباً تَجاوَبُ بالأَصيلِ

فلمّا بلغت أبياتُه لبيداً قال لابنته : أجيبيه ، فلعمري لقد عشتُ برهةً وما أَعيا بجوابِ شاعر . فقالت ابنته : [من الوافر]

إذا هبَّتْ رياحُ أبي عَقيلٍ   دعَوْنا عند هَبَّتِها الوليدا
أشمَّ الأنفِ أَروعَ عبشميّاً   أَعانَ على مروءته لَبيدا
بأَمثالِ الهضابِ كأنّ رَكْباً   عليها من بني حامٍ قُعودا
أَبا وهبٍ جَزاكَ اللهُ خيراً   نَحرناها فأَطعَمْنا الثَّريدا
فعُدْ إنَّ الكريمَ له مَعادٌ   وظنّي يا ابنَ أروى أن تَعُودا

فقال لها لبيد : أحسنتِ لولا أنّكِ استطعمتِهِ . فقالت : إنّ الملوكَ لا يستحيا من مسألتهم . فقال : وأنتِ يا بُنيّةُ في هذه أشعَر .

[سمع الفرزدق شعراً له فسجد]

أُخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني محمد بن عمران الضبّيّ قال : حدَّثني القاسم بن يعلى عن المفضّل الضبّيّ قال : قدِم الفرزدق فمرَّ بمسجد بني أُقَيْصِر ، وعليه رجلٌ يُنشِد قول لبيد : [من الكامل]

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنّها   زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَها أَقلامُها

فسجَدَ الفرزدق فقيل له : ما هذا يا أَبا فِراس ؟ فقال : أنتم تعرفونَ سجدة القرآن ، وأَنا أَعرفُ سجدةَ الشعر .

[سؤال عن أشعر الشعراء]

أُخبرنا أَحمد بن عبد الله بن عمّار قال : حدَّثنا يعقوب الثقفيّ ، وابن عَيّاش ، ومسعر بن كدام ، كلُّهم عن عبد الملك بن عُمَير قال : أخبرني مَنْ أرسله القراء الأَشراف ، قال الهيثم : فقلت لابن عيّاش : من القرّاء الأشراف ؟ قال : سُليمان بن صُرَد الخُزاعيّ ، والمسيَّب بن نَجَبة الفزاريّ ، وخالد بن عُرفُطة الزُّهريّ ، ومسروق بن الأَجْدَع الهَمْدانيّ ، وهانىء بن عروة المُرادي ، إلى لَبِيد بن رَبيعة وهو في المسجد ، وفي يده مِحجَن فقلت : يا أبا عَقِيل ، إخوانك يُقرونك السّلام ، ويقولون : أيّ العربِ أَشعَر ؟ قال : الملك الضِّليل ذو القروح .

1 على العلات : في حال عسره ويسره .

فرَدُّوني إليه وقالوا : ومَنْ ذو القروح ؟ قال : امرؤ القيس . فأعادوني إليه وقالوا : ثم مَنْ ؟ قال : الغلام ابن ثمانِ عَشْرة سنة . فرَدُّوني إليه فقلت : ومن هو ؟ فقال : طَرَفة . فردُّوني إليه فقلت . ثمّ من ؟ قال : صاحب المِحجَن حيث يقول[1] : [من الرمل]

إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذن الله رَيثِي وَعَجَلْ
أحمَدُ اللهَ ولا نِدَّ لهُ بيديهِ الخيرُ ما شاءَ فعَلْ
مَن هَداه سُبلَ الخيرِ اهتدى ناعمَ البالِ ومَنْ شاءَ أَضلّ

يعني نفسه . ثم قال : أستغفرُ الله .

[المعتصم يعجب بشعر لبيد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن ابن البوّاب قال : جلس المعتصمُ يوماً للشراب ، فغنّاه بعض المغنّين قولَه[2] : [من الرمل]

وبَنُو العبّاسِ لا يأتون «لا» وعلى أَلسنهم خفَّتْ «نَعَمْ»
زَيّنت أحلامُهم أَحسابَهُمْ وكذاك الحلمُ زَينٌ للكرمْ

فقال : ما أعرِفُ هذا الشعر ، فلِمَن هو ؟ قيل : للبيد . فقال : وما للبيد وبني العبّاس ؟ قال المغنّي : إنّما قال :

وبنو الدّيان لا يأتون

فجعلتُه «وبنو العبّاس» . فاستَحْسَنَ فعلَه ووصلَه .

وكان يُعجَب بشعر لبيدٍ فقال : مَن منكم يروي قوله : [من الطويل]

بلينا وما تَبْلَى النّجومُ الطوالع

فقال بعض الجلساء : أنا . فقال : أنشِدْنيها . فأنشد[3] : [من الطويل]

بَلِينا وما تَبلى النُّجومُ الطوالِعُ وتَبقى الجبالُ بعدَنا والمَصانِعُ
وقد كنتُ في أكنافِ جارِ مَضَنّةٍ ففارقني جارٌ بأربدَ نافعُ

فبكى المعتصمُ حتّى جرت دموعهُ ، وترحَّم على المأمون ، وقال : هكذا كانَ رحمة الله عليه ! ثم اندفعَ وهو يُنشِد باقيها ويقول : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 175 .
2 ديوانه : 352 .
3 ديوانه : 168 .

فـلا جزِعٌ إنْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا فكلُّ امرىءٍ يوماً له الدَّهرُ فاجعُ
ومـا النّاسُ إلاّ كالدِّيارِ وأهلِها بها يـومَ حلُّوهـا وبَعْـدُ بلاقِعُ
ويَمْضُون أرسالاً ونخلُف بعدَهمْ كما ضَمَّ إحدى الراحتينِ الأَصابعُ
ومـا المرءُ إلاّ كالشِّهابِ وضوئه يَحُورُ رَماداً بعدَ إذْ هـو ساطِعُ
وما البرُّ إلاّ مُضمَراتٌ من التُّقى ومـا المـالُ إلاّ عاريـاتٌ ودائعُ
أليسَ ورائِـي إنْ تراخَتْ منيَّتِي لُزومُ العَصا تُحنى عليها الأَصابعُ
أُخبِّر أخبـارَ القرونِ التي مَضَت أدبُّ كأنّـي كلّما قمـتُ راكِعُ
فأصبحتُ مثلَ السَّيفِ أخلَقَ جَفنَه تقادُمُ عهدِ القَيـنِ والنصلُ قاطِعُ
فـلا تبعَـدَنْ إنّ المنيّـةَ مَوعِدٌ علينـا فـدانٍ للطُّلـوعِ وطالِعُ
أعـاذلُ مـا يُدريكِ إلاّ تَظَنِّياً إذا رَحَلَ الفِتيانُ مَـنْ هـو راجعُ
أتَجزعُ مِمّا أحدَثَ الدَّهرُ بالفتى وأيُّ كريـمٍ لم تُصِبْـه القوارِعُ
لعمركَ ما تَدرِي الضَّوارِبُ بالحَصى ولا زاجراتُ الطَّيرِ مـا اللهُ صانِعُ

قال : فعَجِبنا واللهِ من حُسنِ ألفاظه ، وصحّة إنشاده ، وجودة اختياره .

[موقف عثمان بن مظعون]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه . وحدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرّازيّ قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال : كان عثمان بن مظعون في جوارِ الوليد بنِ المغيرة ، فتفكَّر يوماً في نفسِهِ فقال : واللهِ ما ينبغِي لمسلمٍ أن يكون آمناً في جوارِ كافر ورسولُ الله ﷺ خائف . فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له : أُحبُّ أن تبرأ من جِوارِي . قال : لعلَّه رابَكَ رَيب . قال : لا ، ولكن أُحبُّ أن تفعل . قال : فاذهبْ بِنا حتّى أبرأَ منك حيثُ أُجرتك . فخَرجَ معه إلى المسجد الحَرام فلمّا وقَفَ على جماعةِ قريش قال لهم : هذا ابن مظعونٍ قد كنتُ أُجرتـه ثـم سألني أن أبرأ منه ، أكذاك يا عثمان ؟ قال : نعم . قال : اشهدوا أنّي منه بريء . قال : وجماعةٌ يتحدَّثون من قريش معهم لبيدُ بن ربيعة يُنشدهم ، فجلس عثمان مع القوم فأنشَدهم لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خَـلا اللهَ باطِلُ

فقال له عثمان : صدَقت . فقال لبيد :

وكلُّ نعيـم لا محالـةَ زائـلُ

فقال عثمان : كذبتَ . فلم يَدْرِ القومُ ما عَنى . فأشار بعضُهم إلى لبيدٍ أن يُعيد ، فأعاد

فصدَّقه في النصف الأوّل وكذّبه في الآخر ، لأنّ نعيم الجنّة لا يزول . فقال لبيد : يا معشرَ قريش ، ما كان مثلُ هذا يكون في مجالسكم . فقام أُبَيُّ بن خَلَف أو ابنُه فلطم وجهَ عثمان ، فقال له قائل : لقد كنتَ في مَنَعَةٍ من هذا بالأمس . فقال له : ما أحوجَ عيني هذه الصحيحةَ إلى أن يُصيبها ما أصابَ الأُخرى في الله .

[بين الشعبيّ وعبد الملك]

أُخبرني محمد بن خلفِ بن المرزُبان قال : حدَّثنا أُحمد بن الهيثم قال : حدَّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش قال : كتب عبدُ الملك إلى الحَجّاج يأمره بإشخاص الشعبيِّ إليه ، فأشخصَه فألزمه ولَده ، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم ، قال : فدَعاني يوماً في عِلّتِه التي مات فيها فغَصَّ بلقمةٍ وأنا بين يديه ، فتسانَدَ طويلاً ثم قال : أصبحتُ كما قال الشّاعر[1] : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزت سبعين حجّة ... خلعتُ بِها عنّي عذارَ لجامِ
إذا ما رآني النّاسُ قالوا أَلَم يكنْ ... شديدَ مَحال البطشِ غيرَ كَهامِ
رمَتني بناتُ الدَّهر من حيث لا أُرى ... وكيف بِمن يُرمى وليس بِرامِ
ولَو أنّني أُرمى بسهمٍ رأيتُه ... ولكنّني أُرمى بغيرِ سهامِ

فقال الشعبيّ : فقلت : إنّا للهِ ، استسلم الرّجل واللهِ للموت ! فقلتُ : أُصلحَكَ الله ، ولكن مثلك ما قال لبيد : [من البسيط]

باتت تَشَكّى إليّ الموتَ مُجْهِشةً ... وقد حملتُك سبعاً بعد سبعينا
فإن تُزادِي ثلاثاً تبلغي أملاً ... وفي الثّلاثِ وفاءٌ للثمانينا

فعاشَ إلى أن بلغ تسعين سنة فقال : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزتُ تِسعِينَ حِجّةً ... خلعتُ بِها عن مَنكبيّ ردائيا

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين . فقال : [من البسيط]

أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ ... وفي تكاملِ عَشْرٍ بعدها عُمُرُ

فعاشَ إلى أن بلغ مائةً وعشرين سنة فقال : [من الكامل]

ولقد سئِمتُ من الحياة وطولِها ... وسؤال هذا النّاسِ كيفَ لبيدُ
غَلَبَ الرّجالَ وكان غير مغلّبٍ ... دَهرٌ جديدٌ دائم ممدودُ

1 ديوان عمر بن قميئة (دار صادر ـ بيروت) : 38-39 . :

يومٌ أرى يأتِي عليه وليلةٌ وكلاهما بَعدَ المضاء يَعودُ

ففرِح واستبشر وقال : ما أرى بأساً ، وقد وجَدْتُ خَفّاً[1] . وأمَرَ لِي بأربعة آلافِ دِرهم ، فقبضْتُها وخرجت ، فما بلغتُ البابَ حتّى سمِعتُ الواعيةَ عليه[2] .

وغنّى في هذه الأبيات التي أوّلها :

غَلبَ الرِّجالَ وكان غيرَ مغلَّبِ

عمرُ الوادِي خفيفَ رملٍ مطلقٍ بالوسطى عن عمرو .

[شهادة النابغة له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويَه قال : حدَّثنا هارون بن مسلم عن العمريّ عن الهيثم بن عدِيّ عن حمّادٍ الرّاوية قال : نظر النابغةُ الذُّبيانيّ إلى لبيدِ بن ربيعة وهو صبيٌّ ، مع أعمامِهِ على باب النُّعمان بن المُنذر ، فسأل عنه فنُسِب له ، فقال له : يا غلام ، إنّ عَينَيك لَعَينا شاعرٍ ، أفتقرِض من الشِّعرِ شيئاً ؟ قال : نَعَمْ يا عمّ . قال : فأنشِدْنِي شيئاً مِمّا قلته . فأنشَدَه قوله :

أَلَم تَربَعْ على الدِّمن الخَوالِي[3]

فقال له : يا غلامُ ، أنتَ أشعَر بني عامر ، زِدْنِي يا بنيّ . فأنشده :

طللٌ لخولة بالرُّسَيس قديمُ

فضرب بيَدَيه إلى جنبيه وقال : اذهبْ فأنتَ أشعرُ من قيسٍ كلِّها ، أو قال : هوازنَ كلّها .

وأخبَرَني بهذا الخبر عمّي قال : حدَّثنا العمري عن لقيط عن أبيه ، وحمّادٌ الرّاويةُ عن عبد الله بن قَتادة المحاربيّ قال : كنتُ مع النّابغة بباب النُّعمان بن المنذر ، فقال لِي النّابغة : هل رأيتَ لبيد بن ربيعة فِيمَن حَضَر ؟ قلت : نعم . قال : أيُّهم أشعَر ؟ قلت : الفتى الذي رأيتَ من حالِهِ كَيْتَ وكَيْت . فقال : اجلسْ بنا حتّى يخرج إلينا . قال : فجلسنا فلمّا خرَجَ قال له النّابغة : إليَّ يا ابن أخي . فأتاه فقال : أنشِدْني . فأنشَدَه قوله : [من الوافر]

أَلَم تُلمِمْ على الدِّمن الخوالي لسَلْمى بالمَذانِبِ فالقُفالِ

فقال له النّابغة : أنتَ أشعَرُ بني عامر ، زِدْنِي ، فأنشَدَه : [من الكامل]

1 الخف : الخفّة .

2 الواعية : الصراخ على الميت .

3 ربع : وقف .

طَلَلٌ لخولــةَ بالرّسَيسِ قديمُ فبعاقـــلٍ فالأنعَمَــين رُسومِ

فقال له : أنتَ أشعَرُ هوازِنَ ، زِدْني . فأنشَدَه قوله : [من الكامل]

عَفَت الدِّيارُ محلُّهــا فمُقامها بمنًى تأبَّـــدَ غَولُهــا فرِجامها

فقال له النّابغة : اذهبْ فأنتَ أشعَر العرب .

[وصيّته لابن أخيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، أنّ لبيداً لمّا حضرتْه الوفاة قال لابن أخيه ولَم يكن له ولدٌ ذكر : يا بنيّ ، إنّ أباكَ لَم يمُتْ ولكنّه فني . فإذا قُبِض أبوكَ فأقبِلْه القِبلةَ وسجِّه بثوبه ، ولا تَصرُخَنّ عليه صارخةٌ ، وانظُر جَفنتيَّ اللّتين كنت أصنعُهما فاصنَعْهما ثم احملْهما إلى المسجد ، فإذا سلَّمَ الإمامُ فقدِّمْها إليهم ، فإذا طَعِموا فقُلْ لهم فليحضُروا جِنازةَ أخيهم . ثم أنشد قوله : [من مجزوء الكامل]

وإذا دفنــتَ أبــاكَ فاجـ ـعَلْ فوقَــه خشباً وطِينا
وسَقائفــاً صُمّــاً رَوَا سِيهــا يسدِّدن الغصونا
ليقين حُــرَّ الوجــهِ سفـ ـسافَ التُّراب ولَن يَقِينا

قال : وهذه الأبيات من قصيدةٍ طويلة .

وقد ذكر يونس أنّ لابن سُريجٍ لحناً في أبياتٍ من قصيدة لبيدٍ هذه ، ولم يجنِّسه .

صوت

[من مجزوء الكامل]

أبنــيَّ هــل أبصرتَ أعـ ـمامــي بنـــي أمِّ البنينـا
وأبــي الــذي كان الأرا مــلُ في الشِّتـاء لــه قَطِينا
وأبــا شَريــك والمَنــا زِلَ في المضيــق إذا لقِينــا
مــا إنْ رأيــتُ ولا سمعـ ـتُ بمثلهــمْ في العالَمينـا
فبقيــتُ بعدَهـــمُ وكنـــ ـتُ بطـولِ صُحبتهم ضَنينا
دَعْنِــي ومــا ملكت يَميـ ـني إنْ سددت بها الشؤونا
وافعــل بمالِـك مــا بـدا لــك مُستعانـــاً أو مُعِينا

[شعره لابنتيه حين احتضر]

قال : وقال لابنتَيه حين احتُضِر ، وفيه غناء : [من الطويل]

تمنَّــى ابنتايَ أن يعيشَ أبوهمـا وهَلْ أنا إلاّ من ربيعةَ أو مُضَرْ
فإنْ حانَ يوماً أن يموت أبوكما فلا تَخمِشا وجْهاً ولا تحلِقا شَعَرْ
وقولا هــو المـرءُ الذي لا حليفَه أضاعَ ، ولا خانَ الصَّديقَ ولا غَدَرْ
إلى الحَولِ ثم اسمُ السَّلامِ عليكما ومَن يَبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

في هذه الأبيات هزج خفيف مطلق في مجرى الوسطى . وذكر الهشاميّ إنّه لإسحاق . وذكر أحمد بن يحيى أنّه لإبراهيم .

قال : فكانت ابنتاه تَلبسان ثيابَهما في كلّ يوم ، ثم تأتيان مجلسَ بني جعفر بن كلاب فتَرثِيانِهِ ولا تُعْوِلانِ ، فأقامتا على ذلك حولاً ثم انصرفَتا .

صوت[1]

[من الوافر]

سألناهُ الجزيــلَ فما تأبّى فأعطى فــوقَ مُنْيتِنا وزادا
وأحسَنَ ثمّ أحسَنَ ثم عُدْنا فأحسَنَ ثم عُدت لــه فعادا
مراراً مــا دنوتُ إليــه إلاّ تبسَّم ضاحِكاً وثَنى الوِسادا

الشعر لزياد الأعجم ، والغناء لشارية ، خفيف رمل بالبنصر مطلق .

1 شعر زياد الأعجم (يوسف بكار ـ دار المسيرة) : 66 .

[307] ـ أخبار زيادٍ الأعجم ونسبه[1]

[نسبه]

زياد بن سليمان[2] ، مولى عَبد القيس ، أَحَد بني عامر بن الحارث ، ثم أَحد بني مالك بن عامر الخارجية .

أَخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أَبي سعيد السكري . وأَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمّه عن ابن حبيب قال : هو زياد بن جابر بن عمرو ، مولى عبد القيس . وكان ينزل إصطَخْر فغلبت العجمةُ على لسانه ، فقيل له الأعجم .

وذكر ابنُ النطَّاح مثلَ ذلك في نسبه ، وخالف في بلده ، وذكر أنّ أَصلَه ومولده ومنشأه بأصفهان ثمّ انتقل إلى خُراسان ، فلَم يَزَلْ بِها حتّى مات .

وكان شاعراً جزْل الشعر فصيح الألفاظ على لُكنةِ لسانِه ، وجَريه على لفظ أَهل بلدِه .

أَخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا محمد بن موسى قال : حُدِّثت عن المدائنيّ أَنّ زياداً الأعجَم دَعا غلاماً له ليُرسِله في حاجة ، فأَبطأ فلمّا جاءه قال له : منذ لدُنْ دأَوْتُك إلى أَن قلتَ لبِّي ما كنت تسنأ ؟ يريد منذُ لدُنْ دعوتُك إلى أن قلتَ لبَّيك ماذا كنتَ تصنع .

فهذه أَلفاظه كما ترى في نهاية القُبْح واللُّكنة .

[رثاؤه للمغيرة بن المهلّب]

وهو الذي يقول يرثي المُغيرةَ بن المهلّب بقوله[3] : [من الكامل]

صوت

قُلْ للقَوافـل والغـزِيِّ إذا غَزَوْا ... والباكريـن وللمجـدِّ الرائـحِ
إنّ المـروءَةَ والسّماحَـةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَـرْوَ على الطّريق الواضحِ
فإذا مـررتَ بقبرِهِ فاعقِـرْ بِـهِ ... كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِـرفٍ سابحِ

1 ترجمة زياد الأعجم في الشعر والشعراء : 343–345 والمؤتلف والمختلف : 193–195 وكامل المبرد (الدالي) : 769 ومعجم الأدباء : 1329–1330 وخزانة البغدادي 10 : 4–9 ومعاهد التنصيص 2 : 173 وقد جمع شعره د . يوسف بكار (دار المسيرة) ووضع له مقدمة مستفيضة .

2 في الشعر والشعراء والخزانة : ابن سلمى .

3 ديوانه : 52–56 .

وانضَحْ جوانِبَ قَبرِهِ بدِمائها ... فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبائحِ
يا مَن بمغدى الشَّمس من حيٍّ إلى ... ما بين مَطلع قَرنها المتنازِح[1]
ماتَ المُغيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ ... للموتِ بين أسِنّةٍ وصفائحِ
والقتلُ ليس إلى القتال ولا أرى ... حَيّاً يؤخَّر للشَّفيق الناصحِ

وهي طويلة . وهذا من نادر الكلام ، ونقيٍّ المعاني ، ومختار القصيد ، وهي معدودة من مراثي الشُّعراء في عصر زياد ومقدَّمها .

لابن جامع في الأبيات الأربعة الأُوَل غناءٌ أوّله نشيدٌ كلُّه ، ثم تعود الصّنعةُ إلى الثاني والثالث في طريقه الهزج بالوسطى .

وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، عن السكّريّ عن محمد بن حبيب ، أنّ من النّاس مَن يروي هذه القصيدة للصَّلتان العبديّ . وهذا قولٌ شاذّ ، والصحيح أنّها لزياد قد دوّنها الرواةُ ، غيرَ مدفوعٍ عنها .

[مثل آخر من أمثلة لكنته]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ قال : حدَّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : رَثى زياد الأعجم المُغيرة بن المهلّب فقال : [من الكامل]

إنّ الشَّجاعةَ والسَّماحةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطَّريق الواضحِ
فإذا مررتَ بقبرِهِ فاعقِرْ به ... كُومَ الهجان وكلَّ طِرفٍ سابحِ

فقال له يزيد بن المهلّب : يا أبا أمامة ، أفعَقَرتَ أنتَ عنده ؟ قال : كنتُ على بِنت الهمار . يريد الحِمار .

أخبرني مالك بن محمد الشيباني قال : كنت حاضراً في مجلس أبي العبّاس ، فقلت وقد قرىء عليه شعرُ زيادِ الأعجم ، فقرئت عليه قصيدته : [من الكامل]

قل للقوافِلِ والغزيّ إذا غَزَوا ... والباكرين وللمجدِّ الرائحِ

قال : فقلت إنّها من مختار الشعر ، ولقد أُنشِدت لبعض المحدَثين في نحوِ هذا المعنى أبياتاً حسنة . ثمّ أنشدَنا[2] : [من الخفيف]

أيُّها الناعِيانِ مَن تنعِيانِ ... وعلى مَنْ أراكما تبكيانِ

1 هذا هو البيت الأوّل في الديوان وروايته :
يا مَن بمغدى الشمس أو بمراحها ... أو مَن يكون بقرنها المتنازح
2 الأبيات لأحمد بن محمد الخثعمي (انظر وفيات الأعيان 5 : 356) .

اندُبـا الماجِدَ الكريمَ أبا إسـ ـحاق ربَّ المعروفِ والإحسانِ
واذهبا بِي إنْ لَم يكنْ لكما عَقْـ ـرٌ إلى جنب قَبرِهِ فاعقِراني
وانضَحا من دَمِي عليه فقد كا ن دَمِي مِن نَداهُ لو تَعْلَمانِ

[دية الحمامة ألف دينار]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيه قال : كان المهلّب بن أبي صُفرة بخُراسان ، فخرج إليه زيادٌ الأعجم فمدحَه ، فأمر له بجائزةٍ فأقام عندهُ أيّاماً . قال : فإنّا لَبِعشيَّةٍ نَشرب مع حبيب بن المهلَّب في دارٍ له ، وفيها حمامةٌ ، إذْ سجعت الحمامةُ فقال زياد[1] : [من الوافر]

تَغنَّيْ أنتِ في ذِمَمِي وعَهدِي وذِمّـةِ والـدي ألا تُطـارِي
وبيتُك فاصلِحِيهِ ولا تَخافِي على صُفْـرٍ مزغَّبـة صِغـارِ
فإنَّـكِ كلَّمـا غنَّيتِ صوتـاً ذكرتُ أُحبّتِي وذكرتُ داري
فإمّـا يَقتلـوكِ طلبتُ ثـأراً لـه نبـأ لأنّك في جِواري

فقال حبيبٌ : يا غلام ، هاتِ القوس . فقال له زياد : وما تصنعُ بها ؟ قال : أرمِي جارتَك هذه . قال : والله لئنْ رميتَها لاستعدِينَّ عليك الأمير . فأتى بالقوس فنزع لها سهماً فقتلَها ، فوثب زيادٌ فدخل على المهلَّب فحدَّثه الحديثَ وأنشده الشعر ، فقال المهلَّب : عليَّ بأبِي بِسطام ، فأُتِيَ بحبيب فقال له : أعطِ أبا أُمامَةَ ديةَ جارته ألفَ دينار . فقال : أطال اللهُ بقاءَ الأمير ، إنّما كنتُ ألعب . قال : أعطِهِ كما آمُرك . فأنشأ زيادٌ يقول[2] : [من الطويل]

فللّـه عينا مَـنْ رأى كقَضِيّةٍ قَضى لِي بها قَرْمُ العِراقِ المهلَّبُ
رماها حبيبُ بـن المهلَّب رميةً فأثبتَها بالسَّهم والسّهمُ يغربُ
فألزمَه عَقْـلَ القتيـل ابنُ حُرّةٍ وقال حبيبٌ : إنّما كنت ألعبُ
فقال : زيـادٌ لا يروّعُ جـارُه وجارة جاري مثل جاري وأقربُ

[نصر المهلّب له على ولده]

قال : فحَمَل حبيبٌ إليه ألفَ دينار على كرهٍ منه ، فإنّه ليشرب مع حبيبٍ يوماً إذ عربدَ عليه حبيبٌ ، وقد كان حبيب ضَغِن عليه ممّا جرى ، فأمر بشقّ قَباء ديباجٍ كانَ عليه ، فقام

---

1 ديوانه : 75–76 .
2 ديوانه : 44–45 .

فقال[1] : [من الطويل]

لعمرك ما الدِّيباجَ خرّقتَ وحدَهُ ولكنّما خرّقتَ جلدَ المهلّبِ

فبعث المهلَّب إلى حبيب فأحضَرَه ، وقال له : صدَقَ زِياد ، ما خرّقت إلاّ جلدي ، تبعث هذا على أن يهجوَني . ثم بعث إليه فأحضره ، فاستلّ سخيمتَه من صدره وأمر له بمالٍ وصَرَفه .

وقد أخبرني وكيع بهذا الخبر أيضاً . قال أحمد بن الهيثم بن فراس ، قال العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : تهاجى قَتادةُ بن مُغْرب اليشكُريّ وزيادٌ الأعجمُ بخراسان ، وكان زيادٌ يخرج وعليه قَباءُ دِيباج ، تشبُّهاً بالأعاجم ، فمرَّ بِهِ يزيدُ بن المهلّب وهو على حاله تلك ، فأمر به فقُنِّعَ أسواطاً ، ومزِّقت ثيابه وقال له : أبأهل الكفرِ والشّرك تتشبّه لا أمّ لك ؟ فقال زياد : [من الطويل]

لعمركَ ما الدِّيباجَ خَرَّقْتَ وحدَه ولكنّما خرّقتَ جلدَ المهلَّبِ

وذكر باقيَ الخبر مثله وقال فيه : فدَعا به المهلَّب فقال له : يا أبا أُمامة ، قلتَ شيئاً آخر ؟ قال : لا والله أيُّها الأمير . قال : فلا تقُلْ . وأعتبَه[2] وكساه وحَمَله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له : اعذِرْ ابنَ أخيك يا أبا أمامة ، فإنّه لم يَعرفْك .

وهذه الأبياتُ التي فيها الغناءُ يقولها زيادٌ الأعجم في عُمَر بن عبيد الله بن معمر التَّيميّ .

[عراك الفقيه]

أخبرني بخبره في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : أتى زيادٌ الأعجم عمرَ بن عَبيد الله بن مَعمرٍ بفارس ، وقَدِم عليه عِراك بن محمّد الفقيهُ من مِصر ، فكان عِراكٌ يحدِّثه بحديث الفقهاء ، فقال زياد[3] : [من الطويل]

يحدِّثنا أنَّ القيامَةَ قد أتَتْ وجاءَ عِراكٌ يبتغِي المالَ من مِصرِ
فكَم بينَ بابِ النُّوبِ إنْ كنتَ صادِقاً وإيوان كسرى من فَلاةٍ ومِن قصرِ

وقال يمدح عُمر بن عُبيد الله : [من الوافر]

سألناه الجزيلَ فما تأبَّى وأعطى فوقَ مُنْيتِنا وزادا

وذكر الأبياتَ الثلاثة .

نسخت من كتاب ابن أبي الدُّنيا : أخبرني محمد بن زياد ، عن ابن عائشة .

1 ديوانه : 48 .
2 أعتبه : أزال عتبه وأرضاه .
3 ديوانه : 76–77 .

[استنجازه وعدا لابن معمر]

وأخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، وخبرُ ابنِ أبي الدُّنيا أتمّ . قال : كان زيادٌ الأعجم صديقاً لعمر بن عُبيد الله بن معمر قبل أن يَلي ، فقال له عمر : يا أبا أمامة ، لو قد وَليت لتركتُك لا تحتاجُ إلى أحدٍ أبداً . فلمّا وَلِيَ فارِسَ قصدهُ ، فلمّا لقيَه أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

أبلــغْ أبــا حفصٍ رسالةَ ناصحٍ ... أتَتْ من زيــادٍ مستبيناً كلامُها
فإنّكَ مثـلُ الشَّمس لا سِترَ دونَها ... فكيـف أبــا حفص عليَّ ظَلامُها

فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامُها أبداً . فقال زياد :

لقد كنتُ أدعو الله في السّرِّ أن أرى ... أُمــورَ معــدٍّ في يديــك نظامُها

فقال له : قد رأيتَ ذلك . فقال :

فلمّا أَتانِــي مــا أُردتُ تباشَرَتْ ... بناتِي وقلـنَ العامَ لا شكَّ عامُها

قال : فهو عامهنَّ إن شاء الله تعالى . فقال :

فإنِّي وأرضاً أنت فيهــا ابنَ معمرٍ ... كمكّةَ لم يَطربْ لأرضٍ حَمامُها[2]

قال : فهي كذلك يا زياد . فقال :

إذا اخترتَ أرضاً للمقامِ رضيتُها ... لنفسي ولَـم يثقُـلْ عـليَّ مُقامُها
وكنتُ أمنّي النَّفسَ منك ابنَ معمر ... أمــانيَّ أرجــو أن يتــمَّ تمامُها

قال : قد أتمَّها الله عليك . فقال :

فــلا أكُ كالمُجْرِي إلى رأسِ غايــةٍ ... يُرجِّــي سَمــاءً لم يُصِبْه غَمامُها

[مديحه لعبد الله بن الحشرج]

قال : لستَ كذلك فسَلْ حاجتَك . قال : نَجيبةٌ ورحالتها[3] ، وفرسٌ رائع وسائسُه ، وبَدْرةٌ وحاملها ، وجاريةٌ وخادِمُها ، وتَختُ ثيابٍ ووصيفٌ يَحمِله . فقال : قد أمرنا لك بجميع ما سألتَ ، وهو لكَ علينا في كلِّ عام . فخرج مِنْ عنده حتّى قدِم على عبد الله بن الحَشْرَج وهو بسابور ، فأنزلَه وألطَفَه ، فقال في ذلك[4] : [من الكامل]

1 ديوانه : 94 .
2 الطرب : الشوق .
3 الرحالة : الرحل .
4 ديوانه : 49 .

إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبت على ابن الحَشْرَجِ
مَلكٌ أغرُّ متوَّجٌ ذو نائلٍ ... للمُعْتَفِين يمينُه لم تَشنجِ
يا خيرَ من صعدِ المنابرِ بالتُّقى ... بعد النبيِّ المصطفى المتحرِّجِ
لما أُتيتُكَ راجياً لنوالكمْ ... أُلفيتُ بابَ نوالكم لم يُرتَجِ

فأمر له بعشرةِ آلاف درهم .

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبيد بن الحسن بن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه : «أتى زيادُ عبدَ الله بن عامر بن كريز» . والخبر الأوّلُ أصحُّ . وزاد في الشعر : [من الوافر]

أخٌ لَكَ لا تَراه الدَّهرَ إلاَّ ... على العِلاَّتِ بَسّاماً جَوادا

فقال له عمر : أحسنتَ يا أبا أمامة ، ولَكَ لكلِّ بيتٍ ألف . قال : دَعْني أتمَّها مائة . قال : أمَا إنَّك لو كنت فعلتَ لفعلتُ ، ولكن لك ما رُزِقتَ .

[رثاء عمر بن عبيد الله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثني أبي قال : لمّا خرج ابنُ الأشعث أرسلَ عبدُ الملك إلى عُمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ليَقْدَمَ عليه ، فلمّا كان بضُمَيرٍ ، وهي من الشام ، ماتَ بالطّاعون ، فقام عبدُ الملك على قبرِهِ وقال : أمَا والله لقد علمَتْ قريشٌ أن قد فَقَدتِ اليومَ ناباً من أنيابها . وقال جدّ خلاّد بن أبي عمرو الأعمى ، وكانوا مواليَ أبي وَجْرَةَ بنِ أبي عمرو بن أُميّة : أهو اليوم نابٌ لمّا ماتَ ، وكان أمسِ ضِرساً كَليلة ؟! أمَا والله لَوَدِدْتُ أنّ السماءَ وَقَعَتْ على الأرض فلَم يَعِش بينهما أحدٌ بعده ! وسمعها عبد الملك فتغافَلَ عنها .

قال : وقال الفرزدق يرثيه[1] : [من البسيط]

يا أيُّها النّاس لا تَبكُوا على أحَدٍ ... بعد الذي بضُمَيرٍ وافَقَ القَدَرا
كانت يداه لَنا سَيفاً نَصُول بِهِ ... على العدُوِّ وغيثاً ينبت الشَّجَرا
أمّا قريشٌ أبا حفصٍ فقد رُزِئت ... بالشّام إذ فارقتكَ الباسَ والظفَرا
مَن يقتلُ الجوعَ من بعد الشهيدِ ومَنْ ... بالسيف يقتل كَبْشَ القوم إذ عَكَرا[2]
إنّ النوائح لَم يَعدُدْنَ في عُمرٍ ... ما كان فيه إذا المولى بِهِ افتخرا

1 ديوان الفرزدق 1 : 235–236 .
2 عكرا في ل : غدرا .

إذا عدَدنَ فعــالاً أو لَــهُ حسباً ويــومَ هيجاءَ يُغْشي بأسُه البصرا
كم مِن جبانٍ إلى الهيجا دنوتَ له يومَ اللِّقاء ولــولا أنتَ ما صَبَرا

أخبرنا أحمد حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا عفّان بن مسلم، قال: حدّثنا حمّاد بن سلمة قال: أخبرنا حميد عن سليمان بن قَتّة قال: بعث عُمر بن عُبيد الله بن مَعمَر إلى ابن عُمر، والقاسم بن محمد، بألفِ دينار، فأتيتُ عبد الله بن عُمر وهو يغتسل في مُستَحمٍّ له، فأخرج يدَه فصببتها في يده، فقال: وصَلتَ رحِماً، وقد جاءتنا على حاجة. وأتيتُ القاسمَ فأبى أن يَقْبَلها، فقالت لي امرأته: إنْ كان القاسِمُ ابنَ عمِّه فأنا لابنةُ عمِّه. فأعطيتُها. قال: فكان عمرُ يبعث بهذه الثِّياب العمريّـة يقسِّمهـا بـين أهل المدينة، فقال ابن عُمر: جَزى الله مَن اقتنى هذه الثيابَ بالمدينة خيراً. وقال لِي عمر: لقد بلغني عن صاحبك شيءٌ كرهتُه. قلت: وما ذاك؟ قال: يُعطِي المهاجرين ألفاً ألفاً، ويُعطي الأنصار سَبعمائة سبعَمائة. فأخبرته فسوَّى بينهم.

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا أبو زيد قال: كانت لرجل جاريةٌ يهواها، فاحتاج إلى بيعها، فابتاعها منه عُمر بن عُبيد الله بن معمر، فلمّا قبضَ ثمنَها أنشأتْ تقول: [من الطويل]

هنيئاً لكَ المالُ الذي قد قبضتَه ولم يبـقَ في كَفَّيّ غير التحسُّرِ
فإنِّي لحُزْنٍ مـن فِراقكَ مُوجَعٌ أُناجِي بِـهِ قلباً طويلَ التفكّرِ

فقال: لا ترحلِي. ثم قال: [من الطويل]

ولَولا قُعود الدَّهرِ بِي عنكِ لَم يكن يفرّقنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذرِي
عليــكِ سلامٌ لا زيــارةَ بيننـــا ولا وَصلَ إلاّ أنْ يشاء ابنُ معمرِ

فقال: قد شئتُ، خذِ الجارية وثمنَها. فأخذَها وانصرف.

[زياد يستبطىء عمر بن عبيد الله]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدَّثني محمد بن زياد قال: حدَّثني ابن عائشة قال: استبطأ زيادٌ الأعجم عُمر بن عبيد الله بن مَعمر في زيارته إيّاه فقال[1]: [من الطويل]

أصابت علينا جودَكَ العينُ يا عُمَرْ فنحنُ لها نبغِــي التمائم والنُّشَرْ[2]
أصابتك عــينٌ في سماحِــك صلبةٌ ويــا رُبَّ عينٍ صُلبةٍ تَفْلِقُ الحَجَرْ
سنَرقيكَ بــالأشعارِ حتّــى تَملَّها فإنْ لم تُفِـقْ يوماً رقَيناكَ بالسُّوَرْ

فبلغته الأبياتُ فأرضاه وسرَّحه.

1 ديوانه: 77.
2 النشر: جمع نُشرة، وهي الرقية.

[هجاء عبّاد بن الحصين]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثني العمريّ قال : حدَّثني مَن سمع حمّاداً الرّاوية يقول : امتدح زيادٌ الأعجم عبّاد بن الحُصين الحَبَطيّ ، وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له «القُباع» ، وطلب حاجة فلَم يَقضِها فقال زياد[1] : [من المتقارب]

سألتُ أَبــا جَهضَمٍ حاجـةً ... وكنــتُ أُراه قريبــاً يسيرا
فلو أنّنِــي خِفت منــه الخِلا ... فَ والمنعَ لِي لَم أَسَلْهُ نَقِيرا
وكيــف الرَّجــاءُ لِما عنـدَه ... وقد خالط البخلُ منه الضَّميرا
أَقِلْنِـي أَبــا جَهضَمٍ حاجَتِـي ... فإنّي امــرؤٌ كان ظَنِّي غُرُورا

[هجاء يزيد بن حبناء]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ ، عن عَطاء بن مُصعب ، عن عاصم بن الحَدَثان قال : مَرَّ يزيد بن حَبْناء الضبّيّ بزيادِ الأعجم وهو ينشِد شعراً قد هجا به قَتادةَ بن مغْرِب ، فأفحَشَ فيه ، فقال له يزيدُ بن حبناء : أَلَـم يأنِ لك أن تَرعَوِيَ وتتركَ تمزيقَ أعراضِ قومِك ، وَيْحك ! حتّى متى تتمادى في الضّلالِ ، كأنَّكَ بالموتِ قد صَبَّحك أو مَسَّاك ! فقال زياد فيه[2] : [من الطويل]

يحذِّرني المــوتَ ابنُ حبناءَ والفتى ... إلى المــوتِ يَغدو جاهــداً ويَرُوحُ
وكلُّ امرىءٍ لا بدّ للموتِ صائرٌ ... وإن عاشَ دهــراً في البِلادِ يسيحُ
فقلْ ليزيدٍ يــا ابنَ حَبْناء لا تَعِظْ ... أَخاكَ وعِظْ نفساً فأَنتَ جَنوحُ
تركتَ التُّقى والدِّينُ دِينُ محمّدٍ ... لأَهــلِ التُّقــى والمسلمين يلوحُ
وتابَعْتَ مُــرَّاقَ العِراقَــينِ سادراً ... وأنتَ غليظ القُصْرَيَيْنِ صحيحُ[3]

فقال له يزيد بن عاصم الشَّنّيّ : قَبَحَك الله ، أَتَهجو رجلاً وعَظَك وأَمَرَك بمعروف بمِثلِ هذا الهجاء ، هلاّ كففتَ إذ لم تقبل ، أراه والله سيأتِي على نفسك ثم لا تَحبِقُ فيك عَنْزان[4] ، اذهبْ ويحك فأْتِهِ واعتذر إليه لعلَّه يَقبلُ عذرَك . فمَشى إليه بجماعةٍ من عبد القيس فشَفَعوا إليه فيه ، فقال : لا تثريبَ ، لستُ واجداً عليه بعد يومِي هذا .

1 ديوانه : 69 .
2 ديوانه : 50 .
3 القصريان : مثنى القصرى ، وهي آخر ضلع الجنب أسفل الأضلاع .
4 مثل .

[مدحه للمهلّب ببيت جائزته ثلاثون ألف درهم]

أخبرني أحمد بن عليّ قال : سمعت جدّي عليّ بن يحيى يحدّث عن أبي الحَسَن عن رجل من جُعفيٍّ قال : كنتُ جالِساً عند المهلَّب إذْ أقبلَ رجلٌ طويلٌ مضطرب ، فلمّا رآه المهلَّب قال : اللهمَّ إنّي أعوذُ بِكَ من شَرّه ! فجاء فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، إنّي قد مدحتك ببيتٍ صَفَدُه مائة ألف درهم . فسكت المهلَّب ، فأعاد القول فقال له : أنشدْه . فأنشَدَه : [من الطويل]

فتًى زادَهُ السُّلطانُ في الخيرِ رغبةً إذا غَيَّـرَ السُّلطـانُ كلَّ خليـلِ

فقال له المهلّب : يا أبا أُمامة ، مائة ألف ! فوالله ما هي عندنا ولكنْ ثلاثون ألفاً فيها عُروضٌ . وأمر له بها ، فإذا هو زياد الأعجم .

[هجاؤه للفرزدق وفزع الفرزدق منه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكرانيّ وأبو العيناء عن القَحذميّ قال : لقي الفرزدقُ زياداً الأعجمَ فقال له الفرزدق : لقد هممتُ أن أهجوَ عبد القيس ، وأصفَ من فَسْوِهم شيئاً . قال له زياد : كما أنتَ حتّى أسمِعَك شيئاً . ثم قال : قُل إن شئتَ أو أمسِك . قال : هات . قال : [من الطويل]

ومـا تَرَكَ الهاجون لِي إن هجوتُه مَصَحّـاً أراه في أديـم الفرزدقِ
فإنّا ومـا تُهدِي لنـا إنْ هجوتَنا لكالبحرِ مَهما يُلقَ في البحرِ يَغرقِ

فقال له الفرزدق : حَسبك هَلُمَّ نَتَتارك . قال : ذاك إليك . وما عاودَه بشيء .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا العتبيّ عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال : حدَّثني خِراش ، وكان عالِماً راوية لأبي ، ولمؤرِّج ، ولجابر بن كلثوم ، قال : أقبل الفرزدقُ وزيادٌ ينشد الناسَ في المربَد وقد اجتمعوا حولَه ، فقال : مَن هذا ؟ قيل : الأعجم . فأقبل نحوه فقيل له : هذا الفرزدقُ قد أقبل عليك . فقام فتلقّاه وحيّا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه ، فقال له الفرزدق : ما زالت تنازعُني نفسي إلى هجاءِ عبد القيس منذُ دهْر . قال زياد : وما يدعوك إلى ذلك ؟ قال : لأنّي رأيتُ الأشقريَّ هجاكم فلم يصنَعْ شيئاً ، وأنا أشعرُ منه ، وقد عرفتُ الذي هيّج بينك وبينه . قال : وما هو ؟ إنّكم اجتمعتم في قُبّة عبد الله بن الحَشرج بخُراسان ، فقلتَ له قد قلت شيئاً فمَن قال مثلَه فهو أشعر منّي ، ومَن لَم يَقُلْ مثله ومَدَّ إليَّ عنقَه فإنّي أشعَر منه . فقال لك : وما قلتَ ؟ فقلتَ : قلتُ : [من الطويل]

وقافيـةٍ حَـذّاءَ بـتُّ أحُوكُهـا إذا مـا سُهيلٌ في السّماءِ تَـلالا

فقال لك الأشقريّ : [من الطويل]

وأقلف صلَّى بعـد مـا ناكَ أُمَّه يرى ذاك في دِينِ المجوسِ حَلالا

فأقبلْتَ على مَن حضَرَ فقلت : يا لأُمٍّ كعبٍ أخزاها الله تعالى ، ما أنمَّها حين تُخبر ابنها بقُلْفتي ! فضحك النّاسُ وغلبت عليه في المجلس .

فقال له زياد : يا أبا فراس ، هَبْ لِي نفسك ساعةً ولا تعجَلْ حتّى يأتيك رسولي بهديّتي ثم ترى رأيَك . وظنّ الفرزدقُ أنّه سيُهدي إليه شيئاً يستكفّه به ، فكتب إليه : [من الطويل]

وما تَركَ الهاجُون لِي إن أردتُه ... مَصَحّاً أراهُ في أديمِ الفرزدقِ
وما تركوا لحماً بدا فوق عَظْمَه ... لآكِلِه أَلْقَوْه للمتعرِّقِ
سَأَحْطِمُ ما أبقَوْا له من عِظامِهِ ... فأنكتُ عظمَ السّاقِ منه وأنتقِي
فإنّا وما تُهدي لنا إنْ هجوتَنا ... لكالبحر مَهما يُلْقَ في البحرِ يَغرَقِ

فبعث إليه الفرزدق : لا أهجو قوماً أنتَ منهم أبداً .

[زياد أهجى من كعب الأشقريّ]

قال أبو المنذر : زيادٌ أهجى من كعبٍ الأشقريّ ، وقد أبرَّ عليه في عدّة قصائد . منها التي يقول فيها : [من المتقارب]

قُبَيِّلةٌ خيرُها شرُّها ... وأصدقُها الكاذب الآثِمُ
وضَيفهمُ وَسْطَ أبياتِهمْ ... وإن لَم يكن صائِماً صائِمُ

وفيه يقول : [من الطويل]

إذا عذَّبَ الله الرِّجالَ بشِعرِهِم ... أَمِنْتُ لكعبٍ أنْ يعذَّبَ بالشِّعرِ

وفيه يقول : [من الوافر]

أتَتْكَ الأزدُ مُصْفَرّاً لِحاها ... تَساقَطُ من مناخرها الجُوافُ

أخبرني وكيعٌ قال : حدَّثني أحمد بن عمر بن بكير قال حدَّثنا الهيثم عن ابن عيّاش قال : دخل أبو قِلابةَ الجَرْمِيّ مسجدَ البصرة وإذا زيادٌ الأعجم ، فقال زياد : مَن هذا ؟ قال : أبو قِلابة الجَرميّ ، فقام على رأسه فقال : [من الطويل]

قُمْ صاغراً يا كهلَ جَرمٍ فإنّما ... يقال لكَهل الصِّدق قُمْ غيرَ صاغرِ
فإنّك شَيخٌ ميّت ومورّثٌ ... قُضاعة ميراثَ البَسوسِ وقاشِرِ
قضى الله خَلْقَ النّاسِ ثم خُلِقْتمُ ... بقيّةَ خَلْقِ اللهِ آخِرَ آخِرِ
فلم تسمعوا إلاّ بِما كان قبلَكم ... ولَم تُدرِكوا إلاّ بدقِّ الحوافِرِ
فلو ردَّ أهلُ الحَقِّ مَن مات منكمُ ... إلى حقِّهِ لَم تُدفَنوا في المَقابِرِ

فقيل له : فأين كانوا يدفنون يا أبا أُمامة ؟ قال : في النَّواويسِ .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين
الأستاذ بكر عباس

المجلد السادس عشر

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

16

الطبعة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعة الثانية
1426هـ - 2005م
الطبعة الثالثة
1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[308] ـ أخبار شارية

[نسبها]

قال أبو الفرج علي بن الحسين : كانت شارية مولدة من مولدات البصرة ، يقال إنّ أباها كان رجلاً من بني سامةَ بن لؤي المعروفين ببني ناجية ، وأنّه جحدها ، وكانت أمّها أَمَة ، فدخلت في الرقّ . وقيل بل سُرقت فبيعت ، فاشترتها امرأة من بني هاشم ، فأدّبتها ، وعلّمتها الغناء ؛ ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي ، فأخذت غناءها كلّه أو أكثره عنه ؛ وبذلك يحتجّ من يقدّمها على عَريب ، ويقول : إنّ إبراهيم خرَّجها ، وكان يأخذها بصحة الأداء لنفسه ، وبمعرفة ما يأخذها به . ولم تكن هذه حال عريب ، لأنّ المراكبي لم يكن يقارب إبراهيم في العلم ، ولا يقاس به في بعضه ، فضلاً عن سائره .

[كتاب ابن المعتزّ في أخبارها]

أُخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قُريص : أنّ ابن المعتزّ دفع إليه كتابه الذي ألّفه في أخبارها ، وقال له أن يروِيه عنه . فنسختُ منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه ، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب ، وسمعته أنا عمّن رويته عنه .

قال ابن المعتزّ : حدَّثني عيسى بن هارون المنصوري : أنّ شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية ، من ولد جعفر بن سليمان . فحملتها لتبيعها ببغداد ، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فأعطى بها ثلثمائة دينار ، ثم استغلاها بذلك ولم يُرِدْها . فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي ، فعرضت عليه ، فساوم بها . فقالت له مولاتها : قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار ، وأنت أيها الأمير ، أعزّك الله ، بها أحقّ[1] . فقال : زنوا لها ما قالت . فوُزن لها ، ثم دعا بقَيِّمته ، فقال : خذي هذه الجارية ولا ترينيها سنة ، وقولي للجواري يطرحن عليها ، فلمّا كان بعد سنة أخرجت إليه ، فنظر إليها وسمعها . فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فدعاه ، وأراه إياها ، وأسمعه غناءها . وقال : هذه جارية تباع ، فبكم تأخذها لنفسك ؟ قال إسحاق : آخذها بثلاثة آلاف دينار ، وهي رخيصة بها . قال له إبراهيم : أتعرفها ؟ قال : لا . قال : هذه الجارية التي عَرَضْتَها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار ، فلم تقبل . فبقي إسحاق متحيراً ، يعجب من حالها وما انقلبت إليه .

وقال ابن المعتزّ : حدّثني الهشامي عن محمد بن راشد : أنّ شارية كانت مولدة بالبصرة ،

1 ل : أولى بها .

وكانت لها أمّ خبيثة منكرة ، تدّعي أنّها بنت محمد بن زيد ، من بني سامة بن لؤي .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني غيره ، أنّها كانت تدّعي أنّها من بني زُهْرة .

قال الهشامي : فجيء بها إلى بغداد ، وعُرضت على إبراهيم بن المهدي ، فأعجب بها إعجاباً شديداً ؛ فلم يزل يعطِي بها ، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم . فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي : إنّه لم يكن عند أبي درهم ولا دانق ، فقال لي : ويحك ! قد أعجبتني، والله هذه الجارية إعجاباً شديداً ، وليس عندنا شيء . فقلت له : نبيع ما نملكه حتى الخزَف[1] ، ونجمع ثمنها . فقال لي : قد فكرت في شيء ؛ اذهب إلى علي بن هشام ، فأقرئه منّي السلام ، وقل له : جعلني الله فداءك ! قد عرضت علي جارية قد أخذت بمجامع قلبي ، وليس عندي ثمنها ، فأحبّ أن تقرضني عشرة آلاف درهم . فقلت له : إنّ ثمنها ثمانية آلاف درهم ، فلم تُكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم ؟ فقال : إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم ، لا بدّ أن نكسوها ، ونقيم لها ما تحتاج إليه .

فصرت إلى علي بن هشام ، فأبلغته الرسالة ، فدعا بوكيل له ، وقال له : ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً ، وقل له : أنا لا أصلك ، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة . قال : فصرت إلى أبي بالدراهم ، فلو طلعتُ عليه بالخلافة لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم .

وكانت أمّها خبيثة ، فكانت كلّما لم يعطِ إبراهيم ابنتها ما تشتهي ، ذهبت إلى عبد الوهّاب بن علي ، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم ، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم .

قال ابن المعتزّ : وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب ، قال : ذكر يوسف بن إبراهيم المصري ، صاحب إبراهيم بن المهدي : أنّ إبراهيم وجَّه به إلى عبد الوهاب ابن علي ، في حاجة كانت له قال : فلقيته وانصرفت من عنده ، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتني امرأة . فلمّا نظرت في وجهي سترت وجهها . فأخبرني شاكري[2] أنّ المرأة هي أمّ شارية ، جارية إبراهيم . فبادرت إلى إبراهيم ، وقلت له : أدرك ، فإنّي رأيت أمّ شارية في دار عبد الوهّاب ، وهي مَن تعلم ، وما يفجؤك إلاّ حيلة قد أوقعتها . فقال لي في جواب ذلك : أشهدك أن جاريتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي ، ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك . وأمرني بالرّكوب إلى دار ابن أبي دُواد ، وإحضار مَن قدرت عليه من الشهود المعدّلين عنده ، فأحضرته أكثر من عشرين شاهداً . وأمر بإخراج شارية ، فخرجت ، فقال لها : اسفري ، فجزعت من ذلك . فأعلمها أنّه إنّما أمرها بذلك لخير يريده بها ، ففعلت . فقال

1 ل : الخرق .

2 الشاكري : أحد جند الخلفاء .

لها : تسمَّي . فقالـت : أنا شارية أَمَتك . فقال لهم : تأمّلوا وجهها ، ففعلوا . ثم قال : فإنّي أُشهدكم أنّها حرّة لوجه الله تعالى ، وأنّي قد تزوّجتها ، وأصدقتها عشرة آلاف درهم . يا شارية مولاة إبراهيم بن المهدي ، أرضِيتِ ؟ قالت : نعم يا سيدي قد رضِيت ، والحمد لله على ما أنعم به علي . فأمرها بالدخول ، وأطعم الشهود وطَيَّبهم وانصرفوا .

فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دُواد ، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي ، فأقرأ عمّه سلام المعتصم ، ثم قال له : يقول لك أمير المؤمنين : من المفترَض علي طاعتك ، وصيانتك عن كلّ ما يَعرك ، إذ كنتَ عمِّي ، وصنو أبي ، وقد رفعتْ إلي امرأة من قريش قصّة ، ذكرت فيها أنـّها من بني زُهرة صَلبية[1] ، وأنـّها أمّ شارية ؛ واحتجّت بأنّه لا تكون بنت امرأة من قريش أَمَة . فإن كانت هذه المرأة صادقة في أنّ شارية بنتها ، وأنّها من بني زهرة ، فمن المحال أن تكون شارية أَمَة ؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك ، وسترها عند مَن تثق به من أهلك ، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة ؛ فإن ثبت ما قالته أمرتُ مَن جعلتَها عنده بإطلاقها ، وكان في ذلك الحظّ لك في دينك ومروءتـك ؛ وإن لم يصحّ ذلـك ، أعيـدت الجاريـة إلى منزلك ، وقد زال عنك القول الذي لا يليق بك ولا يحسن . فقال له إبراهيم : فديتك يا أبا إبراهيم ، هب شارية بنت زُهْرة بن كلاب ، أتنكر على ابن عبّاس بن عبد المطّلب أن يكون بعلاً لها ؟ فقال عبد الوهّاب : لا . فقال إبراهيم : فأبلغ أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، وأخبره أنّ شارية حرّة ، وأنّي قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول .

وقد كان الشهود بعد منصرَفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي دُواد . فشمّ منهم من رائحة الطيب ما أنكره ، فسألهم عنه ، فأعلموه أنّهم حضروا عتق شارية ، وتزوّج إبراهيم إياها . فركب إلى المعتصم ، فحدَّثه بالحديث معجباً له منه . فقال : ضلّ سَعْي عبدِ الوهاب . ودخل عبد الوهاب على المعتصم ، فلمّا رآه يمشي في صحن الدار ، سدّ المعتصم أنف نفسه ، وقال : يا عبد الوهاب ، أنا أشمّ رائحة صوف مُحرَق ، وأحسب أنّ عمِّي لم يقنعه ردّك إلاّ وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها ، فشممتُ رائحتها منك . فقال : الأمر على ما ظنّ أمير المؤمنين وأقبح .

ولّما انصرف عبد الوهّاب من عند إبراهيم ، ابتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية ، بعشرة آلاف درهم ، وستر ذلك عنها ، فكان عتقه إياها في ملك غيره ، ثم ابتاعها من ميمونة ، فحلّ له فرجُها ، فكان يطؤها على أنها أَمَتُه ، وهي تتوهـم أنّه يطؤهـا على أنّها حرّة . فلمّا توفّي طلبت مشاركة أمّ محمد بنت خالد زوجته في الثّمن ، فأظهرت خبرها . وسُئِلت ميمونة وهبة الله عن

1 صلبية : خالصة النسب .

الخبر ، فأخبرا به المعتصم . فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة ، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار ، فحوّلت إلى داره ، فكانت في ملكه حتى تُوفِّي .

قال ابن المعتزّ : وقد قيل إنّ المعتصم ابتاعها بثلثمائة ألف درهم .

قال : وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أنّ إبراهيم اقترض ثمن شارية من ابنته ، وملكها إبراهيم ولها سبع سنين ، فربّاها تربية الولد ، حتى لقد ذكرت أنّها كانت في حجره جالسة ، وقد أعجب بصوت أخذته منه ، إذ طُمِثت أوّل طمثها ، فأحسن بذلك ، فدعا قيِّمة له ، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام ، فلفّه عليها ، فقال : احمليها ، فقد اقشعرّت ، وأحسِب برد الحُشّ[1] قد آذاها .

قال : وحدَّثت شارية أنّها كانت معه في حَرَّاقة قد توسّط بها دجلة ، في ليلة مقمرة ، وهي تغنّي إذ اندفعت فغنّت[2] : [من مجزوء الوافر]

لقد حثوا الجِمال ليهـ ـربوا منّا فلَم يَئِلوا

فقام إليها ، فأمسك فاها ، وقال : أنت والله أحسن من الغريض وجهاً وغناءً ، فما يؤمنني عليك ؟ أمسِكي .

قال : وحدَّث حمدون بن إسماعيل : أنّه دخل على إبراهيم يوماً ، فقال له : أتحبّ أن أسمعك شيئاً لم تسمعه قطّ ؟ قال : نعم . فقال : هاتوا شارية ، فخرجت ، فأمرها أن تغنّي لحن إسحاق :

هل بالديار التي حَيَّيْتَها أحد ؟

قال حمدون : فغنّتني شيئاً لم أسمع مثله قطُّ ، فقلت : لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا . فقال : أتحبّ أن تسمعه أحسن من هذا ؟ فقلت : لا يكون . فقال : بلى والله تقرّ بذاك . فقلت : على اسم الله . فغنّاه هو ، فرأيت فضلاً عجيباً . فقلت : ما ظننت أنّ هذا يفضل ذاك هذا الفضل . قال : أفتحبّ أن تسمعه أحسن من هذا وذاك ؟ فقلت : هذا الذي لا يكون . فقال : بلى والله . فقلت : فهات . قال : بحياتي يا شارية ، قوليه وأجيلي حلقك فيه . فسمعت والله فضلاً بينا ، فأكثرت التعجّب . فقال لي : يا أبا جعفر ، ما أهون هذا على السامع ! تدري بالله كم مرّة رددت عليها موضعاً في هذا الصوت ؟ قلت : لا . قال : فقل وأكثر . قلت : مائة مرّة . قال : اصعد ما بدا لك . قلت : ثلثمائة . قال : أكثر والله من ألف مرّة ، حتى قالته كذا .

1 الحش : البستان ، وفي ل : الخيش .

2 البيت للحكم بن عبدل وقد تقدم في ترجمته 2 : 265 . ولم يئلوا : لم ينجوا .

[عقوبتها]

قال : وكانت رَيِّق تقول : إنّ شارية كانت إذا اضطربت في صوت ، فغاية ما عنده من عقوبتها أنّه يقيمها تغنّيه على رجليها ، فإن لم تبلغ الذي يريد ، ضَرَبَت ريِّق[1] .

قال : ويقال إنّ شارية لم تضرب بالعود إلاّ في أيام المتوكّل ، لمّا اتّصل الشرّ بينها وبين عرِيب ، فصارت تقعد بها عند الضرب[2] ، فضربت هي بعد ذلك .

[لا يبيعها بسبعين ألفاً]

قال ابن المعتزّ : وحدّث محمد بن سهل بن عبد الكريم ، المعروف بسهل الأحول ، وكان قاضي الكتاب في زمانه ، وكان يكتب لإبراهيم ، وكان شيخاً ثقة . قال : أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار ، فامتنع من بيعها . فعاتبتُه على ذلك . فلم يجبني بشيء . ثم دعاني بعد أيام ، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة . فأحضره الغلام سَفُّوداً فيه ثلاث فراريج ، فرمى إلي بواحدة ، فأكلتها وأكل اثنتين ، ثم شرب رِطلاً وسقانيه ، ثم أُتِي بسفود آخر ، ففعل كما فعل ، وشرب كما شرب وسقاني . ثم ضَرَب سِتراً كان إلى جانبه ، فسمعت حركة العِيدان ، ثم قال : يا شارية تَغَنَّي . فسمعت شيئاً ذهب بعقلي . فقال : يا سهل ، هذه التي عاتبتَني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار ، لا واللهِ ، ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار .

قال : وكانت شارية تقول : إنّ أباها من قريش ، وإنّها سُرِقت وهي صغيرة ، فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية ، وباعتها من إبراهيم بن المهدي . والله أعلم .

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال : أمرني المعتزّ ذات يوم بالمُقام عنده ، فأقمت . فأمر فمدّت الستارة ، وخرج مَن كان يغنّي وراءها ، وفيهنّ شارية ، ولم أكن سمعتها قبل ذلك . فاستحسنت ما سمعت منها ، فقال لي أمير المؤمنين المعتزّ : يا عبيد الله ، كيف ما تسمع منها عندك ؟ فقلت : حظ العجب من هذا الغناء ، أكثر من حظّ الطرب . فاستحسن ذلك ، وأخبرها به فاستحسنته .

قال ابن المعتزّ : وأخبرني الهشامي ، قال : قالت لي رَيِّق : كنت ألعب أنا وشارية بالنرد بين يدي إبراهيم ، وهو متّكىء على مِخدّة ينظر إلينا . فجرى بيني وبين شارية مشاجرة في اللعب ، فأغلظتُ لها في الكلام بعض الغلظة . فاستوى إبراهيم جالساً ، وقال : أراك تستخفّين بها ، فوالله ما أجد أحداً يخلفك غيرها . وأومأ إلى حلقه بيده .

1 أي ضربت بالعود .

2 تتنقصها بأنها لا تعرف الضرب .

[نقض حكاية العتق والزواج]

قال : وحدَّثني الهشامي ، قال : حدَّثني عمرو بن بانة ، قال : حضرت يوماً مجلس المعتصم ، وضُرِبت الستارة ، وخرجت الجواري ، وكنت إلى جانب مخارق ، فغنَّت شارية ، فأحسنت جدّاً . فقلت لمخارق : هذه الجارية في حسن الغناء على ما تسمع ، ووجهها وجه حسن ، فكيف لم يتحرّم[1] بها إبراهيم بن المهدي ؟ فقال لي : أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة مَنْع إبراهيم بن المهدي من ذلك .

قال عبد الله بن المعتزّ : وحدَّثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى ، عن رَيِّق قالت : استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه ، وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام ، فنالته ضَيقة . قالت : فتحمل ذهابنا إليه على ضعف ، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقّعة ، فجعلنا نَرى جواريَ المعتصم وما عليهنّ من الجوهر والثياب الفاخرة ، فلـم تستجمع إلينـا أنفسنا حتى غنّـوا وغنّينـا . فطرب المعتصم على غنائنا ، ورآنا أمْثَل من جواريه ، فتحوّلت إلينا أنفسنا في التّيه والصّلف ، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم .

قال : وحدَّثني أبو العَنبَس ، عن أبيه قال : كانت شارية أحسن النّاس غناءً ، منذ توفّي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق .

قال أبو العَنْبَس : وحدَّثتني رَيِّق أنّ المعتصم افتضّها ، وأنّها كانت معها في تلك الليلة .

قال أبو العَنْبَس : وحدَّثتني طِباع جارية الواثق : أنّ الواثق كان يسمِّيها سِتي . وكانت تعلم فريدة ، فلم تبق في تعليمها غاية ، إلى أن وقع بينهما شيء بحضرة الواثق ، فحلفت أنّها لا تنصحها ولا تنصح أحداً بعدها . فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتاً إلاّ نقصت من نغمه . وكان المعتمد قـد تعشّق شرة جاريتهـا ، وكانت أكمـل الناس ملاحة وخفّة روح . وعجز عن شرائها ، فسأل أُمّ المعتزّ أن تشتريهـا لـه ، فاشترتهـا من شارية بعشرة آلاف دينار ، وأهدتها إليـه . ثم تزوّجت بعد وفـاة المعتمـد بابن البقّال المغنّي ، وكان يتعشّقها . فقال عبد الله بن المعتزّ ، وكان يتعشّقها : [من الطويل]

أقـول وقـد ضاقت بأحزانها نفسِي ... ألا رُبّ تطليقٍ قريـبٌ مـن العُرسِ
لئن صِرتِ للبقّـال يـا شرَّ زوجـةً ... فلا عجبٌ قد يربُض الكلبُ في الشمسِ

[ابن وصيف يستودعها جوهره]

وقال يعقوب بن بُنان : كانت شارية خاصّة بصالح بن وصيف . فلمّا بلغه رحيل موسى بن

1 لم يتحرم بها : لم يدخلها في حرمه .

بُغا من الجبل يريده ، بسبب قتله المعتزّ ، أودع شارية جوهره . فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك . فلمّا أُوقع موسى بصالح ، استترت شارية عند هارون بن شعيب العُكْبَري ، وكان أنظف خلق الله طعاماً ، وأسراه مائدة ، وأوسخه كلّ شيء بعد ذلك ؛ وكان له بسرّ مَن رأى منزل ، فيه بستان كبير ، وكانت شارية تسمّيه أبي ، وتزوره إلى منزله . فتحمل معها كلّ شيء تحتاج إليه ، حتى الحصير الذي تقعد عليه .

[كرمها]

قال : وكانت شارية من أكرم الناس . عاشرها أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا ، ثم أضاق في وقت ، فاقترض منها على غير رهن عشرة آلاف دينار ، ومكثت عليه أكثر من سنة ، ما أذكرته بها ، ولا طالبته حتى ردّها ابتداءً .

[تحزب لشارية وعريب]

قال يعقوب بن بنان : وكان أهل سرّ مَن رأى متحازِبين ، فقوم مع شارية ، وقوم مع عريب ، لا يدخل أصحاب هذه في هؤلاء ، ولا أصحاب هذه في هؤلاء . فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل عَرِيبياً ، فدعا علي بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، وعنده عَرِيب وجواريها . فاتّصل الخبر بشارية ، فبعثت بجواريها إلى علي بن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهنّ ، وما أدري هي : مِهرجانُ ، أو مطربُ ، أو قمرية ، إلاّ أنّها إحدى الثلاثة ، أن تغنّي قوله : [من مجزوء الخفيف]

لا تَعودَنّ بعدهـا فترى كيفَ أُصنعُ

فلمّا سمع علي الغناء ضحك ، وقال : لست أعود .

قال : وكان المعتمد قد وثق بشارية ، فلم يكن يأكل إلاّ طعامها . فمكثت دهراً من الدهور تعدّ له في كلّ يوم جُونتين[1] ، وكان طعامه منهما في أيام المتوكّل .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني أحمد بن نعيم عن رَيِّق ، قالت : كان مولاي إبراهيم يسمّي شارية بنتي ، ويسمّيني أختي .

[المعتمد يمنحها ألف ثوب]

حدَّثني جحظة ، قال : كنت عند المعتمد يوماً ، فغنّته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي ولحنه : [من الكامل]

1 الجونة : سلة صغيرة تغشى بالأدم ويستعملها العطارون . جمعها جون .

يا طول عِلـةِ قلبـيَ المعتادِ ... أَلِفَ الكَرامَ وصحبةَ الأَمجادِ[1]

فقال لها : أحسنتِ واللهِ . فقالت : هذا غنائي وأَنا عارية ، فكيف لو كنت كاسية ؟ فأَمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصيّة ، فحُمل ذلك إليها . فقال لي علي بن يحيى المنجّم : اجعل انصرافك معي . ففعلت ، فقال لي : هل بلغك أنّ خليفة أَمَر لمغنّية بمثل ما أَمَر به أمير المؤمنين اليوم لشارية ؟ قلت : لا . فأمر بإخراج سير الخلفاء ، فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام ، فتصفّحناها كلّها ؛ فما وجدنا أحداً قبله فعل ذلك .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

يا طـول عِلّةِ قلبيَ المعتادِ ... أَلِفَ الكرامَ وصحبةَ الأَمجادِ

ما زلت آلف كلّ قَرْمٍ ماجدٍ ... متقـدّمِ الآبـاء والأَجـدادِ

الشعر لإبراهيم بن المهدي ، والغناء لعلّويه ، خفيف رمل لشارية بالبنصر ، ولم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه .

[شعر وغناء لخديجة بنت المأمون]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي سعيد ، قال : حدَّثني محمد بن مالك الخزاعي ، قال : حدَّثتني مُلَح العطّارة ، وكانت من أَحسن الناس غناءً ، وإنّما سمِّيت العطّارة لكثرة استعمالها العطر المطيّب ، قالت : غنّت شارية يوماً بين يدَي المتوكّل وأنا واقفة مع الجواري : [من السريع]

بالله قولوا لي لِمَـن ذا الرَّشا ... المثقلُ الردفِ الهضيمُ الحشا

أَظرف ما كان إذا ما صحا ... وأَملـح الناس إذا ما انتشى

وقـد بنى بُـرْجَ حمامٍ له ... أَرسل فيـه طائـراً مُرعَشا[2]

يـا ليتني كنت حَماماً له ... أَو باشَقاً يفعل بي مـا يشا

لـو لبس القُوهيَّ مـن رقّةٍ ... أَوجعـه القُوهيُّ أَو خدَّشا[3]

1 علة في ل : غلة ، والغلة العطش .

2 المرعش : الحمام الأبيض .

3 القوهي : ضرب من الثياب البيض .

وهو هَزَج ، فطرب المتوكّل ، وقال لشارية : لِمَن هذا الغناء ؟ فقالت : أخذته من دار المأمون ، ولا أدري لِمَن هو . فقلت له أنا : أعلم لِمَن هو . فقال : لِمَن هو يا مُلَح ؟ فقلت : أقوله لك سرّاً . قال : أنا في دار النساء ، وليس يحضرني إلاّ حُرَمي ، فقوليه . فقلت : الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون ، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه ، وغنّت في هذا اللحن . فأطرق طويلاً ، ثم قال : لا يسمعْ هذا منك أحد .

صوت[1]

[من الطويل]

أحبّكِ يا سلمى على غير ريبة ... وما خير حبّ لا تعف سرائرُهْ
أُحبّكِ حبّاً لا أُعنّف بعده ... محبّاً ، ولكنّي إذا لِيم عاذرُهْ
وقد مات حُبّي أوّل الحبّ فانقضى ... ولَوْ متُّ أضحى الحبّ قد مات آخرُهْ
ولّما تناهى الحبّ في القلبِ واردا ... أقام وسدّت فيه عنه مصادرُهْ

الشعر للحسين بن مُطَير الأسدي ، والغناء لإسحاق : هزج بالبنصر .

1 شعر الحسين بن مطير : 55–56 مع بعض اختلاف .

[309] ـ أخبار الحسين بن مطير ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحسين بن مُطَير بن مكمَّل ، مولى لبني أُسد بن خُزيمة ، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . وكان جدّه مكمَّل عبداً ، فأعتقه مولاه . وقيل بل كاتبه ، فسعى في مكاتبته حتى أدّاها وأعتق . وهو من مخضرمي الدولتين : الأموية والعبّاسية ، شاعر متقدّم في القصيد والرجز ، فصيح ، قد مدح بني أمية وبني العبّاس .

أُخبرني أُحمد بن عبيد الله بن عمّار ، عن محمد بن داود بن الجرّاح ، عن محمد بن الحسن بن الحَرون : أنّه كان من ساكني زُبالة[2] ، وكان زيّه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية . وذلك بَيِّن في شعره .

وممّا يدلّ على إدراكه دولة بني أُمية ، ومدحه إياهم ، ما أُخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى إجازة ، قال : أخبرني أبي ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، عن مروان بن أبي حفصة ، قال : دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفي ، والحسين بن مطير الأسدي ، في عدّة من الشعراء ، على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجل كلّما أُنشد شاعر شعراً ، وقف الوليدُ على بيت منه ، وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعراء . فقلت : مَن هذا ؟ قالوا : هذا حمّاد الراوية . فلمّا وقفت بين يدَي الوليد لأُنشده ، قلت : ما كلام هذا في مجلس أُمير المؤمنين وهو لحانة . فتهانف[3] الشيخ ، ثم قال : يا ابن أخي ، أنا رجل أُكلّم العامة ، وأتكلّم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عنّي الشعر كلّه ، إلاّ شعر ابن مقبل ، فقلت : نعم ، لابن مقبل . فأنشدته : [من الطويل]

---

1 للحسين بن مطير ترجمة في طبقات ابن المعتزّ : 114–119 ومعجم الأدباء : 1157–1162 وخزانة البغدادي 5 : 475–482 وفوات الوفيات 1 : 388–389 وتهذيب ابن عساكر 4 : 362 والسمط : 409 وسير أعلام النبلاء 7 : 81 والوافي للصفدي 13 : 63 . وقد جمع شعره مرتين : مرة بعناية د . حسين عطوان ومرة بعناية د . محسن غياض (بغداد) وإلى هذا نشير .

2 زُبالة : كانت قرية عامرة على طريق مكة من الكوفة وكان فيها أسواق وحصن وجامع وقد بقي منها خرائب قصر زُبالة .

3 تهانف : تضاحك في فتور وسخرية .

سلِ الدّار مــن جنبي حِبِرٌ فواهبٍ إلى ما رأى هضبَ القليب المُضَيَّحِ[1]

ثم جزت . فقال : قف . ماذا يقول ؟ فلم أدرِ ما يقول . فقال : يا ابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال : تراءى الموضعان : إذا تقابلا .

[يفد على معن بن زائدة فينقد شعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، والحسن بن علي ، ويحيى بن علي ، قالوا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزي قال : حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن علي ، قال : حدَّثني أبي : أنّ الحسين بن مُطير وفد على مَعن بن زائدة لمّا ولِي اليمن وقد مدحه ، فلمّا دخل عليه أنشده[2] : [من الطويل]

أتيتك إذ لَم يبــقَ غيرَك جابــر ولا واهب يعطِي اللُّها والرغائبا[3]

فقال له معن : يا أخا بني أسد ، ليس هذا بمدح ، إنّما المدح قول نهار بن تَوْسِعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة ، في مِسمع بن مالك : [من الخفيف]

قلدتْــه عُــرى الأمورِ نـِزار قبـل أن تهلِك السراة البحورُ[4]

قال : وأوّل هذا الشعر : [من الخفيف]

اظْعَني مـن هراة قد مــرَّ فيها حِججٌ مـذ سكنتِهـا وشهورُ

اظْعَنــي نحـو مِسمع تجديـهِ نعــم ذو المُنثنى ونعم المَزورُ

سوف يكفيك إن نبتْ بكَ أرض بخُــراسان أو جفــاك أميرُ

من بني الحِصن عامِلٌ بن بريح لا قليــلُ النّـدى ولا منزورُ

والــذي يفـزع الكماة إليـه حين تدمى من الطّعان النُّحورُ

فاصطنع يا ابـن مالك آل بكر واجبرِ العظـم إنّــه مكسورُ

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها ، وأوّلها[5] : [من الرجز]

حديث ريا حَبّذا إدلالُها
تسأل عن حالي وما سؤالها
عن امرىء قـد شفّه خيالها

---

1 حبر وواهب : جبلان . وهضب القليب والمضيّح : ماءان .
2 شعره : 34 .
3 اللها : العطايا ، مفردها : لهوه .
4 السراة : جمع سري ، وهو الرجل السيد الشريف .
5 شعره : 66 .

وهي شفاء النفسِ لو تنالها

يقول فيها يمدحه :

سلَّ سيوفـاً محدثاً صِقالُها

صاب على أعدائــهِ وبالها[1]

وعند معن ذي النّدى أمثالها

فاستحسنها ، وأجزل صِلته .

[الأصمعي يردّ معنى دعبل إليه]

أخبرني ابن عمّار ويحيى بن علي ، حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدَّثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكرٍ الأصمّ قال : كنّا في مجلس الأصمعي ، فأنشده رجل لِدِعبِل بن علي :

أيـن الشبابُ وأيـةً سلكا

فاستحسنا قوله[2] : [من الكامل]

لا تعجبي يـا سَلْمُ من رجلٍ ضحِكَ المشيب برأسِهِ فبكى

فقال الأصمعي : هذا أخذه من قول الحسين بن مُطير[3] : [من الخفيف]

أيـن أهـل القِبـاب بالدّهنـاء أيـن جِيرانـنا عـلى الأحساء

فارقونـا والأرض مُلبَسة نـو ر الأقاحِـي يُجـاد بـالأنواء

كلَّ يـوم بأقحـوان جديـد تضحك الأرض من بكاء السماء[4]

[سهر المهدي من شعره]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم الدينوري ، قال : حدَّثني محمد بن عمران الضبيّ ، قـال : قـال المهدي للمفضل الضبّي : أُسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مُطير الأسدي . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله[5] : [من الطويل]

وقـد تغدر الدّنيا فيضحي فقيرها غنيـاً ويغْنى بعـد بؤسٍ فقيرُها[6]

1 صاب : انصب بغزارة .
2 ديوان دعبل (نجم) : 117 .
3 شعر الحسين بن مطير : 31 .
4 من بكاء السماء في ل : عن مهل السماء .
5 شعره : 51 . مع اختلاف في الترتيب .
6 في الديوان : «. . . فيضحي غنيها فقيراً» وهو أقرب إلى الصواب .

فــلا تقــرب الأمــر الحرام فإنّه حلاوتــه تفنــى ويبقى مَريرُها
وكم قــد رأينــا مَــن تغيّر عيشة وأُخرى صفا بعد اكدرارٍ غديرُها

فقال له المفضل : مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين .

وقد أخبرني بهذا الخبر عمّي رحمه الله أتمّ من هذا ، قال : نسخت من كتاب المفضل بن سلمة : قال أبو عِكرمة الضبّي : قال المفضل الضبّي : كنت يوماً جالساً على بابي وأنا محتاج إلى درهم ، وعلي عشرة آلاف درهم دين ، إذ جاءني رسول المهدي ، فقال : أجِب أمير المؤمنين . فقلت : ما بعث إليّ في هذا الوقت إلاّ لسعاية ساع . وتخوّفته ، لخروجي ، كان ، مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن . فدخلت منزلي ، فتطهّرت ولبست ثوبين نظيفين ، وصِرت إليه . فلمّا مثلت بين يديه سلّمت ، فردّ علي ، وأمرني بالجلوس . فلمّا سكن جأشي ، قال لي : يا مفضل ، أي بيت قالته العرب أفخَر ؟ فتشكّكت ساعة ، ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقياً فاستوى جالساً ، ثم قال : وأي بيت هو ؟ قلت قولها : [من البسيط]

وإنّ صَخراً لَتأتَــمُّ الهداةُ بِه كأنَّــه عَلَــمٌ في رأسِهِ نارُ

فأومأ إلى إسحاق بن بَزيع ، ثم قال : قد قلت له ذلك فأباه . فقلت : الصواب ما قاله أمير المؤمنين . ثم قال : حدّثني يا مفضل . قلت : أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين ؟ قال : حديث النساء . فحدّثته حتى انتصف النهار ، ثم قال لي : يا مفضل ، أسهرني البارحة بيتا ابن مُطير ، وأنشد البيتين المذكورين في الخبر الأوّل . ثم قال : ألهذين ثالث يا مفضل ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله : [من الطويل]

وكم قــد رأينـــا مَــن تغيّر عِيشةٍ وأُخرى صفا بعد اكدرارٍ غديرُها

وكان المهدي رقيقاً فاستعبر ، ثم قال : يا مفضل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف يكون حال مَن هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ؟ فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، وقال : اقضِ دينك ، وأصلِح شأنك . فقبضتها وانصرفت .

[مديحه المهدي]

أخبرني يحيى بن علي ، عن علي بن يحيى إجازة ، وحدَّثنا الحسن بن علي قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع ، أحد بني سوار بن الحارث الأسدي ، قال : أخبرني جدّي موسى بن مجمع ، قال : قال الحسين بن مُطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

1 شعره : 33 .

إليـك أميـر المؤمنـين تعسَّفتْ بنا البيدَ هَوجـاءُ النَّجاء خَبوبُ[1]
ولو لَـم يكن قدّامها ما تقاذفتْ جبـال بهـا مغبـرَّة وسُهوبُ
فتى هـو مـن غير التخلّق ماجدٌ ومـن غيرِ تأديب الرّجـال أديبُ
عـلا خَلْقُه خَلـق الرّجالِ وخُلْقه إذا ضاق أخلاق الرّجالِ رحيبُ
إذا شاهـد القـوّاد سار أمامهم جـريء على مـا يتّقـون وَثوبُ
وإن غـاب عنهم شاهدتهم مهابةٌ بهـا يقهـر الأعداءَ حـين يَغيبُ
يعـفُّ ويستحيي إذا كان خاليـاً كما عـفَّ واستحيا بحيـثُ رَقيبُ

فلمّا أنشدها المهدي أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد .

[مسكنه]

وكان الحسين من الثعلبية[2] ، وتلك داره بها . قال ابن أبي سعد : وأرانيها الشيخ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، عن إسحاق بن عيسى ، قال : دخل الحسين بن مُطَير على المهدي ، فأنشده قوله[3] : [من البسيط]

لو يعبـدُ النّاسُ يـا مهديُّ أفضلَهُم مـا كان في النّاس إلاّ أنت مَعْبُودُ
أضحت يمينُك مِن جودٍ مصوّرة لا بـل يمينُك منهـا صُوِّر الجودُ
لـو أنّ مـن نوره مثقـال خردلةٍ في السودِ طُرّا إذن لابيضّتِ السُّودُ

فأمر له لكلّ بيت ألف درهم .

[رثاء معن بن زائدة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ ، قـال : حدَّثني أبي ، قـال : خـرج المهـدي يومـاً ، فلقيـه الحسين بن مُطَير ، فأنشده قولـه : [من البسيط]

أضحت يمينُك مـن جودٍ مصوّرة لا بـل يمينُك منهـا صوّر الجودُ

فقال : كذبت يا فاسق ، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد ، بعد قولك في مَعْن بن زائدة

1 تعسفت : سارت على غير هدى . الهوجاء : الناقة المسرعة . والنجاء : الاسراع . والخبوب : التي تسير الخبب وهو ضرب من عدو الإبل .
2 الثعلبية : موضع بجوار زُبالة .
3 شعره : 48 .

حيث تقول[1] : [من الطويل]

أَلِمّـا بمَعـنٍ ثـم قـولا لقبره سُقِيت الغوادي مَرْبَعـا ثـم مربعا

أخرجوه عنّي ، فأخرجوه .

وتمام الأبيات :

أيـا قبر معـن كنـت أوّل حفرةٍ من الأرض خُطَّت للمكارم مضجعا[2]

أيا قبر معنٍ كيف واريتَ جودَه وقـد كان منـه البرّ والبحر مُترَعا

بلى قد وسعتَ الجود والجود ميِّت ولـو كان حياً ضِقت حتى تصدّعا

فتى عِيش في معروفه بعـد موتـه كما كان بعد السيلِ مجراه ممرِعا

أبى ذكر مَعنٍ أن تمـوت فِعاله وإن كان قـد لاقى حِماماً ومصرعا

[أشعر العبّاسيين]

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني علي بن عبيد الكوفي قال : حدَّثني الحسين بن أبي الخَصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب ، قال : كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العبّاس ، مَن أشعر مَن قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعلَم بهذا وأعلى عيناً . فقال له : على ذاك فقل ، وتكلّم أنتَ أيضاً يا أحمد بن يوسف . فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذي يقول : [من الطويل]

أيـا قبر معـن كنـت أوّل خِطّة من الأرض خطّت للمكارم مضجعا

فقال أحمد بن يوسف : بل أشعرهم الذي يقول[3] : [من الكامل]

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخَّـر عنـه ولا متقـدَّمُ

فقال : أبيت يا أحمد إلاّ غزلاً ! أين أنتم عن الذي يقول[4] : [من المديد]

يا شقيق النفس من حكمٍ نمتَ عـن ليلي ولَم أنَمِ

---

1 شعره : 60–61 .

2 ويروى : «خطت للسماحة . . .» .

3 البيت لأبي الشيص وينسب إلى غيره .

4 البيت مطلع قصيدة لأبي نواس ، وسيرِد في ترجمة والبة بن الحباب منسوباً إليه 18 : 74 .

[أبو عبيدة يعجب بشعره]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا أبو خليفة عن التَّوزِي ، قال : قلت لأبي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مُطَير ؟ فقال : والله لوددت أنّ الشعراء قاربته في قوله[1] : [من الطويل]

مخصرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن مِمّـا زينتهـا عقودُها
فصُفـرٌ تراقيهـا ، وحمـرٌ أكفّها ... وسودٌ نواصيها ، وبيضٌ خدودُها

[وصف السحاب والمطر]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مُطَير ، قال : كان سبب قوله هذه الأبيات أنّ والياً ولِي المدينة ، فدخل عليه الحسين بن مُطَير ، فقيل له : هذا من أشعر الناس . فأراد أن يختبره ، وقد كانت سحابة مكفهرّة نشأت ، وتتابع منها الرعد والبرق ، وجاءت بمطر جَوْد . فقال له : صِف هذه السحابة . فقال[2] : [من الكامل]

مستضحِـكٌ بلوامـعٍ مستعبِر ... بمدامـعٍ لم تَمْرِهـا الأقذاءُ[3]
فلـه بـلا حـزن ولا بمسرّة ... ضحِك يراوِح بينـه وبكاءُ
كثرت لكثرة ودقـه أطباؤه ... فـإذا تَحَلَّبَ فاضتِ الأطباءُ[4]
وكأن بارقـه حريـق تلتقي ... ريح عليـه وعرفـج وألاءُ[5]
لو كان من لجج السواحل ماؤه ... لم يبقَ في لجج السواحل ماءُ

صوت

[من الهزج]

إذا مـا أمّ عبـد اللـ ... ـه لم تَحلل بواديهِ
ولم تمس قريباً هيَّـ ... ـج الحـزنَ دواعيهِ
غـزال راعـه القنَّا ... ص تحميـه صياصيهِ
ومـا ذكري حبيباً و ... قليـل مـا أواتيهِ

---

1 شعره : 45 .
2 شعره : 27–28 .
3 لم تمرها الأقذاء : لم يسل دمعها القذى .
4 الأطباء : أثداء الحيوان . والودق : المطر .
5 العرفج والألاء : نوعان من الشجر .

كذي الخمرِ تمنّاهـا وقـــد أُنزِف ساقيهِ[1]
عرفتُ الرّبع بالإكليـ ـــل عفّتــه سوافِيهِ[2]
بجــوٍّ ناعــم الحوذا ن ملتـــفّ روابيــهِ[3]

الشعر مختلط ، بعضه للنُّعمان بن بشير الأنصاري ، وبعضه ليزيد بن معاوية ، فالذي للنُّعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأوَل والبيت الأخير ، وباقيها ليزيد بن معاوية[4] . ورواه مَن لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العُزّى . فأمّا مَن ذكر أنّه للنُّعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني ؛ وجدت ذلك عنه في كتابه ، وخالد بن كلثوم ، نسخته من كتاب[5] أبي سعيد السكري في مجموع شعر النُّعمان . وتمام الأبيات للنُّعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه ، فإنّها متوالية ، قال :

فبحت اليوم بالأمر الْـ ـلَذي قـد كنت تخفيهِ
فـإن أُكتمــه يومــاً فإنّـــي سوف أبديـــهِ
ومــا زلـــت أفدّيـــهِ وأدنيـــهِ وأرقيـــهِ
وأسعـــى في هــواه أ بــداً حتّـى أُلاقيـــهِ
فبات الرّيم منّـي حـــ ـــذراً زلّـــت مراقيهِ

والغناء لمعبد : خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وذكره إسحاق في خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر ، ولم ينسبه إلى أحد . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى ، عن الهِشامي وحنين .

1 أنزف : ذهب عقله .
2 الإكليل : موضع . والسوافي : الرياح التي تحمل التراب والرمل .
3 الحوذان : نبت أو بقلة لها نور أصفر .
4 لم يدخِل المحقق (صلاح الدين المنجد) شيئاً منها في مجموع الشعر المنسوب ليزيد .
5 ل : خط .

[310] ـ أخبار النُّعمان بن بشير ونسبه[1]

[نسبه]

هو النُّعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خَلاّس بن زيد بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرَج بن الحارث بن الخزرج . وأُمّه عَمْرة بنت رَواحة ، أُخت عبد الله بن رواحة ، التي يقول فيها قيس بن الخطيم[2] : [من المتقارب]

أَجَـدَّ بعمـرة غُنيانُهـا فتهجـرَ أُمّ شانُنـا شانُها[3]

وعمرة من سَروات النسا ء تنفـح بالمسك أردانُها

وله صحبة بالنبي ﷺ ، ولأبيه بشير بن سعد . وكان جاء إلى النبي ﷺ ومعه رجل آخر ، ليشهد معه غزوة له فيما قيل ، فاستصغرهما فردّهما .

وأبوه بشير بن سعد أوّل مَن قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضي الله عنه فبايعه ، ثم توالت الأنصار فبايعته . وشهد بشير بيعة العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلّها ، واستشهد يوم عين التمر[4] مع خالد بن الوليد .

[عثماني الهوى]

وكان النُّعمان عثمانياً ، وشهد مع معاوية صِفّين ، ولم يكن معه من الأنصار غيره ؛ وكان كريماً عليه ، رفِيعاً عنده وعند يزيد ابنه بعده . وعمِّر إلى خلافة مروان بن الحكم ، وكان يتولى حِمص . فلمّا بويع لمروان ، دعا إلى ابن الزبير ، وخالف على مروان ، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط . فلم يجبه أهل حِمص إلى ذلك . فهرب منهم ، وتبعوه فأدركوه فقتلوه ، وذلك في سنة خمس وستّين .

ويقال إنّ النُّعمان بن بشير أوّل مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله ﷺ إياها . وقد

1 ترجمة النُّعمان بن بشير في تهذيب التهذيب 10 : 447 والاستيعاب 4 : 1496 وأسد الغابة 5 : 22 والإصابة وأنساب الأشراف 1 : 244 ومصورة تاريخ ابن عساكر 17 : 85 والوافي للصفدي والمحبر : 276 ، 294 وطبقات ابن سعد 5 : 531 ، وانظر أعلام الزركلي . وقد جمع شعره د . يحيى الجبوري (بغداد) ووضع له مقدمة ضافية .

2 ديوان قيس بن الخطيم : 271 .

3 غنيانها : استغناؤها بزوجها .

4 عين التمر : مدينة في وسط العراق .

قيل ذلك في عبد الله بن الزُّبير ، إلاّ أنّ النُّعمان أوّل مولود وُلِد بعد مقدمه عليه السلام من الأنصار ، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

[العدل بين الأولاد]

وروى النُّعمان بن بشير عن النبي ﷺ كثيراً .

حدَّثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء . قال : حدَّثني أبو بكر بن أبي شَيْبة ، قال : حدَّثنا عباد بن العوّام ، عن الحصين ، عن الشعبي ، قال : سمعت النُّعمان بن بشير يقول : أعطاني أبي عطية ، فقالت أمّي عمرة : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ . فأتى رسولَ الله فقال : ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتْني أن أشهدك . فقال : أعطيتَ كلّ ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . فقال : فاتّقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

[يرفض زيادة عطاء الكوفيين]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم ، وعامله يومئذٍ على الكوفة وأرضها النُّعمان بن بشير ، وكان عثمانياً ؛ وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في علي عليه السلام . فأبى النُّعمان أن ينفذها لهم . فكلّموه وسألوه بالله ، فأبى أن يفعل . وكان إذا خطب على المِنبر أكثَرَ من قراءة القرآن . وكان يقول : لا ترون على مِنبركم هذا أحداً بعدي يقول : إنّه سمع رسول الله ﷺ . فصعد المِنبر يوماً فقال : يا أهل الكوفة . فصاحوا : ننشدك الله والزيادة . فقال : اسكتوا . فلمّا أكثروا قال : أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟ قالوا : لا . قال : مثل الضبع والضبّ والثعلب : فإنّ الضبع والثعلب أتيا الضبّ في وِجاره ، فناداياه : أبا الحِسْل . فقال : سميعاً دعوتما . قالا : أتيناك لتحكم بيننا . قال : في بيته يؤتى الحكم . قالت الضبع : إنّي حللت عَيْبَتي . قال : فِعلَ الحرّة فعلت . قالت : فلقطت ثمرة . قال : طيباً لقطتِ . قالت : فأكلها الثعلب . قال : لنفسه نظر . قالت : فلطمته . قال : بجُرْمه . قالت : فلطمني . قال : حر انتصر . قالت : فاقض بيننا . قال : قد فعلت . قال : حدّث امرأة حديثين ، فإن أبَت فعشرة[1] .

فقال عبد الله بن هَمّام السَّلولي : [من الطويل]

---

1 المثل بألفاظ مختلفة في معظم كتب الأمثال (انظر جمع الميداني 1 : 192 ومستقصى الزمخشري 2 : 60 وجمهرة العسكري 1 : 342 والدرة الفاخرة 2 : 457 وفصل المقال : 50) .

زيادتَنا نعمانُ لا تحبِسنها خَفِ اللّهَ فينا والكتابَ الذي تتلو[1]
فإنّك قد حُمِّلت منّا أمانة بما عجزت عنه الصَّلاخمة البُزْلُ[2]
فلا يك باب الشرّ تحسن فتحه وباب النّدى والخيرات له قفلُ[3]
وقد نلتَ سلطاناً عظيماً فلا يكن لغيرك جَمّات النّدى ولك البخلُ
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه فما باله عند الزيادة لا يحلُو
وقبلك قد كانوا علينا أئمّة يهمُّهمُ تقويمنا وهمُ عُصْلُ[4]
إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكنَّ حسن القول خالفه الفعلُ
يذمُّون دنياهم وهم يرضِعونها أفاويقَ حتّى ما يدرّ لهم ثَعلُ[5]
فيا معشر الأنصار إنّي أخوكُم وإنّي لمعروفٍ أنى منكم أهلُ[6]
ومن أجل إيواء النبي ونصره يحِبُّكمُ قلبي وغيركُم الأصلُ

فقال النُّعمان بن بشير : لا عليه ألاّ يتقرّب ، فوالله لا أُجيزها ولا أُنقِذها أبداً .

[سماعه الغناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا الأصمعي ، قال : حدَّثني شيخ قديم من أهل المدينة . وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أبو غسان ، عن أبي السائب المخزومي ، وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسي قال : دخل النُّعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزُّبير ، فقال : والله لقد أخفقتْ أُذناي من الغِناء ، فأسمِعوني . فقيل له : لو وجّهت إلى عزّة الميلاء ، فإنّها مَن قد عرفتَ . فقال : إي وربِّ الكعبة ، إنّها لممّن تزيد النفس طيباً ، والعقل شحذاً . ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإن أبَتْ صِرت إليها . فقال له بعض القوم : إنّ النقلة تشتدّ عليها لثقل بدنها ،

1 لا تحبِسنها في ل : لا تحرمننا .
2 الصلاخمة : الجمال الصلبة الشديدة . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذي انشقّ نابه وذلك في عامه التاسع .
3 فلا يك في ل : فانك . وباب الندى والخيرات في ل : ولا يك باب الخير ليس . . .
4 العصل ، جمع أعصل ، وهو المعوج مع صلابة وشدّة ، ويقال عادة في أنياب السباع .
5 الأفاويق : اللبن الذي يتجمّع في الضرع بين الحلبتين ، مفرده رفيقة . والثعل : خلف زائد في أخلاف الناقة وضرع الشاة لا لبن فيه .
6 أنى : حان .

وما بالمدينة دابة تحملها . فقال النُّعمان بن بشير : وأين النجائب عليها الهوادج ؟ فوجّه إليها بنجيب ، فذكرت علّة . فلمّا عاد الرسول إلى النُّعمان قال لجليسه : أنت كنت أخبر بها ، قوموا بنا . فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها . فأذِنت وأكرمت واعتذرت ، فقبل النُّعمان عذرها ، وقال لها : غنّي ، فغنّت : [من المتقارب]

صوت

أجــدَّ بعَمــــرة غُنيانهـــا   فتهجـــرَ أمّ شأنُنا شأنُها
وعمرة من سَروات النسا   ء تنفَح بالمسك أردانُهـــا

قال : فأُشير إليها أنّها أمّه ، فأمسكت . فقال : غنّي ، فوالله ما ذكرتِ إلاّ كرماً وطيباً ، ولا تغنّي سائر اليوم غيره . فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

[فتوى في النّكاح]

قال إسحاق : فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ فقلنا : بلى ، يا أبا عبد الرحمن . فقال : قال لقيط ونحن عند سعيد الزُّبيري ، قال عامر الشعبي : اشتاق النُّعمان بن بشير إلى الغناء ، فصار إلى منزل عزّة المَيْلاء ، فلمّا انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له . فلمّا خرج شكت إليه كثرة غِشيان زوجها إياها ، فقال النُّعمان : لأقضينّ بينكما بقضية لا تُردّ علي ، قد أحلّ الله له من النساء أربعاً : مثنى ، وثلاث ، ورباع ، له مرّتان بالنهار ، ومرّتان بالليل .

[مديح أعشى همدان له]

أُخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال حدَّثني عمّي ، عن العبّاس بن هشام ، عن أبيه ؛ وأخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الكلبي . وأخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكراني قال : حدَّثني العُمَرِي عن الهيثم بن عدِي ، قالوا : خرج أعشى همْدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم ، فلم يَنَل فيها حظّاً ؛ فجاء إلى النُّعمان بن بشير وهو عامل على حِمص ، فشكا إليه حاله . فكلّم له النُّعمان اليمانية ، وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ، واستماحهم له . فقالوا : نعم ، يعطيه كلّ واحد منّا دينارين من عطائه . فقال : أعطوه ديناراً ، واجعلوا ذلك معجلاً . فقالوا له : أَعطه إياه من بيت المال ، واحتسب ذلك على كلّ رجل من عطائه . ففعل النُّعمان ذلك ، وكانوا عشرين ألفاً ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وارتجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النُّعمان : [من الطويل]

وَلَم أَرَ للحاجات عند التماسها كنعمانَ نعمانِ النَّدى ابن بشيرِ
إذا قال أَوفى ما يقول ولَمْ يكن كمُدْلٍ إلى الأَقوامِ حبلَ غرورِ
متى أَكفرِ النُّعمان لا أُلْفَ شاكراً وما خير مَن لا يقتدي بشَكورِ
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل ثَوى ما ثوى لم ينقلب بنَقيرِ

[هجاء الأخطل للأنصار]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا يحيى الزُّبيري قال حدَّثني ابن أبي زريق ، قال : شبّب عبد الرحمن بن حسّان برَمْلة بنت معاوية ، فقال[1] : [من الخفيف]

رملَ هل تذكرين يوم غزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمنّي
إذ تقولين عَمْرَكَ اللّهَ هل شيء وإنْ جلّ سوف يُسْليكَ عنّي
أَم هَلْ اطمِعتُ منكم يا ابن حسّا ن كما قد أَراك أُطمعتَ منّي

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية ، فغضب ودخل على معاوية ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، أَلا ترى إلى هذا العِلج من أهل يثرب ، يتهكّم بأعراضنا ، ويشبّب بنسائنا ؟ فقال : ومَن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسّان . وأنشده ما قال : فقال : يا يزيد ؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة ، ولكن أمهل حتى يقدَم وفد الأنصار ، ثم أذكرني به . فلمّا قدموا أذكره به . فلمّا دخلوا ، قال : يا عبد الرحمن ، أَلَم يبلغني أنّك شببت برملة بنت أَمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو علمت أنّ أحداً أَشرف لشعري منها لذكرته . فقال : فأَين أنت عن أُختها هند ؟ قال : وإن لها لأختاً يقال لها هند ؟ قال : نعم . وإنّما أراد معاوية أن يشبّب بهما جميعاً ، فيُكذب نفسه . قال : فلم يرض ذلك يزيد ما كان من معاوية في ذلك ، فأرسل إلى كعب بن الجُعَيل ، فقال : اهجُ الأنصار . فقال : أُفْرَق من أمير المؤمنين ، ولكن أدلّك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل . قال : فدعاه ، فقال له : اهج الأنصار . فقال : أفرَق من أمير المؤمنين . قال : لا تخف شيئاً ، أَنا بذلك لك . فهجاهم ، فقال : [من الكامل]

وإذا نسبتَ ابن الفُرَيعة خِلته كالجحش بين حمارة وحمارِ
لعن الإلـه من اليهود عصابة بالجِزْعِ بين صُليصل وصُدارِ
قوم إذا هدر العصيرُ رأيتهم حمراً عيونهمُ من المُسْطارِ[2]

1 تقدم هذا الخبر في التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم 15 : 74 .
2 المسطار : الخمر الحديثة العصر أو الخمر الحامضة .

خَلُّوا المكارم لستمُ من أَهلها وخذوا مساحيكم بني النَّجارِ
إنّ الفوارس يعرفون ظهوركم أولادَ كلّ مقبَّح أكّارِ[1]
ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النُّعمان بن بشير ، فدخل على معاوية ، فحسر عمامته عن رأسه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أترى لؤماً ؟ قال : بل أرى كرماً وخيراً . فما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أنّ اللؤم تحت عمائم الأنصار . قال : أوَ فعل ذلك ؟ قال : نعم . قال لك لسانه . وكتب فيه أن يؤتى به . فلمّا أُتِي به ، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أوّلاً ، فأدخله عليه . فقال له : هذا الذي كنت أخاف . قال : لا تخف شيئاً . ودخل إلى معاوية ، فقال : علام أُرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا ، ويرمي من وراء جَمْرتنا ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومَن زعم ذلك ؟ قال : النُّعمان بن بشير . قال : لا تقبل قوله عليه ، وهو المدّعي لنفسه ، ولكن تدعوه بالبينة ، فإن أثبت شيئاً أخذت به له . فدعاه بالبيِّنة ، فلم يأت بها ، فخلّى سبيله ، فقال الأخطل : [من الطويل]

وإنّي غداة استعبرتْ أُمّ مالك لَراضٍ من السلطان أن يتهدّدا
ولولا يزيد ابن الملوك وسعيُه تجلّلتُ حِدْباراً من الشرِّ أنكدا[2]
فكم أنقذتْني من خطوب حبالُه وخَرْساء لو يُرْمى بها الفيل بَلّدا[3]
ودافع عنّي يوم جِلّقَ غمرة وهمّا ينسِّيني الشراب المبرَّدا[4]
وبات نَجيّاً في دمشقَ لحيّةٍ إذا همَّ لم يَنَمِ السليمُ وأُقصدا[5]
يُخافته طوراً ، وطوراً إذا رأى من الوجه إقبالاً ألحّ وأُجهدا
أبا خالد دافعت عنّي عظيمة وأدركت لحمي قبل أن يتبدّدا
وأطفأت عنّي نار نعمان بعدما أغذّ لأمر فاجر وتجرّدا[6]
ولّما رأى النُّعمان دوني ابن حرّة طوى الكشح إذ لم يستطعني وعرّدا

1 الأكار : الحراث .
2 تجلل : علا . والحدبار : الناقة التي يبس لحمها من الهزال .
3 الخرساء : الداهية . بلّد : ضعف واستكان .
4 الشراب في ل : السلاف .
5 الحية هنا : الرجل الداهية . والسليم : الملدوغ . وأقصدت الحية : إذا عضّت فمات الملدوغ في مكانه .
6 أغذّ في ل : أعدّ .

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائني ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : لمّا أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجُعَيل بهجاء الأنصار ، قال له : أرادِّي أنت إلى الكفر بعد الإسلام ؟ أأهجو قوماً آوَوا رسول الله ﷺ ونصروه ؟! قال : أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى مَن يفعل ذلك . قال : غلام منّا خبيث الدِّين نصراني ، فدلّه على الأخطل .

[عودة إلى تهاجي عبد الرحمن]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطّاب ، قال[1] : لمّا كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي ، وتفاحشا ، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي وهو عامله على المدينة ، أن يجلد كل واحد منهما مئة سوط ، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد ، وما مدح أحداً غيره قطّ . فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمّه ، فأمسك عنهما . ثم ولي مروان ، فلمّا قدِم أخذ ابن حسّان فضربه مئة سوط ، ولم يضرب أخاه . فكتب ابن حسّان إلى النُّعمان بن بشير وهو بالشام ، وكان كبيراً أثيراً مكيناً عند معاوية : [من الخفيف]

ليت شعري أغائبٌ ليس بالشا ... م خليـــلي أم راقــد نعمانُ[2]
أيــَّةً ما يكن فقد يرجع الغا ... ئـب يومـاً ويوقـظ الوسنانُ
إن عمــراً وعامــراً أبوينـــا ... وحراماً قِدْماً على العهد كانوا
أفهـــم مانِعـوك أم قلّــة الكـ ... ـتّاب أم أنت عاتب غضبانُ
أم جفاء أم أعوزتـك القراطيـ ... ـس أمَ امــري بـه عليك هوانُ
يـوم أُنبئتَ أن ساقـيَ رُضَّت ... وأتتكــم بذلـــك الـركبانُ
ثم قالـوا إنّ ابن عمِّك في بلـ ... ـوى أُمورٍ أتــى بها الحِدْثانُ
فنسيت الأرحام والودّ والصحـ ... ـبة فيما أتــت بـه الأزمانُ[3]
إنّمـــا الرّمح فاعلمــنّ قنـــاة ... أو كبعض العيدان لولا السّنانُ

وهي قصيدة طويلة . فدخل النُّعمان بن بشير على معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسّان وابن الحَكَم مئة مئة ، فلم يفعل ؛ ثم ولّيت أخاه ، فضرب ابن حسّان ولم يضرب أخاه : قال . فتريد ماذا ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به

---

1 تقدم هذا الخبر والشعر في 15 : 80 .

2 راقد في ل : عاتب .

3 فنسيت في ل : فتنط .

إلى سعيد . فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مئة . فضربه خمسين ، وبعث إلى ابن حسّان بحُلّة ، وسأله أن يعفو عن خمسين . ففعل ، وقال لأهل المدينة : إنّما ضربني حدّ الحر مئة ، وضربه حد العبد خمسين . فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحَكَم . فجاء إلى أخيه فأخبره ، وقال : لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسّان . فبعث إليه مروان : لا حاجة لنا فيما تركت ، فهلمّ فاقتصّ من صاحبك . فحضر فضربه مروان خمسين أخرى .

[نبوءة ميسون الكلبية]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : أخبرنا أحمد بن الحارث ، قال : حدّثنا المدائني ، عن يعقوب بن داود الثقفي ومعاوية بن محارب : أنّ معاوية تزوّج امرأة من كَلْب ، فقال لامرأته ميسون أمّ يزيد بن معاوية : ادخلي فانظري إلى ابنة عمّك هذه . فأتتها فنظرت إليها ، ثم رجعت فقالت : ما رأيت مثلها ، ولقد رأيت خالاً تحت سرّتها ليوضَعنّ تحت مكانه في حجرها رأس زوجها . فتطير من ذلك ، فطلّقها ، فتزوّجها حبيب بن مسلمة ، ثم طلّقها ، فتزوّجها النُّعمان بن بشير ، فلمّا قتل وضعوا رأسه في حجرها .

قالوا : وكان النُّعمان بن بشير لمّا قُتل الضحّاك بن قيس بمرْج راهط ، في خلافة مروان بن الحكم ، أراد أن يهرب من حمص ، وكان عاملاً عليها ، فخالف ودعا لابن الزُّبير ، فطلبه أهل حمص فقتلوه واحتزّوا رأسه . فقالت امرأته هذه الكلبيّة : ألقوا رأسه في حجري ، فأنا أحقّ به . فألقوه في حجرها ، فضمّته إلى جسده ، وكفّنته ودفنته .

[غضبه من معاوية]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخزاعي ، قال : حدّثنا أبو غسّان دماذ ، قال : حدّثنا أبو عبيدة ، قال : نظر معاوية إلى رجل في مجلسه ، فراقه حسناً وشارة وجسماً ، فاستنطقه فوجده سديداً . فقال له : مِمّن أنت ؟ قال : ممّن أنعم الله عليه بالإسلام ، فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين . قال : عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة ، الكثير عددها ، التي لا تمنع مَن دخل فيهم ، ولا تبالي مَن خرج منهم . فغضب النُّعمان بن بشير ، ووثب من بين يديه ، وقال : أما والله إنّك ما علمتُ لسيِّء المجالسة لجليسك ، عاقّ بزَوْرك[1] ، قليل الرّعاية لأهل الحرمة بك . فأقسم عليه إلاّ جلس فجلس . فضاحكه معاوية طويلاً ، ثم قال له : إنّ قوماً أوّلهم غسان وآخرهم الأنصار ، لكرام . وسأله عن حوائجه ، فقضاها حتى رضي .

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطّه ، أخبرنا ابن حبيب ، قال : قال خالد بن

1 الزور : الزائرون .

كلثوم : خرج النُّعمان بن بشير في ركب من قومه وهو يومئذٍ حديث السنّ ، حتى نزلوا بأرض من الأردنّ يقال لها حَفير ، وحاضرتها بنو القَين . فأهدت لهم امرأة من بني القين يقال لها ليلى ، هدية . فبينا القوم يتحدّثون ويذكرون الشعراء ، إذ قال بعضهم : يا نعمان هل قلت شعراً ؟ قال : لا والله ما قلت ، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سِماك : لم تقل شعراً قطّ ؟ قال : لا . قال : فأقسم عليك لتُربَطنّ إلى هذه السرحة ، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم ، أو تقول شعراً . فقال عند ذلك ، وهو أوّل شعر قاله[1] : [من الخفيف]

يا خليلي ودِّعا دار ليلى ليس مثلي يحلّ دار الهوانِ
إنّ قَيْنيّة تحلّ مُحِبّاً وحفيراً فجنبتي تَرْفُلانِ[2]
لا تؤاتيك في المغيب إذا ما حال من دونها فروع قَنانِ[3]
إن ليلى ولو كَلِفت بليلى عاقها عنك عائق غيرُ وانِ[4]

قال : وضرب الدهر على ذلك ، وأتى عليه زمن طويل . ثم إن ليلى القَينية قدمت عليه بعد ذلك ، وهو أمير على حمص . فلمّا رآها عرفها ، فأنشأ يقول[5] : [من الطويل]

ألا استأذنَت ليلى فقلنا لها لِجِي ومالكِ ألّا تدخلي بسلامِ
فإنّ أناساً زرتِهم ثم حَرَّموا عليك دخول البيت غير كرامِ

وأحسن صلتها ، ورفدها[6] طول مقامها ، إلى أن رحلت عنه .

[أهل المدينة لا يريدون لقباً غير الأنصار]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن مسعود ، عن أبيه ، عن مشيخة من الأنصار ، قال : حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان ، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو دُرة ، وقد حَجَب بعده عبد الملك بن مروان ، فقالوا له : استأذن للأنصار . فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص ، فاستأذن لهم . فقال له عمرو : ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين ؟ اردُد القوم إلى أنسابهم . فقال معاوية : إنّي أخاف من

1 شعر النُّعمان بن بشير : 128–129 .
2 قينية : نسبة إلى بني القين . محب وحفير وترفلان : أسماء مواضيع . وفي الديوان «فجنتي» كما في معجم البلدان بدلاً من «جنبتي» .
3 قنان : جبل بنجد .
4 وان : ضعيف فاتر .
5 مجموع شعره : 116 .
6 ل : زردها .

ذلك الشُّنعة . فقال : هي كلمة تقولها ، إن مضت عضّتهم ونقصتهم ، وإلاّ فهذا الاسم راجع إليهم . فقال له : اخرج فقل : مَن كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل . فقالها الحاجب ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلّهم إلاّ الأنصار . فنظر معاوية إلى عمرو نظراً منكراً ، فقال له : باعدتَ جدّاً . فقال : اخرج فقل : مَن كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل . فخرج فقالها ، فلم يدخل أحد . فقال له معاوية : اُخرج فقل : مَن كان ههنا من الأنصار فليدخل . فخرج فقالها ، فدخلوا يقدُمهم النُّعمان بن بشير وهو يقول[1] : [من الكامل]

يا سعد لا تُعِـد الدّعاء فما لنا　　نسب نجيب به سوى الأنصارِ[2]
نسب تخيّره الإلـه لقومنـا　　أَثْقِـل بـه نسباً على الكفّارِ
إنّ الذيـن ثَوَوْا ببدر منكمُ　　يـوم القَليب هـمُ وقود النّارِ

فقال معاوية لعمرو : قد كنّا أغنياء عن هذا .

والنعمان بن بشير : هو من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً ، جدّه شاعر ، وأبوه شاعر ، وعمّه شاعر ، وهو شاعر ، وأولاده وأولاد أولاده شعراء[3] .

فأمّا جدّه سعد بن الحصين[4] فهو القائل : [من البسيط]

إن كنـتِ سائلـة والحـقّ مَعْتبة　　فـالأزد نسبتُنا والمـاء غسّانُ[5]
شمّ الأنوف لهم عـزٌّ ومكرمـة　　كانت لهم من جبال الطَّوْد أركانُ[6]

وعمّه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد ، القائل : [من الطويل]

إذا لم أزر إلاّ لآكلَ أكلـة　　فـلا رفعَت كفّـي إلي طعامي
فمـا أكلة إن نلتهـا بغنيمة　　ولا جَوْعـة إن جعتهـا بغرامِ

وأبوه بشير بن سعد الذي يقول : [من الطويل]

---

1 مجموع شعره : 147–148 .
2 تُعِد في ل : تجب . وفي مجموع شعره : لا تعد النداء .
3 الشعر المنسوب إلى جدّ النُّعمان بن بشير وأبيه ينسب أيضاً إلى حسان بن ثابت . وهو مثبت في ديوانه مع بعض اختلاف في الرواية .
4 ليس في نسب النُّعمان بن بشير من اسمه سعيد بن الحصين (انظر نسبه في أوّله هذه الترجمة وجمهرة ابن حزم 364 الاستيعاب : 1496) .
5 غسان : ماء بسد مأرب كان شرباً لبني مازن بن الأزد أجداد الأنصار .
6 جبال الطود : جبال السراة .

لعمـرةَ بالبطحاء بـين معـرَّفٍ وبين المطاف مسكـن ومحاضرُ[1]
لعمري لَحَـيٌّ بين دار مزاحم وبين الجثى لا يجشم السير حاضِرُ[2]
وحـي حِـلال لا يـروَّع سَرْبهم لهم مـن وراء القاصيـات زوافرُ[3]
أحقّ بهـا مـن فتيـة وركائب يقطع عنهـا الليلَ عوجٌ ضوامرُ[4]
تقول وتذري الدمع عن حُرّ وجهها لعلّـك نفسي قبل نفسِك باكرُ
أبـاح لها بِطريق فـارس غائطاً لهـا مـن ذرا الجَوْلان بقل وزاهرُ
فقرَّبتهـا للرحـلِ وهـي كأنّها ظلِيـم نعـامٍ بـالسماوة نافرُ
فأوردتها مـاء فما شربت بـه سوى أنّـه قـد بُـلّ منها المشافرُ
فباتت سُراهـا ليلة ثمّ عرّست بيثربَ والأعـراب بـادٍ وحاضرُ

[طلب قطع لسان الأخطل]

قال خالد بن كلثوم : ودخل النُّعمان بن بشير على معاوية لمّا هجا الأخطل الأنصار ، فلمّا مَثَل بين يديه أنشأ يقول[5] : [من الطويل]

معـاويَ إلاّ تعطنا الحقّ تعترفْ لِحى الأزد مشدوداً عليها العمائمُ
أيشتمنا عبـد الأراقـم ضلّـة وماذا الذي تجدي عليك الأراقمُ[6]
فما لِـيَ ثـأر غيرَ قطع لسانه فدونك مَن يرضيه عنك الدراهمُ
وَأَرْعِ رويـداً لا تَسُمنا دَنِيّـة لعلّك في غِـبّ الحوادث نادمُ[7]
متى تلـقَ منّـا عصبـة خزرجية أو الأوس يوماً تخترمك المخارمُ[8]

---

1 المطاف في ل : البطاح . معرف : موضع الوقوف بعرفة . والأمكنة في هذه الرواية في مكّة ، وفي ديوان حسان : بين نطاة . . . ونطاة وجثى في البيت التالي أقرب إلى المدينة حيث إقامة جميع من نسبت إليهم الأبيات .

2 الجثى في ل : الحمى .

3 الحي الحلال : القوم المقيمون بأرضهم . والسرب : المال الراعي من الإبل والماشية . والقاصيات : جمع قاصية ، موضع . والزوافر : جمع زافرة ، وهي الرهط والعشيرة .

4 العوج : التي في يديها عوج .

5 مجموع شعره : 150–158 عن الأغاني . وكان جامع الشعر قد أثبت من المخطوطة خمسة أبيات فقط ثم أضاف رواية الأغاني على حدة .

6 الأراقم : أحياء من تغلب قبيلة الأخطل .

7 أرع رويداً : كن برعيتك شفيقاً .

8 تخترمك : تهلكك . والمخارم : الطرق في الجبال .

وتلقك خيل كالقطا مسبطِرّةٌ ... شماطيطُ أُرسال عليها الشكائمُ[1]
يسوّمها العَمْرانِ عمرو بن عامر ... وعِمران حتّى تستباح المحارمُ
ويبدو من الخَودِ الغريرة حِجلها ... وتبيض من هول السيوف المَقادمُ
فتطلب شَعْب الصّدع بعد التئامه ... فتعيا به فالآنَ والأمر سالمُ
وإلاّ فثوبي لأُمة تُبَّعِية ... مواريث آبائي وأبيض صارمُ
وأجرد خوّار العِنان كأنّه ... بدُومةَ موشيٌّ الذراعين صائمُ
وأسمر خَطّي كأنّ كعوبه ... نوى القَسْبِ فيها لَهْذميّ ضُبارِمُ[2]
فإن كنت لم تشهد ببدر وقيعة ... أذلَّت قريشاً والأنوفُ رواغمُ
فسائل بنا حيي لؤي بن غالب ... وأنت بِما تخفي من الأمرِ عالِمُ
ألَمْ تبتدِركم يوم بدر سيوفنا ... وليلك عمّا ناب قومك نائمُ
ضربناكُمُ حتّى تفرّق جمعكم ... وطارت أكفّ منكمُ وجماجمُ
وعاذت على البيتِ الحرام عوابِس ... وأنت على خوفٍ عليك تمائمُ
وعضّت قريش بالأنامل بِغضة ... ومن قبلُ ما عُضّت علينا الأباهِمُ
فكنّا لها في كلّ أمرٍ تكيده ... مكان الشَّجا والأمر فيه تفاقمُ
فما إن رمى رامٍ فأوهى صَفاتَنا ... ولا ضامناً يوماً من الدَّهرِ ضائمُ
وإنّي لأغضي عن أُمور كثيرة ... ستُرقَى بها يوماً إليك السلالِمُ
أصانِع فيها عبد شمس وإنّني ... لتلك التي في النَّفسِ منّي أكاتِمُ
فلا تشتُمنّا يا ابن حرب فإنّما ... ترقّي إلى تلك الأُمورِ الأشائمُ
فما أنتَ والأمرَ الذي لستَ أهله ... ولكن ولِي الحقّ والأمر هاشِمُ[3]
إليهم يصير الأمر بعد شتاته ... فمَن لك بالأمرِ الذي هو لازمُ
بهم شَرَع الله الهدى واهتدى بهم ... ومنهم له هادٍ إمامٌ وخاتِمُ

قال : فلمّا بلغت هذه الأبيات معاوية ، أمر بدفع الأخطل إليه ، ليقطع لسانه . فاستجار

1 مسبطرة : طويلة وسريعة . والشماطيط : المتفرقة المتتابعة .
2 القسب : التمر اليابس . واللهذمي : القاطع . والضبارم : الأسد الشديد .
3 يستبعد أن يكون هذا البيت وما بعده للنعمان بن بشير ، فقد كان عثماني الهوى وقاتل علياً مع معاوية في صفين .

بيزيد بن معاوية ، فمنع منه ، وأرضوا النُّعمان ، حتى رضي وكفَّ عنه .

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه : لمّا ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسّان الحدّ ، ولم يضرب أخاه ، حين تهاجيا وتقاذفا ، كتب عبد الرحمن إلى النُّعمان بن بشير يشتكي ذلك إليه ، فدخل إلى معاوية ، وأنشأ يقول[1] : [من السريع]

يـا ابــن أبي سفيانَ ما مثلُنا ... جـار عليـه ملــك أو أميرْ
اذكر بنــا مَقْــدمَ أفراسنا ... بالحِنْــو إذ أنـتَ إلينـا فقيرْ
واذكر غــداة الساعديّ الذي ... آثـركم بالأمـر فيهـا بشيرْ[2]
واحــذر عليهم مثل بــدر فقد ... مــرَّ بكــم يــومٌ ببدر عسيرْ
إن ابــن حسّان لــه ثائــرٌ ... فأعطِه الحــقَّ تَصحّ الصدورْ[3]
ومثــلُ أيــام لنــا شتّتت ... ملكاً لكم أمرك فيهـا صغيرْ
أمــا تــرى الأزد وأشياعهـا ... نحوك خُــزْراً كاظماتٍ تَزيرْ[4]
يطـوف حولي منهــمُ معشر ... إن صُلْتُ صالوا وهم لي نصيرْ[5]
يأبى لنــا الضيم فــلا يعتـلي ... عــزّ منيــع وعديــد كثيرْ
وعنصــر في حُــرٍّ جرثومــة ... عاديــة تنقل عنها الصخورْ[6]

[أهل المدينة يصرّون على تلقيبهم بالأنصار]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم الفِراسيّ ، قال : حدَّثني العمريّ ، عن الهيثم بن عـديّ ، قـال[7] : حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النُّعمان بن بشير ، فخـرج إليهـم سعد أبو دُرّة ، وكان حاجب معاوية ، ثم حجب عبد الملك بن مروان ، فقـال : استأذن لنا . فدخل ، فقال لمعاوية : الأنصار بالباب . فقال له عمرو بن العاص : ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً ؟ ارددهم إلى نسبهم . فقـال معاويـة : إنّ علينـا في ذلك

1 مجموع شعره : 144–146 عن الأغاني .

2 اليوم الساعديّ : نسبة إلى بني ساعدة ، وهو يوم السقيفة إذ كان بشير بن سعد أبو النُّعمان أوّل أنصاريّ بايع أبا بكر بالخلافة .

3 ثائر : ناصر .

4 نحوك في ل : تجول . تزير : تزأر كالأسود .

5 يطوف في ل : يصول .

6 الجرثومة : الأصل .

7 تقدم هذا الخبر في هذه الترجمة برواية من طريق آخر .

شناعة . قال : وما في ذلك ؟ إنّما هي كلمة مكان كلمة ، ولا مردّ لها . فقال له معاوية : اخرج فنادِ مَن بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل . فخرج فنادى بذلك ، فدخل مَن كان هناك منهم سوى الأنصار . فقال له : اخرج فنادِ مَن كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل . فخرج فنادى ذلك ، فوثب النُّعمان بن بشير ، فأنشأ يقول : [من الكامل]

يا سعد لا تُعِد الدّعاء فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصارِ
نسب تخيره الإلـه لقومنا أثقل بـه نسباً على الكفّارِ
إنّ الذيـن ثَـوَوا ببدر منكم يـوم القَليب هـمُ وقود النّارِ

وقام مغضباً وانصرف . فبعث معاوية فردّه ، فترضّاه وقضى حوائجه وحوائج مَن حضر معه من الأنصار .

ومن مختار شعر النُّعمان قوله ، رواها خالد بن كلثوم ، واخترت منها[1] : [من الطويل]

إذا ذُكـرت أُمّ الحويرث أخضلَت دموعـي على السّربـال أربعة سَكْبا
كأنّي لمـا فرَّقـتْ بيننا النَّـوى أجاور في الأغـلال تغلب أَو كلبا
وكنّا كماء العين والجفنِ لا تَـرى لواشٍ بَغى نقض الهوى بيننا إرْبا[2]
فأمسى الوشاة غيَّـروا وُدَّ بيننـا فـلا صلةٌ تَرعى لديّ ولا قُربى
جرى بيننا سعي الوشاة فأصبحت كأنّي ، ولَم أذنب ، جَنيتُ لها ذنبا
فإن تصرميني تصرمي بِيَ واصلاً لَدى الودّ مِعْراضاً إذا ما التوى صعبا
عَزوفاً إذاً خاف الهوان عن الهوى ويأبـى فـلا يعطي مودّته غصبا
فإن أَستطع أصبر وإن يغلب الهوى فمثـل الذي لاقيت كلّفني نُصْبا[3]

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أُخرى ، وأوّلها[4] : [من المتقارب]

أهيَّجَ دمعَـك رسمُ الطلـلْ عفـا غيرَ مطَّـردٍ كالخِلَلْ[5]
نعـم فاستهـلّ لعرفانـه يَسِح ويَهْمِـي بفَيْضٍ سَبَلْ[6]

1 مجموع شعره : 135–136 عن الأغاني .
2 الإرب : الحاجة .
3 النصب : الداء والبلاء والشر .
4 مجموع شعره : 105–112 مع بعض اختلاف في الرواية .
5 الخلل : جمع خِلّة ، وهي بطانة تنقش بالذهب ويغشى بها جفن السيف .
6 السبل : المطر الجود الهاطل .

ديــــار الألــــوف وأترابِهـــا   وأنــتَ مــن الحــبِّ كالمختَبَلْ
ليالِــيَ تَسْبي قلـــوب الرجا   ل تحت الخدور بحسن الغزلْ
مــن الناهضــات بأعجازِهِـــ   ـنَّ حين يقوم جزيــلُ الكفلْ
كأنّ الرُّضاب وصَوْب السحا   بِ بات يُشاب بذَوْب العسلْ
مــن الليـــل خالـــط أنيابهـــا   بُعيــد الكرى واختلافِ العَلَلْ

أخذ هذا المعنى جميل منه ، فقال[1] : [من الكامل]

وكأن طارقها على عَلَل الكرى   والنّجمُ وَهْناً قــد دَنا لَتَغوُّرِ[2]
يشتـــمّ ريح مدامـــةٍ معلولـــة   بِسحيقِ مسك في ذكي العنبرِ

وفي هذه القصيدة يقول النُّعمان :

وأروعَ ذي شرف حـــازم   صروم وصولٍ حبال الخُلَلْ[3]
كريم البـــلاء صبور اللقـــا   ء صافي الثنـــاء قليـل العذلْ
عظيـم الرّمـــاد طويل العما   دِ واري الزّناد بعيــد القَفَلْ[4]
أقمـــت لـــه ولأصحابـــــه   عمود السُّرى بذمــولٍ رملْ[5]
مداخَلـــةٍ سَرْحـــة جسرةٍ   على الأين دَوْسَرة كالجملْ[6]

[عبد الله بن النُّعمان]

ومن شعراء ولد النُّعمان بن بشير ، ابنه عبد الله بن النُّعمان ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

ماذا رجـــاؤك غائباً   مَن لا يَسُرّك شاهِدا
وإذا دنـــوت يزيده   منك الدنـــوّ تباعدا

[عبد الخالق بن أبان]

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النُّعمان بن بشير ، شاعر مكثر ، وهو القائل في قصيدة

1 ديوان جميل (صادر) : 60 .
2 العلل : الشرب مرة بعد مرة ، استعير هنا للنوم .
3 الخلل : جمع خلة ، وهي الحبيبة .
4 القفل : الرجوع من أماكن الغزو البعيدة .
5 عمود السرى : طريق السير . والذمول والرمل : أنواع من السير .
6 المداخلة : المكتنزة المدمجة الخلق . السرحة والجسرة والدوسرة : الضخمة الطويلة الشديدة . والأين : التعب والكلال .

طويلة : [من الطويل]

وشاد أبونا الشيخ عمرو بن عامر بأعلى ذَرا العلياء ركناً تأثّلا
وخطّ حياض المجد مترعة لنا مِلاءً فعَلَّ الصفوَ منها وأنهَلا
وأشرع فيها الناس بعدُ ، فما لهم من المجد إلاّ سُؤْرُه حين أفضلا[1]
وفي غيرنا مجد من النّاس كلّهم فأمّا كمثل العُشْرِ من مجدنا فلا

وله أشعار كثيرة لم أُحبّ الإطالة بذكرها .

[شبيب بن يزيد]

ومنهم شبيب بن يزيد بن النُّعمان بن بشير ، شاعر مكثر مُجيد ، وهو القائل من قصيدة طويلة ، يعاتب بني أُميّة عند اختلاف أمرهم في أيّام الوليد بن يزيد وبعده ، أوّلها : [من البسيط]

يا قلب صبراً جميلاً لا تمتْ حَزَنا قد كنتَ من أن تُرى جَلْد القُوى قَمِنَا

يقول فيها :

بل أيُّها الرّاكبُ المُزْجِي مطيّته لُقِّيتَ حيث توجّهتَ الثَّنا الحسنا
أبلغْ أُميّة أعلاها وأسفلَها قولاً ينفّر عن نُوّامها الوَسَنا
إنّ الخلافة أمر كان يُعْظِمه خيارُ أوّلكم قِدْماً وأوّلنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكمُ وقد وُعظتم فما أحسنتمُ الأُذَنا[2]
أغريتمُ بكمُ جهلاً عدوّكمُ في غير فائدة فاستوسَقوا سَنَنا[3]
لّما سفكتم بأيديكم دماءكمُ بغياً وغشّيتمُ أبوابكم درنا

[إبراهيم بن بشير]

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد ، أخو النُّعمان ، شاعر مكثر ، وهو القائل في قصيدة طويلة : [من الطويل]

أشاقتك أظعانُ الحُدوج البواكرِ كنخل النُّجَير الشامخاتِ المَواقِرِ[4]
على كلّ فَتْلاء الذراعين جَسْرةٍ وأعْيَس نَضّاخ المَهَدّ عُذافِرِ[5]

---

1 السؤر : البقية الباقية في الحوض .
2 الأُذَن : الاستماع .
3 استوسقوا : اجتمعوا . والسنن : الطريق الواضح .
4 النجير : موضع . المواقر : جمع موقرة ، أي المحملة .
5 الجمل الأعيس : الذي فيه أدمة . والنضاخ : من النضخ ، وهو شدّة فور الماء وجيشانه عند انفجاره من ينبوعه . المهد : الهدّ وهو هدير الفحل . والعذافر : الجمل الصلب العظيم .

نعم فاستدرت عبرة العين لوعة   وما أَنت عن ذكرى سليمى بصابرِ
ولَـم أَر سلمى بعد إذ نحن جيرةٌ   مـن الدَّهــرِ إلاّ وقفـةً بالمَشاعرِ
أَلا رُبَّ ليل قــد سريتُ سواده   إلى رُدُح الأعجاز غُـــرّ المحاجرِ
ليـاليَ يدعــوني الصِّبـا فأُجيبه   أُجر إزاري عاصياً أَمـر زاجري
وإذ لِمتـي مثــل الجنــاح أُثيثةٌ   أُمشّي الهُوَيْنــى لا يروِّع طائري
فأَصبحت قد ودّعت ذاكُمْ بغيره   مخافة ربِّــي يـوم تُبلى سرائري

[حميدة بنت بشير]

وبنت النُّعمان بن بشير ، واسمها حُميدة ، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشرّ ، فكانت تهجو أزواجها . وكانت تحت الحارث بن خالد المخزوميّ ، وقيل بل كانت تحت المهاجرين بن عبد الله بن خالد ، فقالت فيه : [من المتقارب]

كهــــولُ دمشقَ وشبانُهـا   أحـبّ إليَّ مــن الجالِيَــهْ[1]
صُماحهـمُ كصماحِ التيــو   س أَعيا على المِسك والغالِيَهْ[2]
وقملٌ يــدبّ دبيب الجرادِ   أَكاريسَ أَعيـا عــلى الفالِيَهْ

فطلّقها . فتزوّجها رَوْح بن زِنْباع ، فهجته ، وقالت تخاطب أَخاها الذي زوَّجها من رَوح ، وتقول : [من الوافر]

أَضلَّ الله حلمك من غـلام   متـى كانت مَناكحَنا جذامُ
أَترضى بالأَكارع والذُّنابى   وقـد كنّا يَقِر لنـا السنامُ

وقالت تهجو رَوحاً : [من الطويل]

بكى الخزُّ من روح وأَنكر جلدَه   وعَجَّت عجيباً من جُذامَ المطارفُ
وقـال العَبـاء نحـن كنّا ثيابهـم   وأَكسيـةٌ كدْريَّـــة وقطـائفُ[3]

فطلّقها رَوح ، وقال : سلّط الله عليك بعلاً يشرب الخمر ويقيئها في حجرك . فتزوّجت بعده الفيض بن أَبي عَقيل الثقفيّ ، وكان يسكر ويقيء في حجرها . فكانت تقول : أُجيبت فيّ دعوة رَوح . وقالت في الفيض : [من البسيط]

1 الجالية : القوم الذين جلوا عن بلادهم .
2 صماحهم كصماحِ في ل : صنانهم كصنان .
3 العباء : نوع من ثياب الأعراب غليظ خشن .

سُمِّيت فَيْضاً وما شيءٌ تفيض بــه إلاّ بسَلْحك بــين البــاب والدارِ
فتلك دعــوة رَوْح الخير أُعرفهــا سقى الإله صَداه الأَوْطفَ الساري[1]

وقالت فيه : [من الطويل]

وَهَــل أنــا إلاّ مُهْــرة عربيّــة سليلـــة أُفــراس تجلّلهــا بغــلُ
فإن نُتِجت مهــراً كريماً فبالحَرى وإن كان إقرافٌ فما أَنجب الفحلُ

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها ، وغيره يرويهما لمالك بن أسماء لمّا تزوّج الحجّاج أخته هنداً . وهي القائلة لمّا تزوّج الحجّاج أختها أمّ أبان : [من الرجز]

قد كنت أَرجو بعض ما يرجو الراجْ أَن تنكحيــه ملكــاً أَو ذا تاجْ
إذا تذكّــرت نكــاح الحجاجْ تضــرّم القلــب بحزن وهّاجْ
وفاضت العــين بمـــاء ثَجّاج لــو كان نعمان قتيــلُ الأعلاجْ
مستويَ الشخص صحيحَ الأَوداج مــا نلتَ ما نلتَ بخَتْلِ الدُّراجْ

فأخرجها الحجّاج من العراق ، وردّها إلى الشام .

صوت

[من الكامل]

نفرتْ قَلوصي من حجارة حَرَّةٍ بُنيتْ على طلْقِ اليدين وَهوبِ
لا تنفري يــا نــاقَ منــه فإنّه شِرِّيب خمــر مِسعرٌ لحروبِ
لا يَبعَــدنَّ ربيعةُ بن مكدَّم وسقى الغــوادي قبره بذَنوبِ
لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ لتركتُهـــا تحبــو على العُرْقوبِ

يقال إنّ الشعر لحسّان بن ثابت الأنصاريّ[2] ، ويقال : إنّه لضرار بن الخطّاب الفهريّ .

أَخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام ، قال : الصحيح أنّ هذه الأبيات لعمرو بن شقيق ، أحد بني فهر بن مالك . ومن الناس مَن يرويها لمُكَرِّز بن حفص بن الأحنف الفهريّ ، وعمرو بن شقيق أولى بها[3] .

والغناء لمالك : خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 الأوطف : السحاب المسترخي من كثرة مائه .
2 ديوان حسان بن ثابت 1 : 410 .
3 نسبت هذه الأبيات إلى كثير غير هؤلاء . انظر شرح الحماسة للتبريزي وديوان حسان .

[311] ـ أخبار مقتل ربيعة بن مكدّم ونسبه[1]

[نسبه]

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مُكدَّم بن عامر بن حُرثان بن جذيمة بن علقمة بن جِذْل الطِّعان بن فِراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، أحد فُرسان مُضَر المعدودين ، وشجعانهم المشهورين ، قتله نُبَيْشة بن حبيب السُّلَميّ في يوم الكَديد .

وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد ، إجازة عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ؛ ونسخْته أيضاً من رواية الأصمعيّ وحمّاد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم ، فجمعتها ههنا .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : وقع تدارؤ[2] بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فِراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سُلَيم بن منصور ، ثم إنّهم وَدَوْهما . ثم ضرب الدّهر ضَرَبانَه ، فخرج نبيشة بن حبيب السلميّ غازياً ، فلَقِي ظُعُناً من بني كنانة بالكديد ، في نفر من قومه ، وبَصُر بهم نفر من بني فراس بن مالك ، فيهم عبد الله بن جذْل الطعان بن فراس ، والحارث بن مكدَّم أبو الفارعة ، وقال بعضهم أبو الفَرْعة ، أخو ربيعة بن مكدَّم . قال : وهو مجدور يومئذٍ يُحمَل في محفّة ، فلمّا رآهم أبو الفارعة ، قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم . فقال أخوه ربيعة بن مكدَّم : أنا أذهب حتى أعلم عِلْمَ القوم ، فآتيكم بخبرهم . فتوجّه نحوهم ، فلمّا وَلّى ، قال بعض الظعن : هرب ربيعة . فقالت أخته أمّ عزّة بنت مكدَّم : أين تنتهي نَفْرة الفتى ؟ فعطف وقد سمع قول النساء ، فقال : [من الرجز]

لقد علمنَ أنَّني غير فَرِقْ ... لأطعنُنّ طعنة وأعتنِقْ
أُعْمِل فيهم حين تحمرّ الحَدَق ... عَضْباً حساماً وسناناً يأتلقْ

قال : ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد له في طريق الظعن . وانفرد به رجلٌ من القوم ، فقتله ربيعة . ثم رماه نُبيشة أو طعنه ، فلحق بالظعن يستدمي ، حتى أتى إلى أُمّه أُمّ سيّار ، فقال : اجعلي على يدي عصابة ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

1 انظر أمالي القالي 2 : 270 والعقد الفريد 5 : 174 وسمط اللآلي 2 : 910 وبلوغ الأرب 1 : 144 وأيّام العرب في الجاهلية : 312 .

2 تدارؤ : تدافع في خصومة واختلاف .

شدّي عــليَّ العَصْبَ أُم سيّارْ
لقــد رُزِيــتِ فارساً كالدينارْ
يطعُــن بــالرّمحِ أَمــام الأدبارْ

فقالت أُمُّه : [من الرجز]

إنّا بنــو ثعلبــة بــن مالكِ مُــرَزّأً خيارنـــا كذلكِ
من بين مقتول وبين هالكِ ولا يكون الرزء إلاّ ذلكِ

قال أَبو عبيدة : وشدّت أُمّه عليه عصابة . فاستسقاها ماء ، فقالت : إنّك إن شربت الماء مت ، فكُرَّ على القوم . فكَرَّ راجِعاً يشدّ على القوم ويَذُبّهم ، ونزفه الدم حتى أُثخن ، فقال للظعن : أَوْضِعن[1] ركابكنّ خلفي ، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحيّ ، فإنّي لِما بي ، وسوف أقف دونكنّ لهم على العقبة ، وأعتمد على رمحي ، فلن يقدَموا عليكن لمكاني . ففعلن ذلك ، فنجَون إلى مأمنهنّ .

قال أبو عبيدة : قال أَبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى ظعائن غيره . قـال : وإنّه يومئذٍ لغلام له ذؤابة . قال : فاعتمد على رمحه ، وهو واقف لهن على متن فرسه ، حتى بلغن مأمنهنّ ، وما يقدم القوم عليه . فقال : نُبيشة بن حبيب : إنّه لمائل العنق ، وما أظنّه إلاّ قد مات . فأَمر رجلاً من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه . فرماها فقمصت وزالت ، فمالَ عنها ميتاً . قال : ويقال بل الذي رمى فرسه نُبيشة . فانصرفوا عنه ، وقد فاتهم الظُّعُن .

قال أبو عبيدة : ولحقوا يومئذٍ أبا الفَرعة الحارث بن مكدَّم ، فقتلوه ، وأَلقَوا على ربيعة أحجاراً .

فمرّ به رجل من بني الحارث بن فهر ، فنفرت ناقته من تلك الأَحجار التي أهيلت على ربيعة . فقال يرثيه ويعتذر ألاّ يكون عقر ناقته على قبره ، وحضَّ على قتلته ، وعيَّر مَن فرَّ وأسلمه من قومه : [من الكامل]

نفرت قلوصي من حجارة حَرّة بُنيت على طلق اليدين وهوبِ
لا تنفري يــا نــاق منــه فإنّه سَبّاء خمــر مِسْعَــر لحروبِ
لــولا السِّفار وبعد خرق مهمه لتركتها تحبــو على العرقوبِ
فــرّ الفوارس عن ربيعة بعدما نَجّاهمُ مــن غُمَّة المكروبِ[2]

1 الايضاع : سير سريع .
2 غمة في ل : غمرة .

يدعو عليّـاً حين أسلم ظهره ... فلقد دعوتَ هناك غير مجيبِ
لله درّ بنـــي عـــليّ إنّهــم ... لم يُحمشوا غزواً كولْغ الذيبِ[1]
نِعْـمَ الفتـى أدّى نُبيشة بَـزَّه ... يوم الكديد ، نُبيشةُ بن حبيبِ[2]
لا يَبْعَـدنّ ربيعة بـن مكدَّم ... وسقى الغـوادي قبره بذَنوبِ

قال أبو عبيدة : ويقال إنّ الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطّاب بن مِرداس ، أحد بني محارب بن فهر . وقال آخر : هو حسان بن ثابت . وقال الأثرم : أنشدني أبو عبيدة مرّة أخرى هذا البيت : [من الكامل]

وسقى الغـوادي قبره بذَنوبِ

واحتجّ به في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ذَنوباً مثل ذنوب أصحابهم﴾ . فسألته لَمن هذا البيت ، فقال : لُمكَرِّز بن حفص بن الأحنف ، أحد بني عامر بن لؤيّ ، رجل من قريش الظواهر ؛ ولم يسمّه ههنا .

وقال عبد الله بن جِذل الطّعان واسمه بَلعاء : [من الكامل]

لأطلبــنْ بربيـعة بـن مكدم ... حتـى أنــال عُصَيّة بن مَعِيصِ

يقال إنّ عصيّة من بني سليم ، وهو عُصية بن مَعِيص بن عامر بن لؤي .

وتُقـــاد كلّ طِمِـرَّةٍ ممحوصةٍ ... ومقلِّص عَبْل الشَّوى ممحوصِ[3]

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدَّم . وقال أبو عبيدة : زعم أبو الخطّاب الأخفش أنّه لحسّان بن ثابت ، يحضّ على قتلته[4] : [من الكامل]

ولأصرفنَّ سِوى حذيفة مِدْحتي ... لفتـى الشتاء وفـارس الأجرافِ[5]
مأوى الضَّريك إذا الرّياح تناوَحَتْ ... ضخم الدَّسيعة مُخلِفٍ مِتلافِ[6]

---

1 لم يحمشوا : لم يحرضوا على القتال . وولغ الذيب : شربه الماء .
2 البز : السلاح .
3 تقاد في ل : يقتاد . الطمرة : الفرس الطويلة القوائم المستعدّة للعدو . والممحوصة : القليلة لحم القوائم . والمقلص : الحصان الطويل القوائم المنضم البطن . وعبل الشوى : ضخم الأطراف .
4 ديوان حسان 1 : 496 .
5 سوى في ل : إلى . الأجراف : موضع .
6 الضريك : المحتاج .

مَـن لا يــزال يَكُـبّ كلّ ثقيلة　　كَوْمــاء غير مُسائـــل منزافِ[1]
رَحْــبِ المَباءة والجنــاب موطَّأ　　مــأوًى لكــلّ مُعتَّــق بسَوافِ[2]
فسقــى الغوادي قبرك ابن مكدم　　من صَوْب كل مُجلجِل وَكّافِ[3]
أبلغ بنــي بكــر وخُصّ فوارساً　　لحِقــوا الملامــة دون كل لحافِ
أسلمتمُ جِــذل الطّعــان أخاكُمُ　　بــين الكَديـدِ وقُلّـة الأعرافِ

الأعراف : رمل ، قال الأثرم : الأعراف كلّ ما ارتفع ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ونادى أصْحابُ الأعْرافِ﴾ .

حتّــى هــوى مُتَزايــلاً أوصاله　　للّحْــد بــين جنــادل وقِفافِ[4]
لله درّ بنــي عــليّ إنْ هُـــم　　لم يثــأروا عوفــاً وحــيَّ خِفافِ[5]

قال الأثرم : وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرّة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه ، فقال : [من الطويل]

تذكّر ليــلى حُسنَها وصفاءَها

وقال ابن جِذل الطعان في ذلك أيضاً : [من الوافر]

ألا لله درّ بنــي فِــراس　　لقد أورثتُمُ حزنــاً وَجيعا
غداة ثــوى ربيعة في مَكَرّ　　تمجّ عروقــه عَلَقا نَجيعا
فلــن أنسى ربيعة إذ تَعالى　　بكاء الظُّعْنِ تدعــو يا ربيعا

وقال كعب بن زهير ، وأمّه من بني أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة ، يرثي ربيعة بن مكدّم ، ويحضّ على بني سُليم ، ويعير بني كنانة بالدماء التي أدّوها إلى بني سليم ، وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدَرَك قتل فيهم ولا دية[6] : [من الكامل]

بَــان الشبابُ وكلُّ إلفٍ بائــنٌ　　ظعن الشباب مع الخليط الظاعنِ

---

1 الثقيلة : الناقة الضخمة السمينة . الكوماء : العظيمة السنام . غير مسائل : لا يسأل أحداً المعونة .
2 المباءة : المنزل . السواف : داء يصيب الإبل .
3 قبرك في ل : رمسك . المجلجل : المطر المصحوب بالرعد . والوكاف : المنهمر .
4 القفاف : جمع قف ، وهو الأرض الغليظة .
5 بنو علي : قبيلة من كنانة .
6 لم يرِد من هذه القصيدة سوى ستة أبيات مع اختلاف كبير في الرواية (انظر ديوان كعب بشرح السكري : 229 : 231) .

قالت أُميمة ما لجسمك شاحباً ... وأراك ذا بَثٍّ ولستَ ببدائنِ
غُضّي ملامك إنّ بي من لومكم ... داءٌ أُظنّ مُماطلي أو فاتِني
أبلغ كنانة غثّها وسمينها ... الباذلين رِباعها بالقاطِنِ
أنّ المذلّة أن تُطلّ دماؤكم ... ودماء عوفٍ ضامن في العاهنِ[1]
أموالكم عوض لهم بدمائهم ... ودماؤكم كَلَف لهم بظعائنِ
طلبوا فأدرك وترهم مولاهمُ ... وأَبت محاملكم إباء الحارنِ
شُدّوا المآزر فاثأروا بأخيكمُ ... إن الحفائظ نِعْم ربح الثامنِ
كيف الحياة ربيعةَ بن مكدّم ... يُغدى عليك بمِزْهَر أو قائنِ[2]
وهو التّريكة بالعراء وحارثٌ ... فَقْعُ القَراقر بالمكانِ الواتنِ[3]
كم غادروا لك من أراملَ عُيَّل ... جَزَر الضِّباع ومن ضَريكٍ واكِنِ[4]

وقالت أمّ عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة : [من البسيط]

ما بال عينك منها الدّمع مهراقُ ... سَحّاً ولا عازب لا لا ولا راقي[5]
أبكي على هالكٍ أودى وأورثني ... بعد التفرّق حزناً بعده باقي
لو كانَ يَرجع ميتاً وَجْدُ ذي رحمٍ ... أبقى أخي سالِماً وجدي وإشفاقي
أو كان يُفدى لكان الأهل كلُّهمُ ... وما أُثمِّر من مالٍ له واقي
لكنْ سهام المنايا مَن نصَبْن له ... لم ينجه طِبُّ ذي طِبٍّ ولا راقي
فاذهب فلا يُبعدنْك الله من رجلٍ ... لاقى الذي كلُّ حيٍّ مثلَهُ لاقي
فسوف أبكيك ما ناحت مطوّقة ... وما سريتُ مع الساري على ساقي
أبكَى لذكرته عَبْرى مفجّعة ... ما إن يجفّ لها من ذكره ماقي

وقال عبد الله يرثيه : [من الكامل]

---

1 ضامن : مضمون . والعاهن : الثابت .
2 المزهر : العود . والقائن : صاحب القيان .
3 التريكة : هو ربيعة بن مكدم . شبهه ببيضة النعام التي يتركها عندما تنقف ويدفنها تحت التراب . والحارث : أخو ربيعة . فقع القراقر : مثل يضرب للذلّ ، يقال أذل من فقع بقرقرة ، (مجمع الميداني 1 : 284 والدرة الفاخرة 1 : 304 وجمهرة العسكري 1 : 458 ومستقصى الزمخشري 1 : 134) والواتن : الثابت المقيم .
4 جزر الضباع : طعام للضباع . والواكن : العاجز .
5 راقي : مخفف راقيء ، وهو الساكن .

خَلّـى عليّ ربيعـة بن مكدّم ... حزناً يكاد لــه الفؤاد يزولُ
فإذا ذَكرتُ ربيعةَ بن مكدّمٍ ... ظلّـت لذكراه الدّموع تسيلُ
نِعْـم الفتى حيّـاً وفارسَ بُهمةٍ ... يَـرْدِي بشِكّته أقبُّ ذؤُولُ[1]
سَقَتِ الغـوادي بالكُدَيِّدِ رِمّة ... والنـاسُ إمّـا هالــك وقتيلُ
فإذا لقيــتَ ربيعة بـن مكدّم ... فعلى ربيعة مَـن نـداه قبولُ
كيف العزاء ولا تزال خريدة ... تبكـي ربيعةَ غـادة عُطبولُ[2]
يأبـى لِـيَ الله المذلّـــةَ إنّما ... يعطـى المذلّـة عاجـز تنبيلُ[3]

وقال عبد الله أيضاً يرثيه : [من الكامل]

نـادي الظعائنُ يـا ربيعةُ بعدما ... لم يبـقَ غيرُ حُشاشة وفُواقِ[4]
فأجابهـا والرّمح في حيزومـه ... أنَفـاً بطعـن كالشَّعيب دُفاقِ
يا رَيْطَ إنّ ربيعة بـن مكدّم ... وربيع قومـك آذنـا بفراقِ
ولئن هلكت لرُبَّ فارسِ بُهْمة ... فرّجتَ كُرْبتـه وضيـقِ خِناقِ

وقال أيضاً يتوعّد بني سليم : [من الوافر]

ولست لحاضـرٍ إن لم أُزِركم ... كتائبَ من كنانـة كالصريمِ[5]
على قُبٍّ الأَياطـلِ مضمَراتٍ ... أضرّ بنِيِّهـا علـكُ الشكيمِ[6]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثني الطّلحيّ ، قال : أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ ومحمد بن الحسن بن زُبالة في مجلس واحد ، قالا : مرَّ حسّان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكنانيّ ، بثنية كعب ، ويقال : بثنية غزال ، فقلصت به راحلته ، فقال : [من الكامل]

نفرت قلوصي من حجارة حَرَّة ... بنيت على طلق اليدين وهوبِ

---

1 البهمة : الشجاع . الأقب : الضامر البطن من الخيل . ذؤول : سريع خفيف .
2 العطبول : الطويلة العنق .
3 التنبيل : القصير العاجز .
4 الفواق : الريح التي تشخص من الصدر وما تسميه العامة الحازوقة .
5 الحاضر : الحي المقيمون . والصريم : الليل .
6 الأياطل : جمع أيطل ، وهي الخاصرة . والنيّ : الشحم . الشتيم : الكريه الوجه .

لا تنفري يا نـــاقَ منــه فإنّه شِرّيبُ خمرٍ مِسْعَـرٌ لحروبِ
لولا السِّفارَ وبُعْدُ خَرْق مهمه لتركتهـــا تحبــو على العرقوبِ

فبلغ شعره بني كنانة ، فقالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق .

[ربيعة ودريد بن الصمّة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثنا أبو حاتم السجستانيّ ، قال : حدَّثنا أبو عبيدة ، قال : خرج دُريد بن الصِّمّة في فوارس من بني جُشَم ، حتّى إذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال له الأخرم ، وهو يريد الغارة على بني كنانة ، رُفِع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة . فلمّا نظر إليه قال لفارس من أصحابه : صِحْ به أنْ خَلِّ عن الظعينة وانجُ بنفسك ، وهو لا يعرفه . فانتهى إليه الرجل ، فصاح به ، وألحّ عليه . فلمّا أتى ألقى الزّمام وقال للظعينة : [من الرجز]

سِيري على رِسْلك سير الآمنِ سير رَداحٍ ذات جأشٍ ساكنِ
إنّ انثنائي دون قِـرني شائني فابْلي بلائي واخبُري وعايني

ثم حمل على الفارس فقتله ، وأخذ فرسه ، فأعطاه الظعينة . فبعث دريد فارساً آخر ، لينظر ما صنع صاحبه ، فرآه صريعاً . فصاح به ، فتصامم عنه ، فظنّ أنّه لم يسمعه . فغشيه ، فألقى الزّمام إليها ، ثم حمل على الفارس ، فطعنه فصرعه ، وهو يقول : [من الرجز]

خلِّ سبيل الحُـرة المنيعـهْ إنّــك لاقٍ دونهــا ربيعَهْ
في كفّــه خَطِّيّــة مطيعــه أو لا ، فخذها طعنةً سريعَهْ
فالطّعن منّي في الوغى شريعهْ

فلمّا أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا ؟ فانتهى إليهما ، فرآهما صريعين ، ونظر إليه يقود ظعينته ، ويجرر رمحه . فقال له الفارس : خلِّ عن الظعينة . فقال لها ربيعة : اقصدي قصد البيوت ، ثم أقبل عليه فقال : [من الرجز]

ماذا تريـد من شَتيم عابِسِ ألَم تَرَ الفارسَ بعد الفارِسِ
أرداهما عامــل رمح يابِسِ

ثم طعنه فصرعه ، وانكسر رمحه . فارتاب دريد ، وظنّ أنّهم قد أخذوا الظعينة ، وقتلوا الرجل . فلحق بهم ، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحيّ ، ووجد القوم قد قُتِلوا . فقال دريد : أيّها الفارس ، إنّ مثلك لا يُقتل ، وإنّ الخيل ثائرة بأصحابها ، ولا أرى معك رمحاً ، وأراك حديث السنّ ، فدونك هذا الرمح ، فإنّي راجع إلى أصحابي ، فمثبِّط عنك . فأتى دريد أصحابه ، وقال : إنّ فارس الظعينة قد حماها ، وقتل فوارسكم ، وانتزع رمحي ، ولا طمع لكم

فيه . فانصرف القوم . وقال دريد في ذلك[1] : [من الكامل]

مـا إنْ رأيتُ ولا سمعت بمثله حامـي الظعينـة فارساً لم يُقتلِ
أردى فـوارسَ لم يكونوا نُهْـزة ثـم استمـرّ كأنّـه لم يفعلِ
متهلّـل تبـدو أسِرَّة وجهـه مثلَ الحسام جلته كفُّ الصيقلِ
يُزجِـي ظعينته ويسحب رمحه متوجّهـاً يُمنـاه نحـو المنزلِ
وتـرى الفوارسَ من مخافة رمحه مثل البُغاث خَشين وقع الأجدلِ[2]
يـا ليـت شعري مـن أبوه وأمّه يا صاح مَن يَكُ مثلَه لم يُجهلِ !

فقال ربيعة : [من الكامل]

إن كان ينفعكَ اليقـينُ فسائلي عنّي الظعينة يـومَ وادي الأخرمِ
هل هِـي لأوّل مَن أتاهـا نُهْزة لـولا طعـان ربيعة بن مكدّمِ
إذ قـال لي أدنى الفوارس مِيتـة خَـلِّ الظعينـة طائعـاً لا تندمِ
فصرفتُ راحلـة الظعينة نحـوه عمـداً ليعلم بعض مـا لم يعلمِ
وهتكـتُ بـالرّمحِ الطويل إهابه فهوى صريعـاً لليديـن وللفمِ[3]
ومنحـتُ آخـر بعـده جياشةً نجلاء فاغرة كشِدق الأضجمِ[4]
ولقـد شفعتهما بآخـر ثالـثٍ وأبى الفـرارَ لِـيَ الغـداةَ تكرمي

قال : فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدّم ، أن أغاروا على بني جشم رهط دريد ، فقتلوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمّة ، فأخفى نسبه . فبينا هو عندهم محبوس ، إذ جاء نسوة يتهادَيْن إليه . فصرخت امرأة منهنّ ، فقالت : هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة . ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يا آل فِراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي . فسألوه مَن هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمّة ، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعة بن مكدّم ، قال : فما فعل ؟ قالوا : قتله بنو سليم ، قال : فمن الظعينة التي كانت معه ؟ قالت المرأة : رَيطة بنت جِذل الطّعان ، وأنا هي ،

1 ديوان دريد ، ص 67 .
2 بغاث الطير : ضعافها . والأجدل : الصقر .
3 المثل «لليدين وللفم» بمعنى الدعاء في مجمع الميداني 2 : 207 ومستقصى الزمخشري 2 : 93 وفصل المقال : 98 وجمهرة العسكري 2 : 91 .
4 الأضجم : المائل الفم .

وأنا امرأته . فحبسه القوم ، وآمروا أنفسهم ، وقالوا : لا ينبغي أن تُكفر نعمة دريد على صاحبنا . وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلاّ برضا المخارق الذي أسره . وانبعثت المرأة في الليل ، فقالت : [من الطويل]

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمةً ... وكلُّ فتى يُجزى بما كان قَدَّما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه ... وإن كان شرّاً كان شرّاً مذمَّما
سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة ... بإعطائه الرّمح السديد المقوّما
فقد أدركتْ كفّاه فينا جزاءه ... وأهلٌ بأن يجزى الذي كان أنعما
فلا تكفروه حقّ نُعماه فيكمُ ... ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حيّاً لم يضق بثوابه ... ذراعاً ، غنيّاً كان أو كان معدِما
ففُكّوا دريداً من إسار مُخارق ... ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرّ سلّما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم ، فأطلقوه ، وكسته ريطة وجهزته ، ولحق بقومه . ولم يزل كافّاً عن غزو بني فِراس حتى هلك .

[أحيل الناس وأشجعهم وأجبنهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : حدَّثني محمد بن يعقوب بن أبي مَريم العدَويّ البصريّ ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الأزديّ ، قال : حدَّثني أبو البلاد الغطفانيّ وقبيصة بن ميمون الصادريّ ، قالا : سأل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عمرو بن مَعْدِيكرِب الزُّبيديّ : مَن أشجع مَن رأيت ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لأخبرنّك عن أحْيَل الناس ، وعن أشجع الناس ، وعن أجبن الناس . فقال له عمر : هات . فقال : أربَعَت المدينة ، فخرجتْ كأحسن ما رأيت ، وكانت لي فرس شَمَقمقة[1] طويلة سريعة الإبقاء[2] ، تَمطّق بالعرق تمطق الشيخ بالمرق ، فركبتها ، ثم آليت لا ألقى أحداً إلاّ قتلته . فخرجت وعليّ مُقْدّى[3] ، فإذا أنا بفتى بين غرضين[4] ، فقلت له : خذ حذرك ، فإنّي قاتلك . فقال : والله ما أنصفتني يا أبا ثور ، أنا كما ترى أعزل أمْيَل[5] عُوّارة ، والعوارة : الذي لا تُرس معه ، فأنْظِرني حتى آخذ نبلي . فقلت : وما غناؤها عنك ؟ قال : أمتنع بها . قلت : خذها .

1 شمقمقة : طويلة .
2 سريعة الإبقاء : تسرع استئناف الجري بعد التعب .
3 المقد : حديدة يقد بها الجلد ، ويعني هنا سيفه .
4 الغرض : شعبة في الوادي .
5 الأميل : لا يستقر على الفرس .

قال : لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنّك لا تروّعني حتى آخذها . فأثلجته ، فقال : وإله قريش لا آخذها أبداً . فسلم والله منّي وذهبت ؛ فهذا أحيل الناس .

ثم مضيت حتى اشتمل عليّ الليل ، فوالله إنّي لأسير في قمرٍ زاهر ، كالنور الظاهر ، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة ، وهو يقول : [من مجزوء الرمل]

يــا لُدَينا يــا لُدَينا ليتنا يُعـدى علينا

ثــم يُبْلى مــا لدينا

ثم يخرج حنظلةً من مخلاته ، فيرمي بها في السماء ، فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمِشْقص[1] من نبله . فصحت به : خذ حذرك ثكلتك أُمّك ، فإنّي قاتلك . فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض . فقلت : إنْ هذا إلاّ استخفاف . فدنوت منه ، وصحت به : ويلك ، ما أجهلك ! فما تحلحلَ ولا زال عن موضعه ، فشككت الرّمح في إهابه ، فإذا هو كأنّه قد مات منذ سنة ، فمضيت وتركته ، فهذا أجبن الناس .

ثم مضيت فأصبحت بين دَكادك هَرْشى إلى غزال[2] ، فنظرت إلى أبيات ، فعدلت إليها ، فإذا فيها جَوار ثلاث ، كأنّهنّ نجوم الثريّا . فبكين حين رأينني ، فقلت : ما يبكيكنّ ؟ فقلن : لما ابتلينا به منك ، ومن ورائنا أخت هي أجمل منّا . فأشرفت من فدفد ، فإذا بمن لم أرَ شيئاً قطّ أحسن من وجهه ، وإذا بغلام يخصف نعله ، عليه ذؤابة يسحبها . فلمّا نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً ، ثم ركض ، فسبقني إلى البيوت ، فوجدهنّ قد ارتعن ، فسمعته يقول لهن : [من الرجز]

مهــلاً نُسَيّاتي إذن لا ترتعْــنْ إن يُمنــع اليوم نساء تُمنعْنْ

أرخِين أذيــال المروط وارتَعْنْ

فلمّا دنوت منه ، قال : أتطردني أم اطردك ؟ قلت : أطردك . فركض وركضت في أثره ، حتى إذا مكنت السنان في لفتته ، واللفتة أسفل من الكتف ، اتكأت عليه ، فإذا هو والله مع لَبَب فرسه ، ثم استوى في سرجه . فقلت : أقِلْني . قال : اطرد . فتبعته حتى إذا ظننت أنّ السنان في ماضِغيه اعتمدت عليه ، فإذا هو والله قائم على الأرض ، والسنان ماضٍ زالجٍ . واستوى على فرسه ، فقلت : أقلني . قال : اطرد . فطردته ، حتى إذا مكنت السنان في متنه ، اتكأت عليه وأنا أظنّ أنّي قد فرغت منه ، فمال في ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض ، ومضى السنان

1 المشقص : نصل طويل .

2 الدكادك : ما تلبد من الرمل ولم يرتفع كثيراً . وهرشى : هضبة . وغزال : واد .

زالجاً . ثم استوى وقال : أبعد ثلاث ؟ تريد ماذا ؟ اطردني ثكلتك أُمّك . فوليت وأنا مرعوب منه . فلمّا غشيني ووجدت حس السنان ، التفت فإذا هو يطردني بالرّمح بلا سنان ، فكفّ عنّي واستنزلني ، فنزلت ونزل ، فجزّ ناصيتي ، وقال : انطلق ، فإنّي أَنفَس بك عن القتل . فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشدّ من الموت ؛ فذاك أشجع مَن رأيت . وسألت عن الفتى ، فقيل : ربيعة بن مكدّم الفِراسيّ ، من بني كنانة .

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ هذا الخبر وفيه خلاف للأوّل . قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني محمد بن موسى الهذليّ ، قال : حدَّثني سُكين بن محمد ، قال : دخل عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقال له : يا أبا ثور ، من أين أقبلت ؟ قال : من عند سيّد بني مخزوم ، أعظمها هامة ، وأمدّها قامة ، وأقلّها ملامة ، وأفضلها حلماً ، وأقدمها سلماً ، وأجرئها مُقدَماً . قال : ومَن هو ؟ قال : سيف الله وسيف رسوله ، قال : وأيَّ شيء صنعت عنده ؟ قال : أتيته زائراً ، فدعا لي بكعب وقوس وثور[1] . فقال عُمر : وأبيك إنّ في هذا لشبعاً . قال : لي أو لك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لي ولك . قال له : فوالله إنّي لآكل الجَذَعة ، وأشرب التِّبْن من اللبن رَثيئة وصرِيْفاً[2] ، فلِمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : أي أحياء قومك خير ؟ قال : مَذحج ، وكلّ قد كان فيه خير ، شِداد فوارسها ، فوارس أبطالها ، أهل الربا والرباح[3] . قال عمر : وأين سعد العَشِيرة ؟ قال : هم أشدّنا شَريساً ، وأكثرنا خميساً ، وأكرمنا رئيساً ، وهم الأوفياء البَرَرة ، المساعير الفَجَرة . قال عمر : يا أبا ثور ، أَلَكَ علم بالسلاح ؟ قال : على الخبير سقطت ، سل عمّا بدا لك . قال : أخبرني عن النَّبْل . قال : منايا تخطيء وتصيب . قال : فأخبرني عن الرمح قال : أخوك وربّما خانك . قال : فأخبرني عن التُّرس . قال : ذاك مِجَنٌّ وعليه تدور الدوائر . قال : أخبرني عن الدرع . قال : مَشْغلة للفارس ، مَتْعبة للراجل . قال : أخبرني عن السيف . قال : عنه قارعتُك لأُمّك الهَبَل ، قال : لا ، بل لأُمّك . قال عمرو : بل لأُمّك ، فرفع عمر الدِّرّة ، فضرب بها عَمراً ، وكان عمرو محتبياً ، فانحلت حُبوته ، فاستوى قائماً ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أَتضربني كأنّك ذو رُعَين بخير معيشة أو ذو نُواسِ

---

1 الكعب : الصبة من السمن . والقوس : ما يبقى في أصل الجلة من التمر . والثور : الكتلة من الأقط .

2 الجذعة من الغنم : ما تكون سنها بين ستة أشهر وسنة . والرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب لساعته . والصريف : الذي ينصرف عن الضرع حاراً وقت حلبه .

3 الربا والرباح : النماء والكثرة .

فكم مُلْك قديم قد رأينا وعزٌّ ظاهر الجبروت قاسي
فأضحى أهله بادوا وأضحى ينقَّل من أُناس في أُناسِ

قال : صدقت يا أبا ثور ، وقد هدم ذلك كلّه الإسلام ، أقسمت عليك لما جلست . فجلس . فقال له عمر : هل كَعَعْت[1] من فارس قطّ ممّن لقيت ؟ قال : اعلم يا أمير المؤمنين ، أنّي لم أستحل الكذب في الجاهلية ، فكيف أستحلّه في الإسلام ؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي ، خيل بني زُبيد ، أغيروا بنا على بني البكّاء . فقالوا : بعيد علينا المُغار . فقلت : فعلى بني مالك بن كنانة ، قال : فأتينا على قوم سَراة . فقال عمر : ما علمك بأنّهم سَراة . قال : رأيت مَزاود خيلهم كثيرة ، وقُدوراً مثفّاة ، وقباب أدم ، فعرفت أنّ القوم سراة . فتركت خيلي حَجْرة ، وجلست في موضع أتسمع كلامهم ، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها ، فجلست بين صواحب لها ، ثم دعت وليدة من ولائدها ، فقالت : ادعي فلاناً . فدعت لها برجل من الحيّ ، فقالت له : إنّ نفسي تحدّثني أنّ خيلاً تغير على الحيّ ، فكيف أنت إن زوّجتك نفسي ؟ فقال : أفعل وأصنع ، وجعل يصف نفسه فيفرط . فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وأقبلت على صواحباتها ، فقالت : ما عنده خير ، ادعي لي فلاناً . فدعت بآخر . فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه ، فأجابها بنحو جوابه ، فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وقالت لصواحباتها : ولا عند هذا خير أيضاً . ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكَدَّم . فدعته ، فقالت له مثل قولها للرجلين ، فقال لها : إنّ أعجز العجز وصف المرء نفسه ، ولكنّي إذا لقيت أعذرت ، وحسب المرء غَناء أن يُعذِر . فقالت له : قد زوّجتك نفسي ، فاحضُر غداً مجلس الحيّ ، ليعلموا ذلك . فانصرف من عندها . وانتظرتُ حتى ذهب الليل ، ولاح الفجر ، فخرجتُ من مَكمني ، وركبت فرسي ، وقلت لخيلي : أغيري ، فأغارت ، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهنّ ، فكشفت عن خيمة المرأة ، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن . فلمّا ملأتْ بصرها منّي ، أهوت إلى درعها فشقته وقالت : واثكلاه ؟ والله ما أبكي على مال ولا تِلاد ، ولكن على أخت من وراء هذا القَوْز[2] ، تبقى بعدي في مثل هذا الغائط ، فتهلك ضيعة ، وأومأت بيدها إلى قَوز رمل إلى جانبهم . فقلت : هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع ، فإذا أنا برجل جَلْد نَجْد ، أهلبَ[3] أغلب ، يخصف نعله ، وإلى جنبه فرسه وسلاحه . فلمّا رآني رمى بنعله ، ثم استوى على

1 كععت : ضعفت وتراجعت .
2 القوز : الرمل المستدير المرتفع .
3 الأهلب : الكثير الشعر .

فرسه ، وأخذ رمحه ، ومضى ولم يحفل بي . فطفقت أُشجره بالرّمح[1] خَفْقاً ، وأقول له : يا هذا استأسِر . فمضى ما يحفل بي ، حتى أشرف على الوادي . فلمّا رأى الخيل تحوي إبله استعبر باكياً ، وأنشأ يقول : [من الرجز]

قــد علمتْ إذ منحتْني فاها أنّي سأحوي اليوم من حَواها

بل ليتَ شعري اليوم من دهاها

فأجبته : [من الرجز]

عمرو على طول الوجى دهاها بالخيل يحميهــا على وجاها[2]

حتّى إذا حــلّ بهــا احتواها

فحمل عليّ وهو يقول : [من الرجز]

أَهْوِن بنضر العيش في دارِ نَدَمْ أُفيض دمعاً كلّما فاض انسجمْ

أنا ابن عبد الله محمود الشيم مؤتمَــن الغيــب وفيّ بالذممْ

أكرم مَن يمشي بساق وقدم كالليث إن هَمَّ بتَقْصام قَصَمْ

فحملت عليه وأنا أقول : [من الرجز]

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصمّ أنا ابن ذي الإكليل قتالِ البُهَمْ[3]

مَــن يلقَني يُودِ كما أودت إرَم أتركــه لحماً على ظهرِ وَضَمْ[4]

وحمل عليّ وهو يقول : [من الرجز]

هذا حِمًى قد غاب عنه ذائده المــوتُ ورْد والأنــام وارِدُهْ

وحمل علي فضربني ، فرُغْت وأخطأني ، فوقع سيفه في قَرَبوس السرج ، فقطعه وما تحته ، حتى هجم على مِسْح الفرس . ثم ثنّى بضربة أُخرى ، فرُغْت وأخطأني ، فوقع سيفه على مؤخّر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس ، وصرت راجلاً . فقلت : ويحك ! مَن أنت ؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يُقدم عليّ إلاّ ثلاثة : الحارث بن ظالم ، للعُجْب والخيلاء ؛ وعامر بن

---

1 أشجره بالرمح خفقاً : أطعنه طعناً خفيفاً .

2 الوجى : الحفا ، وهو أن يرق الحافر من طول السفر .

3 التقليد : ما يجعل في عنق البدنة لتعرف أنّها هدي . والشهر الأصم : رجب .

4 المثل : «أضيع من لحم على وضم» في مجمع الميداني 1 : 427 والدرة الفاخرة 1 : 277 وجمهرة العسكري 2 : 3 ومستقصى الزمخشري 1 : 219 . والوضم : الخشبة التي يقطع عليها القصاب اللحم . ويضرب المثل للذليل .

الطّفيل للسنّ والتجربة ؛ وربيعة بن مكدّم للحداثة والغِرَّة ، فمن أنت ويلك ؟ قال : بل الويل لك ، فمَن أنت ؟ قلت : عمرو بن معديكرب . قال : وأنا ربيعة بن مكدّم . قلت : يا هذا ، إنّي قد صرت راجلاً ، فاختر منّي إحدى ثلاث ، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز ، وإن شئت اصطرعنا ، فأيّنا صرع صاحبه حكم فيه ؛ وإن شئت سالمتك وسالمتني . قال : الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بي أيضاً على قومي هوان . قلت : فذاك لك . وأخذت بيده ، حتى أتيت أصحابي ، وقد حازوا نَعَمه ، فقلت : هل تعلمون أنّي كَعَعْت عن فارس قَطّ من الأبطال إذا لقيته ؟ قالوا : نعيذك من ذاك . قال : قلت : فانظروا هذا النعم الذي حُزتموه ، فخذوه منّي غداً في بني زُبيد ، فإنّه نَعَم هذا الفتى ، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حيّ . فقالوا : لحاك الله فارس قوم ! أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتَنا[1] عنها . قال : قلت إنّه لا بدّ لكم من ذلك ، وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدّم . فقالوا : وإنّه لهو ؟ قلت : نعم . فردّوها وسالمتُه ، فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك .

وفي بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن معديكرب وربيعة بن مكدّم غناء ، نَسَبْتُه ، وقد جُمع شعراهما معاً في لحن واحد ، وهو : [من الرجز]

صوت

أنا ابن ذي التقليد في الشهرِ الأصمّ — أنـا ابـن عبد الله قَتّـال البُهَمْ
أكرم مَـن يمشي بساق وقدم — مـن يلقَني يـودِ كما أودت إرَمْ
أتركه لحمـاً عـلى ظهـر وَضَم — كالليـث إن هـمَّ بتَقْصام قَصَمْ
مؤتمَـنُ الغيـب وفيٌّ بالذممْ

ذكر أحمد بن يحيى المكّيّ : أنّ الغناء في هذا الشعر لحنين ، خفيف ثقيل ، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سرجيس الملقّب بقراريط .

حدّثتني قمرِيّة العُمْرِيّة جارية عمرو بن بانة ، أنّها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن ، فقال لها : انظري أيَّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن مخارق ، فلمّا استوى لي قال لي مخارق : انظر أيّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكّيّ ، فلمّا غنّيته الرشيد أطربه ، فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم .

[أجود وصف للطعنة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن الأحول ، عن

---

1 فثأه : ثبط عزيمته وسكنه .

الطُّرسوسيّ ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : أُجود بيت وصفت به الطعنة قول أهْبان بن عادِياء قاتل ربيعة بن مكدّم ، حيث يقول : [من الكامل]

ولقد طعنتُ ربيعة بـن مكدّمٍ ... يوم الكديد فخـرّ غير موسَّدِ
في ناقع شَرِقت بما في جوفه ... منـه بأَحمـر كالعقيق المُجْسَدِ

صوت

[من الكامل]

أدركتِ ما منيتُ نفسي خالياً ... لله درُّك يـا ابنـة النّعمـانِ
إنّـي لِحَلْفِك بالصليبِ مصدّقٌ ... والصُّلْبُ أُصدق حَلْفـةِ الرهبانِ
ولقـد رددتِ على المغيرةِ ذهنـه ... إنّ الملـوك بطيئـة الإذعـانِ
يا هند حسبكِ قد صدقتِ فأمسِكي ... والصـدق خير مقالـة الإنسانِ

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفـيّ ، يقولـه في هند بنت النُّعمان بن المنذر ، وقد خطبها فردّتـه . وخبره في ذلك وغيرِه يذكر هاهنا إن شاء الله . والغناء لحنين ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ وإبراهيم .

[312] ـ أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه[1]

[نسبه]

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِيّ ، وهو ثقيف . ويكنى أبا عبد الله ، وكان يكنى أبا عيسى ، فغيّرها عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وكناه أبا عبد الله . وأُمّه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظُويلِم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحَزَمتها ، وذوي الرأي منها ، والحيل الثاقبة ، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي ، وكان يقال : ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلاّ اختار أحزمهما .

وصحِب النبيّ ﷺ ، وشهِد معه الحديبية وما بعدها . وبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النُّجير[2] . وشهد فتح اليمامة وفتوح الشام . وكان أعور ، أصيبت عينه في يوم اليرموك ، وشهِد القادسية مع سعد بن أبي وقّاص . فلمّا أراد مراسلة رستم ، لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل ، فبعث به إليه ، وكان السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب .

[ولاياته وفتوحه]

وولاّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عِدّة ولايات ، إحداها البصرة . ففتح وهو واليها مَيسان ودست ميسان وأَبْرَقُباذ . وقاتل الفرس بالمِرغاب فهزمهم ، ونهض إلى مَن كان بسوق الأهواز ، فقاتلهم وهزمهم ، وفتحها . وانحازوا إلى نهرِ تِيرَى ومَناذِر الكبرى ، فزحف إليهم ، فقاتلهم وهزمهم وفتحها . وخرج إلى المشرِق مع النعمان بن المُقرِّن ، وكان المغيرة على ميسرتِه ، وكان عمر قد عهد : إن هلك النعمان ، فالأمير حذيفة ، فإن هلك حذيفة ، فالأمير المغيرة بن شعبة . ولّما فتحت نهاوند ، سار المغيرة في جيش إلى هَمَذان ففتحها .

وولاّه عمر رضي الله عنه بعد ذلك الكوفة ، فقُتِل عمر وهو واليها . وولاّه أيضاً إيّاها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، فكان عليها إلى أن مات بها .

وهو أوّل مَن وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ، ورتب الناس فيه ، فأعطاهم على الديوان . ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه .

1 ترجمة المغيرة بن شعبة في الإصابة وأسد الغابة وطبقات بن سعد وتاريخ الطبري وانظر وفيات الأعيان 6 : 364–367 والتذكرة الحمدونية 9 : 210–217 ومواضع أخرى متفرقة .

2 النجير : حصن باليمن .

[خبر إسلامه]

قال محمد بن سعد كاتب الواقديّ : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثني محمد بن سعيد الثقفيّ ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفيّ وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب ، ومحمد بن يعقوب بن عتبة ، عن أبيه وغيرهم ، قالوا : قال المغيرة بن شعبة : كنّا قوماً من العرب متمسّكين بديننا ، ونحن سَدنة اللات ، فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم . فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقِس ، وأهدوا له هدايا . فأجمعت الخروج معهم . فاستشرت عمّي عروة بن مسعود ، فنهاني ، وقال لي : ليس معك من بني أبيك أحد . فأبيت إلاّ الخروج ، وخرجت معهم ، وليس معهم أحد من الأحلاف غيري ، حتى دخلنا الإسكندرية ، فإذا المقوقِس في مجلس مطِلّ على البحر . فركبت قارِباً حتى حاذيت مجلسه ، فنظر إليّ فأنكرني ، وأمر من يسائلني ما أنا ، وما أريد ؟ فسألني المأمور ، فأخبرته بأمرنا ، وقدومنا عليه . فأمر بنا أن ننزِل في الكنيسة ، وأجرى علينا ضِيافة . ثم دعا بنا ، فنظر إلى رأس بني مالك ، فأدناه إليه ، وأجلسه معه ، ثم سأله : أكلّ القوم من بني مالك ؟ فقال : نعم ، إلاّ رجلاً واحداً من الأحلاف . فعرَّفه إيّاي ، فكنت أهون القوم عليه . ووضعوا هداياهم بين يديه ، فسرّ بها ، وأمر بقبضها . وأمر لهم بجوائز ، وفضل بعضهم على بعض ، وقصَّر بي ، فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له .

وخرجنا ، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ، ولم يعرض عليّ أحد منهم مُواساة ، وخرجوا ، وحملوا معهم خمراً ، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم ، ونفسي تأبى أن تَدَعني معهم . وقلت : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حَباهم به الملك ، ويخبرون قومي بتقصيره بي ، وازدرائه إيّاي . فأجمعت على قتلهم . فقلت : أنا أجِد صُداعاً ، فوضعوا شرابهم ودعوني . فقلت : رأسي يُصَدَّع ، ولكنّي أجلس وأسقيكم ، فلم ينكروا شيئاً ؛ وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح . فلمّا دبَّت الكأس فيهم ، اشتهُوا الشراب ، فجعلت أُصَرِّف لهم وأُترِع الكأس ، فيشربون ولا يدرون . فأهْمَدتهم الكأس ، حتى ناموا ما يعقلون . فوثبت إليهم ، فقتلتهم جميعاً ، وأخذت جميع ما كان معهم .

فقدِمت على النبيّ ﷺ ، فوجدته جالساً في المسجد مع أصحابه ، وعليّ ثياب السفر ، فسلّمت بسلام الإسلام . فنظر إليّ أبو بكر بن أبي قحافة ، وكان بي عارفاً ، فقال : ابن أخي عُروة ؟ قلت : نعم ، جئت أشهد أنّ لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمداً رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام . فقال أبو بكر رضي الله عنه : أفمن مصر أقبلتم ؟ قلت : نعم . قال : فما فعل المالكيّون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بيني وبينهم

بعض ما يكون بين العرب ونحن على دِين الشرك ، فقتلتهم وأخذت أسلابهم ، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ ليَخْمُسها ، ويرى فيها رأيه ، فإنّما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدّق بمحمد ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : أمّا إسلامك فنقبله ، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ، ولا نَخْمُسها ، لأنّ هذا غدر ، والغدر لا خير فيه . فأخذني ما قَرُب وما بَعُد ، وقلت : يا رسول الله ، إنّما قتلتهم وأنا على دِين قومي ، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة . قال : فإنّ الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله . وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً . فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف ، فتداعوا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمِّي عُرْوة بن مسعود ثلاث عشرة دِية .

قال المغيرة : وأقمت مع النبيّ ﷺ حتى اعتمر عمرة الحديبية ، في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة ، فكانت أوّل سَفْرة خرجت معه فيها ، وكنت أكون مع أبي بكر ، وألزم النبيّ ﷺ فيمن يلزم .

وبعثتْ قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبيّ ﷺ ، فأتاه يكلّمه ، وجعل يمسّ لحية رسول الله ﷺ وأنا قائم على رأسه ، مقنَّع في الحديد . فقلت لعروة ، وهو يمسّ لحية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : اكفُفْ يدك قبل ألاّ تصل إليك . فقال عروة : يا محمد ، مَن هذا ؟ ما أفظَّه وأغلظه ! فقال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . فقال عروة : يا عدوّ الله ، ما غَسَلْتُ عنِّي سوءتك إلاّ بالأمس ، يا غُدَر .

[أوّل ما عرف دهائه]

أخبرني محمد بن خلف ، قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم الفِراسيّ ، قال : حدَّثنا العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : قال المغيرة بن شعبة : أوّلُ ما عرفني به العرب من الحزم والدهاء ، أنّي كنت في ركب من قومي ، في طريق لنا إلى الحِيرة . فقالوا لي : قد اشتهينا الخمر ، وما معنا إلاّ درهم زائف . فقلت : هاتوه وهلمُّوا زِقَّين . فقالوا : وما يكفيك لدرهم زائف زقّ واحد ؟ فقلت : أعطوني ما طلبت وخَلاكم ذمّ ، ففعلوا وهم يهزؤون بي . فصببت في أحد الزقّين شيئاً من ماء ، ثم جئت إلى خمّار ، فقلت له : كِلْ لي ملء هذا الزّقّ . فملأه . فأخرجت الدرهم الزائف ، فأعطيته إيّاه ، فقال لي : ما هذا ؟ ويحك ! أمجنون أنت ؟ فقلت : ما لك ؟ قال : إنّ ثمن هذا الزقّ عشرون درهماً جياداً ، وهذا درهم زائف . فقلت : أنا رجل بدويّ ، وظننت أنّ هذا يصلح كما ترى ، فإن صَلَح ، وإلاّ فخذ شرابك . فاكتال منّي ما كاله ، وبقي في زقّي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء ، فأفرغته في الزقّ الآخر ، وحملتهما على ظهري ، وخرجت ، وصببت في الزقّ الأوّل ماء .

ودخلت إلى خمّار آخر ، فقلت : إنّي أريد مِلء هذا الزقّ خمراً ، فانظر إلى ما معي

منه ، فإن كان عندك مثله فأعطني . فنظر إليه ، وإنّما أردت ألاّ يستريب بي إذا رددت الخمر عليه . فلمّا رآه قال : عندي أجودُ منه . قلت : هات . فأخرج لي شراباً ، فاكتلته في الزقّ الذي فيه الماء . ثم دفعت إليه الدرهم الزائف ، فقال لي مثل قول صاحبه . فقلت : خذ خمرك . فأخذ ما كان كاله لي ، وهو يرى أنّي خلطته بالشراب الذي أريته إيّاه . وخرجت فجعلته مع الخمر الأوّل . ولم أزَل أفعل ذلك بكلّ خمّار في الحِيرة ، حتى ملأت زقّي الأوّل وبعض الآخر . ثم رجعت إلى أصحابي ، فوضعت الزقّين بين أيديهم ، ورددت دِرهمهم . فقالوا لي : ويحك ! أيَّ شيء صنعت ؟ فحدّثتهم ، فجعلوا يعجبون . وشاع لي الذكر في العرب بالدّهاء حتى اليوم .

[هو أوّل مَن خضب بالسواد]

قال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوريّ ، قال : حدَّثنا داود بن خالد ، عن العبّاس بن عبد الله بن معبد بن العبّاس ، قال : أوّل مَن خضب بالسواد المغيرة بن شعبة . خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر ، فعجب الناس منه .

[يغضب لأبي بكر الصديق]

قال محمد : وأخبرني شهاب بن عباد ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن حميد الرُّواسيّ ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي خازم ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : كنت جالساً عند أبي بكر ، إذ عُرِض عليه فرس له ، فقال له رجل من الأنصار : احملني عليها . فقال أبو بكر : لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على غُرْلته[1] ، أحبّ إليَّ من أن أحملك عليها . فقال له الأنصاريّ : أنا خير منك ومن أبيك . قال المغيرة : فغضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه ، فقمت إليه ، فأخذت برأسه ، فركبته ، وسقط على أنفه ، فكأنّما كان عَزالي[2] مزادة . فتوعّدني الأنصار أن يستقيدوا منّي ، فبلغ ذلك أبا بكر . فقام فقال : أمّا بعد . فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أنّي مُقِيدهم من المغيرة . ووالله لأن أخرجهم من دارهم ، أقرب إليهم من أن أقيدهم مِن وَزَعة الله الذين يَزَعون إليه .

[أسطورة خطبته هند بنت النُّعمان]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا محمد بن سلام الجمحيّ ، قال : حدَّثنا حسّان بن العلاء الرياحيّ ، عن أبيه ، عن الشعبيّ ، قال : ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النُّعمان بن المنذر ، وهي بدير هند ،

1 ركب الخيل على غرلته . ركبها وهو صبي لم يختن .
2 العزالي : جمع عزلاء ، وهي فم المزادة الأسفل .

متنصِّرة عمياء ، بنت تسعين سنة . فقالت له : مَن أنت ؟ قال : أنا المغيرة بن شعبة . قالت : أنت عامل هذه المَدَرة ؟ تعني الكوفة . قال : نعم . قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً إليك نفسك . قالت : أما والله لو كنتَ جئت تبغي جمالاً أو ديناً أو حسباً لزوّجناك ، ولكنّك أردْت أن تجلس في مَوْسم من مواسم العرب ، فتقول : تزوّجت بنت النعمان بن المنذر ؛ وهذا والصليبِ أمر لا يكون أبداً ، أوَ ما يكفيك فخراً أن تكون في مُلْك النُّعمان وبلاده ، تدبرهما كما تريد ! وبكت .

فقال لها : أيّ العرب كان أحبّ إلى أبيك ؟ قالت : ربيعة . قال : فأين كان يجعل قيساً ؟ قالت : ما كان يستعتبهم من طاعة . قال : فأين كان يجعل ثقيفاً ؟ قالت : رُوَيداً لا تعجل . بينا أنا ذات يوم جالسة في خِدر لي ، إلى جنب أبي ، إذ دخل عليه رجلان ، أحدهما من هوازن ، والآخر من بني مازن ، كلّ واحد منهما يقول : إنّ ثقيفاً منّا ، فأنشأ أبي يقول : [من الرجز]

إنّ ثقيفاً لم يكن هوازناً ولم يناسب عامراً ومازنا

إلاّ قريباً فانشرِ المحاسِنا

فخرج المغيرة وهو يقول : [من الكامل]

أدركتِ ما منيتُ نفسيَ خالياً لله دركِ يا ابنة النُّعمانِ !

وذكر الأبيات التي مضت ، وذكرتُ الغناء فيها .

[أجاز هجاء حسان لقبيلته]

أخبرني محمد بن خلف ، قال : أخبرنا الحارث بن محمد ، قال : قال أبو عبيدة : قال العلاء بن جرير العنبريّ : بينا حسّان بن ثابت ذات يوم جالس بالخَيف من مِنًى وهو يومئذٍ مكفوف ، إذ زفر زفرة ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الكامل]

وكأنّ حافرها بكلّ خميلةٍ صاع يكيل به شحيحٌ معدِمُ

عاري الأشاجع من ثقيفٍ أصله عبد ويزعم أنّه مِنْ يَقْدُم

قال : والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فلمّا أتاه بها الرسول قال : مَن بعث بهذه ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، سمع ما قلت . فقال : واسوْءتاه ! وقَبِلها .

[مزواج مطلاق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل[2] العَتَكيّ ، قال حدَّثنا

1 ديوان حسان 1 : 438 وفيه «صحيح معدم» .

2 ل : إسماعيل بن عيسى .

محمد بن سلام الجمحيّ ، قال : أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة ، فيهنّ ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب ، وفيهنّ حفصة بنت سعد بن أبي وقاص ، وهي أمّ ابنه حمزة بن المغيرة ، وعائشة بنت جرير بن عبد الله .

وقال أبو اليقظان : صلّى المغيرة بالناس سنة أربعين في العام الذي قتل فيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فجعل يوم الأضحى يوم عرفة ، أظنّه خاف أن يُعزل ، فسبق ذلك .

فقال الراجز : [من الرجز]

سِيري رُويداً وابتغي المغيرهْ كلفتُها الإدلاج بالظهيرهْ

قال : وكان المغيرة مِطلاقاً . فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنّكنّ لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكنّي رجل مِطلاق ، فاعتددْن .

وكان يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة : رجل مذكّر وامرأة مؤنّثة ، فهو قَوامٌ عليها ؛ ورجل مؤنّث وامرأة مذكّرة ، فهي قوامة عليه ؛ ورجل مذكّر وامرأة مذكّرة ، فهما كالوَعِلين ينتطحان ؛ ورجل مؤنّث وامرأة مؤنّثة ، فهما لا يأتيان بخير ، ولا يفلحان .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا الأصمعيّ قال : حدّثنا أبو هلال عن مطير الورّاق ، قال المغيرة بن شعبة : نكحت تسعاً وثمانين امرأة ، أو قال : أكثر من ثمانين امرأة ، فما أمسكت امرأة منهنّ على حبّ ؛ أمْسِكها لولدها ، ولحسبها ، ولكذا ولكذا .

قال أبو زيد : وبلغني أنّهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة ، فقال : أنا أُعلمكم بهنّ : تزوّجت ثلاثاً وتسعين امرأة ، منهنّ سبعون بكراً ، فوجدت اليمانيّة كثوبك : أخذت بجانبه فاتبعك بقيته ؛ ووجدت الرّبَعيّة أَمَتك : أمرتَها فأطاعتك ؛ ووجدت المُضَريّة قِرْناً ساوَرْته ، فغلبته أو غلبك .

حدّثنا ابن عمار قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا أبو عاصم قال : رأى المغيرة امرأة له تخَلَّل بعد صلاة الصبح ، فطلّقها . فقالت : علام طلّقتني ؟ قيل : رآك تَخَلَّلين ، فظنّ أنّك أكلت . فقالت : أبعده الله ! والله ما أتخلّل إلاّ من السواك[1] .

[غيّر عمر كنيته]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني موسى بن إسماعيل قال : حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن زيد بن أسلم : أنّ رجلاً جاء فنادى يستأذن لأبي

1 وردت هذه الحكاية في مروج الذهب (3 : 132) وفيه أن الفارعة كانت زوجة الحارث بن كلدة الثقفيّ وأنّها أمّ الحجّاج ، وقال صاحب العقد (5 : 13–14) أنّ الفارعة كانت زوجة المغيرة .

عيسى ، على أمير المؤمنين . فقال عمر : أيّكم أبو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : أنا . فقال له عمر : هل لعيسى من أب ؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله ، وأبي عبد الرحمن ! فقال له رجل من القوم : أشهد أنّ النبي ﷺ كناه بها . فقال له عمر : إنّ النبيّ ﷺ قد غُفِر له ، ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وأنا لا أدري ما يُفْعَل بي . فكناه أبا عبد الله .

[عور الكوفة]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : حدَّثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ ، قال : كان الجَمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر : المغيرة بن شعبة ؛ وجرير بن عبد الله ، والأشعث بن قيس ، وحُجْر بن عديّ ، وكلّهم كان أعور ؛ فكان المغيرة والأشعث وجرير يوماً متواقِفين بالكوفة بالكُناسة ، فطلع عليهم أعرابيّ . فقال لهم المغيرة : دعوني أحرّكه . قالوا : لا تفعل ، فإنّ للأعراب جواباً يُؤْثَر . قال : لا بدّ . قالوا : فأنتَ أعلم . قال له : يا أعرابيّ ، هل تعرف المغيرة بن شعبة ؟ قال : نعم أعرفه أعورَ زانياً . فوَجم ، ثم تجلد فقال : هل تعرف الأشعث بن قيس ؟ قال : نعم ، ذاك رجل لا يعرى قومه . قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّه حائك ابن حائك . قال : فهل تعرف جرير بن عبد الله ؟ قال : وكيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عُرفت عشيرته . قالوا له : قَبَحك الله ، فإنّك شرّ جليس ، فهل تحبّ أن نُوقِر لك بعيرك هذا مالاً وتموتَ أكرم العرب ؟ قال : فمَن يبلغه أهلي إذن ؟ فانصرفوا عنه وتركوه .

[القبائل والنساء عند ابن لسان الحمرة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني أبو سعيد السكريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن أبي السريّ ، واسم أبي السريّ سهل بن سلام الأزديّ ، قال : حدَّثني هشام بن محمد قال : أخبرنا عَوانة بن الحكم ، قال : خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذٍ ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعيّ ، بعد غِبّ مطر ، يسير بظهر الكوفة والحوف ، فلقِيَ ابن لسان الحُمَّرة ، أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وهو لا يعرف المغيرة . فقال له المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابيّ ؟ قال : من السماوة . قال : فكيف تركت الأرض خلفك ؟ قال : عريضة أريضة[1] . قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عَفَّى الأثر ، وملأ الحُفَر . قال : مِمّن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل . قال : فكيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم . قال : فما تقول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا . قال : فما تقول في بني ذُهْل ؟ قال : سادة نَوْكى . قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن

1 أريضة : معشبة خصبة .

ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رِعاء البقر ، وعراقيب الكلاب . قال : فما تقول في بني يشكر ؟ قال : صريح تحسبه مولى . (قال هشام : لأنّ في ألوانهم حمرة) . قال : فعِجْل ؟ قال : أحلاس[1] الخيل . قال : فحنيفة ؟ قال : يطعمون الطعام ، ويضربون الهام . قال : فعنَزَة ؟ قال : لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً . قال : فضُبيعة أضجم ؟ قال : جَدْعاً وعَقْراً[2] . قال : فأخبرني عن النساء . قال : النساء أربع : ربيع مُربع ، وجميع تَجْمع ، وشيطان سَمَعْمع ، وغُلّ لا يخلَع . قال فَسِّر . قال : أمّا الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سرّتك ، وإذا أقسمت عليها أبَرَّتك ؛ وأمّا التي هي جميع تجمع ، فالمرأة تتزوجها ولها نَشَب ، فتجمع نَشَبك إلى نَشَبها ؛ وأمّا الشيطان السمعمع ، فالكالحة في وجهك إذا دخلت ، والمولولة في أثرك إذا خرجت ؛ وأمّا الغلّ الذي لا يخلع ، فبنت عمِّك السوداء القصيرة ، الفوهاء[3] الدميمة ، التي قد نثرت لك بطنها ، إن طلّقتها ضاع ولدك ، وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك . فقال له المغيرة : بل أنفك . ثم قال له : ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة ؟ قال : أعورُ زنّاء . فقال الهيثم : فضّ الله فاك ! ويلك ! هذا الأمير المغيرة . فقال : إنّها كلمة والله تقال . فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذٍ أربع نسوة ، وستّون أو سبعون أَمَة . قال له : ويحك ؛ هل يزني الحرّ وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لهنّ المغيرة : ارمين إليه بحُلاكنّ . ففعلن . فخرج الأعرابيّ بملء كسائه ذهباً وفضّة .

[نصح وغش]

أخبرني عبيد الله بن محمد ، قال : حدَّثنا الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن أبي مخنف ، وأخبرني أحمد بن عيسى العِجليّ قال : حدَّثنا الحسن بن نصر ، قال : حدَّثني أبي نصر بن مزاحم قال : حدَّثنا عُمر بن سعد ، عن أبي مِخْنف عن رجاله : أنّ المغيرة بن شعبة جاء إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : اكتب إلى معاوية فوَلّه الشام ، ومره بأخذ البيعة لك ، فإنّك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك . فقال عليّ عليه السلام : ﴿وما كنتُ متَّخِذَ المُضِلّين عَضُداً﴾ . فانصرف المغيرة وتركه . فلمّا كان من غد جاءه ، فقال : إنّي فكّرت فيما أشرتُ به عليك أمس ، فوجدته خطأ ، ووجدت رأيك أصوب . فقال له عليّ : لم يَخْفَ عليّ ما أردت ؛ قد نصحتني في الأولى ، وغششتني في الآخرة ، ولكنّي والله لا آتي أمراً أجد فيه

1 أحلاس الخيل : فرسان شجعان .
2 هذا دعاء عليهم بالفناء .
3 ل : الورهاء .

فساداً لديني ، طلباً لصلاح دنياي . فانصرف المغيرة .

[بينه وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين ، قال : حدَّثني محمد بن يونس الشيرازيّ ، قال : حدَّثني محمد بن غسان الضبيّ ، قال : حدَّثني زاجر بن عبد الله الثقفيّ ، مولى الحجّاج بن يوسف ، قال : كان بين المغيرة بن شعبة وبين مَصْقلة بن هُبَيرة الشيبانيّ تنازع ، فضرع له المغيرة ، وتواضع في كلامه ، حتى طمع فيه مَصقلة ، واستعلى عليه ، فشتمه . فقدَّمه المغيرة إلى شُرَيح ، وهو القاضي يومئذٍ ، فأقام عليه البينة ، فضربه الحدّ . فآلى مصقلة ألاّ يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيّاً ، وخرج إلى بني شيبان ، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة . ثم دخل الكوفة ، فتلقّاه قومه ، وسلّموا عليه . فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها . فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ظننا أنّك تريد أن ترجم قبره . فقال : ألقوا ما في أيديكم . فألقَوه ، وانطلق حتى وقف على قبره ، ثم قال : والله لقد كنتَ ما علمتُ نافعاً لصديقك ، ضائراً لعدوّك ، وما مثلك إلاّ كما قال مهلهل في أخيه كليب : [من الخفيف]

إنّ تحت الأحجار حزماً وعزماً وخَصيماً ألدَّ ذا معلاقِ[1]
حيّةٌ في الوِجار أربدُ لا ينْـ ـفع منه السليمَ نفثُ الرّاقي

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزُبان ، عن أحمد بن القاسم ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ : أنّ مصقلة قال له : والله إنّي لأعرف شبهي في عُرْوة ابنك . فأشهد عليه بذلك ، وجلده الحدّ . وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله .

[عمر لا ينخدع به]

أخبرني محمد بن عبد الله الرازيّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، عن مسلمة بن محارب ، قال : قال رجل من قريش لعمر بن الخطّاب رضوان الله عليه : ألا تتزوّج أُمّ كلثوم بنت أبي بكر ، فتَحْفظه بعد وفاته ، وتخلُفه في أهله . فقال عمر : بلى ، إنّي لأحبّ ذاك ؛ فاذهب إلى عائشة ، فاذكر لها ذلك ، وعُد إليّ بجوابها . فمضى الرسول إلى عائشة ، فأخبرها بما قال عمر ، فأجابته إلى ذلك ، وقالت له : حبّاً وكرامة . ودخل إليها بعَقِب ذلك المغيرة بن شعبة ، فرآها مهمومة . فقال لها : ما لك يا أُمّ المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر ، وقالت : إنّ هذه جارية حَدَثة ، وأردت لها ألين عيشاً من عمر . فقال لها : عليّ أن أكفيك . وخرج من عندها ، فدخل

1 ذو معلاق : شديد الخصومة . والمعلاق : اللسان البليغ . ويروى : ذو مغلاق ، وهو الذي يغلق الحجة على الخصم .

على عمر ، فقال : بالرِّفاء والبنين ، قد بلغني ما أُتيته من صلة أبي بكر في أُهله ، وخِطْبتك أُمّ كلثوم . فقال : قد كان ذاك . قال : إلاّ أنّك ، يا أمير المؤمنين ، رجل شديد الخُلُق على أهلك ، وهذه صبية حديثة السن ، فلا تزال تنكر عليها الشيء ، فتضربها فتصيح : يا أُبتاه ! فيغمّك ذلك ، وتتألّم له عائشة ، ويذكرون أبا بكر ، فيبكون عليه ، فتجدّد لهم المصيبة به ، مع قرب عهدها في كلّ يوم . فقال له : متى كنت عند عائشة ، واصدقني ؟ فقال : آنفاً . فقال عمر : أشهد أنّهم كرهوني ، فتضمنت لهم أن تصرفني عمّا طلبت ، وقد أعفيتهم . فعاد إلى عائشة ، فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها .

[اتهامه بالزنا]

حدَّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، عن محمد بن سليمان الباقلانيّ ، عن قتادة ، عن غنيم بن قيس ، قال : كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرَّقْطاء ، فلقيه أبو بكرة ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أزور آل فلان . فأخذ بتلابيبه ، وقال إنّ الأمير يزار ولا يزور .

وحدَّثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضي الله عنه ، أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، وأحمد بن عبد العزيز ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، فرواه عن جماعة من رجاله ، بحكايات متفرّقة .

قال عمر بن شبّة : حدَّثني أبو بكر العُلَيميّ ، قال : أخبرنا هشام ، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جَوشن ، عن أبيه ، عن أبي بكرة . قال عمر بن شبّة : وحدَّثنا عمرو بن عاصم ، قال : حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة . قال أبو زيد عمر بن شبّة : وحدَّثنا عليّ بن محمد بن حباب بن موسى ، عن مجالد ، عن الشعبيّ . قال : وحدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، قال : حدَّثنا عوف ، عن قسامة بن زهير . قال أبو زيد عمر بن شبّة : قال الواقديّ : حدَّثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكرة ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان . قال : وحدَّثني محمد بن الجهم ، عن عليّ بن أبي هاشم ، عن إسماعيل بن أبي عبلة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك :

أنّ المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وَسْط النهار ، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : آتي حاجة . فيقول له : حاجة ماذا ؟ إنّ الأمير يزار ولا يزور .

قال : وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة . قال : فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ، ورجلٍ آخر ، يقال له شبل بن معبد ، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة . فضربت الريح باب المرأة ففتحته . فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها . فقال أبو بكرة : هذه بلية ابتُليتم بها ، فانظروا . فنظروا حتى أثبتوا . فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة ، فقال له : إنّه قد كان من أمرك ما قد علمت ، فاعتزِلنا . قال : وذهب ليصلّي بالناس الظهر ، فمنعه أبو بكرة ، وقال له : لا والله لا تصلّي بنا وقد فعلت ما فعلت . فقال الناس : دعوه فليصلّ ، فإنّه الأمير ، واكتبوا بذلكم إلى عمر . فكتبوا إليه ، فورد كتابه بأن يَقْدَموا عليه جميعاً ، المغيرة والشهود .

وقال المدائنيّ في حديثه عن حباب بن موسى : وبعث عمر بأبي موسى الأشعريّ على البصرة . وعزم عليه ألاّ يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة . قال : قال عليّ بن أبي هاشم في حديثه : إنّ أبا موسى قال لعمر لمّا أمره أن يرحله من وقته : أَوَ خير من ذلك يا أمير المؤمنين : نتركه يتجهّز ثلاثاً ، ثم يخرج . قال : فصلّينا صلاة الغداة بظهر المِربد ، ودخلنا المسجد ، فإذا هم يصلّون : الرجال والنساء مختلطين . فدخل رجل على المغيرة ، فقال له : إنّي رأيت أبا موسى في جانب المسجد ، عليه بُرْنُس . فقال له المغيرة : ما جاء زائراً ولا تاجراً . فدخلنا عليه ومعد صحيفة ملء يده . فلمّا رآنا قال : الأمير ؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب . فلمّا قرأه ذهب يتحرّك عن سريره . فقال له أبو موسى : مكانك ، تجهّز ثلاثاً .

وقال الآخرون : إنّ أبا موسى أُمره أَن يرحل من وقته . فقال له المغيرة : لقد علمتَ ما وُجهتَ فيه ، فألاّ تقدّمت فصلّيت . فقال له أبو موسى : ما أنا وأنت في هذا الأمر إلاّ سواء . فقال له المغيرة : فإنّي أحبّ أن أُقيم ثلاثاً لأتجهّز . فقال : قد عزم عليّ أمير المؤمنين ألاّ أَضع عهدي من يدي إذا قرأته عليك ، حتى أُرحِّلَك إليه . قال : إن شئت شَفّعتني وأبررت قسم أمير المؤمنين . قال : وكيف ؟ قال : تؤجّلني إلى الظهر ، وتمسك الكتاب في يدك . قالوا : فقد رُئي أبو موسى يمشي مقبلاً ومدبراً ، وإنّ الكتاب لفي يده معلّقاً بخيط . فتجهّز المغيرة ، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة ، جارية عربية من سَبْي اليمامة ، من بني حنيفة ؛ ويقال إنّها مولدة الطائف ، ومعها خادم لها . وسار المغيرة حين صلّى الظهر ، حتى قدم على عمر : وقال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاريّ : فلمّا قدم على عمر ، قال له : إنّه قد شُهد عليك بأمر إن كان حقّاً لأن تكون متّ قبل ذلك كان خيراً لك .

قال أُبو زيد : وحدَّثني الحكم بن موسى ، قال : حدَّثنا يحيى بن حمزة ، عن إسحاق بن

عبد الله بن أبي فروة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاريّ ، عن مصعب بن سعد : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه جلس ، ودعا المغيرة والشهود . فتقدّم أبو بكرة . فقال له : أرأيته بين فخذيها ، قال : نعم والله ، لكأنّي أنظر إلى تشريم جُدَريّ بفخذيها . فقال له المغيرة : لقد ألطفت النظر . فقال له : لم آلُ أن أثبت ما يخزيك الله به ؟ فقال له عمر : لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المِرود في المُكْحُلة . فقال : نعم أشهد على ذلك . فقال له : اذهب عنك مُغيرة ، ذهب رُبْعك .

ثم دعا نافعاً فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبي بكرة . قال : لا ، حتى تشهد أنّه كان يلج فيه وُلوج المِرود في المكحُلة . فقال : نعم حتى بلغ قُذَذه[1] . فقال : اذهب عنك مغيرة ، ذهب نِصفك . ثم دعا الثالث ، فقال : علام تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبيّ . فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السلام . اذهب عنك مغِيرة ، ذهب ثلاثة أرباعِك . قال : حتى مكث يبكي إلى المهاجرين ، فبكوا . وبكى إلى أمّهات المؤمنين ، حتى بكين معه ، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة .

قال : ثم كتب إلى زياد ، فقدِم على عمر . فلمّا رآه جلس له في المسجد ، واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار . قال المغيرة : ومعي كلمة قد رفعتها لأكلّم القوم . قال : فلمّا رآه عمر مقبلاً قال : إنّي لأرى رجلاً لن يخزيَ الله على لسانه رجلاً من المهاجرين .

قال أبو زيد : وحدَّثنا عفّان ، قال : حدَّثنا السَّريّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا عبد الكريم بن رشيد ، عن أبي عثمان النهديّ ، قال : لمّا شهِد عند عمر الشاهد الأوّل على المغيرة ، تغيّر لذلك لون عمر . ثم جاء آخر فشهد ، فانكسر لذلك انكساراً شديداً . ثم جاء رجل شابّ يخطِر بين يديه ، فرفع عمر رأسه إليه ، وقال له : ما عندك يا سَلْح العُقاب . وصاح أبو عثمان صيحة تحكي صيحة عمر . قال عبد الكريم : لقد كِدتُ أن يُغْشى عليّ .

وقال آخرون : قال المغيرة : فقمت إلى زياد ، فقلت له : لا مَخبأ لعطر بعد عَروس[2] ؛ ثم قلت : يا زياد ، أُذكر الله ، وأذكر موقف يوم القيامة ؛ فإنّ الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي ، إلاّ أن تتجاوز إلى ما لم تَرَ ما رأيت ، فلا يحملك شرّ منظر رأيته على أن تتجاوزه إلى ما لَم تَرَ ، فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها . قال : فترنّقت عيناه ، واحمرّ وجهه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أما أن أُحُقَّ ما حقّ القوم فليس

1 قذذ : جمع قذة ، وهي جانب الحياء .

2 المثل «لا مخبأ لعطر بعد عروس» في مجمع الميداني 2 : 211 ومستقصى الزمخشري 2 : 263 وفصل المقال : 427 .

ذلك عندي ؛ ولكنّي رأيت مجلساً قبيحاً ، وسمعت نَفَساً حثيثاً وانبهاراً ، ورأيته متبطّنها . فقال له : أرأيته يدخله كالمِيل في المكحُلة . فقال : لا .

وقال غير هؤلاء : إن زياداً قال له : رأيته رافعاً برجليها ، ورأيت خصيتيه تتردّدان بين فخذيها ، ورأيت حَفْزاً شديداً ، وسمعت نفَساً عالياً . فقال له : أرأيته يدخله ويخرجه كالمِيل في المكحلة ؟ فقال : لا . فقال عمر . الله أكبر . قم إليهم فاضرِبهم . فقام إلى أبي بكرة ، فضربه ثمانين ، وضرب الباقين ، وأعجبه قول زياد ، ودرأ عن المغيرة الرجْم . فقال أبو بكرة بعد أن ضُرب : فإنّي أشهد أنّ المغيرة فعل كذا وكذا . فهم عمر بضربه ، فقال له عليّ عليه السلام : إن ضربته رجمت صاحبك . ونهاه عن ذلك .

قال : يعني أنّه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين ، فوجب بذلك الرجم على المغيرة .

قال : واستتاب عمر أبا بكرة . فقال : إنّما تستتيبني لتقبل شهادتي . قال : أجَل . قال : لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدُّنيا . قال : فلمّا ضُربوا الحدّ قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذي أخزاكم . فقال له عمر : اسكت أخزى الله مكاناً رأوك فيه . قال : وأقام أبو بكرة على قوله ، وكان يقول : والله ما أنسى رَقَط فخذيها . قال : وتاب الاثنان ، فقُبلت شهادتهما . قال : وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعي إلى شهادة يقول : اطلب غيري ، فإنّ زياداً قد أفسد عليّ شهادتي .

قال أبو زيد : وحدّثني سليمان بن داود بن عليّ ، قال : حدّثني إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : لما ضُرب أبو بكرة أمرت أُمّه بشاة فذبحت ، وجعلت جلدها على ظهره . قال : فكان أبي يقول : ما ذاك إلاّ من ضرب شديد .

حدّثنا ابن عمّار والجوهريّ قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : كانت أُمّ جميل بنت عمر ، التي رُمِي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة ، تختلف إلى المغيرة في حوائجها ، فيقضيها لها . قال : ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك ، فقال له عمر : أتعرف هذه ؟ قال : نعم ؛ هذه أُمّ كلثوم بنت عليّ . فقال : له عمر : أتتجاهل عليّ ؟ والله ما أظنّ أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتك إلاّ خفت أن أُرمى بحجارة من السماء .

حدّثني أحمد بن الجعد ، قال : حدّثنا محمد بن عباد ، قال : حدّثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر ، قال : قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : لئن لم ينته المغيرة لأتبعنّه أحْجاره . وقال غيره : لئن أخذت المغيرة لأتبعنّه أحجاره .

أخبرني ابن عمّار والجوهريّ قالا : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا المدائنيّ ، قال : قال

حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصّة[1] : [من الوافر]

لَـو انّ اللؤم ينسَبُ كان عبداً قبيح الوجـه أعور من ثقيفِ
تركـتَ الدِّيــن والإسلام لما بدت لك غُدوةً ذاتُ النَّصيفِ
وراجعت الصِّبا وذكرت عهداً من القَينــات والغمز اللطيفِ

[يتزوج في الطريق إلى عمر]

أخبرني الجوهريّ وابن عمّار ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا المدائنيّ عن عبد الله بن سلم الفِهريّ ، قال : لمّا شخص المغيرة إلى عمر ، رأى في طريقه جارية فأعجبته ، فخطبها إلى أبيها . فقال له : أنت على هذه الحال ؟ قال : وما عليك ؟ إن أُعفَ ، فهو الذي تريد ؛ وإن أقتل ترِثني . فزوّجه .

قال أبو زيد : قال الواقديّ : تزوّجها بالرَّقَم[2] . وهي امرأة من بني مرّة . فلمّا قدِم بها على عمر ، قال : إنّك لفارغ القلب ، طويل الشَّبَق .

وقال محمد بن سعد . أخبرني محمد بن عبد الله الأسدِيّ ، قال : حدَّثنا مِسعر ، عن زياد بن علاقة ، قال : سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول : استغفروا لأميركم هذا ، فإنّه كان يحبّ العافية .

قال : وكان المغيرة أصهب الشعر جدّاً ، أكشف ، يفرُق رأسه قروناً أربعة ، أقلص الشفتين ، مهتوماً ، ضخم الهامة ، عَبل الذراعين ، بعيد ما بين المِنكبين .

[وفاته]

قال : وقال الواقديّ ، حدَّثني محمد بن موسى الثقفيّ ، عن أبيه ، قال : مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين ، في خلافة معاوية ، وهو ابن سبعين سنة . وكان رجلاً طُوالاً أعور ، أُصيبت عينه يوم اليرموك .

صوت

[من البسيط]

جِنِّيَّــةٌ ولهــا جِــنّ يعلّمها رميَ القلوب بقوس ما لها وترُ
إن كان ذا قَدَراً يعطيكِ نافلة منّا ويحرمنا ، ما أنصف القدرُ

الشعر لمحمد بن بشير الخارجيّ ، والغناء لإبراهيم : هزج بالبِنصر ، عن الهشاميّ .

---

1 ديوان حسان 1 : 112 مع بعض اختلاف في الرواية .

2 الرقم : موضع بالحجاز .

[313] ـ أخبار محمد بن بشير الخارجيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أُسعد بن حبيب بن سنان بن عِدِيّ بن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدْوان الخارجيّ ، من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر . ويقال لعدوان وفهم : ابنا جديلة ، نُسبا إلى أمّهما جديلة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان ؛ شاعر فصيح حجازيّ مطبوع ، من شعراء الدولة الأمويّة . وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة القرشيّ ، أحد بني أسد بن عبد العزى ، وهو جدّ ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن ، لأمّهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشيّ ؛ ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى . وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومَراثٍ مختارة ، وهي عيون شعره ، وكان يبدو[2] في أكثر زمانه ، ويقيم في بوادي المدينة ، ولا يكاد يحضر مع الناس .

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أُحمد بن زهير ، قال : حدَّثني مُصعَب الزبيريّ . قال أحمد : وحدَّثنا الزبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ وعمِّي مصعب ، وحدَّثني بقطعة أُخرى منها عيسى بن الحسن الوراق ، عن الزُّبير ، عن سليمان بن عياش . وقد ذكرت كل ذلك في مواضعه .

[امرأة لا تريد ترك البصرة]

قال ابن أَبي خيثمة في روايته عن مصعب وعن الزُّبير ، عن سليمان بن عيّاش : كان الخارجيّ ، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب بن سنان بن عديّ بن عوف بن بكر ، شاعراً فصيحاً ، ويكنى أبا سليمان . فقدِم البصرة في طلب ميراث له بها ، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمُر الخارجية ؛ من خارجة عدوان . فأَبت أن تتزوّجه إلاّ أن يقيم معها بالبصرة ، ويترك الحجاز ، ويكون أمرها في الفرقة إليها . فأبى أن يفعل ، وقال في ذلك[3] : [من الكامل]

---

1 لمحمد بن بشير الخارجي ترجمة في معجم الشعراء : 343 والمحمدون من الشعراء : 232 ويصحف أحياناً إلى محمد بن يسير الذي يصحف اسمه بدوره إلى «بشير» . وهما شاعران مختلفان ، وقد ترجم أُبو الفرج لمحمد بن يسير الرياشي في جزء سابق . وقد قام د . نوري حمودي القيسي بجمع شعر محمد بن بشير الخارجي في القسم الثالث من «شعراء أمويون» (مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، 1982) .

2 يبدو : يقيم في البادية .

3 مجموع شعره : 177 عن الأغاني .

أَرِق الحزيـنُ وعـاده سُهدُهْ ... لطـوارقِ الهـمِّ التـي تَرِدُهْ
وذكرتُ مَن لانت له كبدي ... فأَبـى فليس تلـين لي كبدُهْ
ونـأى فليس بنـازلٍ بلدي ... أبـداً ، وليس بمُصلِحي بلدُهْ
فصُدِعت حـين أَبـى مودّتَه ... صَدْعَ الزجاجـة دائـمٌ أَبدُهْ
وعرفت أَنّ الطير قد صدقت ... يـوم الكِدانـة شرَّ مـا تَعِدُهْ
فاصبر فـإن لكلّ ذي أَجـل ... يومـاً يجـيء فينقضي عَددُهْ
مـاذا تعاتب مـن زمانك إذ ... ظعن الحبيب وحلَّ بي كمدُهْ

قالا : وخاطب أباها يحيى بن يعمر في ذلك ، فقال له : إنّها امرأة بَرْزة عاقلة ، لا يُفتات على مثلها بأمرها ، وما عندها عنك من رغبة ، ولكنّها امرأة في خلقها شدّة ، ولها غيرة ، وقد بلغني أن لك زوجتين ، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما ؛ فانظر في أمرك ، وشاور فيه : فإمّا أن أُقمت بالبصرة معها ، فعفَت لك عن صاحبتيك ، إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عِشْرة ، وإن شئت فارقتهما وأَخْرِجها معك . فصار إلى رحْله مغموماً . وشاور ابن عمٍّ له يقال له وَرَّاد بن عمرو في ذلك ، فقال له : إن في يحيى بن يعمر لرغبة ، لثروته وكثرة ماله ، وما ذكرته من جمال ابنته ، وما نحب أن تفارق زوجتيك ، وكانتْ إحداهما ابنة عمّه ، والأُخرى من أشجع ، فتقيم معها السنة بالبصرة ، ونمضي نحن ، فإن رغبت فيها تمسّكت بها ، وأقمت بمكانك ، وإن رغبت في العود إلى بلدك ، كتبت إلينا فجئناك ، حتى تنصرف معنا إلى بلدك . ففكّر ليله أجمع في ذلك ، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز ، وقال[1] : [من البسيط]

لئن أُقمتُ بحيث الفيضُ في رجب ... حتى أُهِـلَّ بـه من قابلٍ رَجَبا[2]
وراح في السَّفْر ورّاد فهيجني ... إنّ الغريـب إذا هيجتـه طربا
إنّ الغريبَ يَهيج الحـزنُ صَبْوته ... إذا المصاحب حيـاه وقـد ركبا
قـد قلـت أمس لورّاد وصاحبه ... عُوجا على الخارجيّ اليوم واحتسبا
وأَبلغـا أُمّ سعـد أنّ عانيهـا ... أَعيـا على شفعاء الناس فاجتنبا[3]
لما رأيت نجِيَّ القـوم قلت لهم ... هل يَعدُوَنَّ نجيُّ القوم مـا كُتبا

1 مجموع شعره : 173–175 عن الأغاني .
2 الفيض : نهر بالبصرة . وأهل به : ظهر له الهلال .
3 العاني : الأسير .

وقلت إنّي متى أجلب شفاعتكم ... أندم وإنّ أشقَّ الغيّ ما اجتُلِبا
وإنّ مثلي متى يسمع مقالتكم ... ويعرف العين يندم قبل أن يَجبا
إنّي وما كبّر الحُجّاج تحملهم ... بُزْل المطايا بجنبي نخلةٍ عُصَبا[1]
وما أهلّ به الدّاعي وما وقفت ... عُلْيا ربيعة ترمي بالحصى الحِصبا[2]
جهداً لَمَنْ ظنّ أنّي سوف أظعنها ... عن ربع غانية أخرى لقد كذبا
أأبتغي الحسن في أخرى وأتركَها ... فذاك حين تركت الدينَ والحسبا
وما انقضى الهمّ من سُعدى وما عَلِقت ... منّي الحبائل حتى رمتُها حِقَبا
وما خلوت بها يوماً فتعجِبَني ... إلاّ غدا أكثرَ اليومين لي عجَبا
بل أيّها السائلي ما ليس يدركه ... مهلاً فإنّك قد كلفتَني تعبا
كم من شفيع أتاني وهو يحسُب لي ... حَسْباً فأُقصِرُه من دون ما حَسَبا
فإن يكن لهواها أو قرابتها ... حبّ قديم فما غابا ولا ذهبا
هما عليّ : فإن أرضيتها رضيا ... عنّي وإن غضبتْ في باطل غضِبا
كائنْ ذهبتُ فرَدّاني بكيدهما ... عمّا طلبت وجاءاها بما طلبا
وقد ذهبت فلم أصبح بمنزلة ... إلاّ أنازع من أسبابها سببا
وَيْلُمِّها خُلَّةً لو كنتِ مُسجِحة ... أو كنتَ تُرجع من عَصْرَيْك ما ذهبا
أنت الظعينة لا تُرْمَى برمتها ... ولا يفجِّعها ابن العمّ ما اصطحبا

[يفرّق بين عربية ومولى]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ ، قال : قدِم أعراب من بني سُليم أقحمتهم السنة إلى الرَّوْحاء ، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الروحاء ، فزوّجه . فركب محمد بن بشير الخارجيّ إلى المدينة ، وواليها يومئذٍ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ، فاستعداه الخارجيّ على المولى . فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السُّلَميين ، وفرّق بين المولى وزوجته ، وضربه مائتي سوط ، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه . فقال محمد بن بشير في ذلك[3] : [من الوافر]

1 نخلة : موضع قريب من مكة . والعصب : الجماعات .
2 الحصب : محصب منى .
3 مجموع شعره : 179 عن الأغاني .

شهدتُ غداةَ خصم بني سُليم وجوهاً من قضائك غيرَ سودِ
قضيتَ بسنَّة وحكمت عدلاً ولم تَـرِث الحكومة من بعيدِ
إذا غُمِز القنا وُجِدتْ لعمري قناتك حـين تغمَز خيرَ عُودِ
إذا عضَّ الثِّقاف بها اشمأزّت أبـيَّ القسر بائنـةَ الصعودِ
حمـى حَدَباً لحومَ بنـاتِ قوم وهم تحـت التراب أبو الوليدِ
وفي المِئَتَيْنِ للمـولى نَكـالٌ وفي سلب الحواجب والخدودِ
إذا كافأتَهـم ببناتِ كِسرى فهـل يجـد الموالي من مَزيدِ
فأيُّ الحـقّ أنصفُ للمـوالي مِـن اصْهار العبيد إلى العبيدِ

[لا تفلت العبد]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عياش ، قال كان للخارجيّ عبد ، وكان يتلطّف له ويخدمه ، حتى أعتقه وأعطاه مالاً ، فعمل به ، وربح فيه . ثم احتاج الخارجي بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته ، فبعث إلى مولاه في ذلك ، وقد كان المولى أثرى واتّسعت حاله ، فحلف له أنّه لا يملك شيئاً ، فقال الخارجيّ في ذلك[1] : [من الطويل]

يسعى لـك المـولى ذليلاً مُدقِعاً ويخذلك المولى إذا اشتدّ كاهلُهْ
فأمسِك عليك العبد أوّل وَهْلـةٍ ولا تنفلِت مـن راحتيك حبائلُهْ

وقال أيضاً : [من الطويل]

إذا افتقر المـولى سعى لك جاهداً لترضى وإن نال الغنى عنك أدبرا

[تأخرت عنه زوجتاه فتزوّج]

حدَّثني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ ، قـال : كان محمد بن بشير الخارجـيّ بين زوجتين له ، وكان يسكن الروحاء ، فأجدب عليه منزله ، فوجّه غنماً إلى سحابة وقعت برُجْفان ، وهو جبل يطلّ على مضيق يَلْيل ، فقال لزوجتيه : لو تحوّلتما إلى غنمنا . فقالتا له : بل تذهب ، فتطلع إليها ، وتصرفها إلى موضع قريب ، حتى نوافيـك فيـه . فمضى وزوّدتاه وَطْبين ، وقالتا له : اجمع لنا اللبن ، ووعدتاه موضعاً من رُجفـان ، يقال له ذو القِشع . فانطلق ، فصرف غنمه إلى ذلك الموضع ، ثم انتظرهما ، فأبطأتا عليه . وخالفته سحابة إليهما ، فأقامتا ، وقالتا : يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا . فجعل يَصعد في الجبل

1 مجموع شعره : 194 عن الأغاني .

وينزل ، يتبصّرهما فلا يراهما . فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا ، فقال : أنزل فأتحدّث إليهما ، فإذا هو بامرأة مسنّة ، ومعها بنت لها شابّة ، فأعجبته ، فقال لها : أتزوّجينني ابنتك هذه ؟ قالت : إن كنت كفوأً . فانتسب لها ، فقالت : أعرف النسب ولا أعرف الوجه ، ولكن يأتي أبوها . فجاء أبوها فعرفه ، فأخبرته امرأته بما طلب . فقال : نعم ، وزوّجه إيّاها . فساق إليها قطعة من غنمه ، ثم بنى بها ، وانتظر ، فلم يَرَ زوجتيه تَقْدَمان عليه ، فارتحل إليهما بزوجته وبقيّة غنمه . فلمّا طلع عليهما وقف ، فأخذ بيدها ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

كأنّـــيَ مُـــوفٍ للهـــلالِ عشيّةً ... بأسفلِ ذات القِشع منتظِرَ القَطْرِ
وأنتـــن تلبسن الجديـــدة بعدمـــا ... طُردت بطَيٍّ الوَطْبِ في البُلْقِ والعُفْرِ
فكان الذي قلتن أُعْـــدِدْ بضاعة ... لناهـــدِ بيضاء الترائـــب والنحرِ
كـــأنّ سُموط الدرّ منهـــا معلّـــق ... بجَيْداءَ في ضالٍ بوَجْرة أو سدرِ
تكون بلاغـــاً ثـــم لست بمخبرٍ ... إذا وُدِيت لي ما وددتن من أمري

[فراق المرأة المزنية]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني مصعب ، قال : حدَّثني أحمد بن زهير ؛ وحدَّثني الزبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قالا : كان محمد بن بشير يتحدّث إلى امرأة من مُزَينة ، وكان قومها قد جاوروهـم ، ثـم جاء الربيع ، وأخصبت بلاد مزينة ، فارتحلوا ، فقال محمد بن بشير[2] : [من الكامل]

لـــو بَيَّنتْ لك قبـــل يـــوم فراقِها ... أنّ التفـــرّق مـــن عشيّةَ أو غـــدِ
لشكوتَ إذ عِلـــق الفؤاد بهائم ... علـــقٍ حبائـــلَ هائـــم لم يُعهدِ
وتبرّجَـت لك فاستَبَتْك بواضح ... صَلْت وأسود في النصيف معقّدِ
بيضاء خالصة البيـــاض كأنّهـــا ... قمـــر توسط ليـــل صيف مُبْردِ
موسومة بـــالحسن ذات حواسد ... إن الجمـــال مَظِنّـــةٌ للحسَّدِ
لم يُطْغِها سَرَف الشباب ولم تضع ... عنهـــا معاهـــدة النصيح المرشدِ
خَـــودٌ إذا كثر الكـــلام تعوّذت ... بحِمـــى الحيـــاء وإن تكلّمْ تُقصدِ
وكأنّ طعـــم سُلافـــة مشمولةٍ ... تنصبّ في إثـــر السواك الأغيدِ

1 مجموع شعره : 186–187 عن الأغاني .
2 مجموع شعره : 178–179 عن الأغاني .

وتــرى مدامعهـــا تُرَقْرِق مقلةً حوراءَ ترغبُ عن سواد الإثمدِ
مــاذا إذا بـــرزت غــداة رحيلها مِ الحُسن تحت رِقاق تلك الأبرُدِ
وُلِــدت بــأسعدِ أنجمٍ فمحلها ومسيرها أبـــداً بطلــق الأسعُدِ
اللهُ يُسعدهـــا ويُسْقـــي دارهـــا خَضِلَ الرَّباب سَرى ولما يُرْعدِ[1]

[قضاعية ترفضه]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : صحب محمد بن بشير رُفقة من قُضاعة إلى مكّة ، وكانت فيهم امرأة جميلة ، فكان يسايرها ويحادثها . ثم خطبها إلى نفسها ، فقالت : لا سبيل إلى ذلك ، لأنّك لست لي بعشير ، ولا جاري في بلدي ، ولا أنا ممّن تطمعه رغبة عن بلده ووطنه . فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحجّ ، ففرّق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما ، فقال الخارجيّ في ذلك[2] : [من البسيط]

أستغفر الله ربِّـــي مـــن مخدَّرة يوماً بدا ليَ منها الكشحُ والكتِدُ[3]
من رُفقة صاحبونـــا في ندائِهـــمُ كلٌّ حـــرام فما ذمُّوا ولا حُمِدوا
حتى إذا البُدْن كاسَتْ في مناحرها يعلو المناسمَ منهــا مُزبِـــد جَسِدُ[4]
وحلَّــق القـــوم واعتمّوا عمائمهم واحتـــلّ كلّ حـــرامٍ رأسُه لَبِدُ
أقبلـــتُ أسألهـــا مـــا بالُ رُفقتها وما أُبالي أغـــاب القوم أم شهِدوا
فقربـــت ليَ واحلـــولت مقالتها وعوّقتني وقالت بعضَ مـــا تجدُ
أنّـي ينـــال حِجـــازيّ بحاجتـــه إحدى بني القين أدنى دارِها بَرِدُ[5]

[طلّق امرأتك أتزوّجك]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش ، قال : خطب محمد بن بشير امرأة من قومه ، فقالت له : طلِّق امرأتك حتى أتزوَّجك . فأبى وانصرف عنها ، وقال في ذلك[6] : [من البسيط]

---

1 يسعدها في مجموع شعره : يصحبها .
2 مجموع شعره : 177 عن الأغاني .
3 الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان والحيوان .
4 كاس البعير يكوس : مشى على ثلاث . وجَسِد الدم : لصق .
5 برد : جبل قريب من تيماء .
6 هذه الأبيات وردت ضمن البائية السابقة مع بعض اختلاف في الرواية والترتيب .

أأطلب الحسن في أُخرى وأتركَها فذاك حين تركت الدين والحسبا
هـي الظعينـة لا يُرْمى برُمّتها ولا يفجّعها ابن العمّ ما اصطحبا
فما خلوت بهـا يومـاً فتعجبني إلاّ غـدا أكثر اليومـين لي عجبا

[يحتال لمحادثة النساء والأنصار]

حدَّثني عيسى قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : بلغني عن صالح بن قُدامة بن إبراهيم أنّ محمد بن حاطب الجُمَحيّ ، يروي شيئاً من أخبار الخارجيّ وأشعاره ، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى ، كان من الكتّاب ، وسألته أن يكتب لي ما عنده ، فكان فيما كتب لنا ، قال : زعم الخارجيّ ، واسمه محمد بن بشير ، وكنيته أبو سليمان ، وهو رجل من عَدوان ، وكان يسكن الرَّوْحاء ، قال : بينا نحن بالرّوحاء في عام جدب قليل الأمطار ، ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخته ، وإذا بقطار ضخم كثير الثَّقَل يهوي ، قادم من المدينة ، حتى نزلوا بجانب الرَّوحاء الغربيّ ، بيننا وبينهم الوادي ، وإذا هم من الأنصار ، وفيهم سعيد بن عبد الرّحمن بن حسّان بن ثابت . فلبثنا أيّاماً ، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي : أرسَلَ إليَّ النساء يقلن : أما لكم في الحديث حاجة ؟ فقلت لهنّ : فكيف برجالكنّ ؟ قلن : بلغنا أنّ لكم صاحباً يعرَف بالخارجيّ ، صاحب صيد ، فإن أتاهم فحدّثهم عن الصيد انطلقوا معه ، وخلوتم فتحدّثتم . قال : فقلت لسليمان : بئس لعمر الله ما أردت منّي ، أأذهب إلى القوم فأغُرُّهم ، وآثَم وأتعبَ وتنالون أنتم حاجتكم دوني ؟ ما هذا لي برأي . قال لي سليمان : فأنظِرني إذنْ ، أُرسِل إلى النساء وأخبرهنّ بقولك . فأرسل إليهن فأخبرهنّ بما قلت . فقلن : قل له احتلْ لنا عليهم هذه المرّة بما قلنا لك ، وعلينا أن نحتال لك المرّة الأُخرى .

قال الخارجيّ : فخرجت حتى أُتيت القوم فحدّثتهم ، وذكرت لهم الصيد ، فطارت إليه أنفسهم . فخرجت بهم ، وأخذت لهم كلاباً وشباكاً ، وتزوّدنا لثلاث . وانطلقت أُحدِّثهم وأُلهِيهم ، فحدَّثتهم بالصدق حتى نفد . ثم حدَّثتهم ممّا يشبه الصدق حتى نَفِد . ثم صرّحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث ، وجعلت لا أُحدِّثهم حديثاً إلاّ قالوا : صدقت . وغبت بهم ثلاثاً ما أعلم أنا عاينّا صيدا ، فقلت في ذلك[1] : [من البسيط]

إنّي لأَعجَبُ منّي كيف أُفْكِهُهم أم كيف أخدع قوماً ما بهم حُمُقُ !
أظـلّ في البِيد أُلهيهـم وأخبرهم أخبار قـوم وما كانوا وما خُلقوا

1 مجموع شعره : 190–191 عن الأغاني .

ولو صدقت لقلت القومُ قد قدموا حين انطلاقنا وآتي ساعة انطلقوا
أم كيف تُحْرَم أيدٍ لم تخن أحداً شيئاً وتظفر أيديهم وقد سرقوا
ونرتمي اليوم حتى لا يكون له شمس ويرمون حتى يَبرُق الأُفقُ
يرمون أحور مخضوباً بغير دمٍ دفعاً وأنت وشاحاً صيدك العَلَقُ
تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم صيد يرجَّى قليلاً ثم يُعْتنقُ
ما زلت أحدوهم حتّى جعلتهم في أصل مَحْنِيَة ما إن لها طُرُقُ
ولو تركتهم فيها لمزّقهم شيخا مزينة إن قالا انعِقوا نعقوا
إن كنتم أبداً جاريْ صديقِكم والدّهر مختلف ألوانه طرقُ
فمتّعوني فإنّي لا أرى أحداً إلاّ له أجل في الموتِ مستبَقُ

[رثاء سليمان بن الحصين]

قال سليمان بن عيّاش : ومات سليمان بن الحصين هذا ، وكان خليلاً للخارجيّ ، مصافياً له ، وصديقاً مخلصاً ، فجزع عليه ، وحزن حزناً شديداً ، فقال يرثيه[1] : [من البسيط]

يا أيّها المتمنّي أن يكون فتًى مثل ابن ليلى لقد خلّى لك السُّبلا
إن ترحل العيسَ كي تسعى مساعيَه يُشفقْ عليك وتعملْ دون ما عملا
لو سرت في النّاسِ أقصاهم وأقربهم في شُقّة الأرض حتى تُحسِر الإبلا
تبغي فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا مثل الذي غيبوا في بطنها رجلا
اعْدُد ثلاث خصال قد عُرفن له هل سَبّ من أحد أو سُبَّ أو بخلا

قال سليمان بن عيّاش : لما مات عبد العزيز بن مروان ، ونُعِي إلى أخيه عبد الملك ، تمثّل بأبيات الخارجيّ هذه ، وجعل يردّدها ويبكي .

[شعره في امرأة كريمة]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني عمّي عن أبيه ؛ قال : قال الرشيد يوماً لجلسائه : أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفِرة كريمة ، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت ، فقال لي : إيه يا ابن مصعب ، أما أنّك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجيّ حيث يقول[2] : [من الكامل]

---

1 مجموع شعره : 194–195 عن الأغاني .
2 تقدمت هذه الأبيات في المرأة المزنية مع بعض اختلاف في الرواية والترتيب .

بيضاء خالصــة البيــاض كأنّها قمــر توسّط جنــح ليـل مُبردِ
موسومــة بـالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنّـــــة للحسدِ
وتــرى مدامعهــا تُرقــرق مقلةً حــوراء ترغب عن سواد الإثمدِ
خَــوْد إذا كثر الكلام تعــوّذت بحمـى الحيــاء وإن تكلّم تُقْصِدِ
لم يُطغها سرف الشباب ولم تَضِعْ منهـا مُعاهَــدة النصيح المرشدِ
وتبرّجت لــك فاستبَتْك بواضح صَلْــت وأسود في النصيف معقّدِ
وكأنّ طعــم سلافــة مشمولة بالريــق في أُثـر السواك الأغيَدِ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر ، لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم ! ثم أمر مؤدّب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فروّاهما الأبيات .

[مزينة تصده]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كان محمد بن بشير الخارجيّ يتحدّث إلى عبدةَ بنت حسّان المُزَنية ، ويَقِيل عندها أحياناً ، وربّما بات عندها ضيفاً ، لإعجابه بحديثها ، فنهاها قومها عنه ، وقالوا : ما مبيت رجل بامرأة أيِّم ؟ فجاءها ذات يوم ، فلم تدخله خباءها ، وقالت له : قد نهاني قومي عنك ، وكان قد أمسى ، فمنعته المبيت ، وقالت : لا تبت عندنا ، فيُظَنّ بي وبك شرّ ، فانصرف وقال فيها[1] : [من الطويل]

ظللــتُ لــدى أطنابها وكأنّني أسيرٌ مُعَنّـى في مُخلخَلـهِ كَبْلُ
أُخيَّـر إمّــا جَلسةٌ عنـد دارهـا وإمّا مَـراح لا قريـبٌ ولا سهلُ
فإنّكِ لو أُكرمتِ ضيفكِ لم يعب عليك الذي تأتين حَمْوٌ ولا بعلُ
وقــد كان يَنميها إلى ذروة العلا أبٌ لا تخطّــاه المطيّــة والرجْلُ
فهــل أنــتِ إلاّ جِنّــة عبقريّةٌ يخالط من خالطتِ من حبّكم خَبْلُ
وهــل أنت إلاّ نبعــة كان أصلها نُضاراً فلم يفضحك فرع ولا أُصلُ
صددتِ امرءاً عن ظلّ بيتك ماله بواديك لولاكم صديـق ولا أَهلُ

[لقبته الأنصارية أبا الجون]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان ، حتى أتيا

1 مجموع شعره : 193 عن الأغاني .

امرأة من الأنصار ، من بني ساعدة ، فبرزت لهما ، وتحدّثا عندها ، وقالا لها : هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر ؟ فقالت : مَن هو ؟ قالا : محمد بن بشير الخارجيّ . قالت : لا حاجة بي إلى لقائه ، ولا تجيئاني به معكما ، فإنّكما إن أتيتما به لم آذن لكما . فجاءا به معهما ، وأخبراه بما قالت لهما ، وأجلساه في بعض الطريق ، وتقدّما إليها ، فخرجت إليهما ، وجاءهما الخارجيّ بعد خروجها إليهما ، فرحّبا به ، وسلّما عليه . فقالت لهما : مَن هذا ؟ قالا : هذا الخارجيّ الذي كنّا نخبرك عنه . فقالت : والله ما أرى فيه من خير ، وما أشبهه إلاّ بعبدنا أبي الجَون . فاستحيا الخارجيّ ، وجلس هُنيهة ، ثم قام من عندها ، وعَلِقها قلبه ، فقال فيها[1] : [من الوافر]

أَلا قـد رابني وَيَريب غيري ... عشيّةَ حكمهـا حيفٌ مريبُ
وأضحت للمودّة عنـد ليـلى ... منـازلُ ليس لي فيها نصيبُ
ذهبتُ وقد بدا لِيَ ذاك منها ... لأهجوهـا فيغلبنـي النسيبُ
وأَنسى غيظَ نفسي إن قلبي ... لِمَـن وادت فَيئتُـهُ قريبُ
فـلا قلـب مُصيرٌّ كل ذنب ... ولا راضٍ بغير رضا ، غضوبُ
فدعها لست صاحبها وراجع ... حديثـك إن شأنكما عجيبُ

قال : وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية ، فعيّرته بذلك ، وكانت إذا أرادت غيظه كنته أبا الجَون ، فقال في ذلك[2] : [من الطويل]

وأيـدِي الهدايـا مـا رأيتُ مُعاتباً ... مـن الناس إلاّ الساعديّـةُ أَجملُ
وقد أخطأتْني يـوم بطحـاء منعمٍ ... لهـا كِفَف يُصطاد فيها وأحبُلُ
وقـد قال أَهلي خيرُ كسب كسبته ... أَبو الجَون فاكسب مثلها حين ترحلُ
فإن بـات إيضاعـي بأَمـر مسرّة ... لكنَّ فما تسخطن في العيش أَطولُ

[جواز الحديث إلى النساء في الحلّ والحرم]

أَخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أَحمد ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : اجتمع محمد بن بشير الخارجيّ وسائب بن ذكوان راوية كُثيِّر بمكّة ، فوافقا نسوة من بني غِفار يتحدّثن ، فجلسا إليهن ، وتحدّثا معهن حتى تفرّقن ، وبقيت واحدة منهن تحدّث الخارجيّ ، وتستنشده شعره حتى أصبحوا ؛ فقال لهم رجل مرّ بهم : أما تزدجرون عن هذا

1 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .
2 مجموع شعره : 193–194 عن الأغاني .

الشعر وأنتم حُرُم ، ولا تَدَعون إنشاده وقول الزور في المسجد ! فقالت المرأة : كذبت لعمرُ الله ، ما قول الشعر بزور ، ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل . فانصرف الرجل ، وقال فيها الخارجيّ[1] : [من الوافر]

أما لـك أن تزور وأنت خِلْو — صحيحُ القلبِ أُختَ بني غفارِ
فما برحـتْ تُعيرك مقلتيها — فتعطيـك المنيّـةَ في استتارِ
وتسهو في حديث القوم حتى — يُبِيّنَ بعضُ ذلك مـا تواري
فمت يا قلب ما بك من دفاع — فينجيَك الدّفـاع ولا فرارِ
فلـم أرَ طالبـاً بـدم كمثلي — أودَّ وَحُسْنَ مطلـوب بثارِ
إذا ذكروا بثأري قلت سقيا — لثـأري ذي الخواتم والسوارِ
ومـا عرفت دمـي فتبوءَ منه — برهن في حبـالي أو ضِمارِ[2]
وقـد زعـم العواذل أن يومي — ويومك بالمحصَّب ذي الجمارِ
من الإغباء ثم زعمت أن لا — وقلت لدى التنازع والتَّماري[3]
كذبتم مـا السلام بقول زُور — ومـا اليـوم الحرام بيوم ثارِ
ولا تسليمنـا حُرُمـاً بإثـم — ولا الحـبّ الكريـم لنا بعارِ
فإن لم نلقكم فسقى الغوادي — بـلادكِ والرويّـاتُ السواري

قال سليمان : وفي هذه المرأة يقول الخارجيّ وقد رحلوا عن مكّة ، فودعها وتفرّقوا[4] : [من البسيط]

يـا أُحسن النّاس لولا أن نائلها — قِدْماً لَمـن يبتغي ميسورها عَسِرُ
وإنّمـا دَلُّهـا سحرٌ تصيد بـه — وإنّمـا قلبهـا للمشتكـي حجرُ
هل تذكريـن كما لم أنس عهدكم — وقـد يـدوم لعهد الخُلَّة الذِّكَرُ
قَوْلي وركبك قد مالت عمائمهم — وقد سقاهم بكأس الشقوةِ السفَرُ
يـا ليت أنّي بأثوابي وراحلتي — عبد لأهلـك هـذا العام مؤتجرُ

1 مجموع شعره : 186 عن الأغاني .
2 تبوء منه : تخلص منه . والضمار من الدين : ما لا يرجى .
3 الاغباء : الاخفاء .
4 مجموع شعره : 182–184 ويروى بعضها لأبي دهبل .

فقد أُطلتِ اعتـلالاً دون حاجتنا ... بالحجّ أمسِ فهـذا الحِـلّ والنفرُ
مـا بال رأيك إذ عهدي وعهدكم ... إلفان ليس لنا في الـودّ مُزدجَرُ
فكان حظّك منهـا نظرةً طرفتْ ... إنسانَ عينك حتّى مـا بها نظرُ
أكنتِ أبخل مَـن كانت مواعده ... دَيناً إلى أجـلٍ يرجـى وينتظرُ
وقد نظرتُ وما أُلفيت من أحدٍ ... يعتاده الشوق إلاّ بـدؤه النظرُ
أبقت شجًى لكَ لا يُنسى وقادحةً ... في أسود القلب لم يشعر بها أُخرُ
جنيـة أوْلهـا جـنٌّ يعلمهـا ... رمـي القلوب بقوس ما لهـا وترُ
تجلو بقادمتـي ورقـاء عن بَرَد ... حمـر المفاغـر في أطرافها أشرُ[1]
خَـوْدٌ مبتلّـةٌ ريّـا معاصمها ... قدرَ الثياب فلا طـول ولا قصرُ
إذا مجاسدها اغتالت فواضلها ... منها روادفُ فَعْمات ومؤتزرُ[2]
إن هبّتِ الرّيح حنّت في وشائحها ... كما يجاذب عـودَ القينـة الوترُ
بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت ... في الحجّ ليلةَ إحدى عشرة القمرُ
ألا رسول إذا بانـت يبلغهـا ... عنّـا وإن لم تؤلّـف بيننا المِررُ[3]
أنّي ، بآية وجـدٍ قد ظفرتِ به ... منّي ولم يك في وجدي بكم ظفرُ
قتيـلُ يـومَ تلاقينا وأنّ دمي ... عنها وعمّن أجارت من دمي هَدَرُ
تقضين فيَّ ولا أقضي عليـك كما ... يقضي المليك على المملوك يقتسرُ
إن كان ذا قَـدَراً يعطيك نافلة ... منّا ويحرمنـا ، ما أنصف القدرُ

[ندم على طلاق زوجته العدوانية]

أخبرني عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كان الخارجيّ قدِم البصرة ، فتزوّج بها امرأة من عَدْوان ، كانت موسرة ، فأقام عندها بالبصرة مدّة ، ثم توخّم البصرة ، فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز ، فقالت : ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع ، وأمضي معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق ، فإمّا أن أقمتَ هاهنا أو طلّقتني . فطلّقها وخرج إلى الحجاز ، ثم ندم وتذكّرها ، فقال[4] : [من الكامل]

---

1 مفاغر : جمع مفغر ، وهو مشق الفم . والأشر : حدّة أطراف الأسنان .
2 المجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب . وفعمات : ممتلئات . والمؤتزر : الإزار .
3 المرر : جمع مرة ، وهو الحبل . أي لا روابط قوية بيننا .
4 مجموع شعره : 196–197 عن الأغاني .

دامـــت لعينــكَ عَبرةٌ وسُجومُ وثــوت بقلبــكَ زَفرة وهُمومُ
طيف لزينبَ مـا يـزال مؤرقي بعــد الهــدوّ فمـا يكـاد يَرِيمُ
وإذا تعــرَّض في المنـــام خيالهـا نكــأَ الفــؤادَ خيالُهـا المحلومُ
أجعلــتِ ذنبــكِ ذنبه وظلمتِه عنــد التحــاكم والمُـدِلّ ظلومُ
ولئــن تجنّيــتِ الذنــوبَ فإنّه ذو الدّاء يَعْــذِر والصحيح يلومُ
ولقد أُراكِ غــداةَ بِنْتِ وعهدُكم في الوصل لا حَــرج ولا مذمومُ
أُضحت تُحَكّمكِ التجاربُ والنُّهى عنـــه ، ويُكْلِفــه بـك التّحكيمُ

صوت

بَــرأَ الأُلى عِلقــوا الحبائــل قبلَه فنجَــوا وأُصبح في الوَثاق يهيمُ
ولقد أردت الصبر عنكِ فعاقني عَلَق بقلبــي مِـــنْ هــواكِ قديمُ
ضعفت معاهــد حبّهنّ مع الصبا ومع الشباب فبِنَّ وهـــو مقيمُ
يبقى على حــدث الزّمان وريبه وعــلى جفائــك إنّـــه لكريمُ
وجنيتِ حين صَحَحْتِ وهو بدائِهِ شتّـــان ذاك مصحَّـــحٌ وسقيمُ
وأَدَيْتِــه زمنـــاً فعـــاذ بحلمـــه إنّ المحــبّ عـــن الحبيب حليمُ[1]
وزعمـــتِ أنّك تبخلين وشفَّه شوق إليك ، وإن بخلت ، أَليمُ

غنّى في هذه الأبيات الدارميّ ، خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ ؛ وفيه لعَريب خفيفُ ثقيلٍ مطلق ، وهو الذي يغنّي الآن ، ويتعارفه الناس .

[رثاء أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحسن ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش السعديّ ، قال : كان الخارجيّ منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة ، وكان يكفيه مؤونته ، ويُفضِل عليه ، ويعطيه في كلّ سنة ما يكفيه ويُغنيه ، ويغني قومه وعياله ، من البُرّ والتمر والكسوة في الشتاء والصيف ، ويُقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه ، وكان منقطعاً إليه وإلى زيد بن الحسن ، وابنه الحسن بن زيد ، وكلّهم به برّ ، وإليه محسن . فمات أبو عبيدة ، وكان ينزل الفَرْش من مَلَل ، وكان الخارجيّ ينزل الروحاء ، فقال يرثيه[2] : [من الطويل]

---

1 أديته : ختلته . وفي المجموع : أربته ولعلها خطأ مطبعي .
2 مجموع شعره : 180–181 عن الأغاني وفيه زيادة بيت .

ألا أيّها الناعـي ابن زينبَ غـدوةً نعيـت النـدى دارت عليه الدوائرُ
لعمري لقد أُمسى قِرى الضيف عاتماً بذي الفَـرش لمـا غيَّبتك المقابرُ[1]
إذا سُوِّفـوا نـادَوا صداك ودونـه صفيحٌ وخَـوّار مـن الترب مائرُ
ينـادون مَـن أمسى تَقَطَّعُ دونـه من البعـد أنفـاسُ الصدور الزوافرُ
فقومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَي أبـاً مثلـه تسمو إليـه المفاخرُ

قال الزُّبير : فحدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : كانت هند بنت أبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن ، فلمّا مات أبوها جزعت عليه جزعاً شديداً ، ووجِدت وجداً عظيماً ، فكلّم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجيّ أن يدخل إليها ، فيعزّيها ويسلّيها عن أبيها ، فدخل إليها معه . فلمّا نظر إليها صاح بأعلى صوته : [من الطويل]

قومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَيْ أبـا مثلـه تسمو إليـه المفاخرُ
وكنتِ إذا فاخرتِ أسميتِ والداً يزيـن كما زان اليديـنِ الأساورُ
فإن تُعْولِيـه يشفِ يومـاً عويلُه غليلَكِ أو يعذرك بـالنوح عاذرُ
وتحزنك ليلات طوال وقد مضت بذي الفرش ليلات تَسُرُّ قصائرُ
فلقّـاه ربٌّ يغفـر الذنبَ رحمـة إذا بُلِيت يـوم الحساب السرائرُ
إذا ما ابن زاد الركب لم يمسِ ليلة قفا صَفِرٍ لم يقـرب الفَرشَ زائرُ[2]
لقـد علِـمَ الأقـوام أن بناتِه صـوادقُ إذ يندبنـه وقواصرُ

قال : فقامت هند ، فصكت وجهها وعينيها ، وصاحت بويلها وحَرَبها ، والخارجيّ يبكي معها ، حتى لقيا جهداً . فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دعوتك ويحَك ؟ فقال له : أفظننت أنّي أعزيها عن أبي عبيدة ؟ والله ما يسليني عنه أحد ؛ ولا لي عنه ولا عن فقده صبر ، فكيف يسليها عنه مَن ليس يسلو بعده !

[ذم ومدح]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثني الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : وعد رجل محمد بن بشير الخارجيّ بقلوص ، فمطله ، فقال فيه يذمّه ، ويمدح زيد بن الحسن بن عليّ بن

1 عاتماً : متأخراً .
2 زاد الركب هنا زمعة بن الأسود بن المطلب جدّ أبي عبيدة . وأزواد الركب ثلاثة من قريش : مسافر بن أبي عمرو وأبو أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود ، لقّبوا بذلك لأنّ مَن كان يصحبهم في سفر لم يكن في حاجة إلى أن يتزوّد . وصفر : جمل كريم . والفرش : موضع بين المدينة وملل .

أبي طالب عليه السلام[1] : [من الطويل]

لعلّك والموعود حقّ وفاؤه بدا لك في تلك القَلوص بَداءُ
فإنّ الذي أُلقى إذا قال قائل من الناس : هل أحسستها لعناءُ
يقول الذي يبدي الشّماتَ وقوله عليّ وإشماتُ العدوّ سواءُ
دعوتُ ، وقد أخلفتني الوعد ، دعوة بزيد فلم يَضْلِل هناك دعاءُ
بأبيضَ مثلِ البدر عظَّم حقّه رجال مِنَ آل المصطفى ونساءُ

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن ، فبعث إليه بقَلوص من خيار إبله ، فقال يمدحه[2] : [من الطويل]

إذا نزل ابن المصطفى بطن تَلْعة نفى جدبَها واخضرَّ بالنبت عودُها
وزيدٌ ربيعُ الناس في كل شَتْوة إذا أُخلفت أنواؤها ورعودُها
حمول لأشناقِ الدياتِ كأنّه سراج الدّجى إذ قارنته سعودُها

[يبكي سليمان بن الحصين]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثني الزُّبير ، قال : حدَّثني سليمان بن عيّاش ، قال : نظر الخارجيّ إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أُخرج ، فهتف بهم ، فقال[3] : [من السريع]

أَلَم تروا أنّ فتًى سيّداً راح على نعش بني مالكِ
لا أنفَسُ العيش لَمن بعده وأَنفَس الهُلك على الهالكِ

وقال فيه أيضاً[4] : [من الطويل]

أَلا أيّها الباكي أَخاه وإنّما يبكّي بيومِ الفدفدِ الأخوانِ
أَخي يوم أَحجار الثُّمام بكيته ولو حُمَّ يومي قبله لبكاني
تداعت به أيّامه فاختَرَمْنَهُ وأَبقين لي شجواً بكلّ زمانِ
فليت الذي يَنعى سليمان غُدوة بكى عند قبري مثلها ونعاني
فلو قُسِمَتْ في الجنّ والإنسِ لوعتي عليه بكى من حرّها الثَقَلانِ

1 مجموع شعره : 171 .
2 مجموع شعره : 178 .
3 مجموع شعره : 192 عن الأغاني .
4 مجموع شعره : 198 .

ولــو كانــت الأيّام تطلب فِدية ... وقاه صروف الدهر بي وفداني[1]

[أرجوزة له في المولى الصائد]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا سلمان بن عيّاش ، قال : خرج محمد بن بشير يرمي الأروى ومعه جماعة ، فيهم رجل من الموالي من أهل السَّيالة ، فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمي من فوقها ، فزلت قدمه عنها ، فصاح حتى سقط على الأرض ، وأحدث في ثيابه ، فقال الخارجيّ في ذلك[2] : [من الرجز]

حُــرِّق يــا صَفاةُ في ذُراك ... بِالنــارِ إن لم تمنعــي أَرواكِ
تَعَلَّمـــي أن بــذي الأَراكِ ... ـ أيّتها الأُروى ـ ذوي عِراكِ[3]
قَومــاً أَعَــدُّوا شَبَكَ الشِّباكِ ... يبغون ضَبْعــاً قتلــت أباكِ
نِعْــمَ مُلَــوِّي الحِيَدِ المَداكِ ... إذ صَوَّتَ الجالب في أُخراكِ[4]
ولم يقــل منتصِحــاً : إيّــاكِ ... بــين مقاطِيهــا ركبْتِ فاكِ[5]
فَعُــدتِ والطّعــن على كُلاكِ ... مثل الأضاحي بيــد النسّاكِ
يُرْمى بالأكتافِ على الأوراكِ ... كما أُطحتِ العبــد عن صفاكِ
أمــا السَّيــاليُّ فلــن ينساكِ ... لو يرتميك الناس ما ارتماكِ

[عتاب الزوجة]

أخبرني عيسى ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش ، قال : كانت عند الخارجيّ بنت عمّ له ، فهجاه بعض قرابتها ، فأجابه الخارجيّ ، فغضبت زوجته ، وقالت : هجوت قرابتي . فقال الخارجيّ في ذلك[6] : [من الوافر]

أَمَّا مــا أَقــول لهــم فعابَتْ ... عليّ وقــد هُجيت فما تعيبُ
فرمت وقــد بدا لي ذاك منها ... لأهجوها فيمنعنـــي النسيبُ
فــلا قلــب يبصَّر كلّ ذنب ... ولا راض بغير رضا ، غَضُوبُ

1 مجموع شعره : إليه وصرف الدهر ما ألواني .
2 مجموع شعره : 192 عن الأغاني .
3 ذوو العراك : هو وصحبه .
4 المداك : الحجر يسحق عليه الطيب . والحيد : جمع حيدة ، وهي ما تلوى من الأنابيب في قرن الوعل .
5 المقاطي : جمع مقطى ، وهو موضع القطاة ، وهي العجز .
6 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .

[لهو المسنات]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثني مصعب قال : وحدَّثني الزُّبير عن سليمان بن عيّاش ، قالا : تزوّج الخارجيّ جارية من بني ليث شابة ، وقد أسنّ وأسنّت زوجته العَدوانية . فضربت دونه حِجاباً ، وتوارت عنه ، ودعت نسوة من عشيرتها ، فجلسن عندها ، يلهون ويتغنَّين ويضربن بالدفوف ، وعرف ذلك محمد فقال[1] : [من الطويل]

لئِن عانسٌ قد شاب ما بين قَرْنها إلى كعبها وامْتَصَّ عنهـا شبابُـها
صَبَتْ في طِلاب اللهو يوماً وعَلَّقتْ حجاباً لقد كانت يَسيراً حجابُـها
لئـن مُتِّعت بالعيش حتى تشعَّبت من اللهو إذ لا ينكر اللهوَ بابُـها[2]
فبِيني برغـمٍ ثـم ظَلّي فربّما ثَوى الرغم منها حيث يثوِي نقابُها
لبيضـاءَ لم تُنسَبْ لجـدٍّ يَعيبها هِجـانٍ ولم تنبَحْ لئيماً كلابُـها
تـأوّدُ في المَشْى كأنّ قناعَهـا على ظبية أُدْمـاءَ طابَ شبابُـها
مُهفهفة الأَعطافِ خفّاقـة الحَشى جميـل محياهـا قليـلٍ عِتابُـها
إذا ما دعتْ بابني نِزار وقارَعَتْ ذَوِي المجد لم يُرْدد عليها انتسابُـها

[صديق يتنكّر بعد الولاية]

حدَّثنا الحسن بن علي قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدّثني عمّي عن الضحاك بن عثمان ، قال : لمّا ولِي إبراهيم بن هِشام الحَرَمين ، دخل إليه محمد بن بشير الخارجيّ ، وكان له قبل ذلك صديقاً . فأعرض عنه ، ولم يظهر له بشاشة ولا أنساً . ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد ، فأعرض عنه ، وأخرجه الحاجب من داره ، وكان إبراهيم بن هشام تياهاً ، شديد الذهاب بنفسه ، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد ، فلمّا حاذاه صاح به[3] : [من البسيط]

يا ابن الهِشامَيْنِ طُرًّا حُزت مجدَهما ومـا تَخَوَّنـه نقـضٌ وإمرارُ
لا تُشمِتـنّ بِـيَ الأعداءَ إنّهمُ بيني وبينـك سُمّـاع ونُظّارُ
وإنّ شكـرِيَ إنْ رُدُّوا بغيظهمُ في ذمّـة الله إعـلانٌ وإسرارُ
فاكْـرر بنائلك المحمود مِنْ سعة عليَّ إنّـك بالمعـروفِ كرّارُ

---

1 مجموع شعره : 173 عن الأغاني .

2 تشعبت : تغيّرت أخلاقها . وربما كان في الكلمة تحريف (تشبعت ، تشغبت) .

3 مجموع شعره : 185 عن الأغاني .

فقال لحاجبه : قل له يرجعْ إليّ إذا عُدْت . فرجع ، فأدخله إليه ، وقضى دينه ، وكساه ووصله ، وعاد إلى ما عهده منه .

[ردّه على عروة بن أذينة]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثني مصعب عن أبيه قال : عَثَر بعُروة بن أُذَينة حمارُه عند ثنية العُوَيقِل ، فقال عروة[1] : [من البسيط]

ليتَ العُوَيْقلَ مسدودٌ وأُصبحَ من ... فــوق الثنيةِ فيــه رَدمُ يأجوجِ
فتستريحَ ذوو الحاجات من غِلَظ ... ويَسْلُكَ السهلَ يمشي كلُّ مَنْتوجِ[2]

فقال محمد بن بشير الخارجيّ يردّ عليه[3] : [من البسيط]

سبحانَ ربّك تبْ ممّا أتيتَ بـه ... ما يسدُدِ اللهُ يُصبحْ وهو مَرْتوجُ
وهــل يُسَدّ وللحُجّاج فيــه إذا ... ما أُصعدوا فيـه تكبير وتلْجيجُ
مـا زال منــذُ أذلّ اللهُ مَوطِئَــه ... ومنــذ آذَنَ أنَّ البيـــت مَحْجوجُ
يهدِي له الوفدَ وفدَ الله مَطْرَبَة ... كأنّــه شُطَب بالقِــدّ منسوجُ[4]
خــلّ الطريق إليها إن زائرهــا ... والساكنينَ بهــا الشمُّ الأباليجُ[5]
لا يسدُد الله نَقباً كان يسلكه الــ ... ـبيضُ البهاليلُ والعُوج العَناجِيجُ[6]
لــو سدَّه الله يوماً ثــم عَجّ لــه ... مَن يسلك النقبَ أمسى وهو مفروجُ

[عتابه لأخيه بشّار]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا مصعب ، قال : كان للخارجيّ أخ يقال له بشّار بن بشير ، وكان يجالس أعداءه ، ويعاشر مَن يعلم أنّه مُباين له . وفيه يقول[7] : [من الوافر]

وإنّي قــد نَصَحْتُ فلم تُصدِّق ... بنصحي واعتَددتُ فما تبالي

1 ديوان عروة بن أذينة (صادر) : 36 .
2 منتوج : مولود .
3 مجموع شعره : 176 ، وانظر معجم ما استعجم .
4 المطربة : الطريق الضيق في الجبل .
5 الأباليج : جمع أبلج ، وهو الأبيض الوجه .
6 البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد . والعوج : جمع عوجاء ، وهي الناقة الضامرة . والعناجيج : جمع عنجوج ، وهي الناقة النجيبة أو الطويلة العنق .
7 مجموع شعره : 195–196 عن الأغاني .

وإنّي قـد بدا لِيَ أَنَّ نُصحي   لغيبكَ واعتدادي في ضلالِ[1]
فكـم هذا أذودُك عن قِطاعي   كتذويـد المَحـلّأة النِّهـالِ
فلا تبغِ الذنوبَ عليَّ واقصِدْ   لأمركَ من قِطـاع أو وصالِ
فسوف أرى خلالكَ مَنْ تُصافي   إذا فارقتني وتـرى خِلالي
وإنّـك تستـريح إذْ تَوَلَّى   بأن أُغضي وأسكتَ لا أبالي[2]

[هجر ورجوع]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثنا سليمان بن عياش ، قال : كان الخارجيّ معجباً بزوجته سُعدى ، وكانت من أسوأ الناس خُلقاً ، وأشدّه على عَشِير ، فكان يلقى منها عَنَتاً . فغاضبها يوماً لقول آذته به ، واعتزلها ، وانتقل إلى زوجته الأُخرى ، فأقام عندها ثلاثاً ، ثم اشتاق إلى سُعدى ، وتذكّرها ، وبدا له في الرجوع إلى بيتها ، فتحوّل إليها ، وقال[3] : [من الطويل]

أراني إذا غالبتُ بالصبرِ حُبَّهـا   أبى الصبرُ ما أُلقى بسُعدَى فأُغلَبُ
وقـد عَلِمَتْ عنـد التعاتـب أنّنا   إذا ظَلَمتْنـا أو ظَلَمنـا سنُعْتِبُ
وإنّي وإن لَم أجـنِ ذنباً سأبتغي   رضاها وأعفو ذنبَها حـين تذنبُ
وإنّي وإن أُنبِّـتُ فيهـا يزيدني   بهـا عَجَبـاً مَن كان فيها يؤنبُ

[عتاب آخر لأخيه]

أخبرني عيسى قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش قال : كان بشّار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه ويهجوه ، ويجالس أعداءه . فقال الخارجيّ فيه[4] : [من الطويل]

كفاني الذي ضيَّعتَ منّـي وإنّما   يُضيعُ الحقوقَ ظالمـاً مَن أضاعَها
صنيعةَ مَـن وَلاَّك سوءَ صنيعها   وولّـى سواكَ أجْرَهـا واصطناعَها
أبى لك كسبَ الخير رأيٌ مُقَصِّرٌ   ونفس أضاق الله بـالخير باعَها
إذا هـي حثَّتـه على الخيرِ مرّةً   عصاها وإن همّـت بشرٍّ أطاعها

1 لغيبك في مجموع شعره : لغيلك .
2 صدر البيت في مجموع شعره : وإن جزاء عهدك إذ تولى .
3 مجموع شعره : 172 عن الأغاني .
4 مجموع شعره : 187–188 ، وينسب بعضها إلى عبد الرحمن بن حسان .

فلولا رجـــالٌ كاشحون يَسُرُّهم أذاكَ ، وقُرْبـى لا أحبُّ انقطاعَها
إذاً بان إن زلَّتْ بك النعلُ زَلَّةً فِراقُ خِــلال لا تُطِيق ارتجاعها
وأنّي متى أُحْمَل على ذاك أُطَّلِع عليك عيوبــاً لا أُحِبُّ اطّلاعها
فإنْ تــك أحـــلامٌ تردُّ إخاءنا علينـــا فمــن هــذا يردُّ سماعها
سأنهـــاك نهياً مُجمِـلاً وقصائداً نواصحَ تَشْفي من شئونٍ صُداعها
ومَن يجتلب نحوي القصائد يجتلب قِـــراهُ ويتبع مَن يُحِبّ اتباعَها
إذا ما الفتى ذو اللبّ حَلَّتْ قصائدٌ إليــه فَيُخْــلي للقــوافي رباعَها

[رثاء زيد بن حسن]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا سليمان بن عيّاش قال : لمّا دُفِن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره ، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد ، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يُعزّونه ، فأخذ بعِضادتي الباب ، وقال[1] : [من الطويل]

أعينــيّ جـودا بالدّموع وأسعِدا بني رحِـم مـا كان زيدٌ يُهينُها
ولا زيــدَ إلاّ أن يجــود بعَبرة على القبرِ شاكي نكبة يستكينُها[2]
وما كنتَ تلقى وجهَ زيد ببلدة من الأرض إلاّ وجهُ زيــد يزينُها
لعمر أبـــي النّاعي لعمَّتْ مصيبةٌ على النّاس واختصّت قُصَيّاً رَصينُها[3]
وأنّـى لنـــا أمثـــالُ زيـد وجَدُّه مبلّـــغُ آيـــات الهـدى وأمينُها
وكان حَليفيه السماحةُ والنَّدى فقد فـــارق الدّنيا نداهـــا ولِينُها
غدت غُدْوةً ترمي لُؤيَّ بن غالب بجَعْد الثَّرى فوق امرىء ما يَشِينُها
أغـرُّ بِطاحِيٌّ بكـــت مــن فراقه عُكاظُ فبطحاء الصفا فحَجونُها
فقل للتي يعلو على الناس صوتُهـــا ألا لا أعـــان الله مَـــنْ لا يُعينُها
وأرملةٍ تبكـــي وقـــد شُقّ جيبُها عليه فآبت وهِـــيَ شُعْث قرونُها
ولو فقِهت ما يفقه الناسُ أصبحت خواشعَ أعـــلامُ الفَـــلاة وعِينُها[4]

1 مجموع شعره : 197–198 عن الأغاني .
2 يستكين : يخضع ويذل .
3 الرصين هنا : المصيبة الثقيلة .
4 أعلام الفلاة : جبالها . والعين : بقر الوحش .

نعــاه لنــا الناعــي فظَلنا كأنّنا ... نرى الأرضَ فيها آيةٌ حـانَ حِينُها
وزالــت بنــا أقدامنـا وتقلّبتْ ... ظهــورُ روابيـها بنــا وبطونُها
وآب ذوو الألبــاب منّـا كأنّما ... يــرون شِمـالاً فارقتها يمينُها
سقى الله سُقْيا رحمةٍ تُربَ حُفرة ... مقيم عــلى زيــدٍ ثراها وطِينُها

قال : فما رُؤي يومٌ كان أكثر باكياً من يومئذٍ .

[ابنة عمّه تستخفّ به]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثني العُمَريّ عن لقيط ، قال : كان محمد بن بشير الخارجيّ من أهل المدينة ، وكانت له بنت عمّ سَرِيّة جميلة ، قد خطبها غير واحد من سَرَوات قريش ، فلم ترضه . فقال لأبيه : زوِّجنيها . فقال له : كيف أزوّجكها وقد ردّ عمّك عنها أشرافَ قريش . فذهب إلى عمّه فخطبها إليه ، فوعده بذلك ، وقرَّب منه . فمضى محمد إلى أبيه فأخبره ، فقال له : ما أُراه يفعل . ثم عاوده فزوّجه إيّاها . فغضبت الجارية ، وقالت له : خطبني إليك أشرافُ قريش فرددتهم ، وزوّجتني هذا الغلام الفقير ، فقال لها : هو ابن عمّك ، وأولى الناس بك . فلمّا بنى بها جعلت تستخفّ به وتستخدمه ، وتبعثه في غنمها مرّة ، وإلى نخلها أُخرى . فلمّا رأى ذلك من فعلها قال شعراً ، ثم خلا في بيت يترنّم به ويُسْمِعها . وهو[1] : [من الطويل]

تثاقلتِ أن كُنتُ ابنَ عـمّ نكحتِهِ ... فملتِ وقد يُشْفى ذوو الرأي بالعَذْلِ
فإنّك إلاّ تتركـي بعضَ مـا أَرى ... تُنازِعْك أُخرى كالقَرينة في الحبلِ
تَلُزُّك ما اسطاعت إذا كان قَسْمُها ... كقَسْمِك حَقّاً في التِّلاد وفي البعْلِ
متــى تحمليها منك يومـاً لحالـة ... فتتبَعهـا تحمِلــك منهـا على مِثلِ

قال : فصلَحت ، ولَم يَرَ منها بعد ما سمعت شيئاً يكرهه .

صوت

[من المتقارب]

عــلامَ هَجــرتِ ولم تُهْجَري ... ومثلــكِ في الهجــرِ لم يُعذَرِ
قطعتِ حبالَــكِ مــن شادنٍ ... أغنَّ قَطــوفِ الخُطـا أَحْوَرِ

الشعر لسُدَيف مولى بني هاشم : والغناء لأبي العَنْبَسِ بن حمدون . خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى .

1 مجموع شعره : 196 عن الأغاني .

[314] ـ ذكر سُدَيْف [1] وأخباره

[نسبه وولاؤه]

هو سُديف بن ميمون مولى خزاعة . وكان سبب ادّعائه ولاء بني هاشم أنّه تزوّج مَوْلاة لآل أبي لَهَب ، فادّعى ولاءهم ، ودخل في جملة مَواليهم على الأيّام . وقيل : بل أبوه هو كان المتزوّج مولاة اللَّهَبيين ، فولدت منه سُدَيفاً . فلمّا يَفَع ، وقال الشعر ، وعُرِف بالبيان وحسن العارضة ، ادّعى الولاء في موالي أبيه ، فغلبوا عليه .

[تعصّبه لبني هاشم]

وسُديف شاعر مُقِلّ ، من شعراء الحِجاز ، ومن مخضرمي الدولتين ، وكان شديد التعصّب لبني هاشم ، مظهراً لذلك في أيّام بني أُميّة . فكان يخرج إلى أحجار صفاً في ظهر مكّة ، يقال لها صُفِيّ السِّباب ، ويخرج مولى لبني أُميّة معه يقال له سَبّاب ، فيتسابّان ويتشاتمان ، ويذكران المثالب والمعايب . ويخرج معهما من سفهاء الفريقين مَن يتعصّب لهذا ولهذا ؛ فلا يبرحون حتى تكونَ بينهم الجِراح والشِّجاج ، ويخرج السلطان إليهم فيفرّقهم ، ويعاقِب الجناة . فلم تزل تلك العصبية بمكّة حتى شاعت في العامة والسَّفِلة . فكانوا صنفين ، يقال لهما السُّدَيفية والسَّبَّابية ، طول أيّام بني أُميّة . ثم انقطع ذلك في أيّام بني هاشم ، وصارت العصبيّة بمكّة في الحناطين والحرّارين [2] :

[تحضيض أم تأنيب]

أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل العَتَكيّ ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني فُلَيح بن إسماعيل قال : قال سُديف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن ، وأنشدها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن . فلمّا أتى على هذا البيت : [من الكامل]

يا سوءتا للقوم لا كَفُّوا ولا إذ حاربوا كانوا من الأَحرارِ

فقال له المنصور : أتحضهم عليّ يا سُديف ؟ فقال : لا ، ولكنّي أؤنّبهم يا أمير المؤمنين .

---

1 لسديف بن ميمون ترجمة في الشعر والشعراء : 647–648 وطبقات ابن المعتز : 27–42 وتهذيب ابن عساكر 6 : 66 .

2 الحرارين : صنّاع الحرير .

[إنكار انتسابه إلى قريش]

وذكر ابن المعتزّ أنّ العَوْفيّ حدَّثه عن أُحمد بن إبراهيم الرياحيّ قال : سلّم سُديف بن ميمون يوماً على رجل من بني عبد الدار . فقال له العبدريّ : مَن أنت يا هذا ؟ قال : أنا رجل من قومك ، أنا سُدَيف بن ميمون . فقال له : والله ما في قومي سُدَيف ولا ميمون . قال : صدقت ، لا والله ما كان قطّ فيهم ميمون ولا مبارك .

صوت

[من الوافر]

لعمـرُك إنّنـي لأحبّ داراً　　تكـون بهـا سُكينة والرَّبابُ
أحبّهما وأبـذل جُـلَّ مالي　　وليس لعاتب عنـدي عتابُ

الشعر للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام . والغناء لابن سريج : رَمَل بالبنصر . وفيه للهذليّ ثقيل أوّل بالسبابة ، في مجرى الوسطى ، عن إسحاق .

[315] ـ أخبار الحسين بن عليّ ونسبه[1]

الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وقد تكرّر هذا النسب في عدّة مواضعَ من هذا الكتاب . واسم أبي طالب : عبد مناف ، واسم عبد المطّلب ، شَيْبة ، واسم هاشم : عمرو . وأمّ عليّ بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وكانت أوّل هاشميّة تزوّجها هاشميّ ، وهي أمّ سائر ولد أبي طالب . وأمّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب : فاطمة بنت رسول الله ﷺ . وأمّها خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصَيّ . وكانت خديجة تُكْنى أمّ هند ، وكانت فاطمة تكنى أمّ أبيها ، ذكر ذلك قَعْنب بن مُحرِز ، قال : حدَّثنا أبو نعيم ، عن حسن بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : وكان عليّ ابن أبي طالب سمَّى الحسن حرباً ، فسمّاه رسول الله ﷺ الحسن . ثم ولد له الحسين فسمّاه حرباً ، فسمّاه رسول الله ﷺ الحسين .

حدَّثني بذلك أحمد بن الجعد ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : حدَّثنا يحيى بن عيسى قال : حدَّثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قال عليّ بن أبي طالب : كنت رجلاً أحبّ الحرب ، فلمّا وُلد الحسن هممت أن أسمّيه حرباً ، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه الحسن ، فلمّا وُلِد الحسين هممت أن أسمّيه حرباً ، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه الحسين . ثم قال سمّيتهما باسمَي ابنَي هارون : شَبَّر وشُبير .

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرميّ قال : حدَّثنا محمد بن يحيى الأحول قال : حدَّثنا خلاد المقرىء قال : حدَّثنا قيس بن الربيع بن أبي حُصَين ، عن يحيى بن وَثّاب ، عن ابن عمر ، قال : كان على الحسن والحسين تعويذتان حَشْوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام .

وهذا الشعر يقوله الحسين بن عليّ في امرأته الرَّباب بنت امرىء القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم بن كلب بن وَبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وأمّها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عُلَيم بن كلب ؛ وفي ابنته منها سكينة بنت الحسين . واسم سُكينة : أميمة ، وقيل أمينة ، وقيل آمنة ، وسُكينة لقب لقبت به .

قال مصعب فيما أخبرني به الطّوسيّ عن زُبير عنه : اسمها آمنة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس ، قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثنا

---

1 ترجمة الحسين بن علي في جميع كتب التاريخ : الطبري ، المسعودي ، كامل ابن الأثير وتهذيب ابن عساكر 4 : 311 ومقاتل الطالبيين : 54 ، 67 وصفوة الصفوة 1 : 321 وأخباره كثيرة في كتب الأدب .

أبو نعيم ، عن عمر بن ثابت ، عن مالك بن أعْين ، قال : سمعت سكينة بنت الحسين تقول عاتب عمّي الحسنُ أبي في أُمّي ، فقال : [من الوافر]

لعمــرِكَ إنّني لأحــبُّ داراً تكون بهـا سُكينـة والرَّبابُ
أحبّهما وأبــذل جُــلّ مالي وليس لعاتب عنــدي عتابُ

[اسم سكينة]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الخليل بن أسد قال : حدَّثنا العُمَريّ عن ابن الكلبيّ عن أبيه ، قال : قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن : ما اسم سكينة بنت الحسين ؟ فقلت : سكينة . فقال : لا . اسمها آمنة .

وروي أنّ رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة . فقال : أمينة ، فقال له : إنّ ابن الكلبيّ يقول أميمة . فقال : سل ابن الكلبي عن أمّه ، وسَلني عن أُمّي . وقال المدائنيّ : حدَّثني أبو إسحاق المالكيّ قال :

سكينة لقب ، واسمها آمنة . وهذا هو الصحيح .

[إسلام أبي الرباب]

حدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن العلويّ قال : حدَّثنا شيخ من قريش ، قال : حدَّثنا أبو حُذافة أو غيره ، قال : أسلم امرؤ القيس بن عديّ على يد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فما صلّى لله صلاة حتى ولاّه عمر ، وما أمسى حتى خطب إليه عليّ عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين ، فزوّجه إيّاها . فولدت له عبد الله وسكينة ولَدَي الحسين عليهما السلام . وفي سكينة وأمّها يقول : [من الوافر]

لعمرُك إنّنــي لأحــبّ داراً تحــلّ بهــا سُكينة والرَّبابُ

وذكر البيت الآخر ، وزاد على البيتين :

فَلَسْتُ لهم وإن غابوا مُضِيعاً حياتــي أو يغيّبنــي الترابُ

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الرحمن الغَلاّبيّ ، وهو أتمّ . قال : حدَّثنا عليّ بن صالح ، عن عليّ بن مجاهد ، عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبيّ ، قال : أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال : حدَّثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زبّان بن سيّار الفزاريّ ؛ قال حدَّثني عوف بن خارجة المُرّيّ ، قال : والله إنّي لعند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في خلافته ، إذ أقبل رجل أفحج أجلى أمعَر [1] ، يتخطّى رقاب الناس ، حتى قام بين يدي عمر . فحيّاه بتحيّة الخلافة ،

1 الأفحج : الذي يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه عند المشي . والأجلى : الذي انحسر مقدم شعره . والأمعر : الذي سقط شعره .

فقال له عمر : فمَن أنت ؟ قال : أنا امرؤ نصرانيّ ، أنا امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ . قال : فلم يعرفه عمر . فقال له رجل من القوم : هذا صاحب بكر بن وائل ، الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فَلْج . قال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه عمر رضي الله عنه ، فقبله . ثم دعا له برُمْح ، فعقد له على مَن أسلم بالشام من قضاعة . فأدبر الشيخ واللواء يهتزّ على رأسه . قال عوف : فوالله ما رأيت رجلاً لم يُصَلِّ لله ركعة قطّ أُمِّر على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه ، فأخذ بثيابه . فقال له : يا عمّ ، أنا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله ﷺ وصهْره ، وهذان ابناي الحسن والحسن من ابنته ، وقد رغبنا في صِهْرك فأنكحنا . فقال : قد أنكحتك يا عليّ المُحياة بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسن سَلْمى بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسين الرَّباب بنت امرىء القيس .

وقال هشام بن الكَلْبيّ : كانت الرَّباب من خيار النساء وأفضلهنّ . فخُطبت بعد قتل الحسين عليه السلام ، فقالت : ما كنت لأتّخذ حَماً بعد رسول الله ﷺ .

قال المدائنيّ : حدَّثني أبو إسحاق المالكيّ ، قال : قيل لسكينة واسمها آمنة ، وسكينة لقب : أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً ؟ فقالت : لأنّكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة ، تعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وسمّيتموني باسم جدّتي التي لم تدرك الإسلام . تعني آمنة بنت وهب ، أمّ رسول الله ﷺ .

[رثاء الرّباب للحسين]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا الكناني ، عن قعنب بن المحرز الباهلي ، عن محمد ابن الحكم ، عن عَوانة ، قال : رثت الرَّباب بنت امرىء القيس ام سكينة بنت الحسين ، زوجَها الحسينَ عليه السلام حين قتل ، فقالت : [من البسيط]

إنّ الذي كان نوراً يُستضاء به ... بكَربلاءَ قتيلٌ غير مدفونِ
سِبْطَ النبيِّ جَزَاكَ الله صالحةً ... عنا ، وجُنِّبْتَ خُسران الموازينِ
قد كنت لي جَبَلاً صَعْباً ألوذ به ... وكنتَ تصحبنا بالرُّحم والدِّينِ
من لليتامَى ومن للسائلينَ ومَن ... يُغْني ويأوي إليه كلُّ مسكينِ
والله لا أبتغي صهراً بصهركُم ... حتّى أُغَيَّبَ بين الرمل والطينِ

أخبرني الطّوسي قال : حدَّثني الزُّبير عن عمّه قال : أخبرني إسماعيل بن بكار قال : حدّثني أحمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسين العلوي ، عن الزُّبير عن عمّه ، قال : وأخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى ، قالا : كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي

طالب خطب إلى عمّه الحسين ، فقال له الحسين عليهم السلام : يا ابن أخي ، قد كنت أنتظر هذا منك ، انطلقْ معي ، فخرج به حتى أدخله منزله ، فخيره في ابنتيه فاطمة وسُكينة . فاختار فاطمة ، فزوّجه إياها . وكان يقال : إن امرأة تُختار على سُكينة لمنقطعة القرين في الحسن . وقال عبد الله بن موسى في خبره : إن الحسين خيره ، فاستحيا ، فقال له : قد اخترت لك فاطمة ، فهي أكثرهما شبَهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ، ﷺ .

[بين سكينة وبنت لعثمان]

حدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال : حدَّثني يحيى بن الحسن العلويّ قال : كتب إليّ عبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدّي بن سُليمان بن الحسين العلويّ قال : كانت سُكَينة في مأتم فيه بنت لعثمان ، فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشهيد . فسكتت سكينة : فلمّا قال المؤذن . أشهد أنّ محمداً رسول الله . قالت سكينة : هذا أبي أو أبوك ؟ فقالت العثمانية : لا جرم لا أفخر عليكم أبداً .

[لا تسكت على شتم عليّ]

أخبرني أحمد بن محمد قال : حدَّثنا يحيى قال : حدَّثنا مروان بن موسى القرويّ قال : حدَّثنا بعض أصحابنا قال : كانت سُكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْرة ، وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحَكَم ، إذا صعد المِنبر ، فإذا شتم علياً ، شتمته هي وجواريها ، فكان يأمر الحَرَس فيضربون جواريها .

أخبرني الطوسيّ عن الزُّبير عن عمّه مصعب ، قال : كانت سكينة عفيفة سَلِمَة[1] بَرْزَة من النساء ، تجالس الأجلّة من قريش ، وتجتمع إليها الشعراء ، وكانت ظريفة مزاحة .

أخبرني الطوسيّ قال : حدَّثنا الزُّبير عن عمِّه قال : حدَّثني معاوية بن بكر ، قال : قالت سكينة : أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقَدة .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثني محمد بن موسى ، عن أبي أيّوب المدينيّ ، عن مصعب ، قال : كانت سُكينة أحسن الناس شَعراً ؛ فكانت تُصَفِّف جُمَّتها تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه ، حتى عُرِف ذلك . فكانت تلك الجُمة تسمّى السُّكَينية . وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صَفَّف جُمته السُّكينيةَ جلده وحلقه .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحِميريّ ، قال : بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حُبيش بن دُلْجة بغالية ، لأنّه كان من أخوالها . فلمّا وصلت إليه قال : فأين كانت ، عن الصَّيّاح[2] ؟ يقدِّر أنّ الصَّيَّاح

1 سلمة : مسالمة .

2 الصياح : عطر أو خلوق ونحوه .

أرفع من الغالية .

[مزاح سكينة]

قال محمد بن سلام : كانت سكينة مَزَّاحة ، فلسعتها دَبْرة فولولت . فقالت لها أُمّها : ما لكِ يا سيدتي وجزعت ؟ فقالت : لَسَعتني دُبَيْرة ، مثل الأُبَيرة ، فأوجعتني قُطَيْرة[1] .

وقال هارون بن أبي عبيد الله ، حدَّثني ضمرة بن ضمرة ، قال : أُجلَستْ سكينة شيخاً فارسيّاً على سَلّة بيض ، وبعثت إلى سليمان بن يسار ، كأنّها تريد أن تسأله عن شيء . فجاءها إكراماً لها ، فأمرت مَن أخرج إليه ذلك الشيخ جالساً على السَّلّة فيها البيض . فولّى يُسبِّح .

قال : وبعثت سُكينة إلى صاحب الشرطة بالمدينة : أنّه دخل علينا شاميّ ، فابعث إلينا بالشُّرَط . فركب ومعه الشرط . فلمّا أتى إلى الباب ، أمرت ففتح له ، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه بُرغوثاً . فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا الشاميّ الذي شكوناه . فانصرفوا يضحكون .

[ابن أشعب سر أبيه]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال : حدَّثنا أحمد بن القاسم قال : حدَّثنا أبو هَفّان قال : حدَّثنا سيف بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهديّ قال : حدَّثني إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيد لمّا ولاّه دمشق استوهبه صُحبة دُبَـيَّة والغاضريّ وعُبيدة بن أشعب وحكم الوادي . فوهبهم له ، فأشخصهم معه .

قال : فكان فيما حدَّثني به عبيدة قال : قال إبراهيم : ركبت جمازة[2] وهو عَديلي ، ونمت على ظهرها . فلمّا بلغنا ثنية العُقاب ، اشتدّ عليّ البرد ، فاحتجت إلى الزيادة من الدِّثار . فدعوت بدُوَّاجِ[3] سَمُّور ، فألقيته على ظهري ، ودعوت بمَن كان معي في سمري في تلك الليلة ، وكانوا حولي . فقلت لابن أشعب : حدِّثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك . فقال : أُعجب من طمع أبي طمع ابنه . فقلت : وما بلغ من طمعك ؟ فقال : دعوت آنفاً لما اشتدّ عليك البرد بدُوّاج سَمُّور ، لتستدفيء به ، فلم أشكَّ أنـّك دعوتَ به لتجعله عليّ . فغلبني الضحك ، وخلعت عليه الدُّواج . ثم قلت له : ما أحسب لك قَرابة بالمدينة . فقال : اللهمّ غَفراً ، لي بالمدينة قرابات وأي قرابات . قلت : أيكونون عشرة ؟ قال : وما عشرة ؟ قلت : فعشرين ؟ قال : اللهمّ غفراً ، لا تذكر العشراتِ ولا المئين ، وتجاوزْ ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها . قلت : ويحَك ! ليس

1 قطيرة : تصغير قطرة ، أي إيجاعاً يسيراً .

2 الجمازة : الناقة السريعة .

3 الدَواجِ والدَوّاج : اللحاف الذي يلبس .

بينك وبين أشعب أحد ، فكيف يكون هذا ؟ فقال : إنّ زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان تزوّج سُكينة بنت الحسين . فخف أبي على قلبها ، فأحسنت إليه ، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه . فمال إليها بكليته .

قال : وحجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فاستأذن زيد بن عمرو سُكَينة ، وأعلمها أنّها أوّل سنة حجّ فيها الخليفة ، وأنّه لا يمكنه التخلّف عن الحجّ معه . وكانت لزيد ضيعة يقال له العَرْج ، وكان له فيها جَوارٍ . فأعلمتْه أنّها لا تأذن له إلاّ أن يخرج أشعبُ معه ، فيكون عَينا لها عليه ، ومانعاً له من العدول إلى العَرْج ، ومن اتّخاذ جارية لنفسه في بدأته ورجعته . فقنع بذلك ، وأخرجَ أشعب معه . وكان له فرس كثير الأوضاح ، حسن المنظر ، يصونه عن الركوب إلاّ في مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة ؛ وله سرج يصونه ، لا يركب به غير ذلك الفرس . وكان معه طيب لا يتطيّب به إلاّ في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه ؛ وحُلّة مَوْشية يصونها عن اللُّبس إلاّ في يوم يريد التجمّل فيه بها . فحجّ مع سليمان ، وكانت له عنده حوائج كثيرة ، فقضاها ووصله ، وأجزل صِلته . وانصرف سليمان من حَجّه ، ولم يسلك طريق المدينة . وانصرف ابن عثمان يريد المدينة ، فنزل على ماء لبني عامر بن صعصعة . ودعا أشعب ، فأحضره وصرَّ صُرّة فيها أربعمائة دينار ، وأعلمه أنّه ليس بينه وبين العرج إلاّ أميال ؛ وأنّه إن أذن له في المسير إليها ، والمبيت بها عند جواريه ، غَلَّس إليه ، فوافى وقتَ ارتحال الناس ، ووهب له أربعمائة الدينار . فقبل يده ورجله ، وأذن له في السير إلى حيث أحبّ ، وحلف له أنّه يحلف لسُكينة بالأيمان المحرِجَة ، أنّه ما سار إلى العَرْج ، ولا اتّخذ جارية منذ فارق سُكَينة إلى أن رجع إليها . فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى .

قال أبو إسحاق : قال ابن أشعب : حدَّثني أبي أنّه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى، في الماء الذي كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قِربتان . فألقتا القربتين ، وألقتا ثيابهما عنهما ، ورمتا بأنفسهما في الغدير ، وعامتا فيه ، ورأى من مُجَرَّدهما ما أعجبه واستحسنه . فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما . فأعلمتاه أنّهما من إماء نسوة خُلُوف ، لبني عامر بن صعصعة ، هن بالقرب من ذلك الغدير . فسألهما : هل سبيل إلى مولياتهما ، لمحادثة شيخ حسن الخلق ، طيب العشرة ، كثير النوادر ؟ فقالتا : وأنّى لهنّ بمَن هذه صفته ؟ فقال لهما : أنا ذاك . فقالتا : انطلق معنا . فوثب إلى فرس زيد ، فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به ويركبه ، ودعا بحلّته التي كان يضنّ بها فلبسها ، وأحضر السَّفَط الذي كان فيه طيبه ، فتطيّب منه ، وركب الفرس ، ومضى معهما حتى وافى الحيّ ، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر . فأقبل في ذلك الوقت رجال الحيّ ، وقد انصرفوا غانمين

من غزاتهم ، وأقبلت تمرّ به الرِّعلة بعد الرِّعلة ، فيقفون به فيقولون : ممّن الرجل ؟ فينتسب في نسب زيد ، فيقول كلّ مَن اجتاز به : ما نرى به بأساً . وينصرفون عنه . إلى قرب غروب الشمس ، فأقبل شيخ فانٍ على حِجْر هرمة هزيل ، ففعل مثل ما كان يفعل مَن اجتاز ، فسأله مثلما يسألون عنه ، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدّمه ، فقال مثل قولهم .

قال ابن أشعب : قال أبي : ثم رأيت الشيخ وقد وقف بعد قوله ، فأوجست منه خيفة ، لأنّي رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه ، فرفعهما ، ثم استدار ليرى وجهي . فركبت الفرس ، فما استويت عليه حتى سمعته يقول : أقسم بالله ما هذا قرشيّ ، وما هذا إلاّ وجه عبد . فركضت وركض خلفي ، فرأى حِجْره مقصرة . فلمّا يئس من اللحاق بي ، انتزع سهماً فرماني به ، فوقع في مؤخرة السرج ، فكسرها . ودخلتني من صوته روعة أحدثت لها في الحلّة . ووافيت رحل مولاي ، فغسلت الحُلّة ونشرتها ، فلم تجفّ ليلاً . وغلّس مولاي من العَرْج ، فوافاني في وقت الرحيل ، فرأى الحلّة منشورة ، ومؤخّرة السرج مكسورة ، والفرس قد أَضَرَّ بها الركض ، وسَفَط الطيب مكسور الختم . فسألني عن السبب ، فصَدَقْتُه . فقال لي : ويحك ! أَما كفاك ما صنعت بي حتى انتسبتَ في نسبي ، فجعلتني عند أشراف قومي من العرب جَمّاشاً ، وسكتَ عنّي ، فلم يقل لي : أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة . فلمّا وافاها سألتْه سُكينة عن خبره ، فقال لها : يا بنت رسول الله ، وما سؤالك إيّاي ولم يزل ثقتك معي ، وهو أمين عليّ ، فسليه عن خبري يصدقك عنه . فسألتني ، فأخبرتها أنّي لَم أنكر عليه شيئاً ، ولم أُمكنه من ابتياع جارية ، ولم أُطلق له الاجتياز بالعَرْج . فاستحلفتني على ذلك ، فلمّا حلفت لها بالأيمان المحرِجة فيها طلاق أُمّك ، وثب فوقف بين يديها ، وقال : أي ابنة عمّ ، ويا بنت رسول الله ، كذبك والله العلج ، ولقد أخذ منّي أربعمائة دينار ، على أن أذن لي في المصير إلى العرج ؛ فأقمت بها يوماً وليلة ، وغسلت بها عدّة من جواريّ ، وها أنا ذا تائب إلى الله ممّا كان منّي ، وقد جعلت توبتي هبتهنّ لك ، وتقدّمت في حملهنّ إليك ، وهنّ موافيات المدينة في عشيّة اليوم ، فبيعهنّ أو عتقهنّ إليك الأمر فيه ، وأنت أعلم بما تَرين في العبد السَّوء . فأمرتني بإحضار أربعمائة الدينار ، فأحضرتها . فأمرتْ بابتياع خَشَب بثلثمائة دينار ، وأمرت بنشرِه ، وليس عندي ولا عند أحد من أهل المدينة عِلم بما تريده فيه . ثم أمرتْ بأن يتّخذ بيت كبير ، وجعلت النفقة عليه في أجرة النجارين من المائة الدينارَ الباقية . ثم أمرت بابتياع بيض وتِبن وسِرجين بما بقي من المائة الدينار بعد أُجرة النجارين . ثم أدخلتني البيت ، وفيه البيض والتبن والسِّرْجِين ، وحلفت بحقّ جدّها ألاّ أخرُج من ذلك البيت حتى أحضُن ذلك البيض كلّه إلى أن يُفقَس ، ففعلت ذلك ، ولم أزل أحضُنه

حتى فُقِس كلّه . فخرج منه الألوف من الفراريج ، وربيت في دار سكينة ، فكانت تنسبهنّ إليّ ، وتقول : بنات أشعب .

قال أبو إسحاق : قال لي : وبقي ذلك النسلُ في أيدي الناس إلى الآن ، فكلّهم إخواني وأهلي . قال : فضحكت والله حتى غُلِبت ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم ، فحملت بحضرتي إليه .

[أزواج سكينة]

أخبرني الطوسيّ والحِرْمِيّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي مصعب قال : تزوّجتْ سكينة بنت الحسين عليه السلام عدّة أزواج ، أوّلهم عبد الله بن الحسن بن عليّ ، وهو ابن عمّها وأبو عُذْرتها ، ومصعب بن الزُّبير ، وعبد الله بن عثمان الحِزاميّ ، وزيد بن عمرو بن عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، ولم يدخل بها ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، ولم يدخل بها .

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلويّ : إنّ عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر ، وأُمّه بنت السَّلِيل بن عبد الله البَجَليّ ، أخي جرير بن عبد الله ، قال : ثم خلفه عليها مصعب بن الزُّبير ، زوّجه إيّاها أخوها علي بن الحسين ، ومهرها مصعب ألفَ ألفِ درهم .

قال مصعب : وحدَّثني مصعب بن عثمان : أنّ عليّ بن الحسين أخاها حملها إليه ، فأعطاه أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدَّثني معاوية بن بكر الباهليّ قال : قالت سكينة : دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القَرّة .

قال : فولدت من مصعب بنتاً ، فقال لها : سمِّيها زهراء . قالت : بل أُسمِّيها باسم إحدى أُمّهاتي وسمَّتها الرّباب . فلمّا قتل مصعب وليَ أخوه عُروة تركته ، فزوّجها يعني الرّباب بنت مصعَب ابنه عثمان بن عُروة ، فماتت وهي صغيرة ، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار .

قال الزُّبير : فحدّثني محمد بن سلاَّم عن شعيب بن صخر ، عن أُمِّه سعدة بنت عبد الله بن سالم ، قالت : لقيتُ سكينة بين مكّة ومِنى ، فقالت : قفي لي يا ابنة عبد الله ، فوقفت . فكشفت عن بنتها من مصعب ، فإذا هي قد أثقلتها بالحليّ واللؤلؤ ، فقالت : ما ألبستها إيّاه إلاّ لتفضحه .

قال الزُّبير : وحدَّثني عمِّي عن الماجِشون ، قال : قالت سكينة لعائشة بنت طلحة : أنا أجمل منك . وقالت عائشة : بل أنا . فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة ، فقال لأقضين بينكما ؛ أما أنتِ يا سُكَينة فأملَح منها ، وأمّا أنتِ يا عائشة فأجمل منها . فقالت سكينة : قضيتَ لي والله . وكانت سكينة تسمِّي عائشة ذات الأُذنين ، وكانت عظيمة الأُذنين .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثني أحمد بن زهير قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : خطب

سُكَينة بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان . فقالت أمّها : لا والله لا يتزوّجها أبداً وقد قتل ابن أخي ، تعني مصعباً .

وأمّا محمد بن سلاّم الجمحيّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسديّ عن الرياشيّ عنه : أنّ أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن عليّ . ثم خلف عليها العثمانيّ ، ثم مصعب بن الزّبير ، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان . فقال فيه بعض المدنيين[1] : [من الكامل]

نكَحَتْ سُكينة بالحساب ثلاثةً فإذا دخلتَ بها فأنت الرابعُ

قال : وكان يتولّى مصر ، فكتبت إليه : إنّ أرض مصر وخمة . فبنى لها مدينة تسمّى مدينة الأصبغ . وبلغ عبدَ الملك تزوّجه إيّاها ، فنفِس بها عليه . فكتب إليه : اختر مصر أو سُكَينة . فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها ، ومتَّعها بعشرين ألف دينار . ومرّوا بها في طريقها على منزل ، فقالت : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوف الحمار . قالت : ما كنت لأدخل جوف الحمار أبداً .

وذكر محمد بن سلاّم في هذا الخبر الذي رواه الرياشيّ عن شعيب بن صخر أنّ الحزاميّ عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها ، وولدت منه بنتاً . وذكر عن أُمّه سعدة بنت عبد الله أنّ سكينة أرتها بنتها من الحزاميّ ، وقد أثقلتها باللؤلؤ ، وهي في قُبّة ، فقالت : والله ما ألبستها إيّاه إلاّ لتفضحه . تريد أنّها تفضح الحليّ بحسنها ، لأنّها أحسن منه .

أُخبرني ابن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حَسّان وغيره : أنّ سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حِزام ، ثم تزوّجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، ثم تزوّجها مصعَب بن الزُّبير . فلمّا قتل مصعب ، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فبعثت إليه : أبلغَ من حمقك أن تبعثَ إلى سُكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تخطبها ؟ فأمسك عن ذلك .

[بنانة تتمنّى جلبة فتحدث]

قال : ثم تنفَّست يوماً بُنانة جارية سكينة وتنهدت ، حتى كادت أُضلاعها تتحطّم . فقالت لها سكينة : مالكِ ويْلَك ! قالت : أحبّ أن أرى في الدار جَلَبة ، تعني العُرْس . فدعت مولى لها تثق به ، فقالت له : اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فقل له : إنّ الذي كنّا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه ؛ أنت من أخوال رسول الله ﷺ ، فأحضِر بيتك . قال : فجمع عِدّة من بني زُهرة ، وأفناء قريش من بني جُمَحَ وغيرهم ، نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين .

1 هو أيمن بن خريم .

ثم أرسل إلى عليّ بن الحسين ، والحسن بن الحسن ، وغيرهم من بني هاشم . فلمّا أتاهم الخبر اجتمعوا ، وقالوا : هذه السفيهة تريد أن تتزوّج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . فتنادى بنو هاشم واجتمعوا ، وقالوا : لا يخرجَنّ أحد منكم إلاّ ومعه عصا . فجاءوا وما بقي إلاّ الكلام . فقال : اضربوا بالعصيّ . فاضطربوا هم وبنو زُهْرة ، حتى تشاجُّوا ، فشُجَّ بينهم يومئذٍ أكثر من مائة إنسان . ثم قالت بنو هاشم : أين هذه ؟ قالوا : في هذا البيت . فدخلوا إليها ، فقالوا : أبلغ هذا من صنعك ؟ ثم جاءوا بكساء طاروقيّ ، فبسطوه ثم حملوها ، وأخذوا بجوانبه ، أو قال : بزواياه الأربع ، فالتفتت إلى بُنانة فقالت : يا بُنانة ، أرأيت في الدار جَلَبة ؟ قالت : إي والله إلاّ أنّها شديدة .

وقال هارون بن الزيّات : أخبرني أبو حذيفة عن مصعب ، قال : كان أوّل أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن عليّ ، قتل عنها ولم تلد له . وخلف عليها مصعب ، فولدت له جارية . ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، فنشزت عليه ، فطلّقها . ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال الشاعر : [من الكامل]

نكحت سُكَينة بالحساب ثلاثة — فإذا دخلتَ بها فأنت الرابعُ

إن البقيع إذا تتابع زرعُه — خاب البقيعُ وخاب فيه الزارعُ

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب ، وقال : أما تزوّجنا أحسابنا حتى تزوّجنا أموالنا ! فطلِّقها . فطلّقها . فخلف عليها العثمانيّ ، وشرطت عليه ألاّ يغيرها[1] ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، وأن يقيمها حيث خلَّتها أمّ منظور ، ولا يخالفها في أمر تريده . فكانت تقول له : يا ابن عثمان اخرج بنا إلى مكّة . فإذا خرج بها فسارت يوماً أو يومين ، قالت : ارجع بنا إلى المدينة . فإذا رجع يومه ذاك ، قالت : اخرج بنا إلى مكّة . فقال له سليمان بن عبد الملك : أعلَمُ أنّك قد شرطت لها شروطاً لم تفِ بها ، فطلّقها . فطلّقها . فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فكره ذلك أهلها ، وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل ، فبعث إليها يخيّرها . فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه ، فقال لها : جُعلت فداءك ، قد خيّرتك فاختاري . فقالت : قلت ماذا بأبي ، تهزأ به . فعرف ذلك ، فانصرف . وخيّروها ، فقالت : لا أريده .

قال : وماتت فصلّى عليها شَيبة بن نِصاح .

1 يغيرها : يجعلها تغار .

وأمّا ابن الكلبيّ فذكر فيما أخبرنا به الجوهريّ ، عن عمر بن شبّة ، عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عنه : أن أوّل أزواجها الأصبغ ، ومات ولم يرها ، ثم زيد بن عمرو العثمانيّ ، قال : وولدت له ابنه عثمان الذي يقال له قرين ، ثم الحِزامي ، ثم خلف عليها مصعب ، فولدت له جارية ، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها .

قال عمر بن شبّة : وحدّثني محمد بن يحيى قال : تزوّج مصعب سكينة وهو يومئذٍ بالبصرة ، عامل لأخيه عبد الله بن الزُّبير ، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السَّلاَّس ، وهو الذي جاء بنعيه ، فقال ابن قيس فيه[1] : [من الخفيف]

قد أتانا بما كرهنا أبو السلاَّ س كانت بنفسه الأوجاعُ

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه . وهذا غلط من محمد بن يحيى ، ليست قصّة أبي السلاّس مع مصعب ، وإنّما هي مع ابن جعفر .

قال محمد بن يحيى : ولّما تزوّج مصعب سكينة على ألف ألف ، كتب عبد الله بن همّام على يد أبي السلاّس إلى عبد الله بن الزبير : [من الكامل]

أبلِغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خِداعا
بُضْع الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت سادات الجنود جياعا
لو لأبي حفص أقول مقالتي وأبث ما أبثتكم لارتاعا

قال : وكان ابن الزُّبير قد أوصاه ألاّ يعطيه أحد كتاباً إلاّ جاء به ، فلمّا أتاه بهذا الكتاب قال : صدق والله ، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألفِ ألفِ درهم . ثم قال : إنّ مصعباً لما وليته البصرة أغمد سيفه ، وسلّ أيره ، وعزله عن البصرة ، وأمره أن يجيء على ذات الجيش ؛ وقال : إنّي لأرجو أن يخسف الله بك فيها . فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب ، فقال : لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيره .

قال أبو زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهريّ قال : ذُكِر أنّ زيد بن عمرو بن عثمان العثمانيّ خرج إلى مال له مغاضباً لسكينة ، وعمر بن عبد العزيز يومئذٍ والي المدينة ، فأقام سبعة أشهر ، فاستعدته سكينة على زيد ، وذكرت غَيبته مع ولائده سبعة أشهر ، وأنّها شرطت عليه أنّه إن مس امرأة ، أو حال بينها وبين شيء من ماله ، أو منعها مخرجاً تريده ، فهي خَلِيّة[2] ، فبعث إليه عمر فأحضره ، وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 147 .
2 خلية : مطلقة .

قال : حدَّثني أُبو بكر بن عبد الله ، قال : بعثني عمر ، وبعث معي محمد بن معقِل بن يسار الأشجعيّ ، إلى ابن حزم ، وقال : اشهدا قضاءه ، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس ، وفاطمة امرأة ابن حزم في الحَجَلة جالسة ، وجاءت سكينة ، فقال ابن حزم : أدخلوها وحدها . فقالت : والله لا أدخل إلاّ ومعي ولائدي ، فأدخلن معها ، فلمّا دخلت قالت : يا جارية اثني لي هذه الوسادة . ففعلت ، وجلست عليها ، ولصق زيد بالسرير ، حتى كاد يدخل في جوفه خوفاً منها . فقال لها ابن حزم : يا ابنة الحسين ، إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ القصد في كلّ شيء ، فقالت له : وما أنكرت منّي ، إنّي وإيّاك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه ، ولا يرى الخشبة في عينه . فقال لها : أما والله لو كنت رجلاً لسطوت بك . فقالت له : يا ابن فَرْتَنى ألا تزال تتوعّدني ؟ وشتمته وشتمها . فلمّا بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العَدَويّ : ما بهذا أُمِرنا ، فأمض الحكم ولا تُشاتم . فقالت لمولاة لها : مَن هذا ؟ قالت : أبو بكر بن عبد الله بن أَبي الجهم . فقالت : لا أراك ههنا وأَنا اشتمُ بحضرتك . ثم هتفت برجال قريش ، وحضت ابن أبي الجهم ، وقالت : أما والله لو كان أصحاب الحَرّة أَحياء لقتلوا هذا العبد اليهوديّ عند شتمه إيّاي ، أي عدوّ الله ، تشتمني وأَبوك الخارج مع يهودَ صبابةً بدينهم لما أخرجهم رسول الله ﷺ إلى أريحا ، يا ابن فَرْتَنى . قال : وشتمها وشتمته .

قال : ثم أحضرنا زيداً ، فكلّمها وخضع لها ، فقالت : ما أَعْرَفَني بك يا زيد ، والله لا تراني أبداً ، أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربهُنّ ؟ املأ عينك الآن منّي ، فإنّك لا تراني بعد الليلة أبداً . وجعلت تردّد هذا القول ومثله ، فكلّما تكلّمت ترفُث[1] لابن حزم وامرأته في الحَجَلة ، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه . ثم حكم بينهما بأنّ سكينة إن جاءت ببينة على ما ادّعته ، وإلاّ فاليمين على زيد . فقامت وقالت لزيد ، يا ابن عثمان : تزوّد منّي بنظرة ، فإنّك والله لا تراني بعد الليلة أبداً ، وابن حزم صامت . ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو ينتظرنا في وسط الدار في ليلة شاتية ، فسأَلنا عن الخبر ، فأَخبرناه ، فجعل يضحك حتى أَمسك بطنه ، ثم دعا زيداً من غد ، فأَحلفه وردّ سكينة عليه .

وأَخبرني الحِرْميُّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار عن عمّه قال : قالت سكينة لأُمّ أشعب : سمعت للناس خبراً ؟ قالت : لا ، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوّجته ، وبلغ ذلك بني هاشم فأنكروه ، وحملوا العصيّ ، وجاءوا فقاتلوا بني زُهرة حتى كثرت الشّجاج ، ثم فُرّق بينهم ، وخُيّرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم ، ثم التفتت إلى أُمّ أشعب وقالت : أَترين الآن أنّه كان للناس اليوم خبر ؟ قالت ، إي والله ، بأبي أنت ، وأيّ خبر .

1 ترفث : تفحش في القول .

قال هارون بن الزيّات : وجدت في كتاب القاسم بن يوسف : حدَّثني الهيثم بن عديّ ، عن أشعب ، قال : تزوّج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان سكينة ، وكان أبخل قرشيّ رأيته ، فخرج حاجّاً وخرجت سكينة معه ، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصاً ولا فاكهة إلاّ حملته معها ، وأعطتني مائة دينار ، وقالت : يا ابن أمّ حميدة ، اخرج معنا . فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال ، فلمّا أتينا السَّيالة نزلنا ، وأمرت بالطعام أن يقدّم . فلمّا جيء بالأطباق ، أقبل أغيلمة من الأنصار يسلّمون على زيد ، فلمّا رآهم قال : أُوَّهْ . خاصرتي . باسم الله ، ارفعوا الطعام ، وهاتوا الترياق والماء الحارّ ، فأُتِي به فجعل يتوجَّرهما[1] حتى انصرفوا ، ورَحلنا وقد هلكتُ جوعاً ، فلم آكل إلاّ ممّا اشتريته من السوق . فلمّا كان من الغد أصبحت وبي من الجوع ما الله أعلم به ، ودعا بالطعام وأُتي به . قال : فأمر بإسخانه ، وجاءته مَشْيَخة من قريش يسلّمون عليه ، فلمّا رآهم اعتلّ بالخاصرة ، ودعا بالتِّرياق والماء الحارّ ، فتوجَّره ورفع الطعام ، فلمّا ذهبوا أمر بإعادته ، فأُتي به وقد برد ، فقال لي : يا أشعب ، هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل ؟ فقلت له أخبرني عن دَجاجك هذا ؟ أمن آل فرعون ، فهو يُعْرَض على النار غُدُوًّا وعَشيًّا .

[تبغض أهل الكوفة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، عن محمد بن الحكم ، عن عوانة ، قال : جاء قوم من أهل الكوفة يسلّمون على سُكَينة فقالت لهم : الله يعلم أنّي أبغضكم : قتلتم جدّي عليّاً ، وأبي الحسين ، وأخي عليّاً ، وزوجي مصعباً ، فبأيّ وجه تَلْقَونني ، أيْتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة .

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن المدائنيّ قال : بينما سكينة ذات ليلة تسير ، إذ سمعت حادياً يحدو في الليل يقول :

لولا ثلاث هنَّ عيشُ الدهرِ

قالت لقائد قطارها : ألحِق بنا هذا الرجل ، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث .

فطال طلبه لذلك حتى أتعبها . فقالت لغلام لها : سر أنت حتى تسمع منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

الماء والنوم وأمّ عمرِو

فقالت : قَبحَه الله ! أتعبني منذ الليلة .

قال : وحدَّثني المدائنيّ أنّ أشعب حجّ مع سكينة ، فأمرت له بجمل قويّ يحمل أثقاله ، فأعطاه القيِّم جملاً ضعيفاً ، فلمّا جاء إلى سكينة قالت له : أعطوك ما أردت ؟ قال : عِرسُه

1 يتوجر الدواء : يصبه في حلقه قليلاً قليلاً .

الطلاق ، لو أنّه حمل قَتَباً على الجمل لما حمله ، فكيف يحمل محملاً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، عن نعيم بن سالم بن عليّ الأنصاريّ ، عن سفيان بن حرب ، قال : رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجِمار ، فسقطت من يدها الحصاة السابعة ، فرمت بخاتمها مكانها .

وقال هارون بن الزيّات : حدّثني أبو حُذافة السهميّ قال : أُخبرني غير واحد ، منهم محمد بن طلحة : أنّ سكينة ناقلت بمالها بالزوراء ، إلى قصر يقال له البَريديّ بَلْزق الجماء ، فلمّا سال العقيق ، خرجت ومعها جواريها تمشي ، حتى جاءت السيل ، فجلست على جِرْفه ، ومالت برجليها في السيل ، ثم قالت : هذا في است المغبون . والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء . قال : وكان البريديُّ قصراً لا غلّة له ، وإنّما يُتنزّه فيه ، وكانت غلّة الزوراء غلّة وافرة عظيمة .

[تزال منها سلعة بالجراحة]

وقال هارون : وحدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه ، وعمّه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين : أنّ سكينة بنت الحسين عليه السلام ، خرجت بها سَلَعة[1] في أسفل عينها ، فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها ، وعظُم شأنها ؛ وكان بدراقُس منقطعاً إليها في خدمتها ، فقالت له : ألا ترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال : لها أتصبرين على ما يمسُّك من الألم حتى أُعالجك ؟ قالت : نعم . فأضجعها ، وشقّ جلد وجهها حتى ظهرت السَّلَعة ، ثم كشط الجلد عنها أجمع ، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحَدَقة عنه ، حتى جعلها ناحية ، ثم سل عروق السَلَعة من تحتها . فأخرجها أجمع ، ورد العين إلى موضعها ، وعالجها وسكينة مضطجعة لا تتحرّك ولا تئنّ ، حتى فرغ ممّا أراد ، فزال ذلك عنها ، وبرئت منها ، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤْخَر عينها ، فكان أحسن شيء في وجهها ، وكان أحسن على وجهها من كلّ حَلْي وزينة ، ولم يؤثر ذلك في نظرها ، ولا في عينها .

[نقدها الشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مِهْرويه ، قال : أخبرني عيسى بن إسماعيل ، عن محمد بن سلام ، عن جرير المدينيّ ، عن المدائنيّ . وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلام . وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن عُمر بن شبّة موقوفاً عليه ، قالوا : اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام ، جرير والفرزدق وكُثيِّر وجميل ونُصَيب ، فمكثوا أيّاماً ؛ ثم أذنتْ

1 السلعة : غدة تفتح وتحرك أو خراج ، وتبدأ كالحمصة ثم تصير بحجم البطيخة .

لهم ، فدخلوا عليها ، فقعدت حيث تراهم ولا يَرَونها ، وتسمع كلامهم ؛ ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت : أيّكم الفرزدق ؟ فقال لها : هأنذا . فقالت : أنت القائل[1] : [من الطويل]

هما دلّتاني من ثمانينَ قامةً ... كما انحطّ بازٍ أقتم الريشِ كاسرُهْ
فلمّا استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحيٌّ يُرَجَّى أم قتيلٌ نحاذرُهْ
فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلتُ في أعجاز ليلٍ أُبادِرُهْ
أُبادر بوابَيْن قد وُكِّلا بنا ... وأحمر من ساج تبِصُّ مسامرُهْ

قال : نعم . قالت : فما دعاك إلى إفشاء سرّها وسرّك ؟ هلاّ سترتها وسترت نفسك ؟ خذ هذه الألف ، والحق بأهلك .

ثم دخلتْ على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيّكم جرير ؟ فقال لها : هأنذا . فقالت : أنت القائل[2] : [من الكامل]

طرقتكَ صائدة القلوب وليس ذا ... حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ
تُجْري السواك على أغرَّ كأنّه ... بَرَدٌ تحدر من مُتون غَمامِ
لو كان عهدكِ كالذي حدثتِنا ... لوصلتِ ذاك فكان غير رِمامِ[3]
إنّي أواصل مَنْ أردتُ وصاله ... بحبالِ لا صلِفٍ ولا لَوَّامِ

قال : نعم . قالت : أفلا أخذت بيدها ، ورحبت بها ، وقلت لها ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيف وفيك ضعف . خذ هذه الألف والحق بأهلك . ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيّكم كُثَيِّر ؟ فقال : هأنذا . فقالت : أنت القائل[4] : [من الطويل]

وأعجبني يا عَزُّ منك خلائق ... كرام إذا عُدَّ الخلائق أربعُ
دنُوك حتى يطمعَ الطالبُ الصِّبا ... ودفعك أسباب الهوى حين يَطمعُ
وقطعُك أسبابَ الكريم ووصلك الْـ ... ـلئيم وخَلاَّت المكارمِ ترفعُ[5]

1 ديوان الفرزدق (صادر) 1 : 211 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .
2 ديوان جرير (صادر) : 452 .
3 غير رمام : غير متقطّع .
4 ديوان كثير : 405 مع اختلاف في الرواية .
5 رواية البيت في الديوان :
ومنهن إكرام الكريم وهفوة الـ ... ـلئيم وخلات المكارم تنفع

فوالله مـــا يـــدري كريم مماطَلٌ أينساك إذ باعـــدتِ أم يتَضرّعُ

قال : نعم . قالت : مَلَّحْتَ وشَكَّلْت . خذ هذه الثلاثة الآلاف ، والحق بأهلك .

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت : أيّكم نُصَيْب ؟ قال : هأنذا . قالت : أأنت القائل[1] : [من الوافر]

ولولا أن يقـــال صبا نُصَيْب لقلت بنفسيَ النَّشأُ الصِّغارُ
بنفسي كلّ مهضـــوم حشاها إذا ظُلِمَتْ فليس لهـا انتصارُ

قال : نعم . قالت : ربيتنا صغاراً ، ومدحتنا كباراً . خذ هذه الأربعة الآلاف ، والحق بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : يا جميل ، مولاتي تُقْرئك السلام ، وتقول لك : والله ما زلتُ مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك[2] : [من الطويل]

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً بوادي القُرى إنّـي إذاً لسعيدُ
لكلّ حديـــثٍ بينهنّ بشاشة وكلُّ قتيـــل عندهـــن شهيدُ

جعلت حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء ، خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار ، والحق بأهلك .

أخبرني ابن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد عن أبيه ، عن أبي عبد الله الزُّبيريّ قال : اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثيِّر وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص ، فافتخر كلّ واحد منهم بصاحبه ، وقال : صاحبي أشعر . فحكّموا سكينة بنت الحسن بن عليّ عليهما السلام ، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر ، فخرجوا يتقادَون[3] ، حتى استأذنوا عليها ، فأذنت لهم ، فذكروا لها الذي كان من أمرهم ، فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذي يقول : [من الكامل]

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حِـينَ الزيـــارةِ فارجِعي بسلامِ

وأيُّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق ، قَبح الله صاحبك ، وقَبح شعره ! ألا قال : فادخلي بسلام !

ثم قالت لراوية كثيِّر : أليس صاحبُك الذي يقول[4] : [من الطويل]

---

1 ديوان نصيب 88 .

2 ديوان جميل : 42 .

3 يتقادون : يتبارون في التفاخر .

4 ديوان كثير : 107 .

يَقَـرّ بعينـي مـا يقَـرُّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قَرّتِ

فليس شيء أقرّ لعينها من النكاح ، أفيحب صاحبك أن يُنكَح ؟ قَبَح الله صاحبك ، وقَبَح شعره ! ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول[1] : [من الطويل]

فلو تَركَتْ عقلي معـي ما طلبتُها ولكن طِلابيها لمـا فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوًى ، إنّما يطلب عقله ، قَبَح الله صاحبَك وقَبَح شعره ! ثم قالت لراوية نُصَيب : أليس صاحبك الذي يقول[2] : [من الطويل]

أهيم بدعد مـا حييت فإن أُمُت فيا حَرَبا مـن ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همّة إلاّ مَن يتعشّقها بعده ! قَبَحَه الله وقَبَح شعره ! ألا قال : [من الطويل]

أهيم بدعد ما حييت فإن أُمت فلا صَلَحت دعد لذي خُلَّة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبُك الذي يقول : [من الكامل]

مِن عاشقين تواعـدا وتراسلا ليـلا إذا نجـمُ الثريـا حَلَّقا
باتـا بأنعـمِ ليلـة وألذّهـا حتى إذا وضَح الصباحُ تفرّقا

قال : نعم ، قالت : قَبَحَه الله وقَبَح شعره ! ألا قال : تعانقا .

قال إسحاق في خبره : فلم تُثْن على أُحد منهم في ذلك اليوم ، ولم تقدِّمه .

قال : وذكر لي الهيثم بن عديّ مثل ذلك في جميعهم إلاّ جميلاً ، فإنّه خالف هذه الرواية ، وقال : فقالت ، لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول : [من الطويل]

فيا ليتني أعمى أصمُّ تقودني بُثينـة لا يَخْفى عليَّ كلامُها

قال : نعم . قالت : رحم الله صاحبَك كان صادقاً في شعره ، كان جميلاً كاسمه ، فحكمت له .

* * *

وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغانٍ تذكر هاهنا نسبتُها . فمنها : [من الطويل]

صوت

همـا دلّتاني من ثمانـين قامـةً كما انقضّ بازٍ أقتم الريش كاسرُهْ

---

1 ديوان جميل : 98 .

2 ديوان نصيب : 84 .

فلمّا استوت رجلاي بالأرض قالتا　　أحَـيٌّ يرجَّـى أم قتيـل نحـاذرُهْ

عروضه الطويل . الشعر للفرزدق ، والغناء للحَجَبِيّ ، رمَل بالبنصر عن الهشاميّ وحبش .

[استطراد بشأن الفرزدق]

وأخبرني : أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدَّثنا محمد بن سلام عن يونس ، وحدَّثنا به اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا محمد بن سلام عن يونس قال : كان للفرزدق غلامان ، يقال لأحدهما وقّاع ، وللآخر زُنْقطَة . قال : ولوقّاع يقول الفرزدق[1] : [من الطويل]

تغلغـل وقّـاعٌ إليهـا فأقبلـت　　تخوض خُدارِيا من الليل أخضرا[2]

لطيف إذا ما انغلَّ أدرك ما ابتغى　　إذا هـو للظبـيّ المَرُوعِ تَقَتَّرا[3]

وله يقول أيضاً[4] : [من الوافر]

فأبْلَغَهنّ وحـيَ القـولِ عنّي　　وأدخـل رأسه تحـت القِرامِ[5]

أُسَيِّـد ذو خُرَيِّطـةٍ نهـاراً　　مـن المتلقِّطِي قَـرَدِ القُمامِ[6]

فقلـن لـه نواعـدك الثريّا　　وذاك إليـه مجتمعُ الزِّجامِ

صوت

ثـلاث واثنتان فهـنّ خمسٌ　　وسادسة تميـل مـع السَّنامِ

خرجـن إليّ لم يطمثنَ قبلي　　فَهُـنّ أصحّ مـن بيض النّعامِ

فبتـن بجانبـيَّ مُصَرَّعـاتٍ　　وبـتُّ أفُضُّ أغـلاق الختامِ

في هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع ، خفيف رَمل بالبنصر عن الهشاميّ ، وفيها هَزج يمان بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر حبش أنّ الهزج لفُليح ، وأنّ لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى .

أخبرني أبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم ، قال : قال الفرزدق وهو بالمدينة : [من الطويل]

همـا دلّتانِـي مـن ثمانـين قامـةً　　كما انقضَّ بـاز أقتـم الريش كاسرُهْ

---

1 ديوان الفرزدق 1 : 344 .

2 خداري : مظلم .

3 انغل : دخل . وتقتر : تهيأ وتلطف . وفي الديوان : «إذا هو للطنء المخوف تقترا» .

4 ديوان الفرزدق 2 : 290 مع اختلاف في اللفظ .

5 القرام : الستر الأحمر .

6 في الديوان : قرد القسام ، والقرد نفاية الصوف والكتان ، والقسام : مال الصدقة .

فلمّـا استوت رجلايَ بالأرض قالتا　　أَحَــيٌّ يُرَجَّـى أم قتيـل نُحـاذِرُهْ
فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطُنوا بنـا　　ووليـت في أعجـاز ليـل أُبـادِرُهْ
أُبـادِر بوابَيْـن قـد وُكِّـلا بنـا　　وأَحمـرَ مـن ساجٍ تبِصّ مسامرُهْ
وأصبحتُ في القوم الجلوسِ وأُصبحتْ　　مُغَلَّقـة دوني عليهـا دساكـرُهْ

قال : فأنكرتْ ذلك قريش عليه ، وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها لمعاوية ، وأجَّله ثلاثة أيّام ، فقال[1] : [من الكامل]

يـا مَـرْوَ إنّ مطيّتـي محبوسة　　ترجـو الحِباءَ وربّها لم ييأسِ
وأتيتنـي بصحيفـةٍ مختومـةٍ　　أُخشى عليّ بها حِباءَ النِّقْرِسِ
ألقِ الصحيفة يا فرزدقُ لا تكن　　نكداءَ مثلَ صحيفة المتلمّسِ[2]

وقال في ذلك : [من الوافر]

وأُخرجنـي وأَجَّلنـي ثلاثـاً　　كما وُعِـدت لمهلِكِهـا ثمـودُ

وذكر ذلك جرير في مناقضته إيّاه ، فقال : [من المتقارب]

وشبهتَ نفسك أَشقى ثمودٍ　　فقالـوا ضَلَلْـت ولم تهتـدِ

يعني تأجيل مروان له ثلاثاً . وقال فيه أيضاً جرير : [من الطويل]

تدليـتَ تـزني من ثمانـين قامةً　　وقَصَّرتَ عن باع العـلا والمكارمِ

وهما قصيدتان .

أَخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة قال : قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : أنشدني أجود شعر قلته ، فأنشده[3] : [من الطويل]

عَزَفْتَ بأَعشاشٍ وما كدتَ تعزِفُ　　وأَنكرت من حَدْراء ما كنت تعرفُ

فقال له : زِدني . فأَنشده قوله : [من الوافر]

ثلاث واثنتـان فهـنّ خمس　　وسادسة تميـل إلى الشمامِ[4]

فقال له سليمان : ما أظنّك إلاّ قد أحللت بنفسك العقوبة ؛ أقررت بالزّنا عندي وأنا إمام ، ولا بدّ لي من إقامة الحدّ عليك . قال : إن أُخذت فيّ بقول الله عزّ وجلّ لم تفعل . قال : وما قال

1 ديوان الفرزدق 1 : 384 .
2 المثل «صحيفة المتلمس» في مجمع الميداني 1 : 399 والفاخر : 73 وجمهرة العسكري 1 : 579 .
3 ديوان الفرزدق 2 : 23–33 .
4 مر آنفاً برواية «تميل مع السنام» .

الله عزّ وجلّ ؟ قال : قال : «والشعراء يتّبعُهُمُ الغاوون . ألم ترَ أنّهم في كلّ واد يهيمون . وأنّهم يقولون ما لا يفعلون» . فضحك سليمان ، وقال : تلافيتها ودرأتَ عن نفسك ، وأمر له بجائزة سنيّة ، وخَلَع عليه .

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسان دماذ ؛ عن أبي عبيدة ، قال : نزل الفرزدق هو ومَن معه بقوم من العرب ، فأنزلوه وأكرموه ، وأحسنوا قِراه ، فلمّا كان في الليل دبَّ إلى جارية منهم ، فراودها عن نفسها ، فصاحت ، فتبادر القوم إليها ، فأخذوها من يده وأنَّبوه . فجعل يفكّر واهتمّ ، فقال له الرجل الذي نزل به : مالك ؟ أتحبّ أن أزوِّجك من هذه الجارية . فقال : لا ، والله . ما ذلك بي ، ولكنّي كأنّي بابن المراغة قد بلغه هذا الخبر ، فقال فيّ : [من الوافر]

وكنتَ إذا حللتَ بدار قــوم رحلتَ بخَزْيَة وتركت عارا

فقال له الرجل : لعلّه لا يفطُن لهذا . فقال : عسى أن يكون ذلك . قال : فوالله ما لبثوا أن مرّ بهم راكب ينشد هذا البيت ، فسألوه عنه ، فأنشدهم قصيدة لجرير يعيره بذلك الفعل ، وفيها هذا البيت بعينه .

ومنها : [من الكامل]

صوت

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا حِـين الزيـارةِ فارجعي بسلامِ
تُجْـرِي السواكَ على أغـرَّ كأنـّه بَــرَد تحـدَّر مـن مُتـون غَمامِ
هيهــاتَ منزلُنـــا بجــوِّ سُوَيْقةٍ ممّــن يَحِـــلّ بواطـــن الآجامِ
إقــر السلام عــلى سُعادَ وقُل لها لَــوْ مــا تــردّ رسولنا بسلامِ

الشعر لجرير ، والغناء لابن سريج : ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكّيّ . وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضاً ولم ينسبه إلى أحد ، وأظنّه من منحول يحيى . وذكره عمرو بن بانة أيضاً لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة ، وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سريج ثقيل أوّل في الثاني والثالث ، وأنكر ذلك حبش ، وقال : هو بالوسطى . قال عليّ بن يحيى : ومن الناس مَن ينسبه إلى سِياط . وذكر حبش أنّ فيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبنصر ، وللغريض ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها : [من الكامل]

صوت

مِـن عاشقَين تراسلا وتواعدا ... بِلِقاً إذا نجـم الثريّـا حَلَّقا
بعثـا أمامهمـا مخافـة رِقبة ... رَصَداً فمزَّق عنهما مـا مَزَّقا
باتـا بأنعـم ليلـة وألذّهـا ... حتى إذا وضح الصباحُ تفرّقا

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، عن يونس والهشاميّ .

رجع الحديث إلى أخبار سكينة

[سكينة تسأل الفرزدق مَن أشعر الناس]

وروى أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن أبي يعقوب الثقفيّ ، عن عامرٍ الشعبيّ ؛ وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى : أنّ الفرزدق خرج حاجّاً ، فلمّا قضى حجّه خرج إلى المدينة ، فدخل على سُكينة بنت الحسين عليه السلام مسلّماً ، فقالت له : يا فرزدق ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذي يقول : [من الوافر]

بنفسِيَ مَـن تجنُّبـه عزيـزٌ ... علـيَّ ومَـن زيارتـه لِمـامُ
ومَـن أُمسِي وأُصبح لا أراه ... ويَطرُقُنـي إذا هجـعَ النِّيامُ

قال : والله لئن أذنتِ لي لأسمعنك أحسن منه . قالت : أقيموه ، فأُخرج . ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ، فقالت : يا فرزدق ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول : [من الكامل]

لـولا الحياء لعادني استعبارُ ... ولـزرت قبرَكِ والحبيب يزارُ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها ... كُتِم الحديث وعفَّتِ الأسرارُ
لا يُلْبِث القرنـاءَ أن يتفرّقوا ... ليـلٌ يكُـرّ عليهـم ونهـارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لي لأسمعنك أحسن منه . فأمرت به فأُخرج ؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحولها مولّدات كأنّهنّ التماثيل ، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ ، فأُعجِب بها . فقالت : يا فرزدق ، مَن أشعر الناس ؟ فقال : أنا . فقالت : كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول : [من البسيط]

إنّ العيون التي في طرفها مَرَض ... قتلننـا ثـم لم يُحْيِـين قتلانا
يَصْرَعنَ ذا اللبّ حتى لا حَراك به ... وهـنّ أضعفُ خلـق الله أركانا

فقال : يا بنت رسول الله ﷺ ، إن لي عليكِ حَقّاً عظيماً . ضربتُ إليك من مكّة أريد

التسليم عليك ، فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إيّاي أن أسمعك ، وبي ما قد عِيل معه صبري ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت ، فإن أنا متّ فمري أن أُدرج في كفني ، وأُدفن في حِرِ تلك الجارية ، يعني الجارية التي أعجبته . فضحكت سُكينة ، وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذاً برَيْطتها ، وأمرت الجواري أن يدفَعْن في أقفائهما ، ثم قالت : يا فرزدق ، أحسن صحبتها ، فإنّي آثرتك بها على نفسي .

[وفاة سكينة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، قال : حدَّثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بني هاشم : أنّه لم يصلَّ على أحد بعد رسول الله ﷺ بغير إمام إلاّ سكينة بنت الحسين عليه السلام ، فإنّها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك ، فأرسلوا إليه ، فآذنوه بالجنازة ، وذلك في أوّل النهار في حر شديد ، فأرسل إليهم : لا تُحدِثوا حدثاً حتى أجيء فأُصلّي عليها . فوضع النعش في موضع المصلَّى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر ، فأرسلوا إليه ، فقال : لا تحدثوا فيها شيئاً حتى أجيء ، فجاءت العصر ، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صلّيت العشاء ، كلّ ذلك يرسلون إليه ، فلا يأذن لهم حتى صلّيت العَتَمة ولم يجيء ، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس ، فقاموا فأقبلوا يصلّون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون . فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : مَن أعان بطيب رحمه الله ! قال : وإنّما أراد خالد بن عبد الملك ، فيما ظنّ قوم ، أن تُنْتن . قال : فأُتِي بالمجامر ، فوضعت حول النعش ، ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العثمانيّ ، فأتي عطّاراً كان يعرف عنده عُوداً ، فاشتراه منه بأربعمائة دينار ، ثم أتى به ، فسُجِر حول السرير ، حتى أصبح وقد فُرِغ منه . فلمّا صُلِّيت الصبح أرسل إليهم : صلّوا عليها وادفِنوها . فصلّى عليها شَيبةُ بن نِصاح .

وذكر يحيى بن الحسين في خبره : أنّ عبد الله بن حسن هو الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار .

صوت

[من الرمل]

وأنـــا الأخضرُ مَــن يعرفني أخضرُ الجِلدة من بيت العَرَبْ
مَــن يساجلْني يساجلْ ماجداً يملأ الدلوَ إلى عَقْــدِ الكَرَبْ

إنّما عبــد منــاف جوهـر زَيَّـن الجوهـرَ عبـدُ المطّلِبْ
كلّ قــوم صيغـة مــن فضّة وبنـو عبـد مناف من ذَهَبْ
نحن قــوم قــد بنـى الله لنا شرفاً فــوق بُيوتـات العربْ
بنبــيّ اللهِ وابنــي عمِّـه وبعبّـاس بـن عبـد المطَّلِبْ

الشعر للفضل بن العبّاس اللَّهَبيّ ، والغناء لمعبد ، ثقيل أوّل بالبنصر ، في الأوّل والثاني والثالث . ولابن محرز في الأوّل والثاني خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر . وذكر يونُس أنّ فيهما لمعبد ومالك وابن محرز وابن مِسْجَح وابن سريج خمسة ألحان . وذكر الهشاميّ أنّ لحن ابن سريج رَمَل ، ولحن مالك خفيف رَمَل ، ولحن معبد خفيفُ ثقيل ، ولحن ابن محرز ثقيل أوّل . وذكر ابن المكّيّ أنّ الثقيل الأوّل لمالك . وذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أنّ لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رَمَل . وذكر الهشاميّ أنّ فيه رملاً آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد ، ولأبي الحسن مولى سكينة ، وفي الثالث والرابع ، خفيف ثقيل . وذكر حبش أنّ لابن صاحب الوضوء في الأوّل والثاني ثانِيَ ثقيل بالبنصر ، ولابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر . وذكر حمّاد عن أبيه : أنّ لابن عائشة فيهما لحناً ، ووافقه ابن المكّيّ . وذكر أنّه خفيف رَمَل . قال : وقيل إنّه لدُحْمان . وذكر ابن خرداذبه أنّ لخُليدة المكيّة في الرابع والثالث خفيفَ رمل ، وفي الخامس والسادس والأوّل رَمَل ، يقال إنّه لإبراهيم ، ويقال إنّه لإسحاق . والخامس والسادس من هذه الأبيات ، وإن كان شعر الفضل بن العبّاس اللهبيّ ، فليس من القصيدة التي فيها : [من الرمل]

وأنــا الأخضر مَـن يعرفنـي

لكن من قصيدة له أوّلها : [من الرمل]

شاب رأسي ولِداتي لم تشب بعـد لهــو وشبـاب ولَعِبْ
شيّبَ المَفْــرقِ منّـي وبـدا في حفافَـيْ لحيتي مثلُ العطَبْ

في هذين البيتين لهاشم ونُفَيلة خفيفُ رَمَل بالوسطى ، والقصيدة التي فيها : [من الرمل]

وأنا الأخضر مَن يعرفني أخضر الجلدة من نسل العربْ

أوّلها قوله :

طَرِبَ الشيخُ ولا حينَ طَرَبْ وتصابى وصِبا الشيخِ عَجَبْ

[316] ـ أخبار الفضل بن العبّاس اللهبيّ ونسبه[1]

[نسبه]

الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب ، واسمه عبد العزى بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف . وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم . وكان شديد الأدمة . ولذلك قال : [من الرمل]

وأنا الأخضر مَـــن يعرفني

وهو هاشميّ الأبوين ؛ أمّه بنت العبّاس بن عبد المطّلب .

أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمّه عبيد الله ، عن ابن حبيب : وإنّما أتاه السواد من قِبل أُمّه : جدّته ، وكانت حبشية .

[مَن الذي أكله الأسد]

وكان النبيّ ﷺ زوّج عُتبة إحدى بناته . فلمّا بعثه الله تعالى نبيّاً ، أقسمت عليه أُمّ جميل أن يطلقها . فجاء إلى النبيّ ﷺ ، فقال : يا محمد ، أُشهد مَن حضر أنّي قد كفرت بربّك ، وطلّقت ابنتك . فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه يقتله . فبعث الله عزّ وجلّ عليه أسداً فافترسه[2] .

أخبرني الحسن بن القاسم البجليّ الكوفيّ قال : حدَّثنا عليّ بن إبراهيم بن المعلّى قال : حدَّثني الوليد بن وهب ، عن أبي حمزة الثماليّ ، عن عكرمة قال : لمّا نزلت : «والنجم إذا هوى» ، قال عتبة للنبيّ ﷺ : أنا أكفر بربّ النجم إذا هوى . فقال رسول الله ﷺ : اللهمّ أرسل عليه كلباً من كلابِك . قال : فقال ابن عبّاس : فخرج إلى الشام في ركب فيهم هَبَّار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة ، وهي مَسْبَعة ، نزلوا ليلاً ، فافترشوا صفّاً واحداً ، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلوني حُجْزة ؟ لا ، والله ، لا أبيت إلاّ وسطكم . فبات وسْطهم . قال هبار : فما أنبهني إلاّ السبع يشمّ رؤوسهم رجلاً رجلاً ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه في صدغيه ، فصاح : أيْ قوم ، قتلني دعوة محمد ، فأمسكوه ، فلم يلبث أن مات في أيديهم .

أخبرني الحسن بن الهيثم قال : حدَّثنا عليّ بن إبراهيم قال : حدَّثني الوليد بن وهب ، عن أبي حمزة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مثله . إلاّ أنّه قال : قال عتبة : أنا بريء من الذي

1 للفضل بن العبّاس اللهبي ترجمة في معجم الشعراء : 178 وفي المختلف والمؤتلف : 41 وشرح التبريزي 1 : 120 وسرح العيون : 191 وسمط اللآلي : 701 وانظر أعلام الزركلي .

2 في الروض الأنف أن الذي دعا عليه النبي فأكله الأسد هو عتيبة وأما عتبة فإنه أسلم .

«دنا فتدلّى» . قال : وقال هَبّار : فضغمه الأسد ضَغْمة ، فالتقت أنيابه عليه .

[بين الأحوص والفضل]

نسخت من كتاب ابن النطّاح عن الهيثم بن عديّ . وقد أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ في «كتاب الجوابات» قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، إلاّ أنّ رواية ابن النطّاح أتمّ ، واللفظ له ، قال : مرَّ الفضل اللّهَبيّ بالأحوص وهو ينشد ، وقد اجتمع الناس عليه ، فحسده ، فقال له : يا أحوص إنّك لشاعر ، ولكنّك لا تعرف الغريب ، ولا تُعرب . قال : بلى ، والله إنّي لأبصر الناس بالغريب والإعراب ، فأسْألك ؟ قال : نعم . قال : [من البسيط]

مـا ذاتُ حَبْـلٍ يراها الناس كلّهمُ — وَسْط الجحيم فلا تخفى على أَحدِ
كلّ الحِبالِ حبالِ الناسِ من شَعَرٍ — وحبلها وَسْطَ أُهـلِ النّارِ من مسدِ

فقال له الفضل بن العبّاس : [من البسيط]

ماذا أردتَ إلى شتمِي ومَنْقَصتي — مـاذا أُردت إلى حمَّالةِ الحطبِ ؟
أذْكَرْتَ بنتَ قُروم سادةٍ نُجُبٍ — كانت حليلة شيخ ثاقبِ النَّسبِ

فانصرف عنه .

[بين الفضل والحزين الديلي]

قال ابن النطاح : وحُدّثت أنّ الحزين الدِّيليّ مرّ بالفضل يوم الجمعة ، وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين : أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة ؟ فقال الفضل : ويْلَك يا حزين ! أتتعرّض لي ، كأنّك لا تعرفني . قال : بلى والله ، إنّي لأعرفك ، ويعرفك معي كلّ من قرأ سورة ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾ . وقال يهجوه : [من الوافر]

إذا مـا كنـت مفتخِراً بجَـد — فعـرِّج عـن أَبي لهبٍ قليلا
فقـد أَخزى الإله أباك دهـراً — وقَلَّـد عِرسه حبـلاً طويلا

فأعرض عنه الفضل ، وتكرّم عن جوابه . وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه .

[بينه وبين الفرزدق]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدَّثنا أبو عكرمة عامر بن عمران ، قال : دخل الفرزدق المدينة ، فنظر إلى الفضل بن العبّاس بن عُتبة ينشد : [من الرمل]

من يساجِلْني يساجِلْ ماجِدا — يملأُ الدلـو إلى عَقْدِ الكَرَبْ

فقال الفرزدق : مَن المنشِد ؟ فأُخبِر به ، فقال : ما يساجلُك إلاّ مَن عَضَّ بَظْر أُمِّه .

[الوليد يعطيه وسليمان يحرمه]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، قال : قدِمِ الوليد بن عبد الملك حاجّاً إلى مكّة وهو خليفة ، فدخل عليه الفضل بن العبّاس بن عتبة ، فشكا إليه كثرة العيال ، وسأله فأعطاه مالاً وإبلاً ورقيقاً . فلمّا مات الوليد وَلِيَ سليمان فحجّ ، فأتاه فسأله ، فلم يعطِه شيئاً ، فقال : [من الكامل]

يا صاحب العِيسِ التي رُحِلت ... محبوسة لعشيةِ النَّفْرِ
امرر على قبر الوليدِ فقل له ... صلَّى الإلـه عليك من قبرِ
يا واصل الرَّحم التي قُطِعت ... وأصابها الجَفَوات في الدهرِ
إنّي وجدت الخِلّ بعدك كاذباً ... فبرِئت من كذبٍ ومن غَدْرِ
ولقد مررت بنسوةٍ يندبنه ... بيضِ السواعدِ من بني فهرِ
تبكي لسيدها الأجل وما ... يبكين من نابٍ ولا بَكْرِ
يبكينه ويقلن : سَيِّدنا ... تاج الخلافة آخر الدهرِ
ماذا لقيتُ ، جزيتَ صالحة ... من جفوةِ الإخوان لو تدرِي

أخبرني وكيع بهذا الخبر ، قال : حدَّثني محمد بن علي بن حمزة قال : حدَّثنا أبو غسان قال : أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، قال : كان الفضل بن العبّاس منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك ، فلمّا مات الوليد جفاه سليمان وحرمه ، فقال : [من الكامل]

يا راكب العيسِ التي وُقِفت ... لِلنفرِ يوم صبيحةِ النحرِ

وذكر الأبيات . قال : وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاها كلّ سنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بقِي شارب الريح . قال : وما شارب الريح ؟ قال : حماري ، افرِض له شيئاً . ففرض له خمسة دنانير ، فأخذها ولم يكن يطعمه . فعمَد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصّة الحمار ، وعلّقها في عنقه ، وجاء بها إلى القاضي ، فأضحك منه الناس .

حدَّثنا اليزيديّ ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثني أبو الشكر مولى بني هاشم ، كوفيّ ظريف ، قال : كان الفضل بن العبّاس بخيلاً ، فقدِم عليّ بن عبد الله بن العبّاس حاجّاً ، فأتاه في منزله مسلماً عليه ، فقال له : كيف أنت ، وكيف حالك ؟ قال : بخير ، نحن في عافية . قال : فهل من حاجة ؟ قال : لا والله ، وإنّي لأشتهي هذا العنب ، وقد أغلاه علينا هؤلاء العُلوج . فغمز غلاماً له ، فذهب فأتاه بسَلّة عظيمة من عنب ، فجعل يغسل له عنقوداً عنقوداً ويناوله ، فكلّما فعل ذلك قال : بَرَّتك رحِم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمِّه ، قال : كان الفضل بن العبّاس بخيلاً ، وكان ثقيل البدن ، إذا أراد أن يمضي في حاجة استعار مركوباً ، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله ، فقال له بعض بني هاشم : أنا أشتري لك حماراً تركبه ، وتستغني عن العاريَّة . ففعل ، وبعث به إليه ، فكان يستعير له سرجاً إذا أراد أن يركبه ، فتواصى الناس بألاّ يعيره أحد سرجاً . فلمّا طال عليه ذلك ، اشترى سرجاً بخمسة دراهم ، وقال : [من الطويل]

ولمّـا رأيـت المـال مَـألف أهلِـهِ وصان ذوِي الأحساب أن يتبذّلوا

رجعـت إلى مالي فأعتبت بعضه فأعتبنـي إنّـي كذلـك أفعـلُ

ثم قال للذي اشترى له الحمار : إنّي لا أُطيق عَلَفه ، فإمّا أن تبعث إليّ علفه وإلاّ رددته . فكان يبعث إليه بعلَفٍ كل ليلة وشعير ، ولا يدع هو أيضاً أن يطلب من كلّ أحد يأنس بـه علفاً لحماره ، فيبعث به إليه ، فيعلفه التبن دون الشعير ، حتى هَزَل وعطِب . فرفع الحزينُ الكِنانيّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطّلب رقعة ، وكتب في رأسها قصّة حمار الفضل اللهبيّ ، وذكر فيها أنّه يركبه ويأخذ علفه وقضيمه من الناس ، ويعلفه التبن ، ويبيع الشعير ، ويأخذ ثمنه ، ويسأل أن يُنصَف منه . فضحك لمّا قرأ الرقعة ، وقال : لئن كنت مازحاً إنّي لأراك صادقاً . وأمر بتحويل حمار اللهبيّ إلى إصطبله ، ليعلِفه ويُقضِمه ، فإذا أراد ركوبه دُفِع إليه .

أخبرني وكيع قال : حدَّثني محمد بن سعد الشاميّ ، عن ابن عائشة ، قال : كان الفضل اللهبيّ بغير سرج ، فاستعار سرجاً ، فمطله الرجل ، حتى خاف أن تفوته حاجته ، فاشترى سرجاً ومضى لحاجته ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

ولمّا رأيت المـال مألف أهله

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئاً .

[منّة بني هاشم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ قال : كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ وهو والي البصرة ، وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كانت فيهم بقيّة حسنة في ذلك الدهر ، فأفاضوا في ذكر بني هاشم ، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيّه ﷺ ، فمن مُنشد شعراً ، ومتحدّث حديثاً ، وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم . فقال أبي : قد جمع هذا الكلامَ الفضلُ بن العبّاس اللَّهَبيّ في بيتٍ قاله ، ثم أنشد قوله : [من البسيط]

مـا بـات قومٌ كرام يدّعون يدا إلاّ لقومـي عليهـم مِنّـة ويـدُ

نحن السَّنام الذي طالت شظِيّته فما يخالطه الأدواء والعَمَدُ

فمن صلّى صلاتنا ، وذبح ذبيحتنا ، عرف أنّ لرسول الله ﷺ يداً عليه ، بما هداه الله عزّ وجلّ إلى الإسلام به ، ونحن قومه ، فتلك مِنّة لنا على الناس .

وفي هذين البيتين غِناء لابن محرز ، هَزَج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة . وقوله «وطالت شظيّته» ، الشظية : الشَّظى ، قال دريد بن العصمة[1] : [من الطويل]

سليم الشَّظى عَبْلُ الشَّوى شنِج النّسا أَمين القُوى نهدٌ طويل المقلَّدِ

والعمد : داء يُصيبُ البعير من مُؤْخر سنامه إلى عجزه ، فلا يُلْبِثه أو يقتلَه .

[مدح عبد الملك]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، قال : قدِم الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب ، على عبد الملك بن مروان ، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزياديّ : والله ما أسمع شعراً ، فلمّا كان العشيّ راح إليه الفضل ، فوقف بين يديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين : [من الطويل]

أتيتك خالاً وابن عمّ وعمّةٍ ولم آتِك شَعْباً لاطَه بك مِشعَبُ
فصِلْ واشجاتٍ بيننا من قرابة ألا صِلةُ الأرحام أبقى وأقربُ
ولا تجعلنّي كامرىء ليس بينه وبينكمُ قربى ولا متنسَّبُ
أتحدِب من دون العشيرة كلّها فأنت على مولاك أحنى وأحدبُ

فقال الزياديّ : هذا ، والله يا أمير المؤمنين ، الشعر ! فقال عبد الملك : النَّخْس يكفيك البطيء[2] . وجعل يضحك من استرسال الزياديّ في يده . وأحسن صلته .

[عطية الأحيحي]

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني النوفليّ قال : حدَّثني عمّي قال : لمّا قدِم الفضل اللّهَبيّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حجّ الوليد فأمر له بمثلها . فلمّا قدِم الأُحيحيّ على المهديّ فمدحه ، قال المهديّ لمَن حضر : كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللّهَبيّ لما مدحه ، فما أعلم هاشميّاً مدحه غيره ؟ فقيل له : أعطاه عشرة آلاف

1 الشظية : القطعة من كل شيء والقطعة المرتفعة في رأس الجبل . والشظى : عظم دقيق لاصق بالذراع . والشوى : اليدان والرجلان . وشَنِج النَّسا : متقبض عرق النسا فلا تسترخي رجلاه .

2 المثل «النخس يكفيك البطيء» في مجمع الميداني 2 : 346 .

درهم . قال : فكم أعطاه الوليد ؟ قالوا : مثل عطيّة أبيه . فأمر للأُحَيحيّ بثلاثين ألف درهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني أحمد بن معاوية ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ ، قال : خرج عليّ بن عبد الله بن العبّاس بالفضل اللهبيّ إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له ، ومعه حاد يحدو به وعليّ بن عبد الله يسايره على نجيب له ، ومعه بغلة تُجنَب ، فحدا حادي عبد الملك به ، فقال : [من الرجز]

يــا أيّها البكــر الذي أراكا عليك سهلَ الأرض في ممشاكا
ويلَــك هل تعلــم مَن علاكا إن ابــن مــروان على ذُراكا
خليفــة الله الــذي امتطاكا لم يَعْلُ بكراً مثـلُ مَن علاكا

فعارضه الفضل اللَّهَبيّ ، فحدا بعليّ بن عبد الله بن عبّاس ، فقال : [من الرجز]

يــا أيّها السائــل عن عليّ سألت عــن بــدر لنا بدرِيّ
أغلــبَ في العليــاء غلاَّبــي وليِّــن الشيمــةِ هاشميّ
جــاء على بكر لــه مَهْرِيّ

فنظر عبد الملك إلى عليّ فقال : أهذا مجنون آل أبي لهب ؟ قال : نعم . فلمّا أُعطى قريشاً مرّ به اسمه فحرمه ، وقال : يعطيه عليّ . هكذا رواية عُمر بن شبة .

[غضب عليه سليمان]

وأخبرني ابن عمّار بهذا الخبر عن عليّ بن محمد بن النوفليّ عن عمّه : أنّ سليمان بن عبد الملك حجَّ في خلافة الوليد ، فجاء إلى زمزم فجلس عندها ، ودخل الفضل اللَّهبيّ يستقي ، فجعل يرتجز ويقول : [من الرجز]

يــا أيّها السائــل عــن عليّ سألــت عــن بدرٍ لنا بدريٌّ
مقــدَّم في الخير أبطحِــيٌّ ولـــينِ الشيمـــةِ هاشميٌّ
زمزمَنــا بوركــتِ من ركيٌّ بورِكــتِ للساقــي وللمسقيٌّ

فغضب سليمان ، وهم بالفضل . فكفّه عنه عليّ بن عبد الله ، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية ، فأعطاه إيّاه ، وسأله أن يشربه ، فأخذه من يده كالمتعجّب ، ثم قال : نعم إنّه يستحبّ ، ووضعه في يده ولم يشربه . فلمّا وَلِيَ الخلافة وحجّ لقيه الفضل ، فلم يعطه شيئاً .

[بينه وبين الحارث بن خالد]

نسخت من كتاب ابن النطاح ، قال : ذكر أبو الحسن المدائنيّ أنّ الحارث بن خالد المخزوميّ ، كان يحسد الفضل اللَّهَبيّ على شعره ويعاديه ، لأنّ أبا لهب كان قامر جدّه العاصي بن

هشام على ماله فقَمَره ، ثم قامره على رِقَةٍ فقَمَره ، فأسلمه قَيْناً ، ثم بعث به بديلاً يوم بدر ، فقتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فكان إذا أنشد شيئاً من شعره يقول : هذا شعر ابن «حَمّالة الحطب» . فقال الفضل في ذلك : [من البسيط]

ماذا تحاول من شتمي ومَنقصتي ... ماذا تُعَيِّر من حمالة الحطبِ
غراء سائلة في المجد غُرتها ... كانت حليلة شيخ ثاقب النسبِ
إنا وإن رسول الله جاء بنا ... شيخ عظيم شُئُونِ الرأس والنشبِ
يا لعن الله قوماً أنت سيدهم ... في جلدة بين أصل الثِّيل والذنبِ[1]
أبالقيون توافيني تفاخِرني ... وتدَّعي المجد قد أفرطتَ في الكذبِ
وفي ثلاثةِ رهطٍ أنت رابعهم ... توعدني واسطاً جرثومةَ العربِ
في أسرة من قريش هم دعائهما ... تشفي دماؤهمُ للخَبْل والكَلَبِ
أما أبوك فعبدٌ لستَ تنكره ... وكان مالكَه جدي أبو لهبِ
النبعُ عيداننا والمجدُ شِيمتنا ... لسنا كقومِك من مَرْخ ولا غَرَبِ

[بينه وبين عقرب الحناط]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيد الله بن محمد ، عن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : كان رجل من بني كنانة يقال له عَقْرَبُ حَنّاط قد داين الفضل اللّهَبيّ فمطله ، ثم مرَّ به الفضل وهو يبيع حِنطة له ، ويقول : [من الرجز]

جاءت بها ضابطة التِّجارِ ... صافية كقطع الأوتارِ

فقال الفضل : [من السريع]

قد تَجَرت عَقْربُ في سوقنا ... يا عَجَبا للعقربِ التاجرَهْ
قد ضاقتِ العقربُ واستيقنت ... أنْ مالها دنيا ولا آخرَهْ
فإن تعدْ عادت لما ساءها ... وكانتِ النعلُ لها حاضرَهْ
إنَّ عدُوّاً كيدُه في استِهِ ... لَغَيرُ ذي كيدٍ ولا نائرَهْ
كلّ عدوّ يُتَّقى مقبلاً ... وعقْرب تُخْشى من الدابرَهْ
كأنّها إذ خرجت هَوْدجٌ ... شَدَّت قُواه رُفْقة باكرَهْ

1 الثيل : وعاء قضيب البعير والتيس .

[بينه وبين عمر بن ربيعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا دماذ أبو غسان ، عن أبي عبيدة . ووجدته في بعض الكتب عن الرياشيّ عن زكويه العلائيّ عن ابن عائشة عن أبيه ، والروايتان كالمتفقتين : أنّ عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان ، فأدخِل عليه ، فسأله عن نسبه ، فانتسب ، فقال له : [من الرجز]

لا أنعـم الله بقَيْن عينا تحيّة السخطِ إذا التقينا

أأنت لا أُمّ لك القائل : [من الطويل]

صوت

نظـرت إليهـا بالمحصَّب مِن مِنًـى ولي نظـر لـولا التحـرُّج عارِمُ
فقلـت : أشمس أم مصابيح بِيعةٍ بدت لك خلف السجفِ أم أنت حالمُ
بعيدةُ مَهْوى القُـرطِ إمّـا لنوفل أبوهـا وإمّـا عبـدُ شمس وهاشِمُ

الغناء لابن سريج : رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة ، ومن رواية حمّاد بن إسحاق عن أبيه . ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق : ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، أوّلـه :

بعيـدة مهْـوى القـرط إمّا لنوفل

وفي لحن معبد خاصة قوله :

ومـدّ عليها السجف يـوم لقيتها عـلى عجـلٍ تُبّاعها والخوادمُ

وتمام الشعر :

فلم أستطعها غير أنْ قـد بدا لنا عشيـة راحـت كفُّها والمعاصمُ
معاصم لم تضرب على البَهْم بالضُّحى عصاها ، ووجه لم تَلُحْه السَّمائمُ

نرجع إلى سياقة الخبر

ثم قال له عبد الملك : قاتلك الله ! ما ألأمك ! أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عنه بنات عمِّك ! فقال عمر : بئست والله هذه التحيّة يا أمير المؤمنين لابن العمّ ، على شَحْط الدار ، ونأي المزار . فقال له عبد الملك : أراك مرتدِعاً عن ذلك فقال : إنّي إلى الله تعالى تائب . فقال عبد الملك : إذن يتوبَ الله عليك ، وسيحسن جائزتك . ولكن أخبرني عن منازعتك اللَّهَبيّ في المسجد الجامع ، فقد أتاني نبأ ذلك ، وكنت أحبّ أن أسمعه منك . قال عمر : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا جالس في المسجد الحرام ، في جماعة من قريش ، إذ دخل علينا الفضل بن

العبّاس بن عتبة ، فسلّم وجلس ، ووافقني وأنا أتمثّل بهذا البيت : [من الوافر]

وأصبح بطنُ مكــة مقشعِرًّا كأن الأرضَ ليسَ بهـا هِشام

فأقبل عليّ وقال : يا أخا بني مخزوم ، والله إن بلدة تبحبَحَ بها عبد المطّلب ، وبُعِث منها رسول الله ﷺ ، واستقرّ بها بيت الله عزّ وجلّ ، لحقيقة ألا تَقْشَعِرّ لهشام ، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قولُ مَن يقول : [من الرمل]

إنّمـا عبـد منـاف جوهر زَيَّنَ الجوهــرَ عبدُ المطّلِبْ

فأقبلت عليه فقلت : يا أخا بني هاشم ، إنّ أشعر من صاحبك الذي يقول : [من البسيط]

إنّ الدليـل على الخيراتِ أجمعِها أبناءُ مخزومَ ، للخيرات مخزومُ

فقال لي : أشعر والله من صاحبك الذي يقول : [من البسيط]

جبريلُ أهدى لنا الخيراتِ أجمعَها إذ أمَّ هاشمَ لا أبنـاءَ مخـزومِ

فقلت في نفسي : غلبني والله . ثم حملني الطمع في انقطاعه عليّ ، فخاطبته فقلت : بل أشعر منه الذي يقول : [من المنسرح]

أبنـاء مخـزومٍ الحريـقُ إذا حرّكتـه تـارة تـرى ضَرَما

يَخرج منـه الشَّرارُ معْ لَهَبٍ مـن حاد عن حَرِّه فقد سلِما

فوالله ما تلعثم أن أقبل عليّ بوجهه فقال : يا أخا بني مخزوم ، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول : [من المنسرح]

هاشمُ بحـر إذا سمـا وطما أخمـد حَـرَّ الحريق واضطرما

واعْلَـم وخير المقـال أصدقُه بأنّ مـن رام هاشماً هُشِما

قال : فتمنّيت والله يا أمير المؤمنين أنّ الأرض ساختْ بي ، ثم تجلّدت عليه فقلت : يا أخا بني هاشم ، أشعر من صاحبك الذي يقول : [من المنسرح]

أبنـاءُ مخـزومَ أنجمٌ طلعتْ للنّاس تجلـو بنورهـا الظُّلَما

نجود بالنَّيـل قبـلَ تُسْأَلـه جُـوداً هنيئاً وتضربُ البُهَما

فأقبل عليّ بأسرع من اللحظ ، ثم قال : أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول : [من المنسرح]

هاشمٌ شمسٌ بـالسَّعْدِ مَطْلَعها إذا بَدَت أخفت النجومَ مَعا

اختار منهـا ربِّـي النبيَّ فمن قارَعَهـا بعـد أحمدٍ قُرِعا

فاسودَّت الدنيا في عيني ، ودِير بي ، وانقطعت ، فلم أحِر جواباً . ثم قلت له : يا أخا بني

هاشم ، إن كنت تفخر علينا برسول الله ﷺ ، فما يسعنا مفاخرتك . فقال : كيف ؟ لا أمّ لك ، والله لو كان منك لفخرتَ به عليّ . فقلت : صدقتَ وأستغفر الله ، إنّه لموضع الفَخار . وداخلني السرور لقطعه الكلام ، ولئلاّ ينالني عَوَز عن إجابته فأفتضح . ثم إنّه ابتدأ بالمناقضة ، فأفكر هنيهة ، ثم قال : قد قلتَ فلم أجدْ بُدّاً من الاستماع ، فقلت : هات . فقال : [من الكامل]

نحـنُ الذيـن إذا سما لِفَخارهم ... ذو الفخر أقعـده هناك القُعْدُدُ[1]
افخَـر بنـا إن كنتَ يوماً فاخراً ... تَلْـقَ الأُلى فخروا بفخرك أُفْرِدوا
قـلْ يا ابن مخزومٍ لكلّ مفاخرٍ ... منّا المبـاركُ ذو الرسالـة أحمدُ
مـاذا يقول ذوو الفَخار هُنالِكُمْ ... هَيهاتَ ذلك ، هـل ينالُ الفرقَدُ

فحصِرت والله وتبلّدت ، وقلت له : إن لك عندي جواباً فأنظرني . وأفكرت مَلِيّاً ، ثم أنشأت أقول[2] : [من الكامل]

لا فَخْـرَ إلاّ قـد عـلاه محمدٌ ... فإذا فخـرتَ بـه فإنّـي أشهدُ
أنْ قَدْ فخرتَ وفُقْت كلَّ مفاخرٍ ... وإليك في الشرف الرفيعِ المَعْمدُ
ولنا دعائـم قـد بناهـا أوّلٌ ... في المكرمات جـرى عليها المَوْلدُ
مَنْ رامهـا حاشى النبـيَّ وأهله ... بالفخر غطمطـه الخليجُ المُزْبِدُ[3]
دَعْ ذا ورُحْ لِغنـاء خَوْدٍ بَضّةٍ ... ممّـا نطقـتَ بـه وغَنّى مَعْبدُ
معْ فتيـة تَنْدى بطـونُ أكفّهم ... جُـوداً إذا هَـرَّ الزمانُ الأنكَدُ[4]
يتناولـون سُلافـة عانيـةً ... طابت لشاربهـا وطـاب المَقْعَدُ

فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد أجابني بجواب كان أشدّ عليّ من الشعر . قال لي : يا أخا بني مخزوم ، أريك السُّها وتريني القَمَر[5] ، قال أبو عبد الله اليزيديّ[6] : أدُلّك على الأمر الغامض ، وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح . وهذا مَثَلٌ ، أتخرج من المفاخرة إلى شرب الرّاح ، وهي

1 القعدد : اللئيم الخامل .
2 ديوان عمر : 117 مع بعض اختلاف .
3 غطمطه : اضطربت به أمواجه .
4 هر : ساء خلقه واشتدّ .
5 المثل «أريها استها وتريني القمر» في مجمع الميداني 1 : 291 ومستقصى الزمخشري 1 : 147 وجمهرة العسكري 1 : 142 .
6 هو محمد بن العبّاس اليزيدي .

الخمر المحرمة ؟ فقلت له : أَما علمت أصلحك الله أنّ اللهَ عزّ وجلّ يقول في الشعراء : ﴿وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾ . فقال : صدقت ، وقد استثنى الله قوماً منهم ، فقال : «إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء ، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها ؛ وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أُعظم من شرب الخمر . فقلت : أصلحك الله ، لا أجِد للمستخذي شيئاً أصلح من السكوت . فضحك وقال : أُستغفر الله . وقام عنّي .

قال : فضحك عبد الملك حتى استلقى ، وقال يا ابن أَبي ربيعة ، أَما علمت أَنّ لبني عبد مناف ألسنة لا تطاق ، ارفع حوائجك . قال : فرفعتها فقضاها ، وأَحسن جائزتي وصرفني .

واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العبّاس .

317 ـ [خليدة المكيّة]

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتي ممّن ذكرت صنعته في هذا الخبر

[خليدة المكيّة]

منهم خُليدة المكيّة ، وهي مولاة لابن شَمّاس ، كانت هي وعقيلة ورُبيحة يعرفن بالشماسيات ، وقد أخذن الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك .

فأخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن عمِّه قال : كانت لهشام بن عُروة جَفنة يُصيب منها هو وبنوه ناحية ، وكان محمد بن هشام يصنع الطعامَ الرقيق ، فيشير إليهم ، فيمسكون عن الأكل ، فيفطُن هِشام ، فيقول : لقد حدث شيء ، ثم يقوم محمد ، فيتسلَّل القوم إليه ، وجاءت خُليدة المكيّة ، فصعِدُوا غُرفة ، فلمّا غَنَّت إذا حَفْز[1] ونفس ، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد : [من الرجز]

يـــا قدمـــيّ ألحقاني بالقومْ لا تَعِداني كَسَلا بعد اليومْ

فلمّا رآهم ، قال : أحسبه قد جلس معهم . وقال لخُليدة : غني . فغنّت . فقال لها : اكتبي في صدرك «قل هو الله أحد والمعوَّذتين» لا تصيبك العين .

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خُرْداذبه قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، عن الفضل بن الربيع قال : ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خُلَيدة المكيّة ، وكانت سوداء ، وفيها يقول الشاعر : [من الخفيف]

فَتَنَـت كاتبَ الأَميرِ رِياحا يـــا لقـــومٍ خُلَيـدة المكيَّهْ

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطّه ، قال : حدَّثني عمر بن شبّة قال : بلغني أنّ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان أرسل إلى خليدة المكيّة أبا عون مولاه يخطبها عليه . فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رِقاق لا تسترها ، ثم وثبت ، فقالت : إنّما ظننتك بعض سفهائك ، ولكنّي ألبس لك ثياب مِثلك ، ثم أخرج إليك . ففعلت . وقالت : قل . قال : أرسلني إليك مولاي ، وهو من تَعلمين بين رسول الله ﷺ وبين عليّ وعثمان ، وهو ابن عمّ أمير المؤمنين ،

1 الحفز : الدفع وتتابع النفس في الصدر .

يخطبك . وقالت : قد نسبته فأبلغت ، فاسمع نسبي أنا ، بأبي أنت . إنّ أبي بِيع على غير عَقْد الإسلام ولا عهده ، فعاش عبداً ، ومات وفي رجله قيد ، وفي عنقه سلسلة ، وعلى الإباق والسرقة ؛ وولدتني أُمّي على غيرِ رِشدة ، وماتت وهي آبقة ، فأنا مَن تعلم . فإن أراد صاحبك نكاحاً مُباحاً ، أو زناً صُراحاً ، فهلمّ إليه ، فنحن له . فقال : إنّه لا يدخل في الحرام . قالت : ولا ينبغي أن يستحِيَ من الحلال . فأمّا نكاح السِّر فلا . والله لا فعلته ، ولا كنت عاراً على القِيان . قال : فأتيت محمداً فأخبرته ، فقال : ويلك ! أتزوّجها مُعْلِناً وعندي بنت طلحة بن عُبيد الله ! لا . ولكن ارجع إليها ، فقل لها تختلف إليّ أردد بصري فيها ، لعلّي أسلو . فرجعت فأبلغتها الرسالة ، فضحكت ، وقالت : أما هذا فنعم . لسنا نمنعه منه .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ ليلٍ ناعمٍ أحييتُه ... في عفافٍ عند قبّاء الحشى
ونهارٍ قد لهونا بالتي ... لا نرى شبهاً لها فيمن مَشى
لِطلوعِ الشمس حتى آذنت ... بغروب عند إبان العِشا
لِسُلَيمى ما دعت قُمْرِيّة ... بهديل فوق غصن من غَضى
وعُقَارٍ قهوةٍ باكرتُها ... في ندامى كمصابيح الدُّجى
وجواد سابح أقحمته ... حَوْمة الموت على زُرق القَنا

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد ، فيما ذكر الزُّبير بن بكّار . وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ . وخالدُ بن كلثوم : أنّه لابنه خالد بن المهاجر . والغناء لابن محرز ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ؛ وفيه لإبراهيم الموصليّ لحنان ، أحدهما هزج خفيف بالسبابة ، في مجرى البنصر ، عن إسحاق وابن المكّيّ ، والآخر رمل بالبنصر ، عن عمرو وابن المكّيّ والهشاميّ . وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر ، عن ابن المكّيّ . قال : وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر ، نشيد مسجح ، ووافقه عمرو والهشاميّ ، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنّه لابن محرز ، والمعمول عليه الرواية الثانية .

[318] ـ أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وكان الوليد بن المغيرة سيّداً من سادات قريش ، وجواداً من جُوَدائها . وكان يلقّب بالوَحيد . وأُمّه صَخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس ، امرأة من بَجيلة ، ثم من قَسْر . ولّما مات الوليد بن المغيرة أرّخت قريش بوفاته مدّة ، لإعظامها إيّاه ، حتى كان عام الفيل ، فجعلوه تاريخاً . هكذا ذكر ابن دأب .

وأمّا الزُّبير بن بكّار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤمَّلي ، أنّها كانت تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين ، إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة ، فأرّخوا بها .

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والغَناء في حروبه المحل المشهور ، ولقّبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سيف الله ، وهاجر إلى النبيّ ﷺ قبل الفتح وبعد الحُدَيْبية هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة . فقال النبيّ ﷺ لّما رآهم : رمتكم مكّة بأفلاذ كبدها . وشهد فتح مكّة مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ؛ فكان أوّل مَن دخلها في مُهاجِرة العرب من أسفل مكة ، وشهد يوم مُؤْته . فلمّا قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة ، ورأى ألا طاقة للمسلمين بالقوم ، انحاز بهم ، وحامَى عليهم حتى سلموا ، فلقّبه يومئذٍ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : سيف الله .

حدَّثنا بذلك أُجمع الحِرْميّ بن أبي العلاء والطوسيّ عن الزُّبير بن بكّار .

وكان خالد يوم حنين في مقدّمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومعه بنو سليم ، فأصابته جِراح كثيرة ، فأتاه الله ﷺ بعد هزيمة المشركين ، فنَفَث على جراحه ، فاندملت ونهض . وله آثار في قتال أهل الرِّدَّة ، في أيّام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة ، يطول ذكرها . وهو فَتَح الحِيرة ، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة ، فكلّمه خالد ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من ورائي . قال : وأين تريد ؟ قال : أمامي . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل وامرأة . قال : فأين أقصى أثرك ؟ قال : منتهى عمري . قال : أتعقل ؟ قال : نعم ، وأُقيِّد . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها نتّقي بها السفيه حتى يردعه الحليم . قال : لأَمر ما اختارك قومك ، ما هذا في يدك ؟ قال : سَمُّ ساعة . قال : وما تصنع به ؟ قال : أردت أن أنظر ما تردني به : فإن بلغتُ ما فيه صلاح لقومي عدت إليهم ، وإلاّ شربته ، فقتلت نفسي ، ولم أرجع إلى قومي بما يكرهون . فقال له خالد : أرنيه . فناوله إيّاه . فقال خالد : باسم الله لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، ثم أكله ، فتجللته غشية ، ثم أفاق يمسح

العرق عن وجهه . فرجع ابن بُقيلة إلى قومه ، فأخبرهم بذلك ، وقال : ما هؤلاء القوم إلاّ من الشياطين ، وما لكم بهم طاقة ، فصالِحوهم على ما يريدون . ففعلوا .

أخبرني بذلك إبراهيم بن السريّ ، عن يحيى التميميّ ، عن أبيه ، عن شعيب بن سيف . وأخبرني به الحسن بن عليّ عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد ، عن الواقديّ .

وأمّره أبو بكر على جميع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم ، وفيهم أبو عُبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جَبَل ، فرضوا به وبإمارته .

قالوا : وكان رسول الله ﷺ قد حَلَق رأسه ذات يوم ، فأخذ خالد شَعره ، فجعله في قلنسوة له ، فكان لا يَلقى جيشاً وهي عليه إلاّ هزمه .

وروى عن النبيّ ﷺ الحديث ، وحُمل عنه . ورآه النبيّ ﷺ مُتدلّياً من هَرْشى فقال : نِعْم الرجل خالد بن الوليد .

أخبرنا بذلك الطوسيّ والحِرْميّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن أبي سعيد المقبريّ ، عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال ذلك له .

[ما صنعه النساء عند موت خالد]

قال الزُّبير : وحدَّثني محمد بن سَلاّم ، عن أَبان بن عثمان قال : لمّا مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلاّ وضعت لِمَّتها على قبره ، يعني حلقت رأسها ، ووضعت شعرها على قبره .

قال ابن سلاّم : وقال يونس النحويّ : إنّ عمر رضي الله عنه قال حينئذٍ : دعوا نساء بني المغيرة يَبكين أبا سليمان ، ويُرِقن من دموعهن سَجْلاً أو سجلين ، ما لم يكن نقع أو لقلقة .

قال : والنقع : مد الصوت بالنحيب . واللقلقة : حركة اللسان بالولولة ونحوها .

[أشبه الناس بعمر]

قال الزُّبير ، فيما ذكره لي مَن رويت عنه : حدَّثني محمد بن الضَّحاك عن أبيه : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان أشبَه الناس بخالد بن الوليد ، فخرج عمرُ سَحَراً ، فلقيه شيخ ، فقال له : مَرْحَباً بك يا أبا سليمان ، فنظر إليه عمر ، فإذا هو عَلقمة بن عُلاثة ، فردّ عليه السلام . فقال له علقمة : عزلك عمر بن الخطّاب ؟ فقال له عمر : نعم . قال : ما شَبِع ، لا أشبع الله بطنه ! قال له عمر : فما عندك ؟ قال : ما عندي إلاّ السمع والطاعة .

فلمّا أصبح عمر دعا بخالد ، وحضره علقمة بن عُلاثة ، فأقبل على خالد ، فقال له : ماذا قال لك علقمة ؟ قال : ما قال لي شيئاً . قال : اصدُقْني . فحلفَ خالد بالله ما لقيه ، ولا قال له شيئاً . فقال له علقمة : حِلاً أبا سليمان . فتبسّم عمر ، فعلِم خالد أنّ علقمة قد غلط ، فنظر إليه ،

وفَطَن عاقمة ، فقال له : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فاعفُ عنّي ، عفا الله عنك . فضحك عمر وأخبره الخبر .

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن شيخ من أهل الحجاز ، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد ، وعن أبي ذئب ، عن أبي سهيل أو ابن سهيل : أنّ معاوية لمّا أراد أن يُظْهر العهْد ليزيد ، قال لأهل الشام : إنّ أمير المؤمنين قد كَبِرت سنّه ، ورقّ جِلده ، ودقّ عظمه ، واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم ، فمَن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت وأضمرها ، ودسّ ابن أُثال الطبيب إليه ، فسقاه سمّاً فمات . وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبرُه وهو بمكّة ، وكان أسوأ الناس رأياً في عَمِّه ، لأنّ أباه المهاجر كان مع عليّ عليه السلام بصِفِّين ، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه : هاشميّ المذهب ، ودخل مع بني هاشم الشِّعْب ، فاضطغن ذلك ابنُ الزبير عليه ، فألقى عليه زِق خمر ، وصبَّ بعضه على رأسه ، وشَنَّع عليه بأنّه وجده ثَمِلاً من الخمر ، فضربه الحدّ . فلمّا قُتِل عمّه عبد الرحمن مَرَّ به عروة بن الزّبير ، فقال له : يا خالد ، أتدع ابن أُثال يُنْقِي[1] أوصال عمّك بالشام وأنت بمكّة مُسْبِلٌ إزارك ، تجره وتخطِر فيه متخايلاً ؟ فحمي خالد ، ودعا مولى له يدعى نافعاً ، فأعلمه الخبر ، وقال له : لا بدّ من قتل ابن أُثال ؛ وكان نافع جَلْداً شهماً .

فخرجا حتى قدِما دمشق ، وكان ابن أُثال يُمْسي عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة ، وجلس غلامه إلى أُخرى ، حتى خرج . فقال خالد لنافع : إيّاك أن تعرض له أنت ، فإني أضربه ، ولكن احفظ ظهري ، واكْفِني من ورائي ، فإن رابَك شيء يريدني من ورائي فشأنك . فلمّا حاذاه وثَب عليه فقتله ، وثار إليه مَن كان معه . فصاح بهم نافع فانفرجوا ، ومضى خالد ونافع ، وتبعهما مَن كان معه ، فلمّا غَشَوْهما حملا عليهم ، فتفرّقوا ، حتى دخل خالد ونافع زُقاقاً ضيقاً ، ففاتا القوم . وبلغ معاوية الخبر ، فقال : هذا خالد بن المهاجر ، اقلبوا الزُّقاق الذي دخل فيه . ففُتّش عليه ، فأُتِي به . فقال : لا جزاك الله من زائر خيراً ، قتلت طبيبي . قال : قتلت المأمور وبقي الآمِر . فقال له : عليك لعنة الله ! أَما والله لو كان تَشَهَّد مرّة واحدة لقتلتك به ، أمعك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى والله ما اجترأت إلاّ به . ثم أمر بطلبه فوُجِد ، فأُتي به ، فضربه مِئة سوط . ولم يُهجْ خالداً بشيء أكثر من أن حبسه ، وألزم بني مخزوم دية ابن أُثال ، اثني عشر ألف درهم . أدخل بيتَ المال منها ستّة

1 ينقي العظام : يخرج مخها .

آلاف درهم ، وأخذ ستّة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد ، حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي يأخذُه السلطان لنفسه ، وأثبتَ الذي يدخل بيت المال .

وخالد بن المهاجر الذي يقول : [من الكامل]

صوت

يـا صاحِ يا ذا الضامِرِ العَنْسِ والرحلِ ذي الأنساعِ والحِلسِ
سَيْرَ النهـارِ ولستَ تاركـه وتُجِـدُّ سَيراً كلّما تمسي

في هذين البيتين وبيت ثالث لم أجِده في شعر المهاجر ، ولا أدري أهو له أم ألحقه به المغنون ، لحنان : ثقيل أوّل ، وخفيف ثقيل . ذكر يونس أنّ أحدهما لمالك ، ولم يذكر طريقة لحنه ، ووجدته في جامع غناء معبد ، عن الهشاميّ . ويحيى المكّيّ له فيه خفيف ثقيل . وهكذا ذكر عليّ بن يحيى أيضاً ، ولعلّه رواه عن ابن المكّيّ . وإن كان هذا لمعبد صحيحاً ، فلحن مالك هو الثقيل الأوّل . وذكر حبش ، وهو ممّن لا يحصل قوله : أن لحن معبد ثقيل أوّل بالوسطى .

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

[ضجره من الحبس]

قال : ولمّا حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحَبْس : [من مجزوء الكامل]

إمّـا خُطـايَ تقارَبَتْ مَشْيَ المقيَّـد في الحِصارِ
فبمـا أُمَشّي في الأبـا طِـح يقتفـي أثرى إزارِي
دع ذا ولكنْ هـل ترى نـاراً تُشَبُّ بـذي مُرارِ[1]
مـا إن تُشَبُّ لِقُـرَّة للمصطلـين ولا قُتـارِ
مـا بـالُ ليلكَ ليس يَنْـ ـقُص طُولَـه طولُ النّهارِ
أتقاصـر الأزمـانُ أم غَرَضِ الأسيرِ من الإسارِ[2]

[تحريضه على قتل ابن جرموز]

قال : فبلغت أبياتُه معاويةَ ، فرقّ له وأطلقه . فرجع إلى مكّة . فلمّا قدمها لقِي عروة بن الزُّبير ، فقال له : أما ابن أُثال فقد قتلتُه ، وذاك ابن جُرموز يُنْقي أوصال الزُّبير بالبصرة ، فاقتله إن كنتَ ثائراً . فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فأقسم عليه أن يمسِك عنه ، ففعل .

---

1 ذو مرار : أرض كثيرة المرار ، وهو حمض تأكله الإبل .
2 غرض : ضجر وقلق .

[غنّى إبراهيم بن المهديّ في شعر للمهاجر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني يعقوب بن نعيم قال : حدَّثني إسحاق بن محمد قال : حدَّثني عيسى بن محمد القَحْطَبيّ قال : حدَّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : غنّى إبراهيم بن المهديّ يوماً بحضرة المأمون وأنا حاضر : [من الكامل]

يـا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ والرحلِ ذي الأقتابِ والحِلْسِ

قال : وكانت لي جائزة قد خرجت ، فقلت : تأمر سيّدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي ، فهو أحبّ إليّ منها ؟ فقال له : يا عمّ ، ألقِ هذا الصوت على محمد . فألقاه عليّ حتى إذا كدت أن آخُذه قال : اذهب فأنت أحذقُ الناس به . فقلت : إنّه لم يصلح لي بعد . قال : فاغدُ غداً عليّ . فغدوت عليه ، فأعاده ملتوياً ، فقلت له : أيّها الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ؛ أنت ابن الخليفة ، وأخو الخليفة ، وعمّ الخليفة ، تجود بالرغائب ، وتبخل عليّ بصوت ؟ فقال : ما أحمَقك ! إنّ المأمون لم يستبقني محبّة لي ، ولا صلة لرحمي ، ولا لِيَرُبَّ المعروف عندي ، ولكنّه سمع من هذا الجِرْم ما لم يسمعه من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون بمقالته . فقال : إنّا لا نكدِّر على أبي إسحاق عفونا عنه ، فدعه . فلمّا كانت أيّام المعتصم نشِط للصَّبوح يوماً ، فقال : أحضروا عمّي . فجاء في دُرّاعة بغير طَيْلَسان ، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سرّاً ، فقال : يا عمّ غنِّني : [من الكامل]

يـا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ والرحلِ ذي الأقتاب والحلسِ

فغنّاه . فقال : ألقه على محمد ، فقال : قد فعلت ، وقد سبق منّي قول ألاّ أُعيدَه عليه . ثم كان يتجنّب أن يغنّيه حيث أحضُر .

صوت

[من المنسرح]

أقفَـر بعــد الأحبّــة البلَدُ فهْـو كأنْ لم يكنْ بـه أحدُ
شَجاك نُـؤْيٌ عَفَت معالِمُهُ وهامــدٌ في العِـراص مُلتبدُ
أُمُّـــك عَنْسيــة مهذَّبــة طابت لهـا الأُمَّهاتُ والقَصَدُ
تُدْعى زهيريــة إذا انتسبتْ حيث تلاقى الأنسابُ والعَدَدُ

الشعر لحمزة بن بِيض ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن عباد ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو وابن المكيّ .

[319] ـ أخبار حمزة بن بيض ونسبه[1]

حمزة بن بِيض الحَنفيّ : شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، كوفيّ خليع ماجن ، من فحول طبقته . وكان كالمنقطع إلى المهلّب بن أبي صُفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بُرْدة . واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً ، ولم يدرك الدولة العباسية .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أبو هفّان قال : أخبرني أبو محلم عن المفضل قال : أخذ حمزة بن بِيض الحنفيُّ بالشعر ألف ألف دِرهم ، من مال وحُملان وثياب ورقيق وغير ذلك .

[ممازحة بلال بن أبي بردة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني أبو تَوبة ، قال : قدِم حمزة بن بِيض على بِلال بن أبي بُردة ، فلمّا وصل إلى بابه قال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بِيض الحنفيّ ، فدخل الغلام إلى بِلال ، فقال : حمزة بن بِيض بالباب . وكان بلال كثير المزح معه ، فقال : اخرج إليه فقل : حمزة بن بِيض ابن مَن ؟ فخرج الحاجب إليه ، فقال له ذلك . فقال : ادخل فقل له : الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد ، تسأله أن يهب لك طائراً ، فأدخلك وناكك ، ووهب لك طائراً . فشتمه الحاجب . فقال له : ما أنت وذا ؟ بعثك برسالة ، فأخبره بالجواب . فدخل الحاجب وهو مغضَب ، فلمّا رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك قبَحه الله ؟ قال : ما كنت لأخبر الأمير بما قال . فقال : يا هذا ، أنت رسول فأدِّ الجواب . قال : فأبى . فأقسم عليه حتى أخبره . فضحك حتى فحص برجله ، وقال : قل له : قد عرفنا العلامة فادخل ، فدخل فأكرمه ، ورفعه ، وسمع مديحه ، وأحسن صلته .

قال : وأراد بقوله (ابن بِيض ابن مَنْ ؟) قول الشاعر فيه : [من البسيط]

أنت ابن بِيض لعمري لستُ أُنكره وقد صدقت ، ولكن مَن أبو بِيض ؟

[مديحه مخلد بن يزيد]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسن الأحول ، عن الأثرم ، عن أبي عمرو ، وأخبرني وكيع قال : حدَّثني عُبيد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان ، قال : حدَّثني أبو الحسن الشَّيبانيّ قال : حدَّثني شعيب بن صفوان ، قال : قدِم حمزة بن بِيض على مَخْلد بن

1 لحمزة بن بيض ترجمة في معجم الأدباء : 1215–1219 وفوات الوفيات 1 : 395–397 وتهذيب ابن عساكر 4 : 443 ومصورة ابن عساكر 5 : 299 والمعارف : 591 والمؤتلف والمختلف : 141 وبغية الطلب 5 : 287 وسير الذهبي 5 : 267 وأخبار الحمقى : 43 وقد أورد له صاحب التذكرة أخباراً كثيرة في مواضع متفرقة .

يزيد بن المهلّب وعنده الكميت ، فأنشده قوله فيه : [من المتقارب]

أتينـاك في حاجـة فاقضِها وقُـل مرحباً يَجِبِ المرحَبُ
ولا تَكِلَنَّـــا إلى معشر متـى يعِـدوا عِدة يكذبوا
فإنّـك في الفرع من أُسرة لهم خضع الشرق والمغربُ
وفي أدبٍ منهـمُ مـا نشأتَ ونعْـمَ لعمرُك مـا أدّبوا
بلغـت لعَشر مضت من سنيـ ـك مـا يبلغ السيدُ الأشيبُ
فهَمُّـك فيهـا جسام الأُمورِ وهـمُّ لِداتـك أن يلعبوا
وجُـدْتَ فقلـت ألا سائـل فيعطـى ولا راغـبٌ يرغبُ
فمنـك العطيّـة للسائلـين وممّـن ينوبـك أن يَطلُبوا

فأمر له بمئة ألف درهم ، فقبضها . قال وكيع في خبره : وسأله عن حوائجه ، فأخبره بها ، فقضى جميعها . وقال أيضاً في خبره : فحسده الكميت . فقال له : يا حمزة ، أنت كمُهْدِي التمر إلى هجر[1] ، قال : نعم ، ولكن تمرنا أطيب من تمر هَجَر .

أخبرني عليّ بن سليمان قال : حدَّثني محمد بن يزيدَ النحويّ ، قال : قال الجاحظ : أصاب حمزةَ بن بِيض حُصْرٌ[2] ، فدخل عليه قوم يعودونه وهو في كرب القُولَنْج ، إذ ضرط رجل منهم ، فقال حمزة : مَن هذا المنعَم عليه ؟

[نبوءة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه قال : قال عليّ بن الصباح : حدَّثني هشام بن محمد ، عن الشَّرْقيّ ، قال : زعم هشام بن عروة أنّ عبد الرحمن بن عنبسة مَرَّ فإذا هو بغلام أصبَح الغلمان وأحسنهم ، ولم يكن لعبد الرحمن وَلَد ، فسأل عنه ، فقيل له : يتيم من أهل الشام ، قدِم أبوه العراق في بَعْث[3] فقُتِل ، وبقي الغلام هاهنا . فضمّه ابن عنبسة إليه ، وتبنّاه . فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا ، ومرَّ يوماً على بِرذون ومعه خدم على ابن بِيض ، وحول ابن بِيض عِياله في يوم شات ، وهم شُعْث غُبْر عُراة ، فقال ابن بِيض : مَن هذا ؟ فقيل : صَدَقة يتيم ابن عنبسة . فقال : [من المنسرح]

1 المثل «كمستبضع التمر إلى هجر» في مجمع الميداني 2 : 152 ومستقصى الزمخشري 2 : 233 وفصل المقال : 413 .
2 الحصر : احتباس البطن أو البول .
3 البعث : الجيش .

يَشْعَث صبياننا وما يَتمـوا ... وأنت صافي الأديم والحدقَهْ
فليت صبياننا إذا يَتِموا ... يلقون ما قد لقيت يا صدقَهْ
عوّضك الله من أبيك ومن ... أُمِّك في الشام بالعراق مِقَهْ[1]
كفاك عبد الرحمن فَقْدَهما ... فأنتَ في كُسوة وفي نَفَقَهْ
تظلّ في دَرْمكٍ وفاكهة ... ولحمِ طير ما شئت أو مرقَهْ[2]
تأوي إلى حاضن وحاضنة ... زادا على والديْك في الشفقَهْ
فكلّ هنيئاً ما عاش ثم إذا ... مات فَلَغْ في الدماء والسرِقَهْ
وخالِف المسلمين قِبلَتهم ... وضَلّ عنهم وخادِنِ الفسقَهْ
واشترِ نهد التِليلِ ذا خصَلٍ ... لصوته في الصهيل صَهْصَلَقَهْ[3]
واقطع عليه الطريق تُلْفَ غداً ... رَبَّ دنانيرَ جمّةٍ ورِقَهْ[4]

فلّما مات عبد الرحمن ، أصابه ما قال ابن بيض أجمع : من الفساد والسرِقة وصحبة اللصوص ، ثم كان آخر ذلك أنّه قطع الطريق ، فأُخِذ وصُلِب .

[نبوءة أُخرى]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني النوفليّ عن أبيه . قال ابن عمّار : وأخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثني أبي عن أبي سفيان الحميريّ قال : خرج حمزة بن بِيض يريد سفراً ، فاضطره الليل إلى قرية عامرة ، كثيرة الأهل والمواشي ، ومن الشاء والبقر ، كثيرة الزّرع ، فلم يصنعوا به خيراً ، فغدا عليهم ، وقال : [من الكامل]

لعن الإله قرية يمّمتها ... فأضافني ليلاً إليها المغربُ
الزارِعين وليس لي زرع بها ... والحالبين وليس لي ما أحلُبُ
فلعلّ ذاك الزّرع يُودِي أهلُه ... ولعلَّ ذاك الشاءِ يوماً يَجْرَبُ
ولعلّ طاعوناً يصيب علوجها ... ويصيب ساكنها الزّمان فتخربُ

قال : فلم يمرّ بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون ، فأباد أهلها ، وخربت إلى اليوم . فمرّ بهم ابن بِيض ، فقال : كَلاَّ ، زعمتُ أنّي لا أُعْطى مُنْيَتي . قالوا : وأبيك لقد أعطيتها ،

1 مقه : محبة .
2 الدرمك : الدقيق الأبيض .
3 النهد : المرتفع . والتليل : العنق والصهصلقة : شدة الصوت . ويقصد بذلك الفرس .
4 الرقة : الدراهم المضروبة .

فلو كنت تمنّيت الجنّة كان خيراً لك . قال : أنا أعلم بنفسي ، لا أتمنّى ما لست له بأهل ، ولكنّي أرجو رحمة ربّي عزّ وجلّ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن زكرياء الغَلابيّ قال : قال ابن عائشة : خرج ابن بِيض في سفر ، فنزل بقوم ، فلم يحسنوا ضيافته ، وأتوه بخبز يابس ، وألقوا لِبغلته تبناً ، فأعرض عنهم ، وأقبل على بغلته ، فقال : [من الرمل]

أحسُبيهـا ليلـة أدلجتُهـا فكُلي إن شئت تِبْنـاً أو ذري
قـد أتـى ربَّكِ خبزٌ يابس فتعـزّي وتعـزي واصبري

[محاورة مع الفرزدق]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، قال : حدّثنا المدائنيّ ، قال : قال حمزة بن بِيض يوماً للفرزدق : أيُّما أحبّ إليك ، تسبق الخير أو يسبقك ؟ قال : لا أسبقه ولا يسبقني ، ولكن نكون معاً . فأيُّما أحبّ إليك ، أن تدخل إلى بيتك ، فتجِد رجلاً قابضاً على حِرِ امرأتك ، أو تجد امرأتك قابضة على أيره ؟ فقال : كلام لا بدّ من جوابه ، والبادي أظلم ، بل أجدها قابضة على أيره ، قد أغبَته[1] عن نفسها .

[جبنه]

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايميني : قال ابن الأعرابيّ : وقع بين بني حنيفة بالكوفة ، وبين بني تميم شرّ ، حتى نشِبت الحرب بينهم ، فقال رجل لحمزة بن بِيض : ألا تأتي هؤلاء القوم ، فتدفعَهم عن قومك ، فإنّك ذو بيان وعارضة ؟ فقال : [من الطويل]

ألا لا تلمني يا ابن ماهان إنّني أخاف على فَخّارتي أن تَحَطَّما
ولو أنّني أبتاع في السوق مثلَها وجـدِّك مـا باليت أن أتقدّما

[شارب النبيذ أفضل من الناسك]

قال : وكان لابنِ بِيض صديق عامل من عمّال ابن هبيرة ، فاستودع رجلاً ناسكاً ثلاثين ألفَ درهم ، واستودع مثلَها رجلاً نبيذيّاً ، فأمّا الناسك فبنى بها داره ، وتزوّج النساء ، وأنفقها وجحده . وأمّا النبيذيّ فادّى إليه الأمانة في مالِه ، فقال حمزة بن بِيض فيهما : [من المتقارب]

ألا لا يغرَّنْك ذو سجـدة يظـلّ بهـا دائبـاً يَخْدَعُ
كـأنّ بجبهتـه جُلْبـة يسبح طـوراً ويسترجعُ[2]

1 أغبته : أبعدته .

2 الجلبة : قشرة رقيقة على الجرح عندما يقارب البرء .

وما للتُّقى لزمت وجهه ولكـن ليغتـرَّ مستودِعُ
فـلا تنفِرنَّ مِنَ آهل النبيذِ وإن قيـل يشرب لا يُقْلِعُ
فعندك عِلم بما قـد خبر تُ إن كان علم بهم ينفعُ
ثلاثون ألفاً حواها السجود فليست إلى أهلهـا تَرجعُ
بنـى الدار من غير مـا ماله وأصبـح في بيتِـه أربعُ
مهائرُ مـن غيرِ مـالٍ حواه يقاتـون أرزاقَهـم جُوَّعُ

وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريّا الصَّحَّاف ، قال : حدَّثنا قَعْنب بن المحرز ، قال : حدَّثنا أبو عبيدة والأصمعيّ ، وكَيسان بن المعرف ، فذكروا نحو هذا الخبر ، إلاّ أنّه حكى أنّ حمزة بن بِيض هو الذي استودع الرجلين المال ، وقال :

وأدّى أخو الكأس مـا عنده ومـا كنت في ردّها أطمعُ

[بينه وبين أبي الجون السحيمي]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدَّثني أحمد بن محمد ، عن ابن داجة ، قال : اختصم أبو الجَون السُّحَيميّ وحمزة بن بِيض ، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابيّ ، وهو على اليمامة ، فوثب عليه حمزة وقال : [من البسيط]

غَمَّضتُ في حاجة كانت تؤرِّقنـي لـولا الذي قلتَ فيها قلَّ تغميضي

فقال : وما الذي قلت لك ؟ قال :

حلفت بالله لي أن سوف تنصفنـي فساغ في الحلقِ ريقي بعد تجريضي[1]

قال : وأنا أحلِف لأنصفنّك . قال :

سل هـؤلاء إلى مـا ذا شهادتهم أم كيف أنـت وأصحابَ المعاريضِ

قال : أوجعهم ضرباً . فقال :

وسل سُحيماً إذا وافـاك أجمعُهم هل كان بالشرّ حوض قبل تحويضي

قال : فقضى له . فأنشأ السحيميّ يقول : [من البسيط]

أنت ابنِ بِيض لعمري لستُ أنكره حقّـاً يقيناً ، ولكن من أبو بِيضٍ ؟
إن كنت أنبضت لي قوساً لترميني فقـد رميتـك رميـاً غير تنبيضِ

---

1 التجريض : ابتلاع الريق على هم وحزن .

أو كنت خَضْخضت لي وطْباً لتسقِيني فقــد سقيتك محضــاً غير ممخوضِ

قال : فوجَم حمزة وقُطِع به . فقيل له : ويلَك ! ما لك لا تجيبه ؟ قال : وبِم أُجيبه ؟ والله لو قلت له : عبد المطّلب بن هاشم أبو بِيض ما نفعني ذلك ، بعد قوله : ولكن من أُبو بِيض .

وأخبرني بهذا الخبر ابن دُريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة بمثله . وقال فيه : إنّ المخاصِم له أبو الحويرِث السُّحَيميّ .

[مدح يزيد بن المهلّب في السجن]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : أُخبرنا السَّكْن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، قال : دخل حمزة بن بِيض على يزيد بن المهلّب السجن ، فأنشده : [من المنسرح]

أغلِق دون السماح والجود والنـ ـجدة باب حديـدُه أَشِبُ[1]

ابنُ ثــلاث وأربعين مضت لا ضرِع واهن ولا نكِبُ[2]

لا بَطِــر إن تتابعــت نِعَــم وصابــر في البــلاء محتسِبُ

بَرَّزْتَ سبقَ الجوادِ في مَهَل وقَصَّرتْ دون سعيك العَربُ

فقال : والله يا حمزة لقد أسأت ، إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويـه ، ولا منزل لـك ، ثم رفع مقعداً تحته ، فرمى إليه بخرقة مصرورة ، وعليـه صاحب خبر واقف ، فقال : خذ هذا الدينار ، فوالله ما أملك ذهباً غيره . فأخذه حمزة ، وأراد أن يردّه ، فقال له سرّاً : خذه ولا تُخْدَع عنه . فقال حمزة : فلمّا قال لي : لا تخدع عنه ، قلت : والله ما هذا بدينار ، فقال لي صاحب الخبر : ما أعطاك يزيد ؟ فقلت : أعطاني ديناراً ، فأردت أن أردّه عليه ، فاستحييت منه . فلمّا صرت إلى منزلي حللت الصرّة ، فإذا فَصٌّ ياقوت أحمر ، كأنّه سِقط زَنْد ، فقلت : والله لئن عرضتُ هذا بالعراق ، ليُعْلَمنّ أنّي أخذته من يزيد ، فيؤخذ منّي ، فخرجت به إلى خراسان ، فبعته من رجل يهوديّ بثلاثين ألفاً ، فلمّا قبضت المال وصار الفَصُّ في يده ، قال لي :

والله لو أبيت إلاّ خمسين ألف درهم ، لأخذته منك ، فكأنّما قذف في قلبي جمرة . فلمّا رأى تغيّر وجهي قال : إنّي رجل تاجر ، ولست أشكّ أنّي قد غممتك . قلت : إي والله وقتلتني . فأخرج إليّ مائة دينار ، فقال : أنفِق هذه في طريقك ، لتتوفّر عليك تلك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي : دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلّب ، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز ، فأنشده قوله فيه : [من المنسرح]

---

1 أشب : ملتف .

2 الضرع : الضعيف الجبان . والنكب : من يعدل عن الشيء كسلاً أو جبناً .

أصبح في قيدك السماحة والـ ـحاملُ للمعضلات والحَسَبُ
لا بِطــرٌ إن تتابعــت نعــمٌ وصابــرٌ في البــلاء محتسِبُ

فقال له : ويحك أتمدحني على هذه الحال ؟ قال : نعم ، لئن كنتَ هكذا لطالما أثْبَت على الثناء ، فأحسنت الثواب والرِّفْد ، فهل بأس أن نُسلِفك الآن . قال : أما إذ جعلته سَلَفاً فاقنع بما حضر ، إلى أن يمكن قضاء دينك . وأمر غلامه ، فدفع إليه أربعة آلاف درهم ، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال : قاتله الله ! يعطي في الباطل ، ويمنع الحقّ ، يعطي الشعراء ، ويمنع الأمراء .

[مدحه سليمان بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسين بن دُريد قال : حدَّثنا عبد الأوّل بن مَزيد ، قال : حدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ ، قال : أخبرني مَخْلد بن حمزة بن بِيض قال : قدِم أبي على يزيد بن المهلّب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله إليه ، فأنشده : [من الكامل]

ساس الخلافــةَ والداك كلاهمـا من بين سَخْطة ساخط أو طائعِ
أبــواك ثــم أخــوك أصبحَ ثالثاً وعلى جبينك نُــور مَلْـك الرابعِ
سَرَّيتَ خوف بنــي المهلَّب بعدما نظـروا إليك بسَمٍّ مــوتٍ ناقِعِ
ليس الــذي ولاّكَ ربُّــك منهمُ عنــد الإلــه وعندهــم بالضائعِ

فأمر له بخمسين ألفاً .

[يريد جائزة مثل جائزة الكميت]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال : حدَّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال : حدَّثني عُيينة بن المنهال قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ قال : حدَّثني أبو يعقوبَ الثقفيّ قال : قال لي حمزة بن بِيض : لمّا وفد الكُميت بن زيد إلى مَخْلد بن يزيد بن المهلّب وهو يخلُف أباه على خراسان ، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة ، وقد مدحه بقصيدته التي أوّلها :

هــلا سألتَ معالِم الأطلالِ

وهي التي يقول فيها : [من الكامل]

يمشين مشي قطا البطاحِ تأوُّدا قُبّ البطونِ رواجح الأكفالِ

وقصيدته التي يقول فيها :

هــلاّ سألت منازلاً بالأبرقِ

أعطاه مِئة ألفِ درهم ، سوى العُروض والحُمْلان . فقدِم الكوفة في هيئة لم يُرَ مثلها ، فقلت في نفسي : واللهِ لأنّا أولى من الكميت بما ناله من مَخْلد بن يزيد ، وإنّي لحليفه وناصره في العصبية على الكميت ، وعلى مُضَر جميعاً . فهيأت لَمخْلد مديحاً على رويّ قصيدَتي

الكميت وقافيتيهما ، ثم شخصت إليه . فلمّا كان قبل خروجي إليه بيوم ، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضَرَ في البدو ، فقالوا إنّك تأتي مَخْلَداً وهو فتى العرب ، ونحن نعلم أنّك لا تُؤْثِر على نفسك ، ولكن إذا فَرَغ من أمرك ، فأعلمه مَمشانا إليك ، ومسألتنا إيّاك كلامه ، فنرجو أن تكون عند ظنّنا . فلمّا قدِمت على مخلد خُراسان أنزلني ، وفَرَش لِي ، وأَخْدَمني ، وحملني وكساني ، وخلطني بنفسه ، فكنت أسمُرُ معه ، فقال لي ليلة : أعليك دين با ابن بِيض . قلت : دَعني من مسئلتك إيّاي عن الدين ، إنّك قد أعطيت الكميت عطيّة لست أرضى بأقلّ منها ، وإلاّ لم أُدخل الكوفة ، ولم أُعيَّر بتقصيرك بي عنه . فضحك ، ثم قال لي : بل أزيدك على ما أعطيت الكميت . فأمر لي بمئة ألف درهم ، كما أعطى الكميت ، وزادني عليه ، وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به ، فلمّا فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكِرة بحاجة القوم في الديات ، فلمّا جلس أنشدته : [من المتقارب]

أتينــاك في حاجــة فاقضِها ... وقُــلْ مرحباً يجبِ المَرحَبُ
ولا تَكِلَنـــــا إلى معشر ... متــى يعِدوا عِــدَة يكذِبوا
فإنّك في الفــرع من أُسرة ... لهـم خضع الشرق والمغربُ
وفي أَدَب منهــم مــا نشأْتَ ... ونِعْــمَ لعمــرُك مــا أدَّبوا
بلغت لعشرٍ مضت من سِنيـ ... ـك ما يبلغ السّيدُ الأشيبُ
فهمُّك فيهــا جِسام الأمــورِ ... وهــمُّ لِداتــك أن يلعبوا

فقال : مرحباً بك وبحاجتك ، فما هي ؟ فأخرجت إليه رقعة القوم ، وقلت : حَمالات في ديات . فتبسّم ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم . فقلت : أَوَ غير ذلك أيّها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : أُدَلّ على قبر المهلّب ، حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فتبسّم ، ثم قال : زِده يا غلام عشرة آلاف أُخرى ، فأَبيت ، وقلت : بل أُدَلّ على قبر المهلّب ، فقال : زِده يا غلام عشرة آلاف أُخرى ، فما زلت أكرّرها ويزيدني عشرة آلاف ، حتى بلغت سبعين ألفاً . فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي ، فقلت : وصلك الله أيّها الأمير ، وآجَرك ، وأحسن جزاءك . فقال مَخلَد : أما والله لو أقمت على كلامك ، ثم أَتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه .

[مجلس المأمون والنضر بن شميل]

أَخبرني محمد بن مَزْيـد بن أَبي الأَزهر قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني النضر بن شميل ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمَرْو وعليّ أطمار مترعبلة[1] ؛ فقال لي : يا نضر ،

1 مترعبلة : ممزقة .

تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقلت : إن حَرَّ مرو لا يُدفَع إلاّ بمثل هذه الأخلاق[1] . فقال : لا . ولكنّك رجل متقشِّف . فتجارَيْنا الحديث ، فقال المأمون : حدَّثني هُشَيم بن بَشِير ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عَوَز» . هكذا قال : سَداد بالفتح . فقلت : صدق ، يا أمير المؤمنين . حدَّثني عوف الأعرابيّ عن الحسن ، أنّ النبيّ ﷺ قال : «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها ، كان فيه سِداد من عَوَز» ، وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : السَّداد لحن يا نضْر عندك ؟ قلت : نعم هاهنا يا أميرُ المؤمنين ؛ وإنّما هُشَيم لَحَن ، وكان لحانة ، فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّداد : القصد في الدِّين والطريقة والسبيل . والسِّداد : البُلْغة ، وكلّ ما سددت به شيئاً فهو سِداد . وقد قال العَرْجيّ : [من الوافر]

أَضاعــوني وأيَّ فتًى أَضاعوا ليــوم كريهــة وسِداد ثغرِ

قال : فأطرق المأمون مَلِيّاً ، ثم قال : قَبَح الله مَن لا أدب له ! ثم قال : أَنشِدني يا نضر أَخلب بيت للعرب . قال : قلت : قول حمزة بن بِيض يا أَمير المؤمنين : [من المنسرح]

تقــول لي والعيون هاجعة : أَقــم علينــا يومــاً ، فلم أُقِمِ
قالت : فأيَّ الوجوه ؟ قلت لها : لأيّ وجـــه إلاّ إلى الحَكَمِ ؟
متــى يقُــل حاجبا سرادِقِه : هذا ابن بِيض بالباب ، يبتسِم
قــد كنت أَسلمت فيكَ مُقْتَبِلاً فهات إذ حَلَّ أعطني سَلَمِي[2]

فقال المأمون : لله درّك ، كأنّما شُقّ لك عن قلبي ! فأنشدني أنصف بيت للعرب . قال : قلت : قول أبي عَروبة المدني[3] : [من الكامل]

إنّــي وإن كان ابن عمّــي عاتبــاً لَمزاحِــمٌ مِــن خلفــهِ وورائِهِ
ومُفيده نصري وإن كنت امرءاً متزحزحــاً عــن أَرضه وسمائِهِ
وأَكــون والِيَ سِرّه وأَصونـــه حتّى يحِين علــيّ وقــتُ أدائِهِ
وإذا الحوادث أجحفت بسَوامِه قُرِنــت صَحيحتنــا إلى جَرْبائِهِ
وإذا دعــا باسمي ليركــب مَرْكباً صعباً قعــدتُ لــه على سِيسائِهِ

1 الأخلاق : جمع خَلَق ، وهو الثوب البالي .
2 أسلمت : أسلفت . مقتبلاً : مستأنفاً . وسلمي : جائزتي .
3 نسبت هذه الأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي (4 : 1680) إلى الهذيل بن مشجعة البولاني .

وإذا أتـى مـن وجهـه بطريفةٍ لم أطَّلـع مِمّـا وراء خِبائِهِ
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أَقُل : يـا ليـت أَن عـليَّ حسنَ ردائِهِ

فقال : أحسنت يا نضر ؛ أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب . فأنشدته قول ابن عبدلٍ الأسديّ : [من المنسرح]

إنّي امرؤ لم أزل ، وذاك من اللـ ـه قديمـاً ، أعلّم الأدبا
أُقيم بالدّار ما اطمأنّت بيَ الدا ر وإن كنـت نازعـاً طرِبا
لا أجتوِي خُلَّة الصديق ولا أُتبِـع نفسي شيئـاً إذا ذهبا
أَطلب ما يطلب الكريم من الـ ـرِّزق بنفسي وأُجْمِل الطلبا
وأحلـب الثرَّة الصفِـي ولا أجهَد أَخلاف غيرِهـا حَلَبا[1]
إنّي رأيـت الفتى الكريم إذا رغَّبتـه في صنيعـة رغِـبا
والعبد لا يطلـب العَلاء ولا يعطيك شيئـاً إلاّ إذا رهِبا
مثـلُ الحمار المُوَقَّـع السَّوْء لا يُحسن مَشْياً إلاّ إذا ضُرِبا[2]
قـد يُرزَق الخافضُ المقيمُ وما شد بِعيس رحـلاً ولا قَتَبـا
ويُحرَمُ الرزقَ ذو المطيّة والر حل ومَـن لا يـزال مغتربا
ولَم أَجِد عُـدّة الخلائق إلاّ الدِّين لمـا اعتبرتُ والحَسَبا

فقال : أحسنت يا نضر ! وكتب لي إلى الحسن بن سهل بخمسين ألفاً ، وأمر خادماً بإيصال رقعته ، وتنجيز ما أُمر به لي ، فمضيت معه إليه ، فلمّا قرأ التوقيع ضحك ، وقال لي : يا نضْر ، أنت الملحِّن لأَمير المؤمنين ؟ قلت : لا ، بل لهشيم . قال : فذاك إذنْ ، وأطلق لي الخمسين ألفَ درهم ، وأمر لي بثلاثين ألفاً .

[عبث عبد الملك بن بشر به وانتقامه منه]

أَخبرني الحسين بن يحيى ، قال : حدَّثنا حمّاد عن أبيه ، قال : بلغني أنّ حمزة بن بِيض الحنفيّ كان يسامر عبد الملك بن بِشْر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبث به عبثاً شديداً ، فوجّه إليه ليلة برسول ، وقال : خذه على أيّ حال وجدته عليها ، ولا تدعْه يغيّرها ، وحلَّفه على ذلك ، وغلّظ الأيمان عليه . فمضى الرسول ، فهجم عليه ، فوجده يريد أن يدخل الخَلاء ، فقال : أجِب

1 الثرة : الغزيرة ، وكذلك الصفي . وأخلاف الناقة : أثداؤها .
2 الموقع : الذي في ظهره آثار دبر .

الأمير . فقال : وَيْحَكَ ، إنّي أكلت طعاماً كثيراً ، وشربت نبيذاً حُلْواً ، وقد أخذني بطني . قال : والله لا تفارقني أو أمضيَ بك إليه ، ولو سَلَحت في ثيابك . فجَهَد في الخلاص ، فلم يقدر عليه ، فمضى به إلى عبد الملك ، فوجده قاعداً في طارمة له ، وجارية جميلة كان يتحظّاها جالسة بين يديه ، تسجُر الندّ في طارمته[1] ، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه .

قال : فعرضت لي ريح ، فقلت : أسرحها وأستريح ، فلعلّ ريحها لا يتبيّن مع هذا البَخور ، فأطلقتها ، فغلبت والله ريح الندّ وغَمرته . فقال : ما هذا يا حمزة ! قلت : عليَّ عهد الله وميثاقه ، وعليّ المشي والهَدْي إن كنت فعلتها ، وما هذا إلاّ عمل هذه الفاجرة . فغضب واحتفظ ، وخجلت الجارية ، فما قدَرَت على الكلام ؛ ثم جاءتني أخرى فسرَّحتها ، وسطع والله ريحها . فقال : ما هذا ويلك ! أنت والله الآفة . فقلت : امرأتي فلانة طالق ثلاثاً إن كنت فعلتها . قال : وهذه اليمين لازمة لي إن كنت فعلتها ، وما هو إلاّ عمل هذه الجارية . فقال : ويلكِ ما قصّتكِ ؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين حِسّاً ، فزاد خجلها وأطرقت . وطمِعت فيها ، فسرَّحت الثالثة ، وسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب ، فغضب عبد الملك ، حتى كاد يخرج من جلده ، ثم قال : خذ يا حمزة بيد الزانية ، فقد وهبتها لك ، وامضِ فقد نغّصت علي ليلتي . فأخذت والله بيدها ، وخرجت ، فلقيني خادم له ، فقال : ما تريد أن تصنع ؟ قلت : أمضي بهذه . قال : لا تفعل ، فوالله لئن فعلت ليبغضنّك بغضاً لا تنتفع به بعدها أبداً . وهذه مئة دينار ، فخذها ودَع الجارية ، فإنّه يتحظّاها ، وسيندم على هِبته إيّاها لك . قلت : والله لا نقصتك من خمسمائة دينار . فلم يزل يزايدني حتى بلغ مِئتي دينار ، ولم تطب نفسي أن أُضيّعها ، فقلت : هاتِها ، فأعطانيها ، وأخذها الخادم .

فلمّا كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك ، فلمّا قربت من داره لقيني الخادم ، فقال : هل لك في مِئة[2] دينار وتقول ما لا يضرّك ، ولعلّه أن ينفعك ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إذا دخلت إليه ادّعيت عنده الثلاثَ الفَسَوات ، ونسبتها إلى نفسك ، وتنفح عن الجارية ما قرفتها به . قلت : هاتها . فدفعها إليّ ، ودخلت على عبد الملك ، فلمّا وقفت بين يديه قلت : أَلِي الأَمان حتى أُخبرك بخبر يسرّك ، وتضحك منه ؟ قال : لك الأمان . قلت : أرأيت ليلة حضوري وما جرى ؟ قال : نعم . فقلت : فعليّ وعليّ إن كان فسا تلك الفسوات غيري . فضحك حتى سقط على قفاه . ثم قال : ويلَك ! فلم لم تخبرني ؟ قلت : أردت بذلك خصالاً ، منها أن قمت فقضيت حاجتي ، وقد كان رسولك منعني منها ، ومنها أنّي أخذت جاريتك ، ومنها

1 الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

2 ل : مائتي .

أن كافأتك على أذاك لي بمثله . فقال : فأين الجارية . قلت : ما برحتُ من دارِك ولا خرجتُ حتى سلّمتها إلى فلان الخادم ، وأخذت مائتي دينار . فسُرّ بذلك ، وأمر لي بمائتي دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فِعلك بي ، وتركك أخذ الجارية .

قال حمزة بن بِيض : ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم يَرَ الناس أنتن إبطاً منه ، فقال لي : يا حمزة ، سابق غلامي حتى يفوح صُنانكما ، فأيّكما صُنانه أنتن ، فله مائة دينار . فطمعت في المائة ، ويئست منها لِما أعلمه من نَتْن إبط الغلام ، فقلت : أفعل . وتعادينا ، فسبقني ، فسلحت في يدي ، ثم لطّخت[1] إبطي بالسُّلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكماً يخبره بالقصّة ، فلمّا دنا الغلام منه فشمّه ، وثب ، وقال : هذا والله لا يساجِله شيء . فصحت به : لا تعجل بالحكم ، مكانَك . ثم دنوت منه ، فألقمت أنفه إبطي حتى علمت أنّه قد خالط دِماغه ، وأنا ممسك لرأسه تحت يدي . فصاح : الموت والله ! هذا بالكُنُف أشبه منه بالآباط ! فضحك عبد الملك ، ثم قال : أفحكمت له ؟ قال : نعم . فأخذت الدنانير .

أخبرني عمّي قال : حدَّثني جعفر العاصميّ قال : حدَّثنا عيينة بن المنهال ، عن الهيثم بن عديّ ، عن أبي يعقوبَ الثقفيّ ، قال : قال حمزة بن بِيض : دخلت يوماً على مَخْلد بن يزيد ، فقلت : [من الكامل]

إنّ المشارق والمغارب كلّهـا تُجْبى وأَنت أَميرها وإمامُها[2]

فضحك ثم قال : مه ؟ فقلت :

أغفيتُ قبل الصُّبح نومَ مسهَّدٍ في ساعة مـا كنت قبلُ أنامُها

قال : ثم ماذا كان ؟ قلت :

فرأيت أنّك جُدت لي بوصيفة موسومةٍ حَسَنٍ عـليَّ قيامُها

قال : قد فعلت . فقلت :

وببَـدرة حُمِلـت إليّ وبغلة سَفْواء ناجيـة يصِلُّ لجامُها[3]

قال : قد حقّق الله رؤياك . ثم أمر لي بذلك كلّه ، وما عَلِم الله أنّي رأيت من ذلك شيئاً .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقد رُوِي هذا الخبر بعينه لابن عبدلٍ الأسديّ ، وذكرته في أخباره .

---

1 ل : طليت .

2 الشطر الأول في ل : ليت المشارق والمغارب أصبحت .

3 السفواء : قليلة شعر الناصية والسريعة ، ويصل لجامها : يصوت لما فيه من الحلية .

[صحب ابن عمّه في الحج]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : حدَّثنا أبو حاتم ، قال : حدَّثنا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، قال : حجّ حمزة بن بِيض الحنفيّ ، فقال له ابن عمّ له : أحجج بي معك . فأخرجه معه ، فحَوقل[1] عليه بعد نشاطه ، فقال ابن بِيض فيه : [من الطويل]

وذي سِنةٍ لم يدر ما السير قبلها ... ولم يعتسِف خَرْقاً من الأرض مَجْهلا[2]
ولم يَدر ما حَلُّ الحبال وعقدُها ... إذا البردُ لم يترك لكفّيه مَعْملا
ولم يقرِ مأجوراً ولا حجّ حِجّة ... فيضربَ سهماً أو يصاحبَ مِكتلا[3]
غدونا به كالبغل ينفض رأسَه ... نشاطاً بناه الخير حتى تفتّلا[4]
ترى المَحْمِل المحسور ناء عُرامة ... وبابا إذا أمسى من الشرّ مُقْفلا[5]
وإن قلت ليلاً : أين أنت لحاجةٍ ... أجاب بأن لبيك عشراً وأقبلا
يسوق مطيّ القوم طوراً وتارة ... يقود وإن شئنا حدا ثم جلجلا
فأجّلته خمساً وقلت له : انتظر ... رُوَيداً ؛ وأجّلنا المطيّ ليدبُلا
فلمّا صدرنا عن زُبالة وارتمت ... بنا العيس منها مَنْقلاً ثم مَنْقلا[6]
ترامت به المَوماة حتّى كأنّما ... يَسَفُّ بمعسول الخزيرة حنظلا[7]
وحتّى نَبا عن مِزود القوم ضِرْسُه ... وعادى من الجهدِ الثريدَ المرعبلا
وحتّى لَوَ آنّ الليثَ ليثَ خَفِيَّة ... يحاوله عن نفسه ما تَحَلْحلا
وحتى لَوَ آنّ الله أعطاه سؤله ... وقيل له : ما تشتهي ؟ قال : محملا
فقلت له لمّا رأيتُ الذي به ... وقد خِفت أن ينضى لدينا ويهزِلا
أطعني وكُلْ شيئاً ، فقال معذّراً ... من الجهد : أطعِمني تراباً وجندلا
فللموت خير منك جاراً وصاحباً ... فدعني فلا لبّيك ثم تَجَدّلا[8]

1 حوقل : مشى فأعيا وضعف ، وحوقل أيضاً : نام .
2 اعتسف الطريق : سار على غير هداية ولا دراية . الخرق : الأرض الواسعة . والمجهل : المفازة لا أعلام فيها .
3 المكتل : الزنبيل .
4 بناه الخير في ل : ثناه الحر . تفتل : اشتدّ .
5 المحسور ناء عُرامه في ل : المحشو فاه عرامة . وبابا في ل : ويأبى .
6 زُبالة : موضع من ضواحي المدينة . والمنقل : الطريق في الجبل .
7 بكى كأنه يسف الحنظل مع الخزيرة ، وهي طعام من دقيق ولبن يحلّى بالعسل أو التمر .
8 تجدل : سقط على الأرض من الإعياء .

وقال : أقلنـي عثرتي وارعَ حرمتي ... وقـد فـرّ منّـي مرّتـين لِيقفِلا
فقلت له : لا ، والذي أنا عبده ، ... أقيلُـك حتى تمسح الرّكـن أوّلا

[تأخّرت مكافأته فعاتب مخلد بن يزيد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال : حدَّثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشميّ ، قال : حدَّثني أبو عمر العُمَريّ ، قال : حدَّثني عطاء بن مصعب ، عن عاصم بن الحَدَثان قال : قدِم حمزة بن بِيض على مخلد بن يزيد بن المهلّب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شُغِل عنه ، فاختلف إليه مراراً ، فلم يصل إليه ، وأبطأت عليه عِدّته ، فقال ابن بِيض : [من الطويل]

أَمَخْلَـد إن الله مـا شاء يصنع ... يجود فيعطي مَـن يشاء ويمنعُ
وإنّـيَ قـد أمّلـت منك سحابة ... فحالت سراباً فـوق بيداء تلمعُ
فأجمعتُ صُرْماً ثم قلتُ : لعلّه ... يثـوب إلى أمـرٍ جميـلٍ فيرجعُ
فأيأسني مـن خير مخلـدَ أنّـه ... على كلّ حال ليس لي فيه مطمعُ
يجـود لأقـوام يـودّون أنّه ... من البغض والشّنآن أمسى يُقَطَّعُ
ويَبْخَـل بالمعروف عمّـن يوَدُّه ... فوالله ما أدري بـه كيف أصنعُ ؟
أأصرِمـه فالصُّـرم شرٌّ مغبَّـةً ... ونفسي إليـه بـالوصال تَطَلَّعُ
وشتانَ بينـي في الوصالِ وبينَه ... عـلى كلّ حـال أستقيـمُ ويَظْلَعُ
وقـد كان دهراً واصلاً لي مودّةً ... ويمنعني من صرف دهري أضرعُ[1]
وأعقبني صُرْمـاً على غير إحنـة ... وبخـلاً وقِدْمـاً كان لي يتبرّعُ
وغيّـره مـا غيّر النـاسَ قبلَـه ... فنفسي بمـا يأتي بـه ليس تقنعُ

ثم كتبها في قرطاس وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه ، فلمّا قرأه سأل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال : لا أعرفه . فأدخل إليه الرجل ، فقال : مَن أعطاك هذا الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بِيض ، فأمر به فضُرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسمائة درهم ، وكساه ، قال : إنّما ضربناك أدباً لك ، لأنّك حملت كتاباً لا تدري ما فيه ، لِمَن لا تعرف ، فإيّاك أن تعود لمثلها . قال الرجل : لا والله ، أصلحك الله ، لا أحمل كتاباً لِمَن

1 مودة في ل : بوده . والشطر الثاني في ل : ومعروفه يعدو البريد المفرّع .

أعرف ، ولا لَمن لا أُعرف . قال له مَخْلد : احذَر ، فليس كلّ أحد يصنع بك صنيعي ؛ وبعث إلى ابن بِيض ، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك الرجل ؟ قال : لا . فحدّثه مَخْلد بقصّته ، فقال ابن بِيض : والله ، أصلحك الله ، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سَوْطاً مع الخمسمائة أبداً . فضحك مَخْلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخمسة أُثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً . قال : أُجَلْ والله ، ولكن مَن لي بمثلك يُعْتِبُني إذا استعتبته ، ويفعل بي مثل فعلك ؟ ثم قال : [من الطويل]

وأبيضَ بُهْلُولٍ إذا جئت داره ... كفاني وأُعطاني الذي جئت أسألُ
ويُعتِبُني يومـاً إذا كنت عاتباً ... وإن قلت ، زدني : قال : حقّاً سأفعلُ
تـراه إذا مـا جئته تطلب الندى ... كأنّك تعطيه الذي جئتَ تسألُ
فللّـه أبنـاءُ المهلّـب فتيـةً ... إذا لَقَحَتْ حرب عَـوانٌ تأكّلُ
هُمُ يصطلون الحرب والموتُ كانعٌ ... بسُمْر القنا والمشرفيـةُ من عَلُ[1]
ترى الموت تحت الخافقات أَمامَهُمْ ... إذا وردوا عَلُّوا الرمـاح وأُنهلوا
يجودون حتى يحسِب الناس أنّهم ... لجودهـم نَـذْر عليهـم يُحَلَّلُ
غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم ... سِمامٌ لأَقـوام ذُعافٌ يُثَمِّلُ[2]
وفـى لِـيَ أبناءُ المهلّب إنّهـم ... إذا سئلوا المعروف لَـم يَتَسَعَّلوا[3]
فذلـك مِيـراث المهلّـب إنّـه ... كريـم نَمـاه للمكـارمِ أُوّلُ
جـرى وجـرت آباؤه فتحرَّزوا ... عن الذّم في عَيطـاء لا تُتَوَقّلُ[4]

فلمّا أُنشده ابن بِيض هذه الأبيات ، أُمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة أُثواب ، وقال : نزيدك ما زدتنا ، ونضعف لك . فقال :

أَمَخْلَـد لم تترك لنفسي بُغْيَـةً ... وزدت على ما كنت أُرجو وآملُ
فكنتَ كما قـد قـال مَعْـنٌ فإنّه ... بصيرٌ بمـا قـد قـال إذ يتمثّلُ
وَجَدْتُ كثير المالِ إذ ضَنَّ مُعْدِماً ... يُـذَمُّ ويَلْحـاه الصديـقُ المؤمِّلُ

---

1 كانع : متجمع للوثوب ، مترقب .

2 ذعاف : قاتل من ساعته . ويثمل : سم نقع أيّاماً حتى اختمر .

3 وَفى لي أبناءُ في ل : كفاك من ابناء .

4 عيطاء : هضبة مرتفعة . تتوقّل : يصعد فيها .

وإن أحقّ النّاس بالجودِ مَن رأى أباه جَواداً للمكارم يُجْزِلُ
تَرُبُّ الذي قد كان قَدَّم والد أَغَرُّ إذا ما جئته يَتَهَلَّلُ
وَجَدْتَ يزيداً والمهلَّبَ برَّزا فقلت : فإنّي مثلَ ذلك أُفعلُ
ففزت كما فازا وجاوزتَ غاية يُقصِّر عنها السابق المتمهِّلُ
فأنت غِياث لليتامى وعِصمة إليك جِمال الطالِبي الخيرِ تُرحلُ
أصاب الذي رجَّى نداك مُخيلةً تصُبّ عزاليها عليه وتَهطِلُ[1]
ولم تُلْفَ إذ رَجَّوا نوالَكَ باخلاً تضَن على المعروف والمالُ يُعْقَلُ
وموت الفتى خير لـه من حياته إذا كان ذا مال يَضَنُّ ويبخلُ

فقال له مخلد : احتكم . فأبى ، فأعطاه عشرة آلاف[2] دينار وجارية وغلاماً وبِرْذَوناً .

[شرط مصالحة حماد بن الزبرقان]

أُخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال : حدَّثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، قال : كان حمزة بن بِيض شاعراً ظريفاً ، فشاتم حمّادَ بن الزبرقان ، وكان من ظُرفاء أَهل الكوفة ، وكلاهما صاحب شراب ، وكان حماد يُتَّهم بالزندقة ، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا ، فدخلا يوماً على بعض وُلاة الكوفة ، فقال لابن بِيض : أراك قد صالحت حماداً ، فقال ابن بِيض : نعم ، أصلحك الله ، على ألا آمرَه بالصلاة ، ولا ينهاني عنها .

[تشوّقه إلى أهله]

أُخبرني محمد بن زكرّيا الصَّحَّاف قال : حدَّثنا قَعْنَب بن المحرِز الباهليّ قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ قال : قدِم حمزة بن بِيض البصرة زائراً لبلال بن أبي بُردة بن أبي موسى ، وبينهما مودّة منذ الصِّبا ، فطال مقامه عنده ، فاشتاق إلى أهله وولده ، فكتب إلى بلال : [من البسيط]

كَلَّتْ رحالي وأَعواني وأَحراسي إلى الأَمير وإدلاجي وإمْلاسي[3]
إلى امرىء مُشْبَع مجداً ومكرُمة عادية فهو حالٍ منهما كاسي[4]
فلستُ منك ولا مِمّا مَنَنْتَ به من فضل ودّك كالمرميّ في الراسي

1 العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصبّ القربة .
2 ل : ألفي .
3 الإملاس : السوق الشديد .
4 عادية : قديمة متأصلة .

إنّـي وإيّـاك والإخـوانَ كلَّهـم ... في العسر واليسر لو قِيسوا بمقياسِ
وذاك ممّا ينوبُ الدهرُ من حَدَثٍ ... كالوردِ في المَثَل المضروبِ والآسِ
يبيد هـذا فيبلَـى بعـد جدّتـه ... غَضّـاً وآخـره رهـن بإيناسِ[1]
وأَنـت لي دائـم بـاقٍ بشاشته ... يهتزّ في عـود لا عَشٌّ ولا عاسي[2]

فعجل له بلال صلته ، وسرّحه إلى الكوفة .

[رؤيا أخرى]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال : حدَّثنا أبو المُعارِك الضَّبي قال : حدَّثني أبو مِسكين قال : دخل حمزة بن بِيض على سليمان بن عبد الملك ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول : [من الوافر]

رأيتـك في المنـام سننت خزا ... علـيّ بَنَفْسَجاً وقضيت دَيني
فصدّقْ يـا فدتْك النفس رؤيا ... رأَتهـا في المنـام لديك عَيْني

فقال سليمان : يا غلام أدخله خزانة الكِسوة ، واسننْ عليه كلّ ثوب خَزٍّ بَنَفْسَجِيّ فيها : فخرج كأنّه مِشْجَب . ثم قال له : كم دَينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها .

صوت[3]

[من الكامل]

من سره ضرب يُرعبلُ بعضه ... بعضاً كمعمعة الأباء المُحرَقِ[4]
فليـأتِ مأسدة تُسَنُّ سيوفُها ... بين المَذاد وبين جِزْع الخَنْدَقِ

ويروى : يُمَعْمع بعضه بعضاً . والمعمعة : اختلاف الأصوات وشدّة زَجَلها . والمأسدة : الموضع الذي تجتمع فيه الأُسْد . وتُسَنّ : تحدّ . يقال : سيف مسنون . والمَذاد : موضع بالمدينة . والخندق : يعني به الخندق الذي احتفره رسول الله ﷺ وأصحابه حول المدينة . والشعر لكعب بن مالك الأنصاريّ . والغناء لابن محرز : خفيف رَمَل ، بإطلاق الوَتَر في مَجرى الوُسطى ، عن إسحاق وعمرو .

---

1 وآخره في ل : غابرة .
2 في عود لا في ل : لا عوده . والعش : الشجر اللئيم المنبت ومن النخل : القليل السعف .
3 ديوان كعب بن مالك 244 : وفيه يمعمع بدلاً من يرعبل .
4 يرعبل : يقع بعضه على بعض . والأباء : القصب ، واحدته أباءة .

[320] ـ أخبار كعب بن مالك الأنصاريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو كعب بن مالك بن أُبي كعب . واسم أُبي كعب : عمرو بن القَيْن بن كعب بن سوار . وقيل : القَيْن بن سوار (هكذا قال ابن الكلبيّ) بن غَنْم بن كعب بن سَلمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن شاردة بن يزيدَ بن جُشَمَ بن الخَزْرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد بن الغوث .

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله ﷺ المعدودين ، وهو بَدْريّ عَقَبيّ . وأبوه مالك بن أبي كعب بن القَين شاعر ، وله في حروب الأوس والخزرج ، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر . وعمّه قيس بن أبي كعب شهد بدراً ، وهو شاعر أيضاً ، وهو الذي حالف جُهينة على الأوس . وخبره في ذلك يذكر في موضعه ، بعد أخبار كعب وأبيه .

ولكعب بن مالك أصل عريق[2] ، وفرع طويل في الشعر : ابنه عبد الرحمن شاعر ، وابن ابنه بشِير بن عبد الرحمن شاعر ، والزّبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر ، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أبو الخطّاب شاعر ، ومعن بن وهْب بن كعب شاعر ، وكلّهم مجيد مُقَدَّم . وعُمِّر كعب بن مالك ، ورَوى عن النبيّ ﷺ حديثاً كثيراً ، وكلّ بني كعب بن مالك قد رَوى عنه الحديث .

فممّا رواه ابن ابنه بَشير عن أَبيه عنه : حدَّثني أَحمد بن الجَعْد قال : حدَّثنا أَبو بكر بن أَبي شيبة قال : حدَّثنا أَحمد بن عبد الملك قال : حدَّثنا عَتّاب بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهريّ قال : كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه أن كعب بن مالك كان يحدّث أنّ رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده ، لكأنّما تنضحونهم بالنَّبل بما تقولون لهم من الشعر» .

وممّا رواه عنه ابنه عبد الله : أَخبرني أَحمد بن الجعد قال : حدَّثنا أَبو بكر بن أَبي شيبة قال : حدَّثنا بكر بن عبد الرحمن قال : حدَّثنا عيسى بن المختار ، عن ابن أَبي ليلى ، عن إسماعيل بن أُميّة ، عن محمد بن مسلم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أَبيه قال : كان رسول الله ﷺ

1 لكعب بن مالك الأنصاري ترجمة في الإصابة وطبقات ابن سلام 1 : 220—223 ومعجم المرزباني : 229—230 وخزانة البغدادي 1 : 417—418 وشرح الشواهد : 123 ونكت الهميان : 231 وانظر سيرة ابن هشام وأعلام الزركلي . وقد جمع شعره سامي العاني (بغداد) .

2 ل : أصيل .

يصلّي المغرب ، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُبْصرون مواقع النَّبل حين يرمون .

وممّا رواه ابنه محمد : أخبرني أحمد بن الجعد قال : حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ قال : حدَّثنا محمد بن سابق قال : حدَّثنا إبراهيم بن طِهمان ، عن أبي الزبير ، عن محمد بن كعب ، عن أبيه ، أنّه حدَّثه أنّ النبيّ ﷺ بعثه وأوسَ بن الحَدَثان أيّام التشريق ، فنادى :

«إنّه لا يدخل الجنة إلاّ مؤمن ، وأيّام مِنًى أيّام أُكل وشرب وبِعال» .

[كان عثماني الهوى]

وكان كعب بن مالك عثمانياً ، وهو أحد مَن قَعَد عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فلم يشهد معه حروبه ، وخاطبه في أمر عثمان وقَتَلَته خطاباً نذكره بعد هذا في أخباره ، ثم اعتزله . وله مَراثٍ في عثمان بن عفّان رحمه الله ، وتحريض للأنصار على نُصْرته قبل قتله ، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك ، منها قوله[1] : [من الطويل]

فلو حُلْتُمُ من دونه لم يَزَلْ لكم ... يَدَ الدّهر عِزٌّ لا يبوخُ ولا يَسْرِي
ولم تَقْعدوا والدّار كابٍ دُخانُها ... يُحَــرَّق فيها بالسعير وبالجمرِ
فلَم أرَ يوماً كان أكثر ضَيْعةً ... وأقــربَ منه للغَواية والنُّكْرِ

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسان دَماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان كعب بن مالك الأنصاريّ أحد مَن عاون عثمانَ على المصريين ، وشهر سلاحه ، فلمّا ناشد عثمان الناس أن يُغْمدوا سيوفهم انصرف ، ولم يَرَ أنّ الأمر يخلُص إليه ، ولا يَجْرِي القوم إلى قتله ؛ فلمّا قُتِل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار ، في مسجد رسول الله ﷺ ، فأنشدهم[2] : [من الكامل]

مَنْ مُبلِغُ الأنصارِ عنّيَ آيةً ... رُسُلاً تَقُــصُّ عليهــمُ التّبيانا
أن قــد فَعَلْتم فَعْلــة مذكورة ... كسَتِ الفُضُوح وأبدَتِ الشَّنَآنا[3]
بقعــودكم في دوركم وأميركم ... تُحْشى ضواحي داره النيرانا
بينا يرجّي دفعَكم عــن دارِه ... مُلئت حَريقاً كابِياً ودُخانا
حتــى إذا خَلَصوا إلى أبوابــه ... دخلــوا عليه صائماً عطشانا
يُعلُون قُلَّتــه السيوفَ وأنتــمُ ... متلبّثــون مكانكــم رِضوانا

1 ديوان كعب : 213 .
2 ديوان كعب : 285-286 .
3 الشنآنا : البغضاء ، وفي ل : الذلاّنا ، أي الأذلاء .

اللهُ يَعلم أنّني لم أرضَه — لكُمُ صنيعاً يوم ذاك وشانا
يا لَهْفَ نفسي إذ يقول : ألا أرى — نَفَراً من الأنصارِ لي أعوانا
واللهِ لو شهد ابن قيس ثابتٌ — ومعاشرٌ كانوا له إخوانا

يعني ثابتَ بن قيس بن شَمَّاس .

وأبو دُجانة وابنُ أرقمَ ثابتٌ — وأخو المَشاهد من بني عَجْلانا

أبو دجانة : سِماك بن خرَشة . وابن أرقم : ثابت البلَويّ . وأخو المَشاهد من بني عَجْلان : مَعْن بن عَدِيّ ، عَقَبيّ .

ورِفاعة العُمَريُّ وابن مُعاذِهم — وأخو مُعاوِيَ لم يخف خذلانا

رفاعة : ابن عبد المنذر العُمَريّ . وابن معاذ : سعد بن معاذ . وأخو معاوية : المنذر بن عمرو الساعديّ ، عَقَبيّ بَدريّ .

قومٌ يَرَوْن الحقّ نصرَ أميرِهم — ويَرون طاعةَ أمره إيمانا
إن يُتركوا فَوْضى يَرَوْا في دينهم — أمْراً يُضَيِّق عنهمُ البُلْدانا
فَلُيعْلِينَّ اللهُ كعبَ وَليهِ — ولَيَجْعَلنَّ عَدُوَّه الذُّلاّنا
إنّي رأيت محمداً اختاره — صِهراً وكان يَعُدُّه خُلْصانا
مَحْضَ الضرائبِ ماجداً أعراقُهُ — من خيرِ خِندِفَ مَنصِباً ومَكانا
عَرَفَتْ له عُلْيا مَعَدٌّ كلُّها — بعدَ النبيّ الملكَ والسلطانا
من مَعْشَر لا يغدِرون بجارهم — كانوا بمكّة يَرْتَعون زمانا
يُعْطون سائلهم ويأمنُ جارهم — فيهم ويُرْدون الكُماة طِعانا
فلَوَ انّكم مع نصركم لنبيكم — يوم اللقاء نصرتُمُ عثمانا !
أنسيتُمُ عهد النبيّ إليكُمُ — ولقد ألَظَّ ووَكّد الأيمانا[1]

قال : فجعل القوم يبكون ، ويستغفرون الله عزّ وجلّ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثنا أبو عامر ، عن ابن جُرَيج ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه قال : رجز راجز من قريش[2] برسول صلّى الله عليه وآله ، فقال : [من الرجز]

1 ألظ : ألح .

2 هو سلمة بن الأكوع (اللسان : عجف) .

لم يَغْذُهـا مُـدٌّ ولا نصيفُ ولا تُمَيـراتٌ ولا تَعْجِيـفُ[1]
لكن غذاهـا اللبـنُ الخِرِّيفُ والمَخْضُ والقـارصُ والصَّرِيفُ

قال : فاحْتفظتِ الأنصارُ حيثُ ذكر المُد والتمر ، فقالوا لكعب بن مالك : انزل ، فنزل ، فقال[2] : [من الرجز]

لم يَغْذُهـا مُـدٌّ ولا نَصِيفُ لكن غذاهـا الحنظلُ النَّقِيفُ[3]
ومَذْقَـة كطُـرَّة الخنيـفِ تبيتُ بـين الزَّرْبِ والكَنيفِ[4]

فقال رسول الله ﷺ : اركبا .

[هجاؤوا قريش من الأنصار]

أخبرني الجوهـريُّ والمُهلَّبـيّ قـالا : حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال : حدَّثنا هَوذة بن خليفة قـال : حدَّثنـا عـوف بن محمـد ، عن محمد بن سِيرين ، في حديث طويل قـال : كان يهجوهم ، يعني قريشاً ، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . وكان حَسّان وكعب يعارِضانهم بمثل قولهم ، بالوقائع والأيّام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالبِ ، وكان عبد الله بن رواحة يُعيِّرُهمْ بالكفر ، وينسُبهم إليه ، ويعلم أنّ ليس فيهم شيء شرّ من الكفر . فكانوا في ذلك الزّمان أشدُّ شيء عليهم قولُ حسّان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رَواحة ، فلمّا أسلموا وفقِهوا الإسلام ، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رَواحة .

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا عبد الله بن بكرٍ السَّهميّ قـال : حدّثنـي حاتـم بن أبي صَغيرة قال : حدّثنا سِماك بن حرب قال : أُتِي رسول الله ﷺ فقِيل : إنّ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب يهجوك ، فقام ابن رَواحة ، فقال : يا رسول الله ائذن لي فيه . فقال له : أنت الذي تقول : فثَبَّت الله ؟ قال : نعم يا رسول الله ، أنا الذي أقول : [من البسيط]

فثبت الله مـا أعطاك مِـن حَسَنٍ تثبيت مُوسى ، ونَصْراً كالذي نَصَرا

فقال : وأنت فعل الله بك مثل ذلك . قال : فوثب كعب بن مالك فقال : يا رسول الله ، ائذن لي فيه . فقال : أنت الذي تقول : هَمَّت ؟ قال : نعم يا رسول الله ، أنا الذي

1 التعجيف : حبس الدواب عن الطعام لتهزل .
2 ديوان كعب : 233 .
3 النقيف : المنقوف ، أي المشقوق .
4 الطرة : الحاشية . والخنيف : نوع من أردأ الكتان .

أقول[1] : [من الكامل]

همّت سَخِينـةُ أنْ تغالبَ ربَّها ولَيُغْلَبَنَّ مُغالِـبُ الغَـلاَّبِ[2]

فقال : أما إن الله لم ينسَ لك ذلك .

[شعره]

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال : حدَّثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال : حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال : حدَّثنا مجالد ، عن الشعبيّ قال : لمّا انهزم المشرِكون يوم الأحزاب ، قال رسول الله ﷺ : إنّ المشركين لن يغزُوكم بعد اليوم ، ولكنّكم تغزونهم ، وتسمعون منهم أذًى ويهجونكم ، فمَن يحمي أعراض المسلمين ؟ فقام عبد الله بن رَواحة ، فقال : أنا . فقال : إنّك لحسن الشعر . ثم قام كعب فقال : أنا . فقال : وإنّك لحسن الشعر .

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عُمَر بن شبّة قال : حدَّثني محمّد بن منصور قال : حدَّثني سعيد بن عامر قال : حدَّثني جُويريّة بن أسماء قال : بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال : أمرتُ عبد الله بن رَواحة ، فقال وأحسن ، وأمرت حَسَّاناً فشفى واشتفى .

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أحمد بن عيسى قال : حدَّثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث : أنّ يحيى بن سعيد حدَّثه عن عبد الله بن أُنيس عن أمّه ، وهي بنت كعب بن مالك : أنّ النبيّ ﷺ خرج على كعب وهو في مسجد رسول الله ﷺ يُنْشد ، فلمّا رآه كأنّه انقبض ، فقال : ما كنتم فيه ؟ فقال كعب : كنت أنشد . فقال رسول الله ﷺ : فأنشد ، فأنشد حتى أتى على قوله :

مُقاتَلُنا عن جِذْمِنا كُلَّ فَخْمةٍ[3]

فقال رسول الله ﷺ لا تقل عن جِذمنا ، ولكن قُل : مُقاتَلُنا عن ديننا .

قال أبو زيد : وحدَّثني سعيد بن عامر قال : حدَّثنا أبو عون عن ابن سيرين قال : وقف رسول الله ﷺ بباب كعب بن مالك ، فخرج فقال له رسول الله ﷺ : إيه ، فأنشده ، ثم قال : إيهِ فأنشده ، ثم قال : إيهِ فأنشده (ثلاث مرّات) . فقال رسول الله ﷺ : لَهذا أشدّ عليهم من مواقع النَّبْل .

---

1 ديوان كعب : 182 .

2 سخينة : قريش ، لقبت بذلك لكثرة أكلها السخينة ، وهي طعام يتخذ من الدقيق والسمن ، دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء .

3 الجذم : الأصل . والفخمة : الكتيبة العظيمة .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : حدَّثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرَّبَعِيّ ، وذكر له إسناداً شامياً ، هكذا قال ، قال ابن عمّار في الخبر ، وذكر حديثاً فيه طول ، لحسّان بن ثابت ، والنُّعمان بن بشير ، وكعب بن مالك ، فذكرت ما كان لكعب فيه ، قال : لمّا بُويع لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، بلغه عن حسّان بن ثابت وكعب بن مالك والنُّعمان بن بشير . وكانوا عثمانية ، أنّهم يقدّمون بني أُميّة على بني هاشم ، ويقولون : الشام خير من المدينة . واتّصل بهم أنّ ذلك قد بلغه ، فدخلوا عليه ، فقال له كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين ، أخبِرْنا عن عثمان : أقُتِل ظالِماً ، فنقولَ بقولك ؟ أم قُتِل مظلوماً ، فنقولَ بقولنا ، ونكلَك إلى الشبهة فيه ، فالعجب من تيقّننا وشكّك ، وقد زعمت العرب أن عندك عِلْم ما اختلفنا فيه ، فهاتِه نعرفه ، ثم قال[1] : [من الطويل]

كَفَّ يديهِ ثم أغلَقَ بابه ... وأيقن أنّ الله ليس بغافلِ
وقال لِمَن في دارِهِ : لا تقاتلوا ... عفا الله عن كلّ امرىء لم يقاتِلِ
فكيف رأيتَ الله صبَّ عليهمُ الـ ... ـعداوة والبغضاء بعد التواصُلِ
وكيف رأيت الخير أدبر عنهمُ ... وولّى كإدبار النّعام الجوافلِ

فقال لهم عليّ عليه السلام : لكم عندي ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء الأَثرة ، وجزِعتم فأسأتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة . فقالوا : لا ترضى بهذا العرب ، ولا تعذِرُنا به . فقال عليّ عليه السلام : أتردون عليّ بين ظَهْرانَي المسلمين ، بلا بيِّنة صادقة ، ولا حجّة واضحة ؟ اخرجوا عنّي ، ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً . فخرجوا من يومهم ، فساروا حتى أتوا معاوية : فقال لهم : لكم الولاية والكفاية . فأعطى حسّان بن ثابت ألف دينار ، وكعب بن مالك ألف دينار ، وولّى النُّعمان بن بشيرٍ حِمص ، ثم نقله إلى الكوفة بعد .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدَّثنا المدائنيّ عن عبد الأعلى القرشيّ قال : قال معاوية يوماً لجلسائه : أخبروني بأشجع بيت وَصَف به رجل قومه . فقال له رَوْح بن زِنباع : قول كعب بن مالك[2] : [من الكامل]

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا ... قُدُماً ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَقِ[3]

فقال له معاوية : صدقت .

---

1 ديوان كعب : 264 .
2 ديوان كعب : 245 .
3 قدماً في ل : يوماً .

321 ـ [مالك بن أبي كعب الأنصاري]

وأمّا أبوه مالك بن أبي كعب ، أبو كعب بن مالك ، فإنّي أذكر قبل أخباره شيئاً ممّا يغنّى فيه من شعره ، فمن ذلك قوله : [من الطويل]

صوت

لَعمرُ أبيها لا تقول حليلتي : ألا فَرَّ عنّي مالك بن أبي كعبِ
وهم يضربون الكبش يَبْرُق بيضه ترى حوله الأبطال في حَلَقٍ شُهْبِ

الشعر لمالك بن أبي كعب . والغناء لمالك ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن يونس والهِشاميّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالوسطى ، جميعاً عن الهِشاميّ . وزعم ابن المكّي أنّ خفيف الثقيل هو لحن مالك .

[سبب الخصومة بين مالك وبرذع بن عديّ]

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظَفَر ، يقال له بَرْذَع بن عديّ .

وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصميّ عن عيينة بن المِنهال ، ونسخْته من كتاب أعطانيه عليّ بن سليمان الأخفش : أنّ رجلاً من طيىء قدِم يثرب بإبل له يبيعها ، فنزل في جوار بَرذع بن عديّ أخي بني ظَفَر ، فباع إبله ، واقتضى أثمانها . وكان مالك بن أبي كعب بن القَين أخو بني سَلِمة ، اشترى منه جملاً ، فجعله ناضحاً ، فمطله مالك بن أبي كعب بثمن جمله ، وحضر شخوص الطائيّ ، فشكا ذلك إلى برذع ، فمشى معه إلى منزل مالك ، ليكلّمه أن يوفيه ثمن جمله ، أو يردّه عليه ، فلم يجدا مالكاً في منزله ، ووجدا الجمل باركاً بالفناء ، فبعثه برذع ، وقال للطائيّ : انطلق بجملك ، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النَّبيت ، فأمنا ، فارتحل الطائيّ بالجمل إلى بلاده ، وبلغ مالكاً ما صنع برذع ، فكره أن يَنْشَب بين قومه وبين النّبيت حرب ، فكفّ وقد أغضبه ذلك ، وجعل يُسَفّه برذعاً في جراءته عليه وما صنع ، فقال برذع بن عديّ في ذلك : [من الطويل]

أمِن شَحْط دار من لُبابة تجزعُ وصرف النّوى ممّا يُشِتُّ ويَجمعُ

وليس بهـا إلاّ ثـلاثٌ كأنّها مُسَفَّعـة أو قـد علاهـنَّ أيدَعُ[1]
قد اقتربت لو كان في قرب دارها جَـداء ولكن قـد تضَن وتمنعُ
وكان لهـا بالمنحنـى وجُنوبِـه مَصيف ومشتّى قبل ذاك ومَرْبعُ
أتـاني وعيـد الخزرجيّ كأنّني ذليل له عنـد اليهوديّ مَضْرَعُ[2]
متـى تَلْقني لا تَلـقَ نُهْزَةَ واجد وتعلـمُ أنّي في الهَزاهـز أروعُ[3]
معي سَمْحة صفراء من فَرْع نَبعةٍ ولَيْـنٌ إذا مسَّ الضريبـةَ يقطعُ
ومطَّرِدٌ لَـدْنٌ إذا هُـزَّ متنـهُ متين كخرْصِ الذابلاتِ وأهزعُ[4]
فـلا وإلهي لا يقـول مجاوري : ألا إنّني قـد خانني اليـوم برذعُ
وأحفظ جاري أن أخاتلَ عِرسه ومـولاي بالنَّكْـراء لا أتطلّعُ
وأجعل مـالي دون عِرضيَ إنّـه على الوُجْدِ والإعدامِ عِرض ممَّنعُ
وأصبِر نفسي في الكريهـة إنّـه لِذِي كلّ نفس مستقرّ ومصرعُ[5]
وإنّي بحمـد الله لا ثـوبَ فاجر لبِست ولا مـن خَزْيـةٍ أتقنّعُ

فأجابه مالك بن أبي كعب ، فقال : [من البسيط]

صوت

هـل للفؤادِ لـدى شَنْباءَ تنويلُ أم لا نـوالٌ فإعـراضٌ وتحميلُ[6]
إنّ النساءَ كأشجارٍ نبتـن معـاً منهنّ مُـرّ وبعض المُـرّ مـأكولُ
إنّ النساءَ ولو صُوّرن مـن ذهب فيهنّ مـن هفوات الجهل تخبيلُ

الغناء لسُليم ، هَزَج بالوسطى عن الهشاميّ وبذل .

إنّـك إن تنهَ إحداهـنّ عن خلق فإنّـه واجـب لا بـدّ مفعولُ
ونعجةٍ مـن نِعاج الرمـلِ خاذلةٍ كأن مَآقِيَهـا بـالحسنِ مكحولُ[7]

---

1 مسفعة : علاها سواد وحمرة . والأيدع : الزعفران .
2 مضرع في ل : ومصرع .
3 الهزاهز : الشدائد . والواجد : الغاضب الحاقد .
4 الخرص : الرمح القصير السنان . والذابلات : الرماح الدقيقة . والأهزع : الرمح المضطرب المهتز .
5 نفس في ل : جنب .
6 أم لا نوال في ل : أم لا فيأس .
7 نعجة هنا : امرأة .

وَدَّعتها في مُقامي ثم قلت لها : حياك ربُّك إنّي عنكِ مشغولُ
وليلةٍ من جُمادى قد شربت بها والزِّقّ بيني وبين الشَّرج مَعدولُ[1]
ومُرْجَحنٌّ على عمْدٍ دَلَفْت به كأنّه رجل في الصفّ مقتولُ[2]
ولا أهاب إذا ما الحرب حَرَّشها الْـ ـأبطال واضطربت فيها البهاليلُ
أمضي أمامَهُمُ والموت مكتنِعٌ قُدْماً إذا ما كبا فيها التَّنابيلُ[3]
عليَّ فَضْفاضة كالنِّهي سابغة وصارم مثل لون المِلح مصقولُ[4]
ولدنةٌ في يدي صفراء ثُعْلَبُها بعامل كشهاب النّار موصولُ[5]
إنّي من الخزرج الغُرِّ الذين هُمُ أهلُ المكارم لا يُلفى لهم جِيلُ
في الحربِ أنْهكَ منهم للعدوّ إذا شُبت وأعظمَ نَيْلاً إن همُ سِيلوا
أشبهتُ من والدي عِزّاً ومَكرُمةً وبرذَعٌ مُدغَم في الأوسِ مجهولُ
نُبِّئته يدَّعي عزّاً ويُوعِدني نُوكاً وعندي له بالسيف تنكيلُ

قال : ثم إنّ مالك بن كعب خرج يوماً لبعض حاجته ، فبينا هو يمشي وحده ، إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بني ظَفَر ؛ فلمّا رأوا مالكاً أقبلوا نحوه ، فبدَرَهم مالك إلى مكان من الحَرَّة كثير الحجارة مُشرف ، فقام عليه ، وأخذ في يده أحجاراً ، وأقبلوا حتى دنوا منه ، فشاتموه وراموه بالحجارة ، وجعل مالك يلتفت إلى الطريق الذي جاء منه ، كأنّه يستبطىء ناساً ، فلمّا رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات ، ظنّوا أنّه ينتظر ناساً كانوا معه ، وخشُوا أن يأتوهم على تلك الحال ، فانصرفوا عنه ، فقال مالك بن أبي كعب في ذلك : [من الطويل]

لعمرُ أبيها لا تقول حليلتي : ألا فرَّ عنّي مالك بن أبي كَعْبِ
أُقاتِل حتّى لا أرى لِي مُقاتِلاً وأنجو إذا غُمّ الجبان من الكَرْبِ
أبى لِيَ أن أُعطى الصَّغار ظلامةً جدودي وآبائي الكرامُ أُولو السَّلْبِ

---

1 الشرج : مسيل الماء إلى السهل .
2 المرجحن : المهتز .
3 مكتنع : حاضر قريب . والتنابيل : جمع تنبال ، وهو اللئيم الجبان .
4 النهي : الغدير ، شبه به الدرع في تموّجها .
5 الثعلب : طرف الرمح الداخل في السنان .

هـمُ يضربون الكبشَ يَبرُق بيضُه ترى حوله الأبطال في حَلَق شُهْبِ
وهـم أورثوني مجدَهم وفَعالَهم فأُقسم لا يُزْرِي بهـم أبداً عَقْبِي

ويروى : لا يُخْزِيهِمُ .

وأَرعى لجاري مـا حييتُ ذِمامَه وأَعرِف ما حقُّ الرفيقِ على الصحْبِ
ولا أُسمِع النَّدْمـان شيئـاً يَريبه إذا الكأس دارت بالمدام على الشَّرْبِ
إذا ما اعترى بعضُ الندامى لحاجةٍ فقولي له : أَهلاً وسهلاً وفي الرحبِ
إذا أَنفدُوا الزِّقّ الرويّ وصُرِّعوا نَشاوى فلـم أَقنع بقولهمُ : حَسْبي
بعثـت إلى حانوتهـا فاسْتبأْتُهـا بغير مِكاس في السَّوامِ ولا غصْبِ
وقلـت : اشربوا رِيّـاً هنيئاً فإنّها كماء القَليـب في اليسارة والقُربِ
يطاف عليهم بالسَّدِيف وعندهم قيـانٌ يلَهِّـينَ المَزاهـرَ بالضربِ
فإن يصبِروا لي الدهرَ أَصْبِرهم بها ويَرحُبْ لهم باعي ويغزرْ لهم شِرْبي
وكان أَبي في المَحْل يطعم ضيفه ويُروي ندامـاه ويصبِرُ في الحربِ
ويمنع مـولاه ويـدرك تَبْلَـه ولو كان ذاك التبلُ في مركبٍ صعبِ[1]
إذا مـا منعت المـال منكم لثروةٍ فلا يَهْنني مالي ولا ينمُ لي كسبي

وقد رُوِي أَنّ الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب ، لرجل من مراد ، يقال له مالك بن أَبي كعب ، وذُكر له خبر في ذلك .

[أسطورة المرادي]

أَخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان . قال : حدَّثنا أَحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عبد الله بن عبّاس ، عن مجالد عن الشعبيّ ، قال : كان رجل من مُراد يُكْنى أبا كعب ، وكان له ابن يُدعى مالِكاً ، وبنت يقال لها طُرَيْفة ، فزوّج ابنه مالكاً امرأة من أرحب ، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب ، فقالت الأرحبيّة لمالك : إنّي قد اشتقت إلى أهلي ووطني ، ونحن هاهنا في جدب وضيق عيش ، فلو ارتحلت بأهلك وبي ، فنزلت على أهلي ، لكان عيشنا أرغد ، وشَمْلنا أجمع ؛ فأطاعها ، وارتحل بها وبأُمِّه وبأُخته إلى بلاد أرحب . فمرّ بحيٍّ كان بينهم وبين أبيه ثأر ، فعرفوا فرسه ، فخرجوا إليه ، وأحدقوا به ، وقالوا له : استسْلم وسلِّم الظعينة . فقال : أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا ، وقاتلهم حتى

1 صعب في ل : مطلب .

صُرِع ، فقال وهو يجود بنفسه : [من الطويل]

لعمر أَبيها لا تقــول حليلتي ... أَلا فرَّ عنّي مالك بن أَبي كعبِ

وذكر باقي الأبيات التي تقدّم ذكرها قبل هذا الخبر .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وأحسب هذا الخبر مصنوعاً ، وأَنّ الصحيح هو الأوّل .

* * *

صوت

[من البسيط]

خُيِّرتُ أَمرين ضاع الحزم بينهما ... إمّــا الضَّياعُ وإمّــا فِتنة عَمَمُ

فقد هممت مِــراراً أَن أساجلهم ... كأسَ المنيّــةِ لــولا اللهُ والرَّحِمُ

الشعر لعيسى بن موسى الهاشميّ ، والغناء لمتيّم الهاشمية ، خفيف رمل ، من روايتَي ابن المعتزّ والهشاميّ .

[322] ـ أخبار عيسى بن موسى ونسبه[1]

[نسبه]

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف . وقد مضى في عدّة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب . وأمّه وأمّ سائر إخوته وأخواته أم ولد .

وعيسى ممّن وُلِد ونشأ بالحُمَيمة من أرض الشام ، وكان من فحول أهله وشجعانهم ، وذوي النجدة والرأي والبأس والسُّودَد منهم . وقبل أن أذكر أخباره ، فإنّي أبدأ بالرواية في أنّ الشعر له ، إذ كان الشعر ليس من شأنه ، ولعلّ منكِراً أن ينكر ذلك إذا قرأه .

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلَّبيّ وعمّي قالا : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد . ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد ، فقابلت به ما روياه ؛ فوجدته موافِقاً .

[خلعه المنصور وأخذ البيعة للمهدي]

قال ابن أبي سعد : حدَّثني عليّ بن النطّاح قال : حدَّثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال : لمّا خلع أبو جعفر عيسى بن موسى ، وبايع للمهديّ ، قال عيسى بن موسى : [من البسيط]

خُيِّرْتُ أمرين ضاع الحزم بينهما ... إمّـا صَغار وإمّـا فتنة عَمَمُ
وقـد هممت مِراراً أن أُساقِيَهم ... كأس المنيّـة لولا اللهُ والرَّحِمُ
ولـو فعلـت لزالت عنهمُ نِعَمٌ ... بكفـر أمثالهـا تُستَنْزَل النِقَمُ

على هذه الرواية في الشعر ، رَوى من ذَكرت . وعلى ما صَدَّرْتُ من الخلاف في الألفاظ يُغَنّى .

أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشمي قال : أنشدني ابن بُرَيهة المنصوريّ هذه الأبيات ، وحكى أنّ ناقداً خادم عيسى كان واقفاً بين يديه ليلة أتاه خبر المنصور وما دبَّره عليه من الخلع . قال : فجعل يتململ على فِراشه ويُهَمْهِم ، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات ، فعلمت أنّه كان يهمهم بها ، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى ، شفقة عليه .

1 لعيسى بن موسى ترجمة في أشعار أولاد الخلفاء : 309–323 وتاريخ الطبري وكامل ابن الأثير ومعجم المرزباني : 96–97 .

[رؤيا موسى]

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدّمت ذكره عنهم : وحدَّثني محمد بن يوسف الهاشميّ قال : حدَّثني عبد الله بن عبد الرحيم قال : حدَّثتني كلثم بنت عيسى قالت : قال موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس : رأيت في المنام كأنّي دخلت بستاناً ، فلم آخذ منه إلاّ عنقوداً واحداً ، عليه من الحبّ المرصَّف ما الله به عليم ، فوُلد لي عيسى بن موسى ، ثم وُلد لعيسى مَن قد رأيت .

[كراهيته للغناء]

قال ابن أبي سعد في خبره هذا : وحدّثني عليّ بن مسلم الهاشميّ قال : حدَّثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك ، مولى عيسى بن موسى ، قال : حدَّثني أبي قال : كنّا مع عيسى بن موسى لّما سكن الحِيرة ، فأرسل إليّ ليلة من الليالي ، فأخرجني من منزلي ، فجئت إليه ، فإذا هو جالس على كرسيّ ، فقال لي : يا عبد الرحمن ، لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قطُّ إلاّ ليلةً بالحُمَيْمَة والليلة ، فانظر ما هو . فدخلت أستقري الصوت ، فإذا هو في المطبخ ، وإذا الطبّاخون قد اجتمعوا ، وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنّيهم بالعود ، فكسرت العود ، وأخرجت الرجل ، وعُدْت إليه فأخبرته ، فحلف لي أنّه ما سمعه قطّ إلاّ تلك الليلةَ بالحُمَيْمة وليلَته هذه .

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ ، قالا : حدَّثنا الزبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن المنذر ، عن صفيّة بنت الزبير بن هشام بن عُروة ، عن أبيها ، قال : كان عيسى بن موسى إذا حجّ ، يَحُجّ ناس كثير من أهل المدينة ، يتعرَّضون لمعروفه فيصلهم ؛ قالت : فمرَّ أبي بأبي الشدائد الفزاريّ ، وهو ينشد بالمصلَّى : [من الرجز]

عصابة إن حج عيسى حجُّوا
وإن أُقام بالعراق دَجُّوا
قد لَعِقوا لُعَيقةً فلَجُّوا
فالقوم قوم حَجُّهم مُعْوَجُّ
ما هكذا كان يكون الحجُّ

قال : ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي ، فسلّم عليه ، فلم يردد عليه ، فقال له : مالك يا أبا عبد الله لا تردّ السلام عليّ ؟ فقال : ألم أسمعك تهجو حاجَّ بيت الله الحرام ؟ فقال أبو الشدائد : [من الرجز]

إنّـي وربِّ الكعبـةِ المبنيَّهْ
واللهِ ما هجوتُ مِن ذِي نيّهْ
ولا امرىء ذي رِعَةٍ نقيّهْ
لكِنّني أُرْعِـي عـلى البريّهْ
من عُصبةٍ أغْلَوا على الرعِيّهْ
بغير أُخـلاق لهـم سَرِيّهْ

صوت

[من مجزوء الرجز]

آثـــار رَبْـــع قَدُمـا أعيـا جوابـاً صَمَما
سُحّت عليـه دِيـمٌ بمائهـا فانهدَمـا
كان لسُعْـدى عَلَمـاً فصـار وَحْشاً رِمَمـا
أيّامَ سُعـدى سَقَـمٌ وهْي تـداوي السَّقَما

الشعر للرَّقاشيّ ، والغناء لابن المكّيّ ، رمل بالوسطى ، عن عَمرو بن بانة .

[323] ـ أخبار الرقاشيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو الفضل بن عبد الصمد مَولى رقاشٍ . وهو من ربيعة ، وكان مطبوعاً سهل الشعر ، نقيّ الكلام ، وقد ناقض أبا نواس ، وفيه يقول أبو نواس : [من الوافر]

وجدنا الفضل أكرم مِن رقاشٍ لأنّ الفضل مولاه الرسولُ

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه ، لأنّه كان أكرم ممّن ينتمي إليه ، وذهب أبو نواس إلى قول النبيّ ﷺ : أنا مولى مَن لا مولى له .

وذكر إبراهيم بن تميم ، عن المعلّى بن حُمَيد : أنّ الرقاشيّ كان من العجم ، من أهل الريّ وقد مدح الرقاشيّ الرشيد وأجازه ، إلاّ أنّ انقطاعه كان إلى آل بَرمَك ، فأغنَوه عن سواهم .

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلّبيّ قال : حدَّثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ قال : حدَّثني أبي ، قال : كان الفضل الرقاشيّ منقطعاً إلى آل بَرْمَك ، مستغنياً بهم عن سواهم ، وكانوا يصولون به على الشعراء ، ويُرَوُّون أولادهم أشعاره ، ويدونون القليل والكثير منها ، تعصّباً له ، وحفظاً لخدمته ، وتنويهاً باسمه ، وتحريكاً لنشاطه ، فحفِظ ذلك لهم . فلمّا نُكِبوا صار إليهم في حبسهم ، فأقام معهم مدّة أيّامهم ، ينشدهم ويسامِرهم ، حتّى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر ، ونشر محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط ، حتى نَشَر منها ما كان مطويّاً ، وأذاع منها ما كان مستوراً ؛ وجرى على شاكلته بعدهم ، وكان كالموقوف المديح على جميعهم ، صغيرهم وكبيرهم . ثم انقطع إلى طاهر وخرج معه إلى خراسان ، فلم يزل بها معه حتى مات .

وكان مع تقدّمه في الشعر ماجناً خليعاً ، متهاوناً بمروءته ودينه ، وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة ، سائرة في الناس ، مبتذلة في أيدي الخاصة والعامّة ، وهي التي أوّلها : [من الرجز]

أوصى الرقاشيُّ إلى إخوانِهِ وصيّة المحمودِ في نُدْمانِهِ

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخطّ الجاحظ في شعر أبي نعامة ، من جملة قصيدة له

1 ترجمة الرقاشي في طبقات ابن المعتز 226–227 ومعجم المرزباني : 180–181 وتاريخ بغداد 12 : 345 والزركشي : 245 وفوات الوفيات 4 : 183–184 .

طويلة ، يهجو فيها جماعة ، ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشيّ .

وقال عبد الله بن المعتزّ : حدّثني ابن أبي الخنساء ، عن أبيه ، قال : لما قال أبو دُلَف : [من مجزوء الرمل]

صوت

ناولِيني الرمح قد طا ... ل عن الحرب جَمامِي
مرّ لي شهران مذْ لم ... أرمِ قوماً بِسِهامِي

قال الرقاشيّ يعارضه : [من مجزوء الرمل]

جنّبيني الدّرعَ قد طا ... ل عن القَصْف جَمامِي
واكسِرِي المِطْرد والبَـ ... ـيْض وأثنِي بالحُسامِ
واقذفي في لُجَّة البحـ ... ـرِ بقوسي وسِهامِي
وبتُرسي وبرُمحـ ... ـي وبِسرجِي ولجامِي
فبحسبي أن تَرَيْنِي ... بين فِتيانٍ كِرامِ
سادةٍ نغدو مُجِدّيـ ... ـن على حَرْبِ المدامِ
واصطِفاقِ العودِ والنا ... ياتِ في جوفِ الظلامِ
هَزْم أرواح دِنانٍ ... لم ننلها باصطلامِ
نهزِمِ الراح إذا ما ... هَمَّ قوم بانهزامِ
ثم خلِّ الضرب والطعـ ... ـن لأجساد وهامِ
لشقِيٍّ قال : قد طا ... ل عن الحربِ جَمامِي

[رثاء البرامكة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن موسى ، عن ابن النطاح ، قال : تُوُفِّي العبّاس بن محمد بن خالد بن برمك بالخُلد ، والرشيد بالرُّصافة ، في يوم جمعة ، فأخرجتْ جنازته مع العصر ، وحضر الرشيد والأمين ، وأخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البَرَدان ، وفُرِش للرشيد في مسجد هناك ، وجاء الرشيد في الحِلق بالأعلام والحِراب ، فصلّى عليه ، ووقف على قبره حتى دُفِن ؛ فلمّا خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر ، قَبَّلا يد الرشيد ، وسألاه الانصراف ، فقال : لا ، حتى يُسَوَّى عليه التراب ، ولم يزل قائماً حتى فُرِغ من أمره ، وعزّاهما وأمرهما بالركوب ، فقال الرَّقاشيّ يرثي العبّاس بن محمد بن خالد بن برمك : [من الطويل]

أتحسبني باكرتُ بعدك لـذّة أبا الفضلِ أو رَفّعت عن عاتقٍ سِترا
أوِ انتفعت عيناي بعدُ بنظرة أوَ ادْنيتُ من كأسٍ بمشمولة ثغرا
جفانِي إذن يوماً إلى الليل مؤنسي وأَضحت يميني من ذخائرها صِفرا
ولكنّني استشعرتُ ثوب استكانة وبتُّ كأن الموت يحفِر لي قبرا

غنّى في الأول والثاني من هذه الأبيات الرّفّ ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى . وفيه ثقيل أوّل مجهول ، أحسبه لبعض جواري البرامكة . وفيهما لإبراهيم بن المهديّ خفيف رمل ، عن عبد الله بن موسى .

ومن ذلك قوله في جعفر : [من البسيط]

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ يا طيبَ للضيفِ إذ تُدْعى وللجارِ
إن يُعْدَمِ القطر كنتَ المُزنَ بارقُه لمعُ الدنانيرِ لا ما خيّل الساري

وقوله : [من الطويل]

لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المَعايرُ
وما أحد حيٌّ وإن كان سالماً بأسلم ممّن غيبته المقابرُ
ومن كان ممّا يُحدث الدهر جازِعاً فلا بدّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ
وليس لذي عيش عن الموت مَقْصَرٌ وليس على الأيّام والدهر غابرُ
وكلّ شباب أو جديدٍ إلى البِلى وكلّ امرىء يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبْعِدَنْك الله عنيَ جعفراً بِروحي ولو دارت عليّ الدّوائرُ
فآلَيْتُ لا أنفكُّ أبكيك ما دَعَتْ على فَنَنٍ ورقاءُ أو طار طائرُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبة قال : حدَّثني أبو غسّان ، عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن محمد بن عبد العزيز : أنّ الرقاشيّ الشاعر فنِيَ في حبّ البرامكة حتى خيف عليه .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي عن أبي عكرمة ، قال : وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن موسى ، عن إسماعيل بن مجمع ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ : أنّه لما دارت الدوائر على آل برمك ، وأمِر بقتل جعفر بن يحيى وصُلِب ، اجتاز به الرّقاشيّ الشاعر وهو على الجِذع ، فوقف يبكي أحرَّ بكاء ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

أمـا واللهِ لولا خـوف واشٍ وعـين للخليفـة لا تنـامُ
لَطُفنـا حول جذعك واستلمنا كما للنـاس بالحَجَـر استلامُ
فما أَبصرتُ قبلك يا ابن يحيى حساماً قـدَّهُ السيفُ الحسامُ[1]
على اللـذات والدّنيـا جميعاً ودولـة آلِ برمـكٍ السلامُ

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد ، فأحضره ، فقال له : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كان إليّ محسناً ، فلمّا رأيته على الحال التي هو عليها حرّكني إحسانه ، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت . قال : وكم كان يُجْرِي عليك ؟ قال : ألفَ دينار في كلّ سنة . قال : فإنّا قد أضعفناها لك .

[أسفه على أصدقائه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلَف ، قال : حدَّثنا الرّياشيّ قال : كان الفضل الرَّقاشيّ يجلس إلى إخوانٍ له يحادثهم ، ويألفونه ويأنسون به ، فتفرّقوا في طلب المعاش ، وترامت بهم الأسفار ، فمرّ الرقاشيّ بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه ، فوقف فيه طويلاً ، ثم استعبر وقال : [من الكامل]

لـولا التطيُّر قلـتُ غيَّـركم ريبُ الزمـان فخنتُم عهدي
درستْ معـالمُ كنـت آلَفُهـا من بعدكـمْ وتغيّرتْ عندِي

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النحويّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني أبو هِفان ، عن يوسف بن الدّاية قال : كان أبو نواس والفضل الرَّقاشيّ جالسَيْن ، فجاءهما عمرو الورّاق ، فقال : رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن عليّ ، فما رأيت جارية أحسن منها ، هيفاءَ نجلاء ، زجَّاءَ دعجاء ، كأنّـها خُوط بان ، أو جَدْل عِنان ، فخاطبتها فأجابتني بأحلى لفظ ، وأحسن[2] لسان ، وأجمل خطاب . فقال الرقاشيّ : قد والله عشقتها ، فقال أبو نواس : أَوَ تعرفها ؟ قـال : لا واللهِ ، ولكـن بالصفة ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

صفاتٌ وظَنٌّ أَورثا القلب لوعـةً تضـرَّم في أَحشاء قلـب متيَّمِ
تُمَثِّلهـا نفسي لعينـي فأنثنـي إليهـا بطـرف الناظـر المتوسِّمِ
يحمِّلني حبِّـي لهـا فـوق طاقتي من الشوقِ دأْبَ الحائرِ المتقسِّمِ

1 قده في ل : حتفه .
2 ل : وأفصح .

أُخبرني أُحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرانيّ قال : قيل لابن دراج الطفيليّ أتتطفّل على الرؤوس ؟ قال : وكيف لي بها ؟ قيل : إنّ فلاناً وفلاناً قد اشترياها ، ودخلا بستان ابن بَزِيع ، فخرج يُحْضِر خوفاً من فوتهما ، فوجدهما قد لوَّحا بالعظام فوقف عليهما ينظر ، ثم استعبر وتمثّل قول الرّقاشيّ : [من مجزوء الرجز]

آثــار رَبْــع قَدُمــا أُعيــا جــوابي صَمَما

وابن دراج هذا يقال له عثمان ، وهو مولًى لكندة ، وكان في زمن المأمون ، وله شعر مليح ، وأدب صالح ، وأخبار طيبة ، يجري ذكرها هاهنا .

[324] ـ أخبار ابن درّاج الطُّفيليّ

[يخاف الكلب]

أخبرني الجوهريّ عن ابن مهرويه ، عن أبيه قال : قيل لعثمان بن دراج : أتعرف بستان فلان ؟ قال : إي والله ، وإنّه للجنّة الحاضرة في الدنيا . قيل له : فلِم لا تدخل إليه ، فتأكل من ثماره ، تحت أشجاره ، وتسبح في أنهاره ؟ قال : لأنّ فيه كلباً لا يتمضمض إلاّ بدماء عراقيب الرجال .

[إصراره على التطفّل]

أخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا ابن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرّانيّ قال : كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطّابيّ ، أحد ولد زيد بن الخطّاب ، فقال له : ويْحَك ! إنّي أبخل بأدبك وعلمك ، وأصونك وأضَنّ بك عمّا أنت فيه من التطفيل ، ولي وظيفة راتبة في كلّ يوم ، فالزمني وكُن مدعوّاً أصلح لك ممّا تفعل . فقال : رحمك الله أين يُذْهَب بك ؛ فأين لذّة الجديد ، وطيب التنقّل كلّ يوم من مكان إلى مكان ؟ وأين نَيلك ووظيفتك من احتفال العروس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأمّا إذ أبيت ذاك ، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإنّي فَيْئة لك . قال : أمّا هذا فنعم .

[يمنع الطفيليين]

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابيَّ مولاة له ، فقالت : جُعِلْتُ فِداك . زوَّجت ابنتي من ابن عمّ لها ، ومنزلي بين قوم طُفَيليين ، لا آمنهم أن يهجموا عليّ ، فيأكلوا ما صنعت ، ويبقى مَن دعوت ، فوجِّه معي بمَن يمنعهم . فقال : نعم ، هذا أبو سعيد ، قم معها يا أبا سعيد . فقال : مُرِّي بين يَدَيّ ، وقام وهو يقول[1] : [من الكامل]

ضجِـت تميمٌ أن تُقَتَّل عامـرٌ يـومَ النسار فأُعتِبـوا بالصَّيْلَمِ

[تحيّله في التطفيل]

قال : وقال الخطابيّ هذا لابن درّاج : كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يُدْخلوك ؟ قال : أنوح على بابهم ، فيتطيّرون بذلك ، فيدخلوني .

1 البيت لبشر بن أبي خازم (اللسان ـ صلم) . والصيلم : الداهية .

[خوفه من نفاد الطعام أكسب لونه الصفرة]

قال : وقال له رجل : ما هذه الصفرة في لونك ؟ قال : من الفترة بين القصعتين ، ومن خوفي كلّ يوم من نَفادِ الطعام قبل أن أشبع .

[صفة بيته]

أخبرني أحمد قال : حدَّثنا ابن مهرويه ، عن عبد الرحيم بن أحمد : أنّ ابن درّاج صار إلى باب عليّ بن زيد ، أيّام كان يكتب للعبّاس بن المأمون ، فحجبه الحاجب ، وقال : ليس هذا وقتك ، قد رأيتَ القواد يُحْجبون ، فكيف يؤذن لك أنت ؟ قال : ليست سبيلي سبيلهم ، لأنّه يحبّ أن يراني ، ويكره أن يراهم ، فلم يأذن له . فبيناهما على ذلك إذ خرج عليّ بن زيد ، فقال : ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل ؟ فقال : منعني هذا البغيض . فالتفت إلى الحاجب ، فقال : بلغ بك بغضك أن تحجب هذا ؟ ثم قال : يا أبا سعيد ، ما أهديت إليّ من النوادر ؟ قال : مرّت بي جنازة ومعي ابني ، ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول : بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وطاء ، ولا ضيافة ولا غطاء ؛ ولا خبز فيه ولا ماء . فقال لي ابني : يا أبة ، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . فقلت له : وكيف ويلَك ؟ قال : لأنّ هذه صفة بيتنا . فضحك عليّ وقال : قد أمرت لك بثلاثمائة درهم . قال : وقد وفَّر الله عليك نصفها على أن أتغدّى معك . قال : وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس ، فقال : هي عليك مُوَفَّرة كلّها ، وتتغدّى معنا .

[لذّة التطفيل]

وعثمان ابن درّاج الذي يقول : [من مجزوء الرمل]

لـذّةَ التطفيل دُومي وأقيمِـي لا تَريمـي
أنتِ تشفـين غليـلي وتسلّـين همـومي

عود إلى الرقاشيّ :

[خضاب الرقاشيّ]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا العكليّ قال : دخل الرقاشيّ على بعض أمراء الصدقة ، فقال له : قد أصبح خِضابك قانياً . قال : لأنّي أمسيت له معانياً . قال : وكيف تفعله ؟ قال : أُنْعِم الحناء عَجْناً ، وأجعل ماءه سخناً ، وأُرَوِّي شَعْرِي قبله دُهْناً ، فإن بات قَنا[1] ، وإن لم يفعل أغنى .

1 قنا : احمر .

صوت[1]

[من الخفيف]

مـــن لِعين رأت خيالاً مِطيفا   واقفـــاً هكـــذا علينـــا وقوفا
طارقـــاً موهِنـــاً ألمّ فحيّـــا   ثـــم ولّى فهاج قلبـــاً ضعيفا
ليت نفسي وليت أنفس قومي   يـــا يزيـــد النّدى تقيك الحتوفا
عَتَكـــي مُهَلَّبـــيّ كريـــم   حاتمي قـــد نال فرعـــا منيفا

عروضه من الخفيف ، والشعر لربيعة الرقى يمدح يزيد بن حاتم المهلّبيّ . والغناء لعبد الرحيم الرفّ ، خفيف رملٍ بالوسطى ، عن عمرو .

1 شعر ربيعة الرقي : 83 ولم يرد فيه البيت الثالث .

[325] ـ أخبار ربيعة الرَّقيِّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو ربيعة بن ثابت الأنصاريّ ، ويكنى أبا شَبابة . وقيل إنّه كان يكنى أبا ثابت ، وكان ينزل الرَّقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأشخصه المهديّ إليه ، فمدحه بعدّة قصائد ، وأثابه عليها ثواباً كثيراً ، وهو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريراً ، وإنّما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته ، بُعده عن العراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخالطة الشعراء ، وعلى ذلك فما عدِم مفضِّلاً لشعره ، مقدِّماً له .

[أشعر المحدثين وأسيرهم بيتاً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا محمد بن داود ، عن ابن أبي خَيْثمة عن دِعبل قال : قلت لمروان بن أبي حفصة : مَن أشعركم جماعة المحدَّثين يا أبا السِّمط ؟ قال : أشعرنا أسْيَرنا بيتاً . قلت : ومَن هو ؟ قال : ربيعة الرقيّ الذي يقول[2] : [من الطويل]

لَشتانَ ما بين اليزيدينِ في الندى ... يزيد سُلَيم والأغـرّ ابـن حاتمِ

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلّبيّ ، وهجا يزيد بن أُسَيد السُّلَميّ ، وبعد البيت الذي ذكره مروان : [من الطويل]

يزيـد سُلَيم سالمُ المـالِ والفتى ... أخـو الأزدِ للأمـوالِ غير مُسالمِ
فهَـمُّ الفتى الأزديّ إتلاف مالِـهِ ... وهم الفتى القيسيّ جمع الدراهمِ
فـلا يحسَبِ التَّمتام أنّي هجوتُه ... ولكنّنـي فضّلـت أهـل المكارمِ
فيا ابن أُسَيد لا تسامِ ابن حاتـم ... فتقـرَعَ إن ساميتَـه سنَّ نادمِ
هو البحر إن كَلَّفت نفسك خوضه ... تهالكتَ في مـوج لـه متلاطمِ

[أبو زيد يستشهد بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه ، قال : حدَّثني أُسَيد بن خالد الأنصاريّ ، قال : قلت لأبي زيد النحويّ : إنّ الأصمعيّ قال : لا يقال : شتان ما بينهما ، إنّما يقال : شتان ما هما ، وأنشد قول الأعشى :

---

1 لربيعة الرقي ترجمة في طبقات ابن المعتز : 157–170 ومعجم الأدباء : 1302–1303 ونكت الهميان : 151 والوافي 16 : 189 وخزانة البغدادي 6 : 301–302 وقد جمع شعره د . يوسف بكار .

2 شعر ربيعة : 96–100 .

شتانَ ما يومي على كُورها

فقال : كذب الأصمعيُّ ، يقال : شتان ما هما ، وشتان ما بينهما ، وأنشدني لربيعة الرقيّ ، واحتجّ به : [من الطويل]

لشتانَ ما بين اليزيدينِ في الندى   يزيد سُلَيم والأغرّ ابن حاتمِ

وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعيّ بشعر ربيعة الرقيّ ، كفاية له في تفضيله .

وذكره عبد الله بن المعتزّ فقال : كان ربيعة أشعر غزلاً من أبي نواس ، لأنّ في غزل أبي نواس بَرْداً كثيراً ، وغزل هذا سَلِيم سهل عذب .

[سرقوه من بلاده]

نسخت من كتابٍ لعمِّي : حدَّثنا ابن أبي فَنَن قال : اشتهى جَوارِي المهديّ أن يسمعن ربيعة الرقيّ ، فوجّه إليه المهديّ مَن أخذه من مسجده بالرقّة ، وحُمِل على البريد حتى قُدِم به على المهديّ ، فأُدخِل عليه ، فسمع ربيعة حِسّاً من وراء السِّتر ، فقال : إنّي أسمع حسّاً يا أمير المؤمنين ، فقال : اسكت يا ابن اللَّخناء ، واستنشده ما أراد ، فضحِك وضحكن منه . قال : وكان فيه لين ، وكذلك كان أبو العتاهية ، ثم أجازه جائزة سنيّة ، فقال له[1] : [من مجزوء الرمل]

يا أمير المؤمنينَ اللـ   ـه سَمّاك الأمينا
سَرقوني من بلادِي   يا أمير المؤمنينا
سرقوني فاقضِ فيهم   بجزاء السارقينا

قال : قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك . ثم أمر به فحُمِل على البريد من ساعته إلى الرقّة .

[في يزيد بن حاتم]

وفي يزيد بن حاتم يقول أيضاً[2] : [من الوافر]

يزيدَ الأزدِ إن يزيدَ قومي   سميَّك لا يجود كما تجودُ
يقودُ جماعة وتقودُ أخرى   فترزُقُ مَن تقود ومَن يقودُ
فما تِسعون يَحقرُها ثلاث   يقيم حسابَها رجل شديدُ

---

1 شعر ربيعة 105 .

2 شعر ربيعة : 72 .

وكفٌّ شَثْنة جُمِعَتْ لوَجْءٍ　　　بأنكدَ من عطائك يا يزيدُ

[غضب الرشيد على العبّاس بن محمد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : امتدح ربيعة الرقيّ العبّاس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، بقصيدة لم يُسبَق إليها حُسناً ، وهي طويلة يقول فيها[1] : [من الكامل]

صوت

لو قيل للعبّاس يا ابن محمدٍ　　　قل : (لا) وأنت مخلَّد ما قالَها

ما إن أَعُدُّ من المكارمِ خَصْلة　　　إلاّ وجدتك عمّها أو خالَها

وإذا الملوك تسايروا في بلدة　　　كانوا كواكبها وكنت هلالَها

إنّ المكارم لم تزل معقولة　　　حتى حللت براحتيك عِقالَها

في البيت الأوّل والبيت الأخير خفيف رمل بالوسطى ، يقال إنّه لإبراهيم . ويقال إنّه للحسين بن محرِز .

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدّر فيه ألفين ، فلمّا نظر إلى الدينارين كاد يُجَن غيظاً ، وقال للرسول : خذ الدينارين ، فهما لك ، على أن تردّ الرقعة من حيث لا يدري العبّاس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة ، وأمر مَن كتب في ظهرها[2] : [من الوافر]

مدحتك مِدحةَ السيفِ المُحَلَّى　　　لتجْريَ في الكرامِ كما جريتُ

فهبها مِدحةً ذهبت ضَياعاً　　　كذبتُ عليك فيها وافتريتُ

فأنت المرءُ ليس له وفاءٌ　　　كأنّي إذ مدحتك قد زنيتُ

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه . فردّها الرسول في موضعها . فلمّا كان من الغد أخذها العبّاس ، فنظر فيها ، فلمّا قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أثيراً عنده ، يبجِّله ويقدّمه ، وكان قد هَمَّ أن يخطب إليه ابنته ؛ فرأى الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : هجاني ربيعة الرَّقيّ . فأحضِر ، فقال له الرشيد : يا ماصَّ كذا وكذا من أُمّه ، أتهجو عمّي ، وآثَرَ الخلق عندي ، لقد هممت أن أضرب عنقك . فقال : والله يا أمير المؤمنين ، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء ، في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء ، وأكثرت في الوصف ، فإن رأى أمير

1 شعر ربيعة : 87 .

2 شعر ربيعة : 67 .

المؤمنين أن يأمره بإحضارها . فلمّا سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه ، وأحبّ أن ينظر في القصيدة ، فأمر العبّاس بإحضار الرقعة ، فتلكّأ عليه العبّاس ساعة . فقال له الرشيد : سألتك بحقّ أمير المؤمنين إلاّ أمرت بإحضارها . فعلم العبّاس أنّه قد أخطأ وغلِط ، فأمر بإحضارها فأحضرت ، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها ، وأعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربيعة وبرّ . ثم قال للعبّاس : كم أثبْته عليها ؟ فسكت العبّاس ، وتغيّر لونه ، وجَرِض بريقه ، فقال ربيعة : أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين ، فتوهّم الرشيد أنّه قال ذلك من الموجِدة على العبّاس ، فقال : بحياتي يا رقيّ ، كم أثابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلاّ بدينارين . فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وجه العبّاس بن محمد ، وقال : سَوْأةً لك ! أيّةُ حال قعدتْ بك عن إثابته ؟ أقلّة المال ؟ فوالله لقد موّلتك جُهدي ؛ أم انقطاع المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعتْ عنك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ فلا ذنب لي ، بل نفسُك فعلتْ ذلك بك ، حتى فضحتَ أباك وأجدادك ، وفضحتني ونفسك . فنكس العبّاس رأسه ولم ينطق . فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخِلْعة ، واحمله على بغلة ، فلمّا حُمِل المال بين يديه ، وألبس الخلعة ، قال له الرشيد : بحياتي يا رقيّ لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً ، وفتر الرشيد عمّا كان هم به أن يتزوّج إليه ، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطّراح .

[عبثه بالعبّاس بن محمد]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال : حدّثني أحمد بن أبي فنن الشاعر ، قال : حدّثني من لا أحصي من الجلساء : أن ربيعة الرقيّ كان لا يزال يعبَث بالعبّاس بن محمد بحضرة الرشيد ، العبث الذي يبلغ منه ؛ منذ جرى بينهما في مديحه إيّاه ما جَرى ، من حيث لا يتعلّق عليه فيه بشيء ، فجاء العبّاس يوماً إلى الرشيد ببَرْنيّة فيها غالية ، فوضعها بين يديه ، ثم قال : هذه يا أمير المؤمنين غالية ، صنعتها لك بيدي ، اختير عنبرها من شِحْر عمان ، ومسكها من مَفاوز التُّبَّت ، وبانها من ثغر تهامة ؛ فالفضائل كلّها مجموعة فيها ، والنعت يقصر عنها .

فاعترضه ربيعة ، فقال : ما رأيت أعجب منك ، ومن صفتك لهذه الغالية ، عند من إليه كلّ موصوف يُجْلَب ، وفي سوق يَنْفُق ، وبه إليه يُتَقرَّب ، وما قَدْر غاليتك هذه ، أعزّك الله ، حتى تبلغ في وصفها ما بلغت ؟ أأجريت بها إليه نهراً ، أم حملت إليه منها وِقراً ؟ إن تعظيمك هذا عند مَن تُجبى إليه خزائن الأرض وأموالها من كلّ بلدة ، وتذِل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة ، وتتحفه بطُرَف بُلدانها ، وبدائع ممالكها ، حتّى كأنّك قد فقتَ به

على كلّ ما عنده ، أو أبدعت له ما لا يعرفه ، أو خصَصته بما لم يحوه ملكه ، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همّة . أنشُدك الله يا أمير المؤمنين ، إلاّ جعلتَ حظّي من كلّ جائزة وفائدة توصلها إليَّ مدّة سنتي هذه الغالية ، حتى أتلقّاها بحقّها . فقال : ادفعوها إليه ، فدُفِعت إليه . فأدخل يده فيها ، وأخرج مِلئها ، وحلّ سراويله ، وأدخل يده فطلى بها استه ، وأخذ حَفْنة أُخرى ، وطلى بها ذكره وأُنثَيَيه ، وأخرج حَفْنتين ، فجعلهما تحت إبطيه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، مرْ غلامي أن يدخل إليّ ، فقال : أدخلوه إليه ، وهو يضحك ، فأدخلوه إليه فدفع إليه البَرْنيّة غير مختومة ، وقال : اذهب إلى جاريتي فلانة بهذه البرنيّة ، وقل لها : طيبي بها حِرَك واستك وإبطيك ، حتى أجيء الساعة وأنيكك . فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غُشي عليه ، وكاد العبّاس يموت غيظاً ، ثم قام فانصرف ، وأمر الرشيد أن يبعث لربيعة بثلاثين ألفَ درهم .

[طرز شعره في بساط]

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى ، أنّه رأى قصيدة لربيعة الرقيّ مكتوبة في دَوْرِ بِساطٍ من بُسُط السلطان قديم ، وكان مبسوطاً في دار العامّة بسرّ مَن رأى ، فنسخها منه ، وهي قوله[1] : [من الطويل]

صوت

وتزعم أنّي قد تبدّلتُ خُلّةً سِواها وهذا الباطل المتقَوَّلُ
لحا الله مَن باع الصديقَ بغيرِهِ فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعلُ
سَتصرِم إنساناً إذا ما صَرَمتني يحبّكَ فانظر بعدَه مَن تَبَدَّلُ

في هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأوّل ، ينسب إلى إبراهيم الموصليّ ، وإلى إبراهيم بن المهديّ ، وفيه لعريب رَمَل من رواية ابن المعتزّ .

[لم يقض يزيد بن أسيد حاجته فهجاه]

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أُسَيْد ، أنّه زاره يستميحه ، لقضاء دَين كان عليه ، فلم يجد عنده ما أحبّ ، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلّبيّ ، فطَفَّل[2] على قضاء دينه وبرّه ، فاستفرغ ربيعة جُهده في مدحه ، وله فيه عِدّة قصائد مختارة ، يطول ذكرها ، وقد كان أبو الشمَقْمَق عارضه في قوله : [من الطويل]

1 شعر ربيعة : 84 .
2 طفل : ترفق وتلطف .

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليمٍ والأغر ابن حاتمِ

في قصيدة مدح بها يزيد بن مَزْيَد ، وسلَخ بيت الرقيّ ، بل نقله وقال : [من الطويل]

لشتان ما بين اليزيدين في الندى إذا عُد في الناس المكارمُ والمجدُ

يزيدُ بني شَيبانَ أكرم منهما وإن غضبت قيسُ بن عَيلانَ والأزدُ

فتى لم تلِده من رُعَين قبيلةٌ ولا لَخْمُ تَنميه ولم تَنْمه نَهْدُ

ولكن نمته الغُرُّ من آل وائلٍ وبَرَّةُ تَنميه ومِن بعدها هندُ

ولم يسِرْ في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربيعة .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا محمد بن داودَ بن الجرّاح قال : حدَّثنا محمد بن أبي الأزهر قال : عَرَض نخاس على أحمد بن يزيد بن أُسَيد الذي هجاه ربيعة جَواريَ ، فاختار جاريتين منهن ، ثم قال للنخاس : أيّتهما أحبّ إليك ؟ قال : بينهما أعزّ الله الأمير كما قال الشاعر : [من الطويل]

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيدِ سليم والأغرّ ابن حاتمِ

فأمر بجر رجله وإخراجه وجواريه .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : لمّا حجّ الرشيد لقيه قبل دخوله مكّة رجلان من قريش ، فانتسب له أحدهما ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، نَهَكتنا النوائب ، وأجحفت بأموالنا المصائب ، ولنا بك رحِم أنت أولى من وصلها ، وأمل أنت أحقّ من صدقه ، فما بعدك مطلب ، ولا عنك مذهب ، ولا فوقك مسؤول ، ولا مثلك مأمول . وتكلم الآخر ، فلم يأت بشيء فوصلهما ، وفضل الأوّل تفضيلاً كثيراً ، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال : يا فضل : [من الطويل]

لشتانَ ما بين اليزيدين في الندى يزيدِ سُلَيم والأغرّ ابن حاتمِ

قال أحمد بن أبي طاهر : حدَّثني أبو دعامة عليّ بن زيد بن عطاء المَلْط قال : لمّا هجا ربيعة يزيدَ بن أُسَيد السُّلَميّ ، وكان جليلاً عند المنصور والمهديّ ، وفضَّل عليه يزيد بن حاتم ، قلت لربيعة : يا أبا شَبابة ، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك ، وفضلت عليه رجلاً من الأزد ؟ فقال : أُخبرك .

أملقتُ فلم يبق لي شيء إلاّ داري ، فرهنتها على خمس مئة درهم ، ورحلت إليه إلى إرمينية ، فأعلمته ذلك ومدحته ، وأقمت عنده حولاً ، فوهب لي خمسمائة درهم ، فتحمّلت وصرت بها إلى منزلي ، فلم يبقَ معي كبير شيء ، فنزلت في دارٍ بكراء ، فقلت : لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت : هذا ابن عمّي فعل بي هذا الفعل ، فكيف غيره ؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته . فأُعلم

بمكاني ، فتركني شهراً حتى ضجرت ، فأكريت نفسي من الحمّالين ، وكتبت بيتاً في رقعة وطرحتها في دهليزه ، والبيت : [من الطويل]

أراني ولا كفران لله راجعاً ... بخُفَّيْ حنينٍ من يزيدَ بن حاتمِ

فوقعت الرقعة في يد حاجبه ، فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري ، فبعث خَلْفي ، فلمّا دخلت عليه قال : هيه ، أنشدني ما قلت . فتمنّعت ، فقال : والله لتُنْشِدَنّي ، فأنشدته فقال : والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خفّيه ، فنُزِعا فحشاهما دنانير ، وأمر لي بغلمان وجوار وكُسا ، أفلا ترى لي أن أمدَح هذا وأهجو ذاك ! قلت : بلى والله . ثم قال : وسار شعري حتى بلغ المهديّ فكان سبب دخولي إليه .

[هواه]

أخبرني الحسن بن عليّ الأدَميّ قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد القرقيسيانيّ قال : حدَّثني عمِّي عبد الله بن عباد : أنّ ربيعة بن ثابت الرقيّ الأسديّ كان يلقّب الغاوي ، وكان يهوى جارية يقال لها عَثْمة ، أَمَة لرجل من أهل قرقيسياء ، يقال له ابن مَرَّار ، وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولّوه مصر ، فأصاب بها مالاً عظيماً ، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته ، فأحضره ، وعرض عليه أن يهبها له ، فقال : لا تهبها لي ، فإنّ كلّ مبذول مملول ، وأكره أن يذهب حبُّها من قلبي ، ولكن دعني أُواصلها هكذا ، فهو أحبّ إليّ .

قال : وقال فيها[1] : [من الكامل]

اعتاد قلبَك من حبيبك عِيدُهُ ... شوقٌ عَراك فأنت عنه تذُودُهُ
والشوق قد غلب الفؤاد فقاده ... والشوق يغلب ذا الهوى فيقودُهُ
في دار مَرَّارٍ غزالُ كَنِيسة ... عَطِرٌ عليه خُزوزه وبُرودُهُ
رِيمٌ أغرّ كأنّه من حسنه ... صنم يُحَجُّ ببيعة معبودُهُ
عيناه عينا جؤذَر بصَريمة ... وله من الظبي المربَّب جِيدُهُ
ما ضرُّ عَثْمة أن تُلِم بعاشقٍ ... دنِفِ الفؤاد متيّم فتعودُهُ
وتَلُدّه من رِيقها فلربّما ... نفع السقيم من السَّقام لَدودُهُ[2]

وهي طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلّب .

---

1 شعر ربيعة : 71 .

2 تلده : تسقيه اللدود ، وهو دواء .

[يمدح معن بن زائدة ويهجوه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال : حدَّثني أبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، عن أبي بشر الفزاريّ قال : لقِيَ ربيعة الرقيّ معن بن زائدة في قَدْمة قدِمها إلى العراق ، فامتدحه بقصيدة ، وأنشده إيّاها راويته ، فلم يَهَش له معن ، ولا رضي ربيعة لقاءه إيّاه ، وأثابه ثواباً نَزْرا ، فردّه ربيعة ، وهجاه هجاء كثيراً ، فممّا هجاه به قوله[1] : [من الخفيف]

معنُ يا معنُ يا ابنَ زائدةِ الكلْـ ـب التي في الذراع لا في البنانِ
لا تفاخر إذا فخرت بآبا ئك وافخر بعمِّك الحَوْفزانِ
فهشام من وائلٍ في مكانٍ أنت ترضى بدون ذاك المكانِ
ومتى كنت يا ابن ظَبية ترجو أن تُثَنّي على ابنةِ الغَضَبانِ
وهي حَوْراء كالمَهاة هِجانٌ لهجانٍ وأنت غير هِجانِ
وبنات السَّليلِ عند بني ظبـ ـية ، أُفٌّ لكم بني شيبانِ
قيل : معن لنا فلما اختبرنا كان مَرْعًى وليس كالسَّعْدانِ[2]

قال أبو بشر : ظَبية التي عيَّره بها أَمَة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، لقيها عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شريك ، وكانت راعية لأهلها ، وهي في غنمها ، فسرقها ووقع عليها ، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن زائدة ، ودجاجة بنت عبد الله . قال : وبنت السليل التي عناها : امرأة من ولد الحَوْفزان .

[الجارية العطرة]

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر الفزاريّ ، قال : كان ربيعة الرقيّ يهوى جارية لرجل من أهل الكوفة ، يقال لها عثمة ، وكان أهلها ينزلون في جوارِ جُعفيّ ، فقال فيها في أبيات له[3] : [من المنسرح]

جُعْفيّ جيرانُها فقد عَطِرت جعفيّ من نشرِها ورياها

فقال له رجل من جُعفيّ : وأنا جار لها بيتَ بيتَ ، والله ما شممت من دارهم ريحاً طيّبة قطٌّ . فتشمم ربيعة رائحته وقال : وما ذنبي إذا كنتَ أَخْشَم[4] ، والله إنّي لأجد ريحها وريح

1 شعر ربيعة : 106 .
2 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 277 وجمهرة العسكري 2 : 242 وفصل المقال : 199 .
3 شعر ربيعة : 108 .
4 الأخشم : الذي لا يجد ريح ما يشمّ في أنفه .

طيبها منك ، وأنت لا تجده من نفسك .

[رقية]

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال : كنت حاضراً ربيعة الرقيّ يوماً وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية ، فقالت : تقول لك فلانة : إنّ بنت مولاي محمومة ، فإن كنت تعرف عُوذة تكتبها لها فافعل . فقال : اكتب لها يا أبا بشر هذه العُوذَة[1] : [من السريع]

تفُـو تفُـو باسم إلهـي الذي لا يعرِض السقم لَمن قد شَفى
أعِيـذ مولاتـي ومولاتَهـا وابنتهـا بعُـوذة المصطفى
من شرٍّ مـا يعرِض مـن عِلّة في الصبح والليـل إذا أسْدفا

قال : فقلت له : يا أبا ثابت ، لست أحسِن أن أكتب : تفُو تفُو ، فكيف أكتبها ؟ قال : انضح المداد من رأس القلم في موضعين ، حتى يكون كالنفث ، وادفع العُوذة إليها ، فإنّها نافعة . ففعلت ودفعتها إليها ، فلم تلبث أن جاءتنا الجارية وهي لا تتمالك ضحِكاً . فقالت له : يا مجنون ، ما فعلت بنا ؟ كدنا والله نفتضِح بما صنعت . قال : فما أصنع بك ؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ ؟

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا مَـنْ بَيّن الأخَويـ ـنِ أمُّهما هي الثكلى
تسائل مَـن رأى ابنَيها وتستشفي فمـا تُشْفى
فلمّا استيأسَت رجعـت بعبـرة والـهٍ حَـرَّى
تتابـعُ بـين وَلولـة وبـين مدامـعٍ تَتْـرى

عروضه من الهزج[2] ، الشعر لجويرية بنت خالد بن قارِظ الكِنانية ، وتكنى أمّ حكيم ، زوجة عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، في ابنيها اللذين قتلهما بُسْر بن أرطاة ، أحد بني عامر بن لؤيّ باليمن .

والغناء لابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأوسط ، من الثقيل الأوّل ، بالخنصر في مجرى البنصر . وفيه لحُنين الحِيريّ ، ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وفيه لأبي سعيد مولى فائد ، خفيف ثقيل الأوّل ، مطلق في مجرى الوسطى .

---

1 شعر ربيعة : 83 .

2 الأبيات من مجزوء الوافر لا الهزج .

[326] ـ ذكر الخبر في مقتل ابني عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب[1]

[حملة بسر بن أرطاة في الحجاز واليمن]

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطّلاّس قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدّثنا عليّ بن محمد المدائنيّ ؛ عن أبي مخنف ، عن جويريّة بن أسماء ، والصَّقْعَب بن زهير ، وأبي بكر الهذليّ ، عن أبي عمرو الوقاصيّ : أنّ معاوية بن أبي سفيان بعث بُسْر بن أرْطاة ، أحد بني عامر بن لؤيّ ، بعد تحكيم الحكمين ، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ حيّ ، وبعث معه جيشاً ، ووجَّه برجل من غامد ضمّ إليه جيشاً آخر . ووجّه الضحّاك بن قيس الفهريّ في جيش آخر ، وأمرهم أن يسيروا في البلاد ، فيقتلوا كلّ مَن وجدوه من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه ، وأن يُغيروا على سائر أعماله ، ويقتلوا أصحابه ، ولا يكفُّوا أيديَهم عن النساء والصبيان . فمضى بُسْر لذلك على وجهه ، حتى انتهى إلى المدينة ، فقتل بها ناساً من أصحاب عليّ عليه السلام وأهل هواه ، وهدم بها دُوراً من دور القوم . ومضى إلى مكّة ، فقتل نفراً من آل أبي لَهب ، ثم أتى السَّراة ، فقتل من بها من أصحابه . وأتى نَجران ، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ وابنه ، وكانا من أصهار بني العبّاس ، ثم أتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العبّاس ، عاملاً لعليّ بن أبي طالب ، وكان غائباً ، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر ، فلم يصادفه بُسْر ، ووجد ابنين له صبيين ، فأخذهما بُسْرٌ لعنه الله وذبحهما بيده ، بمُدْية كانت معه ، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية . وفعل مثل ذلك سائرُ من بعث به . فقصد الغامِديُّ إلى الأنبار ، فقتل ابنَ حسان البكريّ ، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة .

[خطبة علي بن أبي طالب]

فحدّثني العبّاس بن عليّ بن العبّاس النسائيّ قال : حدّثنا محمد بن حسّان الأزرق ، قال : حدّثنا شبابة بن سوّار قال : حدّثنا قيس بن الربيع ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي صادق ، قال : أغارت خيل لمعاوية على الأنبار ، فقتلوا عاملاً لعليّ عليه السلام ، يقال له حسان بن حسان ، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساء ، فبلغ ذلك عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فخرج حتى أتى المِنبر ، فرقيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبيّ ﷺ ، ثم قال : إنّ الجهاد

1 انظر خبر مقتل ابنَي عبيد الله بن العبّاس في تاريخ الطبري والمسعودي وشرح نهج البلاغة 1 : 144 ومقاتل الطالبيين والتذكرة الحمدونية 4 : 276–278 .

باب من أبواب الجنّة ، فمَن تركه ألبسه الله ثوب الذلّة وشَمَله البلاء ، ودُيِّث[1] بالصَّغار ، وسيم الخَسْف . وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنّه لم يُغْزَ قوم قطُّ في عُقْر دارهم إلاّ ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، وتركتم قولي وراءكم ظهريّاً ، حتى شُنَّت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد جاء الأنبار ، فقتل عاملي عليها حسّان بن حسّان ، وقتل رجالاً كثيراً ونساء . والله لقد بلغني أنّه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهِدة ، فينزع حِجْلها ورِعاثها[2] ، ثم ينصرفون موفورين ، لم يُكْلم أحدٌ منهم كلماً . فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ، لم يكن عليه ملوماً ، بل كان به جديراً . يا عجباً ، عجباً يميت القلب ، ويُشعل الأحزان ، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم ، وفَشَلكم عن حقّكم ، حتى صرتم غرضاً تُرمَون ولا ترمُون ، وتُغزَون ولا تَغزُون ، ويُعصى الله وترضَون . إذا قلت لكم اغزوهم في الحر ، قلتم هذه حمارّة القيظ فأمهِلنا ، وإذا قلت لكم اغزوهم في البرد ، قلتم هذا أوانُ قُرّ وصِرّ فأمهلنا . فإذا كنتم من الحرّ والبرد تفرُّون ، فأنتم والله من السيف أشدّ فِراراً . يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طَغام[3] الأحلام ، وعقولَ ربات الحِجال ، وددت والله أنّي لم أعرفكم ، بل وددت أنّي لم أرَكم ، معرفة والله جَرَّعت بلاء وندماً ، وملأتم جوفي غيظاً بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب . ويْحَهم ! هل فيهم أشدّ مراساً لها منّي ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين ، وأنا الآن قد نَيَّفْتُ على الستّين ، ولكن لا رأي لِمَن لا يُطاع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا كما قال الله تعالى : «لا أَمْلِكُ إلاّ نَفْسِي وأَخِي» فمُرْنا بأمرك ، فوالله لنطيعنّك ولو حال بيننا وبينك جَمْر الغَضى ، وشوك القتاد . قال : وأين تبلغان ممّا أُريد ؛ هذا أو نحوه ، ثم نزل .

[بين عليّ وعقيل]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيد الله بن محمد قال : حدَّثني جعفر بن بشير قال : حدَّثني صالح بن يزيد الخراسانيّ ، عن أبي مِخنف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن ابن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال : كتب عَقيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام : «أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ جارك من كلّ سوء ، وعاصمك من المكروه . إنّي خرجت معتمراً ، فلقيت عبد الله بن أبي سَرْح في نحو أربعين شابّاً من أبناء

---

1 ديث : ذلل .
2 الرعاث : جمع رعثة ، وهي الشنف .
3 الطغام : من لا عقل له ولا معرفة عنده .

الطُّلَقاء ، فقلت لهم ، وعرفت المنكر في وجوههم : يا أبناء الطُّلَقاء ، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديماً ، تريدون بها إطفاء نور الله ، وتغيير أمره ، فأسمعني القوم وأسمعتهم . ثم قدمت مكّة وأهلها يتحدّثون أنّ الضحّاك بن قيس أغار على الحِيرة ، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء ، ثم انكفأ راجعاً ، فأفٍّ لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك . وما الضحاك ؟ وهل هو إلاّ فَقْع بقَرْقرة[1] ، وقد ظننتُ وبلغني أنّ أنصارك قد خذلوك ، فاكتب إليّ يا ابن أمّ برأيك ، فإن كنت الموت تريد ، تحمّلت إليك ببني أبيك وولد أخيك ، فعشنا ما عشت ، ومتنا معك ، فوالله ما أحبّ أن أبقى بعدك فَواقاً[2] ، وأقسم بالله الأعزّ الأجلّ ، أنّ عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك ، لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع[3] . والسلام» .

فأجابه عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم : «أمّا بعد ، كلأنا الله وإيّاك كَلاءة من يخشاه بالغيب ، إنّه حميد مجيد . فقد قدِم عليّ عبد الرحمن بن عُبيد الأزديّ بكتابك ، تذكر فيه أنّك لقيت ابن أبي سَرْح مقبلاً من قُدَيد ، في نحو من أربعين شابّاً من أبناء الطلقاء ، وإنّ بُنَيّ أبي سرح طال ما كاد الله ورسوله وكتابه ، وصدّ عن سبيله ، وبغاها عِوجاً ، فدَع بني أبي سرح عنك ، ودَع قريشاً وتَرْكاضَهم في الضلالة ، وتَجْوالَهم في الشقاق ، فإنّ قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك ، إجماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهِلوا حقّه ، وجَحَدوا فضله ، وبادَوه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كلّ الجهد ، وساقوا إليه جيش الأمَرَّين . اللهمّ فاجز عنّي قريشاً الجوازي ، فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت عليّ ، والحمد لله على كلّ حال .

«وأمّا ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة ، فهو أقلّ وأذلّ من أن يقرب الحيرة ، ولكنّه جاء في خيل جريدة ، فلزم الظهر ، وأخذ على السماوة ، فمرّ بواقصة وشَراف وما والى ذلك الصقع ، فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلمّا بلغه ذلك جاز هارباً ، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن في السير ، وقد طَفَلَت[4] الشمس للإياب ، فاقتتلوا شيئاً كَلا ولا[5] ، فولّى ولم يصبر ، وقُتِل من أصحابه بضعة عَشَر رجلاً ،

---

1 المثل «أذل من فقع بقرقرة» في مجمع الميداني 1 : 284 وجمهرة العسكري 1 : 458 والدرة الفاخرة 1 : 304 .

2 فواقاً : وقتاً قصيراً .

3 نجيع : هنيء .

4 طفلت : مالت .

5 كلا ولا : مدة قليلة .

ونجا جَرِيضاً[1] بعد ما أُخِذ منه بالمُخَنّق ، فَلأْيا بلأْي ما نجا»[2] .

«وأمّا ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيي ، فإنّ رأيي قتالُ المُحِلِّين[3] حتى ألقى الله ، لا يزيدني كثرةُ الناس حولي عِزَّة ، ولا تفرُّقهم عنّي وحشة ، لأنّني مِحِقّ ، والله مع الحقّ وأهله ، وما أكره الموت على الحقّ ، وما الخير كلّه إلاّ بعد الموت لِمَن كان مُحِقّاً» .

«وأمّا ما عرضته عليّ من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك ، فلا حاجة لي في ذلك ، فأَقِم راشداً مهديّاً ، فوالله ما أُحِبّ أن تهلِكوا معي إن هلكت ، ولا تحسَبَنَّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرِّعاً متخشّعاً ، لكن أقول كما قال أخو بني سُلَيم : [من الطويل]

فإن تسأليني كيف أنتَ فإنّني ... صبور على ريب الزمان صَلِيبُ
يعِزّ عليّ أن تُرى بي كآبة ... فيشمتَ باغٍ أو يُساءَ حبيبُ

والسلام» .

رجع الخبر إلى سياقة مَقتل الصبيين

[نوح أم حكيم على طفليها]

ثم إنّ بُسْر بن أرطاة كرَّ راجعاً ، وانتهى خبره إلى عليّ عليه السلام ، أنّه قتل عبد الرحمن وقُثَمَ ابنَي عُبيد الله بن العبّاس ، فسرَّح حارثة بن قُدامة السعديّ في طلبه ، وأمره أن يُغِذَّ السير ، فخرج مسرعاً ، فلمّا وصل إلى المدينة ، وانتهى إليه قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وبيعة الحسن رضي الله تعالى عنه ، ركب في السلاح ، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن ، فامتنعوا ، فقال : والله لتبايعُنّ ولو بأستاهكم . فلمّا رأى أهلُ المدينة الجِدّ منه بايعوا للحسن ، وكرّ راجعاً إلى الكوفة ، فأصاب أُمَّ حكيم بنت قارظ ولْهَى على ابنيها ، فكانت لا تعقِل ولا تُصْغي إلى قول مَن أعلمها أنّهما قد قُتِلا ، ولا تزال تطوف في المواسم ، تنشدُ الناس ابنيها بهذه الأبيات : [من البسيط]

صوت

يا مَن أحسَّ بُنَيَّي اللذين هما ... كالدُّرَّتين تَشظَّى عنهما الصدفُ
يا مَن أحسَّ بنيَّي اللذين هما ... سمعي وقلبي ، فقلبي اليوم مختطَفُ

---

1 جريضاً : مشرفاً على الهلاك .
2 لأياً بلأي ما نجا : نجا بعد مشقة وجهد .
3 المحلون : الخارجون من الميثاق والبيعة .

يـا مَـن أحسّ بُنَيَّيَ اللذين هما   مُخٌّ العظام فمخّي اليوم مُزْدَهَفُ
نُبِّئت بُسْراً وما صدّقت ما زعموا   من قولهم ومِن الإفك الذي اقترفوا
أنحـى على وَدَجَـيْ إبنيَّ مُرْهَفَةً   مشحوذة وكذاك الإثم يقترفُ
حتى لقِيـت رجـالاً مـن أرومته   شمّ الأُنوف لهم في قومهم شرفُ
فالآن ألعـن بُسْراً حـقَّ لعنتـه   هـذا لعمر أبي بُسْرٍ هـو السَّرَفُ
مَـن دَلَّ والهـةً حَـرَّى مُدَلَّهـة   على صبيَّين ضلاّ إذ هوى السلفُ

الغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، يقال إنّه له أيضاً ، وفيه لِعَريب رمل نشيد .

[دعاء علي على بسر]

قالوا : ولّما بلغ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قتل بُسْرٍ الصبيين ، جزع لذلك جزعاً شديداً ، ودعا على بُسْر لعنه الله ، فقال : اللهمّ اسلُبه دينه ، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلُبه عقلـه ! فأصابه به ذلك ، وفقد عَقله ، فكان يهذِي بالسيف ويطلبه ، فيؤتى بسيف من خشب ، ويُجْعَل بين يديه زِقّ منفوخ ، فلا يزال يضربه حتى يسأم ، ثم مات لعنه الله .

[بين عبيد الله بن العبّاس وبسر]

ولّما كانت الجماعة واستقرّ الأَمر على معاوية ، دخل عليه عُبيد الله بن العبّاس وعنده بسر بن أرطاة ، فقال له عبيد الله : أأنت قاتل الصبيين أيّها الشيخ ؟ قال بسر : نعم أنا قاتلهما . فقال عبيد الله : أما والله لوددت أنّ الأرض كانت أنبتَتْني عندك . فقال بسر : فقد أُنبتتك الآن عندي . فقال عبيد الله : ألا سيف ! فقال له بسر : هاك سيفي . فلمّا أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله ، أخذه معاوية ، ثم قال لبسر : أخزاك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك ، تعمِد إلى رجل من بني هاشم قد وتَرْته وقتلت ابنَيه ، تدفع إليه سيفك ، إنّك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك . فقال عبيد الله : أجل ، والله ، ثم إذن لثنَّيْتُ به .

[انتقام من ابنَي بسر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : أخبرني محمد بن مسروق قال : قال الأصمعيّ : سمِع رجل من أهل اليمن وقد قدِم مكّة امرأة عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب تندب ابنَيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها : [من البسيط]

يـا مَـن أحسَّ بُنَيَّيَ اللذيـن همـا   كالدرّتين تشظّى عنهما الصَّدَفُ

فرقَّ لها ، فاتّصل ببُسر حتى وثق به ، ثم احتال لقتل ابنَيه ، فخرج بهما إلى وادي أوطاس ، فقتلهما وهرب ، وقال : [من البسيط]

يـا بُسر بسرَ بني أَرطاةَ مـا طلعت … شمس النهارِ ولا غابـت على ناسِ
خيرٍ مـن الهاشميِّين الذيـن هُـمُ … عين الهدى وسِمام الأشوس القاسي[1]
مـاذا أردت إلى طفـلي مُدَلَّهة … تبكي وتندب مَن أُثكلت في الناسِ
إمّا قتلتهما ظلماً فقـد شرِقـت … في صاحبيك قناتي يـوم أوطاسِ
فاشرب بكأسهما ثُكلاً كما شربت … أمّ الصبيَّين أو ذاق ابـن عبّاسِ

صوت

[من الطويل]

ألا فاسقياني مـن شرابكما الوَرْدِي … وإن كنت قد أُنفدتُ فاسترَهِنا بُرِدِي
سِواري ودُملوجي وما ملكت يدي … مباح لكم نَهْبٌ فـلا تقطعوا وِرِدِي

عروضه من الطويل . والشعر لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أُميّة بن عبد شمس . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، رمل بالوسطى ، من رواية عمرو بن بانة .

1 الأشوس : الشديد الجريء في القتال .

[327] ـ ذكر أمّ حكيم وأخبارها[1]

قد مضى ذكر نسبها .

[أمّها وجدتها]

وأمّها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكانت هي وأمّها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأمّ حكيم : الواصلة بنت الواصلة ، وقيل : الموصِلة بنت المُوصِلة ، لأنّهما وصلتا الجمال بالكمال .

وأُمّ زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : سُعْدى بنت عوف بن خارجة بن سِنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأْم الطائيّ . وكانت سُعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، فولدت له سَلمة ورَيطة . ثم توفّي عنها ، فخلف عليها طلحة بن عبيد الله ، فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها ، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فتكلّم بنوها ، وكرهوا أن تتزوّج وقد صاروا رجالاً ، فقالت : إنّه قد بقي في رحم أمّكم فضلة شريفة ، لا بدّ من خروجها ، فتزوّجها . فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه ، وزينب ، وهي أمّ أمّ حكيم .

وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم ، وقد قدِم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلمّا قدِم تغيّبوا ، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبثّ المغيرة الجِفان في السكك والقبائل يطعم الناس ، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة : [من الوافر]

أتاكَ البحرُ طَمَّ على قُريشٍ مُغِيريّ فقد راغ ابنُ بِشرِ

قال مصعب الزُّبيريّ : هو ، يعني المغيرة ، مطعم الجيش بمنى ، وهو إلى الآن يطعَم عنه . قال : وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقدّاً ، وكأن أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، فكانت تسمّى الموصِلة . وسُمِّيت بنتها أمّ حكيم بذلك ، لأنّها أشبهتها .

أخبرني عمّي قال : حدَّثني ابن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن يحيى الكنانيّ عن أبيه قال : كانت زينب بنت عبد الرحمن من لِين جسدها يقال لها الموصِلة : قال مصعب : فتزوّج زينب أبان بن مروان بن الحكم ، فولدت له عبد العزيز بن أبان ، ثم مات عنها ،

1 لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم (الواصلة) ترجمة في ثمار القلوب : 299 .

فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا إلى عبد الملك ، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن : كم الذي تأمُل من عبد الملك ؟ والله لا يزيدها على ألف دينار ، ولا يزيدك على خمس مئة دينار ، ولها عندي خمسون ألف دينار ، ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زوّجتنيها ، فزوَّجه إيّاها على ذلك . فغضب عليه عبد الملك . وقال : دخل عليَّ في خِطبتي . والله لا يخطب على مِنبر ما دمت حيّاً ، ولا رأى منّي ما يُحبّ ، فأسقطه . فقال يحيى : لا أُبالي ، كعكتان وزينب .

قال ابن أبي سعد : وأُخبرت عن محمد بن إسحاق المسيِّبي قال : حدَّثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحيّ : أنّها لمّا خُطبت قالت : لا أتزوّج والله أبداً إلاّ مَن يغني أخي المغيرة . فأرسل إليها يحيى بن الحكم : أيغنيه خمسون ألف دينار ؟ قالت : نعم . قال : فهي له ، ولك مثلها . فقالت : ما بعد هذا شيء . أرسل إلى أهلك شيئاً من طِيب ، وشيئاً من كسوة .

قال : ويقال إنّ عبد الملك لمّا تزوّجها يحيى قال : لقد تزوّجتْ أَفْوَهَ غليظ الشفتين . فقالت زينب : هو خير من أبي الذّبان فماً ، فما له يعيبه بفمه ؟ وقال يحيى : قولوا له أقبح من فمي ما كَرِهَتْ من فمك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو غسّان ، عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن عمّه محمد بن عبد العزيز : أنّ عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها ، وكتب إليه أن يَلْحق به ، وكان بفلسطين أو بالأُردنّ ، فعرض له يحيى بن الحكم ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد أمير المؤمنين . قال : وما تصنع به ؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها ، وأربع مئة دينار لزينب ، ولك عندي ثلاثون ألف دينار ، سوى صداق زينب . فقال المغيرة : أوَ تنقل إليّ المال قبل عقد النكاح ؟ قال : نعم ، فنقل إليه المال . فتجهّز المغيرة ، وسيَّر ثَقَله ، ثم دخله على يحيى فزوَّجه ، وخرج إلى المدينة ، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة ، فلمّا أبطأ عليه قيل له : يا أمير المؤمنين ، إنّه زوّج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن ، بثلاثين ألف دينار ، وأعطاه إيّاها ، ورجع إلى منزله . فغضب على يحيى ، وخلعه عن ماله ، وعزله عن عمله ، فجعل يحيى يقول : [من الطويل]

ألا لا أُبالي اليوم ما فعل الدهرُ إذا بقيت لي كعكتان وزينبُ

[زواج أُمّ حكيم]

قال : وكانت زينب تسمّى المُوصِلة ، من حسن جسدها ، وكانت أُمّ حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، تزوّجها في حياة جدّه عبد الملك ، ولمّا عقد النّكاح بينهما ، عقد في مجلس عبد الملك ، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا في ذلك أشعاراً

كثيرة يرويها الناس ، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرّقاع ، فدخلا ، وبدأ عديّ لموضعه منهم ، فقال : [من الكامل]

قَمرُ السماء وشمسُها اجتمعا بالسَّعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلهما مَن ذا رأى هذا ومَن سمِعا ؟
دام السرور له بها ولها وتَهنّيا طول الحياة معا

وقال جرير[1] : [من الكامل]

جَمع الأمير إليه أكرم حرةٍ في كلّ ما حالٍ من الأحوالِ
حَكَميّة علَتِ الروابيَ كلَّها بمفاخر الأعمام والأخوالِ
وإذا النساء تفاخرت ببعولةٍ فخرتهمُ بالسَّيِّد المفضالِ
عبد العزيز ومن يكلفْ نفسه أخلاقه يَلْبَثْ بأكسف بالِ
هنأتكم بمودّة ونصيحة وصدقت في نفسي لكم ومقالي
فلتهنِك النِّعَم التي خُوِّلتَها يا خيرَ مأمول وأفضلَ والِ

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ، ولعديّ بن الرّقاع بمثلها ، وقضى لأهله ومواليه يومئذٍ مئة حاجة ، وأمر لجميع مَن حضر من الحرس والكتّاب بعشرة دنانير عشرة دنانير . فلم تزل أُمّ حكيم عند عبد العزيز مدّة ، ثم تزوّج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، فملكته وأحبّها ، وذهبت بقلبه كلّ مذهب ، فلم ترض منه إلاّ بطلاق أُمّ حكيم ، فطلّقها ، فتزوّجها هِشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز ، فتزوّج هشام ميمونة أيضاً . وكان شديد المحبّة لأمّ حكيم ، فطلّق لها ميمونة ، اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتك منها ؟ فقالت : نعم . فولدت أُمّ حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام ، وكان من رجالات بني أُميّة ، وكان أحد مَن يطعُن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويغري الناس به .

[كأس أمّ حكيم]

وكانت أُمّ حكيم منهومة بالشراب ، مدمنة عليه ، لا تكاد تفارقه . وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم ، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن ، وفيه يقول الوليد بن يزيد[2] : [من الخفيف]

---

1 لم ترِد هذه الأبيات في ديوان جرير (صادر) .

2 ديوان الوليد بن يزيد : 65 (دار الكتاب الجديد) .

صوت

عَلِّـــلاني بعاتقـــات الكرومِ　　واسقياني بكـــأسَ أُمِّ حكيمِ
إنّهـــا تشرب المدامـــة صِرفاً　　في إنـــاء مـــن الزجاج عظيمِ
جَنِّبـــوني أذاة كلّ لئيـــم　　إنّـــه مـــا علمـــتُ شرُّ نديمِ
ثـــم إن كان في النَّدامى كريم　　فأذيقـــوه مَسّ بعـــض النعيمِ
أنت حظّي من النساء سُلَيْمى　　إن سَلْمـــايَ جَنّتـــي ونعيمي
فدَعـــوني مـــن الملامـــة فيهـــا　　إن مَـــن لامنـــي لغيـــرُ حليمِ

عروضه من الخفيف . غناء عمر الوادي من رواية يونس . وفي رواية إسحاق : غنّاه الغُزَيل أبو كامل : خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر .

فيقال إنّ هذا الشعر بلغ هشاماً ، فقال لأُمّ حكيم : أتفعلين ما ذكره الوليد ؟ فقالت : أوَ تصدقه الفاسقَ في شيء ، فتصدقَه في هذا ؟ قال : لا . قالت : فهو كبعض كذبه .

[تهاجي يزيد بن هشام والوليد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقال : [من الطويل]

فحسْبُ أَبـــي العبّاس كأس وقَيْنةٌ　　وزِقّ إذا دارت بـــه في الذوائبِ
ومن جلساء الناس مثلُ ابن مالك　　ومثل ابن جَزْء والغلام ابن غالبِ

فقال الوليد يهجوه ، ويعيره بشرب أُمِّه الشراب : [من الخفيف]

إنّ كأس العجوز كأسٌ رَواءٌ　　ليس كأس ككأس أُمِّ حكيـــمِ
إنّهـــا تشرب الرَّساطون صِرْفاً　　في إنـــاء من الزجـــاج عظيمِ[1]
لـــو بـــه يشرب البعيرُ أو الفيـــ　　ـــل لظَلاّ في سَكرة وغُمومِ
ولدته سَكْرى فلم تحسن الطَّلْـ　　ـــق فوافى لـــذاك غير حليمِ

[أبو شاكر بن هشام وولاية العهد]

وكان لهشام منها ابن يقال له مَسْلمة ، ويُكْنى أبا شاكر ، وكان هشام ينوِّه باسمه ، وأراد أن يوليه العهد بعده ، وولاّه الحجّ ، فحجّ بالناس ، وفيه يقول عُروة بن أذينة ، لما وفد على هشام ، وفَرَّق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً ، وأحبّه الناس ومدحوه : [من المتقارب]

---

1 الرساطون : الخمر .

أتينـا نَمُـتُّ بأرحامنا وجئنا بأمـر أبي شاكرِ

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه ، وأشاع ذلك وغنّى فيه ، وأراد أن يعيّره بذلك[1] : [من السريع]

صوت

يـا أيّـها السائلُ عن ديننا نحن على دِين أبي شاكرِ
نشربُها صِرْفاً وممزوجةً بالسخن أحيانـاً وبالفاترِ

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه : [من السريع]

يـا أيّـها السائل عن ديننا نحن على دِيـن أبي شاكرِ
الواهـبِ البُزْلِ بأرسانِها ليس بزنديـقٍ ولا كافرِ

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ أنّ هشاماً لمّا أراد أن يوليه العهد ، كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القَسْريّ ، فقال خالد : أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر . فبلغ قومه هشاماً ، فكان سبب إيقاعه به .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثني محمد بن موسى قِمَطر ، عن إسماعيل بن مجمع قال : كنّا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة ، فنزكّي عنه ، فكان فيما يُزَكّى عنه ، قائم كأس أُمّ حكيم ، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً . قال محمد بن موسى : سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته ، فقال : كأس كبير من زجاج أخضر ، مَقْبِضه من ذهب . هكذا ذكر إسماعيل .

وقد حدّثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله ، قال : حدّثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال : لمّا أخرج المعتمد ما في الخزائن ليباع ، في أيّام ظهور الناجم بالبصرة ، أخرج إلينا كأس أم حكيم ، فكان كأساً مدوَّراً على هيئة القِحْف ، يسع ثلاثة أرطال ، فقُوِّم بأربعة دنانير ، فعجبنا من حصول مثله في الخزانة ، مع خساسة قدره ، فسألنا الخازن عنه . فقال : هذا كأس أُمّ حكيم ، فرددناه إلى الخزانة . ولعلّ الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذٍ ، ثم أُخرج ليباع .

قال محمد بن موسى : وذكر لي عُبيد بن محمد عن أبي الأغرّ ، قال : كنّا مع محمد بن الجُنيد الخُتَّليّ أيّام الرشيد ، فشرب ذات ليلة ، فكان صوته : [من الخفيف]

عَلِّلاني بعاتقـات الكرومِ واسقياني بكـأس أُمّ حكيمِ

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحَر ، فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد : إنّ

1 ديوان الوليد بن يزيد : 39 .

الخليفة على الركوب . وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ، ومن يقدِّم دابته ، فقال : ويْحَكم ! كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذراً وأنا سكران . فقالوا : لا بدّ من الركوب ، فركب على تلك الحال ؛ فلمّا قدَّم إلى الرشيد دابته ، قال له : يا محمد ، ما هذه الحال التي أراك عليها ؟ قال : لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب ، فشربت ليلي أجمع . قال : فما كان صوتك ؟ فأخبره .

فقال له : عُدْ إلى منزلك ، فلا فضْلَ فيك ، فرجع إلينا وخبَّرنا بما جرى ، وقال : خذوا بنا في شأننا ، فجلسنا على سطح ، فلمّا مَتَع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على بِرذَون ، في يده شيء مُغَطًّى بمنديل ، قد كاد ينال الأرض ، فصعد إلينا ، وقال لمحمد : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد بعثنا إليك بكأس أُمّ حكيم ، لتشرب فيه ، وبألف دينار تنفقها في صَبوحك . فقام محمد ، فأخذ الكأس من يد الخادم ، وقبَّلها ، وصبّ فيها ثلاثة أرطال ، وشربها قائماً ، وسقانا مثل ذلك ، ووهب للخادم مئتي دينار ، وغَسَل الكأس ، وردَّها إلى موضعها ، وجعل يفرّق علينا تلك الدنانير ، حتى بقي معه أقلّها .

[الأعشى يهجو علقمة بن علاثة]

صوت[1]

[من السريع]

علقمَ مـا أنـت إلى عامِرِ ... الناقـضِ الأوتـارِ والواترِ
إن تَسُد الحُوصَ فلـم تعدُهمْ ... وعامـر سادَ بنـي عامـرِ
عهدي بها في الحيّ قد أُبرزت ... صفراءَ مثل المُهْـرة الضامرِ
قـد حجمَ الثديُ على صدرها ... في مُشْرِق ذي بهجـة ناضرِ
لـو أسندت مَيتـاً إلى نحرِها ... عـاش ولم يُنْقَـل إلى قابـرِ
حتى يقـولَ الناس ممّـا رأوا ... يـا عَجَبـاً للميّـتِ الناشرِ

عروضه من السريع . والشعر للأعشى : أعشى بني قيس بن ثعلبة ، يمدح عامر بن الطُّفيل ، ويهجو علقمة بن عُلاثة .

والغناء لمعبد في الثالث وما بعده ، خفيف ثقيل الأوّل بالبنصر . وفي الأبيات لحُنين ثقيل أوّل مطلق ، في مجرى البِنْصر ، عن إسحاقَ . وفيها أيضاً لحن آخر ذكره في المجرّد ولم يُجَنِّسه ، ولم ينسبه إلى أحد .

1 من قصيدة طويلة للأعشى في ديوانه (صادر) : 92-96 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

[328] ـ الخبر في هذه القصة ، وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها[1]

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة . ونسخت من روايات ابن الكلبيّ عن أبيه ، ومن رواية دَماذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعيّ ، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل ، ومن رواية أبي عمرو الشيبانيّ عن أصحابه ؛ فجمعت رواياتهم ، ولكلّ امرىء منهم زيادة على صاحبه ، ونقصان عنه ، واللفظ مشترك في الروايات ، إلاّ ما حكيته مفرداً .

[سبب المنافرة بين عامر وعلقمة]

قال ابن الكلبيّ : حدَّثني أبي ومحيريز بن جعفر ، وجعفر بن كلاب الجعفريّ ، عن بشر بن عبد الله بن حبّان بن سَلْمى بن مالك بن جعفر ، عن أبيه ، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين ، قالوا : أوّل ما هاج النِّفارَ بين عامر بن الطُّفيل بن مالك بن جعفر ، وبين علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص .

وأُمّ عامر : كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر ، وأمّها أُمّ الظباء بنت معاوية ، فارس الهَرَّار ، ابن عبادة بن عَقِيل بن كعب بن ربيعة ، وأُمّها خالدة بنت جعفر بن كلاب ، وأُمّها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف . وأُمّ أبيه الطُّفيل : أُمّ البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة .

قال أبو الحسن الأثرم : وكانت أُمّ علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النَّخَع سبِيّة ، وأُمّ أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشَّيطان بن بكر بن عوف بن النّخَع مَهيرة .

أنّ علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول ، فبصُر به عامر ، فقال : لم أَرَ كاليوم عورة رجل أقبح . فقال علقمة : أما والله ما تَثب على جاراتها ، ولا تنازل كنَّاتها ؛ يعرِّض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقروم ! والله لفرس أبي «حَنوةُ» أذكر من أبيك ؛ ولفحل أبي «غيهبُ» أعظم ذِكراً منك في نجد . قال : وكان فرسه فرساً جواداً ، نجا عليه يوم بني مرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان ، وكان فحله فحلاً لبني حَرملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

---

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونية خبر هذه المنافرة 7 : 399–403 وانظر سرح العيون : 162–166 .

قال الأثرم : وأخبرني رجل من جهينة بدمشق ، قال : هو الأشعر بن صرمة .

قال : الأثرم : سمّي صرمة غيهب لسواده .

قال ابن الكلبيّ : فاستعاره منهم يستطرقه[1] ، فغلبهم عليه ، فقال علقمة : أما فرسكم فعارة[2] ، وأمّا فحلكم فغدرة . ولكن إن شئت نافرتك . فقال : قد شئت .

فقال عامر : والله لأنّا أكرم منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً .

فقال علقمة : لأنّا خير منك ليلاً ونهاراً .

فقال عامر : لأنّا أحبّ إلى نسائك أن أصبح فيهنّ منك .

فقال علقمة : على ماذا تنافرني يا عامر ؟

فقال عامر : أنافرك على أنّي أنحر منك للّقاح ، وخير منك في الصباح[3] ، وأطعم منك في السنة الشّياح[4] .

فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أنّي جبان ، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك ، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك . وأنت جواد والناس يزعمون أنّي بخيل ، ولست كذلك ، ولكن أنافرك أنّي خير منك أثراً ، وأحدّ منك بصراً ، وأعزّ منك نفراً ، وأسرح[5] منك ذِكْراً .

فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ، وبصري ناقص ، وبصرك صحيح ، ولكنّي أنافرك على أنّي أنشر منك أمّة[6] ، وأطول منك قِمَّة ، وأحسن منك لِمّة ، وأجعد منك جُمّة ، وأبعد منك همّة .

قال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قضيف ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ، ولكنّي أنافرك بآبائي وأعمامي .

فقال عامر : آباؤك أعمامي ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنّي أنافرك أنّي خير منك عَقِباً ، وأطْعَمُ منك جَدْباً .

قال علقمة : قد علمت أن لك عقِباً في العشيرة ، وقد أطْعَمت طيباً إذ سارت ؛ ولكنّي

1 يستطرقه : يتخذه فحلاً .
2 عارة : عارية .
3 في الصباح : الغارة على الأعداء في الصبح .
4 الشياح : القحط .
5 أسرح : أبعد .
6 يريد أكثر عدداً .

أنافرك أنّي خير منك ، وأولى بالخيرات منك ؛ وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم .

قال : فخرجت أُمّ عامر ، وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر ، نافره أيكما أولى بالخيرات .

قال أبو المنذر : قال أبو مسكين : قال عامر في مراجعته : والله لأنا أركب منك في الحُماة ، وأقتل منك للكُماة ، وخير منك للمولى والمولاة .

فقال له علقمة : والله إنّي أعزّ منك . إنّي لبرٌّ وإنّك لفاجر ، وإنّي لوفيّ وإنّك لغادر ، ففيم تفاخرني يا عامر ؟ فقال عامر : والله إنّي لأنْزَلُ منك للقفرة ، وأنحر منك للبَكْرة ، وأطعم منك للهَبْرة ، وأطعن منك للثُغْرة .

فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر ، نَكِد النظر ، وثّاب على جاراتك بالسَّحَر .

فقال بنو خالد بن جعفرٍ ، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ، ولكن قل له : أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات ، وخذ عليه بالكِبَر . فقال له علقمة هذا القول .

فقال عامر : عنز وتيس ، وتيس وعنز[1] ، فذهبت مثلاً . نعم على مِئة من الإبل ، إلى مئة من الإبل يُعطاها الحكم ، أينا نُفِّرَ عليه صاحبه أخرجها ، ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهُناً من أبنائهم ، على يدي رجل من بني الوحيد ، فسمِّي الضَّمين إلى الساعة ، وهو الكفيل .

قال : وخرج علقمة ومَن معه من بني خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك ، وقد أتى عامر بن الطفيل عمَّه عامر بن مالك ، وهو أبو بَراء ، فقال : يا عمّاه ، أعنِّي . فقال : يا ابن أخي ، سبَّني . فقال : لا أسبّك وأنت عمِّي . قال : فسُبَّ الأحوص . فقال عامر : ولا أسبّ والله الأحوص وهو عمِّي ، فقال : فكيف إذن أعينُك ، ولكن دونك نعلي ، فإنّي قد رَبَعْت فيها أربعين مِرْباعاً ، فاستعن بها في نفارك .

[اختيار الحكم]

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أُميّة ، فلم يقل بينهما شيئاً ، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما ، وقال : أنتما كركبتي البعير الأدرم[2] ، تقعان بالأرض . قالا : فأينا اليمين ؟ فقال : كلاكما اليمين ، وأبى أن يقضي بينهما . فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، فوثب مروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر ، فقال : [من الرجز]

1 لم نعثر عليه في كتب الأمثال .

2 الأدرم : الذي تراكب شحمه ولحمه ، والذي ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها ، أو الذي لا أسنان له .

يـــا آل قريشٍ بيِّنـوا الكلاما إنّـا رضينـا منكـم الأحكاما
فبيِّنـوا إن كنتـمُ حكّامـا كان أبونـا لهـمُ إمـاما
وعبـد عمْرو منـع الفِئامـا في يـوم فخـر مُعْلَم إعلاما
ودَغْلَـجٌ أقدمـه إقدامـا لـولا الذي أجشمهم إجشاما
لاتخذتْهـم مَذْحِـج نَعامـا

قال : فأبَـوا أن يقولوا بينهما شيئاً .

وقد كانت العرب تُحاكم إلى قريش ، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئاً . فأتيا غَيْلان بن سَلَمة بن مُعْتب الثَّقَفِيّ ، فردّهما إلى حَرْملة بن الأشعر المُرِّي ، فردّهما إلى هَرم بن قطْبة بن سنان بن عمرو الفَزاريّ ، فانطلقا حتى نزلا به .

وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى : إنّهما ساقا الإبل معهما ، حتى أثنت وأربعت ، لا يأتيان أحداً إلاّ هـاب أن يقضـي بينهمـا . فقـال هـرم : لعمري لأحكمن بينكمـا ، ثم لأفصِلن ، ثم لست أثِق بواحد منكما . فأعطياني موثقاً أطمئنّ إليه أن ترضيا بمـا أقـول ، وتسلّما لمـا قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليوم من قابـل . فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل ، خرجا إليه ، فخرج علقمة ببني الأحوص ، فلم يتخلّـف منهـم أحـد ، معهم القبـاب والجُزُر والقدور ، ينحرون في كلّ منزل ويطعمـون ، وجمع عامر بني مالك ، فقال : إنّما تخاطرون عن أحسابكم ، فأجابوه وساروا معه ، ولم ينهض أبو براء معهم ، وقال لعامر : والله لا تطلع ثنية إلاّ وجدت الأحوص مُنيخاً بهـا ، وكـره أبو بَـراء ما كان من أمرهما ، فقال عامر فيما كره من منافرتهما ، ودعاء عامر إيّاه أن يسير معه : [من الوافر]

أأُومـر أن أُسُبَّ أبـا شُريح ولا والله أفعـلُ مـا حييتُ
ولا أُهـدِي إلى هـرم لِقاحاً فيُحيـي بعـد ذلك أو يُميتُ
أُكَلَّف سعيَ لُقمانِ بـن عادِ فيـا آل أبي شُرَيْح مـا لقيتُ

قال : وأبو شريح : هو الأحوص . فكرِه كلّ واحد من البطنين ما كان بينهما . وقال عبدُ عَمْرِو بن شُرَيح بن الأحوص : [من الطويل]

لَحى الله وَفْدينا ومـا ارتحلا بـه مـن السَّوءَةُ الباقي عليهم وبالُها
ألا إنّمـا بُـرْدي صِفـاق متينة أبى الضيم أعلاهـا وأُثبتَ حالُها

قال : فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجْنِبي الإبل[1] ، وعليهم السلاح ، فقال رجل من

1 ل : على الإبل مجنبي الخيل .

غنيّ : يا عامر ، ما صنعت ؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجُزُر ، وليس معك شيء تطعمه الناس ! ما أسوأ ما صنعت ! فقال عامر لرجلين من بني عمّه : أحصيا كلّ شيء مع علقمة من قُبّة أو قِدْر أو لَقْحة . ففعلا . فقال عامر : يا بني مالك ، إنّها المقارعة عن أحسابكم ، فاشخَصُوا بمثل ما شَخَصوا به ففعلوا .

[شعراء المتنافرين]

وثار مع عامر لَبيد بن ربيعة والأعشى ، ومع علقمة الحطيئة وفتيان من بني الأحوص ، منهم السَّنْدريّ بن يزيد بن شريح ، ومروان بن سُراقة بن قَتادة بن عمرو بن الأحوص ، وهم يرتجزون ، فقال لبيد[1] : [من الرجز]

يا هرِما وأنت أَهلُ عدلِ　　إن نُفِّر الأَحوص يوماً قبلي
ليذهَبَنَّ أَهلُه بأَهلي　　لا تَجْمَعَنَّ شكلَهم وشكلي
ونسلَ آبائِهِم ونسلي

وقال أيضاً[2] : [من الرجز]

إنّي امرؤ من مالك بن جعفرِ　　علقم قد نافرت غيرَ مُنْفَرِ
نافرتَ سَقْباً من سِقاب العَرْعَرِ

فقال قحافةُ بن عوف بن الأحوص : [من الرجز]

نهنهْ إليك الشعرَ يا لَبيدُ　　واصْدُد فقد ينفعك الصُّدودُ
ساد أَبونا قبل أَن تَسودوا　　سُؤْدُدُكم مُطَّرف زَهيدُ

وقال أيضاً : [من الرجز]

إنّي إذا اكتنّني الخباء　　وضاع يوم المَشهد اللِّواءُ
أُنْمى وقد حُقَّ ليَ النماءُ　　إلى كهولٍ ذِكرها سناءُ
إذ لا تزال جَلدةٌ كَوماء　　مبقورةَ لسَقْبها رُغاءُ
لم يَنْهنا عن نحرها الصفاء　　لنا عليكمُ سُورَة وِلاءُ[3]
المجدُ والسُؤْدُدُ والعَطاءُ

---

1 ديوان لبيد : 343 .
2 ديوان لبيد : 334 .
3 سورة : منزلة رفيعة .

وقال أيضاً : [من الرجز]

أنتم هَزَلْتمْ عامرَ بـنَ مالكِ في شَتَـواتِ مُضَرَ الهوالِكِ
يــا شَرَّ أحياءٍ وضرَّ هالكِ

قال : وأنشدها السَّنْدَرِيُّ يومئذٍ ، ورفع صوته ، فقيل : مَن هذا ؟ فقال : [من الرجز]

أنا لِمَن أنكر صوتي السَّنْدَرِيّ أنا الفتى الجعد الطويل الجعفريّ
من ولد الأحوص أخوالي غَنِيّ

فقال عامر : أجب يا لَبيد . فرغب لبيد عن إجابته ، وذلك لأنّ السَّندريّ كانت جَدّته أَمَةً اسمها عَيْساء ، فقال[1] : [من الطويل]

لَمّـا دعـاني عامـرٌ لأَسُبَّهـم أَبيتُ وإن كان ابن عَيْساءَ ظالما
لكيما يكونَ السَّندَريُّ نَدِيدتِي وأَشتُمَ أعمامـا عُمومـاً عَماعِما[2]
وأَنْشِرَ مـن تحت القبورِ أُبُـوَّةً كراما هـم شَدُّوا عليّ التّمائما
لعِبـت على أكتافهمْ وجُحُورهم وَليـداً وسَمَّوني مُفيـداً وعاصما
ألا أينـا مـا كان شرّاً لمالكٍ فـلا زال في الدّنيا مَلُوماً ولائما

قال : ووثب الحُطَيئة ، فقال[3] : [من الطويل]

مـا يحبِسُ الحُكّـامَ بالفصْل بعدما بـدا سابـقٌ ذو غُـرَّة وحُجُولِ

وقال أيضاً[4] : [من البسيط]

يا عامِ قد كنت ذا باعٍ ومكرمة لـو أنّ مَسعاة مـن جاريتَه أَمَمُ
جاريت قَرْما أجاد الأحوصانِ به سمـحَ اليديـن وفي عِرْنينه شَمَمُ
لا يصعُبُ الأمـرُ إلاّ ريثَ يركَبُه ولا يبيـت على مـالٍ لـه قَسَمُ
هابـتْ بنو مالك مجداً ومَكْرُمَةً وغايةً كان فيهـا الموتُ لو قَدِموا
ومـا أساءوا فِـراراً عـن مُجَلِّحةٍ لا كاهنٌ يَمتري فيها ولا حَكَمُ

---

1 ديوان لبيد : 286–287 .
2 العماعم : الجماعات المتفرقة .
3 ديوان الحطيئة : 94 وفيه :
فما ينظر الحكام بالفضل بعدما بـدا واضح ذو غـرة وحجـول
4 ديوان الحطيئة : 95 .

[دهاء الحكم]

قال : وأقام القوم عنده أيّاماً ، وأرسل إلى عامر ، فأتاه سرّاً ، لا يعلم به علقمة ، فقال : يا عامر ، قد كنتُ أرى لك رأياً ، وأنّ فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيّام إلاّ لتنصرف عن صاحبك . أتنافر رجلاً لا تفخَر أنت وقومُك إلاّ بآبائه ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟

قال عامر : أنشُدُك الله والرَّحِم أن لا تُفَضِّل عليّ علقمة ، فوالله لئِن فعلت لا أُفلح بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجززُها ، واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه . قال : انصرف ، فسوف أرى رأيي . فخرج عامر وهو لا يشكّ أنّه يُنَفِّره عليه .

ثم أرسل إلى علقمة سِرّاً ، لا يعلم به عامر ، فأتاه فقال : يا علقمة ، والله إن كنتُ لأحسب فيك خيراً ، وأن لك رأياً ، وما حبستك هذه الأيّام إلاّ لتنصرف عن صاحبك . أتفاخر رجلاً هو ابن عمّك في النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غَناء ، وأحمَدُهم لِقاء ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : أنْشُدك الله والرَّحِم ألاّ تُنَفِّر عليّ عامراً . اجزُز ناصيتي ، واحتكم في مالي ، وإن كنت لا بدّ أن تفعل فسوّ بيني وبينه ، فقال : انصرف فسوف أرى رأيي . فخرج وهو لا يشكّ أنّه سيفضّل عليه عامراً .

قال أبي : وسمعت أنّ هَرِماً قال لعامر حين دعاه : يا عامر ، كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر : ولِمَ يا هرِم ؟ قال : لأنّه أنجل منك عَيْناً في النساء ، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدّعاء . قال عامر : هل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أكثر منك نائلاً في الثّراء ، وأعظم منك حقيقة عند الدّعاء . ثم قال لعلقمة : كيف تفاضل عامراً ؟ قال : ولِمَ يا هَرِم ؟ قال : هو أنفذ منك لساناً ، وأمضى منك سِناناً . قال علقمة : فهل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أقتل منك للكُماة ، وأفكّ منك للعُناة .

قال : ثم إنّ هرماً أرسل إلى بنيه وبني أبيه : إنّي قائل غداً بين هذين الرجلين مَقالة ، فإذا فعلتُ فليطرِدْ بعضكم عَشْر جَزائر فلْينحَرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشر جزائر ، فَلْيخرها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس ، لا تكون لهم جماعة .

وأصْبحَ هَرِم ، فجلس مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام لَبيد فقال[1] : [من الرجز]

يـــا هرمَ ابنَ الأكرمين مَنصِبا   إنّك قد وُلِّيتَ حُكماً مُعْجِبا

1 ديوان لبيد : 331 .

فاحكم وصوِّب رأس مَن تصوّبا ... إن الذي يعلو علينا تُرتُبا[1]
لخَيرُنا عمّاً وأُمّاً وأبا ... وعامرٌ خيرهما مُرَكَّبا
وعامر أُدنى لقيسٍ نسبا

فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحاكمتما عندي ، وأنتما كركبتَي البعير الأدرم : تقعان إلى الأرض معاً ، وليس فيكما أحد إلاّ وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيِّد كريم .

وعمَد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر ، فنحروها حيث أمرهم هرِم عن علقمة عشراً ، وعن عامر عشراً ، وفرّقوا الناس ، فلم يفضِّل هرِم واحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل وهما ابنا عمّ ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرّاً .

[عامر أجار الأعشى فانحاز إليه]

قال : وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معديكرب بما أُعطاه طلب الجِوار والخُفرة من علقمة ، فلم يكن عنده ما طلب ، وأجاره وخفَره عامر ، حتى إذا أدّاه وماله إلى أهله قال : [من السريع]

عَلْقَمَ ما أنت إلى عامرٍ ... الناقِض الأوتارِ والواتِرِ

ثم أتمّها بعد النِّفار . فلمّا بلغ علقمة ما قال الأعشى ، وأشاع في العرب أن هرِماً قد فضَّل عامراً ، توعَّد الأعشى ، فقال الأعشى :

لعمري لئن أُمسى من الحيّ شاخصا

[هرم لا يبوح بالسر لعمر]

قال ابن الكلبيّ : حدَّثني أبي قال : فعاش هرِم حتى أدرك سلطانَ عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فسأله عمر فقال : يا هرِم ، أيَّ الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت ؟ فقال : لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعة ، ولبلغتْ شِعاف هَجَر . فقال عمر : نِعْمَ مستودعُ السِّرّ ومسنَدُ الأمر إليه أنت يا هرم ، مثلُ هذا فليُسد الشعيرة . وقال : إلى مثلك فليستبضِع القوم أحكامهم .

[علقمة يسلم ويرتدّ ثم يعود إلى الإسلام]

قال مؤلّف الكتاب : وقد أدرك علقمة بن عُلاثة الإسلام ، فأسلَم ، ثم ارتدّ فيمَن ارتدّ من العرب . فلمّا وجّه أبو بكر خالد بن الوليد المخزوميّ إلى بني كلاب ليوقع بهم ، وعلقمة يومئذٍ رئيسهم ، هرب وأسلم ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه ، فأعلمه أنّه قد نَزَع عمّا كان عليه ، فقبل إسلامه وأمّنه . هكذا ذكر المدائنيّ .

1 ترتبا : جميعاً .

وأمّا سيف بن عمر فإنّه روى عن الكوفيين غير ذلك .

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال : حدَّثنا السريّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سَيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، قال : كان علقمة بن علاثة على كِلاب ومَن والاها ، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتدّ في حياة النبيّ ﷺ ، ثم خرج بعد فتح الطائف ، حتى لحق بالشام مرتدّاً ، فلمّا تُوفّي النبيّ ﷺ أقبل مسرِعاً ، حتى عسكر في بني كعب ، مقدماً رجلاً ومؤخراً أُخرى . وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه ، فبعث إليه سَرِيّة ، وأمّر عليها القعقاع بن عمرو ، وقال : يا قعقاع ، سِر حتى تغير على علقمة بن علاثة ، لعلّك تأخذه لي أو تقتله . واعلم أنّ شفاء النفس الحُوْص ، فاصنع ما عندك . فخرج في تلك السريّة حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة ، وكان لا يبرح أن يكون على رحل ، فسابقهم على فرسه مراكضة ، وأسلم أهله وولده ، واستبى القعقاع امرأة علقمة وبناتِه ونساءه ومَن أقام من الرجال ، فاتّقوه بالإسلام . فقدِم بهم على أبي بكر رضي الله عنه ، فجحدت زوجته وولده أن يكونوا مالأوا علقمة على أمره ، وكانوا مقيمين في الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك . وقالوا لأبي بكر : ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم ، ثم أسلَم علقمة ، فقبِل ذلك منه .

أخبرنا الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدَّثنا عمرو بن عثمان قال : كان رسول الله ﷺ ربّما حدّث أصحابه ، وربّما تركهم يتحدّثون ويُصغي إليهم ويتبسّم ، فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وأيّام العرب ، إذ سمع حسّانَ بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة ، علقمةَ بن عُلاثة ، ومديحه عامر بن الطُّفيل : [من السريع]

علقمَ ما أنت إلى عامرِ النـاقِض الأوتـارِ والواترِ
إن تَسُد الحُوص فلم تَعْدُهمْ وعامرٌ سادَ بني عامرِ
ساد وأُلْفي رهطه سادة وكابراً سادوك عن كابرِ

فقال رسول الله ﷺ : كُفَّ عن ذكره يا حسّان ، فإن أبا سفيان لمّا شعَّث منّي عند هرقل ، ردّ عليه علقمة ، فقال حسّان بن ثابت : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، مَن نالتك يدُه فقد وجب علينا شكره .

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن أبي بكرٍ الهذليّ قال : لمّا أطلق عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة ، لأقصده به ، فقد منعتني التكسّب

بشعري . فقال : لا أفعل . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما عليك من ذلك ؟ إنّ علقمة ليس بعاملك ، فتخشى أن تأثم ، وإنّما هو رجل من المسلمين ، تشفع له إليه . فكتب له بما أراد ، فمضى الحطيئة بالكتاب ، فصادف علقمةَ قد مات والناس منصرفون عن قبره ، فوقف عليه ، ثم أنشد قوله[1] : [من الطويل]

لعمري لنعم المرءُ مـن آل جعفرٍ بحَـورانَ أمسى أعْلَقتْـه الحبـائلُ
فإن تحيَ لا أمْلَل حياتي وإن تمت فما في حياةٍ بعـد موتك طائلُ
ومـا كان بيني لـو لقيتُك سالماً وبـين الغِنـى إلاّ ليـالٍ قلائلُ

فقال له ابنه : يا حطيئة ، كم ظننت أنّ علقمة يعطيك ؟ قال : مِئة ناقة . قال : فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها . فأعطاه إيّاها .

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزبير بن بكّار قال : حدَّثني عمر بن أبي بكر قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد والضحاك بن عثمان قالا : لمّا قدِم علقمة بن عُلاثة المدينة ، وكان قد ارتدّ عن الإسلام ، وكان لخالد بن الوليد صديقاً ، لقيه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في المسجد في جوف الليل ، وكان عمر يُشبَّه بخالد ، وذلك أنّ أمّه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فسلَّم عليه ، وظنَّ أنّه خالد ، فقال : أعَزَلَك ؟ قال : كان ذلك . قال : والله ما هو إلاّ نفاسةٌ عليك ، وحسد لك . فقال له عمر : فما عندك معونة على ذلك ؟ قال : مَعاذ الله ، إنّ لعمر علينا سمعاً وطاعة ، وما نخرج إلى خلافه . فلمّا أصبح عمر رضي الله عنه أذن للناس ، فدخل خالد وعلقمة ، فجلس علقمة إلى جنب خالد ، فالتفت عمر إلى علقمة فقال : إيهِ يا علقمة ، أأنت القائل لخالد ما قلت ؟ فالتفت علقمة إلى خالد ، فقال : يا أبا سليمان ، أفعلتها ؟ قال : ويْحَك والله ما لقيتك قبل ما ترى ، وإنّي لأراك لقيت الرجل . قال : أراه والله . ثم التفت إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سمعتَ إلاّ خيراً . قال : أجل . فهل لك أن أولّيك حَوْران ؟ قال : نعم . فولاّه إيّاها ، فمات بها . فقال الحطيئة يرثيه : [من الطويل]

لَعمري لنعـم الحيُّ من آل جعفرٍ بحَوْران أمسى أقصدتـه الحبائلُ[2]
لقد أقصدَتْ جُوداً ومجداً وسؤْدداً وحلماً أصيلاً خالفتـه المَجاهلُ

---

1 هذه الأبيات من قصيدة طويلة في ديوان الحطيئة : 213–217 ومنها أيضاً الأبيات التي ستأتي فيما بعد .

2 ل : أعلقته .

فإن تَحي لا أُمْلَلْ حياتي وإن تمت ... فما في حياةٍ بعد موتك طائلُ

وفي أوّل هذه القصيدة التي رَثى بها الحطيئة علقمة غِناء نسبته : [من الطويل]

صوت

أرى العِيسَ تَخْدِي بين قَوٍّ فضارجٍ ... كما لاح في الصبح الأَشاءُ الحواملُ
فأَتبعتهمْ عينَيَّ حتى تفرّقَتْ ... مع الليلِ عن ساق الفريدِ الجَمائلُ
فلأْيا قصرتُ الطرفَ عنهم بِجَسرةٍ ... أُمونٍ إذا واكلتُها لا تواكِلُ

غنّى في هذه الأبيات سائب خاثر ثاني ثقيل بالوسطى ، من رواية حمّاد بن إسحاق والهشاميّ .

صوت

[من الخفيف]

لَيتَ شعري أفاحَ رائحةُ المسـ ... ـكِ وما إنْ إخال بالخَيْفِ إنْسي
حينَ غابَتْ بنو أُميَّة عنه ... والبهاليلُ من بني عبد شمسِ
خُطَباءُ على المنابر فُرْسا ... نٌ عَليها وقالةٌ غيرُ خُرْسِ

إخال : أظن . خِلْت كذا وكذا ، فأنا إخاله : إذا ظننته ، وخال عليّ الشيءُ يَخيل : إذا شككت فيه . وليت شعري : كلمة تقولها العرب عند الشيء تحبُّ علمه ، وتسأل عنه .

وأَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثني عُمَر ين شَبَّة قال : سأل رجل أبا عبيدة : ما أصل «ليت شعري» ؟ فقال : كأنّه قال : ليتني شَعَرْت بكذا وكذا ، ليتني علمت حقيقته .

الشعر لأبي العبّاس الأعمى ، والغناء لابن سُرَيج ، رملٌ بالبنصر في مجراها .

[329] ـ أخبار أبي العبّاس الأعمى[1]

[نسبه]

هو السائب بن فَرُّوخ مولى بني لَيث . وقيل إنّه مولى بني الدِّيل ، وهذا القول هو الصحيح .

ذكر محمد بن معاوية الأسَدِيّ ، عن المدائنيّ والواقديّ : أنّ أبا العبّاس الأعمى الذي يَروي عنه حَبيب بن أبي ثابت ، مولى جَذِيمة بن عليّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة ، وكان من شعراء بني أُميّةَ المعدودين ، المقدمين في مدحهم والتشيّع لهم ، وانصباب الهوى إليهم ، وهو الذي يقول في أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام : [من الوافر]

لعمركَ إنّني وأبا طُفَيلٍ لمختلفان ، والله الشهيدُ
أرى عثمانَ مهتدياً ويأبى متابعتي وآبى ما يريدُ

أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي سعد .

وقد رَوى أبو العبّاس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث ، وروى عنه عطاء ، وعمرو بن دينار ، وحبيب بن أبي ثابت .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبي العبّاس الأعمى الشاعر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : إنّما جَمْعُ[2] منزل تُدْلج منه إذا شئت .

قال : حدَّثنا أحمد بن محمد بن دَلان الخَيشي ، قال : حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال : حدّثنا أبو ضمرة قال : حدَّثني أبو الحارث بن عبد الرحمن ، عن أبي ذئب ، عن أبي العبّاس ، عن سعيد بن المسيّب قال : قال عليّ بن أبي طالب : قال رسول الله ﷺ : إسباغ الوضوء على المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، يغسل الخطايا غسلا .

حدَّثني : أحمد بن محمد بن سعيد الكوفيّ قال : حدَّثنا أبو قِلابة قال : حدَّثنا بشر بن عمر قال : حدَّثنا شعبة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : سمعت أبا العبّاس السائب بن فَرُّوخ الأعمى الشاعر يحدِّث عن عبد الله بن عمر ، قال : جاء رجل إلى النبيّ ﷺ يستأذنه

1 لأبي العبّاس الأعمى ترجمة في نكت الهميان : 153 .
2 جمع : اسم للمزدلفة .

في الجهاد ، فقال : أحيٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : فيهما فجاهدْ .

[لقاؤه المنصور]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال : حدَّثنا الفضل بن عبد الله الخَلَنجي بِجُرجان قال : حدَّثني مسلم بن الوليد الأنصاريّ قال : سمعت يزيد بن مزيد يقول : سمعت هارون الرشيد يقول : سمعت المهديّ يقول : سمعت المنصور يقول : خرجت أريد الشام أيّام مَروان بن محمد ، فصحبني في الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده ، فأخبرني أنّه يريد مروان بشعر امتدحه به ، فاستنشدته إيّاه ، فأنشدني : [من الخفيف]

ليتَ شِعري أفاح رائحة المِسـ ـك وما إن إخال بالخَيف إنسي
حين غابـت بنو أُميَّةَ عنـه والبهاليلُ من بنـي عبْد شمسِ
خطبـاء على المنابـر فُرْسا ن عليهـا وقالـةٌ غير خُرْسِ
لا يُعابـون صامتين وإن قـا لوا أصابوا ولم يقولـوا بلَبْسِ
بِحُلـومٍ إذا الحلـوم تقضَّتْ ووجـوه مثـل الدنانير مُلْسِ

ويروى مكان «تقضت» : اضمحلت . قال : فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أنّ العَمى قد أدركني ، وافترقنا . فلمّا أفضت الخلافة إليّ خرجت حاجاً ، فنزلت أمشي بجَبلي زَرُود ، فبُصرت بالضرير ، ففرّقت مَن كان معي ، ثم دنوت منه فقلت : أتعرفني ؟ قال : لا . فقلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيّام مروان . فقال : أوَّهْ : [من الكامل]

آمـتْ نساءُ بنـي أُميّة منهمُ وبناتُهُـمْ بمَضيعـةٍ أيتـامُ
نامـتْ جدودُهم وأُسْقِط نجمهمْ والنجـم يَسْقُط والجـدود تَنـامُ
خَلَـتِ المنابـرُ والأَسِرّةُ منهـمُ فعليهـمُ حتـى المماتِ سلامُ

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت ؟ قال : أغناني أن أسأل أحداً بعده . فهممت بقتله ، ثم ذكرت حقّ الاسترسال والصحبة ، فأمسكت عنه ، وغاب عن عيني ، فبدا ليَ فيه ، فأمرت بطلبه ، فكأنّما البيداء بادت به .

[قصة له مع امرأة ذات بعل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني عمر بن شبّة قال : قال أبو عبيدة : هَوِي أبو العبّاس الأعمى امرأة ذات بعل ، فراسلها ، فأعلمت زوجها ، فقال : أطمعيه . فأطمعته . ثم قال : أرسلي إليه فليأتك . فأرسلت إليه ، فأتاها ، وجلس زوجها إلى جانبها ، فقال لها أبو العبّاس : إنّك قد وُصِفْت لنا وما نراك ، فألمسينا . فأخذت يده ، فوضعتها على أير

زوجها ، فنفر ، وعلِم أنْ قد كِيد ، فنهض من عندها ، وقال : [من الوافر]

صوت

عليَّ أَلِيَّةٌ ما دمت حيّاً أَمَسُّك طائعاً إلاّ بعُودِ
ولا أُهدِي لأرضٍ أنتِ فيها سلامَ الله إلاّ من بعيدِ
رجوتُ غنيمة فوضعت كفّي على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ
فخير منكِ من لا خيرَ فيهِ وخيرٌ من زيارتكمْ قُعودِي

وقرأت هذه الحكاية مرويّة عن الأصمعيّ غيرَ مذكور راويها عنه . وزعم أنّ بشاراً صاحب القصّة ، وأنّه كان له مجلس يسمِّيه البَرْدان ، يجتمع إليه فيه النساء ، فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها . ثم ذكر الخبر بطوله ، وقال فيه : فلمّا وصل إليها أنشأ يقول : [من الوافر]

مُلَيكةُ قد وُصِفتِ لنا بحسنٍ وإنّا لا نراكِ فأَلمِسينا

فاخذ زوجها يده فوضعها على أيره .

ذكر إسحاق أنّ في البيتين الأوّلين والرابع من هذه الأبيات ، لحناً من خفيف الثقيل ، بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولم ينسبه إلى أحد . ووجدته في غناء عَمْرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه ، فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره .

[يحض بني أميّة على ابن الزُّبير]

أُخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أيّوب بن عمر أبو سلمة قال : قال أبو العبّاس الأعمى ، مولى بني الدِّيل بن بكر ، يَحضّ بني أُميّة على عبد الله بن الزُّبير : [من الكامل]

أبنــي أُميّــةَ لا أَرى لَكُم شِبْهاً إذا ما التفَّتِ الشِّيَعُ
سَعَــةً وأَحلامــاً إذا نَزِعَتْ أهــلُ الحلـومِ فضرَّها النَّزَعُ
وحفيظــةً في كلّ نائبــةٍ شَهباءَ لا يُنْهى لها الرُّبَعُ
اللهُ أَعطاكُمْ وإنْ رغِمتْ مَن ذاك أنفُ معاشرٍ رَتَعُوا
أبنــي أُميّــةَ غيــرَ أَنّكــمُ والنّاس فيما أُطْمعوا طمِعوا
أَطْمَعْتُمُ فيكُمْ عَدُوَّكُم فسما بهمْ في ذاكُمُ الطَّمَعُ
فَلَو انّكمْ كنتمْ لقولكمُ مثلَ الذي كانوا لكمْ رَجعوا
عمّا كرهتمْ أو لَرَدَّهُمُ حذرُ العقوبةِ إنّها تَزَعُ

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أُميّة ، وهجاء آل الزُّبير ، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزُّبير ،

ليس ذكرها مما قصدنا له .

ونسختُ من كتاب قعنب بن المُحرز قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن جُوَيْرِيَة بن أسماء : أنّ ابن الزُّبير رأى رجلاً من حُلفاء بني أسد بن عبد العُزَّى في حالة رَثَّة ، فكساه ثوبين ، وأمر له ببُرٍّ وتمر ، فقال أبو العبّاس الأعمى في ذلك : [من الطويل]

صوت

كَسَتْ أسدٌ إخوانَهـا ولَوَ انّني بِبلـدةِ إخـواني إذاً لكُسِيتُ
فلم تَـرَ عيني مثل حيٍّ تَحمَّلوا إلى الشام مظلومين منذ بُرِيتُ

غنّى في هذين البيتين دُحمان ثقيلَ أوّل بالبنصر ، من رواية ابن المكّيّ ، ورأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقيّ فيهما صنعة أيضاً .

[يهجو البعيث المجاشعي]

وقال محمد بن معاوية : حدَّثني المدائنيّ قال : قدِم البَعيثُ المجاشِعيّ مكّة ، وكان أبو العبّاس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها ، وكانت جوائز أُميّة تأتيه من الشام ، وكانت قريشٌ كلّها تَبَرُّه للسانه ، وتقرُّباً إلى بني أُميّة ببرِّه . قال : فصلّى البعيث مع النّاس ، وسأل في حمالة كانت عليه ، وكان سَؤُولاً ملحّاً شديد الطمع ، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمّله عنه ، فيقول : لا أقبله إلاّ أن تجيء معي إلى الصرَّاف حتى ينقده ويزنه ، فإن لم يفعل ذمّه وهجاه . فشكوه إلى أبي العبّاس الأعمى ، فقال : قودوني إليه ، ففعلوا . فلمّا عرف مجلسه رفع عصاه ، فضرب بها رأسه ، ثم قال له : [من الطويل]

فهـلْ أنتَ إلاّ مُلْصَقٌ في مُجاشِعٍ نَفاكَ جريـرٌ فاضْطُرِرْتَ إلى نَجْدِ

ويروى : نفاك جرير بالهجاء إلى نجد

تظـلُّ إذا أُعطيتَ شيئـاً سألْتَه تطالبُ مَن أَعطاك بالوزن والنقدِ
فـلا تَطْمَعَنْ من بعدِ ذا في عطيّةٍ وثِقْ بقبيح المنـعِ والدفعِ والردِّ
فلستَ بمُبْـقٍ في قريش خِزايـة تُذَمّ ولو أَبْعَدْت فيهِ مَدى الجَهْدِ

قال فتضاحك به مَن حضر ، واستحيا ولم يُحِرِ جواباً . فلمّا جَنَّ الليل عليه هرب من مكّة .

[عبد الملك يستنشده مديحه في مصعب]

وقال قَعنب بن المحرز : حدَّثني المدائنيّ قال : قال عبد الملك بن مروان لأبي العبّاس الأعمى مولى بني الدِّيل : أنشدني مديحك مُصْعباً . فاستعفاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّما رثيته بذلك لأنّـه كان صديقي ، وقد علمتَ أنّ هوايَ أمويّ . قال : صدقت ، ولكن أنشدني

ما قلته . فأنشده : [من الخفيف]

يرحــمُ الله مصعباً فلقــد مــا تَ كريماً ورامَ أمــراً جسيما

فقال عبد الملك : أَجَلْ ، لقد مات كريماً . ثم تمثّل : [من الطويل]

ولكنّــه رام التــي لا يرومُهــا مــن الناس إلاّ كلّ حُــرٍّ مُعَمَّمِ

[بنو أمية يكسون أبا العبّاس]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان . قال حدَّثني إسحاق بن محمد الأمويّ قال : لمّا حجّ عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكّة ، فدخلوا إليه على مراتبهم ، وقامت الشعراء والخطباء فتكلّموا ، ودخل أبو العبّاس الأعمى ، فلمّا رآه عبد الملك قال : مَرْحبا مرحبا بك يا أبا العبّاس ، أخبرني بخبر المُلْحِد المُحِلّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك ، وأنشدني ما قلت في ذلك .

فأخبره بخبر ابن الزُّبير ، وأنّه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه ، وأنشده الأبيات . فقال عبد الملك : أقسم على كلّ مَن حضرني من بني أميّة وأحلافهم ومواليهم ، ثم على كلّ مَن حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم ، إلاّ كسا أبا العبّاس .

فخُلعت والله حُلَل الوشي والخزّ والقُوهِيّ ، وجُعِلت تُرمى عليه ، حتى إذا غطّته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطُرِح عليه ، قال : حتى رأيت في الدار من الثياب ما سَتَر عني عبد الملك وجلساءه ، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم .

[نفاه ابن الزُّبير فهجاه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ . قال : حدَّثني أبي وأهلي : أنّ عبد الله بن الزُّبير لمّا غلب على الحجاز ، جعل يتتبّع شيعة بني مروان ، فينفيهم عن المدينة ومكّة ، حتى لم يبق بهما أحد منهم ، ثم بلغه عن أبي العبّاس الأعمى الشاعر نَبْذٌ من كلام ، وأنّه يكاتب بني مروان بعَوراته ، ويمدح عبد الملك ، وتجيئه جوائزه وصِلاته ، فدعا به ، ثم أغلظ له ، وهمَّ به ، ثم كُلِّم فيه ، وقيل له : رجل مضرور . فعفا عنه ، ونفاه إلى الطائف ، فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير : [من الطويل]

بني أسد لا تذكــروا الفخرَ إنّكمْ متــى تذكروه تُكْذَبوا وتُحَمَّقوا
بُعَيْــداتِ بَيْنٍ خيرُكم لصديقكـمْ وشرُّكُم يغــدو عليــه ويَطْرُقُ
متى تُسألوا فضلاً تَضنّوا وتَبخلوا ونيرانكــمْ بــالشرّ فيهــا تَحَرُّقُ
إذا استبقت يومــاً قريش خرجْتُمُ بني أسدٍ سُكْتاً وذو المجــدِ يسبقُ

تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكمْ ... إذا مـــا قريش للأضاميـم أصفقوا
ومـــا ذاك إلاّ أن للّـــؤم طابَعــاً ... يلـــوح عليكــمْ وسْمه ليس يَخْلُقُ

[بينه وبين عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال : حدَّثني عمِّي مُصعب قال : قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العبّاس الأعمى الشاعر مولى بني الدِّيل بن بكر[1] : [من الرمل]

أفْتِنــي إن كنتَ ثَقْفاً شاعــراً ... عن فتًى أعرجَ أعمى مختلِفْ
سيىء السَّحْنَـــة كابٍ لونُـــه ... مثلِ عود الخروعِ البالي القصِفْ

فقال أبو العبّاس يردّ عليه : [من الطويل]

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفَتى ... وسيّدُنـــا لـــولا خلائـــقُ أربعُ
نُكُولك في الهيجا وتَقْوالُك الخنا ... وشتمـك للمـولى وأنـّـك تُبَّعُ

قال الزُّبير : يقال رجل تبْع نساء وتُبَّع نساء : إذا كان كَلِفاً بهن .

أخبرني الحِرْمِيُّ قال : حدّثنا الزُّبير قال : حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني المكّيّون : أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُرامي جارية لأبي العبّاس الأعمى ببنادق الغالية ، فبلغ ذلك أبا العباس ، فقال لقائده : قفني على باب بني مخزوم ، فإذا مرَّ عمر بن أبي ربيعة ، فضع يدي عليه ، فلمّا مرَّ عمر وضع يده عليه ، فأخذ بحُجْزَته ، وقال : [من الوافر]

ألا مَن يشتري جاراً نَئُوماً ... بجـار لا ينـام ولا يُنِيمُ[2]
ويلبس بالنهــار ثيابَ ناسٍ ... وشَطْرَ الليـلِ شيطانٌ رجيمُ

فنهضت إليه بنو مخزوم ، فأمسكوا فمه ، وضَمِنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه .

صوت

[من الطويل]

ألا حيٌ من أجل الحبيب المَغانيا ... لبِسن البـلى لمـا لَبِسن اللياليا
إذا ما تقاضى المـرءَ يومٌ وليلة ... تقاضاه شيء لا يمـلّ التقاضيا

الشعر لأبي حيّةَ النُّميريّ . والغناء لأحمد بن يحيى المكّيّ ، خفيفُ رَمَل بالبنصر ، عن الهشاميّ .

1 ديوان عمر : 258 .

2 المثل «لا ينام ولا ينيم» في الفاخر 42 وجمهرة العسكري 2 : 418 ويقال «السليم لا ينام ولا ينيم» كما في مجمع الميداني 1 : 339 .

[330] ـ أخبار أبي حيَّة النميريّ ونسبه[1]

[نسبه]

أبو حيّة : الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جَناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نُمَير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار .

وكان يقال لمالك الأصقع . وقال قوم : إنّ الأصقع هو الأصمّ بن مالك بن جَناب بن كعب .

وأبو حيّة شاعر مُجيد مُقدَّم ، من مُخَضْرَميّ الدولتين : الأمويّة والعباسيّة ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان فصيحاً مُقَصِّداً راجزاً ، من ساكني البصرة ، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذّاباً ، معروفاً بذلك أجمع . وكان أبو عمرو بن العلاء يقدّمه . وقيل إنّه كان يُصْرَع .

[الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثني محمد بن سلاّم الجمحيّ . وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد . وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، قالوا : كان لأبي حيّة سيف يسمِّيه لُعابَ المَنيّة ، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان من أجبن الناس .

قال : فحدَّثني جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظنّه لصّاً ، فأشرفْتُ عليه وقد انتضى سيفَه لُعابَ المنيّة ، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول : أيّها المغترّ بنا ، والمجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنيّة الذي سمعت به ، مشهورة ضرْبَتُهُ ، لا تُخاف نَبْوته . اخرج بالعفو عنك ، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك . إنّي والله إن أدْعُ قيساً إليك لا تقُم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورَجْلاً ، سبحانَ الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً ، وكفاني حرباً .

[ما يقول القدريون]

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال : حدَّثني محمد بن عليّ بن حمزة قال : حدَّثني أبو عثمان

---

1 لأبي حية النميري ترجمة في الشعر والشعراء : 658–659 وطبقات ابن المعتز : 143–146 والمؤتلف : 145 وخزانة البغدادي 10 : 217–220 والسمط : 244 وانظر مواطن متفرقة من التذكرة الحمدونية .

المازنيُّ قال : حدَّثني سعيد بن مَسْعدة الأخفش قال : قال أبو حيّة النميريّ : أتدري ما يقول القَدَرِيّون ؟ قلت : لا . قال : يقولون : الله لا يكلف العباد ما لا يُطيقون ، ولا يسألهم ما لا يَجدون ، وصدق والله القَدَريّون ، ولكنّي لا أقول كما يقولون .

[هلك الناس]

قال محمد بن علي بن حمزة : وحدَّثني أبو عثمان قال : قال سَلَمة بن عيّاش لأبي حيّة النميريّ : أتدري ما يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنّي أشعر منك . قال : إنّا لله ! هلكَ والله الناس !

قال : وكان أبو حيّة النميريّ مجنوناً يُصْرَع ، وقد أدرك هشام بن عبد الملك .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ قال : سمعت عمِّي يقول : أبو حيّة في الشعراء كالرجلِ الرَّبْعة ، لا يعدّ طويلاً ولا قصيراً .

قال : وسمعت أبا عمرو يقول : هو أشعر في عُظْم الشعر من الراعي .

[كذبه]

أخبرني الحسن بن عليّ وعليّ بن سليمان الأخفش ، قالا : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرد قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعذَّل . وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم ، قالوا : كان أبو حيّة النميريّ من أكذب الناس ، فحدث يوماً أنّه يخرج إلى الصحراء ، فيدعو الغربان فتقع حوله ، فيأخذ منها ما شاء . فقيل له : يا أبا حيّة ، أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك ، فما نصنع بك ؟ قال : أبعدها الله إذن !

[السهم المراوغ للظبي]

قال : وحدَّثنا يوماً قال : عنَّ لي ظبي يوماً فرميته ، فراغ عن سهمي ، فعارضه السهم ، ثم راغ ، فعارضه السهم ، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبّانات .

[يشفق على الظبية فيسترجع السهم]

قال : وقال يوماً : رميت والله ظبية ، فلمّا بَعُد سهمي عن القوس ، ذكرت بالظبية حبيبة لي ، فعدَوت خلف السهم ، حتى قبضت على قُذَذه قبل أن يدركها .

[يمدح المنصور ويهجو بني حسن]

وذكر يحيى بن عليّ عن الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال : قال الرياشيّ ، عن الأصمعيّ قال : وفد أبو حيّة النميريّ على المنصور وقد امتدحه ، وهجا بني حسن بقصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

عُوجا نُحيِّ ديارَ الحيِّ بالسَنَدِ ... وهل بتلك الديارِ اليوم من أَحَدِ

يقول فيها :

أَحين شِيمَ فلم يتركْ لهم تِرَةً سيفٌ تقلّده الرئبال ذو اللِّبَدِ
سللتموه عليكمْ يا بني حسنٍ ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأبدِ
قد أُصبحتْ لبني العبّاس صافيةً لجدع آناف أهل البغي والحسدِ
وأُصبحت كلَهاة الليثِ في فمه ومَنْ يحاولُ شيئاً في فمِ الأُسدِ ؟

[يشرب عند خمارة بنسيئة]

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل ؛ فاحتجن لعياله أكثره ، وصار إلى الحِيرة ، فشرب عند خمّارة بها ، فأعجبه الشرب ، فكرِه إنفاد ما معه ، وأحبّ أن يدوم له ما كان فيه ، فسأل الخمّارة أن تبيعه بنسيئة ، وأعلمها أنّه مدح الخليفة وجماعة من القوّاد ، ففعلت وشرِهت إلى فضل النسيئة ، وكان لأبي حيّةَ أير كعنق الظليم ، فأبرز لها عنه ، فتدلَّهَت ، وكانت كلّما سقته خَطَّت في الحائط ، فأنشأ أبو حيّة يقول : [من الوافر]

إذا أسقيتِني كُوزاً بخَطٌّ فخُطِّي ما بدا لك في الجدارِ
فإن أعطيتني عيناً بدين فهاتي العَيْن وانتظري ضِماري[1]
خرقتُ مقدّماً من جنب ثوبي حِيال مكان ذاك من الإزارِ
فقالت ويلَها : رجل ويمشي بما يمشي به عُجَرُ الحمارِ[2]
وقالت : ما تريد ؟ فقلت : خيراً نسيئةَ ما عليّ إلى يساري
فصدّت بعد ما نظرت إليه وقد ألمحتُها عُنُق الحُوارِ

[عيب شعره أن ابن مناذر يسمعه]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم قال : لقِي ابن مناذر أبا حيّة ، فقال له : أنشدني بعض شعرك . فأنشده : [من الطويل]

أَلا حيّ من أُجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مُناذر : وهذا شعر ؟ فقال أبو حيّة : ما في شعري عيب هو شرّ من أنّك تسمعه . ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره ، فقال له أبو حيّة : قد عرفتك ما قصّتك ؟

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حيّة ، ويذكر يوم النَّشَّاش[3] ، وهو يوم لبني نُمَير .

1 الضمار : الوعد المسوف أو الدين الهالك .
2 عجر : جمع عجرة وهي العروق المتعقدة في الجلد .
3 النشاش : واد لبني نمير كانت به وقعة بين بني نمير وأهل اليمامة .

[331] ـ أخبار أحمد بن يحيى المكّيّ

[مكانته]

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكّيّ ، ويكنى أبا جعفر . وكان يلقّب ظنيناً . وقد تقدّم ذكر أبيه وأخباره . وهو أحد المحسنين المبرّزين ، الرواة للغناء ، المجيدين للصنعة . وكان إسحاق يقدّمه ويؤثره ، ويُشيد بذكره ، ويَجهر بتفضيله ، وكتابه «المجرد» في الأغاني ونسَبها أصل من الأصول المعمول عليها ، وما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبحا ، يقارب كتابه ، ولا يقاس به ، وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته ، أحد الضراب الموصوفين المتقدّمين .

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ ، عن محمد بن أحمد المكّيّ : أنّ أباه جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء ونسَبه وجنسه ، فكان محتوياً على أربعة عشر ألف صوت .

[قيمته لو كان مملوكاً]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني عليّ بن يحيى ، ونسخت من بعض الكتب : حدَّثني محمد بن أحمد المكّيّ قال : حدَّثني عليّ بن يحيى قال : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكّيّ : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكّيّ مملوكاً ، كم كان يساوي ؟ فقال : أخبرك عن ذلك .

انصرفت ليلة من دار الواثق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب ، فدخلت إليه ، فإذا أحمد عنده ، فلمّا قام لصلاة العشاء الآخرة ، قال لي الحسن بن وهب : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً ؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنّى صوتاً ، فقال لي الحسن بن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغنّى صوتاً آخر ، فقلت للحسن : يا أبا عليّ أضعفها . ثم أردت الانصراف ، فقلت لأحمد : غنّني : [من البسيط]

صوت

لولا الحياءُ وأن السّتْر من خُلُقي ... إذن قعدتُ إليكَ الدهرَ لم أقُمِ
أليس عندك شُكر للتي جعلت ... ما ابيضَّ من قادمات الرأس كالحُمَمِ

الغناء فيه لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لمالك ، وليس كما قال ، لحن مالك ثقيل أوّل ذكره الهشاميّ ودنانير وغيرهما .

قال : فغنّاه أحمد بن يحيى المكّيّ ، فأحسن فيه كلّ الإحسان . فلمّا قمت للانصراف قلت للحسن : يا أبا عليّ ، أضعف الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعكما تقولانه ، ولست أدري ما معناه . قال : نحن نبيعك ونشتريك منذُ الليلة وأنت لا تدري .

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أخيه أحمد بن عليّ ، عن عافية بن شبيب ، عن أبي حاتم ، قال : كان إسحاق عندنا في منزل أبي عليّ الحسن بن وهب ، وعندنا ظنين بن المكيّ ، وذكر الحديث مثله ، وقال فيه : إنّه قوَّمه مِئةَ ألفِ درهم ، وذكر أنّ الصوت الذي غنّاه آخِراً : [من الوافر]

صوت

أمِــن دِمَــنٍ وخِيَمٍ بالياتِ وسُفْــعٍ كالحمائـم جاثماتِ
أرِقتَ لهنّ شطرَ الليــل حتّــى طلعن مــن المناقــبِ مُنجداتِ

وأنّ إسحاق لمّا سمعه قال : كم كنت قَوَّمته ؟ قال : مئة ألف درهم . قال : أضعفوا القيمة . قيمته مِئتا ألفِ درهم .

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل ، بالسبابة في مجرى الوسطى ، ينسب إلى ابن مِسجح ، وإلى ابن محرز . وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى ، عن عمرو . وللغريض خفيف ثقيل عن الهشاميّ .

[مناظرة في الغناء عند المعتصم]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني محمد بن أحمد المكّيّ قال : ناظر أبي بعضَ المغنّين ذات ليلة بين يدي المعتصم ، وطال تلاحيهما في الغناء ، فقال أبي للمعتصم ، يا أمير المؤمنين ، مَن شاء منهم فليغنّ عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة ، وأنا أغنّي عشرة وعشرة وعشرة ، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها . فقال إسحاق : صدق يا أمير المؤمنين . واتبعه ابن بُسْخُنَّر وعَلُّويه ، فقالا : صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله . فأمر له بعشرين ألف درهم .

قال محمد : ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظَّته يوماً ، فقال له : قد دعوتك إلى النَّصَفة ، فلم تقبل ، وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه ، فاندفع فغنَّى عشرة أصوات ، فلم يعرف أحد منهم منها صوتاً واحداً ، كلّها من الغناء القديم ، والغناء اللاحق به من صنعة المكّيين الحُذّاق الخاملي الذكر ، فاستحسن المعتصم منها صوتاً ، وأسكت المغنّين له ، واستعاده مرّات عدّة ، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه ، وأمر ألاّ يراجعَ أحداً من المغنّين كلاماً ، ولا يعارضَه أحدٌ منهم ، إذ كان قد أبرَّ عليهم ، وأوضح الحجّة في انقطاعهم ، وإدحاض حُجَجهم .

وكان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه ، وأمر له لمّا سمعه بألفي دينار : [من الخفيف]

صوت

لعنَ اللهُ مَن يلوم محبّاً ... ولحى اللهُ مَن يُحَبُّ فيابى
رُبَّ إلفين أضمرا الحُبَّ دهراً ... فعفا اللهُ عنهما حين تابا

الغناء ليحيى المكّيّ رَمَل .

قال محمد ، قال أبي : وكان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مَماطر لها شأن من ألوان شتّى ، فسألني عبد الوهّاب بن عليّ أن أردّ عليه هذا الصوت ، وجعل لي مِمْطره ، فغنّيته إيّاه ، فلمّا خرجنا للانصراف إلى منازلنا ، أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلماني ، فسلّموه إليهم .

[إعجاب إسحاق الموصليّ به]

أخبرني عبد الله بن الربيع ، عن أبيه ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : سألني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يوماً : مَنْ بقِي من المُغنِّين ؟ قلت : وجْه القَرْعة محمد بن عيسى ، مولى عيسى بن جعفر . فقال : صالح كَيِّس . ومَن أيضاً ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكِّيّ . قال بَخٍ بَخْ ! ذاك المحسن المُجمل الضارب المغنِّي القائم بمجلسه ، لا يحوِج أهل المجلس إلى غيره . ومَن بأبي أنت ؟ قلت : ابن مقامرة . قال : لا والله ما سمعت بهذا قَطُّ . فمن مُقامرة هذه ؟ زامرة أم نائحة أم مغنّية ؟ قلت : لا ، ولكنّها من الناس ، وليست من أهل صناعته . قال : ومَن أيضاً بأبي أنت ؟ قلت : يحيى بن القاسم ابن أخي سَلَمة . قال : الذي كان له أخ يغنِّي مرتجِلاً ؟ قلت : نعم . قال : لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئاً قَطُّ ، ولا أشكّ أنّ هذا كذلك ، لأنّهما مؤدِّباه .

[يغنّي الخليفة في شعر مدح به أحد رجاله]

وذكر ابن المكّيّ عن أبيه قال : قال المعتصم يوماً لجلسائه ونحن عنده : خلعتُ اليوم على فتى شريف ظريف نظيف ، حسن الوجه ، شجاع القلب ، ووليته المَصِيصَة ونواحيها . فقلنا : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : خالد بن يزيد بن مَزْيد . فقال عَلويه : يا أحمد غنِّ أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد ، فأمسكت عنه . فقال المعتصم : مالك لا تجيبه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس هو ممّا يغنَّى بحضرة الخليفة . فقال : ما مَن أن تغنِّيه بدّ . قال : فغنّيته صنعة لي في هذا الشعر : [من الخفيف]

صوت

عَلَّمَ النَّاسَ خالدُ بنُ يزيدِ ... كلَّ حِلمٍ وكلّ بأسٍ وجُودِ
فترى الناسَ هيبةً حين يبدو ... مِن قيامٍ ورُكَّعٍ وسجودِ

فقال المعتصم : يا ثمامة ، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجواري في غد ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم .

[غناؤه الأمين]

قال : وغنّى أبي يوماً محمداً الأمين : [من الطويل]

صوت

فعش عُمرَ نوحٍ في سعود وغِبْطَةٍ   وفي خفض عيش ليس في طوله إثمُ
تساعدُك الأقدارُ فيه وتنثني   إليك وترعى فضلَك العُرْبُ والعُجْمُ

فأمر له بخمسمائة دينار .

[وفاته]

وتوفّي أحمد بن يحيى المكّيّ في خلافة المستعين في أوّلها .

أخبرني بذلك جحظة البرمكيّ ، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ : أنّ أباه تُوفّي في هذا الوقت .

انقضت أخباره .

صوت[1]

[من الكامل]

إنّ الذين غَدَوا بلُبِّك غادروا   وشَلاً بعينك ما يزال مَعِينا
غَيَّضْنَ من عبراتهنّ وقلن لي :   ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا ؟

غادروا : تركوا . والوشَل : الماء القليل . والمَعين : الماء الصافي الجاري . وغَيَّضن من عبراتهن : أي كففنها ومسحنها حتى تغيض .

الشعر لجرير ، والغناء لإسحاق ، رَمَل بالوسطى ، عن عمرو . وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها . وفيه لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعمرو . وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سريج رملاً آخر . وذكر عيسى أنّ الثقيل الأوّل لإبراهيم ، وأنّ فيه للهُذليّ ثانيَ ثقيل بالوسطى ، ولإبراهيم أيضاً ماخوريّ بالبنصر .

---

1 ديوان جرير (صادر) : 476 .

332 ـ [طرائف تتعلق بغزل جرير]

[هل البيتان لجرير ؟]

وقد أُخبرني إبراهيم بن محمد بن أيّوب الصائغ قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أنّ هذين البيتين للمَعْلوط ، وأنّ جريراً سرقهما منه ، وأدخلهما في شعره .

[أبو السائب لا يردّ على أحد إلاّ ببيتَي جرير]

أُخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي وغيره قالوا : غدا عبد الله بن مسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ على أبي السائب المخزوميّ في منزله ، فلمّا خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير : [من الكامل]

إنّ الذين غَدَوا بلبك غادَروا وشَلاً بعينك لا يــزال مَعِينا

البيتين . فحلف أُبو السائب ألاّ يَرُدّ على أُحد سلاماً ، ولا يكلّمه إلاّ بهذين البيتين ، حتى يرجع إلى منزله . فخرجا ، فلقيهما عبد العزيز بن المُطَّلِب وهو قاضٍ ، وكانا يُدْعَيان القرينين لملازمتهما ، فلمّا رآهما قال : كيف أصبح القرينان ؟ فغمز أبو السائب بنَ جندُبَ : أن أخبره بالقصّة ، وابن جُندَب يتغافل ، فقال لابن جندب : ما لأبي السائب ؟ فجعل أُبو السائب يغمزه ، أي أخبره بيميني . قـال ابن جنـدب : أحمد الله إليك ، ما زلت منكراً لفعله منذ خرجنا . فانصرف ابن المطّلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه ، فصرفهم ودخل منزله مغتمّاً . فلمّا أتى أبو السائب منزله ، وبَرَّت يمينه ، خرج إلى ابن جندب فقال : اذهب بنا إلى ابن المطّلب ، فإنّي أخاف أن يردّ شهادتي . فاستأذنا عليه ، فأذِن لهما فقال له أُبو السائب : قد علمت ، أعزّك الله ، غرامي بالشعر ؛ وإنّ هذا الضالّ جاءَني حين خرجت من منزلي ، فأنشدني بيتـين ، فحلفـت ألاّ أردّ على أحد سلاماً ، ولا أُكلّمه إلاّ بهمـا . حتى أرجـع إلى منـزلي . فقال ابن المطّلب : اللهمّ غَفْراً ! ألا تترك المجون يا أبا السائب .

أُخبرني : الحِرْمِيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد المطّلب بن عبد العزيز قال : أنشدت أَبا السائب قول جرير : [من الكامل]

غَيَّضْنَ مِن عَبَراتهنّ وقُلْنَ لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !

فقال : يا ابن أخي ، أتدري ما التغييض ؟ قلت : لا . قال : هكذا ، وأشار بأصبعه إلى جفنه ، كأنّه يأخذ الدمع ثم ينضحه .

[ابن أبي عتيق يعدل مَن يحفظ بيت جرير]

أخبرني الحِرْمِيّ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكّار قال : حدَّثنا المدائنيّ . وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن أحمد بن زهير ، عن الزُّبير بن بكّار قال : عن المدائنيّ قال : شهد رجل عند قاضٍ بشهادة ، فقيل له : مَن يعرفك ؟ قال : ابن أبي عَتيق . فبعث إليه يسأله عنه . فقال : عدلٌ رِضاً . فقيل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا . ولكنّي سمعته ينشد : [من الكامل]

غَيَّضْن من عَبَراتهن وقُلْن لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !

فعلمتُ أنّ هذا لا يرسَخ إلاّ في قلب مؤمن ، فشهدت له بالعدالة .

[أبو السائب يرمي نفسه في البئر]

أخبرني الحِرْمِيّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحّاك قالا : كان أبو السائب المخزوميّ واقفاً على رأس بئر ، فأنشده ابن جندب : [من الكامل]

إنّ الذين غدَوا بلبك غادروا وشَلاً بعينــك لا يزال مَعينا

فرمى بنفسه في البئر بثيابه ، فبعد لأي ما أخرجوه .

[أشعب يطرب سالم بن عبد الله بن عمر]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدَّثنا محمد بن الحسن الزُّرَقيّ قال : حدَّثنا العلاء بن عمرو الزُّبيريّ ، من ولد عَمْرو بن الزُّبير ، قال : حدَّثنا يحيى بن أبي قُتيلة قال : حدَّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسن بن عليّ عليهم السلام ، عن أشعب قال : جاءَني فِتية من قريش ، فقالوا لي : نحبّ أن تُسْمِع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء ، وتُعلِمنا ما يقول لك ، وجعلوا لي في ذلك جُعْلاً . فدخلت عليه ، فقلت : يا أبا عَمْرو ، لي مجالسة وحرمة ومودّة وسِنّ ، وأنا مولع بالترنّم . قال : وما الترنّم ؟ قلت : الغناء . قال : وفي أيّ وقت ؟ قلت : في الخَلوة ، ومع الإخوان في الخارج . وأُحِبّ أن أسمعك ، فإن كرهته أمسكتُ عنه . ثم غنَّيته ، فقال : ما أرى بأساً . فخرجت إليهم ، فأعلمتهم ، فقالوا : وما غنَّيته ؟ فقلت : غنّيته : [من الخفيف]

قَرِّبــا مَرْبَــــطَ النعامةِ مِنّي لقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيالِ

قالوا : هذا بارد لا حركة فيه ، ولسنا نرضى . فلمّا رأيت دفعهم إيّاي ، وخفت ذهاب ما جعلوا لي ، رجعت إليه ، فقلت : يا أبا عمرو ، آخَر . قال : ما لي ولك ؟ ولم املّكه أمره حتى غنَّيت ، فقال : ما أرى بأساً . فخرجت إليهم فأعلمتهم . قالوا : وما غنَّيته ؟ قلت : [من الخفيف]

لم يُطِيقوا أن ينزِلـوا ونزلْنا وأخو الحرب مَن أطاق النزولا

قالوا : وليس هذا بشيء . فرجعت إليه ، فقلت : آخَر . فاستكفَّني ، فلم أُمَلِّكه القول حتى غنَّيته : [من الكامل]

غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْن لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا ؟

فقال : مَهْلاً مَهْلاً . قلت : لا والله إلاّ بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر . فقال : هو لك . فخرجت عليهم به ، وأنا أخطِر . فقالوا : مه . فقلت : أطربتُ الشيخ حتى أعطاني هذا ، وقال مرّة أُخرى : حتى فرض لي هذا . قال : ووالله ما فعل ، وإنّما كان فِدْية لأصمت ، وأخذت منهم الجُعْل .

[إبراهيم يحب إسحاق لقرابته وفنه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم ، قال : حُدِّثت عن حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني علويه الأعسر قال : أتيت أباك في داره هذه يوماً وقد بنى إيوانَها وسائرها خراب ، فجلسنا على تلٍّ من تراب ، فغنّاني لحنه في : [من الكامل]

غَيَّضْن من عَبَراتهنّ وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا !

فسألته أن يعيده عليّ ، ففعل . وأتانا رسول أبيه بطبق رُطَب ، فقال للرسول : قل له : سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثتَ به إليّ ، فأبلغه الرسول ذلك ، فقال له : ومَن عنده ؟ فأخبره أنّني عنده . فقال : ما أخلقه أن يكون قد أتانا بمائدة ، ثم أتانا رسوله بعد ساعة فقال : ما آن لرطبكم أن يأتينا ؟ فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت ، فغنّيته إيّاه ، فقال : أجاد والله . أألام على هذا وحبّه ، والله لو لَم يكن بيني وبينه قرابة لأحببته ، فكيف وهو ابني ؟

صوت

[من الطويل]

ألست ترى يا ضبُّ بالله أنّني مصاحبة نحـــو المدينة أرْكُبا[1]
إذا قطعوا حَزْناً تَخُبُّ رِكابُهمْ كما حرَّكتْ ريحٌ يَراعـاً مُثَقَّبا

عروضه من الطويل . والشعر لنائلة بنت الفَرافِصة . والغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى . ووجدت في كتاب بخطّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنّه ممّا نحله يحيى المكّيّ لابن عائشة .

1 أركب : جمع ركب .

[333] ـ أخبار نائلة بنت الفَرافصة ونسبها

[نسبها]

هي نائلة بنت الفَرافَصة بن الأحوص بن عمرو ، وقيل : ابن عَفْر بن ثعلبة ، وقيل : عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصن بن ضمضم بن عديّ بن جَناب الكَلْبيّة ، زوجة عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، تقوله لأخيها لمّا نقلها إلى عثمان .

[زواجها من عثمان]

أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمرو بن شبّة قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : تزوّج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هِندَ بنت الفَرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، فبلغ ذلك عثمان ، فكتب إليه .

«بسم الله الرحمن الرحيم .

أمّا بعد ، فإنّه قد بلغني أنّك تزوّجت امرأة من كَلْب ، فاكتب إليّ بنسبها وجمالها» .

فكتب إليه :

«أمّا بعد ، فإنّ نسبها أنّها بنت الفَرافصة بن الأحوص . وجمالُها أنّها بيضاء مديدة القامة» .

فكتب إليه : «إن كانت لها أُخت فزوِّجْنيها» .

فبعث سعيد إلى الفَرافصة ، يخطب إحدى بناته على عثمان . فأمر الفَرافصة ابنه ضبّاً ، فزوّجها إيّاه . وكان ضبّ مسلماً ، وكان الفَرافصة نصرانيّا ، فلمّا أرادوا حملها إليه ، قال لها أبوها : يا بنيّة ، إنّك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش ، هنّ أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عنّي خَصلتين : تكحَّلي وتطيَّبي بالماء ، حتى يكون ريحُك ريح شنّ[1] أصابه مطر .

فلمّا حُمِلَتْ كرهت الغربة ، وحزنت لفراق أهلها ، فأنشأت تقول : [من الطويل]

ألستَ تَرى يـا ضبُّ باللهِ أنّني مصاحبـةٌ نحـو المدينـة أُركُبا
إذا قطعـوا حزنـاً تَخُبّ ركابهمْ كما زعزعـتْ رِيحٌ يراعـاً مُثَقَّبا
لقد كان في أبناء حِصْن بن ضَمْضَمٍ لكَ الويلُ مـا يغني الخِباءَ المطَنَّبا

---

1 الشن : القربة الخلق .

[لقاء عثمان]

فلمّا قدمت على عثمان رضي الله عنه ، قعد على سريره ، ووضع لها سريراً حيالَه ؛ فجلست عليه ، فوضع عثمان قُلَنسيّته ، فبدا الصلعَ ، فقال : يا ابنة الفَرافصة ، لا يهولنّك ما ترين من صَلَعي ، فإنّ وراءه ما تحبّين . فسكتت . فقال : إمّا أن تقومي إليّ ، وإمّا أن أقوم إليك . فقالت : أمّا ما ذكرت من الصلعَ ، فإنّي من نساء أُحبّ بعولتهنّ إليهنّ السادة الصُّلْع . وأمّا قولك : إمّا أن تقومي إليّ ، وإمّا أن أقوم إليك ، فوالله ما تجشّمت من جَنبات السماوة أبعدَ ممّا بيني وبينك ، بل أقوم إليك . فقامت ، فجلست إلى جنبه ، فمسح رأسها ، ودعا لها بالبركة ، ثم قال لها : اطرحي عنك رداءَك ، فطرحته ، ثم قال لها : اطرحي خمارك ، فطرحته ، ثم قال لها : انزعي دِرْعك ، فنزعته ؛ ثم قال : حُلّي إزارك . فقالت : ذاك إليك . فحلّ إزارها ، فكانت من أحظى نسائه عنده .

[يوم الدار]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا عليّ بن محمد بن عيسى بن يزيد ، عن عبد الواحد بن عمير ، عن أبي الجَرّاح مولى أُمّ حبيبة ، قال : كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار ، فما شَعَرْت وقد خرج محمد بن أبي بكر ، ونحن نقول : هم في الصلح ، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخَوْخة[1] ، ونزلوا بأمراس الحبال من سُور الدار . معهم السيوف . فرميت بسيفي ، وجلست عليه ، وسمعت صياحهم ، فكأنّي أنظر إلى مصحف في يدِ عثمان ، وإلى حمرة أديمه . فنشرتْ نائلة بنت الفَرافصة شعرها ، فقال لها عثمان : خذي خمارك ، فلعمري لدخولهم عليّ أعظم من حرمة شعرك . وأهوى رجل إليه رضي الله عنه بالسيف ، فاتقته نائلة بيدها ، فقطع إصبعين من أصابعها ، ثم قتلوه ، وخرجوا يكبّرون ، ومرَّ بي محمد بن أبي بكر ، فقال : ما لكَ يا عبد أم حبيبة ؟ ومضى فخرجت .

[بكاؤها على عثمان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال : حدَّثنا عبد الله بن حكيم الطائيّ ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : لمّا قُتِل عثمان رحمة الله عليه ، قالت نائلة بنت الفَرافصة : [من الطويل]

ألا إن خيرَ النّاس بعد ثلاثةٍ قَتيلُ التُّجِيبيّ الذي جاءَ مِن مِصرِ[2]

---

1 الخوخة : ممر بين دارين .

2 الثلاثة هم النبي وأبو بكر وعمر .

وما لي لا أبكي وتبكي قَرابتي وقد غُيِّبت عنّا فضولُ أبي عمرِو

هكذا في هذه الرواية . وقد قيل إنّ هذين البيتين للوليد بن عُقْبة .

[كتابها إلى معاوية]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني عمر قال : حدَّثنا عليّ بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن نُمَير بن وَعْلة ، عن الشعبيّ ومَسلمة بن محارب ، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية : أنّ نائلة بنت الفَرافصة كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان ، وبعثت بقميص عثمان مع النُّعمان بن بشير ، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بَلْتعة :

«من نائلة بنت الفَرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان .

أمّا بعد ، فإنّي أذكّركم بالله الذي أنعم عليكم ، وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدوّ ، وأسبغ النعمة ؛ وأنشُدكم بالله ، وأذكّركم حقّه وحقّ خليفته الذي لم تنصروه ، وبعزمة الله عليكم ، فإنّه عزّ وجلّ يقول : ﴿وإنْ طائِفتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما عَلَى الأُخرَى فَقَاتِلُوا التي تَبْغي حَتَّى تَفيءَ إلى أمْرِ اللهِ﴾ . وإنّ أمير المؤمنين بُغِيَ عليه ، ولو لَم يكن له عليكم حقٌّ إلاّ حق الوِّلاية ، ثم أتِـي إليه بما أُتِي ، لَحَقٌّ على كلّ مسلمٍ يرجو ثواب الله أن ينصره ، لقِدمِه في الإسلام ، وحُسن بلائه ، وأنّه أجاب داعِيَ الله ، وصدَّق كتابه وصدّق رسوله ، والله أعلم به إذا انتجبه ، فأعطاه شرف الدُّنيا وشرف الآخرة .

وإنّي أقصّ عليكم خبره ، لأنّـي كنت مشاهدة أمره كلّه ، حتى أُفْضِي إليه : وإنّ أهل المدينة حصروه في داره ، يحرسونه ليلهم ونهارهم . قيام على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كلّ شيء قَدَروا عليه ، حتى منعوه الماء ، يُحْضِرونه الأذى ، ويقولون له الإفك . فمكث هو ومَن معه خمسين ليلة ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر ، وكان عليّ مع المحرِّضين من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ، ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به . فظلّت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهُذيل ، وطوائف من مُزَينة وجُهَينة ، وأنباطِ يثرب ، ولا أرى سائرهم ، ولكنّي سمّيت لكم الذين كانوا أشدّ الناس عليه في أوّل أمره وآخره . ثم إنّه رُمِي بالنَّبل والحجارة ، فقُتِل ممّن كان في الدار ثلاثة نفر ، فأتوه يصرخون إليه ، ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم عنه ، وأمرهم أن يردّوا عليهم نبلهم ، فردّوها إليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال إلاّ جَراءة ، وفي الأمر إلاّ إغراء . ثم أحرقوا باب الدار ، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه ، فقالوا : إنّ في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعَدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق فجلس فيه ساعة ، وأسلحة القوم مُطلّة

عليه من كلّ ناحية ، وما أرى أحداً يعدل ، فدخل الدار . وقد كان نفر من قريش على عامّتهم السلاح ، فلبس درعه ، وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبست درعاً ، فوثب عليه القوم ، فكلّمهم ابن الزّبير ، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة ، بعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه ألاّ تَعُرُّوه بشيء ، فكلّموه وتحرّجوا ، فوضع السلاح . فلم يكن إلاّ وضْعه ، حتى دخل عليه القوم يقدُمهم ابن أبي بكر ، حتى أخذوا بلحيته ، ودَعَوْه باللَّقَب . فقال : أنا عبد الله وخليفته ، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدّم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم ، فسقطتُ عليه وقد أثْخنوه وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ، ليذهبوا به ، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة ، فألقت نفسها معي عليه ، فوُطِئْنا وطْئاً شديداً ، وعُرِّينا من ثيابنا ، وحرمة أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه رحمة الله عليه في بيته ، وعلى فراشه . وقد أرسلت إليكم بثوبه ، وعليه دمه ، وإنّه والله لئن كان أثِمَ مَن قَتَله ، لَما يَسْلَم مَنْ خَذَله . فانظروا أين أنتم من الله جَلّ وعزّ ، فإنّا نشْكِي ما مَسَّنا إليه ، ونستنصر وليه وصالحَ عباده . ورحمة الله على عثمان ، ولعن الله مَن قتله ، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزيّ والمذلّة ، وشَفى منهم الصدور» .

فحلف رجال من أهل الشام ألاّ يطأوا النساء حتى يقتلوا قَتَلته ، أو تذهَبَ أرواحهم .

صوت

[من الطويل]

فيــا راكِباً إمّــا عرضْت فبلّغنْ ندامايَ من نجـرانَ أَنْ لا تلاقيا
أَبـا كـــرِبٍ والأَيْهَمين كليهما وقيسا بأعــلى حضرموتَ الْيَمانِيا
وتضحكُ مِنِّــي شيخةٌ عَبْشَمِيّةٌ كأن لَــم تَرَا قبــلي أسيراً يمانِيا
أَقــول وقــد شَدُّوا لساني بنِسْعةٍ أمعشَرَ تيْمٍ أطلِقوا عــن لِسانِيا[1]

الشعر لعبد يغوث بن صَلاءة الحارثيّ . والغناء لإسحاق ثقيل أوّل .

1 النسعة : قطعة من الجلد .

[334] ـ أخبار عبد يغوث ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد يغوث بن صَلاءة . وقيل : بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وَقَّاص بن صلاءة ، وهو قول ابن الكلبيّ ، بن المَعَفَّل ، واسم المغفَّل : ربيعة بن كعب الأَرَتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن خالد بن مالك بن أُدَدَ بن زيد بن يشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن الكلبيّ : قَحطان بن عابر بن شالخَ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح . قال : وكان يقال ليعرب : المرعَّف .

[منزلته في قومه]

وكان عبد يغوث بن صَلاءة شاعراً من شعراء الجاهليّة ، فارساً سيِّداً لقومه من بني الحارث بن كعب ، وهو كان قائدهم في يوم الكُلاب الثاني ، إلى بني تميم ، وفي ذلك اليوم أُسِر فقُتِل . وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ مُعرِق لهم في الجاهليّة والإسلام ، منهم اللَّجلاج الحارثيّ ، وهو طُفَيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة ؛ وأخوه مُسْهِر فارس شاعر ، وهو الذي طعن عامر بن الطُّفيل في عينه يوم فَيْف الريح . ومنهم ممّن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة ، وكان فارساً شاعراً صُعلوكاً ، أُخِذ في دم ، فحُبِس بالمدينة ، ثم قتل صَبْراً . وخبره يذكر منفرداً ، لأنّ له شعراً فيه غناء .

والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة ، يقوله في يوم الكُلاب الثاني[2] ، وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزا بني تميم ، فظفِرت به بنو تميم ، وأَسروه وقُتِل يومئذٍ .

[يوم الكلاب]

وكان من حديث هذا اليوم ، فيما ذكر أَبو عبيدة ، عن أَبي عمرو بن العلاء ، وهشام بن الكلبيّ عن أبيه ، والمفضل بن محمد الضبيّ ، وإسحاق بن الجَصَّاص عن العنبريّ ، قالوا : لمّا أوقع كسرى ببني تميم يوم الصّفا بالمشقَّر ، فقتل المقاتلة ، وبقيت الأموال والذراريّ ، بلغ ذلك مَذحِجاً ، فمشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتنموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن

1 لعبد يغوث ترجمة في المحبر : 251 وخزانة البغدادي 1 : 195—197 و202—203 وشرح الشواهد : 232 وقصيدته اليائية هي المفضلية الثلاثون في شرح ابن الأنباريّ .

2 في يوم الكلاب الثاني انظر النقائض 1 : 149 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 224—233 .

وأحلافها من قضاعة ، فقالت مذحج للمأمور الحارثيّ ، وهو كاهن : ما ترى ؟ فقال لهم : لا تغزوا بني تميم ، فإنّهم يسيرون أغباباً[1] ، ويرِدون مياهاً جِباباً ، فتكون غنيمتكم تراباً . قال أبو عبيدة : فذكر أنّه اجتمع من مَذْحِج ولَفِّها اثنا عشر ألفاً . وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة ، ورئيس هَمْدان يقال له مُسَرّح ، ورئيس كندة البَراء بن قيس بن الحارث . فأقبلوا إلى تميم ، فبلغ ذلك سعداً والرِّباب ، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثَم بن صيفيّ ، وهو قاضي العرب يومئذٍ ، فاستشاروه ، فقال لهم : أقلّوا الخِلاف على أُمرائكم ، واعلموا أنّ كثرة الصّياح من الفَشَل ، والمرء يعجز لا محالة[2] يا قوم تثبّتوا ، فإنّ أحزم الفريقين الرّكين ، وربّ عجلة تَهَب رَيثا[3] . واتّزروا للحرب ، وادّرعوا الليل ، فإنّه أخفى للويل[4] ، ولا جماعةَ لَمن اختلف .

فلمّا انصرفوا من عند أكثم تهيّئوا ، واستعدّوا للحرب . وأقبل أهل اليمن ، من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مُخَرّم ، ويزيد بن الطيثم بن المأمور ، ويزيد بن هَوْبر ، حتى إذا كانوا بتيمَن نزلوا قريباً من الكُلاب ، ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع ، يقال له مُشَمِّت بن زنباع في إبل له ، عند خال له من بني سعد ، يقال له زهير بن بوّ ، فلما أبصرهم المشمِّت قال لزهير : دونك الإبل ، وتنحّ عن طريقهم ، حتى آتيَ الحيّ فأنذرَهم . قال : فركب المشمِّت ناقة ، ثم سار حتى أتى سعداً والرِّباب وهم على الكُلاب ، فأنذرهم ، فأعدّوا للقوم ، وصَبَّحوهم ، فأغاروا على النَعم فطردوها ، وجعل رجل من أهل اليمن يرتجز ويقول : [من الرجز]

في كلّ عـام نَعَمٌ نَنتابُـهُ ... على الكُلاب غُيَّبا أربابُهُ

قال : فأجابه غلام من بني سعد كان في النَّعَم ، على فرس له ، فقال : [من الرجز]

عمّـا قليـل سَتُرى أربابُهُ ... صُلْبَ القناةِ حازماً شبابُـهُ

على جيادٍ ضُمَّرٍ عِيابُـهُ

قال : فأقبلت سعد والرِّباب ، ورئيس الرِّباب النُّعمان بن جِساس ، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المِنقريّ . قال أبو عبيدة : اجتمع العلماء على أنّ الرئيس كان يومئذٍ قيسُ بن عاصم . فقال ضَبِّيّ حين دنا من القوم : [من الرجز]

1 أغباباً : يعني أنهم يسيرون منقلتين في منقلة واحدة . والمنقلة : المرحلة من مراحل السفر .

2 المثل «المرء يعجز لا محالة» في مجمع الميداني 2 : 309 وجمهرة العسكري 2 : 275 . وفصل المقال : 299 .

3 المثل «رب عجلة تهب ريثاً» في مجمع الميداني 1 : 294 وجمهرة العسكري 1 : 482 ومستقصى الزمخشري 2 : 97 وفصل المقال : 335 .

4 المثل «ادّرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل» في جمهرة العسكري 1 : 88 وفصل المقال : 66 .

في كلِّ عـام نَعَمٌ تحوُونَهْ يُلْقِحُـــهُ قــوم وتَنْتِجُونَهْ
أربابُه نوكَى فـلا يَحْمونَهْ ولا يلاقــون طِعاناً دونَهْ
أنَعَـــمَ الأبنـــاءِ تَحْسِبُونَهْ هيهاتَ هيهاتَ لما تَرْجُونَهْ

فقال ضَمرة بن لبيد الحِماسيّ[1] : انظروا إذا سقتم النَعم ، فإن أتتكم الخيل عُصَباً عُصَباً ، وثبتت الأولى للأُخرى ، حتى تَلْحَق ، فإنّ أمر القوم هيِّن . وإن لحق بكم القوم ، فلم ينظروا إليكم حتى يرُدُّوا وجوه النَعم ، ولا ينتظرُ بعضهم بعضاً ، فإنّ أمر القوم شديد . وتقدّمت سعدٌ والرِّباب ، فالتقوا في أوائل الناس ، فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النَّعَم من قِبَل وجوهها ، فجعلوا يضربونها بأرماحهم . واختلط القوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ، حتى إذا كان من آخر النهار قُتِل النُّعمان بن جِساس ، قتَلَه رجلٌ من أهل اليمن ، كانت أُمّه من بني حنظلة ، يقال له عبد الله بن كعب ، وهو الذي رماه ، فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظليّة . فقال النُّعمان : ثَكِلتك أُمّك ، ربّ حنظليّة قد غاظتني[2] . فذهبت مثلاً وظنّ أهل اليمن أنّ بني تميم سَيُهدّهم قتل النُّعمان ، فلم يزدهم ذلك إلاّ جَراءة عليهم . فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فباتوا يحرس بعضهم بعضاً ، فلمّا أصبحوا غدَوا على القتال ، فنادى قيس بن عاصم : يالَ سعد ، ونادى عبد يغوث : يالَ سعد . قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلمّا سمع ذلك قيس نادى : يالَ كعب ، فنادى عبد يغوث : يالَ كعب . قيس يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو . فلمّا رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث ، قال : ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلاّ دَعَوا بمثله . فنادى قيس : يالَ مُقاعس ، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب ، وكان يلقّب مُقاعِساً ، فلمّا سمع وَعْلة بن عبد الله الجَرميّ الصوت ، وكان صاحب اللواء يومئذٍ ، طرحه ، وكان أوّل مَن انهزم من اليمن ، وحملت عليهم بنو سعد والرِّباب ، فهزموهم أفظع هزيمة ، وجعل رجل منهم يقول : [من الرجز]

يـا قومُ لا يُفْلِتْكُمُ اليزيدانْ مُخَرِّمـا أَعني بــه والدَّيّانْ

وجعل قيس بن عاصم ينادي : يالَ تميم : لا تقتلوا إلاّ فارساً ، فإنّ الرجّالة لكم . وجعل يرتجز ويقول : [من الرجز]

لَمّــا تَوَلّـوا عُصَبــا شَوازبا أقسمت لا أُطعُن إلاّ راكبا[3]

---

1 في ل : ضمرة بن أسد الحارثيّ .

2 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال . وفي النقائض «رب ابن حنظلية قد غاظني» .

3 الشوازب : جمع شازب وهو الشاحب الضامر .

إنّي وجدت الطعنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأُسارى ، فإذا أخذ أسيراً قال له : ممّن أنت ؟ فيقول : من بني زَعْبل ، وهو زَعبل بن كعب ، أخو الحارث بن كعب ، وهم أنذال ، فكأنّ الأسارى يريدون بذلك رِخَص الفداء . فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم ، دفعه إلى مَن يليه من بني تميم ، ويقول : أمسك حتى أصطاد لك زَعبلة أُخرى[1] ، فذهبت مثلاً . فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسِرون ، حتى أُسِر عبد يغوث ، أسره فتى من بني عُمير بن عبد شمس . وقُتِل يومئذٍ علقمة بن سَبّاع القُرَيْعيّ ، وهو فارس هَبُّود ، وهَبُّود فرس عمرو بن الجُعَيد المراديّ وكان علقمة قتل عَمْراً وأخذ فرسه من تحته ، وأسَرَ الأهتم ، واسمه سنان بن سُميّ بن خالد بن مِنْقر ، ويومئذٍ سُمِّي الأهتم ، رئيسَ كندة البراءَ بن قيس ، وقَتَلَتِ التّيم الأوبَر الحارثيّ ، وآخر من بني الحارث يقال له معاوية ، قتلهما النُّعمان بن جِساس ، وقَتَل يومئذٍ من أشرافهم خمسة ، وقتلت بنو ضَبّة ضَمرةَ بن لَبيد الحِماسيَّ الكاهن ، قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبيّ .

وأمّا عبد يغوث فانطلق به العَبْشَمِيّ إلى أهله . وكان العبشميّ أهوج ، فقالت له أُمّه ، ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيماً : مَن أنت ؟ قال : أنا سيّد القوم . فضحكت ، وقالت : قَبَحك الله من سيّد قوم حين أسرك هذا الأهوَج . فقال عبد يغوث : [من الطويل]

وتَضْحَكُ منّي شيخةٌ عَبْشَمِيّة كأن لم تَـرَا قبلي أسيراً يمانيا

ثم قال لها : أيّتها الحرّة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطي ابنك مِئةً من الإبل وينطلق بي إلى الأهتم ، فإنّي أتخوّف أن تنتزعني سعد والرِّباب منه ، فضمن له مئة من الإبل ، وأرسل إلى بني الحارث ، فوجّهوا بها إليه ، فقبضها العبشميّ ، فانطلق به إلى الأهتم ، وأنشأ عبد يغوث يقول : [من الطويل]

أأهتـمُ يـا خيرَ البريّـة والـدا ورَهْطاً إذا ما الناسُ عَدُّوا المساعيا
تـداركْ أسيراً عانيـاً في بلادكم ولا تثقفنّي التيـمُ أَلْقى الدواهيا[2]

فمشت سعد والرِّباب فيه . فقالت الرباب : يا بني سعد ، قُتِل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور . فدفعه الأهتمّ إليهم ، فأخذه عِصْمة بنُ أُبير التيميّ ، فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تميم ، اقتلوني قِتلة كريمة . فقال له عصمة : وما تلك القِتلة ؟ قال : اسقوني الخمر ، ودعوني أنحْ على نفسي ، فقال له عصمة : نَعَم . فسقاه الخمر ، ثم

1 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال .

2 تثقفني : تظفر بي .

قطع لـه عرقاً يقال له الأكحل ، وتركه يَنْزِف ، ومضى عنه عصمة ، وترك معه ابنين له ، فقالا : جمعت أهل اليمن وجئت لتصْطَلِمنا ، فكيف رأيت اللهَ صنع بك ؟ فقال عبد يغوث في ذلك[1] : [من الطويل]

أَلا لا تلوماني كفى اللومَ مـا بِيا فمـا لكما في اللوم نفعٌ ولا لِيا
أَلَـم تعلمـا أَنّ المَلامــة نفعُهـــا قليل وما لومي أَخي مِن شِماليا[2]
فيـــا راكبـاً إمّا عرضت فبلِّغنْ نداماي من نَجْرانَ أَنْ لا تلاقيا
أَبـا كَـرِبٍ والأَيهمــينِ كليهما وقيْساً بأَعــلى حضرموتَ اليمانيا
جـزى اللهُ قومي بالكُلاب مَلامةً صريخَهـــم والآخريـــنَ المَـــواليا
ولو شئتُ نَجَّتْني من الخيل نَهْدةٌ ترى خَلْفَها الحُوَّ الجيادَ تواليا[3]
ولكنّنـــي أَحمــي ذمــار أَبيكـــم وكان الرّمـــاح يختطفـــن المحاميا
وتضحك منّـــي شيخة عبشميّة كأَن لم تَـــرَا قبـــلي أَسيراً يمانيا
وقـــد علمتْ عرسي مُلَيْكَة أَنّني أَنـــا الليثُ معدوّاً عليــــه وعاديا
أَقول وقـــد شدّوا لساني بنِسعةٍ أَمعشر تيـــم أَطلقـــوا لي لسانِيا
أَمعشر تيم قـــد ملكتمْ فأَسْجِحُوا فـــإن أَخاكم لم يكن مـــن بَوائيا[4]
فـــإن تقتلوني تقتلوا بِـــيَ سيّداً وإن تطلقوني تَحْرُبُـــوني بمـــالِيا[5]
أَحقّـــاً عبادَ الله أَنْ لست سامعاً نشيدَ الرِّعـــاء المُعْزِبـــين المَتالِيا
وقـــد كنت نحّار الجزور ومُعْمِلَ الْـ ـمَطيّ وأَمضي حيث لا حيَّ ماضيا
وأَنحـــــر للشَّرْب الكـــرام مطيّتي وأَصدع بـــين القَينتـــين ردائيا
وعاديـــةٍ سومَ الجـــراد وَزَعتها بكفّي وقـــد أَنحوا إليّ العواليا[6]
كأَنّـــيَ لم أَركب جواداً ولَم أَقل لخيليَ كُـــرّي نَفّسي عـــن رجاليا

1 هذه هي المفضلية الثلاثون في شرح ابن الأنباري . وقد أوردها أبو عبيدة في النقائض والعقد الفريد في يوم الكلاب الثاني (الصفقة) .
2 من شماليا : من شمائلي .
3 النهدة : الفرس العالية . والحو : التي تضرب إلى الخضرة .
4 لم يكن من بوائيا : لم يكن نظيراً لي فأبوء به .
5 تحربوني بماليا : تسلبوني مني مالي .
6 عادية : القوم يعدون . وسوم الجراد : منتشرون كالجراد . ووزعتها : كففتها ومنعتها .

ولم أُسْبأ الزِّقّ الرويّ ولم أُقُل لأيسار صدق أعظموا ضَوْءَ ناريا

قال : فضحكت العبشميّة ، وهم آسروه . وذلك أنّه لمّا أُسروه شدّوا لسانه بنسعة ، لئلاّ يهجوهم ، وأَبوا إلاّ قتله ، فقتلوه بالنُّعمان بن جِساس .

[ما قيل من الشعر بعد الوقعة]

فقالت صفيّة بنت الخَرِع ترثي النُّعمان : [من البسيط]

نِطاقـــه هُنْـــدُوانيٌّ وجُبَّتُـــهُ فَضْفاضة كأَضاة النِّهْي مَوْضونَهْ[1]

لقد أُخذنا شفاء النفسِ لو شُفِيت ومـــا قتلْنـــا بـــه إلاّ امـــرءاً دونَهْ

وقال عَلقمة بن سَباع لعمرو بن الجُعيد : [من السريع]

لمّـــا رأيـــت الأمر مَخْلُوجـــةً أكرهـــت فيـــه ذابلاً مارِنا[2]

قلـــت لـــه : خذها فإنّي امرؤ يعرِف رمحـــي الرجلَ الكاهنا

قوله : «يعرف رمحي الرجل الكاهنا» يريد : أنّ عمرو بن الجعيد كان كاهناً . وهو أحـد بني عامر بن الدِّيل بن شَنّ بن أفصى بن عبد القيس ، ولم يزل ذلك في ولده . ومنهم الرّباب بن البَراء ، كان يتكهّن ، ثم طلب خلاف أهل الجاهليّة ، فصار على دِين المسيح عليه السلام ، فذكر أبو اليقظان أنّ الناس سمعوا في زمانه منادياً ينادي في الليل ، وذلك قبل مَبعث النبيّ ﷺ : خير أهل الأرضِ رَبابٌ الشَّنّيّ ، وبحِيرا الراهب ، وآخر لم يأت بعد . قال : وكان لا يموت أحد من ولد الرّباب إلاّ رأوا على قبره طَشاً[3] . ومن ولده مَخْرَبَة ، وهو أحد أجواد العرب ، وإنّما سُمِّي مَخْرَبة لأنّ السلاح خَرَبه ، لكثرة لبسه إيّاه ؛ وقد أُدرك النبيّ ﷺ ، فأسلم ، فأرسله إلى ابن الجُلَنْدى العُمانيّ . وابنه المُثَنّى بن مَخْرَبَة أحد وجوه أصحاب المختار ، وكان قد وجّهه إلى البصرة ليأخذها ، فحاربه عَبّاد بن الحُصَيْن فهزمه ، وكان ابنه بَلْجُ بن المُثَنّى جواداً ، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس : [من الوافر]

أَلا يـــا بَلْجُ بلـــجَ بني المُثنّى وأنـــت لكـــلّ مَكرُمة كِفاءُ

أَلومُك طائعاً مـــا دمتُ حيّاً عـــليّ إذَنْ مـــن الله العفاءُ[4]

كفـــى قومـــاً مكارمَ ضَيَّعوها وأَحسنَ حين أبصرَهم أُساءُوا

---

1 أضاءة النهي : مسيل الماء في الغدير . وموضونة : منثن بعضها على بعض لسعتها .

2 مخلوجة : مضطرب .

3 الطش : المطر الخفيف .

4 ألومك : لا ألومك .

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوثَ والوقعة

قال : فأمّا وَعْلة بن عبد الله الجرميّ ، فإنّه لحقه رجل من بني سعد ، فعقَر به ، فنزل ؛ وجعل يُحضِر على رجليه ، فلحق رجلاً من بني نهد يقال له سَليط بن قَتَب ، من بني رفاعة ، فقال له لمّا لحقه : أَرْدفني ، فأبى ، فطرحه ، عن فرسه ، وركب عليها ، وأدركت الخيلُ النهديَّ فقتلوه ، فقال وَعْلة في ذلك : [من الطويل]

ولمّا سمعت الخيلَ تدعو مقاعساً ... علمتُ بأنّ اليوم أغبرُ فاجرُ
نجوتُ نجاءً ليس فيه وَتيرة ... كأنّي عُقّاب دون تَيْمَنَ كاسرُ
خُداريّةٌ صَقْعاء لَبَّد ريشها ... بِطَخفَةَ يومٌ ذو أهاضيبَ ماطرُ[1]
وقد قلت للنهديّ : هل أنت مردِفي ... وكيف رداف الفَلِّ أُمك عاثرُ[2]
فإن أستطع لا تَبْتَئِس بي مقاعِس ... ولا يرني باديهمُ والحواضرُ
فِدًى لكما رِجليّ أُمّي وخالتي ... غداة الكُلاب إذ تحزّ الحناجرُ
فمَن كان يرجو في تميم هوادة ... فليست لجَرم في تميم أواصرُ

وقالت نائحة عمرو بن الجُعيد : [من الطويل]

أشابَ قَذال الرأس مَصْرَعُ سيِّد ... وفارسُ هَبُّودٍ أشاب النّواصيا

وقال محرِز بن مُكَعْبَر الضَّبِّيّ : [من البسيط]

فِدًى لقوميَ ما جمَّعت من نَشَبِ ... إذ ساقت الحرب أقواماً لأقوامِ[3]
قد حَدَّثتْ مَذْحج عنّا وقد كَذَبتْ ... أن لا يُورِّع عن نسواننا حامِ[4]
دارت رحاهمْ قَليلاً ثم واجهَهمْ ... ضرب يصبّح منهم مَسْكَن الهامِ
ساروا إلينا وهم صيد رؤوسهمُ ... فقد جعلنا لهمْ يوماً كأيّامِ
ظلّتْ ضباعُ مُجيراتٍ يَعُدْنَهُمُ ... وألحموهنّ منهمْ أيَّ إلْحامِ[5]

1 الخدارية : العقاب لسوادها . الصقعاء : التي في وسط رأسها بياض . وطخفة : موضع والأهاضيب : جمع أهضوبة ، وهي الدفعة من المطر .
2 الفل : المنهزم .
3 نشب في ل : سبد .
4 يورع : يكفّ ويمنع .
5 مجيرات : موضع .

ظلّت تدوس بني كعبٍ بكَلْكلها ... وهَمَّ يـومُ بني نهـدٍ بإظلامِ

وقال أوس بن مَغراء : [من الوافر]

وفي يـومِ الكُلاب إذ اعترتنا ... قبائـلُ أقبلـوا متناسِبينا
قبائلُ مذحِجَ اجتمعتْ وجَرْمٍ ... وهَمْـدانٍ وكِنـدةَ أجمعينا
وحِميَر ثـم ساروا في لُهامٍ ... على جُـرْدٍ جميعـاً قادِرينا
فلمّـا أن أتونـا لم نُكَذِّب ... ولم نَسْألْهـمُ أن يُمهِلونا
قتلنـا منهـم قَتْلى ووَلّى ... شَرِيدُهـم شَعاعـا هاربينا[1]
وفاظتْ منهم فينـا أُسارى ... لدينـا منهـمُ مُتَخَشِّعينا[2]

وقال ذو الرمّة غَيلان بن عُقْبة في ذلك[3] : [من الطويل]

وعمِّي الذي قاد الرِّباب جماعةً ... وسَعدُهُـمُ الرأسُ الرئيسُ المـؤَمَّرُ
عشيّـةَ أعطتنـا أزمَّـةَ أمرِهـا ... ضِرارٌ بنـو القَرْمِ الأغـرّ ومِنْقَرُ
وعبـدُ يغوثٍ تَحجِل الطيرُ حولَه ... قـد احتزَّ عُرْشَيه الحسام المذكَّرُ

العُرْشان : عِرْقان في العنق :

عشيّةَ فـرّ الحارثيّـون بعدمـا ... قضى نَحْبَه في مَعْرَك الخيل هَوْبَرُ
وقـال أخو جَـرْمٍ ألا لا هوادةٌ ... ولا وَزَرٌ إلاّ النجـاءُ المشمـرُ
أبـى اللهُ إلاّ أنّنـا آل خِنـدِفٍ ... بنـا يَسْمَعِ الصوتَ الأنام ويُبْصِرُ
إذا مـا تمضَّرنا فـلا ناسَ غيرُنا ... ونُضْعِـف أحيانـاً ولا نتمضَّرُ

وقال أيضاً[4] : [من الطويل]

فما شَهِدت خيلُ امرىء القيس غارةً ... بثهلانَ تَحمي عـن ثغـورِ الحقائقِ
أثَرْنـا بِـهِ نَقْـعَ الكُلاب وأنتمُ ... تُثِيرونَ نقـعَ الملتقـى بالمعازِقِ
أدَرْنـا على جَـرْمٍ وأفناءِ مذحِجٍ ... رَحى الموت فوق العاملاتِ الخوافقِ

---

1 شعاعاً : متفرقين في جميع النواحي .
2 فاظت : هلكت .
3 ديوان ذي الرمة (مكارتني) : 222–239 مع بعض اختلاف .
4 ديوان ذي الرمة : 404–412 مع اختلاف كبير في اللفظ والترتيب .

صدمناهمُ دُونَ الأمانيّ صَدْمَةً عَماسا بأطوادٍ طِـــوالٍ شواهِقِ
إذا نطحـتْ شهباءُ شهباءَ بينها شُعـاعُ القَنـا والمشرفيّ البوارقِ

وقال البَراء بن قيس الكِندِيّ : [من الخفيف]

قَتَلَتْنـا تميـمُ يومـاً جديـداً قتـلَ عادٍ وذاكَ يومُ الكُلابِ
يـوم جئنا يَسوقنا الحَين سوقاً نحو قَـومٍ كأنّهم أُسدُ غابِ
سرتُ في الأُزد والمذاحج طُرّاً وبكِيـل وحـاشد الأنيابِ
وبنـي كِندة الملـوكِ ولخمٍ وجُـذامٍ وحِميَـرَ الأربابِ
ومُـرادٍ وخَثْعـم وزُبيـد وبني الحارث الطوالِ الرِّغابِ
وحشدنا الصميمَ نرجو نِهاباً فلقينـا البَـوار دون النِّهابِ
لَقِيَتْنا أسودُ سَعـدٍ وسعـدٌ خُلِقت في الحروب سَوْط عذابِ
تركـوني مُسهَّداً في وَثـاق أرقب النّجم ما أُسيغُ شرابي
خائفـاً للردى ولولا دفاعي بمئينٍ عن مهجتي كالهضابِ
لسُقِيت الرّدى وكنت كقومي في ضريح مغيَّباً في الترابِ
تذرفُ الدّمع بالعويلِ نسائي كنساءٍ بكت قتيلَ الرِّبابِ
فلِعيني عـلى الأُلى فارقـوني دِرَر من دموعها بانسكابِ[1]
كيف أبغي الحياة بعد رجالٍ قُتلوا كالأسودِ قتل الكلابِ
منهم الحارثـيّ عبـدُ يغوثٍ ويزيدُ الفتيانِ وابـن شهابِ
في مِئـينٍ نعدّهـا ومئـينٍ بعد ألف مُنوا بقوم غِضابِ
برجـال مـن العرانـين شُمٍّ أُسْدِ حربٍ ممحوضةِ الأنسابِ

وقال وَعْلة بن عبد الله الجَرْمِيّ : [من الخفيف]

عَذَلتنـي نهـدٌ فقلـت لنهدٍ حين حاست على الكُلابِ أخاها
يـوم كنّـا عليهمُ طيرَ مـاء وتميـم صُقورَهـا وبُـزاها
لا تلومـوا على الفِرار فسعدٌ يال نَهْـدٍ يخافهـا مَن يراها
إنّما هَمُّها الطِّعـان إذا مـا كَرِه الطّعن والضراب سِواها

1 درر : جمع درة ، وهي الدفعة من المطر .

تركوا مَذْحِجاً حديثاً مشاعاً مثل طَسْم وحِمْيَرٍ وصُداها
يالَ قحطانَ وادِعوا حَيَّ سعدٍ وابتغوا سَلْمها وفضل نداها
إنّ سعد السعود أُسْدٌ غِياض باسلٌ بأسها شديدٌ قُواها
فُضِحتْ بالكُلابِ حارِ بنُ كعبٍ وبنو كندةَ الملوكُ أَباها
أسلموا للمنون عبدَ يغوثٍ ولعضّ الكبول حولا يَراها
بعد ألف سُقوا المَنِيّةَ صِرفاً فأصابت في ذاك سَعْدٌ مُناها
ليتَ نَهْداً وجَرْمها ومُراداً والمذاحيجَ ذو أُناة نَهاها
عن تميم فلم تكن فَقْع قاعٍ تبتدرْها رِبابُها ومَناها
قل لبكر العراق تَستُر عَمْراً عمرَو قيسٍ وأيّ عمرو يراها
عن تميم ولو غزتْها لكانت مثل قحطانَ مستباحاً حماها

صوت

[من البسيط]

ما بالُ شمس أَبي الخطّاب قد حُجِبَتْ أَظُنّ يا صاحبيَّ الساعةَ اقتربتْ
أَوْلا فما بال ريحٍ كنت آنَسُها عادتْ عليَّ بصِرٍّ بعد ما جَنَبَتْ[1]
أَشكو إليك أَبا الخطّاب جارية غريرةً بفؤادي اليوم قد لَعِبتْ
وأنت قَيِّمها الأدنى وسيّدها يا ليتَ قد قَرَّبت منّي وما بَعُدَتْ

عروضه من البسيط . الشعر والغناء لإبراهيم الموصليّ ، رَمَل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعلي بن يحيى . وذكر محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أن فيه هَزَجاً بالبنصر لإبراهيم بن المهديّ . وذكر عمرو بن بانة أنّه لإبراهيم الموصليّ أيضاً .

وأبو الخطّاب الذي عناه إبراهيم الموصليّ في شعره هذا : رجل نَخّاس يعرف بِقَرين ، مولى العباسة بنت المهديّ ، وكان إبراهيم يهوى جارية له ، يقال لها خُنْث ، وكانت من أجمل النساء وأكملهنّ ، وكان لها خالٌ فوق شفتها العليا ، وكانت تعرف بذات الخال ، وإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة . نذكر منها كلّ ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله .

1 الصرّ : البرد . وجنبت : هبت جنوباً .

[335] ـ أخبار ذات الخال

[عشقها إبراهيم واشتراها الرشيد]

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أبي : أنّ جدِّي كان يتعشّق جارية لِقَرين ، المكنّى بأبي الخطّاب النخّاس ، وكان يقول فيها الشعر ويُغَنِّي فيه ، فشَهَرها بشعره وغنائه ، وبلغ الرشيدَ خبرها ، فاشتراها بسبعين ألفَ درهم . فقال لها ذات يوم : أسألك عن شيء ، فإن صدَقْتني وإلاّ صدَقَني غيرُك وكذّبتُك . قالت له : بل أَصْدُقك . قال : هل كان بينك وبين إبراهيم الموصليّ شيء قَطّ ، وأنا أُحْلِفه أن يَصْدُقني . قال : فتلكّأت ساعة ، ثم قالت : نعم ، مرّة واحدة . فأبغضها وقال يوماً في مجلسه : أيّكم لا يبالي أن يكون كَشْخاناً ، حتى أهب له ذات الخال . فبدر حَمّويه الوصيف ، فقال : أنا . فوهبها له ، وفيها يقول إبراهيم : [من الطويل]

أتحسِب ذات الخالِ راجية رَبّاً وقد فَتَنَتْ قلباً يَهيم بها حُبّا
وما عُذْرها نفسي فِداها ولم تَدَع على أعظمي لحماً ولم تُبْقِ لي لُبّا

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى .

[تشوق الرشيد إليها]

وذكر أحمد بن أبي طاهر : أنّ الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم ، وذكر قصّة حَمّويه كما ذكرها حمّاد ، وقال في خبره : فاشتاقها الرشيد يوماً بعد ما وهَبها لِحَمّويه ، فقال له : ويْلَكَ يا حمّويه ، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، مرْ فيها بأمرك . قال : نحن عندك غداً . فمضى فاستعدّ لذلك ، واستأجر لها من بعض الجوهريّين بَدَنة[1] وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار . فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها ، فلمّا رآها أنكره ، وقال : ويلَك يا حَمّويه ! من أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله ، ولا وَصَل إليك منّي هذا القدر ! فصَدَقه عن أمره ، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم ، واشترى الجوهر منهم ، ووهبه لها ، ثم حلف ألاّ تسأله يومه ذلك شيئاً إلاّ أعطاها ، ولا حاجة إلاّ قضاها ، فسألته أن يولِّيَ حَمّويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك ، وكتب له عهده به ، وشرط على وليّ العهد بعده أن يتمّها له إن لم تتمَّ في حياته .

1 البدنة : قميص بلا كمين للنساء .

[قصّها خالها وشعر العبّاس بن الأحنف فيها]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العاصميّ قال : حدَّثني أحمد بن عبد الله طَمّاس ، عن عبد الله وإبراهيم ابنَي العبّاس الصُّوليّ قالا : كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال ، فدعته يوماً ، فوعدها أن يصير إليها . وخرج يريدها ، فاعترضته جارية ، فسألته أن يدخل إليها ، فدخل وأقام عندها ، فشقَّ ذلك على ذات الخال ، وقالت : والله لأطلبنّ له شيئاً أغيظه به ، وكانت أحسن الناس وجهاً ، ولها خال على خدّها لم يَرَ الناس أحسن منه في موضعه ، فدعت بمِقْراض ، فقصّت الخال الذي كان في خدِّها ، وبلغ ذلك الرشيد ، فشق عليه ، وبلغ منه ، فخرج من موضعه ، وقال للفضل بن الربيع : انظُر مَن بالباب من الشعراء ، فقال : الساعةَ رأيت العبّاس بن الأحنف . فقال : أدخله . فأدخله ، فعرَّفه الرشيد القِصّة وقال : اعْمَل في هذا شيئاً ، على معنًى رسمه له ، فقال[1] : [من الطويل]

صوت

تخلَّصْتُ ممّن لم يكن ذا حَفِيظةٍ ومِلْــت إلى مَــن لا يغيِّره حالُ
فــإن كان قطعُ الخال لمّا تطلّعتْ إلى غيرها نفسي فقد ظُلِمَ الخالُ

غنّاه إبراهيم . فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعاً مسترضياً لها ، وجعل هذين البيتين سبباً ، وأمر للعبّاس بألفَيْ دينار ، وأمر إبراهيم الموصليّ فغنّاه في هذا الشعر .

[إعجاب بالتقسيم في الشعر]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثني محمد بن الفضل قال : كان محمد بن موسى المنجِّم يعجبه التقسيم في الشعر ، ويُشغَف بجيد الأشعار ، فكان ممّا يعجبه قول نُصَيْب[2] : [من الطويل]

صوت

أيا بعلَ لَيلى كيف تجمعُ سَلْمَها وحَرْبي وفيما بيننا شَبَّتِ الحربُ
لها مثلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مذنباً ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنبُ

عروضه من الطويل . والشعر لنُصَيْب ، ويروى للمجنون ، ويروى لكعب بن مالك الخَثعميّ . والغناء لمالك ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو .

---

1 ديوان العبّاس بن الأحنف : 249 وفيه «لما تعطفت على غيرها . . .» .

2 شعر نصيب : 65 .

قال : وكان محمد بن موسى ينشد كثيراً للعبّاس بن الأحنف[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقى من الهوى عَشِير الذي أَلْقى فيلتئمَ الشَّعْبُ
إذا رَضِيتْ لم يَهْنني ذلك الرِّضا لعلمي بـه أن سوف يتبعُه العَتْبُ
وأَبكي إذا ما أَذنبتْ خوفَ صَدِّها وأسأَلها مَرْضاتها ولهـا الذنْبُ
وصالُكـمُ صُـرْمٌ وحبُّكمُ قِلًى وعطفُكمُ صَدٌّ وسَلْمُكم حَرْبُ

ويقول : ما أَحسن ما قسّم ، حتى جعل بإزاء كلّ شيء ضدّه ، والله إنّ هذا لأَحسن من تقسيمات إقليدس .

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصليّ ، ثاني ثقيل بالوسطى ، عن الهشاميّ .

[ثلاث جوارٍ هويهنّ الرشيد]

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يَهواهنّ ، ويقول الشعر فيهنّ ، وهن سِحْر ، وضياء ، وخُنْث ؛ وفيهنّ يقول الرشيد : [من الرمل]

إنّ سِحْـراً وضيـاءً وخُنُـثْ هنَّ سحـر وضيـاءٌ وخُنُثْ
أَخَذَتْ سِحْـرٌ ولا ذنبَ لهـا ثُلُثَـيْ قلبـي وتِرْباهـا الثُّلُثْ

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثنا أحمد بن محمد الأسديّ قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُويد ين مَنْجوف السَّدُوسيّ قال : حدَّثني محمد بن إسماعيل بن صُبيح قال : وجّه الرشيد إلى جاريته سِحْر لتصير إليه ؛ فاعتلت عليه ذلك اليومَ بعلّة ، ثم جاءته من الغَدِ ، فقال الرشيد : [من الهزج]

أَيـا مَنْ رَدَّ وُدِّي أَمْـ ـسِ لا أُعْطيكَهُ اليوما
ولا والله لا أعطيـ ـكَ إلاّ الصدَّ واللَّوْما
وإن كان بقلبـي منـ ـكَ حُبٌّ يمنع النَّوما
أَيا مـن سُمْتُه الوَصْلَ فأَغـلى المَهْـرَ والسَّوْما

قال : وفيهنّ يقول ، وقد قيل إنّ العبّاس بن الأَحنف قالها على لسانه[2] : [من الكامل]

1 ديوان العبّاس بن الأحنف : 34 .
2 ديوان العبّاس بن الأحنف : 312 .

صوت

مَلَكَ الثّلاثُ الآنساتُ عِناني وحَلَلْن مـن قلْبي بكلِّ مَكانِ
مـا لي تُطاوِعني البريّةُ كلّها وأطيعُهنّ وهـنّ في عصياني
مـا ذاك إلاّ أنّ سُلْطان الهوى وبـه عززن أعزّ من سلطاني[1]

غنّته عريب خفيف ثقيل الأوّل بالوسطى .

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال : وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل ، فحضرت ، فأخرج إليّ جارية كأنّها المَهاة ، فأجلسها في حجره ، ثم قال : غنّي ، فغنّته : [من السريع]

جئْـنَ مِـنَ الـرّوم وقاليقَلا يرفُلْـن في المِـرْط ولِين المُلا
مُقَرْطَقـاتٌ بصُنوف الحُـلى يـا حَبَّذا البِيْضُ وتلك الحُلى[2]

فاستحسنه وشرب عليه ، ثم استُؤذن للفضل بن الربيع ، فأذن له ، فلمّا دخل قال : ما وراءك في هذا الوقت ؟ قال : كلّ خير يا أمير المؤمنين ، ولكن جرى الساعة لي سبب لم يجر لي كتمانُهُ أميرَ المؤمنين . قال : وما ذاك ؟ قال : أخرج إليّ في هذا الوقت ثلاثُ جَوارٍ لي : مكّيّة ، ومَدينيّة ، وعراقيّة . فقَبَضَتِ المَدينيّة على ذَكري ، فلمّا أنعظْت وثبت المكّيّة فقعدت عليه ، فقالت لها المدينيّة : ما هذا التعدّي ؟ ألم تعلَمي أنّ مالكاً حدّثنا عن الزهريّ عن عبد الله بن ظالم ، عن سعيد بن زيد : أنّ النبيّ ﷺ قال : «مَن أحيا أرضاً ميِّتة فهي له» ؟ فقالت الأخرى : أوَ لَم تعلمي أنّ سفيان حدَّثنا ، عن أبي الزّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أنّ النبيّ ﷺ قال : «الصيدُ لَمن صاده لا لمن أثاره» . فدفعتهما العراقيّة عنه ، ووثبت عليه ، وقالت : هذا لي ، وفي يدي حتى تصطلحا . فضحك الرشيد ، وأمره بحملهنّ إليه ، ففعل ، وحَظِين عنده ، وفيهنّ يقول : [من الكامل]

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِناني وحَلَلْن مـن قلبي بكلّ مكانِ

[إعجاب بشعر الرشيد في جواريه]

حدَّثنا محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغَلاّبيّ قال : حدَّثني مهديّ بن سابق قال : حججنا مع الرشيد آخر حجَّة ، فكان الناس يتناشدون له في جواريه : [من الوافر]

ثلاث قد حَلَلْن حِمى فؤادي ويُعْطَين الرغائـب من وِدادي

---

1 عززن في ل والديوان : قوين .

2 البيض في ل : والله .

نظمت قلوبَهُـنّ بخيطِ قلْبي فهـنّ قرابتـي حتى التنادِي
فمَن يكُ حلّ من قلب مَحَلاًّ فهنّ مـع النواظـر والسَّوادِ

وممّا قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغَنّى فيه : [من الهزج]

صوت

أذاتَ الخـالِ أقصَيْتِ مُحبّـاً بكُـمُ صَبّا
فـلا أنْسى حياتِيَ ما عَبدْتُ الدَّهرَ لي رَبّا
وقـد قلـت أنيلينـي فقـالت أفْـرَقُ الذّنبا

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوُسطى عن عمرو . ومنها : [من الهزج]

صوت

أذات الخال قـد طالَ بمَن أسقمتِهِ الوجَعُ
وليس إلى سِواكم في الْـ ـلَذِي يلقـى لـه فَزَعُ
أمـا يمنعُـك الإسلا مُ من قتلي ولا الوَرَعُ
ومـا ينفـكُّ لي فيكِ هـوًى تَغتَـرُّه خُدَعُ

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوسطى ، عن عمرو . ومنها : [من الرجز]

صوت

ثَعلَبُ يـا هذا الكثيرُ العَبَثِ بالله لَمَّا قُلْتَ لي عـن خُنُثِ
عـن ظبيةٍ تميس في مِشيتها أحسنُ مَـن أبصرتُه في شَعَثِ
فقال : قالت قل له أنت امرؤ مُوَكَّـل فيمـا تـرى بالعَبثِ
والله لـولا خَصْلَـةٌ أرقبُهـا لقَلَّ في الدُّنيا لمـا بي لَبَثي

الشعر لإبراهيم ، وله فيه لحنان : أحدهما ثقيل الأوّل ، عن أبي العَنْبَس ، والآخر هزج بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَريب ثقيل أوّل آخرُ . وذكر حَبَش أن فيه لابن جامع هزجاً آخر بالوسطى .

وذكر هارون بن الزيّات أن حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه : أنّ ثعلباً هذا ، كان مملوكاً لإبراهيم ، فقال هذه الأبيات في خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول المَوْصليّ ، وكانت مغنّية محسنة ، وخاطب ثعلباً فيها مستخبراً له .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أنّ حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه : أنّه قال في خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول المَوْصلي ، وخاطب في شعره غلاماً يقال له ثعلب ، وكانت خُنْث مغنّية محسنة ، وكانت تعرف بذات الخال .

صوت

[من الرجز]

ثعلبُ يا هذا الكثيرَ الخُبُث   باللّه إلاّ قلت لي عن خُنُث

وذكر الأبيات .

قال : وقال له أيضاً : [من السريع]

صوت

أبـدِ لـذات الخال يـا ثعلبُ   قولَ امرىء في الحبّ لا يكذبُ
إنّـي أقـول الحـقّ فاستيقِني   كلّ امـرىء في حُبِّـه يلعبُ

الشعر والغناء لإبراهيم ، له فيه لحنان : رمل وخفيف ثقيل ، عن ابن المكّيّ .

ومنهـا : [من الطويل]

صوت

جـزى الله خيراً من كلِفت بحبِّهِ   وليس بـه إلاّ المموّهُ من حُبِّي
وقالـوا : قلوب العاشقين رقيقة   فما بال ذات الخالِ قاسيةَ القلبِ ؟
وقالوا لهـا : هـذا محبّك مُعرضاً   فقالت : أُرى إعراضه أيسرَ الخطبِ
فمـا هـو إلاّ نظـرة بتبسُّم   فتنشَب رجلاه ويسقُطَ للجَنبِ

ومنها : [من البسيط]

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عَنَّاني   إذنْ فَحُوِّلْتُ في مَسْكِ ابن زَيدانِ[1]
فإنَّ هذي يمين مـا حلفت بها   إلاّ على الحقّ في سرى وإعلاني

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالبنصر .

ومنها : [من الهزج]

صوت

لقـد أخلو بذات الخا   لِ والحراسُ قـد هَجَعُوا
فمن يُبْصِرْ أبـا الخطّا   ب يطلُبُهـا ويتّبِـعُ

---

1 المسك : الجلد .

أَلا لَـم تَـرَ محزونـاً تَسَنَّـم صبْرَهُ الجَـزَعُ
وقارَعَنــي ففزْت بهـا وحازتهــا لي القُـرَعُ

غنّاه إبراهيم ، من رواية بَذْل عنه ، ولم تذكر طريقته .

قال عليّ بن محمد الهشاميّ : حدَّثني جدِّي ، يعني ابن حمدون ، قال : حدَّثني مخارق قال : كنت عند إبراهيم الموصليّ ومعي ابن زَيدان صاحب البرامكة ، وإبراهيم يلاعبه بالشِّطْرَنْج ، فدخل علينا إسحاق ، فقال له أبوه : ما أفدت اليوم ؟ فقال : أعظم فائـدة . سألنـي رجـل ما أفخم كلمة في الفم ؟ فقلت : لا إله إلاّ الله . فقال له أبوه إبراهيم : أخطأت . هلا قلت : دُنْيا ودينا . فأخذ ابن زيدان الشاه ، فضرب به رأس إبراهيم ، وقال له : يا زنديق ، أتكفر بحضرتي ؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زَيدان ضرباً شديداً ، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى ، فحدّثه بخبره . قال : وعلِم إبراهيم أنّه قد أخطأ وجنى ، فركب إلى الفضل بن يحيى ، فاستجار به ، فاستوهبه الفضلُ من جعفر ، فوهبه له ، فانصرف وهو يقول : [من البسيط]

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عَنّاني إذا فَحُوِّلتُ في مَسْك ابن زَيْدانِ
فإن هذي يمـين مـا حلَفْت بها إلاّ على الصدق في سرى وإعلاني

قال : وله في هذين البيتين صنعة ، وهي هَزَج .

منها : [من الهزج]

صوت

مَـنْ يرحـمُ محزونـا بـذات الخـالِ مَفْتونا
أبـى فيهــا فما يسلو وكلّ النّــاس يَسْلُونا
فقـد أُودى بـه السُّقْمُ وقــد أُصبـح مَجنونا
فـإن دام على هـــذا ثَوى في اللحد مدفونا

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل ، عن الهشاميّ .

ومنها : [من الهزج]

صوت

لذات الخــال أَرَّقني خيــالٌ بـات يَلْثمني
بكــى وجرى له دمع لمـا بالقلب من حَزَنِ

فــلا أُنساه أَو أُنسى إذا أُدْرِجْت في كَفَني

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

هل علمتَ اليومَ يا عا صمُ يــا خيرَ خَدِينِ
أَنّ ذات الخــال تأتيـ ـنِـي على رَغـمِ قَرينِ
لا تلُمْني إنّ ذات الـ ـخالِ دنيــايَ ودِينِي[1]
وإلى حفــصٍ خليـــلٍ ووَزيـــري وأَمينـــي
بُحْت لا أُكتمُــه شيــ ـئاً مــن الداء الدفينِ[2]
إنّ بي من حبّ ذات الـ ـخال شيئــاً كالجنونِ

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى ، عن ابن المكّيّ .

ومنها : [من مجزوء الرجز]

صوت

تقــول ذات الخـــالِ لي : يــا خَلِيّ البالِ
فقلتُ : حاشاكِ من أَنْ يكــونَ حالُك حالي
أعرَضْتِ عَنِّــيَ لّمــا أوقعتنـــي في الحبــالِ
إن الخـليّ هــو الغا فِــلُ الذي لا يُبالي

لإبراهيم من كتابه عن حَبَش فيه لحن . وذكر ابن المكّيّ أنّه رمل .

ومنها : [من الهزج]

صوت

أَمــا تعلمُ ذات الخا لِ فوقَ الشفة العليا
بأنّي لست أُهوى غيـ ـرها شيئاً مــن الدنيا
وأنّي عــن جميع النـ ـاس إلاّ عنهمُ أُعمى
وأنّي لو سُقِيت الدَّهـ ـرَ من ريقك لا أُرْوى

---

1 إلى هذا أشار في قوله لإسحاق : «دنيا وديناً» .

2 الداء في ل : السر .

الشعر والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى ، عن عمرو وابن المكّيّ وغيرهما . وقد روى «أما تعلم يا ذا الخال» . وهذا هو الصحيح .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا ليت شِعريَ كيفَ ذاتُ الخالِ أمْ أينَ تَحسِبُ حالَها من حالي
هل أَنْسَيَنْ منها وضَمَّتْ مرّةً رأسي إليها ثم قالت : مالي
أَلِزَلَّة أقصيتَني نفسي الفدا لك أم أطعت مَقالةَ العذالِ
والله ما استحسنتُ شيئاً مُونِقاً ألتذُّه إلاّ خَطَرْتِ ببالي

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان : هزج بالأصابع كلّها ، عن ابن المكّيّ ، وثقيل أوّل بالوسطى ، عن حبش .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا ليتَ شِعريَ والنساءُ غوادِرٌ خُلْفُ العِداتِ وَفاؤُهن قليلُ
هل وصلُ ذاتِ الخال يوماً عائدٌ فتزولَ لَوْعاتي وحَرُّ غليلي
أم قد تناستْ عهدَنا وأحالَها عن ذاك مَلْكٌ حال دون خليلِ

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن إسحاق بن إبراهيم ، وابن المكّيّ والهشاميّ . انقضت أخبارها .

[حجر بن عمرو]

صوت

[من الخفيف]

إن من غَرَّهُ النساءُ بشيء بعد هندٍ لجاهلٌ مغرورُ
حُلْوة القول واللسان ومُرٌّ كلّ شيء أَجَنَّ منها الضميرُ
كلّ أنثى وإن بدا لك منها آيةُ الحبّ حبُّها خَيْتَعُورُ[1]

الشعر لحُجْر بن عمرو آكل المُرار . والغناء لحُنين ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ . وفيه لنُبَيه ثقيل أوّل بالوسطى ، عن حَبَش . وفيه رمل له .

1 خيتعور : باطل لا يدوم على حال .

[336] ـ نسب حُجر بن عمرو
والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

[نسبه]

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع ، واسمه عمرو بن ثور ، وقيل : ابن معاوية بن ثور ، وهو كِندة بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يشجب بن يعرُب بن قَحْطان .

[القتال بينه وبين ابن الهبولة]

أُخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دُريد إجازة ، قال : حدَّثني عمّي ، عن ابن الكلبيّ ، عن أُبيه ، عن الشَّرْقيّ بن القُطاميّ قال[1] : أقبل تُبَّع أيّام سار إلى العراق ، فنزل بأرض معدّ ، فاستعمل عليهم حُجْر بن عمرو ، وهو آكِل المرار ، فلم يزل ملكاً حتى خَرِف ، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَوْن . ثم إنّ زياد بن الهَبولة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حماطة بن سعد بن سَليح القضاعيّ ، أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار ، ومنزله بغَمر ذي كندة ، وكان قد غزا بربيعة البحرين . فبلغ زياداً غزاتُه ، فأقبل حتى أغار في مملكة حُجْر ، فأخذ مالاً كثيراً ، وسبى امرأة حُجْر ، وهي هند ابنة ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل .

فلمّا بلغ حجراً وبكر بن وائل مغارُه وما أخذ أقبلوا معه ، ومعه يومئذٍ أشرافُ بكر بن وائل ، منهم عوف بن محلِّم بن ذُهْل بن شَيبان ، وصُلَيعْ بن عبد غَنْم بن ذهل بن شيبان ، وسَدُوس بن شيبان بن ذُهل ، وضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة . فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِّم ، قالا لحجر : إنّا متعجِّلان إلى الرجل ، لعلّنا نأخذ منه بعض ما أصاب منّا . فلقياه دون عين أُباغ ، فكلّمه عوف بن ملحم ، وقال : يا خير الفتيان ، اردد عليّ ما أخذته منّي . فأعطاه إيّاه . وكلّمه عمرو بن معاوية في فحل إبله ، فقال : خذه ، فأخذه عمرو ؛ وكان قويّاً . فجعل الفحل ينزع إلى الإبل ، فاعتقله عمرو ، فصرعه . فقال له ابن الهبولة : أما والله يا بني شيبان ، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم . فقال عمرو : أما والله لقد وهبتَ قليلاً ، وشتمت جليلاً . ولقد جررت على نفسك

---

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونيّة هذا الخبر 7 : 384–386 .

شرّاً ، ولتجدني عند ما ساءك . ثم ركض حتى صار إلى حجر ، فأخبره الخبر .

فأقبل حُجْر في أصحابه ، حتى إذا كان بمكان يقال له «الحفير» بالبرّ ، وهو دون عين أُباغ ، بعث سَدوساً وصُلَيعاً يتجسّسان له الخبر ، ويعلمان له عِلم العسكر . فخرجا حتى هجما على عسكره ، وقد أوقد ناراً ، ونادى منادٍ له : مَن جاء بحزمة من حطب فله فِدْرة[1] من تمر . وكان ابن الهَبولة قد أصاب في عسكر حُجْر تمراً كثيراً . فضَرب قِبابه ، وأجّج ناره ، ونثر التمر بين يديه ، فمن جاء بحطب أعطاه تمراً . فاحتطب سَدوس وصُلَيع ، ثم أُتيا به ابن الهَبولة ، فطرحاه بين يديه ، فناولهما من التمر ، وجلسا قريباً من القُبة . فأمّا صُلَيع فقال : هذه آية وعلم ما يريد ، فانصرف إلى حُجْر ، فأعلمه بعسكره ، وأراه التمر . وأمّا سدوس فقال : لا أبرح حتى آتيه بأمر جَليّ . فلمّا ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه ، وقد تفرّق أهل العسكر في كلّ ناحية ، فضرب سَدُوس بيده إلى جَليس له ، فقال له : مَن أنت ؟ مخافة أن يستنكر . فقال : أنا فلان ابن فلان . قال : نعم . ودنا سَدوس من القُبّة ، فكان حيث يسمع الكلام . فدنا ابن الهبولة من هند امرأة حجر ، فقبّلها وداعبها ، ثم قال لها فيما يقول : ما ظنّك الآن بحُجر لو علِم بمكاني منك ؟ قالت : ظنّي به والله أنّه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحُمْر ، وكأنّي أنظر إليه في فوارس من بني شيبان يُذَمِّرهم ويذمِّرونه ، وهو شديد الكَلَب ، سريع الطلَب ، يزبد شدقاه كأنّه بعيرٌ آكِلُ مُرار . فسمّى حُجْر آكلَ المُرار يومئذٍ . قال : فرفع يده فلطمها . ثم قال : ما قلتِ هذا إلاّ من عُجْبك به ، وحبّك له . فقالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسَمة قطُّ بغضي له ، ولا رأيت رجلاً قطُّ أحزم منه نائماً ومستيقظاً ، إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حيٌّ لا ينام . وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسّاً مملوءاً لبناً ، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه ، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه ، فنحى رأسه ، فمال إلى يديه ، وإحداهما مقبوضة ، والأخرى مبسوطة ، فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة ، وبسط الأخرى ، فأهوى إليها ، فقبضها ، فمال إلى العُسّ : شربه ثم مجّه ، فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت ، فأستريح منه . فانتبه من نومه ، فقال : عليّ بالإناء ، فناولته ، فشمّه فاضطربت يداه ، حتى سقط الإناء فأهَريق . وذلك كلّه بأُذن سَدُوس . فلمّا نامت الأحراس خرج يسري ليلته ، حتى صَبَّحَ ؛ حُجراً . فقال : [من الوافر]

أتاك المرجفون برجم غيبٍ ... على دَهَش وجئتك باليقينِ
فمن يَكُ قد أتاك بأمر لَبْس ... فقد آتي بأمرٍ مُستبينِ

---

1 فدرة : قطعة .

ثم قصّ عليه جميع ما سمع .

فأسف ونادى في الناس : الرحيل . فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبولة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب ابن الهَبولة . وعرفه سدوس ، فحمل عليه ، فاعتنقه وصرعه فقتله . وبصُر به عمرو بن معاوية ، فشدّ عليه ، فأخذ رأسه منه ، وأخذ سدوس سَلَبه ، وأخذ حُجْر هنداً فربطها بين فرسين ، ثم ركضا بها حتى قَطَّعاها قطعاً .

هذه رواية ابن الكلبيّ .

وأمّا أبو عبيدة فإنّه ذكر أنّ ابن الهَبولة لمّا غنم عسكر حُجر ، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم ، وأُمّ أُناس بنت عوف بن محلِّم الشيبانيّ ، وهي أُمّ الحارث بن حُجر وهند بنت حُجر ، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو ، وله يقول بشر بن أبي خازم[1] : [من الكامل]

فإلى ابـن أُمّ أُناسَ أُعْمِل ناقتـي عمرٍو فتنجَحُ حاجتي أم تُزْجَفُ
مَلِك إذا نـزل الوفـودُ ببابـه غَرَفوا غواربَ مُزْبـد مـا يُنزَفُ

قال : وبنتها هند هي التي تزوّجها المنذر بن ماء السماء اللخميّ . قال : وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنَّعم ، ويتصيّد في المسير ، ولا يمرّ بوادٍ فيعجبه إلاّ أقام به يوماً أو يومين ، حتى أتى على ضَرِيَّة ، فوجدها مُعْشِبة ، فأعجبته ، فأقام بها أيّاماً . وقالت له أُمّ أُناس : إنّي لأرى ذات وَدَك[2] ، وسوء دَرَك ، كأنّي قد نظرت إلى رجل أسود أدلم ، كأنّ مشافره مشافر بعير آكِل مُرار قد أخذ برقبته ؛ فسُمّي حُجْر آكلَ المُرار بذلك . وذكر باقي القصّة نحو ما مضى .

وقال في خبر ابن الهَبولة : إنّ سَدوساً أَسَرَه ، وإنّ عمرو بن معاوية لمّا رآه معه حسده ، فطعنه فقتله : فغضب سَدوس لذلك ، وقال : قتلت أسيري وديتُه دية الملوك . وتحاكما إلى حُجْر ، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك ؛ وأعانهم في ذلك بماله . وقال سَدُوس في ذلك يعاتب بني شيبان : [من الكامل]

مـا بعدُكم عيشٌ ولا مَعكُمْ عيشٌ لذي أَنَف ولا حَسَبِ
لـولا بنو ذهل وجَمْعُ بني قيسٍ وما جَمَّعْتُ من نَشَبِ
مـا سُمْتُموني خُطَّة غَبَنـاً وعلى ضَرِيَّـة رمتـمُ غَلَبي

قال : وقد رُوِي أنّ حُجْراً ليس بآكل المُرار ، وإنّما أبوه الحارث آكل المُرار . ورُوِي أيضاً

1 ديوان بشر بن أبي خازم : 155 وفيه «أو تزحف» .

2 الودك : الدسم من اللحم أو الشحم .

أنّه إنّما سُمِّي آكلَ المُرار لأنّ سَدوساً لمّا أتاه بخبر ابن الهَبولة ومداعبته لهند ، وأنّ رأسَه كان في حجرها ، وحدَّثه بقولها وقوله ، فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمُرار ، وهو نبت شديد المرارة ، وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير . فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنّه يأكله من شدّة الغضب ، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث ، فعلِم حينئذٍ بذلك ، ووجد طعمه ، فسُمِّي يومئذٍ آكلَ المُرار .

قال ابن الكلبيّ : وقال حُجْر في هند : [من الخفيف]

لَمَنِ النارُ أُوقِدَتْ بحَفيرِ ... لم تَنَمْ عند مُصْطَلٍ مَقْرورِ
أوقدتْها إحدى الهنود وقالت ... أنت ذا مُوثَقٌ وَثاق الأسيرِ
إنّ من غَرّه النساء بشيء ... بعدَ هند لجاهلٌ مغرورُ

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدّماً وفيها الغناء .

صوت

[من الكامل]

طَرِبَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه ... وتفرّقت فِرَقاً به أشجانُهُ
وبدا له من بعد ما اندمل الهَوى ... برقٌ تألّقَ مَوْهناً لَمَعانُهُ
يبدو كحاشية الرِداءِ ودونه ... صعبُ الذُّرى متمنِّعٌ أركانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه ... والماء ما جادت به أجفانُهُ[1]

الشعر لمحمد بن صالح العَلَويّ . والغناء لرذاذ ، ويقال إنّه لبنان . خفيف ثقيل . وفيه ثقيل أوّل ، يقال إنّه لأبي العَنْبَس ، ويقال إنّه للقاسم بن زُرزور . وفيه لعمرو الميدانيّ رمل طُنبوريّ ، وهو لحن مشهور .

1 جادت به في ل : سمحت .

[337] ـ أخبار محمد بن صالح العلوِيّ ونسبه[1]

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب . ويكنى أبا عبد الله ، شاعر حجازيّ ظريف ، صالح الشعر ، من شعراء أهل بيته المتقدّمين . وكان جدّه موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابنَي عبد الله بن حسن بن حسن الحِجازيين الخارجيين في أيّام المنصور ، أمّهم جميعاً هند بنت أبي عُبيدة .

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء والطوسيّ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن العَلَوِيّ قال : حدَّثني الزبير بن بكّار : أنّ هنداً حملت بموسى بن عبد الله ولها ستّون سنة . قال : ولا تحمل لستّين إلاّ قرشيّة ، ولا تحمل لخمسين إلاّ عربيّة . قال : وكان موسى آدم شديد الأُدْمَة ، وله تقول أُمّه هند : [من الرجز]

إنّـك أَنْ تكـونَ جَوْناً أنزعا ... أجـدرُ أن تضرَّهُـمْ وتنفعا
وتسلكَ العيش طريقـاً مَهْيعا ... فرْداً من الأصحاب أو مُشَيَّعا

وكان موسى استتر بعد قتل أخويه زماناً ، ثم ظَفر به أبو جعفر ، فضربه بالسوط ، وحبسه مدّة ، ثم عفا عنه وأطلقه .

وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها .

[خرج على المتوكّل]

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكّل مع مَن بَيَّض في تلك السنة ، فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو السَّاج ، فأخذهم وقيَّدهم ، وقتل بعضهم ، وأخرب سُوَيقة ، وهي منزل للحسَنِيِّين ، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وقَعَر بها نَخلاً كثيراً ، وحَرَّق منازل لهم بها ، وأثر فيهم وفيها آثاراً قبيحة ، وحُمِل محمد بن صالح فيمن حُمِل منهم إلى سرَّ مَنْ رأى . فحُبِس ثلاث سنين ، ثم مدح المتوكّل ، فأنشده الفتحُ قصيدته بعد أن غُنِّي في شعره المذكور ، فطرب ، وسأل عن قائله فعرفه ، وتلا ذلك إنشادُ الفتح قصيدته ، فأمر بإطلاقه .

1 ترجمة محمد بن صالح العلوي في مقاتل الطالبيِّين : 600–614 ومعجم المرزبانيّ : 380 والوافي 3 : 154 والفوات 3 : 392 والنجوم الزاهرة 2 : 256 وانظر أعلام الزركليّ .

[حبسه ووفاته]

وأخبرني محمد بن خلف وكِيع قال : حدَّثني أحمد بن أبي خَيثمة قال : أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى ، بعض ما ينكره العمومة على بني أخيهم ، في شيء من أمور السلطان . وكان محمد بن صالح قد خرج بسُوَيقة ، فصار أبو السَّاج إلى سُوَيقة ، فأسلمه عمّه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو السَّاج الأمان ، فطرح سلاحه ، ونزل إليه فقيّده ، وحمله إلى سُرّ مَنْ رأى ، فلم يزل محبوساً بها ثلاث سنين ، ثم أُطلق ، وأقام بها إلى أن مات . وكان سبب موته أنّه جُدِر ، فمات في الجُدَرِيّ ، وهو الذي يقول في الحبس : [من الكامل]

طَرِبَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه ... وتشعّبتْ شُعَباً به أشجانُهُ
وبدا له من بعد ما اندملَ الهوى ... بَرْقٌ تألَّق مَوْهِناً لَمَعانُهُ
يبدو كحاشية الرِّداء ودونَهُ ... صعْب الذُّرا متمنِّعٌ أركانُهُ
فدنا لينظر كيف لاح فلم يُطِقْ ... نظراً إليه وردّه سَجّانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه ... والماءُ ما سَحَّت به أجفانُهُ[1]
ثم استعاذ من القبيح وردَّهُ ... نحوَ العزاء عن الصِّبا إيقانُهُ
وبدا له أنّ الذي قد ناله ... ما كان قدَّره له دَيَّانُهُ
حتى اطمأنّ ضميرُه وكأنّما ... هتكَ العلائقَ عاملٌ وسنانُهُ[2]
يا قلبُ لا يذهبْ بحلمك باخلٌ ... بالنَّيْل باذِلُ تافهٍ مَنّانُهُ
يَعِدُ القضاءَ وليس ينجز مَوْعِداً ... ويكونُ قبل قضائه لَيّانُهُ[3]
خَدِلُ الشَّوى حَسَن القَوام مُخَصَّر ... عذبٌ لَمَاهُ طيِّبٌ أردانُهُ
فاقنع بما قسم الإله فأَمرُهُ ... ما لا يزال على الفتى إتيانُهُ
والبؤس ماضٍ ما يدوم كما مضى ... عصرُ النَّعيمِ وزال عنك أوانُهُ

[شجاعته]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا ، فأقمنا إلى أن انتصف الليل ، وأنا أرى أنّه يبيت . فإذا هو قد قام ،

1 سحت في ل : سمحت .
2 عامل الرمح : صدره .
3 ليان : مخلف الوعد .

فتقلّد سيفه ، وخرج ، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت ، وسألته المُقام والمبيت ، وأعلمته خوفي عليه ، فالتفت إليّ مبتسماً وقال : [من الطويل]

إذا ما اشتملتُ السيفَ والليلَ لم أُهَلْ ... لِشيءٍ ولَم تَقْرَع فؤادي القوارِعُ

[الجواري الباكيات]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : مرَّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكّل ، فرأى الجواري يلطمن عنده ، فأنشدني لنفسه : [من الطويل]

رأيـت بسامَرّا صَبيحةَ جمعـة ... عيوناً يـروق الناظريـن فُتورُها
تزور العِظام البالياتِ لدى الثَّرى ... تَجـاوزَ عن تلك العظام غَفُورُها
فلولا قضاءُ الله أَن تَعْمُرَ الثرى ... إلى أَن يُنادى يوم يُنْفَخُ صُورُها
لقلـتُ عساها أَن تَعِيش وأَنّها ... ستُنْشَرُ من جَرّا عيـونٍ تزورُها
أَسيلاتِ مجرى الدمع إمّا تهلّلتْ ... شُؤون المَآقـي ثـم سَحّ مَطيرها
بوبْـلٍ كأَتْوام الجمان يُفيضُه ... على نحرهـا أَنفاسُهـا وزفيرها
فيـا رحمةً مـا قـد رحمتِ بَواكِياً ... ثقـالاً تواليهـا لِطافاً خُصورها

[يخطب فيرد ثم يعاود فيجاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبِّر قال ، جاءني محمد بن صالح الحسَني ، فسألني أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرّيّ ، أو أخته حَمدونة . ففعلت ذلك ، وصرت إلى عيسى ، فسألته أن يجيبه ، فأبى ، وقال لي : لا أُكذبك ، والله ما أرده لأنّي لا أعرف أشرف وأشهر منه لَمن يصاهره ، ولكنّي أخاف المتوكّل وولده بعده على نعمتي ونفسي ، فرجعت إليه ، فأخبرته بذلك ، فأضرب عن ذلك مدّة ، ثم عاودني بعد ذلك ، وسألني معاودته ، فعاودته ورَفَقْت به ، حتى أجاب ، فزوّجه أخته ، فأنشدني بعد ذلك محمد : [من الطويل]

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردَّني ... فلِلّـهِ والي حُـرَّة وعَليقُها
لقـد ردَّني عيسى ويعلـم أنّني ... سليـلُ بنـات المصطفى وعريقها
وإن لنـا بعـد الـولادة نبعـةً ... نبـيُّ الإلـه صِنوُهـا وشقيقُها
فلمّـا أَبـى بُخْـلاً بهـا وتمنُّعاً ... وصيَّـرني ذا خُلَّـة لا يُطِيقها
تداركني المرءُ الذي لم يزل لـه ... من المكرُمـات رحبُهـا وطليقُها

سَمِيُّ خليلِ اللهِ وابنُ وليه … وحَمّالُ أعباءِ العُلا وطريقُها
وزوَّجَها والمنُّ عندي لغيره … فيا بيعةً وفَّتْنيَ الربح سوقُها
ويا نعمةً لابن المدبِّر عندنا … يجِدّ على كرِّ الزّمان أنيقها

[مغرم في زوجته]

قال ابن مهرويه : قال لي إبراهيم بن المدبر : فلمّا نُقِلت حمدونة إليه شُغف بها ، وكانت امرأة جميلة عاقلة ، فأنشدني لنفسه فيها : [من السريع]

لعمرُ حمدونةَ إنّي بها … لمغرمُ القلبِ طويلُ السَّقامْ
مجاوز للقدرِ في حُبِّها … مباينٌ فيها لأهل الملامْ
مُطَّرِحٌ للعذل ماضٍ على … حماقة النفس وهولِ المَقامْ
مُشايعي قلب يخاف الخَنا … وصارمٌ يقطع صُمّ العظامْ
جَشّمني ذلك وَجْدي بها … وفضلُها بين النساء الوِسامْ
ممكورة الساقِ رُدَيْنِيَّةٌ … مع الشَّوى الخَدْلِ وحسن القَوامْ
صامتة الحِجْل خَفوق الحَشا … مائرة الساق ثَقالُ القِيامْ
ساجية الطَّرْف نئوم الضُّحى … منيرة الوجه كبَرْقِ الغَمامْ
زيّنها اللهُ وما شانَها … وأُعطيت مُنيتَها من تَمامْ
تلك التي لولا غرامي بها … كنتُ بسامرًّا قليلَ المُقامْ

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبّر ، في خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة .

[قصّته مع حمدونة قبل زواجه منها]

وحدَّثني عمِّي عن أبي جعفر بن الدِّهقانة النديم قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبّر قال : جاءني يوماً محمد بن صالح الحسَنيّ العلويّ بعد أن أُطلِق من الحبس ، فقال لي : إنّي أُريد المُقام عندك اليوم على خلوة ، لأبُثّك من أمري شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا . فقلت : أفعل . فصرفت مَن كان بحضرتي ، وخلوت معه ، وأمرت بردّ دابّته ، وأخذ ثيابه ؛ فلمّا اطمأنّ وأكلنا واضطجعنا ، قال لي : أُعلمك أنّي خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفُلانية ، فقاتلنا مَن كان فيها ، فهزمناهم وملكنا القافلة ، فبينا أنا أحوزُها وأُنيخ الجمال ، إذ طلعت عليّ امرأة من العَماريّة ، ما رأيت قطّ أحسن منها وجهاً ، ولا أحلى منطقاً ، فقالت : يا فتى ، إن رأيتَ أن تدعوَ لي بالشريف المتولّي أمر هذا الجيش . فقلت : وقد رأيته وسمع كلامك . فقالت : سألتك بحقّ الله وحقّ رسوله ﷺ أنت هو ؟ فقلت : نعم

وحقّ الله وحقّ رسوله إنّي لهو . فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرِّي ، ولأبي محلٌّ من سُلْطانه ، ولنا نِعمة ، إن كنت ممّن سمع بها فقد كفاك ما سمعت ، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري ، ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليّ ، وما أسألك إلاّ أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار معي لنفقتي ، فخذها حلالاً ، وهذا حَلْيٌ عليّ من خمس مئة دينار ، فخذه وضَمِّنّي ما شئت بعده ، آخذه لك من تجار المدينة أو مكّة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه ، وادفع عنّي ، واحمني من أصحابك ، ومن عار يلحقني . فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً ؛ فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها . ثم خرجت فناديت في أُصحابي ، فاجتمعوا فناديتُ فيهم : إنّي قد أجرت هذه القافلة وأهلها ، وخَفَرتها وحميتُها ، ولها ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّتي ، فمَن أخذ منها خيطاً أو عقالاً[1] فقد آذنته بحرب . فانصرفوا معي ، وانصرفت .

فلمّا أُخِذت وحُبِست ، بينا أنا ذات يوم في مَحبِسي إذ جاءني السَّجّان وقال لي : إن بالباب امرأتين تزعمان أنّهما من أهلك ، وقد حُظِر عليّ أن يدخل عليك أحد ، إلاّ إنّهما أعطتاني دُمْلُج ذَهب ، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك ، وقد أذِنت لهما ، وهما في الدّهليز ، فاخرج إليهما إن شئت . ففكّرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب ، لا أعرف أحداً ، ثم قلت : لعلّهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي ، فخرجت إليهما ، فإذا بصاحبتي ، فلمّا رأتني بكت لمّا رأت من تغيّر خَلْقي ، وثقل حديدي ، فأقبلت عليها الأُخرى فقالت : أهو هو ؟ فقالت : إيْ والله ، إنّه لهو هو ، ثم أقبلت عليّ فقالت : فِداك أبي وأُمّي ، والله لو استطعت أن أَقيكَ ممّا أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت ، وكنتَ بذلك منّي حقيقاً ، ووالله لا تركتُ المعاونة لك ، والسعي في حاجتك ، وخلاصك بكلّ حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثياب وطِيب ، فاستعن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كلّ يوم بما يصلحك ، حتى يفرِّج الله عنك . ثم أخرجت إليّ كِسوة وطيباً ومائتي دينار ، وكان رسولها يأتيني في كلّ يوم بطعام نظيف ، وتُواصل برّها بالسَّجّان ، فلا يمتنع من كلّ شيء أريده .

فمنّ الله بخلاصي ، ثم راسلتها فخطبتها ، فقالت : أمّا من جهتي فأنا لك متابعة[2] مطيعة ، والأمر إلى أبي ، فأتيته ، فخطبتها إليه ، فردّني ، وقال : ما كنت لأحقّق عليها ما

1 ل : مخيطاً .

2 ل : سامعة .

قد شاع في الناس عنك في أمرها ، وقد صيرتَها فضيحة . فقمت من عنده منكِّساً[1] مستَحِياً ، وقلت له في ذلك : [من الطويل]

رَمَوْني وإيّاها بشنعاءَ هُمْ بها أحـقّ أدال الله منهمْ فعجَّلا
بأمـر تركنـاه وربِّ محمـد عِيانـا فإمّـا عِفَّة أو تجمُّلا

فقلت له : إنّ عيسى صنيعة أخي ، وهو لي مطيع ، وأنا أكفيك أمره .

فلمّا كان من الغد لقيتُ عيسى في منزله ، وقلت له : قد جئتك في حاجة لي ؛ فقال : مَقْضِيّة ، ولو كنتَ استعملتَ ما أُحبّه لأمرتني فجئتك ، وكان أسرَّ إليّ . فقلت له : قد جئتك خاطباً إليك ابنتك . فقال : هي لك أَمَة ، وأنا لك عبد ، وقد أجبتك . فقلت : إنّي خطبتها على مَن هو خير منّي أباً وأمّاً ، وأشرف لك صهراً ومُتّصلاً ، محمد بن صالح العَلوِيّ . فقال لي : يا سيّدي ، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظِنّة ، وقيلت فينا أقوال . فقلت : أفليست باطلة ؟ قال : بلى ، والحمد لله . قلت : فكأنّها لم تقل ، وإذا وقع النّكاح زال كلّ قول وتشنيع ، ولم أزل أرفُق بـه حتى أجاب ، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته ، وما برحتُ حتى زوّجته ، وسُقْت الصَّداق عنه .

[مديح صديق]

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبِّر مدائح كثيرة ، لمّا أولاه من هذا الفعل ، ولصداقة كانت بينهما ، فمن جيد ما قاله فيه قوله : [من الوافر]

أتخبِر عنهـم الدِّمَـنُ الدُّثور وقـد يُنبـي إذا سُئل الخبيرُ
وكيـف تُبَيِّنُ الأنبـاءَ دارٌ تعاقَبهـا الشمائـلُ والدَّبورُ

يقول فيها في مدحه :

فهـلاّ في الذي أولاكَ عُرْفاً تُسَدِّي من مقالك مـا تُنِيرُ[2]
ثنـاءٌ غيرَ مختلَـق ومَدْحـاً مـع الركبان يَنْجـد أو يَغُورُ
أخ واساك في كَلَب الليـالي وقـد خَذَل الأقاربُ والنصيرُ
حِفاظـاً حـين أسلمك الموالي وضَنّ بنفسه الرجـلُ الصبورُ
فإن تشكر فقـد أولى جميلاً وإن تكفـر فإنّـك لَلْكَفورُ

1 ل : منكسراً .
2 تسدي وتنير من ألفاظ نسج السدى واللحمة .

ومـا في آل خاقـان اعتصامٌ ... إذا مـا عُمِّم الخَطْبُ الكبيرُ
لئـام النـاس إثـراءً وفقـراً ... وأعجزُهـم إذا حمـي القَتيرُ
قُوَيْـم لا يزوّجهـمْ كريـمٌ ... ولا تُسْنى لنسوتهـم مُهـورُ

وإنّما ذكر آل خاقان ههنا لأنّ عبيد الله بن يحيى قَصَّر به وتحامل عليه ، وكان يقول ما يكره ، ويؤكّد ما يوجب حَبْسه ، وكان فيه وفي ولده نَصْبٌ[1] شديد .

ولمحمد بن صالح في آل المدبّر مدائح كثيرة ، لا معنى لذكرها في هذا الكتاب .

[صداقة بين شاعرين]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدَّثني عبد الله بن طالب الكاتب قال : كان محمد بن صالح العلويّ حُلْو اللسان ، ظريفاً أديباً ، فكان بسُرَّ من رأى مخالطاً[2] لسَراة الناس ، ووجوه أهل البلد ، وكان لا يكاد يفارق سعيد بن حُمَيد ، وكانا يتقارضان الأشعار ، ويتكاتبان بها . وفي سعيد يقول محمد بن صالح العلويّ : [من الطويل]

أصاحِبُ مـن صاحبتَ ثُمَّتَ أنثني ... إليـك أبـا عثمـانَ عطشانَ صاديا
أبـى القلبُ أن يُرْوى بهمْ وهو حائمٌ ... إليك وإن كانـوا الفـروعَ العواليا
ولكن إذا جئنـاكَ لم نبـغ مَشرَباً ... سِواك ورَوَّيْنـا العظـامَ الصَّواديا

قال عبد الله بن طالب : وكان بعض بني هاشم دعاه ، فمضى إليه ، وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه ، فأُخبِر بموضعه عند الهاشميّ ، فلمّا عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه ، فكتب إليه بهذه الأبيات .

قال عبد الله : وشرب يوماً هو وسعيد بن حُميد ، فسكر محمد بن صالح قبله ، فقام لينصرف ، والتفت إلى سعيد وقال له : [من الوافر]

لعمرُك إنّني لمّـا افترقنا ... أخو ضِنٍّ بخُلْصاني سعيدِ
تبقَّتـه المـدامُ وأزعجتني ... إلى رحلي بتعجيل الورودِ

[سعيد بن حميد يرثيه]

قال : وتوفّي محمد بن صالح بسُرّ من رأى ، وكان يَجْهد في أن يُؤْذن له في الرجوع إلى الحجاز ، فلا يجاب إلى ذلك ، فقال سعيد يرثيه : [من الطويل]

---

1 النصب : كره لآل علي وعداوة .
2 ل : مألفة .

بأيّ يـد أسطو على الدهرِ بعدما أبان يدي عضْبُ الذّبابين قاضبُ
وهاضَ جَناحي حادثٌ جَلَّ خطبُه وسُدَّت عن الصبر الجميل المذاهبُ
ومـن عـادة الأيّام أَنَّ صُروفها إذا سَرَّ منها جانبٌ ساءَ جانبُ
لعمري لقـد غـال التجلدَ أنّنا فقدناك فقد الغيث والعامُ جادبُ
فمـا أعـرفُ الأيّامَ إلاّ ذميمةً ولا الدَّهرَ إلاّ وهو بالثأرِ طالبُ
ولا لي من الإخوان إلاّ مكاشِرٌ فوجّه لـه راضٍ ووجّه مُغاضِب
فقدتُ فتًى قد كان للأرض زِينة كما زَيَّنَتْ وجهَ السماء الكواكبُ
لعمري لئن كان الردَى بك فاتني وكلُّ امرىء يوماً إلى الله ذاهبُ[1]
لقد أخذتْ منّي النوائبُ حكمَها فما تركتْ حَقّـاً عـليَّ النوائبُ
ولا تركتني أرهبُ الدهـرَ بعدَه لقـد كلَّ عنّـي نابـُه والمخالبُ
سقى جَدَثاً أمسى الكريمُ ابنُ صالح يَحُلّ به ، دانٍ من المُزن ساكبُ
إذا بشَّرَ الرُّوادَ بـالغيث برقـه مَرَتْه الصَّبا واستحْلبته الجنائبُ
فغادر باقـي الدَّهـر تأثيرُ صَوْبه رَبيعاً زَهَت منه الرُّبـا والمَذانبُ[2]

[المتوكّل يطلقه من الحبس لشعره]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال : حدَّثني المبرّد قال : لم يزل محمد بن صالح محبوساً حتى تَوَصّل بُنان له ، بأن غنّى بين يدي المتوكّل في شعره : [من الكامل]

وبدا لـه من بعد مـا اندمل الهوى بـرق تألّـق مَوْهِنـاً لمعانـُهُ

فاستحسن المتوكّل الشعرَ واللحن ، وسأل عن قائله ، فأُخبر به ، وكُلّم في أمره ، وأحسنتِ الجماعة رِفْدَه ، وقام الفتح بأمره قياماً تامّاً . فأمر بإطلاقه من حبسه ، على أن يكون عند الفتح وفي يده ، حتى يقيم كفيلاً بنفسه ألاّ يبرح من سُرَّ مَنْ رأى ، فأُطلِق ، وأخَذ عليه الفتحُ الأيمان الموَثَّقة ألاّ يبرح من سُرَّ مَن رأى إلاّ بإذنه ، ثم أطلقه .

[شكره المتوكّل على إطلاق سراحه]

ولمحمد بن صالح في المتوكّل والمنتصر مدائح جِياد كثيرة ، منها قوله في المتوكّل : [من الكامل]

أَلِـفَ التُّقى ووفى بنـذر الناذرِ وأبى الوقـوفَ على المحـلّ الداثرِ

---

1 امرىء في ل : فتى .
2 فغادر باقي في ل : فغا وربا في الدهر

ولقدْ تَهِيج لــه الديــارُ صبابةً حيناً وتَكْلُّــف بالخليط السائرِ
فــرأى الهدايــةَ أن أناب وأنّهُ قصرَ المــديحَ على الإمامِ العاشرِ
يــا ابن الخلائف والذين بهَديهمْ ظهــرَ الوفــاء وبانَ غــدرُ الغادرِ
وابنَ الذين حَــوَوْا تُراث محمدٍ دون الأقــارب بالنصيب الوافرِ
نَطَـق الكتابُ لكم بذاكَ مُصدِّقاً ومضتْ بــه سُنَنُ النبيّ الطاهرِ
ووصلتَ أسبابَ الخلافة بالهُدى إذ نِلْتها وأنمــتَ عــين الساهرِ
أحييتَ سنة مَن مضى فتجدّدتْ وأبنتَ بدعة ذي الضلالِ الخاسرِ
فافْخــر بنفسك أو بجَــدِّك مُعْلِناً أودعْ فقد جاوزتَ فخرَ الفاخرِ
مــا للمكارم غيرُكُم مــــن أولٍ بعــدَ النبيِّ ومــا لَها مــن آخــرِ
إنّي دعوتُك فاستجبتَ لدعوتي والمــوتُ منِّــي قِيدُ شِبْر الشابرِ
فانتَشتَني مــن قَعْر مَوْرِدة الردى أمْنا ولم تسمع مقالــةَ زاجرِ[1]
وفككتَ أسري والبــلاءُ مُوَكَّل وجبرتَ كَسْراً ما لــه من جابرِ
وعطفتَ بالرَّحِم التي ترجُو بها قربَ المحَــلِّ مــن المليكِ القادرِ
وأنا أعوذ بفضل عفوِك أن أُرى غَرَضاً ببابــك للمُلــمِّ الفاقرِ[2]
أو أن أُضَيَّــع بعدمــا أنقذتَني مــن رَيب مُهْلِكة وجَــدٍّ عاثرِ
ولقد مننتَ فكنــــتَ غيرَ مكدِّرٍ ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكرِ

[هجاؤه أبا السَّاج]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدَّثنا الفضل بن سعيد بن أبي حَرْب قال: حدَّثني أبو عبد الله الجُهَنيّ قال: دخلت على محمد بن صالح الحَسَني في حبس المتوكّل، فأنشدني لنفسه يهجو أبا السَّاج[3]: [من الوافر]

ألَم يحزنْــكِ يا ذلفاءُ أنّي سكنتُ مساكن الأموات حَيّا
وأنَّ حمائــلي ونجــادَ سَيفي علــونَ مُجَدَّعــاً أشْرُوسَنيّا
فقصَّرَهنّ لّمــا طُلْنَ حتى اسـ ـتوين عليــه لا أمْسى سَوِيّا

---

1 أمنا في ل: منّاً.
2 الملم الفاقر: الحادث الذي يكسر فقار الظهر.
3 أبو السَّاج الأشروسني: أحد قواد المعتمد.

أَمّا والراقصاتِ بذات عرقٍ ... تريدُ البيت تحسبها قِسِيا
لَوَ امكنني غداتَئذٍ جِلادٌ ... لألفوني به سَمْحاً سَخِيّا

[غزل وحنين]

قال ابن عمّار : وأنشدني عُبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمّد بن صالح أيضاً : [من الطويل]

نظرتُ ودوني ماءُ دجلة مَوْهِناً ... بمطروفة الإنسان محسورة جدّا
لتُؤْنِس لي ناراً بليلٍ توقَّدَتْ ... وتالله ما كلفتها نظراً قَصْدا[1]
فلو أنّها منها لقلتُ كأنّني ... أرى النارَ قد أمست تضيء لنا هِنْدا
تضيء لنا منها جَبيناً ومَحْجِراً ... ومبتسَماً عَذْباً وذا غُدَر جَعْدا

انقضت أخباره .

صوت

[من الخفيف]

يا عديّا لقلبكَ المهتاجِ ... أن عفا رسمُ منزلٍ بالنّباجِ[2]
غيرته الصَّبا وكُلُّ مُلِثٌّ ... دائم الودقِ ذي أهاضيبَ داجِ[3]
وحملنا غلامَنا ثم قُلْنا ... هاجِرُ العِيس ليس منك بناجِ
فانتحى مثل ما انتحى بازُ دَجْنٍ ... جَوَّعته القُنّاص للدُّرّاجِ

الشعر لأبي دُواد الإياديّ . والغناء لحنين ، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن عائشة . وفيه لعَريب هزج . وفيه ثقيل أوّل ، ينسب إلى يزيدَ الحَذّاء[4] ، وإلى أحمد النَّصيبيّ .

---

1 بليل توقدت في ل : بقلبك أوقدت .
2 النباج : مكان .
3 الملث : المطر . الودق : لمعان البرق . والأهاضيب : دفعات المطر .
4 الحذاء في ل : الحوراء .

[338] ـ ذكر أخبار أبي دواد الإياديّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو فيما ذكر يعقوب بن السكّيت : جارِيَة بن الحجّاج . وكان الحجّاج يلقّب حُمْران بن بحر بن عصام بن منبه بن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معدّ . وقال ابن حبيب هو جارِيَة بن الحجّاج أحد بني بُرْد بن دُعْميّ بن إياد بن نزار . شاعر قديم من شعراء الجاهليّة ، وكان وصّافاً للخيل ، وأكثر أشعاره في وصفها ، وله في غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك ، إلاّ أنّ شعره في وصف الفَرَس أكثر وأشهر .

[جار أبي دواد]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ وابن الكلبيّ ، عن أبيه ، والشَّرْقيّ : أنّ أبا دُواد الإياديّ مدح الحارث بن همّام بن مرّة بن ذُهل بن شيبان ، فأعطاه عطايا كثيرة ، ثم مات ابن لأبي دُواد وهو في جواره فوَدَاه ، فمدحه أبو دُواد ، فحلف له الحارث أنّه لا يموت له ولد إلاّ وَدَاه ، ولا يذهب له مال إلاّ أخلفه ، فضربت العرب المثل بجار أبي دُواد ، وفيه يقول قيس بن زهير : [من الوافر]

أُطوِّف مـــا أُطوِّفُ ثم آوي ... إلى جـــار كجـــار أبي دُوادِ[2]

هذه رواية هؤلاء ؛ وأبو عبيدة يخالف ذلك .

أخبرني ابن دريد قال : أخبرني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : جاور أبو دُواد الإيادي كعب بن مامة الإياديّ ، فكان إذا هلك له بعير وَدَاه وإذا هلك له شاة أخلفها ، وفيه يقول طَرَفة يمدح عمرو بن هند :

جارٌ كجار الحُذاقيّ الذي انتصفا[3]

وكان لأبي دواد ابن يقال له دُواد شاعر ، وهو الذي يقول يرثي أباه : [من البسيط]

فبات فينـــا وأمسى تحتَ هائرة ... ما بعد يومك مَن مُمْسًى وإصباحِ[4]

---

1 لأبي دواد الإيادي ترجمة في الشعر والشعراء : 161–163 وخزانة البغدادي 9 : 590–592 والعيني 2 : 391 وشرح شواهد المغني : 124 وبروكلمان 1 : 118 وقد جمع ديوانه وترجم له غرنباوم في «دراسات في الأدب العربي» : 243–353 تحقيق إحسان عبّاس .

2 المثل «جار كجار أبي دواد» في مجمع الميداني 1 : 163 والدرة الفاخرة 1 : 130 .

3 صدر البيت : «إني كفاني من همّ هممت به» . والحذاقي : أبو دواد نسبة إلى حذاق قبيلته .

4 هائرة في ل : هاوية ، والهائرة : الحفرة .

لا يدفع السُّقْمَ إلاّ أنْ نُفَدِّيَـهُ ولو ملكنا مسكنا السُّقْم بالرّاحِ

[زوجته تحرّضه على إبعاد ابنه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الصباح قال : أخبرنا أبو المنذر ، عن أبيه قال : تزوّج أبو دُواد امرأة من قومه ، فولدت له دُواداً ثم ماتت ، ثم تزوّج أخرى ، فأولعت بدُواد ، وأمرت أباه أن يجفوَه ويبعده ، وكان يحبّها ، فلمّا أكثرت عليه قالت : أخرجه عنّي ، فخرج به وقد أردفه خلفه ، إلى أن انتهى إلى أرض جَرْداء ليس فيها شيء ، فألقى سوطه متعمداً ، وقال : أيْ دُواد ، انزل فناولني سَوْطي . فنزل ، فدفع بعيره وناداه : [من الكامل]

أدوادُ إن الأمر أصبح ما ترى فانظر دوادُ لأيّ أرض تَعْمِدُ ؟

فقال له دُواد : على رِسْلك . فوقف له فناداه : [من الكامل]

وبأيّ ظنّـك أن أُقيـمَ ببلدةٍ جرداءَ ليس بغيرهـا مُتَلَدَّدُ[1]

فرجع إليه وقال له : أنت والله ابني حقّاً ، ثم ردّه إلى منزله ، وطلّق امرأته .

[زوجه تلومه على تبديد المال]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن أبي عمرو الشيبانيّ قال : كانت لأبي دُواد امرأة يقال لها أُمّ حَبْتر ، وفيها يقول : [من الخفيف]

في ثلاثين ذعْذَعتهـا حقوقٌ أصبحـت أُمّ حَبترٍ تشكوني[2]

زعمـت لي بأنّني أُفسد المـا لَ وأزويه عـن قضاء ديوني

أمَّلت أن أكـون عبـداً لمالي وتَهَنّـا بنافـع المـال دوني

وهي طويلة . قال : ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يُعتبها ، فصرمته : [من مجزوء الكامل]

حاولـتُ حـين صَرَمْتِني والمرءُ يعجـز لا مَحالَهْ[3]

والدهـر يلعـب بـالفتى والدّهـر أروغُ من ثُعالَهْ[4]

---

1 تلدد : تلبث .

2 ذعذعتها : بددتها .

3 المثل «المرء يعجز لا محالة» في مجمع الميداني 2 : 309 وجمهرة العسكري 2 : 275 وفصل المقال : 299 ومستقصى الزمخشري 1 : 346 .

4 المثل «أروغ من ثعالة» في مجمع الميداني 1 : 317 والدرة الفاخرة 1 : 209 وجمهرة العسكري 1 : 473 ومستقصى الزمخشري 1 : 248 .

والمــرء يكسِب مالَــهُ والشُّحّ يُورِثُــهُ الكَلالَهْ
والعبـدُ يُقْـرع بـالعصا والحـرُّ تكفيـه المقالَهْ[1]
والسَّكْـت خير للفتـى فالحَيْنُ مـن بعض المقالَهْ

[وصّافو الخيل]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أبي عن إسحاق ، عن الأصمعيّ قال : ثلاثة كانوا يصفون الخيل ، لا يقاربهم أحد : طُفَيل ، وأبو دواد ، والجَعديّ . فأمّا أبو دُواد فإنّه كان على خيل المنذر بن النُّعمان بن المنذر . وأمّا طُفَيل فإنّه كان يركبها وهو أغرَل[2] إلى أن كبر . وأمّا الجعديّ فإنّه سمع ذكرها من أشعار الشعراء ، فأخذ عنهم .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدَّثني أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : أبو دُواد أوصف الناس للفرس في الجاهليّة والإسلام ، وبعده طُفَيل الغنويّ والنابغة الجعديّ .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن ابن الأعرابيّ قال : لم يصف أحد قَطُّ الخيل إلاّ احتاج إلى أبي دُواد ، ولا وصف الحمر إلاّ احتاج إلى أوس بن حَجَر ، ولا وصف أحد نعامة إلاّ احتاج إلى علقمة بن عَبَدة ، ولا اعتذر أحد في شعره إلاّ احتاج إلى النابغة الذبيانيّ .

[رأي في أشعر الناس]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال : حدَّثنا عُيينة بن المنهال قال : حدَّثنا شدّاد بن عبيد الله قال : حدَّثني عبيد الله بن الحرّ العَنَزيّ القاضي ، عن أبي عَرادة قال : كان عليّ صلوات الله عليه يُفْطِر الناسَ في شهر رمضان ، فإذا فرغ من العَشاء تكلّم ، فأقلّ وأوجز ، فأبلغ . فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس ، فقال عليّ عليه السلام لأبي الأسود الدُّؤَلي : قل يا أبا الأسود . فقال أبو الأسود ، وكان يتعصّب لأبي دُواد الإياديّ : أشعرهم الذي يقول : [من الخفيف]

ولقـد أغتـدِي يدافـعُ رُكني أَحْوَذِيٌّ ذو مَيْعَـة إضْريجُ[3]

1 المثل «العبد يقرع بالعصا . والحر تكفيه الإشارة» في مجمع الميداني 2 : 19 .
2 أغرل : صبي لم يختن .
3 الأحوذي : الذي يسوق الإبل بسرعة . وفي الديوان أجولي ، وهو الفرس الجوال السريع . الميعة : النشاط والسرعة . والاضريج : السريع .

مِخْلطٌ مِزْيَـلٌ مِكَـرٌّ مِفَـرّ مِنْفَح مِطْرَح سَبوحٌ خَروجُ[1]
سَلْهَـبٌ شَرْجَبٌ كأنَّ رِماحاً حَمَلَتْـه وفي السَّراة دُمـوجُ[2]

وكان لأبي الأسود رأي في أبي دُواد ، فأقبل عليّ على النّاس ، فقال : كلّ شعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد ، وغاية واحدة ، ومذهب واحد في القول ، لعلمنا أيُّهم أسبق إلى ذلك ، وكلّهم قد أصاب الذي أراد ، وأحسن فيه ، وإن يكن أحد فَضَلَهم ، فالذي لم يقل رَغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجْر ، فإنّه كان أصحّهم بادرة ، وأجودهم نادرة .

[إحجام الرواة عن رواية شعره]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أبيه ، عن إسحاق ، عن الأصمعيّ قال : كانت الرواة لا تروي شعر أبي دواد ولا عديّ بن زيد ، لمخالفتهما مذاهب الشعراء[3] ، قال : وكان أبو داود على خيل المنذر بن ماء السماء ، فأكثر وصفه للخيل .

[تبرك الإياديين بناقته الزباء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني ابن أبي الهَيذام قال : اسم أبي دواد الإياديّ جُوَيريّة بن الحجّاج . وكانت له ناقة يقال لها الزبّـاء ، فكانت بنو إياد يتبرّكون بها . فلمّا أصابتهم السنة تفرّقوا ثلاث فرق ، فرقة سلكت في البحر فهلكت ، وفرقة قصدت اليمن فسلِمت ، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل ، فنزلوا على الحارث بن همّام .

وكان السبب في ذلك أنّهم أرسلوا الزبّـاء ، وقالوا إنّها ناقة ميمونة ، فخلّوها ، فحيث توجّهت فاتّبعوها . وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعة . فخرجت تخوض العرب ، حتى بَرَكت بفناء الحارث بن هَمّام ، وكان أكرم الناس جواراً ، وهو جار أبي دواد المضروب به المثل . فقال أبو دواد يمدح الحارث ، ويذكر ناقته الزبّاء : [من الكامل]

---

1 المثل «مخلط مزيل» في مجمع الميداني 1 : 75 يضرب للذي يخالط الأمور ويزايلها . وفي وصف الفرس أنه يحسن الجري ويأتي بفنون منه . ورواية البيت في الديوان :
مِخلَـطٌ مِزيَـلٌ معـنّ مغـنّ مِطرحٌ مِضْرَجٌ جموحٌ خروج
والخروج : الذي يسبق الخيل فيخرج من بينها . والمعن : الذي لا يرى شيئاً إلاّ عارضه .

2 السلهب : الطويل من الخيل . والشرجب : الطويل القوائم أو الفرس الكريم الجواد . والسراة : الظهر . والدموج : الإحكام والملاسة .

3 انظر الشعر والشعراء : 154 وموشح المرزباني : 103 والحجة في ذلك أنّ ألفاظهما حيرية وليست بنجدية . ثم يورد ابن قتيبة لعدي «أربع قصائد غرر» . وواضح من السياق أنّ هذا الإهمال مردّه عدم استشهاد علماء اللغة بألفاظهما .

فإلى ابن هَمّامِ بن مُـرّة أصعدتْ ظُعـنُ الخليط بهـم فقـلّ زِيالُها
أنعمـتَ نِعمـةَ ماجـد ذي مِنة نُصِبَت عليـه مـن العُـلا أظلالُها
وجعلتنا دون الـوليّ فأصبحت زبّـاءُ منقطعـاً إليـك عِقالُها

[مفاخر إياد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثنا يحيى بن سعيد قال : كانت إيادُ تفخر على العرب ، تقول : منّا أجود الناس كعب بن مامة ، ومنّا أشعر النّاس أبو دواد ، ومنّا أنكح النّاس ابن ألْغَز .

[ابن ألغز]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال : حدَّثني القَحْذميّ قال : كان ابن ألْغَز أيِّرا ، فكان إذا أنعظ احتكّت الفِصال بأيره ، قال : وكان في إياد امرأة تستصغر أيور الرجال ، فجامعها ابن ألْغَزَ ، فقالت : يا معشر إياد ، أبالرُّكَب تجامعون النساء ؟ قال : فضرب بيده على أليتها وقال : ما هذا ؟ فقالت وهي لا تعقل ما تقول : هذا القمر . فضرب العربُ بها المثل : «أريها استَها وتريني القَمَر»[1] . وأنشد ، وقد كان الحجّاج مَنَع من لحوم البقر خوفاً من قِلّة العِمارة في السواد ، فقيل فيه : [من المتقارب]

شكونا إليـه خـرابَ السوادِ فحـرَّم فينـا لُحـومَ البَقَرْ
فكنّا كمَـن قـال مِنْ قبلنا أُريهـا استَهـا وتريني القَمَرْ

[رأى الحطيئة في أشعر الشعراء]

أخبرني عمّي عن الكرانيّ ، عن العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ بنحوه .

وأخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكرانيّ قال : حدَّثني العُمَريّ عن لقيط قال : أخبرني التّوزيّ عن أبي عبيدة قال : كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة ، فتذاكروا الشعراء ، وفضلوا بعضهم على بعض وهو ساكت ، فقال له : يا أبا مُلَيكة ما تقول ؟ فقال : ما ذكرتم والله أشعر الشعراء ، ولا أنشدتم أجود الشعر . فقالوا : فمَن أشعر الناس ؟ فقال الذي يقول : [من الخفيف]

لا أعدُّ الإقتار عُدمـا ولكن فقدُ مَـن قـد رُزِئته الإعْدامُ[2]

---

1 المثل «أريها استها وتريني القمر» في مجمع الميداني 1 : 291 وقرب منه «أريها السها وتريني القمر» في جمهرة العسكري 1 : 142–143 . ومستقصى الزمخشري 1 : 147 .

2 هكذا رواية الديوان ، وبداية الشطر الأول في ل «ليس عدم الأموال عدماً . . .» .

والشعر لأبي دواد الإياديّ . قالوا : ثم مَن ؟ قال : ثم عَبيد بن الأبرص . قالوا : ثم مَن ؟ قال : كفاكم والله بي إذا أخذَتْني رغبة أو رهبة ، ثم عَوَيْت في إثْر القوافي عُواء الفصيل في إثر أمّه .

[مباراة في وصف ثور]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، قال : حدَّثني عمِّي ، وأخبرنا أبو حاتم قال : أخبرنا الأصمعيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن هَجّاس بن مَرير الإياديّ ، عن أبيه ، وكان قد أدرك الجاهليّة ، قال : بينا أبو دُواد وزوجته وابنه وابنته على رَبوة ، وإيّاد إذ ذاك بالسواد ، إذ خرج ثور من أجمة ، فقال أبو دواد : [من مجزوء الكامل]

وبَدَتْ لـه أُذن توجَّـ ـسُ حُـرَّةٌ وأَحمُّ وارِدْ[1]
وقوائـمٌ عُـوجٌ لهـا من خلفها زَمَع زوائِدْ[2]
كمقاعـد الرُّقَبـاء للضُّـ ـرَباء أيديهـمْ نواهِدْ[3]

ثم قال : أنفِذِي يا أُمَّ دُواد ، فقالت : [من مجزوء الكامل]

وبَدَتْ لـه أُذن تَوَجَّـ ـسُ حُرَّة وأَحمُّ مُولَقْ[4]
وقوائـمٌ عُـوج لهـا مـن خلفها زَمَع مُعَلَّقْ
كمقاعـد الرقبـاء للضُّـ ـرَبـاء أَيديهـمْ تألَّقْ

ثم قال : أنفذْ يا دُواد . فقال : [من مجزوء الكامل]

وبـدت لـه أُذن تَوَجَّـ ـس حرّة وأحمّ مرهَفْ
وقوائـم عـوج لهـا مـن خلفها زمع ملفَّفْ
كمقاعـد الرقبـاء للضَّـ ـرباء أيديهـمْ تَلَقَّفْ

ثم قال : أنفذي يا دوادة[5] . قالت : وما أَقول مع مَن أخطأ . قالوا : ومن أين أخطأناه ؟ قالت : جعلتم له قرناً واحداً ، وله قرنان . قالوا : فقولي . قالت : [من مجزوء الكامل]

وبـدت لـه أُذن تَوَجَّـ ـسُ حـرّة وأَحَمّتانْ

---

1 توجس : تستمع إلى الصوت الخفي . وحرة : مرهفة السمع . والأحم : القرن الأسود .
2 الزمغ : الشعر الذي في مؤخرة رجلَي الحيوان ، الواحدة زمعة .
3 الرقباء : الذين يرقبون القداح . والضرباء : الذين يضربونها .
4 مولق في ل : مذلق .
5 ل : دبادبة .

وقوائـــمٌ عُــوجٌ لهــا   مــن خلفهــا زَمَع ثَمانْ
كمقاعــد الرقبـــاء للضَّ   ـــرباء أَيديهـــمْ دَوانْ

[قتل رقبة البهراني أولاد أبي دواد الثلاثة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : أخبرني عمِّي عن العبّاس بن هشام ، عن أبيه قال : كان أبو دُواد الإياديّ الشاعر جاراً للمنذر بن ماء السماء . وإنّ أبا دواد نازع رجلاً بالحِيرة من بهْراء ، يقال له رَقَبة بن عامر بن كعب بن عمرو ، فقال له رقبة : صالحني وحالفني[1] . فقال أبو دواد : فمن أين تعيش إياد إذاً ، فوالله لولا ما تصيب من بَهْراء لهلكت ، وانصرفا على تلك الحال .

ثم إنّ أَبا دواد أُخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام ، فبلغ ذلك رَقَبة البَهْرانيّ ، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر ، وأخبرهـم أنّ القوم ولدُ أبي دواد ، فخرجوا إلى الشام ، فلَقُوهم فقتلوهم . وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة ، فلمّا أتته الرؤوس صنع طعاماً كثيراً ، ثم أتى المنذر ، فقال له : قد اصطنعت لك طعاماً كثيراً ، فأنا أُحبّ أن تتغدّى عندي ، فأتاه المنذر وأبو دواد معه ، فبينا الجِفان تُرفع وتوضع ، إذ جاءته جفنة عليها بعض[2] رؤوس بني أبي دُواد ، فوثب وقال : أَبيت اللعن ! إنّي جارك ، وقد ترى ما صُنع بي ، وكان رقبة أيضاً جاراً للمنذر . فوقع المنذر منهما في سَوْأة ، وأمر برقبة فحبس ، وقال لأبي دواد : أما يرضيك توجيهي بكتِيبتيّ الشهباء والدَّوسر إليهم ؟ قال : بلى . قال : قد فعلت . فوجّه إليهم بالكتيبتين .

فلمّا بلغ ذلك رقَبة قال لامرأته : ويْحَك ! الحقي بقومك فأنذريهم . فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته ، ثم خرجت حتى أتت قومها ، فلمّا قربت منهم تعرّت من ثيابها ، وصاحت وقالت : أنا النذيرُ العُرْيان[3] . فأرسلتها مثلاً . فعرف القوم ما تريد ، فصعدوا إلى أعالي الشام ، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحداً ، فقال المنذر لأبي دُواد : قد رأيتَ ما كان منهم ، وأنا أدِي كلّ ابن لك بمئتي بعير ، فأمر له بستّ مئة بعير ، فرضي بذلك ، فقال فيه قيس بن زهير العبسيّ :   [من الوافر]

سأفعل مــا بــدا لِيَ ثـم آوي   إلى جــارٍ كجــار أبي دُوادِ

1 ل : خالصني .
2 ل : أحد .
3 المثل «أنا النذير العريان» في مجمع الميداني 1 : 48 والفاخر : 84 .

صوت

[من الطويل]

ورَكْب كأطـراف الأسنّة عرّسوا   على مثلهـا والليلُ داج غياهبُـهْ[1]
لأَمْــرٍ عليهــم أن تتـمّ صدورُه   وليس عليهــم أن تتــمّ عواقبُـهْ

الشعر لأبي تمام الطائي . والغناء للقاسم بن زُرْزور ، ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر . وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل .

أخبرني : إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه ، وحدَّثني المظفر بن كَيَغْلَغَ عن القاسم أيضاً : أنّ المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقّة في رقعة ، وهو أمير ، وأمر أن يصنع فيهما لحن . فصنع القاسم هذا اللحن ، وصنع جعفر خفيف الثقيل .

1 داج في، ل وديوان أبي تمام : تسطو .

[339] ـ أخبار أبي تمام ونسبه[1]

[مذهبه في الشعر]

أبو تمام حبيب بن أوس الطائيّ ، من نفس طَيِّىء صَلِيبة . مولده ومنشؤه مَنْبج ، بقرية منها يقال لها جاسِم . شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعاني ، غَوَّاص على ما يُستصعب منها ، ويعسُر مُتناوله على غيره . وله مذهب في المطابَق ، هو كالسابق إليه جميع الشعراء ، وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه ، والسوك في جميع طرقه . والسليمُ من شعره النادر شيء لا يتعلّق به أحد . وله أشياء متوسطة ، ورديئة رَذْلة جدّاً .

[المتعالمون الذامون لشعره]

وفي عصرنا هذا مَن يتعصّب له فيفرِط ، حتى يفضلَه على كلّ سالف وخالف ، وأقوام يتعمَّدون الرديء من شعره فينشرونه ، ويطوون محاسنه ، ويستعملون القِحَة والمكابرة في ذلك ، ليقول الجاهل بهم : إنّهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزَه إلاّ بأدب فاضل ، وعلم ثاقب . وهذا ممّا يتكسّب به كثير من أهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثَلْب الناس ، وطلب معايبهم ، سبباً للترفُّع ، وطلباً للرياسة . وليست إساءة من أساء في القليل ، وأحسن في الكثير ، مُسْقطةً إحسانه ؛ ولو كَثُرَت إساءته أيضاً ثم أحسن ، لم يُقَلْ له عند الإحسان أسأت ، ولا عند الصواب أخطأت ، والتوسّط في كلّ شيء أجمل ، والحقّ أحقّ أن يتّبع .

[شعر الرجل بمنزلة أولاده]

وقد رُوِي عن بعض الشعراء أنّ أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها ، إلاّ في بيت واحد ، فقال له : يا أبا تمام ، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب . فقال له : أنا والله أعلم منه مثلَ ما تعلم ، ولكن مَثَل شعر الرجل عنده مَثَلُ أولاده ، فيهم الجميل والقبيح ، والرشيد والساقط ، وكلّهم حلو في نفسه ، فهو وإن أحبّ الفاضل ، لم يبغض الناقص ، وإن هَوِيَ بقاء المتقدّم ، لم يهوَ موت المتأخّر .

1 ترجمة أبي تمام في «أخبار أبي تمام» للصوليّ وطبقات ابن المعتز : 282–286 ووفيات الأعيان 2 : 11–26 وتاريخ بغداد 8 : 248 وتهذيب ابن عساكر 4 : 18 وقد كتب فيه الآمدي كتاب «الموازنة» بينه وبين البحتري ، وفي التذكرة الحمدونية جانب كبير من أخباره وشعره (انظر الفهرس) . وقد طبع ديوانه عدة مرات ، ونشير إلى طبعة مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني (بيروت) .

واعتذاره بهذا ضِدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق ، حيث يقول[1] : [من الكامل]

جاءتكَ مـن نظم اللسان قِلادَةٌ سِمطانِ فيهـا اللؤلـؤُ المكنونُ
أحْذَاكَهـا صَنَـعُ اللّسان يُمـدُّه جَفْـرٌ إذا نَضَـبَ الكلامُ مَعِينُ[2]
ويُسيءُ بالإحسان ظنّـاً لا كمَن هـو بابنـه وبشعـره مفتـونُ

[المفضلون له أعلم من الطاعنين عليه]

فلو كان يسيء بالإساءة ظنّاً ولا يفتتن بشعره ، كنّا في غِنًى عن الاعتذار له .

وقد فضَّل أبا تمام من الرؤساء والكُبراء والشعراء ، مَن لا يَشُقُّ الطاعنون عليه غُبارَه ، ولا يدركون ، وإن جَدُّوا ، آثاره ، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتَهوا له في جيِّده نظيراً ولا شكلاً ؛ ولولا أنّ الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه ، وأكثر متعصّبوه الشرح لجيد شعره ، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه ، والتنبيه على رَذْله ودنيئه ، لذكرت منه طَرَفاً ، ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه .

[من المعجبين بشعره]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أبي قال : سمعت محمد بن عبد الملك الزيّات يقول : أشعر النّاس طُرّاً الذي يقول[3] : [من البسيط]

ومـا أُبـالي وخيرُ القـولِ أصدقُهُ حقنتَ لي ماء وجهي أو حقَنتَ دمي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العبّاس[4] ، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب ، فجلست إليه ، وكنت أجري عنده مَجْرى الوَلد ، فقلت له : مَنْ أشعر أهل زماننا هـذا ؟ فقـال : الذي يقول[5] : [من الكامل]

مطـر أبـوك أبـو أهلةَ وائلٍ مـلأ البسيطـةَ عُـدَّةً وعَديدا
نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضُّحى نُـوراً ومـن فَلَق الصباح عَمُودا
ورثـوا الأُبوَّة والحظوظَ فأصبحوا جمعوا جُدودا في العلا وجُدودا

فاتفقا على أن أبا تمّام أشعر أهل زمانه .

---

1 من قصيدة طويلة في ديوانه : 292 .
2 اللسان في ل والديوان : الضمير .
3 ديوانه : 256 .
4 هو إبراهيم بن العبّاس الصولي من كبار الكتّاب والشعراء في الدولة . وقد أورد أبو الفرج ترجمة له في الأغاني 10 : 36 .
5 ديوانه : 80 .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ ، وعليّ بن سليمان الأخفش قالا : حدَّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال : قدِم عُمارة بن عَقيل بغداد ، فاجتمع الناس إليه ، فكتبوا شعره وشعر أبيه ، وعرضوا عليه الأشعار . فقال بعضهم : هاهنا شاعر يزعم قوم أنّه أشعر الناس طُرًّا ، ويزعم غيرهم ضدّ ذلك . فقال : أنشدوني قوله . فأنشدوه[1] : [من الطويل]

غَدَتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نَوى غَدِ   وعادَ قَتاداً عندها كلُّ مَرقَدِ
وأنقذها من غَمرة الموت أنَّهُ   صُدودُ فراقٍ لا صدودُ تَعَمُّدِ
فأجرى لها الإشفاقُ دمعاً مُوَرَّدا   من الدّمِ يجري فوق خدّ مُوَرَّدِ
هِيَ البدرُ يغنيها تودُّدُ وجهِها   إلى كلِّ مَن لاقتْ وإن لَم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد . فقال له عُمارة : زِدنا من هذا . فوصل نشيدَه وقال :

ولكنّني لم أحوِ وَفْراً مُجَمَّعا   ففزْتُ به إلاّ بشَمْلٍ مُبَدَّدِ
ولم تُعْطني الأيّام نوماً مُسَكَّنا   أَلَذُّ به إلاّ بنوم مُشَرَّدِ

فقال عمارة : لله دَرُّه ! لقد تقدّم في هذا المعنى مَن سبقه إليه ، على كثرة القول فيه ، حتى لقد حَبَّب إليّ الاغتراب ، هِيه . فأنشده :

وطولُ مُقام المرء في الحيّ مُخْلِقٌ   لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ
فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدت محبّةً   إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهمْ بسرْمَدِ

فقال عُمارة : كَمَلَ والله ، لئن كان الشعر بجودة اللفظ ، وحسن المعاني ، واطراد المراد ، واتّساق الكلام ، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال : سمعت عليّ بن الجَهْم يصِف أبا تمّام ويفضله ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا . فقال : إن لم يكن أخا بالنسب ، فإنّه أخ بالأدب والمودّة ؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول[2] : [من الكامل]

إنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخاء فإنّنا   نغدو ونسري في إخاء تالدِ
أو يختلفْ ماء الوِصال فماؤنا   عذبٌ تحدَّرَ من غمام واحدِ

1 ديوانه : 90 .
2 ديوانه : 78 .

أو يفترقْ نسبٌ يؤلفْ بيننا   أدبٌ أقمناه مَقامَ الوالدِ

[دعبل يدّعي سرقة معانيه]

أخبرني محمد قال : حدَّثني هارون بن عبد الله المهلّبيّ قال : كنّا في حَلْقة دِعْبل ، فجرى ذكر أبي تمّام ، فقال دعبل : كان يتتبّع معانيّ فيأخُذها . فقال له رجل في مجلسه : وأيّ شيء من ذلك ، أعزّك الله ؟ قال : قولي[1] : [من الطويل]

وإن امرءاً أَسْدى إليّ بشافع   إليه ويرجو الشكرَ منّي لأحمقُ
شفيعَك فاشكر في الحوائج إنّه   يصونُك عن مكروهِها وهو يَخْلُقُ

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمّام ؟ فقال : قال[2] : [من الكامل]

فلقيتُ بين يديك حُلْوَ عَطائِهِ   ولقيت بين يديَّ مُرَّ سُؤالِهِ
وإذا امْرؤٌ أسدى إليكَ صَنيعةً   من جاهه فكأنّها من مالِهِ

فقال له الرجل : أحسن والله . فقال : كذبتَ قَبّحكَ الله . فقال : والله لئن كان أخذه منك . لقد أجاد ، فصار أولى به منك . وإن كنت أخذتَه منه فما بلغتَ مَبلَغه . فغضب دِعبل وانصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن جرير قال : سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدّم أبا تمام ويفضّله ، ويقول : لو لم يقل إلاّ مَرْثيّته التي أوّلها :

أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا

وقوله[3] : [من الكامل]

لو يقدرون مَشَوْا على وَجَناتهم   وجباهِهم فضلاً عن الأقدامِ

لكفتاه .

[إعجاب عمارة بن عقيل بشعره]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : كان عُمارة بن عَقيل عندنا يوماً ، فسمع مؤدِّباً كان لولد أخي يُرَوِّيهم قصيدة أبي تمام :

الحق أبلج والسيوف عَوارِ

---

1 ديوان دعبل (نجم) : 112 .
2 ديوان أبي تمام (عزام) 3 : 60 .
3 ديوانه : 245 وفيه «وعيونهم» بدلاً من «وجباههم» .

فلمّا بلغ إلى قوله[1] : [من الكامل]

سُودُ اللباسِ كأنّما نَسَجَت لهم ... أيـدي السَّموم مَدارِعا من قارِ
بَكَروا وأَسْرَوا في مُتون ضوامرٍ ... قِيدَت لهـم مـن مَرْبـط النَّجارِ
لا يَبرحون ومَـن رآهـم خالهـم ... أبـداً عـلى سَفَـرٍ مـن الأَسفارِ

فقال عمارة : لله درّه ! ما يعتمد معنى إلاّ أصاب أحسنه ، كأنّه موقوف عليه .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني أبو ذكوان قال : قال لي إبراهيم بن العبّاس : ما اتّكلتُ في مكاتبتي قطُّ إلاّ على ما جاش به صدري ، وجلبه[2] خاطري ، إلاّ أنّي قد استحسنت قول أبي تمام[3] : [من الطويل]

فإن باشَرَ الإصحارَ فالبِيضُ والقنا ... قِـراهُ وأَحواضُ المنايـا مَناهلُهْ[4]
وإن يَبـنِ حِيطانـاً عليـهِ فإنّما ... أولئـك عُقّالاتُـهُ لا مَعاقلُهْ[5]
وإلاّ فأعلمه بأنّـك ساخـطٌ ... عليه ، فإنّ الخوف لا شكّ قاتِلُهْ

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي ، فقلت : «فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم ، وما كان يَعقلهم يعتقلهم» . قال : ثم قال لي إبراهيم : إنّ أبا تمّام اختُرِم وما استمتع بخاطره ، ولا نزحَ رَكِيَّ[6] فكره ، حتى انقطع رِشاءُ عمره .

أخبرني محمد قال : حدَّثني أبو الحسين بن السخيّ قال : حدَّثني الحسين بن عبد الله قال : سمعت عمِّي إبراهيم بن العبّاس يقول لأبي تمّام ، وقد أنشد شعراً له في المعتصم : يا أبا تمام ، أمراء الكلام رَعِيّة لإحسانك .

أخبرني محمد قال : حدَّثني هارون بن عبد الله قال : قال لي محمد بن جابر الأزديّ ، وكان يتعصّب لأبي تمّام : أنشدت دِعبلَ بن عليّ شعراً لأبي تمّام ولم أعلمه أنّه له ، ثم قلت له : كيف تراه ؟ قال : أحسنُ من عافيةٍ بعد يأس . فقلت : إنّه لأبي تمام . فقال : لعلّه سرقه !

[اقتسام الشعراء الجوائز بعد موته]

أخبرني محمد قال : حدَّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه قال : ما كان أحد من الشعراء

1 ديوانه : 136–137 .
2 ل : واجتلبه .
3 ديوانه : 204 .
4 الإصحار : البروز إلى الصحراء .
5 العقالات : الحبوس والقيود . والمعاقل : جمع معقل وهو الملجأ .
6 الركي : البئر .

يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام ، فلمّا مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه .

[شعراء خراسان يعجبون به]

أخبرني عمّي والحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا ، وأظنّ أيضاً جَحظة حدَّثنا به ، قالوا : حدَّثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : لّما قدِم أبو تمّام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه ، وسألوه أن ينشدهم ، فقال : قد وعدني الأمير أن أنشده غداً ، وستسمعوني . فلمّا دخل على عبد الله أنشده[1] : [من الطويل]

أهــنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبُهْ فعزماً فقِدمــاً أدرك السُّؤلَ طالبُهْ

فلمّا بلغ إلى قوله :

وقلقلَ نــأيٌ من خراسان جأْشَها فقلت اطمئنّي أنضرُ الروض عازبُهْ[2]

وركب كأطراف الأسنّـة عَرَّسُوا على مثلهـا والليـل تسطو غياهِبُهْ

لأمـر عليهـم أن تتـمّ صُدورُه وليس عليهـم أن تتـمّ عواقبُهْ

فصاح الشعراء بالأمير أبي العبّاس : ما يستحقّ مثلَ هذا الشعر غيرُ الأمير أعزّه الله ! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحيّ : لي عند الأمير أعزّه الله جائزة وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير . فقال له : بل نضعفها لك ، ونقوم له بما يجب له علينا . فلمّا فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار ، فلقطها الغِلمان ، ولم يمسَّ منها شيئاً ، فوجَد عليه عبد الله وقال : يترفّع عن بِرّي ، ويتهاون بما أكرمته به . فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك .

[إعجاب أبي دلف به]

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمّي ، عن الحَزَنْبَل ، عن سعيد بن جابر الكرخيّ ، عن أبيه : أنّه حضر أبا دلَف القاسمَ بن عيسى وعنده أبو تمّام الطائيّ ، وقد أنشده قصيدته[3] : [من الطويل]

عـلى مثلهــا مـن أربعٍ وملاعبِ أُذيلَتْ مصُونات الدموع السواكبِ

فلمّا بلغ إلى قوله :

إذا افتخرتْ يوماً تميـم بقوسِها وزادت على ما وطَّدت من مَناقِبِ[4]

---

1 ديوانه : 43 .
2 العازب : الكلأ البعيد المطلب .
3 ديوانه : 41–42 .
4 ل : ما أنبتت .

فأنتم بـذي قـارٍ أمالتْ سُيوفُكم عُروش الذين استُرْهِنوا قوسَ حاجبِ
محاسنُ مـن مجـد متى تَقْرُنوا بها محاسن أقـوامٍ تكـن كالمعايبِ

فقال أبو دُلَف : يا معشَر ربيعة ، ما مدحتم بمثل هذا الشعر قطّ ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يَرْمون بها إليه . فقال أبو دُلَف : قد قبلَها وأعاركم لبْسها ، وسأنوب عنكم في ثوابه . تمّم القصيدة يا أبا تمام . فتمّمها ، فأمر له بخمسين ألف درهم . وقال : والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك . فاعذرنا ، فشكره وقام ليقبِّل يده ، فحلف ألاّ يفعل ، ثم قال له : أنشدني قولك في محمد بن حُميد[1] : [من الطويل]

ومـا مات حتى ماتَ مَضْرِب سيفهِ من الضربِ واعتلت عليه القنا السُّمْرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردّه إليـه الحفاظ المرُّ والخُلُقُ الوعْرُ
فأثبت في مستنقَع المـوت رجلَه وقال لها من تحت أخْمُصِكِ الحشْرُ
غـدا غَدوةً والحمد نَسْجُ ردائِهِ فلم ينصرف إلاّ وأكفانـه الأَجْرُ
كأن بنـي نَبهـانَ يـوم مُصابِهِ نجومُ سماء خرَّ من بينها البدْرُ
يُعَزَّوْن عن ثـاوٍ يُعزَّى بـه العُلى ويبكي عليه البأسُ والجود والشعْرُ

فأنشده إيّاها ، فقال : والله لوددت أنّها فيّ . فقال : بل أفدّي الأميرَ بنفسي وأهلي ، وأكونُ المقدم قبله ، فقال : إنّه لم يمت مَن رُثي بهذا الشعر ، أو مثله .

[مدحه الواثق بن أبي دواد]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال : حدَّثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال : قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد : بلغني أنّك أعطيتَ أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألفَ دينار . قال : لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكنّي أعطيته خمسمائة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم[2] : [من الكامل]

فاشدُدْ بهارونَ الخلافـةَ إنّه سَكَـنٌ لوَحشتها ودارُ قَرارِ
ولقد علمت بأنّ ذلك مِعْصَمٌ مـا كنتَ تتركـه بغير سوارِ

فابتسم وقال : إنّه لحقيق بذلك .

[مدحه خالد بن يزيد الشيباني]

أخبرني علي بن سليمان قـال : حدَّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال : خرج أبو تمام إلى

1 ديوانه : 328–329 .
2 ديوانه : 137 .

خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأرْمِينية ، فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره ، وقال : تكون العشرة الآلافِ موفورة ، فإن أردت الشخوص فاعجل ، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحِباء والبرّ . قال : بل أُشخص . فودّعه ؛ ومضت أيّام ، وركب خالد يتصيّد ، فرآه تحت شجرة ، وبين يديه زُكرة[1] فيها شَراب ، وغلام يغنّيه بالطُّنبور . فقال : أبو تمّام ؟ قال : خادمك وعبدك . قال : ما فعل المال ؟ فقال[2] : [من المنسرح]

عَلَّمنـي جـودُكَ السماحَ فمـا ... أبقيت شيئاً لـديّ مـن صِلَتكْ
مـا مـرَّ شهر حتـى سمحتُ به ... كـأنّ لي قـدرةً كمقـدُرتِكْ
تُنفق في اليوم بالهبات وفي السـ ... ـاعـة مـا تجتنيه في سَنَتِكْ
فلستُ أدري مـن أين تنفق لـو ... لا أنّ ربّـي يَمُـدُّ في هبتكْ[3]

فأمر له بعشرة أخرى ، فأخذها وخرج .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا عون بن محمد الكنديّ قال : حدَّثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقيّ ، وكان يكتب للحسن بن رجاء ؛ قال : قَدِم أبو تمّام مادحاً للحسن بن رجاء ، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره ، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللاميّة التي امتدحه بها ، فلمّا انتهى إلى قوله[4] : [من الكامل]

أنا مَن عَرَفْتَ فإن عرتكَ جَهالة ... فأنـا المقيـمُ قِيامَـة العُذّالِ[5]
عـادتْ لـه أيّامـه مُسْودَّة ... حتـى توهّـم أنّهـنّ ليالِ

فقال الحسن : والله لا تسْوَدُّ عليك بعد اليوم . فلمّا قال : [من الكامل]

لا تنكري عَطَل الكريمِ من الغِنى ... فالسيـل حـربٌ للمكان العالي
وتنظَّـري حَيْـث الركابُ ينصُّها ... محيـي القريض إلى مميـت المالِ

فقام الحسن بن رجاء على رجليه ، وقال : والله لا أتممتَها إلاّ وأنا قائم . فقام أبو تمّام لقيامه ، وقال : [من الكامل]

1 زكرة : وعاء من جلد للخمر .
2 لم نعثر على هذه الأبيات في أي من طبعات ديوانه .
3 يمد في ل : يزيد .
4 ديوانه : 217-218 .
5 الديوان : أنا ذو عرفت . . . وهي بمعنى الذي في لغة طيىء .

لمّا بلغنا ساحةَ الحَسَن انقضى عنّا تملُّكُ دولةِ الإمحالِ[1]
بسَطَ الرجاءَ لنا برغْم نوائبٍ كَثُرَتْ بهنّ مصارعُ الآمالِ[2]
أغلى عذارى الشعر إنّ مُهورَها عند الكرام وإن رَخُصْن غَوالِ
تَرِدُ الظُّنونُ بنا على تصديقها ويُحَكِّمُ الآمالَ في الأَموالِ
أضحى سميُّ أبيك فيك مصدِّقاً بأجلّ فائدة وأيمن فالِ
ورأيتَني فسألتَ نفسك سَيبَها لي ثم جُدْت وما انتظرتَ سؤالي
كالغيث ليس له ، أُريد غمامه أو لم يرد ، بُدٌّ من التَّهطالِ[3]

فتعانقا وجلسا . فقال له الحسن : ما أحسن ما جَلَوت هذه العروس ! فقال : والله لو كانت من الحُورِ العِين لكان قيامك لها أوفى مُهورها .

قال محمد بن سعد : وأقام شهرين ، فأخذ على يدِي عشرة آلاف درهم ، وأخذ غير ذلك مّما لم أعلم به ؛ على بخل كان في الحسن بن رجاء .

[اعتذار دعبل]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدّثني عون بن محمد قال : شهدت دِعبلاً عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام ، فاعترضه عِصابةُ الجَرْجَرائيّ ، فقال : يا أبا عليّ ، اسمع منّي ما قاله ، فإن أنت رضيته فذاك ؛ وإلاّ وافقتك على ما تذمُّه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألاّ ترضاه ، ثم أنشده قوله[4] : [من الطويل]

أمَا إنّه لولا الخليطُ المودِّعُ ومغنًى عفا منه مَصيفٌ ومَرْبَعُ

فلمّا بلغ إلى قوله :

هو السيلُ إن واجهته انقدْتَ طَوْعَه وتقتادُه من جانبيه فيَتبَعُ
ولم أَرَ نفعاً عند مَن ليس ضائراً ولم أَرَ ضَرّاً عند مَن ليس ينفعُ
مَعادُ الورى بعد الممات وسيبُه معادٌ لنا قبل المماتِ ومَرجعُ

فقال له دِعبل : لم ندفع فضلَ هذا الرجل ، ولكنّكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه على مَن يتقدّمه ، وتنسُبون إليه ما قد سرقه . فقال له عصابة : إحسانه صيرك له عائباً ، وعليه عاتباً .

---

1 بلغنا في الديوان : وردنا .
2 بسط في الديوان : أحيا .
3 غمامه في الديوان : نواله .
4 ديوانه : 167–169 .

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثنا الحسن بن وَداع كاتب الحسن بن رَجاء قال : حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده[1] : [من الكامل]

أَسْقى ديارَهُمُ أجشُّ هَزيمُ وغدتْ عليهِمْ نضرةٌ ونعيمُ[2]

قال : فلمّا فرغَ أمر له بألفِ دينار ، وخَلَع عليه خِلعة حسنة ، وأقمنا عنده يومنا ، فلمّا كان من غَد كتب إليه أبو تمّام[3] : [من الخفيف]

قد كسانا من كُسوةِ الصيف خِرْقٌ مكتسٍ من مَكارم ومَساعِ[4]
حُلَّةً سابريَّة ورِداءً كسَحا القِيض أو رداء الشُّجاعِ[5]
كالسَّراب الرَّقْراق في الحسن إلاّ أنّه ليس مثلَه في الخِداعِ[6]
قَصَبِيّاً تسترجِفُ الريحُ مَتنيـ ـه بأمرٍ من الهُبوبِ مطاعِ
رَجَفاناً كأنّه الدّهرَ منه كبِدُ الضَّبِّ أو حشا المُرْتاعِ
لازماً ما يليه تحسبه جُزْ ءاً من المَتْنَيْنِ والأضلاعِ
يَطردُ اليومَ ذا الهَجير ولو شُبِّـ ـهَ في حرِّه بيوم الوَداعِ
خِلعةً من أغرَّ أرْوَعَ رَحْب الصَّـ ـدر رحب الفؤاد رحْب الذراعِ
سوف أكسوك ما يُعَفِّي عليها من ثَناء كالبُرد بُرْدِ الصَّناعِ[7]
حسن هاتيكَ في العيون وهذا حسنه في القلوب والأسماعِ

فقال محمد بن الهيثم : ومَن لا يُعْطِي على هذا مُلكه ؟ والله لا بقي في داري ثوب إلاّ دفعته إلى أبي تمام ، فأمر له بكلّ ثوب كان يملكه في ذلك الوقت .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمّي الفضل قال : لمّا شَخَص أبو تمّام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، أقبل الشتاء وهو هناك ، فاستثقل البلدَ ، وقد كان عبد الله وجَد عليه ، وأبطأ بجائزته ، لأنّه نثر عليه ألف دينار فلم يَمْسَسها بيده ، ترفّعاً عنها ، فأغضبه

1 ديوانه : 264 .
2 ديارهم في الديوان : طلولهم .
3 ديوانه : 172 .
4 الخرق : السخي .
5 السابرية من الثياب : الجيدة الرقيقة النسج .
6 الحسن في الديوان : في النعت .
7 يعفي عليها : يفوقها في القيمة .

وقال : يحتقر فِعلي ، ويترفّع عليّ . فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت ، فقال أبو تمّام[1] : [من البسيط]

لم يبقَ للصيف لا رسمٌ ولا طَلَلُ ... ولا قشيبٌ فَيُستَكْسى ولا سَمَلُ[2]
عدلٌ من الدّمع أن يُبْكى المَصيفُ كما ... يُبْكى الشبابُ ، ويُبْكى اللهوُ والغَزلُ
يُمْنى الزمانِ انقضى معروفُها وغَدَتْ ... يُسْراه وهْي لنا من بعدها بَدَلُ

فبلغت الأبيات أبا العَمَيْثل شاعرَ آل عبد الله بن طاهر ، فأتى أبا تمّام ، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر ، وعاتبه على ما عَتَب عليه من أجله ، وتضمَّن له ما يُحِبّه . ثم دخل إلى عبد الله ، فقال : أيّها الأمير ، أتتهاون بمثل أبيَ تمّام وتجفوه ؟ فوالله لو لَم يكن له ما له من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شرّه ، والتوقّي لذمّه ، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السَّكَن ، وقد قصدك عاقداً بك أمَلَه ، مُعملاً إليك ركابه ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك ما يُلزِمُك قضاء حقّه ، حتى ينصرف راضياً ؛ ولو لم يأت بفائدة ، ولا سُمِع فيك منه ما سُمِع إلاّ قوله[3] : [من البسيط]

تقولُ في قُومَسٍ صحبي وقد أخذتْ ... منّا السُّرى وخُطا المهريّة القُودِ[4]
أمَطْلعَ الشمس تبغي أن تؤمَّ بنا ... فقلت كَلاّ ولكن مَطْلِع الجودِ

فقال له عبد الله : لقد نَبَّهْتَ فأحسنت ، وشفعت فَلَطُفْت ، وعاتبت فأوْجَعت ، ولك ولأبي تمام العُتْبيّ ، ادعُه يا غلام . فدعاه ، فنادمه يومه ، وأمر له بألفَي دينار ، وما يحمله من الظَّهْر ، وخلَع عليه خِلْعة تامّة من ثيابه ، وأمر ببذْرَقَته[5] إلى آخر عمله .

[التقاطه المعاني]

أخبرني جَحْظة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : مرَّ أبو تمّام بمخنَّث يقول لآخر : جئتك أمسِ فاحتجبت عنّي ، فقال له : السماء إذا احتجبت بالغيم رُجِّي خيرُها . فتبيّنتُ في وجه أبي تمّام أنّه قد أخذ المعنى ، ليضمنه في شعره ، فما لبِثنا إلاّ أيّاماً

1 ديوانه : 377 .
2 القشيب : الجديد . وفيستكسى في ل : فيسلبني . والسمل : البالي .
3 ديوانه (عزام) 2 : 132 .
4 السرى في ل : الفلا .
5 بذرقته : حراسته .

حتى أُنْشِدت قوله[1] : [من البسيط]

ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لي أملاً   إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتَجِبُ

[دعبل يتّهمه بسرقة قصيدة]

أُخبرني أبو العبّاس أحمد بن وصيف ، وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهانيّ ابن عمّي ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : كنّا عند دِعْبل أنا والقاسم ، في سنة خمس وثلاثين ومئتين ، بعد قدومه من الشام ، فذكرنا أبا تمام ، فثلبه ، وقال : هو سَروق للشعر . ثم قال لغلامه : يا ثقيف ، هات تلك[2] المِخلاة . فجاء بمخلاة فيها دفاتر ، فجعل يُمِرُّها على يده ، حتى أخرج منها دَفتراً ، فقال : اقرءوا هذا . فنظرنا فيه ، فإذا فيه : قال مُكْنِف أبو سُلْمى ، من ولد زهير بن أبي سُلْمى ، وكان هجا ذُفافة العَبْسيّ بأبيات منها : [من البسيط]

إنّ الضُّراطَ به تصاعَد جَدُّكم   فتعاظموا ضَرْطاً بني القَعقاعِ

قال ثم مات ذُفافة بعد ذلك ، فرثاه فقال : [من الطويل]

أبعدَ أبي العبّاس يُسْتعذَبُ الدّهرُ   فما بعده للدّهر حسنٌ ولا عُذْرُ
ألا أيُّها الناعي ذُفافةَ والنّدى   تَعِسْت وشَلَّت من أَناملك العشرُ
أَتنعى لنا مِنْ قيس عيلانَ صَخرة   تفلَّق عنها من جبال العِدا الصخرُ
إذا ما أَبو العبّاس خَلَّى مكانه   فلا حَمَلتْ أنثى ولا نالَها طُهْرُ
ولا أُمطرتْ أرضاً سماءٌ ولا جرتْ   نجومٌ ولا لَذَّتْ لشاربها الخمرُ
كأنّ بني القعقاع يوم مُصابِهِ   نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ
تُوُفِّيتِ الآمالُ يومَ وفاتِهِ   وأُصبح في شُغْلٍ عن السَّفْر السفْرُ

ثم قال : سرق أبو تمّام أكثر هذه القصيدة ، فأدخلها في قصيدته : [من الطويل]

كذا فليجِلَّ الخطبُ ولْيفدَحِ الأَمرُ   وليسَ لعين لم يَفضْ ماؤُها عُذْرُ

[مداعبة بينه وبين الحسن بن وهب]

أُخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني محمد بن موسى قال : كان أَبو تمّام يعشق غلاماً خَزَرِيّاً للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشّق غلاماً روميّاً لأبي تمّام . فرآه أبو تمّام يوماً يعبث

1 ديوانه : 26 .

2 ل : ويلك .

بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقتَ[1] إلى الروم ، لنركُضَنّ إلى الخزَر . فقال له الحسن : لو شئتَ حكَّمتنا واحتكمت . فقال أبو تمّام : أنا أشبهك بداود عليه السلام ، وأشبه نفسي بخصمه ، فقال الحسن : لو كان هذا منظوماً خفناه ، فأمّا وهو منثور فلا ، لأنّه عارِض لا حقيقة له ، فقال أبو تمّام[2] : [من البسيط]

أبـا عـلـيٌّ لصرفِ الدّهرِ والغِيَرِ ... وللحـوادث والأيّـامِ والعِبَرِ
أذكرتني أمر داود وكنتُ فتًـى ... مُصرَّف القلب في الأهواء والفِكَرِ
أعندك الشمس لم يَحظَ المغيبُ بها ... وأنت مضطربُ الأحشاء للقمَرِ
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى ... جـآذر الرومِ أعنقنـا إلى الخزَرِ
إنّ القُطُوبَ لـه منّـي محلٌّ هوًى ... يَحِلّ منّي محـلَّ السمع والبصرِ[3]
وربّ أمنعَ منـه جانبـاً وحِمًى ... أمسى وتِكَّتُهُ منّـي عـلى خَطِرِ
جَرَّدتُ فيه جنودَ العزم فانكشفتْ ... منه غَيابتُها عــن نَيكـة هَدَرِ[4]
سبحانَ مَن سَبَّحتْـهُ كلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طَمَحان الأير والنظرِ[5]
أنت المقيـمُ فمـا تغدو رواحلُهُ ... وأيـرُه أبـداً منـه على سَفَرِ[6]

[حسد دعبل له]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني عبد الله بن الحسين قال : حدَّثني وهب بن سعيد قال : جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام ، فقال له رجل في المجلس : يا أبا عليّ ، أنت الذي تطعُن على مَن يقول[7] : [من الطويل]

شَهِدتُ لقد أقوتْ مغانيكُمُ بعدِي ... ومَحَّتْ كما محت وشائعُ من بُرْدِ[8]

---

1 أعنق : سار سيراً سريعاً .
2 ديوانه : 356-357 .
3 القطوب في الديوان : النفور .
4 عن نيكة هدر في الديوان : عن فجرة هدر .
5 الأير والنظر في الديوان : العين بالنظر .
6 وأيره في الديوان : وفعله .
7 ديوانه : 112 .
8 أقوت : خلت . ومحت : درست . والوشائع : جمع وشيعة ، وهي الغزل الملفوف من اللحمة التي يداخلها الناسج بين السدى .

وأَنجدتم مِـن بعـد إتْهامِ داركُمْ   فيا دمعُ أَنجدني على ساكني نجدِ

فصاح دعبل : أحسنَ واللهِ ! وجعل يردد «فيا دمع أَنجدني على ساكني نجد» ثم قال : رحمه الله ! لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنّه أشعر النّاس .

[رثاؤه ابنَي عبد الله بن طاهر]

أَخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد ، فدخل عليه أبو تمّام فأنشده[1] : [من الكامل]

مـا زالت الأيّـامُ تخبرُ سائـلاً   أَن سَوفَ تفجعُ مُسْهِلاً أَو عاقلا[2]
مجـدٌ تأوَّبَ طارقـاً حتـى إذا   قلنـا أَقام الدهـرَ أَصبحَ راحلا
نجمـان شاء الله أَلاّ يَطْلُعـا   إلاّ ارتـدادَ الطَّرف حتـى يأفِلا
إن الفجيعـة بـالرياض نواضراً   لأَجـلّ منهـا بالرياض ذَوابِلا
لـو يُنسبان لكـان هذا غارباً   للمكرُمـات وكان هـذا كاهلا[3]
لَهْفـي على تـلك المخايلِ منهما   لـو أُمْهِلَت حتى تكـون شمائِلا
لغـدا سكونُهما حِجًى وصِباهُما   حِلْمـاً وتلك الأريحيّـةُ نائِلا
إنّ الهـلالَ إذا رأيـت نمـوَّهُ   أيقنتَ أَنْ سيكونُ بـدراً كاملا[4]

صوت[5]

[من مجزوء الرجز]

باللهِ قـلْ يـا طَلَلُ   أهلُـك مـاذا فعلُوا
فـإن قلبـي حَـذِرٌ   من أَن يَبينوا وَجِلُ

عروضه من الرجز . الشعر لأبي الشِّيص . والغناء لأحمد بن يحيى المكّيّ . خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ومن رواية الهِشاميّ .

---

1 ديوانه : 338 .
2 المسهل : النازل في السهل . والعاقل : الممتنع في الجبل .
3 ينسبان في الديوان : ينسآن .
4 سيكون في الديوان سيعود .
5 شعر أبي الشِّيص : 89 .

[340] ـ أخبار أبي الشِّيص ونسبه[1]

[نسبه]

اسمه محمد بن رَزِين بن سليمان بن تميم بن نهشل ، وقيل : ابن بُهَيْش ، بن خِراش بن خالد بن عبد بن دِعبِل بن أَنَس بن خُزَيمة بن سَلامان بن أسلَم بن أفصى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيا بن عامر بن ثعلبة .

وكان أبو الشِّيص لقباً غلب عليه . وكنيته أبو جعفر ، وهو ابن عمّ دِعبل بن عليّ بن رَزين لَحّاً . وكان أبو الشِّيص من شعراء عصره ، متوسِّط المحلّ فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس ، فخمل وانقطع إلى عُقْبَةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ ، وكان أميراً على الرَّقَّة ، فمدحه بأكثر شعره ، فقلّما يُرْوى له في غيره . وكان عُقْبة جواداً فأغناه عن غيره .

ولأبي الشِّيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً ، صالح الشعر ، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب ، فأخذ منه جامع شعر أبيه ، ومن جهته خرج إلى الناس .

[رثاء عينيه]

وعَمِيَ أبو الشِّيص في آخر عمره ، وله مَراثٍ في عينيه قبل ذهابهما وبعده ، نذكر منها مختارها مع أخباره .

[ابن المعتزّ يفضله]

وكان سريع الهاجس جدّاً ، فيما ذُكر عنه . فحكى عبد الله بن المعتزّ أنّ أبا خالد العامريّ قال له : مَن أخبرك أنّه كان في الدنيا أشعرُ من أبي الشِّيص فكذّبه . والله لكان الشعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان . وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك .

وهكذا ذكر ابن المعتزّ ، وليس توجد هذه الصفات كما ذَكَر في ديوان شعره ، ولا هو بساقط ، ولكن هذا سَرَف شديد .

---

1 ترجمة أبي الشِّيص في الشعر والشعراء : 721–726 وطبقات ابن المعتز : 72–86 وتاريخ بغداد 5 : 401 ومعاهد التنصيص 4 : 87 والسمط : 506 وفوات الوفيات 3 : 402 ونكت الهميان : 257 وانظر بروكلمان 2 : 69 والوافي 3 : 302 . وقد جمع شعره د . عبد الله الجبوري (بغداد 1967) . واسمه فيها جميعاً محمد بن عبد الله بن رزين .

[مكافأة عتبة بن جعفر له]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ عن النضر بن عمر قال : قال لي أبو الشّيص : لمّا مدحت عُقْبة بن جعفر بقصيدتي التي أوّلها : [من الكامل]

لا تُنكري صَدّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزمــان براضِ

أمر بأن تُعَدّ ، وأعطاني لكلّ بيت ألف درهم .

[شاعران يرثيان عينيهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : أنشدت إبراهيم بن المهديّ أبيات أبي يعقوب الخُرَيميّ التي يرثى بها عينه ، يقول فيها : [من الوافر]

إذا مـا مات بعضُك فابكِ بعضاً فــإنّ البعض مــن بعض قريبُ[1]

فأنشدني لأبي الشّيص يبكي عينيه[2] : [من المنسرح]

يــا نفسُ بكّــي بأدمع هُتُنٍ وواكــفٍ كالجُمــان في سَنَنِ

على دليــلي وقائدي ويــدي ونــور وجهي وسائِس البدنِ

أبكي عليهــا بهــا مخافــةَ أن تَقْرُنَني والظــلامَ في قَــرنِ

وقال أبو هِفّان : حدَّثني دِعبل أنّ امرأة لقيت أبا الشّيص ، فقالت : يا أبا الشّيص : عَميتَ بعدِي . فقال : قَبَحَكِ الله ، دعوتني باللقَب ، وعيَّرْتني بالضَّرر !

[مجلس شعر]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي ، عن أحمد بن عبيد قال : اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشّيص ودِعبل في مجلس ، فقالوا : لِيُنشِد كلّ واحد منكم أجود ما قاله من الشعر . فاندفع رجل كان معهم فقال : اسمعوا منّي أخبركم بما يُنشِدُ كلّ واحد منكم قبل أن يُنشد . قالوا : هات . فقال لمسلم : أمّا أنت يا أبا الوليد فكأنّي بك قد أنشدت[3] : [من الطويل]

إذا مـا علَـتْ منّـا ذؤابةُ واحدٍ وإن كان ذا حلم دعته إلى الجهلِ

هل العيشُ إلاّ أن تروح مع الصِّبا وتغدو صريعَ الكأسِ والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لُقِّب «صريع الغواني» ، لقبه به الرشيد ، فقال له مسلم : صدقت .

---

1 فإن البعض في ل : فبعض الشيء .

2 شعره : 103 .

3 ديوان مسلم بن الوليد : 42 مع بعض اختلاف .

ثم أقبل على أبي نواس فقال له : كأنّي بك يا أبا عليّ قد أنشدت[1] : [من البسيط]

لا تبكِ ليلى ولا تطرب إلى هندِ واشربْ على الوَرْدِ من حمراءَ كالوردِ
تَسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سُكرين من بُدِّ

فقال له : صدقت .

ثم أقبل على دعبل فقال له : وأنت يا أبا عليّ ، فكأنّي بك تنشد قولك[2] : [من الكامل]

أيـن الشبابُ وأيَّـةً سَلَكا لا أينَ يُطلَب ضلّ بـلْ هَلَكا
لا تعجبي يـا سَلْمَ من رجُل ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى

فقال : صدقت . ثم أقبل على أبي الشِّيص ، فقال له : وأنت يا أبا جعفر ، فكأنّي بك وقد أنشدتَ قولك : [من الكامل]

لا تنكري صدِّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزمـان براضِ

فقال له : لا . ما هذا أردت أن أنشد ، ولا هذا بأجود شيء قلته . قالوا فأنشدنا ما بدا لك . فأنشدهم قوله[3] : [من الكامل]

صوت

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي متأخَّـرٌ عنـهُ ولا متقـدَّمُ
أجـدُ الملامَـة في هواكِ لذيذةً حُبـاً لذكـرك فليلُمْني اللُّوَّمُ
أشبهتِ أعدائـي فصرتُ أُحبُّهـمْ إذ كان حظِّي منكِ حظِّـي منهمُ
وأهَنْتِنـي فأهنـتُ نفسيَ صاغراً مـا مَـنْ يهون عليك ممّن يُكْرَمُ

لِعَريب في هذا الشعر لحنان : ثقيل أوّل ، ورمل .

قال : فقال أبو نواس ، أحسنتَ والله وجودت ! وحياتِك لأسرقنّ هذا المعنى منك ، ثم لأغلبنّك عليه ، فيشتهرُ ما أقول ، ويموت ما قلت . قال : فسرق قوله : [من الكامل]

وقَف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخَّـرٌ عنـه ولا متقـدَّمُ

سَرَقاً خَفِيّاً ، فقال في الخصيب[4] : [من الطويل]

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 27 .
2 ديوان دعبل (نجم) : 117 .
3 شعر أبي الشِّيص : 92–93 مع اختلاف في الترتيب .
4 ديوان أبي نواس : 481 . وفيه «يصير الجود حيث يصير» .

فما جـازه جـودٌ ولا حل دُونَهُ ولكـن يسير الجودُ حيث يسيرُ

فسار بيت أبي نواس ، وسقط بيُت أبي الشِّيص .

[مجلس شعري آخر]

نسخت من كتاب جدّي لأُمِّي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطِّه : حدَّثني الحسن بن سعد قال : حدَّثني رَزِين بن عليّ الخزاعيّ أخو دعبل قال ، كنّا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشِّيص ومُسلم بن الوليد الأنصاريّ ، فقال أبو نواس لأبي الشِّيص : أنشدني قصيدتك المُخزية . قال : وما هي ؟ قال : الضادية . فما خطر بخَلَدي قولك : [من الكامل]

ليس المقلُّ عن الزمـان براضِ

إلاّ أخزيتُك استحساناً لها ، فإنَّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته ، وقد كان ثقَّفها وعلّمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيارِ لجيد الكلام ، ثم يقول لها : عُدِّي لِيَ المُخزِيات ، فتعدُّ قوله[1] : [من البسيط]

أَغَـرُّ أَرْوَعُ يُستسقى الغمام به لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا

وما أَشبَهها من شعره . قال أبو الشِّيص : لا أفعل . إنّها ليست عندي عِقْدَ دُرٍّ مفصَّل ، ولكنّي أكاثر بغيرها ، ثم أنشده قوله : [من الكامل]

وقَفَ الهوى بي حيثُ أنت فليسَ لي متأخَّـر عنـه ولا متقـدَّمُ

الأبيات المذكورة ، فقال له أبو نواس : قد أردت صرفَك عنها ، فأَبيتَ أن تَخَلَّى عن سَلَبِك ، أو تُدْرَك في هَربِك . قال : بل أقولُ في طلبي ، فكيف رأيت هذا الطراز ؟ قال : أرى نَمَطاً خُسْرُوانياً مُذْهَباً حسناً ، فكيف تركت[2] : [من الخفيف]

في رِداء مـن الصَّفيح صَقِيـلٍ وقميصٍ مـن الحديـدِ مُـذالِ

قال : تركته كما ترك مختار الدُّرّتين إحداهما ، بما سبق في ألحاظه ، وزُيِّن في ناظره .

[أبو نواس يفضله]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني مَن قال لأبي نُواس : مَن أشعر طبقات المُحْدَثين ؟ قال : الذي يقول[3] : [من المتقارب]

---

1 ديوان الأعشى (صادر) : 109 وروايته :

أغـر أبلـج يستسقـى الغمام بـه لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا

2 شعر أبي الشِّيص : 86 .

3 شعر أبي الشِّيص : 100 .

يطـوفُ علينـا بهـا أحْـورٌ ‌ ‌ ‌ ‌ يـداه مـن الكأسِ مخضوبتان

والشعر لأبي الشِّيص .

[خادم يخشى العين على صدره]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوكبيّ قال : حدَّثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهانيّ قال : حدَّثني أبي قال : دخل أبو الشِّيص على أبي دُلَف وهو يلاعب خادماً له بالشِّطْرَنج ، فقيل له : يا أبا الشِّيص ، سَل هذا الخادم أن يَحُلّ أزرار قميصه . فقال أبو الشِّيص : الأمير أعزّه الله أحقّ بمسألته . قال : قد سألته ، فزعم أنّه يخاف العين على صدره . فقل فيه شيئاً . فقال[1] : [من السريع]

وشادنٍ كالبدرِ يجلو الدُّجى ‌ ‌ ‌ ‌ في الفرقِ منـه المسكُ مَذرورُ

يُحـاذر العـينَ على صَـدْره ‌ ‌ ‌ ‌ فالجيبُ منـه الدهـرَ مزرورُ

فقال أبو دُلَف : وحياتي لقد أحسنت ! وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال الخادم : قد والله أحسن كما قلت ، ولكنّك أنت ما أحسنت ! فضحك ، وأمر له بخمسة آلاف أخرى .

[منعه صاحب القينة من زيارتهما بعد العمى]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزِيّ قال : حدَّثني علي بن سعد بن إياس الشيبانيّ قال : تعشّق أبو الشِّيص محمد بن رَزين قينةً لرجل من أهل بغداد ، فكان يختلف إليها ، وينفق عليها في منزل الرجل ، حتى أتلف مالاً كثيراً . فلمّا كُفّ بصره ، وأُخفق ، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حَجَبه ، ومنعه من الدخول . فجاءني أبو الشِّيص ، فشكا إليّ وجدَه بالجارية ، واستخفاف مولاها به ، وسألني المُضيّ معه إليه ، فمضيت معه ، فاستؤذن لنا عليه ، فأذِن ، فدخلت أنا وأبو الشِّيص . فعاتبته في أمره ، وعَظَّمت عليه حقّه ، وخوفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه ، فكان يأكل في بيته ، ويحمل معه نبيذه ونُقْلَه ، فمضيت معه ذات يوم إليها . فلمّا وقفنا على بابهم ، سمعنا صُراخاً شديداً من الدار ، فقال لي : ما لها تصرخ ؟ أتراه قد مات لعنه الله ! فما زلنا ندقّ الباب حتى فُتِح لنا ، فإذا هو قد حَسَر كمّيه وبيده سوط ، وقال لنا : ادخلا ، فدخلنا ، وإنّما حمله على الإذن لنا الفَرَق منّي ، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخلٍ يضربها ، فاستمعنا عليه واطلعنا ، فإذا هي مشدودة على سُلّم وهو يضربها أشدّ ضرب ، وهي تصرخ ، وهو يقول : وأنت أيضاً فاسرِقي الخبز . فاندفع أبو الشِّيص على المكان يقول في ذلك[2] : [من السريع]

1 شعر أبي الشِّيص : 57 .

2 شعر أبي الشِّيص : 62 .

يقـولُ والسوط على كفّـه ... قـد حَـزّ في جلدتهـا حَزّا
وهْـي على السُّلَّـم مشدودة ... «وأنتِ أيضاً فاسرقي الخُبْزا»

قال : وجعل أبو الشِّيص يُردِّدهما ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادراً ، وقال له : أنشدني البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنّه لا بدّ من إنشادهما ، فأنشده إيّاهما ، فقال لي : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بما تحبّ ، فإن شاع هذان البيتان فضحتَني ، فقل له يقطع هذا ، ولا يُسمِعْهما[1] ، وله عليَّ يومان في الجمعة . ففعلت ذلك ، ووافقته عليه ، فلم يزل يتردّد إليه يومين في الجمعة حتى مات .

[عشقه لجاريته تبر]

أُخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال : حدَّثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب ، عن أبيه قال : كانت لأبي الشِّيص جارية سوداء اسمها تِبْر ، وكان يتعشّقها ، وفيها يقول[2] : [من المنسرح]

لم تُنْصِفي يـا سَمِيّـة الذَّهَبِ ... تتلـفُ نفسي وأنـتِ في لَعِبِ
يا ابنـة عمّ المِسكِ الذكيّ ومَن ... لـولاك لم يُتَّخَـذ ولم يَطِبِ
ناسَبَك المسكُ في السوادِ وفي الرِّ ... يح فأكـرم بـذاك من نسبِ

[صديق تغيّر بعد أن غني]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، عن عمّه قال : كان أبو الشِّيص صديقاً لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشميّ ، وهما حينئذٍ مُملقان ، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، واستغنى ، فجفا أبا الشِّيص ، وتغير له ، فكتب إليه[3] : [من البسيط]

الحمـدُ لله ربّ العالَمـين عـلُى ... قُربي وبعدِكَ منّي يا ابن إسحاقِ
يا ليتَ شعري متى تُجْدِي عليّ وقد ... أصبحتَ ربّ دنـانير وأوْراقِ
تُجْدي عليَّ إذا ما قيلَ مَنْ راقِ ... والتفت الساقُ عند الموت بالساقِ
يومٌ لَعمري تَهُمُّ النـاسَ أنفسُهمْ ... وليس ينفـع فيـه رُقية الراقي

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أبو العبّاس بن الفرات قال : كنت أسيرُ مع عبيد الله بن سليمان ، فاستقبله جعفر بن حَفْص على دابّة هزيل ، وخلفه غلام له ، وشيخ على

---

1 ل : ولا يشعهما .
2 شعره : 26 .
3 شعره : 80 .

بغل له هَرِم ، وما فيهم إلاّ نِضْو ، فأقبل عليَّ عبيد الله بن سليمان فقال : كأنّهم والله صِفة أبي الشِّيص حيث يقول[1] : [من الكامل]

أَكلَ الوجيفُ لحومَها ولحومَهمْ فأَتوكَ أنقاضاً على أنقاضِ[2]

[مقتله]

وقال عبد الله بن المعتزّ : حدَّثني أبو مالك عبد الله قال : قال لي عبد الله بن الأعمش، كان أبو الشِّيص عند عُقبةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ يشرب ، فلمّا ثَمِل نام عنده ، ثم انتبه في بعض الليل ، فذهب يَدبّ إلى خادم له ، فوجأه بسكين ، فقال له : ويحك ! قتلتني والله ! وما أحبّ والله أن أفتضح أنّي قُتِلت في مثل هذا ، ولا تُفْضَح أنت بي ، ولكن خذ دَسْتيجة[3] فاكسِرْها ولوثها بدمي ، واجعل زجاجها في الجُرْح ، فإذا سئِلت عن خبري ، فقل : إنّي سقطت في سكري على الدَستيجة فانكسرت ، فقتلتني ، ومات من ساعته . ففعل الخادم ما أمره به ، ودُفِن أبو الشِّيص ، وجزع عُقْبة عليه جزعاً شديداً . فلمّا كان بعد أيّام سكِر الخادم ، فصدق عقبةَ عن خبره ، وأنّه هو قتله ، فلم يُلْبثه أن قام إليه بسيفه ، فلم يزل يضربه حتى قتله .

صوت[4]

[من الكامل]

هَلاّ سألتَ معالمَ الأطلالِ والرسمَ بعد تقادم الأحوالِ
دِمَناً تَهيجُ رسومُها بعد البلى طَرَباً وكيف سؤالُ أعجمَ بالِ
يمشين مشى قَطا البِطاح تأوُّداً قُبَّ البطون رواجح الأكفالِ
من كلّ آنسة الحديث حَيِيَّةٍ ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ
أقصى مذاهِبِها إذا لاقيتُها في الشهر بين أسِرَّةٍ وحِجالِ
وتكونُ رِيقتُها إذا نبهتُها كالشهدِ أو كَسُلافة الجِريالِ

المتفال : المنتنة الريح . والجريال فيما قيل : اسم للون الخمر . وقيل : بل هو من أسمائها . والدليل على أنّه لونها قول الأعشى : [من الكامل]

وسُلافةٍ ممّا تعتق بابلٍ كدمِ الذبيح سلبتُها جِرْيالَها

---

1 شعر أبي الشِّيص من قصيدة طويلة : 71–74 .
2 الوجيف : السير السريع .
3 دستيجة : إناء كبير من الزجاج .
4 شعر الكميت (سلوم) 2 : 52–54 .

قال سِماك بن حَرْب : حدَّثني يُحَنَّسُ بن متَّى الحِيريّ راوية الأعشى : أنّه سأله عن هذا البيت فقال : سلبتها لونها : شربتها حمراء ، وبُلْتها بيضاء .

الشعر في هذا الغناء المذكور للكُميت بن زيد ، والغناء لابن سُرَيج ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة ، وذكر المكيّ أنّه لابن مُحرز . وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل . وهذا الشعر من قصيدة للكميت ، يمدح بها مَخْلَد بن يزيدَ بن المهلّب ، يقول فيها : [من الكامل]

قادَ الجيوشَ لخمسَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... ولِداتُــهُ عــن ذاك في أشغالِ
قَعَدتْ بهـم هِمّاتُهُمْ وسَمَتْ به ... همـمُ الملـوك وسَوْرَة الأبطـالِ
فكأنّما عــاشَ المهلَّـبُ بينهمْ ... بأغــرَّ قــاسَ مثالَــه بمثـالِ
في كَفِّــه قَصَبــات كلّ مُقَلَّدٍ ... يــومَ الرِّهــان وفــوزُ كلّ نِصالِ
ومتــى أزِنْــك بمعشر وأزنهمُ ... بـك ألْفِ وزنك أرجحَ الأثقالِ

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد السابع عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

17

الطبعة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[341] ـ ذكر الكُميت ونسبه وخبره[1]

[نسبه]

هو الكُميت بن زيد بن خُنَيس بن مُجالد بن وُهَيْب بن عَمْرو بن سُبَيْع . وقيل : الكُميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس بن عمرو بن سُبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزار . شاعر مقدَّم ، عالِم بلغات العرب ، خبير بأيّامها فصيح من شعراء مُضر وألسنتها ، والمتعصِّبين على القحطانيّة ، المقارنين المقارِعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيّام ، المفاخرين بها . وكان في أيّام بني أُميَّة ، ولم يدرك الدولة العبّاسيّة ، ومات قبلها .

[تشيّعه لبني هاشم]

وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم ، مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره . ولم تزل عصبيَّته للعدنانيّة ومهاجاته شعراء اليمن متَّصلةً ، والمناقضة بينه وبينهم بسببها شائعة في حياته وبعد وفاته ، حتى ناقض دِعبل[2] وابنُ أبي عُيَيْنةَ قصَيدتَه المُذْهَبة ، بعد وفاته ، وأجابهما أبو الذلفاء البَصْرِيّ مولى بني هاشم عنها ، وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله .

[معلّم صبيان]

أخبرني محمد بن الحسين بن دُريد عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن خلَف الأحمر : أنّه رأى الكُميت يعلِّم الصبيان في مسجد بالكوفة .

[صداقة بين شيعي وخارجي]

قال ابن قتيبة في خبره خاصة : وكانت بينه وبين الطِّرِمّاح خُلطة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين ، قال : فحدَّثني بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكُميت ، قال : أنشدت الكُميت قولَ الطِّرِمّاح[3] : [من الطويل]

1 ترجمة الكُميت بن زيد في الشعر والشعراء : 485–488 والموشح : 191 وشرح شواهد المغني : 13 وخزانة البغدادي 4 : 315–320 وانظر الفهرس وجمهرة أشعار العرب : 351 وقد نشر هوروفتز قصائده الهاشميات (ليدن 1904) . وجمع د . داود سلّوم شعره في جزئين (بغداد 1969) .

2 انظر ترجمة دعبل في الأغاني 20 : 90 .

3 ديوان الطرماح .

إذا قُبِضت نفس الطِّرِمّـاح أُخلقتْ عُرى المجدِ واسترخى عِنان القصائدِ

قال : إي والله وعِنان الخطابة والرواية . قال : وهذه الأَحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبيّة والديانة ؛ كان الكُميت شيعيّاً عصبيّاً عدنانيّاً من شعراء مضر ، متعصّباً لأَهل الكوفة ، والطِّرِمّاح خارجيٌّ صُفْرِيٌّ قحطانيٌّ عصبيٌّ لقحطان ، من شعراء اليمن ، متعصِّب لأَهل الشام ، فقيل لهما : ففيم اتّفقتما هذا الاتّفاق مع اختلاف سائر الأَهواء ؟ قالا : اتّفقنا على بُغْض العامّة .

[علمه بأيّام العرب وأشعارها]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني محمد بن سعد الكُرانِيّ ، قال : حدَّثنا أَبو عمر العمريّ ، عن لَقيط ، قال : اجتمع الكُميت بن زيد وحمّاد الراوية في مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيّامَها ، فخالفه حمّاد في شيءٍ ونازعه ، فقال له الكُميت : أتظنّ أَنّك أَعلَمُ منّي بأيّام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلاّ الظنّ ! هذا والله هو اليقين . فغضِب الكُميت ثم قال له : أَلِكَمْ شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان ، تَرْوِي ؟ ولِكَم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان ابن عَمرو ، تَرْوِي ؟ فقال حمّاد قولاً لم يحفظه ؛ فجعل الكُميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ، ويسأَل حمّاداً : هل يعرفه ؟ فإذا قال : لا ، أَنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجِرنا . ثم قال له الكُميت : فإنّي سائلك عن شيءٍ من الشّعر ، فسأَله عن قول الشاعر[1] : [من الرمل]

طَرَحـوا أُصحابَهُمْ في ورطـةٍ قَذْفَــك المَقْلَـةَ شَطْرَ المُعْتَرَكْ

فلم يعلم حمّاد تفسيرَه ، فسأَله عن قول الآخر : [من الطويل]

تَدَرَّيْنَنا بالقَــولِ حتى كأَنّـما تَدَرَّيْنَ وِلْدانا تَصيدُ الرَّهادنا

فأُفْحِمَ حمّاد ، فقال له : قد أَجَّلْتُك إلى الجمعة الأُخرى ، فجاء حمّاد ولم يأْتِ بتفسيرهما ، وسأل الكُميت أنْ يفسِّرَهما له ، فقال : المَقْلَة : حصاةٌ أو نَواة من نَوى المُقْلِ يحملها القوم معهم إذا سافروا ، وتُوضع في الإناء ويُصبُّ عليها الماء حتى يَغْمُرَها ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء . والشَّطر : النّصيب . والمعتَرك : الموضِعُ الذي يختصمون فيه في الماء ، فيلقونَها هناك عند الشَّرّ . وقوله : «تَدَرَّيْنَنا» ، يعني النساء ، أَي ختَلْنَنا فرمَيْنَنا . والرهادن : طَيْرٌ بمكّةَ كالعصافير .

1 هو يزيد بن طعمة الخطمي (اللسان ، مقل) .

[خالد القسريّ يحرّض هشاماً عليه]

وكان خالدُ بن عَبْدِ الله القَسْرِيّ ، فيما حدَّثني به عيسى بن الحسين الورّاق ، قال : أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاريّ عن ابن الأعرابيّ ، وذكره محمد بن أنس السَّلاميّ عن المستَهِلّ بن الكُميت ، وذكره ابن كُناسة عن جَماعةٍ من بَني أسد ، [قد بلغه] أنَّ الكُميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليَمن ، وهي[1] :

ألا حُيِّيتِ عنَّا يا مَدِينا

فأحفظته عليه ، فروّى جاريةً حسناء قصائدَه الهاشميّات ، وأعدَّها ليُهْدِيَها إلى هشام ، وكتب إليه بأخبار الكُميت وهجائه بني أُميَّة ، وأنفذ إليه قصيدتَه التي يقول فيها[2] : [من الطويل]

فيا رَبِّ هل إلاَّ بِكَ النَّصْرُ يُبْتَغى ويـا ربّ هل إلاّ عَلَيكَ المُعَوَّلُ

وهي طويلة يَرثي فيها زَيْد بن عليّ ، وابنَه الحسين بن زيد[3] ، ويمدح بني هاشم . فلمّا قرأها أكبرَها وعظُمَتْ عليه ، واستنكرها ، وكتب إلى خالد يُقسم عليه أن يقطعَ لسانَ الكُميت ويده . فلم يشعر الكُميت إلاَّ والخيلُ محدِقَةٌ بداره ، فأُخِذ وحُبِس في المُخيَّس . وكان أبـان بن الوليد عامِلاً على واسِط ، وكان الكُميت صديقَه ، فبعث إليه بغلام على بَغل ، وقال لـه : أنتَ حرٌّ إنْ لحقْتَه ، والبَغْلُ لكَ . وكتب إليه : قد بلغني ما صِرْتَ إليه ، وهو القَتْل ، إلاّ أنْ يَـدْفعَ الله عزَّ وجـلَّ ، وأرى لكَ أنْ تبعثَ إلى حُبَّى ، يعني زوجة الكُميت وهي بنت نُكَيف بن عبد الواحد بن حمان ، وهي ممّن يتشيَّع أيضاً ، فإذا دخلَتْ إليك تنقَّبتَ نِقابَها ، ولبستَ ثيابَـها وخرجتَ ، فإنّي أرجو ألاّ يُؤْبه لك .

فأرسل الكُميت إلى أبي وضّاح حَبِيب بن بُدَيْـل ، وإلى فِتيان من بني عمِّه مِنْ مالك بن سَعِيد ، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر ، وشاوره فيه ، فسدَّدَ رأْيَه ؛ ثم بعث إلى حُبَّى امرأته ، فقصَّ عليها القصّةَ ، وقال لها : أيْ ابنة عَمّ ، إنّ الواليَ لا يُقْدِم عليكِ ، ولا يُسْلِمك قومك ، ولو خِفْتُه عليكِ لما عرَّضتُك له . فألبسَتْه ثيابَها وإزارَها وخمَّرَتْه[4] ، وقالت له : أَقْبِلْ وأَدْبِر ؛ ففعَل ،

1 شعر الكُميت 2 : 114–118 .

2 هاشميات الكُميت : 135 .

3 قتل زيد بن علي في ولاية يوسف بن عمر الذي تلا خالد بن عبدالله القسري (تاريخ الطبري حوادث سنة 122) وأما ابنه الحسين بن زيد فإنّه خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن أيّام المنصور (تاريخ الطبري ، حوادث سنة 145) .

4 خمرته : ألبسته خمارها .

فقالت : ما أُنْكِرُ منك شيئاً إلاَّ يبساً في كتفك ، فاخرُج على اسم اللهِ .

وأُخرجَتْ معه جاريةٌ لها ، فخرج وعلى باب السجنِ أبو وضّاح ، ومعه فِتيانٌ من بني أَسَد ، فلم يُؤْبَه له . ومشى والفِتيان بين يَدَيْهِ إلى سكّة شبيب بناحية الكُناسة ، فمرَّ بمجلس مِنْ مجالِسِ بني تميم ، فقال بعضهم : رجل وربِّ الكعبة . وأمَرَ غلامه فاتَّبَعه ، فصاح به أبو الوضّاح : يا كذا وكذا ، لا أراك تتبعُ هذه المرأة منذ اليوم . وأَوْمَأَ إليه بنَعْلِه ، فولّى العَبدُ مُدْبِراً ، وأدخله أبو الوضَّاح مَنزِله .

ولمّا طالَ على السجّان الأمرُ نادى الكُميت فلم يُجبْه ، فدخل ليعرِفَ خَبرَه . فصاحت به المرأةُ : وراءكَ ، لا أُمَّ لك ! فشقَّ ثوبَه ، ومضى صارخاً إلى باب خالد ، فأخبره الخبر . فأُحضر حُبَّى فقالَ لها : يا عدوَّةَ الله ، احتَلْتِ على أميرِ المؤمنين ، وأخرجْت عدوَّه ، لأُمَثِّلَنَّ بك ولأَصْنَعَنَّ ولأَفْعلَنَّ . فاجتمعَتْ بنو أَسَد إليه ، وقالوا : ما سبيلُك على امرأةٍ منّا خُدِعَتْ . فخافَهم فخلّى سبيلَها .

قال : وسقط غُرابٌ على الحائط فنَعَب ، فقال الكُميت لأبي وضّاح : إنّي لمأخوذٌ ، وإنّ حائطَك لساقط . فقال : سبحانَ الله ! هذا ما لا يكونُ إن شاء الله . فقال له : لا بُدَّ من أن تحوِّلَني . فخرج به إلى بني عَلْقَمة ، وكانوا يتشيَّعُون ، فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائطُ الذي سقط عليه الغُراب .

قال ابن الأعرابيّ : قال المستهِلّ : وأقام الكُميت مدّةً متوارياً ، حتى إذا أيقن أنَّ الطلبَ قد خَفَّ عنه خرج ليلاً في جماعةٍ من بني أسد ، على خَوفٍ ووَجَل ، وفيمن معه صاعدٌ غلامُه ، قال : وأخذ الطريقَ على القُطْقطانَةِ[1] ، وكان عالِماً بالنجوم مُهْتَدِياً بها ، فلمّا صار سُحَيْرٌ صاح بنا : هوِّموا[2] يا فِتْيان ، فهوَّمنا ، وقام يصلّي .

[ذئب يهديه إلى الطريق]

قال المستهلّ : فرأيتُ شخصاً فتضعضعتُ له ، فقال : ما لك ؟ قلت : أرى شيئاً مُقْبلاً ، فنظر إليه فقال : هذا ذئبٌ قد جاء يستطْعِمُكم ، فجاء الذئب فربَضَ ناحيةً ، فأطعمناه فلذَ جَزُور ، فتعرَّقها ، ثم أهْوَينا له بإناءٍ فيه ماءٌ فشرب منه ، وارتَحَلْنا . فجعل الذئبُ يَعْوِي ، فقال الكُميت : مالَه وَيْلَه ! ألَم نُطعِمه ونسقِه ؟ وما أَعْرَفَني بما يريد ! هو يُعْلِمنا أنّا لسنا على الطريق ؛ تَيامَنُوا يا فِتيان ، فتيامنّا فسكن عُواؤه .

---

1 القطقطانة : موضع بالكوفة .

2 التهويم : النوم الخفيف .

[توسّط رجالات قريش له عند مسلمة بن هشام فأمنه]

فلم نَزَلْ نسيرُ حتى جئنا الشامَ ، فتوارى في بني أَسَد وبني تَميم ، وأَرسل إلى أَشراف قُريش ، وكان سيِّدَهم يومئذٍ عَنْبَسةُ بن سَعِيد بن العاصّ ، فمشت رجالاتُ قريش بعضها إلى بعض ، وأتوا عَنْبَسةَ ، فقالوا : يا أبا خالد ، هذه مكرمة قد أتاك الله بها ، هذا الكُميت بن زَيْد لسانُ مُضَر ، وكان أَمير المؤمنين كتب في قَتْله ، فنجا حتى تخلَّص إليك وإلينا . قال : فمرُوه أَنْ يَعُوذَ بِقَبْرِ معاوية بن هشام بدَيْر حَنِيناء . فمضى الكُميت ، فضرب فُسْطاطَه عند قَبْرِه ، ومضى عَنْبَسةُ فأَتى مَسْلَمةَ بن هشام ، فقال له : يا أبا شاكر ، مكرمة أتيتَك بها تبلغُ الثريّا إن اعتقَدْتَها ، فإنْ علمتَ أنّكَ تفي بها وإلاّ كتَمْتَها . قال : وما هي ؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنّه قد مَدحكُم عامّة ، وإيّاكَ خاصّة بما لم يُسمَع بمثله . فقال : عليَّ خلاصُه .

فدخل على أَبيه هشام وهو عند أُمِّهِ في غير وقت دخولٍ ، فقال هشام : أَجئتَ لحاجةٍ ؟ قال : نعم ، قال : هي مَقْضِيّة إلاّ أَن يكونَ الكُميت . فقال : ما أحبُّ أَنْ تسْتَثْنيَ عليَّ في حاجتي ، وما أَنا والكُميت ! فقالت أُمُّه : والله لتقضينَّ حاجَتَه كائنةً ما كانت . قال : قد قضيتُها ولو أحاطت بما بينَ قُطْرَيها . قال : هي الكُميت يا أمير المؤمنين ، وهو آمِنٌ بأَمانِ الله عزَّ وجلَّ وأَماني ، وهو شاعرُ مضر ، وقد قال فينا قولاً لم يُقَلْ مثله ، قال : قد أَمَّنته ، وأَجزتُ أَمانَك له ، فاجلس له مجلساً يُنْشِدُك فيه ما قال فينا .

[هشام يسمع مدائحه في بني أُميّة]

فعقد له ، وعنده الأَبرش الكلبيّ ، فتكلَّم بخطبة ارتجلها ما سُمِع بمثلها قطّ ، وامتدحه بقصيدته الرّائيّة ، ويقال : إنّه قالها ارتجالاً ، وهي قوله[1] :

قِفْ بالدِّيار وقوفَ زائرْ

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله : [من مجزوء الكامل]

مـاذا عليـك مِـنَ الوُقو ... فِ بهـا وأَنَّكَ غَيْرُ صاغِرْ[2]
دَرَجَـتْ عليهـا الغاديـا ... تُ الرَّائحاتُ مِنَ الأَعاصِرْ

وفيها يقول :

1 شعر الكُميت 1 : 223–225 .

2 رواية مجموع شعره :
مـاذا عليك من الوقو ... ف بهامد الطللين داثر

فـالآن صِـرْتُ إلى أُميَّـ ـةَ والأُمـورُ إلى المَصايِرْ

وجعل هشام يغمز مَسْلَمة بقَضيب في يَدِه ، فيقول : اسْمَعْ ، اسْمَعْ .

ثم استأذنه في مَرْثِيَّة ابنه معاوية ، فأَذِن له ، فأَنشده قوله[1] : [من الطويل]

سأَبْكِيكَ للدُّنْيا وللدِّين إنَّني رأَيْتُ يدَ المعروفِ بعدك شَلَّتِ
فدامَتْ عليكَ بالسلامِ تحيّـةٌ ملائكـةُ اللهِ الكـرامُ وصلَّتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً ، فوثب الحاجِبُ فسكّته .

ثم جاء الكُميت إلى منزله آمناً ، فحشدت له المُضريّة بالهدايا ، وأَمر له مَسْلَمة بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم . وكتب إلى خالد بأمانِهِ وأمانِ أهْل بيته ، وأنّه لا سلطانَ له عليهم .

قال : وجمعت له بنو أُميّة بينها مالاً كثيراً . قال : ولم يُجمَع من قصيدته تلك يومئذٍ إلاّ ما حفظه الناسُ منها فأُلِف . وسُئِل عنها ، فقال : ما أَحفَظُ منها شيئاً ؛ إنّما هو كلامٌ ارتجلتُه .

فقال : ووَدّع هشاماً ، وأَنشده قوله فيه[2] : [من الخفيف]

ذكـر القلـبُ إلْفَه المذكورا

[سبقه إلى معنى في صفة الفرس]

قال محمد بن كُناسة : وكان الكُميت يقول : سبقتُ الناسَ في هذه القصيدة من أهل الجاهليّة والإسلام إلى معنًى ما سُبِقتُ إليه في صفةِ الفرس حين أقول[3] : [من الخفيف]

يَبْحثُ التُّرْبَ عن كواسر في المَشْـ ـرَبِ لا يُجْشِمُ السُّقاةَ الصَّفيرا

هذه رواية ابن عمّار . وقد روي فيه غير هذا .

وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكُميت غير هذا ، نسختُه من كتاب محمد بن يحيى الخزّاز ، قال : حدَّثني أحمد بن إبراهيم الحاسب ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أُميَّـة البلخـيّ ، قـال : كان حَكِيم بن عيّاش الأَعور الكلبيُّ وَلِعاً بهجاء[4] مُضَر ، فكانت شعراء مُضَر تَهْجُوه ويُجيبهم ، وكان الكُميت يقول : هو واللهِ أَشْعَرُ منكم . قالوا : فأَجِب الرجلَ .

1 شعر الكُميت : 147 .
2 شعر الكُميت : 210 .
3 شعر الكُميت : 205 . غير أن البيت في وصف عروق النبات في الأرض .
4 ل : بشعراء .

قال : إنَّ خالد بن عبد الله القَسْرِيّ محسن إليَّ فلا أُقدِرُ أَنْ أردَّ عليه . قالوا : فاسْمَعْ بأُذنك ما يقول في بنات عَمِّك وبنات خالك من الهجاء ، وأنشدوه ذلك ؛ فحمِيَ الكُميت لعشيرته ، فقال المُذْهَبة :

ألا حُيِّيتِ عنّا يــا مَدِينا

فأحسن[1] فيها ، وبلغ خالداً خبَرُها ، فقال : لا أُبالي ما لم يَجْرِ لعشيرتي ذِكر ، فأنشدوه قوله : [من الوافر]

ومِــنْ عَجَبٍ عليَّ لَعَمْرُ أُمٍّ غذَتــك وغير هاتيّــا يمينا
تجاوزتَ الميــاهَ بــلا دَليلٍ ولا عَلَــمٍ تَعَسُّفَ مخطئينا
فإنَّكَ والتحوّل مِــنْ مَعَدّ كهيلـــــةَ قَبْلَنــا والحالبينا
تخطَّت خيرهم حَلَبا ونَسْئاً إلى المَــوْلى المغادِرِ هاربينا[2]
كعَنْزِ السّوء تنطحُ عالِفيها وترميهــا عِصِـــيُّ الذّابحِينا[3]

فبلَغَ ذلك خالداً ، فقال : فعلَها ! واللهِ لأَقتُلَنَّه . ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن ، وتخيَّرهنَّ نهايةً في حُسْنِ الوجوهِ والكمال والأَدَب ، فروَّاهُنَّ الهاشِميّات ، ودسَّهنَّ مع نخَّاسٍ إلى هشام بن عبد الملك ، فاشتراهُنَّ جميعاً . فلمّا أنس بهنَّ استنطقهنَّ ، فرأى فصاحةً وأَدباً ، فاستقرأَهُــنَّ القرآنَ ، فقــرأْنَ ، واستنشدهنَّ الشعر ، فأَنشدْنَه قصائد الكُميت الهاشميّات . فقــال : ويلكــنّ ! مَن قائلُ هذا الشعر ؟ قلن : الكُميت بن زَيْد الأَسَدِيّ . قال : وفي أيِّ بلد هو ؟ قُلْنَ : في العراق ، ثم بالكوفة . فكتب إلى خالد وهو عامِلُه على العراق : ابْعَثْ إليَّ برأْسِ الكُميت بن زيد ، فبعث خالد إلى الكُميت في الليل ، فأخذه وأَوْدَعَه السِّجْن . ولمّا كان من الغدِ أقرأ مَنْ حضره من مُضَر كتابَ هِشام ، واعتذر إليهم مِن قتلِه ، وآذنَهم في إنفاذِ الأَمرِ فيه في غدٍ ؛ فقال لأَبان بن الوليد البجَليّ ، وكان صَدِيقاً للكُميت : انظر ما ورد في صَدِيقك . فقال : عزَّ عليّ واللهِ ما به ، ثم قام أبان ، فبعث إلى الكُميت فأنذره ، فوجَّه إلى امرأتِهِ .

ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانَه ، كما ذكر مَن تقدّمه . وقال فيه : فأتى مَسلمة بن عبد الملك فاستجارَ به ، فقال : إنّي أخشى ألاّ ينفعك جواري عنده ، ولكن استجر بابنهِ مَسلمة بن هشام . فقــال : كُــنْ أَنتَ السفير بيني وبينه في ذلك ، ففعل

---

1 ل : فأفحش .

2 النسء : اللبن الكثير الماء .

3 عالفيها في ل : حالبيها .

مسلمة ، وقال لابنِ أخيه : قد أتيتك بشَرَف الدَّهْرِ ، واعتقادِ الصَّنيعةِ في مُضَر ، وأخبره الخبر ؛ فأجاره مسلمة بن هشام . وبلغ ذلك هشاماً فدعا به ، ثم قال : أتُجيرُ على أمير المؤمنين بغير أمرِه ؟! فقال : كلاّ ، ولكنّي انتظرتُ سكونَ غَضَبِه . قال :أَحْضِرْنيه الساعة ، وإلاّ لا جوار لك . فقال مَسلمة للكُميت : يا أبا المستهلّ ، إنّ أميرَ المؤمنين أمرني بإحضارك . قال : أتسلمني يا أبا شاكر ؟ قال : كلاّ ، ولكنّي أحتالُ لكَ . ثم قال له : إنّ معاوية بن هشام مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعاً شديداً ، فإذا كان من الليل فاضرِبْ رواقَك على قبره ، وأنا أبعثُ إليك بنيه يكونون معك في الرّواق ، فإذا دعا بك تقدَّمْتَ إليهم أنْ يربطوا ثيابَهم بثيابك ، ويقولوا : هذا استجار بقبْرِ أبينا ، ونحن أحقُّ مَنْ أجاره .

فأصبح هشام على عادتِهِ مُتَطَلِّعاً مِنْ قَصْرِه إلى القبر ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : لعلّه مُستَجِير بالقَبْرِ ! فقال : يُجارُ مَنْ كان إلاّ الكُميت ؛ فإنّه لا جوار له . فقيل : فإنّه الكُميت ، قال : يُحْضَرَ أَعْنَف إحضار . فلمّا دُعِي به رَبط الصبيانُ ثيابَهم بثيابه . فلمّا نظر هشام إليهم اغرورَقَت عيناه واستعبَرَ ، وهُم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بِقَبْرِ أبينا ، وقد مات ، ومات حظُّه من الدُّنيا ، فاجْعَلْهُ هبةً له ولنا ، ولا تفضحنا فيمَن استجار به . فبكى هشام حتى انتحَب ، ثم أقبل على الكُميت فقال له : يا كُمَيت ، أنت القائل : [من الطويل]

وإلاّ تَقُولوا غيرها تتعرّفوا نَواصِيَها تَرْدِي بِنا وهي شُزَّبُ[1]

فقال : لا ، والله ، ولا أتانٌ مِنْ أتن الحجاز وَحْشِيّة . فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيِّه ، ثم قال : أمَّا بعد فإنّي كنتُ أتَدهْدى[2] في غمرة ، وأعُوم في بَحْرِ غواية ، أخْنى عليَّ خطلها ، واستفزَّني وَهلها[3] ؛ فتحيَّرتُ في الضَّلالَة ، وتسكَّعت في الجهالة ، مُهْرِعاً عن الحقّ ، جائراً عن القَصْدِ ، أقولُ الباطلَ ضلالاً ، وأفُوه بالبهتان وَبالاً ، وهذا مقامُ العائذِ مُبْصِرِ الهدى ، ورافض العمى . فاغسِلْ عنّي يا أمير المؤمنين الحَوْبَة[4] بالتَّوبة ، واصْفَحْ عن الزلّة ، واعْفُ عن الجَرِمَة[5] ، ثم قال : [من مجزوء الكامل]

1 لم يرد هذا البيت في مجموع شعره ، وورد في الهاشميات : 47 . والشزب : الضمر .
2 أتدهدى : أتقلب .
3 الوهل : الفزع .
4 الحوبة : الخطيئة والإثم .
5 الجرمة : الذنب .

كَمْ قـالَ قائلُكم : لَعـا   لـك ، عنـد عَثْرتِهِ لعاثِرْ
وغفَرْتُـمُ لِـذَوِي الذنـو   بِ من الأكابرِ والأصاغِرْ
أبَنِـي أُمَيَّـةَ إنّكُمْ   أهلُ الوسائـلِ والأواصِرْ[1]
ثِقَتـي لكُـلِّ مُلِمَـةٍ   وعَشِيرتـي دُونَ العَشائِرْ
أنتُـمْ مَعـادِنُ للخـلا   فَةِ كابراً مِـن بَعْـدِ كابِرْ
بالتِّسْعَـةِ المتابعيـ   ـنَ خلائفا وبخَيرِ عاشِرْ
وإلى القيامَـةِ لا تـزا   لُ لِشافعٍ منكـمْ وَواتِرْ[2]

ثم قطع الإنشادَ وعاد إلى خطبَته ، فقال : إغضاءُ أمير المؤمنين وسماحتُه وصباحتُه ، ومَناط المنتَجعِين بحَبْلِه ، مَنْ لا تُحَلُّ حَبْوتُه لإساءةِ المذنبين ، فضلاً عن استشاطةِ غضَبِه بجَهْلِ الجاهلين .

[محاورة بينه وبين هشام في شعر قاله في بني أُميّة]

فقال له : ويلك يا كميت ! من زيّن لك الغَواية ، ودَلاّك في العَماية ؟ قال : الذي أخرج أبانا من الجنّة ، وأنساه العَهْد ، فلم يَجِدْ له عَزْماً . فقال : إيهِ ! أنت القائل : [من الطويل]

فيا مُوقِـدا نـاراً لغيرك ضَوْءُها   ويا حاطِباً في غير حَبْلِك تحطِبُ[3]

فقال : بل أنا القائل[4] : [من المتقارب]

إلى آلِ بَيْـتِ أبـي مالـكٍ   مناخٌ هـو الأرْحَبُ الأسْهَلُ[5]
نَمُـتُّ بأرْحامنـا الدَّاخِـلا   تِ مِنْ حَيْثُ لا يُنْكَرُ المدخَلُ
بِبَـرَّةَ والنَّضْـرِ والمالِكِيـ   ـنَ رَهْط هـم الأنبلُ الأنبلُ
وبابْنَـيْ خُزَيْمة بَـدْرِ السما   ءِ والشمس مفتـاح ما نأْمُلُ
وجَدْنـا قريشاً قريشَ البِطاح   علـى مـا بَنـى الأوَّلُ الأوَّلُ

---

1 الأواصر في شعر الكُميت : والأوامر .
2 الهاشميات : 54 .
3 المثل «هو يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 والمثل «كل امرىء يحتطب في حبله» في المرجع نفسه 2 : 171 .
4 شعر الكُميت 2 : 28–29 .
5 الشطر الأول في ل : إلى آل فهر إلى مالك .

بهم صَلُح النّاسُ بعد الفساد وحِيصَ مِن الفَتْق ما رَعْبَلُوا[1]

قال له : وأَنت القائل[2] : [من الخفيف]

لا كعَبْد المَلِيك أَو كوَلِيدٍ أَو سُليمان بَعْدُ أَو كهشام

مَنْ يَمُتْ لا يَمُتْ فقِيداً ومَنْ يَحْـ ـيَ فلا ذُو إِلٍّ ولا ذُو ذِمام

ويلك يا كميت ! جعلْتَنا مِمَّن لا يَرْقب في مُؤْمنٍ إلاًّ ولا ذِمَّة ، فقال : بل أَنا القائلُ يا أَمير المؤمنين : [من مجزوء الكامل]

فالآنَ صِرْتُ إلى أُميَّـ ـةَ والأُمورُ لها مصائِرْ

والآنَ صِرتُ بها المُصِيـ ـب كمُهْتَدٍ بالأَمْسِ حائِرْ

يا أَبْنَ العقائل للْعقا ئِلِ والجحاجِحةِ الأَخايِرْ

مِنْ عَبْدِ شمسٍ والأَكا بِرِ مِنْ أُمَيَّةَ فالأَكابِرْ

إنَّ الخلافة والإلا فَ بِرَغْمِ ذِي حَسَدٍ وواغِرْ

دَلفا مِنَ الشَّرفِ التَّلِيـ ـد إِليكَ بالرِّفدِ المُوافِرْ

فحللتَ مُعْتَلجَ البِطا ح وحلَّ غيرك بالظواهِرْ

قال له : إيه ، فأَنت القائل[3] : [من الوافر]

فقُلْ لبني أُميَّةَ حيْثُ حَلُّوا وإنْ خِفْتَ المُهَنَّد والقَطِيعا

أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشبعتموه وأَشبعَ مَنْ بجَوْرِكُمُ أُجيعا

بمَرْضِيٍّ السياسةِ هاشميٍّ يكونُ حَياً لأُمَّتِهِ رَبِيعا

فقال : لا تثريب يا أَمير المؤمنين ، إن رأَيت أَنْ تمحُوَ عنّي قولي الكاذب . قال : بماذا ؟ قال : بقولي الصادق[4] : [من الخفيف]

أَورثَتْهُ الحَصانُ أُمُّ هشامٍ حسَباً ثاقِباً ووَجْهاً نَضِيرا

وتعاطى به ابنُ عائشةَ البد رَ فأَمسى لَه رَقيباً نَظيرا

---

1 حيص : رتق . ورعبلوا : مزّقوا .

2 لم يرد البيتان في مجموع شعره . وهما في الهاشميات : 11–12 .

3 الهاشميات : 153 .

4 شعر الكُميت 1 : 204 .

وكساه أبو الخلائف مَرْوا نُ سَنِيَّ المكارِمِ المأثورا
لم تجهَّمْ لَهُ البِطاحُ ولكِنْ وَجَدَتْها لَهُ مَغاراً ودُورا[1]

[أعجب هشام بشعره فرضي عنه]

وكان هشامٌ مُتَّكِئاً فاستوى جالساً ، وقال : هكذا فليكن الشعر ، يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر ، وكان إلى جانبه ، ثم قال : قد رضيتُ عنك يا كُمَيْت ؛ فقبَّل يده ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن رأيتَ أن تزيدَ في تشريفي ، ولا تجعلَ لخالد عليَّ إمارة ! قال : قد فعلت . وكتب له بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هِشاميّة . وكتب إلى خالد أن يخلّيَ سبيلَ امرأته ويُعطيَها عشرين ألفاً وثلاثين ثوباً . ففعل ذلك .

[سحابة صيف]

وله مع خالدٍ أخبارٌ بعد قدومه الكُوفة بالعَهْد الذي كُتب له ، منها أنّه مرَّ به خالدٌ يوماً ، وقد تحدَّث الناس بِعَزْلِهِ عن العراق ، فلمّا جاز تمثَّل الكُميت[2] : [من الطويل]

أراها ، وإنْ كانت تُحَبُّ ، كأنّها سحابةُ صَيْفٍ عن قليل تَقَشَّعُ[3]

فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لا تنقشِعُ حتى يغشاك منها شُؤْبوب بَرَد . ثم أمر به فجُرِّدَ ، فضربه مائةَ سوط ، ثم خلّى عنه ومَضى . هذه رواية ابن حبيب .

[يحذّر هشاماً من خالد]

وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال : حدَّثنا النَّوْفليّ عليّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كان هشام بن عبد الملك قد اتّهم خالد بن عبد الله ، وكان يُقال : إنّه يريد خَلْعَكَ ، فوُجد بباب هشام يوماً رقعةٌ فيها شعر ، فدُخِل بها على هشام فقُرِئت عليه ، وهي[4] : [من الطويل]

تألَّقَ بَرْقٌ عندنا وتقابَلَتْ أثافٍ لِقدْرِ الحَرْبِ أخْشى اقْتبالَها
فدونَك قِدْرَ الحَرْبِ وهي مُقِرَّةٌ لكفَّيك واجعل دُونَ قِدْرٍ جِعالَها[5]
ولن تنتهي أو يبلغ الأمْرُ حَدَّه فنَلْها برِسْلٍ قبل ألاّ تنالَها

1 مغاراً في شعر الكُميت : معاناً .
2 شعر الكُميت : 250 .
3 المثل «سحابة صيف عن قليل تقشع» في مجمع الميداني 1 : 344 .
4 شعر الكُميت 1 : 86-87 .
5 الجعالة : خرقة تنزل بها القدر .

فتجشَّم منها ما جَشمْتَ مِنَ التي بسُوراءَ هرَّت نحـو حالكَ حالها[1]
تَلافَ أُمـورَ النـاس قبل تفاقُمٍ بعَقْدةِ حَزْم لا تَخـافُ انْحلالَها
فما أبــرم الأَقــوامُ يَوْماً لِحيلَةٍ مِنَ الأَمــرِ إلاّ قلَّـدُوكَ احتيالها
وقـد تُخْبِرُ الحَرْبُ العَوانُ بسرِّها ـ وإن لم تُبحْ ـ مَنْ لا يُرِيدُ سؤالَها

فأَمر هشام أَن يُجمعَ له مَنْ بحضرته من الرُّواة ، فجُمِعوا . فأَمر بالأَبيات فقرئت عليهم ، فقال : شِعرُ مَنْ تُشبِه هذه الأبيات ؟ فأجمعُوا جميعاً مِنْ ساعتهم أنّه كلام الكُميت بن زيد الأَسديّ . فقال هشام : نعم ، هذا الكُميت يُنْذِرُني بخالد بن عبد الله . ثم كتب إلى خالد بخَبَرِه ، وكتب إليه بالأَبيات ، وخالدٌ يومئذٍ بواسط .

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمُره بأَخْذِ الكُميت وحَبْسه ، وقال لأَصحابه : إنّه بلغني أنَّ هذا يمدحُ بني هاشم ويهجُو بني أُميّة ، فأْتوني من شعره هذا بشيء . فأُتِيَ بقصيدته اللاميّة التي أوّلُها[2] : [من الطويل]

أَلا هَـلْ عَـمٍ في رَأْيِه مُتأَمِّلُ وهل مُدْبِرٌ بعد الإساءة مُقْبِلُ !

فكتبها وأَدْرَجها في كتابٍ إلى هشام ، يقول : هذا شعرُ الكُميت ؛ فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك .

فلمّا قُرِئت على هشام اعتاظ ، فلمّا قال[3] : [من الطويل]

فيا ساسةً هاتوا لنا مِنْ جوابِكم ففيكم لعَمْري ذُو أَفانين مِقْوَلُ

اشتَدَّ غَيْظُه ، فكتب إلى خالدٍ يأمُره أنْ يقطعَ يَدَي الكُميت ورِجْلَيه ، ويُضربَ عنقه ويهدمَ داره ، ويصلبه على تُرابها .

[ابن عنبسة ينذره]

فلمّا قرأ خالد الكتابَ كرِه أَنْ يَسْتَفْسِدَ عشيرتَه ، وأَعلن الأَمرَ رجاء أَن يتخلَّصَ من الكُميت ، فقال : لقد كتب إليَّ أميرُ المؤمنين ، وإنِّي لأَكرَهُ أن أَستَفْسِدَ عشيرته ، وسمّاه . فعرف عبد الرحمن بن عَنبسة بن سَعِيد ما أرادَ ، فأخرج غلاماً مولّداً ظريفاً ، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة ، وقال : إنْ أنتَ ورَدْتَ الكوفةَ ، فأَنْذرْتَ الكُميت لعلّه أَن

1 سوراء : موضع .
2 الهاشميات : 110–144 .
3 الهاشميات : 116 .

يتخلَّصَ منَ الحَبْس ، فأَنتَ حُرٌّ لِوجْهِ الله ، والبغلةُ لك ، ولك عليَّ بعد ذلك إكرامُك والإحسانُ إليك .

فركب البَغْلة وسار بقيَّةَ يومِه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها ، فدخل الحبسَ مُتَنكِّراً ، فخبَّر الكُميت بالقصّة ، فأرسل إلى امرأتِه وهي ابنةُ عمِّه يأْمرها أنْ تجيئَه ومعها ثيابٌ مِنْ لباسها وخُفّان ، ففعلت ، فقال : أَلبسيني لِبْسةَ النساء ، ففعلَتْ ، ثم قالت له : أقبِل ، فأقبَل ، وأدبِرْ ، فأدبَرَ . فقالت : ما أرى إلاّ يُبْساً في منكبيك ، اذهب في حِفْظ الله .

فخرج فمرَّ بالسجّان ، فظنَّ أنَّه المرأة ، فلم يعرِض له فنجا ، وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

خرجتُ خروجَ القِدْح قِدْحِ ابن مُقْبِل ... على الرّغْم من تلك النـوابحِ والمُشْلي
عـليَّ ثيـابُ الغانيـات وتحتَهـا ... عزيمةُ أَمـرٍ أَشبهَتْ سَلَّـةَ النَّصْلِ

وورد كتابُ خالد على والي الكوفة يأْمرُه فيه بما كتب به إليه هشام ، فأَرسل إلى الكُميت ليُؤْتى بِهِ من الحَبْس فيُنفِذَ فيه أمْرَ خالد ، فدنا من باب البيت فكلَّمتْهم المرأةُ ، وخبَّرتهم أنّها في البيت ، وأنَّ الكُميت قد خرج ؛ فكتب بذلك إلى خالد فأجابه : حرَّة كريمة آسَتْ ابْنَ عمِّها بنفسها ، وأمر بتَخْلِيتها ، فبلغ الخبرُ الأعورَ الكلبيَّ بالشام ، فقال قصيدته التي تَرْمِي فيها امرأة الكُميت بأهل الحبس ، ويقول : أَسْوَدِينَ وأحمَرِينا[2] .

[هجاؤه أحياء اليمن]

فهاج الكُميت ذلك حتى قال :

أَلا حُيِّـيتِ عنّا يـا مَدِينا

وهي ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيّاً مِنْ أَحياء اليَمَنِ إلاَّ هجاهم . وتوارى ، وطُلِب ، فمضى إلى الشام ، فقال شعره الذي يقول فيه :

قِـفْ بالدِّيار وقوفَ زائرْ

في مسلمة بن عبد الملك ، ويقول : [من مجزوء الكامل]

يا مَسْلَمُ ابْنَ أَبي الوليدِ ... لميِّتٍ إنْ شئـتَ ناشِرْ
اليـومَ صـرتُ إلى أُميّـ ... ـة والأُمورُ إلى المصايِرْ

قال أَبو الحسن : قال أَبي : إنمّا أَراد اليوم صرتُ إلى أُميّة والأُمورُ إلى مصايرها ؛ أَي بني

---

1 شعر الكُميت 2 : 50 .

2 البيت في خزانة البغدادي 1 : 178 .

فما وجدت بنات بني نزار ... حلائـل أسودين وأحمرينا

هاشم . وبذلك احتجّ ابنُه المستهلّ على أبي العبّاس حين عَيَّره بقول أبيه هذا الشعر .

فأذن له ليلاً ، فسأله أن يُجيره على هشام ، فقال : إنّي قد أجَرْت على أمير المؤمنين فأخفر جواري ، وقبيحٌ برجل مثلي أن يُخفَرَ في كلِّ يوم ، ولكنّي أدلّك ، فاستجرْ بمسلمة بن هشام وبأُمّه أُمِّ الحكم بنت يحيى بن الحكم ؛ فإنّ أميرَ المؤمنين قد رشّحه لولاية العهد .

فقال الكُميت : بئس الرأْيُ ! أُضيعُ دَمِي بين صَبيّ وامرأة ! فهل غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبّه ، وقد جعل أميرُ المؤمنين على نَفْسِه أن يزورَ قبرَه في كلِّ أُسبوع يوماً ، وسمّى يوماً بعينِه ، وهو يزورُه في ذلك اليوم ، فامْضِ فاضرِبْ بناءك عند قبره ، واستجِرْ به ، فإنّي سأحضر[1] معه وأُكلّمه بأكثر من الجوار .

ففعل ذلك الكُميت في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه ، فجاء هشام ومعه مسلمة ، فنظر إلى البناء ، فقال لبعض أعوانه : انظر ما هذا ، فرجع فقال : الكُميت بن زيد مُستجير بقَبْر معاوية ابن أمير المؤمنين . فأمر بقتله ، فكلَّمَه مَسلمة وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ إخفارَ الأمواتِ عارٌ على الأحياء ، فلم يزل يعظِّم عليه الأمرَ حتى أجاره .

[خروج الجعفرية على خالد وهو يخطب]

فحدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شَيْخ ، قال : حدَّثنا حَجر بن عبد الجبّار ، قال : خرجت الجعفريّة[2] على خالد بن عَبد الله القَسْريّ وهو يخطبُ على المِنبر وهو لا يعلمُ بهم ، فخرجوا في البيانيين ، ينادون : لبّيك جعفر ، لبّيك جعفر ! وعرف خالدٌ خبرهم ، وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعلم ما يقول فَزَعاً ، فقال : أَطعموني ماءً ، ثم خرج الناسُ إليهم فأُخِذوا ، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويُؤخذ طُنّ قصَب[3] فيُطْلى بالنّفْط ، ويُقال للرجل احتضِنه ، ويُضرَب حتى يفعل ، ثم يحرَق ، فحرّقهم جميعاً .

فلمّا قدِم يوسف بن عُمر دخل عليه الكُميت وقد مدحه بعد قتله زَيْد بن عليّ ، فأنشده قوله فيه[4] : [من الطويل]

خرجْتَ لهم تَمْشي البَراحَ ولم تكُنْ كمَنْ حِصنُه فيه الرِّتاجُ المضبَّبُ[5]

---

1 ل : شاخص .

2 ل : المغيرية .

3 طن القصب : الحزمة منه .

4 شعر الكُميت 1 : 85 .

5 المضبب : المغلق .

وما خالدٌ يستَطْعِمُ الماءَ فاغِراً بِعِدْلِكَ والدَّاعي إلى الموتِ ينعَبُ

[قتله الجند تعصّباً لخالد]

قال : والجندُ قيامٌ على رأْسِ يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصَّبُوا لخالد ، فوضعوا ذُبابَ سيُوفِهم في بَطْنِ الكُميت ، فوَجِئوه[1] بها ، وقالوا : أتنشدُ الأميرَ ولم تَسْتأْمِرْه ! فلم يزل ينزف الدَّمَ حتى مات .

[اعتذاره لهشام]

وأخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ عن محمد بن سلمة بن أرتبيل ، قال : لمّا دخل الكُميت بن زَيْد على هشام ، سلَّم ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، غائب آبَ ، ومذنب تاب ، مَحا بالإنابة ذَنْبَه ، وبالصِّدْقِ كذبه ، والتوبةُ تُذهب الحَوْبَة ، ومِثلُك حَلُم عن ذي الجريمة ، وصفح عن ذي الرِّيبَة .

فقال له هشام : ما الذي نجّاك من القَسْرِيّ ؟ قال : صِدْقُ النيّة في التوبة . قال : ومَنْ سنَّ لك الغَيَّ وأوْرَطك فيه ؟ قال : الذي أغْوى آدم فنَسيَ ولم يَجدْ له عَزْماً ، فإن رأيْتَ يا أمير المؤمنين ، فَدَتْكَ نفسي ، أنْ تأذَن لي بِمَحْوِ الباطل بالحقّ ، بالاستماع لما قُلته ! فأنشده : [من الخفيف]

ذَكَرَ القلبُ إلْفَهُ المذكورا وتلافى مِنَ الشبابِ أخيرا

[موقف الكُميت من بني أُميّة وبني هاشم]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العنَزِيّ ، قال : حدَّثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ ، قال : حدَّثني محمد بن أنس ، قال : حدَّثني محمد بن سهل الأسديّ ، قال : دخل المستهلّ بن الكُميت على عبد الصَّمد بن عليّ ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فأخبره ؛ فقال : لا حيَّاكَ اللهُ ولا حيَّا أباك ، هو الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

فالآن صرتُ إلى أُميَّـ ـة والأُمورُ إلى المصايِرْ

قال : فأطرقْتُ استحياء ممّا قال ، وعرفْتُ البيتَ . قال : ثم قال لي : ارْفَع رأْسَكَ يا بنيَّ ، فلئن كان قال هذا ، فلقد قال[2] : [من الطويل]

بخاتمكم كرهاً تجوزُ أُمورُهم فلم أرَ غَصْباً مِثْله حين يُغْصَبُ

1 وجئوه : ضربوه في أي مكان .
2 الهاشميات : 37 .

قال : فسلّى بعضَ ما كان بي ، وحادثني ساعةً ، ثم قال : ما يعجبُك من النساء يا مستهلّ ؟ قلت : [من الكامل]

غَرّاء تَسْحَبُ مِنْ قيامٍ فَرْعَها ... جَثْلاً يُزَيِّنُه سَوادُ أَسْحَمُ[1]
فكأنّها فيه نَهارٌ مُشْرِقٌ ... وكأنّهُ ليلٌ عَلَيْها مُظْلِمُ

قال : يا بنيّ ؛ هذه لا تصابُ إلاّ في الفردوس ، وأَمَر له بجائزة .

[يصلح بشعره بين هشام وجاريته]

أَخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله الخصّاف الطلحيُّ ، عن محمد بن أنس السّلاميّ ، قال : كان هشامُ بن عبد الملك مشغوفاً بجارية له يقال لها صدُوف مدَنيّة اشترِيَت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها ، وحلف ألاَّ يبدأها بكلام ، فدخل عليه الكُميتُ وهو مغموم بذلك ، فقال : ما لي أَراكَ مغموماً يا أميرَ المؤمنين ، لا غمَّكَ اللهُ ! فأخبره هشام بالقصّة ، فأطرق الكُميت ساعةً ثم أَنشأ يقول[2] : [من الكامل]

أعتبْتَ أَمْ عَتَبَتْ عَلَيْكَ صَدُوفُ ... وعِتابُ مِثْلك مِثلَها تَشريفُ
لا تقعُدَنَّ تَلُومُ نفسَك دائباً ... فيها وأَنتَ بحُبِّها مشغوفُ
إنَّ الصريمةَ لا يقومُ بثِقْلِها ... إلاَّ القويُّ بها ، وأَنْتَ ضَعيفُ

فقال هشام : صدقتَ واللهِ ، ونهض مِنْ مجلسه ، فدخل إليها ، ونهضَتْ إليه فاعتنقته . وانصرف الكُميت ، فبعث إليه هشام بألفِ دينار ، وبعثَتْ إليه بمثلها .

[عند يزيد بن عبد الملك]

قال الطلحيّ : أَخبرني حُبيش بن الكُميت أَخو المستهلّ بن الكُميت بن زيد ، قال : وفد الكُميت بن زَيْد على يزيد بن عبد الملك ، فدخل عليه يوماً وقد اشترِيت له سلاّمة القسّ ، فأَدخلها إليه والكُميتُ حاضِرٌ فقال له : يا أَبا المستهلّ ؛ هذه جارية تُباع ، أَفَترى أَن نَبْتاعها ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين ؛ وما أرى أنَّ لها مِثْلاً في الدُّنيا فلا تفوتنَّك ، قال : فصِفْها لي في شِعْرٍ حتى أقبلَ رأيَك ؛ فقال الكُميت[3] : [من الخفيف]

1 الشطر الثاني في ل : «وتغيب فيه وهو جثل أسحم» . والبيتان في الحماسة (شرح المرزوقي) : 1285 .
2 شعر الكُميت 1 : 253 .
3 لم يرِد هذا الشعر في مجموع شعره ولا في الهاشميات .

هي شمسُ النهار في الحُسْنِ إلاّ أنّها فُضِّلت بِقَتْلِ الظِّرافِ
غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخيم لَعُوبٌ وَعْثَةُ المتنِ شَخْتة الأطرافِ[1]
زانها دَلُّها وثَغْرٌ نَقِيٌّ وحَدِيثٌ مُرَتَّل غَيْر جافي
خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيةِ المتمنّى فاقْبَلِ النُّصْحَ يا ابْنَ عَبْدِ مَنافِ

فضحك يزيد ، وقال : قد قَبِلْنا نُصْحَكَ يا أبا المستهلّ ، وأمر له بجائزةٍ سنيّة .

[الفرزدق يسأل والكُميت يجيب]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ ، قال : أخبرني إبراهيم بن أيّوب ، عن ابن قُتيبة ، قال : مَرَّ الفرزدق بالكُميت وهو ينشِدُ ، والكُميت يومئذٍ صَبِيٌّ ، فقال له الفرزدق : يا غلام ، أيسرُّك أنّي أبوك ؟ فقال : لا ، ولكن يسرُّني أن تكون أُمّي ! فَحَصِرَ الفرزدق ، فأقبل على جلسائه وقال : ما مَرَّ بي مثلُ هذا قطّ .

[ينشد جعفر بن محمد فيبكي الحاضرين]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ بن عُقْدة ، قال : أخبرنا عليّ بن محمد الحسينيّ ، قال : حدَّثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال ، قال : حدَّثنا مصبِّح بن الهِلقام ، قال : حدَّثنا محمد بن سهل صاحب الكُميت ، قال : دخلتُ مع الكُميت على أبي عبد الله جَعْفر بن محمد عليهما السلام ، فقال له : جُعِلتُ فِداك ! ألا أُنشدك ؟ قال : إنّها أيّامٌ عِظام ، قال : إنّها فِيكم ، قال : هاتِ ، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقَرُب ، فأنشده ، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت[2] : [من الطويل]

يُصيبُ به الرَّامون عن قَوْسِ غيرِهم فيا آخِراً سَدّى له الغَيَّ أَوَّلُ

فرفع أبو عبد الله ، عليه السلام ، يَدَيْه فقال : اللهمّ اغْفِرْ للكُمَيْت ما قدَّم وما أخَّر ، وما أسرَّ وما أعلن ، وأعطِه حتى يَرْضى .

[الكسوة ورد المال]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ ، قال : حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال : قال محمد بن كُناسة : حدَّثني صاعِد مولى الكُميت ، قال : دخلْنا على أبي جعفر محمد بن عليّ ، عليهما السلام ، فأنشده الكُميت قصيدتَه التي أوّلها[3] :

---

1 وعثه المتن : سمينة الظهر . شختة الأطراف : ضامرتها دون هزال .
2 الهاشميات : 138 .
3 هذه أوّل قصيدة في الهاشميات .

مَــنْ لقَلْبٍ متيَّم مُسْتهامِ ؟

فقال : اللهمّ اغفر للكُمَيت ، اللهمّ اغْفِرْ للكُمَيت .

قال : ودخَلْنا يوماً على أبي جَعْفر محمد بن عليٍّ ، فأَعطانا أَلفَ دينار وكُسوة ، فقال له الكُميت : واللهِ ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردتُ الدُّنيا لأَتَيْتُ مَنْ هيَ في يَدَيْهِ ، ولكنّي أحببتكم للآخرة ؛ فأمّا الثيابُ التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبَرَكاتها ، وأمّا المالُ فلا أقبله ، فردّه وقَبِل الثياب .

قال : ودخلنا على فاطمة بنت الحسين ، عليهما السلام ، فقالت : هذا شاعِرُنا أَهلَ البيت ، وجاءت بقَدَحٍ فيه سَوِيق ، فحركّته بيدها وسقت الكُميت ، فشربه ، ثم أَمرَت له بثلاثين ديناراً ومَركب ، فهَمَلت عيناه ، وقال : لا والله لا أَقبلها ؛ إنّي لم أُحبّكم للدنيا .

[بنو أسد يذكرون ابن الكُميت ببيت أبيه]

أُخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ ، قال : أُخبرني عمّي ، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن ابْنِ كُناسة ، قال : لمّا جاءت المُسوّدَة سخروا بالمستهلّ بن الكُميت ، وحَملُوا عليه حَمْلاً ثقيلاً ، وضربوه . فمرَّ ببني أَسد ، فقال : أَترضوْن أَن يُفعل بي هذا الفعل ؟ قالوا له : هؤلاء الذين يقول أَبوك فيهم[1] : [من الخفيف]

والمُصيبون بابَ ما أَخطأَ النَّا س ومُرْسُو قواعِــدِ الإسلامِ

قد أَصابوا فيك ، فلا نكذب أَباك .

[المستهلّ وأبو مسلم]

قال : ودخل المستهلّ على أَبي مُسلم ، فقال له : أَبوك الذي كفر بعد إسلامه ، فقال : كيف وهو الذي يقول : [من الطويل]

بخاتمكم كرْهاً تجوزُ أُمُورهم فلم أَرَ غَصْباً مِثْلَه حين يُغْصَبُ

فأَطرق أَبو مسلم مستحيياً منه .

[المستهل يشكو إلى أبي جعفر]

أُخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكرانيّ ، قال حدَّثنا الحسن بن بشر السَّعديّ ، قال : أخذ العَسَس المستهلّ بن الكُميت في أيّام أبي جعفر ، وكان الأمر صَعْباً ، فحُبِس ، فكتب إلى أبي جعفر يشكو حالَه ، وكتب في آخر الرُّقعة : [من الطويل]

1 الهاشميات : 2 وفيها «والمصيبين . . . ومرسي» مجاراة للأبيات السابقة .

لئِنْ نحن خِفْنا في زمانِ عدوّكم وخِفْناكُمُ إنَّ البــلاءَ لراكِدُ

فلمّا قرأها أبو جعفر قال : صدق المستهلّ ، وأمر بتَخليَته .

[دعبل يرى النبيّ في النوم]

حدَّثني عليُّ بن محمد بن عليٍّ إمام مسجد الكوفة ، قال : أخبرنا إسماعيل بن عليّ الخُزاعيّ ، ابن أخي دعبل ، قال : حدَّثني عمِّي دِعْبل بن عليّ قال : رأيتُ النبيَّ ، ﷺ في النوم ، فقال لي : مالك وللكُمَيْت بن زيد ؟ فقلت : يا رسول الله ، ما بيني وبينه إلاّ كما بين الشعراء ، فقال : لا تفعل ، أليس هو القائل : [من الطويل]

فلا زلتُ فيهم حيثُ يتّهمونَني ولا زِلْــتُ في أَشْياعِهم أتقلَّبُ

فإنّ اللهَ قد غفر له بهذا البيت . قال : فانتهيتُ عن الكُمَيت بعدها .

[النبيّ يستنشد شخصاً في نومه شعر الكميت]

حدَّثني عليُّ بن محمد ، قال : حدَّثني إسماعيل بن عليّ ، قال : حدَّثني إبراهيم بن سعد الأسديّ ، قال : سمعتُ أبي يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام ، فقال : مِنْ أيِّ الناسِ أنت ؟ قلت : مِن العرب ، قال : أعلم ، فمِنْ أيِّ العرب ؟ قلت : من بني أسد ، قال : من أسدَ بن خزيمة ؟ قلت : نعم ، قال لي : أهِلاليٌّ أنتَ ؟ قلتُ : نعم . قال : أتعرِفُ الكُمَيت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمِّي ومِنْ قبيلتي ، قال : أتحفظ من شعرِه شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : أنشِدني[1] : [من الطويل]

طرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ

قال : فأنشدته حتى بلغت إلى قوله[2] : [من الطويل]

فما لِيَ إلاَّ آلَ أحمــدَ شيعةٌ وما لِيَ إلاَّ مَشْعبَ الحقِّ مَشْعَبُ

فقال لي : إذا أصبحتَ فاقرأ عليه السلام ، وقل له : قد غفر اللهُ لكَ بهذه القصيدة .

[ثالث يرى الكُميت في نومه ينشد النبي]

وجَدْتُ في كتاب بخطّ المُرْهبيّ الكوفيّ : حدَّثني سليمان بن الربيع بن هشام النهديّ الخرّاز ، قال : حدَّثني نَصْر بن مُزاحم المِنْقَريّ ، أنّه رأى النبيَّ ﷺ في النوم وبين يديه رجلٌ ينشده :

1 الهاشميات : 27 وعجز البيت «ولا لعباً منّي وذو الشوق يلعب» .

2 الهاشميات : 33 .

من لِقَلْب مُتَيَّــمٍ مُسْتَهامِ ؟

قال : فسألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الكُمَيْتُ بن زَيْد الأَسديٌّ ، قال : فجعل النبيّ ﷺ يقول له : جَزاكَ اللهُ خيراً ! وأثنى عليه .

[يعرض شعره على الفرزدق]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف ، قال : حدَّثنا الحسَن بن عُلَيل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أَحمد بن بُكَيْر الأَسديّ ، قال : حدَّثني محمد بن أنس السَّلاميّ ، قال : حدَّثني محمد بن سَهْل راوية الكُمَيت ، قال : جاء الكُمَيْت إلى الفرزدق لمّا قدِم الكوفة ، فقال له : إنّي قد قلْتُ شيئاً فاسْمَعْهُ منّي يا أَبا فِراس . قال : هاتِه ، فأَنشده قوله : [من الطويل]

طرِبْتُ وما شوقاً إلى البِيضِ أَطربُ ... ولا لَعِباً منّي وذو الشيبِ يَلْعَبُ
ولكِنْ إلى أَهلِ الفضائلِ والنُّهى ... وخَيْرِ بَني حَوّاءَ والخَيْرُ يُطلَبُ

فقال له : قد طرِبْتَ إلى شيءٍ ما طَرِبَ إليه أحدٌ قبلك ، فأمّا نحن فما نطربُ ، ولا طرب من كان قبلنا إلاَّ إلى ما تركت أنتَ الطَّربَ إليه .

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن عليّ النَّوفليّ ، قال : سمعتُ أَبي يقول : لمّا قال الكُمَيت بن زيد الشعرَ كان أوّل ما قال الهاشميّات ، فسترها ، ثم أَتى الفرزدق بن غالب ، فقال له : يا أَبا فِراس ، إنّكَ شيخُ مُضَر وشاعِرُها ، وأنا ابن أخيك الكُمَيت بن زيد الأَسديّ . قال له : صدَقْتَ ، أنتَ ابنُ أخي ، فما حاجتُك ؟ قال : نُفِثَ على لساني فقلت شعراً ، فأحببْتُ أن أعرضَه عليك ؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرْتَني بسَتْرِه ، وكنتَ أَولى من ستَره عليّ . فقال له الفرزدق : أمّا عقلك فحسَن ، وإنّي لأرجو أن يكون شعْرُك على قَدْرِ عقلك ، فأنشِدني ما قلت ، فأنشده : [من الطويل]

طرِبْتُ وما شوقاً إلى البِيض أَطْرَبُ

قال : فقال لي : فيمَ تطربُ يابْنَ أَخي ؟ فقال : [من الطويل]

ولا لِعباً منّــي وذو الشيب يَلْعبُ

فقال : بلى يابْنَ أَخي ، فالْعَبْ ، فإنّك في أَوان اللعب ، فقال : [من الطويل]

ولم يُلْهِنــي دارٌ ولا رسْم منزلٍ ... ولم يَتطَرَّبْنِــي بَنــانٌ مخضَّبُ

فقال : ما يُطربك يابْنَ أَخي ؟ فقال : [من الطويل]

ولا السانحاتُ البارِحــاتُ عشيّةً ... أَمَرَّ سَلِيمُ القَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ ؟

فقال : أَجل ، لا تتطيَّر ، فقال : [من الطويل]

ولكن إلى أَهــل الفضائل والنُّهى وخَيْرِ بنــي حوَّاءَ والخَيْرُ يُطلَبُ

فقال : ومَنْ هؤلاء ؟ وَيْحَك ! فقال : [من الطويل]

إلى النَّفَـر البيضِ الذِيــنَ بِحُبِّهم إلى اللهِ فيمــا نابَنــــي أَتقَــرَّبُ

قال : أَرِحني وَيْحَك ! مَنْ هؤلاء ؟ قال : [من الطويل]

بَنــي هاشمٍ رَهْــطِ النبيِّ فإنّني بهم ولَهُمْ أَرضى مِراراً وأَغْضَبُ
خفَضْتُ لهــم مِنّي جَناحَيْ مَوَدّةٍ إلى كَنَفٍ عِطْفاه ؛ أَهلٌ ومَرْحَبُ
وكنتُ لهــم مِــنْ هؤلاء وهَؤُلا مُحبّــا ، على أَنّي أُذَمُّ وأُقْصَبُ[1]
وأُرْمـى وأَرْمِـي بالعَداوَةِ أَهلَها وإنّــي لأُوذى فِيهــــمُ وأُؤَنَّبُ

فقال له الفرزدق : يا ابنَ أَخي ، أَذِع ثم أَذِعْ ؛ فأَنتَ واللهِ أَشعرُ مَنْ مضى ، وأَشعر مَن بقي .

[لا يصيب ولا يخطىء]

أَخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العنَزيّ ، قال : حدَّثني أَحمد بن بُكَير ، قال : حدَّثني محمد بن أنس ، قال : حدَّثني محمد بن سهل راوية الكُمَيْت عن الكُمَيت ، قال : لمّا قَدِم ذو الرُّمّة الكوفة أتيته فقلت له : إنّي قد قلْتُ قصيدةً عارضْتُ بها قصيدتك :

مــا بــال عَيْنِك منها الماءُ ينسكب[2]

فقال لي : وأيّ شيء قلت ؟ قال : قلتُ : [من البسيط]

هل أَنــتَ عــن طَلَب الأَيفاعِ مُنْقَلِبُ أَم كيف يحسنُ مِنْ ذي الشَّيْبَةِ اللَّعِبُ[3]

حتى أَنشدتُه إياها ، فقال لي : وَيْحك ! إنّك لتقولُ قولاً ما يقدِرُ إنسانٌ أن يقول لك أَصبتَ ولا أَخطأت ، وذلك أَنّك تصِفُ الشيءَ فلا تجيء به ، ولا تَقَعُ بعيداً منه ، بل تقع قريباً . قلت له : أَوَتدري لِمَ ذلك ؟ قال : لا . قلتُ : لأَنّك تصفُ شيئاً رأيتَه بعَيْنك ، وأَنا أَصِفُ شيئاً وُصِف لي ، وليست المعاينةُ كالوصف . قال : فسكت .

---

1 أقصب : أعاب وأُشتم .
2 هذه أوّل قصيدة في ديوان ذي الرمّة (مكارتني) . وعجز البيت «كأنّه من كلى مَفريّةٍ سرب» .
3 الأيفاع هنا : الكواعب .

[جدّتاه تصفان له البادية]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدَّثني إسماعيل بن عبد الله الطلحيّ ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل ، عن حمّاد الراوية ، قال : كانت للكُمَيت جدّتان أدركتا الجاهليّة ، فكانتا تصِفان له البادية وأُمورَها وتُخبِرانه بأخبار الناس في الجاهليّة ، فإذا شكّ في شِعْر أو خَبَر عرضه عليهما فيخبرانه عنه ، فمِن هناك كان عِلْمه .

أخبرني الحسن بن القاسم البجليُّ الكوفيُّ ، قال : حدَّثنا عليّ بن إبراهيم بن المُعَلَّى ، قال : حدَّثنا محمد بن فُضَيل ، يعني الصَّيرفيّ ، عن أبي بكر الحضْرميّ ، قال : استأذنتُ للكميت على أبي جعفر محمد بن عليٍّ ، عليهما السلام ، في أيّام التَّشريق بِمنًى ، فأذن له ، فقال له الكُمَيت : جُعلت فِداك ! إنِّي قلتُ فيكم شِعْراً أُحِبُّ أن أُنشدكَهُ . فقال : يا كُمَيت ، اذكر الله في هذه الأيّام المعلومات ، وفي هذه الأيّام المعدودات ، فأعاد عليه الكُمَيت القول ، فرقّ له أبو جعفر عليه السلام ، فقال : هات ، فأنشده قصيدته حتى بلغ : [من الطويل]

يُصِيب به الرَّامُونَ عن قَوْسِ غيرهمْ ... فيا آخــراً سَدَّى لــه الغَيَّ أَوَّلُ

فرفع أبو جعفر يدَيه إلى السماء وقال : اللهمّ اغفِرْ للكُمَيت .

[استئذانه في مدح بني أُميّة]

أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغَزَّال الكوفيّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا أرطاة بن حبيب ، عن فُضَيل الرَّسَّان ، عن ورد بن زَيْد أخي الكُمَيت ، قال : أرسلني الكُمَيت إلى أبي جعفر ، فقلت له : إنّ الكُمَيت أرسلني إليك ، وقد صَنَع بنفسه ما صنع ، فتأذَن له أن يمدحَ بني أُميّة ؟ قال : نعم ، هو في حِلّ فيَقُلْ ما شاءَ .

أخبرني محمد بن العبّاس ، قال : أخبرني عمّي عن عُبيد الله بن محمد بن حَبيب ، عن ابن كُناسَة ، قال : مات وَرْدٌ أخو الكُمَيت ، فقيل للكُمَيت : ألا ترثي أخاك ؟ فقال : مَرْثيته ومَرْزيته عندي سواء ، وإنّي لا أُطيق أن أُرثيَه جَزَعاً عليه .

[يروي الحديث]

وقد رَوى الكُمَيت بن زَيْد الحديث ، ورُوِي عنه .

أخبرني جعفر بن محمد بن عُبيد بن عُتبة في كتابِه إلي ، قال : حدَّثني الحُسين بن محمد بن عليٍّ الأزدي ، قال : حدَّثني الوليد بن صالح ، قال : حدَّثني محمد بن سعيد بن عمير الصيداوي ، عن أبيه ، عن الكُمَيت بن زَيْد ، قال : حدَّثني عكرمة أنّ عبد الله بن عبّاس بعثه

مع الحسين بن عليّ ، عليهما السلام ، فجعل يُهِلّ[1] حتى رَمى جَمْرَة العَقبة ، أو حين رمى جَمْرة العقبة ، فسألته عن ذلك ، فأخبرني أنّ أباه فَعَلَه . فحدَّثتُ به ابن عبّاس ، فقال لي : لا أُمَّ لك ! أتسألني عن شيءٍ أُخبرك به الحسين بن عليّ عن أبيه ! والله إنّها لسُنَّة .

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ ، قال : حدَّثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح ، عن الحسن بن محمد بن أعين ، عن حَفْص بن محمد الأسديّ ، قال : حدَّثنا الكُمَيت بن زيد عن مذكور مولى زينب ، عن زينب ، قالت : دخل عليّ النبيُّ ﷺ وأنا فضُلٌ[2] ، قالت : فقلت بيدي هكذا ، واستترتُ ، قالت : فقال لي : إنّ الله عزَّ وجلَّ زوَّجنيك .

حدَّثني أبو العبّاس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، قال : حدَّثني أحمد بن سراج ، قال : حدَّثني الحسن بن أيّوب الخثعمي ، قال : حدَّثنا فُرات بن حبيب الأسديّ قال : حدَّثني أبي حبيبُ بن أبي سليمان ، قال : حدَّثني الكُمَيت بن زيد ، قال : سأَلْتُ أبا جعفر عن قَول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآنَ لرادُّك إلى مَعاد﴾ . قال : دخلتُ أنا وأبي إلى أبي سعيد الخُدْرِيِّ ، فسأله أبي عنها ، فقال : مَعادُ آخِرَتِه : الموت .

[أخذه بالتقية]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال حدَّثني إسحاق بن محمد بن أبان ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مِهْران ، قال : حدَّثني رِبْعِيُّ بن عبد الله بن الجارود بن أبي سَبْرَة ، عن أبيه ، قال : دخل الكُمَيت بن زيد الأسديّ على أبي جعفر محمد بن عليّ ، عليهما السلام ، فقال له : يا كُمَيت ؛ أنت القائل : [من مجزوء الكامل]

فالآن صِرْتُ إلى أُمَيَّـــ ـــة والأُمورُ إلى المصايِـرْ

قال : نعم ، قد قُلْتُ ، ولا والله ما أردتُ به إلاّ الدُّنيا ، ولقد عرفتُ فضلكمُ ، قال : أما أَنْ قلت ذلك فإنَّ التقيّة لتحِلّ .

[أشعر الأوّلين والآخرين]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا الحَسَنُ بن عبد الرّحمن الرَّبَعِيّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن بُكَير الأسديّ قال : حدَّثنا محمد بن أنس السّلاميّ الأسديّ قال : سُئِل مُعاذ الهرَّاء : مَنْ أشعَرُ النّاسِ ؟ قال : أَمِن الجاهليين أم من الإسلاميين ؟

1 يهل : يرفع صوته .
2 فضل : مرتدية ثوباً واحداً .

قالوا : بل من الجاهليين . قال : امرؤ القيس ، وزُهير ، وعَبيد بن الأبرص . قالوا : فمِن الإسلاميين ؟ قال : الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والرَّاعي . قال : فقيل له : يا أبا محمد ، ما رأيناك ذكرتَ الكُميت فيمَنْ ذكرت . قال : ذاك أشعر الأوّلين والآخرين .

[يجود بما دون هلاك النفس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن بكّار ، قال : حدَّثنا أبو بكر الهذليّ ، قال : لمّا خرج زيدُ بن عليّ كتب إلى الكُمَيْتِ : اخْرج معنا يا أُعَيْمِش ، ألستَ القائل[1] : [من الخفيف]

مـا أُبالي ، إذا حُفِظْتَ أَبا القا سم ، فيكـم ملامـةَ اللوَّامِ

فكتب إليه الكُمَيت : [من الطويل]

تجودُ لكم نفسي بما دُون وَثْبَةٍ تظَلُّ لها الغِرْبـان حَوْلِيَ تَحْجِلُ

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عَمِّي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن محمد بن كُناسة ، قال : لمّا أُنشد هشام بن عبد الملك قول الكُمَيت[2] : [من الخفيف]

فَبِهِـمْ صرتُ للبعيـد ابْنَ عَـمٍّ واتّهمـتُ القريـبَ أيَّ اتّهـامِ
مُبْدِياً صفحتي على الموقفِ الْمُعْـلَم ، بالله قوَّتـي واعتصامي

قال : استَقْتَل[3] المُرائيّ .

[مدحه خالد القسرى]

قال : ودخل الكُمَيْت على خالد القَسْريّ ، فأنشده قوله فيه[4] : [من المنسرح]

لو قِيل للجُودِ : مَنْ حَلِيفُكَ ؟ ما إنْ كان إلاّ إليـك يَنْتَسِبُ
أنـتَ أخـوه وأنْـتَ صُورَتُـه والرأْسُ منه ، وغيرُك الذَّنَبُ
أَحرَزْتَ فَضْلَ النِّضالِ في مَهَلٍ فَكُـلَّ يَـوْمٍ بِكَفِّكَ القَصَبُ
مسوّم بالبهـاء يكنفك المجـد بتـاجِ الوقـار معتصبُ
لـو أنّ كَعْبـاً وحاتمـا نُشِرَا كانا جميعاً مِـنْ بَعْضِ ما تَهَبُ

---

1 الهاشميات : 22 .
2 الهاشميات : 21–22 .
3 ل : شك .
4 شعر الكُميت : 84 .

لا تخلِفُ الوَعْدَ إنْ وَعدتَ ولا أَنتَ عن المعْتَفِين تحتجبُ
ما دُونَكَ اليوم من نَوالٍ ، ولا خَلْفكَ للراغبين مُنْقلبُ[1]

فأمر له بمائة ألف درهم .

[المستهل وعيسى بن موسى]

قال : وحضر المستهلّ بن الكُمَيْت بابَ عيسى بن موسى ، وكان يكرمُه ، فبلغه أنّه قد غلب عليه الشرابُ ، فاستخفَّ به ، وكان آخرَ مَنْ يدخل إلى عيسى بن موسى قومٌ يُقال لهم الرّاشدون يُؤْذَن لهم في القعودِ ، فأُدخِل المستهلّ معهم ، فقال : [من المتقارب]

أَلم تَرَ أَنّيَ لما حضرت دُعِيتُ فكنتُ مع الرَّاشِدينا
ففُزْتُ بأحسنِ أسمائهم وأقْبَحِ منزلة الدَّاخلينا

[مخلد بن يزيد يجزل له العطاء]

أَخبرني حبيب بن نَصْر المهلَّبيّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة ، قال : دخل الكُمَيت على مَخْلَد بن يزيد بن المهلَّب ، فأنشده[2] : [من الكامل]

قاد الجيوشَ لخمسَ عَشْرَةَ حِجَّةً ولِداتُه عن ذاكَ في أَشْغالِ
قعدَتْ بهم هِمَّاتُهم وسمَتْ به هِمَمُ الملوكِ وسَوْرَةُ الأَبطالِ

قال : وقُدَّام مخلد دراهم يقال لها الرَّوِيجة ، فقال : خُذْ وِقْرَك منها . فقال له : البغلة بالباب ، وهي أجلد منّي . فقال : خُذْ وقْرَها ، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم ، فقيل لأبيه في ذلك ، فقال : لا أردُّ مكرُمةً فعلها ابني .

[يحب الإحسان في القول]

أَخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني أَبو بكر الأُمويّ ، قال : حدَّثنا ابن فضيل ، قال : سمعتُ ابن شُبْرُمَة ، قال : قلت للكُمَيْت : إنّك قلتَ في بني هاشم فأحسنْتَ ، وقلْتَ في بني أُميّة أفضل ، قال : إنّي إذا قلت أحببتُ أنْ أُحسِن .

[يكلف ابنه بالإنشاد عنه]

أَخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ ، قالا : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزِيّ ، قال : حدَّثنا محمد بن معاوية ، عن ابن كُناسة ، قال : كان الكُميت بن زيد طويلاً أصمّ ، ولَم

1 منقلب في ل : مطَّلَبُ .
2 شعر الكُميت 2 : 53 .

يكن حَسَنَ الصوت ولا جَيِّدَ الإنشاد ، فكان إذا استُنشد أَمَرَ ابنه المستهلّ فأَنشد ، وكان فصيحاً حسن الإنشاد .

[هجاؤه أهل اليمن]

أَخبرني عمِّي وابن عمّار ، قالا : حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل : أنَّ سبب هجاء الكُمَيْت أهل اليمن ، أنَّ شاعراً من أهل الشام يقال له حَكِيم بن عيّاش الكلبيّ كان يهجو عليَّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، وبني هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلى بني أُميّة ، فانتدبَ له الكُمَيت فهجاه وسبَّه ، فأجابه ولجَّ الهجاء بينهما . وكان الكُمَيْت يخافُ أن يفتضحَ في شعره عن عليّ ، عليه السلام ، لِما وقع بينه وبين هشام ، وكان يُظهر أنَّ هجاءه إيّاه في العصبيّة التي بين عدنان وقحطان . فكان ولد إسماعيل بن الصبّاح بن الأشعث بن قيس ووَلَد علقمة بن وائل الحَضْرَميّ يَرْوُون شِعْر الكلبيّ ، فهجا أَهلَ اليمن جميعاً إلاَّ هذين ، فإنّه قال في آل علقمة[1] : [من الوافر]

ولـولا آلُ عَلْقَمَـةَ اجتدَعْنا   بقايـا مـن أُنوفِ مُصَلّمينا

وقال في إسماعيل[2] : [من الطويل]

فـإنّ لإسماعيـل حقّـاً ، وإنّنـا   له شاعِبُو الصَّدْع المُقارِب للشَّعْبِ

وكانت لآلِ علقمة عنده يَدٌ ؛ لأنَّ علقمة آواه ليلةَ خرج إلى الشّام ، وأُمُّ إسماعيل من بني أَسد ، فكفَّ عنهما لذلك .

قال الطلحيّ : قال أبو سلمة : حدَّثني محمد بن سهل ، قال : قال الكلبيّ : [من البسيط]

مـا سَرَّني أَنَّ أُمّي مِنْ بني أَسدٍ   وأَنَّ رَبِّيَ نَجَّانِـي مِـنَ النّارِ
وأَنّـهم زوّجوني مـن بناتهمُ   وأَنّ لي كلّ يـوم أَلفَ دِينارِ

فأَجابه الكُمَيْت[3] : [من البسيط]

يا كلب مالك أُمٌّ من بني أَسد   معروفة فاحترق يا كلبُ بالنارِ
لكنَّ أُمَّك مِنْ قوم شُنِئْت بهم   قد قنَّعوك قناعَ الخِزْي والعارِ

---

1 شعر الكُميت : 124 .
2 شعر الكُميت 1 : 137 .
3 شعر الكُميت : 180–181 .

قال : فقال له الكلبيّ : [من البسيط]

لن يَبْرَحَ اللُّؤمُ هذا الحيَّ من أَسَد حتى يُفَرِّقَ بين السَّبْتِ والأَحَدِ

قال محمد بن أنس : حدَّثني المستهلّ بن الكُمَيْت ، قال : قلت لأبي : يا أبت ، إنّك هجوت الكلبيّ ، فقلت[1] : [من الهزج]

أَلا يـا سَلمَ يـا تِرْبِي أَفي أَسمـاءَ من تِرْبِ ؟

وغمزتَ عليه فيها ، ففخرتَ ببني أُميّة ، وأَنتَ تشهد عليها بالكفر ، فألا فخرتَ بعليّ وبني هاشم الذين تَتَوَلَّاهُم ! فقال : يا بنيّ ، أنتَ تعلم انقطاعَ الكَلْبيّ إلى بني أُمَيّة ، وهم أعداء عليّ عليه السلام ، فلو ذكرتُ عليّاً لترك ذِكري ، وأقبلَ على هجائه ، فأكون قد عرَّضْتُ عليّاً له ، ولا أجِد له ناصراً من بني أُميّة ، ففخرت عليه ببني أُميّة ، وقلت : إنْ نقضها عليّ قَتَلُوه ، وإن أمسك عن ذكرهم قتلْتُه غَمّاً وغلبتُه ؛ فكان كما قال ، أمسك الكلبيّ عن جوابه ، فغلب عليه ، وأفحم الكلبيّ .

وفي أوّل هذه القصيدة غناء نسبته : [من الهزج]

صوت

أَلا يـا سَلمَ يـا تِرْبِي أَفي أَسماء مـن تِرْبِ ؟
أَلا يــا سَلم حُيِّـيتِ سَلِي عنّي وعن صَحبي
أَلا يــا سَلم غَنِّينـا وإنْ هَيَّجْتُمـا حُبِّي
عـلى حادِثــة الأَيّــا مِ لي نَصْباً من النَّصْبِ

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر عن عَمْرو .

[يحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجليّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : أخبرني أبو سعيد السّكّريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ ، قال : قال محمد بن سلمة : كان الكُمَيْت مدَّاحاً لأَبان بن الوليد البَجَليّ ، وكان أبان له مُحِبّاً وإليه مُحْسِناً ، فمدح الكُميتُ الحكمَ بن الصَّلْت ، وهو يومئذٍ يخلف يوسف بن عُمر ، بقصيدته التي أوّلها :

طربتَ وهاجكَ الشوقُ الحَثِيثُ

فلمّا أنشده إيّاها وفرغ ، دعا الحكم بخازِنه ليُعطيه الجائزة ، ثم دعا بأَبان بن الوليد ،

---

1 شعر الكُميت 1 : 125 .

فأُدْخِلَ إليه وهو مكبَّلٌ بالحديد ، فطالبه بالمال ، فالتفت الكُميتُ فرآه ، فدمعَتْ عيناه . وأقبل على الحكم ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ! اجعل جائزتي لأبان ، واحتسب بها له من هذا النّجم . فقال له الحكم : قد فعلتُ ، ردُّوه إلى السجن . فقال له أبان : يا أبا المستهلّ ، ما حلَّ له عليّ شيء بعدُ . فقال الكُمَيْت للحكم : أبي تسخَرُ أصلح اللهُ الأمير ! فقال الحكم : كذب ، قد حَلَّ عليه المال ، ولو لم يحلّ لاحتسَبْنا له ممّا يحلّ . فقال له حَوْشَب بن يزيد الشيبانيّ ، وكان خليفة الحكم : أصلح اللهُ الأمير ، أتشفِّع حمارَ بني أسد في عَبْد بَجِيلة ؟ فقال له الكُمَيْت : لئن قلتَ ذاك فوالله ما فررْنا عن آبائنا حتى قُتِلوا ، ولا نكحنا حلائلَ آبائنا بعد أنْ ماتُوا ، وكان يقال إنَّ حوشباً فرَّ عن أبيه في بعض الحروب ، فقتل أبوه ونجا هو ، ويقال : إنّه وطِيءَ جاريةً لأبيه بعد وفاته ، فسكت حوشب مُفْحَماً خجلاً ، فقال له الحكم : ما كان تعرُّضك للسان الكميت ! .

قال : وفي حَوْشَبٍ يقول الشاعر : [من الكامل]

نَجَّى حُشاشتَه وأسلم شيْخَه ... لَمّا رأى وَقْعَ الأَسِنَّة حَوْشَبُ

[تبادل الغناء بين ابنة الكُمَيْت وابنة أبان بن الوليد]

قال الطَّلْحيّ في هذا الخبر : وحدَّثني إبراهيم بن عليّ الأَسديّ قال : التقَتْ ريّا بنت الكُمَيْت بن زيد ، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكّة ، وهما حاجَّتان ، فتساءلَتا حتى تعارَفَتا ، فدفعت بنتُ أبان إلى بِنْتِ الكُمَيْت خَلْخالَيْ ذهب كانا عليها ، فقالت لها بنت الكُميت : جزاكُم اللهُ خيراً يا آل أبان ، فما تتركون بِرَّكُمْ بنا قديماً ولا حديثاً ! فقالت لها بنت أبان : بل أنتم ، فجزاكُم اللهُ خيراً ؛ فإنّا أعطيناكُم ما يَبِيدُ ويَفْنى ، وأعطَيْتُمونا من المجد والشرَف ما يَبقى أبداً ولا يَبيد ، يتناشده الناسُ في المحافل فيُحْيي مَيِّتَ الذِّكْرِ ، ويرفع بقية العَقِب .

[مولده وموته]

أخبرني عمِّي وابن عمّار ، قالا : حدَّثنا يعقوب بن نعيم ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصّاف الطلحيّ ، قال : قال محمد بن سلمة بن أرتبيل : وُلِد الكُمَيْت أيّام مقتل الحسين بن عليٍّ سنة ستّين ، ومات في سنة ستّ وعشرين ومائة ، في خلافة مروان بن محمد ، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً .

وقال يعقوب بن إسرائيل في رواية عمِّي خاصة عنه : حُدِّثْتُ عن المستهلّ بن الكُمَيْت أنّه قال : حضرتُ أَبي عند الموت وهو يجودُ بنفسه ، ثم أفاقَ ففتح عينيه ، ثم قال : اللهمّ آل محمد ، اللهمّ آل محمد ، اللهمّ آل محمد ، ثلاثاً ، ثم قال لي : يا بنيّ ؛ وددت أنّي لم أكُنْ

هجوتُ نساءَ بني كلب بهذا البيت : [من الوافر]

مع العُضْروطِ والعُسَفاء أَلْقَوْا بَرَادِعَهُــــنَّ غيــر مُحَصَّنِينا[1]

[وصيّته لابنه]

فعممتهنّ قَذْفاً بالفجُور ، والله ما خرجتُ بليل قطُّ إلاّ خشيتُ أَنْ أُرْمى بنجوم السماء لذلك . ثم قال : يا بنيّ ؛ إنّه بلغني في الروايات أنّه يُحْفَر بظَهْر الكوفة خندق يُخرَج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها ، فيحوَّلون إلى قبورٍ غير قبورهم ، فلا تدفنّي في الظهر ، ولكن إذا متّ فامْض بي إلى موضعٍ يقال له مَكْران ، فادفنّي فيه . فدُفِن في ذلك الموضع وكان أوّل مَن دُفِنَ فيه ، وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة .

قال المستهلّ : ومات أبي في خلافة مَروان بن محمد سنة ستٍّ وعشرين ومائة .

صوت

[من الخفيف]

أَستعــين الذي بكفَّيْهِ نَفْعِي ورَجائــي على التـــي قَتَلَتْني
ولقد كنتُ قد عرفْتُ وأبصر ت أُمــوراً لَـوْ أَنَّها نفعَتْني
قلت : إنّي أَهوى شِفا ما أُلاقي مِن خطوب تتابعت فَدَحَتْني[2]

عروضه من السريع[3] ، يقال : إنّ الشعر لعُمَر[4] ، والغناء لابن سُرَيج ثقيل أوّل بالوسطى ، عن حمّاد عن أبيه ، وفيه لحنٌ للهُذليّ . وقيل : بل لحن ابن سُريج للهُذليّ ، ذكر ذلك حَبَش . وقيل : بل هو ممّا نُسِب من غناء ابنْ سُريج إلى الهذَليّ .

1 العضروط : الذي يخدم بطعامه . والعسفاء : جمع عسيف ، وهو الأجير .
2 إني أهوى شفا في ل : أي أخت شفتي . فدحتني في ل : قد حنتني .
3 عروض الأبيات من الخفيف .
4 ديوان عمر : 437 .

[342] ـ خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين عليهما السلام

[توقف ابن سريج عن الغناء]

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أَبيه ، عن مصعب الزُّبيريّ ، قال : حدَّثني شيخ من المكِّيِّين ، ووجدتُ هذا الخبر أيضاً في بعض الكُتُب مَرْوِيّاً عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ ، عن مصعب ، عن شيخ من المكِّيِّين والرواية عنهما متَّفِقَةٌ ، قال : كان ابن سُرَيج قد أصابته الريح الخبيثة ، وآلى يميناً ألاَّ يغنِّي ، ونَسَك ولزم المسجد الحرام حتى عُوفِي . ثم خرج وفيه بقيَّة من العِلّة ، فأتى قَبر النبيّ ﷺ وموضعَ مُصَلاَّه . فلمّا قدِم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النُّسك والقراءة ، فكان أهلُ الغناء يأتونَه مسلِّمين عليه ، فلا يأذَن لهم في الجلوس والمحادثة ، فأقام بالمدينة حَولاً حتى لم يُحِسَّ من عِلّته بشيء ، وأَراد الشخوصَ إلى مكّة .

[التحايل لتسمعه سكينة]

وبلغ ذلك سُكينة بنت الحسين ، فاغتمَّت اغتماماً شديداً ، وضاق به ذَرْعُها ، وكان أَشعبُ يخدمها ، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره ، وقالت لأَشْعَب : ويلك ! إنَّ ابن سُرَيج شاخِصٌ ، وقد دخل المدينة منذ حول ، ولم أَسمع من غنائه قليلاً ولا كثيراً ، ويعزُّ ذلك عليَّ ، فكيف الحيلةُ في الاستماع منه ، ولو صوتاً واحداً ؟ فقال لها أَشعب : جُعِلْتُ فِداك ! وأنَّى لك بذلك والرجلُ اليوم زاهدٌ ولا حيلةَ فيه ؟ فارفعي طَمَعَكِ ، والْحَسي تَوْرَكِ[1] تنفعك حلاوة فَمك .

فأَمرت بعض جواريها فوَطِئْنَ بَطْنَه حتى كادت أَنْ تَخرج أَمعاؤه ، وخَنَقْنَه حتى كادت نفسُه أَن تَتْلَف ، ثم أَمَرَتْ به فسُحِب على وجهه حتى أُخرِج من الدار إخراجاً عنيفاً . فخرج على أسوأ الحالات ، واغتمَّ أَشعب غمّاً شديداً ، ونَدِم على ممازحتها في وقتٍ لم يَنْبَغِ له ذلك ؛ فأَتى منزلَ ابْنَ سُرَيج ليلاً فطرقه ، فقيل : مَن هذا ؟ فقال : أَشعب ، ففتحوا له ، فرأى على وجهِ ولحيتِه التراب ، والدَّمَ سائلاً من أَنفه وجَبْهته على لحيته ، وثيابه ممزّقة ، وبطنه

---

1 التور : إناء للشرب .

وصَدره وحَلْقه قد عصرها الدَّوْس والخَنْقُ ، ومات الدّم فيها ، فنظر ابنُ سريج إلى منظرٍ فظيع هالَه وراعَه ، فقال له : ما هذا وَيْحَك ؟ فقصَّ عليه القصّة .

[امتناعه من الذهاب إليها]

فقال ابن سُريج : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! ماذا نزل بك ؟ والحمد لله الذي سلَّم نفسك ، لا تعُودَنَّ إلى هذه أبداً . قال أشعب : فديتك هي مَوْلاتي ولا بدّ لي منها ، ولكن هل لك حيلةٌ في أَنْ تصِيرَ إليها وتُغَنِّيَها ؛ فيكون ذلك سبباً لِرَضاها عنّي ؟ قال ابن سُريج : كلاّ والله لا يكونُ ذلك أبداً بعد أن تركتُه .

قال أَشعب : قد قطعْتَ أملي ورفعتَ رِزْقي ، وتركتَني حَيْرانَ بالمدينة ، لا يقبلني أَحد وهي ساخطةٌ عليّ ، فاللهَ اللهَ فيّ ، وأنا أنشدك الله إلاَّ تحمَّلْت هذا الإثمَ فيّ ، فأبى عليه .

فلمّا رأى أَشعب أَنَّ عَزْمَ ابْنِ سُرَيج قد تمَّ على الامتناع قال في نفسه : لا حيلةَ لي ، وهذا خارجٌ ، وإنْ خرج هلكْتُ ، فصرخ صرخةً آذَن أَهلَ المدينة لها ، ونبَّه الجيران مِنْ رُقادهم ، وأقام الناسَ من فرشُهم ، ثم سكتَ فلم يدْر الناسُ ما القصّةُ عند خفُوتِ الصّوتِ بعد أن قد راعهُمْ .

فقال له ابن سريج : ويلك ! ما هذا ؟ قال : لئن لم تَصِرْ معي إليها لأَصرُخَنَّ صرخةً أُخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلاَّ صار بالباب ، ثم لأَفْتحنَّه ولأُرِينَّهم ما بي ، ولأُعلمنّهم أنّك أردتَ تفعلُ كذا وكذا بفلان ، يعني غلاماً كان ابنُ سريج مشهوراً به ، فمنعْتُك ، وخلَّصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى ؛ ففعلت بي هذا غيظاً وتأسّفاً ، وأنّك إنّما أَظهرت النُّسكَ والقراءة لتظفر بحاجتك منه ، وكان أهل مكّة والمدينة يعلمون حاله معه . فقال ابن سريج : اغرُبْ ، أخزاكَ الله . قال أَشعب : واللهِ الذي لا إله إلاّ هو ، وإلاّ فما أملك صدقة ، وامرأته طالق ثلاثاً ، وهو نَحِيرٌ[1] في مقام إبراهيم ، والكعبة ، وبيت النار ، والقبر قبر أبي رِغال إن أَنتَ لم تنهض معي في ليلتي هذه لأَفعلنَّ .

[وافق على الذهاب إلى سكينة]

فلمّا رأى ابنُ سريج الجدَّ منه قال لصاحبه : وَيْحَك ! أَما تَرى ما وقَعْنا فيه ؟ ! وكان صاحِبه الذي نزل عنده ناسكاً ؛ فقال : لا أَدري ما أَقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث . وتذَمَّمَ ابنُ سرَيج من الرجل صاحبِ المنزل فقال لأَشْعَب : اخْرج مِن منزل الرجل . فقال :

1 نحير : ذبيح .

رِجْلي مع رِجْلك ، فخرجا .

فلمّا صارا في بعض الطريق قال ابن سُرَيج لأشعب : امْضِ عَنّي . قال : واللهِ لئن لم تفعل ما قلْتُ لأصيحنَّ الساعة حتى يجتمعَ الناس ، ولأقولنَّ : إنّك أخذْتَ منّي سِواراً من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنّيها سرّاً ، وإنّك كابَرْتَني عليه وجحدْتَني ، وفعلتَ بي هذا الفعل .

فوقع ابن سريج فيما لا حيلةَ له فيه . فقال : أمْضي ، لا بارك اللهُ فيك . فمضى معه .

فلمّا صار إلى باب سُكينة قرع الباب ، فقيل : مَن هذا ؟ فقال : أشعب قد جاء بابن سُريج ، ففُتح الباب لهما ، ودخلا إلى حجرةٍ خارجةٍ عن دارِ سكينة . فجلسا ساعةً ، ثم أُذِن لهما فدخلا إلى سكينة ، فقالت : يا عُبيد ، ما هذا الجفاء ؟ قال : قد علمتِ بأبي أنتِ ما كان منّي . قالت : أجَلْ ، فتحدَّثا ساعة ، وقَصَّ عليها ما صنع به أشعب ، فضحكت ، وقالت : لقد أذهب ما كان في قلبي عليه ، وأمَرتْ لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة . ثم قال لها ابنُ سريج : أتأذنين بأبي أنتِ ؟ قالت : وأين ؟ قال : المنزل ، قالت ! برئت من جدّي إن برحت داري ثلاثاً ، وبرئت من جدّي إن أنت لم تُغَنِّ إن خرجت من داري شهراً ، وبرئتُ من جدّي إن أقمت في داري شهراً إن لم أضربك لكلّ يوم تقيم فيه عشراً ، وبرئتُ من جدّي إن حنِثت في يميني أو شفّعتُ فيك أحداً .

فقال عبيد : وا سخنة عيناه ! وا ذهاب دنياه ! وا فضيحتاه ! ثم اندفع يغنّي : [من الخفيف]

أستعـينُ الذي بِكفَّيْـه نفْعي ورَجائـي عـلى التي قَتَلَتْني

الصوت المذكور آنفاً . فقالت له سُكينة : فهل عندك يا عُبَيد منْ صَبْر ؟ ثم أخرجت دُمْلُجاً من ذَهب كان في عُضُدِها وَزْنُه أربعون مثقالاً ، فرمَتْ به إليه ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لما أدخلْتَه في يدك ، ففعل ذلك .

[استدعاء عزة الميلاء]

ثم قالت لأشعب : اذهب إلى عَزَّة[1] فأقْرِئها منّي السلام ، وأعلمها أنَّ عُبَيْداً عندنا ، فلتأتنا مُتَفضِّلة بالزيارة . فأتاها أشعب فأعلمها ، فأسرعت المجيءَ ، فتحدّثوا باقي لَيْلَتهم . ثم أمرت عُبَيْداً وأشعَبَ فخرجا فناما في حُجْرَةِ مَواليها . فلمّا أصبحت هُيِّىءَ لهم غداؤهم ، وأذنت لابن سُريج فدخل فتغدّى قريباً منها مع أشعب ومواليها ، وقعدت هي مع عزّة وخاصّة

1 أي عزّة الميلاء .

جوارِيها ، فلمّا فرغوا من الغَداء قالت : يا عزّ ، إن رأيت أن تُغنّينا فافعلي . قالت : إي وعيشِكِ . فتغنّت لحنها في شعر عنترة العبسيّ[1] : [من الكامل]

حُيِّيتَ مِـنْ طَلَلٍ تقادَمَ عَهْدُه أَقْـوى وأُقفـرَ بعــد أُمّ الهَيْثَمِ
إن كنْتِ أَزمَعْتِ الفِراقَ فإنّما زُمَّـتْ رِكابُكـمُ بلَيْــلٍ مُظْلِمِ

فقال ابن سريج : أَحسنتِ واللهِ يا عزّة ! . وأَخرجت سكينة الدُّمْلج الآخر من يَدِها فرمَتْه إلى عزّة ، وقالت : صَيِّري هذا في يدك ، ففعلت . ثم قالت لعُبيد : هات غنّنا . فقال : حَسبُك ما سمعتِ البارحة . فقالت : لا بُدَّ أنْ تغنّينا في كلّ يوم لحناً . فلمّا رأى ابنُ سريج أنّه لا يقدر على الامتناع ممّا تسأَلُه غنّى[2] : [من البسيط]

قالت : مَنَ انتَ ؟ ، على ذُكْرٍ ، فقلت لها: أَنــا الذي ساقَــهُ للحَيْــن مقْــدارُ
قد حانَ منكِ ، فلا تَبْعُدْ بك الدار ، بَيْــنٌ وفي البَيْــنِ للمَتْبُولِ إضْرارُ

ثم قالت لعَزَّة في اليوم الثاني : غنّي ، فغنَّتْ لحَنَها في شعر الحارث بن خالد ، ولابن محرز فيه لَحْن ، ولَحْنُ عزّة أَحسنهما[3] : [من الطويل]

وقرَّتْ بها عَيْني ، وقــد كنتُ قَبْلَها كثيرَ البكــاء مُشْفِقاً مِـنْ صُدُودِها
وَبِشْرَةَ خَــوْدٌ مِثْــل تمثالِ بِيعَـةٍ تظَـلُّ النصـارى حولـه يَوْمَ عِيدِها

قال ابن سُرَيْج : واللهِ ما سمعت مثل هذا قطّ حُسْناً ولا طيباً .

ثم قالت لابن سريج : هاتِ ، فاندفع يغنّي[4] : [من الهزج]

أَرقتُ فلـم أَنَمْ طَرَبا وبِتّ مُسَهَّداً نَصِبا
لِطَيْفِ أَحبِّ خَلْقِ اللـ ـه إنساناً وإنْ غَضِبا
فلــم أَرددْ مقالَتهـا ولم أَكُ عاتِبــاً عَتَبـا
ولكــن صرَّمَتْ حَبْلي فأَمسى الحَبْـلُ مُنْقَضِبا

فقالت سكينة : قد علمتُ ما أردتَ بهذا ، وقد شفّعناك ، ولم نردّك . وإنما كانت يميني على ثلاثة أيّام ، فاذهبْ في حِفْظِ الله وكلاءته . ثم قالت لعزّة : إذا شئت . ودعَتْ لها بحُلّة ،

---

1 هذان البيتان من معلقته .
2 ديوان عمر : 211 .
3 شعر الحارث بن خالد : 59 .
4 ديوان عمر : 32 .

ولابن سريج بمثلها . فانصرفَتْ عزّةُ ، وأَقام ابن سريج حتى انقضت ليلته ، وانصرف ، فمضى من وجْهه إلى مكّة راجعاً .

نسبة الأصوات التي في هذا الخبر

منها : [من الكامل]

صوت

حُيِّيتَ مِـنْ طَلَلٍ تقادم عَهْدُه أَقـوى وأَقفـر بعـد أُمِّ الهَيْثَمِ

الشّعر لعنترة بن شدّاد العبسيّ ، والغناء لعزَّةَ المَيْلاء ، وقد كتبَ ذلك في أوّل هذه القصيدة وسائر ما يغنّى فيها .

ومنها : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَرقْـتُ فلـم أَنَمْ طرَبا وبـتّ مسهَّـداً نَصبا
لِطَيْفِ أَحبِّ خلق الـلـ ـه إنساناً وإن غضِبا
إلى نَفْسي ، وأَوْجَهِهـم وإن أَمْسى قَـدِ احتجبا
وصرَّمَ حَبْلَنـا ظُلْمـاً لبلْغَـةِ كاشحٍ كـذَبا

عروضه من الوافر . الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

ومنها قوله : [من البسيط]

صوت

قـد حان منكِ ، فلا تَبْعُدْ بك الدارُ بَيْـنٌ وفي البَيْـنِ للمتبُـول إضْرارُ
قالت : مَن انت ؟ ، على ذُكْرٍ ، فقلتُ لها : أَنـا الذي ساقَـني للحَيْـنِ مِقدارُ

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغِناء لابن سُرَيج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى .

ومنها الصوت الذي أوّله :

وقَرَّتْ بهـا عَيْني وقـد كنتُ قبلها

أوّله قوله : [من الطويل]

صوت

لبشْرَةَ أَسْرى الطَّيْفُ والخَبْتُ دونَها   ومــا بَيْنَنا مــن حَزْنِ أَرْضٍ وبِيدِها
وقَرَّتْ بهــا عَيْني وقــد كنتُ قبْلَها   كثيراً بُكائــي مُشفقاً مِـنْ صُدودِها
وبِشْرَةُ خَــوْدٌ مِثْــلُ تمثالِ بِيعَةٍ   تظلُّ النصارى حَوْلَهــا يــوم عِيدها

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى .

وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصوت ولم ينسُبْها إلى أُحد ، ولابن محرِز في هذه الأبيات ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفيها لعزّة الميلاء خفيف رمل .

[الحارث بن خالد المخزوميّ وبشرة]

وبِشرة هذه ، التي ذكرها الحارث بن خالد ، أُمةٌ كانت لعائشة بنت طلحة ، وكان الحارث يكنى عن ذِكْرِ عائشة بها ، وله فيها أشعار كثيرة .

منها ممّا يغنّى فيه قوله :   [من الكامل]

صوت[1]

يــا رَبْــع بِشْرَةَ بالجَنابِ تَكَلَّمِ   وأَبِــنْ لنــا خبَراً ولا تَسْتَعْجِمِ
ما لي رأيْتُك بعــد أَهْلِكَ مُوحِشاً   خَلَقــاً كحــوض الباقِــرِ المتهدِّمِ
تسقي الضجيعَ إذا النجومُ تغوَّرَتْ   طَــوعُ الضجيع وغايــة المتوسّمِ
قُــبُّ البطون أوانِسٌ شِبْهُ الدُّمى   يَخْلِطْــنَ ذاكَ بعِفَّــةٍ وتَــكرُّمِ

عروضه من الكامل ، والشعر للحارث بن خالد ، والغناء لمعبد ، ولحْنُه من خفيف الرمل بالسبابة في مَجرى البنصر ، عن إسحاق .

وفيه أيضاً ثقيل أوّل بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو ، ومنها[2] : [من الكامل]

صوت

يــا ربْعَ بشْرة إنْ أَضرَّ بكَ البلى   فلقــد عهدتُــك آهِــلاً مَعْمُورا
عَقَــب الرّذاذُ خلافَــه فكأنّما   بَسطَ الشَّواطِبُ بينهــنّ حَصِيرا

1 شعر الحارث بن خالد : 95–97 .
2 شعر الحارث بن خالد : 95–97 .

غَنّاه ابن سُرَيج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لَحْنٌ لمالك ، وقيل : بل هو لابن محرز . وعروضه من الكامل .

وقوله : «عَقَب الرّذاذُ خلافه» يقول : جاء الرذاذ بعده ، ومنه يقال : عقبَ لفلان غِنًى بعد فَقْر . وعقَب الرجل أباه ، إذا قام بعده مقامه . وعَواقب الأُمور مأخوذة منه ، واحدتها عاقبة . والرذاذ : صِغار المطر ، وقوله خلافَه : أي بعده . قال متمّم بن نويرة[1] : [من الطويل]

وفَقْدِي بَني أُمٍّ تداعَوْا فلم أَكُـنْ ... خِلافَهُـمُ أَنْ أَستكِـينَ وأَضْرَعا

أي بَعدهم . والشّواطب : النساء اللواتي يشطبْنَ لِحاءَ السَّعَف يعملْنَ منه الحُصْر ، ومنه السيف المشطّب : والشَّطِيبة : الشّعبةُ من الشيء ، ويقال : بعثنا إلى فلان شَطِيبةً من خيلنا ، أي قطعة .

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، قال : كانت مغنّية تختلف إلى صديقٍ لها ، فأَتَتْه يوماً ، فوجدَته مريضاً لا حراك به ، فدَعَتْ بالعود وغنَّت : [من الكامل]

يـا رَبْعَ بشرَةَ إنْ أَضَرَّ بِكَ البِلى ... فلَقَـدْ عهدتُـكَ آهِـلاً مَعْمُورا

وممّا يغنّى به فيه من هذه الأَبيات الرائية : [من الكامل]

صوت

أعرفتَ أَطـلالَ الرُّسومِ تنكَّرَتْ ... بَعْـدِي وغُيِّر آيُهُـنَّ دُثُـورا
وتبدَّلَتْ بَعْـدَ الأَنيس بأَهلهـا ... عُفْـرَ البَواقـر يَرْتعِينَ وُعورا[2]
مِـنْ كلّ مُصْبِيَةِ الحديثِ تَرى لها ... كَفَـلاً كرابِيـةِ الكثيبِ وَثِيرا

الأَطلال : ما شخص من آثار الدّيار . الرسومُ : البقايا من الديار ، وهي دون الأَطلال وأخفى منها . وتنكّرت : تغيَّرت . والدّاثر : الدارس . والعُفْر : الظباء ، واحدها أعفر . والوعور : المواضع التي لا أنيسَ فيها . والرّابية : الأرض المشرفة ، وهي دون الجبل . والكثيب : القطعةُ العالية المرتفعة من الرّمل ، جمعها كثُب . والوثير : التامّ المرتفع ، يقال : فراش وثير ، إذا كان مرتفعاً عن الأرض .

لإسحاق الموصليّ في البيتين الأوَّلين ثاني ثقيل بالبنصر ، ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى ، ولطُوَيس فيهما خفيف ثقيل . وقيل إنّه ليس له . ولابن سُريج

1 ديوان متمّم بن نويرة : 114 .
2 البواقر في ل : اليعافر ، وهي الغزلان .

في الثالث ثم الأوّل خفيف رمل ، وقيل : بل هو لخُليدة المكيّة . وفي البيت الأوّل والثاني لمالك رمل بالوسطى ، وقيل : الرمل لطُوَيس ، وخفيف الثقيل لمالك . ولمعبد في هذا الصوتْ لَحنان : أحدهما ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى ، والآخر خفيف ثقيل أوّل .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يـا دارُ حَسَّرها البِلى تَحْسِيرا | وسفَتْ عليها الريحُ بعدك مُورا
دُقَّ الترابُ بِخَيْلِها فمخيِّمٌ | بِعِراصِها ومُسيَّرٌ تَسْيِيرا

غنّى في هذين البيتين ابن مِسْجَح خفيف ثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وللغريض في : «أعَرَفْتَ أطلال الرسوم» وما بعده ثقيل أوّل بالبنصر ، وللغريض أيضاً ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى .

حسَّرها : أذْهَب معالِمَها ، ومنه حَسَر الرجل عن ذِراعِهِ وعن رأْسِهِ إذا كشفهما . وحسر الصلَعُ شَعر الرأس ، إذا حَصَّه[1] . والمُور : التراب ، والمخيِّم : المقيم .

ومنها صوت ، أوّله : [من الكامل]

مِنْ كُلِّ مُصْبِيَةِ الحديثِ تَرى لها | كفَلاً كرابِيَةِ الكَثِيبِ وَثِيرا
يَفْتِنّ ، لا يألون ، كُلَّ مغفَّلٍ | يملأْنَه بحديثهنّ سُرُورا

ومنها : [من الكامل]

صوت

دَعْ ذا ولكنْ هل رأيت ظعائناً | قَرَّبن أجمالاً لهُنَّ قُحُورا ؟!
قرَّبْنَ كلَّ مُخَيَّسٍ مُتحمِّلٍ | بُزلا تشبِّه هامَهُنَّ قبورا

القُحور : واحدها قَحْر ، وهو المسنّ . والمخيَّس : المحبوس للرحلة . والمتحمِّل : معتاد الحمل .

وفي هذه الأربعة الأبيات للغريض اللحن الذي ذكرناه . ولابن جامع في : [من الكامل]

دَعْ ذا ولكن هل رأيت ظعائنا

والذي بعده ثاني ثقيل بالوسطى .

---

1 حص الشعر : حلقه .

ومنها : [من الكامل]

صوت

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُول تواصُلٍ   خَلَقاً ويصبح بَيْتُكُم مَهْجورا
فلقد أَراني ، والجديدُ إلى بِلًى ،   زَمَناً بِوَصْلِكِ راضياً مَسْرُورا
جَذِلاً بمالي عندكُمْ لا أَبتغي   للنفس بعدكِ خُلَّةً وعَشِيرا
كنتِ الهوى وأَعزَّ من وَطِيء الحَصا   عندي ، وكنتُ بذاكَ منكِ جديرا

لإبراهيم الموصليّ ، ويحيى المكّي في هذه الأَبيات لحنان ، كلاهما من الثقيل الثاني ؛ فلحْن إبراهيم بالوسطى ، ولَحْن يحيى بالبنصر ، ولإسحاق فيهما رمل . وقيل : إنَّ لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر .

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، قال : حدَّثني رجل من أَهل البصرة ، قال : اشتريتُ جاريةً مغنّيةً ، فأقامت عِنْدي زَمَناً وهوِيَتْنِي ، وكرِهْتُ أنْ يراها أهلي ، فعرضتُها للبيع ، فجزعتْ ، وقالت : لقد اشتريتَني وأنا لَكَ كارهة ، وإنّك لتبيعني وأنا لذلك كارهةٌ . فقال أَخٌ لي : أرِنيها ، فقلت : هي عند فُلانة ، فانظر إليها ، فأتاها فنظر إليها وأنا حاضر ، فلمّا اعترضها وفرغ من ذلك غنَّت : [من الكامل]

إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُولِ تواصُلٍ   خَلَقاً ويُصْبح بَيْتكُم مهجُورا
فلقد أَراني ، والجديدُ إلى بِلًى ،   زَمَناً بِوَصْلِكِ راضياً مسرورا

ثم بكَت ، وضربت بالعُودِ الأَرض فكسَرَتْه ، فخيَّرتُها بين أن أَعتقها أو أَبيعها ممّن شاءت ، فاختارت البيعَ ، وطلبت موضعاً أَرْضاه حتى أصابته ، فصَيَّرْتُها إليه .

[إسحاق يصلح لحناً لمخارق]

أَخبرني يحيى بن عليّ ، قال : حدَّثني أَبو أَيّوب المدائنيّ ، قال : حدَّثني إبراهيم بن علي بن هشام ، قال : حدَّثتني جارية يقال لها طِباع ـ جارية محمد بن سهل بن فَرْخُنَّد ـ قالت : غنَّيتُ إسحاق في لَحنه :

أَعرفتَ أَطلالَ الرسوم تنكّرت   بعدي . . . .

فأَنكر عليّ في مقاطعه شيئاً ، وقال : ممّن أَخَذْتِه ؟ فقلت : من مخارق ، فقال لي : تعثّر الجوادُ بل هو كما أَقول لك ، وردَّه عليّ ، فهو يُقال كما يقول مخارق ، وكما غيَّره إسحاق .

صوت

[من المنسرح]

أَخْشى على أَربدَ الحتُوفَ ولا ... أرهبُ نَـوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ
فجَّعني الرَّعْـدُ والصَّواعِقُ بالْـ ... ـفارِسِ يـَوْمَ الكريهةِ النَّجُدِ
يـا عَيْنُ هـلاَّ بكَيْتِ أَربَد إذْ ... قُمنـا وقـام الخُصومُ في كَبَدِ
إن يَشْغَبُـوا لا يُبـالِ شَغْبَهُمُ ... أُو يَقْصِدُوا في الخِصامِ يَقْتَصِدِ[1]

عروضه من المنسرح .

النَّجُد : البَطَلُ ذو النَّجْدَة . وقال الأُصمعيّ في النَّجُد مثل ذلك . وقال : النَّجِد ، بكسر الجيم : الذي قد عرق جدّاً . والكبَد : الثبات[2] والقيام .

الشعر لِلَبيد بن ربيعة[3] ، والغناء للأُبجر ، رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة . ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، أوّله الثالث والرابع ثم الأوّل والثاني ، وذكرتْ بَذْلُ أنَّ في الثالث والرابع لَحْناً لِحُنَين بن محرز .

1 الخصام في الديوان : الحكوم بمعنى الحكومة .
2 ل : الانتصاب .
3 ديوان لبيد (عباس) : 158–160 .

[343] ـ خبر لبيد في مرثية أخيه

[نسب أربد]

وقد تقدّم[1] مِنْ خَبَر لبيد ونَسبه ما فيه كِفاية . يرثي أخاه لأُمِّه أربد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جَعْفَر بن كلاب ، وكانت أصابته صاعِقةٌ فأحرقته .

[وفد بني عامر بن صعصعة]

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبريّ[2] قال : حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عاصم ، عن عمرو بن قَتادة ، قال : قدِم على رسول الله ﷺ وفْدُ بني عامر بن صعْصعة ، فيهم عامرُ بن الطُّفيل وأربد بن قيس وجبّار بن سُلْمى بن مالك بن جَعْفر بن كلاب ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوسَ القوم وشياطينهم ، فهمَّ عامرُ بن الطُّفيل بالغَدْر برسول الله ﷺ ، وقد قال له قومُه : يا عامرُ ؛ إنَّ الناس قد أسلموا فأسْلِم . فقال : والله لقد كنتُ آليتُ ألاّ أنتهي حتى تتبع العربُ عقبي ، فأتبع أنا عَقِبَ هذا الفتى من قُرَيش ! ثم قال لأَرْبد : إذا أقبلْنا[3] على الرجل فإنّي شاغِلٌ عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعلُهُ أنتَ بالسيف .

فلمّا قدِموا على رسول الله ﷺ قال له عامر : يا محمد ، خالِّني[4] قال : لا والله ، حتى تؤمِنَ باللهِ وحدَه . قال : يا محمد ، خالِّني ، وجعل يكلّمه وينتظِر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربدُ لا يُحِيرُ شيئاً . فلمّا رأى عامر ما يصنَعُ أربد قال : يا محمد ، خالِّني . قال : لا ، والله ، حتى تؤمِنَ بالله وَحْدَه لا تشرك به . فلمّا أبى عليه رسول الله قال : أما واللهِ لأَملأنَّها عليك خيلاً حُمْراً ، ورجالاً سُمْراً[5] .

[دعاء الرسول عليه]

فلمّا ولّى قال رسول الله ﷺ : اللهم اكْفِني عامر بن الطُّفيل . فلمّا خرجوا من عِند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنتُ أوصَيتُك به ! واللهِ ما كان على

1 في الأغاني 15 : 246 .
2 تاريخ الطبري : وفد عامر بن صعصعة سنة 10 .
3 ل : قدمنا .
4 خالّني : وادّني وصادقني .
5 ل : غبرا .

ظَهْر الأَرض رجلٌ هو أَخوفُ عندي على نفسي مِنك ، وايْمُ اللهِ لا أَخافُكَ بعد اليوم أبداً .
قال : لا تعجَلْ عليَّ لا أبا لك ! واللهِ ما هَممتُ بالذي أمرتني به من مرّةٍ إلاّ دخلْتَ بيني وبين
الرجلِ حتى ما أرى غيرك ! أفأضرِبُك بالسيف ! فقال عامر : [من الكامل]

بُعِثَ الرسولُ بما تَرى فكأنّما عَمْداً أَشُدُّ على المَقانِبِ غارا
ولقد وَرَدْنَ بنـا المدينةَ شُزَّباً ولقـد قتَلْنَ بجوِّها الأَنصارا

[وفاة عامر بالطاعون]

وخرجوا راجِعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا بِبَعْضِ الطريق بعث اللهُ على عامر الطاعونَ في عنُقه ، فقتله الله ، وإنّه لفي بيت امرأةٍ من بني سَلُول ، فجعل يقول : يا بَني عامر ، أغدَّة كغُدَّةِ البَكرِ ، وموت في بيت امرأةٍ من بني سَلُولٍ[1] ! فمات .

[أربد يموت بالصاعقة]

ثم خرج أَصحابُه حين وَارَوْه حتى قدِموا أَرْضَ بني عامر . فلمّا قدِموا أَتاهم قومُهم فقالـوا : مـا وراءكَ يا أَربَـد ؟ فقـال : لقد دعانا إلى عبادةِ شيء لوددتُ أنّه عندي الآن فأرْمِيَه بِنبلي هذه حتى أَقتُله . فخرج بَعْد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جملٌ له يَبِيعه ، فأرسل اللهُ عليه وعلى جَمَلِه صاعقةً فأحرقتهما .

وكان أَربَد بن قيس أَخا لبيدِ بن ربيعة لأُمِّه .

نسخت من كتاب يحيى بن حازم ، قال : حدَّثنا عليُّ بن صالح صاحبُ المصلَّى ، قال : حدَّثنا ابن دأب ، قال : كان أبو بَراء عامر بن مالك قد أصابته دُبَيْلةٌ[2] ، فبعث لبيدَ بن ربيعة إلى رسولِ الله ﷺ ، وأهدى له رواحِلَ ، فقدِم بها لبيد ، وأمره أن يستشفِيَه من وجعِه . فقال له رسول الله ﷺ : لو قبلتُ من مُشْرِك لقبلتُ منه ، وتناوَل من الأرض مدَرَةً[3] فتفل عليها ، ثم أعطاها لبيداً ، وقال : دُفْها[4] له بماءٍ ثم اسْقِه إيّاه .

وأَقام عندهم لَبيد يقرأُ القرآن وكتب منهم : «الرَّحمنُ * علَّمَ القرآنَ» فخرج بها ، ولقيه أخوه أربد على ليلةٍ من الحيِّ ، فقال له : انزِل فنزل ، فقال : يا أخي ، أخبرني عن هذا الرجل ؛

---

1 المثل «غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية» في مجمع الميداني 2 : 57 وجمهرة العسكري 2 : 10-13 وفصل المقال : 374 ومستقصى الزمخشريّ 1 : 258 .

2 الدبيلة : داء في الجوف مصحوب بورم .

3 المدرة : قطعة طين يابس .

4 دفها : اخلطها .

فإنّه لم يأتِهِ رجل أُوثقُ عندي فيه قَوْلاً منك . فقال : يا أُخي ، ما رأيتُ مثلَه ، وجعل يذكر صِدْقه وبِرَّه وحُسْنَ حديثِهِ . فقال له : هل معك من قوله شيء ؟ قال : نعم ، فأخرجها له فقرأها عليه ، فلمّا فرغ منها قال له أُربَد : لوددتُ أنّي أُلقى الرحمن بتلك البُرْقة[1] ، فإن لم أُضربه بسيفي فعليَّ وعليَّ . . .

قال : ونشأت سحابةٌ وقد خلَّيا عن بعيريهما ، فخرج أُربَد يريد[2] البعيرين ، حتى إذا كان عند تلك البُرْقة غشيَتْه صاعقة فمات .

وقدِمَ لبيد على أبي براء فأخبره خبرَ رسول الله ﷺ ، وأمره ، قال : فما فعل فيما استشفيْتَه ؟ قال : تاللهِ ما رأيتُ منه شيئاً كان أضعفَ عندي من ذلك ، وأخبره بالخبر . قال : فأين هي ؟ قال : هاهي ذه معي . قال : هاتِها ، فأخرجها له فدافَها ، ثمّ شربها فبرأَ .

قال ابن دأب : فحدَّثني حنظلة بن قُطرب بن إياد ، أحد بني أبي بكر بن كِلاب ، قال : لمّا أصاب عامِرَ بن الطُّفيل ما أصابه ، بعث بنو عامر لبيداً ، وقالوا له : اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا عِلْمَه . فقدِم عليه ، فأسلم ، وأصابه وَجَعٌ هناك شديد من حُمَّى ، فرجع إلى قومه بفضْلِ تلك الحمّى ، وجاءهم بذِكْرِ البعث والجنّة والنّار ، فقال سُراقة بن عَوْف بن الأحوص : [من الطويل]

لعَمْرُ لبيدٍ إنّه لابْنُ أُمِّه ... ولكنْ أُبوه مَسَّهُ قِدَمُ العَهْدِ
دَفَعْناك في أرضِ الحجازِ كأنّما ... دفعناك فَحْلاً فوقه قَزَعُ اللّبدِ[3]
فعالجْتَ حُمَّاه وداءَ ضُلوعِه ... وتَرْنِيقَ عَيْشٍ مَسَّهُ طَرَفُ الجَهْدِ[4]
وجِئتَ بدِينِ الصابئين تَشُوبُه ... بألواحِ نَجْدٍ بُعْدَ عَهْدِك مِنْ عَهْدِ ![5]
وإنَّ لنا داراً ـ زعمْتَ ـ ومَرجعاً ... وثمَّ إيابُ القارِظَيْنِ وذِي البُرْدِ[6]

قال : فكان عُمر يقول : وايم الله ، إياب القارِظَيْن وذي البُرْد .

---

1 البرقة : أرض غليظة ذات حجارة ورمل .
2 ل : يردّ .
3 قزع اللبد : بقايا الشعر ممّا يوضع على ظهر الفرس .
4 طرف في ل : ألم .
5 نجد في ل : نوح .
6 إشارة إلى المثل «حتى يؤوب القارظان» : مجمع الميداني 1 : 211 .

[وفود عامر بن الطُّفيل على النبي]

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي ، وحبيب بن نَصْر المهلّبيّ ، وغيرهما ، قالوا : حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار ، قال : حدَّثتني ظَمْياء بنت عبد العزيز بن مَوَلَة ، قالت : حدَّثني أبي ، عن جدِّي مَوَلَة بن كُثَيْف[1] ، أنَّ عامرَ بن الطُّفيل أتى رسولَ الله ﷺ فوَسَّده وِسادةً ، ثم قال : أَسلم يا عامر . قال : على أنَّ لي الوَبَر ولك المدَر ، فأبى رسولُ الله ﷺ ، فقام عامرٌ مُغْضَباً فولَّى ، وقال : لأَملأنّها عليك خَيْلاً جُرْداً ، ورِجالاً مُرْداً ، ولأَربطنَّ بكلّ نخلة فَرساً . فسأَلتْه عائشة : مَن هذا ؟ فقال : هذا عامر بن الطُّفيل ، والذي نفسي بيده لو أَسلَمَ فأَسلمَتْ بَنُو عامر معه لزاحموا قريشاً على منابِرهم[2] . قال : ثم دعا رسولُ الله ﷺ ، وقال : يا قوم ، إذا دعوتُ فأَمِّنوا ، فقال : اللهم اهْدِ بني عامر ، واشْغَل عنِّي عامرَ بن الطُّفيل بما شئتَ ، وكيف شئتَ ، وأنّى شئت . فخرج فأخذته غُدَّة مثل غدَّةِ البَكْرِ ، فجعل يثِب وينزو في السماء ويقول : يا موت ابرُزْ لي ، ويقول : غدّة مثل غدّة البكر ، وموت في بيت سلُوليّة ؟! ومات .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد إجازةً . عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، قال : أخبرني أسعد بن عمرو الجُعفيّ ، قال : أخبرني خالد بن قَطنٍ الحارثيّ ، قال : لّما مات عامر بن الطُّفيل خرجت امرأةٌ من بني سلول كأنّها نخلة حاسراً ، وهي تقول : [من الرجز]

أَنْعى عامرَ بـن الطُّفيل وأَبقى   وهل يموتُ عامرٌ من حقا ؟
وما أَرى عامراً مـاتَ حَقّا !

قال : فما رُئيَ يومٌ أَكثر باكياً وباكية ، وخمشَ وجوهٍ ، وشقَّ جُيُوبٍ من ذلك اليوم .

[أنصاب حمى قبر عامر]

وقال أبو عبيدة عن الحرمازيّ ، قال : لّما مات عامر بن الطُّفيل بعد مُنْصَرفه عن النبي ﷺ ، نصبَتْ عليه بنو عامر أنصاباً مِيلاً في ميل ، حِمًى على قبرِه لا تُنْشَر فيه ماشية ، ولا يُرْعى ، ولا يسلكه راكبٌ ولا ماش . وكان جَبّار بن سَلْمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائباً ، فلمّا قدِم قال : ما هذه الأَنصاب ؟

قالوا : نصبناها حِمًى لقَبر عامر بن الطُّفيل ، فقال : ضيَّقْتم على أَبي عليّ ، إنَّ أَبا عليّ بانَ من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجَمَل ، وكان لا يضلّ حتى يضلّ النَّجْم ،

1 ل : كنيف .

2 ل : منابرها .

وكان لا يَجْبُن حتى يَجْبُنَ السيل .

قال أبو عبيدة : وقدِم عامر على النبي ﷺ وهو ابنُ بضْعٍ وثمانين سنة .

[مراثي لبيد في أربد]

وممّا رثى به لبيد أخاه أربد قوله[1] : [من الوافر]

أَلا ذهب المُحافِظُ والمُحامي ودافِع ضَيْمِنا يَوْمَ الخِصامِ[2]
وأيقَنْتُ التَّفرُّقَ يومَ قالوا : تُقُسِّمَ مالُ أربدَ بالسِّهامِ
وأَرْبَدُ فارِسُ الهَيْجا إذا ما تقعَّرت المشاجِرُ بالفِئامِ[3]

وهي طويلة يقول فيها : [من الوافر]

فودِّعْ بالسلامِ أَبا حُزَيزٍ وقَلَّ وَداعُ أَرْبَد بالسَّلامِ

قال : وكانت كُنية أَرْبد أَبا حِزاز ، فصغَّره ضَرورةً .

وقال فيه أيضاً[4] : [من المنسرح]

ما إن تَعَدّى المنونُ مِنْ أَحدِ لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ[5]
أَخْشى على أَرْبَدَ الحتوفَ ولا أَرهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأسَدِ
فجَّعني الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالْـ ـفارِسِ يَوْمَ الكريهةِ النَّجُدِ[6]
الحاربِ الجابرِ الحَريبِ إذا جاءَ نَكيبا وإن يَعُدْ يَعُدِ[7]
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤال كما أُنْزِل صَوْبُ الربيع ذي الرَّصَدِ[8]
لم تبلغِ العَيْنُ كلَّ نَهْمَتِها ليلةَ تُمْسي الجِيادُ كالقِدَدِ[9]

---

1 ديوان لبيد : 201–207 .
2 ودافع ضيمنا في الديوان : ومانع ضيمنا ، ويروى ورافع ضيمنا .
3 تقعرت : تقوضت من أصلها . والمشاجر : مراكب النساء أكبر من الهوادج . والفئام : وطاء يكون للهودج أو هو الهودج الذي وسع في أسفله . وفي الديوان : بالخيام .
4 ديوان لبيد : 158–162 .
5 تعدّى في الديوان : تعرّى أي تترك .
6 النجد : الشديد .
7 الحارب : الذي يحرب الأموال . والجابر : الذي يجبر من حرب ماله . ونكيباً : مصاباً . وإن يعد لسؤاله يعد لعطائه .
8 يعفو : يكثر . وصوب الربيع : مطره . والرصد : نبات يكون تحت الثرى .
9 كلّ في ل : كنه . القدد : السيور .

كلُّ بنـي حُـرَّةٍ مَصيرهـمُ قُـلٌّ ، وإن أَكثرَتْ منه العَدَدِ
إنْ يُغْبَطوا يُهْبَطُوا وإن أُمِرُوا يومـاً يَصِيرُوا للهُلْكِ والنَّفَدِ[1]
يـا عَيْنُ هلاّ بكيتِ أَرْبَد إذ قُمْنا وقام الخصومُ في كَبَدِ[2]
يـا عَيْنُ هَلاَّ بكيتِ أَرْبَد إذ أَلْوَتْ رِياحُ الشتاء بالعَضَدِ[3]
وأَصبحَتْ لاقحـاً مُصَرَّمَةً حين تقضَّتْ غَوابِـرُ المُدَدِ[4]
إنْ يشغَبُوا لا يُبـالِ شَغْبَهمُ أو يَقْصِدُوا في الخصامِ يَقْتَصِدِ[5]
حُلْـوٌ كريـمٌ ، وفي حلاوَتِـه مُـرٌّ ، لطيفُ الأَحشاءِ والكبِدِ[6]

[أبو بكر يتمثل بشعره]

نسختُ من كتاب ابن النطاح ، عن المدائنيّ ، عن عليّ بن مجاهد ، قال : أَنشد أَبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لَبيد في أخيه أربد[7] : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ كان المخبِّرُ صادِقـا لقد رُزِئَتْ في حادث الدَّهر جَعْفَرُ
أَخٌ لي ، أَمَّـا كلّ شيء سألْتـه فيُعْطِـي ، وأَمّا كلُّ ذَنْبٍ فيغفِرُ

فقال أبو بكر رضوان الله عليه : ذلك رسولُ الله ، لا أربد بن قيس .

وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطولُ الخَبَرُ بذكرها .

وممّا رثاه به ، وفيه غناء ، قوله[8] : [من الطويل]

صوت

بَلِينا ومـا تَبْلى النجـومُ الطَّوالِعُ وتَبْقـى الجِبالُ بعدنـا والمَصانِعُ[9]

---

1 يهبطوا : يموتون .
2 الكبد : القيام على الأمر الشديد .
3 ألوت : ذهبت وطارت . والعضد : الشجر اليابس .
4 اللاقح : الناقة تري الفحل أنها حامل . ومصرمة : لا لبن فيها . والغوابر : الباقية . ومعناه أن الحرب رفعنا فيها الرماح كما ترفع اللاقح ذنبها ، وهي مقطوعة الأطباء لا درة لها إنّما درتها الدم .
5 الشغب هنا : القتال . يقتصدوا : يأخذوا القصد .
6 يقال للمرأة اللطيفة : إنها رقيقة الكبد .
7 الديوان : 167 . وأوّل البيت الثاني فيه «فتى كان أما . . .» .
8 ديوان لبيد : 168–172 .
9 المصانع : بناء للماء ، أو القصور .

وقـد كنتُ في أكنافِ دارِ مَضِنَّةٍ ... ففارقنـي جـارٌ بأَرْبَـدَ نافِعُ[1]
فـلا جَزِعٌ إنْ فَرَّقَ الدَّهرُ بيننا ... فكلُّ فتًى يوماً بـه الدَّهْرُ فاجعُ
وما المرءُ إلاَّ كالشِّهاب وضَوْئِه ... يَحُورُ رَماداً بعد إذْ هـو ساطِعُ
أليسَ وَرائي إنْ تراخَتْ منيَّتي ... لزُومُ العَصا تُحْنى عليها الأَصابعُ
أُخبِّرُ أخبـارَ القُرونِ التي مَضَتْ ... أَدِبُّ كأنِّي كُلّما قمـتُ راكِعُ
فأصبحْتُ مِثْلَ السيفِ أَخْلَقَ جَفْنَه ... تقادمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطِعُ
فـلا تَبْعَـدَنْ إنّ المنيّةَ موعـدٌ ... علينـا فَـدانٍ للطّلـوعِ وطالِعُ
أعاذِلَ مـا يُدْرِيك ، إلاّ تَظَنِّياً ... إذا رحل السُّفّار مَنْ هو راجعُ ؟[2]
أَتجْزَعُ مِمّا أَحدثَ الدهرُ لِلْفَتى ... وأيُّ كريـمٍ لم تُصبْه القَوارِعُ !

غنّى في الأوّل والخامس والسادس والسابع حُنَيْـنٌ الحيريّ خفيف ثقيـل أوّل بـالبنصر ، عن الهشاميّ وابن المكّيّ وحمّاد ، وفيها ثقيل أوّل بالوسطى ، يقال إنّه لحنين أيضاً ، ويقال إنّه لأحمد النَّصْبيّ ، ويقال : إنّه مَنْحول .

وممّا رثاه به قوله ، وهي من مختار مراثيه[3] : [من الكامل]

طربَ الفـؤادُ ولَيْتـه لم يَطْـرَبِ ... وعَناه ذِكْـرى خُلّة لم تَصْقَبِ[4]
سفهاً ، ولـو أنّي أطَعْتُ عَواذِلي ... فيما يُشِرْنَ بـه بسَفْح المِذْنَبِ
لزجَرْتُ قَلْبـاً لا يَريـعُ لِزاجرٍ ... إنَّ الغَوِيَّ إذا نُهـي لم يُعْتِبِ[5]
فتعـزَّ عن هـذا ، وقُلْ في غَيْرِهِ ... واذكُرْ شَمائِلَ من أخيك المُنْجِبِ
يـا أَرْبَـدَ الخَيْرِ الكريم جدودُه ... أَفردتنـي أَمشي بقَـرْنٍ أَعضبِ[6]
إنَّ الرزيَّـة لا رَزيَّـة مثلهـا ... فِقْدانُ كلِّ أخٍ كضَوْءِ الكوكبِ
ذهب الذين يُعـاشُ في أكنافهم ... وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ

1 أكناف جار مضنة : جار يضن به .
2 السفار في الديوان : الفتيان .
3 ديوان لبيد : 156–157 .
4 تصقب : تجاور .
5 لا يريغ : لا يرجع ولا يتعظ . ولم يعتب : لم يرجع إلى ما يرضى عاتبه .
6 الخير في ل : الحر .

يتأكَّلُـون مَغالــةً وخيِانَــةً ويُعـابُ قائلُهم وإنْ لم يَشْغَبِ[1]
ولقــد أُراني تــارةً مِنْ جَعْفَرٍ في مثـلِ غَيْـثِ الوابـلِ المتحلِّبِ
مِـنْ كلّ كَهْـلٍ كالسِّنانِ وسَيِّدٍ صَعْبِ المقـادَةِ كالفَنِيقِ المُصْعَبِ[2]
مِـنْ مَعْشَرٍ سنَّتْ لهـم آباؤهم والعـزُّ قـد يأتــي بغير تَطَلُّبِ
فبرى عِظامي بعد لحمـي فَقْدُهم والدَّهْرُ إنْ عاتبتَ ليس بمُعْتِبِ

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدَّثنا أبو السائب سالم بن جُنادة ، قال : حدَّثنا وكيع ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنّها كانت تنشد بيت لبيد : [من الكامل]

ذهب الذين يُعـاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ

ثم تقول : رحم الله لبيدا ، فكيف لو أُدرَكَ مَنْ نحن بَيْنَ ظَهْرانَيْهِم !

قال عروة : رحم الله عائشة ، فكيف بها لو أدركَتْ مَنْ نحنُ بين ظهرانيهم ! .

قال هشام : رحم الله أبي ، فكيف لو أدركَ من نحن بين ظهرانيهم ! وقال وكيع : رحم الله هشاماً ، فكيف لو أدرك مَن نحن بين ظهرانيهم ! قال أبو السائب : رحم الله وكيعاً ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ! قال أبو جعفر : رحم الله أبا السائب ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم !

قال أبو الفرج الأصفهاني : ونحن نقول : الله المستعان ، فالقصَّةُ أعظمُ من أن تُوصَف !

صوت

[من الطويل]

فـإن كان حَقّـاً مـا زعمتِ أتَيْتُه إليـكِ فقـامَ النائحـاتُ على قَبْري
وإن كان مـا بُلِّغْتِـه كان باطـلاً فلا متُّ حتى تَسْهَري الليلَ مِنْ ذكري

عروضه من الطويل . والشعر للعبّاس بن الأحنف يقوله في فَوْز ، وخبرهما يأتي هاهنا ، والغناء لبَذْل ، خفيف رمَل بالبنصر ، وفيه لِبَنان بن عَمْرو ثاني ثقيل بالبنصر ، وفيه لَحنٌ لابن جامع من كتاب إبراهيم . وزعم أبو العبّاس أنّ لمعبد اليقطينيّ فيه خفيف رمل ، وذكر حَبَش أنّ لإبراهيم خفيف الرمل بالوسطى . وذكر عليّ بن يحيى المنجّم أنّه لعُلَيّة . وقيل : إنّ خفيف الرمل بالبنصر للقاسم بن زنْقُطة . والصحيح أنّه لبذْل .

1 مغالة : اغتيالاً .
2 الفنيق : الفحل لا يركب لكرامته على أهله . والمصعب : غير المذلل .

[344] ـ ذكر خبر العبّاس وفوز[1]

[فوز جارية محمد بن منصور]

أُخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق الخراساني ، قال : حدَّثنا محمد بن النضر ، قال : كانت فوز جاريةً لمحمد بن منصور ، وكان يلقَّب فتى العسكر ، ثم اشتراها بعضُ شباب البرامكة فدبَّرها[2] وحجَّ بها . فلمّا قدِمت قال العبّاس[3] : [من الهزج]

أَلا قــد قَدِمَــتْ فَوْزُ فقــرَّت عَيْـنُ عَبَّاسِ
لِمَــنْ بَشَّرني البشرى عـلى العينـين والرّاسِ
أَيـا ديباجـة الحُسْنِ وَيــا رامُشْنَـةَ الآسِ[4]
يلومــوني عــلى الحبّ وما بالحبِّ مِنْ باسِ !

[يتشبّه في الشعر بأبي العتاهية]

أُخبرني محمد ، قال : حدَّثنا محمد بن أَحمد بن جعفر الأنباريّ ، وهو أَبو عاصم بن محمد الكاتب ، قال : حدَّثني علي بن محمد النَّوفليّ قال : كانت فوز لرجلٍ جليل من أسباب السلطان ، وكان العبّاس يتشبَّه في أشعاره وذكر فوز بما قاله أبو العتاهية في عُتْبة ، فحَجَّ بها مولاها ، فقال العبّاس[5] : [من المجتث]

يــا رَبِّ رُدَّ عَلَيْنــا مَــنْ كان أُنْساً وَزَيْنا
مَــنْ لا نُسَرُّ بعَيْشٍ حتــى يكـون لدَيْنا
يـا مَنْ أتاح لِقَلْبِي هــَواهُ شُؤْمـاً وحَيْنا

1 ترجمة العباس بن الأحنف في الشعر والشعراء : 707–711 ووفيات الأعيان 3 : 20–27 وطبقات ابن المعتز : 253–256 والسمط : 313 ، 497 والموشح : 290 وتاريخ بغداد 12 : 127 ومعجم الأدباء : 1481–1482 وقد طبع ديوانه عدّة مرات (مرة في استانبول 1298 ومرة في مصر 1954 ومرة في بيروت 1965) أمّا ديوانه الذي نعتمده هو طبعة الكتب المصرية .

2 دبرها : أعتقها بعد موته .

3 ديوان العباس بن الأحنف : 164–165 ؛ مع اختلاف .

4 رامشنة : ورقة الآس . ويروى : رائحة الآس .

5 ديوانه : 265 .

ما زِلْتُ مُذْ غِبْتِ عَنّي مِــنْ أُسْخَنِ الناسِ عَيْنا
ما كان حَجُّـكِ عِندي إلاَّ بـــــلاءً عَلَيْنــا

فلمّا قدِمت قال : [من الهزج]

أَلا قــد قدمَتْ فــوزُ فقـــرَّت عَيْــنُ عَبّاسِ

وذكر الأبيات المتقدّمة .

[يعابث الأصمعي]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، أنّه دخل على الفضل بن الربيع يوماً ، والعبّاس بن الأحنف بين يَدَيْه ، فقال العبّاس للفَضْل : دَعْني أُعابِث الأصمعيّ . قال : لا تفعل ، فليس المزاح من شأنه . قال : إنْ رأى الأمير أن يَفْعَل . قال : ذاك إليك . قال : فلمّا دخلتُ قال لي العبّاس : يا أبا سعيد مَن الذي يقول[1] : [من الهزج]

إذا أَحْبَبْــتَ أن تصــ ـنع شيئاً يعجِب النَّاسا
فصَوِّر هاهنــا فَــوْزا وصوِّر ثَـــمَّ عبَّاسا
فإنْ لم يَدْنُــوا حتى تـــرى رَأسيهما راسا
فكذِّبها بمـــا قاسَتْ وكذِّبــه بمـــا قاسى

فقال لي ابنُ أبي السِّعلاء الشاعر : إنّه أرادَ العبَثَ بك ، وهو نَبطيّ ، فأَجِبْه على هذا . قال : فقلت له : لا أعرف هذا ، ولكنّي أعرف الذي يقول : [من الهزج]

إذا أَحببت أَنْ تبصــر شيئاً يعجــبُ الخَلْقا[2]
فصـــوِّرْ هاهنـــا زَوراً وصـــوِّر ههنـــا فَلْقا
فـإنْ لم يَدْنُــوا حتى تـــرى خَلْقَيهمــا خلَقا
فكذِّبْهـــا بمـــا لاقَــتْ وكذِّبــــه بمـــا يَلْقى

فعرَّض بالعبّاس أنّه نَبطيّ ، فضحك الفَضْل ، فوجَم العبّاس ، فقال له الفضل : قد كنتُ نهيتُك عنه ، فلم تَقْبَلْ .

[ليت صداع فوز برأسه]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني محمد بن الفضل الهاشميّ ، قال : حدَّثني أبو تَوْبة

1 ديوانه : 164 .
2 تبصر في ل : تصنع .

الحنفيّ ، قال : وَجَّه العبّاس بن الأحنف رسولاً إلى فَوْز ، فعاد فأخبره أنّها تجدُ صُداعاً ، وأنّه رآها معصوبةَ الرأسِ ؛ فقال العبّاس[1] : [من الخفيف]

عصبَتْ رأسَها فليتَ صُداعاً ... قـد شكتْـه إليّ كان براسي
ثم لا تشتكي ، وكان لها الأجْـ ... ـرُ ، وكنتُ السَّقامَ عنها أقاسي
ذاكَ حتى يقولَ لي مَنْ رآني : ... هكذا يفعـلُ المحِـبُّ المُواسي

قال : فبرئَتْ ثم نُكِسَتْ ، فقال[2] : [من السريع]

إنَّ التـي هامت بهـا النَّفْسُ ... عاودَهـا مِـنْ عارضٍ نُكْسُ
كانت إذا مـا جاءها المُبْتَلى ... أبرأهُ مِـنْ كفِّهـا اللَّمْسُ
وابأبي الوجْـهُ المليحُ الذي ... قـد عشِقَتْه الجِـنُّ والإنْسُ
إنْ تكنِ الحمَّـى أضرَّتْ به ... فربّمـا تَنْـكَسِفُ الشمسُ

[فوز تسهر على ذكره]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني أبو العبّاس الخلنجيّ ، قال : حدَّثني أبو عبد كان الكاتب ، قال : حدَّثني أبو توبة الحنفيّ ، قال : لمّا قال العبّاس بن الأحنف[3] : [من الطويل]

أمَـا والذي أبْلى المحِـبَّ وزادَني ... بلاءً ، لقـد أسرفْتِ في الظلم والهَجْرِ
فإنْ كان حقّـاً مـا زعمـتِ أتيتُه ... إليك ، فقـام النائحاتُ على قبري
وإن كان عُدْوانـاً علـيَّ وبـاطلاً ... فلا مِتّ حتى تسهَري الليلَ مِنْ ذكري

بعثَت إليه فوْز : أظُنُّنا ظلَمْناك يا أبا الفضل ، فاستجيبت دعوتك فينا ! ما زلتُ البارحةَ ساهرةً ذاكرةً لك .

[تشفيع فوز في غلام له]

أخبرني جحظة البرمكيّ ، قال : حدَّثني أبو عبد الله بن حمدون ، عن أحمد بن إبراهيم ، قال : حدَّثني محمد بن سَلاَّم ، قال : كان في خلق العبّاس بن الأحنف شدَّة ، فضرب غلاماً له ، وحلف أنّه يَبيعُه ، فمضى الغلامُ إلى فَوْز فاستشفع بها عليه ، فكتبت إليه فيه ؛ فقال[4] : [من السريع]

1 ديوانه : 162 .
2 ديوانه : 160-161 .
3 ديوانه : 153 .
4 ديوانه : 69

يا مَـنْ أتانا بالشفاعاتِ مِنْ عِنْد مَنْ فيه لَحاجاتي
إنْ كنتُ مولاكَ فإنَّ التي قد شفعَتْ فيكَ لَمَوْلاتي
إرسالها فيــكَ إلينا لنـا كرامـةٌ فـوق الكراماتِ

ورضي عنه ووصله ، وأعتقه .

[دعته فوز يا شيخ فاكتأب]

أخبرني جحظة ، قال : حدَّثنا أبو عبد الله بن حمدون ، عن أبيه حمدون بن إسماعيل ، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل ، قال : جاءَنا العباسُ بن الأحنف يوماً وهو كئيب ، فنشَّطْناه فأبى أن ينشط ، فقلنا : ما دَهاك ؟ فقال : لقيتني فوز اليوم ، فقالت لي : يا شيخ ! وما قالت ذلك إلاّ من حادثِ مَلالٍ . فقلنا له : هوِّنْ عليك ؛ فإنها امرأةٌ لا تثبُتُ على حال ، وما أرادتْ إلاّ العَبْثَ بك والمُزاح معك : فقال : إنّي والله قد قلتُ أقبحَ ممّا قالت ، ثم أنشدنا[1] : [من الخفيف]

هزِئَتْ إذ رأَت كئيبــاً مُعَنًّى أقصدَتْهُ الخطوبُ فهو حزِينُ[2]
هزِئَتْ بي ونِلْتُ ما شئتُ منها يـا لَقَوْمي فأَيُّنـا المغبونُ !

فقلت له : قد انتصفتَ وزِدْتَ .

[يمن اتهمته بأنه راودها]

أخبرني محمد بن يحيى ، قـال : حدَّثنا علي بن الصبّاح ، قـال : حدَّثنـا أبو ذكوان ، قـال : كانت لفوز جاريةٌ يقال لها يُمْن ، وكانت تجيء إلى العبّاس برسالتها ، فمضَتْ إلى فـوز ، وقد طلبت من العبّاس شيئاً فمنعها إيّاه ، وزعمَتْ أنّه أرادها ودعاها إلى نَفْسه ، فغضِبَتْ فوز من ذلك ، فكتب إليها[3] : [من الطويل]

لقــد زعمَــتْ يُمْنٌ بأنّي أَرَدْتُهـا على نفسها ، تَبّاً لذلكَ مِنْ فِعْلِ
سَلُوا عن قميصي مثلَ شاهِدِ يُوسفٍ فإنَّ قميصي لم يكـن قُـدَّ مِنْ قُبْلِ

[معاتبة وجواب]

أخبرني محمد ، قال حدَّثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : حدَّثني سعيد بن حميد ، قال : كانت فوز قد مالَتْ إلى بعض أولادِ الجُنْد[4] ، وبلغ ذلك العبّاس ، فتركها ولم تَرْضَ هي البديل بعد

---

1 ديوانه : 260–261 .
2 الديوان : أن رأت غلاماً . . .
3 ديوانه : 230 .
4 ل : الكتاب .

ذلك ، فعادت إلى العبّاس ، وكتبت إليه تُعاتبه في جفائه ؛ فكتب إليها[1] : [من الكامل]

كَتَبَتْ تلومُ وتَستريبُ زِيارتـي ... وتقولُ : لستَ لنا كعَهْدِ العاهِدِ
فأجبتُها ودمـوعُ عينـي جمّةٌ ... تَجْري على الخَدَّيْنِ غَيْرَ جَوامِدِ !
يـا فَـوْز لم أهجركُـمُ لملالَـةٍ ... منّـي ولا لَمقـالِ واشٍ حـاسدِ
لكنّنـي جرّبتكـم فوجدتُكـم ... لا تصبرونَ عـلى طعـامٍ واحدِ

[سرقته شعر أبي نواس]

وقد أنشدني عليُّ بن سليمان الأخفش هذه الأبيات ، وقال : سرقها من أبي نُواس حيث يقول[2] : [من الوافر]

صوت

ومُظْهِـرة لخَلْـقِ الله وُدّاً ... وتلْقـى بالتحيّـةِ والسلامِ
أَتيتُ فؤادَهـا أشكـو إليـه ... فلـم أَخْلُصْ إليه من الزِّحامِ
فيـا مَنْ ليس يَكْفِيـهِ مُحِبٌّ ... ولا أَلْفـا مُحِـبٌّ كلَّ عـامِ
أَظنُّكِ مِنْ بقيّة قـوم مُوسى ... فهُـمْ لا يصبرون على طَعامِ

غنَّت فيه عَرِيب لحناً ذكره ابن المعتزّ ، ولم يذكر طريقته .

وممّا يغنّى فيه من شعر العبّاس في فوز قوله : [من البسيط]

صوت[3]

يا فَوْزُ ما ضَرَّ مَنْ يُمْسي وأَنْتِ له ... ألاَّ يفـوزَ بدُنْيـا آلِ عَبّـاسِ
أَبصرتُ شيباً بمولاهـا فواعَجباً ... منه يراها ويَبْدو الشَّيْبُ في الرَّاسِ !

غنّاه سُليم ، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكّي .

وأَخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا محمد بن الفَضْلِ بن الأسود ، قال : قرأتُ على أَحمد بن أبي فَنَن شعر العبّاس بن الأحنف ، وكان مشغوفاً به ، فسمعتُه يقول : وددت أنّ أبياتَه التي يقول فيها : [من البسيط]

1 ديوانه : 106 .
2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 542 مع بعض اختلاف .
3 ديوانه : 159 .

يا فَوْز ما ضَرَّ من يُمْسي وأنت له

لي بكلٍّ شعري .

وفي بَذْل يقول عبد الله بن العبّاس الربيعيّ يخاطِبُ عَمْراً في بَذْل بقوله : [من الطويل]

صوت

تَسمَّعْ بحقِّ الله يا عَمْرو مِنْ بَذْلِ فقد أُحسنَتْ واللهِ واعتمدت قَتْلي
كأنّي أُرى حُبِّيك يرجحُ كلّما تغنَّتْ لإعجابي وأُفْقِد مِنْ عَقْلي

غنّاه عبد الله بن العبّاس الربيعيّ ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وغنَّى فيه عمرو بن بانة خفيف رمل بالبنصر عن حَبَش .

[345] ـ ذكر بذل وأخبارها

[لها كتاب أغان]

كانت بَذْل صفراء مولَّدة من مولّدات المدينة ، وربِّيت بالبصرة ، وهي إحدى المُحْسِنات المتقدّمات ، الموصوفات بكثْرة الرِّواية ، يقال : إنّها كانت تغنّي ثلاثين ألف صوت . ولها كتابٌ في الأغاني منسوبُ الأصوات غير مجنّس ، يشتمل على اثني عشر ألف صوت ، يقال : إنّها عملتْه لعليّ بن هشام . وكانت حُلْوة الوجهِ ظريفةً ، ضاربةً متقدّمة ، وابتاعها جعفرُ بن موسى الهادي ، فأخذها منه محمد الأمين ، وأعطاه مالاً جَزيلاً ، فولدُهما جميعاً يدَّعون ولاءها . فأخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفُلَيح وابن جامع وإبراهيم ، وطبقتهم .

وقرأتُ على جحظة ، عن أبي حَشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده ، قال : كانت بذل من أحسنِ الناسِ غناءً في دهْرِها ، وكان أستاذَة كلِّ محسن ومحسنة ، وكانت صفراء مدنية ، وكانت أروى خَلْقِ الله تعالى للغناء ، ولم يكن لها معرفة .

[احتيال الأمين في أخذها]

وكانت لجعفر بن موسى الهادي ، فوُصِفَتْ لمحمد بن زبيدة ، فبعث إلى جعفر يسأله أن يُريَه إيّاها ، فأبى ، فزارَه محمد إلى منزله ، فسمع شيئاً لم يسمَعْ مثلَه ، فقال لجعفر : يا أخي ، بِعْني هذه الجارية . فقال : يا سيِّدي ، مثلي لا يبيعُ جارية ، قال : فهَبْها لي ، قال : هي مُدبَّرة[1] . فاحتال عليه محمد حتى أسكره ، وأمر ببذل فحُمِلت معه إلى الحرَّاقة ، وانصرف بها .

فلمّا انتبه سأل عنها فأُخبر بخبرها ، فسكت . فبعث إليه محمد من الغد ، فجاءه وبذل جالِسةٌ فلم يَقُلْ شيئاً . فلمّا أراد جعفر أن ينصرفَ قال : أوقِرُوا حرَّاقة ابْنِ عمِّي دراهم ، فأوقرت .

قال : فحدَّثني عبد الله بن الحُنَيْني ، وكان أبوه على بيتِ مالِ جعفر بن موسى ، أنّ مبلغَ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم .

قال : وبقيت بذل في دارِ محمدٍ إلى أنْ قُتِل ، ثم خرجت ، فكان وَلَدُ جعفر وولد محمد يدّعون ولاءها . فلمّا ماتت ورثها وَلَدُ عبد الله بن محمد بن زبيدة .

1 مدبرة : معتقة بعد وفاة مولاها .

[هبات الجواهر من الأمين]

وقد روى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر ، عن ابن المكّي ، عن أبيه ، وقال فيه : إنّ محمداً وَهب لها من الجواهر شيئاً لم يملك أحدٌ مثله ، فسلم لها ، فكانت تُخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعُه بالمال العظيم ، فكان ذلك مُعْتَمدها مع ما يصلُ إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقيّةٌ عظيمة .

[إباؤها الزواج]

قال : ورغب إليها وجوهُ القُوَّاد والكتّاب والهاشميِّين في التزويج ، فأبتْ وأقامتْ على حالها حتى ماتت .

[زيارة علي بن هشام لها]

قال أبو حشيشة في خبره : وكنتُ عند بذل يوماً وأنا غلام ، وذلك في أيّام المأمون ببغداد ، وهي في طارمة[1] لها تَمْتَشِطُ ، ثم خرجتُ إلى الباب ، فرأيتُ الموكب ، فظننتُ أنّ الخليفة يَمرُّ في ذلك الموضع ، فرجعتُ إليها فقلتُ : يا ستّي ؛ الخليفة يمرُّ عَلى بابك ؟ فقالت : انظروا أيّ شيء هذا ؟ إذ دخل بوّابُها فقال : علي بن هشام بالباب . فقالت : وما أصنعُ به ! فقامت إليها وشيكة[2] جارِيتها ، وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها ، فأكبّتْ على رِجْلها ، وقالت : الله ، الله ! أتحجُبين عليّ بن هشام ! فدعَتْ بمِنديل فطرَحَتْه على رأسها ولم تَقُمْ إليه ، فقال : إنّي جئتك بأمرِ سيِّدي أمير المؤمنين ، وذلك أنّه سألني عنكِ ، فقلتُ : لم أرها منذ أيّام . فقال : هي عليك غَضْبى ، فبِحياتي لا تدخلُ منزلَك حتى تذهبَ إليها فتسترضيها .

فقالت : إنْ كنتَ جِئتَ بأمر الخليفة فأنا أقومُ . فقامت فقبَّلَتْ رأسَه ويَدَيْه وقعد ساعةً وانصرف . فساعةَ خرج قالت : يا وَشيكة ، هاتي دواةً وقرطاساً ، فجعلت تكتبُ فيه يوْمَها وليلتها حتى كتبت اثني عشرَ ألف صوت ، وفي بعض النسخ : (رؤوسَ سبعة آلاف صوت) ، ثم كتبت إليه : يا عليّ بن هشام ، تقول : قد استغنَيْت عن بَذْل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها ، وقد كتبتُ هذا وأنا ضَجِرَة ، فكيف لو فرَّغتُ لك قلبي كلَّه ! وختَمَتِ الكتاب ، وقالت لها : امضي به إليه .

فما كان أسرع من أنْ جاء رسوله ، خادمٌ أسود يقال له مخارق ، بالجواب يقول فيه : يا

---

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .

2 ل : وشيك .

ستّي ، لا واللهِ ما قلتُ الذي بلغَكِ ، ولقد كُذِبَ عليَّ عندكِ ؛ إنّما قلتُ : لا ينبغي أنْ يكونَ في الدُّنيا غناءٌ أكثر من أربعة آلاف صوت ، وقد بعثتِ إليّ بديوانٍ لا أُؤدِّي شكْرَكِ عليه أبداً . وبعث إليها عشرة آلاف درهم ، وتخوتاً فيها خزٌّ ووشْي ومُلَحٌ ، وتختاً مطبقاً فيه ألوان الطِّيب .

[عتاب عليّ بن هشام لها]

أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لعليّ بن هشام يعاتِبُ بذلاً في جَفْوَة نالته منها : [من الطويل]

تَغَيَّرْتِ بَعْدِي والزمانُ مُغَيِّرٌ ... وخِسْتِ بعَهْدِي والملوكُ تَخِيسُ[1]

وأظهرتِ لي هَجْراً وأخفَيْتِ بِغْضَةً ... وقرَّبْتِ وَغْداً واللسانُ عَبُوسُ

ومِمّا شجاني أنَّني يوْمَ زُرْتكمْ ... حُجِبْت وأعدائي لدَيْكِ جُلُوسُ

وفي دُونِ ذا ما يَسْتَدِلُّ به الفَتى ... على الغَدْرِ مِنْ أحْبابه ويَقِيسُ

كفرتُ بدِيْنِ الحُبِّ إنْ طُرتُ بابَكم ... وتلك يَمينٌ ، ما علمت ، غَمُوسُ[2]

فإنْ ذَهَبَتْ نفسي عليكم تشَوُّقاً ... فقد ذهبتْ للعاشقين نُفوسُ

ولو كان نَجْمي في السُّعودِ وَصَلْتُمُ ... ولكنْ نجومُ العاشقينَ نُحُوسُ

وأخبرني أبو العبّاس الهشاميّ المِسْك ، عن أهله : أنَّ عليّ بن هشام كان يَهْوى بذلاً ويكتمُ ذلك ، وأنّها هجَرَتْه مدَّةً ، فكتب إليها بهذه الأبيات .

وذكر محمد بن الحسن أنّ أبا حارثة حدَّثَه عن أخيه أنَّ معاوية قال : قالت لي بذل : كنتُ أروي ثلاثين ألف صوت ، فلمّا تركْتُ الدَّرسَ أُنسِيتُ نِصْفَها ، فذكرت قولها لزُرزُر الكبير ، فقال : كذَبَت الزَّانية !

[تغنّى مائة صوت لم يعرفها إبراهيم بن المهديّ]

قال : وحدَّثني أحمد بن محمد الفيْزُران ، عن بعضِ أصحابه ، أنّ إبراهيم بن المهديّ كان يعظِّمها ويتوافى لها ، ثم تغيَّر بعد ذلك استغناءً عند نفسه عنها . فصارت إليه ، فدَعا بعُودٍ فغنَّت ، في طريقةٍ واحدةٍ وإيقاعٍ واحد وإصبعٍ واحدة ، مائةَ صوت ، لم يعرف إبراهيمُ منها صوتاً واحداً ، ووضعت العُودَ وانصرفت ، فلم تدخُلْ دارَه حتى طال طلبُه لها وتَضرُّعُه إليها في الرجوع إليه .

---

1 الملوك في ل : والملول .

2 طرت بابكم : حمت حوله .

[خجل إسحاق الموصليّ لجهله أصوات أبيه]

وقال محمد بن الحسن ، وذكر أحمد بن سعيد المالكي أنَّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالفَ بذلاً في نسبةِ صوتٍ غنَّته بحضرة المأمون ، فأمسكَتْ عنه ساعةً ، ثم غنَّت ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني واحداً بعد واحد ، وسألتْ إسحاق عن صانعِها فلم يعرفه . فقالت للمأمون : يا أميرَ المؤمنين ، هي واللهِ لأبيه ، أخذْتُها من فيه ، فإذا كان هذا لا يعرفُ غناءَ أبيه فكيف يعرفُ غناءَ غيره ! فاشتدَّ ذلك على إسحاق حتى رُئِيَ ذلك فيه .

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدَّثني حمَّاد بن إسحاق قال : غنَّتْ بذل يوماً بين يدي أبي : [من المديد]

إنْ تَرَيْنـي ناحِلَ البَدَنِ   فلِطـول الْهَـمِّ والحَزَنِ
كان ما أخشى بواحِدَتي   ليتَـه واللهِ لَـمْ يَكُنِ[1]

فطرِب أبي والله طرباً شديداً ، وشرب رِطْلاً ، وقال لها : أحسنْتِ يا بنتي ، والله لا تغنّين صوتاً إلاّ شربتُ عليه رِطْلاً .

قال أبو الفرج : والغناء في هذا الشعر لبَذْل خفيف رمل بالوسطى .

[ألذ شيء]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنَّ محمد بن عليّ بن طاهر بن الحسين حدَّثه أنَّ المأمونَ كان يوماً قاعداً يشربُ وبيده قَدَح إذ غنَّت بَذْل : [من الطويل]

ألا لا أرى شيئاً ألذَّ من الوَعْدِ

فجعلَتْه :

ألا لا أرى شيئاً ألذّ من السَّحْقِ

فوضع المأمونُ القَدَح من يده والتفت إليها ، وقال : بلى يا بَذْل ، النّيك ألذُّ من السَّحْق ، فتشوَّرت[2] وخافتْ غضبَه ، فأخذ قَدَحه ، ثم قال : أتمّي صوتك وزِيدي فيه : [من الطويل]

ومِـنْ غَفْلَة الواشي إذا ما أتَيْتُها   ومِنْ زَوْرَتي أبياتَها خالياً وَحْدِي
ومِـنْ صيحةٍ في المُلْتقى ثم سَكْتَةٍ   وكلتاهُما عِنْدي ألَـذُّ مِنَ الخُلْدِ

---

1 الشطر الأول في ل : أسقمني الحب وأنحلني .

2 تشورت : خجلت .

نسبة هذا الصوت

[من الطويل]

أَلا لا أَرى شيئاً أَلَذَّ مِنَ الوَعْد ... ومن أَمَلي فيه وإنْ كان لا يُجدِي

الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر في رواية عمرو بن بانة .

صوت

[من البسيط]

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ ... متيَّمٌ عندها لم يُجْزَ مَكْبُولُ[1]

وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحلوا ... إلاّ أغنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مكحولُ

الشعر لكعب بن زهير بن أبي سُلْمى المُزَنيّ ، والغناء لابن محرز ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة والهشاميّ .

1 ديوان كعب بن زهير : 6–25 وفيه «متيم إثرها» . ومتبول : سقيم . والمكبول : مقيد .

[346] ـ أخبار كعب بن زُهير ونسبه[1]

[نسبه]

كعب بن زهير بن أَبي سُلْمى المُزَنيّ ، وقد تقدّم خبرُ أبيه[2] ونسبُه . وأُمُّ كَعْب امرأةٌ من بني عبد الله بن غطفان يقال لها كَبْشة بنت عمَّار بن عديّ بن سُحَيم ، وهي أُمُّ سائر أَولاد زُهير .

وهو من المخضرمين ، ومن فحول الشعراء .

وسأَلَه الحطيئة أنْ يقولَ شعراً يقدّم فيه نفسه ، ثم يثنّي به بَعْدَه ، ففعل .

أَخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دُريد عن أَبي حاتم ، عن أَبي عبيدة ، قالا : أَتى الحطيئةُ كعبَ بن زهير ، وكان الحطيئةُ راويةَ زهير وآل زهير ، فقال له : يا كعب ، قد علمتَ روايتي لكم أهلَ البيتِ وانقطاعي إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك ، فلو قلتَ شعراً تذكرُ فيه نفسَك وتَضعُني مَوضِعاً بَعْدَك ! وقال أبو عبيدة في خبره : تبدأ بنفسك فيه وتثنِّي بي ؛ فإنَّ الناس لأشعاركم أروى ، وإليها أسرع ، فقال كعب[3] : [من الطويل]

فمَنْ للقوافي شانَها مَنْ يَحُوكها ... إذا ما ثَوى كَعْبٌ وفَـوَّزَ جَرْوَلُ[4]

يقـول فـلا تعْيـا بشيء يَقولُـه ... ومِنْ قائليها مَـنْ يُسيءُ ويَعْمَلُ

كفيتُكَ لا تَلْقى مِن الناسِ واحداً ... تنخَّـلَ مِنهـا مِثْـلِ مـا يُتنخَّلُ[5]

يُثَقِّفُهـــا حتـى تَلِـينَ مُتُونُهـا ... فيَقْصُـر عنهـا كلُّ مـــا يُتمثَّلُ

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبي ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عليّ بن الصباح ، عن هشام ، عن إسحاق بن الجصّاص ، قال :

1 ترجمة كعب بن زهير في الشعر والشعراء : 89–91 وطبقات ابن سلام : 99–100 ومعجم المرزباني : 343 والإصابة وأُسد الغابة والاستيعاب . وانظر بروكلمان 1 : 156 .

2 في الأغاني 10 : 226 .

3 ديوانه : 59–60 مع بعض اختلاف . وقد وردت في الشعر والشعراء وفي خزانة البغدادي .

4 فوَّز : مات .

5 الديوان : أَتَنَخَّلُ .

قال زهير بيتاً ونصفاً ثم أكْدى[1] ، فمرَّ به النّابغةُ ، فقال له : أبا أمامة ، أجِزْ ، فقال : وما قلتَ ؟ قال : قلت : [من الوافر]

تَزِيـد الأرضُ إمّا مـتَّ خِفّـاً وتَحْيـا إنْ حَيِيتَ بهـا ثَقِيلا

نزلْـتَ بمستَقرِّ العَرْضِ منهـا . . . .

أجِز ، قال : فأكدى والله النابغة . وأقبل كَعْب بن زهير ، وإنّه لغلام ، فقال أبوه : أجِز يا بُنَيّ ، فقال : وما أُجيز ؟ فأنشده ، فأجاز النصف بيت ، فقال :

وتمنـع جانِبَيها أنْ يَـزُولا

فضمَّه زهيرٌ إليه ، وقال : أشهد أنّك ابني .

[أبوه يحاول منعه من قول الشعر ثم يمتحنه]

وقال ابنُ الأعرابيّ : قال حماد الراوية : تحرَّك كعب بن زهير وهو يتكلّم بالشعر ، فكان زُهير يَنْهاه مخافةَ أنْ يكون لم يستحكِمْ شعْرُه ، فيُرْوى له ما لا خيرَ فيه . فكان يَضْرِبُه في ذلك ، فكلّما ضربه يزيدُ فيه فغلبه . فطال عليه ذلك ، فأخذه فحبَسه ، فقال : والذي أحلفُ به لا تتكلّم ببيتِ شعر إلاّ ضربْتُك ضرْباً يُنكِّلُك[2] عن ذلك . فمكث محبوساً عدَّة أيّام ، ثم أخبر أنّه يتكلَّم به ، فدعاه فضربه ضرْباً شديداً ، ثم أطلقه وسرَّحه في بَهْمه[3] وهو غُلَيّم صغير ، فانطلق فرَعى ثم راح عشيَّة ، وهو يرتجز : [من الرجز]

كأنّما أحْـدُو بِبَهمِي عِيرا مِـن القُـرى مُوقـرةً شَعِيرا

فخرج إليه زُهير وهو غَضْبان ، فدعا بناقته فكفَلها بكسائه ، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كَعْب ، فأخذ بيده فأردَفه خلْفَه ، ثم خرج فضرب ناقتَه وهو يريد أنْ يبعثَ ابنَه كَعْباً ويعلَم ما عنده من الشعر ، فقال زهير حين برز إلى الحيّ : [من الطويل]

إنِّي لتُعْدِينـي على الهـمّ جَسْرَةٌ تَخُـبُّ بِوَصّـالٍ صَـرُومٍ وتُعْنِقُ

ثم ضرب كَعْباً ، وقال له : أجِز يا لُكع ، فقال كعب : [من الطويل]

كبُنْيانةِ القَرْئِـيّ موضعُ رحلهـا وآثـارُ نِسْعَيْها مـن الدَّفِّ أبلَقُ[4]

---

1 أكدى : توقف عن القول عجزاً .

2 ينكلك : يصرفك .

3 البهم : صغار الضأن .

4 النسع : السير المضفور ، أو المفصل بين الكف والساعد . والدف : المشي .

فقال زهير : [من الطويل]

على لاحبٍ مثل المجرَّةِ خِلْتَهُ إذا ما عَلا نَشْزاً من الأرض مُهْرَقُ[1]

أَجِز يا لُكع ، فقال كعب : [من الطويل]

مُنِيرٌ هَداهُ ليلُه كنَهارِه جميعٌ ، إذا يَعْلُو الحُزُونةَ أَفْرَقُ

قال : فتبدّى زهير في نعت النعام ، وترك الإبل ، يتعَسَّفُه عمْداً ليعلمَ ما عنده ، قال : [من الطويل]

وظَلَّ بوَعْساءِ الكَثِيبِ كأنَّه خِباءٌ على صَقْبَيْ بِوانٍ مُرَوَّقِ

صَقْبَي عَمُودَيْ ، بوان : عَمود من أعمدة البيت ، فقال كعب : [من الطويل]

تراخى به حُبُّ الضَّحاء وقد رأى سَماوَةَ قَشْراءِ الوَظِيفَين عوْهَقِ[2]

فقال زهير : [من الطويل]

تَحِنُّ إلى مِثْلِ الحَبابيرِ جُثَّمٍ لدى منتج مِنْ قَيْضِها المتَفَلِّقِ[3]

الحبابير : جمع حُبارى ، وتجمع أيضاً حُبارَيات ، فقال كعب : [من الطويل]

تحطَّمَ عَنْها قَيْضُها عن خَراطِمٍ وعَنْ حَدَقٍ كالنَّبْخِ لم يَتَفَتَّقِ

الخراطم هاهنا : المناقير ، والنَّبخ : الجُدْري ، شبّه أَعْيُنَ ولدِ النعامة به .

قال : فأخذ زهير بيد ابْنِهِ كعب ، ثم قال له : قد أَذِنْتُ لك في الشِّعر يا بُنَيّ .

فلمّا نزل كعب وانتهى إلى أهله ، وهو صغير يومئذٍ ، قال[4] : [من الطويل]

أَبِيتُ فلا أَهجو الصديقَ ومَنْ يبعْ بعِرْضِ أَبِيه في المعاشر يُنْفقِ

قال : وهي أوّلُ قصيدة قالها .

[خروج كعب وبجير إلى النبي]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني إبراهيم بن المنذر الحزاميّ ، قال : حدَّثني الحجّاج بن ذي الرُّقَيْبة بن

---

1 اللاحب : الطريق الواضح . والمهرق : الأملس .

2 تراخى : تطاول . والضحاء للإبل مثل الغداء للناس . سماوة : شخص . وقشراء الوظيفين : الساقين . وعوهق : طويلة العنق .

3 القيض : قشر البيضة اليابس .

4 يقال أن زهيراً وكعباً اشتركا فيها ـ عن أبي عمرو (ديوان زهير : 245) .

عبد الرحمن بن مُضَرّب بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، عن أَبيه ، عن جدّه قال : خرج كَعْب وبُجَير ابنا زهير بن أبي سُلْمى إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزَّاف[1] ، فقال كعب لبُجَير : القَ الرجل ، وأنا مقيمٌ هاهنا ، فانظُرْ ما يقولُ لك . فقدِم بُجَير على رسول الله ﷺ ، فسمع منه وأسلم ، وبلغ ذلك كعباً ، فقال[2] : [من الطويل]

ألا أَبْلِغــا عنّــي بُجَيْراً رِسالةً   على أيِّ شيء ، وَيْبَ غَيْرِكَ ، دَلَّكا[3]
على خُلُـق لم تُـلْفِ أُمّاً ولا أباً   عَلَيْـه ولم تُدْرِك عليــه أَخاً لَكا
سقاكَ أَبــو بكــر بكأسٍ رَوِيَّـة   فأنهلَـك المأمــونُ مِنْهــا وعلَّكا

ويروى «المأمور» . قال : فبلغت أَبياته هذه رسول الله ﷺ فأهدر دَمه ، وقال : مَنْ لقي منكم كَعْبَ بن زهير فيَقْتُله .

فكتب إليه أخوه بُجَير بخبره ، وقال له : انجه[4] وما أُراك بِمُفْلِتٍ . وكتب إليه بعد ذلك يأمُره أنْ يُسْلِم ويُقْبِل إلى رسول الله ﷺ ويقول له : إنّ مَنْ شهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسوله قَبلِ ﷺ منه ، وأسقط ما كان قبل ذلك . فأسلم كعب ، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله ﷺ : [من البسيط]

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليومَ مَتْبُولُ   مُتَيَّـمٌ عِنْدَهـا لم يجزَ مَكْبُولُ[5]

قال : ثم أَقبل حتى أَناخ راحِلَتَه بباب مسجد رسول الله ﷺ ، وكان مجلسه من أُصحابه مكانَ المائدة من القوم حلقة ثم حَلْقة ثم حلقة ، وهو وسطهم ، فيقبل على هؤلاء يُحدِّثهم ، ثم على هـؤلاء ، ثم على هـؤلاء . فأقبـل كعب حتى دخل المسجد فتخطَّى حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، الأمان . قال : ومن أنت ؟ قال : كعب بن زهير . قال : أنتَ الذي يقول . . . كيف قال يا أبا بكر ؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

سقاكَ أَبو بَكْـرٍ بكأْسٍ رَوِيَّــةٍ   وأَنهلَكَ المأمونُ منهـا وعَلَّكا

---

1 أبرق العزاف : ماء لبني أسد .

2 ديوانه : 3 وفيه :

ألا أبلغــا عنّــي بجيراً رسالــــة   فهل لك في ما قلت في الخيف هل لكا
شربــت مــع المأمــون كأساً رويــة   فأنهلــك المأمــون منهـــا وعلّكا

3 شيء في ل : خير .

4 انجه : انج وأضيفت إليها هاء السكت .

5 يجز في ل : يفد .

فقال رسول الله ﷺ : مأمون والله . ثم أُنشده ، يعني كعباً : [من البسيط]

بانـــت سُعاد فقلبي اليوم مَتْبُولُ

قال عمر بن شبّة : فحدَّثني الحزاميّ ، قال : حدَّثني محمد بن فُلَيح ، عن موسى بن عقبة ، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجَعْدِ ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي ، قال : حدَّثنا محمد بن فُليح ، عن موسى بن عقبة ، قال : أنشدها رسول الله ﷺ في مسجده ، فلما بلغ إلى قوله : [من البسيط]

إنّ الرّسولَ لَسَيْفٌ يُستضاءُ بـه ... مهنَّـدٌ مِـــنْ سُيُوفِ الله مَسْلُولُ
في فِتْيَـةٍ مِـنْ قريش قال قائلُهم ... بِبَطْـنِ مكّـة لَمَّا أَسلموا : زُولوا
زَالُوا فما زال أَنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عنـــد اللقـــاء ولا خُـورٌ مَعازِيلُ[1]

أَشار رسول الله ﷺ إلى الحِلَق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير .

قال الحزاميّ : قال عليّ بن المدينيّ : لم أَسمع[2] قطّ في خبر كعب بن زهير حديثاً قطّ أَتمّ ولا أَحسنَ من هذا ، ولا أُبالي ألاّ أَسمع من خبره غير هذا .

[رؤيا زهير]

قال أَبو زيد عُمر بن شَبّة : وممّا يُرْوى من خبره أنَّ زهيراً كان نظّاراً متوقّياً ، وأنـّه رأى في منامه آتياً أتاه ، فحمله إلى السماء حتى كاد يمسّها بيده ، ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلمّا احتُضِر قصَّ رُؤْياه على وَلده ، وقال : إنّي لا أَشكُّ أَنّه كائن مِنْ خبر السّماء بَعْدي شيء ، فإن كان فتمسَّكوا به وسارِعُوا إليه .

فلمّا بُعِث النبيُّ عليه السلام خرج إليه بُجَير بن زهير فأَسلم ، ثم رجع إلى بلادِ قومه ، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ أتاه بُجَيْر بالمدينة ، وكان من خيارِ المسلمين . وشهد يومَ الفَتْح مع رسول الله ﷺ ، ويوم خَيْبَر ويوم حُنَيْن وقال في ذلك : [من الوافر]

صَبَحْناهُـمْ بأَلْـفٍ مـن سُلَيْمٍ ... وأَلْف مـن بنـي عثمانَ وافِ
فرُحْنا والجيادُ تجـول فيهم ... بأَرْمـــاحٍ مُثَقَّفَـــةٍ خِفـافِ
وفي أَكتافهـم طعْـنٌ وضَرْبٌ ... ورَشْـقٌ بـالْمُرَيَّشةِ اللّطـافِ

---

1 الديوان : ميل بدلاً من خور . والكشف الذين ينهزمون ولا يثبتون . والميل : لا يثبتون على سروجهم . والنكس : الضعيف . والمعازيل : الذين لا سلاح لهم .

2 ل : لم يسمع .

ثم ذكر خبره وخبر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزاميّ ، وزاد في الأبيات التي كتب بها كعبٌ إليه : [من الطويل]

فخالفــتَ أسبابَ الهُــدى وتبعتَــهُ فهل لك فيما قُلْت بالخَيْفِ هَلْ لكا ؟

ثم قال في خبره أيضاً : إنّ كعباً نزل برجل من جُهَينة ، فلمّا أصبح أتى النبيّ عليه السلام ، فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن أتيتُك بكعب بن زهير مُسْلماً أتؤمِّنُه ؟ قال : نعم ، قال : فأنا كَعْب بن زهير ، فتواثبت الأنصارُ تقول : يا رسول الله ؛ ائذَنْ لنا فيه . فقال : وكيف ، وقد أتاني مُسلماً ! وكفَّ عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً ، فأنشد رسولَ الله ﷺ قصيدتَه : [من البسيط]

بانت سُعاد فقَلْبي اليوم متبولُ

حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

لا يَقَــعُ الطَّعْنُ إلاَّ في نُحورهمُ وما بِهم عن حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ[1]

هكذا في رواية عُمر بن شبّة ، ورواية غيره «تَعْليل» .

فعند ذلك أومأ رسولُ الله ﷺ إلى الحِلَقِ حوله أن تسمعَ منه . قال : وعَرَّضَ بالأنصار في قصيدته في عدّة مواضع ، منها قوله : [من البسيط]

كانت مواعيــد عُرْقُوبٍ لهـا مَثَلاً ومــا مَواعيدُهـــا إلاَّ الأباطِيلُ[2]

وعُرْقوب : رجل من الأوس[3] .

[مدحه الأنصار]

فلمّا سمع المهاجِرُون بذلك قالوا : ما مدحنا مَن هجا الأنصار ، فأنكروا قوله ، وعُوتب على ذلك فقال[4] : [من الكامل]

مَنْ سَرَّه كَرَمُ الحياةِ فـلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ مِن صالحي الأنصارِ[5]

---

1 تهليل في ل : تنكيل .

2 المثل «مواعيد عرقوب» في مجمع الميداني ، 2 : 311 والدرة الفاخرة 1 : 178 وجمهرة العسكري 1 : 433 وفصل المقال : 113 .

3 في شرح ديوان كعب أن «عرقوب بن نصر من العمالقة ، نزل المدينة قبل أن ينزلها اليهود بعد عيسى» .

4 ديوانه : 25–41 .

5 المقنب : الجماعة من الفوارس ، واختلف في عدد أفرادها .

البَاذِلينَ نفوسَهمْ لِنَبِيِّهِم ... عند الهِياج وسَطْوَةِ الجَبَّارِ[1]
والناظِرين بأعْيُنٍ محمَرَّة ... كالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلةِ الإبصارِ
والضَّارِبين الناسَ عن أديانِهم ... بالمَشْرَفِيِّ وبالقَنا الخَطَّارِ[2]
يتطهَّرُونَ يرَوْنَهُ نسكاً لهم ... بدماء مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكفَّارِ[3]
صَدَمُوا الكتيبةَ يوم بَدْرٍ صَدْمَةً ... ذَلَّتْ لوَقْعَتِها رِقابُ نِزارِ

[عرقوب المضروب به المثل]

قال أبو زيد : الذي عناه كعب رجلٌ من الأوس كان وَعد رجلاً ثمرَ نَخْلَةٍ ، فلمّا أطلعَتْ أتاه فقال : دَعْها حتى تلقح ، فلمّا لقِحَتْ قال : دَعْها حتى تُزهِي[4] ، فلمّا أزْهَتْ أتاه فقال : دَعْها حتى تُرْطِب ، ثم أتاه فقال : دَعْها حتى تُتْمِر ، فلمّا أتمرت عَدا عليها ليلاً فجدَّها ، فضُرِب به في الخُلْفِ المَثَلُ ، وذلك قول الشماخ : [من الطويل]

وَواعَدَني ما لا أُحاوِل نَفْعَه ... مواعيدَ عُرْقُوب أخاه بِيَثْرِبِ

وقال المتلمّس لعمرو بن هند : [من الكامل]

مَنْ كان خُلْفُ الوعدِ شيمتَه ... والغَدْرُ عرقوبٌ لَهُ مَثَلُ

وما قالته الشعراء في ذِكر عُرقوب يكثُر .

قال إبراهيم بن المنذر : حدَّثني مَعْن بن عيسى ، قال : حدَّثني الأوقص محمد بن عبد الرحمن المخزومي ، قال : حدَّثني عليّ بن زيد أنَّ كعب بن زهير أنشد رسولَ الله ﷺ هذه القصيدة في المسجد الحَرام ، لا في مسجد المدينة .

قال إبراهيم : حدَّثني محمد بن الضَّحّاك بن عثمان عن أبيه ، قال : عنى كعْبُ بن زهير بقوله : [من البسيط]

في فِتْيَةٍ من قريش قال قائلهم

عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه .

---

1 الهياج في ل : عند الصباح . وفي الديوان : يوم الهياج وقبة الجبار .
2 والضاربين الناس في الديوان : والذائدين الناس .
3 يرونه نسكاً لهم في الديوان : كأنه نسك لهم .
4 تزهي : تظهر الحمرة والصفرة في الثمر .

صوت[1]

[من الطويل]

أَبِيني أَفي يُمْنى يَدَيْكِ جعَلتِني ... فأَفرحَ أَمْ صيَّرتِني في شِمالِكِ[2]
أَبيتُ كأَنّي بين شِقَّيْنِ مِنْ عَصاً ... حذارَ الرَّدى أَو خِيفَةً من زِيالِكِ
تَعالَلْتِ كي أُشجى وما بِكِ عِلَّة ... تُرِيدينَ قَتْلي ، قد ظَفِرْتِ بذلكِ

عروضه من الطويل ، الشعر لابن الدُّمينة بعضُه ، وبعضُه أُلحقه المغنّون به ، وهو لغيره . والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر .

1 ديوان ابن الدمينة : 17 ، البيت الأول . ولم يرد البيتان الآخران فيه ولا في زياداته .
2 صيرتني في ل : خلفتني .

[347] ـ أخبار ابن الدُّمَيْنة ونسبه[1]

[نسبه]

الدُّمَيْنة أُمُّه ، وهي الدُّمينة بنتُ حذَيْفة السَّلولية ، واسم ابن الدُّمَيْنة عبد الله بن عُبيد الله ، أحد بني عامر بن تيم الله بن مُبَشِّر بن أكلُب بن رَبيعة بن عِفْرِس بن حَلْف بن أفتَلَ وهو خَثْعَم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك .

وقيل : إنَّ أكلُب هو ابن ربيعة بن نزار ليس ابن ربيعة بن عفرس ، وإنّهم حالفوا خَثْعم ونزلوا فيهم فنُسِبوا إليهم . ويُكنى ابنُ الدُّمَينة أبا السَّرِيِّ .

وكان بلغه أنّ رجلاً من أخواله من سَلُول يأتي امرأتَه ليلاً فرَصده حتى أتاها فقتله ، ثم قتلها بعده ، ثم اغتالَتْه سَلُول بعد ذلك فقتلَتْه .

أخبرني بخبره عليُّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا أبو سعيد السُّكّري ، عن محمد بن حَبيب ، عن أبي عبيدة وابن الأعرابيّ ، وأضفتُ إلى ذلك ما رواه الزبير بن بكّار عن أصحابه ، وما اتَّفقت الروايتان فيه ، فإذا اختلفتا نسبت كل خبرٍ إلى راويه .

[مزاحم السلوليّ يعرّض بامرأة ابن الدمينة]

قال الزُّبير : حدَّثني موهوب بن رُشيد الكلابيّ ، وإبراهيم بن سعد السُّلمي ، وعمر بن إبراهيم السّعدي ، عن ميناس بن عبد الصمد ، عن مصعب بن عمرو السَّلولي ، أخي مُزاحم بن عمرو ، قالوا جميعاً : إنَّ رجلاً من سلول يقال له مزاحم بن عَمرو كان يُرمى بامرأة ابن الدُّمينة ، وكان اسمها حمّاء . قال السُّكّري : كان اسمها حمّادة ، فكان يأتيها ويتحدَّث إليها حتى اشتهر ذلك ، فمنعه ابن الدُّمَيْنة من إتيانها ، واشتدَّ عليها ، فقال مزاحم يذكرُ ذلك ، وهذا من رواية ابن حبيب ، وهي أتمُّ وأصحُّ[2] : [من البسيط]

يـا ابْنَ الدُّمينةِ والأخبارُ يرفَعُها ... وَخْـدُ النّجائبِ والمحقُورُ يُخْفِيها

1 ترجمة ابن الدمينة في الشعر والشعراء : 617–618 والسمط : 136 وأسماء المغتالين : 269 وحماسة الخالديين وعيون التواريخ (وفيات سنة 143هـ) وشرح شواهد المغني للبغدادي ومعاهد التنصيص . وقد حقق ديوانه وقدم له الأستاذ أحمد راتب النفاخ (القاهرة 1959) وإليه نشير .

2 ديوان ابن الدّمينة : 6–7 .

يا ابْنَ الدُّمَيْنة إنْ تغضَبْ لِما فَعلَتْ فطـال خِزيُكَ أو تغضَبْ مَواليها[1]
أو تُبغضوني فكم مِنْ طعنةٍ نَفَذٍ يعوي خِلالَ اختلاج الجَوْفِ عاويها
جاهَدْتُ فيها لكُمْ إنّي لكُمْ أبداً أبْغِـي معايبكــم عَمْـداً فآتِيها
فـذاكَ عندي لكـم حتّى تُغَيِّبَني غَبْـراء مُظْلِمـةٌ هـارٍ نَواحِيها
أغْشى نساءَ بنـي تَيْم إذا هجعَتْ عنّي العُيـونُ ولا أبغِـي مَقارِيها[2]
كم كاعبٍ مِنْ بني تَيْم قعدْتُ لها وعانِسٍ حـين ذاقَ النومَ حامِيها
كقِعْدة الأعْسر العُلْفوف مُنْتَحِياً مَتِينةً مـن متـونِ النَّبْلِ يُنْحيها[3]
وشَهْقَةٍ عنـد حسِّ الماءِ تشهقُها وقولُ رُكْبَتِها : قِضْ ، حين تَثنِيها
علامــة كيَّةٌ مـا بَيْـن عانَتِها وبـين سَبَّتِهـا لا شلَّ كاوِيها[4]
وتَعدِلُ الأيــرَ إن زاغَتْ فتبعثه حتى يقيـمَ برفـق صَدْرَه فيها
بَيْنَ الصَّفُوقَيْنِ في مستهدِف ومِدٍ ذِي حَرَّة ذاق طعْمَ الموتِ صالِيها[5]
ماذا تَـرى ابن عُبَيْد الله في امرأةٍ ليست بِمُحْصَنَةٍ عَـذْراءَ حاوِيها
أيّـام أنْتَ طرِيــدٌ لا تقاربُها وصادفَ القَوْسَ في الغِرَّاتِ بارِيها[6]
تَـرَى عجُوزَ بنـي تيــم ملفَّعةً شُمْطاً عوارِضُهـا رُبْـداً دَواهِيها
إذ تجعلُ الدِّفِنسُ الوَرْهاء عُذْرَتها قُشارةً مـن أديـم ثـم تفريها[7]
حتى يظلَّ هِـدان القوم يَحْسبُها بِكْراً وقَبْلُ هَوى في الدارِ هاوِيها[8]

[قتل مزاحماً السلوليّ]

قال الزُّبير عن رجاله ، وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ : لمّا بلغ ابن الدُّمينة شعرُ مزاحم

1 فطال خزيك في ل : فطال حزنك .
2 مقاري : محلات قرى الضيوف .
3 العلفوف : الرجل الجافي الكثير اللحم والشعر . وينحيها : يضرب بها . وفي رواية : يرميها .
4 السبة : الاست .
5 الومد : الشديد الحر . والمستهدف : العريض المرتفع .
6 إشارة إلى المثل «أعط القوس باريها» : مجمع الميداني 2 : 9 وجمهرة العسكري 1 : 76 وفصل المقال : 298 ومستقصى الزمخشري 1 : 247 .
7 الدفنس : المسنة أو الحمقاء . والورهاء : الكثيرة اللحم .
8 هدان القوم : الأحمق الثقيل .

أتى امرأتَه فقال لها : قد قال فيكِ هذا الرجل ما قال ، وقد بلغك ! قالت : والله ما رأى ذلك منّي قطّ . قال : فمن أين له العلامات ؟ قالت : وصفهنّ له النساء . قال : هيهات والله أن يكون ذلك كذلك . ثم أمسك مدّةً وصبر حتى ظنّ أن مُزاحماً قد نسِيَ القصّة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلف أنّ ذلك ممّا وصفه له النساء . فقال لها : والله لئن لم تمكّنيني منه لأَقْتُلَنَّكِ . فعلمَتْ أنّه سيفعلُ ذلك ، فبعثت إليه وواعَدَتْه ليلاً ، وقعد له ابن الدُّمَينة وصاحبٌ له ، فجاءها للموعد ، فجعل يكلّمها وهي في مكانها[1] فلم تكلّمه ، فقال لها : يا حمَّاء ، ما هذا الجَفاء الليلة ؟ قال : فتقول له هي بصوتٍ ضعيف : ادخل ، فدخل فأهْوى بيده ليضَعها عليها ، فوضعها على ابن الدُّمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه ، وقد جعل له حصى في ثوب ، فضرب بها كَبِده حتى قتله ، وأخرجه فطرحه ميّتاً ، فجاء أهله فاحتملوه ، ولم يَجدوا به أثر السلاح ، فعلِموا أنَّ ابنَ الدُّمينة قتله .

[هجاء سلول]

قال الزُّبير في حديثه : وقد قال ابن الدُّمينة في تحقيق ذلك[2] : [من البسيط]

قالوا : هجَتْكَ سَلولُ اللُّؤمِ مُخْفِيةً فاليومَ أَهْجُو سَلولاً لا أُخافِيها
قالوا : هجاكَ سَلُوليٌّ ؛ فقلتُ لهم : قد أنصف الصَّخْرَةَ الصَّماء رامِيها
رِجالُهم شَرُّ مَنْ يَمْشي ونسْوَتُهم شرُّ البريَّـــةِ واسْتٌ ذَلَّ حامِيها
يَحْكُكْنَ بالصَّخْرِ أُستاها بها نُقَب كما يَحُكُّ نِقابَ الجُـرْبِ طالِيها

قال : وقال أيضاً يذكر دخولَ مُزاحم ووضْعَه يدَه عليه[3] : [من الطويل]

لكَ الخَيْرُ إن واعدْتَ حَمَّاءَ فالْقَها نهاراً ، ولا تُدْلج إذا الليلُ أظلما
فإنَّكَ لا تَـدْري أَبيضـاءَ طَفْلَـةً تُعانِقُ أَمْ لَيْثـاً مـن القوم قشْعَما
فلمّـا سَرى عن ساعِدَيَّ ولحيتي وأيقن أنّي لستُ حَمَّاءَ جَمْجَما[4]

[يقتل امرأته وابنته]

قالوا جميعاً : ثم أتى ابن الدُّمينة امرأتَه ، فطرح على وجهها قطيفةً ، ثم جلس عليها حتى

1 ل : في مظلتها .
2 ديوانه : 8 .
3 ديوانه 181–182 .
4 جمجم : لم يبن الكلام .

قتلها ، فلمّا ماتت قال : [من البسيط]

إذا قَعَدْتُ على عِرْنين جاريةٍ ... فوق القطيفةِ فادْعُوا لي بحَفَّارِ

فبكت بُنَيَّةٌ له منها ، فضرب بها الأرضَ فقتلها ، وقال متمثّلاً : «لا تَتّخذنّ مِنْ كَلْبِ سَوْءٍ جَرْوًا»[1] .

قال الزُّبير في خبرِه ، عن عمِّه مصعب ، عن حُمَيد بن أُنيف ، قال : فخرج جناحٌ أُخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستَعْداه على ابن الدُّمينة ، فبعث إليه فحبسه .

[أم تحض ابنيها على الثأر]

وقالوا جميعاً : قالت أُمُّ أبان والدة المزاحم بن عمرو المقتول ، وهي من خَثْعم ، ترثي ابنَها ، وتحضّض مُصْعَباً وجناحاً أُخويه[2] : [من الطويل]

بأهْلي ومالي ، بل بِجُلِّ عَشيرتي ... قَتيلُ بني تَيْمٍ بغير سِلاحِ
فهلاَّ قَتَلْتُمُ بالسَّلاحِ ابْنَ أُختِكم ... فتظهرَ فيه للشهودِ جِراحُ
فلا تطمعوا في الصّلح ما دمْتُ حيّةً ... وما دامَ حيّاً مُصْعَبٌ وجَنَاحُ
أَلَمْ تعلموا أنَّ الدَّوائرَ بيننا ... تَدُورُ ، وأنَّ الطالبين شِحاحُ

قالوا : فلمّا طال حَبْسُه ، ولم يَجِدْ عليه أحمدُ بن إسماعيل سبيلاً ولا حجّة خلاَّه . وقتلت بنو سلُول رجلاً من خثعم مكانَ المقتول ، وقتلت خَثْعم بعد ذلك نفراً من سَلُول . ولهم في ذلك قصصٌ وأشعارٌ كثيرة .

[مقتله]

قالوا : وأقبل ابن الدُّمَينة حاجّاً بعد مدّةٍ طويلة ، فنزل بتَبالة ، فعدا عليه مُصعب أُخو المقتول لمَّا رآه ، وقد كانت أُمُّه حَرَّضَتْه عليه ، وقالت : اقتُل ابنَ الدُّمينة ، فإنّه قتل أخاك ، وهجا قومَك ، وذَمَّ أُختك ، وقد كنتُ أعذرك قبلَ هذا ، لأنّك كنتَ صغيراً ، وقد كبرت الآن . فلمّا أكثرَتْ عليه خرج مِن عندها ، وبَصُر بابن الدُّمينة واقفاً يُنشد الناسَ ، فغَدا إلى جزّار فأخذ شَفْرَتَه ، وعَدا على ابنِ الدُّمينة ، فجرحه جراحَتَيْن ، فقيل : إنّه مات لوقتِه . وقيل : بل سَلِم تلك الدَّفْعَةَ ، ومرَّ به مصعب بعد ذلك وهو في سُوق العبْلاء يُنشِد ، فعلاهُ

1 المثل «لا تقتن من كلب سوء جرواً» في مجمع الميداني 2 : 226 وجمهرة العسكري 2 : 141 ومستقصى الزمخشري 2 : 258 .
2 ديوان الدمينة : 8 .

بسيفه حتى قتله ، وعَدا وتَبِعَه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها على نفسه ، فجاءه رجلٌ من قومه فصاح به : يا مُصعب ، إن لم تضَعْ يدَكَ في يدِ السلطان قتلْتكَ العامّة فاخرج ، فلمّا عرفه قال له : أنا في ذِمَّتِك حتى تسلِّمني إلى السلطان ؟ قال : نعم ، فخرج إليه ووضع يدَه في يدِه ، فسلّمه إلى السلطان ، فقذَفه في سجن تَبالة .

[يحرّض قومه ويوبّخهم]

قال السّكّريّ في خبره : ومكث ابنُ الدُّمينة جَريحاً لَيلَته ، ومات في غَد ، فقال في تلك الليلة يحرِّض قومه ويوبّخهم[1] : [من الوافر]

هتَفتَ بأكْلُبٍ ودَعَوْتَ قَيْساً ... فـلا خُذُلاً دعَوْتَ ولا قَلِيلا
ثأرْتَ مزاحِماً وسَرَرت قيْساً ... وكنتَ لِما هممت بــهِ فَعُولا
فـلا تَشلَلْ يَـداك ولا تَزالا ... تُفِيـــدان الغنائـــمَ والجَزِيلا
فلــو كان ابنُ عَبْدِ اللهِ حيّـاً ... لصبَّــحَ في منازِلهـــا سَلُولا

[مصعب السلولي يطلب من قومه انقاذه]

قال : وبلغ مصعباً أنَّ قومَ ابن الدُّمينة يريدون أنْ يقتحموا عليه سِجن تَبالة فيقتلوه به غِيلة ؛ فقال يحرِّضُ قومه : [من الوافر]

لقيتُ أبا السَّرِيِّ وقــد تكالا ... لــهُ حــقٌّ العداوَةِ في فؤادِي[2]
فكاد الغيــظُ يُفرِطُنــي إليــه ... بطَعْــن دونــه طَعْنُ السَّدادِ
إذا نبحَتْ كِلابُ السجْنِ حَوْلِي ... طَمِعْتُ هَشاشَةً وهَفَا فُؤادِي
طماعَةَ أنْ يَدُقَّ السجْنَ قَوْمي ... وخَوْفــاً أنْ يُبيِّتَنــي الأعادِي
فمــا ظنِّــي بقومي شَرُّ ظَنّ ... ولا أنْ يُسْلِمــوني في البلادِ
وقــد جدّلــتُ قاتِلَهُم فأمْسى ... يَمُجُّ دَمَ الوَتِــين على الوِسادِ

[هرب مصعب من السجن]

فجاءت بنو عُقَيل إليه ليلاً ، فكسروا السجن ، وأخرجوه منه .

قال مصعب : فلمّا أفلتَ من السجن هرب إلى صَنْعاء ، فقدِم علينا وأبي بها يومئذٍ والٍ ، فنزل على كاتب لأبي كان مولًى لهم ، فرأيته حينئذٍ ولم يكن جَلْداً من الرجال .

---

1 ديوانه : 10 .

2 تكالا في ل : تغالى . حقّ في ل : حمى .

[مما يغنى به من شعره]

وممّا يغنّى به من شعر ابن الدُّمَيْنَة قوله من قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

أَقمــتُ على زِمَّــان يومــاً وليلةً لأَنْظُرَ مــا واشي أُمَيْمَةَ صانِعُ[2]
فَقَصْرُكِ منّــي كلَّ عــامٍ قَصِيدة تخُبُّ بهــا خُوصُ المَطِيِّ النَّزائِعُ[3]

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أنَّ عبد الله بن شبيب أَنشده إيّاها ، عن محمد بن عبد الله الكُرّانيّ لابن الدُّمينة . والذي يغنّى به منها قوله[4] : [من الطويل]

صوت

أُقَضِّــي نَهـارِي بالحديثِ وبالمُنى ويجمَعُنــي والهــمَّ بالليل جامِعُ
نهارِي نَهــارُ الناسِ حتى إذا بَدا لِيَ الليــلُ شاقتني إليكِ المضاجعُ
لقد ثَبتتْ في القَلْبِ مِنْكِ محبَّــةٌ كما ثبتَتْ في الراحَتَيْــن الأَصابعُ

غنَّاه إبراهيم رمَلاً بالوسطى ، عن عمرو بن بانة .

[تزوجه أميمة]

نسخت من كتاب أَبي سعيد ، قال : حدَّثنا ابنُ أَبي السَّريِّ ، عن هشام ، قال : هَوِيَ ابنُ الدُّمينة امرأةً من قومه يقال لها أُميمة ، فهام بها مدّةً ، فلمّا وصلَتْه تجنّى عليها ، وجعل يغاضبها وينقطعُ عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتَبا طويلاً ، ثم أَقبلت عليه فقالت[5] : [من الطويل]

صوت

وأَنْتَ الذي أَخلفتَني ما وعدتَني وأَشْمَتَّ بي مَــنْ كان فيكَ يَلُومُ
وأَبرزْتَنــي للنــاس ثــم تركْتَني لهــم غَرَضاً أُرْمــى وأنتَ سَلِيمُ
فلو أَنَّ قولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدا بجسمِيَ مِــن قَــوْلِ الوُشاةِ كُلُومُ

الشعر لأُميمة : امرأة ابن الدُّمينة ، والغِناء لإبراهيم الموصليّ خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو والهشاميّ . وذكر حَبَش أنّ لإبراهيم أيضاً فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى ، وذكر

1 ديوانه : 87 .
2 زمّان : محلّة بالبصرة .
3 قصرك منّي : حسبك منّي وخوص المطيّ : النوق الغائرة العين . والنزائع : التي تجلب من بلاد الغير والتي انتزعت من غير الغرباء .
4 ديوانه : 88 ، وهي مما ينسب إلى قيس بن ذريح ومجنون ليلى .
5 ديوانه : 42 . والبيت الثالث منسوب في الديوان إلى ابن الدمينة نفسه .

حكم الوادي أنّ هذا اللحنَ ليعقوب الوادي ، وفيه لعريب خفيف ثقيل .

قال : فأجابها ابن الدُّمينة ، فقال[1] : [من الطويل]

وأنـتِ التي قطَّعْتِ قلبي حزازةً ومزَّقْتِ قَـرْحَ القَلْبِ فَهْـوَ كَلِيمُ
وأَنتِ التي كلفْتِني دَلَـجَ السُّرى وجُونُ القَطا بالجَلْهَتَـيْن جُثُومُ[2]
وأنتِ التي أَحفظتِ قومي فكلُّهم بَعِيـدُ الرِّضا داني الصدودِ كظيمُ

قال : ثم تزوَّجَها بعد ذلك ، وقُتِل وهي عِنده .

[قصّة عاشقين]

فأَخبرني الحسين بن يحيى ، قال : قال حمّاد بن إسحاق : حدَّثني أَبي ، قال : حدَّثنا سعيد بن سَلْم ، عن أبي الحسن الينبعيّ ، قال : بينا أنا وصديق لي من قُريش نَمْشي بالبِلاط ليلاً إذا بظِلٍّ نسوة في القَمَر ، فالتفتنا فإذا بجماعةِ نِسوةٍ ، فسمعْتُ واحدة منهنَّ وهي تقول : أَهُوَ هو ؟ فقالت الأُخرى : نعم ، والله إنه لهو هو . فدنَتْ منِّي ثم قالت : يا كهل ، قل لهذا الذي معك : [من البسيط]

ليسَتْ لَياليك في خاخٍ بعائدةٍ كما عَهِدْتَ ولا أَيّام ذِي سَلَمِ

فقلت له : أَجِبْ ، فقد سمعتَ . فقال : قد والله قطِعَ بي ، وأُرتج عليّ ، فأَجِبْ عنِّي ، فالتفتّ إليها ثم قلت : [من الطويل]

فقلتُ لهـا : يـا عَزَّ كلُّ مُصِيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفْسُ ذَلَّـتِ

فقالت المرأة : أوه ! ثم مضَتْ ومضينا ، حتى إذا كنّا بمَفْرِق طريقين مضى الفتى إلى منزله ، ومضيْتُ أنا إلى منزلي ، فإذا أنا بجُوَيْرِية تجذبُ رِدائي ، فالتفتُّ إليها ، فقالت : المرأةُ التي كلَّمتْكَ تَدْعوكَ . فمضيتُ معها حتى دخلتُ داراً ، ثم صِرْتُ إلى بيتٍ فيه حَصِير ، وثُنِيتْ لي وِسادةٌ فجلستْ عليهـا ، ثـم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثْنِيّةٍ فطرَحَتْها ، وجاءت المرأة فجلستَ عليها ، وقالت : أَنتَ المُجِيب آنفاً ؟ قلت : نعم . قالت : ما كان أَفـظَّ جوابَـك وأغلظه ! قلت : والله ما حضرني غيرُه . فبكتْ ، ثم قالت لي : والله ما خلق اللهُ خَلْقاً أَحبَّ إليَّ من إنسان كان معك . قلت : أنا الضامِنُ لكِ عنه ما تُحبِّين . قالت : أَوَ تفعـل ؟ قلت : نعم . فوعَدْتُها أن آتِيَها به في الليلة القابلة . وانصرفت ، فإذا الفَتى ببابي ، فقلتُ : ما جاءَ بك ؟ قال : علمتُ أنّها سترسلُ

---

1 ديوانه : 42 .

2 الجلهتين : موضع .

إليك ، وسألتُ عنك فلم أجِدْك فعلمتُ أنّك عندها ، فجلسْتُ أنتظرك . فقلت : فقد كان كلُّ ما ظننْتَ ، ووعدْتُها أن آتِيَها بك في الليلة القابلة . فمضى ثم أصبحنا فتهيَّأنا ، ورُحنا فإذا الجارية تنتظرنا ، فمضَتْ أمامَنا ، حتى دخلنا الدّار ، فإذا برائحةِ الطِّيب ، وجاءت فجلست مليّاً ، ثم أقبلَتْ عليه فعاتَبَتْه طويلاً ، ثم قالت : [من الطويل]

صوت

وأَنْتَ الذي أَخلفْتَني ما وعَدْتَني وأَشمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يَلومُ
وأَبرزْتَني للناس ثم تركْتَني لهم غَرَضاً أُرْمى وأَنتَ سَلِيمُ
فلو أَنّ قولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدا بِجِسْمِيَ مِنْ قولِ الوُشاةِ كُلُومُ[1]

ثم سكتتْ ، فسكت الفتى هُنيهة ، ثم قال : [من الطويل]

غَدَرْتِ ولم أَغْدِر وخُنْتِ ولم أَخُنْ وفي دُونِ هذا للمُحِبِّ عَزاءُ
جَزَيْتُكِ ضِعْفَ الوُدِّ ثم صَرَمْتِني فحبُّكِ في قلبي إليكِ أَداءُ

فالتفتت إليّ وقالت : أَلا تسمعُ ما يقول ؟ قد أَخبرتك ! قال : فغمزتُه فكفَّ ، ثم قالت : [من الطويل]

صوت

تجاهَلْتَ وَصْلي حِينَ لَجَّتْ عَمايتي وهلاَّ صرَمْتَ الحَبْلَ إذ أنا مُبْصرُ !
ولي منْ قُوى الحَبْلِ الذي قد قطعْتَه نصيبٌ وإذ رَأْيي جميعٌ مُوَفَّرُ
ولكنَّما آذَنْتَ بالصَّرْمِ بَغْتَةً ولستُ على مِثْلِ الذي جِئتَ أَقْدِرُ

غنّى في هذه الأبيات إبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وذكر حبَش أن فيها ثاني ثقيل بالبنصر .

قال : فقال الفتى مُجيباً لها : [من الطويل]

لقد جَعَلَتْ نَفْسي ، وأَنت اجْتَرَمْتِه وكنتِ أَحبَّ الناسِ ، عنكِ تَطِيبُ

فبكتْ ، ثم قالت : أَوقد طابَتْ نفْسُكَ ! لا واللهِ ما فيكَ خَيْرٌ بعدها ، فعليك السلام . ثم قامت والتفتتْ إليّ ، وقالت : قد علمتُ أنّكَ لا تفي بضمانك عنه ، وانصرفنا .

1 الجسم في ل : الجلد . البيت في الديوان منسوب لابن الدمينة .

[العبّاس بن الأحنف يريد أن ينطح العمود برأسه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كان العبّاسُ بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به ، وأفعلُ مثل ذلك ، فجاءني يوماً ، فوقف بين البابَيْن ، وأنشد لابنِ الدُّمَينة[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا يا صَبا نَجْدٍ متى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ فقد زادَنِي مَسْراك وَجْداً على وَجْدِ
أَإِنْ هتفَتْ ورْقاءُ في رَوْنَقِ الضّحى على فَنَنٍ غَضٍّ النباتِ من الرَّنْدِ[2]
بَكَيْتَ كما يَبْكي الحزينُ صبابةً وذُبْت من الشَّوْقِ المُبرِّح والصَّدِّ
بكيت كما يَبْكي الوَليدُ ، ولم تكن جَزُوعاً ، وأَبدَيْتَ الذي لم تكن تُبْدِي[3]
وقد زَعَمُوا أَنَّ المُحِبَّ إذا دَنا يَمَلُّ وأَنَّ النأْيَ يَشفِي من الوَجْدِ
بكُلٍّ تَداوَينا فلم يُشْفَ ما بِنا على أَنَّ قُرْبَ الدّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ

وزِيد على ذلك بيت ، وهو :

ولكنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بنافعٍ إذا كانَ مَنْ تَهْواهُ ليس بِذِي وُدِّ

ثم ترنَّح ساعة ، وتَرَجّح أُخرى ، ثم قال : أَنطَحُ العمودَ برأْسي من حُسْنِ هذا ! فقلت : لا ، ارْفُق بنفسك .

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم له فيه لَحْنان : أَحدهما ماخُوريٌّ بالبِنصر أَوّله البيت الثاني ، والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوّله البيت الأَوّل .

[صديق يأمرُ صديقه بتطليق امرأته]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحِيّ ، قال : حدَّثني أَحمد بن سعيد ، عن ابن زَبَنَّج راويةِ ابنِ هَرْمة ، قال : لقي ابنُ هَرْمة بعضَ أصدقائه بالبَلاط ، فقال له : مِنْ أين أقبلت ؟ قال : مِنَ المسجد ، قال : فأيّ شيء صنعْتَ هناك ؟ قال : كنْتُ جالساً مع إبراهيم بن الوليد المَخزوميّ ، قال : فأيّ شيء قال لك ؟ قال : أمرني أنْ أُطلّق امرأتي . قال : فأيّ شيء قلتَ له ؟ قال : ما قلتُ له شيئاً . قال : فوالله ما

1 ديوانه : 80–86 مع اختلاف كبير في الترتيب .
2 الهتاف : رفع الصوت .
3 الديوان : ولم تكن جليداً .

قال لك ذلك إلاّ لأمرٍ أظهَرَتْهُ عليه وكتمتنيه ، أفرأيت إن أمرْتَه بطلاقِ امرأتِه ، أيُطَلِّقُها ؟ قال : لا ، والله ، قال : فابنُ الدُّمينة كان أنصفَ منك ، كان يَهوى امرأةً من قومه ، فأرسلت إليه : إنّ أهلي قد نَهَوني عن لقائك ومُراسلتك ، فأرسلَ إليها[1] : [من الوافر]

صوت

أطعْتِ الآمِريكِ بقَطْعِ حَبْلي مُريهمْ في أحبّتهم بِذاكِ
فإنْ هُمْ طاوَعوكِ فطاوِعيهم وإنْ عاصَوْكِ فاعصي مَنْ عصاكِ
أما والرَّاقِصاتِ بكلِّ فَجٍّ ومَنْ صَلَّى بنَعْمانِ الأراكِ[2]
لقد أضمَرْتُ حُبَّك في فُؤادي وما أضْمرْتُ حُبّاً مِن سِواكِ

في هذه الأبيات لإسحاق رَمَلٌ ، وفيها لشارِية خفيف رمل بالوسطى ، ولعريب خفيف ثقيل ، ابتداؤه ينشد في الثالث والرابع ثم الثاني والأوّل ، وفيه لمتيّم خفيف رمل آخر .

[عاشق يتمثل ببيتين له]

وحدَّثني بعض أصدقائنا ، عن أبي بكر بن دُريد ، ولم أسمعه منه ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، ووجدتُه أيضاً في بعض الكتُب بغير هذا الإسناد عن الأصمعيّ ، فجمعت الحكايَتَيْن ، قال : مررْتُ بالكوفة ، وإذا أنا بجارية تطَّلعُ من جِدارٍ إلى الطريق ، وفتًى واقفُ وظهْرُه إليَّ ، وهو يقول لها : أسهَرُ فيك وتنامين عنِّي ، وتضحكين منّي وأبكي ، وتستريحين وأتعب ، وأمحضك المودَّة وتَمْذُقِينَها[3] لي ، وأصدقُك وتُنافقيني ، ويأمرُك عدوِّي بهَجْري فتطيعينه ، ويأمرُني نَصيحي بذلك فأعصيه ! ثم تنفَّس وأجْهَش باكياً . فقالت له : إنَّ أهلي يمنعونني منك ، وينهونني عنكَ ؛ فكيف أصنع ؟ فقال لها : [من الوافر]

أطَعْتِ الآمِريكِ بصَرْمِ حَبْلي مُريهم في أحِبَّتهم بذاكِ
فإنْ هُمْ طاوَعُوكِ فطاوِعيهم وإنْ عاصَوْك فاعصي مَنْ عَصاكِ

ثم التفتَ فرآني ، فقال : يا فتى ؛ ما تقول أنتَ فيما قلت ؟ فقلتُ له : والله لو عاش ابنُ أبي ليلى ما حكم إلاَّ بمثل حُكْمك .

تمَّتْ أخبارُ ابْنِ الدُّمَيْنة .

---

1 ديوانه : 182 .
2 بكل فج في ل : بذات عرق .
3 أمحضك المودة : أخلصها . وتمذقينها : من مذق اللبن أي خلطه بالماء .

صوت[1]

[من الطويل]

وإنَّ الذي بَيْنِـي وبَيْنَ بَنِـي أَبي ... وبَيْنَ بني عَمِّـي لَمُخْتَلِـفٌ جِدّا
فمـا أَحْمِل الحقد القديم عليهمُ ... وليس رئيس القوم مَن يحمل الحِقدا
وليسوا إلى نَصْري سِراعاً وإنْ همُ ... دعَـوْني إلى نَصْرٍ أَتيتهـمُ شَدّا
إذا أَكلوا لَحْمِي وَفَرْتُ لحومَهم ... وإنْ هدَمُوا مَجْدِي بنيتُ لهم مَجْدا
يعاتِبُنـي في الدَّيـن قومِي وإنّما ... تديَّنْـت في أَشياء تُكسبهم حَمْدا

عروضه من الطويل . الشعرُ للمقنَّع الكنديّ ، والغناء لابن سُريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه من روايته أيضاً لمالك خفيف رمل بالوسطى . وذكر علي بن يحيى أنَّ لحنَ ابن سريج خفيف ثقيل . وذكر إبراهيم أنَّ فيه لِقَفا النجار لحناً لم يذكُرْ طريقته ، وأظنُّه من خفيف الثقيل .

1 الأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي : 1178–1180 مع اختلاف في الترتيب وحماسة البحتري : 347 .

[348] ـ نسب المقنَّع الكنديّ وأخباره[1]

[يخشى العين فتقنع]

المقنَّع لقبٌ غلب عليه ؛ لأنه كان أجملَ الناسِ وجْهاً ، وكان إذا سفَر اللِّثام عن وجهه أصابَتْه العين .

قال الهيثم : كان المقنَّع أحسَنَ الناسِ وجْهاً ، وأمدَّهم قامةً ، وأكملهم خَلْقاً ، فكان إذا سفر لُقِع ، أي أصابته أعينُ الناس ، فيمرض ، ويلحقه عنَتٌ ؛ فكان لا يمشي إلاّ مُقنَّعا .

[نسبه]

واسمه محمد بن ظَفَر بن عُمَير بن أَبي شمر بن فُرْعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولاَّدة ـ سمِّي بذلك لكثرة ولده ـ بن عمرو بن معاوية بن كِندَة بن عُفير بن عَديّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وكان له محلّ كبير ، وشرَف ومروءة وسؤدد في عَشيرته .

قال الهيثَم بن عَدِيّ : كان عُمَير جدّه سيِّدَ كِنْدة ، وكان عمُّه عمرو بن أَبي شَمِر يُنازِعُ أباه الرِّياسة ويساجِله فيها ، فيقصرٌ عنه .

[أتلف ماله بالعطاء]

ونشأ محمد بن عُمَير المقنّع ، فكان متخرِّقاً في عطاياه ، سَمْح اليَد بمالِه ، لا يَرُدُّ سائلاً عن شيء حتى أتلَفَ كلَّ ما خلفه أبوه مِنْ مالٍ ، فاستعلاهُ بنو عمِّه عمرو بن أبي شَمرٍ بأموالهم وجاههم .

[بنو عمّه منعوه من زواج أختهم لفقره ودينه]

وهَوِيَ بنتَ عَمِّه عمرو فخطبها إلى إخوتها ، فردُّوه وعيَّرُوه بتخرُّقه وفَقْرِه وما عليه من الدَّين ؛ فقال هذه الأبيات المذكورة .

[كثير بن هراسة يعرض ببخل الخليفة]

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدَّثني محمد بن زكريّا الغِلابي ، عن العُتْبيّ ، قال : حدَّثني أبو خالد من ولَدِ أُميَّة بن خلَف ، قال : قال عبد الملك بن مروان ، وكان أوّل خليفة ظهر

1 ترجمة المقنع الكندي في السمط : 615 والشعر والشعراء : 625–626 .

منه بُخل : أيُّ الشعراء أَفضل ؟ فقال له كثير بن هَراسة ، يعرِّض ببُخْل عبد الملك : أُفضلهم المقنّع الكِندِيّ حيث يقول : [من البسيط]

إنّـي أُحرِّضُ أهْلَ البُخْـلِ كُلَّهم ... لو كان ينفَعُ أَهلَ البخلِ تَحْرِيضي
مـا قَـلَّ مالِـيَ إلاَّ زادَني كَرَماً ... حتى يكـونَ برزقِ الله تعويضي
والمالُ يرفعُ مَنْ لَوْلا دَراهِمُه ... أَمْسى يُقَلِّبُ فينا طَرْفَ مخفوضِ
لن تُخْرجَ البيضُ عَفْواً من أَكفهمُ ... إلاَّ عَلى وَجَـعٍ منهـم وتَمْرِيضِ
كأنَّها مِـنْ جلُـودِ الباخلين بها ... عنـد النوائب تُحْذى بالمقارِيضِ[1]

فقال عبد الملك ، وعرف ما أَراد : الله أَصدق من المقنَّع حيث يقول : ﴿والذين إذا أَنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتروا﴾ .

صوت

[من السريع]

يـا ابْنَ هشام يا عليّ النَّدى ... فَدَتْـكَ نَفْسي ووَقَتْكَ الرَّدى
نسيتَ عَهْـدِي أَوْ تناسيْتَنـي ... لَمّا عَداني عَنْكَ صَرْفُ النَّوى

الشعرُ والغناء لإسحاق الموصليّ رمل بالبنصر .

1 تحذى : تقطع .

[349] ـ خبر لإسحاق وابن هشام

[رسالة إسحاق إلى علي بن هشام]

وهذا الشعر يقولُه في عليّ بن هشام أيّام كان إسحاق بالبصرة ، وله إليه رسالةٌ حسنة ، هذا موضع ذكرها ، أخبرنا بها عليٌّ بن يحيى المنجّم ، عن أبيه ، ووقعَتْ إلينا من عدَّةِ وُجوه : أنّ إسحاق كتب إلى عليٍّ بن هشام : «جُعلتُ فداك ! بعثَ إليَّ أبو نصر مولاك بكتابٍ منكَ إليَّ يرتفِعُ عن قَدْري ، ويقصُر عنه شُكْرِي ، فلولا ما أُعرِف من معانيه لظننتُ أنَّ الرسولَ غلط بي فيه ، فما لنا ولك يا عبد الله ، تدَعُنا حتى إذا أُنسينا الدنيا وأبغضناها ، ورجَوْنا السلامةَ مِن شرِّها ، أفسدْتَ قلوبَنا وعلّقت أنفسنا ، فلا أنت تُريدنا ، ولا أنت تتركنا ؛ فبأيِّ شيء تستحِلُّ هذا ! فأمّا ما ذكرْتَه مِن شوقك إليَّ فلولا أنّك حَلَفْتَ عليه لقلت : [من الكامل]

يـا مَـنْ شكا عَبَثاً إلينـا شَوْقَهُ ... شَكْوى المُحِـبِّ وليس بالمُشْتاقِ
لـو كنْتَ مشتاقـاً إلـيَّ تُريدُني ... مـا طِبْتَ نفساً ساعـةً بِفِراقي
وحفِظْتَني حِفْظ الخليـلِ خليلَه ... ووفيْـتَ لي بالعَهْـدِ والميثاقِ
هيهاتَ قـد حدثَـتْ أُمورٌ بَعْدَنا ... وشُغِلْتَ باللـذّاتِ عـن إسحاقِ

وقد تركتُ ، جُعلت فِداك ، ما كرهتَ من العِتاب في الشعر وغيره ، وقلت أبياتاً لا أزالُ أخرجُ بها إلى ظَهْر المِرْبَد ، وأستقبِل الشّمال ، وأتنسَّم أرواحكم فيها ، ثم يكونُ ما اللهُ أعلمُ به ، وإن كنتَ تكرهها تركتها إن شاء الله : [من الطويل]

أَلا قـد أرى أنَّ الثّـواءَ قَلِيـلُ ... وأَنْ لَيْس يَبْقى للخليـلِ خَلِيلُ
وإنّـي وإنْ مُلِّيتُ في العَيْشِ حِقْبَةً ... كذِي سَفَرٍ قـد حـان منه رَحِيلُ
فهـلْ لي إلى أَنْ تنظُرَ العَيْنُ مَرَّةً ... إلى ابْنِ هشامٍ في الحياةِ سَبِيلُ ؟!
فقـد خِفْتُ أَنْ أَلْقى المنايا بحَسْرَةٍ ... وفي النفْسِ مِنـه حاجـةٌ وغَلِيلُ

وأمَّا بعد ، فإنّي أَعلمُ أنّك ، وإن لم تَسَلْ عن حالي ، تحِبُّ أنْ تعلمَها وأنْ تأتيَك عنّي سلامةٌ ؛ فأنا يوم كتبتُ إليك سالم البدن ، مريض القلب .

وبعد : فأنا ، جُعِلْتُ فداك ، في صَنْعةِ كتابٍ مَلِيح ظريف ، فيه تسميةُ القومِ ونسبُهم

وبلادُهم ، وأسبابُهم وأزمنتهم ، وما احتلفُوا فيه من غنائهم ، وبعضُ أحاديثهم ، وأحاديثُ قِيان الحجاز والكوفة والبصرة المعروفات والمذكورات ، وما قيل فيهنَّ من الأشعار ، ولِمَنْ كُنَّ ، وإلى مَنْ صِرْن ، ومَنْ كان يغْشاهُنَّ ، ومَنْ كان يُرَخّص في السماع من الفقهاء والأشراف ، فأَعْلِمْني رأْيَك فيما تشتهي لأعملَ على قَدْرِ ذلك ، إن شاء الله .

وقد بعثتُ إليك بأُنموذج ، فإنْ كان كما قال العباديّ : «قبح الله كلَّ دَنّ أوَّله دُرْدِيّ»[1] ، لم نتجشَّم إتمامَه ، وربحنا العناءَ فيه ، وإنْ كان كما قال العربيّ : «إنّ الجوادَ عَيْنُه فِرارُه»[2] أعلمتنا ؛ فأتمَمْناه مسرورينَ بحُسْن رأْيك فيه ، إنْ شاءَ الله .

وهذا ممّا يدلُّ على أنَّ كتابَ الأغاني المنسوب إلى إسحاق ليس له ؛ وإنّما ألَّف ما رواه حمّاد ابنه عنه من دواوين القدماء ، غير مختلط بعضها ببعض .

[وحشة بعد ألفة]

وكان إسحاق يألفُ عليّاً وأحمد ابنيْ هشام وسائرَ أهلهما إلفاً شديداً ، ثمَّ وقعَت بينهم نَبْوَةٌ ووحْشة في أمرٍ لم يقعْ إلينا إلاَّ لُمَعاً غَيْرَ مشروحة ، فهجاهم هجاءً كثيراً ، وانفرجت الحالُ بينه وبينهم .

فأخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن عليّ بن يحيى وغيرهما ، عن أبي أيّوب سليمان المدينيّ ، عن مُصْعب ، قال : قال لي أحمد بن هشام : أما تَسْتَحي أنتَ وصباح بن خاقان ، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعِلم والأدب أن شبّب بذكركما إسحاق في الشعر ، وهو مغنٍّ مذكور ، فيقول : [من المديد]

قــد نهانا مُصْعَبٌ وصباحٌ فعَصَيْنا مُصْعبــاً وصباحــا
عَـذْلاً مـا عَـذَلا أَمْ مَلاماً فاسترَحْنــا منهما فاستراحا

ويروى :

علما في العَذْلِ أَمْ قـد أُلاما

ويروى :

عـذلا عَذْلَهما ثــم أناما

فقلتُ : إن كان فعل فما قال إلاَّ خيراً ، إنّما ذكرَ أنَّا نهيناه عن خَمْرٍ شربها ، وامرأةٍ عشقها ،

1 المثل «أول الدن دردي» في مجمع الميداني 1 : 89 . والدردي : هو ما يتبقى في قعر الإناء .

2 المثل «(إن) الجواد عينه فرارة» في جمهرة العسكري 2 : 151 ومجمع الميداني 1 : 9 ، أي يغنيك منظره عن اختباره .

وقد أُشاد باسْمِك في الشعر بأشدَّ من هذا ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : [من الطويل]

وصافيــةٍ تَغْشى العيــونَ رقيقـةٍ رهينـة عــامٍ في الدِّنــان وعامِ
أَدَرْنا بهــا الكأْسَ الرَّوِيَّــةَ مَوْهِناً من الليل حتــى انجابَ كلُّ ظَلامِ
فما ذَرَّ قَـرْنُ الشَّمْسِ حتى كأننا من العِــيِّ نحكي أَحمـد بْنَ هِشامِ

قال : أُو قد فعل العاضُّ بَظْر أُمِّه ! قلت : إي والله لقد فعل .

إلى هاهنا رواية مصعب .

[أحمد بن هشام يتوعده وعلي يصلح بينهما]

ووجدتُ هذا الخبرَ في غير روايته ، وفيه زيادة قد ذكرتُها ، قال : فآلى أحمد بن هشام أنْ يبلُغ فيه كلَّ مبلغ يقدرُ عليه ، وأن يجتهد في اغتياله .

قال إسحاق : حضرتُ بدار الخليفة ، وحضر عليّ بن هشام ، فقال لي : أتهجُو أخي وتذكره بما بلغَني من القبيح ؟ فقلت : أوَ يتعرَّضُ أُخوك لي ويتوعَّدني ! فوالله ما أُبالي بما يكون منه ؛ لأنـّي أُعلمُ أنّه لا يقدرُ لي على ضرّ ، والنفع فلا أُريده منه ، وأنا شاعر مغنٍّ ، والله لأُهجونَّه بما أفري به جِلْدَه ، وأُهتك مروءتَه ، ثم لأغنينَّ في أقبح ما أقولُه فيه غناءً تسري به الرُّكبان . فقال لي : أوَ تهبُ لي عِرْضَه ، وأُصلح بينكما ؟ فقلت : ذاك إليك . وإن فعلتَه فلكَ لا لَه . ففعل ذلك ، وفعلته به .

[هجاء مصعب وصباح]

أُخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثني محمد بن يزيد النحويّ ، قال : كان صباح بن خاقان المنقريّ نديماً لمصعب الزُّبيريّ ، فقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة ، وكان خليعاً من أُهل البصرة : [من الخفيف]

مَنْ يكن إبْطُه كآباطِ ذا الخَلْــقِ فإبْطاي في عِـدادِ الفِقاحِ
لِيَ إبْطــانِ يَرْمِيــانِ جَلِيسي بشبيــه السُّلاح بَـلْ بالسُّلاحِ
فكأنّي مِــنْ نَتْنٍ هــذا وهذا جالسٌ بــين مُصْعَبٍ وصباحِ

[ينشد الفضل بن الربيع]

أُخبرني عليّ بن يحيى المنجم ، قال : حدَّثني أُبي ، قال : حدَّثني إسحاق ، قال : دخلتُ على الفضل بن الربيع يوماً ، فقال : ما عندك ؟ قلت : بيتان أرجو أن يكونا فيما يُستطرف ، وأنشدته : [من الطويل]

سنُغْضي عن المكروهِ من كلِّ ظالمٍ ونصبرُ حتـــى يصنعَ اللهُ بالفَضْلِ
فتنتصر الأَحـــرارُ مِمَّـــنْ يَضيمُها وتُدْرِكُ أَقْصى ما تطالِبُ من ذَحْلِ[1]

قال : فدمعت عينُه ، وقال : مَن آذاك لعنه الله ؟ فقلت : بنو هشام وأخبرتُه الخبر .
قال يحيى بن علي : ولم يذكر بأيِّ شيء أَخبره .

صوت

[من السريع]

قــد حَصَّتِ البَيْضَةُ رَأْسي فما أَطعَـــمُ نومــاً غَيْرَ تَهْجاعِ[2]
أَسْعــى على جُـــلِّ بَنِي مالكٍ كلُّ امــرىء في شأنِـــه ساعِ
مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَها مُــرّاً ، وتترك ــــــه بجَعْجاعِ[3]
لا نألم القَتْلَ ونَجْزِي بــه الـ ــأَعداء كَيْـلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ

الشعر لأبي قيس بن الأَسلت[4] ، والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل أوّل . وقيل : بل هو لمعبد .

1 تطالب في ل : تحاول .
2 حصت : أذهبت الشعر . والبيضة : الخوذة .
3 الجعجاع : الأرض الغليظة لا أحد فيها .
4 الأبيات في جمهرة أشعار العرب (صادر) : 234–236 وهي من المفضلية الخامسة والسبعين في شرح ابن الأنباري .

[350] ـ نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره[1]

[نسبه]

أبو قيس لم يقع إليّ اسْمُه غير ابن الأسلت[2] ، والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جُشم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عُمارة بن مُرَّة بن مالك بن الأوْس بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر .

وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوسُ قد أسندت إليه حَرْبَها ، وجعلَتْه رئيساً عليها ، فكفى وسادَ . وأسلم ابنُه عقبة بن أبي قيس ، واستشهد يوم القادسيّة .

وكان يزيد بن مِرْداس السُّلَميّ أخو عبّاس بن مرداس الشاعر قتَل قيس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارون بن النُّعمان بن الأسلت ، حتى تمكَّن من يزيد بن مرداس ، فقتله بقَيْس بن أبي قيس ، وهو ابنُ عمّه .

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت[3] : [من الطويل]

أَقيسٌ إن هلكتُ وأنتَ حَـيٌّ فـلا تَعْـدَمْ مُواصَلَـةَ الفَقيرِ

وهذا الشّعرُ الذي فيه الغناءُ يقوله أبو قيس في حرب بُعاث[4] .

[ترأس الأوس يوم بعاث]

قال هشام بن الكلبيّ : كانت الأَوْسُ قد أَسندوا أمرَهم في يوم بُعاث إلى أَبي قيس بن الأسلت الوائليّ ، فقام في حَرْبِهم وآثرها على كلِّ أمر حتى شَحُبَ وتغيَّر ، ولبث أَشهراً لا يقرب امرأة . ثم إنّه جاء ليلةً فدقَّ على امرأتِه ، وهي كبشة بنت ضَمْرة بن مالك بن عَدِيّ بن عمرو بن عوف ، ففتحت له ؛ فأهوى إليها بيده فدفعَتْه ، وأُنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ما عرفتُك حتى تكلَّمْتَ . فقـال في ذلك أبـو قيس هذه القصيدة ، وأَوّلها[5] : [من السريع]

1 ترجمة أبي قيس بن الأسلت في طبقات ابن سلام 226–227 وخزانة البغدادي 3 : 409–413 وتهذيب ابن عساكر 6 : 454 ومعاهد التنصيص 2 : 25 والبيان والتبيين 3 : 23 والإصابة وطبقات ابن سعد 4 : 383–385 .

2 اسم أبي قيس «صيفي» وقيل «عبد الله» .

3 معاهد التنصيص 2 : 25 .

4 بعاث : موضع قريب من المدينة .

5 معاهد التنصيص 2 : 26 .

قالت ولم تَقْصِدْ لِقيلِ الخَنا : مَهْلاً فقد أَبلغْتَ أَسْماعِي
استنكرَتْ لَوْناً لَهُ شاحِباً والحربُ غُولٌ ذاتُ أَوْجاعِ
مَنْ يَذُق الحَرْبَ يَجِدْ طعْمَها مُرّاً وتتركْه بِجَعْجاعِ

[يوم بُعاث][1]

فأَمّا السببُ في هذا اليوم ، وهو يوم بعاث ، فيما أُخبرني به محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرازيّ ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفَضْل ، عن محمد بن إسحاق ، وأضفت إليه ما ذكره ابنُ الكلبيّ عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أبي عبيدة ، عن محمد بن عمَّار بن ياسر ، وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل ابن أبي عامر الراهب .

[الأوس تستعين ببني قريظة والنضير]

أنّ الأَوس كانت استعانت ببَني قُرَيظة والنَّضير في حروبهم التي كانت بينهم وبين الخزرج ، وبلغ ذلك الخزرج ، فبعثت إليهم : إنَّ الأوس فيما بلغنا قد استعانَتْ بكم علينا ، ولن يُعجزنا أنْ نستعين بأعدادكم وأَكثر منكم من العرب ، فإنْ ظفرْنا بكم فذاك ما تكرهون ، وإن ضفرتُمْ لم نَنَمْ عن الطَّلب أبداً ، فتصيروا إلى ما تكرهون ، ويشغلكم من شأننا ما أنتم الآن منه خالون ، وأسلَمُ لكم من ذلك أنْ تدَعونا وتخلّوا بيننا وبين إخواننا . فلمّا سمعوا ذلك عَلِموا أنّه الحقّ ؛ فأرسلوا إلى الخزرج : إنّه قد كان الذي بلغكم ، والتمست الأوس نَصْرَنا ، وما كنّا لِنَنْصرهم عليكم أبداً . فقالت لهم الخزرج : فإن كان ذلك كذلك فابعثُوا إلينا برَهائن تكونُ في أَيدينا .

[الخزرج تأخذ رهائن]

فبعثوا إليهم أَربعين غلاماً منهم ، ففرَّقهم الخزرجُ في دُورهم فمكثوا بذلك مدّةً .

ثم إنّ عمرو بن النُّعمان البياضيّ قال لقومه بَياضة : إنَّ عامراً أَنزلكم منزِل سُوء بين سَبَخَة ومفازة ، وإنّه والله لا يمسّ رأسي غُسْل حتى أُنزلكم منازلَ بني قريْظَة والنَّضير على عَذْبِ الماء وكريم النَّخْلِ . ثم راسلهم : إمّا أن تُخلوا بيننا وبين دِياركم نسكنُها ، وإمّا أنْ نقتل رُهُنَكم ، فهمُّوا أَن يَخْرُجوا من ديارهم ، فقال لهم كَعْب بن أسَدِ القُرَظيّ : يا قومُ ، امنعوا ديارَكم ، وخلّوه يقتلُ الرُّهُن ، والله ما هي إلاّ ليلة يُصيبُ فيها أحدُكم امرأتَه حتى يولد له غُلام مثل أحد الرُّهن .

---

1 في يوم بعاث انظر أيّام العرب في الجاهلية : 73 .

[غدر عمرو بن النُّعمان بالرهائن]

فاجتمع رأيُهم على ذلك ، فأَرسلوا إلى عمرو بألاّ نُسلّم لكم دُورَنا ، وانظروا الذي عاهدْتُمونا عليه في رُهننا ، فقوموا لنا به ، فعدا عمرو بن النُّعمان على رُهنِهم هو ومَن أَطاعه من الخزرج ، فقتلوهم وأَبى عبدُ الله بن أُبيّ ، وكان سيِّداً حَلِيماً ، وقال : هذا عقوقٌ ومأْثم وبَغْي ؛ فلستُ مُعِيناً عليه ، ولا أحدٌ من قومي أطاعَني . وكان عنده في الرُّهُن سُلَيم بن أَسَد القرظيّ ، وهو جَدُّ محمد بن كعب القرظيّ ، فخلَّى عنه ، وأُطلق ناسٌ من الخزرج نَفراً فلحقوا بأَهليهم ، فناوشَتِ الأَوْسُ الخزرجَ يوم قتل الرهن شيئاً من قتال غير كبير .

واجتمعت قريظة والنَّضِير إلى كعب بن أَسد ، أَخي بني عمرو بن قريظة ، ثم توامروا أَن يُعينُوا الأَوسَ على الخزرج ؛ فبعث إلى الأوس بذلك ، ثمَّ أجمعوا عليه ، على أن ينزل كلُّ أهل بَيْتٍ من النَّبيت[1] على بيت من قريظة والنضير ، فنزلوا معهم في دُورهم ، وأَرسلوا إلى النَّبيت يأمرُونهم بإتيانهم ، وتعاهَدوا ألاّ يُسلموهم أبداً ، وأَنْ يقاتلُوا معهم حتى لا يَبْقى منهم أحد . فجاءتهم النَّبيت فنزلوا مع قُريظة والنَّضير في بيوتهم ، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخَزْرَج ، فأَجابوهم إلى ذلك . فاجتمع المَلأُ منهم ، واستحكم أَمْرُهم ، وجدّوا في حَرْبهم ، ودخلت معهم قبائلُ من أهلِ المدينة ، منهم بنو ثعلبة ـ وهم من غسان ـ وبنو زَعُوراء ، وهم من غسّان .

[مشورة عبد الله بن أبي للخزرج]

فلمّا سمعَتْ بذلك الخزرج اجتمعوا ، ثم خرجوا ، وفيهم عمرو بن النعمان البياضيّ ، وعمرو بن الجمُوح السُّلميّ ، حتى جاءوا عبد الله بن أُبيّ ، وقالوا له : قد كان الذي بلغكَ من أمر الأوسِ وأمر قُرَيظة والنَّضير واجتماعهم على حربنا ، وإنّا نرى أَنْ نُقاتِلَهم ، فإِنْ هزَمْناهُمْ لم يَحْرِز أحدٌ منهم مَعْقِلَه ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد .

فلمّا فرغوا من مقالتهم قام عبدُ الله بن أُبيّ خطيباً وقال : إنَّ هذا بَغْيٌ منكم على قومكم وعقُوق ، ووالله ما أُحِبُّ أَنَّ رِجْلاً[2] من جَراد لقيناهم . وقد بلغني أنّهم يقولون : هؤلاء قوْمُنا منعونا الحياةَ أَفيمنعوننا الموت ! والله إنّي أرى قوماً لا ينتهون أو يُهْلِكوا عامَّتكم ، وإنّي لأَخاف إنْ قاتلوكم أَن يُنْصَرُوا عليكم لبَغْيكم عليهم ، فقاتلوا قوْمَكم كما كنتُم تقاتلونَهم ، فإذا ولُّوا فَخَلُّوا عنهم ، فإذا هزمُوكم فدخلتم أَدْنى البيوت خَلَّوا عنكم .

1 النبيت : أبو حي باليمن .

2 الرجل من الجراد : القطعة العظيمة .

فقال له عمرو بن النُّعمان : انتفخ والله سَحْرُك[1] يا أَبا الحارث حين بلغك حِلْفُ الأَوس قريظة والنضير ! فقال عبد الله : واللهِ لا حَضَرْتكم أبداً ، ولا أحد أَطاعَني أبداً ، ولكأنّي أنظر إليك قتيلاً تحملُك أربعةٌ في عَباءة .

[عمرو بن النُّعمان يتولّى رئاسة الخزرج]

وتابع عبد الله بن أُبَيٍّ رجالٌ من الخزرج ، منهم عمرو بن الجَموح الحَراميّ . واجتمع كلامُ الخزرج على أَنْ رأسوا عليهم عَمرو بن النُّعمان البياضيّ ، وولَّوْه أمْرَ حَرْبهم ، ولبثت الأَوْس والخَزْرَج أربعين ليلة يتصنَّعُون للحَرْب ، ويجمع بعضُهم لبعض ، ويُرسلون إلى حُلفائهم من قبائل العرب . فأَرسلت الخزرجُ إلى جُهينة وأَشْجع . فكان الذي ذهب إلى أَشجع ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، فأجابوه ، وأقبلوا إليهم ، وأَقبلت جُهينة إليهم أيضاً . وأَرسلت الأَوْسُ إلى مُزَيْنَة ، وذهب حُضَيْر الكتائب الأشهليُّ إلى أَبي قَيْس بن الأَسلت ، فأمره أن يَجمَعَ له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حُضَير ، فاعتمد على قَوْسه ، وعليه نَمِرة[2] تَشِفُّ عن عَوْرَته ، فحرَّضهم وأمرهم بالجِدِّ في حَرْبهم ، وذكر ما صنعَتْ بهم الخَزْرَج من إخراج النَّبِيت وإذلال مَن تخلَّف بالمدينة من سائر الأوس ، في كلامٍ كثير .

فجعل كُلَّما ذكر ما صنعَتْ بهم الخزرجُ وما رَكِبُوه منهم يستشِيطُ ويَحْمى ، وتَقْلِصُ[3] خُصْيَتاه ، حتى تَغِيبا ، فإذا كلَّموه بما يُحِبُّ تدلَّتا حتى ترجعا إلى حالهما . فأجابته أَوْسُ الله بالذي يُحِبُّ من النّصرة والموازرة والجدِّ في الحرب .

[موقف حضير الكتائب]

قال هشام : فحدَّثني عبد المجيد بن أَبي عيسى ، عن خير ، عن أَشياخ من قومِه : أن الأَوس اجتمعت يومئذٍ إلى حُضير بموضع يقال له الجباة ، فأجالُوا الرَّأي ، فقالت الأوس : إن ظفِرْنا بالخزرج لم نُبْقِ منهم أحداً ولم نقاتلهم كما كنّا نقاتِلهم . فقال حُضَير : يا معشر الأَوْس ؛ ما سُمِّيتم الأوس إلاّ لأنّكم تَؤُوسون[4] الأُمورَ الواسعة . ثم قال : [من الرجز]

يا قوم قد أُصبحْتُمُ دَوارا لمعشَرٍ قد قَتَلُوا الخِيارا[5]

---

1 السحر : الرئة ، ومعناه : جاوزت قدرك ؛ ولم نعثر عليه في كتب الأمثال .

2 النمرة : بردة من صوف .

3 تقلص : تنقبض .

4 آس القوم يؤوسهم : أعطاهم وعوضهم .

5 الدوار بضم الدال وفتحها : صنم كانت العرب تجعل موضعاً تدور فيه حوله (اللسان : دور) .

يُوشِكُ أَنْ يستَأْصِلُوا الدِّيـارا

قال : ولمّا اجتمعوا بالجباة طَرحُوا بين أَيديهم تَمْراً ، وجعلوا يأكلون وحُضَيرُ الكتائب جالسٌ ، وعليه بُرْدةٌ له قد اشتمل بها الصمَّاء[1] ، وما يأكل معهم ، ولا يدْنُو إلى التمر غَضَباً وحنَقاً . فقال : يا قوم ، اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت . فقال لهم أبو قيس : لا أقبل ذلك ؛ فإنّي لم أُرأّس على قومٍ في حرب قطّ إلاّ هُزِموا وتشاءموا برياستي . وجعلوا ينظرون إلى حُضير واعتزالِه أكلهم واشتغالِه بما هم فيه من أمر الحرب ، وقد بدت خصْيَتاه من تحت البُرْد ، فإذا رأى منهم ما يكره من الفُتور والتخاذل تقلَّصتا غَيْظاً وغضباً ، وإذا رأى منهم ما يُحِبُّ من الجدِّ والتشمير في الحرب عادَتا لحالهما .

وأَجابت إلى ذلك أُوسُ مَناة ، وجدُّوا في المُوازرة والمظاهرة . وقدمَتْ مُزَينة على الأوس ، فانطلق حُضَير وأبو عامر الراهب بن صَيْفيّ إلى أبي قيس بن الأَسلت ، فقالا : قد جاءتنا مُزَينة ، واجتمع إلينا من أهل يَثْرب ما لا قِبَل للخزرج به ، فما الرَّأيُ إنْ نحن ظَهَرْنا عليهم : الإثخان أم البَقيّة ؟ فقال أبو قَيْس : بل البَقيّة . فقال أبو عامر : والله لوددتُ أنَّ مكانهم ثَعلباً ضبَّاحاً .

[حضير يقسم أن يهدم أطم مزاحم]

فقال أَبو قيس : اقتلُوهم حتى يقولوا : بزا بزا ، كلمة كانوا يقولونها إذا غُلِبوا ، فَتَشاجَرُوا في ذلك ، وأقسم حُضير ألاّ يشرب الخمر أو يظهرَ ويَهْدم مُزاحِماً أُطُمَ عبد الله بن أُبَيّ .

فلبثوا شهرين يُعدُّون ويستعِدُّون ، ثم التقوا بِبُعاث ، وتخلَّف عن الأَوس بنو حارثة بن الحارث ، فبعثوا إلى الخزرج : إنّا والله ما نريد قتالكم .

فبعثُوا إليهم أَن ابعثوا إلينا برُهنٍ منكم يكونون في أَيدينا ، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً ، منهم خَدِيج ، أَبو رافع بن خديج .

وبعاث : من أَموال بني قريظة ، فيها مزرعة يقال لها قَوْرى ؛ فلِذلك تُدْعى بُعاث الحرب .

[الاستعداد للقتال]

وحشد الحيَّانِ فلم يتخلّف عنهم إلاّ مَن لا ذِكْرَ له . ولم يكونوا حشَدوا قبل ذلك في يومٍ التقوا فيه . فلمّا رأت الأَوسُ الخزرجَ أعظموهم ، وقالوا لحُضَير : يا أَبا أُسَيْد ، لو حاجزْتَ القوم ، وبعثتَ إلى مَنْ تخلّف من حُلفائك من مُزَيْنة ! فطرح قوساً كانت في يدِه ، ثم قال : أَنتظر مُزَيْنة ، وقد نظر إليَّ القومِ ونظرتُ إليهم ! الموت قبل ذلك . ثم حمل وحملوا ، فاقتتلوا

1 الصماء : طريقة في لبس الشملة .

قتالاً شديداً ، فانهزمت الأوسُ حين وجَدُوا مَسَّ السلاح ، فولَّوا مُصْعِدين في حَرَّة قَوْرى نحو العُرَيض [1] وذلك وَجْه طريق نَجْد . فنزل حُضَيْر ، وصاحت بهم الخزرج : أين الفرار ؟ ألا إنَّ نجداً سنةٌ ، أيّ مُجْدب ، يُعَيِّرُونهم .

فلمّا سَمِع حُضَير طعن بسِنانِ رُمْحِه فَخذه ، ونزل وصاح : واعَقراه ! والله لا أرِيمُ حتى أُقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أنْ تسلموني فافعلُوا .

فتعطَّفت عليه الأوس ، وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل ، يقال لهما : محمود ولبيد ، ابنا خليفة بن ثعلبة ، وهما يومئذٍ مِعْرَسان ذوَا بَطْشٍ ، فجعلا يَرتَجزانِ ويقولان : [من الرجز]

أيَّ غلامَـــيْ مالِـكٍ تَرانـــا   في الحَرْبِ إذ دارَتْ بنا رَحانا
وعـدَّدَ النـاسُ لَنـا مَكانا

[مقتل عمرو بن النُّعمان]

فقاتلا حتى قُتِلا ، وأقبل سهمٌ حتى أصاب عَمْرو بن النُّعمان رأسَ الخزرج فقتَله ، لا يُدْرى مَنْ رَمى به ، إلاّ أنَّ بني قُرَيظة تزعَم أنّه سَهْمُ رجُلٍ يقال له أبو لُبابَة ، فقتله .

فبينا عبدُ الله بن أُبيّ يتردَّدُ على بَغْلةٍ له قريباً من بُعاث ، يتحسَّسُ أخبار القَوْم ، إذ طُلِع عليه بعَمْرو بن النُّعمان ميِّتاً في عَباءةٍ ، يحمله أربعةٌ إلى داره . فلمّا رآه عبد الله بن أُبيّ قال : مَنْ هذا ؟ قالوا : عَمْرو بن النُّعمان . قال : ذُقْ وَبالَ العقوق .

[انهزام أم الخزرج]

وانهزمت الخزرجُ ، ووضَعَت الأوسُ فيهم السِّلاحَ ، وصاح صائح : يا معشر الأوس ، أسْجِحوا [2] ولا تُهلِكوا إخوتكم ؛ فجِوارُهم خيرٌ مِن جوارِ الثَّعالب .

فتناهت الأوسُ ، وكفَّت عن سَلبهم بعد إثخانٍ فيه ، وسلبتهم قريظةُ والنَّضير ، وحملت الأوس حُضيراً من الجِراح التي به ، وهُمْ يرتجزونَ حَولَه ويقولون : [من الرجز]

كَتِيبــةٌ زَيَّنَهـــا مَوْلاهـــا   لا كَهْلُها هِدٌّ ولا فَتاها [3]

وجعلت الأوْس تحرِّقُ على الخزرج نَخْلَها ودُورَها ؛ فخرج سَعْد بن مُعاذ الأشهليّ حتى

1 العريض : واد بالمدينة .
2 اسجحوا : أحسنوا العفو .
3 الهد : الضعيف .

وقف على باب بَني سَلِمة ، وأَجارهم وأَموالهم جزاءً لهم بيَوْمِ الرَّعل[1] ، وكان للخزرج على الأَوسِ يومٌ يقال له يوم مُغلِّس ومُضرِّس . وكان سعد بن معاذ حُمِل يومئذٍ جريحاً إلى عمرو بن الجَمُوح الحرامي ، فمنَّ عليه وأجاره وأخاه يوم رَعل ، وهو على الأوس ، من القَطْع والحَرْق ، فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بُعاث .

وأَقسم كَعْب بن أَسد القرظيّ ليُذِلَّنَّ عبد الله بن أُبيّ ، وليحلقَنَّ رأسَه تحت مزاحم ؛ فناداه كعب : انزل يا عدوّ الله . فقال له عبد الله : أنشدك الله وما خذَّلْتُ عنكم . فسأل عمّا قال ، فوجده حقّاً ، فرجع عنه .

وأَجمعت الأَوس على أَن تهدم مُزاحماً أُطمَ عبد الله بن أُبيّ ، وحلف حُضير ليهدمنَّه . فكُلِّم فيه ، فأمرهم أن يَرِيثوا فيه ، فحَفرُوا فيه كوَّة . وأفلت يومئذٍ الزُّبير بن إيّاس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شمَّاس أخا بني الحارث بن الخزرج ، وهي النعمة التي كافأه بها ثابتٌ في الإسلام يوم بني قُريظة .

[موقف أبي قيس من هدم بيوت الخزرج]

وخرج حُضَير الكتائب وأَبو عامر الراهب حتى أَتَيا أَبا قَيْس بن الأَسلت بعد الهزيمةِ ، فقال له حُضَير : يا أَبا قيس ، إنْ رأيْتَ أَن تأتيَ الخزرجَ قصراً قصراً وداراً داراً ، نقتل ونَهْدم ، حتى لا يَبْقى منهم أحد ! فقال أبو قيس : واللهِ لا نفعلُ ذلك ؛ فغضب حُضَير ، وقال : ما سمّيتم الأَوس إلاّ لأنّكم تؤوسون الأَمْرَ أَوْساً . ولو ظفرت منّا الخزرجُ بمثلها ما أقالوناها . ثم انصرف إلى الأَوس ، فأَمرهم بالرجوع إلى ديارهم .

وكان حُضير جُرح يومئذٍ جراحةً شديدةً ، فذهب به كُليب بن صَيْفِيّ بن عبد الأَشهل إلى مَنْزِله في بني أُميّة بن زيد ، فلبث عنده أيّاماً ثم مات من الجراحة التي كانت به ، فقبره اليوم في بني أُميّة بن زيد .

قال : وكان يهوديٌّ أعمى من بني قريظة يومئذٍ في أُطُم من آطامهم ، فقال لابنةٍ له : أشْرِفي على الأُطُم ، فانظري ما فعل القوم ، فأشرفت ، فقالت : أَسمَعُ الصوتَ قد ارتفع في أعلى قَوْرى ، وأسمع قائلاً يقول : اضربوا يا آل الخزرج . فقال : الدولة إذاً على الأَوس ، لا خيرَ في البقاء بعدهم . ثم قال : ماذا تسمعين ؟ قالت : أَسمعُ رجالاً يقولون : يا آل الأَوس ، ورجالاً يقولون : يا آل الخزرج . قال : الآن حَمِيَ القتال . ثم لبث ساعة ، ثم

1 الرعل : موضع كان فيه يوم للخزج على الأوس وفيه قتل سماك أبو حضير الكتائب .

قال : أشْرِفي فاسمعي ، فأشرفت ، فقالت : أسمعُ قوماً يقولون :

نحن بنو صَخْرَة أصحابُ الرَّعَلْ

قال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت والله الأوس ، وصخرة أمُّهم بنتُ مُرَّة بن ظَفَر أمّ بني عَبْد الأشهل ، ثم وثب فرحاً نحو باب الأُطم فضرب رأسه بحِلقِ بابِه ، وكان مِنْ حجارةٍ فسقط فماتَ .

وكان أبو عامر قد حلف ليَركزَن رُمْحَه في أصل مُزاحم أُطُم عبد الله بن أُبَيّ ، فخرجت جماعةٌ من الأوس حتى أحاطُوا به ، وكانت تحت أبي عامر جَميلة بنت عبد الله بن أُبَيّ ، وهي أمّ حنظلة الغَسِيل بن أبي عامر ، فأشرف عليهم عبدُ الله ، فقال : إنّي والله ما رَضِيتُ هذا الأمر ، ولا كان عن رأيي ، وقد عرفتُم كراهتي له ، فانصرفوا عَنّي . فقال أبو عامر : لا والله ، لا أنصرف حتّى أركز لِوائي في أصْلِ أُطمك .

فلمّا رأى حنظلة أنّه لا ينصرِف ، قال لهم : إنَّ أبي شدِيدُ الوَجْدِ بي ، فأشرفوا بي عليه ، ثم قولوا : والله لئن لم تنصرف عنّا لنرمينَّ برأسه إليك . فقالوا ذلك له ، فركزَ رُمْحه في أصلِ الأُطُم ليَمينه[1] ثم انصرف ، فذلك قول قيس بن الخطيم[2] : [من الطويل]

صبَحْنا بـه الآطامَ حَـوْلَ مُزاحِمٍ   قَوانِسُ أولى بَيْضِنا كالكواكبِ[3]

وأسر أبو قَيْس بن الأسلت يومئذٍ مخلد بن الصامت الساعديّ أبا مَسلمة بن مخلَّد ، اجتمع إليه ناسٌ من قومه من مُزَينة ومنْ يهود ، فقالوا : اقتله ، فأبى ، وخلَّى سبيلَه ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أسرتُ مخلّـداً فعفَوْتُ عنـه   وعِنْـدَ اللهِ صالِحُ مـا أَتَيْتُ

مُزَيْنَـة عنـده ويهـودُ قَوْرى   وقَوْمـي كلُّ ذلكـمُ كفيْتُ

[رثاء حضير الكتائب]

وقال خُفاف بن نُدبة ، يرثي حُضيْر الكتائب ، وكان نديمَه وصديقَه : [من الطويل]

لـو آنَّ المنايا حِدْنَ عن ذِي مَهابَةٍ   لَهِبْنَ حُضيراً يـومَ أغلق واقِما[4]

1 ليمينه : أي ليبر يمينه .

2 ديوان قيس بن الخطيم : 86 .

3 القوانس : جمع قونس ، وهو الجزء الناتيء في أعلى البيضة .

4 ديوان خفاف : 72–73 . وواقم : أُطم بالمدينة .

أطاف بــه حتـى إذا الليلُ جَنَّهُ تَبـوّأ منـه منــزلاً مُتَنـاعِما[1]

وقال أيضاً يرثيه[2] : [من المتقارب]

أتـاني حديـثٌ فكذَّبْتُـه وقيـل : خَلِيلُك في المَرْمَسِ[3]
فيا عين بَكّي حُضَير النَّدى حُضَيرَ الكتائـبِ والمجلسِ
ويـومٍ شديـدٍ أُوارِ الحديدِ تقطَّعُ منـه عُـرى الأَنْفُسِ
صَلِيتَ بـه وعليك الحديـ ـدُ ما بين سَلعٍ إلى الأَعرُسِ
فأَوْدى بنفسكَ يومُ الوَغى ونقَّـى ثيابــك لم تدنَسِ

[وصف امرأة خفرة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني داود بن محمد بن جميل ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : قال لي الهيثم بن عديّ : كنَّا جلوساً عند صالح بن حسّان ، فقال لنا : وأخبرني عمِّي عن الكُرانيّ ، عن النوشجانيّ ، عن العمريّ ، عم الهيثم بن عدِيّ ، قال : قال لنا صالح بن حسّان . وأخبرني به الأخفش عن المبرّد ، قال : قال لي صالح بن حسّان : أنشِدُوني بيتاً خَفِراً في امرأة خَفِرة شريفة ، فقلنا : قول حاتم[4] : [من الطويل]

يُضيءُ لها البيتُ الظليلُ خَصاصهُ إذا هيَ يَوْماً حاوَلَتْ أَن تبسَّما

فقال : هذه من الأصنام ، أُريد أحسنَ من هذا . قلنا : قول الأعشى[5] : [من البسيط]

كأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارتِها مَـرُّ السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقال : هذه خرّاجة ولاّجة كثيرة الاختلاف . قلنا : بيت ذي الرُّمّة[6] : [من الطويل]

تَنُوءُ بأُخراهـا فلأيـاً قِيامُها وتَمْشي الهُوَيْنا مِنْ قَرِيبٍ فتُبْهَرُ

فقال : هذا ليس ما أُردت ، إنّما وصف هذه بالسمن ، وثقل البدن . فقلنا : ما عندنا شيء . فقال : قول أبي قيس بن الأسلت[7] . [من الطويل]

1 متناعم : مفضال .
2 ديوان خفاف : 70—71 .
3 المرمس : موضع القبر .
4 ديوان حاتم (صادر) : 80 .
5 ديوان الأعشى (صادر) : 144 .
6 ديوان ذي الرمّة (مكارتني) : 227 .
7 معاهد التنصيص 2 : 27 .

ويكرِمُهــا جاراتهــا فيزرْنَها وتَعْتَــلُّ عــن إتيانِهــنّ فتُعْذَرُ
وليس لهــا أنْ تستهين بجارةٍ ولكنّها مِنْهُــنَّ تَحْيــا وتخفَرُ

[أحسن ما وصفت به الثريا]

ثم قـال : أنشدوني أحسنَ بيتٍ وُصفت به الثريّا . قلنا : بيت ابن الزّبيرِ الأسديّ : [من الطويل]

وقـد لاح في القُورِ الثُّرَيّـا كأنّما بــه رايــةٌ بيضاءُ تخفقُ للطَّعْنِ

قال : أُريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بيت امرىء القيس[1] : [من الطويل]

إذا مــا الثريّا في السماءِ تعرَّضَتْ تعــرضَ أَثنــاءِ الوِشاحِ المُفصَّلِ

قال : أُريد أحسن من هذا . قلنا : بيت ابن الطَّثْريّة : [من الطويل]

إذا مــا الثريّا في السماءِ كأنّها جُمانٌ وَهى مِــنْ سِلْكِهِ فتَسرَّعا

قـال : أُريـد أحسن مـن هـذا . قلنا : ما عندنا شيء . قال : قول أبي قيس بن الأسلت[2] : [من الطويل]

وقد لاح في الصُّبْحِ الثريّا لِمَن رأى كعنقــود مُلاَّحِيّــةٍ حــين نوَّرا[3]

قال : فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدّم .

[عبد الملك يستشهد بشعر ابن الأسلت]

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الحسين بن أَحمد بن طالب الديناريّ ، قال : حدَّثني أبو عدنان ، قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ ، قال : حدَّثني الضحاك بن زُمَيْل السَّكسكيّ ، قال : لمّا قَتل عبدُ الملك بن مروان مصعبَ بن الزُّبير خطب الناس بالنُّخَيْلة ، فقال في خطبته : أيُّها النّاس ، دَعُوا الأهواء المردية المُضِلَّة ، والآراءَ المتشتّتة ، ولا تكلّفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ؛ فقد جاريتمونا إلى السيف ، فرأيتُم كيف صَنَع اللّهُ بكم ، ولا أعرفنّكم بعد الموعظة تزدادونَ جراءة ؛ فإنّي لا أزداد بعدها إلاّ عقوبة ، وما مثلي ومثلكم إلاّ كما قال أبو قيس بن الأسلت[4] : [من البسيط]

---

1 ديوان امرىء القيس (صادر) : 39 .
2 معاهد التنصيص 2 : 26 .
3 الملاحية : ضرب من نبات الحمض .
4 معاهد التنصيص : 27 .

مَن يَصْلَ ناري بلا ذَنْب ولا تِرَةٍ … يصلَ بنارِ كريمٍ غيْر غَدَّارِ
أَنا النذيرُ لكم مِنِّي مُجاهرة … كي لا أُلامَ على نهيٍ وإعذارِ
فإنْ عصيْتم مقالي اليومَ فاعترفوا … أنْ سوف تلقون خِزياً ظاهِرَ العارِ
لَتُتْرَكُنَّ أُحاديثاً مُلَعَّنَةً … عند المقيم وعند المُدْلج السَّارِي
وصاحب الوِتْر ليس الدهرَ مُدْرِكَه … عندي وإنّي لطلاَّبٌ لأَوْتارِ
أُقيمُ عَوْجَتَهُ إن كان ذا عِوَجٍ … كما يقوِّمُ قِدحَ النَّبْعَةِ البارِي

صوت

[من الوافر]

ترفَّعْ أيّها القمرُ المنيرُ … لعلَّكَ أن ترى حُجْراً يَسيرُ
يَسير إلى مُعاويةَ بن حَرْبٍ … ليقتلَه كما زعم الأَميرُ
أَلا يا حُجْر حُجْر بني عَدِيٍّ … تلقّتكَ السلامةُ والسرورُ
تنعمّت الجَبابِرُ بعد حُجْرٍ … وطاب لها الخورَنَقُ والسَّدِيرُ

الشعر لامرأةٍ من كندة ترثي حُجْر بن عديٍّ صاحب أَمير المؤمنين عليّ بن أَبي طالب صلواتُ الله عليه . والغناء لحكمَ الوادي رمَل بالوسطى ، وفيه لحُنَيْن هَزَج خفيف بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ .

[351] ـ خبر مقتل حُجر بن عديّ[1]

[يستنكر ذم علي ولعنه]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، قال : حدَّثنا أبو مِخنف ، قال : حدَّثنا خالد بن قطن ، عن المجالد بن سعيد الهمدانيّ ، والصقْعب بن زُهير ، وفُضيل بن خَدِيج ، والحسن بن عُقبة المراديّ ، وقد اختصرت جُملاً من ذلك يَسيرةً ؛ تحرُّزاً من الإطالة : أنّ المغيرة بن شعبة لما وَلِي الكوفة كان يقومُ على المِنبر فيذّم عليَّ بنَ أبي طالب وشيعته ، وينال منهم ، ويلعن قتلةَ عثمان ، ويستغفر لعثمانَ ويزكّيه ، فيقوم حُجْر بن عديّ فيقول : ﴿يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسْط شُهَداءَ لله ولو على أنْفُسِكم﴾ ، وإنِّي أشهد أنَّ مَنْ تذمّون أحقُّ بالفَضْل ممّن تطْرُونَ ، ومَن تزكّون أحقُّ بالذمّ ممّن تعيبون . فيقول له المغيرة : يا حُجْر ، ويحك ! اكفُفْ من هذا ، واتّقِ غَضْبَة السلطان وسَطْوَتَه ؛ فإنّها كثيراً ما تقتل مثلَك . ثم يكفُّ عنه .

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرةُ يوماً في آخر أيّامه يخطب على المنبر ، فنال مِنْ عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، ولعنه ، ولعن شيعَتَه ، فوثب حُجْر فنعرَ نعرة أسمعَتْ كلَّ مَن كان في المسجد وخارجه . فقال له : إنّك لا تدري أيّها الإنسان بمَن تولَع ، أوَ هَرِمْتَ ! مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا ؛ فإنّك قد حبَسْتَها عنّا ، ولم يكن ذلك لكَ ولا لِمَنْ كان قبلك ، وقد أصبحت مولَعاً بذمِّ أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين . فقام معه أكثَرُ من ثلاثين رجلاً يقولون : صدق والله حُجْر ! مُرْ لنا بأعطياتنا ؛ فإنّا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يُجْدِي علينا . وأكثَروا في ذلك .

[قوم المغيرة يلومونه في صبره عليه]

فنزل المغيرةُ ودخل القصر ، فاستأذن عليه قومُه ، ودخلوا ولاموه في احتماله حُجْراً ؛ فقال لهم : إنّي قد قتلتُه . قالوا : وكيف ذلك ! ؟ قال : إنّه سيأتي أميرٌ بَعْدي فيحسبه مثلي فيصنَع به شبيهاً بما ترَوْنه ، فيأخذه عند أوَّل وَهْلَة فيقتله شرَّ قِتْلَة . إنّه قد اقترب أجَلي ، وضَعُف عملي ، وما أُحبُّ أن أبتدىء أهلَ هذا المِصْر بقتل خِيارهم وسَفْك دمائهم ، فيسعدوا بذلك وأشْقى ،

1 خبر مقتل حجر بن عدي في تاريخ الطبريّ : حوادث سنة 51 وطبقات ابن سعد 6 : 217–220 .

ويعزّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة . سيذكرونني لو قد جرّبُوا العمّال .

قال الحسن بن عقبة : فسمعتُ شيخاً من الحيِّ يقول : قد والله جرَّبْناهم فوجدناه خيرَهم .

[زياد يذكره بصداقته ويحذّره]

قال : ثم هلك المغيرة سنة خمسين ، فجُمعت الكوفة والبصرة لزِياد ، فدخلها ، ووجَّه إلى حُجْر فجاءه ، وكان له قبل ذلك صديقاً ، فقال له : قد بلغني ما كنتَ تفعلُه بالمغيرة فيحتمله منك ؛ وإنّي واللهِ لا أحْتمِلُكَ على مِثْلِ ذلك أبداً . أرأيت ما كنت تعرفني به مِنْ حُبِّ عليٍّ ووُدِّه ، فإنَّ اللهَ قد سلخه من صدري فصيَّره بُغْضاً وعداوة ، وما كنت تعرفني به من بُغْضِ معاوية وعداوته فإنّ اللهَ قد سلخه من صدري وحوَّله حُبّاً ومَودَّة ؛ وإنّي أخوك الذي تَعْهَد ، إذا أتيتني وأنا جالسٌ للناس فاجلس معي على مجلسي ، وإذا أتيتَ ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرجَ إليك ، ولكَ عندي في كلّ يوم حاجتان : حاجة غُدوة ، وحاجة عشيَّة . إنّك إن تستقِمْ تسلَمْ لك دُنياك ودِينك ، وإن تأخُذْ يميناً وشمالاً تهْلِكْ نَفْسَك وتُشط[1] عِندي دمك . إنّي لا أحبُّ التنكيلَ قبل التقدمة ، ولا آخذ بغير حُجَّةٍ ، اللهمّ اشْهَدْ . فقال حُجر : لن يرى الأمير منّي إلاّ ما يحبُّ ، وقد نصح ، وأنا قابلٌ نصيحته .

ثم خرج مِن عنده ، فكان يتقّيه ويَهابُهُ ، وكان زياد يُدْنيه ويُكرمه ويفضّله ، والشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر وتسمَعُ منه .

وكان زياد يَشْتُو بالبصرة ، ويَصيفُ بالكوفة ، ويستخلِف على البصرة سَمُرة بن جُندب ، وعلى الكوفة عمرو بن حُرَيث ، فقال له عُمارة بن عُقبة : إنَّ الشيعةَ تختلفُ إلى حُجْر ، وتسمَعُ منه ، ولا أُراه عند خروجك إلاّ ثائراً . فدعاه زياد فحذّره ووعظه . وخرج إلى البصرة ، واستعمل عَمْرو بن حُرَيث ، فجعلت الشيعةُ تختلفُ إلى حُجْر . ويَجيء حتى يجلسَ في المسجد فتجتمع إليه الشيعةُ ، حتى يأخذوا ثلثَ المسجد أو نِصْفَه ، وتطيف بهم النظّارة ، ثم يمتلىء المسجد ، ثم كثروا ، وكَثُر لغَطُهم ، وارتفعت أصواتُهم بذمٍّ معاوية وشَتْمِه ونَقْص زياد . وبلغ ذلك عَمْرو بن حُريث ، فصعد المِنبر ، واجتمع إليه أشرافُ أهل المِصْرِ فحثّهم على الطاعة والجماعة ، وحذَّرَهم الخلافَ ؛ فوثب إليه عُنُقٌ[2] من أصحاب حجْر يكبِّرون ويشتمون ، حتى دنَوْا منه ، فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر ، وأغلق عليه بابَه ،

---

1 أشاط بدمه : عرض نفسه للقتل .

2 عنق : جماعة من الناس .

وكتب إلى زياد بالخبر ، فلمّا أتاه أنشد يتمثّل بقول كعب بن مالك[1] : [من الطويل]

فلمّا غدوْا بالعِرْض قــال سَراتنا : علامَ إذا لم نمنع العِرْض نزرعُ[2]

ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفةَ من حُجر ، وأَدَعه نِكالاً لِمَنْ بعده ، وَيْل أُمّك حجر ! لقد سقط بك العشاء على سرحان[3] .

ثم أقبل حتى أتى الكوفةَ ، فدخل القصر ، ثم خرج وعليه قَباءُ سُندس ، ومُطْرفُ خَزّ أخضر ، وحُجْر جالسٌ في المسجد ، وحولَه أصحابه ما كانوا . فصعد المِنبر فخطب وحَذّر الناس ، ثم قال لشدّاد بن الهيثم الهلاليّ أمير الشُّرَط : اذهبْ فائْتني بحُجْر ، فذهب إليه فدعاه ، فقال أصحابه : لا يأْتيه ولا كرامةَ . فسبُّوا الشُّرَط ، فرجعوا إلى زياد فأخبروه ، فقال : يا أشرافَ أهلِ الكوفة : أَتشجُّون بيدٍ وتأسُون بأُخرى ؟

[استعداء زياد أشراف الكوفة عليه]

أَبدانُكم عندي ، وأَهواؤكم مع هذا الهجاجة المذبوب[4] . أنتم معي وإخوتكمُ وأبناؤكم وعشيرتكم مع حُجْر ؛ فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أَن يكون لنا فيما هاهنا رأيٌ إلاَّ طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكلُّ ما ظننتَ أنْ يكونَ فيه رِضاك فمُرْنا به . قال : لِيَقُمْ كلُّ امرىء منكم إلى هذه الجماعة التي حول حُجْر ، فليَدْعُ الرجلُ أخاه وابنَه وذا قرابته ومَنْ يُطِيعه من عشيرته ، حتى تقيموا عنه كلَّ مَن استطعتُم . ففعلوا ، وجعلوا يُقِيمون عنه أصحابَه حتى تفرَّق أكثرهم وبَقِيَ أَقلُّهم .

فلمّا رأى زيادٌ خِفّةَ أصحابِهِ قال لصاحب شرطته : اذهب فائْتني بحُجْر ، فإنْ تَبِعك وإلاّ فمُرْ من معك أنْ ينتزِعُوا عمد السيوف ، ثم يشدُّوا عليه حتى يأتوا به ، ويضربوا مَن حالَ دونَه .

[أصحاب حجر يمنعونه من الذهاب]

فلمّا أتاه شدّاد قال له : أَجِب الأمير ، فقال أَصحاب حُجر : لا والله ولا نعْمَةَ عَيْنٍ ، لا يُجيبه . فقال لأَصحابه : عليَّ بعَمَد السيوف ، فاشتدُّوا إليها ، فأَقبلوا بها ، فقال عُمير بن زيد

1 ديوان كعب بن مالك : 59 .

2 فلما غدوا في الديوان : ولما ابتنوا . العرض : الوادي .

3 المثل «سقط العشاء به على سرحان» في مجمع الميداني 1 : 328 وفصل المقال : 362 ومستقصى الزمخشري 2 : 119 وجمهرة العسكري 1 : 514 .

4 الهجاجة : الأحمق . والمذبوب : المطرود .

الكلبيّ أبو العَمَرَّطة : إنّه ليس معك رجلٌ معه سيف غيري ، فما يُغْني سيفي ! قال : فما ترى ؟ قال : قُمْ من هذا المكان ، فالْحقْ بأهلك يمنعك قومك . فقام وزياد ينظر على المِنبر إليهم فغَشُوا حُجْراً بالعمَد ، فضرب رَجُلٌ من الحمراء يقال له : بَكْر بن عُبيد رأسَ عمرو بن الحَمِق بعَمُود فوقع .

[تواري حجر في منازل الأزد]

وأتاه أبو سفيان بن العُوَيْمر والعَجْلان بن ربيعة ، وهما رجلان من الأزد ، فحملاه ، فأتيا به دارَ رجل من الأزد يقال له عُبيد الله بن موعد ، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها .

[الثأر لعمرو بن الحمق]

قال أبو مخنف : فحدَّثني يوسف بن زياد ، عن عُبيد الله بن عَوْف ، قال : لمّا انصرفنا عن غزوة باجُمَيْرى[1] قَبْل قتل عبد الملك مُصعباً بعام ، فإذا أنا بالأحمريّ الذي ضرب عَمْرو بن الحمقِ يسايِرُني ؛ ولا والله ما رأيته منذ ذلك اليوم ، وما كنتُ أرى لو رأيته أنْ أعرفَه ، فلمّا رأيته ظننتُه هو هو ، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة ، فكرهتُ أن أسأله : أنت ضارِب عمرو بن الحَمِق ، فيُكابرني ؛ فقلتُ له : ما رأيتُك منذ اليوم الذي ضربْتَ فيه رأسَ عمرو بن الحَمِق بالعَمود في المسجد فصرعْتَه حتى يَوْمي ، ولقد عرفْتُك الآن حين رأيتُك .

فقال لي : لا تَعْدم بصرَك ، ما أثبت نظرك ! كان ذلك أمر السلطان[2] أما واللهِ لقد بلغني أنّه قد كان امرءاً صالحاً ، ولقد ندمتُ على تلك الضَّرْبَة ، فأستغفر اللهَ .

فقلت له : الآنَ ترى ، لا والله لا أفترِق أنا وأنت حتى أضربَك في رأسِك مِثلَ الضَّرْبة التي ضربْتَها عمرو بن الحَمِق وأموت أو تموت .

قال : فناشدني وسألني بالله . فأبيتُ عليه ، ودعوْتُ غلاماً يدعى رُشَيداً من سَبْي أصبهان معه قناة له صلْبة ، فأخذْتُها منه ثم أحمل عليه ، فنزل عن دابَّتِهِ ، فألحقه حين استوَتْ قدَماهُ على الأرض ، فأصفُق بها هامتَه ، فخرَّ لوجْهه ، وتركْتُهُ ومضيت ، فبرأ بعد ذلك . فلقيته مرَّتين من دهري ، كلُّ ذلك يقول لي : الله بيني وبينك . فأقول له : الله بينك وبين عمرو بن الحَمِق .

1 باجميرى : موضع قرب الموصل .
2 ل : الشيطان .

رجع الحديث إلى سياقه الأوّل

قال : فقال زياد ، وهو على المِنبر : لتقُمْ هَمْدان وتميم وهوازن وأبناء بَغِيض ومذحج وأسد وغطفان فليأتُوا جبَّانة كِنْدة ، وليمضوا من ثمَّ إلى حُجر ، فليأتوني به . ثم كرِه أن تسير مُضَر مع اليمن ، فيقع شَغْبٌ واختلافٌ ، أو تنشب الحميّة فيما بينهم . فقال : لتقمْ تميم وهوازن وأبناء بغِيض وأسد وغطفان ، ولْتَمْضِ مذحج وهَمْدان إلى جبَّانة كِندة ، ثم ليمضوا إلى حُجْر فليأتوني به ، ولْيَسِرْ أهلُ اليمن حتى ينزلوا جبّانة الصيداويين[1] ، وليَمْضُوا إلى صاحبهم فليأتوني به .

فخرجت الأزد وبَجِيلة وخثعم والأنصار وقُضاعة وخُزاعة ، فنزلوا جبّانةَ الصيداويين ، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كِندة .

[مشورة عبد الرحمن بن مخنف]

قال أبو مخنف : فحدَّثني سعيد بن يحيى[2] بن مخنف ، عن محمد بن مخنف ، قال : فإنّي لَمع أهْلِ اليمن وهم يتشاورُون في أمْرِ حُجْر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخْنَف : أنا مُشِيرُ عليكم بِرأْي ، فإنْ قبِلْتُموه رَجَوْتُ أن تَسلموا من اللائمة والإثم : أنْ تُلَبِّثُوا قليلاً حتى تكفيكم عَجَلَةٌ في شباب مَذْحج وهَمْدان ما تكرهون أن يكونَ من مساءةِ قومِكم في صاحبكم .

فأجمع رأيُهم على ذلك ، فلا والله ما كان إلاَّ كَلا ولا[3] حتى أُتينا فقيل لنا : إنَّ شباب مذحج وهَمْدان قد دخلوا ، فأخذوا كلَّ ما وجَدُوا في بني بَجِيلة .

[حجر يصرف أصحابه]

قال : فمرَّ أهلُ اليمن على نواحي دور كندة مُعَذِّرين ، فبلغ ذلك زياداً ، فأثنى على مَذْحج وهَمْدان ، وذمَّ أهلَ اليمن . فلمّا انتهى حُجرٌ إلى دارِهِ ورأى قلَّةَ مَن معه قال لأصحابه : انصرفوا ، فوالله مالكم طاقةٌ بمَن اجتمع عليكم منْ قومِكم ، وما أُحِبُّ أن أعرِّضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا ، فلحقتهم أوائل خَيْلِ مذحج وهَمْدان ، فعطف عليهم عُمير بن يزيد ، وقيس بن يزيد ، وعبيدة بن عمرو ، وجماعة ، فتقاتلوا معهم ؛ فقاتلوا عنه ساعةً فجُرِحوا ، وأُسِرَ قيس بن يزيد ، وأفْلَتَ سائِرُ القوم ، فقال لهم حُجْر : لا أبا لكم ! تفرَّقوا لا

---

1 بنو الصيداء : حي من أسد . وفي الطبري : الصائدين .

2 الطبري : يحيى بن سعيد .

3 كلا ولا : مدة قصيرة .

تُقتَلوا ؛ فإنّي آخِذٌ في بَعْضِ هذه الطرق[1] .

[من دار سليمان بن يزيد إلى دور بني العنبر]

ثم أخذ نحو طريق بني حَرب من كِندة ، حتى أتى دارَ رَجُلٍ منهم يقال له سليمان بن يزيد ، فدخل داره ، وجاء القومُ في طلبه ، ثم انتهَوْا إلى تلك الدار ، فأخذ سليمانُ بن يزيد سيفَه ، ثم ذهب ليخرُجَ إليهم ، فبكت بناتُه ، فقال له حُجْر : ما تريد ؟ لا أبا لك ! فقال له : أريدُ والله أنْ ينصرفوا عنك ؛ فإن فعلوا وإلاَّ ضاربْتهُم بسيفي هذا ما ثبتَ قائمُه في يَدِي دونَك . فقال له حُجْر : بئس والله إذَنْ ما دخلتَ به على بناتِك ! أما في دارك هذه حائط أقتحمه أو خَوْخَة[2] أخْرُجُ منها ، عسى الله أنْ يسلِّمني منهم ويسلِّمك ؛ فإنَّ القومَ إنْ لم يقْدِروا عليَّ في دارِك لم يضرّك أمرهم . قال : بلى ، هذه خَوْخَة تخرِجك إلى دورِ بني العَنْبر من كِندة ، فخرج معه فتية من الحيّ يقصُّون له الطريقَ ، ويسلكون به الأزِقّة ، حتى أفضى إلى النخع ، فقال عند ذلك : انصرفوا ، رحمكم الله .

[يهرب إلى دار ربيعة بن ناجذ]

فانصرفوا عنه ، وأقبل إلى دارِ عبد الله بن الحارث أخي الأشتر ، فدخلها ، فإنّه لكذلك قد ألقى له عبدُ الله الفرشَ ، وبسط له البسط ، وتلقّاه ببَسْطِ الوجه وحُسْنِ البِشْر إذ أتِي فقيل له : إنّ الشُرَطَ تسأل عنك في النخع وذلك أنَّ أمَةً سوداء يقال لها أدْماء لَقِيَتْهم فقالت لهم : مَنْ تطلبون ؟ قالوا : نطلب حُجْراً ، فقالت : هو ذا قد رأيتُه في النخع ، فانصرفوا نحو النخع ؛ فخرج متنكّراً ، وركب معه عبدُ الله ليلاً حتى أتى دارَ ربيعة بن ناجذ الأزديّ ، فنزل بها ، فمكث يوماً وليلة .

[زياد يطلب حجراً من محمد]

فلمّا أعجزهم أنْ يقدِرُوا عليه دعا زيادٌ محمدَ بن الأشعث فقال : أما والله لتأتيني بحُجْر أو لا أدَع لك نخلةً إلاَّ قطعتُها ، ولا داراً إلاّ هدَمتُها ، ثم لا تسلم منّي بذلك حتى أقطّعك إرْباً إرْباً . فقال له : أمهِلْني أطلبه . قال : قد أمهلْتُك ثلاثاً ، فإن جئتَ به وإلاَّ فاعدُدْ نَفسَك مِنَ الهلكى . وأُخْرِج محمد نحو السجن وهو منتقعُ اللونِ يُتَلُّ تَلاً عنيفاً[3] . فقال حجر بن يزيد الكنديّ من بني مرّة لزياد : ضَمِّنّيه وخَلِّ سبيله ليطلب صاحبَه ، فإنّه مخلى سِرْبُه أحرى أن

1 ل : السكك .

2 الخوخة : باب صغير في باب كبير .

3 تله : صرعه أو ألقاه على وجهه .

يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . قال : أتضمنُه لي ؟ قال : نعم . قال : أَما واللهِ لئِنْ حاصَ عنك لأُوردنَّك شَعوب[1] ، وإن كنْتَ الآن عليّ كريماً . قال : إنّه لا يفعل . فخلّى سبيلَه .

ثم إنّ حجر بن يزيد كلّمه في قيس بن يزيد ، وقد أُتِي به أسيراً ، فقال : ما عليه مِن بأس ، قد عرفنا رأْيَه في عثمان رضي الله عنه ، وبلاءه مع أمير المؤمنين بصِفّين ؛ ثم أرسل إليه فأُتِي به ، فقال : قد علمتُ أنّك لم تقاتلْ مع حُجر أنّك ترى رأيه ، ولكن قاتلتَ معه حميَّة ، وقد غفرنا لك لِما نَعْلَمُه من حُسْنِ رأيك ، ولكن لا أدعك حتى تأتيَني بأخيك عُمَير . قال : آتِيك به إنْ شاء الله . قال : هاتِ مَنْ يضْمَنُه معك . قال : هذا حُجر بن يزيد . قال حُجْر : نعم ، على أنْ تؤمِّنه على مالِه ودَمِه . قال : ذلك لك .

فانطلقا فأَتَيا به ، فأمر به فأُوقر حَدِيداً ، ثم أَخَذَتْه الرجال ترفَعُه ، حتى إذا بلغ سُرَرها أَلقَوه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه فألقَوْه ، ففُعِل به ذلك مراراً . فقام إليه حُجر بن يزيد ، فقال : أَوَ لم تؤمِّنه ؟ قال : بلى ، لستُ أهريق له دماً ، ولا آخذُ له مالاً . فقال : هذا يُشْقي به على الموت .

وقام كلُّ مَنْ كان عنده مِنْ أَهْلِ اليمن ، فكلَّموه فيه ، فقال : أَتضمنونه لي بنفسه متى أحْدَث حَدَثاً أتيتموني به ؟ قالوا : نعم . فخلّى سبيلَه .

ومكث حُجْرٌ في منزل رَبيعة بن ناجذٍ يوماً وليلة ، ثم بعث إلى ابنِ الأَشعَث غلاماً يُدْعى رُشَيْداً مِنْ سَبْي أصبهان ، فقال له : إنّه قد بلغني ما استقبلكَ به هذا الجبّار العنيد ، فلا يهولنّك شيءٌ من أَمره ؛ فإنّي خارج إليك ، فاجْمَعْ نَفْراً مِنْ قومِك ، وادخُلْ عليه ، واسأله أَنْ يؤمِّنني حتى يبعَثني إلى معاوية ، فيرى فيَّ رأْيَه .

[زياد يأمر بحبسه]

فخرج محمدٌ إلى حجر بن يزيد ، وجرير بن عبد الله ، وعبد الله أَخي الأَشتر ، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر ، فأجاب ، فبعثوا إليه رسولاً يُعْلِمُونَه بذلك . فأقبل حتى دخل على زياد ، فقال له : مَرْحباً يا أبا عبد الرحمن ، حَرْبٌ في أيّام الحرب ، وحَرْب وقد سالم الناسُ ! «على نَفْسِها تَجْنِي بَراقِش»[2] . فقال له : ما خلعتُ يداً عن طاعةٍ ، ولا

---

1 حاص : حاد . وشعوب : المنية .

2 المثل «على أهلها (نفسها) تجني براقش» في مجمع الميداني 2 : 14 وفصل المقال : 459 وجمهرة العسكري 2 : 52 ومستقصى الزمخشري 2 : 165 . وفي براقش أقوال كثيرة منها أنها كلبة أو أنها امرأة كانت لبعض الملوك أو أنها امرأة لقمان بن عاد .

فارقتُ جماعةً ، وإنّي لعلى بَيْعَتي . فقال : هيهات يا حُجْر ، أتشجّ بيدٍ وتأسُو بأخرى ، وتريد إذا أمكننا اللهُ منكَ أنْ نرضى ! هيهات والله ! فقال : ألم تؤمّني حتى آتى معاوية ، فيرى فيّ رأيَه . قال : بلى ، انطلقوا به إلى السجن .

[زياد يطلب رؤوس أصحاب حجر]

فلمّا مُضِي به قال : أما واللهِ لولا أمانُه ما برح حتى يُلْقَط عَصَبُه[1] . فأُخرج وعليه بُرْنس في غَداةٍ باردةٍ ، فحُبِس عَشْرَ ليال ، وزيادٌ ما له عملٌ غير الطلب لرؤوس أصحاب حُجْر .

فخرج عَمْرو بن الحَمِق ، ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائنَ ، ثم ارتحلا حتى أتَيا الموصل ، فأتَيا جَبَلاً فكَمَنا فيه ، وبلغ عاملَ ذلك الرُّستاق[2] ، وهو رجلٌ من هَمْدان يقال له عُبيد الله بن أبي بَلْتَعة ، خبَرُهما ، فسار إليهما في الخيل ، ومعه أهلُ البلد ، فلمّا انتهى إليهما خرجا ، فأمّا عَمْرو فكان بطنه قد استسقى[3] ، فلم يكُنْ عنده امتناعٌ . وأمّا رِفاعة فكان شابّاً قويّاً فوثَب على فرسٍ له جَواد ، وقال لعَمْرو : أُقاتِلُ عنك . قال : وما ينفعني أنْ تقتل ؟ انجُ بنفسك ، فحمل عليهم ، فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه ، وخرجت الخيلُ في طلبه ، وكان رامِياً فلم يلحقْه فارسٌ إلاّ رماه ، فجرحه أو عقره ، فانصرفوا عنه ؛ فأُخِذ عَمْرو بن الحَمِق ، فسألوه : مَنْ أنتَ ؟ فقال : مَنْ إنْ تركتموه كان أسلَم لكم ، وإن قتلتُموه كان أضَرَّ عليكم . فسألوه فأبى أنْ يخبرهم ، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان ، وهو ابن أُمّ الحكم ، الثقفيّ ، فلمّا رأى عَمْراً عرفه ، فكتب إلى معاوية بخَبَرِه . فكتب إليه معاوية : إنّه زعم أنّه طَعَن عثمان تسع طعنات ، وإنّه لا يُتعدّى عليه ، فاطْعَنْهُ تسعَ طعنات كما طعنَ عثمان .

[رأس ابن الحَمِق يحمل إلى معاوية]

فأُخرج فطُعِن تسع طعنات ، فمات في الأُولى منهنّ أو في الثانية ، وبعث برأسه إلى معاوية ؛ فكان رأسه أوّل رأس حُمِل في الإسلام[4] .

وجَدَّ زيادٌ في طلب أُصحابِ حُجر وهم يهربون منه ، ويأخذ مَنْ قدر عليه منهم . فجاء قيس بن عَبّاد الشيبانيّ إلى زياد ، فقال له : إنّ امرءاً منّا يقال له صَيْفيّ بن فَسِيل ، من رؤوس

1 أي حتى يقتل .

2 الرستاق : الناحية في طرف الإقليم .

3 استسقى : أصابه مرض السقي وهو تجمع الماء في البطن .

4 تقدم أن عمرو بن الحمق مات من ضربة عمود .

أُصحاب حُجْر ، وهو أَشدّ الناسِ عليك ؛ فبعث إليه فأُتِي به ، فقال له زياد : يا عدوَّ الله ، ما تقولُ في أبي تُراب ؟ فقال : ما أعرف أبا تُراب ، قال : ما أَعْرَفك به ! أما تعرفُ عليَّ بن أبي طالب ! قال : بلى ، قال : فذاك أبو تُراب ؛ قال : كلاّ ، فذاك أبو الحسن والحُسين . فقال له صاحب الشرطة : أَيقولُ لك الأميرُ هو أبو تُراب وتقول أنت : لا ! قال : أفإنْ كذب الأميرُ أردتَ أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد ! قال له زياد : وهذا أيضاً مع ذَنْبك ، عليّ بالعِصيّ فأُتِيَ بها ، فقال : ما قولُك في عليّ ؟ قال : أحسنُ قَوْلٍ أنا قائلُه في عَبْدٍ من عَبيد الله أقوله في أمير المؤمنين . قال : اضربوا عاتِقَه بالعِصيّ حتى يلصَق بالأرض ، فَضُرِبَ حتى لصقَ بالأرض . ثم قال : أقلعوا عنه ، ما قولك فيه ؟ قال : والله لو شَرَّحتني بالمُدى ، والمَواسي ما زُلْتُ عَمَّا سمعتَ . قال : لتلعننّه أَوّ لأضربنَّ عنقك . قال : إذاً والله تضربها قبل ذلك ، فأسعد وتَشْقى إن شاء الله ؛ قال : أوقِروه حديداً واطْرَحُوه في السجن .

[شهادة رؤوس الأرباع على حجر وأصحابه]

وجمع زياد من أُصحاب حُجر بن عدِيّ اثني عشر رجلاً في السجن ، وبعث إلى رؤوس الأرباع فأشخصهم ، فحضروا ، وقال : اشْهَدُوا على حُجْر بما رأيتموه ، وهم عَمْرو بن حُريث ، وخالد بن عُرْفُطَة ، وقَيْس بن الوليد بن عبد شمس بن المُغيرة ، وأبو بُرْدَة بن أبي موسى . فشهدوا أنَّ حجراً جمع إليه الجموعَ ، وأظهر شَتْم الخليفة ، وعَيْبَ زياد ، وأظهر عُذْرَ أبي تُراب والترحُّم عليه ، والبراءة مِنْ عدوّه ، وأهلِ حَرْبه ، وأنّ هؤلاء الذين معه رؤوسُ أصحابه ، وعلى مثْل رأْيِه .

فنظر زياد في الشهادة فقال : ما أَظنُّ هذه شهادة قاطعة ، وأُحِبُّ أن يكونَ الشهود أكثر من أربعة .

فكتب أَبو بُرْدَة بن أَبي موسى :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليه أَبو بُرْدَة بن أَبي موسى للهِ ربّ العالمين ، شهد أنَّ حُجْر بن عَدِيٍّ خلع الطاعةَ ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحَرْبِ والفِتْنة ، وجمع إليه الجموعَ يَدْعُوهم إلى نَكْثِ البيعة ، وخَلْعِ أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله كَفرة صلعاء» .

فقال زياد : على مِثْلِ هذه الشهادة فاشهدوا ، والله لأجهدنّ في قَطْعِ عُنُقِ الخائن الأَحمق ، فشهد رؤوسُ الأرباع الثلاثة الآخرون على مِثْل ذلك ، ثم دعا الناسَ ، فقال : اشهدوا على مِثْل ما شهد عليه رؤوسُ الأَرباع .

فقام عثمان بن شرحبيل التيميّ أوّل الناس ، فقال : اكتبُوا اسْمِي . فقال زياد : ابدأوا بقريش ، ثم اكتبوا اسمَ مَنْ نعرفه ويعرفه أميرُ المؤمنين بالصحّة والاستقامة . فشهد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عُبيد الله ، والمنذر بن الزّبير ، وعمارة بن عقبة ، وعبد الرحمن بن هبّار ، وعُمَر بن سَعْد بن أبي وقاص ، وشهد عنان ، ووائل بن حُجْر الحضرميّ ، وضِرار بن هُبيرة ، وشدّاد بن المنذر أخو الحُضين بن المنذر ، وكان يُدْعى ابن بُزَيعة .

فكتب شدّاد بن بُزَيْعة ، فقال : أما لهذا أبٌ يُنْسَب إليه ، ألغوا هذا من الشهود . فقيل له : إنّه أخو الحُضين بن المنذر ، فقال : انسبوه إلى أبيه ، فنُسِب ، فبلغ ذلك شدّاداً ، فقال : والهفاه على ابن الزّانية ؟ أوليست أُمُّه أعرفَ من أبيه ؛ فوالله ما يُنْسَب إلاّ إلى أمِّه سُمَيَّة .

وشهد حجّار بن أبجر العجليّ ، وعَمْرو بن الحجّاج ، ولبيد بن عُطارد ، ومحمد بن عمير بن عطارد ، وأسماء بن خارجة ، وشمِر بن ذي الجَوْشن ، وزَحْر بن قَيْس الجعفيّ ، وشبَث بن رِبْعِيّ ، وسِماك بن مَخْرَمة الأسديّ صاحب مسجد سماك ، ودعا المختار بن أبي عُبيد ، وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغا ، وشهد سبعون رجلاً . ودَفع ذلك إلى وائل بن حُجر ، وكثير بن شهاب ، وبعثهما عليهم وأمرهما أنْ يخرجوهم .

وكتب في الشهود شريح بن الحارث ، وشريح بن هانىء . فأمّا شريح بن الحارث فقال : سألني عنه فقلت : أما إنّه كان صوّاماً قوّاماً . وأمّا شريح بن هانىء فقال : بلغني أنَّ شهادتي كُتبت فأكذبتُه ، ولُمْتُه .

وجاء وائل بن حُجر وكثير بن شهاب فأخرجا القومَ عشيّة ، وسار معهم أصحابُ الشّرط حتى أخرجوهم ، فلمّا انتهوا إلى جبّانة عَرْزَم[1] نظر قبيصة بن ضبيعة العَبْسيّ إلى داره في جبَّانة عَرْزَم ، فإذا بَناتُه مشرفات ، فقال لوائل وكثير : أدْنياني أوص أهْلي ، فأدْنَياه . فلمّا دنا منهنّ بكَيْنَ ، فسكت عنهنّ ساعةً ثم قال : اسكتْنَ ، فسكتْنَ ، فقال : اتَّقِين اللهَ واصبِرْنَ ، فإنّي أرجو من ربِّي في وَجْهي هذا خَيْراً : إحدى الحسنيين ؛ إمّا الشهادة فنعم سعادة ، وإمّا الانصراف إليكنّ في عافية ؛ فإنَّ الذي كان يرزقكنّ ويكفيني مؤنتكنّ هو اللهُ تبارك وتعالى وهو حيٌّ لا يموتُ ، وأرجو ألاّ يضيعكنّ ، وأنْ يحفظني فيكنَّ . ثم انصرف ، فجعل قومه يَدْعُونَ له بالعافية .

---

1 عرزم : جبانة في الكوفة .

وجاء شريح بن هانىء بكتاب ، فقال : بلّغوا هذا عنّي أميرَ المؤمنين ، فتحمّله وائل بن حجر .

ومضَوْا بهم حتى انتهوا إلى مَرْج عَذراء[1] ، فحبسوا به وهم على أميالٍ من دمشق ، وهم : حُجْر بن عديّ الكنديّ ، والأرقم بن عبد الله الكنديّ ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصَيفيّ بن فَسِيلٍ الشيبانيّ ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسيّ ، وكَرِيم بن عَفيف الخثعميّ ، وعاصم بن عوف البَجَليّ ، ووَرْقاء بن سُمَيّ البَجَليّ ، وكِدام بن حَيّان ، وعبد الرحمن بن حسّان العنَزيّان ، ومحرز بن شهاب المِنقريّ ، وعبد الله بن جُوَيّة التميميّ ، وأَتْبَعهم زياد برجلين ، وهما عتبة بن الأخنس السعديّ ، وسَعيد بن نِمْران الهَمْدانيّ الناعطيّ ، فكانوا أربعة عشر .

[كتاب زياد إلى معاوية]

فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر وكثير ، فأدخلهما ، وفضَّ كتابهما ، وقرأه على أهل الشام :

«بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين ، من زياد بن أبي سفيان .

أمّا بعد ، فإنَّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاءَ فأَدالَهُ من عدوِّه ، وكفاه مؤونة مَنْ بَغى عليه ، إنّ طواغيت[2] الترابيّة السابّة رأسهم حُجْر بن عديّ ، خلَعُوا أميرَ المؤمنين ، وفارقوا جماعةَ المسلمين ، ونصَبُوا لنا حَرْباً فأطفأها اللهُ عليهم ، وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيارَ أهلِ المصر وأشرافهم وذوي النُّهى والدِّين ، فشهدوا عليهم بما رأَوْا وعلِموا ، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبتُ شهادةَ صُلحاء أهل المِصْرِ وخيارهم في أسفل كتابي هذا» . فلمّا قرأ الكتابَ قال : ما ترون في هؤلاء ؟ فقال يزيد بن أَسَد البَجَليّ : أرى أنْ تفرّقهم في قُرى الشام ، فتكفيكهم طَواغيتها .

[كتاب شريح بن هانىء إلى معاوية]

ودفع وائل كتابَ شريح إليه ، فقرأه وهو :

«بسم الله الرحمن الرحيم .

لعبد الله معاوية أمير المؤمنين ، من شريح بن هانىء .

---

1 مرج عذراء : في غوطة دمشق .

2 طواغيت : جمع طاغوت ، وهو الكثير الطغيان .

أمّا بعد ، فقد بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجْر ، وإن شهادتي على حُجْر أنّه ممَّنْ يُقيم الصلاةَ ، ويُؤْتي الزكاة ، ويأمر بالمعروف ، ويَنْهى عن المنكر . حرامُ المال والدم ، فإن شئْتَ فاقْتُلْه ، وإن شئت فدَعْه»

[حيرة معاوية في أمر حجر وزياد يطالب بالعقاب]

فقرأ كتابَه على وائل ، وقال : ما أرى هذا إلاّ قد أخرج نَفْسَه من شهادتكم . فحبس القومَ بعد هذا ، وكتب إلى زياد :

«فهمتُ ما اقتصصت من أمر حُجْر وأصحابه والشهادة عليهم ، فأحياناً أرى أنَّ قتلهم أفضل ، وأحياناً أرى أن العَفْوَ أفضل منْ قتلهم» .

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حُجَيَّة التيميّ : «قد عجبْتُ لاشتباهِ الأَمْرِ عليك فيهم مع شهادة أهلِ مِصْرِهم عليهم ، وهم أعلَمُ بهم ؛ فإن كانت لك حاجةٌ في هذا المِصْر فلا تردّنَّ حُجْراً وأصحابَه إليه» .

[ثبات حجر على البيعة]

فمرَّ يزيد بحُجْر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد ، فقال له حُجْر : أَبلغ أمير المؤمنين أنّا على بَيْعَتِه لا نقيلها ولا نستقيلها ، وإنّما شهد علينا الأعداء والأظِنَّاء[1] .

فقدِم يزيد بن حُجيَّة على معاوية بالكتاب ، وأُخبره بقول حُجْر . فقال معاوية : زياد أصدقُ عندنا من حُجْر .

وكتب جرير بن عبد الله في أمْرِ الرجلين اللَّذَين من بَجِيلة ، فوهبهما له وليزيد بن أسد ، وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكنديّ ، فتركه ، وطلب أبو الأعور في عُتْبَة بن الأخنس فوهبه له ، وطلب حمزة بن مالك الهَمْدانيّ في سَعِيد بن نِمْران فوهبَه له ، وطلب حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جُوَيَّة التميميّ فخلّى سبيله .

فقام مالك بن هُبيرة ، فسأله في حُجر فلم يشفِّعه ؛ فغضب وجلس في بَيْتِهِ . وبعث معاوية هُدْبَة بن فَيّاض القضاعيّ والحُصين بن عبد الله الكِلابيّ ، وآخر معهما يقال له أبو صَرِيف البدريّ ، فأتَوْهُم عند المساء ، فقال الخَثْعَمِيّ حين رأى الأعور : يُقتل نصفنا ويَنْجُو نصفنا . فقال سعيد بن نِمْران : اللهمّ اجعلني ممّن ينجو ، وأنتَ عنّي راضٍ . فقال عبد الرحمن بن حسّان العَنَزِيّ : اللهمّ اجعلني ممن يُكْرَمُ بهوانهم وأنتَ عنّي راضٍ ، فطالما عرَّضت نفسي

1 الأظناء : المتهمون .

للقَتْل ، فأَبى الله إلاَّ ما أَراد .

[من أصحاب حجر يرفضون لعن عليّ]

فجاء رسولُ معاوية إليهم فإنّه لَمَعَهُم إذ جاء رسولٌ بتَخْلِيَةِ ستَّةٍ منهم وبقى ثمانية . فقال لهم رسول معاوية : إنّا قد أُمِرنا أنْ نعرِض عليكم البراءة مِنْ عليّ واللَّعْنَ له ، فإن فعلتُم هذا تركناكم ، وإن أبيتُم قتلناكم ، وأميرُ المؤمنين يزعمُ أنَّ دماءَكم قد حلَّتْ بشهادةِ أهلِ مِصْرِكم عليكم ، غير أنّه قد عَفا عن ذلك فابْرَءُوا مِنْ هذا الرجل يُخْلِ سبيلَكم . قالوا : لسنا فاعلين ؛ فأَمر بقيودهم فحُلَّتْ ، وأُتيَ بأكفانهم فقاموا الليلَ كلَّه يصلّون . فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، قد رأيناكم البارحة أطَلْتُم الصلاة ، وأحسنتُّم الدّعاءَ ، فأَخبرونا ما قولكم في عثمان ، قالوا : هو أوَّل مَن جار في الحكم ، وعمل بغير الحق . فقالوا : أمير المؤمنين كان أعرفَ بكم . ثم قاموا إليهم وقالوا : تبرؤون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتولاّه .

فأخذ كلُّ رجل منهم رجلاً يقتله ، فوقع قبيصة في يَدي أَبي صَرِيف البدريّ ، فقال له قبيصة : إنَّ الشرّ بين قومي وقومك أمِين ، أي آمن فليقتلني غَيْرُك . فقال : بَرَّتك رَحِم . فأخذه الحضرميّ فقتله .

وقتل القُضاعيّ صاحبه ، ثم قال لهم حُجر : دَعُوني أُصلِّي ركعتينْ ، فإنّي والله ما توضّأت قطّ إلاّ صلّيت ، فقالوا له : صَلِّ . فصلَّى ثم انصرف ، فقال : والله ما صلّيتُ صلاةً قطّ أقصر منها ، ولولا أَن يروا أنَّ ما بي جزَعٌ من الموت لأحببتُ أن أستكثِرَ منها ، ثم قال : اللهم إنّا نستعديك على أُمَّتنا ، فإنّ أهلَ الكوفة قد شهدوا علينا ، وإنّ أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتمونا فإنّي أوّل فارس من المسلمين سلك[1] في واديها ، وأوَّل رجل من المسلمين نَبَحَتْه كِلابُها . فمشى إليه هُدْبة بن الفيّاض الأعور بالسيف ، فأرعدت خصائله[2] ، فقال : كلاّ ، زعمتَ أنّك لا تجزعُ من الموت ، فإنّا ندعُكَ ، فابرأْ من صاحبك . فقال : ما لي لا أَجزع ، وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيْفاً مشهوراً ، وإنّي والله إن جزعتُ لا أَقول ما يُسخِطُ الربَّ . فقتله .

[أمر عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف مع معاوية]

وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستّةَ نَفَر . فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن

---

1 الطبري : هلك .

2 خصائل : جمع خصيلة ، وهي القطعة من اللحم أو لحم الفخذين والعضدين والذراعين أو كل عصبة فيها لحم غليظ .

عفيف : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول في هذا الرجل مِثْلَ مقالَتِه . فبعثوا إلى معاوية فأخبروه ، فبعث : ائتوني بهما . فالتفتا إلى حُجْر ، فقال له العَنَزيّ : لا تبعد يا حجر ، ولا يبعد مَثْواك ؛ فنعم أخو الإسلام كنتَ ، وقال الخثعميّ نحو ذلك . ثم مضى بهما ، فالتفت العنزيّ ، فقال متمثّلاً : [من الطويل]

كَفى بشَفاةِ القبر بُعْداً لِهالِكٍ وبالموتِ قَطّاعاً لِحَبْلِ القرائنِ

فلمّا دخل عليه الخثعميّ قال له : الله الله يا معاوية ! إنّك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ومسؤول عمّا أردتَ بقتلنا ، وفيما سفكْتَ دماءنا . فقال : ما تقولُ في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولَك ، أتبرأُ من دينِ عليّ الذي كان يَدين اللهَ به ! وقام شَمِر بن عبد الله الخثعميّ فاستوهَبه ، فقال : هو لك ، غير أنّي حابِسُه شهراً . فحبسه ، ثم أطلقه على ألاّ يدخلَ الكوفة ما دام له سلطان . فنزل الموصل ، فكان ينتظرُ موتَ معاوية ليعود إلى الكوفة ، فمات قبل معاوية بشهرٍ .

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان ، فقال له : يا أخا ربيعة ، ما تقول في عليّ ؟ قال : أشهد أنّه من الذاكرين الله كثيراً والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والعافين عن الناس . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : هو أوّل مَن فتح أبواب الظلم ، وأرْتَج أبواب الحقّ . قال : قتلْتَ نفسَك . قال : بل إيّاكَ قتلْت ، لا ربيعة بالوادي ؛ يعني أنّه ليس ثَمَّ أحد من قومه فيتكلّم فيه .

فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : إنّ هذا شرُّ مَنْ بعثتَ به ، فعاقِبْه بالعقوبة التي هو أهلها واقتُلْه شرَّ قتلة .

فلمّا قُدِم به على زياد بعث به إلى قُسّ الناطِفِ[1] ، فدفنَه حيّاً .

قال أبو مِخنف ، عن رجاله : فكان مَن قُتِل منهم سبعة نَفَر : حجر بن عديّ ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصيفيّ بن فسيل الشيبانيّ ، وقبيصة بن ضُبيعة العبسيّ ، ومُحرز بن شهاب المِنقريّ ، وكِدام بن حيّان العنزيّ وعبد الرحمن بن حسان العنزيّ . ونجا منهم سبعة : كريم بن عفيف الخثعميّ ، وعبد الله بن جؤيّة التميميّ ، وعاصم بن عوف البجليّ ، ووَرقاء بن سميّ البجليّ ، وأرقم بن عبد الله الكنديّ ، وعتبة بن الأخنس السعديّ من هوازن ، وسعيد بن نِمران الهمدانيّ .

---

1 قس الناطف : موضع قرب الكوفة .

وبعث معاوية إلى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حُجر مائة ألف درهم ، فرضي .

قال أبو مخنف : فحدثني ابن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، قال : أدركتُ الناسَ يقولون : أوّل ذُلٍّ دخل الكوفة قَتْلُ حُجْر ، ودِعوة زياد ، وقَتْلُ الحسين .

[تأخر رسول عائشة في أمر حجر وأصحابه]

قال : وجعل معاوية يقول عند موته : أيّ يوم لي من ابن الأدبر[1] طويل !

قال أبو مخنف : وحدَّثني عبد الملك بن نوفل بن مُساحق من بني عامر بن لؤي أنَّ عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حُجر وأصحابه ، فقدِم عليه وقد قتلهم ، فقال له : أين غاب عنك حِلْمُ أبي سفيان ؟ فقال : حين غاب عنّي مثلُك من حُلماء قومي ، وحمّلني ابن سُمَيّة فاحتمَلْت .

قال : وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لولا أنّا لم نُغيّر شيئاً قطّ إلاّ آلت بنا الأمورُ إلى أشدّ ممّا كنّا فيه لغَيَّرنا قتل حجر ، أما والله إن كان لمُسْلِماً ما علمتُه حاجّاً معتمراً .

[رثاء حجر]

وقالت امرأة من كندة ترثي حجراً[2] : [من الوافر]

ترفّــعْ أيُّهــا القمَــرُ المُنِيرُ لعلّكَ أن تَــرى حُجْراً يَسيرُ
يسير إلى معاويــة بن حرب لِيَقْتُلَـــهُ كما زعــم الأميـرُ
ألا يا ليتَ حُجْراً مات مَوْتاً ولم يُنْحَـر كما نُحِـر البَعيرُ
ترفّعَت الجبابِرُ بعــد حُجْرٍ وطاب لها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ
وأصبحتِ البـلادُ لـه مُحُولاً كأنْ لم يُحيِهـا مُـزْنٌ مَطِيرُ
ألا يا حُجْرُ حُجْرَ بنـي عَدِيٍّ تَلَقَّتْـكَ السلامَــةُ والسرورُ
أخافُ عليكَ سطوةَ آلِ حرب وشيخاً في دمشقَ لـه زَئيرُ[3]
يرى قَتْلَ الخِيار عليـه حقّـاً لـه مِـنْ شَرّ أُمَّتِـه وَزِيرُ
فإنْ تهلِكْ فكــلُّ زعيم قومٍ إلى هُلْكٍ مــن الدّنيا يَصِيرُ

1 ابن الأدبر : حجر بن عدي .

2 هي هند بنت زيد بن مخرمة (مخربة) الأنصارية . وبعض هذه الأبيات في طبقات ابن سعد : 220-221 مع اختلاف ، وبعضها في خبر مقتل حجر في الطبري .

3 سطوة في ل : صولة .

صوت

[من الوافر]

أَحِنُّ إذا رأَيْتُ جمالَ سُعْدى وأَبكي إن رأَيتُ لها قَرِينا
وقد أَفِدَ الرَّحيل فقُلْ لسُعْدى : لعمركِ خبِّري ما تأمرينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة[1] ، يقوله في سُعدى بنت عبد الرحمن بن عوف . والغناء لابن سريج ، رمل بالوسطى ، عن حبش . وقد قيل : إنّ عمر قال هذا البيت مع بيت آخر في ليلى بنت الحارث بن عوف المرِّيّ . وفيه أيضاً غناء ، وهو : [من الوافر]

صوت

أَلا يا لَيْلَ إنَّ شِفاءَ نفسي نوالُكِ إنْ بخلتِ فزوِّدِينا
وقد أُفِد الرحيل وحان منّا فِراقُك فانظري ما تأمرينا

غنّى به الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر ، عن عمرو وحبَش ، وفيه خفيف ثقيل يقال إنّه أيضاً للغريض . ومن الناس مَن ينسبه إلى ابن سريج .

1 ديوانه : 437 ومع البيتين البيت :

أَلا يا ليل إن شفاء نفسي نوالك إن بخلت مزوّدينا

352 ـ [أخبار لعمر بن أبي ربيعة]

[سعدى تعظ عمر]

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن طارق بن عبد الواحد ، قال : قال عبد الرحمن المخزوميّ : كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً في المسجد ، فرأت عُمَر بن أبي ربيعة في الطواف ، فأرسلت إليه : إذا قضيتَ طوافَك فائْتِنا ، فلمّا قضى طوافَه أتاها فحادثها ، وأنشدها ، فقالت : ويحك يا ابنَ أبي ربيعة . ما تزال سادِراً في حَرَمِ اللهِ مُنْتَهِكاً ، تتناول بلسانك ربّات الحجال من قريش ؟ ! فقال : دَعِي هذا عنك ، أما سمِعتِ ما قلتُ فيك ؟ قالت : وما قلت فيّ ؟ فأنشدها : [من الوافر]

أَحِنُّ إذا رأَيْتُ جمالَ سُعْدى وأَبكـي إنْ رأَيت لهـا قَرِينا[1]
أَسُعدى إنَّ أهلك قـد أَجَدُّوا رحيـلاً فانْظُرِي مـا تأمرينا

فقالت : آمُرُكَ بتَقوى الله ، وتركِ ما أَنت عليه .

قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الله بن مسلم ، قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة بن أبي عتيق قوله : [من الوافر]

أَحِنُّ إذا رأَيتُ جمالَ سُعدى

قال : فركب ابنُ أَبي عَتيق فأَتى سعدى بالجناب من أرضِ بني فزارة ، فأنشدها قولَ عمر ، وقال لها : ما تأْمُرين ؟ فقالت : آمُره بتَقْوى الله يا ابن الصِّدِّيق .

[ينشد ليلى بنت الحارث بن عوف]

قال الزُّبير : وحدَّثني طارق بن عبد الواحد ، عن أَبي عبيدة ، عن عبد الرحمن المخزوميّ ، قال : لقي عُمَر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عوف المرّيّ ، وهو يسير على بَغلة ، فقال لها : قِفي أَسمعكِ بعض ما قلتُ فيكِ ؟ فوقفت ، فقال : [من الوافر]

أَلا يـا ليـلَ إنّ شفاءَ نفسي نوالُـكِ إنْ بخلـتِ فنوِّلينا

قال : فما بلغنا أنّها ردّتْ عليه شيئاً ، ومضَتْ .

وقد روى هذا الخبر إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن مَعْن ، فذكر أنّ ابن أبي عتيق إنّما

---

1 ديوان عمر : 63 .

مضى إلى ليلى بنت الحارث بن عوف ، فأنشدها هذا البيت ، وهو الصحيح ؛ لأنَّ حلولَها بالجناب من أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت عبد الرحمن بن عَوف . ورواية الزُّبير فيما أُرى وَهَمٌ لاختلاط الشعرين في سعدى وليلى .

[خبر آخر لسعدى]

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن محمد بن سلاّم ، قال : كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسةً في المسجد الحرام ، فرأت عُمر بن أبي ربيعة يطوفُ بالبيت ، فأرسلَتْ إليه : إذا فرغت من طوافك ، فائتِنا . فأتاها ، فقالت : ألا أراك يا ابنَ أبي ربيعة إلاّ سادِراً في حَرَم الله ! أما تخاف الله ! ويحك إلى متى هذا السَّفه ! قال : أيْ هذه ، دَعِي عنك هذا من القول . أما سمعتِ ما قلتُ فيكِ ؟ قالت : لا ، فما قُلْتَ ؟ فأنشدها قوله : [من الكامل]

صوت

قالت سُعَيْدَةُ والدموعُ ذَوارِفٌ ... منهـا على الخدَّيْنِ والجِلْبابِ
ليت المغيريَّ الـذي لم أَجْـزِهِ ... فيمـا أَطال تصيُّدِي وطِلابي
كانـت تـردّ لنـا المُنى أيّامُنا ... إذ لا نُلامُ على هوًى وتَصابي
أسُعيدَ مـا ماءُ الفراتِ وطِيْبُه ... منّـي على ظمأ وحُبِّ شرابِ
بألـذّ منك وإن نأيْتِ وقلَّما ... يَرْعـى النساءُ أمانـة الغُيّابِ

عروضه من الكامل ، غنّاه الهذليّ رملاً بالوسطى ، عن الهشاميّ ، وغنّاه الغريض خفيف ثقيل بالوسطى ، عن عمرو .

فقالت : أخزاك الله يا فاسق ، ما عَلِم الله أنّي قلت ممّا قلتَ حَرفاً ، ولكنّك إنسانٌ بَهُوت[1] .

وهذا الشعر تُغُنِّيَ فيه : [من الكامل]

قالت سكينة والدموعُ ذوارفٌ

وفي موضع :

أسعيـد مـا ماءُ الفرات وبَرْده

أسكَيْنَ . وإنّما غيَّره المغنّون : ولفظ عمر ما ذكر فيه في الخبر .

---

1 البهوت : الباطل الذي يتحيّر من بطلانه .

[الرشيد يغضب للغناء بشعر في سكينة]

وقد أخبرني إسماعيل بن يونس ، عن ابن شبّة ، عن إسحاق ، قال : غنّيت الرشيد يوماً بقوله : [من الكامل]

قالت سُكَيْنَة والدموعُ ذَوارِفٌ ... منها على الخدَّيْنِ والجِلْبابِ

فوضع القدح من يَدِه وغضب غضباً شديداً ، وقال : لعنه الله الفاسق ، ولعنك معه . فسُقِط في يدي ، وعَرفَ ما بي ، فسكنَ ، ثم قال : ويحك ! أتغنّيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بِنْتِ عَمّي ، وبِنْتِ رسول الله ﷺ ! ألا تتحفّظ في غِنائك وتدري ما يخرجُ من رأسك ! عُدْ إلى غِنائك الآن ، وانظُرْ بين يديك . فتركت هذا الصوت حتى أُنسيته ، فما سمعه منّي أحدٌ بعده . والله أعلم .

صوت[1]

[من الطويل]

فلا زال قَبْرٌ بين تُبْنى وجاسم ... عليه من الوسْمِيِّ جَوْدٌ ووابِلُ[2]
فينبت حَوْذاناً وعوفاً مُنَوَّراً ... سأتبعه مِنْ خير ما قال قائلُ[3]

عروضه من الطويل ، والشعر لحسّان بن ثابت الأنصاري . وهذا القَبْرُ الذي ذكره حسّان فيما يقال قبر الأيهم بن جَبَلة بن الأيهم الغسّانيّ . وقيل : إنّه قبر الحارث بن مارية الجفنيّ ، وهو منهم أيضاً . والغناء لعزّة الميلاء ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، ممّا لا يشكّ فيه من غنائها . وقد نسبه قومٌ إلى ابن عائشة ، وذلك خطأ .

1 ديوان حسان 1 : 506 ونسبهما ياقوت (تبنى) إلى النابغة الذبياني وهما في ديوانه مع بعض اختلاف .

2 تبنى وجاسم في الديوان : بثنى وجلق . وتبنى بلدة بحوران من أعمال دمشق . والوسمي : أول المطر . والجود : المطر الغزير .

3 الحوذان والعوف : نبتان طيبا الرائحة .

[353] ـ أخبار عزّة الميلاء[1]

كانت عَزَّةُ مولاةً للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهي أقدم مَن غنّى الغناء الموقَّع من النساء بالحجاز ، وماتت قبل جَميلة . وكانت من أجمل النساء وَجْهاً ، وأحسنهنّ جِسْماً ، وسُمِّيَتْ الميلاء لتمايُلِها في مشيها . وقيل : بل كانت تلبسُ المُلاء ، وتَشبَّهُ بالرجال ، فسمِّيت بذلك . وقيـل : بـل كانت مغرمة بالشراب ، وكانت تقول : خذ مِلْئاً[2] وارْدُدْ فارغاً ، ذكر ذلك حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه .

والصحيح أنّها سُمِّيت الميلاء لَمْيلِها في مِشيَتِها .

[ضربها وغناؤها]

قال إسحاق : ذكر لي ابن جامع ، عن يونس الكاتب ، عن معبد ، قال : كانت عزّة الميلاء ممّن أحسنَّ ضرباً بعود ، وكانت مطبوعةً على الغناء ، لا يُعيبها أداؤه ولا صَنعته ولا تأليفه . وكانت تغنّي أغانيَ القِيان من القدائم ، مثل سيرين ، وزرنب ، وخولة ، والرباب ، وسلمى ، ورائقة ، وكانت رائقة أستاذتها . فلمّا قدِم نشيط وسائب خاثر المدينة غنّيا أغانيَ بالفارسيّة ، فلَقِنَتْ عزّة عنهما نَغْماً ، وألفت عليها ألحاناً عجيبة ، فهي أوّل مَن فَتن أهل المدينة بالغناء ، وحرَّض نساءهم ورجالهم عليه .

[ثناء مشايخ المدينة عليها]

قال إسحاق : وقال الزُّبير : إنّه وجد مشايخ أُهل المدينة إذا ذكروا عزّة قالوا : للهِ دَرُّها ! ما كان أحسن غناءها ، ومدَّ صوتها ، وأندى حَلْقها ، وأحسن ضَرْبها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي ، وأجملَ وجهها ، وأظرف لسانها ، وأقْرب مجْلسها ، وأكرم خُلُقها ، وأسخى نفسها ، وأحسن مساعدتها .

قال إسحاق : وحدَّثني أُبي ، عن سياط ، عن معبد ، عن جميلة ، بمثل ذلك من القول فيها .

1 لعزة الميلاء ترجمة في أعلام النساء 2 : 1013 والطرب عند العرب : 19 والدر المنثور : 341 . وانظر أعلام الزركلي .

2 مقدار ما يتسع له الإناء . وقد تكون ملاء .

[المغنون يأخذون عنها]

قال إسحاق : وحدَّثني أبي ، عن يونس ، قال : كان ابن سُريج في حداثةِ سِنّه يأتي المدينة ، فيسمَع من عزَّة ويتعلَّم غناءَها ، ويأخذ عنها ، وكان بها مُعْجَباً ؛ وكان إذا سُئل : مَن أحسن الناس غناءً ؟ قال : مولاة الأنصار المفضَّلة على كلِّ مَن غنّى وضرب بالمعازف والعِيدان من الرجال والنّساء .

قال : وحدَّثني هشام بن المُرِّيّة أنَّ ابن مُحرز كان يُقيم بمكّة ثلاثة أشهر ، ويأتي المدينة فيُقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزّة ، وكان يأخذ عنها .

قال إسحاق : وحدَّثني الجمحيّ ، عن جُرَير المغنّي المدينيّ ، أنَّ طُوَيساً كان أكثر ما يأوي إلى منزل عزَّة الميلاء ، وكان في جوارها ، وكان إذا ذكرها يقول : هي سيِّدة مَن غنّى من النساء ، مع جمالٍ بارع ، وخُلق فاضلٍ وإسلام لا يَشوبُه دَنَس ؛ تأمُرُ بالخير وهي من أهله ، وتَنْهى عن السوء وهي مُجانبة له ، فناهيك ما كان أنبلها ، وأنبل مجلسها !

ثم قال : كانت إذا جلست جُلوساً عامّاً فكأنّ الطيرَ على رؤوس أهل مجلسها ، مَن تكلّم أو تحرّك نقر رأسه .

قال ابن سلاّم : فما ظنّك بمَن يقول فيه طويس هذا القول ! ومَن ذلك الذي سَلِم من طُوَيس !

[معبد يعجب بغنائها وهي مسنّة]

قال إسحاق : وحدَّثني أبو عبد الله الأسلميّ ، عن معبد : أنّه أتى عزّة يوماً وهي عند جميلة وقد أسنَّت ، وهي تغنّي على معزفة في شِعْر ابن الإطنابة ، قال : [من الخفيف]

عَلِّلانِـي وعَلِّـلا صاحبَيّا واسقِياني مِـنَ المروَّق رِيّا

قال : فما سمع السامعون قط بشيء أحسنَ من ذلك . قال معبد : هذا غناؤها ، وقد أسنَّت ، فكيف بها وهي شابّة !

[يغشى على عمر لسماعه غنائها]

قال إسحاق : وذُكر لي عن صالح بن حسان الأنصاريّ ، قال : كانت عزّة مولاةً لنا ، وكانت عفيفة جميلة ، وكان عبد الله بن جعفر ، وابن أبي عتيق ، وعمر بن أبي ربيعة يَغشَوْنها في منزلها فتغنّيهم . وغنَّت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره ، فشقّ ثيابه ، وصاح صيحةً عظيمة صعق معها ، فلمّا أفاق قال له القوم : لغيرك الجهلُ يا أبا الخطّاب ! قال : إنّي سمعتُ والله ما لم أملِكْ معه نفسي ولا عَقلي .

وقال إسحاق : وحدَّثني أبو عبد الله الأسلميّ المدنيّ ، قال : كان حسّان بن ثابت معجباً بعزّة الميلاء ، وكان يقدِّمها على سائر قِيانِ المدينة .

[حسان يبكي لغنائها شعره]

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن محمد بن الحسن المخزوميّ ، عن محرز بن جعفر ، قال : ختَن زيد بن ثابت الأنصاريّ بنتَه ، فأوْلَم ؛ فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامَّة أهل المدينة ، وحضر حسّان بن ثابت وقد كُفَّ بصَرُه يومئذٍ ، وثَقُل سَمْعُه ، وكان يقول إذا دُعي : أعُرْسٌ أم عِذار[1] ؟ فحضر ووُضِع بين يَديه خِوان ليس عليه إلاّ عبد الرحمن ابنه ، فكان يسأله : أطعامُ يَدٍ أمْ يدين ؟ فلم يزل يأكلُ حتى جاءوا بالشِّواء ، فقال : طعامُ يَدَين ؛ فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام ثُنيت وسادة ، وأقبلت المَيلاء ، وهي يومئذٍ شابّة ، فوُضِع في حجرها مِزهر ، فضربت به ، ثم تغنَّت ، فكان أوَّلَ ما ابتدأت به شعرُ حسّان ، قال : [من الطويل]

فلا زالَ قَبْرٌ بَيْن بُصرى وجِلَّق عليه من الوَسْمِيّ جَوْدٌ ووابِلُ

فطرب حسان ، وجعلت عيناه تنضحان ، وهو مُصْغٍ لها .

أخبرني ابن عبد العزيز الجوهريّ ، عن ابن شبّة ، عن الأصمعيّ ، عن أبي الزناد ، قال : قلت لخارجة بن زيد : أكان يكون هذا الغناء عندكم ؟ قال : كان يكون في العُرُسات[2] ولم يكن يُشْهَد بما يشهدُ به اليوم من السَّعة .

وكان في إخواننا بني نبيط مأدبة ، فدُعينا وثمَّ قينة أو قينتان تُنْشِدان شِعْرَ حسّان بن ثابت ، قال[3] : [من المنسرح]

انظُرْ خَلِيلي بباب جِلَّقَ هلْ تُبْصِرُ دون البَلْقاء مِنْ أحَدِ ؟

قال : وحسّان يبكي ، وابنُه يُومِىء إليهما أن زيدا ؛ فإذا زادتا بكى حسان ، فأعجبني ما يُعجبه من أن تُبكيا أباه ، وقد كُفَّ بَصَرُ حسّان بن ثابت يومئذٍ .

أخبرنا وكيع ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الواقديّ ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : سمعتُ خارجةَ بن زيد يقول : دُعينا إلى مأدبة في آل نَبيط ، قال خارجة : فحضَرْتُها ، وحسان بن ثابت قد حضرها ، فجلَسْنا جميعاً على مائدةٍ واحدةٍ ، وهو

1 العرس : طعام وليمة العرس ، والعذار : طعام البناء والختان .
2 العرسات : جمع عرس ، وهو طعام الوليمة .
3 ديوان حسان : 279 وفيه «هل تؤنس . . .» .

يومئذٍ قد ذهب بصَرُه ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكان إذا أتى طعام سأل ابنه : أطعام يَدٍ أمْ يدين ؟ يعني باليد الثَّريد وباليدين الشواء ؛ لأنّه يُنهش نَهْشاً ، فإذا قال : طعام يدَيْن أمسك يده . فلمّا فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين : إحداهما رائقة والأخرى عزّة ، فجلستا وأخذتا مِزْهَريهما ، وضَرَبَتا ضَرْباً عجيباً ، وغنّتا بقول حسّان : [من المنسرح]

انظر خَليلي بباب جلّق هَلْ ... تُبْصِرُ دُونَ البَلْقاء من أَحَدِ

فأسمع حساناً يقول :

قـد أَراني بهـا سَمِيعاً بصيرا

وعَيْناه تدمعان ، فإذا سكتتا سكت عنه البكاء ، وإذا غنّتا بكى . فكنت أرى ابنَه عبد الرحمن إذا سكتتا يُشير إليهما أن تغنّيا ، فيبكي أبوه ، فأقول : ما حاجته إلى إبكاء أبيه !

قال الواقديّ : فحدَّثتُ بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفريّ ، فقال : سمعتُ سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان يقول : لمّا انقلب حسان منْ مأدبة بني نَبيط إلى منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجليه على الأُخرى ، وقال : لقد أذكرتني رائقة وصاحبتها أمراً ما سَمِعَتْه أُذُناي بُعَيْد ليالي جاهليتنا مع جبَلَة بن الأيْهم ! فقلت : يا أبا الوليد ، أَكان القيان يكنّ عند جبلة ؟ ، فتبسّم ثم جلس ، فقال : لقد رأيتُ عشر قِيان : خمس رُوميّات يغنّين بالروميّة بالبرابط ، وخمس يُغنّين غناء أهل الحيرة ، أهداهنّ إليه إياس بن قَبيصة ، وكان يَفِد إليه مَن يُغنّيه من العرب من مكّة وغيرها ؛ وكان إذا جلس للشرب فُرِش تحته الآسُ والياسمين وأصنافُ الرياحين ، وضُرِب له العنْبَرُ والمسك في صِحافِ الفضّة والذهب ، وأُتي بالمسك الصحح في صحاف الفضة ، وأوقد له العودُ المندليّ إن كان شاتياً ، وإن كان صائفاً بُطِّن بالثّلج ، وأُتي هو وأَصحابه بكُساً صيفيّة يتفضّل هو وأصحابه بها في الصيف ، وفي الشتاء الفِراء الفَنَك[1] ، وما أشبهه ؛ ولا والله ما جلستُ معه يوماً قطّ إلاّ خلع عليّ ثيابَه التي عليـه في ذلك اليوم ، وعلى غيري من جلسائه ، هذا مع حِلْمٍ عمَّن جهل ، وضَحِكٍ وبذْلٍ من غير مسألة ، مع حُسن وجهٍ وحسن حديث ، ما رأيتُ منه خنًى قطّ ولا عربدة ، ونحن يومئذٍ على الشِّرْك ؛ فجاء اللهُ بالإسلام فمحا به كلَّ كفْر ، وتركنا الخَمْرَ وما كرِه ؛ وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التّمر ، والفضيخ[2] من الزّهر والرُّطب ، فلا يشرب أحدُكم ثلاثة أقداح حتى يصاحِبَ

1 الفنك : جراء الثعلب التركي .

2 الفضيخ : عصير العنب أو هو شراب يتخذ من بسر مفضوخ يصب عليه الماء الحار فيستخرج حلاوته .

صاحبَه ويفارقه ، وتُضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون !

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن أبي أيّوب المدينيّ ، عن مصعب الزُّبيريّ ، عن الضحّاك ، عن عثمان بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد مثله ، وزاد فيه : فلمّا فرغنا من الطعام ثَقُل علينا جلوس حسّان ، فأومأ ابنُه إلى عزّة الميلاء فغنَّت : [من المنسرح]

انْظُر خَلِيلِي ببابِ جِلَّـق هَـلْ تُبْصِرُ دونَ البَلْقاءِ مِـنْ أَحَدِ

فبكى حسّان حتى سَدِرَ[1] ، ثم قال : هذا عَمَلُ الفاسق ، أما لقد كرهتم مجالستي ، فقبَّح اللهُ مجلسكم سائرَ اليوم ، وقام فانصرف .

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه مصعب ، قال : ذكر هشام بن عروة ، عن أبيه : أنّه دُعِيَ إلى مأدبة في زمن عثمان ، ودُعِي حسّان ومعه ابنه عبد الرحمن ، ثم ذكر نحو ما ذكره عمر بن شبّة عن الأصمعيّ في الحديث الأوّل ، قال : [من المنسرح]

نسبة هذا الصوت

انظُـرْ خليـلي بباب جلّـق هل تُـؤنسُ دُونَ البَلْقـاءِ مِـنْ أَحَدِ
أَجمال شَعْثا إنْ هَبَطْنَ مـن الْـ ـمَحْبس بَيْنَ الكُثْبـانِ فـالسَّنَدِ[2]
يُمِلْن حُوراً حُـورَ المدامع في الرَّيْـ ـطِ وبِيضَ الوُجُـوهِ كالبَـرَدِ[3]
مِنْ دون بُصْرى ودونَها جبل الثَّلْـ ـجِ عليـه السَّحـابُ كالقَرَدِ[4]
إِنّـي وأيـدي المخيَّساتِ ومـا يقْطَعْنَ مـن كلِّ سَرْبَـخ جَدَدِ[5]
أَهوى حديثَ النُّدْمان في فلَقِ الصُّبْـ ـحِ وصَوْتَ المُسامـر الغَـرِدِ
تَقُـول شَعثاءُ بعـد مـا هبطت بصَوْر حُسنى مـن احتدى بَلَدِي[6]
لا أخـدِشُ الخَدْشَ بالحبيب ولا يَخْشى نديمـي إذا انتشيتُ يَدي

1 سدر : أصابه دوار وتحير .
2 الديوان : أجمال شعثاء قد هبطن .
3 الديوان : يحملن حوّاً : والحوة : سمرة الشفة .
4 القرد : نفاية الصوف ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان . وفي الديوان : كالقِدد .
5 الديوان : إني ورب المخيسات . والمخيسات : الإبل المذللة . والسربخ : الأرض البعيدة . الديوان :
تقول شعثاء لـو تفيق من الـ ـكأس لألفيت مثري العدد
6 الديوان : «. . . بالنديم . . . ولا يخشى جليسي» .

الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لعزّة الميلاء رمل بالبنصر ، وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى ابن محرز ، وإلى عزّة الميلاء . وإلى الهذليّ في : [من المنسرح]

تقول شَعْثاء بعـد مـا هبطت

وما بعده من الأبيات ، ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمرو .

[شعثاء التي شبب بها حسان]

وشَعْثاء هذه التي شبَّب بها حسّان ، فيما ذكر الواقديّ ومصعب الزُّبيريّ ، امرأةٌ من أسلم ، تزوَّجها حسّان ، وولدت منه بنتاً يقال لها أُمّ فِراس تزوَّجها عبد الرحمن بن أُمّ الحكم . وذكر أبو عمرو الشيبانيّ مثل ما ذكره في نَسبِها ، ووصف أنّه خطبها إلى قومِها من أسلم فردُّوه ، فقال يهجوهم[1] : [من البسيط]

لقـد أتـى عن بني الجَرْباء قولُهمُ ... ودونهم قُفُّ جُمْدانٍ فمَوْضُوعُ[2]
قـد علمت أسلمُ الأرذالُ أنَّ لهـا ... جـاراً سيقتلُـه في دارِه الجُوعُ[3]
وأنْ سيمنَعُهم ممّـا نَـوَوْا حَسَبٌ ... ـ لن يبلغ المجدَ والعلياءَ ـ مقطوعُ
وقد عَلَوْا ، زَعَموا ، عنّـي بأختهمُ ... وفي الذُّرى حَسبي والمَجْدُ مرفوعُ[4]
ويل أمّ شعثاء شيئاً تستغيثُ به ... إذا تجلَّلهـا النَّعْـظُ الأفاقيعُ[5]
كأنّه في صَلاهـا وهـي بارِكةٌ ... ذِراعُ بَكْرٍ مِـن النيَّاط مَنْزوعُ[6]

أخبرني حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن أبي القاسم بن أبي الزناد ، عن أخيه عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، قال : شعثاء هذه بنت عمرو ، ومن بني ماسكة من يهود ، وكانت مساكن بني ماسكة بناحية القُفّ ، وكان أبو شعثاء قد رأس اليهودَ التي تلي بيت الدِّراسَةِ للتوراة ، وكان ذا قَدْرٍ فيهم ، فقال حسّان يذكر ذلك : [من المنسرح]

1 ديوان حسان : 176 .
2 جمدان وموضوع : مكانان .
3 الديوان : . . . أسلم الأنذال .
4 الديوان : «قد رغبوا زعموا . . . وفي الذرا نسبي . . .» .
5 الأفاقيع : الذي يتفقع فيسمع له صوت .
6 الصلا : وسط الظهر . والشطر الثاني في الديوان : ذراع آدم من ناطاء منزوع .

هل في تَصابي الكريم مِنْ فَنَدِ ... أم هـل لمـرِّ الأيّام مِـنْ نَفَدِ[1]
تقول شَعْثاء : لو أفقتَ عن الكا ... س لألفيتَ مُثـرِيَ العَـدَدِ
يأبى لي السيفُ واللسانُ وقوْ ... مٌ لم يُضامُـوا كلِبْـدَة الأسَدِ

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء .

ومّما قاله حسان بن ثابت في شعثاء ، وغُنّي به قوله[2] : [من السريع]

مـا هاج حسّانَ رسومُ المُقامْ ... ومظعَنُ الحـيّ ومبنـى الخِيامْ
والنُّـؤيُ قـد هَـدَّم أعضادَهُ ... تقـادُمُ العَهْـد بـوادي تِهامْ
قـد أدرك الواشون مـا حاوَلُوا ... والحَبْلُ مـن شَعْثاء رَثٌّ رِمامْ[3]
جِنِّيَّـةٌ أرَّقنـي طَيْفُهـا ... يذهبُ صُبْحاً ويُرى في المنامْ[4]
هـل هـي إلاّ ظبيةٌ مُطْفِلٌ ... مألَفُها السِّدْر بنعفـيْ بَرامْ[5]
ترعـى غَزالاً فاتِـراً طَرْفُـه ... مُقاربَ الخَطْوِ ضعيف البُغامْ[6]
كأنَّ فاهـا ثَغـبٌ بـاردٌ ... في رَصَف تحتَ ظلالِ الغَمامْ[7]
شُجَّ بِصَهْبـاء لهـا سَوْرَةٌ ... من بيت راسٍ عُتِّقَتْ في الخِيامْ[8]
تـدبّ في الكأس دَبيباً كما . دبَّ دبًى وسْطَ رِفاقٍ هُيامْ[9]
مِـنْ خَمْـرِ بَيْسان تخيَّرتُها ... درْياقـةً توشِكُ فَتْـر العظامْ
يَسْعى بهـا أحمَـرُ ذُو بُرْنُسٍ ... مُخْتلَق الذِّفْرى شَدِيدُ الحِزامْ[10]

يقول فيها :

1 هذا البيت لم يرد في الديوان . والنفد : الفناء .
2 ديوان حسان : 106 .
3 الديوان : رث الرمام .
4 يذهب . . . ويرى في الديوان : « . . . تذهب . . . وترى » .
5 برام : جبل قرب المدينة . ونعفاه : جانباه .
6 الديوان : ترجي غزالاً . . .
7 الثغب : الغدير في ظلّ الجبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه . والرصف : الحجارة المتراصفة .
8 شبح في الديوان : شجت ، وشجت : مزجت . وبيت راس : قرية بالأردن .
9 الديوان : تدب في الجسم . والدبى : صغار النمل .
10 الذفرى : العظم الناتىء خلف الأذن .

قَوْمِي بنــو النّجّار إذْ أقبلَت ... شَهْباءُ تَرْمــي أُهلَهــا بالقَتامْ
لا تخذل الجارَ ولا تُسْلمُ الـــ ... ـمَوْلى ولا تُخْصَمُ يَوْمَ الخِصامْ[1]

الشعر لحسان ، والغناء لمعبد ، خفيف رمَل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في البيت الأول من الأبيات ، والرابع والتاسع والحادي عشر . وذكر الهشاميّ أنَّ فيه لحناً لابن سريج من الرمل بالوسطى .

وهذه الأبيات يقولها حسان في حربٍ كانت بينهم[2] وبين الأوس ، تُعْرَف بحرب مزاحم ، وهو حِصن من حصونهم .

[حرب بين الأوس والخزرج]

أُخبرني بخبره حِرْميّ عن الزُّبير ، عن عمّه مصعب ، قال : جمعت الأوس وحشدت بأُحلافها ، ورأَّسوا عليهم أبا قيس بن الأَسلت يومئذٍ ، فسار بهم حتى كان قريباً من مُزاحم . وبلغ ذلك الخزرج ، فخرجوا يومئذٍ وعليهم سَعْدُ بن عبادة ؛ وذلك أنَّ عبد الله بن أبيّ كان مريضاً أو متمارضاً ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقُتلت بينهم قتلى كثيرة ، وكان الطَّوْل[3] يومئذٍ للأوس ؛ فقال حسان في ذلك : [من السريع]

مــا هاج حسّانَ رسومُ المقامْ ... ومَطْعَنُ الحــيّ ومَبْنــى الخِيامْ

وذكر الأبيات كلّها .

أُخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن القاسم بن الحسن ، عن محمد بن سعد ، عن الواقديّ ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ ، قال : قال رجل من أهل المدينة : ما ذكر بيت حسان بن ثابت[4] : [من المنسرح]

أُهوى حَديثَ النُّدْمانِ في فَلَقِ الصُّبــ ... ـح وصَــوْتَ المُسامِــرِ الغَــرِدِ

إلاّ عُدْتُ في الفتوّة كما كنت . قال : وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها : [من المنسرح]

انظر خليلي بباب جلّق هــل ... تُؤنسُ دونَ البَلْقاء مِــنْ أُحَدِ

وقد رُوِي أيضاً في هذا الخبر غيرُ الروايتين اللتين ذكرتهما .

1 الديوان : «لا نخذل . . . ولا نسلم . . . ولا نخصم» .
2 أي بين الخزرج قوم حسان والأوس .
3 الطول : الفوز والغلبة .
4 ديوان حسان : 279 .

[ابنه يحتال لإبعاده عن مجلس أصحابه]

أخبرني بذلك حِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن وَهْب بن جرير ، عن جويريّة بن أسماء ، عن عبد الوهاب بن يحيى ، عن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن شيخ من قريش ، قال : إني وفتية من قريش عند قينةٍ من قِيان المدينة ، ومعنا عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت إذ استأذن حسان ، فكرِهْنا دخولَه ، وشقَّ ذلك علينا ؛ فقال لنا عبد الرحمن : أيسرُّكُمْ ألاّ يجلس ؟ قلنا : نعم . قال : فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغنّي : [من الكامل]

أولادُ جَفْنَــةَ عنــد قَبْرِ أَبيهمُ ... قَبْرِ ابْنِ مارِية الكريم المُفْضِلِ
يُغشَوْن حتى مـا تَهِرُّ كلابُهم ... لا يَسأَلُون عن السَّوادِ المقبلِ

قال : فوالله لقد بكى حتى ظننا أنّه سقطت نَفْسُه ، ثم قال : أفيكم الفاسق ! لعمري لقد كرهتم مجلسي سائرَ اليوم ، وقام فانصرف . والله تعالى أعلم .

نسبة هذا الصوت وسائر ما يغنّى فيه من القصيدة[1] التي هو منها .

صوت

[من الكامل]

أولادُ جَفْنَةَ عنـد قَبْرِ أبيهـمُ ... قبر ابْنِ مارِية الجوادِ المُفْضِلِ
يَسقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ ... كأساً تصفَّق بالرحيقِ السَّلْسَلِ

البريص : موضع بدمشق .

بِيضُ الوجـوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمّ الأُنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ
يُغْشَوْن حتى مـا تَهِرُّ كِلابُهم ... لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ

ذكر حبَش أن فيه لسيرين قينةِ حسّان بن ثابت لحناً ثقيلاً أوّل ابتداؤه نشيد ، وفيه لعريب ثقيل أوّل لا يشكّ فيه .

وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله : [من الكامل]

صوت

كِلتاهُما حَلَبُ العَصِير فعاطِني ... بزُجاجـةٍ أَرْخاهُمـا للمِفْصَلِ

---

1 ديوان حسان : 74 .

بِزُجاجةٍ رقصَتْ بما في قَعْرِها رَقْصَ القَلُوص براكبٍ مستعجلِ

غنّاه إبراهيم الموصليّ رمَلاً مطلقاً في مجرى الوسطى ، عن إسحاق وعمرو وغيرهما ، ويروى : «كلتاهما حَلبَ العصيرُ» ، بجعل الفعل للعصير . ويروى للمِفصَل ، بكسر الميم وفتح الصاد ، وللمَفْصِل ، بفتح الميم وكسر الصاد ، وهو اللسان .

أخبرنا بذلك عليّ بن سليمان الأخفش ، عن المبرد ، حكاية عن أصحابه ، عن الأصمعيّ .

رجع الحديث إلى أخبار عزّة الميلاء

[ناسك يستهتر بمغنّية]

قال إسحاق : حدَّثني مصعب الزُّبيريّ ، عن محمد بن عُبيد الله بن عبد الله بن أبي مُليكة ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : كان بالمدينة رجلٌ ناسك من أهل العِلم والفِقه ، وكان يَغشى عبد الله بن جعفر ، فسمِع جاريةً مغنّية لبعض النخّاسين تغنّي[1] : [من البسيط]

بانَتْ سُعادُ وأمسى حَبْلُها انقطَعا

فاستهتر بها وهامَ ، وترك ما كان عليه ، حتى مشى إليه عطاء وطاووس فلاماهُ ؛ فكان جوابُه لهما أنْ تمثَّل بقول الشاعر : [من البسيط]

يلُومني فيكِ أقوامٌ أُجالِسُهم فما أُبالي أطارَ اللَّوْمُ أمْ وَقَعا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبرُه ، فبعث إلى النخّاس ، فاعترض الجارية ، وسمع غناءها بهذا الصوت ، وقال لها : ممَّنْ أخَذْتِه ؟ قالت : من عزّة الميلاء . فابتاعَها بأربعين ألف درهم ، ثم بعث إلى الرجلِ فسأله عن خبَره ، فأعلمه إيّاه وصدقه عنه . فقال له : أتُحبُّ أنْ تسمعَ هذا الصوتَ ممَّن أخَذَتْه عنه تلك الجارية ؟ قال : نعم . فدعا بعزّة وقال لها : غَنّيه إيّاه ، فغنَّته ؛ فصُعِقَ الرجل ، وخرَّ مغشيّاً عليه . فقال ابن جعفر : أثِمْنا فيه ، الماء ، الماء ! فنضح على وجهه ، فلمّا أفاق قال له : أكلّ هذا بلغ بك عِشْقُها ؟ قال : وما خَفي عنك أكثر . قال : أفتحبُّ أنْ تسمعَه منها ؟ قال : قد رأيتَ ما نالني حين سمعتُه من غيرها ، وأنا لا أُحبُّها ، فكيف يكون حالي إن سمعتُه منها ، وأنا لا أقدر على مِلكها ! قال : أفتعرِفُها إن رأيْتها ؟ قال : أوَأعرف غيْرَها ! فأمر بها فأُخرجت ، وقال : خذها فهي لك ، والله ما نظرتُ إليها إلاّ عن عُرُض . فقبّل الرجل يَدَيه ورِجليه ، وقال : أنمْتَ عيني ، وأحييْتَ نَفسي ، وتركتني أعيشُ بين قومي ، ورددت إليّ عقلي ؛ ودعا له دعاءً كثيراً . فقال : ما أرضى أن أُعطيكها هكذا ، يا غلام احملْ معها مثل ثمنها لكيلا تهتمّ به ويهتمّ بها .

1 ديوان الأعشى: 105 وتمام البيت : «واحتلت الغور فالجدين فالفرعا» .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من البسيط]

بانت سعادُ وأُمسى حَبْلُها انقطعا   واحتلّت الغَوْر فالجدَّين فالفَرَعا
وأَنكرتْني ومـا كان الذي نَكِرَتْ   من الحوادثِ إلاَّ الشَّيبَ والصَّلَعا

عروضه من البسيط ، والشعر للأعشى ، أعشى بني قيس بن ثعلبة .

[الأصمعيّ ينحل الأعشى بيتاً]

وزعم الأصمعيّ أنّ البيت الثاني هو صَنَعه ونحله الأعشى .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمّه ، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمّه ، قال : ما نحلت أحداً من الشعراء شيئاً قطّ لم يَقُلْه إلاّ بيتاً واحداً نحلته الأعشى ، وهو : [من البسيط]

وأَنكرَتْني وما كان الذي نكرَتْ   من الحوادث إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا

الغناء لعزّة الميلاء ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ؛ وذكر عَمرو بن بانة أنّه لمعبد ، وأنكر إسحاق ذلك ودَفَعه ، وفيه للغريض ثقيل أوّل بالبنصر ، وقيل : إنّه لجميلة .

[عبد الله بن جعفر يطلب عدم منع عزة من الغناء]

قال إسحاق : وحدّثني ابنُ سلاّم ، عن ابن جعدبة ، قال : كان ابن أبي عتيق مُعجباً بعزّة الميلاء ، فأتى يوماً عند عبد الله بن جعفر ، فقال له : بأبي أنت وأُمّي ! هل لك في عزّة ، فقد اشتقْت إليها ! قال : لا ، أنا اليوم مشغول . فقال : بأبي أنتَ وأُمّي ! إنّها لا تنشط إلاّ بحضورك ، فأقسمتُ عليك إلاّ ساعدتَني وتركتَ شغلك ، ففعل . فأتياها ورسول الأمير على بابها يقول لها : دَعِي الغناء ، فقد ضجَّ أهلُ المدينة منك ، وذكروا أنّك قد فَتَنْتِ رجالهم ونساءهم . فقال له ابنُ جعفر : ارجع إلى صاحبك فقل له عنّي : أُقسم عليك إلاّ ناديتَ في المدينة : أيُّما رجل فسد أو امرأة فُتِنت بسبب عزّة إلاّ كشف نفسه بذلك لنَعرِفَه . ويظهَر لنا ولكَ أمْرُه . فنادى الرسول بذلك ، فما أظهر أحدٌ نفسه . ودخل ابن جعفر إليها وابن أبي عتيقٍ معه ، فقال لها : لا يهولنّك ما سمعتِ ، وهاتي فغنّينا ، فغنّته بشعر القُطاميّ[1] : [من البسيط]

إنّـا محيُّـوك فاسلَمْ أيُّها الطَّلَلُ   وإنْ بَلِيتَ ، وإن طالتْ بك الطِّيَلُ

---

1 مطلع قصيدة القطامي في جمهرة القرشي (المشوبات) . وفيها «وإن طالت بك الطول» أي العمر أو الغيبة .

فاهتزّ ابنُ أبي عَتيق طرَباً ، فقال عبدُالله بن جعفر : ما أراني أُدرك ركابك بعد أنْ سمعتَ هذا الصوت من عزّة .

وقد مضَتْ نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في مواضعَ أخر .

صوت[1]

[من الكامل]

مَنْ كان مسروراً بمَقْتَلِ مالكٍ   فليَأتِ نسوتَنـا بوَجْـهِ نَهارِ
يَجِــدِ النساءَ حواسراً يَنْدُبْنَهُ   قد قُمْنَ قبـل تبلُّج الأَسحارِ

عروضه من الكامل . قوله :

قـد قمن قبل تَبَلُّج الأسحار

يعني أنّهنَّ يَنْدُبْنَهُ في ذلك الوقت ؛ وإنّما خصَّه بالندبة لأنّه وقتُ الغارة . يقول : فهنَّ يذكُرْنَهُ حينئذٍ ؛ لأنّه كان من الأوقات التي ينهضُ فيها للحرب والغارات . قال الله تبارك وتعالى : ﴿فالمُغِيرات صُبْحا﴾ . وأمّا قول الخنساء[2] : [من الوافر]

يذكّرُني طلوعُ الشمسِ صَخْراً   وأذكرُه لكلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

فإنّما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة ، وعند غروبها للضيف .

الشعر للربيع بن زياد العبسيّ ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق . والله أعلم .

1 النقائض : 89 وأيام العرب في الجاهلية : 257 .

2 ديوان الخنساء (صادر) : 84 .

[354] ـ ذكر نسب الربيع بن زياد
[وحرب داحس والغبراء][1]

وبعض أخباره ، وقصة هذا الشعر ، والسبب الذي قُتل من أجله .

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هِدْم بن عُوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عبس بن بغيض بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار .

وأُمُّه فاطمة بنت الخُرشُب ، واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان ، وهي إحدى المنجبات ، كان يقال لبَنِيها الكَمَلة ، وهم : الرَّبيع ، وعُمارة ، وأنس .

ولّما سأل معاوية علماءَ العرب عن البيوتات والمنجبات ، وحظر عليهم أن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة ، وفي المنجِبات ثلاثاً ، عَدُّوا فاطمة بنت الخرشب فيمن عدُّوا ، وقبلها حُبَيَّة بنت رياح الغنويّة أُمّ الأَحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب ، وماويّة بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عَمرو بن تميم ، وهي أُمُّ لَقِيط وحاجب وعلقمة بني زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم .

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهْر المبرد ، قال : حدَّثني محمد بن موسى اليزيديّ ، قال : حدَّثني محمد بن صالح بن النطّاح ، واللفظ له ، وخَبَره أتمّ ، وأخبرني به أبو الحسن الأَسَديّ ، قال : حدَّثنا محمد بن صالح بن النطاح ، قال : ولدت فاطمةُ بنت الخُرْشب من زياد بن عبد الله العبسيّ سبعة ؛ فعدّت العرب المنجبين منهم ثلاثة ، وهم خِيارهم .

قال محمد بن موسى : قال محمد بن صالح : وحدَّثني موسى بن طلحة ، والوليد بن هشام القَحْذَمِيّ بمِثْلِ ذلك ، قال : فمنهم : الربيع ويقال له الكامل ، وعُمارة وهو الوهّاب ، وأنس وهو أُنس الفوارس وهو الواقعة ، وقيس وهو البرك ، والحارث وهو الحرُون ، ومالك وهو لاحق ، وعمرو وهو الدرّاك .

---

1 أخبار حرب داحس والغبراء في النقائض : 83 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 150 وما بعدها وسيرة ابن هشام 1 : 287–289 وأيام العرب في الجاهلية : 246 وما بعدها وكتب الأمثال .

[أم لا تدري أي بنيها أفضل]

قال محمد بن موسى : قال ابن النطّاح : وحدَّثني أبو عثمان العمريّ : أنّ عبد الله بن جُدعان لَقِيَ فاطمة بنت الخُرْشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها : نشدتك برَبّ هذه البَنِيّة ، أيُّ بنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ، ثكلْتُهم إن كنت أدري أيّهم أفضل .

قال ابن النطاح : وحدّثني أبو اليقظان سُحَيم بن حَفص العُجَيفيّ ، قال : حدَّثني أبو الخنساء ، قال : سُئلتْ فاطمةُ عن بَنيها أيُّهم أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عُمارة ، لا بل أنس ؛ لا بل قيس ، وعَيْشي ما أدري ، أما والله ما حملت واحداً منهم تُضْعاً ، ولا ولدته يَتْناً ، ولا أرضعتُه غَيْلاً ، ولا منعته قَيْلاً ، ولا أبتُّه على ماقَة .

قال أبو اليقظان : أما قولها ما حملتُ واحداً منهم تُضعاً ، فتقول : لم أحمله في دُبُر الطّهر وقبلْ الحيض . وقولها : ولا وَلَدْتُه يَتْناً ، وهو أن تخرج رِجلاه قبل رأسه . ولا أرضعته غَيلاً ، أي ما أرضعتُه قبل أن أحلُب ثَدْيي . ولا منعتُه قَيْلاً ، أي لم أمنعه اللبنَ عند القائلة . ولا ابتُّه على ماقة ، أي وهو يَبكي .

قال ابن النطاح : وحدَّثني أبو اليقظان ، قال : حدَّثني أبو صالح الأسديُّ قال : سُئلَت فاطمة بنت الخرشب عن بنيها ، فوصفَتهم ، وقالت في عُمارة : لا ينامُ ليلةَ يُخاف ، ولا يشبع ليلة يُضاف . وقالت في الربيع : لا تُعَدُّ مآثِرُه ولا تُخشى في الجهل بوادِره . وقالت في أنس : إذا عزم أمضى ، وإذا سُئل أرضى ، وإذا قَدَر أغضى . وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان .

[حكمته وبعد نظره]

وقال ابن النطاح : وحدّثني القحذميّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني ابن عيّاش ، عن رجلٍ من بني عبس ، قال : ضاف فاطمة ضيفٌ ، فطرحَتْ عليه شَمْلَةً من خزّ وهي مِسْكٌ كما هي ، فلمّا وجد رائحتها وأعتَم دنا منها ، فصاحت به ، فكفَّ عنها ؛ ثم إنّه تحرّك أيضاً فأرادها عن نفسها ، فصاحت ، فكفّ ، ثم إنّه لم يصبر فواثَبها فبطشَتْ به ، فإذا هي من أشدّ الناس ، فقبضت عليه ثم صاحت : يا قيس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادني عن نفسي ، فما ترى فيه ؟ فقال : أخِي أكبرُ منّي ، فعليكِ به ، فنادت : يا أنس ، فأتاها ، فقالت : إنّ هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه ؟ فقال لها : أخي أكبر منّي فسَليه ، فنادت : يا عُمارة ، فأتاها فذكرَتْ ذلك له ، فقال لها : السيف ، وأراد قتله ، فقالت له : يا بنيّ ، لو دعَوْنا أخاك فهو

أُكبَرُ منك ، فدعَت الربيع ، فذكرت ذلك له ، فقال : أفتطيعونني يا بَني زياد ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا تُزنّوا أُمَّكم ، ولا تقتلوا ضَيْفكم ، وخَلُّوه يذهب ، فذهب .

قال ابن النطاح : حدّثني هشام بن محمد قال : سمّيت فاطمة بنت الخرشب العرجاء ، ولم يكن بها عرج ، إنما هو لقب غلب عليها .

[مديح أبناء زياد]

قال ابن النطاح : وقال بعض الشعراء يمدح بني زياد من فاطمة ، يقال إنّه قيس بن زهير ، ويقال حاتم طيِّىء[1] : [من الوافر]

بنـو جِنِّيَّـةٍ ولـدَتْ سيوفاً ... قواطـعَ كلُّهم ذكـرٌ صَنِيعُ
وجارتُهـم حَصـانٌ لم تُزَنَّـى ... وطاعمـة الشتاء فمـا تجوعُ
شرى وُدِّي ومكرمتي جميعاً ... طَـوالَ زمانـه ووفى الربيعُ

وقال سلمة بن الخُرشب خالهم فيهم يخاطب قوماً منهم أرادوا حربه : [من الطويل]

أتيتُم إلينـا تَزْحفُـون جماعـةً ... فأَيْن أَبـو قيس وأَيـن ربيعُ !
وذاك ابنُ أختٍ زانه ثوبُ خاله ... وأعمامـه الأعمـام وهـو نَزيعُ
رَفيقٌ بـداءِ الحرب طَبٌّ بصَعْبها ... إذا شتَّ رأيُ القوم فهـو جَميعُ
عطوفٌ على المولى ثقيلٌ على العِدا ... أصمُّ عـن العَـوْراء وهـو سَمِيعُ

وقال رجل من طييء ، للربيع وعمارة : [من الوافر]

فإن تكـنِ الحوادثُ أَفْظَعَتْني ... فلـم أَرَ هالِكاً كابْنَيْ زِيادِ[2]
همـا رُمْحـان خَطِّيّانِ كانا ... مـن السُّمْر المثقَّفـة الجِيادِ
تهـاب الأرض أَنْ يَطأَ عليها ... بمثلهمـا تُسالـمُ أَو تُعادي

[أمّه تقتل نفسها خوف للعار]

وقال الأثرم : حدَّثني أبو عمرو الشيبانيّ ، قال : أَغار حَمَلُ بن بَدْر أُخو حذيفة بن بَدر الفَزاريّ على بني عَبْس ، فظفر بفاطمة بنت الخُرشب أُمِّ الربيع بن زياد وإخوته راكبةً على جَمَل لها ، فقادها بجمَلها ، فقالت له : أيْ رجل ، ضلّ حِلْمُك ! والله لئن أخذتني فصارت هذه الأَكمة بي وبك التي أمامنا وراءَنا لا يكون بينكَ وبين بني زياد صُلْح أبداً ؛ لأنّ الناس

---

1 الشعر في ديوان حاتم (صادر) : 67 .
2 أفظعتني في ل : أقصدتني .

يقولـون في هذه الحال ما شاءوه ، وحَسْبُكَ من شَرٍّ سَماعُه[1] . قال : فإنّي أذهب بك حتى ترعَيْ عليَّ إبلي . فلمّا أيقنَتْ أنّه ذاهبٌ بها رمَتْ بنفسها على رأسها من البعير ، فماتت خوفاً من أن يلحق بَنِيها عارٌ فيها .

[لبيد يوقع بينه وبين النُّعمان]

وحدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عَمِّي عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، قال[2] : وفد أبو بَراء مُلاعِب الأسنّة ، وهو عامِرُ بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وإخوته طُفيل ومعاوية وعبيدة ، ومعهم لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ، وهو غلام ، على النُّعمان بن المنذر ، فوجدوا عنده الربيعَ بن زياد العبسيّ ، وكان الربيع يُنادِم النُّعمانَ مع رجلٍ من أهل الشام تاجر ، يقال له : سرجون بن نوفل ، وكان حَرِيفاً للنُّعمان ، يعني سرجون ، يبايعه ، وكان أديباً حسنَ الحديث والمنادمة ، فاستخفَّه النُّعمان ، وكان إذا أراد أن يَخْلُو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسيّ ، متطبِّب كان له ، وإلى الربيع بن زياد ، وكان يُدْعى الكامِل .

فلمّا قدِم الجعفريّـون كانـوا يحضرون النُّعمانَ لحاجتهم ، فإذا خلا الربيع بالنُّعمان طعن فيهم ، وذكر معايِبَهم ، ففعل ذلك بهم مِراراً ؛ وكانت بنو جعفر له أعداء ، فصدَّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً فرأَوْا منه تغيُّراً وجفاءً ، وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويُقَرِّبُ مجلسهم ، فخرجوا من عنده غِضاباً ، ولَبيد في رحالهم يحفظ أمتِعتَهم ، ويغدو بإبلهم كلَّ صباح ، فيَرْعاها ، فإذا أمسى انصرف بإبلهم ، فأتاهم ذات ليلة فألْفاهم يتذاكرون أمْرَ الربيع ، وما يلْقَوْن منه ؛ فسألهم فكتموه ، فقال لهم : والله لا أحفظُ لكم متاعاً ، ولا أُسرِّح لكم بَعيراً أو تخبروني .

وكانت أُمُّ لبيد امرأةً من بني عَبْس ، وكانت يتيمة في حِجْرِ الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وصدَّ عَنّا وَجْهَه ، فقال لهم لبيد : هل تقدرون على أنْ تجمَعُوا بينه وبيني فأزجره عنكم بقولٍ مُمِضّ ، ثم لا يلتفت النعمان إليه بعده أبداً . فقالوا : وهل عندك من ذلك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنا نبلوك بشَتْم هذه البَقْلةِ ، لِبَقْلَةٍ قُدّامهم دقيقةِ القضبان قليلةِ الورق لاصقةٍ فروعها بالأرض ، تدعى التَّربة ، فقال : هذه التَّرِبَة التي لا تُذكي ناراً ،

---

1 المثل «حسبك من شر سماعه» في مجمع الميداني 1 : 194 وجمهرة العسكري 1 : 341 ومستقصى الزمخشري 2 : 62 وفصل المقال : 89 .

2 تقدم هذا الخبر في ترجمة لبيد 15 : 247 .

ولا تؤهل داراً ، ولا تسرُّ جاراً ، عودُها ضئيل ، وفَرْعُها كَلِيل ، وخَيْرُها قليل ، بلدُها شاسِعٌ ، ونَبْتُها خاشع ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها ضائع ، أقصر البقولِ فَرْعا ، وأخبثها مرعى ، وأشدّها قلعاً ، فَتَعْساً لها وجَدْعا ، الْقَوا بي أخا بني عَبس ، أرجعه عنكم بتعس ونَكْس ، وأتركه من أمره في لَبْس .

فقالوا : نصبح فنرى فيك رأْينا . فقال لهم عامر : انظروا غُلامَكم ؛ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، وإنّما يتكلّم بما جاء على لسانه ، ويَهْذي بما يهجس في خاطره ، وإذا رأيتُموه ساهراً فهو صاحِبُكم . فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب رَحْلاً ، فهو يكدُم بأوسطه حتى أصبح .

فلمّا أصبحوا قالوا : أنت واللهِ صاحبُنا ، فحلَقوا رأسَه ، وتركوا ذُؤابتين ، وألبسوه حُلَّةً ، ثم غَدَوا به معهم على النُّعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الربيع وهما يأكلان ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءةٌ من الوفود .

فلمّا فرغ من الغداء أُذِن للجعفريين فدخلوا عليه ، وقد كان تقارب أمرهم ، فذكروا للنُّعمان الذي قدموا له من حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام لبيد يرتجز ، ويقول[1] : [من الرجز]

يا رُبّ هَيْجا هي خَيرٌ من دَعَهْ ... أكُلَّ يوم هامَتِي مقَزَّعَهْ[2]
نحن بَنُو أُمِّ البنينَ الأربعهْ ... ومِنْ خيارِ عامرِ بْنِ صَعْصَعَهْ[3]
المطعمون الجَفْنَةَ المُدَعْدَعهْ ... والضاربون الهامَ تحت الخَيْضَعَهْ[4]
يا واهِبَ الخير الكثير مِنْ سَعهْ ... إليكَ جاوَزْنا بلاداً مُسْبِعَهْ
يخبر عن هذا خبيرٌ فاسْمَعَهْ ... مَهْلاً ـ أبيت اللَّعْنَ ـ لا تأْكُلْ مَعَهْ[5]
إنّ استَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ ... وإنّه يُدْخِلُ فيها إصبعَهْ
يُدْخِلُها حتى يُوارِي أَشْجَعَهْ ... كأنّما يطلب شيئاً أطمعَهْ[6]

1 ديوان لبيد : 340 .
2 القزع : تساقط الشعر وبقاء بعضه .
3 الديوان : ونحن خير . . .
4 المدعدعة : المملوءة . والخيضعة : البيضة التي يلبسها الفارس (الخوذة) .
5 يخبر في الديوان : يخبرك .
6 أطمعه في الديوان : ضيّعه .

فلمّا فرغ من إنشاده التفت النُّعمان إلى الربيع شزراً يرمقُه ، فقال : أَكَذا أَنت ؟ قال : لا ، والله ، لقد كذب عليَّ ابن الحَمق اللئيم . فقال النُّعمان : أُفّ لهذا الغلام ، لقد خبَّث عليّ طَعامي . فقال : أَبَيْتَ اللعن ، أَما إنّي لقد فعلت بأُمّه . فقال لبيد : أنت لهذا الكلام أَهل ، وهي من نساء غير فُعُل[1] ، وأنتَ المرءُ فَعَلَ هذا بيتيمة في حجره .

فأَمر النُّعمان ببني جعفر فأُخرجوا . وقام الربيع فانصرف إلى منزله ، فبعث إليه النُّعمان بضعف ما كان يَحْبُوه به ، وأَمره بالانصراف إلى أَهله .

وكتب إليه الربيع : إنّي قد تخوَّفتُ أَن يكون قد وَقَر في صدْرِك ما قاله لَبيد ، ولستُ برائمٍ حتى تبعث مَن يجرِّدُني فيعلم مَن حضرك من الناس أَنّي لستُ كما قال . فأَرسل إليه : إنّك لستَ صانعاً بانتفائك ممّا قال لبيد شيئاً ، ولا قادراً على ما زلّت به الألسن ، فالحقْ بأَهلك . فقال الربيع[2] : [من البسيط]

لئــن رحلتَ جِمــالي إنَّ لي سعــةً ... مــا مِثْلُهــا سَعَــة عَرْضاً ولا طُولا
بحَيْــثُ لــو وُزنــت لَخْمٌ بأَجمعها ... لم يَعْدِلُوا ريشة مــن رِيش سمويلا[3]
تَرْعــى الرَّوائمُ أَحــرارَ البقُولِ بها ... لا مِثْلَ رَعْيكــم مِلْحــاً وغَسْوِيلا[4]
فابــرُقْ بأرضك بعدي واخلُ متكئاً ... مــع النطاسيّ يومــاً وابن توفيلا

فكتب إليه النُّعمان :

شَرِّدْ برَحْلك عنّي حيثُ شئتَ ولا ... تكثِرْ عــليَّ ودَعْ عنــك الأَباطيلا
فقــد ذُكرتَ بــه والركبُ حامِلُه ... وِرْداً يُعلِّــل أَهــلَ الشام والنِّيــلا
فما انتِفاؤُك مِنْهُ بعــد مــا جزَعت ... هُــوجُ المطــيّ بــه إبْراقَ شِمْليلا
قــد قِيل ذلك إنْ حقّــاً وإنْ كذباً ... فما اعتذارُك مــن شيء إذا قِيلا[5]
فالحــقْ بحيث رأيتَ الأرضَ واسعــة ... وانشر بها الطَّرْفَ إنْ عرضاً وإن طولا

1 غير فعل : لا يفعلن المنكر .

2 البيتان الأولان من قول الربيع في الخزانة 4 : 12 مع اختلاف وأبيات النعمان فيها أيضاً 4 : 10 .

3 سمويل : طائر ، وقيل أرض كثيرة الطير .

4 غسويل : نبت ينبت في السباخ .

5 هذا المثل في فصل المقال : 90 و92 وفيه الأبيات وجمهرة العسكري 2 : 114 ومستقصى الزمخشري 2 : 191 .

وأمّا الشعر الذي فيه الغناء فإنّ الربيع بن زياد يقوله في مقتل مالك بن زهير . وكان قتْله في بعض تلك الوقائع التي يُعرفُ مبدؤها بداحِس والغَبْراء .

[حرب داحس والغبراء]

وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، قالا : حدَّثنا أبو سعيد السكريّ ، عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ ، عن أبي عبيدة ، وإبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، قال : كان من حديث داحِس أنَّ أُمَّهُ فرس كانت لقِرْواش بن عوف بن عاصم بن عُبيد بن ثعلبة بن يَرْبُوع يقال لها : جَلْوى ، وكان أبوه يسمّى ذا العُقَّال ، وكان لحَوْط بن أبي جابر بن أوس بن حِميريّ بن رياح ؛ وإنّما سُمِّي داحِساً لأنَّ بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نُجعة ، وكان ذو العُقَّال مع ابنَتَيْ حَوْط بن أبي جابر بن أوس تجنُبانه ، فمرَّتا به على جَلْوى فرس قرواش وديقا[1] ؛ فلمّا رآها الفرس وَدى وصَهَل ، فضحك شُبّان من الحيّ رأَوْه ، فاستحيت الفتاتان فأرسلتاه فنَزا على جَلْوى ، فوافق قبولها فأَقَصَّت[2] ، ثم أخذه لهما بعض الحيّ ، فلحق بهما حَوْط ، وكان رجلاً شريراً سيِّىء الخلُق ، فلمّا نظر إلى عين الفرس قال : والله لقد نَزا فرسي ؛ فأخبراني ما شأنه ، فأخبرتاه الخبر ، فقال : يا آل رياح ، لا والله لا أرضى أبداً حتى أُخرجَ ماءَ فرسي ، فقال له بنو ثعلبة : والله ما استكرهْنا فَرَسك ؛ إنّما كان مُنْفلِتاً ، فلم يزل الشرُّ بينهما حتى عَظُم .

فلمّا رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : دونكم ماء فرسكم ؛ فسطا عليها وأدخل يدَه في ماءٍ وتُراب ، ثم أدخلها في رَحِمها حتى ظنَّ أنّه قد أخرج الماء ، واشتملت الرحِمُ على ما كان فيها ، فنتَجها قِرْواش مُهْراً ، فسمّاه داحِساً لذلك ، وخرج كأنّه أبوه ذو العقّال . وفيه يقول جرير[3] : [من الكامل]

إنَّ الجيادَ يَبِتْنَ حَــوْلَ خِبائنا ... مِنْ آلِ أعــوجَ أو لذِي العُقَّالِ

وأعوجُ : فرس لبني هِلال .

---

1 وديق : الفرس التي تطلب الفحل .
2 أقصت : حملت .
3 ديوان جرير : 375 .

فلمّا تحرّك المُهْر سام[1] مع أُمّه وهو فِلْوٌ يَتْبَعُها ، وبنو ثعلبة سائرون ، فرآه حَوْط فأخذه ، فقالت بنو ثعلبة : يا بني رياح ، ألم تفعلوا فيه أوّل مرّة ما فعلتم ثم هذا الآن ! فقالوا : هو فَرَسُنا ، ولن نترككم أوْ نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا .

فلمّا رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : إذاً لا نقاتلكم عنه ، أنتم أعزُّ علينا هو فداؤكم ، ودَفعوه إليهم .

فلمّا رأى ذلك بنو رياح قالوا : والله لقد ظلمنا إخوتَنا مرّتين ، ولقد حَلُموا وكَرُموا ، فأرسلوا به إليهم مع لَقُوحَيْن .

فمكث عند قِرْواش ما شاءَ الله ، وخرج أجودَ خيولِ العرب .

ثم إنّ قيس بن زهير بن جذيمة العَبسيّ أغار على بني يربوع ، فلم يُصِب أحداً غير ابنتَي قِرْواش بن عوف ومائةٍ من الإبل لقِرواش ، وأصاب الحيَّ وهم خُلُوف ، ولم يشهد من رجالهم غَيْرَ غُلامين من بني أَزْنَم بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع . فجالا في مَتْنِ الفرس مُرْتَدِفَيْهِ[2] وهو مقيَّد بقَيْدٍ من حديد فأعجلَهُما القوم عن حلّ قَيْدِهِ ، واتّبعهما القومُ ، فضَبَرَ[3] بالغُلامَين ضَبْراً حتى نَجَوا به . ونادتْهُما إحْدى الجاريتين : إنّ مفتاحَ القَيد مدفون في مِذْوَد الفرس بمكان كذا وكذا ، أي بجَنْبِ مذود ؛ وهو مكان ، أي لا تَنْزِلا عنه إلاّ في ذلك المكان ، فسبقا إليه حتى أطلقاه ثم كرًّا راجِعَيْن .

فلمّا رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس ، فقال لهما : لكما حُكمُكما ، وادْفَعا إليّ الفرس . فقالا : أَوَ فاعلٌ أنتَ ؟ قال : نعم ، فاستَوْثَقا منه ، على أنْ يردّ ما أصاب من قليلٍ وكثير ، ثم يرجع عوْده على بدئه ، ويُطلِق الفتاتَين ، ويخلّي عن الإبل ، وينصرف عنهم راجعاً . ففعل ذلك قيس ، فدفعا إليه الفرس .

فلمّا رأى ذلك أصحابُ قيس قالوا : لا نصالحك أبداً ، أصبنا مائةً من الإبل وامرأتين ، فعمدتَ إلى غَنيمتنا فجعلتَها في فرسٍ لك تذهبُ به دوننا ؛ فعَظُم في ذلك الشرُّ حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائةٍ من الإبل .

فلمّا جاء قِرْواش قال للغُلامين الأزنميَّين : أَيْنَ فرسي ؟ فأخبراه ، فأبى أن يَرْضى إلاّ أن يُدفَع إليه فرسه ، فعظُمَ في ذلك الشرُّ حتى تنافروا فيه ، فقُضي بينهم أنْ تُرَدَّ الفتاتان والإبل إلى

1 سام : رعى .
2 مرتدفيه : راكب أحدهما خلف الآخر .
3 ضبر : وثب بجميع قوائمه .

قيس بن زهير ، ويُردَّ عليه الفرس . فلمّا رأى ذلك قِرْواش رضيَ بعد شرّ ، وانصرف قيس بن زهير ، ومعه داحس ، فمكث ما شاء الله .

وزعم بعضُهم أنَّ الرهان إنّما هاجَهُ بين قيس بن زهير وحُذَيفة بن بَدْر بن عمرو بن جُوَيَّه بن لَوْذان بن عديّ بن فَزارة بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار ، أنّ قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قَيْنَةٌ لحُذَيفة بن بدر تغنّيه بقول امرىء القيس[1] : [من الكامل]

دارٌ لهنـدٍ والرَّبـابِ وَفَرْتَنى ولِميسَ قَبْـل حَـوادِثِ الأيّامِ

وهنَّ ، فيما يُذْكَر ، نسوة من بني عبس ، فغضب قيس بن زهير ، وشقّ رداءها ، وشتمها ؛ فغضب حذيفة ، فبلغ ذلك قيساً ، فأتاه يسترضيه ، فوقف عليه ، فجعل يكلّمه وهو لا يعرفه من الغضب ، وعنده أفراسٌ له ، فعابها ، وقال : ما يرتبط مثلك مثلَ هذه يا أبا مُسْهِر ! فقال حذيفة : أتَعِيبها ؟ قال : نعم ، فتجاريا حتى تراهنا .

وقال بعض الرواة : إنّ الذي هاج الرِّهان أنَّ رجلاً من بني عبد الله بن غطفان ثم أحد بني جَوشن ، وهم أهل بيت شُؤْم ، أتى حذيفة زائراً ، (ويقال إنّ الذي أتاه الورد العبسيّ أبو عُرْوَة بن الورد) ، قال : فعرض عليه حذيفة خَيْلَه ، فقال : ما أرى فيها جواداً مُبِرّاً ، والمبرّ : الغالب ، قال ذو الرمّة[2] : [من الوافر]

أبـرّ على الخُصوم فليس خَصْمٌ ولا خصْمانِ يَغْلِبُـه جِـدالا

فقال له حذيفة : فعند مَن الجوادُ المُبِرّ ؟ فقال : عند قيس بن زهير فقال له : هل لك أن تراهنني عنه ؟ قال : نعم ، قد فعلت . فراهنَه على ذَكَر من خَيْله وأنثى .

ثم إنّ العبديّ أتى قيس بن زهير ، وقال : إنّي قد راهنْتُ عنك على فرسين من خيلك ذكر وأنثى وأوجبت الرِّهان .

فقال قيس : ما أُبالي مَن راهنْتَ عن حذيفة ، فقال : ما راهنت غيره ، فقال له قيس : إنّك ما علمتُ لأنكَدُ .

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة ، فوقف عليه ، فقال له : ما غَدا بِكَ ! قال : غدوْتُ لأُواضِعَك الرهان ، قال : بل غدوتَ لتُغلقه ، قال : ما أردت ذلك . فأبى حذيفة إلاّ الرِّهان ،

1 ديوانه : 162 .

2 ديوان ذي الرمة : 445 .

فقال قيس : أُخيِّرُكَ ثلاث خِلال ، فإن بدأْتَ فاخترت قبلي فلي خَلّتان ، ولك الأولى ، وإن بدأتُ فاخترتُ قَبْلك فلك خلّتان ولي الأُولى .

قال حذيفة : فابدأْ ، قال قيس : الغاية من مائة غَلْوة ، والغلوة : الرميةُ بالنُّشّابة ، قال حذيفة : فالمِضْمار أربعون ليلةً ، والمجرى : من ذات الإصاد .

ففعلا ووضعا السَّبَقَ[1] على يَديْ غَلاّق أو ابن غَلاّق ، أحد بني ثعلبة بن سَعْد بن ثعلبة .

فأمّا بنو عبس فزعموا أنّه أجْرى الخطّار والحَنفاء . وزعمت بنو فزارة أنّه أجرى قُرْزُلاً والحَنْفاء ، وأجرى قيس داحِساً والغبراء .

ويزعم بعضُهم أن الذي هاج الرهانَ أنَّ رجلاً من بني المعتمِر بن قُطَيْعة بن عَبْس يقال له سُراقة راهَنَ شابّاً من بني بَدْر ، وقيسٌ غائبٌ ، على أربع جزائر[2] من خمسين غَلوة ، فلمّا جاء قيس كرِهَ ذلك ، وقال له : لم ينته رهان قطّ إلاّ إلى شرّ . ثم أتى بني بَدْر ، فسألهم المُواضَعة ، فقالوا : لا ، حتى نعرف سبقَنا ؛ فإن أخذْنا فحقّنا ، وإنْ تركنا فحقّنا .

فغضب قيس ومَحَك[3] ، وقال : أما إذ فعلتم فأَعظِموا الخطر ، وأبعدوا الغاية ، قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغايةَ من واردات إلى ذاتِ الإصاد ، وذلك مائة غلوة ، والثَّنِيّة فيما بينهما ، وجعلوا القَصَبة في يَدَيْ رجل من بني ثعلبة بن سعد ، يقال له حُصين ، ويقال : رجل من بني العُشَراء من بني فزارة ، وهو ابْنُ أُختٍ لبني عبس ، وملأوا البركة ماء ، وجعلوا السابق أوّل الخيل يكرعُ فيها .

ثم إن حذيفة بن بَدْر وقيس بن زهير أَتيا المدى الذي أُرسِلْنَ منه ينظران إلى الخيل كيف خروجُها منه . فلمّا أُرسلت عارَضاها ، فقال حذيفة : خدعتُك يا قَيس ، قال : تَرَكَ الخداعَ من أَجْرى من مائة[4] ؛ فأرسلها مثلاً .

ثم ركضا ساعةً فجعلَتْ خيلُ حذيفةَ تُبرّ وخَيْل قيس تُقَصِّر ، فقال حذيفة : سبقتُكَ يا قيس ، فقال : جَرْيُ المُذَكِّيات غِلاب[5] ، فأرسلها مثلاً . ثم ركضا ساعة ، فقال حُذيفة ، إنّك

---

1 السبق : الرهان الذي يوضع بين أهل السباق .

2 جزائر : جمع جزور .

3 محك : لج .

4 المثل «ترك الخداع من أجرى من مائة» في مجمع الميداني 1 : 122 والفاخر : 220 وجمهرة العسكري 1 : 286 وفصل المقال : 154 ومستقصى الزمخشري 2 : 42 .

5 المثل «جري المذكيات غلاب» في مجمع الميداني 1 : 158 وجمهرة العسكري 1 : 299 وفصل المقال : 127 ومستقصى الزمخشري 2 : 51 .

لا تركض مَرْكضاً[1] ، فأرسلها مثلاً . وقال : سُبِقَتْ خيلك يا قيس ، فقال قيس : رُوَيداً يَعْلُونَ الجَدَد[2] ، فأرسلها مثلاً .

قال : وقد جعل بنو فَزارة كميناً بالثنيَّة ، فاستقبلوا داحِساً فعرفوه فأمسكوه وهو السابق ، ولم يعرفوا الغَبْراء وهي خَلْفه مُصَلِّية ، حتى مضت الخيل واستهلَّت من الثنيَّة ، ثم أرسلوه فتمطّر[3] في آثارها ؛ أي أسرع ، فجعل يَبْدُرُها فرساً فَرَساً حتى سبقها إلى الغاية مصلِّياً ، وقد طرح الخيل غيرَ الغَبْراء ، ولو تباعدت الغايةُ لسبقها ؛ فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ، ثم حلؤوها[4] عن البِركة ، ثم لطموا داحساً وقد جاءا مُتَوالِيَيْن . وكان الذي لطمه عُمَيْر بن نضلة ، فجسأت[5] يدُه ؛ فسُمِّي جاسئاً .

فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فَزارة عن سَبَقِهم ، ولطموا افراسَهم ، ولم تطقهم بنو عبس يقاتلونهم ، وإنّما كان مَنْ شهد ذلك من بني عبس أبياتاً غير كثيرة . فقال قيس بن زهير : يا قوم ، إنّه لا يأتي قومٌ إلى قومهم شرّاً من الظلم ، فأعطونا حقّنا . فأبت بنو فزارة أنْ يُعطوهم شيئاً ، وكان الخَطَر[6] عشرين من الإبل ، فقالت بنو عبس : أعطونا بعض سَبَقِنا ، فأبوا ، فقالوا : أعطونا جَزُوراً ننحرها نُطْعِمُها أهلَ الماء ؛ فإنّا نكره القالّة في العرب . فقال رجلٌ من بني فزارة : مائةُ جَزُور وجَزُور واحدٌ سواء ، والله ما كُنّا لنُقرّ لكم بالسبق علينا ، ولم نُسْبَق .

فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال : يا قوم ، إنَّ قيساً كان كارهاً لأوّل هذا الرهان ، وقد أحسن في آخره ، وإنَّ الظلم لا ينتهي إلاّ إلى الشر ؛ فأعطوه جَزوراً من نَعمكم ، فأبواه فقام إلى جَزور من إبله فعقلها ليُعْطيها قيساً ويُرضيه ، فقام ابنُه فقال : إنّك لكثير الخطأ ؛ أتريد أن تخالفَ قومَك وتلحِق بهم خَزايَةً بما ليس عليهم ؟ فأطلق الغلامُ عِقالَها ، فلحقت بالنَّعم . فلمّا رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومَنْ معه من بني عبس ، فأتى على ذلك ما شاءَ الله .

1 المثل «إنك لا تركض مركضاً» في مستقصى الزمخشري 1 : 416 والضبي : 193 .
2 المثل «رويداً يعلون الجدد» في مجمع الميداني 1 : 288 وجمهرة العسكري 1 : 472 وفصل المقال : 127 .
3 يتمطر : يسرع .
4 حلؤوها : منعوها .
5 جسأت : تصلبت .
6 الخطر : الرهان .

[قيس بن زهير يقتل عوف بن بدر]

ثم إنّ قيساً أُغار عليهم ، فلقي عَوْفَ بن بدر فقتله وأخذ إبله . فبلغ ذلك بني فزارة ، فهمُّوا بالقتال ، وغضبوا ، فحمل الربيع بن زياد أُحدُ بني عَوْذ بن غالب بن قُطيعة بن عبس دية عوف بن بدر مائة عُشَراء مُتْلية .

(العُشراء : التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من مَلْقَحِها . والمتالي : التي نَتَج بعضها والباقي يتلوها في النتاج) .

وأمُّ عوف وأُمّ حُذيفة ابنة نضلة بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة . واصطلح الناس ، فمكثوا ما شاء الله .

[حذيفة يدبر مقتل مالك بن زهير]

ثم إنّ مالك بن زهير أُتى امرأةً يقال لها : مُلَيْكةُ بنت حارثة من بني عَوْذ[1] بن فزارة ، فابتنى بها باللُّقاطة قريباً من الحاجر . فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فدسَّ له فرساناً على أفراس من مَسانٍّ خَيْله ، وقال : لا تُنْظِرُوا مالكاً إنْ وجدتموه أنْ تقتلوه ، والربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسيّ مجاورٌ حذيفةَ بن بَدر . وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر ، فانطلق القوم ، فلقوا مالِكاً فقتلوه ، ثم انصرفوا عنه ، فجاءوا عشيةً وقد جَهَدوا أفراسَهم ؛ فوقفوا على حُذَيفة ومعه الربيع بن زياد ، فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم ! قالوا : نعم ، وعقرناه .

فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قطّ ، أهلكتَ أفراسك من أُجل حمارٍ ! فقال حذيفة لمّا أُكثر عليه من الملامة ، وهو يحسبُ أنّ الذي أصابوا حماراً : إنّا لم نقتلْ حماراً ، ولكنّا قَتَلْنا مالكَ بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمرُ الله القتيل قتلت ، أمّا والله إنّي لأظنُّه سيبلغ ما نكره .

فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا ، فقام الربيع يَطَأُ الأرض وطأً شديداً ، وأُخذ يومئذٍ حَمَلُ بن بدر ذا النّون ، سيفَ مالك بن زهير .

[الربيع يرثي مالكاً]

قال أُبو عبيدة : فزعموا أُنَّ حذيفة لما قام الربيع بن زياد أُرسل إليه بمولّدة له[2] فقال لها : اذهبي إلى معاذة بنت بَدْر امرأة الربيع فانظري ما ترينَ الربيع يصنع . فانطلقت الجارية حتى

1 ل : غراب .

2 أي أمة مولدة .

دخلت البيت ، فاندسَّت بين الكِفاء والنَّضَد ، والكِفاء : شُقَّه في آخر البيت ، والنَّضَد : مَتاعٌ يُجعَلُ على حمار من خَشَب ، فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أُتى فرسه فقبض بمعرفته ، ثم مسح مَتنَه حتى قبض بعُكْوَة ذَنَبه ، العُكوة : أُصل الذنب ، ثم رجع إلى البيت ورُمْحُه مركوزٌ بفنائه ، فهزَّه هزاً شديداً ، ثم ركزه كما كان ، ثم قال لامرأته : اطرحي لي شيئاً ، فطرحَتْ له شيئاً ، فاضطجع عليه ، وكانت قد طَهُرَت تلك الليلة ، فَدَنَتْ منه ، فقال : إليك ! قد حدث أمرٌ ، ثم تغنّى ، وقال[1] : [من الكامل]

نـام الخَلِـيُّ ومـا أُغَمِّضُ حارِ ... مـن سيِّيء النَّبأ الجليلِ السَّاري
مِنْ مِثْلـه تُمسي النساءُ حواسِراً ... وتقـوم مُعْوِلـةٌ مـع الأَسحارِ
مَـنْ كان مسروراً بمَقْتَل مالكٍ ... فَلْيـأتِ نِسوتَنـا بوَجْـهِ نهارِ
يَجِـد النساءَ حواسراً يَنْدُبْنَـه ... يبكـين قبـل تبلُّج الأَسحارِ
قـد كُنَّ يَخْبَأْنَ الوُجوهَ تستُّراً ... فاليـوم حِـين بـدَوْن للنُّظّارِ[2]
يَخْمِشْنَ حُرَّات الوُجوهِ على امرىءٍ ... سَهْـلِ الخليقـة طيّـب الأخبارِ
أَفبَعْـدَ مَقْتَـل مالك بـن زهيرٍ ... تَرْجـو النساء عواقـبَ الأطهارِ
ما إنْ أرى في قتله لِذَوي الحِجا ... إلاّ المطـيّ تُشَدُّ بـالأَكْوارِ
ومجنَّباتٍ مـا يَذُقْـنَ عَذُوفـةً ... يَقْذِفْـنَ بالمُهَـرات والأَمْهارِ

العذوف والعدوف واحد ، وهو ما أكلته .

ومساعِراً صداُ الحديـدِ عليهـم ... فكأنّما طُلِـيَ الوجـوهُ بقارِ[3]
يـا رُبَّ مَسْرُورٍ بمَقْتَلِ مالـك ... ولسوف نصرِفُـه بشرٍّ مَحارِ[4]

فرجعت المرأة[5] فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال : هذا حين اجتمع أَمْرُ إخوتكم ، ووقعت الحرب .

[حذيفة يعمل على قتل الربيع]

وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذٍ جاره : سَيِّرني ، فإنّي جارُكم ، فسَيَّره ثلاث ليال ، ومع

---

1 الأبيات في النقائض : 89 .
2 بدون في ل : يبرزن .
3 مساعر : جمع مسعر ، وهو موقد نار الحرب .
4 المحار : المرجع .
5 ل : الأمة .

الربيع فَضْلَةٌ من خمر ، فلمّا سار الربيع دسَّ حُذيفة في أثره فوارس ، فقال : اتبعوه ، فإذا مَضَت ثلاث ليالٍ فإنَّ معه فَضْلَةً من خَمْر ، فإنْ وجدتموه قد أُهراقها فهو جادّ وقد مضى ، فانصرفوا ، وإنْ لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه ؛ فإنّكم تجدونه قد مال لأدْنى منزل ، فرتع وشرب فاقتلوه ، فتبعوه فوجدوه قد شقَّ الزِّقَّ ومضى ، فانصرفوا .

فلمّا أتى الربيع قومَه ، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شَحْناء ؛ وذلك أنَّ الربيعَ ساوَمَ قيس بن زهير في دِرْع كانت عنده ، فلمّا نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ، ثم ركض بها فلم يردَّها على قيس ، فعرض قيس لفاطمة ابنة الخُرْشب الأنمارية ، من أنمار بن بغيض ، وهي إحدى مُنْجِبات قيس ، وهي أمُّ الربيع ، وهي تَسيرُ في ظعائنَ من عبس ، فاقتاد جَمَلها ، يريد أن يَرْتَهِنها بالدِّرع حتى يُردَّ عليه ، فقالت : ما رأيتُ كاليوم فعْلَ رجل ! أي قيس ، ضلَّ حِلْمُك ! أترجو أنْ تصطلحَ أنتَ وبنو زياد وقد أخذت أمَّهم ! فذهبتَ بها يميناً وشمالاً ! فقال الناس في ذلك ما شاءوا ! وحَسْبُك من شرٍّ سماعه ، فأرسلتها مثلاً . فعرف قيس بن زهير ما قالت له ، فخلّى سبيلها ، وأطرد إبلاً لبني زياد ، فقدم بها مكّة ، فباعها من عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرّة القرشيّ ، وقال في ذلك قيس بن زهير[1] : [من الوافر]

أَلم يبلغك والأنباء تَنْمِي ... بما لاقَتْ لَبُونُ بني زِيادِ
ومَحْبِسُها على القرشيّ تُشْرى ... بأدراعٍ وأسيافٍ حِدادِ
كما لاقيتَ مِنْ حَمَلِ بن بَدْرٍ ... وإخوتهِ على ذات الإصادِ
هُمُ فَخَرُوا عليّ بغير فخرٍ ... وذادُوا دُونَ غايتهِ جَوادي
وكنتُ إذا مُنِيتُ بخَصْمِ سوء ... دلفْتُ له بداهيةٍ نآدِ[2]
بداهِيةٍ تدقّ الصُّلْبَ منه ... فتقصِمُ أو تجوبُ عن الفؤادِ
وكنتُ إذا أتاني الدَّهرَ رِبْقٌ ... بداهيةٍ شددتُ لها نِجادِي

الربق : ما يتقلّده .

أَلم تعلم بنو المِيقاب أنّي ... كريمٌ غير مُنْغَلِثِ الزِّنادِ

الوَقْبُ : الأَحمق ، والميقاب : التي تلد الحمقى ، والمنغلث : الذي ليس بمنتقى .

1 النقائض : 90–91 .
2 نآد : شديدة .

أُطوِّفُ مــا أُطوِّفُ ثــم آوِي — إلى جــارٍ كجــارِ أبي دُوادِ

جارُه : يعني ربيعة الخير بن قُرْط بن سلمة بن قشير ، وجار أبي دُواد يقال له : الحارث بن همّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وكان أبو دُواد في جواره ، فخرج صبيان الحيّ يلعبون في غَدير ، فغمس الصِّبْيان ابْنَ أبي دُواد فيه فقتلوه ، فخرج الحارث فقال : لا يبقى صبيّ في الحيّ إلاّ غُرِّق في الغَدير أو يرضى أبو دُواد ، فُودِيَ ابْنُ أبي دُواد عشر ديات فرضي ، وهو قول أبي دُواد : [من الخفيف]

إبلي الإبْــلُ لا يحوزهــا الرا — عُــون مَجَّ النّدى عليها المُدامُ

قال أبو سعيد : حفظي : لا يحوزها الراعي ومَجَّ الندى . [من الوافر]

إليــك ربيعةَ الخير بن قُــرْط — وَهُوبــاً للطَّريــف وللتِّلادِ
كفاني مــا أُخافُ أبو هــلال — ربيعةُ فانتَهَتْ عَنِّــي الأَعادي
تَظَــلُّ جيــادُه يحديــن حَوْلي — بذات الرِّمْث كالحِدإِ الغَوادي[1]
كأنّي إذ أُنختُ إلى ابْنِ قرط — عقلْتُ إلى يَلَمْلَــمَ أو نَضادِ[2]

وقال أيضاً قيس بن زهير[3] : [من المتقارب]

إن تــك حَرْبٌ فلــم أَجْنِها — جَنَتْهــا خيارُهــمُ أَوْ هُمُ[4]
حِــذارَ الرَّدى إذ رأَوا خَيْلَنا — مُقَدَّمُهــا سابــحٌ أَدْهَــمُ
عليــه كَمِــيٌّ وسِرْبالُــه — مُضاعفــة نسجُهــا مُحْكَــمُ
فإنْ شَمَّرَتْ لكَ عن ساقِها — فَوَيْهــاً ربيــعُ ولم يسأَمُوا
نَهيــتُ رَبيــعاً فلــم يَزْدَجِرْ — كما انزجــر الحارثُ الأَضْجَمُ

قال أبو عبد الله : الحارث الأضجم : رجل من بني ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار ، وهو صاحب المِرْباع .

قال : فكانت تلك الشَّحْناء بين بَني زياد وبين بني زُهير ، فكان قيس يخاف خذْلانهم إيّاه ، فزعموا أنَّ قيساً دَسَّ غلاماً له مولَّداً ، فقال : انطلق كأنّك تطلب إبلاً ؛ فإنّهم

1 يحدين في ل : يجرين .
2 يلملم ونضاد : جبلان .
3 النقائض : 92 .
4 خيارهم في ل : صبارتهم .

سيسألونَك ، فاذكر مَقْتَل مالك ، ثم احفظ ما يقولون . فأتاهم العبد ، فسمع الربيع يتغنَّى بقوله : [من الكامل]

أفبَعْـدَ مَقْتَلِ مالكِ بْـنِ زُهير ترجُو النساءُ عواقبَ الأطهارِ

فلمّا رجع العبدُ إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد ، عرف قيس أنْ قد غضب . فاجتمعت بنو عَبْس على قِتال بني فزارة ، فأرسلوا إليهم أن رُدّوا علينا إبلنا التي وَدَيْنا بها عَوفاً أخا حُذَيفة بن بَـدْر لأمّه ، فقال : لا أعطيكم دِيَةَ ابنِ أمّي ، وإنّما قتل صاحبَكم حَملُ بن بَـدْر ، وهو ابنُ الأسديّة ، وأنتم وهو أعلم .

فزعم بعض الناس أنّهم كانوا وَدَوْا عوف بن بدر بمائة من الإبل مُتْلِية ؛ أي قد دنا نتاجها ، وأنّه أتى على تلك الإبل أربعُ سنين ، وأنَّ حذيفة بن بدر أراد أن يَرُدَّها بأعيانها ، فقال له سنان بن خارجة المُرّيّ : أتريد أنْ تلحقَ بنا خَزاية فنعطيهم أكثَرَ ممّا أعطونا ، فتسبّنا العرب بذلك ؟ فأمسكها حذيفة ، وأبى بنو عبس أن يقبلوا إلاّ إبلهم بعينها . فمكث القوم ما شاءَ الله أنْ يمكثوا .

[مقتل مالك بن بدر]

ثم إنّ مالك بن بَدر خرج يطلب إبلاً له ، فمرّ على بني رَواحة ، فرماه جُندب[1] ، أحد بني رواحة ، بسهم فقتله ، فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك[2] : [من الطويل]

للهِ عَيْنا مَنْ رأى مِثْلَ مالك عَقيرةَ قَـوْمٍ أنْ جَرى فَرَسانِ
فليتهما لم يَشْرَبا قَـطُّ قطرةً وليتهمـا لم يُرْسلا لِـــرهانِ
أُحِلَّ به مِنْ جندب أمس نَذْره فـأيُّ قتيـلٍ كان في غطفانِ
إذا سجعَتْ بالرَّقْمتَيْن حَمامةٌ أو الرَّسِّ تَبْكِي فارسَ الكَتِفانِ

فَرس له كانت تسمَّى الكَتِفان .

[محاولة صلح بين عبس وذبيان]

ثم إنَّ الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زيد بن هِدْم بن أُدّ بن عَوْذ بن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس مشى في الصُّلح ، ورهَنَ بني ذبيان ثلاثةً من بَنِيه وأربعةً من بني أخيه حتى يصطلحوا ، جعلهم على يدي سُبَيع بن عمرو من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبيان . فمات سُبَيع وهم عنده .

1 النقائض : جنيدب .
2 النقائض : 93 .

فلمّا حضرته الوفاة قال لابنِه مالك بن سُبيع : إنَّ عندك مكرمة لا تَبيد إن أنْتَ احتفظتَ بهؤلاء الأُغَيْلِمَة ؛ وكأنّي بك لو قَدْ مُتُّ قد أتاكَ حُذيفة خالك ، وكانت أُمُّ مالك هذا ابنة بدر ، فعصر عينيه ، وقال : هلكَ سيِّدُنا ، ثم خدعَكَ عنهم حتى تدفَعهم إليه فيقتلهم ، فلا شرفَ بعدها ، فإن خِفْتَ ذلك فاذهبْ بهم إلى قومهم .

فلمّا ثقل جعل حذيفة يَبْكِي ويقول : هلك سيِّدُنا ، فوقع ذلك له في قلبِ مالك .

فلمّا هلك سُبَيع أَطاف بابنه مالك فأعظمه ، ثم قال له : يا مالِك ، إنِّي خالُك ، وإنِّي أَسَنُّ منك ، فادفَع إليّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أنْ ننظر في أمْرِنا . ولم يزل به حتى دفعهم إليّ حُذَيفة باليَعْمُريّة ، واليعمُريّة : ماءٌ بوادٍ من بطنِ نَخْل من الشَّرَبَّة لبني ثعلبة .

فلمّا دفع مالكٌ إلى حُذيفة الرُّهُن جعل كلّ يوم يُبْرِز غلاماً فينصبه غَرَضاً ويَرْمِي بالنَّبل ، ثم يقول : نادِ أباك ، فينادي أباه حتى يُمزِّقَه النبلُ ، ويقول لواقد بن جنيدب : نادِ أباك فجعل ينادي : يا عمّاه ، خلافاً عليهم ، ويكره أنْ يأبِس أباه بذلك ، والأبس : القَهْر والحَمْل على المكروه ، وقال لابن جُنَيْدب بن عمرو بن عبد الأسلع : ناد جنيبة ، وكان جُنَيبة لقب أبيه ، فجعل ينادي : يا عمْراه ، باسم أبيه حتى قُتل . وقُتل عتبة بن قيس بن زهير .

ثـم إنَّ بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرّة ، فالتقوا هم وبنو عَبْس ، فقتلوا منهم مالـكَ بن سبيع بن عَمرو الثعلبـيّ ، قتله مَروان[1] بن زِنْباع العَبْسيّ ، وعبد العزّى بن حُذار الثعلبيّ ، والحارثَ بن بَدْر الفزاريّ ، وهَرم بن ضمضم المُرّيّ ، قتله وَرْد بن حابس العبسيّ ، ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر ، فقالت ناجية[2] أخت هَرِم بن ضمضم المرّيّ[3] : [من الكامل]

يا لَهْفَ نفسي لهفـةَ المفجوعِ ... ألاّ أرى هَرِمـاً على مَوْدُوعِ
مِـنْ أَجل سيّدنا ومَصْرَعِ جَنْبه ... عَلِـقَ الفـؤاد بحنظلٍ مجدوعِ

مَوْدُوع : فرسه .

ثم إنّ حذيفة بن بَدْر جمع وتأهَّب ، واجتمع معه بنو ذُبيان بن بَغِيض فبلغ بني عَبْس أنّهم

1 النقائض : الحكم بن مروان .
2 ل : نائحة .
3 النقائض : 203 .

قد ساروا إليهم ، فقال قيس : أطيعوني ، فوالله لئن لم تفعلوا لأتّكِئنّ على سَيْفي حتى يخرج من ظَهْري ، قالوا : فإنّا نطيعك . فأمرهم فسرَّحوا السَّوام والضّعاف بِلَيلٍ وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا في الصُّبْح ، وأصبحوا على ظهر العقبة ، وقد مضى سوامُهم وضُعفاؤهم . فلمّا أصبحوا طلعت عليهم الخيلُ من الثنايا ، فقال قيس : خذوا غير طريقِ المالِ ؛ فإنّه لا حاجةَ للقوم أنْ يقعوا في شوكتكم ، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرّاً من ذهاب أموالكم . فأخذوا غير طريق المال .

فلمّا أدرك حذيفة الأثر ورآه قال : أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذَهابِ أموالهم ! فاتّبع المال .

وسارت ظعُن بني عَبس والمقاتِلَةُ من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلمّا أدركوه ردُّوه أوّله على آخره ، ولم يُفْلت منهم شيء ، وجعل الرجلُ يطردُ ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها . وتفرّقوا ، واشتدّ الحرّ ، فقال قيس بن زهير : يا قوم ، إنّ القوم قد فرَّق بينهم المَغْنَم ، فاعطفوا الخيلَ في آثارهم ، فلم تشعر بنو ذبيان إلاّ والخيل دوائس[1] ، فلم يقاتلهم كبيرُ أحد ، وجعل بنو ذبيان إنّما هِمَّةُ الرجل في غنيمته أن يحوزها ، ويمضي بها .

فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذُبيان البقيَّة ، ولم يكن لهم هَمٌّ غير حذيفة ، فارسلوا خَيْلهم مجتهدين في أثره ، وأرسلوا خيلاً تقصّ الناسَ ويسألونهم ، حتى سقط خَبَرُ حذيفة من الجانب الأيسر على شدّاد بن معاوية العبسيّ ، وعمرو بن ذُهل بن مرّة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيْعَة العبسيّ ، وعمرو بن الأسلع ، والحارث بن زهير ، وقِرواش بن هُنَيّ بن أُسَيِّد بن جذيمة ، وجُنَيدب .

وكان حذيفة قد استرخى حِزامُ فرسه ، فنزل عنه فوضع رِجْله على حَجَر مخافةَ أن يُقْتَصَّ أثره ، ثم شدّ الحزام فوقع صَدْرُ قدمِه على الأرض فعرفوه ، وعرفوا حنفَ فرسه ، والحَنَف : أن تُقبل إحدى اليدين على الأخرى ، وفي الناس أن تُقْبل إحدى الرجلين على الأخرى ، وأن يطأ الرجل وحشّيهما[2] ، وجَمع الأحنف حُنْف ، فاتبعوه ، ومضى حتى استغاث بجَفْر الهباءة وقد اشتدّ الحرّ ، فرمى بنفسه ، ومعه حَمَل بن بَدْر ، وحَنَش بن عمرو ، وورقاء بن بلال

---

1 دوائس : يتبع بعضها بعضاً .

2 الوحشي : الجانب الأيمن ، والأيسر : الإنسي .

وأخوه ، وهما من بني عديّ بن فزارة ، وقد نزعوا سرُوجَهم ، وطرحوا سلاحَهم ، ووقعوا في الماء ، وتمعّكَت[1] دوابُّهم ، وقد بعثوا رَبِيئةً فجعل يطَّلع فينظر ، فإذا لم يَرَ شيئاً رجع ، فنظر نظرةً فقال : إنّي قد رأيتُ شخصاً كالنّعامة أو كالطائر فوق القَتادَةِ من قبل مجيئنا . فقال حذيفة : هَنَّا وهَنَّا ، هذا شدّاد على جِرْوة ، وجِروة : فَرسُ شدّاد ، والمعنى دَعْ ذِكر شداد عن يمينك وعن شمالك ، واذكر غيره لمّا كان يخافُ من شدّاد .

فبينا هم يتكلّمون إذا هم بشدّاد بن معاوية واقفاً عليهم ، فحال بينهم وبين الخيل ، ثم جاء عمرو بن الأسلع ، ثم جاء قِرواش حتى تتامّوا خمسة . فحمل جُنَيدب على خيلهم فاطّردها ، وحملَ عمرو بن الأسلع ، فاقتحم هو وشدّاد عليهم في الجَفْر ، فقال حذيفة : يا بني عبس ؛ فأين العُقول والأحلام ! فضربه أخوه حَمَل بن بدر بين كتفَيْه ، وقال : اتَّقِ مأثور القولِ بعد اليوم[2] فأرسلها مثلاً .

وقَتَل قِرواش بن هُنَيّ حذيفة ، وقتل الحارث بن زهير حملَ بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير ، وكان حملٌ أخذه من مالك بن زهير يوم قتله ، فقال الحارث بن زهير في ذلك[3] : [من الوافر]

تركتُ على الهَباءَةِ غَيْرَ فخرٍ ... حُذيفةَ حولَه قِصَدُ العَوالي[4]
سيخبرُ قومه حَنَشُ بن عَمْرٍو ... إذا لاقاهُمُ وابْنا بِلالِ
ويُخبرهم مكانَ النُّون منّي ... وما أُعطيتُه عَرقَ الخِلالِ

العرق : المكافأة ، والخلال : المودّة ، يقول : لم يعطوني السَّيْفَ عن مكافأة ومودّة ، ولكنّي قتلت وأخذت .

فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سَعْد بن ذُبيان[5] : [من الوافر]

سيُخْبرك الحديثَ به خبيرٌ ... يُجاهِرك العداوةَ غَيْرَ آلي
بُداءتها لِقِرْواشٍ وعَمْرٍو ... وأَنْتَ تَجُولُ جَوْبُكَ في الشمالِ

الجوب : التُّرس ، يقول : بداءة الأَمر لقِرْواش وعَمْرو بن الأَسلع ، وهما اقتحما الجَفْر وقتلا

---

1 تمعكت الدواب : تمرغت في التراب .
2 المثل «اتّق مأثور القول بعد اليوم» في أمثال الضبي : 96 .
3 النقائض : 96 .
4 قصد العوالي : كسر الرماح .
5 النقائض : 96 .

مَن قَتلا ، وأنت تُرْسك في يَدِك يجولُ لم تغن شيئاً . ويقال : لك البداءة ولفلانٍ العَوْدة .

وقال قيس بن زهير[1] : [من الوافر]

تعلّم أنَّ خير الناس مَيْتٌ على جَفْر الهَباءةِ ما يَريمُ
ولولا ظُلْمه ما زلتُ أَبْكي عليه الدهرَ ما طلع النجومُ
ولكنَّ الفتى حَمَلَ بن بدر بَغى ، والبَغْيُ مَرْتَعُه وَخيمُ[2]
أظنُّ الحلم دلَّ عليّ قومي وقد يُستجهَلُ الرجلُ الحليمُ
فلا تَغْشَ المظالم لن تراه يُمتَّعُ بالغنى الرجلُ الظَّلُومُ
ولا تَعْجَلْ بأمرِك واستَدِمْه فما صلَّى عصاك كمستديمِ[3]
أُلاقي مِنْ رجالٍ مُنْكَراتٍ فأُنكرها وما أَنا بالغَشُومِ
ولا يُعْيِيك عُرْقُوبٌ بلأْيٍ إذا لم يعطك النِّصْفَ الخصيمُ
ومارَسْتُ الرجالَ ومارسُوني فمعوجٌّ عليَّ ومُسْتَقيمُ

قوله : فما صلَّى عصاك كمستديم ، يقول : عليك بالتأنّي والرفق ، وإيّاك والعجلة ؛ فإنّ العَجُول لا يُبْرم أَمراً أَبداً ، كما أنَّ الذي يثقّف العُودَ إذا لم يُجِد تصليته على النار لم يستقم له .

وقال في ذلك شدّاد بن معاوية العبسيّ[4] : [من الوافر]

مَنْ يَكُ سائلاً عنّي فإنّي وجِروةَ لا نَرودُ ولا نُعارُ
مُقَرَّبَة النّساء ولا تراها أمام الحيّ يتبعُها المِهارُ
لها في الصيف آصِرَةٌ وَجُلٌّ وسِتٌّ من كرائمها غِزارُ

آصرة : حشيش ، وسِت : أي ستّ أَينق تُسْقى لبنها . [من الوافر]

أَلا أَبلغ بني العُشَراء عنّي علانيةً وما يُغْني السِّرارُ
قتلتُ سراتكمْ وحَسلْتُ منكم حَسيلاً مثلَ ما حُسِلَ الوِبارُ[5]

---

1 النقائض : 96 .

2 المثل «الظلم مرتعه وخيم» في مجمع الميداني 1 : 444 . وجمهرة العسكري 2 : 28 ومستقصى الزمخشري 1 : 330 .

3 في هذا البيت والذي بعده إقواء . والمثل «ما صلى عصاك كمستديم» في مجمع الميداني 2 : 287 .

4 النقائض : 97 وتنسب هذه الأبيات إلى عنترة .

5 الحسيل : الأرذال والسفلة . الوبار : دويبة على قدر السنور من حيوانات الصحراء .

حُسالةُ الناس وحُفالتهم ورعاعهم وخَمَّانهم وشَرَطُهم وحُثالتهم وخشارتهم وغُثاؤهم واحد ؛ وهم السِّفلة . يقول : قتلت سَراتكم وجعلتكم بعدهم حسالة ، كما خُلقت الوِبار حُسالةً .

وكان ذلك اليوم يوم ذي حُساً ، ويزعم بعضُ بني فزارة أنَّ حذيفة كان أصاب يومئذٍ فيمن أصاب من بني عَبْس تُماضر ابنة الشريد السُّلَمِيَّة أمّ قيس فقتلها ، وكانت في المال ، وقال[1] : [من الوافر]

ولم أقتلكُمُ سِرّاً ولكن علانيةً وقد سطع الغُبارُ

صوت[2]

[من البسيط]

جاء البريدُ بقِرطاسٍ يخبّ به فأوجس القلبُ من قرطاسِهِ فَزَعا
قلنا : لك الويلُ ، ماذا في صحيفتكم ؟ قال : الخليفة أمسى مُثبَتاً وجَعا[3]

عروضه من الكامل[4] . الشعر ليزيد بن معاوية ، والغناء لابن محرز ، هزج بالوسطى عن عمرو .

وهذا الشعرُ يقوله يزيد في علّةِ أبيه التي مات فيها ، وكان يزيد يومئذٍ غازياً غزاة الصائفة .

1 قائل البيت في النقائض (97) هو شداد بن معاوية العبسي .
2 شعر يزيد : 25 .
3 مثبتاً : لا حراك به من المرض .
4 بل من البسيط .

355 ـ [خبر ليزيد بن معاوية][1]

[يزيد يقود الصائفة]

أخبرني عليّ بن سلمان الأخفش ، قال : حدَّثني السكريّ والمبرّد ، عن دماذ أبي غسان ، واسمه رَفيع بن سلمة ، عن أبي عبيدة : أنّ معاويةَ وجَّه جيشاً إلى بلد الروم ليَغزو الصائفة ، فأصابهم جُدَريٌّ فمات أكثرُ المسلمين[2] ، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بِدَير مُرّان مع زوجته أمّ كلثوم ، فبلغه خبرهم ، فقال[3] : [من البسيط]

إذا ارتفقتُ على الأنماط مصطبِحاً ... بدَيْـر مُـرّانَ عنـدي أُمُّ كُلْثوم
فمـا أُبالي بمـا لاقَتْ جنودُهمُ ... بالغَذْقَذُونَة مِـنْ حُمَّى ومن مُوم

فبلغ شعرُه أباه ، فقال : أُجل ، والله ليلحقنّ بهم فليصيبنَّه ما أَصابهم .

[يضرب باب القسطنطينية]

فخرج حتى لحق بهم ، وغَزا حتى بلغ القسطنطينية ، فنظر إلى قبَّتين مبنيَّتين عليهما ثيابُ الديباج ، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفعَ من إحداهما أصواتُ الدّفوف والطبول والمزامير ، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأُخرى . فسأل يزيد عنهما فقيل له : هذه بنتُ ملك الروم ، وتلك بنت جَبَلة بن الأيهم ، وكلٌّ واحدة منهما تُظهرُ السرور بما تفعله عشيرتها . فقال : أَما والله لأَسُرَّنَّـها ، ثمّ صفَّ العسكر ، وحمل حتى هُزِم الرُّوم ، فأحجرهم في المدينة ، وضرب بابَ القسطنطينية بعَمود حديد كان في يده ، فهشّمه حتى انخرق ، فضُرِب عليه لوحٌ من ذهب ، فهو عليه إلى اليوم .

نسختُ من كتاب محمد بن موسى اليزيديّ : حدَّثني العبّاس بن ميمون طايع ، قال : حدَّثني ابن عائشة ، عن أبيه ، وحدَّثني القَحْذَميّ : أنَّ ميسون بنت بَحْدَل الكلبيّة كانت تزيِّن يزيدَ بن معاوية ، وتُرَجِّل جُمَّتَه ، قال : فإذا نظر إليه معاوية قال : [من الطويل]

1 ترجمة يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الثاني في جميع كتب التاريخ التي تتحدث عن هذه الفترة : الطبري ، ابن الأثير ، البدء والتاريخ ، اليعقوبي ، المسعودي وكثير غيرها . وفي زمنه وقعت معركة الحرة وقتل الحسين بن علي مما أكثر الوضع عليه . وله مجموع شعر صنعه صلاح الدين المنجد غير أنه من الصعب تمييز ما قاله ممّا نسب إليه .

2 ل : الناس .

3 شعر يزيد : 30 . والبيتان في معجم البلدان : غذقذونة ، ودير مران .

فإنْ مـات لم تُفلح مزينةُ بَعْدَه ... فَنُوطي عليه يا مزين التَّمائما[1]

[يزيد وعنبسة في حضرة معاوية وهو يحتضر]

فلمّا احتُضر معاوية حضره يزيد بن معاوية ، وعَنْبَسة بن أبي سفيان ، فبكى يزيد إلى عنبسة ، وقال : [من المنسرح]

لو فات شيء يُرى لفات أبو ... حيّـان لا عاجـزٌ ولا وَكَلُ
الحُـوَّلُ القلّب الأريـب ولن ... يَدْفـعَ زَوْءَ المنيـةِ الحِيَـلُ[2]

فسمعهما معاوية بعد أن ردّدهما مِراراً ، فقال : يا بنيّ ، إنَّ أخوفَ ما أخاف على نفسي شيء صنعته قبل ذلك ؛ إنّي كنتُ أُوَضّيء رسولَ الله ﷺ ، فكساني قميصاً ، وأخذتُ من شَعره ، فإذا أنا متُّ فكفنّي في قميصه ، واجعل الشَّعْرَ في منخري وأُذني وفمي ، وخَلّ بيني وبين ربِّي ، لعلّ ذلك ينفَعُني شيئاً .

قال العبّاس بن ميمون : فقلت للقَحْذَميّ : هذا غَلَط ، والدليلُ على ذلك أنَّ أبا عدنان حدَّثني ، وها هو حيّ فاسأله ، عن الهيثَم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، عن الشعبيّ : أنَّ معاوية مات ويزيد بالصائفة ، فأتاه البريدُ بنَعْيه ، فأنشأ يقول[3] : [من البسيط]

جـاء البريـدُ بقرطاسٍ يخبُّ بـه ... فأوجس القلبُ مـن قرطاسه فَزَعا
قلنا : لك الويلُ ، ماذا في صحيفتكم ؟ ... قـال : الخليفـةُ أمسى مُثْبَتاً وَجَعا
مادَتْ بنا الأرضُ أو كادت تَميدُ بنا ... كأنَّ مـا عـزَّ مـن أركانها انقلعا
مَـنْ لم تَزَلْ نَفْسُه تُوفِي على وَجلٍ ... تُوشكْ مقاديرُ تلك النفس أنْ تقعا[4]
لمـا وَردتُ وبـابُ القَصْرِ منطبِقٌ ... لصوت رَمْلة هُـدَّ القلب فانصدعا[5]

[الضحاك بن قيس يتولّى غسل معاوية ودفنه]

وكان الذي تولّى غَسْله ودَفْنَه الضحاك بن قيس ، فخطب الناس ، فقال : إنَّ ابنَ هند قد تُوفِّيَ ، وهذه أكفانُه على المِنبر ، ونحن مُدْرِجُوه فيها ، ومخلُّون بينه وبين ربّه ، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة . ولو كان يزيد حاضراً لم يكن للضحاك ولا غيره أنْ يفعلَ من هذا شيئاً .

1 نوطي : علقي .
2 زوء في ل : صرف .
3 شعر يزيد : 25 .
4 وجل في ل : شرف .
5 منطبق في ل : مصطفق .

قال العبّاس : فسكت القحذميّ ، وما ردّ[1] عليّ شيئاً .

[رثاء معاوية]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بَكّار ، قال : حدَّثني عمّي ، عن جدّي ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، قال : صَلَّى بنا عبدُ الله بن الزُّبير يوماً ، ثم انفتل من الصلاة ، فنَشَج ، وكان قد نُعي له معاوية ، ثم قال : رحم الله معاوية إنْ كنّا لنخدعه فيتخادع لنا ، وما ابن أنثى بأكرم منه ، وإن كنّا لنعرفه يتفارق لنا ، وما الليثُ المِحْرَبُ بأجرأ منه ؛ كان والله كما قال بطحاء العُذْرِيّ : [من المتقارب]

رَكُوبُ المنابـر وثّابها مِعَـنٌ بخُطبتـه يَجْهَرُ[2]
تَرِيع إليه عيونُ الكلام إذا حَصِر الهـذِر المِهْمَرُ[3]

كان والله كما قالت رقيقة ، أو قال : بنت رقيقة : [من الهزج]

ألا ابكيـه ألا ابكيـه ألا كلّ الفتـى فيـه

والله لوُدّي أنّه بقي بقاء أبي قُبيس ، لا يتخوّن له عقل ، ولا تنقض له قوّة .

قال : فعرفنا أنَّ الرجلَ قد استوحش .

[ابن عباس يرثي معاوية أيضاً]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مهرويه ، قال : حدَّثنا ابن أبي سعد ، قال : قال محمد بن إسحاق المُسيّبيّ : حدَّثني جماعة من أصحابنا : أنّ ابنَ عبّاس أتاه نَعْيُ معاوية وولاية يزيد ، وهو يعشّي أصحابه ويأكل معهم ، وقد رفع إلى فيه لقمةً ، فألقاها وأطرق هُنيهة ثم قال : [من الكامل]

جَبلٌ تَدَكْدَكَ ، ثم مال بِجُمْعِهِ في البحر واشتملت عليه الأبحرُ

لله درُّ ابنِ هند ! ما كان أجمل وجهه ، وأكرم خلقه ، وأعظم حِلْمه .

فقطع عليه الكلام رجلٌ من أصحابه ، وقال : أتقول هذا فيه ؟ فقال : ويحك ! إنّك لا تدري مَن مضى عنك ، ومَن بقي عليك ، وستعلم . ثم قطع الكلام .

1 ل : أنكر .
2 يهجرُ في ل : مجهر . والمعن : الذي يتكلّم فيما يعرض له .
3 حصر الهذِر في ل : هزل الخطل . والمهمر : الكثير الكلام ، الهذار .

صوت

[من المتقارب]

إذا زينـــبٌ زارهـــا أَهلُها حَشَدتُ وأَكرَمْتُ زوّارَها
وإن هـــي زارتهـــمُ زُرتُهم وإن لم أَجد لي هَوًى دارها
فسَلْمِي لمن سالَمتْ زينب وحَرْبي لمَـــن أَشعلت نارَها
وما زلتُ أُرعى لها عَهْدَها ولم أَتَّبِـــع ساعــة عـــارَها[1]

عروضه من المتقارب . الشعر لشريح القاضي في زوجته زينب بنت حُدَير التميميّة ، والغناء لعَمرو بن بانة ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عنه على مذهب إسحاق . وذكر إسحاق في كتاب الأغاني المنسوب إليه أنّه لابن محرز .

---

1 أَتبّع في ل : ابتغ .

[356] ـ ذكر شريح ونسبه وخبره[1]

[نسبه]

هو فيما أخبرني به الحسن بن عليّ الخفّاف ، قال : حدَّثنا الحارث[2] بن أبي أُسامة ، قال : حدَّثنا أبو سعيد ، عن هشام بن السائب . وأخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني عليّ بن عبد الله بن معاوية بن مَيسرة بن شُريح ، كلاهما اتّفق في الرواية لنسبه : أنّه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكنديّ . قال هشام في خبره خاصة : وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم ، وسائرهم من هَجر وحضرموت .

وقد اختلف الرواةُ بعد هذا في نسبه ؛ فقال بعضهم : شريح بن هانيء ، وهذا غلط ، ذاك شريح بن هانيء الحارثيّ ، واعتلّ مَن قال هذا بخبرٍ رُوِي عن مجالد ، عن الشَّعبيّ ، أنّه قرأ كتاباً من عُمَر إلى شريح : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانيء . وقد يجوز أن يكونَ كتب عُمر رضي الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانيء الحارثيّ ، وقرأه الشعبيّ ، وكلا هذين الرجلين معروف ، والفَرْقُ بينهما النسب والقضاء ؛ فإن شُريح بن هانيء لم يَقض ، وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب عليه السلام . وقيل : شريح بن عبد الله ، وشريح بن شراحيل ، والصحيح ابن الحارث . والله أعلَمُ به .

وقد أخبرنا وكيع ، قال : حدَّثنا أحمد بن عمر بن بكير ، قال : حدَّثني أبي عن الهيثم بن عديّ ، عن أبي ليلى : أنّ خاتم شريح كان نَقْشه شريح بن الحارث . وقيل : إنّه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سَيْف بن ذي يَزَن ، وعِداده في كندة ، وقد روي عنه شبيه بذلك .

أخبرنا وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد الحنفيّ ، قال : حدَّثنا عبدان ، قال : حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدَّثنا سفيان الثوريّ ، عن ابن أبي السَّفَر ، عن الشعبيّ ، قال : جاء أعرابيّ إلى شريح ، فقال : ممَّنْ أنتَ ؟ قال : أنا من الذين أنعم الله عليهم ، وعدادي في كندة .

---

1 ترجمة القاضي شريح في وفيات الأعيان 2 : 460–463 وفي طبقات ابن سعد 6 : 131 وحلية الأولياء 4 : 172 والمعارف : 433 وتذكرة الحفاظ : 59 والعقد 1 : 81–91 .

2 ل : الحسن .

قال وكيع : وقال أبو حسان ، عن أيّوب بن جابر ، عن أبي حصين ، قال : كان شريح إذا قيل له ممّن أنت ؟ قال : مِمَّنْ أنعم الله عليه بالإسلام ، عَدِيد كندة .

قال وكيع : وقيل إنّما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق ؛ لأنَّ أُمَّه تزوّجت بعد أبيه فاستحيا من ذلك .

وقد اختلف أيضاً في سنّهم ؛ فقيل : مائة وعشرون سنة ، وقيل : مائة وعشر ، وقيل : أقلّ من ذلك وأكثر .

فممّن ذكر أنّه عُمِّر مائة وعشرين سنة أشعثُ بن سوّار ، روى ذلك يحيى بن معين ، عن المحاربيّ ، عن أشعث ، وأبو سعيد الجعفيّ ، روى ذلك عنه أبو إبراهيم الزهريّ . وممّن قال أقلّ من ذلك أبو نعيم .

أخبرنا الحسن بن عليّ ، عن الحارث ، عن ابن سعد ، عن أبي نعيم ، قال : بلغ شريح مائة وثماني سنين .

[سنة وفاته]

قال الحارث : وأخبرني ابن سَعْد ، عن الواقديّ ، عن أبي سبرة ، عن عيسى ، عن الشعبيّ ، قال : توفّي شريح في سنة ثمانين ، أو تسع وسبعين .

قال أبو سعيد : وقال إبراهيم : في سنة ستّ وسبعين . وقال أبو إبراهيم الزّهريّ ، عن أبي سعيد الجعفيّ : إنَّ شريحاً مات في زمن عبد الملك بن مروان .

أخبرني وكيع ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن سهل ، عن الأصمعيّ ، قال : وُلد لشريح وهو ابنُ مائة سنة .

وروى إسماعيل بن أبان الورّاق ، عن عليّ بن صالح ، قال : قيل لشريح : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحتُ ابنَ ستٍّ ومائة ، قضيْتُ[1] منها ستّين سنة .

[عمر يستقضيه]

وأخبرني وكيع بخَبر عمر حين استقضاه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن أيّوب ، قال : حدَّثنا رَوْح بن عبادة ، قال : حدَّثنا شعبة ، قال : سمعتُ سيّاراً قال : سمعتُ الشعبيّ يقول : إنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أخذ من رجل فرساً على سَوْم ، فحمل عليه رجلاً ، فعطب الفَرس ، فقال عمر : اجعَلْ بيني وبينك رجلاً ، فقال له الرجل : اجعل

1 قضيت : عملت بالقضاء .

بيني وبينك شريحاً العراقيّ . فقال : يا أمير المؤمنين ، أخذتَه صحيحاً سليماً على سَوْم ، فعليكَ أن تردَّه كما أخذتَه . قال : فأعجبه ما قال ، وبعث به قاضياً ، ثم قال : «ما وجدتَه في كتاب الله فلا تسأَلْ عنه أحداً ، وما لم تستَبِنْ في كتاب الله فالزم السنَّة ، فإن لم يكن في السنّة ، فاجتهد رأيك» .

أخبرني وكيع ، قال : أخبرني عبد الله بن الحسن ، عن النُّميريّ ، عن حاتم بن قبيصة المهلّبيّ ، عن شيخ من كنانة ، قال : قال عمر لشريح ، حين استقضاه : «لا تُشارَّ ولا تُضارَّ ، ولا تشترِ ولا تبع» . فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين : [من الرجز]

إنّ القُضـاة إن أرادوا عَـدْلاً ... وفَصلوا بـين الخصوم فَصْلا
وزَحْزَحوا بالحكم منهم جهلاً ... كانوا كمثل الغيث صابَ مَحْلا

وله أخبار في قضايا كثيرة يطولُ ذكرها ، وفيها ما لا يستغنى عن ذِكْره ، منها محاكمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إليه في الدّرع .

[يقضي بين علي وبين يهوديّ]

حدَّثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أخت داهِر بن نوح بالأهواز ، قال : حدَّثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجليّ ، قال : حدَّثني حكيمُ بن حزام ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيميّ ، قال : عَرَف عليٌّ صلوات الله عليه درْعاً مع يهوديّ ، فقال : يا يهوديّ ، دِرْعي سقطَتْ منّي يوم كذا وكذا ، فقال اليهوديّ : ما أدري ما تقولُ ! دِرْعي وفي يَدِي ، بيني وبينك قاضي المسلمين .

فانطلقا إلى شريح ، فلمّا رآه شريح قام له عن مَجْلِسه ، فقال له عليّ : اجلس . فجلس شريح ، ثم قال : إنَّ خصمي لو كان مسلماً لجلستُ معه بين يديك ، ولكنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لا تساوُوهم في المجلس ، ولا تعودُوا مَرْضاهم ، ولا تشيّعوا جنائزهم ، واضطرُّوهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبُّوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم . ثم قال : دِرْعي ، عَرَفْتُها مع هذا اليهوديّ .

فقال شريح لليهوديّ : ما تقولُ ؟ قال : دِرْعي وفي يدي .

قال شريح : صدقْتَ واللهِ يا أمير المؤمنين ، إنّها لِدِرْعُك كما قلتَ ، ولكن لا بدَّ من شاهد ؛ فدعا قَنْبَراً فشهِدَ له ، ودَعا الحسن بن عليّ ، فشهد له ، فقال : أمّا شهادة مولاك فقد قبلتُها ، وأمّا شهادة ابنك لك فلا . فقال عليّ : سمعْتُ عمرَ بن الخطّاب يقول : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول إنّ الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنّة . قال :

اللهمّ نعم ، قال : أفَلا تُجيز شهادةَ أحَدِ سيِّدَي شباب أهل الجنّة ! واللهِ لتخرجنّ إلى بانِقيا فلتقضينَّ بين أهلها أربعين يوماً . ثم سلَّم الدّرْعَ إلى اليهوديّ .

فقال اليهوديُّ : أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه ، فقضى عليه ، فرضي به ، صدقْتَ إنّها لَدِرْعُك ، سقطَت منكَ يوم كذا وكذا عن جمَل أوْرَق فالتَقَطْتُها ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله . فقال عليٌّ عليه السلام : هذه الدِّرْعُ لك ، وهذه الفرسُ لك ، وفرض له في تسعمائة ، فلم يزَلْ معه حتى قُتِل يوم صِفِّين .

[357] ـ خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إيّاها

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدَّثنا أبو همّام الوليد بن شجاع ، قال : حدَّثنا ابن أبي زائدة ، وأبو محمد رجل ثقة ، قال : حدَّثنا مُجالد ، عن الشعبيّ ، قال[1] : قال لي شُريح : يا شعبيّ ، عليكم بنساء بني تميم فإنهنَّ النساء ، قال : قلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفتُ من جنازةٍ ذاتَ يوم مُظْهِراً ، فمررتُ بدُور بني تميم ، فإذا امرأةٌ جالسةٌ في سقيفةٍ على وِسادة وتجاهها جاريةٌ رُؤْد ، يعني التي قد بلغت ، ولها ذُؤابة على ظَهْرها جالسة على وِسادة ، فاستسقيت ، فقالت لي : أيّ الشراب أعجبُ إليك : النبيذ ، أم اللبن ، أم الماء ؟ قلت : أي ذلك يَتَيَسَّر عليكم ، قالت : اسقُوا الرجلَ لبناً ؛ فإني إخاله غريباً[2] .

[يخطب زينب بنت حدير]

فلمّا شربْتُ نظرْتُ إلى الجارية فأعجبتني ، فقلت : مَنْ هذه ؟ قالت : ابنتي ، قلت : وممَّن ؟ قالت : زينب بنت حُدَير ، إحدى نساء بني تميم ، ثم إحدى نساء بني حنظلة ، ثم إحدى نساء بني طُهيّة . قلت : أفارِغَةٌ أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة ، قلت : أتزوِّجينيها ؟ قالت : نعم إن كنْتَ كَفِيّاً ، ولها عمٌّ فاقصده .

فانصرفت فامتنعت من القائلة ، فأرسلتُ إلى إخواني القرّاء الأشراف : مسروق بن الأجدع ، والمسيّب بن نَجَبَة ، وسليمان بن صُرد الخزاعيّ ، وخالد بن عُرْفُطة العُذْريّ ، وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة ، وأبي بردة بن أبي موسى ، فوافيتُ معهم صلاةَ العصر ، فإذا عمُّها جالس ، فقال : أبا أُميّة ، حاجتك ؟ قلت : إليك ، قال : وما هي ؟ قلت : ذُكرت لي بنتُ أخيك زينب بنت حُدير ، قال : ما بها عنك رغبة ، ولا بك عنها مَقْصر ، وإنّك لَنُهْزَة .

فتكلّمت فحمدت الله جلّ ذكره ، وصلَّيْتُ على النبيّ ﷺ ، وذكرتُ حاجتي ، فردّ الرجل عليّ وزوّجني ، وبارك القومُ لي ، ثم نهضنا .

1 أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر : 9 : 201–203 .
2 ل : عربيّاً .

فما بلغت منزلي حتى ندمْتُ ، فقلت : تزوّجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها ، ثم قلت : أجمعها إليّ ، فإن رأيتُ ما أُحبُّ وإلاّ طلّقتُها .

فأقمْتُ أيّاماً ، ثم أقبل نساؤها يهادينها ، فلمّا أُجلست في البيت أخذت بناصيتها فبركت ، وأخلي لي البيت ، فقلت : يا هذه ، إنَّ من السنة إذا دخلت المرأةُ على الرجل أنْ يصلِّيَ ركعتين وتصلّي ركعتين ، ويسألا اللهَ خير ليلتهما ، ويتعوَّذا بالله مِنْ شرّها . فقمتُ أُصلّي ثم التفتّ ، فإذا هي خَلْفي فصلّيت ، ثم التفتّ فإذا هي على فراشها ، فمددتُ يدي ، فقالت لي : على رِسْلِك ، فقلت : إحدى الدواهي مُنيتُ بها ، فقالت : إنّ الحمد للهِ أحمده وأستعينه إنّي امرأة غريبة ، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشدّ عليّ منه ، وأنتَ رجل غريب لا أعرِف أخلاقَك ، فحدِّثني بما تحبُّ فآتيه ، وما تكره فأنزجر عنه . فقلت : الحمد لله وصلّى الله على محمد ، قدمتِ خَيْرَ مقدم ، قدمتِ على أهل دارٍ زَوْجُك سيّد رجالهم ، وأنْتِ سيّدةُ نسائهم ، أُحبُّ كذا وأكرهُ كذا .

قالت : أخبرني عن أختانك[1] أتحبُّ أن يَزوروك ؟ فقلت : إني رجل قاضٍ ، وما أُحبُّ أن تملّوني .

قال : فبتّ بأنعم ليلة ، وأقمتُ عندها ثلاثاً ، ثم خرجْتُ إلى مجلس القضاء ، فكنت لا أرى يوماً إلاّ هو أفضل من الذي قبله ، حتى إذا كان عند رأس الحَوْل دخلْتُ منزلي ، فإذا عجوز تأمر وتَنْهى ، قلت : يا زينب ، مَنْ هذه ؟ فقالت : أُمّي فلانة . قلت : حيّاك الله بالسلام ، قالت : أبا أُميّة كيف أنتَ وحالك ؟ قلت : بخير أحمد الله ، قالت : أبا أُميّة ؛ كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة ، قالت : إنَّ المرأةَ لا ترى في حال أسوأ خُلقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ؛ فإنْ رابَك منها رَيْب فالسَّوْط ؛ فإنَّ الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرّاً من الوَرْهاء[2] المتدلّلة .

قلت : أشهد أنّها ابنتُك ، قد كفيتنا الرياضة ، وأحسنْتِ الأدب .

قال : فكانت في كلّ حوْل تأتينا فتذكر هذا ، ثم تنصرف .

[يعالج زينب من لسعة عقرب]

قال شريح : فما غضبتُ عليها قطّ إلاّ مرّةً كنتُ لها ظالماً فيها ؛ وذاك أنّي كنتُ أمام قومي فسمعتُ الإقامة ، وقد ركعت ركعتَي الفجر ، فأبصرت عقرباً ، فعجلتُ عن قتلها ، فأكفأت

1 أختان الرجل : أصهاره .

2 الورهاء : الحمقاء .

عليها الإناء ، فلمّا كنت عند الباب قلت : يا زينب لا تحرّكي الإناء حتى أجيء ، فعجلَتْ فحرَّكت الإناء فضربتها العقرب ، فجئت فإذا هي تَلَوّى . فقلت : ما لك ؟ قالت : لسعتني العقرب . فلو رأيتني يا شعبيّ وأنا أعركُ أصبعها بالماء والملح ، وأقرأ عليها المعوّذتين وفاتحة الكتاب .

وكان لي يا شعبيّ جارٌ يقال له مَيْسرة بن عُرَيْر من الحيّ ، فكان لا يزال يضرب امرأته ، فقلت : [من الطويل]

رأيتُ رجالاً يضربون نساءَهم فشَلَّت يميني يوم أَضْرِبُ زينبا

يا شعبيّ ، فوددتُ أنّي قاسمتها عَيْشي .

وممّا يغنّى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب : [من الطويل]

صوت

رأيتُ رِجالاً يضربُون نساءَهم فشَلَّت يَميني يَومَ أَضرِبُ زَيْنَبا
أأضربها في غير جُرمٍ أتَتْ بـه إليّ ، فما عذري إذا كنْتُ مذنبا !
فتاة تزينُ الحَلْيَ إن هي حُلِّيتْ كأن بفيها المسكَ خالط مَحلبا[1]

والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مُجَنَّس .

صوت

[من الطويل]

أمِنْ رسم دارٍ مربعٌ ومصيفُ لعينك من ماء الشؤون وَكِيفُ
تذكرتُ فيها الجَهْلَ حتى تبادَرَتْ دُموعي وأصحابي عليّ وقوفُ

عروضه من مصرّع الطويل . الشعر للحطيئة من قصيدة يمدحُ بها سعيد بن العاص لما وَلِي الكوفةَ لعثمان . والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عَمرو .

1 محلب : من معانيها العسل .

[358] ـ أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص[1]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه ، قال : لَقِيَني إياس بن الحطيئة ، فقال لي : يا أبا عثمان ، مات أبي ، وفي كِسْر بيته عشرون ألفاً أعطاه إيّاه أبوك ، وقال فيه خمس قصائد ، فذهب والله ما أعطيتمونا وبَقِيَ ما أعطيناكم ، فقلت : صدقت والله .

[مدح سعيد بن العاص]

قال أبو زيد : فممّا قال فيه قوله[2] : [من الطويل]

أمِنْ رَسْمِ دارٍ مربَعٌ ومَصيفُ ... لعينك من ماء الشؤون وَكِيفُ

إليك سعيدَ الخير جُبْتُ مهامِهاً ... يقابلني آلٌ بها وتُنُوفُ[3]

ولولا أصيلُ اللُّبّ غضٌّ شبابه ... كريم لأيّام المنون عَرُوفُ[4]

إذا همّ بالأعداء لم يَثْنِ همَّه ... كعابٌ عليها لؤلؤ وشُنُوفُ[5]

حَصانٌ لها في البيت زِيٌّ وبهجة ... ومَشْيٌ كما تمشي القَطاة قَطُوفُ[6]

ولو شاء وارى الشمس منْ دونِ وَجْهه ... حِجابٌ ومطويُّ السراةِ منيفُ[7]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ ، عن خالد بن سعيد بن العاص ، عن أبيه ، قال : كان سعيد بن العاص في المدينة زمنَ معاوية ، وكان يعشّي الناس ، فإذا فرغ من العشاء قال الآذِنُ : أجيزوا إلاّ مَنْ كان من أهل سَمَره . قال : فدخل الحطيئة فتعشّى مع الناس ، ثم أقبل فقال الآذِنُ : أجيزوا ، حتى انتهى إلى الحطيئة ، فقال : أجز ، فأبى ، فأعاد عليه فأبى ، فلمّا رأى سعيد إباءه قال : دَعْه ؛ وأخذ في الشِّعْر والحطيئة مُطْرِقٌ لا ينطق ، فقال

1 تقدمت ترجمة الحطيئة في الأغاني 2 : 101 .
2 ديوانه (صادر) : 81–83 .
3 تنوف : جمع تنوفة : وهي المفازة .
4 أصيل اللب : ثابت اللب . والعروف : الصبور على نوائب الأيام .
5 الشنوف : جمع شُنف وهو القرط .
6 الحَصان : العفيفة . والقطوف : المتقارب الخطو .
7 مطوي السراة : مدمج الأعلى .

الحطيئة : والله ما أَصَبْتُم جيِّدَ الشعر ، ولا شاعر الشعراء .

[أفضل الشعراء]

قال سعيد : مَنْ أَشعر العرب يا هذا ؟ فقال : الذي يقول : [من الخفيف]

لا أعـدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن فَقْـدُ مَـنْ قـد رُزِئته الإعدامُ
مِنْ رجـالٍ من الأقاربِ بانُوا من جُذامٍ هم الرؤوس الكرامُ
سُلِّط المـوتُ والمنون عليهم فلهم في صُوى المقابـر هامُ[1]
وكـذاكُمْ سبيل كلِّ أُنـاس سوف حقّـاً تُبْليهـمُ الأَيّامُ

قال : ويحك ! مَن يقول هذا الشعر ؟ قال أبو دُواد الإياديّ ، قال : أَوَ تَرْوِيه ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنيه ، فأنشده الشعرَ كلّه ، قال : ومَنِ الثاني ؟ قال : الذي يقول[2] : [من السريع]

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغ بالضـ ـعف وقد يُخـدع الأَريـبُ

قال : ومَنْ يقول هذا ؟ قال : عَبيد ، قال : أَوترويه ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنيه ، فأنشده ، ثم قال له : ثُمّ مَنْ ؟ قال : والله لَحَسْبك بي عند رَهْبَةٍ أو رَغْبَة ، إذا وضعْتُ إحدى رجليّ على الأُخرى ، ثم رفعتُ عَقِيرتي بالشِّعر ، ثم عوَيْت على أثر القوافي عُواءَ الفصيل الصادر عن الماء .

قال : ومَنْ أَنْتَ ؟ قال : الحطيئة ، قال : ويحك ! قد علمتَ تشوُّقنا إلى مجلسك ، وأَنت تكتُمنا نفسك منذ الليلة ! قال : نعم ، لمكان هذين الكلبين عندك ، وكان عنده كعب بن جعيل ، وأَخوه . وكان عنده سويد بن مشنوء النَّهْدِيّ ، حليف بني عديّ بن جناب الكلبيّين ، فأَنشده الحطيئة قوله[3] : [من الوافر]

أَلستَ بجاعِـلي كابنَـيْ جُعَيْلٍ هداكَ الله أَو كابْنَـيْ جَنابِ[4]
أَدبُّ فـلا أُقـدِّرُ أَنْ تـراني ودونك بالمدينة أَلـفُ بابِ[5]
وأُحْبَسُ بالعـراء المحْـلِ بيتي ودونك عازِبٌ ضخم الذبابِ[6]

---

1 صوى في ل : صدى .
2 ديوان عبيد (صادر) : 26 .
3 ديوانه : 86 .
4 بنو جعيل من تغلب وبنو جناب من كلب .
5 الديوان : أدب وراء نقدة أن تراني ، ونقدة : مكان .
6 ضخم الذباب في الديوان : صخب الذباب .

العازب : الكَلأُ الذي لم يُرْعَ ، وقد التفَّ نَبْتُه .

فقال له سعيد : لعمر الله لأنتَ أشْعَرُ عندي منهم ، فأنشدني ، فأنشده[1] : [من الطويل]

سَعِيدٌ وما يفعلْ سَعِيدٌ فإنّه نجيبٌ فَلاهُ في الرِّباطِ نَجيبُ[2]
سَعِيدٌ فلا يغررك قِلَّة لحمه تخدَّدَ عنه اللحمُ فهو صَلِيبُ

ويروى : خفّة لحمه .

إذا غاب عنّا غاب عنّا رَبِيعُنا ونُسقى الغمامَ الغرَّ حينَ يَؤُوبُ
فنعم الفتى تَعْشُو إلى ضَوْءِ ناره إذا الريحُ هبّت والمكانُ جَدِيبُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم عاد فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

أَمِنْ رسم دارٍ مربع ومَصِيف

يقول فيها : [من الطويل]

إذا همّ بالأعداء لم يثن عَزْمَه كعابٌ عليها لؤلؤٌ وشُنُوفُ

فأعطاه عشرة آلاف أُخرى .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد ، وزاد فيه : فانتهى الشُّرَط إلى الحطيئة فرأوه أعرابيّاً قبيح الوَجه ، كَبِيرَ السنّ ، سيِّيء الحال ، رثّ الهيئة ، فأرادوا أنْ يقيموه ، فأبى أنْ يقومَ ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دَعُوا الرجل . وباقي الخبر مثله .

قال أبو عبيدة في هذا الخبر : وأخبرني رجلٌ من بني كنانة ، قال : أقبل الحطيئةُ في رَكْب من بني عَبْس ، حتى قَدِم المدينةَ ، فأقام مدَّة ، ثم قال له مَنْ في رفقته : إنا قد أرذينا[3] وأخلينا ، فلو تقدَّمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فقَرانا وحمَلَنا . فأتى خالد بن سعيد بن العاص ، فسأله فاعتذر إليه ، وقال : ما عندي شيء فلم يُعِدْ عليه الكلام ، وخرج من عنده . فارتاب به خالد ، فبعث يسأل عنه ، فأُخبر أنّه الحطيئة ، فردّه . فأقبل الحطيئة ، فقعد لا يتكلّم ، فأراد خالد أنْ يستفتحه الكلامَ ، فقال : مَنْ أَشعَرُ الناس ؟ فقال : الذي يقول[4] : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 87 .

2 فلاه : رباه . والرباط : مرابطة الخيل .

3 أرذينا : هزلت دوابنا من السفر .

4 البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته . وانظر الشعر والشعراء : 666 .

ومَنْ يجعل المعروفَ مِنْ دونِ عِرْضه يَفِـرْه ومَـنْ لا يَتَّـقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

فقال خالد لبعض جلسائه : هذه بعضُ عقاربه ، وأمر له بكسوة وحملان ، فخرج بذلك من عنده .

صوت

[من الخفيف]

حبَّـذا لَيْلَتـي بِتَـلّ بَوَنَّى حين نُسْقى شرابَنا ونُغَنَّى[1]

إذْ رأَيْنـا جَوارِيـاً عَطِراتٍ وغنـاءً وقَرْقَفـاً فنزلنـا[2]

مـا لهـم لا يُبارِكُ اللهُ فيهم إذ يسالون : ويحنا مـا فَعَلْنا !

عروضه الضرب الأوّل من الخفيف . الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة ، والغناء لحنين ، رمَل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 تل بونّى : من قرى الكوفة .

2 القرقف : الخمر التي ترعد شاربها .

[359] ـ أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه[1]

[نسبه]

هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر الفَزاريّ ، وقد مضى هذا النسب في أخبار عُوَيف القَوافي ، وقد مضت أخباره ، وذِكْر هذا البيت من فزارة وشرفُه فيها وسائر قصصه هناك .

[تزوّج الحجّاج أخته وولاّه أصبهان ثم حبسه]

وكان الحجّاج بن يوسف وَلّى مالك بن أسماء بعد أنْ تزوّج أُخْتَه هنداً بأصفهان ، بعد حَبْسٍ طويلٍ في خيانةٍ ظهرت عليه ، ثم خلاّه بعد ذلك ، وطالت أيّامُه بأصفهان ، فظهرت عليه خيانةٌ أُخرى ، فحبسه وناله بكلّ مَكْرُوه .

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى ، قال : حدَّثني هشام بن محمد الهلاليّ ، قال : اختلف الحجّاج وهند بنتُ أسماء زوجته في وقعة بنات قَيْن ، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة ، فأخرجه من السجن ، وكان محبوساً بمالٍ عليه للحجّاج ؛ فسأله عن الحديث فحدَّثه به ، ثم أقبل على هند فقال : قُومي إلى أخيك ، فقالت : لا أقومُ إليه ، وأنتَ ساخطٌ عليه . فأقبل الحجّاج عليه ، فقال : إنّكَ واللهِ ما علمتُ لِلخائنُ أمانتَه ، اللئيم حَسَبُه ، الزاني فَرْجُه ، فقال : إنْ أذِنَ لي الأمير تكلّمت . قال : قل ، قال : أما قول الأمير الزاني فَرْجُه ، فوالله لأنا أحقَر عند الله عزّ وجلّ وأصغر في عَيْن الأمير من أن يجبَ لله عليَّ حدّ فلا يُقيمه ؛ وأمّا قوله : اللئيمُ حَسَبُه ، فوالله لو علِم الأمير مكانَ رجل أشرف منّي لم يُصاهِرْني ؛ وأمّا قوله : إنّي خؤون ، فلقد ائتمنني فوفَّرت ، فأخذني بما أخذَني به ، فبعْتُ ما كان وراء ظَهْري ، ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديتُ بها من مِثْلِ هذا الكلام .

قال : فنهض الحجّاج ، وقال : شأنكِ يا هنْدُ بأخيك .

قال مالك بن أسماء : فوثبَتْ هِنْد إليّ فأكبَّتْ عليّ ، ودعَتْ بالجواري ، ونزَعْنَ عنّي حَدِيدي ، وأمرَتْ بي إلى الحمّام ، وكستْني ، وانصرفت .

1 ترجمة مالك بن أسماء في الشعر والشعراء : 666–667 ومعجم المرزباني : 266 والسمط : 150 .

فلبثتُ أيّاماً ، ثم دخلت على الحجّاج وبين يديه عهودٌ ، وفيها عَهْدي على أصفهان . قال : خُذْ هذا العَهْد ، وامْضِ إلى عملك ، فأخذتُه ونهضت . قال : وهي ولايته التي عزله عنها ، وبلغ به ما بلغ من الشرّ .

قال أبو زَيْد : ويقال إنّه كان في الحَبْسِ في الدفعة الثانية مضيَّقاً عليه في كلّ أحواله ، حتى كان يُشاب[1] له الماء الذي كان يشربُه بالرماد والمِلْح . فاشتاق الحجّاج إلى حديثه يوماً ، فأرسل إليه ، فأُحضر ، فبينا هو يحدّثُه إذ استسقى ماءً فأُتِيَ به ، فلمّا نظر إليه الحجّاج قال : لا ، هاتِ ماءَ السجن ، فأُتِي به وقد خُلِط بالملح والرماد ، فَسُقِيَه .

قال : ويقال إنّه هرب من الحبس ، فلم يزل مُتَوارياً حتى مات الحجّاج .

قال : وكتب إليه بعضُ أهله أن يمضي إلى الشام فيستجيرَ ببعضِ بني أُميّة حتى يأمَن ، ثم يعود إلى مصره .

[يشفّع أباه عند الحجّاج]

وقد كان خالد بن عَتّاب الرّياحيّ فعل ذلك ، واستجار بزُفر بن الحارث الكلابيّ ، فأجاره ، فراجعه عبد الملك في أمره ، ثم أجاره ، فكتب مالكٌ إلى أبيه يسأله أن يدخلَ إلى الحجّاج ويسأله في أمره ، فقال أسماء في ذلك : [من الكامل]

أبَني فــزارةَ لا تُعَنُّــوا شَيْخكم … مــا لي ومــا لزيــارةِ الحجَّاجِ
شبَّهْتُــه شِبْــلاً غــداةَ لقيتُــه … يُلْقِي الرؤوسَ شَواخبَ الأَوْداجِ
تجري الدمــاء على النِّطاع كأنّها … رَاحٌ شَمُــولٌ غَيْــرُ ذاتِ مزاجِ
لا تطلبــوا حاجــاً إليــه فإنّــه … بِئس المؤمَّــل في طِــلاب الحاجِ
يــا ليت هنداً أصبحَتْ مرموسةً … أَوْ لَيْتَهــا جلست عــن الأَزْواجِ

[بين خالد بن عتاب والحجّاج]

قال أبو زيد : فأمّا خَبَرُ خالد بن عتّاب الرياحيّ ، فإنّ الحجّاج كان استعمله على الريّ ، وكانت أُمّه أُمّ ولَدٍ ، فكتب إليه الحجّاج يلخن أُمَّه ، ويقول با ابن اللخناء ؛ أنت الذي هربْتَ عن أبيك حتى قُتِلَ ، وقد كان حلف ألاّ يسبَّ أحدٌ أُمَّه إلاّ أجابه كائناً مَن كان .

فكتب إليه خالد : كتبت إليّ تلخِّنني ، وتزعمُ أنّي فررتُ عن أبي حتى قُتِل ، ولعمري لقد فررتُ عنه ، ولكن بعد أن قُتِل ، وحين لم أجِد لي مقاتلاً ؛ ولكن أخبرني عنك يا ابنَ اللَّخناء

---

1 ل : يماث .

المستفرمة[1] بعَجَم زبيبِ الطائف ، حين فررت أنْتَ وأبوك يوم الحرّة على جمل ثَفال[2] ، أيّكما كان أمام صاحبه ، فقرأ الحجّاج الكتاب ، وقال : صدق : [من الرجز]

أنـا الذي فَرَرْتُ يـوم الحَرَّهْ ثـم ثَنَّيـتُ كـرَّةً بفَـرّهْ
والشيخُ لا يَفِـرُّ إلاّ مَـرَّهْ

ثم طلبه ، وهرب إلى الشام ، وسلَّم بيتَ المالِ ولم يأخُذْ منه شيئاً .

[خالد بن عتاب يستجير]

وكتب الحجّاجُ إلى عبد الملك بما كان منه ، وقدم خالدٌ الشامَ ، فسأل عن خاصّة عبد الملك ، فقيل له : رَوْحُ بن زِنْباع ، فأتاه حين طلعت الشمس ، فقال : إنّي جئتُك مُستجِيراً ، فقال : إنّني قد أجرتك إلاّ أن تكونَ خالداً ، قال : فإنّي خالد ، فتغيّر وقال : أنشدك الله إلاّ خرجْتَ عنّي ؛ فإنّي لا آمَنُ عبد الملك ، فقال : أنظرني حتى تغربَ الشمس . فجعل رَوْح يُراعيها حتى خرج خالد .

فأتى زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ فقال : إنّي جئتُك مستجيراً ، قال : قد أجَرْتك . قال : أنا خالد بن عتّاب . قال : وإن كنْتَ خالداً .

فلمّا أصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما وقد أسنَّ ، فدخل على عبد الملك وقد أذِنَ للناس ، فلمّا رآهُ دَعا له بكرسيّ ، فجُعِل عند فراشه ، فجلس ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنّي قد أجَرْتُ عليك رجلاً ، فأجِرْه ، قال : قد أجرْتُه إلاّ أن يكون خالداً ، قال : فهو خالد ، قال : لا ، ولا كرامة . فقال زُفَر لابنيه : أنهضاني .

فلمّا ولّى قال : يا عبد الملك ، أما واللهِ لو كنتَ تعلم أنَّ يَدي تُطيق حَمْلَ القناة ورأس الجواد لأجَرْتَ مَن أجرتُ . فضحك ، وقال : يا أبا الهذيل ، قد أجرناه ، فلا أرَينّه . وأرسل إلى خالد بألفي درهم ، فأخذها ، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم .

[رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء]

[مالك وأخوه يعشقان جارية لأختهما]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أخبرنا محمد بن يزيد النحويّ ، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب ، قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم ، قالا : عشق مالك بن أسماء جارية لأخته هند ،

1 المستفرمة : التي تضيق فرجها بالفرم .

2 الثفال : البطيء .

وعشقها أخوه عُيَيْنة بن أسماء بن خارجة ، فاستعان بأخيه مالك ، وهو لا يعلم ما يجد بها ، يشكو إليه حبَّها ، فقال مالك[1] : [من الكامل]

أَعُيَيْنُ هَـلاَّ إذْ كَلِفْتَ بهـا ... كنْـتَ استغثْتَ بفارغ العَقْلِ

أرسلتَ تَبْغي الغَوْثَ مِنْ قِبَلي ... والمستغـاثُ إليـــه في شغْـلِ

[مالك يعشق جارية من بني أسد]

قال ابن قُتيبة خاصة : وهَوِي مالك بن أسماء جاريةً من بني أسد ، وكانت تنزل داراً من قصب ، وكانت دار مالك في بني أسد داراً سريّة مبنيّة بالجصّ والآجرّ فقال : [من الكامل]

يـا ليـت لي خُصّاً يُجاوِرُها ... بَـدلاً بـدارِي في بنـي أسدِ

الخُـصُّ فيــه تقــرّ أعيُننـا ... خَيْـرٌ مِـنَ الآجُـرّ والكمَدِ

[ينشد عمر بن أبي ربيعة بعض شعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عَمِّي ويعقوب بن عيسى ، وأخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم ، قال : حدَّثنا أبو هفّان عن إسحاق الموصليّ ، عن الزُّبير : أنّ عمر أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء . قال أبو هفّان في خبره : وهو يطوف بالبيت ، وقد بهر الناس جمالُه وكماله ، فأعجب عمر ما رأى منه ، فسأل عنه فعرفه ، فعانقه وسلّم عليه وقال له : أنتَ أخي حقّاً ، فقال له مالك : ومَنْ أنا ومَنْ أنت ؟ فقال : أما أنا فستعرفني ، وأمّا أنت فالذي تقول[2] : [من الخفيف]

إنّ لي عنــد كلّ نفحةِ بستا ... نٍ مِـنَ الوَرْد أو مِنَ الياسمينا

نظـــراً والتفاتـــةً أترَجَّـى ... أنْ تكـوني حَلَلْتِ فيما يَلِينا

غنّت فيه عُلَيّة بنت المهديّ خفيف رمَل بالوسطى .

وقال أبو هِفّان في حديثه : قال له عُمَر : ما زلتُ أُحبُّك منذ سمعتُ هذا الشعر لك ، فقال له مالك : أنت عُمر بن أبي ربيعة ، قال : نعم .

قال الزُّبير في خبره خاصة : وحدَّثني ابنُ أبي كُناسة ، أنَّ عمر لما لقي مالكاً استنشده ، فأنشده مالكٌ شيئاً من شعره ، فقال له عمر : ما أحسنَ شِعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك[3] : [من الخفيف]

1 البيتان في معجم الشعراء : 266 .

2 البيتان في معجم الشعراء : 266 .

3 جميع هذه الأبيات في معجم البلدان .

إنَّ في الرفْقَـةِ التـي شيَّعتنا بجويـرٍ سمـا لزَيْـنَ الرِّفاقِ

ومثل قولك : [من الكامل]

أَشَهِدْتِنـا أُمّ كنـتِ غائبـةً عـن ليلتـي بحديثـةِ القَسْبِ

ومثل قولك : [من الخفيف]

حبَّـذا ليلتـي بتَـلٍّ بَونَّـى حـين نُسْقى شرابنـا ونُغَنَّـى

فقال له مالك : هي قُرى البلد الذي أنا فيه ، وهو مثل ما تذكره في شِعرك من أَرْضِ بلادك ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قولك : [من الكامل]

حَـيِّ المنازِلَ قـد دَثَرْنَ خرابا بين الجوين وبَيْن رُكْنِ كُسابا[1]

ومثل قولك[2] : [من الخفيف]

مـا على الرَّسْم بالبُلَيَّيْن لو بَيَّـ ـنَ رَجْعَ السلام أَوْ لو أَجابا

فأمسك عنه عُمر بن أَبي ربيعة .

ومالك بن أَسماء الذي يقول[3] : [من الخفيف]

وحديـثٍ أَلَـذُّ هُـوَ مِمّـا ينعَتُ الناعتـون يُوزَنُ وَزْنا
مَنْطِـقٌ صائبٌ وتلحَـنُ أَحيا نًا وأَحْلى الحديثِ ما كان لَحنا

أَخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم ، قال : حدَّثني أبي ، قال : قلت للجاحظ : إنّي قرأتُ في فَصْلٍ من كتابك المسمّى بكتاب البيان والتبيين[4] : إنّما يستحسن من النساء اللَّحْنُ في الكلام ، واستشهدتَ ببيتي مالك بن أسماء ، يعني هذين البيتين ، قال : هو كذاك ، فقال : أما سمعْتَ بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجّاج حين لحَنَتْ في كلامها ، فعاب ذلك عليها ، فاحتجَّتْ ببيتَي أخيها ، فقال لها : إنّ أخاكِ أراد أنَّ المرأة فَطِنة ، فهي تلحَنُ بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى لتستُرَ معناه ، وتُورِّي عنه ، وتفهمه مَن أرادت بالتعريض ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ولتعْرِفنَّهم في لحنِ القول﴾ ولم يرِد الخطأ من الكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد . فوجم الجاحظ ساعة ، ثم قال : لو سقط إليَّ

1 ديوان عمر : 46 . وروايته : بين الجرير وبين ركن كسابا .
2 الديوان : 40 .
3 الشعر والشعراء : 666 .
4 البيان والتبيين 1 : 82 . وانظر حاشية السمط : 16–17 .

هذا الخبر أوّلاً لما قلتُ ما تقدّم ، فقلت له : فأَصْلِحْه ، فقال : الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق ، وهذا لا يُصلح ، أو كلاماً نحو ما ذكرنا ، فإنّ أبا أحمد أخبرنا به على سبيلِ المذاكرة فحفظْتُه عنه .

[المتوكّل يطلب ابتياع تل بونّى]

أُخبرني الحسين بن يحيى ، وجعفر بن قدامة ، قالا : قال حمّاد : حدَّثني أحمد بن داود السدّي ، قال : ورد عليّ كتابُ أمير المؤمنين المتوكّل ، وأنا على سَواد الكوفة : أن ابتع لي تلَّ بَونَّى بما بَلَغَتْ ، فأتيتها ، فإذا قريةٌ صغيرة على تلٍّ ، قد خرب ما حَواليها من الضِّياع ، فابتعتها له بعشرة آلاف درهم ، قال : فظننتُ حرَّكه على طلبها أنّه غُنِّي : [من الخفيف]

حبّـذا ليلتـي بتَـلّ بَوَنَّى

فسألتُ عن ذلك ، فعرفتُ أنّ جاريته مكتومة غنَّتْه هذا الصوت .

قال حمّاد : ومكتومة هذه جاريةٌ أُهداها أبي إليه لمّا ولي الخلافة ، فإنّه سأل عنه ، فعرف أنّه كفّ بصره ، فكتب له بمائة ألف درهم ، وأمر بإشْخاصِه إليه مكرّماً ، فأشخِص إليه ، وأهدى إليه عِدَّة جوارٍ هذه فيهنّ .

[الحجّاج يستتيب مالكاً]

وروى الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش أنّ الحجّاج دعا يوماً بمالك بن أُسماء ، فعاتبه عِتاباً طويلاً ، ثم قال له : أنتَ والله كما قال أخو بني جعدة[1] : [من الوافر]

إذا مـا سَوْأةٌ غـرّاءُ ماتَـتْ أُتيـتَ بسوْءةٍ أُخـرى بَهيمِ[2]
ومـا تنفكُّ تُرْحَضُ كلَّ يـوم مِنَ السَّوآت كالطفْل النهيمِ[3]
أَكلَّ الدّهرِ سعيُـك في تبـابٍ تناغـــي كلَّ مُومِسة أُثيـمِ

فقال له : لستُ كما قال الجعديّ ، ولكنّي كما قلت : [من الطويل]

لكـلّ جـوادٍ عَثْرَةٌ يَسْتَقِيلُهـا وعثرةُ مِثْلي لا تُقال مَدى الدَّهرِ
فَهبنيَ يـا حجَّاج أُخطأتُ مـرَّةً وَجُزْتُ عن المُثْلى وغنَّيتُ بالشعرِ
فهل لي إذا مـا تبتُ عندك توبةً تَدارك ما قد فات في سالف العمرِ

1 المفضليات : 70 .
2 بهيم : سوداء .
3 ترحض : تغسل .

فقال له الحجّاج : بلى والله ، لئن تبْتَ لأقبلنَّ توبتك ولأُعَفِّيَنَّ على ما كان من ذنبك ومَنْ لي بذلك يا مالك ؟ قال له : لك الله به ، قال : حَسْبِيَ الله ونِعم الوكيل ، فانْظُر ما تقول ، قال : الحقّ أصلحك اللهُ لا يَخْفَى على أحد . قال : فتَرَك مالِكٌ الشرابَ ، ووفّى بعهده وأظهر النسكَ ، ثم طما به الشعر ، وطال عليه تَرْكُ اللذّات والشراب ، فقال : [من الطويل]

وندمانِ صِدْقٍ قال لي بعد هَدأةٍ ... من الليل : قم نَشْرَبْ ، فقلتُ له : مَهْلا
فقال : أَبُخْلاً يا ابْنَ أسماء هاكها ... كُمَيْتاً كريح المِسْكِ تَزْدَهِف العَقْلا[1]
فتابعْتُه فيما أراد ولم أكُنْ ... بَخِيلاً على النّدمان أو شَكِساً وَغْلا
ولكنّني جَلْدُ القُوى أبذلُ النّدى ... وأشربُ ما أُعْطى ولا أقبلُ العَذْلا
ضحوكٌ إذا ما دبّت الكأْسُ في الفتى ... وغيَّره سُكْرٌ وإنْ أكثَرَ الجَهْلا

قال : فبلغ الحجّاج أنَّ مالكاً قد راجع الشّرابَ ، فقال : لا يأتي مالك بخير سَجِيسَ الأوجس[2] ، قاتلَ اللهُ أيمن بن خُريم حيث يقول : [من الطويل]

إذا المَرْءُ وفّى الأربعين ولم يَكُنْ ... له دُونَ ما يأتي حِجابٌ ولا سِتْرُ[3]
فدَعْه وما يأتي ولا تعذلنّه ... وإنْ مدّ أسبابَ الحياة له العُمْرُ

وأنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش أبياتَ أيمن هذه الرائية ، وقال : أخذ معناها من قول ابن عبّاس : إذا بلغ المرءُ أربعين سنة ولم يتُبْ أخذ إبليس بناصيته ، وقال : حبّذا مَن لا يُفلح أبداً . وأوّلُ الأبيات هذه : [من الطويل]

وصَهْباءَ جُرجانيّةٍ لم يَطُف بها ... حَنِيفٌ ولم تَنْغَرْ بها ساعةً قِدرُ
ولم يشهد القَسُّ المُهَيْنِمُ نارَها ... طَرُوقاً ولا صلّى على طَبْخها حَبْرُ
أتاني بها يَحْيى وقد نمْتُ نومةً ... وقد غابت الجَوْزاء وانحدر النَّسْرُ
فقلت : اصطبحْها أو لغيريَ سَقِّها ... فما أنا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْحَك والخمرُ !
إذا المَرْءُ وفّى الأربعين ولم يكن ... له دُونَ ما يأتي حِجابٌ ولا سِتْرُ
فدَعْه ولا تنفس عليه الذي أتى ... ولو مَدَّ أسبابَ الحياة له العمرُ

1 تزدهف العقل : تذهب به .
2 سجيس الأوجس : طول الدهر . والمثل «لا آتيك سجيس الأوجس» في فصل المقال : 510 .
3 حِجابٌ في ل : حياء .

صوت

[من الخفيف]

تلك عِرْسِي تَرُومُ هَجْري سِفاهاً وجَفتْنــي فمــا تُــوافِي عِنـاقي
زعمــتْ أنّها تُــواتي مـع المـا ل وأنّــي محالــف إملاقي[1]
وتنـاست رَزِيَّـــــةً بـــدمشقٍ أشخصَتْ مُهْجَتي فُوَيْـقَ التَّراقي
يـوم نلقـى نعشَ ابْنِ عُروة محـ ـمولاً بأيــدي الرجـالِ والأعناقِ
مستحثّاً بـــه سِباقـــاً إلى القَبْـ ـر ومـا إن لحَثّهم مـن سِباقِ
ثـــم وَلّيتُ مُوجَعاً قـد شَجاني قـربُ عَهْـدٍ بهم وبعـد تلاقِ

عروضه من الخفيف . الشعر لإسماعيل بن يسار النّسائيّ يرثي محمد بن عُروة بن الزُّبير . والغناء لدحمان ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لابنِ محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حَبَش .

1 محالف في ل : محالفي

360 ـ [من أخبار عروة بن الزُّبير][1]

[غضب للوقوع بأخيه عبد الله في مجلس الخليفة]

أخبرنا الطوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء ، قالا : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا مصعب بن عثمان ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عُرْوة ، قال : قدِم عُروة بن الزُّبير على عبد الملك بن مروان ، فدخل فأجلسه معه على السرير . فجاء قومٌ فوقعوا في عبد الله بن الزُّبير ، فخرج عُرْوة فقال للآذِن : إنّ عبد الله بن الزُّبير ابنُ أُمّي وأبي ، فإذا أردتم أن تقَعُوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم .

فذُكِر ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : قد أخبرني الآذِنُ بما قلْتَ ، وإنّ أخاك لم يكن قتلُنا إيّاه لعداوةٍ ، ولكنّه طلب أمْراً وطلبناه فقُتِل دونه ، وإنّ أهل الشام قومٌ من أخلاقهم ألاّ يقتلوا أحداً إلاّ شتموه ، فإذا أذِنّا لأحدٍ قبلك فقد جاءَ مَن يشتمه فلا تدخل ، وإذا أذنّا لأحد وأنت جالس فانصرف .

[قطع رجله]

ثم قدِم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شَلَّت رجلُه ، فقيل له : اقطعها ، قال : إنّي لأكره أنْ أقطع منّي طابقاً ، فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إنّها إنْ وقعت في الركبة قتلتْك ، فقُطِعت ، ولم يقبض وَجهه . وقيل له قبل أن يقطعها : نسقيك دواءً لا تجد معه ألماً ، فقال : ما يسعني أنّ هذا الحائط وقَاني أذاها .

[مقتل ابنه محمد]

قال الزُّبير : وحدَّثني مصعب بن عثمان بن عامر ، عن صالح ، عن هشام بن عروة ، قال : سقط محمد بن عُروة بن الزُّبير ، وأُمّه بنت الحَكم بن أبي العاص بن أُميّة ، من سطح في اصطبل دوابّ الوليد بن عبد الملك ، فضربته بقوائمها حتى قتلتْه ، فأتى عروة رجل يعزّيه ، فقال عروة : إن كنتَ تعزّيني برِجْلي فقد احتسبتُها ، فقال بل أُعزّيك بمحمد ، قال : وما له ؟ فخبّره بشأنه ، فقال : [من الطويل]

---

1 ترجمة عروة بن الزُّبير في وفيات الأعيان 3 : 255–258 وسير أعلام النبلاء 4 : 421 ونسب قريش : 245–246 وحلية الأولياء 2 : 176 وصفوة الصفوة 2 : 47 وتذكرة الحفاظ : 62 والإصابة والشذرات 1 : 103 .

وكنتُ إذا الأيّامُ أحدَثْـنَ نكبةً أقول شَوًى ما لم يُصِبْنَ صَميمي[1]

اللهمّ أخذْتَ عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركت أبناء ، فإنّك إن كنت أخذْتَ لقد أبقيْتَ ، وإن كنت ابتليتَ لقد عافيت .

فلمّا قدِم المدينة نزل قصره بالعقيق ، فأتاه ابن المنكدرِ ، وقال : كيف كنت ؟ فقال : ﴿لقد لَقِينا مِنْ سفَرِنا هذا نَصَباً﴾ .

[تعزية عيسى بن طلحة]

قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز ، عن ابن الماجشون : أنّ عيسى بن طلحة جاء إلى عُروة بن الزبير حين قدِم من عند الوليد بن عبد الملك ، وقد قُطِعت رِجْلُه ، فقال عُروة لبعض بنيه : اكشف لعمّك عن رِجْلي ينظر إليها ، ففعل . فقال له عيسى : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ، ما أعدَدْناك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنّا نحتاج إليه منك : رأيَك وعِلْمك . فقال عُرْوة : ما عزّاني أحدٌ عن رِجلي مثلك .

[وجد من هو أعظم بلاء منه]

قال الزُّبير : وحدَّثني مصعب بن عثمان ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة : أنّه قدِم على الوليد رجُلٌ من عَبْس ضَرِيرٌ محطومُ الوجه ، فسأله عن سبب ذلك ، فقال : بتُّ ليلةً في بطنِ وادٍ ، ولا أعلم في الأرض عَبْسِيّاً يزيد مالُه على مالي ، فطرقَنا سيْلٌ ، فذهب بما كان لي من أهلٍ ومالٍ ووَلد إلاّ صبيّاً مولوداً وبعيراً ضعيفاً ، فندّ البعير والصبيُّ معي ، فوضعته ، واتبعت البعيرَ ، فما جاوزتُ ابني قليلاً إلاّ ورأسُ الذئب في بَطنه ، فتركتُه ، واتّبَعت البعير ، فرَمَحني رَمْحَةً حطّم بها وجهي ، وأذهب عَيْني ، فأصبحتُ لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر .

فقال الوليد بن عبد الملك : اذهبوا به إلى عُروة ليعلمَ أنَّ في الناس مَن هو أعظمُ بلاءً منه .

[عمر موكل بالجمال يتبعه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، وعمر بن عبد العزيز بن أحمد ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، وجماعة أخبروني قالوا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال حدَّثني عمِّي ، عن جدِّي ، عن هشام بن عروة ، قال : خرجْتُ مع أبي عروة بن الزُّبير حاجّاً ، ومعنا أخي محمد بن عروة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، فلمّا كنّا في بعض الطريق إذا نحن بعُمر بن أبي ربيعة يكلّمُ بعضَنا ؛ فقلنا : هذا أبو الخطاب لو سايَرْناه ، فرآنا عُروة ، فقال : فِيمَ أنتُم ؟ قلنا : هذا

1 البيت للبريق الهذلي . ديوان الهذليين : القسم الثالث ــ 60 .

عمَر بن أبي ربيعة ، فضرب عُرْوَة إليه راحلتَه ، فلمّا رآها عُمَر عدل إليه فسلّم عليه ، ثم قال : وأَيْنَ زَيْنُ المواكب ؟ ، يعني محمد بن عُروة ، فقال : قد تقدّم ، فعدل عن عُروة واتبع محمداً ، فقال له عُروة : نحن أكفى لك وأوْلى أن تُسايِرَنا . فقال : إنّي رجل موكل بالجمال أتبعه حيث كان ، وضرب راحلته ومضى .

صوت

[من الرمل]

يـا بني الصَّيْداء رُدُّوا فَرَسي		إنّمـــا يُفْعَــلُ هــذا بالذَّلِيلْ
عَــوِّدوا مُهْرِي الذي عوَّدْتُــه		دَلَــج الليـــلِ وإيطـاءَ القتيلْ
واسْتِباء الــزِّقِّ مِــنْ حاناتِه		شائلَ الرِّجلين معصوباً يَمِيلْ

عروضه من ثاني الرمل .

بنو الصَّيْداء : بَطن من بني أَسد . والدَّلَج : السيرُ في آخر الليل ، يقال دَلَجَ يَدْلِجُ ، مخفّفة ، إذا سار من آخر الليل ، وادّلج يدّلج ، إذا سار الليل كلّه . واسْتباء الزِّقّ ، أراد استباء الخَمر فيه ؛ أي ابْتاعَها من حاناتها . والحانات : جمع حانة ، وهي الموضع الذي تُباع فيه الخمر . وشائل الرجلين : رافعهما .

وروى الأصمعيّ وأبو عمرو : [من الرمل]

أَحمِــلُ الــزِّقَّ عــلى منْسِجِهِ		فيظَـلُّ الضيفُ نَشْواناً يَمِيلْ

الشعر لزيد الخيل الطائيّ . والغناء لابن محرز ، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، عن يحيى المكّي . وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد ، وفيه لعاذل لَحن من كتاب إبراهيم غير مجنَّس ، وذكر حبَش أنَّ فيه لِنُبَيْهِ لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى .

[361] ـ أخبار زيد الخيل ونسبه[1]

[نسبه]

هو زيد بن مُهَلْهِل بن يزيد بن مُنْهِب بن عَبد رُضا ، ورُضا : صنم كان لِطيِّىء ـ ابن محلس بن ثور بن عديّ بن كنانة بن مالك بن نائل بن نبهان ، وهو أسود بن عمرو بن الغوث بن جَلْهمة ، وهو طيِّىء ؛ سُمِّي بذلك لأنّه كان يَطوي المناهل في غزواته ، ابن أُدد بن مَذْحِج بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر ، وهو هُود النبيّ ﷺ . كذا نسبه النّسابون ، والله أعلم .

وأُمّ طيِّىء مُدِلّة بنت ذي منحسان بن عَرِيب بن الغَوْث بن زُهير بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ومُدِلّة هذه هي مَذْحِج ، وهو لَقبُها ، وهي أُمّ مالك بن أُدد ، وكانت مُدِلّة عند أدد أيضاً ، فولدت له الأَشعر واسمُه نَبْت ، ومرَّة ، ابني أدد . ومن الناس مَنْ يقولُ مَذْحِج ظَرِب صغير اجتمعوا عليه ، وليس بأُمّ ولا أَب ، والله أَعلم .

[سمّاه النبيّ زيد الخير]

وكان زَيدُ الخيلِ فارساً مِغْواراً مظفَّراً شجاعاً بَعِيدَ الصّيت في الجاهلية ، وأَدرك الإسلام ووفد إلى النبيّ ﷺ ، ولقِيَه وسُرَّ به وقرّظه ، وسمّاه زَيد الخير .

وهو شاعر مُقِلٌّ مُخَضْرَمٌ معدودٌ في الشعراء الفرسان ، وإنّما كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند مَنْ مَرَّ[2] عليه وأَحسنَ في قِراه إليه ؛ وإنّما سمِّي زيد الخيل لكثرة خَيْله ، وأنّه لم يكن لأحدٍ من قومه ولا لكثير من العرب إلاّ الفرس والفَرَسان ، وكانت له خَيْلٌ كثيرة ، منها المسمّاة المعروفة التي ذكرها في شِعْرِه وهي ستّة ، وهي الهَطّال ، والكُمَيت ، والوَرْد ، وكامِل ، ودؤول ، ولاحق . وفي الهطّال يقول[3] : [من الوافر]

1 ترجمة زيد الخيل في الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة والشعر والشعراء : 205–207 وتهذيب ابن عساكر 6 : 34 وخزانة البغدادي 4 : 379–380 ووفوده على الرسول في كتب السيرة مثل سيرة ابن هشام 2 : 577 وإمتاع الأسماع : 508 وعيون الأثر : 236 ، وراجع بروكلمان 1 : 162 . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي ما بقي من شعره .

2 ل : منّ .

3 ديوانه : 89 .

أُقـرِّبُ مَرْبِـطَ الهطَّـالِ إنِّي أرى حَرْباً ستَلْقَحُ عن حِيالِ

وفي الوَرْد يقول[1] : [من الطويل]

أبَتْ عادةٌ للوَرْدِ أنْ يُكرِهَ القَنا وحاجـةُ نَفْسي في نُمَيْرٍ وعامِرِ

وفي دؤول يقول[2] : [من الوافر]

فأقسم لا يُفارِقنـــي دؤولٌ أجولُ بــه إذا كثر الضِّرابُ

هذا ما حضرني من تسمية خَيلِه في شعره ، وقد ذكرها .

[أبناؤه شعراء]

وكان لِزيد الخيل ثلاثة بنين كلّهم يقول الشعر ، وهم عُروة ، وحُرَيث ، ومهلهل . ومن الناس مَن يُنكر أن يكونَ له من الولد إلاّ عروة وحُريث .

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس من خيله ظَلَعَ في بعض غزواته بني أسد ، فلم يتبع الخيل ووقف ، فأخذَتْه بَنو الصيداء ، فصلح عندهم ، واستقلّ .

وقيل : بل أُغزى عليه بعضَ بني نبهان ، فنكَّس عنه وأُخذ . وقيل : إنّه خلّفه في بعض أحياء العرب ظالعاً ليستقلّ ، فأغارت عليهم بنو أسد ، فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم ، فقال في ذلك زيد الخيل[3] : [من الرمل]

يـا بَني الصَّيْداء ردُّوا فرسي إنّمـا يُفْعَـلُ هـذا بالذَّليلْ
لا تُذِيلـوه فإنّـي لم أكُـنْ يا بَني الصَّيْدا لُمهْري بالمُذيلْ[4]
عـوِّدُوه كالـذي عوَّدْتُـه دَلَـج اللَّيْـلِ وإيطـاء القَتِيلْ
أحمِـل الـزقَّ عـلى مِنْسَجه فيظلّ الضيفُ نشوانـاً يَميلْ[5]

قال أبو عَمْرو الشيبانيّ : وكان زيد الخيل مُلِحّاً على بني أسد بغاراته ، ثم على بني الصيداء منهم ، ففيهم يقول[6] : [من السريع]

---

1 ديوانه : 67 .
2 ديوانه : 33 .
3 ديوانه : 93-94 .
4 أذال الفرس : لم يحسن القيام عليه فضعف وهزل .
5 المنسج : أسفل الحارك .
6 لم ترد هذه الأبيات في مجموع شعره .

ضجَّتْ بَنُو الصَّيْداء من حربنا والحربُ من يحللْ بها يضجرِ
بِتْنا نُزجِّي نحوهم ضُمَّراً معروفةَ الأنساب من منسرِ
حتى صبحناهم بها غُدْوَةً نقتلهم قَسْراً على ضُمَّرِ
يدعون بالوَيْل وقد مَسَّهم منّا غداةَ الشِّعب ذي الهَيْشرِ
ضربٌ يُزيلُ الهامَ ذو مَصْدَقٍ يَعْلُو على البيضة والمِغْفَرِ

الهَيْشَر : شجر كثير الشَّوْك تأكلهُ الإبل .

نسخت من كتاب لأبي المحلم ، قال : حدَّثني أُضبط بن الملوّح ، قال لي : أبي : أنشِد حبيب بن خالد بن نَضْلة الفَقْعَسِيّ قول زيد الخيل : [من الرمل]

عَوِّدُوا مُهْري الذي عوَّدْتُه

فضحك ثم قال : قولوا له : إنْ عوَّدْناه ما عوّدْتَه دفعناه إلى أوّل مَن يَلْقانا ، وهربنا .

[وفوده على النبي وإسلامه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة ، قال : حدَّثني عليّ بن حرب ، قال : أنبأني هشام بن الكلبيّ أبو المنذر ، قال : حدَّثني عباد بن عبد الله النَّبهانيّ عن أبيه عن جدّه ، وأضفْتُ إلى ذلك ما رواه أبو عمرو الشيبانيّ ، قالا : وفد زَيْدُ الخيل بن مهلهل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ومعه وِزْر بن سَدُوس النَّبهانيّ ، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرميّ ، ومالك بن جبير المغنِّي ، وقُعين بن خليل الطَّرفيّ ، في عدّة من طيىء ، فأناخوا رِكابَهم بباب المسجد ، ودخلوا ورسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يخطب الناس ؛ فلمّا رآهم قال : إنّي خَيْرٌ لكم مِنَ العُزَّى ، وممّا حازت مَناع ، من كلّ ضارّ غير يَفاع ، ومن الجَبَلِ الأسود الذي تعبدونه من دون الله عزّ وجلّ .

قال أبو المنذر : يعني بمَناع : جَبَل طيىء .

فقام زيد ، وكان من أجمل الرّجال وأتمّهم ، وكان يركب الفرسَ المشرف ورجْلاه تخطّان الأرض كأنّه على حمار ، فقال : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك محمد رسول الله . قال : ومَن أنْتَ ؟ قال : أنا زيد الخيل بن مهلهل . فقال رسول الله : بل أنتَ زيد الخير ، وقال : الحمد لله الذي جاء بك من سَهْلك وجَبَلك ، ورقَّق قلبك على الإسلام ، يا زيد ، ما وُصف لي رجل قطّ فرأيته إلاّ كان دون ما وُصِف به إلاّ أنتَ ؛ فإنّك فوقَ ما قيل فيك .

[موته بالحمى]

فلمّا ولّى قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : أيّ رجل إن سلم من آطام المدينة !

فأخذَتْه الحُمّى ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

أَنَخْتُ بآطامِ المدينةِ أربعاً ... وخَمْساً يغنّي فوقها الليلَ طائِرُ
شددتُ عليها رَحْلَها وشَليلَها ... من الدَّرْس والشَّعْراء والبَطْنُ ضامرُ[2]

فمكث سبعاً ، ثم اشتدّت الحُمّى به فخرج . فقال لأصحابه : جَنِّبوني بلادَ قيس ؛ فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ، ولا والله لا أُقاتلُ مسلماً حتى ألقى اللهَ . فنزل بماءٍ لحيٍّ من طيِّىء يقال له فَرْدَة ، واشتدَّت به الحُمّى ، فأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أَمُرْتَحِلٌ صَحْبي المَشارقَ غدوةً ... وأُتركُ في بَيْتٍ بفَرْدَةَ مُنجِدِ
سقى الله ما بين القَفِيل فطابَةٍ ... فما دونَ أرمام فما فوق مُنشدِ
هنالك لو أنّي مرضتُ لعادني ... عوائدُ من لم يَشْفِ منهنّ يَجْهدِ
فليتَ اللواتي عُدْنَني لم يَعُدْنَني ... وليت اللواتي غِبْنَ عَنّيَ عُوَّدي

قال : وكتب معه رسول الله صلّى الله عليه وآله لبني نبهان بِفَيْدَك كتاباً مفرداً ، وقال له : أنْتَ زيد الخير ، فمكث بالفَرْدَة سبعةَ أيّام ثم مات . فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سَبْعاً ، ثم بعث راحِلَته ورَحْلَه ، وفيه كتابُ رسولِ الله ﷺ ، فلمّا نظرت امرأته ، وكانت على الشِّرْك ، إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت : [من الطويل]

أَلا إنّما زيدٌ لكُلِّ عظيمةٍ ... إذا أقبلتْ أَوْبَ الجرادِ رِعالُها[4]
لَقاهُمْ فما طاشَتْ يَداه بضربهم ... ولا طَعْنهم حتى تولّى سِجالُها[5]

قال : فبلغني أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا بلغه ضَرْبُ امرأةِ زَيد الراحلة بالنار ، واحتراق الكتاب ، قال : بُؤْساً لبني نَبْهان .

وقال أبو عمرو الشيبانيّ ، لمّا وفد زيد الخيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فدخل إليه ، طرح له متّكأ فأعظمَ أن يتّكىء بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله ، فردّ المُتّكأ ، فأعاده عليه ثلاثاً ، وعلّمه دعوات كان يدعو بها فيعرف الإجابة ، ويستسقي

---

1 ديوانه : 57 .
2 الشليل : مسح من صوف أو شعر يجعل وراء الرحل . والدرس : الثوب الخلق والشعراء : ما فيه من الشعر .
3 ديوانه : 52–53
4 رعال : جمع رعلة ، وهي القطعة من الخيل .
5 لقاهم : لقيهم ، (بلغة طيّىء ، ع .) .

فيُسقى ؛ وقال : يا رسول الله ، أعْطني ثلاثمائة فارس أُغير بهم على قصور الروم ، فقال له : أيّ رجل أنت يا زيد ! ولكن أُمّ الكلبة تقتلك ، يعني الحمّى ، فلم يلبث زيد بعد انصرافه إلاّ قليلاً حتى حُمّ ومات .

قال أبو عمرو : وأسلموا جميعاً إلاّ وِزراً ؛ فإنّه قال لّما رأى النبيّ صلّى الله عليه وآله : إنّي لأرى رجلاً ليملكنَّ رقابَ العرب ، وواللهِ لا يملك رقبتي أبداً ؛ فلحق بالشام ، فتنصّر وحلق رأسه ، فمات على ذلك .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثني السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبيّ ، قال : أقبلَ زيدُ الخيل الطائيّ حتى أتى النبيّ ﷺ ، وكان زيد رجلاً جسيماً طويلاً جميلاً ، فقال له النبيّ ﷺ : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا زيد الخيل . قال : بل أنت زيد الخير ، أما إنّي لم أُخبَر عن رجل خبراً إلاّ وجدتُه دون ما أُخبِرْتُ به عنه غيرك ؛ إن فيك لخصلتين يحبُّهما الله عزّ وجلّ ورسوله ، قال : وما هُما يا رسول الله ؟ قال : الأَناة والحلم ، فقال زيد : الحمد لله الذي جَبلني على ما يُحبُّ اللهُ ورسولُه .

[وصف طيىء ورؤسائها]

قال : ودخل زيد على رسول الله ﷺ وعنده عُمر رضي الله عنه ، فقال عمر لزيد : أخبرنا يا أبا مُكْنِف عن طيىء وملوكها ونَجَدَتها وأصحاب مَرابعها ؛ فقال زيد : في كلٍّ يا عُمَر نَجْدَةٌ وبأس وسيادة ، ولكلِّ رَجل من حَيِّه مِرْباع ، أمّا بنو حَيَّة فملوكنا وملوك غيرنا ، وهم القَداميس[1] القادة ، والحماة الذَّادة ، والأنجاد السادة ، أعظَمُنا خَمِيساً ، وأكرمنا رئيساً ، وأجملنا مجالس ، وأنجدنا فوارس .

فقال له عُمَر رضي الله عنه : ما تركْتَ لِمَنْ بقي من طيىء شيئاً ، فقال : بَلى واللهِ ؛ أمّا بنو ثُعَل وبنو نَبْهان وجَرْم ففوارس العَدْوة وطلاَّعُو كلّ نجوة ، ولا تُحَلّ لهم حَبْوة ، ولا تُراعُ لهم ندوة ، ولا تُدْرَك لهم نَبْوة ، عَمُود البلاد ، وحيّة كلّ وادِ ، وأهل الأسَلِ الحِداد ، والخيل الجياد ، والطّارف والتّلاد .

وأمّا بنو جَديلة فأسهَلُنا قراراً ، وأعظمنا أخطاراً ، وأطلبنا للأوتار ، وأحْمانا للذّمار ، وأطعمنا للجار .

1 القداميس : جمع قدموس ، وهو السيد .

فقال له عمر : سَمِّ لنا هؤلاء الملوك ، قال : نعم ، منهم عُفَير المُجير على الملوك ، وعَمرو المفاخر ، ويزيد شارب الدماء ، والغَمْرُ ذو الجود ، ومُجير الجراد ، وسراجُ كلّ ظلام ولامة[1] ، وملجم بن حنظلة ؛ هؤلاء كلُّهم من بني حيّة .

وأمّا حاتم بن عبد الله الثعليُّ الجواد فلا يُجارى ، والسمح فلا يبارى ، والليث الضِّرغامة ، قرّاع كلِّ هامة ، جودُه في الناس علامَة ، لا يَقَرُّ على ظُلامة . فاعترض رَجُلٌ من بني ثعَل لمّا مدح زيد حاتماً ، فقال : ومنّا زَيد بن مهلهل النبهانيّ رئيس قومه وسيِّد الشَّيب والشبّان ، وسمّ الفرسان ، وآفة الأقران ، والمهيب بكلّ مكان ، أسرعَ إلى الإيمان ، وآمَن بالفرقان ، رئيس قومِه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم ، على شَحْط المزار ، وطُموسِ الآثار ، وفي الإسلام رائدنا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، ومجيبُه من غير تَلَعْثُم ولا تلبّث .

ومنّا زيد بن سدوس النّبهانيّ عصمة الجيران ، والغيثُ بكلّ أوان ، ومُضْرِم النيران ، ومطعم النُّدمان ، وفخر كل يَمان .

ومنّا الأَسد الرَّهيص ، سيّد بني جَدِيلة ، ومدوّخ كلّ قبيلة ، قاتل عنترة فارس بني عَبْس ، ومكشِّف كلّ لبس .

فقال عمر لزيد الخيل : لله دَرُّك يا أَبا مكْنِف فلو لم يكن لطيىء غيرك وغير عديّ بن حاتم لقهرتْ بكما العرب .

[قصّته مع الشيبانيّ]

أُخبرني ابن دريد ، قال : أُخبرني عَمّي ، عن أَبيه ، عن ابن الكلبيّ ، عن أَبيه ، قال : أُخبرني شيخٌ من بني نبهان ، قال : أَصابَتْ بني شيبان سنَة ذهبَتْ بالأَموال ، فخرج رَجُلٌ منهم بعِيالِه ، حتى أنزلهم الحيرة ، فقال لهم : كونوا قريباً من الملك يُصِبْكُنّ من خيره حتى أرجع إليكنَّ ، وآلى أَليَّةً لا يرجعُ حتى يكسبهنّ خيراً أو يموت . فتزوَّد زاداً ، ثم مشى يوماً إلى الليل ، فإذا هو بمُهْرٍ مقيَّد يَدُور حَول خباء . فقال : هذا أَوَّل الغنيمة ، فذهب يَحُلُّه ويركبه ، فنودِي : خَلِّ عنه واغنَمْ نفسك ، فتركه ، ومضى سبعة أَيّام حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطفيل الشمس ، فإذا خِباء عظيم وقُبّة من أَدَم ، فقال في نفسه : ما لهذا الخباء بُدٌّ من أهلٍ ، وما لهذه القبّة بدٌّ من ربّ ، وما لهذا العطن بدٌّ من إبل ، فنظر في الخباء ، فإذا شيخ كبير

---

1 اللامة : الهول .

قد اختلفت تَرْقُوَتاه ، كأنّه نَسْرٌ .

قال : فجلستُ خَلْفَه ، فلمّا وجبت[1] الشمسُ إذا فارسٌ قد أُقبل لم أَرَ فارساً قطّ أعظم منه ولا أَجسم ، على فرس مُشْرِف ، ومعه أُسودان يمشيان جَنْبيه ، وإذا مائةٌ من الإبل مع فَحْلِها ، فبرك الفَحْل ، وبركت حَوْله ، ونزل الفارسُ ، فقال لأَحد عَبْدَيْه : احلُب فلانة ، ثم اسْقِ الشيخَ ، فحلب في عُسّ[2] حتى ملأه ، ووضعه بين يدي الشيخ وتنحَّى ، فكرع منه الشيخُ مرّةً أو مرّتين ، ثم نزع ، فثُرْت إليه فشربته ، فرجع إليه العبد . فقال : يا مولاي ، قد أُتى على آخِره ، ففرح بذلك ، وقال : احلُبْ فلانة ، فحلبها ، ثم وضع العُسّ بين يدي الشيخ ، فكرع منه واحدةً ، ثم نزع ، فثُرْتُ إليه فشربتُ نِصْفَه ، وكرهتُ أَنْ آتِيَ على آخره ، فأتّهم . فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه : قد شرب ورَوِي ، فقال : دَعْه ، ثم أمر بشاةٍ فذُبِحت ، وشوى للشيخ منها ، ثم أكل هو وعَبْداه ؛ فأَملهلتُ حتى إذا نامُوا وسمعتُ الغطيطَ ثُرتُ إلى الفَحْل ، فحللتُ عِقاله وركبتُه ، فاندفع بي وتبعَتْه الإبل ، فمشيت ليلتي حتى الصباح ، فلمّا أصبحتُ نظرت فلم أرَ أحداً ، فشللتُها إذاً شلاًّ[3] عنيفاً حتى تعالى النهار ، ثم التفتُّ التفاتةً فإذا أنا بشيء كأنّه طائر ، فما زال يَدْنو حتى تبيَّنته . فإذا هو فارس على فرس ، وإذا هو صاحبي بالأمس ، فعقلت الفَحْلَ ، ونثلْتُ كِنانتي ، ووقفتُ بينه وبين الإبل ، فقال : احلل عِقال الفحل ، فقلت : كلاّ والله ، لقد خلّفت نُسيّات بالحيرة ، وآليتُ أليّةً لا أرجع حتى أُفيدهنّ خيراً أو أموت . قال : فإنّك لميِّت ، حُلَّ عقاله ، لا أُمّ لك ! فقلت : ما هو إلاّ ما قلت لك . فقال : إنّك لمغرور : انصب لي خطامَه ، واجعَلْ فيه خَمْس عُجَر[4] ففعلت ، فقال : أين تريد أن أضعَ سهمي ؟ فقلت : في هذا الموضع ، فكأنّما وضعه بيده ، ثم أقبل يرمي حتى أُصاب الخمسة بخمسة أسهم ، فرددْتُ نَبْلي ، وحططتُ قوسي ، ووقفت مستسلماً ؛ فدنا منّي وأخذ السيفَ والقوسَ ، ثم قال : ارْتَدِفْ خلْفي ، وعرف أنّي الرجل الذي شربت اللَّبَنَ عنده ، فقال : كيف ظنُّك بي ؟ قلت : أسوأ ظنّ . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيتَ من تعب ليلتك ، وقد أظفرك الله بي ، فقال : أترانا كنّا نهيجك ، وقد بتَّ تنادم مُهلهلاً ؟ قلت : أَزيد الخيل

1 وجبت الشمس : غابت .
2 العس : القدح الكبير .
3 شل الإبل : طردها .
4 عجر : عقد .

أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، فقلت : كُنْ خَيْرَ آخذٍ ، فقال : ليس عليك بأس .

فمضى إلى موضعه الذي كان فيه ، ثم قال : أما لو كانت هذه الإبلُ لي لسلمتها إليك ، ولكنّها لبنت مهلهل ، فأَقِمْ عليَّ ؛ فإنّي على شَرَف غارةٍ .

فأقمتُ أيّاماً ، ثم أغار على بني نُمير بالمِلْحِ ، فأصاب مائة بعير ، فقال : هذه أحَبُّ إليك أم تلك ؟ قلت : هذه ، قال : دُونكها . وبعث معي خُفَراء من ماءٍ إلى ماءٍ ، حتى وَرَدُوا بي الحيرة ، فلقيني نبطيٌّ : فقال لي : يا أعرابيّ ، أيسرُّك أنَّ لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قُرب مخرج نبيٍّ يخرجُ فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى إنّ أحدهم ليبتاعُ البستان من هذه البساتين بثمن بعير .

قال : فاحتملتُ بأهلي حتى انتهيتُ إلى موضع الشَّيِّطَيْن[1] فبينما نحن في الشَّيِّطَيْن على ماءٍ لنا ، وقد كان الحَوْفَزان بن شريك أغار على بني تميم ، فجاءنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأسلَمْنا ، وما مضت الأيّامُ حتى شريتُ بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة . فقال في يوم المِلْح زيد الخيل[2] : [من الوافر]

ويــوم الملحِ مِلـحِ بني نُمَيْرٍ أصابتكــم بأظفــارٍ ونــابِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عَمِّي عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، والشرقيّ .

أنّ زيد الخيل قال للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : إن في الحيّ رجلين لهما كلاب مُضرَّيات[3] تَصيدُ الوحش ، أفنأكل ممّا أمسكته ولم تُدرك ذكاته ؟ فقال : «إذا أرسلْتَ كلبك فاذكر اسم الله عليه وكُلْ ممّا أمسك» ، أو كما قال عليه السلام .

[شعره في يوم محجر]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق ، عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية ، عن ابن أبي ليلى ، قال : أنشدتني ليلى بنت عُروة بن زيد الخيل الطائيّ شِعْرَ أبيها في يوم مُحَجِّر : [من الطويل]

بني عامر هــل تعرفون إذا غَدا أبو مُكْنِف قــد شدَّ عَقْدَ الدوابرِ

1 الشيّطان : واد في ديار بني تميم .

2 ديوانه : 40–41 وفيه «من يغير على غني» .

3 مضريات : مدربات على الصيد .

بجيشٍ تضلُّ البُلْقُ في حَجَراتـهِ ... تَرى الأُكْمَ فيـه سُجَّداً للحَوافرِ
وجَمعٍ كمثلِ الليل مرتجزِ الوَغى ... كثيرٍ حواشيـه سريـعِ البوادرِ

قالت ليلى : فقلت لأبي : يا أَبَهْ ، أشهدْتَ ذلك اليوم مع أَبيك ؟ قال : إي والله يا بنيَّة ، لقد شهدته ، قلت : كم كانت خيلُ أَبيكَ هذه التي وصفت ؟ قال : ثلاثة أفراس .

[غزوه بني عامر]

نسختُ من كتاب عَمْرو بن أَبي عمرو الشيبانيّ بخطّه عن أَبيه : أَنّ زيدَ الخيل بن مهلهل جمع طَيِّئاً وأَخلاطاً لهم ، وجموعاً من شُذَّاذِ العرب ، فغزا بهم بني عامر ومَن جاورهم من قبائل العرب من قيس ، وسار إليهم فصَبَّحهم من طلوع الشمس فنَذِروا به ، وفزعوا إلى الخَيل وركبوها ، وكان أَوّل مَن نَذِر بهم ، فلقِيَ جمعهم غَنِيٌّ بن أَعصر وإخوتهم : الحارث وهو الطُّفاوة ، واسمُه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، فاستحرَّ القَتلُ بِغَنِيّ ، وفيهم يومئذٍ فُرسان وشُعَراء ، فملأت طيىء أيديهم من غنائمهم .

[أسر الحطيئة وأطلقه]

وأسر زيد الخيل يومئذٍ الحطيئةَ الشاعر ، فجزَّ ناصيته وأَطلقه .

ثم إنّ غنيّاً تجمَّعت بعد ذلك مع لِفّ من بني عامر فغزَوْا طيئاً في أَرضهم ، فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم .

وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني عامر قصيدتَه التي يقول فيها[1] : [من الوافر]

وخيبة مـن يخيب على غَنِـيٍّ ... وباهلـةَ بْنِ أَعصُرَ والكلابِ

فلمّا أدركوا ثارهم أَجابه طُفَيل الغنويّ ، فقال[2] : [من الوافر]

سَمَوْنـا بالجِيـادِ إلى أَعـادٍ ... مُغـاورةً بجِـدٍّ واعتصابِ
نؤمّهـم على وَعْـثٍ وشحطٍ ... بِقُـودٍ يَطَّلِعن مـن النِّقابِ[3]

وهي طويلة يقول فيها : [من الوافر]

---

1 ديوانه : 65–66 .
2 ديوان طفيل الغنوي (صادر) : 96–97 .
3 الوعث : الطريق العسر . وقود : سهلة الانقياد .

أَخذنـا بالمخطَّم مَـنْ أَتاهم ... من السُّودِ المزَنَّمـةِ الرِّغابِ[1]
وَقَتَّلْنـا سَراتَهـمُ جِهـاراً ... وجئنـا بالسَّبايـا والنِّهـابِ
سبايـا طَيِّـئٍ أُبـرزن قَسْراً ... وأُبدلن القصورَ مـن الشِّعابِ
سبايـا طَيِّـئٍ مـن كلّ حَيٍّ ... نمـا في الفرع منها والنِّصابِ
ومـا كانـت بناتُهـمُ سبيّاً ... ولا رغبـاً يعـدُّ مـن الرِّغابِ
ولا كانـت دماؤهـمُ وفـاءً ... لنا فيمـا يُعـدّ مـن العِقابِ

[عروة بن زيد الخيل]

أَخبرني الحسن بن يحيى ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه ، قال : كان لزيد الخيل ابن يقال له عُروة ، وكان فارساً شاعراً ، فشهد القادسيّة ، فحَسُنَ فيها بلاؤه ، وقال في ذلك يذكر حُسْنَ بلائه : [من الطويل]

بـرزتُ لأَهْـلِ القادسيّة مُعْلِمـاً ... ومـا كلّ مَـنْ يَغْشى الكريهةَ يُعلِمُ
ويـوم بأَكناف النُّخَيْلَـة قَبْلَهـا ... شهدتُ فلـم أُبْرَحْ أُدَمِّـي وأُكْلَمُ
وأقعصتُ منهـم فارساً بَعْدَ فـارسٍ ... وما كلّ مَنْ يلقـى الفَوارسَ يَسْلَمُ[2]
ونجّـانيَ اللهُ الأَجَـلُّ وجرأتـي ... وسيفٌ لأَطراف المـرازبِ مِخْذَمُ[3]
وأَيقنـتُ يـوم الدَّيْلَمِيِّين أَنّنـي ... متى ينصرف وَجْهي عن القومِ يُهْزَموا
فمـا رُمْـتُ حتى مزّقـوا برماحهم ... ثيابـي وحتـى بـلَّ أَخْمصيَ الدَّمُ
محافظـةً إنّـي امـرؤٌ ذو حَفيظـة ... إذا لَـمْ أَجِـدْ مستأخـراً أَتقدَّمُ

قال : وشهد مع عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه صِفِّين ، وعاش إلى إمارة معاوية ، فأَراده على البراءة مِن عليّ عليه السلام ، فامتنع عليه ، وقال[4] : [من الوافر]

يحاولُني معاويـةُ بـن حَرْبٍ ... وليس إلى الذي يَهـوى سبيلُ
على جَحْدي أَبـا حَسنٍ عليّـاً ... وحظّـي من أَبي حَسنٍ جليلُ

قال : وله أشعار كثيرة .

1 المزنم : مقطوع طرف الأذن . والرغاب : الكثيرة النقع .
2 أقعسه : قتله وأجهز عليه .
3 المرازب : جمع مرزبان ، وهو الرئيس من الفرس . ومخذم : قاطع .
4 لم يرد البيتان في ديوانه .

[قتل الجرار لما أبى الإسلام]

قال أبو عمرو : كان لتغلب رئيس يقال له الجرّار ، وأدرك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وأبى الإسلام ، وامتنع منه ، فيقال : إنّ رسول الله ﷺ بعث إليه زَيد الخيل ، وأمره بقتاله ، فمضى زيد فقاتله فقتله أبى الإسلام ، وقال في ذلك[1] : [من البسيط]

صبّحتُ حَيَّ بَنـي الجرّار داهيةً ... مـا إن لتغلبَ بعـد اليوم جرّارُ

نحوي النّهابَ ونَحْوِي كلَّ جاريةٍ ... كأن نُقبتهـا في الخـدِّ دِينارُ

[يغير على بني عامر]

قال مؤرّج : خرج رجل من طيىء يقال له : ذؤاب بن عبد الله إلى صِهْرٍ له من هوازن ، فأُصيب الرجل ، وكان شريفاً ذا رِياسة في حَيِّه ، فبلغ ذلك زيداً ، فركب في نبهان ومَن تبعه من ولد الغَوْث ، وأغار على بني عامر ، وجعل كلّما أخذ أسيراً قال له : أَلكَ عِلْم بالطائيّ المقتول ؟ فإن قال : نعم ، قتله ، وإن قال : لا ، خَلّى سبيله ومَنَّ عليه . وأصاب رجالاً من بني الوحيد والضباب وبني نُفَيل . ثم رجع زيد إلى قومه ، فقالوا : ما صنعتَ ؟ فقال : ما أُصبْتُ بثأر ذُؤاب ، ولا يَبُوء به إلاّ عامر بن مالك ملاعب الأسنّة ، فأمّا ابنُ الطّفيل فلا يبوء به ، وأنشأ زيد يقول[2] : [من الخفيف]

لا أرى أن بالقَتِيـل قَتِيـلاً ... عامريّـاً يَفـي بقَتْـل ذُؤابِ

ليس مَنْ لاعَب الأسنّة في النقـ ... ـع وسُمِّي ملاعبـاً بأَرابِ

عامـرٌ ليس عامـرَ بنَ طُفيل ... لكن العَمْرُ رأسُ حـيّ كِلابِ

ذاكَ إن أَلْقَـه أَنالُ بـه الوِتْـ ... ـرَ وقَرَّتْ به عُيونُ الصِّحابِ

أو يَفُتْني فقـد سُبِقْتُ بوترٍ ... مَذْحِجِيٍّ وجَـدُّ قومـيَ كابي

قد تقنَّصْتُ للضِّبابِ رجـالاً ... وتكرّمتُ عن دمـاءِ الضِّبابِ

وأَصبنا مِـن الوَحِيد رجـالاً ... ونُفيـلٍ فمـا أَساغُوا شَرابي

فبلغ عامر بن الطُّفيل قولُ زيد الخيل وشعره ، فأغضبه وقال مجيباً له[3] : [من الخفيف]

قل لزيدٍ قـد كنتَ تؤثَر بالحلـ ... ـم إذا سُفِّهَتْ حلومُ الرِّجالِ

1 ديوانه : 59 .
2 ديوانه : 39 .
3 ديوان عامر بن الطفيل (صادر) 101–102 .

ليس هذا القتيلُ مِنْ سَلَفِ الحـ ـيّ كَلاعٍ ويَحْصُبٍ وكُلالِ[1]
أو بنـي آكلِ المُرار ولا صيـ ـدِ بنـي جَفْنةَ الملوك الطّوالِ
وابن ماء السماء قد علم النّا سُ ولا خَيْرَ في مقالـةِ غالي
إنَّ في قَتْـل عامِـر بْنِ طُفيلٍ لَبَـواءً لطيِّـىء الأَجبـالِ
إنّني والذي يحجُّ لـه النّا س قليـلٌ في عامـر الأَمثالِ
يوم لا مال للمحارب في الحرْ ب سِوى نَصْلِ أَسمـرٍ عَسّالِ
ولجامٍ في رأْس أَجْرَدَ كالجِذْ عِ طُـوالٍ وأَبيضٍ قَصّالِ
ودِلاصٍ كالنِّهْـيِ ذاتِ فضولٍ ذاكَ في حَلْبَةِ الحوادث مالي[2]
ولِعَمِّي فضل الرياسةِ والسـ ـنِّ وجَدّي على هـوازنَ عالي
غير أنّي أُولي هوازنَ في الحر بِ بضَرْبِ المتـوَّجِ المختالِ
وبِطَعْنِ الكَمِيِّ في حَمَسِ النَّقْـ ـعِ على مَتْن هَيْكَـلٍ جَوّالِ

[غارته على بني مرّة]

قال أَبو عمرو الشيبانيّ : لمّا بلغ زيد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعَمرو بن الإطنابة الخَزْرَجيّ وهجائه إيّاه ، غضب زيدٌ لذلكَ ، فأَغار على بني مُرّة بن غطفان ، فأسر الحارث بن ظالم وامرأته في غارته ، ثم مَنّ عليهما ، وقال يذكُرُ ذلك[3] : [من الطويل]

أَلا هـل أَتـى غَوْثاً ورُومانَ أننا صبَحْنا بني ذُبيانَ إحدى العظائمِ
وسُقْنا نساءَ الحـيّ مُـرَّةَ بـالقَنا وبالخيلِ تَرْدي قد حوينا ابن ظالمِ
جَنِيباً لأعضاد النواجـي يَقُدْنَـه على تَعَـبٍ بين النَّواجي الرواسمِ[4]
يقـول : اقبَلُوا مِنّي الفداء وأَنعِموا عـليّ وجُـزُّوني مكـانَ القَوادِمِ
وقد مسَّ حـدُّ الرّمح قوّارةَ اسْتِه فصارت كشِدْقِ الأَعْلَمِ المُتَضاجِمِ[5]
وسائِلْ بنا جارَ ابْنِ عَوف فقد رأى حليلتَـه جالَـتْ عليهـا مقاسمي

1 ذو الكلاع ويحصب وعبد كلال : من ملوك اليمن .
2 الدلاص : الدروع الواسعة الملساء . والنهي : الغدير .
3 ديوانه 96-98 .
4 أعضاد : جمع عضد ، وهو ما حول الشيء . والنواجي : جمع ناجية ، وهي الناقة السريعة .
5 المتضاجم : المعوج الفم .

تُلاعب وُحْدانَ العَضارِيطَ بَعْدَما ... جَلاها بسهميه لقيطُ بن حازِمِ[1]
أُغرّك أَنْ قيل ابنُ عوف ولا أرى ... عَزيمك إلاّ واهِيـاً في العزائمِ
غـداة سَبَيْنا مِـن خَفاجة سَبْيَها ... ومرَّتْ لهم مِنّـا نحوسُ الأشائمِ
فمـن مُبلِغٌ عنّـي الخزارجَ غارةً ... على حيٍّ عـوفٍ موجفاً غَيْرَ نائمِ

[غارته على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان]

وقال أبو عمرو : أغار زَيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذٍ أبو ضَبّ ، ومع زَيد الخيل من بني نَبْهان بطنان يقال لهما : بنو نَصْر وبنو مالك ، فأصاب وغَنِم ، وساقوا الغنيمة ، وانتهى إلى العَلَم ، فاقتسموا النِّهاب ، فقال لهم زيدٌ : أعطوني حقّ الرياسةِ ، فأعطاه بنو نَصْر ، وأبى بنو مالك ، فغضب زيد ، وانحدر إلى بني نصر ، فبينما بنو مالك يقتسمون إذْ غشيَتْهم فَزارة وغطفان ، وهم حلفاء ، فاستنقذوا ما بأيديهم . فلمّا رأى زيد ذلك شدّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضَبّ ، وأخذ ما في أيديهم ، فدفعه إلى بني مالك ، وكانوا نادَوه يومئذٍ : يا زَيْداه ، أغِثْنا ! فكرَّ على القوم حتى استنقذ ما في أيديهم ، وردّه ، وقال يذكر ذلك[2] : [من الطويل]

كَـررْتُ على أَبطـالِ سَعْدٍ وماللكٍ ... ومَنْ يَـدْعُ الدَّاعي إذا هـو ندّدا[3]
فلأْيـاً كَـررتُ الوَرْدَ حتى رأيْتُهم ... يُكَبّـون في الصحراء مَثْنى ومَوْحَدا
وحتـى نبذتُـم بالصَّعيدِ رِماحَكم ... وقـد ظهـرت دَعوى زَنيْم وأسْعَدا
فمـا زلـتُ أرميهم بغُـرَّة وَجْهِهِ ... وبالسيفِ حتـى كلَّ تَحْتِـي وبَلَّدا[4]
إذا شكَّ أطرافُ العَـوالي لَبانَـهُ ... أقدِّمُـه حتـى يَـرى المَوْتَ أسودا
عُلالَتها بالأمس مـا قـد علمتـمُ ... وعَلُّ الجـواري بيننـا أنْ تُسَهَّدا
لقـد علمَـتْ نَبْهـانُ أنّي حميتُها ... وأنّـي منعـتُ السَّبْـيَ أنْ يتبدَّدا
عشيَّةَ غـادرتُ أبـنَ ضَبّ كأنّما ... هوى عن عُقاب من شماريخ صِنْدِدا[5]

1 العضاريط : الخدم ، جمع عضروط .
2 ديوانه : 43–45 .
3 أبطال في ل : فتيان .
4 تحتي في ل : خر بي .
5 عقاب في ل : حفافي . صندد : جبل بتهامة .

بِذي شُطَبٍ أُغْشي الكتيبةَ سَلْهباً أَقَبَّ كَسِرْحانِ الظلام مُعَوَّدا

[زيد وعامر بن الطفيل]

قال أبو عمرو : وخرَج زيد الخيل يطلب نَعَماً له من بني بَدْر ، وأَغار عامرُ بن الطُّفيل على بني فَزارة ، فأخذ امرأةً يقال لها هِنْد ، واستاق نعماً لهم ، فقالت بنو بَدْر لزَيْد : ما كنّا قطّ إلى نَعَمك أُحْوج منّا اليوم ، فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى ، وعامر يقول : يا هند ، ما ظنُّك بالقَوْمِ ؟ فقالت : ظنّي بهم أَنّهم سيطلبونك ، وليسوا نِياماً عنك .

قال : فحطأً عَجُزَها ، ثم قال : لا تقول اسْتُها شيئاً[1] ، فذهبتْ مثلاً .

فأَدركه زيد الخيل ، فنظر إلى عامر فأَنكره لعظمه وجَماله ، وغشيه زيد فبرز له عامر ، فقال : يا عامر ؛ خَلِّ سبيلَ الظعينة والنَّعم . فقال عامر : مَنْ أَنت ؟ قال : فزاريٌّ أَنا . قال عامر : والله ما أَنْتَ من القُلْح[2] أفْواهاً . فقال زيد : خَلِّ عنها ، قال لا ، أَو تخبرني مَنْ أَنت ؟ قال : أَسديٌّ ، قال : لا والله ما أَنْتَ من المتكوِّرين على ظُهورِ الخيل . قال : خَلِّ سبيلها . قال : لا والله أَو تخبرني فاصدقْني ؛ قال : أنا زَيْد الخيل ، قال : صدقْتَ ؛ فما تريد مِنْ قتالي ، فوالله لئن قتلتني لتطلبنّك بَنو عامر ، ولتذهبنّ فزارة بالذكر . فقال له زيد : خَلِّ عنها ، قال : تخلِّي عَنِّي وأَدَعُك والظعينة والنَّعم ؟ قال : فاستأسِر ، قال : أَفعل ، فجزّ ناصيته ، وأخذ رُمْحَه ، وأخذ هنداً والنّعم ، فردَّها إلى بني بَدْر ، وقال في ذلك[3] : [من البسيط]

إنّا لنُكثِرُ في قَيْسٍ وقائعَنا وفي تميمٍ وهذا الحيِّ من أَسدِ
وعامرَ بنَ طُفَيلٍ قد نحوتُ له صَدْرَ القناة بماضي الحدّ مطَّرِدِ
لمّا أَحسَّ بأَنَّ الوَرْدَ مُدرِكه وصارِماً وَربيطَ الجأْش ذا لُبَدِ[4]
نادى إليَّ بسلْمٍ بعدما أَخَذَتْ منه المنيّةُ بالحَيْزومِ واللُّغُدِ
ولو تصبَّر لي حتى أُخالِطَه أَسْعرتُه طعنَةٌ تكْتار بالزَّبَدِ[5]

قال : فانطلق عامر إلى قومه مجزوزاً ، وأَخبرهم الخبر . فغضِبُوا لذلك ، وقالوا : لا

1 لم نعثر على هذا المثل في كتب الأمثال .
2 القلح : جمع أقلح ، وهو الذي في أسنانه صفرة .
3 ديوانه : 51–52 .
4 أحس في ل : تحسب أن .
5 تكتار بالزبد في ل : كالنار بالزّند . وتكتار : تجيش وترمي بالزبد .

تراأسنا أبداً ، وتجهَّزوا ليغيروا على طيىء ، ورأّسوا عليهم علقمة بن عُلاثَة ، فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير .

[يأسر الحطيئة وكعب بن زهير]

فبعث عامر إلى زيد الخيل دَسِيساً يُنْذِره ، فجمع زيدٌ قومه ، فلقيهم بالمضيق فقاتلهم ، فأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم ، فحبسهم ؛ فلمّا طال عليهم الأسر قالوا : يا زيد ، فادِنا . قال : الأمر إلى عامر بن الطُّفيل ، فأَبَوْا ذلك عليه ، فوهبهم لعامر إلاّ الحطيئة وكَعْباً ، فأعطاه كعب فرسه الكُمَيت ، وشكا الحطيئة الحاجةَ ، فمنَّ عليه ، فقال زيد[1] : [من الطويل]

أَقُول لعَبْدي جَرْوَل إذ أَسَرتُهُ ... أَثِبْني ولا يَغْرُرْكَ أَنّك شاعِرُ
أَنا الفارِسُ الحامِي الحقيقةَ والذي ... لـه المَكْرُمات واللُّهـى والمآثِرُ[2]
وقومي رُؤُوس الناسِ والرأسُ قائد ... إذا الحربُ شَبَّتْها الأَكفُّ المساعِرُ
فلستُ إذا ما الموتُ حُوذِرَ وِرْدُه ... وأُتْرِعَ حَوْضاه وحَمَّجَ ناظِرُ[3]
بِوَقافةٍ يخشى الحُتُوفَ تَهيُّباً ... يُباعِدُني عنها من القُبِّ ضامِرُ
ولكنّني أَغْشى الحُتوفَ بصَعْدتي ... مجاهِرةً إنّ الكريمَ يُجاهِرُ[4]
وأَرْوِي سِناني من دِماءٍ عزيزة ... على أَهلِها إذ لا ترجَّى الأَياصِرُ[5]

فقال الحطيئة لزيد[6] : [من الطويل]

إن لم يكن مالي بـآتٍ فإنّني ... سيأْتي ثنائي زيداً بن مُهَلْهِلِ
فأعطيتَ منّا الوُدّ يوم لقيتنا ... ومن آلِ بَدْرٍ شدَّة لم تُهلَّلِ[7]
فما نلتَنا غَدْراً ولكن صبَحْتَنا ... غداةَ التقينا في المضيق بأَخْيُلِ[8]

1 ديوانه : 54–56 .
2 اللهى : العطايا .
3 حمّج : حدد النظر .
4 الصعدة : القناة المستوية .
5 الأياصر : قرابة الرحم ، جمع آصرة .
6 ديوان الحطيئة (صادر) : 172–173 مع اختلاف في الرواية والترتيب .
7 لم تهلل : لم يجبن أصحابها .
8 أخيل : جمع خيل .

تَفادى حمـاةُ القومِ من وقع رمحه تَفادِي ضعافِ الطَّيرِ مِن وَقْعِ أَجدلِ[1]

وقال فيه الحطيئة أيضاً[2] : [من الطويل]

وقعْـتَ بعَبْس ثـم أَنعمت فيهم ومن آل بدر قد أصبت الأخايرا[3]

فإنْ يشكروا فالشكرُ أَدنى إلى التُّقى وإن يكفروا لا أُلْف يا زيدُ كافرا[4]

تركتَ الميـاهَ مـن تميمٍ بَلاقِعاً بما قد ترى منهم حُلُولاً كراكِرا[5]

وحيٍّ سُلَيْمٍ قد أَثْرْت شَرِيدَهم وبالأمس مـا قتَّلتَ يا زيد عامرا

فرضي عنه زيد ومَنَّ عليه لمّا قال هذا فيه ، وعدَّ ذلك ثواباً من الحطيئة وقبله .

فلمّا رجع الحطيئةُ إلى قومه قام فيهم حامداً لزَيْد ، شاكراً لنعمته ، حتى أسرَتْ طيىء بني بدر ، فطلبت فزارةُ وأفناء قيس إلى شعراء العرب أن يَهْجوا بني لأم وزيداً ، فتحامتهم شعراء العرب ، وامتنعت من هجائهم ؛ فصاروا إلى الحطيئة فأبى عليهم ، وقال : اطلبوا غيري فقد حقن دَمي ، وأطلقني بغير فِداءٍ ؛ فلست بكافر نعمتَهُ أبداً ، قالوا : فإنّا نُعطيكَ مائة ناقة ، قـال : واللهِ لو جعلتموها أَلفاً ما فعلت ذلك . وقال الحطيئة[6] : [من البسيط]

كيف الهجـاءُ وما تنفكُّ صالحةٌ مـن آل لأمٍ بظَهْـر الغَيْب تأْتِينا

المنعمـين أَقـام العِـزُّ وسطَهُـمُ بيضُ الوجُـوه وفي الهيجا مَطاعِينا

وقد أُخبرنا أَبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، قال : خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنّصُون الوَحْشَ ، فلقيهم زيد الخيل فأَسرهم ، فافتدى بُجَير نفسه بفرس كان لكعب أخيه ، وكعب يومئذٍ مجاور في بني مِلْقَط من طيىء ، وشكا إليه الحطيئة الفاقة فأَطلقه .

[غزوه فزارة]

وقال أَبو عمرو : غزَتْ بنو نبهان فزارةَ وهم متساندون ومعهم زَيْد الخيل ، فاقتتلوا قتالاً

1 تفادى حماة القوم في ل : كريم تفادى الخيلُ .
2 ديوان الحطيئة : 185 .
3 الأخايرا في الديوان : الأكابرا .
4 التقى في ل : النهى .
5 الكراكر : الجماعات ، واحدتها كركرة .
6 ورد البيت الأول في الديوان (174–175) وروايته فيه :
كيف الهجاء وما تنفك صالحة إذا ذكرت بظهر الغيب تأتيني
ولم يرد البيت الثاني .

شديداً ، ثم انهزمت فزارة ، وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان ، ثم إنّ فزارة حشدت واستعانت بأحياء من قيس ، وفيهم رجل من سُليم شديدُ البأس سيّدٌ يقال له : عبّاس بن أنس الرعليّ ، كانت بنو سُليم قد أرادوا عَقْد التاج على رأسِه في الجاهليّة ، فحسده ابنُ عمٍّ له فلطم عينه ، فخرج عبّاس من أعمال بني سليم في عِدّةٍ من أهل بيته وقومه ، فنزل في بني فزارة ، وكان معهم يومئذٍ ، ولم يكن لزَيْد المِرباع حينئذٍ . وأدركت فزارة بني نبهان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فلمّا رأى زيد ما لَقيَتْ بنو نبهان نادى : يا بني نبهان ؛ أأحمل وَلي المِرْباع ؟ قالوا : نعم ، فشدَّ على بني سليم فهزمهم ، وأخذ أمّ الأسود امرأة عبّاس بن أنس ، ثم شَدَّ على فزارة والأخلاط فهزمهم ، وقال في ذلك[1] : [من الطويل]

ألا ودَّعَتْ جيرانَها أمُّ أسْوَدا ... وضنَّت على ذي حاجَةٍ أن يُزوَّدا
وأبغضُ أخلاقِ النساء أشَدُّه ... إليّ فلا تُولنَّ أهلي تشدّدا
وسائلْ بني نَبْهان عنّا وعندهم ... بلاءٌ كحدّ السيف إذْ قَطَعَ اليدا
دَعَوْا مالكاً ثم اتَّصلنا بمالكٍ ... فكلٌّ ذَكا مصباحُهُ فتوقّدا
وبشرَ بن عمرو قد تركنا مُجَنْدلاً ... ينوء بخطّار هناك ومَعْبَدا
تمطّت به قَوْداءُ ذاتُ عُلالة ... إذا الصِّلْدِمِ الخِنْذِيذ أعْيا وبَلَّدا[2]
لقيناهُمُ نستنقذُ الخيلَ كالقنا ... ويستسلبون السَّمْهَرِيَّ المُقصَّدا
فيا رُبَّ قِدْرٍ قد كفأنا وجَفْنَةٍ ... بذي الرِّمْثِ إذ يدعون مَثْنى ومَوْحَدا
على أنّني أثوى سناني وصَعْدَتي ... ـ بساقَين ـ زيداً أن يبوءَ ومعبدا

[بينه وبين قيس بن عاصم]

قال أبو عمرو : وقعَتْ حربٌ بين أخلاط طيِّىء ، فنهاهم زيد عن ذلك وكَرِهَه فلم ينتهوا ، فاعتزل وجاوَرَ بني تميم ، ونزل على قيس بن عاصم ، فغزَتْ بنو تميم بكرَ بن وائل وعليهم قيس ، وزيد معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وزيد كافٌّ . فلمّا رأى ما لقيَتْ تميم ركب فرسه ، وحمل على القوم ، وجعل يدعو يا لتميم ، ويتكنّى بكنية قَيس إذا قتل رجلاً أو أذراه[3] عن فرسه ، أو هزم ناحية ، حتى هزمت بكر ، وظفرت تميم ، فصارت

1 ديوانه : 46–48 .
2 الصلدم : الشديد الحافر . والخنذيذ : الطويل .
3 أذراه : أطاره .

فخراً لهم في العرب ، وافتخر بها قيس .

فلمّا قدموا قال له زيد : اقسم لي يا قيس نَصيبي ، فقال : وأيّ نصيب ؟ فوالله ما وَلِيَ القتالَ غيري وغيرُ أُصحابي : فقال زيد[1] : [من الطويل]

أَلا هـل أَتاها والأَحادِيثُ جَمَّـةٌ مُغَلغلـةٌ أنبـاءُ جَيْشِ اللَّهـازِمِ
فلستُ بوقّافٍ إذا الخيل أحجمت ولست بكذّاب كقيس بن عاصمِ
تُخبِّر مَنْ لاقيتُ أَن قد هزمتهم ولم تَـدرِ مـا سيماهُمُ والعمائمِ
بل الفارس الطائيُّ فَضَّ جموعَهم ومكّةَ والبيتِ الذي عنـد هاشمِ
إذا ما دَعَوْا عِجْلاً عَجِلنا عليهمُ بِمأْثُورةٍ تَشْفي صُداعَ الجماجمِ

فبلغ المكشَّر بن حَنْظلة العجليَّ أحد بني سنان قولُ زيد ، فخرج في ناس من عِجْل حتى أغار على بني نَبْهان ، فأخذ من نعمهم ما شاء ، وبلغ ذلك زيد الخيل ، فخرج على فرسه في فوارس من نبهان ، حتى اعترض القوم ، فقال : ما لي ولك يا مكشّر ؟ فقال : قولك : [من الطويل]

إذا ما دعوا عجلاً عجلْنا عليهم

فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم ، ورجع المكشّر ببقيّةٍ ما أصاب . فأغار زيد على بني تَيمِ الله بن ثعلبة ، فغنم وسبى ، وقال في ذلك[2] : [من الطويل]

إذا عركت عِجْلٌ بنا ذَنْبَ غَيْرنا عَرَكْنا بتَيْم اللاتِ ذَنْب بني عجلِ

[حريث بن زيد الخيل]

وقال أبو عمرو : كان حُريث بن زيد الخيل شاعراً ، فبعث عمر بن الخطّاب رجلاً من قريش يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البادية ، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه . فأقبل حتى نزل بمحلّة بني نبهان ، فاستقرأ ابن عمٍّ لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن مُنْهِب ، فلم يقرأ شيئاً ، فضربه ، فمات .

فأقامت بنته أُمّ أوس تندبه ، وأقبل حُرَيث بن زيد الخيل فأخبرته ، فأخذ الرّمح فشدّ على أبي سفيان فطعنه فقتله ، وقتل ناساً من أصحابه ، ثم هرب إلى الشام ، وقال في ذلك : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 99–100 .
2 لم يرد هذا البيت في ديوانه .

أَلا بكَّــر الناعي بأَوْسِ بن خالــد أُخي الشَّتْوَة الغَبْراء والزَّمَنِ المَحْلِ
فــلا تَجْزَعِــي يــا أُمَّ أوسٍ فإنّه يلاقي المنايا كلُّ خافٍ وذي نَعْلِ
فــإنْ يقتلوا أوساً عزيــزاً فإنّني تركـتُ أَبا سُفْيانَ ملتزِمَ الرَّحْلِ
ولولا الأُسى ما عشْتُ في الناس بعده ولكنْ إذا مـا شئت جاوبني مِثْلي
أُصبْنا بـــه من خِيرة القوم سَبْعةً كِراماً ولم نأكُلْ به حَشَفَ النَّخْلِ

صوت

[من الخفيف]

بَشَّرَ الظبْيُ والغـرابُ بسُعْدى مَرْحبـاً بالذي يقـول الغرابُ
اذْهَبي فاقرئـي السلام عليهم ثــم رُدِّي جوابَنـا يـا رَبابُ

عروضه من الخفيف . الشعر لعُبيد الله بن قيس الرقيّات ، والغِناء لفِنْد المخنّث ، مولى عائشة بنت سَعْد بن أَبي وقّاص ، خفيف رمل بالبنصر . وذكر حبش أنّ هذا اللّحن ليحيى المكّيّ ، وليس ممّن يُحصّل قوله .

362 ـ [خبر لابن قيس الرقيّات][1]

أَخبرني بالسبب الذي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحِرْميُّ بن أَبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن محمد بن أَبي الحارث الكاتب ، مولى بني عامر بن لؤيّ ؛ وأبو الحارث هذا هو الذي يقول فيه عمر بن أَبي ربيعة : [من الرمل]

يا أَبــا الحارثِ قلبي طائرٌ فائتمر أَمْــرَ رشيــد مُؤتمنْ

[يقف مع عبد العزيز بن مروان]

قال : حدَّثني عمرو بن عبد الرحمن بن عَمْرو بن سهل ، قال : حدَّثني سليمان بن نوفل بن مساحق ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : أَراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان ، وكتب إلى عبد العزيز يسأَلُه ذلك ، فامتنع عليه ، وكتب إليه يقول له : لي ابنٌ ليس ابنُك أحبَّ إليَّ منه ؛ فإن استطعت ألاّ يفرقَ بيننا الموت وأنتَ لي قاطع فافعل . فرقَّ له عبد الملك ، وكفَّ عن ذلك ، فقال عُبيد الله بن قيس في ذلك ، وكان عند عبد العزيز[2] : [من المنسرح]

يَخلُفكَ البيضُ مِـنْ بنيــك كما يُخْلَفُ عُــودُ النُّضارِ في شُعَبِهْ
ليسوا مِنَ الخِرْوع الضِّعاف ولا أَشبــاهِ عيدانـــه ولا غَـــرَبِهْ[3]
نحــن على بيعــةِ الرسول التــي أُعطِيَــتْ في عُجمـــه وفي عَرَبِهْ
نأتي إذا ما دعوتَ في الزَّغَفِ المَسْـ ــرودِ أبدانُـــه وفي جُنَبِـهْ[4]
نُهــدِي رَعِيــلاً أَمــام أَرْعَنَ لا يُعرفُ وَجْـهُ البلقـاء في لَجبِهْ[5]

فقال عبد الملك : لقد دخل ابنُ قَيْس الرقيّات مَدْخَلاً ضيِّقاً ، وتهدّده وشتمه . وقال : أَليس

---

1 تقدمت ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات في الأغاني 5 : 48 .

2 ديوان ابن قيس الرقيات (نجم) : 14–15 .

3 الضعاف في الديوان : الضعيف .

4 الديوان : نأتي إذا ما دعوت في الحلق الـ ـماذي أبدانــه وفي جببــه
والزغف الدروع الواسعة المحكمة ، واحدتها زغفة . وجببه : جمع جبة ، وهي الدرع السابغة .

5 الديوان : يهدي رعالاً . والرعال : جمع رعيل ، وهو القطعة من الخيل . وارعن : كثير ، صفة للجيش .

هو القائل[1] : [من الخفيف]

كَيْفَ نومـي على الفراش ولما تَشْمَلِ الشّامَ غـارةٌ شعواءُ
تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتبدي عـن خِـدامِ العقيلةُ العَذْراءُ[2]

وهو القائل أيضاً[3] : [من الطويل]

على بَيْعَـةِ الإسلام بايَعْنَ مُصْعَباً كرادِيس مِنْ خيل وجمعاً مُباركا[4]
تـداركَ أُخرانـا ويَمْضي أمامنا ويتْبَع ميمـونَ النقيبـة ناسكا
إذا فرغَـتْ أظفارُه مـنْ كتيبةٍ أمال على أُخرى السيوفَ البواتكا

قال : فلمّا بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشَتْمه إيّاه قال[5] : [من الخفيف]

بَشَّرَ الظَّبْيُ والغُـرابُ بسُعْدى مَرْحبـاً بالذي يقـول الغرابُ
قـال لي : إنَّ خيرَ سعدى قريب قـد أنـى أنْ يكون منه اقترابُ
قالـت : أنَّى تكون سُعْدى قريباً وعليهـا الحصـونُ والأبوابُ
حبّذا الرِّيمُ ذو الوشاحين والخَـ ـصْرُ الذي لا ينالُـه الأثوابُ[6]
إنَّ في القصر لـو دخلتَ غزالاً مُصْفَقاً موصَداً عليـه الحِجابُ
أرسَلَتْ أن فَدَتْكَ نفسيَ فاحذرْ هاهُنـا شُرْطَـةٌ عليـك غضابُ
أقسموا إنْ رأوك لا تَطْعَـم المـا ءَ وهـم حـين يقدُرُون ذِئابُ
قلت : قـد يَغْفَلُ الرَّقيبُ ويُغْفي شُرْطـةٌ أو يحـينُ منـه انقلابُ
أو عسى أنْ يُـوَرِّيَ الله أمـراً ليس في غَيْبِـهِ علينـا ارتِقابُ
اذهبـي فاقرئـي السلامَ عليهـا ثـم رُدِّي جوابَنـا يـا رَبابُ
حدّثيها مـا قـد لقيتُ وقُولي حُـقَّ للعاشق الكريـم ثوابُ
رجـلٌ أنتِ همُّـهُ حـين يُمْسي خامرَتْـهُ مِـنْ أجلِكِ الأوصابُ

1 الديوان : 95–96 .
2 عن خدام في الديوان : عن براها .
3 ديوانه : 132 .
4 الديوان : مباركا ، أي كثير .
5 ديوانه : 84–86 مع بعض اختلاف .
6 الديوان : والقصر . . . الأسباب .

لا أُشمُّ الريحـــانَ إلاّ بعَيْـــ ـنيّ كَرمــاً إنّما يشمُّ الكلابُ
رُبَّ زارٍ عـــليَّ لم يَـــرَ منّـــي عثــرةً وهـــو مُومِسٌ كـذّابُ
خــادعَ اللّهَ حـــين جلَّله الشيـ ـبُ فأضحى قد بان منه الشّبابُ
يأمُــرُ النّـــاس أن يبرّوا ويُمْسي وعليـــهِ مـــن عَيبـــه جِلْبابُ
لا تَعِبْنـــي فليس عنـــدك علم لا تنامَـــنَّ أيُّهـــا المغتـــابُ
تَختِـــلُ الناسَ بـــالكتاب فهـلاّ حـــين تغتابنـــي نهـاكَ الكتابُ
لَسْتَ بالمُخْبِتِ التقـــيِّ ولا المُحْـ ـضِيهِ مـــن مقالتـــي الاحتسابُ[1]
إنّنـــي والتي رَمَـتْ بـــك كرهاً ساقطـــاً مُلصَقـــاً عليك الترابُ
لتذوقـــنّ غِـــبَّ رأيـــك فينا حـــين تَبْدو بعرضِكِ الأندابُ

قال الزُّبير : معنى قوله : [من الخفيف]

لا أشمّ الريحـــانَ إلاّ بعيـــ ـنيَّ كَرماً إنّما يشمُّ الكلابُ

يُعرِّض بعَبْدِ الملك ؛ لأنّه كان متغيِّرَ الفم يؤذيه رائحته ، فكان في يده أبداً ريحان ، أو تفّاحة ، أو طيب يشمّه .

أُخبرني الحِرْميّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، عن عمِّه : أنَّ ابن قيس قال في عبد العزيز بن مروان[2] : [من المنسرح]

يلتفـتُ الناسُ عنـد مِنْبره إذا عمودُ البريّـةِ انهدما[3]

يعني إذا مات عبد الملك ؛ لأنَّ العهْدَ كان إليه بعده .

قال الزُّبير : فأُخبرني مصعب بن عثمان ، قال : لمّا بلغ عبد الملك هذا البيت أُحفظه ، وقال : بفيه الحجر ، وحينئذٍ قال : لقد دخل ابن قيس مَدْخلاً ضيّقاً .

[الحجّاج يدس من يرشح الوليد للخلافة]

أُخبرني الحِرْميّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني كُثيِّر بن جعفر ، عن أُبيه ، قال : قال الحجّاج يوماً لأهلِ ثِقته من جلسائه : ما مِن أحد من بني أُميّة أَشدّ نَصْباً[4] لي من

---

1 البيت في الديوان : لست بالمخبث التقيّ ولا المحـ ـض الذي لا تذمه الأنساب
2 ديوانه : 152 .
3 عند في ل والديوان : حول .
4 النصب : المعاداة .

عبد العزيز بن مروان ، وليس يوم من الأيّام إلاّ وأنا أتخوّف أنْ تأتيني منه قارعة ، فهل من رجل تدلّوني عليه ، له لسانٌ وشعر وجلد ؟ قالوا : نعم ، عمران بن عصام العنزيّ ، فدعاه فأخلاه ، ثم قال : اخرج بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين ، فاقدح في قَلْبِه من ابنه شيئاً في الولاية ، فقال له عمران : دُسّ أيّها الأمير إليّ دَسّاً ، فقال له الحجّاج : «إنّ العوانَ لا تُعلّم الخِمْرة»[1] .

فخرج بكتاب الحجّاج ، فلمّا دخل على عبد الملك دفع إليه الكتابَ ، وسأله عن الحجّاج ، وأمْر العراق ، فاندفع يقول : [من الوافر]

أميرَ المؤمنيـن إليك أُهدي ... على الشَّحْطِ التحيّـةَ والسلاما
أميرٌ مـن بَنِيك يكن جوابي ... لهـم أُكرومـةً ولنـا نظاما
فلـو أنّ الوليـدَ أُطاعَ فيـه ... جعلتَ لـه الإمامـةَ والذِّماما

فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز في ذلك . ثم ذكر من خبرهما في المكاتبة مثل الخبر الذي قبله ، وقال فيه : فرَقَّ عبدُ الملك رِقّةً شديدة ، وقال : لا يكونُ إلى الصلة أسرعَ منّي ، فكفّ عن ذلك . وما لبث عبد العزيز إلاّ ستّة أشهر حتى مات . فلمّا كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجّاج ، فأُتي به حين قَتل ابنَ الأشعث فقتله ، فبلغ ذلك عبد الملك فقال : قطع الله يدي الحجّاج ! أقَتَلَهُ وهو الذي يقول : [من الكامل]

وبعثت من ولد الأغرّ مُعَتَّبٍ ... صَقْراً يلـوذُ حَمامـه بالعَوْسَجِ
وإذا طبختَ بنـارِه أنضجتَها ... وإذا طبخت بغيرها لم تُنْضِجِ

1 المثل «إن العوان لا تعلم الخمرة» في مجمع الميداني 1 : 69 ومستقصى الزمخشري 1 : 334 .

[363] ـ ذكر فند وأخباره

[كان خليعاً متهتكاً]

هو فِنْد أَبو زَيْد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقّاص ، ومنشؤه المدينة ، وكان خليعاً متهتكاً ، يجمع بين الرجالِ والنساء في منزله ، ولذلك يقول فيه ابن قيس الرقيّات[1] : [من الخفيف]

صوت

قــل لفِنْــدٍ يُشَيِّعُ الأَظْعانا طالمــا سَرَّ عيشَنــا وكَفــانا
صادراتٍ عشيّــةً مِــنْ قُدَيد وارداتٍ مع الضّحى عُسْفانا
زوَّدَتْنــا رُقَيَّــةُ الأَحزانــا يوم جازت حُمولُها السّكْرانا

عروضه من الخفيف . غنّاه مالك بن أَبي السمح من روايتي إسحاق وعَمرو بن بانة . ولحنه من خفيف الثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى .

وقد اختلف في اسمه ، فقيل : قَند بالقاف ، وفِنْد بالفاء أَصحُّ . وبه يضرب المثل في الإبطاء ، فيقال : تَعِست العَجلة[2] .

[غاب سنة ليجيء بنار]

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، قال : كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار ، فخرج لذلك ، فلقي عِيراً خارجاً إلى مصْر ، فخرج معهم ، فلمّا كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ، ودخل على عائشة وهو يَعْدو فسقط وقد قرب منها ، فقال : تَعِسَت العَجَلة ، فقال بعض الشعراء في رجل ذُكِرَ بمثل هذه الحال : [من الرمل]

مــا رأينــا لعُبَيْدٍ مثَــلاً إذْ بعَثْناهُ يَجِــي بالمَسَلَهْ
غير فِنْــد بعثُــوه قابساً فنوى حَــوْلاً وسبَّ العَجَلَهْ

[سعد بن إبراهيم يترضاه بعد ضربه إيّاه]

أَخبرني الحسين ، قال : قال حمّاد : قرأتُ على أَبي الهيثم بن عَدِيّ ، قال : كان فِنْد أبو زيد

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 157 مع اختلاف في الرواية والترتيب .
2 المثل «تعست العجلة» في مجمع الميداني 1 : 139 والفاخر : 198 .

مولى لسَعد بن أَبي وقّاص ، فضربه سَعْد بن إبراهيم ضرباً مُبرِّحاً ، فحلفَتْ عائشةُ بنت سعد أنّها لا تكلِّمه أبداً أو يرضى عنه ، وكانت خالته ، فصار إليه سعد طاعة لخالته ، فوجده وَجِعاً من ضَرْبه ، فسلَّم عليه فحوَّل وَجهَه عنه إلى الحائط ولم يكلِّمه ؛ فقال له : أَبا زيد ، إنَّ خالتي حلفت أَلاّ تكلّمني حتى ترْضى ، ولستُ ببارح حتى تَرْضى عنّي . فقال : أما أَنا فأشهد أنّك مَقِيت سَمج مبغَّض ، وقد رَضيتُ عنك على هذه الحال لتقومَ عنّي ، وتُرِيحني من وجهك ومن النظر إليك .

فقام من عنده ، فدخل على عائشة ، وأَخبرها بما قال له فِنْد ، فقالت : قد صدق ، وأنت كذلك ورضِيتْ عنه .

قال : وكان سعدٌ مضطرِبَ الخُلُقِ سَمِجاً .

[مروان بن الحكم سمج والياً ومعزولاً]

أَخبرني الحسين قال : قال حمّاد : قرأت على أَبي بكر : وذكر عوانةُ أَنَّ معاوية كان يستعملُ مَروان بن الحكم على المدينة سنةً ، ويستعمل سعيد بن العاص سنةً ، فكانت ولاية مروان شديدةً يهربُ فيها أَهل الدعارة والفسوق ، وولاية سعيد ليّنة يرجعون إليها ، فبينا مروان يأتي المسجد وفي يده عكّازة له ، وهو يومئذٍ مَعزول ، إذا هو بفِنْدٍ يمشي بين يديه ، فوكزه بالعكازة ، وقال له : ويلك هِيه .

[من الخفيف]

قـل لفِنْـد يُشيِّع الأَظْعانا

أتشيّع الأَظعانَ للفساد ، لا أُمَّ لك ، إلى أَهل الريبة ! ستعلمُ ما يحلّ بك مِنّي ، فالتفت إليه فِنْد ، وقال : نعم ، أنا ذلك وسبحان الله ! ما أَسمَجك والياً ومَعْزولاً ! فضحك مَروان ، وقال له : تمتَّعْ ، إنّما هي أَيّام قلائل ثم تعلم ما يمرّ بك منّي .

صوت

[من مجزوء الكامل]

حَيٌّ الدُّوَيْـرَةَ إذ نأت   منّـا عـلى عُدَوائِهـا
لا بالفـراقِ تُنِيلنـا   شيئـاً ولا بلقائهـا

عروضه من الكامل[1] . الشعر لنُبَيه بن الحجّاج السَّهميّ ، والغناء لابن سريج ، رَمَل بالوُسطى عن عَمْرو .

---

1 من مجزوء الكامل .

[364] ـ أَخبار نبيه ونسبه[1]

[نسبه]

هو نبيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سَعْد بن سهم بن عَمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب ؛ وأُمُّه وأُمّ أَخيه مُنَبِّه أُروى بنت عُمَيلة بن السبّاق بن عبد الدار بن قصيّ .

[من قتلى بدر]

وكان نُبَيه بن الحجّاج وأَخوه من وُجوه قريش وذوي النباهة فيهم ، وقُتِلا جميعاً يوم بَدْر مشركَيْنِ ، ولهما يقول أعشى بني تميم ، وهو ابن النبّاش بن زُرارة ، وكان أخوه أبو هالَة بن النبّاش زَوْج خديجة أُمّ المؤمنين في الجاهلية ، ولها منه أولاد لهم عَقب إلى الآن ، وكان الأعشى مَدَّاحاً لهم ، وفيهم يقول ، وهي قصيدة طويلة[2] : [من البسيط]

لله دَرُّ بنــي الحجّــاج إذْ نُدِبوا ... لا يَشتكي فِعْلَهم ضيفٌ ولا جارُ[3]

إن يكسبوا يُطعِموا مِنْ فَضْل كسبِهمُ ... وأوفِيــاءُ بعَقْـدِ الجــارِ أَحرارُ[4]

وفي نبيه يقول أيضاً[5] : [من البسيط]

إنَّ نُبيهــاً أَبــا الــرزّامِ أفضلُهم ... حِلْماً وأَجودُهم ، والجودُ تَفْضِيلُ[6]

ليس لفعــل نُبيه إنْ مَضى خَلَفٌ ... ولا لقــول أَبــي الرزّام تَبْدِيلُ

ثَقْفٌ كلُقْمانَ ، عَدْلٌ في حكومتِه ... سيْفٌ إذا قام وَسْطَ القوم مَسْلَولُ[7]

وإنَّ بيــتَ نُبيــهِ مَنْهــَجٌ فَلجٌ ... مُخَضَّر بالندى مـا عاشَ مأهُولُ[8]

---

1 لنبيه بن الحجاج السهمي ترجمة في خزانة البغدادي 6 : 419–421 والمحبر 161–162 ونسب قريش : 403–404 وانظر أعلام الزركلي .

2 أورد الآمدي في المؤتلف والمختلف : 21 تسعة أبيات منها مع اختلاف كبير في الرواية .

3 الآمدي :

وقـد أراها حديثاً وهـي آنسة ... لا يشتكي أهلها ضيف ولا جار

4 ل والآمدي : . . . وأوفياء لمن آووه أبرار

5 نسب قريش : 404 .

6 أفضلهم في نسب قريش : أحلمهم .

7 ثقف : حاذق .

8 فلج : واسع .

مَن لا يَعُــرُّ ولا يــؤذِي عشيرتَه ولا نَــداهُ عــن المُعْتَرّ معدولُ[1]

وله أيضاً مراثٍ قالها فيهما لما قُتِلا بِبَدْر لم أَستَجزْ ذِكْرها ؛ لأنّهما قُتِلا مشركَيْن محاربَيْن لله ورسوله .

[افتقاره بعد غنى]

وكان نُبَيْه من شعراء قريش ، وهو القائل وقد سألته زوْجَتاه الطلاق ، ذكر ذلك الزُّبير بن بكّار[2] : [من الخفيف]

تلـك عِرْسايَ تنطقـان بِهُجْـرٍ وتقـولان قَـوْلَ زُورٍ وهِتْـرِ
تسألاني الطـلاقَ أَنْ رأتـاني قـلَّ مالِي ، قد جئتمـاني بِنُكْرِ
فلعلّي أَنْ يَكْثُرَ المـالُ عِنْـدِي ويُخلّـى مـن المغـارم ظَهْـري[3]
ويُـرى أَعْبُـدٌ لَنـا وجِيـادٌ ومَناصِيف مِـنْ وَلائِـدَ عَشْرُ[4]
ويَكأَنْ مَنْ يكن لـه نَشَبٌ يُحْـبَبْ ومَنْ يفتقر يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ
ويُجَنَّبْ يُسْرَ الأُمـورِ ولـكنّ ذَوِي المال حُضَّرٌ كلَّ يُسْرِ

أُخبرني الطوسيّ والحِرْميّ ؛ قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني علي بن صالح : أنَّ عامر بن صالح أنشده لنُبَيْه بن الحجّاج : [من الخفيف]

قَصَّرَ العُدْم بي ولو كنت ذا ما لٍ كثيرٍ لأَجلبَ الناسُ حَوْلِي
ولقالوا : أَنـت الكريـمُ علينا ولحطّـوا إلى هـوايَ ومَيْلي
ولَكِلْتُ المعـروفَ كَيْلا هَنِيّاً يَعْجِزُ الناسُ أَنْ يكيلوا ككيلي

قال الزُّبير : قال عليّ بن صالح : وأُنشدني عامر بن صالح لنبيْه بن الحجّاج أيضاً : [من الطويل]

قالت سُليمى إذ طَرَقْتُ أُزورُها : لا أُبتغـي إلاّ امْـرءاً ذا مـالِ
لا أُبتغـي إلاّ امْرءاً ذا ثَـرْوَة كيمـا يَسُدُّ مفاقِـري وخِـلالي
فلأَحرِصَنَّ على اكتسابِ محبَّـبٍ ولأَكْسِبَـنْ في عِفَّـةٍ وجمـالِ

---

1 يعرُّ في ل : يعق .
2 في نسب قريش : 404 أربعة أبيات منها .
3 ويخلي في ل : ويعرى .
4 مناصيف : خدم ، واحدها مِنصَف .

أخبرني الطوسيّ والحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني عمِّي مصعب ، قال : نزل نُبَيْه بن الحجّاج قُدَيداً يُريد الشامَ ، فغيَّب بعضُ بني بكر ناقتَه ، يريد أخْذَ الجعالة عليها منه ، فقال نبيه في ذلك : [من الكامل]

وردَتْ قُدَيْداً فالْتَوى بذراعها ... ذؤبانُ بكرٍ كلُّ أطلسَ أفْحَجِ[1]
رجلٌ صَدِيقٌ ما بَدَت لك عَيْنُه ... فإذا تغيَّب فاحتفظْ مِنْ دَعْلجِ

قال الزُّبير : الدَّعْلَج : الكلب والذِّئب ، وكل مختلس من السباع فهو دَعْلَج ، ويقال لاختلاسه : الدَّعْلجة ، وأنشد : [من الكامل]

باتت كلابُ الحيّ تَسْرِي بَيْنَنا ... يَأْكُلْنَ دَعلجةً ويشبَع من ثَوى

يعني بالدعلجة السرقة .

قال الزُّبير : ولا عَقِبَ للحجّاج أبي نُبَيْه ومنبِّه إلاّ من ولد نُبيه ؛ فإنّ العَقب من ولد أبي سلمة إبراهيم بن عبد الله بن عفيف بن نُبَيْه ، وفي ريطة بنت منبّه ؛ فإنّ عمرو بن العاص تزوّجها فولدت له عبد الله بن عَمرو .

[حلف الفضول يرد امرأة انتزعها]

وهذا الشعرُ الذي فيه الغِناء يقوله في امرأةٍ كان غلب أباها عليها ، فاستغاث أبوها بالحلفاء من قريش ، والحِلف المعروف بحِلْف الفضول ؛ فانتزعوها من نُبَيْه وردُّوها على أبيها .

أخبرني الطوسيّ ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني غَيْرُ واحد من قريش ، منهم عبد العزيز بن عمر العَنْبسيّ عن مغنٍّ ، واسمه عُيينة بن عبد الله بن عَنْبسة : أنَّ رجلاً من خَثْعم قدم مكّة تاجِراً ، ومعه ابنةٌ له يقال لها القَتُول ، أوْضَأُ نساء العالمين وَجْهاً ؛ فعلِقها نُبَيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعْد بن سَهْم ، فلم يبرح حتى نَقَلها إليه ، وغلب أباها عليها . فقيل لأبيها : عليك بِحلْفِ الفضول ؛ فأتاهم فشكا ذلك إليهم ، فأتوا نُبَيْه بن الحجّاج ، فقالوا : أخرج ابنةَ هذا الرجل ، وهو يومئذٍ مُتَبَدٍّ بناحية مكّة وهي معه ، فقال : لا أفعل ، قالوا : فإنّا مَنْ قد عَرَفْت ، فقال : يا قوم مَتِّعوني بها الليلة ، فقالوا : قبَّحك الله ، ما أجهلك ! ، لا والله ولا شَخْبَ لِقْحَةٍ ، وهي أوْسَعُ أحاليب الشائل ، فأخرجها إليهم فأعطوها أباها ، وركبوا ، وركب معهم الخَثْعَميّ . فلذلك يقول نُبَيه بن

1 ذؤبان : هنا : لصوص . والأطلس : المغبر . والأفحج : متداني صدور القدمين متباعد العقب .

الحجّاج : [من الخفيف]

راحَ صَحْبي ولم أُحَيِّ القَتُولا لم أُودّعهمُ وَداعاً جميلا
إذْ أُجدَّ الفُضولُ أَنْ يمنعُوها قد أَراني ولا أَخافُ الفُضولا
لا تخالي أنّي عشيّةَ راحَ الـ ـرّكْبُ هُنْتُم عليّ ألاّ أَقُولا
إنّني والذي حجّ لَهُ شُمْـ ـطٌ من إياد وهلَّلوا تهليلا
لا تَبرَّأتُ مِنْ قُتَيْلَةَ بالنّا سِ وهَلْ تَبْتَغُونَ إلاّ القَتُولا
لَمْ أُخبِّر عن الحديث ولا أَبْـ ـداً رَسَّ الحديث والتقبيلا
ومَبِيتاً بذِي المجاز ثلاثاً ومتى كان حجُّنا تحليلا
لن أُذيعَ الحديثَ عنها ولا أَنْـ ـقادُ لو أبيت فيها فتيلا
أتلوَّى بها كما تَتَلَوَّى حيَّةُ الماء بالأَباء طويلا[1]
ثم عدْواً عِداءَ نَخْلَةَ ما يد رِكُ منهمُ أَدنى رَعِيل رَعِيلا
وبنو غالب أولئك قومي ومتى يفزعوا تراهم قَبِيلا
ونَدامى بِيضُ الوجوه كهولٌ وشبابٌ أَسهرتُ لَيْلاً طَوِيلا
غير هُجنٍ ولا لئامٍ ولا تعـ ـرف منهمْ إلاّ فَتى بُهْلُولا

وفي ذلك يقول نُبَيه بن الحجّاج[2] : [من مجزوء الكامل]

حيٌّ الدُّوَيْرةَ إذْ نأَتْ مِنَّا على عُدَوائِها[3]
لا بالفراق تُنِيلُنا شيئاً ولا بلقائها
أخذَتْ حُشاشةَ قَلْبِهِ ونأَتْ فكيف بنائها[4]
حلَّت تِهامةَ خُلَّةٌ مِنْ بَيْتِها ووِطائها
ولهما بمكّةَ مَنْزِلٌ مِنْ سهلِها وَحِرائها
رفعُوا المحلّةَ فوقها واستعذبوا مِنْ مائِها

1 الأباء : أجمة الحلفاء والقصب .
2 في نسب قريش : 291 ثلاثة أبيات منها .
3 عدوائها : بعدها .
4 بنائها : بعدها .

تَدْعو شِهاباً حَوْلَها وتعمُّ في حُلفائها
لولا الفُضولُ وأنّه لا أَمْنَ مِنْ عُدَوائها
لدنوتُ مِنْ أبياتِها ولطُفْتُ حَوْلَ خِبائِها
ولجئتُها أَمشي بِلا هادٍ لَدى ظَلْمائها
فشربتُ فضلةَ رِيقها وَلَبِتُّ في أحشائها
فَسَلى بمكّة تُخْبَري أنّا مِن أَهل وَفائِها
قِدْماً وأَفضلُ أهلها مِنّا على أكفائِها
نمشي بأَلْوِيَة الوَغى ونموتُ في أَوْدائِها[1]

1 أودائها : جمع وادي .

365 ـ [حلف الفضول][1]

[سبب حلف الفضول]

أخبرنا به الطُّوسيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عُبيدة قال : كان سَبَبُ حِلْف الفضول أنَّ رجلاً من أهل اليمن قدِم مكّة ببضاعة فاشتراها رجلٌ من بني سَهْم ، فلَوى الرجلَ بحقِّه ، فسأله متاعَه فأبى عليه ، فقام في الحجر ، فقال[2] : [من البسيط]

يــالَ قُصيٍّ لمظْلُومٍ بِضاعتُه ببَطْنِ مكّة نائـي الدّار والنَّفرِ
وأشعثٍ مُحرمٍ لم يَقضِ حُرْمته بين المقام وبَيْنَ الرُّكْن والحَجَرِ

ورَوى بعضُ الثقاتِ تماماً لهذين البيتين ، وهو : [من البسيط]

أقائـمٌ مِنْ بني سَهمٍ بذمّتهم أم ذاهبٌ في ضَلالٍ مالُ مُعْتَمرِ
إنَّ الحرامَ لِمَنْ تَمَّتْ حَرامتُه ولا حرام لثَوْبِ الفاجرِ الغُدَرِ

قال : وقال بعضُ العلماء : إنّ قيس بن شَيْبَة السُّلَميّ باع متاعاً من أُبيّ بن خَلَف ، فَلَواهُ وذهب بحقِّه ، فاستجار برجل من بني جُمح ، فلم يقمْ بجواره ، فقال : [من الرجز]

يالَ قُصَيّ كيف هذا في الحَرَمْ وحرمةِ البيت وأعلاقِ الكَرَمْ
أُظْلَمُ لا يُمْنَعُ منّي مَن ظَلَمْ

قال : وبلغ الخبر العبّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ ، فقال : [من البسيط]

إن كان جــارُكَ لم تنفعكَ ذِمَّتُه وقد شرِبتَ بكأس الغـلِّ أنفاسا
فائْتِ البيوتَ وكُنْ من أهلها صَدداً لا تُلْف ناديَهُمْ فُحْشاً ولا باسا[3]
واخطط ونم بِفناء البَيْتِ مُعْتَصِماً تَلْقَ ابنَ حربٍ وتَلْقَ المـرءَ عبّاسا
قَرْمَـــيْ قُريشٍ وحَلاًّ في ذُؤابتها بالمجد والحَزْمِ ما حاز وما ساسا

---

1 خبر حلف الفضول في سيرة ابن هشام 1 : 133–135 وابن كثير 2 : 29 .
2 انظر حاشية سيرة ابن هشام 1 : 133 .
3 صدداً : قبالتهم وقريباً منهم .

ساقــي الحجيج وهــذا ياسرٌ فَلَجٌ والمجـدُ يورثُ أخماساً وأسداسا[1]

فقام العبّاس وأبو سفيان حتى ردّا عليه . واجتمعت بطونُ قريش ، فتحالفوا على ردّ الظلم بمكّة ، وألاّ يُظلم رَجلٌ بمكّة إلاّ منعُوه ، وأخذوا له بحقّه ، وكان حِلْفهم في دار ابن جُدْعان ، فكان رسولُ الله ﷺ يقول : «لقد شهدْتُ حِلْفاً في دار ابن جُدْعان ما أحِبُّ أنّ لي به حُمْرَ النَّعَم ، ولو دُعيتُ به لأجبتُ» .

فقال قوم من قريش : هذا واللهِ فضل منَ الحلف ؛ فسمّي حلفَ الفضول .

قال : وقال آخرون : تحالفوا على مِثْل حِلْفٍ تحالف عليه قومٌ مِنْ جُرْهم في هذا الأمر ألاّ يُقرُّوا ظلماً ببطن مكّة إلاّ غيَّروه ، وأسماؤهم الفضل بن شراعة ، والفضل بن قُضاعة ، والفَضْل بن سماعة[2] .

قال : وحدَّثني محمد بن فضالة ، عن عبد الله بن سمعان ، عن ابن شهاب ، قال : كان شأن حِلْف الفضول أنَّ بَدْءَ ذلك أنّ رجلاً من بني زُبَيد قدِم مكّة مُعْتَمِراً في الجاهلية ومعه تِجارةٌ له ، فاشْتَراها منه رجلٌ من بني سَهْم ، فأواها إلى بيته ، ثم تغيَّب ، فابتغى مَتاعَه الزُّبيديّ ، فلم يقدِرْ عليه ، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه ، فأغْلَظُوا عليه ، فعرف أنْ لا سبيل إلى ماله ؛ فطوَّف في قبائل قريش يستعينُ بهم ، فتخاذلت القبائلُ عنه ، فلمّا رأى ذلك أشرف على أبي قُبَيْس حين أخذت قُريش مجالِسها في المسجد ، ثم قال : [من البسيط]

يــا آل فِهْــرٍ لمظلوم بِضاعَتُه ببَطْن مكّة نائـي الدارِ والنَّفَرِ
ومُحْرِمٍ شَعِثٍ لم يقضِ عُمْرَتَهُ يا آل فهرٍ وبين الحِجْرِ والحَجَرِ
أقائمٌ من بني سَهْم بخُفرتهم فعادلٌ أم ضلالٌ مالُ معتمرِ[3]

فلمّا نزل أعظَمت قريشٌ ذلك ، فتكلَّموا فيه ، فقال المُطيَّبون : والله لئن قُمْنا في هذا ليغضَبَنّ الأحلاف ، وقال الأحلافُ : والله لئن تكلّمنا في هذا ليغضبنَّ المطيَّبون ، وقال ناس من قريش : تعالـوا فليكـن حِلْفاً فُضُولاً دونَ المطيّبين ودون الأحـلاف ، فاجتمعوا في دارِ عبد الله بن جُدْعان ، وصنع لهم طعاماً يومئذٍ كثيراً ، وكان رسولُ الله ﷺ يومئذٍ معهم ، قَبْل أن يُوحِيَ اللهُ إليه ، وهو ابن خمس وعشرين سنة . فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتَيْم ،

1 ياسر : لين .
2 ل : فلان .
3 أقائم في ل : هل مخفر . . .

وكان الذي تعاقَدَ عليه القومُ : تحالفوا على ألاّ يُظلم بمكّة غَريبَ ولا قَريب ولا حُرٌّ ولا عَبْدٌ إلاّ كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقّه ، ويُؤَدّوا إليه مظلمَتَه من أنفسهم ومن غيرهم ، ثم عمدوا إلى ماءٍ من زَمزم فجعلوه في جَفْنة ، ثم بعَثُوا به إلى البيت ، فغُسلت به أركانُه ، ثم أَتَوْا به فشربوه .

[إشادة الرسول به]

قال : فحدَّثنا هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة أُمّ المؤمنين رضي الله عنها : أنّها سمعَتْ رسولَ الله ﷺ يقولُ : «لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفَ الفضول ، أمَا لو دُعيت إليهِ اليوم لأَجَبْتُ ، وما أُحِبُّ أنَّ لي به حُمر النَّعم وأنّي نقضته» .

قال : وحدَّثني عُمر بن عبد العزيز العنبسيّ أنَّ الذي اشترى مِنَ الزُّبيديّ المتاعَ العاص بن وائل السَّهْميّ .

وقال : أهلُ حِلْف الفضول بنو هاشم ، وبنو المطّلب ، وبنو أسد بن عبد العُزّى ، وبنو زُهْرَة ، وبنو تَيْم ، تحالفوا بينهم ألاّ يُظلم بمكّة أحد إلاّ كنّا جميعاً مع المظلوم على الظالم ، حتى نأخذَ له مظلمته ممَّنْ ظلمه شريفاً أو وَضيعاً ، منّا أو من غيرنا .

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل ، ثم قالوا : والله لا نفارقك حتى تؤدّيَ إليه حقّه ، فأعطى الرجل حقّه ، فمكثوا كذلك لا يُظلم أحد حقَّه بمكّة إلاّ أخذوه له . وكان عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : لو أنّ رجلاً وَحْدَه خرج من قومِه لخرجتُ من عبد شمس ، حتى أدخل في حِلْف الفُضول . وليس عبد شمس في حلف الفضول .

وحدَّثني محمد بن حسن ، عن محمد بن طلحة ، عن موسى بن عبد الله بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعن محمد بن فَضالة ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، وعن إبراهيم بن محمد ، وعن أبي عبد الله بن الهاد : أنَّ بني هاشم وبني المطّلب وبني أسد بن عبد العُزّى وتيم بن مرّة احتلفوا على ألاّ يَدعوا بمكّة كلّها ، ولا في الأحابيش[1] مظلوماً يدعوهم إلى نُصرته إلاّ أنجدوه ، حتى يرُدّوا عليه مظلمته ، أو يُبْلوا في ذلك عُذْراً ، أو على ألاّ يتركوا لأحدٍ عند أحدٍ فضلاً إلاّ أخذوه ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبذلك سُمِّي حِلْفَ الفضول ، وهذه نُبَذٌ من حلف الفضول : بالله الغالب ، إنّا ليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقّه ما بَلَّ بحرٌ صوفة[2] ، وعلى التأسّي في المعاش .

---

1 الأحابيش : سموا بذلك لسوادهم . وقيل إنهم سموا بذلك باسم جبل حبشي بأسفل مكة .

2 المثل «لا آتيه ما بل بحر صوفة» في مجمع الميداني 2 : 230 ومستقصى الزمخشري 2 : 246 .

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن طلحة في حديثه ، عن موسى بن محمد عن أبيه . وعن محمد بن فضالة ، عن أبيه ، قال : لم يكن بنو أسد بن عبد العُزّى في حِلْف الفضول ، قال : وكان بعد عبد المطّلب .

قال : وحدَّثني محمد بن الحسن ، عن عيسى بن يزيد بن دأب ، قال : أهل حلف الفضول : هاشم ، وزهرة ، وتيم . قال : وقيل له : فهل لذلك شاهِدٌ من الشعر ؟ قال : نعم ، قال : أنشدني بَعْضُ أهل العِلْم قولَ بعض الشعراء : [من البسيط]

تيْمُ بن مــرَّةَ إن سألت وهاشمٌ وزهرةُ الخيرِ في دارِ ابن جُدعانِ
متحالفون على النَّدى مـا غرَّدت وَرْقـاء في فَنَنٍ من جِزْعِ كُتْمانِ

فقيل له : وأين كُتمان ؟ فقال : وادٍ بنَجْران[1] ؛ فجاء ببيتين مضطربين مختلفي النصفين .

وحدَّثني أبو الحسن الأَثْرَمُ ، عن أبي عبيدة ، قال : تداعى بنو هاشم وبنو المطّلب وبنو أسد بن عبد العزَّى وبنو زُهْرَة بن كلاب وتَيْم بن مرّة إلى حِلْفِ الفُضول ، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدْعان ، فتحالفوا عنده ، وتعاقدوا ألاَّ يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها ولا مِن غيرهم إلاّ قاموا معه على مَن ظلَمه حتى يردُّوا مَظْلَمته . وشهدَ النبيُّ ﷺ هذا الحلف قبل أنْ يُبعث ، فهذا حِلْف الفُضول .

قال : وحدَّثني إبراهيم بن حمزة عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه ، قال : إنّما سُمِّي حِلْفَ الفضول لأنّه كان في جُرْهم رِجالٌ يردُّون المظالم يقال لهم : فُضيل وفضّال وفَضل ومُفضل ، قال : فلذلك سُمِّي حلف الفضول ، تعاقدوا أن يردُّوا المظالم .

قال : فتحالفوا باللهِ الغالب لنأخذنَّ للمظلوم من الظالم ، وللمقهور من القاهِر ، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفة .

قال : وقال أبي : قال رسول الله ﷺ : «فشهدت حلفاً في دارِ عبد الله بن جُدعان لم يَزِده الإسلام إلاّ شدّةً ، ولهو أحَبُّ إليّ من حُمر النَّعم» ، قال : وقال غيره : «لو دُعيت إليه لأَجَبْت» .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضلِ قال : إنّما سمَّت قريش هذا الحلف حلف الفضول ، لأنّ نَفراً من جُرْهم يقال لهم : الفَضْل وفَضّال والفُضيل ، تحالفوا على مِثْل ما تحالفت عليه هذه القبائل .

1 قيل كتمان اسم بلد في بلاد قيس . وقيل هو واد بنجران (معجم البلدان) .

قال : وحدَّثني رجل غير محمد بن حسن ، عن محمد بن فضالة ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنّها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «لقد شهدتُ في دارِ ابن جُدْعان حِلْف الفضول ، أما لو دُعيت إليه لأجبت ، وما أُحِبُّ أنّي نقضْته وأنّ لي حمر النّعم» .

قال الزُّبير : وحدَّثني علي بن صالح عن جدِّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده ، لقد شهِدْتُ في الجاهليّة حِلْفاً ، يعني حلف الفضول ، أما لو دُعيت إليه اليوم لأَجبْتُ ، لهو أحبُّ إليّ من حمر النّعم ، لا يزيده الإسلامُ إلاّ شدّة» .

قال : وحدَّثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : حدَّثني رجل عن محمد بن يزيد الليثيّ ، قال : سمعْت طَلحة بن عبد الله بن عَوف الزهريّ ، يقول :

قال رسول الله ﷺ : «لقد شهدْتُ في دارِ عبد الله بن جُدعان حِلْفاً ما أُحِبُّ أنَّ لي به حمر النعم ، ولو أُدْعى إليه في الإسلام لأجبْتُ» .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن نصر بن مزاحم ، عن معروف بن خَرَّبُوذ ، قال : تداعَتْ بنو هاشم وبنو المطّلب وأسد وتَيم ، فاحْتَلَفُوا على ألاّ يَدَعوا بمكّة كلّها ولا في الأحابيش مظلوماً يَدْعُوهم إلى نُصْرته إلاّ أنْجَدوه ، حتى يردّوا إليه مظلمته ، أو يُبلوا في ذلك عُذْراً . وكرِهَ ذلك سائر المطيّبين والأحْلاف من أمره ، وسَمَّوْه حلف الفضول ، عَيْباً له ، وقالوا : هذا من فُضول القَوْم ، فسمّوه حِلْفَ الفُضُول .

قال : وحدَّثني محمد بن حسن ، عن إبراهيم بن محمد ، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زُهرة وبني تيم .

قال : فحدَّثني أبو خيثمة زُهير بن حرب ، قال : حدّثني إسماعيل بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عَوف ، قال :

قال رسول الله ﷺ : «شهدتُ مع عُمومَتي حلْفَ المكّيين ، فما أُحبُّ أنَّ لي حُمرَ النَّعم وأنّي أنكثه» .

قال : وحدَّثني محمد بن الحسن ، عن محمد بن طَلْحَة ، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ : انّه بلغه أنّ الذي بدأ بحِلْفِ الفضول مِنْ هذه القبائل أمْرُ الغَزال الذي سُرِق من الكعبة .

[بنو نوفل وبنو عبد شمس خارج الحلف]

حدَّثني محمد بن الحسن ، قال : حدَّثنا محمد بن طلحة ، عن موسى بن محمد بن

إبراهيم بن الحارث التيميّ ، عن أبيه ، قال : قدِم ابْنُ جُبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان ، وكان مِنْ حُلَفاء قريش ، فقال له عبد الملك : يا أبا سعيد ، لم يكن بنو عبد شمس وأنتم ، يعني بني نوفل ، في حِلْف الفضول ، قال : وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين ، قال : لتحدثني بالحق من ذلك ، قال : لا واللهِ يا أمير المؤمنين ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، ولم تكن يَدُنا ويَدُكم إلاّ جميعاً في الجاهلية والإسلام .

[الوليد بن عتبة ينصف الحسين تحت التهديد]

قال : وحدَّثني محمد بن حَسن ، عن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن الهاد اللّيْثيّ أنَّ محمد بن الحارث التيميّ أخبره : أنّه كان بين الحُسين بن عليّ عليهما السلام وبين الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان كلامٌ ، والوليد يومئذٍ أميرُ المدينة في زَمن معاوية بن أبي سفيان ، في مالٍ كان بينهما بذي المَرْوة ؛ فقال الحُسين بن عليّ عليهما السلام : استطال عليَّ الوليد بن عُتبة في حقّي بسلطانه ، فقلت : أقسم بالله لتنصِفَنِّي في حقّي أو لآخذنَّ سيفي ، ثم لأقومنَّ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ ، ثم لأدعونَّ بحلف الفضول ، قال : فقال عبدُ الله بن الزُّبير ، وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال : وأنا أحلف بالله لئنْ دعا به لآخُذَنَّ سَيْفي ثم لأقومَنَّ معه حتى يُنْصَفَ من حقّه أو نموت جميعاً . فبلغت المِسْور بن مخرمة بن نوفل الزهريّ ، فقال مثل ذلك ، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيميّ ، فقال مثل ذلك . فلّما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحُسين من حقّه حتى رضي .

قال : وحدَّثني أبو الحسن الأثرم عليّ بن المغيرة ، عن أبي عُبيدة ، قال : حدّثني رجل عن يزيد بن عبد الله بن أُسامة الليثيّ : أنَّ محمد بن إبراهيم التيميّ حدَّثه مثل حديث محمد بن حسن الذي قبل هذا .

[الحسين ينازع معاوية في أرض]

قال : وحدَّثني إبراهيم بن حمزة ، عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أُبيه أَنَّ الحُسين بن عليّ عليهما السلام كان بينه وبين معاوية كلامٌ في أرضٍ له ، فقال له الحسين عليه السلام : اخْتَرْ خصلة من ثلاث خصال : إمّا أنْ تشتري ، من حقّي ، وإمّا أن تردّه عليّ ، أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابن عمر ، والرابعة الصَّيْلم ، قال : وما الصَّيْلَم ؟ قال : أنْ أهتفَ بحلف الفُضُول ، قال : فلا حاجةَ لنا بالصَّيْلم .

قال : فخرج وهو مُغضَب ، فمرّ بعبد الله بن الزُّبير فأخبره ، فقال : والله لئن لم ينصفني لاهتفَنَّ بحلْفِ الفضول ، فقال عبدُ الله بن الزُّبير : والله لئن هتفْتَ به وأنا

مضطجع لأقعدنَّ أو قاعد لأقومنَّ ، ولئن هتفتَ به وأنا ماشٍ لأسعَينَّ ، ثم لينفدنَّ روحي مع روحك ، أو لَينصِفَنَّك .

قال : فخرج عبدُ الله بن الزُّبير فدخل على معاوية فباعه منه ، وخرج عبد الله فجاء إلى الحُسين عليه السلام ، فقال : أرسل فانتقدْ مالك ، فقد بعتُه لك .

قال : وحدَّثني عليّ بن صالح ، عن جَدّي عبد الله بن مُصْعب ، عن أبيه ، قال : خرج الحسينُ عليه السلام من عند معاوية ، فلقي عبدَ الله بن الزُّبير ، والحسين مغضَب ، فذكر الحسين أنّ معاويةَ ظلمه في حقّ له ، فقال الحسين : أُخيِّره في ثلاث خصال ، والرابعة الصَّيْلم : أن يجعلكَ أو ابن عمر بيني وبينه ، أو يقرّ بحقّي ، ثم يسألني فأهبه له ، أو يشتريه منّي ، فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفنَّ بحِلْفِ الفضول . قال ابن الزُّبير : والذي نفسي بيده لئن هتفْتَ به وأنا قاعد لأقومنّ أو قائم لأُمشيَنَّ ، أو ماشٍ لأشتدنَّ ، حتى تَفْنى رُوحي مع روحك أو ينصفك .

قال : ثم ذهب ابنُ الزُّبير إلى معاوية ، فقال : لَقِيَني الحسين فخيَّرك في ثلاث خصالٍ ، والرابعة الصَّيْلم . قال معاوية : لا حاجةَ لنا بالصَّيْلم ؛ إنّك لقيته مُغْضَباً ، فهاتِ الثلاث ، قال : تجعلني أو ابنَ عمر بينك وبينَه ، قال : فقد جعلتُك بيني وبينه أو ابْنَ عمر أو جعلتكما ، قال : أو تقرّ له بحقّه وتسأله إيّاه ، قال : أنا أُقِرُّ له بحقّه وأسأله إيّاه ، قال : أو تشتريه منه ، قال : وأنا أشتريه منه ، قال : فلمّا انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحُسين عليه السلام : إنْ دعاني إلى حِلْف الفضول لأُجبْتُه ، فقال معاوية : لا حاجة لنا بهذا .

قال : وبلغني أنَّ عبد الرحمن بن أبي بكرة والمِسْوَر بن مخرمة قالا للحُسين بن عليّ عليهما السلام مِثل ما قال ابنُ الزُّبير ، فبلغ ذلك معاوية وعنده جُبير بن مطعم ، فقال له معاوية : يا أبا محمد ، أكنّا في حِلْف الفضول ؟ قال : لا ، قال : فكيف كان ؟ قال : قدِم رجل من ثُمالة فباع سِلْعةً له من أبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَحَ ، فظلمه ، وكان يُسيء المخالطة ، فأتى الثمالي إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم ، فقالوا : اذهب فأخبِره أنّك أتيتنا ، فإن أعطاك حقّكَ وإلاّ فارجع إلينا ، فأتاه فأخبره بما قال له أهلُ حِلف الفضول ، قال : فأخرج إليه ماله ، وأعطاه إيّاه بعينه ، وقال : [من الطويل]

أَيأخـذني في بَطْـنِ مكّـة ظالماً أُبيٌّ ولا قَوْمي لدَيَّ ولا صَحْبي
وناديتُ قومي صارِخاً ليُجيبني وكم دُونَ قومي مِنْ فَيافٍ ومن سُهْبِ

ويأبى لكم حِلْفُ الفضول ظلامتي بَني جُمحٍ والحقُّ يُؤْخَذُ بالغَصْبِ

[أبو الطمحان يستجير بعبد الله بن جدعان]

وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزاميّ في أمر حِلْف الفضول غير ما رواه الزُّبير، قال إبراهيم: حدَّثني عبد العزيز بن عمران، قال: قدِم أبو الطمحان القَيْنيّ الشاعر، واسمه حنظلة بن الشرقيّ، فاستجار عبدَ الله بن جُدْعان التيميّ ومعه مال له من الإبل، فعدا عليه قومٌ من بني سَهْم فانتحروا ثلاثةً من إبله، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها، فقال: أنتم لها ولأكثر منها أهلٌ، فأخذوها فانتحروها، ثم أمسكوا عنه زماناً، ثم جلسوا على شَرابٍ لهم، فلمّا انتشَوا غَدَوْا على إبله فاستاقوها كلّها، فأتى عبدَ الله بن جُدعان يستصرخُه، فلم يكن فيه ولا في قومه قوّةٌ ببني سهم، فأمسك عنهم ولم ينصره، فقال أبو الطمحان[1]: [من الطويل]

أَلا حنَّت المِرْقـال واشتاقَ ربُّها تذكَّرُ أَرْماماً وأَذكرُ مَعْشَري[2]
ولو عَلِمت صَرْفَ البيوع لسرَّها بمكّة أَن تبتاع حَمْضاً بإذخرِ[3]
أَجَـدَّ بنـي الشّرقيّ أنَّ أخاهمُ متى يَعتلقْ جاراً وإنْ عـزَّ يَغدرِ
إذا قلتُ وافٍ أَدْرَكَتْـهُ دُروكه فيا مُوزع الجيران بالغَيّ أَقْصِرِ[4]

ثم ارتحل عنهم.

[لميس بن سعد يستجير بقريش]

ووفد لَمِيسُ بن سَعْد البارِقيّ مكّة، فاشترى منه أُبيّ بن خلف سلعة، فظلمه إيّاها، فمشى في قريش فلم يُجِرْهُ أحد، فقال: [من الطويل]

أَيظلمنـي مـالي أُبَـيٌّ سَفاهـةً وبَغْياً ولا قَومـي لـديَّ ولا صَحْبي
وناديـتُ قومـي بارقـاً لتجيبَنـي وكم دونَ قومي من فيافٍ ومن سَهْبِ

[زبيدي يستجير بقريش]

ثم قدِم رجل من بني زبيد. فاشترى منه رجل من بني سَهْم يقال له: حُذيفة سلعةً، وظلمه حقّه، فصعد الزبيديّ على أبي قُبيس، ثم نادى بأعلى صوته: [من البسيط]

---

1 الشعر والشعراء: 304.
2 الشعر والشعراء: واتّب ربها، أي تهيأ وتجهز. وأرمام: اسم موضع.
3 بمكة في ل: بيثرب.
4 دروكه في ل: خيانة.

يـــا آل فِهـــرٍ لمظلوم بضاعتُه ببَطْن مكّةَ نائــي الحيّ والنَّفَرِ
يــا آل فهرٍ لمظلوم ومُضْطَهَدٍ بين المقام وبين الركن والحجَرِ
إنّ الحرامَ لمن تَمَّتْ حَرامتــه ولا حرام لثوب الفاجر الغُدرِ

فأَعلم الزُّبير بن عبد المطّلب ذلك ، وقال : يا قوم ، إنّي والله لأَخشى أَنْ يصيبَنا ما أُصاب الأُمم السالفةَ منْ ساكني مكّة . فمشى إلى ابنِ جُدعان ، وهو يومئذٍ شيخُ قريش ، فقال له في ذلك ، وأخبره بظُلْم بني سَهْم وبغيهم ، وقد كان أصاب بني سَهْم أمران لا يشكُّ أنّهما لِلبغي : احتراق المقاييس منهم ، وهم قيس ومَقِيس وعبد قَيْس بصاعِقَةٍ ؛ وأقبل منهم رَكب من الشام ، فنزلوا بماء يقال له القُطَيْعَة ، فصبُّوا فضلةَ خَمْر لهم في إناء ، وشربُوا ثم ناموا ، وقد بقيت منهم بقيةٌ فكرع فيها حيّة أسود ، ثم تقيّأ في الإناء ، فهبّ القومُ فشربوا منه ، فماتوا عن آخرهم ، فأذكره هذا ومثله ، فتحالف بنو هاشم وبنو المطّلب وبنو زهرة وبنو تيم : بالله الغالب ، إنّا ليدٌ واحدة على الظالم ، حتى يردَّ الحقّ .

وخرج سائر قريش من هذا الحلف . إلاّ أنّ ابنَ الزُّبير ادّعاه لبني أسد في الإسلام . قال : فأخبرني الواقديّ وغيره أن محمد بن جُبير بن مطعم دخل على عَبْد الملك بن مروان ، فسأله عن حِلْفِ الفضول فقال : أما أنا وأَنت يا أمير المؤمنين فلسنا فيه ، فقال : صدقت والله ، إنّي لأعرفك بالصدق ، قال : فإنَّ ابنَ الزُّبير يدَّعيه ، فقال : ذاك هو الباطل .

قال : وكان عتبة بن ربيعة يقول : لو أَنَّ رجلاً خرج عن قومه إلى غيرهم لكرم حِلفٍ لخرجتُ عن قومي إلى حلف الفضول .

قال الواقديّ : قد اختلف فيه ، لم سُمِّي حِلْف الفضول ؛ فقيل : إنّه سُمِّي بذلك لأنّهم قالوا : لا ندَ عُ لأَحدٍ عند أحدٍ فَضْلاً إلاّ أخذناه منه ، وقيل : بل سمع بهذا بعض مَن لم يدخل فيه ، فقال : هذا فضولٌ من الأمر .

وقال الواقديّ : والصحيح أَنّ قوماً من جُرهم يقال لهم فَضْل وفضالة وفَضّال ومُفَضَّل تحالَفُوا على مِثْل هذا في أيّامهم ، فلمّا تحالفت قريش هذا الحِلْف سُمّوا بذلك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

يــا لَلرِّجــال لمظلوم بضاعتُــه ببَطْن مكَّــة نائي الدّار والنفَرِ

إنّ الحرامَ لِمَنْ تَمَّتْ حرامته ... ولا حرامَ لثوْبَـيْ لابِس الغَدرِ[1]

غنّاه ابنُ عائشة ، ثقيل أوّل بالبنصر ، عن حَبَش .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، عن ابن أبي سبرة ، عن لقيط بن نصر المحاربيّ ، قال : كان يزيد بن معاوية أوّل مَنْ سَنَّ الملاهي في الإسلام مِنَ الخلفاء ، وآوى[2] المغنِّين ، وأظهر الفَتْك وشُرْب الخمر ، وكان ينادِمُ عليها سرجون النَّصْرانيّ مولاه والأخطل ، وكان يأتيه من المغنِّين سائب خاثر فيقيم عنده ، فيخلع عليه ويَصِله ، فغنّاه يوماً : [من البسيط]

يـا للرِّجـال لمظلومٍ بضاعته ... ببَطْن مكّةَ نائي الأَهْلِ والنفرِ

فاعتَرَتْهُ أَرْيحيّة ، فرقص حتى سقط ، ثم قال : اخلعُوا عليه خِلعاً يغيبُ فيها حتى لا يُرى منه شيء ، فطرحت عليه الثيابُ والجباب والمطارف والخزّ حتى غاب فيها .

صوت

[من البسيط]

اشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... في رَأْسِ غُمدان داراً منك مِحْلالا

تلـك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبنٍ ... شِيبا بمـاءٍ فعـادا بَعْـدُ أَبوالا

عروضه من البسيط .

المرتفق : المتَّكيء على مرفقه . وغمدان : اسمُ قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن . والمِحْلال : الدار التي يحلّ فيها ، أي يقيم فيها . وشِيبا : معناه خُلطا . والشوب : الخلط ، يقال : شاب كذا بكذا إذا خلطهما .

الشعرُ لأُميّة بن أَبي الصّلت الثقفيّ ، وقيل بل هو للنابغة الجعديّ ، وهذا خطأ من قائله ؛ وإنّما أدخل النابغة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين . والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى ، من رواية حمّاد عن أَبيه ، وفيه لطُويس لَحْن من كتاب يونس الكاتب غير مجنَّس .

1 حرامته في ل : محارمه .

2 ل : أدنى .

[366] ـ نسب أُميّة بن أَبي الصّلت[1]
وخبره في قوله هذا الشعر

[نسبه]

أَبو الصّلت عبد الله بن أَبي ربيعة بن عمرو بن عُقْدَة بن عنزة[2] بن عوف بن قَسيّ ، وهو ثَقيف . شاعر من شُعَراء الجاهلية قديم . وهذا الشعرُ يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يهنّيه بذلك ويمدحه .

[قدوم الأحباش إلى اليمن]

وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سَيْف بن ذي يزَن إلى كسرى يستنجدُ عليهم أنّ مَلِكاً من ملوك اليمن يقال له : ذو نُواس غَزا أَهلَ نجران ، وكانوا نَصارى ، فحصرهم ؛ ثم إنّه ظفر بهم فخَدّد لهم الأخاديد ، وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك ، فحرَّقهم بالنار ، وحرق الإنجيل ، وهدم بيعتهم ، ثم انصرف إلى اليَمن . وأَفلت منه رجلٌ يقال له دوس ذو ثُعْلَبان على فرسٍ ، فركضه حتى أَعجزهم في الرّمل ، ومضى دَوْس إلى قيصر ملك الرُّوم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران ، ومنْ قتل من النصارى ، وأنّه خرب كنائسهم ، وبقر النساء ، وهدم الكنائس ، فما فيها ناقوس يُضْرب به . فقال له قَيْصر : بَعُدَتْ بِلادي عن بلادكم ، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني ، أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم . قال دَوْس ذو ثُعْلُبان : فذاك إذاً ، قال قيصر : إنّ هذا الذي أُصنعه بكم أذلّ للعرب أن يطأها سُودان ليس أَلوانهم على أَلوانهم ، ولا أَلسنتهم على أَلسنتهم ، فقال : الملك : أَنْظَرُ لأَهل دِينه إنما هم خَوَلُه .

فكتب إلى ملك الحبشة أَن انصر هذا الرجل الذي جاءَ يستنصرني ، واغضب للنصرانيّة ، فأَوطىء بلادَهم الحبشة .

فخرج دوس ذو ثُعْلُبان بكتاب قَيْصَر إلى ملك الحبشة ، فلمّا قرأَ كتابَه أَمر أَرياط ، وكان عظيماً من عُظَمائهم ، أَنْ يخرجَ معه فينصره .

---

1 ترجمة أُمية بن أَبي الصّلت في الشعر والشعراء : 369-372 والسمط : 362 . وخزانة البغدادي 1 : 247-253 وطبقات ابن سلام : 260-270 . وتهذيب ابن عساكر 3 : 185 وشعراء النصرانية : 219 . وقد نشر ديوانه بشير يموت (بيروت 1937) . وانظر بروكلمان 1 : 113-114 .

2 ل : غمرة .

[أرياط يخرج في جيش كبير إلى اليمن]

فخرج أرياط في سبعين ألفاً من الحبشة ، وقوّد على جُنْدِهِ قوّاداً من رؤسائهم ، وأقبل بفيله ، وكان معه أبرهة بن الصباح . وكان في عَهْدِ ملك الحبشة إلى أرْياط : إذا دخلْتَ اليمن فاقتُلْ ثلثَ رجالها ، وخرّب ثلث بلادها ، وابعث إليّ بثلث نسائها .

فخرج أرياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر ، وعبَر بهم حتى وردَ اليمن ، وقد قدَّم مقدّمات الحبشة ، فرأى أهل اليمن جُنْداً كثيراً ، فلمّا تلاحقوا قام أرياط في جُنْدِهِ خطيباً فقال : يا معشر الحبشة ، قد علمتم أنّكم لن ترجعوا إلى بلادِكم أبداً ، هذا البحر بين أيديكم إنْ دخلْتُموه غَرِقْتُم ، وإن سلكتم البَرَّ هلكتم ، واتخّذتكم العربُ عَبيداً ، وليس لكم إلاّ الصبر حتى تموتوا أو تَقتلوا عدوَّكم .

فجمع ذو نُواس جَمْعاً كثيراً ، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الدولةُ للحبشة ، فظفر أرياط ، وقتل أصحاب ذي نُواس ، وانهزموا في كلّ وَجْه . فلمّا تخوّف[1] ذو نواس أنْ سيُؤْسَرُ ركض فرسَه ، واستعرض به البحر ، وقال : الموت بالبحر أحسن من إسار أسوَد ، ثم أقحم فرسَه لُجَّةَ البحر ، فمضى به فرسَهُ ، وكان آخر العهد به .

ثم خرج إليهم ذو جَدن الهمدانيّ في قومه ، فناوشهم ، وتفرَّقت عنه همدان ، فلما تخوّف على نفسه قال : ما الأمر إلا ما صنع ذو نُواس ، فأقحم فرسه البحر ، فكان آخر العهد به .

ودخل أرياط اليمن ، فقَتل ثلثاً ، وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة ، وخرّب ثلثاً ، وملك اليمَن ، وقَتل أهلَها ، وهدم حُصُونَها ، وكانت تلك الحصونُ بنَتْها الشياطين في عهد سليمان لِبَلْقيس ، واسمها بَلْقَمَة[2] ، وكان ممّا خرب من حصونهم : سلحون ، وبينون ، وغُمْدان ، حصوناً لم يُرَ مثلها . فقال الحميريّ ، وهو يذكر ما دخل على حِمْيَر من الذلّ[3] : [من البسيط]

هونَكَ أين تَـرُدُّ العَيْنُ ما فاتا ... لا تهلِكَـنْ أسفاً في إثْـر مـن فاتا

أبعـدَ بَيْنُونَ لا عَيْـنٌ ولا أثَـر ... وبعد سَلْحون يَبْني الناسُ أبياتا !

قال : فلمّا ظفر أرْياط أخذ الأموال ، وأظهر العَطاء في أهل الشرف ، فغضبت الحبشةُ حين أعطى أشرافهم ، وترك أهل الفقر منهم واستذلّهم وأجاعهم وأعراهم وأتعبهم في

---

1 ل : عرف .

2 ل : ملقبة .

3 البيتان في معجم البلدان (بينون) وفي الطبري مع اختلاف في الرواية لذي جدن الحميري .

العمل ، وكلّفهم مالا يُطيقون ، فجزع من ذلك الفقراء ، وشكا ذلك بعضُهم إلى بعض ، وقالوا : ما نرانا أذِلّة أشقياء أينما كنّا ، إن كان قتال قُدِّمنا في نحورِ العدوّ ، وإن كان قَتْلٌ قتلنا ، وإن كان عَمَل فعلينا ، والبلايا علينا ، والعطايا لغيرنا ، مع ما يُقْصينا ويجفونا .

[ثورة الفقراء على أرياط]

فقال لهم عند ذلك رجلٌ من الحبشة يقال له أَبرهة مِنْ قُوّاد أَرياط : لو أَنّ رجلاً غضب لغضبكم إذاً لأَسلَمْتُمُوه حتى يُذْبَحُ كما تُذبحُ الشاة . قالوا : لا والمسيح ، ما كنّا نسلمه أبداً ، فواثقوه بالإنجيل ألاّ يسلّموه حتى يموتوا عن آخرهم .

فنادى مناديه فيهم ، فاجتمعوا إليه فبلغ أرياط أَبا أُضجم أَنَّ أَبرهة جمع لك الجموعَ ، ودعا الناسَ إلى قِتالك . قال : أَوَقَد فَعَل ذلك أَبرَهة ، وهو ممّن لا بَيْتَ له في الحبشة ! وغضب أَرياط غضباً شديداً ، وقال : هو أدنى من ذلك نَفْساً وبيتاً ، هذا باطل .

قالوا : فأرسل إليه ؛ فإنْ أتاك فهو باطل ، وإن لم يَأتك فاعلم أنّه كما يقال ، فأرسل إليه : أَجِب الملك أرياط . فجثا أبرهة على رُكبتيه وخرَّ لوجهه ، وأخذ عُوداً من الأَرض فجعله في فِيه ، وقال للرسول : اذهَبْ إلى الملك فأخبِره بما رأيتَ منّي ، أنا أخلعه ؟ أنا أشدُّ تعظيماً له من ذلك ! وأنا آتيه على أربع قوائم بحسابِ البهيمة .

فرجع الرسولُ إلى الملك فأَخبره بالخبر ، فقال : أَلَم أَقُلْ لكم ؟ قالوا : الملك أَعقل وأَعلم منّا .

فلمّا وَلَّى الرسولُ من عند أَبرهة وتوارى عنه صاحَ أَبرهة في الفقراء من الحبشة ، فاجتمعوا إليه معهم السلاح ، والآلةُ التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مُدن اليمن : المعاول والكَرازِين[1] والمساحي ، ثم صفّوا صفّاً ، وصفّوا خلْفَه آخر بإزائه . فلمّا أبطأ أبرهة على الملك وهو يَرى أنّه يأتيه على أربع قوائم كما قال ، وأتى الرسولُ أرياط فأخبره بما صنع أبرهة ، ركب في الملوك ومَنْ تَبِعه من أتباعهم ، فلبسوا السلاحَ وجاءوا بالفِيَلة ، وكان معه سبعة فِيَلة ، حتى إذا دنا بعضُهم من بعض برزَ أبرهةُ بين الصَّفَّين ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة ، الله ربُّنا ، والإنجيل كتابُنا ، وعيسى نبيُّنا ، والنجاشيّ ملِكنا ، علامَ يَقتُلُ بعضُنا بضعاً في مذهب النصرانيّة ؟ هذا رجلٌ وأنا رجل فخَلّوا بيني وبينه ، فإن قتلني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء ، وإنْ قتلْتُه سلمتم وعملتُ فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت .

1 الكرازين : الفؤوس الكبيرة ، واحدها كرزن .

فقال الملوك لأرياط : قد أخبرناك أنّه صنع ما قد ترى ، وقد أبيت إلاّ حُسن الرأي فيه ، وقد أنصفك . وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة ، وكان جميلاً ، وكان أبرهة قصيراً دميماً قبيحاً منكر الجُمَّة[1] ، فاستحيا أرياط من الملوك أن يَجْبن ، فبرز بين الصفّين ، ومشى أحدهما إلى صاحبه ، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامّة أنفه ، ووقع بين رِجْلَيْ أرياط ، فعمد أبرهة إلى عمامته فشدّ بها وجهه ، فسكن الدَّمُ والتأم الجرح ، وأخذ عوداً وجعله في فِيه ، وقال : أيّها الملك ، إنّما أنا شاة فاصنَعْ ما أردْتَ ، فقد أبصرتُ أمري . ففرح أرياط بما صنع ، وكان أبرهة قد سمّ خنجراً ، وجعله في بطن فخذه ، كأنّه خافية نَسر .

فلمّا رأى أبرهة أنَّ أرياط قد أفلت عنه ، وهو ينظرُ يميناً وشمالاً لئلاّ تراه ملوكُ الحبشة ، استلّ خنجره فطعنه طعنة في فرج دِرْعه فأثبته ، وخرَّ أرياط على قفاه ، وقعد أبرهة على صَدْره فأجهز عليه . فسمّي أبرهة الأشرمَ بتلك الضَّربة التي شرمت وجهَه وأنفه .

فملك أبرهة عشرين سنة ، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة ، وأمّه ريحانة امرأة ذِي يزن أمّ سيف بن ذي يزن الحميريّ .

[سعي سيف بن ذي يزن لتخليص اليمن]

فلمّا طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميريّ فكلّموه في الخروج ، وقالوا إنّا نجد فيما روت حمير عن خبر لسطيح أنّه يوشك أنّ هذا البلاءَ يفرج بيَدِ رَجُل من أهل بَيْتِك ابن ذي يزن ، وقد رجَوْنا أن ندركَ بثأرِنا ، فأنْعَم لهم[2] . فخرج إلى قيصر ملك الروم ، فكلّمه أن ينصُرَه على الحبشة ، فأبى ، وقال : الحبشة على دِيني ودِين أهل مملكتي ، وأنتم على دين يهود ، فخرج من عنده يائساً . فخرج عامِداً إلى كسرى ، فانتهى إلى النُّعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه ، فأخبره بما لَقِي قومُه من الحبشة ، فقال : أقم ؛ فإنَّ لي على الملك كسرى إذْناً في كلّ سنة ، وقد حان ذلك .

فلمّا خرج أخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله على كِسرى ، فقال : غُلِبنا على بلادنا ، وغَلَب الأحابيش علينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ، لأنّي أبيض وأنت أبيض ، وهم سودان . فقال : بلادك بلادٌ بعيدة ، ولا أبعثُ معك جيشاً في غير منفعة ، ولا أمر أخافُه على ملكي .

فلمّا أيأسَه من النَّصر أمر له بعشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كُساً .

---

1 الجمة : مجتمع شعر الرأس .

2 أنعم لهم : أجابهم بنعم .

فلمّا خرج بها من باب كسرى نَثرها بين الصِّبْيان والعبيد ، فرأى ذلك أُصحابُ كسرى ، فقالوا ذلك له ؛ فأرسل إليه : لِمَ صنعْتَ بجائزة الملك ؟ تَنْثُرها للصِّبْيان والناس ؟ فقال سَيْف : وما أَعطاني الملك ! جبالُ أرضي ذهب وفضّة ، جئتُ إلى الملك ليمنَعَني من الظُّلْم ، ولم آتِه ليعطيني الدراهم ، ولو أردتُ الدراهم كان ذلك في بَلَدي كثيراً .

[كسرى يستجيب لسيف]

فقال كسرى : أنْظرُ في أمرك . فخرج سيف على طمع ، وأُقام عنده ، فجعل سيف كلّما ركب كسرى عَرَض له ، فجمع له كِسْرى مَرازِبته ، وقال : ما تَروْن في هذا العربيّ ، وقد رأيته رَجُلاً جَلْداً ؟ فقال قائل منهم : إنّ في السجون قوماً قد سجنهم المَلك في مَوجِدَةٍ عليهم ، فلو بعثهم الملك معه فإن قُتِلوا استراح منهم ، وإن ظفرُوا بما يُريد هذا العربيّ فهو زيادة في مُلْك الملك . فقال كسرى : هذا الرأي . وأمر بهم كسرى فأُحضروا فوجد ثمانمائة رجل ، فولّى أمرهم رجلاً معهم يقال له وَهْرِز ، وكان رامِياً شجاعاً مع مكانة في الفرس ، وجهَّزهم ، وأَعطاهم سلاحاً ، وحملهم في البحر في ثماني سُفن ، فغرقت سفينتان ، وبَقي مَنْ بَقي وهم ستمائة رجل ؛ فأرْسَوْا إلى ساحل عَدَن ، فلمّا أرسوا قال وهرز لسيف : ما عندك ، فقد جئنا بلادَك ؟ فقال : ما شئْتَ من رجل عربيّ وفرس عربي ، ثم اجعل رَجُلي مع رَجُلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً .

قال وهرز : أنصفْتَ . فاستجلب سيف مَن استطاع من اليمن ، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة ، وقد سمع بهم مسروق وبتَعْبيتهم ، فجمع إليه جُنْدَه من الحبشة ، وسار إليهم ، والتقى العَسْكران . وجعلت أمدادُ اليمنِ تثوبُ إلى سيف ، وبعث وهرز ابناً له كان معه على جريدة خَيْل ، فقال : ناوِشُوهم القتال ، حتى ننظر قتالَهم ، فناوشهم ابنُه ، وناوشوه شيئاً من قتال ، ثم تورّط ابنُه في هلكة لم يستطع التخلُّص منها ؛ فاشتملوا عليه فقتلوه ، فازْدادَ وهرز عليهم حَنَقاً . وسيء العرب ، وفرحت الحبشة ، فأظهروا الصليب ، فوتَّر وهرز قَوْسَه ، وكان لا يقدر أن يوتّرها غيره . وقال وهرز والناس في صفوفهم : انظروا أين تَرون ملكهم ؟ قال سيف : أَرى رجلاً قاعداً على فيل تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء . قال : ذلك ملكهم . وقال وهرز : اتركوه . ثم وقف طويلاً ، ثم قال : انظروا هل تحوَّل ؟ قالوا : قد تحوّل على فرس . قال : هذا منه اختلاط . ثم وقف طويلاً ، وقال : انظروا هَلْ تحوّل ؟ قالوا : قد تحوّل على بغلة ، فقال : ابنةُ الحِمار ، ذلَّ الأسود وذلّ مُلْكُه ، ثم قال لأصحابه : قتلته في هذه الرَّمْيةِ ، تأمَّلوا النشَّابة ، وأخذَ النشّابة وجعل فُوقَها في الوتر ، ثم نزع فيها حتى ملأَها ،

وكان أيِّداً[1] ، ثم أرسلها فصكّت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق ، فتغلغلت النشّابة في رأسه حتى خرجت من قَفاه ، وحملت عليهم الفُرْسُ ، فانهزمت الحبشة في كلّ وَجْه ، وجعلت حمير تقتلُ مَن أدركوا منهم ، وتُجْهز على جَريحهم .

[وهرز يملك اليمن]

وأقبل وَهْرز يريد أنْ يدخل صنعاء ، وكان موضعهم الذي التَقَوا فيه خارج صَنعاء ، وكان اسم صنعاء : أزال ، فلمّا قدمت الحبشة بنوها وأحكموها ، فقالت : صَنْعَة ؛ فسمّيت صَنْعاء . وكانت صنعاء مدينة لها بابٌ صغير يُدْخَلُ منه ، فلمّا دنا وَهْرز من باب المدينة رآه صغيراً ، فقال : لا تَدْخُلُ رايتي منكّسة ، اهدموا الباب ، فهُدِم بابُ صنعاء ، ودخل ناصباً رايَتَه وسِيرَ بِها بين يديه . فقال سيف بن ذي يزن : ذهب مُلْكُ حمير آخِرَ الدّهر ، لا يرجع إليهم أبداً .

فملك وهرز اليمن ، وقهر الحبشة ، وكتب إلى كسرى يُخْبره : إنّي قد ملكْتُ للملك اليَمن ، وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم ، وبعث بجَوْهر ، وعَنْبر ، ومال ، وعُود ، وزَباد[2] ، وهو جلود لها رائحة طيّبة .

[كسرى يملّك سيفاً اليمن]

فكتب كسرى يأمُرْه أنْ يملّك سيفاً ، ويقدم وَهْرزُ إلى كسرى .

فخلّف على اليمن سيفاً ، فلمّا خَلا سيفٌ باليمن وملكها عَدا على الحبشة ، فجعل يَقْتل رِجالها ويبقر نساءَها عمّا في بطونها ، حتى أفناها إلاّ بقايا منها أهل ذلّةٍ وقلّة ، فاتّخذهم خَولاً ، واتّخذ منهم جمّازين[3] بحرابهم بين يَديه .

[اغتيال سيف]

فمكث كذلك غير كثير ، وركب يوماً وتلك الحبشةُ معه ، ومعهم حرابُهم يَسْعَون بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطاً منهم مالُوا عليه بِحرابهم فطعنوه بها حتى قتلوه .

وكان سيف قد آلى ألاّ يشرب الخمر ، ولا يمسّ امرأةً حتى يدركَ ثأْره من الحبشة ، فجُعلت له حُلّتان واسعتان فاتزر بواحدة ، وارتدى الأُخرى ، وجلس على رأس غُمدان يشرب ، وبرّت يمينه . وخرج بعد ذلك يتصيّد فقتَلَتْه الحبشة .

---

1 أيِّد : قوي .

2 الزباد : طيب يؤخذ من حيوان كالسنور يسمّى قط الزباء .

3 الجمازون : العداوُون بحرابهم أمام موكب الملك .

وكان مُلْك أرياط عشرين سنة ، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وملك يكسوم تسع عشرة سنة ، وملك مسروق اثنتي عشرة سنة ، فهذه أربع وسبعون سنة .

وكان قدومُ أهلِ فارس اليمن مع وهرز بعد الفِجار بعشر سنين ، وقبل بُنيان قريش البيت بخمس سنين ، ورسول الله ﷺ وآله ابنُ ثلاثين سنة أو نحوها ؛ لأنّ رسول الله ﷺ وُلِدَ بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة .

[وفود العرب تهنيء سيفاً بالنصر]

ونسخت خَبَر مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسّان ، قال : حدَّثنا الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس ، وحدَّثني به محمد بن عمران المؤدّب بإسنادٍ لستُ أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبيّ فيه ، فاعتمدت هذه الرواية ، قال :

[أمية يمدح سيفاً والفرس]

لمّا ظفر سيف بن ذي يَزَن بالحبشة ، وذلك بعد مولد النبيّ ﷺ بسنتين أَتَتْه وفود العربِ وأشرافُها لتهنّيه وتمدحه ، وتذكر ما كان من بلائه وطلب بثأرِ قومه ؛ فأَتَتْهُ وفودُ العرب من قريش ، فيهم عبد المطّلب بن هاشم ، وأُميّة بن عبد شمس ، وخويلد بن أَسد ، في ناسٍ من وجوه قريش ، فأتوه بصَنْعاء ، وهو في رأس قَصْرٍ له يقال له : غُمدان ، فأخبره الآذِنُ بمكانهم ، فأذِن لهم ؛ فدخلوا عليه وهو على شرابه ، وعلى رأسِه غلامٌ واقف يَنْثر في مفرقه المسك ، وعن يمينه ويساره الملوك والمَقاول ، وبين يديه أُميّة بن أبي الصّلت الثقفيّ ينشده قوله فيه هذه الأبيات[1] : [من البسيط]

لا يطلُبُ الثأر إلاّ كابْنِ ذي يَزَن ... في البَحْرِ خيَّم للأعداء أحوالا
أَتى هِرَقلَ وقد شالَتْ نَعامَتُهُ ... فلَم يَجِدْ عنده النّصر الذي سالا[2]
ثم انتحى نحو كِسْرى بعد عاشرة ... من السِّنينَ يُهينُ النفسَ والمالا
حتى أتى بِبَني الأَحرار يَقْدُمُهم ... تخالُهم فوقَ مَتْنِ الأَرضِ أَجبالا[3]
لله دَرُّهمُ مِنْ فِتْيَةٍ صُبُرٍ ... ما إن رأَيت لهم في الناسِ أمثالا

1 ديوانه : 453–457 : ونسبت في الطبري وابن هشام إلى أبي الصّلت والد أمية . وهناك بعض اختلاف في الرواية .

2 النصر في ل : الثأر .

3 أتى في ل : انتحى .

بيضٌ مَرازِبَةٌ غُلْبٌ أساوِرَة ... أُسد تُربِّبُ في الغَيْضاتِ أشبالا
فالْتَطْ من المسكِ إذ شالت نَعامَتهم ... وأَسْبِل اليومَ في بُرْدَيك إسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... في رأس غُمْدانَ داراً منك مِحْلالا
تلك المكارم لا قَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيباً بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

بنو الأحرار الذين عناهم أُميّة في شعره هم الفوارس الذين قدِموا مع سَيْفِ بن ذي يزن ، وهم إلى الآن يسمّون بني الأحرار بصنعاء ، ويسمّون باليمن الأبناء ، وبالكوفة الأحامرة ؛ وبالبصرة الأساورة ، وبالجزيرة الخضارمة ، وبالشام الجراجمة .

فبدأ عبد المطّلب فاستأذن في الكلام ، فقال له سيف بن ذي يزن : إنْ كنتَ ممّن يتكلّم بين يدي الملوك فقد أذِنّا لكَ . فقال عبد المطّلب : إنَّ الله قد أحلَّكَ أيُّها الملك مَحَلاًّ رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذِخاً ، وأنبتك منبتاً طابتْ أرومته ، وعزَّت جرثومته ، في أكرم موطن ، وأطيب معدن ؛ فأنت ، أبيتَ اللعن ، مَلِكُ العرب ، وربيعها الذي به تُخصِب ، وأنتَ أيُّها الملك رأسُ العرب الذي له تَنْقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد ، فسلَفك لنا خَيْرُ سلف ، وأنتَ لنا منهم خير خلف ، فلم يَخمُل مَنْ أنت خلَفَهُ ، ولن يهلك من أنت سَلَفُه . نحن أهلُ حرم الله وسَدَنَةُ بيته ، أشخصَنا إليك الذي أبهجنا ؛ لكشفك الكرب الذي فَدحنا ، فنحن وفودُ التَّهْنِيَةِ لا وفود المَرْزِيَة .

قال : وأيّهم أنت أيّها المتكلّم ؟ قال : أنا عبد المطّلب بن هاشم ، قال : ابْنُ أُختنا ؟ قال : نعم . فأدْناه حتى أَجْلَسه إلى جَنْبه ، ثم أقبل على القَوْم وعليه ، فقال : مرحباً وأهلاً ، وناقةً ورَحْلاً ، ومستناخاً سهلاً ، ومَلِكاً رِبَحْلاً[1] ، يُعْطي عطاءَ جَزْلاً ، قد سمع الملكُ مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقَبِل وَسيلَتكم ، وأنتم أهلُ الشرفُ والنَّباهة ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والحِباء إذا ظعنتم .

[أمارات ظهور النبيّ]

ثم استُنهضوا إلى دارِ الضيافة والوفود ، فأقاموا فيها شهراً لا يصلون إليه ، ولا يؤذن لهم في الانصراف ، وأجرى لهم الأنزال[2] . ثم انتبه لهم انتباهةً ، فأرسل إلى عبد المطلب ، فأدْناه ، وأخلى مجلسه ، ثم قال : يا عبد المطّلب ، إنّي مفوّض إليكَ مِنْ سرّ علمي أمْراً لو

1 ربحل : عظيم الشأن .
2 الأنزال : جمع نزل ، وهو ما يقدم للضيف .

يكون غيرك لم أُبحْ به إليه ، ولكنّي رأيتُك موضِعَه ، فأطلعتك طِلْعَه ؛ فليكن عندك مطوِيّاً حتى يأذَنَ الله فيه ، فإنَّ اللهَ بالغ أَمره .

إنّي أَجِدُ في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذي اخترناه لأَنفسنا ، واحْتَجَنَّاه دون غيرنا ، خَبَراً عظيماً ، وخَطراً جَسيماً ، فيه شَرَفُ الحياة ، وفضيلةُ الوفاء للناس عامة ، ولِرَهْطِك كافة ، ولك خاصة .

قال عبد المطلب : مِثلك أيّها الملك مَنْ سَرَّ وبَرَّ ، فما هو ، فداك أَهْل الوبر ، زُمَراً بعد زمر ؟ قال ابنُ ذي يزن : إذا وُلد غلامٌ بتهامة ، بين كتفيه شامَة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزَّعامة ، إلى يوم القيامة .

قال عبد المطّلب : أيّها الملك ، لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ بمثله وافد ، ولولا هَيْبَة الملك وإكرامه ، وإعظامه لسألتُه أَنْ يزيدني في البشارة ما أَزداد به سروراً . قال ابن ذي يَزن : هذا حينه يولَدُ فيه ، أو قد وُلد اسمه محمد (ﷺ) ، يموتُ أَبوه وأُمّه ، ويكفله جَدّه وعمّه ، قد ولدناه مِراراً ، والله باعِثُه جهاراً ، وجاعلٌ له منّا أَنصاراً ، يُعزُّ بهم أولياءه ، ويُذلّ بهم أعداءه ، يضربُ بهم الناسَ عن عُرْض ، ويستبيح بهم كرائمَ الأرض ، يُخمد النيران ، ويدْحَرُ الشيطان ، ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله فَصْل ، وحُكْمُه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

فقال عبد المطّلب : أيّها الملك ، عَزّ جَدُّك ، وعَلا كَعْبُك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ، فهل الملك مُخبِري بإفصاح ، فقد أوضح لي بعضَ الإيضاح .

فقال ابن ذِي يزن : والبيتِ ذي الحُجْب ، والعلامات على النُّصُب ، إنّك يا عبد المطّلب ، لَجَدُّه غير الكذب .

فخرّ عبدُ المطّلب ساجداً ، فقال له : ارفَعْ رأسك ، ثلج صدْرُك ، وعلا أَمرُك ؛ فهل أحسستَ شيئاً ممّا ذكرتُه لك ؟ فقال عبد المطّلب : أيّها الملك ، كان لي ابنٌ ، وكنت به معجَباً ، وعليه رفيقاً ، زوّجْتُه كريمةً من كرائم قومي ، اسمها آمنة بنت وهب ؛ فجاءت بغلام سمّيْتُه محمداً ، مات أبوه وأُمّه ؛ وكفلته أنا وعمّه . قال : الأمْرُ ما قلت لك ؛ فاحتفِظْ بابنك ، واحذر عليه من اليهود ؛ فإنّهم له أَعداء ، ولن يجعلَ اللهُ لهم عليه سبيلاً ، واطْوِ ما ذكرتُ دون هؤلاء الرَّهْطِ الذين معك ؛ فإنّي لا آمَن أنْ تدخلَهم النّفاسة مِنْ أَن تكون له الرياسة ؛ فينصبون له الحبائل ، ويطلبون له الغوائل ، وهم فاعلون وأَبناؤهم ، وبطيءٌ ما يُجيبه قومُه ؛ وسيَلْقى منهم عنَتاً ، واللهُ مُبْلِج حجّته ؛ ومُظهر دعْوَتَه ، وناصر شيعته ، ولولا أنّي أعلمُ أَنَّ

الموتَ مجتاحي قبل مَبْعثه لَسِرْتُ بخَيْلي ورَجلي ؛ حتى أصيِّر يثرب دارَ مُلكي ، فإنّي أُجدُ في الكتاب المكنون أنَّ بيثرب استحكامَ أمره ، وأهل نصرته ، وموضع قَبْره ؛ ولولا أنّي أتوقّى عليه الآفات ، وأحذَرُ عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنّه أمرَه ، ولكنّي صارفٌ ذلك إليك من غير تقصيرٍ منّي بمَنْ معك .

قال : ثم أمَر لكلّ رجل بعشرة أَعْبُد ، وعشر إماء ، ومائة من الإبل وحُلّتين بُروداً ، وخمسة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضّة ، وكرش مملوءة عنبراً ، ثم أمر لعبد المطّلب بعشرة أضعاف ذلك .

وقال : يا عبد المطّلب ، إذا حال الحَوْلُ فائتني . فمات ابنُ ذي يَزَن قبل أَنْ يحولَ الحول .

وكان عبد المطّلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك ، وإنْ كثُر ؛ فإنّه إلى نَفاد ، ولكن ليغبطني بما بقي لي شرفُه وذِكْرُه إلى يوم القيامة . فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون نبأَ ما أقولُ ، ولو بَعْدَ حين .

وفي ذلك يقول أُميّة بن عبد شمس[1] : [من الوافر]

جلبْنــا النُّصحَ تحملـه المَطايا ... إلى أَكْــوارِ أُجمــالٍ ونُوقِ
مغلغلـــةً مرافِقُهـا ثِقــالا ... إلى صنعاءَ مِــنْ فـجٍّ عَميقِ
تَـؤمُّ بنا ابْنَ ذِي يَزن ونُهدي ... مَخالِيَهــا إلى أَمَــمِ الطريقِ
فلمّا وافقــتْ صَنْعاءَ صارَتْ ... بــدارِ المُلْكِ والحَسَبِ العَرِيقِ

[غناء في شعر أُميّة]

أُخبرني عليّ بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن عبد الله بن خُرْداذْبه ، قال : كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكيّ ، أحد القوّاد مع طاهر بن الحُسين بن عبد الله بن طاهر ، فكان معه بالريّ ، وكان مع محلِّه مِنْ خدمة السلطان مُغنّياً حسن الغناء ، وله صنعةٌ . فحضر مجلس طاهر بن عبد الله ، وهو متنزِّه بظاهر الريِّ بموضع يعرف بشاذَمِهْر ، وقيل : بل حضره بقَصْرِه بالشاذِياخ ، فغنّى هذا الصوت : [من البسيط]

اشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... في رأس غمــدان . . . البيــت

فقال ابنُ عبّاد الرازيّ في وقتِه من الشعر مثلَ ذلك المعنى ، وصنع فيه ، وغنّى فيه أحمد بن سعيد لحناً من خفيف الرمل ، وهو : [من البسيط]

1 ديوان أمية بن أبي الصّلت : 424–426 وتنسب إليه وإلى أمية بن عبد شمس .

صوت

اشرب هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً   بالشاذياخ ودَعْ غُمْـدان لِلْيَمَنِ
فأنـتَ أَوْلى بتـاج المُلْكِ تَلْبَسُه   مِنْ هَوْذَةَ بن عليّ وابن ذي يَزَنِ

فطرب طاهر ، فاستعاده مرات ، وشرب عليه حتى سكر ، وأَسنى لأَحمد بن سعيد الجائزةَ .

[هوذة بن علي ويوم الصفقة]

أَمّا ذكره هوذة بن عليّ ولبسه التاج ؛ فإنَّ السببَ في ذلك أنّ كسرى تَوَّج هَوْذَةَ بن عليّ الحنفيّ ، وضمَّ إليه جيشاً من الأَساورة ، فأَوقع ببني تميم يوم الصَّفْقة .

367 ـ [يوم الصفقة][1]

أخبرني بالسبب في ذلك عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا أبو سعيد السكَّريّ ، قال حدَّثنا ابنُ حبيب ودِماذ ، عن أبي عُبيدة ، قال ابنُ حبيب : قال أبو سعيد : وأخبرنا إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، قال ابن حبيب : وأخبرني ابن الأعرابيّ ، عن المفضل ، قال أبو سعيد ، قالوا جميعاً : كان من حديث يوم الصَّفْقة أنّ باذام عامل كِسرى باليمن بعث إلى كسرى عيراً تحمِلُ ثياباً من ثيابِ اليمن ، ومِسْكاً وعَنْبَراً ، وخُرجين فيهما مناطق مُحَلاَّة ، وخُفراء تلك العير فيما يزعمُ بَعْضُ الناس بنو الجُعَيْد المرادِيُّون . فساروا من اليمن لا يَعْرِضُ لهم أحد ، حتى إذا كان بِحَمَضَ مِنْ بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم ، أغاروا عليها فقتلوا مَنْ فيها مِنْ بني جُعيد والأساوِرة ، واقتسموها ، وكان فيمن فعل ذلك ناجيةُ بن عقال ، وعتيبة بن الحارثِ بن شهاب ، وقَعْنب بن عتّاب ، وجَزْء بن سعد ، وأبو مليل عبد الله بن الحارث ، والنَّطِف بن جبير ، وأسيد بن جُنادة . فبلغ ذلك الأساورة الذين بهَجَر مع كزارجر المكعبر ، فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع ، فصادَفُوهُم على حَوْضٍ ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، فهُزِمَت الأساورة ، وقُتِلوا قَتْلاً شديداً ذَرِيعاً ، ويومئذٍ أخذ النَّطف الخُرجَيْن اللذيْنِ يُضْرَبُ بهما المَثَل[2] .

فلمّا بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً ، وأمر بالطعام فادُّخر بالمشقّر ومدينة اليمامة ، وقد أصابت الناسَ سنةٌ شديدة ، ثم قال : مَنْ دخلها مِن العرب فأميروه ما شاءَ[3] .

فبلغ ذلك الناس ، قال : وكان أعظم مَنْ أتاها بنو سَعْد ، فنادى منادي الأساورة : لا يدخلها عَرَبيّ بسلاح ؛ فأقيم بَوَّابُون على باب المشقّر ، فإذا جاء الرجلُ ليدخلَ قالوا : ضَعْ سلاحك ، وامْتَرْ ، واخرُجْ من الباب الآخر ؛ فيذهب به إلى رأس الأساورة فيقتله ، فيزعمون أنَّ خَيْبَرِيَّ بن عبادة بن النوال بن مرّة بن عُبَيْد ، وهو مُقاعس ، قال : يا بني

---

1 خبر يوم الصفقة في معجم البلدان : صفقة وتاريخ الطبري 2 : 169 والعقد 5 : 224 وأيّام العرب في الجاهلية : 2 .

2 يقال : أهنى (أهنأ) من كنز النطق . انظر مجمع الميداني 2 : 409 والدرة الفاخرة 2 : 429 وجمهرة العسكري 2 : 352 .

3 أميروه : أعطوه الميرة .

تميم ؛ ما بَعْدَ السلب إلاّ القَتْل ، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون . فانصرف منهم مَنِ انصرف مِنْ بقيَّتهم ، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسين عندهم . هذا حديث المفضَّل .

وأمّا ما وجد عن ابن الكلبيّ في كتاب حمَّاد الراوية ، فإن كسرى بعث إلى عاملِه باليمن بعِير ، وكان باذام على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن ، وكانت العير تحمل نبعاً[1] ، فكانت تُبَذْرَق[2] من المدائن حتى تدفعَ إلى النُّعمان ، ويبذرقها النُّعمان بخُفَرَاء من بني ربيعة ومضر حتى يدفَعها إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفيّ ، فيبذرقها حتى يخرجها من أُرض بني حنيفة ، ثم تدفع إلى سَعْد ، وتجعل لهم جِعالة ، فتسير فيها ، فيدفعونها إلى عُمّال باذام باليمن .

فلمّا بعث كسرى بهذه العير قال هَوذة للأساورة : انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيه ؛ فأنا أكفيكم أمْرَهم ، وأسير فيها معكم ، حتى تبلغوا مأْمنكم ، فخرج هوذة والأساورة والعير معهم مِنْ هَجَر ، حتى إذا كانوا بَنطاع بلغ بني سَعْد ما صنع هَوْذَة ، فسارُوا إليهم ، وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه وقتلوا عامّة الأساورة ، وسلبوهم ، وأسروا هَوْذة بن عليّ ، فاشترى هوذةُ نفسه بثلاثمائة بعير ، فساروا معه إلى هَجَر ، فأخذوا منه فداءه ، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد : [من الطويل]

ومِنّـا رئيسُ القَوْمِ ليلـةَ أُدلَجُوا بهَوْذَةَ مقرونَ اليديـن إلى النَّحْرِ
ورَدْنا بــه نَخْـلَ اليمامـةِ عانياً عليه وَثـاقُ القِـدَّ والحَلَقِ السُّمْرِ

فعمد هَوذَةُ عند ذلك إلى الأساورة الذين أُطلقهم بنو سعد ، وكانوا قد سُلبوا ، فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى ، وكان هَوْذَةُ رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً . فدخل عليه فقصَّ أمْرَ بني تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأْس من ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إيّاها وكساه قَباء دِيباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ، وقلنسوة قيمتُها ثلاثون ألف درهم ، وهو قول الأعشى[3] : [من البسيط]

لــه أُكاليلُ بالياقوت فصَّلها صَوّاغُها لا تـرى عَيْباً ولا طَبَعا

وذُكِر أنّ كسرى سأَلَ هَوْذَة عن ماله ومعيشته فأخبره أنّه في عَيش رَغد ، وأنّه يغزو

---

1 النبع : شجر تتخذ منه القسي .
2 تبذرق : تخفر .
3 ديوان الأعشى : 108 .

المغازيَ فيُصيب .

فقال له كسرى في ذلك : كَمْ ولَدُك ؟ قال : عشرة ، قال : فأيّهم أحبُّ إليك ؟ قال : غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ . قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حَمَلك على أن طلبْتَ منّي الوسيلةَ . وقال كسرى لهوذة : رأيتَ هؤلاء الذين قتلوا أساورتي ، وأخذوا مالي ، أَبَيْنَك وبينهم صُلح ؟

قال هوذة : أيّها الملك بيني وبينهم حَساء[1] الموت ، وهم قتلوا أَبي . فقال كسرى : قد أدركْتَ ثأرك ، فكيف لي بهم ؟ قال هوذة : إنَّ أَرْضهم لا تُطيقها أساوِرتُك ، وهم يمتنعون بها ، ولكن احبِسْ عنهم المِيرة ، فإذا فعلتَ ذلك بهم سنةً أَرسلتَ معي جنداً من أساورتك ، فأُقيم لهم السوق ؛ فإنّهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خَيْلُكَ .

ففعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الأسواقَ في سَنةٍ مُجْدبة ، ثم سَرَّح إلى هوذة فأَتاه ، فقال : ائت هؤلاء فاشْفني منهم ، واشْتَفِ . وسَرَّح معهم جَوار بُودار ورجلاً أَرْدَشِير خُرَّة . فقال لهوذة : سِرْ معَ رسولي هذا ، فسار في ألف أَسوار حتى نزلُوا المشقر من أرض البحرين ، وهو حِصْن هَجَر .

وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأَتوه ، فدنوا مِن حيطان المشقَّر ، ثم نودي : إنَّ كسرى قد بلغه الذي أُصابكم في هذه السنة ، وقد أُمر لكم بميرة ، فتعالوا ، فامتاروا . فانْصبَّ عليهم الناس ، وكان أعظم مَنْ أتاهم بنو سَعد ، فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقَّر أُدخلوا رجلاً رجلاً ، حتى يُذهب به إلى المُكَعْبِر[2] فتضرب عنقه ، وقد وضع سِلاحَه قبل أن يدخل ، فيقال له : ادْخُلْ من هذا الباب واخْرُجْ من البابِ الآخر ؛ فإذا مرَّ رجُلٌ من بني سَعْد بينه وبين هَوْذَة إخاء ، أو رجل يرجوه ، قال لمكعبر : هذا مِنْ قومي فيخلّيه له .

فنظر خيبريٌّ بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، وتُؤْخَذ أَسلحتُهم ، وجاء ليمتار ، فلمّا رأى ما رأى قال : وَيْلكم ! أينَ عقولكم ! فوالله ما بعدَ السَّلْب إلاّ القتل .

وتناول سيْفاً من رجل من بني سَعْد يُقال له مَصاد ، وعلى باب المشقَّر سلسلة ورجل من الأَساورة قابضٌ عليها ، فضربها فقطعها ويَد الأسوار ، فانفتح البابُ ، فإذا الناس يُقتلون ، فثارَتْ بنو تميم .

1 حساء الموت : تجرعه .

2 سمّي المكعبر لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل .

ويقال : إنّ الذي فعل هذا رجلٌ من بني عبس يقال له : عُبيد بن وهب ، فلمّا عَلِم هَوْذة أنَّ القوم قد نَذِرُوا به أمَرَ المكعبر فأطلق منهم مائةً من خِيارهم ، وخرج هارباً من الباب الأوّل هو والأساورة ، فتبعتهم بنو سَعْد والرباب ، فقُتِل بعضهم ، وأفلت مَن أفْلَت .

صوت[1]

[من الطويل]

إذا سلكتْ حَورانَ مِنْ رَمْلٍ عالجٍ   فقُولا لها : ليس الطريقُ هنالكِ[2]

دَعُوا فلَجاتِ الشامِ قد حِيل دُونَها   بضَرْبٍ كأفْواهِ العِشار الأوارِكِ[3]

عروضه من الطويل . الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لابن محرز ، ولَحْنُه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل ، مطلق في مجرى البنصر .

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقُرَيش حين تركت الطريقَ الذي كانت تسلكُه إلى الشام بعد غَزْوة بَدْر ، واستأجرت فُرات بن حيّان العِجليّ دَليلاً ، فأخذ بهم غَيْرَها ، وبلغ النبيّ ﷺ الخبر ، فأرسل زيد بن حارثة في سريّة إلى العير فظفر بها ، وأعجزه القوم .

1 ديوان حسان : 85 .

2 الديوان : إذا سلكت الغور . . .

3 الديوان :

«. . . قد حال دونها   بضرب كأفواه المخاض الأوارك»

والأوارك : التي ترعى الأراك . والفلجات : الأودية الصغار أو العيون الجارية .

368 ـ [ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة][1]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدَّثنا الحارث بن أبي أسامة ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد ، عن الواقديّ ، قال : كان سبب هذه الغَزْوة أنَّ قريشاً قالت : قد عوَّر علينا محمد مَتْجرَنا[2] ، وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان وصَفْوان بن أميّة : إنْ أقمنا بمكّة أكلنا رؤوس أموالنا . فقال زَمْعَةُ بن الأسود : وأنا أدلّكم على رجُل يسلكُ بكم النّجدةَ ، ولو سلكها مُغْمَض العين لاهْتَدى . فقال صفوان : مَنْ هو ؟ قال : فرات بن حَيّان العجليّ ، فاستأجَراه ، فخرج بهم في الشتاء ، فسلك بهم على ذات عِرْق ، ثم سلك بهم على غَمْرَة ، فانتهى إلى النبيّ ﷺ خَبَرُ العِير ، فخرج وفيها مالٌ كثير ، وآنية مِنْ فِضّة حملها صَفْوان بن أميّة .

فخرج زَيْد بن حارثة فاعترضها ، فظفر بالعير ، وأفلت أعيانُ القوم ، وكان الخُمْسُ عشرين ألفاً ، فأخذه رسولُ الله ﷺ فقسّم الأربعة الأخماس على السَّرِيّة ، وأتى بفُرات بن حَيّان العجليّ أسيراً ، فقيل له : إن أسلَمْتَ لم يقتلك رسول الله ﷺ . فلمّا دَعا به رسولُ الله ﷺ أسلم ، فأرسله .

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق في خبرِ هذه السرية بمثل رِواية الواقديّ ، وزاد فيها فيما رواه : إنّ قريشاً لمّا خافت طريقَها إلى الشام أخذَتْ على طريق العراق ، وذكر أنَّ الوقْعَةَ كانت على القَرَدَة[3] : ماء من مياه نجد .

أخبرني حِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني يعقوب بن محمد الزهريّ ، قال : كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك : إن رأى أميرُ المؤمنين إذا فرغ من دَعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدَعوة أخواله بني مخزوم . فكتب : إن رضي بذلك آلُ الزُّبير فافعل . فلمّا فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى

---

1 خبر سرية زيد بن حارثة في الطبري : حوادث سنة 3 وسيرة ابن هشام 3 : 50 .

2 عور متجرنا : عرضه للضياع .

3 في الطبري والسيرة : القَرْدة بفتح القاف وسكون الراء . وفي ياقوت : الفَردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة ، وأضاف أن ابن الفرات ضبطه بالفَرِدة ، بفتح فكسر .

منادِيه ببني مخزوم ، فناداه عثمان بن عروة ، وقال : [من الطويل]

إذا هبطتْ حورانَ مِنْ أَرْضِ عالج فقُولا لهـا : ليس الطريقُ هنالك

فأَمر منادِيه فنادى بني أَسد بن عبد العزّى ، ثم مضى على الدعوة .

أَخبرني محمد بن عبد الله الحضرميّ إجازة ، قال : حدَّثنا ضرار بن صُرَد ، قال : حدَّثنا عليّ بن هشام ، عن عمّار بن زُرَيق ، عن أبي إسحاق ، عن عديّ بن حاتم : أنَّ النبيّ ﷺ أُتى بفرات بن حيّـان فقـال : إنّـي مسلم ، فقال لعليّ صلوات الله عليه : إنَّ منكم مَن أَكِلُه إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان ، وأقطعه أرضاً بالبحرين تغلّ ألفاً ومائتين .

حدَّثني أحمد بن يوسف بن سعيد ، قال : حدَّثنا محمد عُبيد الله بن عتبة ، قال : حدَّثنا موسى بن زياد الزيات ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن سليمان الأَشل ، عن زكريا بن أَبي زائـدة ، عـن أبـي إسحاق ، عن جارية[1] بن مُضَرِّب ، عن أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليـه ، قال : أُتِيَ النبيّ ﷺ بفرات بن حيّان يوم الخَنْدق ، وكان عَيْناً للمشركين ، فأَمَر بقتله ، فقال : إنّي مسلم ، فقال : إن منكم مَن أتألّفه على الإسلام وأَكِلُه إلى إيمانه ، منهم فرات بن حيّان .

صوت

[من الطويل]

إذا المـرء لم يطلب معاشاً لِنَفْسه شكى الفَقْرَ أَو لامَ الصَّدِيقَ فأَكثرا
وصار على الأَدْنَيْن كَلاًّ وأَوشكت صِلاتُ ذَوِي القُرْبى له أَن تَنَكَّرا
فسر في بـلادِ اللهِ والتمسِ الغِنى تَعشْ ذا يَسارٍ أَو تموتَ فتُعذرا
ولا تَرْضَ مِنْ عيش بدُونٍ ولا تنم وكيف يَنامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِرا

عروضه من الطويل ، الشعر لأَبي عطاء السنديّ . والغناء لإبراهيم . خفيف ثقيل بالوسطى ، من نسخة عمرو الثانية .

1 ل : حارثة .

[369] ـ ذكر أبي عطاء السنديّ[1]

[نسبه]

أبو عطاء ، اسمه أفلح بن يَسار ، مولى بني أسد ، ثم مَوْلى عنبر[2] ، بن سِماك بن حُصين الأسديّ ، منشؤه الكوفة ، وهو مِنْ مخضرميّ الدولتين . مدح بني أُميّة وبني هاشم ، وكان أبوه يَسار سِنْدِيّاً أعجميّاً لا يفصح . وكان في لسان أبي عطاء لكْنَةٌ شديدة ولثغة ، فكان لا يفصح . وكان له غلامٌ فَصيح سمّاه عطاء ، وتكنّى به ، وقال : قد جعلتُك ابني ، وسميتك بكنيتي ، فكان يروِّيه شِعْره ، فإذا مدح مَنْ يَجتَدِيه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله . وكان ابن كناسة يَذْكر أنّه كاتَبَ مواليَه ، وأنّهم لم يعتقوه .

[مكاتبة مواليه]

أخبرني بذلك محمد بن مزيد ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن كُناسة ، قال : كَثُر مال أبي عطاء السنديّ بعد أن أُعْتِق ، فأعنَته مواليه وطمعوا فيه ، وادَّعوا رِقَّه ، فشكا ذلك إلى إخوانه . فقالوا له : كاتِبْهُمْ ، فكاتَبُوه على أربعة آلافٍ ، وسعى له أهلُ الأدب والشعر فيها فتركهم .

[مدح الحرّ بن عبد الله القرشي]

وأتى الحرّ بن عبد الله القُرَشيّ ، وهو حليفٌ لقريش لا مِنْ أنفسهم ، فقال فيه[3] : [من الطويل]

أتيتُك لا مِنْ قُرْبَةٍ هي بيننا ... ولا نعمةٍ قَدَّمْتُها أَستَثِيبُها
ولكن مع الرَّاجين أن كنتَ مَوْرِداً ... إليه بُغاةُ الدَّيْن تَهْفُو قلوبُها
أغثني بِسَجْلٍ مِنْ نَداك يكفُّني ... وقاك الرَّدى مُرْدُ الرِّجالِ وشِيبُها
تَسمَّى ابن عبد الله حرّاً لوَصْفه ... وتلك العُلا يُعْنى بها من يُصيبُها

فأعطاه أربعة آلاف درهم ، فأدَّاها في مكاتبته وعَتَق .

---

1 ترجمة أبي عطاء السنديّ في خزانة البغدادي 9 : 545–546 والشعر والشعراء : 652–654 والعيني 1 : 560 والسمط : 602 . وقد جمع الأستاذ بخش نتفاً من شعره وإليها نشير بـ «نتف السنديّ» .

2 ل : عمرو .

3 نتف السنديّ : 84 .

[يطلب سليمان بن سليم غلاماً فصيحاً]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : كان أبو عطاء السنديّ يجمَعُ بين لثغة ولكنة ، وكان لا يكادُ يُفْهَم كلامه ، فأتى سليمان بن سُليم فأنشده[1] : [من الخفيف]

أعوزَتْنـي الرُّواةُ يا ابْنَ سُلَيم ... وأبى أنْ يقيـم شِعْري لساني
وغَلى بالذي أُجَمْجِمُ صَدْري ... وجَفَـاني لِعُجْمتـي سلْطاني[2]
وازْدَرَتْني العيونُ إذ كان لَوْني ... حالكاً مُجْتَوًى مـن الألوانِ[3]
فضربتُ الأمورَ ظَهْراً لبَطْن ... كيف أَحْتالُ حِيلةً للساني !
وتمنيتُ أنّني كنـت بالشِّعْـ ... ـرِ فَصيحاً وبانَ بَعْضُ بَناني
ثم أصبحتُ قد أنختُ رِكابي ... عنـد رَحْب الفِناء والأعطانِ
فاكفني ما يَضيقُ عنـه رُواتي ... بفصيح مِـنْ صالح الغِلمانِ
يُفْهِمُ الناسَ ما أقول من الشـ ... ـعر فإنَّ البيانَ قَـدْ أعياني
فاعْتَمِدْني بالشكر يا ابْنَ سُلَيم ... في بـلادي وسائِـر البُلدانِ
ستُوافيهـمُ قَصائـدُ غُـرٌّ ... فيـك سَبّاقـةٌ لكلّ لسانِ
فقديماً جعلتُ شكري جَزاء ... كلِّ ذي نعمـةٍ بمـا أوْلاني
لم تَزَلْ تشتري المحامِـدَ قِدماً ... بالرَّبيح الغـالي مـن الأثمانِ

فأمر له بوصيف بربريّ فصيح ، فسمّاه عطاء ، وتكنّى به ، وروّاه شِعْرَه ؛ فكان إذا أراد إنشادَ مديح لَمنْ يَجْتَديه ، أو مذاكرة لشِعْرِه أنشده .

[هجاؤه مولاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا ثعلب ، عن أبي العالية الحُرّ بن مالك الشاميّ ، قال : لمّا أثرى أبو عطاء أعْنَتَه مولاه عنبر بن سِماك الأسديّ ، حتى ابتاع نَفْسَه منه ، فقال يهجوه[4] : [من الوافر]

إذا مـا كنتَ متخذاً خليـلاً ... فـلا تَثِقَنْ بكـلّ أخي إخاء

---

1 نتف السندي : 34 .
2 سلطاني في ل : شيطاني .
3 مجتوى : مكروهاً .
4 نتف السندي : 5 .

وإنْ خُبِّرْتَ بينهـم فألْصِقْ بأهـلِ العقـلِ منهـم والحياء
فـإنَّ العقل ليس لـه إذا مـا تُذوكِرَت الفَضائِلُ مِـنْ كِفاء
وإنَّ النَّوْكَ للأحسابِ غُـولٌ بــه تــأوِي إلى داءٍ عَيـاء
فلا تَثِقَنْ مِـن النُّوكى بشَيْءٍ ولــو كانوا بَنـي ماء السماء
كعَنْبرِ الوثيــقِ بنــاءَ بَيْتٍ ولكــن عقلُــه مِثْـلُ الهَباء
وليس بقابـلٍ أدبـاً فدَعْـه وكــن منــه بمنقطعِ الرَّجاء

[من شعراء بني أميّة]

قال : وكان أبو عطاء مِنْ شُعراء بني أُميّة ومُدّاحهم والمُنْصَبِّي الهَوى إليهم ، وأدرك دولةَ بني العبّاس فلم تكُنْ له فيها نَباهةٌ ، فهجاهم . وفي آخر أيّام المنصور مات . وكان مع ذلك مِنْ أحسن الناس بديهة ، وأشدّهم عارضةً وتقدُّماً . وشهد أبو عطاء حَرْبَ بني أُميّة وبني العبّاس فأبلى ، وقُتِل غلامه عطاء مع ابن هبيرة ، وانهزم هو ؛ وقيل : بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه .

[أبو يزيد المريّ يفر على فرسه]

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبو عطاء يقاتل المسوِّدة[1] ، وقدّامه رجُل مِنْ بني مرّة يكنى أبا يزيد ، وقد عُقِر فرسه ، فقال لأبي عطاء : أعطني فرسَك حتى أُقاتل عنّي وعنك ، وقد كانا أيْقَنا بالهلاك ، فأعطاه أبو عطاء فرسَه ، فركبه المُرِّيُّ ، ثم مضى وترك أبا عطاء ، فقال أبو عطاء في ذلك[2] : [من الوافر]

لعمــرك إنّنـي وأبـا يزيـد لكالساعي إلى وَضَح السَّرابِ
رأيْتُ مُخيلةً فطمعتُ فيهـا وفي الطمع المذلَّـةُ للرِّقابِ[3]
فما أعياك مِـنْ طلبٍ ورِزقٍ كما يعييـك في سَرَق الدَّوابِ
وأشهد أنّ مـرَّة حيُّ صِدْقٍ ولكن لستَ منهم في النِّصابِ

أخبرني الحسن ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ : أنّ يحيى بن زياد الحارثيّ وحمّاداً الراوية كان بينهما وبَيْن مُعلّى بن هُبيرة ما يكونُ مثلُه بين الشعراء والرُّواة من النَّفاسة ، وكان معلّى بن هُبيرة يحبُّ أن يطرح حمّاداً في لسان شاعرٍ يهجوه .

---

1 المسودة : بنو العباس ومن والاهم للبسهم السواد .
2 نتف السندي : 6 .
3 المخيلة : السحابة تخالها ماطرة .

[أبو عطاء وحمّاد الراوية]

قال حمّاد الراوية : فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبي عطاء السنديّ أن يقول في زُجّ وجَرادة ومسجد بني شيطان ؟ قال : فقلت له : فما تجعله على ذلك ؟ قال : بَغْلتي بسرجها ولجامها . قلت : فعدِّلْها[1] على يدي يحيى بن زِياد ، ففعل ، وأخذْتُ عليه موثقاً بالوفاء .

وجاء أبو عطاء السنديّ فجلس إلينا ، وقال : مرهباً مرهباً ، هيّاكم الله . فرحّبْتُ به ، وعرضْتُ عليه العشاء ، فقال : لا هاجَةَ لي به ، فقال : أعندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرّتْ عَيْناه ، واسترخت عَلابيه[2] ، ثم قلت : يا أبا عطاء ، إنّ إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لغز ، ولست أقدر على إجابته البتّةَ ، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء ، ففرِّجْ عنّي . قال : هات ، فقلت[3] : [من الوافر]

أبن لي إنْ سُئلْتُ أبا عطـاء ... يقيناً كيف علمُـك بالمعاني

فقال : [من الوافر]

خبيرٌ عـالم فاسأل تَجِـدْني ... بهـا طَبّـاً وآيـاتِ المَثاني

فقلت : [من الوافر]

فما اسمُ حدَيْدَةٍ في رأس رُمحٍ ... دُوَين الكَعْبِ ليست بالسِّنانِ ؟

فقال أبو عطاء : [من الوافر]

هو الززُّ الذي إن بات ضَيْفاً ... لصَدْرك لم تَـزَلْ لك عَوْلتانِ

قلت : فرَّج الله عنكَ ، تعني الزجّ . وقلت : [من الوافر]

فما صفراء تُـدْعى أُمَّ عوف ... كأنّ رُجَيْلَتَيْهـا مِنْجـلانِ ؟

فقال : [من الوافر]

أردتَ زَرادةً وأُزُنُّ زَنّـا ... بأنَّـك ما أردتَ سِوى لساني

قلت : فرَّج الله عنك ، وأطال بقاءَك ! تريد جرادة ، وأظنُّ ظنّاً . وقلت : [من الوافر]

1 عدلها : اجعلها في ضمان عدل .

2 العلابي : جمع علباء وهو عصب في عنق البعير .

3 انظر في هذه المعاياة الشعر والشعراء والخزانة .

أتعرِف مسجداً لبني تميم فُوَيْقَ المِيل دُونَ بَني أَبانِ ؟

فقال : [من الوافر]

بنو سَيْطان دُونَ بني أَبان كقُرْب أَبيك من عَبْدِ المدانِ

قال حمّاد : فرأيتُ عينيه قد احمرّتا ، وعرفت الغضب في وجهه وتخوّفْتُه ، فقلت : يا أبا عطاء ، هذا مقام المستجير بك ، ولك النصف ممّا أخذته ، قال : فاصدقني ، قال : فأخبرته . فقال لي : أولى لك ! قد سلمتَ وسلم لك جُعْلُك ، خُذْه بُورِك لك فيه ، ولا حاجة لي فيه . فأخذته ، وانقلب يَهْجو مُعَلّى بن هبيرة .

[مدح أبا جعفر ثم هجاه]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، أنَّ أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُثبه ، فأظهر الانحرافَ عنه لعلمه بمَذْهَبه في بني أُميّة ، فعاوَدَه بالمدح ، فقال له : يا ماصّ كذا من أمّه ، ألَسْتَ القائل في عدوّ الله الفاجر نصر بن سَيّار ترثيه : [من البسيط]

فاضَتْ دُموعي على نَصْرٍ وما ظلمت عينٌ تفيضُ على نصر بن سيَّارِ

يا نَصْرُ مَنْ لِلِقاء الحرب إن لَقِحَتْ يا نَصْرُ بعدك أو للضيف والجارِ

الخِنْدِفيّ الذي يَحْمي حَقيقَته في كلّ يَوْم مخوف الشرّ والعارِ

والقائد الخَيْل قبّاً في أَعنتِها بالقوم حتى تلفّ القار بالقارِ

منْ كُلِّ أبيض كالمصباح مِنْ مُضَرٍ يَجلُو بِسُنّتِه الظلماءَ لِلسَّاري

ماضٍ على الهَوْل مِقدام إذا اعترضت سُمْرُ الرِّماح وولّى كلُّ فَرَّارِ

إنْ قالَ قَوْلاً وَفى بالقولِ مَوْعِدُه إنَّ الكنانيَّ وافٍ غَيْرُ غَدَّارِ

والله لا أُعطيك بعد هذا شيئاً أبداً . قال : فخرج من عنده ، وقال عدّة قصائد يذمُّه فيها منها[1] : [من البسيط]

فليت جَوْرَ بني مَرْوان عادَ لَنا وليتَ عَدْلَ بني العبّاس في النارِ

وقال أيضاً[2] : [من الوافر]

ألَيس اللهُ يعلمُ أنَّ قلبي يُحِبُّ بني أُميّة ما استطاعا

1 نتف السنديّ : 16 .

2 نتف السنديّ : 18 .

ومــا بــي أنْ يكونوا أهل عَدْل ولكنّي رأيــتُ الأمْـرَ ضاعا

[ابن هبيرة يحرمه]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثني الخراز ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبو عطاء مع ابن هبيرة وهو يَبْني مدينته التي على شاطىء الفرات ، فأعطى ناساً كثيراً صلاتٍ ولم يُعْطِه شيئاً ، فقال[1] : [من الوافر]

قصائـدُ حكتهُنَّ ليَــوْمِ فَخْر رَجَعْــنَ إليَّ صُفْراً خالياتِ[2]
رَجعن ومـا أفـأنَ عليّ شيئاً سِوى أنّي وُعِـدت التُّرّهاتِ
أقام على الفرات يزيد حَوْلاً فقال الناس : أيّهما الفراتي !
فيـا عجباً لبَحْرٍ بـاتَ يَسْقي جميعَ الخَلْــقِ لم يَبْلُلْ لَهاتي

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة : وكم يبلّ لهاتك يا أبا عطاء ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر ابْنَه بدفعها إليه ، ففعل ، فقال يمدح ابنه[3] : [من البسيط]

أمَّا أبوكَ فعَيْنُ الجودِ تعرفُه وأنتَ أشبَهُ خَلْقِ الله بالجودِ
لــولا يزيد ولولا قَبْله عمر ألقَــتْ إليـك معـدٌّ بالمَقاليدِ
مــا ينبتُ العودُ إلاّ في أرُومته ولا يكون الجَنى إلاَّ من العودِ

[عند نصر بن سيار]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : وَهَب نَصْر بن سيّار لأبي عطاء جارية ، فلمّا أصبح غدا على نَصْر ، فقال : ما فعلتَ أنْتَ وهي ؟ فقال : قد كان شيء منّي منعني من بعض حاجتي ، يعني النّوم ، فقال : وهـل قلـت في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، وأنشد : [من الكامل]

إنَّ النكاحَ وإن هَرِمْتَ لصالح خَلَفٌ لعَيْنِك مِن لذيذ المَرْقَدِ

فقال نصر : [من الكامل]

ذاك الشقاء فــلا تَظُنَّنْ غَيْرَهُ ليس المشاهِدُ مِثْلَ مَنْ لم يَشْهَدِ

1 نتف السنديّ : 9 .
2 ليوم فخر في ل : لقرم قيس .
3 نتف السندي : 10 .

فقال : أُصلحك الله ، إنّي قد امتدحتكَ فائْذَن لي أن أنشدك ، قال : إنّي لفي شغل ، ولكن ائتِ تميماً ، فأتاه فأنشده ، فحمله على بِرذَوْنٍ أَبْلَق ، فقال له نصر من الغد : ما فعل بك تميم ؟ فقال[1] : [من المتقارب]

لئن كان أُغْلِقَ بابُ النَّدى ... فقد فُتِحَ البابُ بالأبلقِ

ثم أنشده قوله[2] : [من الرجز]

وهيكلٍ يُقال في جَلالِهِ ... تقصُر أَيْدي الناسِ عَنْ قَذالِهِ
جَعَلْتُ أوصالي على أوصالهِ ... إنّك حمّالٌ على أمثالِهِ

[مبايعته كرهاً]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ ، قال : لمّا أمر أبو جعفر الناسَ بلبس السَّواد ، لبسَه أبو عطاء فقال[3] : [من الطويل]

كُسِيتُ ولم أكفُرْ مِنَ الله نعمةً ... سواداً إلى لوني ودنًّا مُلَهْوَجا[4]
وبايعتُ كرهاً بيعةً بعد بَيعة ... مُبَهرجة إن كان أَمرٌ مبهرجا

[يجيز بيتين لإبراهيم بن الأشتر]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : بعث إبراهيم بن الأشتر إلى أبي عطاء ببيتين من شعر ، وسأله أنْ يضيف إليهما بيتين من رويّهما وقافيتهما ، وهما : [من البسيط]

وبلدةٍ يزدهي الجِنّانُ طارِقَها ... قطعتها بكِناز اللحْمِ مُعْتاطَهْ
وَهْناً وقد حلّق النَّسْران أو كَرَباً ... وكانت الدلو بالجَوْزاء مُنْتاطَهْ

فقال أبو عطاء[5] : [من البسيط]

فانجاب عنها قميصُ الليل فابتكَرت ... تسير كالفَحْلِ تحت الكُورِ لَطّاطَهْ
في أينقٍ كلّما حثَّ الحداةُ لها ... بَدَتْ مناسِمُها هَوْجاءَ حَطّاطَهْ

---

1 نتف السنديّ : 19 .
2 نتف السنديّ : 20 .
3 نتف السنديّ : 10 .
4 الدن : القلنسوة . وملهوج : غير محكم .
5 نتف السنديّ : 17 .

[بغلة أبي دلامة]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : كان سبب هجاء أبي دُلامة بغلته أن أبا عطاء السنديّ هجاها ، فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك ، وتعرّه ، فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة . قال : وأبيات أبي عطاء فيها[1] : [من الوافر]

أبغلَ أبي دُلامةَ متٍّ هَزْلاً عليه بالسخاء تُعَوِّلينا
دوابّ النّاس تقضُم مِلْمَخالي وأنْتِ مهانَةٌ لا تقضَمينا
سَلِيه البيعَ واستعْدِي عليه فإنّك إنْ تُباعِي تسمنينا

[ثناؤه على نهيك بن معبد]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثنا أحمد ، عن المدائنيّ ، قال : كان أبو عطاء منقطعاً في طريق مكّة ، وخباؤه مطروحٌ ، فمرّ به نَهيكُ بن مَعْبَد العطارديّ ، فقال : لَمَنْ هذا الخباء المُلْقى ؟ فقيل : لأبي عطاء السنديّ ، فبعث غِلْماناً له ، فضرَبُوا له خِباءً ، وبعث إليه بألطاف وكسوة ، فقال : مَنْ صنع هذا ؟ قالوا : نَهِيك بن معبد ، فنادى بأعلى صوته يقول[2] : [من الطويل]

إذا كنتَ مُرْتادَ الرجال لِنَفْعِهم فنادِ بصَوْت : يا نَهِيكُ بنَ مَعْبَدِ

فبعث إليه نهيك : لا ، زِدْنا يا أبا عطاء .

فقال أبو عطاء : إنّما أعطيناك على قَدْر ما أعطيتنا ، فإنْ زِدْتنا زِدْناك . والله أعلم .

نسخت من كتاب ابن الطحان : قال الهيثم بن عديّ : أخبرنا حمّاد الراوية ، قال : أنشدت أبا عطاء السنديّ في أثناء حديثٍ هذا البيت : [من المتقارب]

إذا كنْتَ في حاجةٍ مرسلا فأرْسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ

فقال أبو عطاء : بئس ما قال ! فقلت : كيف تقول أنت ؟ قال : أقول : [من الوافر]

إذا أرسلتَ في أمرٍ رسولا فأفهِمْه وأرسِلْه أديبا
وإنْ ضيَّعتَ ذاك فلا تَلُمْهُ على أن لم يكن عَلِمَ الغُيوبا

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ : قال الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد بن سلمة الكلبيّ ، قال : دخل أبو عطاء السنديّ على سليمان بن سُليم بن بَشّار[3] ،

1 نتف السنديّ : 27 .
2 نتف السنديّ : 7 .
3 ل : كيسان .

فقال له[1] : [من الخفيف]

أعوزَتْنــي الرُّواةُ يا ابن سُليم وأَبــى أن يقيــمَ شِعْري لساني
وغـلا بالذي أُجَمْجِم صَدْري وشَكاني من عجمتي شيطاني
وعَدَتْني العيونُ أن كان لَوْني حالِكاً مُظْلِمـاً مِـنَ الأَلوانِ
وضربت الأُمـورَ ظهـراً لبطن كيف أحتـال حيلةً لَبَياني !
فتمنّيت أنّني كنْـتُ بالشعـ ـر فصيحاً وبـانَ بَعْضُ بناني
ثم أَصبحت قد أنختُ ركابي عنـد رحب الفِناء والأَعطانِ
فإلى مَـن سِواك يا ابن سليم أَشتكي كُرْبَتي ومـا قد عَناني
فاكْفِني ما يضيق عنه ذراعي بفَصيح مِنْ صالحـي الغلمانِ
يُفهم الناسَ ما أقول من الشعـ ـر فإنَّ البيانَ قـد أَعياني
ثم خذني بالشكر يا ابن سُليم حيْثُ كانتْ داري من البلدانِ

فأمر له بوَصِيف فصيح كان حسن الإنشاد ، فقال أبو عطاء أيضاً : [من الخفيف]

فأقبلـوا نَحْوي معـاً بالقنا وكلّهـم يسأل : مـا شاني ؟
فقلـت : شأني كلّـه أنّني في تعـب مـن لفظ جُرْداني
يا ابنَ سليم أنْتَ لي عصمة مـن حـدثٍ أفزع جيراني
فقد رمـاني الدَّهْرُ عن فقـره بسهـم فقـر غير لَغبانِ[2]
صادَ فُؤادي بعد مـا قد سلا فصـرت كالمقتبِـل العـاني
فانعَشْ فدَتْكَ النفس منّي ومَن أطاعَنـي مِـنْ جـلّ إخواني
وهبْ فدتك النفْسُ لي طَفلة يقمع جرهـا رَأْسَ شيطاني[3]
فإن أيري قـد عَتا واعتدى وصار يبغـي بغيـةَ الزّاني
فـاللهَ ثـم الله في قَمْعـه مـن قبـل أنْ أمْنى بسلطانِ
يتركنـي أضحوكـةً بعدمـا أضْـرَبُ في سِرٍّ وإعْـلانِ

---

1 نتف السنديّ : 24–25 .
2 لغبان : شديد الاعياء .
3 الطفلة : الرخصة الناعمة .

فأمر له بجارية قُنْدُهارِيّة[1] فارهة ، فقال : [من الخفيف]

أحصنني اللّهُ بكفَّـيْ فَتـى مهـذَّبٍ مِـنْ سِرّ قَحْطـانِ
من حميرٍ أهل السَّدى والندى وعصمة الخائـف والجـاني
يـا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ أنت الذي أيْـأَسْتَ مِـنْ فسقـي شيطاني

[يغضب لخطأ راويته في شعر قاله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ ، عن أبيه ، قال : كنتُ جالساً مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السنديّ ، إذ قام راوية أبي عطاء ينشد سليمان مديحاً لأبي عطاء ، وأبو عطاء جالس لا يتكلّم ، إذ قال الراوية في إنشاده : [من الوافر]

فمـا فضلت يمينُـك من يمين ولا فضلَتْ شمالُك عن شمالِ

هكذا بالرفع ، فغضب أبو عطاء ، وقال : ويلك فما مدهته إذاً ! إنّما هزوته ، يريد فما مدحتُه إذاً إنّما هجوتُه ، ثم أنشده أبو عطاء : [من الوافر]

فما فدَلت يمينَـك من يمينِ ولا فدَلْت شمالَكَ عن شمالِ

فكدتُ أضحك ، ولم أجسر ، لأنّي رأيْتُ القوم جميعاً بهم مثل ما بي وهم لا يضحكون ؛ خوفاً منه .

حدَّثنا وكيع ، قال : أخبرنا أحمد بن زهير ، قال : حدَّثنا سليمان بن منصور ، قال : حدَّثني صالح بن سليمان ، قال : وَفَد أبو عطاء السنديّ على نَصر بن سيّار فأنشده[2] : [من البسيط]

قالـت تَرِيكة بَيْتي وهي عاتِبةٌ إنَّ المقام على الأفْـلاسِ تَعْذيبُ[3]
مـا بال همٍّ دخيلٍ بات محتضراً رأس الفـؤادَ فنوم العَينِ توجيبُ
إنّي دعاني إليك الخَيْرُ مِنْ بلدي والخيرُ عندَ ذوي الأحسابِ مطلوبُ

فأمر له بأربعين ألف درهم .

[ضيقه يرقب الجارية]

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن عليّ ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعد ، قال : حدَّثني سليمان بن أبي شيخ ، عن صالح بن سليمان ، قال : دخل إلى أبي عطاء السنديّ

---

1 قندهارية : نسبة إلى قندهار .
2 نتف السنديّ : 7 .
3 تريكة البيت : المتروكة دون زواج ، العانس .

ضَيْفٌ ، فأتاه بطعام ، فأكل ، وأتاه بشراب وجلسا يشربان ، فنظر أبو عطاء إلى الرجل يلاحظُ جاريته ، فأنشأ يقول[1] : [من الخفيف]

كُلْ هنيئاً وما شربت مَرِيئاً ثم قُمْ صاغـراً وأَنْتَ ذميمُ
لا أُحبُّ النديم يُومِض بالطر ف إذا ما خلا لعِرْسِ النَّديمِ[2]

صوت

[من الطويل]

تجولُ خلاخيـلُ النساء ولا أرى لرَمْلَـة خَلْخالاً يَجولُ ولا قَلبا[3]
أُحـبّ بنـي العـوَّام طُـرّاً لحبِّها ومِنْ أَجلها أحبَبْتُ أُخوالها كَلْبا
فإن تُسْلِمي نُسْلِم ، وإن تتنصَّري تخطّ رِجـالٌ بـين أعينهم صُلْبا

عروضه من الطويل . الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رَمْلة بنت الزُّبير . والغناء ليحيى المكّيّ ، ثاني ثقيل أوّل بالوسطى ، من رواية ابنه وأبي العَنْبَس ، وفيه لعبيد الله بن أبي غسان رمل ، وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبنصر ، عن حبش .

---

1 نتف السنديّ : 22 .
2 في البيت إقواء .
3 البيتان الأولان في معجم الأدباء : 1241 والأبيات الثلاثة في المختار ومن شعر بشار : 151 .

[370] ـ ذكر خالد ورملة[1]
وأخبارهما وأنسابهما

[نسبه]

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وكان من رجالات قريش سخاءً وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفْنى بذلك عمره ، وأسقط نفسه . وأمّ خالد بن يزيد أُمّ هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

[عالم شاعر]

أخبرني الطوسيّ وحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني عمِّي مصعب ، قال : كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ، ويقول الشعر ، وزعموا أنّه هو الذي وضع خَبر السُّفيانيّ وكبَّره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مَروان بن الحكم على المُلك ، وتزوّج أُمَّه أُمَّ هاشم ، وهذا وهْمٌ من مصعب ؛ فإنّ السفيانيّ قد رَواه غَير واحد ، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامّة . وذكر خبَر أمره أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ، وغيره من أهل البيت صلوات الله عليهم .

حدَّثني أبو عبد الله الصَّيْرَفيّ قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن خلف العطّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن صالح ، عن أبي الأسود ، قال : حدَّثنا صالح بن أبي الأسود ، يعني أباه ، عن عبد الجبّار بن العبّاس الهمدانيّ ، عن عمّار الذّهبيّ ، قال :

قال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام : كم تعدون بقاءَ السفيانيّ فيكم ؟ قلت : حَمْلَ امرأة تسعة أشهر ، قال : ما أعلمكم بأهل الكوفة . حدَّثني أبو عبد الله قال : حدَّثنا محمد بن عليّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن صالح ، قال : حدَّثنا منصور بن الأسود ، قال : أتيتُ جابراً الجعفيّ أنا والأسود أخي ، فقلنا له : إنّا قومٌ نضربُ في هذه التجارات ، وقد بلغنا أنّ الراياتِ

---

1 ترجمة خالد بن يزيد في معجم الأدباء : 1238–1241 ومصورة ابن عساكر 3 : 379 ومختصر ابن منظور 8 : 33 وتهذيب ابن عساكر 5 : 119 وتهذيب الكمال 8 : 201 وأنساب الأشراف 4/1 : 359–367 ووفيات الأعيان 2 : 224–226 وتاريخ الحكماء : 440 والمعارف : 352 ونسب قريش : 128–130 وسير أعلام النبلاء 9 : 411 والعبر 7 : 105 والبداية والنهاية 9 : 60 وتهذيب التهذيب 3 : 128 وكتب التاريخ مثل الطبري وابن الأثير وتاريخ خليفة وكتب الأدب كالبيان والتبيين . وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

قد قُطِع بها الفُرات ، فماذا تُشير علينا ؟ وماذا تأمرنا ؟ قال : اذهبوا حيث شئتّم من أَرْض الله تعالى ، حتى إذا خرج السُّفيانيّ فأَقْبِلوا عَوْدكم على بدئكم .

أخبرني الطوسيّ وحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن عمِّه ، قال لمّا ولدت أُمُّ هاشم خالدَ بن يزيد بن معاوية تركت كنيتها ، واكتنَتْ بخالد ، وقال فيها يزيد بن معاوية[1] : [من الطويل]

وما نَحْنُ يوم استعبَرتْ أُمُّ خالدٍ بمَرضى ذوِي داءٍ ولا بصِحاحِ

ولها يقول ، وقد قدم من المدينة ، وقد تزوّج أُمَّ مسكين بنت عمر بن عاصم بن عُمر بن الخطّاب فحُمِلت إليه بالشام ، فأُعجِب بها ، وجَفا أُمَّ خالد ، ودخل عليها وهي تبكي ، فقال[2] : [من الرجز]

ما لـكِ أُمَّ خالـدٍ تبكـينْ مِنْ قَدَرٍ حـلَّ بِكُمْ تَضِجِّين !
باعَتْ على بَيْعك أُمُّ مِسكينْ ميمونـة مِـنْ نِسوةٍ مَيامينْ
حَلَّتْ مَحَلَّـك الذي تَحُلِّين زارتك مِنْ يثرب في حوارين
في مَنْزِلٍ كنْـتِ بـه تكونين

أُخبرني الطوسيّ وحِرْميّ ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن عمِّه : أنَّ رملة بنت الزُّبير كانت أختَ مصعب بن الزُّبير لأُمِّه[3] ، كانت أُمّهما أُمّ الرباب بنت أُنيف بن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن عتّاب بن ذهل من كلب ، وإنّما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى ، فولدت لـه عبدالله بن عثمان ، وهو زوجُ سُكينة بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام .

[ردّه على الحجّاج]

قال الزُّبير : فحدَّثني رَجُل ، عن عُمر بن عبد العزيز ، وأُخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : لمّا قُتِل ابن الزُّبير حجّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فخطب رَمْلة بنت الزُّبير بن العوّام ، فأرسل إليه الحجّاجُ حاجبه عُبيد الله بن مَوهب ، وقال له : ما كنتُ أُراك تخطب إلى آل الزُّبير حتى تشاورني ، وكيف خطبْتَ

1 شعر يزيد : 14 .
2 شعر يزيد : 34 .
3 أنساب الأشراف : لأبيه .

إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ! وكذلك قال جدّك معاوية ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورَمَوْه بكلّ قبيحة ، وشَهِدوا عليه وعلى جدّك بالضَّلالة .

فنظر إليه خالدٌ طويلاً ، ثم قال له : لولا أنّكَ رسول ، والرسولُ لا يعاقب لقطَّعتُك إرْباً إرْباً ، ثم طرحتُك على باب صاحبك ، قل له : ما كنتُ أرى أنّ الأُمورَ بلغَتْ بك إلى أن أُشاورك في خطبة النساء !

وأمّا قولك لي : قارعُوا أباك وشهدُوا عليه بكلّ قبيح ، فإنّها قُريش يُقارِعُ بعضُها بعضاً ، فإذا أقَرَّ اللهُ عزّ وجلّ الحقّ قراره ، كان تقاطُعهم وتراحمهم على قَدْر أحلامهم وفَضْلهم .

وأمّا قولك : إنّهم ليسوا بأكفاء فقاتَلك اللهُ يا حجّاج ، ما أقَلّ علمك بأنساب قريش ! أيكونُ العوام كفُوءاً لعَبْد المطّلب بن هاشم بتَزوُّجه صفيّة ، وبتزوّج رسول الله ﷺ خديجة بنت خُويلد ، ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان ! فرجع الحاجبُ إليه فأعلمه .

[شعره في رملة]

قال : وقال عُمر بن شبّة في خبره : قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها[1] : [من الطويل]

أليس يزيــد السيرُ في كلِّ ليلـة ... وفي كلِّ يـوم مِـن أحبّتنا قُربا
أحِنّ إلى بنت الزُّبير وقد علَتْ ... بنا العِيسُ خَرقاً من تهامة أو نقبا
إذا نزلــت أرضاً تحبّبَ أهلهــا ... إلينــا وإنْ كانت منازلهــا حَرْبا
وإن نزلت مــاءً وإن كان قَبْلَها ... مليحاً وجَدْنــا مــاءَه بارِداً عَذْبا
تجولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى ... لرَمْلــة خلخالاً يَجُــولُ ولا قُلْبا
أقِلّـوا عــليّ اللــومَ فيها فإنّني ... تخيَّرتُهــا منهــم زُبيريّــةً قَلْبا
أُحبُّ بنــي العــوّام طرّاً لحبّها ... ومِنْ حبّهــا أحبَبْتُ أخوالها كلبا

قال أبو زيد : وزادوا في الأبيات : [من الطويل]

فــإن تُسْلِمي نُسْلِم وإن تتنصّري ... تخــطّ رجــالٌ بـين أعينهم صُلْبا

فقال له عبد الملك : تنصّرْتَ يا خالد ، قال : وما ذاك ؟ فأنشده هذا البيت ، فقال له خالد : على مَنْ قاله ومَنْ نَحَلَنيه لعنةُ الله .

---

1 الأبيات، في معجم الأدباء : 1241 .

[بينه وبين الحجّاج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثني عُمَر بن شبَّة ، قال : حدَّثني موسى بن سعيد بن سلم ، قال : قدِم الحجّاج على عبد الملك ، فمرّ بخالد بن يزيد بن معاوية ، ومعه بعضُ أهل الشام ، فقال الشاميّ لخالد : مَنْ هذا ؟ فقال خالد كالمستهزىء : هذا عَمْرو بن العاصي ، فعدل إليه الحجّاجُ ، فقال : إنّي والله ما أنا بعمرو بن العاصي ولا ولدت عَمراً ولا ولدني ؛ ولكنّي ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل من قريش ، ولقد ضربْتُ بسيفي هذا أكثرَ من مائةِ ألف ، كلّهم يشهدُ أنّك وأباك من أهل النار ، ثم لم أجِدْ لذلك عندك أجراً ولا شكراً ، وانصرف عنه ، وهو يقول : عَمْرو بن العاصي ، عمرو بن العاصي ! .

[تهجم محمد بن عمرو بن سعيد عليه]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن مسلم القرشيّ ، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك : أنّ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي قدِم الشام غازياً ، فأتى عَمَّته أُميّة ، بنت سعيد ، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل خالدٌ فرآه ، فقال : ما يقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلاّ اختار المقام عندنا على المدينة ؛ فظنَّ محمدٌ أنّه يعرِّضُ به ، فقال له : وما يَمنعُهم من ذلك ، وقد قدِم قوم من أهل المدينة على النواضحِ[1] ، فنكحوا أُمَّك وسلَبُوك مُلْكك ، وفرَّغوك لطلب الحديث وقراءةِ الكتب ، وعَمَلِ الكيميا الذي لا تقدِرُ عليه . انتهى .

[أمّه قتلت زوجها]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا الخرّاز عن المدائنيّ ، عن أبي أيّوب القرشيّ ، عن يزيد بن حصين بن نمير : أنَّ مَروان بن الحكم تزوَّج أُمّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فناظر خالداً يوماً وأراد أنْ يضَعَ منه في شيء جرى بينهما ، فقال له : يا ابْنَ الرَّطبة ، فقال له خالد : إنّك لأُمّي مختبر[2] ، وأنت بهذا أعلم . ثم أتى أُمَّه فأخبرها ، وقال : أنتِ صنعتِ بي هذا ، فقالت له : دَعْه ، فإنّه لا يَقولها لكَ بعد اليوم .

فدخل مروان عليها فقال لها : هل أخبركِ خالدٌ بشيء ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ خالد أشدُّ تعظيماً لك مِن أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه .

فلمّا أمسى وضعَتْ مِرْفَقَةً على وَجْهه ، وقعدَتْ عليها هي وجواريها حتى مات .

---

1 النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء .

2 ل : الأمير مختبر .

وأراد عبد الملك قَتْلها ، وبلغها ذلك ، فقالت : أما إنّه أشدُّ عليك أنْ يعلَم الناس أنّ أباك قتلَتْهُ امرأة : فكفّ عنها .

[رملة تشكو سكينة بنت الحسين]

أخبرني محمد قال : حدَّثني الخرّاز ، عن المدائنيّ ، قال : وأخبرني الطوسيّ ، عن الزُّبير ، عن المدائنيّ ، عن جُوَيريّة قال : نشزت سكينة بنتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام على زَوْجها عبد الله بن عثمان ، وأُمُّه رَمْلَة بنت الزُّبير ، فدخلت رملةُ على عبد الملك بن مروان ، وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، لولا أنْ يُبتزّ أمْرُنا ، ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ، سُكينة بنت الحسين عليه السلام قد نشزت على ابْني ، قال : يا رَمْلَة ، إنّها سُكينة ، قالت : وإن كانت سُكينة ، فوالله لقد ولدنا خَيرهم ، ونكحنا خَيرهم ، وأنكحنا خَيرهم ، تعني بمَن وَلدوا فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ومَنْ نكحوا صَفيَّة بنت عبد المطّلب ، ومَنْ أنكحوا النبيّ ﷺ .

فقال : يا رَمْلة ، غرَّني منك عُرْوة بن الزُّبير ، فقالت : ما غرَّك ، ولكن نصح لك ؛ لأنّك قتلْتَ أخي مُصْعباً فلم يأمني عليك .

[خالد وبنت عبد الله بن جعفر]

أخبرني الطوسيّ ، قال : حدَّثني عمّي مصعب ، قال : تزوَّج خالد بن يزيد بنتَ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيها : [من الكامل]

جاءتْ بها دُهْمُ البغال وشهبها مقنَّعة في جَوْفِ حِدْجٍ مُخدَّرِ[1]
مقابلةً بين النبيّ محمد وبين عليّ والحَوَارِي وجَعْفَرِ
مَنافِيَّةٌ جادَتْ بخالِص وُدّها لعبدِ مَنافيٍّ أغَرّ مُشهَّرِ

قال مُصعب : ومِنَ الناس مَنْ ينكر تزويجَه إيّاها .

[شاعر يعير به عبد الملك]

وممّا يُثْبِتُه قولُ شُدَيد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وُهَيب بن ضَباب بن حُجَيْر بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لؤيّ لعبد الملك بن مروان هذا يُعَيِّره بخالد في تَزويجه بنت الزُّبير وبنتِ عبد الله بن جعفر ، قال[2] : [من الطويل]

---

1 الحدج : مركب للنساء بين الهودج والرحل كالمحفة .

2 نسب قريش : 435 .

لا يستوي الحَبْلان حَبْلٌ تَلَبَّست قُواهُ وحَبْلٌ قد أُمِرَّ شَديدُ
عليكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ ففي خالدٍ عمّا تُريدُ صُدُودُ
إذا ما نظَرْنا في مناكح خالدٍ عَرَفْنا الذي يَهْوى وحَيثُ يُريدُ

[خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك]

أخبرنا الطوسيّ، قال: حدَّثنا الزُّبير، قال: حدَّثني مصعب بن عثمان، قال: دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد، فقال: لقد هممتُ اليَوْمَ بقَتْلِ الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئْسَ ما هممتَ به في ابن أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين، قال: إنّه لقي خَيْلي فنفّرها، وتلاعبَ بها، فقال له خالد: أنا أكْفِيكه إن شاء الله. فدخل خالد على عبد الملك، وعنده الوليدُ، فقال له: يا أميرَ المؤمنين؛ إنّ وليّ عهد المسلمين الوليد ابن أمير المؤمنين لقي خَيْلَ ابنَ عمِّه عبد الله بن يزيد فنفّرها وتلعّب بها، فشقَّ ذلك على عبد الله. فنكس عَبْدُ الملك رأسَه، وقرع الأرض بقضيب في يده ثم رفع رأسه إليه، فقال: ﴿إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قريةً أفْسَدُوها وجَعَلُوا أعِزَّةَ أهلِها أذِلَّة وكَذَلِكَ يَفعَلُون﴾. فقال له خالد: ﴿وإذا أَرَدْنا أنْ نُهلِك قريَةً أمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فحقَّ عليها القَوْلُ فدَمَّرْناها تَدْميراً﴾، فقال له عبد الملك: أتكلّمني فيه، وقد دخل عليّ لا يقيم لسانه لَحناً. فقال له خالد: يا أمير المؤمنين، أفَعلى الوليد تعوِّل في اللّحن؟ فقال عبد الملك: إنْ يكن الوليدُ لحَّاناً فأخوه سليمان. قال خالد: وإن يكن عَبْدُ الله لحَّاناً فأخوه خالد. قال الوليد لخالد: أتكلّمني ولستَ في عِير ولا نَفير[1]! قال: ألا تسمَعُ يا أمير المؤمنين ما يقولُ هذا؟ أنا والله ابنُ العِير والنَّفير، سيِّد العِير جَدّي أبو سفيان، وسيِّد النَّفير جَدِّي عُتْبَة بن ربيعة، ولكن لو قلتَ: حُبَيْلات، يعني حَبَلة العِنب[2]، وغُنَيْمات والطائف لقلنا: صدَقْتَ، ورحم الله عثمان!

هذا آخر الحديث. قال مؤلّف هذا الكتاب: يعيِّره بأمّ مروان، وأنّها من الطائف، ويُعيِّره بالحكم، وأنّ رسول الله ﷺ طرده إلى الطائف، وترحّم على عثمان لردّه إيّاه.

[حماقة معاوية بن مروان]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائنيّ، عن إسحاق بن أيّوب: أنّ معاوية بن مروان كان ضعيفاً؛ فقال له خالد بن يزيد: يا أبا المغيرة: ما

---

1 المثل «لا في العير ولا النفير» في مجمع الميدان 2 : 221 وجمهرة العكسري 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 264.

2 حبلة العنب: شجرته.

الذي هوّنك على أُخيك فلا يوليك ولايةً ، قال : لو أردتُ لفَعل ، قال : كلاّ ، قال : بَلى والله ، قال : فسَلْه أن يولّيَكَ بيت لِهْيا[1] ، قال : نعم .

فغَدا على عبد الملك ، فقال له معاوية : يا أُمير المؤمنين ، ألستُ أُخاك ؟ قال : بلى واللهِ ، إنّكَ لأخي وشقيقي ، قال : فولّني بيت لِهْيا ، قال : متى عهدُك بخالد ؟ قال : عشيّة أمس ، قال : إيّاك أنْ تكلّمه .

ودخل خالدٌ فقال له : كيفَ أصبحتَ يا أبا المغيرة ؟ قال : قد نَهانا هذا عن كَلامِك ، فغلب على عبد الملك الضّحك ، فقام وتفرّق الناس .

قال : وأفلت لمعاوية هذا بازٍ فَصاحَ : أَغْلِقُوا أبواب المدينة لا يخرج ، قال : وقال له رجل : أنت الشّريف ابن أمير المؤمنين ، وأخو أمير المؤمنين ، وابن عمّ أمير المؤمنين عثمان ، وأُمُّك عائشة بنت معاوية ، قال : فأنا إذاً مُردَّد في بني اللَّخْناء ترداداً .

[تعصّب خالد لكلب]

أَخبرني الطوسيُّ ، عن الزُّبير ، عن عمّه ، قال : كان خالد بن يزيد يتعصّب لكلبٍ على قَيْس في الحرب التي كانت بينهم ؛ لأنّ كَلْباً أخوالُ أبيه يزيد ، وأخوال زوجته ، فقال شاعر قيس : [من البسيط]

يا خالد بن أبي سفيان قد قَرِحَتْ ... منّا القلوبُ وضاقَ السَّهْلُ والجَبَلُ[2]
أأنتَ تَأْمُرُ كَلْباً أنّ تقاتِلَنا ... جَهْلاً وتمنعهم منّا إذا قَتَلُوا
ها إنّ ذا لا يُقِرّ الطير ساكنةً ... ولا تَبَرَّك مِنْ نكرائِه الإبلُ

صوت

[من الكامل]

خَمْسٌ دَسَسْنَ إليَّ في لَطَفٍ ... حُور العيون نواعمٌ زُهْرُ
فطرقتهنَّ مع الجَرِيّ وقد ... نام الرَّقيبُ وحَلَّقَ النَّسرُ

عروضه من الكامل . الشعر للأحوص ، والغِناء لمعبد ، رمَل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق .

1 بيت لهيا : قرية في غوطة دمشق .
2 قرحت في ل : قدحت .

371 ـ [خبر للأحوص]

[شعره في مجلس نساء]

أخبرني حِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بَكّار ، قال : أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن ، قال : حدَّثني إسماعيل بن محمد المخزوميّ ، قال : اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن : أرسلي إلى الأحوص ، فإنّا نحبُّ أن نتحدَّثَ معه ونسمع من شِعره ، فقالت لهنَّ : إذاً لا يزيدكنَّ على أنْ يخرج إذا عرفكنّ ، فَيَشهركُنّ وينظم الشعرَ فيكُنَّ ، فلم يَزَلْنَ بها حتى أرسلت إليه رسولاً يذكرُ له أمرهنَّ ولا يسمّيهنّ ، ويقول له أن يأتيهنّ مخمَّر الرأسِ ؛ ففعل ، وتحدَّث معهنَّ وأنشدهنّ . فلمّا أراد الخروجَ وضع يدَه في تَوْرٍ[1] بين أيديهنّ فيه خَلُوق ، فغطَّى راسه ، وخرج ووضع يدَه على الباب ، ثم تفقّد الموضع الذي كان فيه ، فغدا إليه ، وطاف حتى وجد أثر يَدِه في الباب ، فقال[2] : [من الكامل]

خَمْسٌ دَسَسْنَ إليَّ في لَطفٍ حورُ العيون نواعمٌ زُهْرُ
فطرقتهنَّ مع الجَرِيّ وقد نام الرقيبُ وحَلَّق النسرُ
مستبطناً للحيّ إذ قرعوا عَضْباً يَلُوحُ بمَتْنِهِ أثرُ
فعكفْن ليلتهنّ ناعِمَة ثم استفَقْنَ وقد بَدا الفَجْرُ
بأشمّ معسول فكاهته غضّ الشبابِ رداؤه غَمْرُ[3]
رَزْنٍ بَعِيد الصَّوْت مُشتَهر جيبت له جَوْب الرّحى عَمْرو
قامت تخاصرُه لكِلّتِها تمشي تَأَوَّدُ غادة بكرُ
فتنازعا مِن دُونِ نسوتها كَلِماً يَسُرُّ كأنّه سِحْرُ
كلٌّ يَرى أنَّ الشَّبابَ له في كلِّ غايةِ صَبْوةٍ عُذْرُ
سَيْفانَةٌ أمْرُ الشباب بها رَقراقةٌ لم يُبْلها الدَّهْرُ
حتى إذا أبدى هَواهُ لها وبَدا هواها مالَهُ سِتْرُ

1 التور : إناء .
2 ديوان الأحوص : 78 (صادر) .
3 الغمر من الثياب : الواسع .

سَفَرَتْ وما سَفَرَتْ لمعرفة وجْهاً أغرَّ كأنَّهُ البَدْرُ

قال إسماعيل بن محمد : فخرجتُ وأنا شابٌ ومعي شبابٌ نُريد مسجدَ رسول الله ﷺ ، فذكَرْنا حديثَ الأحوص وشِعْرَه ، وقدّامنا عَجُوزٌ عليها بَقايا من الجمال ، فلمّا بلغنا المسجدَ وقفَتْ علينا والتفَتَتْ إلينا ، وقالت : يا فِتْيان ، أنا والله إحدى الخمس ، كذب وربّ هذا القَبْر والمِنبر ما خلَتْ معه واحدة منّا ، ولا راجعته دُونَ نسوتها كلاماً .

قال الزُّبير : وحدَّثني غَيْرُ إبراهيم بن عبد الرحمن : أنَّ نسوةً من أهلِ المدينة نَذَرْنَ مشياً إلى قُباء وصلاةً فيه ، فخرجْنَ ليلاً ، فطال عليهنّ الليلُ فنِمْنَ ، فجاءَهُنَّ الأحوص متّكِئاً على عرجون ابن طاب[1] ، فتحدّث معهنّ حتى أصبح ، ثم انصرف وانصرفْنَ ، فقال قصيدته : [من الكامل]

خمس دَسَسْنَ إليّ في لطف حورُ العُيونِ نَواعِمٌ زُهرُ

وحدَّثني عمِّي ، عن أبيه ، قال : قال حَبِيب بن ثابت : صدَرْتُ إلى العَقِيق ، فخلا لي الطريق ، فأنشدتُ أبياتَ الأحوص هذه ، وعجوزٌ سَوْداء قاعدةٌ ناحيةً تسمع ما أقول ولا أشعر بها ، فقالت : كذبَ والله يا سيّدي ؛ إنَّ سيفَه ليلتئذٍ لعرجُون ابن طاب يتخصّر به ، وإنّي لرسولهنّ إليه .

قال الزُّبير : وحدَّثني عَمّي ، عن أبيه ، عن الزُّبير بن حبيب ، قال : كنْتُ أنشد قول الأحوص : [من الكامل]

خمس دَسَسْنَ إليّ في لَطف

قال : فإذا نسوة فيهنّ عجوز سوداء ، فأقبلْنَ على العجوز ، فقلن لها : لَمنْ هذا الشعر ؟ قالت : للأحوص ، فقلت : للأحوص لعمري ، فقالت لهن : أنا والله الجرِيُّ ، خرج نسوة يصلّين في مسجد قُباء ، ثم تحدَّثْنَ في رَحْبَة المسجد ، في ليلةٍ مقمرة ، فقُلْن : لو كانَ عندنا الأحوص ! فخرجتُ حتى أتيتُهنّ به ، وهو متخَصِّر بعرجون ابن طاب ، فتحدَّث معهنّ حتى دَنا الصبح ، فقلن له : لا تذكر خبَرنا ، ولا تذكر إلاّ خيراً ، قال : قد فعلت ، وأنشدهنّ تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات ، ثم استمرّت بأفواهِ الناس تغنّي : [من الكامل]

خمْس دَسسن إليّ في لَطف

الأبيات كلّها ، والله ما قامَتْ معه امرأةٌ ولا كان بينه وبين واحدةٍ منهنّ سِرّ .

---

1 عرجون ابن طاب : نوع من تمور المدينة .

صوت

[من المديد]

يـا ابْنَةَ الجُودِيّ قَلْبي كئِيبُ　　مُسْتهامٌ عندهــا مــا يُنِيبُ
ولقد قالـوا فقُلت : دَعُوها　　إنَّ مَـنْ تَنْهَوْنَ عنــه حَبيبُ
إنّما أبْلى عِظامــي وجسْمي　　حبُّها ، والحبُّ شيءٌ عجيبُ

عروضه من الرمل[1] . الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والغناء لمعبد ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه لمالك خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، لم ينسبه إسحاق إلى أحد . وذكر أحمد بن يحيى المكّيّ أنّه لأبيه يحيى . والله أعلم .

1 عروضه من المديد .

[372] ـ ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر[1]
وخبره وقصّة بنت الجودِيّ

[نسبه]

عبد الرحمن بن أبي بكر ، واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله ، وكان اسمُه في الجاهليّة عَتِيقاً ، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبد الله ، بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار .

وكان اسم عبد الرحمن عبد العزّى ، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبد الرحمن .

وأمُّه وأمّ عائشة أمّ رُومان بنت عامر بن عُويمر بن عَبد شمس بن عَتّاب بن أُذَينة بن سُبَيع بن دُهمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كِنانة بن خزيمة .

هذا قول الزُّبير ، وعمّه .

وحكى إبراهيم بن موسى أنّها بنت عُوَيمر بن عتّاب بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم .

وروى عن محمد بن عبد الرحمن المرواني أنّها بنت عامر بن عُوَيمر بن أُذَينة بن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة .

ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبةٌ بالنبيّ ﷺ ، ولم يهاجِر مع أبيه صِغَراً عن ذلك ، فبقي بمكانه ؛ ثم خرج قبل الفتح مع فِتْيةٍ من قريش . وقيل : بل كان إسلامه في يوم الفَتْح وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد غير مدفوع . انتهى .

أخبرني الطوسيّ وحرميّ بن أبي العلاء ، قالا : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني إبراهيم بن حمزة ، عن سُفْيان بن عُيينة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان : أنَّ عبدَ الرحمن بن أبي بكر خرج في فِتيةٍ من قُريش مُهاجراً إلى النبيّ ﷺ قبل الفَتْح ، قال : وأحسبه قال : إنّ معاوية كان معهم .

[موقفه في البيعة ليزيد]

قال الزّبير : وحدَّثني عمّي مُصعب قال : وقف مُحَكَّم اليَمامةِ على ثُلْمة[2] فحماها فلم

1 لعبد الرحمن بن أبي بكر ترجمة في الإصابة ونسب قريش : 276 ووفيات الأعيان 3 : 69 .

2 ثلمة : فرجة .

يَجُزْ عليه أَحَد ، فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله ، وكان أَحدَ الرُّماةَ ، فدخل المسلمون من تلك الثُّلْمة . وهو المخاطِبُ لَمْروان يوم دَعا إلى بَيعة يزيد ، والقائل : إنّما تُريدون أن تجعلوها كسْرَوِيَّة أوْ هرقليّة ، كما هلك كسرى أو هرقل مَلكَ كسرى أو هرقل . فقال مروان : أيُّها الناس ، هذا الذي قال لوالديه : أُفٍّ لكما أَتَعِدانني أن أخرج وقد خلَتِ القرونُ من قبلي . فصاحت به عائشة : أَلِعَبْدِ الرحمن تقولَ هذا ؟ كذبْتَ واللهِ ، ما هو به ، ولو شئت أن أُسمّي مَنْ أُنزلت فيه لسميتُه ، ولكن أَشهد أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لعَن أباك ، وأنت في صُلْبه ، فأنتَ فَضَضٌ[1] من لَعْنَةِ اللهِ .

حدَّثنا بذلك أحمد بن الجَعْد ، قال : حدَّثنا أحمد بن زُهير ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا وهب بن جرير ، عن جُويرية بن أسماء ، وفي غير رواية : أنّ عائشة قالت له : يا مَروان ؛ أَفِينا تتأوّل القرآن ، وإلينا تسوقُ اللعن ؟ والله لأَقومنَّ يوم الجمعة بك مقاماً تودُّ أنّي لم أَقُمْه . فأرسل إليها بعد ذلك وتَرضّاها واستعفاها ، وحلف أَلاّ يصلّي بالناس أو تؤمّنه ، ففعلت .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . وأخبرني الطّوسيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : استهيم عبدالرحمن بن أبي بكر بليلى بنت الجُودِيّ بن عديّ بن عمرو بن أبي عمرو الغَسّانيّ ، فقال فيها[2] : [من الطويل]

تذكّـرتُ ليلى والسماوةُ دُونَها ... ومـا لابنَةِ الجُودِيِّ ليلى وماليا
وأنّـى تُعاطـي قلبـه حارِثِيّـةٌ ... تحـلُّ ببُصْرى أو تحـلّ الجَوابيا
وكيف يُلاقيهـا ، بَـلى ، ولَعَلَّها ... إذا الناسُ حجّوا قابـلاً أن تلاقيا

قال أبو زيد : وقال فيها : [من المديد]

يا ابْنةَ الجُودِيِّ قَلْبـي كَئِيبُ ... مُسْتَهـامٌ عندهـا مـا يُنِيبُ

1 فضض : أي قطعة منها .
2 الأبيات، في تسب قريش : 276 مع بعض اختلاف .

جاورتْ أخوالهــا حَـيَّ عَكٍّ فلِعَــكٍّ مـن فؤادي نَصِيبُ

وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدّم .

قال الزّبير في خبره : وكان قدِم في تجارة ، فرآها هناك على طِنْفسة حولها وَلائد ، فأعجبته .

وقال أبو زيد في خبره : فقال له عمر : مالكَ ولها يا عبدَ الرحمن ! فقال : واللهِ ما رأيْتُها قطّ إلاّ ليلة بيت المقدس في جَوارٍ ونساءٍ يَتهادَيْنَ ، فإذا عثرتْ إحداهنّ قالت : يا ابنة الجوديّ ، فإذا حلَفْت إحداهُنّ حلفت بابنة الجوديّ .

[غنمها في فتح دمشق بأمر عمر]

فكتب عُمر إلى صاحب الثَّغْر الذي هي به : إذا فتح اللهُ عليكم دمشق فقد غنَّمت عبد الرحمن بن أبي بكر لَيلى بنت الجوديّ . فلمّا فتح اللهُ عليهم غنّموه إيّاها .

قالت عائشة : فكنتُ أكلّمه فيما يصنَعُ بها ، فيقول : يا أُخيّهْ ، دَعيني فوالله لكأنّي أرشف من ثَناياها حَبَّ الرمّان . ثم ملّها[1] وهانَتْ عليه ، فكنتُ أُكلّمه فيما يُسيء إليها كما كنتُ أُكلّمه في الإحسان إليها ، فكان إحسانه أنْ ردَّها إلى أهلها .

[ردّها إلى أهلها عندما ملّها]

قال الشيخ في خَبَره : فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أحبَبْتَ ليلى فأفرطت ، وأبغضت ليلى فأفرطت ، فإمّا أنْ تنصفها ، وإمّا أنْ تجهّزها إلى أهلها ؛ فجهَّزَها إلى أهلها .

قال الزّبير : وحدَّثني عبد الله بن نافع الصائغ : عن هشام بن عُروة ، عن أبيه : أنّ عمَر بن الخطّاب نفَّل عبدَ الرحمن بن أبي بكر بنت الجوديّ ، حين فتح دمشق ، وكانت بنت ملك دمشق .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا الصَّلْت بن مسعود ، قال : حدَّثنا محمد بن شيرويه ، عن سليمان بن صالح ، قال : قرأت على عبدِ الله بن المبارك ، عن مصعب بن ثابت ، عن عبد الله بن الزّبير ، عن عائشة بنت مصعب ، عن عروة بن الزبير ، قال : كانت ليلى بنت الجوديّ بنت ملكٍ مِنْ مُلُوكِ الشام ، فشبَّب بها عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان قد رآها فيما تقدّم بالشام ، فلمّا فتح اللهُ عزّ وجلّ على المسلمين ، وقتلوا أباها أصابوها ، فقال المسلمون لأبي بَكْر : يا خليفةَ رسولِ الله : أعطِ هذه الجارية عبد الرحمن . فقد سلّمناها له ؛ قال أبو بكر : أكلّكم على

---

1 ل : بذل بها .

هذا ؟ قالوا : نعم ، فأُعطاه إيّاها ، وكان لها بساط في بلدِها لا تذهَبُ إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلاّ بُسِط لها ، ورُمِيَ بين يديها برمّانتين من ذهب تتلهّى بهما في طريقها . فكان عبد الرحمن إذا خرج مِن عندها ، ثم رجع إليها رأى في عينيها أثَرَ البُكاء ، فيقول : ما يُبكيك ؟ اختاري خصالاً أيّها شئتِ فعلتُ بك : إمّا أنْ أعتقك وأنكحك ، فتقول : لا أشتهيه ، وإن شئت ردَدْتكِ على قومِك ، قالت : ولا أُريد ، وإنْ أحببتِ ردَدْتُكِ على المسلمين ، قالت : لا أُريد ، قال : فأخبريني ما يُبكيك ؟ قالت : أبكي الملك من يوم البؤس .

أخبرني أحمد ، قال : حدَّثني أبو زيد ، قال حدَّثني هارون بن إبراهيم بن معروف ، قال : حدَّثني حمزة[1] بن ربيعة ، عن العلاء بن هارون ، عن عبد الله بن عَوْف ، عن يحيى بن يحيى الغسانيّ : أنّ عبد الرحمن قدِم على يَعْلى بن مُنبّه ، وهو على اليَمن ، فوجدها في السَّبي ، فسأله أن يدفعها إليه .

أُخبرني أحمد ، قال : حدَّثنا عمر ، قال : كتب إليَّ محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أنّ عبد الرحمن قال فيها : [من الوافر]

فإمّا تُصْبِحي بعد اقترابٍ ... بسلْعٍ أو ثنيّات الوَداعِ
فلم ألفظك مِنْ شبَعٍ ولكن ... لأقضيَ حاجةَ النفس الشَّعاعِ[2]
كأنَّ جَوانحَ الأَضلاعِ مِنّي ... بُعَيْدَ النوم مُبْطَنَةَ اليَراعِ

[عائشة ترثيه]

أُخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثنا أبو أحمد الزّبيريّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن لاحق ، عن أبي مُليكة ، قال : مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحُبْشيّ ، جبَل من مكَّةَ على أميال ، فحُمِل فدُفِن بمكّة ، فقدمت عائشة فوقفت على قبره ، ثم قالت : [من الطويل]

وكُنّا كنَدْمانَيْ جَذِيمةَ حِقْبَةً ... من الدَّهْرِ حتى قِيل لن يتصدَّعا
فلمّا تفرَّقْنا كأنّي ومالِكاً ... لطُولِ اجْتِماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

أَما واللهِ لو حضرتُك لدَفَنْتك حيث متّ ، ولو شهدتك ما زرتك .

---

1 ل : ضمرة .

2 نفس شعاع : متفرقة ، وقد نسب في اللسان إلى قيس بن ذريح .

صوت

[من الطويل]

أماوِيَّ إنّ المـالَ غـادٍ ورائـحٌ ويَبْقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ والذِّكْرُ[1]
وقـد عَلِمَ الأقوامُ لو أنَّ حاتماً أرادَ ثَـراء المالِ أَمْسى له وَفْرُ[2]
أماوِيَّ إنْ يُصْبحْ صَدايَ بقَفْرَةٍ مِنَ الأرضِ لا ماءٌ لديَّ ولا خَمْرُ
تَرَيْ أنَّ ما أنفقتُ لم يَكُ ضائِري وأنَّ يَـدِي ممّا بَخِلْتُ به صِفْرُ[3]

عروضه من الطويل .

الثراء : الكثرة في المال ، وفي عَددَ القومِ أيضاً . والوَفْرُ : الغِنى ، ووفور المال . والصَّدى هاهنا : كان أهلُ الجاهلية يذكرون أنَّ طائراً يخرج مِنْ جسم الإنسان أو من رأسه ، فإذا قُتِل أقبل يُصوِّتُ على قبره ، حتى يُدْرَكَ بثأره . والصِّفْرُ : الخالي . والصدى : العطش ، والصدى ، ما يجيب إذا صُوِّت في المكان الخالي . وصدأ الحديد مهموز .

الشعر لحاتم الطائيّ . والغناء لإسحاق ، رَمل بالسبابة في مجرى البنصر . وذكر الهشاميّ أنَّ فيه ثقيلاً أوّلَ ، ولمالك خفيفاً ، وذكر حَبَش أنَّ فيه لابنِ سُريج ثاني ثقيل بالوسطى ، وذكر عَمْرو بن بانة أنّ فيه لابن جامع خفيف رَملٍ بالوسطى .

1 ديوان حاتم (صادر) : 50–51 مع اختلاف في الترتيب .
2 امسى له وفرُ في الديوان : كان له وفر .
3 أنفقت في الديوان : أهلكت .

[373] ـ أخبار حاتم ونسبه[1]

[نسبه]

ذكر ابن الأعرابيّ ، عن المفضل ، والأثرم ، عن أبي عمرو الشيبانيّ ، وابن الكلبيّ ، عن أبيه والسكريّ ، عن يعقوب بن السِّكِّيت : أنّه حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عَديّ بن أخزَم بن أبي أخزم ، واسمُه هَزُومة بن ربيعة بن جَرْول بن ثُعل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طيّىء .

وقال يعقوب بن السّكيت : إنّما سُمِّي هَزُومة ؛ لأنّه شَجَّ أو شُجّ ؛ وإنّما سُمِّي طيّىء طيئاً ، واسمه جُلْهُمة ، لأنّه أوّلَ مَن طَوى المناهلَ ، وهو ابن أُدد بن زَيْد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ويكنى حاتم أبا سَفّانة ، وأبا عدِيّ ؛ كني بذلك بابنتِهِ سفّانة ، وهي أكبر ولده ، وبابنِهِ عديّ بن حاتم . وقد أدركت سفّانة وعدِيّ الإسلامَ فأسلما ، وأُتِي بسفّانة النبيَّ ﷺ في أسْرى طيّىء فمنَّ عليها .

[النبيّ يمنّ على سفّانة]

أخبرني بذلك أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني سليمان بن الربيع بن هشام الكوفيّ ، ووجدْتُه في بعض نسخ الكوفيين . عن سليمان بن الربيع ، أتمّ من هذا فنسختُه وجمعتهُما . قال : حدَّثنا عبد الحميد بن صالح الموصليّ البرجميّ ، قال : حدَّثنا زكريّا بن عبد الله بن زيد الصُّهبانيّ ، عن أبيه ، عن كُمَيْلٍ بن زياد النخعيّ ، عن عليّ عليه السلام ، قال : يا سبحان الله ! ما أزهد كثيراً من الناس في الخير ! عجبْتُ لرجلٍ يَجيئه أخوه في حاجةٍ فلا يرى نَفْسَه للخَيْرِ أهلاً ؛ فلو كنّا لا نرجو جنّةً ، ولا نخاف ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً ، لكان ينبغي لنا أنْ نطلُبَ مكارِمَ الأخلاق ؛ فإنّها تدلّ على سبيل النجاة .

فقام رجلٌ ، فقال : فداك أبي وأُمِّي يا أَمِيرَ المؤمنين ، أَسمعْتَه من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ؛ لمّا أُتينا بسَبَايا طيّىء كانت في النساء جاريةٌ حمّاء[2] حَوراء العينين ،

1 ترجمة حاتم الطائي في الشعر والشعراء : 164–170 وتهذيب ابن عساكر 3 : 420 وشرح شواهد المغني : 70 وخزانة البغدادي 3 : 127–130 ومروج الذهب 3 : 327 والشريشي 2 : 332 .

2 حمّاء : بيضاء .

لَعْساء لَمْياء عَيْطاء[1] شمَّاء الأنف ، معتدلة القامة ، دَرْماء[2] الكعبين ، خدلجّة الساقين ، لفّاء الفخذين ، خميصة الخَصر ، ضامِرة الكَشْحين ، مصقولة المَتْنين .

فلمّا رأيتُها أُعْجبت بها فقلت : لأطلبنّها إلى رسول الله ﷺ ليجعلها مِنْ فيئي . فلمّا تكلَّمت أُنسيتُ جمالَها ؛ لِما سَمِعْتُ من فصاحتها ، فقالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ؛ فإنْ رأيتَ أنْ تُخَلِّي عنّي ، فلا تُشْمِتْ بي أحياءَ العرب ؛ فإنّي بنْتُ سيِّد قومي ، كان أبي يفُكُّ العانيَ ، ويَحْمي الذمارَ ، ويَقْري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعامَ ، ويفشي السلام ، ولم يَرُدّ طالبَ حاجة قطّ ؛ أنا بنتُ حاتم طيىء .

فقال لها رسولُ الله ﷺ : يا جارية ، هذه صفةُ المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميّاً لترحمنا عليه ، خلُّوا عنها ؛ فإنَّ أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق ، والله يحبُّ مكارِمَ الأخلاق .

وأُمّ حاتم عتبة[3] بنت عَفِيف بن عَمرو بن امرىء القيس بن عديّ بن أَخزم . وكانت في الجُودِ بمنزلة حاتم ، لا تدَّخر شيئاً ، ولا يسألها أحدٌ شيئاً فتمنعه .

أَخبرني محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : أَخبرنا الحرمازيّ ، عن العباسيّ بن هشام ، عن أبيه ، قال : كانت عُتبة[4] بنت عفيف ، وهي أُمّ حاتم ذات يسار ، وكانت من أَسْخى الناس ، وأَقراهم للضيف ، وكانت لا تُليق شيئاً تملكه . فلمّا رأى إخوتها إتلافَها حَجَروا عليها ، ومنعوها مالَها ، فمكثت دَهْراً لا يُدفع إليها شيء منه ، حتى إذا ظنُّوا أنّها قد وجدت أَلَمَ ذلك أعطوْها صِرْمة[5] مِن إبلها ، فجاءَتها امرأةٌ من هوازن كانت تأتيها في كلِّ سنةٍ تسأَلها ، فقالت لها : دُونك هذه الصِّرْمَةُ فخُذِيها ، فوالله لقد عضَّني من الجوعِ ما لا أَمنعُ معه سائلاً أبداً ، ثم أنشأت تقول : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقِدْماً عضَّني الجوعُ عَضَّةً ... فآلَيْتُ أَلاَّ أَمْنَعَ الدَّهْرَ جائعا
فقُولا لهذا اللائميّ اليومَ : أعفِني ... فإن أنْتَ لم تفعَلْ فعَضّ الأَصابِعا

---

1 لمياء : في شفتها سواد . وعيطاء : طويلة العنق .
2 درماء : لا تستبين كعوبها ومرافقها .
3 ل : غنية .
4 ل : غنية .
5 الصرمة : قطعة من الإبل .

فمـــاذا عساكُم أَنْ تقولوا لأختكم سِوى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كان مانعا
ومـــاذا تَـــرَوْنَ اليـومَ إلاّ طبيعةً فكيف بتَرْكـــي يا ابنَ أُمّ الطَّبائعا

[سفانة من أجود النساء]

قال ابن الكلبيّ : وحدّثني أَبو مسكين قال : كانت سَفَّانة بنت حاتم من أَجود نساء العرب ، وكان أبوها يُعْطيها الصِّرْمَة بعد الصِّرْمَة من إبلِه ، فتنهبها وتُعطيها الناسَ ، فقال لها حاتم : يا بنيّة ، إنَّ القَرِينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه ، فإمّا أن أعطي وتمسكي ، أو أمسك وتُعطي ؛ فإنّه لا يبقى على هذا شيء .

قال ابن الأعرابيّ : كان حاتم من شعراء العرب ، وكان جواداً يُشبه شعره جوده ، ويصدّق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عُرِف منزله ، وكان مظفَّراً ، إذا قاتل غَلَب ، وإذا غَنِم أنهَب ، وإذا سُئِل وهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أَسَر أُطلقَ ، وكان يقسم بالله ألاّ يقتل واحِدَ أُمِّه .

وكان إذا أُهلَّ الشهر الأَصمُّ[1] الذي كانت مُضر تعظّمه في الجاهلية ينحَر في كلّ يوم عَشْراً من الإبل ، فأَطعم الناس واجتمعوا إليه ، فكان مِمَّن يأتيه من الشعراء الحطيئة ، وبشر بن أَبي خازم .

فذكروا أن أُمَّ حاتم أُوتِيَت وهي حُبْلى في المنام ، فقيل لها : أَغلام سمح يقال له : حاتم أحبّ إليك أم عشرة غِلْمة كالناس ، ليوثٌ ساعةَ البأس ، ليسوا بأوغال ولا أَنكاس[2] ، فقالت : بل حاتم ، فولدت حاتماً .

[يريد شريكاً في الأكل]

فلمّا ترعرع جعِل يُخرج طعامه ، فإن وجد مَن يأكله معه أَكل ، وإن لم يجِدْ طرحه .

[أسطورة كرمه للشعراء الثلاثة]

فلمّا رأى أَبوه أنّه يهلك طعامَه قال له : الحق بالإبل ، فخرج إليها ، ووهب له جارية وفرساً وفِلْوَها ، فلمّا أتى الإبلَ طفِق يبغي الناسَ فلا يجدهم ، ويأتي الطريقَ فلا يجد عليه أحداً ، فبينا هو كذلك إذ بصر برَكْبٍ على الطريق ، فأتاهـم فقالوا : يـا فتى هل من قِرًى ؟ فقال : تسألوني عن القِرَى وقـد تـروْن الإبـل ؟ وكان الذين بصر بهم عَبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبي خازم ، والنابغة الذبيانيّ ؛ وكانوا يريدون النُّعمان ، فنحر لهم ثلاثةً من الإبل ،

1 الشهر الأصم : رجب .
2 الأوغال : جمع وغل ، وهو الضعيف الساقط . والأنكاس : جمع نكس ، وهو الضعيف المقصر .

فقال عبيد : إنمّا أردنا بالقرى اللبَن ، وكانت تكفينا بَكْرة إذا كنت لا بدّ متكلّفاً لنا شيئاً ، فقال حاتم : قد عرفتُ ، ولكنّي رأيتُ وجوهاً مختلفة ، وألواناً متفرّقة ، فظننت أنّ البُلدان غيرُ واحدة ؛ فأردت أن يذكر كلٌّ واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها ، وذكروا فَضْله . فقال حاتم : أردت أن أُحسن إليكم فكان لكم الفضْل عليّ ، وأنا أُعاهِدُ اللهَ أن أضربَ عراقيبَ إبلي عن آخرها أو تقدموا إليها فتقتسموها . ففعلوا ، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً ، وتموا على سفرهم إلى النُّعمان وإنّ أبا حاتم سمع بما فعل ، فأتاه ، فقال له : أين الإبل ؟ فقال : يا أبتِ ؛ طوّقْتك بها طَوْقَ الحمامة مجدَ الدهر ، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيتَ شعر أثنى به علينا عِوَضاً من إبلك .

فلمّا سمع أبوه ذلك قال : أبابلي فعلتَ ذلك ! قال : نعم ، قال : والله لا أُساكِنك أبداً ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتماً ، ومعه جاريتُه وفرسه وفِلْوها ، فقال يذكر تحوُّلَ أبيه عنه[1] : [من الطويل]

وإنّي لَعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرَك الغِنى وتارِك شكْلٍ لا يوافقُه شَكْلي[2]
وشَكْلي شكلٌ لا يقومُ لمثله مِنَ الناسِ إلاّ كلُّ ذي نيقة مِثْلي
وأَجْعَلُ مالي دُونَ عِرْضيَ جُنَّةً لنفسي وأستغني بما كان مِنْ فضلي
وما ضَرَّني أن سارَ سَعْدٌ بأهلِهِ وأفْرَدَني في الدارِ لَيْسَ معي أهلي
سيَكفي ابتنائي المجدَ سَعْدَ بن حَشرج وأحمِلِ عنكم كلَّ ما ضاع من ثِقْلِ[3]
ولي معَ بَذْلِ المال في المجد صَوْلَةٌ إذا الحَرْبُ أَبْدَتْ عن نواجذها العُصْلِ

وهذا شعر يدلُّ على أنّ جَدَّه صاحب هذه القصة معه لا أنّها قصّة أبيه . وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت ، ووَصَف أنّ أبا حاتم هلك وحاتمٌ صغير ، فكان في حجر جَدّه سعد بن الحشرج ، فلمّا فتح يدَه بالعطاء وأنهب ماله ضيَّق عليه جدُّه ورحل عنه بأهله ، وخلّفه في داره ، فقال يعقوب خاصّة : فبينا حاتم يوماً بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذْ انتبه ، وإذا حوْله مائتا بعير أو نحوها تجولُ ويحكمُ بعضُها بعضاً ، فساقها إلى قَوْمه ؛ فقالوا : يا حاتم ، أبقِ على نفسك فقد رُزِقت مالاً ، ولا تعودَنَّ إلى ما كنتَ عليه من

---

1 ديوانه : 75 .
2 وتارك شكل في الديوان : وودك شكل .
3 الديوان : . . . كل ما حل من أزلي . والأزل : الضيق والشدة .

الإسراف ، قال : فإنّها نُهْبى[1] بينكم ، فانتهبتْ ، فأنشأ حاتم يقول[2] : [من الطويل]

تَدارَكَني مَجْدي بسَفْحِ مُتالعٍ ... فلا يَيأَسَنْ ذو نَوْمَةٍ أنْ يغنَّما[3]

قال : ولم يَزَلْ حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضى لسبيله .

[حاتم وبنو لأم]

قال ابن الأعرابيّ ، ويعقوب بن السكّيت ، وسائر من ذكرنا من الرُّواه : خرج الحَكَمُ بن أبي العاصي بن أُميّة بن عبد شمس ، ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوقٌ يجتمعُ إليه الناس[4] كل سنةٍ . وكان النُّعمان بن المنذر قد جعل لِبَني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهْل بن رُومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيء رُبع الطريق طُعمةً لهم ؛ وذلك لأنّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النُّعمان ، وكانوا أصهارَه فمرّ الحكَمُ بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله ، فسأله الجوارَ في أرضِ طيىء حتى يَصير إلى الحيرة ، فأجاره ، ثم أمر حاتم بجزور فنُحرت ، وطبخت أعضاء ، فأكلوا ، ومع حاتم مِلْحان بن حارثة بن سَعْد بن الحشرج وهو ابن عمِّه ؛ فلمّا فرغوا من الطعام طيَّبهم الحكَمُ من طِيبه ذلك ، فمرّ حاتم بسَعْد بن حارثة بن لأم ، وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان ، وحاتمٌ على راحلته ، وفرسه تُقاد ، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حيّاكم الله ، فقالوا : مَنْ هؤلاء معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاء جيراني ، قال له سعد : فأنتَ تُجير علينا في بلادنا ؟ قال له : أنا ابنُ عمّكم وأحقُّ من لم تخفروا ذمّته ، فقالوا : لستَ هناك . وأرادوا أن يفضحوه كما فُضِحَ عامر بن جُوَيْن قبله ، فوثبوا إليه ، فتناول سعد[5] بن حارثة بن لأم حاتماً ، فأهوى له حاتمٌ بالسيف فأطار أرْنَبة أنفه ، ووقع الشرُّ حتى تحاجزوا ، فقال حاتم في ذلك[6] : [من الطويل]

وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ لو أنَّ أنْفَهُ ... هواءٌ فما مَتَّ المُخاطُ عن العَظْمِ[7]

---

1 النهبى : كل ما انتهب .
2 ديوانه : 87 .
3 الديوان : تداركني جدي . . . ذو قومه .
4 ل : يجتمع إليها العرب .
5 ل : كندي .
6 ديوانه : 88 .
7 مت العظم : سال ما فيه .

ولكنّما لاقـــاهُ سَيْفُ ابنِ عَمِّهِ فآبَ ومَرَّ السَّيْفُ منه على الخَطْمِ[1]

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سُوقُ الحيرة فنُماجِدُك ونضَع الرُّهن ، ففعلوا ، ووضعوا تسعةَ أفراسَ رَهْناً على يدَيْ رجل من كَلْب يقال له : امرؤ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جَناب ، وهو جدُّ سكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما ، ووضع حاتم فرسَه . ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة ، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائيّ ، فخاف أن يُعينهم النُّعمان بن المنذر يُقوِّيهم بماله وسلطانه ؛ للصِّهْرِ الذي بينَهم وبينه . فجمع إياسٌ رَهْطَهُ من بني حيّة ، وقال : يا بني حيّة ، إنّ هؤلاء القوم قد أرادوا أنْ يفضحوا ابن عمّكم في مجاده ، أي مماجدته فقال رجل من بني حيّة : عندي مائةُ ناقةٍ سوداء ومائة ناقة حمراء أدْماء ، وقام آخر فقال : عندي عشرة حُصُن ، على كلّ حصانٍ منها فارس مدجَّج لا يُرى منه إلاّ عيناه . وقال حسّان بن جبلة الخير : قد علمتم أنّ أبي قد مات وترك كَلأً كثيراً ، فعليّ كلُّ خمْر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة . ثم قام إيّاس فقال : عليّ مثْلُ جميع ما أعطيتم كلّكم .

قال : وحاتم لا يعلمُ بشيء ممّا فعلوا ؛ وذهب حاتم إلى مالك بن جبار ، ابن عمّ له بالحيرة كان كثير المال ، فقال : يا ابن عمّ ، أعِنّي على مخايلتي . قال : والمخايلة المفاخرة ، ثم أنشد[2] : [من البسيط]

يا مالُ إحْدى خطوب الدَّهْر قد طَرَقَتْ يـا مـالِ مـا أنْتُمُ عنهـا بزَحْزاحِ
يا مالِ جاءتْ حِياضُ المـوتِ واردَةً مـن بيْنِ غَمْر فخُضْناه وضَحْضاحِ

فقال له مالك : ما كنْتُ لأَخْرِبَ نفسي ولا عِيالي وأعطيك مالي .

فانصرف عنه ، وقال مالك في ذلك قوله : [من البسيط]

إنّا بَنُو عمِّكم لا أنْ نُباعِلكم ولا نجـاوِرَكم إلاّ عـلى ناحِ
وقد بلَوتُك إذ نلْتَ الثراءَ فلم ألقـك بـالمالِ إلاّ غير مرتاحِ

قال أبو عَمرو الشيبانيّ في خبره : ثم أتى حاتم ابن عمّ له يقال له : وَهْم بن عَمْرو ، وكان حاتم يومئذٍ مصارِماً له لا يكلّمُه ، فقالت له امرأته : أيْ وَهْمُ ، هذا والله أبو سفّانة حاتم قد طلَع ، فقال : مالنا ولحاتم ! أثبتي النظر ، فقالت : ها هو ، قال : ويحك هو لا يكلّمني ، فما

1 الخطم : مقدم الفم والأنف .
2 ديوانه : 33 ، وفيها : عنها بنزّاحِ .

جاء به إليّ ؟ فنزل حتى سلّم عليه وردّ سلامَه وحيّاه ، ثم قال له : ما جاءَ بك يا حاتم ؟ قال : خاطرتُ على حَسبك وحَسَبي ، قال : في الرُّحب والسَّعَة ، هذا مالي ، قال : وعِدّته يومئذٍ تسعمائة بعير ، فخُذها مائة مائة حتى تذهبَ الإبلُ أو تصيبَ ما تريد . فقالت امرأته : يا حاتم ! أنْتَ تخرجنا من مالِنا ، وتفضح صاحبنا ، تعني زَوجها ، فقال : اذهبي ، عنك ؛ فوالله ما كان الذي غمَّك ليردّني عمّا قبلي . وقال حاتم[1] : [من الطويل]

أَلا أَبلِغا وَهْمَ بـنَ عمرو رسالةً فإنّكَ أَنْتَ المـرءُ بالخير أَجْدَرُ
رأيتُك أَدْنـى الناسِ منّـا قرابةً وغَيْرَكَ منهم كنتُ أُحْبُـو وأُنصُرُ
إذا مـا أَتـى يـومٌ يُفَـرِّقُ بيننا بمَوْتٍ فكُنْ يـا وَهْمُ ذُو يتأَخَّرُ

ذو في لغة طيىء : الذي .

قالوا : ثم قال إياس بن قبيصة : احملوني إلى الملك ، وكان به نِقْرس ، فحُمِل حتى أُدخل عليه ، فقال : أنْعِم صباحاً أبيتَ اللعن ، فقال النُّعمان : وحيَّاك إلهك ، فقال إيّاس : أتمدُّ أَختانَك بالمالِ والخيل ، وجعلْتَ بني ثُعَل في قَعْرِ الكنانة ! أظَنَّ أختانُك أن يصنعُوا بحاتم كما صنعوا بِعامِرِ بن جُوَين ، ولم يَشْعُروا أنَّ بني حيَّة بالبَلَد ؛ فإن شئت واللهِ ناجَزْناك حتى يَسْفَحَ الوادي دماً ، فليحضروا مِجادَهم غداً بمجمع العرب .

فعرف النُّعمان الغضبَ في وَجهه وكلامه ، فقال له النُّعمان : يا أَحلمنا لا تغضب ؛ فإنّي سأكفيك .

وأرسل النُّعمانُ إلى سَعْد بن حارثة وإلى أَصحابه : انظروا ابنَ عمّكم حاتماً ، فأَرضوه ، فوالله ما أنا بالذي أُعطيكم مالي تبذّرونه ، وما أُطِيق بني حيَّة .

فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا لـه : أعْرِض عن هذا المِجاد نـدع أرْشَ أنفِ ابن عمّنا . قـال : لا ، والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ، ويغلب مجادكم . فتركوا أرْشَ أنفِ صاحبهم وأفراسهم ، وقالوا : قبّحها اللهُ وأبْعدها ؛ فإنّما هي مَقارف[2] . فعمد إليها حاتم ، فعقرها وأَطعمها الناس ، وسقاهم الخمر ، وقال حاتم في ذلك[3] : [من الكامل]

أَبْلِغْ بنـي لأمٍ فـإنَّ خيولَهُم عَقْـرى وإنَّ مجادَهـم لم يَمْجُدِ

1 ديوانه : 61 .
2 مقارف : جمع مقرف ، وهو غير الأصيل من الخيل .
3 ديوانه : 42 .

هــا إنّمــا مَطـرَتْ سماؤكُم دَماً … ورفعْتَ رأسَك مِثل رأْسِ الأصْيَدِ
ليكــونَ جيراني أُكالاً بينكـــم … نُحْــلاً لِكنْــديّ وسَبْيٍ مزبدِ[1]
وابن النُّجُودِ إذا غَـدا متلاطما … وابن العذوَّرِ ذي العِجان الأبردِ[2]
ولثابتٍ عَيْنــي خَـــذٍ متماوت … وللعمظ أُوْس قــد عـَوى لمقلّدِ[3]
أبْلِغ بني ثُعَـلٍ بأنّيَ لم أكُـــنْ … أبـــداً لأفعلَهــا طـــوالَ المُسْنَدِ[4]
لا جئتُهم فـــلاً وأُتركَ صُحْبَتِي … نَهْبـــاً ولم تَغْـــدرْ بقائمه يَدي

وخرج حاتم في نَفَرٍ من أصحابه في حاجةٍ لهم ، فسقطوا على عَمرو بن أوس بن طَريـف بن المثنّى بن عبد الله بن يشجب بن عبد وُدّ في فَضاءٍ من الأرض ، فقـال لهـم أوس بن حارثـة بن لأم : لا تَعْجَلُوا بقَتْلِه ؛ فإن أصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتمـوه ، وإنْ لم تَرَوْا أحداً قتلتموه . فأصبحوا وقد أحدق الناسُ بهم ، فاستجاروه فأجارهم ، فقال حاتم[5] : [من البسيط]

عَمرو بن أُوس إذا أُشياعه غَضِبوا … فأحـــرزُوه بـــلا غُـــرْمٍ ولا عارِ
إنَّ بنــــي عَبْد وُدٍّ كلّمـــا وقعت … إحدى الهنــات أَتَـوْها غير أغْمارِ

[أسطورة عن كرمه بعد موته]

أخبرني أحمـد بن محمد البزار الأطروش ، عن عليّ بن حـرب ، عـن هشام بن محمد ، عن أبي مِسكين جعفر بن المحرز بن الوليد ، عن أبيه ، قال : قال الوليد جدّه ، وهو مولى لأبي هريرة : سمعتُ محرز بنَ أبي هريرة يتحدَّث ، قال : كان رجل يُقال له أبو الخَيْبَريّ مرَّ في نَفَرٍ مـن قومه بقبر حاتم ، وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأنّهنَّ نساءٌ نوائح . قال : فنزلوا به ، فبات أبو الخيبريّ ليلَته كلَّها يُنادي : أبا جعفر اقْرِ أضيافَك . قال : فيقال له : مَهْلاً ؛ ما تُكلِّم من رِمَّةٍ بالية ! فقال : إنَّ طيئاً يزعمون أنّه لم ينزل به أحدٌ إلاّ قَراه .

قال : فلمّا كان من آخر الليل نام أبو الخَيْبَريّ ، حتى إذا كان في السَّحَر وثب فجعل يصيح : واراحلَتاه ! فقال له أصحابُه : وَيْلك ! ما لك ! قال : خرج والله حاتم بالسيف وأنا

1 أكالاً : داء في العضو يأتكل منه . والشطر الثاني في الديوان : «بخلاً لكندي وسبي مزند» .
2 العذوّر : السيء الخلق . والعجان : الاست . والنجود : الأمكنة المرتفعة ، ويعني بابن النجود : السيل .
3 لم يرد هذا البيت في الديوان .
4 المسند : الدهر .
5 ديوانه : 60 .

أَنظرُ إليه حتى عقر ناقتي ، قالوا : كذبْتَ ، قال : بلى ، فنظروا إلى راحلته فإذا هي مُنْخَزِلة[1] لا تنبعث ، فقالوا : قد واللهِ قَراك . فظلُّوا يأكلون مِنْ لحمِها ، ثم أردفوه ، فانطلقوا فساروا ما شاء الله ، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عَديّ بن حاتم راكباً قارناً جملاً أسود ، فلحقهم ، فقال : أيّكم أبو الخيبريّ ؟ فقالوا : هو هذا ، فقال : جاءني أبي في النوم ، فذكر لي شتْمَكَ إيّاه ، وأنّه قرى راحلتك لأصحابك ، وقد قال في ذلك أبياتاً ، وردّدها عليّ حتى حفظتُها ؛ وهي[2] : [من المتقارب]

أَبـا خيبريٌّ وأَنْـتَ امـرؤٌ ظَلُـومُ العشيرةِ شَتّـامُها
فمـاذا أردْتَ إلى رِمَّـة ببادِيـة صَخِـب هـامُها[3]
تُبَغّـي أَذاهـا وإعسارهـا وحولَـكَ غَـوْثٌ وأنعامها
وإنّـا لنُطعـم أَضْيافَنـا مِنَ الكُومِ بالسَّيْفِ نَعْتامُها[4]

وقد أمرني أَنْ أَحملك على جَمَل فدونكه ، فأخذه وركبه ، وذهبوا .

[حاتم يفك أسر قومه]

أغارت طيىء على إبل للنُّعمان بن الحارث بن أَبي شَمِر الجفنيّ ، ويقال : هو الحارث بن عَمرو ، رجل من بني جَفْنة ، وقَتَلُوا ابناً له . وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلنّ وليسبينّ الذَّراريّ ، فحلف ليقتلنّ من بني الغَوْث أهل بيت على دَمٍ واحد ، فخرج يريد طَيئاً ، فأصاب من بني عديّ بن أخزم سبعين رجلاً رأسهم وَهْمُ بن عمرو من رَهْط حاتم ، وحاتمٌ يومئذٍ بالحيرة عند النُّعمان ، فأصابتهم مُقدمات خيله . فلمّا قدِم حاتم الجَبَلَين جعلتِ المرأة تأتيه بالصبيّ من ولدها فتقول : يا حاتم أُسِر أبو هذا . فلم يلبث إلاّ ليلة حتى سار إلى النُّعمان ومعه مِلْحان بن حارثة ، وكان لا يُسافر إلاّ وهو معه ، فقال حاتم[5] : [من الطويل]

أَلا إنّنـي قَـدْ هاجَني الليلةَ الذِّكَرْ وما ذاكَ من حبّ النساء ولا الأَشَرْ[6]

1 منخزلة : منقطعة .
2 ديوانه : 89 .
3 ببادية في الديوان : بدوية .
4 الكوم : النوق العظيمة السنام . ونعتامها : نأخذ خيارها .
5 ديوانه : 55-56 .
6 الأشر : المرح .

ولكنَّــه ممّــا أصــاب عَشيرتــي وقومــي بــأقْرانٍ حَوالَيْهــم الصِّيَرْ

الأقران : الحبال . والصِّير : الحظائر ، واحدها صِيَرة .

ليــالي نَمشي بــين جَــوٍّ ومِسْطَحٍ نَشاوى لنـا مـن كُلِّ سائمةٍ جُزُرْ[1]
فياليــتَ خَير النــاس حيّــاً وميّتــاً يقول لنـا خيراً ويُمْضي الذي ائتمرْ
فــإنْ كان شرّاً فالعــزاء فإنّنــا على وقعات الدَّهــرِ مِن قَبْلِها صُبُرْ
سَقى اللّهُ ربُّ النّاس سَحّــاً وديمــةً جنوبَ السَّراة من مَــآبٍ إلى زُغَرْ
بلادَ امــرىءٍ لا يعــرفُ الذَّمُّ بيته له المشربُ الصافي ولا يطْعم الكدرْ[2]
تذكّرتُ مِنْ وَهْم بن عَمْرٍو جَلادَةً وجُــرْأة مَغْــزاه إذا صارِخٌ بَكَرْ[3]
فأَبْشِرْ وقَــرَّ العــينَ منــك فإنّني أحيِّــي كريمــاً لا ضعيفاً ولا حَصِرْ

فدخل حاتم على النُّعمان فأنشده ، فأُعجب به ، واستوهبهم منه ؛ فوهب له بني امرىء القيس بن عديّ ، ثم أنزله فأُتِيَ بالطعام والخمر ، فقال له مِلْحان : أتَشْرَبُ الخمر وقومك في الأغلال ؟ قُمْ إليه فسَلْه إيّاهم ، فدخل عليه فأنشده[4] : [من البسيط]

إنَّ امرأ القيس أضحت من صَنيعتكم وعبدَ شمس ، أبيتَ اللَّعْن ، فاصطنعوا[5]
إنَّ عَدِيّــاً إذا مُلِّكْــتَ جانبهــا من أمْرِ غَوْثٍ على مــرأى ومُسْتَمَعِ
أتبعْ بني عبد شمسٍ أمْرَ صاحبهــم أهْــلي فِداؤُكَ إنْ ضَرُّوا وإنْ نَفَعُوا
لا تَجْعَلنَّا ، أبيتَ اللَّعْــنَ ، ضاحيَةً كمعشرٍ صُلِموا الآذانَ أو جُدِعُوا[6]
أو كالجَنــاحِ إذا سُلَّــتْ قَوادِمُــهُ صارَ الجَنــاحُ لفَضْلِ الرِّيْشِ يَتَّبِعُ

فأَطْلَقَ له بني عبد شمس بن عديّ بن أخزم ، وبقِي قَيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضًى بن مالك بن ذُبيان بن عَمْرو بن ربيعة بن جرْول الأجئِيّ ، وهو من لَخْم ، وأُمّه من بني عديّ ، وهو جَدُّ الطرماح بن حكيم بن نَفْر بن قَيْس بن جَحْدر ، فقال له النُّعمان : أفَبقيَ

1 ليالي نمشي في الديوان : ليالي نمسي . وجو ومسطح : موضعان .
2 ولا يطعم الكدر في الديوان : وليس له الكدر .
3 إذا صارح بكر في الديوان : إذا نازح بكر .
4 ديوانه : 69 .
5 فاصطنعوا في الديوان : فاصطنع .
6 ضاحية في الديوان : ضاحكة .

أحد من أصحابك ؟ فقال حاتم[1] : [من الطويل]

فَككــتَ عَدِيّـاً كلَّها مـن إسارِها ... فأفْضِل وشفِّعْني بقَيْس بـن جَحْدَرِ
أبُـوهُ أبـي والأُمّهـاتُ امّهاتنـا ... فأنعِمْ فَدَتْكَ اليومَ نَفْسي ومَعْشَري

فقال : هو لك يا حاتم ، فقال حاتم[2] : [من الخفيف]

أبْلِغْ الحـارثَ بن عَمْـرو بأنّي ... حافِـظُ الوُدِّ مُرْصِـدٌ للثّواب[3]
ومُجيـبٌ دُعـاءه إنْ دَعـاني ... عَجِـلاً واحـداً وذا أصحاب
إنّمـا بَيْنَنـا وبينـك فاعْلَـمْ ... سَيْرُ تِسْعٍ للعاجـلِ المُنْتـابِ
فثـلاثٌ مِـنَ السَّراة إلى الحَلَّةِ ... للخَيْـلِ جاهـداً والرِّكاب[4]
وثـلاثٌ يُورَدْنَ تَيْمـاءَ رَهْواً ... وثـلاثٌ يُقَرِّبْـنَ بالأعْجاب[5]
فإذا مـا مَـرَرْنَ في مُسْبَطِـرٍّ ... فاجْمَحِ الخَيْلَ مثل جَمْحِ الكِعاب[6]

اجْمَحْ : ارْم بهم كما يُرْمى بالكعابِ ، ويقال : إذا انتصب لك أمْرٌ فقد جمحَ .

بينما ذاك أصبحَتْ وهي عَضْدَى ... مِـنْ سبيٍ مجموعـةٍ ونهابِ

عَضْدى : مكسورة الأعضاد .

لَيْتَ شِعْري متـى أرى قُبّـةً ذا ... تَ قِـلاعٍ للحـارث الحَـرّابِ
بيفـاعٍ وذاك منهـا مَحَـلّ ... فَـوْقَ مَلْـكٍ يدِيـن بالأحساب
أيّها المُوعِـدي فـإنّ لَبُـوني ... بين حَقْـلٍ وبين هَضْبِ دَباب[7]
حيـثُ لا أرهبُ الجُراةَ وحَوْلي ... ثُعَلِيُّـون كاللّيُـوثِ الغِضابِ

وقال حاتم أيضاً[8] : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 57 .
2 ديوانه : 27 .
3 للثواب في الديوان : للصواب .
4 من السراة إلى الحلة في الديوان : . . . من السراة إلى الحلبط .
5 يقربن في الديوان : يغررن .
6 مررن في الديوان : مررت . والمسبطر : الممتد .
7 دباب في ل : ضباب .
8 ديوانه : 66 .

لم تُنسِنِي أطلال ماويّـةٍ يأسي ولا الزمن الماضي الذي مِثْله يُنْسي[1]
إذا غرَبَتْ شَمْسُ النهارِ وردْتُها كما يَـرِد الظمآن آتيـةَ الخِمْسِ

[حاتم ومعاوية بنت عفزر]

قال : وكنّا عند معاوية ، فتذاكرْنا ملوكَ العرب ، حتى ذكرنا الزّباء وابنة عفزر ، فقال معاوية ، إنّي لأُحبّ أن أسمع حديث ماوية وحاتم ، وماويةُ بنت عَفْـزَر ، فقال رجل من القوم : أفلا أُحدّثك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بلى . فقال : إنّ ماوية بنت عفزر كانت ملكة ، وكانت تتزوّج مَن أرادت ؛ وإنّها بعثت غلماناً لها وأمرَتْهم أن يأتوها بأوسَمِ مَن يجدونه بالحيرة ، فجاؤوها بحاتم ، فقالت له : استقدم إلى الفراش ، فقال : حتى أُخبرك ، وقعد على الباب ، وقال : إنّي أنتظر صاحبين لي ، فقالت : دونَك استدخل المِجْمَر . فقال : اسْتِي لم تُعَوَّد المِجْمر[2] ، فأرسلها مثلاً . فارتابتْ منه ، وسقَتْه خمراً ليسكر ، فجعل يهريقُه بالباب فلا تراه تحت الليل ، ثم قال : ما أنا بذائق قِرًى ولا قارٍّ حتى أنظرَ ما فعل صاحباي . فقالت : إنّا سنرسلُ إليهما بقِرًى ، فقال حاتم : ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما . قال : فأتاهما ، فقال : أفتكونان عَبْدَيْن لابنة عَفْزَر ، تَرْعَيان غنمها أحبُّ إليكما أم تقتلكما ؟ فقالا : كلّ شيء يُشبه بعضُه بعضاً ، وبعضُ الشَّرِّ أهون من بعض[3] ، فقال حاتم : الرحيل والنجاة . وقال يذكُر ابْنَةَ عفزر ، وأنّه ليس بصاحب ريبة[4] : [من الطويل]

حَننتُ إلى الأجبال أجبالِ طيـىء وحَنَّت قَلُوصي أن رأت سوط أحمرا
فقلتُ لهـا : إنّ الطريـقَ أمامنـا وإنّـا لمحيُـو رَبْعِنـا إن تَيَسَّرا
فيـا راكبـيْ عَلْيـا جَدِيلَـةَ إنّما تُسامـان ضَيْمـاً مستبينـاً فتُنْظَرا
فمـا نَكِـراهُ غيرَ أنَّ ابنَ مِلْقَـط أراهُ وقـد أُعطـى الظُّلامـة أَوْجَرا[5]
وإنّي لَمُـزْجٍ لِلْمَطـيِّ على الوَجـا ومـا أنـا مـن خِلاَّنكِ ابنةَ عَفْزَرا[6]

---

1 يأسي في الديوان : ناسي .

2 المثل «است لم تعود المجمر» في مجمع الميداني 1 : 332 .

3 المثل «بعض الشر أهون من بعض» في الدرة الفاخرة 2 : 456 ومستقصى الزمخشري 2 : 10 ومجمع الميداني 1 : 94 .

4 ديوانه : 47–49 .

5 الأوجر : المشفق ، الخائف .

6 الوجا : الحفى .

وما زِلْتُ أَسعى بين نابٍ ودارةٍ بِلَحْيانَ حتى خِفْتُ أَن أَتَنَصَّرا
وحتى حسِبْتُ الليلَ والصبحَ إذْ بدا حِصانَيْنِ سيَّالَيْن جَوْناً وأَشْقَرا
لَشِعْبٌ من الرَّيَّان أَمِلكُ بابَه أُنادِي به آل الكبير وجَعْفَرا
أَحَبُّ إليَّ مِنْ خطيبٍ رأَيْتُه إذا قلتُ معروفاً تبدل مُنْكرا
تنادي إلى جاراتِها : إنَّ حاتماً أَراهُ لعَمْرِي بَعْدَنا قد تَغَيَّرا
تغيَّرْتُ إنّي غيرُ آتٍ لريبةٍ ولا قائلٍ يوماً لذِي العُرْفِ مُنْكَرا
فلا تسأليني واسْألي أيّ فارِس إذا بادَرَ القومُ الكنيفَ المُسَتَّرا
ولا تَسأَليني واسألي أيَّ فارس إذا الخيلُ جالَتَ في قَناً قد تكسَّرا
فلا هي ما تَرْعى جَميعاً عِشارُها ويُصْبح ضيفي ساهِمَ الوجهِ أغبرا
متى تَرَنِي أَمشي بسيفيَ وَسْطَها تَخَفْني وتُضْمِرْ بينها أَن تُجَزَّرا
وإنّي ليغشى أَبعدُ الحيِّ جَفْنَتي إذا ورَقُ الطَّلْحِ الطوالِ تَحَسَّرا
فلا تسأليني واسألي بي صُحْبَتي إذا ما المَطِيُّ بالفَلاةِ تضَوَّرا
وإنّي لَوَهّابٌ قُطُوعي وناقتي إذا ما انتشيْتُ ، والكميتَ المصَدَّرا[1]
وإنّي كأَشلاء اللِّجامِ ولَنْ تَرَى أَخا الحَرْبِ إلاَّ ساهِم الوجْهِ أَغبَرا
أَخُو الحَرْبِ إنْ عضَّتْ به الحَرْبُ عضَّها وإنْ شمّرت عن ساقها الحَرْبُ شَمَّرا
وإنّي إذا ما الموْتُ لم يَكُ دونَه قِدى الشّبرِ أَحمي الأَنْف أَن أَتأخّرا[2]
متى تبْغ وُدّاً مِنْ جَديلةَ تَلْقَهُ مع الشَّنْء مِنْهُ باقياً متأثّرا[3]
فإلاّ يُفادونا جِهاراً نُلاقِهم لأَعدائنا رِدْءاً دَليلاً ومُنْذِرا[4]
إذا حالَ دُوني مِنْ سَلامان رَمْلَةٌ وَجَدْتُ تَوالي الوَصْلِ عِنْدي أَبْتَرا

وذكروا أَنّ حاتماً دعَتْهُ نفسه إليها بعد انصرافِه من عندها ، فأَتاها يخطبُها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبيت ؛ فقالت لهم : انقلبُوا إلى رِحالكم ، ولْيَقُل كلٌّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإنّي أتزوَّج أَكرَمكم وأَشعركم .

---

1 القطوع : الثياب الموشاة .
2 قدى الشبر : قدر الشبر .
3 الشنء : البغض .
4 الديوان : فالا يعادونا . . . والردء : المعين ، الناصر .

فانصرفوا ونحر كلٌّ واحد منهم جَزُوراً ، ولبست ماوية ثياباً لأَمَةٍ لها وتبعتهم ، فأتَتْ النَّبيتيَّ فاستطعمته من جَزُوره فأطعمها ثيل جَملِه[1] فأخذته ثم أتت نابغةَ بني ذبيان فاستطعمتْه فأطعمها ذَنَب جَزُوره فأخذتـه ، ثم أتت حاتماً وقد نصب قِدْرَه فاستطعمته ، فقال لها : قفي حتى أُعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك ، فانتظرت فأطعمها قِطَعاً من العَجُز والسنام ، ومثلَها من المِخْدَش ، وهو عند الحارك[2] ، ثم انصرفت . وأرسل كلٌّ واحد منهم إليها ظهر جَمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها ، ولم يكن يترك جاراته إلاّ بهدية . وصبّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النَّبيتيّ : [من البسيط]

هـلاَّ سألْتِ النبيتِـيِّينَ مـا حَسبى ... عنـد الشتاء إذا مـا هبَّتِ الرِّيحُ
ورَدَّ جازِرُهــم حرفــاً مُصَرَّمَةَ ... في الرَّأْسِ منها وفي الأَصلاء تمليحُ[3]
وقــال رائِدُهــم : سِيّانِ مالُهـم ... مِثْـلانِ مِثْـلٌ لَمن يرعى وتَسْرِيحُ
إذا اللِّقاحُ غدت مُلْقًـى أُصرَّتها ... ولا كَريمَ مِـنَ الولدان مَصْبُوحُ

فقالت له : لقد ذكرت مَجْهَدةً .

ثم استنشدت النابغة ، فأنشدها يقول[4] : [من البسيط]

هَلاَّ سألتِ بنـي ذبيانَ مـا حَسَبى ... إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأَشمطَ البَرَما[5]
وهَبَّـتْ الريحُ مِـنْ تلقاءِ ذي أُرُلٍ ... تُزْجِي مع الليل مِنْ صُرَّادِها الصِّرَما
إنّـي أُتمِّـم أَيْساري وأَمْنَحُهـم ... مَثْنى الأَيادي وأَكْسُو الجَفْنَةَ الأُدُما

فلمّا أُنشدها قالت : ما ينفكّ الناس بخير ما ائتدموا .

ثم قالت : يا أُخا طيِّىء أنشدني ، فأُنشدها[6] : [من الطويل]

أَمــاوِيَّ قــد طال التَّجنُّبُ والهَجْرُ ... وقــد عذَرَتْنــي في طِلابكـم العُذْرُ

1 الثيل : وعاء قضيب البعير .
2 المخدش : كاهل البعير . والحارك : أعلى الظهر .
3 الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة . ومصرومة : منقطعة اللبن . والأصلاء : وسط الظهر واحدها : صلا . والتمليح : السمن .
4 ديوان النابغة الذبياني : 62–63 .
5 البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .
6 ديوانه : 50–51 .

أماوِيَّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحٍ ... ويَبْقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ والذِّكْرُ
أماوِيَّ إنّي لا أقولُ لسائلٍ ... إذا جاءَ يَوْماً : حلَّ في مالنا النَّذْرُ[1]
أماوِيَّ إمّا مانِعٌ فمبيِّن ... وإمّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
أماوِيَّ ما يُغْني الثَّراءُ عَن الفَتى ... إذا حشرجَتْ يَوْماً وضاقَ بِها الصَّدْرُ[2]
إذا أنا دَلاّني الذين أُحبّهم ... بملحودةٍ زَلْجٍ جوانِبُها غُبْرُ
وراحُوا سِراعاً ينفضون أكفَّهم ... يقولون : قد دَمَّى أناملَنا الحَفْرُ[3]
أماوِيَّ إنْ يُصبحْ صدايَ بقَفْرَةٍ ... من الأَرْضِ لا ماءٌ لديّ ولا خَمْرُ[4]
تَرَيْ أَنَّ ما أَنفقتُ لم يَكُ ضَرَّني ... وأَنَّ يَدي مِمّا بخلْتُ به صِفْرُ[5]
أماوِيَّ إنّي رُبَّ واحدِ أُمِّهِ ... أَخذْتُ فلا قَتْلٌ عليه ولا أَسْرُ[6]
وقد عَلِمَ الأَقوامُ لو أَنَّ حاتِماً ... أرادَ ثراءَ المالِ كان لَهُ وَفْرُ
فإنّيَ لا آلُو بمالي صَنِيعةً ... فأوّلُه زادٌ وآخِرُهُ ذُخْرُ
يُفَكُّ به العاني ويُؤْكَلُ طيِّباً ... وما إنْ تعرَّتْهُ القِداحُ ولا الخَمْرُ
ولا أظلِمُ ابنَ العمّ إن كان إخوتي ... شُهوداً وقد أَوْدى بإخوته الدَّهْرُ
غنينا زماناً بالتَّصَعْلُكِ والغِنى ... وكلاًّ سقاناه بِكأْسِهما العَصْرُ
فما زادنا بَغْياً على ذِي قَرابَةٍ ... غِنانا ولا أزرى بأَحْسابِنا الفَقْرُ
وما ضَرَّ جاراً يا ابْنَةَ القومِ فاعلَمي ... يجاوِرني أَلاَّ يكونَ لَه سِتْرُ
بعينيَ عن جاراتِ قَوْمِيَ غَفْلَةٌ ... وفي السَّمْعِ مِنّي عن حديثهمُ وَقْرُ

فلمّا فرغ حاتِمٌ من إنشاده دعَتْ بالغداء ، وكانت قد أمرت إماءَها أنْ يقدّمن إلى كلّ رجلٍ منهم ما كان أطعمها ، فقدّمن إليهم ما كانت أمرتهنّ أنْ يقدمنه إليهم ، فنكّس النَّبِيتيُّ رأْسه والنابغة ، فلمّا نظر حاتم إلى ذلك رَمى بالذي قُدِّم إليهما ، وأطعمهما ممّا قدم إليه ، فتسلّلا لِواذاً ، وقالت : إنَّ حاتماً أكرمكم وأشعركم .

1 النذر في الديوان : نزر .
2 يوماً في الديوان : نفس .
3 وراحوا سراعاً في الديوان : وراحوا عجالاً .
4 لا ماء لديّ في الديوان : لا ماء هناك .
5 أنفقت في الديوان : أهلكت .
6 أخذت في الديوان : أجرت .

فلمّا خرج النَّبيتيُّ والنابغة قالت لحاتم : خلِّ سبيلَ امرأتك ، فأبى ، فزوّدته وردَّته . فلمّا انصرف دعَتْه نفسُه إليها ، وماتت امرأته ، فخطبها فتزوّجته ، فولدت عَدِيّاً .

[إسلام عديّ بن حاتم]

وقد كانت عديّ أسلمَ وحسُن إسلامه ، فبلغنا أنّ النبيَّ ﷺ قال له ، وقد سأله عدِيّ : يا رسول الله ، إنّ أبي كان يعطي ويحمل ، ويُوفي بالذِّمّةِ ، ويأمر بمكارم الأخلاق ؛ فقال له رسول الله ﷺ : إنَّ أباك خشبة مِن خشبات جَهَنّم .

فكأنّ النبيّ ﷺ رأى الكآبةَ في وَجْهه : فقال له : يا عديّ إنَّ أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار .

[ماويّة تطلق حاتماً وتتزوّج من ابن عمه]

وكانت ماويّة عنده زماناً ، وإنّ ابنَ عمٍّ لحاتم كان يُقال له : مالك قال لها : ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنّه ، وإن لم يَجِدْ ليتكلفنّ ، وإنْ مات ليتركنّ ولده عِيالاً على قومك ، فقالت ماويّة : صدقت ، إنّه كذلك .

وكان النساءِ ، أو بعضهنّ ، يُطلِّقْنَ الرجالَ في الجاهليّة ، كان طلاقهنّ أنّهنّ إنْ كنَّ في بيتٍ من شَعر حوَّلن الخِبـاءَ ؛ فإن كان بابُه قِبَـلَ المشرق حوّلْنَه قبلَ المغرب ، وإن كان بابه قِبل اليمن حوَّلْنَه قِبَـلَ الشام ؛ فإذا رأى ذلك الرجل علِم أنّها قد طلّقته فلم يأتِها . وإن ابنَ عمّ حاتم قال لماوية ، وكانت أحسنَ نساءِ الناس : طلِّقي حاتماً ، وأنا أنكحك وأنا خير لكِ منه ، وأكثر مالاً ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدكِ ؛ فلم يزل بها حتى طلَّقَتْ حاتماً . فأتاها حاتم وقد حوَّلت بابَ الخِباء ، فقال : يا عديّ ، ما ترى أمَّك عُدِيَ عليها ؟ قال : لا أدرِي ، غير أنّها قد غيَّرت بابَ الخِباء ، وكأنّه لم يلحن[1] لما قال ، فدعاه فهبط به بطنَ وادٍ ، وجاء قومٌ فنزلوا على بابِ الخباء كما كانوا ينزلون ، فتَوافَوْا خمسين رجلاً ، فضاقَتْ بهم ماوية ذَرْعاً ، وقالت لجاريتها : اذهبي إلى مالك فقولي له : إنّ أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأرْسِلْ بنابٍ[2] نَقْرِهم ولَبنٍ نَغْبقهم[3] . وقالت لجاريتها : انظري إلى جَبينه وفَمه فإن شافَهك بالمعروف فاقْبَلي منه ، وإنْ ضرب بلحيته على زَوْرِه ، وأدخل يدَه في رأسه فاقفلي ودعيه . وإنّها لمّا أتت مالكاً وجدتْه

1 لم يلحن : لم يفطن .

2 الناب : الناقة المسنة .

3 الغبوق : ما يشرب في المساء .

متوسِّداً وَطْباً[1] من لبن وتحت بطنه آخر ، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره ، فأبلغته ما أرسلتْها به ماوية ، وقالت : إنّما هي الليلةُ حتى يعلم الناسُ مكانَه .

فقال لها : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها : هذا الذي أَمرْتُكِ أَنْ تطلّقي حاتماً فيه ، فما عندي من كبيرة قد تركَت العمل ، وما كنْتُ لأنحر صَفِيَّةً[2] غزيرة بشَحْمِ كُلاها ، وما عندي لبنٌ يكفي أَضياف حاتم .

فرجعت الجاريةُ فأَخبرتها بما رأتْ منه ، وما قال ؛ فقالت : ائت حاتماً فقولي : إن أَضيافَك قد نزلُوا الليلةَ بنا ، ولم يَعلَمُوا بمكانك . فأَرْسِلِ إلينا بنابٍ ننحرها ونقرهم وبلبن نَسقِهم ؛ فإنّما هي الليلة حتى يعرفوا مكانَك .

فأتت الجارية حاتماً فصرخَتْ به .

فقال حاتم : لبيكِ ، قريباً دَعَوْتِ . فقالت : إنَّ ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك : إنَّ أَضيافَك قد نزلوا بنا الليلة ، فأرسلْ إليهم بناب ننحرها ولبَنٍ نَسقهم . فقال : نعم وأبي ، ثم قام إلى الإبل فأطلق ثَنِيَّتَين من عِقالَيْهما ، ثم صاح بهما حتى أَتى الخباء فضرب عراقيبَهما ، فطفقت ماويّة تصيح وتقول : هذا الذي طلّقتك فيه ، تترك ولدك وليس لهم شيء ، فقال حاتم[3] : [من الطويل]

هل الدّهرُ إلاَّ اليومُ أَو أَمسِ أَوغَدُ كـذاكِ الزمـانُ بيننـا يَتَرَدَّدُ
يَـرُدُّ علينـا ليلـةً بعـد يَوْمِها فلا نَحْنُ ما نَبْقى ولا الدَّهْرُ يَنْفَدُ
لنـا أَجَـلٌ إمّـا تَناهـى أَمامه فنحـن عـلى آثـارِه نتورَّدُ
بنـو ثُعَلٍ قومـي فما أَنـا مُدَّعٍ سِواهُمْ إلى قوم ومـا أَنا مُسْنِدُ
بدَرْئهـمُ أَغْشى دُرُوءَ مَعـاشِرٍ ويحنف عَنّـي الأَبْلَـخُ المُتَعَمِّدُ[4]
فمهـلاً فِـداكِ اليومَ أُمّي وخالتي فـلا يأْمُرَنّـي بالدَّنية أَسْوَدُ
على حين أَن ذَكيت واشتدَّ جانبي أُسامُ التي أَعْيَيْتُ إذْ أَنـا أَمْرَدُ[5]

1 الوطب : سقاء اللبن .
2 الصفية : الناقة الصغيرة .
3 ديوانه : 34-35 .
4 الدرء : الاندفاع . ويحنف : يميل . الأبلخ : المتكبر . وفي الديوان : الأبلج ، وهو الطلق الوجه .
5 الديوان : على جبن إذ كنت . . . وذكيت : عقرت وذبحت .

فهل تركَتْ قَبْلي حضُورَ مكانِها ! ... وهل مَنْ أتى ضَيْماً وخَسْفاً مخلَّدُ
ومُعتَسَفٍ بالرُّمْـحِ دونَ صِحابه ... تعسَّفتُـهُ بالسَّيْفِ والقـومُ شُهَّدُ
فخَـرَّ على حُـرِّ الجَبين وذادَه ... إلى الموتِ مَطرورُ الوَقِيعةِ مِذْوَدُ[1]
فمـا رمْتُـه حتى أزحْـتُ عَوِيصَهُ ... وحتى عَـلاه حالِكُ اللَّوْنِ أسودُ
فأقسمتُ لا أمشي على سرِّ جارتي ... يَـدَ الدّهْرِ مـا دام الحَمامُ يغرِّدُ
ولا أشْتَري مـالاً بِغَـدْرٍ علِمْتُهُ ... ألا كُلُّ مـالٍ خالطَ الغَدْرَ أنْكَدُ
إذا كان بعضُ المـالِ ربّـاً لأهْلِهِ ... فإنّـي بحمـدِ الله مـالي مُعَبَّدُ
يُفَـكُّ بـه العـاني ويُؤكل طيِّباً ... ويُعطى إذا ضَنَّ البخيل المُصَرِّدُ[2]
إذا ما البخيلُ الخبُّ أخْمَدَ نارَه ... أقولُ لِمَنْ يصْلى بناريَ : أوْقِدُوا
توسَّعْ قليـلاً أو يكن ثَمَّ حَسْبُنا ... ومُوقدها البـادِي أعَفُّ وأحمدُ
كذاك أُمُـورُ الناسِ راضٍ دَنِيَّةً ... وسامٍ إلى فَـرْعِ العُـلا مُتَوَرِّدُ
فمنهم جـوادٌ قد تلفَّتَ حَوْلَه ... ومنهم لئيـم دائم الطَّرف أقْوَدُ
وَداعٍ دَعـاني دَعْـوَةً فأجَبْتُه ... وهل يَـدَعُ الدَّاعِين إلاّ اليَلَنْددُ[3]

[هكذا فصادتي]

أُسرت عنزةُ حاتماً ، فجعل نساءُ عنزَة يُدارِئْنَ بَعِيراً ليفصدْنه فضَعُفْن عنه ، فقلن : يا حاتـم ، أفاصِدُه أنْـتَ إنْ أطلقنا يدَيْكَ ؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يَدَيْه ، فوجأ لَبَّته فاستدمينه . ثم إنّ البعير عَضِد ، أي لَوى عُنُقَه ، أي خرَّ ، فَقُلن : ما صنعت ؟ قال : هكذا فصادتي[4] ، فجرت مثلاً . قال : فلطمته إحداهنَّ ، فقال : ما أنتنَّ نساء عنزة بكِرام ، ولا ذواتِ أحلام . وإن امرأةً منهنّ يقـال لها : عاجزة أُعجبت به ، فأطلقَتْه ؛ ولم ينقِمُوا عليه ما فعـل ، فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده[5] : [من الطويل]

كذَلِكَ فَصْدِي إنْ سألتِ مِطِيَّتي ... دَمُ الجَوْفِ إذْ كلُّ الفِصادِ وَخِيمُ

1 مطرور الوقيعة : السيف .
2 التصريد : التقليل .
3 اليلندد : الخصم الشحيح ، وفي الديوان : المبلد ، وهو العاجز الضعيف الهمة .
4 المثل «هكذا فصدي» في معجم الميداني 2 : 394 .
5 ديوانه : 85 .

[غلام جواد]

أَقبل ركْبٌ من بني أَسد ومن قَيس يريدون النُّعمان ، فلقوا حاتماً ، فقالوا له : إنّا تركنا قومنا يُثنون عليك خيراً ، وقد أرسلوا إليكَ رَسولاً برسالة . قال : وما هي ؟ فأَنشده الأَسديُّون شعراً لعَبيد ولِبشْر يمدحانه ، وأَنشد القيسيُّون شعراً للنابغة . فلمّا أُنشدوه قالوا : إنّا نستحي أن نسألكَ شيئاً ، وإن لنا حاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا قد أُرجل[1] ، فقال حاتم : خذُوا فَرسي هذه فاحملوا عليها صاحبَكم . فأُخذوها وربطت الجارية فِلْوَها بثوبها ، فأُفلت ، فاتّبعته الجارية ، فقال حاتم : ما تبعكم من شيء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفِلْو والجارية .

وإنّهم وردوا على أَبي حاتم ، فعرف الفَرس والفِلْو ، فقال : ما هذا معكم ؟ فقالوا : مررنا بغلامٍ كريمٍ فسألناه ، فأَعطى الجسيم .

[أبو الخيبري مرّة أخرى]

قال : وكنّا عند معاوية فتذاكرنا الجُود ، فقال رجل من القوم : أَجودُ الناس حيّاً وميتاً حاتم ؛ فقال معاوية : وكيف ذلك ؛ فإنّ الرجل من قريش ليعطي في المجلس ما لم يملكه حاتم قطّ ولا قومه ، فقال : أخبرك يا أمير المؤمنين ، أنَّ نفراً من بني أَسد مرُّوا بقَبْرِ حاتم ، فقالوا : لنبخِّلنَّه ولنخبرَنّ العرب أنّا نزلْنا بحاتم ، فلَم يقرنا ، فجعلوا يُنادُون : يا حاتم أَلا تَقْري أضيافك ! وكان رئيس القوم رجل يقال له : أَبا الخَيْبَرِيّ ، فإذا هو بصوتٍ ينادي في جوف الليل : [من المتقارب]

أَبـا خَيْبريٍّ وأَنت امرؤٌ ظلـوم العشيرة شتَّامُها

إلى آخرها ، فذهبوا ينظرون ، فإذا ناقةُ أَحدهم تكُوس على ثلاثة أَرجل عقيراً . قال : فعجب القومُ من ذلك جميعاً .

[حاتم وأوس بن سعد]

وكان أَوس بن سعد قال للنُّعمان بن المنذر : أَنا أُدخلك بين جبلي طَيِّىء حتى يدين لك أَهلهما ، فبلغ ذلك حاتماً ، فقال[2] : [من الكامل]

1 أرجل : لم تعد له مطية .

2 ديوانه : 65–66 .

ولقــد بَغــى بِخُلاد أوسٌ قومَه   ذُلاًّ وقــد علمَتْ بذلكَ سِنْبِسُ[1]
حاشا بَني عَمْرِو بْنِ سِنْبِسَ إنّهم   مَنَعُـوا ذِمــارَ أبيهم أنْ يدنَسوا
وتواعَــدُوا وِرْدَ القُرَيَّــة غُــدوَةً   وحلفْــتُ بــاللهِ العزيز لَنَحبِسُ
واللهُ يعلَــمُ لــو أتــى بِسُلافِهم   طَرَفُ الجَرِيضِ لَظَلَّ يَوْمٌ مِشْكَسُ[2]
كالنّارِ والشّمسِ التي قالَتْ لهـا   بيــدِ اللُّوَيمِسِ عالمًا مـا يَلْمسُ[3]
لا يطعمــنَّ المــاءَ إنْ أوْرَدْتَهم   لِتَمامِ ظِمئِكُمْ ففُوزوا واحْلِسُوا[4]
أو ذو الحصين وفارِسٌ ذُو مِرَّة   بكَتِيبةٍ مَــنْ يُدْرِكُــوه يُفْرَسُ[5]
ومُوَطَّــأُ الأكنــافِ غير ملعَّــن   في الحــيِّ مَشَّاءٌ إليـه المَجْلِسُ

[يمدح بني بدر]

قال : وجاور في بني بَدْر زَمَن احتربت جَدِيلة وَثُعَلُ ، وكان ذلك زَمن الفساد ، فقال يمدح بني بدر[6] : [من الكامل]

إنْ كنْــتِ كارِهــةً مَعيشتنا   هاتِــي فَحُلّي في بَنــي بَدْرِ
جاوَرْتُهــم زَمَنَ الفسادِ فَنِعْـ   ـمَ الحيُّ في العَوْصاء واليُسرِ[7]
فسُقِيــتُ بالمـاء النَّمير ولم   يُنْظَــرْ إليَّ بــأعيُنٍ خُــزْرِ[8]
ودعيتِ في أولى النــدى ولم   ينظــرْ إليَّ بــأعين خـــزرِ
الضاربيــن لــدى أعنّتِهــم   والطاعنــين وخَيْلُهم تَجْري
الخالطِين نَحِيتَهــم بنُضارِهُم   وذَوِي الغِنى منهم بذِي الفَقْرِ

---

1 صدر البيت في الديوان : ولقد بغى بجلادِ أوسٍ قومُهُ . وخلاد : أرض ببلاد طيىء . والجلاد : الحرب . وسنبس : أبو حي من طيىء .
2 الجريض : غصص الموت . والمشكس : السيء الخُلق .
3 اللويمس : تصغير لامس .
4 حلس : أقام .
5 يفرس في الديوان : يغرس .
6 ديوانه : 54 .
7 العوصاء : الشدة والعسر .
8 الشطر الثاني في الديوان : أترك أواصر حمأة الجفر ، وفي ل أترك لأطلس حمأة الجفر . والحمأة : الطين . والجفر : اسم لأماكن كثيرة .

[يقيم في قيد أسير ليطلقه]

وزعموا أنّ حاتماً خرج في الشهر الحرام يطلبُ حاجةً ، فلمّا كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم : يا أبا سَفّانة ؛ أكلَني الإسار والقمل ، قال : وَيلَكَ ! واللهِ ما أنا في بلادِ قومي ، وما معي شيء ، وقد أسأتَ بي إذ نوَّهْتَ باسمي ، وما لَكَ مَتْرَك . فساوم به العَنَزيّين فاشتراه منهم ، فقال : خلُّوا عنه وأنا أُقيمُ مكانه في قَيْدِهِ حتى أُؤدّي فِداءه ، ففعلوا ، فأُتِيَ بفدائه .

[ذبح فرسه ليطعم جيرانه]

وحدَّث الهيثم بن عديّ ، عمّن حدّثه ، عن ملحان ابن أخي ماوية امرأة حاتم ، قال : قلت لماوية : يا عمّة ، حدِّثيني بِبَعْضِ عجائب حاتم ، فقالت : كلُّ أمره عجبٍ ، فعن أيِّه تسأَلُ ؟ قال : قلت : حدِّثيني ما شئتِ ، قالت : أصابت الناسَ سنةٌ ، فأذهبت الخُفَّ والظِّلف ، فإنّي وإيّاه ليلةً قد أسهرنا الجوعُ ؛ قالت : فأخذ عديّاً وأخذتُ سَفّانة ، وجعلنا نُعلِّلُهما حتى ناما ، ثـم أقبل عليّ يحدِّثني ويعلِّلني بالحديث كي أنام ، فرققْتُ له لما به من الجهد ، فأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي : أنمتِ ؟ مِراراً ، فلم أُجِب ، فسكتّ فنظر في فتق الخِباء فإذا شيء قد أقبل ، فرفع رأسَه فإذا امرأةٌ . فقال : ما هذا ؟ قالت : يا أبا سَفّانة ، أتيتُك من عند صِبْيَةٍ يتعاوَوْن كالذئاب جُوعاً ، فقال : أحضريني صِبيانك ، فوالله لأشبِعنَّهم . قالت : فقمتُ سريعاً فقلت : بماذا يا حاتم ! فوالله ما نام صِبيانك من الجوع إلاّ بالتعليل ! فقال : والله لأُشبعنَّ صبيانك مع صبيانها .

فلمّا جاءَتْ قام إلى فرسه فذبحها ، ثم قدح ناراً ثم أجّجها ، ثم دفع إليها شفرة ، فقال : اشتوي ، وكُلي ، ثم قال : أيقظي صبيانك . قالت : فأيقظتهم ، ثم قال : والله إنَّ هذا لَلُؤْمٌ ؛ تأكلون وأهل الصِّرْمْ[1] حالهم مثل حالكم ! فجعل يأتي الصِّرْمَ بيتاً بيتاً فيقول : انهضوا عليكم بالنار . قال : فاجتمعوا حَوْلَ تلك الفَرس ، وتقنَّع بكسائه فجلس ناحيةً ، فما أصبحوا ومِنَ الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلاّ عَظْم وحافر ، وإنّه لأَشدُّ جوعاً منهم ، وما ذاقَه .

[حاتم ومحرّق]

أتى حاتم مُحَرِّقاً فقال له محرّق : بايِعْني ، فقال له : إنَّ لي أخوين ورائي ، فإنْ يأذنا لي أبايعك وإلاّ فلا ، قال : فاذهبْ إليهما ، فإنْ أطاعاك فأتني بهما ، وإن أبيا فأذَنْ بحرب . فلمّا خرج حاتم قال[2] : [من الطويل]

1 الصرم : أبيات مجتمعة منقطعة عن الناس .

2 ديوانه : 77 .

أتـــاني مِـــن الرّيّـــان أُمْسِ رسالةٌ وعُدْوًى وغَيٌّ مـا يقول مُواسِلُ[1]
همـــا سألاني مـا فعلتَ ؟ وإنّني كذلـــك عمّـــا أحْدثا أنا سائلُ
فَقُلتُ : ألا كيف الزمان عليكما ؟ فقـالا : بِخَيْر كلُّ أرضِك سائلُ

فقال محرّق : ما أخواه ؟ قال : طرفا الجَبَل ، فقال : ومحلوفة لأُجلِّلنَّ مُواسلاً الرَّيطَ مصبوغاتٍ بالزيت ، ثم لأُشعِلَنَّه بالنار . فقال رجل من الناس : جهل مرتَقىً بين مداخل سُبُلات[2] . فلمّا بلغ ذلك محرقاً قال : لأُقْدِمَنَّ عليك قريتك[3] . ثم إنّه أتاه رجل ، فقال له : إنّك إن تقدم القُرَيّة تهلك . فانصرف ولم يقدم .

[حاتم وأسير له]

غزت فزارةُ طيّئاً وعليهم حصين بن حذيفة ، وخرجت طيىء في طلب القوم ، فلحق حاتم رجلاً من بَدْر ، فطعنه ثم مضى ، فقال : إنْ مَرَّ بك أُحد فقل له : أنا أُسير حاتم . فمرَّ به أبو حَنبل ، فقال : مَنْ أَنت ؟ قال : أنا أسير حاتم . فقال له : إنّه يقتلك ، فإن زعمتَ لحاتم أو لِمَنْ سألك أنّي أسرتك . ثم صِرْتَ في يدي خلّيتُ سبيلك . فلمّا رجعوا قال حاتم : يا أبا حَنْبل خَلِّ سبيلَ أسيري ، فقال أبو حنبل : أنا أسرتُه ، فقـال حاتم : قد رضيتُ بقوله ، فقال : أسرني أبو حنبل ، فقال حاتم[4] : [من الطويل]

إنَّ أباكَ الجَونَ لم يَكُ غادراً ألا مِنْ بَني بدر أَتتْكَ الغَوائلُ

صوت[5]

[من الطويل]

وهاجـرةٍ مِـــنْ دُونَ مَيَّـةَ لم تَقِلْ قَلُوصي بها والجُندبُ الجَوْنُ يَرْمَحُ[6]
بِتَيْهـاء مِقْفـارٍ يكـــادُ ارْتكاضُها بآل الضُّحى والهَجْرِ بالطَّرْفِ يَمْصَحُ[7]

---

1 الديوان : أتاني من الديان . . . والريان ومواسل : جبلان .
2 المثل «جهل من لغانين إلى سبلات» في مجمع الميداني 1 : 178 . يضرب لمن يقدم على أمر يجهل ما فيه من المشقة والشدة . واللغانين : مداخل الأودية ، واحدها : لغنون . ومواسل والسبلات : جبال .
3 القرية : موضع بجبل طيىء .
4 لم يرد هذا البيت في ديوانه .
5 ديوان ذي الرمة : 86–87 .
6 لم تقل : من القيلولة . والجون : الأسود . ويرمح : يضرب برجله الأرض من شدة الحر .
7 الديوان : ببيداء مقفار . . .

الهجر هاهنا مرفوع بفعله ، كأنّه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، هو والهجر . ويمصَح : يذهب بالطَّرْف .

كأنّ الفِرِنْـدَ المَحْضَ معصوبةٌ بـهِ ... ذُرا قُورِهـا يَنْقَـدُّ عَنهـا ويُنْصَحُ
إذا ارفضَّ أَطـرافُ السِّياط وهَلَّلتْ ... جُـرومُ المَهارى عذَّبتهـنَّ صَيْدَحُ

عروضه من الطويل .

الهاجرة : تكون وقْتَ الزوال . والجندب : الجرادة . والجوْن : الأسود . والجَوْن : الأبيض أيضاً : وهو من الأضداد . وقوله : يرمح ، أي ينزو من شدّة الحرّ لا يكاد يستقرّ على الأرض . والتَّيْهاء من الأرض : التي يُتاه فيها . والمِقفار : التي لا أحد فيها ولا ساكن بها . ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعيّ . وارتكاضها ؛ يعني ارتكاض هذه التَّيْهاء ، وهو نزوها بالآل ، والآل : السراب . والهجر والهاجرة واحد . وقوله : الهجر بالطرف يمصَحُ ، رفع الهجر بفِعْلِه كأنّه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف ، هو والهجر . يمصح : يذهب بالطَّرف . والفرند : الحرير الأبيض . والمحض : الخالص . يقول : كأن هذا السراب حرير أبيض ، وقد عصبت به ذرى قورها ، وهي الجبال الصغار والواحدة قارة ، فتارة يغطيها وتارة يَنْجابُ عنها وينكشف ، فكأنّه إذا انكشف عنها ينقدّ عنها ، وكأنّه إذا غطّاها ينصَح عنها ؛ أي يخاط . ويقال : نصحتُ الثوب ، إذا خِطْتَه ، والنّاصِحُ : الخيّاط ، والنِّصاح : الخيط . وقوله : ارفضّ أطراف السياط ، يعني أنّها انفتحت أطرافها من طُولِ السفر ؛ وأصل الارفضاض التفرّق . والجروم : الأبدان ، واحدها جِرم ، بالكسر . وقوله : هللت جروم المطايا ، يعني أنّها صارت كالأهلّة في الدّقّة . وصَيْدَح : اسم ناقته .

الشعر لذي الرّمة ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ماخوريّ بالوسطى .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ – ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الثّامن عشر

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

18

الطبعة الأولى

1423هـ - 2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[374] ـ ذكر ذي الرمّة وخبره[1]

اسمه غَيْلانُ بن عُقْبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكان بن عديّ بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر .

[أسباب تلقيبه بذي الرمّة]

وقال ابن سلاّم : هو غيلان بن عقبة بن بُهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مِلْكان . ويكنى أبا الحارث ، وذو الرمّة لقبٌ . يقال : لقَّبته به ميَّة ؛ وكان اجتاز بخبائها وهي جالسةٌ إلى جَنْب أُمّها فاستسقاها ماء ، فقالت لها أُمّها : قومي فاسقيه . وقيل : بل خرق إداوته لمّا رآها ، وقال لها : اخرُزي لي هذه ، فقالت : والله ما أُحسِنُ ذلك ، فإنّي لخرقاء . قال : والخَرْقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قَوْمها ؛ فقال لأُمّها : مُرِيها أن تسقِيَني ماء ، فقالت لها : قومي يا خَرْقاء فاسقيه ماءً ، فقامت فأَتَتْه بماءٍ ، وكانت على كتفه رُمَّة ؛ وهي قطعة من حَبْل ، فقالت : اشرب يا ذا الرُّمَّة ؛ فلُقِّب بذلك .

وحكى ابنُ قُتَيْبة أنّ هذه القصّة جرت بينه وبين خَرْقاء العامِريَّة .

وقال ابن حبيب : لُقِّبَ ذا الرُّمَّة لقوله[2] :

أَشعَث باقي رُمَّـةِ التَّقليدِ

وقيل : بل كان يُصيبه في صِغَره فزَعٌ ، فكُتِبت له تميمة ، فعلّقها بحَبْل ، فلُقِّب بذلك ذا الرُّمَّة .

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، عن محمد بن صالح العدويّ ، عن أبيه ، وعن أشياخه ، وعِدّة من أهل البادية من بني عديّ ، منهم زُرْعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم : أنّ أُمَّ ذي الرُّمَّة جاءت إلى الحُصين بن عبدة بن نُعيم العدويّ وهو يقرىء الأعراب بالبادية احتساباً بما

---

1 ترجمة ذي الرمة في الشعر والشعراء : 437–447 وطبقات ابن سلام : 550–570 والموشح : 170 وشرح شواهد المغني : 52 والسّمط : 81 ووفيات الأعيان 4 : 11–17 وخزانة البغدادي 1 : 106–110 والعيني 1 : 412 وانظر بروكلمان 1 : 220 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونيّة وقد نشر مكارتني ديوانه (كيمبرج 1919) ثم طبعه محققاً عبد القدوس أبو صالح في ثلاثة مجلدات ، ونعتمد في الإشارة إلى شعره على الطبعة السابقة .

2 ديوانه : 22 .

يقيم لهم صلاتَهم ، فقالت له : يا أبا الخليل ؛ إنّ ابْني هذا يُرَوَّع بالليل ، فاكتب لي مَعاذةً أُعلّقها على عنقه ، فقال لها : ائتيني برَقّ أكتب فيه ، قالت : فإن لم يكن ، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له ؟ قال : فجيئيني بجلد ، فأتته بقطعة جِلد غليظ ، فكتب له مَعاذةً فيه ، فعلّقته في عنقه ، فمكث دهْراً . ثم إنّها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصَين وهو جالس في ملأ من أصحابه ومَواليه ، فدَنَتْ منه ، فسلّمت عليه ، وقالت : يا أبا الخليل ، ألا تسمع قولَ غَيْلان وشِعْرَه ؟ قال : بلى . فتقدَّم فأنشده ، وكانت المعاذةُ مشدودةً على يساره في حبل أسود ، فقال الحصين : أحسن ذو الرُّمَّة ؛ فغلبت عليه .

[إخوته كلّهم شعراء]

وقال الأصمعيّ : أُمُّ ذي الرُّمَّة امرأة من بني أَسد يُقال لها ظبية ، وكان له إخوة لأَبيه وأُمِّه شعراء ، منهم مسعود ، وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرُّمَّة ويذكر ليلى بنته : [من الطويل]

إلى الله أَشكو لا إلى الناس أَنّني ... وليلى كِلانا مُوجَعٌ مات وافِدُهْ

ولمسعود يقول ذو الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

صوت

أقولُ لمسعود بِجَرْعاء مالكٍ ... وقد همَّ دَمْعِي أَن تَسِحَّ أوائِلُهْ
أَلا هل تَرى الأظعان جاوَزْنَ مُشرِفاً ... من الرمل أو سالت بهنَّ سلاسلُهْ[2]

غنّى فيه يحيى بن المكّيّ ثاني ثقيل بالوسطى ، على مذهب إسحاق من رواية عَمرو .

ومسعود الذي يقول يرثي أخاه أيضاً ذا الرُّمَّة ، ويرثي أَوْفى بن دَلْهَم ابنَ عمِّه . وأوفى هذا أحدُ مَنْ يُرْوى عنه الحديث .

وقال هارون بن الزيّات : أخبرني ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، قال : كان لذي الرُّمَّة إخوة ثلاثة[3] : مسعود ، وجِرْفاس ، وهشام ، كلّهم شعراء ، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرُّمَّة أبياتاً أُخر ، فينشدها الناس ، فيغلب عليها لشهرته وتُنْسب إليه : [من الطويل]

نعى الركبُ أُوفى حين آبتْ رِكابُهم ... لعَمْري لقد جاؤوا بشَرٍّ فأوجعوا
نَعَوْا باسِقَ الأَخلاقِ لا يُخلَفونَه ... تكادُ الجبالُ الصُّمُّ مِنه تَصدَّعُ

---

1 ديوانه : 466 .

2 مشرف : موضع .

3 ابن قتيبة (441) وكان لذي الرّمّة إخوة ، هشام وأوفى ومسعود . وقال ابن سلام (565) : وكانوا إخوة ثلاثة : غيلان ، وهو ذو الرّمّة ، وأوفى ومسعود . وانظر تعليق الأستاذ محمود شاكر في الحاشية .

خوى المسجدُ المعمورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهمٍ فأضحى بأَوْفى قومُه قد تضعضعوا
تعزَّيتُ عن أَوْفى بغَيْلانَ بَعْدَه عَزاءً وَجفنُ العين ملآنُ مُتْرَعُ
ولم تُنْسِني أوفى المصيباتُ بعده ولكنّ نَكْأَ القَرْح بالقَرْحِ أَوْجَعُ

وأخوه الآخر هشام، وهو ربّاه، وكان شاعراً. ولذي الرُّمَّة يقول: [من الطويل]

أغَيلانُ إن ترجع قُوى الوُدِّ بيننا فكلُّ الذي ولّى من العيشِ راجعُ
فكنْ مثل أَقْصى الناسِ عندي فإنَّني بطول التَّنائي مِنْ أَخِي السوء قانِعُ

وقال ذو الرُّمَّة لهشام أخيه[1]: [من الطويل]

أغرَّ هشاماً من أخيه ابنِ أُمِّه قوادِمُ ضَأْنٍ أقبلَتْ ورَبيعُ[2]
وهل تُخلِفُ الضأْنُ الغزارُ أخا النَّدى إذا حلّ أمرٌ في الصُّدُورِ فَظِيعُ[3]

فأجابه هشام فقال: [من الطويل]

إذا بانَ مالِي مِنْ سَوامِك لم يكُنْ إليك وربِّ العالمين رُجوعُ
فأنتَ الفتى ما اهتزَّ في الزَّهَرِ النَّدى وأَنْتَ إذا اشتدَّ الزمانُ مَنُوعُ

وذكر المهلَّبيّ عن أبي كَرِيمة النحويّ، قال: خرج ذو الرُّمَّة يسير مع أخيه مسعود بأرضِ الدَّهناء، فسنحت لهما ظَبيةٌ، فقال ذو الرُّمَّة[4]: [من الطويل]

أَقُولُ لدَهناويّةٍ عَوْهَجٍ جَرَتْ لنا بين أَعلى بُرْقةٍ بالصّرائمِ[5]
أيا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بين جُلاجِلٍ وبين النَّقا آ أنتِ أَمْ أُمُّ سالمِ!

وقال مسعود:

فلو تُحسِنُ التشبيهَ والنعْتَ لم تقُلْ لِشاةِ النَّقا آ أنْتِ أَمْ أُمّ سالمِ
جعلت لها قَرْنَيْن فوق قُصاصِها وظِلْفَيْن مُسوَدَّين تحت القوائمِ[6]

وقال ذو الرُّمَّة[7]: [من الطويل]

1 ديوانه: 354.
2 الديوان: يسرت وربيع.
3 الديوان: ولا تخلف... أخا الفتى.
4 ديوانه: 621.
5 الدهناويَّة: ظبية من ظباء الدهناء والعوهج: طويلة العنق. وبرقة: موضع. والصرائم: الرمال. وفي الديوان: أعلى عرفة.
6 قصاص الشعر: حيث تنتهي نبتته من مقدمه أو مؤخره.
7 ديوانه: 622.

هِــيَ الشِّبْهُ لولا مِذْ رواها وأُذْنُها سواء ولــولا مَشْقَــةٌ في القَوائِمِ[1]

وكان ذو الرُّمَّة كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة ، وكان طُفيليّاً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن سعيد الكِنديّ ، قال : سمعت ابن عيّاش يقول : حدَّثني مَنْ رأى ذا الرُّمَّة طفيليّاً يأتي العُرُسات[2] .

[صفاته]

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدَّثني هارون بن الزيّات ، قال : أخبرني محمد بن صالح العدويّ ، قال : قال زُرعة بن أذبول : كان ذو الرُّمَّة مدوَّر الوجه ، حسن الشَّعرة جَعْدها ، أقنى ، أنزع ، خفيف العارضين ، أكحَل ، حسن الضحك ، مُفَوَّهاً ، إذا كلَّمك كلَّمك أبلغ النّاس ، يضع لسانَه حيث يشاء .

وقال حمّاد بن إسحاق : حدّثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، عن عمّته عافية وغيرها من أهله : أنّهم رأوا ذا الرُّمَّة باليمامة عند المُهاجِر بن عبد الله شيخاً أَجْنأ سِناطاً[3] متساقطاً .

وقال هارون بن الزيّات : حدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ ، قال : حدّثني ربيح النميريّ ، قال : اجتمع الناس مرّةً وتحلَّقوا على ذي الرُّمَّة ، وهو ينشدهم ، فجاءت أُمّه فاطّلعت من بينهم ، فإذا رجل قاعد وهو ذو الرُّمَّة . وكان دميماً شختاً[4] أَجْنَأ ، فقالت أُمّه : استمعوا إلى شِعْره ، ولا تنظروا إلى وجهِه .

قال هارون : وأخبرني يعقوب بن السكّيت ، عن أبي عدنان ، قال : أخبرني أسيد الغنويّ ، قال : سمعتُ ببادِيتنا من قوم هَضَبوا[5] في الحديث أنَّ ذا الرُّمَّة كان تِرْعِيَّةً[6] ، وكان كِنازَ اللحم مربوعاً قصيراً ، وكان أنفه ليس بالحسن .

[الإعجاب بشعره]

أخبرني ابن عمّار ، عن سليمان بن أبي شيخ ، عن أبيه ، عن صالح بن سليمان قال : كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرُّمَّة ، وأَهلُ البادية يُعجبهم شعرُه .

قال : وكان صالح بن سليمان راويةً لشعر ذي الرُّمَّة ، فأنشد يوماً قصيدةً له ، وأعرابيّ من بني عديّ يسمع ؛ فقال : أشهد عَنَّك ، أي أنَّك ، لفقيهٌ تُحْسِنُ ما تَتْلوه ، وكان يحسبَه قرآناً .

1 الديوان : . . . إلاّ مدرييها . . . وإلاّ مشقةٌ .

2 العرسات : جمع عُرُس . وهو طعام الوليمة .

3 الأجنأ : الذي يشرف كاهله على صدره . والسناط : الخفيف العارض .

4 الشخت : الخفيف الضامر .

5 هضبوا : أفاضوا .

6 ترعية : يحسن رعي الإبل .

نسختُ من كتاب محمد بن داود : وحدَّثني هارون بن الزيّات ، عن محمد بن صالح العدويّ ، قال : قال حمّاد الرّاوية : قال الكُميت حين سمع قول ذي الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

أعاذِلُ قد أكثرتِ مِنْ قول قائلٍ وعَيْبٌ على ذي الوُدِّ لَوْمُ العواذلِ

هذا والله مُلهم ، وما عِلْمُ بَدويّ بدقائق الفطنة وذخائر كَنْز العقل المعدّ لذوي الألباب ! أحسنَ ثم أحسن .

قال محمد بن صالح : وحدَّثني محمد بن كُناسة بذلك عن الكُميت ، وقال : لمّا أنشدَ قوله في هذه القصيدة[2] : [من الطويل]

دعاني وما داعي الهوى مِنْ بِلادِها إذا ما نأَتْ خَرْقــاءُ عَنّي بِغافِلِ

فقال الكُمَيْت : لله بلادُ هذا الغلام ! ما أحسن قوله ! وما أجود وصفه ! ولقد شفع البيتَ الأوَّل بمثله في جودة الفهم والفطنة ، وقال قولَ مُستسلم .

قال ابن كناسة : وقال لي حمّاد الراوية : ما أخَّر القومُ ذِكْرَه إلاّ لحداثة سنّه ، وأنّهم حسدوه .

قال محمد بن صالح : وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو : قال أبو حزام وأبو المُطَرِّف : لم يكن أحدٌ من القوم في زمانه أبلغَ من ذي الرُّمَّة ، ولا أحسن جواباً ؛ كان كلامه أكثر من شعره .

وقال الأصمعيّ : ما أعلم أحداً من العُشّاق الحضريِّين وغيرهم شكا حُبّاً أحسن من شكوى ذِي الرُّمَّة ، مع عِفَّةٍ وعَقْلٍ رصين .

قال : وقال أبو عبيدة : ذو الرُّمَّة يخبر فيُحسن الخبر ، ثم يردّ على نفسه الحجَّةَ من صاحبه فيحسن الردّ ، ثم يعتذر فيحسن التخلّص ، مع حُسْنِ إنصافٍ وعفاف في الحكم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ ، قال : حدّثنا الفضل بن إسحاق الهاشميّ ، عن مولًى لجدِّه ، قال : رأيتُ ذا الرُّمَّة بسوق المِرْبَد ، وقد عارضه رجلٌ يهزأ به ، فقال له ، يا أعرابيّ ، أتشهد بما لَم تَرَ ؟ قال : نعم ، قال : بماذا ؟ قال : أشهد أنَّ أباك ناك أُمَّك .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي عُبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن عمارة بن عقيل ، قال : كان جرير عند بعض الخلفاء ، فسأله عن ذي الرُّمَّة ، فقال : أخذ من طريف الشعر وحَسِنِه ما لم يسبقه إليه أحد غيره .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، عن حمّاد بن إسحاق ، قال : قال حمّاد الراوية : قدِم علينا ذو الرُّمَّة الكوفة ، فلم أرَ أفصح ولا أعلَم بغريب منه .

1 ديوانه : 500 .
2 ديوانه : 492 .

نسخت من كتاب ابن النطّاح : حدَّثني أبو عبيدة ، عن أبي عمرو ، قال : خُتِم الشِّعْر بذي الرُّمَّة ، وختِم الرَّجَز برُؤبة .

قال : فما تقول في هؤلاء الذين يقولون ؟ قال : كَلٌّ على غيرهم ؛ إنْ قالوا حسناً فقد سُبِقوا إليه ، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن بعض أصحابه ، عن حمّاد الرّاوية ، قال : أحسَنُ الجاهليّة تشبيهاً امرؤ القيس ، وذو الرُّمَّة أحسنُ أهل الإسلام تشبيهاً .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمِّه عبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن عمارة بن عقيل : أنَّ جريراً والفرزدق اتّفقا عند خليفة من خلفاء بني أُميّة ، فسأل كلَّ واحد منهما على انفراد عن ذي الرُّمَّة ، فكلاهما قال : أخذ من طريف الشعر وحَسنه ما لم يسبقه إليه غيره . فقال الخليفة : أشهد لاتّفاقكما فيه أنَّه أشْعَرُ منكما جميعاً .

أخبرني جَحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، قال : حدَّثني أبي قال : أُنشِد الصَّيْقَلُ شعر ذي الرُّمَّة فاستحسنه ، وقال : ما لهُ قاتلَه الله ! ما كان إلاّ رُبَيْقَةَ[1] ، هلاَّ عاش قليلاً !

وقال هارون بن محمد : أخبرني عليّ بن أحمد الباهليّ ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق البلخيّ ، عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن ابن شُبرمة ، قال : سمعت ذا الرُّمَّة يقول : إذا قلتُ : كأنّه ، ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لساني .

قال هارون : وحدَّثني العبّاس بن ميمون طائع ، قال : قال الأصمعيّ : كان ذو الرُّمَّة أشعرَ النّاس إذا شبَّه ، ولم يكن بالمُفْلِق .

وحدَّثني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : كان لذي الرُّمَّة حظٌّ في حُسْنِ التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميِّين ، كان علماؤنا يقولون : أحسَنُ الجاهليّة تشبيهاً امرؤ القيس ، وأحسَنُ أهلِ الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمَّة .

[حبّه لِمَيّ]

أخبرني محمد بن يزيد قال : حدَّثنا حمّاد عن أبيه عن أبي عقيل عمارة بن عقيل عن عمّته أُمّ القاسم ابنة بلال بن جرير عن جارية كانت لأُمّ ميّ ، قالت : كنّا نازلين بأسفل الدهناء ، وكان رهط ذي الرُّمَّة مجاورين لنا ؛ فجلست ميّة ، وهي حينئذٍ فتاة حين نهد ثدياها أحسن من رأيته ، تغسل ثياباً لها ولأُمّها في بيت منفرد ، وكان بيتاً رثّاً قد أخلق ، ففيه خروق ، فلمّا فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أُمّها ، فأقبل ذو الرُّمَّة حتى دخل إلينا ، ثم

---

1 الربقة : العروة من الحبل .

سلَّم ، ونَشد ضالَّةً وجلس ساعةً ثم خرج . فقالت ميّة : إنِّي لأَرى هذا العدويّ قد رآني منكشفة واطلع عليّ من حيث لا أدري ؛ فإن بني عديّ أخبث قوم في الأرض ، فاذهبي فقُصِّي أثره فخرجت فوجدته ما يثبتُ مُقامه ، فقصصتُ أثره ثانية حتى رأيته وقد تردَّد أكثر من ثلاثين طرقة ، كلّ ذلك يدنو فيطّلع إليها ، ثم يرجع على عَقِبيه ، ثم يعود فيطّلع إليها ، فأخبرتها بذلك ، ثم لم تنشب أن جاءنا شِعْرُه فيها من كلّ وَجْه ومكان .

وذكر عليّ بن سعيد بن بشر الرازيّ : أنّ هارون بن مسلم بن سَعْد حدَّثه عن حسين بن براق الأسديّ ، عن عمارة بن ثقيف ، قال : حدَّثني ذو الرُّمَّة أن أول ما قاد المودَّة بينه وبين ميَّة أنّه خرج هو وأخوه وابن عمّه في بِغاء إبلٍ لهم ؛ قال : بينا نحن نسير إذ وردْنا على ماءٍ وقد أُجهدنا العطش ، فعدلنا إلى حِواءٍ[1] عظيم ، فقال لي أخي وابن عمِّي : ائت الحِواء فاستَسْقِ لنا ، فأَتيتُه وبين يديْه في رواقه عجوزٌ جالسة . قال : فاستسقيتُ ، فالتفتَتْ وراءَها فقالت : يا ميّ ، اسْقِي هذا الغلام . فدخلتُ عليها فإذا هي تنسج عِلْقةً[2] لها ، وهي تقول : [من الرجز]

يـــا مَنْ يَرى بَرْقــاً يمُرُّ حِينا زَمْــزَمَ رَعْــداً وانتحى يمينا
كأَنَّ في حافاتِـــهِ حنينـــا أَو صوتَ خيــل ضُمَّرٍ يَرْدِينا

قال : ثم قامت تصبُّ في شكوتي[3] ماءً ، وعليها شَوْذب[4] لها ، فلمّا انحطتْ على القِرْبة رأيتُ مُولًّى لم أرَ أحسنَ منه . قال : فلهوْت بالنظر إليها ، وأقبلَتْ تصبُّ الماء في شكوتي والماء يذهبُ يميناً وشمالاً . قال : فأقبلت عليّ العجوز وقالت : «يا بنيّ أَلهتْكَ ميّ عمّا بعثك أهلُك له ، أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً !» فأقبلت على العجوز فقلتُ : أما والله ليطولنّ هُيامي بها .

قال : وملأْتُ شَكْوَتي ، وأَتيتُ أَخي وابن عمِّي ، ولففتُ رأسي ، فانتبذتُ ناحيةً ، وقد كانت ميّ قالت : لقد كلَّفك أهلُكَ السَّفَر على ما أرى من صغرك وحداثة سنّك ؛ فأنشأتُ أقول[5] : [من الرجز]

قــد سَخِرَتْ أُختُ بنــي لَبيدِ منّي ومِنْ سَلْمٍ ومِــنْ وَليدِ[6]
رأَتْ غُلامَــيْ سَفَرٍ بعيـــدِ يَــدَّرِعانِ اللَّيْـــلَ ذا السُّدودِ

---

1 الحواء : مجموعة من البيوت المتدانية .

2 العلقة : قميص بلا كمّين .

3 الشكوة : وعاء من الجلد للماء واللبن .

4 الشوذب : الثوب الطويل .

5 انظر ديوانه : 157 .

6 قد سخرت في الديوان : قد عجبت . . . وهربت مني ومن مسعود .

مثـل ادِّراعِ اليَلْمَـقِ الجديد[1]

قال : وهي أوّل قصيدة قلتها ثم أتممتها :

هــل تعـرف المنزل بالوَحِيدِ

ثم مكثتُ أَهِيمُ بها في دِيارها عشرين سنة .

[زوج ميّ يأمرها أن تسبّه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن النوفليّ ، قال : سمعْتُ أبي يقول : ضاف ذو الرُّمَّة زوجَ ميّ في ليلةٍ ظلماء ، وهو طامع في ألاّ يعرفه زوجُها ، فيدخله بيتَه ، فيقريه فيراها ويكلِّمُها ، ففطن له الزَّوجُ وعرفَه فلم يُدْخِلْه ، وأخرج إليه قِراه ، وتركه بالعَراء ، وقد عرفته ميَّةُ ؛ فلمّا كان في جَوْفِ الليل تغنّى غناء الرُّكبان قال[2] : [من الطويل]

أراجعــةٌ يــا مـــيُّ أيّامُنــا الأُلى بذِي الأثْل أم لا ، ما لهنَّ رجوعُ[3]

[غزله في خرقاء]

فغضب زوجُها ، وقال : قُومي فصيحي به : يا ابن الزّانية ، وأيُّ أيّام كانت لي معك بذي الأثل ! فقالت : يا سبحان الله ، ضيفٌ ، والشاعر يقول ! فانتضى السيفَ ، وقال : والله لأضربنَّكِ به حتى آتِي عليك أو تقولي . فصاحت به كما أَمَرها زوجُها ، فنهض على راحلته ، فركِبها وانصرف عنها مُغْضباً يُريد أن يصرفَ مودَّتَه عنها إلى غيرها . فمرَّ بفَلْجٍ في رَكْبٍ ، وبعضُ أصحابه يريد أن يرقع خُفَّه ، فإذا هو بجوار خارجاتٍ مِنْ بيتٍ يُرِدْنَ آخر ، وإذا خرقـاء فيهـنّ ، وهي امـرأةٌ مـن بنـي عامر ، فإذا جاريةٌ حُلْوةٌ شَهْلاءُ . فوقعَت عينُ ذِي الرُّمَّة عليها ، فقال لها : يا جارية ، أترقَعين لهذا الرجل خُفَّه ؟ فقالت تهزأ به : أنا خَرْقاء لا أُحسِن أن أعمل ؛ فسمَّاها خرقاء ، وترك ذكر ميّ ؛ يُريد أن يغيظَ بذلك ميّاً . فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً ، ثم لم يلبث أن مات .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه عن الأصمعيّ ، عن عمارة بن عقيل ، قال : قال جرير : خرجتُ مع المهاجِر بن عبد الله إلى حَجَّةٍ ، فلقينا ذا الرُّمَّة ، فاستنشده المهاجر فأنشده[4] : [من الطويل]

ومِنْ حاجتــي لَوْلا التَّنائي وربّـما منحتُ الهَوى مَنْ ليس بالمُتَقاربِ

1 اليلمق : القباء .
2 ديوانه : 352 .
3 الديوان : بذي الرمث .
4 ديوانه : 56 .

عطابِيلُ بِيضٌ مِـنْ ربيعة عامرٍ عِذابُ الثنايـا مُثقَلاتُ الحقائبِ[1]
يَقِظْنَ الحِمى والرَّمْلُ منهنَّ مَحْضَرٌ ويَشْرَبْنَ أَلبانَ الهِجـانِ النجائبِ[2]

فالتفت إليَّ المهاجر ، وقال : أتراه مجنوناً !

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : أخبرنا أبو البَيْداء الرّياحيّ ، قال : قال جرير : قاتل اللهُ ذا الرُّمَّة حيث يقول[3] : [من الطويل]

ومُنْتَزِعٍ مِـنْ بـين نِسْعَيْـهِ جِـرَّةً نشيجَ الشَّجا جاءَت إلى ضِرْسِهِ نَزْرا[4]

أَما واللهِ لو قال : «ما بين جَنبيهِ» لما كان عليه مِنْ سبيل .

أخبرني الطوسيّ وحبيب المهلّبيّ ، عن ابن شبّة ، عن أبي غزالة ، عن هشام بن محمد الكلبيّ ، عن رجل من كندة ، قال : سئل جرير عن شِعرِ ذي الرُّمّة فقال : بعرُ ظِباءٍ ، ونقطُ[5] عروسٍ ، يضمحلُّ عن قليل .

[شعره في نظر جرير وأبي عمرو بن العلاء]

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، قال : كان أبو عمرو بن العلاء يقول : إنّما شعر ذي الرُّمَّة نَقْط عروس يضمحلّ عن قليل وأبعارٌ لها مَشَمّ في أوّل شمّة ، ثم تعودُ إلى أرواح البَعَر .

قال أبو زيد بن شبّة : قال أبو عبيدة : وقف الفرزدقُ على ذي الرُّمَّة وهو ينشد قصيدته (الحائيّة) التي يقول فيها[6] : [من الطويل]

إذا ارْفَضَّ أَطرافُ السِّياط وهُلِّلَتْ جُرومُ المطايـا عذَّبتهنَّ صَيْدَحُ[7]

فقال ذو الرُّمَّة : كيف تسمعُ يا أبا فِراس ؟ قال : أسمعُ حَسناً ، قال : فما لي لا أُعَدُّ في الفحول من الشعراء ؟ قال : يمنعك من ذلك ويُباعدك ذِكرُك الأبعار وبكاؤُك الديار ، ثم قال[8] : [من الطويل]

ودَوِّيَّـةٍ لو ذُو الرُّمَيْمـةِ رامَهـا لقصَّر عنهـا ذو الرُّمَيْم وصَيْدَحُ[9]

---

1 الديوان : عطابيل بيض من ذؤابة عامر رقاق الثنايا مشرفات الحقائب

2 صدر البيت في الديوان : يقظن الحمى والرمل منهن مربع

3 ديوانه : 173 .

4 نشيج الشجا : كأنّه يتنفس الصعداء كالذي اعترض حلقه عود .

5 نقط العروس : ما تنقط به العروس خدها من السواد لتجعله كالخال .

6 ديوانه : 87 .

7 جروم : جمع جرم وهو الجسد . هللت : صارت كالأهلة من الهزال . وصيدح : ناقة ذي الرّمّة .

8 ديوان الفرزدق 1 : 124 .

9 الشطر الثاني في الديوان : وصيدحُ أوْدى ذو الرميم وصيدحُ . والدويّة : المفازة .

قطعــتُ إلى معروفهــا منكراتِهــا ... إذا اشتــدّ آلُ الأمْعَزِ المتوضّحُ[1]

وقال عمر بن شبّة في هذا الخبر : فقام إليه ذو الرُّمَّة فقال : أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً ، فقال : إنّهما بيتان ، ولن أزيد عليهما شيئاً .

قال : وكان عمر بن شبّة يقول عمَّن أخبره عن أبي عمرو : إنّما شعره نقط عروس تضمحل عمَّا قليل ، وأبعار ظباء لها مشمّ في أوّل شمّها ، ثم تعود إلى أرواح الأبعار .

[هواه مع الفرزدق على جرير]

وكان هوى ذي الرُّمَّة مع الفرزدق على جرير ؛ وذلك لِما كان بين جرير وابن لجأ التَّيْميّ ، وتَيْمٌ وعديٌّ أخوان من الرِّباب ، وعُكْل أخوهم ، ولذلك يقول جرير لعُكَل[2] : [من الطويل]

فـلا يضغمنَّ الليثُ عُكْلاً بغِرَّةٍ ... وعُكــلٌ يَشمُّــونَ الفَرِيسَ المنيَّبا

الفَرِيس هاهنا ابن لجأ ، وكذلك يفعل السبع إذا ضغم[3] شاةً ثم طُرد عنها ، أو سبقته ، أقبلت الغنمُ تشمُّ موضع الضَّغْم ، فيفترسها السبع ، وهي تشمّ ، ولذلك قال جرير لبني عديّ[4] : [من الوافر]

وقُلْـتُ نصاحــةً لبَنــي عَـدِيٍّ ... ثيابَكــم ونَضْــحَ دَمِ القَتيــلِ

يحذّر عديّاً ما لَقِي ابن لجأ .

[الفرزدق ينتحل أبياتاً له]

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلام أنَّ أبا يحيى الضبِّيّ قال : قال ذو الرُّمَّة يوماً : لقد قلتُ أبياتاً إنّ لها لعُروضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً . قال له الفرزدق : ما هي ؟ قال : قلت[5] : [من الطويل]

أحين أعاذَتْ بـي تميمٌ نساءَها ... وجُرِّدْتُ تجريدَ اليماني من الغِمْدِ

ومَدَّت بضَبْعَيَّ الرِّبــابُ ومالِكٌ ... وعَمْرٌو وشالتْ مِنْ ورائي بنو سَعْدِ

ومــن آلِ يَرْبوعٍ زُهــاءٌ كأنَّه ... زُها اللَّيْلِ محمودُ النِّكايَةِ والرِّفْدِ

فقال له الفرزدق : لا تعودَنَّ فيها ، فأنا أحقُّ بها منكَ ، قال : والله لا أعودُ فيها ولا أنشدها أبداً إلاّ لك ؛ فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها[6] : [من الطويل]

1 الشطر الثاني في الديوان : إذا خب آلٌ دونها يتوضح . والأمعز : المكان الكثير الحصى .

2 ديوان جرير : 20 .

3 ضغم الشاة : عضّها .

4 ديوان جرير : 352 .

5 ديوان ذي الرّمّة : 142 . وديوان الفرزدق 1 : 177 وفيه «دجى الليل» .

6 ديوان ذي الرمَّة : 142 وديوان الفرزدق 1 : 177 .

وكُنّا إذا القَيْسيُّ نَبَّ عَتُوده ضَرَبْناه فوْقَ الأُنثيين على الكَرْدِ

الأُنثيان : الأُذنان . والكَرْد : العُنق .

وروى هذا الخبر حمّاد عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، عن الضحاك الفقيميّ قال : بينا أنا بكاظمة وذو الرُّمَّة يُنْشِدُ قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

أحِينَ أعاذَتْ بِي تَمِيمُ نساءَها

إذا راكبان قد تدلَّيا مِنْ نَقْب كاظمة مُقنَّعان فوقفا . فلمّا فرغ ذو الرُّمَّة حسر الفرزدق عن وجْهه وقال لِراوِيته : يا عُبيد ، اضممْ إليك هذه الأبيات . قال له ذو الرُّمَّة : نشدتُك الله يا أبا فراس ! فقال له : أنا أحقُّ بها منك ، وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات .

[تهاجيه مع هشام المرئي]

حدَّثنا محمد ، قال : حدَّثنا أبو الغرّاف ، قال : مرَّ ذو الرُّمَّة بمنزلٍ لامرىء القَيْس بن زيد يُقال له : مرأة ، به نَخْل ، فلم ينزلوه ولم يقروه ، فقال[1] : [من الطويل]

نَزَلْنا وقد طال النّهارُ وأوْقَدَتْ علينا حصى المَعزاء شَمْسٌ تنالُها[2]

أَنخنْا فَظُلّلنا بأَبْرادِ يُمْنَةٍ عِتاقٍ وأَسيافٍ قديمٍ صِقالُها[3]

فلمّا رآنا أَهْلُ مَرْأَةَ أغلقوا مخادِعَ لم تَرفَعْ لخيرٍ ظِلالُها[4]

وقد سُمِّيَتْ باسْمِ امرىء القيس قَريةٌ كِرامٌ صَوادِيها لِئامٌ رِجالُها[5]

فلجَّ الهجاءُ بين ذي الرُّمَّة وبين هشام المرئيّ ، فمرَّ الفرزدق بذي الرُّمَّة وهو ينشد[6] : [من الطويل]

صوت

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقتي فما زِلْتُ أَبْكِي عنده وأُخاطِبُهْ

وأَسقِيهِ حتى كاد مِمّا أَبُثُّه تُكلِّمني أَحجارُه وَمَلاعِبُهْ

غنّى فيه إبراهيم ثاني ثقيل مُطلق في مجرى البنصر ، وسيأتي خبره بعد لئلاّ ينقطع هذا الخبر .

---

1 ديوان ذي الرّمّة : 542 .

2 طال النهار في الديوان : غار النهار .

3 رواية الديوان :

بنينا علينا ظلّ أبراد يمنة على سمك أسياف قديم صقالها

4 الديوان : فلمّا دخلنا جوف مرأة غلقت دساكر لم ترفع لخير ظلالها

5 الصوادي : جمع صادية ، وهي النخلة التي امتدت جذورها إلى الماء فهي لا تحتاج إلى سقي.

6 ديوانه : 38 .

فقال له الفرزدق : ألهاك البكاء في الديار ، والعَبْدُ يرتجز بك في المقابر ، يعني هشاماً .

وكان ذو الرُّمَّة مستَعْلِياً هشاماً حتى لقِي جريرٌ هشاماً ، فقال : غلبك العبدُ ، يعني ذا الرُّمَّة . قال : فما أصْنَع يا أبا حَزْرَة ، وأنا راجز وهو يُقَصِّدُ ، والرَّجزُ لا يقوم للقَصيد في الهِجاء ؟ ولو رَفَدْتَني ، فقال جرير ، لتُهمَتِه ذا الرُّمَّة بالميل إلى الفرزدق ، قل له[1] : [من الطويل]

غَضِبْتُ لرَجْلٍ منْ عَدِيّ تشمَّسوا ... وفي أيِّ يَـوْمٍ لم تَشَمَّسْ رجالُها[2]
وفيم عَديٌّ عنـد تَيْـمٍ من العُلا ... وأيّامنـا اللاَّتـي تُعَـدُّ فَعالُها
وَضَبَّةُ عَمِّي يا ابنَ جُلٍّ فلا تَرُمْ ... مَساعِيَ قَـومٍ ليس منكَ سِجالُها
يُماشي عَدِيّـاً لؤمُهـا ، لا تُجِنُّه ... من الناس ما مَسَّت عَدِيّاً ظِلالُها
فقـل لعـديٍّ تَستعـنْ بنسائِها ... علـيّ فقـد أعْيـا عَدِيّـاً رِجالُها
أذا الرُّمِّ قـد قَلَّدْتَ قومَك رُمَّةً ... بطيئـاً بأمـر المُطْلِقـين انحلالُها

قال أبو عبد الله : فحدّثني أبو الغرّاف ، قال : لَمّا بلغت الأبياتُ ذا الرُّمَّة قال : والله ما هذا بكلام هشام ، ولكنّه كلامُ ابن الأتان[3] .

أخبرنا أبو خليفة ، قال : حدَّثنا ابن سلاّم ، قال : وحدَّثني أبو البَيْداء قال : لَمّا سمعها قال : هو والله ينتمي شِعْرَ حنظليٍّ عُذريٌّ ، وغلب هشام على ذي الرُّمَّة بها[4] .

نسخت من كتاب ابن النطّاح : حدَّثني أبو عبيدة ، قال : حدَّثني فلان المرئيّ ، قال : أتانا جرير على حمار ، وأنا لا أعرفه ، فأُتي بنبيذ فشرب ، فلمّا أخذ فيه قال : أين هشام ؟ فدُعِي ، فقال له : أنشدني ما قلتَ في ذي الرُّمَّة ، فأنشده ، فجعل كلّما أنشده قصيدةً قال : لم تصنع شيئاً ؛ ثم قال له : قد دَنا رَواحِي فارْدُدْ هذه الأبيات ومُر شُبّانكم بروايتها ، وذكر الأبيات التي أوّلها قوله : [من الطويل]

غَضِبْتَ لرَجْلٍ من تميم تَشَمَّسُوا

[جرير يرفد ذا الرُّمَّة]

قال : فغلبه هشام بها ، فلمّا كان بعد ذلك لقي ذو الرُّمَّة جريراً فقال : تعصَّبْتَ على خالك للمرئيّ . فقال جرير : حيث فعلتُ ماذا ؟ قال : حين تقولُ للمرئيّ كذا وكذا . فقال

1 ديوان جرير : 390 .
2 الديوان : عجبت لرجل . . . لم تشمس رحالها . ويروى غضبت لرحل . . .
3 ابن الأتان : يعني جريراً .
4 انظر طبقات ابن سلام : 557–559 .

جرير : لأنّك ألهاك البكاءُ في دار ميّة حتى استقبحتَه محارمُك .

قال : وقول ذي الرُّمَّة : تعصَّبتَ على خالك ، أنَّ النَّوار بنت جُلّ أُمّ حَنظلة بن مالك ، وهي من رَهط ذي الرُّمَّة ، وكذلك عنى جرير بقوله[1] : [من الوافر]

ولــولا أن تقــولَ بنو عــديّ ... ألم تَــكُ أُمَّ حنظلة النَّــوارُ

أتتْكم يــا بنــي مِلْكانَ منّي ... قصائــدُ لا تعاوَرُهــا البِحارُ

فقال ذو الرُّمَّة : لا ، ولكن اتهمتَني بالمَيْل مع الفرزدق عليك ، قال : كذلك هو ، قال : فوالله ما فعلتُ ، وحلف له بما يُرضيه ، قال : فأنشدني ما هجوتَ به المرئيّ ، فأنشده قوله[2] : [من الوافر]

نَبَتْ عَيْناك عن طَلَلٍ بِحُزْوى ... عَفَتْه الريح وامتضح القِطارا[3]

فأطال جدّاً ، فقال له جرير : ما صنعتَ شيئاً ، أفأرفدك ؟ قال : نعم ، قال : قل[4] : [من الوافر]

يَعُــــدُّ الناسِبُون إلى تميــم ... بُيوتَ المَجْــدِ أربعةً كبارا[5]

يَمُــدُّون الرِّبــابَ وآلَ سَعْدٍ ... وعَمْراً ثــم حنظلةَ الخيارا[6]

ويَهْلِــك بينهــا المَرَئــيُّ لَغْواً ... كما أُلغيْتَ في الدِّيَّــةِ الحُوارا

ويروى : ويذهب بينها .

فغلبه ذو الرُّمَّة بها .

قال : حدَّثني محمد بن عمر الجرجانيّ ، قال : حدَّثني جماعة من أهل العِلم أنَّ ذا الرُّمَّة مَرَّ بالفرزدق فقال له : أنشدني أحدَث ما قلت في المرئيّ ، فأنشده هذه الأبيات ، فأطرق الفرزدق ساعة ، ثم قال : أعِد ، فأعاد ، فقال : كذبت وايم الله ، ما هذا لك ، ولقد قاله أشدُّ لَحْيَيْنِ منك ، وما هذا إلاّ شعرُ ابن الأتان .

فلمّا سمعها المرئيّ جعل يلطم رأسَه ، ويصرخ ويدعو بوَيْله ، ويقول : قتلني جرير ، قتله الله ! هذا والله شعره الذي لو نقطت منه نقطةٌ في البحر لكدّرته ، قتلَني ، وفضحَني .

فلمّا استعلى ذو الرُّمَّة على هشام أتى هشامٌ وقومُه جريراً فقالوا : يا أبا حَزْرة ، عادتُكَ

---

1 ديوانه : 193 .

2 لم نعثر عليها في طبعات ديوان جرير .

3 امتضح : شان . وفي الديوان : امتنح : من المنحة .

4 ديوان ذي الرمّة : 196 .

5 الديوان : بيوت العز .

6 الديوان : يعدون الرباب لهم وعمراً ... وسعداً ثم حنظلة الخيارا

الحسنى ؛ فقال : هيهات ، ظلمتُ أخوالي ، قد أتاني ذو الرُّمَّة ، فاعتذر إليّ ، وحَلف فلستُ أُعِينُ عليهم .

فلمّا يئسوا من عنده أتوا لهذا المُكاتب وقد طلع بمكاتبته ، فأعطوه عشرة أعنز ، وأعانوه على مكاتبته ، فقال أبياتاً عَيْنيَّة يفضِّل فيها بني امرىء القيس على بني عديّ ، وهشاماً على ذي الرُّمَّة ، ومات ذو الرُّمَّة في تلك الأيّام ، فقال الناس : غَلَبه هشام .

قال ابن النّطاح : إنّما مات ذو الرُّمَّة بعقب إرفاد جرير إيّاه على المرئيّ ، فقال الناس : غلبه ، ولم يغلبه ؛ إنّما مات قبل الجواب .

[قول ذي الرُّمَّة في شعره]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن محمد بن الحسن الأحول ، عن بعض أصحابه ، عن الشَّبْو بن قُسيم العُذْريّ ، قال : سمعتُ ذا الرُّمَّة يقول : مِنْ شعري ما طاوعني فيه القولُ وساعدني ، ومنه ما أجهدْتُ نفسي فيه ، ومنه ما جُننت به جنوناً ؛ فأمّا ما طاوعني القول فيه فقولي[1] :

خليليّ عُوجا مِنْ صُدورِ الرَّواحِلِ

وأمّا ما أجهدتُ نفسي فيه فقولي[2] :

أإن تَوسَّمت من خَرْقاء منزلة

أمّا ما جُننت به جنوناً فقولي[3] :

ما بالُ عينك منها الدَّمْعُ ينسكِبُ

[جرير يعجب ببائيّته]

أخبرني عليُّ بن سليمان ، عن محمد بن يزيد ، عن عمارة بن عقيل ، قال : كان جرير يقول : ما أحببتُ أن يُنسب إليّ مِن شعر ذي الرُّمَّة إلاّ قوله :

ما بالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ

فإنّ شيطانه كان له فيها ناصحاً .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال : قال حمّاد الراوية : ما تمّم ذو الرُّمَّة قصيدته التي يقول فيها :

---

1 ديوانه : 491 ، وعجزه : بجمهور حزوى فابكيا في المنازل .

2 ديوانه : 567 وفيه :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

3 ديوانه : 1 وعجزه : كأنه من كلى مفرية سرب . وفيه «الماء» بدل «الدمع» .

مــا بــالُ عَيْنك منها الماء ينسكبُ

حتى مات ، كان يَزِيد فيها منذ قالها حتى تُوفّي .

[يسخر منه]

أُخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبي عدنان ، قال : أُخبرنا جابر بن عبد الله بن جامع بن جرموز الباهليّ ، عن كثير بن ناجية ، قال : بينا ذو الرُّمَّة ينشد بالمِرْبَد والناسُ مجتمعون إليه ، إذا هو بخيّاط يطالِعُه ، ويقول : يا غيلان [من الطويل]

أأنتَ الذي تستنطق الدارَ واقفاً مِنَ الجهل هل كانت بكنّ حلولُ ؟

فقام ذو الرمّة وفكّر زماناً ، ثم عاد فقعد في المِرْبَد ينشد ، فإذا الخيّاط قد وقف عليه ، ثم قال : [من الطويل]

أأنــت الذي شبّهت عَنْزاً بقفرةٍ لهــا ذَنَبٌ فــوق اسْتِها أُمَّ سالمِ

وَقَرْنانِ إمّــا يَلزقــا بِــكَ يَتْركا بجَنْبَيْكَ يــا غيلانُ مِثلَ المواسمِ

جعلت لهــا قرنين فــوق شَواتها ورابَك منهــا مَشْقَةٌ في القَوائِمِ[1]

فقام ذو الرُّمَّة فذهب ، ولم يُنشد بعدها في المِرْبد حتى مات الخيّاط . قال : وأراد الخيّاط بقوله هذا قولَ ذي الرُّمَّة[2] : [من الطويل]

أَقــول لدَهْناوِيّةٍ عَوْهَــجٍ جَــرَتْ لنا بــين أَعْلى بُرقــةٍ في الصَّرائمِ

أَيــا ظبية الوَعْساء بــين جُلاجلٍ وبــين النَّقا آأَنْــتِ أَم أُمُّ سالِمِ

هــي الشِّبْهُ لولا مِدْرياها وأُذْنها سواء وإلاَّ مَشْقَــةٌ في القَــوائمِ[3]

فانتبه ذو الرُّمَّة لذلك ، فقال[4] : [من الطويل]

أَقولُ بذِي الأَرْطى عشيَّةَ أُرشقَتْ إلى الرَّكْبِ أَعناقُ الظِّباء الخَواذلِ[5]

لأَدمــاءَ مِــن آرام بين سُوَيْقَةٍ وبين الجِبالِ العُفْر ذاتِ السَّلاسِلِ[6]

أَرى فيكِ من خرقاء يا ظبيةَ اللِّوى مشابــهَ جُنِّبْتِ اعتلاقَ الحبائلِ

1 الشواة : قحف الرأس .

2 ديوانه : 621 وفيه «بين أعلى عرفة بالصرائم» .

3 مدرياها في الديوان : مدرييها .

4 ديوانه : 495 .

5 عشيّة أُرشقَتْ في الديوان : عشية أُتلعت .

6 الديوان : لأدمانة من وحش . . . . وبين الحبال .

فعيناكِ عيناهـــا وجِيدُكِ جِيدُها ولونـــك لـولا أنّـها غيرُ عاطلِ[1]

في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم .

[يفسر لرؤبة بيتاً للراعي]

أخبرني عليّ بـن سليمـان الأخفش ، عن أبي سعيد السكريّ ، عن يعقوب بن السكّيـت ، عن محمد بن سلاّم ، عن أبي الغرّاف ، قال : قال ذو الرُّمَّة لرُؤبـة : ما عَنى الراعي بقوله[2] : [من الطويل]

أناخا بأسْوا الظَّنّ ثمّتَ عرَّسا قَلِيلاً وقـد أبقى سُهَيْلٌ فعَرّدا

فجعل رُؤبة يقول : هي كذا هي كذا ، لأشياء لا يقبلها ذو الرُّمَّة ، فقال له رؤبة : فمَهْ ؟ وَيْحَكَ ! قال : هي الأرض بين المُكلئة وبين المُجْدِبة .

[جرير والفرزدق يقران له]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبي عَدْنان ، عن إبراهيم بن نافع : أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره ، فقال له : مَنْ أشعر النّاس ؟ قال : أنا ، قال : أفتعلَم أحداً أشعَر منك ؟ قال : لا ، إلاّ أنّ غلاماً من بني عديّ بن كعب يركبُ أعجازَ الإبل ، وينعت الفَلَوات . ثمّ أتاه جرير فسأله ، فقال له مثل ذلك . ثمّ أتاه ذو الرُّمَّة فقال له : ويحك ! أنتَ أشعر النّاس ، قال : لا ، ولكنْ غلام من بني عقيل يُقال له : مُزاحم : يسكن الرَّوضات يقول وحشيّاً من الشعر لا نقدرُ على أن نقول مثلَه .

[كثيرة تنحله ذماً لمي]

قال : وكان ذو الرُّمَّة يتشبَّب بميّ بنت طُلَبَةَ بن قيس بن عاصم المنقريّ ، وكانت كثيرة[3] أَمَةً مُولّدة لآلِ قيس بن عاصم ، وهي أُمّ سَهْم بن بُرْدة اللصّ الذي قتله سِنان بن مُخَيِّس القشيريّ أيّام محمد بن سليمان ، فقالت كثيرة[4] : [من الطويل]

على وَجْه مَــيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلاحَةٍ وتحت الثيابِ الخِزيُ لو كانَ بادِيا

---

1 الديوان :

فعيناك عيناها ولونـك لونهـا وجيـدك إلاّ أنّها غير عاطـل

2 ديوان الراعي النميريّ (فايبرت) : 89 وفيه :

أناخوا بأشوال إلى أهـل خبَّة طروقاً وقد أقعى سهيل فعردا

3 ابن سلام (559) : كنزة . وانظر تعليق الأستاذ محمود محمد شاكر في الحاشية . وقد ألحق محقق ديوانه هذه الأبيات به (675) .

4 انظر ملاحق الديوان .

أَلَم تَـرَ أَنّ المـاءَ يخبثُ طعْمُه ولو كان لَوْنُ الماءِ في العينِ صافِيا

ونحلْتها ذا الرُّمَّة ، فامتعض من ذلك ، وحلف بجهد أيمانه ما قالها .

قال : وكيف أقول هذا وقد قطعتُ دهري ، وأفنيتُ شبابي أُشبِّب بها وأمدَحُها ، ثم أقول هذا ! ثمّ اطَّلع على أنَّ كثيرة قالتهما ، ونحلتهما إيّاه .

[مية لا تردّ عليه السلام فيغضب ويقول في ذلك شعراً]

وقال هارون بن محمد : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله ، قال : حدَّثني هارون بن سعيد ، قال : حدَّثني أبو المسافر الفقعسيّ ، عن أبي بكر بن جَبَلة الفقعسيّ ، قال : وقف ذو الرُّمّة في رَكْبٍ معه على مَيّة ، فسلَّموا عليها ، فقالت : وعليكم إلاّ ذا الرُّمَّة ، فأحفظه ذلك وغمَّه ما سمع منها بحضرة القوم ؛ فغضب وانصرف وهو يقول[1] : [من الطويل]

أَيا ميّ قد أشمتِّ بي ويحكِ العِدا وقطَّعتِ حَبْلاً كان يـا ميّ باقيا

فيا مـيّ لا مرجوعَ للْوَصْلِ بيننا ولكـنّ هَجْـراً بيننـا وتَقاليا

أَلَـم تَـرَ أَنَّ الماءَ يخْبثُ طعْمُه وإنْ كان لونُ الماء في العينِ صافيا

[ميّة العجوز]

أَخبرني الحسن بن عليّ الأدميّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن ابن النطّاح ، عن محمد بن الحجّاج الأسيديٍّ من بني أُسيد بن عمرو بن تميم ، قال : مررتُ على ميّة وقد أسنّت ، فوقفت عليها وأنا يومئذٍ شابّ فقلت : يا ميّة ؛ ما أرى ذا الرُّمَّة إلاّ قد ضيّع فيك قوله حيث يقول[2] : [من الطويل]

صوت

أَما أَنْتَ عن ذِكراك مَيَّة مُقْصِرُ ولا أَنْتَ ناسي العَهْدِ منها فتذكُرُ

تَهيمُ بهـا ما تستفيقُ ودُونها حِجابٌ وأَبوابٌ وسِتْرٌ مُسَتَّرُ

قال : فضحكت وقالت : رأيتَني يا ابنَ أخي وقد ولَّيتُ وذهبتْ محاسِني ، ويرحم اللهُ غَيْلان ، فلقد قال هذا فيَّ وأنا أحسنُ من النار الموقدة في الليلة القرَّة في عين المقرور ، ولن تبرحَ حتى أُقيمَ عندك عُـذره ؛ ثـم صاحت : يـا أسماء ، اخرجي ؛ فخرجت جاريةٌ كالمهاةِ ما رأيتُ مثلها ، فقالت : أمّا لمن شبّب بهذه وهويها عُذر ؟ فقلت : بلى ، فقالت : والله لقد كنتُ أزمان كنت مثلها أحسنَ منها ، ولو رأيتَني يومئذٍ لازْدَرَيْتَ هذه ازدراءك إيّاي اليوم ، انصرف راشداً .

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى .

1 البيتان الأول والثاني ليسا في ديوانه ولا في الزيادات .

2 البيتان في مزيدات الديوان : 666 .

[صفات ميّة]

أخبرني أبو خليفة ، قال : قال محمد بن سلاّم : قال أبو سوَّار الغنويّ : رأيت مَيّة وإذا معها بَنون لها صغار ، فقلت : صِفْها لي ، فقال : مسنونةُ الوجه ، طويلة الخدّ شمّاء الأنف ، عليها وَسْم جمال ، فقالت : ما تلقَّيْتُ[1] بأحدٍ من بنيَّ هؤلاء إلاّ في الإبل ، قلت : أفكانت تنشدك شيئاً ممّا قاله ذو الرُّمَّة فيها ؟ قال : نعم ، كانت تسحّ سحّاً ، ما رأى أبوك مثله .

[نذر ميّة إذا رأت ذا الرُّمَّة]

فأمّا ابن قتيبة فقال في خبره : مكثت ميَّة زماناً لا ترى ذا الرُّمَّة وهي تسمع مع ذلك شِعْرَه ، فجعلت لله عليها أنْ تنحرَ بدَنة يوم تراه ، فلمّا رأته رجلاً دميماً أسود ، وكانت من أجمل الناس قالت : واسوأتاه ! وابؤساه واضيعة بدَنتاه ! فقال ذو الرُّمَّة : [من الطويل]

على وَجْه مَيٍّ مَسحةٌ من مَلاحةٍ ... وتحت الثيابِ الشَّيْنُ لو كانَ بادِيا

قال : فكشفت ثوبَها عن جسدها ، ثم قالت : أشيناً ترى لا أُمَّ لك ! فقال : [من الطويل]

أَلَم تَـرَ أنَّ المـاءَ يخبُثُ طَعْمُه ... وإنْ كان لَوْنُ الماء أبيضَ صافيا

فقالت : أمّا ما تحت الثياب فقد رأيتَه وعلمتَ أن لا شينَ فيه ، ولم يبق إلاّ أنْ أقول لك : هلمَّ ، حتى تذوق ما وراءه ، ووالله لا ذقْتَ ذاك أبداً ، فقال : [من الطويل]

فيا ضيعةَ الشِّعرِ الذي لجّ فانقضى ... بِمَـــيٍّ ولم أملك ضلالَ فؤاديا

قال : ثمّ صلح الأمر بينهما بعد ذلك ، فعاد لما كان عليه من حُبِّها .

[ابنة ميّة تنشد شعره في أمّها]

وذكر محمد بن عليّ بن حَفْص الجُبَيريّ الحنفيّ ، من ولد أبي جُبيرة ، أنّ النَّوار بنت عاصم المنقريّة ، وأمّها ميّة صاحبة ذي الرُّمَّة ، أخبرته ، وقد ذكر عندها ذا الرُّمَّة ، وأنشدها قوله في أُمّها[2] : [من الطويل]

هي البُرْء والأسقام والهــمُّ والمُنى ... وموتُ الهوى في القَلْبِ منى المبرِّحُ[3]
وكان الهوى بالنأي يُمْحى فيمَّحي ... وحُبُّكِ عنــدي يستَجِدُّ ويربحُ[4]

يربح ، أي يزيد الربح . هكذا ذكره الأصمعيّ .

---

1 تلقيت : حملت .
2 ديوانه : 83 .
3 الديوان :
هي البرء والأسقام والهم ذكرها ... وموت الهوى لولا التنائي المبرح
4 الشطر الأول في الديوان : وبعض الهوى بالهجر يمحى فيمتحي .

إذا غَيّر النـأيُ المحِبِّـين لم أجِد رَسِيسَ الهوى مِنْ حُبِّ ميَّةَ يَبرحُ[1]

فلمّا سمعت قوله :

إذا غَيَّـرَ النَّـأيُ المحبِّين . . .

قالت : قبَّحه الله ، هو الذي يقول أيضاً : [من الطويل]

على وَجْه مَيٍّ مَسحةٌ مِنْ مَلاحةٍ وتحت الثيابِ الشَّينُ لو كان بادِيا

فقلت لها : أكانت ميَّةَ جَدّتك ؟ قالت : لا ، بل أمِّي ، فقلت لها : كم تَعُدِّين ؟ قالت : ستِّين سنة .

أخبرني الحسين بن يحيى ، قال : قال حمّاد : قرأتُ على أبي ، عن محمد بن سلاّم ، قال : كانت ميّ صاحبة ذي الرُّمَّة من وَلد طَلِبة بن قيس بن عاصم المنقريّ ، وكانت لها بنت عمّ من ولد قيس يقال لها : كثيرة أمّ سلهمة ، فقالت على لسان ذي الرُّمَّة : [من الطويل]

على وَجْـه ميٍّ مَسْحَةٌ من مَلاحة

الأبيات . فكان ذو الرُّمَّة إذا ذُكر له ذلك يمتعض منه ، ويحلفُ أنّه ما قالها قطّ .

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، عن أبي الغرّاف الضبّيّ بمثله ، وقال فيه : إنّ كثيرة مولاة لهم ، وهي أمّ سلهمة اللصّ الذي قتلته خَيْلُ محمد بن سليمان ، والله أعلم .

[ذو الرُّمَّة يقرأ ويكتب]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلبيّ ، عن ابن شبَّة ، عن المدائنيّ ، عن سلمة عن محارب ، قال : كان ذو الرُّمَّة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك ، فقيل له : كيف تقول : عُزَير ابن الله أو عزير بن الله ؟ فقال : أكثرهما حروفاً .

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، قال : قال عيسى بن عمر : قال لي ذو الرُّمَّة : ارفع هذا الحرْفَ ، فقلتُ له : أتكتب ؟ فقال بيده على فيه : اكتم عليّ فإنّه عندنا عَيْب .

[سرقة شعر رؤبة]

أخبرني ابن دُريد ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن محمد بن أبي بكر المخزوميّ ، قال : قال رؤبة : كلّما قلتُ شعراً سرقه ذو الرمّة ، فقيل له : وما ذاك ؟ قال : قلت :

حَـيُّ الشهيقِ ميّـتُ الأنفاسِ

فقال هو[2] : [من الرجز]

1 لم أجد في الديوان : لم يكد .

2 ديوانه : 482 .

يَطْرحنَ بالمهامـــه الأغفالِ كلَّ جَهِيضٍ لَثِقِ السِّرْبالِ[1]
حـــيٌّ الشهيق مَيِّتِ الأوصالِ

فقلت له : فقوله واللهِ أجودُ من قولك ، وإن كان سرقه منك ، فقال : ذلك أغمَّ لي .

[منزلته من الراعي]

أخبرني ابن عبد العزيز عن ابن شبّة قال : قيل لذي الرُّمَّة : إنّما أنت راوية الرّاعي . فقال : أمَا والله لئن قيل ذاك ما مثَلي ومَثَله إلاّ شابٌّ صحِب شيخاً ، فسلك به طرقاً ثم فارقه ، فسلك الشابُّ بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قطّ .

[ضعفه في الهجاء والمدح]

أخبرني محمد بن أحمد بن الطَّلاَّس ، عن الخراز عن المدائنيّ ، وأخبرني به إبراهيم بن أيّوب ، عن عبد الله بن مسلم ، عن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمّه ، دخل حديثُ بعضِهم في حديث بعض قال : إنّما وضع من ذي الرُّمَّة أنّه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح ، وقد مدح بلال بن أبي بردة فقال[2] : [من الوافر]

رأيـــتُ الناسَ ينتجعون غَيثاً فقلتُ لِصَيْدحَ : انتَجعي بِلالا

فلمّا أنْشده قال له : أولم ينتجعني غير صَيْدح ؟ يا غلام ، أعطه حَبْل قَتٍّ لصَيْدَح ، فأخجله .

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلاّم قال : حدَّثني أبو الغرّاف قال : عاب الحكم بن عَوانة الكلبيُّ ذا الرُّمَّة في بعض قوله فقال فيه[3] : [من الطويل]

فلو كنتَ من كَلْبٍ صميماً هجوتكُم جميعاً ولكن لا إخالُكَ من كَلْبِ[4]
ولكنّمـــا أُخبِرتُ أنّـــك مُلْصَـــقٌ كما أُلصِقَتْ من غيرها ثُلْمَةُ القَعْبِ[5]
تدَهْدى فخرَّتْ ثُلْمَةٌ مـــن صميمه فَكِيفَ بـأخرى بالغِـــراءِ وبالشَّعْبِ[6]

أخبرني أبو خليفة ، عن ابن سلاّم قال : وحدَّثني أبو الغرّاف قال : دخل ذو الرُّمَّة على بلالِ بن أبي بُردة ، وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً ، فأنشده بلال أبياتَ حاتم طيِّىء

---

1 الأغفال : التي ليس بها علامات يهتدى بها . الجهيض : الوليد لغير تمام . ولثق : مبتل . والسربال : جلده .
2 ديوانه : 442 .
3 ديوانه : 53 .
4 هجوتكم في الديوان : هجوتها .
5 الديوان : ولكنني خبّرت . . .
6 فكيف بأخرى في ل والديوان : فلزّ بأخرى .

قال[1] : [من الطويل]

لحـا اللهُ صُعْلُوكاً مُنـاهُ وهمُّه مِنَ العَيْشِ أن يلقى لَبُوساً ومَطْعَما
يَرى الخِمْسَ تعذيباً وإنْ نال شَبْعَةً يَبِتْ قَلْبُه مِـنْ شِدَّة الهَمِّ مُبْهَما

[أبو عمرو بن العلاء يحكم في شعر حاتم]

هكذا أُنشد بلال ، فقال ذو الرُّمَّة : يرى الخَمْص تعذيباً ، وإنّما الخِمْسُ للإبل ، وإنّما هو خَمْص البطن ، فمحكَ بلال ، وكان مَحِكاً[2] ، وقال : هكذا أُنشدنيه رُواة طيِّىء ، فردَّ عليه ذو الرُّمَّة ، فضحك ؛ ودخل أبو عمرو بن العلاء ، فقال له بلال : كيف تنشدهما ؟ وعرف أبو عمرو الذي به فقال : كِلا الوَجْهَيْنِ جائز ، فقال : أَتأخذون عن ذي الرُّمَّة ؟ فقال : إنّه لفصيح وإنا لنَأْخذُ عنه بتمريضٍ[3] . وخرجا من عنده . فقال ذو الرُّمَّة لأبي عَمْرو : واللهِ لولا أنّي أَعلم أنّك حطبْتَ في حَبْلِه وملت[4] مع هواه لهجوتُك هِجاءً لا يقعُد إليك اثنان بعده .

[آراء في شعره]

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح : حدَّثني هارون بن محمد الزيّات ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل ، قال : قيل لبلال بن جرير : أيّ شعر ذي الرُّمَّة أَجود ؟ فقال[5] :

هـل حبل خَرْقاءَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرْمُوم[6]

إنّها مدينة الشعر .

حدَّثنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، قال[7] : كان ذو الرُّمَّة من جرير والفرزدق بمنزلة قَتادة من الحسن وابن سيرين ، كان يَرْوِي عنهما ويروى عن الصحابة ؛ وكذلك ذو الرُّمَّة ، وهو دونَهما ويساويهما في بَعْضِ شعره .

[معرفته بالغريب]

أَخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا ابن شبّة ، عن ابن معاوية ، قال : قال حمّاد الراوية : قدِم علينا ذو الرُّمَّة الكوفة فلم نَرَ أحسنَ ولا أفصحَ ولا أعلَمَ بغريبٍ منه ؛ فغمَّ ذلك كثيراً من أهل

1 انظر الخبر والبيتين في طبقات ابن سلام : 569 .
2 محك : يتمادى في اللجاجة .
3 تمريض الشيء : توهينه .
4 المثل «يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 .
5 ديوانه : 569 .
6 عجز البيت : أم هل لها آخر الدهر تكليم . وفي الديوان : بعد الهجر .
7 طبقات ابن سلام : 550 .

المدينة ، فصنعوا له أبياتاً وهي : [من الطويل]

رأى جملاً يوماً ولم يكُ قبلها   من الدَّهرِ يدري كيف خَلْقُ الأباعرِ
فقال : شظايا مَعْ ظبايا ألا لنا   وأجفل إجفالَ الظَّليم المبادرِ
فقلت له : لا ذَهْل مِلْكَيْل بعدما   مَلا نَيفَق التُّبَّان منه بعاذرِ

قال : فاستعادها مرَّتين أو ثلاثاً ، ثم قال : ما أحسب هذا من كلام العرب .

[ذو الرُّمَّة والنحوي]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، عن العبّاس بن ميمون طائع ، قال : حدَّثنا أبو عثمان المازنيّ ، عن الأصمعيّ ، عن عنبسة النحويّ ، قال : قلت لذي الرُّمَّة وسمِعتُه ينشد ويقول[1] : [من الطويل]

وعَيْنان قال الله كُونا فكانتا   فَعُولَيْنِ بالألْبابِ ما تَفْعَل الخَمْرُ

قال : فقلت له : فهلاّ قلتَ : فَعُولان ؟ فقال : لو قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر ، كان خيراً لك ؛ أي أنّك أردْتَ القدر ، وأراد ذو الرُّمَّة كونا فعولين بالألباب ، وأراد عنبسة : وعينان فَعولان .

وروى هذا الخبرَ ابنُ الزيّات ، عن محمد بن عبادة ، عن الأصمعيّ ، عن العلاء بن أسلم ، فذكر مِثلَه .

[خطأ ابن شبرمة وخطأ ذي الرُّمَّة]

وحكى أنّ إسحاقَ بن سُوَيد المعارِضَ له قال : وأخبرني الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد النحويّ ، قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه قال : قدِم ذو الرُّمَّة الكوفة فوقف يُنشِد الناس بالكُناسة قصيدتَه الحائيّة ، حتى أتى على قوله : [من الطويل]

إذا غَيَّر النَّأْيُ المُحِبِّين لم يَكدْ   رَسيسُ الهَوى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

فناداه ابنُ شُبْرمة : يا غَيْلان ، أراهُ قد برَح . فشنق[2] ناقتَه ، وجعل يتأخَّر بها ويفكِّر . ثم عاد فأنشد قوله :

إذا غَيَّر النَّأْيُ المحبين لم أجِدْ

قال : فلمّا انصرفت حدَّثتُ أبي ، فقال : أخطأ ابن شُبْرُمة حين أنكر على ذي الرُّمَّة ما أنشد ، وأخطأ ذو الرُّمَّة حين غيَّر شِعرَه لقول ابن شبرمة ، إنّما هذا مثل قول اللهِ عزّ وجلّ : ﴿ظُلماتٌ بَعضُها فوق بعض إذا أخرج يدَه لم يَكَدْ يَراها﴾[3] وإنّما معناه لم يرها ولم يكد .

1 ديوانه : 213 .
2 شنق ناقته : رفع رأسها وهو راكبها .
3 سورة النور ، الآية : 40 .

أخبرني الجوهريّ ، عن ابن شُبرمة ، عن يحيى بن نجيم قال : قال رؤبة لبلال بن أبي بُردة : علام تعطي ذا الرُّمَّة ؟ فوالله إنّه ليَعْمد إلى مقطّعاتنا فيصلها فيمدحك بها ، فقال : والله لو لم أعطِه إلاّ على تأليفه لأعطيته ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

[نقد رجل بالمربد له]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة : حدَّثنا إسحاق الموصليّ ، عن الأصمعيّ ، قال : قال رجل : رأيت ذا الرُّمَّة بمِربَد البصرة وعليه جماعةُ مجتمعة وهو قائم ، وعليه بُرْد قيمته مائتا دينار ، وهو ينشد ، ودموعُه تجري على لحيته :

مـا بـالُ عَيْنِك منها الماء يَنْسَكِبُ

فلمّا انتهى إلى قوله[1] : [من البسيط]

تُصْغي إذا شَدَّهـا بالكُورِ جانحةً حتى إذا ما اسْتَوى في غَرْزِها تَثِبُ

قلتُ : يا أخا بني تميم ، ما هكذا قال عمُّك ، قال : وأيّ أعمامي يرحمك الله ؟ قلتُ : الراعي ، قال : وما قال ؟ قال : قلت : قوله[2] : [من المتقارب]

ولا تُعْجل المـرءَ قبـل الوُرو ك وَهْـيَ بركبتـه أَبْصَـرُ[3]
وهـيَّ إذا قـام في غَرْزِها كمثـل السفينةِ إذ تُوقَـرُ[4]
ومُصْغِيَـة خَدَّهـا بـالزّما مِ فالرأس منهـا لَـهُ أصعَرُ[5]
حتـى إذا مـا اسْتَوى طبَّقَتْ كما طَبَّـقَ المِسحَـلُ الأَغْبَرُ[6]

قال : فأرتج عليه ساعة ، ثم قال : إنّه نعت ناقةَ مَلِكٍ ونَعتُّ ناقة سُوقةٍ . فخرج منها على رؤوس الناس .

[أخبار خرقاء وتشبيب ذي الرُّمَّة بها]

فأمّا السبَبُ بين ذي الرُّمَّة وخَرقاء فقد اختلف فيه الرّواة ؛ فقيل : إنّه كانَ يَهْواها ، وقيل : بل كاد بها ميّة ، وقيل : بل كانت كَحَّالة فداوَت عينه فشبّب بها .

---

1 ديوانه : 9 .
2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 103 .
3 الشعر والشعراء (445) :
ولا تعجل المرء قبل البرو ك وهـي بركبتهـا أبصر
4 إذ توقر في الديوان والشعر والشعراء : أو أوقر .
5 الشعر والشعراء : وواضعة . . . للزمام .
6 المسحل : الحمار الوحشي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن النوفليّ ، عن أبيه : أن زوج ميّة أمرها أن تَسُبَّ ذا الرُّمَّة غَيرةً عليها ، فامتنعت ، فتوعّدها بالقتل ، فسبَّته فغضب ، وشبَّب بخرقاء العامريّة ؛ يَكيدُ ميّة بذلك ، فما قال فيها إلاّ قصيدتين أو ثلاثاً حتى مات .

أخبرني حبيب بن نصر ، عن ابن شبّة ، عن العُتبيّ ، عن هارون بن عتبة قال : شبَّب ذو الرُّمَّة بخرقاء العامريّة بغير هوًى ؛ وإنّما كانت كحّالة فداوَتْ عَيْنَه من رمَد كان بها فزال ، فقال لها : ما تحبِّين حتى أعطيك ؟ فقالت : عشرة أبيات تشبّب بي ؛ ليرغبَ النّاس فيَّ إذا سمعوا أنَّ فيَّ بقيّة للتشبيب ، ففعل .

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، قال : كان ذو الرُّمَّة شبَّب بخَرْقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة ، وكانت تَحُلُّ فَلْجاً ، ويمرّ بها الحاجّ ، فتقعد لهم وتحادثهم وتهادِيهم ، وكانت تجلس معها فاطمة بنتها ، فحدَّثني مَنْ رآهما ، فلم تكن فاطمة مثلها ، وكانت تقول : أنا مَنْسَكٌ من مَناسِك الحجّ ؛ لقول ذي الرُّمَّة فيها[1] : [من الوافر]

تمـامُ الحـجِّ أَنْ تَقِفَ المطايا على خَرْقـاءَ واضِعَـة اللِّثامِ

قال ابن سلاّم في خبره : وأرسلت خرقاء إلى القُحَيْف العقيليّ تسأله أن يشبب بها فقال : [من الطويل]

صوت

لقد أَرسلتْ خرقاءُ نَحوِي جَرِيّها لتجعَلني خَرْقاءُ فِيمَـن أُضلَّتِ[2]
وخَرقــاءُ لا تــزدادُ إلاّ مَلاحةً ولو عُمِّرَتْ تعميرَ نُوحٍ وجَلَّتِ[3]

حدَّثني حبيبُ بن نصر ، عن الزُّبير ، عن موهوب بن رشيد ، عَمَّن حدَّثه ، قال : نزل ركب بأبي خرقاء العامِريَّة ، فأمر لهم بلبن فُسقُوه ، وقصَّر عن شابّ منهم ، فأعطته خرقاءُ صَبوحَها وهي لا تعرِفهُ ، فشربه ، ومضَوا فركبوا . فقال لها أبوها : أتعرفين الرجلَ الذي سقيتِه صَبوحك ؟ قالت : لا والله ؛ قال : هو ذو الرُّمَّة القائل فيكِ الأقاويل . فوضعت يدَها على رأسها ، وقالت : واسوأتاه وابُؤساه ! ودخلت بيتها ، فما رآها أبوها ثلاثاً .

حدَّثني إبراهيم بن أيّوب ، عن ابن قتيبة قال : قال الضبّيّ : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حجَجْتُ ، فقال لي يوماً : هل لكَ إلى أن أُورِيَك خَرْقاءَ صاحبة ذي الرُّمَّة ؟

1 ديوانه : 673 .
2 جريها : رسولها . أضلت : فتنت .
3 جلّ الرجل : كبر واحتنك وأسنّ .

فقلت : إن فعلتَ فقد بررت . فتوجهنا جميعاً نريدها ، فعَدَل بي عن الطريق قَدْر ميل ، ثم أتينا أُبيات شَعر ، فاستفتح بيتاً ففتح له ، وخرجت امرأةٌ طويلة حسنة بها قوّة ، فسلَّمَتْ وجلسَتْ ، فتحدَّثنا ساعة ، ثم قالت لي : هل حججتَ قطّ ؟ قلت : غير مرّة . قالت : فما منعك من زِيارتي ؟ أما علمت أنّي منسَك من مناسك الحجّ ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعتَ قول ذي الرُّمَّة : [من الوافر]

تمامُ الحجِّ أن تقِفَ المطايا على خَرْقـاءَ واضعةَ اللّثامِ

أخبرني وكيع ، عن أبي أيّوب المدائنيّ عن مصعب الزُّبيريّ ، قال : شبَّب ذو الرُّمَّة بخرقاء ولها ثمانون سنة .

قال هارون بن الزيات : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم ، عن محمد بن يعقوب ، عن أبيه قال : رأيتُ خرقاءَ بالبصرةَ وقد ذهبت أسنانُها ، وإنّ في ديباجة وجهها لبقيّة ، فقلت : أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرُّمَّة ، فقالت : اجتاز بنا في رَكْبٍ ونحن عدّة جوارٍ على بعض المياه ، فقال : أسفِرن ، فسفرن غَيرِي ، فقال : لئن لم تُسْفِري لأفضحَنّك ، فسفرتُ ، فلم يزل يقول حتى أزبد ، ثم لم أرَه بعد ذلك .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني موهوب بن رشيد ، قال : حدَّثني جدِّي ، قال : كنت مع خرقاء ذي الرُّمَّة إذ نزل ببابها ركب من بني تميم فأُمِر لهم بلبن فسقُوه ، وقصُر اللبن عن شاب منهم ، فأمرت له خرقاء بغَبوقها ، فلمّا أن رَحل عنهم الركب قال لها أبوها : يا خرقاء أتعرفين مَنْ سقيت غَبوقَك اليوم ؟ قالت : لا والله ما أعرفه ، قال : ذاك ذو الرُّمَّة ، فوضَعت يدها على رأسها وقالت : واسوأتاه ! ودخلت خدرها .

قال الزُّبير : وحدّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ ، قال : حدَّثنا أُبو الشّبل المعديّ قال : كانت خَرْقاء البَكّائيّة أصبحَ من القَبَس ، وبقيَتْ بقاءً طويلاً حتى شَبَّب بها القُحَيف العقيليّ .

أخبرنا أبو الحسن الأَسديّ ، عن أحمد بن سليمان ، عن أبي شَيْخ ، عن أبيه ، عن عليّ بن صالح بن سليمان عن صباح بن الهذيل أخي زُفَر بن الهذيل ، قال : خرجتُ أُريدُ الحجّ ، فمررتُ بالمنزل الذي تنزله خرقاء ، فأتيتُها ، فإذا امرأة جَزْلة ، عندها سماطان[1] من الأعراب تحدِّثهم وتُناشدهم . فسلَّمتُ فردّتْ ، ونسبتني ، فانتسبتُ لها وهي تُنْزِلني ، حتى انتسبت إلى أبي ، فقالت : حسبك أكرمتَ ما شئت ، ما اسمك ؟ قلت : صباح ، وأبو مَن ؟ قلت : أبو المغلِّس ، قالت : أخذت أوّل الليل وآخره ، قال : فما كان لي هِمَّة إلاّ الذّهاب عنها .

---

1 السماط : الصف .

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطّاح : حدَّثني محمد بن الحجّاج الأسديّ التميميّ ، وما رأيتُ تميميّاً أعلم منه ، قال : حججتُ فلمّا صرت بمرَّان منصرفاً ، فإذا أنا بغلام أشعث الذُّؤابة قد أورد غُنَيْمات له فجئته فاستنشدتُه ، فقال لي : إليك عنّي ، فإنّي مشغول عنك . وألححتُ عليه فقال : أرشدك إلى بعض ما تحبّ ، انظر إلى ذلك البيت الذي يَلقاكَ فإن فيه حاجتك ، هذا بيت خرقاء ذي الرُّمَّة ؛ فمضيتُ نحوه فطوّحت بالسلام من بعيد ، فقالت : ادْنُه ! فدنوت ، فقالت : إنّك لحضريّ ، فمَن أنت ؟ قلت : من بني تميم ، وأنا أحسب أنّها لا معرفةَ لها بالنّاس ، قالت : مِن أيّ تميم ، فأعلمتُها ، فلم تزل تنزلني حتى انتسبتُ إلى أبي ، فقالت : الحجّاجُ بن عُمَير بن يزيد ؟ قلت : نعم ، قالت : رحم الله أبا المثنّى ! قد كنا نرجو أن يكونَ خلفاً من عمير بن يزيد ، قلت : نعم ، فعاجَلَتْه المنيَّةُ شابّاً . قالت : حيَّاك الله يا بنيّ وقرَّبَك ، مِنْ أين أقبلت ؟ قلتُ : من الحجّ . قالت : فما لكَ لم تمرّ بي وأنا أحدُ مناسك الحجّ ؟ إنَّ حجَّك ناقص ، فأقِم حتى تحجّ أو تكفّر بعِتْق . قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعتَ قول غَيْلان عمِّك : [من الوافر]

تمامُ الحـجِّ أَنْ تقِفَ المطايـا ... على خَرْقـاءَ واضعـةَ اللِّثامِ

قال : وكانت وهي قاعدة بفناء البيت كأنّها قائمةٌ من طولها ، بَيْضاءُ شهلاءُ ، فخمة الوجه . قال : فسألتُها عن سنّها ، فقالت : لا أدري إلاّ أنّي كنتُ أذكر شَمِرَ بن ذي الجَوْشَن حين قتل الحُسين عليه السلام ، مرّ بنا وأنا جاريةٌ ومعه كسوة فقسَّمها في قومه ؛ قالت : وكان أبي قد أدرك الجاهليّة وحمل فيها حَمالات . قال : ولما أنشدتني خرقاء بَيتَ ذي الرُّمَّة فيها قلت : هيهات يا عمّة ، قد ذهب ذلك منك ، قالت : لا تقل يا بنيّ ، أما سمعتَ قولُ قُحَيف فيّ : [من الطويل]

وخَرْقـاء لا تـزدادُ إلاَّ ملاحـةً ... ولـو عُمِّرت تعميرَ نُوح وجلَّتِ

ثم قالت : رحم الله ذا الرُّمَّة ؛ فقد كان رَقيقَ البشرة ، عَذْبَ المنطِق ، حَسَن الوصف ، مُقاربَ الرَّصف ، عفيف الطَّرْف ، فقلت لها : لقد أحسنت الوصف ، فقالت : هيهات أن يدركه وصفٌ ، رحمه الله ، ورحم مَنْ سمّاه اسمه . فقلت : ومَن سمّاه ؟ قالت : سيد بني عديّ الحُصَيْن بن عَبدة بن نُعيم ، ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرُّمَّة : [من الوافر]

لقـد أصبحتَ في فَرْعَـيْ مَعَدٍّ ... مكانَ النّجـم في فَلَـك السماء

إذا ذُكـرت محاسنُـه تـدرَّت ... بِحـارُ الجود مـن نحـو السماء

حُصَينٌ شادَ باسمِـك غيرَ شَكٍّ ... فَأَنْتَ غِيـاثُ مَحْـلٍ بالفِناء

إذا ضنَّتْ سحابةُ ماءِ مُزْنٍ تَشُجُّ بحارُ جُودِك بارتواءِ
لقد نَضِرت باسمِك أرضُ قَحطٍ كما مُطِرَتْ عديٌّ بالثَّراءِ

فقلت : أحسنتِ يا خرقاء ، فهل سمع ذلك منك ذو الرُّمَّة ؟ قالت : إي وربِّي . قلت : فماذا قال ؟ قالت : قال : شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربَّيتِ شُكْرَها من ذِكرها . فقالت : أثقلنا حقُّها ، ثم قالت : اللهمّ غَفْراً ، هذا في اللفظ ، ونحتاج إلى العمل .

أخبرني جحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن كُناسة ، عن خيثم بن حِجِّيَّة العِجليّ ، قال : حدَّثني رجل من بني النجّار ، قال : خرجتُ أمشي في ناحية البادية ، فمررتُ على فتاة قائمة على باب بَيْتٍ فقمت أُكلِّمُها فنادتني عجوز من ناحية الخِباء : ما يقيمك على هذا الغزال النَّجديّ ؟ فوالله ما تنالُ خَيْراً منه ولا ينفعك . قال : وتقول هي : دَعيه يا أُمّاه يكن كما قال ذو الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

وإن لم يكن إلاّ مُعَرَّسُ ساعةٍ قليلاً فإنّي نافعٌ لي قَلِيلُها

فسألتُ عنهما ، فقيل لي : العجوز خرقاء ذي الرُّمَّة والفتاة بِنتها .

[وفاة ذي الرُّمَّة]

وتوفّي ذو الرُّمَّة في خلافة هشام بن عبد الملك ، وله أربعون سنة . وقد اختلفت الرواةُ في سبب وفاته .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السُّكّريّ ، عن يعقوب بن السِّكِّيت : أنّه بلغ أربعين سنة ، وفيها توفّي ، وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك ، ودفن بحُزْوَى ، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره .

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثني ابن أبي عديّ قال : قال ذو الرُّمَّة : بلغت نصف الهَرَم وأنا ابن أربعين سنة .

قال ابنُ سلاّم : وحدّثني أبو الغرَّاف أنّه مات وهو يريد هشاماً ، وقال في طريقه في ذلك[2] : [من الطويل]

بلادٌ بها أُهلُونَ لستُ ابْنَ أُهلها وأُخْرى بها أُهلون ليس بها أُهلُ

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك : حدَّثني القاسم بن محمد الأسديّ ، قال : حدَّثني جبرُ بن رِياط قال : أنشد ذو الرُّمَّة الناس شعراً له ، وصف فيه الفلاة بالثَّعلبيّة[3] ؛ فقال له

---

1 ديوان ذي الرّمّة : 550 وفيه : . . . إلا تعلل ساعة .

2 ديوانه : 458 ورواية البيت فيه :

بلاد بها أُهلون ليسوا بأُهلها وأخرى من البلدان ليس بها أهل

3 الثعلبية : منازل على طريق مكة .

حَلْبَسٌ الأَسديّ : إنّك لتنعتُ الفلاةَ نَعْتاً لا تكون مَنِيَّتُكَ إلاّ بها .

قال : وصدر ذو الرُّمَّة على أحد جَفْرَي بني تميم وهما على طريق الحاجّ من البصرة ، فلمّا أشرف على البصرة قال[1] : [من الطويل]

وإنّي لعالِيهـا وإنّي لخائفٌ   لِما قـال يَـوْمَ التَّعْلَبِيَّة حَلْبَسُ

قال : ويقال إنّ هذا آخر شعر قاله . فلمّا توسّط الفلاة نزل عن راحلته فنفَرَتْ منه ، ولم تكن تنفر منه ، وعليها شرابُه وطعامُه ، فلمّا دنا منها نفرت حتى مات ، فيقال إنّه قال عند ذلك[2] : [من الطويل]

ألا أَبلغِ الفِتيان عنّـي رِسالةً   أَهِينوا المَطايا هُـنَّ أَهْلُ هَوانِ
فقـد تركَتْني صَيْدَحٌ بمَضلَّةٍ   لساني مُلْتاثٌ مِـنَ الطَّلَوانِ[3]

قال هارون : وأخبرني أحمد بن محمد الكلابيّ بهذه القصّة ، وذكر أنّ ناقته وردت على أهله في مياههم ، فركبها أخوه ، وقصَّ أثره ، حتى وجده ميّتاً وعليه خِلَعُ الخليفة ، ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن الرّياشيّ ، عن الأصمعيّ ، عن أبي الوَجيه ، قال : دخلتُ على ذي الرُّمَّة وهو يجود بنفسه ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : أجِدُني والله أجد ما لا أجد أيّام أزعم أنّي أجد ما لم أجد حيث أقول[4] : [من الطويل]

كأنّي غداة الزُّرْق يـا مَيُّ مُدْنَفٌ   يَجودُ بنَفْسٍ قـد أَحَـمَّ حِمامُها[5]
حِـذارَ اجْتِـذامِ البَيْنِ أَقرانَ نِيّة   مُصابٌ ولوعاتُ الفؤاد انجذامُها[6]

قال : وكان آخر ما قاله[7] : [من البسيط]

يا ربّ قد أَشرفَتْ نَفْسي وقد عَلِمَتْ   عِلْمـاً يقينـاً لقـد أُحصَيْـتَ آثاري

---

1 ديوانه : 668 .
2 ديوانه : 675 .
3 الطلوان : بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش .
4 ديوانه : 637 .
5 الديوان : أجم حمامها .
6 الديوان :
حـذار اجتـذام البـين أقران طيّة   مصيبٍ لوقرات الفؤاد انجذامها
الطية : النية ؛ والأقران : الحبال ؛ والوقر : الكسر ؛ وانجذامها : انقطاعها .
7 ديوانه : 667 .

يا مُخرجَ الرّوح من جسمي إذا احْتُضِرَت ... وفارجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنــي عن النَّارِ

قال أبو الوجيه : وكانت مَنِيَّته هذه في الجُدَرِيّ ، وفي ذلك يقول[1] : [من الطويل]

أَلَمْ يأْتِها أَنّي تلبّستُ بعدها ... مُفَوَّفَــةً صَوَّاغُهــا غيرُ أُخرقِ

نسخت من كتاب هارون بن الزيات : حدَّثني عبد الوهّاب بن إبراهيم الأزديُّ ، قال : حدَّثني جَهْم بن مَسْعَدة ، قال : حدَّثني محمد بن الحجّاج الأسديّ ، عن أبيه ، قال : وردت حَجْراً وذو الرُّمَّة به ، فاشتكى شكايته التي كانت منها منيَّته ، وكرهتُ أن أخرج حتى أعلم بما يكون في شكاته ، وكنت أتعهّده ، وأعوده في اليوم واليومين ؛ فأتيته يوماً وقد ثَقُل ، فقلت : يا غيلان ، كيف تَجِدُك ؟ فقال : أجِدني والله يا أبا المثنّى اليوم في الموت ، لا غداة أقول : [من الطويل]

كأنّي غداة الزُّرق يا ميّ مدنَفٌ ... يكيد بِنَفْسٍ قــد أحمّ حِمامُها

فأنا والله الغداة في ذلك ، لا تلك الغداة .

قال هارون بن الزيّات : حدَّثني موسى بن عيسى الجعفريّ ، قال : أخبرني أبي قال : أخبرني رجل من بني تميم ، قال : كانت ميتة ذي الرُّمَّة أنّه اشتكى النَّوْطة[2] فوَجِعَها دهراً ، فقال في ذلك[3] : [من الطويل]

أَلِفتُ كلابَ الحــيِّ حتى عَرَفْنَني ... ومُدَّتْ نِساجُ العنكبوت على رَحْلي[4]

قال : ثم قال لمسعود أخيه : يا مسعود ، قد أجدني تماثلتُ وخفّت الأشياء عندنا ، واحتجنا إلى زيارة بني مروان ، فهل لك بنا فيهم ؟ فقال : نعم ، فأرسله إلى إبله يأتيه منها بلبن يتزوّده ، وواعده مكاناً ، وركب ذو الرُّمَّة ناقته فَقَمصت به ، وكانت قد أُعفِيت من الركوب ، وانفجرت النَّوْطة التي كانت به . قال : وبلغ موعد صاحبه وجُهِد وقال : أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً ، وإنّ العلّة التي كانت بي انفجرت . فأرسل إلى أهله فَصَلُّوا عليه ، ودفن برأس حُزْوى ، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره .

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ : قال أبو عبيدة وذكر هارون بن الزيّات ، عن محمد بن عليّ بن المغيرة ، عن أبيه : عن أبي عبيدة ، عن المنتجع بن نبهان قال : لما احتُضِر ذو الرُّمَّة قال : إنّي لست ممّن يدفن في الغموض والوِهاد . قالوا : فكيف نصنع بك ونحن في

1 ديوانه : 670 .
2 النوطة : ورم في الصدر أو غدة في البطن .
3 ديوانه : 491 .
4 الديوان : أتتني كلاب . . . . ومدت نسوج

رمال الدّهناء ؟ قال : فأين أنتم من كُثبان حُزْوى ؟ ، قال : وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال ، قالوا : فكيف نحفر لك في الرمل وهو هائل ؟ قال : فأين الشجرُ والمدَرُ والأعوادُ ؟ قال : فصلّينا عليه في بطن الماء ، ثم حملنا له الشجر والمدر على الكِباش ، وهي أقوى على الصُّمود في الرمل من الإبل . فجعلوا قبره هناك وزبَّروه[1] بذلك الشجر والمدر ، ودلُّوه في قبره ، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء ، وأنت بالدَّوِّ على مسيرة ثلاث .

قال هارون : وحدَّثني محمد بن صالح العدويّ ، قال : ذكر أبو عمرو المراديّ : إنّ قبر ذي الرُّمَّة بأطراف عَناق من وسط الدَّهناء مقابل الأواعس ، وهي أجبُل شوارعُ يقابلن الصَّريمة ، صريمة النِّعام ، وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرِّباب .

قال هارون : وحدَّثني هارون بن مسلم ، عن الزِّياديّ ، عن العلاء بن بُرْد ، قال : ما كان شيءٌ أحبَّ إلى ذي الرُّمَّة إذا ورد ماء من أن يَطْوِيَ ولا يَسْقِيَ ، فأخبرني مخبر أنّه مرّ بالجَفْر وقد جَهَده العطش ، قال : فسمعته يقول : [من البسيط]

يا مخرجَ الرّوح من جِسْمي إذا احتُضِرتْ وفـارجَ الكرْب زَحْزِحني عن النّارِ

ثم قضى .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، عن عيسى بن عمر ، قال : كان ذو الرُّمَّة ينشد الشعر ، فإذا فرغ قال : والله لأُكسعنَّك بشيء ليس في حسابك : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، ووَكيعٌ ، عن أبي أيّوب ، قال : حدَّثني أبو معاوية الغلابيّ ، قال : كان ذو الرُّمَّة حسنَ الصلاة ، حسنَ الخشوع ، فقيل له : ما أحسن صلاتك ! فقال : إنّ العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع .

[رثاء مسعود له]

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيديّ قال : حدَّثني عبد الرحمن ، عن عمّه ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قـال : كان مسعود أخـو ذي الرُّمَّة يمشي معي كثيراً إلى منزلي فقال لي يوماً ، وقد بلغ قريباً من منزلي : أنا الذي أقـول في أخي ذي الرُّمَّة : [من الطويل]

إلى اللهِ أَشكو لا إلى الناسِ أنَّني ولَيْلى كلانا مُوجَعٌ مـات وافدُهْ

فقلتُ له : مَن ليلى ؟ فقال : بنت أخي ذي الرُّمَّة .

---

1 زبر البئر : قوّى جوانبها .

[375] ـ ذكر خبر إبراهيم

[في هذه الأصوات الماخوريَّة]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة ، عن إسحاقَ الموصليّ ، عن أَبيه ، قال : صنعت لحناً فأعجبني ، وجعلت أُطلب له شعراً ، فعَسَر ذلك عليّ ، فأُريتُ في المنام كأن رجلاً لقيني ، فقال لي : يا إبراهيم ، أوقد أعياك شِعرٌ لغنائك هذا الذي تُعجَب بـه ؟ قلت : نعـم . قال : فأين أنت من قول ذي الرُّمَّة[1] : [من الطويل]

أَلا يا اسْلَمِيّ يا دارَ ميّ على البِلَى ... ولا زال مُنْهَلاً بجرعائكِ القَطْرُ

قال : فانتبهتُ فرحاً بالشعر ؛ فدعوت مَن ضرب عليّ فغنيتُه ، فإذا هو أوفق ما خلق الله ، فلمّا عملت هذا الغناء في شعر ذي الرُّمَّة نبّهت عليه وعلى شعره ، فصنعت فيه أَلحاناً ماخوريّة منها[2] : [من الطويل]

أَمَنْزِلَتـي مَـيٍّ سلامٌ عليكمـا ... هل الأزمُنِ اللاّئي مَضَيْنَ رَواجعُ !

وغنَّيت بها الهادي فاستحسنها ، وكاد يطير فرحاً ، وأمر لي لكلّ صوت بألف دينار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

أَلا يا اسلَمي يا دار ميٍّ على البِلى ... ولا زال مُنهـلاً بجرعائك القَطْرُ

ولَـو لم تكـوني غير شامٍ بقفرةٍ ... تجـرُّ بهـا الأذيالَ صيفِيَّةٌ كُدرُ[3]

عروضه من الطويل . وقوله : يا اسلمي هاهنا نداء ؛ كأنّه قال : يا دار ميّ اسلمي ، ويا هذه اسلمي ، يدعو لها بالسلامة . ومثله قول الله عزّ وجلّ : ﴿أَلا يسجدوا لله الذي يُخرجُ الخَبْءَ في السّموات والأرض﴾ ، فسّره أَهلُ اللغة هكذا ، كأنّه قال : يا قوم اسجدوا لله . وميّ ترخيم ميّة إلاّ أنّه أقامه هاهنا مقام الاسم الذي لم يرخّم فَنَوَّنَه . وقوله : على البلى ، أي اسلمي وإن كنتِ قد بَلِيت . والمنهلُّ : الجاري ، يقال : انْهلّ المطرُ انهلالاً ، إذا سال . والجرعاء والأجرع من

1 ديوانه : 206 .

2 ديوانه : 332 .

3 شام : جمع شامة ، وهي بقعة تخالف لون الأرض .

الرمل : الكثير الممتدّ . والشام : موضع يخالف لونَ الأرض ، وهو جمع ، واحدته شامة . والقفر : ما لم يكن فيه نبات ولا ماء ، تجرّ بها الأذيال صيفيّة يعني الرياح الصيفيّة الحارة . وأذيالها : مآخيرها التي تُسفي التراب على وجه الأرض ، شبّهها بذيل المرأة ، وعنى بها أوائلَها . والكُدْر : التي فيها الغبرة من القتام والفِجاج ؛ فهي تُعفّي الآثار وتدفنها . غنّاه إبراهيم الموصليّ ماخوريّاً بالوسطى . ومنها : [من الطويل]

صوت

أَمَنزلتَـــيْ مـــيٍّ سَلامٌ عليكمـــا هـل الأَزْمُنُ اللائي مَضينَ رواجعُ !
وهل يرجعُ التَّسليمَ أو يكشف العَمى ثـلاثُ الأثافي والدِّيـــارُ البلاقِعُ ![1]
توهمتُهـــا يومـــاً فقلـتُ لصاحبـي وليس لهـا إلاّ الظبـــاءُ الخواضعُ
ومَوْشيَّةٌ سُحْــمُ الصّياصي كأنّها مُجَلَّلَـــةٌ حُـــوٌّ عليهـــا البـــراقِعُ

عروضه من الطويل . غنّاه إبراهيم ماخوريّاً بالوسطى . والأزمن والأزمان جمع زمان . والعمى : الجهالة . والأثافيّ الثلاث هي الحجارة التي تنصبّ عليها القِدْر ، واحدتها أثفيَّة . والخواضع من الظباء : اللاتي قد طأطأت رؤوسها . والموشيّة : يعني البقر . والصَّياصي : القرون واحدتها صيصية . والمجلَّلَة : التي كأنّ عليها جِلالاً سوداً . والحُوَّة : حمرة في سواد . وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله[2] : [من الطويل]

صوت

قِفِ العَنْسَ نَنظرْ نظرةً في ديارها وهل ذاك من داء الصبابة نافعُ ![3]
فقـال : أمـــا تَغْشى لِميَّـةَ منزلاً من الأرض إلاّ قُلتَ : هل أنا رابعُ[4]
وقـــلَّ لأطـــلالٍ لِمَـــيٍّ تحيَّـــةٌ تُحيًّـا بهـــا أو أن تُرِشّ المدامعُ

العَنْس : الناقة . والرابع : المقيم . وقلّ لأطلال ، أي ما أقلّ لهذه الأطلال ممّا أفعله . وتُرِش المدامع ، أي تكثر نضحَها الدموعَ . غنّاه إبراهيم الموصليّ ماخوريّاً .

وذكر ابن الزيّات ، عن محمد بن صالح العذريّ ، عن الحرمازيّ ، قال : مرَّ الفرزدق على ذي الرُّمَّة وهو ينشد : [من الطويل]

أَمَنزلتَـــيْ مـــيٍّ سَلامٌ عليكمـــا

---

1 الديوان : والرسوم البلاقع .
2 ديوان : 333 .
3 العنس في الديوان : العيس .
4 الديوان : هل أنت رابع .

فلمّا فرغ قال له : يا أبا فراس ، كيف ترى ؟ قال : أراك شاعراً . قال : فما أقعدني عن غاية الشعراء ؟ قال : بكاؤك على الدِّمن ، ووصفُك القطا وأبوالَ الإبل .

[زيارة ميّ]

حدَّثني ابنُ عمّار والجوهريّ ، وحبيب المهلَّبيّ ، عن ابن شبّة ، عن إسحاق الموصليّ ، عن مسعود بن قند ، قال : تذاكرنا ذا الرُّمَّة يوماً فقال عصمة بن مالك : إيّاي فاسألوا عنه . قال : كان حُلْوَ العينين ، حسن النغمة ، إذا حدَّث لم تسأم حديثه ، وإذا أنشدك بَرْبَر وجَشَّ صوته ؛ جمعني وإيّاه مَرْبَع مرَّة ، فقال لي : هيّا عِصْمة ، إنّ ميّة من مِنْقر ، ومِنْقر أخبث حيّ وأقفاه لأثر ، وأثبته في نظر ، وأعلمه بشرّ ، وقد عرفوا آثار إبلي ؛ فهل عندك من ناقة نَزْدارُ عليها ميّة ؟ قلت : إي والله عندي الجوْذَر بنت يمانيّة الجدَلِيّ . قال : فعليَّ بها . فأتيته بها ، فركب وردفتُه فأتينا محلّة ميّة ، والقومُ خُلوف والنساء في الرحال ، فلمّا رأين ذا الرُّمَّة اجتمعن إلى ميّ ، وأنخنا قريباً وأتيناهنَّ ، فجلسنا إليهنَّ ، فقالت ظريفة منهنَّ : أنشِدْنا يا ذا الرُّمَّة . فقال لي : أنشِدْهنَّ يا عصمة . فأنشدتُ قصيدتَه التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

نظـرتُ إلى أظعانِ مَيٍّ كأنّـها ذُرا النَّخْلِ أو أثلٌ تميل ذوائبُهْ
فأسبلت العينانِ والقلبُ كاتمٌ بمُغْرَوْرِقٍ نَمَّت عليه سواكبُهْ[2]
بكاء فتًى خاف الفِراقَ ولم تُجِلْ جوائلَهـــا أسرارُه ومعـاتبُهْ[3]

قالت الظريفة : فالآن فلتُجِلْ ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله :

وقـد حلفتْ بالله ميّة مـا الذي أحدّثهـا إلاّ الذي أنــا كاذبُهْ
إذاً فرماني الله من حيثُ لا أرى ولا زال في أرضي عدوٌّ أُحاربُهْ

فقالت ميّة : ويحك يا ذا الرُّمَّة ! خَفِ اللهَ وعواقبَه . ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[4] :

إذا سَرَحَتْ من حبّ ميٍّ سوارحٌ على القلب أَبَتْه جميعاً عوازبُهْ

فقالت الظريفة . قتلتِه قتلتك الله ! فقالت ميّة : ما أصحَّه وهنيئاً له ! فتنفَّس ذو الرُّمَّة تنفيسةً كادَ حرُّها يطير بلحيتي ، ثم أنشدتُ حتى أتيتُ على قوله[5] : [من الطويل]

1 ديوانه : 39 .
2 الديوان : فأبديت من عيني والصدر كاتم .
3 الديوان : هوى آلف جاء الفراق فلم تجل .
4 لم يرد هذا البيت في القصيدة .
5 ديوانه : 42 .

إذا نازعْتـك القولَ ميّـةُ أو بَدا لكَ الوجهُ منها أو نضا الدِّرعَ سالِبُهْ
فما شئتَ مـن خدٍّ أَسيلٍ ومنطقٍ رخيمٍ ومـن خَلْقٍ تَعلّل جادِبُهْ[1]

فقالت الظريفة : فقد بدا لك الوجه وتُنوزِع القولُ ، فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه ؟ فقالت لها ميّة : قاتلك الله ! فماذا تأتين به ! فتضاحكت الظريفة وقالت : إنّ لهذين لشأناً فقوموا بنا عنهما . فقامت وقُمن معها ، وقمت فخرجت ، وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما ، فوالله ما رأيتـه تحرّك من مكانه الذي خلّفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال . فأتيته فقلت : انهض بنا فقد ثاب النوم فودَّعها فركب وردفته وانصرفنا . ومنها[2] : [من الطويل]

صوت

إذا هبَّتِ الأَرْواحُ من أيِّ جانبٍ بـه أَهلُ مـيٍّ هاج قلبي هُبُوبُها[3]
هوًى تذرِف العينانِ منـه وإنّما هوى كلِّ نفس حيثُ كان حبيبُها

الغناء لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن الهِشاميّ .

صوت[4]

[من الكامل]

إنّـي تُذكّـرني الزُّبيرَ حمامـةٌ تدعُـو بمجمعِ نخلتـين هَديلا
أَفتى النَّدى وفتـى الطِّعان قتلتمُ وفتـى الرِّيـاح إذا تَهُـبّ بَلِيلا[5]
لـو كنتَ حُرّاً يا ابن قينِ مجاشعٍ شيَّعْتَ ضَيْفَك فَرْسَخاً أو مِيلا

وفي أُخرى : فرسخين وميلا .

قالـت قريشٌ : مـا أذلَّ مُجاشعاً جاراً وأَكـرم ذا القتيـل قتيلا !

الشعر لجرير ، يهجو الفرزدق ويعيّره بقتل عشيرته الزُّبيرَ بن العوّام يوم الجمل ، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

---

1 الديوان : فيا لك من خدّ أسيل . .
2 ديوانه : 66 .
3 الديوان : . . . . من نحو جانب . . . . هاج شوقي . . . .
4 ديوان جرير (صادر) : 364 .
5 الديوان :
أفتى الندى وفتى الطعان غررتم وفتـى الشمال إذا تهب بليـلا

[376] ـ ذكر مقتل الزُّبير وخبره[1]

[بين الزُّبير وطلحة وعلي]

حدَّثنا أحمد بن عُبَيد اللهِ بن عمّار ، وأحمدُ بن عبد العزيز ، عن ابن شبَّة قالا : حدَّثنا المدائنيّ ، عن أبي بكر الهُذَليّ ، عن قتادَة قال : سار أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب صلوات الله عليه من الزّاوية[2] يريد طلحةَ والزُّبير وعائشةَ ، وصاروا من الفُرْضة يريدونه ، فالتَقَوْا عند قصر عُبَيْد اللهِ بن زياد يوم الخميس النصف من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين ، فلمّا تراءى الجَمْعان خرج الزُّبيرُ على فرسٍ وعليه سلاحُه ، فقيل لعليٍّ صلوات الله عليه : هذا الزُّبير ، فقال : أمَا واللهِ إنه أحرَى الرجلين إن ذُكِّرَ باللهِ أن يذكُره . وخرج طلحةُ ، وخرج عليٌّ عليه السلام إليهما ، فدَنا منهما حتى اختلفَت أعناقُ دوابِّهم ، فقال لهما : لعمري لقد أعدَدْتما خَيْلاً ورجالاً ، إن كنتُما أعددتما عند اللهِ عُذراً فاتّقيا اللهَ ولا تَكُونا ﴿كالَّتِي نَقَضَت غَزْلَها من بعد قُوَّةٍ أَنْكاثاً﴾ [النحل : 92] ألم أكُن أخاكُما في دينكما تحرِّمانِ دمي وأُحرِّم دماءَكما ؟ فهلْ من حدَثٍ أحَلَّ لكما دمي ؟ فقال له طلحة : ألَّبتَ الناسَ على عثمان . فقال : يا طلحةُ ، أتطلُبني بدم عثمان ؟ فلعَن اللهُ قَتَلَة عثمان ! يا زُبير ، أتذكر يوم مررتُ مع رسول الله ﷺ وآله في بني غَنْم ، فنظر إليَّ وضحك ، وضحكتُ إليه ، فقلتَ : لا يدعُ ابنُ أبي طالب زَهْوَه ، فقال : مَهْ ليس بمزهوٍّ ، ولتقاتلنّه وأنتَ له ظالم ؟ فقال : اللهمَّ نعم ، ولو ذُكّرتُ ما سِرتُ مسيري هذا ، والله لا أُقاتلك أبداً . وانصرف عليٌّ صلواتُ الله عليه ، إلى أصحابه وقال : أمّا الزُّبير فقد أعطى اللهَ عهداً ألاّ يُقاتلَني .

قال : ورجع الزُّبير إلى عائشة فقال لها : ما كنتُ في موطن مُذْ عَقَلْتُ إلاّ وأنا أعرِف فيه أمرِي غيرَ موطني هذا ؛ قالت : وما تُريد أن تصنع ؟ قال : أدعُهم وأذهب . فقال له ابنه عبدُ الله : أجمعْتَ بين هذين الغارَين[3] حتى إذا حدَّد بعضُهم لبعض أردتَ أن تذهب

1 مقتل الزبيري بن العوام في كتب التاريخ كالمسعودي والطبري (حوادث سنة 36) وطبقات ابن سعد 3 : 110–113 وصفة الصفوة 1 : 132 وحلية الأولياء 1 : 89 وتهذيب ابن عساكر 5 : 355 والعقد 4 : 322–325 وخزانة البغدادي 4 : 218–220 وأخبار عاتكة بنت زيد في الكتب التي تحدثت عن مقتل الزُّبير وفي الاستيعاب والإصابة وخزانة البغدادي 10 : 378–381 والعيني 2 : 278 . وانظر في الحالين أعلام الزركلي .

2 الزاوية : موضع قرب البصرة .

3 الغار : الجيش الكثير .

وتَتْرُكَهم ؟ أَخَشِيتَ رايات ابن أَبي طالب وعلمتَ أَنّها تحملها فِتيةٌ أَنجاد ؟ فأَحفظه ، فقال : إنّي حَلفتُ ألاّ أُقاتِله . قال : كفِّرْ عن يمينِك وقاتِله . فدعا غلاماً له يُدعَى مَكْحولاً فأعتقه ، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيميّ : [من الرجز]

لم أَرَ كاليوم أَخـا إخوانِ أَعجَبَ مـن مُكَفِّرِ الأَيْمانِ
بالعِتـقِ في مَعْصِيَةِ الرَّحمـنِ

وقال بعضُ شُعرائِهم : [من الرجز]

يُعتِق مَكْحولاً لصَوْنِ دينِهْ كفّـارةً للهِ عـن يمينِهْ
والنَّكْـثُ قـد لاح على جَبِينِهْ

[مقتل الزُّبير]

حدَّثني ابنُ عمّار والجوهريّ قال : حدَّثنا ابن شبّة عن عليّ بن محمد النوفليّ عن الهذليّ ، عن قَتادة ، قال : وقف الزُّبير على مسجد بني مُجاشِع فسأل عن عِياض بن حمّاد ، فقال له النُّعمان بن زمام : هو بوادي السِّباع فمضى يريده .

حدَّثني ابن عمّار والجوهريّ ، عن عُمر ، قال : حدَّثني المدائنيّ ، عن أَبي مِخْنَف ، عمّن حدَّثه عن الشعبيّ ، قال : خرج النُّعمان مع الزُّبير حتى بلغ النَّجيب ، ثم رجع .

قال : وحدَّثنا عن مسْلَمة بن مُحارب ، عن عَوف ، وعن أَبي اليقظان ، قالا : مرَّ الزُّبير ببني حمّاد فدعَوْه إلى أَنفسهم فقال : اكفُوني خيرَكم وشرَّكم ، فوالله ما كَفَوْه خيرَهم وشرَّهم . ومضى ابن فَرْتَنى إلى الأَحنف وهو بعِرْق سُوَيقة ، فقال : هذا الزُّبير قد مَرَّ ؛ فقال الأَحنف : مـا أَصنع بـه ؟ جمع بين غارَيْـن من المسلمين ، فقتل بعضهم بعضاً ، ثم مرَّ يريد أن يلحق بأهله . فقام عمرو بن جُرمُوز وفُضالةُ بن حابس ونُفَيع بن كعب أَحدُ بني عوف ، ويقال نُفَيع بن عُمَير ، فلحقوه بالعِرق ، فقُتِل قبل أن ينتهي إلى عِياض ، قتله عَمرو بن جُرمُوز .

حدَّثني أَحمد بن عيسى بن أَبي موسى العِجْليُّ الكوفيّ ، وجعفرُ بن محمد بن الحسن العلويّ الحسنيّ ، والعبّاس بن عليّ بن العبّاس وأَبـو عبيد الصَّيْرفيّ ، قالوا : حدَّثنا محمد بن عليّ بن خلَف العطّار ، قال : حدَّثنا عمرو بن عبد الغفّار ، عن سفيان الثوريّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أَبيه ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام ، قال : حدَّثني ابنُ عبّاس قال : قال لي عليّ صلوات الله عليه : ائتِ الزُّبير فقل له : يقولُ لك عليُّ بن أَبي طالب نشدتُك الله ، أَلستَ قد بايَعتني طائعاً غيرَ مُكْرَه . فما الذي أَحدثتُ فاستحللتَ به قِتالي ؟

وقال أَحمد بن يحيى في حديثه : قل لهما : إنّ أخاكما يقرأ عليكما السلام ويقول : هل

نَقِمْتُما عليَّ جَوْراً في حكم أو استئثاراً بفيْء ؟ فقالا : لا ، ولا واحدةً منهما ، ولكن الخوْف وشدَّة الطمع .

وقال محمد بن خلف في خبره : فقال الزُّبير : مع الخوف شدَّة المطامع ؛ فأَتيتُ عليّاً عليه السلام فأخبرتُه بما قال الزُّبير ، فدعا بالبَغْلة فركِبَها وركِبْتُ معه ، فدَنَوا حتى اختلفت أعناقُ دابَّتيْهما ، فسمِعْتُ عليّاً صلوات الله عليه ، يقول : نشدتُك الله يا زُبيرُ ، أَتعلم أنِّي كنتُ أنا وأنتَ في سقيفة بني فلان تُعالجني وأُعالجك فمرَّ بي ، يعني النبيَّ ﷺ ، فقال : كأَنَّك تُحبُّه ! فقلت : وما يمنَعُني ! قال : أما إنّه ليُقاتِلَنَّك وهو لك ظالم . فقال الزُّبير : اللهمّ نعم ، ذكّرتَني ما نسيت ، وولَّى راجعاً . ونادى منادي عليّ : ألا لا تقاتِلوا القومَ حتى يستشهِدوا منكم رجلاً . فما لبث أن أُتِي برجلٍ يتشحَّط في دمِه ، فقال عليٌّ عليه السلام : اللهمّ اشهد ، اللهمّ اشهد ، اللهمّ اشهد . وأَمر الناسَ فشدُّوا عليهم ، وأَمر الصُّرَّاخَ فصرخوا : لا تُذَفِّفوا[1] على جريح ولا تَتْبعوا مُدبِراً ، ولا تَقتُلوا أسيراً .

حدّثنا إبراهيمُ بن عبد الله بن محمد بن أَيّوب المخزوميّ ، عن سعيد بن محمد الجرميّ ، عن أبي الأحوص ، عن عاصم بن بهدلةَ ، عن زرّ بن حُبيش ، ولا أحسبه إلاّ قال : كنت قاعداً عند عليٍّ عليه السلام ، فأتاه آتٍ فقال : هذا ابن جُرموز قاتلُ الزُّبير بن العوّام يستأذن على البابِ ، قال : ليدخُلَنَّ قاتلُ ابن صفيَّة النَّار ، إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : «إنّ لكلِّ نبيٍّ حواريَّ وإنَّ حَواريَّ الزُّبير» .

أَخبرني الطُّوسيّ وحِرْمِيّ ، عن الزُّبير ، عن الزبير ، عن عليّ بن صالح ، عن سالم بن عبد الله بن عروة ، عن أبيه : أنّ عمراً أو عُويْمر بن جُرْمُوز قاتل الزُّبير أتى مُصْعَباً حتى وضع يده في يده ، فقذفه في السجن ، وكتب إلى عبد الله بن الزُّبير يذكر له أمره ، فكتب إليه عبدُ الله : بئس ما صنعت ، أَظننتَ أنّي أقتل أعرابيّاً من بني تميم بالزُّبير ! خَلِّ سبيلَه ، فخلاَّه .

[عاتكة ترثي الزُّبير]

أَخبرني الطوسيّ والحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه قال : قُتِل الزُّبير وهو ابنُ سبعٍ وستِّين سنة أو ستٍّ وستِّين سنة ، فقالت عاتِكةُ بنت زَيْد بن عمرو بن نُفيل ترثيه : [من الكامل]

غَـدَر ابنُ جُرْمـوزٍ بفارس بُهْمَةٍ يـومَ اللقـاء وكان غيرَ مُعَرِّدِ[2]

1 ذفف على الجريح : أجهز عليه .

2 البهمة : الشجاع . والمعرد : الهارب المحجم عن قرنه .

يـا عمرُو لـو نَبَّهته لوجدتَه لا طائشاً رَعِشَ اللسان ولا اليَدِ[1]
شَلَّتْ يمينُك إن قتلـتَ لَمُسلِمًا حَلَّت عليك عقوبـةُ المُسْتَشْهِدِ[2]
إنّ الزُّبيرَ لـذُو بـلاءٍ صادقٍ سَمْحٌ سَجِيَّتُـه كريـمُ المَشْهَدِ
كم غمـرةٍ قـد خاضها لم يَثْنِه عنها طِرادُك يا ابْنَ فَقْعِ القَرْدَدِ[3]
فاذهبْ فمـا ظَفِرتْ يداكَ بمثلِه فِيمَن مضى مِمّن يَروحُ ويَغْتَدي

وكانت عاتكةُ قبل الزُّبير عند عُمَر، وقبل عُمَر عند عبد الله بن أبي بكر.

[أزواج عاتكة]

أخبرني بخبرها محمد بن خَلَف وكيع، عن أحمد بن عمرو بن بكر، قال: حدَّثنا أبي قال: حدَّثنا الهَيْثَمُ بن عَديّ، عن محمّد بن عمرو، عن أبي سَلَمة بن عبد الرّحمن وأخبرنا وَكيع، قال: حدَّثني إسماعيل بن مجمِّع عن المدائنيّ.

وأخبرني الطوسيّ والحِرْمِيّ، قالا: حدَّثنا الزُّبير، عن عمِّه، عن أبيه، وأخبرني اليَزِيديّ، عن الخليل بن أَسَد، عن عمرو بن سعيد، عن الوَليد بن هشام بن يحيى الغَسّانيّ.

وأخبرني الجوهريّ، عن ابن شَبَّة، قال: حدَّثنا محمد بن موسى الهُذَليّ، وكلّ واحد منهم يزيدُ في الرواية ويَنقُصُ منها، وقد جَمعت رواياتهم قالوا: تزوّج عبدُ الله بن أبي بكر الصِّدّيق عاتِكةَ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل، وكانت امرأةً لها جمالٌ وكمالٌ وتمامٌ في عقلها ومنظرها وجزالةِ رأيها؛ وكانت قد غلبته على رأيه. فمرَّ عليه أبو بكر أبوه وهو في عِلِّيَّة يناغيها في يوم جمعة، وأبو بكر متوجِّه إلى الجمعة؛ ثم رجع وهو يُناغِيها، فقال: يا عبد الله أجمَّعْتَ[4]؟ قال: أَوَصلّى النّاس؟ قال: نعم، قال: وقد كانت شغلته عن سُوق وتجارة كان فيها، فقال له أبو بكر: قد شغلتْك عاتكةُ عن المعاش والتجارة، وقد أَلهَتْك عن فرائض الصلاة! طلِّقها، فطلَّقها تطليقة، وتحوّلت إلى ناحية؛ فبَيْنا أبو بكر يصلّي على سطح له في الليل إذْ سمِعه وهو يقول: [من الطويل]

أعاتِـكُ لا أنساكِ مـا ذرَّ شارِقٌ ومـا نـاح قُمْرِيُّ الحمامِ المُطَوَّقُ
أعاتِـكُ قلبـي كلَّ يـوم وليلة لديـكِ بما تُخفي النفوسُ مُعلَّقُ

---

1 الطبقات والخزانة: رعش الجنان.
2 الطبقات والخزانة: عقوب المتعمد.
3 الفقع: الكمأة، والقردد: المكان المستوي. وفي المثل: أذل من فقع القرقر.
4 أجمّعت: أصليت الجمعة.

لهـا خُلُقٌ جَـزْلٌ ورأيٌ ومنطـقٌ وخَلْق مصونٌ في حياءٍ ومصدَقُ[1]
فلـم أرَ مثلي طلَّـق اليـوم مثلَها ولا مثلَهـا في غيرِ شيءٍ تُطلَّـقُ

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رَقّ له ، فقال : يا عبدَ اللهِ ، راجع عاتكة ، فقال : أُشهِدك أنّي قد راجعتُها . وأشرف على غلام له يقال له أيْمَن ، فقال له : يا أيْمن ، أنت حُرٌّ لوجه الله تعالى ، أُشهِدُك أنّي قد راجعت عاتِكَةَ ، ثم خرج إليها يجري إلى مؤخَّر الدار وهو يقول : [من الطويل]

أعاتِـكُ قـد طُلِّقتِ في غير رِيبَةٍ ورُوجعتِ للأمـرِ الذي هـو كائِنُ
كذلـك أمـرُ اللهِ غـادٍ ورائـحٌ علـى النّاس فيـه أُلفـةٌ وتباينُ
ومـا زال قلبـي للتّفـرُّق طائراً وقلبي لما قـد قـرَّب اللهُ ساكِنُ
لِيهْنِـكِ أنّي لا أرى فيكِ سَخْطةً وأنّك قـد تَمَّتْ عليك المحاسنُ
فإنّـك مِمَّـنْ زيَّـن اللهُ وجهَه وليس لِوَجْـهٍ زانَـه اللهُ شائِنُ

قال : وأعطاها حديقةً له حين راجعها على ألاّ تتزوَّج بعده ، فلمّا مات من السهم الذي أصابه بالطائف ، أنشأت تقول : [من الطويل]

فلِلّه عينـا مَـنْ رأى مثلَـه فتًى أكَرَّ وأحمـى في الهيـاجِ وأصْبرا
إذا شُرِعت فيـه الأسِنَّةُ خاضَها إلى الموتِ حتى يترُك الرُّمحَ أحمرا[2]
فأقسمتُ لا تنفَـكُّ عيني سَخِينَةً عليـكَ ولا ينفـكُّ جِلْديَ أغبرا
مَدى الدَّهرِ مـا غَنَّت حمامةُ أيكةٍ ومـا طـردَ الليلُ الصَّباحَ المُنَوَّرا

فخطبها عمر بن الخطّاب ، فقالت : قد كان أعطاني حديقةً على ألاّ أتزوَّجَ بعده ، قال : فاستفتـي ، فاستفتَتْ عليَّ بن أبـي طالب عليه السلام ، فقال : رُدِّي الحديقةَ على أهله وتزوَّجـي . فتزوَّجت عمر فسَرَّح عمر إلى عِدّة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، يعني دعاهم ، لما بَنى بها ، فقال له عليّ : إنَّ لي إلى عاتكةَ حاجةً أُريد أن أذكِّرَها إيّاها ، فقُلْ لها تَسْتَتِر حتى أُكلّمها ؛ فقال لها عمر : استَتِري يا عاتكةُ فإنَّ ابنَ أبي طالب يريد أن يُكلِّمك ، فأخذت عليها مِرْطَها[3] فلم يظهر منها إلاّ ما بدا من بَراجِمها[4] ،

1 الخزانة : لهـا خلق جزل ورأي ومنصب وخَلق سويّ في الحياة وَمَصْدق
2 الرمحُ في ل : الموت أحمرا .
3 المرط : كساء من صوف أو خز .
4 البراجم : مفاصل الأصابع أو رؤوس السلاميات .

فقال يا عاتكةُ : [من الطويل]

فأقسمتُ لا تنفــكُّ عيني سخِينةً عليــكَ ولا ينفــكُّ جِلدِيَ أغبَرا

فقال له عمر : ما أردتَ إلى هذا ؟ فقال : وما أرادتْ إلى أن تقول ما لا تفعل ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾[1] وهذا شيء كان في نفسي أحببتُ والله أن يَخرُج . فقال عمر : ما حَسَّنَ اللهُ فهو حَسَنٌ ، فلمّا قُتِل عمر ، قالت ترثيه : [من الخفيف]

عــينُ جُودِي بعَبْرةٍ ونَحيبِ لا تمَلِّـي على الإمامِ النَّجيبِ
فَجَعَتْنا المَنُــونُ بالفارِسِ المُعْـ ـلَم يــومَ الهِيــاجِ والتَّلْبيبِ
عِصْمَةِ اللهِ والمُعِينِ على الدَّهْـ ـرِ غِياثِ المُنْتابِ والمَحْرُوبِ
قُلْ لأَهْلِ الضَّرَّاءِ والبُؤْسِ مُوتُوا قد سَقَتْه المَنُونُ كأسَ شَعُوبِ

وقالت ترثيه أيضاً : [من الكامل]

صوت

مُنِع الرُّقادُ فعـادَ عَيْنِيَ عِيدُ مِمَّــا تَضَمَّن قَلبِــيَ المَعْمودُ[2]
يــا ليلةً حُبِست عليَّ نُجومُها فسَهِرْتُهــا والشامِتُونَ هُجودُ
قــد كان يُسهِرُني حِذارُك مَرّةً فاليــوم حـــقٌّ لِعَيْني التَّسْهِيدُ
أبكِــي أميــرَ المُؤْمِنــين ودُونَه لِلزّائريــن صَفائِــحٌ وصَعِيدُ

غنّى فيه طُوَيس خفيف رمل عن حمّاد والهشاميّ .

فلمّا انقضت عِدَّتُها خطبها الزُّبير بن العوّام فتزوَّجها ، فلمّا مَلَكها قال : يا عاتِكَة ، لا تَخرُجِي إلى المسجد ، وكانت امرأة عَجْزاء بادِنة . فقالت : يا ابن العوّام ، أتريد أن أدَع لغَيْرتك مُصلًّى صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فيه ؟ قال : فإنّي لا أمنعك . فلمّا سَمِع النداء لصلاة الصبح توضّأ وخرج ، فقام لها في سقيفة بني ساعِدَة ، فلمّا مرَّت به ضَرَب بيده على عجيزتها ، فقالت : ما لك قطع اللهُ يدك ! ورجعتْ . فلمّا رَجع من المسجد قال : يا عاتِكَةُ ، ما لي لم أركِ في مُصلاّكِ ؟ قالت : يرحمُك الله أبا عبد الله ، فَسَد الناسُ بعدَكَ ، الصلاة اليوم في القَيْطُون[3] أفضلُ منها في البيت ، وفي البيت أفضل منها في الحُجْرة . فلمّا قُتِلَ عنها الزُّبير بوادي السّباع رثَته فقالت : [من الكامل]

1 سورة الصف ، الآية : 3 .
2 العيد : ما يعتاد من مرض أو حزن .
3 القيطون : المخدع .

غَـدَر ابنُ جُرموزٍ بفارس بُهْمةٍ ... يـومَ اللِّقـاءِ وكان غيرَ مُعَـرِّدِ
يـا عَمرُو لـو نَبَّهتَـه لوجدْتَه ... لا طائِشاً رعِشَ اللِّسان ولا اليَدِ
هبِلَتْك أُمُّكَ إن قَتلْتَ لَمُسْلِماً ... حَلَّـت عليـك عقُوبةُ المُتَعَمِّدِ[1]

فلمّا انقضت عِدَتُها تزوَّجها الحُسينُ بنُ عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، فكانت أوَّلَ مَن رفع خدَّه من التراب ، صلّى الله عليه وآله ، ولَعَن قاتِلَه والرَّاضي به يوم قُتِلَ ، وقالت ترثيه : [من الخفيف]

وحُسَيْناً فـلا نَسِيتُ حُسَيْناً ... أقصدَتْـه أسِنَّـةُ الأعـداءِ
غـادَروه بكَرْبَـلاءَ صَرِيعـاً ... جادَتِ المُزنُ في ذَرى كَرْبَلاءِ

ثم تأيَّمت بعده ، فكان عبد الله بن عمر يقول : مَن أراد الشَّهادة فليتزوَّج بعاتكة . ويقال : إنّ مروان خَطَبها بعد الحُسَين عليه السلام فامتنعت عليه ، وقالت : ما كنت لأتـَّخِذ حَماً بعد رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الخليل بن أسد قال : حدَّثني العمريّ قال : حدَّثنا أسامة بن زيد ، عن القاسم بن محمد قال : لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدِم وفد ثقيف فأخرجه إليهم ، فقال : مَن يعرف هذا منكم ؟ فقال سعيد بن عبيد من بني علاج : هذا سهمي وأنا بريتُه ، وأنا رشتُه ، وأنا عقبته ، وأنا رميت به يوم الطائف . فقال أبو بكر : فهذا السهم الذي قتل عبد الله ، والحمد لله الذي أكرمه بيدك ، ولم يهنك بيده .

[غناء طويس في شعر عاتكة]

أخبرني اليزيديُّ ، عن الزُّبير ، عن أحمد بن عُبَيْد الله بن عاصم بن المُنْذِر بن الزُّبير ، قال : لمّا قُتل الزُّبير وخلتْ عاتِكة بنتُ زَيْد ، خطَبها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت له : إنِّي لأَضَنّ بك على القتل يا ابنَ عمٍّ رسول الله .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن محمد بن سَلاّم قال : حدَّثني أبي قال : بينا فِتية من قريش ببطن مُحسِّر يتذاكرون الأحاديثَ ويتناشدون الأشعارَ إذ أقبل طُوَيس وعليه قميص قُوهِيٌّ[2] وحَبَرة قد ارتدى بها ، وهو يَخطُر في مِشْيته ، فسلّم ثم جلس ؛ فقال له القوم : يا أبا عبد الله غنّنا شِعْراً مليحاً له حديث ظريف ، فغنّاهم بشعر

---

1 تقدم برواية : شلت يمينك

2 قوهي : أبيض .

عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطّاب : [من الكامل]

مُنِـعَ الرُّقادُ فعـادَ عَيْنيَ عِيدُ مِمَّـا تَضمَّن قَلبِـــيَ المَعمودُ

الأَبيات ، فقال القوم : لِمَنْ هذه الأَبيات يا طُوَيس ؟ قال لأجْمَل خلق الله وأشأمهم ؛ فقالوا : بأنفُسنا أنت ، مَن هذه ؟ قال : هي والله مَن لا يُجهَل نَسبُها ولا يُدفَع شرفُها ، تزوَّجت بابن خليفة نبيّ الله ، وثَنَّت بخليفة خليفة نبيّ الله ، وثَلَّثت بحَوارِيّ نبيّ الله ، وربَّعت بابن نبيّ الله ، وكُلاًّ قَتَلَتْ . قالوا جميعاً : جُعِلْنا فداك ، إنّ أمر هذه لعجيب ، بآبائنا أنت مَن هذه ؟ قال : عاتِكةُ بنتُ زَيد بن عمرو بن نُفَيل . فقالوا : نعم ، هي على ما وصَفْتَ ، قوموا بنا لا يُدرِك مجلسَنا شؤمُها . قال طُوَيس : إنّ شُؤْمَها قد مات معها ، قالوا : أنت والله أعلم مِنّا .

صوت

[من الخفيف]

يـا دَنانِيرُ قـد تَنكَّر عَقْـلي وتَحَيَّرتُ بـين وَعْـدٍ ومَطْلِ
شَغَفـي شافِعـي إليـكِ وإلاّ فاقتُلِيني إن كنتِ تَهْوَين قَتْلي

الشعر والغِناء لعَقيد مولى صالح بن الرشيد ، خفيف ثقيل ، وفيه لعريب رمل بالوسطى ، وهذا الشعر يقوله في دنانير مَولاة البرامكة ، وكان خَطَبها فلم تُجبه ، وقيل : بل قاله أحدُ اليزيديِّين ونَحلَه إيّاه .

[377] ـ ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد[1]

كانت دنانيرُ مولاة يحيى بن خالد البرمكيِّ وكانت صفراءَ مولَّدة ، وكانت من أحسن النّاس وجهاً وأظرفهنَّ وأكملهنَّ أدباً وأكثرهنّ رِوايةً للغناء والشعر ، وكان الرشيد لشغفه بها يُكثِر مصيرَه إلى مولاها ويقيم عندها ويَبرّها ويفرِط ، حتى شكَته زبيدةُ إلى أهله وعُمومته ، فعاتبوه على ذلك .

[كتابها في الأغاني]

ولها كتابٌ مجرَّد في الأغاني مشهور ، وكان اعتمادُها في غنائها على ما أخذته من بذْل وهي خَرَّجَتْها ، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بَذْل عنهم مثل : فُلَيح ، وإبراهيم ، وابن جامع ، وإسحاق ، ونُظرائهم .

أخبرني جحظة ، قال : حدَّثني المكِّيُّ عن أبيه قال : كنتُ أنا وابنُ جامع نُعايي دنانيرَ جارية البرامكة ، فكثيراً ما كانت تَغلِبنا .

[إبراهيم الموصليّ يعجب بصوت لها]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ ، عن ابن شبّة ، قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ ، قال : قال لي أبي[2] ؛ قال لي يحيى بن خالد : إن ابنتك دنانير قد عمِلت صوتاً اختارتْه وأُعْجِبت به ، فقلت لها : لا يشتدُّ إعجابُك حتى تعرِضيه على شَيخك ، فإن رضِيَه فارضَيه لنفسك ، وإن كرهه فاكرهيه ، فامضِ حتى تعرضَه عليك . قال : فقال لي أبي : فقلت له : أيّها الوزير فكيف إعجابُك أنت به ؟ فإنّك والله ثاقب الفِطنة صحيحُ التّمييز ؟ قال : أكرهُ أن أقولَ لك : أعجبني فيكون عندك غَيرَ مُعجِب ؛ إذ كنت عندي رئيس صناعتك ، تَعرِف منها ما لا أعرف ، وتقف من لطائفها على ما لا أقِف ، وأكرَهُ أن أقول لك : لا يُعجبُني ، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً ، وإنّما يتمُّ السرور به إذا صادف ذلك منك استجادةً وتصويباً . قال : فمضيت إليها ، وقد تقدَّم إلى خَدَمه يعلمهم أنّه سيرسل بي إلى داره ، وقال لدنانير : إذا جاءَك إبراهيمُ فاعْرِضي عليه الصوت الذي صنعتِه واستحسنْتِه ، فإن قال لك : أصبتِ سَررتِني بذلك ، وإن كَرِهه فلا تُعلميني لئلاّ يزول سُروري بما صنعتِ . قال إسحاق : قال أبي : فحضَرْتُ الباب فأُدخِلتُ ، وإذا الستارة قد نُصِبت ، فسلّمت على الجارية من وراء

1 لدنانير ترجمة في الدر المنثور : 192 وفيه «عقيل» وأعلام الزركلي .
2 تقدم الخبر والصوت في ترجمة إبراهيم الموصليّ 5 : 102 .

الستارة ، فردَّت السلام ، وقالت : يا أَبتِ أعرِضُ عليك صوتاً قد تقدّم لا شكّ إليك خبرُه ، وقد سمعتُ الوزيرَ يقول : إنّ النّاس يُفتنون بغنائهم ، فيُعجبهم منه ما لا يُعْجِب غيرهم ، وكذلك يُفتنون بأولادهم ، فيحسُنُ في أعينهم منهم ما ليس يحسن ، وقد خشِيت على الصوت أن يكون كذلك ، فقُلت : هاتِ ، فأخذت عودَها وتغنَّت تقول : [من الكامل]

صوت

نَفْسي أكنتُ عليك مُدَّعِياً ... أم حين أَزمع بَيْنَهم خُنْتِ !
إن كنتِ مولعةً بذكرهمُ ... فعلى فراقِهمُ ألا مُتِّ !

قال : فأعجبني والله غاية العجب واستخفَّني الطرب ، حتى قلت لها : أُعيديه ، فأَعادته وأَنا أَطلب لها فيه موضعاً أُصلحه وأُغيِّره عليها لتأخذَه عنّي ، فلا والله ما قَدرتُ على ذلك ؛ ثم قلتُ لها : أعيديه الثالثة فأعادته ، فإذا هو كالذهب المصفّى ؛ فقلت : أحسنتِ يا بنيّة وأصبتِ ، وقد قطعت عليك بحُسن إحسانك وجودة إصابتك أنّك قائدةٌ للمعلِّمين ؛ إذ قد صرتِ تُحسنين الاختيار وتُجيدين الصنعة ؛ قال : ثم خرج فلقيه يحيى بنُ خالد : فقال : كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير ؟ قال : أعزَّ الله الوزير ، والله ما يُحْسِن كثيرٌ من حُذّاق المغنِّين مثلَ هذه الصنعة ، ولقد قلتُ لها : أُعيديه وأعادته عليَّ مرّات ، كلُّ ذلك أُريد إعناتها ، لأجتلِبَ لنفسي مدخلاً يؤخذ عنّي ويُنسب إليّ ، فلا والله ما وجدته . فقال لي يحيى : وصفُك لها يقوم مقام تعليمك إيّاها ، وقد ، والله ، سررتني وسأسرُّك ، فوجَّه إليّ بمال عظيم .

[إعجاب الرشيد بها]

وذكر محمد بن الحسن الكاتب ، قال : حدَّثني ابن المكّي ، قال : كانت دنانير لرجل من أَهل المدينة ، وكان خرّجها وأدَّبها ، وكانت أروى النّاس للغِناء القديم ، وكانت صفراءَ صادقَة الملاحة ، فلمّا رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها . وكان الرشيد يسير إلى منزله فيسمعُها ، حتى أَلِفَها واشتدّ عَجَبُه بها فوهب لها هِبات سنيّة ، منها أنّه وهب لها في ليلة عِيد عِقْداً قيمته ثلاثون ألف دينار ، فرُدَّ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك . وعلمت أُمّ جعفر خبرَه فشكته إلى عُمومته ، فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه ، فقال : ما لي في هذه الجارية من أَرَب في نفسها ، وإنّما أَرَبي في غنائها ، فاسمعوها ، فإن استحقّت أن يُؤلفَ غناؤها وإلاّ فقولوا ما شئتم ؛ فأَقاموا عنده ، ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه ، وعادوا إلى أُمّ جعفر فأشاروا عليها ألاّ تُلحّ في أمرها فقَبِلت ذلك ، وأَهدت إلى الرَّشيد عَشْرَ جوارٍ ، منهن : ماردة أُمّ المعتصم ، ومراجل أُمّ المأمون ، وفارِدَة أُمّ صالح .

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، : أخبرني محمد بن عبد الله الخُزاعيّ قال : حدَّثني عبّاد البشريّ قال : مررتُ بمنزل من منازل طريق مكّة يقال له النِّباج ، فإذا كِتاب على حائط في المنزل ، فقرأتُه فإذا هو : النَّيْكُ أربعة ؛ فالأوّل شَهْوة ، والثاني لذَّة ، والثالث شفاء ، والرابع داءٌ ، وحِرٌ إلى أيْرَيْن أحوجُ من أيْرٍ إلى حِرَيْن ، وكَتَبتْ دَنانيرُ مولاة البرامكة بخطّها .

أخبرني إسماعيل بن يونس ، عن ابن شَبَّة : أنّ دنانير أخذت عن إبراهيم الموصليّ حتى كانت تُغنِّي غِناءه ، فتَحْكِيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق ، وكان إبراهيم يقول ليحيى : متى فقدتَني ودنانيرُ باقية فما فقدتني .

[عدم صبرها عن الأكل]

قال : وأصابتها العِلّةُ الكَلْبيّة فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدةً ، فكان يحيى يتصدَّق عنها في كلّ يوم من شهر رمضان بألف دينار ، لأنّها كانت لا تصومه ، وبقيت عند البرامكة مدّة طويلة .

أُخبرني ابنُ عمّار ، وابن عبد العزيز ، وابن يونس ، عن ابن شَبَّة ، عن إسحاق .

[امتناعها عن الغناء للرشيد]

وأخبرني جَحْظة ، عن أحمد بن الطّيّب : أنّ الرشيد دعا بدنانير البرمكيّة بعد قتلِه إيّاهم ، فأمرها أن تُغنّي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنّي آليتُ ألاّ أُغَنّي بعد سيِّدي أبداً ؛ فغضب ، وأمر بصَفْعِها ، فصُفِعَت ، وأُقيمت على رجليها ، وأُعطيت العُود ، وأخذته وهي تبكي أحرَّ بكاء ، واندفعت فغنَّت : [من المنسرح]

صوت

يـا دارَ سَلْمى بنـازِح السَّنَدِ   بـين الثَّنايـا ومَسْقَط اللَّبَـدِ
لَمَّا رأَيتُ الدِّيارَ قد دَرَسَتْ   أَيقنتُ أنَّ النَّعيـم لم يَعُـدِ

الغناء للهُذَليّ خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوُسْطى ، وذكر عليّ بن يحيى المُنَجّم وعمرو أنّه لسِياط في هذه الطريقة .

قال : فَرَقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ، ثم التفت إلى إبراهيم بن المَهْديّ فقال له : كيف رأيتَها ؟ قال : رأيتها تَختِله برفق ، وتَقْهَرُه بحِذْق .

[رفضها الزواج]

قال عليّ بن محمد الهِشاميّ : حدَّثني أبو عبد الله بن حَمْدون أن عَقِيداً مولى صالح بن الرشيد خَطَب دنانير البرمكيّة ، وكان هَوِيَها وشُغِف بذكرها ، فردَّته ، واستَشْفَع عليها مولاه صالح بن الرشيد ، وبَذْل ، والحُسَين بن محرز ، فلم تُجِبه وأقامت على الوفاء

لمولاها ، فكتب إليها عَقِيد قوله : [من الخفيف]

يـا دنانيرُ قـد تَنكَّر عَقْـلي وتَحيّرتُ بـين وَعْـدٍ ومَطْلِ
شَفِّعي شافعـي إليـك وإلاَّ فاقتُليني إن كنت تَهْوَيْن قَتْلي
أنـا بـالله والأمير ومـا آ ملُ من موعـد الحُسَين وبَذْلِ
ما أُحِبُّ الحَياةَ يا حِبُّ إن لم يجمع الله عاجلاً بـكِ شَمْلي

فلم يعطِفْها ذلك على ما يُحِبّ ، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت .

وكانت عَقِيدٌ حَسَن الغِناء والضرب قليلَ الصَّنْعة ، ما سَمِعنا منه بكثير صَنْعة ، ولكنّه كان بمَوضِع من الحِذْق والتّقدُّم .

قال محمد بن الحسن : حدَّثني أبو حارثة عن أخيه أبي معاوية قال : شهدتُ إسحاق يوماً وعَقِيدٌ يُغنِّيه : [من البسيط]

صوت

هلاّ سألتِ ابنةَ العَبْسيّ ما حَسَبي عند الطِّعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ
وجالـت الخَيلُ بالأبطال عابِسةً شُعْثَ النّواصي عليها البِيضُ تأتَلِقُ

الشعر يقال إنّه لعَنْتَرة ولم يصحَّ له ، والغِناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . قال : فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويُصفّق حتى والى بين أربعة أرطال ، وسأله بعضُ مَنْ حضر : مَنْ أحسَنُ الناسِ غناءً ؟ قال : مَنْ سقاني أربعةَ أرطال .

وفي دنانير يقول أبو حَفْص الشِّطْرَنْجِيّ : [من السريع]

صوت

أَشبَهـكِ المسكُ وأَشبهتِـهِ قائمـةً في لونـه قاعـدَهْ
لا شكّ إذ لونُكما واحـدٌ أنّكُما مـن طينـةٍ واحـدَهْ

غنّاه ابن جامع هزجاً بالبِنصر وقيل إنّه لأبي فارة .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، عن عليّ بن محمد النوفليّ ، عن مَوْلاةِ ابن جامع أنّ مولاها كان يهوى جارية صفراء . فقال فيها هذا الشعر وغنّى فيه ، وأظنّ هذا وهمًا ؛ لأنّا لم نسمع لابن جامع بشعر قطّ ، ولعلّه غنّاه في شعر أبي حَفْص الشِّطْرنجيّ . فظنته له .

ومّما غنّاه عَقِيد في دنانير والشعر للموصليّ إلاّ البيت الأوّل فليس له .

صوت

[من البسيط]

هَـــذِي دَنانيرُ تَنْساني فأَذْكرُها ... وكيف تنسى مُحِبّاً ليس يَنْساها !
واللهِ واللهِ لـــو كانت إذا بَرزَت ... نَفسُ المُتَيَّـمِ في كَفَّيْـه أَلْقاهـــا

والشعر والغناء لعقيد ، ولحنه من الرَّمل المطلق في مجرى الوسطى ، وفيه هزج خفيف مُحدَث .

[غناء بشعر في دنانير]

قال أحمد بن أبي طاهر : حدَّثني عليُّ بن محمد قال : حدَّثني جابر بن مُصعَب ، عن مُخارِق ، قال : مرّت بي ليلةٌ ما مَرَّ بي قطّ مثلُها . جاءَني رسولُ محمد الأَمين وهو خليفة ، فأخذني وركضَ بي إليه رَكْضاً ، فحين وافَيْتُ أُتِيَ بإبراهيم بن المهديّ[1] على مثل حالي ، فنزلنا ، وإذا هو في صحن لم أَرَ مثله قد مُلِئَ شمعاً من شمع محمد الأمين الكِبار ، وإذا به واقف ثم دخل في الكِرح[2] ، والدار مملوءة بالوصائف يُغنِّين على الطبول والسّرنايات[3] ومحمد في وسطهنّ يرتكِض في الكِرْح . فجاءَنا رسولُه ، فقال : قُوما في هذا الباب ممّا يَلي الصَّحْن ، فارفعا أصواتكما مع السرناي أين بَلَغ ، وإيّاكما أن أَسمعَ في أصواتكما تقصيراً عنه ، قال : فأصغَيْنا فإذا الجَواري والمُخنَّثون يزمُرون ويضربون : [من البسيط]

هَـــذي دنانيرُ تَنْساني وأَذكرهـا ... وكيف تنسى مُحِبّاً ليس ينساها !
أَعوذُ باللهِ مـــن هِجران جاريـةٍ ... أَصبحتُ من حبِّها أَهذِي بذكراها
قد أُكمِلَ الحسنُ في تركيب صورتها ... فارتـجَّ أَسفلُهـــا واهتـزَّ أَعلاها
قامت تمَشَّى فليت اللهَ صَيَّرني ... ذاكَ الترابَ الذي مَسَّتْه رِجلاها
والله واللهِ لــو كانت إذا بــرزت ... نفسُ المُتَيَّـــم في كفَّيـــه أَلقاها

فما زلنا نشقّ حلوقَنا مع السرناي ونَتْبَعه حذراً من أن نخرج عن طبقته ، أو نقصر عنه إلى الغداة ، ومحمد يجولُ في الكِرْح ما يسأمه ، يدنو إلينا مرّة في جولانه ويتباعد مرّة ، وتحولُ الجوارِي بيننا وبينه حتى أصبحنا .

---

1 ط . بيروت : إبراهيم الموصلي .
2 الكرح : بيت الراهب . وفي ط . بيروت : قد دخل في الخدم .
3 السرنايات : جمع سرناي ، وهي من آلات الصفير .

صوت[1]

[من الطويل]

أَلا طَرَقَتْ أَسماءُ لا حين مَطْرَقِ وأَنَّى إذا حَلَّتْ بنَجْـرانَ نلتقي
بِـــوَجٍّ ومـــا بـــالي بِوَجٍّ وبالُها ومَنْ يلقَ يوماً جِدَّة الحبّ يُخْلِقِ[2]

عَرُوضه من الطويل ، الشعر لخُفاف بن نُدْبة ، والغناء لابن مِحْرز خفيف ثقيل أَوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق أيضاً ، وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحناً لِمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لعلويه خفيف رمل بالوسطى ، وفيه للقاسم بن زُرْزُور خفيف رمل آخر صحيح في غنائه ، وفيه لابن مِسْجَح ثقيل أوّل ، عن إبراهيم ، ويحيى المكّيّ ، والهِشاميّ ، وفيه لمخارق رمل بالبِنصر .

---

1 مجموع شعر خفاف بن ندبة : 27–29 .

2 وجّ : واد بالطائف . ويروى :

ألحـت بنـوح ما لنوح ومالها ومن يلق يوماً جدة البين يخلق

[378] ـ أخبار خفاف ونسبه[1]

هو خُفاف بن عُمَير[2] بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان بن مضر بن نِزار ، ونُدْبة[3] أُمّه وهي أَمَةٌ سوداء ، وكان خفاف أسودَ أيضاً ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فرسانهم ، وجعله ابنُ سَلاّم في الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُوَيرة ، ومع ابنَي عمّه صَخْر ومعاوية ابنَي عمرو بن الشريد ، ومالك بن حِمار الشَّمْخيّ[4] .

[أحد أغربة العرب]

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلاّم ، قال : كان خُفاف بن نُدْبة ، وهي أُمّه ، فارساً شجاعاً شاعراً ، وهو أحدُ أَغْربة العرب[5] ، وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشَّريد أغار على بَني ذُبيان يوم حَوْزة[6] ، فلمّا قتلوا معاوية بن عمرو قال خُفاف : والله لا أرِيم اليومَ أو أُقِيدُ به سيِّدَهم ، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذٍ فارسُ بني فَزارة وسيِّدهم فطعنه فقتله ، وقال[7] : [من الطويل]

فإن تَكُ خَيلي قد أُصيب صَمِيمُها فعمْداً على عينـي تَيمَّمْتُ مالِكا
رفعتُ لـه مـا جَرَّ إذ جَرَّ موته لأَبْنــيَ مَجْـداً أو لأَثْـأر هالِكا[8]

---

1 ترجمة خفاف بن ندبة في الشعر والشعراء : 258–259 وخزانة البغدادي 5 : 443–448 والمؤتلف : 153 وكامل المبرد (الدالي) : 1150 والاشتقاق : 309–310 والمعارف : 325 والوافي 13 : 351 وأسد الغابة 3 : 118–119 والإصابة 1 : 448 وانظر أعلام الزركلي وقد جمع شعره د . نوري حمودي القيسي (مطبعة المعارف ، بغداد) .

2 ل : عمرو .

3 بفتح النون وضمّها .

4 لم يرِد ذكر هؤلاء بين الشعراء في طبقات ابن سلام .

5 أغربة العرب : عنترة بن شداد والسليك بن السلكة وأبو عمرو بن الحباب وخفاف بن ندبة وهشام بن عقبة بن أبي معيط سموا كذلك لسوادهم . وانظر اللسان (غرب) .

6 ل : الجزيرة .

7 مجموع شعره : 64 .

8 الديوان : «وقفت له عَلوى وقد خام صحبتي . وعلوى : فرسه .

أقـول لـه والرُّمْحُ يأْطِـرُ مَتْنَه : تأمَّلْ خُفافـاً إنَّنـي أنا ذَلِكا[1]

قال ابن سلاّم : وهو الذي يقول[2] : [من السريع]

يا هِندُ يا أُختَ بنـي الصّارِدِ مـا أنا بالباقـي ولا الخالدِ[3]
إن أُمسِ لا أملِـكُ شيئاً فقد أملِـكُ أمـرَ المَنْسِرِ الحـارِدِ[4]

في هذين البيتين لعُبيد الله بن أبي غسّان خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ .

[مناقضاته مع العباس بن مرداس]

أخبرني عَمِّي ، عـن عبد الله بن سعد ، عـن أحمد بن عمَر ، عن عُمَر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفّـان رضي الله عنه ، عن الحجّاج السُّلَميّ قال : كان بَدءُ ما كان بين خُفاف بن نُدبة والعبّاس بن مرداس أنَّ خُفافاً كان في ملأٍ من بني سُلَيم فقال لهـم : إنّ عبّاس بن مِرْداس يريد أن يبلُغ فينا ما بلغَ عبّاس بن أنَس الأصمّ ، ويأبَـى ذلك عليـه خصالٌ قَعَدْنَ بـه . فقـال لـه فتـى من رهط العبّاس : وما تلك الخصالُ يا خُفاف ؟ قال : اتّقاؤه بخَيْله عند الموت ، واستهانَتُه بسَبايا العَرب ، وقتلُه الأسرى ، ومُكالبَتُه للصعاليك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تَمَنَّيْنا موتَه . فانطلق الفتى إلى العبّاس فأخبره الخبر ؛ فقـال العبّاس : يـا ابن أخـي ، إن لم أكن كالأصمّ في فضله فلستُ كخُفافٍ في جهْله ، وقـد مضى الأصمُّ بما في أمس وخَلَّفَني بما في غَدٍ ، فلمّا أمسى تغنّـى ، وقال[5] : [من الوافر]

خُفافٌ مـا تزال تجـرُّ ذيلاً إلى الأمـرِ المُفـارِقِ للرَّشادِ
إذا مـا عايَنَتْكَ بنـو سُلَيمٍ ثَنَيْت لهـم بِداهيـةٍ نآدِ[6]
وقـد عَلِـم المعاشِرُ من سُلَيْم بأنّي فيهـمُ حَسَنُ الأيادي
فأورِدْ يـا خُفافُ فقد بُلِيتم بَني عـوف بحَيَّةِ بَطْن وادي[7]

قال : ثم أصبح فأتى خُفافاً ، وهو في ملأٍ من بني سُلَيْم ، فقال : قد بلغني مقالتُك يا

1 يأطر : يثني . والمتن : الظهر .
2 مجموع شعره : 46 .
3 بنو الصارد : حيّ من بني مرة بن غطفان .
4 المنسر : مجموعة من الخيل . والحارد : الجاد القاصد .
5 ديوان العباس بن مرداس : 46 وسيرِد برواية : أخفاف أما تزال . . . إلى الأمر المقارب للفساد .
6 نآد : داهية شديدة .
7 حية بطن واد : داهية خبيثة .

خُفاف ، والله لا أشتُم عِرضَك ولا أسُبُّ أباكَ وأمَّك ، ولكنّي رام سوادك[1] بما فيك ، وإنّك لتعلم أنّي أحمي المصافَّ[2] وأتكرَّمُ على السَّلَب وأطلق الأسيرَ وأصون السبيّة ؛ وأما زعمُك أنّي أتَّقي بخيلي الموت فهاتِ من قومِك رجلاً اتَّقيتُ به ؛ وأمّا استهانتي بسَبايا العرب فإنّي أحذُو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائِنا ؛ وأمّا قتلي الأسرى فإنّي قتلتُ الزبيديّ بخالك ؛ إذ عجزتَ عن ثأرك ؛ وأمّا مُكالبتي الصعاليكَ على الأسلاب ، فوالله ما اتيتُ على مسلُوب قطّ إلاّ لُمتُ سالبه . وأمّا تمنّيك موتي ، فإن متُّ قبلك فأغنِ غَنائي ؛ وإنْ سُلَيما لتعلم أنّي أخفُّ عليهم مؤونة ، وأثقلُ على عدوِّهم وطأةً منك ؛ وإنَّك لتعلم أنّي أبحتُ حِمى بني زُبيد ، وكسرتُ قَرْني بني الحارث وأطفأتُ جمرَة خَثعم ، وقلَّدت بني كِنانة قلائِدَ العار ، ثم انصرف . فقال خُفاف أبياتاً لم يحفظ الشيخُ منها إلاّ قوله : [من الوافر]

ولم تقتُل أسيرَك من زُبيدٍ ... بخالي بل غَدَرْتَ بمُسْتفادِ
فَزنْدُك في سُلَيْمٍ شَرُّ زَنْدٍ ... وزادُك في سُلَيْم شَرُّ زادِ

فأجابه العبّاس بقوله[3] : [من الوافر]

ألا مَنْ مُبلغٌ عنّي خُفافاً ... فإنّي لا أحاشي من خُفافِ
نكحتَ وليدةً ورضعتَ أخرى ... وكان أبوكَ تحمِلهُ قَطافِ[4]
فلستُ لحاضنٍ إن لم نُزرْها ... تُثيرُ النَّقعَ من ظَهْر النِّعافِ[5]
سراعاً قد طواها الأينُ دُهْماً ... وكمتاً لونُها كالوَرس صافِ[6]

قال : ثم كفَّ العبّاس وخُفاف حتى أتى ابنُ عمّ للعبّاس يُكنى أبا عَمْرو بن بدر ، وكان غائباً ، فقال : يا عبّاس ، ما نقولُ فيك خيراً إلاّ وهو باطل ، قال : وكيف ذلك ، ويحك ! قال : أخبرني عنك ، أكُلُّ الذي أقررتَ به من خُفاف في نفيه أباك وتهجينه عرضك ؛ ليأسٍ من نصر قومك أو ضعفٍ من نفسك ؟ قال : لا ، ولا واحدة منهما ، ولكنّي أحببت البُقْيا ، قال : فاسمع ما قلتُه ، قال : هات ، فأنشأ يقول : [من الوافر]

---

1 سوادك : شخصك .
2 المصاف : جمع مصف ، وهو موقف القتال .
3 مجموع شعره : 74 .
4 ديوان العباس : 91 . قطاف : علم للأمة مبني على الكسر كقطام .
5 إن لم نزرْها في الديوان : إن لم تروها . والحاضن : العفيفة . ونعاف : جمع نعف وهو ما انحدر من السفح وغلظ .
6 في الديوان : سواهم كالقداح مسومات . والسواهم : الخيل التي غيرها السفر . والأين : التعب .

أرى العبّاس ينفُض مِذْرَوَيْــه ... دَهِــينَ الرأس تَقْلِيه النساءُ[1]
وقــد أزرى بوالده خُفافٌ ... ويُحسَب مثلــه الداءُ العَياءُ
فلا تُهدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ ... فــإنّ السَّبَّ تُحسِنُــه الإماءُ
ولا تكذِب وأهْدِ إليه حرباً ... مُعَجَّلَــةً فــإنّ الحــربَ داءُ
أذَلَّ اللهُ شرَّكما قَبيــــــلاً ... ولا سَقَّت لــه رَسْماً سَماءُ

[الحرب بين العبّاس وخفاف]

قال العبّاس : قد آذنتُ خُفافاً بحرب ، ثم أَصبحا فالتقيا بقومهما ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يوماً إلى الليل ، وكان الفضل للعبّاس على خفاف . فركب إليه مالك بن عوف ودُرَيْد بن الصِّمَّة الجُشَمِيّ في وجوه هَوازن ، فقام دُريد خطيباً فقال : يا معشر بني سُلَيم ، إنّه أعجلني إليكم صدرٌ وادّ ورأيٌ جامع ، وقد ركب صاحباكم شرَّ مطيَّة ، وأوضعا إلى أصعب غاية ، فالآن قبل أن يندم الغالب ويذِلّ[2] المغلوب ، ثم جلس . فقام مالِكُ بن عوف[3] فقال : يا معشر بني سُلَيم ، إنّكم نزلتم منزلاً بَعُدت فيه هَوازن ، وشَبِعت[4] منكم فيه بنو تميم ، وصالت عليكم فيه بكر بن وائِل ، ونالت فيه منكم بنو كنانة ، فانزِعوا وفيكم بقيّة قبل أن تلقوا عدوّكم بقَرْنٍ أَعْضَبَ وكَفٍّ جَذْماءَ[5] ، قال : فلمّا أُمسينا تغنّى دريد بن الصِّمَّة فقال[6] : [من الطويل]

سُلَيمُ بــنَ منصور أَلَّما تُخَبَّرُوا ... بما كان من حَرْبَيْ كُلَيْبٍ وداحِسِ
وما كان في حرب اليَحابِرِ من دمٍ ... مباحٍ وجَــدْعٍ موئِلمٍ للمَعاطِسِ[7]
وما كان في حَرْبي سُلَيْم وقبلهم ... بحرب بُعاثٍ من هلاك الفوارسِ
تسافهت الأحــلامُ فيها جَهالةً ... وأُضرِم فيهــا كلُّ رَطب ويابسِ
فكُفُّوا خُفافــاً عــن سفاهَةِ رأيِهِ ... وصاحِبَه العبّاسَ قبــل الدَّهارسِ[8]

1 المذروان : طرف الإلية . والمثل : جاء ينفض مذرويه (الميداني 1 : 171 وجمهرة العسكري 1 : 318 ومستقصى الزمخشري 2 : 46) يضرب لمن يتوعد من غير حقيقة .
2 ل : ويذم .
3 ل : أوس .
4 ل : وشعبت .
5 القرن الأعضب : المكسور . واليد الجذماء : المقطوعة .
6 ديوان دريد : 88 (عن الأغاني) .
7 اليحابر في ل : البحائر .
8 الدهارس : الدواهي .

وإلاّ فأنتم مثلُ مَنْ كان قبلكم ... ومَنْ يعقِلِ الأمثالَ غيرُ الأكايسِ

وقال مالك بن عوف النَّصْريّ : [من الطويل]

سليم بن منصور دعوا الحربَ إنّما ... هي الهُلك للأقْصَيْن أو للأقاربِ
ألم تعلموا ما كانَ في حرب وائِلٍ ... وحرب مُرادٍ أو لُؤَيّ بن غالبِ
تفرّقت الأحياءُ منهم لَجاجَةً ... وهم بين مغلوبٍ ذليلٍ وغالبِ
فما لسُلَيمٍ ناصرٌ من هَوازنٍ ... ولو نُصِروا لم تُغنِ نُصرةُ غائبِ

قال : ثم أُصبحنا ، فاجتمعت بنو سُلَيم ، وجاء العبّاس وخُفافٌ ، فقال لهما دُريد بن الصِّمَّة ولمَن حضر من قومهما : يا هؤلاء ، إنَّ أوَّلكم كان خيرَ أوَّل ، وكلّ حيٍّ سَلَف خيرٌ من الخَلف ، فكُفُّوا صاحبيكم عن لَجاجِ الحرب وتهاجي[1] الشعر ، قال فاستحيا العبّاس فقال : فإنّا نكفّ عن الحرب ، ونتهادَى الشعر ؛ قال : فقال دُريد : فإن كنتما لا بدّ فاعلين فاذكرا ما شئتما ودَعا الشَّتم ، فإنّ الشّتم طريقُ[2] الحرب ، فانصرَفا على ذلك .

فقال العبّاس بن مِرداس[3] : [من المتقارب]

فأبلغْ لدَيْك بني مالكٍ ... فأنتم بأنبائِنا أخْبَرُ
فأمّا النَّخِيلُ فليست لنا ... نخيلٌ تُسقَّى ولا تُؤْبَرُ
ولكنَّ جَمعاً كجِذْل الحِكا ... كِ فيه المُقَنَّع والحُسَّرُ[4]
مغاويرُ تحمِل أبطالَنا ... إلى الموتِ ساهِمةٌ ضُمَّرُ
وأعددتُ للحرْب خَيفانةً ... تُدِيم الجِراءَ إذا تَخْطِرُ[5]
صَنِيعاً كقارورة الزّعفرا ... نِ مِمّا تُصانُ ولا تُؤثَرُ

ويقال : صَبِيغاً . قال : فأجابه خُفافٌ فقال[6] : [من المتقارب]

أعبّاسُ إن استعارَ القَصِيـ ... ـدِ في غير مَعْشَره مُنكَرُ

---

1 ل : تهادي .
2 ل : طرف .
3 ديوان العباس : 65 .
4 جذل الحكاك : عود ينصب للإبل الجربى فتحتك به .
5 خيفانة : سريعة . الجراء : الفتوة .
6 مجموع شعره : 57–58 .

عــلامَ تَناولُ مــا لا تَنالُ فتقطَــعُ نفسَكَ أو تَخسرُ
فإنَّ الرِّهـانَ إذا مـا أُريـد فصاحبُـه الشامـخُ المُخْطِرُ[1]
تَخاوَصُ لم تستطعْ عُـدَّةً كأنّك مـن بُغضِنـا أعوَرُ[2]
فقصــرُك مَأثورةٌ إن بَقِيـ ـتُ أُصحو بها لك أو أُسكرُ
لساني وسيفــي معاً فانظُرَنْ إلى تلــك أيُّهمـا تُبْـدَرُ

قال : فلمّا طال الأمر بينهما من الحرب والتّهاجي ، قال عبّاس : إنّي واللهِ ما رأيت لخُفافٍ مثلاً إلاّ شِيام بني زُبَيد فإنّه كان يَلقى من ابن عمِّه ثَرْوانَ بن مُرَّة من الشتم والأذى ما ألقى من خُفاف ، فلمّا لَجَّ في شتمه تركه وما هو فيه ، فقال : [من الطويل]

وهبتُ لثَروانَ بن مُـرَّةَ نفسَه وقد أَمكَنَتني من ذُؤابَتِه يدي
وأَحمِلِ ما في اليوم من سُوء رأيِه رَجاء التي يأتي بها اللهُ في غدِ

فقال خُفاف : إنّي والله ما وجدتُ لعبّاس مثلاً إلاّ ثَرْوان بني زُبَيد ، فإنّه كان يَلقى من شِيام ما أَلقى من العبّاس من الأَذى ، فقال ثَرْوان : [من الطويل]

رأيتُ شِياماً لا يـزالُ يَعيبُني فلِلَّه مـا بـالي وبالُ شِيامِ !
فقَصْرُك منّي ضربــةٌ مازِنِيَّةٌ بكفِّ فتًى في القوم غيرِ كَهامِ
فتُقصِر عنّي يا شِيامُ بنَ مالكٍ وما عَضَّ سيفي شاتمي بحَرامِ

فقال عبّاس : جزاك الله عنّي يا خُفاف شرّاً ، فقد كنتُ أخفَّ بني سُليم من دمائها ظَهْراً ، وأخْمصها بطناً ، فأصبحتِ العرب تُعَيِّرني بما كنت أعيب عليها من الاحتمالِ وأكْلِ الأموال ، وصرت ثَقيل الظَّهر من دمائها مُنْفَضِجَ[3] البطن من أموالها ، وأنشأ يقول[4] : [من المتقارب]

أَلَـم تَـرَ أنّي تركتُ الحروبَ وأنّي نَدِمت على مـا مَضى
ندامـــةَ زارٍ عــلى نفسه لتِلــك التـي عارُهـا يُتّقى
فلم أُوقِــد الحربَ حتى رَمى خُفــافٌ بأَسهُمه مَـــنْ رَمى
فـإن تعطِف القــومَ أَحلامُهم فيرجعَ مــن وُدِّهم مـا نأَى

1 المخطر : الذي جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه .
2 عُدّة في ل : غرة . وتخاوص : غضّ من بصره .
3 منفضج البطن : منتفخه .
4 ديوان العباس : 29 .

فلستُ فَقيراً إلى حَرْبِهِم وما بي عن سَلْمِهِم مِن غِنى

فقال خُفاف[1] : [من المتقارب]

أَعبَّاسُ إمَّا كَرِهْتَ الحروبَ فقد ذُقْتَ مِن عَضِّها ما كَفى
أَأَلْقَحْتَ حَرباً لها شِدَّةٍ زَماناً تُسعِّرُها بالَّلظى
فلمّا تَرَقَّيْتَ في غَيِّها دَحَضْت وزَلَّ بكَ المرْتَقى
فلا زِلْتَ تَبكي على زَلَّة وماذا يَرُدُّ عليك البُكا
فإن كنتَ أَخطأتَ في حَرْبنا فلَسْنا نُقيلُك هذا الخَطا
وإن كنتَ تَطْمَعُ في سَلْمِنا فزاوِلْ ثَبيراً ورُكْنَيْ حِرا

أَخبرني حبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني مسعودُ بن عيسى العَبديّ ، عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفَزاريّ ، وكان علاّمةً بأمرِ قيس ، قال : كان خُفاف بن نُدْبَةَ في جماعة من قومه ، فقال : إنّ عبّاس بنَ مرداس ليُريد أن يبلغ فينا مبلغ عبّاس بن أنس الأصمّ وتأبى عليه خِصالٌ قعَدْن به عن ذلك ، فقال فتًى من رَهْط عبّاس : ما تلك الخصال يا خُفاف ؟ فقال : اتّقاؤه بخيله عند الموت ، ومكالبةُ الصعاليك على الأسلاب ، وقتلهُ الأسرى ، واستهانتُه بسبايا العرب ، وآيم الله ، لقد طالت حياتُه حتى تمنَّينا موتَه ، فانطلق الفتى إلى العبّاس فحدَّثه الحديث ، فقال العبّاس : يا ابن أخي إلاّ أكن كالأصمّ في فضله فلست كخُفافٍ في جهله ، وقد مضى الأصمّ بما في أمس ، وخلّفني لِما في غد ، فلمّا أمسى تغنّى ، فقال[2] : [من الوافر]

خُفافُ أَما تزال تجرُّ ذَيلاً إلى الأَمرِ المقرَّب للفسادِ
وقد علم المعاشِرُ من سُلَيْم بأنّي فيهمُ حَسَنُ الأَيادي
وأنّي يوم جَمْعِ بني عُطَيْفٍ حملت بحالكٍ وَهِجِ المَرادي[3]
وأنّي لا أُعيَّر في سُلَيْم بردٌ الخيلِ سالمةَ الهوادي
وأنّي في مُلِمَّةِ كلّ يوم أَقي صَحْبي وفي خيلي تعادِي
ولم أُسلِب بحمدِ الله كَبْشاً سِلاحاً بين مختلف الصِّعادِ[4]

1 مجموع شعره : 68–69 .
2 لم ترِد الأبيات بهذه الرواية في ديوانه .
3 المرادي : جمع مردي ، وهو الحجر الذي تكسر به الصخور .
4 الصعاد : جمع صعدة ، وهي القناة المستوية .

ولم أحلُــل لمحصنَةٍ نِطاقاً ولم أرَ عِتْقَهــا إلاّ مُــرادِي
فأوردْ يــا خُفاف فقد مُنِيتم بنــي عوفٍ بحيّة بطن وادي

فلمّا أصبح أتى خُفافاً وهو في ملأٍ من قومه ، فقال : قد بلغني مقالُك يا خُفاف ، وآيم الله ، إنّك لتعلم أنّي أحمي المصافَّ ، وأكره السَّلَب ، وأطلِق الأسير ، وأصون السَّبِيَّة .

فأمّا زعمُك أنّي أتّقي بخيلي عند الموت فهاتِ لي من قومك رجلاً اتّقيتُ به ؛ وأمّا قَتْلي الأسرى فإنّي قتلتُ الزُّبيديّ بخالك ؛ وأمّا سَلْبي الأسير فوالله ما أتيت على مسلوب قطّ إلاّ لُمتُ سالبَه ؛ وأمّا استهانتي بالسَّبايا فإنّي أحذو القوم في سباياهم فِعالَهم في سبايانا ، وأمّا تمنّيك موتي فإن مِتُّ قبلك فأغْنِ غَنائي ، ثم انصرف . فقال خُفاف مُجيباً للعبّاس عن قوله[1] : [من الوافر]

لعمــرُ أبيك يــا عبّاسُ إنّي لَمُنْقَطِع الرِّشاء مــن الأعادي
وإنّــي قــد تعاتبُنــي سُلَيْم على جَــرِّ الذيولِ إلى الفسادِ
أكُلَّ الدّهــر لا تَنْفَكّ تجري إلى الأمــر المفــارِق للسَّدادِ
إذا مــا عاينَتْكَ بَنُــو سُلَيم تَبيتُ لهــم بداهيــة نــآدِ
فزَنْــدك في سُلَيْم شَرّ زَنْدٍ وزادُك في المعــاشرِ شَرّ زادِ[2]
ألا لله دَرُّك مــن رئيــسٍ إذا عادَيْـتَ فانظُر مَنْ تُعادي
جريْتُ مُبَرِّزاً وجَريتَ تكبو على تَعَبٍ فهل لك من مَعادِ
ولم تقتــلْ أُسيرَك من زُبَيْدٍ بخالي بَــل غدرت بِمُستقادِ

ومُستقاد : الزُّبيديّ .

وإنّ رهط خُفاف لاموه وقالوا : اكفُف عن الرجل . فقال : كيف أكفُّ عن رجل يريد أن يَترنا أمرنا بغير فضل . وقال رهطُ العبّاس له : أيّها الرجل ، اكفُف ، فقالا قولاً جميلاً ، وقال العبّاس عند ذلك[3] : [من الكامل]

هل تعــرف الطَّلَل القديمَ كأنّه وشْمٌ بأسفل ذي الخيــام مُرَجَّعُ

1 لم ترِد في مجموع شعره باستثناء البيت الثامن والبيت الخامس ، مع أنه أفرد في المجموع قسم لشعر خفاف الوارد في الأغاني .
2 مجموع شعره : وزاول في سليم .
3 لم ترِد هذه الأبيات في ديوان العباس بن مرداس .

بقِيتْ معارِفُــه على مَــرّ الصَّبا بعــد الجميــع كأنّه قــد يَمْرُعُ
دارُ التي صادت فؤادك بعــد ما شمِلِ المُفارِقَ منك شيبٌ أروعُ
وزعمتَ أنّك لا تُراحُ إلى الصَّبا وعَلَتْــك منـــه شبيبةٌ لا تَرجعُ
يــا أيّها المــرءُ السفيهُ ألا ترى أنّي أضرُّ إذا هَوِيـــتُ وأنفعُ
وأعيش مــا قَدَر الإلهُ على القِلى وأعِفُّ نفسي عــن مطامع تُطمِعُ
كرماً على الخطر اليسير ولا ترى نفسي إلى الأمــــرِ الدنيّ تطلّعُ
وأردُّ ذا الضِّغــن اللئيــمَ برأيه حتى يمــوت وليس فينــا مَطمعُ
لله دَرُّك لا تَمَـــــنَّ مماتَنــــا فالموتُ وَيْحـك قصْرُنا والمرجعُ
لــو كان يَهلِك مَــنْ تَمَنَّى موتَه حلَّــت عليــك دُهيَــة لا تُرْقَعُ
ومكثــت في دار الهــوان موطَــأ بالــذّلّ ليس لداركم مَــنْ يمنعُ

فقال خُفافٌ مجيباً له[1] : [من الكامل]

عَجِبَتْ أُمامَــةُ إذ رَأَتْنيَ شاحباً خَلَــق القميص وأنَّ رأسيَ أصلَعُ
وتنفست صُعُداً فقلتُ لها : اقصري إنّــي امــرؤ فيمـــا أضرّ وأنفعُ
مهـــلاً أبـــا أنس فإنّــي للّذي حلّـــى عليـك دُهيَّــةً لا تُرْفَعُ
وضَرَبْتُ أُمَّ شؤون رأسك ضربةً فاستكَّ منهــا في اللِّقــاء المسمَعُ
نَعْلَــيَّ حَـــذْوُ نِعالهـــا ولربَّما أحذو العِدا ولكلِّ عــادٍ مَصرعُ
لا تفخــرَنَّ فإنَّ عُــودِيَ نبعَةٌ أعيت أَبا كَرِبٍ وعُودُك خِرْوَعُ[2]
ولقــد أقــود إلى العــدوّ مُقَلِّصاً سَلِسَ القِيــادِ لــه تَلِيـلٌ أتْلَعُ[3]
نَهْــدَ المــراكل والدَّسيــع يَزينُه شَنِجُ النَّسا وأَباجِــلٌ لا تُقْطَعُ[4]
وعَــلَيَّ سابِغَـــةٌ كأنَّ قَتِيرَهــا حَدَق الجنادب لَيْسَ فيها مطمعُ[5]

1 لم ترِد هذه الأبيات في مجموع شعره .
2 عودي نبعة : صلب شديد . وعودك خروع : ليّن سهل الكسر .
3 المقلص : الطويل القوائم . والقليل الأتلع : العنق الطويل .
4 النهد : المرتفع . والمراكل : حيث تصيب رجل الراكب من الدابة . وشنج النسا : متقبض عرق النساء فلا تسترخى رجلاه . والأباجل : عرق في الفرس والبعير .
5 السابغة : الدرع الطويلة . والقتير : رؤوس المسامير في الدرع .

زَغَــفٌ مُضاعَفَةٌ تَخَيَّر سَرْدَها ذو فائشٍ وبنــو المُــرارِ وتُبَّعُ[1]
في فِتْيَــةٍ بِيضِ الوجــوه كأنّهم أُسْدٌ عــلى لحــم ببيشَةَ طُلَّعُ
لا ينكلــون إذا لَقُوا أعداءَهم إنّ الحِمــامَ هــو الطريق المهْيَعُ[2]

وكان خُفاف قد كفَّ عن العبّاس ، حتى أتاه غلام من قومه ، فقال : أبى العبّاس إلاّ جُرأة عليك وعَيْباً لك ؛ فغضب خُفاف ثم قال : ما يدعوه إلى ذلك ؟ فوالله إنّ أباه لرابطُ السهم ، وإن أُمّه لخفِيّة الشخص ، ولئن طلب مسعاي ليعلمنّ أنّه قصيرُ الخطوة أجذمُ الكفّ ، وما ذنبنا إليه إلاّ أنّا استنقذنا أباه من عِصِيّ بني حِزام ، وكافحنا دونه يوم بني فِراس ، ونصرنا أباه على حرب ابن أُميّة . وقال خُفاف في ذلك[3] : [من البسيط]

لن يترك الدهــرَ عَبَّاسٌ تَقَحُّمَه حتــى يذوقَ وبالَ البَغْـي عَبَّاسُ
أمسكتُ عن رَمْيِه حــولاً ومَقْتَلُه بــادٍ لتعذرني في حَرْبِــه الناسُ
عمداً أجــرَّ لــه ثوبي لأَخدَعه عن رأيــه ورجائــي عنده ياسُ
فالآن إذ صَرَّحت منــه حَقيقَتُه ظُلْماً فليس بشتمي شاتمي باسُ
أُجُدّ يومــاً بقولي كُلَّ مبتَدِىء كما يَجُــدُّ بكفّ الجازِرِ الفاسُ[4]
تأبى سُلَيْم إذا عَــدّت مساعِيَها أن يُحرِزَ السَّبَقَ عبّاسٌ ومِرداسُ
أودى أبو عامــر عبّـاس مُعْتَرِفاً أنّا إذا مــا سُلَيم حَصَّلت راسُ

فبلغ العبّاسَ أمرُ خُفاف ، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصَّلت بن حزام بن عبد الله بن حازم بن الصَّلت ، وكان مأموناً في بني سُلَيم . فقال العبّاس : قد بلغني قولك يا خُفاف ، ولعمري لا أشتُم أباك ولا أُمَّك ، ولكنّي رامٍ سوادَك بما فيك .

والله ما كنت إلى ذمِّك بالهَيْمان ولا إلى لحمك بالقَرِم ، وإنّ سُلَيْماً لتعلم أنّي أبحتُ حِمَى بني زُبَيد ، وأطفأت جمرة خثعم ، وكسرتُ قَرْنَي بني الحارث بن كعب ، وقلّدت بني كنانة قلائدَ العار ، وإنّي يا خُفاف لأخفُّ منك على بني سُلَيْم مؤونةً ، وأثقل منك على عدوّهم وطأةً ، وقال مُجيباً له[5] : [من البسيط]

1 زغف : محكمة . والسرد : النسيج . وذو فائش : أحد ملوك اليمن .
2 المهيع : الواسع الواضح .
3 وهذه أيضاً لم ترِد في مجموع شعره .
4 أجد : أقطع .
5 لم ترِد في ديوانه .

إنّـي رأيـت خُفافـاً ليس يُهنئه ... شيءٌ سوى شتم عبّاس بن مرداس
مهلاً خُفـافُ فإنّ الحقَّ مَعْضَبَةٌ ... والحمق ليس له في الناس من آسي [1]
سائلْ سُليماً إذا ما غـارة لَحِقتْ ... منها فـوارسُ حُشْدٌ غيرُ أنكاس
مـن خَثعَم وزُبَيْدٍ أو بني قَطَنٍ ... أو رَهْط فروةَ دهراً أو شحا الناس [2]
يُنْبوا مـن الفارسُ الحامي حقيقَتَه ... إذا أتـوْك بحـامٍ غيرِ عبّـاس
لا يحسب النّاس قـولَ الحقّ مُعترفاً ... فانظر خُفاف فما في الحقّ من باس
مَنْ زار خيـل بني سعد مُسَوَّمة ... يُهـدِي لأوّلهـا لأْيُ بن شمّاس
يوم اعترضتُ أبا بـدر بجائفةٍ ... تعوِي بعرق من الأحشاء قلاّس [3]
أُدعى الرئيسُ إذا ما حربكم كشَفَت ... عن ساقهـا لَكُم والأمـر للرَّاس
حتى إذا انكشفت عنكم عَمايتُها ... أنشأتَ تضرِب أخماساً لأسداس [4]

وسعى أهلُ الفسادِ إلى خُفاف فقالوا : إنّ عَبّاساً قد فَضَحَك ، فقال خُفاف [5] : [من الطويل]

ألا أيُّها المُهْدي لِيَ الشَّتْمَ ظالِماً ... ولستُ بأهـلٍ حين أُذْكَر للشَّتْمِ
أبى الشَّتْمَ أنّي سَيِّدٌ وابنُ سادةٍ ... مطاعِينَ في الهَيْجا مَطاعِيمَ لِلَّحْمِ [6]
هـمُ مَنَحُوا نَصْراً أبـاك وطاعَنوا ... وذَلِك إذْ تُرْمى ذَليـلاً ولا تَرْمي [7]
كمُسْتَلْحِمٍ في ظُلمةِ اللَّيْلِ بَعْدَ ما ... رأى المَوتَ صِرْفاً والسيوفُ بها تَهْمي [8]
أَدِبُّ على أنمـاط بيضاء حُـرَّةٍ ... مقابَلَـة الجدَّين ماجـدَة العَمِّ [9]

---

1 معضبة : مقطعة .

2 الشحا : الواسع من كل شيء ، ويقصد جميع الناس .

3 الجائفة : الطعنة التي تبلغ الجوف . وعرق قلاس : يزخر بالدم .

4 المثل «يضربُ أخماساً لأسداس» في مجمع الميداني 1 : 418 وجمهرة العسكري 2 : 4 ومستقصى الزمخشري 2 : 145 وفصل المقال : 105 ويراد به السعي في المكر والخديعة .

5 مجموع شعره : 59–61 .

6 مجموع شعره : مطاعيم للجرم .

7 مجموع شعره :

هـم منحوا الضرّا أباك وطاعنوا ... وذلك الذي يُرمى ذليلاً ولا يرمي

8 مجموع شعره : «محزما» بدل «بعد ما» و«تضمي» بدل «تهمي» . والمستلحم : الذي يركب الطريق الواسع . وتهمي : تسيل .

9 الأنماط : جمع نمط ، وهو البساط .

وأنــت لحَنْفاء اليَديْــن لَــوَ انَّها | تُباع لما جاءت بزَنْدٍ ولا سَهْمٍ[1]
وإنِّــي على مــا كان أوَّلُ أوّلٍ | عليـه ، كذاك القَرْم يُنْتَجُ للقَرْمِ
وأُكرِم نَفسي عــن أُمــور دَنِيئة | أُصونُ بها عِرضي وآسو بها كَلْمي
وأُصفحُ عَمَّن لــو أشاءُ جَزَيْته | فيمنعني رُشْدِي ويُدرِكُني حِلْمي
وأُغفــر للمــولى وإنْ ذو عَظيمَةٍ | على البَغْي منها لا يَضِيقُ بها حَزْمي
فهَــذي فِعالي مــا بَقيتُ وإنَّني | لَموص بِه عَقْبي إذا كُنتُ في رَجْمي[2]

فقال له قومه : لو كان أوَّلُ قولِك كآخِره يا خفاف لأطفأت النائرة ، وأذهبت سخائم النَمائمِ ، فقال العبّاسُ مُجيباً له[3] : [من الطويل]

ألا أيُّها المُهْـديّ ليَ الشَتْم ظالماً | تَبَيَّنْ إذا راميتَ هَضْبَــة مَنْ تَرْمي
أبى الذَّمَّ عِرضي إنَّ عِرضيَ طاهرٌ | وإنِّــي أبيٌّ مــن أُباةٍ ذوي غَشْمِ[4]
وإنِّــي مــن القومِ الذين دماؤُهُم | شِفاءٌ لطُلاَّب التّراتِ من الوَغْمِ[5]

وقال أيضاً[6] : [من البسيط]

إن تَلْقَني تَلْــقَ ليثــاً في عَرينَتِه | من أُسْد خِفّانَ في أُرساغه فَدَعُ[7]
لا يبرح الدهرَ صيداً قــد تقنّصه | من الرجالِ على أشداقــه القَمَعُ[8]

وكان العبّاس وخفاف قد همَّا بالصُّلح ، وكرهت بنو سُلَيْم الحَرب ، فجاء غويّ من رهط العبّاس فقال للعبّاس : إنَّ خُفافاً قد أنْحى عليك وعلى والدَيْك ؛ فغضب العبّاس ، ثم قال : قد واللهِ هجاني ، فكان أعظمُ ما عابني به أصغرَ عيب فيه ، ثم هجا والديَّ فما ضرَّهما ولا نَفعه ، ثم برزتُ له فأخفى شخصه واتّقاني بغيره ، ولو شئتُ لشتمت أباه وثَلبت عِرضَه ، ولكنِّي وإيّاه كما قال شِبامُ بني زُبيد لابن عم له ، يقال له ثَرْوان بن مُرّةَ ،

1 حنفاء اليدين : معوجتهما .
2 رجمي : قبري .
3 ديوان العباس : 105 .
4 الغشم : الظلم .
5 الوغم : الحقد الشديد . وفي الديوان «الرغم» وفي رواية «لطلاب الشفاء» .
6 ديوان العباس : 87 .
7 فدع : اعوجاج .
8 القمع : الاحمرار .

كان أَشبه الناس بخُفاف : [من الطويل]

وهبتُ لثَرْوانَ بنِ مُرَّة نفسَه ... وقد أَمكنتني من ذُؤابتِه يدي
وأحمِلُ ما في اليوم من سُوء رأيه ... رجاءَ الذي يأتي به الله في غدِ
ولستُ عليه في السَّفاه كنفسه ... ولَستُ إذا لم أهجُه بمُوعِّدِ

وقال[1] : [من الوافر]

أَراني كُلّما قاربتُ قومي ... نأَوْا عنّي وقَطعهُم شديدُ
سئمت عِتابَهم فصفحتُ عنهم ... وقلتُ لعلَّ حلمَهُم يعودُ
وعلَّ الله يُمْكِنُ من خُفافٍ ... فأسقِيَه التي عنها يَحِيدُ
بما اكتسبت يداهُ وجَرَّ فينا ... من الشَّحْنا التي ليست تَبيدُ
وأنَّى لي بودٍّ بني خُفافٍ ... وعوْف والقلوبُ لها وَقودُ
وإنّي لا أزال أُريدُ خيراً ... وعند الله من نَعَمٍ مَزيدُ
فضاقت بي صدورُهمُ وغصَّت ... حُلوقٌ ما يَبِضُّ لها وريدُ[2]
متى أَبعُدْ فشرُّهُمُ قريبٌ ... وإن أَقرُبْ فوُدُّهم بعيدُ
أَقول لهم وقد لَهِجُوا بشَتمي : ... ترَقَّوْا يا بني عوفٍ وزِيدُوا
فما شَتْمي بنافع حَيٍّ عَوفٍ ... أَينقُصُني الهُبوطُ أَم الصُّعودُ[3]
أَتجعلُني سَراةُ بني سُلَيم ... ككلبٍ لا يهِرُّ ولا يصيدُ
كأنِّي لم أَقُد خيلاً عِتاقاً ... شَوازبَ ما لها في الأرضِ عودُ[4]
أُجَشِّمها مَهامِهَ طامِساتٍ ... كأَنَّ رمالَ صَحصَحِها قُعودُ[5]
عليها من سَراة بني سُلَيم ... فَوارس نجدةٍ في الحربِ صيدُ
فأُوطِىء من تريد بني سُلَيم ... بكَلْكَلِها ومن ليست تُريدُ

فلمّا بلغ خُفافاً قولُ العبّاس قال : والله ما عِبْتُ العبّاس إلاّ بما فيه ، وإنّي لسليمُ العود ، صحيح الأديم ، ولقد أدنيتُ سوادي من سَواده فلم أحجِم ولا نَكَصتُ عنه ، وإنّي وإيّاه كما قال

1 ديوان العباس : 42–43 .
2 يبض : يسيل .
3 أينقصني في الديوان : أينفعني .
4 الشوازب : الضامرة . وفي الديوان : «مثلها» بدل «ما لها» .
5 الصحصح : الأرض المستوية الجرداء .

ثَرْوان لشِيام بني زَبيد ، وكان يَلْقى منه ما ألقى من العبّاس ، قال : [من الطويل]

رأيتُ شِياماً لا يزال يَعيبني فللّهِ ما بالي وبالُ شبامِ
فقَصرُكَ منّي ضَربةٌ مازِنيّةٌ بكفّ امرىءٍ في الحرب غير كَهامِ[1]
من اليوم أو من شَيْعِه بمهنّدٍ خَصومٍ لهامات الرجال حُسامِ[2]
فتُقصِر عنّي يا شِيامُ بنَ مالكٍ وما عضّ سيفي شاتمي بحرامِ

وقال خفاف[3] : [من الوافر]

أرى العبّاسَ ينقصُ كلَّ يوم ويزعم أنّه جَهلاً يَزيدُ
فلو نُقِضَت عزائمُه وزادت سلامتُه لكان كما يَريدُ[4]
ولكنَّ المَعالِمَ أفسدته وخُلْقٌ في عشيرته زَهيدُ[5]
فعبّاسُ بن مِرْداس بن عمْرو وكِذْبُ المرء أقبحُ ما يُفيدُ
حلفتُ بربِّ مكّةَ والمُصلّى وأشياخٍ محلّقة تَنُودُ[6]
بأنّك من مودَّتِنا قريبٌ وأنتَ من الذي تَهوى بَعيدُ
فأبشِر ان بقِيتَ بيوم سوء يَشيبُ له من الخوف الوليدُ
كيومك إذ خرجت تَفوق ركضاً وطار القلبُ وانتفَخ الورِيدُ
فدَعْ قولَ السّفاهَةِ لا تَقُلْه فقد طال التَّهدُّدُ والوعيدُ
رأينا مَن نُحاربُه شَقِيّاً ومن ذا يا بني عَوْف سَعيدُ

وقال خُفافٌ أيضاً[7] : [من المتقارب]

أعبّاسُ إنّا وما بيننا كصَدْعِ الزُّجاجة لا يُجبَرُ
فلستَ بكُفءٍ لأعراضِنا وأنت بشَتْمِكَنا أجدرُ[8]

1 في الحرب في ل : في الحي .
2 شيعه : بعده ، يعني به الغد بعده .
3 مجموع شعره : 62–63 .
4 مجموع شعره : وبادت بدل وزادت .
5 المجموع : «المعايب . . . وخلف . . .» . وزهيد : لئيم .
6 تنود : تتمايل من النعاس . وفي ل ومجموع شعره : تهود ، بمعنى تتوب .
7 مجموع شعره : 55–58 .
8 مجموع شعره : بشتمكم .

ولسنا بأهلٍ لما قُلتُمُ ... ونحن بِشَتْمِكُم أعذرُ
أراكَ بَصيراً بتلك التي ... تُريدُ وعن غيرها أعورُ
فقصرُك منّي رَقيقُ الذُّبا ... بِ عَضْبٌ كَرِيهته مِبْتَرُ[1]
وأزرقُ في رأسِ خَطِّيَّةٍ ... إذا هُزَّ أكعُبُها تَخطِرُ
يَلوح السِّنان على متْنِها ... كنارٍ على مَرْقَبٍ تُسعَرُ
وزَغْفٌ دِلاصٌ حَباها العَزِيزُ ... توارثها قبلَه حِمْيَرُ[2]
فتلك وجرداءُ خَيْفانَةٌ ... إذا زُجِرِ الخيلُ لا تُزجَرُ[3]
إذا ألقت الخيلُ أذيالها ... فأنت على جريها أقدرُ[4]
متى يبْلُلِ الماءُ أعطافَها ... تبُذُّ الجيادَ وما تُبْهَرُ
أُنهنِه بالسوطِ من غَرْبها ... وأُقدِمُها حيثُ لا يُنكَرُ[5]
وأرحَضُها غيرَ مذمومةٍ ... بلبَّاتها العَلَق الأحمرُ[6]
أقولُ وقد شكَّ أقرابَها ... غدرتَ ومِثلي لا يغدِرُ[7]
وأشهدُها غمراتِ الحروبِ ... فسيَّانِ تَسلَم أو تُعقَرُ

وقال العبّاس[8] : [من المتقارب]

خُفافُ ألم تَرَ ما بيننا ... يزيدُ استعاراً إذا يُسعَرُ
ألم تَرَ أنّا نُهين التِّلا ... دَ للسائلين وما نُعذِرُ[9]
لأنّا نُكلِّفُ فوق التي ... يُكلِّفها الناسُ لو تخبُرُ
لنا شِيَمٌ غيرُ مجهولةٍ ... تَوارثها الأكبرُ الأكبرُ

1 قصرك : يكفيك .
2 حباها العزيز في ل : كاء الغدير . والزغف : الدروع المحكمة . والدلاص : الشديدة المُلوسة .
3 الخيفانة : السريعة .
4 أذيالها في ل وشعره : أولادها .
5 أنهنه : أكف . وغربها : نشاطها وحدتها .
6 أرحضها : أغسلها (بعرقها) . ويروى : وأرجعها .
7 الأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة .
8 ديوان العباس : 63–64 .
9 نهين في الديوان : وهبنا .

وخيـــلُ تكدَّسُ بالدَّارعيـ ـن تُنْحَر في الرَّوع أو تُعقرُ
عليها فـــوارِسُ مَخبورةٌ كجِنٍّ مساكِنُها عَبْقَرُ[1]
ورَجْراجةٌ مثلُ لونِ النجو م لا العُزْلُ فيها ولا الحُسَّرُ[2]
وبِيضٌ سوابــغُ مَسرودةٌ مواريثُ مـا أورثت حِمْيَرُ
فقد يعلم الحَيُّ عند الصِّياح بـأنّ العَقِيلة بـي تُسترُ[3]
وقد يعلم الحيُّ عنـد الرها نِ أنّـي أنا الشامخ المُخْطِرُ[4]
وقد يعلم الحيُّ عنـد السوُا لِ أنّي أجـودُ وأُستَمْطَرُ
فأنَّـى تعيِّرني بالفخـارِ فهـا إن هـذا هـو المُنْكَرُ

صوت

[من الطويل]

ألا لا أُبـالي بعـد رَيَّا أوافقتْ نَوانا نَـوى الجيرانِ أم لم تُوافِقِ
هِجانُ المُحَيَّا حُرَّةُ الوجهِ سُربلتْ من الحُسْنِ سِربالاً عتيقَ البنائِقِ

الشعر لجَبْهاء الأشجَعيّ[5] ، والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 مخبورة : مجربة .
2 رجراجة : كتيبة تموج من كثرتها . والحسر : الذين لا تروس ولا دروع لهم .
3 عند الصياح في ل : عند الصباح .
4 المخطر : الذي جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه .
5 شعراء مقلون : 23 عن الأغاني .

[379] ـ أخبار جبهاء ونسبه[1]

جَبْهاء لقب غَلب عليه ، يقال جَبْهاء وجُبَيْهاء جميعاً ، واسمه يَزيدُ بن عُبَيد ، ويقال : يَزيد بن حُمَيْمة بن عُبيد بن عُقيلة بن قيس بن رُوَيْبة بن سُحَيم بن عُبَيد بن هِلال بن زَبيد بن بَكْر بن أشْجَع ، شاعر بدوِيّ من مَخاليفِ الحِجاز ، نشأ وتوفِّيَ في أيّام بني أميّة ، وليس مِمّن انتجَع الخلفاء بشِعْره ومدحهم فاشتهر ، وهو مُقِلٌّ ، وليس من مَعْدودي الفُحول ، ومن الناس مَن يَروي هذه الأبيات لأبي رُبَيْس الثَّعلبي[2] وليس ذلك بِصحيح ، وهي في شعر جَبْهاء موجودة .

[الفرزدق يستنشده]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار ، قال : حدَّثني عمِّي ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا أبو الحَسَن الأحول ، عن الطُّوسيّ ، عن أبي عمرو الشَّيبانيّ ، قال : قدِم جُبَيْهاء الأشجعيُّ البصرةِ بجَلُوبَة[3] له يريد بَيعَها ، فلَقِيَه الفرزدقُ بالمِرْبَد ، فقال : مِمَّن الرَّجُل ؟ قال : مِن أشجَع ، قال : أتعرِفُ شاعراً منكم يُقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء ؟ قال : نعم . قال : أفتروي قوله[4] : [من الكامل]

أَمِنَ الجَميع بذي البقاع رُبوعُ ... هاجت فؤادَك والرُّبوعُ تَروعُ[5]

قال : نعم ، قال : فأنشِدْنِيها ، فأنشدَه قولَه منها : [من الكامل]

من بعد مـا نَكِرت وغَيَّر آيَها ... قَطْرٌ ومُسبِلَةُ الدّمـوع خَريعُ
يـا صاحِبَيَّ أَلا ارْفَعا لي آيةً ... تَشْفي الصُّداع فيُذهلَ المرفوعُ[6]

---

1 ترجمة جبهاء الأشجعي في المؤتلف والمختلف : 104–106 وسمط اللآلي : 640 والمفضليات (المفضلية رقم 33/32) . وانظر أعلام الزركلي . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي شعره في «شعراء أمويون» .

2 في التاج : «أبو ربيس (عباد بن طهمة) هكذا بالميم ، وفي التكملة . . . وذكر الحافظ أنه طهفة الثعلبي (شاعر) من بني ثعلبة . . . وفي اللسان وأبو الربيس التغلبي من شعراء تغلب وهو تصحيف . . .» .

3 جلوبة : إبل يحمل عليها المتاع .

4 شعراء أمويون : 21–22 .

5 بذي البقاع : يروى بذي النُّعاع : وهو النبات الغض الناعم .

6 شعراء أمويون : ارفعاني إنه . . .

أَلْـواحَ ناجِيَــةٍ كأَنَّ تَلِيلَها جِذْعٌ تُطِيفُ بـه الرُّقاةُ مَنِيعُ[1]

حتى أتى على آخرها ، فقال الفرزدق : فأُقسِم بالله إنّك لَجَبْهاء ، أو إنَّك لشَيْطانه .

قال الأخفَشُ في خَبَره عن أصحابه : الخَريعُ : الذاهِبَة العَقْل ، شَبَّه السحابةَ بها لأنّـها لا تَتَمالك من المطر .

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ عُبيد المكتب قال : حدَّثني عليّ بن الصبّاح ، عن ابن الكَلْبيّ ، قال : قدِم جُبَيْهاء الأشجَعيّ المدينة بجَلُوبة له ، فبينا هو يبيعها والفرزدق يومئذٍ بالمدينة إذ مَرَّ به ، فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من أشجع ، قال : أتعرف شاعراً منكم يقال له جَبْهاء أو جُبَيْهاء ؟ قال : نعم . قال : أتروي قصيدته : [من الطويل]

أَلا لا أُبالي بعـد رَيَّا أَوافَقَتْ نَوانا نَوى الجِيران أَم لم تُوافِقِ

قال : نعم . قال : أنْشِدنيها ، فأنشده إيّاها ، فقال الفرزدق : أُقسم بالله إنّك لجُبَيْهاء ، أو إنّك لَشَيْطانه .

[إبله تحن إلى أوطانها]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني عمِّي ، عن سُليمان بن عيَّاش ، قال : قالت زوجة جَبْهاء الأشجعيّ له : لو هاجرتَ بنا إلى المدينة وبِعْتَ إبلكَ واقترَضْت في العطاء كان خيراً لك ، قال : أفعلُ . فأَقبَل بها وبإبِله حتى إذا كان بحرّة وَاقِمَ من شرقيّ المدينة ، شَرَّعَها بحوض واقِمَ[2] ليَسْقِيَها ، فحَنَّت ناقة منها ثم نَزَعت ، وتَبِعَتها الإبلُ ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته : هذه إبل لا تعقِل ، تحنُّ إلى أوطانِها ، ونحن أحقُّ بالحنين منها ، أنتِ طالقٌ إن لم تَرْجِعي ، وفعل اللهُ بك وفعلَ وردّها وقال[3] : [من الكامل]

قالت أُنَيْسَةُ دَعْ بلادَكَ والتمِس داراً بطَيْبَــةَ رَبَّــةِ الآطـامِ
تَكتُب عِيالَكَ في العَطاءِ وتَفْتَرِض وكـذاك يفعـلُ حـازِمُ الأَقوامِ
فهمَمْتُ ثـم ذكرتُ ليلَ لِقاحِنا بِلِـوى عُنَيْزَةَ أوَ بقُـفٍّ بشامِ[4]
إذ هُنَّ عـن حَسَبي مَذاوِد كُلَّما نـزل الظـلامُ بعُصْبـةٍ أَغْتامِ[5]

1 الناجية : الناقة . والتليل : العنق .
2 شرعها : أوردها الماء . وواقم : من آطام المدينة . وحرة واقم إلى جانبه .
3 شعراء أمويون : 26 .
4 اللوى : ما التفّ من الرمل . والقف : ما ارتفع من الأرض .
5 أغتام : لا يفصحون .

إنّ المَدِينَـــة لا مَدِينَـــة فالْزمي — حِقْـفَ السِّنادِ وقُبَّةَ الأَرجامِ[1]

يُحْلَب لكِ اللَّبنُ الغَرِيض ويُنْتَزع — بالعيس مـــن يَمـــنٍ إليكِ وشامِ

وتُجـــاوِري النفــرَ الذين بِنَبْلِهم — أُرمِـــي العَدُوَّ إذا نهضت أُرامي

الباذلـــين إذا طلبت تِلادَهـــم — والمانِعـــي ظَهْـــري مـــن الغُرَّامِ

[منيحته لتيميّ]

أُخبرني محمد بن خلف وَكيع ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ زُهير ، قال : حدَّثني مُصعَب قال : جاور جَبْهاء الأشجعيُّ في بني تَيم ، بطنٍ من أشجع ، فاستمْنَحَه مولى لهم عَنْزاً ، فمنحه إيّاها فأمسكَها دَهْراً ، فلمّا طال على جَبْهاء ألاّ يردَّها ، قال جبهاء[2] : [من الطويل]

أَمـــوْلى بَنـــي تَيْمٍ ألستَ مُؤدِّياً — مَنِيحتَنـــا فيمـــا تُـــرَدُّ المَنائِحُ[3]

لهـــا شَعَرٌ ضافٍ وجِيـــدٌ مُقلِّص — وجسمٌ زُخارِيٌّ وضِرْسٌ مُجالِحُ[4]

فأرسل إليه التَّيْميّ يقول : [من الطويل]

بَـــلى ، سنؤدِّيهـــا إليـــكَ ذمِيمَةً — لِتَنْكِحهـــا إن أَعوَزَتْـــك المَناكِحُ

فعمد به جَبْهاء فنزل ، وقال : [من الطويل]

لو كنتُ شيخاً من سَواةَ نكحتُها — نِكاحَ يَسارٍ عَنْزَهُ وهْـيَ سارِحُ

قال : وهم يُعيَّرون بنكَّاح العَنْز .

[قوله لمن مطله الكبش]

أُخبرني وكيع ، قال : حدَّثني أَبو أَيّوب المدينيّ ، عن مُصْعَب ، قال : استَطْرق جَبْهاءُ الأشجعيّ موسى بن زياد الأشجعيّ كبشاً ، فوعده ثم مَطلَه ، فقال جَبْهاء[5] : [من البسيط]

واعَدَني الكبشَ مُوسى ثـــم أَخلفَني — ومـــا لِمثْـــلِيَ تُعتَـــلُّ الأَكاذِيبُ

يـــا ليتَ كَبشَك يا مُوسى يُصادِفُه — بـــين الكُراعِ وبـــين الوَجْنَةِ الذِّيبُ

أَمسى بذي الغُصن أَو أَمسى بذي سَلَمٍ — فَقَحَّمَتْـــه إلى أَبياتِـــك اللُّوبُ[6]

1 حقف : ما اعوج من الرمل . والأرجام : أرض الستار .

2 انظر المفضلية 33 وشعراء أمويون : 16–17 .

3 المنائح : جمع منيحة ، وهي الناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك .

4 المقلص : الطويل . والزخاري : الكثير اللحم والشحم . والمجالح : الذي يجتلح (بقشر) الشجر .

5 شعراء أمويون : 15 عن الأغاني .

6 اللوب : العطش .

فجـاء والحـيُّ أيقـاظٌ فطافَ بهم ... طوفيْـن ثـم أقرَّتـه الأحاليبُ
فبـات ينظـرُه حـرّانَ مُنطَوِيـاً ... كأنّه طالـبٌ للوِتْـرِ مَكروبُ
وقـام يَشْتَدّ حتـى نـال غِرَّتَه ... طاوي الحَشا ذَرِبُ الأنيابِ مَذبُوبُ[1]
بغَفْلَـةٍ مـن زُرَيـقٍ فاستمرَّ بـهِ ... ودونـه آكُـمُ الحِقْـفِ الغرابيبُ
سَلْ عنْـه أرخمـةً بِيضاً وأغرِبةً ... سوداً لهـنَّ حنًى أَطْمى سَلاهِيبُ[2]
يَرديـن رَدْيَ العَذارى حول دمنتِهِ ... كما يطـوفُ على الحـوضِ المعاقيبُ
فجـاء يحمـلُ قرنيـه ويندبـه ... فكلُّ حـيٍّ إذا مـا ماتَ مندوبُ

صوت

[من مجزوء الكامل]

وَلَهـا ولا ذَنْبَ لهـا ... حُـبٌّ كأطْراف الرِّمـاحِ
في القَلْبِ يَجْرَحُ والحَشا ... فالقَلْبُ مَجروحُ النَواحي

الشعر لوالِبة بن الحُباب ، والغناء ليَزيد ، رمل بالوسطى عن الهِشاميّ وعمرو ، وفيه لسبك الزامر لحن عن ابن خُرداذْبه .

1 مذبوب : مجنون . وذرب الأنياب : حادها .
2 السلاهيب : الطوال .

[380] ـ أخبار والبة بن الحباب[1]

والِبَة بنُ الحُباب أَسديٌّ صِلِيبَةً ، كوفيٌّ ، شاعر من شعراء الدولة العبّاسيّة ، يُكْنى أبا أُسامة . وهو أُستاذ أبي نُواس ، وكان ظريفاً شاعراً غزِلاً وصّافاً للشراب والغِلمان المُرْد ، وشعرُه في غير ذلك مُقارب ليس بالجَيِّد ، وقد هاجى بشّاراً وأبا العتاهية ، فلم يصنع شيئاً وفضَحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب ، وخَمَل ذكرُه بعد .

[المهدي لا ينادمه]

أَخبرني محمدُ بن مزيد قال : حدّثنا حمَّاد بن إسحاق ، قال : حدّثني أَبي ، وأَخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ ، والحسن بن عليّ الأَدَميّ جميعاً ، عن القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدّثنا يعقوب بن عمر ، قال : حدّثني أحمد بن سلمان ، قال : حدّثني أبو عدنان السُّلَميّ الشاعر ، قال[2] : قال المهديّ لعُمارة بنِ حَمْزة : مَنْ أَرَقُّ النّاسِ شِعْراً ؟ قال : والِبةُ بنُ الحُباب الأَسديّ ، وهو الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

وَلهــا ولا ذَنْـبَ لهــا حُـبٌّ كأَطْـرافِ الرِّماحِ
في القلبِ يَقْـدحُ والحَشا فالقلبُ مَجْروحُ النَّواحي

قال : صدقتَ والله ، قال : فما يَمنعُك عن مُنادمَتِه يا أَميرَ المؤمنين ؟ قال : يَمْنعُني قولُه : [من السريع]

قُلـتُ لِساقِينا على خَلْـوةٍ أَدْنِ كذا رأسَك من راسي
ونَمْ على صَدْرِك لي ساعةً إنِّـي امـرؤٌ أَنكَحُ جُلاَّسي

أَفتُريدُ أَن نكونَ من جُلاَّسِهِ على هذه الشَّريطة ؟

[شعر في أبي نواس]

أخبرني الحُسين بن القاسم الكوكبيّ إجازة : حدَّثني عبدُ الله بن مُسلم بن قُتَيْبة ، ووجدتُه في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتمّ ، فجمعتهما ، قال : حدّثني الدَّعلجيّ غلامُ أَبي نواس ، قال : أنشدتُ يوماً بين يدي أبي نواس قولَه[3] : [من المديد]

---

1 ترجمة والبة بن الحباب في تاريخ بغداد 13 : 487–490 وطبقات ابن المعتزّ : 87–89 والوافي بالوفيات 4 : 247–248 والشعر والشعراء (ترجمة أبي نواس) . وانظر أعلام الزركلي .

2 انظر الخبر والشعر في طبقات ابن المعتزّ : 88–89 .

3 البيت في ديوان أبي نواس (الغزالي) : 41 وانظر الموشح : 241 .

يا شَقيقَ النفْسِ من حَكمٍ نمتَ عَـنْ ليـلي ولم أَنَمِ[1]

وكان قد سكر، فقال: أُخبرك بشيء على أن تكتمه؟ قلتُ: نعم، قال: أَتدري مَن المَعْنِيّ بقوله: يا شَقيق النفس من حَكم؟، قلت: لا، قال: أَنا والله المعنيُّ بذلك، والشعر لوالِبة بن الحُباب؛ قال: وما عَلِم بذلك غيرُك وأنت أَعلم. فما حدَّثت بهذا حتى مات.

[أصدقاء والبة]

قال: وقال الجاحظ: كان والبة بنُ الحُباب، ومُطيعُ بن إياس، ومُنقذُ بن عبد الرحمن الهلاليّ، وحَفْصُ بن أبي وردة، وابن المقفَّع، ويونُسُ بن أبي فَرْوة، وحمّادُ عَجْرد، وعليُّ بن الخليل، وحمّاد بن أبي ليلى الراوية، وابن الزِّبرِقان، وعُمارة بن حمزة، ويزيدُ بن الفَيض، وجميلُ بن محفوظ، وبشَّار المُرَعَّث، وأَبانُ اللاّحقيّ ندماء، يجتمعون على الشراب وقولِ الشعر ولا يكادون يفترقون، ويهجو بعضُهم بعضاً هزلاً وعَمْداً، وكلّهم مُتَّهمٌ في دِينه.

[تهاجيه مع أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ، قال: حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد، قال: حدَّثني محمد بن القاسم، قال: حدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم بن محمد السالميُّ الكوفيّ التّيميّ، قال: حدَّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ، قال: رأيتُ أبا العتاهية جاء إلى أبي، فقال له: إنّ والبة بن الحُباب قد هجاني، ومَن أنا منه؟ أنا جرَّارٌ مسكين؛ وجعل يرفع من والبة ويضَع من نفسه، فأُحِبّ أن تكلِّمه أن يُمْسِك عنِّي. قال: فكلَّم أبي والبة، وعرَّفه أنّ أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك، فلم يقبل وجعل يَشتم أبا العتاهية، فتركه؛ ثم جاء أبو العتاهية فسأله عمّا عمل في حاجته، فأخبره بما ردَّ عليه والبةُ. فقال لأبي: ليَ الآن إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: لا تكلِّمني في أمره، قال: قلت له: هذا أوَّل ما يجب لك، قال: فقال: أَبو العتاهية يهجوه[2]: [من مجزوء الوافر]

أَوالِـبُ أَنتَ في العرَبِ كمِثْلِ الشِّيصِ في الرُّطَبِ[3]
هَلُـمَّ إلى المَـوالي الصِّيـ ـدِ في سَعَـةٍ وفي رَحَبِ
فأَنـتَ بنـا لعَمْرُ اللـ ـه أَشبهُ منـك بالعرَبِ

1 عن ليلي في ل: عن عيني.
2 ديوان أبي العتاهية: 494-495 (عن الأغاني).
3 الشيص: أردأ التمر.

غضِبْتُ عليـك ثـم رأيـ ـتُ وجهَك فانجَلى غَضَبي
لِما ذكَّرتني من لون أَجْـ ـــدادي ولـــونِ أَبـــي
فقُــل مــــا شئتَ أُقبلْـه وإن أُطْنبــتَ في الكَذِبِ
لقــد أُخبِرت عنك وعن أَبيك الخالــص العرَبــي
فقـــال العارِفُـــونَ بـــه مُصـــاصٌ غيرُ مُؤْتَشِبِ[1]
أتانـــا مـــن بـــلاد الرُّو م مُعْتَجِـــراً عـــلى قَتَبِ
خفيفَ الحـاذِ كالصَّمْصا م أطلسَ غيرَ ذي نَشَبِ[2]
أوالِبُ مـــــا دهاكَ وأنـ ـتَ في الأَعرابِ ذو نَسَبِ
أراكَ وُلِـــدتَ بالمِرِّيـــ ـخِ يا ابنَ سَبائِك الذهبِ
فجئــــتَ أُقَيْشِرَ الخدَّيْــ ـن أزرقَ عـــارِمَ الذَّنَبِ
لقـــد أخطأتَ في شَتمي فخبِّـــرْني أَلَــــم أُصِبِ

وقال في والِبة أيضاً[3] : [من الكامل]

نَطقــتْ بنـو أَسَدْ ولم تَجهرْ وتكلَّمَـــت خَفَيـــاً ولم تَظهـــرْ
وأَما وربِّ البيت لو نطقتْ لتركتهـــا وصَباحُهـــا أَغبرْ
أَيـــرومُ شتمي منهمُ رجـــلٌ في وجهـــه عِبَرٌ لِمَـن فكَّرْ
وابنُ الحُبابِ صَليبةٌ زعمـوا ومـــن المحـالِ صليبةٌ أَشقَرْ
ما بـــالُ مَنْ آباؤه عُرُب الأَلْـ ـــوان يُحسب من بني قَيْصرْ
أَترون أَهلَ البدوِ قـد مُسِخوا شُقراً أَمـــا هـــذا من المُنْكَرْ

قال : وأَوّل هذه القصيدة : [من الكامل]

صَرِّحْ بما قـــد قلتَه واجهَرْ لابن الحُباب وقُل ولا تَحْصَرْ
ما لي رأيـــتُ أَباك أَسودَ غِر بيـب القَـــذالِ كأنّه زُرْزُرْ[4]
وكأَنّ وجهَـــك حُمرةً رِئةٌ وكأَنَّ رأسَكَ طائـــرٌ أَصفرْ

---

1 المصاص : الخالص من كل شيء . ومؤتشب : مختلط .
2 الحاذ : الظهر . وخفيف الحاذ : قليل المال .
3 ديوان أبي العتاهية : 459–460 (عن الأغاني) .
4 غربيب : أسود . القذال : جماع مؤخر الرأس . زرزر : زرزور .

قال : وبلغ الشعرُ والبة ، فجاء إلى أبي فقال : قد كلّمتني في أبي العتاهية ، وقد رغبتُ في الصّلح ؛ قال له أبي : هيهاتَ إنّه قد أكّد عليّ إن لم تقبل ما طلب أن أُخلّي بينك وبينه ، وقد فعلت . فقال له والبة : فما الرأي عندك ؟ فإنّه فضحني ، قال : تنحدر إلى الكوفة . فركب زورقاً ومضى من بغداد إلى الكوفة ، وأجودُ ما قاله والبةُ في أبي العتاهية قوله : [من الخفيف]

كان فينا يُكنى أبا إسحاقِ ... وبها الرَّكبُ سار في الآفاقِ
فتكنّى معتوهُنا بعَتاهٍ ... يا لها كُنيةً أتت باتفاقِ
خلقَ اللهُ لِحْيةً لك لا تنـ ... ـفَكُّ معقودةً لدى الحلاَّقِ

وله فيه ، وهو ضعيف سخيف من شعره : [من مجزوء الكامل]

قُل لابنِ بائعةِ الغضارِ ... وابنِ الدَّوارقِ والجرارِ
تَهوى عُتَيْبَةَ ظاهراً ... وهواك في أَيْرِ الحِمارِ
تهجو مواليك الأُلى ... فَكُّوك من ذلِّ الإسارِ

[والبة وعليّ بن ثابت]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : حدَّثني ابن أبي فَنَن ، قال : كان والبةُ بن الحُباب خليلاً لعليّ بن ثابت ، وصديقاً ودوداً ، وفيه يقول : [من السريع]

حَيّ بها والِبَةَ المُصْطَفى ... حَيٌّ كَرِيماً وابن حُرٍّ هِجانِ
وقاسِماً نَفْسي فدَتْ قاسِماً ... من حَدَث المَوْتِ ورَيْبِ الزّمانِ

قال : ولمَّا ماتَ والبةُ رثاه ، فقال : [من مجزوء الكامل]

بكت البَرِيَّة قاطِبَهْ ... جَزَعاً لِمَصْرَعِ والِبَهْ
قامَتْ لِمَوْتِ أبي أُسا ... مةَ في الرِّفاقِ النَادِبَهْ

[لقاؤه أبا نواس]

قال : وكان والبةُ أُستاذَ أبي نُواس ، وعنه أَخَذ ومنه اقتبَس ؛ قال : وكان والبةُ قد قَصَد أبا بُجَير الأسديّ وهو يتولّى للمَنْصور الأهوازَ ، فمدَحه وأقام عنده ، فألفى أبو نواس هناك وهو أمرد ، فصَحِبه وكان حسنَ الوَجْه ، فلم يزل معه ، فيقال : إنّه كشَفَ ثوبَه ليلةً فرأى حُمرةَ أَلْيَتَيْه وبياضَهما ، فقبَّلَهما فضَرَط عليه أبو نواس ، فقال له : لِمَ فَعلتَ هذا وَيْلَك ، قال : لِئلاً يضيعَ قولُ القائل : ما جزاءُ مَنْ يُقبِّل الاستَ إلاَ ضَرْطَة .

[شعره في صديقه أبي سلهب]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عَمِّي الفَضْل ، قال : حدَّثني أبو سلهب

الشاعر ، قال : كان والبةُ بنُ الحُباب صديقي ، وكان ماجناً طبعاً ، خفيفَ الرُّوح ، خَبيثَ الدِّين ، وكنّا ذات يوم نَشرب بغُمَّى ، فانتبه يوماً من سُكْرِه ، فقال لي : يا أبا سلهب ، اسمع ، ثم أنشدني ، قال : [من الوافر]

شَرِبـتُ وفاتِكٌ مِثْـلي جَمُوحٌ ... بِغُمَّـى بالكـؤوس وبالبَواطِي
يُعاطِيني الزّجاجَـةَ أَرْيَحِـيٌّ ... رَخِيمُ الدَّلِّ بُورِك من مُعاطِي
أقول لـه على طَـرَبٍ : أَلِطْني ... ولـو بمُؤاجِـرٍ عِلْـجٍ نَباطِي
فمـا خَبرُ الشَّرابِ بغَيْرِ فِسْقٍ ... يُتابَـعُ بالزِّنـاء وبـاللِّواطِ
جعلـتُ الحجَّ في غُمَّـى وبِنّاً ... وفي قُطْرُبُّـلٍ أَبـداً رِباطِي[1]
فقـل للخَمْسِ آخـرُ مُلتَقانا ... إذا ما كان ذاك على الصِّراطِ

يعني الصَّلَوات .

[إبليس يثني على أبي نواس]

قال : وحدّثني أنّه كان ليلة نائماً وأبو نواس غُلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آتٍ في منامه ، فقال له : أتدْري مَنْ هذا النائم إلى جانبك ؟ قال : لا ، قال : هذا أشعر منك وأشعر من الجنِّ وانْس ، أما والله لأفتِنَنَّ بشِعْره الثَّقَلَين ولأغرِيَنَّ به أهلَ المشرق والمغرب ، قال : فَعلمتُ أنَّه إبليس ؛ فقلتُ له : فما عِندك ؟ قال : عصيتُ ربِّي في سَجْدَةٍ فأهلَكني ، ولو أمرني أن أسْجُد له ألفاً لسَجَدْت .

أخبرني الحسين بن يحيى قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق : قال : قرأتُ على أبي عن أبيه أنَّ حَكَمَ الوادي أخبره أنّه دخل على محمد بن العبّاس يوماً بالبصرة وهو يتملمَل خماراً ، وبيَدِه كأس وهو يجتهد في شُرْبها فلا يُطِيقه ، ونُدماؤه بين يديه في أيديهم أقداحهم ، وكان يوم نيروز ، فقال لي : يا حَكَم غنِّني فإن أطرَبْتَني فَلكَ كُلّ ما أهديَ إليّ اليوم قال : وبين يديه من الهدايا أمر عظيم ، فاندفعتُ أغنِّي في شِعر والبة بن الحُباب : [من المجتث]

صوت

قـد قابلتنـا الكؤوسُ ... ودابَرَتْنـا النُّحـوسُ
واليـوم هرمـزروز ... قـد عَظَّمتْـه المَجوسُ
لم نُخطِـه في حِسابٍ ... وذاك مِمّـا نَسوسُ

---

1 غمّى وبنّا : ناحيتان من نواحي بغداد .

فطرب واستعاده ، فأعدتُه ثلاث مرّات ، فشُمِّرت قدحُه[1] واستَمرَّ في شُربه ، وأَمر بحَمْل كلّ ما كان بين يديه إليَّ ، فكانت قيمتُه ثلاثين ألف درهم .

لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشاميّ وإبراهيم وغيرهما .

صوت[2]

[من الوافر]

لقــد زادَ الحَيــاةَ إليَّ حُبّاً ... بناتـي إنَّهُــنَّ مــن الضِّعافِ
مخافَةَ أن يَذُقْن البُؤسَ بَعدي ... وأن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعـد صافِ
وأن يَعرَيْن إن كُسيَ الجَواري ... فيُبدي الضُّرُّ عن كَرْمٍ عِجافِ[3]
ولولاهنّ قــد سَوَّمْتُ مُهري ... وفي الرَّحْمانِ للضُّعفاء كافِ

الشعر لعِمران بن حِطان فيما ذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ ، وذكر المدائنيّ أنّه لعيسى الحَبطيّ ، وكلاهما من الشُّراة ، والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفيّ ، خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة .

1 شمرت قدحه : خففت بالماء .

2 تنسب هذه الأبيات إلى عيسى بن عاتك (فاتك) الخطي (الحبطي) : انظر معجم المرزباني : 95–96 وديوان شعر الخوارج : 71 .

3 المرزباني : فتنبو العين عن عرّ عجاف . وفي رواية : عن هزل عجاف .

[381] ـ أخبار عمران بن حطان ونسبه[1]

هو عِمْرانُ بنُ حِطّان ، بن ظَبْيان بن لَوْذان ، بن عمرو ، بن الحارث ، بن سدُوس ، بن شَيبان ، بن ذُهْل ، بن ثَعلبة ، بن عُكابة ، بن صَعْب ، بن عليّ ، بن بكر ، بن وائل .

وقال ابن الكلبيّ : هو عِمران بن حِطّان ، بن ظَبْيان ، بن معاوية ، بن الحارث ، بن سَدُوس . ويُكنى أبا سِملك . شاعر فصيح من شعراء الشُّراة ودُعاتهم والمُقدَّمين في مذهبهم ، وكان من القَعَدة ؛ لأنّ عُمرَه طال فضَعُف عن الحرب وحضورها . فاقتصر على الدّعوة والتحريض بلسانه .

[روايته الحديث]

وكان قبل أن يُفتَن بالشُّراة مشتهراً بطلب العِلم والحديث ، ثم بُلي بذلك المذهب فضَلَّ وهلك ، لعنه الله ، وقد أدرك صَدْراً من الصحابة ، وروى عنهم ، وروى عنه أصحاب الحديث . فما رُوي عنه ما أخبرنا به محمد بنُ العبّاس اليَزيديّ ، قال : حدّثنا الرِّياشيّ ، قال : حدَّثنا أبو الوليد الطَّيالِسيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن أبي صالح بن سَرْح اليَشْكريّ ، عن عِمران بن حِطَّان قال : كنتُ عند عائشة فتذاكروا القُضاة ، فقالت : قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالقاضي العَدْل ، فلا يزال به ما يرى من شِدَّة الحِساب ، حتى يتمنّى أنّه لم يَقض بين اثنَيْن في تَمْرة» .

وكان أصلُه من البصرة ، فلمّا اشتَهَرَ بهذا المَذْهب طلبه الحَجَّاج ، فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك ، فهرب إلى عُمان ، وكان يتنقّل إلى أن ماتَ في تَواريه .

[أضلّته امرأة]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ ، قال : حدَّثنا الحَسَنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا مَنِيعُ بن أحمد السَّدوسيّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كان عِمرانُ بنُ حِطّان من أهلِ السّنّة والعِلم ، فتزوَّج امرأةً من الشُّراة من عشيرته ، وقال : أردُّها عن مذهبها إلى الحقّ ، فأضلّته وذهبت به .

---

1 لعمران بن حطان ترجمة في الإصابة وكامل المبرد : 1083 فما بعدها وميزان الاعتدال 2 : 276 والمؤتلف : 125–126 وخزانة البغدادي 5 : 350–362 وديوان شعر الخوارج (جمع وتحقيق إحسان عباس) : 157–158 وفيه مجموع شعره : 157–191 ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

[هربه من الحجّاج إلى الشام]

وأخبرني بخبره في هربه من الحجّاج عُمرُ بن عبد الله بن جميل العَتَكيّ ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، قالا : حدَّثنا الرِّياشي ، قال : حدَّثنا الحَكَمَ بن مروان ، قال : حدَّثنا الهَيْثم بن عديّ قال : طلب الحَجَّاجِ عِمرانَ بن حطّان السَّدوسيّ ، وكان من قعَدة الخوارج ، فكتب فيه إلى عُمَّاله وإلى عبد الملك .

وأخبرني بهذا الخبر أيضاً الحَسن بن عليّ الخَفّاف ، ومحمد بن عِمران الصيرفيّ ، قالا : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصَّمد الدّارع ، قال : حدَّثنا أبو عُبيدة مَعْمرُ بن المثنَّى ، عن أخيه يزيد بن المثنّى : أن عِمران بن حِطّان خرج هارباً من الحجّاج ، فطلبه ، وكتب فيه إلى عُمَّاله وإلى عبد الملك ، فهرَب ولم يزل يتنقّل في أحياء العرب ، وقال في ذلك[1] : [من الوافر]

حَلَلْنا في بني كَعْبِ بن عَمْرٍو وفي رِعْلٍ وعامرِ عَوْثَبانِ[2]
وفي جَرْمٍ وفي عمرو بن مُرٍّ وفي زيدٍ وحيّ بني الغُدانِ[3]

[عند روح بن زنباع]

ثم لحق بالشام فنزل برَوْح بنِ زِنباع الجُذامي ، فقال له رَوْح : مِمّن أنت ؟ قال : من الأزد ، أزْدِ السّراة . قال : وكان رَوْح يسمُر عند عبد الملك فقال له ليلة : يا أمير المؤمنين إنَّ في أضيافنا رجلاً ما سمعتُ منك حديثاً قطّ إلاّ حدَّثني به وزاد فيما ليس عندي . قال : مِمَّن هو ؟ قال : من الأَزْد ، قال : إنّي لأسمعُك تصف صفة عِمران بن حِطّان ؛ لأنّني سمعتك تذكر لغة نزاريّة . وصلاة وزهداً ورواية وحِفْظاً ، وهذه صفته . فقال رَوْح : وما أنا وعمران ! ثم دعا بكتاب الحجّاج فإذا فيه : أما بعد : فإنّ رجلاً من أهل الشّقاق والنّفاق ، قد كان أفسد عليّ أهلَ العراق وحبّبهم بالشّراية ، ثم إنّي طلبته ، فلمّا ضاق عليه عملي تحوَّل إلى الشام ، فهو ينتقِل في مدائنها ، وهو رجل ضَرْب طوالٌ أفوه أروقُ[4] ، قال : قال رَوْحٌ : هذه والله صِفةُ الرجل الذي عندي . ثم أنشدَ عبدُ الملك يوماً قولَ عمران يمدح عبدَ الرحمن بن مُلجَم ، لعنه الله ، بقَتْلِه عليَّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليه[5] : [من البسيط]

1 شعره : 183 .
2 شعره : وفي عك .
3 شعره : وفي لخم وفي أدّ بن عمرو وفي بكر . . .
4 الضرب : الخفيف اللحم . والأروق : الطويل الأسنان .
5 شعره : 164 مع بعض اختلاف .

يــا ضَربةً من كَرِيمٍ ما أرادَ بها إلاّ ليبلُغَ من ذي العَرْش رِضْوانا
إنّي لأُفكِـر فيــه ثــم أحْسَبه أوفى البَرِيَّــة عنــد اللهِ مِيزانا

ثم قال عبدُ الملك : مَن يعرفُ منكم قائلها ؟ فسكت القوم جميعاً ، فقال لِرَوْح : سَلْ ضيفَكَ عن قائلها ، قال : نعم أنا سائِلُه ، وما أراه يَخْفى على ضَيفِي ولا سألتُه عن شيء قطّ فلم أجِده إلاّ عالِماً به . وراح رَوْح إلى أضيافه ، فقال : إنّ أميرَ المؤمنين سألنا عن الذي يقول :

يا ضَرْبَةً من كَرِيمٍ ما أرادَ بِها . . . .

ثم ذكر الشعر ، وسألهم عن قائِله ، فلم يكن عند أحدٍ منهم عِلْم ، فقال له عِمرانُ : هذا قولُ عمران بن حِطّان في ابن مُلْجَم قاتل عليّ بن أبي طالب . قال : فهلْ فيها غير هذين البيتين تُفيدِنيه ؟ قال : نعم : [من البسيط]

لله دَرُّ المُـراديِّ الذي سَفَكَــت كَفّاه مُهْجَــة شَرّ الخَلْقِ إنسانا
أمسى عَشِيّــة غَشّاه بضَرْبَتِــه مِمّا جَنــاهُ مــن الآثــامِ عُرْيانا

صلوات الله على أميرِ المؤمنين ، ولعَن اللهُ عِمرانَ بن حِطّان وابن ملجَم ، فغدا رَوْح فأخبر عَبد الملك ، فقال : مَن أخبرَك بذلك ، فقال : ضيفي ، قال : أظنّه عِمرانَ بنَ حِطّان ، فأعْلِمه أنّي قد أمرتُك أن تأتيَني به ، قال : أفعلُ . فراح رَوْحٌ إلى أضيافِه فأقبلَ على عِمْران ، فقال له : إنّي ذكرتُك لعَبد المِلك ، فأمرني أن آتيَه بك ، قال : كنت أُحِبّ ذلك منك ، وما مَنَعَني من ذِكرِه إلاّ الحياءُ منك ، وأنا مُتّبِعُك ، فانطلقْ . فدخل رَوْح على عبد الملك ، فقال له : أينَ صاحِبُك ؟ فقال : قال لي : أنا متّبِعُك قال : أظنُّك واللهِ ستَرْجع فلا تجِدُه . فلمّا رجعَ رَوْح إلى منزله إذا عِمرانُ قد مَضى ، وإذا هو قد خَلَّف رُقعةً في كَوَّةٍ عند فِراشه ، وإذا فيها يقول[1] : [من البسيط]

يا رَوْحُ كم من أخي مَثْوًى نزلت به قــد ظنَّ ظَنَّك من لَخْمٍ وغسّانِ
حتى إذا خِفتُــه فارقــتُ منزِلَه من بعد ما قِيلَ : عِمرانُ بنُ حِطّانِ
قد كنتُ ضيفَكَ حَولاً لا تروِّعُني فيــه الطوارِقُ من إنْسٍ ولا جانِ
حتى أردت بيَ العُظْمى فأوحَشَني ما أوحشَ الناسَ من خوفِ ابنِ مَرْوانِ

1 شعره : 179–180 مع بعض اختلاف .

فاعذِر أَخـاكَ ابنَ زِنْباعٍ فإنَّ له ... في الحادثاتِ هَنـاتٍ ذاتَ أَلْوانِ
يومـاً يَمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمـنٍ ... وإن لَقِيـتُ مَعَدِّيّـاً فعَـدْناني
لـو كنتُ مُستغفِراً يوماً لطاغيَةٍ ... كُنتَ المُقـدَّم في سِرِّي وإعلاني
لكـن أبـتْ ذاك آيـاتٌ مُطَهَّرةٌ ... عنـد التِّلاوة في طَـهَ وعِمْرانِ[1]

[لجوءه إلى زفر بن الحارث]

قال : ثم أُتى عِمران بن حِطّان الجزيرة ، فنزل بزُفَر بن الحارث الكلابيّ بقَرْقِيسيا ، فجعل شبابُ بني عامر يتعجَّبون من صَلاتِه وطُولِها ، وانتسب لزُفَر أوزاعيّاً . فقدِم على زفر رجلٌ من أهل الشام قد كان رأى عِمْران بن حِطّان بالشام عند رَوْح بن زنباع ، فصافحه وسلَّم عليه . فقال زُفَر للشّامي : أتَعْرِفه ؟ قال : نعم ، هذا شيخ من الأزْد ، فقال له زفر : أزْدِيٌّ مرَّة وأوزاعيٌّ أخرى ! إن كنتَ خائِفاً آمنّاك ، وإن كنت عائِلاً أغنيناك ، فقال : إنّ الله هو المُغني ، وخرج من عنده وهو يقول[2] : [من البسيط]

إنّ التي أَصبحَت يَعْيا بها زُفَـرٌ ... أعْيَت عَياءً على رَوْحِ بـنِ زِنباعِ
أَمسى يُسائلُنـي حـولاً لأُخْبِرَه ... والناسُ مـن بين مَخدوعٍ وخَدَّاعِ
حتى إذا انْجَذَمَـتْ مِنِّي حَبائِلُه ... كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهلاعي[3]
فاكْفُفْ كما كَـفَّ روْحٌ إنَّني رجلٌ ... إمّـا صريحٌ وإمّا فَقْعَـةُ القاعِ[4]
أمّا الصَّلاةُ فإنـي غيرُ تارِكِهـا ... كلُّ امرئٍ للّذي يُعْنى بـه ساعي
فاكفَف لِسانَك عن هَزِّي ومسْألتي ... مـاذا تُريـد إلى شيـخٍ لأَوزاعِ
أَكـرِمْ برَوْحِ بن زِنباعٍ وأُسرتِه ... قومـاً دَعـا أَوَّليهم للعُـلا داعي
جاورتُهـم سنَةً فيما دَعَوتُ بـه ... عِرضي صَحيحٌ ونَوْمي غَيرُ تَهجاعِ
فاعمَـلْ فإنّـك مَنْعـيٌّ بحادِثَـةٍ ... حَسْبُ اللّبيب بهذا الشيبِ من ناعي

[هربه إلى عُمان]

ثم خرج فنزل بعُمان بقوم يُكثِرون ذكرَ أَبي بلال مرداس بن أُدَيَّة ، ويُثنُون عليه ويذكرون فضله ، فأظهر فضلَه ويسَّر أمرَه عندهم ، وبلغ الحجَّاج مكانُه ، فطلبه ، فهرب

1 عند التلاوة في ل والشعر : عند الولاية .
2 شعره : 180–181 مع اختلاف يسير .
3 إهلاعي : إفزاعي وترويعي .
4 فقعة القاع : من لا أصل له وقد تقدم المثل .

فنزل في روذَميْسان ، طَسُّوج[1] من طاسيج السَّواد إلى جانب الكوفة ، فلم يزل به حتى مات . وقد كان نازلاً هناك على رجل من الأزْد ، فقال في ذلك[2] : [من الطويل]

نَزلتُ بحَمْدِ اللهِ في خَيْر أُسرةٍ ... أُسَرُّ بما فيهم من الإنْسِ والخفَرْ

نزلتُ بقومٍ يجمَعُ اللهُ شملَهم ... وما لهم عُودٌ سِوى المَجْد يُعْتَصَرْ

مِنَ الأزْدِ إنّ الأَزْدَ أكرمُ أُسرةٍ ... يمانيّةٍ قَرُبوا إذا نُسِبَ البَشَرْ[3]

قال اليزيديُّ : الإنْس بالكَسْر : الاستئناس . وقال الرِّياشيّ : أراد قَرُبُوا فخفَّف ، قال : [من الطويل]

وأَصبحتُ فيهم آمناً لا كَمَعْشَرٍ ... بَدَوْني فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ[4]

أوِ الحيِّ قَحْطانٍ وتلْك سَفاهةٌ ... كما قال لي رَوْحٌ وصاحِبُه زُفَرْ

وما مِنهمُ إلاّ يُسَرُّ بنسبةٍ ... تُقرّبني منهم وإن كان ذا نَفرْ

فنحن بَنو الإسلامِ واللهُ واحدٌ ... وأَولى عِبادِ الله باللهِ مَنْ شكَرْ[5]

[من الذي حوّله عن مذهبه ؟]

أخبرنا اليزيديُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ قال : حدَّثنا الأصمعيُّ عن المُعتَمِر بن سليمان قال : كان عِمرانُ بن حِطّان رجلاً من أهل السنّة ، فقدِم عليه غلام من عُمان كأنّه نَصْل ، فقلبه عن مَذْهبه في مجلس واحد .

أخبرني اليزيديُّ ، قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ ، قال : حدَّثنا مسدَّدُ بن مُسرْهَد ، قال : حدَّثنا بِشْرُ بن المفَضَّل ، عن سَلَمة بن عَلْقَمةَ ، عن محمد بن سيرين ، وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيلْ العَنَزيُّ ، قال : حدَّثنا عمرو بن عليّ القلاّسُ ، وعبّاس العنبريّ ، ومحمد بن عبد الله المخزوميّ ، قالوا : حدَّثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، عن بشر بن المُفضَّلِ ، عن سلَمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : تزوَّج عمرانُ بن حطّان امرأةً من الخوارج فقيل له فيها ، فقال : أردُّها عن مذْهبها فذهبت هي به .

[متخلف عن الخروج يتمثل بشعر عمران]

نَسختُ عن بعض الكتب : حدَّثنا المدائنيُّ ، عن جُوَيْريّة قال : كتب عيسى الحَبَطيُّ إلى

1 الطسوج : الناحية أو القرية .
2 شعره : 182 مع بعض اختلاف .
3 شعره : طابوا بدل قربوا .
4 شعره : أتوني فقالوا .
5 شعره : والله ربنا .

رجلٍ منهم يقال له أبو خالد ، كان تخلَّف عن الخروج مع قطريّ أو غيره منهم[1] : [من الطويل]

أَبــا خالــدٍ أنفُرْ فلستَ بخالدٍ ... ومــا تــركَ الفُرقانُ عُذْراً لِقاعِدِ

أتزعــمُ أنَّ الخارجين على الهُدى ... وأنت مُقيمٌ بـين لِصٍّ وجاحدِ !

فكتب إليه : ما منعني عن الخروج إلاّ بناتي والحدَبِ عليهن حين سمعتُ عمران بن حِطّان يقول[2] : [من الوافر]

لقــد زاد الحيــاةَ إليّ حُبّاً ... بناتــي إنّهنّ مــن الضِّعافِ

ولولا ذاك قــد سَوَّمتُ مُهري ... وفي الرَّحمــنِ للضُّعفاءِ كافِ

قال : فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكي ، ويقول : صدَقَ أخي ، إنَّ في ذلك لعُذراً له ، وإنَّ في الرحمن للضعفاء كافياً .

[رأي الأخطل في شعره]

وقال هارون : أخذتُ من خطّ أبي عَدْنان : أخبرني أبو ثَرْوان الخارجيّ ، قال : سمعتُ أشياخَ الحيِّ يقولون : اجتمعت الشعراء عند عَبْدِ الملك بن مروان فقال لهم : أبقي أحدٌ أشعر منكم ؟ قالوا : لا . فقال الأخطل : كذبوا يا أمير المؤمنين ، قد بَقِيَ مَن هو أشعر منهم ؛ قال : ومَن هو ؟ قال عِمرانُ بن حِطّان ؛ قال : وكيف صار أشعرَ منهم ؟ قال : لأنّه قال وهو صادِق ففاقهم ، فكيف لو كذَبَ كما كَذَبوا !

[الحجّاج وغزالة الحرورية]

أخبرنا الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن ابن أبي سعد ، عن أحمد بن محمد بن عليّ بن حمزة الخراسانيّ ، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهّاب ، عنِ يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القارىء ، عن الزُّهريّ ، عن أبيه : أنّ غَزالةَ الحَروريَّةَ[3] ، لمّا دخلَت على الحجّاج هي وشبيب الكوفة تحصَّن منها وأغلق عليه قَصره ، فكتب إليه عِمران بن حطّان ، وقد كان الحجّاج لجّ في طلَبه ، قال[4] : [من الكامل]

أسدٌ عليَّ وفي الحــروبِ نَعامةٌ ... رَبداءُ تَجْفُــل مـن صَفير الصافرِ[5]

---

1 نسب البيتان في ديوان شعر الخوارج لقطري بن الفجاءة : 119–120 يقولهما لخالد القناني أحد القعدة .

2 نسبت الأبيات لعيسى بن فاتك (عاتك) الحبطي (الخطي) ولعمران بن حطان . ونسبتهما إلى أبي خالد القناني أقرب إلى السياق .

3 الحرورية : الخوارج سموا بذلك لاجتماعهم في حروراء .

4 شعره : 184 .

5 الربداء : السوداء والمنقطة بالحمرة .

هلاّ بَرَزتَ إلى غَزالة في الوَغى بـل كان قَلبكَ في جَناحيْ طائرِ
صدَعتْ غَزالـةُ قلبَـه بفـوارسٍ تركـتْ مدابِـرَه كأمْسِ الدَّابرِ

ثم لَحِق بالشام فنزلَ على رَوْح بن زِنْباع .

أُخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثنا محمد بن خالد أبو حَرب ، قال : حدَّثنا محمد بن عبّاد المهلّبيُّ ، قال : حدَّثنا جريرُ بن حازمُ ، قال : كان عِمرانُ بن حِطّان أَشدَّ الناس خُصومة للحَروريّة حتى لقيه أعرابيٌّ حَروريّ فخاصَمه فخصمه فصار عِمرانُ حَرُوريّاً ، ورجع عن رأيه .

قال جرير بن حازم : كان الفرزدق يقول : لقد أحسنَ بنا ابن حِطّان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه ، ولو أخذ فيما أخذْنا فيه لأسقطنا ، يعني لجوْدة شعره .

[نسبة كثير من الشعر إليه]

نسختُ من كِتاب ابن سَعْد قال : أَخبرني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : أخبرني أَحمد بن عبد الله بن سُوَيد بن مَنجوف السَّدوسيّ ، قال : أخبرني أحمد بن مؤرِّج ، عن أبيه قال : حدَّثني به تميمُ بن سَوادَة ، وهو ابن أُخت مُؤرِّج ، قال : حدَّثني أبو العوَّام السَّدوسيّ ، قال : كان مالك المزموم رجلاً من بني عامر بن ذُهل ، وكان من الخوارج ، وكان الحجّاج يطلُبه . قال أبو العوَّام : فدخلتُ عليه يوماً وهو في تَوارِيه ، فأنشدني يقول[1] : [من الطويل]

أَلم يأنِ لي يا قَلبُ أن أَتْركَ الصِّبا وأَن أزجرَ النفسَ اللَّجُوجَ عن الهَوى
وما عُذرُ مَنْ يَعمى وقد شابَ رأسُه ويُبصِر أَبـوابَ الضَّلالـةِ والهُدى
ولو قُسِم الذَّنبُ الذي قد أَصبْتُه على النّاس خاف النّاسُ كُلّهم الرَّدى
فإن جَـنَّ ليلٌ كُنتُ باللَّيل نائماً وأُصبح بَطَّالَ العَشيَّاتِ والضُّحى

قال : فلمّا فَرغَ من إنشادها قال : سيَغْلِبُني عليها صاحبُكم ، يعني عِمران بن حِطّان ، فكان كذلك ، لمّا شاعَت رواها الناسُ لعِمران . وكان لا يقول أحدٌ من الشُّراة شِعْراً إلاّ نُسِب إليه لشُهرته إلاّ مَنْ كان مِثلَه في الشُّهرة مثل قطريّ وعَمْرو القنا وذويهما . قال : ثم هرب إلى اليمامة من الحجّاج ، فنزل بحَجْر ، فأتاه آلُ حَكّام الحنفيُّون ، فقال[2] : [من الخفيف]

1 شعره : 192 .
2 شعره : 193–194 .

طَيَّروني مــن البــلاد وقالوا مالَكَ النَّصفُ من بني حَكَّام[1]
ناقَ سيري قد جَدَّ حَقّاً بنا السَّيـ ـرُ وكوني جَوَّالـةً في الزِّمامِ
فمَتى تَعْلَقي يَـدَ المَلِك الأَسْـ ـودِ تَسْتَيْقِنـي بألاّ تُضامي[2]
قد أراني ولي من الحاكِم النَّصْـ ـفُ بحَـدِّ السِّنانِ أو بالحُسامِ

قال : والملك الأسود إبراهيم بن عربيّ والي اليمامة لعبْد الملِك ، وكان ابن حكّام على شُرْطته قال : [من الخفيف]

ومُنِينــا بطِمْطِـــمٍ حَبَشيٍّ حالِكِ الوَجْنَتين من آلِ حامِ[3]
لا يُبــالي إذا تَضلَّع خَمْـراً أبحِـلٌّ رَمـاك أم بِحَــرامِ[4]

قال العَنَزِيّ : فأخبرني محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حَفْصَة ، عن أبيه ، قال : كان مالكٌ المزموم من أحسن الناس قراءة للقرآن ، فقرأ ذاتَ ليلة فسَمِعَتْ قراءته امرأةٌ من آل حَكَّام فرَمَت بنفسها من فوق سطح كانت عليه ، فسَمِع الصوتَ أهلُها ، فأتَوْه فضربوه ضربات ، فاستَعْدى عليهم إبراهيم بن عربيّ ، وكان عبدُ الله بن حكّام على شُرْطَته فلم يُعدِه[5] عليهم ، فهجاه بالأبيات الماضية ، وهجاه بقصيدته التي أوَّلُها[6] : [من الخفيف]

دارَ سَلْمى بالجِزْع ذِي الآطام خبِّرينا سُقِيــتِ صَوْبَ الغَمامِ

وهي طويلة ينسبونها أيضاً إلى عِمْران بن حِطّان .

[اعتراف الفرزدق بتفوّقه]

أخبرني أحمدُ بن الحسين الأصْبهانيُّ ابن عمّي قال : حدَّثني أبو جعفر بن رُسْتم الطَّبريُّ النَّحويُّ ، قال : حدَّثنا أبو عُثمان المازنيُّ قال : حدَّثنا عمرو بن مُرّة قال : مرَّ عِمران بن حِطَّان على الفرزدق وهو ينشد والناس حولَه ، فوقف عليه ، ثم قال[7] : [من الخفيف]

أيُّها المـادِحُ العِبـادَ لِيُعْطى إنَّ للهِ مـا بـأَيْدي العِبـادِ

---

1 النصف : الانصاف .
2 شعره : فمتى تلقني .
3 الطمطم : الأعجم الذي لا يفصح .
4 تضلّع : امتلأ ما بين أضلاعه شبعاً ورياً .
5 لم يعده : لم ينصره .
6 شعره : 193 .
7 شعره : 176 .

فاسأَلِ اللّهَ مـــا طلبتَ إليهم   وارجُ فضـــلَ المُقسِّم العَوّادِ
لا تقُلْ في الجَوادِ ما ليس فيه   وتُسمِّي البخيلَ باسم الجَوادِ

فقال الفرزدق : لولا أنَّ الله عزَّ وجلَّ شَغَل عنّا هذا برأْيه للقينا منه شرّاً .

[أوعظ بيت قالته العرب]

وقال هارون بن الزَّيّات : أَخبرني عبدُ الرّحمن بن موسى الرَّقيّ ، قال : حدَّثنا أَحمدُ بن محمد بن حُمَيْد بن سُليمان بن حَفْص بن عبد الله بن أَبي جَهم بن حُذيفة بن غانم العدوِيّ قال : حدَّثنا يَزيدُ بنُ مرّة ، عن أَبي عُبيدة مَعْمَر بن المثّنى عن عيسى بن يَزيد بن بَكر المدنيّ ، قال : اجتمع عند مسلَمة بنِ عبد الملك ناسٌ من سُمّاره ، فيهم عبدُ الله بن عبد الأعلى الشّاعر ، فقال مَسْلَمة : أيُّ بَيْت قالَته العربُ أوعظُ وأَحكَم ؟ فقال له عبدُ الله قوله : [من الطويل]

صَبا ما صَبا حتّى عَلا الشَّيبُ رأْسَه   فلمّـــا عـــلاه قـــال لِلْباطِلِ ابْعُدِ

فقال مَسْلَمةُ : إنّه والله ما وَعَظَني شِعْرٌ قَطّ كما وَعَظَني شِعْرُ ابن حِطّان حيث يقول[1] : [من الطويل]

فيُوشِكُ يَـــومٌ أن يُقـارِنَ لَيْلَةً   يَسوقانِ حَتْفاً راح نَحْوك أو غَدا

فقال بعضُ مَن حضر : واللهِ لقد سَمِعتُه أجَّل الموتَ ثم أفناه ، وما صنَع هذا غيرُه ، فقال مَسلمة : وكيف ذاك ؟ قال : قال[2] : [من البسيط]

لا يُعجزُ المَوتَ شيءٌ دُونَ خالِقِه   والموتُ فانٍ إذا مـــا نالـه الأَجَلُ
وكلُّ كَرْبٍ أَمـــامَ المَوتِ مُتَّضِعٌ   للموتِ ، والمَوتُ فيما بَعْدَه جَلَلُ

فبكى مَسلَمةُ حتى اخضلّت لِحيَتُه ، ثم قال : ردِّدهما عليَّ ، فردَّدَهما عليه حتى حَفِظَهما .

[خلات الصدق في زوجته]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا مَنيع بن أَحمد بن مُؤرِّج السَّدُوسيّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : تزوّج عِمرانُ بن حِطّان حمزةَ بنتَ عمِّه ليردّها عن مذهب الشّراية ، فذهبت به إلى رأيهم ، فجعل يقول فيها الشعر ، فممَّا قال فيها[3] : [من البسيط]

---

1 لم يرِد هذا البيت في مجموع شعره .
2 شعره : 168 .
3 شعره : 167 وفيه «جمر» بدل «حمز» .

يا حَمْزَ إنّي على مـا كان من خُلقي ... مُثْنٍ بخَلاّتِ صِدْقٍ كُلُّهـا فيكِ
اللهُ يعلَـم أنّي لم أَقُـلْ كَذِبـاً ... فيمـا عَلِمْـتُ وأنّي لا أُزَكّيكِ

[لا يكذب في شعره]

أُخبرني الحسن قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، وحدَّثني بعضُ أُصحابنا ، عن العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ : أنَّ امرأةَ عمران بن حِطّان قالت له : أَلَم تزعم أنَّك لا تكْذِب في شعرك ؟ قال : بلى ، قالت : أفرأَيتَ قولَك : [من مجزوء الكامل]

وكذاك مَجْـزَأة بن ثَـوْ ... رٍ كان أَشجعَ من أُسامَهْ

أَيكون رجل أشجعَ من الأسد ؟ قال : نعم ، إنّ مجزأةَ بن ثَوْر فتح مدينة كذا ، والأسد لا يَقدر على فتحِ مدينة .

صوت

[من الطويل]

نَديميَّ قـد خَفَّ الشَّرابُ ولَم أَجِد ... له سَوْرَةً في عَظْم رأسي ولا جِلْدي
نَدِيمـيَّ هـذِي غِبُّهُم فاشرَبا بها ... ولا خيْر في شُرْبٍ يكون على صَرْدِ[1]

الشعرُ لعُمارة بن الوليد بنِ المُغيرة المخْزُوميّ ، والغناءُ لابن سُرَيج خفيف ثقيل .

---

1 الغب : الزيارة يوماً بعد يوم . والصرد : الخالص من كل شيء ، أي صرفاً . وفي رواية «على حرد» أي على غضب .

[382] ـ أخبار عمارة بن الوليد ونسبه[1]

عُمارة بن الوليد ، بن المُغيرة ، بن عبد الله ، بن مَخْزُوم ، بن يَقَظة ، بن مرّة ، بن كعب ، بن لؤيّ ، بن غالب ، وهو أحدُ أزْواد الرَّكْب[2] ، ويقال له الوحيد ، وكان أزوادُ الرَّكْب لا يمرُّ عليهم أحد إلاّ قَروْه وأحْسَنُوا ضيافته ، وزوّدُوه ما يحتاج إليه لسفَرِه . وكان عمارة بن الوليد فَخوراً مِعنّاً[3] متعرِّضاً لكلّ ذي عارِضة من قُرَيش ، فأخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن شَبيب ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، عن الحزاميّ ، قال : مرَّ عمارة بن الوليد بمُسافرِ بن عمرو ، فوقَفَ عليه وهو مُنْتشٍ ، فقال : [من مجزوء الرمل]

خُلِق البيضُ الحِسان لنا ... وجِيادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ
كابِراً كُنَّا أحقَّ به ... حين صِيغ الشَّمْسُ والقَمَرُ

فأجابه مُسافرُ بن عمرو بن أُميّة ، فقال : [من مجزوء الرمل]

أَعُمارَ بنَ الوليد لقد ... يذكُر الشّاعر مَنْ ذَكَرَهْ
هل أخو كأسٍ مُخَفّفها ... ومُوَقٌّ صَحْبَه سَكَرَهْ
ومُحيِّيهم إذا شَرِبُوا ... ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَهْ
خُلِقَ البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِياد الرَّيْطِ والحَبَرهْ
كابِراً كنّا أحقَّ به ... كلُّ حيٍّ تابِعٌ أثَرَهْ

[يترك الشراب ثم يعود]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ ، قال : حدَّثنا العُمَرِيُّ ، عن الهيثم بن عَديّ عن حمّاد الرّاوية : أنَّ عُمارة بن الوليد خَطَب امرأةً من قَومِه فقالت : لا أتزوّجُك أو تترُك الشّراب والزِّنا ، قال : أمّا الزّنا فأتركه ، وأمّا الشّراب فلا أتركه ولا أستطيع . ثم اشتدَّ وجدُه بها فحلف ألاّ يشرب ؛ فتزوَّجها ومكث حيناً لا يشرب ، ثمّ إنّه لبِس ذات يوم حُلّته وركب ناقته وخرج يسير ، فمرّ بخمّار وعنده شَرْبٌ يشربون ، فدعَوْه فدخل عليهم

1 لعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي في نسب قريش : 322 وانظر تاريخ الطبري وطبقات ابن سعد 1 : 202 و4 : 105 وقد تقدم خبر مرافقته عمرو بن العاص إلى الحبشة (انظر التذكرة الحمدونية 8 : 215–217) .
2 أزواد الركب : مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الأسود وأبو أمية بن المغيرة ، لأن الراكب لم يكن يتزود بزاد .
3 المعن : من يدخل فيما لا يعنيه .

وقد أُنفدوا ما عندَهم . فقال للخمّار : أطعِمْهم ويلك ، فقال : ليس عندي شيء ، فنحر لهم ناقته ، فأكلوا منها ، فقال : اسقِهم ، ولم يكن معهم شيء يشربون به ، فسقاهم ببُردته ؛ ومكثوا أيّاماً ذوات عدد ، ثم خرج فأتى أهله ، فلمّا رأته امرأته ، قالت له : ألَم تحلف ألاّ تشرب ؟ ولامته ، فقال : [من الطويل]

ولسنا بشَرْبٍ أُمَّ عمرو إذا انتشوْا ... ثيابُ النَّدامى عندهم كالغنائمِ[1]
ولكنّنا يا أُمَّ عَمْرٍو نديمُنا ... بمنزلة الرّيّان ليس بعائِمِ
أسرَّك لما صرَّع القومَ نشوةٌ ... أن اخرُجَ منها سالماً غيرَ غارمِ
خليّاً كأنّي لم أكُن كُنتُ فيهمُ ... وليس الخِداعُ مرتضًى في التّنادمِ

[ملاحاته عمرو بن العاص]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم ، قال : حدَّثني عمِّي : أحمد بن جعفر ، عن ابن دأب ، قال : قدِم رجل من تجّار الرُّوم بحُلّة من لباس قيصر على أهل مكّة ، فأتى بها عمارةَ بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ، فعرضها عليه بمائة حِقٍّ من الإبل ، فاستغلاها ، فأتى بها عمرو بن العاص ، فقال له : هل أتيت بها أحداً ؟ قال : نعم ، عُمارة بن الوليد فاستغلاها وقال : لن تعدم لها غَوِيّاً من بني سهم ، قال : قد أخذتها : فاشتراها بمائة حِقّ ، يعني مائة بعير ، ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم ، فناداه عمارة : أتبيع الحُلّة يا عمرو ؟ فغضب والتفت إلى عمارة ، فقال : [من الوافر]

عليكَ بجزِّ رأس أَبيك إنّا ... كفيناك المُسَهَّمة الرِّقاقا[2]
زوَوْها عنكمُ وغلَتْ عليكم ... وأُعطينا بها مائةً حِقاقا
وقلتم : لا نطيق ثيابَ سَهْمٍ ... وكلٌّ سوف يَلبَسُ ما أُطاقا

قال : فغضب عمارة وقال : يا عمرو ، ما هذا التّهوّر ؟ إنّك لست بعتبةَ بن ربيعة ، ولا بأبي سفيان بن حرب ، ولا الوليد بن المغيرة ، ولا سُهيل بن عمر ، ولا أُبيّ بن خلف . فقال عمرو : إلاّ أُكن بعضَهم فإنّ كلَّ واحد منهم خيرُ ما فيه فيَّ : من عُتبة حلمُه ، ومن أبي سفيان رأيُه ، ومن سُهَيل جودُه ، ومن أُبيّ بنِ خلف نجدَتُه ، وأمّا الوليد فوالله ما أحبّ أنّ فيّ كلَّ ما فيه من خيرٍ وشرٍّ ، ولكنّك والله مالكَ عَقْلُ الوليد ، ولا بأسُ الحارث بن هشام وخالد بن الوليد ، ولا لِسانُ أبي الحكَم ، يعني أبا جهل . وانصرف ، فأمر عُمارةُ بجزور فنُحِرت على

1 أم عمرو في ل : أم عوف .
2 المسهمة : المخططة .

طريق عمرو ، وأقبل عمرو فقال : لَمَنْ هذه الجزور ؟ قيل : لعُمارة ، فقال له : أطعِمنا منها يا عُمارة ، فضحك منه ، ثمّ قال : [من الوافر]

عليك بجَزْرِ أيرِ أبيك إنّا كفينـاك المُشاشة والعُراقا[1]
ومَنسَبَة الأطايب من قريشٍ ولم تَرَ كأسَنا إلاّ دِهاقا[2]
ونلبسُ في الحوادثِ كلَّ زَغْفٍ وعند الأمن أبْراداً رِقاقا[3]

فوقع الشرُّ بينهم ، فقال عمرو : [من الوافر]

لعَمْرُ أبيك والأخبار تَنْمي لقد هَيَّجْتَني يا ابنَ الوليدِ
فلا تعجل عُمارةُ إنَّ سَهْماً لمخزومٍ بن يَقْظَةَ في العديدِ
وأورِدْ يا عُمارةُ إنَّ عودي من آعواد الأباطحِ خيرُ عودِ

فأجابه عُمارة ، فقال : [من الوافر]

ألا يا عمرو هل لك في قُريشٍ أبٌ مثلُ المُغيرة والوليدِ
وجَدٌّ مثلُ عبدِ الله يَنْمي إلى عمرِو بن مخزومٍ بِعُودِ
إذا ما عُدَّت الأعواد نَبْعاً فما لي في الأباطِحِ من نَديدِ
وقد عَلِمتْ سَراةُ بني لُؤَيٍّ بأنّي غيرُ مؤتَشِبٍ زهيدِ[4]
وإنّي للمُنابِذِ من قريشٍ شَجاً في الحَلْقِ من دونِ الوريدِ
أحوطُ ذِمارَهم وأكفُّ عنهم وأصبِر في وَغا اليوم الشَّديدِ
وأبذُل ما يضِنّ به رِجالٌ وتُطمِعُني المروءةُ في المزيدِ
وإنّك من بني سَهْمِ بنِ عَمرٍو مكان الرِّدْفِ من عَجُزِ القَعودِ
وكان أبوكَ جَزّاراً . . . وكانت له فأس وقِدْرٌ من حديدِ

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن العُمَريّ ، عن أبي عوانةَ ، عن عبد الملك بن عمير ، أنّ عمر بن الخطّاب قَسَم بروداً في المهاجرين .

قال العَمَريّ : هكذا ذكر أبو عوانةَ ، وقد حدَّثني الهيثم ، عن أبي يعقوب الثَّقفيّ ، عن عبد

---

1 المشاشة : رأس العظم اللين . والعراق : أكل اللحم عن العظم .
2 كأس دهاق : ممتلئة .
3 الزغف : الدرع الواسعة الطويلة .
4 مؤتشب : مختلط النسب غير صريح .

الملك بن عُمير ، قال : أُخبرني مَنْ شهِد ذلك : أنّ عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ بعثَ إلى عمر بن الخطّاب بِحُلَلٍ من اليمن ، فقال عمر : عليَّ بالمحمَّدين ، فأُتِي بمحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة ، ومحمد بن حطّاب أخي حاطب ، وكلّهم سمّاه النبيّ ﷺ محمّداً ، فأقبلوا ، فاطّلع محمد بن حطّاب فيها ، فقال له عمر : يا شيبة معمر ، يعني عمّاً له قُتِل يوم بدر ، اكفف ، وكان زيد بن ثابت الأنصاريّ عنده ؛ فقال له عمر : أعطهم حُلّةً حُلّة . فنظر إلى أفضلها ، وكانت أُمُّ أحدهم عنده ، فقال عمر : ما هذا ؟ فقال : هذه لفلان ، الذي هو ربيبه ، فقال عمر : اردُدْه ، وتمثّل بقول عُمارة بن الوليد : [من الطويل]

أسرَّك لّما صرَّع القومَ نشوةٌ　　أن اخرُجَ منها سالِماً غيرَ غارمِ
خَلِيّاً كأنّي لم أكُن كنت فيهمُ　　وليس الخِداعُ مُرتضًى في التّنادمِ

وقال أبو عوانة : من تصافي التنادم .

ثمّ أمر بالبرود فغُطّيت بثوب ، ثمّ خلَطها ، ثم قال : ليُدخِلْ كلُّ امرىءٍ يدَه فليأخذ حُلّته وما قُسِم له .

صوت

[من المنسرح]

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكِلِه　　ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعَهْ
فاقبَلْ من الدَّهر ما أتاك بِهِ　　مَنْ قرَّ عيناً بعيشه نَفَعَهْ
لكلِّ همٍّ من الهمومِ سَعَهْ　　والصُّبح والمُسْيُ لا فلاحَ معَهْ[1]

الشعر للأضبط بن قُرَيع ، والغناء لأحمد بن يحيى المكّيّ ، ثقيل أوّل بالسَّبابة في مجرى البنصر من روايته ، وسمعناه يغنّي في طريقة خفيف رمل ، فسألت عنه ذُكاء وجه الرّزّة ، فذكر أنّه سمعه من محمد بن يحيى المكّيّ في هذه الطريقة ، ولم يعرف صانعَه ولا سأل عنه .

1 المسي : الامساء . لا فلاح معه : لا بقاء معه .

[383] ـ أخبار الأضبط ونسبه[1]

[الأضبط مفرّك]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني عبدُ الله بن طاهر ، قال : قال أبو محلّم : أخبرني ضِرار بن عيينة ، أحد بني عبد شمس ، قال : كان الأضبط بن قُرَيْع مُفرَّكاً ، وكان إذا لقي في الحرب تقدّم أمام الصفّ ، ثم قال : [من الرجز]

أنــا الذي تفرُكُه حلائلُهْ ألا فتًى مُعشَّقٌ أُنازِلُهْ ![2]

قال : فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن ، فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرْك الأضبط ، فأجْمَعن أنّ ذلك لأنّه بارد الكَمَرة ، فقالت لإحداهنّ خالتُها : أتعجز إحداكنّ إذا كانت ليلتُه منها أن تُسخن كمرته بشيء من دُهن ؟ فلمّا سمع قولَها صاح : يا آل عوف ، يا آل عوف ! فثار الناس وظنّوا أنّه قد أُتِيَ ، فقال : أوصيكم بأن تُسخِنوا الكمرة فإنّه لا حُظْوة لبارد الكمرة ، فانصرفوا يضحكون ، وقالوا : تبّاً لك ، ألهذا دعوتَنا !

[يعصى ويلام]

قال أبو مُحلّم : كانت أُمُّ الأضبطَ عَجِيبة بنت دارم بن مالك بن حنظلة ، وخالته الطَّموح بنت دارم أُمّ جُشَم وعبشمس ابنَي كعب بن سعد ، فحارب بنو الطَّموح قوماً من بني سعد ، فجعل الأضبط يدُسّ إليهم الخيل والسلاح ولا يصرّح بنُصرتهم خوفاً من أن يتحزّب قومه حزبين معه وعليه ، وكان يشير عليهم بالرّأي فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه ، وأرَوْه مع ذلك أنّهم على رأيه ، فقال في ذلك : [من المنسرح]

لكلّ هَــمٍّ مــن الهُمومِ سَعَهْ والمُسْيُ والصُّبح لا فلاحَ معَهْ[3]
لا تحقِرنَّ الفقيرَ علَّــك أن تركعَ يوماً والدّهرُ قــد رَفعَهْ
وصِلْ حِبال البعيد إنْ وَصَلَ الحبْــلَ وأَقْصِ القريبَ إن قطعَهْ
قــد يجمع المــال غيرُ آكلِهِ ويأكل المــالَ غيرُ مَنْ جمعَهْ

1 ترجمة الأضبط بن قريع في الشعر والشعراء : 298–299 والمعمرين : 7 وأمثال الضبي : 6 والسمط : 326 وشرح شواهد المغني : 155 وخزانة البغدادي 11 : 455–456 والمحبر : 182 ، 247 .

2 المفرّك : الذي تبغضه زوجاته .

3 صدر البيت في الخزانة : لكل ضيق من الأمور سعة . وفي الشعر والشعراء : يا قوم من عاذري من الخدعة .

مـــا بال مَنْ غَيُّه مُصِيبُك لا يملك شيئاً مـــن أمرِه وَزَعَهْ[1]
حتى إذا مـــا انجلَتْ غَوايتُه أقبـــل يَلحـــى وغيُّـــه فجعَهْ
أذودُ عـــن نفسه ويخدَعُنـــي يا قوم مَنْ عاذري من الخُدَعَهْ
فاقْبَلْ مـــن الدَّهرِ ما أتاكَ به مَـــنْ قـــرَّ عينـــاً بعيشه نفعَهْ

[شعره في امرأة نشزت]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا الخرّاز عن المدائنيّ ، قال : كان الأضبطُ بن قريع قد تزوّج امرأة على مال ووصيفة ، فنَشَزَت عليه ، ففارقها ولم يعطِها ما كان ضمِن لها ، فلمّا احتملت أنشأ يقول : [من الطويل]

ألَـم تَرَهـــا بانـــت بغير وصيفةٍ إذا ما الغواني صاحبتها الوَصائِفُ
ولكنّهـــا بانـــت شَموسٌ بَرِيَّـــة مذممـــة الأخـــلاق حدباءُ شارفُ
لـــو انَّ رسولَ اللّهْوِ سلَّم واقِفاً عليها لرامتْ وَصلَه وهـــو واقِفُ

أخبرنا وكيع قال : حدَّثنا ابن أبي سعد قال : حدَّثنا الجمّاز : قال : أنشدت أبا عبيدة وخَلَفاً الأحمر شِعر الأضْبطِ : [من المنسرح]

وصِلْ حبال البعيد إن وصل الحبـــ ـــل وأقْصِ القريبَ إنْ قطعَهْ

فما عرفا منه إلاّ بيتاً وعجز بيت ، فالبيت الذي عرفناه : [من المنسرح]

فاقبل مـــن الدَّهرِ ما أتاك به . . . .

والعجز :

يا قوم مَنْ عاذِري من الخُدعَهْ

والخدعة : قوم من بني سعْد بنِ زيْد مناة بنِ تميم .

صوت

[من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمُهْتَضَمٍ حقّـــي ولا قارع سِنّي[2]
ولا مُسلمٍ مـــولاي عنـــد جنايةٍ ولا خائفٍ مولاي من شرِّ ما أجْني

الشعر لأعشى بني ربيعة ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى ، عن عمرو .

1 وزعه : كفه . ويروى : ما بال من سره مصابك . . .
2 في السمط (906) : ولا سالم قرني .

[384] ـ أخبار أعشى ربيعة ونسبه[1]

الأعشى اسمه عبدُ الله بن خارجةَ بن حبيب بـن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة الحُصَين بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْميّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار : شاعر إسلاميّ من ساكني الكوفة ، وكان مَرْوانيّ المذهب ، شديد التعصّب لبني أُميّة .

[مديحه عبد الملك]

أخبرني محمدُ بن العبّاسِ اليزيديّ قال : حدَّثنا عمِّي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيبَ ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، عن عمِّه العبّاس بن هشام ، عن أبيه ، قالا : قدِم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبدُ الملك : ما الذي بَقِي منك ؟ قال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خُصومتي ... بمُهْتَضَمٍ حقِّي ولا قــارعٍ سِنِّي
ولا مُسلمٍ مَـولايَ عنـد جِنايةٍ ... ولا خائفٍ مَوْلاي من شرِّ ما أَجني
وإنّ فُؤادي بــين جَنبـــيَّ عالِمٌ ... بما أَبصرت عيني وما سَمِعَتْ أُذْني
وفضّلني في الشِّعرِ واللُّبِّ أنَّنِي ... أَقولُ على عِلمٍ وأعرِفُ مَن أَعْني
فأصبحتُ إذ فَضَّلتُ مروانَ وابنَه ... على النّاسِ قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك : مَن يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة تُخوت ثياب ، وعشر فرائض من الإبل ، وأقطعه ألفَ جَرِيب[2] ، وقال له : امضِ إلى زيد الكاتب يكتب لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عَيِّلاً[3] فأتى زَيداً فقال له : ائتِني غداً ، فأتاه فجعل يردِّده ، فقال له : [من الرجز]

يا زيدُ يــا فِـداكَ كُلُّ كاتِبِ ... في النّاسِ بين حاضرٍ وغائبِ

---

1 ترجمة أعشى بني ربيعة في السمط : 906 والمؤتلف : 10–11 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1776–1778 وجمهرة أنساب العرب : 324 وتاريخ ابن عساكر (تراجم عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) : 222–224 وفيه معظم الشعر الوارد في هذه الترجمة .

2 الجريب : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، وقيل عشرة آلاف ذراع .

3 عيل الرجل : من يعول من أزواج وأولاد وأتباع .

هل لك في حَقٍّ عليكَ واجبِ ... في مثله يرغب كُلُّ راغِبِ
وأنت عَفٌّ طَيِّب المكاسبِ ... مُبَرَّأً من عَيْبِ كلِّ عائِبِ
ولستَ ، إن كفَيْتني وصاحِبي ... طُولَ غُدُوٍّ ورَواحٍ دائِبِ
وسُدَّةَ الباب وعُنفَ الحاجِبِ ... من نِعْمةٍ أسدَيْتَها بخائبِ

فأبطأ عليه زيد ، فأتى سُفيانَ بنَ الأبرد الكلبيّ ، فكلَّمه سُفيان فأبطأ عليه ، فعاد إلى سفيان ، فقال له : [من البسيط]

عُدْ إذ بدأْتَ أبا يَحيى فأنتَ لَها ... ولا تَكُنْ حين هاب النّاسُ هيّابا
واشفَع شفاعةَ أنفٍ لم يكن ذَنَباً ... فإنَّ من شُفَعاءِ النّاسِ أذْنابا

فأتى سُفيانُ زيداً الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته .

[يحثّ عبد الملك على محاربة ابن الزُّبير]

قال محمد بن حبيب : دخل أعشى بني أبي ربيعة[1] على عبد الملك وهو يُرَوِّي في الخروج لمحاربة ابن الزُّبير ولا يَجِدّ . فقال له : يا أمير المؤمنين ، مالي أراك مُتلوِّماً يُنهِضُكَ الحَزْم ويقعِدك العَزمُ ، وتَهُمّ بالإقدام وتجنَح إلى الإحجام ، انقَدْ لبصيرتك وأمضِ رأيَك ، وتوجَّهْ إلى عدُوّك ، فجَدُّك مُقبِل ، وجدُّه مُدبِر ، وأصحابُه له ماقِتون ، ونحن لك مُحِبُّون ، وكلمَتُهم مُفترِقة ، وكَلِمَتُنا عليك مُجتمِعة ، واللهِ ما تُؤتى من ضَعْف جَنان ، ولا قِلّة أعوان ، ولا يُثبِّطُك عنه ناصح ، ولا يُحرِّضُك عليه غاشّ ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً فقال : هاتِها ، فإنّك تنطق بلسان وَدُود وقلب ناصح ، فقال : [من الكامل]

آلُ الزُّبَير من الخلافة كالّتي ... عَجِلَ النِّتاجُ بحَمْلِها فأحالَها
أو كالضِّعاف من الحَمولة حُمِّلَت ... ما لا تُطِيق فضَيّعت أحمالَها
قُوموا إليهم لا تَناموا عنهمُ ... كَم للغُواةِ أطلتُموا إمْهالَها
إنَّ الخِلافةَ فيكمُ لا فيهمُ ... ما زِلْتُمُ أركانَها وثِمالَها[2]
أمسَوْا على الخيرات قُفْلاً مغلقاً ... فانهض بيُمْنِك فافتَحْ أقفالَها

فضحك عبدُ الملك وقال : صدقتَ يا أبا عبد الله ، إنّ أبا خُبَيب لقُفلٌ دون كلّ خير ،

1 يقال له : أعشى بني ربيعة نسبة إلى ربيعة بن نزار ، و«أعشى بني أبي ربيعة» نسبة إلى أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان .

2 ثمالها : غياثها .

ولا نتأخَّر عن مُناجَزته إن شاء الله ، ونستعين الله عليه ، وهو حسبنا ونِعم الوكيل ، وأُمر له بصلة سنيّة .

[الحجّاج يسرّ بكلامه بعد جفاء]

قال ابن حبيب : كان الحجّاج قد جفا الأعشى واطَّرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان ، فلمّا فرغَ الحَجَّاج من حرب الجماجم ذكر فتنةَ ابن الأشعث ، وجعل يوبِّخ أُهلَ العراق ويؤنِّبهم ؛ فقال مَن حضر من أهلِ البصرة : إنَّ الرَّيبَ والفِتنة بدآ من أهل الكوفة ، وهم أوَّل مَن خلع الطاعة وجاهر بالمعصية ؛ فقال أُهل الكوفة : لا ، بل أهلُ البصرة أوَّلُ مَنْ أظهر المعصية مع جرير بنِ هميان السّدوسيّ ، إذ جاء مخالفاً من السَّند . وأُكثروا من ذلك ، فقام أعشى بني أبي ربيعة ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ لا براءة من ذنب ، ولا ادِّعاء على الله في عصمة لأحد من المِصْرَيْن ، قد والله اجتهدوا جميعاً في قِتالِك ، فأبى اللهُ إلاَّ نَصْرَك ؛ وذلك أنّهم جَزِعوا وصبرتَ ، وكفروا وشكَرْت ، وغفرْت إذ قَدَرْت ، فوَسِعَهم عفوُ الله وعفوُك فنجَوْا ، فلولا ذلك لبادوا وهلكوا . فسُرَّ الحجّاجُ بكلامه وقال له جميلاً ، وقال : تهيَّأْ للوِفادة إلى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك شِفاهاً ، انتهى .

[غضب الحجّاج عليه لرثائه ابن الجارود]

أُخبرني محمد بن خَلَف وكيع ، قال : حدَّثني حمَّادُ بن إسحاق ، عن أُبيه ، قال : بلغ الحجّاجَ أنَّ أعشى بني أُبي ربيعة رثى عبدَ الله بن الجارود ، فغضب عليه ، فقال يعتذِر إليه : [من الطويل]

أَبِيتُ كأنّي مِن حِذار ابنِ يُوسُفٍ ... طَرِيدُ دَمٍ ضاقتْ عليه المَسالِكُ
ولو غَيْرُ حَجّاجٍ أُراد ظُلامَتي ... حَمَتْني من الضَّيْمِ السُّيوفُ الفواتِكُ[1]
وفِتيانُ صِدْقٍ من ربيعة قُصْرَةٌ ... إذا احتلَفَت يومَ اللّقاء النَّيازِكُ[2]
يُحامون عن أُحسابِهِم بِسُيوفهم ... وأُرماحِهِم واليومُ أُسودُ حالِكُ

[يمدح عبد الملك]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ ، قال : حدَّثني أُحمد بن عبدُ الله بن عليّ بن سُوَيد بن مَنْجوف ، عن ابن مورِّجٍ ، عن أبيه ، قال : دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك بن

1 الفواتك في ل : البواتك ، وهي القواطع .
2 قصرة : قريبو النسب . والنيازك : الرماح القصيرة .

مروان ، فأنشده قولَه[1] : [من الوافر]

رَأيتُك أمسِ خيرَ بنـي مَعَدٍّ وأنتَ اليـومَ خيرٌ منك أمسِ
وأنتَ غداً تَزيدُ الضِّعْفَ ضِعفاً كذاك تزيد سادةُ عَبْدِ شَمْسِ

فقال له : من أيِّ بني أبي ربيعة أنتَ ؟ قال : فقلتُ له : من بني أُمامة ، قال : فإنّ أُمامةَ ولد رجلين : قيساً وحارثةَ ، فأحدُهما نَجَم ، والآخر خمَل . فمن أيّهما أنت ؟ قال : قلتُ : أنا من ولد حارثة ، وهو الذي كانت بكر بن وائل توَّجَتْه ، قال : فقام بمِخْصَرةٍ في يده ، فغمَز بها في بطني ، ثم قال : يا أخا بني أبي ربيعة همُّوا ولم يفعلوا ، فإذا حدّثتني فلا تكذِبْني ، فجعلتُ له عهداً ألاّ أُحدِّث قُرشيّاً بكذبٍ أبداً .

[يمدح أسماء بن خارجة] .

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي سَعْد ، قال : حدَّثني أحمدُ بن الهيثم السُّلميّ . قال : حدَّثني أبو فراس محمد بن فراس ، عن الكلبيّ ، قال : أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماءَ بن خارجة فامتدحه فأعْطاه وكَساه ، فقال : [من الوافر]

لأسماءَ بنَ خارِجَة بنِ حِصْنٍ على عِبْءِ النَّوائبِ والغَرامَهْ
أقَـلُّ تَعَلُّـلاً يومـاً وبُخْلاً على السُّؤالِ من كَعْبِ بنِ مامَهْ
ومَصْقَلَةُ الذي يَبْتـاع بَيْعـاً رَبِيحاً فـوق ناجيةَ بنِ سامَهْ

قال الكلبيّ : جعل ناجيةَ رجلاً وهي امرأة ، لضرورة الشعر .

[يمدح سليمان بن عبد الملك]

قال أبو فراس : فحدَّثني الكلبيّ ، عن خِداش ، قال : دخل أعشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال : [من الطويل]

أتَينـا سُليمـانَ الأميرَ نـزورُه وكان امرءاً يُحبى ويُكرَمُ زائرُهْ
إذا كُنتَ في النَّجْوى بـه مُتَفَرِّداً فلا الجُودُ مُخلِيه ولا البُخْلُ حاضِرُهْ
كلا شافعَيْ سُؤَّالِـهِ مـن ضميرِه على البُخْلِ ناهِيه وبالجودِ آمِرُهْ[2]

فأعطاه وأكرمه وأمر كلَّ مَنْ كان بحضرته من قومه ومواليه بصلَتِه ، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه .

---

1 في المؤتلف أنه قال البيتين ومعهما ثالث لبشر بن مروان . والبيت الثالث :
وتاج الملك ليس يزال فيهم يحوّل فوق رأس كل رأس
2 الشطر الثاني في شرح الحماسة : عن الجهل ناهيه وبالحلم آمره .

صوت[1]

[من المتقارب]

نَأَتْــك أُمامــةُ إلاّ سُؤالا ... وإلاّ خيــالاً يُــوافي خَيالا
يُــوافي مــع الليــل ميعادُها ... ويأبى مــع الصُّبح إلاّ زِيالا
فذلــك يَبذُل مــن وُدِّها ... ولو شَهِـدَت لم تُواتِ النَّوالا[2]
فقــد ريــعَ قَلبيَ إذْ أعلَنُوا ... وقيل أَجــدَّ الخلِيطُ احْتِمالا

الشعر لعمرو بن قَمِيئة ، والغناء لحُنَيْن خفيف رمل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكّي ، وذكر الهشاميّ وغيره أنّه من مَنْحول يحيى إلى حنين .

1 ديوان عمرو بن قميئة : 54–55 ومنتهى الطلب : 154/1 .
2 الديوان : فذاك تبدّل . وللبيت روايات مختلفة (انظر حاشية الديوان : 54) وكذلك الحال في أكثر شعره .

[385] ـ أخبار عمرو بن قميئة ونسبه[1]

هو فيما ذكر أبو عمرو الشيبانيّ ، عن أبي بَرْزَة : عمرو بن قَمِيئة بن ذَريح بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بنِ عليّ بنِ بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعِمّي بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال ابن الكلبيّ : ليس من العرب مَنْ له ولَدٌ ، كُلٌّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثَعلبة بن عُكابة ، فإنّه ولدَ أربعةً كلٌّ واحد منهم قبيلة : شَيْبان بن ثَعلبة ، وهو أبو قبيلة ، وقيس بن ثعلبة وهو أبو قبيلة ، وذُهْل بن ثَعلبة وهو أبو قبيلة ، وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة .

وكان عمرو بن قمِيئة من قُدماء الشعراء في الجاهليّة ، ويُقال : إنّه أوّلُ مَنْ قال الشعر من نِزار ، وهو أَقدَم من امرىء القيس ، ولَقِيه امرؤُ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى قَيْصر لمّا توجّه إليه فمات معه في طريقه ، وسمَّتْه العربُ عَمْراً الضائع لموته في غُربة وفي غير أَرَبٍ ولا مَطْلب .

نسختُ خبرَه من روايتي أبي عمرو الشَّيبانيّ ، ومؤرِّج ، وأخبرني ببَعْضه الحسنُ بن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي سَعْد ، عن ابن الكلْبيّ ، فذكرتُ ذلك في مواضعه ، ونَسبتُه إلى رُواته ، قالوا جميعاً :

كان عَمْرُو بنُ قميئة شاعراً فَحْلاً مُتقدّماً ، وكان شابّاً جميلاً حَسنَ الوجه مدِيدَ القامة حسن الشَّعْر ، ومات أبوه وخلَّفه صغيراً ، فكفلَه عَمُّه مَرْثَد بن سَعد ، وكانت سبَّابتا قدمَيْه ووُسْطَياهما مُلتَصِقَتين ، وكان عمُّه مُحِبّاً له مُعجباً به ، رقيقاً عليه .

[هويته امرأة عمّه فامتنع عليها]

وأخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ ، قال : حدَّثنا أبو عمر العُمريّ ، عن لَقيط وذكر مثلَ ذلك سائرُ الرُّواة : أنَّ مَرْثَدَ بن سعد بن مالك عمّ عمرو بن قَمِيئة كانت عنده امرأةٌ ذاتُ جمال ، فهويت عَمْراً وشُغِفَت به ولم تُظهِر له ذلك . فغاب مَرْثد لبعض أمره ، وقال لَقِيط في خبَره : مضى يَضْرب بالقِداح ، فبعَثَت امرأتُه إلى عمرو تدعوه على لسان عمِّه ، وقالت

1 ترجمة عمرو بن قميئة في المعمرين : 68 والمؤتلف : 254–255 والشعر والشعراء : 292–293 وخزانة البغدادي 4 : 410–412 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1776–1778 . وقد نشر لايل ديوانه (كيمبرج 1919) وأعادت دار صادر (بيروت) نشره بتحقيق د . خليل إبراهيم العطية (1994) ، وإلى هذه الطبعة نشير .

للرَّسول : ائتِني به من وراءِ البيوتِ ، ففعل ؛ فلمّا دخل أنكر شأنَها ، فوقف ساعة ، ثم راودتْه عن نفسه ، فقال : لقد جئت بأمرٍ عظيم ، وما كان مثْلي ليُدْعى لمثْل هذا ، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لأمتنعنَّ منه خوفَ الدَّناءة والذِّكْر القبيح الشَّائع عنّي في العرب ؛ قالت : والله لتفعلَنَّ أو لأسُوأنّك ، قال : إلى المساءةِ تدْعِينني . ثم قام فخرج من عندها ، وخافت أن يُخبِر عمَّه بما جرى ، فأمرت بجَفْنة فكُفِئت على أثر عمرو ، فلمّا رجع عمُّه وجدها مُتَغَضِّبة ، فقال لها : ما لكِ ؟ قالت : إنّ رجلاً من قومك قريبَ القرابة ، جاء يَسْتامني نَفْسي ويُريد فِراشك منذ خرجت ، قال : مَن هو ؟ قالت : أما أنا فلا أُسَمِّيه ، ولكن قُم فافْتَقِد أثره تحت الجَفْنة ، فلمّا رأى الأثر عرفه .

قال مُؤرِّج في خبره : فحدَّثني أبو بَرْزَة وعلْقمة بن سعد وغيرُهما من بني قيس بن ثعلبة ، قالوا : وكان لمِرْثد سيفٌ يُسمَّى ذا الفَقار ، فأتى ليَضربه به ، فهرب فأتى الحِيرةَ ، فكان عند اللَّخميّين ولم يكن يَقوى على بني مَرْثد لكثرتهم ؛ وقال لعمرو بن هِند : إنّ القوم اطّردوني ، فقال له : ما فعلوا إلاّ وقد أجْرمْت ، وأنا أفحص عن أمرك ، فإن كنتَ مُجرماً رددتُك إلى قومك ، فغضب وهَمَّ بهجائه وهجاء مرْثَد ، ثم أعرضَ عن ذلك ، ومدح عمَّه واعتذر إليه ، انتهى .

وأمّا أبو عمرو فإنّه قال : لمّا سمع مَرْثد بذلك ، هجر عَمْراً وأعرض عنه ، ولم يُعاتِبْه لموضعه من قلبه ، فقال عمرو يعتذِر إلى عمِّه[1] : [من الطويل]

خليـــليَّ لا تَسْتَعْجِلا أن تَـــزَوَّدا ... وأنْ تجمعا شَمْلي وتَنْتَظِـــرا غَدا
فمـــا لَبثِي يومـــاً بسائقِ مَغْنَـــمٍ ... ولا سُرْعتِي يومـاً بسائِقة الرَّدى
وإن تُنْظِـــراني اليومَ أقضِ لُبانةً ... وتستوجبـــا مَنّـــاً عـــليَّ وتُحْمَدا
لعمرُك مـــا نَفْسٌ بجِـــدٍّ رَشيدةٍ ... تؤامرني سُوءاً لأُصـــرِمَ مَـــرْثَدا[2]
وإن ظهَرت منّي قوارِصُ جَمَّةٌ ... وأفرعَ مـــن لَوْمِي مِراراً وأصعدا[3]
على غيرِ جُـــرْمٍ أن أكـــون جَنَيْتُه ... سِوى قَـــولِ باغٍ كادَني فتَجهَّدا
لعَمْرِي لنِعْم المَرء تدْعـــو بخَيْلِه ... إذا ما المُنادي في المَقامـــةِ ندَّدا[4]

1 ديوانه : 29–30 .
2 الديوان : تؤامرني سراً .
3 الديوان : ظهرت منه .
4 الديوان : تدعو بحبله .

عَظيمُ رَمادِ القِدْرِ لا مُتَعَبِّسٌ ... ولا مُؤيسٌ منها إذا هو أُوقَدا
وإن صَرَّحَت كَحْلٌ وهبَّت عَرِيَّةٌ ... من الرِّيحِ لم تَتْرُك من المالِ مِرْفدا[1]
صَبَرتُ على وَطْءِ المَوالي وخَطْبِهِم ... إذا ضَنَّ ذُو القربى عليهم وأُخْمدا[2]

يعني أخمد نارَه بُخلاً ، وروى : أجْمداً . المجمد : البخيل .

ولم يَحمِ فَرْجَ الحَيِّ إلاّ مُحافظٌ ... كريم المحَيَّا ماجِدٌ غيرُ أَجْرَدا[3]

الأَجردُ : الجعْد اليدِ البخيل .

[رأي حمّاد الراوية في شعره]

أُخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي الفَضْل بن إسحاق ، عن الهيثم بن عَدِيّ ، قال : سأل رجُلٌ حمّاداً الراوية بالبصرة وهو عند بلال بن أبي بُردة : مَنْ أشعرُ النّاس ؟ قال الذي يقول : [من الطويل]

رمَتْني بَناتُ الدَّهْرِ من حيثُ لا أَرى ... فمـا بالُ مَن يُرمى ولَيْس بِرامِ[4]

قال : والشعر لعمرو بن قَميئة .

[قال في التسعين]

قال عليّ بن الصباح في خبره ، عن ابن الكلبيّ : وعُمِّر ابن قَميئةَ تسعين سنة ، فقال لمَّا بلَغَها : [من الطويل]

كأنِّي وقد جاوزتُ تِسْعينَ حِجَّةً ... خلعت بها عَنِّي عِنانَ لِجامِي[5]
على الرَّاحَتَيْنِ مَـرَّةً وعلى العَصا ... أَنـوءُ ثلاثـاً بَعْدَهُـنَّ قِيامي
رمَتْني بناتُ الدَّهرِ من حَيْثُ لا أَرى ... فما بـالُ مَن يُرْمى وليس برامِ
فلـو أنَّ مـا أُرمى بنَبلٍ رَمَيْتُها ... ولكنّما أُرمى بغَيرِ سِهامِ[6]
إذا ما رآني النّاسُ قالوا : أَلم يَكُن ... حَدِيثاً جَدِيدَ البَرْي غيرَ كَهامِ[7]

---

1 كحل : السنة الشديدة المجدبة . وعرية : باردة .

2 خَطْبهم في الديوان : وحطمهم .

3 أجردا في الديوان : أحردا .

4 ديوانه : 38–39 . ومنتهى الطلب : 148/1 . وانظر الخبر والشعر في الخزانة 2 : 250–251 (عن المعمرين) .

5 الشطر الثاني في الديوان : خلعت بها يوماً عذار لجامي .

6 الشطر الثاني في الديوان : فكيف بمن يرمى وليس برام .

7 جديد البري في الديوان : جديد البز ، والبز هو السلاح . والكهام : الكليل البطيء .

وأفْنى وما أُفِنى من الدهرِ ليلةً ولم يُفْنِ ما أفنيتُ سِلْكَ نِظامِ
وأَهلكَني تأمِيلُ يَومٍ ولَيْلَةٍ وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ

أخبرني الحُسين بن يحيى قال : قال حمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي : حدَّثنا الهيثم بن عديّ عن مجالد ، عن الشعبيّ قال : دخلتُ على عبد الملك بنِ مروان في عِلّته التي مات فيها ، فقلت : كيف تَجِدُك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحتُ كما قال عمرو بن قميئة : [من الطويل]

كأنِّي وقد جاوزتُ تِسْعِين حِجَّةً خَلَعْتُ بها عَنِّي عِنانَ لجامِ
رَمَتْني بَناتُ الدَّهر من حَيْثُ لا أَرى فكيف بمَنْ يُرمى وليس بِرامِ !
فلو أنَّها نَبْلٌ إذاً لاتَّقَيْتُها ولكنّما أُرمى بغَيْرِ سِهامِ
وأَهلكَني تأمِيلُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ

فقلتُ : لستَ كذلك يا أمير المؤمنين : ولكنّك كما قال لبيد[1] : [من البسيط]

قامَتْ تَشَكَّى إليَّ الموتَ مُجْهِشَةً وقد حملتُك سَبْعاً بعد سَبْعِينا
فإن تُزادِي ثَلاثاً تَبْلُغي أَملاً وفي الثّلاثِ وَفاءٌ للثَّمانِينا

فعاش حتى بلَغ التسعين ، فقال[2] : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزت تِسْعين حِجَّةً خلعتُ بها عن مَنْكِبِيَّ رِدائِيا

فعاش حتى بلغ عشراً ومائة سنة ، فقال[3] : [من البسيط]

أليسَ في مائةٍ قد عاشها رَجُلٌ وفي تكامل عَشْرٍ بعدها عِبَرُ

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة ، فقال[4] : [من الكامل]

وغَنِيتُ سَبْتاً قبل مجرى داحسٍ لو كان للنّفس اللجوجِ خُلُودُ

ويروى : «دَهْراً قبل مَجْرى داحس» ، فعاش حتى بلغ مائة وأربعين سنة ، فقال[5] : [من الكامل]

ولقد سَئِمتُ من الحياة وطُولِها وسُؤالِ هذا النّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ ؟

فتبسَّم عبد الملك وقال : لقد قَوَّيتَ من نَفْسي بقَوْلِك يا عامر ، وإنّي لأَجِدُ خِفّاً وما بي

1 شرح ديوان لبيد : 352 .
2 انظر شرح ديوان لبيد : 261 والبيت في قصيدة لزهير بن أبي سلمى (ديوان زهير بشرح ثعلب : 286) .
3 في الديوان 2 : 250 وفيه وفي الخزانة : بعدها عمر .
4 الديوان : 35 . والسبت : يقال إنه ثمانون سنة .
5 ديوان لبيد : 35 .

من بأس وأمرَ لي بصِلة ، وقال لي : اجلِسْ يا شعبيّ فحدِّثني ما بينك وبين الليل ؛ فجلست فحدَّثته حتى أمسَيت ، وخرجتُ من عنده ، فما أصبحت حتى سَمِعْت الواعية[1] في داره .

[مرافقته امرىء القيس]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني محمّد بن عبد الله بن طَهْمان السُّلميّ ، عن إسحاق بن مِرار الشَّيبانيّ ، قال : نزل امرؤ القيس بن حُجْر ببكر بن وائل ، وضرب قُبَّته ، وجلس إليه وجوهُ بكر بن وائل ، فقال لهم : هل فيكم أحد يقولُ الشِّعر ؟ فقالوا : ما فينا شاعرٌ إلاّ شيخ قد خلا من عمره وكبر ، قال : فأْتوني به ، فأتوْه بعَمْرو بن قَميئة وهو شيخ ، فأنشده فأُعجِب به ، فخرج به معه إلى قيصر ، وإيّاه عَنى امرؤ القيس بقوله[2] : [من الطويل]

بَكى صاحِبِي لمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَه ... وأيْقَــن أنَّا لاحِقــانِ بقَيْصَرا
فقُلتُ لــه : لا تَبْكِ عينُك إنّما ... نُحاوِلُ مُلْكـاً أو نَموتَ فنُعْذَرا

وقال مؤرِّج في هذا الخبر : إنَّ امرأ القيس قال لعمرو بن قميئة في سفره : ألا تركب إلى الصَّيد ؟ فقال عمرو[3] : [من الطويل]

شَكوتُ إليــه أنَّني ذُو جلالــةٍ ... وأنِّي كَبِيرٌ ذُو عِيــالٍ مُجَنَّب[4]
فقال لنـا : أهلاً وسهلاً ومرحباً ... إذا سَرَّكم لحمٌ من الوَحشِ فاركَبُوا

صوت

[من السريع]

يا آحِ من حَرِّ الهَوى إنّما ... يَعرِف حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا
أُصبحتُ للحُبِّ أسِيراً فقد ... صعَّدني الحُبُّ وقـد صوَّبا
لا شكَّ أنِّي مَيِّتٌ حَسْرَةً ... إن لم أزُر قَبْـلَ غَـدٍ زَيْنَبا
تِلْك الّتي إن نِلْتُها لم أُبَلْ ... مَنْ شَرَّقَ الدَّهْرَ أو غَرَّبا

الشعر للمُؤمَّل بن جميل بن يحيى بن أبي حَفْصة بن عمْرو بن مروان بن أبي حَفْصة ، والغناء لابن جامع رمل بالوسطى عن إبراهيم والهشاميّ .

---

1 الواعية : الصراخ .
2 ديوان امرىء القيس (صادر) : 95 .
3 ديوان عمرو بن قميئة : 66 .
4 ذو جلالة في الديوان : ذو خلالة . والجلالة : عظم القدر . والخلالة : الحاجة والفقر والمجنب : الفقير . وجنب القوم : انقطعت ألبانهم .

[386] ـ أخبار المؤمل بن جميل [1]

قد مضى نَسبُ أبي حفصة في أخبار مروان ، وكان يحيى بن أبي حفصة يُكنى أبا جميل . والمؤمَّل بن جميل يُكنى أبا جميل . وأُمّ جميل أميرة بنت زياد بن هَوْذة بن شماس بن لـؤيّ مـن بني أنف الناقة الذين يمدحهم الحُطيئة . وأُمّ المؤمّل شريفة بنت المذَلـق بن الوليد بن طلِبـة بـن قيس بن عاصم المِنقريّ ، وكان جميل يُلقّب قَتيل الهوى ، ولُقّب بذلك لقوله[2] : [من الخفيف]

قُلن : من ذا ؟ فَقُلتُ هذا اليمانـ ـــيّ قَتيلُ الهـوى أبو الخطّابِ
قُلـــن : بـالله أنت ذاك يَقيناً لا تقُـــل قـولَ مازحٍ لَعّابِ
إن تكن أنتَ هُو فأنت مُنانا خالِياً كنتَ أو مع الأصحابِ

[غلامه المطرز]

أخبرني بذلك يحيى بن عليّ ، إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان ، عن أبيه ، وحكى أبو أحمد ، رحمه الله ، عن محمد بهذا الإسناد : أنّ أبا جميل اشترى غلاماً مدنيّاً مُغنّياً مجلوباً من مولّدي السّند على البراءة من كلّ عيب ، يقال له المطرَّز ، فدعا أصحاباً له ذات يوم ، ودعا شيخين من أهل اليمامة مُغنيين ، يقال لأحدهما السائب وللآخر شُعبة ، فلمّا أخذ القومُ مجلسَهم ومعهم المُطَرّز اندفع الشيخان فغنَّيا ، فقال المطرّز لأبي جميل مولاه : ويلك يا أبا جميل يـا ابن الزّانية ، أتـدري مـا فعلت ومن عندك ؟ فقال له : ويلك ! أجنِنت ! ما لك ؟ قـال : ما أنا فأشهد أنّك تأمنُ مكرَ الله حين أدخلت منزلك هذين .

قال : وبعثه يوماً يدعو أصدقاء له ، فوجدهم عند رجل من أهـل اليمامـة يقـال لـه بُهلول ، وهو في بُستان له ، فقال لهم : مولاي أبو جميل قد أرسلني أدعوكم ، وقد بلّغتُكم رسالتَه ، وإن شاوَرتموني أشرتُ عليكم ؛ فقالوا : أشِرْ علينا ، قال : أرى ألاّ تذهبوا إليه ، فمجلسُكم والله أنزهُ من مجلسه وأحسن ، فقالوا له : قد أطعْناك ، قال : وأخرى ، قالوا : وما هي ؟ قال : تحلِفون عليّ ألاّ أبرحَ ، ففعلوا ، فأقام عندهم .

---

1 ترجمـة المؤمـل بن جميـل في تاريخ بغداد 13 : 180 ، وانظر مصارع العشاق (صادر) 2 : 40 وأعلام الزركلي ، وانظر التذكرة الحمدونية 3 : 281 .

2 في مصارع العشاق أن الذي سمي قتيل الهوى هو المؤمل لا أبوه ، وأن الأبيات التالية له .

وغضب عليه أبو جميل يوماً فبطحَه يَضربه وهو يقول : ويلك أبا جميلَ ! اتَّقِ اللهَ فيَّ ، اللهَ اللهَ في أمري ! أما عَلمت ويلك خبري قبل أن تشترِيَني ! قال : وكان يبعثه إلى بئر لهم عذبَة في بستان له يستقي منها لهم ماء ، فكان يستقيه ثم يصُبُّه لجيران لهم في حيِّهم ، ثم يستَقي مكانه من بئر لهم غليظة ، فإذا أنكر مولاه قال له : سلِ الغلمان إذا أتيت البستان : هل استقيتُ منه ؟ فيسألهم فيجده صادِقاً .

حدَّثنا يحيى بن محمد بن إدريس ، عن أبيه : أنّ يحيى بن أبي حَفصة زوَّج ابنه جميلاً شريفةَ بنت المُذلّق بن الوليد بن طَلِبة بن قيس بن عاصم ، فولدت له المُؤمّل بن جميل ، وكان شاعراً ظريفاً غَزِلاً ، وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، ثم قدِم العراق فكان مع عبد الله بن مالك ، وذكره للمهديّ فحظِيَ عنده ، وهو الذي يقول في شكاةٍ اشتكاها عبد الله بن مالك : [من الكامل]

ظلّـت عـليَّ الأرضُ مُظلمةً إذْ قِيـلَ عبدُ الله قـد وُعِكا
يا ليتَ ما بِكَ بي وإن تَلِفت نفسي لذاك وقـلَّ ذاكَ لكا

وهو الذي يقول : [من السريع]

يـا آحِ مـن حَـرِّ الهوى إنّما يعرف حَـرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا

وذكرَ الأبيات التي تقدّم ذِكرها والغناء فيها .

صوت

[من الكامل]

إنِّي وَهبتُ لظالِمي ظُلمي وغفرتُ ذاكَ لـه على عِلْمِ
مـا زال يَظلمني وأرحَمهُ حتَّى رَثيتُ لـه من الظّلمِ

الشعر لمساور الورَّاق ، والغناء لإبراهيمَ بن أبي العَنْبَس ، ثاني ثقيل بالوسطى ، أخبرني بذلك ذُكاءُ وغيره .

[387] ـ أخبار مساور ونسبه[1]

[نسبه]

هو مساور بن سوَّار بن عبد الحميد ، من آل قَيْس بن عيْلان بن مُضَر ويقال : إنّه مولى خُوَيْلد من عَدْوان[2] كوفيّ قليل الشِّعر من أصحاب الحديثِ ورُواته ، وقد روى عن صَدْر من التابعين ، ورَوى عنه وجوه أصحابِ الحديث .

أخبرني عليُّ بن طَيْفور بن غالب النِّسائيّ قال : حدَّثنا يعقوبُ بن حميد بن كاسب ، قال : حدَّثنا حمّاد بن أسامة ، عن مساوِر الورّاق ، قال : حدَّثني جعفر بن عمرو ، بن حُرَيث ، عن أبيه ، قال : كأنّي أنظر إلى النبيِّ ﷺ وهو على ناقَتِه يخطبُ ، وعليه عِمامة سوداء ، قد أرخاها بين كتفيه .

[ابن أبي ليلى لا يجعله في من يوصى بهم]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : أخبرنا الأُشْناندانيُّ ، عن الأصمعيّ ، قال : كان قوم يَجْلِسون إلى ابن أبي ليلى ، فكتب قوماً منهم لِعيسى بن مُوسى ، وأشار عليه أن يَشْغلهم ويَصِلهم . فأتى مُساوِرٌ الورَّاق ، فكلّمه أن يجعَله فيهم فلم يفعل ، فأنشأ يقول : [من المتقارب]

أراكَ تُشير بأهلِ الصلاحِ ... فهل لكَ في الشّاعرِ المُسلِمِ
كَثيرِ العيالِ قليلِ السؤا ... ل عَفٌّ مطاعِمُه مُعْدِمِ
يُقيم الصَّلاةَ ويؤتي الزَّكاةَ ... وقد حَلَّق العامَ بالمَوْسِمِ
وأصبح واللهِ في قَومِهِ ... وأمسى وليس بذي دِرْهَمِ

قال : فقال ابن أبي ليلى : لا حاجة لنا فيه ، فقال فيه مساورٌ أبياتاً ، قال أبو بكر ابن دُرَيْد : كرِهنا ذِكرها صيانة لابن أبي ليلى .

[هجا مَن عاب شعر المرقش الأكبر]

أخبرني محمد قال : حدَّثني التوّزي قال : كان مُساوِرٌ الورّاق ، وحمَّاد عَجْرد ، وحَفْص بن أبي بُردة مجتمعين ، فجعل حَفْص يَعيب شعْرَ المُرقِّش الأكبر ؛ فأقبل عليه مُساوِرٌ فقال : [من الطويل]

---

1 ترجمة مساور الوراق في تهذيب التهذيب 10 : 103–105 والوافي بالوفيات 25 : 481–482 وانظر أعلام الزركلي .

2 ل : عدنان .

لقد كان في عينَيْك يا حفْصُ شاغِلٍ ... وأنفٌ كَثِيلِ العَوْدِ عمّا تَتَبَّعُ[1]
تَتَبَّعتَ لحناً في كلامٍ مُرَقَّشٍ ... ووجهُك مبنيٌّ على اللحنِ أجمعُ

فقام حَفْص من المجلس خَجِلاً ، وهاجره مدة .

[وصيته لابنه]

نسختُ من كتاب عُبيد الله اليزيديّ بخطِّه : حدَّثنا سليمانُ بن أبي شَيخ ، قال : كان مُساوِر الورّاق من جدِيلة قيس ، ثم من عدوان ، مولًى لهم ، فقال لابنه يوصيه : [من الكامل]

شَمِّر ثيابَك واستعدَّ لقائلٍ ... واحكُكْ جَبينَك للعُهود بثُومِ
إنَّ العُهودَ صفَتْ لكلِّ مُشمِّرٍ ... دَبِرِ الجبين مُصَفَّرٍ موسومِ
أحسِنْ وصاحبْ كُلَّ قارٍ ناسكٍ ... حسنِ التَّعهُّد للصلاةِ صَؤومِ
من ضَرْبِ حَمَّادٍ هُناك ومِسْعَرٍ ... وسِماكٍ العَتَكيّ وابنِ حَكيمِ
وعليك بالغَنَويِّ فاجلِسْ عنده ... حتى تُصيبَ وَديعَةً لِيَتيمِ
تغنيك عن طلب البُيوعِ نَسيئةً ... وتكفَّ عنك لسانَ كُلِّ غَريمِ
وإذا دخلت على الرَّبيعِ مُسلِّماً ... فاخْصُصْ شَبابَةَ منك بالتَّسْليمِ

[عمل بالوصيّة فتعرض للعقاب]

قال : ففعل ما أوصاه به أبوه ، فلم يلبث مُساوِرٌ أن ولاّه عيسى بن موسى عملاً ، ودفع إليه عهده ، فانكسر عليه الخراج ، فدُفِع إلى بطينٍ صاحبِ عذابِ عيسى يسْتأديه ، فقال مُساوِر : [من الوافر]

وجدت دواهِرَ البَقّال أهْنى ... من الفُرْنِيِّ والجَدْيِ السَّمينِ[2]
وخَيراً في العَواقِبِ حين تُبلى ... إذا كان المَرَدُّ إلى بَطِينِ
فكُنْ يا ذا المُطِيف بقاضِيَيْنا ... غداً من عِلْم ذاك على يَقينِ
وقُلْ لهما إذا عَرَضا بعَهْدٍ : ... بَرئتُ إلى عُرَيْنَةَ من عرينِ[3]
فإنّك طالما بَهْرجْتَ فيها ... بمثلِ الخُنْفُساء على الجَبينِ

---

1 ثيل : وعاء قضيب البعير . والعود : المسن من الإبل .

2 دواهر البقال : لعلها ما يطعمه من البقال . والفرني : خبز ملتوت بالسكر والسمن .

3 عرينة : من اليمن . وعرين : هي من تميم . وقال جرير :

عرين من عرينة ليس منا ... برئت إلى عرينة من عرين

[استعباره في مقبرة حميد الطوسيّ]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد ، قال : مَرَّ مُساوِر الورَّاق بمقبرة حُمَيد الطوسيّ وكان له صديقاً ، فوقف عليها مُستعبِراً ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

أبـا غانِـمٍ أمَّا ذَراكَ فـواسِعٌ — وقَبرُكَ مَعمورُ الجَوانـبِ مُحْكَمُ
ومـا يَنْفَعُ المقبـورَ عُمْـرانُ قَبْرِهِ — إذا كان فيـه جِسْمُـه يَتَهدَّمُ

[أصحاب أبي حنيفة]

أُخبرني إسماعيلُ بن يونُس الشِّيعيُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ قال : حدَّثنا محمد بن الصبّاح ، عن سفيان بن عُيَينة ، ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب : أنَّ حامد بن يحيى البلْخيّ ، حدَّث عن سفيان بن عُيَيْنة ، وهذه الرواية أتمّ ، قال : لمَّا سَمِع مُساوِر الورَّاق لغَطَ أصحاب أبي حنيفة وصياحَهم أنشأ يقول : [من البسيط]

كنّا من الدِّين قبل اليوم في سَعةٍ — حتـى بُلِينا بأُصحـاب المَقاييسِ
قَـومٌ إذا اجْتمعوا ضَجُّوا كأنَّهـمُ — ثعالبٌ ضَبَحَتْ بـين النَّواويسِ[1]

فبلغ ذلك أبا حنيفةَ وأصحابَه ، فشقَّ عليهم وتوعّدُوه ، فقال أبياتاً تُرضِيهم وهي : [من الوافر]

إذا مـا النّاسُ يومـاً قايَسُونا — بآبِـدَةٍ مـن الفُتْيـا ظَرِيفَهْ
أُتيناهُـمْ بمِقْيـاسٍ ظَرِيفٍ — مُصيبٍ من قِياسِ أَبي حَنِيفَهْ[2]
إذا سَمِـع الفَقِيهُ بهـا وَعاها — وأثبتهـا بحِبْرٍ في صَحِيفَـهْ

فبلغ أَبا حَنِيفة فرضِي . قال مُساورٌ : ثم دُعِينا إلى وَليمة بالكوفة في يوم شديد الحَرّ ، فدَخَلت فلم أجِد لرجْلي مَوْضعاً من الزّحام ، وإذا أبو حنيفة في صدر البيت ؛ فلمّا رآني قال : إلَيَّ يا مُساوِر ، فجئتُ فإذا مكان واسع ، وقال لي : اجلس ، فجلستُ ؛ فقلت في نفسي : نفعَتني أبياتي اليومَ . قال : وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي : هاهنا ، هاهنا ، ويوسِّع لي إلى جنبه ، ويقول : إنَّ هذا من أهل الأدب والفَهْم ، انتهى .

[حقوق جيرانه وحقوقه]

أُخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حدَّثنا أبو المعمّر عبد الأوّل بن مزيد ، أحد بني أنف الناقة ، قال : كان مُساور الورَّاق لا يُضيِعُ حقّاً لجارٍ له ، فماتت بِنتُه ، فلم يشهدها من

---

1 ضبحت الثعالب : صوتت . والنواويس : القبور .

2 انظر الأبيات وجوابها في عيون الأخبار 2 : 140 ، وفيه :

أُتيناهـم بمقياس صحيح — تـلادٍ من طراز أبي حنيفة

جيرانِه إلاّ نفرٌ يسيرٌ ، فقال مُساوِرٌ في ذلك : [من الطويل]

تغَيَّب عنّي كُلُّ جافٍ ضرورةٍ وكلّ طُفَيْليّ من القوْمِ عاجزِ[1]
سَرِيعٍ إذا يُدعـى ليومِ وَليمَةٍ بَطيءٍ إذا ما كان حَمْلُ الجَنائِزِ

أخبرني محمد بن الحسن ، قال : حدّثنا عبد الأوّل ، قال : قدِم جارٌ لِمُساور الورّاق من سفر ، فجاءهُ يُسلِّم عليه ، فقال : يا جارية ، هاتي لأبي القاسم غداء . فجاءت برغيفٍ فوضَعَتْه على الخُوان ، فمَدَّ يده يأكل مع مُساوِر ، وقال له : يا أبا القاسِم ، كُلْ من هذا الخبز ، فما أكلتُ خبزاً أطيبَ منه ، فقال مُساورٌ في ذلك : [من البسيط]

ما كنتُ أحسَبُ أنَّ الخُبزَ فاكهةٌ حتّى رأَيتُكَ يـا وَجْهَ الطَّبَرْزِينِ[2]
كأنَّ لِحْيَتَـه في وجهِـه ذَنَبٌ أو شِعْرَةٌ فـوق بَظرٍ غيرِ مَختونِ

[جزعه على صديقه أبي العيص الجرمي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : دخل مُساوِرٌ الورَّاق على أبي العيص الجرمي يعوده وكان صديقَه ، فكلَّمه فلم يُجبْه ، فبَكى مُساوِرٌ جَزَعاً عليه ، وأدنى رأسَه منه يكلِّمه ، فقال أبو العيص : [من الطويل]

أفي كلِّ عـامٍ مَرْضَةٌ بعـد نَقْهَةٍ وتَنْعى ولا تُنْعى مَتـى ذا إلى متى
سيوشِك يـومٌ أن يجيء ولَيْلَةٌ يَسوقان حَتْفاً راح نحوك أوْ غَدا
فتُمسي صَريعاً لا تُجيب لدَعوةٍ ولا تَسْمع الدّاعي وإن جَدَّ في الدُّعا

ثم لم يلبث أن مات ، رحمه الله .

صوت

[من الطويل]

تَنامِينَ عن لَيلي وأُسهَرُه وَحْدي وأَنهى جُفوني أن تَبُثَّكِ ما عِنْدي[3]
فإن كُنتِ مـا تَدْرِينَ ما قد فعلتِه بنا فانظُري مـاذا على قاتِلِ العَمْدِ

الشعر لسعيد بن حُمَيد الكاتب ، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل مُطْلَق بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 يروى : كل جاف صرورة ، والصرورة الذي لم يتزوج أو لم يحجّ .
2 الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .
3 مجموع شعره : 125 .

[388] ـ أخبار سعيد بن حميد ونسبه[1]

[نسبه]

سعيد بن حُميد بن سعيد بن حُمَيد بن بجر ، يُكْنى أبا عُثمان من أولاد الدَّهاقين ، وأصله من النَّهْروان الأَوْسط ، وكان هو يقول : إنَّه موْلى بني سامةَ بن لُؤيّ ، من أهل بغداد ، بها وُلِد ونشأ ، ثم كان يتنقَّل في السُّكنى بينها وبين سُرَّ مَنْ رأى : كاتبٌ شاعرٌ مُترَسِّل ، حسن الكلام فصيح ، وكان أبوه وجهاً من وجوه المعتزلة ، فخالف أحمد بن أبي دواد في بعض مذْهبِه ، فأغرى به المعتصم ، وقال : إنّه شُعُوبيٌّ زِنْديق ، فحبَسه مدّة طويلة ؛ ثم بانت براءته له أو للواثق بعده ، فخلّى سبيله .

[أبوه يهجو ابن أبي دواد]

وكان شاعراً أيضاً ، فكان يَهْجو أحمد بن أبي دُواد ، وأنشدنيها جماعةٌ من أصحابنا ، قال : [من الوافر]

لقد أصبحتَ تُنْسَب في إيادٍ ... بأن يُكْنى أبوكَ أبا دُوادِ
فلو كان اسمُه عمرَو بنَ مَعْدِي ... دُعِيتَ إلى زُبَيْدٍ أو مُرادِ
لئن أفسدْتَ بالتَّخويف عيْشي ... لما أصلحتَ أصلَك في إيادِ
وإن تكُ قد أصبتَ طريف مالٍ ... فبُخْلُكَ باليَسيرِ من التِّلادِ

[كان قوي الحافظة]

فذكر محمد بن موسى أنّ أبا يوسفَ بن الدَّقّاق اللّغوي أخبره أنَّ حُمَيْد بن سعيد بن حُمَيد دفع إليه ابنَه سعيداً وهو صبيٌّ فقال له : امض به معك إلى مجلس ابن الأعرابيّ ؛ قال : فحضرناه ذات يوم ، فأنشدنا أرجوزةً لبعض العرب فاستحْسنتُها ، ولم تكن معنا مِحْبَرة نكتبُها منها ؛ فلمّا انصرفنا قلت له : فاتَتنا هذه الأرجوزة ، فقال : لم تفتُكْ ، أتُحِبّ أن أنشدَكها ؟ قلت : نعم ، فأنْشدنيها وهي نيِّف وعشرون بيتاً قد حفظها عنه ، وإنّما سَمِعها مرَّةً واحدة . فلقيتُ أباه من غدٍ ، فقال لي : كيف رأيتَ سعيداً ؟ قلت له : إنّك أوْصَيْتَني به ، وأنا أسألُك الآن أن تُوصيَه بي ، فضحك وسألني عن الخبر ، فأعلَمْته فسُرَّ به .

[شغفه بالغلمان المرد]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلحة ، قال : حدَّثني ابن أبي المُدَوَّر ، قال : دخل

---

1 ترجمة سعيد بن حميد في معجم الأدباء (عباس) : 1365–1366 والوافي بالوفيات 15 : 213 والسّمط : 161 ووفيات الأعيان 3 : 80 ، 89 وقد جمع يونس أحمد السامرائي رسائله وشعره (بغداد ، 1971) .

سعيدُ بن حُميد يوماً على أبي العبّاس بن ثوابة ، وكان أبو العبّاس يُعاتبه على الشَّغف بالغِلْمان المُرْد ، فرأى على رأسِه غُلاماً أمردَ حَسن الوجه ، عليه مِنْطَقَةٌ وثياب حِسان ، فقال له : يا أبا العبّاس[1] : [من الكامل]

أزعمْتَ أنَّك لا تَلوطُ فقُل لنا ... هذا المُقَرْطَقُ قائماً ما يصْنعُ[2]
شَهِدَت مَلاحَتُه عليكَ بِريبَةٍ ... وعلى المُريبِ شَواهدٌ لا تُدفَعُ

فضحكَ أبو العبَّاس وقال : خُذْه ، لا بُورِكَ لكَ فيه حتى نستريحَ من عَتْبك .

أخبرني عَمِّي ، رحمه الله ، قال : قال لي محمد بن موسى بنِ الحسن بن الفُراتِ الكاتب : كان سعيد بن حُمَيْد يهوى غلاماً له من أولاد المَوالي ، فغاب عنه مدّة ، ثم جاءه مُسلِّماً ، فقال له : غِبتَ عنِّي هذه المدّة ثم تَجيئُني فلا تُقِيم عندي ! فقال له : قد أمسينا ، فقال : تَبيتُ ، قال : لا والله لا أقدِر ، ولم يَزل به حتى اتَّفقا على أنَّه إذا سَمِع أذان العتَمة انصرف ، فقال له : قد رضيت . ووضع النَّبيذَ ، فجعل سعيد يَحُثُّ السَّقْي بالأرطال ، فلمّا قرُب وقتُ العتَمة ، أخذ رُقعةً فكتب فيها إلى إمام المسجِد وهو مُؤَذِّنُه قولَه[3] : [من الخفيف]

قل لِداعي الفِراق أخِّرْ قليلاً ... قد قَضيْنا حَقَّ الصّلاةِ طويلا
أخِّر الوقْتَ في الأذانِ وقدِّمْ ... بعدها الوقت بُكرةً وأصيلا
ليس في ساعةٍ تُؤَخِّرها وِزْ ... رٌ فنحيا بها وتأتي جميلا
فتُراعي حقَّ الفُتُوَّةِ فينا ... وتُعافى من أن تكون ثقيلا

فلمّا قرأ المُؤذِّن الرُّقْعة ضَحِك وكتب إليه يحلِف أنّه لا يُؤَذِّن ليلَته تلك العتَمة ، وجعل الفتى ينتظِر الأذانَ حتى أمسى وسَمِع صوتَ الحارس ، فعَلِم أنَّها حِيلة وقعَت عليه وبات في موضعه . وقال سعيد في ذلك[4] : [من الرجز]

عَرَّضتُ بالحُبِّ له وعرَّضا ... حتى طَوى قلبي على جَمْر الغَضى
وأظْهَرتْ نفسي عن الدَّهْرِ الرِّضا ... ثم جَفاني وتولَّى مُعرِضا
لم ينقضِ الحبُّ بَلى صبرِي انقضى ... فِداكَ مَنْ ذاقَ الكرى أو غَمَّضا

1 مجموع شعره : 158 (من المنسوب إليه) .
2 المقرطق : الذي يلبس القرطق ، وهو قباء من طاق واحد .
3 مجموع شعره : 145–146 .
4 مجموع شعره : 135–136 .

حتى طرقتَ فنسيتُ ما مضى   سألتُـه حُوَيْجَـةً فأعرضا
وقال : لا ، قولَ مُجيبٍ بِرِضا   فكان ما كان وكابرْنا القَضا

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صَدَقة ، أخبرني بذلك ذُكاء وجه الرُّزَّة .

وجدت في بعض الكتب : حدَّثني أحمد بن سليمان بن وَهْب أنّه كان في مجلس فيه سعيد بن حُمَيد ، فلمّا سكروا قام سعيد قومة بعد العصر ، فلم نشعر إلاّ وقد أخذ ثيابه فلبسها ، وأخذ بعضُدتي الباب ، وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

سلام عليكم حالت الرَّاحُ بيننا   وألوتْ بنا عن كلّ مرأًى ومَسْمَعِ
ولم يبْقَ إلاّ أن يَميلَ بنا الكَرى   ويجمع نومٌ بين جَنْبٍ ومضْجعِ

فقام له أهل المجلس ، وقالوا : يا سيِّدنا ، اذهب في حفظ الله وفي ستره ، فانصرف وودَّعهم .

[اعتذاره لفضل الشاعرة]

حدَّثني محمد بن الطَّلاَّس أبو الطَّيِّب ، قال : حدَّثني عبد الله بن طالب الكاتب قال : قرأت رقعة بخطّ سعيد بن حُميد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تَغيُّر ظَنَّتْه به ، وفي آخرها[2] : [من الطويل]

تَظنُّون أنِّي قد تبدّلتُ بعدكم   بديلاً وبعضُ الظَّنّ إثمٌ ومُنكَرُ
إذا كان قلبي في يديكِ رَهينةً   فكيف بلا قلب أُصافي وأُهجُر !

في هذين البيتين لابن القصَّار الطنبوريّ رمل ، وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل .

[خبره مع كعب الجارية]

أُخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدَّثني أبو عليّ المادرانيّ أنّه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عُكْل المقيِّن ، وكان بعضُ أهلِ المجلس يهواها . قال : فدخل إلينا سعيد بن حميد ، فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى ، فأخذ سعيد الدواة فكتب رُقعة وألقاها في حِجرها ، فإذا فيها قولُه[3] : [من مجزوء الرمل]

ما على أحسن خلْـ   ـق الله أن يَحسُنَ فِعْلُهْ

1 مجموع شعره : 137 .
2 مجموع شعره : 131–132 .
3 مجموع شعره : 144 .

بأبـي أنـتَ وأُمِّي مـن مَليكٍ قَـلَّ عَدْلُهْ
وبَخيـلٍ بالهَـوى لـو كان يُسلَى عنـه بُخلُهْ
أكثَرَ العاذِلُ في حُبِّـ ـك لـو ينفع عَذْلُهْ
فهـو مَشْغـولٌ بعَذْلي وفـؤادي بـِك شُغْلُهْ
أُكثِرُ الشَّكْـوى وأَستَعْـ ـدي على مَـنْ قَلَّ بذْلُهْ

فوثبت الجارية فقبَّلت رأسَه وجَلسَتْ إلى جنبِه ، فقال الرجل الذي كان يهواها : هذا والله كلام الشَّياطين ورُقْيَةُ الزِّنا ، وبهذا يَتمّ الالأمْر ، أمّا أنا فإنِّي أُشهدكم ، لا قرأتُ اليوم في صَلاتي غيرَ هذه الأبيات لعلَّها تَنْفعُني . فضحك سعيد وقال : بحياتي قُومي فارْجِعي إليه حتى تكون الأبياتُ قد نَفَعَتْه قبل أن يقرأها في صلاتِه ، وسُرِّيني بذلك ، فقامت فرَجَعتْ إلى موضعها .

[زيارة على غير وعد]

قال عليّ بن العبّاس : وحدَّثني أبو عليّ المادَرانيُّ : أنَّه كان عنده يوماً ، فدخلت إليه جاريةٌ ، كان يهواها ، غفلةً على غير وَعْد ، فسُرَّ بذلك وقال لها : قد كُنتُ على عِتابِك ، فأَمَّا الآن فلا ؛ فقالت : أمَّا العِتابُ فلا طاقةَ لي به ، ووالله ما جِئتُك إلاّ عند غفلة البوّاب ، فقال سعيد في ذلك[1] : [من مخلع البسيط]

زاركَ زَوْرٌ عـلى ارتقـابِ مُغتَنِمـاً غَفْلَـةَ الحُجّابِ
مُستَتِراً بالنِّقـابِ يَبـدُو ضياءُ خَدَّيـه في النِّقابِ
كالشَّمْسِ تبدو وقد طَواها دُونَك سِتْرٌ مـن السَّحابِ
قد كان في النفسِ منك عِتْبٌ يدعـو إلى شِدَّة اجْتِنابِ
فمِلتُ بالعَتْبِ عن حَبيبٍ يَضعُف عن موقف العِتابِ
والذَّنبُ منه وأَنتَ تَخْشى في هَجْرِه صولَـةَ العِقابِ

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني ابن أَبي سعد ، قال : حدَّثني محمّد بن عبد الله بن داود ، قال : كان أَبي يَسْتَحسِن قولَ سعيد بن حُميد :

تَظُنُّون أَنِّي قـد تَبَدَّلْتُ بعدكم بَدِيـلاً ، وبَعضُ الظَّنِّ إثمٌ ومُنْكَرُ

1 مجموع شعره : 119 .

إذا كان قَلْبِـي في يَدَيْكِ رهينـةً ... فكيف بلا قَلْبٍ أُصافِي وأهجُرُ !

ويقول : لَئن عاش هذا الغُلامُ لَيكوننَّ له في الشِّعر شأن .

في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل ، وذكر قريض أنَّه له .

[زيارة فضل له على غفلة]

أَخبرني ابنُ أَبي طَلْحة قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ مُسافِر أَنَّه كان عند سَعيد بن حُمَيد يوماً إذ دَخَلت عليه فَضْل الشاعرة على غَفلة ، فوثَب إليها وسَلَّم عليها ، وسألها أن تقيم عنده ، فقالت : قد جاءَني وحياتِك رسولٌ من القَصْر ، فليس يُمكِنُني الجُلوسُ ، وكرِهتُ أن أَمُرَّ ببابِك ولا أَراك . فقال سعيد من وَقتِه على البَديهة[1] : [من الطويل]

قَرُبتِ ولا نَرْجُـو اللِّقاءَ ولا نَرى ... لنـا حِيلَـةً يُدْنيكِ منّـا احْتِيالُها
فأَصبحْتِ كالشمسِ المُنيرة ضوؤُها ... قريبٌ ولكـن أَيْنَ مِنَّـا مَنالُها !
كَظاعِنــةٍ ضَنَّتْ بها غُرْبَةُ النَّوى ... علينا ولكــن قــد يُلِمُّ خيالُها
تُقرِّبهــا الآمــالُ ثــم تَعُوقُهـا ... مُماطَلَةُ الدُّنيـا بهـا واعتلالُها
ولكنّهـــا أُمنِيَّـــةٌ فلعلّهـــا ... يجودُ بهـا صَرْفُ النَّوى وانْتِقالُها

[استرضاء فضل الشاعرة]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعيد ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود ؛ قال : تغاضبَ سعيدُ بن حميد وفَضْل الشاعرة أيّاماً ، ثم كَتب إليها[2] : [من المتقارب]

تعالَــيْ نُجدِّدُ عَهْـدَ الرِّضا ... ونَصفَح في الحُبِّ عمَّا مَضى
ونَجـرِي على سُنَّـةِ العاشقين ... ونضمن عنّـي وعنكِ الرِّضا
ويَبــذُل هــذا لِهــذا هَواهُ ... ويَصْبِـر في حُبِّـــه للقَضا
ونخضعُ ذُلاًّ خُضوعَ العَبيدِ ... لمولًـى عزيـــز إذا أَعرضا
فإنِّــيَ مُذْ لَــجَّ هذا العِتابُ ... كأَنِّيَ أَبطنْتُ جَمْـــرَ الغَضى

فصارت إليه وصالحَته .

في هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيها لابن القصّار خفيف رمل .

1 مجموع شعره : 144 .

2 مجموع شعره : 134–135 .

[دعوة تنتزعه من مجلس السرور]

أخبرني ابن أبي طَلحة قال : حدَّثنا أبو العبّاس بن أبي المدوّر قال : بات سعيد بن حُمَيد عند أبي الفضل بن أحمد بن إسرائيل ، واصطبحا على غناءٍ حسن كان عندهما ، فجاءه رسول الحسن بن مَخْلَد وقد أُمِر ألاَّ يُفارِقه لأمرٍ مُهمٍّ ، فقام فلبِس ثيابَه ، وأنشأ يقول[1] : [من الكامل]

يـا ليلةً باتَ النُّحوسُ بَعيدةً ... عنها على رَغْم الرَّقيبِ الرَّاصِدِ
تَدعُ العَواذِلَ لا يَقُمْنَ لِحاجةٍ ... وتقومُ بهجتُها بِعُذرِ الحاسِدِ
ضَنَّ الزَّمانُ بهـا فلمّا نِلْتُها ... وَردَ الفراقُ فكان أقبحَ وارِدِ
والدَّمعُ ينطق للضمير مُصدِّقاً ... قَـوْلَ المُقِرِّ مُكَذِّباً للجاحِدِ

[ردّه على عتاب ابن ثوابة]

أخبرني ابن أبي طلحة قال : حدَّثني أبو العبّاس بن أبي المدوّر ، قال : كان سعيد بن حُميد صديقاً لأبي العبّاس بن ثَوابة ، فدعاه يوماً ، وجاءه رسول فَضْل الشّاعرة يسألُه المصير إليها ، فمضى معه وتأخَّر عن أبي العبّاس ، فكتب إليه رُقْعةً يعاتِبه فيها معاتبةً فيها بعض الغِلظة ، فكتب إليه سعيد[2] : [من الكامل]

أقلِـلْ عِتابَـك فالبقاءُ قليلُ ... والدَّهْرُ يَعـدِل تـارةً ويَميلُ
لم أبكِ من زَمن ذَممتُ صروفَه ... إلاّ بكيتُ عليـه حـين يَزولُ
ولِكُـلِّ نائبـةٍ ألمَّتْ مُـدَّة ... ولكـلِّ حـالٍ أقبلت تحويلُ
والمُنتمُون إلى الإخاءِ جماعةٌ ... إن حصَّلوا أفناهـم التَّحصيلُ
ولعلَّ أحـداثَ الليالي والرّدى ... يَوْمـاً ستَصْدَعُ بيننـا وتحولُ
فلئـن سبقتُ لتبكِـينَّ بحسرة ... وليكثُرنَّ عـليَّ منـكَ عَويلُ
ولتُفجَعَنَّ بمخلصٍ لك وامقٍ ... حبلُ الوفاء بحبلـه موصولُ
وليذهبنَّ جمـالُ كلِّ مروءة ... وليعفُـونَّ فِناؤهـا المأهولُ
ولئن سَبقْتَ ولا سبقْتَ ليمْضِينْ ... مَنْ لا يشاكلـه لديَّ عديلُ
وأراك تَكْلَف بالعتـابِ وودُّنا ... بـاقٍ عليـه مـن الوفاء دليلُ
ودٌّ بـدا لذَوِي الإخاء جميلُه ... وبدت عليـه بهجـةٌ وقبولُ

---

1 مجموع شعره : 126 .
2 مجموع شعره : 146–147 .

ولعـلَّ أيّـام الحيـاةِ قصيرةٌ فَعـلامَ يكثُر عتبُنـا ويطولُ

[عتاب مظلومة له وجوابه]

أخبرني الطَّلْحيُّ قال : حدَّثني أبو عليّ بن أبي الرعد : أنّ سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيقيّ ، فبلغه أنّها تُواصلُ بعض أعدائه ، فهجرها مدّة ، فكتبت إليه تعاتبه وتتشوّقه ، فكتب إليها[1] : [من البسيط]

أمرِي وأمـرُك شيءٌ غير مُتَّفقِ والهجر أفضل من وصلٍ على مَلَقِ
لا أكْذِبُ اللهَ ، مـا نفسِي بعاليةٍ ولا خليقةُ أهل الغدْرِ مِنْ خُلقِي
فإن وثقـتِ بـوُدٍّ كنتُ أبذُله فعاودِي سوءَ ظنّ بـي ولا تثِقي

[اعتذاره لهبة المغنية]

وذكر اليوسفيّ الكاتب أنّه حَضر سعيداً في منزل بعض إخوانه وعندهم هِبةُ المغنِّية ، وكان سعيد يتعشَّقها ويَهيمُ بها ، فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ ، ودَخلت بعد ذلك وهو في القوم ، فسلَّمت عليهم سواه . فقالوا لها : أتَهجُرين أبا عُثمان ؟ فقالت : أُحِبُّ أن تسألوه ألاّ يكلِّمني ، فقال سعيد[2] : [من البسيط]

اليـوم أيقنتُ أنَّ الهجـرَ مَتلفَةٌ وأنَّ صاحبَـه منـه على خَطَرِ
كيف الحياة لِمَن أمسى على شَرَفٍ من المنيّة بـين الخَوْفِ والحَذَرِ
يلـومُ عَيْنَيْـهِ أحيانـاً بذَنْبهما ويحمِـل الذنبَ أحياناً على القَدَرِ
تنأَوْنَ عنـه وَينـأى قلبُه معكم فقلبُـه أبـداً منـه على سَفَرِ

فوثَبت إليه وقبَّلت رأسَه ، وقالت : لا أهجُرك والله أبداً ما حَيِيتُ .

[عتاب فضل ورجوعها إليه]

أخبرني جَحْظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : غضِبت فَضْل الشاعرة على سعيد بن حُمَيْد فكتب إليها[3] : [من السريع]

يا أيّها الظـالم مـا لي ولَكْ أهكَذا تهْجر مَـنْ واصلَكْ !
لا تصرفِ الرّحمـةَ عن أهلها قد يَعطِف المَوْلى على مَنْ مَلكْ

---

1 مجموع شعره : 140 .
2 مجموع شعره : 156 (من المنسوب إليه) .
3 مجموع شعره : 140–141 .

ظلمتَ نفساً فيكَ عَلَّقتُها فدارَ بالظُّلمِ عليَّ الفَلَكْ
تبارَكَ اللهُ فما أعلَم اللهَ بما ألقى وما أغفلكْ !

فراجعت وصله ، وصارت إليه جواباً للرقعة .

في هذه الأبيات لعَريب ثاني ثقيل وهزج ، عن ابن المعتزّ ، وأخبرني ذُكاءُ وجهُ الرّزة أنّ الثقيل الثاني لأحمد بن أبي العلاء .

[جوابه لفضل على تشوقها إليه]

أخبرني الطّوسيّ الطَّلحيُّ قال : حدَّثنا محمد بن السَّريّ : أنّ سعيدَ بن حُمَيْد كان في مجلس الحَسن بن مَخلَد ، إذ جاءه الغلام برقعة فَضْل الشاعرة تشكو فيها شِدَّة شوقها ، فقرأها وضَحِك ؛ فقال له الحسنُ بن مُخلَّد : بحياتي عليك أقرئنيها ، فدفَعها إليه فقرأها وضَحِك وقال له : قد وحياتي مَلَّحتْ فأَجِبْ ، فكتب إليها[1] : [من البسيط]

يا واصفَ الشوق عندي من شواهده قلبٌ يهيم وعَينٌ دَمعُها يكِفُ
والنَّفسُ شاهدةٌ بالوُدِّ عارفةٌ وأَنفُسُ النّاسِ بالأهواء تأتلِفُ
فكُن على ثِقَةٍ مِنّي وبيِّنةٍ إنّي على ثقةٍ من كلِّ ما تصِفُ

[فضل تميل إلى بنان]

أخبرني جحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون قال : لمّا عشقت فَضلُ الشاعرةُ بنانَ بنَ عمرو المغنّي ، وعدلَتْ عن سعيد بن حُمَيد إليه أسف عليها وأظهر تَجَلّداً ، ثم قال فيها[2] : [من البسيط]

قالوا : تَعزَّ وقد بانوا فقُلتُ لهم : بانَ العزاءُ على آثارِ مَنْ بانا
وكيف يملكُ سُلواناً لحبِّهِمُ مَنْ لم يُطِق للهَوى سَتْراً وكِتمانا !
كانت عزائمُ صَبْرِي أَستعين بها صارتْ عليَّ بحمد الله أعوانا
لا خَيْرَ في الحبِّ لا تبدو شواكِلُهُ ولا تَرى منه في العينين عُنوانا

قال أبو الحسن جحظة : وغنّى فيه بعض المُحْدَثين لحناً حسناً ، وأظنّه عنى نفسَه .

[تبرؤه لأبي هفان مما نسب إليه]

أخبرني الطَّلْحيُّ قال : حدَّثني أبو عيسى الكاتب : أنّ أبا هِفّان بلغَه عن سعيد بن حُميد كلامٌ فيه جفاء وطَعْن على شعرِه ، فتوعَّده بالهجاء ، وكان الحاكي عن ذلك كاذباً ، فبَلَغَ

---

1 مجموع شعره ؛ 138 .
2 مجموع شعره : 151–152 .

سعيداً ما جرى ، فكتب إلى أبي هفّان[1] : [من البسيط]

أمسى يُخَوِّفني العبديُّ صوْلَته ... وكيف آمنُ بأْسَ الضَّيْغَمِ الهَصِرِ[2]
من ليس يُحرِزُني من سيفِه أَجلي ... وليس يمنعني مِنْ كيدِه حذَري
ولا أُبارزُه بالأمرِ يَكرهُه ... ولو أُعِنْتُ بأنصارٍ من الغِيَرِ
له سِهامٌ بلا ريشٍ ولا عَقَبٍ ... وقَوْسُهُ أبداً عُطْلٌ من الوَتَرِ
وكيف آمنُ مَنْ نَحْرِي له غَرضٌ ... وسَهمُه صائبٌ يَخفى عن البصرِ

[مع فضل الشاعرة]

أخبرني الطَّلحيُّ قال : حدَّثني محمد بن السَّريّ : أنّه سار إلى سعيد بن حُمَيد وهو في دار الحسن بن مَخلد في حاجة له ، قال : فإنّي عنده إذ جاءته رُقعةُ فَضْل الشاعرة ، وفيها هذان البيتان : [من الكامل]

صوت

الصبر ينقُص والسَّقامُ يزيدُ ... والدّارُ دانيةٌ وأنتَ بَعيدُ
أَشكوكَ أم أَشكو إليكَ فإنّه ... لا يستطيع سِواهُما المجهودُ

أنا يا أبا عُثمان في حال التَّلف ولم تَعُدْني ، ولا سألْت عن خَبري .

فأخذ بيدي فَمضينا إليها ، فسأل عن خبرها ، فقالت : هوذا أموتُ وتستريح منّي ، فأنشأ يقول[3] : [من البسيط]

لا مُتِّ قبلَي بل أَحيا وأنتِ معاً ... ولا أَعيشُ إلى يوم تَموتينا
لكن نَعيش بمن نَهوى ونأمَلُه ... ويُرغِمُ الله فينا أَنْفَ واشينا
حتى إذا قدَّر الرحمنُ ميتتنا ... وحانَ من أمرنا ما ليس يَعْدُونا
مِتْنا جميعاً كغُصْنَيْ بانةٍ ذَبُلا ... مِنْ بعد ما نَضَرا واستوسقا حِينا
ثمَّ السَّلام علينا في مضاجعنا ... حتى نعودَ إلى ميزان مُنْشِينا

أخبرني إبراهيمُ بنُ القاسم بن زُرْزور قال : قال لي أبي : كانت فَضْل الشاعرةُ تتعشّق سعيدَ بن حميد مدّة طويلة ، ثم تعشّقت بناناً ، وعدَلت عنه ، فقال فيها قصيدته الدّالية التي

1 مجموع شعره : 130-131 .
2 العبدي : نسبة إلى عبد القيس قوم أبي هنان .
3 مجموع شعره : 152-153 .

يقول فيها :

تَنامينَ عــن ليلي وأُسهَرُه وَحْدِي

فَلَم تَتَعطَّف عليه ، وبلغها بعد ذلك أنّه قد عَشِق جارية من جواري القيان ، فكتبت إليه : [من المنسرح]

يــا عاليَ السنِّ سَيِّيءَ الأَدَب شِبتَ وأَنتَ الغُلام في الطَّربِ
ويحكَ إنَّ القِيانَ كالشَّرك الْـ ـمَنْصوب بينَ الغُرور والعَطبِ
لا تَصدَّيْــنَ للفقيــرِ ولا يَطلُبْــن إلاّ معــادِنَ الذهبِ
بينا تَشَكَّي هــواك إذ عَدَلَتْ عن زفراتِ الشَّكْوى إلى الطَّلَبِ
تَلْحَـــظ هـــذا وذاك وَذا لحـظ مُحِــبٍّ وفِعْلَ مُكْتسبِ

[فضل تعوده في مرضه]

أخبرني إبراهيم قال : وحدَّثني أَبي قال : افْتَصد سعيد بن حميد ، فسأَلتْني فضل الشاعرة وسأَلَت عَرِيب أن نمضي إليه ، ففعلنا ، وأهدت إليه هدايا ، فكان منها ألف جَدْي وحمل وألف دجاجة فائقة ، وأُلف طبق ريحان وفاكهة ، ومع ذلك طِيبٌ كثير وشرابٌ وتُحفٌ حِسانٌ . فكتب إليها سعيد : إنَّ سروري لا يتمّ إلاّ بحضورك ، فجاءته في آخر النهار ، وجلسنا نشرب فاستأذن غلامُه لبنان فأُذِن له ، فدخل إلينا وهو يومئذٍ شابٌّ طَرِير ، حسَن الوجه ، حسنُ الغِناء ، نظيف الثياب ، شَكِلٌ[1] فذهب بها كلَّ مذهب ، وأقبلت عليه بحديثها ونظرها ، فتشَمَّز سعيد واستُطِير غضباً ، وتبيَّن بَنان القِصَّة فانصرف ، وأقبل عليها سعيد يَعذلُها ويُؤنِّبها ساعة ، ثم أمسك ، فكتبت إليه : [من مجزوء الكامل]

يــا مَــن أُطلــتُ تَفرُّسي في وَجْهِــــه وتَنفُّسي
أُفديــك مــن مُتَدلِّــل يُزهــى بقَتْــلِ الأَنفُسِ
هَبْنِــي أُسأْتُ ومــا أَسأْ تُ بَلى أُقِــرّ أَنـا المُسي
أَحْلفتَنــــــي ألاَّ أُســا رق نَظْــرةً في مَجْلِسي
فنظـرتُ نظــرةَ مُخطِيءٍ أَتبَعْتُهـــا بتَفَــــرُّسِ
ونَسيتُ أنّي قـــد حَلَّفْـ ـتُ ، فما عُقوبَةُ مَنْ نَسي ؟

فقام سعيد ، فقبَّل رأْسَها وقال : لا عقوبةَ عليه بل نَحْتَمِل هَفوته ، ونَتجافى عن إساءته ؛

1 شكل : فيه دلال وغزل .

وغنَّت عَريبُ في هذا الشِّعر هَزَجاً ، فشَربنا عليه بَقِيَّة يومِنا ، ثم افترقنا . وأثَّر بَنان في قَلبها وعَلِقَت به ، فلم تَزلْ حتى واصلته وقَطعت سعيداً .

وجدتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن المُعتزّ ، قال : قال لي إبراهيم بن المهديّ[1] : كانت فَضْل الشَّاعرة من أحسن خلْق الله خطّاً ، وأفصحهم كلاماً ، وأبلَغهم في مخاطبة ، وأثبتهم في محاورة ، فقلتُ يوماً لسعيد بن حُمَيد : أظنّك يا أبا عثمان تكتب لفَضْل رِقاعَها وتُقيّدها وتُخرِّجها ، فقد أخذتْ نحوك في الكلام وسلكت سبيلَك . فقال لي وهو يضحك : ما أخْيب[2] ظنَّك ، ليتها تسلم منّي ولا آخُذُ كلامَها ورسائلَها ، والله يا أخي لو أخذ أفاضلُ الكُتَّاب وأُماثلُهم عنها لما استغنَوْا عن ذلك .

صوت

[من الخفيف]

كلُّ حَيٍّ لاقي الحِمام فَمُودِي ما لِحَـيٍّ مُؤمِّـلٍ مِـنْ خُلودِ
لا تَهـابُ المَنونُ شَيئاً ولا تُبْـ ـقي على والـدٍ ولا مَوْلودِ

الشعرُ لابن مُناذِر ، والغناء لبنان ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى من كتابه الذي جمع فيه صَنْعته ، وفيه لِساجي جارية عُبيد الله بن عبدِ الله بن طاهر ثقيلٌ أوَّل أيضاً على مذهب النَّوْح ، ابتداؤه نشيد .

1 ط . بيروت : إبرهيم بن المدبر .
2 ط . بيروت : ما أحسن ظنّك .

[389] ـ أخبار ابن مناذر ونسبه[1]

[نسبه]

هو محمد بن مُناذر مولى بني صُبَيْر بن يَرْبوع ، ويُكْنى أبا جعفر ، وقيل إنّه كان يُكنى أبا عبد الله .

ووجدتُ في بعض الكُتب رواية عن ابن حبيب أنّه كان يُكْنى أبا ذَريح وقد كان له ابنٌ يُسمّى ذَريحاً ، فمات وهو صَغير وإيّاه عَنى بقوله : [من مجزوء الوافر]

كأنّـكَ للمنايـا يـا ذَرِيحُ اللهُ صَـوَّركا

فنـاطَ بوَجْهِكَ الشِّعرى وبالإكليـلِ قَلَّـدكا

ولعلّه اكْتَنى به قبلَ وفاته .

وقال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القَهْرمان ، وكان سليمان مَوْلى عُبيد الله بن أبي بَكْرَةَ مولى رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكرة عَبداً لثقيف ، ثم ادّعى عُبيد اللهِ بن أبي بكرة أنّه ثقفيٌّ ، وادّعى سليمان القهرمان أنّه تميميٌّ ، وادّعى ابن مناذر أنّه صَلِيبة من بني صُبَير بن يربوع ، فابنُ مناذِر مَولى مَوْلى مَوْلًى ، وهو دَعِيٌّ مولى دَعيٌّ ، وهذا ما لا يجتمع في غيره قطّ ممّن عرفْناه وبلَغنا خبره .

[عالم باللغة]

ومحمد بنُ مناذر شاعر فصيح مُقَدَّم في العِلم باللغة وإمامٌ فيها ؛ وقد أخذ عنه أكابرُ أهلها ؛ وكان في أوّل أمرِه يتألَّهُ ، ثم عدَل عن ذلك فهجا الناس ، وتهتّك وخلع ، وقذَف أعراضَ أهلِ البصرة حتى نُفيَ عنها إلى الحجاز فمات هناك . وهذه الأبيات يرثي بها ابنُ مناذر عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثقفيّ . وكان عبد الوهّاب مُحدِّثاً جليلاً ، وقد روى عنه وجوهُ المحدِّثين وكبراء الرُّواة ، وكان ابن مُناذِر يهوى عبد المجيد هذا . فكان في أيّام حياته مَستوراً متألِّهاً جميلَ الأمر ، فلمّا مات عبدُ المجيد حالَ عن جميع ما كان عليه ، وأخبارُهما تُذكَر في مواضعها .

[ناسك يتهتّك]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفَش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيدَ النَّحويُّ ، قال : كان ابنُ مناذر مَوْلى صُبَيْر بنِ يَربوع ، وكان إماماً في علم اللُّغة وكلام العرب ، وكان في أوّل أمره

---

1 ترجمة ابن مناذر في الشعر والشعراء : 747–749 ومعجم الأدباء (عباس) 2648–2651 وبغية الوعاة 1 : 249–250 والكامل للمبرد : 1426–1428 وطبقات ابن المعتزّ : 119–125 ولسان الميزان 5 : 390–393 وعصر المأمون 2 : 400 .

ناسكاً مُلازماً للمسجد ، كثير النَّوافل ، جميلَ الأمر إلى أن فُتِن بعبد المجيد بن عبد الوهّاب الثَّقفيّ ، فتهتّك بعد ستره ، وفتكَ بعد نُسْكِه ، ثم ترامى به الأمرُ بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثقفيّ إلى أن شتم الأعراضَ وأظْهر البَذاء وقذف المحْصَنات ، ووجبت عليه حُدودٌ ، فهرب إلى مكّة وبقي بها حتى مات .

[سفيان بن عيينة يسأله عن معاني الحديث]

وكان يُجالس سُفيانَ بن عُيَيْنَةَ ، فيسأله سفيانُ عن معاني حديث النبيّ ﷺ فيُخبره بها ، ويقول له : كذا وكذا مأخوذ من كذا ، فيقول سفيان : كلامُ العرب بَعضُه يأخذ برِقاب بعض . قال : وأدرَك المهدِيَّ ومدَحه ، ومات في أيّام المأمون .

أُخبرني عليُّ بن سُلَيمان ، قال : حدَّثني محمد بن يزيد وغيره : أنَّ محمد بن مُناذِر كان إذا قيل له : ابن مَناذر ، بفتح الميم ، يغضب ، ثم يقول : أمَناذر الصُّغرى أم مَناذِر الكبرى ؟ وهما كورتان من كُوَر الأهواز ، إنّما هو مُناذر على وزن مُفاعِل من ناذَر فهو مُناذِر ، مثل ضارب فهو مُضارِب ، وقاتل فهو مُقاتِل .

[بينه وبين المعتزلة]

قال محمد بن يزيد : ولمّا عدل محمد بن مناذر عمّا كان عليه من النُّسْك والتألّه وعظتْه المعتزلة فلم يَتَّعِظ ، وأوعدَته بالمكروه فلم يزدجر ، ومنعوه دخولَ المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم ، وكان يأخذ المِدادَ بالليل فيطرحه في مَطاهِرِهم ، فإذا توضَّؤوا به سوّد وجوهَهم وثيابَهم ، وقال في توعُّد المعتزلة إيّاه[1] : [من الكامل]

أَبلِغْ لديك بنـي تَمِيمٍ مأْلُكاً ... عَنِّي وعَرِّج في بَني يَرْبُوعِ[2]
أنِّي أخٌ لكُمُ بِـدارِ مَضِيعَةٍ ... بُـومٌ وغِربـانٌ عليـه وُقوعُ[3]
يا لَلْقبائل مـن تَميمٍ ما لكُم ... رَوْبى ولَحْمَ أَخِيكم بِمَضِيعِ[4]
هُبُّوا لـه فلقد أُراه بنَصْرِكم ... يـأْوي إلى جَبَـلٍ أَشَمَّ مَنِيعِ
وإذا تحزَّبـت القَبائـلُ كُنْتُمُ ... ثِقَتِـي لِكُـلِّ مُلِمَّـةٍ وفظِيعِ
إن أَنتـمُ لم تَـثْأَرُوا لأَخيكمُ ... حتـى يُباءَ بِوِتْـرِهِ المَتْبُوعِ

1 الأبيات في معجم الأدباء 2450 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .
2 مألكاً ومألكة : رسالة .
3 في البيت إقواء .
4 روبى : خاثرو النفس .

فخُذوا المَغازِلَ بالأَكُفِّ وأيقِنوا ... مـا عِشْتُمُ بمَذَلَّةٍ وخضوعِ
إن كنتمُ حُدُباً على أحسابكم ... سُمُعاً فقد أسمعتُ كُلَّ سَميعِ
أينَ الصُّبَيْرِيُّــونَ لم أرَ مِثْلَهم ... في النائباتِ وأين رَهْط وَكِيعِ

قال : ثم استحْيا من قولِه : أينَ الصُّبَيْرِيُّونَ ؟ لِقِلَّة عَدَدهم فقال : أين الرِّياحيُّون ؟ .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثني الحَسن بن عليّ ، قال : حدَّثني مسعود بن بِشْر ، قال : قال لي ابنُ مُناذر : ولع بي قومٌ من المعتزلة ففَرِقْتُ منهم ، قال : وكان مَوْلى صُبَيْر بن يَرْبوع ، فقلت : بنو صُبَير نَفْسان ونصف ، فمَن أدْعو منهم ؟ فقلت : ليس إلاّ إخوتهم بنو رياح ، فقلت أبياتاً حَرَّضتُهم فيها ، وحضَضْتُ بنو رياح ، فقلت : [من الكامل]

أين الرِّياحِيُّون لم أرَ مِثلَهــم ... في النَّائباتِ وأَينَ رَهْط وكيع !

قال : فجاء خمسون شيخاً من بني رياح فطرَدُوهم عنّي .

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدّثني محمد بن يزيد ، قال : حدّثني الجاحِظ ، عن مسعود بن بِشر ، عن أبي عُبيدة ، قال : ما زادت بنو صُبَيْر بنِ يَرْبوع قط على سَبْعة نَفَر ، كُلَّما وُلِد منهم مولود مات منهم ميِّت .

[عدني الأصل]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني يعقوب بن نعيم ، قال :حدَّثني إسحاقُ بن محمد النَّخعيّ ، قال : حدَّثني أبو عثمان المازنيّ ، قال : كان ابن مناذر من أهل عدن ، وإنَّما صار إلى البصرة في طَلَب الأدب لتَوافُر العلماء فيها ، فأقام فيها مدَّة ، ثم شُغِل بعبد المجيد بن عبد الوهّاب الثَّقَفيّ ، فتَطاول أمرُه إلى أن خرَج عنها ، وكان مُقيماً بمكّة ، فلمّا مات عبد المجيد نَسَك ، وقوم يقولون : إنّه كان دهريّاً .

[يهجو الذين كرهوا إمامته في الصلاة في المسجد بعد تهتّكه فهجوه وردّ عليهم]

وذكر أبو دعامة ، عن عطاء الملط قال : كان ابن مناذر يؤُمُّ النَّاسَ في المسجد الذي في قبيلَته ، فلمّا أظهَر ما أظهره من الخَلاعة والمُجُون كرِهوا أن يُصلِّي بهم وأن يأتمُّوا بـه ، فقالـوا شعراً وذكروا ذلك فيه وهَجَوْه ، وألقوا الرقعة في المِحرابِ ؛ فلمّا قضى صَلاتَه قرأها ، ثم قلبَها وكَتَب فيها يقول : [من البسيط]

نُبِّئْــتُ قافيــةً قِيلت تَناشَدَها ... قومٌ سأترك في أعراضهم نَدَبا
ناكَ الذيــن رَوَوْهــا أُمَّ قائِلها ... ونــاك قائلُهــا أُمَّ الذي كَتَبا

ثم رمى بها إليهم ولم يعُد إلى الصلاة بهم .

[صلته بأبي نواس]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ ، قال : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا أبو الفَضْل بن عبدان بن أبي حَرْب الصَّفّار ، قال : حدَّثني الفضل بنُ موسى مولى بني هاشم ، قال : دخَل ابنُ مُناذِر المسجدَ الجامع بالبصرة ، فوقعت عينُه على غُلام مُسْتَنِدٍ إلى سارية فخرج والتمس غلاماً ورُقْعةً ودَواةً ، فكتب أبياتاً مدَحه بها ، وسأل الغُلامَ الذي التمسه أن يُوصِّل الرُّقْعة إلى الفَتى المُستنِد إلى السارية . فذهب بها إلى الغلام ، فلمّا قرأها قلبَها وكَتب على ظهْرها يقول[1] : [من الكامل]

مِثلُ امْتِداحِك لي بلا وَرِقٍ ... مثلُ الجِدارِ بُنِي على خُصٍّ[2]
وألذُّ عِنْدي من مديحك لي ... سُودُ النِّعالِ ولَيِّن القُمْصِ
فإذا عَزَمْتَ فَهيٌ لي وَرِقاً ... فإذا فعلتَ فلستُ أستَعْصي

فلمّا قرأها ابن مُناذر قام إليه فقال له : ويْلك ، أأنتَ أبو نُواس ؟ قال : نعم ، فسلَّم عليه وتعانَقا ، وكان ذلك أوَّل المودَّة بينهما .

[بينه وبين أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : حدَّثني أبو حاتم ، قال : اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مُناذِر ، فقال له أبو العتاهية : يا أبا عبد الله ، كيف أنتَ في الشِّعرِ ؟ قال : أقول في الليلة إذا سَنَح القولُ لي ، واتَّسعَت القوافي عشرةَ أبياتٍ إلى خمسة عشر . فقال له أبو العتاهية : لكنِّي لو شئْت أن أقولَ في الليلة ألفَ بيت لقُلْت ، فقال ابن مُناذِر : أجلْ والله إذا أردتُ أن أقول مثلَ قولك[3] : [من الهزج]

أَلا يا عُتْبةَ السَّاعَهْ ... أُموتُ السَّاعَةَ السَّاعَهْ

قلت ؛ ولكنِّي لا أعوِّد نفْسي مثل هذا الكلام السَّاقِط ، ولا أسمَح لها به ، فخَجِل أبو العَتاهية وقام يَجرُّ رِجْلَه .

أخبرني به الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني سَهْل بن محمد أبو حاتم ، وأحمد بنُ يعقوب بن المُنير ابن أخت أبي بَكر الأصمّ . قال ابن مَهْرُوَيْه : وحدَّثني به يحيى بنُ الحسن الرّبيعيّ ، عن غسَّان بن المُفضَّل ، قال : اجتمع أبو العتاهية ، وابنُ مُناذر ، فاجتمع الناس إليهما ، وقالوا : هذان شَيْخا الشُّعراء . فقال أبو العتاهية لابن مُناذِر : يا أبا

---

1 لم ترِد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس (الغزالي) .

2 الورِق : الدراهم المضروبة .

3 ديوان أبي العتاهية : 577 ومعجم الأدباء : 2649 .

عبد الله ، كَمْ تقولُ في اليوم من الشّعْر ؟ وذكر باقي الخبر مثل المتقدّم سواء .

[إعجابه بشعره]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن مَيْمون طائع ، قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : حضرنا مأدُبة ومعنا أُبو مُحرز خلَفٌ الأحمر ، وحضرها ابن مُناذر ، فقال لخلف الأحمر : يا أبا مُحْرِز ، إن يكن النّابغة ، وامرؤُ القيْس ، وزُهير ، قد ماتوا فهذه أشعارُهم مُخلّدة فقِسْ شعْري إلى شِعْرِهم ، واحكُم فيها بالحقّ . فغضِب خلَفٌ ، ثم أخذ صحفة مملوءة مَرقاً فرمى بها عليه فملأه ، فقام ابن مُناذر مُغْضَباً ، وأُظنّه هَجاه بعد ذلك .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة : قال : حدَّثنا خَلاَّد[1] الأرقط ، قال : لَقِيَني ابن مُناذِر بمكّة ، فأنشدني قصيدته :

كُلُّ حَيٍّ لاقي الحِمام فمُودِي

ثم قال لي : أقرىء أبا عُبيدة السلام وقل له : يقول لك ابنُ مناذر ، اتَّقِ الله واحكُم بين شِعْري وشِعْر عَديّ بن زَيد ، ولا تقُلْ ذلك جاهليٌّ ، وهذا إسلامي ، وذاك قديم وهذا مُحْدَث فتحكم بين العصرين ، ولكن احكُم بين الشعريْن ودع العَصبيَّة . قال : وكان ابنُ مناذِر ينْحُو نحو عديّ بن زيد في شِعره ، ويميل إليه ويقدِّمه .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن عثمان الكزبريّ ، قال : أخبرني محمد بن الحجّاج الجرادانيّ ، قال : قلتُ لابن مُناذر : مَنْ أَشْعَر الناس ؟ قال : مَنْ كُنتُ في شِعْره ، فقلت له : ومَنْ ذاك ؟ فقال : عَدِيُّ بن زيد ، وكان ينْحُو نحوه في شِعْرِه ويقدِّمه ويتَّخذه إماماً .

[محبّته لعبد المجيد الثقفيّ]

والأبيات التي فيها الغناء أوّل قصيدة لمحمد بن مُناذِر رَثى بها عبد المجيد بن عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيّ ، وكان يَهواه . وكان عبد المجيد هذا فيما يقال مِنْ أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً ، وأكملِهم في كلّ حال ، وكان على غاية المحبَّة لابن مُناذر والمُساعدة له والشَّغَف به . وكان يبلغُ خبرُه أباه على جلالته وسِنّه وموْضعه من العِلْم ، فلا يُنكِر ذلك ، لأنّه لم تكن تبلغه عنه ريبة ، وكان ابن مُناذر حينئذٍ حَميدَ الأمر حسنَ المروءة عفيفاً . فحدَّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بنُ محمد حُدَّان ، قال : حدَّثني قُدامة بنِ نوح ، قال : قيل لعبد الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيّ : إنّ ابن مُناذر قد أفسد ابنَك ، وذكره في شِعره وشبَّب به ، فقال عبد الوهّاب : أولا يَرْضى ابْني أن يَصْحبه مثلُ ابن مُناذر ويذكره في شِعره !

---

1 ل : حماد .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار ، قال : حدَّثني عليٌّ بن محمد بن سليمان النَّوفليّ ، قال : أُمُّ عبد المجيد بن عبد الوهّاب الثَّقفيّ الذي كان يشبِّب به ابن مُناذر بانَةُ بنْت أبي العاصي ، وهي موْلاة جِنان التي يشَبِّب بها أبو نُواس ، قال : فحدَّثني مَنْ رأى محمد بنَ مُناذر يومَ ثالثِ بانةَ هذه ، وقد خرَج جواريها إلى قبرها ، فخرج معهنَّ نحو الجبَّانة بالبصرة ، قال : فقلتُ له : يا أبا عبد الله ، أين تريد ؟ فقال : [من المجتث]

اليومُ يومُ الثَّلاثا وَيومُ ثالثِ بانَهْ
اليوم تَكثُر فيه الظِّبا ءُ في الجَبَّانَهْ

قال أبو الحسن : ولَدت بانَةُ من عبدِ الوهَّاب بن عبد المجيد أولادَه : عبدَ المجيد ، وأبا العاصي ، وزياداً . وزيادٌ الذي عناه أبو نواس في قوله يُشَبِّب بجِنان[1] : [من مجزوء الخفيف]

جَفْنُ عيني قد كاد يَسْـ ـقط من طول ما اختلَجْ
وفُؤادِي مِنْ حَرّ حُبِّـ ـكِ قد كاد أو نَضَجْ
خبِّريني فَدَتْكِ نَفْسـ ـي وأَهْلي مَتى الفَرَجْ !
كان ميعادُنا خُرو جَ زيادٍ فقد خَرَجْ

قال ابن عمّار : قال لي النَّوفَليّ : في هذه الأبيات غناء حُلْو مليح ، لو سَمِعْته لشربتَ عليه أربعة أرطال .

قال النوفليُّ : وكان لعبد الوهّاب ابنٌ يقال له : محمد ، كان أسنَّ ولَدِه ، ويقال : إنّه كان يتعشَّق بانَةَ ابنةَ أبي العاصي هذه امرأةَ أبيه ، وإنّ زِيادَ بن عبد الوهّاب منه ، وكان أشْبَه الناس به .

حدَّثني ابن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني أبي ، قال : خرج ابن مناذر يوماً من صلاة التّراويح وهو في المَسْجد بالبصرة ، وخرج عبدُ المجيد بن عبد الوهّاب خلفَه ، فلم يَزَل يُحدِّثه إلى الصُّبْح ، وهما قائِمان ، إذا انْصَرَف عبدُ المجيد شيَّعَه ابنُ مُناذر إلى منزله ، فإذا بَلغَه وانصرفَ ابنُ مُناذر شيَّعه عبدُ المجيد ، لا يَطِيب أحدُهما نَفْساً بفراقِ صاحِبِه حتى أصبحا . فقيلَ لعبد الوهّاب بن عبد المجيد : ابنُ مناذر قد أفْسد ابنَك ، فقال : أَوما يرضى ابني أن يرضى بما يرضى به ابن مُناذر .

وفي عبدِ المَجِيد يقول ابن مُناذر يمدحُه ، وهو من مختار ما قاله فيه ، أنشدنيها عليٌّ بن سليمان الأخفش ، عن محمد بن زيد من قصيدةٍ أوّلها : [من مخلع البسيط]

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 230 .

شَيَّب رَيبُ الزَّمانِ رأسي　　لَهْفي على ريبِ ذا الزَّمانِ
يَقدَحُ في الصُّمِّ من شَرَوْرى　　ويَحْدُر الصُّمَّ من أَبانِ[1]

يقول فيها يمدح عبد المجيد : [من مخلّع البسيط]

مِنِّي إلى الماجِدِ المُرجَّى　　عبدِ المَجيدِ الفَتى الهِجانِ
خيرِ ثقيفٍ أبًا ونَفْساً　　إذا التَقَت حَلْقَتا البِطانِ
نفسي فِداءٌ له وأهْلي　　وكُلُّ ما تَمْلِكُ اليَدانِ
كأَنَّ شمسَ الضُّحى وبدر الدُّجى عليه مُعلَّقانِ
نِيطا معاً فوق حاجِبَيْهِ　　والبدرُ والشَّمسُ يَضْحَكانِ
مُشمِّرٌ ، هَمُّه المَعالي　　ليس بِرَثٌّ ولا بِواني
بَنى له عِزَّةً ومَجْداً　　في أوَّلِ الدَّهْرِ بانيانِ
بانٍ تَلقَّاه من ثَقِيفٍ　　ومن ذُرا الأزدِ خَيرُ باني
فاسألْه مِمَّا حَوَت يَداه　　يَهْتَزُّ كالصَّارِمِ اليَماني

[تمريضه عبد المجيد]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمد قال : مرض عبدُ المجيد بن عبد الوهّاب الثّقفيّ مرضاً شديداً بالبصرة ، وكان ابن مناذر ملازماً له يُمرِّضه ويخدمه ، ويتولّى أمره بنفسه ، لا يَكِله إلى أحد . فحدَّثني بعضُ أهلهم قال : حضرتُ يوماً عنده ، وقد أُسْخِن له ماءٌ حارٌّ لِيَشْرَبه ، واشتدَّ به الأمرُ فجعل يقول : آهِ ! بصوتٍ ضَعِيف ، فغَمَس ابن مُناذر يدَه في الماء الحارّ وجعل يتأوَّه مع عبد المجيد ويدُه تحترق حتى كادت يدُه تسقُط ، فجذبْناها وأخرجْناها من الماء ، وقلنا له : أمجْنونٌ أنتَ ! أيُّ شيء هذا ! أينتفع به ذاك ! فقال : أساعده ، وهذا جَهْدٌ من مقِلٍّ . ثم استقَلَّ من عِلَّته تلك وعُوفِي مدّة طويلة ، ثم تَردَّى من سَطح فمات ، فجزِع عليه جزعاً شديداً حتى كاد يَفضُل أهلَه وإخوتَه في البكاء والعَويل ، وظهَر منه من الجزع ما عجب الناس له ، ورثاه بعد ذلك بقصيدته المشهورة ، فرواها أهلُ البصرة ، ونيح بها على عبد المجيد ، وكان الناس يُعجَبون بها ويَسْتَحْسِنُونها .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم النُّوشجاني ، قال : سمعت أبي يقول : حضرتُ سُفيان بن عُيَيْنة يقول لابن مُناذِر : أنشِدني ما قلت في عبد المجيد ، فأنشده قصيدته

1 شروری وأبان : جبلان .

الطويلة الدّالية . قال سفيان : بارَكَ الله فيك ، فلقد تفرَّدت بمراثي أهلِ العراق .

[وفاة عبد المجيد]

فأخبرني عمِّي : قال : حدَّثني أبو هِفَّان ، قال : قال الجَمَّاز : تزوَّج عبد المجيد امرأةً من أهله فأولم عليها شهراً يجتمع عنده في كلِّ يوم وُجُوه أهل البصرة وأُدباؤُها وشعراؤُها . فصعد ذاتَ يوم إلى السطح فرأى طنباً من أطناب السِّتارة قد انحلَّ ، فأكبَّ عليه ليشدَّه ، فتردَّى على رأسِهِ ومات من سَقْطتِه ، فما رأيتُ مُصيبةً قطّ كان أعظم منها ولا أنكأ للقُلوب .

[رثاء عبد المجيد]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عمَّار قال : حدَّثني الحسنُ بن عُليْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني العبّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الخرَّاز ، قال : قال لي ابن مُناذِر : ويحك ! لستُ أرى نساء ثَقِيف يَنُحْنَ على عبد المجيد نياحةً على استواء ، قلت : فما تُحِبّ ؟ قال : تخرجُ معي حتى أُطارحك ، فطارحني القصيدة التي يقول فيها[1] : [من الخفيف]

إنَّ عبـدَ المجيد يـوم تَولـَّى ... هَـدَّ رُكناً مـا كان بالمَهْدُودِ
هَدَّ عبدُ المجيدِ رُكْني وقد كُنْـ ... ـتُ بِرُكْنٍ أَبـوءُ منـه شَدِيدِ

قال : فما زِلْتُ حتى حفظتها ووعَيْتُها ، ووضعنا فيها لحناً ؛ فلمّا كان في الليلة التي يُناح بها على عبد المجيد فيها ، صلَّينا العشاء الآخرة في المسجد الجامع ، ثم خرجنا إلى دارِهم ، وقد صعد النساء على السَّطح يَنُحن عليه ، فسكَتن سكتةً لهنّ ، فاندفعنا أنا وهو نَنُوح عليه . فلمّا سمِعْنَنا أقبلن يَلْطُمنَ ويصِحْن حتى كِدْنَ يَنْقَلِبْنَ من السطح إلى أسفل من شدّة تَشرُّفِهنَّ علينا وإعجابهنَّ بما سمعنه منّا ، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا ، وشاع الخبر بالبصرة وتحدَّث به النّاسُ حتى نُقِل من مجلس إلى مجلس .

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال لي : حدَّثني موسى بن حمّاد بن عبد الله القُرشيّ ، قال : حدَّثني محمد بن النعمان بن جَبَلة الباهليّ ، قال : لمّا قال ابن مُناذر : [من الخفيف]

لأُقِيمَنَّ مأتمـاً كَنُجوم اللَّيْل ... زُهْـراً يَلْطُمْن حُـرَّ الخُدُودِ
مُوجَعـاتٍ يَبْكِـين للكَبِـدِ ... الحَـرَّى عليـه وللفُؤادِ العَمِيدِ

قالت أُمّ عبد المجيد : والله لأُبِرَّنَّ قسمَه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : واي ، وَيْه ، واي ، وَيْه ، فيقال : إنّها أوَّل مَن فعل ذلك وقاله في الإسلام .

1 انظر القصيدة في طبقات ابن المعتز : 122–124 وكامل المبرد : 1436 وما بعدها .

وأخبرني بهذا الخبر ابن عمّار عن عليّ بن محمد النوفليّ عن عمّه : أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر النخعيّ ، قال : أنشدني محمد بن مُناذِر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهّاب يقول[1] : [من مجزوء الكامل]

يــا عَينُ حَقٌّ لك البُكا ءُ لحادِثِ الرُّزْءِ الجَليلِ
فابْكي على عبــدِ المجيــدِ وأعوِلــي كلَّ العَويلِ
لا يُبْعِـدُ اللهُ الفَتى الــفَيَّاضَ ذا الباعِ الطَّويلِ[2]
عَجِــلَ الحِمامُ بِــه فودَّ عَنـــا وآذنَ بـــالرَّحيلِ
لَهَفــي عــلى الشَّعَرِ المُعَــفَّرِ منكَ والخَدِّ الأَسيلِ[3]
كَسَفَتْ لِفقْــدِك شمْسُنا والبَــدْرُ آذن بــالأُفولِ[4]

[لم تعجب داليته أبا عبيدة]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني النَّضرُ بن عمرو عن المازنيّ ، قال : حدَّثنا حيّان : أنّ ابن مُناذر دفع قصيدته الدَّالية إليه ، وقال : اعرِضها على أبي عُبَيْدة ، فأتيْتُه وهو على باب أبي عَمْرو بن العلاء ، فقرأتُ عليه منها خمسةَ أبيات فلم تُعْجِبه ، وقال : دعني من هذا ، فإنّي قد تشاغلْتُ بحِفظِ القرآنِ عنه وعن مِثْله ، قال : وكان أبو عبيدة يُبغِضُه ويُعادِيه لأنّه هجاه .

[هبّود أمّ عبود]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : قال ابن مناذِر : قلت : [من الخفيف]

يَقْــدَحُ الدّهــرُ في شماريخ رَضْوى

ثم مكثتُ حولاً لا أدري بِمَ أتمِّمُه ، فسمعت قائلاً يقول : هبُّود ، قلت : وما هبُّود ؟ فقال لي : جُبَيْل في بلادنا ، فقلت : [من الخفيف]

ويحُــطُّ الصُّخورَ مِــن هَبُّودِ

قال إسحاق : وسمِع أعرابيٌّ هذا البيت ، فقال : ما أجهل قائله بهبُّود ! واللهِ إنّها

1 الأبيات في طبقات ابن المعتز : 124–125 .
2 الطبقات : لا يبعدن ذاك الفتى . . .
3 الطبقات : لهفي على الثغر . . .
4 عجز البيت في الطبقات : جزعاً وهمّت بالأفول .

لأُكَيمة ما تُواري الخارِىء ، فكيف يحُطُّ منها الصُّخور !

أُخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثني أبو حاتم ، قال : سمِعْتُ أبا مالِك عمْرو بن كِرْكِرة يقول : أُنشدني ابنُ مُناذر قصيدتَه الدَّالية التي رثى فيها عبد المجيد ، فلمّا بَلغ إلى قوله : [من الخفيف]

يَقدح الدَّهرُ في شماريخ رَضْوى ويحُـطّ الصُّخورَ مِـنْ هَبُّودِ

قلت له : هبُّود ، أيّ شيء هو ؟ فقال : جبل ، فقلت : سَخِنت عينُك ، هبُّود والله بئر باليمامة ماؤها مِلْح لا يَشْرَب منه شيء خلَقه الله ، وقد والله خَرِيتُ فيها مرّات . فلمّا كان بعد مدّة وقَفتُ عليه في مَسجد البصرة وهو ينشدها ، فلمّا بَلغَ هذا البيتَ أَنشدَها :

ويحُطّ الصُّخورَ مـن عَبُّـودِ

فقلت له : عبُّود ، أيُّ شيء هوذا ؟ فقال : جبل بالشَّام ، فلعلَّك يا ابن الزَّانية خَرِيت عليه أيضاً ؛ فضحِكتُ ثم قُلت : لا ما خرِيتُ عليه ولا رأيته ، وانصرفتُ عنه وأنا أضحَك .

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيُّ ، عن العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال كان يحيى بنُ زياد يُرمى بالزّندقة ، وكان من أظرف النّاس وأنظفهم ، فكان يقال : أظرف من الزّنديق .

[محمد بن زياد مزندق الظاهر]

وكان الحاركيّ واسمه محمد بن زياد يُظهر الزّندقة تظارفاً ، فقال فيه ابنُ مُناذر : [من السريع]

يا ابنَ زيادٍ يـا أَبا جَعفرٍ أَظهرتَ دِيناً غيرَ ما تُخفي
مُزَنْدَق الظاهِرِ باللفظِ في باطِنِ إسلامِ فَتًـى عَفِّ
لستَ بزِنْديـقٍ ولكنّمـا أَرَدْتَ أن تُوسَم بالظَّرْفِ

وقال فيه أيضاً : [من الخفيف]

يـا أَبـا جعفرٍ كأنّك قد صِرْ تَ على أَجْرِدٍ طَويلِ الجِرانِ[1]
من مَطايا ضَوامِرٍ ليس يَصْهَلْـ ـنَ إذا مـا رُكِبْنَ يوم رِهانِ
لم يُذَلَّلْـنَ بالسُّرُوجِ ولا أُقْـ ـرِح أَشداقَهنَّ جـذبُ العِنانِ
قائماتٍ مُسوَّمات لدى الجِسْـ ـرِ لأَمثالِكـم مـن الفِتْيانِ

[تركه الناس لحضور حلقة عتبة النحويّ]

أُخبرني هاشمُ بن محمـد الخُزاعيّ قـال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينة ، عن ابن عائشة ،

1 الجران : باطن عنق البعير وغيره .

قال : كان عُتبة النحويّ من أصحاب سيبويه ، وكان صاحب نحوٍ فَهِماً بما يشرحه ويفسِّره على مذاهب أصحابه ، وكان ابن مناذر يتعاطى ذلك ، ويجلس إليه قومٌ يأخذُونه عنه . فجلس عُتْبة قريباً من حَلْقته ، فتقوّض الناسُ إليه ، وتركوا ابن مُناذر ، فلمّا كان في يوم الجمعة الأُخرى قام ابن مناذر من حَلْقته ، فوقف على عُتْبة ، ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الرجز]

قُومـوا بنـا جميعاً لِحَلْقَـة العَـذارِي
تَجمعـن للشقـاء إلى عُتْبـةِ الخَسارِ
مـالي ومـا لِعُتْبَـ ـة إذ يبْتغي ضِراري

قال : فقام عتبة إليه فناشده ألاّ يَزيد ، ومنعَ مَنْ كان يجلِس إلى ابن مُناذِر من حضور حَلْقته ، وجَلس هو بعيداً من ابنِ مُناذِر بعد ذلك .

[يهجو جاره ابن عمير]

حدَّثني عَمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينة ، قال : كان لابن مُناذر جارٌ يقال له ابنُ عُمير من المعتزلة ، فكانَ يَسعى بابن مناذر إليهم ، ويَسبّه ويذكره بالفِسق ويغريهم به ، فقال يَهجوه : [من السريع]

بَنو عُمَيْر مَجدُهـم دارُهمْ وكُلّ قَـوْم فلَهُـم مَجْدُ
كأنّهـم فَقْـعٌ بِدَوِّيَّـةٍ ليس لهـم قَبْلٌ ولا بَعْدُ[1]
بَـثَّ عُمَيرٌ لؤمَـه فيهمُ فكلُّهم مـن لُؤْمِهِ جُعْدُ

وأخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن النَّوفلي بمِثْله ، وزاد فيه . وعبد الله بن عُمَير ، أبو هؤلاء الذين هجاهم ، أخو عبدِ الله بن عامِر لأُمِّه ، أمُّهما دجاجةُ بنت إسماعيل بن الصَّلت السَّلمي .

[حاضر الجواب]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدَّثنا الخليل بن أسد ، قال : كان ابن مُناذِر مِن أحْضَر الناسِ جواباً ، قال له رجل : ما شأنك ؟ قال : عِظَم في أنْفي .

قال : وسأله رجُلٌ يوماً : ما الجَرْباء ؟ فأومأ بِيدِه إلى الأرض ، قال : هذه ، يَهْزأ به ، وإنّما الجَرْباء السماء .

[خبره مع الخليل بن أحمد]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ، قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العنَزيّ ، قال :

---

1 فقع بدوية : يقال : فقع بقرقر (أو بقرقرة) مثل يضرب للذليل .

حدَّثني جعفرُ بن محمد عن دماذ قال : دار بين الخليل بنِ أحمد وبين ابن مُناذِر كلام ، فقال له الخليل : إنّما أنتم معشرَ الشُّعراء تَبَعٌ لي ، وأنا سُكّان السفينة ، إن قرَّظْتُكم ورضيتُ قولَكم نَفَقْتُم وإلاّ كسَدْتم . فقال ابن مُناذر : واللهِ لأقولَنّ في الخليفة قصيدةً أمتَدِحهُ بها ولا أحتاجُ إليك فيها عنده ولا إلى غيرك ، فقال في الرشيد قصيدتَه التي أوَّلُها[1] : [من المنسرح]

مــا هَيَّجَ الشوق من مُطَوَّقةٍ أوفَــتْ عــلى بانــةٍ تُغَنّينا

يقول فيها :

ولــو سألْنا بحُسْن وَجْهك يا هــارونُ صَوْبَ الغمام أُسقِينا

قال : وأراد أن يَفِدَ بها إلى الرشيد ، فلم يلبث أن قَدِم الرشيدُ البصرة حاجّاً ليأْخُذَ على طريق النِّباج وكان الطريق قديماً ، فدخلها وعديلُه إبراهيم الحرَّانيّ . فتحمَّل عليه ابنُ مُناذِر بعُثمان بنِ الحكَم الثَّقفيّ ، وأبي بَكر السُّلَميّ حتى أوصلاه إلى الرشيد ، فأنشدَه إيّاها ، لمّا بَلَغ آخِرَها كان فيها بيت يفتخر فيه وهو : [من المنسرح]

قومي تَميمٌ عنـد السِّماكِ لهم مَجْــدٌ وعِــزٌّ فمــا يُنــالونا

فلمّا أنشده هذا البيت تعصَّبَ عليه قَوْمٌ من الجلساء ، فقال له بعضهم : يا جاهلُ ، أتفخر في قصيدةٍ مدحتَ بها أمير المؤمنين . وقال آخر : هذه حَماقة بَصْريَّة ، فكفَّهم عنه الرشيد ووهب له عشرين ألفَ درهم .

[استحسن الرشيد بيتاً له فأجازه]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، قال : حدَّثني سهيل السّلميّ : أنَّ الرشيد استسقى في سنة قَحْط فسُقي الناس ، فسُرَّ بذلك ، وقال : لله دَرُّ ابن مُناذر حيث يقول : [من المنسرح]

ولــو سألْنا بحُسْن وَجْهك يا هارون صَوْبَ الغَمامِ أُسقِينا

وسأل عن خَبره فأُخبِر أنَّه بالحِجاز ، فبعث إليه بجائزة .

[هجاء بكر بن بكّار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن محمد بن عمران الصّيرفيّ ، قال : حَدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا نصر بن عليّ الجَهْضَميّ ، قال : حدَّثني محمـد بن عبـاد المهلبـيّ ، قال : شهد بكـر بن بكّار عنـد عُبيد الله بن الحسن بن الحُصَين بن الحُرّ العنبريّ بشهادة ، فتبسَّم ثم قال لـه : يا بكر ، ما لك ولابن مُناذر حيثُ يقول : [من السريع]

---

1 في الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز خمسة أبيات من هذه القصيدة منها البيت الثاني هنا .

أعــوذُ بــالله مــن النّــار ومنك يــا بَكْـرَ بنَ بَكّارِ

فقال : أُصلحَ اللهُ القاضي ، ذاك رجل ماجنٌ خَليع لا يُبالي ما قال ، فقال له : صَدَقْت وزاد تبسُّمه ، وقَبِل شِهادتَه ، وقام بكر وقد تَشوَّر[1] وخجِل . قال العنزيّ : فحدَّثني أبو غسَّان دماذ قال : أنشدني ابن مُناذِر هذا الشِّعر الذي قاله في بكر بن بكّار وهو : [من السريع]

أعــوذُ بــالله مــن النّــارِ ومنــكَ يــا بكــرَ بنَ بَكّارِ
يــا رَجُلاً ما كان فيما مَضى لآل حِمْــران بِــزَوّارِ
مــا مَنزِلٌ أُحدِثْتَــه رابعــاً مُعْتَزِلاً عــن عَرْصَة الدّارِ
مــا تَبرحُ الدَّهرَ على سَوْأةٍ تطــرحُ حَبَّــاً للخُشَنْشارِ
يا معشَرَ الأَحداثِ يا وَيْحَكم تَعَــوَّذُوا بالخالِــقِ البارِي
مِن حَرْبَةٍ نِيطَت على حَقْـوِه يَسْمى بهــا كالبَطَلِ الشّاري
يــوم تَمنَّـــى أنَّ في كَفِّــه أَيْــرَ أَبــي الخِضْرِ بـدينارِ

قال ابن مَهْرُوَيْه في خبره : والخُشَنْشار هو معاوية الزِّيادي المُحدِّث ، ويكنى أبا الخضر ، وكان جميل الوجه .

وقال العنزيّ في حديثه : حدَّثني إسحاقُ بن عبد الله الحمرانيّ ، وقد سألتُه عن معنى هذا الشعر ، فقال : الخُشَنْشار : غُلامٌ أمردُ جميل الوجه كان في محلّتنا ، وهذا لقبه ، وكان بكر بنُ بكّار يتعشَّقه ، فكان يجيء إلى أبي فيُذاكِره الحديث ويُجالسه وينظر إلى الخُشَنْشار .

قال العنزيّ : حدَّثني عمرُ بن شَبَّة ، قال : بلغني أنَّ عبيد الله بن الحسن لقي ابن مُناذِر فقال له : وَيحك ، ما أردتَ إلى بكر بن بكّار ففضَحْته ، وقلت فيه قولاً لعلَّك لم تتحقَّقه ؟ فبدأ ابن مناذر يحلِف له بيمين ما سَمِعْتُ قطّ أغلظ منها ، أنَّ الذي قاله في بكر شيء يقوله معه كلُّ مَن يعرِف بَكْراً ويعرِف الخُشَنْشار ، ويُجمِع عليه ولا يخالفه فيه . فانصرف عبيد الله مغموماً بذلك قد بان فيه ، فلمّا بعُد عنّا ، قلتُ لابن مُناذِر : بريء اللهُ منك ، وَيْلك ما أَكْذَبك ! أَكُلُّ مَنْ يعرف بكرَ بن بكّار يقول فيه مِثل قولك حتى حلَفْت بهذه اليمين ؟ فقال : سَخِنت عَينُك ، فإذا كنتَ أَعْمى القلب أيّ شيء أَصنع ! أفتراني كنت أُكذِّب نَفسي عند القاضي ، إنّما موَّهتُ عليه وحلفت له أن كُلَّ مَن يعرفُهما يقول مثل قولي ، وعنيْتُ ما ابتدأت به من الشعر وهو قولي : [من السريع]

---

1 تشور : بمعنى خجل .

أُعوذُ باللهِ مــن النَّارِ

أفتَعرِف أنتَ أحداً يعرفُهما أو يجهلهُما إلاّ يقول كما قلت : أعوذُ بالله من النار ، إنّما موَّهتُ على القاضي وأردتُ تحقيقَ قولي عنده .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وبكرُ بن بكَّار رجلٌ مُحدِّث ، قد روى عن ورْقاء ، عن ابن أبي نُجَيْح تفسير مُجاهِد ، وروى حديثاً صالحاً .

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبي ، قال : حدَّثنا عمرُ بن شبَّة ، قال : حدَّثنا بكر بنُ بكّار عن عبد الله بن المحرز ، عن قتادة ، عن أنس : أنّ النبيّ ﷺ قال : «زيِّنوا القُرآنَ بأصواتِكم» .

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني الأحوص بن الفَضْل البصريّ قال : حدَّثنا ابنُ معاوية الزِّياديّ ، وأبوه الخُشْنَشار الذي يقول فيه ابن مُناذِر :

تَطْـرح حـبّــاً للخُشْنَشار

قال : حدَّثني مَنْ لقي ابنَ مُناذِر بمكّة فقال : ألا تشتاق إلى البصرة ؟ فقال له : أخبرني عن شمس الوزّانين ، أعلى حالها ؟ قال : نعم ، قال : وَثِيق بنُ يوسفَ الثَّقفيّ حيّ ؟ قال : نعم ، قال : فغسَّان بن الفَضْل الغلاّبيّ حيّ ؟ قال : نعم ، قال : لا ، والله لا دخلتها ما بقي فيها واحدٌ من الثلاثة . قال : وشمس الوزّانين في طرف المِرْبد بحضرة مسجد الأنصار في موضع حيطانُه قِصارٌ لا تكاد الشَّمسُ تفارقه .

[هجاء أخي عبد المجيد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان محمد بن عبدِ الوهاب الثَّقفيّ أخو عبد المجيد يُعادي محمد بن مُناذر بسبب ميْله إلى أخيه عبد المجيد ، وكان ابن مُناذِر يَهْجوه ويَسُبّه ويقْطَعه ، وكلُّ واحدٌ منهما يطلُب لصاحبِه المكروه ويسعى عليه . فلَقِي محمد بن عبد الوهّاب ابن مُناذر في مسجد البصرة ، ومعه دفتر فيه كتاب العرُوض بدوائره ، ولم يكن محمد بن عبد الوهّاب يعرِف العَرُوض ، فجعَل يلحَظ الكِتاب ويَقرؤه فلا يفهمُه ، وابنُ مُناذر مُتغافِلٌ عن فِعْلِه ، ثم قال له : ما في كتابِك هذا ؟ فخبّأه في كُمِّه وقال : وأيُّ شيء عليك ممّا فيه ؟ فتعلَّق به ولَبّبه ؛ فقال له ابن مُناذر : يا أبا الصَّلْت ، اللهَ اللهَ في دمي فطمِع فيه وصاحَ يا زِنْدِيـق ، في كُمِّك الزَّنْـدَقة . فاجتمع النّاسُ إليه ، فأخرج الدَّفتر من كُمِّه وأراهم إيّـاه ، فعرفُوا براءَته ممّا قَذفه به ، ووثَبوا على محمد بن عبد الوهاب واستخفُّوا به ، وانصرَفَ بِخزْيٍ ، وقال ابن مُناذر يهجوه[1] : [من الهزج]

---

1 في طبقات ابن المعتز أربعة من هذه الأبيات : الأول والثاني وبيتان قبل الأخير .

إذا أنــــتَ تَعلَّقْــــتَ ... بحَبْــلٍ مــن أبي الصَّلْتِ
تَعَلَّقْـــتَ بحَبْـــلٍ وا ... هِــنِ القُــوَّةِ مُنْبَتّ
إذا مـــا بَلَــغ المجــدَ ... ذَوُو الأحسابِ بـــالمَتّ
تقاصَرْتَ عـــن المَجْـدِ ... بأمـــرٍ رائـب شَخْتِ[1]
فــلا تَسْمو إلى المَجْــدِ ... فمـــا أمـرُك بالثَّبْتِ[2]
ولا فَرعُـــك في العِيدا ... نِ عُـــودٌ ناضِرُ النَّبْتِ
ومـــا يُبقي لكم يـــا قوْ ... مُ مــن أثْلَتِكم نَحْتي
فهـــا فاسْمَع قَرِيضاً من ... رقيـــقٍ حَسَنِ النَّعْـتِ
يقـــول الحـــقَّ إن قـال ... ولا يرميـــك بـــالبَهْتِ
وفي نَعْـــتٍ لِوَجْعــــاء ... قــد استَرْخَت من الفَتّ
فعِنْدي لــك يـا مَأْبُو ... نُ مِثـــلُ الفالجِ البُخْتِي[3]
عُتُـــلٌ يُعمِـلُ الكُــومَ ... مـن السَّبْتِ إلى السبّتِ
لـــه فَيْشَلَـــةٌ إن أدْ ... خِلَـتْ واسعةُ الخَرْتِ[4]
وإلاّ فاطْـــلِ وجعـــاءَ ... كَ بالخَضْخاضِ والزِّفْتِ[5]
ألَــم يبلغْــك تَسآلي ... لــدى العَلاَّمَةِ المَرْتِ[6]
فقـال الشيخُ سَرْجُوَيَـــ ... ـهُ : داءُ المرءِ من تَحْتِ
فخُذْ مــن وَرَقِ الدِّفْلى ... وخُــذ مــن ورقِ القَتّ
وخُذْ مــن جَعْرِ كَيْسانٍ ... ومــن أظفــارِ نِسَّخْتِ[7]
فغَرْغِــرْه بـــه واسْعَطْ ... بِـــذا في دائِـــهِ أفْتي

قال : ونسَّخْت : لقَب أبي عُبَيدة ، وهو اسمٌ من أسماء اليهود ؛ لقِّب به تعريضاً بأنَّ جدَّه

1 الرائب من الأمور : الذي فيه ريبة أو الفاتر . وشخت : دقيق ضامر .
2 في رواية : فما أصلك .
3 الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين . والبخت : الإبل الخراسانية .
4 الخرت : الثقب .
5 الوجعاء : الدبر . والخضخاض : نفط أسود تدهن به الإبل الجربى .
6 المرت : من لا شعر في حاجبيه .
7 الجعر : ما يبس من العذرة .

كان يهوديّاً ، وكان أبو عُبيدة وسِخاً طويل الأظفار أبداً والشَّعَر ، وكان يَغضَب من هذا اللَّقب .

فأخبرني الحسنُ بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن عليّ بن محمد النوفليّ ، قال : لمّا قال ابن مُناذِر هذه الأبيات : [من الهزج]

إذا أنـــت تَعلَّقْـتَ بحَبْلٍ مــن أبي الصَّلْتِ
تَعلَّقْــتَ بحَبْــلٍ وا هــنِ القُــوَّةِ مُنْبَتِّ
وقال الشيخُ سَرْجُويـ ـهُ : داءُ المَرْءِ من تَحْتِ

فبلغ ذلك سَرْجُويه ، فجاء إلى محمد بن عبد الوهّاب ، فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوانه وجيرانه ، فسلَّم عليه وكان أعْجَميّاً لا يفصح ، ثم قال له : «بركست كمَن كفتم أن كسر مناذر كفت : داء المرء من تحت[1] ، فكاد القوم أن يَفتَضِحوا من الضَّحك ، وصاح به محمد : اعزُب قبَّحَك الله ! فظَنَّ أنّه لم يقبل عُذْرَه ، فأقبل يحلف له مجتهداً ما قال ذاك ، ومحمد يَصيح به : ويلك اعزبْ عنّي ، وهو في الموتِ منه ، وكلّما زادَه من الصّياح إليه زادَه في العُذْرِ واجتهَد في الأيمان ؛ وضحك الناس حتى غُلِبوا ، وقام محمد خَجِلاً فدخَل منزِلَه وتفرَّقوا .

قال أبو الحَسَن النّوفليّ : ثم مَضى لذلك زمانٌ ، وهجا أبو نَعامة أبا عبد الله هَرِيسَة الكاتب فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ورَوى شَيــخُ تَميــمٍ خالـــدٌ أنَّ هَرِيسَهْ
يُدْخِلُ الأُصلعَ ذا الخُرْ جَيْن في جَوْفِ الكَنِيسَهْ

فلَقِي خالدُ بنُ الصّبّاح هذا هريسةَ ، وكان يُعاديه ، وأراد أن يُخْجِله ، فحَلَف له مجتهداً أنّه لم يقُل فيه ما قاله أبو نعامة ، فقال هريسَة : يا بارد ! لم تُرِد أن تَعْتَذِر ، إنّما أردتَ أن تتشبَّه بابنِ مُناذِر ومحمد بن عبد الوهّاب ، وبأبي الشَّمَقْمَق وأحمد بن المعذّل ، ولست من هؤلاء في شيء .

[ضرير وأخرس]

قرأتُ في بعض الكتُب عن ابن أبي سَعْد ، قال : حدَّثني أبو الخطّاب الحسن بن محمد ، عن محمد بن إسحاق البَلْخيّ ، قال : دخلتُ على ابنِ مُناذِر يوماً وعنده رجلٌ ضريرٌ جالسٌ عن يمينه ، ورجل بَصيرٌ جالسٌ عن شماله ساكِتٌ لا يَنْطِق . قال : فقلت له : ما خبرك ؟ فقال : [من الخفيف]

1 يريد أن ما نسبه إليه ابن مناذر غير صحيح .

بين أَعْمى وأَخْرَسٍ أَخْرَس اللـ ـه لسانَ الأَعمى وأَعْمى البَصِيرا

قال : فوثبا فخرجا من عنده وهما يشتمانه .

[مع سفيان بن عيينة]

ونسختُ من كِتاب ابن أَبي الدُّنيا : حدَّثَني أَبو محمد التَّميميّ ، قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله ، عن الحسن بن عليّ ، قال : كنَّا عند باب سُفيان بن عُيَيْنة وقد هرب منّا ، وعنده الحسن بن عليّ التَّخْتاخ[1] ، ورجلٌ من الحجَبة ، ورجل من أَصحاب الرشيد ، فدخل بهم وليس يأْذَن لنا ؛ فجاء ابن مُناذِرٍ فقَرُب من الباب ، ثم رَفَع صوته فقال : [من الطويل]

بعَمْرٍو وبالزُّهْريّ والسَّلَفِ الأُولى بهم ثَبَتَتْ رِجْـلاك عند المَقاوِمِ
جعلتَ طَوالَ الدَّهْرِ يَوْماً لصالحٍ ويوْمـاً لصبَّاحٍ ويومـاً لحاتِمِ
وللحسَنِ التَّخْتاخ يومـاً ودونهم خَصصتَ حُسَيْناً دُونَ أَهل المواسمِ
نظرتُ وطالَ الفِكْر فيكَ فلم أَجِد رَحاك جَرَت إلاّ لأَخْذِ الدَّراهمِ

فخرج سُفيان وفي يدِهِ عَصاً وصاح : خُذُوا الفاسِق ، فهَرَب ابنُ مُناذر منه ، وأَذِنَ لنا فدَخلنا .

[رثاء سفيان بن عيينة]

أَخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أَبو بكر المُؤدِّب ، قال : حدّثني محمد بن قُدامة ، قال : سمعتُ سُفيانَ بن عُيَيْنة يقول لابن مُناذر : يا أَبا عبد الله ، ما بَقِيَ أَحدٌ أخافُه غيرَك ، وكأنّي بك قد مِتُّ فرثَيْتَني ، فلمّا مات سُفيان بن عُيَيْنة ، قال ابن مُناذِر يَرْثيه : [من السريع]

راحـوا بسُفيانَ عـلى نَعْشِهِ والعِلْـمِ مَكسُوَّيْـن أَكْفانا
إنّ الـذي غُـودِرَ بالمُنْحَنى هَـدَّ مـن الإسلامِ أَركانا
لا يُبعِدَنْـكَ اللهُ مـن مَيِّتٍ وَرَّثَنـا عِلْمـاً وأَحـزانا

أَخبرني أَحمد بن عُبَيْد الله بن عمَّار ، قال : حدَّثني أَحمد بن سُلَيْمان بن أَبي شيخ قال : حدَّثني شيخٌ من أَهل الكوفة يقال له عوّام ، قال : سَمِعتُ سُفيانَ بن عُيينة وقد تكلّم بكلام استُحسِن ، فسأَلَه محمد بن مُناذر أَن يمليَه عليه ، فتبَسَّم سُفيانُ وقال له : هذا كلام سَمِعتُك تتكلَّم به فاستحْسَنْتُه فكتَبْتُه عنك ، قال : وعلى ذلك أُحِبّ أن تُمليه عليّ ، فإنِّي إذا رَوَيْتُه عنك كان أَنفقَ له من أن أنسبه إلى نفسي .

1 التختاخ : الألكن .

قال عوّام : وأنشدني ابنُ عائشة لابن مُناذر يَرثي سفيان بن عُيَيْنة بقوله[1] : [من السريع]

يَجْنِـي مـن الحِكْمة نُوّارَها ... مـا تَشْتهـي الأنفسُ ألـوانا
يـا واحـدَ الأُمَّة في عِلْمِـهِ ... لَقِيتَ مـن ذي العَرْشِ غُفرانا
راحـوا بسُفْيانَ على نَعْشِهِ ... والعلـمِ مَكْسُوَّيـن أكفانا[2]

[عودة إلى المجون بعد عبد المجيد الثقفيّ]

أخبرني عليّ بن سليمان ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر الحَنفيّ ، قال : لمّا ماتَ عبدُ المجيد بنُ عبد الوهّاب ، خَرجَ ابنُ مُناذر إلى مكّة ، وترك النُّسْك وعاد للمُجونِ والخَلْع ، وقال في هذا المعنى شِعْراً كثيراً ، حتى كان إذا مَدَح أو فَخر ، لم يجعل افتِتاح شعره ومَباديه إلاّ المُجون ، وحتى قال في مَدحه للرّشيد[3] : [من المنسرح]

هل عندكم رُخْصةٌ عن الحسن البـ ... ـصْريّ في العِشْقِ وابنِ سيرينا ![4]
إنَّ سَفاهاً بـذي الجَلالَة والشَّيْـ ... ـبة ألاّ يـزالَ مَفتونـا

وقال أيضاً في هذا المعنى[5] : [من الهزج]

ألا يـا قمـر المَسْجـ ... ـد هل عندَك تَنْوِيلُ !
شِفائـي منـك ، إن ... نَـوّلْتَنـي ، شَمٌّ وتَقْبِيلُ
سَلا كُـلُّ فُـؤادٍ و ... فُـؤادي بـك مَشْغولُ
لقـد حُمِّلت مـن حُبِّـ ... ـك ما لا يَحمِل الفِيلُ

[بينه وبين يونس النحوي]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا العبّاس بن الفضل الربعيّ ، قال : حدّثني التّوّزيّ ، قال : قال ابنُ مناذر ليُونُس النحويّ يُعرِّض به : أخبرني عن جُبّل أتنصَرِف أم لا ! وكان يونُس من أهلها ، فقال له : قد عرفتُ ما أردتَ يا ابن الزّانية . فانصرفَ ابنُ مُناذر : فأعَدَّ شُهوداً يَشْهَدون عليه بذلك ، وصار إليه وسأله ، هل تنصرف جُبّل ؟ وعَلِم يونُس ما أراد ، فقال له : الجوابُ ما سَمِعْتَه أمس .

1 الأبيات، بهذا الترتيب في معجم الأدباء : 2651 .
2 على نعشه في معجم الأدباء : على عرشه .
3 البيتان في الشعر والشعراء : 747 وطبقات ابن المعتز : 121 .
4 الطبقات : هل عندكم . . . تروى أو ابن سيرينا .
5 الأبيات، في الشعر والشعراء : 748 وطبقات ابن المعتز : 121 .

[خبره مع حجّاج الصواف]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل ، قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ ، قال : حدَّثني إسحاق بن عَمْرو السَّعديّ ، قال : حدَّثني الحجّاج الصَّوَّاف . وأُخبرني الحسن بن عليّ أيضاً ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني إسحاق بن محمد ، قال : حدَّثني أُمَيَّة بن أبي مروان ، قال : حدَّثني حجّاج الصَّوّاف الأعور ، قال[1] : خرجت إلى مكّة فكان هِجِّيراي في الطريق ابن مُناذِر ، وكان لي إلْفاً وخِدْناً وصديقاً . فدَخَلْتُ مكّة فسأَلتُ عنه ، فقالوا : لا يَبْرَح المسْجد ، فدخَلْت المسجد فالتَمسْتُه فوجدته بفِناء زَمْزَم ، وعنده أصحابُ الأخبارِ والشُّعراء يَكتُبون عنه ؛ فسلَّمت وأنا أُقدِّر أن يكون عنده من الشَّوق إليَّ مثلُ ما عندي ، فرفَع رأسَه فردَّ السَّلام ردّاً ضعِيفاً ، ثم رجع إلى القوم يُحدِّثُهم ولم يَحْفَل بي . فقلتُ في نفسي : أتراه ذهبتْ عنه مَعْرِفتي ! فبَيْنا أنا أُفكِّر إذ طلع أبو الصَّلْت بن عبد الوهّاب الثقفيّ من باب بني شَيْبة داخلاً المسْجد ، فرفع رأسه فنظر إليه ، ثم أقبل عليَّ فقال : أتعرِف هذا ؟ فقلت : نعم ، هذا الذي يقول فيه مَنْ قَطَعَ اللهُ لِسانه : [من الهزج]

إذا أنــتَ تعلَّقْــتَ ... بحَبْلٍ مـن أَبي الصَّلْتِ
تَعلَّقــتَ بحَبْــل وا ... هِـنِ القُـوَّةِ مُنْبَتِّ

قال : فتغافل عنِّي ، وأقبل عليهم ساعة ، ثم أَقبل عليّ فقال : من أَيِّ البِلادِ أَنت ؟ قلت : من أَهل البصرة ، قال : وأين تنزل منها ؟ قلت : بحضرة بني عائش الصَّوّافين ، قال : أَتعرِفُ هناك ابنَ زانية يقال له : حجّاج الصَّوّاف ؟ قلت : نَعَم تركته يَنِيكُ أُمَّ ابنِ زانيةٍ يقال له : ابنُ مُناذِرٍ ، فضَحِكَ وقام إليَّ فعانَقَني .

قال مؤلّف هذا الكِتاب : ولابن مُناذِر هجاءٌ في حجّاج الصَّوَّاف على سبيل العَبَث ، وهو قولُه : [من المنسرح]

إنَّ ادِّعــاءَ الحَجّـاجِ في العَرَبِ ... عنْـدَ ثَقِيفٍ من أَعْجَب العَجَبِ
وهـــو ابنُ زانٍ لألــف زانيـةٍ ... وأَلـف عِلْـجٍ مُعَلْهَـجِ النَّسَبِ[2]
ولــو دَعــاهُ داعٍ فقال له : ... يــا أَلأَم النَّاسِ كلِّهــم أَجِبِ
إذاً لقالَ الحجَّـــاج : لبَّيْك مِـنْ ... داعٍ دَعـاني بالحـقِّ لا الكَذِبِ

1 الخبر والشعر في طبقات ابن المعتز : 119 .
2 النسب في ل : الحسب . والمعلهج : الهجين .

ولـو دَعـاه داعٍ فقـال لـه : مَنِ المُعَلَّى في اللؤمِ ؟ قـال : أبي
أبــوه زانٍ والأُمُّ زانيــةٌ بنتُ زُنـاةٍ مَهْتُوكَةُ الحُجُبِ
تقـول : عَجِّـلْ أدْخِلْ ، لِنائِكها اترُكْه في استي إن شئْتَ أو رَكَبي
مَـنْ ناكَنِـي فيهما فأوْسَعَني رَهْـزاً دِراكاً أعطيتُـه سَلَبي
هَمٌّ حِـرِي النَّيْكُ فابتَغوا لِحِري أيْرَ حِمـارٍ أقضي بـه أرَبي
أُحِـبُّ أيـرَ الحِمـار وا بِأبي فَيْشةُ أيْـرِ الحِمـار وابـأبي
إذا رأتْـه قالـت : فديتُك يـا قُـرَّة عَيْنِـي ومُنْتَهـى طَلَبي
إذا سَمِعتُ النَّهِيقَ هـاج حِرِي شَوْقاً إليـه وهـاج لي طَرَبي
يأْخُـذُني في أسافلي وحِـرِي مِثْلُ اضْطِرام الحريـقِ في الحَطَبِ
شَكَـتْ إلى نِسْوة فقُلْـن لهـا وهي تنادي بالوَيْـلِ والحَرَبِ :
كُفِّي قَليلاً ، قالت : وكَيْفَ وبِي في جَوفِ صَدْعي كَحِكَّة الجَرَبِ
أرى أُيورَ الرِّجـال مـن عَصَبٍ ليتَ أُيورَ الرِّجـال من خَشَبِ

[يهرب من البصرة لهجاء إسكاف]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني أحمد بن محمد الرَّازيُّ أبو عبد الله ، قال : حدَّثني أبو بجير ، قال : كان ابن مُناذر يجلس إلى إسكاف بالبَصرة ، فلا يزال يهجوه بالأبيات فيصيح من ذلك ويقول له : أنا صديقُك فاتَّقِ الله وأبْقِ على الصَّداقةِ وابن مناذر يُلِحُّ . فقال الإسكاف : فإنِّي أستعِينُ اللهَ عليكِ وأتعاطى الشعر ، فلمّا أصبحَ غدا عليه ابن مُناذِر كما كان يفعل ، فأخذ يَعْبَث به ويهجوه ، فقال الإسكاف : [من الكامل]

كَثُرَتْ أُبُوَّتُه وقَـلَّ عَديـدُه ورمـى القَضاء بـه فِراشَ مُناذِرِ
عبدَ الصُّبَيْرِيِّـين لم تَـكُ شاعِراً كيف ادَّعيتَ اليومَ نِسْبَة شاعِرِ !

فشاع هذان البيتان بالبصرة ورواهما أعداؤُه ، وجعلوا يتناشَدُونَهما إذا رأَوْه ، فخرج من البصرة إلى مكّة وجاور بها ، فكان هذا سبب هربَه من البصرة .

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيُّ ، عن أبي حاتم ، قال : قال ابن مناذر : ما مرَّ بي شيء قطّ أشدَّ عليّ ممَّا مرَّ من قول أبي العَسْعاسِ فِيَّ : [من الكامل]

كَثُرَتْ أُبُوَّتُه وقَـلَّ عَديدُه ورَمى القَضاءُ به فِراشَ مُناذِرِ

انظُر بكَم صِنْفٍ قد هجاني في هذا البيت قبَّحه الله ، ثم مَنَعني من مكافأته أنّي لم أجِد له نَباهة فأغُضَّها ، ولا شرفاً فأهدِمَه ، ولا قَدْراً فأضَعَه .

أخبرني عمّي ، قال : حدّثني الكُرانيّ ، قال : حدّثني بِشْر بن دِحْيَةَ الزِّياديُّ أبو معاوية قال : سمعتُ ابن مُناذِر يقول : إنَّ الشِّعرَ ليَسْهُل عَلَيَّ حتى لو شِئْتُ ألاَّ أتكلَّم إلاَّ بشِعْرٍ لفعلت .

[برد شعره]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن ميمون طايع ، قال : حدَّثني بعض أصحابنا ، قال : رأيتُ ابنَ مناذر بمكّة وهو يتوكّأ على رجُل يمشي معه ويُنشد : [من مجزوء الوافر]

إذا ما كِدْتُ أشْكُوها إلى قَلْبي ، لها شَفَعا
ففرَّق بيننا دَهْرٌ يُفرِّق بين ما اجْتَمَعا

فقلت : إنَّ هذا لا يُشبِه شِعْرك ، فقال : إنّ شِعْري بَرَد بعدك .

[يذمّ امرأة محمد بن عبد الوهاب]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق ، قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ ، قال : حدَّثنا بعضُ أصحابنا أنَّ محمد بن عبد الوهّاب الثَّقَفيّ تزوَّج امرأةً من ثقيف يقال لها عمَّارة ، وكان ابنُ مُناذر يُعاديه ، فقال في ذلك : [من السريع]

لمّا رأيتُ القَصْفَ والشّارَهْ والبَزَّ قد ضاقَتْ به الحارَهْ
والآسَ والرَّيحانَ يُرْمى بهِ من فَوق ذي الدَّارَةِ والدَّارَهْ
قُلتُ : لِمَنْ ذا ؟ قِيلَ : أُعجوبةٌ مُحَمَّدٌ زُوِّج عَمَّارَهْ
لا عَمَّر اللهُ بها رَبْعَه فإنَّ عَمَّارَةَ بَدْكارَهْ[1]
وَيْحَكِ فِرِّي واعصُبي فاكِ لي فهذه أُختُكِ فَرَّارَهْ

قال : فوالله ما لَبِثَتْ عنده إلاّ مُدَيْدة حتى هربت ، وكانت لها أُختٌ قبلها متزوِّجة إلى بعض أهل البصرة ففركَتْه وهربت منه ، فكانوا يعجبون من موافقةِ فِعْلِها قول ابن مُناذِر .

[فشل مع خالد أبي أمية]

قال أبو أيُّوب : وحُدِّثْت أنّ أبا أُميّة واسمه خالد ، وهو الذي يقول فيه أبو نواس[2] : [من الخفيف]

1 بدكاره : بنت زنا بالفارسية .

2 لم نعثر عليهما في ديوانه (الغزالي) .

أَيّها المُقْبِــلان من حَكَمان كيــف خَلَّفْتُما أَبــا عُثْمانِ ؟
وأبــا أُمَيَّـــة المُهَــذَّب والما جِــد والمُرْتَجى لرَيْبِ الزَّمانِ

كان خطب امرأة من ثَقيف ، ثم من ولد عُثمان بن أَبي العاصي ، فردَّ عنها ، وتصدَّى للقاضي أن يُضَمِّنَه مالاً من أموال اليتامى ، فلم يُجبه إلى ذلك ، ولم يَثِق به ، فقال فيه ابنُ مناذر : [من البسيط]

أَبــا أُميَّــة لا تَغْضَبْ عليَّ فَمــا جَزاءُ ما كان فيما بيننا الغَضَبُ
إن كانَ رَدَّك قَومٌ عــــن فَتاتِهِمُ ففي كَثير مــن الخُطّابِ قد رَغِبُوا
قالوا عَلَيْكَ دُيونٌ مــا تَقومُ بها في كلِّ عام بها تُسْتَحْدَث الكُتبُ
وقــد تَقَحَّم مــن خَمْسينَ غايَتُها معْ أَنّه ذو عيالٍ بَعْدَ مــا انْشَعبُوا
وفي التي فَعَل القاضي فلا تَجِدَنْ فلَيْس في تلك لي ذَنْبٌ ولا ذَنَبُ
أردتَ أَمْــوالَ أَيتــام تُضَمِّنُها وما يُضَمَّن إلاَّ مَنْ لــه نَشَبُ

[هجاء ابن دأب]

أَخبَرني محمد بن خَلَف وكيع ، قال : حَدَّثني أَحمدُ بن زهير ، قال : سمعت إبراهيم بن المُنذر الخزاميّ يقول : بلغَ ابنَ مُناذر عن ابنِ دأْب قولٌ قبيحٌ ، قال : فدعاني ، وقال : اكتب : [من الوافر]

فمَن يَبْغِ الوَصاةَ فإنَّ عِنْدي وَصــاةً للكُهــولِ ولِلشَّبابِ
خُذُوا عَنْ مالِكٍ وعن ابْنِ عَوْنٍ ولا تَرْوُوا أَحاديثَ ابنِ دابِ
تــرى الغاوِيــن يَتَّبِعون منها ملاهِــيَ من أَحاديثٍ كِذابِ
إذا التُمِسَتْ مَنافِعُها اضمَحَلَّتْ كما يَرْفَضُّ رَقْــراقُ السَّحابِ

قال : فرُوِيَتْ ، وافْتضَح بها ابنُ دأْب . قال الحزاميّ : فلمّا قَدِمْت العراقَ وجدتُهم قد جعلوها : [من الوافر]

خُــذُوا عــن يُونُسٍ وعَنِ ابن عَوْن

[رثاء الرشيد]

أَخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا أَبو حاتِم ، قال : كان الرَّشيد قد وصل ابن مُناذر مرَّاتٍ صِلاتٍ سنيَّةً ، فلمّا مات الرَّشيد رثاه ابنُ مُناذِر فقال : [من مجزوء الكامل]

مَــنْ كان يَبْكِـي للعُلا مَلِكــاً وللهِمَمِ الشَّرِيفَهْ

فلْيَبْكِ هـارونَ الخَلِيـ ـفَةَ للخَلِيفَـة والخَلِيفَهْ

[هجاء صديقه من بني طليق]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع ، قال : حَدَّثنا أحمدُ بن أبي خَيْثَمة ، عن محمد بن سَلاَّم قال : كان محمد بن طَلِيق وسائر بني طليق أصدقاء لابنِ مُناذر ، فلمّا وَلِي المَهديُّ الخلافةَ استْقْضى خالِدَ بنَ طَلِيق ، وعَزل عُبيد الله بنَ الحسن بن الحرّ ، فقال ابن مُناذر يَهْجو خالداً مُجوناً وخُبْثاً منه[1] : [من مجزوء الرمل]

أصبـح الحاكِمُ يا لَلنّـ ـاسِ مِـن آلِ طَلِيقِ
جالِساً يَحْكُـم في النّا سِ بحُكـم الجاثَلِيقِ[2]
يـدع القَصْدَ ويَهْـوي في بُنَيّـاتِ الطَّرِيقِ[3]
يا أبـا الهَيْثَمِ مـا كنـ ـتَ لهـذا بخَلِيقِ
لا ولا كنتَ لمـا حُمِّلـ ـتَ منـه بمُطيقِ
حَبْلُـه حَبْـلُ غـرورٍ عنـده غيـرُ وَثِيقِ

قال ابن سلاّم : فقلتُ لابن مُناذِر : ويْحك إذا بلغ إخوانَك وأصدقاءَك من آل طَلِيق أنَّكَ هجوْتَهُم ما يقولون لك ؟ وبأيٍّ شيء تعتذِر إليهم ؟ فقال : لا يُصدِّقون إذا بلغهم أنّي هجوتُهم بذلك ؛ لأنـّهم يَثِقُون بي .

[عاده بنو مخزوم فمدحهم]

أخبرني الحسن بن علـيّ ، قـال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني الحسن بن عُلَيْل ، عن مسعود بن بِشْر ، قال : حدَّثنا محمد بن مُناذر ، قال : كنتُ بمكَّة فاشتكيتُ ، فلم يَعُدْني من قريش إلاّ بنو مَخْزوم وحدهم ، فقلتُ أمدَحُهم : [من المنسرح]

جاءَت قُرِيشٌ تَعودُني زُمَـراً فقد وَعـى أجرَها لها الحَفَظَهْ
ولم تَعُـدْني تَيْـمٌ وإخوتُها وزارَنـي الغُرُّ مـن بني يَقَظَهْ
لن يَبْرحَ العِـزُّ منهـمُ أبداً حتى تَزُولَ الجبالُ من قُرَظَهْ[4]

---

1 في الشعر والشعراء وطبقات ابن المعتز خمسة أبيات من هذا الشعر هي : الأول والثاني والرابع والخامس مع إضافة بيت ليس هنا : أي قاض أنت للنقض وتعطيل الحقوق

2 الشعر والشعراء والطبقات : ضحكة يحكم . . . . برأي الجاثليق . والجاثليق : رئيس الأساقفة .

3 بنيات الطريق : كناية عن الترهات .

4 قرظه : واد بين اليمن ونجد .

[ابن عائشة وداليته في عبد المجيد]

أخبرني الحسن ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن إسحاقَ بنِ محمد النخعيّ ، قال : كنّا عند ابن عائشة فقال لعبد الرحمن ابنه : أنشدني مرثيةَ ابنِ مُناذر في عبد المجيد فجعَل يُنشِدُها فكُلَّما أتى على بيت استَحْسَنه ، حتى أتى على هذا البيت : [من الخفيف]

لأقِيمَنَّ مأْتَماً كنُجُومِ اللَّيْلِ زُهْراً يَخمِشْنَ حُرَّ الخُدودِ

فقال ابن عائشة : هذا كلام لَيِّن كأنّه من كلام المُخنَّثِين ، فلمّا أتى على هذا البيت : [من الخفيف]

كُنتَ لِي عِصْمةً وكُنتَ سماءً بك تَحْيا أرضي ويَخضرُّ عُودي

فقال : هذا بَيْتُها ، ثم أُنشد : [من الخفيف]

إنَّ عبدَ المَجيدِ يوم تَوَلَّى هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ
ما دَرى نَعشُه ولا حامِلُوه ما عَلى النَّعشِ من عَفافٍ وجُودِ
وَأَرانا كالزَّرعِ يَحصُدُنا الدَّهْـ ـرُ فمِن بَيْنِ قائمٍ وحَصِيدِ

فقال ابن عائشة : أجعله زرعاً يحصدنا الله ؟ فليس هذا من كلام المسلمين ، ألا تَرى إلى قوله : إنَّه يقول : [من الخفيف]

يَحكُمُ اللهُ ما يشاءُ فَيُمْضي ليس حُكْمُ الإلهِ بالمَرْدودِ

[رثاء البرامكة وغضب الرشيد عليه]

أخبرني محمد بن يَحْيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثني محمد بن مُوسى ، ولم يتجاوزه بالإسناد .

ونَسخْتُ هذا الخبرَ من كتاب ابن أبي مَرْيم الحاسب : حدَّثني ابنُ القدّاح ، وعبدُ الله بن إبراهيم بن قُدامة الجُمَحيّ ، قالا : حدَّثنا ابن مُناذِر ، قال : حجَّ الرَّشيدُ بعد إيقاعه بالبرامكة وحجَّ معه الفضل بن الرّبيع ، وكنتُ مُضيَّقاً مُملِقاً ؛ فهيَّأْتُ فيه قولاً أجدتُ تَنميقَه وتنوَّقتُ فيه ، فدخلتُ إليه في يوم التَّرْوِية وإذا هو يسأل عنّي ويطلُبني . فبدَرني الفضلُ بن الرَّبيع قبل أن أتكلّم ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذا شاعرُ البرامكة ومادحهم ؛ وقد كان البِشْر ظهر لي في وجهه لَمّا دخلتُ ، فتنكَّر وعبس في وجهي ، فقال الفَضْلُ : مُرْه يا أمير المؤمنين أن يُنْشِدك قوله فيهم :

أتانا بَنُو الأملاكِ من آلِ بَرْمك

فقال لي : أنشِد ، فأبيتُ ، فتوعَّدَني وأُكرهَني ، فأنشدته[1] : [من الطويل]

أتانـا بَنو الأَملاكِ مـن آلِ بَرْمَكٍ فيا طيبَ أخبارٍ ويا حُسْن مَنْظَرِ
إذا ورَدوا بطحاء مكّـةَ أشرقت بيَحْيى وبالفضلِ بن يحيى وجَعْفَرِ[2]
فتُظلِمُ بَغدادٌ ويَجْلُـو لنا الدُّجى بمكّـةَ مـا حجّوا ثلاثـةُ أَقْمُرِ[3]
فما صلَحت إلاّ لِجُـودِ أكُفُّهم وأَرجلُهـم إلاّ لأعـوادِ مِنْبَرِ[4]
إذا راضَ يحيى الأَمرَ ذَلَّتْ صِعابُه وحَسبُكَ مِـنْ راعٍ لـه ومُدَبِّرِ[5]
تَرى الناسَ إجلالاً لـه وكأنّهم غرانِيقُ ماءٍ تحت بـازٍ مُصَرْصِرِ[6]

ثم أتبعتُ ذلك بأن قلت : كانوا أولياءكَ يا أميرَ المؤمنين أيّامَ مدَحْتُهم ، وفي طاعتك لم يلْحقهم سُخطُك ولم تَحلُل بهم نِقْمتُك ، ولم أكُن في ذلك مبتدِعاً ، ولا خَلا أحدٌ من نُظَرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلَّني فضلُهم ، وأغناني رِفدُهم فأثنيتُ بما أَوْلَوا ، فقال : يا غلام ، الطُمْ وجهَه ، فلُطِمْتُ والله حتى سَدِرتُ[7] وأُظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، ثم قال : والله لأحرمَنَّك ولا تركتُ أحداً يعطيك شيئاً في هذا العام . فسُحِبت حتى أُخرِجت ، وانصرفتُ وأنا أسوأ الناسِ حالاً في نفسي وحالي وما جرى عليَّ ، ولا والله ما عندي ما يُقيم يومئذٍ قُوتَ عِيالي لعيدهم ؛ فإذا بشابٍّ قد وقف عليّ ، ثم قال : أعزِزْ عليّ واللهِ يا كبيرَنا بما جرى عليك ، ودفع إليّ صُرَّةً وقال : تَبلَّغْ بما في هذه ، فظننتها دراهم فإذا هي مائةُ دينار ، قال الصوليُّ في خبره : فإذا هي ثلاثمائة دينار ، فقلت له : مَن أنتَ جعلني الله فداءك ! قال : أنا أخوك أبو نُواس ، فاستعِن بهـذه الدنانير واعذِرْني ، فقَبِلتُها ، وقلت : وصلَك اللهُ يا أخي وأحسنَ جزاءَك .

[جعفر يكافئه على القراءة]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسَن الرَّبيعيّ ،

---

1 في معجم الأدباء ثلاثة أبيات منها : 3 ، 2 ، 4 . وفي طبقات ابن المعتز أربعة أبيات : 1 ، 3 ، 4 ، 5 . وبعد الأول بيت آخر :

لهم رحلة في كل عام إلى العدا وأخرى إلى البيت العتيق المستر

2 الطبقات : إذا نزلوا . . .
3 معجم الأدباء : ستظلم بغداد . . . ثلاثة أبحر .
4 الطبقات ومعجم الأدباء : فما خلقت . . . وفي الطبقات : أقدامهم بدل أرجلهم .
5 الطبقات : إذا رام . . . . وناهيك . . . .
6 الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو طائر مائي . ومصرصر : مصوت .
7 سدرت : تحيرت .

قال : حدَّثنا أبو مُعاوية الغلابيّ ، قال : قال سُفْيان بن عُيَيْنة : كلَّمني ابنُ مُناذِر في أن أُكلِّم له جعفرَ بن يحيى ، فكلَّمتُه له ، وقد كان ابنُ مُناذِر ترك الشِّعر ، فقال : إن أحبَّ أن يعود إلى الشِّعر أعطيتُه خمسين ألفاً ، وإن أحبَّ أن أُعطِيَه على القراءة أعطيتُه عشرة آلاف ، فذكرتُ ذلك له ، فقال لي : خُذْ لي على القراءة ، فإنِّي لا آخذ على الشِّعر وقد تركتُه .

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ ، عن الرِّياشيّ ، قال : قال العُتبيُّ : جاءت قصيدة لا يُدْرَى مَن قائِلُها ، فقال ابنُ مناذر : [من الرمل]

هَــذِه الدَّهماءُ تَجري فِيكمُ ... أُرْسِلَتْ عَمْـداً تَجُـرُّ الرَّسَنا

[ألفة الرشيد ويحيى]

قال الكُرَّانيّ : وحدَّثني الرِّياشيّ قال : سمعت خَلَف بن خليفة يقول : قال لي ابنُ مُناذِر : قال لي جعفرُ بن يحيى : قُلْ فيَّ وفي الرّشيد شعراً تَصِف فيه الأُلفة بيننا فقلت : [من الكامل]

قد تُقطَع الرَّحِمُ القريبُ وتُكفَر النُّعمى ... ولا كَتَقــارُبِ القَلْبَــين

يُدْني الهَـوى هــذا ويُدْني ذا الهَوى ... فإذا هُمـا نَفْسٌ تُــرى نَفْسَيْنِ

قال مؤلِّف هذا الكتاب : هذا أخذه من كلام رسول الله ﷺ نَقْلاً ؛ فإن ابن عُيَيْنَة روى عن إبراهيم بن مَيْسرَة ، عن طاوس ، عن ابن عبّاس : أنّ النبيّ ﷺ قال : «إنّ الرّحم تُقْطَع ، وإنّ النّعم تكفَر ، ولن تُرى مثلَ تقاربِ القلوب» .

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا العبّاس بن ميْمُون ، قال : حدَّثنا سليمان الشَّاذكونيّ قال : كنّا عند سُفْيان بن عُيَيْنة ، فحدَّث عن ابن أبي نُجيح ، عن مُجاهد ، في قوله عزّ وجلّ : ﴿قالوا سَلاماً﴾ [1] قالوا سَداداً ، قال : فقال ابن مُناذِر وهو إلى جَنْبي : التنزيلُ أبينُ من التفسير .

[شعره وشعر أبي حيّة النميريّ]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن أبي حاتم ، عن العُتْبيِّ ، عن أبي مَعْبد قال : مرَّ بنا أبو حيَّة النُّميريّ ونحن عند ابن مُناذِر ، فقال لنا : عَلامَ اجتمعتم ؟ فقلنا : هذا شاعر المِصْر ، فقال له : أنشدني ، فأنشده ابنُ مُناذر ، فلمّا فرغ ، قال له أبو حَيَّة : ألم أقل لك : أنشدني ؟ فقال له : أنشدنا أنتَ يا أبا حَيَّة ، فأنشدهم قوله : [من الطويل]

ألا حَـيَّ من أجْلِ الحَبيبِ المَغانِيا ... لَبِسْنَ البِـلى مِمّا لَبِسْنَ اللَّياليا

إذا مـا تَقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ... تَقاضاه شيءٌ لا يَمـلُّ التَّقاضِيا

فلمّا فرغ ، قال له ابن مُناذِر : ما أرى في شعرك شيئاً يُستَحْسن ، فقال له : ما في شِعْري

1 سورة الذاريات ، الآية : 25 . سورة هود ، الآية : 69 .

شيءٌ يُعاب إلاّ استماعك إيّاه ، فكادا أن يتَواثبا ، ثم افترقا .

[هجاء قاضي البصرة وأميرها]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني الكرّانيّ ، عن ابن عائشة قال : ولِيَ خالدُ بن طليق القضاء بالبصرة ، وعيسى بنُ سُليمان الإمارة بها ، فقال محمد بنُ مناذِر يهجوهما بقوله : [من السريع]

الحمـــدُ لله عـــلى مـــا أرى خالـــدٌ القاضي وعيسى أميرْ
لكـــنّ عيسى نوكُـــه ساعـــة ونـــوكُ هـــذا مَنْجَنُونٌ يَدُورْ[1]

[شيروَيه عبد إن غضبنا وإن رضينا]

وقال في شِيرَوَيْه الزِّيادِيّ ، وشيرَوَيْه لقب ، واسمه أحمد ، وسأله حاجةً ، فأبى أن يقضيَها إلاّ على أن يمدحَه : [من الخفيف]

يـــا سَمـــيَّ النَّبـــيِّ بالعَرَبِيَّهْ وسَمِـــيَّ اللّيُـــوثِ بالفارِسِيَّهْ
إن غَضِبْنا فأنْتَ عَبْدُ ثَقِيفٍ أو رَضِينـــا فأنـــتَ عبـــدُ أُمَيَّهْ

فغضب شيرَوَيْه وجعل يَشتُمه ، وشاع الشِّعرُ بالبصرة ، فكان بعد ذلك إذا قيل لِشِيرَوَيْه : ابن مُناذر عليك غضبان أو عنك راض ، يَشتُم مَنْ يقول له ذلك .

[رثاء سفيان بن عيينة]

أخبرني الحسَنُ بنُ القاسم الكوكبيّ قال : حدَّثنا ابنُ أبي الدنيا قال : سمعتُ محمد بن قُدامة الجوهريّ يقول : سمعتُ سُفيان بن عُيَيْنة يقول لمحمد بن مُناذِر : كأنَّك بي قد مِتُّ فرَثَيْتَني ، فلمّا مات ، قال ابنُ مُناذِر يرثيه[2] : [من السريع]

إنَّ الذي غُـــودِرَ بـــالْمُنْحَنى هَـــدَّ مـــن الإسلامِ أرْكانا
راحـــوا بسُفيـــانَ على نَعْشِهِ والعِلـــمِ مَكسُوَّيْـــنِ أكفانا
لا يُبعِدَنْـــك اللهُ من هالِـــكٍ وَرَّثتَنـــا عِلْمـــاً وأحـــزانا

[ابن مُناذِر اللغويّ]

أخبرنا عمِّي ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد ، قال : حدَّثنا عبد الله بن مروان بن معاوية الفزاريّ ، قال : حدَّثنا سُفيان قال : سَمِعتُ أعرابيَّةً تقول : مَنْ يشتري منّي الحَزاة ؟ فقلت لها : وما الحَزاة ؟ قالت : تشترِيها النِّساء للطَّشَّة والخافِية والإقلات . قال عبد الله بنُ مروان : فسألتُ ابنَ مُناذر عن تفسير ذلك ، فقال : الطَّشَّة : وجع يصيب الصِّبيان في

1 النوك : الحمق . والمنجنون : الدولاب .
2 تقدمت هذه الأبيات مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

رؤوسهم كالزُّكام . والخافِية : ما خَفِي من العِلَلِ المنسوبة إلى أُذى الجنّ . والإقلاتُ : قِلّة الولد . وأنشدني ابن مُناذِر بعَقِب ذلك[1] : [من الوافر]

بُغـاثُ الطَّيْر أَكثرُهـا فِراخاً وأُمُّ الصَّقْر مِقْـلاتٌ نَـزُورُ

أي قليلة الفِراخ .

أخبرني محمد بنُ الحسَن بن دُرَيْد ، قال : حدَّثني أَبو حاتِم ، قال : سمعتُ محمد بن مُناذِر يقول : العذراءُ : البتولُ ، والبتُورُ والبَتيلُ واحد ، وهي المنقَطِعة إلى ربِّها .

قال : وسأله ، يعني ابن مُناذر ، أبو هُرَيرة الصَّيْرفيّ بحضْرتي فقال : كيف تَقول : أمّا لا أو إمّا لا ؟ فقال له مُستَهْزِئاً به : أمّا لا[2] ، ثم التفت إليَّ فقال أَسمعتَ أعجبَ من هذه المسألة ؟

أخبرني الحسَن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني العبّاس بنُ الفضل الرَّبعيّ قال : حدَّثنا التَّوَّزيُّ قال : سألتُ أبا عُبيدة عن اليوم الثاني من النَّحْر : ما كانت العرب تُسَمِّيه ؟ قال : ليس عِندي من ذلك علم . فلقِيتُ ابن مناذر بمكّة ، فأخبرتُه بذلك ، فعَجِب وقال : أيسقُط هذا عن مِثْل أبي عُبَيْدة ! هي أربعة أيّام مُتواليات كلّها على الرّاء : أوّلها يوم النَّحْر ، والثّاني يوم القَرّ ، والثّالث يوم النَّفْر ، والرّابع يوم الصدر . فحدَّثتُه ، يعني أبا عُبَيدة ، فكتَبَه عن ابن مُناذر . وقد روى ابنُ مناذر الحديث المسند ، ونقَله عنه المُحدِّثون .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا الخَليل بن أَسد ، عن محمد بن مسعدة الدّارع أبي الجَهْجاء ، قال : حدَّثني محمَّد بن مناذر الشّاعر ، قال : حدَّثني سُفيان الثّوري ، عن الأغرّ ، عن وَهْب بن مُنبِّه ، قال : كان يقال : الحياءُ من الإيمان ، والمِذى ، مكسور الميم مقصور ، من النِّفاق ؛ فقلت : إنّ الناسَ يقولون : المذاء ، فقال : هو كما أَخبرتك ، فقلت له : وما المِذا ؟ قال : اللِّينُ في أمرِ النِّساء ، ومنه دِرْعٌ ماذيّ ، وعَسَلٌ ماذيّ .

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه . قال : حدَّثني إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد ، قال : حدَّثني حامد بن يحيى البلخيّ ، قال : حدَّثني محمد بن مناذر الشاعر ، قال : حدَّثني يحيى بن عبد الله بن مُجالد ، عن الشَّعبيّ ، عن مَسروق ، عن عبد الله ، قال : لَمَّا نظرَ رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القَتْلى وهم مُصرَّعُون ، قال لأبي بكر : «لو أنَّ أبا طالب حَيٌّ لعلم أنّ أسيافَنا قد أخذت بالأماثل» ، يعني قولَ أبي طالب : [من الطويل]

كذبتُم وبَيْتِ الله إن جَدَّ مـا أَرى لَتَلْتَبِسَنْ أَسيافُنـــا بالأماثِـــلِ

---

1 هـذا البيت من قطعة تنسب إلى العباس بن مرداس السلميّ وتنسب إلى غيره . انظر ديوان العباس 58–59 .

2 تقول : افعل هذا إما لا ، أي إذا كنت لا تفعل غيره .

أخبرني محمد بن خلَف قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ ، قال : حدَّثنا ابن مناذر ، قال : حدَّثنا سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : قال عليٌّ عليه السلام : «ما قام بي من النِّساء إلاّ الحارِقة أسماء» . قال ابن مناذر : الحارقَة : التي تُجامَع على جَنْب .

أخبرني محمّد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ ، عن العبّاس بن عبد الواحد ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن مناذر ، عن سُفيان بن عُيَينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن أبي هريرة ، قال : جاء الشيطانُ إلى عيسى ، قال : ألستَ تزعمُ أنّك صادق ؟ قال : بلى ، قال : فأوفِ على هذه الشّاهقة ، فألقِ نفسَك منها ، فقال : ويلك ، ألَم يَقُل الله : يا ابن آدم ، لا تَبلُني بهلاكِك ، فإنّي أفعلُ ما أشاء .

[رقعته إلى غلام في المسجد]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : نظر محمد بن منافر إلى غلام حسَنِ الوجه في مسجد البصرة ، فكتب إليه بهذه الأبيات : [من السريع]

وجدتُ في الآثارِ في بَعْضِ ما ... حَدَّثنــا الأشيـاخُ في المُسْنَدِ
مِمّا رَوى الأعمَشُ عن جابرٍ ... وعامــرِ الشَّعْبِــيّ والأسودِ
ومــا روى شُعْبَةُ عن عاصمٍ ... وقالــه حَمّــاد عــن فَرْقَدِ
وصيَّةٌ جــاءَت إلى كُلِّ ذي ... خــدٌ خَــلا من شَعَرٍ أسودِ
أن يَقبَلُوا الرّاغب في وَصْلِهم ... فاقْبَلْ فإنّــي فيـك لم أزْهَدِ
نَوِّلْ فكَــمْ من جَمْرَةٍ ضَمّها ... قَلبِــيَ مــن حُبِّيكَ لم تَبْرُدِ

فلمّا قرأها الفَتى ضَحِك ، وقَلب الرُّقْعة ، وكتب في ظهْرها : لستُ شاعراً فأجيبَك ، ولا فاتِكاً فأُساعِدَك ، وأنا أعوذُ بالله رَبّك من شَرّك .

[بينه وبين أبي العتاهية (رواية أخرى)]

أخبرني محمد بن عُمران الصّيْرفيّ ، قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الله العَبْدِيّ ، قال : حدَّثنا عليّ بن المبارك الأحمر ، قال[1] : لَقيَ أبو العتاهية ابنَ مناذرَ بمكّة ، فجعل يُمازحه ويُضاحكه ، ثم دخلَ على الرَّشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا ابن مُناذر شاعرُ البصرة يقول قصيدة في سنَة ، وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة . فقال الرشيد : أدخِلْه إليَّ ، فأدخلَه إليه وقَدَّرَ أنّه يضعه عنده . فدخلَ فسلَّم

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 297 .

ودعا ، فقال : ما هذا الذي يَحْكِيه عنك أبو العتاهية ؟ فقال ابن مُناذر : وما ذاكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : زعم أنّك تقولُ قصيدةً في سنة ، وأنّه يقول كذا وكذا قصيدة في السَّنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كنتُ أقول كما يقول : [من الهزج]

ألا يـا عُتْبَـةَ السَّاعهْ أموتُ السَّاعَةْ السَّاعَةْ

لقلتُ منه كثيراً ، ولكنّي الذي أقول : [من الخفيف]

إنَّ عبـدَ المَجيـدِ يـوم تَوَلَّى هَـدَّ رُكْناً مـا كان بالمَهْدُودِ
مـا دَرى نَعْشُه ولا حامِلُوه ما عَلى النَّعْشِ من عَفافٍ وجُودِ

فقال له الرشيد : هاتِها فأنشِدْنيها ، فأنشده ؛ فقال الرشيد : ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلاّ في خليفة أو وليّ عهد ، ما لها عَيْبٌ إلاَّ أنّكَ قُلتها في سُوقَة ، وأمر له بعشرة آلاف دِرهم ، فكاد أبو العتاهية يموت غَمّاً وأسَفاً .

[يحيى بن معين يذمّه]

أخبرني الحسَن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا إبراهيم بن الجُنيد قال : سألتُ يَحيى بن معين ، عن محمد بن مُناذر الشاعر ، فقال : لم يكن بثقةٍ ولا مأْمون ، رجلِ سَوْءٍ نُفِي من البَصْرة ؛ ووصفه بالمُجون والخَلاعة ؛ فقلت : إنّما تكتُب شِعْرَه وحِكاياتٍ عن الخَليل بن أحمد ، فقال : هذا نَعَم ، وأمّا الحديثُ فلستُ أراهُ مَوضِعاً له .

[وفاته بعد العمى]

أخبرني الحَسَن ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه : قال : حدَّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال : رأيتُ ابنَ مُناذر في الحجّ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومائة ، قد كُفّ بصرُه ، تَقودُه جُوَيْرِيّة حُرَّة ، وهو واقف يشتري ماء قِرْبة ، فرأيته وَسِخ الثّوْب والبدَن ، فلمّا صرنا إلى البصرة أتتنا وفاتُه في تلك الأيّام .

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاق قال : حدَّثنا خلاّد الأرقط قال : تذاكرنا ابنَ مناذِر في حَلْقة يُونُس ، فقدح فيه أكثرُ أهل الحَلقة ، حتى نسبوه إلى الزَّنْدَقة ؛ فلمّا صِرْت في السَّقيفة التي في مُقَدَّمِ المسجِد سَمِعْتُ قراءة قريبة من حائط القِبْلة ، فدنوتُ فإذا ابنُ مُناذِر قائمٌ يُصَلّي ، فرجعت إلى الحلقة ، فقلتُ لأهلها : قُلتُم في الرجل ما قُلتم ، وها هُوذا قائمٌ يُصلّي حيث لا يراهُ إلاّ الله عزَّ وجلَّ .

[مع أبي خيرة]

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ النَّحْويّ قال : حدَّثنا أحمد بنُ القاسم البرقيّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بن يعقوب ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ يَحيى الهُذَليّ التَّمّارُ ، عن عبد الله بن عبد

الصَّمَد الضبِّيّ قال : كنَّا يوماً جلوساً في حَلْقة هُبَيرة بن جرير الضَّبِّيّ إذ أَقبل مُحمد بن مُناذر في بُرْد قد كسَته إيّاه بانةُ بنت أبي العاصي ، فسلَّم عليَّ وحدي ، ولم يعرف منهم أحداً ، ثم قام فجلَس إلى أَبي خَيْرَة ، فخاطبه مُخاطبة خفيفة ، وقام مُغضَباً ؛ فقال لي هُبَيرة : مَنْ هذا ؟ فقلتُ ، محمد بن مُناذر : فقال : إنّا للهِ ! قومُوا بنا ؛ فقام إلى أبي خَيْرة ، فقال له : ماذا قال لك ابنُ مُناذِر ؟ قال : سألني عن شيء وكنتُ مَشْغولاً عنه فقال : يا أَبا خَيْرة إنّ العشائر تَغْبِطُنا[1] لعِلْمِك ، وما جعل اللهُ عندك ، فنشَدْناك اللهَ أن تكون لنا ، كما كان عَرادَةُ لبني نُمَير ، فإنّه تعرَّض لجرير فهَجاه فعمَّهُمْ فقال[2] : [من الوافر]

عَرادَةُ من بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ ... أَلا تَبّـاً لِما فَعَلوا تَبابا

أَتدْري مَنْ كان عندَك آنفاً ؟ قال : لا ، قال : ابنُ مُناذِر ، وما تعرَّضَ لأَعراض قوم قطّ إلاّ هتكَها وهتَكهم ، فإذا جاءَك يسأَلك عن شيء فأجبه ، ولا تعتلّ عليه بالبول ، ولا تطلب منه شيئاً ، وكلّ ما أَردْت من جهته ففي مالي . قال : أفعَلُ . قال : وكان أبو خَيْرة إذا سألَه إنسان عن شيء ولم يُعطه شيئاً يَعْتلّ عليه بالبول . فما شعرنا من غد إلاّ بابن مُناذر وقد أقبل ، فعَلِمنا أنّه قصدَ أبا خَيْرة ، فأتيْناه ، فلمّا رأى جمعَنا استحيا منّا ، وسلَّم علينا وتبسَّم ، ثم قال : يا أَبا خَيْرة : قد قُلتُ شِعراً ، وقبيحٌ بمثلي أن يُسأَل عنه فلا يدري ما فيه ، وإنِّي ذكَرتُ فيه إنساناً فشَبَّهتُه بالأَفّار ، فأيّ شيء هو ؟ فاحمرَّ وَجْه أبي خَيْرة واضْطرب ، وقال : هو التَّيْسُ الوثّاب الذي يَنْزو وقضيبُه رِخْو فلا يَصِل ، فقال : جُزيتَ خيراً . ووثب وهو يضحك ، فقُمْنا إليه وقلنا : قد عِلمنا أَنَّك عنيتَ هذا الشيخ ، فإن رأيت أن تهَبه لنا فافْعَل ، فإنَّه شيخُنا . قال : واللهِ ما عَنيتُ غيرَه ، وقد وهَبْتُه لكم وكرامةً ، والله لا يسمع منّي أحدٌ ما قلتُ فيه ، ولا أذكره إلاّ بخير أبداً ، وإن كان قد أساءَ العِشْرة أمس .

صوت[3]

[من البسيط]

لا زلتَ تَنشُرُ أَعياداً وتَطْويها ... تمضي بها لَكَ أَيّامٌ وتُمْضيها

ولا تَقضَّت بِكَ الدُّنيا ولا بَرِحَتْ ... تَطوِي لك الدَّهرَ أَيّاماً وتُفْنيها

الشعر لأشجَع السُّلَميّ ، والغناء لإبراهيم المَوْصليّ ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر ، وفيه لمحمد قريض لحن من الثقيل الأوّل ، وهو من مشهور غنائه ومختاره .

1 ل : تعظمنا .

2 البيت في النقائض : 443 ولم يرِد في ديوانه (صادر) .

3 البيت الأول مع أبيات أخرى في الشعر والشعراء : 759 وطبقات ابن المعتز : 252 .

[390] ـ نسب أَشجع وأَخباره[1]

أَخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ والحسن بن عليّ قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني عليّ بن الفَضْل السّلميَ ، قال : كان أَشجَعُ بن عمرو السلميُّ يُكنى أَبا الوليد من ولد الشَّرِيد بن مطْرود السلميّ ، تزوَّج أَبوه امرأة من أَهل اليمامة ، فشخَص معها إلى بلدها فولدت له هناك أَشْجَع ، ونشأ باليمامة ؛ ثم مات أَبوه ، فقَدِمتْ به أُمّه البصرة تطلب ميراث أَبيه ، وكان له هناك مال فماتَت بها . وربِّي أَشْجَع ونشأ بالبصرة ، فكان مَنْ لا يعرفُه يَدْفع نسبَه ، ثم كَبِر وقال الشّعر وأَجاد وعُدّ في الفحول . وكان الشّعر يومئذٍ في ربيعةَ واليمن ، ولم يكنْ لقيس شاعر معدود ، فلمّا نجم أَشجع وقال الشعر ، افتخرت به قيس وأَثبتت نسبه ، وكان له أَخوان : أَحمدُ وحُرَيْث ابنا عمرو ؛ وكان أَحمد شاعراً ولم يكُن يُقارِب أَشْجَع ، ولم يكن لحُرَيْث شِعْر . ثم خرَج أَشجع إلى الرَّقَّة والرَّشيد بها ، فنزل على بني سُلَيم فتقبَّلوه وأَكرمُوه ، ومدح البرامكة وانقطَع إلى جَعفر خاصَّة وأَصفاه مَدْحه ، فأُعجِبَ به ووصله إلى الرشيد ، ومدَحه فأُعجِب به أَيضاً ، فأَثْرى وحَسُنَت حالُه في أَيَّامِه وتقدَّم عنده .

[خاف أن تدركه الصلاة فابتدأ بالمدح]

أَخبرني محمد بن عِمْران ، قال : حدَّثني العَنَزيّ ، قال : حدَّثني صَخْر بن أَسد السُّلميّ قال : حدَّثني أَبي أَسدُ بن جَديلة قال : حدَّثني أَشجَعُ السُّلَميّ قال[2] : شَخَصت من البصرة إلى الرَّقَّة ، فوجدت الرشيد غازياً ، ونالَتْني خلّة ، فخرجتُ حتى لَقِيتُه مُنصرِفاً من الغَزْو ، وكنت قد اتَّصلتُ ببعض أَهل داره ، فصاح صائحٌ ببابه : مَنْ كان هاهنا من الشعراء فلْيحضر يوم الخميس ، فحضَرنا سبعة وأَنا ثامنهم ، وأُمِرنا بالبُكور في يوم الجمعة ، فبكَّرنا وأُدخِلنا ، وقُدِّم واحدٌ واحدٌ منّا يُنشِد على الأَسنان ، وكنتُ أَحدثَ القومِ سِنّاً ، وأَرثَّهم حالاً ؛ فما بُلِغ إليَّ حتى كادت الصلاة أن تَجِب ، فقُدِّمت والرَّشيد على كرسيّ ،

1 ترجمة أشجع السلمي في الشعر والشعراء : 757–762 وطبقات ابن المعتز : 250–253 وتهذيب ابن عساكر 3 : 59–63 وخزانة البغدادي 1 : 296–299 وتاريخ بغداد 7 : 45 ومعاهد التنصيص 4 : 62 وشرح الحماسة للتبريزي 2 : 169 وأوراق الصولي (قسم أخبار الشعراء) : 74–137 وهو يتفق مع نص أبي الفرج في كثير من المواضع . وقد جمع د . خليل الحسون شعره مع دراسة له (دار المسيرة ، بيروت ـ 1981) .

2 انظر أوراق الصولي : 75–76 وديوانه : 187 .

وأصحابُ الأعمدة بين يديه سِماطان[1] ، فقال لي : أَنشِدني ، فخِفْتُ أن أبتدىء من أوَّل قصيدتي بالتَّشْبِيبِ فتَجب الصلاة ويفوتُني ما أردْت ، فتركتُ التَّشْبيب وأنشدتُه من موْضع المديح في قصيدتي التي أوّلها : [من الطويل]

تذكَّــر عهــدَ البيضِ وهو لها تِرْبُ ... وأيَّام يُصبي الغانياتِ ولا يصبُو

فابتدأتُ قولي في المديح :

إلى مَلِكٍ يَستغرِقُ المــالَ جُــودُه ... مكارِمُــه نَثْــر ومَعْروفُــه سَكْبُ
وما زالَ هارونُ الرِّضا بنُ مُحمَّد ... له من مياهِ النَّضْر مَشْرَبُها العَذْبُ
متــى تَبلُــغ العِيسُ المَراسيلُ بابَه ... بنا فهناك الرُّحبُ والمنزِلُ الرَّحْبُ
لقد جُمِعت فيكَ الظُّنون ولم يكن ... بغيرك ظَــنٌّ يستَرِيح لــه القَلْبُ
جَمعتَ ذَوِي الأَهواء حتى كأنَّهُم ... على مَنهجٍ بَعْــد افتراقِهِــم رَكْبُ
بَثَثْتَ عــلى الأعــداء أبناء دُرْبَةٍ ... فلم يَقِهِم منهم حُصونٌ ولا دَرْبُ
ومــا زِلــتَ تَرْميهم بهم مُتَفَرِّداً ... أَنيساكَ حَزْمُ الرَّأْيِ والصّارِمُ العَضْبُ
جَهَدْتُ فلم أُبلــغ عُلاكَ بمِدْحَةٍ ... وليس على مَنْ كان مُجتهِداً عَتْبُ

فضحِك الرشيد وقال لي : خِفْتَ أن يفوتَ وقْتُ الصلاة فَينْقَطِع المديح عليك ، فبدأتَ به وتركت التَّشْبيبَ ، وأمَرني بأن أُنشِدَه التَّشْبيبَ فأَنشدته إيّاه ، فأمر لكُلٍّ واحدٍ من الشُّعراء بعشرة آلاف دِرهم وأمر لي بضِعْفِها .

[الرشيد يستحسن شعره]

أَخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عُمَر بن شبَّة ، قال : حدَّثني أَحمدُ بن سَيّار الجُرْجانيّ وكان راوية شاعراً مدَّاحاً ليزيدَ بن مَزْيد ، قال[2] : دخلْتُ أنا وأَشْجَع والتَّيْميّ ، وابن رَزِين الخراسانيّ على الرشيد في قصرٍ له بالرقَّة ، وكان قد ضرب أعناقَ قوم في تلك الساعة ، فجعلنا نتخلَّل الدِّماء حتى وصلنا إليه ، فأنشده أبو محمّد التَّيْميّ قصيدة به يذكر فيها نِقْفُور ووقعته ببلاد الرُّوم ، فنَثَر عليه مثلَ الدّرّ من جَوْدة شعره ، وأنشدَه أَشْجَع قولَه[3] : [من الكامل]

قَصْــرٌ عليــه تَحيَّـــةٌ وسَلامُ ... أَلقَــتْ عليــه جَمالَهــا الأيَّامُ

---

1 السماط : الصف .
2 انظر الخبر والشعر في أوراق الصولي 76–77 ، 122 .
3 ديوانه : 252–253 .

قَصُرتْ سُقوفُ المزن دُونَ سُقُوفِه فيـه لأَعـلام الهُـدى أَعلامُ
تُثنـي علـى أَيَّامِـك الأَيَّامُ والشاهِـدانِ الحِـلُّ والإحْـرامُ
أدنتـك مـن ظلِّ النبيِّ وصيّة وقرابـةٌ وشَجَت بهـا الأَرحامُ
برقت سماؤك في العدو وأَمطرت هاماً لهـا ظـلّ السيوفِ غمامُ
وإذا سيوفك صافحت هام العِدى طارت لهـنَّ عـن الرؤوس الهامُ
وعلى عَدُوّك يـا ابن عَمِّ مُحمَّد رَصَدانِ ضـوءُ الصُّبحِ والإظلامُ
فـإذا تَنَبَّـه رُعْتَـه وإذا غَفـا سَلَّت عليـه سيُوفَـك الأَحْلامُ

وأنشدتُه أنا قَولي :

زَمَنٌ بأعْـلى الرَّقْمَتَيْن قَصِير

حتى انتهيتُ إلى قَوْلي : [من الكامل]

لا تَبعَدِ الأَيَّامُ إذ وَرَقُ الصِّبا خَضَلٌ وإذ غَضُّ الشبابِ نضيرُ

فاستحسَن هذا البيت ، ومضيْتُ في القصيدة حتى أتممتها ، فوجَّه إليَّ الفضلُ بن الربيع : أنفِذ إليَّ قصيدتَك ، فإنِّي أُريد أن أُنشِدَها الجواري من استحسانه إيّاها .

قال : وركب الرشيد يوماً قُبَّةً وسعيدُ بنُ سالم معه في القُبَّة ، فقال : أين محمد البَيْذَق ؟ وكان رجلاً حسن الصَّوْت يُنشد الشعرَ فيُطرب بحُسْن صوته أشدَّ من إطْراب الغناء . فحضر ، فقال : أنشدْني قصيدة الجُرْجانيّ ، فأنشدَه ، فقال : الشِّعْرُ في ربيعةَ سائر اليوم ، فقال له سعيدُ بنُ سالم : يا أميرَ المؤمنين ، استَنْشِده قصيدةَ أَشْجَع بنِ عمرو ، فأبى ، فلم يزل به حتى أَجابَ إلى استماعها ، فلمّا أنشدَه هذين البيتين : [من الكامل]

وعلى عَدوِّكَ يا ابْنَ عَمِّ مُحمَّد

والذي بعده ، قال له سعيدُ بن سالم : والله يا أَميرَ المؤمنين ، لو خَرِس بعد هذين لكان أَشعرَ الناس .

أُخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أبي ، قال : بلَغني أَنَّ أَشْجَع لمّا أُنشد الرَّشيد هذين البيتين : [من الكامل]

وعلى عَدوِّك يا ابْنَ عَمِّ مُحمَّدِ

والذي بعده ، طَرِب الرشيد ، وكان مُتَّكِئاً فاستوى جالساً ، وقال : أحسنَ والله ، هكذا تُمدَح الملوك .

أخبرني أحمدُ بن إسحاق العسكريّ ، والحسنُ بنُ عليّ ، قالا : حدَّثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهليّ ، عن أبيه ، قال[1] : كنتُ عند الرشيد ، فدخل إليه أشْجع ، ومنصورٌ النَّمريّ ، فأنشده أشْجَع قولَه : [من الكامل]

وعلى عَدُوِّك يـا ابنَ عَمِّ مُحمَّدٍ رَصَدانِ ضوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فـإذا تَنَبَّـه رُعتَـه وإذا غفـا سلَّت عليـه سيوفَـكَ الأحلامُ

فاستَحْسَنَ ذلك الرشيد ، وأومأتُ إلى أشجَع أن يَقْطَع الشِّعر ، وعلمت أنَّه لا يأتي بمِثْلِهما ، فلم يفعل . ولما أنشدَه ما بعدَهما فتَر الرشيد وضَرَب بمِخْصرةٍ كانت بيده الأرضَ ، واستنشَدَ منْصوراً النَّمريّ ، فأنشده قوله[2] : [من البسيط]

ما تَنْقَضي حَسْرَةٌ مِنِّي ولا جَزَعُ إذا ذَكَـرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ

فمرَّ واللهِ في قصيدة قَلَّ ما تقولُ العربُ مثلَها ، فجعل الرشيد يضرب بمِخْصَرته الأرض ويقول : الشِّعر في ربيعةَ سائر اليوم ، فلمّا خرجنا قلت لأشجع : غَمزْتُك أن تَقْطَع فلم تفعل ، ويلك ! ولم تأتِ بشيء ، فهلاً مِتَّ بعد البيتين أو خَرِسْت ، فكنتَ تكون أشعَر النّاس .

[مدح جعفر بن يحيى]

أخبرني حبيب بن نَصْر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا هارون بنُ محمد بن عبد الملك الزّيّات قال : حدَّثني مُوسى بنُ عيسى ، قال : اشترى جعفر بنُ يحيى المِرْغاب[3] من آل الرشيد بعشرين ألف ألف دِرهم ، وردَّه على أصحابه ، فقال أشجَعُ السّلميُّ يمدحَهُ بذلك ويقول[4] : [من الكامل]

ردَّ السِّباخَ نَـدى يَدَيْـهِ وأهلُها منهـا بمنزلـة السِّماكِ الأعزَلِ
قـد أيقَنُـوا بذهابها وهلاكهِم والدَّهْـرُ يُوعِدُهـم بيَوْمٍ أعضَلِ[5]
فافتكَّها لهُـمُ وهم مـن دَهْرِهِم بين الجِرانِ وبـين حَدِّ الكَلْكَلِ
مـا كان يُرجـى غَيرُه لفكاكِها يُرجى الكَرِيمُ لكلِّ خَطْبٍ مُعْضِلِ

[معارضته قصيدة لحميد بن ثور]

أخبرني الحسَن بن عليّ الخفَّاف قال : حدَّثني أحمد بن محمد حرّان ، عن قدامة بن نوح ،

---

1 انظر الخبر في أوراق الصولي : 76–77 .
2 ديوان منصور النمري : 95 .
3 المرغاب : ضيعة .
4 ديوانه : 247 (عن الأغاني) .
5 اليوم الأعضل : الذي لا يرتجى شفاء دائه .

قال[1] : جلس جَعْفَرُ بنُ يَحيى بالصالِحيَّةِ يشرب على مُستَشرفٍ له ، فجاءه أعرابيٌّ من بني هلال ، فاشْتكى واستماح بكلامٍ فصيح ولَفْظ مثله يَعْطف المسؤول ، فقال له جعفر بن يحيى : أتقول الشعرَ يا هِلاليّ ؟ فقال : قد كنتُ أقولُه وأنا حَدَث أتملَّح به ، ثم ترَكْتُه لَمّا صِرْتُ شيخاً ؛ قال : فأنشِدْنا لشاعركم حُمَيْد بن ثور ، فأنشدَه قوله[2] : [من الكامل]

لِمَـــنِ الدِّيارُ بجانبِ الحُمْسِ كَمَحَطٌ ذي الحاجاتِ بالنَّفْسِ

حتى أتى على آخرِها ، فاندفع أشجَعُ ، فأنشدَه مديحاً له فيه قاله لوقْتِه على وزنها وقافيتها ، فقال : [من الكامل]

ذهبَـتْ مكارِمُ جَعْفَرٍ وفِعالُه في النّاسِ مِثْلَ مذاهِبِ الشَّمْسِ
مَلِك تسوسُ لـه المَعالي نفسُه والعقــلُ خَيْرُ سياسةِ النَّفْسِ
فإذا تراءتْه المُلـوكُ تراجَعُوا جَهْـرَ الكَلامِ بمَنْطِقٍ هَمْسِ
ساد البرامِكَ جَعْفَرٌ وهم الأُلى بعـد الخلائف سادَةُ الإنْسِ
ما ضرَّ مَنْ قَصَدَ ابنَ يَحْيى راغِباً بالسَّعْدِ حـلَّ بـه أم النَّحْسِ

فقال له جعفر : صِفْ موضعَنا هذا ، فقال : [من الكامل]

قُصورُ الصالِحيَّـةِ كالعَذارى لَبِسْنَ ثيابَهُـنَّ ليَـوْمِ عُرْسِ
مُطِـلاَّتٌ على بَطْـنٍ كَسَتْه أَيادي الماءِ وَشْياً نسجَ غَرْسِ
إذا مـا الطَّلُّ أثَّرَ في ثَراهُ تَنفَّسَ نَـوْرُه مـن غيرِ نَفْسِ
فتَغْبِقُه السَّماءُ بصِبْـغ وَرْسٍ وتَصْبَحُه بأكْؤسِ عين شَمْسِ

فقال جعفر للأعرابيّ : كيف تَرى صاحِبَنا يا هلاليّ ؟ فقال : أرى خاطرَه طوعَ لسانه ، وبيانَ الناسِ تَحْت بَيانِه ، وقد جعلتُ له ما تَصِلُني به ، قال : بل نُقِرُّك يا أعرابيّ ونرضيه ، وأمر للأعرابيِّ بمائة دينار ولأشْجَع بمائتين .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد ، قال . حدَّثني أبو دعامة ، قال : حدَّثني أشجَعُ السُّلميّ ، قال : كنتُ ذاتَ يوم في مجلس بعض إخواني أتحدّث وأُنشد ، إذ دخل عليهم أنسُ بن أبي شيخ النَّصْريّ صاحبُ جعفر بنِ يحيى ، فقام له جميعُ القوم غيري ، ولم أعرفه فأقوم له ؛ فنظر إليَّ وقال : مَن هذا الرَّجل ؟ قالوا : أشجع السُّلميّ الشّاعر ، قال : أنشدْني بعض

1 الخبر والشعر في أوراق الصولي 77–78 وانظر ديوان أشجع : 219–220 .
2 ديوان حميد بن ثور (صادر) : 53 .

قولك ، فأنشدْتُه . فقال : إنّك لَشاعر ، فما يمنعُك من جعفر بن يحيى ؟ فقلت : ومَنْ لي بجعفر بنِ يحيى ؟ فقال : أنا ، فَقُل أبياتاً ولا تُطِلْ فإنّه يمَلُّ الإطالة . فقلت : لستُ بصاحبِ إطالة ، فقلت أبياتاً على نحوِ ما رَسَم لي ، وصِرت إلى أنَس فقال : تقدَّمني إلى الباب ، فتقدَّمت ، فلم يلْبَث أن جاء فدَخَل ، وخرج أبو رُمح الهمذانيّ حاجب جعفر بن يحيى ؛ فقال أشْجَع : فقمتُ ، فقال : ادخُل ، فدخَلْتُ ، فاستنشدَني فأنشدتُه أقول : [من الكامل]

وتَــرى المُلــوكَ إذا رأَيْتَهُــمُ كُلٌّ بعيــد الصَّــوْتِ والجَرْسِ
فإذا بَــدا لَهُم ابنُ يَحْيــى جعفرٌ رَجَعــوا الكــلامَ بمَنْطِقٍ هَمْسِ
ذَهَبَــتْ مكــارِمُ جَعْفــرٍ وفِعالُه في النّاسِ مِثْـلَ مذاهِـبِ الشَّمْسِ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم : قال : وكان أشْجَعُ يُحِبُّ الثِّياب ، وكان يكْتَري الخِلعَة كلّ يوم بدرهمين ، فيَلبَسُها أيّاماً ، ثم يَكْتَري غيرها ، فيفعل بها مثلَ ذلك .

قال : فابتعْتُ أثواباً كثيرة بباب الكَرْخ ، فكسوتُ عيالي وعيالَ إخوتي حتى أنفقتها .

[الفضل يضعف له الجائزة]

ثم لقيتُ المُبارَك مُؤدِّب الفضل بن يحيى بعد أيّام ، فقال لي : أنشدني ما قُلْتَه في جعفر ، فأنشدته ، فقال : ما يمنعك من الفضل ؟ فقلت : ومَنْ لي بالفَضْل ؟ فقال : أنا لك به ، فأدخلني عليه ، فأنشدته[1] : [من الطويل]

وما قدَّم الفَضْلَ بنَ يَحيى مكانُه على غيرِه بَـل قَدَّمَتْه المَكارِمُ
لقد أرهَبَ الأعداءَ حتى كأنّما على كُلِّ ثَغْـرٍ بالمَنِيَّـةِ قائِمُ

فقال لي : كَم أعطاك جعفر ؟ فقلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

[قليل دائم خير من كثير منقطع]

أخبرني علي بن صالح ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي فنن ، قال حدَّثني داود بن مُهَلْهِل قال[2] : لمّا خرج جعفر بن يحيى لِيُصْلِح أمر الشام ، نزل في مَضْرَبه ، وأمر بإطعامِ النّاس ، فقام أشجَعُ فأنشده قوله : [من الكامل]

فِئتــانِ باغِيَــةٌ وطاغِيَـةٌ جلَّت أُمورُهما عن الخَطْبِ

1 ديوانه : 261–262 .
2 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 78–79 وديوانه : 188 .

قـد جاءَكُم بالخَيْلِ شازِبَةً ينقلنَ نحوَكم رَحى الحَرْبِ[1]
لم يَبْقَ إلاّ أن تَدُورَ بِكم قد قامَ هاديها على القُطْبِ

قال : فأمر له بصلة ليست بالسَّنِيَّة ، وقال له : دائمُ القليلِ خيرٌ من مُنْقَطِعِ الكثير . فقال له : ونَزْرُه أكثرُ من جزيل غيره . فأمر له بمثلها ، قال : وكان يُجْري عليه في كلّ جُمعة مائةَ دينار مدّة مقامه ببابه .

[إسحاق الموصليّ يفضّل أشجع على أبي نواس]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبَرِّد ، قال : حدَّثني الفَضْل بن محمد اليزيديّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ الموصليُّ ، قال : دخلت إلى الرشيد يوماً ، وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيءٍ لم أسمع ابتداءه ، وقد علا صوته ، فلمّا رآني مُقبِلاً قال لجعفر بن يحيى : أتَرضى بإسحاق ؟ قال جعفر : والله ما في عِلْمِه مَطْعَن إن أنصَفَ ، فقال لي : أيّ شيء تروي للشُّعراء المحدثين في الخمر ؟ أنشدني من أفضَلِ ما عندك وأشدِّه تقدُّماً . فعلمتُ أنّـهما كانا يتماريان في تقديم أبي نُواس ، فعَدَلْتُ عنه إلى غيره ؛ لئلاّ أُخالِف أحدهما ، فقلت : لقد أحسن أشجَع في قوله[2] : [من الكامل]

ولقد طَعَنتُ الليلَ في أعجازِهِ بالكأْسِ بين غَطارفٍ كالأَنْجُمِ[3]
يَتَمايَلُـونَ على النَّعيـمِ كأنَّهُم قُضُبٌ مـن الهِنـديّ لم تتثلَّمِ
وسَعى بها الظَّبيُ الغَرِيرِ يزيدُها طِيباً ويَغْشِمُها إذا لم تغْشِمِ[4]
والليلُ مُنْتَقِب بفَضْلِ ردائـهِ قـد كاد يحْسَر عن أغرٍّ أرْثَمِ[5]
فـإذا أدارَتْهـا الأكُفُّ رأيتَها تَثْني الفصيحَ إلى لسانِ الأعجَمِ
وعـلى بَنـانِ مُديرهـا عِقْيانَةٌ من سَكْبِها وعلى فضول المِعْصَمِ
تَغْلي إذا مـا الشِّعْرَيَانِ تَلَظَّيا صيفاً وتَسْكُن في طلوع المرزَمِ[6]
ولقد فَضَضْناها بخاتَم رَبِّها بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأَيِّمِ

---

1 شازبة : ضامرة .
2 الأبيات في أوراق الصولي : 84–85 مع اختلاف طفيف في اللفظ ، وانظر ديوانه : 249–250 .
3 الغطارف : السادة الأشراف .
4 لم تغشم : لم تظلم .
5 الأرثم من الخيل : ما كان أبيض الشفة العليا .
6 الشعريان : نجمان ، الشعرى العبور والشعرى الغميصاء . والمرزم : نجم .

ولها سُكونٌ في الإناء وخلفَها شَغَبٌ يُطوِّحُ بالكَمِــيِّ المُعْلِمِ
تُعطى على الظّلمِ الفتى بقِيادِها قَسْراً وتَظلمــــهُ إذا لم يَظْلِمِ

فقال لي الرشيد : قد عرَفتُ تَعَصُّبك على أَبي نُواس ، وإنّك عَدلت عنه متعمّداً ، ولقد أحسنَ أشجعَ ، ولكنّه لا يقول أبداً مثل قول أبي نواس : [من المديد]

يـــا شَقِيقَ النَّفس مـــن حَكَمِ نِمْـــتَ عـــن لَيْـلي ولم أَنَمِ

فقلت له : ما علمتُ ما كنتَ فيه يا أُمير المؤمنين ، وإنّما أُنشدْت ما حضرني ، فقال : حسبُك قد سمعت الجواب .

قال الفَضْل : وكان في إسحاق تعصُّب على أَبي نُواس لشيءٍ جرى بينهما .

[الواثق يعجب بشعر أشجع]

أَخبرني محمد بن مَزْيد ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه ، قال : اصطبح الواثِقُ في يوم مطير ، واتَّصل شُربُه وشربنا معه حتى سقطنا لجُنوبِنا صَرعى ، وهو معنا على حالنا ، فما حُرِّك أحدٌ منّا عن مضجعِه ، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا ، وبذلك أَمرهم ، وقال : لا تحرِّكوا أَحداً عن موضعه ، فكان هو أوّل مَن أفاق منّا ، فقام وأمر بإنْباهِنا فأُنْبِهْنا فقمنا فتوضّأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئتُ إليه وهو جالس وفي يده كأس ، وهو يروم شربها ، والخمار يمنعه ، فقال لي : يا إسحاق ، أَنشدني في هذا المعنى شيئاً ، فأنشدتُه قول أَشْجع السُّلَميّ : [من الكامل]

ولقد طَعنت الليلَ في أَعْجازه بالكأس بين غَطارِفٍ كالأَنجُمِ
يتمايلُـون عـــن النَّعيم كأَنَّـهم قُضُبٌ مـن الهنـديّ لم تَتَثَلَّمِ
وسَعى بها الظَّبيُ الغَريرُ يَزيدُها طِيبـاً ويَغْشِمُها إذا لم تَغْشِمِ
والليـل مُنْتَقِب بفضـل رِدائِهِ قـد كاد يَحْسَر عن أَغرَّ أَرْثَمِ
وإذا أُدارتهـــا الأَكُفُّ رأَيتها تثْني الفَصيحَ إلى لِسان الأَعْجَمِ
وعلى بَنــانِ مُديرهــا عِقْيانَةٌ من لونها وعلى فُضُولِ المِعْصَمِ
تَغلي إذا مـــا الشِّعريان تَلَظَّيا صيفاً وتسكن في طُلوعِ المِرْزَمِ
ولقد فَضَضْناها بخاتـم ربِّها بِكْراً وليس البِكْرُ مثـلَ الأَيِّمِ
ولها سُكُونٌ في الإناءِ وخَلفَها شَغَبٌ يُطَـوِّحُ بالكمِيِّ المُعْلِمِ
تُعطي على الظّلْمِ الفَتى بِقيادِها قَسْراً وتظلمـــه إذا لم يَظْلِمِ

فطرب وقال : أحسنَ واللهِ أَشْجَع ، وأَحسنتَ يا أَبا محمد ، أَعِد بحياتي ، فأَعدتها وشرب كأسَه ، وأمر لي بألفِ دينارٍ .

[تعزية الفضل بن الربيع في ابنه]

أَخبرني جعفر بن قُدامَة ، قال : حدَّثنا أَبو هِفَّان قال : ذكر أَبو دِعامة أَنَّ أَشْجَع دخل على الفَضْل بن الرَّبيع ، وقد توفِّيَ ابنه العبّاس والنّاس يُعزّونه ، فعزّاه فأحسن ، ثم استأْذنه في إنشاد مَرثِيَة قالها فيه ، فأذِن له فأنشده[1] : [من البسيط]

لا تبكِيـنَّ بعَيْـن غير جائدةٍ وكلُّ ذِي حَزَنٍ يبكِي كما يجِدُ
أيُّ امرىءٍ كان عبّـاسٌ لنائبةٍ إذا تَقَنَّـع دونَ الوالـد الوَلَدُ
لم يُدنِه طمعٌ من دار مُخْزِيَةٍ ولم يَعِـزّ لـه مـن نعمة بلَدُ
قد كنتُ ذا جَلَدٍ في كلِّ نائبةٍ فبانَ منّي عليك الصبرُ والجَلَدُ
لّما تسامتْ بِكَ الآمالُ وابتهجت بك المروءةُ واعتدَّت بك العُدَدُ
ولم يكُن لِفتًى في نفْسِهِ أَمَلٌ إلاّ إليكَ بـهِ من أَرضِهِ يَفِدُ
وحين جئتَ أَمامَ السّابِقين ولَمْ يبلل عِـذارَك مَيْدانٌ ولا أَمَدُ
وافاكَ يومٌ على نَكْراءِ مشتمِلٌ لم يَنْجُ مـن مِثلهِ عادٌ ولا لُبَدُ
فمـا تكشّف إلاّ عن مُوَلْوِلَةٍ حـرَّى ومُكْتَئِبٍ أَحشاؤه تَقِدُ

قال : فبكى الفضلُ وبكَى النّاسُ معه ، وما انْصَرَفُوا يومئذٍ يتذاكرون غيرَ أَبياتِ أَشجَع .

[أحسن تعزية الرشيد في ابنه]

أَخبرني الحِرْمِيّ بن أَبي العلاء ، قال : حدَّثنا الحسنُ بن محمد بن طالب الدِّيناريّ قال : حدَّثني عليُّ بنُ الجهم ، قال : دخلَ أَشجَعُ على الرشيد وقد مات ابنٌ له ، والنّاس يُعَزُّونَه فأَنشده قولَه[2] : [من السريع]

نَقْصٌ مـن الدِّين ومن أَهلِهِ نقصُ المنايا مـن بني هاشمِ
قدَّمتَه ، فاصبِر على فقدِهِ ، إلى أَبِيـهِ وأَبـي القاسِمِ

فقال الرشيد : ما عزَّاني اليوم أحدٌ أحسنَ من تَعْزِيَة أشجَع ، وأمرَ له بِصِلة .

1 ديوانه : 206–207 .
2 ديوانه : 261 (عن الأغاني) .

[استئذانه على جعفر في علّته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني عبدُ الرحمن بن النُّعمان السّلميّ قال[1] : كنّا بِبابِ جعفر بنِ يَحيى وهو عليل ، فقال لنا الحاجِبُ : إنّه لا إذْن عليه ، فكتب إليه أشجَع : [من مخلع البسيط]

لَمّا اشتكى جعفرُ بنُ يَحيى فارقَنــي النَّـومُ والقَـرارُ
ومَـرَّ عَيشي عــليَّ حتَّـى كأنَّمـا طَعمـهُ المُـرارُ
خوفاً على جعفر بن يَحيى لا حُقِّـقَ الخَوفُ والحِذارُ
إن يُعفِـه اللهُ لا نُحـاذِرْ مـا أَحـدثَ الليلُ والنهارُ

قال : فأوصل الحاجبُ رُقْعتَه ، ثم خرج فأمره بالوصول وحده ، وانْصَرَف سائِرُ النّاس .

[استعجال الصلة]

أخبرني الحسَن قال : حدَّثنا العَنَزِيّ ، قال : حدَّثني محمد بن الحسَين ، عن عمرو بن عليّ : أنَّ أشجَعَ السُّلميّ كتب إلى الرشيد وقد أَبْطأ عنه شيءٌ أَمَرَ له[2] به : [من الطويل]

أبلِـغْ أميرَ المؤمنـين رسالَـةً لهـا عَنَقٌ بين الرُّواةِ فسيحُ[3]
بأنَّ لسانَ الشعرِ يُنطِقه النَّدى ويُخرِسه الإبطاءُ وهو فصيحُ

فضَحِك الرشيد وقال له : لن يَخرَس لسانُ شِعرك ، وأَمر بتعجيل صلته .

[محمد بن منصور يحبّ مديحه]

أخبرني الحسَن ، ومحمد بن يحيى الصُّوليّ ، قالا : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد ، وكان يُقال لأبيه فَتى العسكر ، قال : أقبل أشجَعُ إلى بابِ أبي ، فرأى ازدحامَ الناس عليه ، فقال[4] : [من الهزج]

على بـابِ ابـنِ منصور علامـاتٌ مـن البَـذْلِ
جماعـاتٌ وحسْب البا ب نُبْـلاً كثرةُ الأَهـلِ

فبلغ أبي بيتاه هذان ، فقال : هما والله أحبُّ مدائحه إليّ .

1 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 79 وانظر ديوانه : 218 .
2 انظر أوراق الصولي : 79–80 وديوان أشجع : 198 .
3 العنق : السير السريع .
4 الخبر في أوراق الصولي : 80 وانظر ديوانه : 241 وقد أدرج البيتان في سياق قصيدة المدح .

[تهنئة جعفر بتولّيه خراسان]

أَخبرني عمِّي ، والحسَن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا الفضلُ بن محمد اليزيديّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصليّ ، قال : لما وَلَّى الرشيد جعفرَ بن يحيى خُراسان جلس للناس فدخلوا عليه يُهنِّئونه ثم دخلَ الشعراءُ فأنشدُوه ؛ فقام أشجَعُ آخرهم ، فاستأذَنَ في الإنشاد فأذِن له ، فأنشدَه قوله[1] : [من المتقارب]

أَتصبِرُ للبَيْنِ أَمْ تجزَعُ ... فإنَّ الدِّيارَ غداً بَلْقَعُ
غداً يتفرَّقُ أَهلُ الهوى ... ويكثُر باكٍ ومُسْتَرجِعُ

حتى انتهى إلى قوله : [من المتقارب]

ودَوِّيَّةٍ بين أَقطارِها ... مقاطيعُ أرضينَ لا تُقْطَعُ[2]
تَجاوَزْتُها فوق عَيْرانَةٍ ... من الريحِ في سَيرها أَسرعُ[3]
إلى جعفرٍ نزعتْ رَغبةٌ ... وأيّ فَتًى نحوه تَنْزِعُ
فما دُونه لامرئٍ مَطْمَعٌ ... ولا لامرئٍ غيره مَقنعُ[4]
ولا يرفعُ الناسُ مَنْ حَطَّه ... ولا يَضَعُون الذي يَرفعُ
يُريدُ الملوكُ مَدى جعفرٍ ... ولا يَصنعُونَ كما يَصْنَعُ
وليس بأَوْسَعِهم في الغِنى ... ولكنَّ معروفه أَوسعُ
تلوذُ الملوكُ بآرائه ... إذا نالها الحدَثُ الأَفظعُ[5]
بَدِيهَتُه مِثلُ تَدْبيره ... متى رُمتَه فهو مُسْتَجْمِعُ
وكم قائلٍ إذْ رأَى ثَرْوتي ... وما في فضول الغِنى أَصنعُ[6]
غَدا في ظِلال نَدى جعفرٍ ... يَجُرُّ ثِيابَ الغِنى أَشجعُ
فقُلْ لخراسانَ تَحيا فقد ... أَتاها ابنُ يحيى الفتى الأروعُ

1 الأبيات في الخزانة 1 : 296–297 وأوراق الصولي 82–83 والديوان : 225–227 .
2 الدوية : الصحراء الواسعة .
3 العيرانة : الناقة النشيطة . وفي ل : ريحانة .
4 الشعر والشعراء : 760 :
وما خلفه لامرىء مطمع ... ولا دونه لامرىء مقنع
5 بآرائه في ل : بأبوابه .
6 الشعر والشعراء : بهجتي بدل ثروتي .

فأقبل عليه جعفرُ بنُ يحيى ضاحِكاً ، واستحسن شِعرَه ، وجَعَل يُخاطبه مخاطبةَ الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

[عزل جعفر عن خراسان]

قال : ثم بدا للرشيد في ذلك التَّدبير ، فعزل جعفراً عن خُراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب ، وعقد له العقد وأمَرَ ونَهى ، فوَجِم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول[1] : [من السريع]

أمست خُراسانُ تُعـزَّى بما ... أخْطأها مــن جعفرِ المُرتَجى
كان الرشيــدُ المُعتَلى أمـرُه ... ولّـى عليهـا المُشرِقَ الأبلَجا
ثـــم أراه رأيُـــه أنّـــه ... أمسى إليـــه منهــمُ أحْوَجا
فكَمْ بـــه الرَّحمن من كُربةٍ ... في مُــدَّةٍ تقصُر قــد فَرَّجا

فضحك جعفر ثم قال : لقد هوَّنتَ عليَّ العَزْل ، وقُمتَ لأميرِ المؤمنين بالعُذْر ، فسَلْني ما شِئتَ ، فقال : قد كفاني جُودُك ذِلَّةَ السؤالِ ، فأمر له بألفِ دينار آخر .

[مديحه في الأمين وهو طفل]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد ، عن أبي دِعامة ، عن أشْجَع ، قال : دخلتُ على محمد الأمين حين أُجلِسَ مَجلس الأدب للتَّعليم ، وهو ابنُ أربعِ سِنِين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته[2] : [من الكامل]

ملـكٌ أبُوه وأمُّه مــن نَبْعَةٍ ... منهــا سِراجُ الأُمَّــةِ الوَهَّاجُ
شرِبَتْ بمكّةَ في رُبا بَطْحائِها ... مـاءَ النُّبوّة ليس فيــه مِزاجُ

يعني النَّبعةَ . قال : فأمرتْ له زُبيدةُ بمائة ألف درهم ، قال : ولم يملِك الخلافَةَ أحدٌ أبوه وأمُّه من بني هاشم إلاّ أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب صلوات الله عليه ، ومحمد بن زبيدة .

[يمدح إبراهيم بن عثمان بن نهيك]

أخبرني الحسن بنُ عليّ ، ومحمد بن يحيى الصوليّ ، قالا : حدَّثنا الحسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، قال : حدَّثنا المهْزميّ ، قال : لمّا وَلِيَ إبراهيمُ بنُ عثمان بنِ نُهَيْك الشرطةَ ، دخل عليه أشجَعُ ، فأنشدَه قولَه فيه : [من الكامل]

1 انظر الخبر والشعر في أوراق الصولي : 87 والخزانة 1:298–299 وطبقات ابن المعتز : 251 وديوانه : 195–196 مع بعض اختلاف .

2 البيتان في أوراق الصولي : 94 وانظر ديوانه : 196 .

لِمَـــن المنازِلُ مثـلُ ظَهْر الأَرقَمِ قَدُمـــت وعَهْـدُ أَنِيسها لم يَقْدُمِ
فتكَـتْ بهـــا سَنَتان تَعْتَوِرانِها بالمُعْصِفات وكلّ أَسْحَـــم مُرزِم[1]
دِمَنٌ إذا استَثْبَتَّ عينك عهدَها كـرَّت إليـــك بنَظْرة المُتَوَهِّمِ
ولقد طعَنْتُ الليــلَ في أَعْجازِه بالكأسِ بـين غَطارفٍ كالأَنْجُمِ
يَتمايَلُــون على النَّعيـمِ كأنَّهـم قُضُبٌ مـن الهِنْــدِيّ لم تَتثَلَّمِ
واللَّيــلُ مُشْتَمِلٌ بفَضْلِ رِدائِــه قـد كاد يَحْسُر عــن أغـرٍّ أَرْثَمِ
لِبَنـي نُهَيكٍ طاعــةٌ لـو أنَّها زُحِمَت بهَضْبِ مُتالعٍ لَـــمْ تُكْلَمِ
قــومٌ إذا غَمَزوا قَنـاةَ عَدُوِّهِم حَطَمــوا جَوانِبَها ببأْسٍ مُحْطِمِ
في سَيْفِ إبراهيمَ خـوفٌ واقِعٌ لِذَوي النِّفاقِ وفيــه أَمْنُ المُسْلِمِ
ويَبِيتُ يَكْلأُ ، والعُيونُ هواجعٌ ، مالَ المُضيع ومُهْجَـةَ المُسْتَسْلِمِ[2]
لَيــلٌ يُواصِلُــه بضَوْءِ نَهــارِه يَقْظانُ ليس يَــذُوق نَــوْمَ النُّوَّمِ
شَدَّ الخِطامَ بأنـفِ كلّ مُخالِفٍ حتى استَقامَ لـه الذي لَمْ يُخْطَمِ
لا يُصلِــح السُّلطـانَ إلاّ شِدَّةٌ تَغْشى البَريءَ بفضل ذَنْب المُجرِمِ
منعَتْ مهابتُــكَ النفوسَ حديثَها بـالشيءِ تكرهـــه وإنْ لم تَعْلَمِ
ونهجْتَ في سُبُلِ السِّياسَةِ مَسْلَكاً ففهِمتَ مذهبَهـــا الذي لم يُفْهَمِ

فوصله وحمله وخلع عليه .

[يستقلّ جائزته]

أُخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثنا الغَلابيُّ قال : حدَّثنا مهديُّ بن سابق قال : أَعطى جعفرُ بنُ يحيى مروانَ بن أبي حَفْصةَ ـ وقد مدحه ـ ثلاثينَ ألف درهم ، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً ، وأعطى أَشْجَع ، وقد أنشدَه معهما ، ثلاثة آلاف درهم ، وكان ذلك في أوّل اتّصاله به ، فكتَب إليه أَشجَع يقول[3] : [من مجزوء الكامل]

أُعطيـــتَ مـــروانَ الثَّـــلا ثِـــينَ التـي دَلَّــت رِعاثَـهْ[4]

1 المرزم : المصوت .
2 المضيع : صاحب الضياع الكثيرة .
3 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 86–87 ، وانظر ديوانه : 195 .
4 الرعاث : عثنون الديك ، ويقصد أنه زها وتكبّر .

وأَبــا البَصِيــرِ وإنّمــا أُعطيتَنــي منهــم ثــلاثَــهْ[1]
مــا خانَنــي حَــوْكُ القريــض ولا اتّهمتَ سِوى الحداثَــهْ

فأَمر له بعشرين أَلف درهم أُخرى .

[انتحال شعره]

حدَّثني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريُّ ، قال : حدَّثني أَبو هفان ، قال : حدَّثني سعيد بن هرَيْم وأبو دِعامة ، قالا : كان انقطاعُ أَشجع إلى العبّاس بنِ محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، فقال الرشيدُ للعبّاس يوماً : يا عمِّ ، إنّ الشُّعراء قد أكثروا في مدحِ محمد بسببي وبسبب أُمّ جعفر ، ولم يقُل أحدٌ منهم في المأمون شيئاً ، وأنا أُحِبّ أن أقع على شاعر فطن ذكيّ يقول فيه ، فذكر العبّاسُ ذلك لأَشْجَع ، وأمرَه أني قول فيه ، فقال[2] : [من المديد]

بَيْعَــةُ المأمونِ آخِــذَةٌ بِعِنــان الحَقّ في أُفُقِهْ
أُحكِمتْ مِرَّاتُهــا عُقَداً تمنعُ المُخْتالَ في نَفَقِهْ
لن يفــكّ المرءُ رِبقَتَها أَو يفكَّ الدِّينَ من عُنُقِهْ
ولــه مــن وَجْه والِدِه صُورةٌ تَمَّتْ ومن خُلُقِهْ

قال : فأتى بها العبّاسُ الرشيد ، وأَنشده إيّاها فاستحسنها وسأَله : لَمن هي ؟ فقال : هي لي ؛ فقال : قد سررتَني مرَّتين : بإصابَتِك ما في نفسي ، وبأنّها لك ، وما كان لك فهو لي ، وأَمر له بثلاثين أَلف دينار ، فدفع إلى أَشْجَع منها خَمسة آلاف درهم ، وأخذ باقيها لنفسه .

[استعجاله عطاء يحيى]

أَخبرني عمّي : قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ ، قال[3] : وعد يحيى بن خالد أَشْجَعَ السُّلَميّ وعداً ، فأخَّره عنه ، فقال لـه[4] : [من المتقارب]

رأَيْتُكَ لا تَسْتَلِــذُّ المِطالَ وتُوفي إذْ غَــدَرَ الخائنُ
فماذا تُؤخِر من حاجَتي وأَنتَ لتَعْجيلها ضامِنُ !
أَلَمْ تَرَ أَنَّ احتباسَ النَّوالِ لَمعْرُوفِ صاحِبِه شائِنُ !

---

1 منهم ثلاثة في ل والأوراق : معهم ثلاثة .
2 ديوانه : 238 .
3 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 88–89 وديوانه : 266–267 .
4 انظر أوراق الصولي : 89–91 وديوانه : 262–264 .

فلم يتعجَّلْ ما أراد ، فكتب إليه : [من الوافر]

رُويــدكَ إنَّ عِـزَّ الفقْرِ أدنى إليَّ مــن الثّراء مــع الهَـوانِ
ومــاذا تَبلُــغُ الأَيَّامُ مِنّـي بريْبِ صُرُوفِهـا ومَعي لِساني

فبلغ قولُه جعفراً فقال له : ويلك يا أشجَعُ ! هذا تهدُّدٌ فلا تَعُدْ لمثله ، ثم كلَّم أباه فقضى حاجتَه ، فقال : [من الطويل]

كَفاني صُروفَ الدَّهْرِ يَحْيى بنُ خالد فأصبَحْـتُ لا أرتــاعُ للحَدَثانِ
كَفاني ، كَفـاه اللهُ كُلَّ مُلِمَّةٍ ، طِـلابَ فُـلانٍ مَـرَّةً وفُـلانِ
فَأصبَحْتُ في رغْدٍ من العَيْشِ واسعٍ أُقلِّـبُ فيــه ناظِــري ولِساني

[إخفاقه في العمل]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال : حدَّثنا العَنَزيُّ عن ابن النَّطَّاح قال : ولَّى جعفرُ بنُ يحيى أشجَعَ عملاً ، فرفَع إليه أهلُه رفائعَ كثيرة ، وتظلَّموا منه وشَكَوْه ، فصرفه جعفر عنهم ، فلمّا رجَع إليه من عمله مَثَل بين يديه ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

أمُفسِدةٌ سُعــادُ عــليَّ ديني ولائِمَتــي على طُــولِ الحَنِينِ
ومــا تَــدري سُعاد إذا تَخلَّتْ من الأشْجانِ كَيْفَ أخُو الشُّجُونِ
تَنــامُ ولا أنــامُ لِطُـولِ حُزْني وأيْنَ أخُـو السُّرورِ من الحَزِينِ !
لقد راعَتْــك عند قَطِـينِ سُعْدى رواحــلُ غادِيــاتٌ بــالقَطِينِ
كأنَّ دُمــوعَ عَيْني يــوم بانوا عِيانــاً سَحُّ مُطّــرِدٍ مَعِـينِ[1]
لقد هَــزَّت سِنانَ القَـوْلِ منّي رِجــالُ رَفِيعَـــةٍ لم يَعْرِفُوني
همُ جازُوا حِجابَك يا ابْنَ يَحْيى فقالــوا بالذي يَهْــوَوْنَ دُوني
أطافُوا بــي لديك وغِبتُ عنهم ولــــو أدنَيْتَنــي لتَجنَّبُــوني
وقــد شهدتْ عُيونُهــمُ فمالَت عــليَّ وغُيِّبَتْ عنهـــم عُيوني
ولَمَّــا أن كَتَبْــتُ بمــا أرادُوا تَــدَرَّع كــلُّ ذي غَمْــزٍ دَفِينِ
كَففتُ عــن المقاتِــلِ باديـاتٍ وقــد هَيَّأْتُ صَخْرَةَ مَنْجَنُونِ[2]

---

1 الأوراق : جداول من ذرى وشل معين .
2 المنجنون : دولاب الساقية .

ولـو أُرسلتُهـا دَمَغَتْ رِجالاً وصالَـت في الأَخِشَّة والشُّؤونِ[1]
وكنت إذا هـَزَزتُ حُسامَ قَوْلٍ قطعـتُ بحُجَّتـي عَلَق الوَتينِ[2]
لعـلَّ الدّهـرَ يُطلِقُ من لساني لهـم يومـاً ويَبْسط من يَميني
فأقضيَ دَيْنَهـم بوفـاءِ قَوْلٍ وأُثقلهـم لصدقـي بـالديونِ
وقـد علمـوا جَميعاً أنَّ قَولي قَريـب حِـينَ أَدْعُـوه يَجيني
وكُنتُ إذا هَجَـوْتُ رئيسَ قَوْمٍ وَسَمْتُ عـلى الذُّؤابَـة والجَبينِ
بخطٌّ مثـلِ حَـرْقِ النّارِ باقٍ يلـوحُ على الحَواجِـبِ والعُيُونِ
أَمائِلَـةٌ بـوُدِّك يـا ابْـنَ يَحْيى رِجـالاتٌ ذَوُو ضِغْـنٍ كَمِينِ
يَشِيمـون السُّيـوفَ إذا رَأَوْني فإنْ ولَّيتُ سُلَّت مـن جُفونِ[3]
ولـو كُشِفَت سرائِرُنـا جَمِيعاً علمتَ مَـن البَريءِ مـن الظَّنينِ
عـلامَ ، وأنتَ تَعْلَم نُصْحَ جَنْبي وأَخْـذي منـك بالسَّبَبِ المتينِ[4]
وعَسْفي كُلَّ مَهْمَهَـةٍ خـلاءٍ إليـك بكـلّ يَعْمَلَـةٍ أَمُونِ[5]
وإحْيائـي الدُّجى لـك بالقَوافي أُقيم صُدُورَهُـنَّ على المُتـونِ ،
تُقـرِّب منـك أَعْدائـي وأُنْـأَى ويجلسُ مَجْلِسي مَـنْ لا يَليني !
ولـو عاتبتَ نَفْسَك في مكاني إذاً لنَزلـتُ عنـدك بـاليَمينِ
ولَكِـنَّ الشُّكوكَ نأَيْنَ عَنّـي بـودِّك ، والمَصيـرُ إلى اليقِينِ
فـإن أنصَفْتَني أحرقـتَ منهم بنُضْج الكَـيِّ أَثْبـاجَ البطونِ[6]

[اتصاله بجعفر بن المنصور]

أَخبرني محمد بنُ يحيى الصَّوليُّ والحسنُ بن عليّ ، قالا : حدَّثنا العَنَزيّ قال : حدَّثنا عليّ بن الفضل السُّلميُّ قال[7] : أوَّلُ ما نَجَمَ به أَشجَعُ أنّه اتّصلَ بجعفر بن المنصور وهو حَدَثٌ ، وصَلَه

1 الأخشة : جمع خشاش ، وهو العود يجعل في عظم أنف البعير . والشؤون : جمع شأن ، وهو عرق الدمع .
2 العلق : الحبل .
3 يشيمون السيوف : يغمدونها .
4 الأوراق : نصح حبي .
5 اليعملة : الناقة النجيبة . الأمون : الناقة الموثوقة الخلق المأمونة الكلال .
6 الأثباج : جمع ثبج ، وهو الوسط من كل شيء .
7 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 91 وديوانه : 234–236 .

به أحمد بنُ يزيد السُّلَميّ وابنه عوف ، فقال أشجَعُ في جعفر بن المنصور قوله : [من الخفيف]

اذكُروا حُرمَــةَ العَواتِك مِنّا ... يــا بني هاشمِ بنِ عبدِ منافِ
قــد وَلَدْنــاكُمُ ثَــلاثَ ولادا ... تٍ خَلَطْنَ الأشرافَ بالأشرافِ
مَهَّدَت هاشِماً نجــومُ قُصَيٍّ ... وبنــو فالجٍ حُجــور عَفافِ
إنَّ أرمــاحَ بُهْثَةَ بــنَ سُلَيْم ... لعِجافِ الأطرافِ غيرُ عِجافِ
ولأسيافهم قِــرى غَيْرُ لَــذٍّ ... راجِــعٌ في مَراجِـع الأكتافِ
معشَرٌ يُطعِمُونَ من ذِرْوَة الشَّو ... ل ويَسْقُونَ خَمْرَةَ الأقْحافِ[1]
يَضرِبُون الجَبَّــار في أخدَعَيْه ... ويُسقُّونــه نَقِيــعَ الذُّعافِ[2]

فشاع شِعْره وبلغ البصرة ، ولم يزل أمرُه يَتراقى إلى أن وصَلَته زُبَيْدةُ بعد وفاة أبيها بزَوْجها هارون الرشيد ، فأسْنى جوائزَه ، وألحقَه بالطَّبَقة العُلْيا من الشُّعراء .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بن المرزبان قال : حدَّثني شَيْبَةُ بنُ أحمد بن هشام ، قال : حدَّثني أحمدُ بن العبّاس الرَّبيعيُّ : أنّ الذي أوْصَلَ أشجَعَ السُّلَميّ إلى الرَّشيد جدُّه الفضلُ بن الرَّبيع ، وأنّه أوصلَه له وقال له : هو أشْعَر شُعَراء أهلِ هذا الزَّمان ، وقد اقتطعتْه عنك البرامِكة ، فأمره بإحضارِه وإيصالِه مع الشعراء ففعَل ، فلمَّا وصَلَ إليه أنشدَه قوله : [من الكامل]

قَصْــرٌ عليــه تَحيَّــةٌ وسَلامُ ... نَشَرَتْ عليــه جَمالَهــا الأيَّامُ
فيــه اجْتَلى الدُّنْيا الخليفةُ والْتَقَتْ ... للملــك فيــه سلامَــةٌ وسَلامُ
قَصرٌ سُقوفُ المُزْنِ دُونَ سُقُوفِه ... فيــه لأعــلام الهُدَى أعْلامُ
نَشَرت عليه الأرضُ كُسوتَها التي ... نَسَجَ الرَّبيعُ وزخرَفَ الإرْهامُ[3]
أدنَتْك مــن ظِـلِّ النَّبِيِّ وَصيَّةٌ ... وقرابَــةٌ وُشِجَتْ بهــا الأرحامُ
برقَتْ سَماؤُك في العَدُوِّ وأمْطَرَتْ ... هَامــاً لهــا ظِلُّ السُّيوف غَمامُ
وإذا سُيوفُك صافحَتْ هامَ العِدا ... طارت لهُــنَّ عــن الرؤوسِ الهامُ
أثنــى على أيَّامِــك الأيَّــامُ ... والشَّاهِــدانِ : الحِـلُّ والإحرامُ

1 الشول : الناقة . والأقحاف : جمع قحف ، وهو إناء من خشب .

2 الذعاف والزعاف : السم القاتل .

3 الإرهام : المطر الخفيف .

وعَلى عَـدُوِّك يا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدان : ضَوءُ الصُّبْحِ والإظلامُ
فإذا تنبَّه رُعتَــه ، وإذا غَفــا سَلَّتْ عليــه سُيوفَــك الأَحْلامُ

قال : فاستَحْسَنها الرشيد ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدَح الفَضْل بنَ الربيع ، وشكر له إيصالَه إيّاه إلى الرشيد ، فقال فيه قصيدتَه التي أوّلها[1] : [من الكامل]

غَلَب الرُّقـادُ على جُفونِ المُسْهَدِ وغَرِقْــتُ في سَهَرٍ وليلٍ سَرْمَدِ
قـد جَدَّ بـي سَهَرٌ فلَمْ أَرقُد له والنَّومُ يلعبُ في جُفـونِ الرُّقَّدِ
ولَطالَمـا سَهِرَتْ لِحُبِّـيَ أَعْيُنٌ أَهـدى السُّهادَ لهـا ولَمَّا أَسْهدِ
أيّامَ أَرعــى في ريـاضِ بطالةٍ ورِدَ الصِّبا منهـا الذي لم يُورَدِ
لَهْوٌ يُساعِده ، الشَّبابُ ولَمْ أَجِدْ بعد الشَّبيبَة في الهوى من مُسْعِدِ[2]
وخَفِيفَــةِ الأَحشاءِ غير خَفِيفَــة مَجْدُولَــة جَــدْلَ العِنانِ الأَجْرَدِ
غَضِبَتْ على أَعْطافِهــا أَردافُهـا فالحَرْبُ بين إزارِهـا والمِجْسَدِ[3]
خالفتُ فيــه عاذِلاً لِـيَ ناصحاً فرشَدْتُ حين عَصيْتُ قَولَ المُرشِدِ
أأُقيـمُ مُحْتَمِلاً لِضَيْم حَـوادِثٍ مع هِمَّــةٍ موصولــة بالفَرْقَدِ
وأَرى مخايلَ ليس يُخلِفُ نَوؤُها للفضل إن رَعَدتْ وإن لم تَرْعَدِ
للفَضْلِ أَموالٌ أَطافَ بهـا النَّدى حتــى جُهِدْنَ وجُودُه لم يَجْهَدِ
يا ابنَ الرَّبيعَ حَسَرْتُ شُكْري بالتي أَولَيْتَني في عَــوْدِ أَمرِك والبَدِي
أَوصَلْتَني ورَفَدْتَنــي وكِلاهُمــا شَرفٌ فقأتُ بــه عُيونَ الحُسَّدِ
ووصَفْتَني عنــد الخَليفــة غائباً وأَذِنْتَ لي فشَهِدْتُ أَفخرَ مَشْهَدِ
وكفَيْتَني مِنَنَ الرِّجــالِ بنائـلٍ أَغنى يــدي عن أَن تُمَدَّ إلى يَدِ

[يطلب شراء غلام رومي له]

أَخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني صخرُ بن أَحمد السلميّ ، عن أبيه ، قال : كنت أنا وأشجع بالرَّقَّة جلوساً ، فمرَّ بنا غلامٌ أمردُ روميّ جميلُ الوجه ، فكلَّمه أشجَع وسأله هل يبيعُه مالِكُه ؟ فقال : نعم ، فقال أَشجَع يمدَحُ جعفر بنَ

1 القصيدة في أوراق الصولي : 95–96 وديوانه : 201–203 .
2 مسعد : معين .
3 المجسد : ثوب يلي الجسد .

يحيى ، وسأله ابتياعَه له فقال[1] : [من الوافر]

ومُضْطَـرِبِ الوِشاحِ لُمقْلَتَيْـهِ علائِـقُ مـا لِوَصْلَتِها انْقِطاعُ
تعرَّض لي بنظـرةٍ ذي دَلالٍ يُرِيــعُ بمُقْلَتَيْـهِ ولا يُراعُ
لِحاظٌ ليس تُحجَب عن قُلُوبٍ وأمـرٌ في الذي يهوى مُطاعُ
ووُسْعي ضَيِّقٌ عنـــه ومالي وضِيقُ الأمـرِ يَتْبَعـهُ اتّساعُ
وتَعْويلي على مـال ابنِ يَحْيى إليــه حَـنَّ شَوْقي والنِّزاعُ
وَثِقْتُ بجَعْفَـرٍ في كلِّ خَطْبٍ فلا هُلْكٌ يُخافُ ولا ضَياعُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال : اشتَرِه بها فإن لم تكْفِك فازدَدْ .

[رثاؤه جاريته]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بن الحارث قال : كانت لأشجَعَ جاريةٌ يقال لها : رِيمٌ ، وكان يَجِد بها وَجْداً شَديداً ، فكانت تَحلِف له إن بقيتْ بعده لم تعرَّض لغيره ، وكان يذكرُها في شعره . فمن ذلك قولُه في قصيدته التي يرثي بها الرشيد[2] : [من الطويل]

وليس لأحــزانِ النِّساء تَطـاولٌ ولكنَّ أحــزانَ الرِّجـالِ تَطولُ
فلا تَبْخَلي بالدَّمْعِ عَنِّي ، فإنَّ مَن يَضِنُّ بدَمْــعٍ عــن هَوًى لبَخِيلُ
فلا كُنتُ مِمَّن يُتْبِع الرِّيحَ طَرفَه دَبُــوراً إذا هَبَّـت لــه وقَبُولُ
إذا دارَ فَيءٌ أتبعَ الفَيْءَ طَرفَــه يَمِيــلُ مــع الأيَّامِ حَيْثُ تَمِيلُ

قال : وقال فيها أيضاً[3] : [من الطويل]

إذا غَمَّضَتْ فَوْقي جُفونُ حَفِيرَةٍ من الأرضِ فابْكِيني بما كُنتُ أصنَعُ
تُعَـزِّكِ عَنِّـي عنــد ذلك سَلْوَةٌ وأنْ ليس فِيمَن وارَت الأرضُ مَطْمَعُ
إذا لم تَرَيْ شَخْصي وتُغْنِكِ ثروتي ولم تَسْمَعي منِّــي ولا منكِ أسمعُ
فحِيَنئِذٍ تَسْلين عنِّــي وإنْ يَكُنْ بُكاءٌ فأقْصى مــا تُبكِّـين أرْبَعُ

---

1 الأبيات في أوراق الصولي ضمن قصيدة طويلة في مدح جعفر بن يحيى : 103–104 وانظر ديوانه : 230–231 .

2 الخبر والشعر في أوراق الصولي : 140 وديوانه : 245–246 .

3 أوراق الصولي : 141 وديوانه : 233 .

قليلٌ وربِّ البيْتِ يا رِيمُ ما أرى ... فَتاةً بمَنْ وَلّى بــه المــوتُ تَقْنَعُ
بمَن تَدْفَعِين الحادِثاتِ إذا رَمــى ... عليكِ بها عامٌ من الجَدْبِ يَطْلُعُ
فحينئــذٍ تَدْرِيــن مَــنْ قــد رُزِيتِه ... إذا جَعَلــتْ أركانُ بيتــك تُنْزَعُ

[جواب أخيه أحمد على لسان ريم]

قال : فشكته رِيم إلى أخيه أحمد بن عمرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ، ومدح فيه الفَضْل أيضاً فاختير شعرُه على شعر أخيه وهو[1] : [من الطويل]

ذكرتُ فِراقــاً والفِــراقُ يُصدِّعُ ... وأيُّ حيــاةٍ بعــد مَوْتِك تَنْفَعُ !
إذا الزَّمـــنُ الغَـــرَّارُ فَـــرَّقَ بيننا ... فما لِيَ في طِيبٍ من العيش مَطْمَعُ
ولا كان يــومٌ يا ابْنَ عَمْرٍو وليلةٌ ... يُبــدَّدُ فيهــا شَمْلُنــا ويُصَدَّعُ
ولا كان يومٌ فيــه تَثْــوي رهينةً ... فتَرْوى بجسمي الحادِثاتُ وتَشبعُ
وألطِمُ وجهاً كنتُ فيكَ أصونُه ... وأخشعُ مِمّا لم أكُن منــه أخشعُ
ولــو أنَّني غُيِّبتُ في اللَّحْدِ لم تُبَلْ ... ولم تَــزَلْ الــراؤون لي تتوجَّعُ
وهــل رجـــلٌ أبصرتــه متوجِّعاً ... على امرأةٍ أو عينُه الدَّهرَ تدمعُ !
ولكن إذا ولَّتْ يقولُ لها : اذهبِي ... فمِثْلُك أخرى سوفَ أهوى وأتبَعُ
ولو أبصَرَتْ عيناك ما بي لأبْصَرَتْ ... صبابةَ قلــب غيمُها ليس يُقْشَعُ
إلى الفَضْلِ فارْحَلْ بالمديحِ فإنّه ... مَنِيعُ الحِمى مَعروفُـــه ليس يُمْنَعُ
وزُرْه تَــزُرْ حِلْماً وعِلْماً وسؤدَدًا ... وبأساً بــه أنفُ الحوادثِ يُجدَعُ
وأبدِعْ إذا ما قلتَ في الفَضْلِ مِدْحَةً ... كما الفضل في بذل المواهِبِ يُبدِعُ
إذا ما حِياضُ المجدِ قلّتْ مِياهُها ... فحوضُ أبي العَبَّاسِ بالجودِ مُتْرَعُ
وإن سَنَةٌ ضَنَّتْ بخِصبٍ على الوَرى ... ففي جُودِهِ مرعًى خصيبٌ ومَشْرَعُ
وما بَعُدَتْ أرضٌ بها الفَضْلُ نازِلٌ ... ولا خابَ مَنْ في نائِلِ الفَضْلِ يَطْمَعُ
فنِعم المُنـــادى الفَضْلُ عند مُلِمَّةٍ ... لدفع خُطوبٍ مِثْلُها ليس يُدفعُ
إليكَ أبا العَبَّاسِ سارَتْ نجائِبٌ ... لهـــا هِمَمٌ تَسْمُو إليك وتَنْزِعُ
بذِكْرِك نَحْدُوها إذا مــا تأخَّرَت ... فتمضي على هَوْلِ المُضيّ وتُسْرِعُ

1 القصيدة في أوراق الصولي : 142–143 .

وما لِلسانِ المدحِ دونك مَشْرَعٌ ولا للمَطايا دُونَ بابِـك مَفْزَعُ[1]
إليـكَ أبـا العَبَّاسِ أحملُ مِدْحَةً مَطِيَّتُها ، حتى تُوافيـك ، أشْجَعُ
فَزِعْتُ إلى جَدْواك فيهـا وإنّما إلى مَفْزَع الأملاكِ يُلْجا ويُفزَعُ

قال : فأنشدَها أشجَعُ الفَضْلَ ، وحدَّثه بالقِصَّة ، فوصل أخاه وجاريتَه ووصلَه .

وقال أحمد بنُ الحارث : فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشْجَع : مالك لا تمدَح الملوكَ كما يمدَحُهم أخوك ؟ فقال : إنّ أخي بلاءٌ عليَّ وإن كان فخراً ، لأنّي لا أمدحُ أحداً مِمَّن يُرضِيه دون شِعري ويُثِيبُ عليه بالكثير من الثَّوابِ إلاّ قال : أينَ هذا من قول أشْجَع ؟ فقد امتنعتُ من مدحِ أحد لذلك .

[أخوه أحمد يهجوه]

قال أحمدُ بنُ الحارث : وقال أحمدُ بنُ عمرو يهجو أخاه أشجَع ، وقد كان أحمدُ مدَح محمد بنَ جميل بشعر قاله فيه ، فسأل أخاه أشْجَع إيصاله ، ودفع القصيدةَ إليه فتوانى عن ذلك ، فقال يهجوه ، أخبرني بذلك أحمدُ بنُ محمد بنِ جميل[2] : [من المتقارب]

وسائلةٍ لِيَ : ما أشْجَعُ ؟ فقلتُ : يضـرّ ولا يَنفَعُ
قَريــبٌ من الشَرِّ واعٍ له أصَمُّ عن الخيرِ ما يَسمَعُ
بَطيءٌ عن الأمرِ أحظى به إلى كلِّ ما ساءَني مُسرِعُ
شَرُودُ الوِدادِ على قُربِـهِ يُفَـرِّقُ منـه الذي أجمَعُ
أُسَبُّ بأنِّـــي شقيقٌ له فأنْفي بــه أبـداً أجدَعُ

[إسحاق الموصليّ يثاب على إنشاده شعراً لأشجع]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه قال : دخلتُ على الفَضْل بنِ يحيى وقد بلغ الرشيدَ إطلاقُه يَحيى بن عبد الله بنِ حَسن ، وقد كان أمرَه بقتله فلم يُظهِر له أنّه بلغه إطلاقه . فسأله عن خبَرِه : هل قتلتَه ؟ فقال : لا ، فقال له : فأين هو ؟ قال : أطلقتُه ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّه سألَني بحقِّ اللهِ وبحقِّ رَسولِه وقرابتِه منه ومنك ، وحلَفَ لي أنَّه لا يُحدِث حدَثاً ، وأنّه يُجيبُني مَتى طلبتُه . فأطرق ساعة ، ثم قال : امضِ بنَفْسِك في طلبِه حتى تجيئَني به واخرُج الساعةَ ، فخَرَج . قال : فدخلْتُ عليه مُهنِّئاً بالسَّلامة فقلت له : ما رأيتُ أثبَتَ من جنانِك ولا أصحَّ من رأيك فيما جرى ،

---

1 دونك مشرع في ل : دونك شاهد .

2 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 140 .

وأنت واللهِ كما قال أشجَعُ[1] : [من الوافر]

بديهتُـــه وفكرتُـــه سَواءٌ   إذا مـــا نابَه الخَطْبُ الكَبيرُ
وأحزمُ مـــا يَكونُ الدَّهرَ رأياً   إذا عَـــيَّ المُشاورُ والمُشيرُ
وصدرٌ فيـــه للهـــمِّ اتِّساعٌ   إذا ضاقَت بما تَحوي الصُّدورُ

فقال الفَضْل : انظروا كم أخذ أشْجَع على هذه القصيدة ، فاحمِلوا إلى أبي محمد مثلَه . قال : فوجدَه قد أخذ ثلاثين ألف درهم ، فحُمِلَتْ إليّ .

[يرثي صديقاً له من بغداد]

أخبرني الحُسَيْن بنُ القاسم الكَوْكبيُّ إجازة ، قال : حدَّثني محمد بنُ عَجْلان . قال : حدَّثنا ابنُ خلاَّد ، عن حُسين الجُعفيّ قال : كان أشجَع إذا قدِم بغداد ينزل على صديقٍ له من أهلِها ، فقَدِمها مرّة فوَجدَه قد مات ، والنوحُ والبكاء في دارِه ، فجَزِع لذلك وبكى ، وأنشأ يقول[2] : [من الخفيف]

وَيْحَها هل دَرَتْ على مَنْ تَنوحُ   أسَقيمٌ فُؤادُها أم صَحِيحُ !
قَمَـــرٌ أطبَقُـــوا عليـــه ببغدا   دَ ضريحاً ، ماذا أجَنَّ الضَّرِيحُ ![3]
رحِـــمَ اللهُ صاحِبـــي ونَديمي   رحمةً تَغْتدي وأُخرى تَرُوحُ[4]

وهذه القصيدة[5] التي فيها الأبيات المذكورة والغِناء فيها ، من قصيدة يمدَح بها أشجَعُ الرشيد ويُهنئّه بفتح هِرَقْلَةَ ، وقد مَدَحه بذلك وهنّأه جماعةٌ من الشُّعراء وغُنّيَ في جميعها ، فذكرتُ خبرَ فتح هِرَقْلَة لذكر ذلك .

[فتح هرقلة]

أخبرني بخبره عليٌّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيد ، قال : كان من خبر غَزاة الرشيد هِرَقلة أن الرُّومَ كانت قد ملَّكَت امرأةً ، لأنّه لم يكُنْ بَقِيَ في أهلِ زمانها من أهل بيتها ، بيتِ المملكة ، غيرُها ، وكانت تكتُب إلى المهديّ والهادي والرشيد أوَّلَ خِلافَتِه بالتَّعْظيم والتَّبجيل ، وتدِرّ عليه الهدايا ، حتى بلَغَ ابنٌ لها فحاز المُلكَ دونها ، وعاث وأفسد ، وفاسد الرّشيد ، فخافت على مُلْك الرّوم أن يَذهب ، وعلى بِلادِهم أن تعطَب ؛ لعِلمها

1 تنسب هذه الأبيات إلى أشجع وكثير وغيرهما (الديوان : 272) .
2 الأبيات في أوراق الصولي : 129 من قصيدة في رثاء أحمد بن يزيد السلميّ ، وانظر ديوانه : 198 .
3 الأوراق : جبل أطبقوا . . .
4 الأوراق : رحم الله أحمد بن يزيد .
5 يعني القصيدة التي منها الأبيات الرائية في الفقرة السابقة .

بالرشيد وخوفها من سَطوته ، فاحتالت لابنها فسَمَلَتْ عَيْنيْه[1] ، فبَطَل منه المُلك وعاد إليها ، فاستَنْكَرَ ذلك أهلُ المملكة وأبغضوها من أجله . فخرج عليها نِقفور وكان كاتِبَها ، فأعانوه وعَضَّدوه ، وقام بأمْر المُلْك وضَبْط أمْر الرُّوم ، فلمّا قَوِيَ على أمره وتمَكّن من مُلْكِه كَتَب إلى الرشيد :

«من نَقْفّور مَلِك الرُّوم إلى الرَّشيد مَلِك العرب ، أمّا بعد ؛ فإنّ هذه المرأة كانت وضَعَتْك وأباكَ وأخاك مَوْضِع المُلوكِ ، ووضَعَت نَفْسَها موضِعَ السُّوقَة ، وإنّي واضِعُك بغير ذلك المَوْضِع ، وعامل على تَطَرُّق بِلادِك والهجوم على أمصارِك ، أو تُؤدِّي إلي ما كانت المرأة تُؤدِّي إليك ، والسلام» .

فلمّا وَرَدَ كِتابُه على الرشيد كتَب إليه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : من عَبْدِ الله هارونَ أميرِ المؤمنين إلى نَقْفور كَلبِ الرُّوم : أمّا بعد ، فقد فهمت كِتابَك ، وجَوابُك عندي ما تراه عِياناً لا ما تَسْمَعُه» . ثم شَخَصَ من شهره ذلك يؤمُّ بِلادَ الرُّوم في جمعٍ لم يُسمَع بمثله ، وقُوّاد لا يُجارَوْن نجدَةً ورأياً . فلمّا بلَغَ ذلك نقْفور ضاقت عليه الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وشاوَر في أمرِه .

[قصيدة أبي العتاهية في هزيمة نقفور]

وجَدَّ الرشيد يتوغَّل في بلاد الرُّوم فيقتل ويَغْنَم ويَسْبِي ، ويُخرِّب الحُصونَ ويُعفِّي الآثار حتى صار إلى طُرُق مُتَضايقة دون قُسْطَنطينيّة ؛ فلمّا بَلَغها وجَدَها وقد أمَر نقفور بالشَّجَر فقُطِع ورُمي به في تلك الطُّرُق ، وأُلْقِيَت فيه النّار[2] . فكان أوّل مَن لَبِس ثياب النفّاطِين محمد بنُ يزيد بنِ مَزْيد ، فخاضها ، ثم اتَّبَعه الناس ، فبعث إليه نقفور بالهدايا وخَضَع له أشدَّ الخُضُوع ، وأدَّى إليه الجِزْيَة عن رأسه فَضْلاً عن أصحابه فقال في ذلك أبو العتاهية[3] : [من الطويل]

إمـامَ الهُدَى أصبَحْتَ بالدِّينِ مَعْنِيّاً ... وأصبحتَ تَسقي كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيّا
لك اسمانِ شُقّا من رَشادٍ ومن هُدًى ... فأنتَ الذي تُدعـى رَشيداً ومَهْدِيّا
إذا ما سَخِطْتَ الشيءَ كان مُسَخَّطاً ... وإن تَرضَ شَيئاً كان في النّاسِ مَرْضِيّا
بَسَطْتَ لنا شَرْقاً وغَرْباً يَـدَ العُلا ... فأوسعـتَ شَرْقِيّـاً وأوسَعْـتَ غَرْبِيّا

1 سملت عينيه : فقأتهما بحديدة محمّاة .
2 ل : وأشعلت فيه النيران .
3 ديوان أبي العتاهية : 674–675 .

ووشَّيْتَ وَجْهَ الأرضِ بالجُودِ والنّدى فأَصبحَ وَجهُ الأرضِ بالجُودِ مَوْشِيّا
وأَنــتَ ، أَميرُ المؤمنينَ ، فَتــى التُّقى نشرتَ مـن الإحسانِ ما كان مَطْوِيّا
قَضى اللهُ أَن يَبْقى لِهــارونَ مُلْكُهُ وكان قَضاءُ الله في الخَلْـقِ مَقْضِيّا
تجلَّلَت الدُّنْيـا لِهارُون ذي الرِّضا وأَصبــح نَقْفـورٌ لهــارون ذِمّيّا

فرجع الرشيد ، لَمّا أعطاه نَقْفور ما أعطاه ، إلى الرَّقّة ، فلمّا سَقَط الثّلجُ وأَمِن نَقْفُور أن يُغْزى اغترَّ بالمُهْلة ، ونَقَضَ ما بينه وبين الرشيد ، ورجَع إلى حالتِه الأولى ، فلم يَجْتَرِىء يحيى بنُ خالد ، فَضْلاً عن غيره ، على إخبار الرشيد بغَدر نقفور ، فبذَلَ هو وبَنُوه الأموالَ للشُّعراء على أن يقولوا أشعاراً في إعلام الرَّشيد بذلك ، فكلُّهم كَعَّ[1] وأشفَق إلاّ شاعراً من أهلِ جُدَّة كان يُكنى أبا محمّد[2] ، وكان مُجيداً قَوِيَّ النَّفْسِ قَوِيَّ الشِّعرِ ، وكان ذو اليَمينَيْن اختَصَّه في أيّام المأمون ورَفَع قدرَه جدّاً ، فإنّه أَخذ من يحيى وبنِيه مائةَ ألفِ درهم ، ودخل على الرشيد فأنشده : [من الكامل]

نَقَــضَ الذي أَعْطاكــه نَقْفــورُ فعَلَيــه دائِــرَةُ البَــوارِ تَدُورُ
أَبْشِرْ أَميــرَ المُؤْمِنــين فإنّــه فَتْــحٌ أَتــاك بــه الإلهُ كَبِيرُ
فلَقَــد تباشَرَت الرَّعِيَّــة أن أَتــى بــالنَّقْض عنــه وافــد وبَشِيرُ
ورجَتْ بيُمْنِك أَن تُعجِّل غَزوةً تَشفي النُّفوس نَكالُهــا مَذْكُورُ
أَعْطاكَ جِزيَتــه وطَــأْطَــأَ خَدَّه حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدى مَحْذُورُ
فأَجَرْتَــه مــن وَقْعِهــا وكأَنَّها بأَكُفِّنــا شُعَــلُ الضِّرام تَطِيرُ
وصرفت في طول العساكِرِ قافلاً عنــه وجــارُك آمِــنٌ مَسْرُورُ
نَقْفورُ إنّك حين تَغْدِر أَنْ نَأى عنك الإمــامُ لجاهِــلٌ مَغْرُورُ
أَظَنَنْتَ حين غَدَرْت أَنّك مُفْلِتٌ هَبِلَتْك أُمُّك مــا ظَنَنتَ غُرورُ
أَلقاكَ حَيْنُك في زواخِــرِ بَحْــرِه فَطَمت عليك من الإمامِ بُحورُ
إنَّ الإمــامَ على اقْتِسارك قــادِرٌ قَرُبَت دِيارُك أو نَــأَتْ بِك دُورُ[3]
لَيْس الإمــامُ وإن غَفِلنــا غافِلاً عمّــا يَسُوس بحَزْمِــه ويُدِيرُ

1 كعّ : جبن .
2 ابن الأثير (حوادث سنة 187) : أبو محمد عبد الله بن يوسف ، وقيل الحجاج بن يوسف التيمي .
3 اقتسارك : قهرك .

مَلِـك تجَـرَّد للجِهـاد بنَفْسِهِ فَعـدُوُّه أبـداً بـه مَقْهـورُ
يا مَـن يُريد رِضا الإله بسَعْيِهِ واللهُ لا يَخْفـى عليـه ضَميرُ
لا نُصْحَ ينفَع مَـنْ يغُشُّ إمامَه والنُّصْحُ مِـن نُصَحائِهِ مَشْكورُ
نُصْحُ الإمام على الأنامِ فَرِيضَةٌ ولأهلِـه كفَّـارَةٌ وطَهُورُ

قال : فلمّا أنشده ، قال الرشيد : أَو قد فَعَل ! وعلم أَنَّ الوُزراء احتالُوا في إعلامِه ذلك فغزاه في بقيَّة من الثلج ، فافتتح هِرقلة في ذلك الوقت ، فقال أبو العَتاهية في فَتْحه إيّاها[1] : [من الوافر]

أَلا نادَت هِرَقلَـةُ بالخرابِ مِـن الملِكِ المُوَفَّق للصَّوابِ
غَـدا هارونُ يُرعِـدُ بالمَنايا ويُـبرِق بالمُذَكَّـرَةِ القِضابِ
وراياتٍ يَحُـلُّ النَّصرُ فيهـا تمرُّ كأنّهـا قِطَـعُ السَّحابِ
أميرَ المؤمنينَ ظَفِـرتَ فاسْلَمْ وأبشِر بالغَنيمـةِ والإيـابِ

قال محمد : وجعلَ الرشيدُ قبل وصولِه إلى هِرَقْلَةَ يفتح المدنَ والحصونَ ويخرِّبها ، حتى أناخَ على هِرَقْلَةَ وهي أوثق حِصْنٍ وأعزّه جانباً وأمنَعه ركناً ؛ فتحصَّن أهلُها ، وكان بابها يطلّ على وادٍ ، ولها خندق يطيف بها . فحدَّثني شيخ من مشايخ المُطَّوِّعة ومُلازمي الثُّغور يقال له عليّ بن عبد الله ، قال : حدَّثني جماعة أنّ الرشيدَ لّما حَصَر أهلَ هِرَقْلَةَ وغمّهم وألَحَّ بالمجانيقِ والسِّهام والعرَّادات[2] فتح الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها كأكمل الرّجال قد خرج في أكمل السلاح ، فنادى : قد طالَت مُواقعتكم إيّانا فليبْرُز إليّ منكم رجلان ، ثم لَم يَزَل يزيد حتى بَلغ عشرين رجلاً ، فلم يُجبه أحد . فدخل وأغلق بابَ الحِصن وكان الرشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلاّ بعد انصرافه ، فغضب ولام خَدَمَه وغِلمانه على تركهم إنْباهَه ، وتأسّف لفَوْته ، فقيل له : إنّ امتناعَ الناس منه سيُغْويه ويُطْغِيه ، وأحْرِ به أن يخرُج في غَدٍ فيطلُب مثلَ ما طلب ، فطالت على الرشيد ليلَتُه وأصبح كالمُنْتَظِر له ، ثم إذا هو بالبابِ قد فُتِح وخَرج طالباً للمبارزة ، وذلك في يوم شديد الحرّ ، وجعل يدعو بأنّه يَثْبُت لعشرين منهم ، فقال الرشيد : مَن له ؟ فابتدَرَه جِلّة القُوَّاد كهَرْثَمة ، ويزيدَ بن مَزْيد . وعبدِالله بن مالك ، وخُزَيْمة بن حازم ، وأخيه عبد الله ، وداود بن يَزيد ، وأخيه ، فعَزَم على إخراجِ بعضهم ، فضَجَّت المُطَّوِّعة حتى سمع ضجيجَهم ، فأذِن لعشرين منهم ، فاستأذَنوه في المشورة فأَذِن لهم ، فقال قائلهم : يا أميرَ المؤمنين ، قُوّادُك مشهورون بالبأْس والنَّجدة وعُلُوّ الصوت

1 ديوان أبي العتاهية : 491–493 .
2 العرادات : المجانيق الصغار .

ومُداوسَة[1] الحروب ، ومتى خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العِلْج لم يكبُر ذلك ، وإن قتله العِلْج كانت وَضيعة على العسكر عجيبة وثُلمَة لا تُسَدّ ، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منّا صوت إلاّ كما يَصْلُح للعامَّة ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُخَلِّيَنا نختارُ رجلاً فنخرجه إليه ، فإنْ ظَفِرَ عَلِمَ أهلُ الحِصْن أنَّ أميرَ المؤمنين قد ظَفِر بأعزِّهم على يدِ رجلٍ من العامَّة ، ومن أفناء الناس ليس مِمَّن يُوهِن قتلُه ولا يُؤَثِّر ، وإن قُتِل الرجل فإنّما استُشْهِد رجلٌ ولم يؤثِّر ذهابه في العسكر ولم يُثْلِمه ، وخرج إليه رجل بعده مِثله حتى يقضي اللهُ ما شاء . قال الرشيد : قد استَصْوبْتُ رأيكم هذا . فاختاروا رجلاً منهم يُعرَف بابن الجزريّ ، وكان معروفاً في الثّغر بالبأس والنجدة ؛ فقال الرشيد : أتخرج ؟ قال : نعم ، وأستَعِين الله ، فقال : أعطُوه فَرَساً ورُمْحاً وسيفاً وتُرْساً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا بفرسي أُوثَق ، ورُمْحي بيدي أشدّ ، ولكني قد قَبِلت السيفَ والتُّرس . فلبِس سلاحه وأستَدْناه الرشيد فودَّعه ، واستتْبَعَه الدُّعاء ، وخرج معه عشرون رجلاً من المُطَّوِّعة ، فلمّا انقَضّ في الوادي قال لهم العِلْج وهو يَعُدُّهم واحداً واحداً : إنّما كان الشَّرطُ عشرين وقد زِدتُم رجلاً ، ولكن لا بأس ، فنادَوْه : ليس يخرُج إليك منّا إلاّ رجلٌ واحد ، فلمّا فُصل منهم ابن الجزريّ تأمَّله الرُّوميّ وقد أشرف أكثرُ الرّوم من الحِصن يتأمَّلُونَ صاحبَهم والقِرْنَ حتى ظنُّوا أنّه لم يَبْقَ في الحِصن أحدٌ إلاّ أشرف ؛ فقال الرّوميّ : أتصدُقُني ، عمّا أستخبِرُك ؟ قال : نعم ، فقال : أنتَ بالله ابن الجزريّ ؟ قال : اللهم نعم . فكفَّر له[2] ، ثم أخَذا في شأنهما فاطَّعَنا حتى طالَ الأمرُ بينهما ، وكاد الفَرَسانِ أن يقوما وليس يَخدش واحدٌ منهما صاحبه ، ثم تحاجزا بشيء ، فَزَجَّ كلٌّ واحدٍ منهما برمحه ، وأُصْلَت سيفه ، فتجالدا مَلِيّاً ، واشتدَّ الحرّ عليهما ، وتبلَّد الفَرَسان ، وجَعل ابن الجزريّ يَضْرِب الرُّوميّ الضربة التي يَرى أنّه قد بلغ فيها فيَتَّقيها الروميُّ ، وكان تُرسُه حديداً ؛ فيُسمَع لذلك صوت منكر ، ويضربه الرُّوميّ ضرب مُعَذِّر[3] ؛ لأنّ تُرْس ابن الجزريّ كان دَرَقَةً ، فكان العِلْج يخاف أن يعَضّ بالسَّيْف فيعطب ، فلمّا يُئِس من وصول كلّ واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابنُ الجزريّ ؛ فدخلت المسلمين كآبةً لم يكتئبوا مثلها قطّ ، وعَطْعَطَ[4] المشركون اختِيالاً وتطاوُلاً ، وإنّما كانت هزيمتُه حيلةً منه ؛ فأتبعه العِلْج ، وتمكّن منه ابن الجزريّ فرماه بوَهَق[5]

1 مداوسة الحروب : المران عليها وتذليلها .

2 كفّر له : وضع يده على صدره وطأطأ رأسه تعظيماً له .

3 المعذر : المبالغ في العذر .

4 العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

5 الوهق : حبل فيه أنشوطة .

فوقع في عُنقه وما أُخطأه ، وركض فاستلَّه عن فرسه ، ثم عَطَف عليه فما وصل إلى الأرض حيّاً حتى فارقه رأسُه . فكبَّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل المشرِكون وبادروا الباب يُغلِقونه ، واتّصل الخبر بالرشيد فصاح بالقُوَّاد : اجعلوا النار في المجانيق وارموها فليس عند القوم دَفْع ؛ ففعلوا وجعلوا الكتّان والنّفط على الحجارة وأُضرَموا فيها النار ورَمَوْا بها السور ، فكانت النار تلصَق به وتأخُذُ الحجارة ، وقد تصدَّع فتهافتت . فلمّا أُحاطت بها النيران فتحوا الباب مُستأْمِنين ومستقبِلين ، فقال الشاعر المكّيّ الذي كان ينزل جُدّة : [من البسيط]

صوت

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أن رأَتْ عَجَباً حوائماً تَرتَمـي بالنِّفط والنَّارِ
كأَنَّ نِيرانَنـا في جَنْب قَلْعَتِهِم مُصَبَّغـاتٌ على أُرْسانِ قَصَّارِ

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأوَّل بالبنصر .

[زهد في القيادة]

قال محمد بن يزيد : وهذا كلام ضعيف ليِّن ، ولكنَّ قدرَه عظيم في ذلك الموضع والوقت ، وغنّى فيه المُغنّون بعد ذلك . وأعظم الرَّشيدُ الجائزةَ للجُدّيّ الشاعر ، وصُبَّت الأُموالُ على ابن الجزريّ وقُوِّد ، فلم يقبل التّقويد إلاّ بغير رِزْق ولا عِوَض ، وسأل أن يُعفى ويُنزل بمكانه من الثَّغْر ، فلم يزل به طول عمره .

أُخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أُبي سعد ، قال : حدَّثنا أُحمدُ بن عليّ بن أُبي نَعِيم المَرْوَزيّ قال : خرج الرشيد غازِياً بلادَ الرُّوم فنزل بهِرَقْلَة ، فدخل عليه ابنُ جامع فغنّاه : [من البسيط]

هوَت هرَقْلَة لمَّا أَنْ رأَت عَجَباً حوائِمـاً ترتَمي بالنفط والنّارِ

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جِيءَ بها ، فظنَّ أَنّ الطاغية قد أَتاه ، فخرج يركُض على فرس له وفي يده الرُّمح ، وتَبِعه الناس ، فلمّا تبيَّن له أنّها ماشية رَجَعوا ، فغنَّاه ابنُ جامع : [من الطويل]

صوت

رأَى في السَّما رَهْجا فيَمَّم نحوَه يجُرُّ رُدَيْنِيًّا وللرَّهْجِ يَسْتَقْرِي[1]
تناولتَ أَطرافَ البلادِ بقُدرَةٍ كأَنَّك فيها تَقْتفي أَثَر الخِضْرِ

الغناء لابن جامع ثاني ثقيل عن بذْل وابن المكّي .

1 الرهج : الغبار أو ما أثير منه والسحاب بلا ماء .

أخبرني هاشم بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ ، قال : حدَّثني الفَضْلُ بنُ محمد اليَزِيديُّ ، عن إسحاق المَوْصِليّ ، قال : لمّا انصرفَ الرشيد من غزاةِ هِرَقْلَةَ قدم الرَّقَّة في آخر شهر رمضان ، فلمّا عيَّد جلس للشعراء ، فدخلوا عليه وفيهم أشْجع ، فبَدَرهم وأنشأ يقول[1] : [من البسيط]

لا زلتَ تَنشرُ أعياداً وتَطْويهـا تَمْضي بِها لكَ أيّـام وتَثْنِيها
مُستَقبِلاً زِينةَ الدُّنيا وبَهْجَتها أيّامنا لـك لا تَفْنى وتُفْنِيها[2]
ولا تَقضَّت بكَ الدُّنيا ولا بَرِحَت يَطوِي لكَ الدَّهرُ أيّاماً وتَطويها
ولْيَهْنِكَ الفتحُ والأيّام مُقبِلـةٌ إليكَ بالنصر مَعْقـوداً نواصيها
أمسَتْ هِرَقْلَةُ تَهْوِي من جوانِبِها وناصرُ اللهِ والإسلام يَـرْمِيها[3]
مُلِّكْتَهـا وقَتلـتَ النّاكِثينَ بها بنَصْرِ مَنْ يملِكُ الدُّنيا وما فيها
ما رُوعِيَ الدِّينُ والدُّنيا على قَدَم بمِثْلِ هـارُون راعِيـهِ وراعِيها

قال : فأمر له بألف دينار ، وقال : لا يُنشدني أحدٌ بعده ، فقال أشجع : واللهِ لأمْرُه بألاّ يُنشدَه أحدٌ بعدي أحبُّ إليَّ من صِلته .

حدَّثني أحمدُ بنُ وصيف ، ومحمدُ بنُ يَحْيى الصُّوليّ قالا : حدَّثنا محمد بن موسى ابن حمّاد ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن عمرو الورّاق ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ محمدِ بن منصور بن زياد عن أبيه ، قال : دخل أشْجَعُ على الرشيد ثاني يـوم الفِطـر فـأنشده[4] : [من السريع]

صوت

استَقْبِل العيـدَ بعُمْـرٍ جَدِيد مَـدَّت لك الأيَّامُ حبْلَ الخُلودِ
مُصَعِّدا في دَرَجـات العُـلا نجْمُك مَقرونٌ بِسَعْد السُّعودِ
واطْـوِ رداءَ الشَّمس ما أطلعَتْ نُـوراً جدِيداً كلَّ يـوم جَدِيدِ

---

1 الخبر والأبيات في أوراق الصولي : 80–81. وديوانه : 268–269 .
2 الأوراق :
مستقبلاً بهجـة الدنيـا ولذتها أيّامها لـك نظـم في لياليها
العيـد والعيـد والأيـام بينهمـا موصولة لـك لا تفنى وتفنيها
والبيتان في الشعر والشعراء : 761 مع اختلاف في اللفظ .
3 الأوراق :
أمست هرقلة مكلوماً جوانبها وناصر الدين بالتدبير يرميهـا
4 ديوانه : 203 .

تَمضي لكَ الأَيّـامُ ذا غِبْطة إذا أَتى عِيدٌ طَوى عُمـرَ عِيدِ

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وأُمر أن يُغنّى في هذه الأبيات .

[فتح طبرستان]

أُخبرني محمد بنُ جعفر النَّحْويّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ موسى بن حَمَّاد ، قال : حدَّثني أبو عبدِ الله النَّخَعيّ ، قال : دخلَ أَشجَعُ على الرشيد فأنشده قوله[1] : [من المتقارب]

أَبَـتْ طَبَرِسْتـانُ غيرَ الذي صَدَعْتَ بـه بـين أُعضائِها
ضَمَمْـتَ مَناكِبَهـا ضَمَّـةً رمَتْكَ بمـا بـين أُحشائِها
سَمَوْتَ إليهـا بمِثْـلِ السَّماء تَدَلّـى الصَّواعِـقُ في مائِها
فلمّـا نظـرتَ إلى جُرحِها وضَعْـتَ الدَّواءَ على دائِها
فَرَشْت الجهادَ ظُهورَ الجِياد بأبنائِـه وبـأبنائها
بنَفْسِك تَرمِيهـمُ والخُيـولُ كَرْمـي العُقـابِ بأَفْلائِها[2]
نظـرتَ برأْيِـك لَمّا همـ ـتَ دُونَ الرِّجـالِ وآرائهـا

قال : فأمر له بألف دينار .

[يمن جلب الغيث]

أُخبرني محمد بنُ جعفر ، قال : حدَّثنا محمد بن مُوسى ، قال : حدَّثني أَبو عَمرو الباهِليُّ البصريُّ قال : دخل أشجَعُ بنُ عمرو السُّلَميّ على هارون الرشيد حين قدِم من الحَجّ ، وقد مُطِر الناس يوم قدومه ، فأنشَده يقول[3] : [من الخفيف]

إنَّ يُمْـنَ الإمـام لَمّا أَتانا جَلَبَ الغَيْثَ من مُتونِ الغمامِ
فابْتِسامُ النَّباتِ في أَثر الغَيـ ـثِ بنُوَّارِه كسُرجِ الظَّلامِ[4]
مَلِكٌ مـن مَخافة الله مُغْضٍ وهو مُغضًى لـه من الإعظامِ
أَلِف الحَـجَّ والجِهادَ فما يَنْـ ـفَكُّ من سَفْرَتَين في كُلِّ عامِ
سَفَرٍ للجهـادِ نحـو عَـدُوٍّ والمطايـا لسَفْـرَةِ الإحرامِ

1 ديوانه : 187 .
2 أفلاء : جمع فلاة .
3 ديوانه : 261 .
4 سُرُج : جمع سراج .

طَلَبَ اللّهَ فهــو يَسْعــى إليه بالمَطايـا وبالجيـادِ السَّوامي
فيَــداهُ يَــدٌ بمكَّــة تدْعــو هُ وأُخْرى في دَعْوَةِ الإسلامِ[1]

[يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد]

أَخبرني محمد بن جعفر ، قال : حدَّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال : أَخبرني أَبو عبد الله النَّخَعيّ ، قال : أَمرَ الرشيدُ بحفر نهر لبعض أَهل السَّوادِ ، وقد كان خرِب وبطل ما عليه ، فقال أَشْجَع السُّلَميّ يمدحه[2] : [من مخلّع البسيط]

أَجرى الإمامُ الرَّشيدُ نَهْراً عــاش بعُمرانِــه المَواتُ[3]
جـادَ عليــهِ بريــقِ فيهِ وسِرّ مَكْنُونــه الفُـراتُ[4]
أَلْقَمَــــه دِرَّة لَقُوحــاً يَرْضَع أَخلافَهـا النَّباتُ[5]

[رؤيا الرشيد]

أَخبرني جَحْظة ، قال : حدَّثني مَيْمُون بن هارون قال : رأَى الرشيدُ فيما يَرى النائم كأنّ امرأة وقَفت عليه وأخذَت كَفَّ تُراب ثم قالت له : هذه تُرْبتُك عن قليل ، فأَصبحَ فَزِعاً ، وقَصَّ رُؤْياه ، فقال له أَصحابه ، وما هذا ؟ قد يرى النّاس أَكثرَ ممّا رأيتَ وأَغْلَظ ثم لا يضرّ . فركب وقال : والله إنّي لأَرى الأمرَ قد قَرُب ، فَبَيْنا هو يَسير إذا نَظَر إلى امرأة واقفة من وراء شُبّاك حديد تَنْظر إليه ؛ فقال : هذه واللهِ المرأة التي رأَيتُها ، ولو رأيتها بين ألف امرأةٍ ما خَفِيتْ عليّ ؛ ثمّ أمرها أن تأخذَ كَفَّ تُراب فتَدْفَعُه إليه ، فضربَتْ بيدِها إلى الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كَفَّ تُراب . فبكى ثم قال : هذه واللهِ التُّربةُ التي أُرِيتُها ، وهذه المرأةُ بعَيْنها . ثم مات بعد مُدَّة ، فدُفِن في ذلك المَوْضِع بعَيْنِه ، اشتُري له ودُفِن فيه ، وأُتي نعيُه بغداد ، فقال أَشجَعُ يرثيه[6] : [من مجزوء الرمل]

غَرَبت بالمَشْرِقِ الشَّمْــ ـسُ فقــل للعين تَدْمَعْ
مــا رأينا قَــطُّ شمساً غَرَبت من حَيْثُ تَطْلَعْ

---

1 ل : غزوة الاسلام.
2 الأبيات في أوراق الصولي : 86 وديوانه : 193 .
3 الأوراق : باجرائه .
4 الأوراق : وسر مضمونه . . .
5 الأوراق : ألقحه درة . . .
6 ديوانه : 274 ونسبهما ابن المعتز وابن قتيبة لأبي الشيص .

[يحبّ الجارية ويبغض مولاها]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا محمد بنُ موسى ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سعْد ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : كان حربُ بن عمرو الثَّقفيُّ نخّاساً ، وكانت له جارية مُغَنِّية ، وكان الشعراء والكُتّاب وأهلُ الأدبِ ببغداد يختلفون إليها يسمعونها ، ويُنْفِقُون في منزله النَّفقاتِ الواسعة ، ويبرُّونه ويُهدُون إليه ، فقال أشْجَع[1] : [من السريع]

جارِيـــةٌ تهتَــزُّ أردافُهـــا مُشْبَعَـــةُ الخَلْخَـــال والقُلْبِ
أَشكُو الذي لاقَيتُ من حُبِّها وبُغْـضِ مَوْلاهـــا إلى الرَّبِّ
من بُغْض مولاها ومِــن حُبِّها سَقِمتُ بَـين البُغْضِ والحُبِّ[2]
فاخْتَلَجا في الصدرِ حتى استَوى أمرُهمـــا فـــاقْتَسَما قَلْبـــي
تَعَجَّـــل اللهُ شِفائــي بهـــا وعَجَّـــل السُّقْـم إلى حَرْبِ

قال مؤلّف هذا الكتاب : فأخذَ هذا المعنى بعضُ المُحْدَثين من أهل عصرنا ، فقال في مُغَنِّية تُعرَف بالشّاة : [من مجزوء الوافر]

بِحُبِّ الشّاةِ ذُبتُ ضَنًى وطـــال لزوجهـــا مَقْتي
فلـــو أنِّـــي مَلَكْتهُمـــا لأُسْعِدَ في الهَـوى بَختِي
فأُدخِل في استها أيْرِي ولِحْيَة زَوْجهـــا في اسْتِي

[صلاح لأهل الدّين والدُّنيا]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثني صالح بن سليمان ، قال : اعتلّ يحيى بنُ خالدٍ ثم عُوفي ، فدخل النّاسُ يهنّئونه بالسَّلامة ، ودخل أشجَع فأنْشدَه[3] : [من الوافر]

لقـــد قَرعتْ شَكاةُ أبي عَليٍّ قُلوبَ مَعاشِرٍ كانوا صِحاحا
فإن يَدْفَـع لنـــا الرَّحمنُ عنه صُرُوفَ الدَّهرِ والأَجلَ المُتاحا
فقـــد أمسى صَلاحُ أبي عَليٍّ لأَهلِ الدِّينِ والدُّنيا صَلاحا[4]

1 الأبيات عدا الأخير في أوراق الصولي : 136 وديوانه : 191 .
2 الأوراق : بقيتُ بدل سقمتُ .
3 الأبيات في أوراق الصولي : 80 والشعر والشعراء : 759 وديوانه : 201 .
4 الشعر والشعراء : لأهل الأرض كلهم صلاحا .

إذا مـا المَـوْتُ أخطأَهُ فلَسنا نُبالي الموتَ حيث غَدا وراحا

[إذا مرض القاضي مرضنا]

قال : فما أذِن يومئذٍ لأحد سواه في الإنشاد لاختصاص البَرامكة إيّاه .

أخبرني الحسن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسِم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا محمد بن عمران الضبّيُّ ، قال : سمعتُ محمد بنَ أبي مالك الغَنَويّ يقول : دخلَ أشجَعُ السُّلَميّ على عليّ بن شُبرُمة يعودُه ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

إذا مَرِض القاضي مَرِضْنا بأسرِنا وإن صَحَّ لم يُسمَع لنا بمَريضِ
فأصبحتُ ، لمّا اعتَلَّ يوماً ، كَطائِرٍ سَما بجَنَـاحٍ للنهـوضِ مَهِيضِ

قال : فشكره ابنُ شُبْرُمَة وحَمَله على بغلة كانت له .

[هجاء أبان بن الوليد]

أخبرني الحسنُ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن عِمران ، قال : سَمِعت محمد بن أبي مالِك يقول : جاء أشجَعُ ليَدْخُل على أبان بنِ الوليد البَجَليّ ، فمنعه حاجِبُه ، وانتهره غِلمانه ، فقال فيه[2] : [من الطويل]

ألا أيُّها المُشْلي عـليّ كِلابَـه وَلي ، غير أنْ لم أشْلِهِنّ ، كِلابُ[3]
رُويدَك لا تَعْجَلْ عليَّ فقد جرى بخِزيك ظَبيٌ أعْضَبٌ وغُرابُ
علامَ تَسُدّ البابَ والسِّرُّ قد فَشا وقد كنتَ مَحْجُوباً ومالك بابُ
فلو كُنتُ مِمَّن يَشْرَب الخَمرَ سادِراً إذاً لم يَكُن دُوني عليك حِجابُ
ولكنَّه يَمْضي ليَ الحول كامِـلاً وما لِـيَ إلاّ الأبيَضَيْنِ شَرابُ[4]
من الماء أو من شَخْبِ دَهْماءِ ثَرَّةٍ لهـا حالبٌ لا يَشْتَكِي وحِلابُ[5]

[الاتعاظ بقبري النديمين]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةُ ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : حدَّثنا عليُّ بن الجَهْم قال : حدَّثني ابنُ أشجع السُّلميّ ، قال : لمّا مرَّ أبي وعمّايَ أحمدُ ويزيدُ ، وقد شَرِبوا

1 ديوانه : 234 . (عن الأغاني) .
2 ديوانه : 189 (عن الأغاني) .
3 المشلي : المغري .
4 الأبيضان : اللبن والماء .
5 الدهماء : الخالصة الحمرة .

حتى انتشَوْا ، بقبر الوليد بنِ عُقْبة وإلى جانبه قبرُ أَبي زَبيد الطَّائي ، وكان نصرانيّاً ، والقَبْران مُختلفان كلٌّ واحدٍ منهما مُتوَجِّه إلى قِبْلَة مِلَّتِه ، وكان أبو زَبيد أوصى لمَّا احتُضِر أن يُدْفَن إلى جنب الوليد بالبليخ قال : فوقفوا على القَبْرين ، وجعلوا يتحدَّثون بأخبارِهما ويتذاكرون أحاديثَهما ، فأنشأ أبي يقول[1] : [من الوافر]

مَـــررتُ على عِظامِ أَبي زَبيدٍ وقـــد لاحَــت ببَلْقَعَةٍ صَلُودِ
وكان لــه الوَليدُ نديمَ صِدْقٍ فنـــادم قَبـــرُه قَبْـــرَ الوَليدِ
أَنِيسا أُلْفَــةٍ ذهَبَــت فأَمْسَتْ عظامُهُمـــا تَـــآنس بالصَّعيدِ
ومــا أَدْري بمَنْ تبـــدا المَنايا بأَحْمَـــدَ أَو بأَشْجَــع أَو يَزيدِ

قال : فماتُوا والله كما رتَّبَهُم في الشِّعر ، أوّلُهم أحمد ، ثم أشجَع ، ثم يزيد .

صوت[2]

[من الخفيف]

حيِّ ذا الزَّوْرَ وانْهَه أَن يَعودا إنَّ بـــالبابِ حـــارِسِينَ قُعودا
مِـــن أَساوِيرَ مـــا يَنُون قِياماً وخلاخيـــل تُذهِـــل المَوْلُودا
لا ذَعَرتُ السَّوامَ في فَلَق الصُّبْـــحِ مُغِيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدا
يوم أُعطِي مخافةَ المَوْت ضَيْماً والمنايـا يَرْصُدْنَني أَنْ أَحِيدا[3]

الشِّعر ليزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ ، والغناء لسياط خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر أحمد بن المكّيّ أنّه لأبي يحيى ، وذكر الهِشاميُّ انّه لفليح . قال : ومن هذا الصوت سُرِق لحن :

تِلْـــكَ عِرْسي تَلُومُنـــي في التَّصابي

1 ديوانه : 204 .
2 ديوان ابن مفرغ : 100–103 .
3 الشعر والشعراء : يوم أعطي من المخافة ضيماً .

[391] ـ أخبار ابن مفرغ ونسبه[1]

هو يزيد بنُ ربيعة بن مُفَرِّغ[2] ، ولُقِّبَ جدُّه مُفَرِّغاً لأنّه راهن على سِقاء لَبَن أن يَشْرَبه كلّه فشَرِبه كلّه حتى فرّغه ، فلُقّب مُفرِّغاً ، ويُكنى أبا عثمان ، وهو من حِمْير فيما يزعم أهلُه ، وذكَرَ ابنُ الكلبيّ وأبو عُبَيدة أنّ مُفَرِّغاً كان شعّاباً بتبالة[3] ، فادَّعى أنّه من حِمْير . وقال عليّ بن محمد النّوْفليّ : ليس أحدٌ بالبصرة من حِمير إلاّ آل الحجّاج بن ناب الحِمْيريّ وبيتاً آخر ذكره ، ودفعَ بيتَ ابن مُفَرِّغ .

أخبرني محمد بنُ خَلَف بنِ المرزبان ، قال : أخبرني أحمدُ بن الهيثم القُرشيّ قال : أخبرني العُمريّ ، عن لَقيط بنِ بكر[4] المحاربيّ ، قال : هو يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ حلِيفُ قُرَيْش ، ثم حليف آل خالِد بن أسيد بن أبي العِيص ، بن أُميّة بن عبد شمس . قال العُمَريّ : وكان ابن المكّي يقول : كان مُفَرِّغ عبداً للضَّحاك بن عبد عوف الهلاليّ فأنعَمَ عليه .

قال محمد بنُ خَلَف : أخبرني محمد بنُ عبد الرّحمن الأسديّ ، عن محمد بن رزين ، قال : قال الأخفش : كان ربيعة بنُ مُفرِّغ شَعّاباً بالمدينة وكان يُنْسب إلى حِمير ، وإنّما سُمّي مُفرِّغاً لتَفْريغِه العُسّ وكان شاعراً غَزِلاً محسناً ، والسيِّدُ[5] من ولده .

أخبرني محمد بن خَلَف بنِ المرزُبان ، قال : حدَّثني أبو العَيْناء قال : سُئِل الأصمعيّ عن شعر

---

1 ترجمة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري في طبقات ابن سلام : 686–693 والشعر والشعراء : 276–280 ومعجم الأدباء (عباس) 2837–2838 وأمالي الزجاجي : 229 وأنساب الأشراف 1/4 : 374 وتاريخ الطبري 2 : 161 والاكليل 2 : 266 وجمهرة أنساب العرب : 436 وابن خلكان 6 : 342 وسير الذهبي 3 : 522 والبداية والنهاية 8 : 295 ، 314 وخزانة البغدادي 4 : 325–335 وانظر 6 : 43–45 . وقد جمع شعره ثلاث مرات : مرة على يد شارل بيلا ومرة على يد د . داود سلوم والثالثة على يد د . عبد القدوس أبو صالح (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1975) وفي هذه تخريج وافٍ مع استقصاء لمختلف القراءات في مختلف المصادر . ولذلك نكتفي بالإحالة عليها .

2 في معجم الأدباء : يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ . وقال ابن خلكان إنّ أكثر العلماء يسقطون زياداً .

3 الشّعاب : الذي يصلح الصدوع . وتبالة : موضع باليمن . وذكر ابن خلكان أن مفرغاً كان حداداً .

4 ل : بكير وكذا سيأتي فيما بعد .

5 يقصد السيد الحميري .

تُبَّع وقِصتّه ومَنْ وضعهما : فقال : ابن مُفرِّغ ؛ وذلك أنَّ يزيدَ بن معاوية لمَّا سيّره إلى الشّام وتخلَّصه من عبّاد بن زياد أنزلَه الجزيرةَ ، وكان مُقيماً برأس عَيْن ، وزعم أنّه من حِمْير ، ووضع سيرةَ تُبَّع وأشعاره ، وكان النَّمِر بن قاسِط يدَّعي أنّه منهم .

وقال الهيْثم بن عَديّ : هو يزيدُ بن زِياد بن ربيعة بن مُفرِّغ اليَحْصُبيّ ، من حِمْير ، يَحْصُب بن مالك بن زَيْد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَديّ بن مالِك بنِ زَيْد بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن الهَمَيْسَع بن حِمير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان .

أخبرني بِخَبره جماعة من مشايخنا ، منهم أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوْهريّ ، عن عُمر بن شَبَّة ومحمد بن خَلَف بن المرْزُبان ، عن جماعة من أصحابه ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن عليّ بن محمد النّوفليّ ، عن أبيه ، فما اتّفقتْ رواياتُهم من خبره جمعْتُها في ذِكره ، وما اختلفت أفردْتُ كلَّ مُنفرد منهم بروايته .

[عباد بن زياد طرف ملول]

أخبرني محمد بن الحسن بنِ دُرَيد قال : حدَّثنا أبو حاتم ، عن أبي عُبيدة ، عن مَسْلمة بن مُحارب ، وأخبرني الجوهريّ قال : حَدَّثنا عُمر بن شبّة ، وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال : قرأتُ على محمد بنِ الحسنِ بن دُريد عن ابن الأعرابيّ ، وأخبرني محمد بنُ خَلَف بن المرْزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم قال : حدَّثنا العُمريّ ، عن لقيط بنِ بكير ، قالوا جميعاً : لمَّا وليَ سعيدُ بن عُثمان بن عفّان خُراسان ، استَصْحب يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ ، واجتهد به أن يصحبه ، فأبى عليه وصَحِب عبّاد بن زياد ، فقال له سعيد بن عثمان : أما إذْ أبيتَ أن تصحبني وآثرت عبّاداً فاحفظ ما أُوصيك به : إنّ عبّاداً رجل لئيم ، فإيّاك والدّالّة عليه ، وإن دعاك إليها من نفسه فإنّها خِدْعة منه لك عن نفسِك ، وأقلِلْ زيارته ، فإنّه طَرِفٌ[1] ملول ، ولا تفاخِره وإن فاخرَك ، فإنّه لا يحْتمل لك ما كنتُ أحتمله . ثمّ دعا سعيد بمالٍ فدفعه إلى ابن مُفرِّغ ، وقال : استعِنْ به على سفرِك ، فإن صلح لك مكانُك من عبّاد وإلاّ فمكانُك عندي مُمهَّدٌ فائتِني ؛ ثم سار سعيد إلى خراسان ، وتخلّف ابنُ مفرِّغ عنه ، وخرَج مع عبَّاد .

قال ابن دُريد في خبره ، عن مَسلمة بن مُحارب : فلمّا بلغَ عُبَيْدَ الله بن زياد صُحْبةُ ابنِ مُفرِّغ أخاه عبّاداً شَقّ عليه ، فلمّا سار أخوه عبَّادٌ شيَّعه وشيَّع الناسُ معه ، وجعلوا يودِّعونه ويودِّع الخارجون مع عبّاد عُبَيْدُ الله بن زياد ، فلمّا أراد عبيدُ الله أن يودع أخاه دعا ابنَ مُفرِّغ ، فقال له : إنّك سألت عبّاداً أن تصحبه وأجابك إلى ذلك ، وقد شقَّ عليّ . فقال له ابن

1 الطرف : من لا يثبت على امرأة أو صاحب .

مُفَرِّغ : ولِم أَصلَحَك الله ؟ قال : لأن الشاعر لا يُقنِعه من الناس ما يُقنِع بعضَهم من بعض ، لأنّه يظنّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يَعذِر في موضع العُذْر ، وإنَّ عبّاداً يقدَم على أرض حرب فيشتغل بحُرُوبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت ، وتُكْسِبنا شرّاً وعاراً ، فقال له : لست كما ظنَّ الأمير ، وإنّ لِمَعْروفه عندي لشكراً كثيراً ، وإنَّ عندي ، إن أغْفَل أمري ، عذراً مُمهَّداً . قال : لا ، ولكن تَضْمَن لي إن أبطأ عنك ما تُحِبُّه ألاّ تعجل عليه حتى تكتبَ إليَّ ؛ قال : نعم ؛ قال : امضِ إذاً على الطائرِ الميمُون . قال : فقدِم عبّادٌ خُراسان ، واشتغل بحرْبِه وخَراجه ، فاستبطأه ابنُ مُفرِّغ ولم يكتب إلى عُبيد الله بن زياد يشكوه كما ضَمِنَ له ، ولكنّه بسط لسانه فذَمَّه وهجاه .

[ليت اللحى كانت حشيشاً]

وكان عبّادٌ عظيمَ اللِّحْية كأنها جُوالَق ، فسار يَزيدُ بنُ مُفرِّغ ، يوماً مع عبّاد ، فدخلت الريح فنَفَشَتْها ، فضحِك ابنُ مُفرِّغ ، وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله[1] : [من الوافر]

أَلا لَيْتَ اللِّحى كانت حَشِيشاً فَنَعْلِفَهـــا خيُـــولَ المُسْلِمِينا

فسعى به اللَّخْميُّ إلى عبّاد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال : لا يَجمُل بي عقوبتُه في هذه الساعة مع الصحبة لي ، وما أُؤخِّرها إلاّ لأشفيَ نفسي منه ، لأنّه كان يقوم فيَشْتُم أبي في عدَّة مواطن . وبلغ الخبرُ ابن مُفرِّغ فقال : إنِّي لأجِدُ رِيحَ الموتِ من عبّاد .

[يستأذن عباداً في الرجوع]

ثم دخل عليه فقال له : أيُّها الأمير ، إنِّي كنتُ مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغَك رأيُه فيّ ، ورأيتَ جميلَ أثرِه عليّ ، وإنِّي اخترْتك عليه ، فلم أَحْظَ[2] منك بطائلٍ ، وأُريدُ أن تأْذَن لي في الرُّجوع ، فلا حاجةَ لي في صُحْبَتك . فقال له : أمَّا اخْتيارك إيّاي فإنِّي اخترْتُك كما اخترْتني ، واستصحَبْتُك حين سألْتني ، وقد أعجلْتَني عن بلوغ محبَّتي فيك ، وقد طلبتَ الإذْن لترجعَ إلى قومك ، فتَفْضحني فيهم ، وأنتَ على الإذن قادر بعد أن أقضي حقَّك ، فأقام . وبلغ عبّاداً أنّه يسبُّه ويذكُره وينال من عِرْضه ، وأجرى عبّاد الخيل فجاء سابقاً ، فقال ابن مُفرِّغ :

سَبَق عبّـادٌ وصَلَّـت لِحْيَتُه[3]

[بيع غلامه بُرد وجاريته الأراكة]

وطلب عليه العِلَل ، ودَسَّ إلى قوم كان لهم عليه دَيْن ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، ففعلوا ،

1 ديوانه : 225 .

2 ل : أحل .

3 المصلي : الذي يجيء تالياً في السباق . وتتمة الرجز : وكان خرازاً تجود قربته

فحبَسه وأضرَّ به ؛ فبعث إليه أَنْ بِعْني الأَراكةَ وبُرْداً ، وكانت الأَراكة قَيْنَةً لابن مُفرِّغ ، وبُرْدٌ غُلامَه ، ربَّاهُما وكان شديدَ الضَّنِّ بهما . فبعث إليه ابنُ مُفرِّغ مع الرَّسول : أَيبيعُ المرءُ نفسَه أو وَلَدَه ؟ فأَضَرَّ به عبّاد حتى أخذهما منه . هذه رواية مسلمة .

وأَمَّا لَقيط وعمرُ بن شبَّة فإنهما ذكرا أنّه باعهما عليه ، فاشتراهما رجلٌ من أَهل خُراسان . قال لَقيط : فلمّا دخلا منزِلَه قال له بُرْد ، وكان داهيةً أَريباً : أَتدْري ما اشترَيْت ؟ قال : نعم ، اشتريْتُك وهذه الجارية . قال : لا والله ما اشترَيْتَ إلاّ العارَ والدَّمارَ والفضيحة أبداً ما حَييت . فجَزِع الرجلُ وقال له : كيف ذلك ؟ ويلك ! قال : نحن ليزيدَ بنِ ربيعةَ بن مُفَرِّغ ؛ والله ما أَصارَه إلى هذه الحال إلاَّ لِسانُه وشَرُّه ، أَفَتراه يهجو ابنَ زِياد ، وهو أَميرُ خُراسان ، وأخوه أمير العِراقَيْن ، وعمُّه الخليفة ، في أن استَبْطأه ويُمْسِكُ عنك ، وقد ابتَعْتَني وابتَعْتَ هذه الجارية وهي نفسُه التي بين جنبيه ؟ والله ما أرى أحداً أدخلَ بيته أَشْأَمَ على نفسه وأَهله مّما أَدخلتَهُ منزِلك . فقال : فاشْهدْ أَنّك وإيّاها له ، فإن شِئْتُما أَن تمضِيا إليه فامْضِيا ، على أنّي أخافُ على نَفْسي إنْ بَلَغَ ذلك ابن زياد ، وإن شِئْتُما أن تكونا له عِندي فافعلا . قال : فاكتب إليه بذلك . فكتَب الرجلُ إلى ابن مُفَرِّغ في الحَبْس بما فَعَله ، فكتب إليه يَشْكُرُ فِعلَه ، وسأَله أَن يكونا عنده حتى يُفرِّج اللهُ عنه .

قال : وقال عبّاد لحاجبه : ما أَرى هذا ، يعني ابن مُفَرِّغ ، يُبالي بالمُقام في الحَبْس ، فَبِعْ فرسَه وسلاحَه وأَثاثه ، واقسِم ثمنها بين غُرمائه ، ففعل ذلك وقسَم الثَّمَن بينهم ، وبَقِيت عليه بَقِيَّةٌ حبَسه بها . فقال ابنُ مُفَرِّغ يذكُر غُلامه بُرْداً وجارِيَته الأَراكةَ وبَيْعَهما[1] : [من البسيط]

شَرِيتَ بُرداً ولو مُلِّكتُ صَفْقَتَه ... لَما تطلَّبتُ في بَيْعٍ له رَشَدا
لولا الدَّعِيُّ ولولا ما تَعَرَّض لي ... من الحوادِثِ ما فارقتُه أَبَدا
يا بُردُ ما مَسَّنا بَرْدٌ أَضَرَّ بنا ... من قَبْل هذا ولا بِعْنا له وَلَدا
أَمّا الأَراكُ فكانَتْ من مَحارِمِنا ... عَيْشاً لَذِيذاً وكانت جَنَّة رَغَدا
كانت لنا جَنَّة كُنّا نَعِيشُ بها ... نَغْنى بها إن خَشينا الأَزْلَ والنَّكَدا[2]
يا لَيْتَني قبل ما نابَ الزَّمانُ به ... أَهلي لقيت على عُدْوانِه الأَسَدا
قد خانَنا زَمَنٌ لم نَخْشَ عَثْرتَه ... مَنْ يأْمَن اليومَ أم مَنْ ذا يَعِيش غَدا !

---

1 ديوانه : 96-99 .

2 الأزل : الضيق والشدة . والنكد : الشدة والعسر .

لامَتْنيَ النَّفْسُ في بُـرْد فقلت لها لا تَهْلَكي إثْرَ بُـرْدٍ هكَذا كَمَدا
كَمْ مِـن نَعِيمٍ أَصَبْنا مِن لذاذَتِهِ قُلْنا لَـه إذ تولَّـى ليتَـه خلَدا

[هربه إلى البصرة]

قالوا : وعَلِم ابن مُفَرِّغ أنّه إن أقام على ذَمِّ عبّاد وهجائه وهو في مَحْبسه زاد نفسَه شرّاً ؛ فكان يقولُ للنّاسِ إذا سألوه عن حَبْسِهِ ما سببُه ؟ : رجل أدَّبه أميرُه ليُقَوِّم من أَوَده ، أو يكُفَّ من غَرْبه ، وهذا لعَمْري خيرٌ من جرِّ الأميرِ ذيلَه على مُداهنة لصاحِبه . فلمّا بلغ عبّاداً قولُه رَقَّ له وأخرجه من السِّجن ، فهربَ حتى أتى البصرة ، ثم خرج منها إلى الشّامِ وجعل ينتقل في مدنها هارباً ويهجو زياداً وولدَه .

وقال المدائنيّ في خبره : لمّا بلَغَ عبّاداً بن زيادٍ أنَّ ابن المُفَرِّغ قال :

سَبَق عَبَّـاد وصَلَّـت لِحيَتُهْ

[عباد يجبر ابن يزيد على إنشاد شعر في هجاء أبيه]

دعا ابنَه والمجلِسُ حافِلٌ فقال له : أَنشِدني هِجاءَ أَبيك الذي هُجِيَ به ، فقال : أيُّها الأمير ، ما كُلِّف أحدٌ قطُّ ما كلَّفْتني ، فأمر غُلاماً له أَعْجَميّاً وقال له : قُمْ على رأسِه ، فإن أنشد ما أَمرتُه به وإلاّ فصُبَّ السَّوْطَ على رأسِه أبداً أو يُنْشِده ، فأنشدَه أبياتاً هُجِيَ بها أَبوه أوّلها : [من الكامل]

قَبحَ الإلـهُ ولا يُقبِّح غيره وَجْهَ الحمارِ رَبيعةَ بن مُفرِّغِ

وجعل عَبّاد يَتَضاحك به ، فخرج ابنُ ابن مُفَرِّغ من عنده وهو يقول : واللهِ لا يذهب شَتْم شَيْخي باطلاً ، وقال يهجوه بقوله[1] : [من مجزوء الكامل]

أَصَرَمْتَ حبلك من أُمامَهْ مِـن بعـدِ أَيَّـام بِرامَهْ
فـالرِّيحُ تَبكـي شَجْوَها والبرقُ يَضْحَك في الغَمامَهْ
لَهَفي على الأَمْـرِ الذي كانت عواقِبُـه نَـدامَهْ
تَرْكِـي سَعِيداً ذا النَّدى والبَيْت تَرْفَعُـه الدِّعامَهْ
فُتِحَتْ سَمَرقَنْـدٌ لَـه وبَنـى بعَرْصتِهـا خِيامَهْ
وتَبِعْتُ عَبْـدَ بَنـي عِلا جٍ ، تِلْكَ أَشْراطُ القِيامَهْ[2]

1 ديوانه : 207–215 .
2 بنو علاج : بطن من ثقيف .

جاءت به حَبَشِيَّةٌ سَكَّاءُ تحسَبُها نَعامَهْ[1]
وشَرَيْتَ بُرْداً لَيْتَني من بَعْد بُرد كُنْتُ هامَهْ
أو بُومَةً تدعُو صَدًى بين المُشقَّرِ واليَمامَهْ
فالهول يَركَبُه الفتى حَذرَ المَخازِي والسَّآمَهْ
والعَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصا والحُرُّ تكفيه المَلامَهْ[2]

قال : ثم لَجَّ في هجاء بني زياد حتى تغنَّى أهلُ البصرة في أشعاره ، فطلبه عُبَيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخذ ، فلحق بالشام .

واختلفت الرُّواةُ فيمَن ردَّه إلى ابن زياد ، فقال بعضهم : مُعاوِية ، وقال بعضهم : يزيدُ ، والصحيحُ أنّه يزيد ؛ لأنّ عبَّادَ بن زياد إنّما وَلِي سجِسْتانَ في أيّام يزيد . وقال بعضُهم : بل الذي ولاّه مُعاوِية ، وهو الذي ولّى سعيد بن عثمان خُراسان .

[عتاب معاوية على تولية يزيد]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ ، وعُبيد الله بن محمد الرازيّ قالا : حدَّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنيّ قال : دخل سعيدُ بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال : علام جعلتَ يزيدَ وليَّ عهدك دوني ؟ فوالله لأبي خير من أبيه ، وأُمّي خير من أُمّه ، وأنا خير منه ، وقد ولَّيناك فما عزلناك ، وبنا نلْتَ ما نِلْتَ . فقال له معاوية : أمّا قولك : إنّ أباكَ خير من أبيه فقد صدقت لعَمْرُ الله ؛ إنّ عُثمان لخير منّي ، وأمّا قولك : إنَّ أُمَّك خير من أُمّه ، فحسب المرأةِ أن تكونَ في بيت قَومِها وأن يَرْضاها بعلها وأن يَنْجُب ولدُها . وأمّا قولُك : إنّك خيرٌ من يَزيد ، فوالله يا بنيّ ما يسرُّني أنّ لي بيزيدَ ملءَ الغُوطَة مثلك . وأمّا قولُك : إنّكم ولَّيتموني فما عزلتموني ، فما ولّيتموني ، وإنّما ولاّني مَن هو خير منكم عُمَر ، فأقْرَرْتُموني ، وما كنتُ بئس الوالي لكم ، لقد قمتُ بثأركم ، وقتلتُ قتَلَةَ أبيكم ، وجعلتُ الأمرَ فيكم ، وأغنيتُ فقيركم ، ورفعتُ الوضيعَ منكم ، فكلَّمه يزيد في أمرِه فولاّه خُراسان .

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرّغ

[فراره هاجياً بني زياد]

قالوا : فلم يَزَل يَنْتَقِل في قُرى الشام ونواحيها ، ويهجو بني زياد ، وأشعارُه فيهم تَرِد البصرة وتنتشر وتبلُغهم . فكتب عُبيد الله بنُ زياد إلى معاوية ، وقال الآخرون : إنّه كتب إلى يزيد وهو

---

1 سكاء : صغيرة الأذنين .

2 المثل «العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة (الملامة) في مجمع الميداني 2 : 19 .

الصحيح ، يقول له : إنّ ابن مُفَرِّغ هجا زياداً وبني زياد بما هتكه في قبره ، وفضح بنيه طُولَ الدّهر ، وتعدَّى ذلك إلى أبي سُفيان ، فقذفه بالزنا وسَبَّ ولده ، فهرب من خُراسان إلى البصرة ، وطلَبْتُه حتى لَفَظَتْه الأرض ، فلجأ إلى الشام يتمضَّغ لحومَنا بها ، ويهتِك أعراضَنا ، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتَنْتَصِف لنا منه . ثم بعث بجميع ما قاله ابن مُفَرِّغ فيهم .

فأمر يزيد بطلبه ، فجعل ينتقل من بلدٍ إلى بلد ، فإذا شاع خبرُه انتقل حتى لفظَته الشام ، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قَيْس ، فالتجأ به واستجار ، فقال له الأحنف : إنِّي لا أُجير على ابن سُميّة فأُعزَل ، وإنّما يُجير الرجلُ على عشيرته ، فأمّا على سُلْطانه فلا ، فإن شئت أجَرْتُك من بني سَعْد وشعرائهم ، فلا يَريبُكَ أحدٌ منهم . فقال له ابنُ مُفَرِّغ : بأسْتاه بني سعد وما عساهم أن يقولوا فيَّ ؟ هذا ما لا حاجة لي فيه .

ثم أتى خالد بن عبدِ الله بن خالد بن أسيد فاستجار بـه ، فأبى أن يُجيره ، فأتى عُمَر بن عُبَيْد الله بن مَعْمر فوعده ، وأتى طَلْحَة الطَّلَحات فوعده ، وأتى المُنْذِرَ بن الجارُود العَبْديَّ فأجاره ؛ وكانت بَحْرِيَّةُ بنتُ المُنْذِر تحت عُبَيْد الله . وكان المنذر من أكرَم النّاس عليه ؛ فاغترّ بذلك وأدلّ بِمَوْضعه منه ، وطلبَه عُبيدُ الله وقد بلَغه ورودُه البصرة ، فقيل له : أجاره المنذر بن الجارود . فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه ، فلمّا دَخل عليه بعث عبيدُ الله بالشُّرَط فكبسوا داره . وأتوْه بابن مُفرِّغ . فلم يَشعر المنذر إلاّ بابن مُفرِّغ قد أُقيم على رأسه . فقام المنذر إلى عُبَيْد الله فكلّمه فيه فقال : أُذكِّرك اللهَ ، أيُّها الأمير ، أن تخفْر[1] جواري فإنِّي قد أجرتُه . فقال عبيد الله : يا مُنذِر لَيَمدحنَّ أباك وليمدَحنّك ، ولقد هجاني وهجا أبي ثم تُجيرُه عليّ ؟ لاها الله لا يكونُ ذلك أبداً ، ولا أغفِرُها له . فغَضِب المُنذر ، فقال له : لعلّكَ تُدِلّ بكريمَتك عندي ، إن شئتَ والله لأُبيننّها بتطليق ألبتَّة . فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عُبيد الله على ابن مُفرِّغ فقال له : بِئسما صَحِبت به عبّاداً . قال : بِئسما صَحبني به عَبّاد ، اخترتُه على سعيد وأنفقْت على صُحبته كلّ ما أفَدْته وكلّ ما أملكه ، وظننتُ أنّه لا يخلو من عَقْلِ زياد وحِلْم مُعاوية وسماحة قريش ، فعَدَل عن ظنِّيَ كلّه . ثمَّ عاملني بكلّ قبيح ، وتناوَلني بكلِّ مكرُوه ، من حبْس وغُرْم وشَتْم وضَرْب ، فكنتُ كمَن شام بَرْقاً خُلَّباً في سَحابِ جَهام ، فأراق ماءه طمَعاً فيه فماتَ عطشاً ، وما هَرَبتُ من أخيك إلاّ لّما خِفْتُ من أنْ يجريَ فيَّ إلى ما يندم عليه ، وقد صرتُ الآن في يدِك ، فشأنك فاصنع بي ما أحبَبت ، فأمر بحبسِه .

[معاوية أو يزيد لا يستبيح قتله]

وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأْذَن له في قتله ، فكتب إليه : إيّاكَ وقتْلَه ، ولكن عاقِبْه

---

1 خفر جواره : حفظه وحماه ، وتعني أيضاً حفظ عهده وغدر به .

بما يُنكِّله ويشدُّ سلطانَك ، ولا تبلُغ نفسَه ، فإنّ له عشيرةً هي جُندي وبطانتي ، ولا ترْضى بقتلِه منّي ، ولا تَقنع إلاّ بالقوَدِ منك ، فاحذر ذلك ، واعلم أنّه الجِدُّ منهم ومني ، وأنّك مُرْتَهَن بنفسه ، ولك في دون تلفها مندوحةٌ تشفي من الغَيظ . فورد الكتاب على عُبيد الله بن زياد ، فأمر بابن مُفرِّغ فسُقيَ نبيذاً حُلواً قد خُلِط معه الشُّبرُم[1] . فأسهل بطنَه ، وطِيفَ به وهو في تلك الحال ، وقرِن بِهرَّة وخِنزيرة ، فجعل يسلح والصبيان يتبعُونه ويقولون له بالفارسية[2] :

أين چيست ؟ فيقول :

آبسْتَ نبيذَ اسْت * عُصاراتُ زبيبسْت * سُميّة رُوسْبيد اسْت

وجعل كلّما جرَّ الخنزيرة ضجّت ، فجعَل يقول[3] : [من البسيط]

ضَجَّتْ سُميّة لّمــا لَــزَّها قَرَني لا تَجزَعي إنَّ شَرَّ الشّيمة الجَزَعُ

فجَعَل يُطافُ به في أسواق البصرة والصِّبيان خلفَه يصيحون به . وألَحَّ عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط . فعرَف ابنُ زياد ذلك ، فقيل : إنّه لما به لا نأمن أن يموت ، فأمر به أن يُغسَل ، ففعلوا ذلك به ، فلمّا اغتسل قال[4] : [من الخفيف]

يَغسل الماءُ مــا فعلتَ وقَوْلي راسخٌ منك في العِظام البَواليَ

فردَّه عُبيدُ الله إلى الحبسِ ، وأمر بأن يُسلَم مِحجماً وقدَّموا له عُلوجاً ، وأُمِر بأن يحجمهم ، فكان يأخذُ المشارط فيَقطع بها رقابهم فيتوارَون منه ، فتركه وردّه إلى محبسه ، وقامت الشُّرَط على رأسه تَصبّ عليه السياط ويقولون له : احْجُمهم ، فقال : [من الطويل]

وما كنتُ حجّاماً ولكن أُحلّني بمنزلةِ الحجّام نأْيِي عن الأهلِ[5]

وقال عُمر بنُ شبّة في خبره : جمع عبّاد بن زياد كلَّ شيء هجاه به ابنُ مفرِّغ ، وكتب به إلى أخيه عُبيْدِ الله وهو يومئذٍ وافدٌ على معاوية ، فكان فيما كتب إليه قوله[6] : [من الوافر]

إذا أَوْدى مُعاويــةُ بنُ حــربٍ فبشِّرْ شَعْب قَعْبك بانصِداعِ[7]

---

1 الشبرم : نبات له حب مسهل .

2 معنى هـذا الكلام بالفارسية : (الأولاد يسألون) ما هذا ؟ (فيجيبهم ابن مفرغ) هذا ماء نبيذ ، هذه عصارة زبيب ، هذه سميته البغي .

3 ديوانه : 149 وفيه «لما مسها القرن» .

4 ديوانه : 188 .

5 ديوانه : 194 .

6 ديوانه : 156–157 .

7 الشعب : الصدع في الإناء ونحوه . والقعب : القدح الضخم الغليظ .

فأَشْهدُ أَنَّ أُمَّـــك لم تباشر ... أَبـــا سُفيـــان واضعَةَ القِناعِ
ولكـــن كان أَمـرٌ فيـــهِ لَبْس ... على وَجَـــل شَديـدٍ وامتناعِ

وقوله[1] : [من الوافر]

أَلا أَبلغْ مُعاويةَ بــنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلـةً مِـن الرَّجل اليَماني
أَتغضبُ أَنْ يُقال أَبـوك عَفٌّ ... وتَـرْضى أَن يُقال أَبُوك زاني
فأَشهدُ أَنَّ رِحْمَك مِـن زياد ... كرِحْم الفِيل من وَلَـدِ الأَتانِ
وأَشهـدُ أَنّها ولـــدت زياداً ... وصخرٌ مـن سُمَيَّةَ غيرُ داني[2]

فدخل عُبَيد الله بنُ زياد على معاوية ، فأَنشده هذه الأشعار ، واستأْذنه في قتله فلم يأْذَن له وقال : أدِّبه أدباً وجيعاً مُنكِّلاً ، ولا تتجاوزْ ذلك إلى القتْلِ ، وذكر باقي الحديث كما ذكره مَن تقدَّم .

قالوا جميعاً : وقال ابنُ مُفرِّغ يَذْكُر جِوار المُنْذِر بن الجارود إيَّاه وأَمانه[3] : [من الطويل]

تَركتُ قُرَيْشاً أَن أُجـاوِر فيهمُ ... وجاورتُ عَبْدَ القَيْسِ أَهلَ المُشَقَّرِ
أُناسٌ أجارونـــا فكان جِوارُهـم ... أَعاصيرَ مـن قَسْو العِراقِ المُبَذَّرِ
فأَصبح جـارِي من خُزَيْمةَ قائِماً ... ولا يمنــع الجِيرانَ غَيْرُ المُشَمِّرِ

[يستثير اليمانية لنصرته]

وقال أيضاً في ذلك[4] : [من البسيط]

أَصبحتُ لا من بَني قَيْس فَتَنْصُرني ... قَيسُ العِراق ولم تَغْضَب لنا مُضَرُ
ولم تكَلَّــم قُـريشٌ في حَلِيفِهِمُ ... إذ غابَ ناصِرُه بالشَّام واحتَضَرُوا[5]
والله يعلم مـا تُخْفي النُّفوس وما ... سَرَّى أُميَّةُ أَو مـــا قـال لي عُمَرُ
وقال لي خالِـــدٌ قولاً قَنِعتُ به ... لـــو كنت أُعلم أَنَّى يَطْلع القَمَرُ[6]

1 ديوانه : 230–231 .
2 الشعر والشعراء : . . . . حملت زياداً .
3 ديوانه : 135 .
4 ديوانه : 122–124 .
5 الديوان : أَنصاره بالشام واحتصروا . واحتضروا : بمعنى حضروا . واحتصروا : منعوا من السفر .
6 أَنى يطلع القمر : من أين يأتي الفرج .

لو أنَّني شَهِدَتْني حِمْيَرٌ غضِبَتْ دُوني فكان لهم فيما رأَوْا عِبَرُ
أو كُنتُ جارَ بني هِنْدٍ تداركني عوفُ بنُ نُعْمانَ أو عِمْرانُ أو مَطَرُ[1]

وقال أيضاً يذكُر ذلك وما فعل به ابنَ زياد[2] : [من الخفيف]

دارَ سَلْمى بالخَبْت ذِي الأطلالِ كيف نَومُ الأسير في الأغلالِ
أينَ منِّي السَّلامُ من بَعْد نَأْيٍ فارْجِعِي لي تَحِيَّتي وسُؤالي
أينَ منِّي نَجائبي وجِيادِي وغَزالي ، سَقى الإلهُ غزالي
أينَ لا أينَ جُنَّتي وسِلاحي ومَطايا سَيَّرتُها لارْتِحالي
هدَم الدَّهرُ عَرْشَنا فَتداعى فبَلِينا إذ كُلُّ عَيْش بالِي[3]
إذ دعانا زَوالُه فأَجَبْنا كُلُّ دُنْيا ونِعْمةٍ لَزِوالِ
أم قَضَيْنا حاجاتنا فإلى المَوْ تِ مَصيرُ المُلوكِ والأقْيالِ
لا وصَوْمي لِرَبِّنا وزَكاتِي وصَلاتِي أدعُو بها وابْتِهالي
ما أتيتُ الغداةَ أمراً دَنِيّاً ولَدى الله كابِرُ الأعمالِ
أيُّها المالكُ المُرهِّب بالقَتْـ ـل بَلَغْتَ النَّكالَ كُلَّ النَّكالِ
فاخشَ ناراً تَشْوِي الوُجوهَ ويَوْماً يَقذِفُ الناسَ بالدَّواهي الثِّقالِ
قد تعدَّيْتَ في القِصاصِ وأدْرَكْـ ـتَ ذُحولاً لمَعْشَرٍ أقْتالِ[4]
وكَسَرْتَ السِّنَّ الصَّحيحةَ منِّي لا تُذِلَّنْ فمُنْكَرٌ إذْلالي
وقَرَنْتُم معَ الخَنازير هِرّاً ويَميني مَغْلُولةٌ وشِمالي
وكِلاباً يَنْهَشْنَني من وَرائي عجبَ الناسُ ما لهنَّ ومَا لي !
وأطلْتُم معَ العقُوبةِ سِجناً فكَمِ السّجْن أو مَتى إرْسالي[5]
يَغسِلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وقَوْلي راسخٌ مِنْكَ في العِظامِ البَوالي
لو قبلتَ الفِداءَ أو رُمْتَ مالي قُلتُ : خُذْه فِداءُ نَفْسيَ مالي

---

1 ل : بني نهد .
2 ديوانه : 185–193 .
3 الديوان : كل شيء .
4 الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر والعداوة والحقد . وأقتال : جمع قِتل ، وهو الشجاع المقاتل .
5 في الديوان : سَجْني .

لو بِغَيْري من مَعْشَري لَعِبَ الدَّهْـ ـر لما ذَمَّ نُصرَتي واحْتِيالي
كم بَكاني من صاحِبٍ وخَليل حافِظِ الغَيْب حامِدٍ للخِصالِ
ليتَ أنّي كُنتُ الحَليفَ للَخْمٍ وجُذامٍ أو طَيِّىء الأجمالِ[1]
بَدَلاً من عِصابَة من قُرَيْش أَسلَمُوني للخَصْم عند النِّضالِ
البَهاليلُ من بني عَبْد شَمْس فَضَلُوا النّاسَ بالعُلا والفِعالِ
وبنو التَّيْم تَيْم مُرَّة لَمّا لَمَع المَوتُ في ظِلالِ العَوالي
مَنَعُوا البَيْتَ بَيْتَ مَكَّةَ ذا الحِجْـ ـر إذِ الطَّيْرُ عُكَّفٌ في الظِّلالِ
والبَهاليلُ خالِدٌ وسعيد شَمْسُ دَجْنٍ وَوُضَّحٌ كالهِلالِ
في الأَروماتِ والذُّرى من بَني العِيـ ـص قُرومٌ إذا تُعَدُّ المَعالي
كُنتُ منهم ، ما حَرَّموا فحَرامٌ لم يُرامُوا ، وحِلُّهُم من حَلالِ
وذَوُو المَجْدِ من خُزاعَةَ كانوا أَهلَ وُدّي في الخِصْبِ والإمْحالِ
خَذَلُوني وهُم لِذاكَ دَعَوْني لَيْس حامي الذِّمار بالخَذّالِ
لا تَدَعْني فِداك أَهلي ومالي إنَّ حَبْلَيْكَ من مَتِينِ الحِبالِ
حَسْرَتا إذ أَطَعْتُ أَمْرَ غُواتي وعَصَيْتُ النَّصيحَ ضَلَّ ضَلالي

وقال يهجو عبّادَ بن زيادٍ ويذكر سعيد بن عثمان[2] : [من المديد]

أَيُّها الشاتِمُ جَهْلاً سَعِيداً وسَعِيدُ في الحَوادِثِ نابُ
ما أَبوكم مُشبِهاً لأَبيه فاسأَلوا الناسَ بذاكم تُجابُوا
سادَ عَبّادٌ ومُلِّكَ جَيْشاً سَبَّحت من ذاكَ صُمٌّ صِلابُ
إنَّ عاماً صِرْتَ فيه أَميراً تَملِكُ النّاسَ لعامٌ عُجابُ

[يمحو هجاءه بأظفاره]

قال : واتصل هِجاؤه زِياداً وولده وهو في الحبس ، فردَّه عُبيدُ الله إلى أَخيه عبّادٍ بسجِسْتان ، ووكَّل به رجالاً ووجههم معه . وكان لمّا هرب من عبّاد يهجوه ويكتب كلَّ ما هجاه به على حيطان الخانات ؛ وأمر عُبَيْدُ الله المُوكَّلين به أن يأخذوه يمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره ، وأمرهم ألاّ يتركوه يُصلّي إلاّ إلى قِبْلة النصارى إلى المشْرق . فكانوا إذا دخلوا بعضَ الخانات

1 الأجمال في الديوان : الأجبال .
2 ديوانه : 61–63 .

التي نزلها فرأوا فيها شيئاً مِمّا كتبه من الهجاء ، أخذوه بأن يمحوَه بأظافره ، فكان يفعل ذلك ويحكُّه حتى ذهبت أظافِرُه ، فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه ، حتّى سلّموه إلى عبّاد فحبسه وضيّق عليه . قال عُمَرُ بن شبَّة في خبره : فقال ابن مُفَرِّغ[1] : [من الطويل]

سَرَتْ تحت أقطاع من اللّيل زَيَنبُ ... سلامٌ عليكم هَلْ لما فاتَ مَطْلَبُ !

ويروى : ألا طرَقْتنا آخرَ اللّيل زَيْنَبُ

أصابَ عَذابي اللونَ فاللّونُ شاحِبٌ ... كما الرأسُ من هَوْل المنيّة أشيبُ
قُرنتُ بخِنْزِير وهِرٌّ وكَلْبَةٍ ... زماناً وشانَ الجلدَ ضربٌ مُشذِّبُ
وجُرِّعتُها صَهباءَ من غيرِ لَذَّة ... تُصعِّد في الجُثمان ثم تَصوَّبُ
وأُطْعِمْت ما إن لا يَحُلّ لآكلٍ ... وصَلَّيْتُ شَرْقاً بَيتُ مكَّة مَغرِبُ
من الطَّفِّ مَجْنوباً إلى أرضِ كابُلٍ ... فملّوا وما مَلَّ الأسيرُ المُعذَّبُ[2]
فلو أنَّ لَحْمي إذ هَوى لَعِبَتْ به ... كِرامُ المُلوكِ أو أُسودٌ وأَذْؤُبُ
لهَوَّن وَجْدي أو لزادت بَصيرَتي ... ولكِنَّما أُودَتْ بلَحْمي أكْلُبُ
أعبَّادُ ما لِلُّؤمِ عنك مُحوَّلٌ ... ولا لَكَ أمٌّ في قُرَيْش ولا أَبُ
سيَنصُرني مَنْ ليس تَنْفَع عِنْده ... رُقاكَ وقَرْمٌ من أُمَيَّة مُصْعَبُ[3]
وقل لعُبَيْد الله : ما لَكَ والِدٌ ... بحَقٍّ ولا يَدري امرؤٌ كيف تُنْسَبُ

في أوّل هذا الشعر غناء نسبته .

صوت

ألا طرَقْتنا آخرَ اللّيل زينَبُ ... سلامٌ عليكم هَلْ لِما فات مَطلَبُ !
وقالت : تَجَنَّبْنا ولا تَقْرَبَنَّنا ... فكَيْفَ وأنتم حاجَتي أتجَنَّبُ !

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ .

وقالوا جميعاً : فلمّا طال مقامُ ابن مُفَرِّغ في السجن استأجر رسولاً إلى دمشق ، وقال له : إذا كان يومُ الجمعة فقفْ على درج جامع دمشق ، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما

1 ديوانه 53–59 .
2 المجنوب : الذي يقاد إلى جنب الفرس . وفي الديوان : مجلوباً .
3 القرم : السيد . والمصعب : الفحل .

يُمكِنُك من صوتك ، وكَتبَهما في رُقعة ، وهما[1] : [من البسيط]

أبلِغْ لديك بنــي قَحْطانَ قاطِبةً ... عَضَّــت بأيْر أبيهـــا سادةُ اليَمَنِ
أضحى دَعــيٌّ زِيــادٍ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ ... ـ يا لَلْعجائب ـ يَلْهو بابن ذي يَزَنِ[2]

ففعل الرسولُ ما أمره به ، فحَمِيت اليمانيّة وغضبوا له ، ودخلوا على مُعاوية فسألوه فيه فدفَعَهم عنه ، فقاموا غضاباً . وعرف معاوية ذلك في وجوههم ، فردَّهم ووهبَه لهم ، ووجَّه رجلاً من بني أسد يقال له خَمْخام ، ويقال : جهنام ، بريداً إلى عبّاد ، وكتب له عهداً ، وأمَره بأن يبدأ بالحَبْس فيُخرِج ابنَ مُفرِّغ منه ويُطلِقه قبل أن يعلَم عبَّاد فيمَ قدِم فيغتاله . ففعل ذلك به ، فلمّا خرج من الحبس قُرِّبتْ إليه بغلة من بغال البريد فركبها ، فلمّا استوى على ظهرها قال[3] : [من الطويل]

عَــدَسْ مـــا لِعَبَّــادٍ عليكِ إمارةٌ ... نجَوتِ وهـــذا تَحْمِلِـين طَلِيقُ[4]
فإنَّ الذي نَجَّى من الكَرْب بَعدَما ... تَلاحَــمَ في دَرْبٍ عليكِ مضيقُ[5]
أتاك بخَمْخامٍ فأنْجاك فالْحَقــي ... بأهْلِــك لا تُحبَسْ عليك طَريقُ[6]
لعمْري لقد أنجاك من هُوَّةِ الرَّدى ... إمـــامٌ وحَبْــلٌ للأنــام وَثِيقُ
سأشكُرُ ما أوليتَ من حُسْن نِعمة ... ومِثْــلي بشُكْــــر المُنْعِمين حَقِيقُ

قال عُمر بن شَبَّة في خبره ، ووافقه لقيط بن بكير : فلمّا أُدخِل على مُعاوية بكى وقال : ركِبَ منّي ما لَم يُرْكَب من مسلم قطّ ، على غير حَدَث في الإسلام ولا خَلْع يَدٍ من طاعَةٍ ولا جُرْم ، فقال : ألست القائل : [من الوافر]

ألا أبلِغْ مُعاويــةَ بنَ حَرْب ... مُغَلْغَلَةً مِــن الرَّجُـل اليَماني
أتغضَب أن يُقال أبــوكَ عَفٌّ ... وتَرضى أن يُقال أبوكَ زانِ !
فأشهَدُ أنَّ رِحْمَك مِــن زيادٍ ... كرِحْم الفِيلِ مِــن وَلَدِ الأَتانِ
وأشهَــدُ أنّها وَلَدت زِيــاداً ... وصَخْرٌ مِــن سُمَيَّةَ غيرُ دانِ

---

1 ديوانه : 226–228 .
2 تقدم المثل «فقع قرقرة» .
3 ديوانه : 171–175 .
4 عدس : كلمة لزجر البغلة ، وبها هنا سمى البغلة . وهذا بمعنى الذي .
5 الديوان : طليق الذي . . .
6 الديوان : قضى لك خمخام بأرضك فالحقي . . . . لا يؤخذ . . . .

فقال : لا والذي عظَّم حقَّك يا أميرَ المؤمنين ما قلتُه ، ولقد بلغني أنَّ عبد الرحمن بن الحكَم قاله ونسبه إليَّ . قال : أفلَم تقُل : [من الوافر]

شَهِدتُ بـأنَّ أُمَّك لم تُباشِر ... أبـا سُفيـانَ واضِعَةَ القِناعِ
ولكــن كان أمـرٌ فيــه لَبْسٌ ... على وَجَــلٍ شَدِيدٍ وارتِياعِ

أو لَسْتَ القائل[1] : [من المنسرح]

إنَّ زِيــاداً ونافِعــاً وأبــا ... بَكْرَةَ عِنْدي من أعْجَب العَجَبِ
إنّ رِجــالاً ثلاثَــةً خُلِقُـوا ... في رَحْمِ أُنثى ما كُلهمْ لأَبٍ[2]
ذا قُرشِيٌّ كما يَقُـولُ ، وذا ... مَوْلًـى ، وهذا بزَعْمِـه عَرَبي

في أشعار كثيرة قُلتَها في هِجاء زياد وبنيه ، اذهَبْ فقد عفوتُ عن جُرْمِك ، ولو إيّانا تعامل لم يكُنْ شيء مِمّا كان ، فاسكُن أيّ أرضٍ شئت . فاختار الموصلَ فنزلها ، ثمّ ارتاح إلى البصرة فقدِمها ؛ فدخل على عُبيد الله بن زياد ، واعتذر إليه وسأله الصَّفْح والأمان ، فأمَّنه وأقام بها مُدّة ، ثمّ دَخل عليه بعد أنْ أمَّنَه فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ، إنّي قد ظننْت أنّ نفسك لا تَطيب لي بخير أبداً ، ولي أعداء لا آمن سعيَهم عليّ بالباطل ، وقد رأيتُ أن أتباعد ؛ فقال له : إلى أينَ شئت ؟ فقال : كَرْمان . فكتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقَطِيعة وكُسْوة . فشَخص فأقام بها حتى هَرَبَ عُبيْد الله من البَصْرة ، فعاد إليها . هذه رواية عُمَر بن شَبَّة .

وقال محمد بنُ خَلَف في روايته ، عن أحمد بنِ الهيْثم ، عن المَدائنيّ ، وعن العمريّ ، عن لقيط : أنَّ ابنَ مُفرِّغ لمّا طالَ حَبسُه وبلاؤه ، ركب طلْحةُ الطَّلحات إلى الحجاز ، ولقي قريشاً ، وكان ابنُ مُفرِّغ حليفاً لبني أُميَّة ، فقال لهم طَلحة : يا معشَر قُريش ، إنَّ أخاكم وحليفكم ابن مُفرِّغ قد ابتُلي بهذه الأعبُد من بني زياد ، وهو عَديدكم وحليفكم ورجُلٌ منكم ، ووالله ما أحِبُّ أن يُجْرِيَ الله عافيتَه على يدي دونكم ، ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتُخلَوْا منها ، فانهضُوا معي بجماعتكم إلى يزيدَ بن معاوية ، فإنَّ أهلَ اليمن قد تحرّكوا بالشّام . فركب خالدُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأُميّة بن عبد الله أخوه ، وعُمرُ بن عبيد الله بن معمر ، ووجوه خُزاعة وكنانة وخَرجوا إلى يزيد ، فبَيْنا هم يسيرون[3] ذات ليلة إذ

---

1 ديوانه : 79 .

2 الديوان : مخالفي النسب .

3 ل : يسمرون .

سَمِعوا راكباً يتغنّى في سواد الليل بقول ابنِ مُفرِّغ ويقول[1] : [من الخفيف]

إنَّ تركِي نَدى سَعيدِ بنِ عُثما ... نَ بن عَفّان ناصِري وعدِيدي[2]
واتِّباعي أَخا الضَّراعةِ واللُّؤْ ... مِ لنقصٌ وفَوتُ شَأوٍ بَعيدِ
قلتُ واللَّيلُ مُطبِقٌ بعُراه : ... ليتَني مِتُّ قبل تركِ سَعيدِ
ليتني مِتُّ قبل تَرْكي أَخا النَّجْـ ... ـدة والحَزْم والفَعالِ السَّديدِ
عَبْشميٌّ أَبُوه عبدُ مَنافٍ ... فازَ منها بتاجِها المَعقُودِ
ثُمَّ جُودٌ لو قِيلَ : هل من مَزيد ... قلتُ للسائلين : ما من مَزيدِ[3]
قُلْ لقَوْمي لَدى الأباطِحِ مِنْ آ ... لِ لُؤَيِّ بنِ غالبٍ ذي الجُودِ
سامَني بعدَكم دَعِيُّ زيادٍ ... خُطَّةَ الغادِرِ اللئيمِ الزَّهيدِ[4]
كانَ ما كانَ في الأَراكةِ واجتَـ ... ـبَّ ببُرْدٍ سَنامَ عِيسي وجيدِي
أَوْغَلَ العَبدُ في العُقوبةِ والشَّتْـ ... ـمِ وأَوْدى بطارفي وتليدِي
فارحلوا في حليفكم وأَخيكم ... نحوَ غَوْث المُستَصرِخين يزيد
فاطلبوا النَّصفَ من دَعيٍّ زيادٍ ... وسلوني بما ادَّعَيْتُ شُهودي[5]

قال : فدعا القوم بالراكبِ فقالوا له : ما هذا الذي سمعْناه منك تغنِّي به ؟ فقال : هذا قولُ رجل والله إنَّ أمرَه لعجَب ، رجل ضائعٌ بين قريش واليمن ، وهو رجل الناس ؛ قالوا : ومَن هو ؟ قال : ابنُ مفرِّغ ؛ قالوا : والله ما رحلنا إلاّ فيه وانتسبوا له . فضحك وقال : أفلا أُسمعكم من قوله أيضاً ؟ قالوا : بلى ، فأنشدَهم قولَه[6] : [من الطويل]

لعَمْرِيَ لو كان الأَسيرُ ابنَ مَعْمرٍ ... وصاحبَه أو شِكلَه ابنَ أُسيدِ
ولو أنَّهم نالوا أُميَّة أَرقَلَتْ ... براكبِها الوَجناءُ نحو يزيدِ
فأَبلغتُ عذراً في لؤيِّ بنِ غالب ... وأَتلفتُ فيهم طارفي وتَليدي

1 ديوانه : 109–112 .
2 الديوان : فتى الجود ناصري وعديدي .
3 الديوان : ثم جود لو قيل : فيه مزيد ؟
4 الديوان : سنام عيشي : أي ذروة ما فيه من رغد وهناء .
5 النصف : الانصاف .
6 ديوانه : 113–116 .

فإن لم يُغيِّرْها الإمامُ بحقِّها عَدلتُ إلى شُمٍّ شَوامخَ صِيدِ
فناديتُ فيهم دعوةً يَمنيَّةً كما كان آبائي دَعَوْا وَجُدُودي
ودافعتُ حتّى أُبلغ الجهدَ عنهمُ دِفاعَ امرىءٍ في الخير غير زَهيدِ
فإن لم تَكُونوا عند ظَنّي بِنَصْرِكم فليس لها غَيْرُ الأَغَرِّ سَعيدِ
بِنَفسي وأَهلي ذاك حيّاً ومَيِّتاً نُضارٌ وُعودُ المَرءِ أكرمُ عُودِ
فكَم من مُقامٍ في قريش كَفيتُه ويومٍ يُشيبُ الكاعِباتِ شَديدِ
وخَصْمٍ تحاماه لُؤيُّ بنُ غالِبٍ شَبَبتُ له ناري فهاب وَقُودي
وخيرٍ كثيرٍ قد أَفأتُ عليكمُ وأنتم رُقودٌ أو شَبِيهُ رُقودِ

قال : فاستَرْجع القومُ لقوله وقالوا : واللهِ لا نَغْسِلُ رؤوسَنا في العرب إن لم نَغْسِلها بفكِّه . فأَغذَّ القومُ السَّيرَ حتى قدموا الشَّام .

[قدوم اليمانية على يزيد]

وبعث ابنُ مُفرِّغ رجلاً من بني الحارث بن كَعْبٍ ، فقام على سُور حِمْص ، فنادى بأَعلى صوتِه الحُصيْنَ بن نُمَير ، وكان والي حمص ، بهذه الأبيات وكان عظيمَ الجبهة : [من البسيط]

أَبلغْ لدَيك بني قَحْطانَ قاطبةً عَضَّتْ بأَيْر أَبيها سادَةُ اليَمَنِ
أَمسى دَعِيُّ زيادٍ فَقْعَ قَرقَرَةٍ يا لَلْعجائبِ يَلهو بابن ذي يَزَنِ !
والحِميريُّ طريحٌ وسط مَزْبلةٍ هذا لعَمرُكُم غَبنٌ من الغَبنِ
والأَجبَهُ ابنُ نُمير فوق مَفرشه يدنُو إلى أَحْوَر العَيْنَيْنِ ذي غُنَنِ[1]
قُوموا فقُولُوا : أَميرَ المؤمنين لنا حَقٌّ عليك ومَنٌّ ليس كالمِنَنِ
فاكفُف دَعيَّ زِيادٍ عن أَكارمنا ماذا يُريدُ على الأحقادِ والإحَنِ

فاجتمعت اليمانيّة إلى حُصَيْن ، فعيّروه بما قاله ابن مُفرِّغ . فقال الحُصَيْن : ليس لي رأيٌ دونَ يزيد بن أسد ومَخْرمة بن شُرَحبيل ؛ فأرسل إليهما ، فاجتمعوا في مَنزِلِ الحُصَين ، فقال لهما الحُصَين : اسمَعا ما أَهْدى إليَّ شاعِرُكم وقاله لكم في أخيكم ، يعني نفسَه ، وأنشدهم ، فقال يزيد بن أَسد : قد جئتُكم بأَعظمَ من هذا ، وهو قولُه : [من الطويل]

وما كنتُ حجّاماً ولكِنْ أَحلَّني بِمنزِلةِ الحَجّامِ نأْيي عن الأَصلِ

فقال الحُصَين : واللهِ لقد أساءَ إلينا أميرُ المؤمنين في صاحِبنا مرّتين : إحداهُما أنّه هربَ

---

1 الأجبه : العظيم الجبهة ، وهو الحصين بن نمير .

إليه فلم يُجِرْه ، وأُخرى أنّه أَمرَ بعذابه غير مراقِبٍ لنا فيه . وقال يزيد بن أُسد : إنّي لأظنّ أنَّ طاعتَنا ستفسُد ويمحوها ما فعل بابن مفرّغ ، ولقد تطلَّع من نفسي شيء ، لَلموْت أَحبُّ إليَّ منه . وقال مَخْرمةُ بنُ شُرَحْبيل : أيّها الرَّجلان ، اعقِلا فإنّه لا معاوية لكما ، واعْرِفا أنَّ صاحِبَكما لا تقدَحَ فيه الغِلْظة ، فاقْصِدا التَّضرُّع . فركِب القومُ إلى دمشقَ وقدِموا على يزيدَ بن معاوية ، وقد سبقهم الرَّجل ، فنادى بذلك الشِّعر يوم الجمعة على درج مَسْجِد دمشق ، فثارت اليمانيّة وتكلَّموا ، ومشى بعضُهم إلى بعض ، وقدِم وفدُ القُرشيِّين في أمره مع طلحة الطَّلحات ، فسبقوا القُرشيِّين ، ودخلوا على يزيدَ بن معاوية ، فتكلّم الحُصَين بن نمَيْر ، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الذي أتاه ابنُ زياد إلى صاحبنا لا قرارَ عليه ، وقد سامنا عُبيدُ الله وعبَّادٌ خُطَّةَ خَسْف ، وقَلَّدانا قِلادةَ عار ، فأنصِف كريمَنا من صاحِبِه ، فوالله لئن قدرْنا لنَعْفُونَّ ، ولئن ظُلِمنا لننتَصرنّ . وقال يزيد بنُ أسد : يا أمير المؤمنين ، إنّا لو رضينا بمُثْلَةِ ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه ، لم يَرْضَ الله عزَّ ذكره بذلك . ولئنْ تقرّبنا إليك بما يُسخطُ الله ليُباعدنّنا الله منك ، وإن يمانيّتك قد نَفَرتْ لصاحبها نفرةً طار غُرابُها ، وما أدري متى يَقع ، وكلّ نائرةٍ[1] تقدحَ في المُلك ، وإن صَغرتْ لم يُؤمن أن تكبر ، وإطفاؤها خيرٌ من إضرامها لا سيّما إذا كانت في أنفٍ لا يُجدَع ، ويد لا تُقْطَع ، فأَنْصِفنا من ابني زياد .

وقال مَخْرَمَة بنُ شُرَحْبيل ، وكان مُتألِّهاً عظيمَ الطاعة في أهلِ اليمن : إنّه لا يدَ تحجُزك عن هواك ، ولو مثَّلتَ بأخينا وتولَّيتَ ذلك منه بنفسك لم يقم فيه قائم ولم يُعاتبك فيه مُعاتِب ، ولكنَّ ابنَيْ زياد استخفَّانا بما يثْقُل عليك من حقّنا ، وتهاوَنا بما تُكرِمُه منّا ، وأنت بيننا وبين الله ، ونحن بينك وبين الناس ، فأنصفنا من صاحبَيْك ، ولِيَنْفَعْنا بلاؤنا عندك .

فقال يزيد : إنَّ صاحِبَكم أتى عَظِيماً ؛ نفى زياداً من أبي سُفْيان ، ونفى عبّاداً وعُبيْدَ الله من زياد ، وقلَّدَهم طوقَ الحمامة[2] ، وما شَجَّعه على ذلك إلاّ نسبُه فيكم ، وحِلفُه في قريش ، فأمّا إذ بَلَغ الأمرُ ما أرى ، وأشْفى[3] بكم على ما أشفى ، فهو لكم ، وعليَّ رِضاكم .

قال : وانتهى القُرشيُّون إلى الحاجب فاستأذن لهم ، وقال لليمانيِّين : قد أَتَتْكم بُرى الذهب من أهلِ العراق ، فدخلوا وسلَّمُوا والغَضبُ يتبَيَّن في وجوههم ، فظنَّ يزيدُ الظنون ،

1 النائرة : العداوة والشحناء .

2 انظر المثل «تقلدها طوق الحمامة» في مجمع الميداني 1 : 145 وجمهرة العسكري 1 : 255 ومستقصى الزمخشري 2 : 30 .

3 أشفى : أشرف .

وقال لهم : ما لكُم ؟ انفتَق فَتْقٌ أو حدَثَ حدَثٌ فيكم ؟ قالوا : لا ، فسَكَن .

فقال طلحة الطَّلَحات : يا أَميرَ المؤمنين ، أَما كفى العربَ ما لقِيَتْ من زياد ، حتى استعمَلْتَ عليها ولدَه يستكثِرُون لك أحقادَها ، ويُبَغِّضونَك إليها ؟ إنّ عُبَيْد الله وأخاه أتيا إلى ابن مُفَرِّغ ما قد بلغك ، فأنصِفْنا منهما إنصافاً تعلَم العرب أنَّ لنا منك خلَفاً من أبيك ؛ فوالله ، لقد خبَأَ لك فعلُهما خبئاً عند أهل اليمن لا نَحْمَدُه لك ، ولا تَحْمَدُه لنفسِك .

وتكلّم خالدُ بن عبد الله بن خالد بن أسِيد فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ زياداً رُبِّيَ في شرِّ حِجْر ، ونشأَ في أخبَث نَشْء ، فأثْبتّم نِصابه في قريش ، وحملْتُموه على رِقابِ الناس ، فوَثَب أبْناه على أَخِينا وحلِيفِنا وحليفك ، ففعلا به الأفاعِيل التي بلغَتْك ، وقد غَضِبَتْ له قريشُ الحجاز ويمنُ الشَّام مِمَّن لا أُحِبُّ والله لك غَضَبَه ، فأنصِفْنا من ابنَيْ زِياد .

وتكلّم أَخوه أُميّةُ بنحو ممّا تكلّم أخوه وقال : والله يا أميرَ المؤمنين لا أَحطُّ رَحْلي ، ولا أَخلع ثِيابَ سفري ، أو تنصِفَنا من ابنَيْ زياد ، أو تَعْلَمَ العربُ أنّك قد قطَعْتَ أرحامَنا ، ووصلْتَ ابنَيْ زياد بقطْعِنا ، وحكمتَ بغيرِ الحقِّ لهما علينا .

وقال ابنُ مَعْمَر : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ ابنَ مُفرِّغ طالما ناضلَ عن عِرْضِك وعِرْضِ أَبيك وأعراضِ قومك ، ورمى عن جَمْرة أهلِك ، وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حيّاً لم يرضَ به ، وهذا رجل له شرَفٌ في قومه ، وقد نفرُوا له نَفْرة لها ما بعدها ، فأعْتِبْهم وأنصِف الرجلَ ولا تُؤثِر مَرْضاةَ ابنَي زيادٍ على مَرْضاةِ الله عزَّ وجلَّ .

[يزيد يطلق ابن مفرِّغ]

فقال يزيدُ : مرحباً بكم وأَهلاً ، والله لو أَصابه خالدٌ ابني بما ذكرتم لأَنصفتُه منه ، ولو رحلتم في جميع ما تُحِيط به العراق لوهَبْتُه لكم ، وما عندي إلاّ إنصافُ المظلوم ؛ ولكنَّ صاحبكم أسرَف على القوم . وكتبَ يَزيدُ ببناء داره ، وردَّ مالِه وتَخْلِية سبيله ، وألاّ إمرةَ لأحد من بني زياد عليه ؛ وقال : لولا أنَّ في القَوَد بعدما جرى منه فَساداً في المُلك لأقدْتُه من عبَّاد .

وسرَّح يَزيدُ رجُلاً من حِمْيَر يقال له خَمْخام ، وكتب معه إلى عبّاد بن زياد : نفسَك نفسَك ؛ وأن تَسقُط من ابن مُفرِّغ شعْرَةٌ فأُقِيدَكَ والله به ، ولا سُلطانَ لك ولا لأخيك ولا لأَحدٍ غيري عليه . فجاء خَمْخامُ حتى انتزعه جهاراً من الحبس بمحضر الناس وأَخرجه .

قالوا : فلمّا دخل على يزيد قال له : يا أَمير المؤمنين ، اختَر منّي خَصْلَةً من ثلاث خصال ، في كلِّها لي فَرَج ، إمّا أن تُقِيدَني من ابن زِياد ، وإمّا أن تُخلّي بيني وبينه ، وإمّا أن تُقدِّمَني فتضرِبَ عنقي .

فقال له يزيد : قبّح الله ما اخترته وخيَّرتَنيه ؛ أمّا القوَد من ابن زياد فما كنتَ لأُقيدَك من عاملٍ كان عليك ، ظلمتَه وشتَمتَ عِرضَه وعِرْضي معه ، وأمّا التَّخْلية بينك وبينه فلا ، ولا كرامة ، ما كنتُ لأُخلّي بينك وبين أهلي تقطعُ أعراضَهم ، وأمّا ضَرْبُ عُنُقِك ، فما كنتُ لأضرِبَ عُنُقَ مسلم من غير أن يستحِق ذلك ، ولكنّي أفعلُ ما هو خير لك مِمّا اختَرْتَه لنفسك ؛ أعطيك دِيَتَك ، فإنهم قد عرَّضُوك للقتل ، وأكففْ عن ولدِ زياد ، فلا يَبْلغني أنّك ذكرتَهم ، وانزِل أيّ البلاد شئتَ . وأمر له بعشرة آلافِ درهم .

[ابن مفرِّغ يعتذر لابن زياد]

فخرج حتى أتى المَوْصِل وأقام بها ما شاءَ اللهُ ، ثم خرَج ذات يوم يَتَصَيَّد ، فلَقِي دِهْقاناً على حمارٍ له ، فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من العراق . قال : من أيّها ؟ قال : من البصرة ، ثم من الأهواز . قال : فما فعل المَسْرُقان[1] ؟ قال : على حاله ، قال : أفتَعْرِف أناهِيدَ بنت أعنق ؟ قال : نعم ؛ قال : ما فعلت ؟ قال : على أحْسن ما عَهِدْت . قال : فضرَب بِرْذَوْنَه وسار حتى أتى الأهْوازَ ، ولم يعلم أهلُه ولا غيرُهم بمَسِيره . ثم أتى عُبَيْد الله بنَ زِياد ، فدخل عليه واعتذر إليه ، وسأله الأمانَ فأمَّنه ، ثم سأله أن يكتُب له إلى شريك بن الأعْور فكتب له ووصَلَه . وخرج فأقام بكَرْمان حتى غلب ابنُ الزُّبير على العراق ، وهرب ابنُ زياد وكان أهلُ البصرة قد أجمعوا على قَتله ، فخرج عن البصرة هارباً ، فعاد ابن مُفَرِّغ إلى البصرة ، وعاود هجاء بني زياد ، فقال يذكر هرب عُبَيْد الله وتَرْكَه أُمَّه بقوله[2] : [من الكامل]

أعُبَيدُ هلاّ كنتَ أوّلَ فارسٍ يوم الهِياجِ دعا بحَتْفِك داعِ[3]
أسلمْتَ أُمّكَ والرِّماحُ تَنوشُها يا ليتَني لكَ ليلةَ الإفزاعِ[4]
إذ تَسْتغيث وما لنفسِك مانِعٌ عبْدٌ تردِّدُه بدارِ ضَياعِ
هلاّ عجوزك إذ تُمَدُّ بثَدْيِها وتَصيحُ ألاّ تَنْزِعُنَّ قِناعي
أنقذتَ من أيدي العُلوجِ كأنّها رَبْداءُ مُجفِلةٌ ببطنِ القاعِ[5]

1 المسرقان : نهر بخوزستان عليه عدة قرى .
2 ديوانه : 159–165 .
3 بحتفك في الديوان : لحينك .
4 تنوشها في الديوان : شوارع .
5 الربداء : السوداء أو التي بلون الرماد .

فركبتَ رأسَك ثم قلتَ : أرى العِدا ... كَثُروا وأَخلفَ مَوْعِدي أَشْياعي[1]
فانْجي بنَفْسِك وابتغي نَفَقاً فما ... لي طاقَـةٌ بك والسَّلامُ وداعِي
ليسَ الكَريمُ بمَـنْ يُخَلِّف أُمَّه ... وفتاتَـــه في المَنزِلِ الجَعْجاعِ[2]
حَـذَر المَنِيَّةِ والرِّمـاحُ تَنوشُه ... لم يَـرْمِ دون نِسائـه بكُراعِ[3]
مُتأبِّطـاً سيفـاً عليـه يَلْمَـقٌ ... مثـل الحمـار أثرتَـه بيَفاعِ[4]
لا خيرَ في هَـذِرٍ يهُـزُّ لسانَه ... بكلامـه والقلبُ غيرُ شُجاعِ
لابنُ الزُّبير غَـداةَ يَذْمُـر مُنْذِراً ... أَوْلى بغايَـة كلِّ يـومٍ وِقاعِ[5]
وأحقُّ بالصبر الجميل من امرىءٍ ... كَـزٌّ أَناملُـه قصير البـاعِ[6]
جَعْدِ اليدين عن السَّماحة والنَّدى ... وعـن الضَّريبـة فاحِشٍ مَنَّاعِ
كم يـا عُبَيْد الله عندك مـن دَمٍ ... يسعـى ليُدْرِكَـه بقَتْلِـكَ ساعِ
ومعاشرٍ أُنُفٍ أَبَحْتَ حريمَهـم ... فَرَّقْتهـم مـن بعـدِ طُولِ جِماعِ
اذكُـرْ حُسَيْناً وابنَ عُروَةَ هانئاً ... وابنَـي عَقِيـلٍ فـارس المِرْباعِ

وقال أيضاً يذكر هربه[7] : [من الطويل]

أَقَـرَّ بعينـي أنَّهُ عَـقَّ أُمَّه ... دعَتْه فولَّاها اسْتَه وهـو يَهرُبُ
وقـال : عليكِ الصبرَ كُوني سَبِيَّةً ... كما كنتِ أو مُوتي ؛ فذلك أَقرَبُ
وقد هتفتْ هِنْدٌ : بماذا أَمرتَني ؟ ... أَبِنْ لي وحَدِّثني إلى أَينَ أَذهبُ ؟[8]
فقال : اقْصِدِي للأَزْدِ في عَرَصاتِها ... وبَكْرٍ فمـا إن عَنْهُـمُ مُتَجَنَّبُ
أخـافُ تَميماً والمَسالِحُ دونَها ... ونيرانُ أعدائـي عـليَّ تلهَّبُ[9]

1 فركبتَ رأسك في الديوان : فلبست سمعك .
2 الجعجاع : الموطن الضيق الخشن .
3 الكراع : الخيل .
4 اليلمق : القباء المحشو .
5 يذمر : يهدد ويحض على القتال .
6 كز الأنامل : كناية عن البخل .
7 ديوانه : 64–71 .
8 هند : امرأة عبد الله بن زياد .
9 المسالح : مواضع السلاح .

وولّى وماءُ العينِ يَغسِلِ وَجْهَها كأن لم يكُن والدَّهْرُ بالنّاسِ قُلَّبُ
بما قَدَّمَتْ كَفَّاك لا لَكَ مَهْرَبٌ إلى أيِّ قَـومٍ والدِّماءُ تَصَبَّبُ
فكَمْ من كَرِيمٍ قد جَرَرْتَ جَرِيرَةً عليه فمَقْبورٌ وعانٍ يُعَذَّبُ
ومن حُرَّةٍ زهراءَ قامت بسُحْرَةٍ تُبكّي قتيلاً أو صَدًى يَتأوَّبُ[1]
فصبراً عُبَيْدُ ابنَ العَبيدِ فإنّما يُقاسي الأُمورَ المُسْتَعِدُّ المُجَرِّبُ
وذُقْ كالذي قد ذاقَ منكَ معاشِرٌ لَعِبْتَ بهم إذ أنتَ بالنّاسِ تلعَبُ
فلو كنتَ حُرّاً أو حَفِظْتَ وَصِيَّةً عطَفْتَ على هِنْدٍ وهِنْدٌ تُسَحَّبُ[2]
وقاتلتَ حتى لا تُرِي لك مَطْمَعاً بسَيْفِك في القومِ الذين تَحزَّبُوا
وقلتَ لأُمِّ العَبْد أُمِّك : إنّني وإن كَثُر الأعداءُ حامٍ مُذَبِّبُ[3]
ولكن أبى قلبٌ أُطِيرَتْ بَناتُه وعِرْقٌ لكم في آل مَيْسان يَضرِبُ[4]

وقال في ذلك أيضاً[5] : [من الوافر]

ألا أبلِغْ عُبَيْدَ اللهِ عنّي عُبيدَ اللُّؤمِ عبدَ بني عِلاجِ[6]
عَليَّ لكم قلائدُ باقِياتٌ يُثِرْنَ عليكمُ نَقْعَ العَجّاجِ
تَدَّعيْتَ الخضارِمَ من قُريشٍ فما في الدِّين بعدك من حِجاجِ[7]
أبِنْ لي هل بِيَثْرِبَ زَندُ وَرْدٍ قُرى آبائك النَّبطِ العَجاجِ ![8]

وقال فيه أيضاً[9] : [من الوافر]

عُبَيدُ الله عَبْدُ بني عِلاجٍ كذاكَ نسبتُه وكذاكَ كانا
أعبْدَ الحارثِ الكِنديِّ ألاّ جعلتَ لإسْتِ أُمِّكَ دَيْدبانا[10]

1 يتأوب : يرجع .
2 الديوان : ولو كنت صلب العود أو ذا حفيظة .
3 مذبب : مدافع .
4 بناته في ل : ثيابه . وآل ميسان : النبط سكان السواد .
5 ديوانه : 87–88 .
6 يسمى آل زياد عبيد بني علاج لأن زياداً ولد على فراش مولى لهم .
7 الخضارم : جمع خضرم ، وهو السيد الحمول أو الجواد المعطاء .
8 زند ورد : بلد قرب واسط . والعجاج : رعاع الناس .
9 ديوانه : 221–222 .
10 الحارث : هو الحارث بن كلدة . والديدبان : الرقيب .

فَتَستُرَ عَــورةً كانتْ قَدِيماً وتمنع أُمّكَ النَّبَــطَ البِطانا

وقال يهجو عُبيد اللهِ وعبّاداً ، أُنشدناه جماعة ، منهم هاشمُ بن محمد الخُزاعيُّ ، عن دَماذ ، عن أبي عبيدة ، وهذا من قصيدة له طويلة أوّلها[1] : [من الوافر]

جَــرَتْ أُمُّ الظِّباء بِبَيْنِ لَيــلى وكلٌّ وِصال حَبْــلٍ لانقطاعِ

يقول فيها :

ومــا لاقَيتُ مــن أيّام بُؤْسٍ ولا أمــرٍ يَضيقُ بــه ذِراعي
ولم تَكُ شيمتي عَجْزاً وَلُؤْماً ولم أَكُ بالمُضلَّل في المَساعي
سِوى يَومِ الهَجِين ومَنْ يُصاحِبْ لئامَ النّاس يُغْضِ على القذاعِ[2]
حَلفتُ بِرَبٍّ مَكَّةَ لو سلاحي بكفّــي إذ تُنازعنــي مَتاعِي
لباشَرَ أُمَّ رأسِك مَشْرَفِــيٌّ كذاكَ دَواؤنا وجع الصُّداعِ
أفي أحسابِنا تُــزري علينا هُبِلْتَ وأنتَ زائدةُ الكُراعِ[3]
تبغَّيْتَ الذُّنــوب عَــليَّ جَهْلاً جُنوناً مــا جُننتَ ابنَ اللَّكاعِ
فما أَسفي على تَرْكي سَعِيداً وإسحاقَ بنَ طَلحــةَ واتّباعِي
ثَنايا الوَبْــر عبدَ بنــي عِلاجٍ عُبيْدَة فقْــعَ قَرْقَــرَةٍ بِقاعِ[4]
إذا مــا رايــةٌ رُفِعَت لمجد ووَدّع أَهلُهــا خَيْــرَ الوَداعِ
فأَيْــرٌ في استِ أُمّك من أمير كذاك يقال للحَمق اليَراعِ[5]
وَلا بُلَّــتْ سمــاؤُك من أميرٍ فبِئْس مُعَرَّسُ الرّكْب الجِياعِ[6]
أَلَم تَرَ إذْ تُحالِف حِلْف حَرْبٍ عليك غَدَوْتَ من سَقَط المَتاعِ
وكدتَ تَمُوتُ أنْ صاحَ ابنُ آوى ومثْلُك مات من صوت السِّباعِ
ويَوْمَ فَتَحتَ سيفَك من بَعيدٍ أُضِعْتَ وكلُّ أَمــرِك للضَّياعِ

---

1 ديوانه : 150–157 وأول القصيدة فيه :
آأن غنّت حمامــة بطن واد حماماً جاء من طرف اليفاع
2 القذاع : الفحش والمشاتمة .
3 زائدة الكراع : ما دون الكعب من الدابة . والكراع من كل شيء طرفه . وأكارع الناس : السفلة .
4 تقدم هذا المثل .
5 اليراع : الجبان .
6 المعرس : مكان النزول . يدعو عليه بالجدب .

إذا أُودى مُعاويةُ بــنُ حَرْبٍ ... فبشِّرْ شَعْبَ قَعْبِك بانْصداعِ
فأشهـــدُ أنَّ أُمَّك لم تُباشِر ... أبـــا سُفيـــانَ واضعةَ القِناعِ
ولكــن كانَ أمــراً فيــه لَبْسٌ ... على عَجَـلٍ شديـــدٍ وارْتياعِ

قال : وكان عبّاد في بعض حروبه ذاتَ ليلة نائماً في عسكره ، فصاحت بناتُ آوى ، فثارت الكلابُ إليها ، ونفر بعضُ الدَّوابّ ففزع عبّاد وظنّها كَبْسَةً من العدوّ ، فركب فرسه ودَهِش ، فقال : افتَحوا سيفي ، فعيّره بذلك ابن مفرِّغ . وممّا قاله ابن مُفرِّغ في هجاء بني زياد وغُنِّي فيه[1] : [من البسيط]

صوت

كم بالدُّروبِ وأرضِ الهندِ من قَدَمٍ ... ومِنْ جَماجم قَتلى ما هُمُ قُبِرُوا[2]
ومــن سَرابيـــلِ أبطالٍ مُضرَّجَةٍ ... ساروا إلى الموت ما خامُوا ولا ذُعِروا[3]
بقُنْدُهـــارَ ومَـــنْ تُختَمْ مَنِيَّتُهُ ... بقُنْدهـــارَ يُرجَّـــمِ دونَـــه الخبَرُ

غنّى في هذه الأبيات ابنُ جامع .

أَجَــدَّ أهلُك ، لا يأتيهِــمُ خَبَرٌ ... منّـــا ولا منهـــم عَيْنٌ ولا أثَرُ
ولم تكلَّـــم قُريش في حَليفِهِـــمُ ... إذ غابَ أنصارُه بالشّامِ واحتُضِروا
لـــو أنّني شَهِدتني حِمْيَرٌ غَضِبتْ ... إذاً فكان لهـــا فيمـــا جَرى غيَرُ
رهطُ الأغرِّ شراحيلِ بن ذي كَلَع ... ورهطُ ذي فائشٍ مـــا فوقهم بَشَرُ
قُولا لطَلْحة ما أغنتْ صَحيفتكم ... وهل لجارك إذ أوردْتَـــه صَدَرُ
فمَـــنْ لنـــا بشَقِيقٍ أو بأُسرته ... ومَنْ لنا ببني ذُهْلٍ إذا خطَرُوا !
هُم الذينَ سَمَـــوْا والخيْلُ عابِسَةٌ ... والنّاسُ عنـــد زيـــاد كلّهم حَذِرُ
لولاهـــمُ كان سلاّمٌ بِمَنْزِلتـــي ... أَوْلى لهم ثمَّ أولى بعدما ظَفِرُوا

أخبرني محمد بن خلَف ، عن أبي بكر العامريّ ، عن إسحاق بنِ محمد ، عن القَحْذَميّ قال : هجا سلاّمٌ الرّافعيُّ مُقاتلَ بن مِسْمَع فقال فيه : [من الطويل]

أبى لك يـــا ذا المَجْدِ أنَّ مُقاتِلا ... زَنى واستَحَلَّ الفارِسيَّ المُشَعْشَعا[4]

---

1 ديوانه : 120–126 .
2 الديوان : كم بالجروم .
3 خاموا : ذعروا .
4 الفارسي المشعشع : الخمر .

في أبيات هجاه بها فحبَسه مقاتل بالعربة[1] . فركب شقيقُ بنُ ثَوْر في جماعة من بني ذُهْل إلى الحبْس فأخرجه ؛ فضرَب به ابنُ مفرِّغ المَثَل في الشِّعر الماضي .

أخبرني محمد بنُ خَلَف بن المرْزُبان ، قال : حدَّثني أبو عبد الله اليمانيُّ ، قال : حدَّثنا الأصمعيُّ ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال : قال لي عُبيد الله بن زِياد : ما هُجيتُ بشيءٍ أشدَّ عليَّ من قول ابن مُفَرِّغ[2] : [من البسيط]

فكِّرْ ، ففي ذاك إن فكَّرْتَ مُعْتَبَرٌ   هــل نِلْتَ مَكرُمَةً إلاَّ بتأْميرِ !
عاشَتْ سُميَّةُ ما تَدْري وقد عَمَرَتْ   أنَّ ابنَها من قُريشٍ في الجَماهيرِ[3]

وروى اليَزيديُّ في روايته عن الأحول : قال أبو عبيدة : كان زياد يزعمُ أنَّ أُمَّه سُمَيّة بنتَ الأعور من بني عبد شمس بن زيد مَناة بن تَميم ، فقال ابنُ مفرِّغ يرُدّ ذلك عليه[4] : [من الوافر]

فأُقسِم مــا زِيادٌ من قُرَيشٍ   ولا كانت سُميَّةُ مــن تميمِ
ولكن نَسْلُ عَبْــدٍ مــن بَغيٍّ   عريقِ الأَصْلِ في النَّسَبِ اللَّئيمِ

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ قال : أنشدني أبو عبيدة لابن مُفرِّغ يهجو ابن زياد ويرميه بالأُبْنَة[5] : [من الكامل]

أبلِــغْ قُريشاً قَضَّها وقَضيضَها   أهلَ السَّماحَــة والحُلُومِ الرَّاجِحَهْ
أنِّــي ابتُلِيــت بحَيَّــةٍ ساوَرْتُــه   بيَدٍ لعَمْرِي لم تكُــنْ ليَ رابِحَهْ[6]
صَفَقَ المُبَخَّــلِ صَفْقَــةً ملعُونَةً   جرَّتْ عليــه مــن البلايا فادِحَهْ
شتّانَ مَــنْ بَطحاء مَكَّــةَ دارُه   وبنُو المُضافِ إلى السِّباخ المالحَهْ
جَعُدَتْ أنامِلُــه ولامَ نِجــارُه   وبذاك تُخبِرُنــا الظِّباءُ السانِحَهْ[7]
فــإذا أُمَيَّة صَلْصَلَتْ أَحسابُهــا   فبَنُو زِيــاد في الكلابِ النَابِحَهْ
قالوا : يُناكُ ، فقلتُ : في جَوْفِ استِه   وبذاك خَبَّرني الصَّدوقُ الفاضِحَهْ

1 العربة : موضع .
2 ديوانه : 140 .
3 الديوان : وما علمت .
4 ديوانه : 206 .
5 ديوانه : 90-91 .
6 الحية تذكّر وتؤنّث .
7 لام نجاره : لؤم أصله .

لم يبقَ أيـــرٌ أسودُ أو أبيـــضٌ ... إلاَّ له استُكَ في الخَلاء مُصافِحَهْ

[هجا عبيد الله بعد مقتله]

وأخبرني إبراهيم بنُ السريّ بن يحيى ، قال : حدَّثني أبي ، عن شعيب ، عن سيف ، قال : لمّا قُتِل عُبيد الله بن زياد يوم الزَّاب ، قَتَلَه أصحابُ المختار بن أبي عبيد ويقال : إنّ إبراهيم بنَ الأشْتَر حمل على كتيبته فانهزموا ؛ ولَقيَ عبيد الله فضربَه فقتله ، وجاء إلى أصحابه فقال : إنّي ضربتُ رجلاً فقدَدْتُه نصْفَين فشرَّقَتْ يداه وغرَّبَتْ رِجلاه ، وفاح منه المِسْك ، وأظنّه ابن مَرْجانة ، وأومأ لهم إلى موضِعِه . فجاؤوا إليه وفتَّشُوا عليه ، فوجدوه كما ذكر ، وإذا هو ابن زياد ، فقال ابنُ مُفرِّغ يهجو[1] : [من البسيط]

إنَّ الذي عــاشَ ختَّاراً بذِمَّتِــهِ ... وعاشَ عَبْـداً قَتِيلُ الله بالزَّابِ[2]

العَبْدُ للعَبْدِ لا أَصْلٌ ولا طَـرَفٌ ... أَلْوَتْ بــه ذاتُ أظْفارٍ وأنْيابِ

إنّ المَنايــا إذا مــا زُرْنَ طاغِيَةً ... هتَكْنَ عنــه سُتوراً بــين أبْوابِ

هَــلاَّ جُموعَ نِــزارٍ إذ لقِيتَهُمُ ... كنتَ امرءاً مــن نِزارٍ غير مُرتابِ

لا أنتَ زاحَمْت عن مُلْكٍ فتمنعه ... ولا مَــدَدْت إلى قَــوْمٍ بأسْبابِ

مــا شُقَّ جَيبٌ ولا ناحَتْكَ نائحةٌ ... ولا بَكَتْكَ جيــادٌ عند أسلابِ

لا يتركُ اللهُ أنْفاً تَعْطِسُونَ بهــا ... بنــي العَبِيد شُهــوداً غيرَ غُيَّابِ

أقولُ بُعْداً وسُحْقاً عنـد مَصْرعه ... لابن الخَبيثَةِ وابنِ الكَوْدَنِ الكابي[3]

والقصيدة المذكورة بها غِناء فيه منها ، وقال[4] : [من الخفيف]

حيِّ ذا الزَّوْرَ وانهَهُ أن يَعُودا ... إنَّ بــالبابِ حــارِسينَ قُعودا

مــن أساوِيرَ مــا يَنُــون قِياماً ... وخَلاخيــلَ تُذْهِـل المَوْلُودا[5]

وطماطِيمَ من مشايــخ جُونٍ ... ألْبَسوني مــع الصَّباحِ قُيُودا[6]

---

1 ديوانه : 81-84 .

2 ختار : غادر .

3 الكودن : البرذون الهجين . والكابي : المنكب على وجهه .

4 ديوانه : 100-104 .

5 الأساوير : جمع أسوار ، وهو القائد من الفرس أو الجيد الرمي بالسهام . والخلاخيل : يريد بها القيود في رجليه .

6 الطماطيم : الأعاجم الذي لا يفصحون . والجون : السود . وفي الديوان : «وطماطيم من سبابيج غتم» . والسبابيج قوم من السند كانوا بالبصرة حراس سجون . والغتم : الذين في منطقهم عجمة .

أيّ بلــوى معيشة قـد بلَوْنا فَنعمنـا وما رَجونـا خُلودا
ودهـورٍ لَقِينَنـا مُوجِعـاتٍ وزمــانٍ يُـكسِّرُ الجلمودا
فصبرنـا على مواطـن ضِيقٍ وخطوبٍ تُصَيِّر البِيضَ سُودا
ظَلَّ فيها النصيحُ يُرسِل سِرّاً لا تُهالنَّ إن سمعـتَ الوعيدا
أفإنْسٌ مـا هكذا صَبْرُ إنسٍ أم من الجِنّ أم خُلِقتُ حَدِيدا
لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فَلَق الصّبْـ ـح مغيراً ولا دُعِيتُ يزيدا[1]
يومَ أُعطِي مخافةَ الموت ضَيْماً والمنايـا يرصُدنَنــي أن أَحيدا

قال : وهي قصيدة طويلة .

وتمثَّل الحسين بنُ عليٍّ صَلوات الله عليه ، بهذيْن البيتين لمَّا خرج من المدينة إلى مكّة عند بيعة يزيد : [من الخفيف]

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فَلَق الصُّبْـ ـحِ مُغِيراً ولا دُعيـتُ يَزِيدا
يوم أُعطِي مَخافَةَ المَوْتِ ضَيْماً والمَنايـا يَرْصُدْنَنــي أن أَحِيدا

حدَّثني أحمد بن عيسى أبو موسى العِجْليّ العطَّار بالكوفة قال : حدَّثني الحُسَين بن نصر بن مُزاحم المِنْقَرِيٌّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا عمر بن سعيد ، عن أبي مِخْنَف ، قال : حدَّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن أبي سعيد المَقْبريّ قال : والله لرأيـتُ حُسَيْناً عليـه السلام وهـو يمشي بين رَجُلَين ، يعتَمِد على هذا مَرَّة ، وعلى هـذا مرّة ، حتى دخلَ المسجِد وهو يقول :

لا ذَعَرتُ السَّوام . . . البيتين .

قال : فقلت عند ذلك إنّه لا يلبَثُ إلاَّ قليلاً حتى يخرُج ، فما لَبِث أن خرَج ، فلَحِقَ بمكّة ، فلمّا خرج من المدينة قال : ﴿فخَرَجَ مِنْها خائِفاً يترقّبُ قال : رَبِّ نَجِّني مَن القَوْمِ الظَّالِمِين﴾[2] . ولّما توجّه نحو مكّة قال : ﴿ولَمّا تَوَجَّه تِلقاءَ مَدْيَنَ قال عَسى رَبِّي أن يَهْدِيَني سَواءَ السَّبيل﴾[3] .

[أعطاه مروان وكساه فمدحه]

أَخبرني جعفرُ بن قُدامة ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن

1 الديوان : في وضح الصبح . والشعر والشعراء : في غلس الليل .
2 سورة القصص ، الآية : 21 .
3 سورة القصص ، الآية : 22 .

الصبّاح ، عن ابن الكلبيّ قال : لمّا قَدِمَ ابنُ مفرِّغ إلى معاوية مع خَمْخام الذي وَجَّهه إليه ، فانتزعه من عبّاد بن زياد ، نزل على مروان بن الحكم وهو يومئذٍ عند معاوية ، فأعطاه وكساه ، وقام بأمره واسترفد له كلَّ مَن قدر عليه من بني أبي العاص بن أميّة ، فقال ابنُ مُفَرِّغ يَمْدَحُه من قصيدته[1] : [من الكامل]

وأَقمْتُمُ سُوقَ الثَّناء ولم تكُـن سُوقُ الثَّناء تُقامُ في الأَسْواقِ
فكأنّما جَعَـلَ الإلَـهُ إليكُمُ قَبْضَ النُّفوسِ وقِسْمَةَ الأرزاقِ

[ذكره بنات الدهقان في شعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان ابنُ مُفَرِّغ يهوى أُناهِيدَ بنتَ الأعنق ، وكان الأعنق دِهْقاناً من الأهواز ، له ما بين الأهواز وسُرَّقَ ومناذِر والسُّوس ، وكان لها أخوات يقال لهنَّ : أسماءُ والجُمانةُ ، وأخرى قد سقط اسمها عن دماذ ، فكان يذكُرُهن جميعاً في شعره . فمن ذلك قولُه في صاحبتِه أناهيد من أبيات[2] : [من البسيط]

سِيرِي أُناهِيـدُ بالعبْرَيْـنِ آمنـةً قـد سَلَّمَ اللهُ من قومٍ بِهم طَبَعُ[3]
لا باركَ اللهُ فيهـم معشراً جُبُناً ولا سقى دارَهم قَطْراً ولا رُبِعوا
السارقـين إذا جاعـوا نَزِيلَهُمُ والأَخبَثِينَ بطُونـاً كلّمـا شَبِعُوا
لا تأمَنَنَّ حِزاميّـاً نزلـتَ بِـهِ قوم لديهم تناهى اللّؤْمُ والضَّرَعُ
جاوِرْ بني خَلَفٍ تَحْمَدْ جِوارهُمُ الأَعْظَمِينَ دفاعـاً كلّمـا دفعوا
والمطعِمين إذا مـا شَتْوَةٌ أَزَمَتْ فالنّاس شتّـى إلى أبوابهم شَرَعُ[4]
هم خير قَومِهمُ إن حَدَّثُوا صدقوا أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نفعوا
المانعين مـن المخـزاة جارَهُـمُ والرّافعين من الأدنَيْنَ مـا صَنَعُوا
انـزِلْ بطلحـةَ يومـاً إنّ مَنْزِلَه سَهلُ المبـاءَة بالعليـاء مرتفعُ

وفي أسماء أختها يقول[5] : [من الطويل]

1 ديوانه : 182 .
2 ديوانه : 146–148 .
3 الطَّبَع : العيب .
4 شرع : سواء .
5 ديوانه : 176–179 .

تَعَلَّـقَ مـن أسماءَ مـا قـد تَعلَّقا ... ومثل الذي لاقى من الحُبِّ أَرَّقا
وحَسبُكَ مـن أسماء نَأيٌ وأنّـها ... إذا ذُكِرتْ هاجَتْ فُؤاداً مُعلَّقا
سَقى هَزِمُ الإرعادِ مُنْبَجِسُ العُرى ... منازلَهـا بالمَسْرُقـانِ فَسُرَّقا[1]
وتُستَر لا زالـت خَصِيباً جنابُـها ... إلى مَدْفَع السُّلاَّن من بطن دَوْرَقا[2]
إلى الكَوثَجِ الأعلى إلى رامَهُرْمُزٍ ... إلى قَريات الشِّيح من فوق سَفْسَقا[3]

رامهرمز : بلد من أعمال الأهواز معروف .

بِـلادُ بنـات الفارسيّـة إنّهـا ... سقتنـا على لَـوْحٍ شراباً مُعَتَّقا

[يترك زوجته ويلحق بأناهيد]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عديّ . وأخبرنا هاشم بن محمد قال : حدَّثنا دماذُ أبو غسَّان ، عن أبي عبيدة ، قالا : لمّا فَصَل ابنُ مفرِّغ من عند معاوية ، نزل بالمَوْصل على أخواله من آل ذي العشراء من حمير ، قال الهيثم في روايته : فزوَّجوه امرأةً منهم ، ولم يذكُر ذلك أبو عبيدة ، فلمّا كان اليوم الذي يكونُ البناء في لَيْلَتِه . خرج يتَصَيَّد ومعه غلامه بُرد ، فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عِطراً وأدهاناً . فقال له ابنُ مفرِّغ : من أين أقبلت ؟ قال : من الأهواز ، قال : ويحك ! كيف خلّفت المَسرُقان وبَرْدَ مائِه ؟ قال : على حاله . قال : ما فعلتْ دِهقانة يقال لها أناهِيدُ بنت أعنق ؟ قال : أصديقةُ ابنِ مُفرِّغ ؟ قال : نعم ، قال : ما تَجِفُّ جفونُها من البكاء عليه . فقال لغلامه : أيْ بُرد ، أما تسمع ؟ قال : بلى . قال : هو بالرَّحمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي إليها . فقال له بُرد : أكرمك القومُ وقاموا دُونك ، وزوَّجوك كريمَتَهم ، ثم تصنع هذا بهم ، وتُقدِم على ابن زياد بعد خلاصك منه من غير أمرِهِ ولا عهد منه ولا عَقْد ؟ أبْقِ أيّها الرجل على نفسك ، وأقِم بمَوْضِعِك ، وابْنِ بأهلِكَ ، وانظُر في أمرِك ، فإن جدَّ عزمُك كنتَ حينئذٍ وما تختاره . قال : دَعْ ذا عنك ، هو بالرحمن كافِر إن عَدَل عن الأهواز ولا عَرَّج على شيء غيرها ، ومضى لوجهه من غير أن يُعلِم أهلَه ، وقال قصيدته[4] : [من الوافر]

سَما بـرقُ الجُمانة فاستَطارا ... لعـلَّ البرقَ ذاك يَحـورُ نارا

---

1 تقدم تعريف المسرقان . وسرّق : إحدى كور الأهواز .
2 تستر : أعظم مدينة في خوزستان . مدفع السُّلان : مجرى الأودية . ودورق : بلد بخوزستان .
3 هذه أسماء مواضع في الأهواز . وفي الديوان : إلى الكُرْبُج . . . إلى قريات الشيخ . . . من فوق شستقا .
4 ديوانه : 131–133 .

قعدتُ له العِشاءَ فهاج شَوقي ... وذَكَّرني المَنازِلَ والدِّيارا
دِيارٌ للجُمانةِ مقْفِراتٌ ... بَلِينَ وهِجْنَ للقَلْبِ ادِّكارا
فلم أملِك دُموعَ العَيْنِ مِنّي ... ولا النَّفْسَ التي جاشَت مِرارا
بسُرَّقَ فالقُرى من صَهرتاجٍ ... فديرِ الراهِبِ الطَّلَلِ القِفارا[1]
فقلتُ لصاحبي عرِّجْ قَليلاً ... نُذاكِرْ شوقَنا الدُّرسَ البَوارا
بآية ما غَدَوْا وهُمُ جَميعٌ ... فكاد الصبُّ ينتَحِرِ انْتِحارا
فقال بَكَوْا لفقدك منذُ حِينٍ ... زمانـاً ثم إنَّ الحَيَّ سارا
بدِجْلَة فاستمرَّ بهم سَفِينٌ ... يَشُقُّ صُدُورُها اللُّجج الغِمارا[2]
كأن لم أغْنَ في العَرَصاتِ منها ... ولَم أُذْعَرْ بقاعَتِها صِوارا[3]
ولم أسمَع غِناءً من خَليل ... وصوتَ مُقَرْطَقٍ خَلَعَ العِذارا[4]

قال : فقدم البصرة فذُكِر لعُبيد الله بن زياد مقدمُه ، فلم يَعرِض له ، وأرسل إليه أن أقِم آمناً . فأقام بالبصرة أشهراً ، يختلف من البصرة إلى الأهواز ، فيزور أناهيدَ ، ويُقيم عندها .

ثم أتى عُبَيْدَ الله بن زياد فقال له : إنّي امرؤٌ لي أعداء ، ولستُ آمنُ بعضَهم أن يقولَ شيئاً عن لساني يُحْفِظ الأميرَ عليَّ ، وأحِبّ أن يأذن لي أن أتنحَّى عنه . فقال له : حُلَّ حيث شئت ، فخرج حتى قَدِم على شريك بن الأعور الحارثيّ وهو يومئذٍ عامِلُ عُبَيْد الله بن زياد على فارِسَ وكَرْمان ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم ، فقَدِم بها الأهواز فأعطاها أناهِيد .

[عبيد الله بن أبي بكرة يكرمه]

أخبرني أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدَّثني محمد بن الحكم ، عن عَوانة : أنَّ عُبَيْدَ الله بن أبي بَكرة كتب إلى يزيد بن مُفرِّغ : إنّي قد توجّهت إلى سجِستانَ فالحَقْ بي ، فلعلّك إن قدِمتَ عليَّ ألاّ تندم ولا يُذَمّ رأيُك . فتجهَّز ابنُ مفرِّغ وخرج حتى قدِم سجِستانَ مُمْسِياً ، فدخل عليه فشغله بالحديث ، وأمَرَ له بمنزلٍ وفَرْشٍ وخَدَم ، وجعل يُطاوِلُه حتى علِم أنّه قد استَتَمَّ له ما أمر له به ، ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هُيِّىء له ؛ ثم دَعا به في اليوم الثاني فقال له : يا ابن مُفرِّغ ، إنَّكَ قد تجشَّمتَ إليّ

---

1 صهرتاج : موضع بالأهواز .
2 الغمار : الماء الكثير .
3 الصوار : القطيع من البقر .
4 ل : وصوت مقصّب .

شُقّة بعيدة ، واتّسع لك الأملُ فرحلتَ إليّ لأقضيَ عنك دَينَك ولأُغنيكَ عن الناس ، وقلتَ : أبو حاتم بسِجِسْتان فمَنْ لي بالغِنى بعده ! فقال : والله ما أخطأتَ أيُّها الأمير ما كان في نفسي . فقال عُبيد الله : أما والله لأفعلنّ ولأقِلّنّ لبثك عندي ، ولأُحسِنَنَّ صِلَتك ؛ وأمر له بمائة ألف درهم ، ومائة وصيفة ومائة وصيف ومائة نَجيبة ، وأمَرَ له بما يُنفقه إلى أن يبلغ بَلده سوى المائة الألف ، وبمَنْ يكفيه الخِدمة من غِلمانه وأعوانه ، وقال له : إنّ من خِفّة السَّفر ألاّ تهتمّ بخُفٍّ ولا حافرٍ ، وكان مقامُه عنده سبعةَ أيّام .

ثم ارتحل وشيَّعه عُبَيدُ الله إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها : زالِقُ ؛ ثم قال له : يا ابن المفرِّغ ، إنّه ينبغي للمودّع أن ينصرف ، وللمتكلّم أن يسكُت ، وأنا مَن قد عرَفت ، فأبْقِ على الأمل وحُسْن ظنّك بي ورجائِكَ فيَّ ، وإذا بدا لك أنْ تَعودَ فَعُد ، والسلام .

قال : وسار ابن مُفرِّغ حتى أَتى رامهُرْمُزَ ، فنزل بقرية أَبجَر . فنزلتَ إليه بنتُ الأَبجر فقالت : يا ابن مفرِّغ ، لِمَنْ هذا المال ؟ قال : لابنة أعنق دهقانة الأهواز ، وإذا رسولها في القافلة بكتابها : إنّك لو كنتَ على العهد الأوّل لتعجّلت إليّ ولم تساير ثَقَلك ، ولكن قد علمتُ أنّ المال الذي أعطاكه عُبيدُ الله قد شَغَلَك عنّي ؛ قال : فأعطى رسولها مالاً على أن يقول فيه خيراً ، وقد قال لابنةِ أَبجر في جواب قولها له[1] : [من الطويل]

حَباني عُبْيدُ الله يا ابنةَ أَبجرِ ... بهذا ، وهذا للجُمانةِ أَجْمعُ
يَقَرّ بعيني أن أَراها وأَهلَها ... بأفضل حالٍ ذاك مرْأىً ومَسمَعُ
وخيِّرتُها قالت : لقد حال بَعدنا ... فقد جعلت نفسي إليها تَطَلَّعُ
وقلتُ لهما لمّا أتاني رسولُها ... وأيُّ رسولٍ لا يضرُّ وينفعُ
أُحِبُّكِ ما دامَتْ بنَجْد وشيجةٌ ... وما رُفِعت يوماً إلى الله إصبعُ[2]
وإنّي مَليءٌ يا جُمانةُ بالهَوى ... وصِدْقِ الهوى إن كان ذلك يُقْنِعُ

قال : فلمّا انتهت رُسُل عُبَيد الله بن أبي بكرة معه إلى الأهواز قالوا له : قد بلغنا حيث أُمِرنا ؛ قال : أجل ؛ ثم أمَرَ ابنةَ أعنَق أن تَفتح الباب وقال لها : كلُّ ما دَخَل دارَكِ فهو لك .

وأقام بالأهواز ، ودعا نُدَماءَ كانوا له من فِتيان العَرب فلم يبقَ ظَريفٌ ولا مُغَنٌّ إلاّ أتاه ، واستَماحه جماعةٌ قصدُوه من أهل البصرة والكوفة والشّام فأعطاهم ، ولم يُفارق أناهيدَ ومعه شيء من المال . وجعل القومُ يسألونه عن عَبيد الله بنِ أبي بكرة وكيف هو وأخلاقه وجوده

1 ديوانه : 144-145 .
2 الوشيجة : عرق الشجرة .

فقال[1] : [من الطويل]

يُسائِلُني أهلُ العِـراقِ عن النَّدى ... فقلتُ : عُبَيْدُ اللهِ حِلْـفُ المكارِمِ
فتــى حاتِميٌّ في سِجِستانَ رَحله ... وحَسبُك جُوداً أن يكون كحاتمِ
سَمـا لِينــالَ المَكْرُمـاتِ فنالَها ... بِشِدّة ضِرْغـام وَبَـذْلِ الدّراهمِ
وحِلْمٍ إذا ما سَوْرةُ الحقْد أُطلَقت ... حُبـا القوْم عند الفـادِحِ المُتفاقِمِ
وإنّ لـه في كُلِّ حـيٍّ صَنيعـةً ... يُحدِّثها الرُّكبانُ أهـلَ المَواسِمِ
دَعاني إليــه جــودُه وَوَفاؤه ... ومنْ دونِ مَسراه عُداةُ الأعاجِمِ
فلـم أبْقَ إلاّ جُمْعَـةً في جِوارِهِ ... ويَوْمَيْنِ حَــلاًّ مـن أَلِيَّةِ آثِمِ[2]
إلى أن دَعـاني زانَـه الله بالعُلا ... فأنبَتَ رِيشي من صَميمِ القَوادِمِ
وقال : إذا مـا شئتَ يا ابنَ مُفرِّغٍ ... فَعُدْ عـودةً ليست كأضْغاثِ حالمِ
فقلتُ لـه ، لا يُبعِـد اللهُ دارَه : ... أعودُ إذا مـا جئتُكم غيرَ حاشِمِ
وأحمدْتُ وِرْدِي إذْ وردتُ حِياضَه ... وكلُّ كريـمٍ نُهـزَةٌ للأكارِمِ[3]
فأصبَحَ لا يرجُـو العِراقُ وأهلُه ... سِواه لنَفـعٍ أو لِدَفـعِ العَظائمِ
وإنَّ عُبَيْــدَ الله هَنّــأ رفــدَه ... سَراحاً وأعْطى رِفـدَه غيرَ غانِمِ[4]

[يخدع عمّه ليريه أناهيد]

وقال الهيثم في خبره : كان عمرو بن مُفرِّغ ، عمُّ يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ ، رجلاً له جاه وقَدْر عند السُّلطان ، وكان ذا مال وثروة ، وذا دِين وفضْل وصَلاح ، فكان يُعنِّف ابنَ أخيه في أمرِ أناهيدَ عشيقَته ، ويعذِله ويُعيِّره بها . فلمّا أكثر عليه أتاه يوماً فقال له : يا عمّ ، جُعِلتُ فداك ، إنّ لي بالأهواز حاجةً ، ولي على قوم بها نحوٌ من ثلاثين ألفَ درهم قد خفتُ أن تَتْوى[5] عليّ ، فإن رأيتَ أن تَتجشَّم العناء معي إليها حتى تطالبَ لي بحقِّي ، وتُعينني بجاهك على غُرَمائي . وكان عمرو بن مُفرِّغ قد استَخْلفه ابنُ عبّاس عليها ؛ إذ كان عامِلَ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وعلى آله ، على البصرة ، وكان عاملَ الأهواز ، حين سأل

1 ديوانه : 202-205 .
2 الأليّة : القسم .
3 نهزة : فرصة .
4 سراحاً : سهلاً .
5 تتوى : تهلك .

ابنُ مُفرِّغ عمّه أن يخرج معه ، ميمونُ بنُ عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونيّة . فلم يزل ابنُ مفرِّغ بعمّه حتى أجابه إلى الخروج . فاستأجر سَفينة وتوجّه إلى الأهواز ، وكتب إلى أناهِيد أن تهيَّئي وتزيَّني بأحسن زينتك ، واخرُجي إليّ مع جواريك فإنّي موافيك ، ومنزلُها يومئذٍ بين سُرَّق ورامهُرْمز .

فلمّا نزلوا منزلها خرجَتْ إليهم ، وجلست معهم في هيئَتها وزيّها وحُلِيها وآلتها ، فلمّا رآها عمُّه قال له : قبّحك الله ! أفهلاً إذْ فعلتَ ما فعلتَ كنتَ عَلِقت مثل هذه ؟ فقال : يا عمّ ، أوقد أعجبتك ! فقال : ومَن لا تعجبه هذه ؟ قال : ألَجِدٌّ هذا منك ؟ قال : نعم والله . قال : فإنّها والله هذه بعينها ، فقال : يا خبيث إنّما أشخصتَني لهذا ، يا غلام ارحَلْ بنا . فانصرف عمُّه إلى البصرة وأقام هو معها ، ولم يزل يتردَّد كذلك حتى مات في الطاعون في أيّام مصعب بن الزُّبير .

[احتياله لقضاء ديونه]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهريّ وحبيب بن نصر المُهلَّبيُّ قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا القَحذميُّ قال : لزِمَ يزيدَ بن مُفرِّغ غُرماؤه بدَيْن ، فقال لهم : انطلِقوا نجلس على باب الأمير ، عسى أن يخرجَ الأشرافُ من عنده فيَروني فيَقْضوا عنّي . فانطلَقوا به ، فكان أوّل مَن خرَج إمّا عُمَرُ بنُ عبيد الله بن مَعْمَر وإمّا طلْحة الطَّلْحات . فلمّا رآه قال : أبا عُثمان ، ما أقعدَك هاهنا ؟ قال : غرمائي هؤلاء لزموني بدَيْن لهم عليّ ، قال : وكم هو ؟ قال : سبعون ألفاً ، قال : عليّ منها عشرة آلاف درهم .

ثم خرج الآخرُ على الأثر ، فسأله كما سأل صاحبه ، فقال : هل خرجَ أحدٌ قبلي ؟ قالوا : نعم فلان ، قال : فما صنع ؟ قالوا : ضمن عشرة آلاف درهم ، قال : فعليّ مثلُها . قال : ثم جعل الناس يخرجون فمنهم مَن يضمن الألف إلى أكثر من ذلك ، حتى ضَمِنوا أربعين ألفاً .

وكان يأمُل عُبيدَ الله بن أبي بكرة ، فلم يخرج حتى غربت الشمس ، فخرج مبادراً ، فلم يَرَه حتى كاد يبلغ بيتَه . فَقِيل له : إنّك مررتَ بابن مفرِّغ ملزوماً ، وقد مرَّ به الأشرافُ فضَمِنوا عنه ، فقال : واسَوْأتاه ! إنّي أخاف أن يظُنّ أنّي تغافَلْتُ عنه ، فكرَّ راجعاً ، فوجده قاعداً ، فقال له : أبا عثمان ما يجلسك هاهنا . قال : غرمائي هؤلاء يلزمونني ، فقال : كم عليك ، قال : سبعون ألفاً ، قال : وكم ضُمِن عنك ؟ قال أربعون ألفاً ، قال : فاستمْتِعْ بها وعليّ دَيْنُكَ أجْمع ، فقال فيه يخاطب نفسه[1] : [من السريع]

1 ديوانه : 197–200 .

لـو شئتِ لم تَعْنَيْ ولم تَنْصَبي   عِشْتِ بأسباب أبـي حاتِمِ
عِشْتِ بأسبابِ الجَوادِ الذي   لا يَختِمِ الأمـوالَ بالخاتَمِ
مـن كـفٌ بُهلولٍ لـه عُدَّةٌ   مـا إن لَمن عاداه من عاصِمِ[1]
المُطْعِمِ النّـاسَ إذا حـاردتْ   نكباؤهـا في الزّمـن العارِمِ[2]
والفاصِلِ الخطّة يـوم اللّجا   للأمـرِ عنـد الكُرْبَةِ اللاّزِمِ[3]
جاورتُـه حِينـاً فأحْمَدْتُـهُ   أُثنـي ومـا الحامِدُ كاللاّئمِ
كَم مـن عدُوٍّ شامتٍ كاشِحٍ   أخزيْتَـه يومـاً ومـن ظالِمِ
أذقْتَـه المـوتَ على غِـرّةٍ   بـأبيضٍ ذي رَوْنَـقٍ صارِمِ

[يطرب لغناء بُديح بشعره فيثيبه]

أخبرني عمّي قال : حدّثني أبو أيّوب المدينيّ ، قال : حدّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال : قدم بُدَيح الكوفةَ ، فغنّى بها دهراً ، وأصاب مالاً كثيراً ، ثمّ خرج إلى البصرة ، ثمّ أتى الأهواز ، ثمّ عاد إلى البصرة ، فصحب ابن مُفرِّغ في سفينة حتى إذا كان في نهر مَعْقِل تغنّى وهو لا يعرف ابنَ مُفرِّغ بقوله : [من الوافر]

سَما بـرقُ الجُمانة فاستَطارا   لعـلّ البرقَ ذاك يعودُ نـارا

قال : فَطرب ابنُ مُفرِّغ وقال : يا ملاّح ، كُرّ بنا إلى الأهواز ، فكرَّ وهو يُغنّيه ، ثمّ كَرَّ راجعاً إلى البصرة ، وكرّوا معه ، وهو يُعِيد هذا الصوت . قال : ووصل ابن مُفرِّغ بُدَيْحاً وكساه .

صوت[4]

[من الطويل]

رَضيتُ الهَوى إذ حَلَّ بـي مُتَخيِّراً   نديماً ومـا غَيري لـه مَن يُنادِمُهْ
أُعاطِيـه كأسَ الصَّبرِ بَيني وبينَه   يُقاسِمُنِيهـا مـرّةً وأُقاسِمُـهْ

يقال : إنّ الشّعر لبشّار ، والغناء للزُّبير بن دَحْمان ، هزج بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكّي .

---

1 البهلول : السيد الجامع لكل خير .
2 حاردت السنة : قلّ مطرها . والنكباء : ريح انحرفت عن الجهات الأربع . والعارم : الشديد .
3 الديوان : اللحا ، وهو الملاحاة قصره لضرورة الوزن .
4 ديوان بشار (ابن عاشور) 4 : 684 (عن الأغاني) وقد جعل فيه الثاني أولاً .

[392] ـ أخبار الزُّبير بن دحمان

[قدومه من الحجاز]

قد مضَت أخبارُ أبيه ، ونَسبُه وولاؤُه في متقدّم الكتاب[1] ، وكان الزُّبيرُ أحدَ المُحسنِين المُتْقِنين الرّواة الضُّرّاب ، المتقدِّمين في الصنعة ، وقَدِم على الرشيد من الحجاز ، وكان المغنُّون في أيّامِه حزبين : أحدُهما في حِزْب إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، والآخر في حزْب ابن جامِع وابن المهديّ . وكان إبراهيم بن المهديّ أوْكَدَ أسبابِ هذا التَّحزُّب والتَّعصُّب لِما كان بَيْنه وبين إسحاق ، وكان الزبير بن دحمان في حزب إسحاق ، وأخوه عبد الله في حزب إبراهيم بن المهديّ .

فأخبرني محمد بن مزيد قال : حدَّثني حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه قال : لمّا قَدِم الزُّبير بنُ دحمان على الرشيد من الحجاز ، قَدِم منه رجلٌ ما شئْتَ من رجُل ، عقْلاً ونُبْلاً ودِيناً وأدباً وسُكُوناً ووَقاراً ، وكان أبُوه قبله كذلك ، وقدِم معه أخوه عبد الله . فلمّا وصلا إلى الرشيد ، وجلسا معنا ، تخيَّلتُ في الزُّبير الفَضل فقلت لأبي : يا أبتِ ، أخلِق بالزُّبير أن يكون أفضلَ من أخيه ، فقال : هذا لا يَجيء بالظَّنّ والتَّخيُّل ، والجَوادُ إنّما يُمتَحَن في الميدان ، فقلت له : فالجوادُ عينه فِرارُه[2] ، فضَحِك وقال : نَنظُر في فِراستِك ، فلمّا غَنّيا بان فَضْلُ الزُّبير وتقدُّمه ، فاصْطَفاه أبي واصْطَفَيْتُه لأنفسنا ، وقرَّظْناه ووصَفْناه ، وصار في حَيِّزنا وغنّى الرشيد غناء كثيراً من غناء المُتقدِّمين فأجادَ وأحسنَ ، وسأله الرشيد أن يُغنّيه شيئاً من صَنْعَتِه ، فالْتَوى بعضَ الالتواء وقال : قد سمع أميرُ المؤمنين غِناءَ الحُذّاق من المتقدِّمين وغناءَ مَن بحضرته من خدَمه ، ومَن وفَد عليه من الحجازيِّين ، وما عسى أن يأتيَ من صَنْعَتي ؟ فأقسَمَ عليه أن يُغنِّيه شيئاً من صَنْعَتِه ، وجَدَّ به في ذلك ، فكان أوّلَ صوتٍ غنّاه منها : [من الخفيف]

صوت

ارحَلا صاحِبَيَّ حانَ الرَّحِيلُ وأبْكِياني فليس تَبْكِي الطُّلُولُ
قد تَولَّى النَّهارُ وانقَضَتِ الشَّمْـ ـسُ يَميناً وحانَ منها أُفولُ

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل .

---

1 في الجزء السادس : 19 .

2 المثل «الجواد عينه فراره» في مجمع الميداني 1 : 9 وجمهرة العسكري 1 : 308 والدرة الفاخرة 2 : 416 . والفرار بكسر الفاء وفتحها وضمّها النظر إلى أسنان الدابة لمعرفة سنّها . ويضرب المثل لمن يدلّ ظاهره على باطنه فيغني عن اختباره .

قال : فسمعتُ واللهِ صَنعة حَسنة مُتْقَنة لا مَطْعَن عليها . فطَرِب الرشيدُ واستعادَ هذا الصوت ثلاث مرّات ، وأمر له بثلاثين ألف دِرهم ، ولأخيه بعِشرين ألف درهم . ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منّا ، وانحازَ عبد الله إلى جنبة إبراهيم بن المهديّ ، فكان معه . قال حمّاد : فقلتُ لأبي : كيف كانت صنعة عبد الله ؟ قال : أنا أجمِل لك القول : لو كان زبير مملوكاً لاشتريْتُه بعشرين ألف دينار ، ولو كان عبد الله مملوكاً ما طابت نفسي على أن أشْتَرِيَه بأكثر من عشرين ديناراً . فقلت : قد أجبْتَني بما يكفيني .

حدَّثني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ ، ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر : أنَّ الرشيد كتب في إشخاص الزُّبير بن دحمان إلى مدينة السَّلام ، فوافاها واتَّفق قدومُه في وقت خروج الرشيد إلى الرَّيّ لمحاربة بِنْدارهُرْمُز أصبهبذ طَبَرستان . فأقام الزُّبير بمدينة السَّلام إلى أن دخل الرشيد ، فلمّا قدِم دخل عليه بالخَيْزُرانية ، وهو الموضع الذي يعرف بالشَّمَّاسيّة ، فغنّاه في أوّل غنائه صوتاً في شِعْر قاله هو أيضاً في الرشيد مدَحه به ، وذكر خروجَه إلى طبرستان وهو[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا إنَّ حِـزْبَ الله ليس بمُعْجِزٍ ... وأَنصـارُه في مَنْعَـــة المُتحَـرِّزِ
أَبى اللهُ أَن يُعصى لِهـارُونَ أَمرُه ... وذَلَّـــت لـه طَوْعـاً يَـدُ المُتعَزِّزِ
إِذا الرَّايةُ السَّوداءُ راحَتْ أَو اغْتَدَتْ ... إلى هارِبٍ منهـــا فليس بمُعْجِزِ
لَطاعَتْ لِهارُونَ العُداةُ لدى الوغى ... وكَبَّـــر لِلإسلامِ بنـــدارُ هُرْمُزِ

لم أَجِدْ هذا الصوت منسوباً في شيءٍ من الكتب إلاّ في كتاب بَذْل ، وهو فيه غير مُجنس .

وذكر إبراهيم بنُ المهديّ أنَّ الشِّعر للزُّبير بن دحمان ، وهذا خطأ ؛ الشِّعر لأبي العتاهية وهو موجود في شِعرِه من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد .

قال أبو إسحاق : فاستَحسنَ الرَّشيد الشِّعْرَ والغناء ، وأمر له بألفِ دينار فدُفِعَت إليه ، ومكث ساعةً ثم غنَّى صوتاً ثانياً وهو : [من المتقارب]

صوت

وأَحورَ كالغُصْنِ يَشْفي السَّقامَ ... ويَحكِي الغَــزالَ إذا مــا رَنا
شَرِبتُ المُــدامَ على وَجْهِـهِ ... وعاطَيْتُه الكأسَ حتـــى انْثَنى

1 ديوان أبي العتاهية : 563 .

وقُلــتُ مَدِيحـاً أُرَجِّــي بــه ... من الأَجْرِ حَظّــاً ونَيْلَ الغِنى
وأَعنــي بــذاك الإمامَ الذي ... بــه اللهُ أَعطـى العِبادَ المُنى

لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق .

قال : فما فرَغ من الصوت حتى أَمر له بأَلف دينار آخر فقبَضَه ، وخفَّ على قلبِه واستَظْرَفه ، فأَغْناه في مدّة يسيرة من الأيّام .

[يهيج في الرشيد ندمه على نكب البرامكة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني أَبو توبة ، عن القطرانيّ ، عن محمد بن حبيب قال : كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسفِ عليهم ، والتَّندُّم على ما فعَله بهم ، ففطن لذلك الزُّبير بنُ دحمان ، فكان يُغنّيه في هذا المعنى ويُحَرِّكه ، فغنّاه يوماً والشعر لامرأة من بني أَسَد : [من البسيط]

مَنْ للخُصومِ إذا جَدَّ الخِصامُ بهم ... يومَ النِّزالِ ومَــنْ للضُّمَّرِ القُودِ[1]
ومَوقفٍ قــد كَفيتَ النّاطِقِين به ... في مَجْمَعٍ من نَواصي النّاسِ مَشْهودِ[2]
فَرَّجتَــه بلسان غيــرِ مُلْتَبِسٍ ... عنــد الحِفاظِ وقولٍ غيرِ مردودِ

فقال له الرشيد : أَعِدْ ، فأَعاده . فقال له : ويْحَك ! كأَنَّ قائلَ هذا الشِّعر يَصِف به يحيى بنَ خالد ، وجعفر بنَ يحيى . وبَكى حتى جرَت دموعُه ، ووصَل الزبير صِلةً سَنِيّة .

أَخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد قال : كان أَبي يقول : ما كان دَحمان يُساوي على الغِناء أربعمائة درهم ، وأَشبهُ خَلْقِ اللهِ به غناء ابنه عبد الله . وكان يُفضِّل الزُّبير بن دحمان على أبيه وأخيه تفضيلاً بعيداً . وفي الزُّبير يقول إسحاقُ وله فيه غناء هو : [من الكامل]

صوت

أَسعِدْ بدَمْعِكَ يــا أَبا العَــوَّامِ ... صَبّاً صريعَ هَوًى ونِضْوَ سقامِ
ذَكَرَ الأَحِبَّة فاستُجِنَّ وَهاجَه ... للشوقِ نَــوحُ حَمامةٍ وحَمامِ
لم يُبدِ مــا في الصَّدْرِ إلاّ أَنَّه ... حيّـا العِــراقَ وأَهلَــه بسلامِ
ودَعــاه داعٍ للهَوى فأَجابَه ... شَوْقــاً إليــه وقــادَه بزِمامِ

الشعر والغِناء لإسحاق ثقيل أَوّل بالوسطى عن عمرو ، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرَّقَّة مع الرشيد يتشوَّق إلى العراق .

1 ل : يوم الجدال .
2 نواصي الناس : أشرافهم .

[تشوّق إسحاق لبغداد]

أخبرني عمّي قال: حدَّثني عليّ بن محمد بن نصر قال: حدَّثني جدِّي عن حَمدون بن إسماعيل قال: قال لي إسحاق: كنّا مع الرشيد بالرَّقّة، وخرج يوماً إلى ظهرها يَصِيد، وكنتُ في موكبه أُسايرُ الزبير بن دحمان، فذكَّرني بغدادَ وطيبها وأهلي وإخواني وحُرَمي فتشوَّقتُ لذلك تشوُّقاً شديداً، وعرض لي همٌّ وفِكْرٌ حتى أبكاني. فقال لي الزُّبير: ما لكَ يا أبا محمد؟ فشكوتُ إليه ما عرض لي، وقلت: [من الكامل]

أسعِدْ بدَمْعِكَ يـا أبـا العَوَّامِ صَبّاً صريعَ هَوًى ونِضْوَ سَقامِ

وذكر باقي الأبيات، وعلِمت أنّ الخبر سيَنْمي إلى الرشيد، فصَنَعت في الأبياتِ لحناً، فلمّا جلس الرشيد للشُّرب ابتدأتُ فغنَّيته إيّاه، فقال لي: تشوَّقْتَ والله يا إسحاق وشوَّقتَ وبلغْتَ ما أردْت، وأمَر لي بثلاثين ألف درهم، وللزُّبير بعشرين ألفاً، ورحَلَ إلى بغدادَ بعد أيّام.

[غضب الفضل على إسحاق]

أخبرني يَحيى بنُ عليّ بنِ يحيى المُنَجِّم قال: أُخبرني أبي قال: قال لي إسحاق، وأُخبرني به الحسن بن عليّ قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أَبي سعد قال: حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال: جاءني الزُّبير بنُ دَحمان ذات يوم مُسلِّماً، فاحتبسته فقال: قد أمرني الفَضْل بن الرَّبيع بأن أصيرَ إليه فقلت: [من الطويل]

أَقِمْ يـا أَبا العَوَّامِ وَيْحك نَشْرَبُ وَنَلْهُو مع اللاَّهِينَ يومـاً وَنَطربُ
إذا مـا رأَيتَ اليومَ قد جاءَ خَيرُه فخُذْه بشُكْرٍ واترك الفَضْلَ يَغْضَبُ

قال: فأقام عندي فشرَبنا باقي يومنا، ثم سار الزُّبير إلى الفَضْل، فسأله عن سبب تأخّره عنه، فحدَّثه بالحديث، وأنشده الشعر؛ فغضب وحوّل وجهه عنِّي، وأمرَ عَوناً حاجبَه ألاَّ يُدْخِلني اليوم ولا يستأذن لي عليه، ولا يُوَصِّل لي رُقعة إليه، قال: فقلت: [من الطويل]

حَرامٌ عليَّ الكأْسُ ما دُمْتَ غَضْبانا ومـا لم يَعُدْ عنِّـي رِضاكَ كما كانا
فأَحسِنْ فإنّي قـد أَسأْتُ ولم تَزَلْ تُعَـوِّدُني عنـدَ الإساءَةِ إحسانا

قال: وأنشدته إيّاهما، فضحك ورضي عنّي، وعاد لي إلى ما كان عليه.

وأَخبرني الحسين بن يحيى، عن حمّاد، عن أبيه بهذا الخبر، فذكر نحو ما ذكره الآخران، وزاد فيه: وقلت في عَوْن حاجبِه: [من الخفيف]

عونُ يـا عـونُ مثلَك عَوْنُ أنتَ لي عُـدَّةٌ إذا كان كَوْنُ

لكَ عندي واللهِ إن رَضِيَ الفَضْـ ـــلُ غُلامٌ يُرْضِيك أو بِرْذَوْنُ

فأتى عونٌ الفضْلَ بالشِّعرَيْن جميعاً ، فلمّا قرأهما ضحِك وقال له : ويلك إنّما عرَّض لك بقوله : «غُلامٌ يرضيك» بالسَّوْأة ؛ فقال : قد وعدني ما سمعتَ ، فإن شئت أن تحرِمنيه فأنت أعلم . فأمره أن يُرسل إليّ ، وأتاني رسولُه فصرتُ إليه ورضي عنّي .

[إسحاق والزُّبير يحكّمان حبشيّاً في الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : حدَّثني إسحاقُ قال : كان عندي الزُّبير بن دَحمان يوماً ، فغنَّيتُ لحنَ أبي : [من الطويل]

أَشاقَتْكَ من أرض العراقِ طُلُولُ تَحَمَّل منها جِيرةٌ وحُمولُ !

فقال لي الزُّبير : أنتَ الأستاذ وابن الأُستاذ السيِّد ، وقد أخذتُ عن أبيك هذا الصوت وأنا أُغنِّيه أحسن . فقلت له : والله إنّي لا أُحبُّ أن يكون ذلك كذلك . فغَضِب وقال : فأنا والله أحسنُ غناء منك . وتلاحَيْنا طويلاً ، فقلتُ له : هلُمَّ نخرج إلى صحراء الرَّقّة ، فيكون أكلُنا وشربُنا هناك ، ونَرْضى في الحكم بأوّل مَن يطلُع علينا ، قال : أفعلُ . فأخرجنا طعامَنا وشرابنا وجلسنا نشرب على الفُراتِ ، فأقبلَ حَبَشيٌّ يحفِر الأرض بالبال[1] ، فقلت له : أترضى بهذا ؟ قال : نعم ، فدعَوناه فأطعَمْناه وسقَيْناه ، وبدرني الزُّبير بالغناء ، فغنّى الصوت ، فطَرِب الحَبَشيُّ وحرَّك رأسَه حتى طمع الزُّبير فيّ ، ثم أخذتُ العودَ فغنّيته فتأمّلني الحبشيُّ ساعة ثم صاح : وأيّ شيطان هوه ! ومدَّ بها صوته ، فما أذكر أنّي ضَحِكت مثلَ ضَحكي يومئذٍ ، وانخزَلَ الزُّبير .

نسبة هذا الصوت

صوت[2]

[من الطويل]

أَشاقَتْك مِـن أرضِ العِراقِ طُلولُ تحمَّـل منهـا جيرة وحُمولُ !
وكيف أَلـــذُّ العيشَ بعـد مَعاشرٍ بهم كنتُ عند النَّائِبات أُصولُ !

الشعر لأبي العتاهية ، والغِناء لإبراهيم ثَقِيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن أحمد بن المكّي ، وفيه للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى .

1 ل : بالناب .
2 ديوان أبي العتاهية : 599 .

وهذان البيتان من قصيدة مَدَح بهـا أبـو العتاهية الفضْلَ بن الربيع . قال : أُنشدَنيها عبد الله بن الربيع الربيعيّ ، قال : أنشدنيها أبو سُوَيد عبدُ القَويّ بنُ محمد بن أبي العتاهية لجدِّه يمدحُ الفضلَ بن الربيع . وإنّما ذكرتُ ذلك هاهنا لأنَّ من الناس مَن ينسُبُهما إلى غيره ، فذكرتُ الأبيات الأُوَل ، وفيها يقولُ في مدح الفضلِ بن الربيع : [من الطويل]

قبائِل مِـنْ أقْصى وأدْنـى تَجَمَّعَتْ ... فهُـنَّ عـلى آلِ الرَّبيـعِ كلـولُ
تمـرُّ رِكابُ السَّفْـر تُثنـي عليهمُ ... عليهـا مـن الخَيْرِ الكَثيـر حُمولُ
إليـكَ أبـا العبَّاسِ حَنَّـتْ بأهلِها ... مغـانٍ وحَنَّـت ألسنٌ وعُقـولُ
وأنتَ جَبِـينُ المُلْكِ بل أنتَ سَمْعُه ... وأنـتَ لِسانُ المُلْـكِ حـين تَقولُ
وللمُلْـكِ ميزانٌ يـدَاك تُقيمُـه ... يـزولُ مـع الإحسانِ حيث يَزُولُ

[غناء الزُّبير بشعر ابن الأحنف]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني المُغيرةُ بنُ محمد المهلَّبيّ ، قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني رجل من ثقيف ، قال : غضب الرشيد على أُمّ جعفر ، ثم ترضَّاها فأبَتْ أن تَرْضى عنه ، فأرِق ليلَته ثم قال : افرِشُوا لي على دَجْلة ، ففعلوا ، فقعد ينظُر إلى الماء وقد رأى زيادةً عجيبة ، فسمِع غناء في هذا الشعر[1] : [من الطويل]

صوت

جَرى السيلُ فاستَبْكاني السَّيْلُ إذ جَرى ... وفاضَتْ لـه مـن مُقْلَتَـيَّ غُرُوبُ[2]
ومـا ذاكَ إلاّ حـين خُبِّـرتُ أنَّهُ ... يمُـرُّ بـوادٍ أنـتِ منـه قَـريبُ
يكـونُ أُجاجـاً مـاؤُه فإذا انْتَهى ... إليكـم تَلقَّـى طِيبَكـم فيَـطِيبُ
فيـا ساكِنـي شَرْقيِّ دِجْلة كُلُّكم ... إلى القَلْبِ مـن أجلِ الحَبيبِ حَبيبُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء للزّبير بن دحمان ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ : فسألَ عن النّاحية التي فيها الغِناء فقيل : دارُ ابن المُسَيَّب . فبعث إليه أن ابْعَثْ بالمُغنّي ، فإذا هو الزّبير بن دَحْمان ، فسأله عن الشعر فقال : هو العبّاس بن الأحنَف ، فأُحضِر واستنشدَه ، فأنشده إيّاه ، وجعل الزّبير يُغنّيه وعبّاس يُنشده ، وهو يستَعيدُهما ، حتى أصبح ، وقام فدخَل إلى أُمّ جعفر ، فسألتْ عن سبب دخوله فعُرِّفَته ، فوجَّهتْ إلى العبّاس بألفِ دينار ،

1 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 45 .
2 غروب في الديوان : سروب .

وإلى الزُّبير بألف دينارٍ أُخرى .

[الرشيد يفضله على المغنّين]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عليُّ بن محمد ، عن جدِّه حَمْدون قال : تشوَّق الرشيد بغدادَ وهو بالرَّقَّة ، فانحدر إليها ، وأقام بها مدّة ، وخلّف هناك بعضَ جواريه ، وكانت حَظيَّةٌ له فيهنّ خلَّفها لمُغاضَبةٍ كانت بينه وبينها ، فتشوَّقها تشوُّقاً شديداً ، وقال فيها : [من المتقارب]

سَلامٌ عـلى النَّـازح المُغْتَرِبْ ... تحيَّــة صَـبٌّ بــه مُكْتَئِبْ

غَـــزالٌ مراتِعُـــه بـالبَلِيخِ ... إلى ديرِ زَكّى فجسْر الخَشَبْ[1]

أيـا مَـنْ أعـانَ على نَفْسِه ... بتخليفِه طائعـاً مَـنْ أحَبّ

سأسْتُر والسَّتر مِــن شِيمَتي ... هَوى مـن أُحِبّ لِمَن لا أُحِبّ

وجمع المغنِّين ، فحضر إبراهيم الموصليّ ، وابن جامع ، وفُلَيح ، وزبير بن دحمان ، والمُعلّى بن طريف ، وحسين بن محرز ، وسليم بن سلام ، ويَحْيى المكّي ، وابنه ، وإسحاق ، وأبو زَكار الأعمى ، وأعطاهم الشعر وقال : ليعمَلْ كلّ واحدٍ منكم فيه لحناً . قال : فلقد عملوا فيه عشرين لحناً ، فما أُعجِب منها إلاّ بلحن[2] الزُّبير وحده ، أُعجِب به إعجاباً شديداً ، وأجازه خاصَّة دون الجماعة بجائزة سَنِيّة .

غنَّى إبراهيمُ في هذه الأبيات ولحنه ماخوريّ بالوسطى ، ولفُليح فيها ثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن جامع رمل بالبنصر ، ولابن المكّيِّ ثقيل أوَّل بالوسطى ، وللزُّبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر ، وللمُعلَّى خفيف رمل بالوسطى ، ولإسحاق رمل بالوسطى ، وللحُسَيْن بن محرز هزج بالوسطى .

صوت

[من الرجز]

يـا ناعِشَ الجَدِّ إذا الجَدُّ عَثَرْ ... وجابِرَ العَظْمِ إذا العَظْمُ انْكَسَرْ

أنــتَ ربيعِــي والرَّبيعُ يُنْتَظَرْ ... وخَيرُ أنــواء الرَّبيعِ مـا بَكَرْ

الشعر للعُمانيّ الراجز ، والغناء لشارِيةَ خفيف رمل ، من كتاب ابن المعتزّ وروايته .

---

1 البليخ : نهر بالرقة . ودير زكى : دير بالرها .

2 ل : بلحني .

[393] ـ نسب العمانيّ وخبره[1]

[نسبه]

اسمه محمد بنُ ذُؤَيْب بن مِحْجن بن قُدامة بن بَلْهيَّة الحَنْظَلِيّ ثمّ الدَّارميّ صَليبَة ، وقيل له : العُمانيُّ ، وهو بَصْريٌّ ؛ لأنّه كان شديد صُفرة اللون ، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان ، وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، من شعراء الدولة العبّاسيّة ، ليس من نُظَراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره . مثل أَشْجَع وسَلْم ومروان ، ولكنّه كان لطيفاً داهياً مقبولاً ، فأفادَ بشعره أموالاً جليلة .

[الرشيد يجزل له الصلة]

أخبرني ابن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن جَبْر بن رياط الأسديّ : أنَّ عبدَ الملك بنَ صالح أدخل العُمانيَّ على الرشيد فأنشده : [من الرجز]

يا ناعِشَ الجَدّ إذا الجدُّ عَثَرْ وجابرَ العَظْم إذا العَظْمُ انكَسَرْ
أنــت رَبِيعــي والربيــعُ يُنْتَظَرْ وخيرُ أنــواءِ الربيعِ مـا بَكَرْ

فقال له الرشيد : إذاً يَبكُر عليك ربيعُنا ، يا فَضْل ، أعطِه خمسة آلاف دينار ، وخمسين ثوباً .

قال إسحاق : قال جَبْر : لّما دخل الرشيدُ الرَّقَّةَ استقبله العُمانيّ ، فلمّا بَصُرَ به ناداه : [من الرجز]

هارونُ يا ابنَ الأكْرمِين مَنْصبا لّمـا ترحَّلْـتَ فصرتَ كَثَبا
من أرضِ بَغْدادَ تَــؤُمُّ المَغْرِبا طابت لنا رِيحُ الجَنُوبِ والصَّبا
ونَزَل الغيْثُ لنـا حتـى رَبـا مـا كان من نَشْزٍ وما تَصَوَّبا[2]
فمَرْحَباً ومرحَباً ومَرْحَبا

فقال له الرشيد : وبك مرحباً يا عُمانيّ وأهلاً ، وأَجْزَلَ صِلَتَه .

[في بيعة الأمين]

أخبرني محمد بنُ جعفر النّحويُّ صِهرُ المبرّد المعروف بابن الصَّيدلانيّ قال : حدَّثنا محمد بنُ

1 ترجمة العماني الراجز في الشعر والشعراء : 641–642 والمحمدون : 322 والموشح : 455–456 وطبقات ابن المعتز : 109–114 وتاريخ بغداد 5 : 270 .

2 النشز : ما ارتفع . وتصوب : انحدر .

موسى عن حمّاد قال : قال العُتبيّ : لمّا وجّه الفَضلُ بنُ يحيى الوفدَ من خُراسان إلى الرشيد يَحُضُّونه على البيعة لابنه محمد قَعَدَ لهم الرشيد ، وتكلّم القومُ على مراتبهم ، وأظهروا السرورَ بما دعاهم إليه من البيعة لابنه . وكان فيمن حضر محمد بن ذؤيب العُمانيُّ ، فقام بين صفوفِ القُوّادِ ، ثم أنشأ يقول : [من الرجز]

لمّـا أتانـا خبرٌ مُشَهَّـرُ ... أغـرُّ لا يَخفى على مَنْ يُبصِرُ
جـاءَ بـه الكُـوفيُّ والمُبَصِّرُ ... والراكِـبُ المُنجِـدُ والمُغَوِّرُ
يُخَبِّرُ النّاسَ ومـا يَستَخبِرُ ... قلتُ لأصحابي ووَجْهي مُسْفِرُ
وللرجالِ : حَسْبُكُمْ لا تُكثِرُوا ... فـاز بهـا محمـدٌ فأقْصِرُوا
قـد كان هذا قبل هذا يُذْكَرُ ... في كُتُبِ العِلـمِ التي تُسَطَّرُ
فقل لِمَـن كان قَديماً يَتْجَرُ : ... قد نُشِرَ العَدْلُ فبيعُوا واشْتَرُوا
وشرِّقـوا وغرِّبـوا وبَشِّروا ... فقد كَفـى اللهُ الذي يُسْتَقْدَرُ
بمَنّه أفعال مـا قـد يُحْذَرُ ... والسيفُ عَنّا مُغمَدٌ ما يُشهَرُ
وقُلِّـدَ الأمـرَ الأغرُّ الأزهَرُ ... نَوءُ السِّماكَيْن الذي يُسْتَمْطَرُ
بوَجْهِـهِ إن كان عـام أغْبَرُ ... سُرَّتْ بـه أسِرَّةٌ ومِنبـرُ
وابتَهَجَ النّاسُ بـه واستَبْشَرُوا ... وهلَّلـوا لرَبِّهِـم وكَبَّرُوا
شُكراً ومن حقِّهمُ أن يَشكُروا ... إذ ثَبَتَتْ أوتـادُ ملكٍ يَعْمُرُ
من هاشمٍ في حَيْث طابَ العُنصرُ ... وطـاحَ مَنْ كان عليها يزفِرُ
إنّ بنـي العَبّـاسِ لم يُقَصِّروا ... إذ نهضوا لملكِهـم فشَمَّروا
وعَقَلـوا ونَزَعـوا وأمَّرُوا ... ودَبَّـروا فأحْكَمُوا مـا دَبَّرُوا
وأورَدُوا بالحَزْمِ ثـم أصدَرُوا ... والحَـزْم رأيٌ مثلُـه لا يُنْكَرُ
إذا الرِّجال في الرِّجالِ خُيِّروا ... يـا أيّها الخليفـةُ المُطَهَّرُ
والمؤمِـنُ المُبـارَكُ المُوقَّرُ ... والطَّيِّـبُ الأغصانِ والمُظَفَّرُ
مـا النّاسُ إلاّ غَنَـم تَنَشَّرُ ... إن لم تَداركْهُم براعٍ يَخطِرُ
على قَواصـي طُرْقِها ويسترُ ... ويمنَـع الذِّئـبَ فـلا يُنفِّرُ
فامنُنْ علينـا بيَـدٍ لا تُكفَرُ ... مَشْهورةٍ مـا دام زَيْتٌ يُعصَرُ
وانظر لنا وخـلِّ مَنْ لا ينظرُ ... واجْسِرْ كما كان أبـوك يَجْسِرُ

لا خير في مُجَمْجَمٍ لا يَظْهَرُ ... ولا كتابِ بَيْعةٍ لا يُنْشَرُ[1]
وقد تربَّصت فليس تُعْذَر ... فليت شِعْري ما الذي تَنْتظِرُ
أأنت قائِمٌ به أم تَسْخَرُ ... مالك في محمدٍ لا تعذِرُ
وليتَ شِعْرِي والحديثُ يُؤثَرُ ... أترقُدُ الليلَ ونحن نَسهَرُ
خوفاً على أُمورنا ونَضْجَرُ ... واللهِ واللهِ الذي يُسْتَغْفَرُ
لأنْ يموتَ مَعْشَرٌ ومَعْشَرُ ... خَيرٌ لنا من فِتْنةٍ تَسَعَّرُ
يَهلِك فيها دينُهم ويُوزَروا ... وقد وَفى القومُ الذين انْتَصَروا[2]
لصاحب الرُّوم وذاك أصغرُ ... منه وهذا البَحْرُ لا يُكَدَّرُ
وذاكمُ العِلْجُ وهذا الجَوْهَرُ ... يَنْمي به محمدٌ وجَعْفَرُ
والخُلَفاءُ والنَّبِيُّ الأكبَرُ ... ونَبعةٌ من هاشمٍ وعُنْصُرُ
واعلمْ وأنتَ المرءُ لا يُبَصَّرُ ... واللهُ يبقيك لنا وتجبرُ
منّا ذوي العُسْرة حتى يُوسِرُوا ... أنَّ الرِّجالَ إن وَلُوها آثَرُوا
ذَوي القَراباتِ بها ، واستأْثرُوا ... بها ، وضَلَّ أمرُهم واستكبَرُوا
والمُلكُ لا رِحْم له فيأصِرُ ... ذا رَحِمٍ والنّاسُ قد تَغَيَّروا
فأَحكِمِ الأَمرَ وأنتَ تَقْدِرُ ... فمِثْلُ هذا الأَمْرِ لا يُؤَخَّرُ

فلمّا فرغ من أرجوزته قال له الرشيد : أَبْشِر يا عُمانيّ بولاية محمد العهد . فقال : إي والله يا أمير المؤمنين ، بُشْرى الأرض المُجدِبة بالغَيث ، والمرأةِ النَّزُور بالولد ، والمريضِ المُدنَف بالبُرء . قال : ولِم ذاك ؟ قال : لأنّه نسيج وحده ، وحامي مجده ، ومُوري زَنده . قال : فما لك في عبد الله[3] ؟ قال : مَرعًى ولا كالسَّعدان[4] . فتَبَسَّم الرشيد وقال : قاتله الله من أعرابيّ ما أعرفَه بمواضع الرغبة ، وأسرعَه إلى أهلِ البَذْلِ والعائدة ، وأبعدَه من أهل الحَزْمِ والعَزْمِ ، والذين لا يُستمنح ما لديهم بالثّناء ، أمّا والله إنّي لأعرف في عبدِ الله حَزْمَ المنصور ونُسْكَ المهديّ ، وعِزَّ نَفْس الهادي ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبْتُه إليها .

---

1 المجمجم : المخفي في الصدر .
2 يوزروا : يصابون بالوزر ، وهو الذنب .
3 يعني المأمون .
4 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 275 وجمهرة العسكري 2 : 242 وفصل المقال : 199 .

[أرجوزة في ترشيح القاسم]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عليّ بن الحسن الشَّيبانيّ ، وأخبرني به محمد بن جعفر ، عن محمد بن موسى ، عن حمّاد ، عن أبي محمد المطبخيّ ، عن عليّ بن الحسن الشّيبانيّ قال : أخبرني أبو خالد الطائيّ ، عن جبير بن ضُبينة الطائيّ ، قال : أخبرني الفضل قال : حضرتُ الرشيد يوماً وجلس للشعراء ، فدخل عليه الفضلُ بنُ الربيع وخلفه العُمانيّ ، فأدْناه الرشيد واستنشده ، فأنشَده أرجوزةً له فيه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع : [من الرجز]

قُــلْ للإمام المقْتَدى بأُمِّهِ : مـا قاسمٌ دُونَ مَدى ابنِ أُمِّهِ[1]

وقــد رَضِيناه فقُمْ فسمِّـهِ

قال : فتبَسَّم الرّشيد ثم قال : ويحك ! أما رَضِيتَ أن أولِّيه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رِجلي ! فقال له العُماني : ما أردتُ يا أمير المؤمنين قِيامَك على رِجْلَيْك ، إنّما أردتُ قيام العَزم . قال : فإنّا قد ولَّيناه العهد ، وأمرَ بالقاسم أن يحضر . ومرَّ العُمانيُّ في أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها ، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد ، فجلس مع أخويه فقال له : يا قاسم ، عليك جائزة هذا الشَّيخ ، فقد سألنا أن نولِّيَك العهد وقد فعلنا ؛ فقال : حكمك يا أمير المؤمنين . فقال : وما أنا وهذا ! بل حكمك ، وأمر له الرَّشيد بجائزة ، وأمر له القاسم بجائزة أُخرى مُفردَة .

[أكرمه أبو الحر التميميّ فمدحه]

أُخبرني محمد بن مزيد ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحـاق ، عن أبيه قال : دخل محمد بن ذُؤيب العُمانيّ على أبي الحرّ التّميمي بالبصرة ، فأطعَمه وسقاه وجلَّله بكساء فقال فيه : [من الرجز]

إنّ أبـا الحُــرِّ لَعَـينُ الحُـر يدفـع عنّـا سَبراتِ القُرِّ[2]

باللحم والشَّحمِ وخُبز البُرّ ونُطْفَـة مكنُونَــة في الجَرِّ[3]

يَشْرَبهـا أشياخُنــا في السِّرِّ حتـى نَـرى حديثَنـا كالدُّرِّ

1 قاسم بن هـارون الرشيد جعلـه أبوه وليّاً للعهد بعد أخويه الأمين والمأمون ولقب المؤتمن . ومات في خلافة المأمون . وأم القوم : تقدّمهم .

2 سبرات : جمع سبرة ، وهي الغداة الباردة .

3 الجرّ : جمع جرّة .

[يمدح عبد الملك بن صالح]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا حمّاد ، عن أبيه قال : قصد العُمانيُّ عبدَ الملك بن صالح الهاشميَّ متوسِّلاً به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء ، ومدَح عبدَ الملك بقصيدته التي يقول فيها : [من المتقارب]

نمَتْــه العَرانــينُ مــن هاشمٍ إلى النَّسَبِ الأَوضح الأَصْرَحِ[1]
إلى نَبْعــةٍ فرعُها في السماء ومغرسُهــا سُرَّةُ الأَبطَـحِ

فأَدخلَه عبدُ الملك إلى الرشيد بالرَّقَّة فأَنشده : [من الرجز]

هارونُ يا ابنَ الأَكرمين حَسبا لَمّـا ترحَّلْـتَ فكنـتَ كَثَبا
مِـن أَرضِ بغدادَ تؤمُّ المغرِبا طابَتْ لنا ريحُ الجَنوبِ والصَّبا
ونَــزلَ الغيثُ لنـا حتى رَبا مـا كان من نَشْزٍ وما تصوَّبا
فمَرْحبـاً ومَرْحَبـاً ومَرْحَبا

فأَعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً .

[طعام محمد بن سليمان]

أَخبرني عمِّي والحُسَين بنُ القاسم الكوكبيّ ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدَّثنا إسحاقَ بن عبد الله الأَزديّ ، عن محمد بنِ عبدِ الله العامريِّ القُرشيِّ ، عن العُمانيّ الشاعر : أنّه تغدّى مع محمد بن سليمان بن عليّ ، فكان أوّل ما قُدِّم إليهم فُرْنيَّةٌ[2] في لبن عليها سكر ، ثم تتابع الطّعام ، فقال له : قُل فيما أُكلت شعراً تصفه ، فقال : [من الرجز]

جــاؤوا بفُرْنــيّ لهم مَلبونِ بـات يُسَقَّى خالصَ السُّمُونِ
مُصَوْمَعٍ أَكــومَ ذي غُضون قد حُشِيتْ بالسكّر المَطْحونِ[3]
ولَـوَّنوا مــا شِئت مـن تلوينِ مـن بـاردِ الطّعامِ والسّخينِ
ومن شراسِيف ومــن طُرْدِين ومن هُـلامٍ ومَصُوصٍ جُونِ[4]

1 العرانين : السادة والأشراف .
2 الفرنية : خبز مستدير .
3 مصومع : مجمع مرتفع .
4 شراسيف : جمع شرسوف ، وهو الغضروف العالق بطرف الضلع المشرف على البطن . والطردين : طعام للأكراد . والهلام : طعام من لحم . والمصوص : طعام يطبخ منقوعاً في الخل .

ومــن إوَزٍّ فائـــقٍ سَمـــينِ ومن دَجاجٍ قِيتَ بالعجينِ[1]
فالشَّحْم في الظّهور والبُطونِ وأتبَعُـوا ذلـك بـالجَوْزِينِ
وبالخَبِيص الرَّطْـبِ واللَّـوْزِينِ وَفكَّهُـوا بِعنَـبٍ وتِـينِ
والرُّطَـبِ الأزاذِ والهَيْرونِ محمـد يـا سيِّـد البَنِينِ[2]
وبِكْـر بِنتْ المُصطفى الأمينِ الصـادقِ المُبـارِكِ المَيْمونِ
وابـنِ وُلاةِ البَيْتِ والحَجُونِ اسمعْ لنعـتٍ غيرِ ذي تَفنينِ
يخْرُجُ مـن فـنٍّ إلى فُنونِ إن الحدِيثَ فيكَ ذو شُجونِ[3]

[العمانيّ لقب أطلق عليه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال : حدَّثني أبو هاشم القَيْنيّ قال : كان محمد بن ذُؤَيْب العُمانيُّ الراجز من أهل البصرة ، ويُكنى أبا عبد الله ، وإنّما قِيل له العُمانيّ لأنـّه أقبل يوماً وقد خرج من عِلَّة ووجهُهُ أصفَر ، فقال له بعض أصحابنا : يا أبا عبدَ الله قد خرجت من هذه العِلّة كأنّك جمل عُمانيٌّ . قال : وكانت جِمال عُمان تحمِل الوَرْس من اليمَن إلى عُمان فتَصفرّ ، قال : وهو من بني تميم ثم من بني فُقَيم .

[عيسى بن موسى يصله]

قال : فقَدِم على عيسى بن موسى ، فلمّا وصل إليه أَنشدَه مديحاً له وَفَدَ إليه به ، فاستَحسنَه ووَصَلَه واقْتَطَعَه إليه وخصَّه ، وجعله في جُلَسائه ، فقال العُمانيُّ فيه : [من الرجز]

مـا كنتُ أَدري ما رَخاءُ العَيْشِ ولا لبِستُ الوَشْي بعـد الخَيْشِ
حتـى تمدَّحْـتُ فتـى قُرَيشِ عيسى ، وعِيسى عند وقْتِ الهَيْشِ[4]
حـين يخـفّ غَيـرُه للطَّيْشِ زَيْـن المقيمـين وعِـزّ الجَيْشِ
راش جَناحـيَّ وفـوق الرِّيشِ

1 قيت : من القوت ، أي أُضيف إليه العجين .
2 الأزاد : نوع من الرطب . والهيرون : البرّيّ من التمر والرطب .
3 المثل «الحديث ذو شجون» في مجمع الميداني 1 : 197 وجمهرة العسكري 1 : 341 ومستقصى الزمخشري 1 : 310 وفصل المقال : 67 .
4 الهيش : الفساد والهياج .

[في حصار هرقلة]

أخبرني حبيبُ بن نَصْر المهلبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ عليّ بن أبي نعيم قال : حدَّثنا موسى بنُ صُبيح المروزيّ قال : خرج الرشيدُ غازياً بلادَ الروم ، فنزَل بهِرَقْلَةَ ، ونَصَب الحربَ عليها ، فدخل عليه العُمانيُّ وهو يذكر بغدادَ وطِيبَها وما فيه أهلُها من النِّعمة ، فأنشده العُمانيّ قصيدة له في هذا المعنى ، يذكرُ فيها طِيبَ العيش ببغداد ، وسَعَة النعم ، وكَثرةَ اللذّات ، يقول فيها : [من الرجز]

ثم أتَوْهم بالدَّجاجِ الدُّجَّجِ ... بين قَدِيدٍ وشِواءٍ مُنضَجِ
وبِعَبِيطٍ ليس بالمُلَهْوَجِ ... فدُقَّ دَقَّ الكودَنيّ الدَّيْزَجِ[1]
حتى مَلا أعفاجَ بطنٍ نُفَّجٍ ... وقال للقَيْنَة : صُبّي وامزُجي[2]

قال : فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم .

ثم دخل إليه ابن جامع وقد أمر الرشيد أن يُوضَع الكبريتُ والنّفط الأبيضُ على الحِجارة ، وتُلَفّ بالمُشاقَة[3] ، وتُوقد فيها النار ، ثم تُوضَع في كِفَّة المنجنيق ويُرْمى بها السُّور ، ففعلوا ذلك ، وكانت النار تَثْبُت في السُّور وتُصَدِّعه حتى طلبوا الأمان حينئذٍ ، فغنّاه ابن جامع وقال : [من البسيط]

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لمّا أن رَأَتْ عَجَباً ... حَوائِماً تَرْتَمي بالنِّفط والنّارِ
كأنّ نِيرانَنا في جَنْب قَلْعَتهم ... مُصَبَّغاتٌ على أرسان قَصّارِ

فأمر له بثلاثين ألفَ درهم أخرى .

[يصف فرساً سابقاً للمهديّ]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثني أبو هِفّان قال : حدَّثني أحمدُ بنُ سليمان قال : قال يزيد بنُ عِقال : كنّا وُقوفاً والمهديُّ قد أجرى الخَيْلَ فسبَقها فَرسٌ له يقال له الغَضبان ، فطلب الشُّعراءَ فلم يحضُر أحدٌ منهم إلاّ أبو دُلامة ؛ فقال له : قلّده يا زَنْدُ ، فلم يفهم ما أراد فقلَّده عِمامَتَه ، فقال له المهديّ : يا ابن اللَّخْناء ، أنا أكثرُ عمائم منك ؛ إنّما أردتُ أن تُقلّده شِعْراً ، ثم قال : يا لَهَفي على العُمانيّ . فلم يتكلّم بها حتى أقبل العُمانيّ ، فقيل له : ها هوذا قد أقبَلَ الساعة يا أمير المؤمنين ، فقال : قدِّموه ، فقدَّموه

1 العبيط : اللحم الطري . والكودني : الفيل .
2 الأعفاج : جمع عفج ، وهو ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة .
3 المشاقة : ما خلص من الكتان والقطن .

فقال : قَلِّدْ فَرَسي هذا ، فقال غير مُتَوقِّف : [من الرجز]

قد غَضِبَ الغَضْبانُ إذ جدَّ الغَضَبْ وجاء يحمي حَسَباً فَوقَ الحَسَبْ
من إرثِ عَبّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبْ وجاءت الخَيْلُ به تَشْكو التَّعَبْ
له عليها ما لَكُم على العَرَبْ

فقال له المهديُّ : أحسنتَ واللهِ ، وأَمرَ له بعشرة آلاف درهم .

صوت

[من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقي أَن الذي هو رِزْقي سوفَ يأْتِيني
أَسعى له فيُعَنِّيني تَطلُّبُه ولو قَعدتُ أَتاني لا يُعنِّيني

الشعر لعُرْوة بن أُذَيْنة[1] ، والغناء لمُخارق ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو .

1 ديوان عروة (صادر) : 124 .

[394] ـ أخبار عروة بن أذينة ونسبه[1]

[نسبه]

هو عروةُ بنْ أُذينةَ ، وأُذَيْنَةُ لقَبه ، واسمُه يحيى بنُ مالِك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زُحَل[2] بن يَعْمُر ، وهو الشَّدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وسُمِّي يَعْمُر بالشّدّاخ لأنّه تحمَّل دِيات قتلى كانت بين قُرَيش وخُزاعة ، وقال : قد شَدخْتُ هذه الدِّماءَ تحت قدميّ ، فسُمِّي الشّدّاخ .

قال ابنُ الكَلْبيّ : الشُّدّاخ ، بضمّ الشِّين .

[شاعر وفقيه ومحدث]

ويُكنى عُروة بن أُذينة أبا عامر ، وهو شاعر غَزِل مُقدَّم ، من شُعراء أَهل المدينة ، وهو مَعدُودٌ في الفقهاء والمُحدِّثين ، روى عنه مالِكُ بن أنس ، وعُبَيد الله بن عمر العَدَويّ . أخبرني بذلك أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، عن عُمَر بن شَبَّة ؛ وروى جدُّه مالِكُ بن الحارث عن عليّ بن أبي طالِب عليه السلام .

[عليٌّ يكره قتل رجال قريش]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ مُوسى قال : حدَّثنا أَحمدُ بن الحارث ، عن المدائنيّ ، عن ابن دأْب ، عن عُروَة بن أُذَيْنة ، عن أَبيه قال : حدَّثني أبي مالِكُ بن الحارث قال : خَرَج مع عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام رجلٌ من قومي كان مُصْطَلماً[3] . فخرجتُ في أثره وخَشِيت انقراضَ أهلِ بيتِه ، فأَردْتُ أَن استأْذِن له من عليّ ، فأَدركتُ عليّاً عليه السلام بالبصرة ، وقد هَزَم النّاسَ ودخل البصرة ؛ فجئتُه فقال : مرحباً بك يا ابن الفُقَيمة ، أبدا لَكَ فينا بَداءٌ[4] ؟ قلتُ : والله إنّ نُصْرَتَكَ لحقٌّ ، وإنّي لَعَلى ما عهِدْتَ أُحِبّ العُزلَة ، ثم ذاكرتُه أمرَ ابن عمِّي ذلك ، فلم يبعد عنه ، فكنت آتيه أَتحدّث إليه . فركِب يوماً يطوف وركبت معه . فإنّي لأسِير إلى جانبه إذْ مرَرنا بقَبْر طَلْحة ، فنظر إليه نظراً شديداً ، ثم أقبل عليّ فقال : أمسى

1 ترجمة عروة بن أُذينة في الشعر والشعراء : 483–484 والمؤتلف : 69–70 والسمط : 136 والموشح : 231–233 وله مقطعات في أمالي المرتضى 1 : 408–416 وفي الزهرة وله قصائد في منتهى الطلب . وقد نشرت دار صادر (بيروت) ديوانه سنة 1996 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ل : ذهل .

3 مصطلم : مقطوع .

4 بداء : ظهور الرأي .

والله أبو محمد بهذا المكان غريباً ، ثم تَمَثَّل : [من الوافر]

وما تَدْرِي وإن أزمعْتَ أمْراً بأيّ الأرْض يُدْرِكُكَ المَقِيلُ

والله إنّي لأَكْرَه أن تكون قريش قَتْلى تحت بطون الكواكبِ . قال : فوقع العِراقيُّون يَشْتُمون طَلْحَة وسكَتَ عليٌّ وسكَتُّ ، حتى إذا فرَغوا أقبل عليٌّ عليه السلام عليَّ فقال : إيه يا ابن الفُقَيمة ، والله إنّه وإن قالوا ما سَمعت لكما قال أخو جُعْفيّ : [من الطويل]

فَتًى كان يُدْنِيه الغِنى من صَدِيقه إذا ما هو اسْتَغْنى ويُبْعِدُه الفَقْرُ

ثم أردتُ أن أُكلِّمَهُ بشيء فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، فقال : وما مَنَعَك أن تقول : يا أبا الحَسَن ؟ فقلتُ : أبَيْتُ ، فقال : والله إنّها لأحبُّهما إليّ لولا الحَمْقى ، ولوَدِدْتُ أنّي خُنِقْت بحَبْل حتى أموت قبل أن يفعَل عُثمان ما فَعَل ، وما أعتذر من قِيام بحقٍّ ، ولكِنَّ العافية ممّا ترى كانت خيراً .

[حريق الكعبة]

حدَّثنا محمد خَلَف وَكيع ، والحسن بن عليّ الخَفّاف ، قالا : حدَّثنا الحارث بن أبي أُسامة ، قال : حدَّثنا محمد بن سَعْد ، عن الواقديّ ، عن عبدِ الله بن يزيد ، عن عُروة بن أُذَينة قال : قَدِمْتُ مع أبي مكَّة يوم احترَقت الكعبة ، فرأيتُ الخشبَ وقد خَلَصتْ إليه النّارُ ، ورأيتُ الكعبة مُتجرِّدة ، من الحريق ، ورأيتُ الرُّكنَ قد اسودَّ وتصدَّع من ثلاثةِ أمْكِنة . فقلتُ : ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا إلى رجُل من أصحاب ابن الزُّبير فقالوا : هذا احترَقتْ بسببه ؛ أخذَ قَبَساً في رأس رُمْح ، فطَيَّرت الرِّيح منه شيئاً ، فضربَتْ أستارَ الكَعْبة فيما بين اليمانيّ إلى الأسود .

[رزقه يأتيه]

حدَّثني محمد بن جرير الطبريّ وحفِظْتُه ، وأُخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيبُ بن نَصْر المُهلَّبيّ قالوا : حدَّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال : حدَّثني عمر بن محروس الورّاق بن أُقَيْصَر السُّلميُّ قال : حدَّثنا يحيى بن عُروة بن أُذَيْنة قال : أتى أبي وجماعةٌ من الشعراء هشامَ بن عبد الملك ، فنسبَهم ، فلمّا عرف أبي قال له : أنت القائل[1] : [من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسْرافُ من خُلُقي أنَّ الذي هو رِزْقي سوفَ يَأتيني
أسعى له فيُعَنِّيني تَطلُّبُه ولو جَلستُ أتاني لا يُعَنِّيني

هذا البيتان فقط ذكرهما المُهلَّبيُّ والجَوهريُّ ، وذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات

1 القصيدة في ديوانه : 122–126 . وهناك قطعة أخرى (128–129) تشترك مع القصيدة في بعض الأبيات . والأبيات الواردة هنا بعضها موجود في الاثنين وبعضها في هذه أو تلك .

كلّها : [من البسيط]

وأنَّ حـظَّ امرىءٍ غيري سَيَبْلُغُه لا بُـدَّ لا بُـدَّ أن يَحتازَه دُوني
لا خَيْرَ في طَمعٍ يُـدني لِمنْقَصةٍ وغُفَّة من قَـوام العيش تكْفيني[1]
لا أركبُ الأمرَ تُزْري بي عَواقِبُه ولا يُعابُ بـه عِرْضي ولا دِيني
كم مِـنْ فَقيرٍ غَنـيِّ النَّفْسِ تَعرِفُه ومن غنّـيٍ فَقيرِ النَّفْس مِسكينِ
ومن عَـدوٍّ رَماني لو قَصدتُ له لم يأْخُذِ النِّصفَ منّي حين يرميني[2]
ومن أخٍ لي طوى كَشْحاً فقلتُ له : إنَّ انْطِواءَك عنّي سيوف يَطْويني
إنّي لأنْطِق فيمـا كان مـن أَرَبي وأُكثِرُ الصَّمْتَ فيمـا ليس يَعْنِيني
لا أَبتَغي وَصْلَ من يَبْغي مفارقتي ولا أُلـينُ لَمـنْ لا يَشْتَهي لِيني[3]

فقال له ابنُ أُذَينة : نعم أنا قائلها ؛ قال : أفلا قعدتَ في بيتك حين يأتيك رزقُك ! وغَفَل عنه هشامٌ ، فخرج من وقته وركب راحلتَه ومضى مُنصرِفاً ، ثم افتقده هشامٌ فعرفَ خبرَه ، فأتبعَه بجائزة وقال للرَّسول : قل له : أردتَ أن تُكذِّبنا وتُصَدِّق نفسَك . فمضى الرسولُ فلحقه وقد نزل على ماءٍ يتغدّى عليه ، فأبلغه رسالتَه ودفع الجائزة . فقال : قل له : صدَّقني ربِّي وكذَّبَك .

قال يحيى بنُ عروة : وفرض له فريضتين ، فكنتُ أنا في إحداهما .

أُخبرنا وَكيع قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني أبو غَزِيَّة قال : حدَّثني أَنَسُ بنُ حبيب قال : خرج ابن أُذَيْنة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وفدوا عليه ، وكان ابنُه مَسْلَمة بن هشام سنة حجَّ أذنَ لهم في الوفود عليه ، فلمّا دخلوا على هِشام انتسَبوا له وسلَّموا عليه ، فقال : ما جاءَ بك يا ابن أُذينة ؟ فقال[4] : [من المتقارب]

أَتينـا نمُـتُّ بأَرحامِنـا وجِئْنـا بـإِذْنِ أَبي شاكِرِ
فـإنَّ الذي سارَ مَعروفُه بنَجْـدٍ وَغـار مـع الغائِرِ

---

1 الغفة : البلغة .
2 النصف : (بفتح النون وكسرها) الإنصاف . وفي الديوان : لم آخذ النصف منه . . . .
3 الديوان : . . . يبغي مقاطعتي .
4 ديوانه : 36 .

إلى خير خِنْدِفَ في ملكها لِبادٍ مـن النّاس أو حاضِرِ

فقال له هشام : ما أُراك إلاّ قد أكذبْتَ نفسك حيث تقول : [من البسيط]

لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقي أنَّ الذي هو رِزْقِ سوف يأتيني
أسعـى لـه فيُعَنِّينـي تَطَلُّبُه ولـو جَلَسْتُ أتـاني لا يُعَنِّيني

فقال له ابن أُذَيْنة ما أكذبْتُ نفسي يا أميرَ المؤمنين ، ولكنّي صدَّقْتُها ، وهذا من ذاك . ثم خرجَ من عِنده فركب راحلتَه إلى المدينة ، فلمّا أمر لهم هشامٌ بجَوائِزِهم فَقَده ، فقال : أين ابنُ أُذَيْنَة ؟ فقالوا : غَضِب من تقريعك له يا أمير المؤمنين ، فانصرف راجعاً إلى المدينة ، فبَعَث إليه هِشام بجائزَتِه .

[الراعي النائم]

أخبرنا وَكيع قال : حدَّثنا هارونُ بنُ محمد قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار قال : حدَّثني عمّي ، عن عُروة بن عبيد الله قال : كان عُروَةُ بن أُذَيْنة نازلاً مع أبي في قصر عُروَة بالعقيق ، وخرج أبي يوماً يمشي وأنا معه وابنُ أُذَيْنة ، ونظر إلى غنم كانت له في يَدَيْ راعٍ يقال له كَعب ، وهي مُهملة ، وكعب نائِم حَجْرَةً[1] ، فجعل ابن أُذَيْنَةَ يَنْزو حوله وهو يَضربه ويقول[2] : [من الرجز]

لـو يَعْلَم الذئبُ بنَـوْم كَعْبِ إذاً لأَمْسى عندنـا ذا ذَنْبِ
أَضرِبُـه ولا يَقُـول حَسْبي لا بدَّ عند ضَيْعَةٍ من ضَرْبِ

[تمنين فكنا المنى]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ ، وحَبيبُ بن نصرٍ المُهلَّبيُّ ، وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا : حَدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو غسان محمد بن يحيى ، عن بعض أصحابه ، قال : مرَّ ابنُ عائشة المُغنّي بعُرْوةَ بنِ أُذينة ، فقال له : قُل لي أبياتاً هزَجاً أُغنّي فيها ، فقال له : اجلس ، فجلس ، فقال[3] : [من الهزج]

صوت

سُلَيْمى أجمَعَتْ بَيْنـاً فأيـنَ تقولُهـا أينـا
وقـد قالـت لأترابٍ لهـا زُهـرٍ تلاقَينـا

---

1 حَجرة : ناحية .
2 ديوانه : 9 .
3 ديوانه : 115 .

تعالَيْنَ فقد طابَ ... لنا العيْشُ تعالَيْنا
وغاب البَرِمُ اللَّيْـ ... ـلة والعَيْنُ فلا عَيْنا[1]
فأقبلنَ إليها مُسـ ... ـرعاتٍ يَتَهادَيْنا
إلى مثلِ مَهاة الرَّمـ ... ـل تكسو المَجلسَ الزَّينا
تمنَّين مُناهُنَّ ... فكنَّا ما تمنَّينا

قال أبو غسّان : فحُدِّثتُ أنّ ابنَ عائشة رواها ثم ضحك لمّا سَمِع قوله : [من الهزج]

تَمنَّين مُناهُنَّ ... فكنَّا ما تَمنَّينا

ثم قال : يا أبا عامر تَمنِّينَكَ لمّا أقبل بَخرُك وأدبر ذَكَرُك .

[امتدحه عمر بن عبد العزيز]

قال عمرُ بن شبَّة : قال أبو غسان : فحدَّثني حمّاد الحُسينيّ قال : ذُكِر ابنُ أُذينة عند عمرَ بن عبد العزيز : فقال : نِعْمَ الرَّجل أبو عامر ، على أنّه الذي يقول : [من الهزج]

وقدْ قالَتْ لأَتْرابٍ لهـ ... ـا زُهْرٍ تَلاقَيْنا

وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال : حدَّثني هارونُ بن محمد بنِ عبد الملك الزيّاتُ ، عن الزُّبير ، عن محمد بن يحيى ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن قسطاس قال : مرَّ ابن عائشة بابن أُذَيْنة ، ثمَّ ذكر الخبرَ مثلَ الذي قبله .

[سكينة تطعن في ادعائه العفة]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهلَّبيّ ، والحِرْميّ بنُ أبي العَلاء قالا : حدَّثنا الزُّبير بنُ بكّار قال : حدَّثني أبو معاوية عبدُ الجبّار بنُ سعيد المساحقيّ ، وأخبرنا به وكيع قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ ، عن الحارث بنِ محمد العَوفيّ قال : وقفت سُكينة بنتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام على عُرْوةَ بن أُذينة في موكبها ومعها جواريها ، فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذي تَزعمُ أن لك مُروءةً ، وأنَّ غَزَلَك من وراء عِفّة وأنّك تقيٌّ ؟ قال : نعم ؛ قالت : أفأنتَ الذي تقول[2] : [من البسيط]

صوت

قالت وأَبْثَثْتُها وَجْدي فبُحتُ به : ... قد كنتَ عندي تُحبُّ السَّترَ فاستَترِ
ألستَ تُبصِر مَنْ حَوْلي ؟ فقلتُ لها : ... غَطّى هواكِ وما أُلقى على بَصري

---

1 البرم : الضجِر السؤوم .
2 ديوانه : 33 .

قال لها : بلى ؛ قالت ، هنَّ حرائر إن كان هذا خَرج مِن قلْبٍ سليمٍ ، أو قالت : من قلْبٍ صحيحٍ .

في هذين البيتين لعلُّويَه رمَل بالبنصر ، وفيهما لإسحاق هَزَج بالوسطى ، وفيهما لمخارقٍ ثقيل أوّل بالبنصر ، عن الهشاميّ وعمرو بن بانة ، وذكر حَبَش أنّ الثقيل الأوّل لمعبد اليقطينيّ .

[بغض المنتصر للمعتزّ]

وذكر عليُّ بن محمد بن نصر البسّاميّ أنّ خاله أبا عبد الله بن حمدون بن إسماعيل قال : كنت جالساً بين يدي المُتوكّل ، وبين يديه المنتصر ، فأحضر المعتزَّ وهو صبيٌّ صغير ، فلعبَ فأفْرَطَ في اللّعب ، والمنتصر يرمُقه كالمنكِر لفِعله ، فنظرَ إليه المتوكّل عدّة دفعات ، ثم التفت إلى المنتصر فقال : يا محمد : [من البسيط]

قالتْ وَأَبْثَثْتُها وَجدِي فبُحتُ به : قد كُنتَ عندي تُحبّ السّتر فاسْتَتِرِ

قال : فاعتذر إليه المنتصرُ عُذراً قبله وهو مُقطِّب مُعرض . قال : وكان المنتصرُ أشدَّ خَلْقِ الله بُغضاً للمعتزّ ، وطَعَناً عليه . ولقد دخلْتُ إليه يوماً ودخل إليه أبو خالد المُهلَّبيُّ بعد قتل المتوكّل وإفضاء الخلافة إليه ، ومع المُهلبيّ دِرْع كأنّها فضّة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذه دِرْع المُهلَّب ، فأخذها وقام فلبسها ، ورأى المعتزَّ وعليه وَشيٌ مُثقل وما أشبه ذلك ، فتمثّل ببيتِ جرير[1] : [من الطويل]

لِبسْتُ سِلاحِي والفرزدقُ لُعبةٌ عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجِلُهْ[2]

[طعن آخرٌ في براءته]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني هارون بن محمد قال : حدَّثني عبدُ الله بن شُعيْب الزُّبيريّ قال : حدَّثني عبد العزيز بن أبي سَلمة قال : مرّت امرأةٌ بابن أُذَينة وهو بِفناء دارِه فقالت له : أأنْتَ ابنُ أُذينة ؟ قال : نعم ، قالت : أأنتَ الذي يقول الناس إنّك امرؤٌ صالح ، وأنتَ الذي تقول[3] : [من البسيط]

إذا وَجدتُ أُوارَ الحُبِّ في كَبِدِي عَمَدتُ نحوَ سِقاء القَوْمِ أَبْتَرِدُ
هَبْني بَرَدْتُ بِبَرْد الماء ظاهرَه فمَنْ لِحَرٍّ على الأحشاء يَتّقِدُ[4]

1 ديوان جرير (صادر) : 388 .
2 الكُرّج : حصان خشبي يلعب عليه الأطفال ، وفي الديوان : لبست أداتي .
3 ديوانه : 29 .
4 الديوان : فمن لحر . . . يتّقد .

[أبو السائب يعجب بشعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي ، عن عروة بن عبد الله ، وأخبرنا به وكيع ، عن هارون بن الزَّيّات ، عن الزُّبيريّ ، عن عمّه ، عن عروة بن عبد الله ، وذكره حمّاد ، عن أبيه ، عن الزُّبيريّ ، عن عروة هذا قال : كان عروة بن أُذينة نازلاً في دار أبي بالعقيق ، فسمِعَه ينشد[1] : [من الكامل]

صوت

إنَّ التـــي زعَمَـــتْ فُؤادَك ملَّها ... جُعِلَتْ هَواكَ كما جُعِلْتَ هوى لها

فَبِكَ الذي زَعَمَتْ بها وكلاكُما ... يُبدي لِصاحِبِــه الصَّبابـةَ كُلَّها

ويَبِيتُ بــين جَوانِحي حُبٌّ لها ... لــو كان تحـت فِراشِها لأَقلَّها[2]

ولعمرُها لـــو كان حبُّك فوقها ... يومـاً وقـد ضَحِيَتْ إذاً لأَظلَّها

وإذا وجدتُ لهـا وَساوسَ سَلْوَةٍ ... شَفَع الفُـؤادُ إلى الضَّمير فسلَّها[3]

بيضاءُ باكَرَهـــا النَّعِيمُ فَصاغَها ... بِلَباقـــةٍ فَأَدَقَّهـــا وأَجَلَّها

لمـــا عَرَضْتُ مُسَلِّماً لي حاجَـةٌ ... أَرجُـــو مَعونَتَهـــا وأَخشى دَلَّها

مَنَعَــتْ تَحِيَّتَها فقلتُ لصاحِبي : ... مـــا كان أَكْثَرهـــا لنـــا وأَقلّها

فدنـــا فقـــال : لعَلَّهـــا مَعْذُورةٌ ... من أَجل رِقْبَتِها ، فقلـتُ : لعَلَّها

قال : فأتاني أبو السَّائِب المخزوميّ وأنا في داري بالعقيق ، فقلت له بعد التَّرحيب : هل بدت لك حاجة ؟ فقال نعم ، أبيات لعروة بن أُذينة ، بلغني أنّك سمعتها منه ؛ فقلت له : وأيّة أبيات ؟ فقال : وهل يَخفى القمر ؟ قوله : [من الكامل]

إنّ التي زَعَمَت فؤادك مَلَّها

فأنشدتُه إيّاها ، فلمّا بَلَغْتُ إلى قوله «فقلت : لعَلَّها» . قال : أَحسن والله ، هذا والله الدّائمُ العهد ، الصادق الصبابة ، لا الذي يقول : [من الكامل]

إن كان أَهلُكِ يَمْنَعونكِ رَغْبَـةً ... عنِّـي فأَهْلي بــي أَضَنُّ وأَرغَبُ

اذهَبْ لا صَحِبك الله ولا وَسَّع عليك ، يعني قائلَ هذا البيت ، لقد عدا الأعرابيُّ طَوْرَه ، وإنّي لأرجو أن يغفر الله لصاحبك ، يعني عُروة ، لحُسنْ ظَنِّه بها وطَلَبِه العُذر لها . قال : فعرَضْتُ

1 ديوانه : 70–71 .

2 أقلها : هزها وأرعدها .

3 الشطر الثاني في الديوان : شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها .

عليه الطَّعام فقال : لا ، والله ما كنتُ لآكُل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل ، وانصرف .

ذكر ما في هذا الخبر من الغناء

في الشعر المذكور فيه لعُرْوة في البيت الأوّل والرابع من الأبيات خفيف رمَل بالوسطى ، نسبه ابنُ المكّي إلى ابن مِسْجَح ، وقيل : إنّه من مَنْحُوله إليه ، وفيهما وفي البيت الثالث من شعر ابن أُذَينة خفيف ثقيل لابن الهِرْبِذ ، والبيت : [من الكامل]

وَيَبِيتُ بين جَوانِحي حُبٌّ لها لــو كان تحت فِراشِها لأَقَلَّها

[أبو السائب لا يعجب بشعر له]

أَخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا عمر بن أبي بَكْر المؤمَّليّ قال : أُخبرنا عبد الله بن أبي عبيدة قال : قلتُ لأبي السَّائب المخزوميّ : ما أحسن عُروة بنَ أُذينة حيث يقول[1] : [من الكامل]

صوت

لَبِثُوا ثَلاثَ مِنًى بمَنْزِل غِبْطَةٍ وهُمُ على غَرَضٍ لَعَمْرُك ما هُمُ
مُتجاوِريــن بغَيْرِ دارِ إقامَــةٍ لــو قد أجدَّ رَحِيلُهم لَم يَنْدَمُوا
ولَهُـــنَّ بالبَيْت العَتيــق لُبانةٌ والبَيْتُ يعرفهـــنَّ لَـــوْ يَتكَلَّمُ
لـــو كان حيّـاً قَبْلَهُنَّ ظعائناً حَيّا الحَطِيمُ وُجُوهَهنَّ وزَمْزَمُ
وكأنَّهُنَّ وقــد حَسَرنَ لَواغِباً بَيْضٌ بأَكْنـاف الحَطِيمِ مُركَّمُ

في هذه الأبيات الثلاثة لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

قال : فقال : لا ، والله ما أحسن ولا أجمل ، ولكنّه أهْجَر وأخطل في صِفَتِهِنَّ بهذه الصفة ، ثم لا يَنْدَم على رحِيلهن . أهكذا قال كُثَيِّر حيث يقول[2] : [من الطويل]

صوت

تَفرَّق أَهــواءُ الحجيج على مِنًــى وَصدَّعَهم شَعْب النَّوى صُبْحَ أَرْبَعِ
فَرِيقـان : مِنْهُم سالِكٌ بَطْنَ نَخْلة وآخــرُ منهم سالِك بطنَ تَضْرُعِ[3]

في هذين البيتين للدلال ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش :

1 ديوانه : 83 .
2 ديوان كثير : 410-411 .
3 تضرع : جبل قرب مكة .

فلـم أرَ داراً مِثْلَهـــا دارَ غِبْطَـةٍ ... وملقًى إذا التَفَّ الحَجِيجُ بمَجْمَعِ
أقــلَّ مقيمــاً راضيــاً بمَكانِـهِ ... وأكثرَ جـاراً ظاعِنـــاً لم يُـوَدَّعِ

انظُر إليه كيف تقدَّمت شهادتُه عِلمَه وكبا لسانُه ببيانه ، وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به ، ولكن مُكْرَهٌ أخُوك لا بَطَلٌ[1] ؛ والعَرْجيّ كان أوفى بالعَهْد منهما وأوْلى بالصَّواب ، حين تَعَرَّض لها نافرةً من مِنًى ، فقال لها عاتباً مُسْتَكيناً[2] : [من الكامل]

عُوجِـي عليَّ فَسَلِّمي جَبْرُ ... فِيمَ الصُّدودُ وأنتـمُ سَفْرُ
ما نَلْتقي إلاّ ثَـلاثَ مِنًى ... حتـى يُفـرِّق بَيْنَنا النَّفْرُ

في هذين البيتين غناء قد تقدّمت نسبتُه في أخبارِ ابن جامع في أوّل الكِتاب .

أخبرني الحِرْميُّ بنُ أبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني جعفر بن موسى اللّهبيّ قال : كان عبدُ المِلك بن مروان إذا قَدِمَ مكة أذِن للقُرَشيِّين في السَّلام عليه ، فإذا أراد الخروج لم يأذَن لأحد منهم وقال : أكذبنا إذاً قول المُلَحيّ ، يعني كُثَيِّراً ، حيث يقولُ : [من الطويل]

تَفرَّق أهــواءُ الحَجيج على مِنًى ... وصدَّعهم شعبُ النّوى صُبحَ أرْبَعِ

وذكر الأبيات الأربعة .

[خالد صامة يغنّي بشعره عند الوليد]

أخبرنا عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد : قال حدَّثنا الزُّبيريّ ، عن خالد صامة ، وكان أحد المُغنّين قال : قَدِمتُ على الوليد بن يزيد ، فدخلت إليه وهو في مجلسٍ ناهيك به ، وهو على سرير ، وبين يديه معبد ومالك وابنُ عائشة وأبو كامل ، فجعَلوا يُغنُّون ، حتى بلغت النَّوبةُ إليَّ فغنَّيْته[3] : [من الوافر]

صوت

سَرى هَمِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِي ... وغـارَ النَّجْمُ إلاّ قِيسَ فِتْرِ[4]
أُراقِبُ في المَجَـرَّةِ كُلَّ نَجْمٍ ... تَعرَّض للمَجَرَّة كيف يَجْرِي[5]

1 المثل «مكره أخوك (أخاك) لا بطل» في مجمع الميداني 2 : 318 وجمهرة العسكري 2 : 242 ومستقصى الزمخشري 2 : 347 .
2 تقدم بيتا العرجي في ترجمته بالجزء 1 : 263 ، وفي ترجمة ابن جامع في الجزء 6 : 222 .
3 ديوان عروة : 34 .
4 الديوان : قيد فتر .
5 الديوان : تعرّض أو على المجراة يجري .

لِهَـمٍّ مـا أَزالُ لـه مُدِيماً كأَنَّ القَلْبَ أُضْرِم حرَّ جَمْرِ[1]
على بَكْـرٍ أخي وَلّى حَمِيداً وأَيُّ العَيْشِ يَصْفو بعد بَكْرِ ![2]

فقال لي الوليد : أعِد يا صام ، فَفَعلتُ . فقال لي : مَن يقول هذا الشّعر ؟ قلتُ : عروة بن أُذينة يَرثي أَخاه بَكْراً . فقال لي : وأيّ العيش لا يَصْفو بعده ؟ هذا العيش والله الذي نحن فيه على رَغْم أنْفه ، واللهِ لقد تَحَجَّر واسعاً[3] .

لابن سُريج في هذه الأبيات ثاني ثقيل بالوُسطى عن عَمْرو وابن المَكّيّ وغيرهما وفيها رمل يُنْسَب إلى ابن عبّاد الكاتب ، وإلى حاجب الخزَوّر[4] ، وإلى مسكين بن صدقة .

حدَّثنا الأخفش ، عن محمد بن يزيد قال : قال الزُّبيريّ : حُدِّثتُ أَن سُكينةَ بنتَ الحُسين عليه السلام أُنشدت هذا الشعر فقالت : مَن بَكْرٌ هذا ؟ أَليس هو الأَسودُ الدَّحْداح[5] الذي كان يمرُّ بنا ؟ قالوا : نعم ، فقالت : لقد طاب كلُّ شيء بعده حتى الخُبز والزَّيت .

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف قال : حدّثنا أحمدُ بن سعيد الدِّمشقيّ قال : حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدّثني عمّي قال : لَقِيَ ابنُ أبي عتيق عُروةَ بن أُذينة فأنشده قولـه[6] : [من الرجز]

لا بَكْـرَ لي إذ دَعَوْتُ بَكْراً ودُونَ بَكْـرٍ ثَـرًى وطِـينُ

حتى فرغ منها ، ثم أنشده : [من الوافر]

سَرى هَمّي وهَمُّ المَرْءِ يَسري

حتى بلغ إلى قوله : [من الوافر]

وأَيُّ العَيْش يَصلُح بعد بَكْرٍ !

فقال له ابن أَبي عتيق : كلُّ العيش والله يصلُح بعده حتى الخبز والزيت . فغَضِب عُروةُ من قوله ، وقام عن مجلِسه ، وحلف أَلاَّ يُكلِّمـه أبـداً ، فماتا مُتهاجِرَين .

1 الديوان : كأن القلب أبطن . . .
2 الديوان :
على بكر أخي فارقت بكراً وأي العيش يصلح بعد بكر
3 تحجر واسعاً : ضيق على نفسه . وقد ورد هذا الخبر في ترجمة الوليد بن يزيد الجزء 7 : 49 .
4 بيروت : وإلى صاحب الحرون .
5 الدحداح : القصير .
6 ديوانه : 112 .

[395] ـ ذكر مخارق وأخباره[1]

[نسبه]

هو مُخارق بنُ يحيى بن ناووس الجزَّار مَوْلى الرشيد ، وقيل : بل ناووس لَقَب أبيه يحيى ، ويكنى أبا المُهنّأ ، كناه الرشيد بذلك .

وكان قبله لعاتِكة بنت شُهْدَة ، وهي من المُغنّيات المُحْسِنات المُتقدِّمات في الضَّرب ، ذكر ذلك مُخارِقٌ واعترفَ به . ونَشأ بالمدينة ، وقيل : بل كان مَنْشَؤُه بالكوفة .

[تعلمه الغناء]

وكان أبوه جزَّاراً مملوكاً ، وكان مُخارِق وهو صبيّ ينادي على ما يبيعُه أبوه من اللحم . فلمّا بانَ طِيبُ صوتِه علَّمته مولاتُه طرَفاً من الغناء ، ثم أرادت بيعَه ، فاشتراه إبراهيمُ الموصليُّ منها ، وأهداه للفَضْل بن يَحْيى ، فأخذه الرشيد منه ، ثم أعتَقَه .

[انتقاله من مالك لآخر]

أُخبرني الحُسين بن يحيى قال : قال حَمَّاد : حدَّثني زَكريَّا مولاهم ، وأُخبرني محمد بن يحيى الصُّوليُّ قال : حدَّثني عُبَيْد الله بن محمد بن عبدِ الملك قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن زكريّا مَوْلاهم قال : قَدِمَتْ مَولاةُ مُخارِق به من الكوفة ، فنزلت المُخرِّم[2] ، وصار إبراهيمُ إلى جدِّي الأصْبغ بن سِنان المُقَيِّن وسِيرِين بن طَرْخان النَّخَّاس ، فقالا له : إن هاهنا امرأةً من أهل الكوفة قد قَدِمَت ومعها غلام يتغنّى ، فأُحِبّ أن تنفعها فيه . قال : فوجَّهني مع مولاته لأحمِلَه ، فوجدته مُتَمَرِّغاً في رمل الجزيرة التي بإزاء المُخَرِّم وهو يلعب ، فحَمَلتُه خلفي وأتيتُ به إبراهيمَ ، فتغنَّى بين يديه فقال لها : كم أَمَلُكِ فيه ؟ قالت : عشرة آلاف درهم ، قال : قد أخذتُه بها وهو خَيْرٌ منها . فقالت : أَقِلْني قال : قد فَعلتُ ، فكم أَمَلُكِ فيه ؟ قالت : عشرون ألفاً ، قال : قد أخذتُه بها وهو خيرٌ منها . فقالت : والله ما تَطيبُ نفسي أن أمتَنع من عشرين ألف درهم بكَبِدٍ رطبة ، فهل لك في خَصْلة : تُعطِيني به ثلاثين ألفَ درهم ولا أستقيلُك[3] بعدها ؟ فقال : قد فعلتُ وهو خيرٌ منها ، فصفَقَت على يدِه[4] وبايَعَته ؛ وأمر بالمال فأُحْضِر ،

1 ترجمة مخارق في النجوم الزاهرة وتاريخ الطبري 8 : 521 ونهاية الأرب 4 : 312–320 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 المخرّم : محلة كانت ببغداد .

3 أستقيلك : أطلب فسخ البيع .

4 صفقت على يده : ضربت يدها على يده إيجاباً للبيع .

وأَمر بثلاثة آلاف درهم فزِيدَت عليه ، وقال : تكون هذه لهديَّة تُهْدِيها أو كُسْوة تَكْتَسِينها ، ولا تَثْلَمين المال .

وراح إلى الفضل بن يحيى فقال له : ما خبرُ غلامٍ بلغني أنّك اشتريته ؟ قال : هو ما بلغك ، قال ، فأرِنيه ، فأحضَرَه ، فلمّا تغنّى بين يدي الفَضْل قال له : ما أرى فيه الذي رأيت ، قال : أنتَ تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة ، ولم يكُن مثلُه في الدُّنيا ولا يكون أبداً . فقال : بكم تبيعُه ؟ فقال : اشتريتُه بثلاثة وثلاثين ألف دِرهم ، وهو حُرّ لوجه الله تعالى إن بعْتُه إلاّ بثلاثة وثلاثين ألف دِينار . فغضِب الفَضْل وقال : إنّما أردتَ أن تَمْنَعنِيه أو تجعلَه سبباً لأن تأخذَ منّي ثلاثةً وثلاثين ألف دينار . فقال له : أنا أصنعُ بك خَصْلَة ؛ أبيعُك نصفَه بنصف هذا المال ، وأكون شريكك في نصفه وأُعلّمه ، فإن أَعْجَبَك إذا علّمته أتممتَ لي باقي المال . وإلاّ بِعتُه بعد ذلك وكان الرِّبحُ بيني وبينك . فقال له الفضْل : إنّما أردتَ أن تأخذ منّي المال الذي قدَّمتَ ذِكرَه ، فلمّا لم تقدِر على ذلك أردتَ أن تأخُذَ نصفَه .

وغضِب ، فقال له إبراهيمُ : فأنا أهَبُه لك ، على أنّه يُساوي ثلاثةً وثلاثين ألفَ دينار ، قال : قد قَبِلتُه ، قال : قد وهبته لك . وغَدا إبراهيمُ على الرشيد ، فقال له : يا إبراهيم ما غُلامٌ بلَغني أنّك وهبتَه للفَضْل ؟ قال : فقلتُ : غُلام يا أميرَ المؤمنين لم تملِك العربُ ولا العَجَمُ مِثلَه ، ولا يكون مِثلُه أبداً ، قال : فوجَّه إلى الفضْل فأمره بإحضارِه ، فوجَّه به إليه فتغنّى بين يديه ، فقال لي : كَمْ يُساوي ؟ قال : قلت : يُساوي خراجَ مِصْر وضياعَها . فقال لي : ويلك ، أَتدْري ما تقول ! مبلغُ هذا المال كذا وكذا . فقلت : وما مقدارُ هذا المال في شيء لم يَملِكْ أحدٌ مِثلَه قَطّ ! قال : فالتفتَ إلى مسرور الكبير وقال : قد عَرفْتَ يميني ألاّ أسألَ أحداً من البرامكة شيئاً بعد فنفنَة[1] . فقال مسرور : فأنا أمضي إلى الفضْل فأَسْتَوْهِبُهُ منه ، فإذا وهبه لي وكان عَبدي فهو عَبْدك . فقال له : شأنك . فمضى مسرور إلى الفضل فقال له : قد عَرفتم ما وقَعْتُم فيه من أمر فَنْفَنَة ، وإن منعْتُموه هذا الغلام قامت القيامة ، واستَوْهَبه منه فوهَبه له ، فبلَغ ما رأيت . فكان عَلّويَه إذا غَضِب على مُخارق يقول له ، حيث يقول : أنا مولى أميرِ المؤمنين ، متى كنت كذلك ؟ إنّما أنت عبدُ الفضْل بن يحيى أو مَولى مسرور .

أَخبرني ابنُ أبي الأَزهر قال : حدَّثنا حمَّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه قال : كان مُخارق بنُ ناووس الجَزّار ؛ وإنّما لُقِّب بناووس لأنّه بايَعَ رجلاً أنّه يمضي إلى ناووس[2] الكوفة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تَنْضَج . فطَرَح رَهْنه بذلك ، فدسّ الرجلُ الذي راهنَهُ رجُلاً . فألقى

---

1 فنفنة أو فنقنه : لعلّ اسم غلام أو جارية .

2 الناووس : المقبرة .

نفسَه في النَّاوُوس بين الموتى ، فلمّا فَرَغَ من الطَّبيخ مدَّ الرجل يدَه من بين الموتى وقال له : أطعِمْني ، فغرَف مِلْءَ المِغْرَفة من المَرَقة فصبَّها في يد الرجل فأحرقَها ، وضرَبها بالمِغْرفة وقال لـه : اصبِر حتى نُطعِم الأحياءَ أوّلاً ثم نتفرَّغ للمَوْتى ، فلُقِّب بناووس لذلك . فنشأ ابنه مُخارِق ، وكان يُنادي عليه إذا باع الجَزورَ ، فخرج له صوتٌ عجيب ، فاشتراه أبي وأهداه للرشيد فأمرَه بتعليمِه فعلَّمه حتى بلغ المبلغ الذي بلَغَه .

[يفوق ابن جامع]

وكان يقِف بين يدي الرشيد مع الغِلمان لا يجلس ، ويُغنِّي وهو واقف ، فغنَّى ابن جامع ذاتَ يوم بين يدي الرشيد[1] : [من البسيط]

كأنَّ نِيرانَنـا في جَنْب قلْعتهم ... مُصَبَّغـاتٌ عـلى أَرسانِ قصّارِ
هَوَتْ هِرَقْلَة لَمّـا أنْ رأتْ عَجَباً ... حَوائمـاً تَرتمـي بالنِّفط والنّارِ

فطَرِب الرشيد واستعاده عدّة مرّات ، وهو شعر مُدِح به الرشيد في فتح هِرَقلة ، وأقبل يومئذٍ على ابن جامِع دون غيره ، فغَمز مُخارقٌ إبراهيمَ بعينه ، وتقدَّمه إلى الخلاء ، فلمّا جاءه قال له : ما لي أراكَ مُنكسراً ؟ قال : أما ترى إقبالَ أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ؟ فقال : قد واللهِ أخذتُه ، فقال له : وَيْحَكَ إنّه الرشيد ، وابنُ جامع منْ تَعلم ، ولا يمكن مُعارَضَتُه إلاّ بما يزيد على غِنائه ، وإلاّ فهو الموت . قال : دَعْني وخلاك ذمٌّ ، وعرِّفه أنـي أغنِّي به ، فإنْ أحسنتُ فإليك يُنسَب ، وإنْ أسأتُ فإليّ يعود . فقال للرشيد : يا أميرَ المؤمنين ، أراكَ متعجِّباً من هذا الصوت بغير ما يستَحقّه وأكثر ممّا يستوجبُه . فقال : لقد أحسنَ ابنُ جامع ما شاء ، قال : أَوَ لابنِ جامع هو ؟ قال : نعمْ ، كذا ذكَر . قال له : فإنّ عبدَك مُخارِقاً يغنِّيه . فنظَر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : هاتِه ، فغنَّاه وتحفَّظَ فيه ، فأتى بالعجائب ؛ فطَرِب الرشيد حتى كاد يطير فَرَحاً ، وشَرِب ، ثم أقبل على ابنِ جامِع فقال له : وَيْلك ، ما هذا ! فابتدأ يَحلِف له بالطّلاق وكلّ مُحرجَةٍ أنـّه لم يُسْمَع ذلك الصوت قطّ إلاّ منه ، ولا صَنَعه غيرُه ، وأنـّها حِيلةٌ جَرَتْ عليه . فأقبل على إبراهيم وقال : أصدِقني بحياتي ، فصدَقَه عن قِصَّة مُخارق . فقال له : أكذلك هو يا مُخارق ؟ قال : نعم يا مولاي . فقال : اجلِس إذَن مع أصحابك ، فقد تجاوزْتَ مَرْتبةَ مَنْ يقومُ ، وأعتقه ووصَلَه بثلاثة آلاف دينار ، وأقطَعه ضيعةً ومنزلاً .

[صوت يعتقه ويغنّيه]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع ، وحدَّثني محمد بن خلَف بنِ المَرْزُبان قال وكيع : حدَّثني

1 البيتان لشاعر مكي سبق أن وردا معكوسين في ترجمة أشجع السلميّ .

هارون بنُ مُخارق ، وقال ابنُ المَرزُبان : ذكر هارون بن مُخارق قال : كان أبي إذا غنّى هذا الصوت[1] : [من البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيّجْتَ لي طَرَباً زدْتَ الفـؤادَ على عِلاّتِـه وَصبا[2]
رَبْعٌ تبـدَّل مِمَّـن كانَ يَسكنُه عُفْر الظِّبـاء وظِلماناً بِـهِ عُصَبا[3]

يبكي ويقول : أنا مَوْلى هذا الصَّوت ، فقلتُ له : وكيف ذاكَ يا أبَتِ ؟ فقال : غَنَّيته مولاي الرشيد فبكى وشَرِب عليه رطلاً ، ثمّ قال : أحسنْتَ يا مُخارِق فسَلني حاجتك ، فقلتُ : أن تعتِقني يا أمير المؤمنين أعتقكَ اللهُ من النارِ ؛ فقال : أنتَ حُرٌّ لوجه الله ، فأعِدِ الصوتَ ؛ فأعَدْتُه فبكى وشرب رطلاً ثم قال : أحسنتَ يا مُخارِق فسَلْني حاجتَك ، فقلت : ضيعة تُقيمُني غلَّتُها ، قال : قد أمرتُ لك بها ، أعِدِ الصوت ، فأعدْتُه فبكى وقال : سَلْ حاجتك ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين تأمر لي بمنزل وفرش وخادم ، قال : ذلك لك ، أعِد الصّوت ؛ فأعدته ، فبكى وقال : سَلْ حاجتَك ، فقبَّلتُ الأرضَ بين يديه وقلت : حاجتي أن يُطِيل الله بقاءك ويُدِيم عزَّك ويجعلني من كلّ سوءٍ فداءَك ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي .

[مقارنة بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

وذكر محمد بن الحسن الكاتِب أَنَّ أبان بنَ سعيد حدَّثَه : أَنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ومخارق فقال : يا أمير المؤمنين إذا تغنّى إبراهيمُ بنُ المهديّ بعلمه فَضَل مخارقاً ، وإذا تغنَّى مخارِق بطبعِهِ وفضْلِ صوته فَضَل إبراهيم ، فقال له : صدقت .

أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا المُبَرّد بهذا الخبر فقال : حدَّثني بعضُ حاشية السلطان : أنَّ إبراهيم المَوْصليّ غنَّى الرشيدَ يوماً هذا الصوت فأُعجب به وطرب له واستعاده مراراً ، فقال له : فكيف لو سمعتَه من عَبْدِك مُخارق ، فإنّه أخذَه عنّي وهو يَفْضُل فيه الخَلْقَ جميعاً ويَفْضُلني ، فدعا بمخارق فأمره أن يُغنّيه ، وذكر باقي الخبر مِثْلَ الذي تقدَّم .

[تكنيته أبا المهنأ]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابن أبي الدُّنيا ، عن إسحاق بن محمد النَّخعيّ ، عن الحسين بنِ الضّحّاك ، عن مُخارِق : أنّ الرشيد قال يوماً للمغنّين وهو مُصْطَبِح ، مَن منكم

1 تقدم هذا الخبر في ترجمة هلال بن الأسعر المازني ، الجزء 3 : 49 .
2 وصب : مرض . وفي رواية : نصبا أي تعباً .
3 عصب : جمع عصبة .

يُغنّي : [من البسيط]

يـا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيَّجْتَ لي طَرَباً

فقمتُ فقلتُ : أنا يا أميرَ المؤمنين ، فقال : هاتِه ، فغنَّيتُه ، فطَرِب وشَرِب ثم قال : عليّ بهَرثَمةَ بنِ أَعْيَنَ ، فقلتُ في نفسي : ما يُريد منه ؟ فجاؤوا بهرثمة ، فأُدخِل إليه وهو يَجُرّ سيفَه ؛ فقال له : يا هَرثمة ، مُخارِق الشّاري الذي قتلْناه بناحية المَوْصل ما كانت كُنيَته ؟ فقال : أبو المَهنَّأ ، فقال : انصَرِف ، فانصرَفَ ؛ ثم أَقبل عليّ وقال : قد كَنَيْتُك أبا المُهنَّأ لإحسانِك ؛ وأمَر لي بمائة ألف دِرهم ، فانصرَفتُ بها وبالكُنْية .

[يجتمع الغلمان لسماعه فلا يسمعون الخليفة]

أخبرني جعفر بن قُدامةَ قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نصر البسَّاميّ قال : حدَّثني خالي أبو عبد الله بن حَمدون قال : رُحْنا إلى الواثق وأُمُّه عَليلة ، فلمّا صلّى المغرب دخل إلى أُمِّه ، وأمرَ بألاّ نَبرح ، وكان في الصّحن حُصُرٌ غيرُ مَفْروشة . فقال لي مخارق : امْضِ بنا حتى نَفْرِش حصيراً من هذه الحُصْر فنجلِس على بعضه ونتّكىء على المدَرَّج منه ؛ وكانت ليلةً مُقمِرةً . فمضينا ففرشنا بعض تلك الحُصْر ، واستلقينا وتحدَّثنا ، وأبطأ الواثق عند أُمِّه ، فاندفع مُخارق فغنّى[1] : [من الطويل]

أيـا بَيْتَ لَيْـلى إنَّ لَيْـلى غَريبةٌ بِراذانَ لا خالٌ لديها ولا ابنُ عَمْ

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الواثق فصاح : يا غلام ، فلم يُجبه أحدٌ ومشى من المجلس إلى أن توسَّط الدّار ، فلمّا رأيته بادرتُ إليه ، فقال لي : ويْلك ، هل حدَث في داري شيء ؟ فقلت : لا يا سيِّدي ، فقال : فما لي أصيح فلا أُجاب ! فقلت : مُخارِق يغنّي والغِلمان قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضْلٌ لسماع غيرِ ما يسمعونه منه . فقال : عُذْرٌ والله لهم يا ابن حَمْدُون وأيُّ عُذْر . ثم جلس وجلسْنا بين يديه إلى السَّحَر .

[عاتكة وأمّها شهدة]

وذكر هارونُ بن محمد بن عبدِ الملك أنَّ مُخارقاً كان ينادي على اللّحْم الذي يبيعه أبوه ، فيُسمَع له صوتٌ عجيب ، فاشترته عاتكةُ بنتُ شُهدة وعلَّمته شيئاً من الغناء ليس بالكثير ، ثم باعَتْه من آل الزُّبير ، فأخذَه منهم الرشيد وسلَّمه إلى إبراهيم الموصليّ ، فأخذ عنه ، وكان إبراهيم يُقدِّمه ويؤثِره ويخُصّه بالتَّعليم لما تبيَّنه منه ومن جودة طبعه .

---

1 نسب ياقوت البيت مع بيتين آخرين إلى مرة بن عبد الله النهدي . وراذان عنده يطلق على كورتين في سواد بغداد (راذان الأعلى وراذان الأسفل) (معجم البلدان ـ صادر ـ 3 : 12) .

أخبرني عليٌّ بنُ عبدِ العزيز الكاتب قال : حدَّثني ابن خُرداذْبه قال : كان مُخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار ، وكان عبداً لعاتِكة بنتِ شُهْدة ، وكانت عاتكة أحذَق الناس بالغناء ، وكان ابنُ جامع يلوذ منها بالتَّرجيعِ الكثير ، فتقول له : أينَ يُذهب بك ؟ هلُمّ إلى معظم الغناء ودَعْني من جنونك . قال : فحدّثني مَنْ حَضَرها أنَّ عاتكة أفرطت يوماً في الردِّ على ابن جامع بحضرة الرشيد ، فقال لها : أيْ أمّ العبّاس ، أنا ، يشهد الله ، أُحِبّ أن تَحْتَك شِعْرَتي بشِعرتك ؛ فقالت له : اسكت قَطع الله لسانَك ، ولم تُعاود بعد ذلك أذِيّته . قال : وكانت شُهدة أُمُّ عاتكة نائحة . هكذا ذكر ابنُ خُرداذْبه ، وليس الأمر في ذلك كما ذكره .

حدَّثني محمد بنُ يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا الغلابيُّ قال : حدَّثني عليّ بنِ محمد النوفليّ عن عبدِ الله بنِ العبّاس الرَّبيعيّ ، أنَّه كان هو وابنُ جامع وإبراهيمُ الموصليّ وإسماعيلُ بنُ عليّ عند الرشيد ، ومعهم محمد بن داودَ بنِ عليّ ، فغنّى المغنّون جميعاً ، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه[1] : [من الكامل]

صوت

أُمَّ الوَليـــدِ سَلبْتِني حِلمـي وقَتَلْتِنـــي فتَحلَّـلي إثْمي[2]
بـالله يــا أمَّ الوَليـدِ أَمَـا تَخْشَيْنَ فيَّ عواقِـبَ الظّلْمِ[3]
وتَركْتِني أَبغـي الطَّبيبَ وَما لطبيبنا بـالدّاء مـــن عِلْمِ[4]

قال : فاستحسنه الرشيد وكلُّ مَن حضر وطربوا له . فسأله الرشيد : عمَّن أخذتَه ، فقال : أخذتُه عن شُهدة جاريةِ الوليد بن يزيد . قال عبدُ الله بن العبّاس ، وهي أُمُّ عاتِكَةَ بنْتِ شُهدة .

الأبياتُ المذكورة التي فيها الغِناء لعُبيد الله بن قيس الرُّقيّاتِ ، وتمامُها : [من الكامل]

للهِ دَرُّكِ في ابـــن عَمِّك قَـدْ زَوَّدتِـــهِ سُقْمـاً عـلى سُقْـمِ
في وجهِها مـاءُ الشَّبابِ ولَم تُقبِـل بمَكْـــروهٍ ولا جَهْـمِ

والغناء فيه لابن مُحْرِز لحنان ، كلاهما له ، أحدهما ثقيل الأوَّل بالخِنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لمالك

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 149–150 .
2 الديوان : أم البنـــين . . . . فتحملي إثمي
3 الديوان : . . . يا أم البنين ألم تخشي عليك عواقب الأثم
4 الديوان : . . . أدعــو . . . وما لطبيبكم . . .

ثاني ثَقيل عن الهشاميّ وحَبَش ، وفيه لسليمانَ خفيف رمل بالبِنصر عنهما ، وثقيل أوَّل للحسين بن مُحرِز .

[مقارنة بين المغنّين]

وقال هارونُ بنُ محمد بنِ عبد الملك الزيّات ، قال أَبي : قال الواثقُ أَميرُ المؤمنين : خطأُ مخارق كصواب علُويَه ، وخطأُ إسحاق كصواب مُخارق ، وما غنّاني مُخارق قطّ إلاّ قدَّرت أنَّه من قلبي خُلِق ، ولا غنَّاني إسحاق إلاّ ظننت أنّه قد زِيد في ملكي ملكٌ آخر .

قال : وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضلَ مخارق على جميع أصحابه : انظروا إلى هؤلاء الغِلمان الذين يقفون في السِّماط . فكانوا يتفقَّدونهم وهم وُقوف ، فكلّهم يسمَعُ الغِناءَ من المُغنِّين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه ، فإذا تغنَّى مخارق خرجوا عن صُوَرِهم فتحرَّكت أرجُلهم ومناكِبُهم ، وبانت أسبابُ الطَّرب فيهم ، وازدحموا على الحبلِ الذي يقفون من ورائه .

[يستوقف الحجّاج بأذانه]

قال هارون : وحُدِّثتُ أنّه خرج مرّة إلى باب الكُناسة بمدينة السَّلام ، والنّاسُ يرتحلون للخُروج إلى مكّة ؛ فنظر إليهم واجتماعهم وازدحامهم ، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه : قد جاء في الخبر أنَّ ابنَ سُرَيْج كان يتغنّى في أيَّام الحجّ ، والنّاس بمِنًى فيستوقفُهم بغنائه ، وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلْهِيهم جميعاً ، لتعلمُوا أنّه لم يكن ليفضُلني إلاّ بصنعته دون صوته ؛ ثم اندفع يؤذِّن ، فاستوقف أولئك الخَلْق واستلهاهم ، حتى جعلت المحامِلُ يغشى بعضُها بعضاً ، وهو كالأعمى عنها لِما خامر قلبَه من الطَّرب لحُسنِ ما يسمع .

[إعجاب أبي العتاهية بغنائه]

أخبرني أحمدُ بن جعفر جحظة قال : حدَّثني ابنُ أختِ الخاركيّ وأبو سعيد الرّامَهُرْمُزِيُّ ، وأخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيد الأزديّ ، عن أحمد بن عيسى الجَلوديّ عن محمد بن سعيد التِّرمذيّ ، وكان إسحاقُ إذا ذكر محمداً وصفَه بحسن الصَّوت ، ثم قال : قد أفْلِتْنا منه ، فلو كان يُغنِّي لتقدَّمنا جميعاً بصوته ، قالوا : جاءَ أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستَفتح ، فإذا مخارق قد خرج إليه ؛ فقال له أبو العتاهية : يا حُسَّان هذا الإقليم ، يا حَكيمَ أرض بابل ، اصبُبْ في أُذني شيئاً يَفرحْ به قلبي ، وتنعم به نفسي ؛ فقال : انزلوا ، فنزلنا ، فغنّانا ، قال محمد بن سعيد : فكدت أسعى على وجهي طرباً . قال : وجعل أبو العتاهية يبكي ، ثم قال له : يا دواءَ المجانين لقد رقَّقْتَ حتى كِدتُ أحسوك ، فلو كان الغِناء طعاماً لكان غِناؤُكَ أُدماً ، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة .

نَسختُ من كتاب ابن أبي الدُّنيا : حدَّثني بعضُ خَدَم السُّلطان قال[1] : قال رجل لأبي العتاهية وقد حضرته الوفاة : هل في نفسك شيء تَشْتَهيه ؟ قال أَن يَحضُر مخارق الساعة فيُغنِّيني[2] : [من الطويل]

سيُعرَض عن ذِكري وتُنْسى مودَّتي ويحـدثُ بعـدي للخليل خليـلُ
إذا ما انقضت عنِّي من الدهر مُدَّتي فـإنّ غنـاءَ الباكيـاتِ قليـلُ

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن حمزة العلويُّ قال : حدَّثنا عليّ بن الحسين بن الأعرابيّ قال : لقِي مخارق أبا العتاهية ، فقال له : يا أبا إسحاق ، أأنت القائل : [من مجزوء الكامل]

اصْرِف بطَرفِكَ حيثُ شِئـ ـتَ فلن تَـرى إلاّ بخيلا

قال له : نَعَمْ . قال : بخَّلتَ الناسَ جميعاً . قال : فاصْرِف بطرفك يا أبا المُهنَّأ . فانْظر فإنَّك لن ترى إلاّ بخيلاً ، وإلاّ فأكْذِبني بجواد واحد ، فالتَفتَ مخارقٌ يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه فقال : صدَقْتَ يا أبا إسحاق ، فقال له أبو العتاهية : فَدَيْتُك ، لو كنتَ مِمَّا يُشرَب لذُرِرْتَ على الماء وشُرِبْت .

[يغنِّي بين قبرين فيكسب الرهان]

أخبرني إسماعيل بنُ يونسُ الشِّيعيُّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال : حدَّثني بعض آل نُوبَخْت قال : كان أبي وعبدُ الله بنُ أبي سهل وجماعةٌ من آل نُوبَخْت وغيرهم وُقوفاً بكُناسةِ الدَّوابّ في الجانب الغربيّ من بغداد يتحدَّثون ، فإنّهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود ، وعليه قميص رَقيق ورداء مُسَهَّم ؛ قال : فِيمَ كنتم ؟ فأخبَرُوه ، فقال : دَعُوني من وَسْواسِكم هذا ، أيُّ شيء لي عليكم إن رمَيْت بنفسي بين قبرين من هذه القُبور وغطَّيتُ وجهي وغنَّيت صَوْتاً ، فلم يبقَ أحدٌ بهذه الكُناسة ولا في الطَّريق من مُشْترٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ ولا واردٍ إلاّ ترك عمله وقرُب منِّي واتَّبع صوتي ؟ فقال له عبد الله : إنِّي لأُحِبّ أن أرى هذا ، فقُل ما شِئتَ ؛ فقال : فَرسُك الأشقرُ الذي طلبته منك فمَنعْتَنيه ؛ قال : هو لك إن فعلتَ ما قلتَ . ثمّ دخلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطَّى بردائه ، ثمّ اندفعَ يُغني فغنَّى في شعر أبي العتاهية[3] : [من الكامل]

1 تقدم الخبر والشعر في ترجمة أبي العتاهية ، الجزء 4 : 86 .
2 ديوان أبي العتاهية : 313 .
3 ديوان أبي العتاهية : 350 .

نادَتْ بوَشْك رَحِيلكَ الأيّامُ أفلسْتَ تسمَعُ أمْ بِكَ استِصْمامُ !

قال : فرأيتُ الناسَ يتقوَّضُون إلى المقبرة أرسالاً[1] من بين راكب وراجل وصاحب شَوْل وصاحِبْ جَدْي ومارٍّ بالطريق ، حتى لم يبقَ بالطريق أحدٌ ؛ ثم قال لنا من تَحت ردائه : هل بَقِيَ أحد ؟ قلنا : لا ، وقد وجب الرَّهن . فقام فركِب حمارَه ، وعاد النّاسُ إلى صنائعهم ، فقال لعبد الله : أَحْضِر الفَرسَ ، فقال : على أن تُقيم اليومَ عندي ، قال : نعم . فانصرفنا معهما ، وسَلَّم الفرسَ إليه وبَرَّه وأَحسنَ إليه وأَحسنَ رفده .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

نـادَتْ بوَشْك رحيلِك الأيّـامُ أُفلستَ تَسْمَعُ أمْ بِكَ استِصْمامُ !
ومَضى أمامكَ مَنْ رأيت وأَنْت لِلْـ ـباقـين حتـى يَلْحقـوك إمامُ
مـا لي أَراكَ كأَنَّ عينَكَ لا ترى عِبـراً تمـرُّ كأنَّهـنَّ سِهامُ
تمضي الخُطوبُ وأَنتَ مُنتَبِهٌ لها فـإذا مَضَـتْ فكأَنَّها أَحلامُ[2]

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لُمخارِق هزَج بالوُسطى ، كلاهما عن عمرو ، وفيه رمل يقال : إنّه لعلُّويَه ، ويقال : إنّه لمخارق عن الهشاميّ .

أخبرني جحْظة قال : ذكر ابنُ المكّي المرتَجَلُ عن أَبيه : أنَّ أَبا العَتاهية دخَلَ يوماً إلى صديق له وعنده جارية تغنّي ، فقال : أبا إسحاق إنّ هذه الجارية تُغنّي صوتاً حسناً في شعرٍ لك ، أفتَنشَط إلى سماعه ؟ قال : هاتِيه ، فغنته لحْناً لعمرو بن بانة في قوله : [من الكامل]

نـادَتْ بِوَشْك رحيلك الأيَّامُ

فعَبَسَ وبَسَر وقال : لا جزى الله خيراً مَنْ صنع هذه الصَّنعةَ في شِعْري . قال : فإنّها تُغنّي فيه لحناً لمخارِق ، قال : فلتُغَنّه فغنّته ، فأعجبَه وطَرِب حتى بكى ثم قال : جزى اللهُ هذا عني خيراً ، وقام فانصرف .

وقد روى هذا الخبر هارونُ بنُ الزيّات ، عن حَمَّاد بن إسحاق عن أَبيه ، عن غَزْوان : أنّه

1 يتقوضون أرسالاً : يجيئون ويذهبون جماعات .
2 الديوان : تأتي الخطوب . . .

كان وعبيد الله بنُ أبي غسّان ، وأبو العتاهية ، ومحمد بنُ عمرو الرُّومي ، عند ابن أبي مَرْيم ومعهم مُغنِّية يقال لها بنتُ إبليس ، فغنَّى عبيد الله بن أبي غسَّان في لحن مخارق : [من الكامل]

نـادَت بِوَشْكِ رحيلك الأيّامُ

فلم يستحسنه ابو العتاهية ، ثمّ غنَّى فيه لحناً لإبراهيم بن المهديّ فأطربه وقال : جزى الله عنّي هذا خيراً .

أخبرني إسماعيل بنُ يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : بلغني أنَّ المتوكّلَ دخل إلى جارية من جواريه وهي تُغنّي : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَمِـنْ قَطْـر النَّـدى نظَّمْـتَ ثغرَك أم مـن البَـرَدِ
وريقُكَ من سُلاف الكَرْ م أم مـن صفْوة الشُّهُدِ
أيا مَنْ قـد جـرى مِنّي كمَجْرى الرُّوح في الجَسَدِ
ضَميرُكَ شاهـدي فِيمـا أُقاسيـهِ مـن الكَمَـدِ

والغناء لمخارق رَمَل ، فقال لها : وَيْحك ، لِمَنْ هذا الغناء ؟ فقالت : أخذتُه من مُخارق ، قال : فأَلقِيه على الجواري جميعاً ، ففعلت . فلمّا أخذْنَه عنها أمَرَ بإخراجهنّ إليه ، ودعا بالنَّبيذ ، وأمر بألاّ يُغنِّينه غيره ثلاثة أيّام متوالية ، وكان ذلك بعد وفاة مخارق .

[مع أبي المضاء الأسدي]

وأخبرنا إسماعيلُ بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال : قال عُمَرُ بن نوح بن جرير : سألْتُ أبا المَضاء الأسديّ أن يُنشدني فقال : أُنْشِدُك من شِعْري شيْئاً قُلْتُه لرجلٍ لقيتُه على الجسر ببغداد . فأعجبه منّي ما يَرى من دماثتي ، وأقبلتُ أحدِّثه وهو يُنصِت لي ، وأُنشده وهو يُحسِن الإصغاء إلى إنشادي ، ويُحدِّثني فيُحسن الحديث ، حتى بَلَغْنا منزله . فأدْخلني فغدّاني ثم لم يَرِمْ حتى كساني وسقاني فروّاني ، ثم أسمعني والله شيئاً ما طار في مسامعي شيءٌ قطّ أحسن منه ، فلمّا خرجتُ سألت عنه ، فقال لي غِلمانُه : هذا أبو المهنَّأ مُخارق ، فقلتُ فيه : [من الوافر]

أعـاد اللهُ يـوم أبي المُهنّا علينـا إنّه يـوم نضيرُ
تغيَّبَ نَحسُه عنّـا وأزخى علينا وابـلٌ جَـوْدٌ مطيرُ
فلمّا أن رأيتُ القَطْر فوقي وأقداحاً يَحُثّ بهـا المُديرُ

وأسعدَنا بصَوْتٍ لو وعاه ولِيُّ العهدِ خفَّ به السَّريرُ
تذكرتُ الحبيبَ وأهلَ نَجْدٍ وروضاً نبتُـه غَضٌّ نضيرُ

قال: فقلت له: ولِم ذكرتَ نَجْداً مع ما كنتَ فيه؟ وكان ينبغي لك أن تنساه؛ قال: كلاً، إنّ المرءَ إذا كان فيما يُحِبّ تذكَّرَ أهلَه، قلت: فما غنَّاك؟ قال: غنَّاني: [من الطويل]

ومـا رَوْضَةٌ جـادَ الرَّبيعُ بهَطْلِه عليها فروَّاهـا ورقَّـتْ غُصونُها
وهبَّت عليها الرِّيحُ حتى تَبسَّمت وحتى بَدَت فوق الغُصون عُيونُها
بأحسنَ منها إذ بَدَتْ وسْط مَجلِسٍ وفي يدِهـا عُـودٌ فَصيحٌ يَزينُها
وقـد أنْطَقَتْـه والشّمالُ جَرِيَّـةٌ على عَقْدِ مـا تُلقي عليها يمينُها

قال: فلم يزل يُرَدِّدُه عليّ حتى قضَيْتُ وطري من لذَّتي وحَفِظْتُه عنه.

[يبكي إبراهيم الموصليّ]

أخبرني جَحْظة قال: حدَّثني حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه قال: دخلتُ على جدِّك إبراهيم وهو جالِسٌ بين بابين له، ومُخارقٌ بين يديه يُغنِّيه: [من الكامل]

يا رَبْعَ بِشْرَةَ إن أضرَّ بِكَ البِلى فلقـد رأيتُـكَ آهِـلاً مَعْمورا

قال: واللَّحنُ الذي كان يُغنِّيه لمالِك، وفيه عدَّة ألحان مشتركة، فرأيتُ دموعَ أبي تَجْري على خدَّيه من أربعة أماكن وهو يَنْشِج أحَرَّ نشيج. فلمّا رآني قال: يا إسحاق هذا والله صاحبُ اللواء غداً إن مات أبوك.

[إبليس يعقد له لواء الغناء]

أخبرني الحَسَنُ بن عليّ الخَفَّاف قال: حدَّثني محمد بنُ القاسم بن مَهْرويه قال: حدَّثني هارونُ بنُ مُخارق، عن أبيه قال: رأيتُ وأنا حَدَثٌ كأنَّ شيْخاً جالساً على سرير في روضة حسنة قد دعاني، فقال لي: غنِّني يا مُخارِقُ، فقلت: أصوتاً تقترحه أم ما حضر؟ فقال: ما حضر؛ فغنَّيته بصَنْعتي في: [من الطويل]

صوت

دَعِي القَلبَ لا يزْدَدْ خَبالاً مع الذي بـه منكِ أو داوِي جَواه المُكتَّما
وليس بتزوِيـق اللسانِ وصوْغِه ولكنَّـه قـد خالط اللَّحمَ والدَّما

ولحن مخارق فيه ثقيلٌ أوّل، وفيه لابن سُرَيج رمل.

قال: فقال لي: أحسنتَ يا مُخارق، ثم أخذ وتراً من أوتار العود فلفَّه على المِضراب، ودفعه إليّ، فجعل المِضرابُ يطول ويغلُظ، والوتر ينتشِر ويَعرُض حتى صار المِضرابُ

كالرُّمح ، والوتر كالعذَبة عليه ، وصار في يدي علماً ؛ ثم انتبهْتُ فحدَّثْتُ برؤياي إبراهيمَ الموصليّ ، فقال لي : الشيخُ ، بلا شكّ ، إبْليسُ ، وقد عَقَدَ لك لواء صَنْعتِك ، فأنتَ ما حييتَ رئيسُ أهلها .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وأظُنّ أنّ الشاعرَ الذي مدح مخارقاً إنّما عَنى هذه الرؤيا بقوله : [من الطويل]

لقد عَقَد الشّيخُ الذي غَرَّ آدماً وأخرجَـه من جنّةٍ وحدائقِ
لِواءَيْ فُنـونٍ للقريض وللغِنا وأقسَم لا يُعطيهما غيرَ حاذِقِ

[يصحح لحناً لجواري الواثق]

وذكر محمد بن الحسنَ الكاتب ، أنَّ هارونَ بنَ مُخارق حدَّثَه فقال : كان الواثقُ شديدَ الشَّغف بأبي ، وكان قد اقْتَطعه عنّا ، وأمَرَ له بحُجْرة في قصره ، وجعل له يوماً في الأسبوع لنَوْبته في منزِله ؛ وكان جواريه يَختَلِفْن لذلك اليوم . قال : فانصرف إلينا مرّة في نَوْبته فصلّى الغداةَ مع الفجر على أسِرَّة في صحن الدّار في يوم صائفٍ وجلس يُسبِّح ، فما راعَنا إلاّ خدَمٌ بيضٌ قد دخلوا فسَلّموا عليه وقالوا : إنّ أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة ، فأعَدْنا عليه الصوتَ الذي طرحتَه علينا فلم يَرْضَه من أحدٍ منّا ، وأمَرنا بالمصير إليك لنصحِّحه عليك . قال : فأمَر غلمانَه فطرحوا لهم عِدَّة كراسيّ فجلسوا عليها ، ثم قال لهم : رُدّوا الصوت ، فردُّوه ، فلم يرضَه من أحدٍ منهم . فدَعا بجاريته عَميم ، فردَّته عليهم ، فلم يَرضَه منها ، قال : فَتَحَوَّل إليهم ثم اندفع فرَدَّ الصوت على الخَدَم ، فخرج الوصائفُ مِنْ حُجَر جَواريه حتى وقَفنَ حوالي الأسِرَّة ، ودَخَل غلامٌ من غِلمانِه وكان يستقي الماءَ ، فهَجَمَ على الصَّحْن بدلوه ، وجاءت جارية على كتِفها جرّة من جرار المُزمَّلات[1] ، حتى وقفتْ بالقُرْبِ منه ، قال : وسبقتني عيناي فما كففتُ دموعهما حتى فاضت .

ثمّ قطع الصوتَ حين استوفاه ، فرجع الوصائفُ الأصاغرُ سعياً إلى حُجَر الجواري ، وخرج الغُلام السَّقّاء يشتدُّ إلى بغلة ، ورجعت الجاريةُ الحاملة الجرّة المُزمَّلة شدّاً إلى الموضع الذي خَرجت منه . فتَبَسَّم أبي وقال : ما شأنُكَ يا هارون ؟ فقلت : يا أبتِ جَعلني اللهُ فداءَك ، ما ملكتُ عَيْني ، قال : وأبوك أيضاً لم يَملِك عينَه .

[نام وهو يغنّي]

وذكر هارونُ بن الزيّات عن أصحابه قال : جمع إبراهيم بنُ المهديّ المغنّين ذات يوم في

1 المزملات : جمع مزملة ، وهي الجرة يبرد فيها الماء .

منزله ، فأقاموا ، فلمّا دَخلوا في الليل ثمِل مُخارِق وسَكِر سُكراً شديداً ، فسألوه أن يغنّي صوتاً ، فغنّى هذا البيت من شعر عُمَر بن أبي ربيعة المخزوميّ[1] : [من الخفيف]

قـال : سارُوا وأَمعَنوا واستَقلّوا وبرَغْمـي لـو اسْتَطعتُ سبيلا

فانتهى منه إلى قوله : واستقلوا . وانثنى نائماً ، فقال إبراهيم بن المهديّ : مهِّدُوه ولا تُزعِجوه ، فمهَّدوه ونام ، حتى مضى أكثر الليل ، ثم استقلَّ من نَوْمِه فانتبه وهو يُغنّي تمام البيت : [من الخفيف]

وبرغْمـي لـو استَطعتُ سبيلا

وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته .

قال : فجعل إبراهيم يتَعَجَّب منه ، ويَعْجب منه مَنْ حَضَرَه ، من جودة طَبْعِه وذكائِه وصحَّة فهمه .

[مفاضلة بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

حدَّثنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى المُنجّم قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق : قال : قال محمد بن الحسن بن مصعب : قلت لإسحاق يوماً : أسألك بالله إلاّ صدَقْتَني في مُخارِق وإبراهيم بن المَهْديّ ، أيّهما أحذَق وأحسنُ غِناء ؟ فقال لي إسحاق : أَجادٌّ أنت ؟ والله ما تقاربا قطّ ، والدَّليل على فضلِ مُخارق عليه أنَّ إبراهيم لا يؤدِّي صوتاً قديماً ثقيلاً جيِّداً أبداً ولا يستوفيه ، وإنّما يُغنِّي الأهزاج والغناء الخفيف ، وأمَّا الذي فيه عمل شديد فلا يُصيبه .

أَخبرني يحيى قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المَدينيّ قال : حدَّثني بعضُ ولد سعيد بن سَلْم قال : دخلَ مُخارِقٌ على سعيد بن سَلْم فسأله حاجةً ، فلمّا خرج قيل له : أما تعرف هذا ؟ هذا مُخارق ، فقال : ويحكم ! دخل ولم نَعرفه ، وخرج ولم نَعرفه ، رُدُّوه ، فردُّوه ؛ فقال له : دخَلْتَ علينا ولم نعرفك ، فلمّا عَرَفناك أحبَبْنا ألاَّ تخرُج حتى نسمعك . فقال له : أيّ شيء تشتهي أن أسمِعك ؟ فقال[2] : [من المنسرح]

يـا ريحُ مـا تَصْنَعِينَ بالدِّمَنِ كَم لكِ من مَحْوِ مَنْظرٍ حَسَنِ !

فغنَّاه مُخارِق ، فلمّا خرَج قال لبعض بنيه : أَبو كم هذا نِكْس[3] يَتَشَهّى على مثلي : [من المنسرح]

يـا ريحُ مـا تَصنعِينَ بـالدِّمَنِ

---

1 ديوان عمر (صادر) : 333 .

2 البيتان لعلي بن أمية وسيردان في ترجمته في الجزء 23 من الأغاني .

3 نكس : لا خير فيه .

أَخبرنا يحيى بنُ عليّ قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق قال : حدَّثني عمِّي محمد قال : سمعتُ أَبي يقول وقد غنَّى مُخارق : نعم الفسيلة[1] غَرْس إبليس في الأرض .

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني محمد بن محمد قال : سمع محمد بن سعيد القارىء مهدِيَّةَ جارية يعقوب بن السَّاحِر تغنّي صوتاً لمخارق بحضرته ، وقد كانت أخذته عنه وهو : [من الخفيف]

ما لِقلبي يـزداد في اللهوِ غيّا والليالي قـــد أَنضَجَتْنيَ كَيّا
سَهُلَـت بعدك الحوادثُ حتّى لستُ أَخشى ولا أُحاذِر شَيّا

فأحسَنَتْ فيه ما شاءت ، وانصرف محمد بن سعيد ، وقرأ على لحنه : ﴿يا يحيى خُذِ الكِتابَ بقُوَّةٍ﴾[2] .

[خبر الذي حلف بالطلاق أن يسمعه]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله قال : حدَّثني محمد قال[3] : كنتُ عند مُخارق أنا وهارون بن أحمد بن هشام ، فلعب مع هارون بالنّرد فَقَمَره مُخارق مائتي رطل باقلاً طريّاً ، فقال مُخارق : وأنتم عنـدي أُطعِمكـم من لحمِ جَزور من الصناعة ، يعني من صِناعة أبيه يحيى بن ناووس الجزّار .

قال : ومرَّ بهارون بن أَحمد فصيلٌ يُنادى عليه ، فاشتراه بأربعة دنانير ، ووجَّه به إلى مُخارق ، وقال : يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل ، فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزُورِيَّةً ، وعمل من سنامه وكبده ولحمه غَضائر[4] شُوِيت في التَّنُّورِ ، وعمل من لحمه لوناً يشبه الهريسة بشعير مقشَّر في نهاية الطِّيب . فأكلنا وجلسنا نشرب ، فإذا نحن بامرأة تصيح من الشّطّ : يا أبا المُهنَّا ، اللهَ اللهَ فيَّ ! حلَف زوجي عليَّ بالطّلاق أن يَسْمع غِناءك ويَشْرب عليه ، فقال : اذهبي وجيئي به . فجاء فجلس ، فقال له : ما حَمَلَك على ما صنَعْتَ ، فقال له : يا سيِّدي ، كنتُ سَمِعت صوتاً من صَنْعَتِك فطَرِبْتُ عليه حتى استَخَفَّني الطَّربُ ، فحلفتُ أنْ أسمَعه منك ثِقةً بإيجابك حقَّ زوجتي ، وكان زوجتُه دايةَ هارونَ بن مُخارِق . فقال : وما هو الصوت ؟ فقال[5] : [من الكامل]

---

1 الفسيلة : النبتة الصغيرة أو العود يؤخذ من الشجرة ليغرس .
2 سورة مريم ، الآية : 12 .
3 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 67–69 .
4 غضائر : قطع .
5 شعر الحسين بن مطير (بغداد) : 49 .

بكَــرتْ عليَّ فهيَّجَتْ وَجْدا   هُـوجُ الرِّياحِ وأَذْكرتْ نَجْدا
أتحِنُّ مـــن شَوْقٍ إذا ذُكِرتْ   نجــدٌ وأنْتَ تركتَهـا عَمْدا

الشعر لحُسين بن مُطَير، والغِناء لمُخارِق ثقيل أوّل، وفيه لإسحاق ثقيل أوّل آخر، فغنَّاه إيّاه وسقاه رِطْلاً، وأمَره بالانصراف، ونهاه أن يُعاوِدَ، وخرَج فما لبِثْنا أن عادت المرأةُ تصرُخ: اللّهَ اللّهَ فيَّ يا أبا المُهنَّا! قد أعادَ زوجي المشؤوم اليمينَ أنَّك تُغنّيه صوتاً آخر، فقال لها: أحْضِريه، فأحضرتْه أيضاً، فقال له: ويلك، ما لي ولك! أيُّ شيءٍ قصَّتك؟ فقال له: يا سيِّدي أنا رجلٌ طَرُوب، وكنتُ قد سمِعتُ صوتاً لك آخر فاستفزَّني الطَّرَبُ إلى أن حَلَفتُ بالطّلاق ثلاثاً أنِّي أسمعه منك، قال: وما هو؟ قال لَحنُكَ[1]: [من البسيط]

أَبلِغْ سَلامةَ أنَّ البينَ قـد أَفِـدا   وأنَّ صَحْبَكَ عنهـا رائحُونَ غَدا
هذا الفِراق يَقيناً إن صَبرتَ لهُ   أو لا فإنَّــكَ منهـا مَيِّتٌ كَمَدا
لا شَكَّ أنَّ الذي بي سَوْفَ يُهْلِكُني   إن كانَ أهلكَ حُــبٌّ قبله أحَدا

فغنَّاه إيّاه مُخارق وسقاه رِطلاً، وقال له: احذَرْ ويْلك أن تُعاوِد، فانصرف. ولم تَلبَثْ أن عاودَتْ الصِّياح تَصرُخ: يا سيِّدي، قد عاوَدَ اليمينَ ثلاثة، اللّهَ اللّهَ فيَّ وفي أولادي! قال: هاتِيه، فأحضرتْه. فقال لها: انصرفي أنتِ، فإنّ هذا كلّما انصرفَ حَلَفَ وعاد، فدَعيه يُقيم يومه كلَّه، فتركَتْه وانصرَفَتْ. فقال له مُخارِق: ما قصَّتَك أيضاً؟ قال: قد عرَّفتك يا سيِّدي أنَّني رجُلٌ طَرُوبٌ، وكنت سَمِعت صوتاً من صَنْعَتِك فاستخَفَّني الطَّربُ له فحلفْتُ أنِّي أسمَعُه منك، قال: وما هو؟ قال: [من مجزوء الرمل]

أَلِــفَ الظَّبـيُ بِعادِي   ونَفـى الهـمُّ رُقادي
وعَدا الهَجْرُ على الوصْـ   ـلِ بـأسيافٍ حِـدادِ
قل لِمَنْ زيَّف وُدِّي: لستَ أهـــلاً لوِدادي

قال: فغنَّاه إيّاه وسَقاه رِطْلاً، ثم قال: يا غُلام، مَقارِعَ! فجيء بها، فأمَر به فبُطِح، وأمَر بضَرْبِهِ فَضُرب خمسين مِقْرعةً، وهو يَسْتَغيث فلا يُكلِّمه، ثم قال له: احلِفْ بالطَّلاق أنّك لا تذكرني أبداً، وإلاّ كان هذا دأبَك إلى الليل. فحلف بالطَّلاق ثلاثاً على ما أمَرَه به، ثمّ أُقيم فأُخرِج عن الدار، فجعلنا نَضحَكُ بقيّة يَوْمِنا من حُمْقِه.

---

1 البيت الأول مطلع قصيدتين لعمر بن أبي ربيعة مع بعض اختلاف والبيتان التاليان ليسا في ديوانه.

[يشرف على المقابر ويغنّي ويبكي]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعْد قال : حدَّثنا أحمد بنُ محمد قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ عُمر بنِ بَزيع قال : أتيتُ مُخارقاً ذات يوم ومعي زُرْزُورٌ الكبير لنُقيمَ عنده ، فوجدتُه قد أخرج رأسَه من جناحٍ له ، وهو مُشرِف على المقابر يُغنّي هذا البيتَ ويبكي :

أينَ الملوكُ التي كانت مُسَلَّطةً

قال : فاستَحْسنَّا ما سمِعناه منه استحسانَ مَنْ لَم يَسْمَع قطّ غناءً غيره . فقال لنا : انصَرِفوا ، فليس فيَّ فضلٌ اليوم بعد ما رأيتُم . قال محمد : وكان والله مُخارِق مِمّن لو تنفَّس لأطْرَبَ مَنْ يسمعه استماع نَفَسِه .

[الظباء تصغي له]

وذكر محمد بنُ الحسن الكاتب أنَّ محمد بنَ أحمد بن يحيى المكِّيّ حدَّثه عن أبيه قال : خرج مُخارِق مع بعض إخوانِه إلى بعض المتنزَّهات ، فنظر إلى قوسٍ مُذْهَبة مع أحدِ مَن خرج معه ، فسأله إيّاها ، فكأنَّ المسؤول ضَنَّ بها . قال : وسَنَحت ظباء بالقرب منه ، فقال لصاحب القَوْس : أرأيتَ إن تغنَّيتُ صوتاً فعَطفتُ عليك به خُدودَ هذه الظباء ، أتدفع إليَّ هذه القوْسَ ؟ قال : نعم . فاندفع يغنّي : [من المجتث]

صوت

مـــاذا تقُـولُ الظِّباءُ أفُرْقَـــةٌ أمْ لِقـــاءُ
أمْ عهْدُهـــا بسُلَيْمى وفي البيـــانِ شِفـــاءُ
مَـــرَّت بِنـا سانحاتٍ وقـــد دَنـــا الإمساءُ
فمـــا أحارَتْ جواباً وطـــالَ فيهـــا العَناءُ

في هذه الأبيات ليَحيى المكّي ثقيل أوَّل بالوسطى .

قال : فعطفت الظِّباءُ راجعةً إليه حتى وقفت بالقربِ منه ، مُستَشرفةً تنظر إليه مُصغيةً تَسمعُ صوتَه . فعَجب مَنْ حَضَرَ من رجوعها ووقوفها ، وناوله الرجلُ القوسَ فأخذَها وقَطَع الغناء ، فعاودت الظِّباء نِفارَها ، ومَضَتْ راجعةً على سَنَنِها .

قال ابن المكّي : وحدَّثني رجلٌ من أهلِ البصرة كان يألف مُخارِقاً ويَصحبه قال : كنتُ معه مرَّة في طيَّار[1] ليلاً وهو سكران ، فلمّا توسَّط دِجْلة اندفَع بأعلى صوتِه فغنَّى ، فما بقي

1 الطيار : القارب السريع .

أحدٌ في الطَّيّار من ملاّح ولا غلام ولا خادم إلاّ بكى من رِقَّة صوته ، ورأيت الشَّمع والسُّرُج من جانبي دِجلة في صُحون القُصور والدُّور يتساعَون بين يَدي أهلها يستمعون غناءَه .

[ابن الأعرابيّ يستكثر هبته]

حدَّثني الصُّوليُّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله التَّميميُّ الحُزُنبل قال : كنّا في مجلس ابنِ الأعرابيّ إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سَلْم كان يلزم ابن الأعرابيّ ، وكان يُحِبّه ويأنس به ، فقال له : ما أخَّرَك عنّي ؟ فاعتذر بأشياء منها أنّه قال : كنتُ مع مُخارِق عند بعض بني الرشيد ، فوهَبَ له مائة ألف درهم على صوت غنّاه إيّاه ، فاستكثر ابنُ الأعرابيّ ذلك واستهوله ، وعجب منه وقال له : بأيِّ شيءٍ غنّاه ؟ قال : غنَّاه بشعر العبّاس بن الأحنف[1] : [من الهزج]

صوت

بكــتْ عَيْنــي لأنواعٍ مــن الحُــزْنِ وأَوْجاعِ
وإنِّــي كلَّ يــومٍ عنــ ـدكم يَحْظى بِيَ السّاعي

فقال ابنُ الأعرابيٌّ : أمَّا الغناء فما أدرِي ما هو ، ولكن هذا والله كلام قريب مليح .

لَحْن مخارق في هذين البيتين ثقيل أوّل من جامع صنعته ، وفيهما لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكَر حبَش أنَّ فيهما لإبراهيم بن المهديّ لحناً ماخوريّاً .

[خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه]

أخبرني أحمدُ بنُ جعفر جحظةُ قال : حدَّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : غنَّت شاريةُ يوماً بحضرة أبي صوتاً ، فأحدَّ النظر إليها وصَبر حتى قطَعتْ نفسَها ثم قال لها : أمسِكي ، فأمسكت ؛ فقال لها : قد عَرفتُ إلى أيّ شيءٍ ذهَبتِ ؛ أردت أن تتشبّهي بمُخارِق في تزايُدِه ، قالت : نعم يا سيِّدي . قال : إيّاك ثمّ إيّاك أن تعودي ، فإنّ مُخارِقاً خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونَفَسه ، يتصرّف في ذلك أجمعَ كيف أحَبّ ، ولا يلحقه في ذلك أحد ، وقد أراد غَيرُك أن يتشبَّه به في هذه الحال فهلِك وافتضح ولم يلحقه ، فلا أسمعنَّك تتعرَّضين لمثل هذا بعد وقتك هذا .

[غلمان المعتصم يتجمعون للاستماع إليه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن نصر البسّاميّ قال : حدَّثني خالي أبو عبد الله عن أبيه قال : كنّا بين يدي المُعتصم ذاتَ ليلة نَشْرب إلى أن سَكِرْنا جميعاً ، فقام ، فنام وتوسَّدنا أيدينا ونِمْنا في مواضِعنا ، ثمّ انتبَه فصاح فلم يُجِبه أحد ؛ وسَمِعْنا صياحه فتبادَرْنا نسأل عن

1 ديوانه (صادر) : 205 .

الغلمان ، فإذا مُخارِق قد انتبَه قبلنا فخرج إلى الشَّطِّ يتنسَّم الهواء ، واندفَعَ يغنّي ، فتلاحق به الغلمان جميعاً ، فجئتُ إلى المعتصم فأخبرتُه وقلتُ : مُخارِق على الشَّطّ يغنّي والغلمانُ قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضْلٌ لشيء غير استماعِه . فقال لي : يا ابن حمدون ، عُذْرٌ والله وأيُّ عُذْرٍ ! ثم جلس بين يديه إلى السَّحر .

[مقارنة بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

وذكر محمد بن الحَسَن الكاتِب أنَّ أبان بن سعيد حدَّثه : أنَّ المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ومُخارِق ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إذا تغنّى إبراهيم بعِلمه فَضَل مُخارِقاً ، وإذا تغنّى مُخارِق بطبعِه وفضْل صوتِه فضَل إبراهيم ، فقال له : صَدَقْتَ .

[ندم الأمين على إعطائه جبته]

نسختُ من كتاب هارون بن الزيّات : حدَّثني هارون بن مُخارِق عن أبيه قال : دعاني محمد الأمينُ يوماً وقد اصطبَح فاقترح عليّ[1] : [من البسيط]

استَقبلَتْ وَرَقُ الرّيحانِ تَقطِفُهُ وعنْبرَ الهِنْدِ والورْدِيَّةَ الجُدُدا
ألستَ تَعرفني في الْحَيِّ جاريةً ولم أَخُنْكَ ولَم تَرْفع إليَّ يدا

فغنَّيْتُه إيّاه ، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرطال ولاءً ، وأمَر لي بألف دينار وخَلَع عليَّ جُبَّةَ وَشْيٍ كانت عليه مُذْهَبَة ، ودُرّاعةً مثلها وعمامة مثلَها تكاد تُعْشي البصر من كثرة الذهب . فلمّا لبِسْتُ ذلك ورآه عليّ ندِم ، وكان كثيراً ما يفعل ذلك ؛ فقال لبعض الخَدَم : قُل للطبّاخ يأتينا بمَصْلِيَّة[2] مَعقُودَة الساعة ، فأُتي بها ، فقال لي : كُلْ معي ، وكنتُ أعرفَ النّاس بمذهبه وبكراهته لذلك ، فامتنعتُ . فحلفَ أن آكُل معه ، فحين أدْخلْتُ يدي في الغضارة[3] رفع يدَه ، ثم قال : أُفٍّ نغَّصتَها عليَّ والله وقذَّرْتَها عندي بإدخالِك يدك فيها ، ثمَّ رَفَس القَصعة رفسةً فإذا هي في حِجْري ، وودكُها[4] يَسيل على الخِلعة حتى نَفَذ إلى جِلدي . فقُمْتُ مُبادراً فنزَعتها ، وبَعَثتُ بها إلى منزلي وغيَّرت ثيابي وعُدْتُ وأنا مغمُومٌ منها وهو يضحَك . فلما رجعتُ إلى منزلي جَمَعتُ كلَّ صانع حاذِق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرُج ، ولم أنتفع بها حتى أحرقْتها فأخذتُ ذهبها ، وضرب الدَّهرُ بعد ذلك ضربانه .

1 ديوان عمر : 112 .
2 المصلية : الشاة المشوية .
3 الغضارة : القصعة الكبيرة .
4 الودك : الدسم المتحلب من اللحم والشحم .

[المأمون يكره مؤاكلة الرعية]

ثم دّعاني المأمون يوماً ، فدخلتُ إليه وهو جالس ، وبين يديه مائدةٌ عليها رغيفان ودجاجتان ؛ فقال لي : تعالَ فكلْ ، فامتنَعْتُ ، فقال لي : تعالَ وَيْلك فساعِدْني . فجلستُ فأكلْتُ معه حتى استَوْفى ، ووضع النبيذ ودعا عَلُّويَه فجلس ، وقال لي : يا مُخارِقُ ، أتُغنّي[1] : [من الطويل]

أقولُ التِماسَ العُذْرِ لمّا ظَلَمْتِني وحَمَّلتِني ذَنْباً وما كنتُ مُذْنِبا

فقلتُ : نعم يا سيِّدي ، قال : غنِّه ، فغنّيته فعبس في وجْهي ثم قال : قبَّحك الله أهكذا يُغنَّى هذا ! ثم أقبل على عَلُّويَه فقال : أتُغنِّيه ؟ قال ، نعم يا سيِّدي ، قال : غنِّه ، فغنَّاه ، فوالله ما قاربَني فيه . فقال : أحسنْتَ والله ، وشرِب رطلاً ، وأمر له بعشرة آلاف دِرهم ، واستعادَه ثلاثاً ، وشرِب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كلٍّ عشرة آلاف درهم ، ثم خَذَف بإصبَعِه[2] وقال : برْقٌ يمانٍ ، وكان إذا أراد قَطْع الشرب فعل ذلك ، وقمنا فعَلِمتُ من أين أُتيتُ .

فلمّا كان بعد أيّام دَعاني فدخلْتُ إليه وهو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك ؛ فقال لي : تعالَ ويْلَك فساعدْني ، فقلت : الطلاق لي لازم إن فعلتُ ، فضحك ثم قال : وَيْلك ، أتراني بخيلاً على الطَّعام ! لا والله ، ولكنّني أردتُ أن أؤدِّبَك ، إنَّ السادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلَها ، أفهمت ؟ فقلتُ : نعم ، قال : فتَعالَ الآن فكلْ على الأمان . فقلتُ : أكون إذاً أوّل مَن أضاع تأديبك إيّاه واستَحقَّ العُقوبة من قريب . فضحِك حتى استغرب ، ثمّ أمَرَ لي بألف دينار ، ومضيت إلى حُجرتي المرسومة لي للخدمة ، وأُتيتُ هناك بطعام فأكلتُ ، ووُضِع النّبيذ ودعاني وبعلّويَه ، فلمّا جلسنا قال له : يا عليّ ، أتُغنّي : [من البسيط]

ألَم تَقُولي : نَعَمْ ، قالت : أرى وَهَماً منّي وهل يُؤخَذُ الإنسانُ بالوَهَمِ ![3]

فقال : نعم يا سيِّدي ، فقال : هاتِه ، فغنّاه ، فعَبس في وجهِه وبَسَر وقال : قبَّحكَ اللهُ ، أتُغنّي هذا هكذا ثمّ أقبل عليّ فقال : أتُغنّيه يا مُخارِق ؟ فقلت : نعم يا سيِّدي ، وعلمتُ أنّه أراد أن يستقيد لي من عَلُّويَه ويرفع منّي ، وإلاّ فما أتى علُّويَه بما يُعاب فيه ، فغنّيتُه ، فطَرِبَ وشَرِبَ رطلاً ، وأمَر لي بعشرة آلاف دِرهم ، وفعل ذلك ثلاثَ مرّات كما فعل به .

ثُمَّ أمر بالانصراف فانصرفنا ، وما عاودْتُ بعد ذلك مُؤاكلة خَلِيفة إلى وقْتِنا هذا .

---

1 ديوان الأحوص (النجف) : 139 .

2 خذف باصبعه : حرك إصبعه كأنّه يرمي شيئاً .

3 الوهم : السهو أو الخطأ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

استقبلتْ ورَقَ الرّيحــان تقطفُهُ ... وعَنْبَرَ الهِنْــد والوردِيَّــةَ الجدُدا
ألستَ تعرفني في الحــيِّ جاريــةً ... ولم أَخُنْك ولم تَمْــدُدْ إليَّ يَدا

الشعر ، فيما يُقال ، لعُمر بن أبي ربيعة ، والغِناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وأصله يماني ، وفيه لابن جامع هزج .

صوت

[من الطويل]

أقولُ التِماسَ العُــذر لمــا ظَلمتِني ... وحمَّلتني ذَنبــاً ومــا كنتُ مُذْنِبا
هبينــي امــرءاً إمّــا بريئاً ظلمتِه ... وإمّــا مُسيئاً قــد أنــاب وأعْتبا

الشعر للأحوص ، والغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

صوت

[من البسيط]

ألَم تَقولي : نَعم ، قالت : أرى وهَماً ... مِنّي وهل يُؤخَذ الإنسان بالوَهَمِ !
قُولي : نَعمْ ، إنّ «لا» إن قُلتِ ، قاتِلتِي ... ماذا تُريدِين مــن قَتْلي بغيرِ دَمِ !

الغناء لسياط خفيف رمل بالبِنصر عن عمرو ، ولم يقع إليَّ لَمن الشِّعر .

[تنافس مع علّويه]

قال هارون : وحدَّثني أبو معاوية الباهليُّ قال : حَضَرتُ عَلُّويَه ومُخارقاً مُجتمعين في مجلس ، فغنّى علّويَه صوتاً فأحسن فيه وأجادَه ، فأعادَه مُخارِق وبرَّزَ عليه وزاد ، فردَّه علُّويَه وتعمَّل فيه واجتهد فزاد على مُخارِق . فجثا مُخارق على ركبتيه وغنّاه وصاح فيه حتى اهتزَّ منكباه ، فما ظَنَنَّا إلاّ أنَّ لأرضَ قد زُلزِلت بنا ، وغلب والله ما سمِعنا على عُقولنا . ونظرتُ إلى لون عَلُّويَه وقد امتُقِع وطار دمُه . فلمّا فرَغ مُخارِق توقّعنا أن يُغنّي علُّويَه ، فما فعل ولا غنّى بقيّة يومه . قال : وكان مُخارِق إذا صاح قطع أصحاب النايات .

[أرسله الأمين إلى إسحاق ليعلّمه]

أخبرني وَسواسةُ بنُ المَوْصليّ ، وهو أحمد بنُ إسماعيل بن إبراهيم قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق قال : قال لي مُخارِق : دعاني يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن

المهديّ ، فقال : غنّني يا مُخارق ، فغنّيتُه أصواتاً عديدة ، فلم يَطْرب لها وقال : هذا كلّه مُعاد ، فَغَنّني : [من الطويل]

لقــد أزمعــتْ للبــين هِنــدٌ زِيالها

فقلت : لا والله ما أُحسِنه ، فقال : غَنِّني : [من الكامل]

لا والــذي نُحِــرتْ لــه البُدْنُ

فقلتُ : لا والله ما أُحسِنه ، فقال : غَنِّني : [من البسيط]

يا دارَ سُعْدى سقى أَطْلالَـك الدِّيما

فقلتُ : لا والله لا أحسنه ، فغضب وقال : ويلك ! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تُحسِن منها واحداً ! فقال له إبراهيم بن المهديّ : ما ذَنبه ؟ إسحاقُ أُستاذُه وعليه يَعْتمد ، وهو يُضايقه في صوت يُعلِّمه إيّاه . فقلتُ : قد والله صدَقَ ، ما يُعطِيني شيئاً ولا يُعلِّمنيه ، قال : فما دَواؤه ؟ فقد والله أعياني . فقال له إبراهيم : تُوكِّل به مَنْ يَصُبُّ على رأسِه العذابَ حتى يُعلِّمه مائةَ صوت . قال : أمّا هذا فبَعيد ، ولكن اذْهب إليه عنّي فمُرْه أن يُعلِّمك هذه الثلاثة الأصوات ، فإن فَعَلَ وإلاّ فصُبَّ السَّوط على رأْسِه حتى يُعلِّمك .

فدَخلتُ إلى إسحاقَ ، فجلست بغير أمْره ، وسلَّمت سلاماً مُنكَراً . ثم أَقبلتُ عليه فقلت : يأمُرك أميرُ المؤمنين أن تُعلِّمني كذا وكذا . قال : ما أُحسِنه ، فقلت : إنّي أُنفّذ فيك ما أَمرني به . فقال : تُنفِّذ فيَّ ما أمِرْتَ به ، ألا تَستَحي وَيْحَكَ منّي ومن تربيتي إيّاك ! قلت : فلا بُدّ من أن تُعلِّمني ما أمرَك به أميرُ المؤمنين . قال : فإنّي لستُ أُحسِنه ولكن فلانة تُحسِنه ، هاتُوها . فجاءت وجعلت تُطارحني حتى أخذتُ الأصوات الثّلاثة ، وجعل كلّ مَن جاءَ يومئذٍ لا يَحجبُه لِيَروني وجاريتُه تُطارحني .

فلمّا أَخذتُ الأصوات رَجَعتُ إلى محمد وأَخبرته الخبر وحضر إسحاقُ ، فغنّيتُه إيّاها ، فطَرِب . وجعل إبراهيمُ بن المهديّ يقول : أحسن والله ، أحسن والله . فلمّا فرِغتُ قال إسحاق : لا والله ما أحسن ولا أُصاب هو ولا إبراهيم في استحسانِه ، ولقد جَهَدت الجاريةُ جهدَها أن يأخذَه عنها فلم يَتوجَّه له ، ثم اندفع فغنّاها ، فكأنّي والله كنتُ ألعب عندما سمعتُ .

ثم أقبل على إبراهيم بن المهديّ فقال له : كم أقولُ لك : ليس هذا من عِلْمك ولا مِمّا تحسنه وأنتَ تكابر وتُدخِل نفسك فيما لا تُحسنه . فقال : ألا تراه يا أمير المؤمنين يُصيِّرني مُغنّياً ! فقال له إسحاق : ولِمَ تجحد ذلك ؟ أوَ أسررتَ إليَّ منه شيئاً لم تُظْهِره للنّاس وتُعلِّمهم إيّاه ؟ ومتى صِرْتَ تأْنف من هذا وأنتَ تَتَبَجّح به ؟ فليتك تُحْسِنه ، والله ما تَفْرُق بين الخطأ والصواب فيه ، وإن شئت الآن ألقيتُ عليك ثلاثين مسألة من أيّ عِلم

شئت ، فإن أجبْتَ في واحدة منهنّ وإلاّ علِمتُ أنّك مُتكلِّف . فقال : يا أمير المؤمنين يَستقبلُني بهذا بين يديك ؟ قال : وما هذا ممّا لا أستقبِلُك به ؟ فقال له محمد : نعم اختَر ما شئتَ حتى نسألك عنه . فقال : إنّما يفعل هذا الصبيان ، وانكسر حتى رَحمْتُه . فقلتُ لمحمد : يا أمير المؤمنين لعلّك ترى مع هذا القول أنّه لا يُحسن ، بلى واللهِ إنّه ليُحسن كلَّ شيء وما يقدر أحدٌ أن يقول هذا غيري ، وإنّه ليتقدَّم كثيراً من الناس في كلّ شيء ، فجعل محمد يضحك وهو يقول : تَشُجُّه بيدٍ وتدْهُنُه بيَد ، وتجرحه بيَد وتأسوه بيَد !

نسبة هذه الأصوات

صوت[1]

[من الطويل]

لقد أزمعتْ لِلْبين هندٌ زِيالَها ... وزَمُّوا إلى أَرْضِ العِراقِ جِمالَها

فما ظبيةٌ أدْماءُ واضحةُ القَرا ... تَنُصُّ إلى بَرْد الظِّلالِ غَزالها[2]

تَحُتُّ بقَرنيها بَريرَ أَراكةٍ ... وتَعْطو بظِلْفَيْها إذا الغُصْنُ طالها[3]

بأَحسنَ منها مُقلةً ومُقلَّداً ... وجيداً إذا دانَتْ تنوطُ شِكالَها[4]

الشِّعرُ لكُثيِّر ، والغِناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لابن سُرَيج في الثالث والثاني ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق ، ولإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، في الثاني ثمّ في الثالث ، وفي كتاب حَكَمٍ : لحكَم فيه خفيف ثقيل ، وعن حبش لطُوَيْس فيه رمل بالوُسطى ، وذكر أيضاً أنّ لحن معبد ثاني ثقيل .

صوت

[من البسيط]

يا دارَ سُعدى سَقى أُطلالَك الدِّيما ... مُسْقي الرَّوايا وإن هيَّجتِ لي سَقَما

دارٌ خَلتْ وعفَتْ منها معالِمُها ... إلاّ الثُّمامَ وإلاَّ النُّؤْيَ والحُمَما[5]

الغناء لقَفا النجّار ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وإبراهيم .

---

1 ديوان كثير : 468 .

2 أدماء : البيضاء البطن في ظهرها غبرة . القرا : الظهر . تنص : تسوق وتحث .

3 البرير : ثمر الأراك . تعطو : تتناول . طالها : ارتفع عنها .

4 تنوط : تعلق . الشكال : ما تشده المرأة على وسطها تعلق به الحلي .

5 الثمام : نبت ضعيف لا يطول . والنؤي : الحفير حول الخيمة يمنع السيل . والحمم : جمع حمة وهو الفحم وكل ما احترق بالنار .

صوت

[من الكامل]

لا والذي نُحِرتْ لـه البُدُنُ ولــه بمكّــةَ قُبّــلَ الرُّكُنُ
مـا زلتُ يا سَكَني أخا أَرَقٍ مُتكنِّفـاً بــي الهــمُّ والحَزَنُ
أخشى عليـك وبعضه شَفقٌ أن يَفتنــوك وأنــتَ مُفْتَتِنُ

الغِناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق وذكر الهشاميُّ أنّه لسليمان الوادي أوّله فيه لحن ، ونسبه إبراهيم إلى ابن عَبّاد ولم يُجنّسه .

أخبرني عمِّي : حدَّثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال : حدَّثني عبدُ الوهّاب المؤذِّن قال : انحدَرْنا مع المُعتَصم من السنّ[1] ونحن في حَرَّاقته[2] ؛ وحضر وقْتُ الأذان فأذَّنتُ ، فلمّا فرغت من الأذان اندفع مُخارق بعدي فأذَّن وهو جاثٍ على ركبتيه ، فتمنَّيتُ واللهِ أن دجلة أهرقتْ لي فغرقتُ فيها .

[غضب المعتصم يعقبه رضى]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ عبد الله بن حمدون قال : حدَّثني أبي قال : غَضِب المعتصمُ على مُخارِق فأمر به أن يُجعل في المؤذِّنين ويلزَمهم ، ففُعِل ذلك ، وأُمهِلَ حتى علِم أنَّ المعتصم يشرب وأُذِّنتِ العصرُ ؛ فدخل هو إلى السّتر حيثُ يقف المؤذِّن للسلام ، ثمَّ رفع صوته جُهْدَه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، الصّلاة يرحمك الله . فبكى حتى جرَتْ دُموعه ، وبكى كلُّ مَنْ حضره . ثم قال : أدْخِلوه إليَّ ، ثم أقبل علينا وقال : سمعتم هكذا قطُّ ! هذا الشيطان لا يترك أحداً يغضب عليه . فأمِر به فأدخِلَ إليه ، فقبَّل الأرض بين يديه ، فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يدَه فقبَّلها ، وأمرَه بإحضار عودِه فأُحضِر ، فأعاده إلى مرتبته .

وجَدتُ في بعض الكتب ، عن عليِّ بن محمد البسّاميّ ، عن جدِّه حمدون بن إسماعيل قال : غنّى علّويه يوماً بين يدي إسحاق الموصليّ : [من الطويل]

هجرتُكِ إشفاقاً عليكِ من الأذى وخــوفَ الأعادي واتّقاءَ النمائمِ

فقال له إسحاق : أحسنت يا أبا الحسن أحسنت ، واستعاده ثلاثاً وشرب . فقال له علّويَه : يا أُستاذ ، أين أنا الآن من صاحبي ، يعني مخارقاً ، مع قولك هذا لي ؟ فقال : لا تُردْ أن تعرف

---

1 السن : مدينة على دجلة .

2 الحراقة : سفينة خفيفة .

هذا . قال : بي والله إلى معرفته أعظم الحاجة . فقال : إذا غنّيتما مَلِكاً اختاره عليك وأعطاه الجائزة دونك . فضجر علّويَه وقال لإسحاق : أفٌّ مِن رضاك وغضبك .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

هجرتُك إشفاقاً عليكِ من الأذى   وخوفَ الأعادي واتّقــاءَ النمائمِ
وإنّـــي وذاك الهجْرَ لـــو تَعْلَمينَه   كساليَةٍ عن طِفلِها وهـي رائِمُ[1]

الشعر لهلال بن عمرو الأسديّ ، والغناء لعلّويه ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو .

[ثلاثة يهابون ثلاثة]

وقال الجاحظ : قال أبو يعقوب الخُرَيميّ : ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلاً ، حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار : كان هشامُ بن الكَلبيّ علاّمة نسّابة وراوية للمثالب عيّابة ، فإذا رأى الهيثم بن عديّ ذاب كما يذوب الرصاص . وكان علي بن الهيثم جونقاً مُفْقِعاً[2] نِيّاً صاحب تَقَعُّر ، يستولي على كلِّ كلام لا يَحْفِل بخطيب ولا شاعر ، فإذا رأى موسى الضَّبِّيَّ ذاب كما يذوب الرصاص . وكان علّويَه واحد الناس في الغناء رواية وحِكاية ودِرايةً وصنعةً وجودةَ ضَرْبٍ وأضرابٍ وحُسْنَ خلق ، فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص على النار .

[مخارق يهوى جارية أمّ جعفر]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خرْداذبه قال : هَوِيَ مُخارِقٌ جاريةً لأمّ جعفر ، فحجَّ في السنة التي حَجَّت فيها أمُّ جعفر بسبب الجارية ، فقال أحمد بن هشام فيه : [من الوافر]

يحُـجُّ الناسُ من بِـرٍّ وتَقْوى   وحـجُّ أبـي المُهنَّأ للتّصابي

قال : وكان المعتصم قد وهب دارَ مخارق لمّا قدِم بغدادَ لِيُونازَةَ خليفةِ الأفشينِ ، فقال عيسى بن زينب في ذلك : [من الكامل]

يـا دارُ غَيَّر رَسمَهـا يُونازَهْ   وبَقِي مخارقُ قاعداً في فازَهْ[3]

---

1 في هذا الشعر إقواء . ورائم من رأمت الناقة ولدها : عطفت عليه .
2 المفقع : التشدّق في الكلام .
3 الفازة : مظلة بعمودين .

لا تَجْزَعَنَّ أَبا المُهَنَّأ إنَّها   دُنيا تُنال بِذِلَّةٍ وعَزازَهْ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة . وحدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : وجدت بخطّ عبد الله بن الحسين : حدَّثني الحسن بن إبراهيم بن رِياح ، قالا .

وكان مخارق يهوى جارية لأُمّ جعفر يقال لها بَهارُ ، ويستر ذلك عن أُمّ جعفر ، حتى بلغها ذلك ، فأقصَتْه ومنعته من المرور ببابها ، وكان بها كلفاً . قال الصُّوليّ : في خبره : فلمّا علِم أنَّ الخبر قد بلغ أُمَّ جعفر قطعها وتجافاها إجلالاً لأُمّ جعفر ، وطمَعاً في السُّلُوِّ عنها . وضاقَ ذرْعُه بذلك ، فبينا هو ذاتَ ليلة في زلاَّلٍ[1] ، وقد انصرف من دار المأمون ، وأُمُّ جعفر تشرب على دجلة ، إذ حاذى دارَها ، فرأى الشمع يزْهَر فيها ، فلمّا صار بمَسْمعٍ منها ومرْأى اندفعَ فغنَّى[2] : [من البسيط]

صوت

إنْ تَمنَعوني مَمَرِّي قُرْبَ دارِهِمُ   فسوف أَنظُر من بُعْدٍ إلى الدَّارِ
سِيما الهَوى شُهِرَتْ حتى عُرِفتُ بها   أَنِّي مُحِبٌّ وما بالحُبِّ من عارِ
ما ضَرّ جِيرانَكم ، واللهُ يُصلِحهم   لولا شَقائيَ ، إقْبالي وإدْباري
لا يَقدِرون على منْعِي ولو جَهَدُوا   إذا مررتُ وتَسليمي بإضْماري

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لمخارق رمل بالوسطى .

فقالت أُمُّ جعفر : مُخارِقٌ والله ، ردُّوه ! فصاحُوا بملاَّحِه : قدِّمْ ! فقدَّم ، وأمَره الخَدَم بالصُّعود ، فصعد ، وأمرت له أُمُّ جعفر بكُرْسيٍّ وصينيَّة فيها نبيذ ، فشرب ، وخلَعَت عليه ، وأمَرتْ الجواري فغنَّيْن ، ثمَّ ضربن عليه فغنَّى فكان أوَّل ما غنَّى[3] : [من البسيط]

صوت

أغيبُ عنكِ بوُدٍّ ما يُغيِّرُه   نأْيُ المَحلِّ ولا صَرفٌ من الزمَنِ
فإن أَعِش فلعلَّ الدَّهْرَ يجمعُنا   وإن أَمُتْ فقتِيلُ الهَمِّ والحَزَنِ

---

1 الزلال : قارب نهري .

2 لم نعثر على أبيات العباس بن الأحنف في ديوان (صادر) .

3 ديوان العباس : 309 .

قد حسَّن اللهُ في عَيْنيَّ ما صنعَتْ حتّى أرى حَسَناً ما ليس بالحَسَنِ

الشِّعرُ للعبّاس بن الأحنف ، والغناءُ لمُخارق رمل .

قال : فاندَفعتْ بَهارُ فغنَّت كأنّها تُباينُه ، وإنّما أجابَتْهُ عن معنى ما عرَّض لها به[1] : [من البسيط]

تعتلُّ بالشُّغلِ عنّا ما تُلِمُّ بنا والشُّغلُ للقلبِ ليس الشُّغل للبَدنِ

ففطِنَت أُمُّ جعفر أنّها خاطبته بما في نفسها ، فضَحِكَت وقالت : ما سمعنا بأملحَ ممّا صَنَعْتما ، وقال إسماعيل بن يونس في خبره : وَوَهَبْتها له .

وقال هارون بنُ الزيّات : حدَّثني هارون بن مخارق عن أبيه : أنَّ المأمون سأله لما قَدِم مكّة عن أحدث صوت صنعه ، فغنّاه : [من الخفيف]

صوت

أقبلَتْ تحصِبْ الجِمارَ وأَقْبلْـ ـتُ لرمْي الجمارِ من عَرفاتِ

ليتَني كُنتُ في الجِمارِ أنا المحـ ـصُوب من كَفِّ زَيْنبٍ حَصياتِ

الشعر للنّميريّ ، والغناء لمخارق خفيف رمل بالبنصر ، قال : فضحك ، ثمّ قال : لعَمري إنّ هذا لأحدَثُ ما صنعت ، ولقد قنِعتَ بيسير ، وما أظنّ بهار كانت تبخل عليك بأنْ تحْصِبك بحصاة كما تحصبْ الجِمار . واستَعاده الصوتَ مرّات .

[المأمون يبكي لصوت في جارية له]

أُخبرني جعفر بنُ قدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ مخارق قال : حدَّثني أَبي قال : كنّا عند المأمون يوماً ، فجاءه الخادم الحرَميّ فأسرَّ إليه شيئاً ، فوثب فدخل معه ، ثمّ أبطأ علينا ساعة وعاوَد وعَيْنُه تذْرف . فقال لنا : دخلتُ الساعةَ إلى جارية لي كنت أتخطّاها ، فوجدْتها في الموت ، فسلّمتُ عليها فلم تستطع ردَّ السّلام إلاّ إيماءً بإصبعها ، فقلتُ هذين البيتين : [من الطويل]

سلامٌ على مَنْ لم يُطِق عند بَيْنِه سلاماً ، فأَوْمى بالبَنانِ المخضَّبِ

فما اسطَعْتُ توديعاً له بِسوى البُكا وذلك جُهْد المُستهام المُعذَّبِ

ثم قال : غنِّ فيها يا مخارق ، ففعلتُ ، فما استعادني ذلك الغِناء قطّ إلاّ بكى .

[حاج يهبه حجّته]

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكوكبيُّ إجازةً قال : حدَّثني أحمد بن أبي العلاء قال :

---

1 البيت تابع لأبيات العباس السابقة .

حدَّثني أَبي قال : حجَّ رجُلٌ مع مخارق ، فلمّا قضَيا الحجَّ وعادا ، قال له الرجل في بعض طريقه : بحقّي عليك غنِّني صوتاً ، فغنّاه : [من الطويل]

رَحَلنـــا فشَرَّقْنا وراحوا فَغَرَّبـوا ... ففاضَتْ لرَوْعاتِ الفـراقِ عُيونُ

فرفع الرجل يدَه إلى السماء وقال : اللهمّ إنِّي أُشهِدُك أنِّي قد وهَبْتُ حَجَّتي له .

[وفاته]

وتوفِّي مخارق في أوَّل خلافة المتوكِّل ، وقيل : بل في آخر خلافة الواثق ، وذكر ابن خُرْداذْبه أنّ سبب وفاته أنّه كان أكل قِنَّبيطِيَّةً باردةً فقتلتْه من فوره .

صوت[1]

[من الطويل]

إذا مِتّ فادفِنِّي إلى جنبِ كَرْمة ... تُروِّي مُشاشي بعد موتي عُرُوقُها[2]

ولا تَدْفِنَنِّـي بالفـلاةِ فإنَّنـي ... أَخافُ إذا مـا مِتُّ أَلاَّ أذوقَها

عروضه من الطويل ، ويُروى : [من الطويل]

إذا رحـت مدفوناً فلستُ أذوقها

الشعر لأبي مِحْجَن الثقفيّ ، والغناءُ لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لحُنَين لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يُجنِّسْه .

* * * *

1 ديوان أبي محجن .

2 المشاش : رؤوس العظام اللينة وفي الديوان : عظامي .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد التاسع عشر

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

19

الطبعَـة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعـة الثـانية
1426هـ - 2005م
الطبعـة الثـالثة
1429هـ - 2008م

دار صادر
تأسست سنة 1863
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[396] ـ ذكر أبي محجن ونسبه[1]

أَبو مِحْجَن عبدُ الله[2] بنُ حبيب بن عَمْرو بن عُمَيْر بنِ عَوْف بنِ عُقْدة بن عَنَزة بن عَوْف بن قَسيّ وهو ثَقِيف ، وقد مضى نسبه في عِدّة مواضع .

وأبو مِحْجَن من المُخضرمين الذين أدرَكُوا الجاهلية والإسلام ، وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ معدود في أُولي البأسِ والنَّجدة ؛ وكان من المعاقِرين للخمر المحدودين في شُرْبها .

[نفاه عمر فهرب]

أُخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن الحسن الأَحوَل ، عن ابنِ الأعرابيِّ ، عن المُفَضَّل قال : لمّا كَثُرَ شُربُ أبي مِحجَن الخمر ، وأقامَ عُمَر بن الخَطَّاب رضي الله عنه عليه الحَدَّ مِراراً وهو لا ينتهي ، نَفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حَضَوْضى[3] ، وبعث معه حَرَسِيّاً يقال له ابنُ جَهْراء ، فهرب منه على ساحل البحر ، ولحق بسَعد بن أبي وقّاص ، وقال في ذلك يذكُر هَرَبه من ابنِ جَهْراء[4] : [من البسيط]

الحَمْـدُ للهِ نَجّـاني وخَلَّصَنـي ... من ابن جَهْراءَ والبُوصيُّ قد حُبِسا[5]
من يَجشَمِ البَحْرَ والبُوصيُّ مَرْكبُه ... إلى حَضَوْضَى فبئْس المَرْكبُ الْتَمسا
أَبلـغْ لَدَيْـكَ أَبـا حَفْص مُغَلْغَلةً ... عبدَ الإله إذا مـا غـارَ أَو جَلَسا
أَنِّي أَكُـرُّ على الأُولى إذا فَزِعوا ... يوماً وأَحبِس تحت الرّايةِ الفَرَسا[6]

1 ترجمة أبي محجن في الشعر والشعراء : 336–337 والمؤتلف : 133 والاستيعاب : 1746–1751 والإصابة 7 : 170 وطبقات ابن سلام : 268–269 والخزانة 8 : 405–413 وكتب التاريخ في وقعة القادسية . وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وله ديوان صغير بشرح أبي هلال العسكري .

2 اختلف في اسمه ، فهو في المؤتلف حبيب ، وفي الإصابة والاستيعاب (وعن الثاني خزانة البغدادي) اختلف في اسمه فقيل مالك بن حبيب ، وقيل عبد الله بن حبيب . . . وقيل كنيته اسمه» .

3 حضوضى : عند ياقوت : «جبل في الغرب ، كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها ؛ وقال الحازميّ : حضوض ، بغير الألف ، جزيرة في البحر» .

4 ديوانه : 9–10 .

5 البوصي : ضرب من السفن . وهذا يرجح قول الحازميّ في حضوضى .

6 الأولى : مقدمة الخيل .

أغشى الهِيــاجَ وَتغْشاني مُضاعَفةٌ   من الحَديدِ إذا ما بعضُهم خَنَسا[1]

[سبب آخر لنفيه]

هذه روايةُ ابن الأعرابيّ عن المفَضّل ، قال ابنُ الأعرابيّ : وحدَّثني ابنُ دأب بسبب نَفْي عُمَر إيّاه ، فذكر أنَّ أبا مِحْجَن هَوِيَ امرأةً من الأنصار يقال لها شَمُوس ، فحاول النَّظر إليها بكلّ حِيلة ، فلم يَقْدر عليها ، فآجَر نفسَه من عامل يعمل في حائط[2] إلى جانب منزلها ، فأشرف من كُوَّة في البُستان ، فرآها فأنشأ يقول[3] : [من الكامل]

ولقد نظرتُ إلى الشَّموسِ ودُونها   حَــرَجٌ مــن الرّحمــن غيرُ قليلِ
قــد كنتُ أَحْسَبُني كأغْنى واحدٍ   وَرَد المدينـــةَ عــن زراعــة فُولِ

فاستَعْدى زوجُها عليه عُمَر بن الخطّاب ، فنفاه إلى حَضَوْضَى ، وبَعَث معه رجلاً يقال له ابن جَهْراء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يَسْتعين به . قال له عُمَر : لا تَدَع أبا مِحْجَنٍ يُخرِج معه سيفاً ، فعمد أبو مِحجَن إلى سيفه فجعل نصلَه في غِرارة وجعل جفنه في غِرارة أُخرى ، فيهما دَقيق له .

فلمّا انتهى به إلى الساحل وقَرُب البُوصيّ اشترى أبو مِحْجن شاةً وقال لابن جَهْراء : هلمَّ نتَغدّ ووثب إلى الغِرارة كأنَّه يُخرج منها دقيقاً فأخذ السيفَ ، فلمّا رآه ابنُ جهراء والسيفُ في يده خرج يعدو حتى ركب بَعيرَه راجعاً إلى عُمَر ، فأخبره الخبر .

وأقبل أبو مِحْجن إلى سَعْد بن أبي وَقّاص وهو يُقاتل العَجَم يوم القادسيَّة ، وبلغ عُمَرَ خبرُه ، فكتب إلى سعد بحبسِه ، فحبَسه ، فلمّا كان يوم أَرْماث ؛ والتحم القِتالُ سأل أبو مِحْجَن امرأةَ سَعْد أن تُعطِيَه فرس سعد وتَحُلَّ قيده ليُقاتِل المشركين ، فإن استُشْهِد فلا تَبِعة عليه ، وإن سَلِم عاد حتى يضع رجلَه في القيْد ، فأعطته الفرسَ ، وخَلّت سبيله ، وعاهدها على الوفاء ، فقاتل فأبلى بلاءً حسناً إلى الليل ، ثم عاد إلى حبسه .

حدَّثني بهذا الحديث عمِّي عن الخرّاز ، عن المدائنيّ ، عن إبراهيم بنِ حَكيم ، عن عاصِم بنِ عُروَة : أنَّ عُمر بن الخَطّاب رضي الله عنه غَرّب رجلاً من ثقيف وهو أبو محجن ، وكان يُدمِن الخمر وأمَر ابن جَهْراء النَّصريَّ ورجلاً آخر أن يحملاه في البحر ، وذكر الخبر مثل الذي قبله ، وزاد فيه : وقال أبو مِحْجَن أيضاً[4] : [من المديد]

1 مضاعفة : درع صنعت من حلقتين حلقتين . خنس : تأخر .
2 حائط : بستان .
3 لم يرد البيتان في ديوانه .
4 لم ترد هذه الأبيات في الديوان .

صوت

صاحِبا سَوْءٍ صَحِبْتُهما صاحَباني يوم أَرْتَحِلُ
ويَقولان : ارتَحِل مَعنا فأُنادِي : إنّني ثملُ
إنَّني باكَرتُ مُترعةً مزّةً راوُوقها خَضِلُ

الغناء في البيتين الأخيرين لنَشْو خفيف رمل وأوّله :

ويقُولان اصْطَبِح مَعَنا

قال الأصفهانيّ : وهذه القصة كانت لأَبي مِحْجَن في يوم من أيّام حَرْب القادسيّة يقال له : يوم أرْماث ، وكانت أيّامُها المَشْهورة يومَ أغْواث ويوم أرْماث ويوم الكتائب وخَبرُها يَطول جدّاً ؛ وليس في كلّها كان لأبي مِحْجَن خَبَرٌ ، وإنّما ذكرنا هاهنا خَبره ، فذكرنا منها ما كان اتّصاله بخبر أبي مِحْجَن[1] .

حدَّثنا بذلك محمد بن جرير الطّبريّ قال : كَتَب إليّ السَّريُّ بن يَحيى ؛ يذكر عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد بن طَلحة وزيادٍ وابن مخراق ، عن رجل من طيىء قال : لمّا كان يومُ الكتائب اقتَتَل المسلمون والفُرس منذ أُصبحوا إلى أن انتصف النهار ، فلمّا غابت الشمس تزاحف النّاسُ فاقتتلوا حتى انتصف الليل ؛ وهذه الليلة التي كان في صَبيحتها يوم أرْماث ، وقد كان المسلمون يوم أغْواث أشرفوا على الظّفر وقتلوا عامّة أعلام الفُرْس ، وجالت خَيلُهم في القلب ، فلولا أنَّ رَجْلهم ثَبتوا حتى كرَّت الخيلُ لكان رئيسُهم قد أُخِذ ؛ لأنّه كان ينزل عن فرسِه ؛ ويجلِسْ على سريره ، ويأمُر الناسَ بالقتال ؛ قالوا : فلمّا انتصفَ الليلُ تحاجز الناس ، وبات المسلمون يَنتمون منذ لدن أمْسَوا .

وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده : إن تمّ الناسُ على الانتماء فلا تُوقِظْني فإنّهم أقوياء على عَدُوّهم ؛ وإن سَكتوا وسَكت العدو فلا تُنبِّهني فإنّهم على السواء ؛ وإن سمعتَ العدُوّ ينتمون وهؤلاء سُكوتٌ فأنْبِهني فإنّ انتماء العدوّ من السُّوء .

قالوا : ولما اشتدَّ القِتال في تلك الليلة ، وكان أبو مِحجَن قد حبسه سعد بكتاب عُمَر ، وقيَّده فهو في القصر ، صعد أبو محجن إلى سَعْد يَستَعْفِيه ويَستقِيله ، فزبره[2] وردَّه ؛ فنزل فأتى سَلمى بنتَ أبي حَفْصة فقال : يا بنت آل أبي حفصة ، هل لكِ إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تُخلِّين عنّي وتُعِيرِينَني البلقاء ، فللّهِ عليّ إن سلّمني الله أن أرجعَ

---

1 قارن تاريخ الطبري (حوادث سنة 14) ، وانظر التذكرة الحمدونية 2 : 455–457 .
2 زبره : منعه ونهاه .

إلى حضرتك حتى تَضعي رِجليَّ في قَيْدي . فقالت : وما أنا وذاكَ ؟ فرجَع يَرسُف في قُيوده ويقول[1] : [من الطويل]

كَفى حَزَنا أَن تَرْدِيَ الخَيْلُ بالقَنا وأُتـرَكَ مَشْدُوداً عـلـيَّ وِثاقِيا[2]
إذا قُمتُ عَنَّاني الحدِيـدُ وغُلِّقَت مَصاريعُ من دُوني تُصِمُّ المُنادِيا[3]
وقد كنـتُ ذا مـالٍ كَثيرٍ وإخْوةٍ فقـد تركوني واحـداً لا أَخا لِيا[4]
وقد شَفَّ جِسْمي أنَّني كلَّ شارِقٍ أُعالِـج كَبْلاً مُصْمتًا قـد بَرانِيا
فللـهِ دَرِّي يـومَ أُتْرَكُ مُوثَقـاً وتَذهَـلُ عنِّـي أُسْرَتـي ورِجالِيا
حبيساً عن الحَرْب العَوانِ وقد بدت وإعمالُ غَيْري يوم ذاكَ العَوالِيا[5]
ولله عَهْـــدٌ لا أَخِيسُ بعَهْـده لئـن فَرَجَـــت ألاَّ أَزُورَ الحوانِيا

فقالت له سَلْمى : إنِّي قد استَخَرْتُ الله ورضيتُ بعهدك ، فأطلقَتْه وقالت : أمّا الفرس فلا أُعِيرها ، ورجَعَت إلى بيتها . فاقْتادها أبو مِحجَن وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندَق ، فركبها ثم دَبَّ عليها ، حتى إذا كان بِحيال الميمنَة ، وأضاء النّهار ، وتصافّ النّاس ، كبَّر ، ثم حَمَل على مَيْسَرة القوم فلَعِب برُمحه وسِلاحه بين الصَّفّين ، ثم رجَعَ من خلف المسلمين إلى القلب فبدَر أمامَ الناس ، فحمل على القوم فلعِب بين الصَّفَّين برُمحه وسلاحه ، وكان يقصفُ الناس ليلتئذ قصفاً مُنكَراً ؛ فعجب الناسُ منه وهم لا يعرِفُونه ولم يرَوْه بالأمس ، فقال بعضُ القوم : هذا من أوائل أصحاب هِشام بن عُتبة أو هشامٌ بنفسه . وقال قوم : إن كان الخِضر يشهد الحروبَ فهو صاحب البلقاء . وقال آخرون : لَولا أنّ الملائكة لا تُباشر القتال ظاهِراً لقُلنا هذا ملاكٌ بيننا ؛ وجعل سَعد يقول ، وهو مشرف ينظر إليه : الطَّعنُ طَعنُ أبي مِحجن ، والضَّبْرُ ضَبرُ البلقاء[6] . ولولا مَحْبس أبي مِحجن لقلتُ : هذا أبو محجن وهذه البلقاء . فلم يزل يُقاتِل حتى انتصف الليل ، فتحاجز أهلُ العسكَرين وأقبَل أبو مِحجَن حتى دَخَل القصر ، ووضع عن نفسه ودابّته ، وأعاد

1 في الديوان أربعة أبيات منها ، وهي في الخزانة 8 : 407 (عن الاستيعاب) .
2 تردي : تضرب الأرض بحوافرها . وفي الديوان : تطعن وفي الخزانة : تلتقي .
3 مصاريع في الديوان والخزانة : مصارع .
4 بعد هذا البيت في الديوان بيت رابع :
فان مت كانت حاجة قد قضيتها وخلّفت سعداً وحـده والأمانيا
5 حبيساً في الخزانة : حبست .
6 الضبر : جمع القوائم والوثب .

رجلَيْه في القيد ، وأنشأ يقول[1] : [من الوافر]

لقد عَلِمتْ ثقيفٌ غَيرَ فخر ... بأنّا نحن أكرمُهم سُيوفا[2]
وأكثرُهم دُروعاً سابغاتٍ ... وأصبرُهم إذا كرِهوا الوُقوفا
وأنّا رِفْدُهم في كلّ يوم ... فإن جحدوا فَسلْ بهمُ عَرِيفا[3]
وليلةَ قادسٍ لم يَشْعُروا بي ... ولم أُكْرَه بمخرجيَ الزُّحوفا
فإن أُحبَسْ فقد عَرفوا بَلائي ... وإن أُطلَقْ أُجرِّعْهم حُتوفا[4]

فقالت له سلمى : يا أبا مِحْجَن ؛ في أيّ شيء حَبَسك هذا الرجل ؟ فقال : أمَا والله ما حَبَسني بحرامٍ أكلتُه ولا شَربتُه ، ولكنّي كنتُ صاحبَ شراب في الجاهليّة وأنا امرؤٌ شاعر يدبُّ الشِّعر على لساني فينفثه أحياناً ، فحَبَسني لأنّي قلتُ[5] : [من الطويل]

إذا مِتُّ فادفِنّي إلى أصل كَرْمةٍ ... تُروِّي عِظامي بعد مَوْتي عُرُوقُها
ولا تَدْفِنَنّي في الفَلاة فإنّني ... أخافُ إذا ما مِتُّ ألاّ أذُوقُها
لِيُروى بخمر الحُصِّ لَحمي فإنّني ... أسيرٌ لها من بعد ما قد أسُوقُها[6]

قال : وكانت سلمى قد رأت في المسلمين جَوْلةً ، وسَعد بنُ أبي وَقّاص في القصر لِعِلّةٍ كانت به ، لم يقدِر معها على حضور الحرب ، وكانتْ قبلَه عند المثنّى بن حارثة الشَّيبانيّ ! فلمّا قُتِل خَلَف عليها سَعْد ، فلمّا رأت شِدَّةَ البأس صاحت : وامُثنَّياه ولا مُثنّى لي اليوم ، فلَطَمها سَعد ، فقالت : أُفٍّ لك ، أجُبْناً وغَيْرَة ؟ وكانت مُغاضِبة لسعد عشيّةَ أرْماثٍ وليلة الهَدْأة وليلة السَّواد ، حتى إذا أصبحت أتَته وصالحَتْه ، وأخبرته خبَر أبي مِحْجَن ، فدعا به وأطْلَقه وقال : اذْهَب فلستُ مؤاخذَك بشيء تقولُه حتى تَفعَله ، قال : لا جَرَمَ ، واللهِ إنّي لا أجَبْتُ لِساني إلى صِفَة قَبيح أبداً .

[رواية أخرى]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ ، وحبيبُ بنُ نَصْر المُهَلّبيّ قالا : حدَّثنا عُمَر بن

1 الأبيات في تاريخ الطبري وفي الديوان ثلاثة منها .
2 أكرمهم سيوفا في الديوان : أجودهم سيوفا .
3 فسل بهم عريفا في الديوان : فسل رجلاً عريفا .
4 في تاريخ الطبري :
فان أحبس فذلكم بلائي ... وإن أترك أذيقهم الحتوفا
5 الأبيات في تاريخ الطبري وفي الديوان ثمانية أبيات ليس البيت الثالث منها .
6 الحصّ : موضع من نواحي حمص .

شَبَّة قال : حدَّثنا محمد بن حاتم قال : حدَّثنا محمد بنُ حازم قال : حدَّثنا عَمْرو بن المهاجِر ، عن إبراهيم بن محمد بن سعد ، عن أبيه ، وأخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بنُ الحسن بنِ دينار مَوْلى بني هاشم ، عن ابنِ الأعرابيّ عن المفضَّل ، وروايتُه أتمّ ، قالوا : كان أبو مِحْجَن الثَّقَفيّ فيمن خرَجَ مع سعد بن أبي وقّاص لحرب الأعاجم ؛ فكان سعد يؤتى به شارباً فيتهدّدُه فيقول له : لستُ تارِكَها إلاّ للهِ عزَّ وجلَّ ؛ فأمّا لِقَولِك فلا . قالوا : فأُتِيَ به يوم القادسيّة وقد شَرِب الخمرَ ؛ فأُمِر به إلى القَيْد ، وكانت بِسَعْد جراحة فلم يخرُج يومئذٍ إلى الناس ؛ فاستَعمل على الخيل خالدَ بن عُرْفُطة ، فلمّا التَقى الناسُ قال أبو مِحْجَن : [من الطويل]

كفى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخيلُ بالقَنا ... وأُتــركَ مَشْدوداً عــليَّ وِثاقِيا

[يمتنع عن شرب الخمر]

وذكر الأبيات وسائِرَ خبَره مثل ما ذكره محمد بن جرير ، وزاد فيه : فجاءَت زَبْراءُ امرأة سَعد ، هكذا قال : والصحيح أنّها سَلْمى ، فأخبرت سعداً بخبَره ؛ فقال سعد : أما واللهِ لا أضْرِبُ اليوم رجلاً أبْلى اللهُ المسلمين على يده ما أبلاهم ، فَخَلّى سبيلَه . فقال أبو مِحجَن : قد كنتُ أشرَبُها إذ كان الحدُّ يُقام عليّ وأُطَهَّر منها ، فأمّا إذ بَهْرَجْتَني[1] فلا واللهِ لا أشْرَبُها أبداً . وقال ابنُ الأعرابيُّ في خبره : وقال أبو مِحجَن في ذلك[2] : [من البسيط]

إن كانت الخمرُ قد عزَّت وقد مُنِعَتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقــد أُباكِرُهــا صِرْفــاً وأمزُجُها ... رِيّــاً وأَطــرب أَحيانــاً وأَمْتَزِجُ
وقــد تَقُــومُ على رأْسي مُنَعَّمــةٌ ... خَوْدٌ إذا رَفَعت في صَوْتها غُنُجُ
تُرَفِّع الصَّوتَ أَحيانــاً وتخفِضُه ... كما يَطِـنُّ ذُبـابُ الرَّوضَةِ الهَزِجُ

[ظنته امرأة هارباً]

أَخبرني الجوهريُّ والُمهلَّبيُّ ، قالا : حدَّثنا عُمَرُ بنُ شَبَّة قال : لَمّا انصرَف أَبو مِحْجَن لِيَعودَ إلى محبسه رأتْه امرأة فظنّته مُنْهَزماً ؛ فأنشأت تُعَيِّره بفِراره : [من الكامل]

مَنْ فارِسٌ كَرِهِ الطِّعان يُعِيرُني ... رُمْحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَّرِ[3]

---

1 بهرجتني : أهدرتني بإسقاط الحد عني (اللسان) .
2 الديوان : 19–20 .
3 مرج الصّفر : بدمشق . والبيت الذي تمثلت به المرأة لخالد بن سعيد بن العاصي (ياقوت) .

فقال لها أبو مِحجن : [من الكامل]

إنّ الكِـرامَ على الجِيادِ مَبِيتُهم فَدَعِي الرِّماحَ لأَهْلِها وتَعَطَّرِي

[رثاء عبيد بن مسعود]

وذكر السَّريّ ، عن شُعيب ، عن سيف في خبره ، ووافَقَتْه رواية ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل : أنَّ الناس لمّا التقَوْا مع العجم يوم قَسٍّ النَّاطِف ، كان مع الأعجام فِيلٌ يَكُرُّ عليهم ؛ فلا تَقوم له الخَيْل ؛ فقال أبو عُبيد بنُ مسعود : هل له مَقْتل ؟ فقيل له : نَعَمْ ؛ خُرْطومه إلاّ أنّه لا يُفلِت منه مَن ضَرَبه ؛ قال : فأنا أهَب نَفسي لله ، وكمَن له حتى إذا أقبل وَثَبَ إليه فضَرَب خُرْطُومه بالسيف ؛ فرَمى به ، ثم شَدَّ عليه الفِيلُ فَقَتَله ، ثم اسْتَدار فطَحَن الأعاجِمَ وانْهَزَموا ، فقال أبو مِحْجَن الثّقفيّ يَرثي أبا عُبَيد[1] : [من الطويل]

أَنَّى تَسَدَّت نحوَنـــا أُمُّ يوسُفٍ ومِنْ دُونِ مَسْراها فَيافٍ مَجاهِلُ[2]
إلى فِتيــةٍ بالطَّفِّ نِيلَــت سَراتُهم وغُــودِر أَفْــراسٌ لهم ورواحِلُ
وأَضْحى أَبـــو جَبْرٍ خـلاءً بُيوتُه وقد كان يَغْشاها الضِّعافُ الأَرامِلُ
وأَضْحى بَنو عمرو لدى الجِسْرِ منهمُ إلى جانـبِ الأَبيات جُـودٌ ونائِلُ
وما لُمْتُ نفسي فيهـمُ غَيْرَ أنّها لهـا أَجَلٌ لم يأْتِها وهـو عاجِلُ
وما رمـتُ حتى خَرّقُوا بسِلاحهم إهابي وجادَتْ بالدِّماء الأَباجِلُ[3]
وحتـى رأيـتُ مُهْرتي مُزْوَئِرّةً مِنَ النَّبْلِ يَدْمى نَحْرُها والشَّواكِلُ[4]
وما رُحـتُ حتى كنتُ آخرَ رائحٍ وصُرِّع حـولي الصّالِحونَ الأماثِلُ
مَرَرْتُ على الأَنصارِ وَسْط رِحالِهم فقلتُ : أَلا هَلْ منكم اليوم قافِلُ ؟
وقَرَّبْـتُ رَوَّاحاً وكُـوراً ونُمرقاً وغُـودِر في أُلَّيس بكْـرٌ ووائِلُ[5]
أَلا لَعَـنَ اللهُ الذيـن يَسرُّهـم رَدايَ وما يَدْرونَ ما الله فاعِلُ

قال الأخفش في روايته ، عن الأحْول ، عن ابن الأعرابيّ ، عن المفضّل : قال أبو مِحجَن في تَرْكه الخَمر : [من الوافر]

1 الديوان : 13–15 .
2 تسدت نحونا : جازت إلينا .
3 رمت : برحت . الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق في الرجل أو اليد .
4 مزوئرة : منحرفة . والشواكل : جمع شاكلة ، وهي الخاصرة .
5 أُلّيس : موقع المعركة في العراق .

رأيتُ الخَمر صالحةً وفيها ... مناقِبُ تُهلِكُ الرّجلَ الحَليما
فلا واللهِ أشربُها حَياتي ... ولا أُسقي بها أبداً نَديما

[ابنه عند معاوية]

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال: حدَّثنا العُمريُّ، عن لَقِيط، عن الهيثم بن عَدِيّ. وأخبرني محمد بن الحَسن بن دُريد قال: حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتيبة قالوا: دخَلَ ابنُ أبي مِحْجَن على معاوية، فقال له: أليس أبوك الذي يقول: [من الطويل]

إذا مِتُّ فادفنّي إلى أصلِ كَرْمَةٍ ... تُروِّي عِظامي بعد مَوتي عُروقُها
ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاة فإنَّني ... أخاف إذا ما مِتّ ألاَّ أذُوقُها

فقال ابن أبي مِحْجَن: لو شئتَ لذكرتُ ما هو أحسَن من هذا من شعره؛ قال: وما ذاك؟ قال: قوله[1]: [من البسيط]

لا تَسألي الناسَ عن مالي وكَثْرَتِه ... وسائلي الناسَ ما فِعْلي وما خُلُقي[2]
أُعطي السِّنانَ غداة الرَّوْع حِصَّته ... وعامِلَ الرُّمح أُرويه من العَلَقِ[3]
وأطعن الطعنةَ النَّجلاءَ عن عُرُضٍ ... وأحفظُ السرَّ فيه ضَرْبَةُ العُنقِ[4]
عَفٌّ المَطالب عمّا لستُ نائلَه ... ـ وإن ظُلِمتُ ـ شديدُ الحِقْدِ والحَنَقِ[5]
وقد أجودُ وما مالي بذِي فَنَعٍ ... وقد أكرُّ وراءَ المُحجَر البَرِقِ[6]
والقومُ أعْلَمُ أنّي من سَراتِهمُ ... إذا سَما بَصَرُ الرِّعديدة الشَّفِقِ[7]
قد يُعسِرِ المرءُ حيناً وهو ذُو كَرَم ... وقد يَثوبُ سَوامُ العاجزِ الحَمِقِ[8]

---

1 الديوان: 3–8 مع اختلاف في الترتيب.
2 الديوان: وسائلي القوم عن ديني وعن خلقي.
3 حصته في الديوان: نحلته. والعلق: الدم.
4 الديوان:
وأكشف المأزق المكروب غمته ... وأكتم السر فيه ضربة العنق
5 الديوان: عف الإياسة...
6 الفنع: الكثرة والمحجر: المستور.
7 الديوان: قد يعلم الناس أنا من سراتهم.
8 الديوان: قد يقتر المرء يوماً وهو ذو كرم.

سَيَكثُر المـالُ يومـاً بعـد قِلَّته ... ويكتسي العُودُ بعد اليُبس بالوَرَقِ[1]

فقال معاوية : لَئِن كنّا أسأنا لك القول لنُحْسننّ لَك الصَّفَد ، ثم أجزل جائزته وقال : إذا ولدت النِّساء فلْتَلِد مِثلك !

[علي يفتي عمر في الحد]

أخبرني الحسن بن عليّ وعيسى بن الحسين الورّاق قالا : حدَّثنا ابن مهرويَه ، قال : حدَّثني صالح بن عبد الرحمن الهاشميّ ، عن العُمريّ ،عن العتبيّ قال : أُتيَ عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه ، بجماعة فيهم أبو مِحْجَن الثقفيّ وقد شربوا الخَمر ، فقال : أشربتم الخَمْر بعد أن حرَّمَها الله ورسوله ، فقالوا : ما حرَّمها الله ولا رسوله ؛ إنّ الله تعالى يقول : ﴿ليسَ عَلى الذينَ آمَنُوا وعَملوا الصَّالحات جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعَمِلوا الصَّالحات﴾[2] ؛ فقال عمر لأصحابه : ما تَروْنَ فيهم ، فاختلفوا فيهم فبَعث إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشاوَره ؛ فقال عليّ : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلّوا المَيْتة والدّم ولحم الخنزير ؛ فسكتوا ، فقال عمر لعليّ : ما ترى فيهم ؟ قال : أرى إن كانوا شرِبُوها مُستحلِّين لها أن يُقتلوا ، وإن كانوا شربُوها وهم يُؤمنون أنّها حرامٌ أن يُحَدُّوا ، فسألهم ؛ فقالوا : والله ما شككنا في أنّها حرام ، ولكنّا قدّرنا أن لنا نجاةً فيما قُلناه ، فجعل يحدّهم رَجلاً رجلاً ، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي مِحْجَن ؛ فلمّا جلده أنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أَلَم تَـرَ أَنَّ الدَّهـرَ يعثُر بالفتى ... ولا يستطيع المَرءُ صرفَ المَقادِرِ
صَبرتُ فلم أَجزَع ولم أَكُ كائعـاً ... لحادثِ دَهْـر في الحُكومـة جائِرِ[4]
وإنّي لذُو وصَبر وقد مات إخوَتي ... ولست عن الصهباء يومـاً بصابِرِ
رَماهـا أَميرُ المُؤمنـين بحَتفِهـا ... فخُلاّنُها يبكـون حـول المَعاصِرِ

فلمّا سمع عمر قوله :

ولستُ عن الصَّهْباء يوماً بصابرِ

1 الديوان : قد يكثر المال . . . . بعد الجدب . . .
2 سورة المائدة ، الآية : 93 .
3 في الطبري (حوادث سنة 18) حكاية مماثلة عن ضرار وأبي جندل وأنّ هذا الشعر لأبي الزهراء القريشيّ .
4 كائع : جبان هياب .

قال : قد أبدَيتَ ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبةً لإصرارِك على شُرْب الخَمر ؛ فقال له عليّ عليه السلام : ما ذلك لك ، وما يجوزُ أن تُعاقب رجلاً قال لأفعلنّ وهو لم يفعل ، وقد قال الله في الشعراء : ﴿وأنّهُمْ يقولون مالا يَفعَلُون﴾[1] . فقال عمرُ : قد استثنى اللهُ منهم قوماً فقال : ﴿إلا الذين آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ﴾ . فقال عليٌّ عليه السلام : أفهؤلاء عندكَ منهم وقد قال رسول الله ﷺ : «لا يشرَب العبدُ الخَمرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ» .

[نبتت الكرمة على قبره]

أخبرنا محمد بنُ خَلَف بن المَرزبان قال : حدَّثنا أحمدُ بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثنا العُمريّ ، عن الهيثم بن عَديّ قال : أخبرني مَن مرَّ بقبر أبي مِحْجَن الثقفيّ في نَواحي أذْرَبيجان ، أو قال في نواحي جُرْجان ، فرأيتُ قبرَه وقد نبتت عليه ثلاثة أُصول كَرْم قد طالت وأثمرت وهي مَعْرُوشة ، وعلى قبره مكتوب : هذا قبر أبي مِحْجَن الثقفيّ ، فوقَفتُ طويلاً أتَعَجّب ممّا اتّفق له حتى صار كأُمنيَّة بَلَغها حيث يقول : [من الطويل]

إذا مِتُّ فادْفِنّي إلى أُصلِ كَرْمـةٍ تُروِّي عِظامي بعد مَوتـي عُروقُها

صوت

[من الطويل]

أَلا يا لَقومي لا أُرى النَّجْمَ طالعاً ولا الشّمسَ إلاّ حاجبي بَيَميني
مُعَزِّيَتي خَلْف القفـا بعمُودِهـا فجُـلُّ نكيري أَن أَقـولَ ذَريني
أَمينٌ على أَسرارِهـنَّ وقـد أُرى أَكـونُ على الأَسرارِ غيرَ أَمـينِ
فَلَلموتُ خيرٌ مـن حِداجٍ مُوَطَّإٍ مع الظُّعْنِ لا يأتـى المحـلَّ لحينِ

عَرُوضه من الطويل ؛ والمُعزِّية : امرأةٌ تكون مع الشيخ الخَرِف تَكْلَؤُه . وقوله :

أَمينٌ على أَسرارِهنّ . . .

أي أَنّ النساء صِرْنَ يتحدَّثن بين يَدَيّ بأسرارِهنَّ ، ويفعلن ما كُنَّ قبل ذلك يَرْهبنَني فيه ؛ لأنـّي لا أضُرُّهنَّ . والحِداج والحِدْج : مركب من مراكب النِّساء .

الشِّعر لزُهَير بنِ جَناب الكلبيّ ، والغناء لأهل مكّة ، ولحنه من خفيف الثَّقيل الأوّل بالوُسطى عن الهشاميّ وحَبَش ، وفيه لِحُنين ثاني ثقيل بالوسطى .

1 سورة الشعراء ، الآية : 227 .

[397] ـ أخبار زهير بن جناب ونسبه[1]

[نسبه]

زُهير بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زَيْد اللاّت بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

شاعرٌ جاهليٌّ ، وهو أحد المُعمَّرين ، وكان سيِّد بني كَلْب وقائدَهم في حروبهم ؛ وكان شُجاعاً مُظفرّاً مَيمُونَ النَّقيبة في غزواته ، وهو أحدُ من ملَّ عُمرَه فشَرِب الخمر صِرفاً حتى قَتَلْته .

ولم يُوجدْ شاعرٌ في الجاهليّة والإسلام وَلَد من الشّعراء أكثر مِمَّن وَلدَ زُهَيرٌ ، وسأذكر أسماءهم وشيئاً من شِعرهم بعِقب ذِكْر خَبَرِه إن شاء الله تعالى .

[غزوة غطفان]

قال ابن الأعرابيّ : كان سببُ غَزوة زهير بنِ جَناب غَطَفان أنّ بني بَغيض حين خرجوا من تِهامة ساروا بأجمعهم ، فتعرّضت لهم صُداء وهي قبيلة من مَذحِج ؛ فقاتلوهم وبَنو بَغيض سائِرون بأهليهم ونسائِهم وأموالهم ، فقاتلوا عن حَرِيمهم فظَهرُوا على صُداء فأَوْجَعُوا فيهم ونكَأُوا[2] ؛ وعزَّت بَنو بَغيض بذلك وأثْرت وأصابت غنائمَ ؛ فلمّا رأَوْا ذلك قالوا : أما والله لنتَّخِذَنَّ حَرَماً مثلَ حرم مكّةَ لا يُقتل صيدُه ، ولا يُعضَد شَجرُه ، ولا يُهاج عائذُه[3] ، فوَلِيتْ ذلك بَنو مُرّة بن عوف .

ثمّ كان القائمَ على أمرِ الحَرم وبناء حائطه رِياحُ بنُ ظالم . ففَعلوا ذلك وهم على ماءٍ لهم يقال له بُسّ . وبلَغ فِعلهم وما أجمعوا عليه زهيرَ بنَ جَناب وهو يومئذٍ سَيِّدُ بَني كَلْب ؛ فقال : والله لا يكون ذلك أبداً وأَنا حيّ ، ولا أُخلّي غَطَفانَ تتخِذ حَرَماً أبداً .

فنـادى في قومـه فاجتمعـوا إليه فقـام فيهم ، فذكر حالَ غَطَفان وما بلغه عنها ؛ وأنَّ أكرمَ مأْثُرة يعتقدُهـا هـو وقَوْمه أن يمنعوهم من ذلك ويحولـوا بينهـم وبينـه ، فأجابـوه ، واستمدّ[4] بني القَيْن من جُشَم فأَبَوْا أن يَغزُوا معه ، فسار في قومه حتى غزا غَطَفان ؛ فقاتلهم فظَفِر بهم زُهَيْر وأصاب حاجتَه فيهم ، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حَرَمهم الذي بَنوْه ، فقال لبعض

---

1 ترجمة زهير بن جناب في الشعر والشعراء : 294–297 وطبقات ابن سلام : 35–37 والمعمرين : 24 والمؤتلف : 191 وانظر جمهرة ابن حزم : 426 وما بعدها ، والتذكرة الحمدونية 2 : 36 وما بعدها و8 : 215–217 . وقد صنع ديوانه د . محمد شفيق البيطار ، (بيروت 1999) .

2 نكأوا : جرحوا وقتلوا .

3 لا يهاج عائذه : لا يفزع من يلجأ إليه .

4 استمد : طلب المدد .

أصحابه : اضرب رقبتَه ، فقال : إنّه بَسْلٌ[1] ، فقال زهير : وأبيك ما بَسْلٌ عليّ بحَرام .

ثم قام إليه فضَرَب عُنقَه وعَطَّلَ ذلك الحَرَم ؛ ثم مَنَّ على غَطَفان وردَّ النساءَ واستاق الأموالَ ؛ وقال زهيرٌ في ذلك : [من الوافر]

ولم تَصْبِرْ لَنا غطفانُ لَمّا ... تلاقَيْنا وأُحرِزَت النِّساءُ
فلَوْلا الفَضْلُ منّا ما رجَعتم ... إلى عذراءَ شيمَتُها الحَياءُ
وكم غادَرتُمُ بَطَلاً كَمِيّاً ... لدى الهَيْجاء كان له غَناءُ
فدُونكم دُيوناً فاطْلُبوها ... وأَوْتاراً ودُونكم اللّقاءُ
فإنّا حَيْثُ لا نَخْفى عليكم ... لُيوثٌ حين يحتَضِرُ اللِّواءُ[2]
فَخَلّى بعدَها غطَفانُ بُسّاً ... وما غَطَفانُ والأَرض الفَضاءُ !
فقد أضْحى لِحَيّ بني جَنابٍ ... فضاءُ الأَرضِ والماءُ الرَّواءُ
ويصدُق طَعنُنَا في كلِّ يوم ... وعِنْد الطَّعن يُختَبَر اللّقاءُ
نَفْينا نَخْوَةَ الأَعداء عنّا ... بأَرْماحٍ أسِنّتُها ظِماءُ
ولولا صبرُنا يوم التَقَيْنا ... لَقِينا مِثلَ ما لقيتْ صُداءُ
غَداةَ تَعرّضوا لِبَني بغِيضٍ ... وصِدْقُ الطَّعْن للنَّوْكى شِفاءُ[3]
وقد هَرَبَتْ حِذارَ الموتِ قَيْنٌ ... على آثارِ مَنْ ذَهَب العَفاءُ
وقد كُنّا رَجَوْنا أن يُمِدّوا ... فأَخْلَفَنا من آخوتِنا الرَّجاءُ
وأَلهى القَيْنَ عن نَصر الموالي ... حِلابُ النِّيبِ والمرعى الضَّراءُ[4]

[شفي من طعنة ابن زيابة]

وقال أبو عَمرو الشَّيبانيّ : كان أبرهة حين طَلَع نَجْداً أتاه زُهيرُ بنُ جناب ، فأكرمه أبرهة وفضَّله على مَن أتاه من العرب ، ثم أمَّره على ابني وائل : تغْلب وبكر . فَوليهم حتى أصابتهم سنة شَدِيدة ، فاشتدّ عليهم ما يَطلبُ منهم زُهير . فأقام بهم زُهير في الجَدْب ، ومنعهم من النُّجْعة حتى يُؤَدُّوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك . فلمّا رأى ذلك ابنُ زَيّابة ، أحدُ بني تَيْم الله بنِ ثعلبة ، وكان رجُلاً فاتِكاً ، بيّت زُهيراً[5] وكان نائماً في قُبَّة له من أدَم ؛ فدَخَل فألْفى

1 بسل : حرام .
2 يحتضر : يحضر .
3 النوكى : الحمقى .
4 الضراء : الشجر الملتفّ .
5 بيّته : هاجمه ليلاً على غرّة .

زُهيراً نائماً ، وكان رجلاً عَظيم البَطن ، فاعتَمَد التَّيميُّ بالسَّيف على بطن زهير حتى أخرجه من ظهره مارقاً بين الصِّفاق ، وسَلِمت أعفاجُ بطنه[1] ، وظَنَّ التَّيميُّ أنَّه قد قتله ؛ وعلم زُهَير أنّه قد سَلِم ، فتخوَّف أن يتحرّك فيُجهِز عليه ، فسَكَت . وانصرفَ ابنُ زيَّابة إلى قومه ، فقال لهم : قد ، والله ، قَتلتُ زُهَيراً وكَفَيْتُكموه ، فسَرَّهم ذلك . ولمّا عَلِم زُهير أنّه لم يُقدِم عليه إلاّ عن ملأٍ من قومه بكر وتَغْلِب ، وإنّما مع زهير نَفَر من قومه بمنزلة الشُّرَط ، أمَرَ زهير قومَه فغيَّبوه بين عمودين في ثيابٍ ثم أتَوا القومَ فقالوا لهم : إنّكم قد فَعَلتم بصاحِبنا ما فعلتُم ، فأْذَنُوا لنا في دَفنه ، فَفَعلوا . فحَملوا زهيراً مَلْفوفاً في عَمودين والثِّياب عليه ، حتى إذا بَعُدُوا عن القوم أخرَجوه فلفَّفُوه في ثيابه ، ثم حفروا حَفِيرةً وعَمَّقوا ، ودَفَنوا فيها العمودين ، ثم ساروا ومعهم زُهير ، فلمّا بلغ زهير أرضَ قَومِه جمع لِبكْر وتَغْلب الجُمُوع ، وبلَغهم أنَّ زهيراً حيٌّ ، فقال ابن زَيَّابة : [من الخفيف]

طَعْنةٌ ما طَعَنتُ في غَبَش اللَّيـ ـلِ زُهَيرا وقد تَوافى الخُصومُ
حين تَجْبي له المواسِمَ بَكرٌ أينَ بَكْرٌ ، وأيْنَ منها الحُلومُ
خانَني السيفُ إذ طَعنتُ زُهَيْراً وهو سيفٌ مُضَلَّل مَشْئُومُ

[غزو بكر وتغلب]

قال : وجمع زهير بني كَلْب ومَن تجمَّع له من شُذَّاذِ العرب والقبائل ، ومَن أطاعه من أهل اليمن ، فغزا بكراً ابنَيْ وائل ، وهم على ماء يقال له الحُبَيّ[2] ، وقد كانوا نَذِروا به ، فقاتَلهم قتالاً شديداً ، ثم انهزَمَت بَكر وأسْلَمَت بني تَغْلب ، فقاتلت شيئاً من قتال ثم انهَزَمت ؛ وأُسِرَ كُلَيْب ومُهَلْهل ابنا ربيعة ، واستِيقَت الأموالُ ، وقَتَلت كلْبٌ في تَغْلب قتْلى كثيرة ، وأسَروا جماعة من فرسانهم ووجوههم ، وقال زُهير بنُ جناب في ذلك : [من الكامل]

تَبّاً لِتَغْلبَ أنْ تُساقَ نِساؤُهم سَوْقَ الإماء إلى المواسِم عُطّلا
لحقتْ أوائِلُ خَيْلِنا سَرَعانَهم حتى أُسَرْنَ على الحُبَيّ مُهَلْهِلا[3]
إنّا ، مُهَلْهِلُ ، ما تَطِيشُ رِماحُنا أيّام تَنْقُفُ في يَدَيْك الحَنْظَلا
وَلّت حُماتُك هاربين من الوَغى وبَقِيتَ في حَلَق الحديد مُكَبَّلا
فلئن قُهِرْتَ لقد أُسِرتَك عَنْوةً ولئِن قُتِلْتَ لقد تكُون مُؤَمَّلا

---

1 الصفاق : الجلد الباطن . والأعفاج : معى الإنسان .
2 الحبي : موضع بتهامة .
3 سرعان الخيل : أوائلها .

وقال أيضاً يُعيِّر بني تَغْلِب بهذه الوقعة في قصيدة أوّلها : [من الخفيف]

حـيٌّ داراً تَغيَّرت بالجَناب   أَقْفَـرَتْ مـن كواعبٍ أتراب

يقول فيها : [من الخفيف]

أيْنَ أيْنَ الفِرارُ من حـذَر المَوْ   ت وإذْ يَتّقُـونَ بـالأسلاب
إذْ أسَرنـا مُهَلْهِـلاً وأخـاهُ   وابنَ عَمْرو في القِدِّ وابنَ شهابِ
وسَبَيْنا مـن تَغْلِبٍ كلَّ بَيْضا   ء رَقُودِ الضُّحى بَرُود الرُّضابِ
يَوْمَ يدعُـو مُهَلْهِـلٌ يالَبَكْرٍ   هـا أَهَذِي حفِيظَةُ الأحسابِ
وَيْحكم وَيْحكم أُبيح حِماكُم   يا بني تَغْلِب أمـا من ضِرابِ
وهُـمُ هارِبُـونَ في كلِّ فجٍّ   كشَرِيدِ النَّعامِ فـوقَ الرَّوابي
واستدارَت رَحى المَنايا عليهم   بلُيـوثٍ مـن عامـرٍ وجنابِ
طَحَنَتهم أرحاؤُهـا بطَحونٍ   ذاتِ ظُفْـرٍ حدِيدَةِ الأنيابِ
فهُمُ بَيْن هـاربٍ ليس يألُو   وَقَتيـلٍ مُعفَّـرٍ في التُّـرابِ
فضَلَ العِـزُّ عِزُّنـا حين نَسْمُو   مِثْل فَضْل السَّماء فَوْقَ السَّحابِ

[وفادته على ملك غسان]

أخبرني محمد بنُ الحَسَن بن دريد ، قال : حدَّثنا عمِّي ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، قال : وفَدَ زهير بن جَناب وأخُوه حارثة على بعض ملوك غسَّان ، فلمّا دَخَلا عليه حدَّثاه وأنْشَداه ، فأعجِب بهما ونادَمَهما . فقال يوماً لهما : إنّ أُمِّي عليلةٌ شديدةُ العِلَّة ، وقد أعياني دَواؤُها ، فهل تعرِفان لها دواء ؟ فقال حارثة : كُمَيْرة حارّة ، وكانت فيه لُوثة ، فقال الملك : أيّ شيء قلت ؟ فقال له زهير : كُمَيْئَة حارّة تُطعِمُها ، فوَثَب الملك ، وقد فهم الأولى والآخِرَة ، يُريهما أنّه يأْمُر بإصلاح الكمأة لها ، وحلُم عن مَقالة حارثة . وقال حارثة لزهير : يا زُهير اقْلِبْ ما شئت ينقَلِب ، فأرسلها مَثلاً .

[ذهاب عقله]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حَدَّثني أحمد بن الغيث الباهليّ عن أبيه قال : كان من حديث زهير بنِ جَناب الكلبيّ أنّه كان قد بلغ عُمراً طويلاً حتى ذهب عقلُه ، وكان يَخرُج تائهاً لا يدري أين يذهب ، فتلحَقُه المرأة من أهله والصَّبيّ ، فتردّه وتقول له : إنِّي أخاف عليك الذِّئب أن يأكلك ، فأين تَذهب ؟ فذَهب يوماً من أيّامه ، ولحقَته ابنة له فردَّته ، فرجع معها وهو يَهْدِج كأنّه رألٌ[1] ، وراحَتْ عليهم سماءٌ في

1 الرأل : ولد النعام .

الصيف فعلتهم منها بَغْشَةٌ[1] ثم أردَفَها غَيْث ، فنظر وسمع له الشَّيخ زجلاً مُنْكراً . فقال : ما هذا يا بُنيَّة ؟ فقالت : عارضٌ هائِلٌ إن أصابَنا دونَ أهلِنا هَلَكنا . فقال : انْعَتِيه لي ، فقالت : أراه مُنْبطحاً مُسْلَنْطِحاً[2] ، قد ضاق ذَرْعاً وركب رَدْعاً[3] ، ذا هَيْدَب[4] يطير ، وهَماهِم[5] وزَفير ، ينهض نهضَ الطير الكسير ، عليه مِثْل شَبارِيق[6] السَّاج ، في ظُلْمَةِ اللَّيل الدّاج ، يتضاحك مثل شُعَل النيران ، تهرب منه الطير ، وتُوائِل[7] منه الحَشَرَةُ . قال : أيْ بُنَيّة ، وائلي منه إلى عِصْرٍ[8] قبل أن لا عَيْن ولا أثر .

[تسميته بالكاهن]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني أحمدُ بن عبيد ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، عن مشيخة من الكلبيِّين قالوا : عاش زهير بن جناب بن هُبل بن عبد الله خمسين ومائتي سنة أوقع فيها مائتي وقعة في العرب ، ولم تجتمع قُضاعة إلاّ عليه وعلى حُنٍّ بن زَيْد العُذريّ ، ولم يكن في اليَمَن أشجَع ولا أخطب ولا أوجَه عند الملوك من زهير . وكان يدعى الكاهن ، لصحَّة رأيه .

[تطاول عمره]

قال هشام : ذَكَر حمَّاد الرَّاوية أنَّ زهيراً عاش أربعمائة وخمسين سنة ، قال : وقال الشَّرقيُّ بنُ القُطاميّ : عاشَ زهير أربعمائة سنة ، فرأته ابنةٌ له فقالت لابن ابنها : خُذْ بِيَد جدّك ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : فُلانُ بن فُلانِ بن فُلانة ، فأنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

أَبَنِيَّ إنْ أَهْلِكْ فقد ... أَوْرَثْتُكُمْ مَجْداً بَنِيَّهْ
وَتَرَكْتُكُم أَبناءَ سا ... داتٍ زِنادُكُم وَرِيَّهْ
ولَكُلُّ ما نالَ الفَتى ... قد نِلْتُه إلاّ التَّحِيَّهْ[9]

1 البغشة : المطر الخفيف .
2 المسلنطح : الواقع على وجهه .
3 ركب ردعاً : سقط على عنقه .
4 الهيدب : السحاب الداني .
5 الهماهم : ترديد الزفير ، مفرده همهمة .
6 شباريق : قطع .
7 توائل : تطلب النجاة .
8 عِصر : ما يتحصن به .
9 التحية : الملك والبقاء . وتحية الملك : أبيت اللعن .

والمــوتُ خَيْرٌ لِلفتَــى فَلْيَهْلِكَــنْ وبِــهِ بَقِيَّــهْ
مِـن أن يُـرى الشَّيْخَ البَجا لَ وَقَـدْ تَهـادى بالعَشِيَّهْ[1]
ولقـد شَهِدتُ النَّـارَ للأَسْـ ـلاف تُوقَـد في طَمِيَّـهْ[2]
ولقـد رَحَلْـتُ البـازِلَ الـ ـكَوْمـاء ليس لهـا وَلِيَّهْ[3]
وخَطَبْـتُ خُطْبَـةَ ماجِـدٍ غَيْرِ الضَّعِيــف ولا العَيِيَّهْ
ولقـد غَـدوتُ بمُشرِف الـ ـقُطْريـن لم يَغْمِـزْ شَظِيّهْ[4]
فأصبـتُ مـن بَقَـر الجَنا ب ضُحًى ومن حُمُرِ القَفِيَّهْ[5]

قال ابن الكَلبيّ : وقال زهير في كِبَره أيضاً : [من الطويل]

أَلا يا لَقَوْمي لا أُرى النَّجمَ طالِعاً ولا الشَّمسَ إلاّ حاجِبي بِيَميني
مُعَزِّبَتـي عنـد القَفـا بعَمُودهـا فأَقْصى نَكِيري أن أَقـول ذَريني
أَمِينٌ على أَسرارهِــنَّ وقد أُرى أَكُـونُ على الأَسرارِ غَيْرَ أَمِينِ
فلَلْمَوتُ خَيْرٌ مـن حِداجٍ مُوَطَّإٍ على الظُّعْن لا يأتـي المحَـلَّ لِحِينِ

قال : وقال زُهير أيضاً في كِبره : [من الطويل]

إن تُنْسِنِي الأَيّـامُ إلاّ جلالـةً أَمُتْ حين لا تأسى عـليَّ العوائِدُ
فيَأذى بِيَ الأَدنى ويَشْمَت بي العِدا ويأمَن كَيْدي الكاشِحُونَ الأَباعِدُ

قال : وقال زهير أيضاً : [من الوافر]

لقـد عُمِّرتُ حتى لا أُبـالي أَحَتْفي في صَباحي أم مَسائي
وحُـقَّ لَمِن أَتَـتْ مائتان عاماً عليـه أَنْ يمَـلَّ مـن الثَّواء
شَهِدتُ المُوقدين على خَزازى وبالسُّلاَّن جَمْعـاً ذا زُهاءِ[6]
ونادمتُ المُلوكَ مِنَ آلِ عَمْرٍو وبعدُهـمُ بنـي مـاء السماء

[شرب الخمر حتى مات]

قال ابنُ الكلبيّ : وكان زهير إذا قال : أَلا إنّ الحَيّ ظاعن ، ظَعَنت قُضاعة ؛ وإذا قال : أَلا إنّ

1 الشيخ البجال : الذي يبجله قومه . ويروى : الشيخ الكبير .
2 طمية : جبل في طريق مكة (ياقوت) .
3 وليّه : كساء أو نحوه مما يلي ظهر البعير .
4 مشرف القطرين : مرتفع الجانبين . والشظية : عظم الساق .
5 القفية : الناحية .
6 خزازى : جبل . والسلان : الأودية . وذو زهاء : ذو عدد كبير .

الحيَّ مُقيم ، نَزَلوا وأَقاموا . فلَمّا أن أَسنَّ نصبَ ابنَ أَخيه عبد الله بن عُلَيم للرِّياسة في كَلْب ، وطَمِع أن يكون كعَمِّه وتجتمع قُضاعةُ كلّها عليه ، فقال زهير يوماً : ألا إنَّ الحيَّ ظاعن ، فقال عبد الله : ألا إنّ الحي مُقِيم ، فقال زهير : ألا إنّ الحيَّ مُقيم ، فقال عبد الله : ألا إنّ الحيَّ ظاعن ، فقال زهير : مَنْ هذا المخالف عَليّ منذ اليوم ؟ فقالوا : ابن أخيك عبدُ الله بن عُلَيم ، فقال : أعدى الناسِ للمرء ابنُ أخيه إلاّ أنَّه لا يدعُ قاتِلَ عمِّه أو يقتُلَه . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

وكَيْفَ بِمَـــنْ لا أَستَطِيعُ فِراقَــه ... ومَنْ هــو إن لم تَجْمَعِ الدَّارُ آلِفُ

أَميرُ شِقـاقٍ إنْ أُقِـم لا يُقِم مَعي ... ويَرْحَلْ ، وإن أُرحَل يُقِم ويخالِفُ

ثم شرِب الخمر صِرْفاً حتّى مات .

قال : وممّن شَرِب الخمرَ صِرْفاً حتى مات عمرو بنُ كُلثوم التّغلبيّ ، وأبو بَراء عامِرُ بن مالِك مُلاعِبُ الأسِنّة .

قال هشام : عاشَ هُبَل بنُ عبد الله جَدُّ زهير بن جَناب ستّمائة سنة وسبعين ، وهو القائل : [من الرجز]

يا رُبَّ يَومٍ قد غَنِي فيه هُبَلْ ... لـه نَـوالٌ ودُرُورٌ وجَذَلْ[1]

كأَنَّه في العِزِّ عَوْفٌ أَو حَجَلْ

قال : عَوْف وحَجَل : قَبيلتان من كلب .

[أنذرته أخته فرحل]

وقال أَبو عمرو الشَّيبانيّ : كان الجُلاحُ بن عَوف السَّحْميُّ قد وطَّأَ لزهير بن جَناب وأنزله معه ، فلم يزل في جَناحِه حتى كَثُر مالُه وولدُه ، وكانت أُختُ زهير مُتزوِّجة في بني القَيْن بن جَسْر ، فجاءَ رسولُها إلى زهير ومعه بُرْد فيه صِرارُ رَمْل وشَوكةُ قَتاد ، فقال زهير لأصحابه : أتتكمُ شَوكةٌ شديدة ، وعددٌ كثير فاحتَمِلوا ، فقال له الجُلاحُ : أنحتمِلُ لقول امرأة ! والله لا نفعل ، فقال زهير : [من الكامل]

أَمَّا الجُـلاحُ فإنَّنـي فارقْتُــه ... لا عن قِلًى ولقد تَشِطُّ بنا النَّوى

فَلئِن ظَعَنْــتَ لأُصبِحَــنَّ مُخيِّماً ... ولَئِنْ أقمتَ لأظعَنَنَّ عــلى هَوى

قال : فأقام الجُلاح ، وظعن زُهير ، وصبَّحهم الجيش فقتل عامَّة قوم الجُلاح وذهبوا بماله .

قال : واسم الجُلاح عامرُ بنُ عوف بن بكر بن عَوْف بن عامر بن عوف بن عُذْرة .

ومضى زُهَير لوَجهه حتى اجتمع مع عشيرته من بني جَناب ، وبَلَغ الجيشَ خبرُه فقَصَدوه ،

1 الدرور : الكثرة .

فحاربَهم وثبت لهم فهزمهم وقتل رئيساً منهم ، فانْصَرَفوا عنه خائبين ، فقال زهير : [من الطويل]

أَمِن آلِ سَلْمى ذا الخَيالُ المؤرِّقُ ... وقد يَمِقُ الطيفَ الغَرِيبُ المُشَوَّقُ[1]
وأنَّى اهْتَدَت سَلمى لِوَجهِ محلِّنا ... وما دونها من مَهْمَه الأَرض يَخفِقُ
فلَم تَـرَ إلاّ هاجعـاً عند حُرَّةٍ ... على ظهرهـا كُـورٌ عَتِيقٌ ونُمْرُقُ
ولَمّـا رَأَتْنـي والطَّلِيحَ تَبَسَّمَتْ ... كما انهـلَّ أَعْـلى عـارضٍ يتألَّقُ
فحُيِّيتِ عَنَّـا زَوِّدينـا تحيَّـةً ... لعلَّ بهـا العاني من الكَبْل يُطْلَقُ
فردَّت سَلاماً ثـم وَلت بحاجَةٍ ... ونحنُ لعَمْرِي يا ابْنَةَ الخَيْرِ أَشْوَقُ
فيا طِيبَ مـا رَيّا ويا حُسْنَ منْظَرٍ ... لَهَوْتُ بـه لو أَنَّ رُؤياكِ تَصْدُقُ
ويومَ أُثالى قـد عرفـتُ رُسومَها ... فعُجْنـا إليهـا والدُّموعُ تَرَقْرَقُ
وكادت تُبِينُ القَـولَ لَمّا سأَلْتُها ... وتُخْبِرُني لـو كانت الدارُ تَنْطِقُ
فيا دارَ سَلْمى هِجْتِ للعين عَبْرة ... فماءُ الهـوى يرفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

وقال زهير في هذه القصيدة يذكر خِلافَ الجُلاح عليه : [من الطويل]

أيـا قَوْمَنا إن تَقْبَلوا الحَقَّ فانتهوا ... وإلاّ فأَنيابٌ من الحرب تَحْرُقُ[2]
فجاؤوا إلى رَجْراجَـةٍ مُكْفَهِرَّة ... يكاد المديرُ نحوَها الطَّرْفَ يَصْعَقُ[3]
سُيوفٌ وأَرمـاحٌ بأَيـدي أعزَّةٍ ... ومَوْضُونـةٌ مِمّا أَفـاد مُحَرِّقُ[4]
فمـا بَرِحُوا حتى تَرَكْنا رئيسَهم ... وقـد مار فيه المَضْرَحِيُّ المُذَلَّقُ[5]
وكائِنْ تَرى من ماجِدٍ وابْنِ ماجدٍ ... له طَعْنَـةٌ نجلاءُ للوَجْهِ يَشْهَقُ

وقال زهير في ذلك أيضاً : [من البسيط]

سائِل أُمَيْمَةَ عنّي هـل وَفَيْتُ لها ... أم هل مَنَعْتُ من المَخْزاة جيرانا
لا يَمْنَع الضَّيفَ إلاّ ماجِدٌ بطَلٌ ... إنَّ الكريـمَ كريـمٌ أَينَما كانا
لَمَّا أَبـى جِيرَتـي إلاّ مُصَمِّمَةً ... تَكْسُو الوُجوهَ من المَخْزاة أَلوانا

---

1 يمق : يحب .
2 تحرق : تحتك فتخرج صوتاً .
3 الرجراجة : الكتيبة تموج من كثرتها .
4 الموضونة : درع رقيقة النسج .
5 المضرحيّ المذلق : النسر المحدد الطرف ، كناية عن مصرعه .

مِلْنا عليهم بورْد لا كِفاءَ لَـه يَفْلِقْن بالبِيضِ تحت النَّقْع أبْدانا
إذا ارجَحَنُّوا علوْنـا هامَهم قُدُماً كأنّمـا نَخْتَـلي بالهـامِ خُطْبانا[1]
كَم من كريم هَوى للوَجْه مُنْعفِراً قـد اكْتسى ثوبُـه في النَّقْع ألوانا
ومِنْ عَميدٍ تَناهـى بعـد عَثْرَته تَبـدُو ندامتُـه للقَـوْم خَزيانا

[أولاده شعراء]

وأمّا الشعراء من ولد زهير : فمنهم مَصادُ بن أسعد بن جُنادة بن صَهْبان بن امرىء القيس بن زهير بن جناب ، وهو القائلُ : [من الطويل]

تَمَنَّيْتَ أن تَلْقى لِقاحَ ابنِ مُحْرِزٍ وقبلـك شامتهـا العُيونُ النّواظرُ
مُمَنَّحـةً في الأقربـين مُناخَـةً وللضَّيف فيهـا والصَّديق مَعاقِرُ
فهَلاَّ بَنـي عَيْناء عاينتَ جَمْعَهمْ بحالة إذ سُدَّت عليك المَصادِرُ[2]

ومنهـم حُرَيْـثُ بنُ عامر بنِ الحارث بن امرىء القيس بن زهير بن جناب ، وهو القائل : [من الوافر]

أرى قَوْمـي بني قَطَنٍ أرادُوا بـألاَّ يتركوا بِيَـديَّ مـالا
فإن لم أجزِهـم غَيْظاً بغَيْظٍ وأُورِدْهُم على عَجَلٍ شِلالا[3]
فَلَيْـتَ التَّغْلبيّـةَ لم تَلِـدْني ولا أغْنَتْ بمـا ولدت قِبالا

ومنهم الحَزَنْبَل بنُ سلامة بنِ زُهير بن أسْعد بن صَهْبان بنِ امرىء القَيْس بن زهير بن جناب ، وهو القائل : [من الكامل]

عَبَثَت بمُنْخَـرِق القَمِيص كأنَّه وَضَحُ الهِلال على الخُمُور مُعذلِ
يـا سَلْمَ وَيْحكِ والخَلِيل مُعاتبٌ أزْمَعْتِ أن تَصلي سواي وتَبْخَلي
لمَّـا رأيـتِ بعارضَـيّ ولِمّتـي غِيَرَ المَشِيب عـلى الشباب المُبْدَلِ
صَرَّمْتِ حَبْل فتًى يَهشُّ إلى النّدى لـو تَطْلُبـين نـداه لم يَتَعَلَّلِ
إنّا لنَصْبر عنـد مُعتَرَك الوَغَـى ونَبُذّ مكرُمَـة الكريـمِ المُفْضِلِ

ومنهم غُرَيْرُ بن أبي جابر بن زُهير بن جناب ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

1 ارجحنوا : مالوا ووقفوا . نختلي : نقطع . الخطبان : نبت كالهليون والأخضر من ورق السمر .
2 حالة : موضع .
3 شلالاً : متفرقين .

أَبلِغ أَبــا عَمْــرٍو وأَنْـ ـتَ عليَّ ذُو النَّعَم الجَزِيلَهْ
أَنَّا مَنَعْنــا أَنْ تَــذِ لَّ بلادُكُمُ وبَنُو جَدِيلَهْ
وطرقْتُهــم لَيــلاً أُخَــ ـبِّرهم بهم ومعي وَصِيلَهْ[1]
فصدَقْتُهم خَبَري فَطــا رُوا في بِلادِهم الطَّوِيلَهْ

ومنهم عرفَجَةُ بن جُنادة بن أُبيّ بن النُّعمان بن زُهَير بن جناب ، وهو القائل : [من الطويل]

عفا أبرقُ العَزَّاف من أُمّ جابِرٍ فمُنْعَرجُ الوادي عفــا فَحَفِيرُ
فَرَوضُ ثُوَيــر عن يمين رَوِيَّةٍ كأن لَــمْ تَرَبَّعْه أَوانِسُ حُورُ
رِقاقُ الثَّنايا والوُجوه ، كأنّـها ظِباءُ الفلا في لَحْظِهــن فتُورُ

ومنهم المُسيَّب بن رِفَل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرىء القيس بن أَبي جابر بن زُهير بن جناب ، وهو القائل : [من الطويل]

قَتَلْنا يَزِيدَ بن المُهَلَّب بعدمــا تَمَنَّيتُمُ أَن يَغلِبَ الحَقَّ باطِلُهْ
ومـا كان منكم في العِراقِ مُنافِقٌ عن الدِّين إلاّ من قُضاعة قاتِلُهْ
تَجلَّلــه قَحْلٌ بــأَبْيضَ صارِمٍ حُسامٍ جَلا عن شفرَتَيْه صَياقِلُهْ

يعني بالقَحْل ابنَ عَيّاش بن شَمِر بن أَبي شَراحِيل بن غُرَيْر بن أبي جابر بن زُهَير بن جناب ، وهو الذي قتل يزيد بن المهلّب .

ومن بني زُهَير شُعراء كثير ، ذَكرتُ منهم الفُحول دونَ غَيرهم .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

تَدَّعي الشوقَ إن نَـأَتْ وتَجنَّــى إذا دَنَــتْ
سرَّني لَــو صَبَرتُ عَنـ ـها فتُجزى بمــا جَنَتْ
إنَّ سَلْمى لَــو اتَّقَــتْ رَبَّهـــا فيَّ أَنْجَــزَتْ
زَرَعت في الحَشا الهَوى وسقَتْه حتــى نَبَــتْ

الشِّعر لمُسْلِم بن الوليد[2] ، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل . وقيل : إنّه لأبي العَنْبَس بن حمدون . وذكر الهشاميّ أنّ لإسحاق في : إنّ سَلْمى . . . وما بعده لَحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر .

1 وصيلة : رفقة أو سيف أو الناقة التي وصلت عشرة أبطن .
2 ديوان صريع الغواني : 308 .

[398] ـ نسب مسلم بن الوليد وأخباره[1]

[نسبه]

هو مُسلِم بن الوليد ، أبوه الوليد مَولى الأنصار ثم مَولى أبي أُمامة أسعَد بن زُرارة الخَزرَجيّ . يلقَّب صريعَ الغواني ، شاعر متقدّم من شعراء الدولة العبّاسيّة ، منشؤه ومولده الكوفة . وهو ، فيما زعموا ، أوّل مَن قال الشّعر المعروف بالبديع ، وهو لَقّب هذا الجنسَ البديعَ واللّطيفَ . وتبعَه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمّام الطائيّ فإنّه جعل شِعره كُلّه مذهباً واحداً فيه . ومُسْلِم كان مُتفنّناً متصرّفاً في شعره .

أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفش قال : قال أبو العبّاس محمد بن يزيد : كان مُسلِم شاعراً حَسَن النّمط ، جيّد القول في الشراب ، وكثيرٌ من الرُّواة يَقْرِنه بأبي نُواس في هذا المعنى . وهو أوّل مَن عقد هذه المعاني الظّريفة واستخرجها .

حدَّثنا أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : سَمِعتُ أبي يقول : أوّلُ مَن أفسد الشّعر مُسلِمُ بن الوليد ، جاءَ بهذا الذي سمّاه النّاس البديع ، ثم جاء الطائيّ بعده فتفنّن فيه .

أخبرني إبراهيمُ بن أيّوب عن عبد الله بن مُسلِم الدِّينوَريّ قال : كان مُسْلِم بنُ الوليد وأخوه سليمان منقطعَين إلى يزيد بن مَزْيَد ومحمد بن منصور بن زياد ، ثم الفَضْل بن سَهْل بعد ذلك . وقلّد الفضلُ مُسْلِماً المظالمَ بجُرْجان فمات بها .

[يتغزّل بجارية لا يهواها]

أخبرني عليٌّ بنُ سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان السببُ في قَول مُسْلِم : [من مجزوء الخفيف]

تَـدَّعي الشوقَ إن نأَتْ وَتَجَنَّـــى إذا دَنَـــتْ

أنّه عَلِق جارية ذات ذِكر وشرف ، وكان منزِلُها في مَهَبِّ الشّمال من منزله ، وفي ذلك يقول[2] : [من الوافر]

---

1 ترجمة مسلم بن الوليد (صريع الغواني) في الشعر والشعراء : 712–720 وطبقات ابن المعتز 234–240 ومعاهد التنصيص 3 : 55 وتاريخ بغداد 13 : 96 ومعجم المرزباني : 277 والموشح : 444 والنجوم الزاهرة 2 : 186 ، وانظر بروكلمان 2 : 32–33 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد نشر ديوانه د . سامي الدهان (دار المعارف بمصر) وعلى هذه الطبعة نعتمد .

2 ديوانه : 274 .

صوت

أُحِبُّ الرِّيحَ مـا هَبّتْ شَمالا وأَحسُدُها إذا هَبّتْ جَنُوبا
أَهابُكِ أَن أَبوحَ بذاتِ نَفْسي وأَفرَقُ إنْ سَأَلْتُكِ أَن أُجيبا
وأَهجُر صاحِبي حُبَّ التَّجَنّي عليـه إذا تَجَنَّيــتِ الذُّنوبا
كأنّي حين أُغضي عن سِواكُمْ أُخافُ لكم على عَيْني رَقِيبا

غنَّى عبد الله بن العبّاس الربيعيّ في هذه الأبيات هزجاً بالبِنصر عن الهشامي .

قال : وكانت له جارية يرسِلها إليها ويبثُّها سِرّه ، وتعودُ إليه بأخبارها ورسائِلها ؛ فطال ذلك بينهما ؛ حتى أحبَّتها الجاريةُ التي عَلِقها مُسْلِم ومالت إليها ، وكلتاهما في نهاية الحُسْن والكمال .

وكان مُسلم يُحِبُّ جاريتَه هذه محبَّة شديدة ، ولم يكن يَهوى تلك ، إنّما كان يريد الغزل والمُجون والمُراسلة ، وأن يشيع له حديثٌ بهواها ، وكان يرى ذلك من المَلاحة والظَّرف والأدب ، فلمّا رأى مودَّة تلك لجاريته هجر جاريته مُظْهِراً لذلك ، وقطْعها عن الذّهاب إلى تلك ، وذلك قولُه : [من الوافر]

وأَهْجُر صاحِبي حُبَّ التَّجَنّي عليـه إذا تجنَّيْــت الذُّنوبا

وراسلها مع غير جاريته الأولى ، وذلك قوله : [من مجزوء الخفيف]

تَـدَّعي الشوقَ إن نأَتْ وتجنّـى إذا دنَــتْ
واعدتْنــا وأَخلفــتْ ثـم ساءَتْ فأَحسنتْ[1]
سرَّني لو صبرتُ عنـ ـها فتُجزى بما جنتْ
إنَّ سَلْمـى لـو اتَّقـ ـت رَبَّهـا فيَّ أَنجزَتْ
زرعتِ في الحشا الهوى وسقتـهُ حتـى نَبَتْ

[بينه وبين أبي نواس]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد قالا : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه قال : لقي مُسلِم بنُ الوليد أبا نُواس فقال له : ما أعرف لك بيتاً إلاّ فيه سَقَطٌ ، قال : فما تَحْفَظ من ذلك ؟ قال : قُلْ أنت ما شِئتَ حتى أُريك سَقَطَه فيه ، فأنشَدَه[2] : [من الكامل]

ذكر الصَّبوحَ سُحَيرةً فارتاحا وأَمَلَّه دِيـكُ الصّباح صِياحا

---

1 الديوان : فأساءت وأحسنت .

2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 1 وفيه «بسحرة» .

فقال له مُسلم : فلِمَ أملّه وهو الذي أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشِدْني شيئاً من شِعْرك ليس فيه خَلل ، فأنشده مُسلم : [من الكامل]

عاصى الشَّبابَ فراح غير مُفنَّد   وأقـام بين عزيمـــة وتَجَلُّدِ[1]

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحاً مقيماً في حال واحدة وبيت واحد . فتشاغَبا وتَسابَّا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى .

[شعره يعجب المأمون]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : قال لي محمد بن عبد الله بن مُسْلِم : حدَّثني أبي قال : اجتمع أصحابُ المأمون عنده يَوماً ، فأفاضوا في ذِكر الشِّعر والشّعراء ، فقال له بعضُهم : أين أنت يا أميرَ المؤمنين عن مُسلِم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيثُ يقول وقد رثى رجلاً[2] : [من الطويل]

أرادوا ليُخفُـوا قبرَه عــن عَدُوِّه   فَطِيبُ تُــرابِ القبر دلَّ عَلى القَبْرِ

وحيث مدح رجلاً بالشّجاعة فقال[3] : [من البسيط]

يَجودُ بالنَّفس إذْ ضَنَّ الجَوادُ بها   والجُودُ بالنَّفْس أقْصى غايةِ الجُودِ

وهجا رجلاً بقبح الوجه والأخلاقِ فقال[4] : [من الكامل]

قَبُحَتْ مناظِـرُه فحـين خَبَرْتُــه   حَسُنَتْ مناظـرُه لِقُبْــح المَخْبَرِ

وتَغازَل فقال : [من الرجز]

هَــوًى يَجِــدُّ وحَبِيبٌ يَلعَــبُ   أنْــتَ لَــقًى بينهمـا مُعَــذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعَرُ من خُضْتُم اليوم في ذكره .

[يزيد بن مزيد لا يعرف مادحه]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ والحسن بن عليّ الخفَّاف قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني قَعْنَب بن المُحْرِز ، وابن النَّطَّاح ، عن القَحْذَميّ قال : يزيدُ بن مزيد : أرسلَ إليَّ الرَّشيدُ يوماً في وقت لا يُرسَل فيه إلى مِثلي فأتيتُه لابساً سلاحي ، مستعدّاً لأمر إن أرادَه ، فلمّا رآني ضَحِك إليَّ ثم قال : يا يَزيد خبِّرني مَن الذي يقولُ فيك[5] : [من البسيط]

1 غير مفند : غير ملوم .
2 ديوانه : 164 .
3 ديوانه : 320 . وفيه : تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها .
4 ديوانه : 321 .
5 ديوانه : 12 ، 13 ، 22 .

تَراهُ في الأَمْنِ في دِرْعٍ مُضاعفَة ... لا يأمَنُ الدَّهرَ أن يُدْعى على عَجلِ
صافِي العِيان طَمُوحُ العَيْنِ هِمَّتُه ... فَـكُّ العُناةِ وأَسْرُ الفاتِكِ الخَطِلِ
للهِ مـن هاشِمٍ في أَرضِه جَبَلٌ ... وأَنـتَ وابنُك رُكْنا ذلك الجَبلِ

فقلت : لا أعرفُه يا أميرَ المؤمنين . قال : سَوْأةً لك من سيِّد قَومٍ يُمدَح بمِثْل هذا الشِّعر ولا تعرف قائله ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين فرواه ووصل قائلَه ، وهو مُسْلِمُ بنُ الوليد . فانصرفتُ فدعوتُ به ووصلتُه ووَلَّيتُه .

أخبرني محمدُ بن عمران الصَّيرفيّ ، والحسنُ بن عليّ الخفَّاف قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثني أبو عبد الله أحمدُ بن محمد بن سليمان الحنفيّ ذو الهِدْمَيْن قال : حدَّثني أبي قال : دخل يزيدُ بن مَزْيد على الرّشيد فقال له : يا يَزيد ، مَن الذي يقولُ فيك[1] : [من البسيط]

لا يَعبَقُ الطِّيبُ خدَّيْـه ومفرِقَـه ... ولا يُمسِّح عَيْنَيـه مـن الكُحُـلِ
قـد عَوَّدَ الطَّير عاداتٍ وَثِقْن بها ... فهُـنَّ يَتْبَعْنَـه في كُلِّ مُرْتَحَـلِ

فقال : لا أعرف قائِله يا أمير المؤمنين . فقال له هارون : أيُقال فيك مِثلُ هذا الشِّعر ولا تَعرِف قائله ! فخرج من عنده خجلاً ، فلمّا صار إلى منزله دعا حاجَبه فقال له : مَنْ بالبابِ مِنَ الشُّعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد ، فقال : وكيف حَجبتَه عنِّي فلم تُعْلِمْني بمكانه ؟ قال : أخبرتُه أنَّكَ مُضيقٌ ، وأنّه ليس في يَدَيك شيء تعطيه إيّاه ، وسألتُه الإمساكَ والمُقامَ أيّاماً إلى أن تتَّسع . قال : فأنْكَر ذلك عليه وقال : أدخِلْه إليَّ . فأدخله إليـه ، فأنشدَه قوله[2] : [من البسيط]

أُجْرِرتُ حبلَ خَليعٍ في الصِّبا غَـزِلِ ... وشَمَّرتْ هِمَـمُ العُـذَّالِ في عَذَلي
رَدَّ البُكاءَ على العَيْنِ الطَّمُوحِ هَوًى ... مُفَـرَّقٌ بـين تَوْديـعٍ ومُرْتَحَلِ[3]
أَما كَفى البَيْنَ أن أُرمـى بأَسْهُمِه ... حتى رَمـاني بلَحْظِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ
مما جَنَت لي ، وإن كانت مُنًى صَدَقَتْ ، ... صبابَـةٌ خُلَسُ التَّسليـمِ بـالمُقَلِ[4]

فقال له : قد أمرْنا لك بخمسين ألفَ دِرْهم ، فاقبِضْها واعذِر . فخرج الحاجبُ فقال لمُسْلم : قد أمرني أن أرهن ضَيْعة من ضِياعه على مائة ألف درهم ، خمسون ألفاً لك

---

1 ديوانه : 12 ، 13 .

2 ديوانه : 1–3 وفيه : أُجررت . . . . بالبناء للمجهول .

3 الديوان : هاج البكاء . . .توديع ومرتحل .

4 الديوان : مما جنى .

وخمسون ألفاً لنفقتِه . وأعطاه إيّاها ، وكتب صاحِبُ الخبَر بذلك إلى الرشيد ، فأمر لِيَزيد بمائَتي ألفِ دِرهم وقال : اقض الخمسين الألف التي أخذها الشاعر وزِدْه مثلَها . وخُذ مائةَ ألْفٍ لنفقتِك . فافتَكَّ ضَيْعتَه ، وأعطى مُسلماً خمسين ألفاً أُخرى .

[فرج بعد ضيق]

أُخبرني الحَسَن بنُ عليّ الخَفَّاف قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني عليُّ بن عُبيد الكُوفيّ ، وعليُّ بنُ الحسن كِلاهما قال : أخبرني عليّ بنُ عمرو قال[1] : حدَّثني مُسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني قال : كنتُ يوماً جالساً في دكان خيّاط بإزاء منزلي ، إذ رأيتُ طارقاً ببابي ، فقُمتُ إليه فإذا هو صديق لي من أهلِ الكوفة قد قَدِمَ من قُمَّ ، فسُرِرْتُ به ، وكأنَّ إنساناً لطم وجهي ، لأنّه لم يكُن عندي درهم واحد أُنفِقه عليه . فقُمتُ فسلّمت عليه ، وأدخلتُه منزلي ، وأخذتُ خُفَّيْن كانا لي أتجمَّل بهما ، فدفعتُهُما إلى جاريتي ، وكتبتُ معهما رُقعة إلى بعض معارفي في السُّوق ، أسألُه أن يبيع الخُفَّين ويشتريَ لي لحماً وخبزاً بشيءٍ سمَّيتُه . فمَضَت الجاريةُ وعادت إليَّ وقد اشترى لها ما قد حدَّدْتُه له ، وقد باع الخُفَّين بتسعَةِ دراهم ، فكأنّها إنّما جاءت بخُفَّين جديدَين . فقعدْتُ أنا وضيفي نطبُخ ، وسألتُ جاراً لي أنه يسقيَنا قارورة نبيذ ، فوجَّه بها إليَّ ، وأمرتُ الجاريةَ بأن تُغلِق باب الدّار مخافةَ طارق يجيء فيشرَكُنا فيما نحن فيه ، ليبقى لي وله ما نأكُله إلى أن ينصرِف . فإنّا لجالسان نطبُخ حتى طرق البابَ طارقٌ ، فقلت لجاريَتي : انْظُري مَن هذا . فنظرتْ من شقّ الباب فإذا رجُلٌ عليه سوادٌ وشاشيَّة ومنطقة ومعه شاكريّ[2] ، فخبَّرتْني بمَوضعه فأنكرْتُ أمرَه ؛ ثم رجَعت إلى نفسي فقلت : لستُ بصاحب دعارة ، ولا للسُّلطان علَيَّ سبيل . ففتحْتُ الباب وخرجتُ إليه ، فنزل عن دابّته وقال : أأنت مُسْلم بنُ الوليد ؟ قلت : نعم . فقال : كيف لي بمعرفتِكَ ؟ قلت : الذي دلَّك على منزلي يصحّحُ لك معرفتي . فقال لغُلامه : امض إلى الخيَّاط فسَلْه عنه . فمَضى فسألَه عنّي فقال : نعم هو مُسلِم بن الوليد . فأخرج إليَّ كتاباً من خُفِّه ، وقال : هذا كتاب الأمير يزيدَ بن مَزْيد إليّ ، يأمُرني ألاّ أفُضَّه إلاّ عند لقائِك ، فإذا فيه : إذا لَقِيتَ مُسلِمَ بن الوليد فادفَعْ إليه هذه العشرةَ آلاف درهم ، التي أنفذتُها تكون له في منزله ، وادفع ثلاثة آلاف دِرهم نفقة ليتحمّل بها إلينا . فأخذتُ الثلاثة والعشْرة ودخلتُ إلى منزلي والرجُل معي ، فأكلنا ذلك الطعام ، وازددتُ فيه وفي الشّراب ، واشتريْتُ فاكِهة ، واتّسعْتُ ووهبتُ لضَيفي من الدّراهم ما يُهدي به هديَّة لعيالِه . وأخذتُ في الجهاز ، ثم ما

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة .

2 الشاشية : العمامة . والشاكري : الأجير والمستخدم .

زِلتُ معه حتى صِرنا إلى الرَّقّة إلى باب يزيد . فدخلَ الرّجلُ وإذا هو أحَدُ حُجَّابه ، فوجَدَه في الحمّام ، فخرج إليَّ فجلس معي قليلاً ، ثم خبَّر الحاجبُ بأنّه قد خرَج من الحمّام ، فأدخلَني إليه ، وإذا هو على كرسيّ جالس ، وعلى رأسِه وصيفة بيدِها غِلاف مِرآة ، وبيَدِه هو مرآة ، ومُشْط يُسرّح لحيته ، فقال لي : يا مُسلِم ، ما الذي بطَّأ بك عنّا ؟ فقلت : أيُّها الأمير ، قِلّة ذاتِ اليد . قال : فأنشِدني . فأنشدتُه قصيدتي التي مدحتُه فيها : [من البسيط]

أجْرَرْتُ حَبلَ خَلِيع في الصِّبا غزِلِ وشَمَّرتْ هِمَمُ العُذّالِ في عَذَلِي

فلمّا صِرتُ إلى قولي :

لا يعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومفرِقَه ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْه من الكُحُلِ

وَضَع المِرآة في غِلافِها ، وقال للجارية : انْصرفي ، فقد حرَّم علينا مُسلم الطِّيبَ . فلمّا فرغْتُ من القصيدة قال لي : يا مُسلِم ، أتَدْري ما الذي حداني إلى أن وجَّهتُ إليك ؟ فقلتُ : لا واللهِ ما أدري . قال : كنتُ عند الرشيد منذُ ليالٍ أُغمِّزُ رِجْلَيه ، إذ قال لي : يا يزيد ، من القائل فيك[1] : [من البسيط]

سَلَّ الخَلِيفَةُ سَيْفاً من بَني مَطَرٍ يَمضي فَيَخْتَرِمُ الأَجسادَ والهاما[2]
كالدَّهْرِ لا يَنْثَني عمَّا يَهُمّ به قد أَوسَعَ الناسَ إنعاماً وإرغاما

فقلت : لا والله ما أدري . فقال لي الرشيد : يا سُبحان الله ! أنتَ مُقيم على أعرابيّتك ، يقال فيك مثلُ هذا الشِّعر ولا تدري مَن قائلُه ! فسألت عن قائله ، فأُخبِرتُ أنَّك أنت هو ، فقُم حتى أُدخِلكَ على أمير المؤمنين .

ثم قام فدَخَل على الرشيد ، فما عَلِمتُ حتى خرَج عليّ الإذن فأُذِن لي ، فدخَلْتُ على الرشيد ، فأنشدتُه ما لي فيه من الشِّعر ، فأمر لي بمائتَي ألف درهم ، فلمّا انصرفْتُ إلى يزيد أمر لي بمائة وتِسعين ألفاً ، وقال : لا يجوز لي أن أعطِيَك مِثلَ ما أعطاك أميرُ المؤمنين . وأقطَعَني إقطاعات تبلُغ غَلَّتها مائتي ألف درهم .

[هجاؤه يزيد]

قال مُسلِم : ثم أفْضَت بي الأُمورُ بعد ذلك إلى أن أغْضَبَني فهَجَوتُه ، فشَكاني إلى الرشيد ، فدَعاني وقال : أتَبيعُني عِرضَ يزيد ؟ فقلت : نَعم يا أمير المؤمنين . فقال لي : بِكَم ؟ فقلتُ : برغِيف خبز . فغَضِب حتى خِفتُه على نَفسي ، وقال : قد كُنتُ على أن أشترِيَه منك

1 ديوانه : 63 .
2 الديوان : يمضي فيخترق . . .

بمالٍ جَسيم ، ولستُ أفعَل ولا كرامةَ ، فقد عَلِمتُ إحسانَه إليك ، وأنا نَفيٌّ من أبي ، ووالله ثمّ والله لئن بلغني أنّكَ هجوْتَه لأنزِعنّ لسانَك من بين فكّيك . فأمسكتُ عنه بعد ذلك ، وما ذكرتُه بخير ولا شرّ .

أخبرني الحَسَنُ بن علي قال : حدَّثنا محمد بن القاسِم بن مَهْرويه قال : حدَّثني محمد بنُ عبد الله اليعقوبيّ قال : حدَّثني البَيْدق الراويةَ ، وكان من أهل نصيبِين ، قال : دخلتُ دارَ يزيدَ بن مَزْيد يوماً وفيها الخَلْق ، وإذا فتًى شابٌّ جالس في أفناء النّاس ، ولم يكُنْ يزيد عرفَه بَعْدُ ، وإذا هو مُسْلم بنُ الوليد . فقال لي : ما في نفسي أن أقولَ شعراً أبداً ، فقلتُ : ولِمَ ؟ قال : لأنّي قد مدحتُ هذا الرجل بشِعر ما مُدِح بمثْلِه قطّ ، ولست أجِد مَن يُوَصِّله ، فقلتُ له : أنشِدني بعضَه ، فأنشدني منه[1] : [من البسيط]

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذِي رَهَجٍ ... كأنّه أجَلٌ يَسْعى إلى أمَلِ
يَقري السُّيوفَ نُفوسَ النّاكِثِين به ... ويَجْعَل الرُّوسَ تِيجانَ القَنا الذُّبُلِ[2]
لا يعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومَفْرِقَه ... ولا يُمَسّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ
إذا انتَضى سيفَه كانت مسالِكُه ... مسالكَ المَوْت في الأجسام والقُلَلِ[3]
وإن خَلَتْ بحَدِيث النَّفْس فِكْرَتُه ... عاش الرّجاءُ ومات الخَوْفُ من وَجَلِ
كاللّيث إن هِجْتَه فالمَوْتُ راحَتُه ... لا يَسْتَرِيحُ إلى الأيّام والدُّوَلِ
للهِ من هاشم في أرضِهِ جَبَلٌ ... وأنتَ وابنُك رُكْنا ذَلك الجَبَلِ
صدَّقْتَ ظَنّي وصدَّقتَ الظُّنونَ به ... وَحَطَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عن جملي

قال : فأخذتُ منها بَيتَين ، ثم قلت له : أنشِدني أيضاً ما لك فيه ، فأنشدني قصيدة أخرى ابتداؤها[4] : [من البسيط]

طيفَ الخيال حَمِدْنا منكَ إلماما ... داوَيْتَ سُقْما وقد هَيّجْتَ أسقاما

يقول فيها :

كالدَّهْرِ لا يَنْثَني عمَّا يَهُمّ به ... قد أوسَعَ النّاس إنعاماً وإرغاما

قال : فأنشدْتُ هذه الأبياتَ يزيدَ بنَ مزيد ، فأمر له بخمسمائة دِرهم . ثم ذكرتُه بالرِّقّة

1 ديوانه : 9 ، 11 ، 13 ، 14 ، 22 ، 23 .
2 الديوان : يكسو السيوف دماء . . . ويجعل الهام . . . .
3 الديوان : في الأبدان والقلل .
4 الديوان : 61 .

فقلت له : هذا الشاعر الذي قد مَدَحك فأحسَن ، تَقتَصر به على خمسمائة دِرهم ! فبَعَث إليه بخمسمائة درهم أُخرى . قال : فقال لي مُسلِم : جاءتني وقد رَهَنْتُ طَيْلَساني على رؤوس الإخوان ، فوقعت منّي أحسن مَوْقِع .

[يزيد يغسل الطيب تصديقاً لقول مسلم]

أخبرني محمد بن عِمران قال : حدَّثنا العَنَزيّ عن محمد بن بَدْر العِجليّ عن إبراهيم بن سالم عن أبي فِرعونَ مولى يزيد بن مَزْيد قال : رَكِب يزيدُ يوماً إلى الرشيد فتغلَّف بغالية ، ثم لم يلبث أن عاد فدعا بطسْتٍ فغسَل الغالية ، وقال : كرِهتُ أن أُكذّب قولَ مُسلِم بن الوليد : [من البسيط]

لا يَعبَق الطِّيبُ خَدَّيْهِ ومَفرِقَه ... ولا يُمَسِّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ

[ينصح يزيد بتخريق كتاب جاءه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو تَوبة قال : كان مُسلِم بن الوليد جالساً بين يدَي يزيد بن مزيد فأتاه كتابٌ فيه مُهِمّ له ، فقرأه سرّاً ووضعَه ، ثم أعاد قراءته ووضعه ، ثم أراد القيامَ ، فقال له مُسلِم بن الوليد[1] : [من البسيط]

الحَزْم تَخْرِيقُه إن كنت ذا حَـذَر ... وإنّما الحَــزْم سُوءُ الظَّنِّ بالنّاسِ

لقــد أتــاك وقــد أدَّى أمانتَـه ... فاجعل صِيانَتَـه في بَطْـنِ أرماسِ

قال : فضَحِك يزيد وقال : صَدَقْتَ لعَمري . وخرَّق الكتاب ، وأمر بإحراقِه .

[خيبته في انقطاعه إلى ابن يزيد بعده]

حدَّثني عمّي وجَحْظة قالا : حدَّثنا عليُّ بنُ الحسين بن عبد الأعلى قال : حدَّثني أبو مُحَلِّم ، وحدَّثني عمّي قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سَعد قال : حدَّثني أبو توبة ، قال : كان مُسلِم بن الوليد صديقاً ليزيد بن مزيد ومدّاحاً له ، فلما مات انقطعَ إلى ابنه محمد بن يزيد ، ومدَحه كما مدَح أباه ، فلم يصنَع إليه خيراً ، ولَم يُرضِه ما فعله به ، فهجَره وانقطَع عنه ؛ فكتب إليه يستحفيه[2] ويلُومه على انقطاعه عنه ، ويُذَكِّره حُقوقَ أبيه عليه ، فكَتَب إليه مُسلِم[3] : [من الطويل]

لَبِستُ عَــزاءً عن لِقاء محمدٍ ... وأعرضتُ عنه مُنْصِفاً وَوَدُودا

وقُلتُ لنَفْسٍ قادَها الشَّوقُ نحوه ... فَعوِّضَها حُبُّ اللِّقاءِ صُدودا[4]

---

1 الديوان : 324 .

2 يستحفيه : يستخبره .

3 ديوانه : 310 .

4 الديوان : فعوضها منه اللقاء . . .

هَبِيه امرءاً قد كان أُصْفاكِ وُدَّه   فمات وإلاَّ فاحسُبِيــه يَزِيدا
لعَمْري لقد وَلَّى فلم أَلْقَ بعده   وَفاءً لِذي عَهْـد يُعَـدُّ حَمِيدا

[رثاء يزيد بن مزيد]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني أَحمدُ بن محمد بن أَبي سعد قال : أُهدِيَتْ إلى يزيد بن مَزْيد جاريةٌ وهو يأكل ، فلمّا رُفِع الطعام من بين يديه وطِئَها فلم ينزِل عنها إلاّ ميِّتاً ، وهو بِبَرْذَعة[1] ، فدُفِن في مقابر بَرْذَعة ، وكان مُسْلم معه في صحابته فقال يَرثيه[2] : [من الكامل]

قَبـرٌ ببَرْذَعـــة استَسَرَّ ضريحُـه   خَطَـراً تقاصَرُ دُونَــه الأخْطارُ
أَبقـى الزَّمــانُ على رَبِيعَةَ بعده   حُزْنــاً كعُمر الدَّهـرِ لَيْس يُعارُ[3]
سلكت بك العُربُ السَّبِيلَ إلى العُلا   حتى إذا بَلَغوا المَدى بِكَ حارُوا[4]

ويُروى :

حتى إذا سَبَقَ الرَّدى بك حاروا

هكذا أَنشده الأخفش :

نُفِضَتْ بك الأحلاس نَفْضَ إقامةٍ   واسترجَعَت رُوَّادَهـــا الأَمصارُ[5]
فاذهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوادِي مُزْنَةٍ   أَثنـى عليهـا السَّهـلُ والأَوْعارُ

[داود بن يزيد يفضح ادّعاء راوية مسلم]

نَسختُ من كِتاب جدِّي يحيى بنِ محمد بن ثَوابة : حدَّثني الحسَنُ بنُ سعيد عن أَبيه قال : كان داودُ بنُ يَزيد بنِ حاتم المُهلَّبيّ يَجلِس للشُّعراء في السَّنة مجلِساً واحداً فيَقْصِدونه لذلك اليوم ويُنْشِدونه ، فوجَّه إليه مُسلِم بنُ الوليد راويَته بشِعره الذي يقول فيه[6] : [من البسيط]

جعلتَه حيث تَرتابُ الرِّياح به   وتحسُد الطَّيرَ فيـه أَضْبُعُ البِيدِ

فقَدِم عليه يوم جُلُوسه للشُّعَراء ، ولَحِقه بِعَقِب خُروجهم عنه ، فتَقَدَّم إلى الحاجِب

---

1 برذعة : بلد في أذربيجان .

2 ديوانه : 313 . وفي المرثي خلاف . فقيل إنّه يزيد بن أحمد السلميّ وقيل بل مالك بن علي الخزاعي .

3 الديوان : على معدّ .

4 الديوان : حتى إذا سبق الردى . . .

5 الديوان :

نفضت بك الآمال أحلاس الغنى   واسترجعـت نزاعهــا الأمصـار

6 ديوانه : 165 . وفيه وضعته . . .

وحسر لِثامَه عن وَجهِه ثم قال له : استأذِن لي على الأمير . قال : ومَن أنت ؟ قال : شاعر . قال : قد انْصرَم وقتُك ، وانْصرَف الشُّعراء ، وهو على القيام . فقال له : وَيْحك قد وفَدْتُ على الأمير بشِعْر ما قالـت العربُ مثلَه . قال : وكان مع الحاجِب أدبَ يفهم به ما يسمع ، فقال : هاتِ حتى أسْمَع ، فإن كان الأمرُ كما ذَكَرتَ أوصلْتُك إليه . فأنشدَه بعضَ القصيدة ، فسمع شيئاً يَقصُرُ الوصفُ عنه . فدخل على داود فقال له : قد قَدِم على الأمير شاعرٌ بشِعْر ما قيل فيه مثلُه ، فقال : أدخِـل قائلَـه . فأدخلَه ، فلمّا مَثَل بين يديه سلَّم وقال : قَدِمتُ على الأمير ، أعزّه الله ، بمَدْح يسمعه فيعلم به تقدُّميّ على غيري ممَّن امتدَحه . فقال : هاتِ . فلما افْتَتَح القصيدة وقال[1] : [من البسيط]

لا تَدْعُ بـي الشَّوق إنِّي غَيْرُ مَعْمودِ نَهى النُّهى عن هَوى البِيضِ الرَّعادِيدِ[2]

استَوى جالِساً وأَطْرق ، حتى أَتى الرجلُ على آخِرِ الشِّعر ، ثم رَفَع رأسه إليه ثم قال : أهذا شِعْرك ؟ قال : نعم أعزَّ اللهُ الأمير ، قال : في كَم قُلتَه يا فتى ؟ قال : في أربعة أشهر ، أبقاكَ الله . قال : لو قُلتَه في ثمانيةِ أشهُر لكُنـتَ مُحسِناً ، وقد اتَّهَمْتُكَ لجَوْدة شِعْرك وخُمـول ذِكـرك ، فإن كُنتَ قائِـلَ هـذا الشِّعر فقد أنظَرتُك أربعةَ أشهُر في مِثْلِه ، وأمرتُ بالإجراء عليـك ، فإن جِئْتَنا بمِثْل هـذا الشِّعر وَهبتُ لك مائةَ ألفِ درهم وإلاّ حَرَمْتك . فقال : أو الإقالـة ، أعزَّ اللهُ الأمير . قال : أقَلْتُك . قال : الشِّعر لمُسلِم بن الوليد ، وأنا راويتُه والوافِدُ عليـك بشِعْـره . فقـال : أنا ابنُ حاتم ، إنَّك لمَّا افْتَتحتَ شِعرَه فقُلت : [من البسيط]

لا تَدْعُ بي الشَّوْقَ إنِّي غَيْرُ مَعْمودِ

سَمِعتُ كلامَ مُسْلِم يُناديني فأَجَبْتُ نداءَه واستوَيْتُ جالساً . ثم قال : يا غُلام ، أعطِه عشرة آلافِ درهم ، واحمِل الساعة إلى مُسلِمٍ مائةَ ألف درهم .

[ولاّه الفضل بن سهل البريد في جرجان]

أُخبرني الحسين بن القاسم الكَوكَبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعد قـال : حدَّثني مسعودُ بنُ عيسى العَبْديّ قال : أخبَرني موسى بن عَبْدِ الله التَّميميّ قال : دَخَل مُسلِم بن الوليد الأنصاريّ على الفَضْل بن سَهل لِيُنشده شِعْراً ، فقال له : أيُّها الكَهْل ، إنِّي أُجلُّك عن الشِّعر ، فسَلْ حاجَتَك ، قال : بل تَسْتَتِمّ اليَدَ عندي بأن تَسْمَع ، فأَنْشَدَه[3] : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 151 .

2 الديوان : الهيف الرعاديد .

3 ديوانه : 304 .

دُموعُها من حِذارِ البَيْن تَنْسَكِبُ وقَلبُها مُغـرَمٌ من حَرّهـا يَجِبُ
جدَّ الرَّحِيـلُ بـه عنها ففارقَها لبَيْنِه اللَّهـوُ واللَّـذَّاتُ والطَّربُ
يَهْوى المَسِيرَ إلى مَـرْوٍ ويَحزنُه فِراقُهـا فهـو ذو نَفْسَيْن يرتَقِبُ

فقال له الفَضْل : إنِّي لأُجِلُّك عن الشعر ، قال : فأغنِني بما أحْبَبتَ من عمَلك ؛ فولاَّه البريدَ بجُرْجان .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني الحُسين بن أبي السّريّ . وأخبرني بهذه الأخبار محمد بنُ خَلَف بن المَرزُبان ، قال : حدَّثني إبراهيمُ بن محمـد الورّاق ، عن الحُسين بن أبـي السَّريّ قال : قيل لُمسلم بن الوليـد : أيُّ شِعْرك أحبُّ إليك ؟ قال : إن في شعري لبيتاً أخذتُ معناه من التَّوراة ، وهو قولي[1] : [من البسيط]

دَلَّت على عَيْبِهـا الدُّنْيا وصَدَّقَها ما استَرْجَع الدَّهرُ مِمّا كان أَعْطاني

[قذف بدفتر شعره في البحر]

قال الحسين : وحدَّثني جماعة من أهْل جُرْجان أنَّ راوِية مُسلِم جاءَ إليه بعد أن تابَ لِيَعرِض عليه شِعرَه ، فتغافَله مُسْلِم ، ثم أخذ منه الدّفتر الذي في يدِه ، فقذَف به في البحر ، فلهذا قلَّ شِعْرُه ، فليس في أيدي النّاس منه إلاّ ما كان بالعراق ، وما كان في أيدي الممدُوحين من مَدائحهم .

[يكره لقبه]

قال الحُسين : وحدَّثني الحسين بن دِعْبل قال : قال أبي لُمسْلِم : ما مَعنى قولك : [من البسيط]

لا تَدْعُ بي الشّوقَ إنِّي غَيْرُ مَعْمُود

قال : لا تَدْعُني صَرِيعَ الغواني فلستُ كذلك ؛ وكان يُلقَّبَ هذا اللَّقب وكان له كارهاً .

[عتب ورضى]

أخبرني محمدُ بن خَلَف بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عـن أبـيه قـال : عَتَب عيسى بن داود على مُسلم بن الوليد فهجَره ، وكان إليه مُحسناً ، فكتب إليه مسلم[2] : [من الطويل]

شَكرتُـكَ للنُّعْمـى فلمّـا رمَيْتَني بصدِّكَ تأديباً شكرتُـك في الهَجْرِ
فعِنـديَ للتَّـأديب شُكْـرٌ وللنّدى وإن شِئْت كان العَفْوُ أَدْعى إلى الشُّكْرِ[3]
إذا مـا اتّقـاكَ المستليمُ بعُذْرِه فعَفْـوك خَيْرٌ من مَـلامٍ على عُذْرِ[4]

1 ديوانه : 122 .
2 ديوانه : 319 .
3 الديوان : أدنى إلى الشكر .
4 الديوان : إذا ما التقاك . . .

قال : فرَضي عنه وعادَ له إلى حاله .

[بخله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرويه قال : حدَّثني محمد بنُ الأشعث قال : حدَّثني دِعْبل بنُ عليّ قال : كان مُسلِم بن الوليد من أبخلِ الناس ، فرأيْته يوماً وقد استقبلَ الرِّضا عن غلام له بعد مَوْجِدَة ، فقال له : قد رَضِيتُ عنك وأمرتُ لك بدِرْهم .

[تهاجيه مع دعبل]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه قال : حدَّثني محمد بنُ عمرو بن سعيد قال : خرج دِعْبِل إلى خراسان لمّا بلَغَه حُظْوةُ مُسلِم بنِ الوليد عند الفضل بن سَهْل . فصار إلى مَرْو ، وكتب إلى الفَضْل بن سَهْل [1] : [من الكامل]

لا تَعْبَأَنْ بابنِ الوَليـد فإنّـه ... يرمِيك بعـد ثلاثـةٍ بمَلالِ

إنَّ المَلُـولَ وإن تَقادَمَ عَهدُه ... كانت مَودَّتُـه كفـيْءِ ظِلالِ

قال : فدَفَع الفَضل إلى مُسلِم الرُّقْعة وقال له : انظر يا أبا الوليد إلى رُقعةِ دِعْبِل فيك ، فلمّا قرأها قال له : هل عرَفت لَقَب دِعْبِل وهو غُلام أمرد وهو يُفسَق به ؟ قال : لا ، قال : كان يُلقَّب بمَيّاس ، ثم كتبَ إليه [2] : [من الكامل]

مَيَّاسُ قُل لي : أينَ أنْتَ من الورى ... لا أنتَ مَعلـومٌ ولا مَجْهـولُ !

أمّا الهِجاءُ فـدَقَّ عِرضك دونَه ... والمَـدْحُ عنـك كما عَلِمْتَ جلِيلُ

فاذهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرضك إنّه ... عِرضٌ عـزَزْتَ بـه وأنتَ ذَلِيلُ

أخبرني محمد بن الحسين الكِنديّ الكوفيّ مُؤدِّبي قال : حدَّثني أزهرُ بن محمد قال : حدَّثني الحسين بن دِعْبِل قال : سمعتُ أبي يقول : بينا أنا جالس بباب الكَرْخ إذ مرَّت بي جارية لم أرَ أحسنَ منها وجهاً ولا قدّاً تتثنّى في مشيِها وتنظُر في أعطافِها ، فقلت مُتعرِّضاً لها [3] : [من مخلع البسيط]

دُموعُ عيني بهـا انْبساطٌ ... ونَومُ عينـي بـه انقِباضُ

فأجابَتني بسُرعة فقالت : [من مخلع البسيط]

وذا قليـلٌ لِمَـن دَهَتْـه ... بلَحْظِهـا الأعيُـنُ المِراضُ

فأدهَشَتْني وعَجِبْت منها فقلت : [من مخلّع البسيط]

1 ديوان دعبل (نجم) : 135 .

2 ديوان مسلم : 334 ، وتروى لدعبل وأبي تمام .

3 ديوان دعبل : 96 .

فهل لِمَوْلاي عَطفُ قَلْبٍ ... ولِلَّذي في الحَشا انْقِراضُ

فأجابَتني غير متوقِّفة فقالت : [من مخلع البسيط]

إن كنتَ تهوى الوِدادَ منّا ... فـالوُدُّ في دِيننـا قِراضُ

قال : فما دَخَل أُذُني كَلامٌ قطّ أحلى من كلامِها ، ولا رأيتُ أنضرَ وَجْهاً منها ، فعدَلْتُ بها عن ذلك الشعر وقلت[1] : [من الكامل]

أتُرى الزَّمانُ يَسرُّنا بتَلاقٍ ... ويَضُمُّ مُشتاقاً إلى مُشتاقِ

فأجابَتني بسُرعة فقالت : [من الكامل]

مـا لِلزَّمانِ وللتَّحَكُّم بيننا ... أَنتَ الزَّمان فسُرَّنا بتَلاقِ

قال : فمضَيْت أمامها أؤُمّ بها دارَ مُسلِم بن الوليد وهي تتبَعُني ، فصِرتُ إلى منزِله ، فصادفتُه على عُسْرة ، فدفَع إليّ منديلاً وقال : اذهَب فبِعْه ، وخُذ لنا ما نَحتاج إليه وعُد ؛ فمضيْتُ مُسرعاً . فلمّا رجَعْتُ وجَدْتُ مُسلِماً قد خلا بها في سِرداب ، فلمّا أحسَّ بي وثب إليّ وقال : عرَّفك اللهُ يا أبا عليّ جميلَ ما فعلت ، ولقَّاك ثوابَه ، وجَعَله أحسنَ حسنةٍ لك ، فغاظَني قولُه وطَنْزُه[2] ، وجعلتُ أُفكِّر أيَّ شيءٍ أعمل به ، فقال : بحياتي يا أبا عليّ أخبِرني مَن الذي يقول[3] : [من الخفيف]

بِتُّ في دِرْعِهـا وبات رَفِيقي ... جُنُبَ القَلْبِ طاهـرَ الأَطْرافِ

فقلت : [من الخفيف]

مَنْ لَهُ في حِرِ امِّـه ألفُ قَرْنٍ ... قـد أنافَـتْ على عُلُوِّ مَنافِ !

وجعلت أَشتُمه وأَثِب عليه ، فقال لي : يا أحمق ، مَنزلي دخلتَ ، ومَنْديلي بِعت ، ودراهمي أنفَقْت ، على مَنْ تَحْرَد أَنت ؟ وأيّ شيء سببُ حَرَدِك يا قَوَّادُ ؟ فقلت له : مهما كذَبتَ عليَّ فيه من شيء فما كذَبتَ في الحُمْقِ والقيادة .

[هجاء بالجملة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه والعَنَزيُّ ، عن محمد بن عبدِ الله العَبْدِيّ قـال : هَجا مُسلِمُ بنُ الوليد سعيدَ بن سَلْم ويزيد بن مَزْيد وخُزَيمة بن خازم فقال[4] : [من الطويل]

---

1 ديوان دعبل : 116 .
2 الطنز : السخرية والتهكم .
3 ديوان مسلم : 327 .
4 ديوانه : 271 .

دُيونُـك لا يُقضى الزَّمانَ غَرِيمُها وبخلُـك بُخـلُ الباهِـليِّ سَعِيدِ
سَعِيدُ بنُ سَلْم أبخل النّاسِ كُلِّهم ومـا قَومُـه مـن بُخْلِه ببَعِيدِ[1]
يَزِيـدُ لـه فَضْلٌ ولكـنَّ مَزْيَداً تَـدارَكَ فينـا بخلُـه بيَزِيدِ[2]
خُزَيمـةُ لا عَيْبٌ لـه غيرَ أنّه لمطبخـه قُفْـلٌ وبـابُ حَدِيدِ[3]

أخبرني هاشِم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينَةُ قال : حدَّثنا الأصمعيُّ قال : قال لي سعيد بن سَلم : قَدِمَت عليَّ امرأةٌ من باهلة من اليمامة ، فمدَحْتني بأبيات ، ما تمَّ سُروري بها حتى نغَّصَنيها مُسلِمُ بنُ الوليد بهجاء بلغني أنّه هجاني به ، فقلت : ما الأبيات التي مُدِحْتَ بها ؟ فأنشدني : [من الطويل]

قُتَيْبَةُ قَيْسٍ سادَ قَيْساً وسَلْمهـا فلمّا تَولَّـى سادَ قَيْساً سَعِيدُها
وسَيِّدُ قَيْس سَيِّدُ النَّـاسِ كلّهـم وإن مات من رَغْمٍ وذُلٌ حَسُودُها
هُـمُ رفعوا كَفَّيْك بالمَجْدِ والعُلا ومَنْ يرفَـعُ الأبناءَ إلاّ جُدودُها
إذا مـدَّ للعليـا سَعِيـدٌ يَمِينَـه ثنت كَفُّـه عنهـا أكُفّاً تُرِيدُها

قال الأصمعيّ : فقلتُ له : فبأيِّ شيء نَغَّصها عليك مُسلم ؟ فضَحِك وقال : كلَّفْتَني شَطَطا ، ثم أنشد[4] : [من المتقارب]

وأحببتُ مـن حُبِّها الباخِلِينَ حتى وَمِقْتُ ابنَ سَلْم سَعِيدا
إذا سِيلَ عُرفـاً كسا وَجهَه ثِياباً من النَّقْع صُفْراً وسُودا[5]
يَغـارُ على المـالِ فِعْل الجَوا د وتأبـى خلائِقُه أن يَجُودا[6]

أخبرني عمِّي ، قال حدَّثنا الكُرانيُّ قال : حدَّثني النّوْشجانيُّ الخليلُ بنُ أسَد قال : حدَّثني عليُّ بنُ عمرو قال : وقَفَ بعضُ الكُتّاب على مُسلِم بن الوليد وهو يُنشد شِعْراً له في مَحْفِل ، فأطال ثم انصرف ، وقال لرَجُل كان معه : ما أدْرِي أيَّ شيءٍ أعجب الخليفةَ والخاصّةَ من شِعْر هذا ؟ فواللهِ ما سَمِعْتُ منه طائِلاً ، فقال مُسلِم : رُدُّوا عليَّ الرّجل ، فرُدَّ إليه ، فأقْبَلَ عليه ثم قال : [من الكامل]

1 الديوان : . . . ألأم الناس . . . من لؤمه . . .
2 الديوان : تدارك أقصى مجده .
3 الديوان : لا بأس به .
4 ديوانه : 270 .
5 الديوان : ثياباً من اللؤم حمراً وسوداً . .
6 الديوان : يغير على المال .

أمَّا الهِجاءُ فدَقَّ عِرضُك دونـه والمَـدْحُ عنـك كما عَلِمْتَ جليلُ
فاذْهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرْضِك إنّه عِـرضٌ عَزَزْتَ بِـه وأنتَ ذَليلُ

[فساد علاقته بدعبل]

أخبرَني محمد بن خَلَف بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثني إبراهيم بن محمد الورَّاق قال : حدَّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : كان مُسلِم بن الوليد أستاذَ دِعبل وعنه أخذ ، ومن بَحْرِه استقى . وحدَّثني دِعبل أنّه كان لا يزال يقول الشِّعر فيعرضُه على مسلم ، فيقول له : إيّاك أن يكون أوّل ما يظهرُ لك ساقطاً فتُعرَف به ، ثم لو قلتُ كلَّ شيء جيّداً كان الأوّل أشهَرَ عنك ، وكُنتَ أبداً لا تزال تُعيَّر به ، حتى قلتُ :

أيـنَ الشَّبابُ وأيَّةً سَلَكـا

فلمّا سَمِع هذه قال لي : أظهِر الآن شِعرَك كيف شِئْت .

قال الحُسين : وحدَّثني أبو تمّام الطائيّ قال : ما زال دِعْبل مُتعصّباً لمُسْلم ، مائلاً إليه ، مُعترفاً بأستاذِيَّته حتى ورَد عليه جُرْجانَ ، فجفاه مُسلِم ، وهجره دِعْبِل ، فكتب إليه[1] : [من الطويل]

أبـا مَخلَـدٍ كُنَّا عَقِيدَيْ مَوَدَّة هَوانـا وقَلْبانـا جَميعاً مَعاً معا
أحوطُك بالغَيْبِ الذي أنتَ حائطي وأجزَعُ إشفاقـاً بـأَنْ تَتوجَّعا
فصَيَّرتَنـي بعـد انْتِكاثِك مُتْهِماً لنفسي عليها أرهَبُ الخَلْق أجْمَعا
غَشَشْتَ الهوى حتى تَداعَتْ أُصولُه بنا وابتَذَلْتَ الوَصلَ حتـى تَقطَّعا
وأنزلتَ من بين الجَوانحِ والحَشا ذَخِيرَةَ وُدٍّ طـال مـا قد تمنَّعا
فلا تَلْحَيَنّي ليس لي فيك مَطْمَع تَخرَّقْتَ حتى لم أجِد لك مَرْقَعا
فَهبْك يَمينـي استأكَلَتْ فَقَطَعتُها وَجَشَّمتُ قلبـي صَبرَه فَتَشَجَّعا

قال : ثم تَهاجَرا بعد ذلك ، فما الْتَقَيا حتى ماتا .

[بينه وبين محمد بن أبي أُميّة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال : أخبرني أحمدُ بن أبي أُميّة قال : لقِي أخي محمد بنُ أبي أُميّة مُسلِمَ بنَ الوليدِ وهو يتثنّى ، ورواته مع بعض أصحابِه ، فسَلَّم عليه ، ثم قال له : قد حضرني شيء . فقال : هاتِه ، قال : على أنّه مزاحٌ ولا تَغْضب ، قال : هاتِه ولو كان شتماً ، فأنشدتُه : [من المديد]

1 ديوان دعبل : 102–103 .

مَن رأى فيما خَلا رَجُلاً تِيهُــه أربـى على جِدَتِهْ
يتَمشَّى راجِــلاً ولــه شاكِــرِيّ في قُلَنْسِيَتِـهْ

فسكت عنه مُسلم ولم يُجبه ، وضَحِك ابن أبي أُميّة وافترقا .

قال : وكان لمحمد بِرْذَوْن يركبُه فنفق ، فلَقِيه مُسلِم وهو راجل ، فقال : ما فعل بِرْذَوْنُك ؟ قال : نَفَقَ ، قال : فنُجازيك إذاً على ما أسلفتناه ، ثم أنشده[1] : [من السريع]

قـل لابن مَيٍّ لا تكُن جازِعاً لن يَرْجِـعَ البِرْذَوْنُ بالَّيْتِ[2]
طامِــنَ أَحشاءَك فِقدانُـــه وكُنْتَ فيــه عـالِيَ الصَّوتِ[3]
وكُنــتَ لا تَنْزِل عـــن ظَهْرِه ولــو مــن الحُشِّ إلى البَيْتِ[4]
مـا مــاتَ مــن سُقْم ولكِنَّه ماتَ من الشَّوقِ إلى المَوْتِ[5]

[أبو تمّام يحفظ شعره وشعر أبي نواس]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ سَعيد الحَرِيريّ أَنَّ أبا تمّام حَلَف ألاّ يُصلِّيَ حتى يحفظ شِعْرَ مُسلِم وأبي نُواس ، فمَكَث شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما . قال : ودخلتُ عليه فرأيت شعرهما بين يديه ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : اللاَّتُ والعُزَّى وأنا أعبدُهما مِن دون الله .

[مسلم وأبو نواس يتناشدان]

أخبرني الحسَنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهرويه قال : حدَّثَني سَمعانُ بنُ عبد الصَّمد قال : حدّثني دِعْبِل بنُ عليّ قال : كان أبو نواس يسألني أن أجمعَ بينه وبين مُسلِم بن الوليد ؛ وكان مُسلِم يسألُني أن أجمع بينه وبين أبي نواس ، وكان أبو نُواس إذا حَضَر تخلَّف مُسْلِم ، وإذا حضر مُسلِم تخلَّف أبو نواس ، إلى أن اجتمعا ، فأنشده أبو نُواس[6] : [من الطويل]

أَجــارةَ بَيْتَيْنا أَبُــوكِ غَيُــورُ ومَيْسُور ما يُرْجى لَدَيْكِ عَسِيرُ

وأنشدَه مُسلِم : [من البسيط]

للهِ مــن هاشِمٍ في أَرْضِهِ جَبَلٌ وأَنتَ وابنُك رُكْنا ذلِكَ الجَبَلِ

1 ديوانه : 282 .
2 الديوان : ليس على البرذون من فوت .
3 الديوان : طأطأ أحشاءك .
4 الحش : البستان ، ونقل إلى بيت الخلاء .
5 الديوان : من حتف .
6 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 480 .

فقلت لأبي نُواس : كيفَ رأيتَ مُسْلِماً ؟ فقال : هو أَشعر النّاس بَعدي . وسأَلت مُسلِماً وقلت : كيفَ رأيتَ أبا نُواس ؟ فقال : هو أَشعَرُ الناس وأنا بَعْده .

[ذو الرياستين يجزل له الجائزة]

أُخبرني الحَسَن قال : حدَّثنا ابن مَهرويه قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ عبد الخالق الأنصاريّ من ولدِ النّعمان بن بشير قال : حدَّثني مسلم بن الوليد قال : وجَّه إليَّ ذو الرِّياستَين ، فحُمِلتُ إليه ، فقال : أَنشِدْني قولك[1] : [من السريع]

بالغَمْـرِ مِـن زَينبَ أَطْلالُ ... مَرَّتْ بهـا بعدك أَحوالُ

فأَنشدتُه إيّاها حتى انتهيت إلى قولي[2] : [من السريع]

وقائـلٍ ليست لـه هِمَّةٌ ... كلاَّ ولكن لَيس لي مالُ

وهِمَّـةُ المُقتِـرِ أُمْنِيَّـةٌ ... هَـمٌّ مع الدَّهرِ وإشْغالُ[3]

لا جِدَةٌ أُنْهِضُ عَزمي بها ... والنـاسُ سُؤَّالٌ وبُخَّـالُ[4]

فاقعُدْ مع الدَّهْر إلى دَوْلَةٍ ... ترفَعُ فيها حالَك الحالُ[5]

قال : فلمّا أَنشدتُه هذا البيت قال : هذه واللهِ الدولةُ التي ترفعُ حالَك . وأَمر لي بمالٍ عَظِيم وقلَّدني ، أَو قال قبَّلَني ، جَوْزَ جُرْجان[6] .

[هجاؤه معن بن زائدة ويزيد بن مزيد]

حدَّثني جحظة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : كان مسلِمُ بنُ الوليد قد انحرف عن مَعْنِ بن زائدةَ بعد مدحه إيّاه ، لشيء أوحشَه منه ؛ فسأله يزيد بن مزيد أن يَهَبه له ، فوعَده ولم يفعل ، فتركَه يزيد خوفاً منه ، فهجاه هجاءً كثيراً ، حتى حَلَف له الرشيد إن عاودَ هجاءَه قَطَع لسانَه ، فمن ذلك قوله فيه[7] : [من الكامل]

يـا مَعْنُ إنّـك لم تَزَلْ في خِزيَةٍ ... حتـى لَفَفتَ أَبـاكَ في الأكفانِ

فاشْكُر بَلاءَ المَـوْتِ عِنْـدَكَ إنّه ... أُودى بلُـؤمِ الحَـيِّ مـن شَيْبانِ

---

1 ديوان مسلم : 335 .
2 ديوانه : 150 .
3 الديوان : عون على الدهر . . .
4 الديوان : لا حدة تنهض في عزمها .
5 الديوان : فاصبر مع الدهر . . . تحمل فيها .
6 تقدم أنّ الفضل بن سهل ولاّه بريد جرجان . وانظر ياقوت (جرجان) .
7 ديوانه : 341 .

قال : وهجا أيضاً يزيد بن مزيدَ بعد مدحِه إيّاه فقال[1] : [من الكامل]

أَيزِيدُ يــا مَغْرورُ أَلأَمَ مَنْ مَشى ... تَرْجُو الفَلاحَ وأَنتَ نُطْفَة مَزْيَدِ

إن كنتَ تُنكِر مَنْطقي فاصرُخ به ... يَوْمَ العَرُوبة عنــد بابِ المَسْجِدِ[2]

في مَــنْ يَزِيدُ فإن أُصبتَ بِمَزْيدٍ ... فَلْساً فَهــاكَ على مُخاطرةٍ يَدِي

هكذا روى جَحظة في هذا الخبر ، والشِّعران جميعاً في يزيد بن مَزْيَد ، فالأوّل منهما أوّلُه : [من الكامل]

أَيَزِيدُ إنّك لم تَــزَل في خَزْيَةٍ

وهكذا هو في شعر مُسلِم . ولم يَلْقَ مُسلِم مَعْنَ بن زائدة ، ولا له فيه مدح ولا هجاء .

[رثى يزيد بن مزيد]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سعد قال : حدَّثنا محمد بنُ عبدالله بن جُشَم قال : كان يزيد بن مَزْيَد قد سأل مُسلِمَ بنَ الوليد عمّا يكفيه ويكفي عيالَه ، فأخبرَه فجعَله جِرايةً له ، ثم قال : ليس هذا ممّا تُحاسَبُ به بدلاً من جائزةٍ أو ثواب مديح . فكان يبعث به إليه في كلّ سنة ، فلمّا مات يزيد رثاه مُسلِم فقال[3] : [من الوافر]

أَحقّــاً أَنّــه أُودى يَزِيـــدُ ... تبَيَّنْ أَيُّها النّاعـــي المُشِيدُ[4]

أَتَـدْرِي من نَعَيْتَ وكيف دارَت ... به شَفَتاكَ دار بهـــا الصَّعِيدُ[5]

أَحامي المَجْدِ والإسلامِ أُودَى ... فمــا للأَرْض وَيْحك لا تَمِيدُ

تأَمَّلْ هل تَرى الإسْلامَ مالت ... دعائِمُه وهـــل شابَ الوليدُ

وهل شِيمَت سُيوفُ بَني نِزار ... وهل وُضِعَت عن الخَيْل اللُّبودُ

وهل تَسْقِي البِلادَ عُشارُ مُزْنٍ ... بدِرَّتِها وهـــل يَخْضَرّ عُودُ[6]

أَمــا هُــدّت لَمصْرعِه نِزارٌ ... بـــلى وتقوَّض المَجْــدُ المَشِيدُ

---

1 ديوانه : 310 .

2 يوم العروبة : يوم الجمعة .

3 ديوانه : 147-149 .

4 الديوان : أحق . . . تأمّل .

5 الديوان :

تأمّل من نعيت وكيف فاهت ... بــه شفتاك كان بهــا الصعيد

6 عُشَار في ل وابن خلكان : ثقال المزن .

وحـــلَّ ضَريحَه إذ حَلَّ فيــه طَرِيفُ المَجْـد والحَسَبُ التَّلِيدُ
أَمَا واللهِ مـــا تنفـكُّ عَيْنِي عليـك بدَمْعِها أَبـــداً تَجودُ
وإن تَجْمُــدْ دُموعُ لَئيم قومٍ فليس لدَمْع ذي حَسَبٍ جُمودُ
أَبعْد يَزيـــدَ تَختَزِنُ البَواكي دُموعاً أو تُصانُ لهـا خُدُودُ
لِتَبْكِـكَ قُـبَّــةُ الإسلام لَمّا وَهَتْ أُطنابُها ووَهى العَمُودُ
ويبكِكَ شاعِـرٌ لم يُبقِ دَهْرٌ لــه نَشَباً وقد كَسَد القَصِيدُ
فإن يَهْلِك يزيـدُ فكُلُّ حَـيٍّ فَرِيسٌ للمَنِيَّـةِ أو طَرِيـدُ

هكذا في الخبر ، والقصيدة للتَّيميّ .

[مدح الفضل بن سهل ورثاؤه]

أَخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا الهشاميُّ قال : حدَّثني عبدُ الله بن عمرو قال : حدّثني موسى بن عبد الله التّميميّ قال : دخل مُسلِم بن الوليد على الفَضْل بن سهل ، فأنشده قوله فيه[1] : [من البسيط]

لـو نَطَـقَ الناسُ أو أَنْبَوْا بعلمهمُ ونَبَّهتْ عن مَعالي دَهْرِكَ الكُتُبُ
لم يبلُغوا منك أَدْنى مـا تَمُتُّ به إذا تفاخــرتْ الأَمـلاكُ وانْتَسَبُوا

فأَمر له عن كُلّ بيت من هذه القصيدة بألفِ درهم .

ثم قُتِل الفَضْل فقال يرثيه[2] : [من الطويل]

ذَهَلْتُ فلــم أُنقَع غَلِيـلاً بعَبْرَةٍ وأَكبرتُ أَن أَلقى بيَوْمِك ناعِيا
فلمّا بَــدا لي أَنّه لاعِجُ الأَسى وأَنْ لَيْسَ إلاّ الدَّمعُ للحُزْنِ شافِيا
أُقمتُ لك الأَنواحَ تَرتَــدُّ بينها مآتِـمُ تندبـــن النَّـدى والمَعالِيا[3]
وما كان مَنْعى الفَضْل مَنْعاةَ واحدٍ ولكنَّ مَنْعى الفَضْل كان مَناعِيا[4]
أَللبــأْسِ أم لِلجُـودِ أم لُمقـــاوِمٍ من المُلكِ يَزْحَمْن الجبالَ الرّواسيا
عَفَتْ بَعدَكَ الأَيّام لا بـل تَبدّلت وكُــنَّ كَأَعْيـــادٍ فعُـدْنَ مَباكيا

1 ديوانه : 304 .
2 ديوانه : 346 .
3 تندبن في الديوان : يندبن .
4 منعاة واحدٍ في الديوان : منعي وحادة .

فلم أَرَ إلاَّ قَبْل يَوْمِـك ضاحِكاً ... ولم أَرَ إلاّ بَعْـدَ يَوْمِـك باكِيا

[هجاء العبّاس بن الأحنف]

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكوكبيُّ قال : حدَّثنا محمد بنُ عجلان قال : حدَّثنا يعقوبُ بنُ السِّكِّيت ، قال : أخبرني محمد بن المُهنّأ ، قال : كان العبّاسُ بنُ الأحنَف مع إخوان له على شراب ، فذكروا مُسلِمَ بنَ الوليد ، فقال بعضهم : صَرِيعُ الغواني ، فقال العبّاس : ذاك ينبغي أن يسمَّى صريع الغِيلان لا صريع الغواني . وبلغ ذلك مُسلماً فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

بَنُو حَنِيفَةَ لا يَرْضى الدَّعِيُّ بهم ... فاترُكْ حَنيفَةَ واطلُب غيرَها نَسَبا

فاذْهَبْ فأنت طَلِيقُ الحِلْم مُرْتَهنٌ ... بسَوْرَة الجَهْلِ ما لم أَمْلِك الغَضَبا[2]

اذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرْضى بنِسْبَتهم ... إنِّي أَرى لَكَ خَلْقاً يُشبِهُ العَرَبا[3]

مُنِيتَ مِنِّي وقـد جَـدَّ الجراءُ بِنا ... بغايـةٍ منَعَتْـك الفَوْتَ والطَّلَبا[4]

[يهب عرض خزيمة بن خازم ويمتنع عن هجائه]

أخبرني محمد بنُ يزيد قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : قلتُ لمُسلِم بنِ الوليد : ويْحَكَ ! أما استحيَيْتَ من النّاس حين تهجو خُزَيْمة بن خازم ، ولا استحيَيْتَ منّا ونحن إخوانُك ، وقد علمتَ أنّا نتولاّه وهو مَنْ تعرف فضْلاً وجُوداً ؟ فضحِك ، وقال لي : يا أبا إسحاق ، لغيرِك الجهل ، أما تعلم أنَّ الهجاءَ آخِذٌ بضَبْع الشاعر وأجدى عليه من المديح المُضرِع ؟ وما ظَلَمتُ مع ذلك منهم أحداً ، وما مضى فلا سبيلَ إلى ردِّه ، ولكن قد وهَبتُ لك عِرضَ خُزَيمة بعد هذا . قال : ثم أنشدني قولَه في سعيد بن سَلم : [من الطويل]

دُيونُك لا يُقْضى الزّمانَ غَرِيمُهـا ... وبُخلُك بُخـلُ الباهِـليِّ سَعِيدِ

سَعِيدُ بنُ سَلْم أَبخَلُ النّاسِ كُلِّهم ... ومـا قَومُـه مـن بُخلِـه ببَعيدِ

فقلتُ له : وسَعِيدُ بنُ سَلْم صديقي أيضاً ، فهَبْه لي ، فقال : إن أقبلْتَ على ما يَعنيك ، وإلاّ رجعتُ فيما وهبتُ لك من خُزَيمة ، فأمسَكْتُ عنه راضياً بالكفاف .

[مدح وتحول]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سَعْد ، قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ محمد بن موسى بنِ عُمَر بنِ حَمزة بن بَزِيع قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحَسَن

1 الديوان : 258–259 .
2 الديوان : فاقعد فأنت طليق الحلم . . .
3 اذهب في الديوان : واذهب .
4 في الديوان : . . . وقد هاج الرهان بنا .

اللّهبيّ قال[1] : كان مُسلِم بنُ الوليد مَدّاحاً ليَزيدَ بن مَزْيد ، وكان يُؤثره ويُقدّمه ويُجزل صِلته ، فلمّا ماتَ وفَد على ابنِه محمد ، فمدَحه وعزّاه عن أبيه ، وأقام ببابه أيّاماً فلم يَرَ منه ما يُحِبّ ، فانصرف عنه وقال فيه : [من الطويل]

لَبِستُ عَزاءً عــن لِقاءِ محمدٍ وأعرضتُ عنه مُنْصِفاً وَوَدُودا
وقلتُ لِنَفْس قادَها الشّوقُ نحوَه فعَوَّضها منــه اللّقــاءُ صُدُودا
هَبيهِ امرءاً قد كان أَصفاكِ وُدَّه ومــاتَ وإلاّ فاحسُبيه يَــزِيدا
لعَمْري لقد وَلّى فلم أَلْقَ بَعدَه وفاءً لذي عَهْــدٍ يُعَدُّ حَمِيدا

[الفضل يجزل له العطاء ويهب له جارية أعجبته]

أَخبرني حبيبُ بن نصْر قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال : حدَّثني أَحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بن داوُدَ قـال : دخـل مُسلِم بنُ الوليد يوماً على الفَضْل بن يحيى ، وقد كان أتاه خبرُ مَسيرِه ، فجلس للشُّعراء فمدحوه وأثابَهم ، ونظَر في حوائِج النّاس فقضاها ، وتفرَّقَ النّاسُ عنه ، وجلس للشّرب ، ومُسْلِم غير حاضرٍ لذلك ، وإنّما بَلَغه حين انقضى المجلس ، فجاءه فأُدخِل إليه فاستأْذن في الإنشاد ، فأذِن له ، فأنشده قولَه فيـه[2] : [من الطويل]

أَتَتْـكَ المطايـا تَهْتَــدي بِمَطِيَّة عليها فَتًى كالنَّصْل مُؤنِسُه النَّصْلُ

يقول فيها : [من الطويل]

وَرَدتُ رِواقَ الفَضْــلِ آمــلُ فَضلَه فحَطَّ الثَّناءَ الجَــزْلَ نائِلُــه الجَزْلُ[3]
فتى تَرْتَعــي الآمــالُ مُزنَــةَ جُودِهِ إذا كان مَرْعاها الأَمــانيُّ والمَطْلُ[4]
تساقطُ يُمنــاه النَّدى وشِمالُه الـ ـرَّدى وعُيونُ القَوْل مَنطِقُه الفَصْلُ[5]
أَلَحَّ على الأيّــام يَفــرِي خطُوبَها على مَنْهجٍ أَلفــى أَباه بـــه قَبْلُ
أَنــافَ بـه العَلْياءَ يَحيى وخالِدٌ فلَيس لــه مِثْــلٌ ولا لَهُما مِثْلُ[6]
فُـروعٌ أَصابت مَغْرِساً مُتمَكِّناً وأَصْلاً فطابت حيث وجَّهها الأَصلُ[7]

---

1 تقدم الخبر والشعر في هذه الترجمة .

2 ديوانه : 263–265 .

3 الديوان : وردن رواق الفضل فضل بن جعفر .

4 الديوان : الأماني والبُطل .

5 الديوان : ردى .

6 الديوان : يحيى وجعفر .

7 الديوان : فروع تلقتها المغارس فاعتلى بها عاطفاً أعناقها قصده الأصل

بكـفِّ أبي العَبّاس يُستَمطَر الغِنى ... وتُسْتَنْزَل النُّعمى ويُسْتَرعَف النَّصلُ

قال : فطَرِب الفَضْل طَرَباً شَدِيداً ، وأمر بأن تُعدَّ الأبياتُ ، فعُدَّت فكانت ثمانين بيتاً فأمر له بثمانين ألف درهم ، وقال : لولا أنّـها أكثر ما وُصِل به الشُّعراء لزِدْتُك ، ولكنّه شأوٌ لا يمكنني أن أتجاوَزه ، يعني أنَّ الرشيدَ رسمه لمروان بن أبي حَفْصة ، وأمره بالجلوس معه والمُقام عنده لُمنادَمَتِه ، فأقام عنده ، وشَرب معه . وكانت على رأس الفَضل وصيفة تَسْقِيه كأنّها لُؤْلُؤَة ، فلمح الفَضْلُ مُسلِماً ينظر إليها ، فقال : قد ، وحياتي يا أبا الوليد ، أعجَبَتْكَ ، فقُل فيها أبياتاً حتى أهَبَها لك ، فقال[1] : [من البسيط]

إن كُنتِ تَسْقِين غيرَ الرَّاح فاسقِيني ... كأساً ألَـذّ بهـا من فِيكِ تَشْفِيني

عَيْناكِ راحِي ، ورَيْحاني حَدِيثُك لي ... ولَونُ خَدَّيْكِ لَـونُ الوَرْد يَكْفيني

إذا نَهاني عـن شُرب الطِّلا حَرَجٌ ... فخَمْـرُ عَيْنَيْكِ يُغنِيني ويَجْزِيني

لولا علاماتُ شيبٍ لو أتَت وَعَظت ... لقد صَحوتُ ولكِن سوف تَأْتِيني

أُرضي الشَّبابَ فإن أهلِك فعن قَدَر ... وإن بَقِيتُ فإن الشَّيبَ يُشقِيني[2]

فقال له : خُذْها بُورك لك فيها . وأمر بتوجِيهها مع بعض خدمها إليه .

[جزعه على زوجته]

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المُهَلَّبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أحمد بنُ إبراهيم قال : كانت لُمسلِم بن الوليد زوجةٌ من أهله ، كانت تكفيه أمرَه وتسرُّه فيما تليه له منه ، فماتت فجَزِع عليها جزَعاً شديداً ، وتنسَّك مدّة طويلة ، وعَزَم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعضُ إخوانِه ذاتَ يوم أن يزوره ففعل ، فأكلوا وقدَّموا الشّرابَ ، فامتنع منه مسلم وأباه ، وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

بُكـاءٌ وكَأْسٌ ، كيف يَتَّفِقانِ ؟ ... سَبيلاهُمـا في القَلْـب مُختَلِفانِ

دَعـاني وإفـراطَ البُكاء فإنَّني ... أرى اليـومَ فيـه غيرَ مـا تَرَيانِ

غَدَتْ والثّرى أولى بها من وَلِيّها ... إلى منـزلٍ نـاءٍ لعَيْنِـكَ دانِ

فلا حُزْن حتى تَذرِفَ العَينُ ماءَها ... وتعتـرِفَ الأحشاءُ للخَفَقـانِ[4]

---

1 ديوانه : 343–344 .

2 يشقيني في الديوان : يسليني .

3 الديوان : 241 .

4 فلا حزن في الديوان : فلا وجد .

وكَيفَ بِدَفْعِ اليأسِ للوَجْدِ بعدَها وسَهْماهُمـــا في القلــبِ يَعْتَلِجانِ[1]

[تهاجيه مع ابن قنبر]

أُخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني عليٌّ بن الصَّبّاح قال : حدَّثني مالكُ بنُ إبراهيم قال : كان مُسلِم بن الوليد يُهاجي الحَكَم بنَ قَنْبر المازِنيّ ، فغَلَب عليه ابن قَنْبر مدة وأخرسه ، ثم أَثاب مُسلِم بعد أن انْخَزَل وأُفحِم ، فهَتَك ابن قَنْبر حتى كفَّ عن مُناقضَتِه ، فكان يَهرب منه ، فإذا لَقِيه مُسلِم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قالـه فيـه فيُمْسِك عن إجابتـه ؛ ثم جاءَه ابن قَنْبر إلى منزله واعتذر إليه ممّا سَلَف ، وتحمَّل عليه بأهلِه وسأله الإمساكَ ، فوعَده بذلك ، فقال فيه[2] : [من الكامل]

حَلُم ابنُ قَنْبَر حين أَقْصَر جهلُه هل كان يَحلُم شاعِرٌ عن شاعرِ ؟
مـــا أَنتَ بالحَكَم الذي سُمِّيتَه غالتْك حِلْمَك هَفْوةٌ من قاهرِ
لولا اعْتِذارُك لارْتَمى بك زاخِرٌ مَرِحُ العُباب يَفوتُ طرف النَّاظِرِ[3]
لا تُرتِعَنْ لَحمي لِسانَك بعدَها إنِّي أَخــاف عليك شَفْرةَ جازِرِ
واستَغْنِم العَفــوَ الذي أُوتيتَـــه لا تَأمَنَـــنَّ عُقوبــةً مـــن قادِرِ

أَخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله أبو بكر العَبديّ قال : رأيتُ مسلمَ بنَ الوليد وابنَ قَنبر في مسجد الرُّصافة في يوم جُمعة ، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجَيان ، فبدأ مسلم فقال[4] : [من الطويل]

أنـــا النّارُ في أَحجارِها مُستكنَّةٌ فإن كنتَ مِمَّن يقدحُ النّارَ فاقدحِ

فأَجابه ابنُ قَنبر فقال : [من البسيط]

قد كنتَ تَهوي وما قوسي بمُوتَرة فكيف ظَنُّك بي والقوسُ في الوَترِ

[يلجأ إلى الدعاء على ابن قنبر]

قال : فوثب إليه مسلم وتواخزا[5] وتواثبا ، وحَجَز الناس بينهما فتفرَّقا .

أُخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثني عليّ بن عبيد الكوفيّ قال : حدَّثني عليّ بن عمروس الأنصاريّ قال : جاء رجلٌ من الأنصار ثم من الخَزْرَج إلى

---

1 الديوان : . . . والوجد بعدها .
2 ديوانه : 322 .
3 مرح العُباب في الديوان : مرج العباب .
4 ديوانه : 309 .
5 تواخزا : تطاعنا طعنات غير نافذة .

مُسلم بنِ الوليد فقال له : وَيْلك ما لَنا ولَك ، قد فضحتَنا وأخزيتَنا ، تعرَّضتَ لابن قنبر فهاجيتَه ، حتى إذا أمكنْتَه من أعراضنا انخزَلتَ عنه وأرعَيْتَه لحومَنا ، فلا أنت سَكتَّ ووَسِعك ما وَسِع غيرَك ، ولا أنت لَمّا انتصرتَ انتصفتَ . فقال له مسلم : فما أصنع ؟ فأنا أصبر عليه ، فإن كفَّ وإلاَّ تحمَّلتُ عليه بإخوانه ، فإن كفَّ وإلاّ وكلتُه إلى بَغْيه ، ولنا شيخٌ يصوم الدهرَ ويقوم الليل ، فإن أقام على ما هو عليه سألتُه أن يسهر له ليلةً يدعو اللهَ عليه فيها فإنّها تُهلِكه . فقال له الأنصاريّ ، سَخِنَتْ عينُك ! أَوَ بهذا تَنتصِفُ مِمّن هجاك ؟ ثم قال له : [من الكامل]

قد لاذ من خوفِ ابنِ قَنبر مُسلمٌ بدُعاء والدِه مع الأسحارِ
ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكي ما قد عراه إلى أخٍ أو جارِ
ثَكِلَتْك أُمُّكَ قد هتكْتَ حريمَنا وفضَحت أُسرتَنا بني النجارِ
عمَّمتَ خَزْرَجَنا ومعشَرَ أُوْسِنا خِزياً جَنيتَ به على الأنصارِ
فعليكَ من مولًى وناصرِ أُسرةٍ وعشيرةٍ غضَبُ الإله الباري

قال : فكاد مسلم أن يموت غمّاً وبُكاءً وقال له : أنت شرٌّ عليّ من ابنِ قَنبر . ثم أُثاب وحَمِيَ ، فهتك ابنَ قَنْبر ومزَّقه حتى تركه ، وتحمَّل عليه بابنه وأُهله حتى أُعفاه من المهاجاة .

ونسختُ هذا الخبر من كتاب جدِّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطِّه ، قال : حدَّثني الحسن بن سعيد قال : حدَّثني منصورُ بن جُمهُور قال : لمّا هجا ابنُ قَنبر مسلمَ بنَ الوليد أُمسك عنه مسلم بعد أن أَشْلى عليه لسانَه[1] . قال : فجاءه عمٌّ له فقال له : يا هذا الرجل ، إنّك عند الناس فوق ابنِ قَنبر في عمود الشعر ، وقد بَعث عليك لسانَه ثم أمسكتَ عنه ، فإمّا أن قارَعْتَه أو سالَمْتَه . فقال له مسلم : إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجَّد فيه ، وله بين ذلك دَعَوات يدعو بهنّ ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دَعَواته ، فإنّا نُكْفاه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال : [من الكامل]

غلب ابنُ قَنبر واللئيمُ مُغلَّبٌ لما اتَّقيتَ هِجاءه بدُعاء
ما زال يقذف بالهِجاء ولذعه حتى اتّقوه بدَعوة الآباء !

قال : فقال له مسلم : واللهِ ما كان ابن قَنبر يبلغ منّي هذا كلَّه ، فأمسِكْ لسانك عنّي ، وتعرَّف خبره بعد هذا . قال : فبعث ، واللهِ ، عليه من لسان مسلم ما أسكتَه . هكذا جاء في الأخبار .

وقد حدَّثني بخبر مناقضتِه ابنَ قَنبر جماعة ذكروا قصائدَهما جميعاً ، فوجدت في الشعر الفضلَ لابنِ قَنبر عليه ، لأن له عدّةَ قصائد لا نقائضَ لها ، يذكر فيها تعريده[2] عن الجواب ،

1 أشلى لسانه : أطلقه .
2 تعريده : هربه .

وقصائدَ يذكر فيها أن مسلماً فَخَر على قريش وعلى النبيّ ﷺ ورماه بأشياء تُبيح دَمه ، فكفَّ مسلم عن مناقضته خوفاً منها ، وجَحَد أشياء كان قالها فيه .

[الطرماح يهجو بني تميم]

فمِمّن أخبرني بذلك هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن الوليد مولى الأنصار ، وكان عالِماً بشعر مسلم بن الوليد وأخباره ، قال : كان سببُ المهاجاة بين مسلم بنِ الوليد والحَكَم بنِ قَنبر أنّ الطِّرِمَّاح بنَ حكيم قد كان هجا بني تميم بقصيدته التي يقول فيها[1] : [من البسيط]

لا عَزَّ نصرُ امرىءٍ أضحى له فرسٌ ... على تميم يريد النصرَ من أحدِ

إذا دعا بشعارِ الأزْدِ نفَّرهم ... كما يُنفِّرُ صوتُ الليث بالنَّقَدِ

لو حانَ وِردُ تميم ثم قيل لهم : ... حَوضُ الرسولِ عليه الأزدُ لم تَرِدِ

أو أنزلَ الله وحْياً أن يعذِّبَها ... إن لم تَعُد لقتال الأزد ، لم تَعُدِ

وهي قصيدة طويلة ، وكان الفرزدق أجاب الطِّرمَّاح عنها ، ثم إنّ ابنَ قنبر المازِنيّ قال بعد خبر طويل يردّ على الطِّرمَّاح : [من البسيط]

يا عاوِياً هاج لَيْثاً بالعُواء له ... شَثْنَ البراثن وَرْدَ اللون ذا لِبَدِ

أيّ الموارد هابت جَمَّ غَمْرتِه ... بنو تميم على حال فلم تَرِدِ

ألم تَرِدْ يوم قَنْدابيل مُعلمَة ... بالخَيْل تَضْبِر نحو الأَزْد كالأُسُدِ[2]

بفتيةٍ لم تنازعْها فتطبعَها ... بلؤمها طيِّىءٌ ثدياً ولم تلدِ

خاضت إلى الأزد بحراً ذا غوارب من ... سُمْرٍ طوالٍ وبحراً من قَناً قِصَدِ

فأوردَتْها مَناياها بِمُرْهَفَةٍ ... مُلسِ المضارب لم تُفْلَلْ ولم تكَدِ

وهي قصيدة طويلة . وقد كان الطِّرمَّاح قال أيضاً[3] : [من الطويل]

تميمٌ بطُرْقِ اللؤم أهدى منَ القَطا ... ولو سَلَكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ

أرى الليلَ يجلوه النهارُ ولا أرى ... عظامَ المخازي عن تميم تَجَلَّتِ

وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها ، وردَّ ابن قَنبر ينقُضُها[4] : [من الطويل]

---

1 ديوان الطرماح : 160 .

2 قندابيل : مدينة بالهند .

3 ديوان الطرماح : 59–60 .

4 ديوان الفرزدق 1 : 115 .

لَعمرُك ما ضلَّتْ تميمٌ ولا جرَتْ ... على إثر أَشْياخ عن المَجْد ضَلَّتِ
ولا جَبُنت بل أقدَمت يوم كسَّرت ... لها الأزدُ أغمادَ السُّيوفِ وسَلَّتِ
بغائط قَنْدابِيلَ والمَوْتُ خائضٌ ... عليها بآجالٍ لها قد أظلَّتِ
فما بَرِحت تُسقى كُؤوسَ حِمامِها ... إذا نَهِلتْ كرُّوا عليها فعَلَّتِ
إلى أن أُبادَتْهم تَميمٌ وأكذبت ... أمانيَّ للشَّيطان عنها اضمحلّتِ
وحانَ فِراقٌ منهمُ كُلَّ خَدْلَة ... مُفارِقةٍ بَعلاً به قد تَمَلَّتِ

وهي أيضاً طويلة قال : فبلَغَ مُسلِمَ بن الوليد هجاءُ ابن قَنْبر للأَزْد وطيّىء وردُّه على الطِّرِمَّاح بعد موته ، فغضب من ذلك ، وقال : ما المعنى في مناقضة رجُل مَيّت وإثارة الشَّرّ بذِكر القبائل ، لا سيّما وقد أجابه الفرزدقُ عن قوله ؟ فأبى ابنُ قنبر إلاّ تمادياً في مُناقضته ، فقال مسلم قصيدتَه التي أوّلها[1] : [من الكامل]

آياتُ أَطلالٍ برامةَ دُرَّسِ ... هِجْن الصَّبابةَ إذ ذكرْتُ مُعرَّسي[2]
أَوحَتْ إلى دِرَرِ الدُّموع فأسْبَلت ... واستَفْهَمْتها غيرَ أَنْ لَمْ تَنبسِ

يقول فيها يصف الخمر : [من الكامل]

صفراءُ من حَلب الكروم كسوتُها ... بيضاء من حَلب الغُيُوم البُجَّسِ
طارت ولاوَذَها الحَبابُ فحاكَها ... فكأن حِلْيَتَها جَنِيُّ النَّرجِسِ[3]

ويقول فيها يَصِفُ السُّيوفَ : [من الكامل]

وتُفارِقُ الأغمادَ تبدُو تارةً ... حُمْراً وتَخفى تارة في الأرؤُسِ[4]
حَربٌ يكون وَقودَها أبناؤُها ... لَقِحَتْ على عُقْرٍ ولّما تنفَسِ
من هاربٍ رَكِبَ النَّجاء ومُقعَصٍ ... جَثَمت منيَّتُه على المُتنفِّسِ
غصَبَتْه أَطرافُ الأسِنَّة نفسَه ... فثَوى فَريسةَ وُلَّغٍ أو نُهَّسِ
إن كنتِ نازلةَ اليفاعِ فَنكِّبي ... دار الرَّبابِ وخَزْرِجي أو أوْسي[5]

---

1 ديوان مسلم : 130–140 .
2 الديوان :
آيات أطلال برامة درس ... هجن الصبابة واسترن معرسي
3 الديوان : مزجت ولاوذها . . .
4 الديوان : وبوارق الأغماد .
5 الديوان : فجنبي .

وتجنّبي الجَعْـراءَ إنَّ سُيوفَهـم ... حُـدُثٌ وإن قناتَهـم لم تَضْرَسِ[1]
هـل طَيِّئٍ الأَجبال شاكرةُ امرئٍ ... ذادَ القـوافيَ عن حِماهـا مِردسِ[2]
أُحمـي ، أَبـا نفـر ، عِظامَ حَفِيرة ... دَرَسَتْ وباقـي غَرْسِها لم يَدرُسِ[3]
كافـأتُ نِعْمتهـا بضِعْفِ بلائِهـا ... ثـم انفـردْتُ بمنْصِب لم يَدْنَسِ[4]
وإذا افتخـرتُ عددْتُ سَعيَ مآثِـرٍ ... قَصَرت على الإغضاء طَرْفَ الأشْوسِ
رَفَعت بَنُـو النَّجّـارِ حِلْفي فيهمُ ... ثم انفردتُ فأَفسَحُوا عن مَجلِسي[5]
فاعقِـلْ لسانَك عـن شتائِمِ قومِنا ... لا يعلقنَّـك خـادرٌ مـن مأنَسِ[6]
أخلفْت فَخْـرَك مـن أَبيك وجِئتَني ... بـأبٍ جَديـدٍ بعـد طُولِ تَلمُّسِ[7]
أخـذَتْ عليـه المحكَماتُ طريقَها ... فَغَـدا يُهاجـي أعظُماً في مَرْمَسِ[8]

قال : فلم يُجبْه ابن قَنْبر عن هذه بشيء ، ثم التقيا فتعاتَبا ، واعتذر كلّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، فقال مُسلم يهجوه : [من الكامل]

حَلُمَ ابنُ قنْبر حـين قصَّر شِعرُه ... هل كان يَحلُم شاعرٌ عـن شاعِرِ

[هجاء قريش والفخر بالأنصار]

وقد مَضت هذه الأبيات مُتقدّماً . قال : ومكث ابنُ قنْبر حيناً لا يُجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكَفافِ ، ثم هجا مُسلم قريشاً وفخر بالأنصار فقال[9] : [من الخفيف]

قل لِمَن تاه إذ بِنا عـزَّ جهْلاً ... ليس بالتِّيـه يفخَـر الأَحرارُ
فتناهَوْا وأَقصِروا فلقـد جـا ... رَتِ عن القَصْدِ فيكمُ الأنصارُ[10]

1 وتجنبي الجعراء في الديوان : وتجنبي الخفراء .
2 الديوان : حماها الأقعس . والمردس : آلة للتسوية والتكسير .
3 الديوان : أُحمى . . . وباقي عزها .
4 الديوان : بفضل بلائها .
5 الديوان :

رفعت بنو النجار بيتي فيهـم ... ثم انثنيت فأفسحوا في المجلس

6 قومِنا في الديوان : عرضنا .
7 وجئتني في الديوان : فجئتني .
8 الديوان : فغدا يناقض .
9 ديوانه : 315–316 .
10 الأنصار في الديوان : الأبصار .

أيُّكم حــاطَ ذا جوارٍ بعزٍّ قبــل أنْ تحتويــه مِنّا الدّارُ
أو رَجــا أن يفوتَ قوماً بوِتْرٍ لم تــزَلْ تمتَطِيهــمُ الأوتارُ
لم يَكُن ذاك فيكمُ فدَعوا الفخْــر بما لا يَسوغُ فيه افتِخارُ
ونِــزاراً ففاخِرُوا تَفضلُوهم ودَعُوا مَــنْ لــه عبيداً نِزارُ
فَبِنا عَــزّ منكــمُ الذُّلُّ والدّهْــرُ عليكــم بريبــةٍ كرَّارُ
حاذِرُوا دولــةَ الزَّمان عليكمْ إنّــه بــين أهلــه أطْوارُ
فترَدُّوا ونحــنُ للحالــةِ الأُولى وللأوْحــد الأذلّ الصَّغارُ
فاخرَتْنا لمّــا بَسَطنا الفخــرَ قريشٌ وفخرُها مُستَعارُ
ذكرتْ عِزَّهــا وما كان فيها قَبْــل أن يَسْتَجيرَنا مُستَجارُ
إنَّما كان عِزُّهــا في جبــال تَرتَقِيهــا كما تَرقَّــى الوِبارُ[1]
أيُّها الفاخِرُونَ بالعِــزّ ، والعِــزُّ لقَــومٍ سِواهُمُ والفخارُ
أخبرونــا مَــنِ الأعــزُّ ألْمَنْـصورُ حتى اعتلى أم الأنصارُ ؟
فَلَنــا العِــزُّ قبل عِــزّ قُريشٍ وقُريشٌ تِلكَ الدُّهــور تِجارُ

[رد ابن قنبر]

قال : فانْبرى له ابن قنبر يُجيبه فقال : [من الطويل]

ألا امثُــلْ أميرَ المُؤمنين بمُسلمٍ وأفلِق به الأحشاءَ من كلِّ مُجرمِ
ولا تَرجِعَــنْ عــن قَتْله باستِتابةٍ فمــا هــو عن شَتْم النَّبيّ بمُحرِمِ
ولا عــن مُساواةٍ لــه ولقوْمه قُريشٍ بأصداءٍ لِعــادٍ وجُرْهُمِ
ويفخَر بالأنصار جَهْلاً على الذي بنُصرته فــازوا بحــظٍّ ومَغنمِ
وسُمُّوا به الأنصارَ لا عــزَّ قائلٌ أرادَ قُريشاً بالمَقــالِ المُــذمَّمِ
ومنهم رَسولُ الله أزكى مَنِ انتَمى إلى نَسب زاكٍ ومجْــدٍ مُقــدَّمِ
وما كانَت الأنصارُ قبل اعتِصامِها بنَصْر قُريش في المحــلِّ المُعَظَّمِ
ولا بالأُلى يعلــون أقدارَ قومِهم صُداءٍ وخَولانٍ ولَخــمٍ وسلْهَمِ
ولكنَّهم بالله عــاذُوا ونَصرِهــم قريشاً ومن يَسْتعصِمِ الله يُعصَمِ

---

1 الوبار : جمع وبرة ، وهي دويبة كالسنور أصغر منه .

فعَزُّوا وقــد كانوا وفِطْيَونُ فيهم | من الذلّ في باب من العِزّ مُبْهِمِ[1]
يسومهم الفِطْيَوْن مــا لا يُسامُه | كريمٌ ومن لا يُنكر الظُّلم يُظلَمِ
وإنّ قُريشاً بالمآثـــر فُضِّلَـــتْ | على الخلقِ طُرّاً من فَصِيح وأَعْجَم
فما بالُ هـــذا العِلْج ضلّ ضلالُه | يَمُدّ إليهم كـــفّ أجذَم أعْسَمِ[2]
يُسامي قُرَيشاً مُسلمٌ وهمُ همُ | بمولًـــى يَمانِـــيٍّ وبيتٍ مُهَدَّمِ
إذا قام فيـه غيرهم لم يكُن لــه | مقامٌ به من لُـــؤم مَبْنًى ومَدْعَم
جَعاسيسُ أشباهُ القُرود لـــو انّهم | يُباعون ما ابتِيعوا جميعاً بِدرْهَمِ[3]
وما مُسلِمٌ مـــن هؤلاء ولا ألى | ولكنّـــه مـــن نسْل عِلْجٍ مُلَكَّمِ
تولّى زماناً غيرهـــم ثُمَّتَ ادَّعى | إليهـــم فلم يَكـــرُم ولم يَتَكرَّمِ
فإن يَـــكُ منهم فالنَّضير ولِفُّهُم | مواليـــه لا مَـــنْ يدَّعي بالتَّزعُّمِ
وإن تدعُـه الأنصارُ مولًى أسمهُمُ | بقافيةٍ تَسْتكـــرِه الجِلْـــدَ بالدَّمِ
عِقاباً لهـم في إفكهـــم وادّعائهم | لأقلـــفَ منقوش الذراع مُوَشَّمِ
فلا تَدَّعوه وانتفوا منـــه تسْلَموا | بنَفْيِكُمُـــوه مـــن مَقـــامٍ ومأثمِ
وإلاّ فغُضُّوا الطَّرْفَ وانتظروا الرَّدى | إذا اختلفت فيكم صوارِدُ أسهُمِي
ولم تَجدوا منهـــا مِجَنّاً يُجنُّكم | إذا طلعت مـــن كُلّ فجٍّ ومَعْلَمِ
وأنتم بنو أذنـــاب مـــن أنتُمُ له | ولستم بأبنـــــاء السَّنام المقدَّمِ
ولا ببنـــي الرأسِ الرفيـــع مَحلُّـه | فيسمو بكم مَولًى مُسامٍ ويَنْتمي
فكيفَ رضيتم أن يُسامى نبيّكم | ببيتكـــمُ الـــرَّثّ القصيرِ المهدَّمِ
سأحطِم مـــن سامى النبيَّ تطاوُلاً | عليـــه وأكـــوي مُنتماه بِميسَمِ
أيُعدلُ بيـــتٌ يثربـــيٌّ بكعبـــةٍ | ثوتهـا قُريشٌ في المكان المُحرَّمِ
قُريش خيـــارُ الله والله خصَّهـــم | بذلك فاقْعَسْ أيُّها العِلْجُ وارْغَمِ
ومَنْ يَدّعي منـــه الولاءَ مُؤخَّرٌ | إذا قِيل للجـارِي إلى المجدِ أقدِمِ

1 فطيون : ملك بيثرب .
2 الأعسم : من يبس مفصل رسغه حتى اعوج .
3 جعاسيس : قصار ، جمع جعسوس .

[هجاء تميم]

قال : وكان مُسلِم قال هذه القصيدة في قريش وَكَتمها ، فوقَعت إلى ابن قَنْبر ، وأجابه عنها ، واستَعلى عليه وهَتكه ، وأغْرى به السُّلطان ، فلم يكن عند مُسلم في هذا جواب أكثر من الانتِفاء منها ، ونسبتها إلى ابن قنْبر ، والادّعاء عليه أنَّه ألصقَها به ونسَبها إليه ، ليُعرِّضه للسُّلطان[1] ، وخافه فقال ينتفي من هذه القصيدة[2] ويهجو تميماً[3] : [من الطويل]

دعــوتَ أميرَ المُؤمنــين ولم تَكُــن ... هُناك ، ولكن مَــنْ يَخَفْ يَتَجشَّمِ
وإنَّكَ إذ تَدْعُــو الخليفــةَ ناصِراً ... لكالمُتَرَقِّــي في السمــاء بسُلَّــمِ
كذاكَ الصَّدى تَدْعوه من حيث لا تَرى ... وإن تَتوهَّمْــه تَـمُــتْ في التَّــوهُّمِ
هجـوتَ قُرَيْشاً عامــداً ونحلْتَنــي ... رُويــدَكَ يَظهــرْ مــا تَقـول فيُعْلَمِ
إذا كان مِثْــلي في قَبيلي فإنَّــه ... على ابنَيْ لُـؤيٍّ قُصْرَةً غير مُتْهِمِ
سيكْشِفُك التَّعدِيلُ عمّا قَرفْتني ... بــه فتأخَّــرْ عارِفــاً أو تَقــدَّمِ
فــإنَّ قُرَيْشاً لا تُغيِّر وُدَّهـــا ... ولا يُسْتَمـالُ عهدُهــا بالتَّزعُّمِ[4]
مضى سَلفٌ منهــم وصلَّى بِعقْبِهم ... لنــا سلــف في الأوَّل المُتقدِّمِ
جَــرَوْا فَجرَيْنا سابِقِــينَ بسَبْقهم ... كما اتَّبعَــتْ كَــفٌّ نواشرَ مِعْصَمِ
وإنَّ الذي يَسْعــى ليقطَــع بيننا ... كمُلتمِس اليربُــوعِ في جُحرِ أرقَمِ
أضلَّك قَــدْعُ الآبِــدات طرِيقَها ... فأصبحتَ مــن عَمايِئها في تَهَيُّمِ[5]
وخانَتك عنــد الجري ، لمّا اتَّبَعْتَها ، ... تميمٌ فحاولــتَ العُــلا بالتقَحُّمِ[6]
فأصبحتَ ترمينــي بسَهمــي وتتَّقي ... يَـدي بيدِي ، أُصلِيتَ نارَك فاضْرَمِ

[ابن قنبر يواصل هجاءه]

قال : ثم هجاه ابنُ قنبر بقصيدة أوَّلُها : [من الخفيف]

1 ل : ليعرض به .
2 ل : فقال يهجو من .
3 ديوانه : 339 .
4 لا تغير ودّها في الديوان : لا يُغادَر ودُّها .
5 الديوان : أضلك قرع الآبدات . والقدع : المجاوزة . والتهيم : الحمل على الهيام .
6 ل : لما ابتغيتها . . . فحاولت الغنى .

قُلْ لعبدِ النَّضير مُسلمِ الوغْـ ـدِ الدّنيِّ اللئيم شيْخ النِّصابِ[1]
اخسَ يا كلبُ إذ نبحتَ فإنّي لستُ مِمَّن يجيبُ نَبْحَ الكِلابِ
أفأرضى ومنْصِبي مَنْصبُ العِزّ وبيتـــي في ذِرْوة الأحسابِ
أن أُحطَّ الرَّفيعَ من سَمْك بيْتي بمُهاجـــاة أوشَبِ الأوشابِ
مَنْ إذا سِيل : مَن أَبُوه ؟ بَدا منـ ـه حياءٌ يَحميه رجْع الجوابِ
وإذا قيل حين يُقبِلُ : من أنـ ـتَ ومَنْ تعتزيه في الأَنْسابِ ؟
قلتَ : هاجي ابنِ قنبر ، فتسربلـ ـتَ بذكري فخراً لَدى النُّسَّابِ

وهي قصيدة طويلة ، فلم يُجبه مُسلم عنها بشيء ، فقال فيه ابن قنْبر أيضاً : [من الخفيف]

لستُ أنفيكَ إنْ سِوايَ نَفاكا عن أَبيكَ الذي لـه مُنتماكا
ولمـــاذا أنفيكَ يـا ابنَ وليدٍ من أبٍ إن ذكرتَـه أخزاكا
ولـــو آنّي طلبتُ ألأمَ منـه لم أُجِده إن لم تكن أنتَ ذاكا
لو سِواه أَبـاكَ كان جَعَلنا إنْ النـاسُ طاوعونـــا أباكا
حاكَ دهراً بغَيْر حِذقٍ لبُرْد وتحوكُ الأشعار أنتَ كذاكا[2]

وهي طويلة ، فلم يُجبه مسلم عنها بشيء ، فقال ابن قَنْبر أيضاً يهجوه : [من الخفيف]

فَخـر العبدُ عبدُ قِـــنّ اليهودِ بضعيفٍ من فخـرِه مَرْدودِ[3]
فاخر الغُـرَّ مِــن قريش بإخْوا ن خنازيـــر يثــربٍ والقُرودِ
يتولَّــى بنـــي النَّضير ويدعُـو بهـمُ الفَخْرَ مِـــن مكان بَعيدِ
وبَنِي الأوسِ والخزارج أَهْل الذُّ لّ في سالـف الزّمـــان التَّليدِ
إذ رَضُوا بافتضاض فِطْيَوْن منهم كلّ بِكْـرٍ ريَّـا الرَّوادفِ رُودِ
وبنـو عمِّهـــا شُهود لَما يَفْـ ـعل فِطْيَوْنُ قُبِّحوا من شُهودِ
خَلْفَ باب الفِطْيَون والبَعْل منهم لا بـــذي غَيرةٍ ولا بنجيـــدِ
فإذا مـــا قَضى اليهُوديّ منها نَحْبــه قُنِّعُوا بخِــزْيٍ جديدِ[4]

1 شيخ في ل : سنخ .
2 لبرد في ل : بحوك .
3 ل : علج اليهود .
4 نحبه في ل : وطراً .

قال : فلمّا أفحش في هذه القصيدة وفي عدَّة قصائد قالها ، ومُسلم ممسك عنه لا يُجيبه ، مشى إليه قوم من مَشْيخة الأنصار ، واستعانوا بمشيخة من قُرَّاء تميم وذوي العِلم والفَضْل منهم ، فمشوا معهم إليه فقالُوا له : ألا تستحي من أن تَهجو من لا يُجيبك ؟ أنتَ بدأتَ الرَّجلِ فأجابك ، ثم عُدت فكفّ ، وتجاوزْت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التي كان رسولُ الله ﷺ يحميها ويذُبّ عنها ويصونها ، لغير حال أحلَّت لك ذلك منهم ، فما زالوا يَعظونه ويقُولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لُمسلمٍ ، فانقطعت .

صوت

[من البسيط]

ثلاثـــةٌ تُشرق الدُّنيـا ببَهْجتهم ... شمسُ الضحى وأَبُو إسحاق والقمرُ

يحكـــي أفاعيلَـــه في كلّ نائبـةٍ ... الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ

الشعر لمحمد بن وُهَيب ، والغناء لعلّويَه ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثقيل أوّل آخر عن الهشاميّ .

[399] ـ أخبار محمد بن وهيب[1]

محمد بنُ وُهَيْب الحِمْيَريّ صَلِيبَة شاعر من أهلِ بغداد من شُعراء الدولة العبّاسيّة ، وأصلُه من البصرة ، وله أشعار كثيرة يذكُرها فيها ويتشوَّقُها ، ويصف إيطانَه إيّاها ومنشأه بها .

[يتكسّب بالمديح]

وكان يَستَمْنِحُ الناسَ بشعره ، ويتكسَّب بالمديح ، ثم توسَّل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضَّحاك ومدَحه ، فأوصلَه إليه وسَمِع شعره فأُعجِب به واقتطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسْنَى جائزَته ، ثم لم يزل مُنْقَطِعاً إليه حتى مات . وكان يتشيَّع ، وله مَراثٍ في أهل البيت .

وهو متوسّط من شعراء طبقته ، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة ، وأشياء متكلفة .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال : زعم أبو مُحلِّم ، وأخبرني عمِّي ، عن عليّ بن الحُسين بن عبد الأعلى ، عن أبي مُحلِّم قال : اجتمع الشعراء على باب المعتصِم فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيّات أنّ أمير المؤمنين يقول لكم : مَن كان منكم يُحسِن أن يقول مثلَ قول النمريّ في الرشيد[2] : [من البسيط]

خَلِيفَــةَ الله إنّ الجُــودَ أودِيَـةٌ ... أحلَّـك اللهُ منهـا حيـث تجتمعُ
مَــنْ لم يكــن بأمين الله مُعتصماً ... فليس بالصلوات الخمس ينتفـعُ
إنْ أخلف القطرُ لم تُخلِفُ مخايلُه ... أو ضــاق أمــرٌ ذكرنـاه فيتّسِعُ

فليدخل وإلاّ فلْينصرف ، فقام محمدُ بن وُهَيب فقال : فينا مَن يقول مثله ، قال : وأيّ شيء قُلت ؟ فقال : [من البسيط]

ثلاثــةٌ تُشرِق الدُّنيــا ببهجتهم ... شمسُ الضُّحى وأبو إسحاقَ والقمرُ
تحكــي أفاعيلَــه في كلّ نائبــةٍ ... الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ

فأمر بإدْخاله وأحسن جائزَته .

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سَعْد قال : حدَّثني محمد بن محمد بن

---

1 ترجمة محمد بن وهيب في معجم المرزبانيّ : 357–358 وطبقات ابن المعتزّ : 310–313 ومعاهد التنصيص 1 : 220–230 والوافي 5 : 175 ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ديوان منصور النمري : 95 .

مروان بن موسى قال : حدَّثني محمد بن وُهَيْب الشاعر قال[1] : لمّا تولّى الحسنُ بن رجاء بن أبي الضَّحاك الجبلَ قلتُ فيه شِعراً وأنشدتُه أصحابنا دِعْبِلَ بنَ عليّ وأبا سعد المخزوميّ وأبا تمّام الطائيّ ، فاستحسنوا الشعر وقالوا : هذا لعمري من الأشعار التي تُلقى بها الملوكُ ، فخرجتُ إلى الجبل فلمّا صِرْتُ إلى هَمَذان أخبره الحاجبُ بمكاني فأذِن لي فأنشدته الشعرَ فاستحسن منه قولي : [من الطويل]

أجارَتنا إنّ التّعفّفَ باليأسِ ... وصَبْراً على استِدْرار دُنيا بإبْساسِ
حَرِيَّان ألاّ يقذِفا بمذلّةٍ ... كريماً وألاّ يُحوِجاه إلى الناسِ
أجارتنا إنّ القِداحَ كواذِبٌ ... وأكثرُ أسباب النَّجاح مع الياسِ

فأمر حاجبَه بإضافتي فأقمتُ بحضرته كلّما دخلت إليه لم أنصرف إلاّ بحُمْلان أو خِلعة أو جائزة حتى انصرم الصَّيفُ . فقال لي : يا محمد إنّ الشتاء عندنا عِلْج[2] فأعدَّ يوماً للوداع . فقلت : خدمة الأمير أحبُّ إليّ ، فلمّا كاد الشتاء أن يشتَدّ قال لي : هذا أوانُ[3] الوداع ، فأنشدني الثلاثةَ الأبيات فقد فهمت الشعر كلّه ، فلمّا أنشدته : [من الطويل]

أجارتَنا إنّ القِداحَ كواذِبٌ ... وأكثرُ أسباب النَّجاح مع الياسِ

قال : صدقت ، ثم قال : عُدُّوا أبيات القصيدة فأعطُوه لكلّ بيت ألفَ درهم ، فعُدّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً ، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم ، وكان فيما أنشدته في مقامي واستحسنه قولي : [من المتقارب]

صوت

دِماءُ المُحبِّين لا تُعقَلُ ... أما في الهوى حَكَمٌ يعدِلُ !
تعبَّدني حَوَرُ الغانياتِ ... ودانَ الشبابُ له الأخطلُ[4]
ونظرةِ عينٍ تعلَّلتُها ... غِراراً كما ينظر الأحولُ
مُقَسَّمةٍ بين وجه الحبيبِ ... وطرف الرقيبِ متى يغفَلُ

في هذه الأبيات هَزَج طنبوريّ سمعته من جحظة ، فذكر أنّه يُراه للمسدودِ ولم يُحقّق صانعه .

قال الأصفهانيّ : هذه الأبيات من قصيدة له في المطَّلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ . قال

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 220–221 .
2 علج : شديد .
3 ل : يوم .
4 معاهد : الأخضل .

محمد بنُ وُهيب : وأُهدِي إلى الحسن بن رجاء غلامٌ فأُعجِب به فكتبتُ إليه : [من مخلع البسيط]

ليهنكَ الزائـرُ الجديـدُ جرى به الطائرُ السعيدُ
جاء مشوقٌ إلى مشوقٍ فـذا وَدُودٌ وذا وَدودُ
يَـومُ نَعيـمٍ ويومُ لهوٍ خُصِصْتَ فيـه بما تريدُ
إلـفٌ مشوقٌ أتاه إلفٌ فمستفـادٌ ومُستفيـدُ

حدَّثني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار بهذا الحديث ، عن يعقوبَ بن إسرائيل قَرْقارة ، عن محمد بن محمد بن مروان بن موسى ، عن محمد بن وُهَيب ، فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه ، فلم يزل يستعيدُني : [من الطويل]

أجارتنـا إنّ القِـداح كواذِبٌ وأكثر أسباب النّجاح مع الياسِ

وأنا أعيده عليه ، فانصرفت من عنده بأكثر ممّا كنت أؤمل .

[أبو دلف يعجب بشعره]

حدَّثني عليٌّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب قال : حدَّثني أبو هِفّان قال : حدَّثني خالي قال : كنت عند أبي دُلَف القاسم بن عيسى ، فدخل عليه محمد بنُ وهيب الشاعرُ فأعظمه جداً ، فلمّا انصرف قال له أخوه مَعْقِل : يا أخي ، قد فعلتَ بهذا ما لم يستحقّه ، ما هو في بيت من الشَّرف ، ولا في كمال من الأدب ، ولا بموضع من السلطان ، فقال : بلى يا أخي ، إنّه لحقيق بذلك . أو لا يستحقّه وهو القائل[1] : [من المتقارب]

صوت

يَـدُلّ على أنَّني عاشقٌ من الدمعِ مُسْتَشْهَدٌ ناطِقُ
ولي مالكٌ أنـا عبدٌ له مُقِـرٌّ بأنّي لـه وامِقُ
إذا مـا سموتُ إلى وَصلِه تعرّض لي دونـه عائقُ
وحاربني فيه ريبُ الزّمان كأنَّ الزّمان لـه عاشِقُ

في هذه الأبيات رمل طُنبُوريّ أظنّه لجحظة .

[تهنئة المطلب الخزاعي بالحجّ]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : لمّا قَدِمَ المُطَّلِب بنُ عبد الله بن مالك من الحجّ لَقِيه محمد بنُ وُهيب مستقبِلاً مع مَن تلقّاه ، ودخل إليه مهنّئاً بالسّلامة بعد استقراره ، وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة

1 الأبيات في معاهد التنصيص 1 : 222 .

طويلة مدحه بها ، يقول فيها[1] : [من الطويل]

وما زلتُ أسترعِي لك الله غائباً ... وأُظْهِرُ إشفاقـاً عليـك وأكتمُ[2]
وأعلم أنَّ الجودَ ما غِبتَ غائبٌ ... وأنَّ النَّدى في حيث أنتَ مُخَيِّمُ[3]
إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً ... وحُـمَّ لقـاءٌ بـالسُّعود ومَقْدَمُ
وظَلَّ يُناجيني بمدْحِـك خاطري ... وليـليَ ممـدودُ الرّواقـين أدهمُ[4]
وقالوا : طواه الحجُّ فاخشعْ لفقده ... ولا عيشَ حتـى يستهِـلَّ المحرَّمُ
سيفخَر مـا ضمَّ الحطيمُ وزمزمٌ ... بمُطَّلـبٍ لـو أنّـه يتكلّمُ
ومـا خُلِقَتْ إلاّ مـن الجودِ كَفُّه ... على أنّهـا والبأس خِدْنـانِ توأمُ
أعـدْتَ إلى أكنافِ مكّـة بَهْجَةً ... خُزاعِيَّـةً كانـت تُجَلُّ وتُعظَمُ[5]
ليـالي سُمَّارُ الحَجون إلى الصَّفـا ... خُزاعة إذ خلَّت لها البيتَ جُرهُمُ
ولو نطقت بَطحاؤها وحَجُونها ... وخيفُ مِنًـى والمأزِمانِ وزمزمُ[6]
إذاً لدعَتْ أجزاءُ جسمك كلها ... تَنافسُ في أقسامـه لـو تُحَكَّمُ[7]
ولو رُدَّ مخلوقٌ إلى بـدء خلقه ... إذاً كنـت جسماً بينهن تُقَسَّمُ
سَما بك منهـا كلّ خَيْفٍ فأبطحٍ ... نَما بك منـه الجوهـرُ المتقدِّمُ[8]
وحنَّ إليك الركـنُ حتى كأنَّه ... وقـد جئتَه خِـلٌّ عليك مُسَلِّمُ

قال : فوصله صلة سنيّة وأهدى له هديّة حسنة من طُرَف ما قدم به وحمله ، والله أعلم .

[انقطاعه إلى الحسن بن سهل]

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني الحسنُ بن الحسن بن رجاء عن أبيه وأهله قالوا : كان محمدُ بن وُهَيب الحميريّ لمّا قدِم المأمونُ من خُراسان مُضاعاً مُطَّرَحاً ، إنّما يتصدّى للعامّة وأوساط الكتّابِ والقوّادِ بالمديح ويسترفِدُهم فيحظى باليسير . فلمّا هدأت الأمور واستقرّت

1 الشعر في التذكرة الحمدونية 4 : 181 .
2 أسترعي في ل : استدعي .
3 التذكرة : في حيث كنت .
4 التذكرة : وظل . . . خاطر .
5 تُعظمُ في التذكرة : وتكرم .
6 المأزمان : موضع بمكّة .
7 ل والتذكرة : إذاً لادعت .
8 التذكرة : خيف وأبطح . . . تصابك منه .

واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصّته وذوي مودَّتِه ومَن يقرب من أنسِه ، فتوسّل إليه محمد بن وُهَيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء ، فلمّا انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذِن له ، فأنشده قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

ودائعُ أسرارٍ طَوَتْها السرائرُ وباحت بمكتوماتهِنّ النّواظرُ
مَلكْتُ بها طيّ الضميرِ وتحته شَبا لوعةٍ عضبُ الغِرارين باتِرُ
فأُعجم عنها ناطِقٌ وهو مُعرِبٌ وأُعرَبت العُجمُ الجفونُ العواطِرُ
ألَم تغذُني السَّرّاءُ في رَيِّقِ الهوى غريراً بما تَجْني عليّ الدَّوائِرُ
تُسالمني الأيّامُ في عُنفوانِه ويكلؤني طَرْفٌ من الدهرِ ناظِرُ

حتى انتهى إلى قوله :

إلى الحسَن الباني العُلا يَمَّمتْ بنا عَوالي المُنى حيثُ الحَيا المتظاهِرُ
إلى الأملِ المبسُوطِ والأجل الذي بأعدائِه تكبُو الجدودُ العواثرُ
ومن أنبعت عينَ المكارمِ كفُّه يقوم مقامَ القَطْرِ والروضُ داثِرُ
تعصَّبَ تاجَ الملكِ في عُنفوانِه وأطَّت به عصْرَ الشَّبابِ المنابرُ[1]
تُعَظِّمُه الأوهامُ قبل عِيانه ويصدُر عنه الطَّرف والطَّرف حاسِرُ
به تُجتدى النُّعمَى وتُستَدرَك المُنى وتُستكمل الحُسنى وتُرعى الأواصِرُ
أصات بنا داعي نوالِك مؤذِناً بجودك إلاّ أنّه لا يُحاوِرُ[2]
قسمْتَ صُروف الدّهر بأساً ونائلاً فمالُك موتورٌ وسيفُك واترُ
ولمّا رأى اللهُ الخلافةَ قد وَهَتْ دعائمُها واللهُ بالأمر خابِرُ
بَنى بك أركاناً عليها مُحيطةً فأنت لها دون الحوادثِ ساتِرُ
وأرعنَ فيه للسوابغ جُنَّةٌ وسقفُ سماءٍ أنشأتْه الحوافرُ[3]

يعني أنَّ على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنّة لها .

لها فَلكٌ فيه الأسنَّةُ أنجمٌ ونقعُ المنايا مُستطِيرٌ وثائرُ

1 أطّت : صوتت .
2 أصات بنا في ل : أهاب بنا . . .
3 أرعن : جيش مضطرب لكثرته .

أجزْتَ قضاءَ الموتِ في مُهَجِ العِدا ... ضُحًى فاستباحتْها المنايا الغوادِرُ[1]
لكَ اللَّحظاتُ الكالِئاتُ قواصداً ... بنُعمى وبالبأساء وَهْـي شَوازِرُ[2]
ولـو لَم تكُن إلاّ بِنَفْسِك فاخراً ... لمـا انتسبتْ إلاّ إليـك المفاخرُ

قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض وقال : أحسنتَ واللهِ وأَجملْت ، ولو لم تَقُل قط ولا تقولُ في باقي دَهْرِك غير هذا لَما احتجتَ إلى القول ؛ وأمر له بخمسة آلاف دينار فأُحضِرت واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل في جَنْبَتِه أيّامَ ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدَّى لغيره .

[هجاء علي بن هشام]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : كان محمد بن وُهَيب الحِميريّ الشاعر قد مدح عليَّ بن هشام وتردّد إليه وإلى بابه دَفَعات ، فحجبه . ولقيه يوماً ، فعرض له في طريقه وسلّم عليه ، فلم يرفع إليه طرفه ، وكان فيه تِيهٌ شديد . فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها ، فلمّا وصلت إليه خرَّقها وقال : أيّ شيء يريد هذا الثقيل السيِّئ الأَدب ؟ فقيل له ذلك فانصرف مُغضَباً ، وقال : واللهِ ما أردت مالَه ، وإنّما أردتُ التوسُّلَ بجاهه وسيُغني الله جلّ وعزّ عنه ، أما واللهِ ليُذمَّنَّ مغبَّةَ فِعله . وقال يهجوه[3] : [من البسيط]

أُزْرت بِجُـودِ عَلَـيٍّ خيفَـة العَدَم ... فصَدَّ مُنهزِمـاً عـن شأْوِ ذي الهِمَمِ[4]
لو كانَ مِنْ فارسٍ في بَيْت مَكرُمةٍ ... أو كان من وَلَد الأَملاكِ في العَجَمِ[5]
أو كان أوّلَـه أهـلُ البِطاح أو الرَّ ... كـبُ المُلبُّـونَ إهـلالاً إلى الحَرَمِ
أيّـامَ تُتَّخـذُ الأَصنـامُ آلهـةً ... فـلا تَـرى عاكِفـاً إلاّ على صَنَمِ
لشجَّعَتْـه على فعـل المُلـوك لهـم ... طَبائِـعٌ لم تَرُعْهـا خِيفَـةُ العَدَمِ
لم تنـدَ كَفَّاك من بَـذْل النَّوال كما ... لم ينـدَ سَيفُـك مُـذْ قُلِّدتَـه بدَمِ
كُنْتَ امـرءاً رفعَتْـه فِتنَـةٌ فَعلا ... أيّامَهـا غـادِراً بالعَهْـدِ والذِّمَمِ
حتـى إذا انكشَفَت عَنَّا عِمايَتُها ... ورُتِّـبَ النّاسُ بالأحسابِ والقِدَمِ[6]

---

1 ضحى في ل : به .
2 شزره : نظر إليه بمؤخرة عينه (في حال الاعراض أو الغضب) .
3 الخبر والشعر في معاهد التنصيص .
4 معاهد : أزرَت عليه الجود .
5 معاهد : الأملاك والعجم .
6 عمايتها في ل : غيابتها .

مـات التَّخلّقُ وارتدَّتـك مُرتَجعاً طَبيعـةَ نَذْلَـة الأَخـلاقِ والشِّيَمِ
كَذاكَ مَـنْ كان لا رأساً ولا ذَنباً كَزَّ اليَدَيْـنِ حَديـثَ العَهْدِ بالنِّعمِ
هَيهاتَ ليس بحمّـالِ الدِّيات ولا مُعطِي الجَزِيلِ ولا المَرهُوبِ ذي النِّقَمِ

قال : فحدَّثني بعضُ بني هاشم أنَّ هذه الأبيات لَمّا بلغت عليَّ بنَ هِشام ندم على ما كان منه ؛ وجَزِع لها وقال : لعن الله اللَّجاج فإنّه شرُّ خُلُقٍ تَخَلّقه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال : الله يعلم أنّي لا أدخلُ على الخليفة وعليَّ السيفُ إلاّ وأنا مُسْتَحٍ منه ، أذكر قول ابنِ وُهَيب فيّ : [من البسيط]

لم تَندَ كَفّاك من بَذْلِ النَّوال كما لم يَنْدَ سَيفُك مـذ قُلِّدتَه بِدَمِ

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : حدَّثني مَنْ سمع ابنَ الأعرابيّ يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد بنِ وُهَيب : [من البسيط]

لم تَندَ كَفاكَ من بَذْلِ النّوال كما لم يندَ سيفُك مذ قُلّدته بِدَمِ

[أعرابيّة تسكته]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثني محمد بن مرزوق البصريّ قال : حدَّثني محمد بن وُهَيب قال[1] : جلستُ بالبصرة إلى عطّار فإذا أعرابيّة سوداء قد جاءت فاشترت من العطّار خَلُوقاً ، فقلت له : تجدُها اشترته لابنتها وما ابنتُها إلاّ خُنْفُساء ، فالتفتت إليّ مُتَضاحكة ، ثم قالت : لا والله ، لكن مهاةٌ جيداء ، إن قامت فقَناةٌ ، وإن قعدت فحصاة ، وإن مشت فقطاةٌ ، أسفلُها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كَفَتياتِكم اللواتي تسمِّنونهنّ بالفَتُوت ، ثم انصرفت وهي تقول : [من الرجز]

إنّ الفَتُوتَ للفَتـاةِ مَضْرطَـه يَكرُبُها في البَطْنِ حتى تَثلِطَه[2]

فلا أعلمُني ذَكرتُها إلاّ أضحكني ذِكرُها .

[عند يزيد بن هارون]

حدَّثني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا أبو هِفّان قال : كان محمد بنُ وُهَيب يتردّد إلى مجلس يزيد بن هارون ، فلزمه عدّة مجالس يُملي فيها كلّها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، لا يذكر شيئاً من فضائل عليّ عليه السلام ، فقال فيه ابنُ وُهَيب : [من البسيط]

آتـي يزيـدَ بنَ هـارونٍ أُدالِجُه في كلِّ يَوْمٍ وَمالي وابن هارونِ

1 الخبر في معاهد التنصيص 1 : 229 . وفيه : تسمنونهن بالقتوت : وهو الأفاويه .
2 تثلطه : تسلحه .

فَلَيتَ لي بِيَزِيــدٍ حين أَشهــدَهُ ... راحــاً وقَصْفاً ونَدْمانــاً يُسَلِّيني
أَغدُو إلى عُصْبَة صَمَّتْ مسامِعُهم ... عن الهُـدى بـين زِنْدِيق ومأْفُونِ
لا يذكُرون عَلِيّاً في مَشاهِدِهم ... ولا بَنِيــه بَنــي البيضِ المَيامِينِ
اللهُ يَعْلَــم أنّــي لا أُحِبُّهــمُ ... كما هــمُ بيَقِــينٍ لا يُحِبُّــوني
ويَسْتَطِيعون عن ذكْرى أَبا حَسَن ... وفَضْلــه قَطَّعُــوني بالسَّكاكينِ
ولستُ أَترُك تَفْضِيلي لــه أَبـداً ... حَتى المَماتِ عَلى رَغْمِ المَلاعينِ

[تشيعه]

أُخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني إسحاق بن محمد الكوفيّ ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن يوسف . وأخبرني به الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن القاسم قال : حدَّثني إسحاق ، عن محمد بن القاسم بن يوسف قال : كان محمد بن وُهَيب يأتي أبي فقال له يوماً : إنّك تأتينا وقد عرفتَ مذاهِبنا فنحبُّ أن تعرِّفنا مذهبَك فنوافقَك أو نخالفَك ، فقال لـه : في غد أُبيّن لك أمري ومذهبي . فلمّا كان من غدٍ كتب إليه : [من مجزوء الرمل]

أَيُّها السَّائِلُ قد بيَّنْـ ... ـتُ إن كنتَ ذَكِيّا
أَحمـــدُ اللهَ كَثِيــراً ... بأياديـــه عَلَيّـــا
شاهِــداً أَن لا إلــه ... غيره مـا دمـتُ حَيّا
وَعلى أَحمــدَ بِالصِّدْ ... قِ رَسولاً وَنَبِيّـــا
ومَنحْـــتُ الوُدَّ قُرْبا ... هُ وواليـــتُ الوَصِيّا
وأَتــاني خَبرٌ مُطَّرِحٌ ... لم يَـــكُ شَيّـــا
أَنْ على غير اجْتِماعٍ ... عَقَــدُوا الأَمرَ بَدِيّـا
فوقَفتُ القَــوْمَ تَيْماً ... وَعَدِيّـــاً وأُمَيّـــا
غَيْــرَ شَتّامٍ ولَكِنّــي ... تولَّيـــتُ عَلِيّـــا

[اعتزازه بشعره]

حدَّثني جَحظة قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى المُنَجِّم قال : بلغ محمدَ بنَ وُهَيب أَنّ دِعْبل بنَ عليّ قال : أَنا ابنُ قَولي[1] : [من الكامل]

لا تَعْجَبي يــا سَلْمُ مــن رَجُـلٍ ... ضَحِــك المَشِيبُ برأْسِه فَبَكى

1 الخبر والأبيات في معاهد التنصيص 1 : 229 .

وأنّ أبا تمّام قال : أنا ابن قولي : [من الكامل]

نَقِّل فؤادَك حَيْث شئْتَ من الهَوى ... مــا الحُــبُّ إلاّ للحَبيبِ الأوَّلِ[1]

فقال محمد بن وُهَيب : وأنا ابنُ قولي : [من المديد]

مــا لِمَــن تَمَّت محاسِنُه ... أن يُعادي طَرْفَ مَنْ رَمَقا

لــك أن تُبدي لنا حَسَناً ... ولنــا أن نُعمِــل الحَـدَقا

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وهذا من جيّد شعره ونادِره ، وأوّل هذه الأبيات قولُه : [من المديد]

نَم فقد وَكَّلتَ بي الأَرَقا ... لاهياً تُغري بمَــنْ عَشِقا

إنّما أبقيتَ مــن جَسَدي ... شَبَحــاً غيرَ الذي خُلِقا

كنتُ كالنُّقصانِ في قَمَر ... ماحِقــاً منــه الذي اتَّسقا

وَفَتًى نــاداكَ من كَثَب ... أُسْعِرَت أحشاؤُه حُــرَقا

غَرِقَت في الدَّمــعِ مُقلتُه ... فدَعــا إنسانُهــا الغَـرَقا

إنّمــا عاقَبــتَ ناظِـرَه ... أن أعــاد اللَّحظَ مُسْتَرِقا[2]

مــا لِمَــن تَمَّت محاسِنُه ... أن يُعادي طَرْفَ من رَمَقا

لَــكَ أن تُبدِي لنا حُسناً ... ولنــا أن نُعمِــل الحَدَقا

قدَحَت كَفّاكَ زَنْدَ هَوى ... في سَوادِ القَلْبِ فاحْتَرَقا

[يستوهب غلاماً]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني أبو عبد الله الهِشاميّ عن أبيه قال[3] : دخل محمد بن وُهَيب على أحمد بن هشام يوماً وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلماناً رُوقةً مُرداً وخدَماً بيضاً فُرَّهاً في نهاية الحسن والكمال والنظافة . فدهش لما رأى وبقي مُتبلِّداً لا ينطق حَرفاً ، فضحِك أحمد منه وقال له : ما لكَ ؟ ويحك ! تكلَّم بما تريد ، فقال : [من الكامل]

قد كانت الأَصنامُ وَهْي قَديمَةٌ ... كُسِرَت وجَدَّعَهُــنَّ إبراهيمُ

ولَدَيْكَ أَصنامٌ سَلِمْنَ من الأَذى ... وصَفَت لَهُــنَّ غَضارَةٌ ونَعِيمُ

وبِنــا إلى صَنَمٍ نَلُوذ بِرُكْنِـه ... فَقْرٌ وأَنت إذا هُــزِزْتَ كَرِيمُ

---

1 نقل في ل : قلّب .

2 اللحظ في ل : الطرف .

3 الخبر والأبيات في معاهد التنصيص 1 : 228 .

فقال له : اختَر مَن شئت ، فاختار واحداً منهم ، فأعطاه إيّاه ، فقال يمدحه : [من الكامل]

فَضَلَتْ مَكارِمُـه على الأقوامِ وعَـلا فَحـازَ مكارِمَ الأيَّامِ
وعلَتْـه أُبَّهَةُ الجَـلالِ كأنَّه قَمَرٌ بدا لـك من خِلالِ غَمامِ
إنَّ الأميرَ على البَرِيَّـة كُلِّها بعـد الخَليفة أحمدُ بنُ هشامِ

[اتّصاله بالمأمون]

وأخبرني جعفرُ بنُ قُدامة في خبره الذي ذكرتُه آنِفاً عنه ، عن الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال[1] : لمّا قدِم المأمونُ ، لقِيَه أبو محمد الحسن بنُ سَهل ، فدَخَلا جميعاً ، فعارضَهُما ابن وُهَيب وقال : [من البسيط]

اليومَ جُدِّدَت النَّعماءُ والمِنَنُ فالحمدُ للهِ حَـلَّ العُقدَةَ الزَّمَنُ
اليومَ أظهرَتِ الدُّنيا محاسِنَها للنّاسِ لما الْتقى المأمونُ والحَسَنُ

قال : فلمّا جلسا سأله المأمون عنه فقال : هذا رجل من حِمْيَر ، شاعر مطبوع ، اتَّصل بي متوسِّلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً الوصول مع نُظَرائه . فأمر المأمونُ بإيصالِه مع الشعراء ، فلمّا وقف بين يديه ، وأُذِن له في الإنشاد ، أنشده قولَه : [من الكامل]

طَلَـلانِ طـال عليهما الأَمَدُ دَثَـراً فـلا عَلَـمٌ ولا نَضَدُ
لَبِسا البِـلى فكأنَّما وَجَـدا بعـد الأَحِبَّة مثـلَ مـا أَجِدُ
حُيِّيتُمـا طَلَلَـين حالُهمـا بعـد الأَحِبَّـة غَيرُ مـا عَهِدُوا
إمَّـا طَـوَاك سُلُـوُّ غانِيَةٍ فهَـواك لا مَلَـلٌ ولا فَنَدُ
إن كنتِ صادِقَة الهَوى فرِدِي في الحُـبِّ مَنْهَلِيَ الذي أَرِدُ
أَدَمي هَرقْـتِ وأنـتِ آمِنةٌ أم ليس لي عَقْلٌ ولا قَوَدُ ؟
إن كنتِ فُتِّ وخانني سَبَبٌ فلربَّمـا لم يحـظَ مُجتهِدُ

حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون :

يـا خَيْرَ مُنتَسِبٍ لمَكْرُمَـةٍ في المجدِ حيث تَبحْبَح العَدَدُ[2]
في كلِّ أُنمُلَـةٍ لراحَتِـه نَـوءٌ يَسُحُّ وعارِضٌ حَشِدُ

---

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1 : 224–225 .

2 تبحبح في معاهد التنصيص : تبجح .

وإذا القَنــــا رَعَفَــت أسِنَّته ... عَلَقاً وصُـــمٌّ كُعوبِها قِصَدُ[1]

فكأنَّ ضَــوءَ جَبِينه قَمَــرٌ ... وكأنَّـــه في صَولـــةٍ أسَدُ

وكأنَّـــــه رُوحٌ تُدبِّرنــــــا ... حَركاتُـــه وكأنَّنــــا جَسَدُ

فاستحسنها المأمونُ وقال لأبي محمد : احتكم له . فقال : أميرُ المؤمنين أولى بالحكم ، ولكن إن أذِن لي في المسألة سألتُ له ، فأمّا الحُكم فلا . فقال : سَلْ ، فقال : يُلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة . فقال : ذلك والله أردتُ . وأمَر بأن تُعدَّ أبياتُ قصيدتِه ويُعطى لكلّ بيت ألف درهم ، فعُدَّت فكانت خمسين ، فأُعطِي خمسين ألف درهم .

قال الأصفهانيّ : وله في المأمون والحسن بنِ سهل خاصّة مدائحُ شريفة نادرة ، من عيونها قَولُه في المأمون في قصيدة أوّلُها : [من الكامل]

العُـــذرُ إن أنصفتَ مُتَّضِحُ ... وشهودُ حُبِّـــك أدمــعٌ سُفُحُ

فضَحَت ضَميرَك عن وَدائِعِهِ ... إنَّ الجُفونَ نَواطِـــقٌ فُضُحُ

وإذا تكلَّمـــت العُيـــونُ على ... إعجامِهـــا فـــالسِّرّ مُفتَضَحُ

رُبّمــــا أبيــتُ مُعانقــي قَمَرٌ ... للحُسْنِ فيـــه مخايـل تَضِحُ

نَشَرَ الجمـــالُ على مَحاسِنِـه ... بِدَعاً وأذهَبَ هَمَّــه الفَرَحُ

يَخْتال في حُلَــلِ الشَّبابِ بـه ... مَــرَحٌ وداؤك أنّـــه مَرِحُ

مـــا زال يُلثِمُنـــي مراشِفَـه ... ويَعُلُّنـــي الإبريـــقُ والقَدَحُ

حتـــى استرَدَّ اللَّيــــلُ خِلْعَتَه ... ونَشا خِــلالَ سَوادِه وَضَحُ

وبَـــدا الصَّبـــاحُ كأن غُرَّتَه ... وَجــهُ الخَلِيفةِ حــين يُمتَدَحُ

يقول فيها :

نَشَرت بـــك الدُّنيا محاسِنَها ... وتَزَيَّنَـــت بصِفاتِـــكَ المِـدَحُ

وكأنَّ مـا قـــد غابَ عنك له ... بإزاء طرفِـــك عارِضاً شبحُ

وإذا سَلِمتَ فكـــلُّ حادِثَـــةٍ ... جَلَلٌ فـــلا بُؤسٌ ولا تَرَحُ[2]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثني بعض أهلنا : أنّ محمد بنَ وُهَيْب قصد المُطَّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ ، عمّ أبي ، وقد وَلِيَ الموصِل وكان له صديقاً حفيّاً ، وكان كثيرَ الرِّفد له والثّواب على مدائِحِه ، فأنشدَه قولَه فيه : [من المتقارب]

---

1 معاهد : أسنتها . وصم الكعوب : صلبة متينة . وقصد : قطع مما يكسر .

2 جلل : هينة محتقرة .

صوت

دِمــاءُ المُحبِّــين لا تُعقَــل ... أمــا في الهَـوى حَكَمٌ يَعدِلُ
تَعَبَّــدني حَــوَرُ الغانِيــات ... ودانَ الشَّبابُ لــه الأخطَلُ
ونَظــرةِ عــين تَلافَيْتُها ... غِــراراً كما يَنظُــر الأحولُ
مُقسَّمةٍ بــين وَجْــه الحَبيــب وطَرْفِ الرَّقيبِ متى يَغفُلُ
أذمُّ عــلى غَربــاتِ النَّوى ... إليــك السُّلُــوَّ ولا أذهَلُ[1]
وقالــوا عَزاؤُك بعد الفِراق ... إذا حُــمَّ مكروهُــه أجمَلُ
أقِيدي دَمــاً سَفَكَتْه العُيونُ ... بإيماضِ كَحــلاء لا تُكحَلُ
فكُــلُّ سِهامِــك لي مُقصِدٌ ... وكُــلُّ مواقِعِهــا مَقْتَــلُ[2]
سلامٌ على المنزِلِ المُسْتَحِيــلِ ... وإن ضَــنَّ بالمَنطِــقِ المنزِلُ
وعَضْب الضَّريبة يَلْقى الخُطوبِ ... بجِــدّ عن الدَّهــر لا يَنكِلُ
تَغَلْغَلَ شَرْقــاً إلى مَغرِبٍ ... فلمّــا تبــدّت لــه الموصِلُ
ثَوى حيث لا يُستمال الأريب ... ولا يُؤْلــف اللَّقِــن الحُوَّلُ
لَــدى مَلِكٍ قابلتْه السُّعودُ ... وجانَبَــه الأنجُــم الأُفَّلُ
لأيَّامــه سَطَــواتُ الزَّمــانِ ... وإنعامُــه حــينَ لا مَــوْئِلُ
سمــا مالِكٌ بِــكَ للباهِراتِ ... وأوْحَــدَكَ المَرْبَــأُ الأطوَلُ
وليس بَعِيــداً بــأن تَحْتَذي ... مذاهِــبَ آسادِهــا الأشبُلُ

قال : فوصله وأحسن جائزَته وأقام عنده مدّة ، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له ، وزاد في ضيافته وجِراياته وجدَّد له صلة . فأقام عنده بُرهة أُخرى ، ثم دخل عليه فأنشده : [من الطويل]

ألا هَــلْ إلى فيْء العقيــق وظلّــه ... إلى قَصْر أَوْس فالحَزِيــر مَعادُ ؟
وهل لي بأكنافِ المُصَلّى فسفْحِه ... إلى السُّورِ مَغْدًى ناعِمٌ ومُرادُ ؟
فلم تُنسِني نهرَ الأُبُلّــةِ نِيَّــةٌ ... ولا عَرَصــاتِ المَرْبَدَيْــنِ بِعادُ
هنالك لا تَبْني الكواعِبُ خيمةً ... ولا تَتَهــادى كَلْثَــمٌ وسُعادُ

1 غربات : جمع غربة .
2 مقصد : مصيب قاتل .

أَجِـدِّيَ لا أَلقى النَّوى مُطْمَئِنَّةً ... ولا يَزْدَهِينِـي مَضْجـعٌ ومِهادُ

فقال له : أبيتَ إلاّ الوطنَ والنِّزاعَ إليه ! ثم أمر له بعشرة آلاف دِرهم ، وأوقرَ له زَوْرَقاً من طُرَف المَوْصِل وأَذِن له .

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني أبو عبد الله الماقُطانيّ عن عليّ بن الحُسين بن عبد الأعلى ، عن سعيد بن وهيب قال : كان المأمون كثيراً ما يتمثَّل إذا كربَهُ الأمرُ : [من الطويل]

أَلا رُبَّما ضاقَ الفَضاءُ بأَهلِهِ ... وأَمكَنَ من بَيْن الأَسِنَّة مَخرَجُ

[تغيّر ابن عبّاد عليه]

قال الأصفهانيّ : وهذا الشعر لمحمد بن وُهَيب يقوله في ابن عَبّاد وزيرِ المأمون ، وكان له صديقاً ، فلمّا وَلِيَ الوزارَةَ اطَّرَحَه لانقطاعه إلى الحسنِ بن سهل فقال فيه قصيدة أوّلُها : [من الطويل]

تَكَلَّمَ بالوحـي البَنانُ المُخَضَّبُ ... ولله شكوى مُعجِمٍ كيف يُعرِبُ ؟

أَإيماءُ أَطـراف البنانِ وَوَجهُها ... أَبانـا له كيف الضَّميرُ المُغَيَّبُ ؟

وقـد كان حُسنُ الظَّنِّ أَنجَبَ مَرَّة ... فأَحْمَـد عُقْبـى أَمـرِهِ المُتعقِّبُ

فلمّـا تَدَبَّـرت الظُّنـون مُراقِباً ... تَقَلُّـبَ حالَيْهـا إذا هـي تكذِبُ

بـدأتَ بإحسانٍ فلمّـا شَكرتُه ... تَنكَّـرتَ لي حتى كأَنّيَ مُذنِبُ

وَكلُّ فَتًى يلقى الخطوبَ بعزمه ... له مذهبٌ عَمَّن لـه عنـه مذهبُ

وهل يصرعُ الحُبُّ الكريمَ وقلبُه ... عَلِيـمٌ بما يأْتـي وَمـا يتجَنَّبُ

تأَنَّيْتُ حتى أَوضَحَ العِلْمُ أَنَّني ... مع الدَّهْرِ يوماً مُصعِدٌ وَمُصَوِّبُ

وأَلحقتُ أَعجازَ الأُمورِ صُدورَها ... وَقَوَّمها غَمـزُ القِـداحِ المُقَلِّبُ

وأَيقنتُ أَنّ اليأْسَ للعِرضِ صائِنٌ ... وأَن سوف أغضي للقذى حين أَرغبُ

أَغادرتَني بـين الظُّنـون مُمَيِّزاً ... شواكِـلَ أَمـرٍ بينهنّ مجرِّبُ

يُقرِّبني مَـنْ كُنت أُصفِيك دونه ... بـوُدِّي وتنأَى بي فَـلا أَتَقَرَّبُ

فللَّه حظِّي منـك كيف أَضاعَه ... سُلوُّك عنِّـي والأُمـورُ تَقَلَّبُ

أَبعدَكَ أَستَسْقي بوارِقَ مُزنَـةٍ ... وَإن جادَ هَطَّالٌ من المُزْنِ هَيْدَبُ

إذا ما رأَيْتُ البرقَ أَغضَيْت دونَه ... وَقُلت إذا ما لاح : ذا البَرْقُ خُلَّبُ

وإن سَنَحت لي فُرصَةٌ لم أُسامِها ... وَأَعرضتُ عنها خوف ما أَترقَّبُ

تأدّبتُ عن حُسْن الرَّجاء فلَنْ أرى أُعـودُ لــه إن الزّمــان مؤدِّبُ

وقال له أيضاً : [من الطويل]

هــل الهَــمُّ إلاّ كُربــةٌ تتفرَّج لهــا مُعْقِبٌ تُحدى إليه وَتُزْعَجُ
وَما الدَّهر إلاّ عائـدٌ مِثْلُ سالِفٍ ومـا العَيْش إلاّ جُدّةٌ ثم تُنْهَجُ[1]
وكيف أشِيمُ البَرْقَ والبَرْقُ خُلَّبٌ وَيُطْمِعُنــي رَيْعانُــه المُتَبَلِّــجُ
وَكيف أُدِيم الصبرَ لا بي ضَرَاعَةٌ ولا الرِّزقُ مَحْظورٌ ولا أنا مُحرَجُ ؟
ألا رُبَّمــا كان التَّصَبُّرُ ذِلَّــةً وَأَدْنى إلى الحالِ التي هي أَسْمَجُ
وَهَلْ يَحْمِلِ الهَمَّ الفتى وَهْو ضامِنٌ سُرى الليل رَحّالُ العَشيّاتِ مُدلِجُ
وَلا صبرَ ما أعدى على الدَّهْرِ مطلبٌ وأمْكَــنَ إدلاجٌ وَأصحر منهجُ[2]
ألا رُبّما ضــاق الفضاءُ بــأهلِهِ وَأمكَنَ مــن بَيْنِ الأَسِنَّة مَخْرَجُ
وَقَد يُركَبُ الخَطبُ الذي هو قاتِلٌ إذا لم يَكُــن إلاّ عليْــه مُعرَّجُ

[المعتصم يجيزه على مدح الأفشين]

حدَّثني بعضُ أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال[3] : كان محمدُ بنُ وُهَيب تيّاهاً شديد الذّهاب بنفسه ، فلمّا قدم الأفشين ، وقد قَتَل بابك ، مدحَه بقصيدته التي أوَّلها : [من الهزج]

طُلُــولٌ ومَغانِيهــا تُناجيهــا وَتَبْكِيهــا

يقول فيها :

بَعثْتَ الخيلَ ، والخَيرُ عَقِيــدٌ في نَواصِيهــا

وهي من جَيِّد شعره ، فأنشدَناها ثم قال : ما لها عيبٌ سوى أنّها لا أُختَ لها .

قال : وأمَر المعتصم للشعراء الذين مَدَحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرِقَتُها على يد ابن أبي دُواد ، فأعطى منها محمد بنَ وُهَيب ثلاثين ألفاً ، وأعطى أبا تمّام عشرة آلاف درهم . قال ابنُ أبي كامل : فقلتُ لعليّ بن يحيى المُنجِّم : ألا تعجب من هذا الحظّ ؟ يُعطى أبو تمّام عشرة آلاف وابنُ وُهَيْب ثلاثين ألفاً ، وبينهما كما بين السماء والأرض . فقال : لذلِك عِلّة لا تعرفها ؛ كان ابنُ وُهَيْب مُؤدّبَ الفتْحِ بنِ خاقان ، فلذلك وَصَل إلى هذه الحال .

1 الجدّة : الطريق . تنهج : تبلى .
2 أصحر : اتسع .
3 انظر معاهد التنصيص 1 : 226 .

[شعره في مرضه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدَّثني أبو زَكْوان قال[1]: حدَّثني مَنْ دخلَ إلى محمد بن وُهَيب يعودُه وهو عليل قال: فسألتُه عن خبره فتشكَّى ما به ثم قال: [من الطويل]

نُفوسُ المَنايـا بـالنُّفوسِ تَشعَّبُ   وكُلٌّ له من مَذْهَب الموت مَذْهَبُ[2]
نُراعُ لذِكرِ الموت ساعةَ ذِكْرِهِ   وتَعتَـرِض الدُّنْيـا فنَلْهـو ونلعَبُ
وآجالُنـا في كلِّ يَـوْم وليلةٍ   إلينـا عـلى غِرَّاتِنـا تتقرَّبُ
أأيقنَ أنَّ الشيبَ يَنْعـى حياتَـه   مُـدِرٌّ لأَخْلافِ الخَطِيئةِ مُذْنِبُ[3]
يَقِـينٌ كأنَّ الشَّكَّ أغلـبُ أَمـرِه   عليه وعرفـانٌ إلى الجهلِ يُنْسَبُ
وقـد ذَمَّـتِ الدُّنيا إليَّ نَعِيمَها   وخاطَبَني إعجامُها وهـو مُعْرِبُ
ولكنَّني منهـا خُلِقـتُ لغيرِها   وما كنتُ منه فهو عندي مُحبَّبُ

[ردّه على أبي فنن والكنديّ]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال: حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال[4]: كنّا في مجلسٍ ومعنا أبو يوسف الكِنديّ وأحمد بن أبي فَنَن، فتذاكرنا شعرَ محمد بنَ وُهَيْب فطَعَنَ عليه ابن أبي فَنَن وقال: هو متكلِّف حَسودٌ، إذا أنشد شعراً لنفسه قرَّظَه ووصفه في نِصْف يوم، وشكا أنّه مَظلوم مَنحوس الحظّ، وأنّه لا تُقَصّر به عن مراتب القُدماء حالٌ؛ فإذا أُنشِدَ شعرُ غيره حَسده، وإن كان على نبيذ عَرْبد عليه، وإن كان صاحياً عاداه واعْتَقَد فيه كلَّ مكروه. فقُلت له: كلاكما لي صديق، وما أمتَنِع من وصفِكُما جميعاً بالتّقدُّم وحسن الشعر، فأخبرني عمّا أسألُك عنه إخبارَ مُنصِف، أو يُعَدّ مُتكلِّفاً مَن يقول: [من الطويل]

أبى ليَ إغضاءَ الجُفونِ على القَذى   يَقِينِـيَ أن لا عُسْرَ إلاّ مُفرَّجُ
ألا رُبَّمـا ضـاقَ الفَضاءُ بأهلِهِ   وأَمكَنَ مِن بَيْن الأَسِنَّةِ مَخرَجُ؟

أَوَ يُعَدّ متكلّفاً مَن يقول: [من الطويل]

رأتْ وَضَحاً مِن مَفْرِق الرأسِ راعها   شَرِيحَـين مُبْيَضٌ بـه وبَهيمُ[5]

---

1 الخبر والشعر في معاهد التنصيص 1: 229–230.
2 معاهد: بالنفوس... تشعبت.
3 معاهد: وهو لأخلاق الخطيئة...
4 انظر معاهد التنصيص 1: 226–228.
5 معاهد: رأت واضحاً.

فأمْسكَ ابنُ أبي فنَن ، واندَفع الكِنديّ فقال : كان ابنُ وُهَيب ثِنْوِيّاً . فقلتُ له : من أيْنَ عَلمتَ ذاك ؟ أكلَّمَك على مذهب الثِّنْوِيّة قطّ ؟ قال : لا ، ولكنِّي استدلَلْت من شعره على مذهبه ، فقُلتُ : حيث يقول ماذا ؟ فقال : حيث يقول[1] : [من الكامل]

طَلَلانِ طـال عليهما الأَمَدُ

وحيث يقول :

تَفتَرُّ عن سِمْطَيْنِ مـن ذهبِ

إلى غير ذلك ممّا يَستعمِلُه في شعره من ذكر الاثنين .

فشغَلَني واللهِ الضّحكُ عن جوابه . وقلت له : يا أبا يوسف ، مِثلُك لا ينبغي أن يتكلّم فيما لم يَنفُذ فيه عِلمُه .

[يستنجز حاجة من ابن الزيات]

أخبرني أحمد بنُ عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني أحمدُ بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه قال : سأل محمد بنُ وُهَيْب محمد بن عبد الملك الزيّات حاجةً فأبطأ فيها ، فوقف عليه ثم قال له : [من مجزوء الكامل]

طُبِـعَ الكَرِيمُ على وَفائِهْ ... وعَلى التَّفضُّـلِ في إخائِهْ
تُغنـي عِنايَتُـه الصَّدِيـــقَ عن التَّعرُّض لاقْتِضائِهْ
حَسْبُ الكَرِيـم حَيـاؤُهُ ... فكِـلِ الكَرِيـمَ إلى حَيائهْ

فقال له : حسبُك فقد بلَغْتَ إلى ما أَحبَبْتَ ، والحاجةُ تسبِقُك إلى منزِلك . ووَفى له بذلك .

صوت

[من الطويل]

ودِدْتُ على ما كان من سَرَف الهَوى ... وغَـيّ الأماني أنَّ ما شِئْتُ يُفعَلُ
فترجِـعَ أيّام تَقضَّت ولَـذَّةٌ ... تولَّت ، وهل يُثْنى مِن الدَّهْرِ أوَّلُ

الشعر لُمزاحم العُقَيليّ ، والغناءُ لمقاسة بن ناصح ، خفيف رمل بالبنصر عن الهشاميّ . قال الهشاميّ : وفيه لأحمد بن يحيى المكّيّ رمل .

1 معاهد التنصيص 1 : 230 .

[400] ـ أخبار مزاحم ونسبه[1]

[نسبه]

قيل : هو مُزاحِم بنُ عَمْرو[2] بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم بن خُوَيْلِد بن عَوْف بن عامِر بن عُقَيل بنِ كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعْصَعَة بن مُعاوية بن بَكر بن هَوازِن .

وقيل : مُزاحِم بنُ عَمْرو بن مُرّة بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم ، وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب .

بدويٌّ شاعر فصيح إسلاميّ ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق . وكان جرير يصفه ويُقرِّظُه ويقدِّمه .

أخبرني محمد بن خلف بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ عن إسحاق المَوْصِلِيّ قال : قال لي عُمارة بنُ عُقَيل : كان جريرُ يقول : ما مِنْ بيتين كنتُ أُحِبّ أن أكون سَبقتُ إليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقَيْلِيّ[3] : [من الطويل]

وَدِدْتُ على ما كان من سَرَف الهَوى ... وغَيّ الأَماني أنَّ مــا شئتُ يُفعَلُ
فترجــع أَيّــامٌ مَضَيْنَ وَلَــذَّةٌ ... تَوَلَّتْ وهَل يُثْنى من العَيْشِ أَوَّلُ

قال المفضّل : قال إسحاق : سَرَفُ الهوى : خطوُه ، ومثله قولُ جرير[4] : [من البسيط]

أَعطوْا هُنَيْدَة تحدُوهــا ثمانِيَة ... ما في عطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

أَراد أنّـهم لا يخطئون مواضع الصنائع ، لا أنّه وصفهم بالاقتصاد والتوسُّط في الجُودِ .

قال إسحاق : وواعدَني زيادٌ الأعرابيّ موضعاً من المسجد ، فطلبته فيه فلم أَجِده ، فقلت له بعد ذلك : طلبتُك لموعدك فلم أجِدك . فقال : أين طلبتَني ؟ فقلت : في موضع كذا وكذا ، فقال : هناك واللهِ سَرِفْتُك ، أيّ أخطأتُك .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : أُنشدني حمّاد عن أبيه لمزاحم العُقَيْليّ قال : وكان يستجيدُها ويستحسنُها : [من الطويل]

1 ترجمة مزاحم العقيلي في طبقات ابن سلام : 770–777 وخزانة البغدادي 6 : 273–275 .

2 في ابن سلام والخزانة : مزاحم بن الحارث .

3 انظر الخزانة 6 : 274 .

4 ديوان جرير (صادر) : 307 .

لِصَفْراءَ في قَلْبي من الحُبِّ شُعبَة ... حِمًى لم تُبِحْه الغانياتُ صَمِيمُ
بها حَلَّ بَيتُ الحُبِّ ثم ابتَنى بها ... فبانَت بُيوتُ الحَيِّ وهو مُقِيمُ
بَكَت دارُهم من نَأْيِهم فتهلَّلَت ... دموعي فأَيَّ الجازِعين أَلُومُ
أَمُسْتَعْبِراً يبكي من الحُزنِ والجَوى ... أَمَ آخَرُ يَبْكي شَجْوَه فيَهيمُ ؟
تَضمَّنه من حُبِّ صَفْراء بعدما ... سلا هَيَضات الحبّ فهو كَلِيمُ[1]
ومن يَتَهَيَّض حبُّهنّ فُؤادَه ... يَمُت أَو يَعِش ما عاشَ وهو سَقِيمُ
كَحَرَّان صادٍ ذِيدَ عن بَرْد مَشْرب ... وعنْ بَلَلاتِ الرِّيق فَهْو يَحُومُ

[امتنع عمّه من تزويجه لفقره]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال : حدَّثنا أَبو سعيد السُّكَّريّ قال : أَخبرنا محمد بن حبيب عن ابن أبي الدُّنيا العُقَيليّ ، قال ابن حبيب : وهو صاحب الكسائيّ وأصحابنا ، قال : كان مزاحم العقيليّ خطب ابنة عمّ له دِنْيَة[2] فمنعه أهلُها لإملاقه وقلّة ماله ، وانتظروا بها رجلاً مُوسِراً في قومها كان يذكرها ولم يحقّق ، وهو يومئذٍ غائب . فبلغ ذلك مُزاحِماً من فعلِهم ، فقال لعمِّه : يا عمِّ ، أَتقطَع رَحِمي وتختار عليّ غيري لفضل أباعرَ تحوزُها وطفيفٍ من الحظِّ تحظى به ؟ وقد علمت أنّي أقرب إليك من خاطبها الذي تريده ، وأفصح منه لساناً ، وأجودُ كفّاً ، وأمنعُ جانباً ، وأغنى عن العشيرة ! فقال له : لا عليك فإنّها إليك صائرة ، وإنّما أُعلِّل أمَّها بهذا ، ثم يكون أمرها لك ، فوثِق به . وأقاموا مدّة ، ثمّ ارتحلوا ومزاحم غائب . وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه أمرها ، فرغب فيها ، فأنكحوه إيّاها ، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول : [من الطويل]

نَزلتُ بمُفْضى سيل حَرْسَيْن والضُّحى ... يَسِيلُ بأَطرافِ المخارِمِ آلُها[3]
بمسقِيَّةِ الأَجفانِ أَنفَد دَمعَها ... مُقاربةُ الأُلاَّف ثُمَّ زِيالُها
فلمّا نَهاها اليأسُ أَن تُؤنِس الحِمى ... حِمى البِئرِ جَلَّى عَبْرَة العَيْنِ جالُها
أَيا ليلَ إن تَشْحَط بك الدارُ غُربَةً ... سوانا ويُعْيي النّفسَ فيك احتيالُها
فكَمْ ثم كَمْ من عَبْرة قد رَدَدتُها ... سَريعٍ على جَيْب القَميص انهلالُها

---

1 هيضات : جمع هيضة ، وهي معاودة الهم والحزن .
2 دنية : لاصقة النسب .
3 حرسين : ماءان لبني عقيل . والمخارم : الطرق في الأرض الغليظة .

خلِيليَّ هــل مــن حِيلـة تَعْلَمانها ... يُقــرِّب مــن ليـلى إلينا احتِيالُها
فــإنَّ بأَعْــلى الأخشَبَيْن أَراكــةً ... عدَتنيَ عنهــا الحَــرْب دانٍ ظِلالُها
وفي فَرْعِهـا لــو تُستَطـاع جَنابُها ... جنًــى يجتَنِيه المُجْتَنــي لــو يَنالُها
هنِيئـاً لِليْلــى مُهْجَـــةٌ ظَفِـرَتْ بها ... وتَزْويجُ لَيْلى حــين حـان ارتِحالُها
فقـد حَبَسُوها مَحْبِس البُدْن وابتَغى ... بهــا الرِّبحَ أَقوامٌ تَساخَـف مالُها[1]
فـإنَّ مــع الرَّكْـبِ الذيـن تَحَمَّلُوا ... غمامــة صَيْف زعزعَتْهـــا شمالُها

[هربه من السجن]

وقال محمد بنُ حبيب في خبره ، قال ابنُ الأعرابيّ : وقع بين مُزاحِم العُقَيْليّ وبين رجل من بني جَعْدَة لِحاءٌ في ماء فتَشاتَما وتَضاربا بعِصِيِّهما ، فشَجَّه مُزاحم شجَّة أمّتْه[2] ، فاستعدَت بنو جَعْدة على مُزاحم فَحُبِس حبساً طويلاً ، ثم هَرَب من السِّجن ، فمكَث في قومه مدّة ، وعُزِل ذلك الوالي وولي غيره ، فسأله ابنُ عمّ لمزاحِم يقال له مُغلِّس أن يكتب أماناً لمزاحم ، فكتَبه له ، وجاء مغلّس والأمان معه ، فنَفَر مُزاحِم منه وظنَّها حِيلةً من السُّلطان ، فهَرَب وقال في ذلك : [من الطويل]

أتــاني بقِرطــاس الأَميرِ مُغَلِّسٌ ... فأفــزَعَ قِرطــاسُ الأَميرِ فُؤادِيا
فقلتُ لــه : لا مَرْحَباً بِكَ مرسَلا ... إليَّ ولا لي مــن أَميرك داعِيـــا
أليسَت جبالُ القَهْرِ قُعْساً مكانها ... وعَرْوى وأَجبالَ الوَحاف كما هِيا ؟[3]
أخــاف ذُنُوبِــي أَن تُعَــدّ ببابِهِ ... ومـا قــد أَزَلَّ الكاشِحُونَ أَمامِيا
ولا أَسْتَرِيم عُقْبَــةَ الأَمــرِ بعدما ... تورَّط في بهماء كَعْبِــي وساقِيا[4]

[هوي امرأة وتزوّجت غيره]

أَخبرني محمد بن مَزْيَد ، وأَحمد بن جعفر جحظة قالا : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق ، عن أَبيه قال : كان مُزاحِمٌ العُقَيلِيّ يهوى امرأةً من قومه يقال لها مَيَّة ، فتزَوَّجت رجلاً كان أقربَ إليها من مزاحم . فمرَّ عليها بعد أن دخل بها زوجُها ، فوقفَ عليها ثم قال : [من الطويل]

أَيــا شَفَتَيْ مَــيٍّ أَما مــن شَرِيعةٍ ... مــن المــوتِ إلاّ أَنتمــا تُورِدانِيا

1 تساخف مالها : رقّ حالها .
2 أمته : أصابت أم رأسه .
3 قعساً : ثابتة .
4 كعبي في ل : كفي .

ويا شَفَتَيْ مَــيٍّ أَمـا لي إليكما سبيلٌ وهذا الموت قد حَلَّ دانِيا !
ويا شَفَتَيْ مَــيٍّ أَمـا تَبذُلان لي بشيءٍ وإن أُعطَيت أَهلي ومالِيا !

فقالت : أَعزِزْ عليَّ يا ابن عمّ بأن تسأل ما لا سَبيل إليه ، وهذا أَمر قد حِيل دونه ، فَآلْهُ عنه . فانصرف .

[جرير يتمنّى شعره]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخفشُ قال : حدَّثنا محمد بنُ يزيدَ النَّحويّ قال[1] : حدَّثني عُمارة بن عُقَيل قال : قال لي أبي : قال عبد الملك بنُ مروان لجرير : يا أبا حَزْرة ، هل تُحبّ أن يكون لك بشيء من شِعْرِك شيءٌ من شِعْر غَيرِك ؟ قال : لا ، ما أُحِبّ ذلك ، إلاّ أنّ غُلاماً يَنْزل الرَّوضاتِ من بلادِ بني عُقيـل يقال له مُزاحِم العُقيليّ ، يقول حَسناً[2] من الشعر لا يقدِر أحد أن يقول مثلَه ، كنت أُحِبُّ أن يكون لي بعضُ شِعْره مُقايضة ببعض شِعري .

[امرأة أُخرى يهواها فتتزوّج غيره]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسنِ بن دُريد قال : حدَّثني عمِّي ، عن العبّاس بن هشام عن أَبيه قال : كان مُزاحِم العُقَيليّ يَهوى امرأةً من قَوْمِه يقال لها ليلى ، فغاب غَيْبة عن بلادِه ، ثم عاد وقد زُوِّجت ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أَتاني بظَهْر الغَيْب أَن قد تَزَوَّجَتْ فظلَّت بِيَ الأَرضُ الفضاءُ تدُورُ
وزايَلَني لُبِّــي وقد كان حاضِراً وكاد جَنــاني عنــد ذاك يَطِيرُ
فَقلتُ وقــد أَيقنْتُ أَن ليس بَيْنَنا تَـلاقٍ وعَيْني بالدّمــوعِ تمورُ
أَيا سُرعةَ الأَخبارِ حين تَزَوَّجَتْ فهَــل يأتِيَنِّــي بالطَّـلاقِ بَشِيرُ
ولستُ بمُحْصٍ حُبَّ ليلى لسائِلٍ مــن النَّاسِ إلاّ أَن أَقـول كَثِيرُ

صوت

[من الطويل]

لها في سَوادِ القَلْبِ تِسعةُ أَسْهُمٍ وللنّاس طُرّاً من هَوايَ عَشِيرُ[3]

قال ابن الكلبيّ : ومن الناس مَن يزعم أَنَّ لَيْلى هذه التي يهْواها مُزاحم العُقيليّ هي التي كان يهْواها المجنون ، وأَنّهما اجتمعا هو ومُزاحِم في حُبّها .

1 قارب بالخزانة 6 : 274 .
2 ل والخزانة : حوشياً .
3 عشير : معشار .

[امرأة رابعة هويها وتزوّجت غيره]

قال الأصفهانيّ : وقد أُخبرني بشرح هذا الخبر الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بنِ الصّبّاح عن ابن الكلبيّ قال : كان مُزاحم بن مُرّة العُقيليّ يَهوى امرأة من قُشَير يقال لها ليلى بنت مُوازِر ، ويتحدَّث إليها مدّة حتى شاع أمْرُهما ، وتحدَّث جواري الحيِّ به ، فنَهاه أهلُها عنها ، وكانوا مُتجاوِرين ، وشَكَوْه إلى الأشياخ من قومِهِ فنَهَوْه واشتدّوا عليه ، فكان ينقلب إليها في أوقات الغَفَلات ، فيتحدَّثان ويتشاكَيان . ثم انتجَعَت بنو قُشَير في ربيع لهم ناحيةً غير تلك قد نضَّرها غَيْثٌ وأخصَبَها ، فبَعُد عليه خبرُها واشْتاقَها ، فكان يسأل عنها كلَّ وارِد ، ويُرسِل إليها السلام مع كلّ صادِر ، حتى ورد عليه يوماً راكب من قومِها ، فسأله عنها فأخبره أنّها خُطِبت فزُوِّجَت ، فوجَم طويلاً ثم أجهش باكياً وقال : [من الطويل]

أتاني بظَهْر الغَيْب أَن قد تَزَوَّجت فظلَّت بـي الأَرضُ الفَضاءُ تَدُورُ

وذكر الأبيات الماضية .

وقد أُنشدني هذه القصيدة لُمزاحِم ابن أَبي الأَزهر ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، فأَتى بهذه الأبيات وزاد فيها : [من الطويل]

وتُنشَر نفسي بعـد مَوْتي بذِكْرِها مـراراً فمـوتٌ مـرَّة ونُشورُ
عَجَجْتُ لربِّي عَجَّة مـا مَلَكتُها وربِّي بذي الشَّوْق الحزينِ بَصِيرُ[1]
ليرحـم مـا أَلقى ويعلمَ أَنّني لـه بـالذي يُسدي إليَّ شَكورُ
لئن كان يُهدي بردُ أَنيابها العُلا لأحْـوَجَ مِنّـي إنَّنـي لَفَقيرُ

[جرير والفرزدق وذو الرّمّة عند عبد الملك]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال : قال أَبو عدنان[2] : أُخبرنا تميمُ بنُ رافع قال : حُدِّثت أنَّ الفرزدقَ دخل على عبد الملك بن مروان ، أو بعضِ بنيه ، فقال له : يا فرزدق ، أتعرفُ أحداً أشعرَ منك ؟ قال : لا ، إلاّ غُلاماً من بني عُقَيل ، يركب أعجازَ الإبل ويَنْعت الفَلواتِ فيُجيد ، ثم جاءه جرير فسأله عن مِثل ما سأل عنه الفرزدق فأجابه بجوابه ، فلم يلبَث أن جاءه ذو الرُّمّة فقال له : أنت أشعرُ النّاس ؟ قال : لا ، ولكن غلام من بني عُقيل يقال لـه مُزاحم يسكن الرَّوضات ، يقول وحْشِيّاً من الشعر لا يُقدَرُ على

1 عج : صاح .
2 قارن بالخزانة 6 : 274 والبيتان في طبقات ابن سلام .

مثله ، فقال : فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك ، فأنشده قولُه : [من الطويل]

خليلَيَّ عُوجا بي على الدّار نَسأَلِ مَتى عهدُهـا بالظَّاعِـن المُتحمِّلِ[1]
فعُجتُ وعاجوا فَوق بَيْداء موَّرتْ بها الرِّيح جولان الترابِ المُنَخَّلِ[2]

حتى أتى على آخرها ثم قال : ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا .

صوت

[من الطويل]

أُكذِّب طَرْفي عنكِ في كُلِّ ما أرى وأُسمِع أُذني منك ما ليس تَسْمَعُ
فـلا كَبِدي تَبلى ولا لكِ رَحمةٌ ولا عنكِ إقصارٌ ولا فيكِ مَطْمَعُ
لقِيتُ أُمُوراً فيـك لم أَلقَ مِثْلَها وأَعظَـمُ منهـا فيك مـا أَتَوَقَّعُ
فـلا تسألينـي في هواكِ زِيادةً فأَيسرُه يُجـزِي وأَدنـاهُ يُقنِـعُ

الشعر لبكر بن النطَّاح[3] ، والغناء لحسين بن مِحْرِز ثقيل أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ .

---

1 ابن سلام : عوجا بي على الربع .

2 مورت في ل : صفقت . وابن سلام :

فعجت وعاجا فوق صحراء غادرت

3 مجموع شعره : 251–252 .

[401] ـ أخبار بكر بن النّطاح ونسبه[1]

[نسبه]

بكر بنُ النطَّاح الحنفيّ . يُكنى أَبا وائل ، هكذا أُخبرنا وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب ، وذكر غيره أنّه عِجْلِيٌّ من بني سَعْد بن عِجْل ، واحتجَّ مَنْ ذكر أنّه عِجْليّ بقوله[2] : [من الطويل]

فإن يَكُ جَدَّ القومِ فِهْرُ بن مالِك ... فَجدِّيَ عِجْلٌ قَرْم بَكْرِ بن وائِلِ

وأَنكر ذلك مَنْ زعم أنّه حَنَفِيٌّ وقال : بل قال : [من الطويل]

فجدِّي لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْـــرِ بنِ وائلِ

وعِجْل بنُ لُجيم وحنيفة بن لُجيم أَخوان .

وكان بكر بن النطّاح صُعلوكاً يُصيب الطريق ، ثم أَقصر عن ذلك ، فجعله أَبو دُلَف من الجُند ، وجعل له رِزْقاً سُلطانيّاً ، وكان شُجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشِّعر والتصرُّف فيه ، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام .

[قصته مع أبي دلف]

فأَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي ، قال[3] : قال بكر بنُ النَّطّاح الحنفيّ قصيدتَه التي يقول فيها[4] : [من الطويل]

هنيئاً لإخواني ببَغْـــدادَ عِيدُهـــم ... وعِيدي بحُلوانٍ قِـــراعُ الكَتائِبِ

وأَنشدها أَبا دُلَف فقال له : إنّك لتكثر الوصفَ لنفسك بالشَّجاعة ، وما رأيتُ لذلك عندك أثراً قَطّ ، ولا فيك ، فقال له : أَيُّها الأمير وأيّ غناء يكون عند الرجل الحاسِرِ الأَعْزل ؟ فقال : أعطوه فرساً وسيفاً وتُرساً ودرعاً ورمحاً ، فأعطوْه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفـرسَ وخرج على وجهه ، فلقيه مالٌ لأبي دُلف يُحمَل من بعض ضياعه ، فأخذه وخرج

1 ترجمة بكر بن النطاح في طبقات ابن المعتزّ : 217–225 وفوات الوفيات 1 : 219–221 والوافي بالوفيات 10 : 218–221 والبداية والنهاية 10 : 208 والسمط : 520 ، 560 وتاريخ بغداد 7 : 90 وشرح الحماسة للتبريزي 3 : 140 والمرزوقيّ : 1285 وانظر التذكرة الحمدونية 2 : 458–460 ، 489 و4 : 45 و5 : 314 . وقد جمع شعره حاتم الضامن في «شعراء مقلون» (بيروت ـ 1978) .

2 شعره (عن الطبقات) : فحسبي فخراً فخر بكر بن وائل .

3 انظر طبقات ابن المعتزّ : 218 والبيت فيه : ومن يفتقر منا يعش بحسامه . . .

4 شعره . 222 (عن الأغاني) .

جماعةٌ من غلمانه فمانعُوه عنه ، فجرحهم جميعاً وقَطَعَهم وانهزموا . وسار بالمال ، فلم ينزل إلاّ على عشرين فرْسخاً . فلمّا اتصل خبرُه بأبي دُلَف قال : نحن جَنَينا على أنفسنا ، وقد كنّا أغنياءَ عن إهاجة أبي وائل ؛ ثم كتب إليه بالأمان ، وسوَّغه المالَ ، وكتب إليه : صِرْ إلينا فلا ذنْب لك ، لأنا نحن كنّا سبب فِعلك بتحْريكنا إياك وتحريضنا ؛ فرجَع ولَم يزل معه يمتدحه ، حتى مات .

[الرشيد يطلبه]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني محمد بنُ موسى قال : حدَّثني الحسنُ بنُ إسماعيل عن ابن الحفصيّ قال : قال يزيدُ بنُ مَزْيد[1] : وجَّه إليَّ الرشيدُ في وقت يرتاب فيه البريءُ ، فلمّا مثُلت بين يديه قال : يا يزيدُ ، مَن الذي يقول : [من الطويل]

ومــن يَفْتَقِرْ مِنّــا يَعِشْ بحُسامِه ومَن يَفْتَقِر مِن سائر النّاسِ يَسْأَلِ

فقلت له : والذي شرَّفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه ، قال : فمن الذي يقول :

وإن يَكُ جَدُّ القَوْم فِهْرَ بن مالِك فَجدِّي لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْر بن وائِلِ

قلت : لا والذي أكرمك وشرَّفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه . قال : والذي كرَّمني وشرَّفني إنّك لتعرفه ، أتظنّ يا يزيد أنّي إذا أوطأتُك بساطي وشرَّفتُك بصنيعتي أنّي أحتَمِلك على هذا ؟ أو تظنّ أنّي لا أُراعي أُمورك وأتقصّاها ، وتحسب أنّه يخفى عليّ شيءٌ منها ؟ والله إنّ عُيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك ، هذا جِلْفٌ من أجْلاف ربيعة عدا طورَه وألحق قُريشاً بربيعة فأْتني به . فانصرفتُ وسألتُ عن قائل الشعر ، فقيل لي : هو بكر بن النطاح ، وكان أحد أصحابي . فدعوتُه وأعلمته ما كان من الرشيد ، فأمرتُ له بألفيْ درهم ، وأسقطتُ اسمه من الديـوان ، وأمرتُـه ألاّ يظهـر مـا دام الرشيدُ حيّاً ، فما ظهر حتى مات الرشيد ، فلمّا مات ظهـر ، فألحقتُ اسمَه وزِدتُ في أنزاله[2] .

[شعره في جارية تدعى رامشنة]

أُخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال : حدَّثني محمد بن حمزة العلويّ قال : حدَّثني أبو غسّان دَماذ قال : حضرتُ بكرَ بنَ النّطّاح الحنفيّ في منزل بعض الحنفيِّين ، وكانت للحنفيّ جاريةٌ يقال لها رامِشْنة ، فقال فيها بكر بن النّطّاح[3] : [من السريع]

---

1 طبقات ابن المعتزّ : 217–218 .

2 الطبقات : في عطائه ونزله .

3 شعره · 248 (عن الأغاني) .

حيَّتْك بالرَّامِشْن رامِشْنَةٌ أَحسنُ من رامِشْنَة الآسِ
جارِيـةٌ لم يُقْتَسَم بُضْعُها ولم تقـمْ في بَيت نَخَّاسِ
أفسدتِ إنساناً عَلى أهلِهِ يا مُفْسِدَ النّاسِ على النّاسِ

وقال فيها[1] : [من الطويل]

أُكذِّب طَرْفي عنكِ والطَّرْفُ صادِقٌ وأُسْمِعُ أُذْني منكِ ما لَيْس تَسْمَعُ
ولَم أَسكُن الأرضَ التي تَسْكُنِينها لكي لا يقولوا صابرٌ ليس يَجْزَعُ
فـلا كَبِدي تَبْلى ولا لَكِ رَحْمَة ولا عَنْكِ إقصارٌ ولا فيكِ مطْمَعُ
لَقِيتُ أُموراً فيـكِ لم أَلْقَ مثلَها وأَعظَمُ منهـا منـكِ مـا أَتوقَّعُ
فلا تسأَليني في هَـواكِ زِيـادَةً فأَيْسَرُه يُجْـزي وأَدْنـاه يُقْنِعُ

[إعجاب المأمون بشعره]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، عن عليّ بن الصَّباح ، وأظنّه مُرسلاً وأنَّ بينه وبينه ابن أَبي سَعْد أو غيره ، لأنّه لم يَسْمع من عليّ بن الصَّباح ، قال : حدَّثني أبو الحسين الراوية ، قال لي المأمون : أنشِدْني أَشجعَ بيت وأعفَّه وأكرَمه من شِعْر المحدثين ، فأنشدته : [من الطويل]

ومـن يَفْتَقِر منّـا يَعِشْ بحُسامه ومن يَفْتَقِرْ من سائـر النّاسِ يَسْأَلِ
وإنّا لَنَلْهـو بـالسُّيوف كما لَهَت عَروسٌ بعِقـدٍ أو سِخابِ قَرَنْفُلِ[2]

فقال : ويحك ! مَن يقول هذا ؟ فقلتُ : بكْرُ بنُ النطّاح ، فقال : أَحسَنَ والله ، ولكنّه قد كَذَب في قوله ، فما بالُه يسألُ أبا دُلَف ويمتدحُه وينتجِعُه ! هلاّ أَكَل خُبزَه بسَيْفه كما قال !

[عند أبي دُلَف]

أَخبرني الحسَن بن عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبو الحسن الكسْكَريُّ قال[3] : بلَغني أنَّ أبا دُلَف لَحِقَ أَكراداً قَطَعوا الطّريق في عمله ، وقد أَردَف منهم فارسٌ رفيقاً له خَلْفه ، فطَعنهما جميعاً فأنفذهما ، فتحدَّث الناسُ بأنّه نَظَم بطعنة واحدة فارسَيْن على فرس ، فلمّا قَدِم من وجهه دخَل إليه بَكْرُ بن النّطّاح فأَنشده[4] : [من الكامل]

1 تقدمت هذه الأبيات برواية : «أكذب عيني عنك في كل ما أرى» .
2 سخاب قرنفل : عقد قرنفل .
3 قارن بالفوات : 219 .
4 شعره : 257 . وفي الفوات : «قالوا أينظم فارسين . . .» .

صوت

قالوا : ويَنْظِم فارسَيْن بطَعْنَةٍ يوم اللّقاء ولا يَراهُ جَليلا
لا تَعْجَبوا فَلَو آنّ طُولَ قَناتِه ميلٌ إذاً نَظَم الفوارسَ ميلا

قال : فأمر له أبو دُلَف بعشرة آلاف درهم ، فقال بَكْرٌ فيه[1] : [من الطويل]

لـه راحةٌ لو أنَّ مِعْشار جُودِها على البَرّ كان البَرُّ أندى من البَحْرِ
ولو أنَّ خَلْقَ الله في جِسْم فارِس وبارزَه كان الخليَّ من العُمْرِ
أبا دُلَف بُورِكْتَ في كلّ بَلْدةٍ كما بُورِكَتْ في شهْرِها لَيلةُ القَدْرِ

[غزله بغلام نصرانيّ]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عمّار ، وعيسى بنُ الحسين قالا : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل قال : حدَّثني أبو زائدة ، قال : كان بكْرُ بن النّطّاح الحنفيّ يتعشّق غُلاماً نصرانيّاً ويُجَنُّ به ، وفيه يقول[2] : [من البسيط]

يا مَنْ إذا دَرَس الإنجيلَ ظلَّ له قَلْبُ التَّقيِّ عن القُرآن مُنْصَرَفا
إنِّي رأيتُك في نومي تُعانِقُني كما تُعانِق لامُ الكاتِب الأَلِفا

[ينصرف عن ممدوحه إذا غضب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني الحسن بن عبد الرحمن الرَّبعيّ قال : كان بكرُ بنُ النّطّاح يأتي أبا دُلَف في كلّ سنة ، فيقول له : إلى جَنْب أرضي أرضٌ تُباع وليس يحضُرني ثمنُها ، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويُعطِيه ألفاً لنفقته . فجاءه في بعض السنين فقال له مِثل ذلك ؛ فقال له أبو دُلَف : ما تَفْنى هذه الأَرَضُون التي إلى جانب ضَيْعتك ! فغَضِب وانصرف عنه ، وقال[3] : [من المنسرح]

يا نفسُ لا تجزَعي من التَّلَفِ فإنَّ في اللهِ أعظَمَ الخَلَفِ
إن تَقْنَعي باليَسِيرِ تَغْتَبِطي ويُغْنِكِ اللهُ عن أبي دُلَفِ

قال : وكان بَكْر بنُ النَّطَّاح يأتي قُرَّة بنَ مُحرِز الحنفيّ بكرْمان فيعطيه عشرة آلاف درهم ، ويُجرِي عليه في كلّ شهر يقيم عنده ألفَ درهم . فاجتاز به قُرّة يوماً وهو ملازم في السّوق وغُرماؤه يُطالبونه بدَين ؛ فقال له : ويحك ! أما يكْفِيك ما أعطيك حتى تستدين

---

1 شعره : 245 .
2 شعره : 253 (عن الأغاني) .
3 شعره : 254 .

وتُلازمَ في السّوق ؟ فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول[1] : [من الوافر]

أَلا يـا قُـرّ لا تَكُ سامريّاً فتَتْرُكَ مَـنْ يَزُورك في جِهادِ
أَتَعْجبُ أَنْ رأيـتَ عليَّ دَيْناً وقد أودى الطّريفُ مع التّلادِ
ملأتُ يَـدِي مِنَ الدُّنيا مِراراً فما طمِعَ العَواذِلُ في اقْتِصادي
ولا وَجَبت عليَّ زَكاةُ مـالٍ وهل تَجِبُ الزّكاةُ على جَوادِ

أَخبرني محمد بن مَزْيَد بن أَبي الأَزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه قال : كنت يوماً عند عليّ بن هشام ، وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عُقَيْل ، فحدَّثْتُه أَنّ بَكْر بنَ النطّاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده ، فقال لي أبو دُلَف : يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تَسْتطرِفه . فبدَرَ إليه بكرٌ وقال : أنا أُنشدك أيّها الأميرُ بَيْتين قلتُهما فيك في طريقي هذا إليك وأُحكِّمك ، فقال : هاتِ ، فإن شَهِد لك أبو محمد رَضِينا ، فأُنشده[2] : [من الوافر]

إذا كانَ الشّتاءُ فأَنت شَمْسٌ وإن كان المَصِيفُ فأَنتَ ظِلُّ[3]
وما تَدْري إذا أَعْطَيتَ مـالاً أَتُكثِرُ في سَماحِـك أَم تُقِلُّ

فقلت له : أَحسنَ والله ما شاءَ ووجبت مكافأته . فقال : أَما إذ رضيتَ فأَعطوه عشرة آلاف درهم . فحُمِلتْ إليه ، وانصرفت إلى منزلي ، فإذا أَنا بعشرين أَلفاً قد سبقت إليّ ، وجّه بها أَبو دُلَف . قال : فقال عُمارة لعليّ بن هشام : فقد قلت أَنا في قريب من هذه القصّة : [من الطويل]

ولا عيبَ فيهـم غيرَ أَنَّ أَكفَّهم لأَموالهم مِثْـلُ السِّنين الحَواطمِ
وأَنّهـمُ لا يُورِثُـون بَنِيهـمُ ـ وإن وَرِثوا خَيْراً ـ كُنوزَ الدَّراهِمِ

أَخبرني عمّي قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني أَبو تَوْبة قال : كان مَعْقِل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطّاح ، وكان بكر فاتكاً صُعلوكاً ، فكان لا يزال قد أَحدَث حادث في عمل أَبي دُلَف ، أَو جنى جِناية ، فَيَهُمّ به فيقوم دونه معقل حتى يتخلّصه ، فماتَ مَعقِلٌ فقال بكر بن النطّاح يرثيه بقوله[4] : [من الطويل]

وحدَّث عنـه بعضُ مَن قال إنَّه رأَتْ عَينُه فيما تَـرى عَيْنُ حالِمِ

1 شعره : 239 .
2 شعره 259 .
3 الفوات : شمسي .
4 شعره : 265–266 (عن الأغاني) .

كأنَّ الذي يَبْكي على قَبْر مَعْقِلِ ولم يَــرَه يَبكي على قَبْرِ حاتمِ
ولا قَبرِ كَعْــب إذ يَجودُ بنَفْسِهِ ولا قَبر حِلْفِ الجُودِ قَيْسِ بنِ عاصِمِ
فأيقَنْــتُ أنَّ الله فضَّــل مَعْقِلا على كلِّ مَذْكور بفَضْلِ المَكارِمِ

[بخله]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمَريّ قال : كان بكرُ بن النّطّاح الحنفيّ أبو وائل بخيلاً ، فدخل عليه عبّاد بن المُمزَّق يوماً ، فقدّم إليه خُبْزاً يابساً قليلاً بلا أُدْم ، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع ، فقال عبّادٌ يهجوه : [من السريع]

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّــي أبــا وائِلٍ بكــرَ بنَ نَطّــاح بفَلْسَيْنِ ؟
كأنّمــا الآكِــلُ مــن خُبزِهِ يأكلــهُ مــن شَحمَةِ العَيْنِ

قال : وكان عبّاد هذا هجّاءً ملعوناً ، وهو القائل : [من البسيط]

أنا المُمزّق أعــراضَ اللّئامِ كما كان المُمزّق أعراضَ اللّئامِ أبي

[يمدح ثم يهجو]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أبو هفّان قال[1] : كان بكْرُ بن النطّاح قصد مالك بن طَوق فمدحه ، فلم يرضَ ثوابَه ، فخرج من عنده وقال يَهجوه[2] : [من المتقارب]

فليتَ جَــدا مَالــكٍ كُلَّــه وما يُرتجــى منه من مَطْلبِ
أُصِبْتُ بــأَضْعاف أضعافِــهِ ولم أَنتَجِعْــه ولَــم أرغَــبِ
أساْتُ اختِياري فقــلَّ الثَّوابُ لي الذّنبُ جَهْــلاً ولم تُذنِبِ

وكتَبَها في رقعة وبعث بها إليه . فلمّا قرأها وَجَّه جماعة من أصحابه في طلبه ، وقال لهم : الويلُ لكــم إن فاتكم بكر بنُ النّطّاح . ولا بــدّ أن تنكَفِئــوا على أثَره ولــو صار إلى الجَبــل ، فلَحِقــوه فردّوه إليه ، فلمّا دخل دارَه ونظر إليه قام فتلقّاه وقال : يا أخي ، عَجِلْتَ علينا وما كنّا نقتصر بك على ما سلف وإنّما بعَثْنا إليك بنفقة ، وعوّلنا بك على ما يتلوها ؛ واعتذر كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه ، ثم أعطاه حتى أرضاه ، فقال بكْرُ بن النّطّاح يمدحه[3] : [من الطويل]

أقولُ لُمرتــادِ نــدى غيرِ مالِكٍ كفى بَذْلَ هذا الخلقِ بعضُ عِداتِهِ

---

1 قارن بفوات الوفيات 1 : 220 .
2 شعره : 222–223 .
3 شعره : 232 .

فَتًى جاد بالأموال في كُلّ جانب ... وأَنْهَبَهــا في عَـوْده وبَـداتِهِ
فلـو خَذلـتْ أَموالُه جودَ كَفِّهِ ... لقاسَم مَنْ يَرجُوه شَطْـرَ حَياتِهِ[1]
ولو لم يجِد في العُمْر قِسمة مالِه ... وجـاز لـه الإعطاء من حَسناتِهِ[2]
لجادَ بهــا مــن غَيْر كُفْر بربِّه ... وشاركَهــم في صَوْمِـه وصَلاتِهِ

فوَصَله صِلة ثانية لهذه الأبيات ، وانصرف عنه راضياً .

هكذا ذكر أبو هِفّان في خبره وأَحسبَه غلطاً ، لأَن أَكثر مدائح بَكْر بن النَّطَّاح في مالك بن عليّ الخُزاعيّ ، وكان يتولّى طريقَ خُراسان ، وصار إليه بكر بن النَّطّاح بعد وفاة أَبي دُلَف ومدحه ، فأَحسن تقبُّلَه وجعله في جُنده ، وأَسنى له الرّزق ، فكان معه ، إلى أَن قَتَله الشُّراة بحُلوان ؛ فرثاه بكرٌ بعدّة قصائد هي من غُرر شعره وعيونه .

[رثاء مالك الخزاعي]

فحدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ أَبي طاهر ، عن أَبي وائِلَة السَّدُوسيّ قال : عاثت الشُّراةُ بالجبل عَيْثاً شديداً ، وقتلوا الرجال والنساءَ والصِّبيان . فخرج إليهم مالكُ بنُ عليّ الخُزاعيّ وقد وردُوا حُلوان ، فقاتلهم قِتالاً شديداً فهزمهم عنها ، وما زال يتبَعُهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها : حُدَّان[3] ، فقاتلوه عندها قِتالاً شديداً . وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم . وأصابت مالِكاً ضربةٌ على رأسه أثبتته[4] ، وعَلِمَ أنّه ميِّت . فأمر بردِّه إلى حُلوان ، فما بلغها حتى مات ، فدفن على باب حلوان ، وبُنيت لقبره قُبَّةٌ على قارعة الطريق . وكان معه بكر بنُ النّطّاح يومئذٍ ، فأبلى بلاء حسناً ، وقال بكر يرثيه[5] : [من السريع]

يــا عينُ جُودِي بالدّموعِ السّجامْ ... عــلى الأمير اليمينـيّ الهُمــامْ
على فَتــى الدُّنيــا وصِنديدِهــا ... وفــارسِ الدِّيــن وسَيـفِ الإمامْ
لا تَدْخَـرِي الدمـعَ على هالك ... أَيْتَم إذ أُودى جَمِيــعُ الأَنامْ
طـاب ثَـرى حُلوان إذ ضُمِّنت ... عِظامَــه سَقْياً لهــا مــن عِظامْ
أَغلَقَــتِ الخَيــراتُ أَبوابَهــا ... وامتَنَعت بعــدَك يــا ابنَ الكِرامْ

1 جود كفه في شعره : بذل كفّه .
2 قسمة ماله في الفوات : قسمة باذل .
3 حدان : من محال البصرة القديمة .
4 أُثبتته : سكنته عن الحركة .
5 شعره : 266–267 (عن الأغاني) .

وأصبحَتْ خيلُـكَ بعـد الوَجا والغَزو تَشكُو منك طُولَ الجَمامْ
ارحَـلْ بنـا نَقرُبْ إلى مالكٍ كيما نُحيِّـي قبـرَه بالسّلامْ
كان لأهـلِ الأرض في كَفِّـه غِنًـى عن البحر وصَوْبِ الغَمامْ
وكان في الصُّبح كشمس الضُّحى وكان في الليـلِ كبَـدْرِ الظّلامْ[1]
وسائـلٍ يعجَـب مـن موتِـهِ وقـد رآه وهـو صَعْبُ المَرامْ
قُلـتُ لـه عَهدِي بـه مُعلِماً يضربهـم عنـد ارتفـاع القَتامْ
والحـربُ مَـنْ طاولها لم يَكَد يُفلِت مـن وَقْـعِ صقيلٍ حُسامْ
لم ينظُـر الدَّهـرُ لنا إذ عدا على ربيـعِ النّـاس في كلِّ عامْ
لـن يَسْتَقِيلـوا أبداً فقـدَه مـا هَيَّج الشّجوَ دُعاءُ الحَمامْ

قال : وقال أيضاً يرثيه[2] : [من الكامل]

أيُّ امرىءٍ خَضَب الخوارجُ ثوبَه بـدمٍ عَشيَّـة راح مـن حُلْوانِ
يـا حُفْرَةً ضمَّتْ محاسِنَ مالِكٍ مـا فيكِ من كَرَمٍ ومن إحسانِ
لَهْفي على البَطَـل المُعرِّض خَدَّه وجبينَـه لأسنَّـة الفُـرسانِ
خَـرَقَ الكتيبة مُعلمـاً متكنياً والمُرْهفـاتُ عليـه كالنِّيـرانِ
ذهبـت بَشاشَةُ كلّ شيءٍ بعـده فالأرضُ مُوحِشة بـلا عُمرانِ
هـدَم الشُّراةُ غَداة مَصْرع مالكٍ شرف العُـلا ومكـارمَ البُنيانِ
قَتَلوا فتى العرب الذي كانت به تَقْوى على اللَّزبـات في الأزمانِ
حرمـوا مَعَدّاً مـا لديه وأوقَعوا عصبِيَّـةً في قَلـبِ كُـلِّ يَماني
تَركُـوه في رَهَـج العَجاجِ كأنّه أَسَدٌ يَصـول بساعِـدٍ وبَنانِ
هَوَتِ الجُدودُ عن السُّعودِ لفقدِه وتمسَّكـتْ بـالنَّحْسِ والدَّبَـرانِ
لا يَبْعدَنَّ أَخُو خُزاعَـة إذ ثَوى مستَشْهِـداً في طاعَـةِ الرَّحمنِ
عَـزَّ الغُـواةُ بـه وذَلّت أُمّةٌ مَحبُـوَّةٌ بحقائـقِ الإيمـانِ
وبكـاهُ مُصحَفُه وصدْرُ حسامِهِ والمُسلِمـونَ ودَوْلَـةُ السُّلطانِ

1 في رواية : كبدر التمام .
2 شعره : 268–269 .

وغـدَت تُعقَّر خَيلُه وتُقسِّمَت أُدراعُـه وسَوابِـغُ الأَبـدانِ
أَفتُحمَد الدُّنيا وقد ذَهَبَتْ بِمَنْ كان المُجيرَ لنـا مـن الحَدَثانِ !

[شوقه إلى بغداد]

أخبرني هاشِمُ بن محمد الخُزاعيّ قال : أَنشدَني أَبو غسّان دَماذ لبَكْر بن النطّاح يتشوّق إلى بغداد وهو بالجبل يومئذٍ[1] : [من المتقارب]

نَسيمُ المُـدامِ وبَـرْد السَّحْر هما هيَّجا الشّوقَ حتى ظَهَرْ
تقـولُ : اجتَنِب دارَنا بالنّهارِ وزُرْنا إذا غـاب ضوءُ القَمَرْ
فـإنّ لنـا حَرَساً إن رأوْكَ نَدِمْتَ وأُعطُوا عليكَ الظَّفَرْ
وكَـمْ صَنَعَ اللهُ مـن مرّةٍ عليهـم وقـد أُمِرُوا بالحَذَرْ
سَقـى اللهُ بغـدادَ مـن بلدةٍ وساكنَ بَغْداد صَوْبَ المَطَرْ
ونُبِّئْتُ أَنَّ جَـوارِي القُصُو رِ صَيَّرن ذِكْري حديثَ السَّمَرْ
أَلا رُبَّ سائلـةٍ بالعـرا قِ عنّي وأُخرى تُطيل الذِّكَرْ
تقـول : عهِدْنـا أَبـا وائـلٍ كظَبْـي الفَـلاة المَليـح الحوَرْ
ليـاليَ كنـتُ أَزور القِيانَ كأَنَّ ثِيابـي بَهـارُ الشَّجَرْ

[غزل بقينة]

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثني ميمون بنُ هارون قال : كان بَكْر بنُ النَّطّاح يَهوى جارية من جَواري القيان وتَهْواه ، وكانت لبعض الهاشِميِّين ، يقال لها دُرّة ، وهو يذكُرها في شعره كثيراً ؛ وكان يَجْتمع معها في منزل رجُلٍ من الجُند من أصحاب أبي دُلَف يقال له : الفزْر . فسَعى به إلى مولاها ، وأَعلَمه أنّه قد أفسدَها وواطأَها على أن تَهرُب معه إلى الجبل ، فمنعه من لقائها وحَجَبه عنها ، إلى أن خرج إلى الكَرَج مع أبي دُلَف ، فقال بكر بن النطّاح في ذلك[2] : [من الخفيف]

أَهلُ دارٍ بين الرُّصافة والجِسْـ ـرِ أَطالوا غَيْظي بطُولِ الصُّدودِ
عذَّبوني ببُعْدهم وابْتَلُوا قَلْـ ـبي بحبـين : طارِفٍ وتَليدِ[3]
مـا تَهُبّ الشَّمال إلاّ تَنَفَّسـ ـت وقال الفُؤادُ للعَيْن : جُودي

1 شعره : 246–247 (عن الأغاني) .
2 شعره : 237–238 (عن الأغاني) .
3 بحبين في شعره : بحزنين .

قلَّ عنهم صَبْري ولم يرحَموني ... فتحيَّرت كالطَّريـــد الشّريــدِ
وكلْتني الأيّامُ فيـكِ إلى نفسِـ ... ـي فأعيَيْتُ وانتهى مَجْهودي

وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوريّ[1] : [من الكامل]

العَينُ تُبْدي الحُـبَّ والبُغضا ... وتُظهِــر الإبـــرامَ والنَّقْضا
دُرَّةُ مـا أنصفتِني في الهوى ... ولا رَحِمْتِ الجَسَدَ المُنْضى[2]
مرَّت بِنـا في قُرطُـق أخْضَرٍ ... يعشَق منهـا بَعضُهـا بَعْضا
غَضْبى ولا والله يـــا أهلَها ... لا أشرَبُ البـارِدَ أو تَرْضى
كيف أطاعَتْكم بهَجْري وقد ... جَعلْتُ خَـدّيَّ لهـا أرْضا !

وقال فيها أيضاً وفيه رمل طنبوريّ[3] : [من المنسرح]

صدَّتْ فأمسى لِقاؤُها حُلما ... واستبدل الطرفُ بالدُّموعِ دَما
وسلَّطت حُبَّهـــا على كَبِدي ... فأبدَلَتْنـــي بصِحَّـــةٍ سَقَما
وصِرْتُ فرداً أبكِـي لِفُرقتها ... وأقــرعُ السِّنَّ بعدهـا نَدَما
شَقَّ عليها قولُ الوُشاة لها : ... أصبحتِ في أمرِ ذا الفتى عَلَما
لولا شَقائـــي ومـا بُليتُ به ... من هَجْرِها لاستترتُ فاكتُما[4]
كم حاجةٍ في الكتاب بُحتُ بها ... أبكيتُ منها القِرطاسَ والقَلَما

وقال فيها أيضاً ، وفيه رمل لأبي الحَسَن أحمد بن جعفر جَحْظَة[5] : [من السريع]

بَعُـــدتِ عنِّـــي فتغيَّرتِ لي ... وليس عنـــدي لـــكِ تَغْيِيرُ
فَجَدِّدي مـا رثَّ من وَصْلِنا ... وكلّ ذَنْـــبٍ لـــكِ مَغْفُورُ
أُطَيِّـــب النَّفسَ بكتمـان مـا ... سارت بـــه من غدْرِك العِيرُ
وَعـــدُك يـــا سَيِّدتي غـــرّني ... منـكِ ومَـــن يَعْشَقُ مَغْرورُ
يَحزُنُني عِلمـــي بِنَفْسي إذا ... قـــال خَليـلي أنـتَ مَهْجورُ

---

1 شعره : 249–250 .
2 المنضى : المهزول .
3 شعره : 264–265 (عن الأغاني) .
4 شعره : ما استترت ما اكتتما .
5 شعره : 244 (عن الأغاني) .

يـــا ليت مَن زَيَّنَ هـذا لها   جارت لنـــا فيــــه المَقادِيرُ
ساقي النَّدامى سَقَّهـا صاحِبي   فإنّنـــي وَيْحــكِ مَعْـذورُ
أأشربُ الخَمــرَ على هَجْرِها   إنِّــي إذاً بالهَجْــرِ مسرورُ !

وفيها يقول وقد خرج مع أبي دُلَف إلى أصبهان[1] :   [من الكامل]

يـــا ظبيةَ السِّيبِ التـي أحببتُها   ومنَحتُها لُطفـي ولِـينَ جَناحي
عَينـايَ باكِيَتـانِ بعـدَكِ للّذي   أَوْدَعْتِ قلبـي مِن نُدوبِ جِراحِ
سَقْياً لأحمدَ مـــن أخٍ ولِقاسمٍ   فَقَــدا غُـدوِّي لاهِيـاً ورَواحي
وتَرَدُّدِي مـــن بَيت فـزْرٍ آمِناً   من قُرْبِ كُلِّ مُخالِفٍ ومُلاحي
أيّامَ تَغبِطُنــي المُلـوكُ ولا أرى   أحـداً لــه كتدلُّـلي ومَراحي
تَصِفُ القِيانُ إذا خلونَ مجانَتي   ويَصِفْنَ للشَّربِ الكـرامِ سَماحي

ومِمّا يُغنّى فيه من شعر بَكْرِ بن النَّطّاح في هذه الجارية قوله[2] :   [من الكامل]

صوت

هـل يُبتَلى أحـدٌ بمِثْـلِ بلِيَّتـي   أم ليس لي في العالَمين ضَريبُ
قالـت عَنانُ وأبصرتْني شاحِباً :   يا بَكْرُ مالكَ قد عَلاك شُحوبُ
فأجَبتُها : يـا أختُ لم يلـقَ الذي   لاقيــــتُ إلاّ المُبْتَــلى أيُّوبُ
قـد كنـتُ أسمعُ بالهـوى فأظنُّه   شيئـــاً يَلَـــذُّ لأهلِــهِ ويَطِيبُ
حتى ابتُلِيــتُ بحُلْــوه وبمُــرِّه   فالحلـــو منـــه للقُلـوبِ مُذيبُ
والمُـرّ يَعجِز مَنْطقي عـــن وَصْفِهِ   للمُــرِّ وصفٌ يـــا عَنانُ عَجيبُ
فأنـــا الشّقــيّ بحُلْــوِه وبِمُــرِّه   وأنـــا المُعَنّى الهائِـــمُ المَكرُوبُ
يـا دُرَّ حالَفَـكِ الجَمالُ فما لـه   في وَجْه إنسانٍ سواكِ نَصيـــبُ
كلُّ الوجــوه تَشابَهَــتْ وَبَهَرْتِها   حُسناً فوَجهُكِ في الوُجوهِ غريبُ
والشمس يغرُب في الحِجاب ضِياؤُها   عنّـا ويُشْرِق وَجهُكِ المَحْجوبُ

ومِمّا يُغنّى فيه من شِعْرِه فيها أيضاً[3] :   [من الكامل]

---

1 شعره : 234–235 (عن الأغاني) .
2 شعره : 219–220 (عن الأغاني) .
3 شعره : 270–271 .

غَضِبَ الحبيبُ عليَّ في حُبّي له نَفْسي الفِداءُ لِمُذْنِبٍ غَضْبانِ
ما لي بما ذكر الرّسولُ يدانِ بل إن تَمَّ رأيُكَ ذا خَلَعْت عِناني
يا مَنْ يَتُوقُ إلى حَبيب مُذنِبٍ طاوعْته فَجَزاك بالعِصْيانِ
هلاّ انتحرتَ فكنتَ أوّلَ هالِكٍ إن لم يَكُن لك بالصُّدودِ يَدانِ
كنّا وكُنْتُم كالبَنانِ وَكَفِّها فالكفُّ مفردَةٌ بغَيْرِ بَنانِ
خُلِق السُّرورُ لمَعْشر خُلِقوا له وخُلِقْتُ للعَبَراتِ والأَحزانِ

صوت[1]

[من الخفيف]

ليتَ شِعْرِي أأَوَّلُ الهَرْجِ هذا أم زَمانٌ من فِتْنَةٍ غيرِ هَرْجِ[2]
إن يَعِش مُصعَبٌ فنحنُ بخَير قد أتانا من عَيْشِنا ما نُرَجِّي[3]
ملِكٌ يُطْعِم الطَّعام ويَسْقي لبنَ البُخْت في عِساسِ الخَلَنْج[4]
جَلَب الخَيْل من تِهامَةَ حتّى بلغَت خيلُه قصور زَرَنْج[5]
حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذي الأَكـ ـتاف يُوجِفن بين قُفٍّ ومَرْج[6]

عروضه من الخفيف . الشعر لعُبيد الله بن قَيْس الرُّقيّات ، والغناء ليُونُس الكاتب ماخوريّ بالبنصر ، وفيه لمالك ثاني ثقيل بالخنصر في مَجرى البنصر عن إسحاق .

1 ديوان ابن قيس الرقيات (نجم) : 179–180 .
2 الهرج : القتل . انظر شرح الأستاذ محمود محمد شاكر في الطبقات : 531–532 وحاشية الديوان .
3 الديوان : فأنا بخير . . من عيشه .
4 الديوان :

ملك يبرم الأمور ولا يـ ـشرك في رأيه الضعيف المزجي

والمزجي : هو الذي يدافع الأمر ليفرغ منه بأقلّ الجهد . والبخت الإبل الخراسانية . والعساس : جمع عس وهو القدح الكبير . والخلنج : نوع من الشجر .
5 الديوان : وردت بدل بلغت . وزرنج : مدينة بخراسان .
6 الديوان : يرجعن . وذو الأكتاف : سابور بن هرمز . وقفّ : ما ارتفع من الأرض وغلظ . ومرج : أرض واسعة .

[402] ـ مقتل مصعب بن الزُّبير[1]

وهذا الشعر يقوله عُبَيْد الله بن قَيْس لُمصعَب بن الزُّبير لمّا حَشَدَ للخروج عن الكوفة عامداً لمحاربة عبد الملك بن مَروان .

[عبد الملك يستشير]

وكان السبب في ذلك ، فيما أجاز لنا الحِرْميّ بن أبي العلاء روايته عنه ، عن الزُّبير بن بكّار ، عن المدائنيّ قال : لمّا كانت سنة اثنتين وسبعين[2] ، استشار عبدُ الملك بن مروان عبدَ الرحمن بن الحكم في المسير إلى العراق ومُناجزة مُصْعَب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد واليتَ بين عامين تغزو فيهما وقد خَسِرت خيلَك ورجالَك ، وعامُك هذا عامٌ حارٌ فأرح نفسك ورَجلَك ثم ترى رأيك . فقال : إنّي أُبادر ثلاثة أشياء ، وهي أنّ الشام أرضٌ بها المال قليل فأخاف أن ينفد ما عندي ، وأشرافُ أهل العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم ، وثلاثةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قد كبروا ونفِدت أعمارُهم ، وأنا أُبادِر بهم الموتَ أحبّ أن يحضروا معي .

ثم دعا يَحيى بن الحكم ، وكان يقول : مَن أراد أمراً فَلْيُشاوِرْ يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه . فقال : ما ترى في المسير إلى العراق ؟ قال : أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مُصعباً بالعراق ، فلعن الله العراق ! فضحك عبدُ الملك .

ودعا عبدَ الله بن خالد بن أسيد فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين قد غزوتَ مرة فنصرك اللهُ ، ثم غزوتَ ثانية فزادك الله بها عِزّاً ، فأقم عامَك هذا .

فقال لمحمد بن مروان : ما ترى ؟ قال : أرجو أن ينصُرَك الله أقمتَ أم غزوتَ ، فشمِّر فإنّ الله ناصرُك . فأمر الناسَ فاستعدّوا للمسير ، فلمّا أجمع عليه قالت عاتكةُ بنتُ يزيد بن معاوية زوجته : يا أمير المؤمنين وجِّه الجُنودَ وأقِم ، فليس الرأيُ أن يُباشر الخليفةُ الحرب بنفسه . فقال : لو وجَّهتُ أهلَ الشام كُلّهم فعلِم مُصعَب أنّي لستُ معهم لهلك الجيشُ كلّه ، ثم تمثّل[3] : [من الطويل]

---

1 مقتل مصعب بن الزُّبير في كتب التاريخ الكبرى كالطبري والمسعودي والكامل والبداية والنهاية ، وانظر أنساب الأشراف والعقد .

2 الطبري والمسعودي : سنة 71 .

3 انظر الخبر وما تمثل به عبد الملك في العقد 407/4 .

ومُسْتَخبِرٍ عنّا يُريد بنا الرَّدى ومُستَخبراتٍ والعُيونُ سواكِبُ

ثم قدم محمد بن مَروان ومعه عبد الله بن خالد بن أُسيد وبِشْرِ بن مروان ، ونادى مُناديه : إنّ أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيّد الناس محمد بن مروان . وبلغ مُصعبَ بن الزُّبير مسيرُ عبد الملك ، فأراد الخُروجَ فأبى عليه أهلُ البصرة وقالوا : عدوُّنا مُطِلٌّ علينا ، يعنون الخوارج ، فأرسل إليهم بالمهلّب وهو بالموصلْ ، وكان عاملَه عليها ، فولاّه قتالَ الخوارج ، وخرج مُصعب فقال بعض الشعراء : [من الرجز]

أَكُلُّ عـام لك باجُمَيْرا تَغزُو بنا ولا تُفِيد خَيْرا[1]

[سير القتال]

قال : وكان مُصعب كثيراً ما يخرُج إلى باجُمَيْرا يريد الشام ثم يرجع . فأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونيّة[2] ونزل مُصعب بمَسْكِن[3] إلى جنب أوانا[4] وخَنْدَق خَنْدقاً ثم تحول ونـزل دير الجاثَلِيق[5] وهو بمسكن ، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، ويقال فرسخان ، فقدّم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه وكلٌّ واحـدٍ منهمـا على جيش والأمير محمـد ، وقـدّم مُصعبٌ إبراهيمَ بنَ الأشتر ؛ ثم كتب عبد الملك إلى أشرافِ أهلِ الكوفة والبصرة يدعُوهم إلى نفسه ويمنيهم ، فأجابوه وشرطُوا عليه شروطاً ، وسألوه ولاياتٍ ، وسأله ولايةَ أصبهان أربعون رجلاً منهم . فقال عبد الملك لَمن حضره : ويْحكم ! ما أصبهان هذه ! تعجُّباً ممّن يطلبها . وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر : لك ولايةُ ما سقى الفراتُ إن تبعتني ، فجاء إبراهيمُ بالكتاب إلى مصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ، ولم يَخْصُصني بهذا دون غيري من نظرائي ؛ ثم قال : فأطعني فيهم ، قال : أصنع مـاذا ؟ قـال : تدعوهـم فتضرب أعناقَهم . قال : أَقتُلهم على ظنّ ظننته ! قـال : فأوقِرْهم حديداً وابعثْ بهم إلى أرض المدائن حتى تَنقضيَ الحرب ، قال : إذاً تفسد قلوبُ عشائرهم ، ويقول الناس : عبث مصعب بأصحابه . قال : فإن لم تفعل فلا تمدّني بهم فإنّهم كالمومسة تريد كلّ يوم خليلاً ، وهم يريدون كلّ يوم أميراً .

أرسل عبد الملك إلى مُصعَب رجلاً يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة ، فأبى مُصعَب . فقدم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال : اللهمّ انصر محمداً ، ثلاثاً ، ثم قال : اللهمّ انصر

---

1 باجميرا : موضع بأرض الموصل .
2 الأخنونيّة : موضع من أعمال بغداد .
3 مسكن : موضع على دُجيل عند دير الجاثليق به قبر مصعب .
4 أوانا : بلدة قريبة من بغداد .
5 دير الجاثليق : دير قديم غربي دجلة قريب من بغداد .

أصلحنا وخيرنا لهذه الأُمّة . قال : وقدّم مُصعَب إبراهيمَ بن الأشتر ، فالتقت المقدمتان وبين عسكر مُصعَب وعسكر ابن الأشتر فرسخ ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد ، فتناوشوا ، فقُتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس ، وقُتِل صاحب لواء بشر وكان يقال له أُسَيد . فأرسل محمد إلى عبد الملك أنَّ بشراً قد ضيَّع لواءه . فصرف عبدُ الملك الأمر كلّه إلى محمد ، وكفّ الناسُ وتواقفوا ، وجعل أُصحابُ ابن الأشتر يهمّون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه . فأرسل عبدُ الملك إلى محمد : ناجزْهم ، فأبى ، فأوفد إليه رسولاً آخر وشتمه ؛ فأمر محمد رجلاً فقال له : قِف خلفي في ناس من أُصحابك فلا تدَعَنّ أحداً يأتيني من قِبَل عبد الملك . وكان قد دبّر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة إلى وقت رآه . فكره أن يُفسِد عبد الملك تدبيره عليه ، فوجّه إليه عبدُ الملك عبدَ الله بن خالد بن أُسيد ؛ فلمّا رأَوْه أرسلوا إلى محمد بن مروان : هذا عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : رُدُّوه بأشدّ مِمّا رددتم مَنْ جاء قبله ، فلمّا قرب المساء أمر محمدُ بنُ مَروانُ أصحابه بالحرب ؛ وقال : حرِّكوهم قليلاً ، فتهايج الناس ، ووجّه مُصعَب عَتّابَ بنَ ورقاء الرِّياحيّ يُعَجِّز إبراهيم ، فقال له : قد قلت له : لا تُمِدّني بأحد من أهل العراق فلم يقبل ، واقْتَتَلوا . وأرسل إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه ، بحضرة الرسول ليرى خلافَ أهل العراق عليه في رايه ، ألاّ تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهلُ الشام عنكم ؟ فقالوا : ولِمَ لا ننصرف ؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً . وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قُتِل . فلمّا أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال : انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر . قال : لا أعرف موضع عسكرهم ، فقال له إبراهيم بن عديّ الكنانيّ : انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك . فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب ، ثم رجع إلى محمد فقال : رأيتهم منكسرين . وأُصبح مصعب فدنا منه ، ودنا محمد بن مروان حتى التقوا ، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأُتوا محمد بن مروان . فدنا إلى مصعب ثم ناداه : فداك أبي وأُمِّي ، إنّ القوم خاذِلوك ولك الأمان ، فأبى قبولَ ذلك . فدعا محمدُ بن مروان ابنَه عيسى بن مصعب ، فقال له أبوه : انظر ما يريد محمد ، فدنا منه فقال له : إنِّي لكم ناصح ؛ إنّ القوم خاذِلوكم ولك ولأبيك الأمان ، وناشدَه . فرجع إلى أبيه فأخبره ، فقال : إنِّي أظنّ القوم سيَفون ، فإن أحببت أن تأتيَهم فأْتِهم ، فقال : والله لا تتحدَّث نساء قريش أنـِّي خذلتك ورغبت بنفسي عنك ؛ قال : فتقدّم حتى أحتسبك ، فتقدّم وتقدّم ناس معه فقُتِل وقُتِلوا ، وترك أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة . وجاء رجل من أهل الشام ليحتزّ رأس عيسى ، فشدّ عليه مصعب فقتله ، ثم شدّ على الناس فانفرجوا ، ثم رجع فقعد على مِرفقة ديباج ، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيَفرِجون عنه ، ثم

يرجع فيقعد على المرفقة ، حتى فعل ذلك مراراً . وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان فدعاه إلى المبارزة ، فقال له : اعزُب يا كلب ، وشدّ عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيد الله فعصّب رأسه . وجاء ابن أبي فَرْوة كاتبُ مصعب فقال له : جُعِلتُ فداك ، قد تركك القوم وعندي خيل مضمَّرة فاركبها وانجُ بنفسك . فدفع في صدره وقال : ليس أخوك بالعبد . ورجع ابن ظَبْيان إلى مصعب ، فحمل عليه ، وزرق[1] زائدة بن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار ! فصرعه ، وقال عبيد الله لغلام له : احتَزَّ رأسه ، فنزل فاحتزّ رأسه ، فحمله إلى عبد الملك ، فيقال : إنّه لمّا وضعه بين يديه سجد . قال ابن ظَبيان : فهممت والله أن أقتله فأكون أفتكَ العرب ، قتلتُ ملكين من قريش في يوم واحد ، ثم وجدت نفسي تنازعني إلى الحياة فأمسكت .

قال : وقال يزيد بن الرِّقاع العامليّ أخو عديّ بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام : [من الطويل]

نحنُ قتلْنا ابنَ الحوارِيِّ مُصعَباً ... أَخا أَسد والمَذْحِجِيَّ اليمانيا[2]

يعني ابنَ الأشتر ، قال :

ومرَّت عُقاب الموت منّا بمُسلِمٍ ... فأهْوَت له ظُفراً فأَصبَح ثاوِيا[3]

قال الزُّبير : ويروى هذا الشعر للبَعِيث اليَشْكُريّ ، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهليّ .

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثنا محمد بن الحكم ، عن عَوانَة قال : كان مسلم بن عمرو الباهليّ على ميسرة إبراهيم بن الأشتر ، فطُعِن وسقط فارتُثّ[4] ، فلمّا قُتِل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمانَ من عبد الملك ، فأرسل إليه : ما تصنع بالأمان وأنت بالموت ؟ قال : ليسلَم لي مالي ويأمن ولدي . قال : فحمل على سرير فأُدخل على عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لأهل الشام : هذا أكفر الناس لمعروف ، ويحك أكفرتَ معروفَ يزيد بن معاوية عندك ؟ فقال له خالد : تُؤَمِّنه يا أمير المؤمنين ، فأمَّنه ، ثم حُمِل فلم يبرح الصَّحْنَ

---

1 زرقه : رماه أو طعنه بالمزراق وهو الرمح القصير .

2 الطبريّ :

ونحن قتلنا مصعباً وابن مصعب ... أخا أسد والنخعيّ اليمانيا

3 الطبري : فأهوت له ناباً .

4 ارتث : حمل وبه رمق .

حتى مات ، فقال الشاعر : [من الطويل]

نحنُ قَتَلْنا ابنَ الحَوارِيّ مُصعباً أُخا أَسَدٍ والمذحِجيّ اليمانيا

حدَّثنا محمد بن العبّاس قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ قال : قال رجلٍ لعبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : بماذا تحتجّ عند الله عزّ وجلّ من قتلك لمصعب ؟ قال : إن تُرِكتُ أحتجّ رجوتُ أن أكون أخطب من صَعْصَعة بن صُوحان .

[مصعب وسكينة]

وقال مصعب الزُّبيريّ في خبره : قال الماجشون : فلمّا كان يوم قُتْل مصعب دخل إلى سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام فنزع عنه ثيابه ، ولبس غِلالة وتوشح بثوب ، وأخذ سيفه ، فعلمت سُكينة أنّه لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه : واحُزناه عليك يا مصعب ؛ فالتفت إليها وقد كانت تخفي ما في قلبها منه ، فقال : أَوَكُلّ هذا لي في قلبك ! فقالت : إي والله ، وما كنت أُخفي أكثر . فقال : لو كنت أعلم أنّ هذا كلّه لي عندك لكانت لي ولك حال ، ثم خرج ولم يرجع .

قال مصعب : وحدَّثني مصعب بن عثمان : أنّ مصعب بن الزُّبير لمّا قدمت عليه سُكينة أعطى أخاها عليَّ بن الحسين عليهم السلام ، وهو كان حملها إليه ، أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدَّثني معاوية بن بكر الباهليّ قال : قالت سُكينة : دخلتُ على مصعب وأنا أحسن من النّار الموقدة . قال : وكانت قد ولدت منه بنتاً ، فقال لها سمّيها زَبْراء ، فقالت : بل أُسمّيها باسم بعض أُمّهاتي ، فسمّتها الرَّباب .

قال : فحدَّثني محمد بن سلام ، عن شعيب بن صخر ، عن أُمّه سُعْدة بنت عبد الله بن سالم قالت : لقيتُ سُكَينة بنت الحسين بين مكّة ومِنًى فقالت : قفي يا بنتَ عبدِ الله ، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثقلتها باللؤلؤ . فقالت : والله ما ألبستْها إيّاه إلاّ لتفضحه ؛ قال : فلمّا قُتِل مصعب وليَ أمرَ مالك عروةُ بن الزُّبير ، فزوّج ابنَه عثمانَ بن عروة ابنةَ أخيه من سكينة وهي صغيرةٍ فماتت قبل أن تبلغ ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار .

قال : ولّما دخلت سُكَينة الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبدُ الملك فقالت : والله لا يتزوَّجني بعده قاتِلُه أبداً . وتزوَّجت عبدَ الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حِزام ، ودخلتْ بينها وبينه رَمْلَةُ بنت الزُّبير أُخت مصعب حتى تزوَّجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك ، فولدت منه ابناً فسمَّته عثمان ، وهو الذي يُلقَّب بقرين ، ورُبَيحة ابنَي عبد الله بن عثمان ؛ فتزوّج رُبَيْحَةَ العبّاسُ بن الوليد بن عبد الملك .

[رثاء مصعب]

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوّجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً[1] : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّ الرَّزِيَّــة يــوم مَسْـ ـكِنَ والمُصيبَةَ والفَجيعَهْ
يـا ابـنِ الحواريّ الذي لم يَعده يـومُ الوقيعَهْ[2]
غَدَرتْ بـه مُضَرُ العِرا قِ وأَمكَنَتْ منـه رَبيعَهْ
تَـالله لـو كانـت لـه بالدَّيْر يومَ الدير شِيعَهْ[3]
لوجَدْتُموه حـين يُـد لـج لا يُعرِّس بالمَضِيعَهْ[4]

غنّاه يونس الكاتب من كتابه ، ولَحْنه خفيف رمل بالوُسْطى ، وفيه لموسى شَهواتٍ خفيف رمل بالبِنْصر عن حَبَش ، وقيل : بل هو هذا اللحن ، وغلِط مَن نسبه إلى موسى .

وقال عديّ بن الرِّقاع العامليّ يذكُر مقتلَه[5] : [من المتقارب]

لعَمْري لقـد أُصحَرَتْ خيلُنا بأَكنافِ دِجْلَـةَ للمُصْعَبِ[6]
يَهُـزّون كُلَّ طويـل القنـا ة معتـدلَ النَّصـلِ والثَّعلبِ
فِـداؤك أُمِّـي وأبناؤهـا وإن شئتَ زِدتُ عليهـم أبي
ومـا قلتُهـا رَهبَـةً إنّمـا يَحُـلّ العِقـابُ على المذنبِ
إذا شِئتُ دافعْـتُ مُستَقْتِلاً أُزاحِـمُ كالجَمَـلِ الأجربِ
فمَـن يَـكُ مِنّا يَبِتْ آمِناً ومَن يَـكُ من غَيرِنا يَهرُبِ

غنّاه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 184 .
2 يوم الوقيعه في الديوان : أهل الوقيعة .
3 الديوان :
يا لهف لـو كانت لـه بالدير يـوم الدير شيعه
4 يعرس : ينزل آخر الليل للراحة . ورواية الديوان :
لوجدتمـوه حين يغـ ـضب لا يعرج بالمضيعه
5 ديوان عدي بن الرقاع وانظر الطبري (حوادث سنة 71) .
6 أصحرت : برزت إلى الصحراء .

وقال ابن قيس يرثي مُصعَباً[1] : [من الطويل]

لقد أُورَثَ المِصْرَيْن خِزْياً وذِلَّةً   قتيلٌ بدَيْر الجاثَليقِ مُقِيمُ
فما قاتَلتْ في اللهِ بكرُ بنُ وائلٍ   ولا صَبرتْ عند اللِّقاء تميمُ[2]
ولكنّه رامَ القِيامَ ولَم يَكُن   لها مُضَرِيٌّ يوم ذاك كَريمُ[3]

[مصعب لا يفر]

قال الزُّبير : وكان مصعب لمّا قدِم الكوفةَ يسأل عن الحسين بن عليّ عليهما السلام وعن قتْله ، فجعل عروةُ بنُ المغيرة يحدّثه عن ذلك ، فقال متمثّلاً بقول سُليمان بن قَتَّة : [من الطويل]

فإنَّ الأُلى بالطَّفِّ من آل هاشمٍ   تأسَّوْا فسَنُّوا للكِرامِ التَّأسِّيا

قال عروة : فعَلِمت أنّ مُصْعَباً لا يفرّ أبداً .

قال الزُّبير : وقال أبو الحكم بن خلاد بن قُرَّة السَّدوسيّ : حدَّثني أبي قال : لمّا كان يوم السَّبخة حين عَسْكَرَ الحجّاج بإزاءِ شبيبٍ الشاريّ قال له الناس : لو تنحّيت أيّها الأمير عن هذه السّبخة ؟ فقال لهم : ما تنحُّوني ، واللهِ ، إليه أنتنُ ، وهل ترك مصعبٌ لكريم مفرّاً ؟ ثم تمثّل قولَ الكَلْحَبَة : [من الطويل]

إذا المَرْءُ لم يَغْشَ المكارِهَ أوشَكت   حِبالُ الهُوَيْنى بالفتى أن تَقطَّعا

[خطبة عبد الله بن الزُّبير]

قال الزُّبير : وحدَّثني المَدائنيّ عن عَوانة والشّرقيُّ بن القطاميّ عن أبي جَنابٍ قال : حدَّثني شيخٌ من أهل مكّة قال : لمّا أتى عبدَ الله بن الزُّبير قتلُ مصعب أضرب عن ذكره أيّاماً حتى تحدَّثت به إماءُ مكّة في الطريق ؛ ثم صعد المِنبر فجلس عليه مليّاً لا يتكلّم ، فنظرتُ إليه والكآبة على وجهه ، وجبينُه يرشَحُ عرقاً ، فقلت لآخر إلى جنبي : ما له لا يتكلّم ؟ أتُراه يَهاب المنطق ؟ فوالله إنّه لخطيب ، فما تُراه يهاب ؟ قال : أراه يريد أن يذكر قتلَ مصعب سَيِّدِ العرب فهو يفظع لذكره ، وغيرُ ملوم . فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ومالك الدُّنيا والآخرة ، يُعِزّ مَن يشاء ويُذِلُّ مَن يشاء ؛ ألا إنّه لم يَذِلّ واللهِ مَن كان الحقّ معه وإن كان مفرداً ضعيفاً ، ولم يَعِزّ مَن كان الباطل معه ، وإن كان في العُدَّة والعَدد

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 196 .
2 الديوان : فما نصحت لله . . .
3 الديوان :

ولكنه ضاع الذمام ولم يكن   بها مضري . . .

والكثرة . ثم قال : إنّه قد أتانا خَبَرٌ من العراق بلدِ الغدر والشقاق فساءنا وسرّنا ، أتانا أن مصعباً قُتِل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأمّا الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمُه عند المصيبة ، ثم يرعَوي من بعدُ ذو الرأي والدِّين إلى جميل الصبر . وأمّا الذي سرّنا منه فإنّا قد علمنا أنّ قتله شهادة له وأنّ الله عزّ وجلّ جاعلٌ لنا وله ذلك خِيرةً إن شاء الله تعالى . إنّ أهل العراق أسلموه وباعوه بأقلّ ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسَرِه ، أسلموه إسلامَ النَّعَم المُخطَّم[1] فقُتِل ، ولئن قتل لقد قتل أبوه وعمُّه وأخوه وكانوا الخيارَ الصالحين . إنّا والله ما نموت حَتْفَ أنوفنا ، ما نموت إلاّ قَتْلاً ، قَعْصاً بين قِصَد الرِّماح وتحت ظلال السّيوف وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِل رجلٌ منهم في جاهلية ولا إسلام قطّ ، وإنّما الدُّنيا عاريةٌ من المَلِك القهّار ، الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فإن تُقبِل الدُّنيا عليّ لا آخذُها أخذ الأشِر البطِر ، وإن تُدبِر عنّي لا أبْكِ عليها بكاء الخِرف المُهْتَر . ثم نزل .

وقال رجلٌ من بني أسد بن عبد العُزّى يرثي مُصعباً : [من الطويل]

لعمـرُك إنّ المـوتَ منّـا لَمُولَعٌ ... بكُلِّ فتًـى رَحْبِ الذّراعِ أريبِ
فإن يَكُ أمسى مُصعبٌ نال حَتفَه ... لقد كان صُلْبَ العُودِ غيرَ هَيُوبِ
جميلَ المُحَيَّا يُوهِـن القِرنَ غَربُه ... وإن عضَّه دَهْـرٌ فغيـر رَهُـوبِ
أتـاه حِمامُ المَوْت وَسْط جُنودِه ... فطـاروا شِلالاً واستَقى بذَنُوبِ[2]
ولـو صَبروا نالـوا حُبّـاً وكرامةً ... ولكنّهـم وَلَّــوا بغير قُلـوبِ

[مصعب أشجع الناس]

قال : وقال عبد الملك يوماً لجلسائه : مَن أشجع الناس ؟ فأكثروا في هذا المعنى ، فقال : أشجعُ الناس مُصعبُ بنُ الزُّبير ، جمع بين عائشة بنتِ طلحة وسُكَينة بنت الحسن وأمَة الحَميد بنت عبد الله بن عاصم ، ووليَ العراقين ، ثم زحف إلى الحرب ، فبذلتُ له الأمانَ والحِباء والولايةَ والعفو عمّا خلص في يده ، فأبى قبول ذلك ، واطَّرح كلّ ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قدماً يقاتل وما بقي معه إلاّ سبعةُ نفر حتى قُتِل كريماً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : لمّا وَلِيَ مُصعبُ بنُ الزُّبير

---

1 النعم المخطم : البعير الذي جعل الخطام على أنفه لانقياده .
2 طاروا شلالاً : فروا متفرقين .

العراقَ أقرَّ عبدَ العزيز بنَ عبدالله بن عامر على سِجِستان وأمدَّه بخَيل ، فقال ابنُ قيس الرُّقيات : [من الخفيف]

ليتَ شِعْري أأوَّلُ الهَـرْجِ هـذا أم زَمـانٌ من فتْنةٍ غير هَـرْجِ
إن يَعِش مُصعَبٌ فنحـن بخيرٍ قد أتانـا مـن عَيْشنا مـا نُرَجِّي
أُعطِيَ النَّصرَ والمهابـةَ في الأعـ ـداء حتـى أتَوْه مـن كلِّ فجٍّ
حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذي الأكـ ـتاف يُوجِفْن بـين قُفٍّ ومَرْجِ
ملـكٌ يُطعِـم الطّعامَ ويَسْقي لَبَـنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنْجِ

قال الزُّبير : حدَّثني عمِّي مُصعب : أنّ عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك ، فأقبل غِلمانٌ له معهم عِساس خَلَنْج فيها لبن البخت ، فقال عبد الملك : يا ابن قيس ، أين هذا من عِساس مصعب التي تقول فيها : [من الخفيف]

ملكٌ يطعـم الطعـام ويسقي لبنَ البُخت في عِساس الخَلَنْجِ

فقال : لا أين يا أمير المؤمنين ، لو طرحتَ عِساسَك هذه في عُسٍّ من عساس مُصعب لوَسِعها وتغَلغلت في جوفه ، فضحك عبد الملك ثم قال : قاتلك الله يا ابن قيس ، فإنّك تأبى إلاّ كرماً ووفاء .

[يونس الكاتب والوليد بن يزيد]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن الطيب قال : قال لي أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود : خرج يونس الكاتب من المدينة يُريد الشام بتجارة ، فبلغ الوليدَ بن يزيد مكانُه فأتته رُسلُه وهو في الخان ، وذلك في خلافة هشام ، والوليدُ يومئذٍ أميرٌ ، فقالوا له : أجِب الأميرَ ؛ قال : فذهبتُ معهم ، فأدخلوني عليه ولا أدري مَن هو إلاّ أنّه حسنُ الوجه نبيل . فسلَّمتُ عليه ، فأمَرني بالجلوس فجلست ، ودَعا بالشراب والجواري ، فكنّا يومَنا وليلتنا في أمرٍ عجيب ، وغنَّيته فأعجبَه غنائي ، وكان مِمّا أعجبه : [من الخفيف]

لَيتَ شِعْري أأوَّلُ الهَرْج هذا أم زَمانٌ من فِتْنةٍ غير هَـرْجِ

فلم يزل يستعيده إلى الصبح ، ثم اصطبح عليه ثلاثة أيّام . فقلت : أيّها الأمير ، أنا رجلٌ تاجر قدِمتُ هذا البلدَ في تجارةٍ لي ، وقد ضاعت ، فقال : تخرج غداً غُدْوةً وقد رَبِحتَ أكثرَ من تجارتك ، وتَمَّم شُربه . فلمّا أردتُ الانصراف لحقني غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار ، فأخذتها ومضيت . فلمّا أفضت الخلافة إليه أتيتُه ، فلم أزَل مُقيماً عنده حتى قُتِل .

قال أحمد بن الطيب ، وذكر مُصْعب الزُّبيريّ ، أنَّ يونس قال : كنتُ أشربُ مع أصحاب لي فأردتُ أن أبولَ ، فقمتُ فجلستُ أبُولُ على كثيب رمل ، فخطر ببالي قولُ ابنِ قَيس :

ليتَ شِعري أأوَّلُ الهَرْجِ هذا

فغنَّيت فيه لحناً استحسنتُه وجاءَ عجباً من العجب ، فألقيتُه على جاريتي عاتكةَ ، وردَّدَتْه حتى أخذتْه ، وشاع لي في الناس . فكان أوّلَ صوت شاع لي وارتفع به قَدْري وقُرِنتُ بالفُحول من المغنّين ، وعاشرت الخلفاء من أجله ، وأكسبني مالاً جليلاً .

صوت[1]

[من المتقارب]

أَلا نادِ جيرانَنا يَقصِدُوا فنَقْضي اللُّبانـةَ أو نَعْهَـدُ[2]
كأنَّ على كَبِـدي جَمْرةً حِذاراً من البَيْن مـا تَبْرُدُ[3]

الشعر لكُثيِّر ، والغناء لأشْعَب المعروف بالطمع ، ثاني ثقيل بالوُسطى ، وفي البيت الثاني لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر عن حَبَش .

1 ديوان كثيّر : 493 .
2 الديوان : ألا نادِ لجيراننا .
3 جمرة في الديوان : قرحة .

[403] ـ ذكر أَشعب وأَخباره[1]

هو أَشعَب بن جُبَير ، واسمه شُعَيب ، وكنيته أَبو العلاء ، كان يقال لأُمِّه : أُمّ الخَلَنْدَج ، وقيل : بل أُمّ جميل ، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حُمَيدة . وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عُبَيْدة ، وأسره مُصعب فضرب عنقه صبراً ، وقال : تخرج عليّ وأنتَ مولاي ؟ ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب ، وتولَّت تربيتَه وكفلته عائشةُ بنت عثمان بن عفّان .

وحُكي عنه أنّه حكى عن أُمّه أنّها كان تُغري بين أزواج النبيّ ﷺ ، وأنّها زَنَت فَحُلِقت وطِيف بها ، وكانت تنادي على نفسها : مَن رآني فلا يَزْنِين ، فقالت لها امرأة كانت تطّلع عليها : يا فاعلة ، نهانا الله عزَّ وجلّ عنه فعصيناه ، أوَنطيعك وأنتِ مجلودة محلوقة راكبة على جمل !

وذكر رَضْوان بن أَحمد الصَّيْدلانيّ فيما أَجاز لي روايته عنه ، عن يوسف بن الداية عن إبراهيم بن المهديّ : أنّ عُبيدة بن أشعب أخبره ، وقد سأله عن أوّلهم وأصلهم ، أنّ أباه وجدّه كانا مَولَيَي عثمان ، وأنّ أُمّه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب ، وأنّ ميمونة أُمّ المؤمنين أخذتها معها لمّا تزوّجها النبيّ ﷺ ، فكانت تدخل إلى أزواج النبيّ ﷺ فيستَظرِفْنها ؛ ثم إنّها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديثَ بعضهنّ إلى بعض وتغري بينهنّ ، فدعا النبيُّ ﷺ عليها فماتت .

وذكروا أنّه كان مع عثمان ، رضي الله عنه ، في الدار ، فلمّا حُصِر جرَّد مماليكُه السيوفَ ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان : مَن أغمد سيفه فهُو حرٌّ ، قال أشعَبُ : فلمّا وقعتْ والله في أُذني كنتُ أوّلَ مَن أغمَد سيفه ، فأُعتِقتُ .

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : حدَّثني الفضل بن الرَّبيع قال : كان أشعبُ عند أبي سنة أربع وخمسين ومائة ، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيُه . وهو أشعبُ بن جُبَير ، وكان أبوه مولى لآل الزُّبير ، فخرج مع المختار ، فقتله مُصعَب صبراً مع مَن قتل .

أَخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا ابنُ مهرويه قال : حدَّثنا أَحمد بن إسماعيل اليزيديّ قال : حدَّثني التَّـوَّزيّ ، عن الأصمعيّ قال : قال أشعب : نشأت أنا وأبو الزّناد في حِجْر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة .

1 ترجمة أَشعب في وفيات الأعيان 2 : 471–475 وفوات الوفيات 1 : 197–201 . وتهذيب ابن عساكر 3 : 75 وميزان الاعتدال 1 : 258 وتاريخ بغداد 7 : 37 . والمحاسن والمساوىء : 597 وأخبار الظرفاء : 31 وثمار القلوب : 150 . وقد أُورد ابن حمدون في التذكرة جانباً كبيراً من أخباره في مواضع متفرقة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا عبيد الله بن الحسن والي المأمون على المدينة قال : حدَّثني محمد بن عثمان بن عفّان قال : قلت لأشعب : لي إليك حاجة ، فحلف بالطلاق ، لابنة وَرْدان : لا سألتُه حاجة إلاّ قضاها ، فقلت له : أخبرني عن سنّك ، فاشتدّ ذلك عليه حتى ظننت أنّه سيُطَلِّق . فقلت له : على رِسْلك ، وحلفتُ له إنّي لا أذكر سنّه ما دام حيّاً ، فقال لي : أمّا إذ فعلت فقد هوّنت عليّ ، أنا والله حيث حُصِر جدّك عثمان بن عفّان ، أسعى في الدار ألتقط السهام . قال الزُّبير : وأدركه أبي .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله اليعقوبيّ عن الهيثم بن عديّ قال : قال أشعب : كنت ألتقط السهامَ من دار عثمان يوم حوصِر ، وكنت في شبيبتي ألحق الحُمُرَ الوحشيّة عدْواً .

[حدُّ أمّه على الزنا]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيل قالا : أخبرنا المدائنيُّ قال : كان أشعب الطامع ، واسمه شُعيب ، مولى لآل الزُّبير من قِبل أبيه ، وكانت أمّه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفّان ؛ وكانت بغت فضُربت وحُلِقت وحُملت على جمل ، وطِيف بها وهي تنادي : مَن رآني فلا يزنين ، فأشرفت عليها امرأة فقالت : يا فاعلة ، نهانا الله عزَّ وجلَّ عن الزنا فعصيناه ، ولسنا ندعه لقولك وأنتِ محلوقة مضروبة يُطاف بكِ ؟

أخبرني أحمد قال : حدَّثنا أحمد بن مَهرويه قال : كتب إليّ ابنُ أبي خَيْثَمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال : اسم أشعب شُعيب ، ويكنى أبا العلاء ، ولكنّ الناس قالوا أشعب فبقيت عليه ، وهو شعيب بن جُبير مولى آل الزُّبير ، وهم يزعمون اليوم أنّ أصلهم من العرب انتسبوا إلى ذي رعين ، وولده كثير عندنا ، وأمّ أشعب أم الخَلَندج . فزعم أشعب أنّ أمّه كان تُغري بين أزواج النبيّ ﷺ ورَحِمِهم ، وامرأة أشعب بنت وردان ، ووردان الذي بنى قبر النبيّ ﷺ حين بنى عُمر بن عبد العزيز المسجد .

[أشعب حسن الصوت]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : وكتب إليّ ابنُ أبي خيثمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال : كان أشعبُ من القرّاء للقرآن ، وكان قد نَسَك وغزا ، وكان حسنَ الصوت بالقرآن ، وربّما صلّى بهم القيام .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمدُ بن القاسم قال : حدَّثني أحمدُ بن يحيى قال :

أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم قال : كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغنّي أصواتاً فيجيدها ، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزّبيريّ : [من السريع]

صوت

إذا تمــــزّزْتُ صُراحِيَّـــةً كمثـل ريح المسك أو أطْيَبُ[1]
ثــم تغنَّـــى لي بأهْزاجِـــه زَيْـدٌ أخـو الأنصارِ أو أشْعبُ
حسِبْتُ أنِّـي ملك جالِسٌ حَفَّـت بـه الأملاكُ والمَوْكِبُ
ومــا أبــالي وإلـــهِ الوَرى أشرَّق العالَـــمُ أم غَرَّبــوا

غنَّى في هذه الأبيات زيد الأنصاريّ خفيف رمل بالبنصر .

[رواية أشعب الحديث]

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة .

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد أنّ الربيع بن ثعلب حدَّثهم قال : حدَّثني أبو البختريّ .

حدَّثني أشعب ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لو دعيتُ إلى ذراع لأجبتُ ، ولو أُهدِي إليّ كُراعٌ لقبلتُ» .

قال ابنُ أبي سعد ، ورُوِي عن محمد بن عباد بن موسى عن عتّاب بن إبراهيم ، عن أشعب الطامع ، قال عتّاب : وإنّما حملت هذا الحديث عنه لأنّه عليه ، قال : دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له فأشرف عليّ وقال : يا أشعب ، ويلك لا تسأل ، فإنّي سمعتُ أبي يقول : سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول : «ليأتينَّ أقوامٌ يومَ القيامة ما في وجوههم مُزْعة لحم ، قد أخلقوها بالمسألة» .

ويروى عن يزيد بن موهب الرمليّ عن عثمان بن محمد ، عن أشعب ، عن عبد الله بن جعفر : أنّ النبيّ ﷺ تَختَّم في يمينه .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني عمر بن شبّة قال : حدَّثني الأصمعيّ ، عن أشعب قال : استَنشدني ابنٌ لسالم بن عبد الله بن عمر غناءَ الرُّكبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته ، ورأسُ أبيه سالم في بتٍّ[2] فلم ينكر ذلك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو مسلمٍ عن عبد الرحمن بن الحكم ، عن المدائنيّ قال : دفعت عائشةُ بنت عثمان أشعبَ في

---

1 الصراحية : إناء الخمر .
2 بت : طيلسان من خزّ ونحوه .

البزَّازين فقالت له بعد حول : أتوجّهتَ لشيء ؟ قال : نعم ، تعلّمتُ نصفَ العمل وبقي نصفُه ، قالت : وما تعلّمتَ ؟ قال : تعلّمتُ النشرَ وبقي الطيّ .

[وهب له غلام فغشي على أمه من الفرح]

قال المدائنيّ : وقال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهّم أذهب عنّي الحرص والطلب إلى الناس ، فمررت بالقرشيّين وغيرهم فلم يعطني أحدٌ شيئاً . فجئت إلى أُمّي فقالت : ما لكَ قد جئتَ خائباً ؟ فأخبرتُها ، فقالت : لا والله لا تدخل حتى ترجع فتَسْتقيل ربّك ، فرجعتُ فقلت : يا ربّ أقِلْني ، ثم رجعت ، فلم أمُرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلاّ أعطوني ووُهب لي غلامٌ . فجئت إلى أُمّي بحمار مُوقَر من كلّ شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفتُ أن أخبرها بالقصّة فتموت فرحاً ، فقلت : وهبوا لي ، قالت : أيّ شيء ؟ قلت : غَين ، قالت : أيّ شيء غَيْن ؟ قلت : لام ، قالت : وأيّ شيء لام ؟ قلت : ألف ، قالت : وأيّ شيء ألف ؟ قلت : ميم ، قالت : وأيّ شيء ميم ؟ قلت : غلام . فغشي عليها ، ولو لم أقطّع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني العبّاس بن ميمون قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : سمعتُ أشعبَ يقول : سمعتُ الناسَ يموجون في أمر عثمان . قال الأصمعيّ : ثم أدرك المهديّ .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سعيد الرّبيعيّ قال : حدَّثني هند بن حَمدان الأرقميّ المخزوميّ قال : أخبرني أبي قال : كان أشعبُ أزرقَ أحولَ أكشفَ[1] أقرع .

قال : سمعتُ الأرقميَّ يقول : كان أشعب يقول : كنتُ أسقي الماءَ في فتنة عثمان بن عفّان . والله أعلم .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا عيسى بن موسى قال : حدَّثنا الأصمَعيُّ قال : أصاب أشعب ديناراً بالمدينة ، فاشترى به قطيفة ، ثم خرج إلى قُباء يعرِّفها ، ثم أقبل عليَّ فيما أحسب ، شك أبو يحيى ، فقال : أتُراها تُعرَّف .

قال أحمد : وحدَّثناه أبو محمد بن سعد قال : حدَّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال : حدَّثني الواقديُّ قال : كنت مع أشعب نريد المُصَلّى ، فوجد ديناراً ، فقال لي : يا ابنَ واقد قلت : ما تشاء ؟ قال : وجدت ديناراً فما أصنع به ؟ قال : قلت : عرِّفه ، قال : أم العلاء إذاً طالق ، قال : قلت : فما تصنع به إذاً ؟ قال : أشتري به قطيفة أعرِّفها .

---

1 أكشف : انحسر مقدم شعر رأسه .

قال : وحدَّثني محمد بن القاسم قال : وحدّثنيه محمد بن عثمان الكُريزيّ ، عن الأصمعيّ : أنّ أشعب وجد ديناراً فتحرّج من أخذه دون أن يُعرِّفه ، فاشترى به قطيفة ثم قام على باب المسجد الجامع فقال : مَن يتعرّف الوَبِدَة ؟

أخبرني أحمد الجوهريّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : سألت العَنَزِيّ ، فقال ! الوَبدُ من كلّ شيء : الخَلَق ؛ وبِدَ الثوبُ ووَمِد إذا أخْلَق .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال : حدَّثنا عيسى بن موسى ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : رأيت أشعب يغنِّي وكأنّ صوتَه صوتُ بلبل .

[يصرف الناس عن القاص بغنائه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف مَحْمَل ، وكان ثَمّ قاصٌّ يَقُصّ عليهم ، فجئتُ فأخذتُ في أغنية من الرقيق ، فتركوه وأقبلوا إليّ ، فجاء يشكوني إلى سالم فقال : إنّ هذا صرف وجوه الناس عنّي ، قال : وأتيتُ سالماً ، وأحسبه قال ، والقاسمَ ، فسألتهما بوجه الله العظيم ، فأعطياني ، وكانا يبغضانني أو أحدهما يبغضني في الله ، قال : قلنا : لا تجعل هذا في الحديث قال : بلى .

حدّثنا أحمد : قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : وحدَّثناه قَعنب بن محرز الباهليّ قال : أخبرنا الأصمعيُّ ، عن أشعب قال : قدِم علينا قاصٌّ كوفيٌّ يقصّ في رُفقته ، وفيها ألف بعير ، فخرجْنا وأحرمْنا من الشّجرة فطرّبتُ بالتّلبية ، فأقبل الناس إليّ وتركُوه . قال : ابنُ أمّ حُميد ، فجاء إليّ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان فقال : إنّ مولاك هذا قد ضَيَّق عليّ معيشتي .

[يحلف ألاّ يأكل مضيرة]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهْم عن المدائنيّ قال : تغدّى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثيّ ، فجاؤوا بمَضيرة ، فقال أشعب لخبّاز : ضعها بين يديّ ، فوضعها بين يديه ، فقال زياد : مَن يُصلّي بأهل السّجن ؟ قال : ليس لهم إمام ، قال : أدخلوا أشعب يصلّي بهم ، قال أشعب : أَوَ غير ذلك أصلح اللهُ الأميرَ ؟ قال : وما هو ؟ قال : أحلف ألاّ آكُلَ مضيرةً أبداً .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : حدَّثني قعنب بن المحرز ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : ولّى المنصورُ زيادَ بن عبد الله الحارثيّ مكّة والمدينة . قال أشعب : فلقيتُه بالجُحْفة[1] فسلّمتُ عليه ، قال : فحضر الغداء ، وأُهدِي إليه جَدْي فطبخه

---

1 الجحفة : قرية بين مكّة والمدينة .

مَضيرة ، وحُشِيت القَبَة[1] قال : فأكلتُ أكلاً أتملَّح به ، وأنا أعرف صاحبي ، ثم أُتِي بالقَبَة ، فشققْتُها ، فصاح الطبّاخ : إنّا لله ! شقّ القَبة ، قال : فانقطعتُ . فلمّا فرغْت قال : يا أشعب ، هذا رمضان قد حضر ، ولا بدّ أن تصلّي بأهل السّجن ، قلت : والله ما أحفظ من كتاب الله إلاّ ما أُقيم به صلاتي ، قال : لا بدَّ منه ، قال : قلت : أوَلا آكل جَدْياً مضيرة ؟ قال : وما أصنع به وهو في بطنك ؟ قال : قلت : الطّريق بعيد أُريد أن أرجع إلى المدينة ، قال : يا غلام ، هاتِ ريشة ذَنَب ديك ، قال أشعب : والجُحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك ، قال : فأدخلت في حلقي فتقيّأتُ ما أكلتُ ، ثم قال لي : ما رأيك ؟ قال : قلت : لا أُقيم ببَلْدة يصاح فيها : شقّ القَبَة ، قال : لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك ، فقل ولا تشطط قال : قلت : نصف دِرهم كِراء حمار يُبلِّغني المدينة ، قال : أنصفت وأعطانيه .

[بعض طرائف أشعب]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال أخبرني أبو مسلم ، عن المدائنيّ قال : أُتيَ أشعبُ بفالُوذجة عند بعض الولاة ، فأكل منها ، فقيل له : كيف تراها يا أشعب ؟ قال : امرأته طالق إن لم تكُن عُملت قبل أن يوحيَ الله عزَّ وجلَّ إلى النحل .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثنا عبد الله بن شعيب الزُّبيريّ عن عمِّه . قال أبو بكر : وحدَّثني ابن أبي سعد قال : حدَّثني عبد الله بن شعيب وهو أتمُّ من هذا وأكثر كلاماً ، قال : جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزُّبير ، فشكا إليه ، فأمر له بصاع من تمر . وكانت حال أشعب رثَّة ، فقال له أبو بكر بن يحيى : ويحك يا أشعب ! أنت في سِنّك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتُعْطى مثل هذا ؟ اذهبْ فادخُل الحمام فاخْضِب لحيتَك . قال أشعب : ففعلتُ ، ثم جئته فألبسني ثيابَ صوف له وقال : اذهبْ الآن فاطلب ، قال : فذَهبتُ إلى هشام بن الوليد ، صاحب البغلة من آل أبي ربيعة ، وكان رجلاً شريفاً موسِراً ، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً ، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد ، وطفِق كلّما جلس في حلقة يقول : أبو بكر بن يحيى ، جزاه الله عنّي خيراً ، أعرف الناس بمسألة ، فعل بي وفعل ، فيقص قصّته . فبلغ ذلك أبا بكر فقال : يا عدوَّ نفسه ! فضحتني في الناس ، أفكان هذا جزائي !

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد قال : حدَّثني شيخٌ أنّه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفَرْع[2] يبكي وقد خضب بالحناء .

1 القبة : جزء من أسفل الكرش .

2 الفرع : قرية بين مكة والمدينة .

فقالـوا : يـا شَيْخ ما يبكيك ؟ قال : لغربة هذا الجناح ، وكان على دار واحدة ليس بالفَرْع غيره .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه ، قال : أخبرني محمد بن الحسين قال : حدَّثني أبي ، قال : نظرتُ إلى أشعب يُسَلِّم على رسول الله ﷺ قال : وهو يدعو ويتضرَّع ، قال : فأدمْتُ نظري إليه ، فكلّما أدمْتُ النظر إليه كلَّح وبثَّ أصابعه في يده بحذائي حتى هرَبت فسألت عنه فقالوا : هذا أشعب .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني محمد بن الحسين قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفِهْريّ قال : إنّ أشعب مرَّ برشٍّ قد رُشَّ من الليل في بعض نواحي المدينة فقال : كأنّ هذه الرشّ كِساءٌ بَرْنَكانيٌّ[1] فلمّا توسّطه قال : أظنّني والله قد صدقت ، وجلس يلمس الأرض .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني محمد بن الحسين قال : حدَّثنا بعض المدنيِّين قال : كان لأشعب خرقٌ في بابه ، فينام ويُخرِج يدَه من الخرق ويطمع أن يجيءَ إنسانٌ فيطرح في يده شيئاً ؛ من الطمع .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ قال : صلّى أشعب يوماً إلى جانب مَروان بن أبان بن عثمان ، وكان مروانُ عظيـمَ الخَلـق والعَجيزة ، فأفلتت منه ريحٌ عند نهوضه ، لها صوت ، فانصرف أشعب من الصلاة ، فوَهِم الناس أنّه هو الذي خرجت منه الريح ، فلمّا انصرف مروان إلى منزله جاءَه أشعب فقال له : الدِّية ، فقال : دِيَةُ ماذا ؟ فقال : دية الضرطة التي تحَمَّلتها عنك ، والله وإلاّ شهّرتك ، فلم يدعْه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني إبراهيم بن الجنيد ، قال : حدَّثني سوّار بن عبد الله قال : حدَّثني مهديّ بن سليمان المِنقريّ مولى لهم ، عن أشعب قال : دخلتُ على القاسم بن محمد وكان يبغضني في الله وأُحبّه فيه ، فقال : ما أدخلك عليّ ؟ اخـرج عنّـي ، فقلـت : أسألك بالله لما جَدَدْتَ[2] عِذْقاً ، قال : يا غلام ، جُدّ له عِذقاً ، فإنّه سأل بمسألة لا يفلح من رَدَّها أبداً .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال حدَّثنا الرياشيّ قال : حدَّثني أبو سلمة أيّوب بن عمر ، عن المحرزيّ ، وهو أيّوب بن عباية أبو سليمان قال : كان لأشعب علـيّ في كلّ

1 كساء برنكاني : كساء من صوف .

2 جدّ العذق : قطعه .

سنة دينار ، قال : فأتاني يوماً ببُطحان[1] فقال : عجِّل لي ذلك الدّينار ، ثم قال : لقد رأيتُني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مِمّا آخذ من هذا وهذا وهذا .

[مباراة بين أشعب وابنه]

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال : حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ قال : سمعتُ أبي يحكي عن بعض المدنيِّين قال : كَبر أشعبُ فملّه الناس وبَرَد عندهم ، ونشأ ابنه فتغنّى وبكى وأندَر[2] ، فاشتهى الناس ذلك ، فأخصب وأجدب أبوه : فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه ، وجاء ابنه وامرأتُه فقال له : بلغني أنّك قد تغنَّيت وأندرتَ وخطبتَ ، وأنّ الناس قد مالوا إليك فهلمّ حتى أُخايرَك[3] ، قال : نعم ، فتغنّى أشعب فإذا هو قد انقطع وأُرعَد ، وتغنّى ابنُه فإذا هو حسنُ الصوت مطرب ، وانكسر أشعب ثم أندر فكان الأمر كذلك ، ثم خطبا فكان الأمرُ كذلك ، فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه ، ثم قال : نعم ، فمن أين لك مثل خُلُقي ؟ مَنْ لك بمثل حديثي ؟ قال : وانكسر الفتى ، فنَعَرت العجوز ومَن معها عليه .

[دفن بنت الحسين بن علي]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الحسين بن هارون قال : حدَّثني محمد بن عباد بن موسى قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارَنا هنا قال : حدَّثني محمد بن حرب الهلاليّ ، وكان على شُرطة محمد بن سليمان ، قال : دخلتُ على جعفر بن سليمان وعنده أشعب يحدّثه قال : كانت بنتُ حسين بن عليّ عند عائشة بنت عثمان تربّيها حتى صارت امرأة ، وحجّ الخليفة فلم يبقَ في المدينة خَلْق من قريش إلاّ وافى الخليفة إلاّ مَن لا يَصلُح لشيء ، فماتت بنتُ حسين بن عليّ ، فأرسلت عائشةُ إلى محمد بن عمرو بن حَزم وهو والي المدينة ، وكان عفيفاً حديداً[4] عظيمَ اللّحية ، له جارية مُوكّلة بلحيته إذا ائتزر لا يأتزر عليها ، وكان إذا جلس للناس جمعها ثم أدخلها تحت فخذه . فأرسلت عائشة : يا أخي قد ترى ما دخل عليّ من المصيبة بابنتي ، وغَيبةِ أهلي وأهلِها ، وأنت الوالي ، فأمّا ما يكفي النساء من النساء فأنا أكفيكه بيدي وعيني ، وأمّا ما يكفي الرجالَ من الرجالِ فاكفِنيه ، مُرْ بالأسواق أن ترفع ، وأمر بتجريد مَن يحمل نعشها ، ولا يحملها إلاّ الفقهاء الألِبّاء من قريش بالوقار والسكينة ، وقُم على قبرها ولا يدخله إلاّ قرابتُها من ذوي الحِجا

1 بطحان : واد بالمدينة

2 أندر : أتى بالنوادر .

3 أخايرك : أغالبك .

4 رجل حديد : فيه شدّة .

والفضل . فأتى ابنَ حزم رسولُها حين تغدّى ودخل ليَقِيل ، فدخل عليه فأبلغه رسالتها ، فقال ابنُ حزم لرسولها : أقرىء ابنة المظلوم السلام وأخبرها أنّي قد سمعت الواعيةَ[1] وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أبرِد ، ثم أصلّي ، ثم أُنفِّذ كلّ ما أمرت به . وأمر حاجبَه وصاحبَ شُرطته برفع الأسواق ، ودعا الحرسَ وقال : خذوا السّياط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلاّ ذوي قرابتها بالسكينة والوقار ؛ ثم نام وانتبه وأُسرِج له ، واجتمع كلُّ مَن كان بالمدينة ، وأتى بابَ عائشة حين أُخرِج النعشُ ، فلمّا رأى الناسُ النعش التقفوه ، فلم يملك ابنُ حزم ولا الحرسُ منه شيئاً ، وجعل ابنُ حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السّفلة والغوغاء : اربَعوا أيّ ارفقوا فلم يسمعوا ، حتى بُلغ بالنعش القبرُ . فصلّى عليها ، ثم وقف على القبر فنادى : مَن هاهنا من قريش ؟ فلم يحضره إلاّ مروانُ بن أبان بن عثمان ، وكان رجلاً عظيم البطن بادناً لا يستطيع أن ينثني من بطنه ، سخيفَ العقل ؛ فطلع وعليه سبعةُ قمصٍ ، كأنّها دَرَج ، بعضُها أقصرُ من بعض ورداءٌ عدنيّ يثمن ألفي درهم . فسلّم وقال له ابن حزم : أنتَ لعَمري قريبُها ، ولكنّ القبرَ ضيّق لا يسعك ، فقال : أصلح الله الأمير إنّما تضيق الأخلاق . قال ابن حزم : إنّا لله ، ما ظننتُ أنّ هذا هكذا كما أرى . فأمر أربعة فأخذوا بضَبْعِه حتى أدخلوه في القبر ، ثم أتى خراءُ الزّنج ، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله ، ثم قال : واسيِّدتاه وابِنْت أُختاه ! فقال ابن حزم : تاللهِ لقد كان يبلغني عن هذا أنّه مخنّث ، فلم أكن أرى أنّه بلغ هذا كلّه ، دَلّوه فإنّه عورة ، هو والله أحقّ بالدفن منها . فلمّا أُدخِلا قال مروان لخِراء الزنج : تنحَّ إليك شيئاً . فقال له خراء الزنج : الحمد لله ربّ العالمين ، جاء الكلب الإنسيّ يطرد الكلب الوحشيّ . فقال لهما ابن حزم : اسكُتا قبّحكما الله وعليكما لعنته ، أيّكما الإنسيّ من الوحشيّ ، والله لئن لم تسكتا لآمرنّ بكما فتدفنان ، ثم جاء خالٌ للجارية من الحاطبيِّين وهو ناقةٌ من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال : أنا خالها وأُمِّي سودة وأُمّها حفصة ، ثم رمى بنفسه في القبر ، فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح : أوه ! أصلح الله الأمير دقّ والله عرقوبي . فقال ابن حزم : دقّ اللهُ عرقوبَك وترقوتَك ! اسكُت ويلك ، ثم أقبل على أصحابه فقال : ويحكم إنّي خبِّرت أنّ الجارية بادن ، ومروانُ لا يقدر أن ينثني من بطنه ، وخراء الزنج مخنّث لا يَعقِل سُنّة ولا دفناً ، وهذا الحاطبيّ لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه ، فمَن يدفن هذه الجارية ؟ والله ما أمرتْني بهذا بنتُ المظلوم . فقال له جلساؤه : لا والله ما بالمدينة خَلْق من قريش ، ولو كان في

1 الواعية : الصراخ على الميت .

هؤلاء خير لما بَقُوا ؛ فقال : من هاهنا من مواليهم ؟ فإذا أبو هانيء الأعمى وهو ظئر لها ، فقال ابنُ حزم : مَن أنت رحمك الله ؟ قال : أنا أبو هانيء ظئر عبد الله بن عمرو بن عثمان وأنا أدفِن أحياءهم وأمواتهم ، فقال : أنا في طلبك ، ادخُل رحمك الله ، فادفِن هؤلاء الأحياء ، حتى يُدلَّى عليك الموتى ؛ ثم أقبل على أصحابه فقال : إنّا لله ، وهذا أيضاً أعمى لا يبصر . فنادوا : مَن هاهنا من مواليهم فإذا برجلٍ يزيديّ يقال له أبو موسى قد جاء ، فقال له ابنُ حزم : مَن أنت أيضاً ؟ قال : أنا أبو موسى صالمين ، وأنا ابن السميط سميطين والسعيد سعيدين ، والحمد لله ربّ العالمين . فقال ابنُ حزم : والله العظيم لتكونن لهم خامساً ، رَحِمكِ الله يا بنت رسول الله ، فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثتك ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وأظنّه سقط رجل آخر .

[أشعب وجديه]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني اليعقوبيّ محمد بن عبد الله قال : حدَّثني أبو بكر الزلال الزُّبيريّ ، قال : حدَّثني مَن رأى أشعب وقد علّق رأسَ كلبه وهو يضربه ويقول له : تنبح الهديةَ وتُبصبِص للضيف .

أخبرنا أحمد ، قال : حدَّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن محمد الزُّبيريّ أبو الطّاهر قال : حدَّثني يحيى بن محمد بن أبي قتيلة قال : غَذَا أشعَبُ جَدْياً بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغايةَ قال : ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته : أيْ ابنة وَرْدان ، إنّي أُحِبّ أن تُرضِعيه بلبنك . قال : ففعلت ؛ قال : ثم جاء به إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال : بالله إنّه لابني ، قد رضع بلبن زوجتي وقد حَبوْتُك به ، ولم أرَ أحداً يستأهله سواك . قال : فنظر إسماعيلُ إلى فتنة من الفتن فأمر به فذُبِح وسُمِط ، فأقبل عليه أشعب ، فقال : المكافأة ، فقال : ما عندي والله اليوم شيء ، ونحن من تعرف ، وذلك غير فائت لك . فلمّا يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد ، ثم اندفع يشْهَق حتى التقت أضلاعُه ، ثم قال : أخْلني ، قال : ما معنا أحد يسمع ولا عينَ عليك . قال : وثب ابنُك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه . قال : فارتاع جعفر وصاح : وَيْلك ! وفيم ؟ وتريد ماذا ؟ قال : أمّا ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حِيلَة ولا يسمَع هذا سامعٌ أبداً بعدك . فجزاه خيراً وأدخله منزِلَه ، وأخرج إليه مائَتي دِينار وقال له : خذ هذه ولك عندنا ما تُحِبّ . قال : وخرج إلى إسماعيل لا يُبصِر ما يطأ عليه ، فإذا به مُترسِّل في مَجْلِسه . فلمّا رأى وجهَ أبيه نكِره ، وقام إليه ، فقال : يا إسماعيل أوَفَعَلْتها بأشْعَب ؟ قتلتَ ولدَه . قال : فاستُضْحِك وقال : جاءني بِجَدْيٍ من صفَتِه كذا ، وخبَّره الخبر . فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه . قال : فكان جعفر

يقول لأَشعب : رعبتني رعبك الله فيقول : رَوْعةُ ابنِك والله إيّاي في الجَدْي أَكبر من رَوْعتك أَنتَ في المائتي الدينار .

[خالد بن عبد الله يجري عليه دون أن يعرفه]

أَخبرنا أَحمد قال : حَدَّثنا عبد الله بن عَمرو بن أَبي سَعْد ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق المُسيَّبيّ قال : حدَّثني عُمَير بن عُبيد الله بن أبي بَكْر بن سُليمان بن أبـي خَيْثمة ، قـال : وعُمَير لقبٌ واسمُه عبد الرحمن ، عن أشعب قال : أَتيتُ خالدَ بن عبد الله بن عَمرو بن عثمان بن عفّـان ليلـة أسأله ، فقـال لي : أنـتَ على طريقـة لا أُعطـي على مِثْلها ، قلـت : بلى جُعِلْت فِداءَك ؟ ؛ فقال : قُم فإن قُدِر شيء فسيكون ؛ قال : فقمت ، فإنِّي لَفي بعض سِكَك المدينة ، إذ لَقيني رجل فقال : يا أَشعب إن كان الله قـد ساق إليك رزقاً فما أنتَ صانع ؟ قلت : أَشكر الله وأَشكر مَن فعله . قال : كَم عيالُك ؟ فأخبرتُه قال : قد أُمِرْتُ أن أُجرِي عليك وعلى عِيالِـك مـا كنتَ حيّاً . قال : مَن أمرَك ؟ قال : لا أُخبرك ما كانت هذه فوق هذه ، يريد السماء ، وأشار إليهـا . قال : قلت : إنّ هذا معروف يُشْكَر ، قال : الذي أمرني لم يرِد شكرك ، وهو يتمنّى ألاّ يَصِل مِثْلَك . قال : فَمكثْتُ آخُذ ذلك إلى أن تُوُفِّي خالدُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان . قـال : فشهِدَتْه قريشٌ وحَفَل لـه الناس قـال : فشَهدتُه فلَقِيَني ذلك الرجلُ فقال : يا أشعب انْتِفْ رأْسَك ولحيتَك ! هذا والله صاحِبُك الذي كان يُجري عليك ما كنتُ أُعطِيك ، وكان والله يَتَمَنَّى مباعدة مثْلك ؛ قال : فحمله والله الكرمُ إذْ سأَلتَه أن فعل بِك ما فعل ، قال عمير : قال أَشعبُ : فعَمِلت بنفسي والله حينئذٍ ما حلَّ وحَرُم .

[خشوع أشعب]

أَخبرني أَحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال : كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبّض وجْهَه فصيّره كالصُّبرة[1] المجموعة ، فرآه عامر بن عبد الله بن الزُّبير فحصبه وناداه : يا أَشعب ، إنّما تناجي ربّك . فناجه بوجه طلق ، قال : فأرخى لِحيه حتى وقع على زَوره ، قال : فأعرض عنه عامر وقال : ولا كلّ هذا .

[يجز لحيته]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني الزُّبير ، قال : حدَّثني مُصْعَب قال : جزَّ أَشعبُ لِحْيَتَه فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير : أَلم أَقلْ لك إنّ البطّال أملح ما يكون إذا طالت لِحْيَتُه فلا تَجْزُزْ لِحْيَتك .

1 الصبرة : كومة من العظام .

[طرائف أخرى لأشعب]

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا أبو الحسن أحمد بن يحيى قال : أخبرنا أبو الحسن المَدائنيّ قال : وقف أشعَبُ على امرأة تعمل طبقَ خُوص فقال : لِتكبِّريه فقالت : لِمَ ؟ أتريد أن تَشتَريه ؟ قال : لا ، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيُهديَ إليّ فيه ، فيكون كبيراً خير من أن يكون صغيراً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أحمد بن يحيى قال : أخبرنا المدائنيّ ، قال : قالت صديقةُ أشعب لأشعبَ : هَبْ لي خاتمَك أذكرك به ، قال : اذكري أنّي منعتُكِ إيّاه ؛ فهو أحبّ إليَّ .

أخبرني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مُسْلِم قال : أخبرنا المدائنيّ قال : قال أشعب مرّة للصبيان : هذا عمرو بنُ عثمان يقسّم مالاً ، فمضوا ، فلمّا أبطؤوا عنه اتّبعهم ؛ يحسب أن الأمر قد صار حقّاً كما قال .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أحمد بن يحيى ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : دعا زيادُ بنُ عبد الله أشعبَ فتغدّى معه ، فضرب بيده إلى جَدْيٍ بين يديه ، وكان زياد أحد البخلاء بالطعام ، فغاظه ذلك ، فقال لخدمه : أخبروني عن أهل السجن ألـهُم إمام يصلّي بهم ؟ وكان أشعبُ من القرّاء لكتاب الله تعالى ، قالوا : لا ؛ قال : فأدخلوا أشعب فصيِّروه إماماً لهم . قال أشعبُ : أوَغير ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال أحلف لك ، أصلحك الله ، ألاّ أذُوقَ جَدْياً أبداً ، فخلاّه .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم ، قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : رأيتُ أشعبَ بالمدينة يُقَلِّب مالاً كثيراً فقلتُ له : ويحك ما هذا الحرص ! ولعلّك أن تَكونَ أيسرَ مِمّن تطلب منه ! قال : إنِّي قد مَهَرتُ في هذه المسألة ، فأنا أكره أن أدَعَها فتَنْفلت منّي .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيُّ قال : قيل لأشعب : ما بَلَغ من طعمك ؟ قال : ما رأيتُ اثنين يتسارّان قَطّ إلاّ كنت أراهما يأمران لي بشيء .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيُّ قال : قال أشعبُ لأُمِّه : رأيتُك في النوم مطْلِيَّة بعسل وأنا مطليٌّ بعَذِرة . فقالت : يا فاسق هذا عَملُك الخبيثُ كساكه اللهُ عزّ وجلّ . قال : إنّ في الرؤيا شيئاً آخر ، قالت : ما هو ؟ قال : رأيتني ألطَعُك وأنت تَلْطَعِيني ، قالت : لعَنك الله يا فاسق .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيّ قال : كان أشعبُ يتحدَّثُ إلى امرأة بالمدينة حتى عُرِف ذلك ، فقالت لها جاراتها يوماً : لو سألتِه شيئاً فإنّه مُوسِر ؛ فلمّا جاء قالت : إنّ جاراتي ليَقُلْن لي : ما يصلُك بشيء . فخرج نافراً من منزلها ، فلم يَقربْها شهريْن ، ثم إنّه جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت إليه قدحاً ملآناً ماء ، فقالت : اشربْ هذا من الفزع ، فقال : اشربيه أنت من الطمع .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يحيى ، واللفظ لأحمد ، قال : أخبرنا المدائنيّ عن جَهْم بن خلف قال : حدَّثني رجلٌ قال : قلتُ لأشعب : لو تحدَّثت عندي العَشيّة ؟ فقال : أكره أن يجيء ثقيل ، قال : قلت : ليس غَيرُك وغَيْري ؛ قال : فإذا صلّيتُ الظهرَ فأنا عندك .

فصلّى وجاء ، فلمّا وضَعَت الجاريةُ الطعامَ إذا بصديق لي يَدُقّ الباب ، فقال : ألا ترى قد صرتُ إلى ما أكره ؟ قال : قلت : إن عندي فيه عَشْرَ خصال ، قال : فما هي ؟ قال : أوَّلُها أنّه لا يأكل ولا يشرب ، قال : التِّسْعُ الخصال لك ، أدخله . قال أبو مسلم : إن كرِهْتَ واحدةً منها لم أُدخِله .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرنا المدائنيّ قال : دخل أشعبُ يوماً على الحسين بن عليّ وعنده أعرابيٌّ قبيح المنظر مختلف الخِلقة . فسبَّح أشعبُ حين رآه ، وقال للحُسين عليه السلام : بأبي أنتَ وأمّي ، أتأذن لي أن أسْلح عليه ؟ فقال الأعرابيُّ : ما شئتَ ، ومع الأعرابيّ قوسٌ وكِنانة ، ففوَّق له سهماً وقال : والله لَئِن فعَلْت لتكونَنَّ آخرَ سَلحة سلَحْتها ؛ قال أشعبُ للحسين : جُعِلتُ فداءك ، قد أخذني القُولَنج [1] .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بن القاسم ، قال أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : ذَكر أشعبُ بالمدينة رجُلاً قبيح الاسم ، فقيل له : يا أبا العلاء ، أتعرِف فُلاناً ؟ قال : ليس هذا من الأسماء التي عُرِضت على آدم .

وجَدْتُ في بعض الكتب ، عن أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ قال : توضَّأ أشعبُ فغسل رجلَه اليسرى وترك اليمنى ، فقيل له : لِمَ تركتَ غَسْل اليمنى ؟ قال : لأنّ النبيّ ﷺ قال : أُمّتي غُرٌّ مُحجّلون من آثار الوضوء ، وأنا أُحِبُّ أن أكون أغرّ مُحجَّلاً مُطلقَ اليمنى .

وأُخبرتُ بهذا الإسناد قال : سَمِع أشعبُ حُبّي المدينيَّة تقول : اللهمّ لا تمِتني حتى تغفرَ لي ذُنوبي ، فقال لها : يا فاسقة ! أنتِ لم تسألي الله المغفرة إنّما سألتِه عمرَ الأبد ، يُريدُ

1 القولنج : التهاب في الأمعاء الغليظة يصعب معه خروج البراز والريح .

أنّه لا يغفِر لها أبداً .

أخبرنا أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : أخبرنا المدائنيّ ، عن فُلَيْح بن سُليمان قال : ساوم أشعبُ رجُلاً بقَوْس عربيَّة فقال الرجلُ : لا أنقصُها عن دينار . قال أشعبُ : أعتق ما أملك لو أنّها إذا رُمِيَ بها طائر في جَوّ السماء وقع مشويّاً بين رغِيفين ما أخذتها بدِينار .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيّ قال : أهدى رجلٌ من بني عامر بن لُؤيّ إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالوذجة ، وأشعب حاضر ؛ قال : كل يا أشعب ، فلمّا أكل منها قال : كيف تجدها يا أشعب ؟ قال : أنا بريء من الله ورسوله إن لم تكُن عُمِلت قبل أن يوحي اللهُ عزّ وجلّ إلى النَّحل ، أي ليس فيها من الحلاوة شيء .

أخبرنا أحمد قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائنيُّ قال : سأل سالم بن عبد الله أشعبَ عن طمعه ، قال : قلتُ لصبياني مرّة : هذا سالِم قد فتح باب صدقة عمر ، فانطلقوا يعطكم تمراً ، فمضَوا ، فلمّا أبطؤوا ظننت أنّ الأمر كما قلت فاتّبعتهم .

أخبرني أحمد بنُ بن عبد العزيز قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم قال : أخبرنا أبو مسلم قال : أخبرني المدائنيّ قال : بينا أشعبُ يوماً يتغدّى إذ دخلت جارةٌ له ، ومع أشعب امرأته تأكل ، فدعاها لِتتغدّى ؛ فجاءت الجارة فأخذت العرقوبَ بما عليه ، قال : وأهلُ المدينة يسمّونه عُرقوبَ ربِّ البيت ، قال : فقام أشعَب فخرج ثم عاد فدقّ الباب ، فقالت له امرأته : يا سخِين العَيْن مالك ! قال : أدخل ؟ قالت : أتستأذن أنت ، وأنت ربُّ البيت ؟ قال : لو كنتُ ربَّ البيت ما كانت العُرْقوبُ بين يدي هذه .

أخبرني بعضُ أصحابنا قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير ، قال : حدَّثني مصعب قال : قال لي ابن كُلَيْب : حدَّثتُ مرّة أشعب بمُلحة فبكى ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأتْ ابنتُها قُطِعت ، وقد نشأتَ أنتَ في مواليّ وأنا الآن أموت ، فإنّما أبكي على نفسي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : كان أشعبُ الطّمع يُغنّي وله أصواتٌ قد حُكِيت عنه ، وكان ابنُه عُبيدة يغنّيها ، فمِنْ أصواته هذه : [من الوافر]

أروني مَن يقـومْ لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلّ عن الخِطابِ

إلى مَن تفزعـون إذا حَثوتُم بأيديكـم عـليّ مـن الترابِ

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخفّاف قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا شُعَيب بن عُبيدة بن أشعب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : كانت سُكَينة بنت الحُسين بن عليّ عليهم السلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال : وقد كانت أحلفَتْه ألاّ يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً فقالت : اخرج بنا إلى حُمران[1] من ناحية عُسْفان . فخرج بها فأقامت ، ثم قالت له : اذهب بنا نعتمر ، فدخل بها مكّة ، فأتاني آتٍ ، فقال : تقول لك ديباجةُ الحرَم ، وهي امرأة من ولد عتّاب بن أسيد : لك عشرون ديناراً إن جئتَني بزيد بن عمرو الليلة في الأبطح ، قال أشعب : وأنا أعرف سُكَينة وأعلم ما هي ، ثم غلب عليّ طباع السوء والشره ، فقلت لزيد فيما بيني وبينه : إنّ ديباجة الحرم أرسلت إليّ بكيت وكيت ، فقال : عِدْها الليلة بالأبطح . فأرسلت إليها فواعدتُها الأبطح ، وإذا الديباجة قد افترشت بساطاً في الأبطح وطرحت النمارق ، ووضعت حشايا وعليها أنماط ، فجلستْ عليها . فلمّا طلع زيد قامت إليه ، فتلقّته وسلّمت عليه ، ثم رجعت إلى مجلسها ، فلم ننشب أن سمعنا شحيج بغلة سُكينة . فلمّا استبانها زيد قام فأخذ بركابها ، واختبأتُ ناحية ، فقامت الديباجة إلى سُكينة فتلقَّتها وقبّلت بين عينيها ، وأجلستها على الفراش ، وجلست هي على بعض النمارق ؛ فقالت سُكينة : أشعبُ والله صاحبُ هذا الأمر ، ولستُ لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرّة ، لن يقوم لي بشيء أبداً . فطلعتُ على أربع أصيح صِياح الهرّة ؛ ثم دعت جاريةً معها مجمر كبير فحفنت منه وأكثرت ، وصبّت في حجر الديباجة ، وحفنت لِمَن معها فصبّته في حجورهنّ وركِبتْ وركب زيد وأنا معهم . فلمّا صارت إلى منزلها قالت لي : يا أشعب أفعلتَها ؟ قلت : جعلت فداءك ، إنّما جَعلتْ لي عشرين ديناراً ، وقد عرفتِ طمعي وشرهي ، والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبويّ لقتلتهما . قال : فأمرت بالرحيل إلى الطائف ، فأقامت بالطائف وحوّطت من ورائها بحيطان ومنعت زيداً أن يدخل عليها . قال : ثم قالت لي يوماً : قد أثمنا في زيد وفعلنا ما لا يحلّ لنا ، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة ، وأذنت لزيد فجاءها .

قال الزُّبير : وحدَّثني عبدُ الله بن محمد بن أبي سَلَمة قال : جاءَ أشعبُ إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه ، فمرّت جارية لأحدهم بحُزمة عَراجين من صدقة عمر ، فقال له أشعبُ : فديتُك ، أنا محتاج إلى حطب فَمُرْ لي بهذه الحزمة ، قال : لا ، ولكن أُعطيك نصفَها على أن تحدّثني بحديث ديباجة الحرم . فكشف أشعبُ ثوبَه عن استه واستوفز وجعل يخنس[2] ويقول : إنّ لهذا زماناً ،

1 حمران : ماء .

2 استوفز : قعد منتصباً غير مطمئن . ويخنس : يتأخر .

وجعلت خصيتاه تخطّان الأرض ، ثم قال : أعطاني واللهِ فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً ، وأعطاني فلان كذا ، وأعطاني فلان كذا ، حتى عدّ أموالاً ، وأنت الآن تطلبها منّي بنصف حزمة عراجين ثم قام فانصرف .

وفي ديباجة الحرم يقول عمرُ بن أبي ربيعة[1] : [من الطويل]

صوت

ذَهبتَ ولَم تُلمم بديباجة الحرمْ وقد كنتَ منها في عَناءٍ وفي سَقمْ
جُنِنْتَ بهـا لمّـا سمعتَ بذكرها وقد كنتَ مجنوناً بجاراتها القُدُمْ
إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تدرِ ما الهوى فكن حجراً بالحزْن من حَرَّةٍ أصمّ

غنّاه مالك بن أبي السّمح من رواية يونس غير مجنّس .

قال الزّبير : وحدَّثني شعيب بن عبيدة عن أبيه قال : دخل رجل من قريش على سُكينة بنت الحسين عليهما السلام ، قال : فإذا أنا بأشعب مُتَفَحِّج جالس تحت السرير . فلمّا رآني جعل يقرقر مثل الدجاجة ، فجعلت أنظر إليه وأعجب . فقالت : ما لك تنظر إلى هذا ؟ قلت : إنّه لعجب ، قالت : إنّه لخبيث ، قد أفسد علينا أمورنا بغباوته ، فحضنته بَيْضَ دجاج ، ثم أقسمت أنّه لا يقوم عنه حتى ينقب . وهذا الخبر عندنا غير مشروح ، ولكن هذا ما سمعناه ، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم بن المهديّ التي رواها عنه يوسف بن إبراهيم ، وقد ذكر في أخبار سُكينة[2] .

وروي عن أحمد بن الحسن البزّاز : وجدتُ بخطّ ابن الوشّاء عن أبي الوشاء ، عن الكديميّ عن أبي عاصم قال : قيل لأشعب الطامع ، أرأيت أحداً قطّ أطمعَ منك ، قال : نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العِلك .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، وعمّي عبد العزيز بن أحمد ، وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدَّثني مصعب ، عن عثمان بن المنذر ، عن عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة قال : سمعتُ جلبةً شديدة مقبلة من البلاط ، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة ، وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً ، وإذا أشعب بين أيديهم بكفّه دُفٌّ وهو يغنّي به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول : [من مجزوء الوافر]

---

1 البيتان الأولان في ديوان عمر : 355 والثالث فيه من قصيدة أخرى ، وروايته :
إذا أنـت لم تعشق ولم تتبـع الهـوى فكن صخرة بالحجر من حجر أصم
2 تقدمت أخبار سكينة في الأغاني 17 : 34 .

أَلا حــيٌّ التي خرجت قُبيلَ الصّبح فاختْمرتْ
يقــال بعينهــا رَمَــدٌ ولا واللهِ مــا رمِــدتْ

فإذا تجاوز في الرقص الجماعةَ رجع إليهم حتى يُخالطَهم ويستقبل المرأة فيغنّي في وجهها وهي تَبْسَم وتقول : حسبك الآن . فسألت عنها ، فقالوا : هذه جارية صُرَيم المغنّية استلحقها صريم عند موته ، واعترف بأنّها بنته ، فحاكمت ورثته إلى السلطان ، فقامت لها البينةُ فألحقها به وأعطاها الميراثَ منه ؛ وكانت أحسنَ خلقِ اللهِ غناءً ، كان يُضرَب بها المثل في الحجاز فيقال : أحسن من غناء الصُّرَيمِيَّة .

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الدمشقيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : وحدَّثني أبي قال : اجتازت جنازة الصُّرَيْمِيَّة بأشعب وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها ثم قال : ذهب اليوم الغناءُ كلّه ، وعلى أنّها الزانية كانت ، لا رحمها الله ، شرَّ خلق الله ، فقيل : يا أُشْعب ليس بين بكائك عليها ولعْنِك إيّاها فصلٌ في كلامك . قال : نعم ، كنّا نجيئها الفاجرة بكبش ، فيُطبخ لنا في دارها ثم لا تعشّينا ، يشهد الله ، إلاّ بسِلْق .

[يتحدى الغاضري]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أُحمد بن زهير قال : قال حدَّثنا مصعب : بلغ أُشعب أن الغاضريّ قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره ، وأنّ جماعة قد استطابوه ، فرقبه حتى علم أُنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويُضحكهم . فصار إليه ، ثم قال له : قد بلغني أنّك قد نحوتَ نحوي وشغَلت عنّي مَنْ كان يألفني فإن كنت مثلي فافعل كما أُفعل ، ثم غَضَّن وجهَه وعرّضه وشنَّجه حتى صار عرضُه أكثرَ من طوله ، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ؛ ثم أُرسل وجهَه وقال له : افعل هكذا وطوّل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدرَه ، وصار كأنّه وجهُ الناظر في سيفِه ؛ ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدبةٌ كسنام البعير ، وصار طولُه مقدارَ شبر أو أكثر ؛ ثم نزع سراويلَه وجعل يمدّ جلد خُصييه حتى حكّ بهما الأرض ، ثم خلاّهما من يده ومشى وجعل يخنِس وهما يخُطّان الأرض ؛ ثم قام فتطاول وتمدّد وتمطّى حتى صار أطولَ ما يكون من الرجال . فضحك والله القوم حتى أُغمي عليهم وقطع الغاضريَّ فما تكلّم بنادرة ، ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء لا أُعاوِد ما تكره ، إنّما أنا تلميذُك وخرِّيجُك ، ثم انصرف أشعب وتركه .

[عودة إلى أُمّه]

أُخبرني رضوانُ بن أُحمد الصيدلانيّ قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهديّ ، عن عبيدة بن أُشعب ، عن أُبيه : أنّه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأنّ أباه

كان من مماليك عثمان ، وأنَّ أُمّه كانت تنقل كلام أزواج النبيّ ﷺ بعضهنّ إلى بعض ، فتُلقي بينهنّ الشرّ ، فتأذّى رسول الله ﷺ بذلك ، فدَعا اللهَ عزّ وجلّ عليها فأماتها ، وعُمِّر ابنها أشعب حتى هلك في أيّام المهديّ .

[كان من المعتزلة]

وكان في أشعب خِلالٌ ، منها أنّه كان أطيبَ أهل زمانه عِشرة وأكثرهم نادرة ، ومنها : أنّه كان أحسنَ الناس أداءً لغناء سمعه ، ومنها : أنّه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان امرءاً منهم .

[ابن عمر يوقر بعيره تمراً ويغنّيه]

قال إبراهيم بن المهديّ فحدَّثني عُبَيْدةُ بن أشعب ، عن أبيه قال : بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له يتصدّق بثمرته ؛ فركبتُ ناضحاً ووافيتُه في ماله ؛ فقلتُ : يا ابن أمير المؤمنين ويا ابن الفاروق أوقِرْ لي بعيري هذا تَمْراً . فقال لي : أمِنَ المهاجرين أنتَ ؟ قلتُ : اللهمّ لا ؛ قال : فمن الأنصار أنت ؟ فقلت : اللهمّ لا ؛ قال : أفمِن التابعين بإحسان ؟ فقلت : أرجو ؛ فقال : إلى أن يُحَقَّق رجاؤك ؛ قال : أفمن أبناء السبيل أنت ؟ قلت : لا ، قال : فعلام أوقر لك بعيرك تمراً ؟ قلت : لأنّي سائل ، وقد قال رسول الله ﷺ : «إن أتاك سائل على فرس فلا تردَّه» . فقال : لو شئنا أن نقول لك : إنّه قال : لو أتاك على فرس ، ولم يقل أتاك على ناضِح بعير لقلنا ، ولكنّي أمسِك عن ذلك لاستغنائي عنه ؛ لأنّي قلت لأبي عمر بن الخطاب : إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيه ؟ فقال : إنّي سألت رسول الله ﷺ عمّا سألتني عنه ، فقال لي : نعم إذا لم تصب راجِلاً ونحن أيّها الرَّجل نُصيب رجّالة فعلام أعطيك وأنت على بعير ؟ فقلت له : بحقّ أبيك الفاروق ، وبحقّ الله عزّ وجلّ ، وبحقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما أوقرته لي تَمْراً . فقال لي عبد الله : أنا مُوقِرُه لك تَمْراً ، ووحق الله ووحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررتُ لك قسمك ، ولو أنّك اقتصرت على استحلافي بحقّ أبي عليّ في تمرة أعطيكها لَمّا أنفذت قسمك ، لأنّي سمعت أبي يقول : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : لا تُشدُّ الرِّحالُ إلى مسجد لرجاء الثواب إلاّ إلى المسجد الحرام ومسجدي بيَثْرِبَ ، ولا يُبرُّ امرؤٌ قَسَم مُستَحْلِفه إلاّ أن يستحلفه بحقّ الله وحقّ رسوله ؛ ثم قال للسودان في تلك الحال : أوقِرُوا له بعيرَه تمراً ، قال : ولمّا أخذ السودان في حشو الغرائر قلتُ : إنّ السودان أهلُ طرب ، وإن أطرَبْتهم أجادوا حَشْوَ غرائري ، فقلت : يا ابنَ الفاروق ، أتأذن لي في الغناء فأغنّيك ؟ فقال لي : أنتَ وذلك ، فاندفعت في النَّصْب ، فقال لي : هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه . ثم غنّيته صوتاً آخراً لطُوَيس المغنّي وهو : [من الطويل]

خلِيلَيَّ ما أُخفي من الحبِّ ناطِقٌ ودمْعي بما قلتُ الغَداةَ شهيدُ

فقال لي عبد الله : يا هناهُ ، لقد حدَث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه ، قال : ثم غنّيته لابن سُرَيج : [من السريع]

يا عينُ جودي بالدّموع السِّفاحْ وابْكي على قَتْلى قُرَيشِ البِطاحْ

فقال : يا أَشْعَب ، ويحك ، هذا يَحْيِقُ الفؤاد ، أراد : يحرق الفؤاد ، لأنّه كان أَلثَغ لا يُبين بالراء ولا باللام . قال أشعَب : وكان بعد ذلك لا يراني إلاّ استعادني هذا الصوت .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : حدَّثني عمّي قال : لقي أشعبَ صديق لأبيه فقال له : ويحك يا أشعب ، كان أبوك ألحى وأنتَ أثطُّ[1] فإلى مَنْ خرجت ؟ قال : إلى أُمّي .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : أخبرنا أحمد بن أبي خَيثمة قال : حدَّثنا مُصْعبُ بن عبد الله ، عن مُصعب بن عثمان قال : لقي أشعبُ سالمَ بنَ عبد الله بن عمر فقال : يا أشعب ، هل لك في هَريس قد أُعِدَّ لنا ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأُمّي . قال : فصِرِ إليّ ، فمضى إلى منزله ، فقالت له امرأتُه : قد وَجّه إليكَ عبدُ الله بن عمرو بن عثمان يدعوك . قال : ويحكِ ، إن لسالِم بن عبدالله هريسةً قد دعاني إليها ، وعبدُ الله بن عمرو في يدي متى شئت ، وسالم إنّما دعْوَتُه للنّاس فَلْتة ، وليس لي بُدٌّ من المُضيّ إليه . قالت : إذاً يغضَب عبدُ الله ، قال : آكل عنده ، ثم أصير إلى عبد الله . فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكلَ مُتَعالل ، فقال له : كُلْ يا أشعب وابعث ما فَضَل عنك إلى منزلك ، قال : ذاك أردت بأبي أنتَ وأُمّي . فقال : يا غلام ، احمل هذا إلى منزله ، فحمله ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له : ثكِلتْك أُمّك ، قد حَلَف عبدُ الله أن لا يُكَلّمك شهراً ؛ قال : دعيني وإيّاه ، هاتي شيئاً من زَعْفران ، فأعطته ودخل الحمّام يمسح على وجهه ويديه وجلس في الحمام حتى صفّره ، ثم خرج متّكئاً على عصا يُرعِد ، حتى أتى دارَ عبدِ الله بن عمرو . فلمّا رآه حاجبُه قال : ويحَك ، بلغتْ بك العلّةُ ما أرى ؟ ودخل وأعلم صاحبَه فأذِن له ، فلمّا دخل عليه إذا سالمُ بنُ عبد الله عنده . فجعل يزيدُ في الرِّعدَة ، ويُقارِبُ الخَطْوَ ، فجلس وما يَقدِر أن يستَقِلّ ، فقال عبد الله : ظَلَمْناك يا أشعب في غَضَبِنا عليك ، فقال له سالم : ما لك ويلك ! ألم تكن عندي آنفاً وأكلتَ هَريسة ؟ فقال له : وأيّ أكل ترى بي ؟ قال : ويلك ! ألم أقل لك كَيْتَ وكَيْت وتَقُلْ لي كَيت وكَيت ؟ قال له : شُبِّه لك ، قال : لا حَوْلَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ ، والله إنّي لأظُنّ الشيطانَ يتشبّه بك . ويلك ! أجادٌّ أنتَ ؟ قال : عليَّ وعليَّ إن كنتُ خرجتُ منذ شهر . فقال له عبدُ الله : اعزُب ويْحَكَ أتَبْهَتُه ، لا أُمَّ لك ! قال : ما قلتُ إلاّ حقّاً . قال : بحياتي

1 أثط : خفيف شعر اللحية أو الحاجبين .

اصدُقْني وأنت آمِنٌ من غضبي . قال : لا وحياتك لقد صدَق . ثم حدَّثه بالقصّة فضحك حتى استَلْقى على قفاه .

[ابنه يذكر بعض طرائف أبيه]

أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيدَ لمّا ولّاه دمشقَ بعث إليه عبيدة بن أشعب ، وكان يَقْدُم عليه من الحجاز إذا أراد أن يَطرَب ، وأراد أن يطرفه به ، فقدم عليه .

قال إبراهيم : وكان يحدِّثني من حديث أبيه بالطرائف[1] : عادَلتُه[2] يوماً وأنا خارج من دمشق في قبّة على بغل لألهوَ بحديثه ، فأصابنا في الطريق بردٌ شديد فدعوتُ بدُوّاج سمّور[3] لألبسه ، فأُتيت به فلمّا لبستُه أقبلتُ على ابن أشعب فقلت : حدِّثني بشيءٍ من طمع أبيك . فقال لي : ما لك ولأبي ، ها أنا إذ دعوتَ بالدُّوّاج فما شَكَكتُ والله في أنّك إنّما جئتَ به لي ، فضحكتُ من قوله ، ودعوتُ بغيره فلبستُه وأعطيتُه إيّاه ، ثم قلت له : ألأبيكَ ولدٌ غيرك ؟ فقال : كثير ، فقلت : عشرة ؟ قال : أكثر ، قلت : فخمسون ؟ قال : أكثر كثير ، قلت : مائة ؟ قال : دع المئين وخذ الألوف ، فقلت : ويلك ! أيُّ شيءٍ تقوله ؟ أشعبُ أبوك ليس بينك وبينه أب ، فكيف يكون له الألوف من الولد ؟ فضحك ثم قال : لي في هذا خبر ظريف ، فقلت له : حدِّثني به ، فقال : كان أبي منقطعاً إلى سُكَينة بنتِ الحسين ، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان وكانت محبّة له ، فكان لا يستقرّ معها ، تقول له : أريد الحجّ فيخرج معها ، فإذا أفْضَوا إلى مكّة تقول : أريد الرجوعَ إلى المدينة ، فإذا عاد إلى المدينة ، قالت : أريد العمرةَ ، فهو معها في سفر لا ينقضي . قال عبد الله : فحدّثني أبي قال : كانت قد حلَّفته بما لا كفّارةَ له ألاّ يتزوّجَ عليها ولا يتسرّى ولا يُلِمّ بنسائه وجواريه إلاّ بإذنها ، وحجَّ الخليفةُ في سنة من السنين فقال لها : قد حجّ الخليفةُ ولا بُدَّ لي من لقائه ؛ قالت : فاحلِفْ بأنّك لا تدخلُ الطائفَ ، ولا تُلمّ بجواريك على وجهٍ ولا سبب ، فحلف لها بما رَضِيَتْ به من الأيمان على ذلك ؛ ثم قالت له : احلِفْ بالطلاق ؛ فقال : لا أفعل ، ولكن ابعثي معي بثقتك ، فدعَتْني وأعطَتني ثلاثين ديناراً وقالت لي : اخرُج معه ، وحلّفتني بطلاق بنت وردان زوجتي ألاّ أطلِق له الخروجَ إلى الطائف بوجه ولا سبب ، فحلفتُ لها بما أثلج صدرها . فأذَنَتْ له فخرجَ وخَرَجْتُ معه . فلمّا حاذَيْنا الطائف قال لي : يا أشعب ، أنت

1 تقدمت هذه الأخبار في ترجمة سكينة .

2 عادله : ركب معه على نفس البعير .

3 دواج : لحاف يلبس . والسمور : حيوان يتخذ منه فرو ثمين .

تعرِفُني وتعرف صنائعي عندك ، وهذه ثلاثمائة دينار ، خُذْها بارَكَ الله لك فيها وأْذَنْ لي أَلُمَّ بجواريّ . فلمّا سمعتُها ذهب عقلي ثم قلت : يا سيِّدي ، هي سُكَينة ، فاللهَ اللهَ فيَّ ! فقال : أوَتَعلم سُكينةُ الغيبَ ؟ فلم يزل بي حتى أخذتُها وأذنتُ له ، فمضى وبات عند جواريه . فلمّا أصبحنا رأيتُ أبياتَ قوم من العرب قريبةً منّا ، فلبستُ حُلَّةَ وَشْيٍ كانت لزيد قيمتُها ألفُ دينار ، وركبتُ فرسَه وجئتُ إلى النساء فسلّمتُ فرددن وأجللني للهيئة والزيّ الذي لا يلبس مثله إلاّ أولاد الخلفاء . ونسبنني فانتسبتُ نسبَ زيد ، فحادثَنني وأنِسن بي . وأقبل رجـال الحيّ ، وكلّما جاء رجل سأل عن نسبي فخُبِّر به هابني وسلّم عليّ وعَظّمني وانصرف ، إلى أن أقبل شيخٌ كبير منكر مبطون ، فلمّا خُبِّر بي وبنسبي شال حاجبَيه عن عينه ، ثم نظر إليّ وقال : وأبي ما هـذه خلقةُ قُرَشيّ ولا شمائله ، وما هو إلاّ عبدٌ لهم نادّ ، وعلمتُ أنّه يريد شرّاً ؛ فركبتُ الفرسَ ثم مضيتُ . ولحقني فرماني بسهم فما أخطأ قَرَبُوسَ السرج ، وما شككتُ أنّه يلحقني بآخر يقتلني فسلحْتُ ، يعلم الله ، في ثيابي فلوّثها ونفذ إلى الحُلّة فصيَّرها شُهْرة . وأتيتُ رحْلَ زيد بن عمرو فجلست أغسِل الحُلّة وأجفِّفها ، وأقبـل زيد بن عمرو ، فرأى ما لحِق الحُلّة والسرج ؛ فقال لي : ما القصّة ؟ ويلك ! فقلت : يا سيِّدي الصدق أنجى ، وحدَّثته الحديثَ فاغتاظ ثم قال لي : ألم يكفِك أن تلبس حلّتي وتصنع ما صنعت ، وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني ، وجعلتني عند العرب وَلأجاً جَمّاشاً[1] ، وجرى عليك ذُلٌّ نُسِب إليّ ، أنا نَفيٌّ من أبي ومنسوبٌ إلى أبيك إن لم أسُؤْك وأبلُغْ في ذلك .

ثم لقي الخليفةَ وعاد ودخلنا إلى سُكينة ، فسألتْه عن خبره كلّه فخبّرها حتى انتهى إلى ذكر جواريه ، فقالت : إيه وما كان من خبرك في طريقك ؟ هل مضَيْتَ إلى جواريك بالطائف ؟ فقال لها : لا أدري ، سلي ثِقتَك . فدعَتني فسألتني ، وبدأتُ فحلفتُ لها بكلّ يمين محرجة أنّه ما مَرَّ بالطائف ولا دخلها ولا فارقني . فقال لها : اليمينُ التي حلَف بها لازمة لي إن لم أكُن دخلتُ الطائفَ وبتُّ عند جواريَّ وغسَّلْتُهنّ[2] جميعاً ، وأخذ منّي ثلاثمائة دينـار ، وفعل كذا وكذا ؛ وحدَّثها الحديثَ كلّه وأراها الحُلّة والسرج . فقالت لي : أفعَلتَها يا أشعب ! أنا نَفِيَّة من أبي إن أنفقتَها إلاّ فيما يسوءك ، ثم أمرت بكَبْس منزلي وإحضارها الدنانيرَ فأُحضِرت ، فاشترت بها خشباً وبيضاً وسِرْجيناً ؛ وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه وحلفت ألاّ أخرج منه ولا أُفارقه حتى أحضن البيضَ كلّه إلى أن يَنْقَب . فمكثت أربعين يوماً أحضُن لها البيض حتى نَقِبَ ، وخرج منه فراريج كثيرة فربّتْهنّ وتناسَلنَ فكُنَّ بالمدينة يسمَّين بنات أشعب ونسلَ

1 الجماش : المتعرض للنساء .

2 غسلتهن : جامعتهن .

أشعب . فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نَسْلٌ يزيد على الألوف ، كلّهنّ أهلي وأقاربي .

قال إبراهيم : فضحكتُ والله من قوله ضحكاً ما أذكر أنّي ضحكتُ مثلَه قطّ ووصلته ، ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة وبلغني أنّه مات هناك .

[يتسور على سالم بن عبد الله]

أخبرني أحمد قال : حدَّثنا مُصعَب بن عبد الله بن عثمان قال : قال رجل لأشعب : إنّ سالم بنَ عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير ، فبادَر حتى لحِقه فأغلق الغلامُ البابَ دونَه ، فتسوّر عليه ، فصاح به سالم : بناتي ويلك بناتي ، فناداه أشعب : ﴿لقد علِمتَ ما لنا في بناتِكَ مِن حقٍّ وإنّكَ لتعلم ما نريدُ﴾[1] ، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بن سعيد قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي قال : بعثتْ سُكينة إلى أبي الزّناد فجاءها تستفتيه في شيء ، فاطّلع أشعبُ عليه من بيت وجعل يُقَوْقِيء مثلَ ما تُقَوْقِيء الدجاجة ، قال : فسبّح أبو الزّناد وقال : ما هذا ؟ فضحكتْ وقالت : إنّ هذا الخبيث أفسد علينا بعض أمرِنا ، فحلفتُ أن يحضُن بيضاً في هذا البيت ولا يفارقه حتى يَنْقُب ، فجعل أبو الزّناد يعجب من فعلها .

وقد أخبرني محمد بن جعفر النحويّ بخبر سُكَينة الطويل على غير هذه الرواية ، وهو قريب منها ، وقد ذكرتُه في أخبار سُكينة بنت الحسين مفرداً عن أخبار أشعب هذه في أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان .

[عبد يسلح في يده]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بن أبي خَيثَمة قال : حدَّثنا مُصعَب ، قال : حدَّثني بعض المدنيِّين قال : كان لأشعبَ خَرْقٍ في بابه ، فكان ينام ثم يُخرِج يدَه من الخَرْق يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئاً من شدّة الطمع . فبعث إليه بعضُ مَن كان يعبث به من مُجّان آل الزُّبير بعبدٍ له فسلح في يده ، فلم يعد بعدها إلى أن يُخرج يده .

وأخبرني به الجوهريّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن محمد بن الحسن ، عن مُصْعب ، عن بعض المدنيِّين فذكر نحوَه ولم يذكر ما فعل به الماجِن .

[يغنّي سالم بن عبد الله]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن محمدُ الزُّبيريّ أبو طاهر قال : حدَّثنا يحيى بن محمد بن أبي قتيلة قال : حدَّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج أنَّ أشعبَ حدَّثه قال : جاءَني فِتْيَة من قريش فقالوا : إنّا نحبّ أن تُسمِع

1 سورة هود ، الآية : 79 .

سالم بنَ عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء وتُعلمنا ما يقول لك ، وجعلوا لي على ذلك جُعْلاً فتنني ، فدخلتُ على سالم فقلت : يا أبا عمر ، إنّ لي مُجالسةً وحُرمَة ومودة وسِنّاً ، وأنا مولع بالتَّرنّم ، قال : وما الترنُّم ، قلت : الغناء ، قال : في أيّ وقت ؟ قلت : في الخَلْوة ومع الإخوان في المُنْزه ، فأُحبّ أن أسْمِعَك ، فإن كرهتَه أمسكْتُ عنه ، وغنيته فقال : ما أرى بأساً ، فخرجتُ فأعلمتُهم ، قالوا : وأيّ شيء غنّيته ؟ قلت : غنَّيتُه[1] : [من الخفيف]

قَرِّبا مَرْبَطَ النّعامَةِ مِنّي لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيالي

فقالوا : هذا بارد ولا حركة فيه ، ولسنا نرضى ، فلمّا رأيتُ دَفْعَهم إيّايَ وخفتُ ذهابَ ما جعلوه لي رجعتُ فقلت : يا أبا عمر ، آخر ، فقال : ما لي ولك ؟ فلم أُملِّكه كلامه حتى غنَّيتُ ، فقال : ما أرى بأساً ، فخرجتُ إليهم فأعلمتُهم فقالوا : وأيّ شيء غنَّيته ؟ فقلت : غنَّيتُه قوله : [من الخفيف]

لم يُطيقوا أن يَنْزِلوا ونَزلْنا وأخو الحرب مَنْ أطاقَ النِّزالا

فقالوا : ليس هذا بشيء ، فرجعتُ إليه فقال : مَهْ ؟ قلت : وآخر ، فلم أُمَلِّكْه أمرَه حتى غنَّيتُ[2] : [من الكامل]

غَيَّضْن من عَبَراتِهنّ وقُلنَ لي : ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

فقال : نهلاً نهلاً ! فقلت : لا والله إلاّ بذاك السّداك ، وفيه تمر عَجْوة من صَدَقة عمر . فقال : هو لك . فخرجتُ به عليهم وأنا أخْطِر فقالوا : مَهْ ؟ فقلت : غنَّيتُ الشيخ :

غَيَّضْن من عَبراتِهنّ وقُلْنَ لي . . . .

فطرِب وفرض لي فأعطاني هذا ، وكذَبتُهم ، والله ما أعطانِيه إلاّ استكفافاً لي حتى صَمتُّ .

قال ابن أبي سعد : السّداك ، الزَّبِيلُ الكبير . وفرض لي أيّ نقّطني ، يعني ما يَهبُه الناس للمَغنِّين ويُسمُّونه النُّقَط .

[أحسن تأدية للألحان من معبد]

حدَّثني الجوهريّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم قال : حدَّثني قَعْنَبُ بنُ المحرز عن الأصمعيّ قال : حدَّثني جعفر بن سليمان قال : قدِم أشعبُ أيّامَ أبي جعفر ، فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يُغنِّيَهُم فغنّى فإذا ألحانُه مُطرِبة وحلقُه على حاله ، فقال له جعفر بن المنصور : لَمن هذا الشعر والغناء : [من مجزوء الوافر]

1 البيت للحارث بن عباد وقد تقدم في حرب بكر وتغلب في الأغاني 5 : 24 .

2 البيت لجرير في ديوانه (صادر) : 476 .

لِمَــن طَلَلٌ بـذاتِ الجَيْـ ـش أُمسى دارساً خَلَقا ؟

فقال له : أخذتُ الغناء عن مَعبد ، وهو للدّلال ، ولقد كنتُ آخذُ اللحن عن معبد فإذا سُئل عنه قال : عليكم بأشعب فإنّه أحسَنُ تأديةً له منّي .

[يطرب جريراً بشعره]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مصعب قال : قدِم جريرٌ المدينة ، فاجتمع إليه الناسُ يستنشدونه ويسألونه عن شعره ، فيُنشِدهم ويأخذون عنه وينصرفون ، ولزمه أشعبُ من بينهم فلم يفارقْه ، فقال له جرير : أراك أطولَهم جلوساً وأكثرَهم سؤالاً ، وإنّي لأظنُّك ألأمَهم حسباً ، فقال له : يا أبا حَزْرة ، أنا والله أنفعُهم لك ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنا آخذ شِعْرَك فأحسِّنه وأُجوِّدُه ، قال : كيف تُحسِّنه وتُجوِّده ؟ قال ، فاندفع فغنّاه في شعره والغناءِ لابن سُرَيْج [1] : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجيَة السلامُ عليكم قبلَ الرحيلِ وقبلَ لَوْمِ العُذَّلِ
لــو كنتُ أُعلمُ أنَّ آخرَ عَهْدِكم يوم الرَّحيلِ فعلْتُ مـا لم أَفْعلِ

قال : فطرِب جَرير حتى بكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبتُه بركبته وقال : أشهد أنّك تُحَسِّنه وتُجوِّده ، فأعطاه من شعره ما أراد ، ووصله بدنانير وكسوة .

حدَّثني أحمدُ بن عبد العزيز قال : حدَّثنا محمد بن القاسم قال : حدَّثني أبي قال : قال الهيثم بن عَديّ : لقيت أشعبَ فقلت له : كيف ترى أهلَ زمانِك هذا ؟ قال : يسألون عن أحاديثِ الملوكِ ويُعطون إعطاءَ العبيد .

[أشعب يحجب لأمّ عمرو بنت مروان]

حدَّثني أحمد قال : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثنا أحمد بنُ يَحيى قال : أخبرنا مُصعَب قال : حجَّت أُمّ عمرو بنت مَروان فاستَحْجَبت [2] أشعب وقالت له : أنت أعرفُ الناس بأهل المدينة ، فأْذن لهم على مراتبهم ، وجلستْ لهم مَلِيّاً ، ثم قامت فدخلت القائلة . فجاء طُوَيْس فقال لأشعب : استأذِن لي على أُمّ عمر ، فقال : ما زالت جالسة وقد دَخلَت ؛ فقال له : يا أشعب ملكتَ يومين فلم تَفُتّ بَعْرَتين ولم تَقْطع شَعْرتين . فدقَّ أشعبُ البابَ ودخل إليها ، فقال لها : أنشُدكِ الله يا ابنةَ مَروان ، هذا طُوَيْس بالباب فلا تتعرَّضي للسانه ولا تُعَرِّضيني ، فأذِنَت له . فلمّا دخل إليها قال لها : والله لئن كان بابك غُلُقاً لقد كان بابُ أبيك

1 ديوان جرير (صادر) : 357 .

2 استحجبت : ولته الحجابة .

فُلُقاً[1] ، ثم أخرج دُفَّة ونقر به وغنّى : [من الكامل]

ما تمنعي يَقْظى فقد تُؤْتَيْنَه ... في النوم غير مُصَرَّد محسوبِ
كان المُنى بلقائها فَلَقِيتُها ... فلهوتُ من لهوِ امرىءٍ مكذوبِ

قالت : أيّهما أحَبُّ إليك : العاجِل أم الآجِل ؟ فقال : عاجِلٌ وآجِل ، فأمرتْ له بكسْوة .

أخبرني الجوهريّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، عن أبي مُسْلم ، عن المدائنيّ قال : حدَّث رجل من أهلِ المدينة أشعبَ بحديث أعجبه فقال له : في حديثك هذا شيء قال : وما هو ؟ قال : تَقْلِيبُه على الرأس .

[عند الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهريُّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : أخبرنا أبو مسلم قال : حدَّثنا المدائنيّ قال : بعث الوليدُ بنُ يزيد إلى أشعب بعدما طلّق امرأته سُعْدَة فقال له : يا أشعبُ ، لك عندي عشرةُ آلافِ درهم على أن تبلّغ رسالتي سُعْدة ، فقال له : أحضِر المالَ حتى أنظر إليه ، فأحضر الوليد بِدرَةً فوضعها أشعب على عنقه ، ثم قال : هاتِ رسالَتك يا أميرَ المؤمنين ، قال : قل لها : يقول لك : [من الوافر]

أسُعْدَةُ هل إليك لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامَة من تلاقي ؟!
بلى ولعلَّ دهراً أن يُواتي ... بموتٍ من حليلكِ أو طلاقِ
فأُصبحَ شامِتاً وتقرَّ عَيْني ... ويُجمَع شملُنا بعد افتراقِ

قال : فأتى أشعبُ الباب ، فأُخبِرت بمكانه ، فأمرتْ ففرِشَت لها فُرُش وجلستْ فأذِنَتْ له ؛ فدخل فأنشدها ما أمره ؛ فقالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال : يا سيِّدتي إنّها بعشرة آلاف دِرهم ؛ قالت : والله لأقتلنَّك أو تبلّغه كما بلّغتني ، قال : وما تَهَبِين لي ؟ قالت : بِساطي الذي تحتي . قال : قومي عنه ، فقامت فطواه ثم قال : هاتِي رسالتك جُعِلتُ فِداءك ، قالت : قل له : [من الطويل]

أتبكي على لُبْنى وأنتَ تركتَها ... فقد ذهبتْ لُبْنى فما أنتَ صانِعُ ؟!

فأقبل أشعبُ فدخل على الوليد فأنشده البيت ، فقال : أوَّه ! قتلتني والله ، ما تُراني صانعاً بك يا ابنَ الزّانية ؟ اخترْ إمّا أن أُدلِّيَكَ منكَّساً في بئر ، أو أرميَ بك من فوق القصر مُنكَّساً ، أو أضربَ رأسَك بعمودي هذا ضربة . فقال : ما كنتَ فاعلاً بي شيئاً من ذلك قال : ولِم ؟ قال : لأنّك لم تكُن لِتُعذِّب رأساً فيه عَيْنان قد نَظَرتا إلى سُعْدة . فقال :

1 غلق : مغلق . وفلق : مفتوح .

صدَقْتَ يا ابن الزانية ، اخرُج عنّي .

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مَزيد ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الهيثم بنِ عديّ ، أنَّ سُعدَة لمّا أنشدَها أشعَبُ قوله : [من الوافر]

أَسُعدَة هــل إليكِ لنا سَبِيلٌ وهل حَتَّى القيامة من تلاقي ؟!

قالت : لا واللهِ لا يكونُ ذلك أبداً ، فلمّا أنشدَها : [من الوافر]

بَــلى ولعَــلَّ دهــراً أن يُواتي بمَوْتٍ مــن حَلِيلِكِ أو طلاقِ

قالت : كلاّ إن شاء الله ، بل يَفعَل اللهُ ذلك به ، فلَمّا أنشدَها : [من الوافر]

فأُصبِحَ شامِتاً وتَقَــرَّ عَيْنــي ويُجمَــعَ شملُنا بعــد افتِراقِ

قالت : بل تكون الشَّماتة به ، وذكر باقي الخبر مثل حديث الجوهريّ عن ابن مَهْرُوَيْه .

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا محمد بنُ سعدِ الكُرانيُّ قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عَدِيّ قال : كتبَ الوليدُ بنُ يزيد في إشخاص أشعَبَ من الحِجازِ إليه وحَملِه على البَريد ، فحُمِلَ إليه . فلمّا دَخَلَ أمَرَ بأن يَلبِس تُبَّاناً ويُحمَل فيه ذنب قِرْد ، ويُشدَّ في رجلَيه أجراس ، وفي عُنُقه جَلاجِل ، ففعلَ به ذلك . فدَخَلَ وهو عَجَبٌ من العَجَب ، فلمّا رآه ضَحِكَ منه وكَشَف عن أيْرِه ، قال أشعب : فنظرت إليه كأنّه نايٌ مَدْهون ، فقال لي : اسجُد للأصمّ وَيلَك ، يعني أيرَه ، فسجَدتُ ، ثم رفعتُ رأسي وسجَدتُ أُخرى ، فقال : ما هذا ؟ فقلتُ : الأولى للأصَمّ ، والثانية لخُصْيَتَيْك . فضَحِكَ وأمَرَ بنزع ما كان أُلبِسَنيه ووَصلني ، ولم أزل من نُدَمائه حتى قُتِل .

أُخبرني محمد بن مَزيد قال : حدَّثنا حَمّاد بنُ إسحاق عن أبيه قال : قال رجل لأشعبَ إنّه أُهدي إلى زياد بنِ عبد الله الحارثيّ قُبَّة أَدَم قيمتُها عشرة آلاف دِرهَم فقال : امرأتُه الطّلاقُ لو أنّها قُبّة الإسلام ما ساوَتْ ألف دِرهم . فقيل له : إنّ معها جُبَّة وَشْيٍ حَشْوها قَزٌّ قيمتُها عشرون ألف دينارٍ ، فقال : أُمُّه زانية لو أنَّ حَشوَها زَغَبُ أجنِحَة الملائكةِ ما ساوت عِشرين ديناراً .

[أشعب ووالي المدينة البخيل]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثني أبو أيّوب المدائنيّ قال : حدَّثني مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريّ عن أبيه قال : حدّثني أشعب قال : وَلِيَ المدينة رجلٌ من ولد عامِر بن لُؤيّ ، وكان أبخل النّاس وأنكدَهم . وأغراه اللهُ بي يَطلُبني في لَيْلِه ونَهاره ، فإن هَرَبتُ منه هَجَم على منزلي بالشُّرط ، وإن كنتُ في موضع بعثَ إلى مَن أكون معه أو عنده يطلبُني منه ، فيُطالبني بأن أُحدِّثه وأُضحِكه ، ثم لا أسْكُت ولا ينام ، ولا يُطعِمُني ولا يُعطيني شيئاً . فلقيتُ منه جهداً عظيماً

وبَلاءٍ شديداً . وحَضَر الحَجُّ ، فقال لي : يا أَشعب ، كُن معي ، فقلت : بأَبي أَنت وأُمّي ، أَنا عليل ، وليست لي نيّة في الحجّ . فقال : عَلَيه وعَلَيه وقال : إنّ الكَعْبَة بيتُ النّار ، لئن لم تخرج معي لأُودِعَنَّك الحبس حتى أقدُم . فخرجتُ معه مُكرَهاً ، فلمّا نزلنا المنزلَ أظهرَ أنّه صائم ونام حتى تشاغَلْت ، ثم أكل ما في سُفْرته ، وأمر غُلامه أن يُطعِمني رغيفين بمِلْح . فجئتُ وعندي أنّه صائم ، ولم أزل أنتظر المغرب أتوقّع إفطارَه ، فلمّا صلّيتُ المغرِبَ قلتُ لغُلامه : ما ينتظِر بالأَكْل ؟ قال : قد أكل منذُ زمان ، قلْت : أَوَلَم يكن صائماً ؟ قال : لا . قلت : أفأطوي أنا ؟ قال : قد أعدّ لك ما تأكلُهُ فكُلْ ، وأخرجَ إليَّ الرَّغيفين والمِلح فأكلتُهما وبِتُّ ميِّتاً جوعاً ؛ وأصبحتُ فسِرْنا حتى نزلنا المنزِل ، فقال لغلامه : ابتَعْ لنا لحماً بدِرهم ، فابتاعه ، فقال : كَبِّب لي قِطَعاً ، ففعل ، فأكله ونَصَب القِدْر ، فلما اغبرَّت قال : اغرُف لي منها قِطَعاً ، ففعل ، فأكلها ؛ ثم قال : اطرح فيها دُقَّة وأطعِمْني منها ، ففعل ؛ ثم قال : ألقِ توابِلَها وأطعِمني منها ، ففعل ؛ وأنا جالس أنظُر إليه لا يدعوني . فلمّا استوفى اللحمَ كلَّه قال : يا غُلام ، أطعِم أشعبَ ، ورمى إليّ برغيفين ، فجئتُ إلى القِدْر وإذا ليس فيها إلاّ مَرَق وعظام . فأكلت الرَّغيفَين ، وأخرج له جراباً فيه فاكهةٌ يابسةٌ ، فأخذ منها حفنة فأكلها ، وبقي في كَفِّه كَفٌّ لوزٍ بقِشْرِه ، ولم يكُن له فيه حيلة ، فرمى به إليَّ وقال : كُلْ هذا يا أشعب . فذهَبْتُ أُكسِر واحدة منها فإذا بضَرَسي قد انكسرَت منه قِطعة فسَقَطَت بين يديَّ ، وتباعدتُ أطلبُ حَجَراً أكسِرُه به ، فوجدتُه ، فضربت به لوزة فطفرَتْ ، يعلمُ الله ، مقدارَ رَمْية حَجَر ، وعدوتُ في طَلَبها ، فبينما أنا في ذلك إذ أقبلَ بنو مُصْعَب ، يعْني ثابتاً وإخوته ، يُلبُّون بتلك الحُلوق الجَهوَرِيّة ، فصِحْتُ بهم : الغوثَ الغَوثَ ! العِياذُ بالله وبكم يا آل الزُّبير ! الحقوني أدركوني ! فرَكضوا إليَّ ، فلما رأَوْني قالوا : أشعب ، ما لك ويلك ؟ قلت : خُذوني معكم تُخلِّصوني من الموت . فحَمَلوني معهم ، فجعلتُ أرفرِف بيَدِي كما يفعل الفَرْخ إذا طَلَب الزَّقَّ من أبَويه . فقالوا : ما لكَ ويلَك ؟ قلت : ليس هذا وقت الحديث ، زُقُّوني ممّا معكم ، فقد مُتُّ ضُرّاً وجُوعاً منذ ثلاث . قال : فأطعَموني حتى تراجعت نفسي ، وحملوني معهم في مَحمَل ، ثم قالوا : أخبرنا بقصَّتك ، فحدَّثتهم وأريتهم ضِرْسي المكسورة ؛ فجعلوا يضحكُون ويُصَفِّقون وقالوا : ويلك ، من أينَ وقعتَ على هذا ؟ هذا من أبخل خَلْقِ الله وأدنَئِهم نَفساً ؛ فحلَفْتُ بالطّلاق أنّي لا أدخُل المدينة ما دامَ له بها سُلطان . فلم أدخُلها حتى عُزِل .

[بينه وبين الغاضريّ مرّة أخرى]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدَّثنا

إبراهيم بن المهديّ قال : حدَّثني عبيدة بن أشعب قال : كان الغاضريّ مُندِرَ[1] أهلِ المدينة ومُضحِكهم قبل أبي ، فأسقَطَه أبي واطَّرح . وكان الغاضريُّ حَسنَ الوجه مادّ القامةِ عَبْلاً فَخماً ، وكان أبي قصيراً دَميماً قليلَ اللحم ؛ إلاّ أنّه كان يتضرَّم ويتوقّد ذكاءً وحِدّةً وخِفّةَ رُوح ، وكان الغاضريّ يحسده إلاّ أنّهما متساويان ، وكان الغاضريّ لقيطاً منبوذاً لا يُعرَف له أبٌ ، فمرَّ يوماً ، ومعه فِتيَة من قريش ، بأبي في المسجد وقد تأذّى بثيابه فنَزَعها ، وتجرَّد وجَلَس عُرياناً . فقال لهم الغاضريّ : أنشدتُكم اللهَ هل رأيتم أعجب من هذه الخِلْقة ! يريد خِلْقَة أبي . فقال له أبي : إنّ خِلقَتي لَعَجيبة ، وأعجَبَ منها أنّه زَقّني اثنان فصِرْت نضْواً[2] ، وزقّك واحدٌ فصِرْتَ بُخْتياً[3] قال : وأهلُ المدينة يسمّون المَهْلُوس[4] من الفِراخ النِّضْو والمُسَرْوَل[5] البُخْتيّ . فغضب الغاضريُّ عند ذلك وشتمه ، فسقط واستبرِد ، وترك النوادرَ بعد ذلك ؛ وغَلب أبي على أهل المدينة واستَطابُوه ، وكان هذا سَبَبه .

[جدي زياد بن عبد الله الحارثي]

أخبرني جعفرَ بنُ قدامة قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه قال : كان زيادُ بن عبدِ الله الحارثيّ أبخلَ خلق الله ، فأولَمَ وليمَةً لطُهْر بعض أولادِه . وكان الناس يَحضُرون ويُقدَّم الطَّعامُ فلا يأكلون منه إلاّ تعَلّلاً وتشعُّثاً[6] لعِلْمِهم به ، فقدِّم فيما قدِّم جَدْيٌ مشويٌّ فلم يَعرِض له أحد ، وجعل يردِّدُه على المائدة ثَلاثة أيّام والنّاس يَجْتَنبونه إلى أن انقضت الوليمةُ . فأصغى أشعب إلى بعض مَن كان هناك فقال : امرأتُه الطّلاق إن لم يكُن هذا الجدْيُ بعد أن ذُبح وشُوِي أطولَ عُمراً وأمدَّ حياةً منه قبل أن يُذبح ، فضحِك الرّجلُ ، وسَمِعها زيادٌ فتغافل .

[سُكينة تأمر بحلق لحيته]

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : حدَّثني إبراهيم بنُ المهديّ ، عن عبيدة بن أشعب قال : غَضِبتْ سُكينةُ على أبي في شيء خالفَها فيه فحلفَت لتَحلِقَنّ لِحيتَه ، ودعت بالحَجّام فقالت له : احْلِق لِحيتَه ، فقال له الحجّام : انفُخ شدْقَيك حتى أتمكّن منك . فقال له : يا ابنَ البَظْراء ، أمرتْك أن تَحلِق لِحيتي أو تُعلّمَني الزَّمْر ! خبِّرني عن امرأتك إذا أردتَ أن تَحلق

1 مندر : يأتي بالنوادر .

2 زقه : أطعمه كما يطعم الطائر فراخه . والنضو : المهزول .

3 البختي : جمل خراساني .

4 المهلوس : المهزول .

5 المسرول : الحمام الذي في رجليه ريش كاسراويل .

6 التشعث : الأكل القليل .

حِرَها تَنْفُخ أشداقَه ! فغضِب الحجَّام وحلف ألاّ يَحلِق لحيته وانصرف . وبلغَ سُكَينة الخبَر وما جرى بينهما فضَحِكت وعَفَت عنه .

[حكاية عن بخل زياد بن عبد الله الحارثي]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال : حدَّثني أبو العيناء عن الأَصمعيّ قال : أهدى كاتِبٌ لزياد بن عبد الله الحارثيّ إليه طعاماً ، فأُتي به وقد تغدَّى فغضب وقال : ما أصنَعُ به وقد أكلْتُ ؟ ادعُوا أهلَ الصُّفّة[1] يأكلونه . فبَعَث إليهم وسأل كاتِبَه : فيمَ دعا أهلَ الصُّفَّة ؟ فعرّف ، فقال الكاتب : عرِّفوه أنّ في السِّلال أخبِصَةً وحلواءَ ودجاجاً وفراخاً . فأُخْبِر بذلك ، فأمر بكَشْفها ، فلمّا رآها أمر برَفعها فرُفِعَت ، وجاء أهلُ الصُّفَّة فأُعلِم ، فقال : أضربوهم عشرين عشرين دِرَّة ، واحبسوهم فإنّهم يَفسُون في مسجد رسول الله ﷺ ويؤذُون المُصلِّين ، فكُلِّم فيهم ، فقال : حلِّفوهم ألاّ يُعاوِدوا وأطلِقوهم .

[عبث أبان بن عثمان بأعرابيّ]

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا عُمرُ بنُ شبَّة قال : حدَّثنا ابنُ زبالة ، قال : حدَّثنا ابن زَبَنَّج راوية ابنِ هَرْمة عن أبيه قال : كان أبانُ بنُ عثمان من أهزَلِ النّاس وأعبَثِهم ، وبلغ من عَبَثه أنّه كان يَجيءُ بالليل إلى منزِل رَجُلٍ في أعلى المدينة له لقب يَغضَب منه فيقول له : أنا فلانُ بنُ فلان ، ثم يهتف بلقَبه ، فيشتُمُه أقبح شَتْم وأبانُ يَضحك . فبينما نحنُ ذاتَ يوم عنده وعنده أشْعَبُ إذ أقبل أعرابيٌّ ومعه جَمَل له ، والأعرابيُّ أشقَرُ أزرقُ أزعَرُ[2] غَضوبٌ يتلَظّى كأنّه أفعى ، ويتبيَّن الشرُّ في وجهِه ، ما يدنو منه أحدٌ إلاّ شتمه ونهره . فقال أشعب لأبان : هذا والله من البادية ادعوه ، فدُعيَ وقيل له : إنّ الأميرَ أبانَ بنَ عُثمان يَدْعُوك . فأتاه فسلَّمَ عليه ، فسأله أبانُ عن نسبه فانتسب له ، فقال : حيّاك الله يا خالي ، حبيبٌ ازدادَ حُبّاً . فجلس ، فقال له : إنّي في طَلَب جَمَلٍ مِثْلِ جملك هذا منذ زمان فلم أجِدْه كما أشتهي بهذه الصِّفة ، وهذه القامة ، واللون ، والصدر ، والورك ، والأخفاف ، فالحمد لله الذي جَعَل ظَفَري به من عند مَن أُحبّه ، أتبيعُه ؟ فقال : نعم أيّها الأمير ، فقال : فإنّي قد بذلتُ لك به مائة دينار ، وكان الجملُ يُساوي عشرة دنانير ، فطَمِع الأعرابيُّ وسُرَّ وانتفخ ، وبان السُّرورُ والطَّمع في وَجْهِه . فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويْلك يا أشعَب ! إنَّ خالي هذا من أهلِك وأقاربك ، يعني في الطمع ، فأوسع له مِمّا عندك . فقال له : نعم بأبي أنت وزيادة . فقال له أبان : يا خالي ، إنّما زِدْتُك في الثمن على بَصيرة ، وإنّما الجمَل يساوي ستّين ديناراً ،

---

1 أهل الصفة : فقراء المهاجرين ومن لم يكن له مسكن .

2 أزعر : سيىء الخلق .

ولكن بذلتُ لك مائة لقِلَّة النَّقْد عندنا ، وإنّي أُعطيك به عُروضاً تُساوي مائة ، فزاد طَمَعُ الأعرابيُّ وقال : قد قَبِلْتُ ذلك أيّها الأمير ، فأَسَرَّ إلى أشعب ، فأخرجَ شيئاً مُغَطًى فقال له : أخرِجْ ما جِئْتَ بـه ، فأخـرج جَرْدَ عمامة خزٍّ خلقٍ تساوي أربعةَ دراهم ، فقال له : قوِّمها يا أشعب ، فقال له : عِمامة الأمير تُعرَف به ، ويشهدُ فيهـا الأعيـادَ والجُمَـع ويلقـى فيهـا الخُلفاء ؛ خمسون ديناراً . فقال : ضَعْها بين يديه . وقال لابن زَنْبَج ، أثبِت قيمتها . فكتب ذلك ، ووُضِعَتْ العمامة بين يدَي الأعرابيّ ، فكاد يدخل بعضُه في بعض غيظاً ، ولم يقدِر على الكلام ؛ ثم قال : هاتِ قَلَنْسُوَتي ، فأخرج قَلَنْسُوة طويلة خَلَقة قد علاها الوسخ والدُّهن وتخرَّقَت ، تساوي نصف درهم ؛ فقال : قوِّم ، فقال : قَلَنْسُوة الأمير تعلُو هامتَه ويُصلِّي فيها الصَّلوات الخمس ، ويجلسُ للحُكم ؛ ثلاثون ديناراً . قال : أثْبِت ، فأثبَتَ ذلك ، ووُضِعَت القَلَنْسُوة بين يدَي الأعرابيّ ، فتربَّدَ وجهُه وجَحظتْ عيناه وهمَّ بالوُثوب ، ثم تماسَك وهو متقلقِل .

ثم قال لأَشعب : هات ما عِندَك ، فأَخرج خُفَّين خلقين قد نُقبا وتقشَّرا وتفتَّقا ؛ فقال له : قوِّم ، فقال : خُفَّا الأمير يطأ بهما الرَّوضةَ ، ويعلو بهما مِنبر النبيّ ﷺ ؛ أربعون ديناراً . فقال : ضعْهُما بين يدَيه فوضعهما . ثم قال للأعرابيّ : اضْمُم إليك متاعَك ، وقال لبعض الأَعوان : اذهَبْ فخذ الجملَ ، وقال لآخر : امْض مع الأعرابيّ فاقبِض منه ما بقيَ لنا عليه من ثمن المتاع وهو عِشرون ديناراً ، فوثب الأعرابيّ فأَخذَ القماشَ فضرب به وُجوه القوم لا يأْلُو في شِدَّة الرَّمـي بـه ، ثم قال له : اتدري أَصلحك الله من أيّ شيء أموت ؟ قال : لا ، قال : لم أدرِك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولَد مثلك ؛ ثم نهض مثلَ المجنون حتى أخذ برأس بعيره ، وضَحِك أبان حتى سَقَط وضَحِك كلُّ مَن كان معه . وكان الأعرابيُّ بعد ذلك إذا لَقي أشْعب يقول له : هَلمَّ إليَّ يا ابن الخبيثة حتى أُكافِئك على تقويمك المتاع يوم قُوِّم ، فيهرب أشعبُ منه .

[يخاف حسد العجوز على خفّة موته]

أُخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثنا أَحمدُ بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : حدَّثني شيخ من أهل المدينة قال : كانت بالمدينة عجوزٌ شديدةُ العين ، لا تنظُر إلى شيء تَسْتَحسِنه إلاّ عانته[1] ، فدخلت على أشعب وهو في الموت ، وهو يقول لبنته : يا بنيَّة ، إذا مُتُّ فلا تَندُبيني والناس يَسمعونك ، فتقولين : وا أبتاه أَندُبك للصَّوم والصَّلوات ، وا أبتاه أَندُبُك للفِقْه والقراءة ، فيُكذِّبك النّاسُ ويلعُنوني . والتفت أشعبُ فرأى المرأة ، فغطَّى وجهه بكُمِّه وقال لها : يا فلانة

---

1 عانته : أَصابته بالعين .

بالله إن كُنتِ استَحْسَنْتِ شيئاً مِمّا أنا فيه فصَلّي على النبيّ ﷺ لا تُهْلِكيني . فغضِبت المرأةُ وقالت : سَخِنت عينك ، في أيّ شيءٍ أنتَ ممّا يستحسَن ! أنتَ في آخِرِ رَمَق ! قال : قد علمت ولكن قلت لئلاّ تكوني قد استَحْسنتِ خِفَّة الموت عليَّ وسُهولة النَّزع ، فيشتدُّ ما أنا فيه . وخرجَت من عِنده وهي تشتُمه ، وضَحِك كلُّ مَن كان حوله من كلامه ، ثم مات .

[ضرطة بنقطة]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال : حدَّثنا أبو أيّوب المدينيّ ، عن مصعب قال : لاعب أشْعَبُ رَجلاً بالنَّرد ، فأشرَف على أنْ يَقمُرَه إلاّ بضرب دويكين[1] ، ووقع الفصّان في يد ملاعبه ، فأصابه زَمَع[2] وجزع ، فضرَب يكين وضَرَط مع الضربة فقال له أشعَب : امرأتُه طالِق إن لم أحسب لك الضَّرطة بنقطة حتى يصير لك اليكان دُوويكّ وتَقْمُر . وسلم له القَمْر بسبب الضَّرطة .

[مزيد من طرائفه]

أخبرني الحَسَن قال : حدَّثنا أحمدُ ، قال : حدَّثني أبو أيّوب ، عن حَمَّاد ، عن ابن إسحاق ، عن أبيه قال : قال رجلٌ لأشعب : كان أبوكَ ألحى وأنتَ أثطٌّ فإلى مَن خرجت ؟ قال : إلى أمّي ، فمرَّ الرجلُ وهو يَعْجَب من جوابِه ، وكان رجلاً صالحاً .

أخبرني هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني الرياشيُّ قال : سَمِعتُ أبا عاصم النَّبيل يقول : رأيتُ أشعبَ وسأله رجُلٌ : ما بَلَغ من طَمَعِك ؟ قال : ما زُفّت عروسٌ بالمدينة إلى زوجها قَطّ إلاّ فتَحْتُ بابي ، رَجاءَ أن تُهدى إليّ طمعاً .

أخبرني حبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمِّه قال : تظَلّمت امرأةُ أشعب منه إلى أبي بَكر محمد بن عمرو بن حزم وقالت : لا يَدعُني أهدأُ من كثرة الجِماع ، فقال له أشعب : أتُراني أعلِفُ ولا أركَبُ ، لتكفَّ ضِرْسَها لأكُفَّ أيْري .

قال : وشَكا خالٌ لأشعبَ إليه امرأتَه وأنّها تَخونُه في ماله . فقال له : فدَيتك لا تأمَنن قحبة ، ولو أنّها أمُّك ، فانصرف عنه وهو يَشتُمه .

أخبرني عمّي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني قَعْنَبُ بنُ المُحرِز عن الأصمعيّ ، عن جَعفر بن سليمان ، قال : قدِم علينا أشعبُ أيّامَ أبي جعفر ، فأطاف به فتيان بني هاشم ، وسألوه أن يُغنّيَ فغنّاهم فإذا ألحانُه مُطرِبة وحلْقُهُ على حاله ، فسألوه : لِمَنْ هذا اللحن : [من مجزوء الوافر]

1 لعلّها : دوويك .

2 زمع : دهش .

لِمَنْ طَلَـلٌ بـذاتِ الجَيْـ ـشِ أمسى دارِساً خَلَقا[1] ؟

فقال : للدلال ، وأخذته عن مَعْبَد ، ولقد كنتُ آخذ عنه الصوتَ ، فإذا سُئِل عنه قال : عليكم بأشعب فإنّه أحسنَ أداءً له منّي .

[الحسن بن الحسن يعبث به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه ، قال : ذكر الزُّبير بن بكّار ، عن شُعيب بن عبيدة بن أشعب ، عن أبيه قال : كان الحسن بنُ الحسنِ بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام يَعبَث بأبي أشدَّ عَبَث ، وربّما أراه في عَبَثه أنّه قد ثَمِل وأنّه يُعَربِد عليه ، ثم يخرُج إليه بسيف مَسْلول ويُريه أنّه يريد قتلَه ، فيَجري بينهما في ذلك كلّ مُستَمع . فهَجَره أبي مدّة طويلة ، ثم لقِيَه يوماً ، فقال له : يا أشعب ، هَجَرْتَني وقطعتني ونَسِيت عَهدي . فقال له : بأبي أنتَ وأمّي ، لو كنتَ تعربد بغير السيفِ ما هجرتك ، ولكن ليس مع السيف لَعِبٌ . فقال له : فأنا أُعفيك من هذا فلا تراه منّي أبداً ، وهذه عشرة دنانير ، ولك حِماري الذي تحتي أَحمِلُك عليه ، وصِر إليَّ ولك الشرط ألا ترى في داري سيفاً ؛ قال : لا والله أو تُخرِج كلّ سيف في دارك قبل أن نأكل ؛ قال : ذلك لك . قال : فجاءَه أبي ، ووفّى له بما قال من الهِبَة وإخراج السُّيُوف ، وخلّف عنده سيفاً في الدار ، فلمّا توسَّط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيفَ مشهوراً ، ثم قال : يا أشعب إنّما أخرجتُ هذا السيف لخير أُريدُه بك ، قال : بأبي أنتَ وأُمّي ، وأيُّ خير يكون مع السَّيف ؟ ألست تذكُر الشرطَ بيننا ؟ قال له : فاسمع ما أقول لك ، لست أُضربك به ، ولا يلحقك منه شيء تكرهَهُ ، وإنّما أُريد أن أُضجعَك وأجلِس على صدرك ، ثم آخذ جِلدَة حلْقِك بإصبعي من غير أن أقبِض على عَصَب ولا وَدَج ولا مَقتل ، فأحزَّها بالسيف ، ثم أقومُ عن صَدْرِك وأُعطيك عشرين ديناراً . فقال : نشَدْتك اللهَ يا ابنَ رسولِ الله ألاّ تفعَل بي هذا ! وجعل يصرُخ ويبكي ويستغيث ، والحسنَ لا يزيدُه على الحَلْفِ له أنّه لا يقتُله ولا يتجاوز به أن يَحُزّ جِلدَه فقط ، ويتوعّده مع ذلك بأنّه إن لم يفعله طائعاً فعله كارِهاً ، حتى إذا طال الخَطْب بينهما ، واكتفى الحَسَن من المزح معه ، أراه أنّه يتغافل عنه ، وقال له : أنتَ لا تفعل هذا طائعاً ، ولكن أجيءُ بحَبْل فأُكتِفك به . ومضى كأنّه يجيء بحبل ، فهَرَب أشعَبُ وتَسوَّر حائِطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخيه فسَقَط إلى داره ، فانفكّت رِجلُه وأُغمي عليه . فخرج عبد الله فَزِعاً ، فسأله عن قصّته ، فأخبره ، فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً ، وأقام في منزله يعالجه ويَعُوله إلى أن صَلَحت حالُه .

---

1 طلل في ل : ربع .

قال : وما رآه الحَسَنُ بنُ الحسن بعدها .

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بنُ بَكّار قال : حدَّثني عَمِّي قال : دعا حسنُ بنُ حسنٍ بن عليّ عليهم السلام أشعَبَ ، فأقام عنده ، فقال لأشعب يوماً : أنا أشتهي كَبِدَ هذه الشاة ، لشاةٍ عنده عَزيزةٍ عليه فارهةٍ ، فقال له أشعب : بأبي أنت وأُمِّي أعْطِنيها وأنا أذبحُ لك أسمَن شاةٍ بالمدينة . فقال : أُخبِرك أنّي أشتَهي كبدَ هذه وتقول لي : أسمن شاةٍ بالمدينة ، اذبَحْ يا غُلام ، فذبحها وشوى له من كبدِها وأطايِبها ، فأكل . ثم قال لأشعب من الغدِ : يا أشعب أنا أشتهي من كبد نجيبي هذا ، لِنَجيب كان عنده ثمنه أُلوفُ دراهم ، فقال له أشعب : يا سيِّدي في ثمن هذا والله غناي ، فأعطِنيه وأنا والله أُطعِمُك من كبد كلّ جزورٍ بالمدينة . فقال : أُخبرك أنّي أشتهي من كبد هذا وتُطْعِمُني من غيره ! يا غلام انحَر ، فنحرِ النَّجيبُ وشَوى كبده فأكلاه فلمّا كان اليوم الثالث قال له : يا أشعبُ ، أنا والله أشتهي أن آكُل من كبدك . فقال له : سُبْحان الله أتأكُلُ من أكبادِ النّاس ! قال : قد أخبرتك ، فوثب أشعَب فرَمى بنَفسِه من درجة عالية فانكسرت رِجلُه . فقيل له : ويْلَك أظننتَ أنّه يَذبَحُك ؟ فقال : والله لو أنّ كَبِدي وجَميعَ أكبادِ العالَمين جميعاً اشتَهاها لأكَلَها . وإنّما فَعَل حسن بالشّاةِ والنَّجيب ما فعل توطئة للعَبَث بأشعب .

تمّت أخباره .

صوت

[من المتقارب]

أَلـمَّتْ خُنـاسُ وإلمامُهـا ‏ ‏ ‏ ‏ أحادِيـثُ نَفْس وأَحلامُها

يَمانِيَّةٌ مـن بني مالِـكٍ ‏ ‏ ‏ ‏ تَطاوَل في المَجْـدِ أَعمامُها

الشعر لعُوَيف القَوافي الفَزاريّ[1] والغِناء للهُذَليّ رمل بالوسطى ، عن عمرو ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ فيه لحناً لجميلة ولم يذكر طريقته ، وفيه لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ مُطلَق في مجرى الوسطى .

1 شعره : 152 .

[404] ـ أخبار عُوَيْف ونسبه[1]

[نسبه]

هو عُوَيف بن معاوية بن عُقْبة بنِ حِصْن وقيل : ابنُ عُقبة بن عُيينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر بن عمرو بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عَديّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار .

وعُوَيْف القوافي شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُمويّة من ساكني الكوفة ، وبيتُه أَحدُ البيوتِ المُقدَّمة الفاخرة في العرب .

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو عمرو بنُ العَلاء أنَّ العرب كانت تَعُدُّ البُيوتاتِ المشهورة بالكِبَر والشَّرف من القبائل بعد بيت هاشِم بن عبد مَناف في قريش ثلاثة بيوت ، ومنهم مَن يقولُ أربعة : أوّلُها بيت آل حُذَيْفة بن بَدْر الفَزاريّ بيتُ قيس ، وبيْتُ آلِ زُرارة بن عُدَس الدَّارميّيْن بيتُ تميم ، وبيتُ آلِ ذي الجَدَّين بن عبد الله بن همّام بيت شَيْبان ، وبيتُ بني الدّيّان من بني الحارث بن كعب بيتُ اليَمَن .

وأمّا كِندة فلا يُعدُّون من أهل البُيوتات ، إنّما كانوا مُلوكاً .

وقال ابن الكلبيّ : قال كِسْرى للنُّعمان : هل في العرب قبيلة تَشرُف على قبيلة ؟ قال : نعم . قال : بأيِّ شيء ؟ قال : مَن كانت له ثلاثةُ آباء متوالية رؤساء ، ثم اتَّصل ذلك بكمال الرّابع ، والبيتُ من قبيلته فيه . قال : فاطلُب لي ذلك ، فطَلَبه فلم يُصِبه إلاّ في آل حُذيفة بن بَدْر بيت قيس بن عيلان ، وآلِ حاجب بن زرارة بيتِ تميم ، وآل ذي الجَدَّين بيت شيبان ، وآل الأَشعَث بن قيس بيت كِندة . قال : فجمع هؤلاء الرَّهط ومَن تبعَهم من عشائرهم . فأقعد لهم الحُكّام العُدول ، فأقبل من كُلِّ قوم منهم شاعِرُهم ، وقال لهم : ليتكلَّم كلُّ رجلٍ منكم بمآثِر قومِه وفعالهم ، وليَقل شاعِرُهم فيصدُق . فقام حُذيفة بن بَدْر ، وكان أَسنَّ القوم وأجرأهم مُقدَماً ، فقال : لقد عَلِمت مَعَدٌّ أنَّ منّا الشَّرف الأقدمَ ، والعِزَّ الأعظمَ ، ومأثرة الصَّنيع الأكرم . فقال مَن حوله : ولِمَ ذاك يا أخا فَزارة . فقال : السنا الدّعائِمَ التي لا ترام ، والعِزَّ الذي لا يُضام ! قيل له : صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال : [من الطويل]

فَزارةُ بيتُ العِزّ والعِزُّ فيهمُ فَزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضالُها

1 ترجمة عويف القوافي في معجم المرزباني : 127–128 والسمط : 814 وخزانة البغدادي 6 : 384–387 وقد جمع ما تبقى من شعره د. نوري حمودي القيسي في «شعراء أمويون» 2 : 135–154 ، وأخبار مرج راهط في كتب التاريخ .

لها العِزَّةُ القَعْساءُ والحَسَبُ الذي ... بَناه لِقَيْس في القديم رِجالُها
فمَنْ ذا إذا مُدَّ الأكفُّ إلى العُلا ... يَمُدُّ بأُخْرى مِثْلَها فينالُها[1]
فهَيهاتَ قد أعْيا القُرونَ التي مَضَت ... مآثِرُ قَيْس مَجدُها وفَعالُها[2]
وهل أحدٌ إن مَدَّ يوماً بكَفِّه ... إلى الشمس في مَجْرى النُّجوم ينالُها
وإن يَصْلُحوا يَصلُحْ لذاك جَميعُنا ... وإن يَفْسُدوا يَفْسُدْ على النّاس حالُها

ثم قام الأشعَث بن قيس ، وإنّما أُذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته بالنُّعمان ، فقال : لقد علِمت العربُ أنّا نقاتل عديدَها الأكثرَ ، وقديم زحفِها الأكبر ، وأنّا غِياثُ اللّزَبات[3] . فقالوا : لِمَ يا أخا كِندة ؟ قال : لأنّا وَرثنا مُلك كندة فاستظللنا بأفيائه ، وتقلّدنا مَنْكِبَه الأعظم ، وتوسّطنا بُحبوحه الأكرم ، ثم قام شاعِرُهم فقال : [من الطويل]

إذا قِسْتَ أبياتَ الرِّجالِ ببَيْتِنا ... وجدتَ له فَضْلاً على مَنْ يُفاخِرُ
فَمنْ قال كلاَّ أو أتانا بخُطَّةٍ ... يُنافِرُنا يوماً فنحن نُخاطِرُ
تَعالوا فعدُّوا يعلم النَّاس أيُّنَا ... له الفَضلُ فيما أورَثَتْه الأكابِرُ

ثم قام بَسْطام بن قيْسٍ فقال : لقد علِمت ربيعة أنّا بُناة بيتها الذي لا يَزُول ومغرس عِزّها الذي لا يُنقل . قالوا : ولِمَ يا أخا شَيْبان ؟ قال : لأنّا أدركهم للثَّأر ، وأقتلهم للملك الجبَّار ، وأقولُهم للحقّ ، وألدُّهم للخَصْم ، ثم قام شاعِرُهم فقال : [من الطويل]

لعَمْري لَبِسْطامٌ أحقّ بفضلها ... وأولَى بِبَيْت العزِّ عِزِّ القبائلِ
فَسائِلْ ، أبيتَ اللّعْن ، عن عزِّ قومِنا ... إذا جَدَّ يوم الفَخْر كلُّ مناضلِ
ألسْنا أعزَّ الناسِ قوماً وأُسرةً ... وأضْرَبَهم للكَبْشِ بين القبائلِ
فَيُخْبِرَك الأقوامُ عنها فإنّها ... وقائعُ لَيسَت نُهزةً للقبائلِ
وقائعُ عِزٍّ كلّها رَبَعِيَّةٌ ... تَذِلُّ لهم فيها رِقابُ المَحافلِ
إذا ذُكِرت لم يُنْكِرِ النَّاسُ فضلَها ... وعاذَ بها من شَرِّها كُلُّ قائلِ
وإنَّا مُلوكُ النَّاسِ في كل بَلْدةٍ ... إذا نَزَلت بالنَّاسِ إحْدى الزَّلازِلِ

ثم قام حاجب بن زرارة فقال : لقد عَلمت مَعَدٌّ أنّا فَرْع دِعامتها ، وقادة زحفِها ، فقالوا له : بِمَ ذاك يا أخا بني تميم ؟ قال : لأنَّا أكثرُ الناس إذا نسبْنا عدداً ، وأنجبهم ولداً ، وأنّا

1 مثلها في ل : غيرها .
2 مضت في ل : خلت .
3 اللزبات : جمع لزبة ، وهي الشدّة والقحط .

أعطاهم للجزيل، وأحملُهم للثَّقيل، ثم قام شاعِرُهم فقال: [من الطويل]

لقد عَلِمتْ أبناءُ خِنْدِفَ أنَّنا لنا العِزُّ قِدْماً في الخُطوب الأوائِلِ
وأنّا هِجانٌ أهْلُ مجد وثَرْوَةٍ وعِزٌّ قديمٍ ليس بالمتضائِلِ[1]
فكَمْ فيهمُ من سَيِّدٍ وابْنِ سَيِّدٍ أغَرَّ نجيبٍ ذي فعالٍ ونائلِ
فسائلْ، أبيتَ اللَّعن، عنّا فإنّنا دعائمُ هذا النّاس عند الجَلائلِ

ثم قام قيس بن عاصم فقال: لقد عَلِم هؤلاء أنّا أرفعَهُم في المكرُمات دعائم، وأثبتهم في النّائباتِ مقاوم. قالوا: ولِم ذاك يا أخا بني سعد؟ قال: لأنّا أمنعُهم للجار، وأدركهم للثّار، وأنّا لا نَنْكَلُ إذا حَمَلنا ولا نرام إذا حَلَلْنا، ثم قام شاعرُهم فقال: [من الطويل]

لقد عَلِمَتْ قيسٌ وخِندِفُ كُلّها وجُلُّ تَميم والجُموع التي تَرى
بأنّا عِمادٌ في الأُمورِ وأنّنا لنا الشَّرفُ الضَّخمُ المُركَّب في النَّدى
وأنّا لُيوثُ النّاس في كلّ مأزِقٍ إذا اجتُزّ بالبِيضِ الجماجِمُ والطُّلى[2]
وأنّا إذا داعٍ دَعانا لنَجْدةٍ أجبْنا سِراعاً في العلا ثَمَّ مَنْ دَعا
فمَنْ ذا لِيوم الفَخْر يَعْدِل عاصِماً وقَيْساً إذا مُدَّ الأكُفُّ إلى العُلا
فَهَيْهاتَ قد أعيا الجميعَ فَعالُهم وفاتُوا بيَوْم الفَخْرِ مَسْعاةَ مَنْ سَعى

فلمّا سمع كِسْرى ذلك منهم قال: ليس منهم إلاّ سيِّد يَصلح لموضعه، وأسنى حِباءَهم.

[رجع الحديث إلى عويف القوافي]

وإنّما قيل لعُوَيف: عُوَيْف القَوافي لِبَيْت قاله، نَسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دُريد ولم أسمعه منه. قال: أخبرنا السَّكَن بنُ سعيد، عن محمد بن عَبّاد، عن ابن الكلبيّ قال: أقبلَ عُوَيْف القوافي، وهو عُوَيف بن معاوية بن عُقبة بن حصن بن حُذيفة الفَزاريّ، وإنّما قِيل له عويف القَوافي، كما حدَّثني عَمّارُ بنُ أبان بن سعيد بن عُيَيْنة، ببيت قاله[3]: [من الطويل]

سأكذِبُ مَن قد كان يَزعمُ أنّني إذا قُلتُ قولاً لا أُجيدُ القَوافِيا

قال: فوقف على جرير بن عبد الله البَجَليّ وهو في مجلسه فقال[4]: [من الوافر]

1 الهجان: الخيار والخالص من كل شيء، يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع.
2 الطلى: الرقاب.
3 شعره: 154.
4 شعره: 154.

أَصُبّ على بَجيلة من شقاها ... هِجائي حين أدركني المَشِيبُ

فقال له جرير : ألا أشتري منك أعراض بَجِيلَة ؟ قال : بلى ، قال : بِكَمْ ؟ قال : بألف دِرهم وبِرذون ، فأمر له بما طَلَب فقال[1] : [من الرجز]

لولا جَرِيرٌ هَلَكتْ بَجِيلَهْ ... نِعْمَ الفَتى وبِئْسَتِ القَبِيلَهْ

فقال جرير : ما أُراهم نَجَوْا منك بعد .

نسختُ من كتاب أبي سعيد السكريّ في كِتاب «مَنْ قال بيتاً فلُقِّب به» قال : أخبرني محمد بن حبيب قال : وإنّما قيلَ لعُوَيف عُويفُ القوافي لقوله ، وقد كان بعض الشعراء عَيَّره بأنّه لا يُجيد الشعر ، فقال أبياتاً منها : [من الطويل]

سأُكذِب مَنْ قد كان يَزعمُ أنَّني ... إذا قُلتُ شعْراً لا أُجِيدُ القَوافِيا

فسُمِّي عُوَيف القوافي .

[عند الوليد بن عبد الملك]

أخبرنا محمد بنُ خَلَف وكيع قال : حدَّثني أحمد بنُ إسحاق ، عن أبيه ، قال : حدَّثني عزيزُ بنُ طَلْحة بنِ عبد الله بن عثمان بن الأرقَم المخزوميّ ، قال : حدَّثني غيرُ واحد من مشيخة قريش ، قالوا : لم يكن رجلٌ من وُلاةِ أولادِ عبد الملك بن مروان كان أنفسَ على قومه ، ولا أحْسَدَ لهم من الوليد بن عبد الملك . فأذِنَ يوماً للنّاس فدخلوا عليه ؛ وأذِن للشُّعراء ، فكان أوّل مَن بَدر بين يديه عُوَيْف القوافي الفَزاريّ . فاستأذنه في الإنشادِ فقال : ما بَقَّيتَ لي بعد ما قلتَ لأخي بَني زُهرة ! قال : وما قلتُ له مع ما قلتُ لأمير المؤمنين ؟ قال : ألستَ الذي تقول[2] : [من الكامل]

يا طَلْحَ أنتَ أخو النَّدى وحَلِيفُه ... إنَّ النَّدى من بعد طَلْحَة ماتا
إنَّ الفَعالَ إليك أَطلَقَ رَحْلَه ... فبِحَيْث بِتَّ من المَنازِلِ باتا

أو لَستَ الذي تقول[3] : [من الوافر]

إذا ما جاء يومُك يا ابنَ عَوْف ... فلا مَطَرتْ على الأرض السَماءُ
ولا سار البَشيرُ بغُنم جَيْشٍ ... ولا حَمَلت على الطُّهْرِ النِّساءُ[4]

---

1 شعره : 151 .
2 شعره : 143 .
3 شعره : 142 .
4 ل : ولا سار العزيز .

تَساقى النِّساءُ بعدكَ يا ابْنَ عَوْفٍ ذَرِيعَ المَوْتِ ليس لَه شِفاءُ

أَلَم تَقُم علينا الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أُسمعَ منك شيئاً ، ولا أنفعك بنافِعةٍ أبداً ، أَخرجوه عنّي .

[قصّته مع طلحة أخي بني زهرة]

فلمّا أُخرج قال له القُرشِيُّون والشامِيُّون : وما الذي أَعطاك طلحَةُ حين استخرج هذا منك ؟ قال : أما والله لقد أعطاني غيرُه أكثرَ من عطيَّته ، ولكن لا والله ما أعطاني أحدٌ قطُّ أحلى في قَلبي ولا أبقى شُكْراً ولا أجدَر ألاَّ أنساها ما عَرفتُ الصِّلاتِ من عطيَّته . قالوا : وما أعطاك ؟ قال : قدِمْتُ المدينة ومعي بُضَيّعة[1] لي لا تَبلُغ عشرة دنانير ، أُريدُ أن أبتاعَ قَعوداً من قِعدان الصَّدَقة ، فإذا برجل في صَحْن السُّوق على طِنْفِسةٍ[2] قد طُرِحَتْ له ، وإذا النّاس حوله ، وإذا بين يديه إبلٌ معلوفة له ؛ فظننت أنّه عامِلُ السّوق ؛ فسلَّمت عليه ، فأثبتني وجهِلَني . فقلت : أي رَحِمك الله ، هل أنت مُعِيني بِبَصَرِك على قَعُود من هذه القِعْدان تبتاعه لي ؟ فقال : نعم ، أوَ مَعَك ثمنه ؟ فقلت : نعم ، فأهوى بيدِه إليَّ فأعطيتُه بُضَيِّعَتي ، فرفع طِنْفسَته وألقاها تحتها ، ومَكَث طويلاً ، ثم قمتُ إليه فقلت : أي رَحِمَك الله ، انظُر في حاجتي فقال : ما منعني منك إلاّ النِّسيان ، أمَعَك حبل ؟ قلتُ : نعم ، قال : هكذا أفرِجوا ، فأفرَجُوا عنه حتى استقبل الإبل التي بين يديه ، فقال : اقرِن هذه وهذه وهذه . فما بَرِحتُ حتى أمَرَ لي بثلاثين بَكْرة أدنى بَكْرة منها ، ولا دنِيَّة فيها ، خيرٌ من بضاعتي . ثم رفع طِنْفِسَته فقال : وشأنَك ببضاعتك فاستَعِن بها على مَن ترجع إليه . فقلت : أي رَحِمك الله ، أتدْري ما تقول ؟ فما بَقي عنده إلاّ مَنْ نهَرني وشتمني ، ثم بَعَث معي نفراً فأطردوها حتى أطلعوها من رأس الثَّنِيّة ، فوالله لا أنساه ما دُمت حيّاً أبداً .

وهذا الصوتُ المذكور تمثَّل به إبراهيمُ بنُ عبد الله بنِ حَسَن بن حَسَن بن عليٍّ يوم مقْتَلِه .

حدَّثني ابنُ عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني مَيسرَةُ بن سيَّار أَبو محمد قال : حدَّثَني إبراهيمُ بنُ عليّ الرّافقيّ ، عن المُفضَّل الضَّبِّيّ ؛ وحدَّثنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى المنجِّم ، وأحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ قالا : حدَّثنا عُمَرُ بن شَبّة قال : حدَّثني عبد الملك بن سليمان ، عن عليّ بن الحسن ، عن المُفضَّل الضَّبِّيّ ؛ وروايةُ ابن عَمّار أتمُّ من هذه الرِّواية .

ونسختُ هذا الخبر أيضاً من بَعض الكتب عن أبي حاتم السِّجِسْتانيّ ، عن أبي عثمان

1 بضيّعة : تصغير بضاعة ، وهي مقدار من المال للتجارة .

2 الطنفسة : البساط والحصير .

اليَقْطُرِيّ[1] ، عن أبيه ، عن المُفضَّل ، وهو أَتمُّ الرِّوايات ، وأَكثرُ اللفظ له قال : قال المفضَّل : خرجتُ مع إبراهيم بنِ عبد الله بنِ حسن بن حسن ، فلمّا صار بالمِرْبد ، وقف على رأس سليمان بن عليّ فأُخرِجَ إليه صبيان من ولده ، فضمَّهم إليه وقال : هؤلاء واللهِ منّا ونحن منهم ، إلاّ أن آباءهم فعلوا بنا وصنعوا ، وذكر كلاماً يعتدُّ عليهم فيه بالإساءة ، ثم توجّه لوجهِه وتَمثَّل[2] :[من المنسرح]

مَهْلاً بَنـي عَمِّنـا ظُلامتنا　　　إنّ بنـا سَوْرَةً من القَلَقِ[3]
لِمِثْلِكم نَحمِل السيوفَ ولا　　　تُغمَزَ أَحسابُنـا من الدَّقَقِ[4]
إنِّي لأَنمِـي إذا انتَميت إلى　　　عزٍّ عزيـزٍ ومَعْشَرٍ صُدُقِ[5]
بيضٍ سِبـاطٍ كأَنّ أَعينَهم　　　تكحَل يوم الهِياجِ بالعَلَقِ[6]

فقلت : ما أَفحلَ هذه الأبياتِ ، فلِمَن هي ؟ قال : لضِرار بنِ الخطّاب الفِهْريّ ، قالها يوم الخَنْدق ، وتمثَّل بها عليُّ بنُ أبي طالب عليه السّلام يوم صِفِّين ، والحسين بن عليّ يوم قُتِل ، وزَيدُ بن عليّ عليهم السلام ، ولحقَ القومَ ، ثم مضى إلى باخَمْرى[7] ، فلمّا قَرُب منها أتاه نَعيُ أخيه محمد ، فتمثل : [من الكامل]

نُبِّئْتُ أَنَّ بنـي رَبيعـة أَجمعوا　　　أمـراً خلاهُـمُ لتقْتُـلَ خالِدا
إن يَقتُلوني لا تُصِب أَرماحُهـم　　　ثأرِي ويَسْعى القَومُ سَعْياً جاهِدا
أَرمي الطريقَ وإن صُدِدتُ بِضيقِه　　　وأُنازِلُ البطـلَ الكَميَّ الجاحِدا

فقلت : لِمَن هذه الأبيات ؟ فقال : للأحوص بن جعفر بن كِلاب ، تمثَّل بها يوم شِعْب جَبَلة ، وهو اليوم الذي لَقِيت فيه قَيْسٌ تميماً . قال : وأقبلت عساكر أبي جعفر ، فقتِل من أَصحابه وقتِل من القوم ، وكاد أن يكون الظَّفَر له .

قال ابن عمّار في حديثه : قال المُفضَّل : فقال لي : حرِّكْني بشيء ، فأَنشدته هذه الأبيات : [من الطويل]

أَلا أَيُّهـا النّاهـي فَزارةَ بعدمـا　　　أَجدَّتْ بسَيْرٍ إنّمـا أَنـتَ حالِمُ

---

1 ل: اليزيدي .
2 ديوان ضرار بن الخطاب الفهري (صادر) : 75 .
3 القلق في الديوان : الغلق ، وهو الضجر وضيق الصدر .
4 الدقق : الذين يظهرون عيوب الناس . وفي الديوان : الرفق : الضعف .
5 الديوان : حي كرام ومعشر صدق .
6 الديوان : بيض جعاد ، أي كرام .
7 باخمرى : موضع بين الكوفة وواسط .

أبـى كُلُّ حُـرٍّ أن يَبيتَ بوِتْـرِه ... ويُمنـعَ منـه النومُ إذ أنت نائِمُ
أقـولُ لفِتيـان العَشيِّ تَروّحـوا ... على الجُردِ في أفواهِهِنَّ الشَّكائمُ
قِفُوا وقْفَةً مَنْ يَحْيَ لا يَخْزَ بعدها ... ومَــن يُخْتَرم لا تَتْبعــه اللَّوائِمُ
وهل أنتَ إن باعَدْتَ نَفسَك منهمُ ... لتَسْلم فيمـا بعــد ذلـك سالِمُ

فقال لي : أعِدْ ، فتنبَّهت وندِمت ، فقلت : أوَغير ذلك ؟ فقال : لا ، أعدها ، فأعَدتها ؛ فتمطَّى في رِكابَيْه حتى خِلتُه قد قطعهما ، ثم خمل فكان آخرَ العهد به .

هذه روايةُ ابنِ عمّار ، وفي الرواية الأُخرى : فحَمَل فطَعَن رَجُلاً ، وطعنه آخر ، فقلت : أتباشِير الحربَ بنفسِك والعسكرُ مَنوطٌ بك ؟ فقال : إليك يا أخا بني ضَبَّة ، كأنَّ عُوَيفاً أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيثُ يقول : [من المتقارب]

أَلَمَّـت خُنـاسُ وإلمامُها ... أحاديثُ نفسٍ وأحلامُها
يَمانيَّــةٌ من بنــي مالكٍ ... تَطاولَ في المَجدِ أعمامُها
وإنّ لنـا أصلَ جُرْثُومةٍ ... تَـرُدُّ الحـوادِثَ أيّامُها
تــردُّ الكَتِيبَــةَ مَغْلولـةً ... بها أفْنُهـا وبهـا ذامُها[1]

قال : وجاءه السَّهْمُ العائر فشَغَله عنّي .

[ينشد عمر بن عبد العزيز]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قـال : حدَّثنـا الحسن بن عُلَيـل العَنْزِيّ ، قال : حدَّثني محمد بن معاوية الأسديُّ ، قال : حدَّثني أصحابنا الأسديُّون ، عن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعريّ قال : حضرت مع عُمَر بن عبد العزيز جِنازة ، فلمّا انصرف انصرفتُ معه ، وعليه عمامةٌ قد سَدَلها من خَلْفِه ، فما عَلِمتُ به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به[2] : [من الطويل]

أجِبْني أبا حَفْص لقيتَ محمداً ... على حَوْضِـه مُسْتَبْشِراً ورآكا

فقال له عمر : لَبَّيْك ، ووقف ووقف الناسُ معه ، ثم قال له : فمَه ؟ فقال :

فأنتَ امرؤٌ كِلْتا يديك مُفِيدةٌ ... شِمالُك خيرٌ مـن يمين سِواكا

قال : ثم مه ؟ فقال : [من الطويل]

بلغتَ مَدى المُجرِين قبلَك إذْ جَرَوا ... ولم يَبلُغ المُجْـرون بَعـدُ مَداكا

---

1 الأفن : ضعف الرأي . والذام : العيب والنقص .
2 شعره : 150 .

فجَـدَّاك لا جَدَّيـنِ أُكرمُ منهما   هُناك تَناهــى المَجـدُ ثـم هُناكا

فقال له عمر : ألا أراك شاعراً ! ما لك عندي من حَقّ ؛ قال : لا ، ولكنّي سائل وابنُ سبيل وذو سُهْمَةٍ[1] . فالتفت عُمَر إلى قَهْرمانه فقال : أعطِه فَضْل نفقتي ، قال : وإذا هو عُوَيْف القوافي الفَزاريّ .

[هجاء بني مرّة]

أُخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا أبو غسّان دَماذ ، عن أبي عُبيدة ، قال : لمّا كان يَوم ابن جرح ، واقتتلت بنو مرّة وبنو حُنّ بن عُذْرة ، قال عُويف القوافي لبني مُرّة يهجوهم ويوبِّخهم بتَرْكهم نصرَهم[2] : [من الطويل]

كُنّـا لكم يـا مُـرّ أُمّاً حَفِيَّـةً   وكنتُـم لنا يـا مـرّ بَـوّاً مُجَلَّدا[3]

وكنتـم لنـا سَيْفـاً وكُنّا وِعاءه   إذا نحـن خِفْنـا أَن يكِلَّ فيُغْمَدا

فأَجابه عُقَيل بنُ عُلَّفَة بقصيدته التي أَوّلُها : [من الطويل]

أَمـاوِيَّ إنَّ الركبَ مُرتحِـلٌ غـدا   وحَــقٌّ ثَـوِيٌّ نـازلٍ أَن يُــزَوَّدا

يقول فيها يخاطب عويفاً :

إذا قُلتُ : قد سامحت سَهْماً ومازِناً   أَبى النَّسَبُ الدّانيّ وكُفرُهُم اليَدا

وقــد أَسلَمُــوا أَستاهُهم لقَبيلـةٍ   قُضاعِيَّةٍ يدعــون حُنّـاً وأُصْيَدا

فما كنتَ أُمّاً بل جعلتُك لي أَخاً   وقد كنتَ في النّاس الطَّريدَ المُشَرَّدا

عُوَيف اسْتِها قد رُمتَ وَيْلَكَ مَجدَنا   قديماً فلـم تَعْــدُ الحِمارَ المُقَيَّدا

ولـــو أَنَّني يومَ ابنِ جُرْحٍ لَقيتُهم   لجرَّدْتُ في الأَعداء عَضْباً مُهَنَّدا

وأَبيات عُوَيف هذهِ يقولها يوم مَرْج راهِط ؛ وهي الحرب التي كانت بين قيس وكَلْب .

[وقعة مرج راهط]

أُخبرني بالسَّبَب فيه أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال : أَخبرني سليمان بن أَيُّوب بن أعين أبو أيّوب المدينيّ ، قال : حدَّثنا المدائنيّ قال : كان بدءُ حَرْب قيس وكَلْب في فِتنة ابن الزُّبير ما كان من وقعة مَرج راهِط ، وكان من قصَّة المَرج أَنَّ مَروان بن الحَكَم بن أبي العاص قَـدِم بعـد هـلاكِ يَزيد بن معاوية والنّاسُ يموجون ، وكان سعيد بن بَحْدل الكلبيُّ على

1 سهمة : القرابة والنصيب والقسمة .

2 شعره : 145 .

3 البوّ : جلد ولد الناقة يحشى تبناً لتدرّ عليه .

قِنَّسْرِين ؛ فوثب عليه زُفَر بن الحارث فأخرجه منها وبايع لابن الزُّبير . فلمّا قعد زُفَر على المِنبر قال : الحمدُ لله الذي أقعَدني مقعد الغادر الفاجر ، وحَصِر ، فضَحِك الناس من قوله . وكان النُّعمان بن بَشير على حِمْص ، فبايَع لابن الزُّبير . وكان حَسّان بن بَحْدل على فِلِسْطِين والأُرْدن ، فاستعمل على فلسطين رَوْحَ بنَ زِنباع الجُذاميّ ، ونزل هو الأُردُنّ فوثب نابِلُ بنُ قيس الجُذاميّ على رَوْح بن زِنباع ، فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزُّبير .

[موقف الضحاك بن قيس الفهريّ]

وكان الضَّحَّاك بن قيس الفِهْرِيّ عامِلاً ليزيدَ بن معاوية على دمشق حتى هلك . فجعل يقدِّم رِجلاً ويُؤخِّر أُخرى ؛ إذا جاءته اليمانية وشِيعَةُ بني أُميّة أخبرهم أنّه أمويّ ، وإذا جاءته القيسيَّة أخبرهم أنّه يدعو إلى ابن الزُّبير . فلمّا قدِم مروان قال له الضَّحَّاك : هل لك أن تقدَم على ابن الزُّبير ببيعة أهل الشام ؟ قال : نعم ، وخرج من عنده ، فلقيه عمرو بنُ سعيد بن العاص ، ومالك بن هبيرة ، وحُصَين بن نمير الكِندِيّان ، وعُبيد الله بنُ زياد ، فسألوه عمّا أخبره به الضَّحَّاك ، فأخبرهم ؛ فقالوا له : أنتَ شيْخ بَني أُميَّة ، وأنتَ عَمُّ الخليفة ، هلمّ نُبايعك . فلمّا فَشا ذلك أرسل الضَّحَّاك إلى بني أُميَّة يعتذر إليهم ، ويذكر حُسْنَ بلائِهم عنده ، وأنَّه لم يُرد شيئاً يكرهونه . فاجتمع مروان بنُ الحكَم ، وعَمْرُو بنُ سعيد بن العاص ، وخالِدُ وعبدُ الله ابْنا يَزيد بن معاوية وقال لهم : اكتبوا إلى حسّان بن بَحْدَل فليَسِرْ من الأردن حتى ينزِل الجابية ، ونسير من هاهنا حتى نلقاه ، فيستخلِف رجلاً ترضونه . فكتبوا إلى حسّان ، فأقبل في أهل الأردُن ، وسار الضَّحَّاك بن قيس وبنو أُميّة في أهل دمشق . فلمّا استقلّت الرّايات من جهة دمشق ، قالت القيسيَّة للضَّحَّاك : دعوتنا لبَيْعة ابنِ الزُّبير ، وهو رجُلُ هذه الأُمَّة ، فلمّا تابعناك خرجتَ تابِعاً لهذا الأعرابيّ من كَلْب تُبايع لابن أُختِه تابعاً له ، قال : فتقولون ماذا ؟ قالوا : نقول : أن تَنْصرف وتظهِر بيعةَ ابنِ الزُّبير ونظهِرَها معك . فأجابهم إلى ذلك ، وسار حتى نزل مَرْج راهط ، وأقبل حسّان حتى لَقي مَروان بن الحكَم ، فسار حتى دخل دمشق ؛ فأتته اليمانيّة تشكر بلاءَ بني أُميّة ، فساروا مع مروان حتى نزلوا المَرْج على الضَّحَّاك ، وهم نحو سبعة آلاف ، والضَّحَّاك في نحو من ثلاثين ألفاً . فلَقوا الضَّحَّاك ، فقتل الضَّحَّاك ، وقتِل معه أشرافٌ من قيس ، فأقبل زُفَر هارِباً من وَجهِه ذاك حتى دخل قَرْقِيسيا ، وأقام عُمَير بنُ الحُباب شيئاً على طاعة بني مروان ، ثم أقبل حتى دخل قَرْقِيسيا على زُفر فأقام معه ، وذلك بعد يوم خازِر[1] حين قُتِل عُبيد الله بنُ زياد .

وأقبل زُفَر يبكي قَتلى المَرج ويقول[2] : [من الطويل]

---

1 خازر : نهر بين إربل والموصل يصب في دجلة .

2 الأبيات في الطبري (حوادث 64) .

لعَمْري لقــد أَبقَت وَقِيعةُ راهِطٍ   لِمــروان صَدْعــاً بيننــا مُتنائيا[1]
أَتذهــبُ كَلْبٌ لَــم تَنَلْها رِماحُنا   ويُترك قَتْــلى راهطٍ هــيَ ماهيا
فقد يَنْبُتُ المَرْعى على دِمَن الثَّرى   وتبقى حَــزازاتُ النُّفوس كما هِيا
أَبعدَ ابنِ صَقْرٍ وابنِ عَمـرو تتابعا   ومَصْرَعِ هَمَّـام أُمَنَّــى الأَمانِيا[2]

فقال ابن المِخْلاة الكلبيّ يجيبه[3] : [من الطويل]

لعَمْري لقــد أَبقَت وَقِيعَةُ راهطٍ   على زُفَــرٍ داءً مــن الــدَّاء باقِيا
تُبَكّــي على قَتْــلى سُلَيمٍ وعامــرٍ   وذُبيانَ مغروراً وتُبْكي البَواكِيا[4]

وقال ابن المِخْلاة في يوم المَرْج : [من الطويل]

ويومٍ تــرى الرّاياتِ فيــه كأَنّها   حوائــمُ طَيْرٍ مُسْتَديــرٌ وواقــعُ
مضى أَربــعٌ بعــد اللِّقــاءِ وأَربَعٌ   وبالمرجِ بــاقٍ من دم القَوم ناقِعُ
طعَنَّا زِياداً في استِه وهــو مُدْبِرٌ   وثَوْرٌ أَصابَتْــه السُّيوفُ القواطِعُ
ونَجَّى حُبَيْشاً مُلْهِبٌ ذُو عُلالَــةٍ   وقــد جُذَّ من يُمنى يدَيْهِ الأَصابعُ[5]
وقد شَهِد الصَّفَّين عمرُو بنُ مُحرِزٍ   فضاق عليــه المَرْجُ والمرجُ واسِعُ

وقال رجل من بني عُذْرة : [من الرجز]

سائِل بَنــي مَرْوان أَهــلَ العَجِّ   رَهْــطَ النَّبــيِّ ووُلاة الحَــجِّ[6]
عنّا وعن قَيْسٍ غَــداةَ المَرْجِ   إذ يُثْقِفُــون ثَقَفــاً بِنَــجِّ[7]
تَسْدِيسَ أَطْرافِ القَنا المُعوَجِّ   إذ أَخلَف الضَّحَّاكَ ما يُرَجِّي
مُذ تَركوا من بَعْد طول هَرْجِ   لَحمَ ابنِ قيسٍ للضِّباعِ العُرْجِ

وقال جَوَّاس بنُ القَعْطل الكلابيُّ في يوم المَرج : [من الوافر]

هُــمُ قَتلُــوا براهِطَ جدَّ قَيْس   سُلَيْما والقبائــلَ مــن كلابِ

1 الطبري : لحسان صدعاً .
2 الطبري : أبعد ابن عمر وابن معن تتابعا ومصرع همام أمنّــى الأمانيا
3 الطبري والمرزباني : الأبيات لجواس بن القعطل .
4 الطبري والمرزباني : معذوراً وتبكي .
5 الملهب : الفرس الشديد الجري المثير للغبار . والعلالة : الجرية الثانية للفرس . وجذّ : قطع .
6 العج : رفع الصوت .
7 يثقفون : يطعنون . والنج : سيل الجرح .

وهـم قَتَلُوا بَني بَـدْر وعَبْساً ... وأُلصِقَ حُرُّ وَجْهِك بالتُّرابِ
تَذكَّرتَ الذُّحول فلن تُقَضَّى ... ذحولُك أو تُساقَ إلى الحِسابِ[1]
إذا سارتْ قبائـلُ من جَناب ... وعوفٍ أشْحنوا شُمَّ الهضابِ[2]
وقـد حارَبْتَنا فوجَدْتَ حَرْباً ... تُغِصُّك حين تشرَب بالشَّرابِ

فأقبل عُمَير يخطِر ، فخرج من قَرْقيسيا يتطرَّف بوادي كلب ، فيُغِير عليها وعلى مَن أصاب من قضاعة وأهلِ اليَمن ، ويخصّ كَلْباً ومَعْشَر تَغْلب ، قبل أن تقع الحرب بين قَيْس وتَغْلِب ، فجعل أهلُ البادِيَة ينتصِفون من أهل القَرار[3] كلّهم . فلمّا رأتْ كلبٌ ما لَقي أصحابُهم ، وأنّهم لا يَمتنِعون من خَيْل الحاضرة ، اجتمعوا إلى حُمَيد بن حُرَيث بنِ بَحْدل ، فسار بهم حتى نزل تَدْمر ، وبه بنو نُمَير ، وقد كان بين النُّمَيْرِيِّين خاصة وبين الكلبيِّين الذين بتَدْمر عقدٌ مع ابن بَحْدل بن بعّاج الكلْبيّ . فأرسلت بنو نُمَيْر رُسُلاً إلى حُمَيد يناشِدُونه الحرمة ، فوثب عليهم ابن بعّاج الكلبيّ فذبَحَهم ، وأرسلوا إليهم : إنّا قد قَطَعنا الذي بيننا وبينكم ، فالْحقُوا بما يَسَعُكم من الأرض ، فالتقوا فقتِل ابن بعّاج وظُفِر بالنُّمَيْرِيِّين فقتِلوا قتلاً ذَريعاً وأُسِرُوا ، فقال راعي الإبل في قتل ابن بعَّاج ولم يذكُر غيرَه من الكلبيِّين[4] : [من الطويل]

تَجِيءُ ابنَ بَعَّاج نُسورٌ كأنَّها ... مجالِسُ تَبغي بيعةً عنـد تاجرِ
تُطِيـف بكَلْبِيٍّ عليـه جَدِيَّةٌ ... طويل القَرا يقذِفْنَه في الحَناجرِ[5]
يقولُ لـه مَنْ كان يَعْلَم عِلمَه ... كذاكَ انْتِقام للهِ من كُلِّ فاجرِ

وقـد كان زُفرُ بـن الحارِث لمَّا أغار عُمَير بنُ الحباب على الكَلبيِّين قال يُعيِّرهم بقولـه : [من الكامل]

يا كلبُ قد كَلِب الزَّمان عليكُمُ ... وأصابكم منِّـي عَـذابٌ مُرسلُ
إنّ السَّماوةَ لا سمـاوةَ فالْحقـي ... بمنابِت الزَّيتُـون وابنَـيْ بَحْدَلِ[6]
وبـأَرض عَـكٌ والسَّواحلِ إنّها ... أرضٌ تُـذَوَّب باللِّقـاحِ وتُهزَلُ

---

1 الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .
2 أشحنوا : ملأوا .
3 أهل القرار : الحضر .
4 ديوان الراعي النميري (ڤايبرت) : 131 .
5 الجدية : الدم الذي لزق بالجسد . والقرا : الظهر .
6 في البيت إقواء . وانظر أنساب الأشراف 5 : 308 . والسماوة : ماء لبني كلب بين الكوفة والشام .

[غارة مضادة على بوادي قيس]

فجمع لهم حُمَيْد بنُ الحُرَيث بن بَحْدل ، ثم خرج يُريد الغارة على بوادي قَيس ، فانْتهى إلى ماءٍ لبني تَغْلب ، فإذا النِّساء والصِّبيان يبكون ، فقالت لهم النساء ، وهن يحسبنهم قيساً : وَيْحَكم ، ما ردُّكُم إلينا ، فقد فعلتم بنا بأمسِ ما فعلتم ؟ فقالت لهم كلب : وما لكم ؟ قالوا أغار علينا بالأمس عُمَير بنُ الحباب ، فقتل رجالنا ، واستاق أموالَنا ، ولم يَشككن أنَّ الخيلَ خَيلُ قَيس وأنَّ عُميراً عاد إليهن . فقال بعضُ كلب لحُمَيد ، ما تريد نِسوة قد أُغِير عليهن وحُرِبن ، وصِبْية يتامى ، وتدَعُ عميراً . فاتَّبعوه ، فبينا هم يسيرون إذ أخذوا رجلاً ربيئةً للقوم[1] . فسألوه فقال لهم : هذا الجيش هاهنا والأموال ، وقد خرج عُمَيْر في فوارس يريد الغارة على أهلِ بيت من بني زُهَير بن جَناب ، أخبرَ عنهم مُخبِر . فأقام حُمَيْد حتى جَنَّ عليه اللَّيل ، ثم بَيَّت القومُ بياتاً . وقال حُمَيْد لأصحابِه : شِعارُكم : نحن عباد الله حقّاً . فأصابوا عامة ذلك العَسْكر ، ونجا فيمَن نجا رجلٌ عُرْيان قذف ثوبه وجلس على فرس عُرْيٍ ، فلمّا انتهى إلى عُمَير ، قال عُمَير : قد كنتُ أسمعُ بالنذير العُرْيان[2] فلم أرَه ، فهو هذا ، ويلك ما لَك ! قال : لا أدري غير أنّه لقينا قومٌ فقتلوا من قتلوا وأخذوا العَسْكر ، فقال : أفتعرفهم ؟ قال : لا . فقصد عُمَير القومَ وقال لأصحابه : إن كانت الأعاريبَ فسيُسارعُون إلينا إذا رأوْنا ، وإن كانت خُيولُ أهل الشام فستقِف . وأقبل عُمَير ، فقال حُمَيد لأصحابه : لا يتحرَّكَنَّ منكم أحدٌ ، وانصبُوا القَنا ، فحمَل عُمَيْر حملة لم تحرّكهم ، ثم حَمَل فلم يتحرَّكوا ، فنادى مراراً : ويْحَكم مَن أنتم ؟ فلم يتكلَّموا ، فنادى عُمَير أصحابه : ويلكم خيلُ بني بَحْدل والأَمانة ؛ وانصرف على حامِيَته ، فحَمَل عليه فوارِسُ من كَلْب يَطلُبونه ، ولَحِقه مولًى لكَلْب يقال له شقرون ، فاطَّعنا ، فجُرِح عُمَيْرٌ وهَرَب حتى دخل قَرْقِيسيا إلى زُفَر ، ورجع حُمَيد إلى مَن ظَفر به من الأسْرى والقَتْلى ، فقطع سِبالَهم[3] وأُنُفَهم ، فجعَلها في خَيط ، ثم ذهب بها إلى الشام ؛ وقال قائل : بل بعث بها إلى عُمَير وقال : كيف ترى ؟ أَوَقْعي أم وَقْعَك ؟ فقال في ذلك سِنانُ بن جابرِ الجُهَنيّ : [من الطويل]

لقد طار في الآفاقِ أنَّ ابنَ بَحْدلٍ حُمَيْداً شَفى كَلْباً فقرَّتْ عُيُونُها
وعرَّف قَيْساً بالهوانِ ولم تكُن لتَنْزِع إلاّ عند أمرٍ يُهينُها

1 ربيئة : كشاف متقدم .

2 المثل : «أنا النذير العريان» في مجمع الميداني 1 : 48 والفاخرة : 84 .

3 السبال : جمع سبلة ، وهي الدائرة على الشفة العليا ، وقيل ما على الشاربين من الشعر .

فقلتُ لـه : قَيسُ بنُ عَيْلان إنَّه | سريعٌ ، إذا ما عَضَّت الحربُ ، لِينُها
سما بالعِتاقِ الجُرْد من مَرْج راهطٍ | وتَدْمُرَ يَنوِي بَذْلَهـا لا يَصونُها
فكان لهـا عَـرضُ السَّماوةِ لَيْلَةً | سَواءٌ عليهـا سَهْلُهـا وحُزونُها
فمَنْ يَحْتَمِلُ في شأنِ كَلْبٍ ضَغينةً | علينا إذا ما حانَ في الحَرْبِ حِينُها
فإنَّا وكَلْباً كاليديـن متى تَضَعْ | شِمالك في شيءٍ تُعِنْهـا يَمِينُها
لقد تُرِكَتْ قَتْلى حُمَيدِ بنِ بَحْدلٍ | كثيراً ضواحِيهـا قليـلاً دَفِينُها
وقَيْسِيَّةٍ قـد طَلَّقتْهـا رِماحُنـا | تلفَّـتُ كالصَّيداءِ أُودى جَنينُها[1]

وقال سِنانٌ أيضاً في هذا الأمر بعد ما أوقعَ بِبني فَزارة : [من البسيط]

يـا أُختَ قَيْسٍ سَلي عنّا علانِيّةً | كي تُخبَري من بَيانِ العِلْمِ تِبْيانا
إنَّا ذَوُو حَسَبٍ مـالٍ ومَكْرُمَةٍ | يـومَ الفَخارِ وخَيْرُ النَّاسِ فُرْسانا
منّا ابنُ مُرَّة عَمْرٌو قد سَمِعْتِ به | غَيْثُ الأَرامِلِ لا يُردَينَ مـا كانا
والبَحْـدَليُّ الـذي أردت فوارِسُه | قيساً غَداةَ اللّوى من رمل عَدْنانا
فغـادرت حَلْبَساً منهـا بمُعْتَرَكٍ | والجعـدَ مُنعَفِراً لم يُكْسَ أكفانا
كائِن تَرَكْنا غداةَ العاهِ من جَزَرٍ | للطير منهـم ومن ثَكْلى وثَكلانا[2]
ومن غوانٍ تُبكِّـي لا حَميمَ لها | بالعاهِ تدعو بنـي عَـمٍّ وإخوانا

فلمّا انتهى الخبر إلى عبد المِلِك بن مروان ، وعبدُ الله ومُصعبٌ يومئذٍ حيّان ، وعند عبد الملك حسَّانُ بن مالِك بن بَحْدل وعبدُ الله بن مسعَدة بن حَكَم الفزاريّ ، وجيءَ بالطَّعام ، فقال عبدُ المَلِك لابن مَسْعَدة : ادْنُ ، فقال ابنُ مَسْعَدة : لا والله ، لقد أوقع حُمَيْد بسُلَيْم وعامِرٍ وقعة لا ينفعني بعدها طعامٌ حتى يكون لها غِيَرٌ . فقال له حَسَّان : أجزعْت أن كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطَّاعة والمَعْصِية ، فأَصَبْنا منكم يوم المرج ، وأغار أهلُ قَرْقيسيا بالحاضرة على البادية بغير ذنب ؟ فلمّا رأى حُمَيد ذلك طلب بثأر قومه ، فأصاب بعضَ ما أصابهم ، فجَزعت من ذلك . وبلغَ حُمَيْداً قولُ ابن مَسْعدة فقال : والله لأشْغلَنَّه بمَن هو أقرب إليه من سُلَيم وعامر .

[عويف القوافي يحزن لقتلى فزارة]

فخرج حُمَيْد في نحوٍ من مائتيّ فارِس ، ومعه رَجلان من كَلْب دليلان ، حتى انتهى إلى

---

1 الصيداء : المائلة العنق .

2 العاه : جبل بأرض فزارة . قال ياقوت : العاه هو الموضع الذي أوقع فيه حميد بن بحدل ببني فزارة .

بني فزارَة أُهلِ العمودِ لخَمْس عشرة مَضَت من شَهْر رمضان ، فقال : بعثني عبد الملك ابن مروان مُصدِّقاً : فابعثوا إلى كلّ مَنْ يُطيق أن يلقانا ، ففعلوا ، فَقَتلهم أو مَنِ استطاعَ منهم ، وأخذَ أموالَهم ، فبَلَغ قتلاهم نحواً من مائةٍ ونيِّف ، فقال عُوَيْف القوافي[1] : [من الطويل]

مَنا الله أن أَلقى حُمَيْد بنَ بَحْدل ... بمنزلة فيهـا إلى النّصفِ مُعْلَما[2]

لكيمـا نُعاطِيـه ونَبلـوَ بيننـا ... سُرَيْجيَّةً يُعجِمن في الهام مُعجما[3]

أَلا ليـت أَنّي صادفَتْني مَنِيَّتـي ... ولَم أَرَ قَتْـلى العامِ يـا أُمَّ أَسْلَما

ولَـم أَرَ قتلى لم تَدَع لي بعدَها ... يَدَيْن فما أُرجو من العيشِ أُجذَما

وأُقْسِم مـا لَيثٌ بخَفَّـان خادِرٌ ... بأَشجع من جَعْدٍ جَناناً ومُقدَما[4]

يعني الجَعْدَ بن عِمرانَ بن عُيَيْنة وقتِل يومئذٍ .

[أسماء بن خارجة يشكو حميداً]

فلمّا رجع عبدُ الملك من الكُوفة وقُتِل مُصعَب ، لحقه أَسماءُ بن خارِجة بالنُّخَيلة ، فكلَّمه فيمـا أتـى حُمَيْـد بـه إلى أهـلِ العمود من فَزارة ، وقـال : حدَّثنا أنّه مصدِّقك وعامِلك ، فأجبناك وبكَ عُذنا ، فعليك وفي ذمّتك ما على الحرِّ في ذِمَّتِه ، فأَقِدْنا من قضاعيٍّ سِكِّير . فأبى عبد الملِك وقال : أنظر في ذلك وأستشير . وحُمَيْد يَجْحد وليست لهم بيِّنة ؛ فودَاهم أَلفَ أَلفَ ومائتي ألف ، وقال : إنِّي حاسِبُها في أعطياتِ قُضاعة ، فقال في ذلك عَمْرُو بنُ مِخْلاة الكَلْبِيّ : [من الوافر]

صوت

خُذوها يـا بَني ذُبْيان عَقْـلا ... على الأُجيادِ واعتَقِدوا الخِداما[5]

دراهِمَ من بنـي مَرْوان بيضا ... يُنَجِّمهـا لكـم عامـا فعاما

وأَيقَـنَ أَنَّه يـومٌ طويـل ... على قَيْسٍ يُذِيقُهـمُ السِّماما

ومُخْتَبٍّ أَمـام القـومِ يَسْعى ... كسِرحانِ التَّنُوفَةِ حـين ساما[6]

1 شعره : 152 (عن الأغاني) .
2 منا الله : قدّر .
3 السريجية : نوع من السيوف .
4 من المثل : أشجع من ليث بخفان خادر .
5 اعتقد الشيء : عقده . الخدام : جمع خدمة ، وهي السير الغليظ يشد في رسغ البعير .
6 مختب : مسرع . والتنوفة : الأرض الواسعة أو الصحراء .

رأى شَخْصاً على بلَـدٍ بَعيدٍ فكبَّـر حـين أبصَـره وقاما
وأقبَـلَ يسأَلُ البُشْرى إلينـا فقـال : رأيتُ إنساً أو نعاما
وقال لخَيْلِـه سيري حُمَيْـد فإنَّ لكُـلٍّ ذي أَجَلٍ حِماما
فمـا لاقيتُ من سجح وبدر ومُـرَّة فاتركي حَطباً حُطاما
بكـلّ مُقلَّص عَبْـلٍ شَواه يَـدُقّ بوقْـع نابَيْـه اللِّجاما
وكلّ طِمِـرَّةٍ مَرَطـى سَبوحٍ إذا مـا شَدَّ فارسُها الحِزاما[1]
وقائِلَـةٍ على دَهَشٍ وحُـزْنٍ وقـد بَلَّـت مدامِعُها اللِّثاما
كأَنَّ بَنـي فَزارةَ لم يكونوا ولم يَرْعَـوْا بأَرْضِهِـم الثُّماما
ولَـم أَرَ حاضراً منهـم بِشاءٍ ولا مَـنْ يملِك النَّعَم الرُّكاما[2]

[انتقام فزارة]

قال : فلمّا أُخذوا الدِّيَة انطلقت فَزارةُ فاشترت خَيْلاً وسِلاحاً ، ثم استَتْبَعت سائرَ قبائل قيس ، ثم أغارت على ماءٍ يدعى بناتِ قَيْن ، يجمع بُطوناً من بُطون كَلب كثيرة وأكثرُ مَنْ عليه بنو عَبْدِ وُدٍّ وبنو عُلَيم بن جناب ، وعلى قَيس يومئذٍ سعِيد بن عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر ، وحَلْحَلَة بن قيس بن الأَشْيَم بن يسار أحدُ بني العُشَراء . فلمّا أغاروا نادَوا بني عُلَيم : إنّا لا نَطْلُبكم بشيء ، وإنّما نطلُب بني عَبْد وُدّ بما صَنَع الدَّليلان اللّذان حَمَلا حُمَيْداً ، وهما المأمورُ ورجُل آخر اسمُه أبو أيُّوب . فقُتِل من العَبْديّين تسعةَ عشر رجلاً ، ثم مالوا على العُلَيْمِيِّين فقتلوا منهم خمسين رجلاً ، وساقوا أموالاً .

[عبد الملك يعرض الدية]

فبلغ الخبرُ عبدَ الملك ، فأَمهَل حتى إذا وَلِيَ الحَجَّاجُ العِراقَ كتَب إليه يَبْعث إليه سَعِيدَ بن عُيَيْنة وحَلْحَلة بن قيس ومعهما نفر من الحرس . فلمّا قَدِم بهما عليه قذفهما في السِّجن وقال لِكَلْب : والله لئن قَتَلتم رجلاً لأُهَرِيقَنَّ دماءَكم . فقدِم عليه من بني عَبْدِ وُدّ عياضٌ ومُعاويةُ ابنا ورد ، ونُعمان بنُ سويد ، وكان سُوَيد أبوه ابن مالك يومئذٍ أشرفَ مَن قتِل يوم بنات قَيْن ، وكان شيخَ بني عَبْدِ وُدّ . فقال له النُّعمان : دماءنا يا أميرَ المؤمنين ! فقال له عبدُ الملك : إنّما قُتِل منكم الصَّبيُّ الصَّغيرُ والشيخُ الفاني . فقال النُّعمان : قُتِل منّا والله مَنْ لو كان أخاً لأبيك لاخْتِير عليك في الخِلافة . فغَضِب عبدُ الملك غضَباً شديداً ، فقال له معاويةُ وعياض : يا أمير

1 المرطى : الخفيف شعر الجسم .
2 النعم الركام : النعم الضخم .

المؤمنين ، شَيخ كَبير مَوْتور .

فأعرضَ عنه عبدُ الملك وعَرضَ الدِّيَة ، وجعل خالِدُ بنُ يزيد بن معاوية ومن وَلَدَتْه كلب يقولون : القَتْل ، ومَن كانت أُمُّه قَيْسِيَّة من بني أُمَيَّة يقولون : لا ، بلِ الدِّيَة كما فُعِل بالقوم ، حتى ارتفع الكلام بينهم بالمَقْصُورة . فأخرجَهم عبد الملك ودفع حَلْحَلة إلى بعض بني عَبْدِ وُدّ ، ودفع سَعِيدَ بنَ عُيينة إلى بعض بني عُلَيم ، وأقبل عليهما عبدُ الملك فقال : ألم تأتياني تستعدِياني فأعدَيتكما واعطيتكما الدِّيةَ ، ثم انطلقتما فأخفَرتما ذِمَّتي وصنَعْتما ما صنَعْتما . فكَلَّمه سعيد بكلام يستعْطِفه به ويُرققه ، فضرب حَلْحلة صَدْرَه وقال : أترى خضوعَك لابنِ الزَّرقاء نافعَك عنده ؟ فغَضِب عبدُ الملك وقال : اصبر حَلْحَلَة ، فقال له : أصبرُ من عَوْدٍ بجَنْبَيْه جُلَب[1] فقتِلا وشَقَّ ذلك على قَيْس ، وأعظَمه أهلُ البادِية منهم والحاضِرَة ، فقال في ذلك عليُّ بنُ الغدير الغَنَويّ : [من الوافر]

لِحَلْحَلَة القَتيــلِ ولابنِ بـدْر ... وأهــلِ دِمَشْقَ أَنْجِبــةٌ تَبِينُ
فَبَعْــد اليَــوْم أَيّامٌ طِــوالٌ ... وبعــد خمــودٍ فتْنَتِكم فُتونُ
وكلُّ صَنِيعـــةٍ رصدٌ ليــومٍ ... تحُــلّ بــه لصاحِبِها الرّبونُ
خليفــة أُمَّــةٍ قُسِرت عليــه ... تخمَّط واستخفَّ بمَنْ يدينُ[2]
فقــد أتيــا حُمَيْد ابــن المَنايا ... وكُــلُّ فَتًــى ستَشْعَبــه المَنُونُ

وقال رجل من بني عبد وُدّ : [من الطويل]

نحــن قتَلْنــا سَيِّدَيْهــم بشَيْخِنــا ... سُوَيدٍ فمــا كانــا وفاءً بــه دَما

وقال حَلْحَلُة وهو في السّجن : [من الطويل]

لعَمْري لئــن شَيْخا فَزارَة أُسلِما ... لقد خَزِيت قَيْسٌ وما ظَفِرت كَلْبُ

وقال أَرطاةُ بنُ سُهَيَّة يُحرِّض قَيْساً : [من الوافر]

أَيُقتَلُ شَيخُنا ويُــرى حُمَيْدٌ ... رَخِــيّ البالِ مُنْتَشِياً خُمورَا[3]
فإن دُمنــا بذاكَ وطالَ عُمْر ... بِنــا وبكمُ ولم نَسْمع نَكيرا
فناكَتْ أُمَّهــا قيسٌ جِهاراً ... وعَضَّت بعدَهــا مُضَرُ الأُيورا

---

1 المثل «أصبر من عود بدفيه (بجنبيه) جلب» في الدرة الفاخرة : 269 وجمهرة العسكري 1 : 587 ومجمع الميداني 1 : 408 ومستقصى الزمخشري 1 : 203 ، والجلب : جمع جلبة ، وهي القرحة عليها قشر البُرء .

2 تخمط : تكبر .

3 منتشياً في ل : مستبياً .

وقالت عميرة بِنت حَسَّان الكَلبيَّة تفخر بفِعل حُمَيد في قيس : [من الوافر]

سَمَت كلبٌ إلى قَيْسٍ بجَمْعٍ يَهُـدّ مناكِبَ الأكَم الصِّعاب
بذي لَجَبٍ يدُقُّ الأرضَ حتى تَضايق من دعا بِهَلا وهاب[1]
نَفَين إلى الجزيرة فَـلَّ قيْسٍ إلى بَـقٍّ بهـا وإلى ذُباب[2]
وألفَينا هَجِـينَ بنـي سُلَيْم يُفدِّي المُهرَ من حُبِّ الإيابِ
فلـولا عَـدْوة المُهْرِ المُفدّى لأُبْتَ وأنتَ مُنْخَرِقُ الإهابِ
ونَجّـاه حَثيثُ الرَّكْض منا أُصَيْلاناً ولَـونُ الوَجْه كابي
وآض كأنّـه يُطـلى بـوَرْسٍ وذاقَ هُـوِيَّ كاسِرةٍ عُقابِ
حَمِدت اللهَ إذ لَقّـى سُلَيْماً على دُهْمان صَقْرِ بَني جَنابِ
تركن الرُّوقَ من فَتَياتِ قَيْس أيامَى قد يَئِسن من الخِضاب[3]
فهُنَّ إذا ذَكَرنَ حُمَيْد كَلْبٍ نَعقْـنَ برَنَّـةٍ بعـد انْتِحابِ
متى تَذْكُر فتـى كَلْبٍ حُمَيْداً تَـرَ القَيْسيّ يشرَقُ بالشَّرابِ

[عويف يمدح عيينة بن أسماء]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيِّ ، عن عمِّه ، قال : أنشدني رجل من بني فزارة لعويف القوافي ، وهو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاريّ ، وكانت أخته عند عُيَيْنَة بن أسماء بن خارجة فطلّقها ، فكان عويف مُراغِماً لعيينة وقال : الحرّة لا تُطلّق بغير ما بأس ، فلمّا حَبَس الحجّاج عُيَيْنة وقيّده قال عُوَيف[4] : [من الكامل]

مَنَع الرُّقادَ ، فما يُحَسُّ رُقادُ ، خَبَرٌ أتـاك ونامـت العُـوَّادُ
خَبَرٌ أتـاني عن عُيَيْنة مُوجعٌ ولِمثْلـه تَتَصـدَّع الأكبادُ
بلـغ النفوسَ بلاؤهـا فكأنّنا مَوتى وفينا الرُّوحُ والأجسادُ
ساءَ الأقاربَ يوم ذاك فأصبَحوا بهجينَ قـد سُرّوا به الحُسَّادُ[5]

---

1 هلا زجر للخيل ، وهاب : زجر للإبل عند السوق .
2 بق : مدينة على الفرات . وذباب : جبل بالمدينة .
3 الروق : الجميلات .
4 شعره : 143–144 ، وانظر اختلاف الرواية في الحماسة (المرزوقي) : 262–264 .
5 هجين : موضع .

يرجون عَثْرة جَدِّنا ولو انّهم ... لا يدفعون بنـا المكارهَ بادُوا
لَـمّـا أتـاني عـن عُيَينة أنَّه ... عـانٍ تَظاهــرُ فوقـه الأقيادُ
نَخَلتْ له نَفْسي النَّصِيحَةَ إنّه ... عند الشَّدائِد تَذْهَب الأحْقادُ[1]
وذَكرتُ أيُّ فتًى يَسُدُّ مكانَه ... بالرِّفـدِ حـين تقاصرُ الأرفادُ
أم مَنْ يُهِينَ لنـا كَرائمَ مالِه ... ولنـا إذا عُدْنـا إليـه مَعادُ
لو كان من حَضَنٍ تَضاءَل رُكنُه ... أو من نَضادَ بكت عليه نَضادُ[2]

[يمدح عبد الرحمن بن مروان]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهلَّبيّ قال : حدَّثنا عُمرُ بنُ شَبَّة قال : قال العُتْبيّ، سأل عُوَيْف القوافي في حمالةٍ ، فمرَّ به عبدُ الرَّحمن بنُ محمد بن مروان وهو حديث السِّنّ ، فقال له : لا تسأل أحداً وصر إليَّ أكْفِك . فأتاه فاحتملها جَمْعاء له ، فقال عُوَيف يمدحه : [من الطويل]

غـلامٌ رمــاه اللهُ بالخيرِ يافِعاً ... لـه سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ على البَصَرْ
كأنَّ الثُّريّـا عُلِّقـت في جَبِينِه ... وفي خَدِّه الشِّعْرى وفي جيده القَمَرْ
ولّمـا رأى المجدَ استُعِيرت ثيابُه ... تَردَّى رِداءً واسعَ الذَّيلِ واتّزرْ
إذا قيلَت العَوراءُ أغْضى كأنّه ... ذَلِيلٌ بـلا ذُلٍّ ولو شاءَ لانْتَصَرْ[3]
رآني فآساني ولـو ضنَّ لم أُلُم ... على حينَ لا بادٍ يُرجَّى ولا حَضَرْ

قال أبو زيد : هذه الأبياتُ لابن عَنْقاء الفَزاريّ ، يقولها في ابن أخ له ، كان قوم من العرب أغاروا على نَعَم ابن عنقاء فاستاقُوها ، حتى لم يَبْقَ له منها شيءٌ ، فأتى ابنَ أخيه فقال له : يا ابنَ أخي ، إنّه قد نزل بعَمِّك ما ترى ، فهل من حَلُوبة ؟ قال : نعم يا عَمّ ، يرُوحُ المالُ وأبلُغ مُرادَك . فلمّا راح مالُه قاسَمَه إيّاه وأعطاه شطره ، فقال ابن عنقاء : [من الطويل]

رآني على ما بي عميلة فاشتكى ... إلى مالـه حالي أسرَّ كما جَهَرْ

وذكر بعد هذا البيت باقي الأبيات . قال أبو زيد : وإنّما تَمَثَّلها عُوَيْف .

[يرثي سليمان ويمدح عمر]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع ، والحَسَن بنُ عليّ قالا : حدَّثنا الغلابيّ ، قالا : حدَّثنا محمد بن عُبيد الله ، عن عطاء بن مُصْعَب ، عن عاصم بن الحَدَثان ، قال : لمّا مات

1 نخلت النصيحة : أخلصت .
2 حضن : جبل بأعلى نجد . ونضاد : جبل بالعالية .
3 ل : ولّى كأنّه .

سليمان بن عبد الملك ووَلِيَ عمرُ بنُ عبد العزيز الخِلافَة ، وفَد إليه عُوَيْف القوافي وقال شِعراً رَثى به سُليمان ومَدح عُمَر فيه ، فلمّا دخل إليه أنشدَه[1] : [من الرجز]

لاحَ سحابٌ فرأينا برقَهُ ثم تدانى فَسَمِعْنا صَعْقَهُ
وراحتِ الرِّيحُ تُزَجِّي بُلقَهُ ودُهْمَه ثم تُزَجِّي وُرْقَهُ[2]
ذاك سَقى قَبْراً فَرَوَّى وَدْقَهُ قبرَ امرىءٍ عَظَّم ربِّي حَقَّهُ
قبرَ سليمانَ الذي من عَقّهُ وجَحَد الخير الذي قد بَقَّهُ[3]
في المسلمين جِلّه ودِقّهُ فارق في الجحود مِنه صِدْقَهُ
قد ابتلى اللهُ بخيرٍ خلقَهُ أَلْقى إلى خير قريش وَسْقَهُ
يا عُمرَ الخَيْرِ المُلَقّى وَفْقَهُ سُمِّيت بالفاروق فافرُقْ فَرْقَهُ
وارزُق عِيالَ المُسْلِمِين رِزْقَهُ واقْصِد إلى الجُودِ ولا تَوَقَّهُ
بَحرُك عَذْبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ ربُّك فالمَحْرومِ مَنْ لم يُسْقَهُ[4]

فقال له عمر : لَسْنا من الشِّعر في شيء ، ومالَكَ في بيت المال حقٌّ . فأَلَحَّ عُوَيْف يسأَلُه فقال : يا مُزاحم ، انظُر فيما بقي من أرزاقنا فشاطِرْه إيّاه ، ولنَصْبر على الضِّيق إلى وقتِ العطاء . فقال له عبدُ الرَّحمن بنُ سليمان بن عبد الملك : بل تُوفِّر يا أمير المؤمنين وعليّ رِضا الرّجُل ، فقال : ما أولاكَ بذلك . فأخذ بيده وانْصَرَف به إلى منزله ، وأعطاهُ حتى رضي .

صوت

[من الكامل]

صَفراءُ يَطْويها الضَّجيعُ لصُلْبِها طيَّ الحِمالَةِ لَيِّنٌ مَتْناها
نِعْمَ الضَّجيعُ إذا النُّجوم تَغَوَّرت بالغَوْر أُولاهـا على أُخْراها
عَذْبٌ مُقبَّلُها وَثِيرٌ رِدْفُها عَبْلٌ شَواها طَيِّبٌ مَجْناها
يا دارَ صَهْباء التي لا أَنْتَهي عن حُبِّها أبداً ولا أَنْساها[5]

الشعر لعبدِ الله بن جَحْش الصعاليك ، والغناءُ فيه لعليّ بن هشام ثقيل أوّل بالوسطى من كتاب أحمد بن المكّيّ .

1 شعره : 148–150 .
2 البلق : كل لون يخالطه بياض . والأورق : لون بين الخضرة والسواد .
3 بقه : فرّق .
4 ما أعقه : قال المبرد : مقلوب ما أقعه ، أي ما جعله شديد الملوحة .
5 صهباء في ل : صفراء .

[405] ـ أخبار عبد الله بن جحش

[هيامه بصهباء]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : حدَّثني محمد بن يحيى أبو غسّان ، عن غسّان بن عبد الحميد قال : كان بالمدينة امرأةٌ يقال لها : صَهْباء من أحسن الناس وَجْهاً ، وكانت من هُذَيل ، فتزوَّجها ابنُ عمٍّ لها ، فمكث حيناً معها لا يَقدِر عليها من شدّة ارْتِتاقها ، فأبغضته وطالبته بالطلاق ، فطلَّقها . ثم أصابَ الناسَ مَطَرٌ شديدٌ في الخريف ، فسال العَقيقُ سَيْلاً عظيماً ، وخرج أهلُ المدينة ، وخرجَتْ صهباءُ معهم ، فصادفت عبد الله بن جَحش وأصحابَه في نُزهة ، فرآها وافْترقا .

ثم مضت إلى أَقصى الوادي فاستنقَعَت في الماء وقد تفرَّق الناس وخفُّوا ، فاجتاز بها ابنُ جَحْش فرآها فتَهالك عليها وهام بها . وكان بالمدينة امرأةٌ تَدُلّ على النِّساء يقال لها : قُطْنة ، كانت تداخِل القُرَشِيّات وغيرَهنّ ؛ فلَقِيَها ابن جحش فقال لها : اخْطُبي عَلَيَّ صهباء ، فقالت : قد خَطَبها عيسى بن طلحة بن عُبيد الله وأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه ؛ فشتمها ابن جَحْش وقال لها : كُلُّ مملوك له فهو حرٌّ ، لئن لم تحتالي فيها حتى أتزوَّجها لأضْربَنّك بالسيف ، وكان مِقداماً جَسُوراً ، ففَرِقت منه فدخلت على صهباء وأهلِها ، فتحدَّثت معهم ، ثم ذَكَرت ابنَ عَمِّها ، فقالت لعَمَّة صَهْباء : ما بالُه فارقها ، فأخبرتْها خبرَها ، وقالت : لم يقدِر عليها وعَجَز عنها . فقالت لها ، وأَسمَعت صَهْباء : إنّ هذا ليَعْتَري كثيراً من الرجال فلا ينبغي أن تتقدَّموا في أمرِها إلاّ على مَنْ تختَبرونه ، وأما والله لو كان ابنُ جحش لصَهباء لثقَبها ثقبَ اللُّؤلُؤ ولو رُتِقت بحَجَر ؛ ثم خرجت من عندهم ، فأَرسَلَت إليها صَهْباء : مُرِي ابنَ جَحْش فليَخْطُبني ، فلقِيَتْه قُطْنة فأخبرته الخبر . فمضى فخطبها ، فأَنْعَمَتْ له[1] ، وأبى أهلُها إلاّ عيسى بنَ طلحة ، وأَبَت هي إلاّ ابن جَحْش ، فتزوَّجته ودخلَ بها وافتضَّها ، وأَحبَّ كُلّ واحدْ منهما صاحبَه فقال فيها : [من الكامل]

نِعْمَ الضَّجيعُ إذا النُّجوم تَغوَّرت ... بالغَـوْرِ أُولاهـا عـلى أُخراها
عَـذْبٌ مُقبَّلُهـا وثيرٌ رِدْفُهـا ... عَبْـلٌ شَواهـا طَيِّـب مَجْناها

1 أنعمت له : قالت نعم .

صفراءُ يَطويها الضَّجيعُ لِجَنْبِها طَيَّ الحِمالَةِ لَيِّنٌ مَتْناها
لو يَسْتطيع ضجيعُها لأَجنَّها في الجَوْفِ حبّ نسيمِها ونشاها[1]
يا دار صَهباء التي لا أَنتَهي عن ذكرها أَبداً ولا أَنْساها

[عبد الملك يعجب بشعره]

أَخبرني حبيبُ بنُ نصر المُهلّبيّ، قال: حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سَعد قال: حدَّثني عبدُ الرَّحيم بن أحمد بنِ زيد بن الفرج قال: حدَّثني محمد بن عبد الله قال: كان عبد الملك بن مروان مُعجَباً بشِعر عبد الله بن جَحْش، فكتب إليه يأمُره بالقُدوم عليه، فورَد كِتابُه وقد تُوفِّي، فقال إخوانُه لابنه: لو شَخَصتَ إلى أمير المؤمنين عن إذنه لأبيك لعلَّه كان ينفعُك، ففعل. فبَيْنا هو في طريقِه إذ ضاع منه كِتابُ الإذنِ، فهَمَّ بالرّجوع، ثم مضى لوجهه. فلمّا قَدِم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبرَه بوفاتِه، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له: أنشِدني قول أبيك: [من المنسرح]

صوت

هل يُبلِغَنْها السلامَ أَربعةٌ مِنِّي وإن يَفعلوا فقد نَفَعُوا
على مِصَكّيْن من جِمالهمُ وعَنْتَريسَين فيهما سَطَعُ[2]
قَرَّب جيرانُنا جِمالَهمُ صُبحاً فأَضْحَوا بها قد انْتَجَعُوا
ما كنتُ أَدْري بِوَشْك بَيْنِهمُ حتى رأَيتُ الحُداةَ قد طَلَعوا
قد كادَ قَلْبي، والعينُ تُبصرهم لَمّا تَوَلَّى بالقوم، يَنْصدِعُ
ساروا وخُلِّفتُ بعدهم دَنِفاً أَليسَ بالله بِئْسَ ما صَنَعوا

قال: لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين ما أرويهِ، قال: لا عليكَ، فأنشدني قولَ أبيك: [من الوافر]

صوت

أَجدّ اليوم جيرتُك الغِيارا رَواحاً أَم أَرادوه ابتِكارا
بعينِك كان ذاك وإن يَبينوا يَزِدْك البَينُ صَدْعاً مُسْتَطارا
بَلى أَبقَت من الجيرانِ عندي أُناساً ما أُوافِقُهم كُثارا

---

1 النشا: نسيم الريح الطيبة.

2 المصك: القوي. والعنتريس: الناقة القوية الغليظة. والسطع: طول العنق.

ومــاذا كَثْرةُ الجِيرانِ تُغنــي إذا مــا بـان مَنْ أهوى فسارا

قال : لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين ، قال : ولا عليك ، فأنشدني قولَ أبيك : [من السريع]

دارٌ لصَهْباء التــي لا يَنثَني عن ذِكرها قلبي ولا أنساها
صفراءُ يطويها الضَّجيعُ لصُلْبها طَــيَّ الحمالــة لَيِّن مَتْناها
لــو يَستطيع ضَجيعُها لأجنّها في القلبِ شَهْوةَ ريحِها ونَشاها

قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، ما أرويه ، وإنّ صهباء هذه لأُمّي ، قال : ولا عليك ، قد يُبغِض الرجلُ أن يُشَبَّب بأُمِّه ، ولكن إذا نَسَب بها غيرُ أبيه ، فأفٍّ لك ! ورَحِم اللهُ أباك ، فقد ضَيَّعتَ أدبَه وعقَقْته ؛ إذ لم تَرْوِ شعرَه . اخرُجْ فلا شيء لك عندنا .

صوت[1]

[من الطويل]

أماطَــتْ كِساءَ الخزّ عن حُرِّ وَجْهها وأدنَــتْ على الخَدَّيــن بُرْداً مُهَلْهَلا
مِــن الــلاّء لم يَحجُجْنَ يَبْغِين حِسْبَةً ولكــن يُقَتِّلــن البــريءَ المُغَفَّــلا
رأتْني خَضيبَ الرّأسِ شمَّرتُ مِئزري وقــد عَهِدتْنــي أسوَدَ الرَّأسِ مُسبِــلا
خَطُوّاً إلى اللذّاتِ أجــرَرْتُ مِئْزَري كإجــرارِك الحَبْــلَ الجواد المُحَجَّلا[2]
صَريعَ الهَــوى لا يبرَحُ الحبُّ قائِدي بشَرّ فلم أعــدِل عــن الشَّرِّ مَعْدلا
لَدى الجَمْرة القُصْوى فرِيعَت وهَلَّلت ومَنْ رِيــعَ في حَــجٍّ من النّاس هَلَّلا

الشعر للعَرْجِيّ ، والغِناء لعبد الله بنِ العبّاس الرّبيعيّ ثقيل أوّل في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات . وهو من جيّد الغناء وفاخر الصنعة ، ويقال إنّه أوّل غناء صنعه . ولعزار المكِّيّ في الثالث وما بعده ثاني ثقيل ، عن يَحيى المكّيّ وغيره ، وفيه خفيف ثقيل يُنسَب إلى معبد وإلى ابن سُرَيج وإلى الغَريض ، وفيه لإبراهيم لَحْن من كتابه غير مجنّس ، وأنا ذاكر هاهنا أخباراً لهذا الشّعر من أخبار العَرْجيّ ؛ إذ كان أكثرُ أخبارِه قد مضى سوى هذه .

1 ديوان العرجي ، 74 .
2 ويروى حطوطاً إلى اللذات أجررت مقودي .

[406] ـ بعض أخبار للعرجيّ

[امرأة لم تحجّ حسبة]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال : حدَّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع ، عن المدائنيّ ، عن عبد الله بن سليم ، قال : قال عبيد الله بن عمر العمريّ : خرجت حاجّاً فرأيتُ امرأةً جميلة تتكلّم بكلامٍ رفَثَت فيه ، فأدنيْتُ ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أَمَةَ الله ، ألستِ حاجَّةً ! أما تخافين الله ، فسفَرت عن وَجْه يَبْهَر الشَّمسَ حُسناً ، ثم قالت : تأمَّلْ يا عمِّي ، فإنِّي مِمَّن عَنى العَرْجيّ بقوله : [من الطويل]

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكن لِيَقْتُلْنَ البريءَ المُغَفَّلا

قال : فقلتُ لها : فإنِّي أسألُ اللهَ ألاّ يعذِّب هذا الوجْه بالنَّار . قال : وبلغ ذلك سعيدَ بن المُسيّب فقال : أما واللهِ لو كان من بعض بُغَضاء أهلِ العِراق لقال لها : اعزُبي قبّحَك الله ، ولكنَّه ظَرْف عُبّاد الحِجاز .

وقد رُوِيت هذه الحكاية عن أَبي حازِم بن دينار .

أخبرني به وَكِيعٌ قال : حدَّثنا أَحمدُ بن زهير ، قال : حدَّثنا مُصعَبٌ الزُّبيريّ ، قال : حدَّثني عبدُ الرّحمن بن أبي الحسن وقد روى عنه ابنُ أبي ذئْب ، قال : بَيْنا أبو حازِم يَرمي الجمارَ إذا هو بامرأةٍ مُتَشَعْبِذة ، يعني حاسِرة ، فقال لها : أيَّتها المرأةُ استَتري ، فقالت : إنّي والله من اللّواتي قال فيهنّ الشاعِرُ قولَه : [من الطويل]

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكن لِيَقْتُلْنَ البَريءَ المُغَفَّلا
وترمي بعَيْنَيْها القُلوبَ ولا تَرى لها رَميةً لم تُصمِ منهنّ مَقْتَلا

فقال أبو حازم لأَصحابه : ادْعُوا اللهَ لهذه الصُّورة الحَسَنة أَلاّ يعذّبها بالنار .

وأَبو حازم هذا هو أَبو حازِم بن دِينار من وُجوه التّابعين ، قد رَوى عن سَهْل بن سَعْد وأَبي هُرَيرة ، وروى عنه مالِكٌ وابن أَبي ذئب ونظراؤُهما .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمريّ ، عن العُتبيّ ، عن الحَكَم بن صَخْر قال : انصرفتُ من مِنى فسَمِعت زَفْنا[1] من بعض المَحامِل ، ثم ترنّمت جارية فتَغَنَّت : [من الطويل]

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبغِينَ حِسْبةً ولكن ليَقْتُلنَ البرِيءَ المُغَفَّلا

فقلت لها : أهذا مكان هذا يَرحَمُك الله ! فقالت : نعم وإيّاك أن تكونَه .

1 زفن : رقص .

[407] ـ أخبار عبد الله بن العبّاس الربيعي[1]

[نسبه]

عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع ، والرّبيع ، على ما يدَّعيه أَهله ، ابن يونُس بن أَبي فَرْوة ، وقيل إنّه ليس ابنَه ، وآلُ أَبي فَرْوة يدفعون ذلك ويزعمون أنّه لقيط ، وُجد منبوذاً ، فكفِله يونُس بن أَبي فَروة وربّاه ، فلمّا خَدَم المنصور ادَّعى إليه ، وأخبارُه مذكورة مع أخبارِ ابنِه الفَضْل في شعر يُغنّى به من شِعْر الفضل وهو :

كنتُ صَبّاً وقَلْبيَ اليوم سالي

ويُكنى عبدُ الله بنُ العبّاس أبا العبّاس . وكان شاعِراً مطبوعاً ، ومُغنّياً مُحْسِناً جيِّدَ الصَّنعة نادرها ، حَسَن الرّواية ، حُلْو الشعر ظرِيفه ، ليس من الشّعر الجيِّد الجَزْل ولا من المَرْذول ، ولكنّه شِعْر مطبوع ظريف مليح المذهب ، من أشعار المُتْرفين وأولاد النّعم .

حدَّثني أَبو القاسم الشّيربابكيّ ، وكان نديماً لجَدِّي يحيى بن محمد ، عن يحيى بن حازم قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ العبَّاس الربيعيّ قال : دخل محمدُ بن عبد الملك الزيّات على الواثِق وأنا بين يديه أُغنّيه ، وقد استعادَني صوتاً فاستحسَنه ، فقال له محمدُ بن عبد الملك : هذا واللهِ يا أمير المؤمنين أَولى النّاس بإقبالِك عليه واستِحْسانك له واصطناعك إيّاه ؛ فقال : أجل ، هذا مولاي وابن مولاي وابن مواليّ لا يعرفون غير ذلك ؛ فقال له : ليس كلُّ مَوْلًى ، يا أمير المؤمنين ، بوليٍّ لمواليه ، ولا كُلُّ مولًى متجمِّل بولائِه ، يجمع ما جمع عبدُ الله من ظَرْف وأدب وصِحّة عَقْل وجَوْدة شِعْر ؛ فقال له : صدقتَ يا محمد . فلمّا كان من الغَدِ جِئتُ محمد بن عبد الملك شاكِراً لَمحْضَره ؛ فقلت له في أضعاف كلامي : وأفرَط الوزير ، أعزه الله ، في وصْفي وتقريظي بكُلّ شيءٍ حتى وصَفني بجَوْدة الشِّعْر وليس ذلك عندي ، وإنّما أعبَثُ بالبيتين والثلاثة ، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصِفه الوزير ، ومحلُّه في هذا البابِ المحلُّ الرفيعُ المَشهورُ ؛ فقال : واللهِ يا أخي ، لو عرفْتَ مقدارَ شِعْرِك وقولِك : [من المجتث]

يـا شادِناً رام إذ مَـرّ ... في السَّعانــين قَتْــلي
يقول لي : كَيْفَ أُصْبَحـ ... ـت كيـف يُصبِحُ مِثْلي

لَما قلتَ هذا القول . والله لو لم يَكُن لك شِعر في عُمْرِك كلّه إلاّ قولك : «كيف يُصبح مِثْلي» لكنتَ شاعراً مُجيداً .

1 ترجمة عبد الله بن العبّاس الربيعي في تاريخ بغداد 10 : 36 والوافي بالوفيات 17 : 235–236 .

حدَّثني جَحْظَة قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ الطَّيِّب قال : حدَّثني حَمَّادُ بنُ إسحاق قال : سمِعتُ عبدَ الله بن العبَّاس الرَّبيعيّ يقول : أنا أوّلُ من غنَّى بالكَنْكَلَة[1] في الإسلام ووضَعْتُ هذا الصوتَ عليها[2] : [من المتقارب]

أَتاني يُـؤامِرُني في الصَّبو ح ِ ليلاً فقلتُ له : غادِها

[سبب دخوله في الغناء]

حدَّثني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثنا عليٌّ بن يحيى المنجّم ، قال : حدَّثني عبد الله بن العبّاس الربيعيُّ قال : كان سبب دخولي في الغناء وتعلُّمي إيّاه أنّي كنتُ أهوى جاريةً لعمَّتي رُقيّة بنتِ الفَضْل بن الرَّبيع ، فكنتُ لا أقدِر على ملازمتها والجُلوسِ معها خوفاً من أن يظهر ما لها عندي فيكون ذلك سببَ مَنعي منها ؛ فأظهرتُ لعمَّتي أنّني أشتهي أن أتعلَّم الغناءَ ويكون ذلك في سِتر عن جدِّي ، وكان جدِّي وعمَّتي في حالٍ من الرِّقَّة عليَّ والمحبَّة لي لا نهايةَ وراءها ، لأنَّ أبي توفِّي في حياة جَدِّي الفَضْل ، فقالت : يا بُنَيَّ ، وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شَهْوة غلبت على قلبي إن مُنعْتُ منها مُتُّ غمّاً ، وكان لي في الغناء طبْعٌ قويّ ، فقال لي : أنتَ أعلمُ وما تختاره ، والله ما أُحِبّ منعَك من شيء ، وإنّي لكارهة أن تَحْذِق ذلك وتُشهَر به فتسقط ويفتضِح أبوك وجدُّك ؛ فقلت : لا تخافي ذلك ، فإنّما آخُذُ منه مِقْدارَ ما أَلْهو به ، ولازَمْتُ الجارية لمحبَّتي إيّاها بعِلَّة الغِناء . فكنتُ آخُذُ عنها وعن صواحباتِها حتى تقدَّمْتُ الجماعة حِذْقاً ، وأَقررْنَ لي بذلك ، وبلغْتُ ما كنتُ أُريد من أمرِ الجارية ، وصِرْت أُلازِم مجلسَ جدِّي ، فكان يُسَرُّ بذلك ويظنّه تقرُّباً منّي إليه ، وإنّما كان وَكْدي[3] فيه أَخْذَ الغناء ، فلم يكن يمرُّ لإسحاق ولا لابنِ جامع ولا للزبير بن دُحْمان ولا لغيرهم صوتٌ إلاّ أخذته ، فكنت سريعَ الأخذِ ، وإنّما كنتُ أسمعه مرّتين أو ثلاثاً ، وقد صحَّ لي وأحسَسْت من نفسي قوَّةً في الصِّناعة ، فصنعت أوّلَ صوت صنعته في شِعر العَرْجيّ : [من الطويل]

أَماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها وأَدنَت على الخدَّين بُرْداً مُهَلْهَلا

ثم صنعت في : [من المنسرح]

أَقْفَـر مـن بَعْد خُلَّةٍ سَرِفُ فالمُنحَنى فالعَقِيقُ فالجُرْفُ[4]

وعَرضْتُهما على الجارية التي كنت أهواها وسألتُها عمّا عندها فيهما ، فقالت : لا يجوزُ أن

---

1 الكنكلة : آلة عزف هندية ذات وتر واحد .

2 البيت للأعشى في ديوانه (صادر) : 58 . وفيه «يؤامرني في الشمول» .

3 وكدي : قصدي .

4 سرف والمنحنى والعقيق والجرف : أسماء مواضع .

يكونَ في الصَّنْعةِ شيءٌ فوق هذا ، وكان جَوارِي الحارثِ بن بُسْخُنر وجواري ابنِه محمد يدخُلْنَ إلى دارنا فيَطْرَحْنَ على جواري عَمَّتي وجواري جدِّي ويأْخذنَ أيضاً منِّي ما ليس عندهنّ من غناء دارنا . فسمِعنني أُلقي هذين الصَّوْتين على الجارية ، فأخذنهما منِّي وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتهنَّ أنّـهما من صنعتي ، فسألنها أن تصحِّحَهما لهنّ ، ففعلتْ فأخذنَـهما عنها ، ثم اشتهر حتى غُنِّي الرَّشيدُ بهما يوماً ، فاستظرفهما وسأل إسحاق : هل تَعْرفهما ؟ فقال : لا ، وإنّهما لَمِن حسن الصَّنْعة وجيِّدها ومُتْقَنها ، ثم سأل الجاريةَ عنهما فتوقَّفَت خوفاً من عمَّتي وحذَراً أن يبلُغ جدِّي أنّـها ذكرتْني ، فانتهرَها الرشيد ، فأخبرته بالقصّة . فوجَّه من وقته فدعا بجدِّي ، فلمّا أحضره قال له : يا فضل ، يكونُ لك ابنٌ يغنِّي ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكِنه معه أن يصنع صوتَيْن يستَحْسنهما إسحاقُ وسائر المُغنِّين ويتداوَلهما جواري القِيان ولا تعلِمُني بذلك ؟ كأنّك رفعتَ قدرَه عن خِدمَتي في هذا الشأن ! فقال له جدِّي : وحقّ ولائِكَ يا أميرَ المؤمنين ونعمَتِك ، وإلاّ فأنا نفيٌّ منهما بريء من بَيْعتك وعليّ العهد والمِيثاق والعِتْق والطّلاقِ ، إن كنتُ عَلِمْتُ بشيء من هذا قطّ إلاّ منك السَّاعة ، فمَن هذا مِنْ ولدي ؟ قال : عبدُ الله بن العبّاس هو ، فأحضِرْنيه السَّاعة . فجاءَ جدِّي وهو يكاد أن ينْشَقّ غيظاً ، فدَعاني ، فلمّا خرجتُ إليه شتمني وقال : يا كَلْب ، بلَغ من أمرِك ومِقدارِك أن تَجْسُر على أن تتعلَّم الغناء بغيرِ إذني ، ثم زاد ذلك حتى صَنَعتَ ، ولم تقنع بهذا حتى أَلقيتَ صَنْعتك على الجواري في داري ، ثـم تجاوزتهـن إلى جَواري الحارث بن بُسْخُنّر ، فاشتهرْتَ وبلغ أمرُك أميرَ المؤمنين ، فتنكَّر لي ولامَني وفضحْتَ آباءَك في قُبورِهم ، وسقَطتَ الأبدَ إلاّ من المغنّين وطبقة الخُنْياكرين[1] فبكَيتُ غمّاً بما جرى ، وعَلِمتُ أنّه قد صَدَق . فرحِمني وضمَّني إليه وقال : قد صارَت الآن مُصيبَتي في أبيك مصيبَتين : إحداهُما به وقد مضى وفات ، والأُخرى بك وهي موصولة بحياتي ، ومصيبة باقيةُ العارِ عليَّ وعلى أهلي بعدي . وبكى وقال : عزَّ عليَّ يا بنيّ أن أراك أبداً ما بقيت على غير ما أُحِبّ ، وليست لي في هذا الأمر حيلَة ، لأنّه أمرٌ قد خرج عن يدي ؛ ثم قال : جِئْني بعُودٍ حتى أسمعك وأنظُر كيف أنـت ، فإن كنتَ تصلُح للخِدْمة في هذه الفَضيحة ، وإلاّ جئته بك منفرداً وعرَّفته خبرَك واستعفيته لك . فأتيتُه بعُودٍ وغنَّيته غناءً قديماً ، فقال : لا ، بل غَنِّ صوتَيْك اللذين صنَعتَهما ، فغنَّيْتُه إيّاهما فاستَحْسَنَهما وبكى ، ثم قال : بَطَلْتَ والله يا بُنيّ وخاب أملي فيك ، فواحَزَني عليـك وعلى أبيك ! فقلت لـه : يـا سيِّدي ، ليتني مِتّ من قبل ما أنكرته أو خَرِسْتُ ، وما لي حِيلَة ولكنِّي وحياتِك يا سيِّدي ، وإلاّ فَعَليَّ عهدُ الله وميثاقه والعِتْق والطّلاقُ وكلّ يمين

---

1 الخنياكرين : المطربين والموسيقيِّين .

يَحْلِف بها حالِف لازِمةُ لي ، لا غنَّيتُ أبداً إلاّ لخَلِيفة أو وَليّ عَهْد . فقال : قد أحسَنْتَ فيما نَبَّهت عليه من هذا .

[أطرب الرشيد فأجزل مكافأته]

ثم رَكِبَ وأمرني ، فأُحضِرتُ فوقَفت بين يَدَيّ الرشيد وأنا أُرعَد فاستَدْناني حتى صِرت أقربَ الجماعة إليه ومازحني وأقْبل عليَّ وسَكَّن منّي ، وأمَر جدّي بالانصراف وأمَر الجَماعة فحدَّثوني ، وسُقِيتُ أقداحاً وغنَّى المغنّون جميعاً ، فأومأ إليَّ إسحاقُ الموصليُّ بعَيْنِه أن ابدأْ فغَنِّ إذ بلَغت النَّوبةُ إليك قبل أن تُؤْمَر بذلك ، ليكونَ ذلك أصلَح[1] وأجوَد بك . فلمّا جاءت النَّوبةُ إليَّ أخذتُ عُوداً مِمّن كان إلى جنبي وقمتُ قائماً واستأذَنْتُ في الغناء . فضَحِك الرشيد وقال : غَنِّ جالِساً ، فجلَسْتُ وغنَّيت لحني الأوّل فطرب واستعاده ثلاثَ مرّات ، وشرب عليه ثلاثةَ أنصاف ، ثم غنَّيتُ الثاني ، فكانت هذه حاله ؛ وسَكِر ، فدَعا بمَسْرُور فقال له : احمِل الساعةَ مع عبد الله عشرة آلافِ دينار وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابي ، وعَيْبةً مملوءة طِيباً ، فحُمِل ذلك أجمَع معي .

[المعتصم يأمره بالغناء للجميع وتكفير يمينه]

قال عبدُ الله ، ولم أَزَل كُلّما أَراد وليُّ عهد أن يَعلم مَن الخليفة بعد الخليفة الوالي أَهُو أم غيره دعاني فأمرني بأن أُغنّي ، فأعرّفه بيميني ، فيَسْتأذِن الخليفةَ في ذلك ، فإن أذن لي في الغناء عنده عرف أنّه وَلِيُّ عَهْد ، وإلاّ عرَف أنّه غيرُه حتى كان آخرهم الواثق ، فدَعاني في أيّام المُعتَصِم وسأله أن يأذَن لي في الغناء ، فأذِن لي ، ثم دعاني من الغَدِ فقال : ما كان غناؤك إلاّ سبباً لظهورِ سِرّي وسِرّ الخلفاء قَبْلي ، ولقد هَمَمْتُ أن آمرَ بضَرْب رَقبَتك . لا يبلُغني أنّك امتَنَعْتَ من الغناء عند أحد ، فوالله لئن بَلَغني لأقتُلنَّك ، فأعتِقْ مَنْ كنتَ تملِكه يوم حَلفْت ، وطَلِق مَنْ كان يوجد عندك من الحرائر ، واستبدِل بهنّ ، وعليَّ العِوَض من ذلك ، وأرِحْنا من يمينك هذه المشئومة . فقمتُ وأنا لا أعقِل خوفاً[2] منه ، فأعتَقْتُ جميعَ مَنْ كان بقي عندي من مماليكي الذين حَلفتُ يومئذٍ وهو في مِلكي ، وتصدَّقت بجُملة ، واستفتَيْت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خرجت منها ، وغنّيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى اشتهر أمْري ، وبلغ المُعتَصِم خبري ، فتخلَّصت منه ، ثم غَضِب عليَّ الواثقُ لشيءٍ أنكَره ، ووَلِيَ الخلافةَ وهو ساخِطٌ عليَّ فكتبتُ إليه : [من الكامل]

---

1 ل : أملح .

2 ل : جزعاً .

اذْكُـرْ أَميرَ المؤمنين وسائلي ... أَيّامَ أَرهَـبُ سَطْوَةَ السَّيْفِ
أَدعُـو إلهَـي أَن أَراكَ خليفَةً ... بـينَ المقامِ ومسجدِ الخَيْفِ

فدَعاني ورضي عنّي .

[أبوه يغتاظ لشربه دون غناء]

نسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ بخطّه : حدَّثني سليمان بن أبي شيخ قال : دخلتُ على العبَّاس بن الفَضل بن الربيع ذات يوم وهو مُختَلِط مُغْتاظ وابنه عبدُ الله عنده ، فقلت له : مالك أمتع اللهُ بِك ؟ قال : لا يُفلِح والله ابني عبدُ الله أبداً . فظَنَنْتُه قد جَنى جِناية ، وجَعَلت أعتَذِر إليه له . فقال : ذنبُه أعظَم من ذلك وأشنَع ، فقلت : وما ذَنْبه ؟ قال : جاءَني بعضُ غلماني فحدَّثني أنّه رآه بقُطْرُبُّل يشرب نبيذَ الدّاذيّ[1] بغير غِناء ، فهل هذا فِعْل من يُفلِح ؟ فقلت له وأنا أضحك : سهَّلتَ عليَّ القصَّة ، قال : لا تَقُل ذاك فإنَّ هذا من ضَعَةِ النّفس وسُقُوط الهِمَّة . فكنتُ إذا رأيتُ عبدَ الله بعد ذلك في جُمْلة المُغنِّين . وشاهدتُ تبذُّلَه في هذه الحال وانخفاضَه عن مراتِب أهلِه تذكَّرتُ قولَ أبيه فيه .

قال : وسمِعْتُه يوماً يغنّي بصَنْعتِه في شِعْر أَبي العتاهية[2] : [من الخفيف]

صوت

أَنـا عبدٌ لهـا مُقِرٌّ ومـا يَمْـ ... ـلِك لي غيرُها من النَّاسِ رِقّا
ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنتُ ما أُر ... زق منهـا والحمـدُ للهِ عِتْقا
ليتَني مُـتُّ فاستَرَحْتُ فإنّي ... أَبـداً مـا حَيِيتُ منها مُلقَّى

لحن عبدِ الله بنِ العبّاس في هذا الشعر رمل .

[إسحاق يصنع له لحناً وهو طفل]

أَخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني عليُّ بنُ يحيى وأَحمدُ بن حَمدون ، عن أَبيه ؛ وأَخبرني جَحْظة عن أبي عبد الله الهاشميّ ، أَنّ إسحاقَ المَوْصليّ دخل يوماً إلى الفضل بن الربيع وابن ابنه عبدُ الله بنُ العَبَّاس في حِجره قد أخرِج إليه وله نحو السَّنَتَين ، وأبوه العبَّاس واقف بين يديه ، فقال إسحاقُ للوقت : [من الرجز]

مَـدّ لـك اللهُ الحيـاةَ مَدّا ... حتى يكونَ ابنُكَ هـذا جَدَّا
مـؤَزَّراً بمَجْـدِهِ مُـردّى ... ثـم يُفـدّى مثلَ مـا تُفدّى

1 الداذي : شراب الفساق .
2 ديوان أَبي العتاهية : 584 .

أَشْبَـه منـك سُنَّـةً وخَـدّا وشِيَمـاً محمـودةً ومَجْـدا[1]
كأنَّـه أنـتَ إذا تَبَدّى

قال : فاستَحْسن الفَضلُ الأبيات وصنع فيها إسحاقُ لحنَه المشهور ، وقال جَحْظة في خبره عن الهاشميّ ، وهو رمل ظريف من حسَن الأرمال ومُخْتارها ، فأمر له الفَضلُ بثلاثين ألف دِرهم .

[الشعر والشراب ينشطان العباس بن الفضل]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثني عبد الله بن عمر قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالِك ، قال : حدَّثني بعضُ ندَماء الفضل بن الربيع قال : كنّا عند الفضل بن الربيع في يوم دَجْن ، والسماءُ ترُشّ[2] وهو أحسنُ يوم وأطيَبُه ، وكان العبّاس يومئذٍ قد أصبَح مَهموماً . فجهِدنا أن ينشَط ، فلم تكُن لنا في ذلك حِيلَة ، فبيْنا نحن كذلك إذ دخل عليه بعضُ الشعراء ، إمّـا الـرُّقاشيّ وإمّا غيرُه من طَبَقته ، فسلَّم وأخذ بِعضادتي الباب ثم قال : [من الطويل]

أَلا انْعِم صَباحاً يا أَبا الفَضْل وارْبَعِ على مربـع القُطربُّـليّ المُشَعْشِعِ
وعلِّـل نَدامــاك العِطاشَ بقَهْوةٍ لها مصرعٌ في القَـوْمِ غيرُ مروَّعِ
فإنّـك لاقٍ كُلَّما شِئتَ لَيْلَـةً ويومـاً يُغِصّان الجفـونَ بأَدْمُعِ

قال : فبَكى العبّاس وقال : صدَقتَ واللهِ ، إنّ الإنسان ليَلْقى ذلك متى يشاء ، ثم دَعا بالطّعام فأَكل ، ثم دَعا بالشّراب فشَرِب ونَشِط ، ومرَّ لنا يومٌ حَسَنٌ طيِّب .

[يوسط ابن المرزبان عند المنتصر]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بن المرزبان ، قال : جاءَني عبدُ الله بن العبَّاس في خِلافةِ المُنْتَصر وقد سألني عَرْضَ رقعَة عليه ، فأُعلِم أنّي نائمٌ ، وقد كنتُ شربت بالليل شُرْباً كثيراً ، فصَلَّيتُ الغَداةَ ونمت ، فلمّا انتبَهتُ إذا رُقعَة عند رأسي وفيها مكتوب : [من الخفيف]

أَنا بالبابِ واقفٌ مُنْذ أُصبَحْـ ـتُ على السّرج مُمْسِكٌ بعِناني
وبعين البوّابِ كُلُّ الذي بـي ويَـراني كأنّـه لا يَـراني

فأَمرتُ بإدخاله ، فدَخَل ؛ فعرّفتُه خبري واعتذرتُ إليه وعرضْتُ رقعتَه على المُنتَصِر وكلَّمته حتى قضى حاجَتَه .

1 السنة : من معانيها الوجه أو الجبهة والجبينان .
2 ل : تبنش .

[يقترح صوتاً على إسحاق]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أَبي الأَزهر قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق قال : دعا عبدُ الله بن العبّاس الربيعيُّ يوماً أبي ، وسأله أن يُبْكِر إليه فَفَعل ، فلمّا دخَل بادر إليه عبدُ الله بن العبّاس مُلتَقياً وفي يده العُود وغنّاه : [من الكامل]

قُم نَصْطَبِح يَفدِيك كُلُّ مُبَخَّلٍ ... عاب الصَّبوحَ لِحُبِّه لِلمالِ
من قَهْوَةٍ صَفراءَ صِرْفٍ مُزّةٍ ... قد عُتِّقَت في الدَّنِّ مُذْ أَحوالِ

قال : وقُدِّم الطّعامُ فأكَلْنا واصطَبَحنا ، واقترح أبي هذا الصوتَ عليه بقيّة يومه .

[هو وإسحاق يتناشدان الشعر]

قال : وأَتيتُه في دارِه بالمَطِيرة[1] عائداً ، فوجدتُه في عافية ، فجلسنا نتحدّثُ فأَنشدْتُه لذي الرُّمَّة[2] : [من الطويل]

إذا ما امرؤٌ حاولْنَ أن يَقْتَتِلْنَه ... بلا إحْنَةٍ بين النّفوس ولا ذَحْلِ
تبسَّمْنَ عن نَوْر الأَقاحيّ في الثَّرى ... وفَتَّرن عن أَبصار مَكْحُولَةٍ نُجْلِ[3]
وكَشَّفْن عن أَجياد غِزْلان رَمْلَةٍ ... هِجانٍ فكان القَتْلَ أَو شَبَهُ القَتْلِ[4]
وإنّا لنَرضَى حين نَشْكُو بخَلْوةٍ ... إليهنّ حاجاتِ النُّفُوسِ بلا بَذْلِ
وما الفَقْرُ أَزرى عندهنَّ بوصْلِنا ... ولكن جَرَت أَخلاقُهنّ على البُخْلِ

قال : فأَنشدَني هو : [من الكامل]

أَنّى اهتَدَتْ لُمناخِنا جُمْلُ ... ومن الكرى لعُيونِنا كُحْلُ
طرقَتْ أَخا سَفَرٍ وناجِيةً ... خَرْقاء عرَّفني بها الرّحلُ[5]
في مَهْمَهٍ هَجَع الدّليلُ به ... وتَعَلَّلَتْ بصَرِيفها البزْلُ[6]
فكأَنَّ أَحدثَ مَنْ أَلَمَّ به ... دَرجَت على آثارِه النَّملُ

قال إسحاق : فقال لي عبد الله بن العبّاس : كلُّ ما يَمْلك في سبيل الله إن فارقتُك ولم نَصْطَبِح على هذين الشّعرين ، وأَنْشدك وتنشدني ، ففعَلْنا ذلك وما غنَّينا ولا غُنِّينا .

1 المطيرة : قرية من نواحي سامراء كانت منتزهاً .
2 ديوان ذي الرمّة : 487 .
3 مكحولة في الديوان : مضروجة ، وهي مشقوقة واسعة ، يعني العيون .
4 الديوان : وشففن عن .
5 الناجية : الناقة السريعة . ويروى : عرّق نيّها الرحل .
6 الصريف : صوت ناب البعير .

[صبوح على لواط وزنا]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال : لقيتُ عبدَ الله بنَ العَبَّاس يوماً في الطّريق فقلتُ له : ما كان خبرك أمس ؟ فقال : اصطبحتُ ، فقلت : على ماذا ومع مَنْ ؟ فقال : مع خادم صالحِ بنِ عُجَيْف ، وأنتَ به عارِف ، وبخبري معه ومحبَّتي له عالِم ، فاصطبَحنا على زِنا بنت الخسِّ لّما حَمَلتْ من زِنا ، وقد سُئِلت : ممَّن حَمَلت . فقالت : [من الطويل]

أشمُّ كغُصْن البـان جَعْدٌ مرجّلٌ　　شُغِفْتُ بـه لـو كان شَيْئاً مُدانيا
ثَكِلتُ أَبي إن كُنتُ ذُقْتُ كَرِيقِهِ　　سُلافاً ولا عَذْباً من الماءِ صافِيا[1]
وأُقسِم لـو خُيِّرتُ بـين فِراقِه　　وبـينَ أَبي لاخْتَرْتُ أَن لا أَبا لِيا
فإن لم أُوسِّد ساعِدي بَعْد هَجْعَةٍ　　غُلامـاً هلالِيّـاً فشَلَّـت بَنانِيا

فقلت له : أقمتَ على لِواطٍ وشربتَ على زِنا ، والله ما سَبَقَك إلى هذا أحد .

[فائز غلام محمد بن راشد]

أخبرني محمد بنُ العبَّاس اليزيديّ قال : أَخبرني مَيمُون بنُ هارون قال : كان محمد بن راشد الخنّاق عند عبد الله بن العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع على القاطُول في أيّام المُعْتَصِم ، وكان لمحمد بن راشِد غُلامٌ يقال له : فائز ، يُغنّي غناءً حسناً ، فأظلَّتْهم سحابةٌ وهم يشربون ، فقال عبدُ الله بن العبّاس : [من الطويل]

محمـدُ قـد جـادتْ علينا بمائِها　　سحابــةُ مُـزْنٍ بَرقُهـا يتهلَّلُ
ونحن مـن القاطُـولِ في مُتَربَّعٍ　　ومنزلُنـا فيــه المَنابِـتُ مُبقِلُ
فمُر فائِزاً يشدُو إذا مـا سَقَيْتَني　　أعن ظُعُن الحَيّ الأُلى كُنتَ تَسأَلُ
ولا تَسْقني إلاّ حـلالاً فإنّنــي　　أَعافُ مـن الأَشياء مـا لا يُحَلَّلُ

قال : فأمر محمدُ بن راشدٍ غلامَه فائزاً فغنّاه بهذا الصوت ، وشَرِب عليه حتى سَكِر .

قال : وكان أبو أحمد بن الرَّشيد قد عَشِق فائزاً ، فاشتراه من محمد بن راشِد بثلاثمائة ألف درهم ، فبلغ ذلك المأمونَ ، فأمَر بأن يُضْرب محمد بن راشد ألف سَوْطٍ ، ثم سُئِل فيه فكَفَّ عنه ، وارتجعَ منه نِصْفَ المال ، وطالَبه بأكثرَ فوجدَه قد أنْفَقَه وقَضى دَيْنَه ، ثم حَجَر على أبي أحمد بن الرَّشيد ، فلم يَزَل مَحجُوراً عليه طوال أيّام المأمون ؛ وكان أمرُ مالِه مردوداً إلى مَخْلد بن أبان .

[يشرب الخمر في رمضان إلى الفجر]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : أَخبرني ابن

1 ل : ولا ماءً من المزن صافيا .

الجرجرائيّ قال : اتَّفق يوم النيروز في شهر رمضان ، فشرِب عبدُ الله بن العبَّاس بن الفَضْل في تلك الليلة إلى أن بَدا الفَجْر أن يَطْلُع ، وقال في ذلك وغنَّى فيه قوله : [من المديد]

اسقني صفــراءَ صافيــةً ليلــةَ النَّيْروزِ والأحــدِ
حرَّم الصَّوْمُ اصطباحَكُما فتــزوَّد شُرْبَهــا لغَــدِ

[الواثق يكتفي بلحنه]

أُخبرني عَمِّي قال : حدَّثَنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيم بن المُدبِّر قال : قال لي محمدُ بن الفضل الجرجرائيّ : أُنشدت عبدَ الله بن العبّاس الربيعيّ للمُعلّى الطائيّ : [من الكامل]

باكِرْ صَبوحَكَ صَبْحــةَ النَّيْروزِ واشرَبْ بكــأسٍ مُتْرَعٍ وبِكــوزِ
ضَحِكَ الربيعُ إليك عــن نُوَّارِه آسٍ ونِسْرِيــنٍ ومَرْماحُــــوزِ

فاستعادَنِيهما فأعدْتُهما عليه ، وسألني أن أُمليَهما ، وصنَع فيهما لحناً غنّى به الواثِقَ في يوم نَيْروز ، فلم يستَعِدْ غيرَه يومئذٍ ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

[يبكي لشعر جميل]

أُخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى قال : أُنشدني عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضل بن الربيع لجميل ، وأُنشدَنيه وهو يبكي ودموعُه تنحَدِر على لِحيته .

صوت[1]

[من الطويل]

فمــا لكِ لمــا خبَّر الناسُ أنَّني غَدَرتُ بظَهرِ الغيبِ لم تَسَلِيني
فأحلِف بَتّــاً أو أجيء بِشاهدٍ مــن الناس عَدْلٍ إنَّهم ظَلَمُوني

قال : وله فيه صَنعة من خفيف الثقيل وخفيف الرمل .

[مداومة الصبوح وقول الشعر فيه]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثنا نافِذٌ مولانا قال : كان عبدُ الله بن العبَّاس صديقاً لأبيك ، وكان يُعاشِره كثيراً ، وكان عبدُ الله بن العبَّاس مُصْطَبِحاً دهرَه لا يفوتُه ذلك إلاّ في يوم جمعة أو صَوْم شهر رمضان ، وكان يُكثِر المدْحَ للصَّبوح ويقول الشِّعر فيه ، ويغنِّي فيما يقوله . قال عبيد الله فأنشدَني نافِذٌ مولانا وغيره من أصحابنا في ذلك ، منهم حمّاد بن إسحاق : [من البسيط]

1 ديوان جميل (صادر) : 126 .

صوت

ومُسْتَطيلٍ على الصَّهباء باكرهـا   في فِتيَـةٍ باصْطِباحِ الرَّاحِ حُذَّاقِ
فكُـلُّ شيءٍ رآه خالَـه قَدَحـاً   وكُـلُّ شَخْص رآه خالَـه الساقي

قال : ولَحْنه فيه خفيف رمل ثقيل . قال حمَّاد : وكان أبي يَسْتَجيد هذا الصوت من صنعتِه ، ويستَحْسِن شِعرَه ويَعجَب من قوله : [من البسيط]

فكُلُّ شَيْءٍ رآه خالَه قَدَحاً   وكُلّ شَخْصٍ رآه خالَه السّاقي

ويعجب من قوله : [من البسيط]

ومُسْتَطِيل على الصَّهباء باكَرَها

ويقول : وأيُّ شيءٍ تَحْتَهُ من المعاني الظريفة !

قال : وسَمِعه أبي يغنّيه فقال له : كأنّك والله يا عبدَ اللهِ خَطيبٌ يخطب على المِنبر ، قال عبدُ الله بن محمد : فأنشدني حمّادٌ له في الصَّبوح : [من المجتث]

لا تعذِلَـــنْ في صَبُوحي   فــالعَيش شُرْبُ الصَّبُوحِ
مــا عــابَ مُصْطَبِحاً قَـ   ـطّ غَيْرُ وَغْــدٍ شَحِيحِ

قال عَمِّي : قال عُبَيد الله دخل يوماً عبدُ الله بنُ العبّاس الرَّبيعيُّ على أبي مُسلِّماً ، فلمّا استقرَّ به المجلس وتحادثا ساعة قال له : أنشِدني شيئاً من شِعرك ، فقال : إنّما أعبث ولستُ مِمَّن يقدُم عليك بإنشاد شِعْره ، فقال : أتقولُ هذا وأنت القائل : [من المجتث]

يــا شادِناً رامَ إذ مَــرَّ   في السَّعانــين قَتْــلي
تَقـول لي : كَيْف أُصبَحْـ   ـت ؟ كَيْفَ يُصْبح مِثْلي

أنتَ والله أعزّك اللهُ أغزل النّاس وأرقّهم شِعراً ، ولو لم تقل غيرَ هذا البيت الواحد لكفاك ولكُنتَ شاعراً .

[شعر في ليلة مقمرة]

أخبرني عمِّي والحُسين بن القاسم الكوكَبيّ قالا : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال : حدَّثني أحمدُ بن الحُسين الهِشاميّ أبو عبد الله قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع قال : كنتُ جالساً على دِجْلَةَ في ليلة من الليالي ، وأخذتُ دَواةً وقِرطاساً وكتبتُ شِعْراً حَضَرَني وقُلته في ذلك الوقت : [من المنسرح]

صوت

أخلفَك الدَّهــرُ مــا تَنظُرُه   فاصبِر فـذا جُلّ أَمْرِ ذا القَدَرِ

لَعَلَّنا أن نُديلَ مِنْ زَمَنٍ فرَّقنا والزَّمانُ ذُو غِيَرِ[1]

قال : ثم أُرتِجَ عليَّ فلم أدْرِ ما أقولُ حتى يَئِست من أن يجيئَني شيء ، فالتفتُّ فرأيتُ القمر وكانت ليلة تِتِمّتِه فقلت : [من المنسرح]

فانظُر إلى البَدْرِ فهو يُشبِهُه إن كان قد ضَنَّ عنك بالنَّظَرِ

ثم صنعت فيه لَحْناً من الثقيل الثاني . قال أبو عبد الله الهشاميّ : وهو والله صوت حَسَن .

[وصفه البرق عند الواثق]

أخبرني جَحْظَةُ عن ابن حَمْدون ، وأخبرني به الكوكَبيّ عن عليّ بن محمد بنِ نَصْر ، عن خالِد بن حمدون قال : كنّا عند الواثِق في يوم دَجْن ، فلاح بَرْق واستطار ، فقال : لو في هذا شيء ، فبَدَرَهم عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفضل بن الرّبيع ، فقال هذيْن البيتين : [من المتقارب]

أعنّي على لامِعٍ بارِقٍ حفيٍّ كلمْحِك بالحاجِبِ

كأنَّ تألّقَه في السَّماء يَدا كاتِبٍ أو يَدا حاسِبِ

وصنع فيه لَحْناً شَرِب فيه الواثقُ بقِيَّةَ يومه ، واستحسن شعرَه ومعناه وصنعته ، ووصل عبد الله بصِلةٍ سَنِيَّة .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمدُ بن محمد بن مروان قال : حدّثني الحسين بن الضَّحَّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العبَّاس بن الفضْل بن الربيع ، وهو مُصْطَبِح ، وخادمٌ له قائمٌ يسقيه فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنتُ سَقْي هذا الخادم ، فإن حَضَرَك شيء في قصَّتِنا هذه فقُل ، فقلت[2] : [من المنسرح]

أحيَتْ صَبوحي فُكاهةُ اللاَّهي وطاب يومي بقُرْبِ أَشْباهي

فاستَثِرِ اللهوَ مِن مَكامِنِه من قبل يومٍ مُنغَّصٍ ناهي

بابنةِ كَرْمٍ من كَفِّ مُنْتَطِقٍ مُؤْتَزِرٍ بالمُجونِ تَيّاهِ

يسقيك من طَرْفِه ومن يَدِه سَقْيَ لطيفٍ مُجرَّبٍ داهي

طاساً وكاساً كأنَّ شاربَها حَيرانُ بين الذُّكُورِ والسَّاهي

فاستَحْسَنه عبدُ الله ، وغنَّى فيه لَحْناً مليحاً ، وشَرِبْنا عليه بقيَّة يومِنا .

[غزله بجارية نصرانية]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا أبو عبد الله أحمدُ بن المَرزُبان بن الفَيْرزان قال : حدَّثني شَبَّة بن

---

1 نديل في ل : ندال .

2 أشعار الخليع الحسين بن الضحاك (فراج) : 122 .

هشام ، قال : كان عبدُ الله بن العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع قد عَلِق جاريةً نَصْرانيَّة قد رآها في بعض أعيادِ النّصارى ، فكان لا يُفارِق البِيَع في أعيادِهم شَغَفاً بها . فخرج في عِيد ماسَرْجِيس فظَفِر بها في بُسْتان إلى جانب البيعَة ، وقد كان قبل ذلك يُراسِلها ويعرّفها حُبَّه لها ، فلا تقدِر على مواصلَتِه ولا على لقائِه إلاّ على الطريق . فلمّا ظَفِر بها التَوَت عليه وأبَتْ بعضَ الإباء ، ثم ظهرت له وجلست معه ، وأكلُوا وشَرِبوا ، وأقام معها ومع نِسْوة كُنّ معها أسبوعاً ، ثم انصرفت في يوم خَميس ، فقال عبد الله بنُ العبّاس في ذلك وغنّى فيه : [من الخفيف]

رُبَّ صَهْباءَ من شَرابِ المَجُوسِ ... قهوةٍ بابِليَّةٍ خَنْدَرِيسِ
قد تَجَلَّيتُها بناي وعُودٍ ... قبل ضربِ الشَّمَّاسِ بالنّاقوسِ
وغَزالٍ مُكَحَّلٍ ذي دلالٍ ... ساحرِ الطرْفِ سامِريٍّ عَرُوسِ
قد خلَوْنا بطِيبه نَجْتَلِيهِ ... يوم سَبْتٍ إلى صَباحِ الخميسِ
بين وَرْدٍ وبين آسٍ جَنيٍّ ... وسط بُسْتان دَيْر ماسَرْجِيس
يَتَثَنّى بحُسْنِ جِيدِ غَزالٍ ... وصَلِيبٍ مُفَضَّضٍ آبَنُوسي
كم لثمتُ الصَّلِيبَ في الجِيد منها ... كهِلالٍ مُكَلَّلٍ بشُمُوسِ

[يتطيّر بالغراب ويستبشر بالهدهد]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بن المَرزُبان ، عن شَيْبَةَ بن هشام ، قال : كان عبدُ الله بن العبّاس يوماً جالساً ينتظِر هذه النّصرانيَّة التي كان يهواها ، وقد وعدَتْه بالزيارة ، فهو جالس ينتظِرها ويتفقَّدها إذ سَقَطَ غُراب على بَرَّادة[1] دارِه فنَعَب مَرَّة واحدة ثم طار ، فتطيَّر عبدُ الله من ذلك ولم يَزَل ينتظِرها يومه فلم يَرَها . فأرسل رسولَه عِشاءً يسأل عنها ، فعُرِّف أنّها قد انحَدَرَت مع أبيها إلى بغداد ، فتنغَّصَ عليه يَومُه ، وتفرَّقَ مَنْ كان عنده ، ومكثَ مدّةً لا يعرف لها خَبَراً . فبيْنا هو جالس ذاتَ يوم مع أصحابه ، إذ سقط هُدْهُد على برّادَته ، فصاح ثلاثة أصواتٍ وطار . فقال عبدُ الله بنُ العبَّاس : وأيّ شيء أبقى الغُرابُ للهُدْهُد علينا ؟ وهل تَرَكَ لنا أحداً يُؤذِينا بفراقه ؟ وتطيَّر من ذلك ، فما فَرَغ من كلامه حتى دَخَل رسُولُها يُعلِمه أنّها قد قَدِمَتْ منذ ثلاثة أيّام ، وأنّها قد جاءَته زائرةً على إثْرِ رسُولِها ، فقال في ذلك من وقتِه : [من الهزج]

سقاكَ اللهُ يا هُدْهُـ ... ـدُ وَسْمِيّا من القَطْرِ
كما بَشَّرتَ بالوَصْلِ ... وما أَنْذَرْتَ بالهَجْرِ

---

1 البرادة : إناء يبرد فيه الماء ، ولعلّها هنا الموضع الذي توضع فيه أواني التبريد .

فكَم ذا لَكَ من بُشْرى أَتَتْني منكَ في سِتْرِ
كما جاءَتْ سُليمانَ فأُوفَت منه بالنّذْرِ
ولا زالَ غُرابُ البَيْـ ـنِ في قُفّاعَةِ الأَسْرِ[1]
كما صَرَّح بالبَيْنِ وما كُنتُ به أَدْري

ولَحْنُه في هذا الشِّعر هزج .

[غناء لا يعجب المتوكّل]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني مَيْمونُ بن هارون قال : قال إسحاق بن إبراهيم بن مِصعب : قال لي عبدُ الله بن العبّاس الربيعيّ : لمَّا صنَعْتُ لحني في شعري : [من المنسرح]

أَلا اصبَحاني بيوم السّعانينِ من قَهْوَةٍ عُتِّقَتْ بِكركِينِ[2]
عند أُناسٍ قَلبِي بهم كَلِفٌ وإن تولّوا دِيناً سِوى دِينِي
قد زَيَّنَ الملكَ جَعفرٌ وحكى جُودَ أَبيه وبأسَ هارونِ
وأَمَّن الخائِفَ البريءَ كما أَخافَ أَهلَ الإلحادِ في الدِّينِ

دعاني المُتوكّل ، فلمّا جلستُ في مَجلس المُنادَمَة غنَّيتُ هذا الصوت فقال لي : يا عبدَ الله ، أين غناؤُك في هذا الشعر في أيّامي هذه من غنائك في : [من الطويل]

أَماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِها وأَدْنَتْ على الخَدَّيْنِ بُرْداً مُهَلْهَلا

ومن غنائِك في : [من المنسرح]

أَقفَر من بعد خُلَّةٍ سَرِفُ فالمُنحَنى فالعَقِيقُ فالجُرُفُ

ومن سائر صَنْعَتِك المتقدِّمة التي استفرَغْتَ محاسِنَك فيها ؟ فقلتُ له : يا أَمير المؤمنين ، إنِّي كُنتُ أتغنّى في هذه الأصوات ولي شبابٌ وطَرَب وعِشْق ، ولو رُدَّ عليَّ لغنَّيتُ مثل ذلك الغناء ، فأمر لي بجائزة واستحسَن قولي .

[يغني المنتصر بشعره فلا يجيزه]

حدَّثني عَمِّي قال : حدَّثنا أحمد بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أَبي ، قال : ذَكَر المُنتصر يوماً عبدَ الله بن العبّاس وهو في قَراحِ[3] النّرجس مُصْطَبِح ، فأحضره وقال له : يا عبدَ الله ، اصنَع لحناً في شِعْري الفُلانيّ وغَنِّني به ، وكان عبد الله حَلَف لا يُغنّي في شِعره ، فأَطرَق مليّاً ، ثم

---

1 القفاعة : شيء من جريد النخل يلقى به على الطير فيصاد به .

2 كركين : من قرى بغداد .

3 القراح من كل شيء : الخالص .

غنّى في شعرٍ قاله للوَقْت وهو : [من الكامل]

يا طِيبَ يَوْمي في قراحِ النَّرجِس ... في مَجْلِس مـــا مِثْلُهُ مِنْ مَجْلِسِ
تُسْقـــى مُشَعْشَعَـــةً كأَنَّ شُعاعَها ... نـــارٌ تُشَبُّ لِبـــائِسٍ مُسْتَقْبِسِ

[يطرب المتوكل فيجيزه]

قال : فجَهِد أَبي بالمُنتصر يوماً واحْتال عليه بكُلِّ حِيلة أَن يصِلَه بشيء فلم يَفعَل .

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أبي قال : غضِبَت قَبيحةُ على المُتوكِّل وهاجَرَتْه ، فجلس ودخَل الجُلساء والمُغنُّون ، وكان فيهم عبدُ الله بنُ العبّاس الربيعيّ ، وكان قد عَرَف الخبر ، فقال هذا الشِّعرَ وغنَّى فيه : [من الخفيف]

لستَ مِنِّي ولستُ منك فدَعْني ... وامْضِ عنِّـــي مُصاحَباً بسَلامِ
لم تَجِد عِلَّـــةً تَجَنَّى بها الذَّنْـ ... ـبَ فصارَتْ تعتـــلُّ بالأَحْلامِ
فإذا ما شَكَوتُ ما بيَ قالت : ... قـــد رأَينا خِلافَ ذا في المَنامِ

قال : فطَرِب المُتوكِّل وأمر له بعِشرين ألف دِرهم وقال له : إنّ في حياتِك يا عبد الله لأُنْساً وجَمالاً وبَقاءً للمُروءةِ والظَّرف .

[غناء بشعر السليك]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني عبد الله بنُ العبّاس الربيعيّ قال : كنتُ في بعض العساكر فأصابَتْنا السماء حتى تأذّينا ، فضُربت لي قُبّة تُرَكيّة ، وطُرِح لي فيها سَريرانِ ، فخَطَرَ بقَلْبي قَولُ السُّلَيْك[1] : [من الرمل]

صوت

قَرِّب النَّحّام واعجَل يا غُلامْ ... واطْرَحِ السَّرْجَ عليه واللِّجامْ[2]
أَبلغِ الفِتيـــانَ أَنِّي خائِـــضٌ ... غمْرَةَ الضَّرْب فمَنْ شاء أَقامْ

فغنَّيتُ فيه لَحني المعروف ، وغَدَوْنا فدخَلْتُ مدينةً ، فإذا أنا برَجُل يُغنِّي ، وواللهِ ما سَبَقني إليه أحد ولا سَمِعَه منّي أحد ، فما أدْري مَن الرّجُل ، ولا من أين كان له ، وما أرى إلاّ أنّ الجنَّ أوقعتْه في لسانه !

[محمد بن الجهم يحتمل خراجه سنة]

حدَّثني عَمِّي ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : حدَّثني

1 ديوان السليك : 65 .

2 النحام : اسم الفرس .

عبدُ الله بنُ العَبّاس الرَّبيعيّ قال : كنتُ عند محمد بنِ الجَهْم البَرمَكيّ بالأهواز ، وكانت ضَيْعَتي في يده ، فغنَّيته في يوم مهرجان وقد دعانا للشُّرب : [من المنسرح]

صوت

المِهرَجــانُ ويــومُ الاثْنَيْنِ يومُ سُرورٍ قـد حُـفَّ بالزَّيْنِ
ينقل مـن وغْرة المَصيف إلى بَرْدِ شِتاءٍ مـا بـينَ فَصْلَيْنِ
محمدُ يا ابْنَ الجَهْم ومَن بَنى للمَجْدِ بَيْتاً مـن خير بَيْتَيْنِ
عِشْ ألفَ نَيْروز ومَهْرِجْ فَرِحاً في طِيـبِ عَيْش وقُرَّة العَيْنِ

قال : فسُرَّ بذلك واحتمل خَراجي في تلك السنة ، وكان مبلَغه ثلاثين ألف دِرْهم .

[إعجابه بعساليج]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهرويه ، قال : حدَّثني ابنُ أبي سَعْد قال : حدَّثني أبو تَوْبة القَطِرانيّ ، عن محمد بن حُسين قال : كنّا عند أبي عيسى بن الرَّشيد في زمن الرّبيع ومعنا مُخارِق ، وعَلُّويَه ، وعبدُ الله بنُ العبَّاس الرّبيعيّ ، ومحمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ونحن مُصْطَبِحون في طارمة[1] مضروبة على بُسْتانِه ، وقد تفتَّح فيه وَردٌ وياسَمِين وشقائق ، والسماء مُتغيِّمة غيماً مُطبِقاً ، وقد بدأتْ تَرُشُّ رشّاً ساكِباً ، فنحن في أكْمَل نشاطٍ وأحسَنِ يوم إذ خرجَتْ قَيِّمةُ دارِ أبي عيسى فقالت : يا سيِّدي ، قد جاءَت عساليجُ ، فقال : لتخرُج إلينا ، فليس بحَضْرتنا مَن تحتشِمه . فخرجت إلينا جارية شَكِلة[2] حُلوَة ، حَسَنة العقلِ والهيئة والأدب ، في يدِها عُود . فَسلَّمتْ ، فأمَرها أبو عيسى بالجُلوس فَجَلست . وغنّى القومُ حتى انتهى الدّور إليها ، وظننَّا أنّها لا تصنَع شيئاً وخِفْنا أن تهابنا فتحْصَر . فغنَّت غِناء حَسَناً مُطرِباً مُتقَناً . ولم تَدَعْ أحداً مِمَّن حَضَر إلاّ غنَّت صوتاً من صَنْعَته وأدّته على غاية الإحكام . فطَرِبنا واستحسَنّا غناءَها وخاطبناها بالاستِحْسان ، وألحَّ عبدُ الله بنُ العبّاس من بيننا بالاقتراح عليها والمزاح معها والنَّظر إليها ، فقال أبو عيسى : عَشِقْتَها وحياتي يا عبدَ الله ؛ قال : لا والله يا سيِّدي وحياتِك ما عَشِقْتُها ، ولكنّي استَحْسنتُ كُلَّ ما شاهدتُ منها من منظر وشكل وعقل وعشرة وغناء . فقال له أبو عيسى : فهذا واللهِ هو العِشْق وسببُه ، ورُبَّ جِدٍّ جَرَّه اللَّعِب[3] . وشَرِبنا فلمّا

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .
2 شكلة : ذات دلال وغزل .
3 المثل «رب جد جره اللعب» في مجمع الميداني 1 : 170 .

غَلَب النَّبيذُ على عبد الله غَنَّى أهزاجاً قديمة وحَدِيثة ، وغنَّى فيما غَنّى بينهما هَزَجاً في شِعْر قاله فيها لوَقْتِه ، فما فَطِنَ له إلاّ أبو عيسى وهو : [من الرمل]

صوت

نَطَــق السُّكْـرُ بسِرِّي فبَدا كم يُرى المَكْتومُ يَخفى لا يَضِحْ
سِحْرُ عَيْنَيـكَ إذا مـا رنَتا لم يَدَعْ ذا صَبْوة أو يَفْتَضِحْ
مَلَكَـتْ قلبـي فأمسى غَلِقاً عندها صَبّـاً بها لم يَسْتَرِحْ
بجَمـالٍ وغِنـاءٍ حسنٍ جلّ عـن أن يَنْتَقيه المُقْتَرِحْ
أورثَ القلبَ هُمومـاً ولقد كنـتُ مسروراً بمرآه فَرِحْ
ولَكـم مُغْتَبِقٍ هَمّـاً وقـد بَكَـر اللَّهْو بُكورَ المُصْطَبِحْ

الغناء لعبد الله بن العبّاس هزج ، فقال له أبو عيسى : فعلْتَها واللهِ يا عبدَ الله ، وطار طرباً وشَرِب على الصوت وقال له : صحَّ واللهِ قولي لك في عساليج ، وأنت تُكابِرُني حتى فَضَحَكَ السُّكرُ . فجحَد ، وقال : هذا غناء كنت أرويه . فحلف أبو عيسى أنّه ما قاله ولا غنَّاه إلاّ في يومِه ؛ وقال له : احلِفْ بحَياتي أنّ الأمرَ ليس هو كذلك ، فلم يفعل . فقال له أبو عيسى : واللهِ لو كانت لي لوهبْتُها لك ، ولكنّها لآلِ يحيى بن معاذ ، واللهِ لئِن باعُوها لأُملِّكَنَّك إيّاها ولو بكُلِّ ما أملك ، وحياتي لتنصَرفنَّ قبلك إلى منزِلك ؛ ثم دعا بحافِظتِها وخادِمٍ من خدَمه ، فوجَّه بها معهما إلى منزِله . والتَوى عبدُ اللهِ قليلاً وتجَلَّد ، وجاحَدَنا أمرَه ثم انصرف .

واتّصل الأمرُ بينهما بعد ذلك ، فاشترتها عمَّته رُقَيَّة بنتُ الفَضل بن الرَّبيع من آلِ يَحْيى بن مُعاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت . فحدَّثني جعفرُ بنُ قُدامَة بن زِياد عن بعض شيوخِه ، سقَط عنّي اسمُه ، قال : قالت بَذل الكبيرة لعبدِ الله بن العبّاس : قد بلَغني أنّك عَشِقْتَ جارية يقال لها عساليج فاعرِضْها عليّ ، فإمّا أن عذَرْتُك وإمّا أن عَذلتك . فوجَّه إليها فحَضَرَت ، وقال لبَذْل : هذه هي ياستي فانظري واسمعي ، ثم مُريني بما شئتِ أُطعك ، فأقبلت عليه عساليجُ وقالت : يا عبدَ اللهِ أتُشاوِرُ فيّ ؟ فوالله ما شاوَرْت فيك لمَّا صاحبتُك . فنَعَرت بَذْل وصاحت : إيه ، أحسَنْتِ واللهِ يا صَبِيَّة ، ولو لم تُحسني شيئاً ولا كانت فيك خَصْلة تُحمَد لوجب أن تُعشَقي لهذه الكلمة ، أحسنتِ واللهِ ؛ ثم قالت لعبدِ الله : ما ضَيَّعتَ ، احتَفِظ بصاحبتك .

[الواثق يجيزه في يوم نيروز]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني محمد بن المَرْزُبان ، عن أبيه ، عن عبدِ الله بن العبَّاس قال : دعانا الواثِقُ في يوم نَوْرُوز ، فلمّا دَخَلتُ عليه غنَّيْتُه في شعر قلتُه وصَنَعْت فيه لحناً

وهو : [من مجزوء الرمل]

هـيّ للنّيروزِ جامـا ومُدامـاً ونَدامـى
يَحْمَـدون الله والـوا ثِـقَ هـارونَ الإماما
ما رأى كِسْرى أنوشِرْ وانَ مِثْـلَ العامِ عاما
نَرْجِساً غَضّـاً ووَرْداً وبَهـاراً وخُزامـى

قال : فطَرِب واستَحْسَنَ الغِناء ، وشرِب عليه حتى سكر ، وأَمر لي بثلاثين ألف دِرْهم .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ المَرزُبان قال : حدَّثني شَيْبة بنُ هِشام قال : أَلقَت مُتيَّم على جوارينا[1] هذا اللحن وزعمت أنَّها أخذتْه من عبد الله بن العبّاس والصَّنعةُ له : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّي اتّخـذت عـدُوَّةً فسَقـى الإلـهُ عدُوَّتي
وَفَدَيْتُهـا بـأَقاربي وبأُسرَتـي وبجيرتـي
جُدِلَـتْ كجَدْلِ الخيزُرا نِ وثُنِّيـتْ فَتَثَنَّـتِ
واستَيْقَنَـتْ أنّ الفـؤا دَ يُحبُّهـا فأَدَلَّـتِ

[يتعشّق مصابيح]

قال : ثم حدَّثَتْنا مُتَيَّم أَنَّ عبدَ الله بنَ العبّاس كان يتعشَّق مصابيحَ جاريةَ الأَحْدَب المُقَيِّن ، وأنّه قال هذا الشعر فيها ، وغنَّى فيه هذا اللَّحْن بحضرتها ، فأَخذته عنه .

هكذا ذكَرَ شَيْبَةُ بنُ هشام من أمْر مصابيح ، وهي مشهورة من جواري آل يحيى بنِ معاذ ، ولعلّها كانت لهذا المقّين قبل أن يملكها آلُ يحيى ، وقبل أن تَصِل إلى رُقيَّة بنتِ الفضلِ بنِ الرَّبيع .

وحدَّثنا أيضاً عمِّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ المَرْزُبان ، عن شَيْبة بن هشام ، قال : كان عبدُ اللهِ بن العبّاس ينعشَّق جاريةَ الأحدبِ المُقيِّنِ ، ولم يُسمِّها في هذا الخبر ، فغاضبها في شيء بلَغه عنها ، ثم رام بعد ذلك أن يترَضَّاها فأَبَت ؛ وكتب إليها رُقعة يَحلِف لها على بطلان ما أنكَرته ، ويدعو اللهَ على مَن ظلم . فلم تُجبْه عن شيء ممّا كتب به ، ووقَّعت تحت دُعائِه : آمين . ولم تُجِب عن شيء ممّا تضَمَّنته الرُّقعة بغير ذلك ، فكتب إليها : [من مجزوء الكامل]

1 ل : جواريها .

أمَّـا سُروريَ بالكِتـا ب فليس يَفنى ما بَقِينا
وأتـى الكتابُ وفيه لي آمـين ربَّ العـالمينا

قال : وزارَتْه في ليلة من ليالي شهر رمضان وأقامت عنده ساعة ، ثم انصرفت وأَبَتْ أَن تَبِيت وتُقيم ليلَتَها عنده . فقال هذا الشعر وغنّى فيه هَزَجاً وهو مَشْهور من أغانيه وهو : [من المنسرح]

صوت

يـا مَنْ لِهَمٍّ أمسى يُؤرِّقُني حتى مضى شَطرُ لَيْلَةِ الجُهَني
عَنّي ولم أدرِ أنَّها حضرت كذاك مَنْ كانَ حُزْنه حَزَني
إنِّـي سَقِيـمٌ مُوَلَّـه دَنِفٌ أسقَمني حُسْنُ وَجْهِكِ الحَسَنِ
جُـودي لـه بالشفاء مُنْيَتَـه لا تَهجُري هائماً عليكِ ضَنِي

قال : وليلةُ الجُهَنيّ ليلة تسعَ عشرةَ من شهر رمضان ، قال رجل من جُهَينة : إنّه رأى فيها ليلةَ القَدْرِ فيما يَرى النّائم فسُمِّيت ليلة الجُهَنيّ .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمدُ بن المَرزُبان قال : حدَّثني شَيْبةُ بنُ هشام قال : دعانا محمد بنُ حمّاد بن دنقش وكان له سِتارة في نهاية الوَصْف ، وحضر معنا عبدُ الله بنُ العبّاس ، فقال عبدُ الله وغنّى فيه : [من البسيط]

دَعْ عنك لَوْمي فإنّي غيرُ مُنقادِ إلى المَـلامِ وإن أحببتَ إرْشادي
فلستُ أعرِفُ لي يوماً سُرِرْتُ به كمِثـل يَوْميَ في دارِ ابنِ حَمَّادِ

[شعر يذكر فيه أعياد النصارى]

أخبرني يَحيى بنُ عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال : حدَّثني ابنُ المكّيّ عن عبدِ الله بنِ العبّاس قال : لمّا صنعتُ لَحني في شعري : [من السريع]

صوت

يـا لَيلـةً ليس لهـا صُبْـحُ وموعِـداً ليس لـه نُجْـحُ
من شادنٍ مـرّ على وعده الميـ ـلادُ والسُّـلاّقُ والذّبـحُ[1]

هذه أعيادُ النصارى ، غنّيته الواثِق فقال : ويْلَكم ، أدركوا هذا لا يَتَنصَّر ، وتمامُ هذا الشعر : [من السريع]

1 السلاق : عيد الصعود عند النصارى .

وفي السَّعانِين لـو أنّي بـهِ وكان أَقْصى المَوعِد الفِصْحُ
فـالله أَستَعْدي عـلى ظالمٍ لم يُغْـنِ عنـه الجُودُ والشُّحُّ

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّريّ : قال أبو العتاهية : وفيه لعبد الله بنِ العبّاس غناء حَسَن : [من الخفيف]

أنـا عَبدٌ لهـا مُقِـرٌّ وما يَمْـ ـلِك لي غيرُها من النّاس رِقّا
ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنتُ ما أُر زَق منهـا والحمـدُ لله عِتقا
ومـن الحَيْـنِ والشّقاء تعلّقْـ ـتُ مليكاً مُستَكبِراً حين يُلْقى
إن شكوتُ الذي لَقيتُ إليه صَدَّ عنّي وقال : بُعداً وسُحْقا

[يشرب ويغنّي منفرداً]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نَصْر ، عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال : دخلتُ يوماً إلى عبدِ اللهِ بنِ العبّاس الربيعيّ ، وخادمٌ له يَسْقِيه ، وبيده عُودُه ، وهو يُغنّي هذا الصوت : [من المجتث]

إذا اصطَبحْـتُ ثلاثـاً وكان عُـودي نَديمـي
والكأسُ تُغرِب ضَحكـاً مـن كـفِّ ظَبْـي رَخيمِ
فمـا عـليَّ طرِيـقٌ لطارقـاتِ الهُمـومِ

قال : فما رأيتُ أحسنَ ممّا حكى حاله في غنائِه ، ولا سَمِعْتُ أحسنَ ممّا غنَّى .

[عشق غلام خادم المعتصم]

أخبرني الحسين بنُ القاسم الكوكَبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال : حدَّثني دوسر[1] الخراسانيّ قال : اشترى حزام خادم المعتصم خادماً نظيفاً ، كان عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفَضْل بن الرّبيع يتعشّقه ، فسأله هِبَته له أو بيعَه منه فأبى ، فقال عبدُ الله أبياتاً وصنع فيها غناء ، وهي قوله : [من الخفيف]

يومُ سَبْتٍ فصَرِّفـا لي المُداما واسقِياني لعلّنـي أن أنامـا
شرَّد النـومَ حُبُّ ظَبْيٍ غريـرٍ مـا أراه يَـرى الحَرامَ حَرامـا
اشتراه يومـاً بعُلْفةِ يـوم أصبحتَ عنده الدوابُ صِياما

فاتصلت الأبياتُ وخبرُها بحزام ، فخَشي أن تَشتَهر ويسمعها المُعتصمْ فيأتي عليه ؛ فبعث بالغلام إلى عبد الله ، وسأله أن يُمسِك عن الأبيات ، ففعل .

1 ل : دوس .

[أول لحن صنعه]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني الحُسَيْن بن يحيى قال : قلت لعبد الله بنِ العَبّاس : إنّه بَلَغَني لك خَبَرٌ مع الرّشيد أول ما شُهرتَ بالغِناء ، فحدِّثني به ، قال : نعم أوّل صوت صَنَعْتُه[1] : [من المتقارب]

أَتـاني يؤامِـرُني في الصَّبُـو ح ِ ليـلاً فقلتُ لـه : غادِها

فلمّا تأتّى لي وضربت عليه بالكنكلة ؛ عرضتُه على جارية لنا يقال لها راحة ، فاستحسَنَتْه وأَخذَته عنّي ، وكانت تختلف إلى إبراهيمَ الموصليّ . فسَمِعها يوماً تُغنّيه وتناغي به جارية من جواريه ، فاستعادَها إيّاه وأعادته عليه ، فقال لها : لِمَنْ هذا ؟ فقالت : صَوْت قديـم ؛ فقـال لها : كَذَبتِ ، لو كان قديماً لعرَفْته ، وما زال يُداريها ويتغاضَب عليها حتى اعترفت له بأنّه من صَنْعَتي . فعَجِب من ذلك ، ثم غنّاه يوماً بحضرة الرشيد ، فقال له : لَمنْ هذا اللَّحن يا إبراهيم ؟ فأَمسك عن الجواب وخشي أَن يكذِبَه فيَنْمي الخبرُ إليه من غيره ، وخاف من جدِّي أن يصدقه ، فقال له : ما لك لا تجيبني ؟ فقال : لا يمكنني يا أميرَ المؤمنين . فاسْتَراب بالقِصّة ، ثم قال : والله ، وتُربة المَهْديّ لئن لم تَصْدُقْني لأُعاقبنَّك عُقوبةً مُوجِعة ، وتوهّم أنـه لعُلَيَّة أَو لبعض حُرَمه فاستُطِير غضباً . فلمّا رأى إبراهيمُ الجِدَّ منه صدَقَه فيما بينه وبينه سرّاً ، فدعا لوقته الفضلَ بن الرَّبيع ثم قال له : أيصنَع ولدُك غناء ويرويه الناس ولا تعرّفني . فجَزِع وحَلَف بحياته وبَيْعتـه أنّه ما عرف ذلك قطّ ، ولا سَمِع به إلاّ في وَقته ذلك . فقال له : ابنُ ابنِك عبدُ الله بنُ العبّاس ، أحضِرْنيه السّاعة . فقال : أنا أمضي وأمتَحِنه ، فإن كان يصلُح للخدمة أحضَرته ، وإلاّ كان أميرُ المؤمنين أولى مَن ستر عورتنا ؛ فقال : لا بُدّ من إحضاره . فجاء جدِّي فأحضرني وتَغيَّظ عليّ ، فاعتذرتُ وحَلْفتُ له أنّ هذا شيء ما تعمّدتُه ، وإنّما غنّيـتُ لنفسي ، ومـا أدري من أين خَرَج . فأمر بإحضار عُود فأُحضِر ، وأمرني فغنَّيْتُه الصوتَ . فقال : قد عَظُمت مُصيبَتي فيك يا بنيّ ، فحلفتُ له بالطلاق والعتاق ألاّ أقبلَ على الغناء رِفداً أبداً ، ولا أُغنّي إلاّ خليفةً أو وليَّ عهد ، ومَنْ لعلّه أن يكون حاضراً مجالسهم ، فطابت نفسُه . فأحضرني ، فغنَّيتُ الرشيدَ الصوتَ فطرِب وشرب عليه أقداحاً ، وأمرني بالُملازمة مع الجُلَساء ، وجعل لي نَوْبة ، وأمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جدِّي ، وأمره أن يبتاع ضيعة لي بها ، فابتاع لي ضيعتي بالأهواز ، ولم أَزَل مُلازِماً للرشيد حتى خرج إلى خُراسان ، وتأخّرتُ عنه وفرّق الموتُ بيننا .

---

1 انظر الخبر فيما تقدم من هذه الترجمة .

قال ابنُ المرزُبان : فكان عبدُ الله بنُ العبّاس سَبباً لمعرفة أُولياء العهود برأْي الخلفاء فيهم ؛ فكان منهم الواثـق ، فإنّـه أحبّ أن يعرِف : هل يُولِّيـه المعتَصمُ العهـدَ بعـدَه أم لا . فقال له عبدُ الله : أنا أدلّك على وجه تعرف به ذلك ، فقال : وما هو ؟ فقال : تسألُ أميرَ المؤمنين أن يأذَن للجُلساء والمغنِّين أن يَصيروا إليك ، فإذا فعل ذلك فاخْلَعْ عليهم وعليَّ معهم ، فإنّي لا أقبَل خِلعَتك لليمين التي عليَّ ألاّ أقبل رفداً إلاّ من خليفة أو وليّ عهد . فقعَد الواثقُ ذات يوم وبعـث إلى المعتصم وسألـه الإذنَ بجلساء ، فـأذِن لهـم ، فقـال لـه عبدُ الله بن العبّاس : قد عَلِم أميرُ المؤمنين يَميني ؛ فقال له : امضِ إليه فإنّك لا تحَنَث . فمضى إليه وأخبره الخبرَ فلم يُصدِّقه ، وظنَّ أنّـه يُطَيِّب نفسَه ، فخَلَع عليه وعلى الجماعة ، فلم يَقبَل عبدُ الله خِلعَته ، وكَتَب إلى المعتصم يشكوه . فبَعَث إليه : اقبَل الخِلْعَة ، فإنّه وليُّ عهدي . ونَمى إليه الخبرُ أنَّ هذا كان حِيلَة من عبد الله ، فنَذَر دَمَه ، ثم عفا عنه : وسُرَّ الواثِقُ بما جرى ، وأمَرَ إبراهيمَ بنَ رِيـاح فاقْترض لـه ثلثمائة ألـفِ درهم ، ففرّقها على الجلساء ، ثم عَرَف غَضَب المعتصم على عبدِ الله بن العبّاس واطراحَه إيّاه ، فاطّرَحَه هو أيضاً . فلمّا وَلي الخلافة استمرَّ على جَفائه ، فقال عبدُ الله : [من الكامل]

ما لي جُفِيتُ وكنتُ لا أُجفى أيّـام أُرهَــبُ سطوةَ السَّيفِ
أدعُو إلهــي أن أراكَ خليفـةً بــين المقـامِ ومَسجد الخَيْفِ

ودَسَّ مَنْ غنَّاه الواثِق ، فلمّا سمعه سأل عنه ، فعَرَف قائلَه ، فتذَمَّم[1] ودعا عبد الله فبَسَطَه ونادمَه إلى أن مات .

وذكر العتّابيَ عن ابن الكلْبيِّ أنّ الواثِقَ كان يَشْتهي على عبد الله بن العبّاس : [من الخفيف]

أيُّها العـاذِلُ جَهْـلاً تلــومُ قبل أن يَنْجاب عنه الصَّرِيمُ[2]

وأنّه غنَّاه يوماً فأمَر بأن يَخلَعْ عليه خَلْعة ، فلم يَقْبلها لِيَمينه ، فشكاه إلى المعتصم ، فكاتَبه في الوقت ، فكَتَب إليه مع مسرور سُمَّانة : اقبَل خِلَع هارون فإنّك لا تَحْنَث ، فقَبِلها وعَرَف الواثِقُ أنّـه وليُّ عهد .

[رؤية محبوبته في يوم الشعانين]

حدَّثني عمِّي : قال : حدَّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني شَيْبَةُ بنُ هِشام ، قال : كان عبدُ الله بنُ العبّاس يَهْوى جاريةً نَصْرانيّة لم يكُن يصل إليها ولا يراها إلاّ إذا خرجت

1 تذمم : استحيا .
2 الصريم : القطعة من الليل .

إلى البيعة ، فخرجنا يوماً معه إلى السَّعانين ، فوقف حتى إذا جاءت فرآها ، ثم أنشدَنا لنفسِهِ ، وغنَّى فيه بعد ذلك : [من السريع]

صوت

إن كنتَ ذا طِبٍّ فداوِيني ولا تَلُم فاللَّوم يُغريني
يا نظرةً أبقَتْ جوًى قائِلاً من شادنٍ يومَ السَّعانينِ
ونظرةً من رَبْرَبٍ عِينٍ خرجْنَ في أحسَن تَزْيينِ[1]
خرجْنَ يَمْشين إلى نُزْهَةٍ عَواتِقاً بين البَساتينِ[2]
مُزَنَّراتٌ بهَمايينها والعَيشُ ما تَحْتَ الهَمايينِ[3]

لحن عبدِ اللهِ بنِ العبّاس في هذا الشعر هزج .

[يشرب ليلة الشك من رمضان]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا محمد بن عمر الجُرْجانيّ ، ومحمد بن حمّاد كاتِب راشد ، قالا : كَتَبَ عبدُ الله بنُ العبَّاس الرّبيعيّ في يوم نَيْروز ، واتّفقَ في يوم الشّكّ بين شَهْرَي رمضان وشَعْبان ، إلى محمد بن الحارث بن بُسْخُنّر يقول : [من المديد]

اسْقني صفراءَ صافيةً ليلةَ النَّيروزِ والأَحَدِ
حَرَّمَ الصَّومُ اصطِباحَكما فتزوَّدْ شُربَها لغَدِ
وأْتِنا أو فادْعُنا عَجِلاً نَشْتَرِك في عِيشَةٍ رَغَدِ

قال : فجاءه محمد بنُ الحارث بن بُسْخُنّر فشربا ليلتهما .

[صنع لحناً للواثق فأجازه]

أخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المكّيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ العبَّاس الربيعيّ قال : جمع الواثِقُ يوماً المُغنِّين ليَصْطَبح ، فقال : بحياتي إلاّ صنعتَ لي هَزَجاً حتى أدخل وأخرُج إليكم السّاعة . ودخل إلى جواريه ، فقلتُ هذه الأبيات وغنَّيتُ فيها هَزَجاً قبل أن يَخرُج ، وهي : [من الرمل]

1 الربرب : القطيع من الظباء أو البقر الوحشي أو الأنسي .
2 عواتق : جمع عاتقة ، وهي الشابة في أوّل الإدراك خدرت في البيت ولم تبن للزواج .
3 الهمايين : جمع هميان ، وهو كيس تحمل فيه النقود .

صوت

بأبـي زَورٌ أتـاني بـالغَلَسْ قُمتُ إجلالاً لـه حتى جَلَسْ
فتعانَقْنـا جميعـاً ساعـةً كادَتِ الأرواحُ فيهـا تُختَلَسْ
قلـتُ : يـا سُؤْلي ويا بدرَ الدُّجى في ظَلامِ اللَّيلِ ما خِفتَ العَسَسْ ؟
قـال : قـد خِفْتُ ولكنّ الهَوى آخـذٌ بـالرُّوحِ منّـي والنَّفَسْ
زارني يَخْطِـرُ في مِشْيَتِـه حوله مـن نُـورِ خَدَّيْـهِ قَبَسْ

قال : فلمّا خرج من دار الحُرَم قال لي : يا عبدَ الله ، ما صنَعْت ؟ فاندفعتُ فغنَّيته ، فشَرِب حتى سَكِر ، وأمَرَ لي بخَمْسة آلافِ دِرْهم ، وأمرني بطَرْحِه على الجواري ، فطرحْتُه عليهنّ .

[لحن في شعر يوسف بن الصّيقل]

أخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى ، قال : حدَّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ ، عن حمّاد قال : من مَليح صَنْعةِ عبدِ الله بنِ العبّاس الربيعيّ ، والشِّعْر ليُوسُف بنِ الصّيقل ، ولحنه هزج : [من المتقارب]

صوت

أبعـدَ المواثيـقِ لي وبعـد السؤال الحَفي
وبَعْـد اليَمِـين التي حَلفْتِ على المُصحَفِ
تركتِ الهَـوى بيننا كضـوءِ سراجٍ طُفي
فليتـكِ إذ لم تَفـي بوعـدك لم تَحلفـي

[غناء بشعر الأحوص]

حدَّثني الصّوليّ قال : حدَّثني يزيدُ بنُ محمد المُهلّبيّ ، قال : كان الواثق قد غضِب على فريدةَ لكلام أخفته إيّاه فأغضبَتْه ، وعرَفْنا ذلك وجلس في تلك الأيّام للصَّبُوح ، فغنّاه عبدُ الله بنُ العبّاس : [من البسيط]

صوت[1]

لا تأمني الصَّرمَ منّي أن تَرَى كَلَفي وإن مَضـى لصفـاء الـوُدِّ أعصارُ
مـا سُمِّـي القَلْبُ إلاّ مـن تَقلُّبِه والرأْيُ يُصرَفُ والأهـواءُ أطـوارُ
كم مِنْ ذَوِي مِقَـةٍ قَبْـلي وقَبْلَكمُ خانوا فأَضْحَوا إلى الهِجْرانِ قد صارُوا

فاستعادَه الواثِقُ مِراراً ، وشرِب عليه وأُعجِب به ، وأمَر لعبد الله بألف دِينار وخَلَع عليه .

1 ديوان الأحوص (السامرائي) : 88 .

الشعر للأَحْوَص ، والغِناء لعبدِ اللهِ بنِ العبَّاس هَزَج بالوسطى عن عمرو .

[المتوكّل يفضله على المغنّين]

وأخبرني جعفرُ بنُ قُدامة ، قال : حدَّثنا حمَّادُ بنُ إسحاق ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن العبَّاس بن الفضل بن الرَّبيع ، قال : غنَّيتُ المتوكِّل ذاتَ يوم : [من الطويل]

أحبّ إلينا منك دَلاًّ وما يَرى ... له عند فِعْلي من ثَوابٍ ولا أَجْرِ

فطَرِب وقال : أَحسنْتَ واللهِ يا عبدَ الله ، أَما واللهِ لو رآكَ النَّاسُ كُلُّهم كما أَراكَ لَما ذكَروا مُغنِّياً سِواك أبداً .

[ثناء ابن الزيات عليه]

نسختُ من كتاب لأبي العَبَّاس بنِ ثَوابة بخَطِّه : حدَّثني أَحمدُ بنُ إسماعيل بن حاتِم قال : قال لي عبدُ الله بنُ العبَّاس الرَّبيعيّ : دخلتُ على المُعتصم أُودِّعه وأنا أُريد الحجَّ ، فقبَّلْت يدَه وودَّعْتُه . فقال : يا عبدَ الله إنّ فيك لخِصالاً تُعجِبُني كثَّر اللهُ في مواليَّ مِثْلَك . فقبَّلتُ رجلَه والأرضَ بين يديه ، وأحسنَ محمدُ بنُ عبد المِلك الزيَّات محضري وقال له : إنّ له يا أميرَ المؤمنين ، أدباً حَسَناً وشِعْراً جيِّداً . فلمّا خرجْتُ قلتُ له : أيُّها الوزير ، ما شِعْرِي أنا في الشعر تَسْتَحسِنه وتُشيد بذكره بين يدَي الخليفة ؛ فقال : دَعنا منك ، تنتفي من الشِّعر وأَنتَ الذي تقول : [من المجتث]

يــا شادِنــاً مَــرَّ إذ را ... مَ في السَّعانــين قَتْـلي

يَقولُ لي : كيف أُصبحْـ ... ـتَ ، كيف يُصبح مِثْلي !

أَحسنْتَ واللهِ في هذا ، ولو لَم تَقُل غيرَ هذا لكنتَ شاعِراً[1] .

[سوار يطلب منه لحناً]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : قال أَبي : قال عبدُ الله بنُ العبَّاس الرَّبيعيّ : لَقِيَني سَوّارُ بنُ عبدِ الله القاضي ، وهو سوّار الأصغر ، فأصغى إليَّ وقال : إنَّ لي إليـك حاجـةً فأتِني في خَفْيٍ . فجئتُه ، فقال : لي إليك حاجة قد أَنِستُ بك فيها ، لأنّـك لي كالوَلَد ، فإن شرطتَ لي كِتمانَها أفضَيْتُ بها إليك . فقلتُ : ذلك للقاضي عليَّ شرطٌ واجبٌ . فقال : إنِّي قلتُ أبياتاً في جارية لي أَميلُ إليها وقد قَلَتْني وهجرَتْني : وأَحبَبْتُ أن تَصْنَـعَ فيهـا لحناً وتسْمِعنيه ، وإن أَظهرَته وغنَّيْتَه بعد ألاّ يعلَم أحدٌ أنّه شِعري ، فلستُ أُبالـي ، أتفعَل ذلك ؟ قلتُ : نعم حُبّاً وكرامة ، فأنشدَني : [من الطويل]

---

1 قارن بما تقدم .

صوت

سَلَبْتِ عِظامـي لحمَهـا فتركْتِهـا ... عَـوارِيَ في أَجْلادِهـا تَتَكَسَّرُ[1]
وأَخليـتِ منهـا مُخَّهـا فكأَنَّها ... أَنابيـبُ في أَجوافِهـا الرِّيحِ تصفِرُ
إذا سَمِعتْ باسْمِ الفِـراق ترعَّدَت ... مفاصِلُهـا مـن هَـوْلِ مـا تتحذَّرُ
خُذِي بيَدي ثم اكْشفي الثوبَ فانظُري ... بِـلى جَسَدي لكِنَّنِـي أَتَسَتَّـرُ
وليس الذي يَجْري مـن العينِ ماؤُها ... ولكِنّهـا رُوحٌ تَـذُوبُ فتَقْطُـرُ

اللحن الذي صَنَعه عبدُ الله بنُ العبَّاس في هذا الشعر ثقيل أَوّل ، قال عبدُ الله : فصَنَعتُ فيه لَحْناً ، ثم عرّفتُه خبرَه في رُقْعة كَتَبتُها إليه ، وسأَلتُه وَعْداً يَعِدني به للمصير إليه . فكتب إليَّ : نظرتُ في القِصَّة فوجدتُ هذا لا يصلُح ولا ينكتم عليّ حُضورُك وسَماعي إيّاك ، وأَسأَلُ الله أن يسُرَّك ويُبقيك . فغنَّيت الصوتَ وظَهَر حتى تَغنَّى به الناسُ ، فلَقِيَني سَوَّار يوماً فقال لي : يا ابن أخي ، قد شاع أَمرُك في ذلك الباب حتى سَمِعْناه من بُعْد كأَنَّا لم نعرف القصَّة فيه ، وجعلْنا جميعاً نضحك .

[لحن في شفاء خادم]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ المَرْزُبان ، قال : كان بِشْرٌ خادِمُ صالح بن عُجَيف عليلاً ثم بَرِىءَ . فدخل إلى عبدِ اللهِ بن العبَّاس ، فلمّا رآه قام فتلَقّاه وأَجلسه إلى جانبه ، وشَرِب سُروراً بعافِيَته ، وصنع لحناً من الثقيل الأَوّل هو من جيِّد صَنْعتِه : [من البسيط]

صوت

مَـوْلاي ليس لِعَيْشٍ لستَ حاضِرَه ... قَـدْرٌ ولا قِيمَـةٌ عنـدي ولا ثَمَنُ
ولا فَقَـدتُ مـن الدُّنيـا ولذَّتِها ... شَيْئاً إذا كان عندي وَجهُكَ الحَسَنُ

[غنّى الواثق بعد شفائه فأَجازه]

حدَّثني محمـدُ بن مَزْيـد بن أَبـي الأَزْهـر قـال : حدَّثنا حمَّاد بنُ إسحاق قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ العبَّاس الرّبيعيّ قال : جَمَعَنا الواثِقُ يوماً بعَقِب عِلّة غليظة كان فيها ، فعُوفي وصَحَّ جِسمُه ، فدخلتُ إليه مع المغنِّين وعُودي في يَدِي ، فلمّا وقَعَتْ عيني عليه من بعِيـد ، وصِرْتُ بحيث يَسْمَع صوتي ، ضربتُ وغنَّيتُ في شِعرٍ قلتُه في طريقي إليه ، وصنَعتُ فيه لحناً وهو : [من الكامل]

---

1 الأجلاد : جمع جلد ، وهو الجسم والأعضاء . انظر اختلاف الروايات وتخريجها في ديوان مجنون ليلى (فراج) : 134 .

صوت

اسلَـمْ وعَمَّـرَكَ الإلـهُ لأُمَّةٍ بِكَ أُصْبَحَت قَهَرَتْ ذَوي الإلحادِ
لـو تَسْتَطِيعُ وَقْتَـك كُلَّ أذيَّـةٍ بـالنَّفْسِ والأَمْـوالِ والأَولادِ

فضَحِكَ وسُرَّ وقال : أَحسَنْتَ يا عبدَ الله وسَرَرْتَني ، وتيمّنتُ بابْتِدائِك ، ادْنُ منّي . فدَنَوْتُ منْه حتى كنتُ أقربَ المغنّين إليه ، ثم استعادني الصوتَ ، فأعدْتُه ثلاثَ مرّات ، وشَرِب عليه ثلاثةَ أقداح ، وأمَر لي بعشرة آلاف دِرْهم وخِلعة من ثيابه .

[وداع مفاجىء]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني عَوْنُ بنُ محمد الكِنْديّ قال : كان عبدُ الله بنُ العبَّاس بنِ الفَضْلِ بن الرَّبيع يَهْوى جارِيةً نَصرانِيّة ، فجاءَته يوماً تُودِّعُه ، فأَعلَمَتْه أَنَّ أباها يُريدُ الانحدار إلى بغداد والمُضيّ بها معه ، فقال في ذلك وغنّى فيه : [من مجزوء الرجز]

صوت

أَفدي التي قُلتُ لهـا والبَينُ منّا قـد دَنا :
فَقدُكِ قد أنحلَ جِسْمِـ ـي وأَذابَ البَدَنـا
قالت : فمـاذا حِيلَتي كذاك قـد ذبـتُ أنا
باليأْس بعـدي فاقتنع قلت : إذاً قَـلَّ الغَنا

[علي بن عيسى يؤجّل الصوم للشرب]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني عَوْنُ بنُ محمد ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ عيسى بن جعفر الهاشميّ ، قال : دخَلَ عليَّ عبدُ الله بنُ العبَّاس في يوم النِّصف من شَعبان ، وهو يوم سَبْت ، وقد عزمْت على الصَّوم ، فأَخذ بعِضادَتي باب مجلسي ، ثم قال : يا أميري : [من المنسرح]

تُصْبِـحُ في السَّبتِ غَيْرَ نشوانِ وقد مَضى عنك نِصفُ شعبانِ !

فقلت : قد عَزَمتُ على الصوم ، فقال : أَفَعَلَيك وزرٌ إن أُفطرتَ اليوم ، لمكاني وسررتني بمساعدتك لي ، وصُمتَ غداً ، وتصدَّقتَ مكانَ إفطارِك ؟ فقلت : أفعل ، فدعَوتُ بالطَّعام فأَكَلتُ ، وبالنبيذ فشَرِبْنا ، وأصبح من غد عندي ، فاصْطَبَح وساعدتُه ، فلمّا كان اليوم الثالث انتَبهتُ سَحَراً وقد قال هذا الشعرَ وغنّى فيه : [من المجتث]

شعبـانُ لم يبـقَ منـه إلاّ ثَـلاثٌ وعَشْرُ
فباكِـر الرّاحَ صِرْفـاً لا يَسْبِقَنَّـكَ فَجْـرُ

فـإن يَفتُـكَ اصْطِباحٌ فـلا يفوتَنْـك سُكْرُ
ولا تُنـادِمِ فتًـى وقـ ـتُ شُربه الدَّهْرَ عَصرُ

قال : فأطرَبَني واصطَبَحت معه في اليوم الثّالث ، فلمّا كان في آخر النَّهار سَكِر ، وانصرف ، وما شَرِبنا يومَنا كُلَّه إلاّ على هذا الصَّوت .

[طلب من المتوكّل الشرب في آخر شعبان]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ابن دِهْقانة النديم قال : دخَلَ عبدُ الله بن العبّاس إلى المُتوكّل في آخرِ شعبان فأنشدَه : [من الخفيف]

عَلِّـلاني نَعِمْتُمـا بمُـدامِ واسْقِياني من قَبْلِ شَهْر الصِّيامِ
حـرَّم اللهُ في الصِّيامِ التَّصابي فترَكنـاه طاعـةً للإمـامِ
أَظهرَ العَدْلَ فاسْتَنارَ بـه الدِّيـ ـنُ وأَحيـا شرائِعَ الإسلامِ

فأمَرَ المتوكّل بالطَّعام فأُحضِر ، وبالنَّديم وبالجَلساء فأُتي بذلك ، فاصطَبَح وغنّاه عبدُ الله في هذه الأبيات ، فأمَرَ له بعشرة آلافِ دِرْهم .

[يحتال لإسقاط الربا]

أخبرني الحَسَن بن عليّ قال : حدَّثنا يَزيد بنُ محمد المُهلَّبيّ قال : حدَّثني عبد الله بنُ العبّاس قال : كُنتُ مُقيماً بسرّ مَنْ رأى وقد رَكِبَني دَيْن ثقيل أكثرُه عِينَةٌ[1] ورِباً ، فقلتُ في المتوكّل : [من المديد]

اسقِيـاني سَحَـراً بالكُبَّرهْ مـا قَضى اللهُ فَفِيه الخِيَرَهْ[2]
أكـرمَ اللهُ الإمامَ المرتَضى وأطـالَ اللهُ فينـا عُمُـرَهْ
إن أكُن أُقْعِدْتُ عنه هكذا قَـدَّرَ اللهُ رَضِينـا قَـدَرَهْ
سرَّه اللهُ وأبقـاه لنـا أَلفَ عـام وكَفانا الفَجَرَهْ

وبعثتُ بالأبيات إليه ، وكنتُ مُستَتراً من الغُرَماء . فقال لعُبيد الله بن يحيى : وَقِّع إليه : مَنْ هؤلاء الفجَرة الذين استكفيتَ اللهَ شَرَّهم ؟ فقلتُ : المعيَّنون الذين قد رَكِبَني لهم أكثر ممّا أخذتُ منهم من الدَّيْن بالرِّبا . فأمر عُبَيد الله أن يقضيَ دَيْني ، وأن يَحْتَسِب لهم رؤوسَ أموالهم ، ويُسقِط الفَضْل ، ويُنادي بذلك في سُرَّ مَنْ رأى حتى لا يَقضي أحدٌ أحداً إلاّ رأسَ ماله . وسَقَطَ عنّي وعن النّاس من الأرباح زُهاءَ مائة ألفِ دينار كانت أبياتي هذه سببَها .

1 العِينة : بيع الشيء لأجل بزيادة على ثمنه انتظاراً للثمن ، للخلاص من الربا .
2 الكبرة : الكبير جدّاً .

[عتب على عدم العيادة]

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني عونُ بنُ محمد الكِنْديّ قال : حدَّثني أبي قال : مَرِض عبدُ الله بن العبّاس بسُرّ مَن رأى في قَدْمةٍ قَدِمها إليها ، فتأخَّر عنه مَنْ كان يَثِق به ، فكتب إليهم : [من الطويل]

ألا قُـلْ لِمَـن بالجانِبَيْن بأنَّنـي مـريضٌ عـداني عن زِيارَتهم ما بِي
فَلَـو بهـمُ بعضُ الذي بـي لزُرتُهمْ وحاشَ لهم من طُولِ سُقْمي وأوصابي
وإن أقشَعتْ عنّـي سَحابـةُ عِلَّتـي تَطاوَلَ عَتْبـي أن تأخَّـر إعتابي

قال : فما بَقِي أحدٌ من إخوانه إلاّ جاءه عائداً مُعتَذِراً .

[غناء عند علويه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال : حدَّثني محمد بنُ محمد بن موسى قال : سمِعتُ عبدَ الله بنَ العبّاس يُغنّي ونحن مُجتمعون عند علُّويَه بشِعْر في النّصرانيّة التي كان يَهْواها والصَّنعة له : [من الرمل]

صوت

إنَّ في القَلْبِ من الظَّبْي كُلُـومْ فـدَعِ اللّومَ فإنّ اللَّـوْمَ لُـومْ
حبَّـذا يـومُ السَّعانين ومـا نِلْتُ فيـه مـن نَعيمٍ لو يَدُومْ
إن يَكُن أعظمتَ أنْ هِمْتُ به فالذي تَرْكَب من عَذْلي عَظِيمْ
لم أكُن أوَّلَ مَـنْ سَنَّ الهَوى فدَعِ اللَّـومَ فـذا داءٌ قَدِيمْ

الغناء لعبدِ الله هزج بالوسطى .

[يعلّم وصيفته الغناء]

حدَّثني أبو بكر الرَّبيعيّ قال : حدَّثتْني عمَّتي ، وكانت رُبّيت في دار عمّها عبد الله بن العبّاس ، قالت : كان عبدُ الله لا يفارق الصَّبوحَ أبداً إلاّ في يوم جُمُعة ، أو شهر رمضان ، وإذا حَجَّ . وكانت له وَصيفَة يقال لها : هَيْلانـة قـد ربَّاهـا وعلَّمهـا الغناء ، فأذْكرُه يوماً وقـد اصطَبَح ، وأنا في حجره جالِسة والقـدح في يـدِهِ اليُمْنى ، وهـو يُلقي على الصَّبيّة صوتاً أوَّله : [من مجزوء الرمل]

صدعَ البيـنُ الفُؤادا إذ به الصائحُ نادَى

فهو يردِّدُه ويومىءُ بجميع أعضائه إليها يُفهِمها نَغَمه ، ويُوقِّعه بيده على كتفي مرّة وعلى فَخِذي أُخرى ، وهو لا يدري حتى أوجعَني . فبكَيت وقلتُ : قد أوجعْتَني مِمّا تضرِبُني وهَيلانة لا تأخذُ الصوت وتضرِبني أنا . فضَحِك حتى استلقى واستَمْلح قولي ، فوهب لي

ثوبَ قَصَب أصفر ، وثلاثةَ دنانير جُدُداً . فما أنسى فَرَحي بذلك وقِيامي به إلى أُمّي ، وأنا أعدو إليها وأضحَك فَرَحاً به .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الرمل]

صــدَعَ البَيْـــنُ الفُؤادا   إذ بــه الصائِحُ نــادى
بيْنمــا الأَحبابُ مَجْمو   عون إذ صاروا فُرادى
فأتــى بعــضٌ بِــلاداً   وأتــى بعــضٌ بِــلادا
كُلَّما قُلْــتُ : تَناهــى   حَدَثــانُ الدَّهــر عادا

الشعر والغناء لعبد الله هزج بالوسطى عن عمرو .

صوت[1]

[من الكامل]

حضر الرحيل وشُدَّت الأَحداجُ   وغــدا بهــنّ مُشمِّــرٌ مِزعاجُ[2]
للشوق نيــرانٌ قَدَحْــنَ بقلبِــه   حتى استمرَّ بــه الهَوى المِلجاجُ
أَزعِجْ هواكَ إلى الذيــن تُحبُّهمْ   إنّ المحــبَّ يسوقُــه الإزعاجُ
لم يُدنِينَّــك للحبيــب ووصلِــه   إلاّ السُّرى والبــازلُ الهَجْهاجُ[3]

الشعر لسَلْم الخاسر ، والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أوّل بالوسطى .

1 شعراء عباسيون (غرونبام) : 95–96 .
2 الأحداج : جمع حدج ، وهو مركب للنساء كالهودج .
3 الهجهاج : الشديد الهدير .

[408] ـ أخبار سلم الخاسر ونسبه[1]

[نسبه]

سَلْمُ بنُ عمرٍو مولى بني تَيْمِ بنِ مرّة ، ثم مولى أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه . بصريّ ، شاعرٌ مطبوعٌ متصرّفٌ في فنون الشّعر ، من شعراء الدولة العباسيّة .

وهو راوية بشارِ بنِ بُرْد وتلميذُه ، وعنه أَخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونَمَطه قال الشعر .

[تلقيبه بالخاسر]

ولُقّب سلمٌ بالخاسرِ ، فيما يقال ، لأنّه ورِث من أَبيه مُصْحَفاً ، فباعه واشترى بثمنه طُنْبوراً . وقيل : بل خلّف له أبوه مالاً ، فأنفقه على الأدب والشعر ، فقال له بعض أهله : إنّك لخاسرُ الصفقة ، فلقّب بذلك .

[انقطاعه إلى البرامكة]

وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ ، ولأَبي العتاهية خاصة من الشعراء والمغنّين ، ثم فسد ما بينه وبين أَبي العتاهية ، وكان سلمٌ منقطعاً إلى البرامكة ، وإلى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم . وفيه يقول أَبو العتاهية[2] : [من الرمل]

إنّما الفضل لِسَلْمٍ وحدَه ليس فيه لسوى سَلْمٍ دَرَكْ[3]

وكان هذا أحدَ الأسباب في فساد ما بينه وبين أبي العتاهية . ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حجّ مع عُتبة[4] : [من المنسرح]

واللهِ والله ما أُبالي متى ما متُّ يا سَلْمُ بَعْدَ ذا السفرِ
أَليس قد طُفْتُ حيث طافت وقبّـ ـلتُ الذي قبلَتْ من الحجرِ

---

1 ترجمة سلم الخاسر في معجم الأدباء (عباس) : 1382–1384 ووفيات الأعيان 2 : 350–352 (سالم الخاسر) وطبقات ابن المعتز : 99–105 . وقد جمع غرونباوم شعره في «شعراء عباسيون» ترجمة د . محمد يوسف نجم (بيروت ـ 1959) .

2 ديوان أبي العتاهية : 596 .

3 درك : الإدراك واللحاق .

4 ديوان أبي العتاهية : 549 .

وله يقول أبو العتاهية وقد حُبس إبراهيمُ الموصليّ[1] : [من الخفيف]

سَلمُ يــا سلمُ ليس دونك سِرٌّ حُبِس الموصــليٌّ فالعيش مُــرُّ
ما استطاب اللذاتِ مذ سَكَن المُطْـ ـبقَ رأْسُ اللــذاتِ واللهِ حُرُّ[2]
تَــرَكَ الموصليٌّ مَــن خَلَق اللـ ـهُ جميعــاً وعيشهم مُقْشعِرٌّ

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني عليٌّ بن الحسن الواسطيُّ ، قال : حدَّثني أبو عمرو سعيدُ بنُ الحسن الباهليّ الشاعر . قال : لمّا مات عمرْو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثَه ، فوقع في قِسْط سَلْم مصحفٌ ، فردَّه وأخذ مكانه دفاترَ شعر كانت عند أبيه ، فلُقِّب الخاسرَ بذلك .

[سلم الرابح]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن عمر الجرجانيّ ، قال : ورِث سلمُ الخاسِر أباه مائةَ ألف درهم ، فأنفقها على الأدب ، وبقي لا شيءَ عنده ، فلقبه الجيران ومَن يعرفه بسلم الخاسر ، وقالوا : أنفق مالَه على ما لا ينفعه . ثم مدح المهديّ ، أو الرشيد ، وقد كان بلغه اللقبُ الذي لُقِّب به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : كَذِّب بهذا المال جيرانَك ، فجاءهم بها ، وقال لهم : هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحتُ الأدب ، فأنا سَلْم الرَّابح ، لا سَلْم الخاسر .

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بنِ عمار ، قال حدَّثني عليّ بن محمد بن النوفليّ ، عن أبيه ، قال : إنّما لُقِّب سَلْم الخاسر لأنّه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه ، واشترى بثمنه طُنبوراً .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي الفضل ، قال : قال لي الجمّاز : سلم الخاسر خالي لَحًا[3] ، فسألته : لم لقب الخاسر ؟ فضحك ، ثم قال : إنّه قد كان نَسَك مدّة يسيرة ، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه ، وباع مصحفاً له وَرِثه عن أبيه ، وكان لجدّه قبله ، واشترى بثمنه طُنْبوراً . فشاع خبره وافتَضَح ، فكان يقال له : ويلك ! هل فعل أحد ما فعلتَ ؟ فقال : لَمْ أجِد شيئاً أتوسّل به إلى إبليس هو أقرُّ لعينه من هذا .

[غضب عليه بشار]

أخبرني عمِّي ، قال : أنبأنا عبدُ الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني أحمد بن صالح المؤدّب ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة ، قال : حدَّثني أبي ، عن أحمد بن صالح قال ، قال

1 ديوان أبي العتاهية : 535 .
2 الديوان : رأس اللذات في الناس حر .
3 لحا : ملاصقاً .

بشّارُ بن برد[1] : [من البسيط]

صوت

لا خَيْرَ في العيشِ إن دُمنا كذا أبداً   لا نلتقي وسبيلُ المُلْتَقى نَهَجُ[2]
قالـوا حَـرامٌ تلاقِينا فقلتُ لهمْ   ما في التَّلاقي ولا في غيرِه حرَجُ
مَنْ راقَبَ النّاسَ لم يظفَرْ بحاجتِه   وفـاز بالطّيّباتِ الفاتـكُ اللهِجُ[3]

قـال : فقـال سلم الخاسر أبياتـاً ، ثـم أخـذ معنى هذا البيت ، فسلخه ، وجعله في قوله[4] : [من مخلع البسيط]

مَن راقب الناسَ مـاتَ غَـمّـاً   وفـاز باللـذة الجَسورُ

فبلغ بيتُه بشاراً ، فغضب واستَشاط ، وحلف ألاّ يدخلَ إليه ، ولا يفيدَه ولا ينفَعه ما دام حيّاً . فاستشفَع إليه بكلِّ صديق له ، وكلِّ مَن يَثقُل عليه ردُّه ، فكلّموه فيه ، فقال : أدخلوه إليّ ، فأدخلوه إليه فاستدناه ، ثم قال : إيه يا سلم ، مَن الذي يقول : [من البسيط]

مَـن راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِه   وفاز بالطّيّباتِ الفاتكُ اللهِجُ

قال : أنت يا أبا معاذ ، قد جعلني اللهُ فداءكَ ! قال : فمن الذي يقول : [من مخلع البسيط]

مَن راقبَ الناسَ مـاتَ غَمّـاً   وفـازَ باللـذةِ الجسورُ

قال : تلميذك ، وخِرِّيجك ، وعبدك يا أَبا معاذ . فاجتذبه إليه ، وقَنّعه[5] بمِخْصَرة كانت في يده ثلاثاً ، وهو يقول : لا أعود يا أبا مُعاذ إلى ما تُنْكره ، ولا آتي شيئاً تذُمّه ، إنّما أنا عبدك ، وتلميذك ، وصَنيعَتك ، وهو يقول له : يا فاسق ! أتجيء إلى معنًى قد سَهِرَت له عيني ، وتعِب فيه فِكري ، وسَبَقتُ الناسَ إليه ، فتسرِقَه ، ثم تختصرَه لفظاً تُقرّبه به ، لِتُزْرِيَ عليّ ، وتُذهب بيتي ؟ وهو يحلف له ألاّ يعود ، والجماعة يسألونه . فبَعد لأْيٍ وجهد ما شفَّعهم فيه ، وكفَّ عن ضربه ، ثم رجع له ، ورضي عنه .

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمّار ، قال : أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور ، قال : حدَّثني عبدُ الوهاب بنُ مرّار ، قال : حدَّثني أبو معاذ النُّميريّ راوية بشّار ، قال :

---

1 ديوان بشار : 167 .
2 نهَج : واضح ، وحركها للوزن .
3 اللهج : المولع .
4 شعراء عباسيون : 104 .
5 قنعه : غشاه .

قد كان بشّار قال قصيدة فيها هذا البيت : [من البسيط]

مَن راقب الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِهِ وفـاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللهجُ

قال : فقلت له يا أبا مُعاذَ قد قال سلم الخاسر بيتاً ، هو أحسنُ وأخفّ على الألسن من بيتك هذا ، قال : وما هو . فقلت : [من مخلع البسيط]

مَـن راقب الناسَ مـات غَمّاً وفـــاز باللـــذّة الجسورُ

فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله لَوَدِدت أنّه ينتمي في غيرِ ولاء أبي بكر ، رضي الله عنه ، وأنّي مُغرَم ألف دينار محبّة منّي لِهَتْك عرضِه وأعراض مواليه ! قال : فقلت له : ما أخرج هذا القولَ منك إلاّ غمّ . قال : أجل ، فوالله لا طَعِمت اليوم طعاماً ، ولا صُمْت .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق بنِ محمد النَّخَعيّ ، قال : قال أبو معاذ النميريّ : قال بشّار قصيدة ، وقال فيها : [من البسيط]

مَن راقبَ الناسَ لم يظفَرْ بحاجتِهِ وفاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللهجُ

فعرّفته أنّ سلماً قد قال : [من مخلع البسيط]

مَـن راقب الناسَ مـات غَمّاً وفـــازَ باللـــذةِ الجسورُ

فلمّا سمع بشار هذا البيت قال : سار والله بيتُ سلم ، وخَمَل بيتُنا ! قال : وكان كذلك ، لَهج الناسُ ببَيت سلم ، ولم يُنشِد بيتَ بشارٍ أحدٌ .

[قوله في قصر صالح بن المنصور]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ ، قال : حدَّثني الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ ، قال : لمّا بَنى صالح بن المنصور قصرَه بدِجْلة قال فيه سَلْم الخاسر[1] : [من السريع]

يـا صالحَ الجودِ الذي مَجدُه أفْسَدَ مجــدَ النـاسِ بالجودِ
بَنَيـتَ قصراً مشْرفـاً عالِيـاً بطائـــرَيْ سعـــدٍ ومسعودِ
كأنّمـــا يَرفـــعُ بنيانَـــه جِـــنُّ سليمـانَ بـنِ داودِ
لا زلتَ مسروراً بـــه سالمـاً على اختـلاف البيضِ والسودِ

يعني الأيّام والليالي ، فأمر له صالح بألف درهم .

---

1 شعراء عباسيون : 97–98 .

[ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشّار وأخرى له]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني بعض آل ولد حمدونَ بن إسماعيل ، وكان ينادم المتوكّل ، عن أبيه ، قال : كان سلم الخاسر من غِلمان بشار ، فلمّا قال بشّار قصيدته الميميّة في عُمر بن العلاء ، وهي التي يقول فيها[1] : [من المتقارب]

إذا نَبَّهتْك صعابُ الأُمورِ فنبّه لها عُمراً ثم نَمْ
فَتًى لا يبيت على دِمْنَةٍ ولا يَشرب الماءَ إلاّ بِدَمْ[2]

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء ، فوافاه فأنشده إيّاها ، فأمر لبشّار بمائة ألف درهم . فقال له سلم : إنَّ خادمك ، يعني نفسه ، قد قال في طريقه فيك قصيدة ، قال : فإنّك لَهُناك ؟ قال : تسمع ، ثم تَحْكُمُ ، ثم قال : هاتِ ، فأنشدَه[3] : [من السريع]

صوت

قد عزّني الدّاءُ فما لي دَواءْ مِمّا أُلاقي مِن حِسانِ النساءْ
قَلْبٌ صحيحٌ كنت أسطو به أصبحَ مِن سَلْمى بِداءٍ عَياءْ
أنفاسها مِسك وفي طَرْفِها سِحر وما لي غيرها من دواءْ
وَعَدْتِني وَعْداً فأوفى به هل تَصْلُح الخمرة إلاّ بماءْ

ويقول فيها :

كم كُرْبةٍ قد مَسَّني ضُرُّها نادَيتُ فيها عُمَر بن العلاءْ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوَّلَ عطيّة سنيّة وصلت إليه .

[صداقته مع عاصم بن عتبة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : وجَدْت في كتاب بخطّ الفضل بن مروان : وكان عاصم بن عتبة الغسّانيّ جدُّ أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسلم الخاسر ، كثيرَ البرّ به ، والملاطفة له ، وفيه يقول سَلْم[4] : [من مشطور الرجز]

---

1 ديوان بشار : 413 .
2 الدمنة : من معانيها الحقد القديم .
3 شعراء عباسيون : 92 .
4 شعراء عباسيون : 119–120 .

الجُود في قحطانٍ ... مـا بَقِيتْ غسانُ
اسلَمْ ولا أُبـالي ... مـا فَعَل الإخوانُ
مـا ضَرَّ مُرْتَجيـه ... مـا فعـل الزمانُ
مَن غاله مَخُوفٌ ... فعاصـمٌ أمـانُ

[يعطي ماله لعاصم]

وكان سبعين بيتاً ، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم ، وكان مَبْلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خَمسمائة ألفِ درهم ، فلمّا حضرَتْه الوفاة دعا عاصماً فقال له : إنّي ميِّت ، ولا ورثةَ لي ، وإنّ مالي مأخوذ ، فأنتَ أحَقّ به ، فدفع إليه خمسمائة ألفِ درهم ، ولم يكن لسلم وارث . قال : وكان عاصم هذا جواداً .

أخبرني محمد بن خلف وَكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن طَهمان ، قال : أخبرني القاسمُ بنُ موسى بنِ مَزْيد ، أنّ يزيدَ بنَ مزيد قال : ما حسَدْتُ أحداً قطُّ على شعر مُدِح به إلاّ عاصمٌ بن عُتْبة الغسّانيّ ، فإنّي حسدته على قول سلم الخاسر فيه : [من مشطور الرجز]

لِعاصـمٍ سَمـاءٌ ... عارضُهـا تَهتـانُ
أمطارُهـا اللجينُ ... والـدرّ والعِقيـانُ
ونـارُه تنـادي ... إذْ خَبَـتْ النِّيرانُ
الجـودُ في قحطان ... مـا بقيـتَ غسانُ
اسلَمْ ولا أُبـالي ... مـا فعـل الإخوانُ
صَلْتٌ لـه المعـالي ... والسيـفُ والسنانُ

[يقدم أبا العتاهية على بشار]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا يعقوبُ بن نُعيم عن محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، وأخبرني به الحسن بن علي ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن الغَريبي ، عن محمد بن عمر الجرجانيّ ، قال : كان سلم تلميذَ بشّار ، إلاّ أنّه كان تباعدَ ما بينهما ، فكان سلم يُقدِّم أبا العتاهية ، ويقول : هو أشعرُ الجِنّ والإنس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً[1] : [من الوافر]

1 ديوان أبي العتاهية : 296–297 .

تعالى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرو أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ
هَب الدُّنيا تصيرُ إليك عَفْواً أليس مصيرُ ذاك إلى زوالِ

قال : وبلغ الرشيدَ هذا الشعرُ فاستحسنه ، وقال : لعمري إنّ الحرص لَمفْسدَة لأمر الدِّين والدُّنيا ، وما فَتَّشت عن حريص قطّ مُغَيَّبه إلاّ انكشف لي عمّا أذُمّه . وبلغ ذلك سلماً ، فغضب على أبي العتاهية ، وقال وَيْلي على الجَرّار ابنِ الفاعلة الزِّنْديق ! زعم أنّي حريص ، وقد كَنز البُدور وهو يطلب وأنا في ثَوبيّ هذين ، لا أملك غيرهما . وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك .

[رده على أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال أخبرني محمد بن إسماعيل السَّدُوسيّ ، قال : حدَّثني جعفر العاصميّ ، وأخبرني عمِّي ، عن أحمد بن أبي طاهر ، عن القاسم بن الحسن ، عن زكريّا بن يحيى المدائنيّ ، عن عليّ بن المبارك القُضاعيّ ، عن سلم الخاسر : أنّ أبا العتاهية لمّا قال هذا الشعر فيه كتب إليه[1] : [من السريع]

ما أقبحَ التزهيدَ مِنْ واعظٍ يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان في تزهيدِه صادقاً أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ
ورَفَضَ الدُّنيا ولم يَلْقَها ولم يكُن يسعى ويسْتَرفِدُ
يخاف أن تنفدَ أرزاقُه والرزقُ عندَ اللهِ لا ينفَدُ
الرِّزقُ مقسوم على مَنْ تَرى ينالُه الأبيض والأسودُ
كُلٌّ يُوفَّى رزقَه كاملاً مَنْ كفَّ عن جهد ومَن يَجْهَدُ

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مهرويه ، قال : حدَّثني أبو العسكر المِسْمعيّ ، وهو محمد بن سليمان ، قال : حدَّثني العبّاس بن عبد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مسمع ، قال : كنّا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان ، وهو يومئذٍ أمير البصرة ، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد ؛ فقال لي : قُثَمُ : يا عبّاس ، اطلب لي الجَمَّاز الساعة حيث كان فجئني به ، ولك سَبَق[2] ، فطلبته ؛ فوجدته جالساً ناحية عند رُكْن دار جعفر بن سليمان ، فقلت له : أجبْ الأميرَ . فقام معي حتى أتى قثمَ ، فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده ، ثم قام إليه الجمّاز فواجهه ، وأنشد قولَ سلم الخاسر

1 شعراء عباسيون : 97 .
2 سبق : ما يتراهن عليه المتسابقون .

فيه : [من البسيط]

ما أقبح التزهيدَ من واعظٍ يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان في تزهيدِه صادقاً أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ

وذكر الأبيات كلّها ، فقال أبو العتاهية : مَن هذا أعزّ الله الأمير ؟ قال : هذا الجماز ، وهو ابن أخت سلم الخاسر ، انتصر لخاله منك حيث قلت له : [من الوافر]

تعالى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرو أذلّ الحرصُ أعناق الرجالِ

قال : فقال أبو العتاهية للجمّاز : يا ابن أخي ، إنّي لم أذهب في شعري الأوّل حيث ذَهب خالُك ؛ ولا أردتُ أن أهتف به ، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذَهَبْتَ من الحرص على الرزق ، واللهُ يغفر لكما . ثم قام فانصرف .

[صلاته من الرشيد والبرامكة]

أخبرني عمّي ، عن أحمد بن أبي طاهر ، عن أبي هَفّان ، قال : وصَلَ إلى سلم الخاسر من آل بَرْمَكَ خاصة سوى ما وصل إليه من غيرهم عِشرون ألف دينار ، ووصل إليه من الرشيد مثلُها .

[يطلب إلى أبي محمد اليزيديّ أن يهجوه فيفعل فيندم]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمّاي عبيدُ اللهِ والفضلُ ، عن أبيهما ، عن أبي محمد اليزيديّ : أنّه حضر مجلس عيسى بنَ عمر ، وحضر سلم الخاسر ، فقال له : يا أبا محمد ، اهْجُني عَلى رَوِيّ قصيدة امرىء القيس[1] : [من المديد]

رُبَّ رامٍ مِنْ بَني ثُعَلٍ مُتْلِجٍ كفيه في قُتَرِهْ[2]

قال : فقلت له : ما دعاك إلى هذا ؟ قال : كذا أريد . فقلت له : يا هذا أنا وأنت أغنى الناس عمّا تستدعيه من الشرِّ فلْتَسَعْك العافية ؛ فقال : إنّك لتَحْتَجز منّي نهاية الاحتجاز ، وأراد أن يوهم عيسى أنّي مُفْحَم عَيِيٌّ لا أقدر عَلى ذلك ، فقال لي عيسى : أسألك يا أبا محمد بِحَقّي عليك إلاّ فَعَلْت . فقلت : [من المديد]

رُبّ مغمومٍ بعافيةٍ غَمَط النعمةَ من أَشَرِهْ[3]

---

1 ديوان امرىء القيس : 102 .

2 مثلج : مدخل . والقتر : جمع قترة ، وهي حفيرة يكمن فيها الصائد .

3 في روايةٍ : غمط النعماء .

وامرىءٍ طالَت سلامتُه فرماه الدهرُ من غِيَرِهْ
بسهامٍ غير مُشْوِيَّةٍ نَقَضَت منه قُوى مِرَرِه[1]
وكذاك الدهر منقلِبٌ بالفتى حالين من عُصُرِهْ
يَخْلِط العُسْرَ بمَيْسَرةٍ ويَسارُ المرء في عُسُرِهْ
عَقَّ سلمٌ أُمَّه صِغَرا وأبا سَلْم على كِبَرِهْ
كلَّ يومٍ خلفَه رجُل رامحٌ يسعى عَلَى أَثَرِهْ
يُولج الغُرْمولَ سَبَّتَه كَوُلوجِ الضَّبِّ في جُحُرِهْ

قال : فاغتمّ سلم وندم ، وقال : هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشرّ . فضحك عيسى ، وقال له : قد جَهَد الرجل أن تَدَعه وصيانتَه ودينَه فأبيتَ إلاّ أن يُدْخِلك في حِرِ أُمك .

[يترفه ومروان يتخشن]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ ، قال : سمعت أبي يقول : كان المهديّ يعطي مروان وسلماً الخاسرَ عطيّة واحدة ، فكان سلم يأتي باب المهديّ على البِرْذَوْن الفارِه ، قيمته عشرة آلاف درهم ، بِسَرْجٍ ولِجام مفضَّضين ، ولباسُه الخزّ والوَشْي ، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحة المِسكِ والطِّيب والغاليةِ تفوح منه ، ويجيء مروانُ بن أبي حفصة عليه فَرْوٌ كبلٌ وقميص كرابيس[2] وعمامة كرابيس وخفّا كَبْل وكساء غليظ ، وهو منتن الرائحة . وكان لا يأكل اللحم حتى يَقْرَمَ إليه بُخْلاً ، فإذا قَرِم أرسل غلامه ، فاشترى له رأساً فأكَله . فقال له قائل : أراك لا تأكل إلاّ الرأس ؟ قال : نعم ، أعرِف سعرَه ، فآمن خيانة الغلام ، ولا أشتري لحماً فيَطبخَه فيأكلَ منه . والرأس آكُلُ منه ألواناً : آكُلُ منه عينيه لوناً ، ومن غَلْصَمَتِهِ[3] لوناً ، ومن دماغه لوناً .

[بلي بالكيمياء]

أخبرني الحسن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا يحيى بن الحسن الربيعيّ ، قال : أخبرني أبي ، قال : كان سلم الخاسِر قد بُلي بالكيمياء فكان يذهب

1 أشوى : لم يصب مقتلاً . والمرر : جمع مرّة ، وهي طاقة الحبل .
2 فرو كبل : قصير . وكرابيس : جمع كرباس ، وهو ثوب من القطن أو الثوب الخشن .
3 الغلصمة : اللحم بين العنق والرأس أو رأس الحلقوم .

بِكُلِّ شيء له باطلاً . فلمّا أراد الله ، عزَّ وجلَّ ، أن يَصنع[1] له عُرِّف أنّ بباب الشام صاحب كيمياء عجيباً ، وأنّه لا يصل إليه أحد إلاّ ليلاً ، فسأل عنه فدلّوه عليه .

قال : فدخلت إليه إلى موضع مُعْوِر[2] ، فدققت الباب فخرج إليّ ، فقال : مَن أنتَ عافاك الله ؟ فقلت : رجل معجَب بهذا العلم . قال : فلا تَشْهَرني ، فإنّي رجل مستور ، إنّما أعمل للقوت . قال ، قلت : إنّي لا أشهرك ، إنّما أقتبس منك ، قال : فاكتم ذلك . قال : وبين يديه كوزُ شَبَهٍ[3] صغيرٌ . فقال لي : اقلَعْ عُروتَه ، فقلعتها . فقال : اسبُكها في البُوطَقة ، فسبكتها ، فأخرجَ شيئاً من تحت مُصلاّه ، فقال : ذرّهُ عليه ، ففعلت . فقال : أفْرغه ، فأفرغتُه . فقال : دعه معك ، فإذا أصبحتَ فاخرُج ، فبعْه وعُدْ إليّ . فأخرجته إلى باب الشام ، فبعتُ المثقال بأحد وعشرين درهماً ، ورجعت إليه فأخبرته . فقال : اطلب الآن ما شئت . قلت : تفيدني . قال : بخمسمائة درهم على أن لا تعلِّمه أحداً ، فأعطيته . وكتب لي صفة ، فامتحنتُها ، فإذا هي باطلة . فعُدْت إليه ، فقيل لي : قد تحوّل ، وإذا عُروة الكوز المشَبَّه من ذهب مركبة عليه ، والكوز شَبَه . ولذلك كان يُدْخل إليه مَن يَطلبه ليلاً ، ليخفي عليه ، فانصرفت ، وعلمت أنّ الله ، عزَّ وجلَّ ، أراد بي خيراً ، وأنّ هذا كلّه باطل .

[رثاء البانوكة بنت المهدي]

أخبرني محمد بنُ عمران الصيرفيّ ، قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أبو مالك اليمانيّ ، قال : حدَّثني أبو كعب قال : لمّا ماتت البانوكة بنت المهديّ رثاها سلم الخاسر بقوله[4] : [من السريع]

أُودى ببانوكــةَ ريبُ الزمانْ مُـؤنِسةِ المهــديِّ والخيزُرانْ
لم تَـنْطـو الأرض على مِثلِهــا مولودةً حَــنَّ لهــا الوالدانْ
بانوكُ يــا بنتَ إمــام الهُدى أصبحْت من زينة أهلِ الجنانْ
بَكتْ لــك الأرضُ وسُكّانُها في كلِّ أُفْق بين إنسٍ وجانْ

[هجاؤه والبة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ ، قال : حدَّثني أبو المستهِلّ الأسديّ ، وهو عبد الله بن تميم بن حمزة ، قال : كان سلم الخاسر

1 يصنع له : يؤتيه الخير .
2 معور : لا يؤمن الشر فيه .
3 الشبه : النحاس الأصفر .
4 شعراء عبّاسيّون : 116 .

يهاجي والِبَة بن الحباب ، فأرسلني إليه سلم وقال : قُل له[1] : [من المنسرح]

يا والبَ بنَ الحُبابِ يا حَلَقي   لَسْتَ من أهلِ الزناء فانطلِقِ
تُدخلُ فيه الغُرمولَ تولجه   مثلَ وُلوج المِفتاحِ في الغَلقِ

قال : فأتيت والبة فقلت له ذلك ، فقال لي : قُل له : يا ابن الزانية ، سَلْ عنك ريعان التميميّ ، يعني أنّه ناكه ، قال : وكان رَيْعانُ لُوطيّاً آفةً من الآفات ، وكان علاّمةً ظريفاً .

قال : فحدَّثني جعفر بن قدامة عن محمد العِجْليّ ، عن أحمد بن معاوية الباهليّ ، قال : سمعت رَيعانَ يقول : نِكتُ الهيثم بنَ عديّ ، فمَن ترونه يُفلت منّي بعده ؟

[يعتذر لمدح بعض العلويين]

وأخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ ، قال : حدَّثنا العَنَزيّ ، قال : حدَّثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ ، قال : كان سلم الخاسر مَدَح بعض العلويين ، فبلغ ذلك المهديَّ ، فتوعَّده وهمّ به ، فقال سلم فيه[2] : [من البسيط]

إنّي أتتني عن المهديّ مَعْتَبَةٌ   تكاد من خوفِها الأحشاء تضطربُ
اسمعْ فداكَ بَنُو حواء كلُّهمُ   وقد يجور برأس الكاذب الكذبُ
فقد حَلفتُ يميناً غيرَ كاذبة   يوم المَغيبة لم يُقطَعْ لها سببُ
ألاّ يحالِفَ مدحي غيرَكم أبداً   ولو تَلاقى عليّ الغَرْضُ والحَقَبُ[3]
ولو ملكتُ عِنان الريح أصْرِفها   في كلّ ناحيةٍ ما فاتها الطلبُ
مولاك مولاك لا تُشمِت أعاديَه   فما وراءَك لي ذِكْرٌ ولا نسبُ

فعفا عنه .

[يحسن الرثاء دون المدح]

وأخبرني أحمد بن العبّاس وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدَّثنا العَنَزِيّ ، قال : حدَّثني العبّاسُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ ، قال : حدَّثني موسى بنُ عبدِ اللهِ بنِ شهاب المِسْمَعِيّ ، قال : سمعت أبا عبيدة مَعْمَرَ بنَ المثنى يقول : كان سَلْم الخاسر لا يحسن أن يَمْدَح ، ولكنّه كان يحسن أن يرثي ويسأل .

---

1 شعراء عباسيون : 108 .
2 شعراء عباسيون : 93–94 .
3 الغرض : كالحزام للرحل . والحقب : حزام يلي حقو البعير .

[يعد الرثاء قبل الوفاة]

أخبرني الحسنُ بن عليّ . قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ الحسن الشّيبانيّ ، قال : حدَّثني أبو المُستَهِلّ ، قال : دخلتُ يوماً على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطِيسُ فيها أشعار يَرثي ببعضها أمَّ جعفر ، وببعضها جاريةً غير مُسمّاة ، وببعضها أقواماً لم يموتوا ، وأمُّ جعفر يومئذٍ باقية . فقلت له : ويحَك ! ما هذا ؟ فقال : تحدُث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا ، ولا يَجْمل بنا أن نقول غير الجَيِّد ، فنُعِدّ لهم هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً ، على أنّه قيل في الوقت .

[بيت أبي العتاهية يعجب المأمون]

أخبرني محمد بن مزيد وعيسى بنُ الحسين ، قالا : حدَّثنا الزُّبير بنُ بَكّار ، قال : قال عبد الله بنُ الحسن الكاتب : أنشد المأمون قول أبي العتاهية : [من الوافر]

تعـالى اللهُ يـا سلمَ بنَ عمرٍو أذلَّ الحرصُ أعنـاقَ الرجـالِ

فقال المأمون : صدق لَعَمْرُ الله ، إنّ الحِرْص لَمفسَدَة للدِّين والمروءة ، والله ما رأيت من رجل قطّ حِرْصاً ولا شَرهاً ، فرأيت فيه مُصطَنعاً . فبلغ ذلك سلماً الخاسر ، فقال : ويلي على ابن الفاعلة بياع الخَزَف ، كَنَزَ البُدور بمِثْل ذلك الشعر المفكّكِ الغثّ ، ثم تزهّد بعد أن استغنى ، وهو دائباً يهتف بي ، وينسبني إلى الحرص ، وأنا لا أملك إلاّ ثوبيّ هذين .

[يشتري نفسه من أبي الشمقمق]

أخبرني عمّي والحسنُ بنُ عليّ ، قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال حدَّثنا زكريّا بنُ مهران ، قال : طالب أبو الشمقمق سلماً الخاسر بأن يهبَ له شيئاً ، وقد خرجَتْ لسلم جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقمق يهجوه[1] : [من البسيط]

يـا أمّ سَلم هـداكِ اللهُ زُورِينـا كيما نَنِيكَكِ فَـرْداً أو تَنِيكينا
ما إن ذَكَرْتُكِ إلاّ هاج لي شَبَقٌ ومثلُ ذِكْـراكِ أمَّ السلم يُشْجِينا

قال : فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أحبّ أن تُعْفِيَني من استزارتكِ أمّي وتأخذ هذه الدنانير فتُنفِقها .

[شؤم يعقوب بن داود]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني يحيى بنُ الحسن بن

1 شعراء عباسيون : 150–151 .

عبد الخالق ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بنِ الربيع عن أبيه ، قال : دخل الربيعُ على المَهديِّ وأبو عبيد الله جالس يَعْرِض كتباً ، فقال له أبو عبيد الله : مُرْ هذا أن يتنحَّى ، يعني الربيع ، فقال له المهديّ : تَنَحَّ . فقال : لا أفعل . فقال : كأنّك تراني بالعَينِ الأولى ! فقال : لا ، بل أراك بالعَينِ التي أنت بِها . قال : فلَمِ لا تتنحَّى إذا أمرتك ؟ فقال له : أنت رُكنُ الإسلام ، وقد قَتَلْتَ ابنَ هذا ، فلا آمَن أن يكون معه حَدِيدةٌ يَغتالُك بها . فقام المهديّ مذعوراً ، وأمر بتفتيشه ، فوجدوا بين جَوْرَبِه وخُفِّه سِكِّيناً ، فرُدَّت الأُمور كلُّها إلى الربيع ، وعُزِل أبو عبيد الله ، ووُلِّيَ يعقوبُ بنُ داود ، فقال سلم الخاسر فيه[1] : [من مجزوء الكامل]

يَعقُوبُ يَنظُر في الأمو ... رِ وأنت تَنظُر ناحِيهْ
أَدخلتَه فعلا عليـ ... ـكَ كذاك شؤْم الناصيَهْ

قال : وكان بلغ المهديَّ من جهة الربيع أنّ ابن أبي عُبيد الله زِنْدِيقٌ ، فقال له المهديّ : هذا حَسَدٌ منك . فقال : افحص عن هذا ، فإنْ كنتُ مُبْطِلاً بلَغْت منّي الذي يَلزم مَن كذَبك . فأُتي بابنِ عبيد الله ، فقرَّره تقريراً خفيّاً ، فأقرَّ بذلك ، فاستتابه ، فأبى أن يتوب ، فقال لأبيه : اقتله فقال : لا تطيب نفسي بذلك . فقَتله وصلَبه على بابِ أبي عبيد الله .

قال : وكان ابن أبي عبيد الله هذا من أحمقِ الناسِ : وهَب له المهديُّ وَصيفةً ، ثم سأله بعد ذلك عنها ، فقال : ما وَضَعتُ بيني وبين الأرضِ حشيّةً قَطُّ أوْطأ مِنها حاشا السامع ، فقال المهديّ لأبيه ، أتُراه يعنيني ، أو يعنيك ، قال : بَل يَعْني أُمَّه الزانية ، لا يكني .

[يمدح الفضل لأخذه البيعة للمهدي]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني يحيى بن الحسن ، قال : حدَّثني أبي ، قال : كنت أنا والربيع نَسِير قريباً مِن مَحْمِل المنصور حين قال للربيع : رأيت كأن الكعبة تصدَّعَتْ ، وكأنّ رجلاً جاء بحَبَل أسود فشدَّدها . فقال له الربيع : مَن الرجل ؟ فلم يُجِبه ، حتى إذا اعتلَّ قال للربيع : أنت الرجل الذي رأيتُه في نومي شدّد الكعبة ! فأيَّ شيءٍ تعمل بعدي ؟ قال : ما كنت أعمل في حياتك . فكان من أمره في أخذ البيعة للمهديّ ما كان ، فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع[2] : [من البسيط]

يا ابن الذي جَبَر الإسلامَ يومَ وهي ... واستنقَذَ الناسَ مِن عَمْياءَ صَيْخودِ[3]

---

1 شعراء عباسيون : 120 .

2 شعراء عباسيون : 98 .

3 الصيخود : الصخرة الشديدة . ويعني هنا الفتنة الشديدة .

قالت قريشٌ غَداةَ انهاضَ مُلْكُهُمُ : أيــن الربيــع وأعطَـوْا بالمَقاليدِ
فقــام بالأمــرِ مئناسٌ بوَحْدَتِـه ماضي العزيمةِ ضرّابُ القَماحيدِ[1]
إنّ الأُمورَ إذا ضاقَتْ مَسالِكُها حَلَّتْ يدُ الفَضْلِ مِنها كلَّ مَعقودِ
إنّ الربيع وإنّ الفضلَ قـد بَنَيـا رواقَ مجدٍ عــلى العبّـاسِ ممدودِ

قال : فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار .

[حين عقدت البيعة للأمين]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا أبو هِفّان ، قال : حدَّثني سعيد أبو هُرَيم وأبو دَعامة ، قالا : لمّا قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقَد البَيعةَ لابنه محمد الأمين[2] : [من الكامل]

قــد بايَعَ الثَّقلانِ في مَهْدِ الهُدى لمحمــد بــنِ زُبَيْدَةَ ابنةِ جعفرِ
ولّيتَــه عَهْــدَ الأنــامِ وأمْرَهُمْ فدمَغْــتَ بالمعروفِ رأسَ المنكَرِ

أعطته زُبيدة مائة ألف درهم .

[خمسمائة ألف درهم لقصيدة]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن عمرو ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ محمد بن عليٍّ الخراسانيّ عن يحيى بنِ الحسنِ بنِ عبد الخالق ، عن أبيه ، قال : قال سلم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها[3] : [من المتقارب]

لــه شِيمَةٌ عند بَذْلِ العَطا ءِ لا يَعْرِفُ الناسُ مقدارَها
ومَهْــدِيُّ أُمّتِنـا والـذي حَماهـا وأدرَكَ أوتارَها

فأمر له المهديّ بخمسمائة ألفِ درهم .

[طلب تقديمه في الجائزة على مروان]

أخبرنا وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن سليمان ، قال : حدَّثنا منصور بنُ أبي مزاحمٍ قال : شَهِدْتُ المهديَّ وقد أمر لمروانَ بنِ أبي حفصة بأربعين ألفَ درهم ، وفرضَ له على أهل بيتِه وجلسائه ثلاثين ألف درهم . وأمر الرشيدُ بعد ذلك لمّا وليَ الخلافةَ لسلم الخاسر ، وقد مدحه ، بسبعين ألفَ درهم . فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ أكثر ما أُعطى المهديُّ مروانَ سبعون ألفَ درهم ، فزِدْني وفضِّلني عليه ، ففعل ذلك ، وأعطاه تتمّة ثمانين

1 القماحيد : جمع القمحودة ، وهي الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال . ويعني ضراب الرؤوس .
2 شعراء عباسيون : 100 .
3 شعراء عباسيون : 105 .

ألف درهم ، فقال سلم[1] : [من الطويل]

ألا قُــلْ لمــروانٍ أتَتْكَ رسالــةٌ ... لهــا نَبَــأٌ لا يَنْثنــي عــن لِقائكا
حَبــاني أميرُ المؤمنـــين بِنَفْحَةٍ ... مُشَهَّرَةٍ قد طأطأتْ مــن حِبائكا
ثمانينَ ألفاً حُزْتُ من صُلْبِ ماله ... ولم يَكُ قَسْماً من أُولى وأُولائكا

فأجابه مروان فقال[2] : [من الطويل]

أَسَلْمَ بنَ عمرو قد تَعاطَيْتَ غايةً ... تُقَصِّرُ عنهــا بعــدَ طُولِ عنائكا
فأُقسِمِ لــولا ابنُ الربيع ورِفْدُه ... لمــا ابْتَلَّت الدّلْو التي في رِشائكا
وما نِلْتَ مُــذْ صُوِّرتَ إلاّ عطيّةً ... تَقُــوم بهــا مَصــرورةً في رِدائكا

[يهب تركته للرشيد]

حدَّثني وَسْواسة بن الموصليّ ، وهو محمد بنُ أحمدَ بن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدَّثني حمّاد عن أبيه ، قال : استوهبَ أبي من الرشيدِ تَرِكَةَ سلم الخاسر ، وكان قد مات عن غير وارث ، فوهبها له قَبلَ أن يتسلَّمها صاحبُ المواريث ، فحصَّل منها خمسين ألف دينار .

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني أبو هِفَّان ، عن سعيدِ بن هُرَيم وأبي دعامة أنّه رُفِع إلى الرشيد أنّ سلماً الخاسر قد توفّي ، وخلَّف مِمّا أخذه منه خاصة ومن زُبَيْدَةَ ألفَ ألفِ وخمسمائةِ ألفِ درهم سوى ما خلّفه من عَقار وغيره ممّا اعتقده[3] قديماً ، فقبضه الرشيد . وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه ، فقال : هذا خادمي ونَديمي ، والذي خلَّفه من مالي ، فأنا أحقُّ به ، فلم يعطهم إلاّ شيئاً يسيراً من قديم أملاكِه .

[يرثي ثلاثة معاً]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيلَ ، عن القَحْذَميّ ، قال : كان مالِكٌ وشهابٌ ابنا عبدِ الملك بنِ مِسْمع ومعنُ بنُ زائدة مُتَواخِين ، لا يكادون يفترقون . وكان سلم الخاسر ينادمهم ويمدحهم ، ويُفْضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم ، فتُوفِّي مالكٌ ثم أخوه ثم معن في مدّة متقاربة ، فقال سلم يرثيهم[4] : [من الخفيف]

1 شعراء عباسيون : 109 .
2 ديوان مروان : 255 .
3 اعتقده : جمعه .
4 شعراء عباسيون : 119 .

عَيْنُ جُـودي بِعَبْرَةٍ تَهْتـانِ ... وانْدُبي مَن أصابَ رَيْبُ الزمانِ
وإذا مـا بَكَيتِ قومـاً كِراماً ... فَعَـلى مالـكٍ أبـي غَسّانِ
أينَ معنٌ أبـو الوليدِ ومَن كا ... ن غِياثـاً لِلْهالِـكِ الحيرانِ
طَرَقَتْكَ المنونُ لا واهيَ الحبـ ... ـلِ ولا عاقِداً بِحِلْف يمانِ
وشهابٌ وأيـن مثلُ شهابٍ ... عند بَذْلِ النَّدى وحَرِّ الطِّعانِ
رُبَّ خِرقٍ رُزِئتُه منْ بَني قيـ ... ـسٍ وخِرْقٍ رُزِئْتُ من شيبانِ[1]
دَرَّ دَرُّ الأيّـام مـاذا أجَنَّتْ ... منْهُـمُ في لفائـف الكتّانِ
ذاك معنٌ ثَـوى ببست رهيناً ... وشهابٌ ثَـوى بأرضِ عُمانِ
وهُمـا مـا هُما لِبَذْلِ العطايا ... ولِلَـفٍّ الأقـرانِ بالأقرانِ
يَسْبقان المنـونَ طَعْنـاً وضرباً ... ويَفُكّـانِ كُلّ كَبْـلِ وَعانِ[2]

أخبرني وكيع، قال حدَّثني يزيدُ بنُ محمدٍ المُهلّبيّ، قال: حدَّثني عبد الصمد بنُ المُعذَّل، قال: لَمّا أنشد سلمُ الخاسرِ الرشيدَ قصيدته فيه:

حَضَرَ الرَّحِيلُ وشُدَّت الأَحْداجُ

أمر له بمائةِ ألفِ درهم.

[جائزة الفضل بن يحيى]

حدَّثني جَحْظةُ قال حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال: دخل سلْم الخاسر على الفضل بن يحيى في يوم نيروز والهدايا بين يديه، فأنشده[3]: [من مجزوء الوافر]

أَمِـنْ رَبْـعٍ تسائلهُ ... وقَـدْ أَقْوَتْ منازِلُهُ
بِقَلْبي مِنْ هَوى الأطلا ... لِ حُبٌّ مـا يُزايِلُهُ
رُوَيدَكُمُ عـن المَشْغو ... فِ إنَّ الحُـبَّ قاتِلُهُ
بَلابِـلُ صَدرِه تَسْري ... وقَـد نامـت عـواذِلُهُ
أحـقُّ النّاسِ بالتفضيـ ... ـلِ مَن تُرْجى فَواضِلُهُ

1 الخرق: السخي الكريم.
2 الكبل: القيد. والعاني: الأسير.
3 شعراء عباسيون: 111–112.

رأيتُ مكارمَ الأخلا ... قِ ما ضَمَّت حَمائلُهُ
فلسْتُ أرى فتًى في النا ... سِ إلاّ الفَضْلُ فاضِلُهُ
يَقولُ لسانُه خَيراً ... فتفعلُه أنامِلُهُ
ومهما يُرْجَ مِنْ خيرٍ ... فإنّ الفضلَ فاعلُهُ

وكان إبراهيم الموصليّ وابنُه إسحاق حاضرَيْن . فقال لإبراهيم : كيف ترى وتسمع ؟ قال : أحسنَ مَرْئيٍّ ومسموع ، وفضْلُ الأمير أكثرُ منه . فقال : خُذوا جميع ما أُهْدي إليَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلاّ ذلك التمثال ، فإنّي أُريد أن أُهديَه اليومَ إلى دنانيرَ ؛ ثم قال : لا ، والله ، ما هكذا تفعل الأحرار ، يُقَوَّم وندفع إليهم ثمنه ، ثم نُهديه ، فقُوِّم بألفَي دينار ، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

[أحسن مديح لمعن]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثني عيسى بنُ إسماعيلَ تِينةُ قال : حدَّثني القَحْذَميّ ، قال : قيل لِمَعْنِ بن زائدة : ما أحسَنُ ما مُدِحْتَ به من الشعرِ عندك ؟ قال : قول سَلْم الخاسر[1] : [من المديد]

أَبْلِغ الفِتْيانَ مأْلُكةً ... أنَّ خيرَ الوُدِّ ما نَفَعا
أنَّ قَرْماً من بَني مَطَرٍ ... أَتلَفَتْ كفّاه ما جَمعا
كُلّما عُدْنا لنائلِهِ ... عاد في معروفه جَذَعا[2]

[بديهة الفضل وفكرته سواء]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدَّثني أبو توبةَ . وأخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثني محمدُ بن القاسِم بن مَهْرُوَيْه عن أبي توبة ، قال : حَدَثَ في أيّام الرشيد أمرٌ فاحتاج فيه إلى الرأي ، فأشْكَلَ ؛ وكان الفضلُ بن يحيى غائباً ، فورد في ذلك الوقت ، فأخبروه بالقصّة ، فأشار بالرأي في وقته ، وأُنْفِذَ الأمر على مشورتِه ، فحُمِد ما جَرى فيه ، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده[3] : [من الوافر]

بَديهَتُه وَفِكْرَتُه سواءٌ ... إذا ما نابَهُ الخَطْبُ الكبيرُ

1 شعراء عباسيون : 107 .
2 عاد جذعاً : عاد حدثاً (لارتياحه للندى) .
3 تقدم هذان البيتان في ترجمة أشجع السلمي جزء 18 : 178 منسوبين له . وينسبان أيضاً إلى عنان وأبي نواس في الجزء 23 من الأغاني .

وَأَحزَمُ ما يكـونُ الدَّهرَ رأياً إذا عـــيَّ المُشــاوِرُ والمُشيرُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[يشتري سكوت أبي الشمقمق]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ ، قال : حدَّثني أبو العيناء ، قال : حدَّثني الجمَّازُ أَنّ أَبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه ، فقال له : اسمع إذاً ما قلتُه ، وأنشده[1] : [من مجزوء الرمل]

حَدَّثُـوني أَنَّ سَلماً يَشْتَكي جـارةَ أَيْرِهْ
فَهْـو لا يَحْسُدُ شيئاً غيرَ أَيْرٍ في استِ غيرِهْ
وإذا سرَّك يَوْمـــاً يـا خليليَّ نَيْلَ خَيرِهْ
قُمْ فَمُرْ راهِبَك الأَصْـ ـلَعَ يقرع بابَ ديْرِهْ

فضحِك سلم ، وأعطاه خمسة دنانير ، وقال له : أُحبّ ، جعلتُ فداءك ، أن تَصرفَ راهبَكَ الأَصلعَ عن بابِ دَيْرِنا .

[تطير الرشيد بافتتاحه]

أخبرنا الحسنُ بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أحمد بنُ أبي كامل ، قال : حدَّثني أبو دِعامة ، قال : دخلَ سلم الخاسر على الرشيد ، فأنشده :

حَيِّ الأَحِبَّةَ بالسلام

فقال الرشيد :

حياهُم اللهُ بالسلامِ

فقال :

على وَداعٍ أم مُقام

فقال الرشيد : حيّاهم الله على أيّ ذلك كان ، فأنشده[2] : [من مجزوء الكامل]

لَمْ يَبْقَ منـــكَ ومِنْهُم غيرُ الجلودِ على العظامِ

فقال له الرشيد : بل منك ، وأمر بإخراجه ، وتطيّر منه ، ومن قوله ، فلم يسمع منه باقيَ الشعر ولا أثابه بشيء .

1 شعراء عباسيّون : 137-138 .
2 شعراء عباسيّون : 115 .

[مديح الهادي]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد : قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : أتتْ وفاةُ المهديِّ إلى موسى الهادي ، وهو بجُرْجان ، فبويع له هناك ، فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنئين ، فهنّأه بخلافة الله ، ثم أنشده[1] : [من السريع]

لمَّا أتتْ خيرَ بَني هاشمٍ خلافــةُ الله بجُرْجــانِ
شَمَّر لِلْحــزمِ سَرابيلَـه بِرأْيٍ لا غَمْـرٍ ولا وانِ
لم يُدخِلِ الشُّورى على رأْيِه والحـزْمُ لا يُمْضيه رأيانِ

[يقر بفضل بشار]

أخبرني الحسن بنُ عليّ وعمِّي ، قالا : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني صالح بنُ عبد الرحمن عن أبيه ، قال : دخل سلم الخاسر على الرشيد ، وعنده العبّاس بن محمد وجعفر بن يحيى ، فأنشده قوله فيه :

حَضَرَ الرَحيلُ وشُدّت الأَحْداجُ

فلمّا انتهى إلى قوله[2] : [من الكامل]

إنّ المنايـا في السيوفِ كَوامِنٌ حتــى يُهَيِّجَهـا فتًـى هَيّاجُ

فقال الرشيد : كان ذلك معن بن زائدة ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، ثم أُنشد حتى انتهى إلى قوله : [من الكامل]

ومُدَجَّجٍ يَغْشى المَضِيقَ بسَيْفه حتــى يكونَ بسيفِه الإفراجُ

فقال الرشيد : ذلك يزيد بن مزيد ، فقال : صدق أُمير المؤمنين ، فاغتاظ جعفرُ بن يحيى ، وكان يزيد بنُ مزيد عدوّاً للبرامكة ، مصافياً للفضل بن الربيع . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الكامل]

نَزَلَتْ نُجومُ الليلِ فَوقَ رؤوسِهِمْ ولِكلِّ قــومٍ كوكبٌ وهّاجُ

[وصف طي المنازل]

قال له جعفر بن يحيى : من قِلّة الشعر حتى تمدحَ أميرَ المؤمنين بشعرٍ قيل في غيره ! هذا لِبشَّار في فلان التميميّ ، فقال الرشيد : ما تقول يا سلم ؟ قال : صدَقَ يا سيِّدي ، وهل أنا إلاّ

---

1 شعراء عبّاسيّون : 117 .
2 شعراء عباسيّون : 95–96 .

جُزءٌ من محاسنِ بشّار ، وهل أَنطق إلاّ بفضل منطقه ! وحياتِك يا سيِّدي إنِّي لأَروِي له تسعة آلافِ بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً . فضحك الرشيد ، وقال : ما أحسن الصدق ! امض ِفي شعرك ، وأمر له بمائةِ ألف درهم ، ثم قال للفضل بنِ الربيع : هل قال أحد غيرُ سلم في طَيِّنا المنازلَ شيئاً ؟ ، وكان الرشيد قد انصرف من الحجّ ، وطوى المنازل ، فوصف ذلك سلم ، فقال الفضل : نعم يا أميرَ المؤمنين ، النَّمَريّ ، فأمر سَلماً يَثبتَ قائماً حتى يفرغ النمَريّ من إنشاده ، فأنشده النمري قوله[1] : [من الطويل]

تَخَرَّقَ سِرْبالُ الشباب مـع البُرْدِ … وحالَتْ لنا أُمُّ الوليد عـن العهدِ

فقال الرشيد للعبّاس بن محمد : أيُّهما أَشعر عندك يا عمّ ؟ قال : كلاهما شاعر ، ولو كان كلام يُستفحَل لِجَودتِه حتى يؤخَذَ منه نَسْل لاستفحلتُ كلامَ النَّمَريّ ، فأَمَر له بمائة أَلف درهم أُخرى .

[أشجع السلميّ يرثي سلماً]

أَخبرني عمّي ، قال : أَنشدني أَحمدُ بن أَبي طاهر لأَشجع السُّلَميّ يَرثي سلماً الخاسر ومات سلم قبله[2] : [من السريع]

يا سَلمُ إن أُصبَحْت في حُفرةٍ … موسَّداً تُرْبـــاً وأَحجـــارا
فـــرُبَّ بيـــتٍ حسنٍ قُلتَـــه … خَلَّفتَـــه في النـاسِ سيّـــارا
قَلّدتَـــه ربّـــاً وسَيَّرتَـــه … فكان فخـــراً منـك أَو عارا
لـــو نطقَ الشعرُ بكـى بعدَه … عليـــه إعلانـــاً وإسرارا

صوت

[من الكامل]

يا ويحَ من لعب الهوى بحياته … فأَماتَـــه مـن قبلِ حين مماتِهِ
مَنْ ذا كذا كان الشقيّ بشادن … هاروت بيت لسانـــه ولَهاتِهِ
وحياة مَن أُهوى فإنّي لم أُكُن … يوماً لأَحلـــف كاذبـاً بحياتِهِ
لأخالِفَنَّ عَـــواذلي في لذَّتي … ولأُسْعِدَنَّ أخـــي عـــلى لذّاتِهِ

الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه ، والغناء لأَبي صدقة رمل بالبنصر .

1 لم يرد في مجموع شعره .
2 شعره : 218–219 .

[409] ـ أَخبار أَبي صدقة

[نسبه]

اسمه مسكينُ بنُ صدقَة من أَهل المدينة ، مولًى لقريش . وكان مليحَ الغناء ، طيِّب الصوت ، كثير الرواية ، صالح الصنعة ؛ من أكثرِ الناسِ نادرة ، وأخفِّهم رُوحاً ، وأَشدّهم طمعاً ، وألحِّهم في مسألة . وكان له ابنٌ يقال له : صدقة يُغنِّي ، وليس من المعدودين ؛ وابنُ ابنِه أحمدُ بنُ صدقَة الطُّنبوريّ أحدُ المحسنين من الطُّنْبُورِيين ، وله صنعة جيّدة ، وكان أشبَه الناسِ بجَدِّه في المَزْحِ والنوادر ، وأخبارُه تُذْكَر بعد أخبار جدِّه . وأبو صدقة من المغنِّين الذين أقدَمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيّامه .

[كثرة سؤاله]

أَخبرني عليُّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله ، قال : قيل لأَبي صَدقة ما أَكثَرَ سؤالَك ، وأشدّ إلحاحَك ! فقال : وما يمنعني من ذلك ، واسمي مسكين ، وكُنْيتي أبو صدقة ، وامرأتي فاقة ، وابني صدقة !

[طرب الرشيد لغنائه]

أَخبرني رضوانُ بنُ أَحمد الصيدلانيّ ، قال : حدَّثنا يوسُف بنُ إبراهيم ، قال : حدَّثنا أَبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أنّ الرشيد قال للحارث بنِ بُسْخُنَّر : قد اشتهيْتُ أن أرى نُدَمائي ومَن يحضُر مجلسي من المغنِّين جميعاً في مجلس واحد ، يأكلون ويشربون ، ويتبذّلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام ، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم ، وهذا لا يَتمّ إلاّ بأن أكونَ بحيثُ لا يَرونني ، عن غير علمٍ منهم برُؤيتي إيّاهم . فأعِدّ لي مكاناً أَجلس فيه أَنا وعمِّي سليمان وإخوتي : إبراهيم بن المهديّ ، وعيسى بن جعفر وجعفر بن يحيى ، فإنّا مُغَلِّسون عليك غَداةَ غد ، واستَزِرْ أنت محمدَ بن خالدِ بنِ بَرْمَك ، وخالداً أخا مَهْرُوَيْه ، والخِضْرَ بنَ جبريل ، وجميع المغنِّين ، وأجلسهم بحيث نراهم ولا يروننا ، وابسُطْ الجميع ، وأظهرْ بِرَّهم ، واخلع عليهم ، ولا تَدَعْ من الإكرامِ شيئاً إلاّ فعلتَه بهم . ففعل ذلك الحارث ، وقدّم إليهم الطعام فأَكلوا ، والرشيد ينظر إليهم ، ثم دعا لهم بالنبيذ ، فشربوا . وأُحضرت الخِلَع ، وكان ذلك اليوم يوماً شديد البرد . فخَلَع على ابن جامع جُبَّةَ خزّ طارُونيٍّ[1] مبطَّنةً بِسَمُّور صينيّ ، وخلع على إبراهيم المَوْصليّ جُبَّةَ وَشْي كوفي مرتفع مبطّنةً

1 طاروني : نوع من الخز .

بِفَنَكٍ[1] ، وخلع على أبي صدقة دُرّاعة مُلْحَم[2] خراسانيٌّ محشوّةً بِقَز . ثم تغنّى ابن جامع ، وتغنّى بعده إبراهيم ، وتلاهما أبو صدقة فغنّى لابن سُرَيج[3] : [من الطويل]

ومِنْ أَجْلِ ذات الخال أَعملْتُ ناقتي أُكلِّفها سَيرَ الكَلالِ مع الظُّلَّعِ

فأجاده ، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده . فقال له الحارث : أَحسنتَ والله يا أَبا صدقة ! قال له : هذا غنائي وقد قَرَصني البَرْد ، فكيف تراه ، فدَيتك ، كان يكون لو كان تحت دُرّاعتي هذه شُعَيرات ؟ يعني الوبر ، والرشيد يسمع ذلك . فضحك ، فأمر بأن يُخْلَع عليه دراعةُ مُلْحم مبطّنةً بفَنَك ، ففعلوا ، ثم تغنّى الجماعة ، وغنّى أبو صدقة لَمعبد : [من البسيط]

بـان الخليط على بُـزْلٍ مخيّسةٍ هُدْلِ المشافرِ أدنى سيرِها الرَّمَلُ[4]

ثم تغنّى بعده لمعبَد أيضاً[5] : [من البسيط]

بانَ الخليطُ ولو طُووِعت ما بانا وقطّعوا مـن حِبال الوصلِ أقرانا

فأقام فيهما جميعاً القيامة ، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً . فقال له الحارث : أحسنت والله يا أبا صدقة ، فديتك ، وأجملت . فقال أبو صدقة : فكيف ترى ، فديتك ، الحال تكون لو كانت عَلى هذه الدراعة نُقَيْطات ؟ يعني الوشي . فضحِكَ الرشيد حتى ظهر ضحكه ، وعلِموا بموضعه . وعرف علمَهم بذلك ، فأمر بإدخالهم إليه ، وأمر بأن يُخلَع عَلى أبي صدقة دراعةٌ أُخرى مبطنةٌ ، فخُلِعت عليه .

[طبعه في السؤال يغلبه]

أُخبرني محمدُ بنُ مزيد بن أبي الأَزهر ، قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : سأَل الحسن بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان اللطفيّ الفضل وجعفراً ابنَيْ يحيى أن يُقيما عنده يوماً ، فأَجاباه . فواعد عِدة من المغنّين ، فيهم أبو صدقة المدنيّ ، فقال لأبي صدقة : إنّك تُبْرِم بكَثْرة السؤال : فصادِرْني[6] على شيء أُدفعه إليك ولا تسأل شيئاً غيره ، فصادره على شيء أعطاه إيّاه . فلمّا جلسوا وغنّوا أُعجبوا بغناء أبي صدقة ، واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سُرَيج ومعبَد وابن محرِز وغيرهم ، فغنّاهم ، ثم غنّى ، والصنعة له رمل : [من الكامل]

1 الفنك : دابة ذات فرو ثمين .
2 ملحم : نوع من الثياب .
3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 232 .
4 البزل : جمع بازل وهو ما انشقّ نابه من الإبل ، أي في التاسعة من عمره . ومخيسة : مروّضة مذللة .
5 البيت لجرير في ديوانه : 490 .
6 صادرني : طالبني .

يـا ويحَ مَـن لعب الهوى بحياتِه فأماتَـه مِـن قَبْـلِ حـينِ مماتِهِ
مَـن ذا كذا كان الشقـيُّ بِشادِنٍ هاروتُ بـين لسانِـه ولهاتِـهِ

وذكر الأبيات الأربعة المتقدِّمَ ذكرُها . قال : فأجاد وأحسنَ ما شاء ، وطرب جعفر ، فقال له : أحسنت وحياتي ، وكان عليه دُوّاج[1] خزٌّ مبطن بسمّور جيّد ، فلمّا قال له ذلك شَرِهتْ نفسُه وعاد إلى طبعه . فقال : لو أحسنتُ ما كان هذا الدُّوّاجُ عليك ، ولتَخلعنّه عليّ ، فألقاه عليه . ثم غنّى أصواتاً من القديم والحديث ، وغنّى بعدها من صناعته في الرمل : [من السريع]

لَمْ يَطُـلِ العهـدُ فتنساني ولَمْ أغِـبْ عنـك فتنعاني
بَدَّلتَ بي غيري وباهتَّني ولم تكن صاحبَ بُهتانِ[2]
لا وَثِقَـتْ نفسيَ بإنسانِ بَعـدك في سرٍّ وإعـلانِ
أعطيتني ما شئتُ من مَوْثقٍ منك ومـن عهـدٍ وأيمانِ

فقال له الفضل : أحسنت وحياتي ! فقال : لو أحسنت لخلعت عليّ جُبّة تكون شكلاً لهذا الدُّوّاج ، فنزع جبّته وخلعها عليه ، وسكروا وانصرفوا . فوثب الحسين بن سليمان ، فقال له : قد وافقتُك على ما أرضاك ، ودفعتُه إليك على ألاّ تسأل أحداً شيئاً ، فلم تَفِ ، وقد أخذتَ ما لك والله لا تركتُ عليك شيئاً ممّا أخذتَه ، ثم انتزعه منه كرهاً وصرفه فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر ، فضحكا منه ، وأخلفا عليه ما ارتجعه اللطفي منه من خِلَعِهما .

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من البسيط]

بـانَ الخليطُ على بُـزْلٍ مُخَيَّسةٍ هُدْلِ المشافرِ أدنى سيرِها الرملُ
مِـنْ كلّ أعيَس نضَّاح القفا قَطِمٍ ينفي الزمام إذا مـا حَنَّت الإبلُ[3]

الغناء لابن عائشة ، خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو الهشاميّ ، وقال الهشاميّ

1 الدواج : لحاف يلبس فوق الثياب .
2 باهتني : حيرتني بالكذب .
3 الأعيس : البعير الأبيض يخالط بياضه شقره . والقطم : الفحل يشتهي الضراب .

خاصة : فيه لابن محرز هزج ، ولإسحاق ثقيل أوّل ، ووافقه ابن المكّيّ . وما وجدْتُ لمعبَد فيه صنعةً في شيء من الروايات ، إلاّ في المذكور .

وأمّا :

بـان الخليط ولو طووعت مـا بانا

فقد مضى في المائة المختارة ، ونُسب هناك وذُكِرتْ أخباره .

[أحقيته في السؤال]

أخبرني رضوان بن أحمد ، قال : حدَّثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ ، قال[1] : كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألحَّهم . فقال له الرشيد : ويلك ما أكثر سؤالك ! فقال : وما يمنعني من ذلك ، واسمي مسكين ، وكنيتي أبو صدقة ، واسم ابني صدقة ، وكانت أُمّي تلقَّب فاقة ، واسم أبي صدقة ، فمَن أحقّ منّي بهذا ؟

[الرشيد يعبث به]

وكان الرشيد يعبَث به عَبثاً شديداً ، فقال ذات يوم لمسرور : قُلْ لابنِ جامع وإبراهيم الموصليّ وزبير بن دَحمان وزُلزُل وبَرْصُوما وابنِ أبي مريم المدينيّ : إذا رأيتموني قد طابت نفسي ، فليسألني كلّ واحدٍ منهم حاجة ، مقدارُها مقدارُ صلته . وذكر لكلّ واحد منهم مقدار ذلك ، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة . فقال لهم مسرور ما أمَرَه به ، ثم أذِن لأبي صدقة قبل إذْنه لهم . فلمّا جلس قال له : يا أبا صدقة ، قد أضجرْتَني بكثرة مسألتك ، وأنا في هذا اليوم ضَجِرٌ ، وقد أحببتُ أن أتفرّج وأفرح ، ولست آمن أن تنغص عليَّ مجلسي بمسألتك ، فأمّا أن أعفيتَني من أن تسألني اليوم حاجة وإلاّ فانصرِف . فقال له : يا سيِّدي لستُ أسألك في هذا اليوم ، ولا إلى شهرٍ حاجةً . فقال له الرشيد : أما إذ شَرطتَ لي هذا على نفسك ، فقد اشتريت منك حوائجَك بخَمسمائة دينـار ، وها هي ذه فخذها هنيئة مُعْجَلة ، فإن سألتَني شيئاً بَعدها في هذا اليوم ، فلا لَوْم عَلَيّ إن لَم أصِلْك سنَةً بشيء . فقال له : نَعم ، وسنتين . فقال له الرشيد : زِدْني في الوثيقة فقـال : قد جعلْتُ أمْرَ أُمّ صدقة في يدِك ، فطلِّقها متى شئت ، إن شئتَ واحدةً ، وإن شئتَ ألفاً إن سألتُك في يومي هـذا حاجـة . وأشهدَ اللهَ ومَن حضر على ذلك . فدفع إليه المال ، ثم أذِن للجلساء والمغنّين فحضروا ، وشرب القوم .

فلمّا طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نِلْتُ منك ما لم تبلُغْه أُمنيّتي ، وكثُر إحسانك إليَّ حتى كَبَّتَّ أعدائي وقتلْتهم . وليستْ لي بمكّة دار تُشْبِه

---

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 8 : 186–188 .

حالي ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به داراً ، وأفرشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائي وأزهقَ نفوسهم ، فعل : فقال : وكم قَدّرتَ لذلك ؟ قال : أربعة آلاف دينار . فأمر له بها . ثم قام إبراهيم الموصليّ فقال له : قد ظهرَتْ نِعمتُك عليّ وعلى أكابر ولَدي ، وفي أصاغرِهم مَن قد بَلَغ ، وأريد تزويجه ، ومِن أصاغرهم مَن أحتاج إلى أن أطهره ، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتّخذ لهم خدَماً ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُحْسِنَ معونتي على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمَرَ لابن جامع ، وجعل كلّ واحدٍ منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره ، ويسأل حاجة على قدر جائزته ، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تُفرَّق يميناً وشمالاً . فوثب على رِجليه قائماً ، وقال للرشيد : يا سيِّدي ، أقلْني ، أقال الله عثْرتك ! فقال له الرشيد : لا أفعل ، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلحّ ، والرشيد يضحك ويقول : ما إلى ذلك سبيل ، الشرط أمْلَك .

فلمّا عِيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد ، وقال له : هاكها قد رددتُها عليك وزدتُك فرجَ أمِّ صدقة فطلّقها إن شئتَ واحدة ، وإن شئت ألفاً . وإن لم تُلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد ابن الباردة عمرو الغزّال ، وكانت صلتُه ألف دينار . فضحك الرشيد حتى استلقى ، ثم رَدَّ عليه الخمسمائة الدينار ، وأمر له بألف دينار معها . وكان ذلك أكثرَ ما أخذه منه مذ يوم خَدَمه إلى أن مات . فانصرف يومئذٍ بألفٍ وخمسمائة دينار .

[جعفر والرشيد يعبثان به]

أخبرني رضوان بن أحمد ، قال : حدَّثني يوسف بنُ إبراهيم ، قال : حدَّثني أبو إسحاق ، قال[1] : مُطِرْنا ونحن مع الرشيد بالرقّة مطراً مع الفجر ، واتّصل إلى غد ذلك اليوم ، وعَرَفنا خبر الرشيد ، وأنّه مقيم عند أمِّ ولده المسمّاة بِسحَر ، فتشاغلنا في منازلنا . فلمّا كان مِن غدٍ جاءنا رسول الرشيد ، فحضرنا جميعاً ، وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضي : ما صنع فيه فيخبره ، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى ، فسألَه عن خبره ، فقال : كان عندي أبو زكّار الأعمى وأبو صدقة ، فكان أبو زكّار كلّما غنّى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة ، فإذا انتهى الدور إليه أعاده ، وحكى أبا زكّار فيه وفي شمائله وحركاته ؛ ويفطن أبو زكّار لذلك فيجنّ ويموت غيظاً ، ويشتم أبا صدقة كلّ شَتم حتى يَضجر ، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به ، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسّطنا الشراب وسئمنا من العبث به ، فقلت له : دع هذا وغنِّ غِناءك ، فغنّى رَمَلاً ذكر أنّه من صنعته ، طربت له ، والله يا أمير المؤمنين ،

1 وهذا الخبر أيضاً مما أورده ابن حمدون في التذكرة 9 : 69-71 .

طرباً ما أذكر أنّي طربتُ مثله منذ حين ، وهو : [من الخفيف]

صوت

فَتَنَتْني بفاحـمِ اللـون جَعْدٍ ... وبِثَغـر كأنّـه نظـم دُرٍّ

وبِوجـهٍ كأنّـه طلعة البد ... رِ وعَينٍ في طَرفها نَفْث سِحْرِ

فقلت له : أحسنتَ والله يا أبا صدقة ، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي : إنّي قد بنيتُ داراً حتى أنفقت عليها حَرِيبَتي[1] ، وما أعددتُ لها فرشاً ، فافرشها لي ، نجّد[2] الله لك في الجنّة ألف قصر . فتغافلتُ عنه ، وعاود الغناء ، فتعمّدت أنْ قلتُ له : أحسنت ، لِيعاود مسألتي وأتغافل عنه ، فسألني وتغافلت . فقال لي : يا سيِّدي هذا التغافل متى حدث لك ؟ سألتك بالله ، وبحقّ أبيك عليك إلاّ أجبتَني عن كلامي ولو بشَتْمٍ ! فأقبلتُ عليه وقلت له : أنت والله بَغِيض ، اسكتْ يا بغيض ، واكفف عن هذه المسألة المُلحّة . فوثب من بين يدَيّ ، وظننتُ أنّه خرج لحاجة ، وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرّد منها خوفاً من أن تَبْتَلّ ، ووقف تحت السماء ، لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه ، ورفع رأسه وقال : يا ربٌّ أنت تعلم أنّي مُلْهٍ ، ولست نائحاً ، وعبْدُك هذا الذي رفعتَه وأحوجتني إلى خِدْمته يقول لي : أحسنت ، لا يقول لي : أسأت ، وأنا منذ جلستُ أقول له : بَنيتُ ، لم أقل : هدمت ، فيحلف بك جرأة عليك أنّي بَغيض ، فاحْكُمْ بيني وبينه يا سيِّدي ، فأنت خير الحاكمين .

فغلبني الضحك ، وأمرتُ به فتنحّى ، وجَهدت به أن يغنّي ، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أنّي أفرش له داره ، وخدعتُه فلم أسَمِّ له ما أفرشها به . فقال الرشيد : طيِّبٌ والله ! الآن تَمَّ لنا به اللهو ، وهو ذا أدعو به ، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش ، لأنّك حلفت له بحياتي ، فهو يتنجّز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له ، فقل له : أنا أفرشها لك بالبواري[3] ، وحاكمْه إليّ . ثم دعا به فأحضر ، فما استقرّ في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى : الفرش الذي حلفتَ لي بحياة أمير المؤمنين أنّك تفرش به داري ، تقدَّمْ فيه . فقال له جعفر : اختر ، إن شئتَ فرشتها لك بالبواري ، وإن شئتَ بالبَرْدِيّ من الحصر ، فضجّ واضطرب .

فقال له الرشيد : وكيف كانت القصّة ؟ فأخبره فقال له : أخطأتَ يا أبا صدقة ، إذ لم

1 الحريبة : المال الذي حصل بالسلب .

2 نجّد : زيّن .

3 البواري : الحصير المنسوج ، بالقصب .

تُسَمٍّ النّوع ولا حَدَّدتَ القيمة ، فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبَرْدِيّ أو بما دون ذلك فقد وفى يمينه ، وإنّما خَدَعك ، ولم تفطن له أنت ، ولا توثقت ، وضيَّعت حقّك . فسكت ، وقال : نوفّر البرديّ والبواريّ عليه أيضاً ، أعزّه الله . وغنّى المغنّون حتى انتهى إليه الدور ، فأخذ يغنّي غناء الملاّحين والبنّائين والسقائين وما جرى مجراه من الغناء ، فقال له الرشيد : أيْش هذا الغناء ويلك ! قال : مَن فُرِشَت دارُه بالبواري والبردي فهذا الغناء كثير منه ، وكثير أيضاً لِمَنْ هذه صلته . فضحك الرشيد والله وطرب وصفّق ، ثم أمر له بألف دينار من ماله ، وقال له : افرش دارك من هذه . فقال : وحياتك لا آخذها يا سيّدي أو تحكمَ لي على جعفر بما وَعَدني ، وإلاّ مُتُّ والله أسَفاً لِفَوات ما حصل في طمعي ووُعدت به . فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار ، فقبِلها جعفر ، وأمر له بها .

[وصوله إلى السلطان]

أخبرني محمد بن مزيد ، قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أنَّ أبي لمّا حَجَّ مَرَّ بالمدينة ، فاحتاج إلى قَطْع ثياب ، فالتمس خياطاً حاذقاً ، فدُلَّ على أبي صدقة ، ووُصف له بالحِذق في الخياطة والحذق في الغناء وخفّة الروح . فأحضره فقطع له ما أراد وخاطه ، وسمع غناءه فأعجبه ؛ وسأله عن حاله ، فشكا إليه الفقر ، فخلَّف لعياله نفقة سابغة لِسَنة ، ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان .

قال حمّاد : فقال أبو صدقة يوماً لأبي : قد اقتصرت بي على صنعة أبي إسحاق أبيك ، رحمه الله عندي ، وأنتَ لا ، رُبّ[1] ذلك بشيء ، فقال له : هذه الصينيَّة الفضةُ التي بين يديّ لك إذا انصرفْت ، فشكره وسُرّ بذلك ، ولم يزل يغنّيه بقيّة يومه . فلمّا أخذ النبيذ فيه قام قَوْمة ليبول ، فدَعا أبي بصينيّة رصاص فحوّل قنّينَتَه وقَدَحه فيها ، ورفع الصينيّة الفضة ، فلمّا أراد أبو صدقة الانصراف شدَّ أبي الصينيّة في منديل ، ودفعها إلى غلامه ، وقال له : بِتِ الليلة عندي واصطبح غداً ، واردُد دابتَك . فقال : إنّي إذاً لأحمق ، أدفع إلى غلامي صينيّة فضّة ، فيأخذها ويطمع فيها أو يبيعها ، ويركب الدابة ويهرب ، ولكنّي أبيت عندك ، فإذا انصرفتُ غداً أخذتها معي . وبات وأصبح عندنا مصطبحاً ، فلمّا كان وقت انصرافه أخذها ومضى . فلم يلبث من غدٍ أن جاءنا والصينيّة معه ، فإذا هو قد وجَّه بها لِتُباع ، فعرّفوه أنّها رصاص . فلمّا رآه أبي من بعيد ضحك ، وعرف القصّة وتماسك . فقال له أبو صدقة : نِعْم الخلافةُ خلفتَ أباك ، وما أحسن ما فعلت بي ! قال : وأيَّ شيء فعلت بك ؟ قال : أعطيتني صينيّة رصاص ، فقال له أبي : سخُنَتْ عينك ! سحِرَت امرأتُك بك ، وأنا مِن أين لي صينيّة رصاص

1 رب : زد .

فتشكك ساعة ، ثم قال : أظنّ واللهِ أنّ ذلك كذلك . فقام . فقال له أبي : إلى أين ؟ قال : أضع واللهِ عليها السوط فأضربُها به حتى تَرُدَّ الصينيّة . فلمّا رأى أبي الجِدَّ منه قال له : اجلس يا أبا صدقة ، فإنّما مزحْتُ معك ، وأمر له بوزنها دراهم .

صوت

[من مجزوء الرمل]

إنَّ مَـــنْ يملِكُ رِقّي مالـــكٌ رقّ الرِّقـــابِ
لم يكن يـــا أحسن العا لم هـــذا في حسابـــي

الشعر لفضل الشاعرة ، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل بالوسطى ، عن ابن المعتزّ .

[410] ـ أخبار فضل الشاعرة[1]

كانت فَضْل جاريةً مولَّدة من مولّدات البصرة ، وكانت أُمّها من مولّدات اليمامة . بها وُلدَت ، ونشأت في دارِ رجل من عبد القيس ، وباعَها بعد أن أدَّبها وخرَّجها ، فاشتُريت وأُهدِيت إلى المتوكّل . وكانت هي تزعم أنَّ الذي باعَها أُخوها ، وأنَّ أباها وطيء أُمّها فولدتها منه ، فأدّبها وخرّجها معترفاً بها ، وأنَّ بنيه من غير أُمّها تواطئوا على بيعِها وجَحْدها ، ولم تكن تُعْرف بعد أن أُعتقت إلاّ بفضل العبديّة . وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أديبة فصيحة سريعة البديهة ، مطبوعة في قول الشعر . ولم يكن في نساء زمانها أشعرُ منها .

[جواب مسكت]

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بن المَرْزبان ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : كانت فضل الشاعرة لرجل من النّخّاسين بالكَرْخ يقال له : حُسْنَوَيْه ، فاشتراها محمد بن الفَرَج أخو عمر بن الفرج الرّخَّجيّ ، وأهداها إلى المتوكّل ، فكانت تجلس للرجال ، ويأتيها الشعراء ، فألقى عليها أبو دُلَف القاسمُ بن عيسى[2] : [من الكامل]

قالوا عشِقْتَ صغيرةً فأجبتُهمْ ... أشهى المَطيِّ إليَّ ما لم يُرْكَبِ
كم بَيْنَ حبّـةِ لؤلـؤ مثقوبةٍ ... نُظِمتْ وحبـةِ لؤلؤ لم تُثْقَبِ

فقالت فضل مجيبة له : [من الكامل]

إنّ المطيّـةَ لا يَلَـذُّ رُكوبُها ... مـا لم تُذَلَّلْ بالزِّمامِ وتُركَبِ
والدُّرُّ ليس بنافـعٍ أصحابَه ... حتى يُؤلَّـف للنِّظامِ بمِثْقَبِ

[مدحت المتوكّل]

حدَّثني عمِّي ومحمدُ بنُ خلف ، قالا : حدَّثنا أبو العيناء ، قال : لمّا دخلَتْ فضل الشاعرة على المتوكّل يوم أهدِيتْ إليه قال لها : أشاعرةٌ أنتِ ؟ قالت : كذا زعم مَن باعَني واشتراني ، فضحك وقال : أنشدينا شيئاً من شعركِ فأنشدَتْه : [من السريع]

---

1 ترجمة فضل الشاعرة في طبقات ابن المعتزّ : 426 والمنتظم 5 : 6 والنجوم الزاهرة 3 : 28 وفوات الوفيات 3 : 185–187 والسمط : 656 والمستطرف من أخبار الجواري للسيوطي : 5–56 وانظر أعلام الزركلي . وقد ترجم لها د . يونس السامرائي في «رسائل سعيد بن حميد وأشعاره» : 62–73 .

2 هذه المطارحة في الفوات 3 : 87 . وقد نسب بيتا فضل إلى مسلم بن الوليد بقافية مفتوحة «وتركبا ـ وتثقبا» ؛ ديوانه : 305 . وانظر مجموع شعر أبي دُلف : 50 .

استقبل الملكَ إمامُ الهُدى ... عـامَ ثـلاثٍ وثلاثينا

تعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سِني الهجرة .

خِلافةٌ أفْضَت إلى جعفر ... وهو ابنُ سبع بَعْدَ عِشرينا
إنّا لنَرجو يـا إمامَ الهُدى ... أن تَمْلِكَ الناس ثمانينا
لا قَدَّسَ اللهُ امرءاً لم يَقُلْ ... عنـدَ دُعائي لك : آمينا

فاستحسن الأبيات ، وأمر لها بخمسة آلاف درهم ، وأَمَرَ عَرِيبَ فغنَّت فيها .

[شعرها في جارية]

حدَّثني عمّي ، قال : حدَّثني أبو عبد الله أحمدُ بنَ حمدون ، قال : عُرِضَت على المعتمد جاريةٌ تباع في خلافة المتوكّل ، وهو يومئذٍ حديث السنّ ، فاشتطَّ مولاها في السَّوْم ، فلم يشترها ، وخرج بها إلى ابن الأغلب ، فبيعت هناك . فلمّا وليَ المعتمد الخلافة سأل عن خبرها ، وقد ذكرها فأُعْلم أنّها بيعت وأوْلَدها مولاها ، فقال لفضل الشاعرة : قولي فيها شيئاً ، فقالت : [من مجزوء الكامل]

عَلَمَ الجمـالِ تركْتنـي ... في الحُبِّ أشهرَ مِن عَلَمْ
وَنَصَبْتنـي يـا مُنْيَتـي ... غَرَضَ المَظِنَّـةِ والتُّهمْ
فارقتني بعــدَ الدّنـــ ... ـوّ فصِرْتِ عندي كالحُلُمْ
فلَــوَ انّ نَفْسي فارَقَتْ ... جسمي لِفَقـدكِ لم تُلَمْ
ما كانَ ضرّكِ لو وَصَلْـ ... ـت فخفَّ عن قَلبي الألَمْ
برِسالـــةٍ تُهْدينهـــا ... أو زَوْرَةٍ تحـتَ الظُّلَمْ
أَوْلا فَطيفـــي في المنـا ... مِ فلا أقلَّ مـــن اللَّمَمْ
صِلَـةُ المحـبِّ حَبِيبَـه ... اللهُ يَعْلَمُـه كَـرَمْ

[أشواق متبادلة]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديُّ ، قال : كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة : [من السريع]

أصبحتُ فَـرْداً هائم العَقْل ... إلى غـزالٍ حَسَنِ الشكـلِ
أضْنى فؤادي طولُ عهدي بِهِ ... وبُعْدُه منّـي ومِـن وَصْلي
مُنْيةُ نفسي في هَـوى فَضْل ... أنْ يجمـعَ اللهُ بهـا شَمْلي
أهْواكِ يا فضلُ هوى خالصاً ... فمـا لِقَلْبي عنكِ من شُغْل

قال : فأجابته : [من الكامل]

صوت

الصبرُ ينقص والسَّقامُ يَزيـدُ والدارُ دانيـةٌ وأنـتَ بَعيدُ
أشكُوكَ أَمْ أشكو إليكَ فإنّه لا يَستطيعُ سواهمـا المجهودُ
إنّي أعُوذ بحُرْمتي بِكَ في الهَوى مِنْ أن يطاعَ لديكَ فيّ حَسودُ

في هذه الأبيات رمَل طُنْبُوريّ . وأظنّه لجَحْظة .

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المرْزُبان ، قال : حدَّثني الحسنُ بنُ عيسى الكوفيّ ، قال : حدَّثنا أبو دهمان ، وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المَرْوَزيّ ، قالا : كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً وأرقّهم شعراً ، فكتب إليها بعضُ مَن كان يجمعه وإيّاها مجلسُ الخليفة ، ولا تطلعه على حبّها له : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري فيكِ هل تَذْكرينَني فذِكـراكِ في الدُّنيـا إليّ حَبيبُ
وهـل لي نصيبٌ في فؤادِك ثابتٌ كما لكِ عنـدي في الفؤادِ نَصيبُ
ولستُ بمَوْصولٍ فأحيـا بِزَوْرَةٍ ولا النفسُ عنـد اليأسِ عنكِ تَطِيبُ

قال : فكتبت إليه : [من الطويل]

نَعَم وإلهي إنّـي بِـكَ صَبّةٌ فهل أنتَ يا مَن لا عَدِمتُ مُثيبُ
لِمَنْ أنتَ منـه في الفؤادِ مصوَّر وفي العَينِ نُصْبَ العين حين تَغيبُ
فَثِـقْ بِـوِدادٍ أنت مُظهـرُ مثلِه عَلى أنّ بـي سُقْماً وأنتَ طبيبُ

[إجازتها الشعر]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة ، قال : حدَّثني يحيى بنُ عليٍّ بن يحيى المنجِّم ، قال : حدَّثني الفضلُ بنُ العبّاس الهاشميّ ، قال : حدَّثتني بَنانُ الشاعرة ، قالت : اتّكأ المتوكّل على يَدي ويدِ فضل الشاعرة ، وجعل يمشي بيننا ، ثم قال : أجيزا لي قول الشاعر : [من الطويل]

تعلّمتُ أسباب الرضا خوفَ عَتْبها وعَلّمها حُبّي لهـا كيف تَغضَب

فقالت له فضل : [من الطويل]

تَصُـدُّ وأَدْنـو بـالمودَّةِ جاهداً وتَبعُـد عنّـي بالوصالِ وأقربُ

فقلت أنا : [من الطويل]

وعندي لها العُتبى على كلِّ حالة فما مِنْه لي بـدّ ولا عنه مذهبُ

أخبرني محمد بنُ خلفِ بن المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي طاهر ، قال : ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة : [من الطويل]

ومستفتِحٍ بـابَ البـلاءِ بنَظْرةٍ ... تَزوَّدَ منهـا قلبُـه حسْرةَ الدَّهْرِ

فقالت : [من الطويل]

فواللهِ ما يَدري أتَدْري بما جَنَت ... عَلى قلبِه أو أهلكَتْه ومـا تَدْري

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : ألْقَيتُ أنا على فضل الشاعرة : [من مجزوء الكامل]

عَلَـمَ الجمـالِ تركْتني ... بهـواكِ أشهرَ مِنْ عَلَمْ

فقالت على البديهة : [من مجزوء الكامل]

وأبحتَنـي يـا سيِّـدي ... سَقماً يجـلّ عن السقَمْ

وتَركْتَنـي غَرَضا ، فَدَيْـ ... ـتُكَ ، للعَـواذِلِ والتُّهمْ

صلَـةُ المحِـبِّ حبيبَـه ... اللهُ يَعلَمُـه كَـرَمْ

أخبرني محمدُ بنُ خلف ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ الوليد ، قال : سمعت عليَّ بنَ الجَهْم يقول : كنت يوماً عند فضل الشاعرة ، فلحظتها لحظة استرابت بها ، فقالت : [من الرجز]

يـا رُبَّ رامٍ حَسَنٍ تَعرُّضُهْ ... يرمي ولا يُشعِر أنِّـي غرضُهْ

فقلت[1] : [من الرجز]

أيُّ فتى لَحْظُكِ ليس يُمْرِضُهْ ... وأيُّ عَقدٍ محكَمٍ لا يَنْقُضُهْ !

فضحكت ، وقالت : خذ في غير هذا الحديث .

[تشوّق إلى حبيب]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبّر ، قال : كتَبتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُمَيد أيّام كانت بينهما محبّة وتواصل : [من الطويل]

وعيشِك لَو صرّحتُ باسمِك في الهوى ... لأقصَرْتُ عن أشياءَ في الهزْلِ والجِدِّ

ولكنَّنـي أُبـدي لهـذا مَودَّتـي ... وذاك ، وأُخلو فيكَ بالبَثِّ والوَجْدِ

مخافـةَ أن يُغْـري بنا قـولُ كاشحٍ ... عدُوّاً فيسعى بـالوِصالِ إلى الصَدِّ

فكتب إليها سعيد[2] : [من الطويل]

تنامِـين عـن لَيْلي وأُسهَرُه وحدي ... وأنهى جفـوني أن تبُثَّك ما عِنْدي

فإنْ كنتِ لا تَدْرينَ مـا قـد فعلتِه ... بنا فانظُري مـاذا على قاتِـلِ العمدِ

---

1 ديوان علي بن الجهم : 305 .

2 تقدم بيتا سعيد بن حميد في ترجمته في الجزء 18 : 110 .

قال عمّي : هكذا ذكر ابن مهرويه .

وحدَّثني به عليُّ بنُ الحسين بنِ عبد الأعلى ، فذكر أنّ بيتَي سعيد كانا الابتداء ، وأنّ أبيات فضل كانت الجواب . وذَكَر لهما خبراً في عِتاب عاتبها به ، ولم أحْفظه ، وإنّما سمعتُه يذكره ، ثم أخرج إليّ كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن عليّ بنِ الحسين ، فوجدت هذا الخبر فيه ، فقرأته عليه .

قال عليُّ بنُ الحسين بن عبد الأعلى : حضَر سعيدُ بن حُمَيد مجلساً حضرَته فضل الشاعرة وبُنان ، وكان سعيد يهواها ، وتُظْهِر له هَوًى ، ويتهمها مع ذلك ببنانٍ ، فرأى فيها إقبالاً شديداً على بُنانٍ ، فغضب وانصرف ، فكتبت إليه فضل بالأبيات الأُوَل ، وأجابها بالبيتين الآخرين ، فاتّفقت رواية ابنِ مَهْرُويه وعليّ بنِ الحسين في هذا الخبر .

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أبو يوسف بنُ الدقاق الضرير ، قال : صِرْتُ أنا وأبو منصور الباخَرْزِيّ إلى منزل فضل الشاعرة فحُجِبنا عنها وانصرفنا ، وما علمتْ بنا ، ثم بَلَغها مجيئنا وانصرافنا فكَرِهَت ذلك وغمّها ، فكتبت إلينا تعتذر : [من الطويل]

وما كنْتُ أَخشى أن تَرَوْا لي زَلّةً ... ولكنَّ أَمْرَ اللهِ ما عَنْه مَذْهَبُ
أَعُوذُ بحُسنِ الصفحِ منكمْ وقَبْلَنا ... بِصَفْحٍ وعفْوٍ ما تعوّذ مُذْنِبُ

فكتب إليها أبو منصور الباخرزيّ : [من الطويل]

لَئن أُهدِيَت عُتباكِ لي ولإخوتي ... فمِثلُك يا فضلَ الفضائلِ يُعتِبُ
إذا اعتذر الجاني محا العذرَ ذنبَه ... وكلُّ امرىء لا يَقبل العُذْرَ مذنِبُ

[عندما يئست من إيقاظ المتوكل]

حدَّثني عليُّ بنُ هارونَ بن عليّ بن يحيى المنجّم ، قال : حدَّثني عمّي عن جدِّي ، قال : قال لي المتوكّل يوماً ، وفضل واقفة بين يديه : يا عليّ ، كان بيني وبين فضل موعِد ، فشربْت شُرْباً فيه فضْل ، فسكِرْت ونِمتُ ، وجاءتني للموعد ، فحرّكتني بكلّ ما ينتبه به النائم من قَرْص وتحريك وغَمْز وكلام ، فلم أنتبه . فلمّا علِمَتْ أنّه لا حيلة لها فيّ كتبَتْ رُقعة ووضَعَتْها على مَخَدَّتي ، فانتبهتُ فقرأتها ، فإذا فيها : [من مجزوء الرمل]

قد بَدا شِبْهك يا مو ... لايَ يَحْدُو بالظلامِ
قُمْ بِنا نَقْضِ لُبانا ... تِ التزامٍ والتئامِ
قَبْلَ أنْ تَفْضَحنا عَوْ ... دةُ أرواحِ النِّيامِ

[تهاجي الجواري]

أخبرني محمدُ بن خلفِ بن المَرْزُبان ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي طاهر ، قال : كانت فضل الشاعرة تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف ، وكانت شاعرةً ، وكان أبو شِبْل عاصمُ بن

وهبٍ يعاون فضلاً عليها ، ويهجوها مع فضل . وكان القصيديّ والحفصيّ يُعينان خنساء على فضل وأبي شبل ، فقال أبو شبل على لسان فضل : [من السريع]

خنساءُ طِيري بِجَنــاحَيْنِ ... أُصبحْــتِ مَعْشوقــةَ نَذْلَيْن
مَن كان يَهوى عاشقاً واحداً ... فأنــتِ تَهْوَيْــنَ عَشيقَيْن
هذا القصيديّ وهذا الفتى الـ ... ـحفصّي قــد زاراكِ فَرْدَيْنِ
نَعِمْتِ مــن هــذا وهذا كما ... يَنْعــم خِنزيــر بحُشَّيْن[1]

فقالت خنساءُ تجيبها : [من السريع]

ماذا مَقالٌ لكِ يـا فضلُ بَلْ ... مقــالُ خِنزيرَيْــن فَرْدَيْــنِ
يُكْنى أَبا الشبلِ ولو أَبصرَتْ ... عينــاهُ شِبــلاً راثَ كُــرَّيْنِ[2]

وقالت فضل في خنساء : [من الخفيف]

إنَّ خنساء لا جُعِلْــتُ فِداها ... اشتراها الكَسَّارُ مــن مولاها
ولهــا نَكْهَةٌ يقــول محاذيـ ... ـها أَهــذا حَدِيثها أم فُساها

وقالت خنساء في فضل وأبي شبل : [من الطويل]

تَقُول لــه فضلٌ إذا ما تخوَّفتْ ... ركوبَ قبيح الذُّلِّ في طلبِ الوصلِ
حِرُ أُمِّ فَتًى لم يَلْقَ في الحُبِّ ذِلّةً ... فقلت لها لا بَل حِرُ أُمِّ أَبي الشبلِ

وقالت خنساء تهجو أبا شبل : [من الكامل]

مــا يَنْقَضي فِكْري وطولُ تعجُّبي ... مِــن نعجــةٍ تُكْنى أَبا الشبلِ
لَعِــبَ الفحولُ بسُفْلها وعِجانها ... فتمــرَّدَتْ كتمــرُّدِ الفحــلِ
لمــا اكتَنَيْتَ بمــا اكتَنَيْت بــه ... وتَسَمَّــتَ النقصــانُ بالفضلِ[3]
كادَتْ بنا الدُّنيــا تَميد ضحى ... ونَــرى السماءَ تَذُوبُ كالمُهْلِ[4]

قال : فغضب أبو شبل لذلك ، ولم يجبها ، وقال يهجو مولاها هشاماً : [من الخفيف]

نِعْمَ مأوى العُزّاب بَيتُ هشام ... حين يرمي اللِّئامَ باغي اللئــامِ
مَن أَراد السرور عند حبيبٍ ... لِينالَ السرورَ تحــت الظلامِ

---

1 حشان : مثنى حشّ ، وهو البستان ، ثم كني به عن مكان قضاء الحاجة .

2 كرين : مثنى كر ، وهو مكيال كبير .

3 تسمّت به : أخذ سمته ، أي أشبهه .

4 المهل : من معانية القطران ، والذائب من الصفر والحديد .

فهشامٌ نَهــارُه ودُجى الليـ ـــل سواءٌ نَفْسي فِداءُ هشامِ
ذاك حـــرّ دواتُه ليس تخلـو أبـــداً مَـــنْ تَخَـــرُّق الأقلام

[أعجلها طلب الخليفة عن زيارة سعيد بن حميد]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون ، قال[1] : زارت فضلُ الشاعرة سعيدَ بن حُمَيد ليلةً على موعد سَبَق بينهما ، فلمّا حصلت عنده جاءتها جاريتُها مبادرة تُعْلمها أنّ رسول الخليفة قد جاء يطلبها ، فقامت مبادرةً فمضَت ، فلمّا كان من غدٍ كتب إليها سعيد : [من الكامل]

ضَنَّ الزمانُ بهـــا فلمّا نِلْتُها وَرَدَ الفِراقُ فكان أقبحَ وارِدِ
والدَّمعُ ينطقُ للضميرِ مصدِّقاً قولَ المُقـــرّ مكذِّباً للجاحِدِ

[رثاؤها الخليفة]

حدَّثني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي الدُّنيا ، قال : حدَّثني ميسرةُ بنُ محمد ، قال : حدَّثني عُبيد بن محمد ، قال : قلت لفضل الشاعرة : ماذا نزل بكم البارحة ؟ ، قال : وذلك في صبيحة قَتْل المنتصِرِ المتوكّل ، فقالت وهي تبكي : [من البسيط]

إنّ الزمانَ بذحْـــلٍ كان يطلبنـــا مـــا كان أغفلَنا عنـــه وأسهانا[2]
ما لي ولِلدَّهرِ قـــد أصبحْتُ هِمتَه ما لي ولِلدَّهْرِ مـــا لِلدَّهـــرِ لا كانا

[في يوم نيروز]

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ، قال : حدَّثني محمدُ بن الفضل ، قال : حدَّثني أبو هفّان ، قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي فَنَن ، قال : خرجت قبيحة[3] إلى المتوكّل يوم نَيْروزٍ وبيدِها كأسُ بَلُّور بشراب صاف ، فقال لها : ما هذا فديتُك ؟ قالت : هَدِيّتي لك في هذا اليوم ، عرّفَك الله بركته ! فأخذه من يدها ، وإذا على خدِّها : جَعْفَرٌ ، مكتوباً بالمسك ، فشرب الكأسَ وقبَّل خدَّها ، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت : [من الطويل]

وكاتِبةٍ بالمسكِ في الخَدِّ جعفرا بنَفْسي سواد المسكِ من حيثُ أثَّرا
لئن أثَّرتْ بالمسك سطراً بِخَدِّها لقد أودَعَتْ قلبي من الحزْنِ أسطُرا
فيـــا مَن مُناها في السريرةِ جعفرٌ سقى الله مـــن سُقيا ثناياكِ جعفرا

الغناء لِعَريبَ ، خفيفُ رملٍ . قال : وأمر عريب فغنَّت فيه . وقالت فضل في ذلك أيضاً : [من السريع]

1 تقدم الخبر والشعر في ترجمة سعيد بن حميد في الجزء 18 : 116 .
2 ذحل : ثأر .
3 قبيحة : زوجة المتوكل .

سُلافــةٌ كالقَمَـــرِ الباهـــرِ   في قَــدَحٍ كالكوكب الزاهرِ
يُدِيرها خشفٌ كبَدْرِ الدجَى   فوق قضيبٍ أهيــفٍ ناضرِ
على فتًــى أروعَ مــن هاشم   مثلِ الحسامِ المُرهَف الباترِ

وقد رُويت الأبيات الأُوَل لمحبوبة شاعرةِ المتوكّل ، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرتُ بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب .

[رسالة وجوابها]

أُخبرني محمدُ بنُ خلف ، قال : أُخبرني أبو الفضل المَرْوروذيّ ، قال : كتبَتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُمَيد[1] :   [من الوافر]

بَثثْتُ هواك في بَدَني ورُوحي   فألِّف فيهمــا طمعــاً بِياسِ

فأجابها سعيد في رقعتها :   [من الوافر]

كفانا اللهُ شرَّ اليــأس إنّــي   لِبُغض اليــأس أُبغض كل آسي

[ميلها إلى بنان]

حدَّثني عمّي ؛ قال : حدَّثني ابنُ أبي المدوّر الورّاق ، قال : كنت عند سعيدِ بن حُميد ، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعَّبُ ، وقد بلغه ميلُها إلى بُنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك ، فأقبل على صديق له فقال : أصبحْتُ واللهِ من أمر فضل في غُرور ، أخادع نفسي بتكذيب العِيانِ ، وأمنّيها ما قد حِيل دونه . والله إنَّ إرسالي إليها بعدما قد لاح من تغيّرها لَذُلّ ، وإنَّ عدولي عنها وفي أمرها شبهة لعَجْز ، وإنَّ تصبّري عنها لَمِنْ دواعي التلَف ، ولله دَرُّ محمدِ بن أبي أُميّة حيث يقول :   [من الكامل]

يا ليت شِعْري ما يكون جوابي   أمّا الرسولُ فقد مضى بكتابي
وتعجَّلتْ نفسي الظنونُ وأشعِرَتْ   طمعَ الحريصِ وخِيفَــةَ المُرْتابِ
وترُوعني حــركاتُ كلِّ محــرِّك   والبــابُ يقرعــه وليس ببابي
كَمْ نحوَ باب الدار لي مِن وَثْبةٍ   أرجــو الرسولَ بمَطْمع كــذّابِ
والويلُ لي مِــن بعدِ هــذا كلِّه   إن كان مــا أخشاه ردَّ جوابي

[غضب بنان عليها ولم يقبل اعتذارها]

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ يحيى المنجّم ، قال : غضب بُنانٌ على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها ، فاعتذرت إليه ، فلم يقبل معذرتها ، فأنشدتْني لنفسها في ذلك :   [من السريع]

---

1 مجموع شعره : 134 .

يـا فضـلُ صبراً إنّها مِيتَةٌ يَجْرَعُها الكاذبُ والصادقُ
ظـنَّ بُنـانٌ أنَّني خُنتُـه رُوحي إذاً مِـن بَدَني طالقُ

[تجيز بيتاً لعلي بن الجهم]

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ؛ قال : حدَّثني أبو العبّاس المَرْوَزيّ ، قال : قال المتوكّل لعليّ بن الجَهْم : قُلْ بيتاً ، وطالِب فضلَ الشاعرة بأن تُجيزه ، فقال عليّ : أجيزي يا فضل[1] : [من المنسرح]

لاذَ بها يشتكي إليها فلم يجد عندها ملاذا

قال : فأطرقت هُنيهة ثم قالت .

فلم يـزل ضارعاً إليها تَهْطِـل أجفانُـه رَذاذا
فعاتَبوه فـزاد عِشقـاً فمات وجداً فكان ماذا

فطرب المتوكّل ، وقال أحسنتِ وحياتي يا فضل ، وأمر لها بمائتي دينار ، وأمر عريبَ فغنَّت في الأبيات .

قال مؤلّف هذا الكتاب : أعرف في هذه الأبيات هَزَجاً لا أدري أهو هذا اللحن أم غيره ؟ ولم أرَه في أغاني عَريب ، ولعلّه شَذَّ عنها .

صوت

[من مجزوء الوافر]

أمامـةُ لا أراكَ اللـ ـه ذلَّ معيشةٍ أبـدا
ألا تستصلحين فتـى وقاك السوءَ قد فسدا
غلام كان أهلُكَ مـرّ ة يدعونـه ولَـدا

الشعر لعبد الله بنِ محمدِ بن سالمٍ الخياط ، والغناء للرّطّاب الجدي ، ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرو ، وفيه ليحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق وأحمدَ بن المكّيّ .

وذكر عبد الله بنُ موسى بنِ محمد بن إبراهيم الإمام عن قلم الصالحيّة أنّها أخذت اللحن المنسوب إلى الرّطّاب عن تينة ، وسألته عن صانعه فأخبرها أنّه له .

1 بيت ابن الجهم ، وإجازة فضل في الفوات 3 : 185 .

[411] ـ نسب ابن الخياط وأخباره

هو عبدُ الله بنِ محمدِ بن سالمِ بن يونُس بن سالم . ذكر الزُّبيرُ بنُ بَكَّار أنّه مولًى لقريش ، وذكر غيره أنَّه مولى لهُذَيل .

وهو شاعرٌ ظريفٌ ، ماجنٌ خليعٌ ، هجّاءٌ خبيثٌ ، مخضرمٌ من شعراء الدولة الأمويّة والعبّاسيّة . وكان منقطعاً إلى آل الزُّبير بنِ العوام مدّاحاً لهم ، وقدِم على المهديّ مع عبدِ الله بن مصعَب فأوصله إليه ، وتوصّل له إلى أن سمِع شعره وأحسن صلته .

[المهديّ يجيزه ثم يضعف له الجائزة]

أُخبرني الحِرْميّ بن أُبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال : حدَّثني يونُس بنُ عبد الله بن سالم الخيّاطُ قال : دخل أبي على المهديّ فمدحه ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فقال يمدحه : [من الطويل]

أُخذتُ بكفّي كفَّــه أبتغي الغِنى ... ولم أُدرِ أَنّ الجودَ من كفِّه يُعدي
فلا أَنا منــه مـــا أُفادَ ذوو الغِنى ... أُفدتُ وأُعداني فأُتلفتُ ما عندي

قال : فبلغ المهديَّ خبرُه ، فأضعف جائزته ، وأمر بحملها إليه إلى منزله .

قال الزُّبيرُ بن بَكّار : سرق ابن الخيّاط هذا المعنى من ابن هَرْمة .

[معدود في الهجائين]

أُخبرني الحسنُ بن عليّ الخَفّاف قال : حدَّثنا أُحمدُ بن أُبي خَيثمة ، قال : حدَّثني مصعَب بنُ عبد الله قال : سمعتُ أبي يقول : لم يبرح هذه الثنيّةَ قطُّ أحد يَقذف أعراض النّاس ويهجوهم . قلت : مثلُ مَن ؟ قال : الحزينُ الكنانيّ ، والحكَمُ بنُ عِكرمة الدّؤليّ ، وعبدُ الله بن يونس الخيّاطُ ، وابنه يونس ، وأُبو الشدائد .

[ابنه يعقه]

أُخبرني محمد بنُ مَزْيد قال : حدَّثنا الزُّبير بنُ بكَّار قال : كان يونُس بن الخيّاط عاقّاً لأَبيه ، فقال أُبوه فيه : [من المنسرح]

يونسُ قلبـي عليـك يلتهفُ ... والعين عبرى دموعها تكِفُ
تُلحِفني كسوة العقوق فـلا ... بَرِحتَ منها ما عشتَ تلتحفُ
أُمرتَ بالخفضِ للجناح وبالر ... فــقِ فأُمسى يعُوقـكَ الأَنفُ

ويلــك واللهِ مــن زبانيــة إن سُلِّطوا في عذابهــم عَنُفوا

فأجابه ابنُه يونُس ، فقال : [من المنسرح]

أصبح شيخي يُزري به الخَرَفُ ما إن لــه حرمة ولا نَصَفُ
صِفاتنا في العقــوقِ واحــدة مــا خلتُنا في العقوقِ نختلفُ
لَحَفتَه سالفــاً أبــاكَ فقــد أصبحتَ منّي كذاك تلتحفُ

[يهجو وضيعاً بنى داراً]

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ وَكيعٌ قال : حدَّثني طلحةُ بن عبد الله قال : حدَّثني أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال : مرَّ ابن الخيّاط بدارِ رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضّعة وخساسة الحال ، وقد شيّد بابها وطَرْمح[1] بناءها ، فقال : [من الطويل]

أطِله فما طــول البناء بنافعٍ إذا كان فرعُ الوالدَين قصيرا

[بينه وبين موسى بن طلحة]

أخبرني وَكيعٌ قال : أخبرني إبراهيم بنُ إسحاق بنِ إبراهيم بنِ صالح قال : أخبرني العامريُّ قال : هجا ابنُ الخيّاط موسى بن طَلحةَ بن بلال التيميّ ، فقال : [من الخفيف]

عجــب النـاسُ لِلعجيب المُحالِ حاض موسى بنُ طلحةَ بنِ بلالِ
زعمــوه يحيضُ في كلّ شهــرٍ ويَــرى صُفــرة لكــلّ هــلالِ

قال : فلقيه موسى ، فقال : يا هذا ، وأيّ شيء عليك ؟ نَعم حضتُ ، وحملتُ ، وولدتُ وأرضعتُ . فقال له ابنُ الخيّاط : أنشدُك اللهَ ألاّ يسمعَ هذا منك أحد فيجترىء على شعري النّاس ، فلا يكون شيئاً ، ولن يبلغَك عنّي ما تكره بعد هذا ، فتكافّا .

[رأي القاضي في عتق جارية]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني مصعَب بن عثمان قال : ما رأيتُ بريق صَلَع الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يوم رحب القُتَيليّة جارية إبراهيم بنِ أبي قُتَيلة ، وكان يعشقها ، وبيعَتْ في دَيْن عليه ، فبلغت خمسمائة دينار . فقال المغيرة بنُ عبد الله لابن أبي قُتَيلة : ويحك ! اعتقها فتُقوَّمَ عليك ، فتَتزوّجها ، ففعل . فرُفع ذلك إلى أبي عمران وهو القاضي يومئذٍ فقال : أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة . أمّا نحن في الحكومة فقد عرفنا أنْ قد بلغت خمسمائة دينار ، فاذهبوا فقوّموها ، فإن بلغت القيمةُ أكثر من هذا ألزمناه ، وإلاّ فخُذوا منه خمسمائة دينار . فاستُحسِن هذا الرأي ، ولَيس عليه الناس قَبْلَنا ، فقال ابنُ الخيّاط

1 طرمح : طوّل .

يذكر ذلك من أمر ابن أبي قُتَيلة وما كان من أمر جاريته : [من السريع]

يا معشرَ العشّاقِ مَن لم يكن ... مثــل القُتَيــليّ فــلا يعشَقِ
لمــا رأى السُّوّامُ قــد أحدقوا ... وصيحَ في المغــربِ والمَشرقِ
واجتمــع النّــاسُ عــلى دُرَّة ... نظيرهــا في الخَلْــقِ لم يُخْلَقِ
وأبــدتْ الأمــوالُ أعناقهــا ... وطاحــت العسرةُ للمملِــقِ
قلَّــب فيــه الرأي في نفسه ... يديــرُ مــا يأتي ومــا يتّقي
أعتقهــا والنفسُ في شدقهــا ... للمعتَــق المَــنّ عــلى المُعْتِقِ
وقــال للحــاكم في أمرهــا ... إن افترقْنــا فمتــى نلتقــي ؟

وأخبرني بهذا الخبر وكيعٌ قال : قال الزُّبَير بن بَكَّار ، وذكر مثلَ ما ذكره الحِرْميُّ ، وزاد فيه : فكان فيهم ، يعني فيمن حضر ، لابتياعها موسى بن جعفرِ بن محمدِ ومحمد بن زيدِ بن عليّ ، والقاسمُ بن إسحاق بن عبدِ الله بنِ جعفرٍ ، وغيرُهم . قال : فرأيتهم قياماً في الشمس يتزايدون فيها . وقال في خبره : ابن أبي قُتَيلة بالتاء .

[يسأل سائل عنه ابنه يونس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكّار قال : حدَّثني يونُس بن عبد الله بن سالم الخيّاطُ قال : كنت ذات عشيّة في مسجد رسول الله ﷺ وقت العصر في أيّام الحاج ، فإذا أنا برجل جميل عليه مقطَّعاتُ خزّ ، وإذا معه جماعة . فوقف إلى جنبي فصلّى ركعتين ، ثم أقبل عليّ ، وكان ذلك من أسباب الرزق ، فقال : يا فتى ، أتعرف عبدَ الله بن سالمٍ الخيّاطَ ؟ فقلت : نعم . فلمّا صلَّينا قال : امضِ بنا إليه ، فمضيت به ، فاستخرجت له أبي من منزله ؛ فقال الرجل : بلغني أنّك قلت شعراً في أمر العَصَبيّة ؛ فقال له أبي : ومَن أنت بأبي أنتَ وأُمّي ؟ فقال : أنا خزيم بن أبي الهَيْذام ، فقال له أبي : نعم قد قلته ، وأنشده : [من الخفيف]

اسقياني من صِرف هذي المدام ... ودعــاني وأقصرا مــن ملامي
واشربا حيثُ شئتما إنّ قيساً ... قد عــلا عزُّهــا فروعَ الأنامِ
ليس واللهِ بــالشآم يمــانٍ ... فيــه رُوح ولا بغيــرِ الشآمِ
يَطعَم النوم حين تَكتحلُ الأعْـ ... ـين بالنوم عند وقــت المنامِ
حَذرا من سيوف ضِرغامةٍ عا ... دِ على الهَــولِ باسلٍ مقدامِ
من بَني مُرّةَ الأطايبِ يكنى ... عند دَسر الرّمــاح بالهَيذامِ[1]

1 دسر : طعن ودفع .

[ابنه ينافسه]

قال : فأشرع الفتى يده إليه بشيء وجزاه خيراً . قال يونس : فبادرتُ فأخذت بيد المُرّي وقلت له : لا تَعجَل فإنّي قد قلت شعراً أجود[1] من شعره . قال أبي : ويلك يا يونُس يا عاضّ بَظْر أُمّه ! تحرمني ؟ فقلت : دع هذا عنك ، فوالله لا تجوع امرأتي وتشبع امرأتك . فقلت ليونس : ومَن كانت امرأةَ أبيك يومئذٍ ؟ فقال : أُمّي ، وجمعت والله عقوقهما معاً . فقال لي المُرّي أنشد فأنشدته : [من الخفيف]

اسقياني يا صاحبيّ اسقياني ... ودعاني من الملامِ دعاني
اسقياني هُديتما من كُميتٍ ... بنْتِ عَشْرٍ مشمولةٍ أُسقياني
فُضّ عنها خِتامُها إذ سباها ... واضِحُ الخَدّ من بني عدنانِ
نَتحايا بالكأس أربعةً في الدّ ... ورِ هذان ناعمانِ وذانِ
ذا لهذا رَيحانة مثل هذا ... ك لهذا من طَيّبِ الريحانِ
فنهضنا لموعدٍ كان منّا ... إذ سمعنا تجاوب البُكْمانِ
فنعِمنا حولَين بَهْراً وعشنا ... بين دُفٍّ ومسمِع ودِنانِ
ثم هِجنا للحرب إذ شبّت الحر ... بُ ففزنا فيها بسبق الرِّهانِ
إنّ قيساً في كلّ شرق وغربٍ ... خارجٌ سَهمُها على السُّهمانِ
منعَ اللهُ ضيمَنا بأبي الهيـ ... ـذام حِلْفِ السماح والإحسانِ
واليمانون يفخرون أمَا يَد ... رونَ أن النبيَّ غيرُ يمانِ

قال : فقال الفتى لأبي : قد وجب علينا من حقّه مثلُ ما وجب علينا من حقّك يا شيخ ؛ واستظرف ما جرى بيني وبين أبي ، وقسم الدنانير بيننا ، وكانت خمسين ديناراً .

[عقّ أباه فعقّه ابنه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ موسى بنِ حمّاد قال : حدَّثني الزُّبير قال : مرَّ رجل بيونُس بنِ عبد الله بن الخيّاطِ ، وهو يعصِر حَلْق أبيه وكان عاقّاً به ، فقال له : ويلك أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلّصه من يده ، ثم أقبل على الأب يُعزّيه ويسكّن منه . فقال له الأب : يا أخي لا تَلُمه ، واعلم أنّه ابني حقّاً . والله لقد خنقتُ أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه . فانصرف عنه الرجل وهو يضحك .

1 ل : أشعر .

[محمد بن سعيد يستجيب لشكوى يونس]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمان النَّوفليّ عن عمِّه عيسى قال : شكا عبد الله بن يونس الخيّاطُ إلى محمدِ بنِ سعيدِ بن المغيرة بن نَوْفَلِ بنِ الحارثِ بنِ عبد المطّلب حاله وضيقاً قد ناله ، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر ، فقال يمدحه : [من السريع]

يا ابن سعيد يـا عَقيدَ النَّدى يا بارعَ الفضل على المُفضِلِ
حللتَ في الذِّروة من هاشم وفي يَفـاعٍ مـن بنـي نَوْفَلِ
فطابَ في الفرعيْنِ هـذا وذا مـا اعتمّ من منصِبك الأطولِ
قد قلـتُ للدّهرِ وقـد نالني بـالنّابِ والمِخلـبِ والكَلكلِ
قد عُذتُ من ضُرّك مستعصِماً بهاشمـيٍّ ماجـدٍ نوفـلي
فقال لي أهـلاً وسهـلاً معاً فُـزْتَ ولم يمنعْ ولم يَبخلِ[1]
الدّهـرُ شِقّـانِ فشِقٌ لـه لـينٌ وشقٌّ خَشِنِ المنـزلِ
وأخشنَ الشِّقّين عنّـي نَفى وشقُّه الألْيَـن مـا عاشَ لي
فقُل لهـذا الدهر مـا عاش لا تُبـقِ لا تُـرْعِ ولا تـأتلي

[يونس يستعفي من الصلاة]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : أخذ أبي ، لمّا وَلي الحجاز ، عبدَ الله بن يونس الخيّاط بأن يصلّي الصلوات الخمسَ مع الجماعة في مسجد رسول الله ﷺ ، فجاءَني هو ومحمدُ بنُ الضّحاك وجعفرُ بن الحسين اللّهبيّ ، فوقف بين يديّ ، ثم أنشدني : [من الرجز]

قُل للأمير يـا كريم الجِنسِ يا خيرَ من بالغَور أو بالجَلْسِ[2]
وعُدّتـي لولـدي ونفسي شغلْتني بالصّلـواتِ الخمسِ

فقلت له : ويلك ! أتريد أن أستعفيَه لك من الصّلاة ؟ والله ما يعفيك ، وإن ذلك ليبعثه على اللَّجاج في أمرك ، ثم يضرّك عنده . فمضى وقال : نَصبر إذن حتى يُفرج اللهُ تعالى .

[صديق يهبه القميص سكراناً ويستردّه صاحياً]

أخبرني محمدٌ قال حدَّثنا الزُّبير بنُ بكّار قال حدَّثنا يونُس بن الخيّاط قال : كان لأُبي صديق ، وكان يدعوه ليشرب معه ، فإذا سَكِر خلع عليه قميصه ، فإذا صحا من غدٍ بعث إليه

---

1 فزت في ل : شمت .
2 الجلس : بلاد نجد ، وأصله الأرض الغليظة .

فأخذه منه فقال أبي فيه : [من الطويل]

كساني قميصاً مرّتين إذا انتشى وينزِعُــه منِّــي إذا كان صاحِيا
فَلِــي فَرحــة في سُكره بقميصه وروعاته في الصَّحوِ حَصَّت شَواتِيا[1]
فيا ليت حظِّي من سروري وروعتي تكــون كَفافــاً لا عــليَّ ولا لِيَا

[مقابلة بالمثل]

أخبرنا وكيعٌ قال حدَّثنا محمد بنُ الحسنِ بنِ مسعودٍ الزُّرَقيُّ قال : قال يونُس بنُ عبدِ الله الخَيَّاطُ لأبيه ، وكان عاقّاً به : [من مجزوء الرجز]

ما زال بي ما زال بي طعنُ أَبي في النسبِ
حتى تَرَيَّبْت وحتــ ــى ساءَ ظَنِّي بأَبي

قال : ونشأَ ليونُسَ ابنٌ يقال له : دحيم ، فكان أَعقَّ النّاس به ، فقال يونسُ فيه : [من المنسرح]

جَــلا دحيــمُ عَمايةَ الرِّيَبِ والشكَّ منِّي والطَّعن في نسبي
ما زال بي الظَّنّ والتشكُّك حتــ ــى عقَّني مثلَ مــا عَقَقتُ أَبي

[نسيب يونس]

أَخبرني الحِرْميّ بنُ أَبي العلاءِ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني يونُس بنُ الخيّاط قال : أَنشدتُ سعيدَ بن عمرو الزُّبيريّ : [من الكامل]

لــو فاحَ ريحُ حبيبةٍ من حِبِّها فاحت رياحُ حبيبتي من ريحي

قال : فقال لي سعيد بن عمرو : والله إنِّي لأَقول النسيب ، فلا أَقدر على مثل هذا . فقلت له : ومن أين تقدرُ على مثلِ هذا يا أبا عثمانَ ؟ لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك .

[يؤثر ابنه على نفسه]

أَخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني يونُس بنُ الخيّاط قال : لمّا أَعطى المهديّ المغيرةَ بنَ حبيب أَلف فَريضة يضعها حيث شاء جاءَه أَبي عبد الله بنُ سالم ، وقال له : [من الكامل]

أَلــف تــدور على يــدٍ لِمُمَدَّحٍ مــا سُوقُ مادحِه لديــه بكاسِدِ
الظنُّ منّــي لــو فرضتَ لواحدٍ في الأَعجمين خصصتَني بالواحدِ

قال : فقال له المغيرة : أَيّهما أَحَبّ إليك : أَأَفرض لك أَم لابنك يونُس ؟ فقال له : أنا شيخ

---

1 حص : حلق الشعر . والشواة : جلدة الرأس .

كبير ، هامةُ اليوم أو غدٍ[1] ، افرِض لابني يونُسَ ، ففرض لي في خمسين ديناراً ، فلمّا خرجَت الأعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدَي بَكّار بن عبد الله قال لي خليفتُه وخَليفة أيّوبَ بن أبي سمير ، وهما يعرضان أهل ديوان العطاء ، : أنت من هُذَيل ونراك قد صِرْتَ من آل الزُّبير فنَرُدُّك إلى فرائض هُذيلٍ خمسةَ عشرَ ديناراً . فقال لهما بكّار : إنّما جُعلتما لتَتَّبعا ولا تبتدعا ، أمضياه ، فأعطياني مائة وخمسين ديناراً .

[هجاء ابنه للقاضي]

أخبرني محمدُ بنُ خَلفٍ وكيعٌ قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود الزُّرَقيّ قال : حدَّثنا ابنُ أبي قَباحة الزهريّ قال : لمّا عُزِل ابنُ عِمران ، وهو عبد الله بنُ محمدِ بنِ عِمرانَ التيميُّ ، عن القضاء ، واستُعمل هشامُ بنُ عبد الله بنِ عِكرمة المخزوميُّ ، جزِع ابنُ عِمران من ذلك ، فقال بعضُ أصحابه ليونُسَ بنِ عبد الله الخيّاطِ : اهجُ هشاماً بما يغضّ منه ، فقال : [من مجزوء الرمل]

كم تغنّـــى لي هشام ... ذلك الجِلــف الطويلُ
بعد وهْن وهو في المجـ ... ـلس سكــرانُ يميــلُ
هَــل إلى نــار بسَلْعٍ ... آخِــرَ الدَّهْــرِ سَبِيلُ[2]
قلــتُ للنَّدمــان لمّــا ... دارتْ الرّاحُ الشَمولُ
بأبــي مــالَ هِشامٌ ... فكمــا مــالَ فميلُوا

قال : وشَهَرها في النّاسِ ، وبلغ ذلك هشاماً فقال : لعنه الله ؛ إنْ كان لَكاذباً . فقال ابن أبي قَباحة : فقلتُ لابن الخيّاط : كذبت ، أما والله إنّه لأمرٌ من ذلك .

[ابنه يطعن في نسبه أمام الحضور]

أخبرنا وَكيعٌ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود قال : قال يونُس بنُ عبد الله بن الخيّاطُ : جئتُ يوماً إلى أبي وهو جالس وعنده أصحاب له ؛ فوقفت عليهم لأغيظه ، وقلت : ألا أُنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم : [من البسيط]

يــا سائــلي مَن أنا أو مَن أُناسبه ... أنــا الذي ما لَـه أصل ولا نسبُ
الكلبُ يختالُ فخراً حين يُبصرني ... والكلبُ أكرمُ منّي حين يَنتسِبُ

1 المثل «هامة اليوم أو غد» في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري 2 : 389 .
2 سلع : جبل بالمدينة ، وآخر في هذيل . الدَّهْر في ل : الليل .

لو قال لي النّاسُ طُرّاً أنتَ ألأَمُنا ما وَهِم النّاسُ في ذاكُمْ ولا كذبوا

قال : فوثب إليَّ ليضربني ، وعدَوتُ من بين يديه ، فجعل يشتِمْني وأصحابه يضحكون .

[جلد ابنه في الشراب فهجا القاضي]

أخبرني وكيعٌ قال : حدَّثنا محمدُ بن الحسنِ بنِ مسعود : أنّ مالكَ بنَ أنَس جَلد يونُسَ بنَ عبد الله بنِ سالم الخيَّاطِ حدّاً في الشراب . قال : ووَلي ابن سعيد القضاء بالمدينة ، فقال يونُس فيه : [من الرجز]

بكّتنيَ النّاسُ لأنْ جُلِدتُ وسْط الرحَبَهْ
وأنّني أزني وقدْ غنّيتُ في المحتسِبَهْ
أعزِف فيهم بِعصا مالكٍ المقتضَبَهْ
فقلت لمّا أكثروا عليَّ فيم الجلبَهْ
ذا ابن سعيد قد قضى وحالنا مقترِبَهْ
لا بل له التفضيل فيـ ـما لم أنَل والغلَبَهْ
بحُسن صوتٍ مُطرب وزوجةٍ مَغْتَصَبَهْ

[يستزيد الزُّبير بن بكّار]

أخبرني الحِرْميُّ ابنُ أبي العلاء ووَكيعٌ ، قال الحِرْميُّ قال الزُّبير ، وقال وكيعٌ قال الزُّبير بنُ بكّار : أرسل إليّ ابن الخيّاط يقول : إنّي عليل[1] منذ كذا وكذا ، ومنزلي على طريقك إذا صدرتَ إلى الثّنية[2] ، وأنا أُحبّ أن أُجدِّد بك عهداً . قال : فجعلته على طريقي ، فوجدته على فُرُش مُضَرَّبة[3] ، وحوله وسائد ، وهو مسَجًّى . فكشف ابنه الثوب عن وجهه ، وقال له : فدَيتُك ، هذا أبو عبد الله . فقال له : أجلسني ، فأجلَسه وأسنَده إلى صدره . فجعل يقول بنَفسٍ منقطع : بأبي أنتَ وأُمّي ! أموتُ منذُ بضعَ عشرةَ ليلة ما دخل عليّ قُرَشيٌّ غيرك وغير الزُّبير بنِ هِشام وإبراهيمَ بنِ المنذر ومحمدِ بن عبد الله البكريّ ، ولا والله ما أعلم أحداً أحبّ قريشاً كحبّي . قال الزُّبير : وذكر رجلاً كان بيني وبينه خلافٌ فقال : لو كنت شابّاً لفعلت بأُمّه كذا وكذا ، لا يكني ، ثم قال : [من السريع]

والله لو عادَت بني مُصعَب حلِيلَتي قلت لَها : بيني

1 ل : أموت .

2 ل : البنية .

3 مضربة : ذات طاقين بينهما قطن .

أَو ولدي عـن حبِّهم قصّروا ضَغطتهـمْ بالرَّغـم والهُـونِ
أَو نظرَتْ عينـي خلافاً لهمْ فقأتهـا عَمـداً بسكـينِ

ثم أَقبل على ابنه ، فقال : يا بنيّ أَقول لك في أَبي عبد الله ما قال ابن هرمة لابنه في الحسن بن زيد[1] : [من البسيط]

والله جـارُ عُتـيٌّ دعـوةً شفقا من الزمان وشرِّ الأَقـرب، الوالي
مـن كلِّ أَحيـدَ عنـه لا يُقرِّبـه وسْط النجيّ ولا في المجلس الخالي[2]

[وفاته]

قال الزُّبيرُ : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله البكريّ : أَنَّه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه ، قال : فقال لي : يا أَبا عبد الله ، أَنا أَجودُ بنفْسي منذ كذا وكذا ولا تخرج ، ما هكذا كانت نفْس عَبِيد ولا لَبيد ولا الحطيئة ، ما هي إلاّ نفس كلب ؛ قال : فخرجتُ فما أَبعدت حتى سمعت الواعية[3] عليه .

صوت

[من مجزوء الرمل]

بأَبـي مـا لَكَ عنّي مائلَ الطرف كليلا !
وأَرى بِـرَّك نَـزْراً وتَحفِّيـكَ قليـلا
وتُسمِّينـي عـدوّاً وأُسمِّيـكَ خليـلا
أَتعلَّمـتَ سلُـوّاً أَمْ تبدَّلْـتَ بديـلا ؟
أَحمَـدُ الله فما أَغـ ـنى الرَّجا فيكَ فَتيلا

الشعر لعليّ بن جَبَلة ، والغناء لزُرزُور غلامِ المارقي ، خفيفُ رملٍ بالبنصر من راويتَي الهشاميّ وعبدِ الله بن موسى . وفيه لعَريبَ هزَج ، وفيه ثقيلٌ أَوّلُ من جَيِّد الغناء . ينسب إليها وإلى علّويَه ، وهو بغنائها أَشبه منه بغناء عَلُّويَه .

1 ديوان ابن هرمة : 198 عن الأغاني .
2 النجي : المتناجون .
3 الواعية : الصراخ على الميت .

[412] ـ أخبار عليّ بن جبلة[1]

هو عليُّ بن جَبَلة بنِ عبد الله الأَبناويّ[2] ، ويكنى أَبا الحسن ، ويلقَّبُ بالعَكَوَّك ، من أَبناء الشيعة الخُراسانيّة من أهل بغداد ، وبها نشأ ، ووُلد بالحَرْبيّة[3] من الجانب الغربيّ . وكان ضريراً ، فذكر عطاءُ الملطِ أنّه كان أكمه ، وهو الذي يولد ضريراً ، وزعم أهلُه أنّه عمي بعد أن نشأ .

[قصر شعره على أبي دُلف وحميد الطُّوسيّ]

وهو شاعر مطبوع ، عذْب اللفظ جزله ، لطيفُ المعاني ، مدّاح حسن التصرّف . واستنفَد شعرَه في مدح أبي دُلَف القاسِم بنِ عيسى العِجْليّ ، وأبي غانم حُمَيدِ بن عبد الحميد الطُّوسيّ ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دُلَف خاصّة حتى فضَّل من أجله ربيعة على مضر ، وجاوز الحدّ في ذلك . فيقال : إنّ المأمون طلبه حتى ظفر به ، فسَلَّ لسانه من قفاه ؛ ويقال : بل هرب ، ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه ؛ وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ .

[اختلافه إلى مجالس الأدب]

أخبرني أَحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمّار الثقفيُّ قال : حدَّثني الحسينُ بنُ عبد الله بن جَبَلةِ بن عليِّ بن جَبَلة قال : كان لجدِّي أولاد ، وكان عليّ أصغرهم ، وكان الشيخ يرِقّ عليه ، فجُدِر فذهبتْ إحدى عينيه في الجُدَريّ ، ثم نشأ فأسلِم في الكتّاب ، فحذقَ بعض ما يَحذِقه الصبيان ، فحُمِل على دابّة ونُثِر عليه اللَّوْز ، فوقعَتْ على عينه الصحيحة لَوزة فذهبَتْ ؛ فقال الشيخ لولده : أنتم لكم أرزاق من السُّلطان ، فإن أعنتموني على هذا الصبيّ ، وإلاّ صرفْتُ بعض أرزاقكم إليه . فقلنا : وما تريد ؟ قال : تختلفون به إلى مجالس الأدب . قال : فكنّا نأتي به مجالسَ العِلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان ، فما أتى عليه الحَول حتى برع ، وحتى كان العالِم إذا رآه قال لمَن حوله : أوسعوا للبنويّ وكان ذكيّاً مطبوعاً ؛ فقال الشعر .

[اتّهم بانتحال قصيدته في أبي دُلَف فنجح في الاختبار]

وبلغه أنّ النّاس يقصدون أبا دُلَف لجُوده وما كان يُعطي الشعراء ، فقصده ، وكان يسمَّى

---

1 ترجمة علي بن جبلة (العكوك) في الشعر والشعراء : 742–746 وطبقات ابن المعتزّ : 171–185 ومعجم الأدباء (عبّاس) : 2791 وابن خلكان 3 : 350–354 والسمط : 330–332 وتاريخ بغداد 11 : 359 وشذرات الذهب 2 : 30 ومرآة الجنان 2 : 53 والورقة : 106 ونكت الهميان : 209 ، وانظر بروكلمان 2 : 37 وأعلام الزركليّ ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره د . حسين عطوان (دار المعارف بمصر) .

2 ل : الأنباري .

3 الحربية : محلة ببغداد ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ، أحد قواد المنصور .

العَكَوَّك ، فامتدحه بقصيدته التي أوّلها[1] : [من المديد]

ذاد وِرْدَ الغيِّ عن صَدَرهْ ... وارعوى واللهوُ من وَطَرِهْ

يقول فيها في مدحه :

يا دواءَ الأرض إن فسدَت ... ومُديلَ اليُسر من عُسُرِهْ
كلّ مَن في الأرض من عَرَب ... بين باديه إلى حَضَرِهْ[2]
مستعير منك مكرمة ... يكتسيها يومَ مُفتَخَرِهْ
إنّما الدُّنيا أبو دُلَف ... بين مَبْداه ومحتضَرِهْ[3]
فإذا ولّى أبو دُلَفٍ ... ولّتْ الدُّنيا على أثَرِهْ

فلمّا وصل إلى أبي دُلَف ، وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه ، استرابوه بها ، فقال له قائده : إنّهم قد اتّهموك ، وظنّوا أنّ الشعر لغيرك ، فقال : أيّها الأمير ، إنّ المحنةَ تزيلُ هذا ، قال : صدقْتَ ، فامتحنوه . فقالوا له : صِف فرسَ الأمير ، وقد أجّلناك ثلاثاً ، قال : فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول . فجعلوا معه رجلاً ، فقال هذه القصيدة في ليلته ، وهي[4] : [من الرجز]

رِيعت لمنشور على مَفرِقِهِ ... ذمّ لها عهد الصِّبا حين انتسبْ
أهدابُ شَيب جُددٌ في رأسه ... مكروهةُ الجِدّة أنضاء العُقَبْ[5]
أشرقنَ في أسوَدَ أزريْن به ... كانَ دُجاه لهوى البِيض سببْ
واعتقنَ أيّامَ الغواني والصِّبا ... عن ميِّت مطلبُه حيُّ الأدبْ
لم يزدجِر مُرْعَوياً حين ارعوى ... لكن يدٌ لم تتّصلْ بمطّلبْ
لم أرَ كالشيبِ وقاراً يُجتَوى ... وكالشَّبابِ الغضِّ ظِلاًّ يُستَلَبْ
فنازلٌ لم يُبتَهج بِقُربه ... وذاهب أبقى جوًى حين ذهبْ
كان الشبابُ لِمّة أزهى بها ... وصاحباً حرّاً عزيز المصطَحَبْ
إذ أنا أجري سادراً في غيه ... لا أعتب الدّهر إذا الدّهر عتبْ

---

1 شعره : 65–70 .
2 عرب في ل : ملك .
3 للبيت روايات مختلفة سترد في هذه الترجمة .
4 شعره : 32–36 .
5 العقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .

أبْعدُ شأوَ اللهــو في إجرائــه ... وأقصد الخَـودَ وراءَ المحتجَبْ
وأذعَـرُ الرَّبــربَ عن أطفالــه ... بأعوجــيٍّ دُلَفــيٍّ المنتَسَبْ[1]
تحسبه مــن مَــرَح العزٌ بــه ... مستنفراً بروعــة أو ملتهِــبْ
مُرتهِــج يرتــجُّ مــن أقطارِه ... كالماء جالتْ فيه ريحٌ فاضطربْ[2]
تحسبــه أقعــد في استقبالــه ... حتى إذا استدبرته قلتَ أكبّ[3]
وهــوْ على إرهاقِــه وطيّــه ... يقصرُ عنــه المِحزَمـان واللّببْ[4]
تقـول فيــه حَنَــبٌ إذا انثنى ... وهو كمتن القِدح ما فيه حَنَبْ[5]
يخطــو على عُوجٍ تناهبن الثرى ... لم يتواكل عن شظًى ولا عصبْ[6]
تَحسبِها ناتئــة إذا خطــت ... كأنّهــا واطئــة على الرُّكَبْ
شَتــا وقــاظ بُرْهَتَيْهِ عندنــا ... لم يؤتَ من برٍّ بــه ولا حَدَبْ
يصــانُ عصرَي حــرِّه وقُــرّه ... وتُقصَرُ الخُــورُ عليــه بالحَلَبْ[7]
حتى إذا تمَّــتْ لــه أعضاؤه ... لم تنحبسْ واحــدة على عَتَبْ[8]
رُمنا بــه الصيد فرادَينــا بِــه ... أوابِدَ الوحش فأجدى واكتسَبْ[9]
محتــدم الجــري يبـاري ظلَّه ... ويُعرِق الأحقبَ في شوطِ الخببْ[10]
إذا تظنينــــا بــه صدَّقنــا ... وإن تظنــي فوتَــه العَيرُ كذبْ
لا يَبلُــغ الجهــدَ بــه راكبُه ... ويَبلُغ الريحَ بــه حيـث طَلبْ
ثــم انقضى ذاك كأن لم يَعنِــه ... وكلّ بُقيــا فإلى يــومِ عطَبْ

---

1 الأعوجي : فرس من سلالة أعوج .
2 مرتهج في ل : مطّرد .
3 أقعد : ما يكون في وظيفة استرخاء .
4 المحزم : الحزام . واللبب : ما يشد في صدر الدابة ليمنع انزلاق الرحل .
5 الحنب : احديداب في صلب الفرس .
6 الشظى : انشقاق العصب .
7 الخور : الخيرة من الإبل .
8 العتب : الظلع أو الأمر الكريه .
9 رادينا : داورنا .
10 الأحقب : حمار الوحش . والخبب : نوع من العدو .

وخَلــف الدهــرُ على أبنائِــه ... بالقَدْحِ فيهم وارتجاع ما وهبْ[1]
فحَمَّل الدّهــر ابن عيسى قاسماً ... ينهضْ بــه أبلجُ فرّاجُ الكرَبْ
كرونقِ السيفِ انبلاجـاً بِالنَّدى ... وكغِرارَيــه على أهــلِ الرِّيَبْ
مـا وسِنتْ عـينٌ رأت طلعتَهُ ... فاستيقظت بنَوْبــة مـن النُّوَبْ
لولا ابن عيسى القَـرْمُ كنّا هَمَلاً ... لم يؤتَثلْ مجد ولم يُـرعَ حسبْ
ولم يقـمْ في يـوم بأسٍ ونَدًى ... ولا تلاقــى سبــب إلى سببْ
تكاد تبدي الأرضُ مـا تضمره ... إذا تداعَت خيله هَــلا وهَبْ[2]
ويستَهِــلُّ أمــلاً وخيفــةً ... جانبُهـــا إذا استهــلَّ أو قطَبْ
وهْو وإن كان ابـنَ فرعَيْ وائل ... فبِمساعيه يوافــي في الحسبْ[3]
وبعُــلاه وعُــــلا آبائِــه ... تُحوى غداة السبق أخطارُ القصبْ
يا زهرةَ الدُّنيا ويا بابَ النَّدى ... ويا مجيرَ الرُّعب من يوم الرَّهَبْ
لولاك مـا كان سدًى ولا ندى ... ولا قريش عُرِفَــت ولا العربْ[4]
خذها إليك مــن مــليءٍ بالثنا ... لكنّــه غيرُ مــليءٍ بالنَّشَبْ
فأثْــوِ في الأرضِ أو استفزز بهـا ... أنتَ عليها الرأسُ والنّاسُ الذنبْ

قال : فلمّا غدا عليه بالقصيدة وأنشده إيّاها استحسنها مَن حضر ، وقالوا : نشهدُ أنّ قائل هذه قائل تلك ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم . وقد قيل : إنّ أبا دُلَف أعطاه مائة ألف درهم ، ولكن أراها في دفعات ؛ لأنّه قصده مراراً كثيرة ، ومدحه بعدّة قصائد .

[المأمون يطلب سماع قصيدته في أبي دُلَف]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفَّاف قال : حدَّثني محمدُ بنُ موسى بنُ حمّاد قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي فَنَن قال : قال عبد الله بن مالك : قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم على مَن حضر مّمن يحفظ[5] قصيدة عليّ بن جَبَلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلاّ أنشدَنيها ، فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بدّ من إبرار قسمه ، وما أحفظها ، ولكنّها مكتوبة

1 أبنائه في ل : على أحبابه . والقدح : الإصابة منهم .
2 هلا وهب : لفظان لزجر الخيل .
3 ل : تراقى في الحسب .
4 السدى : المعروف .
5 ل : يروي .

عندي . قال : قمْ فجئني بها ، فمضى وأَتاه بها ، فأَنشده إيّاها وهي[1] : [من المديد]

ذاد وِرْد الغيّ عن صدَرِهْ ... وارعوى واللّهوُ مِن وَطرِهْ
وأَبَتْ إلاّ البكاءَ له ... ضحكات الشيب في شعَرِهْ
نَدمي أَنّ الشبابَ مضى ... لم أُبلّغه مدى أَشَرِهْ
وانقضت أَيّامه سَلَما ... لم أَجِد حَوْلاً على غِيَرِهْ
حَسَرت عنّي بشاشتُه ... وذوى المحمودُ من ثمرِهْ
ودَمٍ أَهدرْتُ من رشَإٍ ... لم يُرِد عَقلاً على هدَرِهْ[2]
فأَتتْ دونَ الصِّبا هنةٌ ... قلبتْ فُوقي على وترِهْ[3]
جارتا ليس الشبابُ لَمن ... راحَ محنيّاً على كِبرِهْ
ذهبتْ أَشياء كنت لها ... صارَها حِلمي إلى صَورِهْ[4]
دَعْ جَدا قحطانَ أَو مُضرٍ ... في يمانيه وفي مضرِهْ
وامتدحَ من وائلٍ رجلاً ... عَصَرُ الآفاق في عَصَرِهْ[5]
المنايا في مقانبه ... والعطايا في ذَرا حُجَرِهْ
ملِكٌ تَندى أَنامله ... كانبلاج النَّوء من مطرِهْ
مستهِلٌ عن مواهبه ... كابتسامِ الروضِ عن زَهَرِهْ
جبَلٌ عزّت مناكبه ... أُمِنتْ عدنان في ثَغَرِهْ
إنّما الدُّنيا أَبو دُلَف ... بين مَبداه ومحتضَرِهْ
فإذا ولّى أَبو دُلَف ... ولَّت الدُّنيا عَلى أَثرِهْ
لستُ أَدري ما أَقولُ له ... غيرَ أَنّ الأَرضَ في خَفَرِهْ
يا دواءَ الأَرض إن فسدَت ... ومُديل اليُسرِ من عسُرِهْ
كلُّ مَن في الأَرضِ من عربٍ ... بين باديه إلى حضرِهْ

1 في القصيدة هنا حذف واختلاف . قارن بمجموع شعره في الديوان وطبقات ابن المعتزّ .
2 عقل : دية .
3 الفوق : موضع الوتر من السهم .
4 صار الشيء : أماله .
5 العصر : الملجأ والحمى .

مستعيرُ منكَ مكرمةً ... يكتسيها يومَ مفتخَرِهْ

يقول فيها :

وزَحوف في صواهله ... كصياحِ الحشرِ في أُثرِهْ[1]

قُدْتَه والموتُ مكتمِنٌ ... في مذاكيه ومشتجَرِهْ[2]

فرمَتْ جيلوَيه منه يد ... طوت المنشورُ من نظرِهْ[3]

زرتَه والخيلُ عابسة ... تحملُ البؤسى عَلى عُقَرِهْ[4]

خارجات تحت رايتها ... كخروج الطير من وُكَرِهْ

وعَلى النُّعمان عُجتَ به ... عَوجةً ذادته عن صَدرِهْ

غمَطَ النُّعمانُ صفوتها ... فرَددتَ الصفوّ في كدرِهْ

ولقُرقورٍ أُدْرَتَ رحاً ... لم تكن ترتد في فِكَرِهْ[5]

قد تأنّيتَ البقاءَ له ... فأبى المحتومُ من قدَرِهْ

وطغى حتى رَفَعْتَ له ... خطّة شنعاء من ذِكَرِهْ

قال : فغضب المأمون واغتاظ ، وقال : لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه .

[أنشدها أبا دُلَف بعد قتل قرقور]

قال ابن أبي فَنَن : وهذه القصيدة قالها عليّ بن جبَلة وقصد بها أبا دُلَف بعد قتله الصُّعلوك المعروف بقرقور ، وكان من أشدّ النّاس بأساً وأعظمهم . فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى ، وأبو دُلَف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه . فبينا أبو دُلَف خرج ذات يوم يتصيّد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشقّ الأرض بجريه ، فأيقن أبو دُلَف بالهلاك ، وخاف أن يُولِّيَ عنه فيهلك ؛ فحمل عليه وصاح : يا فتيان ! يَمنةً يمنةً ، يوهمه أنّ معه خيلاً قد كمنها له ، فخافه قرقورُ وعطف عَلى يساره هارباً ، ولحقه أبو دُلَف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره ، ونزل فاحتزّ رأسه ، وحمله عَلى

1 ويروى : كضياء الفجر في أمره . والإمر : النماء والكثرة . والأَمَر : جمع امرة ، وهي الرابية والعلم الصغير من الحجارة في المفاوز .

2 المذاكي : الخيل . والمشتجر : القنا .

3 جيلويه : رجل كان ذا شوكة ، وكان بينه وبين آل أبي دُلَف حرب قتل فيها أخو أبي دُلَف ، إلى أن تغلب عليه أبو دُلف وقتله .

4 العقر : جمع عقرة ، يعقر الراكب دابته من كثرة إتعابه لها .

5 تكن في ل : تكد .

رمحه حتى أُدخله الكرَج .

قال : فحدَّثني مَن رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر . فلمّا أُنشده عليّ بن جَبَلة هذه القصيدة استحسنها وسُرَّ بها وأمر له بمائة أُلف درهم .

[شهرة القصيدة]

أُخبرني عليُّ بنُ سليمان الأُخفش قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ الأزديّ قال : أُخبرني إبراهيمُ بنُ خلف قال : بينا أبو دُلَف يسير مع أخيه معقل ، وهما إذ ذاك بالعراق ، إذ مرّا بامرأتين تتماشيان ، فقالت إحداهما لصاحبتها : هذا أبو دُلَف ، قالت : ومَن أبو دُلَف ؟ قالت : الذي يقول فيه الشاعر : [من المديد]

إنّما الدُّنيـا أُبو دُلَفٍ بين باديـه ومحتضَرِهْ
فإذا ولَّـى أُبـو دُلَف ولَّت الدُّنيـا عَلى أُثرِهْ

قال : فاستعبر أُبو دُلَف حتى جرى دمعُه فقال له معقلُ : مالكَ يا أُخي تبكي ؟ قال : لأنّي لم أقضِ حقَّ عليٍّ بن جَبَلة . قال : أُولَم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة ؟ قال : والله يا أُخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي عَلى أنّي لم أكُن أعطيته مائة أُلف دينار . واللهِ لو فعلتُ ذلك لما كنت قاضياً حقّه .

[أبو تمّام يعجب ببيتٍ له]

حدَّثني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمـدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قـال : حدَّثني عبدُ الله بنُ محمدِ بن جريرٍ قال : أُنشدت أبا تمّام قصيدة عليٍّ بن جَبَلة البائيّة ، فلمّا بلغتُ إلى قوله[1] : [من الهزج]

وردّ البِيـضَ والبِيـــضَ إلى الأغْمـادِ والحُجُبِ[2]

اهتزّ أُبو تمّام من فَرْقِه[3] إلى قدمه ، ثم قال : أُحسن ، واللهِ لودِدتُ أنَّ لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيّرها وينتخبها مكانه .

[شروط المأمون في مدحه]

أُخبرني عمّـي قال : حدَّثني أُحمدُ بنُ أُبي طاهر قـال : حدَّثنـي أُبو نِزارٍ الضَّبّيُّ الشاعر قال : قال لي عليّ بنُ جَبَلة قلت لحُمَيد بنِ عبد الحميد الطُّوسيّ : يا أُبا غانم ، إنّي قد مدحْتُ أمير المؤمنين بِمَدْح لا يحسن مثلَه أحد من أهل الأرض ، فاذكرْني له . قال : فأنشِدني ، فأُنشدتُه . قال : أُشهَد أنّك صادق ، ما يحسن أحد أن يقول هكذا . وأخذ المديح فأدخله إلى

1 شعره : 39 .
2 البيض والبيض : السيوف والنساء . والحجب : البيوت .
3 ل : من قرنه .

المأمون ، فقال له : يا حُمَيد ، الجواب في هذا واضح ، إن شاءَ عفَونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه ، وإن شاءَ جمعْنا بين شعره فيك وفي أبي دُلَف وبين شعره فينا ، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره ، وأطَلنا حبسه ، وإن كان الذي قاله فينا أجود أُعطيناه لكلّ بيت ألف درهم ، وإن شاء أقلناه . فقلت له : يا سيِّدي ومَن أنا ومَن أبو دُلَف حتى يمدحَنا بأجود من مديحك ! فقال : ليس هذا الكلامُ من الجواب في شيء ، فاعرِض ما قلت لك على الرجل . فقال : أفعل . قال عليٌّ بنُ جَبَلة : فقال لي حميد : ما ترى ؟ فقلت : الإقالة أحبّ إليَّ ، فأخبرَ المأمون بذلك . فقال : هو أعلم ، ثم قال لي حُمَيد : يا أبا الحسن أيَّ شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلَف ؟ فقلت : قولي فيك[1] : [من مجزوء الرجز]

لـولا حُمَيـدٌ لم يكن حسب يُعَـدّ ولا نسبْ
يا واحـد العَربِ الذي عَزَّتْ بعزّتـه العـربْ

وقولي في أبي دُلَف : [من المديد]

إنّما الدُّنيـا أبو دُلَفٍ بـين باديـه ومحتضَرِهْ
فـإذا ولّـى أبـو دُلَف وَلّـتْ الدُّنيـا على أثرِهْ

قال : فأطرق حُمَيد ثم قال : لقد انتقد عليك أميرُ المؤمنين فأجاد ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم . وبلغ ذلك أبا دُلَف فأضعف لي العَطيّة ، وكان ذلك في سَتر منهما ، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدَّثتك به يا أبا نزار .

[يستحي من كثرة برّ أبي دُلَف]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدَّثني محمد بنُ يزيدَ : قال : حدَّثني عليُّ بن القاسم قال : قال لي عليّ بن جَبَلة : زرتُ أبا دُلَف ، فكنتُ لا أدخلُ إليه إلاّ تَلقاني ببرّه وأفرط ، فلمّا أكثر قعدت عنه حياء منه . فبعث إليّ بمعقل أخيه ، فأتاني فقال لي : يقول لك الأمير : لمَ هجرتنا ؟ لعلّك استبطأتَ بعض ما كان منّي ، فإن كان الأمر كذلك فإنّي زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى . فدعوت مَن كتب لي ، وأمللت عليه هذه الأبيات ، ثم دفعتها إلى معقل ، وسألته أن يوصلها ، وهي[2] : [من الطويل]

هجَرْتُـك لم أهجركَ من كُفر نعمةٍ وهل يُرتَجَـى نَيـل الزيادة بالكُفْرِ
ولكنّنـي لـمـا أتيتُـك زائـراً فأفرطتَ في بِرّي عجزتُ عن الشكرِ

---

1 شعره : 31 .
2 لم ترِد هذه الأبيات في مجموع شعره .

فمـــلآن لا آتيـــكَ إلاّ مسلّمـــاً   أزوركَ في الشهريْن يوماً وفي الشهرِ
فـــإن زدتنـــي بـــرّاً تزايدت جَفوة   ولم تلقني طـول الحيـاة إلى الحشرِ

قال : فلمّا سمعها معقل استحسنها جدّاً ، وقال : جوّدتَ واللهِ ، أَمَا أنّ الأمير ليُعجب بمثل هذه المعاني ، فلمّا أوصلها إلى أبي دُلَف قال ؟ : للهِ دَرّه ! ما أشعره ، وما أرقّ معانيه ! ثم دعا بدواة ، فكتب إليّ : [من الطويل]

أَلا ربّ ضيفٍ طارق قد بسطتُه   وآنستُه قبـل الضيافـةِ بالبشرِ
أتـاني يرجّيني فمـا حـال دونه   ودون القِرى من نائلي عنده سِتري
وجَدتُ لـه فضلاً عليَّ بقصدِهِ   إليَّ وبِـرّاً يستحقُّ بـه شكري
فلم أعـدُ أن أدنيتُـه وابتدأتُه   ببشرٍ وإكـرامٍ وبـرٌّ على بـرٍّ
وزوّدتُـه مـالاً قليـلاً بقاؤه   وزوّدني مدحـاً يـدومُ على الدّهرِ

ثـم وجّـه بهـذه الأبـيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار ، فذلك حيث قلت له : [من المديد]

إنّمـا الدُّنيـا أبو دُلَفٍ   بـين باديـه ومحتضَرِهْ

[ردّه عبد الله بن طاهر]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال : حدَّثني أحمدُ بنُ القاسِمِ قال : حدَّثني نادر مولانا : أنّ عليَّ بن جَبَلة خرج إلى عبدِ الله بنِ طاهر والي خُراسان ، وقد امتدحه ، فلمّا وصل إليه قال له : ألستَ القائل : [من المديد]

إنّمـا الدُّنيـا أبو دُلَفٍ   بـين باديـه ومحتضَرِهْ
فـإذا وَلّـى أبو دُلَف   ولّـتْ الدُّنيـا على أثرِهْ

قال : بلى ، قال : فما الذي جاءَ بك إلينا ، وعَدلَ بك عن الدُّنيا التي زعمتَ ؟ ارجع من حيث جئت ، فارتحَل ، ومرَّ بأبي دُلَف وأعلمه الخَبر ، فوصله بما أرضاه . قال نادر : فرأيته عند مولاي القاسم بن يوسف ، وقد سأله عن خبره فقال[1] : [من الطويل]

أبو دُلَـف إن تلقـه تلقَ ماجداً   جواداً كريماً راجـحَ الحلم سيّدا
أبو دُلَـف الخَيراتِ أنداهـمُ يداً   وأبسط معروفـاً وأكـرم محتِدا
تـراثُ أبيه عـن أبيه وجـدِّه   وكلّ امرىء يجري على ما تعوّدا

---

1 شعره : 47 .

ولستُ بِشاكٍ غيرَه لِنقيصةٍ ولكنّما الممدوحُ مَن كان أَمجدا

[قصيدة في مدح حميد الطُّوسيّ]

قال مؤلّف هذا الكتاب : والأَبياتُ التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أَخبار أَبي الحسن عليّ بن جَبَلة من قصيدة له مدح بها حُميداً الطُّوسيّ ، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأَبيات التي فيها الغناء[1] : [من مجزوء الرمل]

ليس لي ذنب سوى أَنْـ ـي أُسميكَ خليلا
وأُناديكَ عزيزاً وتناديني ذليلا
أَنا أَهواك وحالَيـ ـك صَروماً ووَصولا
ثِقْ بودٍّ ليس يفنى وبعهدٍ لن يحولا
جعل اللهُ حُمَيداً لبني الدُّنيا كفيلا
مِلكٌ لم يجعلِ اللـ ـه له فيهم عديلا
فأَقاموا في ذَراه مطمئنّين حُلولا
لا ترى فيهم مُقِلاًّ يسأَل المُثري فُضولا
جادَ بالأَموالِ حتى علَّم الجُودَ البخيلا
وبنى الفخرَ على الفخـ ـرِ بناءً مستطيلا
صار للخائف أمناً وعلى الجُودِ دليلا

[رثاء الطُّوسيّ]

ولمّا مات حُميد الطُّوسيّ رثاه بقصيدته العينيّة المشهورة ، وهي من نادر الشعر وبديعه ، وفي أَوّلها غناء من الثقيل الأوّل ، يقال : إنّه لأَبي العَنْبَس ، ويقال : إنّه للقاسم بنِ زُرْزُور[2] : [من الطويل]

أَلِلدَّهر تبكي أم على الدَّهر تجزعُ ؟ وما صاحب الأَيّام إلاّ مفجّعُ
ولو سَهَّلَت عنك الأسى كان في الأسى عزاءٌ مُعَزٍّ للبيب ومقنَعُ
تعزَّ بما عزَّيتَ غيرك إنّها سهام المنايا حائمات ووُقّعُ
أُصبنا بيوم في حُمَيدٍ لو انّه أَصاب عروشَ الدَّهرِ ظلت تضعضعُ

---

1 شعره : 93-94 .
2 شعره : 81-83 .

وأدّبَنا ما أدّب النّاسَ قبلنا ... ولكنّه لم يَبْقَ للصبر موضعُ
ألم تَرَ للأيّام كيف تصرّمت ... به وبه كانت تُذادُ وتُدْفَعُ[1]
وكيف التقى مثوًى من الأرض ضيق ... على جبل كانت به الأرض تُمنعُ
ولّما انقضَت أيّامه انقضت العلا ... وأضحى به أنفُ النّدى وهو أجدعُ
وراحَ عدوّ الدّين جَذلانَ ينتحي ... أمانيّ كانت في حَشاه تقطعُ
وكان حُمَيد معقِلاً ركَعت به ... قواعدُ ما كانت على الضَّيمِ تَركعُ
وكنتُ أراه كالرزايا رُزِئتُها ... ولم أدْرِ أنّ الخلقَ يبكيه أجمعُ
حِمامٌ رماه من مواضع أمنه ... حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقدعُ[2]
وليس بِغَزْوٍ أن تصيبَ منية ... حِمى أختها أو أن يذِلَّ المُمنَّعُ
لقد أدركتْ فينا المنايا بثأرها ... وحلّت بخطب وَهْيُه ليس يُرقَعُ
نَعاء حُمَيداً للسرايا إذا غدت ... تذاد بأطراف الرِّماح وتوزعُ[3]
وللمُرهَق المكروبِ ضاقت بأمرِه ... فلم يَدرِ في حَوماتها كيف يصنعُ
وللبيض خلّتها البُعول ولم يَدع ... لها غيرَه داعي الصباح المفزَّعُ
كأن حُميداً لم يقُدْ جيش عسكر ... إلى عسكر أشياعه لا تُروَّعُ
ولم يبعثْ الخيلَ المغيرةَ بالضّحا ... مِراحاً ولم يرجع بها وهي ظُلَّعُ
رواجع يحملنَ النِّهابَ ولم تكن ... كتائبه إلاّ على النّهبِ ترجعُ
هوى جبلُ الدُّنيا المنيعُ وغيثها الـ ... ـمَريع وحاميها الكَميّ المشيعُ[4]
وسيفُ أمير المؤمنين ورمحه ... ومفتاح باب الخطب والخطب أفظعُ
فأقنعه من مُلكِه ورباعه ... ونائِله قفرٌ من الأرض بلقعُ
على أيّ شجوٍ تشتكي النفسُ بعده ... إلى شجوه أو يَذخَرُ الدَّمعَ مَدمعُ
ألَم تَرَ أنَّ الشمسَ حال ضياؤها ... عليه وأضحى لونها وهو أسفعُ
وأوحشت الدُّنيا وأودى بهاؤها ... وأجدبَ مرعاها الذي كان يُمرِعُ

1 تصرّمت في ل : تصرفت .
2 يقدع : يدفع ويكف .
3 نعاء حميداً : انعه .
4 المشيع : الشجاع .

وقـد كانت الدُّنيـا بـه مطمئنّةً ... فقـد جعلـت أوتادهـا تتقلّعُ
بكـى فقدَه رَوح الحيـاة كما بكى ... نَـداه النَّـدى وابنُ السبيلِ المدفّعُ
وفارقت البيضُ الخـدور وأبرزت ... عواطـلَ حسرى بعـده لا تَقنّعُ
وأيقـظ أجفانـاً وكان لها الكرى ... ونامت عيـون لم تكن قبلُ تَهجعُ
ولكنّـه مقـدارُ يـومٍ ثوى بـه ... لكلّ امرىء منه نِهـال ومَشرَعُ
وقـد رأبَ اللهُ المَـلا بمحمـدٍ ... وبالأصل يَنمـي فرعُـه المتفرّعُ[1]
أغـرّ على أسيافـه ورماحـه ... تُقسَّم أنفـال الخميسِ وتُجمعُ
حوى عـن أبيه بذلَ راحته النَّدى ... وطعـنَ الكُـلى والزاعبيّـة شرَّعُ[2]

[أبو تمّام والبحتريّ يأخذان من معانيه]

وإنّما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها ، وقد أخذ البحتريّ أكثر معانيها فسلخه ، وجعله في قصيدتيه اللّتين رثى بهما أبا سعيد الثغريّ :

انظر إلى العلياء كيف تضامُ[3]

و :

بأيّ أسى تثنى الدموع الهواملُ[4]

وقد أخذ الطائيّ أيضاً بعض معانيها ، ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة . وإذا تأمّل ذلك منتقد بصير عرفه .

[كرم حُميد سبب تجديده في مديحه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال : حدَّثني أبو وائلة قال : قال رجل لعليّ بن جَبَلة : ما بَلغتَ في مديح أحد ما بَلغتَه في مديحك حُمَيداً الطُّوسيّ . فقال : وكيف لا أفعل وأدنى ما وصل إليّ منه أنّـي أهديت له قصيدة في يوم نَيروزٍ فسُرَّ بها ، وأمر أن يحمل إليّ كلّ مـا أُهديَ لـه ، فحمل إليَّ ما قيمته مائتا ألف درهم ، وأهديتُ له قصيدة في يوم عيد فبعث إليَّ بمثل ذلك .

1 الملا في ل : الثأى . ورأب الثأى : إصلاح الفساد .
2 الزاعبية : نوع من الرماح .
3 عجز البيت : ومآتم الأحساب كيـف تقـام
(ديوان البحتري : 1949) .
4 عجز البيت : وترجى زيال من جوى لا يزايل
(ديوان البحتري : 1862) .

[وصف جيش عظيم]

قال أبو وائلة : وقد كان حُمَيد ركب يوم عيد في جيش عظيم ولم يُرَ مثله ، فقال عليّ بن جَبَلة يصف ذلك[1] : [من الطويل]

غَـدا بـأمير المؤمنين ويُمْنِـه ... أبـو غانـم غَدْوَ النَّدى والسحائبِ[2]
وضاقت فِجاج الأرض عن كُلّ موكب ... أحـاط بـه مستعليـاً للمواكبِ
كأن سُمـوّ النَّقـع والبَيضُ فوقهم ... سمـاوة ليـل قُرِّنَـت بالكواكبِ[3]
فكانَ لأهـل العِيد عيـدٌ بنُسكهم ... وكان حُمَيـد عيدَهـم بالمواهبِ
ولولا حُمَيـد لم تَبَلَّـج عن النَّدى ... يمينٌ ولم يُدرِك غنًى كسبُ كاسبِ
ولـو ملَك الدُّنيـا لما كان سائل ... ولا اعتام فيها صاحبٌ فضلَ صاحبِ[4]
له ضِحكة تستغرق المـالَ بالنَّدى ... على عبسةٍ تُشجي القَنا بالترائبِ[5]
ذهبتَ بأيّام العـلا فـارداً بهـا ... وصرَّمتَ عن مسعاكَ شأوَ المَطالِبِ
وعَدَّلت مَيـل الأرض حتى تعدّلت ... فلم يَنـأ منهـا جانب فوق جانِبِ
بَلغتَ بأدنـى الحـزم أبعدَ قُطرها ... كأنّك منهـا شاهـد كلَّ غائبِ

[قصيدة في يوم نيروز]

قال : والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها[6] : [من البسيط]

حُمَيدُ يـا قاسِمَ الدُّنيـا بنائله ... وسيفِه بـين أهلِ النّكثِ والدِّينِ
أنتَ الزّمان الذي يجري تصرّفه ... على الأنـامِ بتشديـد وَتَليـينِ
لو لم تكن كانت الأيّام قد فَنِيت ... والمكرماتُ وَماتَ المجد مُذ حينِ
صوَّرَك اللهُ من مجدٍ ومن كرمٍ ... وصوَّر النّاسَ مـن ماءٍ ومن طينِ

[أبيات في أبي دُلَف]

نسختُ من كتاب بخطّ محمد بن العبّاس اليزيديّ : قال أحمد بن إسماعيل بن الخصيب

---

1 شعره : 41-42 .
2 ل : غدو الردى .
3 مجموع شعره :
كأن سمـو النقـع والبيض تحتـه ... سماوات ليل أسفرت عن كواكب
4 اعتام : طلب أو أخذ . والأصل فيه أخذ العيمة ، وهي خيار المال .
5 تشجي : تغص .
6 شعره : 111 .

الكاتب : دخل عليٌّ بن جَبَلة يوماً إلى أبي دُلَف فقال له : هات يا عليُّ ما معك . فقال : إنّه قليل . فقال : هاتِه ، فكَم من قليل أجودُ من كثير فأنشده[1] : [من البسيط]

الله أجرى مـــن الأرزاق أكثرَها   على يديك فشكراً يـــا أبا دُلَفِ
أعطـى أبو دُلَـف والرِّيحُ عاصفةٌ   حتى إذا وَقَفَت أعطى ولم يقِفِ

[أبو دُلَف يتطيّر من شعره]

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلمّا كان بعد مدّة دخل إليه ، فقال له : هات ما معك فأنشده[2] : [من السريع]

مِـن مَلَك المـوتِ إلى قاسم   رسالـةٌ في بطـنِ قِرطاسِ
يا فارس الفُرسانِ يوم الوغى   مُرْني بمَنْ شئتَ مـن النّاسِ

قال : فأمر له بألفي درهم ، وكان قد تطيّر من ابتدائه في هذا الشعر ؛ فقال : ليست هذه من عطاياك أيّها الأمير ، فقال : بلغ بها هذا المقدارَ ارتياعُنا من تحمّلك ، رسالةَ ملك الموت إلينا .

[هجاء الهيثم بن عديّ]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُلَيل العَنَزيُّ قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله قال : حدَّثني عليّ بن جَبَلة العكَوَّك المروزيّ قال : جاءني أبو يعقوب الخُرَيميّ فقال لي : إن لي إليك حاجة . قلت : وما هي ؟ قال : تهجو لي الهَيثم بنَ عديّ . فقلت : وما لك أنتَ لا تهجوه وأنت شاعر ؟ فقال : قد فعلت ، فما جاءني شيء كما أُريد . فقلت له : كيف أهجو رجلاً لم يتقدّم إليّ منه إساءة ، ولا له إليّ جرم يُحفِظني ؟ فقال : تُقرضني ، فإنّي مليّ بالقضاء . قلت : نعم ، فأمهلْني اليوم فمضى وغدوت عليه فأنشدته : [من البسيط]

لِلهَيثم بـنِ عـديٍّ نِسبة جمعت   آبـــاءه فأراحتنـا مـــن العـددِ
اعدُد عديّـاً فلو مـدّ البقـاء لـه   مـا عُمِّر النّاسُ لم يَنقصْ ولم يزدِ
نفسي فداء بني عبد المدان وقد   تَـلَّــوه للوجـه واستعلَوه بالعمدِ
حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم   وعرّفوه بذُلٍّ أين أصل عدي ؟
يا ابنَ الخبيثةِ مَن أهجو فأفضحَه   إذا هجوتُ وما تُنمى إلى أحدِ ؟

---

1 شعره : 84 .
2 شعره : 73 .

[هجاؤه يسبب طلاق امرأة الهيثم]

قال : وكان الهيثم قد تزوّج إلى بني الحارثِ بنِ كعب ، فركب محمد بن زياد بنِ عُبيد الله بن عبد المَدان الحارثيُّ ، أخو يحيى بن زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيّين إلى الرشيد ، فسألوه أن يفرّق بينهما . فقال الرشيد : أليس هو الذي يقول فيه الشاعر : [من البسيط]

إذا نسبتَ عديّاً في بني ثُعَلٍ فقدّم الدالَ قبل العينَ في النّسبِ

قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . قال فهذا الشعر مَن قاله ؟ قالوا : هو لرجل من أهلِ الكوفة من بني شَيبان يقال له : ذُهل بن ثعلبة فأمر الرشيدُ داودَ بنَ زيدَ أن يُفرّقَ بينهما . فأخذوه فأدخلوه داراً وضربوه بالعصيّ حتى طلّقها .

[مدحه عبد الله بن طاهر واستئذانه في الرحيل]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعي قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسن بنِ الخصيب قال : شخَص عليّ بنُ جَبَلة إلى عبدِ الله بن طاهر والي خراسان ، وقد مدحه فأجزل صلته ، واستأذنه في الرّجوعِ ، فسأله أن يقيم عنده ، وكان برّه يتّصل عنده ، فلمّا طال مقامه اشتاق إلى أهلِه ، فدخل إليه فأنشده[1] : [من مجزوء الخفيف]

راعه الشيبُ إذ نزلْ وكفاه من العذَلْ
وانقضت مدّة الصّبا فانقضى اللهوُ والغزلْ
قد لعمري دَمَلْتُه بخضابٍ فما اندملْ
فابكِ للشيبِ إذ بدا لا على الرَّبعِ والطللْ
وصَلَ اللهُ للأمـ ـير عُرى الملك فاتصلْ
ملك عزْمُه الزما نِ وأفعاله الدولْ
كِسرويّ بمَجده يَضرب الضاربُ المثلْ
وإلى ظِلّ عزّه يلجأُ الخائف الوجِلْ
كلُّ خلق سوى الإما مِ لإنعامه خَولْ
ليته حين جادَ لي بالغنى جادَ بالقَفَلْ

قال : فضحك وقال : أبيت إلاّ أن توحشنا . وأجزل صلته ، وأذِن له .

[مدح حميد في أوّل رمضان]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثني أحمدُ بن أبي طاهر قال : حدَّثني أبو وائلة

1 شعره : 89 .

السدوسيُّ قال : دخل عليُّ بن جَبَلة العَكَوَّكُ على حُمَيد الطُّوسيّ في أوّل يوم من شهر رمضان ، فأنشده[1] : [من الخفيف]

جعل اللهُ مَدخل الصوم فوزاً لِحُميـد وَمُتْعَـةً في البقـاء
فهْـو شهـرُ الرَّبيع للقُرّاء وفـراقُ النّدمـانِ والصَّهباء
وأنا الضّامنُ المليُّ لِمَـن عا قرها مفطراً بطـولِ الظَّماء[2]
وكأنّي أرى النّدامى على الخسـ ـفِ يُزجون صبحهم بالمساء
قد طَوى بعضُهم زيارة بعض واستعاضـوا مصاحفـاً بالغناء

يقول فيها :

بِحُميدٍ وأيـن مثلُ حميـد فخرَت طيّـىءٌ على الأحياء
جوده أظهر السماحةَ في الأر ضِ وأغنى المُقوِي عن الإقواء[3]
ملِـكٌ يأمُـل العباد نـداه مثلَ مـا يأمُلون قَطْرَ السماء
صاغه اللهُ مطعِمَ النّاس في الأر ضِ وصاغَ السحابَ للإسقاء

[يمدحه في شوال]

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال : استعن بهذه على نفقة صومك . ثم دخل إليه ثانيَ شوال ، فأنشده[4] : [من الخفيف]

علّلاني بصفو مـا في الدّنـانِ واتركا مـا يقولـه العاذِلانِ
واسبقا فاجـعَ المنيّـة بالعيـ ـشِ فكلٌّ على الجَديديـن فاني
علّلاني بشَربةٍ تُذهـب الهَـمّ وتنفـي طـوارقَ الأحـزانِ
وانفُثـا في مسامعٍ سدّها الصو م رُقـى الموصـليّ أو دَحْمانِ
قـد أتانـا شوال فاقتبل العيـ ـش وأعدى قسراً على رمضانِ[5]
نِعم عون الفتى على نُوَب الدهـ ـر سمـاعُ القيـانِ والعِيدانِ
وكؤوسٌ تجـري بمـاء كُرومٍ ومطـيُّ الكؤوس أيـدي القيانِ

---

1 شعره : 30 .
2 الملي في ل : الكفيل .
3 المقوي : الفقير .
4 شعره : 112-114 .
5 أعدى : أعان .

من عُقـار تُميت كلّ احتشامٍ وتَسُرّ النَّدمـانَ بـالنَّدمانِ
وكأنّ المِـزاجَ يقـدحُ منهـا شرراً في سبائـك العِقيـانِ
فاشرب الرَّاحِ واعصِ مَنْ لام فيها إنّهـا نعـم عُـدّة الفِتيانِ
واصحب الدَّهر بارتجال وحَلّ لا تخـف مـا يجُـرّه الحادثانِ
حسْب مستظهِرٍ على الدَّهرِ ركناً بحُميـد رِدءاً مـن الحدثانِ[1]
ملـك يقتني المكـارم كنزاً وتـراه مـن أكـرم الفتيانِ
خُلقـت راحتـاه للجود والبأ س وأمواله لشكـر اللسانِ
ملّكتْـه على العبـادِ معـدٌّ وأقـرّت لـه بنـو قحطانِ
أريحـيٌّ النَّـدى جميـل المحيّا يـده والسّمـاح معتَقدانِ[2]
وجْهـه مشرق إلى معتَفيـه ويـداه بـالغيث تنفجـرانِ
جَعل الدَّهر بين يوميـه قسمـ ـن بعُرفٍ جـزلٍ وحَـرٌّ طعانِ
فـإذا سارَ بالخميسِ لحـرب كَلَّ عن نصّ جَرْيـه الخافقانِ
وإذا مـا هززتَـه لنـوال ضاق عن رحب صدره الأُفقانِ
غَيث جـدب إذا أقـامَ ربيعٌ يتغشّـى بـالسَّيبِ كلّ مكـانِ
يا أبـا غانـم بقيتَ على الدَّهـ ـرِ وخُلّدتَ مـا جرى العصرانِ
مـا نُبـالي إذا عـدَتك المنايا مَن أصابـت بكَلْكَـل وجِرانِ
قـد جعلنـا إليكَ بعثَ المطايا هرَبـاً مـن زماننـا الخوّانِ
وحَملنا الحاجات فـوق عتاق ضامنـاتٍ حوائـج الرُّكبانِ[3]
ليس جُـودٌ وراء جـودك يُنتـا ب ولا يَعتَفـي لغيـرك عاني

فأمر لـه بعشرة آلاف درهم ، وقال : تلك كانت للصوم ، فخَفَّفت وخفّفنا ، وهذه للفطر ، فقد زدتنا وزدناك .

[أحبته جارية رغم قبحه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الطيّب السَّرَخْسيّ قال : حدَّثنا ابنُ أخي عليّ بنِ جَبَلة

1 الردء : العون .
2 معتقدان : معقودتان .
3 وحملنا في ل : وجعلنا .

العَكَوَّكِ ، قال أحمد : وكان عليّ جارنا بالربَض[1] هو وأهله ، وكان أعمى وبه وضَح . وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبّه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضَح ، حدَّثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظُ .

قال عمرو : وحدَّثني العَكَوَّك أنّ هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضّها . قال ، وذلك عنيت في قولي : [من المديد]

ودمٍ أهــدرت من رشإٍ　　لم يُــرِد عقلاً على هَدَرِهْ

[حُميد يمنعه ثم يأذن له]

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دُلَف ، يعني بالدّم : دم البُضع . قال : ثم قصدتُ حُمَيداً بقصيدتي التي مدحته بها ، فلمّا استؤذن لي عليه أبى أن يأذَن لي ، وقال : قولوا له : أيُّ شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دُلَف : [من المديد]

إنّما الدُّنيا أبو دُلَف　　بـين مَبْداه ومحتضرِهْ
فإذا ولّـي أبــو دُلَف　　ولّتْ الدُّنيا على أثرِهْ

فقلت للحاجب : قُل له : الذي قلت فيك أحسن من هذا ، فإن وصَّلتَني سمعته ، فأمر بإيصالي ، فأنشدت قولي فيه[2] : [من مجزوء الرمل]

إنّمــا الدُّنيــا حُمَيد　　وأياديـــه الجسامُ
فــإذا ولّـــى حُمَيد　　فعــلى الدُّنيا السَّلامُ

فأمر لي بمائتي دينار ، فنثرتها في حجر عشيقتي ، ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها[3] : [من السريع]

دجلــةُ تسقي وأبو غانمٍ　　يُطعمُ مَن تسقي منْ النّاسِ

فأمر لي بمائتي دينار .

[تغيّر الجارية التي أحبّته]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني أحمدُ بن الطيّب قال : حدَّثني ابن أخي عليّ بنِ جَبَلة أيضاً : أنّ عمّه عليّاً كان يهوى جارية ، وهي هذه القينة ، وكانت له مساعدة ، ثم غضبت عليه ، وأعرضت عنه ، فقال فيها[4] : [من الطويل]

1 الربض : ربض حرب ويعرف بالحربية ، محلة ببغداد .
2 شعره : 105 .
3 شعره : 74 .
4 شعره : 85 .

تُسيءُ ولا تستنكرُ السوءَ إنّها ... تُـدلّ بما تبلوه عندي وتَعرِفُ
فمِن أين ما استعطفتها لم ترقَّ لي ... ومن أين ما جربتُ صبريَ يضعفُ

[في ترك الضيافة]

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : تذاكرْنا يوماً أقبح ما هُجي به النّاس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف ، فأنشدنا عليُّ بن جَبَلة لنفسه[1] : [من الوافر]

أقامـوا الدَّيدَبــان على يَفاعٍ ... وقالـوا لا تنَـم للدّيدَبــانِ
فإن آنستَ شخصاً من بعيد ... فصفّق بالبنــانِ على البنـانِ
تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرساً ... ويأتــونَ الصلاةَ بـلا أذانِ

[حميد يعطيه مالاً خصّصه للصدقة]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني وهب بن سعيد المَرْوزيُّ ، كاتب حُمَيد الطُّوسيّ ، قال : جئت حُمَيداً في أوّل يوم من شهر رمضان ، فدفع إليّ كيساً فيه ألف دينار ، وقال : تصدَّقوا بهذه . وجاءه ابنه أصرمُ فسلَّم عليه ودعا له ، ثم قال له : خادمك عليُّ بن جَبَلة بالباب ، فقال : وما أصنع به ؟ جئتني بأعمى تقابلني بوجهه في أوّل يوم من هذا الشهر . فقال : إنّه يجيد فيك القول . قال : فأنشدني بيتاً ممّا تستجيد له : فأنشده قوله[2] : [من الكامل]

حِيدي حَيادِ فإنّ غـزوةَ جيشه ... ضمنَت لجائلـةِ السّباعِ عِيالها[3]

فقال : أحسن . ائذنوا له ، فدخل فسلَّم ، ثم أنشده قوله[4] : [من المنسرح]

إن أبــا غانـم حُميـداً ... غيث على المعتفين هامي
صوَّره اللهُ سيفَ حَتـف ... وبــاب رزق على الأنامِ
يـا مانعَ الأرضِ بالعوالي ... والنِّعـم الجمــة العظامِ
ليس مـن السّوءِ في مَعاذ ... من لم يكن منك في ذِمامِ
وما تعمّدتُ فيكَ وصفاً ... إلاّ تقدَّمْتــه أمـــامي
فقـد تناهتْ بِــكَ المعالي ... وانقطعــتْ مــدّةُ الكلامِ

---

1 شعره : 108 .
2 شعره : 99 .
3 حيدي حياد : أمر للخيل المغيرة بالروغان .
4 شعره : 107 .

أَجِدَّ شهراً وأَبِلْ شهراً واسلم على الدَّهرِ أَلفَ عامِ

قال : فالتفت إليَّ حُميد ، وقال : أعطه ذلك الألف الدينار حتى يَخرج للصدقة غيره .

[يتشفع بحميد إلى أبي دُلَف]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني يعقوبُ بن إسرائيل قال : حدَّثني أبو سُهيل عن سالم مولى حُميد الطوسيّ قال : جاءَ عليّ بنُ جَبَلة إلى حُمَيد الطُّوسيّ مستشفعاً به إلى أبي دُلَف ، وقد كان غضب عليه وجفاه ، فركب معه إلى أبي دُلَف شافعاً ، وسأله في أمره ، فأجابه واتّصل الحديث بينهما وعليٌّ بن جَبَلة محجوب ، فأقبَل على رجل إلى جانبه وقال : أكتبْ ما أقول لك ، فكتب[1] : [من البسيط]

لا تتركَنِّي ببابِ الدّارِ مطَّرَحاً فالحُرُّ ليسَ عن الأَحرارِ يَحتجبُ
هبنا بلا شافع جئنا ولا سبب أَلستَ أَنت إلى معروفك السببُ ؟

قال : فأمر بإيصاله إليه ، ورضي عنه ووصله .

[المخزومي يتحرج من الإنشاء في حضرته]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَحمد بنُ مروان قال : حدَّثني أبو سعيد المخزومي قال : دخلت على حُمَيد الطُّوسيّ ، فأنشدتُه قصيدة مدحتُه بها وبين يديه رجل ضرير ، فجعل لا يمرّ ببيت إلاّ قال : أحسن قاتله الله ! أحسن ويحه ! أحسن لله أبوه ! أحسن أيّها الأمير . فأمر لي حُمَيد بِبَدرة ، فلمّا خرجتُ قام إليَّ البوّابون ، فقلت : كم أنتم ؟ عرِّفوني أوّلاً مَن هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير ؟ فقالوا : عليُّ بنُ جَبَلة العَكَوَّكُ . فارفضضْتُ عرَقاً ، ولو علمتُ أنّه عليّ بن جَبَلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه .

[رواية أخرى في شروط المأمون لقبول مدحه له]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ عُبيد بن ناصح قال : كلَّم حُمَيد الطُّوسيّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بنُ جَبَلة ، فيسمعَ منه مديحاً مدحه به ، فقال : وأيّ شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دُلَف : [من المديد]

إنّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ بين مَغزاه ومحتضرِهْ
فإذا وَلّى أبو دُلَف ولَّتْ الدُّنيا على أَثرِهْ

وبعد قوله فيك : [من مجزوء الرجز]

يا واحد العرَب الذي عزّتْ بعزّتِه العَرَبْ

---

1 شعره : 45 .

أَحسن أَحواله أَن يقول فيَّ مثل ما قاله في أَبي دُلَف ، فيجعَلني نظيراً له . هذا إن قدَر على ذلك ولم يقصر عَنْه ، فخيِّروه بين أن أسمع منه ، فإن كان مدحُه إيّاي أفضل من مدحِهِ أبا دُلَف وصلته ، وإلاّ ضربتُ عنقه أو قطعت لسانه ، وبين أن أُقيله وأعفيه من هذا وذا . فخيِّروه بذلك ، فاختار الإقالة .

[يمدح حميداً الطُّوسيّ بخير من مدحه أبا دُلَف]

ثم مدح حُمَيداً الطُّوسيّ ، فقال له : وما عَساك أَن تقول فيَّ بعدما قلته في أَبي دُلَف ، فقال : قد قلتُ فيك خيراً من ذلك قال : هات ، فأَنشده : [من السريع]

دجلــة تَسقي وأَبــو غانــمٍ يُطعمُ مَــن تسقي من النَّاسِ

النَّــاسُ جسمٌ وإمــامُ الهُدى رأْس وأَنــتَ العينُ في الرأْسِ

فقال له حُمَيد : قد أجدتَ ، ولكن ليس هذا مثل ذلك ، ووصلَه .

[لا يبلغ شأو الخريميّ في الرثاء]

قال أحمد بن عُبَيد ، ثم مات حُميد الطُّوسيّ ، فرثاه عليّ بن جَبَلة ، فَلقيتُه ، فقُلت له : أنشدني مرثيتك حُمَيداً ، فأَنشدني : [من الطويل]

نَعاء حُمَيداً للسرايــا إذا غدَتْ تُذاد بأَطــرافِ الرِّمــاحِ وتوزعُ

حتى أتى على آخرها ، فقُلت له : ما ذهب على النحو الذي نحوتَه يا أَبا الحسن ، وقد قاربته وما بَلغته . فقال : وما هو ؟ فقُلت : أردتُ قول الخُرَيمي في مرثيته أبا الهَيْذام : [من الطويل]

وأَعددتُه ذخراً لكــلّ مُلمــة وسهم المَنايا بالذخائــرِ مُولعُ

فقال : صدقت والله ، أَما والله لقد نحوتُه وأَنا لا أُطمع في اللَّحاق به ، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة .

[غضب المأمون عليه]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ أَبي طاهر قال : حدَّثني ابنُ أَبي حرب الزعفرانيّ ، قال : لّما بلغ المأمونَ قول عليّ بن جَبَلة لأبي دُلَف : [من المديد]

كلُّ مَن في الأَرضِ من عَرَب بــين باديــه إلى حضــرهْ

مستعير منــكَ مكرمــــةً يكتسيهــا يــومَ مفتخَــرهْ

غضب من ذلك ، وقال : اطلبوه حيث كان ، فطُلِب فلم يُقْدَر عليه ، وذلك أَنّه كان بالجَبَل ، فلمّا اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة ، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه . فهرب من الجزيرة أيضاً ، وتوسّط الشّام فظفروا به ، فأخذوه ، وحملوه إلى المأمون ، فلمّا صار إليه قال له : يا ابن اللَّخْناء ، أَنتَ القائل للقاسم بن عيسى : [من المديد]

كلُّ مَن في الأرضِ من عَرَب ... بين باديه إلى حضرهْ
مستعير منكَ مكرمةً ... يكتسيها يومَ مفتخَرهْ

جعلتنا مِمّن يستعير المكارم منه ! فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أحد ، لأنّ الله جلّ وعزّ فضّلكم على خلقه ، واختاركم لنفسه . وإنّما عنَيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانَه . فقال : واللهِ ما استثنيتَ أحداً عن الكلّ ، سُلّوا لسانه من قَفاه .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بن موسى قال : وحدَّثني أحمد بنُ أبي فَنَن : أنَّ المأمون لمّا أُدخِل عليه عليّ بنُ جَبَلة قال له : إنّي لست أستحلُّ دمَك لتفضيلك أبا دُلَف على العرب كلّها وإدخالك في ذلك قريشاً ، وهم آل رسول الله ﷺ وعترتُه ، ولكنّي أستحلّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه[1] : [من البسيط]

أنتَ الذي تنزل الأيّامَ منزلها ... وتَنقل الدهرَ من حال إلى حالِ
وما مددْتَ مَدى طَرف إلى أحدٍ ... إلاّ قضيتَ بأرزاق وآجالِ

كذبتَ يا ماصَّ بَظْرِ أمّه ، ما يقدر على ذلك أحد إلاّ الله ، عزَّ وجلَّ ، الملك الواحد القهّار . سُلّوا لسانَه من قفاه .

صوت

[من المنسرح]

لا بدَّ من سَكرةٍ على طرَبِ ... لعلَّ رَوْحاً يُدال من كُرَبِ

ويُروى :

لعلَّ روحاً يُديلُ من كربِ

وهو أصوب .

فعاطنيها صهباءَ صافيةً ... تَضحكُ من لؤلؤ على ذهبِ
خليفةَ اللهِ أنتَ منتخَب ... لِخير أمٍّ من هاشمٍ وأبِ
أكرِمْ بأصلَيْنِ أنتَ فرعهما ... من الإمامِ المنصورِ في النسبِ

الشعر للتيميّ ، والغناء لسُلَيم بنِ سلاّم ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ، وفيها لنظم العمياء خفيفُ رمَل بالبِنصر عن الهِشاميّ .

* * * *

1 شعره : 95 .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني
المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق
الدكتور إحسان عباس
الدكتور إبراهيم السعافين
الأستاذ بكر عباس

المجلد العشرون

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

20

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Iṣphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[413] ـ أَخبار التيميّ ونسبه

[أحد الخلعاء المجان]

هو عبدُ الله بنُ أَيّوب ، ويكنى أَبا محمد مولى بني تيم ثم مولى بني سُلَيم . ذكر ذلك ابن النّطاح ، وكان له أخ يقال له أبو التَّيَّحان ، وكلاهما كان شاعراً ، وهما من أهل الكوفة ، وهما من شعراء الدّولة العبّاسيّة ؛ أحدُ الخلعاء المُجّان الوصّافين للخمر ؛ وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، ونديماً لهما ، ثم اتّصل بالبرامكة ومدحهم ، واتّصل بيزيدَ بن مَزْيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد .

[أكثر شعره في الخمر]

واستنفد شعره أَو أَكثره في وصفه الخمر ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]

شَربتُ من الخمرِ يوم الخميـ ـس بالكأسِ والطّاسِ والقَنْقَلِ[1]
فمـا زالتْ الكأس تغتالنـا وتَذهـبُ بـالأَوَّل الأَوّلِ
إلى أَن توافَـت صلاة العشا ونحـن مـن السُّكرِ لم نعقلِ
فمَن كان يعرفُ حقَّ الخميس وحـقَّ المُـدام فـلا يجهلِ
وما إن جـرَت بيننا مَزحة تهيـج مِـراءً على السلسلِ

وهو القائل : [من الطويل]

ولن أَنتهي عن طيِّب الرَّاحِ أَو يَرى بَوادي عظامي في ضريحيَ لاحدُ
أَضعتُ شبابي في الشرابِ تلذّذاً وكنتُ امـرءاً غِرّ الشّباب أَكابدُ

أَخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال : حدَّثني أبو العيناء عن محمد بن عمر ، قال : أبو محمد التيميُّ اسمه عبدُ الله بنُ أيّوب مولى بني تَيم .

[رثاؤه ابنه]

أَخبرني أَحمد بن عُبَيد الله بنِ عمّار عن محمد بن داود بنِ الجرّاح قال : قال دعبل : كان للتيميّ أَبي محمد ابنٌ يقال له حيّان ، ومات وهو حديث السِنّ ، فجزع عليه ، وقال يرثيه : [من البسيط]

صوت

أَودى بحَيّـانَ مـا لم يتركْ النّاسا فامنح فؤادَك من أَحبابك الياسا

---

1 الخمر في ل : الراح . والقنقل : المكيال الضخم .

لمــا رَمته المنايــا إذ قصدن له   أصبن منّي سواد القلب والراسا
وإذ يقــول لي العُوّاد إذ حضروا   لا تأس أَبشر أَبــا حيان لا تاسى
فبتُّ أَرعى نجومَ الليــل مكتئباً   إخال سُنَّتــه في الليــلِ قرطاسا[1]

غنّى في الأوّل والرابع من هذه الأبيات حَكَم الوادي ، ولحنُه رمَل مطلَق في مجرى البِنصر عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة : [من البسيط]

يا دَيرُ هند لقد أَصبحت لي أنَسا   وما عهدتكِ لي يــا دَيرُ مِئْناسا

وهي مشهورة من شعره .

[يجيز بيتاً لإسحاق عجز عن إتمامه]

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتُ قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قلت :

وُصف الصدُّ لمَن أُهوى فَصَدّ

ثم أَجبُلْتُ ، فمكثت عدّة ليال لا يستوي لي تمامه . فدخل عليٌّ التيميّ فرآني مفكّراً ، فقال لي : ما قصتُك ؟ فأخبرتُه ، فقال :

وبــدا يمزح بالهجــر فجَدّ

ثم أَتممتها . فقلت : [من الرمل]

ما لَــهُ يَعدلُ عنّي وجهَه   وهو لا يعدِله عندي أَحدْ

وخرجْت إلى مدح الفضل بن الرَّبيع ، فقلت :

قـد أَرادوا غِرّة الفضل وهل   تُطلب الغِرّة في خِيس الأَسدْ[2]
مِلكٌ ندفَـع مــا نخشى به   وبِــه يَصلُح منّا مــا فسدْ
يفعل النّاسُ إذا مــا وعـدوا   وإذا مــا فعــل الفضلُ وعدْ

لإسحاق في هذا الشعر صَنْعَة ، ونِسْبَتُها :

صوت

وُصف الصدُّ لِمن نهوى فصدْ   وبــدا يمــزحُ بالهجرِ فجَدْ
مــا لَــهُ يَعدِلُ عنّي وجهَه   وهــو لا يعدِلــه عندي أَحدْ

الشعر والغناء لإسحاق ، خفيفُ رمل بالبِنصر ، وله فيه أَيضاً ثقيل أَوَّل ، وفيه لزكريّا بن

1 سنته : وجهه أو جبهته .
2 من المثل «كمبتغي الصيد في عريسة الأسد» : جمهـرة العسكري 2 : 150 ، 175 وفصل المقال : 363 .

يحيى بنِ معاذ هزَج بالبِنصر عن الهشاميّ وغيره . قال الهشاميّ : وقيل إنّ الهزَج لإسحاق ، وخفيف الرمَل لزكريّا .

أُخبرني جحظة عن علي بن يحيى المنجّم عن إسحاق قال : اشتركت أنا وأبو محمد التيميّ في هذا الشعر : [من الرمل]

وُصف الصد لِمَن نهوى فصدّْ

وذكر البيتين .

[يطلب الرشيد إنشاء مرثيته في يزيد بن مزيد]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سعد قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ طَهمان قال : حدَّثني محمد الرّاوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدَثين على الرشيد ، قال : قال لي الرّشيد يوماً : أَنشدني مرثية مروان بنِ أبي حفصة في معنِ بن زائدة التي يقول فيها[1] : [من الوافر]

كأَن الشمس يوم أُصيب معنٌ   من الإظـلامِ مُلْبَسة جِلالا
هو الجبل الذي كانت معـدّ   تَهُـدّ مـن العَدُوّ بـه الجبالا
أَقمنا باليمامــةِ بعــدَ معـنٍ   مُقامـاً لا نريـدُ بـه زِيالا
وقلنا أَين نذهبُ بعـد معنٍ   وقد ذهب النَّوالُ فـلا نَوالا

قال : فأَنشدته إيّاها ، ثم قال لي : أَنشدني قصيدة أَبي موسى التيميّ في مرثية يزيدَ بن مَزْيد ، فهي والله أحبّ إليَّ من هذه ، فأنشدته[2] : [من الوافر]

أَحــقٌّ أَنّــه أُودى يَزِيــدُ   تبيّــن أَيّها النّاعــي المُشيدُ
أَتدري مَن نعيتَ وكيف فاهتْ   به شفتاك ، كان بِك الصعيدُ
أَحامي المجد والإسلام أَودى   فما للأَرض ويحكَ لا تميدُ
تأَمَل هل ترى الإسلام مالت   دعائمـه وهــل شابَ الوليدُ
وهل شِيمت سيوف بني نزار   وهل وُضعَتْ عن الخيلِ اللُّبودُ
وهل تسقي البلادَ عِشارُ مُزنٍ   بدِرّتها وهل يخضرُّ عودُ[3]
أَمــا هُــدت لِمصرَعه نِزارٌ   بَلى وتقــوّض المجـد المَشيدُ

1 ديوان مروان بن أبي حفصة : 270–271 .

2 نسبت القصيدة إلى مسلم بن الوليد (انظر ترجمته وديوانه : 147–149) .

3 العشار : النوق الحديثات النتاج ، ونقله مجازاً إلى الغيم .

وحَلَّ ضريحَــه إذ حَــلَّ فيه طريفُ المجدِ والحسبُ التَّليدُ
أمــا واللهِ مــا تنفــكّ عَيني عليك بدمعهــا أبــداً تجودُ
فإن تجمُــد دموع لئيم قومٍ فليس لدمع ذي حسب جُمودُ
أبعد يزيــد تَختَزنُ البواكي دموعاً أو تُصانُ لها خدودُ ؟
لِتبكِــك قبّــةُ الإسلام لمــا وهت أطنابُها ووهَى العمودُ
ويبككَ شاعــرٌ لم يُبقِ دهرٌ له نَشَباً وقــد كسَد القصيدُ
فمَنْ يدعو الإمامُ لكلِّ خطبٍ ينــوبُ وكلِّ معضلةٍ تئودُ ؟
ومَن يحمي الخميسَ إذا تعايا بحيلــة نفسه البطــلُ النجيدُ
فإن يهلك يزيــد فكلّ حيٍّ فَريسٌ للمنيَّــةِ أو طريــدُ
ألَم تعجب لــه أنّ المنايــا فَتكْنَ بــه وهُــنَّ له جنودُ
قصدن لــه وهنّ يحِدن عنه إذا ما الحرب شبَّ لها وقودُ
لقــد عــزَّى ربيعــةَ أنَّ يوماً عليها مثــلَ يومــك لا يعودُ

قال : فبكى هارون الرّشيد بكاء اتّسع فيه حتى لو كانت بين يديه سُكُرّجة[1] لملأها من دموعه .

[يجيز أبياتاً للأمين]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى قال حدَّثنا أبو العيناء قال حدَّثنا محمدُ بن عمرَ قال : خرج كوثرٌ خادمُ محمدِ الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رَجْمة في وجهه ، فجلس يبكي ، فوجَّه محمدٌ مَن جاءَه به ، وجعل يمسح الدَّم عن وجهه ، وقال : [من مجزوء الرمل]

ضربوا قُــرّة عيني ومن آجلِــي ضربوهُ
أخــذ اللهُ لِقلبــي مــن أنــاس أحرقوهُ

قال : وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته ، فقال للفضل بن الرّبيع : من هاهنا من الشعراء ، فقال : الساعةَ رأيت عبد الله بنَ أيّوبَ التيميَّ ، فقال : عليَّ به . فلمّا أُدخل أنشده محمد هذين البيتين ، وقال : أجِزهما ، فقال : [من مجزوء الرمل]

مــا لِمــن أهوى شبيهٌ فبِــه الدُّنيــا تتيــهُ
وصْلُه حلــو ولكــن هجــره مُــرّ كريــهُ
مَن رأى الناسُ له الفضـ ــلَ عليهــم حسدوهُ

---

1 السكرجة : الصَّحْفة .

مثلَ مـا قــد حسد القا ئــمَ بــالملك أخــوهُ

فقال محمد : أَحسنتَ ، هذا والله خير ممّا أَردنا ، بحياتي عليك يا عبّاسيّ[1] إلاّ نظرت ، فإن جاء على الظَّهر ملأتَ أَحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء في زورق ملأته . فأُوقرتُ له ثلاثة أبغلٍ دراهم .

[يمدح المأمون فيعفو عنه]

قال محمد بن يحيى : فحدَّثني الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني محمد بن إدريس قال : لمّا قُتِل محمدُ الأمين خرج أبو محمد التيميُّ إلى المأمون وامتدحه ، فلم يأْذن له ، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه ، فأوصله إلى المأمون ، فلمّا سلَّم عليه قال له المأمون : إيه يا تيميّ . [من مجزوء الرمل]

مثلَ ما قــد حسد القا ئــمَ بالملــك أَخــوهُ

فقال التيميّ : بل أَنا الذي أَقول يا أَمير المؤمنين : [من مجزوء الرمل]

نُصر المأمون عبـدُ اللــ ـهِ لمــا ظلمــوهُ

نقضوا العهــدَ الذي كا نــوا قديمــاً أَكَّدوهُ

لم يعاملــه أَخـــوه بــالذي أَوصى أَبــوهُ

ثم أَنشده قصيدة له امتدحه بها أَوّلها : [من الطويل]

جزِعتَ ابنَ تيم أَن أَتاك مشيبُ وبــانَ الشبابُ والشبابُ حبيبُ[2]

قال : فلمّا أنشده إيّاها وفرغ منها قال : قد وهبتك لله ، عزَّ وجلَّ ، ولأَخي العبّاسيّ ، يعني الفضل بن سهل ، وأمرت لك بعشرة آلاف درهم .

[الأمين يأمر له بمائتي أَلف درهم]

أَخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني عونُ بن محمد الكنديّ قال : حدَّثني عبّاد بنُ محمد الكاتب عن أَبي محمد التّيميّ الشاعر قال : أَنشدتُ الأَمين محمداً أَوّل ما وَلي الخلافة قولي : [من المنسرح]

لا بُـدَّ من سَكرةٍ على طربِ لعلَّ رَوحاً يُديلُ مـن كُرَبِ

الأَبيات المذكورة في الغناء . قال ، فأمر لي بمائتي أَلف درهم ، صالحوني منها على مائة أَلف درهم .

1 يا عباسي : المقصود هو الفضل بن الربيع .

2 أتاك في ل : علاك ، وبان الشباب في ل : وبان شبابُ .

[تمنّى عليه الأمين مديحاً]

وأخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني محمدُ بنُ يحيى المنجّم قال : وحدَّثني حسين بن الضّحاك قال : قال لي أبو محمد التّيميّ : دخلتُ على محمدِ الأمين أوّل ما وَلي الخلافة ، فقال : يا تيميّ ، ودِدت أنّه قيل فيَّ مثل قول طُريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد : [من المنسرح]

طوبى لفرعَيك مـن هنا وهنا طوبى لأعراقـك التي تَشجُ

فإنّي واللهِ أحقُّ بذلك منه . فقلت : أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين ، ثم دخلت إليه من غد فأنشدته قصيدتي : [من المنسرح]

لا بُـدَّ من سَكرةٍ على طـربِ لعلَّ رَوحـاً يُدِيل من كُربِ

حتى انتهيت إلى قولي :

أَكرِمْ بفرعـين يَجريـان بـه إلى الإمامِ المنصورِ في النسبِ

فتبسَّم ، ثم قال لي : يا تيميّ قد أَحسنت ، ولكنّه كما قيل : مرعى ولا كالسَّعدان[1] ؛ ثم التفتَ إلى الفضلِ بنِ الرَّبيع فقال : بحياتي أوقِرْ له زورقَه مالاً . فقال : نعم يا سيِّدي . فلمّا خرجت طالبت الفضل بذلك ، فقال : أنتَ مجنون ؟ مِن أين لنا ما يملأُ زورقك ؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم .

[الفضل بن يحيى يجيزه]

أَخبرني وَكيع قال : حدَّثني ابنُ إسحاق قـال : حدَّثني أَبي قـال : كنت على بابِ الفضلِ بن يحيى ، فأتاني التيميّ الشاعر بقصيدة في قرطاس ، وسألني أن أوصلها إلى الفضل ، فنظرتُ فيها ثم خرقت القرطاس ؛ فغضب أبو محمد وقال لي : أما كفاك أن استخفَفْت بحاجتي حتى منعتَني أن أدفعها إلى غيرك ؟ فقلت له : أنا خير لك من القِرطاس ، ثم دخلت إلى الفضل ، فلمّا تحدَّثنا قلت لـه : مَعي هديّة وصاحبها بالباب ؛ وأَنشدته ؛ فقال : كيف حفِظتها ؟ قلت : الساعةَ دفعها إليَّ على الباب ، فحفِظتها . فقال : دع ذا الآن . فقلت له : فأدخله ، فأُدخِل ، فسأَله عن القصّة فأخبره . فقال : أنشدني شيئاً من شِعرك ففعل ، وجعلت أُردد أَبياته ، وجعلت أُشيّعها بالاستحسان . ثم خرج التيميّ فقلت : خُذ في حاجة الرجل ، فقال : أمّا إذ عُنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم . فقلت له : أمّا إذ أقللتَها فعجِّلها ، فأمر بها فأُحضرت . فقلت له : أليس لإعناتك إيّاي ثمن ؟ قال : نعم . قلت : فهاتِه . قال : لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المديح . فقلت : فهات ما شئت ، فأمر بثلاثة

1 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 275 وفصل المقال : 199 وجمهرة العسكري 242:2 .

آلاف درهم ، فضممتُها إلى الخمسة الآلاف ، ووجَّهتُ بها إليه .

[سكرة شنعاء]

وذكر أحمدُ بنُ طاهر عن أبي هِفّان عن إسحاق قال : كان التيميّ وأخوه أبو التَّيَّحان وابن عمٍّ له يقال له : قَبيصة يشربون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد ، فقال التيميّ يذكر ذلك ويتشوّق مثله : [من الخفيف]

صوت

هل إلى سَكرةٍ بناحيــةِ الحـ ـيرةِ شنعاءَ يـا قَبيصُ سبيلُ
وأبــو التَّيَّحانِ في كَفِّــه القر عــةُ والرأس فوقــه إكليلُ
وعَرار كأنّه بيـذق الشِّطرنـ ـج يفتنُّ فيــه قــالٌ وقيلُ

الشعر للتيميّ والغناء لمحمد بن الأشعث ، رَمل بالوسطى .

[يشتري ضيعة بجائزة الأمين]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا أبو العيناء عن أبي العالية ، قال : أمر محمدٌ الأمينُ لعبد الله بنِ أيّوبَ بجائزةٍ عشرةِ آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه ، فاشترى بها ضيعة بالبصرة ، وقال بعد ابتياعه إيّاها : [من الكامل]

إنِّي اشتريتُ بما وهبتَ لِيَــهْ أَرضاً أَمــونُ بهـــا قرابَتِيَهْ[1]
فبحسن وجهك حين أسأل قُل يــا ابن الرَّبيع احمل إليه مِيَهْ

فغُنِّيَ بها الأمين ، فقال للفضل : بحياتي يا عبّاسيّ ، احمل إليه مائة ألف . فدَعا به فأعطاه خمسين ألفاً ، وقال له : الخمسون الأُخر لك عليّ إذا اتسعَت أيدينا .

[المأمون يعطيه ثمن جارية]

أخبرني الحسن ، قال : حدَّثني أبو العيناء ، عن أبي العالية قال : عشق التيميّ جارية لبعض النخاسين ، فشكا وجده بها إلى أبي عيسى بن الرّشيد ، فقال أبو عيسى للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنّ التيميَّ يجد بجارية لبعض النخاسين ، وقد كتب إليّ ببيتين يسألني فيهما ثمنها ، فقال : وما هما ؟ فقال : [من الرمل]

يــا أبا عيسى إليك المُشتَكى وأخــو الصبرِ إذا عيــل شكا
ليس لي صبر على فقدانِهـــا وأعــــاف المَشربَ المشتركا

قال : فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها .

---

1 أمون : أوفر المؤنة .

[يمدح الفضل بن الربيع يوم عيد]

أخبرني الحسن قال : حدَّثني أبو العيناء عن أبي العالية قال : دخل التيميّ إلى الفضل بن الرَّبيع في يوم عيد فأنشده : [من الطويل]

ألا إنّما آلُ الرَّبيع ربيعٌ وغيثُ حَيَاً للمرمِلين مَريعُ
إذا ما بدا آل الرَّبيع رأيتَهم لهم دَرَج فوق العبادِ رفيعُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[ثلاثة آلاف على ثلاثة أبيات]

أخبرني عيسى بن الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : مدح أبو محمد التيميّ الفضلَ بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصليّ ، فعرضها على الفضل بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات : [من الطويل]

لعمركَ ما الأشرافُ في كلِّ بلدة وإن عظمـوا للفضل إلاّ صَنائِعُ
تَرى عظماء النّاسِ للفضلِ خُشَّعاً إذا ما بـدا والفضلُ للهِ خاشِعُ
تواضَع لمّا زادَهُ اللهُ رفعةً وكلُّ جليلٍ عندَه متواضِعُ

[ينظم في معنى للحجّاج]

أخبرني جَحظةُ قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى المنجّم قال : حدَّثني إسحاقُ الموصليُّ عن محمد بن سلاّم قال : كتب الحجّاجُ إلى قُتَيبة بنِ مسلم : إنِّي قد نظرت في سِنِّي ، فإذا أنا ابنُ ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لِدة عام . وإنّ امرءاً قد سار إلى منهل خمسين سنة لَقريب أن يَرِده ، والسلام .

فسمع هذا أبو محمد التيميّ منِّي فقال : [من الطويل]

إذا ذهب القَرْن الذي أنتَ فيهمُ وخُلِّفتَ في قَرن فأنت غريبُ
وإن امرءاً قد سار خمسين حِجّةً إلى منهل مِن وِرده لقريبُ

[إجازة المأمون على شعر في الأمين]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : حدَّثني أبو دِعامة عليُّ بنُ يزيدَ قال : حدَّثني التيميُّ أبو محمد قال : دخلتُ على الحسنِ بنِ سهل ، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه ، وعنده طاهر بن الحسين ، فقال له طاهر : هذا والله أيّها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع : [من المنسرح]

لا بُدَّ من سَكرةٍ عَلى طرَبِ لعلَّ رَوحاً يُديل من كُرَبِ

خليفــةُ الله خير منتجَــبِ لِخيــر أُمّ مــن هاشمٍ وأبِ
خلافــة الله قــد تَوارثهــا آبــاؤه في سوالــف الكُتُبِ
فهْــي لــه دونكــم مورَّثــة عــن خاتــم الأنبياءِ في الحِقَبِ
يا ابن الذُّرى من ذوائب الشرف الـ ـأقدم أنتــم دعائــم العــربِ

فقال الحسن : عرِّض والله ابن اللَّخناء بأمير المؤمنين ، والله لأعلِّمنّه . وقام إلى المأمون فأخبره ، فقال المأمون : وما عليه في ذلك ؟ رجل أمَّل رجلاً فمدحه ، والله لقد أحسن بنا ، وأساءَ إليه إذ لم يتقرّب إليه إلاّ بشرب الخمر ؛ ثم دعاني فخلَع عَلَيّ وحملني ، وأمر لي بخمسة آلاف درهم .

[أوّل شعر له وصل به إلى الخليفة]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبو الشِّبل البُرجُميّ عن أبيه قال : قال لي أبو محمدٍ التيميُّ : أوّل شعر عُرِفت به فشاع فيه ذِكري ووصَلْت به إلى الخليفة قولي : [من مجزوء الرمل]

صوت

طاف طَيــفٌ في المنــامِ بمحــبٍّ مستهــامِ
زَورة أبقــت سَقامــاً وشفــت بعض السَّقامِ
لم يكــن مــا كان فيها مــن حــرامٍ بِحرامِ
لم تكــن إلاّ فُواقــاً وهْــي في ليــل التِّمامِ

الغناء لإسحاق . فقال : فصنع فيها إسحاقُ لحناً وغنّى به الرشيد ، فسأله عن قائل الشعر ، فقال له : صديق لي شاعر ظريف ، يُعرف بالتيميّ ، فطُلبت وأُمرت بالحضور ، فسألت عن السبب الذي دُعيتُ له فعرفته ، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون . ودخلت إليه فأنشدته إيّاها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وصرتُ في جملة مَن يدخل إليه بنَوبة وأمر أن يدوَّنَ شعري .

[إسحاق يطعمه ويسقيه ويغنيه]

أَخبرني محمد بنُ مَزْيدِ بن أَبي الأَزهر قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق قال : حدَّثني عمِّي طَيّابِ بنُ إبراهيمَ الموصليُّ قال : حدَّثني أبو محمد التيميّ الشاعر قال : اجتزتُ يوماً بأخيك إسحاق فقال : ادخل حتى أُطعِمَك طعاماً صِرْفاً ، وأُسقيَك شراباً صِرفاً وأُغنِّيَك غِناءً صِرفاً ، فدخلتُ إليه ، فأطعمني لحماً مكبّباً ، وشواء حارّاً وبارداً مبزّراً ، وأسقاني شراباً عتيقاً صِرفاً ، وغنَّاني وحده مرتجلاً : [من الطويل]

ولــو أنّ أنفاسي أصابت بحرِّها حديداً إذاً كاد الحديدُ يذوبُ
ولـو أنّ عيني أُطلقَت من وِكائها لَما كان في عام الجُدوبِ جُدوبُ[1]
ولو أنَّ سلمى تطلع الشمس دونها وأُمسي وراء الشمس حين تغيبُ
لحدَّثْتُ نفسي أن تَريع بها النَّوى وقلتُ لقلبــي إنّهـــا لقريبُ[2]

فلم تَزَل تلك حالي حتى حُمِلتُ من بيتِه سكران .

[عمرو بن مسعدة يعطي حق الإذن للموصلي]

أُخبرني جَحظةُ قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاقَ عن أَبيه ، قال : دخلتُ يوماً على عمرو بنِ مَسعدة ، فإذا أبو محمدٍ التيميُّ واقف بين يديه يستأذنه في الإنشادِ ، فقال : ذاك إلى أبي محمد ، يعنيني ، وكان عَلى التيميّ عاتباً ، فكَرِه أن يمنعه لِعِلمِهِ بما بيننا من المودَّة ، فقلت له : أنشد إذ جعل الأمر إليَّ ، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إليَّ . فتبسّم عمرو ، وأنشده التيميّ : [من الخفيف]

يـــا أَبا الفضل كيف تغفُل عنّي أم تخَلّي عنــد الشدائــدِ منّي ؟
أَنسيتَ الإخاءَ والعهدَ والودَّ حـ ـديثاً مـــا كان ذلـــك ظنّـــي
أَنا مَن قد بلوتَ في سالف الدَّهـ ـــرِ مضَت شِرّتي ولم تفنَ سنّي
فاصطنعني لمـــا ينوب بــه الدَّهـ ـــر فإنّــي أُجـــوز في كلّ فنّ
أَنا ليــثٌ على عــدوّك سِلْـــمٌ لكَ في الحربِ فابتذلني وَصُنّي
أَنا سيفٌ يـــوم الوَغى وسنانٌ ومجِـــنٌّ إن لَـم تَثــق بمِجن
أَنا طَبّ في الرأْيِ في موضع الرأْ ي معـــين على الخصيمِ المِعَنّ
وأَمـــينٌ عـــلى الودائـــع والسـ ــرّ إذا مـــا هويت أن تأتمني
ونديـــــمٌ إذا أَردت نديمـــاً ومغـــنٍّ إن لم يـــزُرك مغـــنّ

قال : فأقبل عليّ عمرو وهو يضحك ، وقال : أتعلَّم هذا الغناء منك أم كان يَعلمهُ قديماً ؟ فقلت له : لم يكذب ، أعزَّك الله . فقال : أفي هذا وحده أو في الجميع ؟ فقلت : أما في هذا فأنا أحقُّ كذبَه ، والله لأعلم بالباقي . ثم أنشدَه : [من الخفيف]

وإذا مـــا أُردتَ حجّاً فرحّا لٌ دليـــلٌ إن نـــام كلّ ضِفَنٍّ[3]

---

1 الوكاء في الأصل : رباط القربة ، فأطلقه مجازاً على العين .
2 تريع : ترجع .
3 الضفنّ : الأحمق العظيم الخَلق .

فقال له : إذا عزمنا على الحجِّ امتحنّاك في هذا ، فإنّي أَراك تصلح له ، ثم أَنشده :

ولبيبٌ على مقال أَبي العبـ ـاس إِنّي أَرى به مسَّ جِنِّ

فقال : ما أراه أبعد ، فقال :

وهو النّاصح الشفيق ولكن خاف هَيْجَ المرارِ فازورّ عنّي
وظريفٌ عندَ المزاحِ خفيفٌ في الملاهي وفي الصِّبا متثنِ
كيف باعدتَ أَو جفوتَ صديقاً لا ملولا ، لا لا ولا متجنِّ
صرتُ بعد الإكرام والأنس أَرضى منك بالتّرهاتِ ما لم تُهَنّي
لم تخنّي ولم أَخنك ولا واللـ ـهِ ربِّي لا خنتُ من لم يخنّي
إن أَكن تُبتُ أَو هجرت الملاهي وسُلافاً يُجنُّها بطنُ دَنِّ
فحديثي كالدّرِّ فُصِّل باليا قوت يجري في جيد ظبي أَغنِّ

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال له : هذا شيء تطوّعتَ به ، فأين موضع حُكمي ؟ فقال : مثلها ، فانصرف بعشرة آلاف درهم .

[حنين إلى الشراب]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسن بن مسعود قال : حدَّثني عليُّ بنُ عمرو قال : مرَّ التيميّ بالحِيرة على خمّار كان يألفه ، وقد أسنَّ التيميّ وأُرعش ، وترك النبيذ . فقال له الخمّار : ويحك ! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى ؟ فقال : نعم واللهِ ، لولا ذلك لأكثرتُ عندك ، ثم أنشأ يقول : [من الخفيف]

صوت

هل إلى سَكرةٍ بناحية الحـ ـيرة يوماً قبل المماتِ سبيلُ ؟
وأَبو التَّيحانِ في كفِّه القر عةُ والرأْسُ فوقَه الإكليلُ
وعَرارٌ كأَنّه بَيذق الشِّطـ ـرنج يفتنّ فيه قالٌ وقيلُ

في هذه الأبيات لمحمدِ بنِ الأشعث رَمل بالوسطى عن الهشاميّ .

[يهوى غلاماً يهوى جاريته]

أَخبرني هاشم بنُ محمدٍ الخزاعيُّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل قال : كان أَبو محمد التيميّ يهوى غلاماً ، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان ، فكان بها مشغولاً عنه ، وكانت القَينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه ، فقال التيميّ : [من السريع]

ويلي على أَغيدَ ممكورِ وساحرٍ ليس بمسحورِ

تؤثـره الحُـور علينا كما نؤثـره نحـنّ على الحورِ
عُلّق مَن علّق فيه هوى منتظـم الألفـة مغمورِ
وكلٌّ مَن تهواه في أَمره مقلّـبٌ صفقـة مقمورِ

[الأمين يأمر بملء زورقه دراهم]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ أَبي سعد قال : حدَّثني أَحمدُ بن محمدِ الفارسيُّ قال : حدَّثنا غسّان بنُ عبد الله عن أبي محمدِ التيميّ قال : لمّا أنشدت الأمين قولي فيه : [من المنسرح]

خليفـــةُ اللهِ خيرُ منتجـبِ لِخيـر أُمّ مـــن هاشم وأَبِ
أَكـرمْ بعِرقيْنِ يجريانِ بـــه إلى الإمامِ المنصورِ في النسبِ

طرب ، ثم قال للفضل بن الرَّبيع : بحياتي أُوقِرْ له زَورقه دراهم ، فقال : نعم يا سيِّدي : فلمّا خرجنا طالبته بذلك ، فقال : أمجنون أنت ؟ من أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم ، فقبضتها .

[الخضوع لله]

أَخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلبيُّ ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله المدنيُّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أَحمد التيميُّ ابن أُخت أبي محمد التيميّ الشاعر ، قال : أنشدني خالي لنفسه قوله : [من البسيط]

لا تخضعنّ لمخلـوقٍ على طمعٍ فإن ذاك مُضرٌّ منـكَ بالدِّين[1]
وارغبْ إلى اللهِ ممّـا في خزائنه فإنّمـا هـو بـين الكافِ والنونِ
أَما تـرى كلَّ مَن ترجو وتأمله من الخلائقِ مسكينُ ابن مسكينِ

صوت

[من الوافر]

أَلـم تَـرَ أنّني أَفنيتُ عُمـري بمَطلَبهـا ومطلُبهـــا عسيرُ ؟
فلمّـا لم أَجِـدْ سبباً إليهـا يُقرِّبنـي وأعيتنـي الأمـورُ
حججْتُ وقلْت قد حَجَّت جنان فيجمعُنـي وإياهـا المسيرُ

الشعر لأَبي نواس[2] ، والغناء للزّبير بن دَحْمان ، رمَلٌ بالوُسطى من روايةِ أَحمدَ بنِ المكّيّ وبَذْل ، وغنّاني محمدُ بنُ إبراهيم قريضَ الجرّاحي ، رحمه الله ، فيه لحناً من خفيف الثقيل ، فسألته عن صانعه فلم يَعرف .

1 لا تخضعن في ل : لا تضرعن .
2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 230 .

[414] ـ أخبار أَبي نُواس وجنان خاصة
إذ كانت أَخباره قد أُفردت خاصة

[أَبو نُواس صادق في حبّ جنان]

كانت جِنانُ هذه جاريةَ آل عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ المجيد الثَّقَفيِّ المحدِّث الذي كان ابنُ مُناذِرٍ يصحب ابنَه عبدَ المجيد ، ورثاه بعد وفاته ، وقد مَضت أَخبارهما .

وكانت حُلوةً جميلةَ المنظرِ أديبة ، ويقال : إنّ أبا نواسٍ لم يَصدُق في حبّه امرأةً غيرَها .

[حجّت فحجّ]

أَخبرني محمدُ بنُ خلَفِ المَرْزُبان قال : حدَّثني إسحاقُ بن محمدٍ عن أَبي هِفّان عن أَصحابِ أبي نُواس قالوا : كانت جِنانُ جاريةً حسناءَ أديبةً عاقلةً ظريفةً ، تعرف الأخبار ، وتَرْوِي الأشعار . قال اليؤيؤ خاصة : وكانت لبعض الثقفيِّين بالبصرة ، فرآها أبو نُواسٍ فاستحلاها ، وقال فيها أشعاراً كثيرةً ، فقلتُ له يوماً : إنَّ جِنانَ قد عزمَتْ على الحجّ ، فكان هذا سببَ حَجّه ؛ وقال : أما والله ، لا يفوتني المَسِير معها والحجُّ عامي هذا إن أَقامت على عزيمتها ، فظننتُه عابثاً مازحاً ؛ فسبَقها والله إلى الخروج بعد أن علِم أنّها خارجة ، وما كان نوى الحجّ ، ولا أحدث عزمَه له إلاّ خروجُها ، وقال وقد حجّ وعاد : [من الوافر]

أَلَم تَرَ أَنَّني أَفنيتُ عُمري ... بمطلَبِها ومطلبُها عسيرُ ؟
فلمّا لم أَجِدْ سبباً إليها ... يقرِّبني وأَعيتني الأُمورُ
حججْت وقلتُ قد حجَّت جِنان ... فيجمعُني وإيّاها المسيرُ

قال اليُؤيؤ : فحدَّثَني مَن شهِده لّما حجّ مع جنانَ وقد أحرم ، فلمّا جنّه الليل جعل يلبي بشعر ويَحدو به ويُطرِّب ، فغنّى به كلّ مَن سمِعه ، وهو قوله[1] : [من مجزوء الرجز]

إلهنا ما أَعدلَكْ ! ... مليكَ كلِّ مَن ملكْ
لبَّيكَ قد لبَّيتُ لكْ ... لبَّيك إنَّ الحمدَ لكْ
والملكَ لا شريك لكْ ... والليلَ لما أَن حلَكْ
والسابحاتِ في الفلك ... على مجاري المُنْسَلَكْ

1 ديوان أَبي نواس : 623 مع اختلاف في الرواية .

ما خــاب عَبدٌ أَمَّلك أنتَ لـــه حيثُ سلَكْ
لولاك يــا ربِّ هلك كلُّ نبـــــيٍّ وملَكْ
وكلُّ مَـــن أهــلّ لك سبَّـح أَو لبَّـى فلَكْ
يا مخطئاً مـا أغفلك ! عجِّل وبــادرْ أَجَلَكْ
واختِـــمْ بخيرٍ عملك لبَّيك إنّ الملــكَ لَكْ
والحمــدَ والنعمةَ لك والعـــزَّ لا شريك لكْ

أَخبرني أَحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار وأَحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهريُّ قالا : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال : كانت جنانُ التي يذكرها أبو نواس جاريةً لآل عبدِ الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيِّ ، وفيها يقول[1] : [من مجزوء الخفيف]

جَفنُ عيني قد كاد يَسْـ ـقُط من طُولِ ما اختلَجْ
وفؤادي مـــن حَرِّ حُبـ ـك والهجرِ قــد نَضِجْ
خبِّرينـــي فدَتــك نفــ ـسي وأَهلي : متى الفرجْ ؟
كان ميعادُنــا خـــرو جَ زيـاد فقــد خرجْ
أَنتَ مِـــنْ قتــل عائذ بــكِ في أَضيق الحرجْ

[رآها منصرفة من عرس فارتجل شعراً]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عُبيد اللهِ بن عَمّار قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ محمدٍ النخعيُّ قال : حدَّثني الجَمّاز ، قال ابن عَمّارٍ : وحدَّثني به قُلَيبُ بنُ عيسى قال : كانت جِنانُ قد شَهِدت عُرْساً في جِوارِ أبي نُواسٍ ، فانصرَفتْ منه وهو جالس معنا ، فرآها فأنشدَنا بديهاً قولَه[2] : [من الخفيف]

شَهِدتْ جَلْوَةَ العَروس جِنانٌ فاستمالـــت بِحُسنِها النظارَهْ
حسبِوها العَروسَ حين رأوها فإليهــا دون العَروسِ الإشارَهْ
قال أَهلُ العروسِ حينَ رأوها ما دهانــا بهـا سواكِ عُمارَهْ

قال : وعمارة زوجُ عبد الرحمن الثقَفيِّ ، وهي مولاة جِنان .

[يعتذر لها فكان ردّها جافياً]

أَخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ومحمدُ بنُ خلَف قالا : حدَّثنا يزيدُ بنُ محمد المُهلبيُّ عن

1 ديوانه : 230 .
2 ديوانه : 241 .

محمدِ بن عمر ، قال : غضِبتْ جِنانُ من كلامٍ كلّمها به أَبو نُواسٍ ، فأَرسل يعتذرُ إليها ، فقالت للرسول : قُل له : لا بَرِح الهِجْرانُ رَبْعَك ، ولا بَلغْتَ أملك من أحبَّتِك ، فرجع إليه ، فسأله عن جوابها ، فلم يخبره فقال[1] : [من الوافر]

فدَيتُكَ فيمَ عَتبُك مِن كلامٍ ... نَطقت بـه على وجهٍ جميلِ ؟
وقولُك للرسولِ عليكَ غَيري ... فليس إلى التواصلِ من سبيلِ
فقـدْ جاءَ الرسولُ له انكسارٌ ... وحـالٌ مـا عليهـا من قَبولِ
ولـو رَدَّت جِنانُ مَردَّ خيرٍ ... تَبيَّنَ ذاكَ في وجـهِ الرّسولِ

[عتاب واستمالة]

قال أَبو خالدٍ يزيدُ بنُ محمدٍ : وكان أَبو نواسٍ صادقاً في محبّتِه جِنانَ مِن بين مَن كان يَنسُب به من النساء ويداعبه ، ورأيت أصحابَنا جميعاً يُصحِّحون ذاك عنه ، وكان لها مُحِبّاً ، ولم تكن تُحبّه ، فمِمّا عاتبها به حتى استمالها بصحّة حبِّهِ لها فصارت تُحِبّه بعد نُبُوِّها عنه قوله[2] : [من المنسرح]

جِنـانُ إنْ جُدتِ يا منايَ بما ... آمـلُ لم تَقطُـرِ السماءُ دَمـا
وإن تَمادَيْ ، ولا تَمادَيـت في ... منعِـك ، أُصبحْ بِقَفْـرةٍ رمِما[3]
عَلِقْتُ مَن لو أَتى على أَنفُس المـ ... ـاضين والغابريـن مـا نَدِما
لـو نظـرَتْ عينُـه إلى حجَر ... وَلّـد فيـه فُتورُهـا سَقَما

[رحمته من إلحاحه]

أُخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرِّد قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم عن أَبي هِفّانَ عن الجَمّاز ، وأخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال : حدَّثني عَوْن بن محمدٍ قال : حدَّثني الجمّاز قال : كنت عند أبي نُواس جالساً إذ مرّت بنا امرأةٌ مِمّن يداخل الثقفيين ، فسألها عن جِنانَ وألحف في المسألة واستقصى ، فأخبرَتْه خبرَها وقالت : قد سَمِعتُها تقول لصاحبة لها من غيرِ أن تعلَمَ أنّي أسمَع : وَيْحك ! قد آذاني هذا الفتى ، وأبرمَني ، وأحرج صدري ، وضيّق عليَّ الطرقَ بِحدةِ نظرِه وتَهتّكِه ؛ فقد لهج قلبي بذِكْره والفكرِ فيه من كثرة فِعله لذلك حتى رحِمته ، ثم التفَتت فأمسكَت عن الكلام ؛ فسُرَّ أبو نواس بذلك ، فلمّا قامت المرأة أنشأ يقول[4] : [من البسيط]

1 ديوانه : 249 .
2 ديوانه : 233 .
3 رمم : عظام بالية .
4 ديوانه : 248 .

يا ذا الذي عن جِنانٍ ظَلَّ يُخبِرنا ... باللهِ قُلْ وأَعِدْ يا طيِّبَ الخبَرِ
قال اشتَكتكَ وقالت ما ابتُليتُ به ... أراه مِن حَيثُما أَقبلتُ في أثَري
ويُعمِلِ الطرفَ نحوي إن مررتُ به ... حتى لَيُخجِلني من حِدّة النظرِ
وإن وقفْتُ له كيما يكلِّمُني ... في الموضع الخِلْو لم ينطِقْ من الحَصَرِ
ما زال يفعلُ بي هذا ويُدْمِنه ... حتى لقد صار من همِّي ومن وَطري

[رسالة إلى القاضي الناصح]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني عليُّ بن محمدٍ النَّوْفليُّ وأَحمدُ بن سليمانَ بن أبي شيخٍ قالا : قال ابن عائشة : وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ وابن عمَّار عن الغَلابيّ عن ابن عائشةَ : قال ابن عمَّار : وحُدِّثت به عن الجمَّاز ، وذكَره لي محمدُ بن داودَ الجرّاح عن إسحاقَ النَخعيِّ عن أحمدَ بنِ عُمَير[1] : أنَّ محمدَ بن حَفص بن عُمَر التميميّ ، وهو أبو ابن عائشة ، انصرفَ من المسجدِ وهو يتولّى القضاء ، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يُكلِّمها . وقال أحمدُ بن عُمَير في خبره : وكانت المرأةُ قد جاءته برسالة جِنانَ جاريةِ عُمارةَ امرأة عبدِ الوهّابِ بن عبدِ المجيدِ ، فمرَّ به عُمرُ بنُ عثمانَ التيميُّ وهو قاضي البصرة ، هكذا ذكر دحمدُ بن عُمَير وحده ، وذكر الباقون جميعاً أنّه محمدُ بنُ حَفصٍ .

قال الجمّاز : وكانت عليه ثياب بَياض ، وعلى رأسِه قَلَنْسُوة مُضَرَّبة فقال له : اتَّقِ اللهَ ، قال : إنّها حرمتي ، قال : فصُنْها عن هذا الموضع . وانصرف عنه ، فكتب إليه دبو نُواس[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّ التي أَبصرْتَها ... بِكْراً أُكلّمها رسولُ[3]
أَدَّت إليّ رسالةً ... كادت لها نَفْسي تسيلُ
مِن ساحرِ العينين ... يَجذِب خَصرَه رِدْفٌ ثقيلُ
متقلِّد قَوسَ الصِّبا ... يَرْمي وليس له رَسيلُ[4]
فلو انّ أُذْنَك بيننا ... حتى تَسمَّع ما تقولُ

1 انظر «أخبار أبي نواس» لأبي هفان ، (فراج) .
2 ديوانه : 270 .
3 بكراً أكلمها في الديوان : سحراً أكلمها .
4 الرسيل : الموافق في النضال .

لرأيتَ مـا استقْبحتَ من أمري هـو الأَمرُ الجميلُ[1]

في هذه الأبيات لحنان من الرملِ وخفيفِه ، كلاهما لأبي العَنْبَس بنِ حمدونَ .

قال ابنُ عُمَير : ثم وجَّه بها فأُلقِيت في الرِّقاع بين يدي القاضي ، فلمّا رآها ضحك ، وقال : إن كانت رسولاً فلا بأسَ .

وقال ابنُ عائشة في خبره : فجاءَني برُقعة فيها هذه الأَبيات ، وقال لي : ادفعها إلى أَبيك ، فأوصلتها إليه ، ووضعتُها بين يديه ، فلمّا قرأها ضحك ، وقال : قُل له : إنِّي لا أتعرّضُ للشعراء .

[التعمية عنها لا تنطلي]

حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ الأَخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال : كان أَبو عثمان أَخا مولى جِنانَ ، وكان مولاها أبو مَيَّة زوج عُمارةَ وهي مولاتها ، وكانت له بحَكمان ضَيعةٌ كان ينزلها هو وابنُ عمٍّ له يقال له : أبو مَيَّة ، فقال أبو نواس فيه قوله : [من الخفيف]

أَسأَلُ القادِمَين مـن حَكَمانِ كيـف خلَّفتما أَبـا عثمانِ
وأَبـا مَيَّـةَ المهـذَّب والما جـدَ والمرتَجى لِرَيب الزّمانِ
فيقولان لي : جِنـانٌ كما سرَّ كَ في حالهـا فَسَلْ عن جِنانِ
مـا لَهـمْ لا يباركُ اللهُ فيهمْ كيف لم يُغنِ عندَهمْ كِتماني

[عبث لا عشق]

فأَخبرني ابنُ عمّار قال : حدَّثني محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الملكِ بن مروان الكاتبُ قالا : كنت جالساً بِسُرّ مَنْ رأى في شارع أبي أحمد ، فأنشدني قول أبي نُواس : [من الخفيف]

أَسأَلُ المقبِلَيْن مـن حَكَمانِ كيف خَلَّفتما أَبـا عثمانِ ؟

وإلى جانبي شيخٌ جالسٌ فضحك ، فقلت له : لقد ضحكتَ من أمر ، فقال : أجلْ ، أنا أبو عثمان الذي قال أبو نُواس فيه هذا الشعر ، وأبو مَيَّة ابنُ عمِّي ، وجِنانُ جاريةُ أخي ، ولم تكن في موضع عِشْق ، ولا كان مذهَبَ أبي نواسٍ النساءُ ، ولكنّه عَبَثٌ خرج منه .

[سبقه النابغة الجعديّ إلى التكنية في شعره بغير اسم صاحبته]

أَخبرني عـليُّ بنُ سليمـان قـال : قـال لي أَبـو العبّاسِ محمدُ بنُ يزيـدَ : قال النّابغة الجَعديّ : [من الخفيف]

1 أمري في الديوان : أمرنا .

أُكْني بِغَير اسمها وقد عَلِم اللـ ـهُ خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ

وهو سَبَق النّاسَ إلى هذا المعنى ، وأخذوه جميعاً منه ، وأحسنُ مَن أخذه أبو نُواس حيث يقول : [من الخفيف]

أسأَلُ المُقبلَينَ من حكمانِ كيف خلَّفتُما أبا عثمانِ ؟

فيقولان لي جنانٌ كما سرّ كَ في حالِها فَسَلْ عن جنانِ

ما لَهمْ لا يباركُ اللهُ فيهمْ كيف لم يُغْنِ عندَهمْ كِتماني

[أنست المأتم أشجانه]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمّار ، أنشدني أحمدُ بنُ محمدِ بن صَدقةَ الأنباريُّ لأبي نواسٍ يذكر مأتماً بالبصرة ، وحضرتْه جِنان[1] : [من السريع]

يا مُنسيَ المأتمِ أشجانَه لَمّا أتاهمْ في المُعزِّينا

سَرَتْ قِناعَ الوشيِ عن صُورة أَلبسها اللهُ التّحاسينا[2]

فاستفتَنتهنّ بتِمثالها فهنّ للتكليفِ يبكينا

حَقَّ لِذاك الوجهِ أَن يزدهي عن حزنِه مَنْ كان محزوناً

[أبرزها له المأتم]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ محمدِ النخَعيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملك بنُ عمرَ بنِ أبان النخعيِّ ، وكان صديقاً لأبي نواس : أنّ أبا نُواسٍ أشرفَ مِن دارٍ على منزل عبدِ الوهّاب الثقفيِّ ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم ، وجِنانُ واقفة مع النساء تَلطِم وجهها وفي يدها خِضاب ، فقال[3] : [من السريع]

يا قَمراً أبرزه مأتَمٌ يَندُب شجواً بين أتراب

يَبكي فيُذرِي الدُّرَّ من عينِهِ ويَلْطِم الوردَ بعُنّابِ[4]

لا تَبْكِ ميْتاً حلَّ في حُفرةٍ وابْكِ قتيلاً لَكَ بالبابِ

أَبرَزه المأتمُ لي كارهاً برَغْمِ دايات وحجّابِ

لا زال موتاً دَأبُ أحبابه ولا تَزَل رؤيتَه دابي

1 ديوانه : 242 .

2 سرت في الديوان : حلّت ، وسرت : ألقت .

3 ديوانه : 242 .

4 يذري : ينشر .

[سفيان بن عيينة يستحسن هذا الشعر]

فحدَّثني أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عَمَّار ، قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم ، حدَّثني محمد بنُ عائشة قال : قال لي سفيانُ بن عُيَيْنَةَ : لقد أحسن بَصْريُّكم هذا أبو نُواسٍ حيث يقول ، وشدّد الواو وفتح النون : [من السريع]

يــا قَمَراً أبصرْتُ في مأتــمٍ   يَنــدُب شَجْواً بــين أتراب
يَبكي فيُذري الدُّرَّ مــن عينِهِ   ويلْطِــم الــوردَ بعُنّــاب

قال : وجعل يعجَب من قوله : ويلطِم الوردَ بعُنَّاب .

وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي سعدٍ قال : حدَّثني محمدُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني حسَينُ بنُ الضَّحّاك قال : أنشد ابنُ عُيَيْنَةَ قولَ أبي نواس : [من السريع]

يَبكي فيُذْري الدُّرَّ من طَرْفِه   ويلْطِــمُ الــوَرْدَ بعُنَّــاب

فعجبتُ منه ، وقال : آمنت بالذي خلَقه . وقد قيل : إنّ أبا نواس قال هذا الشعر في غير جِنان .

[ربّما كانت أبياته في غير جنان]

أخبرني بذلك الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني بعض الصيارف بالكَرْخ ، وسمّاه ، قال : كان حارسُ دَرْبِ عَوْن يقال له : المبارَك ، وكان يلبس ثياباً نظيفةً سَرِّيةً ، ويركَب حماراً ، فيطوف عليه السوق بالليل ويَكريه بالنّهار ، فإذا رآه مَن لا يَعرفه ظنَّ أنّه من بعض التجار ، وكان يصل إليه في كلّ شهر من السُّوق ما يسَعُه ويفْضُل عنه ، وكانت له بنت من أجمل النساء ، فمات مبارَكٌ وحضره النّاس ، فلمّا أُخرجَت جَنازته خرجَتْ بنتُه هذه حاسرةً بين يديه ، فقال أبو نواس فيها : [من السريع]

يا قمراً أبــرَزه في مأْتمٍ   يندُبُ شَجْواً بين أتراب

وذكر الأبيات كلَّها .

[تطلب ألاّ يزورها أيّاماً]

أخبرني محمدُ بن جعفر قال : حدَّثني أحمدُ بنُ القاسم عن أبي هَفّان عن الجَمّاز واليؤيؤ وأصحابِ أبي نُواسٍ أنّ جِنانَ وجَّهتْ إليه : قد شَهَرتني ، فاقطع زيارتَك عَنّي أيّاماً لينقطعَ بعضُ القالةِ ، ففعل ، وكتب إليها[1] : [من المنسرح]

---

1 ديوانه : 290 .

إنّا اهتجرنا للنّاسِ إذ فَطِنوا ... وبيننا حين نلتقي حَسَنُ[1]
نُدافع الأمر وهْو مُقتبِلٌ ... فشبّ حتى عليه قد مَرنوا
فليس يُقذِي عينا مُعايَنةٌ ... له وما إنْ تمُجّه أُذنُ
ويحَ ثَقيفٍ ماذا يَضرّهمُ ... أنْ كان لي في ديارهمْ سكَنُ[2]
أُرَيّبُ ما بيننا الحديثُ فإن ... زِدنا فزيدوا وما لِذا ثَمنُ

[رسالة لجنان من بغداد]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني ابنُ أبي سَعْدٍ قال : بلغني أنَّ أبا نُواس كتب إلى جِنان من بغداد[3] : [من الطويل]

كَفى حَزناً ألاّ أرى وجهَ حِيلةٍ ... أزورُ بها الأحبابَ في حَكَمانِ
وأُقسِمُ لولا أن تَنالَ مَعاشرٌ ... جِناناً بما لا أشتهي لِجنانِ
لأصبحتُ منها دانيَ الدارِ لاصقا ... ولكنّ ما أخشى ، فُدِيتِ ، عداني
فواحَزناً حُزْناً يؤدّي إلى الرّدى ... فأُصبحَ مأثوراً بكلِّ لِسانِ
أراني انقضَتْ أيّامُ وصلِي منكمُ ... وآذَن فيكم بالوَداعِ زماني

[شتمته وتنقصته]

أخبرني الحسنُ قال : حَدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن يحيى بنِ محمدٍ عن الخُرَيْميّ قال : بلغ أبا نُواسٍ أنَّ امرأةً ذَكَرت لِجنانَ عِشقَه لها ، فشتمته جِنانُ وتنقصته وذكرَتْه أقبحَ الذِّكر ، فقال[4] : [من المنسرح]

وا بأبي مَنْ إذا ذُكرتُ له ... وطولُ وَجدي به تنقّصني
لَوْ سألوه عن وَجهِ حُجّته ... في سبِّه لي لقال : يَعشقني
نَعم إلى الحشرِ والتّنادِ نَعَمْ ... أعشقُه أو أُلفَّ في كفَني
أصبحُ جَهراً لا أستَسِرُّ به ... عَنّفَني فيه مَن يُعنفُني
يا معشرَ النّاسِ فاسمعوه وعُوا : ... أنَّ جِناناً صديقةُ الحَسَنِ

---

1 اهتجرنا : تقاطعنا .
2 السكن : ما يسكن إليه .
3 ديوانه : 254 .
4 ديوانه : 291 .

[رآها في المنام بعد الهجر]

فبلغها ذلك . فهجرته ، وأطالت هجره ، فرآها ليلة في منامه وأنّها قد صالحَته ، فكتب إليها[1] : [من السريع]

إذا التقــى في النّـومِ طَيفانا ... عـاد لَنـا الوصــلُ كما كانا
يـا قـرَّةَ العينِ فما بالنا ... نَشقـــى ويلتـــذُّ خيـالانا
لو شئتِ إذ أحسنْتِ لي في الكرى ... أتممْـتِ إحسانـك يقظانا
يا عاشقَين اصطَلحا في الكرى ... وأصبَحـــا غَضبـى وغضبانا
كذلــك الأحــلامُ غدّارةٌ ... وربّمـا تَصْـدقُ أحيـانا

الغناء في هذه الأبياتِ لابنِ جامعٍ ، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن عمرو .

وقال الخُريميّ : ورآها يوماً في ديار ثقيف فجَبَهَتْه بما كَرِه ، فغضب وهجرها مدّة ، فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فردّه ، ولم يصالحها ، ورآها في النّوم تطلب صلحَه ، فقال[2] : [من السريع]

دَسَّتْ لــه طَيفها كيما تصالِحُه ... في النَّومِ حين تأبَّى الصلحَ يقظانا
فلم يَجدْ عند طَيفي طَيفُها فَرَجاً ... ولا رثــى لتشكِّيـــه ولا لانا
حَسبتِ أنّ خيالي لا يكون لِما ... أكون مـن أجلِه غضبانَ غضبانا
جِنانُ لا تَسأليني الصلحَ سُرعةَ ذا ... فلم يكن هيِّناً منــك الذي كانا

وأنشدني عليّ بنُ سليمانَ الأخفشُ لأبي نُواس في جِنان[3] : [من الوافر]

أما يَفنى حديثُك عن جِنانِ ... ولا تُبقي عَلى هـــذا اللسانِ
أكُلَّ الدَّهرِ قلتُ لها وقالت ... فكَمْ هــذا أمـا هـذا بِفانِ
جعلْتَ النّــاسَ كلَّهـمُ سواءً ... إذا حدَّثْــتَ عنها في البيانِ
عـدوُّك كالصديق وذا كهذا ... سواءٌ ، والأباعـــدُ كالأداني
إذا حدَّثتَ عـن شأنٍ توالتْ ... عجائبُـــه أتيتَهـــمُ بشانِ[4]

1 ديوانه : 244 .

2 ديوانه : 283 .

3 ديوانه : 288 .

4 عن شأن توالت في الديوان : عن شيء فولت .

فلو مَوَّهت عنها بآسم أُخرى علِمنا إذ كنَيتَ مَن انتَ عانِ ؟

[بيعت ورحلت]

أُخبرني الحسنُ بن عَليٍّ قال : حدَّثني يحيى بنُ محمدٍ السُّلَميّ قال : حدَّثني أُبو عِكرمةَ الضَّبِّيُّ : أنّ رَجلاً قدِم البصرةَ فاشترى جِنانَ من مواليها ، ورحل بها ، فقال أبو نُواس في ذلك[1] : [من الكامل]

أَمَّا الدِّيـارُ فقلَّما لبثوا بهـا بين استياق العِيسِ والرُّكْبانِ[2]
وضَعوا سِياطَ السَّوْق في أَعناقها حتى اطَّلعْن بِهم على الأَوطانِ

أُخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ الكُرانيُّ قال : حدَّثني أُبو عثمان الأشناندانيِ قال : كتب أبو نُواس إلى جِنان[3] : [من الخفيف]

أُكثري المَحْوَ في كتابك وامحيـ ـه إذا مـا مَحَوْتـه باللسانِ[4]
وأَمِـرِّي السحاة بـين ثنايا كِ العذابِ المُفلَّجات الحسانِ[5]
إنّنـي كلّمـا مـررتُ بِسَطرٍ فيـه مَحـوٌ لطعتـه بلِساني
تلك تَقبيلةٌ لكـمْ مـن بَعيد أُهدِيتْ لي وما بَرِحتُ مكاني[6]

صوت

[من الطويل]

تجَنَّـى علينـا آلُ مكتوبةَ الذَّنبا وكانوا لنا سلْما فأُضحَوْا لنا حَرْبا
يقولون عـزٍّ القلبَ بعـد ذَهابه فقلت أَلا طُوبـايَ لو أَنَّ لي قلبا

عروضه من الطويل . الشعر لابن أُبي عُيَيْنَةَ ، والغناء لسليمانَ أُخي جَحْظَةَ ، رمَل بالوُسطى عن عمرو بن بانة .

---

1 ديوانه : 292 .
2 الركبان في الديوان : بالركبان .
3 ديوانه : 277 .
4 الديوان :
كثّري السهو في الكتاب ومجّـ ـيه بريـق اللسان لا بـالبنان
5 في الديوان : وأمرّي الحزام .
6 الديوان :
فـأرى ذاك قبلـة مـن بعيـد أهديـت لي ومـا برحـت مكان

[415] ـ نسب ابن أبي عُيينة وأخباره[1]

[من المقصود بالاسم]

أبو عُيَيْنَة ، فيما أخبرنا به عليٌّ بن سليمانَ الأخفشُ عن محمدِ بن يزيدَ ، اسمُه وكنيتُه أبو المِنهال ، وكلُّ مَن يدعى أبا عُيَيْنَةَ من آل المهلَّب فأبو عُيَيْنَةَ اسمُه وكنيته أبو المنهال ، وكلُّ مَن يدعى أبا رُهمْ من بني سَدُوس فكنيتُه أبو محمدٍ .

وابنُ أبي عُيَيْنَةَ هو محمّدُ[2] بن أبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّبِ بن أبي صُفرة . وقال أبو خالدٍ الأسلميُّ : هو أبو عُيَيْنَةَ بن المِنجابِ بن أبي عُيَيْنَةَ ، وهو الذي كان يهجو ابن عمِّه خالداً .

واسم أبي صُفرةَ ظالمُ بن سَرَّاقٍ ، وقيل : غالبُ بن إسراق بن صبح بن كِنديٍّ بن عمرو بن عديّ بن وائل بن الحارثِ بن العَتيك بنِ الأسدِ بن عِمرانَ بن الوضّاحِ بن عمرو بن مُزَيْقياء بن حارثةَ الغِطْريفِ بن امرىء القيس البِطْريقِ بن ثعْلَبَةَ البُهلول بن مازنٍ زادِ الرّاكب بن الأزْد .

هذا النسب الذي عليه آل المهلَّب ، وذكر غيرهم أنَّ أصلهم من عجم عُمان[3] وأنّهم تولّوا الأزدَ ، فلمّا ساد المهلَّب وشرُف وعلا ذِكْرُه استلْحَقوه . وممَّن ذكَرَ ذلك الهيثَمُ بن عديّ وأبو عُبَيْدة وابن مَزْرُوع وابن الكَلبيّ وسائر مَن جَمَع كتاباً في المثالب وهجتهم به الشّعراء فأكثرت .

[أبو المهلّب ليس عربيّاً]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال : أخبرني الحسن بنُ عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثني أبو عبد الله أحمدُ بن محمدِ بن حميدِ بن سُلَيمان العَدَويّ قال : أخبرني الهيثَمُ بن عَدِيّ ، عن

---

1 ترجمة أبي عيينة بن محمد بن أبي عيينة في طبقات ابن المعتزّ (288–294) ومعجم المرزباني (110–111) . وفي الشعر والشعراء (750–755) ترجمة لأخيه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة . ويورد المبرّد في الكامل (516–554) شعراً كثيراً للأخوين . وجميع المصادر المذكورة تتطرق إلى الأخ الآخر وتورد شيئاً من شعره ، ولكنها تشير إلى أبي عيينة باسمه وإلى عبد الله باسم «ابن أبي عيينة» . غير أن أبا الفرج يشير إلى الأوّل باسمه وبابن أبي عيينة ، وكذلك يفعل عندما يتطرق إلى عبد الله ، مما سبّب اضطراباً في عائدية الخبر والشعر . وللإيضاح بصورة عامة نقول إنّ ما نسب إلى ابن أبي عيينة وكان في دنيا (فاطمة) أو في هجاء خالد بن يزيد بن حاتم أو قبيصة بن روح بن حاتم فهو لأبي عيينة بن محمد ، وما كان في طاهر بن الحسين مدحاً أو ذمّاً فهو لعبد الله بن أبي عيينة ما لم يكن واضحاً بصريح التسمية .

2 محمد بن أبي عيينة هو والد أبي عيينة ، فينبغي أن تكون العبارة «هو ابن محمد . . .» .

3 انظر معجم البلدان (خارك) في أصل أبي صفرة وتسميته .

عبد الله بن عيّاش الهَمْدانيّ قال : وفَد ابن الجلندى في الأزْد ، أزْدِ عُمان ومواليهم وأحلافِهم ، فكان فيمَن وفَد منهم أبو صُفرة ، وكان يُلقَّب بذلك ، لأنّه كان يُصفِّر لِحْيَتَه ، فدخل على عمر مع ابن الجلندى ولحيته مَخْضُوبةٌ مُصْفرَّة ، فقال عمر لابن الجلندى : أكُلُّ مَنْ معك عَرَبيّ ؟ قال : لا ، فِينا العَرَبيّ وفينا غَيرُ ذلك ، فالتفت عُمرُ ، رحمه الله ، إلى أبي صُفْرة ، فقال له : أعَرَبيّ أنتَ ؟ قال : لا ، أنا مِمَّن مَنَّ الله عليه بالإسلام .

[ختن أبي صفرة وهو شيخ]

قال : وقدِم الحكَمَ بن أبي العاصي الثَّقَفِيّ أخو عُثمان بأعلاج من شهرك[1] في خلافة عمر قد أسْلَمُوا ، فأمر عُمَرُ عثمان بن أبي العاصي أن يَخْتِنُهم ، وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال : ما هؤلاء ؟ يُطَهَّرون ليُصلّوا ؟ قال : إنّهم يختنون .

قال : إنّا والله هكذا مِثلُهم ؛ قال : فسَمِع ذلك عثمانُ بن أبي العاصي ، فأمر بأبي صُفْرة فأُجلس عَلى جَفْنةٍ فختِن وإنّه لشيخٌ أشمَط فكان بها مَنْ قال : لسنا نشُكّ في أنّ زوجتَه كذلك ؛ فأُحضِرت وهي عجوز أدماء ، فأمر بها القابلةَ فنظرت إليها وكشفتها ، وإذا هي غير مختونة ، وذلك منها قد أحشَفَ[2] ، فأمر بها فخُفِضت .

وقال في ذلك زياد الأعجم ، وقد غضب عَلى المهلّب[3] : [من السريع]

نحن قطعنا مـن أبي صُفْرةٍ ... قُلْفَته كي يدخـلَ البَصْرَهْ
لّمـا رأى عُثمانُ غُرمولَـه ... أحنـى عَلى قُلْفَتـه الشَّفْرَهْ

[كتاب المثالب]

وليس هذا من الأقوال المعوَّل عليها ، لأنَّ أصلَ المثالب زيادٌ لعنه الله ، فإنّه لَمّا ادُّعي إلى أبي سُفيان ، وعَلِم أنّ العرب لا تُقرّ له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهم ، عمل كتاب المَثالب ، فألصقَ بالعَرب كلِّها كلَّ عَيْب وعار ، وحق وباطل ، ثم بنى على ذلك الهَيثَمُ بن عَديّ ، وكان دَعِيّاً ، فأراد أن يَعُرّ[4] أهلَ البيوتات تَشَفِّياً منهم ؛ وفعل ذلك أبو عُبيدة مَعْمَرُ بن المُثنّى ، وكان أصلُه يهوديّاً ، أسلم جدُّه عَلى يَدَي بعض آل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، فانتمى إلى ولاء بني تَيْم فجدَّد كِتابَ زِياد وزاد فيه ؛ ثم نشأ غَيْلان الشُّعُوبيّ لَعنه الله ، وكان زِنْدِيقاً ثَنويّاً لا يُشَكُّ فيه ، عُرِف في حياته بعضُ مذهبه ، وكان يورِّي عنه في

1 لعلّها بلدة فارسية حرف اسمها .
2 أحشف : تقبّض وصار كالحشف .
3 شعر زياد بن الأعجم (بكار) : 71 .
4 يعر : يسوء .

عوراته للإسلام بالتشعّب والعصبيّة ؛ ثم انكشف أمرُه بعد وفاته ، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين ، وكان شديدَ التَّشعُّب والعَصَبيّة ، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله ، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأُمّهاتِهم وصَنائعهم ، وبدأ منهم بالطيِّب الطّاهر ، رسول الله ﷺ فغَمَصه[1] وذكره ؛ ثم والى بين أهلِ بَيْته الأذْكياء النجباء عليهم السلام ، ثم ببطون قريش على الوِلاء ، ثم بسائر العرب ، فألصق بهم كلَّ كذب وزور ، ووضع عليهم كلّ خبر باطل ، وأعطاه طاهر على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني .

وإنّما جرَّ هذا القول ، ذكرُ المهلّب وما قيل فيه ، وأنّي ذكرتُه فلم أجِد بُدّاً من ذكر ما رُوي فيه ؛ وفيما مرَّ عن أهل النسب ، ثم قُلتُ ما عِنْدي .

[عبد الملك يحرق كتاب المثالب]

أَخبرني حبيبُ بن نَصْر قال : أَخبرني عُمر بن شَبَّة قال : حدَّثني محمد بن يحيى أَبو عُثمان عن أبيه قال : دخل بعضُ النّاس عَلى عبدِ الملك بن مروان فقال له : هل عِنْدك كتابُ زِياد في المَثالب ؟ فتلكَّأ ، فقال له : لا بأس عليك ، وبحقّي إلاّ جئتَني به . فمضى فجاء به ، فقال له : اقرأْ عليَّ ، فقرأَه ، وجَعَلَ عبد الملك يتغيَّظ ويَعْجَب ممَّا فيه من الأَباطيل ، ثم تَمَثَّل قولَ الشاعر . [من الوافر]

وأجرأُ مَنْ رأَيتُ بظَهْر غَيْبٍ عَلى عَيْب الرّجال أُولُو العُيُوبِ

ثم أَمَر بالكتاب فأُحْرِق .

رجع الخبر إلى سياقة أَخبار ابن أَبي عُيَيْنَة

[شاعر مطبوع غَزِل هجّاء]

وهو شاعرٌ مطبوعٌ ظريفٌ غَزِل هَجّاءٌ . وأنفدَ أَكثرَ أَشعارِه في هجاء ابن عمِّه خالد . وأَخبارهما تُذكر على أَثر هذا الكلام وما يَصْلُح تصديرُ أخباره به . وكان من شعراء الدّولة العبّاسيّة من ساكني البصرة .

حدَّثني عمِّي والصُّوليُّ قالا : حدَّثنا أَحمدُ بن يزيدَ المهلَّبيُّ قال : حدَّثني أَبي قال : أَبو عُيَيْنَةَ اسمه كنيته ، وهو ابنُ محمدِ بنِ أَبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّب بن أَبي صفرة .

[أَبوه تولّى الريّ ثم قبض عليه]

وأَخبرني محمدُ بنُ عِمران الصَّيرفيُّ قال : حدَّثني العَنزيّ قال : حدَّثني أَبو خالد الأَسلميُّ قال : أَبو عُيَيْنة الشاعرُ هو أَبو عُيَيْنة بنُ المِنجابِ بن أَبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّب ، وكان محمدُ بن أَبي عُيَيْنَةَ أبو أَبي عُيَيْنَةَ الشاعر يتولّى الرَّيّ لأَبي جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحبسه وغرّمه .

---

1 غمصه : قلل من شأنه وتهاون بحقّه .

وأخبرني محمدُ بن خلَفِ بن المَرزُبانِ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمدٍ المهلَّبيُّ قال : قال وَهبُ بن جرير : رأيتُ في منامي كأن قائلاً يقول لي : [من الهزج]

ما يلقى أبــو حربِ تعالى اللهُ مــن كربِ

فلم أَلبَث أَن أخذ المنصورُ أبا حرب محمد بن أبي عُيَيْنَةَ المهلّبي فحبسه ، وكان ولاّه الرَّيّ فأَقام بها سنين .

[يتغزَّل بفاطمة ويكني بدنيا]

أَخبرني عيسى بن الحُسين الورَّاقُ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا الحَزْنَبَلُ الأصبهانيِّ قال : حدَّثني الفَيضُ بن مخلَّد مولى أبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّب قال : كان أبو عُيَيْنَةَ بن محمدِ بن أبي عُيَيْنة يهوى فاطمةَ بنتَ عُمرَ بن حفصٍ الملقَّبِ هَزارَ مَرْدَ ، وكانت امرأة نبيلة شريفة ، وكان يخاف أهلَها أن يذكرَها تصريحاً ، ويَرهبُ زوجَها عيسى بن سليمانَ ، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها : دُنيا ، وكانت قيِّمة دارها ، ووالية أُمورها كلِّها . وأنشدنا لابنِ أبي عُيَيْنةَ فيها ، ويَكنى باسم دنيا هذه : [من الخفيف]

مــا لِقَلْبي أرقَّ مـــن كلِّ قلبِ ولِحُبِّي أَشدَّ مــن كلِّ حبٍّ !
ولدنيـــا على جُنونـــي بدنيا أَشتَهي قُربَهـــا وتكرهُ قُربي
نَزلَتْ بي بليّـــةٌ مِـن هواها والبلايا تكون من كلِّ ضَربِ
قُل لدنيا إن لم تُجبِك لِما بي رَطبةً مِن دمـوع عينيّ كُتْبي
فعـــلامَ انتهرتِ بـالله رسْلي وتهددتِهـــم بحبس وضـــربِ
أيُّ ذنبٍ أذنبتُه ليتَ شِعري كان هــذا جزاءه أيُّ ذنبِ ؟

أَخبرني عليُّ بن سليمانَ قال حدَّثني محمدُ بن يزيدَ قال : كان أبو عُيينة من أطبع النّاس وأقربهم مأخذاً ، من غير أدب موصوفٍ ولا روايةٍ كثيرة ، وكان يقرِّب البعيد ، ويحذِف الفضول ، ويُقِلّ التكلّف . وكان أصغرَ من أخيه عبدِ الله ومات قبله .

[مَن التي كان يعشقها]

وقيل لعبد الله : أَنت أَشعرُ أَم أخوك ؟ فقال : لو كان له عِلمي لَكان أَشعرَ منِّي . وكان يَتعشَّق فاطمةَ بنتَ عُمرَ بن حفص هزارَ مَرْدَ التي تَزوَّجها عليُّ بن سليمان ، ويُسِرُّ عشقها ، ويلقِّبها دُنيا كتماناً لأمرها . وكانت امرأة جليلة نبيلة سَريّة من النساء ، وكان أبوها من أشدِّ الفُرسان وشُجعانِهم . فذكر عيسى بن جعفرٍ أنّ عيسى بن موسى قال للمهلّب بن المغيرةِ بن المهلّب : أكان يزيدُ بن خالدٍ أشجعَ أم عُمرُ بن حفص هَزارَ مَرْدَ ؟ فقال المهلّب : لم أشهد من يزيد ما شهِدته ، من عُمَر بن حفص ، وذلك أنّي رأيته يركُض في طلب حمارٍ وحشيٍّ حتى إذا

حاذاه جمع جَراميزَه[1] وقفز فصار على ظهره ، فقمص الحمار ، وجعل عُمر بنُ حفص يَحُزّ مَعرفتَه إمّا بِسيفٍ وإمّا بسكّين معه حتى قتله .

قال محمد بن يزيدَ : وحُدِّثتُ عن محمدِ بن المهلّب أنّه أنكر أن يكون أبو عُيينةَ يهوى فاطمة ، وقال : إنّما كان جنديّاً في عِدادِ الشُّطّار ، وكانت فاطمة من أنبلِ النِّساء وأسراهنّ ، وإنّما كان يتعشّق جاريةً لها ، وهذه الأبياتُ التي فيها الغِناءُ من قصيدةٍ له جيّدةٍ مشهورةٍ من شعره ، يقولها في فاطمةَ هذه أو جاريتِها ، ويَكني عنها بدُنيا ، فممّا اختير منها قوله : [من الطويل]

وقالوا تَجنّبْنا فقلت أَبْعدَ ما ... غَلبتُمْ على قلبي بسُلطانكم غصبا
غِضابٌ وقد مَلّوا وقوفي ببابهمْ ... ولكنّ دنيا لا ملولاً ولا غضبى
وقد أَرسلَتْ في السرِّ أَنّي بريّة ... ولم تَرَ لي فيما تَرى منهمُ ذَنبا
وقالت لكَ العُتبى وعِندي لك الرِّضا ... وما إنْ لهمْ عندي رضاءٌ ولا عُتبى
ونُبئتها تلهو إذا اشتدَّ شوقُها ... بشعري كما تُلهي المغنِّيةُ الشَّربا
فأَحببتُها حُبّاً يقَرُّ بعينِها ... وحُبّي إذا أَحببتُ لا يشبه الحبا
فيا حسرتا نَغَّصتُ قُربَ ديارها ... فلا زُلفَةً منها أرجّي ولا قُربا
لقد شَمِت الأَعداءُ أَن حِيل بينها ... وبيني أَلا للشامتين بنا العُقُبى

ومِمّا قاله فيها وغُنِّي فيه : [من الكامل]

صوت[2]

ضيَّعتِ عهدَ فتىً لِعهدكِ حافظٍ ... في حفظِهِ عَجَبٌ وفي تضييعكِ
ونأيت عنه فما له من حِيلة ... إلاّ الوقوفُ إلى أَوانِ رجوعكِ
متخشّعاً يُذْري عليكِ دموعَه ... أَسفاً ويَعجَب من جُمودِ دموعكِ
إن تقتليه وتذهبي بفؤادِه ... فبِحُسن وجهك لا بحسن صنيعكِ[3]

عروضه من الكامل ، الغناء في هذه الأَبيات من الثقيل الأَوّل بالوُسطى . ذكَر عَمرو بنُ بانةَ أنّه له ، وذكر الهشاميُّ أنّه لمحمدِ بن الحارث بن بسخنّر ، وذكر عبدُ الله بنُ موسى بن محمدِ بن إبراهيم الإمامُ أنّه لإبراهيمَ المَوصليّ .

فذَكر العتّابيُّ ومحمدُ بن الحسنِ جميعاً ، أَنَّ محمدَ بن أَحمدَ بن يحيى المكّيَّ حدَّثهما قال :

---

1 جراميزه : أطرافه .

2 في الشعر والشعراء : 754 والمرزباني : 111 لعبد الله .

3 إن تقتليه في الشعر والشعراء والمرزباني : إن تفتنيه .

حدَّثني عمرُو بنُ بانةَ قال : ركبت يوماً إلى دارِ صالح بن الرّشيد ، فاجتزتُ بمحمدِ بنِ جعفرِ بنِ موسى الهادي ، وكان مُعاقِراً للصَّبُوح ، فألفيتُه في ذلك اليوم خالياً منه ؛ فسألته عن السبب في تعطيله إيّاه ، فقال : نيرانُ عليّ غضبى ، يعني جارية لبعض النخّاسين ببغداد ، وكانت إحدى المحسنات ، وكانت بارعةَ الجمال ظريفةَ اللسان ، وكان قد أفرط في حُبّها حتى عُرِف به ، فقلت له : فما تحبّ ؟ قال : تجعل طريقَك على مولاها فإنّه يستخرجها إليك ، فإذا فعل دفعتَ رقعتي هذه إليها ــ ودفع إليَّ رقعة فيها : [من الكامل]

ضيعتِ عهــدَ فتًى لعهدِك حافظٍ في حفظِــه عَجَب وفي تضييعكِ
إن سُمتِــه أن تذهبــي بِفؤادِه فبِحُسن وجهِك لا بِحُسنِ صنيعكِ

فقلت له : نعم ، أنا أتحمّل هذه الرسالةَ وكرامةً ، على ما فيها ، حفظاً لروحك عليك ، فإنّي لا آمَن أن يتمادَى بك هذا الأمر . فأخذتُ الرّقعة وجعلتُ طريقي على منزلِ النخّاس ، فبعثتُ إلى الجارية : اخرجي ، فخرجت ، فدفعت إليها الرقعةَ ، وأخبرتها بخبري فضحكت ، ورجعت إلى الموضع الذي أقبلَتْ منه فجلستْ جِلسةً خفيفةً ، ثم إذا بها قد وافتني ومعها رقعة ، فيها : [من الطويل]

صوت

وما زلت تَعصيني وتُغري بيَ الرّدى وتهجُرني حتــى مَرنــتَ على الهجرِ
وتَقطــع أسبابــي وتنســى مودّتــي فكيف تَرى يا مالِكي في الهوى صبري
فأصبحــتُ لا أدري أيأساً تصبُّري على الهجرِ أم جِــدَّ البصيرة لا أدري

غنّى في هذه الأبياتِ عمْرو بنُ بانةَ ، ولحنه ثقيل أوّلُ بالبِنصر ، ولِمقاسةَ بنِ ناصح فيها ثقيل آخر بالوُسطى . لحن عمرو في الأوّل والثالث بغير نشيد .

قال : فأخذتُ الرّقعة منها وأوصلْتها إليه ، وسرت إلى منزلي ، فصنَعْتُ في بَيتَي محمدِ بن جعفر لحناً وفي أبياتها لحناً ، ثم صرتُ إلى الأمير صالحِ بنِ الرشيد ، فعرّفته ما كان من خبَري ، وغنّيته الصوتين . فأمر بإسراج دوابه فأُسرجت ، وركب فركبت معه إلى النخّاس مولى نِيرانَ ، فما بَرِحْنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار ، وحملها إلى دار محمد بن جَعفر فوهبها له ، فأقمنا يومنا عنده .

أُخبرنا محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمدٍ المهلَّبيُّ قال : دخلت على الواثق يوماً وهو خليفةٌ ورَبابُ[1] في حِجره جالسة ، وهي صبيّة ، وهو يلقي عليها قوله : [من الكامل]

---

1 بيروت : زرياب .

ضيّعتِ عهدَ فتًى لِعهدكِ حافظٍ   في حفظه عجَب وفي تَضييعكِ

وهي تغنّيه ويردّده عليها ، فما سمعت غناء قطّ أحسن من غنائهما جميعاً ، وما زال يردّده عليها حتى حفظته .

رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة

[عبد الله يذمّ زواج فاطمة]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال : قال عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ أخو أَبي عُيَيْنَةَ في فاطمة ، التي كان يُشبّب بها أخوه ، بنتِ عمرَ بن حفص لمّا تزوّجها عيسى بن سليمانَ بن عليّ ، وكان عيسى مبخّلاً ، وكانت له محابسُ يَحبس فيها البِياح ويبيعه ، وكانت له ضيعة تُعرف بِدالية عيسى يبيع منها البقولَ والرياحينَ ، وكان أوّلَ مَن جمع السَّمادَ بالبصرة وباعه ، فقال فيه أبو الشمقمق[1] : [من الوافر]

إذا رُزق العبادُ فإنّ عيسى   لـه رِزقٌ مـن استاه العِبادِ

فلمّا تزوّج عيسى فاطمةَ بنتَ عُمرَ بنِ حفص قال عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ في ذلك[2] : [من الطويل]

أفاطمَ قد زُوِّجْتِ عيسى فأَبشري   لديه بِـذُلٍّ عاجـلٍ غيرِ آجلِ[3]
فإنّكِ قد زُوّجْتِ عن غير خبرةٍ   فتًى مـن بني العبّاسِ ليس بعاقلِ
فإن قُلـتِ مِن رَهط النبيّ فإنّه   وإن كان حرَّ الأصلِ عبدُ الشمائلِ
وقـد قـال فيـه جعفرٌ ومحمد   أقاويـلَ حتـى قالهـا كلُّ قائلِ
ومـا قلتُ مـا قالا لأنّكِ أُختُنا   وفي البيتِ منّا والذُّرا والكواهلِ
لعَمري لقـد أثبتّـه في نِصابِه   بأن صرْتِ منـه في مَحلِّ الحلائلِ
إذا مـا بَنُو العبّاسِ يومـاً تنازعوا   عُرا المجد واختاروا كرامَ الخصائلِ[4]
رأيتَ أبا العبّـاس يسمو بِنفسِه   إلى بَيـع بَيّاحاتـه والمبـاقلِ[5]

قال مؤلّف هذا الكتاب : وكان عبدُ الله ، أخو أبي عُيَينةَ شاعراً ، وكان يقدَّم على أخيه ،

1 شعراء عباسيون (غرونباوم) : 134 .
2 في الكامل عشرة أبيات منها .
3 الكامل : فأيقني بذلٍّ لديه .
4 في الكامل :
إذا مـا بنـو العباس يومـاً تبادروا   عرى المجد وابتاعوا كرام الفضائل
5 البياح : نوع من السمك .

فأخبرني جَحْظةُ قال : حدَّثني عليُّ بنُ يحيى المنجّمُ قال : قال إسحاق الموصليّ : شعرُ عبدِ الله بن أبي عُيَينةَ أحبُّ إليَّ من شِعرِ أبيه وأخيه . قال : وكان عبدُ اللهِ صديقاً لإسحاق .

[تصريح بالقرابة]

قال محمدُ بن يزيدَ : ومِمّا قاله في فاطمة وصرَّح بذكر القرابة بينهما ، وحقَّق على نفسه أنّه يعنيها قوله[1] : [من الوافر]

دعَوتُكِ بالقرابةِ والجِوارِ ... دعاءَ مصرِّحٍ بادي السِّرارِ
لأنِّي عنكِ مشغولٌ بنفسي ... ومحترقٌ عليكِ بغيرِ نارِ
وأنت توَقَّرين وليس عندي ... على نارِ الصّبابةِ مِن وقارِ
فأنتِ لأَن ما بكِ دونَ ما بي ... تُدارينَ العدوَّ ولا أُداري
ولَوْ واللهِ تشتاقين شوقي ... جَمحْتِ إليَّ خالعةَ العِذارِ
أَلا يا وهبُ فيمَ فضحْتِ دُنيا ... وبُحتِ بسِرِّها بين الجواري
أَما والراقصات بِكلِّ وادٍ ... غوادٍ نحوَ مكّةَ أو سَواري
لقد فضلْتُكِ دنيا في فؤادي ... كفضل يَدي اليمين عَلى اليسارِ
فقُولي ما بدا لكِ أَن تقولي ... فإنِّي لا أَلومَكِ أَن تضاري

[من ظريف شعره فيها]

قال وقال فيها ، وهو من ظريف أَشعاره : [من الخفيف]

رَقَّ قلبي لكِ يا نورَ عَيني ... وأَبى قلبُكِ لي أن يَرِقّا
فأَراكِ اللهُ موتي فإنِّي ... لستُ أَرضى أَن تموتي وأَبقى
أَنا مِن وجدٍ بدنيايَ منها ... ومِنَ العُذّالِ فيها مُلَقّى

صوت

زعموا أَنِّي صديقٌ لدُنيا ... ليت ذا الباطلَ قد صارَ حقّا

في هذا البيت ثُمّ الذي قبله ، ثم الأوّل لإبراهيم لحنٌ ماخوريّ بالوُسطى عن الهِشاميّ .

قال : وقال فيها أيضاً في هذا الوزن ، وفيه غناء محدَث رَمل طُنبوريّ[2] : [من الخفيف]

عَيشُها حُلو وعيشُك مُرٌّ ... ليس مسرورٌ كمَن لا يُسَرُّ

---

1 في الكامل خمسة أبيات منها منسوبة إلى ابن أُبي عيينة .

2 الثالث والرابع في الشعر والشعراء : 753 لعبد الله بن أبي عيينة .

كمَــدٌ في الحــبِّ تَسخُن فيه عينُــهُ أكثرَ مِمّــا تَقَــرُّ
قلتُ للاّئِم فيهـا آلْــهُ عنْها لا يَقَــعْ بينــي وبينك شَرُّ
أتُراني مُقْصراً عــن هواهـا كلُّ مملــوكٍ إذاً لِيَ حــرُّ

وقال فيها أيضاً ، وأنشدَناه الأخفشُ عن المبرِّد ، وأنشدَناه محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : أنشدني عمّي عُبَيد الله لأبي عيينة : [من الخفيف]

حين قالت دنيـا عَلامَ نهارا زُرتَ هلا انتظرتَ وقت المساءِ
إن تكن مُعْجَباً برأيكَ لا تَفْـ ـرَق فاستحْي يـا قليلَ الحياءِ
ذاك إذ رُوحها ورُوحي مِزاجا نِ كأصفى خمرٍ بأعذَب ماءِ

[البحتريّ يأخذ معنى له]

قـال محمـدُ بنُ يزيـدَ : وقـد أخذ هـذا المعنى غيرُه منه ولم يسمّه ، وهو البحتريّ ، فقـال[1] : [من البسيط]

صوت

جَعلتُ حبَّكِ من قلبي بمنزلةٍ هي المصافاةُ بين المـاءِ والرَّاحِ
تهتزّ مثلَ اهتزاز الغصنِ حرّكه مرورُ غيثٍ من الوَسْمي سَحّاحِ

الغناء في هذين البيتين لِزَذاذٍ ثقيل أوّلُ مطلَق في مجرى البِنصَر .

[غزل وفخر]

ومِمّا قاله أبو عُيَيْنةَ في فاطمة هذه ، وكَنى فيه بدنيا قوله[2] : [من المتقارب]

صوت

أَلَــمْ تَنْــهَ قلبَـك أن يعشَقا وما لَـك والعشقَ لولا الشَّقا
أمِن بَعـدِ شُربِك كأسَ النُّهى وشَمِّـك ريحـانَ أهـلِ التُّقى
عشِقتَ فَأصبحتَ في العالَمِيـ ـنَ أشهرَ مِـن فـرسٍ أبلقا
أدُنيايَ من غَمرِ بَحْـرِ الهوى خذي بيدي قبــل أن أغرقا
أنـا ابــنُ المهلَّب مــا مثلـه لو انَّ إلى الخلــدِ لي مرتقى

غنّى فيه أبو العَنْبَس بنُ حمدونَ ، ولحنُه ثاني ثقيلٍ مطلقٌ ، وفيه لِعَريبَ ثقيل أوّل ، رواه أبو العَنْبَس عنها .

---

1 ديوان البحتري : 442 .
2 في الكامل اثنا عشر بيتاً منها منسوبة لأبي عيينة .

وهذه قصيدة طويلة يَذكر فيها دنيا ويفخر بعَقِبِ النسيب بأبيه ، ويذكر مآثر المهلّب بالعراق ، ولكن ممّا قاله في دنيا منها قوله : [من المتقارب]

أَدُنيايَ من غَمْرِ بحرِ الهوى ... خُذي بِيدي قبل أَن أغرَقا
أنا لكِ عبدٌ فكوني كمَن ... إذا سرّه عبدُه أعتَقا
أَلم أَخدعِ النّاسَ عن وصلِها ... وقد يَخدعُ العاقلُ الأحمقا
بلى فسبقتُهمُ إنّني ... أُحبّ إلى الخيرِ أن أسبقا
ويومَ الجَنازةِ إذ أُرسلَتْ ... على رُقعةٍ أَن جُزِ الخَندقا
وعُجْ ثَمَّ فانظر لنا مجلِساً ... بِرفقٍ وإيّاكَ أَن تَخرَقا
فجئنا كغُصنَين من بانةٍ ... قِرينَيْنِ خِدْنَيْنِ قد أُورَقا
فقالت لأختٍ لها استنشدِيـ ... ـه من شِعرِه المحكَمِ المنتَقى
فقلْتُ أَمرتِ بكتمانِه ... وحذَّرتِ إن شاعَ أَن يُسرَقا
فقالت بِعيشِكِ قولي له ... تمنَّع لعلّكَ أَن تنفُقا

ومن مشهور قوله في دنيا ، وهو ممّا تهتك فيه وصرَّح وأفحش ، وهي من جيِّد قوله قصيدتُه التي يقول فيها : [من الطويل]

أَنا الفارغُ المشغولُ والشوقُ آفتي ... فلا تسألوني عن فَراغي وعن شُغلي
عجبْتُ لِترك الحُبّ دنيا خليّةً ... وإعراضِه عنها وإقبالِه قَبْلي
وما بالُها لما كتبْتُ تهاونت ... بكُتْبي وقد أرسلْتُ فانتهرَتْ رُسلي
وقد حلفَتْ ألاّ تَخُطّ بكفّها ... إلى قابلٍ خطّاً إليّ ولا تُملي
أبخْلاً علينا كلُّ ذا وقطيعةً ... قضيتِ لدَينا بالقطيعةِ والبخلِ
سلُوا قلبَ دنيا كيف أَطلقَه الهوى ... فقد كان في غُلٍّ وثيقٍ وفي كَبْلِ[1]
فإن جَحَدَتْ فاذكر لها قصرَ مَعبَد ... بمَنْصَفِ ما بين الأُبُلّة والحبلِ[2]
ومَلعَبنا في النهرِ والماءُ زاخرٌ ... قَرينَين كالغصنَين فَرْعين في أَصلِ
ومِن حولِنا الرّيحانُ غَضّاً وفوقنا ... ظِلالٌ من الكَرْمِ المعرَّش والنخلِ
إذا شئتُ مالت بي إليها كأنّني ... إلى غصن بانٍ بين دِعْصَين من رَملِ

1 الكبل : القيد .

2 منصف : منتصف . والأبله : بلدة على شاطىء دجلة . والحبل : موضع بالبصرة .

ليـاليَ أَلقاني الهـوى فاستضفتُها ... فكانت ثناياها بِـلا حِشمة نُزْلي
وكم لـذّةٍ لي في هواهـا وشهوةٍ ... ورَكْضي إليها راكباً وعلى رِجلِ
وفي مأتمِ المهديّ زاحمْتُ ركنَها ... برُكني وقد وطَّنتُ نفسي على القتلِ
وبِتنا عَلى خـوفٍ أُسكِّن قلبها ... بيُسرايَ واليُمنى على قائم النَّصلِ
فيا طِيبَ طعمِ العيش إذ هي جارةٌ ... وإذ نفسُها نَفْسي وإذ أَهلُها أَهلي
وإذ هـي لا تعتلّ عنِّـي بِرِقبَةٍ ... ولا خوفِ عينٍ من وُشاة ولا بَعلِ
فقد عَفَـت الآثـارُ بيني وبينها ... وقد أَوحشَت منِّي إلى دارِها سُبْلي
ولّما بلـوتُ الحبَّ بعـد فِراقها ... قضَيـتُ عَلى أُمّ المحبِّـين بالثُّكلِ
وأَصبحْتُ معزولاً وقد كنتُ والياً ... وشتانَ مـا بـين الولايةِ والعَزلِ

[غزل ووصف لقصر]

ومِمّا قاله فيها وفيه غناء[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا في سبيل اللهِ ما حلَّ بي منكِ ... وصبرُكِ عنّي حين لا صبرَ لي عنكِ
وتركُكِ جِسمي بعد أَخذِكِ مهجتي ... ضئيلاً فهلاَّ كان من قَبْل ذا تركي
فهل حاكِمٌ في الحبِّ يَحكمُ بيننا ... فيأْخذَ لي حقّي ويُنصفَني منكِ

لسُلَيم في هذه الأبيات هزَج مطلَق في مجرى الوُسطى ، وفي هذه القصيدة يقول يصف قصراً كانوا فيه ، وهي من عجيب شعره : [من الطويل]

لقد كنتُ يومَ القَصرِ مِمّا ظَننْت بي ... بريئـاً كما أَنِّي بريءٌ من الشِّرْكِ
يذَكِّرني الفِردَوسَ طوراً فأَرعَوي ... وطَوراً يواتيني إلى القَصفِ والفتكِ
بِغَـرسٍ كأَبكار الجـواري وتُرْبةٍ ... كأَن ثراها ماءُ وَردٍ على مسكِ
وسِرْبٍ من الغِزلانِ يَرتعْنَ حولَه ... كما استُلَّ منظومٌ من الدُّرِّ من سِلكِ
وورقاءَ تحكي المَوصليّ إذا غَدت ... بتغريدها أَحبِبْ بها وبِمَن تحكي
فيا طِيبَ ذاك القصرِ قصراً ومنزلاً ... بأَفيحِ سهلٍ غيرِ وَعْر ولا ضَنْكِ
كأَن قصورَ القـومِ ينظرن حولَه ... إلى مَلِكٍ مُوف عَلى مِنبر المُلكِ
يُـدِلّ عليهـا مستطيـلاً بِظِلّه ... فيَضحك منها وهْي مُطرقةٌ تبكي

1 في الشعر والشعراء أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي التاسع والسادس والعاشر والحادي عشر .

[أشعر أهل زمانه]

أخبرني أحمد بن عُبيدِ الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بنُ عمرو الأنصاريّ ، قال : سمِعت الأصمعيّ يذكر أنّ الفضل بن الرَّبيع قال لجلسائه : مَن أشعر أهل عصرِنا ؟ فقالوا فأكثروا ، فقال الفضل بن الربيع : أشعَر أهلِ زماننا الذي يقول في قصرِ عيسى بن جعفر بالخُرَيْبَة[1] ، يعْني أبا عُيَيْنَةَ : [من البسيط]

زُرْ واديَ القَصرِ نِعم القَصرُ والوادي وحبّذا أهلُه من حاضرٍ بادي
تُرْفا قَراقيرُه والعِيسُ واقفةٌ والضبُّ والنُّونُ والملاّحُ والحادي

[يحذر من الزواج لأجل المال]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بن مُجمع قال تزوَّج سَعيد بن عَبادِ بن حبيب بن المهلَّب بنتَ سفيانَ بن معاويةَ بن المهلّب ، وقد كان تزوَّجها قبله رجلان فدفنتهما ، فكتب إليه دبو عُيَيْنَةَ[2] : [من الوافر]

رأيتَ أثاثَها فرغبتَ فيه وكم نَصبتْ لغيرِك بالأثاثِ[3]
إلى دار المنونِ فجهَّزَتْهم تَحُثُّهم بأربعةٍ حِثاثِ
فَصَيِّرْ أمرَها بيدَيْ أبيها وعَيشِك من حِبالِك بالثَّلاثِ[4]
وإلاّ فالسلامُ عليك منِّي سأبدأ من غدٍ لكِ بالمراثي

[يعاتب إسحاق لتأخره عن دعوته]

أخبرني محمد بنُ مَزْيد الصُّوليُّ قال : حدَّثنا حَماد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : كان عليُّ بن هشام قد دعاني ودَعا أبا عُيَينة وتأخّرْتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً ، وتشاغلْتُ برجُل كان عندي من الأعراب ، وكان فصيحاً لأكتبَ عنه ، وكان عنده بعضُ من يعاديني ، قال حماد : كأنّه يوميء بهذا القول إلى إبراهيمَ بنِ المهديّ ، فسأل أبا عُيَيْنَةَ أن يعاتبني بشعرٍ يَنسُبني فيه إلى الخُلف فكتب إليّ : [من الخفيف]

يا مليئاً بالوعد والخُلف والمَطْـ ـلِ بطيئاً عن دَعوةِ الأصحابِ
لَهِجاً بالأعرابِ إنَّ لدينا بعضَ مَن تشتهي من الأعرابِ

---

1 الخريبة : موضع بالبصرة .
2 في الشعر والشعراء عدا الثاني .
3 فرغبت فيه في الشعر والشعراء : فطمعت فيه .
4 وعيشك في الشعر والشعراء : وسرح .

قــد عرفنا الذي شُغلتَ به عــ ـنّا وإن كان غير مـا في الكِتابِ

قال : فكتبْت إلى الذي حَمل أبا عُيَيْنَةَ على هذا ، يعني إبراهيم بن المهديّ : [من الخفيف]

قد فهِمْتُ الكتابَ أُصلحك اللـ ـــهُ وعندي إليـكَ ردُّ الجوابِ
ولَعَمري مــا تُنصفـونَ ولا كا نَ الذي جاءَ منكمُ في حِسابي
لَسْتُ آتيــك فاعلَمَــنّ ولا لي فيك حظٌّ مِن بَعدِ هـذا الكتابِ

[نسب إليه شعر منقوش على حجر]

أخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقيّ قال حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سعد قال : حدَّثني إبراهيمُ بن إسحاق العُمَريّ قال : حدَّثنا أبو هاشم الإسكندرانيُّ ، عن ابن أبي لَهِيعة قال : حُفِر حَفرٌ في بعضِ أفنيةِ مكّةَ ، فوُجد فيه حَجرٌ عليه منقوش : [من الكامل]

ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ أبـداً ومـا هـو كائنٌ فيكونُ
سيكون مـا هو كائنٌ في وقتِه وأخو الجهالــةِ مُتعَبٌ محزونُ
يَسعى القويُّ فلا يَنالُ بسعيه حظّاً ويحظـى عاجـزٌ ومَهينُ

قال ابنُ أبي سعدٍ : هكذا في الحديث ، وقد أُنشدني هذه الأبياتَ جماعةٌ لأبي عُيَيْنة .

[أشعر من أبي نواس]

حدَّثني عمِّي قال ، حدَّثني عمرُ بن محمدِ بنِ عبد الملك ، قال : حدَّثني عليّ بن عمروس الأنصاريُّ عن الأصمعيّ قال : قال لي الفضلُ بنُ الرَّبيع : يا أصمعيّ ، مَن أشعرُ أهل زمانك ؟ فقلت : أبو نُواس قال : حيث يقول ماذا ؟ قلت : حيث يقول[1] : [من المنسرح]

أَما تَرى الشمسَ حَلَّت الحَملا وقــام وزنُ الزّمـانِ فاعتدلا

فقال : والله إنّه لَذِهِنٌ فطِن ، وأشعر عندي منه أبو عُيَيْنَةَ .

[حاله عند زواج دنيا]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني فضلٌ اليزيديُّ : عن إسحاق أنّه أُنشده لأبي عُيَيْنة في دُنيا التي كان يُشبِّب بها ، وقد زوِّجت وبلغه أنّها تُهْدَى إلى زوجِها ، وكان إسحاقُ يستحسن هذا الشعر ويستجيده : [من الطويل]

أَرى عهدَهــا كالورْد ليس بِدائـمٍ ولا خيرَ فيمــن لا يدومُ لـه عهدُ
وعهدي لهــا كالآس حسناً وبهجةً له نَضْرةٌ تبقى إذا مـا انقضى الوردُ

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 63 .

فما وَجَـد العُذريُّ إذ طال وَجدُه بعَفْراء حتى سَلَّ مهجتَه الوجدُ[1]
كوَجدي غداة البينِ عندَ التفاتها وقد شفّ عنها دون أترابها البُردُ
فقلْتُ لأصحابي هي الشمس ضوؤها قريبٌ ولكن في تناوُلِها بُعدُ
وإنّي لِمَن تُهدَى إليه لَحاسدٌ جرى طائري نَحساً وطائره سعدُ

[دنيا هي فاطمة]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني أحمدُ بنُ يزيدَ المهلَّبيُّ قال : سألتُ أبي عن دُنيا التي ذَكَرها أبو عُيَيْنَة بنُ محمدِ بن أبي عُيَيْنة في شعرِه ، وقلت : إن قوماً يقولون : إنها كانت أَمَة لبعض مُغنّي البصرة ، فقال : لا ، يا بنيّ ، هي فاطمةُ بنتُ عُمرَ بنِ حفصٍ هَزارَ مرْدَ بنِ عثمانَ بنِ قَبيصة أخي المهلَّب ، وكان عيسى بنُ سليمان بن عليٍّ أخو جعفرٍ ومحمدٍ ابني سليمان تزوّجها ، وهجاه عبدُ الله بنُ محمدِ بن أبي عُيَيْنة ، أخو أبي عُيَيْنة فقال : [من الطويل]

أفاطمَ قد زُوِّجتِ عيسى فأبشري لديهِ بِذُلٍّ عاجلٍ غيرِ آجلِ
فإنّكِ قد زُوِّجتِ عن غيرِ خِبرةٍ فتًى مِن بني العبّاس ليس بعاقِلِ

وذكر باقيَ الأبيات ، وقد مضَت متقدّماً .

قال أحمد بن يزيد : ثم أنشدني أبي لأبي عُيَيْنة يُصرِّح بنَسبِه الجامع له ولفاطمةَ من أبياتٍ له : [من الكامل]

ولأنْتِ إن مُتُّ المصابةُ بي فتجنَّبي قتلي بلا وِترِ
فلئن هلكْتُ لَتَلْطِمِنْ جزَعاً خدَّيكِ قائمةً على قبري

قال أحمد : وأنشدني أبي أيضاً في تصديق ذلك ، وأنّه كان يَكني بدُنيا عن غيرها : [من الخفيف]

ما لِدُنيا تجفوكَ والذنْبُ منها إنَّ هذا منها لَخَبٌّ ومَكرُ
عرفَتْ ذنبَها إليَّ فقالت ابْدَءوا القومَ بالصياحِ يَفرّوا
قد أمرْتُ الفؤادَ بالصبرِ عنها غيرَ أنْ ليس لي مع الحبِّ أمرُ
وكتمْتُ اسمَها حِذاراً من النا سِ ومِن شرِّهم وَفي النّاسِ شرُّ
ويقولون بُحْ لنا باسم دُنيا واسمُ دنيا سرٌّ على النّاس ذخرُ

1 العذري المعني هنا : عروة بن حزام صاحب عفراء .

ثم قالوا لِيعلموا ذات نفسي أَعَوانٌ دنياك أم هيَ بِكرُ
فتنفسْتُ ثم قلتُ أبكر شبَّ يا إخوتي عن الطَّوق عمرو[1]

[ينصح جارة بترك الالحاح]

أخبرني جعفر بنُ قدامةَ قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني أبو خالد الأسلميّ قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنة المهلّبيّ صديقي ، وهو أبو عُيَيْنة بنُ المِنجاب بنِ أبي عُيَيْنة ، فجاءَه رجل من جيرانه كان يستثقله ، فسأله حاجة فقضاها ، ثم سأله أُخرى فوعده بها ، ثم سأله ثالثة فقال : [من الكامل]

خفِّف عَلى إخوانك المُؤْنا إن شئت أن تَبْقى لهم سكَنا
لا تُلحفنَّ إذا سأَلت ففي الـ ـإلحافِ إجحاف بهم وعنا

فقام الرجل وانصرف .

[يطلب عزل أمير البصرة ويصرّ على الطلب]

أخبرني أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثني المبرِّد قال : وفَد ابن أبي عُيَيْنة إلى طاهر بنِ الحُسين يسأله أن يعزل أمير البصرة ، وكان من قِبَله فدافعه ، وعرض عليه عِوَضاً خطيراً من حاجته ، ووعده أن يستصلحَ له ذلك الأمير ويزيلَه عمّا كرهه ، فأبى عزله وأجزل صلتَه ، فقال ابن أبي عيينة فيه : [من البسيط]

يا ذا اليمينَين قد أَوقرتَني مِننا تَترى هي الغايةُ القصوى من المَننِ[2]
ولستُ أَستطيع مِن شكر أجيء به إلاّ استطاعةَ ذي رُوح وذي بدنِ
لو كنتُ أَعرف فوقَ الشكر منزلة أُوفى مِن الشكر عند اللهِ في الثمنِ
أخلصْتُها لك من قلبي مهذَّبةً حَذْوًا عَلى مثل ما أَوليتَ من حسنِ

أَخبرني محمدُ بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي عن أبي عِكرمةَ عامرِ بن عمران ، وأَخبرني به عمِّي عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبيّ عن أبيه قال : كان إسماعيلُ بن سليمانَ والياً على البصرة خَليفة لطاهرِ بنِ الحُسين ، فأساء مجاورةَ ابنِ أبي عُيَيْنة حتى تباعد بينهما وقبح ، وأظهر إسماعيل تنقّصَه وعيبَه ، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل ، ويسعى في عزلِه عن البصرة ، فبَعُد ذلك عليه بعض البُعد ، وسافر طاهرُ بن الحُسين إلى وجهٍ أُمر بالخروج إليه ، فصحِبه ابنُ أبي

1 المثل «شب عمرو عن الطوق» في جمهرة العسكري 1 : 537 ومستقصى الزمخشريّ 2 : 126 وفصل المقال : 125 .
2 أوقرتني في ل : أوليتني .

عُيَيْنة في سفره ، فتَذمّم من ذلك ، وأمر بإيصاله إليه ، فلمّا دخل ابنُ أبي عُيَيْنة إليه سأله عن حوائجه وأدناه ، وأمره برفعها فأنشده[1] : [من المنسرح]

مَـن أوحشَتْه البـلادُ لم يُقِـمِ فيهـا ومَـن آنَسَتْهُ لم يَـرِمِ[2]
ومَـن يَبتْ والهمـومُ قادحة في صدرِه بـالزِّنادِ لم ينـمِ
وَمَن يَـرَ النقصَ مـن مَواطئه يُزل عن النقصِ مَوطِيء القدمِ
والقربُ مِمّـن ينـأى بجانبه صدع عَلى الشعبِ غير ملتئمِ
ورُبّ أمـرٍ يعيـا اللبيبُ به يظـلُّ منـه في حيرة الظُّلمِ
صَبرٌ عليـه كَظْمٌ عَلى مَضَضٍ وَتَرْكُـهُ مـن مواقـع الندمِ
يـا ذا اليمينَيْنِ لم أزرْكَ وَلَم آتـك مـن خلّة ومـن عَـدَمِ
إنّي مـن اللهِ في مَراح غِنى ومُغتـدًى واسعٍ وفي نِعـمِ
زارتك بِـي هِمّـةٌ مُنازِعة إلى العلا مِـن كرائم الهِممِ[3]
وإنّـي لِلجميـلِ محتمِـل في القَدْرِ مِن مَنصِبي ومِن شيمي
وقد تعلَّقْت منـكَ بالذّمِ الـ ـكبرى التي لا تَخيبُ في الذّممِ
فإن أنَـلْ بُغْيتي فأنـت لهـا في الحقّ حقّ الرجاءِ والرَّحمِ[4]
وإن يَعُـقْ عائقٌ فلستَ على جميـلِ رأيٍ عنـدي بمتّهَمِ
في قـدرَ اللهِ مـا أحمِّلُـه تعويقُ أمري في اللَّوحِ والقلمِ[5]
لم يَضق الصبرُ والفِجاجُ على حُـرّ كريمٍ بالصبرِ معتصِمِ[6]
ماضٍ كحدّ السنانِ في طَرَفِ الـ ـعاملِ أو حَـدّ مصلَت خَذِمِ[7]
إذا ابتـلاه الزّمـانُ كشَّفه عن ثـوب حُرّيةٍ وعـن كرمِ

---

1 في الشعر والشعراء اثنا عشر بيتاً من هذه القصيدة 1–3 ، 7–9 ، 12–17 .

2 الشعر والشعراء :

من آنسته البلاد لم يـرِمِ عنها ومن أوحشته لم يقم

3 الشطر الثاني في الشعر والشعراء : إلى جسيم من غاية الهمم

4 الشعر والشعراء : أنل همتي . . . حق الإخاء

5 الشعر والشعراء : تعويق أمري واللوح والقلم

6 الشعر والشعراء : لم يطق السبل . . .

7 العامل : طرف الرمح مما يلي السنان . وخذم : قاطع . وفي الشعر والشعراء : أو حدّ مرهف .

مــا ساء ظنّــي إلاّ بِواحدةٍ   في الصدرِ محصورةٍ عن الكلمِ
ليَهْنَ قومٌ جُزْتَ المـدى بهمُ   ولم تقصّـر فيهــم ولم تُلمِ
وليس كلُّ الـدِّلاء راجعــةً   بالنِّصف من مَلئها إلى الوَذمِ[1]
تَرجع بالحَمْـأة القليلة أحـ   ـياناً ورَنْــق الصُّبابةِ الأَمَمِ[2]
ما تُنبتُ الأرضُ كلَّ زَهرتهــا   ولا تَعُــمُّ السمــاءُ بالدِّيَمِ
مــا فيَّ نَقص عن كلِّ منزلةٍ   شريفةٍ والأُمــورُ بالقِسَمِ

فأجابه طاهر : [من المنسرح]

مَن تستضِفْه الهمــومُ لم يَنَمِ   إلاّ كَنوم المريض ذي السَّقَمِ[3]
ولا يــزَلْ قلبُــه يكابِد ما   تُولِــد فيــه الهمومُ مــن ألمِ
وقد سمعْــتُ الذي هتفْتَ به   ومــا بأُذني عنك من صممِ
وقد عَلمنا أنْ لستَ تَصحبنا   لِفاقــةٍ فيــك لا ولا عَدمِ
إلاّ لِحَــقٍّ وحُرمــةٍ وعلى   مثلك رَعيُ الحقوقِ والحُرَمِ[4]
أنتَ امرُؤٌ لا تزول عن كرمٍ   إلاّ إلى مثلِــه مــن الكرمِ
وأنت مــن أُسرةٍ جَحاجِحة   فازوا بحسنِ الفعــالِ والشِّيَمِ
فمــا تَــرُمْ مِن جسيم منزلةٍ   فالحكم فيــه إليك فاحتكِمِ
إن كنــت مُستسقياً سَماحتنا   منّــا تَجُدْكَ اليــدان بالدِّيَمِ
أو تَـرْمِ في بَحرنا بدَلوك لا   نُعدمْــك مَلئاً لهــا إلى الوَذمِ
إنّــا أُنــاس لنــا صنائعُنا   في العُرْب معروفةٌ وفي العجمِ
مغتَنِمو كسبِ كلِّ مَحْمَــدةٍ   والكسبُ لِلحمــدِ غيرُ مغتَنمِ

[شعره في عزل والي البصرة]

فاحتكم عليه أبو عُيَيْنة في عزلِ إسماعيلَ بنِ جعفر عن البصرة ، فعزله عنها وأمَر له بمائة ألفِ درهم . فقال أبو عُيَيْنة في عزله إسماعيل بنَ جعفر عن إمارة البصرة[5] : [من المنسرح]

---

1 الوذم : السيور بين آذان الدلو إلى الخشبتين .
2 الحمأة : الطين الأسود . والصبابة : بقية الماء . والأمم : اليسير .
3 المريض في ل : السليم .
4 الحُرَم في ل : والذمم .
5 القصيدة في الكامل (543) لابن أبي عيينة وهو الذي كانت تربطه علاقة بطاهر بن الحسين لا أخوه أبو عيينة .

لا تَعدَمِ العَزْلَ يا أَبا الحسنِ ولا هُزالاً في دولـةِ السِّمَنِ
ولا انتقـالاً مـن دارِ عافية إلى ديـارِ البـلاءِ والمِحنِ[1]
أَنا الذي إن كفـرْتَ نِعمته أَذاب ما في جنبَيك من عُكَنِ[2]

[ردّ ابن زعبل على هجائه لنزار]

حدَّثني عيسى بنُ الحسين قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الله الحَزَنْبَلِ الأَصبهانيّ قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنة قد هجا نِزاراً بقصيدة له مشهورةٍ ، وفضَّل عليها قحطان ، فقال ابن زَعْبل يهجوه ويردّ عليه ، واسمه عمرُو بن زَعْبل : [من الهزج]

بُنَيّ أَبـي عُيَيْنة مـا نطقْتَ بـه مـن اللَّغطِ
على مـا أنـت ملتحِف من الأَوجاعِ في الوسطِ
لِما في الدُّبْرِ مـن نَغَلٍ وما في العِرْضِ من سَقَطِ
أَتتنـا الخَمسُ والمائتـا نِ بالنَّعمـاءِ والغِبَـطِ
أَميرٍ مـن هلالٍ مسـ ـتطيل البـاعِ منبَسِطِ
شريـفٍ ليس بالمدخـو لِ في عِرضٍ ولا رَهَطِ[3]
أَظنّك مِـن يديـه وا قعاً لا شكّ في وَرَطِ
ووالي الخَرجِ فياض الـ ـيَدَيْن بنائـلٍ سَبِطِ[4]
لـه نِعَـم حباك بهـا فلـم تَحفظ ولم تَحُطِ
وقاضٍ مـن أَمير المؤ منـين يقـوم بالقِسَطِ
يَسرُّكَ أَنّـه مـن آ لِ قحطانٍ على شحَطِ[5]
وأَنّك إن ذُكرتَ يقـا لُ شيخٌ فاسقُ الشمَطِ
أعبدٌ مـن عَبيد عُمـا ن عابَ مناقبَ السّبطِ
وتهجو الغرّ مـن مُضر كفى هـذا من الشَّططِ

1 المحن في الكامل : والفتن .
2 لم يرد هذا البيت في الكامل .
3 عِرض في ل : حسب .
4 سبط : ممتد .
5 آل في ل : حي .

تَيمّـــمْ في مُقَيَّـرة مَسيراً غيـــر مغتبطِ[1]
مجوّفـــةٍ مزيَّنـــة بِـوَدْع لاحَ كالـرَّقطِ[2]
بنُـوك تَجرّهـــا بالقَلْـ ـس مؤتزرين بالفُوَطِ[3]
متى غمسوا مَراديَهـــمْ لِجِـــدّ السير تَحتلِطِ[4]
وأنـــتَ بموضع السُّكا نِ يُمسِكه بـــلا غلطِ
عليــك عبـــاءةٌ مشكو كـةٌ بالشَّوكِ لم تُخَطِ
فطيِّـبَ ريحَ بلدتنــــا فِــرارُك خيفةَ الشُّرَطِ
وأنّك قد عُرِفتَ بكثـ ـرة التخليـط والغلطِ
ترى الخُسران إن لم تَزْ نِ في يـــومٍ ولم تَلُطِ

[نذر المأمون دمه]

قال : وكان ابنُ أَبي عُيَيْنة لَمّا هجا نِزاراً بلغ شعرُه المأمون ، فنذر دمَهُ ، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمانٍ ، فلم يزَل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون .

أَخبرني أَحمدُ بن عُبيد الله بنِ عَمّار قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه عن أبيه بقِصّة ابنِ أَبي عُيَيْنة مع ابنِ زَعْبلٍ ، فذكر نحو الخبرِ المتقدّم .

[يشبّب بوهبة ثم بدنيا]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بن يزيدَ المهلَّبِيُّ ؛ قال : قال : حدَّثني أَبي قال : كان ابنُ أَبي عُيَيْنة يشبّبُ بوَهبةَ جاريةِ القَرويّ ، وهي التي يقول فيها فروج[5] الزنى قوله : [من البسيط]

يا وهب لم يَبقَ لي شيء أُسَرّ به إلاّ الجلوس فتسقيني وأَسقيكِ

ثم عدل عن التشبيب بها إلى دُنيا ، وذكرهما جميعاً في شعره فقال : [من الخفيف]

أُرسلَتْ وَهبـــةُ لمـــا رأَتني بَعـد سُقْم مـن هواهـا مُفيقا
أتغيَّـرْتَ كأن لم تكـــن لي قبـل أَن تعرفَ دُنيـا صديقا

---

1 المقيرة : سفينة مطلية بالقار . مغتبط : مغبوط .
2 الودع : خرز أبيض يخرج من البحر .
3 القلس : حبال السفينة .
4 مرادي : جمع مرادة ، وهي المجداف . تحتلط : تسرع .
5 في معجم المرزباني (495) : فروخ الطلحي المدني ، ويقال فرخ الزنا واسمه يعقوب بن إسماعيل . وقد تقدم ذكره في الأغاني باسم فروج الرفاء الطلحي .

قـد لَعَمري كان ذاك ولكن ... قَطعَتْ دُنيـا عليك الطريقا

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال : لمّا وُلّي عُمر بنُ حفص هَزارَ مَرْدُ البصرة ، قال ابن أبي عُيَيْنة في ذلك وفي دنيا يكني بها عن فاطمة بنتِ عُمر بن حفص صاحبته : [من المتقارب]

هنيئـاً لِدنيـا هنيئاً لهـا ... قـدومُ أبيها على البَصْرَهْ

على أنّـها أظهرتْ نَخْـوة ... وقالت لِيَ المُلكُ والقدرَهْ

فيا نورَ عَيني كذا عاجلاً ... عـليّ تطاولْــتِ بالإمرَهْ

قال : وهذا دليل على أنّه كان يَكني عن فاطمةَ بدُنيا ، لا أنّه كان يَهوى جاريتها دُنيا .

قال أحمدُ بن يزيدَ : وفيها يقول أيضاً : [من البسيط]

يـا حسنَها يومَ قالت لي مُودِّعة ... لا تنسَ ما قلت ، مِن فيها إلى أُذني

كأنَّنـي لم أَصِلْ دُنيـا علانيَـةً ... ولم أزُر أَهلَ دُنيـا زَورةَ الخَتَنِ

جِسمي معي غيرَ أنّ الرُّوحَ عندَكُمُ ... فالرُّوحُ في وطنٍ والجسمُ في وطنِ

فلْيعجب النّاسُ منّي أنَّ لي جسداً ... لا رُوحَ فيه ولي رُوحٌ بلا بدَنِ

وفي هذه الأبيات هزَج طُنبوريّ مُحدَث .

[رثاء أخيه داود]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال : وَرد على ابنِ أبي عُيَيْنة كتابٌ من بعض أهله بأن أخاه داودَ خرج إليه ببريد ، فمات بهَمذان ، فقال ابنُ أبي عُيَيْنة عند ذلك يرثيه : [من الوافر]

أنائحــةَ الحَمــامِ قفــي فنوحــي ... عــلى داودَ رَهنــاً في ضريحِ

لدى الأَجيال من هَمذان راحت ... بــه الأيّــام للمــوتِ المُريحِ

ولَم يشهــدْ جنازتَــه البواكي ... فتبكيَــه بمُنهَــلٍّ سَفــوحِ

وكوني مثلَــه إذ كان حيــاً ... جــواداً بالغَبــوقِ وبـالصَّبوحِ

أنائحةَ الحَمــامِ فــلا تشحّي ... عليــه فليس بالرجـلِ الشحيحِ

ولا بمُثمِّــرٍ مــالاً لِدُنيــا ... ولا فيهــا بِمِغمــار طموحِ

يبيعُ كثير مــا فيهــا ببــاقٍ ... ثمــينٍ مــن عواقبــه ربيحِ

ومــن آل المهلّــب في لُبــابٍ ... لُبــابِ الخالـصِ المحْضِ الصريحِ

هُمُ أبناءُ آخرةٍ ودُنيا وأهدافُ المراثي والمديحِ

[يحبّ قينة في الكوفة]

أخبرني عمّي ، قال : حدّثنا أحمد بنُ يزيدَ عن أبيه قال : قدِم أبو عُيَيْنة إلى الكوفةِ في بعض حوائجه ، فعاشره جماعة من وجوه أهلها ، وأقام بها مدّة ، وأَلِف فيها قَينة كان يعاشرها وأحبَّها حُبّاً شديداً ، فقال فيها : [من الطويل]

لَعَمري لقد أُعطيتُ بالكوفةِ المُنى وفوق المُنى بالغانياتِ النَّواعمِ
ونادمْتُ أختَ الشمس حسناً فوافقت هواي ومثلي مثلَها فَلْيُنادمِ
وأنشدْتُها شعري بدُنيا فعربَدَت وقالت : مَلولٌ عهدُه غيرُ دائمِ
فقلْتُ لها يا ظبيَة الكوفة اغفِري فقد تبْتُ مِمّا قلْتُ توبةَ نادِمِ
فقالت قد استوجَبْتَ منّا عقوبة ولكن سنَرعى فيك رُوحَ ابنِ حاتمِ

[شعره في بستانه وضيعته]

قال أحمدُ بن يزيد ، قال لي أبي : كان لابنِ أبي عُيَيْنة بُستانٌ وضَيعةٌ في بعض قطائع المهلَّب بالبصرة ، فأوطَنَها[1] وصيَّرها منزلَه ، وأقام بها ، وفيها يقول[2] : [من المنسرح]

يا جنَّةً فاقت الجِنان فما تَبلغُها قيمةٌ ولا ثَمَنُ
أَلِفتُها فاتّخذْتُها وطناً إنَّ فؤادي لأهلِها وطَنُ
زُوِّج حيتانُها الضِّبابَ بها فهذه كَنَّةٌ وذا خَتَنُ
فانظرْ وفكِّر فيما نطقْتُ به إنَّ الأريبَ المفكِّر الفطِنُ
مِن سفن كالنَّعامِ مُقبلة ومن نَعامٍ كأنّها سفنُ

أخبرني عيسى بن الحُسين قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوصليُّ ، أنَّ أبا عُيينةَ أنشده لنفسه : [من الخفيف]

صوت

لا يَكنْ منكِ ما بدا لي بعينيـ ـكِ من اللَّحظِ حِيلةً واختداعا
إن يكن في الفؤادِ شيء وإلاّ فدَعِيني لا تقتليني ضَياعا
فلَعلّي إذا قربتُ تباعدْ تِ وأظهرْتِ جَفوة وامتناعا

1 أوطنها : اتخذها وطناً .
2 الأبيات في الشعر والشعراء (755) لأبي عيينة .

حين نفسي لا تستطيع لِما قد	وقَعَت فيه مِن هواها ارتجاعا

في هذه الأبيات رمَل مطلَق محدَث .

[عبد الله يعاتب محمد بن خالد البرمكيّ]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ يزيدَ قال : حدَّثني أبي قال : كان عبدُ الله بن محمدِ بن أبي عُيَيْنة أخو أبي عُيينة شاعراً ، وهو القائل يعاتب محمدَ بنَ يحيى بنِ خالدِ البرمكيِّ بأبيات رائية أوّلها : [من مخلّع البسيط]

اسلَمْ وإن كان فيك عنِّي	قَبْضٌ لِكفَّيْـك وازورارُ
تَلحظني عابساً قطوبـاً	كأنّما بـي إليـك ثارُ
لو كان أمـر عتبتَ فيه	يجـوز منـه ليَ اعتذارُ
أو كنتُ سآلـة حريصاً	لحـانَ مِنِّـي لك الفِرارُ
أو كنتُ نَذلاً عَديمَ عقل	لا مَنصِبٌ لي ولا نِجارُ
أوْ لَم أكُنْ حاملاً بِنفسي	ما تحملُ الأنفُس الكبارُ
وأنّني مـن خِيارِ قومي	وكلُّ أهـلي فتـى خيارُ
عـذرْتُ إن نالنـي جفاءٌ	منـك وإن نالني ضِرارُ
لكـنّ ذنبي إليك أنِّي	قحطانُ لي الجَدّ لا نِزارُ
عليكَ منِّـي السّلام هذا	أوانُ يَنـأى بـيَ المزارُ
ما كنتُ إلاّ كلَحم مَيْت	دَعا إلى أكلـه اضطرارُ
راحَت عَلى النّاس لابنِ يحيى	محمـدٍ دِيمـةٌ غِـزارُ
ولم يَكُن مـا أُنلْتُ منه	بقدْر مـا يَنجلي الغبارُ
قد أصبح النّاسُ في زمان	أعلامُـه السِّفْلـة الشِّرارُ
يستأخر السابـقُ المُذكّي	فيـه ويَستقدِم الحِمـارُ
وليس لِلمرء مـا تمنّى	يوماً ومـا إنْ له اختيارُ
مـا قـدَّر اللهُ فهْو آت	وفي مقاديـره الخيـارُ

[يهجو قبيصة ابن روح المهلّبيّ ، ويمدح داود ابن عمّه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أبو هَفَّان ، قال : كان ابنُ أَبي عُيَيْنَة قد قصد قَبِيصة بن رَوحِ بن حاتمِ المهلَّبيِّ واستماحه ، فلم يجد عنده ما قدَّر فيه ، فانصرف مُغاضِباً ، فوجَّه إليه داودُ بن مَزْيدِ بنِ حاتم بنِ قَبيصة ، فترضَّاه ، وبلغ ما أحبّه ورضيه من برِّه ، ومعونته ،

فقال يمدحه ويهجو قبيصة[1] : [من الكامل]

أَقَبيصَ لستَ وإن جهَدَتَ بمُدرك سعيَ ابنِ عمِّك ذي العلا داودِ
شتان بينَك يا قبيصَ وبينه إن المذمَّمَ ليس كالمحمودِ
اختار داودٌ بناءَ محامد واخترتَ أكلَ شَبارقٍ وثَريدِ[2]
قد كان مَجدُ أبيكَ لو أُحييته رَوْحٍ أبي خَلَف كمَجد يزيدِ
لكن جرى داودُ جَريَ مبرِّز فحوى المَدى وجريتَ جريَ بليدِ
داودُ محمودٌ وأنتَ مذمَّم عجباً لذاك وأنتما من عودِ
ولرُبَّ عُود قد يُشقّ لِمسجد نِصفاً وسائرُه لِحُشّ يهودِ[3]
فالحشُّ أنتَ له وذاك لِمسجد كم بين موضع مَسْلَحٍ وسجودِ
هذا جزاؤكَ يا قبيصَ لأنّه جادَتْ يداه وأنتَ قُفل حديدِ

[شعره في مجلس صاحب بستان الجارية]

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثنا حَماد بنُ إسحاقَ قال : حدَّثني أبي قال : كانت لأبي حُذَيفة مولى جعفرِ بن سليمانَ جاريةٌ مُغنِّية يقال لها : بُستانُ ، فبلغه أنّ أبا عُيَيْنة بنَ محمّدِ بنِ عُيَيْنة ذكر لبعض إخوانه محبّتَه لها ولاستماعِ غنائها ، فدَعاه ، وسأله أن يطرح الحِشمة بينه وبينه ، فأجابه إلى ذلك ؛ وقال لما سكِر وانصرف من عنده في ذلك : [من الوافر]

أَلم تَرَني على كَسَلي وفَتري أجبت أبا حُذيفة إذْ دَعاني
وكنتُ إذا دُعيت إلى سماع أَجبْتُ ولم يكُن منّي تواني
كأنّا من بشاشتِنا ظلِلنا بيومٍ ليس من هذا الزّمانِ

[يهجو مَن لم يعطه سماداً]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بنُ عثمان قال : كانت لِعيسى بنِ موسى ضَيعةٌ إلى جانبِ ضَيعةِ ابن أبي عُيَينة بالبصرة ، وكان له إلى جانبِ ضَيعتِه سَماد كثير ، فسأله أن يعطيَه بعضَه لِيَعْمُرَ ابنُ أبي عُيَيْنة به ضَيعته ، فلم يفعل فقال فيه : [من الوافر]

---

1 الأبيات 1 و6–8 في معجم المرزباني : 110 و 6–8 في الشعر والشعراء : 755 وطبقات ابن المعتزّ .
2 محامد في ل : مكارم . والشبارق : جمع شِبرق ، وهو نبات منتن يلقيه البحر .
3 المرزباني : وباقيه لحش .

رأيتُ الناسَ هَمُّهــم المعــالي ... وعيسى هَمُّــه جمــع السَّمادِ
ورِزق العالمين بِكَـفّ ربِّـي ... وعيسى رزقُه في اسْتِ العبادِ[1]

[هجاؤه ابن عمّه خالد]

هكذا ذكره ابنُ مَهْرُوَيْه ، وهذا بيت فاسد ، وإنّما هو : [من الوافر]

إذا رُزق العبــادُ فإنّ عيسى ... لــه رِزق مــن استاه العبادِ

ولابن أبي عُيَيْنة مع ابن عمِّه خالدٍ أخبارٌ جَمّةٌ أذكرها هاهنا والسببَ الذي حَمله عَلى هجائه : أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفشُ ببعضِها ، عن محمدِ بنِ يزيـدَ المبرِّدِ ، وببعضها عـن أحمدَ بن يزيدَ المهلَّبيِّ عن أبيه ، وقد جمعتُ روايتهما فيما اتّفقا عليه ، ونسبْت كلَّ ما انفرد به أحدُهما أو خالفَ فيـه إليه ، وذكرْتُ في فُصولِ ذلك وخِلالِه ما لم يأتيا بـه مِمّا كتبْتُه عن الرّواة ، قـالا جميعاً : وَلِـيَ خالدُ بنُ يزيدَ بنِ حاتـمِ بنِ قَبِيصة بنِ المهلَّـبِ جُرْجانَ ، فسأل يزيدُ بنُ حاتمٍ أبا عُيَيْنة أن يَصحبَه ويخرج معه ، ووعدَه الإحسانَ والولاية ، وأوسع له المواعيـد ، وكان أبو عُيَيْنة جنديّاً ، فجَرَد اسمه في جريدته ، وأخرج رزقه معه ، فلمّا حصل لِجُرجان أعطاه رِزقه لشهر واحد ، واقتصر على ذلك ، وتشاغل عنه وجفاه . فبلغه أنّه قد هجاه وطعَنَ عليه ، وبسط لسانه فيه ، وذكره بكلّ قبيح عند أهل عملِه ووجوهِ رعيّته ، فلم يقدِر على معاقبته ، لموضع أبيه وسنِّه ومَحلِّه في أهلِه ، فدَعا به ، وقال له : إنّه قد بلغني أنّك تريد أن تَهرُبَ فإمّا أن أقَمْتَ لي كفيلاً برزِقِكَ أو رددته ، فأتاه بكفيل فأعنَتَه ، ولم يقبله ، ولم يَزَل يردِّده حتى ضجِر ؛ فجاءه بما قبض من الرزقِ فأخذَه ، ولجَّ أبو عُيَيْنة في هجائِه وأكثر فيه حتى فضحه . فقال في هذا عن أحمدَ بنِ يزيد المهلّبيّ : [من الكامل]

دُنيــا دعوتــك مُسرِعاً فأجيبي ... وبِما اصطفَيْتُكِ في الهوى فأثيبي
دومي أَدُمْ لكِ بالصَّفاءِ على النَّوى ... إنِّــي بعهدِكِ واثــقٌ فثقــي بي
ومِن الدَّليــلِ على اشتياقي عَبْرتي ... ومَشيبُ رأسي قبلَ حينِ مشيبي
أبْكي إليكِ إذا الحَمامةُ طَرَّبتْ ... يــا حسنَ ذاك إليَّ مــن تطريبِ
تبكي على فَنَــنِ الغصونِ حزينــةً ... حُـزنَ الحبيبةِ مــن فِراقِ حبيبِ
وأنا الغريبُ فــلا أُلامُ على البُكا ... إن البُكــا حسَنٌ بكــلِّ غريبِ
أفــلا يُنَــادى لِلقُفولِ برِحلةٍ ... تَشفي جَـوًى مــن أنفسٍ وقلوبِ

1 تقدم هذا البيت بالرواية الأخرى لأبي الشمقمق في عيسى بن سليمان .

ما لي اصطفَيت على التعسّفِ خالداً — واللهِ ما أَنا بعدَها بأَريبِ
تبّاً لصحبة خالدٍ من صحبة — ولِخالدِ بن يزيدَ من مصحوبِ
يا خالدَ بنَ قبيصةٍ هيَّجتَ بي — حَرْباً فدُونك فاصطبرْ لحروبي
لّما رأيتُ ضميرَ غِشّك قد بدا — وأَبيْتَ غير تَجَهُّم وقُطوبِ
وعرفْتُ منكَ خلائقاً جرّبتُها — ظهَرَتْ فضائحُها على التجريبِ
خلَّيْتُ عنك مُفارقاً لك عن قِلًى — ووهبْتُ للشيطانِ منكَ نصيبي
فلئن نظرْتُ إلى الرُّصافةِ مرّة — نظراً يُفرِّجُ كُربةَ المكروبِ
لأمزّقنّك قائماً أو قاعداً — ولأَروينَّ عليك كلَّ عَجيبِ
ولتأتينَّ أَباكَ فيكَ قصائدٌ — حبَّرتها بَتَشكُّرٍ مقلوبِ
ولَيُنْشَدَنَّ بها الإمامُ قصيدة — ولَتُشْتَمَنَّ وأَنتَ غيرَ مهيبِ[1]
ولأُوذِينّك مثلما آذيتني — ولأشلِيَنَّ على نعاجك ذيبي[2]

قال أحمد بنُ يزيدَ في خبره : حدّثني أبي قال : أَعْرَس داودُ بنُ محمدِ بن أبي عُيَيْنة أخو أبي عُيَيْنة بالبصرة ، وأخوه غائب يومئذٍ مع ابنِ عمِّه خالدٍ بجُرجان ، فكتب داودُ إلى أخيه يخبره بِسلامته وسلامةِ أهلِ بيتِه ، وبِخَبرِ نقلَه أهلَه إليه ، فقال أبو عُيَيْنَة في ذلك : [من الهزج]

أَلا ما لِعَيْنِك معتلَّهْ — وما لِدموعِك منهلَّهْ
وكيف بجُرجان صبرُ امرىءٍ — وحيدٍ بها غيرِ ذي خُلَّهْ
وأطْوِلْ بلَيْلِك أَطْوِل به — إذا عسكر القوم بالأَثْلَهْ[3]
وراعَك مِن خيلِه حاشر — مِن القومِ ليستَ له قِبلَهْ
يسوقُكَ نحوهمُ مكرهاً — وداودُ بالمِصرِ في غفلَهْ
عَروس ينعَّمُ مِن تحته — سَريرٌ ومِن فوقه كِلَّهْ
وما مُدْنَفٌ بين عُوّاده — ينادى وفي سمعه ثقْلَهْ
بأَوجعَ منّي إذا قيل لي : — تأهَّبْ إلى الريِّ بالرِّحْلَهْ

1 ل : وليسمعن بها الأنام . . .
2 أشلي : أغرى كما تغرى الدابة أو الناقة بالمخلاة .
3 الأثلة : قرية بالجانب الغربي لبغداد .

وما لي وللسرِّيِّ لولا الشقا ءُ إن كنت عنها لفي عُزلَهْ
أُكلَّف أَجبالَها شاتياً على فَرَس أَو على بَغْلَهْ
وأَهْونُ مِن ذاك لو سهَّلوه ركوبُ القَراقيرِ في دِجلَهْ[1]
تَروح إلينا بها طَرْبة رواحَ النّدامى إلى دلَّهْ
أَخالدُ خذْ مِن يدي لَطمة تَغيظُ ومن قدَمي رَكْلَهْ
جمعْتَ خصالَ الرَّدى جملة وبعْتَ خصال النَّدى جملَهْ
فما لَكَ في الخيرِ مِن خَلّة وكَم لك في الشرِّ مِن خلَّهْ
ولّما تناضَل أَهلُ العلا نُضلْتَ فأَذْعنْتَ للنَّضلَهْ
فما لَكَ في المجدِ يا خالدٌ مُقَرْطَسة لا ولا خصلَهْ[2]
وأَسرعْتَ في هدمِ ما قد بَنى أَبوك وأَشياخُه قبلَهْ
وكانت من النَّبْعِ عيدانُهم نُضاراً وعودُك من أَثْلَهْ
فيا عجباً نَبْعةٌ أَنبَتَتْ خِلافاً وريحانةٌ بقَلَهْ[3]
ثيابُك لِلْعبدِ مطويّة وعِرضكَ للشتمِ والبِذلَهْ
أجعْتَ بَنيك وأَعرَيْتَهم ولم تُوتَ في ذاك مِن قِلَّهْ
إذا ما دُعينا لِقبضِ العطاءِ وهيأْت كيسَك للغلَّهْ
وجُلَّةُ تَمْرٍ تُغادى بها فتأْتي على آخرِ الجلَّهْ[4]
وتُقصي بَنيك وهمُ بالعرا ءِ نُزْلُهمُ الملحُ والمَلَّهْ[5]
ولو كان خُبز وتَمر لَديك لَما طمِعوا منك في فَضلَهْ
وتُصبح تَقْلِس عن تُخمة كأَنَّ جُشَاءكَ عن فُجْلَهْ[6]
إذا الحيّ راعَهمُ رائع فأَوهَنُ من غادة طَفلَهْ

---

1 القراقير : نوع من السفن ، واحدها قُرقور .
2 المقرطسة : الرمية الصائبة .
3 الخلاف : شجر كالصفصاف .
4 الجلة : القفة الكبيرة .
5 أي طعامهم خبز الملة والملح . والملة : الرماد الحار .
6 القلس : خروج الطعام أو الشراب إلى الفم سواء ألقي أو أعيد إلى المعدة .

وليــثٌ يصــول على قِرْنــه إذا مــا دُعيــتَ إلى أُكلَهْ
فللــهِ دَرّكَ عنــد الخُــوا نِ مِن فــارسٍ صادقِ الحملَهْ
وإن جــاءَك النّاسُ في حاجة تفكّــرْتَ يومــين في العِلّــهْ
وتلقاهُـــــم أبــداً كالِحــاً كأنْ قد عَضَضْتَ على بَصْلَهْ
فهذا نصيبــيَ مــن خالــدٍ لكـــم هَنــة بَتّـــةٌ بتلَهْ[1]
وإنّـــي لِصحبتــهِ مبغــضٌ ولا خيــرَ في صحبــةِ السِّفْلَهْ

[مسلم بن الوليد يستكثر هجاءه لابن عمّه]

حدَّثني أَحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمّار الثقفيُّ قال : حدَّثني أَبو الحسن بن المنجِّم قال : رأيت مسلمَ بنِ الوليد الأنصاريَّ يوماً عند أبي ، ثم خرج من عنده ، فلقيه ابنُ أبي عُيَيْنة ، فسلَّم عليه وتحفّى به ، ثم قال له : ما خبرُك مع خالد ؟ قال : الخبر الذي تعرفه ، ثم أنشده قوله فيه[2] : [من مجزوء الكامل]

يا حفصُ عاطِ أَخاك عاطِهْ كأساً تُهيّــج مــن نشاطِهْ

قال : ومسلمٌ يتبسم من هجائه إيّاه حتى مرَّ فيها كلّها ، ثم ختمها بقوله :

وإذا تطاولــتِ الــرؤو سُ فغطٌ رَأسكَ ثم طاطِهْ

فقال مسلم : مَه ، إنّا لله ! هتكته والله وأُخزيته ، وإنّما كنتُ أظنّ أنّك تمزح وتهزِل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجِدّ القبيح ، وأفرطتَ فيما خرجتَ به إليه ، ثم مضى وهو يقول : فضحتَه والله ، هتكتَه والله !

[ودعبل يستكثره]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ يزيدَ قال : حدَّثني أَبي قال : لَقي دِعبلُ أَبا عُيَينةَ فقال له : أنشدني قولك في ابن عمِّك فأنشده : [من مجزوء الكامل]

يا حفصُ عاط أَخاكَ عاطِهْ كأساً تُهيّج مــن نشاطِهْ
صِرْفــاً يعــودُ لِوقعِهــا كالظّبي أُطلـق من رِباطِهْ
صَبّاً طــوَتْ عنــه الهمو مُ نَعيمــه بعــد انبساطِهْ

---

1 لكم هنة في بيروت : لكم هبة . وبتله : مقتطعة .

2 في معجم المرزباني : 110 البيت الأول من القصيدة الطائية وفي طبقات ابن المعتزّ : 289 الأبيات الثلاثة الأولى والخامس .

فبكـــي وحـــقّ لـــه البكا لشقائـــه بعـــد اغتباطِهْ
جَـــزِع المخنَّـــثُ خالـــد لَمّـــا وقعـــتُ على قِماطِهْ
فانظـــــرْ إلى نزواتـــــه مـــن مَنطقي وإلى اختلاطِهْ
دَعنـــــي وإيّـــا خالـــدٍ فلأقطعـــنّ عُـرى نِياطِهْ[1]
إنّـــي وجـــدْتُ كلامَـــه فيـــه مَشابهُ مـــن ضُراطِهْ
رجُـــلٌ يَعـــدّ لك الوعيـــ ـــد إذا وطئتَ عَلى بساطِهْ
وإذا انتظـــرتَ غـــداءه فخَـــفِ البوادر من سياطِهْ
يا خـــالِ صَدّ المجدُ عنـ ـك فلن تجوزَ عَلى صراطِهْ
وعَرِيتَ مـــن حُلل الندى عُرْيَ اليتيم ومِن رياطِهْ[2]
فـــإذا تطاولَـــتْ الـــرؤ وس فغَطّ رأسَكَ ثم طاطِهْ

فقال له دِعبلٌ : أغرقت والله في النَّزْع وأسرفت ، وهتكتَ ابنَ عمّك وقتلتَه وغضضت منه ، وإنّما استنشدْتك وأنا أظنّ أنّك قلتَ كما يقول النّاسُ قولاً متوسطاً ، ولو علمتُ أنّك بَلَغْتَ به هذا كلّه لما استنشدْتك .

أُخبرني بهذا الخبر الحسنُ بنُ عليٍّ وعمّي قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسين بنُ السريّ قال : لقي دِعبل أبا عُيَيْنَةَ فقال له : أنشدني بعضَ ما قلتَ في ابن عمّك ، ثم ذكر الخبرَ مثل ما ذكره أحمدُ بن يزيدَ ، وقال فيه : إنّما ظننتُ أنّك قلتَ فيه قولاً أبقيتَ معه عليه بعضَ الإبقاء ، ولو علمْتُ أنّك بَلَغْتَ به هذا كلَّه وأغرقتَ هذا الإغراقَ ما استنشدتك ، وجعل يعيد «فغطّ رأسَك ثم طاطه» ، ويقول : قتله والله !

[مزيد من هجائه في خالد]

أُخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال : ومن مختار ما قاله في خالد قوله : [من البسيط]

قُـل لِدُنيـا بـــالله لا تقطعينـا واذكرينا في بعضِ مـــا تذكرينا
لا تَخوني بالغيبِ عهـــدَ صديـقٍ لم تخافيـــهِ ساعـــةً أَن يخونا
واذكري عيشنا وإذ تنفض الرِّيـ ـحُ علينـــا الخِيريّ والياسَمينا[3]

1 النياط : عرق يشد القلب فإذا قطع مات صاحبه .
2 الرياط : جمع ريطة ، وهي ثوب يشبه الملحفة .
3 الخيري : نبات أصفر الزهر ذو رائحة ذكية .

إذ جعلْنـا الشاهِسْفَـرام فِـراشاً مِن أُذى الأَرض والظلالَ غصونا[1]
حفظ اللهُ إخوتـي حيث كانـوا مـن بِـلادٍ ساريـن أم مُدْلجينا
فتيـةٌ نازحـون عـن كلِّ عَيب وهـمُ في المكـارم الأوّلونا
وهـم الأكثرون يَعلمُ ذاك النّـ ـاسُ والأطيبـون لـلأَطيبينا
أزعجَتْني الأَقدار عنهم وقد كنـ ـتُ بقُربي منهم شحيحاً ضنينا
وتَبدلْـتُ خالـداً لعنـةُ اللـ ـهِ عليـه ولعنـةُ اللاعنينا
رجـلُ يقهـرُ اليتيـمَ ولا يؤ تـي زكـاةً ويَنهـرُ المسكينا
ويصونُ الثيابَ والعِرضُ بـالٍ ويرائـي ويمنـعُ المـاعونا
نـزع اللهُ منـه صالح مـا أعـ ـطاه آمـين عاجـلاً آمينا
فلَعَمـر المبادِريـن إلى مكـ ـةَ وفـداً غاديـن أو رائحينا
إنّ أَضيـافَ خالـدٍ وبنيـه لَيجوعـون فوق مـا يشبعونا[2]
وتراهمْ مـن غير نُسْكٍ يصومو نَ ومـن غيرِ عِلّـةٍ يحتمونا
يـا بنـي خالدٍ دعُوه وفرُّوا كَم على الجوعِ ويْحَكم تصبرونا

قال محمد بن يزيد : ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

ألا خبِّـروا إن كان عندكُم خَبَرْ أَنقفلُ أَم نَثوِي على الهمّ والضَّجَرْ ؟
نفى النومَ عن عيني تعرُّض رحلة بها الهمُّ واستولى بها بعده السهرْ
فإن أَشكُ من ليلي بجُرْجان طولَه لقد كنتُ أَشكو فيه بالبصرة القِصرْ
فيـا حبَّـذا بطـنُ الخَرير وظَهرُه ويا حسنَ واديه إذا ماؤه زَخرْ[3]
ويـا حبّـذا نهـرُ الأُبلَّةِ مَنظراً إذا مَـدَّ في إبّانه النهرُ أو جَزَرْ
وفتيانُ صدق همُّهـم طلبُ العلا وسيماهمُ التحجيل في المجدِ والغَرَرْ
لعمري لقد فارقتُهـم غيرَ طائعٍ ولا طيِّبٍ نفساً بـذاك ولا مُقِرْ
وقائلـةٍ ماذا نـأى بـك عنهمُ فقلتُ لهـا لا عِلمَ لي فَسَلي القدرْ
فيـا سفَراً أُودى بِلَهوي ولذّتي ونغّصني عيشي عَدِمتك مِن سفرْ

1 الشاهسفرام : الريحان .
2 هذا البيت والذي يليه في الشعر والشعراء : 753 .
3 الخرير : المكان المطمئن بين ربوتين .

دعــوني وإيّا خالدٍ بعــد ساعة سيَحمله شِعري على الأبلق الأغرّ
كأنّي بِصدقِ القــولِ لّمـا لقيتُه وأعلمته مـا فيــه أُلقمتُه الحجرْ
دنيء بـــه عــن كلِّ خير بَلادةٌ لِكلٍّ قبيحٍ عن ذراعيه قـد حَسَرْ
لــه منظرٌ يُعمــي العيونَ سماجة وإن يُختَبر يوماً فيا سوء مُختَبَرْ[1]
أَبــوكَ لنـــا غيثٌ يعاشُ بوَبْلِـه وأنتَ جَرادٌ ليس يُبقي ولا يذرْ
لـــه أثــرٌ في المكرماتِ يسرّنا وأنتَ تُعفّــي دائمــاً ذلك الأثرْ
لقد قُنِّعَتْ قَحطانُ خزياً بخالد فهل لكِ فيه يُخزك الله يا مضرْ

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال: حدّثني الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي قال: أُنشد الرشيد قولَ ابن أبي عُيينة: [من الطويل]

لقد قُنِّعتْ قحطانُ خزيـاً بِخالد فهل لم فيــه يُخْزكَ اللهُ يا مضرْ

فقال الرشيد: بل يُوَقَّرون ويُشكرون.

أخبرني محمدُ بن يحيى الصوليُّ قال: قال لنا أبو العبّاس محمدُ بن يزيد: لم يجتمع لأحد المحدَثين في بيت واحد هجاءُ رجل ومديحُ أبيه كما اجتمع لابن أبي عُيينة في قوله: [من الطويل]

أَبــوك لنـــا غيثٌ نعيشُ بِوَبْلِه وأنتَ جرادٌ ليس يُبقي ولا يذرْ

وقال محمد بن يزيد: ومن جيّد قوله أيضاً يهجو خالداً هذا: [من الطويل]

على إخوتــي منِّــي السلامُ تحيّةً تحيّــةَ مُثــنٍ بالأخــوة حامِـدِ
وقُل لهــمُ بعــد التحيّـــةِ أنتمُ بنفسي وما لي من طَريف وتالدِ
وعَــزَّ عليهـــمْ أن أُقيـــمَ بِبَلدة أخا سَقَمٍ فيهـــا قليـــلَ العوائدِ
لئن ساءَهم ما كان مِن فِعل خالد لقد سرَّهم ما قــد فعلْتُ بخالِدِ
وقد علموا أن ليس منّي بِمُفلت ولا يومُـه المسكينِ منِّــي بواحدِ
أخالــدُ لا زالــت مــن اللهِ لعنةٌ عليكَ وإن كنتَ ابن عمّي وقائدي
أخالــدُ كانت صحبَتِيك ضلالةً عَصيتُ بها ربِّي وخالفْتُ والدي
وأرسل يَبغي الصلحَ لما تكنَّفت عوارضَ جنبَيــه سيــاطُ القصائدِ
فأرسلتُ بعــد الشرِّ أنّي مسالمٌ إلى غيرِ مـــا لا تشتهي غيرُ عـائدِ

---

1 وهذا البيت والبيتان بعده في الشعر والشعراء: 753. وأضاف رابعاً لم يرد هنا:
تسيء وتمضي في الإساءة دائباً فلا أنت تستحيي ولا أنت تعتذر

[أهجى شعراء عصره]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : زعم القَحْذَميّ أنّ الرشيد قال للفضل بن الرَّبيع : مَن أهجى المحدَثين عندك يا فضلُ في عصرنا هذا ؟ قال : الذي يقول في ابن عمّه[1] : [من مجزوء الرمل]

لــو كما يَنقصُ يزدا ... دُ إذاً نـال السماءَ
خالـدٌ لولا أبـوه ... كان والكلبَ سواءَ
أنا مـا عشتُ عليه ... أسوأُ النّـاس ثناءَ
إنّ مَنْ كان مسيئاً ... لحقيــقٌ أن يُساءَ

فقال الرشيد : هذا ابن أبي عُيَينة ، ولعمري لقد صدقتَ .

[الهادي يرده من جيش خالد]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قـال : كان ابنُ أبي عُيينة مع ابنِ عمِّه خالد بجُرْجانَ ، فأساء به وجفاه . وكان لابن أبي عُيينة صديقان من جُندِ خالدٍ من أهل البصرة ، أحدهما مُهلَّبيّ والآخرُ مَولى للأَزْد ، وكلّهم شاعر ظريف ، فكانوا يمدحون السَّراة من أهلِ جُرْجان فيصيبون منهم ما يقُوتهم . ووليَ موسى الهادي الخِلافةَ فكتب ابنُ أبي عُيَينة إلى مَن كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة : [من الخفيف]

كيف صَبري ومنزلي جُرْجانُ ... والعـراقُ البـلادُ والأوطانُ ؟
نحــنُ فيهـا ثلاثــةٌ حُلَفـاءُ ... ونَدامـى على الهـوى إخوانُ
نتساقى الهوى ونَطربُ لِلذّكـ ... ــرِ كما تُطرِبُ النشاوى القِيانُ
وإذا مـا بكـى الحمامُ بكَينا ... لِبُكـاه كأنّنـا صبيـانُ
يا زماني الماضي ببغدادَ عُدْ لي ... طالمـا قـد سَررْتَني يـا زمانُ
يا زماني المسيءَ أحسنْ فقِدْماً ... كان عندي مِن فعلك الإحسانُ
ما يريـدُ العُذّالُ منّي أمَا يُتـ ... ـرَك أيضاً بِغَمـه الإنسانُ
ويقولون أملكْ هواك وأقصِر ... قلتُ ما لي على الهوى سلطانُ[2]
أيُّها الكاتِمُ الحديثَ وقد طا ... لَ بـه الأمرُ وانتهى الكتمانُ

1 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء : 754 مع عكس الترتيب ، وفي طبقات ابن المعتزّ : 289 سبعة أبيات آخرها البيتان الأولان وليس منها الثالث والرابع .
2 أملك في ل : أمسك .

قد لعَمري عرّضْتَ حيناً فبَيّنْ ليس بعـد التعريض إلاّ البيانُ
واتّخِــذ خالــداً عدوّاً مبيناً ما تَعادى الإنسانُ والشيطانُ
والْهُ عنـه فما يضـرّك منـه عَضُّ كلبٍ ليست له أسنانُ
ولعَمْري لــولا أبــوه لنالَتـ ـه بسوءٍ منّــي يــدٌ ولسانُ
قــل لفِتياننــا المقيمين بـالبا بِ ثِقــوا بالنجاح يـا فتيانُ
لا تخافوا الزمانَ قد قام موسى فلَكُمْ من ردَى الزّمـانِ أمانُ
أوَلَــم تأتــه الخلافـةُ طوعاً طاعــةً ليس بعدهـا عصيانُ
فهْــي منقادة لموسى وفيهـا عــن سواه تَقاعسٌ وحِرانُ
قُل لموسى يا مالكَ المُلك طوعاً بقِيــاد وفي يديــك العِنانُ
أنــت بحَر لنــا ورأيــك فينا خيرُ رأيٍ رأى لنـــا سلطانُ[1]
فاكفِنا خالداً فقد سامنا الخسـ ـفَ رمــاه لحتفــه الرحمنُ
كَمْ إلى كَمْ يُغضى على الذلّ منه وإلى كَمْ يكــون هـذا الهوانُ

قال : فلمّا قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة ، وأعطاه ما فات من رزقه ، وأقفله من جيش خالد إليه .

صوت

[من السريع]

أين مَحَــلُّ الحــيِّ يا وادي خبِّر سقــاك الرائـحُ الغادي
مُستصحِب لِلحــربِ خَيفانةً مثلَ عُقاب السَّرحة العادي[2]
بين خُــدور الظُّعْن محجوبـةٌ حَــدا بِقلبــي معها الحادي
وأسْمَـــراً في رأسه أزرق مِثــلُ لِسان الحيّــة الصادي[3]

الشعر لدِعبلِ بن عليّ الخُزاعيِّ ، والغناء لأحمدَ بن يحيى المكّي ، خفيف ثقيل مطلَق في مجرى الوُسطى عن أبي عبد الله الهِشامي .

1 سلطان في ل : إنسان .
2 خيفانة : فرس أو ناقة خفيفة الحركة . والسرحة : الدوحة .
3 الأزرق : النصل الشديد الصفاء . ونصب أسمراً على العطف على خيفانة .

[416] ـ أخبارُ دِعبل بن عليّ ونسبه[1]

[هجّاء خبيث اللسان]

هو دِعْبلُ بنُ عليٍّ بنِ رَزِين بنِ سليمان بنِ تميم بن نَهشلِ بنِ خِداشِ بن خالد بنِ عبدِ بنِ دِعْبلِ بنِ أَنَسِ بنِ خزيمةَ بنِ سلامانَ بنِ أسلَم بنِ أفصى بنِ حارثةَ بنِ عمرٍو عامرِ بن مُزَيْقيا ، ويكنى أبا علي .

شاعرٌ متقدِّم مطبوع هجاءٌ خبيثُ اللسان ، لم يَسلم منه أُحدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهةٍ ، أحسنَ إليه أو لم يحسن ، ولا أُفلَت منه كبيرُ أُحد . وكان شديد التعصّب على النِّزاريّة لِلقحطانيّة ، وقال قصيدة يردّ فيها على الكُميتِ بن زيد ، ويناقضه في قصيدته المُذهَبة التي هجا بها قبائل اليمن .

ألا حُيِّيتِ عنّا يا مرينا

فرأى النبيّ ﷺ في النوم ، فنهاه عن ذكر الكُميت بسوء .

وناقَضه أبو سعد المخزوميُّ في قصيدته وهاجاه ، وتطاول الشرّ بينهما ، فخافتْ بنو مخزوم لسانَ دِعبل وأن يعمَّهم بالهجاء ، فنَفَوا أبا سعد عن نسبهم ، وأشهَدوا بذلك على أنفسهم .

[خلع عليه علي بن موسى الرّضا من ثيابه]

وكان دِعبلٌ من الشيعة المشهورين بالميل إلى عليّ ، صلواتُ اللهِ عليه ، وقصيدته : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهلِ البيت ، عليهم السلام ، وقَصد بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا ، عليه السلام ، بخُراسان ، فأعطاه عشْرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه ، وخلع عليه خِلعة من ثيابه ، فأعطاه بها أهلُ قُمٍّ ثلاثين ألفَ دِرهم ،

1 ترجمة دعبل الخزاعيّ في الشعر والشعراء : 727–730 ووفيات الأعيان 2 : 226–230 ومعاهد التنصيص 2 : 190 وتاريخ بغداد 8 : 382 والفهرست : 229 والموشح : 299 وطبقات ابن المعتز : 264–269 ومعجم الأدباء (عباس) : 1284–1287 وتهذيب ابن عساكر 5 : 227 وشذرات الذهب 2 : 11 والرجال للكشي : 313 وسير الذهبي 11 : 519 والوافي 14 : 12 ولسان الميزان 2 : 430 وروضات الجنات 3 : 306 وانظر بروكلمان 2 : 39–41 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد طبع ديوانه عدّة مرات ، ونحن نعتمد طبعة بيروت بتحقيق د . محمد يوسف نجم .

فلم يَبِعْها ، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : إنّها إنّما تراد لله عزّ وجلّ ، وهي محرَّمة عليكم ، فدَفعوا إليه ثلاثين ألف دِرهم ، فحلفَ ألاّ يبيعها أو يعطوه بعضَها ليكون في كفَنه ، فأعطوه فَرْد كُمّ ، فكان في أكفانه .

وكتب قصيدتَه : «مدارسُ آياتٍ» فِيما يقال على ثوب ، وأحرَم فيه ، وأمر بأن يكون في أكفانه . ولم يزَل مرهوبَ اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء ، فهو دهرَه كلَّه هاربٌ مُتوارٍ .

[يحمل خشبته فلا يجد مَن يصلبه عليها]

حدَّثني إبراهيم بن أيّوبَ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتَيبة قال : رأيت دِعبلَ بنَ عليّ وسمعتُه يقول : أنا أحمل خشبَتي على كتفي منذ خمسين سنة ، لست أجد أحداً يصلبني عليها .

[هجاء إبراهيم بن المهديّ وأبي عباد]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثنا ميمونُ بن هارونَ قال : قال إبراهيمُ بن المهديّ للمأمون قولاً في دِعبل يحرّضه عليه ، فضحك المأمون ، وقال : إنّما تحرِّضني عليه لقوله فيك[1] : [من السريع]

يــا معشرَ الأجنادِ لا تَقنطوا وارضَوْا بما كان ولا تسخطوا
فسوفَ تعطَــونَ حُنَيْنِيّــة يلتذهــا الأمــرَد والأشمطُ[2]
والمَعْبَدِيّـــات لِقُـــوّادِكم لا تَدخلُ الكِيس ولا تُربطُ[3]
وهكــذا يَــرزق قُــوّادَه خليفــةٌ مصحفُــه البَرْبَطُ[4]

فقال له إبراهيم : فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : دَعْ هذا عنك فقد عفَوتُ عنه في هجائه إيّاي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عبّاد ، فلمّا رآه المأمون من بُعْد قال لإبراهيم : دِعبلٌ يَجسُر على أبي عبّادٍ بالهجاء ويُحجم عن أحد ؟ فقال له : وكأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين ؟ قال لا ، ولكنّه حَديد جاهل لا يؤمَنُ ، وأنا أحلُم وأصفَح . واللهِ ما رأيتُ أبا عبّاد مقبلاً إلاّ أضحكني قول دعبل فيه[5] : [من الكامل]

أوْلى الأمــور بضَيعةٍ وفسادِ أمــرٌ يدبِّــره أبــو عبّـــادِ
وكأنّه مــن دَيرِ هِزْقَل مُفلِت حَرِدٌ يجــرُّ سلاسلَ الأقيادِ[6]

---

1 ديوان دعبل : 97 .
2 حنينية : من أغاني حنين .
3 المعبديات : أغاني معبد .
4 البربط : العود .
5 ديوان دعبل : 71 .
6 دير هزقل : دير بقرية شرقي واسط . وحرد : غضبان .

[أبيات لأبيه]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال : حدَّثني محمد بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : أَخبَرني دِعبلُ بن عليٍّ قال : قال لي أبي عليُّ بنُ رَزِين : ما قلت شيئاً من الشعر قَطّ إلاّ هذه الأَبيات : [من الطويل]

خليلَيّ ماذا أَرتجي مِن غد امرىء طوى الكشحَ عنّي اليومَ وَهْو مكينُ
وإنّ امرءاً قـد ضَنّ منـه بمَنطقٍ يُسَدّ بـه فقـرُ امـرىء لضنينُ

وبيتين آخرين وهما : [من البسيط]

أَقـولُ لمّـا رأَيتُ الموتَ يطلبني يـا ليتني دِرهمٌ في كِيسِ ميّاحِ
فيـا لـه درهماً طالت صيانتهُ لا هالكٌ ضَيعةً يومـاً ولا ضاحِ

[اشتقاق دعبل ومعناه]

أَخبرني عليُّ بنُ صالحِ بن الهيثم الكاتبُ قال : حدَّثني أَبو هَفّان قال : قال لي دِعبلٌ قال لي أَبو زيد الأنصاريّ : مِمَّ اشتق دِعبل ؟ قلت : لا أدري ، قال : الدِّعبل ، النّاقة التي معها ولدُها .

أَخبرني محمدُ بنُ عِمران الصّيرفيُّ قال : حدَّثني العَنَزي قال : حدَّثني محمدُ بنُ أَيّوبَ قال : دِعبلٌ اسمه محمد ، وكنيته أبو جعفر ، ودعبل : لَقب لُقّب به .

وحدَّثني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشَّيبانيّ قال : الدِّعبل ، البعير المُسِنّ .

[بمن ختم الشعر ؟]

أَخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : سمعتُ حُذَيفة بنَ محمد الطائيِّ يقول : الدِّعبل : الشيء القديم . قال ابن مَهْرُوَيْه : سمعت أَبي يقول : خُتِمَ الشعر بدِعبل ، قال : وقال أبي : كان أبو محلِّم يقول : خُتِم الشعر بعُمارة بنِ عقيل .

[نقيضة تحدث رد فعل]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حَدَّثَنا ابن مَهْرُوَيْه قال : سمعْتُ أَبي يقول : لم يَزَل دِعبِل عند النّاس جليل القدر حتى رَدَّ على الكُمَيت بنِ زيد :

أَلا حُيِّيت عنّـا يـا مرينا

فكان ذلك مِمّا وضعه . قال : وقال فيه أَبو سعد المخزوميّ : [من الوافر]

وأَعجبُ مـا سمعنـا أَو رأَينـا هجـاءٌ قالَـه حـيّ لَميْتِ
وهـذا دِعبـل كَلِفٌ مُعَنّى بتسطير الأَهاجي في الكُمَيتِ
وما يهجو الكُميت وقد طواه الر دى إلاّ ابـن زانيـة بزيتِ

[ظنّ لقبه شتماً]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بن زَيد قال : حدَّثني دِعبل قال : كنتُ جالساً مع بعض أصحابنا ذاتَ يوم ، فلمّا قمتُ سأل رجل لَمْ يَعرفني أصحابَنا عنّي ، فقالوا : هذا دِعبل ، فقال : قولوا في جليسِكم خيراً ، كأنّه ظنَّ اللقب شتماً .

[إفاقة مصروع باسمه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ قال : حدَّثني محمدُ بن يزيدَ قال : حدَّثني دِعبل قال : صُرِع مجنون مرّة فصِحت في أذنه : دِعبلٌ ، ثلاث مرّات ، فأفاق .

وأخبرني بهذين الخبرين الحسنُ بنُ عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن محمد بنِ يزيدَ عن دِعبل ، وزاد فيه : قال دِعبل : وصُرِع مرّة مجنون بحضرتي فصِحْت به : دِعبل ، ثلاث مرّات فأفاق من جنونه .

[صحبته الشطار]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصّيرفيُّ أبو أحمدُ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال : حدَّثني عليُّ بن عمرو بن شيبان قال : حدَّثني أبو خالد الخُزاعيُّ الأسلَميُّ ، قال العَنزِيّ : وقد كتبْتُ عن أبي خالد أشياء كثيرة ولم أكتب عنه هذا الخبر ، قال : كان سبب خروج دِعبل بن عليّ من الكوفة أنّه كان يَتَشطَّر ويصحب الشُّطار ، فخرج هو ورجل من أشجعَ فيما بين العِشاء والعتَمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كلّ ليلة بكيسه إلى منزله ؛ فلما طلع مقبلاً إليهما وثَبا إليه فجَرحاه ، وأخذا ما في كُمِّه ، فإذا هي ثلاث رُمّانات في خِرقة ، ولم يكن كيسُه ليلتئذٍ معه . ومات الرجلُ مكانَه واستتر دِعبلُ وصاحبُه ، وجَدَّ أولياء الرجل في طلبهما ، وجَدّ السلطان في ذلك ، فطال على دِعبل الاستتار ، فاضطُرّ إلى أن هرب من الكوفة . قال أبو خالد : فما دخلها حتى كتبْتُ إليه أُعلمه[1] أنّه لم يبقَ من أولياء الرجل أحد .

[يهجو الناس ليخافوه]

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ قال : حدَّثني أبو خالدُ الخُزاعيُّ الأسْلميُّ قال : قلت لدِعبل : ويحَك ! قد هجَوْت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترتَ النّاس جميعاً ، فأنتَ دهرَكَ كلَّه شَريدٌ طريدٌ هاربٌ خائفٌ ، فلو كففْتَ عن هذا وصرفْتَ هذا الشرَّ عن نفسك ! فقال : ويحك ؟ إنّي تأمّلْتُ ما تقول ، فوجدْتُ أكثرَ النّاس لا يُنتَفعُ بهم إلاّ على الرهبة ، ولا يُبالى بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخَف شرُّه ، ولَمَنْ يتَّقيك على عرضه أكثرُ مِمَّن يرغب إليك في تشريفه ، وعيوبُ النّاس أكثر من محاسنهم ، وليس كلّ مَن شَرَّفته بشعر شرُف ، ولا كلُّ مَن وصفتَه

1 ل : وكتب إليه أهله .

بالجُودِ والمجدِ والشجاعةِ ولم يكن ذلك فيه انتفَع بقولك ، فإذا رآك قد أُوجعْتَ عرضَ غيره وفضحتَه ، اتقاك على نفسه وخاف من مثلِ ما جرى على الآخر ؛ ويحك ، يا أبا خالد إنّ الهجاء المقذع آخذٌ بِضَبع الشاعر من المديحِ المضْرِع . فضحكْتُ من قوله ، وقلت : هذا والله مقالُ مَن لا يموت حَتْفَ أنفِه .

أُخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحمدويّ الشاعر قال[1] : سمعْت دِعبل بنَ عليّ يقول : أنا ابن قولي : [من الكامل]

لا تَعجبي يـا سلمَ مِن رجلٍ ضحكَ المَشيبُ برأسِهِ فبكى

وسمعتُ أَبا تمّام يقول : أنا ابن قولي : [من الكامل]

نَقّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى مـا الحـبُّ إلاّ للحبيبِ الأوَّلِ

قال الحمْدَويّ : وأَنا ابن قولي في الطَّيْلَسانِ : [من الخفيف]

طـال تَردادُه إلى الرَّفْو حتى لـو بعثنـاه وحـدَهُ لتهدّى

قال الحمْدَويّ : معنى قولِنا : أنا ابنُ قولي ، أي أنّي به عُرِفتُ .

[يسرقُ بيتاً ويتفوّق فيه على صاحبه]

أُخبرني عليُّ بنُ صالحٍ قال : حدَّثني أَبو هفَّان قال : قال مسلم بن الوليد[2] : [من السريع]

مستعبِرٌ يبكـي على دِمنـة ورأسه يضحك فيه المَشيبْ

فسرَقه دِعبل ، فقال : [من الكامل]

لا تعجبي يـا سلمَ مـن رَجلٍ ضحكَ المَشيبُ برأسِهِ فبكى

فجاء به أجود من قولِ مسلم ، فصار أَحقَّ به منه .

قال أَبو هَفَّان : فأنشدت يوماً بعض البصريين الحَمقى قول دِعبل .

ضحك المَشيب برأسِهِ فبكى

فجاءني بعد أيّام ، فقال : قد قلتُ أَحسن من البيت الذي قاله دِعبل ، فقلت له : وأَيَّ شيء قلت ؟ فتمنّع ساعة ، ثم قال : قلت :

قهقَــه في رأسِك القَتيــر[3]

أُخبرني بهذه الحكاية الحسنُ بنُ عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أَبي هفَّان ، قال : ذكر نحوه ،

1 انظر هذا الخبر برواية مغايرة في ترجمة محمد بن وهيب في الجزء 19 : 57 .

2 ديوان مسلم : 306 .

3 القتير : الشيب .

وزاد فيه ابن مَهْرُوَيْه وحدَّثني الحَمْدَوِيّ قال : سمع رجل قول المأمون : [من المجتثّ]

قَبّلتُــــه مــن بَعيـــدٍ فاعتلَّ مـــن شفتيــهِ

فقال : [من الخفيف]

رَقَّ حتى تورَّمَتْ شفتاه إذ توهَّمْتُ أن أقبِّلَ فاه

[جارية تغنّي بشعر قاله قبل سبعين سنة]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو ناجية ، وزعم أنّه من وَلد زُهَير بن أبي سُلمى ، قال : كنتُ مع دِعبل في شَهْرَزُورَ[1] ، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قَيْنة محسنة فغنّت الجارية بشعر دِعبل : [من الكامل]

أيــنَ الشبابُ وأَيّــةً سَلكـا ؟ لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلَّ ، بل هَلَكا

قال : فارتاح دِعبل لهذا الشعر وقال : قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة .

نسبة هذا الصوت

صوت[2]

[من الكامل]

أيــن الشبابُ وأيّـــةً سَلكا لا ، أين يُطلبُ ضلَّ ، بل هَلَكا
لا تعجَبي يــا سَلْمَ من رجلٍ ضحِكَ المشيبُ برأسِه فبكى
يا ليتَ شِعْري كيف نَوْمُكما يــا صاحبيّ إذا دَمــي سُفِكا
لا تأخـــذوا بِظُلامتي أحداً قلبي وطرْفي في دَمي اشتركا

قال : والغِناء لأحمدَ بن المكّيِّ ، ثقيل أوّلُ بالوُسطى مطلقَ .

أُخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو المثنّى أحمدُ بنُ يعقوبَ بنِ أختِ أبي بكرٍ الأصمِّ قال : كنّا في مجلس الأصمعيّ ، فأنشده رجل لدِعبل قوله : [من الكامل]

لا تَعجَبي يــا سَلم من رجلٍ ضحِك المشيبُ برأسه فبكى

فاستحسناه ، فقال الأصمعيّ : إنّما سرقه من قول الحُسَين بنِ مُطَير الأسَديّ[3] : [من الخفيف]

أيــن أهـــلُ القِبابِ بالدَّهناءِ ؟ أيــن جيراننـــا عــلى الأحساءِ

1 شهرزور : كورة في بلاد فارس أحدثها زور بن الضحاك . ومعنى شهر بالفارسية : مدينة .
2 ديوان دعبل : ١١٣-١١٨ .
3 شعر الحسين بن مطير (غياض) : 31 .

فارقونـا والأرضُ مُلْبَسةٌ نَـوْ رَ الأقاحـي تُجـادُ بالأنـواء
كلَّ يـوم بأقحُـوان جديـدٍ تَضحك الأرضُ من بُكاء السماء

[يهجو جماعة أكلوا ديكاً له وقع لهم]

أخبرني أحمدُ بن العبّاسِ العسكريُّ قـال : حدَّثني الحسنُ بن عُلَيل العَنزيّ قال : حدَّثني أحمدُ بنُ خالدٍ قال : كنّا يوماً بِدار صالح رجل من عبد القيس ببغدادَ ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كُنينة[1] في سطحه ديك طار من دار دِعبل ، فلمّا رأيناه قلنا هذا صَيدُنا ، فأخذناه . فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه ، وشويناه . وخرج دِعبل فسأل عن الديك فعَرف أنّه سقط في دار صالح ، فطلبه منّا ، فجحَدناه ، وشربنا يومنا ، فلمّا كان من الغدِ خرج دِعبل فصلّى الغداة ، ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجدُ مجمعَ النّاس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، وينتابهم النّاس ، فجلس دِعبل على المسجد وقال[2] : [من الكامل]

أَسرَ المـؤذّنَ صالحٌ وضيوفُه أَسْرَ الكميّ هفا خلال الماقِطِ[3]
بَعثـوا عليـه بَنيَّهـمُ وبناتِهم من بـين ناتفـةٍ وآخرَ سامطِ
يتنازعـون كأنّهم قـد أوثقوا خاقان أو هزموا كتائبَ ناعطِ[4]
نهشوه فانتُزعَت لـه أسنانهم وتهشَّمَت أقفاؤهـم بالحائطِ

قال : فكتبها النّاس عنه ومضوا . فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت : ويحكم ، ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دِعبل ؟ ثم أنْشدنا الشعر ، وقال لي : لا تدَع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلاّ اشتريته ، وبعثْتَ به إلى دِعبل ، وإلاّ وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك . قال وناعطُ قبيلة من هَمْدان ومُجالد بنُ سعيد ناعطيٌّ قال : وأصله جَبَل نزلوا به ، فنُسِبوا إليه .

[ينظم الهجاء قبل أن يعرف من ينطبق عليه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال : كان دِعبل يُنشدني كثيراً هجاء قاله : فأقول له : فيمن هذا ؟ فيقول ما استَحقّه أحدٌ بعَينه بعد ، وليس له صاحب ، فإذا وَجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه ، وذكر اسمه في الشعر .

وقد أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ عن ابنِ مَهْرُوَيْه عن أحمدَ بنِ أبي كامل بهذا الخبر بعَينه ، وزاد

1 كنينة : تصغير كُنّة ، وهي المظلة ، وفي طبعة بيروت : كنية .
2 ديوان دعبل : 99 .
3 الماقط : المضيق في الحرب .
4 الخاقان : ملك الترك . وناعط : قبيلة من همدان .

فيه ، فيما ذكر ابن أَبي كامل ، أَنّه كان عند صالح هذا في يوم أَخْذِه ديكَ دِعبل ، قال : وهو صالح بنُ بِشرٍ بن صالحِ بنِ الجارودِ العَبْديُّ .

[أبو نضير الطوسيّ لم يرضه فهجاه]

أَخبرني محمدُ بنُ عِمران قال حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثني أَحمدُ بنُ محمدِ بن أَبي أَيّوبَ قال : مدح دِعبلٌ أبا نَضيرِ بنِ حُمَيدٍ الطُّوسيَّ ، فقصَّر في أمرِه ، ولم يُرضه من نفسه ، فقال عند ذلك دِعبِل فيه يهجوه[1] : [من البسيط]

أَبا نَضِير تَحلْحلْ عــن مجالسِنا ... فإنّ فيك لِمَن جــاراك منتَقَصا
أَنت الحِمار حرونا إن وقعْتَ به ... وإن قصدْتَ إلى معروفه قَمَصا
إنِّي هززْتُــكَ لا آلوك مجتهِداً ... لو كنتَ سيفاً ولكنِّي هززْت عصا

[أبو تمّام يهجوه ويتوعّده]

قال : فشكاه أَبو نَضير إلى أَبي تمّام الطائيِّ ، واستعان به عليه ، فقال أَبو تمّام يجيب دِعبلاً عن قوله ، ويهجوه ويتوعّده[2] : [من الوافر]

أَدِعبِــلُ إن تطاولَت الليــالي ... عليك فإن شِعري سمّ ساعَهْ
وما وَفْــد المشيب عليك إلاّ ... بأَخــلاق الدنــاءَة والضّراعَهْ
ووجهُك إن رضيتَ به نَديماً ... فأَنتَ نَسيجُ وحدِكَ في الرّقاعَهْ
ولــو بُدّلتَــه وجهــاً بوَجه ... لـا صلَّيتَ يومــاً في جماعَهْ
ولكن قــد رُزقْت به سِلاحاً ... لو استَعصيتَ ما أُعطيتَ طاعَهْ[3]
مَناسِب طيىءٍ قُسمَت فدعها ... فليسَتْ مثلَ نِسبتك المُشاعَهْ
وروِّح مَنْكِبيك فقــد أُعيــدا ... حُطاماً من زِحامك في خُزاعَهْ

قال العنزيّ : يقول إنّك تزاحم خُزاعة ، تدّعي أنّك منهم ولا يقبلونك .

[يردّ على هجاء الخاركي]

أَخبرني محمدُ بنُ عِمران قال حدَّثني العَنَزيّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ أَحمدَ بنِ أَيّوبَ قال : تعرَّضَ الخارَكيّ[4] البصريّ ، وهو رجل من الأزد ، لدعبِل بن عليٍّ فهجاه ، وسبّه ، فقال فيه

1 ديوان دعبل : 95 .
2 ديوان أبي تمام (عزام) 4 : 387 . وفيه «أعتبة . . .» .
3 أعطيت في ل : أدّيت .
4 نسبة إلى جزيرة خارك بالخليج العربي .

دِعبل[1] : [من السريع]

وشاعـــرٍ عـــرَّض لي نفسَه ... لخـــارك آبـــاؤه تَنْمـــي
يَشتُم عرضي عند ذكري وما ... أُمسى ولا أصبحَ مِـــن همِّـــي
فقلـتُ لا بـــل حبّـذا أمُّه ... خيِّـــرة طاهـــرة عِلمـــي
أُكـــذِبُ واللهِ على أُمِّـــه ... ككِذبـــه كان على أُمِّـــي

[أجسر الناس]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني إبراهيم بنُ المدبّر قال : لقيتُ دِعبِلَ بنَ عليٍّ ، فقلت له : أنت أجسر النّاس عندي وأقدمهم حيث تقول[2] : [من الكامل]

إنِّـــي مِـــن القوم الذين سيوفُهم ... قتلَتْ أخـــاك وشرّفتك بمقعدِ[3]
رَفعوا محلّك بعـــد طولِ خُموله ... واستنقذوك من الحَضيضِ الأَوهدِ

فقال : يا أبا إسحاقَ ، أنا أحمِل خشبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجِد مَن يصلِبْني عليها .

[رثاؤه ابن عمّه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بن يزيدَ قال : قال دِعبِل بنُ عليٍّ يَرثي ابنَ عمٍّ له من خُزاعة نُعي إليه ، قال محمدُ بنُ يزيدَ : ولقد أحسن فيها ما شاءَ[4] : [من البسيط]

كانت خُزاعة مِلءَ الأرض ما اتّسعت ... فقَصَّ مَـــرُّ الليـــالي مـــن حواشيها
هذا أبـــو القاسم الثـــاوي ببَلْقعة ... تَسفي الرِّياحُ عليه مـــن سوافيها
هبّت وقد علمَتْ أن لا هُبوب به ... وقـــد تكـــون حَسيراً إذ يباريها[5]
أضحى قِرًى للمنايا إذ نَزَلْنَ به ... وكان في سالـــفِ الأيّامِ يَقريها

حدَّثني الحسن بنُ مَهْرُوَيْه عن أبيه ، فذكر أنّ المَنعيّ إلى دِعبلٍ أبو القاسم المطَّلِبُ بنُ عبدِ الله بنِ مالك ، وأنّه نُعي إلى دِعبل ، وكان هو بالجَبل ، فرثاه بهذه الأبيات .

[يعيّر أمير الأهواز بالهرب]

أخبرني الأخفش قال : حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ ، قال : بلغ إسماعيلَ بنَ جعفرِ بنِ سليمانَ أنّ دِعبلاً هجاه ، فتوعّده بالمكروه وشتمه ، وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز ، فهرب من

1 الأبيات في ديوان دعبل : 194 ، برواية أخرى مختلفة في هجاء أبي تمام .
2 ديوان دعبل : 70 .
3 إشارة إلى طاهر بن الحسين الذي قتل الأمين ، وكان ولاؤه إلى خزاعة .
4 ديوان دعبل : 165 .
5 حسيراً : كليلاً .

زيدِ بنِ موسى بنِ جعفر بنِ محمد لما ظهر وبيّض في أيّام أبي السرايا ، فقال دعبلُ بن عليّ يعيّرُ إسماعيلَ بذلك[1] : [من الطويل]

لقد خلّف الأهوازَ من خلف ظَهره ... يريدُ وراء الزابِ من أرضَ كَسْكَرِ[2]

يهوّلُ إسماعيـلُ بالبِيضِ والقنـا ... وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفرِ

وعاينتـه في يـوم خلّـى حريمَه ... فيا قبحَها منه ويـا حسنَ منظرِ

[حكاية تشطره وهربه مرّة أخرى]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني ابنُ الأعرابيّ عن أبي خالدٍ الأسلميٍّ قال : كان دِعبِل بنُ عليٍّ الخُزاعيٍّ بالكوفة يتشطّر وهو شابّ ، وكانت له شَعرة جَعْدة ، وكان يَدْهنها ويُرجّلها حتى تكاد تَقطر دهناً ، وكان يُصلت[3] على النّاسِ بالليل ، فقَتل رجلاً صَيرفيّاً ، وظنَّ أنَّ كيسَه معه ، فوجد في كُمِّه رمّاناً ، فهرب من الكوفة ، وكنتُ إذا رأيتُ دِعبلاً يَمشي رأيت الشطارة في مِشيته وتبختُره .

[تطيّره من قبيح الوجه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهرُوَيْه قال : حدَّثني الحَسَنُ بنُ أبي السَّريّ قال : كان عُميرٌ الكاتب أقبحَ النّاس وجهاً ، فلقِي دِعبلاً يوماً بكْرةً وقد خرج لحاجة له ، فلمّا رآه دِعبل تَطيَّر من لقائه ، فقال فيه[4] : [من الوافر]

خَرجْتُ مبكراً من سُرَّ مَن را ... أُبـادرُ حاجـةً فـإذا عُمَيرُ

فلَم أَثنِ العِنان وقلتُ أُمضي ... فوجهكَ يـا عميرُ خَراً وخَيرُ

[لم يرض البرذون فهجا وتوعّد]

أخبرني الحسنُ قال حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسنُ بن أبي السّريّ قال حدَّثني دعبلُ قال : مدحتُ عبد الرحمن ابنَ خاقان ، وطَلَبْت منه بِرْذوناً ، فبعث إليَّ بِبِرْذَونٍ غامز ، فكتبت إليه[5] : [من المتقارب]

حملتَ على قـارحٍ غامزٍ ... فلا لِلركوب ولا للثمَن[6]

---

1 ديوانه : 84–85 عن الأغاني .

2 كسكر : كورة من كور العراق قصبتها واسط .

3 يصلت : يرفع السيف .

4 ديوان دعبل : 83 عن الأغاني .

5 ديوانه : 138 .

6 القارح : الذي شق نابه من ذوات الحافر . والغامز : الذي يظلع في مشيه .

حمِلتَ على زَمِـنٍ ظالع فسوف تُكافا بشُكر زَمِنْ

فبعث إليّ ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه ، وألفَي درهم .

قال ابن مَهْرُوَيْه وحدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم العُكْبَريّ عن دِعبلٍ أنّه مدح يحيى بنَ خاقان ، فبعث إليه بهذا البِرذَوْن .

[يهجو خريجه لأنّه عابه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : قال الحُسين بنُ دِعبل : كان أبي يختلف إلى الفضل بن العبّاس بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعث ، وهو خرّجه وفهّمه وأدّبه ، فظهر له منه جفاء ، وبلغه أنّه يَعيبه ويذكره ، وينال منه ، فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

يا بؤسَ للفضلِ لو لَم يأتِ ما عابه يستفرغُ السُمَّ من صماءِ قرضابَهْ[2]
مـا إن يزال وفيه العيبُ يجمعه جهلاً لأعراضِ أهلِ المجدِ عيّابَهْ
إن عابنـي لم يَعِـبْ إلاّ مؤدِّبَه ونفسَه عـاب لّما عـاب أدَّابَهْ
فكـان كالكلبِ ضَرّاه مكلِّبُـه لِصيده فعـدا فـاصطاد كَلاّبَـهْ

[يهجو أحمد بن أبي دواد]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو جعفرٍ العِجليُّ قال : كان أحمدُ بنُ أبي دُوادٍ يَطعن على دِعبل بحَضرة المأمون والمعتصم ، ويسبّه تقرّباً إليهما لِهجاء دِعبل إيّاهما ، وتزوّج ابنُ أبي دُواد امرأتين من بَني عِجل في سنة واحدة ، فلمّا بَلغ ذلك دِعبلاً قال يهجوه : [من البسيط]

غَصبْتَ عِجـلاً على فَرجَـين في سنة أفسدْتَهمْ ثمّ مـا أَصلحْتَ من نَسبِكْ
ولـو خَطبْتَ إلى طَـوق وأُسرتِـه فزوّجـوك لمـا زادوك في حسَبِكْ
نِك مَن هَوِيت ونَلْ ما شئت من نَشَب أنتَ ابنُ زِرياب منسوباً إلى نَشبِكْ
إن كان قـوم أَرادَ اللهُ خِزيهـمُ فزوّجوك ارتغابـاً منـك في ذهبِكْ
فذاك يوجـبُ أَن النَّبْعَ تجمعـه إلى خلافكَ في العيـدانِ أَو غَرَبِكْ[3]

---

1 ديوانه : 15 .
2 صماء قرضابه : داهية تأكل كل شيء .
3 النبع : شجر تتخذ منه القسي . والخلاف : شجر يشبه الصفصاف . والغرب : نوع من النبت الضعيف .

ولو سكَتّ ولم تخطبْ إلى عربٍ لما نبشْتَ الذي تطويه من سببِكْ
عُدّ البيوتَ التي ترضى بخِطبتها تجد فَزارةَ العكليَّ من عرَبِكْ

قال : فلقيه فَزارة العُكليّ ، فقال له : يا أَبا عليّ ، ما حملك على ذكري حتى فضحتني ، وأنا صديقك ؟ قال : يا أخي واللهِ ما اعتمدتُك بمكروه ، ولكن كذا جاءَني الشعر لبلاء صبّه اللهُ عزَّ وجلَّ عليك لم أَعتمدك به .

[عبثت به جارية فهجاها]

أَخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتِ قال : حدَّثني أَبو خالد الأسلميُّ الكوفيّ قال : اجتمعتُ مع دِعبل في منزل بعض أصحابنا ، وكانت عنده جارية مغنِّية صفراء مليحة حسنة الغناء ، فوقع لها العَبث بِدِعبل والعنَت والأذى له ، ونهيناها عنه ، فما انتهت ، فأقبل علينا فقال : اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة ، فَقُلنا : هات ، فقد نهَيناها عنك ، فلم تنته ، فقال[1] : [من الرجز]

تَخضِبُ كفّاً قُطعتْ من زَندِها فتخضِب الحنّاءَ من مُسودِّها
كأَنّها والكحلُ في مِرْودها تَكحَلُ عينيها بِبعضِ جلدِها
أَشبهُ شيء استُها بخدِّها

قال : فجلست الجارية تبكي ، وصارت فضيحة ، واشتهرت بالأَبيات ، فما انتفعت بنفسها بعد ذلك .

[جنى جناية في الكوفة فضرب ثلاثمائة سوط]

أَخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثني هارون قال : حدَّثني أَبي وخالدٌ قالا : كان دِعبلُ قد جَنى جنايةً بالكوفة وهو غلام ، فأخذه العَلاءُ بنُ منظور الأسديُّ ، وكان على شُرْطة الكوفة من قِبَل موسى بن عيسى ، فحبسه ، فكلّمه فيه عمُّه سليمان بن رَزين ، فقال : أَضربه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريب فيقطعَ يده ، فلعلّه أن يتأدَّبَ بضربي إيّاه ، ثم ضربه ثلثمائةِ سوط ، فخرج من الكوفة ، فلم يدخلها بعد ذلك إلاّ عزيزاً .

[الشراة والصعاليك لا يؤذونه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ أَبي كاملٍ قال : كان دِعبل يخرج فيغيب سنين ، يدور الدّنيا كلّها ، ويرجع وقد أفاد وأثرى . وكانت الشُّراة والصعاليك يلقَوْنه فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويَبرّونه . وكان إذا لقيهم

1 ديوان دعبل : 74 عن الأغاني .

وضَع طعامَه وشرابه ، ودَعاهم إليه ، ودعا بغلاميه ثَقيف وشعف ، وكانا مغنيين ، فأقعدهما يغنّيان ، وسقاهم وشربَ معهم ، وأنشدَهم ، فكانوا قد عرفوه ، وألِفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . وأنشدني دِعبل بنُ عليّ لنفسه في بُعْدِ أسفاره[1] : [من الطويل]

حللْتُ مَحلا يقصُر البرقُ دونَه ويعجِزُ عنه الطيفُ أن يتجشّما

[البحتريّ يعده أشعر من مسلم]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُوَيْه قال : قال لي البحتريّ : دِعبِل بنُ عليّ أشعر عندي من مُسلمِ بنِ الوليدِ ، فقلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّ كلام دِعبلٍ أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبُه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصّب له .

[شيخ فان يدبّ على ضيفه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ الحسنِ بنِ موسى البصريُّ قال : باتَ دِعبلُ ليلةً عند صديق له من أهل الشامِ ، وباتَ عندَهم رجلٌ من أهلِ بيت لَهياني يقال له حَويّ بنُ عمرو السكسكيّ جميلُ الوجه ، فدبّ إليه صاحب البيت ، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حينٌ ، فقال فيه دِعبلٌ[2] : [من السريع]

لولا حُـوَيٌّ لبيت لهياني ما قامَ أَيرُ العزب الفاني
لــه دواةٌ في سراويلــه يَليقهــا النازحُ والدّاني[3]

قال : وشاع هذان البيتان ، فهرب حويّ من ذلك البلدِ ، وكان الشيخ إذا رأى دِعبلاً سبّه ، وقال : فضحتَني أخزاكَ اللهُ .

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بن الأَشعث قال : سمعْتُ دِعبِلاً يقول : ما كانت لأحد قطّ عندي مِنّةً إلا تمنَّيتُ موتَه .

[دِعبل والثلج]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا محمدُ بن عُمر الجُرجانيُّ قال : دخل دِعبلُ بنُ عليٍّ الرّيّ في أيّام الرَّبيع ، فجاءَهم ثَلج لم يَرَوا مثله في الشتاء ، فجاءَ شاعر من شعرائهم فقال شعراً ، وكتبه في رقعة هو : [من الخفيف]

جاءَنا دِعبِل بِثلْج من الشعـ ـرِ فجادت سماؤنــا بالثلوجِ

1 ديوان دعبل : 139 .
2 ديوان دعبل : 158 .
3 يليقها : يصلح مدادها ويجعلها ليقة .

نزلَ الرّيَّ بعدَ مـا سكنَ البَر ... دُ وقد أينعَتْ ريـاضُ المروجِ
فكسانا بِبرده لا كساه اللـ ... ـهُ ثوباً من كُرْسُف محلوجِ[1]

قال : فألقى الرقعة في دِهليز دِعبِل ، فلمّا قرأها ارتحل عن الرّيّ .

[قصر صالح الأضجم عن حاجته فهجاه]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال : حدَّثنا العَنَزيّ قال : حدَّثنا أبو خالد الأسلميُّ قال : عرضَتْ لدِعبِل حاجةٌ إلى صالح بنِ عطيّة الأضجمِ ، فقصَّرَ عنها ، ولم يَبلغ ما أحبّه دِعبِل فيها ، فقال يهجوه[2] : [من السريع]

أحسنُ ما في صالحٍ وجهه ... فقِسْ على الغائبِ بالشاهِدِ
تأمَّلَتْ عينـي لـه خِلقةً ... تدعـو إلى تَزنيـة الوالدِ

فتحمل عليه صالحٌ بي وبجماعة من إخوانه حتى كفّ عنه ، وعَرض عليه قضاء الحاجة ، فأباها .

[يهجو بني مكلم الذئب]

أخبرني الحسن بنُ عليٍّ قال حدَّثني محمد بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال حدَّثني أبي قال : فَخَرَ قوم من خُزاعة على دِعبِل بن عليّ يقال لهم : بنو مُكلِّم الذئب ، وكان جدّهم جاء إلى النبيّ ، ﷺ ، فحدَّثه أنّ الذئب أخذ من غنمِه شاة فتبعه ، فلمّا غشِيه بالسيف قال له : ما لي ولك تمنعني رزقَ الله ؟ قال : فقلت : يا عَجَباً لِذِئب يتكلّم ! فقال : أَعجَبُ منه أنّ محمداً نبيّ قد بُعث بين أظهُركم وأنتم لا تتبعونه ، فبنوه يفخرون بتكليم الذئبِ جدَّهم ، فقال دِعبل بنُ عليّ يهجوهم[3] : [من البسيط]

تِهتُمْ علينا بـأنّ الذئبَ كلّمكمْ ... فقـد لَعَمـري أَبوكم كلّم الذيبا
فكيف لو كلّم الليثَ الهصورَ إذاً ... أَفنَيتم الناسَ مأكـولاً ومشروبا
هذا السُّنَيدي لا أَصلٌ ولا طُرَفٌ ... يكلّـم الفيـلَ تصعيداً وتصويبا

[هجاؤه ابن الزيّات]

حدَّثني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني أَبي قال : كان دِعبل قد مدح محمد بن عبد الملكِ الزيّاتَ ، فأنشده ما قاله فيه ، وفي يده طُومارٌ[4] قد جعله على فمِه كالمتكىء

1 كرسف : قطن .
2 ديوان دعبل : 76 .
3 ديوانه : 168–169 .
4 طومار : صحيفة .

عليه وهو جالس ، فلمّا فرغ أَمَر له بشيءٍ لم يرضه ، فقال : يهجوه[1] : [من البسيط]

يا مَـــن يُقلِّب طُومـــاراً ويلثَمـــه ماذا بِقلبك مـــن حُبِّ الطواميرِ
فيـــه مَشابِه مـــن شيءٍ تُسَرُّ به طُـــولاً بطولٍ وتدويـــراً بتدويرِ
لو كنْتَ تجمع أَموالاً كَجَمْعِكها إذاً جمعْـــتَ بيوتـــاً من دنانيرِ

[يهجو حمصيين قصرا في برّه]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : نزل دِعبلٌ بِحِمص على قوم من أهلها ، فبرّوه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما : أشعث وللآخر أبو الصَّناع ، فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما[2] : [من الوافر]

إذا نَزل الغريبُ بأَرض حِمصٍ رَأيتَ عليـــه عِـــزّ الإمتناعِ
سُموُّ المكرماتِ بآل عيسى أَحَلَّهـــمُ على شرفِ التّلاعِ
هناكَ الخـــزّ يلبَسه المُغالي وعيسى منهـــمُ سَقَط المتاعِ
فَسدِّدِ لاستِ أُشعثَ أَيرَ بَغل وآخرَ في حِـرِ امّ أَبي الصناعِ
فليس بِصانـــع مَجـــداً ولكن أُضاعَ المجدَ فهْو أَبو الضياعِ

[شعره في الفضل بن مروان]

أَخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسمِ بن مَهْرُوَيْه عن الحسين بن دِعبل قال : قال أَبي في الفضل بنِ مروان[3] : [من الطويل]

نصحْتُ فأخلصْتُ النصيحةَ للفضلِ وقلتُ فسيَّرْتُ المقالـــةَ في الفضلِ
أَلا إنَّ في الفضلَ بـــن سهل لَعِبرة إن اعتبر الفضلُ بنُ مروان بالفضلِ
وللفضل في الفضل بنِ يحيى مواعظ إذا فكَّر الفضل بنُ مروان في الفضلِ
فأبقِ جميلاً مـــن حديثٍ تَفُز بـــه ولا تدَع الإحسان والأَخذَ بالفضلِ
فإنّك قـــد أُصبحتَ للمُلكِ قَيِّماً وصرْتَ مكانَ الفضلِ والفضلِ والفضلِ
ولم أَرَ أَبياتـــاً مـــن الشِّعرِ قبلهـــا جميعُ قوافيها على الفضلِ والفضلِ
وليس لهـــا عَيبٌ إذا هي أُنشدَتْ سوى أَن نصحي الفضلَ كان من الفضلِ

فبعث إليه الفضلُ بنُ مروانَ بِدَنانيرَ ، وقال له : قد قبلْتُ نصحك ، فاكفني خيرَك وشرَّك .

---

1 ديوانه : 86 .
2 ديوانه : 106 .
3 ديوانه : 129 .

[نقد شاعر]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارونَ قال : حدَّثني أَبو الطِّيب الحرّانيُّ قال : أَنشد رجل دِعبِلَ بن عليّ شعراً له ، فجعل يعيبه وينبِّهه على خطئه فيه بيتاً بيتاً ، ويقول : أيَّ شيء صنعْتَ بنفسك ؟ ولِم تقول الشعر إذا لم تقدر إلاّ على مثل هذا منه ؟ إلى أن مَرَّ له بيت جيِّد ، فقال دِعبِل : أحسنتَ ، أحسنتَ ما شئت . فقال له يا أبا عليّ : أتقول لي هذا بعدما مضى ؟ فقال له : يا حبيبي لو أنَّ رجلاً ضرَط سبعين ضَرطة ما كان بمنكر أن يكون فيها دَسْتنبوية[1] واحدة .

[المأمون لا يعجب من هجائه إيّاه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال حدَّثني محمدُ بن حاتمٍ المؤدِّبُ قال : قيل للمأمون : إنَّ دِعْبل بنَ عليّ قد هجاك ، فقال : وأَيّ عجب في ذاك ؟ هو يهجو أبا عبّاد ولا يهجوني أنا ! ومن أَقدَمَ على جُنون أبي عبّاد أقدم على حِلمي ، ثم قال للجلساء : مَن كان منكم يحفظ شعره في أبي عبّاد فلْيُنشِدْنيه ، فأنشده بعضهم : [من الكامل]

أَولى الأمــورِ بضَيعةْ وفسادِ ... أَمــرٌ يدبِّـــره أَبـــو عبـّادِ
خَــرِقٌ على جلسائِه فكأنّهم ... حضروا لمُلْحَمَةٍ ويـومَ جِلادِ
يَسْطــو على كُتّابــه بِدواتــه ... فمُضَمَّخٌ بِــدَمٍ ونَضْحِ مدادِ
وكأنّه من دَيْـر هِزْقِلَ مُفلِت ... حَـرِدٌ يَجـرُّ سلاسلَ الأَقيادِ
فاشدد أَميرَ المؤمنـينَ وثاقَـه ... فَأَصَحُّ منـه بقيّـــةُ الحدادِ

قال : وكان بَقِيّة هذا مجنوناً في المارَسْتان ، فضحك المأمون . وكان إذا نظر إلى أَبي عبّاد يضحك ، ويقول لَمن يقرب منه : واللهِ ما كذب دِعبِل في قوله .

حدَّثني جَحْظةُ عن ميمونِ بنِ هارونَ فذكر مثله أو قريباً منه .

[الجنّ تستنشده تائيته]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمّار ومحمدُ بن أَحمدَ الحكيمُ قالا : حدَّثنا أَنسُ بنُ عبدِ الله النبْهانيُّ قال : حدَّثني عليُّ بنُ المنذرِ قال : حدَّثني عبد الله بنُ سعيدٍ الأشقريُّ قال : حدَّثني دِعبِل بنُ عليّ قال : لمّا هَرَبْتُ من الخليفة بتّ ليلة بنَيْسابورَ وحدي ، وعزمْتُ على أن أعمل قصيدة في عبد الله بنِ طاهر في تلك الليلةِ ، فإنّي لفي ذلك إذ سمِعْتُ والباب مردود عليّ : السلام عليكم ورحمة الله ، انج يرحمُك الله ، فاقشعَرّ بدني من ذلك ، ونالني أمر عظيم . فقال لي : لا تُرَع عافاك الله ؛ فإنّي رجل من إخوانك من الجنّ من ساكني اليمن طرأ إلينا طارىء

1 دستنبوية : نوع من البطيخ الأصفر صغير مستطيل .

من أهلِ العراق فأنشدَنا قصيدتك : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصاتِ[1]

فأحببْت أن أسمَعها منك ، قال فأنشدتُه إيّاها ، فبكى حتى خرّ ، ثم قال : رحمكَ اللهُ ! ألا أحدثك حديثاً يَزيدُ في نِيّتِك ويُعينك على التمسّك بمذهبك ؟ قلت : بلى . قال : مكثْت حيناً أسمع بِذِكر جعفرِ بنِ محمدٍ عليه السلام ، فصرْتُ إلى المدينة فسمعْتُه يقول : حدَّثني أبي عن أبيه عن جدِّه أنّ رسول الله ، ﷺ ، قال : عليٌّ وشيعتُه هم الفائزون ، ثم ودَّعَني لينصرف . فقلت له : يرحمك الله ، إن رأيتَ أن تخبرني باسمك فافعل ، قال : أنا ظَبْيانُ بنُ عامر .

[دعا أعرابيّاً وأسمعه هجاءه في كلاب]

أخبرني الحسين بنُ القاسمِ الكوكبيُّ قال : حدَّثني إسحاق بنُ محمدٍ النخَعيُّ وأخبرني به الحَليميّ عن يعقوبَ بنِ إسرائيلَ عن إسحاق النخَعيّ قال : كنت جالساً مع دِعبِل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثَقيف ، فمرَّ به أعرابيّ يرفُلُ في ثيابِ خزّ ؛ فقال لغلامه : ادعُ لي هذا الأعرابيّ . فأومأ الغلام إليه ، فجاء . فقال له دِعبِلٌ : مِمّن الرّجل ؟ قال : من بني كِلاب . قال : من أيِّ ولَد كِلاب أنت ؟ قال : من ولد أبي بكر ، فقال دِعبِل : أتعرف القائل[2] : [من الطويل]

ونُبِّئْتُ كلبــاً من كلاب يسبّني ومحض كلاب يقطـعُ الصلواتِ[3]
فإن أنــا لم أعلــمْ كلابــاً بأنّها كــلابٌ وأنِّــي باسلٌ النَّقَماتِ
فكان إذاً من قيس عَيلان والدي وكانت إذاً أمِّــي من الحَبَطاتِ[4]

قال : وهذا الشعر لِدِعبِل يقوله في عمرو بن عاصم الكلابيِّ ، فقال له الأعرابيّ : مِمّن أنت ؟ فكرِه أن يقول له من خُزاعة فيهجوَهم ، فقال : أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر[5] : [من الطويل]

أناس عليٌّ الخيرُ منهم وجعفرٌ وحمزةُ والسَّجَّادُ ذو الثَّفِناتِ[6]

1 انظر تائيته في مدح آل البيت في ديوانه : 35–44 .
2 ديوانه : 45 .
3 المحض : الخالص من كل شيء ، ويريد أن الكلابيّ الخالص النسب يقطع الصلاة بنجاسته .
4 الحبطات : أبناء الحارث بن مالك لقب بذلك لأنه أكل صمغاً كثيراً فحبط بطنه أي ورم .
5 البيتان من تائيّته .
6 رواية الديوان للصدر : ديار علي والحسين وجعفر . وذو الثفنات هو علي بن الحسين . لقّب بالسجاد وذي الثفنات لأنّ مساجده كانت كثفنة البعير ، أي ركبته وما يمسّ الأرض من أعضائه .

إذا فخَروا يومـاً أَتَوا بمحمدٍ وجبريلَ والفرقانَ والسُّوراتِ

فوثب الأعرابيّ وهو يقول : ما لي إلى محمد وجبريلَ والفرقان والسُّورات مرتقى .

[هجاء بني بسام]

أُخبرني الكوكبيّ قال حدَّثني ابن عبدوسٍ قال : سأَل دعبلٌ نصرَ بنَ منصورِ بنِ بَسّام حاجة ، فلم يَقضِها لشغلٍ عرضَ له دونها ، فقال يهجو بني بَسّام[1] : [من المنسرح]

حواجـبٌ كالحبالِ سودٌ إلى عثانـين كالمخـالي
وأوجُـهٌ جَهْمة غِـلاظٌ عُطْل من الحسنِ والجمالِ

أُخبرني الكوكبيُّ قال حدّثني ميمونُ بن هارون قال : لما ولي أحمدُ بن أَبي خالدٍ الوزارة في أيّام المأمون قال دِعبِلُ بنُ عليّ يهجوه[2] : [من المتقارب]

وكان أَبو خالـد مَـرَّة إذا باتَ متّخِماً عاقدا[3]
يضيقُ بـأُولادِهِ بطنُـه فيخراهـمُ واحداً واحدا
فقد ملأ الأرضَ من سَلْحه خنافسَ لا تشبـه الوالدا

[هرب من المعتصم وهجاه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا أَبو ناجيةَ قال : كان المعتصمُ يُبغض دعبِلاً لطول لسانه ، وبلغ دِعبلاً أنّه يريدُ اغتياله وقتْلَه ، فهرب إلى الجبل ، وقال يهجوه[4] : [من الطويل]

بكـى لِشتات الدِّين مكتئب صبّ وفاضَ بفَرْطِ الدمعِ من عينهِ غربُ[5]
وقـام إمـامٌ لم يكـن ذا هدايـةٍ فليس لـه ديـنٌ وليس له لبُّ
ومـا كانت الآبـاءُ تأتـي بمثلِه يُملَّك يومـاً أَو تَديـنُ لـه العُربُ
ولكـن كما قـال الذيـن تتابعوا مِن السلَف الماضين إذ عظُم الخطبُ
ملوك بني العبّاس في الكُتْبِ سبعـةٌ ولم تأتنـا عـن ثامنٍ لهمُ كُتْبُ

---

1 ديوانه : 130 .
2 ديوانه : 58 .
3 عاقدا في الديوان : قاعدا . والعاقد : الناقة التي أقرت باللقاح فهي تعقد ذنبها . وفي رواية حاقدا : من حقد المطر إذا انحبس .
4 ديوانه : 18–19 .
5 غرب : دلو عظيمة .

كذلك أَهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعةٌ خيــارٌ إذا عُــدّوا وثامنهمُ كلبُ
وإنِّــي لأُعــلي كلبَهم عنــكَ رفعةً لأنّكَ ذو ذَنْبٍ وليس لــه ذَنْبُ
لقد ضاع ملكُ النّاسِ إذ ساس ملكَهم وَصيف وأَشناسٌ وقد عظُم الكربُ[1]
وفضلُ بــنُ مـــروانٍ يُثلِّم ثلمةً يظلُّ لها الإسلامُ ليس لــه شَعْبُ[2]

[معارضة ابن الزيّات في رثاء المعتصم]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : لمّا مات المعتصم قال محمدُ بنُ عبد الملك الزيّاتُ يرثيه[3] : [من المنسرح]

قـد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا في خَيرِ قبرٍ لِخَير مدفــونِ
لــن يَجبُر اللهُ أُمّةً فقدتْ مثلَك إلاّ بمثــلِ هـــارونِ

فقال دعبلُ يعارضه[4] : [من المنسرح]

قـد قلْتُ إذ غيّبوه وانصرفوا في شرِّ قبــرِ لشرِ مدفــونِ
اذهبْ إلى النارِ والعذابِ فما خِلتُــك إلاّ مـــن الشياطينِ
ما زلْتَ حتى عقدتَ بيعة مَن أَضــرَّ بـــالمسلمينَ والدِّينِ

[يكتم رثاء محمد بن الزيّات]

قال عمّي حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمدُ بنُ عُمرَ الجُرجانيّ قال : أَنشد دِعبِلُ بنُ عليّ يوماً قول بعض الشعراء : [من المنسرح]

قـد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا

وذكر البيتين والجوابَ ولم يُسمِّ قائل المرثِيّةِ ولا نسبَه إلى محمدِ بنِ عبد الملك الزيّات ولا غيره .

[ينكر نسبة شعر إليه فيه هجاء بني العبّاس]

أُخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال حدَّثنا محمد بنُ يزيدَ قال : سأَلْت دِعبِلاً عن هذه الأَبيات : [من الطويل]

ملوكُ بنــي العبّاس في الكتْبِ سبعة

---

1 وصيف وأشناس : من الأتراك الذين جعلهم المعتصم قواداً وحكّاماً .
2 الشعب : إصلاح الصدع .
3 ديوان ابن الزيات (سعيد) : 76 ورواية البيت فيه :
أقول إذ غيّبوك وأصفقت عليك أيـدٍ باللبن والطين
4 ديوانه : 158 .

فأنكر أن تكون له ، فقلتُ له : فمَن قالها ؟ قال : من حشا الله قبرَه ناراً ، إبراهيمُ بن المهديّ ، أراد أن يُغرِيَ بي المعتصمَ فيقتلني لهجائي إيّاه .

[ابن المدبر يعجبه هجاؤه ابن أبي دواد]

أخبرني عمّي والحسنُ بن عليّ جميعاً قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : كنتُ عند أحمدَ بنِ المدبَّر ليلة من الليالي ، فأنشدته لدِعبِل في أحمدَ بن أبي دُواد قوله[1] : [من الخفيف]

إنَّ هـذا الذي دُوادُ أبـوه ... وإيـاد قـد أكثرَ الأنبـاءَ

ساحقَتْ أمّه ولاطَ أبـوه ... ليتَ شعري عنه فمِن أين جاءَ !

جاء مِن بين صخرَتين صلودَيْـ ... ـنِ عَقامَـين يُنبتان الهَباءَ

لا سِفاحٌ ولا نِكاح ولا ما ... يوجِـبُ الأُمّهـاتِ والآباءَ

قال : فاستعادها أربعَ مرّات ، فظننت أنّه يريد أن يحفظها ، ثم قال لي : جئني بدِعبِل حتى أُوصلَه إلى المتوكّل ، فقلت له : دِعبِل موسوم بِهجاء الخلفاء والتشيّع ، وإنّما غايته أن يُخمِلَ ذكره ، فَأمسك عنّي ، ثم لقيتُ دِعبِلاً فحدّثْتُه بالحديث ، فقال : لو حضرْتُ أنا أحمدَ بنَ المدبِّر لما قدرْتُ أن أقولَ أكثر مِمّا قلْتَ .

[بيت في هجاء المتوكّل]

أُخبرني الحسن قال حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال حدَّثني محمدُ بنُ جَرير قال : أُنشدَني عُبيد الله بنُ يعقوبَ هذا البيتَ وحده لدِعبِل يهجو به المتوكّل ، وما سمعتُ له غيره فيه[2] : [من الوافر]

ولستُ بقائـلٍ قَذْعاً ولكن ... لأمرٍ ما يُعَـدُّ لـكَ العبيدُ[3]

قال : يرميه في هذا البيت بالأبنة .

[هجاء المعتصم والواثق]

أَخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : كنتُ مع دِعبِل بالصَّيْمَرة[4] وقد جاء نَعي المعتصم وقيامُ الواثق ، فقال لي دِعبِل : أمعَك شيء تكتب فيه ؟ فقلت : نعم ، وأخرجْتُ قِرْطاساً ، فأملى عليّ بديهاً[5] : [من البسيط]

1 ديوانه : 11 .
2 ديوانه : 62 .
3 الديوان : لأمر ما تعبّدك العبيد .
4 ل : بالبصرة . والصيمرة من ديار الجبل .
5 ديوانه : 59 .

الحمدُ للهِ لا صبرٌ ولا جَلَدُ ولا عزاءٌ إذا أهلُ البِلى رَقدوا
خليفةٌ ماتَ لم يَحزنْ له أَحدٌ وآخرٌ قــام لم يَفرحْ به أَحدُ

[مزق قصيدة في الحسن بن وهب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ عبيدَ الله بنِ ناصح قال : قلتُ لِدِعبِل ، وقد عرض عليّ قصيدة له يمدح بها الحسنَ بنَ وَهْب ، أَوّلها :

أَعاذِلَتي ليس الهوى من هوائيا

فقلت له : ويحك ، أَتقول فيه هذا بعد قولك : [من السريع]

أَين مَحَلّ الحيِ يــا حادي خبِّر سقاكَ الرائحُ الغادي

وبعد قولك[1] : [من البسيط]

قالت سلامةُ أَين المــالُ قلتْ لها المالُ ويحكِ لاقى الحمدَ فاصطحبا

وبعد قولك[2] : [من الرمل]

فَعَلى أيمانِنا يجري النَّدى وعلى أَسيافنا تجري المُهجْ

واللهِ إنِّي أُراك لو أَنشدْتَه إيّاها لأَمر لك بصَفع قفاك ، فقال : صدقْتَ واللهِ ، ولقد نبّهتَني وحَذَّرتني ، ثم مزّقها .

[يهجو تلميذاً له فيهجو أباه]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثني الحسينُ بنُ أَبي السّريّ قال : غضِب دِعبِل على أَبي نصرِ بن جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ ، وكان دِعبِلٌ مؤدبه قديماً ، لشيء بلغه عنه ، فقال يهجو أباه[3] : [من الكامل]

ما جعفرُ بنُ محمدِ بنِ الأَشعثِ عندي بخيرِ أُبوّةٍ من عَثعثِ
عبثاً تُمارسُ بي مُمارسَ حيّة سَوّارة إن هِجتَها لم تلبــثِ
لم يَعلمْ المغرورُ ماذا حازَ مــن خــزي لوالده إذاً لم يعبثِ

قال : فلقيه عثعث ، فقال له : عليك لعنةُ الله ، أَيُّ شيءٍ كان بيني وبينك حتى ضربْتَ بي المثل في خِسة الآباء ، فضحك ، وقال : لا شيءَ والله ، اتفاق اسمك واسمِ ابنِ الأشعث في القافية . أولا ترضى أن أجعلَ أباك ، وهو أسود ، خيراً من آباء الأشعث بنِ قيس ؟

---

1 ديوان دعبل : 13 .
2 ديوانه : 51 .
3 ديوانه : 51 .

[العيش الذي يريده]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ سهل القاري ، وكان يلقّب أُرْزة قال : حدَّثني دِعبِلُ بنُ عليٍّ الخُزاعيّ قال : كتبْتُ إلى أبي نَهْشَلٍ بنِ حُمَيد الطوسيّ قوله[1] : [من الخفيف]

إنّمـا العَيشُ في مُنادمــةِ الإخـ ـوان لا في الجلوسِ عندَ الكَعابِ
وبِصِرْفٍ كأنّهــا ألسُن البـــرَ ق إذا استعرضَت رقيق السحابِ
إن تكونــوا تركتمُ لـذَّة العيـ ـش حِــذار العِقابِ يومَ العقابِ
فدَعُــوني ومــا ألـذّ وأهـوَى وادفعوا بي في صدر يومَ الحسابِ

[يثيبه علي بن موسى الرضا على تائيته]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني موسى بنُ عيسى المَرْوَزيّ ، وكان منزله بالكوفة في رَحَبة طيّيء ، قال : سمعْت دِعبِلَ بنَ عليّ وأنا صبيّ يتحدّث في مسجد المَرْوَزية قال : دخلْتُ على عليٍّ بن موسى الرّضا ، عليهما السلام ، فقال لي : أنشدني شيئاً ممّا أحدثت ، فأنشدته : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصاتِ

حتى انتهيت إلى قولي : [من الطويل]

إذا وُتِروا مــدّوا إلى واتريهمُ أكفّـاً عن الأَوْتـارِ منقبضاتِ

قال : فبكى حتى أُغمِي عليه ، وأومأ إليّ خادم كان على رأسه : أن اسكتْ ، فسكتُّ ساعة ؛ ثم قال لي : أعِد ، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى هذا البيتِ أيضاً ، فأصابه مثلُ الذي أصابه في المرّة الأولى ، وأومأ الخادم إليّ : أن اسكت ، فسكتّ ؛ فمكث ساعة أُخرى ثم قال لي : أعِد ، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى آخرها ، فقال لي : أحسنت ، ثلاث مرّات ؛ ثم أمَر لي بعشرة آلاف درهم مِمّا ضُرب باسمه ، ولم تكن دفعت[2] إلى أحد بعدُ ، ثم أمَر لي مَن في منزله بحَلْيٍ كثير أخرجه إليَّ الخادم . فقدِمْتُ العراق ، فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم ، اشتراها مِني الشيعة ، فحصل لي مائةُ ألفِ درهم ، فكان أوّل مال اعتقدْتُه[3] .

1 ديوانه : 34 .
2 ل : وقعت .
3 اعتقدته : جمعته .

[ثوب الرضا لكفنه]

قال ابن مَهْرُوَيْه وحدَّثني حُذَيفةُ بنُ محمد[1] : أَنّ دِعبِلاً قال له : إنّه استوهَب من الرِّضا عليه السلام ثوباً قد لبِسه ليجعله في أكفانه فخلع جُبّة كانت عليه ، فأعطاه إيّاها وبلغ أهلَ قمٍّ خبرُها فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألفَ درهم ، فلم يفعل ؛ فخرجوا عليه في طريقه ، فأخذوها منه غصباً ، وقالوا له : إن شئتَ أن تأخذ المال فافعل ، وإلاّ فأنت أعلَم . فقال لهم : إنّي والله لأُعطيكم إيّاها طَوعاً ، ولا تنفعكم غصباً ، وأشكوكم إلى الرِّضا عليه السلام . فصالحوه على أن أعطَوه الثلاثين الألفَ الدرهمِ وفرْدَ كُمٍّ من بطانتها فرضي بذلك .

[هجاء إبراهيم بن المهديّ]

أُخبرني محمدُ بنُ مزْيدٍ قال حدَّثنا حمادُ بن إسحاق عن أَبيه قال : بويع إبراهيمُ بنُ المهديّ ببغدادَ ، وقد قلّ المالُ عنده ، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد النّاس ، فاحتبس عنهم العطاء ، فجعل إبراهيم يسوّفهم ولا يرَون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسولُه يوماً وقد اجتمعوا وضجُّوا فصرَّح لهم بأنّه لا مال عنده . فقال قوم من غوغاء أهل بغداد : أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنّي لأهل هذا الجانبِ ثلاثةَ أصوات ، ولأهل هذا الجانبِ ثلاثةَ أصوات ، فتكونَ عطاءً لهم ، فأنشدني دِعبِل بعد ذلك بأيّام قوله : [من السريع]

يـا معشرَ الأجنـادِ لا تقنَطوا ... وارضَوْا بما كان ولا تَسخطوا
فسوفَ تعطَـون حُنَيْنِيـة ... يلتذّهـا الأَمـردُ والأَشمطُ
والمعبَدِيّـات لقـوّادكم ... لا تدخـل الكِيس ولا تُربطُ
وهكـذا يَـرزق قـوّاده ... خليفـةٌ مُصحفُـه البَرْبطُ

وزادني فيها جعفر بن قدامة[2] :

قـد ختـم الصكّ بأرزاقكم ... وصحّح العزمَ فـلا تسخطوا
بَيعـة إبراهيـم مشئومـة ... يُقتَل فيهـا الخلق أو يُقْحَطُ

[متخلف يقول الشعر]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبو عليٍّ يحيى بنُ محمد بن ثَوابة الكاتبُ قال : حدَّثني دِعبِل قال : كان لي صديق متخلّف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا أُمهاه عنه إذا أنشدني ، فأنشدني يوماً : [من مجزوء الرمل]

إنّ ذا الحُـبَّ شديـدٌ ... ليس يُنجيـه الفِـرارُ

1 تقدم هذا الخبر في هذه الترجمة .
2 لم يرِد هذان البيتان في ديوانه .

ونجا مَن كان لا يعشـ ـق مـن ذلّ المخازي

فقلت لـه : هذا لا يجوز ، البيت الأوّل على الراء ، والبيت الثاني على الزاي . فقال : لا تَنقُطْه ، فقلت له : فالأوّل مرفوع ، والثاني مخفوض . فقال : أنا أقول له لا تَنقُطْه وهو يَشكُله .

[يستشهد بالحديث]

أَخبرني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا محمدُ بنُ زكريّا بن ميمونٍ الفَرْغانيّ قال : سمِعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول في كلام جرى : لَيْسَك ، فأنكرتُه عليه . فقال : دخل زيدُ الخيلِ على النبيّ ، ﷺ ، فقال له : يا زيدُ ما وُصِف لي رجل إلاّ رأيته دون وصفِه ليسك ، يريد غيرَك .

[يحسد شاعراً على معنى]

أَخبرني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ سعدٍ قال : قال لي دِعبلٌ ، وقد أنشدته قصيدةَ بكرِ بنِ خارجة في عيسى بن البَراءِ النصرانيّ الحربيّ : [من الرجز]

زُنّارُه في خصره معقودُ كأنّه من كبدي مقدودُ

فقال : واللهِ ما أعلَمُني حسدْتُ أحداً على شعر كما حسدْتُ بَكراً على قوله : كأنّه من كبدي مقدود .

[يقول الشعر كلّ يوم خلال ستّين سنة]

أَخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال : سمِعْتُ الجاحظ يقول : سمعتُ دِعبِل بن عليٍّ يقول : مكثْت نحوَ ستِّين سنة ليس مِن يوم ذَرَّ شارقُه إلاّ وأنا أقول فيه شعراً .

[يعجب لخفّة روح مفلوج عاده]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثني محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : سمِعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول : دخلْت على أبي الحارث جُمِّين ، وقد فُلِجَ ، لأعوده ، وكان صديقي ، فقلت : ما هذا يا أبا الحارث ؟ فقال : أخذْتُ من شَعري ودخلت الحمّام ، فغلِط بي الفالجُ ، وظنَّ أنّي قد احتجمْتُ . فقلت له : لو تركْتَ خِفّة الرُّوح والمُجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال .

[المأمون يستنشد شعر دعبل]

أَخبرني الحسينُ بنُ القاسم الكوكبيُّ قال : حدَّثنا أَحمدُ بن صَدَقة قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني عمرُو بنُ مَسْعدة قال : حضرْت أَبا دُلَف عند المأمون ، وقد قال له المأمون : أيَّ شيء تَروِي لأخي خُزاعة يا قاسمُ ؟ فقال : وأَيُّ أخي خُزاعةَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومَن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أمّا مِنْ أنفُسِهم فأبو الشِّيص ودِعبل وابنُ أبي الشِّيص وداودُ بن أبي رَزِين ، وأمّا مِن مواليهم فطاهرٌ وابنُه عبدُ الله . فقال : ومَن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن

شعره سوى دِعبِل ؟ هات أيّ شيء عندك فيه . فقال وأيَّ شيء أقول في رجل لم يَسلمْ عليه أهل بيته حتى هجاهم ، فقَرن إحسانهم بالإساءة ، وبذْلهم بالمنع ، وجودَهم بالبخل ، حتى جعل كلّ حسنة منهـم بإزاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطّلب بنِ عبد الله بن مالك ، وهو أصدق النّاس له ، وأقربهم منه ، وقد وفَد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة وولاّه ، ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه[1] : [من البسيط]

اضرِبْ ندى طلحةِ الطّلحاتِ متئداً بلُؤمِ مطّلبٍ فينا وكن حكما

تخرجْ خزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ فلا تُحسُّ لها لؤماً ولا كرما

قال : فقال المأمون : قاتلَه الله ! ما أغوصَه وألطفه وأدهاه ! وجَعل يضحك ، ثم دخل عبد الله بنُ طاهر ، فقال له : أيَّ شيء تحفظ يا عبدَ الله لدِعبِل ؟ فقال : أحفظ أبياتاً له في أهلِ بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ويحك . فأنشده عبدُ الله قولَ دِعبل[2] : [من البسيط]

سَقياً ورَعياً لأيّام الصباباتِ أيّام أرفلُ في أثواب لذّاتي

أيّام غصني رَطيب من لَيانته أصبو إلى غيرِ جاراتٍ وكَنّاتِ

دعْ عنك ذكرَ زمان فاتَ مطلبُه واقذِف برِجلِك عن مَتن الجهالاتِ

واقصِدْ بكلِّ مديحٍ أنتَ قائله نحو الهُداة بني بَيتِ الكراماتِ

فقال المأمون : إنّه قد وَجد واللهِ مقالاً فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن في وصف سَفرٍ سافره ، فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه[3] : [من الطويل]

ألَمْ يأنِ للسَّفْر الذين تَحملوا إلى وطنٍ قبل المماتِ رجوعُ

فقلتُ ولم أملِك سوابق عَبرة نطقنَ بما ضُمت عليه ضلوعُ

تبيّنْ فكم دار تفرّق شَمْلها وشملٍ شتيت عاد وهو جميعُ[4]

كذاك الليالي صرفُهنّ كما ترى لكلِّ أناس جَدْبةٌ وربيعُ

ثم قال : ما سافرت قطّ إلاّ كانت هذه الأبيات نُصب عيني في سفري ، وهِجِّيراي[5] ومسلِّيتي حتى أعود .

---

1 ديوانه : 139 .

2 ديوانه : 49 .

3 ديوانه : 104 .

4 الديوان : تأنّ .

5 هجيراي : دأبي .

[المكاريّ يتغنّى بشعره]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني المبرِّد ومحمد بن الحسن بن الحرون قالا : قال دِعبِل : خرجتُ إلى الجبل هارباً من المعتصم ، فكنت أسير في بعض طريقي والمُكاري يسوق بي بغلاً تحتي ، وقد أتعبني تعباً شديداً ، فتغنّى المُكاريّ في قولي : [من الكامل]

لا تَعجبي يا سلمَ مـن رجلٍ ضحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى

فقلت له ، وأنا أُريد أن أتقرَّبَ إليه وأكفَّ ما يستعمله من الحثِّ للبغل لئلاّ يتعبني : تَعرِف لِمن هذا الشعرُ يا فتى ؟ فقال : لِمن ناك أُمّه وغرِم درهمين . فما أدري أيّ أُموره أَعجب : من هذا الجوابِ أم من قلة الغُرْم على عِظم الجناية !

[مغنّية حاضرة الجواب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بن الطيِّب السرْخَسيّ قال : حضرْت مجلسِ محمدِ بْن عليٍّ بنِ طاهرٍ وحضَرَتْه مغنّية يقال لها : شنين مشهورة ، فغنّت : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المَشيبُ برأسِهِ فبكى

ثم غنَّت بعده :

لقد عَجِبَتْ سلمى وذاك عجيب

فقلت لها : ما أَكثر تعجبَ سلمى هذه ! فعلِمَتْ أنّي أعبث بها لأَسمع جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة : [من الطويل]

فهُلْك الفتى أَلا يَراح إلى نَدًى وأَلا يَرى شيئاً عَجيباً فيعجبا

فعجبْتُ واللهِ من جوابها وحِدّته وسرعته ، وقلت لَمن حضر : واللهِ لو أُجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من الطويل]

لقد عجِبَتْ سلمى وذاك عجيبُ رأَتْ بيَ شيباً عجّلته خُطوبُ
ومـا شيَّبتْني كَبرةٌ غيرَ أَنّني بِدَهر بـه رأسُ الفطيم يشيبُ

الغناء ليحيى المكّيّ ، ثقيل أوّل بالوُسطى من كتاب أبيه أحمدَ .

---

1 ديوان دعبل : 22 عن الأغاني .

[صنعة أحمد المكّيّ في شعره]

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدَّثني محمدُ المرتجلُ بنُ أَحمدَ بن يحيى المكّيُّ قال : كان أَبي صديقاً لدِعبل ، كثيرَ العِشرة له ، حافظاً لِغَيبه ، وكلُّ شِعرٍ يُغَنَّى فيه لِدِعبل فهو من صنعة أَبي ، وغنّاني من صنعة أبيه في شعر دِعبل ، والطريقةُ فيه خفيف ثقيل في مجرى البنصر[1] .

صوت

[من الطويل]

سَرى طيفُ ليلى حين آن هُبوب وقضَّيتُ شوقاً حـين كاد يذوبُ
فلـم أَرَ مطروقـاً يُحَلّ بِرَحله ولا طارقـاً يَقـري المنى ويُثيبُ[2]

وأَنشدني عمِّي هذيْن البيتين عن أَحمدَ بنِ يحيى بنِ أَبي طاهرٍ وابنِ مَهْرُوَيْه جميعاً لدِعبل .

[يتنصل من أبياته في هجاء المعتصم]

حدَّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبيُّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : سأَلتُ دِعبلاً مَن الذي يقول : [من الطويل]

مُلوك بنـي العبّاس في الكُتْـبِ سبعةٌ

فقال : مَن أضرم الله قبرَه ناراً ، إبراهيم بنُ المهديّ . قال ابن أبي سعد : وحدَّثني عبدُ العزيز بنُ سهل أنـّه سأله عنها فاعترف بها .

[هجاء طاهر بن الحسين]

حدَّثني عمِّي قال : أَنشدني ابنُ أَخي دِعبل لعمِّه في طاهرٍ بنِ الحسين ، وكان قد نَقَم عليه أمراً أنكره منه[3] : [من الرجز]

وذي يمينَـين وعـينٍ واحدهْ نُقصانُ عَـين ويمـينٌ زائدَهْ
نَـزْرُ العطياتِ قليـلُ الفائدهْ أَعضّـه اللهُ بِبَظْـرِ الوالـدَهْ

[لم يرض فعلهما فهجاهما]

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : كان دِعبِل قد مدح دِينارَ بنَ عبد الله وأخاه يحيى ، فلم يَرْضَ ما فعلاه ، فقال يهجوهما[4] : [من البسيط]

مـا زالَ عصياننا للهِ يُرذِلنـا حتى دُفعنـا إلى يحيـى ودينارِ

---

1 ديوانه : 23 .

2 يحل برَحله في الديوان : يحل بطارق .

3 ديوانه : 172 .

4 ديوانه : 88 .

وَغَدَين عِلْجَين لم تُقطَعْ ثمارهـا قد طالَ ما سَجدا للشمسِ والنّارِ[1]

[هجاء بالجملة]

قال : وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دِعبِل يهجوهم ، والحسنِ بنِ رجاء وأبيه أيضاً[2] : [من الطويل]

ألا فاشتروا منّي ملـوك المخزمِ أَبِعْ حسَنًا وابنَي رجـاء بدرهمِ[3]
وأعطِ رجـاء فـوق ذاك زيـادة وأسمـحْ بدينـار بغيرِ تنـدُّمِ
فإن رُدّ مـن عيبٍ عليّ جميعُهم فليس يَردُّ العيبَ يحيى بنُ أكثمِ

[هجاء الطاهريين بعد إحسانهم إليه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الطيِّب الحرانيُّ قال : كان دِعبِل منحرفاً عن الطاهريّة مع ميلهم إليه وأياديهم عنده ، فأنشدني لنفسه فيهم[4] : [من الوافر]

وأبقـى طاهـر فينا ثلاثاً عجائبَ تُستَخَفّ لها الحلومُ
ثلاثـةَ أعبـد لأبٍ وأمٍّ تُميِّـز عـن ثلاثتِهم أُرومُ[5]
فبَعضٌ في قـريش منتمـاه ولا غَيرٌ ومجهـولٌ قديمُ[6]
وبعضهمُ يَهشّ لآل كسرى ويزعـمُ أنّه عِلْـج لئيمُ
فقـد كثرَتْ مناسبهم علينا وكلُّهمُ عَلى حـال زنيمُ[7]

[عودة إلى قبيح الوجه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : كان صالحُ بن عطيّةَ الأضجم من أبناء الدّعوة ، وكان من أقبح النّاس وَجهاً ، وكان ينزل واسطاً ، فقال فيه دِعبِل : [من السريع]

أحسنُ مـا في صالح وجهُهُ فقِس على الغائـب بالشاهدِ

---

1 لم تقطع ثمارهما : لم يختنا .
2 ديوانه : 187 .
3 الديوان : المخرم .
4 ديوانه : 141 .
5 ثلاثة أعبد في الديوان : ثلاثة إخوة . والأروم : الأصول .
6 ولا غير في الديوان : ولاء غير مجهول قديم .
7 الزنيم : الملحق بالقوم وليس منهم .

تأمَّلَتْ عينـــي لـــــه خِلقةً تدعـــو إلى تزنيـــة الوالدِ

قال : وقال فيه أيضاً ، وخاطب فيها المعتصم[1] : [من الكامل]

قـــلْ للإمامِ إمامِ آل محمد قولَ امرىء حَدِبٍ عليكَ مُحامِ
أَنكرْتُ أن تفتّر عنك صنيعةٌ في صالحِ بنِ عطيّـةَ الحجّامِ
ليس الصنائعُ عنـدَه بِصنائع لكنّهـــنّ طوائـلُ الإسلامِ
اضرِبْ به جيشَ العدوّ فوجهُه جيش من الطاعون والبِرسامِ[2]

[يعرض شعره على مسلم]

أُخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان قال : أُخبرني إبراهيمُ بنُ محمدٍ الورّاقُ قال : حدَّثني الحسينُ بن أبي السّريّ قال : قال لي دِعبِل : ما زلتُ أقول الشعر وأعرضُه على مُسلِم ، فيقول لي : أكتمْ هذا حتى قلت : [من الكامل]

أَيـــن الشبابُ وأيّـــةً سَلكا لا ، أَين يُطلب ضلّ ؟ بل هلكا

فلمّا أنشدته هذه القصيدة قال : اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئتَ لِمَن شئت .

قال إبراهيمُ : وحدَّثني الفتح غلامُ أبي تمام الطّائيِّ ، وكان أبو سعيد الثّغريّ اشتراه له بثلثمائةِ دينار ليُنشد شعره ، وكان غلاماً أديباً فصيحاً ، وكان إنشاد أبي تمّام قبيحاً ، فكان يُنشد شعره عنه ، فقال : سألت مولاي أبا تمّام عن نَسَب دِعبِل فقال : هو دِعبِل بنُ عليّ الذي يقول : [من الكامل]

ضحك المشيب برأسه فبكى

[تهاجر دِعبل ومسلم]

قال الفتح : وحدَّثني مولاي أبو تمّام قال : ما زال دِعبِل مائلاً إلى مُسلِم بن الوَليد مُقِرّاً بأستاذيته حتى وَرَد عليه جُرجان فجفاه مسلم ، وكان فيه بخل ، فهجره دِعبِل وكتب إليه[3] : [من الطويل]

أَبـــا مَخْلد كنّا عقيدَيْ مـــودّة هوانـــا وقلبانـــا جميعاً مَعاً مَعا
أحُوطك بالغيبِ الذي أَنتَ حائطي وأَيجـــع إشفاقـــاً لأَن تتوجّعا[4]

1 ديوان دعبل : 145 .
2 البرسام : التهاب يعرض للحجاب الحاجز .
3 تقدم هذا الشعر في ترجمة مسلم بن الوليد في الجزء 19 : 39 من الأغاني .
4 أيجع : أحس بالوجع .

فصيّرتَني بعــد انتكاسك متْهِما لنفسي عليها أُرهب الخلق أُجمعا
غشَشْتَ الهوى حتى تداعت أُصوله بنا وابتذلْتَ الوصل حتى تقطّعا
وأَنزلتَ من بـين الجوانحِ والحشا ذخيرةَ وُدٍّ طالمـا قــد تَمنعا
فلا تعذلَنّــي ليس لي فيك مطمع تخرّقتَ حتى لم أُجِد لك مَرْقعا
فهبك يمينــي استأكلَتْ فقطعتُها وجشَّمت قلبــي صبره متشجّعا

ويُروى : وحملت قلبي فقدها . قال ثم تهاجرا ، فما التقيا بعد ذلك .

[دِعبل خزاعة كلّها]

أُخبرني محمد بن خلف قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ محمد قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ عليٍّ قال : قلت لابن الكلبيّ : إن دِعبِلاً قُطَعيّ[1] ، فلو أخبرتَ النّاس أنّه ليس من خُزاعةَ ، فقال لي : يا فاعل ! مِثلُ دِعبلٍ تنفيه خُزاعة ! واللّه لو كان من غيرها لرغِبَت فيه حتى تدّعيَه . دِعبل واللّهِ يا أخي خُزاعةُ كلّها .

[دِعبِل والمطّلب بن عبد الله]

أُخبرني محمدُ بنُ المَرْزبان قال : حدَّثني إبراهيمُ بن محمدٍ الورّاقُ عن الحسين بن أُبي السريّ عن عبد الله بن أبي الشِّيص قال : حدَّثني دِعبِل قال : حججْت أنا وأخي رَزين وأخذنا كُتباً إلى المطَّلب بنِ عبد الله بنِ مالك وهو بمصر يتولاّها ، فصِرنا من مكّةَ إلى مصرَ ، فصحبَنا رجل يُعرف بأُحمدَ بن فلانٍ السراجِ ، نَسِي عبد الله بنُ أبي الشِّيص اسم أبيه ؛ فما زال يحدّثنا ويؤانسنا طول طريقنا ، ويتولّى خدمَتنا كما يتولاّها الرفَقاء والأتباع . ورأيناه حسن الأدبِ ، وكان شاعراً ، ولم نعلمْ ، وكتَمنا نفْسَه . وقد علِمَ ما قصدنا له فعرَضْنا عليه أن يقولَ في المطّلب قصيدة نَنحَله إيّاها . فقال : إن شئتم ، وأرانا بذلك سروراً وتقبُّلاً له ، فعملنا قصيدة ، وقلنا له : تُنشدها المطّلب فإنّك تنتفع بها . فقال : نَعم . ووردْنا مِصْرَ بِهِ ، فدخلْنا إلى المطّلب ، وأوصلْنا إليه كتباً كانت معنا ، وأنشدناه . فسُرَّ بموضِعنا ، ووصْفنا له أحمد السراجَ هذا ؛ وذكرنا له أمره ، فأْذن له ، فدخل عليه ونحن نظنّ أنّه سيُنشد القصيدة التي نحلناه إيّاها ، فلمّا مثَل بين يديه عدَل عنها وأنشده : [من البسيط]

لم آتِ مطّلِبــاً إلاّ بمطّلب وهمّةٍ بلَغت بـي غايـةُ الرُّتبِ
أفردتُــه برجـاء أن تشاركه فيّ الوسائل أو أُلقاه في الكتبِ

قال : وأشار إلى كتبي التي أوصلتُها إليه وهي بين يديه ، فكان ذلك أشدّ من كلّ شيء مرَّ

---

1 قطعي : منسوب إلى قطيعة ، بطن من زبيد وقيس عيلان .

بي منه عليّ ، ثم أنشده : [من البسيط]

رحلْت عَنْسي إلى البيتِ الحرامِ على ... ما كان من وصَب فيها ومن نَصَبِ
أُلقــى بهــا وبوجهي كلَّ هاجرة ... تكاد تقدحُ بين الجلدِ والعصَبِ
حتى إذا ما قضَتْ نُسْكي ثَنَيت لها ... عِطف الزّمام فأَمّت سيّدَ العربِ
فيمّمْتك وقــد ذابــت مفاصلها ... من طول ما تعَبٍ لاقت ومن نَقبِ[1]
إنّي استجرْت بإستارين مستلِماً ... رُكنَين : مطّلباً والبيتَ ذا الحُجُبِ
فَـذاك للآجـلِ المأمـولِ أَلَمسه ... وأَنت للعاجـلِ المرجـوّ والطلبِ
هذا ثنائي وهـذي مصر سانحـةً ... وأَنتَ أَنتَ وقد ناديْتُ من كثَبِ

[ولاّه المطّلب أسوان]

قال : فصاح مطّلب ، لبّيك لبّيك : ثم قام إليه فأخذ بيده ، وأُجلسه معه ، وقال : يا غلمان ، البِدَر ، فأُحضِرت ، ثم قال : الخِلَع ، فنُشرت ، ثم قال : الدوابّ ، فَقيدتْ ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينَه وأعيننا وصدورَنا وحسدناه عليه ؛ وكان حسدُنا له بما اتّفق له من القَبول وجودة الشعر ، وغيظُنا بكتمه إيّانا نفسَه واحتياله علينا أكثرُ وأعظم . فخرج بما أمر له به ، وخرجنا صِفْرا ، فمكثنا أيّاماً ، ثم ولّى دِعبلَ بنَ عليّ أُسوان ، وكان دِعبِل قد هجا المطّلب غيظاً منه ، فقال[2] : [من المتقارب]

تُعَلّق مصرُ بــك المخزيات ... وتبصُق في وجهَـك المَوْصِلُ
وعاديتَ قومـاً فما ضَرّهـم ... وشرّفتَ قومـاً فلـم ينبُلوا
شِعارك عنـد الحروبِ النجاء ... وصاحبُك الأخـورُ الأفشلُ
فأنـتَ إذا مـا التقَوا آخـرٌ ... وأَنـتَ إذا انهزمـوا أوّلُ

وقال فيه :

اضرِبْ نَدى طلحةِ الطلحاتِ متّئداً ... بلـؤمِ مطّلبٍ فينا وكـن حكَما
تخرجْ خزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ ... فـلا تعدُّ لهـا لؤماً ولا كرما

قال : وكانت القصيدة التي مدح بها دِعبِل المطلبَ قصيدته المشهورة التي يقول فيها[3] : [من المنسرح]

---

1 النقب : الحفا .

2 هذه الأبيات من قصيدة سترد فيما بعد برواية مختلفة ، وهي في ديوانه : 126-127 .

3 ديوانه : 33 .

أَبعدَ مصرٍ وبعدَ مطّلبٍ ترجو الغِنى إن ذا من العجبِ
إن كاثرونا جئنا بأسرته أَو واحدونا جئنا بمطّلبِ

[بلغ المطّلب هجاؤه فعزله]

قال وبلغ المطلبَ هجاؤه إيّاه بعد أَن ولاّه ، فعزله عن أُسوان ، فأنفذ إليه كتاب العَزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعدَ المِنبر يومَ الجمعة ، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة ، وأُنزلْه عن المِنبر ، واصعد مكانه . فلمّا أن علا المِنبرَ وتنحنحَ ليخطب ناوله الكتاب ؛ فقال له دِعبِل : دَعني أخطب ، فإذا نزلتُ قرأته . قال : لا ، قد أمرني أن أَمنعَك الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المِنبر معزولاً .

قال : فحدَّثني عبد الله بنِ أبي الشِّيص قال : قال لي دِعبِل قال لي المطّلب : ما تفكّرت في قولك قطّ : [من المنسرح]

إنْ كاثرونا جئنا بأسرتِه أَو واحدونا جئنا بمطَّلبِ

إلاّ كنتَ أَحَبّ النّاس إليّ ، ولا تفكّرْتُ واللهِ في قولك لي : [من المتقارب]

وعادَيْتَ قوماً فما ضرَّهم وقدَّمتَ قوماً فلم ينبُلوا

إلاّ كنت أَبغضَ النّاس إلي .

[معنى إستارين]

قال ابنُ المَرْزبانِ حدَّثني مَن سأَل الرِّياشيّ عن قوله : إستارين ، قال : يجوز على معنى إستار كذا ، وإستار كذا . وأنشدنا الرياشيّ : [من البسيط]

سعى عقالاً فلم يترك لنا سَبَدا فكيف لو قد سَعى عمرو عِقالَينِ[1]
لأَصبَحَ القومُ أُوفاضا فلم يجدوا يوم الترحلِ والهيجا جِمالَينِ[2]

[هجاؤه المطّلب]

أَخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عبدُ الله بنُ أَبي سعدٍ قال : حدَّثني عبدُ العزيز بنُ سهل قال : لما قصد دِعبِل المطّلب بنَ عبد الله بنِ مالك إلى مصرَ ولم يرضَ ما كان منه إليه قال فيه : [من المتقارب]

1 سعى : باشر جمع الصدقات . والعقال : زكاة عام من الإبل والغنم . والسَّبد : القليل من الشعر . يقال ماله سبد ولا لبد .
2 أوفاض : فقراء .

أمطَّلبٌ أنتَ مستعذِبٌ … حُمَيّا الأفاعي ومستقبِلُ
فإن أشفِ منك تكن سُبّة … وإن أعفُ عنك فما تعقلُ[1]
ستأتيك إمّا وردْتَ العراق … صحائفُ يأثِرها دِعبلُ
منمَّقةٌ بين أثنائها … مَخازٍ تَحُطُّ فلا تَرحلُ
وضعْتَ رجالاً فما ضرّهم … وشرّفتَ قوماً فلم ينبُلوا
فأيُّهم الزَّينُ وسْط المَلا … عطيّةُ أَمْ صالحُ الأحولُ
أَم الباذِجانيّ أمّ عامرٍ … أمينُ الحمام التي تَزْجُلُ
تُنَوِّط مصرُ بك المخزيات … وتبصُق في وجهكَ الموصلُ
ويومَ السّراةِ تحسّيتَها … يطيبُ لدى مثلِها الحنظلُ[2]
تولَّيتَ ركْضاً وفتياننا … صدورُ القنا فيهمُ تعمَلُ[3]
إذا الحربُ كنت أميراً لها … فحظهمُ منك أن يُقتَلوا
فمِنك الرؤوس غداةَ اللقاء … ومِمَّن يحاربكَ المُنْصُلُ
شِعارك في الحرب يومَ الوغى … إذا انهزَموا : عجِّلوا عجِّلوا
هزائمك الغُرُّ مشهورةٌ … يُقرطِسُ فيهن من ينضُلُ[4]
فأنتَ لأوّلِهم آخرٌ … وأنتَ لآخرِهم أوّلُ

أخبرني عمِّي قال أنشدنا المبرِّدُ لدِعبِل يَهْجو المطّلبَ بنَ عبد الله ويُعيِّره بغلامَين : عليٌّ وعمرٍو ، وكان يتّهم بهما[5] : [من المتقارب]

فأيرُ عليٌّ لـه آلـة … وفَقْحة عمرو لـه دبّةْ[6]
فَطوراً تصادفـه جَعبةٌ … وطوراً تصادفه حربَةْ

وأنشدني ابنُ عمّار عن أحمدَ بنِ سليمانَ بنِ أبي شيخ لِدعبِل يمدح المطَّلبَ بنَ عبدِ الله بنِ مالك ، وفيه غناء .

---

1 فما تعقل في الديوان : فما تفعل .
2 ويوم السّراة في الديوان : ويوم الشراة .
3 تعمل في ل والديوان : تعسل .
4 يقرطس : يصيب الغرض . وتقرطس الرجل : هلك . ينضل : يسبق في الرمي .
5 ديوان دعبل : 17 .
6 الدبة : ظرف الزيت وغيره .

صوت[1]

[من الكامل]

زَمَني بمطَّلبٍ سُقِيتَ زمانـاً   مـا كنْتَ إلاّ روضةً وجِنانا
كُلُّ النَّدى إلاّ نداكَ تكلُّف   لم أَرضَ بعدك كائناً مَن كانا
أُصلحتَني بالبرّ بـل أَفسدتَني   فتركتَنـي أَتسخّط الإحسانا

وقد أَخبرني بخبره الأوَّل الطويل مع المطّلب الحسنُ بن عليٍّ عن أحمدَ بن محمد حدّان عن أحمدَ بنِ يحيى العدَويّ أن سبب سخطه على المطلب أنّ رجلاً من العلويِّين كان قد تحرّك بطنجة ، فكان يَبُثّ دعاته إلى مصر ، وخافه المطلب ، فوكَّل بالأبواب مَن يمنع الغرباء دخولها .

فلمّا جاء دِعبِل مُنع فأغلظ لِلذي منعه ، فقنّعه بالسوط وحبسه . فمضى رَزِين فأَخبر المطلّب ، فأمر بإطلاقه ، ودعا به فخلع عليه . فقال له : لا أرضى أو تقتلَ الموكَّل بالباب فقال له : هذا لا يمكن لأنـّه قائد من قُوّاد السلطان . فغضب ثم أنشده الرّجل الأبيات المذكورة ، فأجازه ، وحَكى أن اسمَه محمدُ بنُ الحجّاج ، لا أحمد بن السراج . وسائر الخبر مثلُه .

[تهاجيه مع المخزوميّ]

وكان سبَب مناقضته أَبا سعد المخزوميّ وما خرج إليه الأَمر بينهما قولُ دِعبِل قصيدته التي هجا فيها قبائل نِزار ، فحمي لذلك أبو سعد ، فهجاهم ، فأجابه أبو سعد ، ولجَّ الهجاء بينهما .

ورُوي أنـّه نَزل بقوم من بني مخزوم ، فلم يُضَيِّفوه ، فهجاهم ، فأَجابه أَبو سعد ولجّ الهجاء بينهما .

أَخبرني عمِّي والحسنُ بنُ علي الخفّافُ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بنُ الأشعث قال : حدَّثني دِعبِل أنـّه ورَزِينا العَروضيَّ نزلا بقوم من بني مخزوم ، فلم يَقْروهما ، ولا أحسنوا ضيافتهما فقال دِعبِل : فقلت فيهم[2] : [من البسيط]

عِصابةٌ من بني مخزومَ بِتُّ بهم   بحيث لا تطمع المِسحاة في الطينِ

ثم قلت لرزين : أجز فقال : [من البسيط]

في مَضغ أَعراضهم من خبزهم عِوَض   بنـي النفـاق وأَبنـاءِ الملاعـينِ

1 ديوانه : 190 .
2 ديوانه : 90 .

قال ابن الأَشعثُ : فكان هذا أَوّلَ الأَسباب في مهاجاته لأَبي سعد .

أُخبرني محمدُ بن عِمران الصّيرفيُّ قال : حدَّثني العَنَزيّ قال : حدَّثني عليُّ بن عمرٍو الشيبانيُّ أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد ودِعبِل قصيدته القحطانيّة التي هجا فيها نِزاراً ، فأجابه عنها أبو سعد ، ولجّ الهجاء بينهما .

أُخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم قال : حدَّثني أُحمد بنُ أَبي كامل قال : كان سببَ وقوع الهجاء بين دِعبِل وأبي سعد قولُ دِعبِل في قصيدة يفخر فيها بخُزاعةَ ، ويهجو نِزاراً ، وهي التي يقول فيها : [من الهزج]

أَتانــا طالباً وَعْرا فأَعقبنــاه بالوَعــرِ
وتَرْنــاه فلم يَرضَ فأَعقبنـاه بالوِتــرِ

فغضب أَبو سعد ، وقال قصيدته التي يقول فيها لِدِعبل ، وهي مشهورة : [من الهزج]

وبالكرخِ هوًى أبقى على الدهرِ من الدهرِ
هــوًى والحمــدُ للهِ كفاني كُلفــة العذرِ

قال : ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك .

[جيد المخزوميّ لا يروى ويروى رديء دِعبل]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسمِ بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أُحمدُ بنُ هارونَ قال : دخلْتُ على أبي سعدٍ المخزوميِّ يوماً وهو يقول : وأيّ شيء ينفعني ؟ أَجوِّد الشعر فلا يُروى ، ويُرذل فيُروى ، ويفضحني برديئه ، ولا أفضحه بجيّدي . فقلْتُ : مَن تَعني يا أَبا سعد ؟ فقال : مَن تراني أعني إلاّ مَن عليه لعنةُ اللهِ دِعبلاً ! فقلت فيه : [من مجزوء الخفيف]

لَيْسَ لُبْس الطيــالِس مِــن لِبـاسِ الفوارسِ
لا ولا حَوْمَــةُ الوغى كصُــدورِ المجــالسِ
ضَــرْبُ أُوتــارِ نَفْنفٍ غيرُ ضــربِ القوانسِ[1]
وظُهــورِ الجيــادِ غيــ ــرُ ظهــورِ الطنافسِ
ليس مَن ضارس الحرو ب كمَن لَـمْ يُضارسِ[2]
بِأَبــي غــرسُ فِتيـةٍ مِــن كــرام المغـارسِ

---

1 نفنف : اسم غلام دعبل وكان مغنياً له . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى الخوذة .

2 ضارس في ل : مارس . وضارس : جرب .

فِتيــةٌ مــن بنــي المُغـ ـــيرةِ شمّ المعـــاطسِ
يُطعِمونَ السديــفَ في كلِّ شهبـــاءَ دامسِ[1]
في جِفــانٍ كأنّهـــا مـــن جفـانِ العرائسِ
ثــم يمشونَ في السَّنَوْ رِ مشــيَ العنـــابسِ[2]
ويخوضـــونَ بـــاللوا ءِ دمـــاءَ الأبـــالسِ
نحــنُ خيرُ الأنــامِ عنـ ـــدَ قيــاس المُقــايسِ

فواللّهِ ما التفَت إليها في مصرنا هذا إلاّ علماء الشعر : وقال هو فيّ[3] : [من مجزوء الخفيف]

يــا أبا سعدَ قَوْصَرهْ زانيَ الأختِ والمَرَهْ[4]
لـــو تـــراه مُحَنَّباً خلتـه عَقــدَ قنطرَهْ[5]
أوَ ترى الأيرَ في استِه قلــتَ ساقٌ بمِقطرَهْ[6]

قال : فواللّهِ لقد رواه صبيان الكتاب ومارّة الطريق والسِّفَل ، فما أجتاز بموضع إلاّ سمعته من سِفْلة يَهْذِرُون به ، فمنهم مَن يعرفني فيَعيبُني به ، ومنهم مَن لا يعرفني فأسمعه منه لسهولته على لسانه .

[المخزوميّ يدس عليه ما لم يقله]

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصيرفيُّ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني عليّ بن أبي عمرو الشيباني قال : جاءَني إسماعيلُ بنُ إبراهيم بنِ ضَمْرة الخُزاعيُّ ، فقال لي : إنّي سألت دِعبِلاً أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت[7] : [من الوافر]

أفيقي مــن مَلامــك يا ظعينا كفاكِ اللــومَ مــرُّ الأربعينا

فقال لي إسماعيل : قال لي دعبِل : يا أبا الحسن فيها أخبار وغَريب ، فليكن معك رجل يقرؤها عليّ وأنت معه ، فيكونَ أهونَ عليّ منك . فقلت له : لقد اخترْتُ صديقاً لي يقال له :

1 السديف : شحم السنام . والشهباء : السنة المجدبة .
2 السنور : جملة السلاح . والعنابس : جمع عنبس ، وهو الأسد .
3 ديوان دعبل : 80 .
4 قوصره : كناية عن المرأة ، والمنبوذ في لغة أهل البصرة .
5 محنب : الاحديداب في ظهر البعير ووظيفه .
6 المقطرة : خشبة مخروقة توضع في ساق المحبوس .
7 ديوان دعبل : 148–150 .

عليّ ؛ فقال : أَمِن العرب هو ؟ قلت : نعم . قال : مِنْ أيِّ العربِ ؟ قلتُ : مِن بني شيبانَ . قال : شيبانُ كندةَ ؟ فقلت : بل شيبانُ ربيعةَ . فقال لي : ويحك ! أتأتيني برجل أسمعه ما يكره في قومه ؟ فقلت له : إنّه رجلٌ يَحتملُ ، ويحبُّ أن يسمَع ما له وعليه . فقال : في مثل هذا رغبة فأتني به ، فصِرنا إليه ، فلمّا لقيه قال : قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سُررتُ به ؛ أن كنت رجلاً من العربِ تُحبّ أن تَسمع ما لك وعليك لكيلا تُغبَن . فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله : [من الوافر]

مِنَ آيِ ثَنيّة طلعَت قريش ... وكانــوا معشراً متنبّطينـا

فقال دِعبِل : معاذ الله أَن يكون هذا البيت لي ؛ ثم قال : لعنه الله وانتقَم منه ، يعني أَبا سعد المخزوميّ ، دَسّه واللهِ في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجَرَد البيت بحدها ؛ ثم قال لنا : أحدّثكم عنه بحديث طَريف :

[يصطلحان ثم يعودان إلى التهاجي]

جاءَني يوماً ببغدادَ أَشدَّ ما كان بيني وبينه من الهجاء ، وبين يدَيّ صحيفة ودواة ، وأَنا أَهجوه فيها ، إذ دخل عليّ غلام لي فقال : أبو سعد المخزوميّ بالباب . فقلتُ له : كذبْت . فقال ، وهو عارف بأبي سعد : بلى واللهِ يا مولاي . فأمرته برفع الدواةِ والجلدِ الذي كان بين يَدَي ، وأَذِنت له في الدخول ، وجعلْتُ أحمد اللهَ في نفسي ، فأقول : الحمدُ للهِ الذي أصلح بيني وبينه من هَتْك الأعراض وذِكرِ القبيح ، وكان الابتداء منه . فقُمت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأبديتُ له مثلَ ذلك من السرور به ، ثم قلت : أُصبحتُ واللهِ حاسداً لك . قال : على ماذا يا أبا عليّ ؟ فقلت : بسَبْقك إيّاي إلى الفضلِ .

فقال لي : أنا اليوم في دعوى عندك ، فقلت : قُل ما أَحببتَ . فقال : إن كان عندك ما نأكله ، وإلاّ ففي منزلي شيء مُعَدّ . فسألت الغلمان فقالوا : عندنا قِدْر أُمْسيّة[1] . فقال : غايةٌ واتّفاق جيّد . فهل عندك شيء نشربُه ، وإلاّ وجّهت إلى منزلي ففيه شراب مُعَدّ ؟ فقلت له : عندنا ما نَشرب ، فطَرح ثيابه ورَدَّ دابّته وقال : أحبّ ألاّ يكون معنا غيرُنا . فتغدَّينا وشرِبنا ، فلمّا أن أخذ الشراب منا قال : مُرْ غلامَيك يغنّياني . فأمرت الغلامَين فغنّياه ؛ فطرِب وفرح ، واستحسن الغناء حتى سرَّني وأطربني معه ، ثم قال : حاجتي إليك يا أبا عليّ أن تأمرَهما بأن يغنّياني في هِجائك لي ، وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه منّي في هجائي قد حفِظا منه أَشياء ولحّناها ، فقلت له : سبحان الله يا أبا سعد قد طَفِئت النائرة[2] ، وذهبت العداوة بيننا ، وانقطع

1 ل : مبيتة .

2 النائرة : الشحناء .

الشرّ . فما حاجتك إلى هذا ؟ فقال لي : سألتكَ بالله إلاّ فعلْتَ ، فليس يَشُقّ ذلك عليّ ، ولو كرهتُه لما سألته . فقلت في نفسي : أترى أبا سعد يتماجن عليَّ ؟ يا غلمان ، غنّوه بما يريد ، فقال غنّوه : [من مجزوء الخفيف]

يـا أبا سعد قَوْصَرَهْ زانيَ الأخـت والمرَهْ

فغنَّوه ، وهو يحرِّك رأسه وكتفيه ، ويطرب ويصفّق ، فما زِلنا يومنا مسرورَين . فلمّا ثَمِل ودَّعني وقام فانصرف ، وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب ، فإذا غلام منهم قد انصرف إليّ بقطعةِ قرطاس ، وقال : دفعها إليّ أبو سعد المخزوميّ ، وأمرني أن أدفعها إليك . قال : فقرأتها ، فإذا فيها : [من المنسرح]

لِدِعبِلٍ مِنّـــة يَمنُّ بهـا فلست حتى الممات أنساها
أدخلَنـــا بيتـــه فأكرمنا ودَسَّ بامراتـــه فنكناها

فقال : ويْلي على ابن الفاعلةِ ، هاتوا جِلداً ودَواةً . قال : فرَدُّوها عليّ ، فعُدتُ إلى هجائه ، ولقيته بعد يومين أو ثلاثة ، فما سلَّم عليّ ، ولا سلّمتُ عليه .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حَدَّثنا عليّ بن عبد الله بن سعد ، أنّه سمع دِعبِلاً يحدّث بخبره هذا مع أبي سعد ، فذكر نحو ما ذكره العَنَزيّ .

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي كامل قال : رأيت دِعبِلاً قد لقيَ أبا سعد في الرُّصافة ، وعليهما السّواد وسيفاهما على أكتافهما ، فشدَّ دِعبِل على أبي سعد فقنّعه ، فركض أبو سعد بين يديه هارباً ، وركض دِعبِل في أثره وهو يهربُ منه حتى غاب . قال : وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون ، فتظلّموا منه إلى المأمون ، وذكروا أنّهم لا يعرفون له فيهم نسباً ، فأمرهم المأمون بنفيه ، فانتفَوا منه ، وكتبوا بذلك كتاباً . فقال دِعبِل فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة[1] : [من مجزوء الرمل]

غيرَ أن الصَّيْـدَ منهـمْ قنّعـــوه بخَزايَـــهْ
كتبوا الصّـكَّ عليـــه فَهْـــو بـين النّاسِ آيَـهْ
فـإذا أقبـــلَ يومـــاً قيـلَ قد جاءَ النُّفايَـهْ

وقال فيه أيضاً[2] : [من الطويل]

1 ديوان دعبل : 163 عن الأغاني .
2 ديوانه : 78 وفيه «الفقرا» بدل «القفدا» .

هـمُ كتبوا الصّكَّ الذي قد علمْتَه　　عليك وشنّوا فوق هامتك القفدا[1]

قال : وكان إذا قيل له بعد ذلك شيء في نسبهِ قال : أنا عبدُ ابنُ عبد . قال : ونظر دِعبِل فرأى على أبي سعد قَباء مَرَويّاً مصبوغاً بسواد ، فقال : هذا دعيّ على دعيّ .

[هجاؤه عندما اطّلع على دفتر المخزوميّ]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ مروانَ مولى الهادي قال : لقِيني أبو سعد المخزوميُّ على ظهر الطريق فقال لي : يا أحمد أنا أدرس شِكايتَك إلى أبيك ، قال فقلت : ولِمَ أبقاك الله ؟ قال : فما فعل دفتر البَزاريات ؟ قلتُ : هوذا أجيئك به . فلمّا صلّيتُ الظهر جئت بالدفتر أريده ، فمررْتُ بدِعبِل فدققتُ بابه ، فسمعته يقول لجارية له : يا دراهم ، انظري مَن بالباب . فقالت له : أحمدُ بنُ مروان . فقال : افتحي له . فلمّا دخلْتُ قلت له : أيشٍ هو دراهم من الأسماء ؟ قال : سمّيتم جواريكم دنانير ، فسمَّينا جوارينا بدراهم . ثم قال : ما هذا معك ؟ قلت : دفترٌ فيه شِعر أبي سعد في البزاريات ، فأخذه فنظر فيه وابنهُ عليُّ بنُ دِعبِل بنِ عليٍّ معه ، فلمّا بلغ من نظره إلى شِعره الذي يقول فيه : [من السريع]

مالـتْ إلى قلبكَ أَحزانه　　فهـو مُجِمُّ الهـمِّ خزّانه

قال له ابنه عليّ : فما كان عليه يا أبتِ لو قال في شعره :

عادتْ إلى قلبكَ أَحزانه ؟

فقال دِعبِل : صدقْتَ واللهِ يا بنيّ ، أنتَ واللهِ أَشعر منه . قال : ثم إنّه أَملى عليَّ دِعبِل إملاء[2] : [من البسيط]

ما كنت أَحسب أَنّ الدَّهرَ يُمهلني　　حتى أَرى أَحداً يهجـوه لا أَحدُ

إنّي لأَعجـبُ مِمَّن في حقيبته　　من المنِـيِّ بُحـورٌ كيـف لا يلدُ

فإن سمِعت بـه بعْثُ القنا عبثاً　　فقـد أَراد قَناً ليست لـه عُقَدُ

ثم صِرْت إلى أَبي سعد ، فلمّا رآني من بعيد قال : يا أحمد ، مِن أين أقبلت ؟ قلت : من عند دِعبِل . قال : وما دعبَلْت عنده ؟ فأنشدته شِعر دِعبِل فيه ، وأخبرْته بما قال ابنه في شعره ، فقال : صدق والله ، في أيّ سنّ هو ؟ قلت : قد بلَغ . فدَعا بدواة وقرطاس وقال : اكتب فكتبت : [من البسيط]

1 القفد : الصَّفح .

2 ديوان دعبل : 60 .

لا والذي خلقَ الصهباءَ من ذهبٍ ... والماءَ من فِضَّةٍ لا سادَ مَن بَخِلا
يقولُ لي دِعبِل في بطنِه حبلٌ ... ولو أُصابت ثيابي دِعبِلاً حَبِلا
ودِعبِلٌ رجلٌ ما شئتَ من رجلٍ ... لو كان أَسفلُه من خلفه رجُلا

قال: ثمّ هجاني أبو سعد، فقال: [من الوافر]

عدُوٌّ راحَ في ثوبَيْ صديق ... شريك في الصَّبوحِ وفي الغَبوقِ
له وجهانِ ظاهرهُ ابنُ عمٍّ ... وباطنه ابنُ زانيةٍ عتيقِ
يَسُرُّك معلِناً ويَسُوءُ سرّاً ... كذاك يكون أبناءُ الطريقِ

[بنو مخزوم ينفون المخزوميّ عنهم]

أخبرني عمّي والحسنُ بن عليٌّ قالا: حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال: حدَّثنا أبو ناجية، شيخٌ من ولد زُهَيرِ بن أبي سُلمى، قال: حضرْتُ بني مخزوم وهم ببغدادَ، وقد اجتمعوا على أبي سعد لمّا لجّ الهجاء بينه وبين دِعبِل، وقد خافوا لسان دِعبِل، وأن يقطَعهم ويهجوَهم هجاء يعمّهم جميعاً، فكتبوا عليه كتاباً؛ وأشهدوا أنّه ليس منهم. فحدَّثني غيرُ واحد أنّه حينئذٍ أتى بخاتمه النقاشَ، فنقَش عليه: أبو سعدٍ العبدُ ابنُ العبد بَريء من بني مخزوم تَهاوُناً بما فعلوه.

[المأمون لا يستثار على دعبل]

أخبرني علي بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال: كان أبو سعد المخزوميُّ يستعلي على دِعبِل في أوّل أمره، وكان يدخل إلى المأمون فيُنشده هجاء دِعبِل له وللخلفاء، ويحرّضه عليه وينشده جوابه، فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه. وكان يقول: الحقّ في يدِك والباطل في يدِ غيرك، والقول لك ممكن، فقل ما يكذبه، فأمّا القتل فإنّي لستُ أستعمله فيمن عظُم ذنبه، أفأستعمله في شاعر؟

[ابن أبي الشيص يهجو المخزومي]

فاعترض بينهما ابن أبي الشيص، فقال يهجو أبا سعد: [من مجزوء الرمل]

أنا بشّرتُ أبا سعـ ... ـد فأعطاني البشارَهْ
بأبٍ صِيدَ لـه بالـ ... أمس في دارِ الإمارهْ
فَهْوَ يوماً من تميم ... وهو يوماً من فَزارَهْ
كلَّ يوم لأبي سعـ ... ـد على الأنسابِ غارَهْ
خزِمتْ مخزومُ فاه ... فادعاها بالإشارَهْ

قال: وقال فيه ابن أبي الشيص أيضاً: [من الهزج]

أَبــا سعــد بحــقّ الخمــ ــسِ والمفروضِ من صومِكْ
أقلْـتَ الحـقّ في النسبــ ــة أم تحلُـمُ في نومِكْ
أَبِــنْ لي أيُّها المَعْــرو رُ مِمَّــن أنــتَ في قومِكْ[1]
فولّـى قائــلاً لــو شئـ ــتَ قد أَقصرْتَ من لومِكْ
ودعنــي أَكُ مَــن شئـتُ إذا لم أَكُ مَــن قومِكْ

[دعبل يهجوه]

وقال فيه دِعبِل[2] : [من السريع]

إنّ أَبا سعد فتـى شاعـرٌ يُعرَف بالكُنيـة لا الوالدِ
يَنْشُد في حــيّ معدٍّ أَباً ضلَّ عن المنشودِ والناشدِ
فرحمــةُ اللهِ على مسلـمٍ أرشدَ مفقـوداً إلى فاقدِ

[الصبيان يصيحون بهجائه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدّثنا ابنُ مُهْرُوَيْه قال : حدّثني أحمدُ بن عثمانَ الطبريُّ قال : سمعْتُ دِعبِل بنَ علي يقول : لمّا هاجيت أبا سعد أخذت معي جَوْزا ودعَوت الصبيان فأعطيتهم منه ، وقلت لهم : صيحوا به قائلين : [من مجزوء الخفيف]

يـا أبــا سعـد قَوْصَرَهْ زانيَ الأخــت والمَـرَهْ

فصاحوا به ، فغلبْتُه .

[أبو سعد يحرض عليه المأمون مرّة أخرى]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ مروانَ قال : حدَّثني أبو سعد المخزوميُّ واسمه عيسى بنُ خالد بن الوليد قال : أنشدْت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دِعبِل قوله[3] : [من الكامل]

ويسومني المأمــون خطةَ عاجز أَوَما رأى بـالأمس رأس محمـدِ

وأَوّل قصيدتي : [من الكامل]

أَخــذ المشيبُ من الشبابِ الأغيدِ والنائباتِ مــن الأَنـامِ بمرصَدِ[4]

1 المعرور : المصاب بالعر ، وهو الجرب ، أو هو الملطّخ بالشرّ .
2 ديوانه : 76 عن الأغاني .
3 ديوانه : 69 .
4 الأنام في ل : الرجال .

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أجيئك برأسه . قال : لا ، هذا رجل فَخر علينا فافخَر عليه كما فخر علينا ، فأمّا قتله بِلا حجّة فلا .

[يرى وجهه في المرآة فيذكر هجاء أبي سعد له]

أخبرني عَمّي والحسنُ بنُ عليٍّ عن أحمدَ بن أبي طاهر قال : حدَّثني أبو السَّريِّ عمرٌو الشيبانيُّ قال : نظر دِعبِل يوماً في المرآة ، فجعل يضحك ، وكانت في عَنْفَقَته[1] سَلْعة[2] ، فقلتُ له : مِن أيّ شيء تضحك ؟ قال : نظرتُ إلى وجهي في المرآة ، ورأيت هذه السَّلْعَةَ التي في عَنْفَقتي ، فذكرتُ قول الفاجر أبي سعد : [من المتقارب]

وسَلْعَـة سَوء بـه سَلْعَةٌ ظلمتُ أبـاه فلم ينتصرْ

[ينشده أحدهم هجاء المخزوميّ له]

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصيرفيُّ قال : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيْل العَنَزيّ قال : قال عبدُ الله بنُ الحسن بن أحمدَ مولى عمرَ بن عبد العزيز قال : حدَّثنا محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ قال : لقِيت دِعبِل بنَ عليّ ، فحدَّثني أن أبا عمرو الشيبانيَّ سأله : ما هو دِعبِل ؟ فقلت له : لا أدري ، فقال : إنها النّاقة المسنّة . قال محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ : ثم تحدَّثنا ساعة ، فقلتُ : أما ترى لأبي سعد يا أبا عليّ وانهماكِه في هجائك ؟ فقال دِعبِل : لكنّي لم أقُل فيه إلاّ أبياتاً سخيفة يلعب بها الصبيانُ والإماء ، وأنشدني قوله فيه : [من مجزوء الخفيف]

يـا أبـا سعد قَوْصرَهْ زانيَ الأخـت والمـرَهْ
لـو تـراه مُحنّبـاً خلتـه عَقـدَ قنطرَهْ
أو ترى الأيرَ في استه قلـتَ ساقٌ بمِقطَـرَهْ

قال محمد ، فقلت لدِعبِل : دَعْ عنك ذا ، فقد واللهِ أوجعك الرجلُ ، فإن أجبته بجواب مثله انتصفْتَ ، وإلاّ فإنّ هذا اللغو الذي فَخرْتَ به يَسقط وتُفْضَح آخرَ الدَّهر ، قال : ثم أنشدته قول أبي سعد فيه : [من البسيط]

لم يبقَ لي لـذّةٌ من طِيَّـةٍ بدَدِ ولا المنازلِ من خَيْفٍ ولا سَنَدِ[3]
أبعـدَ خمسينَ عـادتْ جاهليتُه يا ليت مـا عادَ منها اليومَ لم يَعدِ

---

1 ل : شعره .

2 السلعة : غدة في البدن تصغر وتكبر .

3 الطية : الحاجة والوطر . بدر : متفرقة . الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . السند : ما قابلك من الجبل .

وما تُريدُ عيونُ العِينِ من رجلٍ ... كرَّ الجديدان في أيّامه الجُدُدِ
أبدى سرائرَه وَجْداً بغانيةٍ ... ولو أطاعَ مشيبَ الرأس لم يجدِ
واستمطرتْ عبراتِ العَين منْزلةٌ ... لم يبقَ منها سوى الآريِّ والوتدِ[1]
وما بكاؤك داراً لا أنيس بها ... إلاّ الخواضبُ من خيطانها الرُّبُدِ[2]
لِدِعبلٍ وطَرٌ في كلِّ فاحشةٍ ... لَوْ بادَ لؤم بني قحطانَ لم يَبِدِ
ولي قوافٍ إذا أنزلتُها بلداً ... طارتْ بهن شياطيني إلى بلَدِ
لم ينجُ من خيرِها أو شرّها أحد ... فاحذَر شآبيبَها إن كنت مِن أحدِ
إنّ الطِّرِمَّاحَ نالَته صواعقُها ... في ظلمةِ القبرِ بين الهامِ والصُّرَدِ[3]
وأنتَ أولى بها إذ كنت وارثه ... فابعُد وجهدُك أن تنجو على البُعدِ
تهجو نِزاراً وترعى في أرومتِها ... وتنتَمي في أُناس حاكةِ البُرُدِ
إنِّي إذا رجُل دبَّت عقاربه ... سقيتُه سمَّ حيّاتي فلم يَعُدِ
زدني أزدك هواناً أنتَ موضعه ... ومَن يزيد إذا ما نحنُ لم نَزدِ
لو كنتَ متئداً فيما تُلفقه ... لكان حظك منه حظَ متئدِ
أو كنتَ معتمِداً منه على ثقةٍ ... من المكارمِ قلنا : طَوْل معتمدِ
لقد تقلدْتَ أمراً لستَ نائله ... بلا وليّ ولا مولى ولا عضُدِ
وقد رميتَ بياض الشمس تحسبه ... بياض بطنِك من لُؤم ومن نكَدِ
لا تُوعدنّي بقوم أنتَ ناصرهم ... واقعد فإنّك نَوْمانٌ من القَعَدِ[4]
لله معتصم باللهِ ، طاعتُه ... قضية من قضايا الواحدِ الصمدِ

قال ، فلمّا أنشدتها دِعبلاً قال : أنا أشتُمه وهو يشتُمني ، فما إدخال المعتصم بيننا ؟ وشقّ ذلك عليه وخافه ، ثم قال نقيض هذه القصيدة :

منازلُ الحيِّ من غُمدانَ فالنَّضَدِ

وهي طويلة مشهورة في شعره ، هكذا قال العَنَزيّ في الخبر ، ولم يأتِ بها .

1 الآري : عود في حائط أو حبل بحلقة تربط بها الدابة .
2 الخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم . الخيطان : جماعات النعام ، واحدها خيط . الربد : الغبر .
3 الهام : نوع من البوم . والصرد : طائر ضخم الرأس يصيد العصافير .
4 النومان : الكثير النوم . والقعد : جمع قاعد .

[دعي على دعي]

حدَّثنا محمدٌ قال : حدَّثنا العَنَزِيّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحسينِ عن محمدِ بن عليٍّ الطالبيِّ قال : عَبَرَ دِعبِل الجَسر ببغداد ، وأبو سعد واقف على دابته عند الجَسر ، وعليه ثوبُ صوفٍ مشبَّه بالخزّ مصبوغ ، فضرب دِعبِل بيده عَلى فخذه ، وقال : دَعِيٌّ عَلى دَعِيّ .

[دعبل مدخول النسب]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ الصيدَلانيُّ صهر المبرِّد قال : حدَّثني محمدُ بنُ موسى الضبيُّ راوية العَتَّابيّ ، وكان نديماً لعبدِ الله بن طاهر قال : بينما هو ذاتَ ليلة يذاكرنا بالأدب وأهلِه وشعراء الجاهليةِ والإسلام إذ بلغ إلى ذِكر المحدَثين حتى انتهى إلى ذِكرِ دِعبِل ، فقال : ويحك يا ضَبّيّ ! ، إنِّي أُريد أن أُحدّثك بشيءٍ عَلى أن تستره طول حياتي ، فقلت له : أصلحَكَ اللهُ أنا عندك في موضع ظِنة ؟ قال : لا ، ولكن أطيَبُ لنفسي أن تُوثّق لي بالأيمان لأركن إليها ، ويسكنَ قلبي عندها ، فأُحدّثك حينئذٍ .

قال : قلت : إن كنتُ عند الأَمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سرّه إليّ ، واستعفيته مراراً فلم يُعفني . فاستحييت من مراجعته ، وقلت : فليرَ الأمير رأيه . فقال لي : يا ضبّيّ ، قُل : واللهِ . قلتُ : واللهِ ، فأَمرّها عليّ غَموساً مؤكّدةً بالبَيعةِ والطلاق وكلٌّ ما يحلفُ به مسلمٌ . ثم قال : أشَعرْتَ أنّ دِعبلاً مدخول النسبِ ؟ وأمسك ، فقلت : أعزَّ اللهُ الأميرَ ، أفي هذا أخذْتَ العهودَ والمواثيقَ ومغلّظ الأيمانِ ؟ قال : إي والله ، فقلت : ولم ؟ قال : لأنّي رجل لي في نفسي حاجة ، ودِعبِل رجل قد حَمل نفسه عَلى المهالك ، وحَمَل جِذعه عَلى عنقه ، فليس يجد مَن يصلبه عليه ، وأخاف إن بلغه أن يقول فيّ ما يبقى عَلَيّ عاره عَلى الدَّهرِ ، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمَته اليمنُ ، وما أراها تفعل ؛ لأنّه اليوم لسانُها وشاعرُها والذابُّ عنها والمحامي لها والمرامي دونها ، فأضربه مائة سوط ، وأُثقِله حديداً ، وأُصيّره في مُطْبَق[1] باب الشام .

وليس في ذلك عِوض ممّا سار فيّ من الهجاء وفي عقبي من بعدي . فقلت : ما أُراه يفعل ويُقدِم عليك . فقال لي : يا عاجز ، أهوَنُ عليه ممّا لم يكن . أتراه أَقدَم عَلى الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم عليّ ؟ فقلت : فإذا كان الأمر كذا فقد وُفقَ الأميرُ فيما أخذَه عَلَيّ .

قال : وكان دِعبِلُ صديقاً لي ، فقلت : هذا شيء قد عرفتَه ، فمن أين ؟ قال الأميرُ : إنّه مدخول النسبِ وهو في البيت الرفيع من خزاعة ، لا يتقدّمهم غير بني أُهبانَ مكلّمِ الذئب . فقال : أسمع أنّه كان أيّامَ ترعرع خاملاً لا يُؤبه له ، وكان ينام هو ومسلمُ بنُ الوليد في إزار واحد ، لا يملكان غيره . ومسلمٌ أستاذه وهو غلامٌ أُمردُ يخدمه ، ودعبلٌ حينئذٍ لا يقول

1 المطبق : سجن تحت الأرض .

شعراً يفكر فيه حتى قال : [من الكامل]

لا تعجبي يـا سلمَ من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسِهِ فبكى

[بداية شهرته]

وغنّى فيه بعض المغنّين وشاع ، فغُنّي به بين يدي الرشيد ، إما ابنُ جامع أو ابنُ المكّيّ ، فطرب الرشيد ، وسأل على قائل الشعر ، فقيل له : دِعبِل بن عليٍّ ، وهو غلام نشأ من خُزاعة . فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخِلعة من ثيابه ، فأُحضر ذلك ، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته ، وقال له : اذهب بهذا إلى خُزاعة فاسأل عن دِعبِل بن عليٍّ ، فإذا دُللتَ عليه فأعطِه هذا ، وقُل له : لِيحضرْ إن شاء ، وإن لم يُجِبْ ذلك فدعه . وأمر للمغنّي بجائزة . فسار الغلام إلى دِعبِل ، وأعطاه الجائزة ، وأشار عليه بالمسير إليه .

فلمّا دخل عليه وسلَّم ، أمَرهُ بالجلوسِ فجلسَ ، واستنشده الشعر فأنشده إيّاه ، فاستحسنه وأمرَه بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنيّاً ، فكان أوّلَ مَن حرَّضه عَلى قول الشعر . فوالله ما بلغه أنّ الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العَطاء السنيِّ ، والغِنى بعد الفقرِ ، والرفعةِ بعد الخمولِ بأقبح مكافأة . وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام ، وهجا الرشيد[1] : [من البسيط]

وليس حـيٌّ مـن الأَحياءِ نعلمَه من ذي يمانٍ ومن بَكرٍ ومن مُضرِ
إلاّ وهـمْ شركاءُ في دمائِهـم كما تشارَك أيسار عَلى جُـزرِ[2]
قَتـلٌ وأَسرٌ وتحريـقٌ ومنهَبةٌ فعـلَ الغُزاةِ بأرضِ الرُّومِ والخَزرِ
أرى أُميّـةَ معذوريـن إن قَتلوا ولا أَرى لبنـي العبّاسِ من عذُرِ
اربع بطُوس عَلى القبرِ الزكيّ إذا ما كنت تربَع من دين عَلى وطَرِ
قبران في طُوسَ خيرُ النّاس كلِّهمُ وقبرُ شرِّهـم هـذا مـن العِبَرِ
ما ينفع الرِّجسَ من قُربِ الزكيِّ ولا عَلى الزكيّ بقُربِ الرجسِ مِن ضررِ
هيهاتَ كلّ امرىء رهنٌ بما كسبتْ له يداه فخذْ مـا شئتَ أو فذَرِ

[المأمون يصفح عنه]

يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام ، فهذه واحدة . وأَمّا الثانية فإنّ المأمون لم يزَل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله[3] : [من الكامل]

1 ديوانه : 178–179 .

2 أيسار : جمع يسر ، وهم المجتمعون على الميسر .

3 ديوانه : 115–116 .

عِلْـم وتحكيـمٌ وشَيبُ مَفارق طمَّسْنَ رَيعـان الشباب الرائقِ
وإمـارةٌ في دولـةٍ ميمونـةٍ كانت على اللذاتِ أشغَبَ عائقِ
أنّـى يكـون وليس ذاك بكائـنٍ يَـرِثَ الخلافةَ فاسقٌ عـن فاسقِ
إن كان إبراهيـمَ مضطلعاً بهـا فَلَتصْلُحَنْ مـن بعـده لمُخارقِ[1]

فلمّا قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صَفحْتُ عن كلّ ما هجانا به إذ قرن إبراهيمَ بمُخارقٍ في الخلافة ، وولاّه عهدَه .

وكتب إلى أبي أن يكاتبه بالأمان ، ويحمِل إليه مالاً ، وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصيرَ إلى حيث شاء فليفعل . فكتب إليه أبي بذلك ، وكان واثقاً به ، فصار إليه ، فحمله وخلع عليه ، وأجازه وأعطاه المال ، وأشار عليه بقصد المأمون ففعَل . فلمّا دخل وسلَّم عليه تبسّم في وجهه ، ثم قال أنشدني : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصاتِ

فجزع ، فقال له : لك الأمان فلا تخفْ ، وقد روَيتُها ولكني أحبّ سماعها من فيك . فأنشده إيّاها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضَل لِحيته بدمعِه ، فوالله ما شعَرنا به إلاّ وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمونَ بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أوّلَ داخل ، وآخر خارج من عنده .

[هاشمي لا يرضيه فيهجوه]

أخبرني محمدُ بنُ خافِ بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثني أبو بكرٍ العامريُّ ، قال : استَدعى بعضُ بني هاشمٍ دِعبِلاً وهو يتولّى للمعتصم ناحية من نواحي الشام ، فقصده إليها ، فلم يقعْ منه بحيث ظنّ وجفاه ، فكتب إليه دِعبِل[2] : [من الكامل]

دَلَّيتَني بغُـرور وعـدكَ في متلاطـمٍ مـن حَوْمة الغرقِ
حتى إذا شِمت العدوُّ وقـد شُهر انتقاصُك شهـرةَ البَلَقِ
أنشأتَ تحلـفُ أنّ وُدَّك لي صافٍ وحبلكَ غيرُ منحذقٍ[3]
وحسبتَني فَقْعـاً بِقَرْقَـرة فوطئتَني وَطئاً عـلى حنَقِ[4]

1 مخارق : المغني المشهور .
2 ديوانه : 113–114 .
3 منحذق : منقطع .
4 تقدم المثل «فقع بقرقرة» أو «أذل من فقع بقرقرة» .

ونصبتَني علَمـاً على غَـرَضٍ تَرْمِينـيَ الأعـداءُ بالحدقِ
وظننـتَ أرضَ اللهِ ضيِّقـةً عنّـي وأرضُ اللهِ لم تضـقِ
مِن غيرِ مـا جُرمٍ سوى ثقة منّي بوعدكَ حـين قلتَ : ثِقِ
ومودّةٍ تحنـو عليـك بهـا نفْسي بـلا مـنٍّ ولا ملقِ
فمتى سألتـك حاجـةً أبداً فاشدُد بهـا قُفْـلاً على غَلقِ
وقفِ الإخاء على شَفا جُرُف هـارٍ فبِعْـه بيعـةَ الخَلقِ
وأعِـدّ لي قُفـلاً وجامعة فاشدد يدَيّ بهـا إلى عنقي
أعفيك ممّـا لا تحـبُّ بها واسدُد عليّ مذاهـب الأفقِ
مـا أطولَ الدُّنيا وأعرضها وأدلّنـي بمسالـك الطرقِ

[اتّهامه بشتم صفية بنت عبد المطلب]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : قدِم دِعبِل الدِّينورَ[1] ، فجرى بينه وبين رجل من ولد الزُّبير بنِ العوامِ كلام وعَرْبدة عَلى النبيذ ، فاستعدى عليه عمرَو بن حميد القاضي ، وقال : هذا شتم صفيّةَ بنتَ عبد المطّلب ، واجتمع عليه الغوغاء ، فهرب دِعبل ، وبعث القاضي إلى دارِ دِعبل فوكّل بها وختم بابه . فوجّه إليه برُقعة فيها : ما رأيتُ قطُّ أجهلَ منك إلاّ مَن ولاّك ، فإنّه أجهل ، يقضي في العَرْبَدَة على النبيذ ، ويحكم عَلى خصم غائب ، ويقبَلَ عقلُكَ أنّي رافضيٌّ أشتمُ صفيّةَ بنتَ عبد المطّلب ؛ سخِنَتْ عينك ، أفمِن دِين الرافضة شَتْمُ صفيّة ؟ قال أبي : فسألني الزُّبيريُّ القاضي عن هذا الحديث فحدَّثته ، فقال : صدَق واللهِ دِعبِلٌ في قوله ، لو كنتُ مكانه لَوصلته وبرِرته .

[متنسك يعود إلى الندماء]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيم بن سهل القارىء قال : حدَّثني دِعبِل قال : كتبتُ إلى أبي نَهشل بن حميد ، وقد كان نسك وترك شُرب النبيذ ، ولزِم دار الحَرَم : [من الخفيف]

إنّمـا العَيشُ في منادمـة الإخـ ـوانِ لا في الجلوسِ عند الكَعابِ
وبصِـرْفٍ كأنّها ألسُن البـر قِ إذا استعرَضَتْ رقيقَ السحابِ
إن تكونـوا تركتمُ لـذّة العيـ ـشِ حِذارَ العِقاب يـومَ العقابِ

1 الدينور : مدينة من أعمال الجبل .

فدعُــوني ومـــا ألـــذُّ وأهوى وادفعوا بي في نحر يــوم الحسابِ

قال : فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي ، فنشرب بين يديه ، ويستمع الغناء ، ويقتصر على الأنس والحديث .

[قصيدة بالمشاركة]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا إبراهيم بنُ المدبِّر قال : كنت أنا وإبراهيمُ بنُ العبّاس رفيقَين نتكسَّبُ بالشعر قال : وأنشدني قصيدة دِعبِل في المطّلب بنِ عبد الله : [من المتقارب]

أمطّلِبٌ أنــت مستعذِب سمامَ الأفاعــي ومستقبِلُ

قال ، وقال لي دِعبِل : نِصفها لإبراهيمَ بنِ العبّاس ، كنتُ أقول مِصراعاً فيجيزُه ، ويقول هو مِصراعاً فأُجيزه .

[هجاء مالك بن طوق]

قال ابنُ مَهْرُوَيْه : وحدَّثني إبراهيم بنُ المدبّر أن دِعبِلاً قصد مالكَ بنَ طَوْق ومدحه ، فلم يرضَ ثوابه ، فخرج عنه وقال فيه[1] : [من السريع]

إنّ ابنَ طَوقٍ وبني تغلِب لو قُتلوا أو جُرحوا قُصْرَهْ[2]

لم يأخذوا مــن دِية درهماً يوماً ولا من أرْشِهمْ بَعرَهْ[3]

دِماؤهم ليس لهـــا طالبٌ مَطْلولةٌ مثـــلُ دم العُذْرَهْ

وجوهُهــم بيضٌ وأحسابُهم سودٌ وفي آذانهـــم صُفرَهْ

[شعره في عبد الله بن طاهر]

حدَّثنا محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ قال : حدَّثني العنزِيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ الحسن قال : حدَّثني عمرُ بنُ عبد الله أبو حفص النحويُّ مؤدِّب آل طاهر قال : دخل دِعبِلُ بن عليٍّ على عبد الله بن طاهر ، فأنشده وهو ببغداد[4] : [من السريع]

جئتُ بلا حُرمة ولا سببِ إليك إلاّ بحرمـةِ الأدبِ[5]

فاقض ذِمامي فإنّني رجلٌ غيرُ ملحٍّ عليكَ في الطلبِ

1 ديوانه : 79 .

2 قصره : يقصرون عن إدراك الثأر .

3 الأرش : دية الجراحات .

4 ديوانه : 33 .

5 الديوان : أتيت مستشفعاً بلا سبب .

قال فانتعل عبد الله ، ودخل إلى الحُرَم ، ووجّه إليه بصُرّة فيها أَلفُ درهم ، وكتب إليه : [من الكامل]

أَعجلتَنا فأَتاك عاجلُ بِرّنا ولو انتظرْتَ كثيره لم يَقلِلِ
فخُذْ القليل وكن كأنّك لم تسَلْ ونكونُ نحنُ كأَنّنا لم نفعلِ

[هجا مالك بن طوق وهرب]

أَخبرني أَحمدُ بن عاصمٍ الحُلْوانيُّ قال : حدَّثنا أَبو بكر المدائنيُّ قال : حدَّثنا أَبو طالب الجعفريُّ ومحمدُ بنُ أُميّة الشاعرُ جميعاً قالا : هجا دِعبِل بنُ عليٍّ مالكَ بنَ طوق فقال[1] : [من السريع]

سأَلتُ عنكمْ يا بني مالكٍ في نازح الأَرضين والدّانيَهْ
طُرّاً فلم تُعرفْ لكم نِسبة حتى إذا قلتُ بني الزانيَهْ
قالوا فدَع داراً على يَمْنةٍ وتلك ها دارُهمُ ثانيَهْ[2]
لا حدَّ أُخشاه على مَن قال أُمّك زانيَهْ

وقال أيضاً فيه : [من مجزوء الكامل]

يا زانيَ ابنَ الزانِ ابـ ـن الزانِ ابنَ الزانيَهْ
أَنتَ المردَّد في الزِّنا ء على السنينَ الخاليَهْ
ومردَّد فيه على كرِّ السنينَ الباقيَهْ

[يبلغه الوالي سلحه]

وبلغَت الأبيات مالكاً ، فطلبه ، فهرب فأَتى البصرة وعليها إسحاقُ بنُ العبّاس بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الله بنِ العبّاس بنِ عبدِ المطّلب ، وكان بلغه هجاء دِعبِل وابن أبي عُيَينة نِزاراً .

فأمّا ابنُ أبي عُيَيْنة فإنّه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيّامه . وأمّا دِعبِل فإنّه حين دخل البصرة بَعث فقبض عليه ، ودَعا بالنِّطْع والسيف ليضربَ عنقه ، فجحد القصيدة وحلف بالطّلاق على جَحدها ، وبِكلّ يمين تبرّىء من الدم أنّه لم يقلها وأنّ عدواً له قالها ، إمّا أبو سعد المخزوميّ أو غيرُه ونسبها إليه ليُغريَ بدمه ، وجعل يتضرّع إليه ويقبّل الأَرض ويبكي بين يديه . فرقَّ له ، فقال : أمّا إذا أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهَرَك ، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سَلَح ، وأَمر به فأُلقيَ عَلى قفاه ، وفُتح فمُه فرُدّ سَلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه ، وهو

1 ديوان دعبل : 164 وقد جعل البيت الرابع أوّل المقطوعة التالية .
2 ثانيه في الديوان : فانية .

يحلف ألاّ يكفّ عنه حتى يستوفيَه ويبلعَه أو يقتله . فما رُفِعت عنه حتى بَلِعَ سلحه كلّه ، ثم خلاَّه ، فهرب إلى الأهواز .

[اغتياله]

وبعث مالكٌ بنُ طَوق رجلاً حَصيفاً مِقداماً ، وأعطاه سمّاً وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، لم يَزلْ يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السُّوس ، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العَتمة ، فضَرب ظَهر قدمه بُعكازٍ لها زجٌّ مسموم فمات من غد ، ودُفِن بتلك القرية .

وقيل بل حُمل إلى السُّوس ، فدُفن فيها ، وأمر إسحاق بنُ العبّاس شاعراً يقال له : الحسنُ بنُ زيد ويُكنى أبا الذّلفاء ، فنَقض قصيدتَي دِعبل وابن أبي عيينة بقصيدة أوّلها : [من الوافر]

أمـــا تَنفــكّ متبــولاً حزينــاً تحبُّ البيضَ تَعصي العاذلينا

يهجو بها قبائل اليمن ، ويذكر مثالبهم ، وأمره بتفسير ما نظمه ، وذكرِ الأيّام والأحوال ، ففعل ذلك وسمّاها الدامغة ، وهي إلى اليوم موجودة .

صوت[1]

[من الوافر]

أتَهجرَ مَـــن تُحِبّ بغيرِ جُرمٍ أسأتَ إذاً وأنتَ لـــه ظلومُ
تؤرقني الهمـــومُ وأنتَ خِلْوٌ لعمرُكَ مـــا تؤرّقـكَ الهمومُ

الشعر لجعيفران الموسوسِ ، أنشدنيه عمّي عن عبدِ الله عثمانَ الكاتبِ عن أبيه عن جدِّه ، وأنشد فيه جَحظةُ عن خالدٍ الكاتبِ له ، وأنشدنيه ابن الوشّاء عن بعض شيوخه عن سلَمة النحويّ له . ووجدته في بعض الكُتب منسوباً إلى أمّ الضحاك المُحاربيّة ، والقول الأوّل أصحّ . والغناء لابن أبي قَباحة ، ثاني ثقيل بالوُسطى في مجرى البِنصر . وفي أبيات أُخَر من شعر جعيفران غناء ، فإن لم يصحْ هذا له فالغناء له في أشعاره الأخر صحيح ، منها : [من السريع]

مـــا يفعلُ المــــرءُ فهْو أهلُه كلُّ امــرىءٍ يشبهـــه فعلُهْ
ولا تــرى أعجز من عاجزٍ سكّتنـــا عـــن ذمّـــه بذلُهْ

الشعر لجعيفران ، والغناء لمتيَّم ، ومِمّا وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعه وفيه له غناء : [من الكامل]

قلبي بِصاحبةِ الشُّنوفِ مُعَلَّقُ وتفِـرُّ صاحبةُ الشنوفِ وأَلحَقُ

---

1 في الأصوات الثلاثة . انظر شعراء عباسيون منسيون 4 : 371–372 عن الأغاني .

[417] ـ أخبار جعيفران ونسبه[1]

[نشأته]

هو جعيفرانُ بن عليٍّ بن أَصفرَ بنِ السريِّ بنِ عبدِ الرحمن الأَبناويّ[2] ، من ساكني سُرَّ مَن رأى ، ومولده ومنشؤه ببغداد . وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانيّة ، وكان يتشيّعُ ، ويُكثر لِقاء أبي الحسن عليٍّ بنِ موسى بنِ جعفر .

أَخبرني بذلك أَبو الحسن عليُّ بنُ العبّاسِ بنِ أَبي طلحة الكاتبُ عن أبيه وأَهلِه .

[شاعر مطبوع اختلط]

وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً ، وغلبَت عليه المِرّة السوداء ، فاختَلط وبطل في أَكثر أَوقاته ومعظم أحواله ، ثم كان إذا أَفاق ثاب إليه عقله وطبعه ، فقال الشعر الجيد . وكان أَهله يزعمون أنّه من العجم من ولد أُذين .

[أبوه يطرده ويحرمه من الميراث]

فأَخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفاف قال : حدَّثني محمدُ بنُ مَهرُوَيْه قال : حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ النّوفليُّ قال : حدَّثني صالحَ بن عطيّةَ قال : كان لجُعَيفران الموسوِس قبل أن يَختلِطَ عقلُه أبٌ يقال له : عليٌّ بنُ أصفر ، وكان دِهقان الكَرْخ ببغداد ، وكان يتشيَّع ، فظهر على ابنِه جعيفران أنّه خالفه إلى جارية له سرِّيّة ، فطرده عن داره .

وحجَّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر ، فقال له موسى : إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يَفقدَ عقلَه ، وإن كنت قد تحقّقتَ ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك ، ولا تطعمْه شيئاً من مالِك في حياتك ، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك .

فقدِم فطرده ، وأخرجه من منزله . وسأل الفقهاء عن حيلة يُشهِد بها في ماله حتى يخرجَه عن ميراثه ، فدلّوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد به ، وأوصى إلى رجل . فلمّا مات الرجل حاز ميراثه ومَنع منه جعيفران ، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي ، فأحضر الوصيّ ، وسأل جعيفران البينة على نَسبه وتركه أبيه ، فأقام على ذلك بينة عِدّة ، وأحضر الوصيُّ بيّنة

1 ترجمة جعيفران الموسوس في الوافي 11 : 168–171 وفوات الوفيات 1 : 297–299 وطبقات ابن المعتز : 281–282 وتاريخ بغداد 7 : 163 ، وعقلاء المجانين : 101–105 . وقد ترجم له وجمع أشعاره د . إبراهيم النجار في شعراء عباسيون منسيون (النجار) 4 : 353–372 .

2 الوافي والفوات : الأنباري ، والنجار : الأنباوي .

عُدولاً على الوصيّةِ يشهدون على أَبيه بما كان احتال به عليه . فلم يَرَ أَبو يوسُف ذلك شيئاً ، وعزم على أن يورِّثه ، فدفعه الوصيّ عن ذلك مَرّات بعِلَل . ثم عزم أبو يوسُف على أن يُسجّل لجعيفران بالمال ، فقال له الوصيّ : أيّها القاضي ، أنا أدفع هذا بحجّةٍ واحدةٍ بقيتْ عندي ، فأبى أبو يوسُف أن يقبلَ منه ، وجعل جعيفران يُحَرّج عليه ، ويقول له : قد ثبت عندك أمري ، فبأيّ شيء تدافعني ؟ وجعل الوصيّ يسأله أن يسمع منه منفرداً ، فيأبى ، ويقول : لا أسمع منك إلاّ بحضرة خصمك . فقال له : أجّلني إلى غد ، فأجّله ، فجاء إلى منزله وكتب رقعة خبّره فيها بحقيقة ما أفتى به موسى بنُ جعفر ، ودفعها إلى صديق لأبي يوسُف ، فدفعها إليه ، فلمّا قرأها دعا الوصيّ واستحلفه أنّه قد صدَق في ذلك ، فحلفَ باليمين الغَموس . فقال له : اغْدُ عليّ غداً مع صاحبك . فحضر وحضر جعيفران معه ، فحكم عليه أبو يوسُف للوصيّ . فلمّا أُمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلَط منذ يومئذٍ .

وأخبرني بجمل أخباره المذكورة في هذا الكتاب عليُّ بن العبّاسِ بنِ أَبي طلحة الكاتبُ ، عن شيوخ له أَخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب ، ولم أَرَ أَخباره عند أحد أكثر مِمّا وجدتها عنده إلاّ ما أذكره عن غيره فأنسبُه إليه .

[يقف بالرصافة على رجل وينشده شعراً]

قال عليّ بنُ العبّاس : وذَكر عبد الله بنُ عثمان الكاتبُ أَنّ أَباه عثمانَ بنَ محمد حدَّثه قال : كنتُ يوماً بِرُصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءَني جعيفران وهو مغضَبٌ ، فوقف عليّ وقال :

استوجَبَ العالَم منّـي القتلا

فقلت : ولِم يا أَبا الفضل ؟ فنظر إليّ نظرة منكَرة خِفْت منها ، وقال :

لمّا شَعرت فـرأوني فحلا

ثم سكتَ هنيهة ، وقال[1] : [من الرجز]

قالـوا عـليَّ كذِبا وبُطْلا إنّيَ مجنون فَقدتُ العقلا
قالوا المحال كذِبـا وجهلا أَقبحْ بهذا الفعل منهم فعلا

ثم ذهب لينصرف ، فخِفْت أن يؤذيَه الصبيان ، فقلت : اصبرْ فدَيتكَ حتى أَقومَ معك ؛ فإنّك مغضَب ، وأكره أن تخرج على هذه الحال . فرجع إليّ ، وقال : سبحان الله ، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل ، وأستقبح فعلهم ، وتتخوّف منّي مكافأتهم ؟ ثم

1 النجار : 363–364 عن الأغاني .

إنّه ولّى وهو يقول : [من الرجز]

لستُ بِراضٍ من جَهول جهلا ولا مجازيه بِفِعل فِعلا
لكنْ أرى الصفحَ لِنفسي فضلاً مَن يُرِد الخيرَ يجدْه سهلا

ثم مضى .

[يدور في الدار وحده وينشد رجزاً]

وقال عليُّ بنُ العبّاس ، وقال عثمان بنُ محمد : قال أبي : كنتُ أُشرِف مرّة من سطح لي على جُعَيفرانَ وهو في دار وحدَه وقد اعتلّ ، وتحرّكتْ عليه السوداء ، فهو يدور في الدّار طول ليلته ، ويقول[1] : [من الرجز]

طاف به طَيف من الوسواسِ نَفّر عنه لَذّةَ النُّعاسِ
فما يُرى يأنس بالأُناسِ ولا يلَذّ عِشْرَةَ الجُلاّسِ
فهو غريب بين هذا النّاس

حتى أصبح وهو يردّدها ، ثم سقط كأنّه بَقْلة ذابلة .

[بيت بنصف درهم]

قال عليّ : وحدَّثني عليُّ بن رستمَ النحويّ ، قال : حدَّثني سَلَمة بن محارب قال : مررْت ببغداد ، فرأيتُ قوماً مجتمعِين على رجل ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : جعيفران المجنون ، فقلت : قُل بيتاً بنصف درهم . قال : هاته ، فأعطيته ، فقال : [من مجزوء الخفيف]

لَجَّ ذا الهمُّ واعتلَجَ كلُّ همٍّ إلى فرجِ

[يصيح الصبيان خلفه وهو عريان]

ثم قال : زِد إن شئت حتى أزيدَك .

قال عليّ : وحدَّثني عبد الله بن عثمان ، عن أبيه قال : غاب عنّا جُعَيفران أيّاماً ثم جاءنا والصبيان يَشُدون خلفه وهو عُريانٌ وهم يصيحون به : يا جعيفران يا خرا في الدار . فلمّا بلغ إليّ وقف ، وتفرّقوا عنه فقال : يا أبا عبد الله[2] : [من الهزج]

رأيتُ النّاسَ يدعوني بمجنونٍ على حالي
وما بي اليومَ من جِنٍّ ولا وِسواسِ بَلبالِ

1 النجار : 362 .
2 النجار : 365 .

ولكـنْ قولُهـم هـذا | لإفلاسي وإقــلالي
ولــو كنتُ أَخا وَفْرٍ | رَخيّـاً ناعـمَ البالِ
رأوني حسن العقــلِ | أُحُـلُّ المنزل العــالي
ومــا ذاك عـلى خُبرٍ | ولكــن هيبــةُ المالِ

قال : فأَدخلْتُه منزلي ، فأَكل ، وسقيته أَقداحاً ، ثم قلتُ له : تقدِر على أَن تغيِّر تلك القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف[1] : [من الهزج]

رأيتُ النــاسَ يرمونــ | ـيَ أَحيانـاً بوِسواسِ
ومَن يَضبِطُ يـا صاحِ | مقالَ النّاسِ في النّاسِ
فدَعْ مــا قالـه النّاسُ | ونــازع صفوة الكاسِ
فتى حُرّاً صحيح الوُدّ | ذا بِــرٍّ وإينـــاسِ
فــإن الخلْــق مُغْرَون | بأمثــالي وأَجنــاسي
ولــو كنتُ أَخـا مالٍ | أَتَــوني بــين جُلاّسي
يُحِبُّــوني ويَحْبــوني | على العينــينِ والراس
ويدعــوني عزيــزاً غيـ | ـرَ أَنّ الذلّ إفلاسي

ثم قام يبول ، فقال بعض مَن حضر : أَيُّ شيء معنى عشرتِنا هذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف إذا سَكِر ؟ وفَطِن جُعَيفران للمعنى ، فخرج إلينا وهو يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

وندامــى أُكلــوني | إذ تغيّبْتُ قليــلا
زعمــوا أنّيَ مجنو | نٌ أرى العُرْي جميلا
كيف لا أعرى وما أُبـ | ـصرُ في النّاسِ مثيلا
إن يكن قد ساءَكم قُر | بي فخلُّـوا لي سبيلا
وأتمّوا يومَكـم سـ | ـرّكُمُ اللهُ طويــلا

قال : فرقَقنا له ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذّ إلاّ بِقُربك ، وأَتيناه بثوب ، فلبسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

1 النجار : 361 .
2 النجار : 364 .

[يدعو على القاضي]

أخبرني جَحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارونَ قال : تقدّم جُعَيفرانُ إلى أَبي يوسُفَ الأعور القاضي بِسُرَّ مَن رأى في حكومة في شيء كان في يده من وَقفٍ له ، فدفعه عنه ، وقضى عليه . فقال له : أراني اللهُ أيُّها القاضي عينيكَ سواء ، فأمسَك عنه ، وأمر بردّه إلى داره .

فلما رجع أَطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعا بِه فقال له : ماذا أَردتَ بدعائك ؟ أَردتَ أَن يَرُدّ الله على بصري ما ذهب ؟ فقال له : والله لئن كنْتَ وهبْتَ لي هذه الدراهم لأسخرَ منك لأنت المجنون لا أنا . أخبِرْني كم من أعورَ رأيته عَمي ؟ قال : كثيراً ، قال : فهل رأيتَ أعورَ صحّ قطُّ ؟ قال : لا . قال : فكيف توهّمْتَ عليّ الغلط ؟ فضحك وصرفه .

[مدحه أبا دُلَف]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صِهرُ المبرِّد قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ القاسِمِ البرتيّ قال : حدَّثني علي بن يوسف قال : كنتُ عند أبي دُلَف القاسِمِ بنِ عيسى العِجْلّي فاستأذن عليه حاجبه لجُعَيفرانَ الموسوسِ ، فقال له : أيَّ شيء أَصنع بمَوْسوس ؟ قد قضَينا حقوق العقلاء ، وبقي علينا حقوق المجانين ! فقلت له : جُعلت فداء الأمير ! موسوسٌ أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء ، وإن له لساناً يُتَّقى وقولاً مأثوراً يبقى ، فاللهَ اللهَ أن تَحجبه ، فليس عليك منه أَذى ولا ثِقَل ، فأذن له ، فلمّا مثَل بين يديه قال[1] : [من السريع]

يا أكرمَ العالم موجوداً ويا أَعزّ النّاسِ مفقودا
لما سألْتُ الناسَ عن واحدٍ أَصبح في الأُمّة محمودا
قالوا جميعاً إنّه قاسِمٌ أشبهَ آباءً له صيدا
لو عَبدوا شيئاً سوى ربِّهم أَصبحْت في الأُمّةِ معبودا
لا زِلْتَ في نُعْمى وفي غِبطةٍ مكرَّماً في النّاسِ معدودا

قال ، فأمر له بِكُسوة وبألف درهم ، فلمّا جاء بالدراهم أَخذ منها عشرة ، وقال : تأمر القَهْرمان أن يُعطيَني الباقي مفرَّقاً كلّما جئت لئلاّ يضيع منّي ؛ فقال للقهرمان : أعطه المال ، وكلّما جاءك فأعطِه ما شاء حتى يفرّق الموت بيننا . فبكى عند ذلك جُعَيفران ، وتنفّس الصعداء ، وقال[2] : [من المنسرح]

---

1 النجار : 370 .

2 لم يرد البيتان عند النجار.

يمـوتُ هـذا الذي أراه ... وكلُّ شيء لـه نفـادُ
لو غيرَ ذي العرشِ دام شيءٌ ... لـدامَ ذا المُفْضِلُ الجـوادُ

ثم خرج . فقال أبو دُلَفٍ : أنتَ أعلمُ به منّي . قال : وغَبَرَ عنّي مدّة ، ثم لقيني وقال : يا أبا الحسن ، ما فعل أميرُنا وسيِّدُنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير وعلى غاية الشّوق إليك . فقال : أنا واللهِ يا أخي أشوقُ ، ولكنّي أعرِف أهلَ العسكر وشرَّههم وإلحاحَهم ، والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم ، ولا يتركه كرمُه أن يُخْلِيَهم من العطيّة حتى يخرجَ فقيراً . فقلت : دَع هذا عنك وزِرْه ، فإن كثرةَ السؤال لا تضرُّ بماله . فقال : وَكيف ؟ أهو أيسرُ من الخليفة ؟ قلت : لا . قال : والله لو يبذل لهم الخليفة كما يبذل أبو دُلَفٍ وأطمعهم في ماله كما يُطمعهم لأفقروه في يومَين ، ولكن اسمع ما قلته في وقتي هذا . فقلت : هاته يا أبا الفضل ، فأنشأ يقول[1] : [من المتقارب]

أبـا حسنٍ بلِّغَـنْ قاسمـاً ... بأنّـيَ لم أَجْفُـه عـن قِلى
ولا عـن مَـلال لإتيانـه ... ولا عن صُدود ولا عن غِنى
ولكـن تعفّفتُ عـن مالـه ... وأصفيتُـه مِدْحتـي والثنا
أبـو دُلَـف سيّدٌ ماجـد ... سنيّ العطيّـة رَحـب الفِنا
كريـمٌ إذا انتابـه المعتفـو ... نَ عمَّهـمُ بجزيـل الحِبا

قال : فأبلغتُها أبا دُلَف ، وحدَّثته بالحديث الذي جرى ، فقال لي : قد لقِيتُه منذ أيّام ؛ فلمّا رأيته وقفْتُ له ، وسلّمت عليه ، وتحفّيت به ، فقال لي : سِرْ أيّها الأمير على بركة اللهِ ، ثم قال لي[2] : [من الرجز]

يا مُعديَ الجود على الأموالِ ... ويـا كريمَ النفْس في الفعالِ
قـد صُنتَني عن ذِلّة السؤالِ ... بِجُـودك المـوفي على الآمالِ
صانـكَ ذو العزّةِ والجلالِ ... مِـن غِيَر الأيّـام والليالي

قال : ولم يَزَلْ يختلف إلى أبي دُلَف ويَبَرّه حتى افترقا .

[يهجو نفسه]

سمعْتُ عبدَ الله بنَ أحمدَ ، عمَّ أبي رحمه الله يحدّث فحفظت الخبر ، ولا أدري أذكر له إسناداً فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد ، قال : كان جعيفرانُ خبيثَ اللسان هَجّاء ، لا يسلم عليه أحد ،

---

1 النجار : 368 عن الأغاني .
2 ليست مما جمعه النجار .

فاطّلع يوماً في الحُبّ ، فرأى وجهه قد تغيّر ، وعفا شعره فقال[1] : [من المجتث]

مـا جَعفـرٌ لأَبيـه ولا لـه بشبيـهِ
أضحى لقـوم كثيرٍ فكلّهـمْ يدعيـهِ
هـذا يقـولُ بُنَيّي وذا يخاصمُ فيـهِ
والأمُّ تضحكُ منهم لِعلمهـا بأَبيـهِ

[صحة حدسه في الجارية]

حدَّثني محمد بنُ الحسنِ الكِنديّ خطيب القادسيّة قال : حدَّثني رجل من كتّاب الكوفة قال : اجتاز بي جُعَيفرانُ مرّة فقال : أنا جائع ، فأيَّ شيء عندك تُطعمني ؟ فقلت : سَلْق بِخَرْدَل . فقال : اشتَر لي معه بِطِّيخاً ، فقلت : أفعل ، فادخُل ، وبعثْت بالجارية تجيئه به ، وقدَّمتُ إليه الخبز والخَرْدل والسّلق ، فأكل منه حتى ضجِر ، وأبطأت الجاريةُ ، فأقبَل عليّ وقد غضب فقال[2] : [من مجزوء الخفيف]

[يهجو جارية مضيفه لتأخرها في شراء بطيخ له]

سَلَقتْنـا وخَرْدَلـتْ ثم ولَّـت فأَدبَرَتْ
وأَراهـا بواحـدٍ وافِر الأيرِ قـدْ خلَتْ

قال فخرجْتُ ، يشهد اللهَ ، أطلبها ، فوجدتُها خالية في الدِّهليز بسائس لي على ما وصف .

صوت

[من الخفيف]

ولهـا مَرْبَـعٌ بِبُرْقَـة خـاخٍ ومَصِيف بالقصرِ قصرِ قُبـاء[3]
كفِّنوني إن مِتُّ في دِرع أَروى واجعلوا لي مِـنْ بئر عُروة مائي[4]
سُخنةٌ في الشتاء بـاردة الصيـ ـفِ سراجٌ في الليلـةِ الظلماء

الشعر للسّرِيّ بنِ عبد الرّحمن ، والغناء لمعبَد ، ثقيل أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ : قال : وفيهما ، يعني الثالث والأوّل ، رمَل مطلَق في مجرى الوسطى .

1 النجار : 367 .
2 النجار : 369 عن الأغاني .
3 برقة خاخ : موضع بين الحرمين . وقصر قباء : موضع قرب المدينة .
4 بئر عروة : بالعقيق ، نسبة إلى عروة بن الزبير .

[418] ـ أخبار السري ونسبه[1]

السريُّ بن عبد الرحمن بن عُتبة بن عُوَيم بنِ ساعدة الأنصاريّ ، ولجدّه عويم بن ساعدةَ صحبة بالنبيّ ، ﷺ .

[شعره وشخصه]

والسريّ شاعر من شعراء أهل المدينة ، وليس بمُكثِر ولا فحلٍ ، إلاّ أنّه كان أحدَ الغزِلين والفتيانِ والمنادمين على الشراب . كان هو وعُتَير بن سهل بن عبد الرحمن بن عَوف ، وجُبَيرُ بنُ أيمنَ ، وخالدُ بن أبي أيوبَ الأنصاريّ يتنادمون . قال : وفيهم يقول : [من الطويل]

إذا أنت نادمتَ العُتَيرَ وذا النَّدى ... جُبَيراً ونازعتَ الزّجاجــة خالِدا
أمِنتَ بإذنِ اللهِ أن تُقرعَ العصا ... وأن يُنبِهوا من نومةِ السُّكْرِ راقدا[2]

غنّاه الغَريض ثقيلاً .

[هجا النصيب والأحوص فلم يجيباه]

وكان السريّ هذا هَجا الأحوصَ ، وهَجا نُصَيباً ؛ فلم يجيباه .

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير بن بَكّار قال : حدَّثني عمِّي ، وأخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابنِ الكلبيِّ قالا : جلس النُّصيب في مسجد النبيّ ، ﷺ ، فأنشدَ ، وكان إذا أنشد لوى حاجبَيه ، وأشار بيده ، فرآه السريُّ بنُ عبدِ الرحمن الأنصاريُّ ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال : [من الوافر]

فقدتُ الشعرَ حــين أتى نُصيباً ... ألَم تستَحي مــن مَقْتِ الكرامِ
إذا رَفَــع ابنُ ثَوبــةَ حاجبَيه ... حسبتُ الكلبَ يُضربُ في الكِعامِ[3]

قال : فقال نصيبُ : مَن هذا ؟ فقالوا : هذا ابنُ عُوَيم الأنصاريُّ ، قال : قد وهبتُه لله عزَّ وجلَّ ولرسوله ، ﷺ ، ولعُوَيم بنِ ساعدةَ . قال : وكان لعُوَيم صحبةٌ ونصرةٌ .

[تشبيبه بزينب]

أخبرني الحِرْميُّ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ قال : حدَّثني عمِّي عن عبدِ الرحمنِ بن عبد الله العُمَريِّ

---

1 للسري بن عبد الرحمن ترجمة في الوافي 15 : 141–142 .
2 قرع العصا لتنبيه الغافل كما في المثل «لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا» . ويروى من «سكرة النوم» .
3 الكعام : الكمامة .

قال : كان السريُّ قصيراً دميماً أَزرقَ ، وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويُشبِّب بها . فخرج إلى البادية فرآها في نِسوةٍ ، فصار إلى راعٍ هناك وأعطاه ثيابَه ، وأخذ منه جُبّته وعصاه ، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النِّسوة فلم يحفِلن به ، وظَنَنَّ أنّه أعرابيّ ، فأقبل يُقلِّب بعصاه الأرضَ وينظر إليهنّ ، فقلن له : أذهَب منك يا راعيَ الغنمِ شيء فأنتَ تَطلبُه ؟ فقال : نعم . قال : فضربتْ زينب بكُمّها على وجهها وقالت : السريّ واللهِ ، أخزاه اللهُ ! فأنشأ يقول : [من البسيط]

صوت

مـــا زال فينا سقيمٌ يُستَطبُّ له ... مِـــن ريحِ زينبَ فينا ليلةَ الأَحدِ
حُزْتِ الجَمالَ ونشراً طيِّباً أَرِجاً ... فمـــا تُسمَّينَ إلاّ مِسكــةَ البلدِ
أَمّا فؤادي فشيء قد ذهبتِ بــه ... فما يضرُّكِ أَلا تَحربي جسدي[1]

[المهدي يعجب بغزله]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا أَحمد بن أَبي خَيْثمةَ قال : حدَّثنا مُصعبٌ الزُّبيْريّ قال ، قال أَبي : قال لي المهديّ : أنشدني شعراً غزِلاً ، فأنشدتُه قولَ السريِّ بنِ عبد الرحمن : [من البسيط]

ما زال فينا سقيمٌ يُستَطبُّ له ... من ريحِ زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ

فأَعجبَتْه ، وما زال يَستعيدها مِراراً حتى حفِظها .

[يشربون النبيذ وتقبل شهادتهم]

أُخبرني الحسنُ قال : حدَّثني أَحمدُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ سلاّم الجُمحيُّ قال : كان السريُّ بنُ عبدِ الرحمن ينادم عُتيرَ بن سَهل بنِ عبد الرحمن بنِ عَوفٍ وجُبيرَ بنَ أيمنَ بن أُمِّ أيمن مولى النبيِّ ، ﷺ ، وخالدَ بنَ أبي أَيّوب الأنصاريِّ ، وكانوا يشربون النبيذَ ، وكلّهم كان على ذلك مقبولَ الشهادةِ ، جليلَ القدرِ مستوراً ، فقال السريّ : [من الطويل]

إذا أَنتَ نادمتَ العُتَيْرَ وذا النَّدى ... جُبَيراً ونازعتَ الزجاجــةَ خالدا
أَمِنتَ بإذنِ اللهِ أَن تُقرَعَ العصا ... وأَن يُنبهوا من نومةَ السُّكر راقدا

فقالوا : قبحَك اللهُ ! ماذا أَردت إلى التنبيه علينا والإذاعةِ لسرنا ؟ إنّك لحقيق أَلاَّ نُنادمَك . قال : واللهِ ما أَردتُ بكم سوءاً ، ولكنّه شِعر طفح فنَفثته عن صدري ، قال : وخالدُ بن أَبي أَيّوب الأنصاريُّ الذي يقول : [من الطويل]

---

1 تحربي : تسلبي .

صوت

أَلا سقِّني كأسي ودعْ قولَ مَن لَحى ورَوِّ عظامـاً قَصْرُهـن إلى بِلى[1]
فإن بُطوءَ الكأس مَوْتٌ وحبسَها وإنَّ دِراكَ الكأس عندي هو الحيا[2]

الغِناءُ في هذين البيتين هو لِعبدِ الله بنِ العبّاس الرّبيعيّ ، خفيف رمل بالبِنْصر عن عَمْرو بن بانةَ .

[التمثّل بشعره في طلب الشراب]

أَخبرني أَبو الحسنِ الأَسديُّ قال : حدَّثني سليمانُ بن أَبي شيخٍ قال : حدَّثني مصعبُ بنُ عبدالله الزُّبيريُّ قال : حدَّثني مصعبُ بنُ عثمانَ قال : حدَّثني عُبَيدُ الله بن عروةَ بنِ الزُّبيرِ قال : خرجتُ وأَنا غلام أَدُور في السككِ بالمدينةِ فانتهيتُ إلى فناءٍ مَرشوش وشابٌّ جميلِ الوجهِ جالسٍ ، فلمّا رآني دعاني ، ثم قال لي : مَن أَنتَ يا غلامُ ؟ فقلت عُبيدُ اللهِ بنُ عروة بن الزُّبيرِ . فقال : اجلس ، فجلستُ ، فدَعا بالغَداء فتغدَّينا جميعاً ، ثم قال : يا جاريةُ ؛ فأَقبلَتْ جاريةٌ تتهادى كأنّـها مَهاةٌ ، وفي يدِها قِنِّينيةٌ فيها شرابٌ صاف وقلّةُ ماءٍ وكأسٌ ؛ فقال لها : اسقيني ؛ فصبّت في الكأسِ وسَكَبَتْ عليه ماءً وناولتْه ، فشرب ثم قال : سقّيه ؛ فصبَّتْ في الكأس وسكَبتْ عليه ماءً وناولتْني . فلمّا وجدتُ رائحتَه بَكيتُ ؛ فقال : ما يبكيك يا ابن أَخي ؟ فقلت : إنَّ أَهلي إن وجدوا رائحةَ هذا منِّي ضربوني ، فأَقبل على الجاريةِ بوجهِهِ ، وقال لها يخاطبها : [من الطويل]

أَلا سقّني كأسي ودعْ عنكَ مَن أَبى وروِّ عظامـاً قَصْرُهـنَّ إلى بِلى

فأخذتْه من يدي وأَعطتْه ؛ فشربه ، وقمتُ فلمّا جاوزتُه سأَلت عنه فقيل لي : هذا خالد بن أَبي أَيّوب الأَنصاريّ الذي يقول فيه الشاعر : [من الطويل]

إذا أَنتَ نادمتَ العُتَيْر وذا النَّدى جُبَيْراً ونازعتَ الزجاجـةَ خالدا
أَمِنتَ بإذنِ اللهِ أَن تُقرعَ العصا وأَن يوقِظُوا من سَكرةِ النَّومِ راقدا
وصرتَ بحمدِ اللهِ في خيرِ عُصبةٍ حسانِ النَّدامى لا تخاف العَرابدا

[ابن الماجِشون يصرّ على إخراجه]

أُخبرنا وكيعٌ قال : حدَّثنا محمد بن عليٍّ بنِ حمزةَ قال : حدَّثني أَبو غَسانَ عن محمدِ بن يحيى بنِ عبد الحميد قال : كان السريُّ بن عبدِ الرحمن يختلف إلى قينة ، فجاء ابن الماجِشونِ

1 قصرهن : غايتهن .
2 البطوء : ضد السرعة .

فقال : لا أُدخل حتى يخرج السريّ ؛ فأخرجتْه فقال السريّ : [من الخفيف]

قَبّح اللهُ أهـلَ بيتٍ بِسَلْعٍ أخرجوني وأدخلوا الماجشونا
أدخَلوا هِـرّةً تُلاعب قِرداً ما نراهمْ يرَوْن ما يصنعونا

[شعره في الأمتين]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن زهيرٍ قال حدَّثني مصعبٌ قال : أنشدني أبي لِلسّريّ بن عبد الرحمن في أمَة الحميدِ بنتِ عبدِ الله بنِ عبّاس وفي ابنتها أمةِ الواحد : [من مجزوء الكامل]

أمَـةُ الحميـدِ وبنتُهـا ظَبيـانِ في ظـلِّ الأراكِ
يتَتبَّعـان بَريـره وظلالَـه فهمـا كذاك[1]
حُـذيَ الجَمـالُ عليهما حَذْوَ الشِّراك على الشِراكِ

[يتمنى أن يكون مؤذناً]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني محمد بن الحسنِ بن مسعود الزُّرَقيّ قال : حدَّثني يحيى بن عثمانَ بن أبي قَباحةَ الزُّهْريّ قال : أنشدني أبو غسان صالح بن العبّاسِ بنِ محمدٍ ، وهو إذ ذاك على المدينة ، لِلسريّ بن عبد الرحمن : [من الخفيف]

ليتَنـي في المؤذِّنـين نَهـاراً إنّهم يبصرون مَن في السطوحِ
فيشيرون أو يُشار إليهـمْ حبّـذا كلّ ذات جيـد مليحِ

قال : فأمر صالحٌ بِسَدِّ المنار ، فلم يقدرْ أحدٌ على أن يُطْلعَ رأسَه حتى عُزل صالح . أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدَّثني زُبير بن بكّار عن عمِّه : أنّ السريّ بنَ عبد الرحمن وقف على عمرَ بنِ عمرو بنِ عثمانَ ، وهو جالسٌ على بابه والنّاس حولَه ، فأنشأ يقول : [من الخفيف]

يا ابن عثمانَ يا ابن خيرِ قريشٍ أبْغنـي مـا يَكفُّنـي بقُباءِ
ربّمـا بَلّنـي نداكَ وجَلّـى عـن جبيني عجاجةَ الغُرَماء

فأعمرَه أرضاً بقُباءٍ ، وجعلها طُعْمةً له أيّامَ حياته ، فلم تَزلْ في يده حتى مات .

[معبد يغنّي بشعره]

أخبرني وسواسة بن الموصليّ ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، عن عزيز بن طلحة ، قال : قال معبد : خرجت من مكّة أُريد المدينة ، فلمّا كنت قريباً من المنزل أُريت

1 البرير : ثمر الأراك .

بيتاً فعدلت إليه ، فإذا فيه أسود عنده حُبّان من ماء وقد جَهدني العطش ، فسلّمت عليه واستسقيت ، فقال : تأخّر عافاك الله ؛ فقلت : يا هذا ، اسقني جرعة من الماء فقد كدت أموت عطشاً ، فقال : والله لا تذوق منه جُرعة ولو مِتّ ، فرجعتُ القهقرى ، وأنختُ راحلتي واستظللت بظلّها من الشمس ، ثم اندفعت أغنّي ليبتلّ لساني : [من الخفيف]

كفّنوني إن مِتُّ في درعِ أروى واستقوا لي من بئرِ عروةَ مائي

فإذا أنا بالأسودِ قد خرج إليّ ومعه قدح جيشانيّ[1] فيه سَويق ملت بماء بارد ، فقال : هل لك في هذا أرب ؟ قلت : قد منعتني ما هو أقلّ منه : الماء . فقال : اشرب ، عافاك الله ، ودع عنك ما مضى ، فشربت . ثم قال : أعد ، فديتك ، الصوت ، فأعدته ، فقال : هل لك ، بأبي وأمّي ، أن أحمل لك قربة من ماء ، وأمشي بها معك إلى المنزل وتعيد عليّ هذا الصوت حتى أتزوّد منه ، وكلّما عطشت سقيتك ؟ قلت : افعل ، ففعل وسار معي ، فما زِلت أغنّيه إيّاه ، وكلّما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء .

صوت[2]

[من مجزوء الكامل]

سَلَبَ الشبابُ رِداءه عنّي ويتبعُه إزارُهْ
ولقد تحلُّ عليّ حلّـ ـته ويعجبني افتخارُهْ[3]
سائلْ شبابي هل مسكـ ـتُ بسَوْءَةٍ أو ذَلّ جارُهْ[4]
ما إن ملكتُ المالَ إلاّ كان لي وله خيارُهْ[5]

ويروى : هل أُسأت مساكه .

الشعر لمسكينٍ الدارميّ ، والغناء لِمقّاسة بن ناصح ، خفيف رملٍ بالبِنصر عن عمرو .

---

1 جيشاني : منسوب إلى جيشان ، مخلاف باليمن .
2 ديوان مسكين الدارمي : 36-37 .
3 الديوان : ولقد يحل عليّ حلّته فيعجبني فخاره
4 الديوان :
واسأل شبابي هل أهنـ ـت مساكه أو ذل جاره
5 الديوان : أم هل كسبت المال إلا عاد لي . . .

[419] ـ أخبار مسكين ونسبه[1]

[نسبه]

مسكينٌ لقبٌ غَلب عليه ، واسمُه ربيعةُ بنُ عامر بنِ أُنيفِ بن شُريح بن عمرٍو بن زيدِ بنِ عبد الله بن عُدُس بنِ دارمِ بنِ مالك بن زيدِ مناةَ بنِ تميم . وقال أبو عمرو الشيبانيُّ : مسكينُ بن أُنيفِ بن شُريحِ بنِ عمرٍو بن عُدُس بنِ زيدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ دارمِ بنِ مالكِ بنِ حنظلةَ بنِ مالكِ بن زيدِ مناةَ بن تميمٍ .

[سبب تلقيبه بمسكين]

قال أبو عمرو : وإنّما لُقب مسكيناً لقوله[2] : [من الرمل]

أنا مسكينٌ لَمن أُنكرني ولِمَن يَعرفني جِدَّ نُطُقْ
لا أُبيعُ الناسَ عِرضي إنّني لو أُبيعُ الناسَ عِرضي لَنَفقْ

وقال أيضاً[3] : [من الطويل]

سُمّيتُ مسكيناً وكانت لحاجةً وإنّي لمسكينٌ إلى اللهِ راغبُ

وقال أيضاً[4] : [من الطويل]

إنْ أُدعَ مسكيناً فلستُ بمنكَرٍ وهل تُنكرَنَّ الشمسُ ذَرَّ شعاعُها
لَعَمرُكَ ما الأسماءُ إلاّ علامةٌ منارٌ ومن خيرِ المنارِ ارتفاعُها

شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافّه ، فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفلَت منها .

[تهاجيه مع الفرزدق]

حدَّثني حبيبُ بنُ أوسِ بن نصر المهلبيُّ قال : حدَّثنا عُمر بن شبَّة عن أبي عبيدة قال : كان

---

1 ترجمة مسكين الدارمي في الشعر والشعراء : 455-456 والسمط : 186 وتهذيب ابن عساكر 5 : 303 والوافي 14 : 97 وخزانة البغدادي 3 : 69-73 ومعجم الأدباء (عباس) : 1299-1301 وله أشعار في أمالي المرتضى وأنساب الأشراف وشرح النهج والطبري . وقد جمع شعره خليل إبراهيم العطيّة وعبد الله الجبوري (بغداد 1970) وإليه نشير .

2 ديوان مسكين الدارمي : 56 .

3 ديوانه : 24 .

4 ديوانه : 53 .

زياد قد أرْعى مسكيناً الدارميَّ حِمًى له بناحية العُذَيب[1] في عام قَحطٍ حتى أخصب النّاسُ وأحْيَوا ، ثم كتب له ببُرٍّ وتَمر وكَساه . قال : فلمّا مات زيادٌ رثاه مسكين ، فقال[2] : [من الوافر]

رأيتُ زيـادةَ الإسلامِ ولّتْ جِهـاراً حـين وَدَّعَنا زيادُ

فعارضه الفرزدق ، وكان منحرفاً عن زيادٍ لطلبه إيّاه وإخافته له ، فقال[3] : [من الطويل]

أمسكينُ أبكـى اللهُ عينَـك إنّما جـرى في ضلالٍ دَمْعُها فتحدّرا
بكيـتَ على عِلْـج بمَيسان كافر ككسرى على عِدَّانِه أو كقيصرا[4]
أقولُ لـه لّمـا أتاني نعيُه : بـه لا بظبـي بالصريمـةِ أعفرا[5]

فقال مسكين يجيبه[6] : [من الطويل]

ألا أيُّها المرءُ الذي لستُ قاعداً ولا قائماً في القومِ إلاّ انبرى ليَا
فجئني بعـمٍّ مثلَ عمّـيَ أو أبٍ كمثل أبي أو خالِ صدقٍ كخاليا
كعمرو بن عمرو أو زرارةَ ذي النَّدى أو البِشْر مِـن كلٍّ فرعتُ الروابيا

قال : فأمسك الفرزدق عنه ، فلم يجبه ، وتكافّا .

أخبرني ببعض هذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلاّم ، فذكر نحواً ممّا ذكره أبو عُبيدة وزاد فيه ، قال : والبشر خالٌ لمسكين من النَّمِر بن قاسِط ، وقد فخَر به ، فقال[7] : [من الوافر]

شُرَيحٌ فـارس النُّعمان عمّـي وخالي البِشرُ بشرُ بني هلالِ

---

1 العذيب : موضع قرب القادسية .
2 ديوانه : 30 .
3 ديوان الفرزدق (صادر) 1 : 201 .
4 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . وعدانه : زمانه .
5 المثل «به لا بظبي (بالصرائم) أعفرا» : في الدرة الفاخرة 2 : 391 ومجمع الميداني 1 : 190 ومستقصى الزمخشري 2 : 16 وجمهرة العسكري 2 : 207 ، ويضرب للشماتة . والصريمة (الصرائم) : موضع . وأعفر : ليس بالشديد البياض أو في بياضه حمرة .
6 ديوانه : 68 .
7 الديوان :

وآبائـي بنو عدس بن زيـد وخالي البشر بشر بني هلال
شريح فارس النعمان جـدي ونازلهـا إذا دعيـت نـزال
وقاتل خاله . . .

ديوانه : 60 ، 63 .

وقاتِــلُ خالِــه بأبيــه منّــا   سماعَــةُ لم يبــع حسباً بمالِ

وأخبرني عمّي قال: حدّثنا الحزنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو، عن أبيه بمثل هذه الحكاية، وزاد فيها، قال: فتكافَا واتّقاه الفرزدق أن يُعين عليه جريراً، واتّقاه مسكين أن يعين عليه عبدَ الرحمن بنَ حسّان بن ثابت. ودخل شيوخ بني عبد الله وبني مُجاشع، فتكافّا.

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ قال: حدَّثنا أبو غسانَ دَماذُ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال: قال الفرزدق: نجوتُ من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوتُ من زياد حين طلبني، ونجوتُ من ابني رُمَيلة وقد نذرا دمي وما فاتهما أحد طلباه قطُّ، ونجوتُ من مهاجاة مِسكينٍ الدارميِّ؛ لأنّه لو هجاني اضطرني أن أهدِم شَطر حسَبي وفخري، لأنّه مِن بُحبوحَة نسبي وأشراف عشيرتي، فكان جرير حينئذٍ ينتصف منّي بيدي ولساني.

[أشعر ما قيل في الغيرة]

أخبرني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال: حدَّثني محمود بن داودَ عن أبي عِكرمة عامِر بن عمران عن مسعودِ بنِ بِشر عن أبي عبيدة أنّه سمعه يقول: أشعرُ ما قيل في الغَيْرة قول مسكين الدارميّ[1]: [من المتقارب]

ألا أيُّهــا الغائــرُ المستشيــ   ــطُ فيــمَ تغــارُ إذا لم تُغَرْ
فمــا خيرُ عِــرْس إذا خفتَها   ومــا خيرُ عِرس إذا لم تُزَرْ[2]
تغــارُ على الناسِ أن ينظــروا   وهــل يَفتِن الصالحاتِ النظَرْ
وإنّــي سأُخلي لهــا بيتها   فتحفــظُ لي نفسها أو تــذرْ
إذا اللهُ لم يُعطنــي حُبَّهــا   فلن يُعطيَ الحُبَّ سوطٌ مُمَرّ[3]

[معاوية يفرض له بعد تردد]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ عمرِو بن أبي سعدٍ قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ مالك الخزاعيّ قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ بَشير قال: أخبرني أيّوب بن أبي أيّوب السعديُّ قال: لما قدِم مسكينٌ الدارميّ على معاوية فسأله أن يَفْرض له فأبى عليه، وكان لا يفرض إلاّ لليمن، فخرج مِن عنده مسكين وهو يقول[4]: [من الطويل]

---

1 ديوانه: 40–41.
2 الديوان: وما خير بيت إذا لم يزر.
3 حُبّها في الديوان: ودها. وسوط ممر: سوط مفتول فتلاً شديداً.
4 ديوانه: 29. وقد أصبحت أبيات مسكين الدارميّ هذه أمثالاً (انظر مجمع الميداني 1: 23 و2: 404 وفصل المقال: 269 ومستقصى الزمخشري 2: 392.

أخاكَ أخاكَ إن مَن لا أخاً له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ
وإن ابنَ عمِّ المرء فاعلم جَناحه ... وهل ينهضُ البازي بغيرِ جَناحِ
وما طالبُ الحاجاتِ إلاّ مغرّرٌ ... وما نالَ شيئاً طالب كنجاحِ

قال السعديّ : فلم يزل معاوية كذلك حتى عَزّت اليمنُ وكثرت ، وضُعضعتْ عدنانُ ، فبلغ معاويةَ أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً : لهَمَمْتُ ألاّ أدَع بالشام أحداً من مضَرَ ، بل همَمْتُ ألاّ أحُل حبوتي حتى أُخرج كل نِزاريّ بالشام ، فبلغَت معاويةَ ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خِندف ، وقَدِمَ على تفِئة[1] ذلك عُطارد بن حاجب عَلى معاوية ، فقال له : ما فعل الفتى الدارميُّ الصبيحُ الوجهُ الفصيحُ اللسان ؟ يعني مسكيناً ، فقال : صالح يا أمير المؤمنين . فقال : أعلمْه أنّي قد فرضت له في شرَف العطاء وهو في بلاده ؛ فإن شاء أن يقيمَ بها أو عندنا فليفعل ، فإنّ عطاءه سيأتيه ، وبشِّره أنّي قد فرضتُ لأربعة آلاف من قومه من خِندِف ؛ قال : وكان معاوية بعد ذلك يُغزي اليمنَ في البحر ، ويُغزي قيساً في البرّ ، فقال شاعر اليمن : [من الطويل]

ألا أيُّها القومُ الذينَ تجمّعوا ... بَعَكّا أُناسٌ أنتمُ أم أباعرُ
أَتُتْرك قيسٌ آمنينَ بدارهم ... ونركبُ ظَهر البحر والبحرُ زاخرُ
فواللهِ ما أدري وإنّي لسائل ... أهمدانُ يُحمى ضَيْمها أم يُحابرُ
أمِ الشرف الأعلى من آولادِ حِمير ... بنو مالك إذ تَستمر المرائرُ[2]
أأوصى أبوهم بينهم أن تَواصَلوا ... وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

قال ، ويقال : إن النجاشيّ قال هذه الأبيات .

أخبرني بذلك عبد الله بن أحمدَ بنِ الحارثِ العدَويّ عن محمدِ بنِ عائد عن الوليدِ بنِ مسلمٍ عن إسماعيلَ بن عَيّاشٍ وغيرِه ، قالوا : فلمّا بلغَت هذه الأبياتُ معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم ، وقال : ما أغزيتكمُ البحرَ إلا لأنّي أتيمن بكم ، وأنّ في قيس نَكَداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر ، وأنا عارف بطاعتكم ونُصحكم . فأمّا إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عُقَباً[3] بينكم ، فرضُوا فِعل ذلك فيما بعد .

---

1 تفئة ذلك : على حينه وزمانه .
2 تستمر المرائر : تستحكم العزائم .
3 عقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .

[تمثل بشر بن مروان بأبياته]

حدَّثني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ زهير بن حرب قال : حدَّثني مصعبُ بنُ عبد الله قال : وحدَّثنيه زُبيرٌ عن عمِّه قال : كان أُصاغر ولَد مروان في حِجر ابنه عبد العزيز بن مروان ، فكتب عبد العزيز إلى بِشر كتاباً ، وهو يومئذٍ عَلى العراق ، فورد عليه وهو ثَمِل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأَمَر بِشْر كاتبه فأجاب عبدَ العزيز جواباً قبيحاً ، فلمّا ورَد عليه عَلِم أنّه كتبه وهو سكران ، فجفاه وقطع مكاتبته زماناً . وبلغ بشراً عَتْبه عليه ، فكتب إليه : لولا الهفوة لم أحتجْ إلى العذر ، ولم يكن لك في قبوله منّي الفضل . ولو احتَمل الكِتابُ أكثر مِمّا ضمّنته لزدت فيه ، وبَقِيَّةُ[1] الأكابر عَلى الأصاغر من شيمِ الأكارم . ولقد أحسن مسكينٌ الدارميّ حين يقول : [من الطويل]

أَخاكَ أَخاكَ إنَّ مَن لا أَخاً له   كساعٍ إلى الهيجا بغيرِ سلاحِ
وإن ابنَ عمِّ المرءِ فاعلمْ جَناحُه   وهل ينهضُ البازي بغيرِ جناحِ

قال : فلمّا وصل كتابُه إلى عبد العزيز دَمَعت عينه ، وقال : إنّ أُخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى ، فسلُوا عمّن شهِد ذلك المجلس ؛ فسئل عنهم ، فأخبر بهم ، فقَبِل عذره ، وأقسم عليه ألاّ يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس ، وأن يعزلَ كاتبه عن كتابته ، ففعل .

[الثلاث التي نجا منها الفرزدق]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسين الكِنديُّ خطيبُ القادسيّة قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن أَبي عُبيدة عن أَبي عمرو قال : كان الفرزدق يقول : نجوتُ من ثلاث أرجو ألاّ يصيبني بَعدهن شرّ : نجوتُ من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ ، ونجوتُ من ضربة رئاب بن رُمَيلة أبي البَذال فلم تقع في رأْسي ، ونجوتُ من مهاجاة مسكينٍ الدارميّ . ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عمّي ، وقطع لساني عن الشعراء .

[يفتخر بسواده ونسبه]

أَخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثنا أَبو العيناء عن الأصمعيّ قال : خطب مسكينٌ الدارميّ فتاةً من قومِه فكرِهَته لسواد لونه وقلّة ماله ، وتزوَّجَتْ بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثلُ نسب مسكين ، فمرَّ بهما مسكين ذات يوم ، وتلك المرأة جالسة مع زوجها ، فقال[2] : [من الرمل]

1 بقية : إبقاء .
2 ديوان مسكين : 22–24 .

أنــا مسكينٌ لِمَــن يعرفني لَونيَ السُّمــرة ألوانُ العَربْ
مَــن رأى ظبياً عليــه لؤلؤ واضحَ الخديْنِ مقروناً بضبْ
أكْسَبَتْــه الــورِقُ البيضُ أبــاً ولقــد كان ومــا يُدعى لأبْ
رُبَّ مهــزولٍ سمــينٌ بيتُــه وسمــينِ البيتِ مهزُولُ النسبْ
أصبحتْ تُرزَق مِن شحم الذُّرا وتخــال اللــؤم ذُرّا يُنتَهبْ[1]
لا تَلُمهــا إنّهــا مــن نِسوة صَخِباتٍ مِلْحُها فوق الرُّكبْ[2]
كشَموسِ الخيــلِ يبدو شَغْبُها كلّما قيــل لهــا هالٌ وَهَبْ[3]

[يأمره يزيد أن يرشحه للخلافة في أبيات وينشدها في مجلس أبيه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق الموصليُّ قال : حدَّثني أبي عن الهيثم بن عديٍّ عن عبد الله بن عيّاش قال : كان يزيد بن معاوية يُؤْثر مسكيناً الدارميّ ، ويَصِلِه ويقوم بحوائجه عند أبيه . فلمّا أراد معاوية البيعةَ ليزيدَ تهيّب ذلك وخاف ألاّ يمالئه عليه النّاس ، لِحُسن البقيّة فيهم ، وكثرة مَن يُرَشَّحُ للخلافة ، وبلغه في ذلك ذَرْء[4] كلام كرهَهُ من سعيدِ بن العاص ومروانَ بنِ الحكم وعبدِ الله بن عامر . فأمَر يزيدُ مسكيناً أن يقولَ أبياتاً ويُنشدها معاويةَ في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية ، فلمّا اتّفق ذلك دخل مسكين إليه ، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أُميّة حواليه وأشراف النّاس في مجلسه ، فمثل بين يديه وأنشأ يقول[5] : [من الطويل]

إنْ أُدْعَ مسكيناً فإنّي ابنُ معشَر مِـن النّاسِ أحمــي عنهمُ وأذودُ
إليــكَ أميرَ المؤمنــين رَحَلْتُهــا تُثيرُ القطــا ليــلاً وهــنَّ هُجودُ
وهاجرةٍ ظلّــتْ كأنَّ ظباءَهــا إذا مــا اتّقَتْهــا بــالقرونِ سجودُ

صوت

ألا ليتَ شعري ما يقولُ ابن عامر ومروانُ أم مــاذا يقــول سعيدُ ؟

1 الذرى : أعلى السنام . وفي الديوان : تتفل من شحم الذرى .
2 المثل : «ملحه على ركبته» في مجمع الميداني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 232 . وهو مثل يضرب للذي يغضب من كل شيء ويكون سيّء الخلق .
3 هال وهب : لفظان لزجر الخيل .
4 ذرء : الشيء .
5 ديوان مسكين : 31–34 .

بَنـــي خلفـــاءِ اللهِ مهـــلاً فإنّما   يُبوِّئها الرحمـــنُ حيـــث يريـــدُ
إذا المِنبرُ الغربـــيّ خـــلاَّه ربُّـــه   فـــإنَّ أميرَ المؤمنـــين يزيـــدُ

الغناء لَمعبَد ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصَر ، عن عمرو بن بانة :

على الطائرِ الميمونِ والجَدُّ صاعدُ   لِكـــلِّ أُنـــاسٍ طائـــرٌ وجُـــدودُ
فلا زلتَ أَعلى النّاس كعباً ولا تَزَلْ   وفـــودٌ تُساميهـــا إليـــك وفودُ
ولا زالَ بَيت المُلك فوقَك عالياً   تُشَيَّد أَطنـــاب لـــه وعَمـــودُ
قُدُور ابنِ حرب كالجوابي وتحتها   أَثـــافٍ كأَمثـــال الرئالِ رُكودُ[1]

فقال له معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ، ونستخير الله . قال : ولَم يتكلّم أَحد من بني أُميّة في ذلك إلاّ بالإقرار والموافقة ، وذلك الذي أراده يزيد ليَعلم ما عندهم ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته .

[مغن يغيّر شطر بيت]

أَخبرني محمدُ بن خلَفٍ قال : حدَّثنا العَنَزيّ قال : حدَّثنا أَبو معاويةَ بنُ سعيدِ بنِ سالم قال : قال لي عَقيد : غنّيت الرشيد :

إذا المِنبر الغربيّ خـــلاَّه ربّه

ثم فطِنْت لخطئي ، ورأَيتُ وجه الرشيد قد تغيّر ، قال : فتداركتها وقلت :

فـــإن أَميرَ المحسنـــينَ عقيدُ

فطرِب ، وقال : أَحسنتَ واللهِ ، بحياتي قلْ :

فـــإنّ أَميرَ المؤمنـــين عقيدُ

فوالله لأَنت أَحقّ بها مِن يزيدَ بن معاوية ، فتعاظمتُ ذلك ، فحلف لا أُغنّيه إلاّ كما أَمَر ، ففعلت ، وشرب عليه ثلاثة أرطال ، ووصلني صلة سنيّة .

[عَلّقتْ امرأته على شعره فضربها]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أَخي الأَصمعيّ قال : حدَّثني عمِّي قال : كانت لمسكينٍ الدارميّ امرأةٌ من مِنقر ، وكانت فاركاً[2] كثيرةَ الخصومةِ والمُماظَّةِ[3] ،

1 الجوابي : جمع جابية ، وهي الحوض الذي يجمع فيه الماء للإبل . والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النّعام .
2 الفارك : المبغضة زوجها .
3 المماظة : المنازعة والمشادة .

فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه[1] . [من الكامل]

إنْ أُدْعَ مسكيناً فما قَصَرَتْ قِدْري بيوتُ الحـيّ والجُدُرُ

فوقفَتْ عليه تَسمع حتى إذا بلغ قوله :

نـاري ونـارُ الجارِ واحـدةٌ وإليـه قَبـلي تُنزَلُ القِـدرُ

فقال له : صدقت والله ، يجلس جارُك فيطبُخ قدره ، فتصطلي بناره ، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأَنت بحذائه كالكلب ، فإذا شبع أَطعمك ، أَجَلْ واللهِ ، إن القدرَ لتنزلُ إليه قبلكَ ، فأعرض عنها ، ومرَّ في قصيدته حتى بلغَ قوله : [من الكامل]

مـا ضرَّ جـاراً لي أُجاوره ألاّ يكـونَ لبيتـه سـتـرُ

فقالت له : أَجل ، إن كان له ستر هتكته ، فوثب إليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما . وهذه القصيدة من جيدِ شعره .

صوت

[من البسيط]

يا فرحتا إذ صرَفْنا أَوجه الإبلِ نحوَ الأحبّةِ بالإزعاجِ والعجَلِ

نحثُّهنَّ ومـا يؤتَيْنَ من دأَبِ لكنَّ للشوقِ حَثّاً ليس للإبلِ

الشعر لأَبي محمد اليزيديّ[2] ، والغِناء لسليمانَ ، ثقيل أَوّل بالبِنصَر عن عمرو ، والهشاميّ .

---

1 ديوان مسكين : 43–45 .

2 شعر اليزيديين (غياض) : 69 .

[420] ـ أخبار أَبي محمد ونسبه[1]

أَبو محمد يحيى بنُ المبارَك ، أَحَد بني عديٍّ بنِ عبد شمس بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم .

سمِعْتُ أَبا عبد الله محمدَ بنَ العبّاس بنِ محمد بن أَبي محمدٍ اليزيديَّ يذكر ذلك ، ويقول : نحنُ مِن رَهْط ذي الرُّمّةِ .

[تسميته اليزيديّ]

وقيل : إنّهم موالي بني عديّ ، وقيل لأَبي محمدٍ : اليزيديُّ لأَنّه كان فيمن خرج مع إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بنِ الحسن بالبصرة ، ثم توارى زماناً حتى استتر أمرُه ، ثم اتّصل بعد ذلك بيزيدَ بنِ منصور خالِ المهديّ ، فوصله بالرشيد ، فلم يزل معه . وأدَّب المأمونَ خاصةً من ولده ، ولم يزل أبو محمد وأولادهُ منقطعين إليه وإلى ولده ، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد .

[مكانته]

وكان أَبو محمد عالِماً باللغة والنحو ، راويةً للشعر ، متصرفاً في علوم العرب . أَخذ عن أَبي عمرِو بنِ العلاء ويونُسَ بنِ حبيب النحويِّ وأكابرِ البصريين ، وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء ، وجوّد قراءتَه ورواها عنه ، وهي المعوَّل عليها في هذا الوقت . وكان بَنُوه جميعاً في مثلِ منزلتِه من العِلم والمعرفة باللغة ، وحسن التصرّف في علوم العرب . ولسائرِهم عِلمٌ جيّد .

[أولاده الشعراء]

ونحن نَذكر بعْدَ انقضاء أَخباره أَخبارَ مَن كان له شعر وفيه غناء من ولَده ، إذ كنّا قد شرطنا ذِكْر ما فيه صنعة دون غيره .

فمنهم محمدُ بنُ أَبي محمدٍ ، وإبراهيم بن أَبي محمد ، وإسماعيل بنُ أَبي محمد . كلُّ هؤلاء

---

1 ترجمة أَبي محمد اليزيديّ في طبقات ابن المعتزّ : 273–275 والورقة لابن الجرّاح : 27 ومراتب النحويين : 108 وطبقات الزبيدي : 61 وتاريخ بغداد 14 : 146 وتاريخ أَبي المحاسن : 113 والمعارف : 544–597 وأخبار النحويين البصريين : 40 وتهذيب الأزهريّ 1 : 17 ومعجم المرزباني : 487 ومعجم الأدباء (عباس) : 2827–2828 ونور القبس : 80–87 والفهرست : 56 وإنباه الرواة 4 : 25–35 ونزهة الألباء : 53 وابن خلكان 6 : 183–191 وعبر الذهبي 1 : 38 وسير الذهبي 9 : 562 ومرآة الجنان 2 : 3 وطبقات ابن الجزري 2 : 375 والنجوم الزاهرة 2 : 173 وبغية الوعاة 2 : 340 والشذرات 2 : 4 والبلغة : 284 وخزانة البغدادي 11 : 73–76 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1549 وغاية النهاية 2 : 375 . وقد جمع د . محسن غياض شعر أَبي محمد اليزيديّ وأولاده وأحفاده تحت عنوان «شعر اليزيديين» (بغداد ـ 1972) .

ولَده لصلبه ، ولكلّهم شعر جيّد .

ومن وَلد ولَدِه أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبي محمد ، وهو أكبرُهم ، وكان شاعراً راوية عالِماً .

ومنهم عُبَيد الله والفضلُ ابنا محمد بن محمدٍ ، وقد رويا عن أكابر أهل اللغة ، وحُمِل عنهما علم كثير . وآخِر مَن كان بقي من علماء أهل هذا البيتِ أبو عبدُ الله محمدُ بنُ العبّاس بنِ محمدِ بنِ أبي محمد ، وكان فاضلاً عالِماً ثقة فيما يرويه ، منقطع القرين في الصدق وشدّة التوقّي فيما ينقله .

وقد حمَلْنا نحن عنه وكثيرٌ من طلبة العِلم ورواته عِلْماً كثيراً ، فسمعْنا منه سَماعاً جمّاً . فأمّا ما أذكر هاهنا من أخبارهم فإنّي أخذْته عن أبي عبد الله عن عمّيه عُبيد الله والفضل ، وأضفْت إليه أشياء أُخر يسيرة أخذتها عن غيره ، فذكرْتُ ذلك في مواضعه ، ورويته عن أهله .

[المأمون يُبينُ رأسي أسيرين]

أُخبرني محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمّي عُبَيد الله عن عمِّه إسماعيل بنِ أبي محمد قال : حدثني أبي قال : كان الرشيد جالساً في مجلسه فأُتيَ بأسير من الرّوم ، فقال لِدُفافةَ العبسيّ : قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه . فقال لابن فليح المدنيّ : قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه أيضاً . فقال : أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين ! تقدمَتْني ضربة عبسيّة . فقال الرشيد للمأمون ، وهو يومئذٍ غلام : قم ، فداك أبوك ، فاضرب عنقه ، فقام فضرب العِلْج ، فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه ، ونظر إليّ المأمونُ نظر مستنطِق ، فقلت[1] : [من البسيط]

أبقـــى دُفافـةُ عـــاراً بعدَ ضربته	عنــد الإمـــام لِعَبس آخـر الأبدِ
كـــذاك أُسرتُـــه تنبــو سيوفهـــمُ	كسيف ورقاء لم يقطع ولم يَكَدِ[2]
ما بال سيفِكَ قــد خانتك ضربتُه	وقد ضربتَ بسيف غيرِ ذي أَوِدِ
هــلا كضَرْبةِ عبدِ الله إذ وقعَت	ففرَّقَت بين رأس العلج والجسدِ

[الأحوزي يفضله على الكسائي]

قال إسماعيل بن أبي محمد في أخباره : كان حَمّويه ابنُ أُخت الحسن الحاجب وسعيدٌ الجوهريُّ واقفين ، فذكرا أبا محمد ، يعني أباه والكسائيّ ، ففضّل حَمّويه الكسائيّ على أبي محمد ، وفضل سعيد الجوهريّ أبا محمد على الكسائيّ .

وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برَجل يحكم بينهما ، فتراهنا على أنّ مَن غَلب أخذ برْذَون صاحبه ، فجعلا الحكَم بينهما أبا صفوان الأحوزيّ ، فلمّا دخل سألاه فقال لهما : لو ناصح

1 شعر اليزيديين : 47 عن الأغاني .

2 هو ورقاء بن زهير العبسي ، وقد نبا سيفه عن خالد بن جعفر بن كلاب قاتل أبيه .

الكسائيُّ نفسه لصار إلى أبي محمد وتعلم منه كلام العرب ، فما رأيتُ أحداً أعلَم منه به ، فأخذ الجوهريّ دابّة حَمّويه . وبلغ أبا محمد اليزيديّ هذا الخبر فقال[1] : [من السريع]

يـا حَمَويــه اسمع ثَنَاً صادقاً فيـك ومـا الصادق كالكاذبِ
يـا جالـبَ الخزي على نفسِه بُعْداً وسُحقاً لـكَ من جالبِ
إنْ فخَــر النّــاسُ بآبائهـم أتيتَهـم بالعجــبِ العاجبِ
قلـت وأدْغمتَ أبـاً خامـلاً أنا ابنُ أخت الحسن الحاجبِ

[يهجو سلم الخاسر]

قال إسماعيل : وحدَّثني أبي قال : كنتُ ذاتَ يوم جالساً أكتبُ كتاباً ، فنظر فيه سلمٌ الخاسر طويلاً ، ثم قال[2] : [من الخفيف]

أيْر يحيى أخط من كفّ يحيى إنَّ يحيــى بأيــره لخَطُوطُ

فقال أبو محمد يحيى : [من الخفيف]

أمُّ سَلْم بـذاك أعلـمُ شيءٍ إنّهـا تحـت أيـرِه لضَروطُ[3]
ولهـا تـارةً إذا مـا علاهـا أزْمَلٌ مِـن وِداقِها وأطِيطُ[4]
أمُّ سَلْم تُعلِّـم الشّعرَ سلمـاً حبّذا شِعـر أمـكَ المنقوطُ
ليتَ شعري ما بالُ سَلْم بنِ عمرو كاسفَ البالِ حين يُذكَر لوطُ
لا يصلّـي عليـه فيمن يصلّي بـل لـه عنـدَ ذكره تَثْبيطُ

فقال له سلم : ويحك ما لك خُبثت ؟ أي شيء دَعاك إلى هذا كلّه ؟ فقال أبو محمد : بدأتَ فانتصرْتُ ، والبادي أظلم[5] .

[يجيب سلم الخاسر إلى طلبه الهجاء]

قال أبو عبد الله محمدُ بنُ العبّاس اليزيديّ حدَّثني عُبَيد الله وعمِّي أبو القاسم عن أبي عليٍّ إسماعيل قال : قال لي أبي : قال سلمٌ الخاسر يوماً : يا أبا محمد ، قل أبياتاً على قول امرىء القيس :

رُبّ رامٍ من بني ثُعَلٍ

1 شعر اليزيديين : 34 .
2 لم يرد البيتان في مجموع شعره .
3 شعر اليزيديين : 59 .
4 أزمل : صوت . ووداق : شبق . وأطيط : أنين .
5 المثل «البادي أظلم» في الدرة الفاخرة 2 : 454 وجمهرة العسكري 1 : 230 ومجمع الميداني 2 : 401 ومستقصى الزمخشري 2 : 388 .

ولا أُبالي أن تهجوني فيها ، فقلت[1] :

رُبَّ مغمــومٍ بعافيـــةٍ غَمَط النّعماء مــن أَشَرِهْ
مُــوردٌ أمـــراً يُسَرّ بــه فــرأى المكروه في صدَرِهْ
وامرىءٍ طالــتْ سلامَتَهُ فرمــاه الدَّهرُ مــن غِيَرِهْ
بسِهــام غيرِ مُشوِيـــة نقضَتْ منـــه عُرا مِرَرِهْ[2]
وكذاك الدّهــرُ مختلِف بالفتـى حالَين من عُصُرِهْ
يخلِــط العُسْرى بمَيسَرة ويَسارُ المــرء في عُسُرِهْ
عــقّ سَلم أمَّــه سفهاً وأبــا سلــم على كِبَرِهْ
كلَّ يــوم خلفَــه رجــل رامحٌ يسعــى علــى أَثَرِهْ
يُولِــج الغُرْمــولُ سبّتَهُ كَوُلُوجِ الضّبِّ في جُحُرِهْ

فانصرف سلمٌ وهو يشتِمُه ويقول : ما يَحلّ لأحد أن يكلّمكَ .

[ينظم على قافية هائين]

قال : وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر : يا أبا محمد ، قُل أبياتاً قافيتها على هائيْنِ ، فقلتُ له : على أن أهجوك فيها ، فقال نعم ، فقلت[3] : [من المنسرح]

قلتُ ونفسي جَـــمٌّ تأوُّههـــا تصبــو إلى إلفهـــا وأندَهُها[4]
سقيـــا لصنعاء لا أرى بلـــداً أوطَنَـــه المُوطنـــون يشبهُهـــا
خِصْبـــاً وحُسناً ولا كبهجتها أعذى بـــلادٍ عـــذاً وأنزهُها[5]
يعـــرفُ صنعاء مَـــن أقامَ بها أرغـــدُ أرض عيشاً وأرفهُها
أبلغْ حضيراً عنّـــي أبـــا حنَش عائـــرةً نحـــوَه أوجّهُها
تأتيـــه مثـــلَ السهام عامدة عليـــه مشهـــورةً أدَهْدِهُها[6]

1 شعر اليزيديين : 57-58 .
2 غير مشوية : لا تخطىء وتصيب المقتل .
3 شعر اليزيديين : 88-89 .
4 أندهها : أزجرها .
5 أعذى : أطيب هواء .
6 دهده الحجر : دحرجه . والمعنى هنا : أرسلها .

كُنيتُه طرحُ نـون كنيتِـه إذا تهجيتَهـا ستفقهُها

يريد إسقاط النّون من أبي حنش حتى يكون أبا حشٍّ .

[شعر في مضيفه]

قال أبو عبد الله : وحدَّثني عمِّي قال : حدَّثني الطَّلْحيّ ، وكان له عِلمٌ وأدبٌ ، قال : اجتمعت مع أبي محمدٍ عند يونسَ بنِ الربيع ، وكان قد عادنا فأقمنا عنده ، فاتفق مجلسي إلى جنب مجلس أبي محمد ؛ فقام يونُس لحاجته ، وكان جميلاً وسيماً ، فالتفتَ إليّ اليزيديُّ فقال[1] : [من الخفيف]

وفتـى كالقناةِ في الطّرْفِ منه إن تأمّلتَ طرفَـه استرخاءُ

فـإذا الرامحُ المُشيحُ تـلاه وضَع الرمحَ منـه حيثُ يشاءُ

[يهجو شخصاً يسأله بتعنت]

قال : وحدَّثني عمِّي عن عمِّه إسماعيل عن أبي محمد قال : كان قُتيبة الخُراسانيّ صاحبُ عيسى بن عمرَ يأتيني فيسألني عن مسائل كالمتعنِّت ، فإذا أجبته عنها انصرف منكسراً ، وكان أفطس ، فقلت له يوماً[2] : [من المنسرح]

أمُخْبِري أنـت يـا قتيبةُ عن أنفِك أم أنـت كاتِمٌ خبرَهْ ؟

بأيّ جُـرم وأيّ ذنبٍ ترى سوَّت بخدَّيك أنفَك البَقَرَهْ

فصيَّرتـهُ كفَيْشة نبتَـت في وجهِ قِرد مفضوضة الكمَرَهْ

قد كان في ذاك شاغِل لكَ عن تفتيشِ بابِ العرفانِ والنكرَهْ

وقلت فيه أيضاً[3] : [من الوافر]

إذا عافـى مَليكُ الناسِ عبداً فـلا عافـاكَ ربُّـك يا قُتَيْبَهْ

طلبتَ النحوَ مذ أن كنتَ طفلاً إلى أن جلّلتك قبُحْـتَ شيبَهْ

فمـا تـزدادُ إلاّ النقصَ فيـه وأنتَ لدى الإيابِ بِشَرّ أوبَهْ

وكنتَ كغائبٍ قد غابَ حيناً فطـالَ مُقامُـه وأتـى بخيبَهْ

[يلقن قتيبة غريباً فاحشاً]

قال أبـو محمـد : كان عيسى بنُ عمر أعلمَ النّاس بالغريب ، فأتاني قُتَيبةُ الخُراسانيّ

---

1 شعر اليزيديين : 29 .

2 شعر اليزيديين : 56 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 40 .

هذا ، فقال لي : أَفِدْني شيئاً من الغريب أُعايي به عيسى بنَ عُمر ، فقلت له : أجوَدُ المساويك عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتْمئرّاً ، عُجارماً[1] جيّداً ، وقد قال الشاعر : [من الطويل]

إذا استكْتَ يوماً بالأَراكِ فلا يَكن ... سواكَكَ إلاّ المتمئرَّ العُجارِما

يعني الأير . قال : فكتب قتيبة ما قلت له ، وكتب البيت ، ثم أَتى عيسى بنَ عمرَ في مجلسه ، فقال : يا أبا عُمرَ ، ما أجودُ المساويك عند العرب ؟ فقال : الأراك ، يرحمك اللهُ . فقال له قتيبة : أفلا أهدي إليك منه شيئاً متمئرّاً عُجارماً ؟ فقال : أهدِه إلى نفسك ، وغضب ، وضحك كلُّ مَن كان في مجلسه ، وبقي قتيبة متحيّراً . فعلِم عيسى أنّه قد وقع عليه بلاءٌ ، فقال له : ويلك ! مَنْ فضَحَك وسخِرَ منكَ بهذه المسألة ؟ ومَن أهلكك ودمَّر عليك ؟ قال : أبو محمد اليزيديّ . فضحك عيسى حتى فحص برجله ، وقال : هذه واللهِ من مَزَحاته وبلاياه . أراه عنك منحرفاً ، فقد فضحك . فقال قتيبةُ : لا أعاودُ مسألَته عن شيءٍ .

[الخليل يصفيه الود]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني عُبَيدُ اللهِ بنُ محمدٍ اليزيديّ قال : حدَّثني أَخي أُبو جعفر قال : سمعتُ جدِّي أبا محمد يقول : صِرْت يوماً إلى الخليل بن أحمد ، والمجلس غاصٌّ بأهلِهِ ، فقال لي : هاهنا عندي ، فقلت : أضيِّق عليك ، فقال : إنّ الدُّنيا بحذافيرها تضيقُ عن متباغضَين ، وإنّ شِبراً في شِبرٍ لا يضيقُ عن متحابَّينَ . قال : وكان الخليل لأبي محمد صافيَ الوُدّ .

[رأي عالمين أحدهما في الآخر]

حدَّثنا اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيدُ الله قال : حدَّثني أخي أُحمدُ قال : سمعتُ جدِّي أبا محمد يقول : كنتُ ألقى الخليل بنَ أحمدَ ، فيقولُ لي : أُحبّ أنْ يُجمع بيني وبين عبدِ الله بنِ المُقفَّع ، وألقى ابنَ المُقفّع فيقول : أُحبّ أنْ يُجمعَ بيني وبين الخليلِ بنِ أحمدَ . فجمعْتُ بينهما ، فمرَّ لنا أحسنُ مجلِس وأكثرُه علماً ، ثم افترقنا ، فلقيتُ الخليلَ فقلتُ له : يا أبا عبد الرحمن ، كيف رأيت صاحبك ؟ قال : ما شئتُ من عِلم وأدب ، إلاّ أنّي رأيت كلامَه أكثرَ من عِلمه ، ثم لقيتُ ابنِ المُقفّع فقلت : كيف رأيتَ صاحبَك ؟ فقال : ما شئتُ من عِلم وأدب ، إلاّ أنّ عقلَه أكثرُ من علمه .

[بينه وبين الكسائيّ]

حدَّثنا اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي عُبَيد الله قال : حدَّثني أَخي أَحمدُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني أبي محمدُ بنُ أبي محمدٍ قال : قال لي أبو محمد : كنّا مع المهديّ بِبَلد في شهر رمضان قبل أَن

---

1 متمئر : الذكر الصلب . والعجارم : الرجل الشديد ويكنى به عن الذكر .

يُستخْلَف بأربعة أشهر ، وكان الكسائيّ معنا ، فذكر المهديّ العربيّة وعنده شَيْبةُ بن الوليدِ العبسيُّ عمُّ دُفافة . فقال المهديّ : نَبعث إلى اليزيديِّ والكِسائيِّ ، وأنا يومئذٍ مع يزيدَ بنِ المنصور خالِ المهديّ ، والكسائيّ مع الحسن الحاجب . فجاءنا الرسولُ ، فجئتُ أنا ، فإذا الكسائيُّ على الباب قد سبقني . فقال : يا أبا محمد ، أعوذُ باللهِ من شَرّكَ ، فقلت : والله لا تُؤتى من قِبَلي حتى أوتى من قِبلك .

فلمّا دخلنا عليه أقبل عليّ ، وقال : كيف نسبوا إلى البَحْرَين فقالوا : بَحْرانيٌّ ، ونسبوا إلى الحِصنَين[1] فقالوا : حِصنيّ ولم يقولوا حِصنانيّ كما قالوا بَحرانيّ ؟ فقلت : أصلح الله الأميرَ ! لو أنّهم نسبوا إلى البحرين فقالوا : بحريّ لم يعرف أإلى البحرَين نسبوا أم إلى البحر ؟ فلمّا جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له : الحصن يُنسَب إليه غيرُهما[2] فقالوا : حصني .

قال أبو محمد ، سمعْتُ الكسائيّ يقول لعمرَ بن بَزِيع ، وكان حاضراً ، لو سألني الأمير لأخبرْته فيها بعِلّة هي أحسن من هذه . قال أبو محمد : قلت : أصلح اللهُ الأميرَ ، إنّ هذا يزعم أنّك لو سألتَه لأجاب بأحسنَ مِمّا أجبْتُ به . قال : فقد سألْتُه . فقال الكسائيّ : لَمّا نسبوا إلى الحصنَين كانت فيه نونان ، فقالوا : حصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى ، ولم يكن في البحرَين إلاّ نون واحدة ، فقالوا : بَحرانيّ . فقلْتُ : أصلح اللهُ الأميرَ ! فكيف تَنسب رجلاً من بني جنّان ؟ فإنّه يلزمه على قياسه أن يقول : جنّي . إنّ في جنّان نونين ، فإن قال ذلك فقد سوّي بينه وبين المنسوب إلى الجنّ .

قال : فقال لي المهديّ وله : تناظرا في غير هذا حتى نسمع . فتناظرْنا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له : كيف تقول : إنّ من خير القوم أو خيرَهم نِيّةً زيد ؟ قال : فأطال الفكرَ لا يجيب . فقلتُ : لأن تجيبَ فتخطىء فتتعلّم أحسن من هذه الإطالة . فقال : إنّ من خير القوم أو خيرُهم نِيّةً زيداً . قال : فقلت : أصلح اللهُ الأمير ، ما رَضي أن يلحن حتى لحن وأحال . قال : وكيف ؟ قلتُ : لرفعه قبل أن يأتيَ باسم إنَّ ، ونصبه بعد رفعه .

فقال شَيْبةُ بن الوليد : أَراد بأوْ ـ بَلْ ، فرفع هذا معنى . فقال الكسائيّ : ما أَردْتُ غير ذلك . فقلت : فقد أخطآ جميعاً أيّها الأمير . لو أراد بأَوْ ـ بَلْ رفع زيداً ؛ لأنّه لا يكون بل خيرُهم زيداً . فقال المهديّ : يا كسائيّ ، لقد دخلْتَ عليّ مع مَسْلَمة النحويّ وغيره ، فما رأيتُ كما أصابك اليوم . قال : ثُمَّ قال : هذان عالمان ، ولا يقضي بينهما إلاّ أعرابيّ فصيحٌ يُلقى عليه المسائلُ التي اختلفا فيها فيجيب . قال : فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب .

1 الحصنين : موضع وقلعة بنواحي الطائف .

2 هناك مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم (ياقوت) .

قال أبو محمد : وأُطرقت إلى أن يأتي الأعرابيّ ، وكان المهديّ محبّاً لأخواله ، ومنصورُ بنُ يزيدَ بنِ منصورٍ حاضر ، فقلت : أصلح اللهُ الأمير ! كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات[1] : [من المنسرح]

يـا أيّها السائـلي لأُخبِره ... عمَّن بصنعاءَ من ذوي الحسبِ
حِمْيرُ ساداتُهـا تقُـرّ لهـا ... بالفضل طرّاً جحاجح العربِ
وإنَّ مِـن خيرِهـم وأُكرمِهمْ ... أُو خيرَهـم نيّـةً أبـو كربِ

قال : فقال لي المهديّ : كيف تنشده أنتَ ؟ فقلت : أو خيرَهم نيّةً أبو كرب على إعادة إنّ ، كأنّه قال : أو إنَّ خيرَهم نيّةً أبو كَرَب . فقال الكسائيّ : هو واللهِ قالها الساعةَ . قال ، فتبسّم المهديّ ، وقال : إنّك لتشهد له وما تدري . قال : ثم طلع الأعرابيّ الذي بعث إليه فأُلقيَتْ عليه المسائل ، فأجاب فيها كلّها بقولي . فاستفزّني السرور حتى ضربْتُ بِقُلَنسيَتي الأرض ، وقلت : أنا أبو محمد . فقال لي شيبة : أتَتكنّى باسم الأمير ؟ فقال المهديّ : واللهِ ما أراد بذلك مكروهاً ، ولكنّه فعل ما فعل للظَّفر ، وقد ، لَعَمري ، ظفر . فقلت : إنّ اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، أنطقك أيّـها الأمير بما أنت أهلُه ، وأنطق غيرك بما هو أهله .

[هجاء شيبة بن الوليد]

قال : فلمّا خرجنا قال لي شيبة : أتخطّئني بين يدَي الأمير ؟ أما لتعلَمنّ ! قلت : قد سمعْتُ ما قلت ، وأرجو أن تجد غبّها ، ثم لم أُصبح حتى كتبْتُ رِقاعاً عدّة ، فلم أدع ديواناً إلاّ دسستُ إليه رُقعة فيها أبيات قلتُها فيه ، فأصبح النّاس يتناشدونها ، وهي[2] : [من الخفيف]

عِش بجَـدٍّ ولا يضرُّك نَوك ... إنّما عَيش مَـن تَرى بالجُدودِ
عِش بجَدّ وكـن هَبَنّقة القيـ ... ـسيّ نَوكا أو شيبَة بنَ الوليدِ[3]
شيب يا شيب يا جُدَيّ بني القعْـ ... ـقاع ما أنت بالحليمِ الرشيدِ
لا ولا فيك خَلّةٌ من خلال الـ ... ـخيرِ أُحرزْتهـا لحزم وجودِ
غيرَ مـا أنّك المجيـد لتقطيـ ... ـع غناءٍ وضربِ دُفّ وعودِ
فعلَى ذا وذاك يحتمِـلُ الدّهـ ... ـر مجيداً لـه وغيرَ مجيدِ

1 شعر اليزيديين : 35 .
2 شعر اليزيديين : 45–46 .
3 انظر المثل : «أحمق من هبنقة» في الدرة الفاخرة 1 : 135 ومجمع الميداني 1 : 217 وجمهرة العسكري 1 : 342 .

[هجاء خلف الأحمر]

قال : وقال أبو محمد اليزيديّ يهجو خَلفاً الأحمر أستاذ الكسائيّ ، أنشدنيه عمّي الفضل[1] : [من الخفيف]

زعم الأحمرُ المَقيت علـيٌّ والذي أمّه تُقِــرّ بمقتِهْ
أنّه علَّـم الكسائيّ نحواً فلئن كان ذا كذاك فباستِهْ

[الغسانيّ لا يعينه فيستعين بجعفر]

وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال : أمر لي الرشيد بمال وحضر شخوصَه إلى السِّنّ[2] ، فأتيت عاصماً الغسانيَّ ، وكان أثيراً عند يحيى بنِ خالد ، فقلت له : إنّ أمير المؤمنين قد أمر لي بمال ، وقد حضر من شخوصه ما قد علمت ، فأحبُّ أن تذكِّر أبا عليّ يحيى بن خالد أمرَه ليعجّله إليّ . فقال : نعم ، ثم عدْتُ بعد ذلك بيومين ، فقال لي يتفخّم في لفظه : ما أصبتَ بحاجتك موضعاً . قال : قلت : فاجعلها منك ، أكرمكَ اللهُ ، ببال .

فلمّا خرجْتُ لحقني بعض مَن كان في المجلس ، فقال لي : يا أبا محمد ، إنّي لأربأ بك أن تأتيَ هذا الكلبَ أو تسأله حاجة . قلت : وكيف ؟ قال : سمعته يقول ، وقد ولّيتَ ، لو أنّ بيدي دجلةَ والفراتَ ما سقَيْتُ هذا منهما شَربة ، فقيل له : ولِم ذاكَ ، أصلحك اللهُ ، فإن له قَدراً وعِلماً ؟ قال : لأنّه من مُضَرَ ، ما رأيت مُضرياً قطّ يحبّ اليمانيّة .

قال : فأحببْت ألاّ أعجَل ، فعُدت إليه من غد فقلت : هل كان منك ، أكرمك اللهُ ، في الحاجة شيء ؟ فقال : واللهِ لكأنّك تطلبنا بِدَين . فتحقّق عندي ما بلغني عنه ، فقلت له : لا قضى اللهُ هذه الحاجةَ على يدك ، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها ، والله لا سلّمت عليك مبتدئاً أبداً ، ولا ردَدتُ عليك السلام إن بدأتني به . ونفَضْت ثوبي وخرجْت .

فإنّي لأسير وأُفكّر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يَرْكُض حتى لحقني ، فقال : بعثني إليك أبو عليّ يحيى بن خالد لِتقف حتى يلحقك ، فرجعْت مع رسوله إليه فلقيته ، وكان قريباً ، فسلّمْتُ عليه ثم سايرته ، فقال لي : إنّ أمير المؤمنين أمرني أن آمرك بطلب مؤدّب لابنه صالح ، فإنّي أُحدِّثك حديثاً حدّثني به أبي خالدُ بنُ بَرْمكَ : أنّ الحجّاج بنَ يوسف أراد مؤدّباً لولده ، فقيل له : هاهنا رجل نصرانيّ عالِم ، وهاهنا مسلم ليس علمه كعِلم النصرانيّ ، قال : ادعوا لي المسلم .

---

1 شعر اليزيديين : 41 . وقد ذهب جامع الشعر إلى أن البيتين في علي بن المبارك (علي بن الحسن الأحمر) . غير أنّ عليّاً هذا كان تلميذ الكسائيّ لا أستاذه (بغية الوعاة 2 : 158–159) ، وسيرِد أنّه كانت ثمة مهاجاة بين أبي محمد اليزيديّ وخلف الأحمر . ورواية صدر البيت الأول في معجم الأدباء (2487) : زعم الأحمر المقيت لدينا . . .

2 السن : مدينة على دجلة فوق تكريت .

فلمّا أتاه قال : ألا ترى يا هذا أنّا قد دللنا على نصرانيّ قد ذكروا أنّه أعلَم منك ، غير أنّي كرهْتُ أن أضمّ إلى ولدي مَن لا ينبّههم للصلاة عند وقتها ، ولا يدلُّهم على شرائع الإسلام ومعالمه ؟ وأنت ، إن كان لك عقل ، قادر على أن تتعلّم في اليوم ما يُعلمه أولادي في جمعة ، وفي الجمعة ما يعلّمهم في الشهر ، وفي الشهر ما يعلّمهم في سنة . ثم قال لي يحيى : فينبغي يا أبا محمد أن نُؤثر الدِّين على ما سواه . فقلت له : قد أصبتُ مَن أرضاه ، وذكرت له الحسن بن المسوّر ، فضمّه إليه ، ثم سألني : من أين أقبلت ؟ فأخبرتُه بخبر عاصم وما كان منه ، فقلت له : قد حضر هذا المَسير ، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه ؟ فضحك وقال : ولِم لا تدري ؟ الْقَ صديقك جعفراً ، يعني ابنه ، حتى يكلّم أميرَ المؤمنين أو يذكرَني حاجتك ، فقد تركته على المضي الساعة ، فانثنيت إلى جعفر وقلت فيه في طريقي[1] : [من الكامل]

يا سائلي عمّا أُخبِّرُهُ عن جعفر كرماً وعن شيمِهْ
إن ابن يحيى جعفراً رجل سِيطَ السماحُ بلحمه ودمِهْ[2]
فعليه «لا» أبداً محرمةٌ وكلامه وقف على نَعَمِهْ
وترى مُسابقَه ليدركه بمكان حَذْو النّعل من قدمِهْ

فلمّا دخلت إليه أخبرته الخبر ، وأنشدته الأبيات ، وأعلمته ما أمرني به أبوه ، فقال لي : قُل بيتين تذكُره فيهما إلى أن أجدّد طُهراً واكتبهما حتى يكونا معي ، فأذكرَ بهما حاجتك ، فقلت : نعم يا سيِّدي ، وأخذت الدواة وكتبتُ[3] : [من السريع]

أحقُّ مَن أنجز موعودَه خليفةُ اللهِ على خلقِهِ
ومَن له إرث نبيّ الهُدى بالحقِّ لا يُدفَع عن حقِّهِ
يُنسب في الهَدْي إلى هَديِهِ برّاً وفي الصدقِ إلى صدقِهِ
ومَن له الطاعَة مفروضة لائحة بالوحي في رَقِّهِ
والراتقُ الفتقِ العظيم الذي لا يقدرُ النّاسُ على رتْقِهِ

قال : فأخذ الشعر ، ومضى إلى الرشيد في حاجتي وأقرأه إيّاه ، فَصَكَّ إليَّ بالمالِ عليه ، وقبضته بعد ذلك بيوم ، وأنشأت أقول في الغسّانيّ[4] : [من الطويل]

1 شعر اليزيديين : 85 عن الأغاني .
2 سيط : خلط .
3 شعر اليزيديين : 62 عن الأغاني .
4 شعر اليزيديين : 78–79 عن الأغاني .

ألا طَرَقَتْ أسماء أم أنتَ حالِم ... فأهلاً بطيف زارَ والليل عاتِمُ
إذا قيل أيُّ النّاسِ أعظمُ جفوةً ... وألأمُ قيل الجرمقانيُّ عاصِمُ[1]
دَعيٌّ أجاءته إلى اللؤمِ دعوةٌ ... ومغرِس سَوء لؤمه متقادمُ
شَهيدي على أن ليس حرّاً صَلِيبةً ... صفيحةُ وجه ابنِ استِها واللهازِمُ
صفيحةُ دَقّاقٍ أبوه شبيهه ... وجدّاه سَمّاكٌ لئيمٌ وحاجِمُ
أعاصمُ خلٌّ المكرماتِ لأهلِها ... وأغْضِ عَلى لؤمٍ ووجهُك سالِمُ
فكيف تنال الدَّهر مجداً وسؤدَداً ... وفي كلِّ يوم كوكبٌ لك ناجمُ
وأصلك مدخول وفِسقك ظاهر ... وعَجْبك مهموز وعَرْدك عارِمُ
تُصانعُ غساناً لِتُلحَقَ فيهمُ ... ورُبّ دَعيٍّ ألحقته الدراهمُ
فإنْ رابَ رَيبٌ أو أصابَتْكَ شدّةٌ ... رجعتَ إلى شَلْثى وأنفك راغِمُ

قال : وكان اسم أبيه شاشى ، فصيّره صلْتاً[2] .

إذا عاصماً يوماً أتيتَ لحاجةٍ ... فلا تلقَه إلاّ وأَيرك قائمُ
وعرِّض له من قبلِ ذاكَ بأمرَدٍ ... وضيءٍ وسيمٍ أثقلَتْه المآكمُ[3]
وإلاّ فلا تسأله ما عِشت حاجة ... ولا تبكه إن أعولَتْه المآتمُ

[يعين الغسانيّ على استرداد ضيعته]

قال : فلمّا حدَث ببَني بَرْمك ما حدث قُبضَت ضيعتُه في المقبوض من ضِياع أسبابهم ، فصار إليّ وكلّمني في أمرها ، وسألني كلامَ الجوهريّ في ذلكَ ، فقمت له حتى رُدّت الضيعة عليه ، فجاءني يشكرني ، ويعتذر مِمّا جرى مِن فِعله المتقدّم ، فقلت له : تَناسَ ما مضى ، فلستُ مِمّن يكافىء على سوءٍ أحداً .

[هجاء أبي عبيدة]

قال أبو محمد : كان أبو عبيدةَ يجلس في مسجد البصرة إلى سارية ، وكُنت أنا وخَلَفٌ الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى ، وكان أبو عبيدة من أعْضِه[4] النّاس لِلنّاس وأذكرِهم لَمثالبهم . فقال لأصحابه : أترون الأحمر واليزيديّ إنّما يجتمعان عَلى الوقيعة لِلناس وذِكر

---

1 الجرمقاني : واحد الجرامقة ، قوم من العجم استقرّوا بالموصل .
2 الصلت : اللص .
3 المآكم : جمع مأكمة ، كنى بها عن الردف .
4 أعضه : كثير الأفك والبهتان .

مساويهم ؟ وبلغني ذلك وأنّه قد رمانا بمذهبه ، فقلت لِخَلفٍ : دَعه ، فأنا أكفيكه . فلمّا كان من الأذان جئت أنا وخَلفٌ إلى المسجد ، فكتبتُ عَلى الجصّ في الموضع الذي كان يجلسُ فيه أبو عبيدة : [من البسيط]

صلّى الإلهُ على لوط وشيعتِه أبـا عبيدةَ قـلْ بـاللهِ آمينا

قال : وأصبح النّاس ، وَجاءَ أبو عبيدة ، فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوباً . وأقبل النّاس ينظرون إلى البيت ويضحكون ، ورفَع أبو عبيدة رأسه ونظر إليه ، فخجل ، ولم يَزل منكّساً رأسه حتى انصرف النّاس وأنا وخَلَفٌ ناحيةً ننظر إلى ما به ؛ ثم قمنا حتى وقفنا عليه ، فقلنا له : ما قال صاحب هذا البيت إلاّ حقّاً ، نعم فصَلّى الله على لوط ، فأقبل عَلَيَّ وقال : قد علمتُ مِن أين أُتيت ، ولن أُعاود التعرّض لتلك الجهة ، ولم يعد لذكرنا بعد ذلك .

[عقاب يزيد بن منصور]

وقال أبو محمد : اعْتللْتُ عِلّة من حمى رِبْع[1] طالت عَلَيَّ أشهراً ، فجفاني يزيد بن منصور ، ولم يمرّ بي في عِلّتي ، ولم يتفقّدني كما ينبغي ؛ فكتبتُ رقعةً إليه ضمنتها هذه الأبيات[2] : [من البسيط]

قُـل للأميرِ الذي يرجـو نوافِلَه مَـن جـاءه طالباً للخيرِ منتابا
إنّي صحبتك دهراً كلَّ ذاك أرى مِنْ دونِ خَيرِك حُجَّابـاً وأبوابا
وَكم ضريـكٍ أجاءَتـه شقاوَتُـه إليك إذا أُنشَبتْ ضراؤها نابا[3]
فمـا فتحتَ لـه باباً لميسرة وَلا سددتَ لـه مـن فاقة بابا
كغائب شاهـدٌ يخفى عليك كما من غـابَ عنكَ فوافى حظُّه غابا

فلمّا قرأها قال : جفَوْنا أبا محمد ؛ وأحوجناه إلى استبطائنا . واللهُ المستعان ، وبعث إليه بصلة .

[عبث خلف الأحمر به]

أخبرني هاشم بنُ محمدٍ الخزاعيُّ أبو دُلَف قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الرحمن بنِ الفهم ، وكان من أصحاب الأصمعيّ ، قال : كان خَلف الأحمر يعبَث بأبي محمدٍ اليزيديّ عبثاً شديداً ، وربّما جدّ فيه وأخرجه مخرج المزح ، فقال فيه ينسبه إلى اللّواط : [من الكامل]

1 حمى الربع : حمى تنوب يوماً وتترك يومين .
2 شعر اليزيديين : 33 عن الأغاني .
3 الضريك : الفقير الهالك .

إنّي ومَن وَسَج المَطيُّ لـه ... حُدْبَ الذرى أذقانها رُجُفُ[1]
يَطْرحنَ بالبيد السِّحالِ إذا ... حثَّ النجاءَ الركبُ وازدَهفوا[2]
والمُحْرِمين لِصَوتهم زَجَلٌ ... بفِناء كعبتِه إذا هتفوا
وإذا قطَعْن مسافَ مَهْمَهَة ... قَذَفٍ تعرّض دونها شَرَفُ[3]
وافَتْ بهم خُوص محزَّمة ... مثلُ القِسيِّ ضوامرٌ شُسُفُ[4]
مِنّي إليه غيرَ ذي كَذِبٍ ... ما إن رأى قوم ولا عَرَفوا
في غابر النّاسِ الذين بقُوا ... والفُرَّطِ الماضينَ إذ سَلفوا[5]
أحداً كيحيى في الطِّعانِ إذا افـ ... ـترش القنا وتضعضع الحَجَفُ[6]
في مَعرك يُلقى الكَميّ به ... للوجه منبطحاً وينحرفُ
وإذا أكبّ القِرن يُتبِعه ... طعناً دُوَين صَلاه ينخسفُ[7]
للهِ دَرُّكَ أيّ ذي نُزُلٍ ... في الحربِ إذ همّوا وإذ وقفوا
لا تخطىء الوجعاءَ ألّته ... ولا تُصدّ إذا همُ زحفوا[8]
وله جيادٌ لا يُفرِّطها الـ ... إحلال والمضمار والعلفُ[9]
جُرْد يهان لها السَّويق وألـ ... ـبان اللِّقاح كأنّها نُزُفُ
مُرْد وأطفال تخالهمُ ... دُرّاً تَطابق فوقه الصَّدَفُ
فهمُ لديه يعكُفون به ... والمَرء منه اللِّين واللطفُ
ومتى يشا يُجنَبْ له جَذع ... نَهْدٌ أسيل الخدِّ مشترفُ[10]

---

1 وسج لمطي : أسرعت . ورجف : مضطربة .
2 السحال : اللجام . وازدهفوا : خفوا وعجلوا .
3 فلاة قذف : تتقاذف بالسالك .
4 خوص : غائرة العيون لضمورها . وشسف : ضامرة من الهزال .
5 الفرط : المتقدمون .
6 افترش القنا : وقع بعضها على بعض . والحجف : التروس من جلد .
7 الصلا : وسط الظهر .
8 الوجعاء : الدبر . والألة : الحربة العظيمة النصل .
9 لا يفرطها : لا يثيرها للسبق .
10 يجنب : يوضع إلى جنبه . والجذع : ولد الشاة أو البقرة ومشترف : مشرف .

يَمْشي العِرَضْنَةَ تحت فارسه عَبْلَ الشوى في متنِهِ قَطَفُ[1]
رَبِـذٌ إذا عرِقـت مَغابِنـه ذَهَبَ السكونُ وأقبل العُنفُ[2]
فأَعـدَّ ذاك لسرجـهِ ولـه في كلِّ غاديـةٍ لهـا عُرُفُ
في حَقْـوه عَـرْدٌ تَقدّمُـه صلعاء في خرطومِها قَلَفُ[3]
جـرداء تُشحَذ بـالبزاقِ إذا دُعيَت نزال وهبّ مرتدِفُ[4]
أوفى على قِيـدِ الذراعِ شديـ ـدُ الجَلْز في يافوخه جَوَفُ[5]
خـاظٍ مُمَـرّ متنُـه ضَرِم لا خانـه خَوَر ولا قَضَفُ[6]
عَـرْدُ المَجس بمتنه عُجَـر في جِـذره عن فخْذه جنَفُ[7]
فلَـوَ آن فياضـاً تأمّلـه نـادى بجهد الويـلُ يلتهفُ
وإذا تمسّحـه لِعادتـه ودنا الطِّعان فمِدْعَس ثَقِفُ[8]
وإذا رأى نَفَقـاً رَبـا ونـزا حتـى يكـادُ لعابـه يكفُ
لا ناشئاً يُبقـي ولا رجـلاً فنِـداً وهـذا قلبـه كلِفُ[9]
يـا ليتنـي أدري أمُنجيتـي وجناءُ ناجيـةٌ بهـا شَدَفُ[10]
مـن أن تعلقنـي حبائلُـه أو أن يواري هامتي لُجُفُ[11]
ولقـد أقـولُ حِـذارَ سطوته إيهـاً إليك تـوَقّ يـا خلَفُ
ولـو آنّ بيتكَ في ذُرا علَـم مِن دون قلّـةِ رأسِهِ شَعَفُ[12]

---

1 العرضنة : النشاط في المشي . وعبل الشوى : ضخم الأطراف وقطف : أثر .
2 ربذ : خفيف سريع . والمغابن : جمع مغبن ، وهو الإبط وأصل الفخذ .
3 حقوه : خصره .
4 مرتدف : الذي يركب خلف الركب .
5 جلز الشيء : عصبه . والجوف : سعة .
6 خاظي : مكتنز . والقضف : النحافة .
7 العجر : العقد .
8 مدعس : شديد الطعن .
9 فند : خرف .
10 الشدف : سرعة الوثب .
11 لجف : حفرة .
12 الشعف : جمع شعفة ، وهي رأس الجبل .

زَلِـــقٍ أَعاليـــه وأَسفلُـــه وعـر التنائف بينهـا قذفُ[1]
لَخشيت عَـــرْدَكَ أَن يُبيِّتني أَن لم يكن لِيَ عنه منصرَفُ

قال الأصمعيّ : فحدَّثني شيخ من آل أبي سفيان بنِ العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء قـال : أُنشدت قصيـدة خلفٍ الفائيّة هذه وأعرابيّ جالس يسمع ، فلمّا سمع قوله : [من الكامل]

فـإذا أُكـب القرنَ أُتبعـه طعنـاً دُوَين صَلاه ينخسفُ

قال الأعرابيّ : وأَبيك لقد أُحبَّ أَن يضعه في حاق مَقِيل[2] ضَرْطته .

[يغضب من هجاء خلف]

أَخبرني هاشمُ بنُ محمد قال : حدَّثني ابنُ الفهم قال : حدَّثني الأصمعيّ قال : كنتُ مع خَلفٍ جالساً ، فجرى كلام في شيء من اللغة ، وتكلّم فيه أبو محمدٍ اليزيديّ وجعل يَشغَب ، فقال لي خَلَفٌ : دَعْني من هذا يا أبا محمد ، وأخبرني من الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

فـإذا انتشيتُ فإنّنـي ربّ الحُرَيبة والرُّمَيحِ
وإذا صحـوتُ فإنّنـي ربّ الدُّوَيّـة واللوَيحِ

يعرِّض به أنّه معلّم ، وأنّه يلوط ، فغضب اليزيديّ ، وقام فانصرف .

[يهجو مواليه]

أَخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني طلحةُ الخُزاعيّ قال : حدَّثني أبو سعيد عثمانُ بنُ يوسفَ الحنفيُّ قال : غاضب أبو محمد اليزيديّ مواليَه بني عدِي رهْط ذي الرُّمّة من بني تميم لأمر استنهضهم فيه ، فقعدوا عنه ، فقال يهجوهـم[3] : [من السريع]

يـا أيُّها السائلُ عن قومِنا لمّـا رأى بِـزَّةَ أحبـارِهِمْ
وحُسنَ سَمْت منهمُ ظاهراً إعلانُهـم ليس كإسرارِهِمْ
سائلْ بهم أحمـرَ أو غيرَه يُنبيكَ عن قومي وأَخبارِهِمْ
قـومٌ كرامٌ ما عدا أنّهم صولتهم منهم على جارِهِمْ
أُسد على الجيرانِ أَعداؤهم آمنــة تخطــرُ في دارِهِمْ
لو جاءهم مقتبساً جارُهم ما قبسوه الدّهر من نارِهِمْ

1 التنائف : جمع تنوفة ، وهي الأرض الواسعة .
2 حاق : وسط . ومقيل : موضع .
3 شعر اليزيديين : 76–77 .

وقد وترناهمْ فلم نخشَ مَن ينهضُ في سيرةِ أوتارِهِمْ
أحسنُ قومٍ لمواليهمُ إن أيسروا يوماً لأيسارِهِمْ
شهادةُ الزّور لهم عادة حقّاً بها قيمة أخبارِهِمْ
وما لهم مجد سوى مسجدٍ به تعدَّوا فوق أطوارِهِمْ
لو هُدِم المسجدُ لم يُعرفوا يوماً ولم يسمعْ بأخبارِهِمْ

[يهنىء الرشيد ويمدح المأمون]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: أخبرني عمّي عُبَيد الله قال: حدَّثني عمّي إسماعيل وأخي أحمدُ قالا: لمّا بلغ المأمونُ وصار في حدّ الرجال أمرَنا الرشيد أن نعملَ له خطبة يقوم بها يوم الجمعة، فعمِلنا له خطبته المشهورة. وكان جَهير الصوت حسنَ اللهجة، فلمّا خطب بها رَقَّت قلوب النّاس، وأبكى من سمعه، فقال أبو محمد اليزيديّ[1]: [من الطويل]

لِتَهْنِ أميرَ المؤمنين كرامةٌ عليه بها شكرُ الإله وُجوبُ
بأن وليّ العهدِ مأمونَ هاشم بدا فضلُه إذ قام وهو خطيبُ
ولمّا رماه النّاس من كلِّ جانب بأبصارِهم والعُود منه صليبُ
رماهم بقول أنصتوا عجباً له وفي دونه للسامعينَ عجيبُ
ولمّا وعَت آذانُهم ما أتى به أنابَتْ ورقَّت عند ذاك قلوبُ
فأبكى عيونَ الناس أبلغُ واعظ أغرُّ بطاحيٌّ النِّجار نجيبُ[2]
مَهيبٌ عليه للوقارِ سكينة جريء جَنانٍ لا أكَعّ هيوبُ[3]
ولا واجبٌ فوق المنابرِ قلبُه إذا ما اعترى قلبَ النجيبِ وجيبُ
إذا ما علا المأمونُ أعوادَ منبرٍ فليس له في العالمين ضريبُ
تَصدَّع عنه النّاس وهو حديثهم تَحدَّث عنه نازحٌ وقريبُ
شَبيهُ أميرِ المؤمنين حَزامةً إذا وَردَتْ يوماً عليه خطوبُ
إذا طاب أصل في عُروق مِشاجهِ فأغصانه من طِيبه ستطيبُ
فقل لأميرِ المؤمنين الذي به يقدَّمُ عبدُ الله فهو أديبُ

1 شعر اليزيديين: 29–31 عن الأغاني.
2 بطاحي النجار: من قريش البطاح.
3 أكع: جبان.

كأَن لم تغبْ عن بلدة كان والياً — عليها ولا التدبيرُ منك يغيبُ
تتبعَ ما يُرضيك في كلِّ أَمره — فسيرته شخص إليك حبيبُ
ورِثتم بني العبّاس إرثَ محمد — فليس لحَيٍّ في التراثِ نصيبُ
وإنّي لأَرجو يا ابن عمِّ محمد — عطاياكَ والراجيكَ ليس يخيبُ
أَثبني على المأمونِ وابني محمداً — نوالاً فإيّاه بذاك تثيبُ
جنابُ أَميرِ المؤمنين مُبارَكٌ — لنا ولكلِّ المؤمنينَ خصيبُ
لقد عَمَّهمْ جُودُ الإمامِ فكلّهم — له في الذي حازتْ يداه نصيبُ

صوت

فلمّا وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أَمر لأَبي محمد بخمسين ألف درهم ، ولابنه محمدِ بنِ أَبي محمد بمثله .

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : حدَّثني أَخي أَحمد عن أَبيه قال : استأذن أَبو محمد الرشيدَ وهو بالرقّةِ في الحجّ ، فأَذِن له ، فلمّا عاد أَنشدنا لنفسه[1] : [من البسيط]

يا فرحتا إذ صرفنا أَوجه الإبل — إلى الأَحبّةِ بالإزعاجِ والعَجَلِ
نَحثّهنَّ ولا يُؤتَيْنَ من دأبٍ — لكنَّ للشوقِ حثّاً ليس للإبلِ
يا نائياً قرُبَتْ منه وساوسه — أَمسى قرينَ الهوى والشوقِ والوجلِ
إن طالَ عهدكَ بالأَحبابِ مغترباً — فإن عهدكَ بالتسهيدِ لم يَطلِ
أَما اشتفى الدَّهرُ من حَرّانَ مُختَبلٍ — صبٍّ الفؤاد إلى حَرّانَ مُخْتَبَلِ
عِش بالرجاءِ وأَمِّل قربَ دارهمُ — لعلّ نفسكَ أَنْ تبقى مع الأَملِ

1 شعر اليزيديين : 69–70 .

أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيديّ وولد ولده فمنهم

[421] ـ محمد بن أبي محمد[1]

[شعر له غنى فيه]

ومِمّا يُغنّى فيه من شعره قوله : [من مجزوء الوافر]

صوت[2]

أتيتُكَ عائـذاً بِكَ منـ ـكَ لما ضاقتْ الحِيلُ
وصيَّرني هـواكَ وَبي لِحَيني يُضْرَبُ المثلُ
فإنْ سلِمَتْ لكم نفسي فما لاقيته جَلَلُ
وإن قَتل الهوى رجلاً فإنّي ذلكَ الرجلُ

الشعر لمحمدِ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ ، يُكنى أبا عبد الله ، والغناء لسُلَيم بنِ سَلام ، ثقيل أوّل بالبِنصر ، وله أيضاً فيه ماخوريٌّ . وكان سليم صديقَ محمدِ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ ، كثيرَ العشرة له ، وليس في شيء من شعره صنعة إلاّ لهُ . وله يقول محمد بنُ أبي محمد اليزيديّ[3] : [من الخفيف]

صوت

بأبي أنتَ يا سُلَيم وأُمّي ضِقتُ ذَرعاً بهجرِ من لا أُسمّي
صدَّ عنّي أقَرُّ مَن خلقَ اللـ ـه لعيني فاشتدَّ غمّي وهمّي
ما اختيالي إنْ كان في القدَر السا بق لِلحَينِ أن أموتَ بسُقمي ؟

الغناء لسُلَيم ، خفيفُ رمل بالوُسطى عن عمرو .

[ثناء أبي ظبية العكليّ]

أخبرني محمدُ بن العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمّي عُبَيد الله عن أخيه أبي جعفرٍ عن أبيه محمدِ بن أبي محمد قال : قال لي أبي : نظر إليك أبو ظبية العُكْليّ ، وقد جاءَني ، فقال لي ، وقد أقبلْتُ : [من الكامل]

يَلِـد الرجـالُ بَنيهمُ أولادَهمْ وولدْتَ أنتَ أَباً من الأولادِ

---

1 لمحمد بن أبي محمد اليزيديّ ترجمة في طبقات ابن المعتزّ : 327–329 وتاريخ بغداد 3 : 412 .
2 شعر اليزيديين : 108 .
3 شعر اليزيديين : 114 عن الأغاني .

قال أبو محمد : وكتب أبو ظبية يوماً : [من الطويل]

أيحيى لقد زُرناك نلتمسُ الجَدا وأنتَ امرؤ يرجَى جَداه ونائلُهْ
وما صَنع المعروفَ في الناسِ صانعٌ فيُحْمَدَ إلاّ أنت بالخيرِ فاضلُهْ
تخيركَ الناسَ الخليفةُ لابنه وأحكمْتَ منه كلَّ أمر يحاولُهْ
فما ظَنَّ ذو ظنٍّ من النّاسِ علمُه كعلمكَ إلاّ مخطىءِ الظنِّ فائلُهْ[1]
إليكَ تناهتْ غايةُ النّاس كلِّهم إذا اشتبهَتْ عند البصيرِ مسائلُهْ

قال أبو محمد : فكتب إليه[2] : [من الطويل]

أبا ظبيةَ اسمعْ ما أقولُ فَخيْرُ ما يقال إذا ما قيل صُدّق قائلُهْ
إذا شئتَ فانهَدْ بي إلى مَن أردتَه وأمَّلتَ جدواه فإنّي منازلُهْ[3]
فإن يكُ تقصيرٌ ولا يكُ عارفاً بحقِّك فاعذِ لَهُ فتكثرْ عواذلُهْ

[العبّاس بن الأحنف يتمنى بيتين له]

حدَّثني أبو عبد الله محمدُ بنُ العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله قال : حدَّثني أخي أحمدُ عن أبي قال : صِرْت إلى العبّاس بن الأحنف ، فقال لي ما حاجتكَ ؟ قلتُ : أمرني أخوكَ وأبي أن أصبر إليك وأستفيدَ منك . فقال لي : أتصير إليّ ؟ ودِدْت أنّي سبقتك إلى بيتين قلتَهما وأنّي لم أقلْ من الشعر شيئاً غيرهما . فدخلني من السرورِ ما اللهُ به عليم ، فقلت : وما هما ؟ فقال : قولك[4] : [من مجزوء الرمل]

يا بَعيدَ الدّارِ موصو لاً بقلبي ولِساني
رُبّما باعدكَ الدهـ ـرُ وأدنتك الأماني

[سرق معنيين من مسلم]

حدَّثني أحمد بن عُبَيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني محمدُ بنُ داودَ الجراحُ قال : حدَّثني أبو القاسمِ عُبَيد الله بنُ محمد اليزيديُّ قال : حدَّثني أحمد بنُ محمد قال : سمعتُ أبي يقول : ما سرقْتُ من الشعر شيئاً إلاّ معنيين : قال مُسلم بن الوليد[5] : [من الخفيف]

---

1 الفائل : الخاطىء الضعيف .
2 شعر اليزيديين : 65 .
3 نهد : نهض ومضى .
4 شعر اليزيديين : 120 .
5 ديوان مسلم : 342 .

ذاك ظبي تخيّرَ الحسنُ في الأر … كانِ منه وحلَّ كلَّ مكانِ
عَرَضَتْ دونه الحِجالِ فما يلـ … ـقاكَ إلاّ في النومِ أو في الأماني

فقلت :

يا بعيدَ الدارِ موصو … لاً بقلبي ولساني
رُبَّما باعدكَ الدهـ … ـرُ وأدنتكَ الأماني

وقال مسلم أيضاً[1] : [من الوافر]

متى ما تسمعي بقتيلِ حُبٌّ … أصيب فإنَّني ذاكِ القتيلُ

فقلت أنا :

أتيتكِ عائذاً بكِ منـ … ـكِ لما ضاقتْ الحِيلُ
وصيّرني هواكِ وبي … لِحَيْني يُضْرَب المثلُ
فإن سلمَتْ لكم نفسي … فما لاقيته جَللُ
وإنّ قَتل الهوى رجلاً … فإنِّي ذلك الرجلُ

[يعتب على صديق له فيجيبه]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله عن أخيه أبي جعفر قال : عتَب أبي ، يعني محمدَ بن أبي محمد ، على يونس بنِ الرَّبيع ، وكان صديقَه فكتب إليه[2] : [من الطويل]

سأبكيكَ حيّاً لابكيتكَ ميِّتاً … بأربعة تجري عليك هُمولا
وأُعفيك من طولِ اللقاءِ وإنَّني … أرى اليومَ لا أَلقاكَ فيه طويلاً
فكيف بصبري عنكَ لا كيف بعدما … حللْتَ محلّاً في الفؤادِ جليلا

قال ، وكتب إليه يونس : [من الوافر]

إلى كَم قد بَليت وليس يَبلى … عتاب منك لي أَبداً طويلُ
إذا كثر التجنّي من خليل … ولم تُذنبْ فقد ظَلم الخليلُ

[شعر في قنفذ]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الحسنُ بن الفهم قال : قال لي أبو سمير عبد الله بن أيّوبَ مولى بني أُميّة : باتَ عندي ليلةً محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ ، فظهر لنا قُنفذ ، فقلت له : قل فيه

1 ديوان مسلم : 335 .
2 شعر اليزيديين : 110 عن الأغاني .

شيئاً ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

وطارقِ ليـل زارنـا بعد هَجْعة ... من الليـلِ إلاّ مـا تحدث سامرُ
فقلْتُ لعبدِ اللهِ مـا طارقٌ أتـى ... فقـال امـرؤ سبقَت إليه المقادرُ
قَرَينـاه صفو الزادِ حـين رأيته ... وقد جاء خفّاقَ الحشا وهو سادرُ
جميلُ المحَيّـا والرّضا فإذا أبى ... حمَتْه مـن الضيمِ الرّماح الشّواجرُ
ولستَ تـراه واضعـاً لسلاحـه ... مدى الدهر موتوراً ولا هو واترُ

[حُجب عن المأمون ثم أُذن له]

حدَّثنا اليزيديّ قال : حدّثني عمّي الفضل قال : حدَّثني أبو صالح بن يزداد قال : حدَّثني أبي قال : جاء محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ إلى باب المأمون وأنا حاضر ، فاستأذن ، فقال الحاجب : قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأحد . قال : فأمَرك ألاّ توصل إليه رقعة ؟ قال : لا ، فدَفع إليه رقعة فيها[2] : [من الوافر]

هديَّتـي التحيّـةُ للإمـامِ ... إمـامَ العـدل والملكِ الهمامِ
لأنّـي لـو بذلْتُ لـه حياتي ... ومـا أحـوي لقـلاّ للإمامِ
أَراك مـن الدواء اللهُ نفعـاً ... وعافيـةً تكـون إلى تمامِ
وأعقبكَ السلامةَ منـه رَبٌّ ... يُريـك سلامـةَ في كلِّ عامِ
أتـأذن في السّلامِ بِـلا كلامٍ ... سوى تقبيلُ كَفـكَّ والسلامِ

قال : فأوصلها ، وخرج فأذِن له ، فدخل وسلّم وحُمِلَتْ معه ألفا دينارٍ .

[المعتصم يستحسن شعراً قاله]

حدَّثني عمِّي قال : حدّثني الفضلُ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي أحمدُ عن أبي : قال : دخلْتُ إلى المعتصِم وهو ولي عهد وقد طلع القمر ، فتنفّس ثم قال : يا محمد ، قل أبياتاً في معنى طلوع القمر ، فإنّه غاب مدّة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع ، فإن كان كما أُحِبّ فلكَ بكلِّ بيت مائة دينار ، فقلت[3] : [من المنسرح]

صوت

هذا شبيه الحبيبِ قد طلعا ... غابَ كما غابَ ثـم قد لمعا

1 شعر اليزيديين : 104 .
2 شعر اليزيديين : 115 .
3 شعر اليزيديين : 106 عن الأغاني .

وما أرى غيرَه يشاكلـه فاسأله باللهِ عنه ما صنعا
فـرّقَ بينـي وبينه قـدَر هـو الذي كان بيننا جمَعا
فهـل لـه عـودة فأرقبَها كما رأينا شبهـه رجعا

فقال : أحسنت وحياتي ، ثم قال لعَلّويه : غنِّ في هذه الأبيات ، وكان حاضراً ، فغنّى فيها ، وشرب عليها ليلته ، وأمر لي بأربعمائة دينار ولعَلّويَه بمثلها .

لَحْن علّويَه في هذه الأبيات رَمَل .

[حكم المأمون له بثلاثة آلاف دينار]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني أخي عن أبي قال : شكوْت إلى المأمون دَيناً عليّ ، فقال : إنّ عبدَ الله بنَ طاهر اليوم عندي ، وأريد الخلوة معه ، فإذا علمْتَ بذلك فاستدعِ أن يكون دخولُك أو إخراجَه إليك ، فإنِّي سأحكم لك عليه بمال . فلمّا علمت أنّهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار ، وكتبتُ بهذين البيتين[1] : [من السريع]

يـا خيرَ ساداتٍ وأصحـابِ هـذا الطفَيْـليُّ على البابِ
فصيِّروا لي معكـمْ مجلساً أو أخرِجُوا لي بعض أصحابي

وبعثت بهما إليه ، فلمّا قرأهما قال : صدق ، اكتبوا إليه وسلوه أن يختار . فكُتِب إليّ : أمّا وصولك فلا سبيل إليه ، ولكن من تختار لِنخرجَه إليك فتَمضي معه . فكتبْت : ما كنتُ لأختار على أبي العبّاس[2] أحداً . فقال له المأمون : قُم إلى صديقك . فقال : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفيني من ذلك ، أتُخرجُني عمّا شرفْتَني به من منادمتك وتُبدلُني بها منادمة ابن اليزيديّ ؟ قال : لا بدّ من ذلك أو ترضيَه . قال : فليحتكِم . قال : أخاف أن يشتطَ أو تقصِّرَ أنت ، ولكنِّي أحكم فأعدِل . قال : قد رضيتُ . قال : تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجَّلة . قال : قد فعلت ، فأمَر صاحبَ بيت المال أن يحملَها معي ، وأمر عبدُ الله بِردّها إلى بيت المال .

[حرم الجارية فعوضه المأمون بالمال]

حدَّثني الصوليُّ قال : حدَّثني عونُ بنُ محمد قال : كان محمدُ بنُ أَبي محمدِ اليزيديُّ يعشق جارية لسحاب يقال لها عُليا ، وكانت من أظرف النساء لساناً وأحسنهنّ وجهاً وغناءً ، فأُعطي بها ثلاثة آلاف دينار فلم تُبع ، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار ، وذلك في خلافة المأمون ؛ وكان عليُّ بنُ الهَيثم جونقاً صديقاً لمحمدِ بنِ أبي محمد اليزيديِّ . فبلغ المأمونَ

1 في شعر اليزيديين : 36 ثلاثة أبيات نسبت في المصادر إلى أبي محمد .
2 كنية عبد الله بن طاهر .

الخبرُ ، فدعا محمداً ، وقال : ما قصتك مع عُليّا ؟ قال : قد قلتُ في ذلك أبياتاً ، فإن أذِن أمير المؤمنين أنشدتها . قال : هاتها فأنشده[1] : [من البسيط]

أشكــو إلى اللهِ حُبِّــي للعَلّيينا ... وأنّنــي فيهــمُ ألقــى الأمرينا
حَسْبي عليّــاً أمير المؤمنين فقد ... أصبحتُ حقّاً أرى حبِّي له دِينا
وحبَّ خِلِّي وخُلصاني أبي حسن ... أعنــي عليّــا قريــعَ التغلَبيينا[2]
ورقتــي لبُنَيٍّ لي أُصيبــت بــه ... وَجْدي بــه فوق وجد الآدميينا[3]
ورابع قــد رمــى قلبي بأسهمه ... فجُــزت في حبّــه حــدّ المحبّينا
وبعض مَــن لا أُسمّي قــد تملّكه ... فرُحْــتُ عنــه بما أعيا المداوينا
أتــاه بالدِّينِ والدُّنيــا تمكُّنــه ... فلم يــدَع لِيَ لا دُنيــا ولا دِينا

قال : فقال المأمون : لولا أنّه أبو إسحاق لانتزعتُها منه ، ولكن هذا ألف دينار فخذه عوضاً ، ولقِيني المعتصم في الدّار فقال لي : يا محمد ، قد علمتُ ما آل إليه أمرُ فلانةَ ، فلا تذكرنّها . فقلت : السمعُ والطاعة لأمرك .

[المأمون يقترح عليه شعراً]

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثنا أبو العبّاس محمد بنُ الحسنِ بن دينار مولى بني هاشم قال : حدَّثني جعفرُ بنُ محمد اليزيديُّ عن أبيه محمدِ بنِ أبي محمد قال : كنت عند المأمون فقال لي : يا محمد ، قل شعراً في نحو هذين البيتين : [من الطويل]

صحيحٌ يــودُّ السُّقمَ كيما تعُودهُ ... وإن لم تَعُده عــاد عنهــا رسولُها
لِيعلمَ هــلْ ترتــاعُ عندَ شَكاتهُ ... كما قــد يروعُ المُشفقات خليلُها ؟

قال فقلت[4] : [من الوافر]

صحيحٌ وَدّ لو أُمسى عليلاً ... لتكتبَ أو يرى منكم رسولا
رآك تسومُه الهجــران حتــى ... إذا ما اعتلّ كنتَ له وَصولا
فودَّ ضَنا الحياةِ بوصلِ يــوم ... يكــون على هواكَ لــه دليلا

---

1 شعر اليزيديين : 117 عن الأغاني .
2 خلصاني : صفيي ، للواحد والجمع . والمقصود هنا صديقه علي بن الهيثم .
3 يعني هنا ابناً له اسمه علي كان قد توفي .
4 شعر اليزيديين : 109 .

هما موتان موت هوى وهَجرٍ ... وموت الهجـر شرُّهمـا سبيلا

قال : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ عن أبيه قال : دخلت على المأمون وهو يشرب ، وعنده عَرِيب ومحمد بن الحارث بن بُسخُنّر يغنّيانه ؛ فقال : أطعموا محمدًا شيئاً ، فقلت : قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين ؛ فقال : أما ترى كيف عَتَق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلاّ أقلّه ، ما أحسنُ ما قيل في قديم الشراب ؟ فقلت : قول الحَكَميّ[1] : [من المديد]

عتقـت حتى لـو اتَصلتْ ... بلسـانٍ ناطـــقٍ وفـمِ

لاحتبتْ في القـومِ ماثلةً ... ثـم قصّت قصّـــة الأُممِ

فقال : هذا كان في نفسي ، ثم قال : اسقُوا محمداً رطليْن ، وأعطوه عشرين ألف درهم ، ثم نكت في الأرض ورفع رأسَه ثم قال : يا محمّد : [من البسيط]

إنّي وأنت رضيعا قهوةٍ لطفتْ ... عن العِيان ودقّت عن مَدى الفَهمِ

لم نرتضعْ غيرَ كأسٍ دَرُّها ذهبٌ ... والكأسُ حُرْمتها أُولى من الرَّحمِ

قال : والشّعر له قاله في ذلك الوقت .

وممّا فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد ، أَنشدناه محمد بن العبّاس عن عمّه عُبيد الله عن أخيه أحمد[2] : [من المجتث]

صوت

أنـت امـرؤ متجـنٍّ ... ولسْت بـــالغضبانِ

أنت امـرؤ لك شأنٌ ... فيمـا أرى غير شانِي

صرّحْ بما عنـه أكْني ... أكـفّ عنـك لساني

حسْبي أسأتُ فهـلا ... مَنَنْـــتَ بـــالغفرانِ

ومنها[3] : [من السريع]

صوت

يـا أحسنَ الأُمـة في ... عينـي أمـا ترحمُنـي

1 ديوان أبي نواس : 41 .
2 شعر اليزيديين : 121 عن الأغاني .
3 شعر اليزيديين : 118 عن الأغاني .

أَمــا تــراني كامــداً موكَــلاً بــالحزَنِ
أَمـــا تــرى فيك مُدا راتــي لأهْــلِ الظنَنِ
أصرفُ طَرْفي عنك خَوْ فــاً منـه أن يَفْضَحَني
يَــراني اللهُ ومــا ألْـ ــغى وإنْ لَــمْ تَـرَني

* * *

ومِمّن له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيديّ لصلبه إبراهيم[1]

صوت

[من مخلع البسيط]

لا تلحَني إن منحتُ عشقاً مَن كان للعشق مستحِقا
ولم يقــدِّمْ عــليّ خَلَقــا ولم أقــدِّم عليــه خلقا
يملكُ رقّــي ولستُ أبغي من مِلكه ما حييت عتقا
لم أرَ فيمـن هوِيـت خلقا أعطــفَ منــه ولا أرقّــا

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيديّ ، والغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون ، خفيف ثقيل مطلق . وفيه لعريب رمل مزموم .

---

1 شعر اليزيديين : 137 عن الأغاني .

[422] ـ أخبار إبراهيم[1]

[مع عريب]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ قال : حدَّثنا أحمدُ عن عمِّه إبراهيمَ قال : كنت مع المأمون في بلد الرّوم ، فبينا أنا في ليلة مظلمة شاتية ذاتِ غيمٍ وريح وإلى جانبي قُبّة ، فبرقَت بَرْقةٌ وإذا في القبّة عَريب . قالت : إبراهيمُ بنُ اليزيديّ ؟ فقلت : لبيك ! فقالت : قُل في هذا البرق أبياتاً مِلاحاً لأغنِّي فيها ، فقلت[2] : [من الرجز]

ماذا بقلبي من أليم الخَفَقْ إذا رأيتُ لَمعانَ البرْقِ
مِن قِبَلِ الأُرْدُنِّ أو دمشقَ لأنَّ مَن أهوى بذاك الأُفْقِ
فارقتُه وهو أعزُّ الخلقِ عليّ والزُّورُ خلاف الحقِّ
ذاكَ الذي يملكُ منِّي رقي ولستُ أبغي ما حييتُ عتقي

قال : فتنفسَت نفساً ظننته قد قطع حيازيمها ؛ فقلت : ويحك على مَن هذا ؟ فضحكت ثم قالت : على الوطن . فقلت : هيهات ! ليس هذا كلُّه للوطن ، فقالت : ويلك ! أفتراك ظننتَ أنّك تستفزّني ؟ والله لقد نظرتُ نظرة مُريبة في مجلس ، فادعاها أكثرُ من ثلاثين رئيساً ، والله ما علِم أحد منهم لَمَن كانت إلى هذا اليوم .

[في سيحان]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي عن عمِّي إبراهيم بن أبي محمد : أنّه كان مع المعتصم لمّا خرج إلى الغزو ، قال فكُتِب في رُفقه فيها فتى من أهلِ البصرة ، ظريفٌ أديبٌ شاعرٌ راويةٌ ، فكان لي فيه أُنس ، وكنّا لا نفترق حتى غزَونا وعدنا . فعاد إلى البصرة ، وكان له بستان حسن بسيحانَ ، فكان أكثرُ مُقامه به ، وعُزِم لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عَرَضت لي ، فكان أكثرُ نشاطي لها من أجله ، فوردْتُها ، ونظرتُ فيما وردتُ له ، ثم سألتُ عنه ، ومضيت إليه ، فكاد أن يُستطار بي فرحاً ، وأقمتُ بسيحانَ معه أيّاماً ، وقلت في بعضها وقد اصطبحنا في بستانه[3] : [من البسيط]

1 ترجمة إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في معجم الأدباء (عباس) : 160–163 وتاريخ بغداد 6 : 209 ونور القبس : 89 ومصورة ابن عساكر 2 : 562 وتهذيب ابن عساكر 2 : 311 وإنباه الرواة 1 : 189 ونزهة الألباء : 114 وطبقات الجزري 1 : 29 والوافي 6 : 165 وبغية الوعاة 1 : 434 والمقفى 1 : 332 .

2 شعر اليزيديين : 138 .

3 شعر اليزيديين : 140 .

يــا مسعَديّ بسيحانٍ فدَيتكما حُثّا المدامـة في أكنافِ سيحانا
نَهْر كريم من الفِردوسِ مَخرجه بـذاك خبرنــا مــن كان أنبانا
لا تحسداني رَواحـاً أو مباكرة طِيبَ المسير على سيحان أحيانا
يشطٌّ سيحــان إنسان كلِفْتُ به نفسي تقي ذلك الإنسان إنسانا
ريَّــاه ريحانـنــا والكأسُ معملة لا شيء أطيبُ من ريّاه ريحانا
حُثا شَرابكما حتـى أرى بكما سُكراً فإنّيَ قد أمسيتُ سكرانا
رَيّـا الحبيب وكأسٌ مـن معتّقه يُهيّجــان لنفس الصّبّ أشجانا
سَقيا لسيحانَ من نهر ومن وطنٍ وساكنيه مـــن السكّان مَن كانا
هُـم الذيـن عقَدنـا الودَّ بينهمُ وبيننا وهُــمُ في دَيـــرِ مُرّانا[1]

[دعوة إلى مجلس شراب]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله عن جماعة من أهلِنا : أنّ إبراهيمَ بنَ أبي محمدٍ اليزيديَّ كان يعاشر أبا غسان ، مولى منيرة ؛ وكانت لـه جارية مغنّية ؛ يقال لها جـاني ؛ فدَعاه يوماً أبو غسان وجلسنا للشرب ، فقـال لـه : لو دعوْتَ ابنَ أخيك ، يعني أحمد بن محمدَ بنَ أبي محمد ، لنأنس به . فكتب إليه إبراهيم[2] : [من المجتث]

يا أكـرمَ الناسِ طُرّاً وأكــرم الفتيـــانِ[3]
بـــادرِ إلينـا لكيما تُسقى سُلاف الدِّنانِ
على غِنـاء غـــزال مُهَفْهَـــفٍ فتّــانِ
اشرَبْ على وجه جاني شرابَـك الخُسَرواني
فمـا لِجـانِ نظيـرٌ ومالُهـــا مـــن مُدانِ
إلاّ الذي هـو فَــرد ومالــه مـــن ثــانِ
أعنـــي الهلال لِستٍّ في شهـــره وثمـانِ
للنّـاسِ بَـدرٌ منيرٌ يُـــرى بكلّ مكانِ
ومـا لنا غيرُ بـدر لـدى أبـــي غسانِ

1 دير قرب دمشق مشرف على مزارع ورياض .
2 شعر اليزيديين : 141 عن الأغاني .
3 وأكرم في شعر اليزيديين : وأظرف .

ذِكْراه في كلِّ وقت موصولــة بلساني
سَبَيْتُــه وسبــاني فحُبُّـه قـد بـراني
مِن ثـم لستَ تَراني أصبــو إلى إنسانِ

[في بعض إخوانه]

أنشدنا أبو عبد الله اليزيديُّ عن عمِّه الفضلِ لإبراهيمَ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ في بعض إخوانه ، وقد رأى منه جفوة ، ثم عاد واستصلحه ، فكتب إليه[1] : [من الكامل]

مَـن تـاه واحدة فتِهْ عَشْرا كي لا يجـوز بنفسه القدرا
وإذا زهـا أحدٌ عليكَ فكن أزهى عليـه ولا تكن غُمْرا
أرأيتَ مَـن لم تـرجُ منفعةً منـه ولم تحـذرْ لـه ضَرا
لم يُستـذَلّ وتُستـذلُّ لـه بـل كن أشدّ إذا زهـا كِبرا[2]

[عربدة في مجلس الخليفة]

حدَّثني عمِّي والحسنُ بنُ عليٍّ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي عن جعفرِ بن المأمون قال : دخل إبراهيم بنُ أبي محمدٍ اليزيديُّ على أبي وهو يشرب ، فأمره بالجلوس فجلس ، وأمر له بشراب فشرب . وزاد في الشرب فسَكِرَ وعَرْبد ، فأخذ عليُّ بنُ صالحٍ صاحبُ المصلَّى بيده ، فأخرجه فلمّا أصبح كتب إلى أبي[3] : [من الطويل]

أنـا المذنـبُ الخطّاءُ والعفوُ واسعٌ ولـو لم يكن ذنب لَما عُرِف العفوُ
ثمِلتُ فأبدتْ منِّـي الكأسُ بعض ما كرهتُ وما إن يستوي السكر والصحوُ
ولولا حُمَيّـا الكأس كان احتمال ما بَدَهتُ بـه لا شكَّ فيـه هو السَّرْوُ[4]
ولا سيما إذ كنتُ عنــد خليفــةٍ وفي مجلس مـا إن يجوزُ بـه اللغوُ
تنصلتُ مـن ذنبــي تنصُّلَ ضارعٍ إلى مَـن لديـه يُغْفَرُ العمـدُ والسهوُ
فإن تعفُ عنِّي تُلْفِ خطـويَ واسعاً وإلاّ يكـن عفو فقـد قصرَ الخطوُ

[حجبه هارون بن المأمون]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : جاء عمِّي إبراهيمُ إلى هارونَ

1 شعر اليزيديين : 132 عن الأغاني .
2 شعر اليزيديين : لم تسترك .
3 شعر اليزيديين : 143 .
4 السرو : الفضل والسخاء في المروءة .

ابن المأمون ، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة . فلم يصل إليه وحُجب عنه ، فكتب إليه[1] : [من الكامل]

غلبَتْ عليكـم هـذه القَدَرِيّهْ فعليكـمُ منّـي السَّلام تحيَّـهْ
آتيكمُ شوقـاً فـلا ألقاكمُ وهـمُ لدَيكـم بُكرةً وعشيَّهْ
هارونُ قائدُهم وقد حَفَّتْ به أشياعــه وكفـى بتلك بليَّهْ
لكــنَّ قائدَنا الإمــامُ ورأينا مــا قــد رآه فنحنُ مأمونيَّهْ

[في غلام ألفه ابنه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الفضلُ قال : كان لعمّي إبراهيمَ ابنٌ يقال له : إسحاق ، وكان يألف غلاماً من أولاد الموالي . فلمّا خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه ، وخرج الغلام الذي يألفه في العسكر ، وعرف إبراهيم أنّه قد صحِب فتى من فتيان العسكر غير ابنه ، فكتب عمّي إبراهيم إلى ابنه[2] : [من السريع]

قُل لأبي يعقوب إنَّ الذي يعرفـه قــد فعلَ الحُوبا[3]
كان محبّاً لكَ فيما مضى فالآن قــد صادفَ محبوبا
يركبُ هذا ذا وذا ذا فما ينفــك تصعيداً وتصويبا
فرأسُ إسحاقَ فدَيناه قــد أظهــر شيئــاً كان محجوبا
أرى قروناً قــد تجلّلنــه منصوبــةً شُعِّبــن تشعيبا
أظنّــه يعجِز عــن حملهــا إذ رُكّبت في الرأس تركيبا
يا رحمتا لابنـي على ضعفه يحمــلُ منهــنَّ أعاجيبا

[ابن أخيه يستزيد عنايته]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني فضلٌ اليزيديُّ قال : كتبتُ إلى عمّي إبراهيمَ أستعين به في حاجة لي ، وأستزيده من عنايته بأموري ، وأطالبه أن يتوفّر نصيبي لديه وفيما أبتغيه منه ، فكتب إليّ[4] : [من المتقارب]

فدَيتــك لو لم تكــن لي قريباً وكنــتُ امــرءاً أجنبيّاً غريبا

1 شعر اليزيديين : 145 عن الأغاني .
2 شعر اليزيديين : 127 عن الأغاني .
3 الحوب : الإثم .
4 شعر اليزيديين : 128–130 عن الأغاني .

مــع البرِّ منك ومـا يستجر ... بـه مستخفّـاً إليـك اللبيبا[1]
لمـا إن جعلْت لخلـق سوا ... ك مثـلَ نصيبك منّي نصيبا
وكنــتَ المقــدّم مِمّن أودّ ... وازداد حقّك عندي وُجوبا
تَلطّفْ لمـا قـد تكلّمتُ فيه ... فما زلتَ في الحاجِ شهماً نجيبا
وراوض أبـا حسن إن رأيــ ... ـتَ واحتل بِرِفقك حتى يجيبا
فإن هــو صار إلى مـا تريد ... وإلاّ استعنــتَ عليــه الحبيبا
ومـا لا يخالف مـا تشتهيه ... لِتلفِيَــه غيــرَ شكّ مجيبا[2]
يـودك خاقــان وُدّاً عجيباً ... كذاك الأديـب يحبُّ الأديبا
وأنتَ تكافيه بـل قـد تزيد ... عليـه وتجمـع فيـه ضروبا
تُثيب أخــاك على الودِّ منـه ... وذو اللــبِّ يأنـفُ ألاّ يثيبا
ولا سيّمــا إذ بَــراه الإلــ ... ــه كالبدر يدعو إليه القلوبا
يــرى المتمنِّــي لــه رِدْفَه ... كثيباً وأعلاه يحكـي القضيبا
وقد فاقَ في العلمِ والفهمِ منه ... كما تـمَّ مِلْحاً وحسناً وطيبا[3]
ويبلـغ فيمـا يقولــون ليس ... يعــاف إذا ناولـوه القضيبا
ولكنّــه وافَــق الزاهديــن ... فخاب وقد ظَنَّ أن لن يخيبا
وإن ركِــب المــرء فيه هوا ... هُ عــاثَ فتطهيره أن يثوبا
إذا زارت الشاة ذئبـاً طبيباً ... فــلا تأمنَــنَّ على الشاةِ ذيبا
وعند الطبيبِ شفــاءُ السقيمِ ... إذا اعتلَّ يومــاً وجاء الطبيبا
ولستَ تـرى فارساً في الأنا ... مِ إلاّ وَثُوبــاً يجيــد الركوبا

[رفقة سفر]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال: حدَّثني عمِّي عُبَيد الله قال: وحدَّثني أخي أحمد قال: زامل المأمونُ في بعض أسفاره بين يحيى بنِ أكثمَ وعبّادةَ المخنَّث، فقال عمّي إبراهيم في ذلك[4]: [من السريع]

وحــاكمٍ زامــلَ عبّــاده ... ولم يــزلْ تلـك لــه عادَهْ

---

1 ما يستجر في الشعر: وما تنجز.
2 تشتهيه في الشعر: أشتهيه.
3 الملح: الملاحة والحسن.
4 شعر اليزيديين: 131 عن الأغاني.

لو جاز لي حُكم لَما جاز أن يحكـم في قيمـةِ لُبّادَهْ
كم مـن غلام عـزَّ في أهله وافـتْ قفـاه منه سجادَهْ[1]

[قاضي القضاة يلوط]

وقال في يحيى أيضاً[2] : [من الطويل]

وكنّا نرجّي أنْ نرى العدلَ ظاهراً فأعقبنـا بعـدَ الرجـاءِ قُنوطُ
متـى تصلحُ الدُّنيا ويصلحُ أهلُها وقاضـي قضاةِ المسلمينَ يلوطُ !

[المأمون ويحيى بن أكثم]

وأخبرني عمِّي حدَّثنا أبو العيناء قال : نظر المأمون إلى يحيى بنِ أكثمَ يلحظ خادماً له ، فقال للخادم : تعرضْ له إذا قمت ؛ فإنِّي سأقوم للوضوء ، وأمره ألاّ يبرحَ ، وعُدْ إليّ بما يقول لك ، وقام المأمون ، وأمر يحيى بالجلوس . فلمّا غَمزه الخادم بعينه ، قال يحيى : ﴿لولا أنتم لَكنَّا مُؤمنينَ﴾[3] فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره ، فقال له : عُدْ إليه فقُل له : ﴿أَنحْنُ صَدَدْناكم عَنِ الهُدى بعدَ إذ جاءَكم بَلْ كنتُم مُجرمينَ﴾[4] . فخرج الخادم إليه ، فقال له ما أمره به المأمون ، فأطرَق يحيى وكادَ يموتُ جزعاً ، وخرج المأمون وهو يقول : [من الطويل]

متى تصلحُ الدُّنيا ويصلحُ أهلُها وقاضي قضاةِ المسلمـين يلوطُ !

قُم وانصرفْ ، واتّقِ اللهَ ، وأصلح نيَّتَكَ .

[يرتجل في مجلس المأمون]

حدَّثنا اليزيديّ قال : حدَّثني ابن عمِّي إسحاق بن إبراهيم بنِ أبي محمد اليزيديّ عن أبيه إبراهيم قال : كنتُ عند المأمون يوماً وبحضرته عَريبُ ، فقالت لي على سبيل الوَلَع بي : يا سلعوس ، وكان جَواري المأمون يلقبنَني بذلك عبثاً ، فقلت لها[5] : [من الطويل]

قُلْ لعريـبٍ لا تكوني مسلعسه وكوني كنتريفٍ وكوني كمونسَهْ

فقال المأمون : [من الطويل]

فإن كثرَتْ منكَ الأقاويلُ لم يكن هنالكَ شكٌّ أنّ ذا منكَ وسوسَهْ

قال : فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردتُ أن أقول ، وعجبت من ذهن المأمون .

---

1 السجادة : أثر السجود في الجبهة ، وجعلها في قفاه .
2 شعر اليزيديين : 136 .
3 سورة سبأ ، الآية 31 .
4 سورة سبأ ، الآية : 32 .
5 شعر اليزيديين : 135 .

مِمَّن غُنِّيَ في شعره من ولد أبي محمد اليزيديّ

[423] ـ أبو جعفر أحمد بن محمد[1]

فمن ذلك[2] : [من البسيط]

صوت

شوقي إليكَ على الأيّامِ يـــزدادُ والقلبُ مُذ غبْتَ للأحزانِ معتادُ
يا لهفَ نفسي على دهر فُجعتُ به كأنَّ أيّامـــه في الحسنِ أعيـادُ

الشعر لأحمدَ بن محمدِ بنِ أبي محمد ، والغِناء لِبَحر هزج ، وفيه ثاني ثقيل مطلق . ذكر الهِشاميّ أنّه لإسحاق ، وما أراه أصاب ، ولا هو في جامع إسحاق ، ولا يشبه صنعته .

وكان أحمد راوية لعلم أهله ، فاضلاً أديباً ، وكان أسنّ ولَد محمدِ بنِ أبي محمد ، وكان إخوته جميعاً يأثُرون علوم جدِّهم وعمومتِهم عنه ، وقد أدرك أبا محمد ، وأظنّ أنّه قد روى عنه أيضاً ، إلاّ أنّي لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكري إيّاه فأحكيَه عنه .

[كتاب عمّه لما بات عند ابن المأمون]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي أبو جعفر قال : كنتُ عند جعفرِ بنِ المأمون مقيماً ، فلمّا أردت الانصرافَ منعني ، فبتّ عنده ، وزارته لما أصبحنا عريبُ في جواريها ؛ وبتّ فاحتبسها من غدٍ ؛ فاستطبتُ المقام أيضاً فأقمت ، فكتب إليّ عمّي إبراهيم بن محمد اليزيديّ[3] : [من السريع]

شردْتَ يــا هذا شُرودَ البعيرْ وطالــت الغيبةُ عنــد الأميرْ
أقمــتَ يومَيْــنِ وليليهمـــا وثالثـــاً تُحبـــى ببـــرٍّ كثيرْ
يـــومُ عَريـــبٍ مـــع إحسانها إن طالت الأيّامُ يـــوم قصيرْ

---

1 ترجمة أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ في معجم الأدباء (عبّاس) : 434–436 وطبقات الزبيديّ : 82–86 وبغية الطلب 2 : 13 وتاريخ بغداد 5 : 117 وإنباه الرواة 1 : 127 والوافي 7 : 388 وطبقات ابن الجزري 1 : 133 وبغية الوعاة 1 : 386 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 82–83 ومختصر ابن منظور 3 : 289 .

2 شعر اليزيديين : 163 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 133–134 عن الأغاني .

لَهـــا أُغـــانٍ غيرُ مملولـــة ... منها ولا تخلُق عنـــد الكرورْ
غيرُ مَلـــوم يـــا أبـــا جعفر ... أن توثِرَ اللهوَ ويـــومَ السرورْ
فاجعل لنـــا منك نصيباً فما ... إن كنتَ عن مجلسنا بالنَّفورْ
وصِر إلينا غير مـــا صاغر ... أصارك الرحمـنُ خيرَ المصيرْ
إن لم يكن عندي غِنـاء ولا ... عُود فعندي القَمْر بالنردشيرْ[1]
والذّكر بالعلمِ الذي قد مضى ... بأهلِه حادثُ صَرْفِ الدّهورْ
وهـــو جديـــدَ عندنـــا نهجه ... أعلامـــه تحويه منّـــا الصدورْ
فالحمـــدُ للهِ عـــلى كلِّ مـــا ... أولى وأبـــلى ولِربّي الشُّكورْ

[في غلام وسيم]

حدَّثنا محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي الفضلُ قال : سمعتُ أخي أبا جعفر أحمدَ بنَ محمد يقول : دخلتُ إلى المعتصم يوماً وبين يديه خادم وضيء جميل وسيم ، فطلعَتْ عليه الشمس ، فما رأيت أحسن منها على وجهه ؛ فقال لي : يا أحمد ، قُل في هذا الخادم شيئاً ، وصفْ طلوع الشمس عليه وحسنها ، فقلت[2] : [من السريع]

قد طلعَتْ شمسٌ على شمسٍ ... وطـــابَ لي الهوى مع الأُنسِ
وكنتُ أقلي الشمس فيما مضى ... فصرتُ أشتـــاقُ إلى الشمسِ

[جوابه عن اعتذار]

حدَّثني اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي الفضل قال : كتب إلى أخي بعض إخوانه مِمّن كان يألفه ويديم زيارته ، ثم انقطع عنه ، يعتذر إليه من تأخُّره عنه ، فكتب إليه[3] : [من السريع]

إنِّي امرؤ أعـــذِر إخواني ... في تركهم برِّي وإتياني
لأنّه لا لهـــوٌ عندي ولا ... لي اليومَ جاهٌ عند سلطانِ
وأكثر الإخوان في دهرِنا ... أصحاب تمييز ورُجحانِ
فمَـــن أتاني مُنعماً مُفْضلاً ... فشكرُه عنـــديَ شكرانِ
ومَن جَفاني لم يكن لومُه ... عنـــدي ولا تعنيفُه شاني

1 القمر : الغَلب في القمار . والنردشير : النرد .
2 شعر اليزيديين : 170 .
3 شعر اليزيديين : 176 .

أعفو عن السيّىء من فِعلهم   وأُتبــع الحسنى بإحسانِ
حسْبُ صديقي أَنّه واثقٌ   منّــي بإسراري وإعلاني

[ينشد المأمون في حداثته]

حدَّثني اليزيديّ قال : حدَّثني أَبي عن عمّي عن أَبي جعفرٍ أَحمدَ بنِ محمد قال : دخلتُ على المأمون وهو في مجلس غاصّ بأهله ، وأنا يومئذٍ غلام ، فاستأذنت في الإنشادِ ، فأذِن ، فأَنشدته مديحاً لي مدحتُه به ، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب ، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلاّ بيتين أو ثلاثة ، ثم يقول للمنشد : حسبُك ترفّعاً ، فأنشدته[1] : [من الكامل]

يــا مَنْ شكوتُ إليه مــا أَلقاهُ   وبذلــتُ مـن وَجدي له أَقصاهُ
فأَجابنـــي بخلافِ مــا أَمّلْتُه   ولربَّمـــا مُنع الحريــصُ مناهُ
أَترى جميلاً أَن شكا ذو صَبْوة   فهجرتَـه وغضبتَ من شكواهُ
يكفيك صَمتٌ أو جوابٌ مؤيسٌ   إن كنــتَ تَكـره وصله وهواهُ
موتُ المحبّ سعادةٌ إن كان مَن   يهـواه يزعــمُ أَن ذاك رضاهُ

فلمّا صرت إلى المديح قلت :

أَبقــى لنــا اللهُ الإمامَ وزادَه   عــزّاً إلى العــزِّ الذي أُعطاهُ
فــاللهُ مكرمنـا بأَنّــا معشر   عُتقاء مـــن نعم العباد سواهُ

فسرّ بذلك وضحك ، وقال : جعلنا الله وإيّاكم مِمّن يشكر النعمة ، ويحسن العمل .

[غضب المأمون ثم سكن غضبه]

أَخبرنا محمدُ بنُ العبّاس قال : حدَّثني أَبي عن أَخيه أَبي جعفر قال : دخلت يوماً على المأمون بقارا ، وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه ؛ أوّله[2] : [من الكامل]

يــا قصرُ ذا النّخلات من بارا   إنّي حللتُ إليك مــن قارا[3]
أَبصــرتُ أَشجــاراً على نهــر   فذكــرتُ أَشجــاراً وأَنهــارا
للهِ أَيّـــامٌ نعِمـــتُ بهــا   بــالقُفْصِ أَحيانــاً وفي بارا[4]

1 شعر اليزيديين : 177 .
2 شعر اليزيديين : 168–169 .
3 بارا : قرية كانت قريبة من بغداد .
4 القفص : قرية أخرى قريبة من بغداد كانت تقصد للنزهة ومجالس الفرح .

إذ لا أزال أزور غانيـــــة أَلهـو بهـــا وأزور خَمّــارا
لا أستجيب لِمَن دَعا لهُدًى وأجيـــبُ شطّـــاراً ودُعّارا
أعصي النصيحَ وكلَّ عاذلـة وأُطيـعُ أوتـــاراً ومـــزمارا

قال : فغضب المأمون ، وقال : أنا في وجه عدو ، وأحضُ النّاسَ على الغزو ، وأَنت تذكّرهم نزهة بغداد ؟ فقلت : الشيء بتمامه ، ثم قلت :

فصحوت بالمأمونِ عن سُكْري ورأَيتُ خيرَ الأمـرِ ما اختارا
ورأيـــتُ طاعَتَـــهُ مؤديـــةً لِلفَـــرض إعلانـــاً وإسرارا
فخلعتُ ثوبَ الهزلِ عن عنقي ورضِيتُ دارَ الجِـدّ لي دارا
وظَلِلـــتُ معتصماً بطاعتـــهِ وجِـــوارِه وكفـــى بـــه جارا
إنّ حَلَّ أرضاً فهْي لي وطنٌ وأسيرُ عنهـــا حيثمـــا سارا

فقال له يحيى بن أكثم : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ! أخبرَ أنّه كان في سكر وخَسار ، فترك ذلك وارعَوى ، وآثر طاعة خليفتِه ، وعلِم أنّ الرشد فيها ؛ فسكن وأمسك .

[يجيز بيتاً للمأمون]

حدَّثني الصوليُّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يحيى بنِ أَبي عباد قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملكِ الزيّاتُ عن أبيه قال : دعا المعتصمَ ذات يوم المأمونُ فجاءه ، فأجلسه في بيت على سَقْفِه جامات ، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم ، وكان المعتصم أوجدَ النّاس به ، ولم يكن في عصره مثله ، فصاح المأمون يا أحمدُ بنَ محمد اليزيديِّ ، وكان حاضراً ، فقال : انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركيّ ، أرأيت أحسن من هذا قطّ ؟ وقد قلت : [من السريع]

قد طلعتْ شمسٌ على شمسٍ وزالـــتْ الوحشةُ بـــالأنسِ

أَجِزْ يا أَحمدُ ، فقلت : [من السريع]

قد كنت أَشنا الشمس فيما مضى فصرتُ أَشتـاقُ إلى الشمسِ

قال : وفطِن المعتصم ، فعضَّ على شفته لأحمد . فقال أحمدُ للمأمون : واللهِ لئن لم يعلمْ الحقيقة من أمير المؤمنين لأقعنَّ معه فيما أُكره ، فدَعاه المأمون فأخبره الخبر ، فضحك المعتصم . فقال له المأمون : كثَّرَ اللهُ في غلمانك مثله ، إنّما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره .

[حقوقه على المأمون]

حدَّثني الصوليُّ قال : حدَّثني عونُ بن محمدٍ قال : حدَّثني أَحمدُ بن محمدٍ اليزيديُّ قال : كنّا بين يدي المأمون ، فأنشدتُه مدحاً ، فقال : لئن كانت حقوق أصحابي تجِب عليَّ لطاعتهم

بأنفسهم فإنّ أحمد مِمّن تجبُ له المراعاة لنفسه وصُحبته ، ولأبيه وخدمته ، ولَجَدِّه وقديم خدمته وحرمته ، وإنّه لَلْعَرِيق في خدمتنا . فقلت : قد علَّمْتَني يا أمير المؤمنين كيف أقول ، ثم تنحَّيتُ ورجعتُ إليه ، فأنشدته[1] : [من الكامل]

لي بالخليفــةِ أَعظـم السببِ فبِــه أَمنتُ بوائــقَ العَطَبِ
ملِــك غذَتني كفّــه وأبـي قَبــلي وجــدِّي كان قبلَ أَبي
قــد خصَّني الرحمنُ منــه بما أَسمو بــه في العجمِ والعربِ

فضحك ، وقال : قد نظمتَ يا أحمد ما نثرناه .

هذا آخر أخبار اليزيديِّين وأَشعارهم التي فيها صنعة .

صوت

[من الطويل]

أَفي كُلِّ يومٍ أَنتَ مــن غُبْرِ الهوى إلى الشُّمِّ مــن أَعلامِ ميلاء ناظرُ
بعمشاءَ مــن طولِ البكاءِ كأَنّما بهــا خَــزَرٌ أَو طرفُهـا مُتخازرُ

عروضه من الطويل ، والغُبْر : البقيّة من الشيء ، يقال : فلان في غبر من علته . وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه ، والشمّ : الطوال ، والأعلام جمع علم وهو الجبل ، قالت الخنساء[2] : [من البسيط]

وإنّ صخــراً لَتأتمّ الهداةُ بــه كأَنَّه عَلَــم في رأسِهِ نــارُ

والخزَر : ضيق العين وصغرها ، ومنه سُمِّي الخزر بذلك لصغر أَعينهم ، قال الراجز : [من الرجز]

إذا تخازرت ومــا بــي من خَزَرْ ثم كسرت الطرفَ من غيرِ عورْ

والشعر لرجل من قيس يقال له كعب ، ويلقّب بالمخبل . والغناء لإبراهيم ، ثقيل أَوّل بالوسطى . ومن النّاس مَن يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرُّمّة[3] ، ويجعل فيه ميّة مكان ميلاء ، ويقال : إنّ اللحن لابن المكيّ ، وقد نسب إلى غيرهما ، والصحيح ما ذكرناه أوّلاً .

---

1 شعر اليزيديين : 161 عن الأغاني .
2 ديوان الخنساء (صادر) : 49 .
3 ليسا في ديوانه .

[424] ـ أخبار المخبل القيسيّ ونسبه[1]

[تزوّج ابنة عمّه وأحبّ أختها]

قال عبدُ الله بنُ أبي سعد الورّاق ، فيما أخبرني به حبيبُ بنُ نصر المهَلَّبيّ ، إجازة عنه : حدَّثني عليّ بن الصباح بن الفرات ، قال : أخبرني عليُّ بنُ الحسن بنِ أيّوب النبيل ، عن رباح بن قطيب بن زيد الأسديّ ، قال : كانت عند رجل من قيس يقال له : كعب ، بنتُ عمٍّ له ، وكانت أحبَّ النّاس إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها ، فقال : يا أمّ عمرو ، هل تَرَينَ أنّ الله خلق أحسنَ منك ؟ قالت : نعم ، أختي مَيلاء ، هي أحسن منّي .

قال : فإنّي أُحبّ أن أنظر إليها ، فقالت : إنْ علمَتْ بِك لم تخرج إليك ، ولكن كُن من وراء السِّتر ، ففعل ، وأرسلَتْ إليها فجاءتها ، فلمّا نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحتْ إلى أهلِها ، فاعترضها فشكا إليها حبَّها ، فقالت : والله يا ابنَ عمٍّ ، ما وجدتَ من شيء إلاّ وقد وقع لك في قلبي أكثرُ منه . وواعدتَه مرّة أُخرى ، فأتتهما أمّ عمرو وهما لا يعلمان ، فرأتهما جالسين ، فمضت إلى إخوتها ، وكانوا سبعة ، فقالت : إمّا أن تزوّجوا ميلاءَ كعباً ، وإمّا أن تُكفُوني أمرَها .

[رحيله عندما انكشف حبه]

وبلغهما الخبر ، ووقف إخوتها على ذلك ، فرمَى بنفسه نحو الشام حياءً منهم ، وكان منزله ومنزل أهله الحجاز ، فلم يدرِ أهلُه ولا بَنو عمِّه أين ذهبَ ، فقال كعبٌ : [من الطويل]

أفي كلِّ يومٍ أنتَ من لاعجِ الهوى ... إلى الشُّمِّ من أعلامِ ميلاءَ ناظرُ
بعَمْشاءَ من طولِ البكاءِ كأنّما ... بها خَزَرٌ أو طرفُها متخازرُ
تَمنَّى المُنى حتى إذا ملَّت المنى ... جرى واكِفٌ من دمعِها متبادرُ
كما ارْفضّ عنها بعدَما ضمّ ضمّةً ... بخيط الفَتيل اللؤلؤُ المتناثرُ

[رواية شعره تدل عليه]

قال : فرواه عنه رجل من أهل الشام ، ثم خرج بعد ذلك الشاميّ يريد مكّةَ ، فاجتاز بأُمّ

---

1 ترجمة المخبل القيسي في المؤتلف والمختلف : 271 ، وقال صاحبه لا أعرف نسبه ، وأورد له خمسة أبيات رائية ؛ وفي معجم المرزبانيّ : 235 ، إذ ورد فيه : حجازيّ إسلاميّ أحد المتيمين المشهورين بالعشق وأورد له بيتين يائيّين وبيتاً من النونيّة ؛ وفي تزيين الأسواق : 170–173 ، وفيه : هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبدالله أو خثعم بن لابي بن رباح بن ضمرة ، طائي من عرب الحجاز ، وفيه أيضاً : وكان جواداً سخيّاً شجاعاً مألوف الصورة وأورد ابن حمدون في التذكرة (6 : 154–156) خبر وفاته قريباً ممّا في الأغاني ، وسمّاه كعب بن مالك ؛ وانظره أيضاً في مصارع العشاق (صادر) 2 : 140–143 .

عمرو وأُختها ميلاء ، وقد ضَلَّ الطريقَ ، فسلَّم عليهما ثم سأَلهما عن الطريق ، فقالت أُمّ عمرو : يا ميلاء ، صفي له الطريق ، فذَكر ، لما نادتْ : يا ميلاءُ ، شعر كعبٌ هذا ، فتمثّل به ، فعرفَت أُمّ عمرو الشعر ، فقالت : يا عبدَ الله ، مِن أين أنتَ ؟ قال : رجل من أهلِ الشام . قالت : مِن أين رويتَ هذا الشعر ؟ قال : رويته عن أعرابيّ بالشام . قالت : أوَ تدري ما اسمه ؟ فقال : سمعتُ أنّه كعبٌ ، فأَقسمَتْ عليه : لا تَبْرح حتى تعرّف إخوتنا بذلك فنُحسن إليك نحنُ وهم ، وقد أنعمتَ علينا . قال : أَفعل ، وإنّي لأروي له شعراً آخر ، فما أدري أتعرفانه أم لا ؟ فقالت : نسألكَ باللهِ إلاّ أسمعتنا ، قال : سمعته يقول[1] : [من الطويل]

خليليّ قد قِسْتُ الأُمورَ ورُمتُها ... بِنَفْسي وبالفِتيانِ كلَّ زمانِ
فلم أُخفِ سُوءًا للصديقِ ولم أَجدْ ... خليّاً ولا ذا البَثّ يستويانِ
من النّاسِ إنسانان دَيني عليهما ... مليئانِ لو شاءا لقد قَضَياني[2]
خليليّ أَمّا أُمُّ عمرو فمنهما ... وأمّا عن الأُخرى فلا تَسَلاني
بُلِينا بهجران ولم أَرَ مثلَنا ... من النّاسِ إنسانَيْن يهتجرانِ
أَشدَّ مصافاةً وأَبعدَ من قِلًى ... وأَعْصى لِواشٍ حين يكتفيانِ
تحدَّث طرفانا بما في صدورنا ... إذا استعجَمَت بالمنطقِ الشفتانِ
فواللهِ ما أَدري أَكلُّ ذَوي الهوى ... على ما بِنا أَو نحن مبتَلَيانِ ؟
فلا تَعْجبا مِمّا بيَ اليومَ من هوًى ... فَفي كلِّ يوم مثلُ ما تريانِ
خليليّ عن أيِّ الذي كان بيننا ... من الوصلِ أم ماضي الهوى تسلانِ ؟
وكنّا كَريمَي معشرٍ حُمَّ بيننا ... هوى فحفِظناه بحسن صِيانِ
سلاه بأمّ العَمْرو مَن هي إذ بَدا ... به سقمٌ جَمٌّ وطول ضمانِ[3]
فما زادنا بُعدُ المدى نَقْضَ مِرَّةٍ ... ولا رجَعا مِن عِلْمنا ببيانِ[4]
خليليّ لا واللهِ ما لِيَ بالذي ... تريدان من هجرِ الحبيبِ يدانِ
ولا لِيَ بالبين اعتلاءٌ إذا نأَت ... كما أَنتما بالبينِ معتلِيانِ

1 هذا الشعر في تزيين الأسواق (28 بيتاً) ومصارع العشاق (18 بيتاً) والتذكرة الحمدونية (11 بيتاً) مع بعض اختلاف في الرواية .

2 مليئان (مليان) : مقتدران .

3 ضمان : مرض ملازم .

4 المرة : فتل الحبل .

[وجد ميلاء قد توفيت فمات غماً]

قال : ونزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتها ، فأَخبروه الخبر ، وكانوا مهتمّين بكعب ، وكان كعب أظرفَهم وأشعرهم ، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودَلُّوه على الطريق ، وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام ، فأَقبلوا به ، حتى إذا كانوا في ناحية ماء أهلِهم إذا الناسُ قد اجتمعوا عند البيوت . وكان كعب تَرك بُنيّاً له صغيراً ، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء ، فقال له كعب : ويحكَ يا غلامُ ! مَن أبوكَ ؟ فقال : رجل يقال له : كعب ، قال : وعَلى أيِّ شيء قد اجتمع النّاس ؟ وأحسّ قلبُه بالشرّ . قال : اجتمعوا على خالتي ميلاء . قال : وما قصّتها ؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات منها مكانَه ، فدُفِن حِذاء قبرها . قال : وقال كعب وهو بالشام : [من الطويل]

أحقّاً عبادَ اللهِ أن لستُ ماشياً بمرحابَ حتى يُحشَرَ الثقلانِ
ولا لاهِياً يوماً إلى الليلِ كلِّه ببيضٍ لطيفات الخصورِ رواني
يُمنِّيننا حتى تَرِيعَ قلوبنا ويَخلِطنَ مَطْلا ظاهراً بلَيانِ[1]
فعينيّ يا عينيَّ حتّام أنتما بهجران أُمِّ العمرو تختلجانِ
أما أنتما إلاّ عليَّ طليعةٌ على قُرْب أعدائي كما تريانِ
فلو أنّ أُمّ العمرو أضحَتْ مقيمةً بمصرَ وجثماني بِشحْرِ عُمانِ
إذا لرجوتُ اللهَ يجمع شملَنا فإنّا على ما كان ملتقيانِ

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت

[من الطويل]

من الناسِ إنسانانِ دَيْني عليهما مليئانِ لو شاءا لقد قضياني
خليليّ أمّا أُمُّ عمرو فمنهما وأمّا عن الأُخرى فلا تَسَلاني

عروضه من الطويل ، الشعر ، على ما في هذا الخبر ، لِكعب المذكورةِ قصّته ، ورَوى المفضلُ بنُ سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدُّمينة الخَثْعميّ . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، خفيف رمل بالوسطى ، ذكره أبو العَنْبَس عنه ، وذكر ابن المكّيّ أنّه لعَلُّويَه . والأبيات التي ذكرنا أنّ المفضلَ بنَ سلمة وابن أبي طاهر روياها لابن الدُّمينة مع

1 تريع : ترجع .

البيتين اللذين فيهما الغناء هي[1] : [من الطويل]

مِـن النّاسِ إنسانان دَيْني عليهما مليئـان لـو شاءا لقد قضياني
خليـلَيّ أمّا أُمّ عمـرو فمنهما وأمّا عـن الأُخرى فلا تَسَلاني
مَنُوعـان ظَلاَّمان ما يُنْصفانني بِدَليهما والحُسن قـد خَلَباني
مِن البِيض نجلاء العيـون غذاهما نعيـمٌ وعَيشٌ ضـاربٌ بِجِرانِ[2]
أَفي كلّ يـومٍ أنـت رامٍ بلادَها بعَيْنَيـن إنساناهُما غَرِقـانِ
إذا اغرَوْرقتْ عيناي قال صحابتي لقـد أُولعـتْ عينـاكَ بالهَمَلانِ

وقد رُوي أيضاً أنَّ هذا البيت :

أَفي كلّ يـومٍ أَنتَ رامٍ بلادَها

لعُروة بنِ حَزام : [من الطويل]

أَلا فاحملاني بارك اللهُ فيكما إلى حاضرِ الرّوحاء ثم ذراني[3]

أَخبرني محمدُ بنُ خلف وكيعٌ ، قال : حدَّثني أَبو سعيد القيسيّ ، قال : حدَّثني سليمان بن عبد العزيز ، قال : حدّثني خارجة المللي قال : حدّثني مَن رأى عُروةَ بنَ حِزام يطاف به حول البيت ، قال : فقلت له : مَن أنت ؟ قال : أَنا الذي أَقول : [من الطويل]

أَفي كلّ يـومٍ أَنتَ رامٍ بلادَها بعَيْنَيـن إنساناهمـا غَرِقـانِ
أَلا فاحمِلاني باركَ اللهُ فيكما إلى حاضرِ الرّوحاءِ ثـمّ ذراني

فقلت : زِدني ، قال : لا ، ولا حَرْف .

[التغنّي بالصوت المنسوب إليه يهيج الواثق للإيقاع بشخصين]

ويقال : إنّ الذي هاج الواثقَ على القبض على أَحمدَ بنِ الخصيب وسليمان بن وهب أَنّه غنّى هذا الصوت ، أعني : [من الطويل]

مِن النّاسِ إنسانانِ دَيْني عليهما

فدعا خادماً كان للمعتصم ، ثم قال له : أَصْدِقْني وإلاَّ ضربتُ عنقك . قال : سلْ يا أَمير المؤمنين عمّا شئت . قال : سمعتُ أبي وقد نَظر إليك يتمثّل بهذين البيتين ، ويومىء إليكَ إيماءً تعرفه ، فمن اللذان عنى ؟ قال ، قال لي : إنّه وقف على إقطاع أحمد بنِ الخصيب

1 في ديوان ابن الدمينة (168–172) قصيدة نونيّة تشترك مع شعر المخبل في أبيات متعددة .
2 الجران : مقدم عنق البعير .
3 الروحاء : موضع قريب من المدينة .

وسليمان بن وهب ألفَي دينار ، وأنّه يريد الإيقاع بهما . فكان كلّما رآهما يتمثّل بهذين البيتين . قال : صدقتني والله ، والله لا سبقاني بهما كما سبقاه ، ثم أوقع بهما .

وأخبرني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون ، قال : نظر الواثق إلى أحمد بن الخصيب يمشي ، فتمثّل : [من الطويل]

مِن الناس إنسانان دَيْني عليهما

وذكَر البيتين ، وأشار بقوله : [من الطويل]

خليليّ أمّا أمّ عمرو فمنهما

إلى أحمدَ بن الخصيب . فلمّا بلغ هذا سليمانَ بن وهب ، قال : إنّا لله ! أحمدُ بن الخصيب والله أمّ عمرو ، وأنا الأخرى . قال : ونكبهما بعد أيّام . وقد قيل : إنّ محمدَ بن عبد الملك الزيّات كان السبت في نكبتهما .

[ابن الزيّات يحرض الواثق]

أخبرنا محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا عونُ بنُ محمد الكِنديّ ، قال : كانت الخلافة أيّام الواثق تدور على إيتاخ ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب ، وعلى أشناس وكاتبه أحمدَ بنِ الخصيب ، فعمل الوزير محمدُ بنُ عبد الملك الزيات قصيدة ، وأوصلها إلى الواثق على أنّها لِبَعض أهل العسكر ، وهي[1] : [من البسيط]

يا ابنَ الخلائِف والأملاكِ إن نُسبوا ... حُزْتَ الخلافة عن آبائك الأُوَلِ
أَجُرْتَ أم رقَدتْ عيناك عن عَجب ... فيه البريَّةُ مِن خَوْف ومن وَهَلِ[2]
ولّيتَ أربعةً أمرَ العباد معاً ... وكلُّهمْ حاطبٌ في حَبْل مُحْتبِلِ[3]
هذا سليمانُ قد ملَّكتَ راحتَه ... مشارقَ الأرضِ من سهلٍ ومن جبلِ
ملَّكته السندَ فالشِّحْرين من عَدنٍ ... إلى الجزيرةِ فالأطراف من مَلَلِ[4]
خلافةٌ قد حواها وحدَهُ فمضَت ... أحكامُه في دماء القومِ والنَّفَلِ
وابنُ الخصيب الذي ملَّكت راحته ... خلافةَ الشام والغازين والقفلِ
فَنِيل مصرٍ فبحر الشام قد جريا ... بِما أرادَ من الأموالِ والحُلَلِ

1 لم ترد في ديوانه أن فيه (زيادات من الأغاني) .

2 الوهل : الفزع .

3 المحتبل : من يمسك الصيد بالحبالة . وهو من المثل «هو يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 ، 398 .

4 ملل : موضع في طريق مكة .

كأنّهمْ في الذي قسَّمتَ بينهمُ ... بَنُو الرشيدِ زمانَ القَسْمِ للدُّوَلِ
حوَى سليمان ما كان الأَمينُ حوى ... من الخلافةِ والتبليغِ للأَمَلِ
وأَحمدُ بنُ خصيب في إمارته ... كالقاسم بنِ الرشيد الجامع السبُلِ
أُصبحتَ لا ناصحٌ يأتيك مستتراً ... ولا علانيةً خوفاً من الحِيَلِ
سَلْ بيتَ مالِكَ أَين المال تعرِفه ... وسَل خَراجَك عن أَموالِك الجُمَلِ
كم في حُبوسِكَ مِمّن لا ذُنوب لهمْ ... أَسرى التكذُّب في الأقيادِ والكَبَلِ
سُمِّيتَ باسمِ الرشيدِ المرتَضى فَبِه ... قِسِ الأُمورَ التي تُنجي من الزَّلَلِ
عِثْ فيهمُ مثل ما عاثت يداه معاً ... على البرامكِ بالتهديم للقُلَلِ

فلمّا قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه ، ونَكب سليمانَ بنَ وهب وأحمد بن الخصيب ، وأخذ منهما ومِن أسبابهما ألفَ ألفِ دينار ، فجعلها في بيت المالِ ، فقال أحمدُ بنُ أبي فَنَن[1] : [من المديد]

نزلَتْ بالخائنين سَنَهْ ... سَنَةٌ للنّاسِ ممتحِنَهْ[2]
سوّغَت ذا النصحِ بغيته ... وأزالَتْ دولةَ الخونَهْ
فتَرى أَهلَ العفافِ بها ... وهمُ في دولةٍ حسنَهْ
وترى مَن جار هِمّتُه ... أَن يُؤدِّي كلَّ ما احتجنَهْ[3]

وقال إبراهيم بن العبّاس لابن الزيّات : [من المنسرح]

إيهاً أَبا جعفرٍ وللدَّهر كَرّ ... راتٌ وعمّا يريبُ متَّسَعُ
أَرسلتَ ليثاً على فرائسِه ... وأَنتَ منها فانظرْ متى تَقَعُ
لكنّه قُوتُه وفيكَ له ... وقد تقضّتْ أَقواتُه شِبعُ[4]

وهي أبيات ، وقد كان أحمد بن أبي دواد حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيّات ، وأَمر عليّ بنَ الجَهم فقال فيه[5] : [من الرجز]

لَعائِنُ اللهِ مُوَفّراتِ ... مُصَبّحاتٍ ومهجِّراتِ

1 شعر ابن أبي فنن (شعراء عباسيون ، السامرائي) 1 : 185–186 .
2 السنة : الجدب ، وهنا يعني المحنة .
3 احتجنه : حازه لنفسه .
4 اللطائف : لمظنّة قوّته .
5 ديوان علي بن الجهم (صادر) : 81–82.

عَلى ابنِ عبــد المَلِك الزيّاتِ   عرَّضَ شَملَ المُلــكِ للشَتاتِ
يَرمــي الدواويــن بتَوقيعاتِ   معَقَّــداتٍ غيرِ مفتوحــاتِ
أشبه شيء بُرقـــى الحَيـاتِ   كأَنّهــا بالزيــتِ مدهوناتِ
بعد ركوب الطوف في الفراتِ   وبَعــد بَيـعِ الزيتِ بالحباتِ
سبحانَ مَن جلَّ عن الصفاتِ   هارون يـا ابن سيِّد الساداتِ
أمَـا تَــرى الأُمورَ مهملاتِ   تشكــو إليــكَ عدمَ الكُفاةِ

وهي أبيات . فهمّ الواثق بالقبض على ابن الزيّات ، وقال : لقد صدق قائل هذا الشعر ، ما بقي لنا كاتب . فطرَح نفسه على إسحاق بن إبراهيم ، وكانا مجتمعَين على عداوة ابن أبي دواد . فقال للواثق : أمِثلُ ابن الزيّات ، مع خدمته وكفايته ، يُفعل به هذا ، وما جنى عليك وما خانك ، وإنّما دَلَّك على خوَنة أخذْتَ ما اختانوه ، فهذا ذنبه ؟ وبعد ، فلا ينبغي لك أن تَعزل أحداً أو تُعدِ مكانه جماعةً يقومون مقامه ، فمَن لك بِمَن يقوم مقامه ؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجع له .

وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي دواد ، فكان يغشاه كثيراً ، فقال له بعض كتّابه : إنّ هذا بينه وبين الوزير ما تعلم ، وهو يجيئك دائماً ، ولا تأمنُ أن يظنّ الوزير بك ممالأة عليه ؛ فعرِّفه ذلك . فلمّا دخل ابن أَبي دواد إليه خاطبه في هذا المعنى ، فقال : إنِّي والله ما أجيئك متعزّزاً بك من ذِلّة ، ولا متكثِّراً من قِلّة ، ولكن أمير المؤمنين رتَّبك رتبة أوجبت لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخّرنا عنه فلنفسك ، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه .

وفي هذه القصّة أخبار كثيرة يطول ذكرها ، ليس هذا موضعها ، وإنّما ذكرنا هاهنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه .

صوت[1]

[من الرمل]

عِشْ فَحُبِّيــكَ سريعـاً قاتلي   والضّنى إن لم تصلني واصلي
ظَفرَ الشوقُ بقلــبٍ دَنِـف   فيك والسُّقمُ بِجِسْمٍ ناحلِ[2]
فهُما بــينَ اكتئابٍ وضنًــى   تــرَكاني كالقضيــبِ الذابلِ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء للمسدُودِ ، رمل مطلق في مجرى الوسطى ، وذكر جَحْظة أنّ هذا الرمل أُخِذَ عنه ، وأنّه أوّل صوت سمعه فكتبه .

1 ديوان خالد الكاتب : 381–382 .

2 دنف في الديوان : مدنف . والدنف : الذي يلازمه المرض .

[425] ـ أَخبار خالد الكاتب[1]

[وسوسته]

هو خالدُ بنُ يزيدَ ، ويكنى أَبا الهَيْثم ، من أَهلِ بغداد ، وأَصله من خُراسان ، وكان أَحد كتّاب الجيْش . وَوُسْوِسَ في آخر عمره ، قيل إنّ السَّوْداء غلبت عليه ، وقال قوم : كان يَهوى جارية لبعضِ الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها ، وولاَّه محمدُ بنُ عبد الملك الإعْطاء في الثغور ، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد ، ومَغنِّية تغنّي : [من البسيط]

مَـــن كان ذا شجَنٍ بالشام يطلبـــه ... ففي سِوى الشامِ أَمسى الأَهلُ والشجنُ

[اتصاله بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهديّ]

فبكى حتى سَقَط على وجهه مغشياً عليه ، ثم أَفاق مختلِطاً . واتّصل ذلك حتى وُسْوِس وبطل . وكان اتصل بعليٍّ بن هشام وإبراهيم بن المهديّ . وكان سبب اتصاله بعليّ بن هشام أَنّه صحبه في وقت خروجه إلى قمّ ، في جملة كتَّابِ الإعطاء ، فبلغه وهو في طريقه أنّ خالداً يقول الشعر ، فأَنِس به وسُرّ به ، وأَحضره فأَنشده قوله[2] : [من السريع]

يا تاركَ الجِسْمِ بلا قلبِ ... إنْ كنتُ أَهواكَ فما ذَنبي ؟
يا مُفْرداً بالحسنِ أُفردتَني ... منكَ بطولِ الهَجرِ والعتْبِ
إن تَكُ عَيْني أَبصرتْ فِتْنَةً ... فهلْ على قلبـيَ من عَتبِ
حَسِيبكَ اللهُ لمـا بـي كما ... أَنَّكَ في فِعلكَ بي حَسْبي

[اتصاله بالمعتصم]

للمسدود في هذه الأبيات رمل طُنْبوريّ مطلق من رواية الهشاميّ ، قال : فجعله علي بن هشام في نُدَمائه إلى أن قُتِل ، ثم صحِب الفضل بن مَرْوان ، فذكره للمعتصم وهو بالماحوزَة[3] قبل أن يَبْني سُرّ مَن رأى ، فقال خالد[4] : [من مجزوء الكامل]

---

1 ترجمة خالد الكاتب في تاريخ بغداد 8 : 308 والمنتظم 5 : 35 وبغية الطلب 6 : 121 ومعجم الأدباء (عبّاس) : 1243–1245 وابن خلكان 2 : 232 والوافي 13 : 278 والفوات 1 : 401–402 وطبقات ابن المعتز : 404–406 . وقد حقق ديوانه د . يونس السامرائيّ (1981) .

2 ديوانه : 482–483 .

3 الماحوزة : موضع قرب سامرا .

4 ديوان خالد الكاتب : 533 .

عــزَم السرورُ على المُقا م بِسُرَّ مَــنْ را للإمامِ
بَلَــدُ المَسَرّة والفتــو حِ المستنيراتِ العظــامِ
وتــراه أَشبــهَ منـزِلٍ في الأرضِ بالبلدِ الحـرامِ
فــاللهُ يعمُــرُهُ بِمَــن أَضْحـى بـه عِزُّ الأنـامِ

فاستحسنها الفضلُ بنُ مَرْوان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقالَ في بناء سُرَّ مَن رأى شيء ، فكانت أوّل ما أُنشد في هذا المعنى من الشعر ، فتبرَّكَ بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم .

وذكر ذلك كلَّه إسماعيل بن يحيى الكاتب ، وذكر اليوسفيّ صاحب الرسائل أنّ خالداً قال أيضاً في ذلك[1] : [من المنسرح]

بيَّنَ صَفْوُ الزّمـان عن كَدرِهْ في ضَحِكاتِ الربيع عن زَهَرِهْ
يـا سُرّ مَن را بورِكْت مِن بَلدٍ بُـورك في نَبْتـه وفي شجرِهْ
غَـرسُ جُـدود الإمـام ينبته بابَـكَ والمازِيـارُ مـن ثمرِهْ
فالفتحُ والنصرُ يَنزلانِ بـــه والخِصب في تُرْبه وفي شجَرِهْ

فغنّى مخارقٌ في هذه الأبيات ، فسأله المعتصم : لِمَن هذا الشعر ؟ فقال : لخالد يا أمير المؤمنين ، قال : الذي يقول[2] : [من الخفيف]

كيفَ تُرْجى لذاذةُ الاغتماضِ لمريضٍ مـن العيـونِ المِراضِ

فقال محمد بنُ عبد الملك : نعم يا أمير المؤمنين ، هُوَ لَهُ ، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات . فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم . وبلغ خالداً الخبرُ ، فقال لأحمدَ بن عبد الوهاب صاحب محمد بنِ عبد الملك ، وقيل لأبي جعفر ، أعزّه الله : إذا بلغتُ المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل .

[دِعبل ينصحه بأن يقتصر على المقطعات]

قال اليوسفيُّ : ولَمّا قال خالد في صفة سُرّ مَن رأى قصيدته التي يقول فيها[3] : [من الخفيف]

اسْقنـي في جرائـرٍ وزِقاقِ لتُلاقـي السرور يـوم التلاقِ
من سُلافٍ كأنَّ في الكأسِ منه عبراتٍ مـن مقلَتي مشتاقِ

---

1 ديوانه : 512 .
2 ديوانه : 517 .
3 ديوانه : 521 .

في رياضٍ بسُرَّ مَن را إلى الكرْ خِ ودَعْني مـن سائرِ الآفاقِ
بـادِّكارَاتِ كل فتـح عظيـم لإمام الهـدى أبـي إسحاق

وهي قصيدة ، لقيه دِعبِلٌ فقال : يا أبا الهيثم ، كنتَ صاحبَ مُقطَّعات فداخلْتَ الشعراءَ في القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك ، ويوشك أن تتعب بما تقول وتُغلَب عليه . فقال له خالد : لو عرفتُ النُّصْحَ منك لِغيري لأطعتك في نفسي .

[هجاء الحلبيّ الشاعر]

قال اليوسفيّ : وحدَّثني أبو الحسن الشهْرَزانيّ : أنّ خالداً وقع بينه وبين الحلبيّ الشاعر الذي يقول فيه البحتريّ :

سل الحلبيّ عـن حلب

خلافٌ في معنى شعر ، فقال له الحلبيّ : لا تعدُ طَورَك فأُخرسَك ! فقال له خالد : لستَ هناك ، ولا فيك موضع للهجاء ، ولكن ستعلم أنـي أجعلك ضُحْكة سُرَّ مَن رأى . وكان الحلبيّ من أوسخ النّاس ، فجعل يهجو جُبَّتَه وثيابه وطيلسانه ، فمن ذلك قوله[1] : [من السريع]

وشاعرٍ ذي منطـقٍ رائقٍ في جبّةٍ كالعارضِ البارقِ
قطعـاءَ شلاّءَ رقاعِيَّـةً دَهْرِيَّةً مرقوعـةَ العاتِقِ[2]
قدّمها العُـرْيُ على نفسِه لفضلِها في القَـدَرِ السابقِ

وقوله[3] : [من السريع]

وشاعـرٍ مُقْـدِمٍ لـه قـومُ ليس عليهـمْ في نصرِهِ لَـومُ
قد ساعدوه في الجوعِ كلُّهمُ فَقْـرى فكـلٌّ غداؤُه الصومُ
يأتيـكَ في جُبّـة مُرَقّعـةٍ أَطـولُ أعمـار مثلِهـا يومُ
وطَيْلسـانٍ كالآل يلبسُـه على قميـص كأنّـه غَيْـمُ
مِـن حَلَب في صميم سِفْلتِها غِنـاه فقـرٌ وعـزُّه ضَيمُ

قال : وقال فيه[4] : [من المنسرح]

---

1 ديوانه : 520–521 .
2 شلاء : من الشلل ، وهو السواد الثابت .
3 ديوانه : 530–531 .
4 ديوانه : 510–511 .

تـــاهَ على ربِّـــه فأفقَـرهُ   حتــى رآه الغِنى فأنكرَهُ
فصار من طول حِرفَةٍ علماً   يقذفه الرزقُ حيثُ أَبصرَهُ[1]
يـــا حلبيّاً قضى الإلهُ لَـــه   بالتِّيه والفقرِ حـــين صوَّرَهُ
لَوْ خلطوهُ بالمسْكِ وسَّخَه   أَو طَرَحُوهُ في البحرِ كدَّرَهُ

[إبراهيم بن المهدي يستنشده]

حدَّثني جَحْظَةُ ، قال : حدَّثني خالد الكاتب ، قال : دخلتُ على إبراهيم بن المهديّ فاستنشدني ، فقلت : أيّها الأمير ، أنا غلامٌ أقول في شُجون نفسي ، لا أكاد أمدح ولا أهجو ، فقال : ذلك أشدّ لدواعي البَلاء ، فأَنشدته[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

عاتبــتُ نفسي في هــوا   كَ فلــم أَجِدْهــا تَقْبَلُ
وأَطعــتُ داعيَهــا إليــ   ــكَ ولم أُطِعْ مَن يعذلُ
لا والذي جعـــل الوجو   هَ لحسنِ وجهــكَ تمثُلُ
لا قلـــتُ إنّ الصبرَ عنـ   ـكِ من التّصابي أَجملُ

لجحظة في هذه الأبيات رَمَلٌ مطلق بالوسطى .

قال : فبكى إبراهيم وصاح : وَايْ عليك بإبراهيم ، ثم أَنشدته أَبياتي التي أقول فيها[3] : [من الرمل]

وبكـــى العاذلُ مـــن رَحْمَتي   فبُكائـــي لِبُكـــا العـــاذلِ

وقال إبراهيم : يا رشيق ، كم معك من العَيْن ؟ قال : سِتّمائةٌ وخمسون ديناراً . قال : اقسِمْها بيني وبين الفَتى ، واجعَل الكَسْر له صحيحاً . فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً ، فاشتريت بها منزلي بساباطِ الحسن والحسين ، فوارانِي إلى يومي هذا .

[المرء لا يهب ولده]

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني خالد الكاتب قال : قال لي عليّ بن الجهم : هب لي بيتَك الذي تقول فيه[4] : [من مجزوء الرمل]

---

1 الحرفة : بضم الحاء وكسرها : الحرمان وسوء الحظّ .
2 ديوانه : 524 .
3 ديوانه : 382 .
4 ديوانه : 500 .

لَيتَ ما أَصْبَحَ مِنْ رِقَّـ ـــةِ خدَّيـــك بقَلْبِكْ

فقلت : يا جاهل ، هل رأيتَ أُحداً يهب ولده .

[سالمَ فحورب فاتّجه إلى الهجاء]

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب : لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديقٍ له ، وكان قد باعَدَهُ ولم أَعلم ، فأنشأ يقول[1] : [من الكامل]

ظَعَن الغريبُ لغيبة الأَبَد حـيَّ المخافة نائـيَ البلدِ
حيـرانَ يُـؤْنسه ويكلؤه يـومٌ تَوَعَّـدَهُ بشرٍّ غدِ
سنَحَ الغُرابُ له بأنكرِ ما تغدو النحوسُ به على أَحدِ
وابتاع أشأمـه بأيمنه الـ ـجَدُّ العَثورُ لـه يداً بيدِ
حتى يُنيخ بأرضِ مَهْلكةٍ في حيثُ لم يولدْ ولم يَلدِ
جزعتْ حليلتُهُ عليه فما تخلو من الزفراتِ والكمدِ
نَزَل الزّمانُ بها فأَهلكها منه وأَهـدى اليُتمَ للولدِ
ظفرتْ به الأيّامُ فانحسرت عنـه بناقِـرَةٍ ولم تَكَدِ[2]
فتركْنَ منـه بعـد طِيَّتهِ مثل الذي أَبقيْن من لُبَدِ[3]

قال ، فقلت له : يا أَبا الهيثم مُذْ كَمْ دخلتَ في قول الهجاء ؟ قال : مذ سالمتُ فحوربتُ ، وصافيتُ فتوقّفت .

[غزل في غلام]

وقال الرياشيّ . كان خالد مغرماً بالغلمان المُرْد ، يُنفِق عليهم كلّ ما يُفيد ، فَهوِيَ غلاماً يقال له : عبد الله ، وكان أَبو تمّام الطائيّ يهواه ، فقال فيه خالد[4] : [من مخلع البسيط]

قضيبُ بـانٍ جناه وردُ تحملـه وَجْنَـةٌ وخَـدُّ
لَمْ أثْنِ طَرْفي إليـه إلاّ مات عزاءٌ وعاش وجْدُ
مُلِّكَ طَوْعَ النفوسِ حتى علّمه الزهـوَ حين يبدُو

1 ديوانه : 505–506 .
2 الناقرة : الداهية .
3 لبد : آخر نسور لقمان .
4 ديوانه : 503–504 .

واجتَمَعَ الصدُّ فيـه حتّى   ليس لخَلْـقٍ سِواه صدُّ

فبلغ أبا تمّام ذلك فقال فيه أبياتاً منها : [من السريع]

شِعْرُكَ هـذا كلُّه مفرطٌ   في بَرْدِهِ يـا خالِدُ الباردُ

فعَلِمها الصبيانُ ، فلم يزالوا يصيحون به : يا خالد يا بارد حتى وَسْوَس . قال : ومِن النّاس مَن يزعُمُ أنّ هذا السبب كان بينه وبين رجل غير أبي تمّام ، وليس الأمر كذلك .

[هجاء أبي تمام]

وكان خالد قد هجا أبا تمّام في هذه القصّة فقال فيه[1] : [من البسيط]

يا معشَرَ المُـرْدِ إنّي ناصح لكمُ   والمرءُ في القولِ بَيْن الصدقِ والكذبِ
لا ينكِحَنَّ حبيباً منكـمُ أحـدٌ   فإنّ وجعاءَه أعدى مـن الجرَبِ
لا تأمنوا أن تَحوُلـوا بَعـدَ ثالثـةٍ   فتركبوا عُمُداً ليستْ من الخشبِ

[جد الأدب وهزله جد]

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني الحسن بن إسحاق قال : حدَّثني خالد الكاتب ، قال : لمّا بويع إبراهيمُ بن المهديّ بالخلافة طلبني ، وقد كان يعرفني ، وكنتُ متصلاً ببعض أسبابه . فأُدخِلْتُ إليه فقال : أَنشدني يا خالد شيئاً من شعرك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «إنَّ من الشِّعر لَحِكماً» ، وإنّما أمزح وأهزِل ، فقال : لا تقل هذا ، فإنّ جِدَّ الأَدب وهَزْلَه جِدّ ، هات أنشدني ، فأنشدته : [من الرمل]

عِش فَحُبِّيـكَ سريعـاً قاتلي   والضَّنى إن لم تَصِلْني واصلي
ظفِرَ الشوق بقَلْـبٍ دَنِف   فيـك والسُّقمُ بجسمٍ ناحلِ
فهُمـا بـين اكتئاب وضنًى   تـركاني كالقضيـبِ الذابلِ

قال : فاستملح ذلك ووصلني .

[يركب قصبة فيصيح به الصبيان]

حدَّثني حمزة بن أَبي سلالة الشاعر الكوفيّ ، قال : دخلْتُ بغداد في بعض السنين فبينا أنا مارٌّ بِجُنينة إذا أنا برجلٍ عليه مبطنة نظيفة ، وعلى رأسه قَلَنْسية سوداء ، وهو راكب قصَبَة ، والصبيان خلفه يصيحون به : يا خالد يا بارد ! فإذا آذَوْهُ حمل عليهم بالقصبة ، فلم أزَل أطردهم عنه حتى تفرّقوا ، وأدخلته بستاناً هناك ، فجلس واستراح ، واشتريتُ له

---

1 ديوانه : 500–501 .

رُطَباً فأَكل ، واستنشدته فأَنشدني[1] : [من المنسرح]

قَــدْ حــازَ قلبي فصار يملِكُهُ فكيف أَسْلو وكيف أَتركُهُ !
رَطِيبُ جسمٍ كالمـاء تَحْسَبه يَخْطِرِ في القلبِ مِنْـه مسلَكُهُ
يكادُ يجري من القميصِ من النـ ـعمةِ لـولا القميص يُمسكُهُ

فاستزدتُه ، فقال : لا ، ولا حَرْف .

[حبّه لغلام مقامر]

وذَكر عليُّ بنُ الحسين بن أَبي طلحة عن أَبي الفضل الكاتب ، أنّه دَعا خالداً ذات يوم فأَقام عنده . وخلع عليه ، فما استقرَّ به المجلس حتى خرج ، قال : فأَتبعتُه رسولاً لِيعرف خبره ، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يحبّه ، فسأل عنه فوجده في دار القمار ، فمَضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبّله وعانقه وعاد إلينا . فلمّا جاء خالدٌ أعطيت الغلامَ الذي وجّهنا به دنانير ودَعاه فجاء به إلينا ، وأخفيناه وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجَمجم . فغمزنا الرسول فأخرجه علينا ، فلمّا رآه خالد بكى ودَهِش . فقلنا له : لا تُرَعْ ، فإنّ من القصّة كَيْتَ وكيت ، وإنّما أردنا أن نعرفَ خبرَك لا أن نَسوءك . فطابت نفسُه وأجلسَه إلى جنبه ، وقال : قد بُلِيتُ بحبّه وبالخوف عليه مِمّا قد بُلِيَ به من القمار ، ثم أنشد لنفسه فيه[2] : [من مجزوء الوافر]

مُحِــبٌّ شَفَّــه أَلَمُـهْ وخامَرَ جِسْمَه سَقَمُهْ
وبــاحَ بمـا يُجَمْجِمهُ من الأسرارِ مكتَتِمُهْ
أَمَـا تَرْثـي لمكتئب يُحِبُّــك لحمُـه ودَمُهْ
يغارُ على قميصك حِيـ ـنَ تَلْبَسه ويتّهمُـهْ

[يدرك جنونه]

وذكر علي بن الحسين أيضاً أَنّ محمدَ بنَ السريّ حدَّثه أنّه أَطال الغَيبة عن بغداد وقد وُسوِسَ خالد ، فمَرَّ به في الرُّصافة والصبيان يصيحون به : يا غلام الشرَيطيّ يا خالدُ البارد ! ويرجع إليهم فيضربهم ويزيدُ ويرميهم . قال : فقلت له : كيف أنت يا أبا الهيثم ؟ قال : كما ترى ! فقلت له : فَمَنْ تُعاشِر اليوم ؟ قال : مَنْ أحذرُه ، فعجبت من جوابه مع اختلاله . فقلت له : ما قلتَ بعدي من الشعر ؟ قال : ما حفظه النّاس وأُنْسيتُه ، وعلى ذلك قولي[3] : [من الخفيف]

---

1 ديوانه : 522 .
2 ديوانه : 530 .
3 ديوانه : 160 .

كَبِــدٌ شفهــا غليــلُ التصابي بــين عَتْــب وسَخْطَةٍ وعذابِ[1]
كلَّ يــومٍ تَدْمى بجَرح من الشو قِ ونــوع مجـدَّدٍ من عذابِ[2]
يا سقيمَ الجفونِ أسْقَمْتَ جسمي فاشفني كيف شئت ، لا بِكَ ما بي
إنْ أكُنْ مذْنِبــاً فكُن حَسَنَ العفـ ـوِ أو اجعَلْ سوى الصُّدود عقابي

ثم قال : يا أبا جعفر ، جننت بعدك . فقلت : ما جعلك الله مجنوناً ؛ وهذا كلامك لي ونظمك .

حدَّثني محمدُ بن الطلاس أبو الطيِّب ، قال : حضرْتُ جنازة بعض جيراني ، فلقِيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه ، وقلت : أنشدْني ، فذهب ليهرُب منِّي ، فغمزتُ على يده غمزة أوجعْته ، فقال : خَلِّ عنِّي أُنْشِدْك ، فأرخيت يدي عن يده ، فأنشدني[3] : [من مجزوء الرجز]

لَمْ تَــرَ عــينٌ نَظرَتْ أحسنَ مــن منظرِهِ
النــورُ والنِّعمــةُ والنَّـ ـعمـةُ في مَخْبـرِه[4]
لا تَصِلُ الألسنُ بالـ ـوصفِ إلى أكثــرِهِ
كَيْف بمَن تَنْتَسِبُ الشـ ـمسُ إلى جوهــرِهِ

[ينشد شعراً لأبي تمام ، ثم ينشد شعراً عارضه به]

حدَّثني عمِّي ، رحمه الله ، قال : مَرَّ بنا خالد الكاتب هاهنا والصبيان خلفه يصيحون به ، فجلس إليَّ فقال : فرِّق هؤلاء عنِّي ، ففعلتُ ، وألحَّتْ عليه جارية تصيحُ : يا خالدُ يا باردُ ! فقال لها : مُرِّي يا منتنة الكُسّ ، ويا مَن كُسّها دُس . فقلت له : يا أبا الهيثم ، أيُّ شيء معنى «دس» هاهنا ؟ قال : تشتهي الأيرَ الصغير والكبير والوسط ، ولا تكره منها شيئاً . وأقبلَ الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد ، وهي ترميهم وتهرُبُ منهم حتى غابوا معها عنّا ، فأقبل عليَّ خالدٌ متمثّلاً فقال[5] : [من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضَم حَقِّــي ولا قــارعٍ سنِّي

1 وعذاب في الديوان : وعقاب .
2 الديوان : فكل الحشا بها في عذاب .
3 ديوانه : 228 .
4 النَّعمة بفتح النون : الترف .
5 البيت لأعشى بني ربيعة وقد تقدّم في ترجمته 18 : 105 .

فاحْتَبَسْتُهُ عندي يومي ذلك . فلمّا شرب وطابت نفسه ، أُنشدنا لأَبي تمّام[1] : [من الكامل]

أَحْبابَــه لِــمَ تفعلونَ بِقلْبِهِ   مـا ليس يَفْعَلُه بـه أَعداؤهُ ؟
مَطَرٌ مِن العَبراتِ خَدِّي أَرضُه   حتى الصباحِ ومُقْلَتايَ سمـاؤهُ
نفْسي فداءُ محمــدٍ ووِقاؤه   وكذبتُ ، ما في العالَمِينَ فداؤهُ
أزعمتَ أَنَّ البدرَ يحكي وجهه   والغصنُ حين يَميدُ فيه ماؤهُ[2]
اسْكت فأَين بهـاؤه وكمالـه   وجمالُـه وحيـاؤه وضياؤهُ[3]
لا تَقْـرَ أَسمـاءَ المَلاحةِ باطلاً   فيمـن سِواه فإنّهـا أَسماؤهُ[4]

ثم قال : وقد عارضه أَبو الهيثم ، يعني خالد نفسَه ، فقال[5] : [من الوافر]

فديتُ محمـداً مـن كلِّ سوءٍ   يحـاذِر في رَواح أَو غُـدوِّ
أَيا قمرَ السماء سَفُلْتَ حتى   كأَنّك قـد ضَجِرْتَ من العُلُوِّ
رأَيتك مـن حبيبك ذا بِعادٍ   ومِمّـن لا يُحِبّـك ذا دُنُـوِّ
وحسْبُك حسْرَةً لك من حبيبٍ   رأَيتَ زمامـه بيَدَيْ عَـدُوِّ

هكذا أَخبرني عمِّي عن خالد ، وهذه الأبيات أيضاً تُرْوى لأبي تمام .

[توجعه لصديق عليل]

وقال ابن أَبي طلحة : حدَّثني الهلاليّ ، قال : مررْتُ بخالد وحوله جماعة يُنشدهم ، فقلت له : يا أَبا الهيثم ، سلَوْتَ عن صديقك ، قال : لا واللهِ . قلت : فإنّه عليل وما عُدْتَه . فسكت ساعة ثم رفع رأسه إليَّ ، وقال[6] : [من الخفيف]

زَعَمُوا أَنّني صحـوتُ وكـلاّ   أُشهِـدُ اللهَ أَنّني لَـن أَمَـلاّ
كيف صبري يا مَن إذا ازداد تِيهاً   أَبـداً زدتُـه خضوعـاً وذُلاّ

ثم قال : احفظه وأَبلغه عنِّي[7] : [من الوافر]

---

1 ديوان أبي تمّام (عطية) : 381 .
2 البدر في الديوان : الظبي .
3 الديوان :
اسكت فأين ضياؤه وبهاؤه   وذكاؤه ووفـاؤه وحيـاؤه
4 الديوان : لا تغني أسماء الملاحة والحجى .
5 ديوان خالد الكاتب : 535–536 وديوان أبي تمام : 415 .
6 ديوان خالد الكاتب : 360 .
7 ديوانه : 354 .

بِجِسْمِيَ لا بِجِسمِكَ يا عليلُ ... ويكفيني من الألَمِ القليلُ
تَعَدَّاكَ السَّقامُ إليَّ إنِّي ... على ما بي لعادِيهِ حَمولُ[1]
إذا ما كنتَ يا أملي صحيحاً ... فحالفني وسالَمَكَ النحولُ
ألستَ شقيقَ ما ضمَّت ضُلوعي ... عَلى أنِّي لِعِلَّتِكَ العليلُ

[غزله بغلام]

قال : وحدَّثني العبّاس بنُ يحيى أنّهم كانوا عند عليّ بنِ المعتصم ، فغُنّي في شعر لخالد ، فأمر بإحضاره ، وطلب فلم يوجدْ ، فوجَّه إلى غلام كان يتعشّقه فأُحضِر ، وسأله عنه فدَلّ عليه ، وقال : كنّا نَشرب إلى السحَر ، وقد مضى إلى حمام فلان ، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعيّ ، ودكانه مألَفٌ للغِلمان المُرْد والمغنّين . فبعث إليه فأُحضر . فلمّا جلس أخرج عليُّ بنُ المعتصم الغلام ؛ وقال : هذا دلَّنا عليك ؛ وهو يزعم أنّك تعشقُه ، فقال له الغلام : نعم أيّها الأمير ، لو لم يكن من فضيحته إيّاي إلاّ أنّه إذا لم يوجد أُحْضِرْتُ وسُئلت عنه . فأقبل عليه خالد وقال : [من السريع]

يا تارِكَ الجسمِ بلا قلبِ ... إنْ كنتُ أهواكَ فما ذنبي
يا مفرَداً بالحُسنِ أفْرَدتني ... مِنْك بطولِ الشّوقِ والحُبِّ
إنْ تكُ عَيني أبصَرَتْ فتنةً ... فهلْ على قَلْبيَ من عَتبِ
حَسِيبُكَ اللهُ لما بي كما ... أنّكَ في فعلِكَ بي حَسبي

لجحظة فيه رمل ، فاستحْسَنَ عَلِيّ الشعرَ ، وأمر له بخمسين ديناراً .

[اعتذار لغلام]

قال : حدَّثني ابن أبي المدوّر أنّه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب ، وأنّه دخل عليهم غلامٌ من أولاد الكتّاب ، فلمّا رأى خالداً أعرضَ عنْه ، فقلت له : لِمَ أعرضْتَ عن أبي الهيثم ؟ فقال : واللهِ لو علمتُ أنّه هاهنا ما دخلت إليكم ، ما يبالي إذا شَرِب هذين القدَحين ما قال ولا مَنْ هَتَك . فقال لي خالد : ألا تُعينني على ظالمي ؟ فقلت : بلى واللهِ أعِينُك ، فأقبل على الفتى وقال[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

هَبْني أسأتُ فكان ذَنْـ ... ـبِي مثلَ ذنب أبي لَهَبْ

1 لعاديه في الديوان : لعادته .

2 ديوانه : 483 .

فأنـا أتــوبُ وكَم أَساْ ت وكَم أسأتَ ولَم تَتُبْ

فما زلنا مع ذلك الفتى نُداريه ونستعطفُه له حتى أقبل عليه وكلَّمه وحادثه ، فطابت نفسه ، وسُرَّ بقيّةَ يومه .

في هذين البيتين لأبي العَنْبَس خفيف رَمَل بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولرذاذ خفيف رمل مطلق .

[تفاحة معضوضة]

وحدَّثني عبد الله بن صالح الطوسيُّ أَنّ عليَّ بن المعتصم دَعا خالداً يوماً وهو يشْرَب ، وقد أخرجَتْ إليه وَصيفَةٌ من وُصَفاءِ حَظِيّتِه تفاحة مَعْضوضة مُغلَّفة بعثت بها إليه ستُّها ، فقال[1] : [من البسيط]

تفاحةٌ خرجتْ بالدُّرِّ مِـن فِيها أَشهى إليَّ مـن الدُّنيا ومـا فيها
بيضاءُ في حمــرة عُلَّــتْ بغاليَةٍ كأنّما قُطِفت مـن خَــدِّ مُهْدِيها
جاءَتْ بهـــا قينةٌ مـن عندِ غانيةٍ رُوحي من السوءِ والمكروهِ تَفديها
لــو كنتُ ميْتـاً ونادتْني بنغمتها إذاً لأسرعتُ مــن لحـدي أُلبِّيها

فاستحسن عليٌّ بن المعتصم الأبيات ، وغُنّي فيها ، وأَمَرَ لهُ بتخت ثياب وخمسين ديناراً .

1 ديوانه : 536–537 .

[426] ـ أخبار المسدود[1]

[شجي الصوت حاضر البديهة]

المسدودُ من أهلِ بغدادَ ، وكان منزلُه في ناحية دربِ المفضّل ، في الموضع المعروف بِخَراب المسدود ، منسوبٌ إليه .

وأخبرني جحظة أنّ اسمه الحسن ، وكنيته أبو عليّ ، وأنّ أباه كان قَصّاباً ، وأنّه كان مسدودَ فَرْدِ مَنْخِرٍ ومفتوحَ الآخر ، وكان يقول : لو كان مَنْخِري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الحُلُوم وذوي الألباب ، وشغَلْت مَن سمعه عن أمر دِينه ودُنياه ومعاشه ومعاده .

قال جحظة : وكان أشجَى الناسِ صوتاً وأحضرهم نادرة ، ولم يكتسب أحد من المغنّين بطُنبور ما كسبَه . وكان مع يساره وقلّة نفقته يُقرض بالعِينة[2] . وكانت له صنعة عجيبة ، أكثرها الأهزاج . قال جحظة : قال لي مُخارق غلامه : قال لي ، وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هَزَج : [من المديد]

صوت

مَن رَأى العِيسَ عَلَيْها الرِّحال ... إضَمٌ قَصْدٌ لَها أم أُثالْ[3]

لستُ أدري حيثُ حلّوا ولكن ... حيثما حلُّوا فثَمَّ الجَمالْ

والآخر : [من مجزوء الرمل]

عُجْ بنا نَجْنِ بِطَرْفِ الـ ... ـعَينِ تُفّاحَ الخُدودْ

ونُسَلِّ القلبَ عمَّن ... حَظُّنا منه الكُدودْ[4]

ثم قال : واللهِ لا تركتُ بَعدي من يَهزِج . قال جحظة : واللهِ ما كذب !

[نفيه إلى عُمان]

أخبرني جحظة ، قال : كان الواثق قد أذِن لجلسائه ألا يرُدَّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه ، فغنّى الواثق يوماً[5] : [من الطويل]

---

1 انظر وفيات الأعيان 2 : 268 .

2 العينة : ضرب من الربا .

3 إضم : أسفل وادي المدينة . وأثال : بلدة وواد .

4 الكدود : الكثير الكد والبخيل .

5 ديوان مجنون ليلى : 135 .

نظرْتُ كأنّي من وراء زُجاجةٍ إلى الدّارِ مِن ماءِ الصبابة أنظرُ

وقد كان النبيذُ عمل فيه وفي الجلساء فانبعث إليه المسدود فقال : أنت تنظر أبداً مِن وراء زجاجة ، إن كان في عينيك ماء صبابة أو لم يكن . فغضب الواثق من ذلك وكان في عينيه بياض ، ثم قال : خذوا برِجْل العاضِّ بَظْر أمّه ، فسُحِب من بين يديه . ثم قال : يُنفى إلى عُمان الساعة . فنُفي من وقته وحُدِرَ ومعه المُوَكَّلون . فلمّا سلّموه إلى صاحبِ البصرة ، سأله أن يُقيم عنده يوماً ويغنّيه ، ففعل .

فلمّا جلسوا للشرابِ ابتدأ فقال : احذروني يا أهل البصرة على حُرَمكم ، فقد دخلْتُ إلى بلدكم وأنا أزنَى خلق الله . قال : فقال له الجمّاز : أما يعني أنّه أزنى خلقِ الله أمّاً ؟ فغضب المسدودُ ، وضرب بطُنبوره الأرضَ وحَلَفَ ألاّ يغنّي . فسأله الأميرُ أن يقيمَ عندَه وأمَرَ بإخراج الجماز وكلِّ مَن حَضَر ، فأبى ولجَّ فأحدره إلى عُمان .

[الواثق يطلب إحضاره]

ومكث الواثق لا يسأل عنه سنة ، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره . فلمّا جاءه الرسولُ ووصَل إلى الواثق قبّل الأرض بين يديه ، فاعتذر من هفوته وشكَر التفضّل عليه . فأمَره بالجلوس ثم قال له : حدِّثني بما رأيتَ بَعدي . فقال : لي حديث ليس في الأرض أظرف منه ، وأعاد عليه حديثه بالبصرة . فقال له الواثق : قَبَحك اللهُ ما أجهلك ! ويلك ! فأنت سُوقةٌ وأنا ملك ، وكنتَ صاحياً وكنتُ مُنْتَشِياً وبدأتَ القوم فأجابوك . فبلغ بِك الغضب ما ذكرتَه وما بدأتك فتُجيبَني ، وبدأتَني ، من المزح ، بِما لا يحتمله النظير لنظيره ، ويلك ! لا تعاود بعدها ممازحةَ خليفةٍ وإنْ أذِن لك في ذلك ، فليس كلّ أحد يَحضره حلمُه كما حضرني فيك .

[رقعة في هجاء الواثق ورقعة في حاجته]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني عَون بنُ محمد ، قال : سمعتُ حمدونَ بن إسماعيل يقول : لم يكن في الخلفاء أحَد أحلَمَ من الواثقِ ، ولا أصبَرَ على أذى وخلاف . وكان يُعجبه غناء أبي حَشيشة الطُّنبوريّ . فوجَد المسدود من ذلك ، فكان يَبْلغه عنه ما يكره ويتجاوز عنه . وكان المسدودُ قد هجاه ببيتين ، فكانا معه في رقعةٍ ، وفي رقعة أُخرى حاجة له يريد أن يَرْفعها إليه ، فغلط بين الرقعتين ، فناوله رقعة الشِّعر وهو يَرى أنّها رقعة الحاجة ، فقرأها وفيها : [من الهزج]

مِنَ المسدودِ في الأنفِ إلى المَسدودِ في العَيْنِ
أنا طَبْلٌ له شِقٌّ فيا طبلاً بشِقَّيْنِ

فلمّا قرأ الرقعةَ علِم أنّها فيه ، فقال للمسدود : خلطت في الرقعتين ، فهات الأُخرى

وخُذ هذه واحترز من مثل هذا . والله ما زاده على هذا القول .

[أجوبة موجعة]

أُخبرني جحظة ، قال : تحدّث المسدود في مجلس المنتصر بحديث ، فقال له المنتصر : متى كان ذلك ؟ قال : ليلة لا ناهٍ ولا زاجر ، يُعَرِّض له بلَيلةٍ قتل فيها المتوكّل ، فأغضى المنتصر واحتمله .

قال : وقالت الذكوريّة يوماً بين يدي المعتمد : غنِّ يا مسدودُ ، قال : نعم يا مفتوحة ! وقالت له امرأة : كيف آخذ إلى شجرة بابك ؟ قال : قُدّامك ، أُطعمكِ اللهُ من ثمرها .

قال : وغنّى بين يدَي المتوكّل ، فسكّته وقال لبكران الشيري : تَغَنَّ أَنتَ . فقال المسدودُ : أنا أحتاج إلى مستمع ، فلم يفهم المتوكّل ما قال .

وقَدَّم إليه طَبّاخُ المتوكّل طبقاً وعليه رغيفان ، ثم قال له : أَيَّ شيء تشتهي حتى أَجيئك به ؟ قال : خبزاً . فبلغ ذلك المتوكّل ، فأَمَر بالطبّاخِ فضُرِب مائتي مِقْرعة .

قال جحظة : وحدَّثني بعض الجلساء أَنّه لمّا وَضع الطبّاخُ الرغيفَين بين يديه قال له المسدود : هذا حرز فأين النير ؟

قال ودَعاه بعضُ الرؤساء فأهدى له بِرْذَوْناً أُشهب ، فارتبطه ليلته ، فلمّا كان من غدٍ نفَق . وبعث إليه يدعوه بعد ذلك ، فكتب : أنا لا أُمضي إلى مَن يعرفُ آجال الدوابّ ، فيهب ما قَرُب أَجله منها .

قال : واستوهب من بعض الرؤساء وبراً ، فأَعطاه سمّوراً قد قَرِع بعضُه ، فردّه وقال : ليس هذا سمّوراً ، هذا أَشكر[1] .

صوت

[من الطويل]

أَجــدَّك مــا تَعْفُو كُلومُ مُصيبَةٍ ... على صاحِبٍ إلاّ فُجعتُ بصاحبِ
تقَطَّع أَحشائي إذا مــا ذكرتهمُ ... وتنهلّ عيني بالدّموعِ السواكبِ

عروضه من الطويل ، الشعر لسلمة بن عيّاش ، والغناء لحكَم ، وله في لحنان : رمل بالبنصر ، وهزج بالوسطى .

1 أشكر : لعلّها أُشكُر . بضمّ الهمزة والكاف ، وهو الأديم الأبيض .

[427] ـ أخبار سلمة بن عيّاش[1]

سلمةُ بن عيّاش مولى بني حِسْل بنِ عامر بن لؤيّ . شاعرٌ بصريٌّ مِن مخَضْرَمي الدولتين ، وكان يتديَّن ويتصوَّن ، وانقطع إلى جعفر ، ومحمد ابنَيْ سليمانَ بنِ عليّ بنِ عبدالله بن عبّاس ، ومدَحَهما فأكثر وأجادَ . ومِمّا مدَحهما به وفيه غناء قوله : [من الطويل]

صوت

أَرِقْتُ وطالت ليلتي بأبانِ ... لِبرْقٍ سَرى بَعد الهدوءِ يَمانِ[2]
يُضيء بأعلامِ المدينةِ هُمَّدا ... إلى أُمجٍ فالطلح طلح قنانِ[3]

غنّى في هذين البيتين دحمان ، ولَحْنه ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، قال : وفيه لحن لعطرّد يقول فيها : [من الطويل]

ورَدْتُ خَليجَي جعفرٍ ومحمدٍ ... وكلَّ بَديءٍ من نَداه سقاني[4]
وإنّي لأرجو جعفراً ومحمداً ... لأفضلِ ما يُرْجى له مَلَكانِ
هُما ابْنا رسولِ اللهِ وابنا ابنِ عمِّه ... فقد كَرُم الجَدّانِ والأَبوانِ

ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجرّاح قوله : [من الطويل]

صوت

أنارٌ بدَتْ وَهْناً لعينك تُرْمِضُ ... ببغدادَ أم سارٍ من البرقِ مُومِضُ[5]
يضيء سناه مكْفَهِرّاً كأنّه ... حناتِمُ سودٌ أو عِشارٌ تَمَخَّضُ[6]

غنّى فيهما عطرّد ثقيلاً أوّل ؛ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها : [من الطويل]

---

1 ترجمة سلمة بن عياش في الوافي 15 : 325 وانظر الحماسة الصغرى : 156 وابن الشجري : 80 وأعلام الزركلي .
2 أبان : جبل .
3 أمج موضع : والطلح : موضع بين المدينة وبدر ، وهناك موضع آخر بين مكة واليمامة .
4 بديء : عجيب .
5 ترمض : تشتعل .
6 الحناتم : جمع حنتم ، وهو السحابة السوداء .

وَلَوْلا انتظـاري جعفراً ونَوالَه   لَما كان في بغدادَ ما أتبرّضُ[1]

وقد وَجدتُ هذا الشعر لابن المولى في جامع شعره من قصيدة له ، وأظنّ ذلك الصحيحَ ، لا ما ذكر محمدُ بنُ داود من أنّها لسلمة بن عيّاش :

[أعطى الفرزدق بيتاً]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة وغيره ، قال : قال سلمة بن عيّاش ، وذكر محمدُ بن داود ، عن عسلِ بنِ ذكوان ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن سلمة بن عيّاش مولى بني عامر بن لؤيّ ، قال : دخلت على الفرزدق السجن ، وهو محبوس ، وقد قال قصيدته[2] : [من الكامل]

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا   بَيْتــاً دعائمُـــه أغــرُّ وأطــوَلُ

وقد أُفحِمَ وأُجبل ، فقلت له : ألا أَرفِدك ؟ فقال : وهل ذاك عندك ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت : [من الكامل]

بَيْـــتٌ زُرارةُ مُحْتَبٍ بفِنائِـه   ومُجاشِعٌ وأبـو الفوارسِ نَهْشَلُ

فاستجاد البيت وغاظه قولي له ، فقال لي : مِمّن أنت ؟ فقلت : من قريش ، فقال : كلُّ أيْرِ حمار من قريش ! فَمِن أيِّها أنت ؟ قلت : من بني عامر بن لؤيّ ، قال : لئام والله رَضَعة[3] ، جاورتُهم بالمدينة فما أحمدتُهم . فقلت : ألأمُ والله منهم قومُك وأرضع . جاء رسولُ مالكِ بنِ المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم ، فأخذ بأُذُنك يقودك حتى احتبسك فما اعترضه أحد ، ولا نصرك . فقال : قاتلك اللهُ ما أنكرك ! وأخذ البيت ، فأدخله في قصيدته .

[غزله ببربر المغنية]

أخبرنا وكيع ، قال : أخبرني محمدُ بن سعد الكرّانيّ ، قال : حدَّثنا سهل بنُ محمد ، قال : حدَّثني العُتْبيّ ، قال : كان سلمة بن عيّاش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان ، وجارية تغنّيهم وتَسقيهم يقال لها : بربر ، فقال سلمة[4] : [من الطويل]

إلى اللهِ أشكو مـا أُلاقي من القِلى   لأهلي وما لاقيتُ من حبِّ بَرْبَرِ
على حينَ ودَّعتُ الصبابةَ والصِّبا   وفارقتُ أخْداني وشمَّرتُ مِئزَري

1 يتبرض : يتبلّغ بالقليل من العيش ، ويأخذ الشيء قليلاً قليلاً .
2 بيت الفرزدق والبيت الذي رفده به سلمة في ديوان الفرزدق .
3 رضعة : لئام .
4 أكثر الشعر المنسوب إلى سلمة في بربر سبق أن ورد لمطيع بن إياس في جوهر ضمن ترجمته 13 : 193 .

نــأى جعفــرٌ عنّـا وكان لِمِثْلِها ... وأنــتَ لنا في النائبـاتِ كجعفرِ

[رثاء محمد بن سليمان]

قال : فقال محمد بن سليمان لِسلمةَ : خذْها ، هي لَكَ ، فاستحيا وارتدع ، وقال : لا أريدها فألَحَّ عليه في أخذها . فقال : أُعتِق ما أمْلِك إن أخذتُها ، فقال له أبو سفيان : يا سخينَ العين ، أعتِق ما تَمْلِك وخذها ، فهي خير من كلّ ما تملك ، فلمّا مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال : [من الطويل]

لَعَمْــرُك لا تعفُــو كلُــومُ مصيبةٍ ... على صاحبٍ إلاّ فُجِعتُ بصاحبِ
تَقَطعُ أحشائي إذا ما ذكرتكم ... وتَنْهلّ عيني بالدّموعِ السواكبِ
وكنتُ امــرءاً جلداً على ما يَنُوبني ... ومعترفــاً بالصبرِ عنــدَ المصائبِ
فهَدَّ أبــو سفيانَ رُكني ولم أكُنْ ... جَزوعــاً ولا مستنكِراً للنوائبِ
غَنِينا مَعــاً بِضْعاً وستِّين حِجَّةً ... خَلِيلَيْ صفاءٍ وُدُّنــا غيرُ كاذبِ [1]
فَأصبحتُ لّما حالت الأرضُ دونَه ... على قُرْبِه مِنّــي كمَن لم أُصاحبِ

وذَكر محمدُ بن داود عن عسل بن ذَكوان أنّ محمدَ بنَ سليمان قال له : اختر ما شئت غيرها ، لأنّ أبا أيّوب قد وطئها .

[بينه وبين أبي حيّة النميريّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمدُ بن يزيد النحويّ ، قال : حُدِّثت من غير وجه عن سلمَة بنِ عيّاش أنّه قال : قلت لأبي حَيّة النُّميريّ أهْزأُ به : ويحك يا أبا حيّة ! أتدري ما يقول النّاس ؟ قال : لا ، قلت : يزعمون أنّي أشعر منك ، قال : إنّا للهِ ! هلَك والله النّاس .

[شعر ينسب إليه في بربر]

وفي بَرْبَر هذه يقول سلمةُ بن عيّاش ، وفيه غناء ، وذَكرَ عمرُ بن شبّة أنّه لمطيع بن إياس : [من مجزوء الوافر]

صوت

أظنُّ الحبَّ من وجْدي ... سيقتُلُنــي عــلى بَرْبَــرْ

---

1 الوافي :

صحبت أبا سفيان عشرين حجة ... خليــلي صفــاء ودنا غير كاذب

وبَرْبَــرُ دُرَّةُ الغــوا ... صِ مَــنْ يَمْلِكُها يُحْبَرْ
فخــافي اللهَ يــا بَرْبَــرْ ... فقد أُفْتَنْتِ ذا العسكرْ
بِحُسْنِ الـدَّلّ والشكلِ ... وريــحِ المسك والعَنْبرْ
ووجــهٍ يُشْبه البَــدْرَ ... وعَيْنــيْ جُــؤْذُر أحورْ

فيه لحَكَم ثلاثة ألحان : رمَل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وخفيف رمل عن هارون بن الزيّات ، وهزج عن أبي أيّوب المدنيّ .

[مطيع يهجو جوهر جارية بربر]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : بَرْبرُ جارية آلِ سليمان أُعتِقتْ ، وكان لها جَوار مغنيات ، فيهم جارية اسمها جوهر ، وكان في البصرة فتى يُعرَف بالصحّاف ، حسن الوجه ، فبلغ مطيعَ بن إياس أنّه بات مع جوهرَ جارية بربرَ ، فغاظه ذلك ، فقال : [من الخفيف]

نــاكَ واللهِ جوهرَ الصحّافُ ... وعلَيهــا قَميصُهــا الأفوافُ[1]
شام فيهــا أَيراً له ذا صُلاع ... لم يَخُنْــه نَقص ولا إخطافُ[2]
زعموها قالت وقد غابَ فيها ... قائماً في قيامــه استِحْصافُ[3]
وهو في جــارة استها يتلظَّى ... وبهــا شهــوةٌ لــه والتهافُ
بَعْضَ هــذا مهلاً ترفَّق قليلاً ... مــا كذا يا فتى تُناك الظِّرافُ

قال : وقال فيها ، وقد وجّهت بجواريها إلى عسكر المهدي : [من مجزوء الوافر]

خــافي اللهَ يــا بَرْبَرْ ... فقد أُفسدْتِ ذا العسكرْ
أَفضْتِ الفِسقَ في النّاسِ ... فصار الفسْقُ لا يُنْكرْ
ومَــنْ ذا يملِك النّاس ... إذا مــا أَقبلَــتْ بَرْبَرْ
وأَعطــافُ جواريهــا ... كريــح المسكِ والعنبرْ
وجوهــرُ دُرّةُ الغــوا ... صِ مَنْ يَمْلِكهــا يُحبرْ
أَلا يــا جوهــرَ القلْبِ ... لقد زِدْتِ على الجوهرْ

1 الثوب الأفواف : الرقيق .
2 في ترجمة مطيع : ذا ضلوع . اخطاف : خطأ .
3 استحصاف : شدّة وانتصاب ، واستحصف الحبل : فتله .

وقــد أكملــكِ اللّهُ   بحُسن الــدّلّ والمنظرْ
إذا غنّيتِ يــا أحسَــ   ــنَ خلقِ اللّهِ بالمِزهرْ[1]
فهــذا حَزَنــاً يَبْكي   وهــذا طرَبــاً يكفُرْ
وهــذا يَشربُ الكأسَ   وذا مــن فَــرَح ينعِرْ
ولا واللّهِ مــا المهديّ   أولى منــك بــالمِنبرْ
فما عِشْتِ ففــي كفّيـ   ـك خَلْعُ ابن أبي جعفرْ

قال : فبلغ ذلك المهدي ، فضحك وأمر لمطيع بصلة ، وقال : أنفق هذا عليها وسلها ألاّ تخلعنا ما عاشت .

قال : وفي جوهر يقول مطيع : [من السريع]

جاريةٌ أحسنُ مِن حَلْيِها   وفيه فَضْلُ الدُّرّ والجوهرْ
وجرمُها أطيب من طِيبِها   والطِّيب فيه المسكُ والعنبرْ
جاءت بها بربرُ مَمْكُورةً   يا حبّذا ما جلَبتْ بَربَرْ[2]

قال : وقال فيها : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عِندي جَوْهَرَهْ   في بيــاض الدرّة المشتهِــرَهْ
وإذا غنّــت فنــارٌ أُضْرِمَتْ   قَدَحَــتْ في كلّ قلب شَرَرَهْ

صوت

[من الخفيف]

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ   والذي صِيغَ من حياءٍ وجُودِ
إنّ يومــاً أراكَ فيــه ليَــوْمٌ   طلعتْ شَمسُه بسعدِ السعودِ

الشعر لأبي العتاهية[3] يمدح محمدَ الأمين ، والغناء لإسحاقَ ، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة وإسحاق .

1 المزهر : العود .
2 ممكورة : ممتلئة الساقين .
3 ديوان أبي العتاهية : 526 .

[428] ـ أَخبار لأُمّ جعفر

[أبو العتاهية ينشدها]

أَخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا العلائيّ ، قال : حدَّثني محمدُ بن أَبي العتاهية ، قال : لمّا جَلس الأمينُ في الخلافة أنشده أبو العتاهية[1] : [من الخفيف]

يا ابنَ عمِّ النبيِّ خيرِ البَريّــه إنّمــا أَنــتَ رحْمَــةٌ للرّعيَّهْ
يا إمامَ الهُدى الأَمينَ المصَفَّى بِلُبــاب الخلافــةِ الهاشميَّهْ
لكَ نفسٌ أَمّارةٌ لكَ بالخيــ ــر وكـفٌّ بالمكرُماتِ نَدِيَّهْ
إنّ نفساً تحملَتْ منك ما حُمِّـ ــلتَ للمسلمـينَ نفسٌ قَويَّهْ

قال : ثم خرج إلى دار أُمّ جعفر ، فقالت له : أنشدْني ما أنشدْتَ أمير المؤمنين ، فأنشدها . فقالت : أين هذا من مدائحك في المهديّ والرشيد ؟ فغضب وقال : إنّما أنشدتُ أمير المؤمنين ما يستملح ، وأنا القائل فيه : [من الخفيف]

يــا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صيغَ من حياءٍ وَجُودِ
والذي فيه ما يُسَلّي ذوي الأحـ ـزانِ عـن كلِّ هالكٍ مفقودِ
إنّ يومــاً أراكَ فيــه لَيَــوْمٌ طلعَت شمسُه بسعدِ السعودِ

فقالت له : الآن وفيت المديحَ حقّه ، وأمرَت له بعشرة آلاف درهم .

[أبو العتاهية يستنجز أُمّ جعفر وظيفته]

أَخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ موسى اليزيديّ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ الفضل ، قال : كان المأمون يوجِّه إلى أُمّ جعفر زُبَيدةَ في كلِّ سنة بمائة ألف دينار جُدُد وألفِ ألفِ درهم ، فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم ، فأغفلَتْه سنة ، فَدَفع إليّ رقعةً وقال : ضَعْها بين يديها فوضعْتها ، وكان فيها[2] : [من الرمل]

خبَّرُوني أَنَّ في ضَرْبِ السَّنهْ جُدُداً بيضاً وصُفْـرا حَسَنَـهْ
سِكَكاً قد أُحْدِثَــتْ لم أَرَهــا مثلَ مــا كنتُ أَرى كلّ سَنَـهْ

فقالت : إنَّا للهِ ! أَغفلناه . فوجّهت إليه بوظيفة على يَدي .

[استعطاف المأمون لأمّ جعفر]

حدَّثني محمد بن موسى ، قال ، حدَّثنا جعفرُ بنُ الفضل الكاتب ، قال : أَحسّت زُبَيدة

1 ديوان أَبي العتاهية : 680 .
2 ديوان أَبي العتاهية : 649–650 .

من المأمون بجفاء ، فوجّهت إلى أبي العتاهية تُعْلمه بذلك ، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تَعْطِفه عليها ، فقال[1] : [من الطويل]

صوت

ألا إنَّ ريبَ الدَّهْــرِ يُدني ويُبعدُ ... ويؤنس بـالأُلاّف طــوراً ويُفقدُ
أصابَتْ لريْبِ الدَّهْرِ مني يَدي يَدي ... فسلّمتُ للأَقــدارِ واللهَ أَحْمَــدُ
وقلتُ لِرَيْبِ الدَّهرِ إنْ ذهبَتْ يَدٌ ... فقــد بقيتْ والحمــدُ للهِ لي يَدُ
إذا بَقــي المأمونُ لي فالرشيدُ لي ... ولي جعفــرٌ لم يفقَــدا ومحمــدُ

الغناء لعلّويه .

قال : فحسُن موقع الأبيات منه ، وعاد لها المأمون إلى أكثر مِمّا كان لها عليه .

وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتبِ :

حدَّثني هارونُ بنُ مُخارق ، قال : حدَّثني أبي ، قال : ظهرَتْ لأُمّ جعفر جَفْوة من المأمون ، فبعثت إليّ بأبيات وأمرتني أن أُغنّي فيها المأمون إذا رأيته نشيطاً وأَسْنَتْ لي الجائزة ، وكان كاتبها قال الأبيات ، ففعلْت . فسألني المأمون عن الخبر فعرّفته ، فبكى ورقّ لها ، وقام من وقتِه فدخل إليها فأكبَّ عليها ، وقبلَتْ يديه ، وقال لها : يا أُمّه ، ما جفوتك تعمُّداً ، ولكن شُغِلْت عنكِ بما لا يمكن إغفالُه . فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، إذا حَسُنَ رأيك لم يُوحشني شُغلك ، وأَتمَّ يومَه عندها ، والأبيات : [من الطويل]

ألا إنّ ريبَ الدهرِ يُــدْني ويُبعدُ ... ويُؤنس بالأُلاّف طــوراً ويُفْقِــدُ

وذكر باقي الأَبيات مثل ما في الخبر الأوّل .

[أبو العتاهية ينظم على لسانها]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني الحسن بن عليّ الرازيّ ، قال : حدَّثني أبو سَهْل الرازقيّ عن أبيه ، قال : عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زُبَيْدة بأمْرِها لمّا قدِم المأمون بغداد ، أوّلُه[2] : [من الطويل]

لخَيرِ إمامٍ قامَ من خيرِ عنصُرٍ ... وأفضلِ راق فَوق أعوادِ مِنْبرِ[3]

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتّاب السلطان : أنّ المأمون لمّا قدِم مدينة السلام ، واستَقرَّت به الدار ، وانتظمت له الأُمور ، أمرَت أُمّ جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات ، وبعثَتْ بها

1 ديوان أبي العتاهية : 518–519 .
2 ديوان أبي العتاهية : 549 .
3 الديوان : وأفضل بسام على . . .

إلى عَلُّويَه ، وسألته أن يصنع فيها لحناً ، ويغني فيه المأمون ففعل ، وكان ذلك مِمّا عطفه عليها ، وأمرت لعلُّويَه بعشرين ألفَ درهم . وقد رُوي أن الأبيات التي أوّلها : [من الخفيف]

يـا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ

لعيسى بن زينب المراكبي .

[تنفس عيسى المراكبيّ]

أُخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب ، قال : حدَّثنا عليُّ بن نجيح ، قـال : حدَّثني صالح بن الرشيد ، قال : كنّا عند المأمون يوماً وعقيد المغنِّي وعمرو بن بانةَ يغنيان ، وعيسى بن زينب المراكبيّ حاضر ، وكان مشهوراً بالأُبنَةِ ، فتغنَّى عقيد بشعر عيسى : [من الخفيف]

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجودِ
لكَ عندي في كلِّ يومٍ جَديدٍ طُرْفَةٌ تستفادُ يـا ابنَ الرشيدِ

فقال المأمون لعقيد : أنشد باقي هذا الشعر ، فقال : أصونُ سمْعَ أميرِ المؤمنين عنه ، فقال : هاتِه ويحك ! فقال : [من الخفيف]

كنتُ في مجلسٍ أَنيق ورَيْحا نٍ وراحٍ ومُسْمِعاتٍ وَعُودِ
فتغنَّى عمـرو بن بانـةَ إذ ذا كَ وهْـوَ ممسكٌ بأَيْـر عقيدِ
يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجُودِ
فتنفَّسْتُ ثـم قلـتُ كذا كلُّ محـبٍّ صبٍّ الفـؤاد عميدِ

فقال المأمون لعيسى بن زينب : والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفّسك عند قبض عمرو على أيْر عقيد : لأيّ شيء هو ؟ لا بُدّ من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه ، أو على أن تكون مثله ، لَعَنَ اللهُ تنفسَك هذا يا مُريبُ ! قال : وإنّما سُمِّيَ المراكبيّ لتولِّيه مراكب المنصور ، وأُمّه زينب بنت بشر ، صاحِب طاقاتِ بشر بباب الشام .

صوت

[من المتقارب]

لقيتُ مِـن الغانيـاتِ العُجابا لـو ادرك منِّـي العذارى الشبابا
عـلامَ يُكحِّلـنَ حُـورَ العيـون ويُحْدِثْنَ بَعد الخضابِ الخضابا
ويُبْرِقـنَ إلاّ لِمـا تعلمـونَ فـلا تمنعُـنَّ النساءَ الضِّرابـا

الشعر لأيمنَ بنِ خُرَيم بنِ فاتك الأَسديّ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية الهشاميّ .

[429] ـ أخبار أيمن بن خُرَيم[1]

[اعتزل حرب الجمل وصفّين]

وأيمنُ بنُ خُرَيم بن فاتك الأسديّ لأبيه صُحبة برسول الله ، ﷺ ، ورواية عنه ، وينسب إلى فاتك ، وهو جدّ أبيه . وهو أيمنُ بن خُرَيم بن الأخرم بنِ عمرو بنِ فاتك بنِ القليب بنِ عمرو بنِ أسد بنِ خزيمة بن مدركة بن إلياس بنِ مضر بنِ نزار . وكان أيمن يتشيّع ، وكان أبوه أحدَ من اعتزل حربَ الجَمل وصِفّين وما بعدهما من الأحداث ، فلم يحضرها .

[يهوّل قوته فيحسده عبد الملك]

أخبرني الحسنُ بن علي ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني النوشجانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديٍّ ، عن عبد الله بن عيّاش ، عن مجالد ، قال[2] : كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء ، فلمّا أسنَّ ضعُف عن الجماع وازداد غرامُه بهنّ ، فدخل إليه يوماً أيمنُ بنُ خُرَيم فقال له : كيف أُنت ؟ فقال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قوّتُك ؟ قال : كما أُحبّ ، ولله الحمد ، إنّي لآكل الجَذَعَةَ[3] من الضأن بالصاع من البُرّ ، وأشرب العُسّ المَمْلوء ، وأرتحلُ البعيرَ الصعب وأنْصِبُه[4] ، وأركب المُهر الأرِن[5] فأُذلّله ، وأفترع العذراء ، ولا يُقْعِدُني عنها الكِبرَ ، ولا يمنعني منها الحَصَر[6] ، ولا يُرْويني منها الغُمَر[7] ولا ينقضي منّي الوَطر . فغاظ عبد الملك قولُه وحسَدَه ، فمنعه العطاء وحجبه ، وقصدَه بما كَرِه حتى أثّر ذلك في حاله . فقالت له امرأته : ويحك ! أصْدِقْني عن حالِك ؟ هل لك جُرْم ؟ قال : لا والله ، قالت : فأيُّ شيء دارَ بينك وبين أمير المؤمنين آخرَ ما لقيتَه ؟ فأخبرها ؛ فقالت : إنّا لله ! مِن هاهنا أُتيت . أنا أحتال لك في ذلك حتى أُزيل ما جرى عليك ، فقد حسَدَك الرجلُ على ما وصفتَ به نفسَك . فتهيّأت ولبستْ ثيابها ودخلت على عاتكة زوجته ، فقالت : أسألكِ أن تستعْدي لي أمير المؤمنين على زوجي ، قالت : وما لَه ؟ قالت :

---

1 ترجمة أيمن بن خريم في الشعر والشعراء : 453–455 والإصابة 1 : 94 وتهذيب ابن عساكر 3 : 187 وانظر طبقات ابن سلام 6 : 38–39 والمختار من شعر بشار : 211 والتذكرة الحمدونية 8 : 230–231 .

2 وردت هذه الحكاية في المختار من شعر بشّار والتذكرة الحمدونية ، والخبر فيهما عن معاوية .

3 الجذعة : الصغيرة من الضأن .

4 أنصبه : أتعبه .

5 الأرن : النشيط .

6 الحصر : الضعف عن النساء .

7 الغمر : القدح الصغير .

والله ما أدري أنا مع رجلٍ أو حائطٍ ؟ وإنّ له لسنين ما يعرف فراشي ، فسليه أن يفرّق بيني وبينه . فخرجتْ عاتكة إلى عبد الملك فذكرَت ذلك له ، وسألتْه في أمرها . فوجّه إلى أيمنَ بنِ خُريم فحضرَ ، فسأله عمّا شكتْ منه فاعترفَ به . فقال : أَوَلم أسألك عاماً أوّلَ عن حالك فوصفْتَ كَيْتَ وكيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الرجلَ ليتجمّل عند سلطانه ، ويتجلّدُ عند أعدائه بأكثر مِمّا وصفتُ نفسي به ، وأنا القائل[1] : [من المتقارب]

لَقِيتُ مِنَ الغانياتِ العُجابا … لو ادْرَكَ منّي الغواني الشبابا
ولكنَّ جمعَ النساءِ الحسانِ … عناءٌ شديدٌ إذا المرءُ شابا
ولو كِلْتَ بالمدِّ للغانياتِ … وضاعفْتَ فوقَ الثيابِ الثيابا
إذا لم تُنِلْهُنَّ مِن ذاك ذاك … جحدنَك عندَ الأميرِ الكتابا
يَذُدْنَ بكلِّ عصا ذائدٍ … ويصبحْنَ كلَّ غداة صِعابا
إذا لم يُخالِطْنَ كلَّ الخِلا … طِ أصبحْن مُخْرَنْطماتٍ غِضابا[2]
علامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العيونِ … ويُحدثْنَ بعدَ الخضابِ الخضابا
ويَعرُكنَ بالمسْكِ أجيادَهنّ … ويُدْنِينَ عندَ الحِجالِ العيابا
ويُبْرِقْنَ إلاّ لِما تعلمونَ … فلا تحرموا الغانياتِ الضِّرابا

قال : فجعل عبدُ الملك يضحك من قوله ، ثم قال : أَولى لك يا ابنَ خُرَيم ! لقد لقيتَ منهنّ تَرَحاً ، فما ترى أن تصنع فما بينك وبين زوجتك ؟ قال : تستأجلها إلى أجل العِنّين ، وأُداريها لعليّ أستطيعُ إمساكَها . قال : أفْعَل ذلك . وردَّها إليه ، وأمر له بما فات من عطائه ، وعاد إلى بِرّه وتقريبه .

[يعتزل المتنازعين من بني أُميّة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ أبو دُلَف ، قال : حدَّثنا الرياشيّ ، قال : ذكر العُتْبيّ أنّ منازعةً وقعتْ بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان ، فتعصَّب لكلّ واحد منهما أخواله ، وتداعَوْا بالسلاح واقتتلوا ، وكان أيمن بن خريم حاضراً للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه ، يقال له : ابن كُوز ، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك ، فقال : [من الوافر]

أأقْتَلُ بينَ حجّاج بن عمرو … وبين خصيمه عبدَ العزيزِ

---

1 الأبيات في الشعر والشعراء والمختار من شعر بشّار وعيون الأخبار 4 : 102 مع تفاوت في العدد واختلاف في اللفظ .

2 اخرنطم : رفع أنفه في استكبار وغضب .

أنُقتَـلُ ضَلَّـةً في غيرِ شيءٍ ... ويَبْقـى بعدَنـا أهـلُ الكنوزِ
لعمرُ أبيكَ ما أُوتيتُ رشدي ... ولا وُفِّقـتُ للحِـرْزِ الحريزِ
فإنِّـي تـاركٌ لهمـا جميعاً ... ومعتزلٌ كما اعتـزل ابنُ كوزِ

[غضبه من يحيى بن الحكم]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكرانيّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال : أَصاب يحيى بن الحكم جاريةً في غَزاة الصائفة[1] ، بها وضح[2] ، فقال : أعطوها أيمنَ بنَ خُريم ، وكان مُوضحاً ، فغضب وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

تركتُ بني مروان تندى أَكفُّهم ... وصاحبتُ يحيى ضَلّة من ضلاليا
فإنّكَ لو أَشبهتَ مـروان لم تَقُل ... لقوميَ هُجـراً أَنْ أَتوكَ ولا ليا

وانصرف عنه ، فأتى عبد العزيز بن مروان ، وكان يحيى مُحَمَّقاً .

[شعره في بني هاشم]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمِّي الفضل ، قال : حدَّثني مُصْعَب الزُّبيريّ عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال : يا معشر الشعراء تُشَبِّهوننا مرّة بالأسد الأَبخر ، ومرة بالجبل الأوعَرِ ، ومرّة بالبحر الأُجاج ، ألا قلتم فينا كما قال أَيمن بنُ خريم في بني هاشم : [من الوافر]

نهاركُـمُ مكابـدةٌ وصومٌ ... ولَيْلُكُـمُ صـلاةٌ واقتراءُ[4]
وَلِيتـم بالقُـرانِ وبالتزكّي ... فأَسرعَ فيكـمُ ذاكَ البلاءُ
بكـى نجدٌ غداةَ غدٍ عليكم ... ومكّـةُ والمدينـةُ والجِواءُ[5]
وحـقّ لكـلِّ أَرض فارقُوها ... عليكـم لا أَبـا لكمُ البكاءُ
أَأَجعلكـم وأَقوامـاً سواءً ... وبينكـمُ وبينهـمُ الهـواءُ
وهـمْ أَرضٌ لأَرْجُلِكم وأَنتم ... لأَرؤوسهـم وأَعينهـم سمـاءُ

1 غزاة الصائفة : الغزوة في الصيف .
2 وضح : برص .
3 في الشعر والشعراء ثلاثة أبيات .
4 اقتراء : قراءة .
5 الجواء : اليمامة ، ويطلق على أماكن أخرى .

[عبد الملك يؤدّي عنه الدية]

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن أحمد بن زهير ، عن أبي همّام الوليد بن شجاع ، قال : حدَّثنا عبد الله بن إدريس ، قال : أصاب أيمنُ بنُ خُرَيم امرأةً له خطأً ، يعني قتلها ، فوداها عبد الملك بن مروان : أعطى ورثتها ديتها ، وكَفَّر عنه كفارةَ القتل ، وأعطاه عِدَّةَ جَوار ، ووهب له مالاً ، فقال أيمنُ : [من المتقارب]

رأيـــتُ الغـــوانيَ شيئاً عُجابـــاً ... لَـوَ انسَ مِنِّـي الغـواني الشبابا
ولكـــنَّ جمـعَ العذارى الحسانِ ... عنـاءٌ شديـــدٌ إذا المـــرءُ شابا
ولـــو كِلـــتَ بالمُـــدِّ للغانياتِ ... وضاعفْـــتَ فـــوقَ الثيابِ ثيابا
إذا لم تُنِلْهـــنَّ مِـــن ذاك ذاك ... بَغَيْنَـــكَ عِنْـدَ الأميـــرِ الكذابا
يَـــذُدنَ بكـــلِّ عَصا ذائـــدٍ ... ويُصبحـــنَ كلَّ غـــداةٍ صِعابا
إذا لم يُخالَطْـــنَ كلَّ الخِـــلاط ... تراهـــنّ مُخرَنْطِمـــاتٍ غِضابا
عَـــلامَ يُكَحِّلْـــنَ حُـــورَ العيونِ ... ويُحْدِثْنَ بعدَ الخضابِ الخضابا
ويَعرُكـــنَ بـــالمسكِ أجيادَهنّ ... ويدنـــينَ عنـــدَ الحِجـــال العِيابا
ويغمِـــزنَ إلاّ لّمـــا تعلمـــونَ ... فـــلا تحرمـــوا الغانياتِ الضِّرابا

قال : فبلغني أنّ عبد الملك أُنشد هذا الشعر ، فقال : نعم الشفيع أيمَنُ لهنّ .

وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز عن عمر بن شبّة وإبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، قال : قال له عبدُ الملكِ لمّا أنشده هذا الشعر : ما وصفَ النساءَ أحدٌ مثلَ صفتكَ ، ولا عَرّفهنَّ أحد معرفتك . قال : فقال له : لئن كنتُ صدقتُ في ذلك لقد صدقَ الذي يقول[1] : [من الطويل]

صوت

فـــإن تسألوني بـــالنساءِ فإنّني ... خبيرٌ بـــأدواءِ النساءِ طبيـــبُ
إذا شابَ رأسُ المـــرءِ أو قلَّ مالُه ... فليس لـــه في وُدِّهـــنّ نصيبُ
يُرِدْنَ ثراءَ المـــالِ حيثُ علمنه ... وشَرْخُ الشبابِ عندَهـــنّ عجيبُ

فقال له عبد الملك : قد لعمري صَدقْتما وأحسنتما ، الشعر لعَلْقَمَة بن عَبَدة ، والغناء لبَسْباسَة ، ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش . وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق أخيه شأس . وخبرهُ يُذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خُرَيم .

1 ديوان علقمة بن عبده (صادر) : 23 .

رجع الحديث إلى أخبار أيمن

[يهجر عبد العزيز إلى بشر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بنُ شبّة ، قال : حدَّثني المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ ، قال : دخل نُصَيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قصيدة له امتدحَه بها فأعجبته ، وأقبل على أيمن بن خرَيم فقال : كيف تَرى شِعرَ مولاي هذا ؟ قال : هو أشعرُ أهل جِلْدتِه . فقال : هو أشعرُ واللهِ منكَ . قال أَمِنِّي أيُّها الأمير ؟ فقال : إي واللهِ ، قال : لا واللهِ ، ولكنّك طَرِفٌ[1] ملول . فقال له : لو كنت كذلك ما صبرْتُ على مؤاكلتِك منذ سنة وبك من البرص ما بك . فقال : ائذن لي أيّها الأمير في الانصراف ، قال : ذلك إليك . فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان ، وقال فيه : [من الوافر]

ركبتُ من المقطّم في جُمادى ... إلى بشرِ بنِ مروان البَريدا
ولو أَعطاكَ بشرٌ أَلفَ أَلفٍ ... رأى حقاً عليه أن يزيدا
أميرَ المؤمنين أَقِمْ ببشر ... عمودَ الدِّينِ إنّ له عمودا
ودَعْ بشراً يُقوّمهم ويُحْدِثْ ... لأُهل الزيغ إسلاماً جديدا
وإنّا قد وجدنا أُمَّ بشر ... كأُمّ الأُسْد مِذْكاراً وَلودا
كأنّ التّاجَ تاجَ أَبي هِرَقْلٍ ... جَلَوْهُ لأَعظمِ الأَيامِ عيدا
يُحالِفُ لونُهُ ديباجَ بشر ... إذا الأَلْوانُ حالفت الخدودا

يُعرِّض بِنَمَشٍ كان بوجه عبد العزيز ، فقبَّله بشرُ بن مروان ووصله ، ولم يَزَل أثيراً عنده .

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني الكُرانيّ وأبو العيناء عن العُتْبيّ ، قال : لما أتى أيمنُ بن خريم بشرَ بن مروان نظر الناسَ يدخلون عليه أفواجاً ، فقال مَنْ يُؤْذِن لنا الأَمير أو يستأذِن لنا عليه ؟ فقيل له : ليسَ على الأَميرِ حِجابٌ ولا سِتر ، فدخل وهو يقول : [من الطويل]

يُرى بارزاً للنّاسِ بشرٌ كأنّه ... إذا لاحَ في أثوابه قمَرٌ بَدْرُ
ولو شاء بشرٌ أَغلق البابَ دونه ... طماطمُ سودٌ أو صقالبةٌ شُقْرُ[2]
أبى ذا ولكن سهّل الإذنَ للتي ... يكون له في غِبِّها الحمدُ والشكرُ

فضحِكَ إليه بشر ، وقال : إنّا قومٌ نَحْجُبُ الحُرَمَ ، وأَمّا الأَموالُ والطّعامُ فلا ، وأَمر له بعشرة آلاف درهم .

---

1 طرف : لا يثبت على صحبه .

2 طماطم : جمع طمطم ، وهو الذي في لسانه عجمة .

[قلة غناء أهل العراق في الحرب]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ أبو دُلَف ، قال : حدَّثني الرياشيّ ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ عن المعتمدِ بن سليمان ، قال : لّما طالت الحربُ بين غَزالة وبين أهل العراق وهمْ لا يُغنون شيئاً ، قال أيمنُ بن خُرَيم : [من المتقارب]

أَتــى منهـــم مائتــا فــارسٍ ... مــن السافِكِين الحرامَ العَبيطا[1]
وخمسون من مارقاتِ النسا ... ءِ يَسْحَبْنَ لِلْمُنديات المُرُوطا[2]
وهُــمْ مائتا ألفِ ذي قَوْنَسٍ ... يَئِـط العراقــان منهم أطيطا[3]
رأيتُ غزالـــةَ إن طَرَّحَت ... بمكَّـــةَ هَودَجهــا والغَبيطا
سَمَتْ للعراقــين في جمعها ... فلاقى العراقــان منها بطيطا[4]
ألا يستحي اللهَ أهـــلُ العِرا ... قِ إن قَلَّدوا الغانياتِ السُّموطا
وخيــلُ غزالـــةَ تسبي النِّساءَ ... وتَحوي النِّهابَ وتحوي النبيطا[5]
ولـــو أنَّ لُوطـــاً أميرٌ لكـــم ... لأَسْلَمْتُـمُ في المُلمّـــاتِ لُوطا

صوت

[من الطويل]

تصابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينَبُ ... وكيف تَصابي المـرء والرأسُ أشيبُ
إذا قَرُبــتْ زادتْــك شوقــاً بِقُرْبِها ... وإن جانبتَ لم يُسلِ عنها التجنّبُ
فلا اليأسُ إن أَلمتَ يبـدو فترعَوي ... ولا أنــت مردودٌ بمــا جئتَ تطلبُ
وفي اليأسِ لـو يبدُو لكَ اليأسُ راحةٌ ... وفي الأرضِ عمَّــنْ لا يؤاتيك مذهبُ

الشعر لحُجَيَّةَ بن المضرب الكنديّ ، فيما ذكره إسحاق والكوفيّون . وذكر الزُّبير بنُ بَكّار أنّه لإسماعيلَ بنِ يسار ، وذكر غيرُه أنّه لأخيه أحمد بن يسار . والغناء ليونسَ الكاتب ، ولحنُه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البِنصِر ، وفيه ثقيل أوّل بالبِنصِر . ذكر حَبَش أنّه لمالك ، وذكر غيره أنّه لمعبد .

1 العبيط : الدم الطري .
2 المنديات : المخزيات . والمروط : جمع مرط ، وهو كساء يؤتزر به .
3 القوس : أعلى الخوذة . ويئط : يصوت .
4 بط الجرح : شقه .
5 النهاب : الغنائم . والنبيط : النبط ، وهم قوم كانوا ينزلون أرياف الحيرة .

[430] ـ أخبار حجية بن المضرب[1]

[مثال في تربية الأيتام]

حدَّثني ابن عمّار ، قال : حدَّثنا سعيد بن يحيى الأمويّ ، وأخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق ، عن سعيد بن يحيى الأمويّ : قال : حدَّثني المحبر بن قَحْذم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لمّا قدِم القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر وأخته من مصر ، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عَوانَةَ ، قال : كان القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر يحدّث ، قال : لمّا قَتَلَ معاوية بن حُدَيج الكنْديّ وعمرو بن العاص أبي ، يَعْني محمد بن أبي بكر بمصر ، جاء عمِّي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملَني وأختاً لي من مصر . وقد جمعتُ الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر ، وخبرُه أتمُّ قال .

فقدِم بنا المدينة ، فبعثَت إلينا عائشة ، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها ، فما رأيت والدةً قطّ ولا والداً أبَرَّ منها . فلم نَزَل في حِجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء ، ثم أجلستْ كلَّ واحدٍ منّا على فخذِها ، ثم بعثَتْ إلى عمِّي عبد الرحمن ، فلمّا دخلَ عليها تكلّمَتْ فحمِدت اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، وأثنتْ عليه . فما رأيتُ متكلّماً ولا متكلّمة قبلَها ولا بعدَها أبلغَ منها ، ثم قالت : يا أخي إنِّي لم أزَلْ أراكَ مُعْرِضاً عنِّي منذ قَبضتُ هذين الصبيَّيْن منك ، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ، ولا تُهمَةَ لك فيهما ، ولا لشيء تكرهه ، ولكنّك كنت رجلاً ذا نساء ، وكانا صبيَّين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً ، فخشيت أن يَرى نساؤُك منهما ما يتقذرن به من قبيح أمر الصبيان ، فكنتُ أُلطَفَ لذلك وأحقَّ بولايته ، فقدْ قَوِيا على أنفسهما وشبا ، وعرفا ما يأتيان ، فهاهما هذان فَضُمَّهما إليكَ ؛ وكن لهما كحجيّة بن المضربَ أخي كندة ، فإنّه كان له أخ يقال له : معدان ، فمات وترك أُصَيْبِيةً صغاراً في حجر أخيه ، فكان أبرَّ النّاس بهم وأعطفهم عَلَيْهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه ، فمكث بذلك ما شاء الله . ثم إنّه عرض له سفرٌ لم يجد بدّاً من الخروج فيه ، فخرجَ وأوصى بهم امرأته ، وكانت إحدى بنات عمِّه ، وكان يقال لها : زينب ؛ فقال : اصنَعي ببَني أخي ما كنتُ أصنعُ بهم . ثـم مضى لوجهـه فغاب أشهراً ، ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيّرت ؛ فقال لامرأته : ويلكِ ! مالي أرى بني معدان مهازيل ، وأرى بَنيّ سِماناً ؟ قالت :

1 ترجمة حجية بن مضرب في السمط : 204–205 وانظر خبره وأبياته في شرح الحماسة للمرزوقيّ : 1176–1177 والتبريزيّ .

قد كنت أُواسي بينهم ، ولكنّهم كانوا يعبثون ويلعبون . فخلا بالصبيان فقال : كيف كانت زينبُ لكم ؟ قالوا : سيِّئة ، ما كانت تعطينا من القوت إلاّ مِلْءَ هذا القَدَحِ من لبن ، وأَرَوْهُ قدحاً صغيراً ، فغضب على امرأتـه غضباً شديداً وتركها حتى إذا أراح[1] عليه راعيا إبلِه قال لهما : اذهبا ، فأنتما وإبلكما لبني معدان . فغضبت من ذلك زينبُ وهجرته ، وضربت بينه وبينها حجاباً ؛ فقال : والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غبوقاً أبداً ، وقال في ذلك .

[شعره في امرأته حين عرف سوء معاملتها لصغار أخيه]

[من الطويل]

لجِجْنـا وَلَجَّتْ هـذه في التغضّبِ ... ولـطَّ الحجـابِ بيننـا والتجنُّبِ[2]
وخطتْ بفـردَيْ إثمدٍ جفـنَ عينها ... لتقتلَنـي وشَدَّ مـا حُـبُّ زينبِ
تلـومُ على مـالٍ شفـاني مكانُـه ... فَلُومي حياتي مـا بدا لك واغضبي[3]
رحِمتُ بنـي مَعْدانَ أَنْ قَـلَّ مالُهمْ ... وحـقٌ لهـم مِنِّـي وربِّ المحصَّبِ[4]
وكان اليتامـى لا يَسُدُّ اختلالهـم ... هدايا لهـم في كلِّ قَعْبٍ مشعَّبِ[5]
فقلـتُ لعبدَيْنـا : أُريحـا عليهـمُ ... سأَجعـل بَيْتي بيتَ آخَـرَ مُعْزِبِ
وقلتُ خذوها واعلمـوا أَن عمّكمْ ... هـو اليـومَ أَولى منكمُ بالتكسّبِ
عِيـالي أَحـقُّ أَن ينالوا خصاصةً ... وأَن يشربوا رَنْقـاً إلى حين مكسبي
أُحابي بهـا مـن لـو قصدتُ لمالِه ... حَرِيبـاً لآساني عـلى كلِّ موكِبِ[6]
أَخـي والذي إن أَدْعُـه لعظيمـة[7] ... يُجِبْني وإن أُغضَب إلى السيفِ يَغْضبِ

إلى هاهنا رواية ابن عمّار .

[يحاول رد زينب]

وفي خبر إسحاق قال : فلمّا بلغ زينبَ هذا الشعرُ وما وهب زوجها خرجتْ حتى أَتت المدينة فأسلَمَت ، وذلك في ولاية عمر بن الخطّاب . فقدِم حُجَيَة المدينة فطلب زينب أن تُرَدَّ

---

1 أراح : رد الإبل في الرواح .
2 الحماسة (المرزوقي) : وشد . . . والتنقب . ولط : لزم .
3 إليك واغضبي في الحماسة : إليك فلومي .
4 المحصب : مكان رمي الجمار .
5 الحماسة : رأيت . . . لا تسد فقورهم . والمشعب : المجبور .
6 الحماسة : ذكرت بهم عظام من لو أتيته . . . كل مركب .
7 الحماسة : لملمة .

عليه ، وكان نصرانيّاً . فنزل بالزُّبير بن العوام فأَخبره بقصّته ؛ فقال له : إيّاك وأَنْ يَبْلُغَ هذا عنك عمر فتلْقَى منه أذى . وانتشر خبر حُجَيّة وفشا بالمدينة وعُلِم فيمَ كان مقدَمُه . فبلغ ذلك عمر ، فقال للزبير : قد بلغني قصّة ضيفك ، ولقد هممتُ به لولا تحرُّمه بالنّزول عليك .

[مدحه الزبير]

فرجع الزُّبيرُ إلى حُجَيَّةَ فأَعلمه قول عمر ، فقال حُجَيّة في ذلك : [من البسيط]

إنّ الزُّبيرَ بنَ عــوّامٍ تداركنــي ... منــه بسيْب كريــم سيْبُه عِصَمُ[1]

نفسي فــداؤك مأْخوذاً بحُجْزَتها ... إذ شاطَ لحمي وإذ زلّتْ بيَ القدمُ[2]

إذ لا يَقــومُ بهــا إلاّ فَــتًى أَنِفٌ ... عاري الأَشاجعِ في عِرْنينه شَمَمُ[3]

ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده ، آيساً من زينب كئيباً حزيناً ، فقال في ذلك :

تصابيتَ أَمْ هاجَتْ لك الشوقَ زينبُ

الأَبيات المذكور فيها الغناء .

صوت

[من الطويل]

خليلي هُبَّــا نَصْطَبِحْ بسوادِ ... ونُرو قُلوبــاً هامُهُــنَّ صوادِ

وقــولا لساقينا زيــادٍ يُرِقُّها ... فقد هَزَّ بعضَ القوم سقيُ زيادِ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من الثقيل الأَوّل بالبنصر .

1 عصم : جمع عصمة ، وهي المنع والصيانة .

2 الحجزة : معقد الإزار . وشاط لحمي : استبيح قتلي .

3 الأشاجع : أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف .

[431] ـ خبر إسحاق مع غلامه زياد

هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له مملوكٍ خِلاسيٍّ[1] ، يقال له : زياد . كان مولَّداً من مولَّدي المدينة ، فصيحاً ظريفاً ، فجعله ساقيَه ، وذكره هو وغيره في شعره . فمِمَّن ذكره من الشعراء دِعبِلٌ ، وله يقول :

أَخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأَخفش ، عن أَبي سعيد السُّكريّ قال : كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدّة مواضع ، منها قوله : [من الطويل]

وقــولا لِساقينا زيــادٍ يُرِقّها

وكان نظيفَ السَّقْي لَبقاً ، فقال فيه دِعبِل[2] : [من الطويل]

يقــول زيـــادٌ قِـفْ بصحبِكَ مَرَّةً على الرَّبعِ ، ما لي والوقوفَ على الربْعِ !

صوت

[من الطويل]

أَدِرْهــا على فَقْـدِ الحبيبِ فربَّما شربتُ على نَأي الأَحِبّةِ والفَجْعِ
فمــا بلغَتْنــي الكأسُ إلاّ شربتُها وإلاّ سَقيتُ الأَرضَ كأساً من الدمعِ

غنّى في البيت الثاني والثالث من هذه الأَبيات محمد بن العبّاس بن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأوّل بالبِنصر .

[نسبة الصوت إلى غير إسحاق]

قال أَبو الحسن : وقد قيل : إنّ هذين البيتين يعني :

خليليَّ هُبّا نصطبِحْ بسواد

للأخطل[3] .

[زياد لا يراجع]

أَخبرني عليٌّ بن سليمان ، قال : حدَّثني أَبي ، قـال : قـال لي جعفر بن معروف

1 الخلاسيّ : المولود من أبوين أبيض وأسود .

2 ديوان دعبل (نجم) : 105 عن الأغاني .

3 انظر حاشية القصيدة 136 في ديوان الأخطل ، وسيؤكّد إسحاق أن الشعر له ، وإنّما اختلط الأمر على الراوي لورود اسم زياد في قصيدة الأخطل .

الكاتب ـ وكان قد جاوز مائةَ سنة ـ : لقد شهِدتُ إسحاق يوماً في مجلس أُنس وهو يتغنّى هذا الصوت : [من الطويل]

خليلَيَّ هبّا نصطبحْ بسوادِ

وغلامُه زياد جالسٌ على مسْوَرة[1] يَسقي ، وهو يومئذٍ غلام أمرد أصفر ، رقيق البدن حلو الوجه . ثم أخذ يراجعه ولا أحدٌ يستطيع يقول له : زِدني ولا أنقصني .

[المغنّي يحبّ أن يقال له أحسنت]

أَخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنْباريّ ، قال : حدَّثني أَحمد بن الهيثم ، يعني جدَّ أَبي ، رحمه الله ، قال : كنت ذات يوم جالساً في منزلي بِسُرّ مَن رأى وعندي إخوان لي ، وكان طريقُ إسحاق في مُضيِّه إلى دار الخليفة ورجوعِه منها على منزلي ؛ فجاءَني الغلام يوماً وعندي أصدقاء لي فقال لي : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ بالباب ، فقلتُ له : قُلْ لَهُ ، ويلكَ ! يدخلُ ، أوَ في الخلْقِ أَحدٌ يُسْتَأْذَنُ عليه لإسحاق ؟

فذهب الغلامُ وبادرتُ أُسعى في أَثره حتى تلقيته ، فدخل وجلس منبسطاً آنساً ، فعرضنا عليه ما عندنا ، فأَجاب إلى الشُّرْبِ ، فأحضرناه نبيذاً مشمَّساً فشرب منه ، ثم قال : أَتحبّون أن أُغنِّيكم ؟ قلنا : إي واللهِ أطالَ اللهُ بقاءَك ، إنّا نحبُّ ذلكَ . قال : فلِمَ لم تسألوني ؟ قلنا : هِبْناكَ واللهِ ! قال : فلا تفعلوا ، ثم دعا بِعُود فأحضرْناه ، فاندفع فغنّانا ، فشربنا وطرِبنا . فلمّا فرغ قال : أحسنتُ أَم لا ؟ فقلنا : بلى والله ، جعلنا اللهُ فداءكَ ، لقد أحسنتَ . قال : فما منعكم أن تقولوا لي : أَحسنتَ !

قلنا : الهيْبَةُ واللهِ لك . قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون ، فإنّ المغنِّيَ يُحبُّ أن يقال له : غَنِّ ، ويحبّ أن يقال له إذا غنَّى : أحسنتَ ، ثم غنّانا صوتَه : [من الطويل]

خليلَيَّ هُبّا نصطبحْ بسوادِ

[إسحاق يعتق زياداً ويزوّجه]

فقلنا له : يا أَبا محمد ، مَن هو زياد الذي عنيتَه ؟ قال : هو غلامي الواقف بالباب ، ادْعُوه يا غلمان . فأُدخِلَ إلينا ، فإذا غلام خِلاسيّ ، قيمته عشرون ديناراً أو نحوُها . فأمسكنا عنه ، فقال : أتسألوني عنه فأُعرِّفكم إياه ويخرجُ كما دخل ، وقد سمعتم شعري فيه وغنائي ؟ أُشْهدكم أنّه حرٌّ لوجه الله ، وأنّي زوّجتُه أَمَتي فلانةَ ، فأعينوه على أُمره . قال : فلم يَخرج حتى أوصلْنا إليه عشرين أَلفَ درهم ، أخرجْناها له من أموالنا .

---

1 المسورة : متكأ من الجلد .

[رثاء إسحاق لزياد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدَّثني أَبي، قال: توفِّي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه: [من الطويل]

وقـولا لِساقينا زيـادٍ يُرقّهـا

فقال إسحاق يرثيه: [من الطويل]

فَقَدْنا زياداً بعـد طـول صَحابة فـلا زال يَسقي الغيثُ قبرَ زيادِ
ستبكيكَ كأسٌ لم تجدْ مَن يُدِيرُها وظمآنُ يستَبْطي الزجاجـةَ صادِ

[إسحاق يغنّي الأمين في شعر الأخطل]

أخبرني عمِّي، قال: حدَّثني ابن المكِّيّ عن أَبيه، قال: اصطبح محمد الأمين ذات يوم، وأَمر بالتوجيه إلى إسحاق، فوُجِّه إليه عِدّةُ رسل، كلّهم لا يصادفه، حتى جاءَ أحدهم به، فدخل منتشياً ومحمد مغضب. فقال له: أين كنت ويلك؟ قال: أصبحتُ يا أمير المؤمنين نشيطاً، فركبت إلى بعض المتنزهات، فاستطبْت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد، فذكرْتُ أبياتاً للأخطل وهو يسقيني، فدار لي فيها لَحْنٌ حسن فصنعته فيها، وقد جئتك به. فتبسّم، ثم قال: هات، فما تزال تأتي بما يُرْضي عنك عند السخط، فغنّاه: [من الطويل]

صوت

إذا مـا زيـادٌ علَّني ثـم علَّني ثـلاثَ زجاجـات لهـنَّ هَدِيرُ
خرجْتُ أَجُرُّ الذيلَ زهواً كأنّني عليـك أَميـرَ المؤمنـين أَميرُ

قال: بلْ على أبيك، قَبّحَ اللهُ فِعلَكَ، فما يزال إحسانُك في غنائك يمحو إساءَتك في فِعلك، وأمر له بألف دينار.

الشعرُ في هذين البيتين للأخطل[1]، والغناء لإسحاق، رمل بالبنصر. ورواية شعر الأخطل:

إذا مـا نديمـي عَلَّني ثم علَّني

وإنّما غيَّره إسحاق فقال: «إذا ما زياد».

أخبرني عليّ بنُ سليمان عن محمد بن يزيد النحويّ: أَنّ عبدَ الملك بنَ مروان قال للأخطل: ما يدعوك إلى الخمر؟ فوالله إنّ أوّلها لَمرّ، وإنّ آخرها لَسُكّر! قال: أجل، ولكن بينهما حالة، ما مُلْكُك عندها بشيء، وقد قلتُ في ذلك:

1 المقطوعة 154 في ديوان الأخطل.

إذا مـا نَدِيمـي عَلَّني ثم عَلَّني ثـلاثَ زجاجـات لهـنّ هَديرُ
خرجْتُ أجرُّ الذيـلَ زهواً كأنّني عليـكَ أميـرَ المؤمنـينَ أميرُ

قال : فجعل عبد الملك يضحك .

صوت[1]

[من الطويل]

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفـةَ أهلِها إشارةَ محـزونٍ ولم تتكلّـمِ
فأيقنْت أن الطرفَ قـد قالَ مَرْحَباً وأهـلاً وسهـلاً بـالحبيبِ المسلِّمِ
هنيئاً لكـم حُبِّـي وصَفوُ مَوَدّتي فقط سِيطَ مِن لَحْمي هواكِ ومن دَمي[2]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر ، وفيه لدحمان ثقيل أوّل بالبنصر . ويقال : إنّه لابن سُرَيج ، وقيل : إنّ الثقيل الأوّل لابن عائشة ، والثقيل الثاني لابن سُريج ، وفيه خفيف ثقيل أوّل ، ينسب إلى ابن سُريج وإلى عليّ بن الجواريّ .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 345 .
2 الديوان : هنيئاً لكم قتلي . . . ، وسيط : خلط .

[432] ـ خبر لحبابة مع ابن عائشة

[تحتال لتسمع غناءه]

أخبرني الحسن بن يحيى وابنُ أبي الأزهر ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن المدائنيّ ، قال : كانت حبابةُ جاريةُ يزيد بن عبد الملك مُعْجَبَةً بغناءِ ابن عائشة ، وكان ابن عائشة حديثَ السنِّ ، فلمّا طالَ عهدها به اشتاقت إلى أن تسمع غناءه ، فلمْ تَدْرِ كيف تصنعُ ، فاختلفت هي وسلاّمةُ في صوت لَمعبد ، فأمر يزيد بإحضاره ووجَّه في ذلك رسولاً . فبعثت حبابة إلى الرسولِ سِرّاً فأمرَته أن يأْتيَ ابنَ عائشة وأميرَ المدينةِ في خفاءَ ، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سرّاً ، وقالت : قُل لهما يَسْتُران ذلك عن أمير المؤمنين .

فلمّا قدِم الرسولُ إلى عاملِ المدينة أبلغه ما قالت حبابةُ ، فأمرَ ابن عائشة بالرحلة مع معبد ، وقال لمعبد : انظر ما تأمرك به حَبابة فانتبِه إليه ، فقال : نعم . فخرجا حتى قدِما على يزيد ، وبلغ الخبرُ حَبابة فلم تدرِ كيف تصنع في أمر ابن عائشة . فلمّا حضر معبد حاكمت سَلاّمَةَ إليه ، فحكم لها ، فاندفعت فغنَّت صوتاً لابن عائشة ، وفيه لابن سُرَيج لحن ، ولحنُ ابن عائشة أشهرهما ، وهو : [من الطويل]

أشارتْ بِطَرْفِ العينِ خيفــةَ أهلها

فقال يزيد : يا حبيبتي ؛ أنّى لكِ هذا ولم أسمعه منك ، وهو على غاية الحسن ؟ إنّ لهذا لَشأناً . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذا لحن كنتُ أخذتُه عن ابنِ عائشةَ ، قال : ذلك الصبيّ ! قالت : نعم ، وهذا أستاذُه ، وأشارت بيدها إلى معبد ، فقال لمعبد : أهذا لحن ابن عائشة أو انتحلَه ؟ فقال معبَد : هذا ، أصلح اللهُ الأميرَ ، لَهُ . فقال يزيدُ : لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع مِنه ، فقال معبد : هو والله مَعي لا يفارقني ، فقال يزيدُ : ويلَك يا معبدُ ! احتملنا الساعة أمرَكَ ، فزدتنا ما كرهنا ، ثم قال لحَبابةَ : هذا والله عملُك ، قالت : أجل يا سيِّدي ، قال لها : هذه الشامُ ، ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة . قالت : يا سيِّدي أنا والله أُحبّ أن أسمعَ من ابن عائشة . فأُحْضِرَ ، فلمّا دخل قال له : هاتِ صوتاً غنتْه حبابة : [من الطويل]

أشارتْ بطرفِ العــينِ خيفةَ أهلِها

فغنّاه ، فقال : هو والله يا حبابَةُ مِنْه أحسنُ منْه منك : قالت : أجل يا سيِّدي . ثم قال يزيد : هات يا محمدُ ما عندك ، فغنَّى : [من الكامل]

صوت

قِـف بالمنازلِ قبـل أَن نتفرّقـا ... واستنطق الربـعَ المُحيـل المخلِقا
عن عِلْـمِ مـا فعلَ الخليطُ لعلّه ... بجواب رجْعِ حديثهـم أَنْ ينطقا
فيَبـين مِـنْ أَخبارهـم لِمُتيّـم ... أمسى وأُصبـحَ بـالرسومِ معلّقا
كلِفـاً بهـا أَبـداً تَسُحُّ دموعُهُ ... وَسْطَ الدّيـارِ مسائـلاً مستنطقا
ذَرَفَتْ لـه عـينٌ يُرى إنسانُها ... في لُجَّـةٍ مـن مائِهـا مغرورقا
تُذري محاجرُهـا الدمـوعَ كأَنَّها ... دُرٌّ وَهـي من سلكِـه مستوسقا[1]

الغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأَوّل بالوسطى ، وفيه لشارية خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ، ويقال : إنّ فيه لابن جندب وحُنين لحنين ، قال : فقال له يزيد : أهلاً وسهلاً بك يا ابن عائشةَ ، فأنت والله الحسنُ الوجه ، الحسن الغناء . وأحسنَ إليه ووصله .

ثم لم يرَه يزيد بعد هذا المجلس ، وبعثَت إليه حبابة بِبِرٍّ وألطافٍ واتَّبعْتها سلاّمة في ذلك .

صوت[2]

[من الكامل]

لمّا سمعتُ الديكَ صاحَ بسُحْرة ... وتوسَّطَ النسرانِ بَطْـنَ العَقْرَبِ
وبـدا سُهَيـل في السماء كأنّه ... نـورٌ وعارضه هِجـان الرَّبْرَبِ
نبّهتُ نَدماني وقلتُ لـه اصطبحْ ... يا ابن الكرام من الشرابِ الطَّيِّبِ
صفـراءَ تبرُقُ في الزجاجِ كأَنّـها ... حدقُ الجرادةِ أَو لُعابُ الجُندبِ

الشعر لأَبي الهنديّ ، والغناءُ لإبراهيم الموصليّ ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عَمْرو .

---

1 مستوسق : مجتمع .

2 ديوان أبي الهندي : 15 .

[433] ـ أخبار أَبي الهنديّ ونسبه[1]

[شاعريته واستفراغ شعره في الخمر]

اسمه غالبُ بنُ عبد القُدُّوس بنِ شَبَث بنِ رِبْعيٍّ . وكان شاعراً مطبوعاً ، وقد أَدركَ الدولتين : دولةَ بني أُميّة ، وأوّل دولة ولد العباس . وكان جَزْل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعاني . وإنّما أَخمله وأمات ذِكرَه بُعْدُه من بلاد العرب ، ومُقامَه بِسِجِسْتان وبخراسان . وشغفه بالشراب ومعاقَرته إيّاه ، وفِسْقه وما كان يتّهم به من فساد الدِّين . واستفرغ شِعرَه بصفة الخمر ، وهو أوَّل مَن وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وَكْدَه وقَصْده ، ومن مشهورِ قوله فيها ومختاره : [من الوافر]

سقَيتُ أَبـا المُطرَّح إذ أَتاني ... وذو الرَّعثاتِ منتَصِبٌ يصيحُ[2]

شراباً يهـرُب الذُّبـان منـه ... ويَلْثَغ حـين يشربـه الفصيحُ

[أبو نواس وغيره يأخذون معانيه في الخمر]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخفش ، قال حدَّثني فضل اليزيديّ أَنّه سمع إسحاق الموصليّ يوماً يقول : وأنشد شعراً لأبي الهنديّ في صفة الخمر ، فاستحسنهُ وقَرّظه ، فذُكِر عنده أبو نواس ، فقال : ومِن أين أخذ أبو نواس معانيه إلاّ من هذه الطبقة ؟ وأنا أُوجدُكم سَلْخَه هذه المعاني كلَّها في شعره ، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهنديّ ؛ ثم يَستخرج المعنى والموضع الذي سَرَقه الحسن فيه حتى أتى عَلى الأبيات كلِّها واستخرجها من شعره .

أَخبرني الحسن بنُ عليّ : قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عبدُ اللهِ بن أَبي سعد . قال : حدَّثني شيخٌ من أهلِ البصرة ، قال : كنّا عند أبي عُبيدة ، فأَنشد منشد شعراً في صفة الخمر ، أُنْسِيه الشيخ ، فضحك ثم قال : هذا أَخذه من قول أَبي الهنديّ[3] : [من الطويل]

---

1 ترجمة أَبي الهندي في الشعر والشعراء : 572–573 وطبقات ابن المعتزّ : 136–137 والفوات 3 : 169–171 والسمط : 168 و208 وفي اسمه خلاف فهو غالب بن عبد المؤمن (أو ابن عبد القدوس) أو عبد المؤمن أو عبد السلام أو عبد الملك أو أَزهر بن عبد العزيز أو عبد الله بن ربعي بن شبث بن ربعي . وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع عبد الله الجبوري شعره (بغداد ـ 1970) .

2 ذو الرعثات : الديك . والرعثة : عثنونه .

3 ديوان أَبي الهندي : 29–32 .

سَيُغني أبا الهنديّ عن وَطْبِ سالم أَباريقُ لم يَعْلقْ بهـا وَضَر الزُّبدِ[1]
مُفَدَّمـةٌ قَـزّاً كأن رِقابَهـا رِقابُ بناتِ المـاءِ تَفْزَعُ للرَّعدِ[2]
جَلَتها الجوالي حِين طاب مِزاجها وَطَيَّبتَها بالمِسكِ والعنبرِ الوَرْدِ
تَمجّ سُلافاً في الأباريـقِ خالصاً وفي كلِّ كأس من مَهاً حسن القَدِّ[3]
تَضَمّنهـا زِقّ أَزَبّ كأنّـه صريعٌ من السودانِ ذو شَعَر جَعْدِ[4]

[يسكر ثلاثة أيام]

نسخت من كتاب ابن النطّاح ، حدّثني بعض أصحابنا : أنّ أبا الهنديّ اشتهى الصّبوح في الحانة ذات يوم ، فأتى خمّاراً بِسِجِسْتان في محلّة يقال لها : كوه زيان ، وتفسيره : جبل الخُسران ، يباع فيها الخمر والفاحشة ، ويأوي إليها كلّ خاربٍ وَزانٍ وبغيّة ، فدخل إلى الخمّار فقال له : اسقِني ، وأعطاه ديناراً ، فكالَ له ، وجَعل يشرب حتى سَكِرَ ، وجاء قومٌ يسألون عنه فصادفوه عَلى تلك الحال . فقالوا للخمّار : ألحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا ، فانتبه فسأل عنهم ، فعرّفه الخمّار خبرهم ، فقال له : هذا الآن وقت السكر ، الآن طاب ، ألحقني بهم ، فجعل يشرب حتى سكر ، وانتبهوا فقالوا للخمّار : ويحك ! هذا نائم بعد ! فقال : لا ، ولقد انتبه ، فلمّا عرَف خبرَكم شرب حتى سكِر ، فقالوا : ألحقنا به ؛ فسقاهم حتى سكِروا . وانتبه فسأل عن خبرهم ، فعرَفه فقال : والله لألحقَنّ بهم ، فشرب حتى سكِر . ولم يزل ذلك دأبَه ودَابَهم ثلاثة أيّام لم يلتقوا وهم في موضع واحد ، ثم تركوا هُم الشرب عمداً حتى أفاق ، فلَقُوه .

وهذا الخبر بعينه يُحكى لوالبة بن الحُباب مع أبي نواس ، وقد ذُكِر في أخبار والبةَ ، والصحيحُ أنّه لأبي الهنديّ ، وفي ذلك يقول[5] : [من الوافر]

نَدامـى بَعْـد ثالثةٍ تلاقَوْا يَضمُّهمُ بِكُوه زيـانَ راحُ
وقد باكرتُها فتُركتُ منها قتيلاً مـا أصابتنـي جِراحُ

---

1 الوطب : سقاء اللبن . والوضر : وسخ الدسم .
2 مفدّمة : عليها الفدام ، وهو مصفاة صغيرة . والقز : البعد من كل ما يستقذر . وبنات الماء : الطير ونحوه .
3 رواية الديوان :
تمجّ سلافـاً من أباريق صفقت وطاسات صفر كلّها حسن القدّ
4 أزب : ذو شعر .
5 ديوان أبي الهندي : 20–22 .

وقالوا أيُّها الخمّارُ مَنْ ذا فقال أخٌ تَخوّنـه اصطباحُ
فقالوا هاتِ راحَكَ ألْحِقنّا بـه وتَعلَّلوا ثُمَّ استراحوا[1]
فمـا إنْ لَبَّثتهم أن رَمَتْهم بحَـدٍّ سلاحِها ولها سِلاحُ[2]
وحان تَنبُّهي فسألتُ عنهمْ فقـال أتاحَهُمْ قَـدَر مُتاحُ
رأوكَ مُجَدَّلاً فاستخبروني فحرّكهم إلى الشرب ارتياحُ
فقلْتُ بِهِـمْ فألحقني فهَبّوا فقالوا هل تَنَبّه حين راحوا[3]
فقـال : نعـم فقالوا ألحقَنّا بِـهِ قد لاحَ للرائي صباحُ
فما إن زالَ ذاكَ الدأْبُ مِنّا ثلاثـاً يُستغـبُ ويستباحُ
نَبيتُ معـاً وليسَ لنا لقاءٌ ببيتٍ مـا لنـا فيـه بَراحُ

[مات مختنقاً أو من البرد]

أخبرني عمِّي الحسنُ بنُ أحمد ، قال : حدَّثني الحسن بن عُلَيل العنَزيّ ، قال : قال صدقةُ بن إبراهيم البكريّ : كان أبو الهنديّ يشرب معنا بمَرْو ، وكان إذا سكِر يتقلّب تَقَلُّباً قبيحاً في نومه ، فكنّا كثيراً ما نَشُدُّ رِجله لئلاّ يسقط من السطح . فسكر ليلة وشددنا رِجله بحبل . وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه ، فتقلَّب وسقط من السطح ، وأمسكه الحبل فبقيَ منكساً وتخنّق بما في جوفه من الشراب ، فأصبحنا فوجدناه ميتاً . قال صدقة : فمررت بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً[4] : [من مخلع البسيط]

اجعلوا إنْ مِـتُّ يومـاً كفَني ورَقَ الكرْمِ وقبري مَعْصَرَهْ
إنّنـي أرجـو مـن اللهِ غـداً بَعْد شربِ الرَّاحِ حُسنَ المغفرَهْ

قال : فكان الفِتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره ، ويشربون ويصبّون القدَح إذا انتهى إليه على قبره .

قال حمّاد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهنديّ : إنّه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمّار وهو ريّان ، فأصابه ثلج فقتله ، فوُجِد من غدٍ ميتاً على الطريق .

1 الديوان : فقال هات ألحقنا براح .
2 الديوان : فلم يتمهلوا حتى رمتهم ،
3 الديوان :
فقلت له فسرحني إليهم حثيثاً والسراح هو النجاح
4 ديوان أبي الهندي : 34 .

[امتنع عن الخمر أيّام الحج]

ورَوى حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : حجَّ نصرُ بن سيّار وأخرج معه أبا الهنديّ ، فلمّا حضرَت أيّام الموسم قال له : يا أبا الهنديّ ، إنّا بحيث ترى ، وَفْدُ الله وزوّار بيته ، فهبْ لي النبيذَ في هذه الأيّام واحتكم عليَّ ، فلولا ما ترى ، ما منعتُك . فضَمِن له ذلك وغلّظ عليه الاحتكام ، ووكّل به نصر بن سيّار بعض نقبائه فلمّا انقضى الأجلُ مضى في السحَر قبل أن يلقَى نصراً ، فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع ، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة ، وأقبل يشرب ويبكي ، ويقول[1] : [من الطويل]

أَدِيرا عليَّ الكأسَ إنّي فقدْتها كما فقد المَفْطومُ دَرَّ المَراضِعِ
حليفُ مُدامٍ فارقَ الرّاحُ روحَه فظلَّ عليها مستهِلَّ المَدامعِ[2]

قال : وعاتب قوم أبا الهنديّ على فِسْقه ومعاقرته الشراب ، فقال[3] : [من الوافر]

إذا صلَّيتُ خمساً كلَّ يومٍ فإنّ اللهَ يغفرُ لي فُسُوقي
ولَم أُشرِكْ بِرَبِّ النّاسِ شيئاً فقد أمسكت بالدِّينِ الوثيقِ
وجاهدتُ العَدُوّ ونِلْتُ مالاً يبَلِّغُني إلى البيتِ العتيقِ
فهذا الدِّينُ ليس به خفاءٌ دَعُوني من بُنَيّات الطريقِ[4]

[لا يدفع للعواهر أجرهن]

قال إسحاق : وشرب يوماً أبو الهنديّ بكوه زيان عند خمّارة هناك ، وكان عندها نِسْوةٌ عواهِر ، ففجر بهنّ ولم يعطهنّ شيئاً ، فجعلن يطالبنه بجُعْل فلم ينفعهنّ ، فقال في ذلك[5] : [من البسيط]

آلى يميناً أبو الهنْديِّ كاذبةً لَيُعْطِينَّ زواني لستِ ماشينا[6]
وغرّهُنّ فلمّا أن قضى وطراً قال ارتَحِلْنَ فأخزى اللهُ ذا دِينا

[سرعة جوابه]

أخبرني عمِّي عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، عن أبي محلم ، قال : خطب أبو الهنديّ

1 ديوانه : 44 بعكس الترتيب .
2 حليف مدام في الديوان : رضيع مدام .
3 ديوانه : 45–46 .
4 بنيات الطريق : الطرق المتشعبة من الجادة .
5 ديوانه : 53 .
6 لست : موضع بعينه .

غالبُ بنُ القُدُّوس بن شَبَث بن رِبعيّ إلى رجل من بني تميم ، فقال : لو كنتَ مثلَ أبيك لزَوَّجتك ، فقال له غالب : لكنّك لو كنتَ مثل أبيك ما خطبت إليك .

قال أبو محلّم : ومرَّ نَصر بن سيّار بأبي الهنديّ ، وهو سكرانٌ يتمايل ، فوقف عليه فعذَله وسبّه ، وقال : ضيّعت شرفكَ ، وفضحْتَ أسلافك . فلمّا طال عتابه التفَتَ إليه فقال : لولا أنّي ضيّعتُ شرَفي لم تكن أنت على خراسان ، فانصرف نصر خَجِلاً .

قال أبو محلم : وكان بسِجِسْتان رجل يقال له : برزين ناسكاً ، وكان أبوه صُلِب في خرابة[1] فجلس إليه أبو الهنديّ ، فطفِقَ يعذله ويُعرّض له بالشراب . فقال له أبو الهنديّ : أحَدُكم يَرى القَذاةَ في عين أخيه ، ولا يرى الخشبة في است أبيه[2] ! فأخجله .

قال أبو محلم : وكان أسرع النّاس جواباً .

صوت

[من المتقارب]

لقد قُلتُ حين قَرَّ ... بتِ العِيسُ يا نوارُ
قِفُوا فاربعوا قليلاً ... فلَم يربعوا وسارُوا
فنفسي لها حنينٌ ... وقلبي له انكسارُ
وصدري به غليلُ ... ودمعي له انحدارُ

الشعر لسعيد بن وهب ، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشاميّ ، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية .

1 الخرابة : سرقة الإبل .

2 من المثل : «كيف تبصر القذى في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك» . انظر مجمع الميداني 2 : 155 .

[434] ـ أخبار سعيد بن وهب[1]

[نسبه]

سعيدُ بنُ وهب أبو عثمان مولى بني سلمةَ بن لؤيّ بن نصر ، مولده ومنشؤه بالبصرةِ ، ثم سار إلى بغدادَ فأقام بها . وكانت الكتابة صناعتَه ، فتصرّف مع البرامكة فاصطنعوه ، وتقدّم عندهم .

[شغفه بالغلمان والشراب ثم توبته]

وكان شاعراً مطبوعاً ، ومات في أيّام المأمون ، وأكثرُ شعره في الغزل والتشبيب بالمذكّر ، وكان مشْغُوفاً بالغلمانِ والشراب .

ثم تنسَّك وتاب ، وحجَّ راجلاً على قدمَيْه ، ومات على توبةٍ وإقلاعٍ ومذهبٍ جميل .

ومات وأبو العتاهية حيّ ، وكان صديقه فرثاه .

[رثاء أبي العتاهية له]

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش . عن محمد بن مزيد . قال : حُدِّثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية . قال : جاء رجل إلى أبي العتاهية ، ونحن عنده ، فسارّه في شيء فبكى أبو العتاهية ، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك ؟ فقال ، وهو يحدّثنا لا يريد أن يقول شعراً[2] : [من الخفيف]

قالَ لي ماتَ سعيدُ بن وهب رحـم اللهُ سعيـدَ بنَ وهبِ
يـا أبـا عثمانَ أبكيتَ عَيْني يـا أبـا عثمانَ أوجَعتَ قلبي

قال : فعجبنا من طبعه وأنّه تحدَّث ، فكان حديثه شعراً موزوناً .

[توبة وتزهّد]

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف . قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني سيبويه أبو محمد ، قال : كان سعيد بنُ وهب الشاعر البصريّ ، مولى بني سلمة قد تاب وتزهَّد ، وترك قول الشعر . وكان له عشرةٌ من البنين وعشرٌ من البنات ، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خَرَقه وأحرقَهُ . وكان امرءاً صدقٍ ، كثيرَ الصلاةِ ، يزكّي في كلِّ سنة عن جميع ما عنده ، حتى إنّه ليُزكّي عن فضّة كانت على امرأته .

1 ترجمة سعيد بن وهب في طبقات ابن المعتزّ : 256–261 والوافي 15 : 272–273 والفهرست : 123 وتاريخ بغداد 9 : 73 والموشح 400–401 والنجوم الزاهرة 2 : 188 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ديوان أبي العتاهية : 415 .

[غزله بالغلمان]

أَخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأَعلى ، قال : حدَّثني أَبو عثمان الليثيّ ، قال : كان سعيد بن وهب يتعشّق غلاماً يتشطّر ، يقال له : سعيد ، فبلغه أنّه توعّده أن يَجْرَحَه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

مَنْ عذيـري مِـن سميِّي   مَنْ عذيري من سعيدِ ؟
أَنـا باللحـمِ أَجـاه   ويجـاني بـالحديدِ

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كُتَّابِ السُّلطان في أحوال جميلة ، فأنشأ يقول[1] : [من السريع]

مَـن كانَ في الدُّنيا له شارةٌ   فنحـنُ مِـن نظَّـارَةِ الدُّنْيا
نَرْمُقهـا مـن كَثَـبٍ حَسْرةً   كأَنّنـا لفـظٌ بـلا مَعْنـى
يَعْلُـو بهـا النّـاسُ وأَيّامُنا   تذهـب في الأرذَلِ والأَدْنى

أَخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله بن يعقوب بن داود ، قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي العلاء المغنِّي ، قال : نَظَرَ إليَّ سعيدُ بن وهب ، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل ، حين اخضَرَّ شارِبي ، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فسلّمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد ، وقال : مَن هذا الغلام ؟ فتبسَّم ، وقال : هذا ابن صديق لي ، فأقبل عليَّ وقال : [من الكامل]

لا تخرجَـنَّ مـع الغزيِّ لمغنم   إنّ الغـزيَّ يـراكَ أَفضلَ مغنمِ[2]
في مثلِ وجهكَ يستحلُّ ذَوو التُّقى   والدِّيـنُ والعلمـاءُ كلُّ محـرَّمِ
مـا أَنـتَ إلاّ غـادةٌ ممكورةٌ   لـولا شواربُـك المُطِلَّـةُ بالفمِ

أَخبرني محمدُ بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أَحمد بن أَبي طاهر ، عن أَبي دعامة ، قال : مَرَّ سعيد بن وهب الكسائيّ ، فلقيا غلاماً جميل الوجه ، فاستحسنه الكسائيّ وأراد أن يستميله ، فأَخذ يذاكره بالنحو ويتكلّم به ، فلم يملْ إليه . وأخذ سعيد بن وهب في الشعر ينشده ، فمال إليه الغلامُ ، فبعث به إلى منزله ، وبعث معه بالكسائيّ ، وقال له : حدّثه وآنِسْه إلى أن أجيء ، وتشاغل بحاجة له . فمضى به الكسائيّ ، فما زال يداريه حتى قضى حاجته

1 الأبيات في الوافي 15 : 272 .
2 الغزي : الجيش الغازي .

وأرّبَه ، ثم قال له : انصرف ، وجاء سعيد فلم يره ، فقال[1] : [من المتقارب]

أَبو حَسَنٍ لا يَفـي فمَـن ذا يَفي بَعْدَهُ
أَثَرْتُ لَـه شادِنـاً فصايَـدَهُ وحْـدَهُ
وأَظهـر لي غَـدْرَةً وأَخلفنـي وعْـدَهُ
سأَطلبُ مـا ساءه كما ساءَني جُهْـدَهُ

[جزعه على ابنه]

أَخبرني جعفر بن قدامة قال حدَّثني حماد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان سعيد بن وهب لي صديقاً ، وكان له ابنٌ يكنى أبا الخطّاب ، من أكيَسِ الصبيان وأحسنِهم وجهاً وأدباً ، فكان لا يكاد يفارقه في كلّ حال ، لشدّة شغفه به ، ورقّته عليه . فمات وله عشرُ سنين ، فجزِعَ عليه جزعاً شديداً ، وانقطع عن لذاته . فدخلْتُ إليه يوماً لأُعاتبه على ذلك ، وأستعطفهُ ، فحينَ رأَى ذلك في وجهي فاضتْ دموعُه ، ثم انتحبَ حتى رحمتُه ، وأَنشدني : [من الخفيف]

عَينُ جُودي على أَبي الخَطّابِ إذ تَولّى غَضّاً بماءِ الشبابِ
لم يُقارِفْ ذَنباً ولم يَبْلُغْ الحِنْـ ـثَ مُرَجّى مُطهَّـرَ الأَثوابِ
فَقَدتْه عَيْني إذا مـا سعى أَتْـ ـرابه مِـنْ جماعةِ الأَترابِ
إنْ غَدا مُوحِشاً لِداري فقد أَصْـ ـبَحَ أُنْسَ الثَّرى وزينَ التُّرابِ
أَحمَـدُ اللهَ يـا حَبيبي فإنِّي بِكَ راجٍ منـه عظيمَ الثوابِ

ثم ناشدني أَلاّ أُذَكِّرَه بشيء ، مّما جئتُ إليه ، فقُمتُ ولم أُخاطبه بحرف .

وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخطّ إسحاق في بعض دفاتره ، يقول فيه : أُنشدَني سعيد بن وهب لنفسه يَرْثي ابناً له صغيراً ، وهيَ على ما ذَكره جعفرُ بنُ قدامة عن حماد سواء .

[غلامان يحتكمان إليه]

أُخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق ، قال : حدَّثني أَبو هِفَّانَ ، قال : حدَّثني أَبو دعامة ، قال : كان سعيد بن وهب مأْلفةً لكل غلام أَمْرَدَ ، وفتًى ظريف ، وقَيْنة مُحْسنة . فحدَّثني رجل كان يعاشره ، قال : دخل إليه يوماً وأنا عندَهُ غلامانِ أمردَان ، فقالا له : قد تحاكمنا إليك : أيُّنا أجمل وجهاً ، وأحسن جسماً ؟ وجعَلْنا لك أجْرَ حُكْمِكَ أن تختار أيُّنا حكَمْتَ له ، فتقضي حاجتكَ منه . فحكم لأَحدهما ، وقام فقضى حاجته واحتَبَسَهُما فشربا عنده

1 الأبيات في الوافي 15 : 272 .

نبيذاً ، ثم مالَ على الآخر أيضاً ، وقمتُ معه . فداخلتهما حتى فعلْتُ كفعلِه ، فقال لي سعيد : هذا يومُ الغاراتِ في الحارات ، ثم قال : [من المنسرح]

رئمـانِ جـاءا فحَكَّمـاني | لا حُكْـمَ قـاضٍ ولا أميرِ
هـذا كشمسِ الضحى جمالاً | وذا كبَـدْرِ الدُّجـى المُنِيرِ
وفضْـلُ هـذا كـذا على ذا | فضـلُ خَميسٍ عـلى عَشيرِ
قـالا أَشِرْ بَينَنا بـرأيٍ | ونجعـلُ الفضـل للمشيرِ
تبـاذلا ثُـمّ قمـتُ حتـى | أخـذْتُ فضلي مـن الكبيرِ
وكان عيبـاً بـأَنْ أراني | أَحْـرَمُ حَظِّـي مـن الصغيرِ
فكان منِّـي ومِـنْ قرينـي | إليهمـا وثْبَـةُ المُغيـرِ
فمَنْ رأى حاكِمـاً كحُكْمي | أعظـمَ جـوراً بـلا نكيرِ

وقال : وشاعتْ الأبيات حتى بلغت الرشيدَ ، فَدَعا به فاستنشده إيّاها ، فتلكأ ، فقال له : أنشدْ ولا بأس عليك ، فأنشدَه . فقال له : ويلك ! اخترْتَ الكبير سنّاً أو قدراً ؟ قال : بل الكبيرَ قدراً . قال : لو قلت غير هذا سقطتَ عندي واستخْففتُ بك . ووصله .

[مديح الفضل بن يحيى]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني أبو العيناء ، قال : دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جَلَسَ فيه للشعراء ، فجعلوا ينشدونه ويأمرُ لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد . فالتفت إلى سعيدِ بن وهب كالمستنطق ، فقال له : أيّها الوزير ، إنّي ما كنت استعدَدْتُ لهذه الحال ، ولا تقدَّمَت لها عندي مقدِّمة فأُعْرِفها ، ولكن قد حضَرَني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة ، فقال : هاتهما فرُبّ قليلٍ أبلغَ من الكثير ، فقال سعيد : [من الخفيف]

مَـدحَ الفضلُ نفسَه بالفَعـالِ | فَعَـلا عـن مَدِيحنـا بالمقالِ
أَمرُوني بمدحِـه قلـتُ كلا | كبُر الفضل عن مديحِ الرجالِ

قال : فطرب الفضلُ ، وقال له : أَحسنتَ واللهِ وأَجَدْتَ ! ولئن قلَّ القولُ ونَزَر لقد اتسعَ المعنى وكثُر .

ثم أَمَر له بمثل ما أَعطاه كلَّ مَن أَنشده مديحاً يومئذٍ ، وقال : لا خير فيما يجيء بعد بيتيك ؛ وقام من المجلس وخرج النّاسِ يومئذٍ بالبيتين لا يتناشدون سِواهما .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : حُدّثت عن الخُريمي ، قال : كان الفضل بنُ يحيى ينافسُ أَخاه جعفراً ، وينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبي شيخ خاصاً بجعفر ، ينادمُه ويأنس به في خلواته ، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل .

فدخلت يوماً إلى جعفر ، ودخل إليه سعيد بن وهب ، فحدّثه وأنشدَه وتنادر له ، وحكى عن المتنادرين ، وأتى بكلّ ما يَسُرُّ ويُطرب ويُضْحك ، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك .

فلمّا خرج سعيد من عنده تجاهلْتُ عليه ، وقلت له : مَن هذا الرجل الكثير الهذيان ؟ قال : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العبّاس وخلُصانه وعشيقه . قلت : وأيّ شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيءَ واللهِ إلاّ القَذَرُ والبرْدُ والغثاثةُ .

ثم دَخَلْتُ بعد ذلك إلى الفضل ، ودخل أنس بنُ أَبي شيخ فحدَّث وندّر ، وحكى عن المضحكين وأتى بكلّ طريفة ، فكانت قصّة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد . فقلت له بعد أن خرج من حضرته : مَن هذا المُبرَّد ؟ قال : أولا تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته . قلت : وأيّ شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله ، إلاّ القَذر والبرْد وسوء الاختيار .

قال : وأنا والله أعرَفُ بسعيد وأَنسٍ من الناس جميعاً ، ولكنّي تجاهلتُ عليهما وساعدتهما على هواهما .

[وفاء في النكبة]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : قال إبراهيم بن العبّاس : قال لي الفضل بن الرَّبيع ذات يوم : عرَّفَتْنا أَيّامُ النّكبة مَن كنّا نجهله من النّاس ، وذلك أنّا احتجنا إلى أن نُودِع أموالَنا ، وكان أمرُها كثيراً مفرِطاً ، فكنّا نُلْقيها على النّاس إلقاء ، ونُودعها الثقة وغير الثقة . فكان مِمّن أودَعته سعيدُ بنُ وهب ، وكان رجلاً صعلوكاً لا مالَ له ، إنّما صَحبنا عَلى البطالة : فظننت أنّ ما أودعته ذاهب ، ثم طلبته منه بَعْدَ حين ، فجاءَني واللهِ بخَواتيمه .

وأُودعتُ عليّ بن الهيثم كاتبنا جملة عظيمة ، وكان عندي أُوثق مَنْ أُودعتُه . فلمّا أَمنتُ طالبته بالوديعة ، فجحدنيها وبهتَني وحلف على ذلك . فصار سعيد عندي في السماء ، وبلغتُ به كلّ مبلغ ، وسقط عليّ بن الهيثم ، فما يصل إليّ ولا يلقاني .

[يحاجي جارية رجل من البرامكة]

أَخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، حدَّثني عمرو بن بانة . قال : كان في جواري رجلٌ من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة ظريفة ، يقال لها : حسناء ، يَدْخل إليها الشعراء ويَسألونها عن المعاني ، فتأتي بكلٍّ مستحسنٍ من الجواب ، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً ، وجَلس إليها فحادثها طويلاً ، ثم قال لها بعد ذلك : [من الهزج]

حاجَيْتُك يا حَسْنا ءُ في جِنْسٍ مِن الشِّعرِ
وفيما طُولُه شِبرٌ وَقد يُوفي على الشِّبرِ
له في رأسِه شَقٌّ نَطُوفٌ بالنَّدى يجري
إذا ما جَفَّ لم يَجْرِ لَدى بَرٍّ ولا بَحْرِ
وإنْ بُلَّ أتى بالعـ ـجبِ العاجبِ والسِّحْرِ
أجيبي لم أُرِدْ فُحْشاً وربِّ الشفعِ والوترِ
ولكن صُغْتُ أبياتاً لها حظٌّ من الزَّجرِ

قال : فغضب مولاها وتغيَّر لونُه ، وقال أتُفْحِشُ على جاريتي وتخاطبها بالخنا ! فقالت له : خَفِّض عليك ، فما ذهب إلى ما ظننت ، وإنّما يعني القلم ، فسُرِّيَ عنه ، وضحك سعيد وقال : هي أعلم منك بما سَمِعْت .

صوت[1]

[من الرجز]

دايَنْتُ أَرْوى والديونُ تقضى فمطلَتْ بعضاً وأدَّتْ بعضا
يا ليتَ أَرْوى إذ لَوتْكَ القَرْضا جادتْ بقرض فشكَرْتَ القَرضا

الشعر لرؤبة بن العجّاج ، والغناء لعمرو بن بانة ، رمل بالوسطى .

1 البيت الأول في ديوان رؤبة : 76 .

[435] ـ أخبار رؤبة ونسبه[1]

[نسبه]

هو رؤبةُ بن العجّاج ، واسم العجّاج عبدُ الله بن رؤبة بن حنيفة ، وهو أبو جُذَيْمُ بن مالك بن قُدامة بنِ أُسامة بنِ الحارثِ بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم . من رُجّاز الإسلام وفصحائهم ، والمذكورين المقدّمين منهم ، بدويّ نزل البصرة ، وهو من مُخَضْرَمي الدولتين .

مدح بني أُميّة وبني العبّاس ، ومات في أيّام المنصور ، وقد أخذ عنه وُجوهُ أهلِ اللغة ، وكانوا يقتدون به ، ويحتجونَ بشعره ، ويجعلونَه إماماً ؛ ويكنى أبا الجَحّاف وأبا العجّاج .

[رأي في فصاحته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عمّار ، واللفظ له ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة : قال : حدَّثنا خلاّد بن يزيد ، قال : حدَّثني يونس بن حبيب ، قال : كنتُ جالساً مع أبي عمرو بن العلاء ، إذ مرَّ بنا شُبَيْلُ بن عَزْرَة الضّبعيّ ، قال أبو يزيد : وكان علاّمةً ، فقال : يا أبا عمرو ، أشعرتَ أنّي سألت رؤبة عن اسمه فلم يدرِ ما هو وما معناه ؟ قال يونس : فقلت له : والله لَرُؤْبةُ أفصح من معدٍّ بن عدنان ، وأنا غلام رؤبة ، أفتَعْرِف أنت روبة وروبة وروبة وروبة ورؤبة ؟ قال : فضَرَب بغلَته وذهب ، فما تكلّم بشيء : قال يونس : فقال لي أبو عمرو : ما يسرّني أنّك نَقَصْتَني منها .

قال ابنُ عمّار في خبره : والرَّوْبَة : اللبن الخاثرُ ، والرَّوْبة : ماءُ الفحلِ ، والرُّوبة : الساعة تمضى من الليل ، والرُّوبةُ : الحاجةُ ، والرُّؤْبة : شَعب القَدح ، قال : وأنشدني بعد ذلك[2] : [من المتقارب]

فأمّـا تميـمٌ تميمُ بنُ مـرٍّ فألفاهـم القـومُ رَوْبى نياما

حدَّثني ابن عمّارٍ ، قال : حدَّثني عبد الله بنُ أبي سعد ، قال : حدَّثني يحيى بنُ محمد بنِ أعْيَنَ

1 ترجمة رؤبة بن العجّاج في طبقات ابن سلام : 761–767 والشعر والشعراء : 495–500 وخزانة البغدادي 2 : 42–47 والمؤتلف والمختلف : 175–177 ولسان الميزان 2 : 464 وابن خلكان 2 : 303–305 وبغية الطلب 7 : 114 وسير الذهبيّ 6 : 162 والوافي 14 : 147 ، وله أخبار منثورة في كتب الأدب كنثر الدرّ والبيان والتبيين وعيون الأخبار والعقد والبصائر والتذكرة الحمدونية . . . إلخ . وقد نشر وليم بن الورد البروسي ديوانه سنة 1903 .

2 ديوان بشر بن أبي خازم : 190 .

المَرْوَزيُّ ، قال : حدَّثني أَبو عبيدة ؛ قال : شهدت شُبَيْلاً الضُّبَعيّ وأَبا عمرو ، فذكر نحوه .

أُخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ عَنْ محمدِ بن سَلاَّم ، قال : قلت ليونس : هل رأيتَ عربيّاً قطُّ أفصحَ من رؤبة ؟ قال : لا ، ما كان معدُّ بن عدنان أفصح منه .

قال يونس : قال لي رؤبة : حتى متى أُزَخْرِف لك كلام الشيطان ؟ أَما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك !

[رواية الحديث]

وقد رَوى رؤبة بن العجّاج الحديث المسند عن رسول الله ﷺ ، ورواه أَبوه أيضاً .

أَخبرني عبد الله بن أَبي داودَ السجستانيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ محمد بنِ خلاَّد ، قال : حدَّثنا يعقوب بن محمد الزهريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن إبراهيم ، عن يونس بن حبيب ، عن رؤبة بن العجّاج ، عن أبيه قال : أنشدتُ أبا هريرة[1] : [من الرجز]

الحمـدُ للهِ الـذي تَعَلَّـتِ بأَمـرِه السمـاءُ واستقلَّتِ
بإذنـه الأَرضُ ومـا تغيَّـتِ أَرسَى عليهـا بالجبال الثبّتِ
الباعثِ الناسَ لِيـوم المَوْقت

قال أَبو هريرة : أَشهد أَنّك تؤمن بيوم الحساب .

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن ابن شبّة ، عن أَبي حرب البابيٍّ ، من آل الحجّاج بن باب ، قال : حدَّثنا يونس بن حبيب ، عن رؤبة بن العجّاج ، عن أبي الشعثاء ، عن أبي هريرة ، قال : كنّا مع النبيّ ﷺ في سفر وحادٍ يَحْدُو : [من الرجز]

طافَ الخيالانِ فهاجا سَقَما خيـالُ لُبْنى وخيـالُ تَكتُما
قامتْ تريكَ خشيةً أَنْ تصرِما ساقاً بَخَنْداةً وكعبـاً أَدْرَما[2]

والنبيّ ﷺ يسمعُ ولا ينكرُ .

أَخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ عمرو ، عن محمد بن إسحاق السهميّ ، عن أبي عبيدة الحدّاد ، قال : حدَّثنا رؤبة بن العجّاج عن أبيه ، قال : سمعت أبا عبيدة يقول : السِّواكُ يُذْهِبُ وضَرَ[3] الطعام .

1 لم ترد في ديوان رؤبة ولا زياداته .

2 الساق البخنداة : الممتلئة . والأدرم : المستوي .

3 الوضر : وسخ الدسم .

[أبو مسلم يستنشده]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا محمدُ بن سعد الكَرَّانيُّ ، قال : حدَّثنا أبو حاتم والأُشْنانْدانيُّ أبو عثمان ، عن أبي عبيدة ، عن رؤبة بن العجّاج ، قال : بعث إليَّ أبو مسلم لمّا أفضت الخلافة إلى بني هاشم ، فلمّا دخلْتُ عليه رأى منّي جَزَعاً ، فقال : اسكن فلا بأس عليك ، ما هذا الجَزَعُ الذي ظهر منك ؟ قلت : أخافُك ، قال : ولِمَ ؟ قلتُ : لأنّه بلغني أنّك تقتل الناسَ ، قال : إنّما أقتل مَن يقاتلني ويريد قتلي ، أفأنت منهم ؟ قلت : لا ، قال : فهل ترى بأساً ؟ قلتُ : لا . فأقبلَ على جلسائه ضاحكاً ، ثم قال : أمّا ابن العَجَّاج فقد رخَّص لنا ، ثم قال : أنشدني قولك : [من الرجز]

وقاتِمِ الأعماقِ خاوي المخترَقْ[1]

فقلت : أَو أُنشِدُك ، أَصلحك اللهُ أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته[2] : [من الرجز]

قلتُ وقولي مستجدٌّ حَوْكا لبّيك إذ دعوتني لَبّيْكا
أحمدُ ربّا ساقني إليكا

قال : هات كلمتَكَ الأولى ، قلت : أَو أُنشدك أحسن منها ؟ قال : هات ، فأنشدته[3] : [من الرجز]

ما زال يَبْني خَنْدقاً ويهدمُهْ ويَستجيشُ عسكراً ويَهزمُهْ
ومَغنَماً يَجْمَعه ويقسمه مَرْوانُ لما أن تهاوتْ أَنجُمهْ
وخانه في حكمه مُنَجِّمُهْ

قال : دع هذا وأنشدني : وقاتم الأعماق ، قلت : أَو أُحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته[4] : [من الرجز]

رفعتَ بيتاً وخفضتَ بَيْتا وشِدْتَ رُكنَ الدِّينِ إذ بنيتا
في الأكرمينَ من قريش بيتا

قال : هات ما سألتك عنه ، فأنشدته[5] : [من الرجز]

ما زالَ يأتي الأَمْرَ من أَقطارِهِ على اليمينِ وعلى يسارِهِ

1 الأعماق : البعيد وأطراف المفاوز . والمخترق : مكان اختراق المفازة .
2 ديوانه : 181 .
3 ديوانه : 186 .
4 ديوانه : 171 .
5 ديوانه : 174 .

مشمِّـــراً لا يُصطَـلى بنـارِهِ حتى أَقَـــرَّ الملــكَ في قَرارِهِ
وفَـــــرَّ مـــروانُ على حمـــارِهِ

قـال : ويحَك ! هـات مـا دعوتُك له وأَمرتك بإنشاده ، ولا تنشد شيئاً غيره ، فأَنشدتـه : [من الرجز]

وقاتِـم الأعماقِ خاوي المخترَق

فلمّا صرت إلى قولي :

يَرمـي الجلاميـدَ بجُلْمُودٍ مِدَق

قال : قاتلك الله ! لَشَدَّ ما استصلبتَ الحافر ! ثم قال : حسبك . أنا ذلك الجُلْمُود المدقّ .

قال : وجيءَ بمنديل فيه مال فوضع بين يديَّ ، فقال أبو مسلم : يا رؤبة ، إنّك أتيتنا والأموال مشفوهة[1] ، وإن لك لعودةً إلينا وعلينا مُعوَّلا ، والدَّهر أطرقُ مُسْتَتِبٌّ ، فلا تجعل بجَنْبَيْكَ الأَسِدَّة[2] .

قال رؤبة : فأَخذت المِنديل منه ، وتاللهِ ما رأَيتُ أَعجميّاً أَفصحَ منه ، وما ظننتُ أَنّ أَحداً يَعْرف هذا الكلام غيري ، وغيرُ أبي .

قال الكَرَّانيّ : قال أبو عثمان الأشنانداني خاصة : يقال : اشتفَّ ما في الإناء ، وشَفَهَهُ : إذا أتى عليه ، وأنشَدَ : [من الوافر]

وكادَ المـــالُ يَشفَهه عِيـــالي ومـــا ذُو عَيْلتي مَنْ لا أَعُولُ

[يفضل الفأر على الدواجن]

أَخبرني عليّ سليمان الأَخفش ، قال : حدَّثني : محمد بن يزيد ، وأَخبرني إبراهيم بن أَيّوب ، قال : حدَّثني ابن قتيبة ، قال : كان رؤبة يأكل الفأر ، فقيل له في ذلك وعوتب ، فقال : هو واللهِ أنظَفُ من دَواجنكمْ ودَجاجكم اللواتي يأكلن القَذَر ، وهل يأكل الفأرُ إلاّ نَقيّ البرّ ولُباب الطعام ؟

[رحلة للقاء الوليد بن عبد الملك]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيْد ، قال : حدَّثنا أَبو حاتم ، عن أَبي عبيدة ، عن رؤبة ، قال : لمّا ولّي الوَليدُ بنُ عبد الملك الخلافةَ بَعث بي الحجّاجُ مع أَبي لنلقاه ، فاستَقبلَنا الشّمال حتى صرنا بباب الفراديس[3] .

---

1 مشفوهة : نافده .

2 المثل «لا تجعلن بجنبك الأسدّة» في مجمع الميداني 2 : 233 . والأسدة : العيوب كالعمى والصمم والبكم . ومعنى المثل : لا يضيقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صمم أو بكم .

3 باب الفراديس : أحد أبواب دمشق .

قال : وكان خروجنا في عامٍ مُخْصِب ، وكنت أُصَلِّي الغداة ، وأَجتني من الكَمْأة ما شئت ، ثم لا أُجاوز إلاّ قليلاً حتى أَرى خيراً منها ، فأَرمي بها وآخذ الأُخَر ، حتى نَزَلْنا بعض المياه ، فأُهدي لنا حَمَل مُخرْفَج [1] ووطب لبنٍ غليظٍ وزبدة كأنّها رأس نعجة حُوشِيّة [2] . فقطّعَنا الحملَ آراباً [3] ، وكررْنا عَلَيهِ اللبن والزبدة ، حتى إذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز .

ثم شربتُ من مرقه شَرْبة لم تزل لها ذِفْرَياي [4] ترشحان ؛ حتى رَجعنا إلى حَجْر .

فكان أوّل مَن لَقينا من الشعراء جريراً ، فاستَعْهدَنا ألاّ نُعين عليه . فكان أوّلَ مَن أُذَن له من الشعراء أبي ثم أنا . فأقبلَ الوليد على جرير فقال له : وَيلك ! ألا تكون مثل هذين ؟ عَقدا الشِّفاه عن أعراض النّاس ، فقال : إنِّي أظلمُ فلا أصبر .

ثم لقِينا بعد ذلك جرير فقال : يا بني أُمِّ العجّاج ، واللهِ لئن وضعتُ كَلْكلي عليكما ما أَغنت عنكما مقطَّعاتكما ، فقلنا : لا والله ما بَلَغه عنّا شيء ، ولكنّه حَسدنا لما أذنَ لنا قبله ، واستُنشِدنا قبله .

[جرير يتوعّد بالهجاء]

وقد أَخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيّ ، قال : قال روح بن فلان الكلبيّ : كنتُ عندَ عبد الملك بن بشر بن مروان فدخَل جرير ، فلمّا رأى العجّاج أقبل عليه ثم قال له : واللهِ لئن سَهِرْتُ لك ليلة ليقِلّن عنك نفعُ مقطعاتك هذه ، فقال العجّاج : يا أبا حَزْرة ، والله ما فعلت ما بَلَغك ، وجعل يعتذرُ ويحلفُ ويخضَع ؛ فلمّا خرج قال له رجل : لشَدّ ما اعتذرت إلى جرير ؛ قال : والله لو علمتُ أنّه لا ينفعني إلاّ السُّلاح لسلَحْتُ .

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، عن أَحمد بن معاوية عن الأصمعيّ ، عن سليمان بن أخضر ، عن ابن عون ، قال : ما شَبّهْتُ لهجة الحسن البصريّ إلاّ بلهجة رؤبة ، ولَم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرفٌ مُدْغمٌ قَطّ .

[أشعر النّاس]

أَخبرني محمد بن الحسن بنِ دُرَيد ، قال : أَخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيُّ عن عمِّه ، قال : قيل ليُونُس : مَن أشعر النّاس ، قال : العَجّاجُ ورؤبةُ ؛ فقيل له لِمَ ولم نَعنِ الرُّجاز ؟ فقال :

---

1 الحمل المخرفج : السمين .

2 الحوشية : نسبة إلى الحوش ، وهو عندهم أرض الجنّ ، وإليه تنسب الإبل وغيرها .

3 الآراب : جمع إرب ، وهو العضو .

4 الذفرى : العظم البارز خلف الأذن .

هما أشْعر من أهل القصيد ، إنّما الشعرُ كلامٌ : فأجوده أشعَره ، قد قال العجّاج :

قــد جَبَرَ الدِّيــنَ الإلهُ فجبر

وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أُطلقت قوافيها كانت كلّها منصوبة ، وكذلك عامّة أراجيزهما .

[اللغويّون يقعدون له]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ عن محمدِ بنِ سلاَّم : عن أبي زيد الأنصاريّ والحكم بن قنبر : قالا : كنّا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رَحبة بني تميم : فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ، ومرَّت بنا عجوزٌ فلم تقدر عَلى أن تجوزَ في طريقها ، فقال رؤبة بن العجّاج[1] : [من الرجز]

تَنَحَّ للعجُــوزِ عــن طَرِيقهــا ... إذا أَقبلَتْ رائحــةً مــن سُوقِها

دَعْهــا فما النحويُّ من صديقِها

[يستعين بـالوالي على الصبيان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيـز الجوهـريّ وأحمـد بن عبيد الله بن عمّـار ، قـالا : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قـال : حدَّثنا أبو زيد سعيدُ بنُ أوس الأنصاريّ النحويّ ، قال : دخل رؤبة بن العجّاج السوق وعليه بَرْنَكانٌ[2] أخضر ، فجعل الصبيان يعبثون به ، ويَغرزون شَوك النخل في بَرْنَكانِه ويصيحون به : يا مَرْذُوم يا مرذوم ! فجاء إلى الوالي فقال : أرسل معي الوَزَعَة ، فإن الصبيان قدْ حالوا بيني وبين دخولِ السوق ، فأرسَلَ معه أعواناً فشدَّ على الصبيان ، وهو يقول[3] : [من الرجز]

أَنْحى على أمّكَ بالمرذُومْ ... أعورُ جَعْــدٌ مِــن بَني تميمْ

شَرّابُ أَلبــانِ خلايــا الكُوم[4]

ففرّوا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة ، فقال له الشُّرَطُ : أَينَ هُم ؟ قال : دخلوا دارَ الظالمين ، فسمِّيَت دار الظّالمين إلى الآن لقول رؤبة ، وهي في صيارفة سوق البصرة .

[الراجز المتحدي]

وذَكر أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ ، قال : قدِم البصرة راجزٌ من أهلِ المدينة ، فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجَز العرب ، أنا الذي أقول : [من الرجز]

---

1 ديوانه : 181 .

2 برنكان : كساء .

3 لم ترِد في ديوانه ولا زياداته .

4 الخلايا : المخلاة للحلب . والكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام .

مَرْوانُ يُعْطـي وسعيـدٌ يمنعُ   مـروانُ نَبْعٌ وسعيدٌ خِرْوعُ[1]

وَدِدتُ أنّي راميت مَن أُحِبُّ في الرجز يداً بيد ، والله لأنّا أرجز من العجّاج ، فلَيْتَ البصرة جمعت بيني وبينه . قال : والعجّاج حاضر وابنه رؤبة معه . فأقبل رؤبة على أبيه فقال : قد أنصَفَكَ الرّجل ، فأقبلَ عليه العجّاج وقال : هاأنذا العجّاجُ ، فهلمّ ! وزحف إليه ، فقال : وأيُّ العجّاجين أنت ؟ قال : ما خِلتُك تعني غيري ، أنا عبدُ الله الطويل ، وكان يُكْنى بذلك ، فقال له المدَنيُّ : ما عَنَيتك ولا أردتك ؛ فقال : وكيف وقد هتَفتَ بي ؟ قـال : وما في الدُّنيا عجاجٌ سواك ؟ قال : ما علِمتُ ، قال : لكنّي أعلم ، وإيّاه عَنَيْتُ . قال : فهذا ابني رؤبة ، فقال : اللهمّ غَفراً ، ما بيني وبينكما عَمَلٌ : وإنّما مرادي غيرُكما ، فضحك أهل الحلقة منه ، وكفّا عنه .

[محاورة زائرين]

أخبرني أبو خليفة في كتابه ، عن محمد بن سلاّم : عن يُونُس ، قال : غَدَوْت يوماً أنا وإبراهيم بن محمد العُطارديُّ على رؤبة : فخرج إلينا كأنّه نَسْرٌ ، فقال له ابن نوح : أصبحتَ والله كقولك[2] : [من الرجز]

كالْكرَّزِ المشدودِ بين الأوتادْ   ساقَطَ عنه الريشَ كَرُّ الإبرادْ[3]

فقال له رؤبة : والله يا ابن نوح ما زلتُ لك ماقِتاً ، فقلت : بل أصبحت يا أبا الجَحّاف كما قال الآخر : [من المتقارب]

فأَبقـينَ منـهُ وأَبْقـى الطرا   دُ بَطْناً خميصاً وصُلْباً سمينا

فضحك : وقال : هات حاجتَك .

[من رجزه وقد استأذن فلم يؤذن له]

قال ابن سلاّم : ووقف رؤبة على باب سليمان بن عليّ يستأذنُ : فقيل له : قد أخذ الإذْرِيطُوسَ[4] فقال رؤبة[5] : [من الرجز]

يـا مُنزلَ الوحي على إدريسِ   ومُنزلَ اللعـنِ عـلى إبليسِ
وخالـقَ الإثنَـين والخميس   بارِكْ له في شُرب إذْرِيطُوسِ

---

1 النبع : شجر صلب تتّخذ منه القسي والسهام . والخروع : شجر ضعيف هش المكسر .
2 ديوانه : 28 .
3 الكرّز : البازي سقط ريشه . والإبراد : من أبرده : أي فتره .
4 الاذريطوس : دواء .
5 لم ترِد في ديوانه ولا زياداته .

[يخطئه سلم بن قتيبة]

أخبرني الحسن بن يحيى قال : قال حمّاد : أخبرني أبي عن الأصمعيّ قال : أنشد رؤبة سَلْم بن قتيبة في صفة خيل :

يَهْوِينَ شتّــى ويقعْــنَ وُقّفا

فقال له : أخطأت يا أبا الجَحّاف : جعلته مقيداً فقال : أدْنني أيّها الأمير ذنَب البعير أصِفه لك كما يجب .

[جاء الخوان فارفعوا]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلاّم ، عن عبد الرحمن بن محمد ، عن علقمة الضّبّيّ ، قال : خرج شاهين بنُ عبد الله الثقفيّ برؤبة إلى أرضه ، فقعدوا يَلعَبُون بالنّرْدِ فلمّا أتـوْا بِالخوان قال رؤبة[1] : [من الرجز]

يا إخوتي جاءَ الخِوانُ فارفعوا حنّانــــةً كِعابُهـــا تُقَعْقِـــعُ
لم أدْرِ مـــا ثَلاثُهـــا والأَربَعُ

قال : فضحكنا ورفعناها ، وقُدِّم الطّعام .

[بموته دفن الشعر واللغة والفصاحة]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود ، قال : لقيتُ الخليلَ بنَ أحمدَ يوماً بالبصرة فقال لي : يا أبا عبد الله دَفَنّا الشعرَ واللغةَ والفصاحةَ اليوم ، فقلتُ : وكيف ذاك ؟ قال : قال : هذا حين انصرفتُ من جنازةِ رؤبةَ .

صوت

[من الطويل]

لَعَمري لقد صاحَ الغرابُ ببينهم فأوجعَ قلبي بالحديثِ الذي يُبدي
فقلتُ له أفصحتَ لا طِرتَ بعدها بريش فهـل للبَينِ ويحكَ مِن ردِّ

الشعر لقيس بن ذَريح[2] ، وقد تقدّمت أخباره والغناء لعمرو بن أبي الكَنّات ، ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

1 لم ترِد في ديوانه ولا زياداته .
2 ديوان قيس لبنى (صادر) : 42 .

[436] ـ أخبار عمرو بن أبي الكنّات[1]

[أحسن النّاس غناء]

هو عمرُو بنُ عثمانَ بنُ أَبي الكنّات ، مولى بَني جُمَح ، مكي مغنٍ ، محسنٌ موصوفٌ بطيبِ الصوتِ من طبقة ابن جامع وأصحابه ، وفيه يقول الشاعر : [من الخفيف]

أَحسنُ النّاسِ فاعلمــوه غِناء رجُل مــن بنــي أَبي الكَنَّاتِ

وله في هذا الشعر غناء مع أَبيات قبله لَحنٌ ابتداؤه :

صوت

عفَــتِ الدّار بالهِضابِ اللواتي بِسَوارٍ ؛ فملتقــى عرفــاتِ[2]
فالجريّــان أَوحشا بعــدَ أَنس فدِيارٌ بالرّبــعِ ذي السَّلِماتِ
إنّ بالبِينَ مربعاً مــن سليمى فإلى محضريــن فالنخــلاتِ

وبعده البيت الأوّل المذكور .

الغناء في هذا الشعر لعمرو بنِ أَبي الكَنّات ، وطريقته من الرمَل بالوسطى . وقيل : إنّه لابن سُرَيج ، وقيل : بلْ لحن ابن سُريج غيرُ هذا اللحن ، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابنُ أَبي الكَنَّات .

ويكنى عمرُو بنُ أَبي الكنَّات أَبا عثمان ، وذكر ابنُ خرداذبه أَنّه كان يكنى أَبا معاذ ؛ وكان له ابن يغنّي أيضاً يقال له : درّاج ؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء .

[الرشيد يفضله على سائر المغنّين]

فذكر هارون بنُ محمدِ بنُ عبد الملك الزيّاتُ في الخبر الذي حكاه عنه من أَخباره أَنّ محمد بن عبد الله المخزوميّ حدَّثه قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله بن فروة قال : قُلت لابن جامع يوماً : هل غَلبك أحد من المغنّين قطّ ؟ قال : نعم ؛ كنتُ ليلة ببغدادَ إذ جاءَني رسولُ الرشيدِ

1 لعمرو بن أَبي الكنّات ترجمة في نهاية الأرب 4 : 308–312 وهي قريبة ممّا في الأغاني .

2 رواية في نهاية الأرب :

عفت الدار بالهضاب اللواتي بـين ثـور وملتقى عرفات

سوار : من قرى البحرين . وثور : جبل بمكّة . والباقي : أسماء مواضع . والسلمات : الحجارة .

يأمرني بالركوب ؛ فركبتُ حتى إذا صِرتُ إلى الدّار ، فإذا أنا بفضلِ بنِ الربيع معه زَلْزَلٌ العَواد وبَرْصوماً ؛ فسلمْتُ وجلستُ قَليلاً ، ثم طَلَع خادم فقال للفضل : هل جاء ؟ فقال : لا ، قال : فابعث إليه ؛ ولم يزَل المغنّون يدخلون واحداً بعد واحد حتى كنّا ستّة أو سبعة .

ثم طلع الخادم فقال : هـل جـاء ؟ فقال : لا ، قال : قُم فابعث في طلبه ؛ فقام فغاب غير طويل ، فإذا هو قد جاء بعَمْرو بن أبي الكَنّات ؛ فسلّـم وجلس إلى جنبي فقـال لي : مَن هؤلاء ؟ قلتُ مغنّون ؛ وهذا زَلْزَل ، وهذا بَرْصوماً . فقال : والله لأُغنينك غناء يخرِق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً . قال : ثم طلع الخصيّ فدَعا بكراسيّ ؛ وخرجت الجواري . فلمّا جلسنَ قال الخادم للمغنِّين : شدّوا[1] ، فشدُّوا عيدانهم ، ثم قال : تغنَّ يا ابنَ جامع ؛ فغنّى سبعة أو ثمانية أصوات . ثم قال : اسكت ولْيُغنِّ إبراهيم الموصليّ ؛ فغنّى مثل ذلك أو دونه . ثم سكت ؛ فلم يزل يمرّ القوم واحداً واحداً حتى فرغوا .

ثم قال : لابن أبي الكَنّات : غنِّ ، فقال لِزَلْزَل : شدّ طبقتك ، فشدّ . ثم أخذ العود من يـده فجسّه حتـى وقف عَلى الموضع الذي يريده ؛ ثم قال : على هذا وابتدأ بصوت أوّله : ألا لا ؛ فوالله لقد خيِّل لي أنّ الحيطان تجاوبه ، ثمّ رجّع النغم فيه . فطلع الخصيّ فقال له : اسكت ، لا تتمّ الصوت ، فسكت .

ثم قال : يُحبس عمرُو بن أبي الكَنّات ، وينصرف باقي المغنِّين ، فقمنا بأكسف حال وأسوإ بال ، لا والله ما زال كلّ واحد منّا يسأل صاحبه عن كلّ شعر يَرْويه من الغناء الذي أوّله : ألا لا ، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناءه ، فما عرفه منّا أحد ، وبات عمرو ليلته عند الرشيد ، وانصرف مِن عنده بجوائز وصِلات وطُرف سنيّة .

[يزحم بغنائه الحاج في عرفة]

قال هارونُ : وأخبرني محمدُ بنُ عبد الله عن موسى بنِ أبي المهاجر قال : خرج ابنُ جامعٍ وابنُ أبي الكنّات حين[2] دفعا من عرفـة حتى إذا كانا بين المأزِمين جلس عمرو على طرفَ الجبـل : ثم اندفع يغنّي ، فوقف القِطارات ، وركِب الناسُ بعضَهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا : يا هذا ، اللهَ اللهَ . اسكت عنا يَجُز النّاس ، فضبط إسماعيل بنُ جامع بيده على فيه حتى مضى النّاس إلى مُزْدلفة .

[يحتشد الناس على الجسور لغنائه]

قال هارون : وحدَّثني عبدُ الرحمن بنُ سليمانَ عن عليٍّ بن أبي الجهم قال : حدَّثني مَن

1 ل : سووا .

2 نهاية الأرب : حين دفع الإمام .

أثق به قال[1] : واقفتُ ابنَ أبي الكَنّات المدينيّ على جَسر بغداد أيّام الرشيد ، فحدَّثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنّه فعله أيّام هشام ، وهو أنّ بعض أصحابنا حدَّثني قال : وقف ابنُ عائشة في المَوسم فمرَّ به بعضُ أصحابِه ، فقال له : ما تعمل ؟ فقال : إنّي لأعرف رجلاً لو تكلَّم لحَبَس الناسَ ، فلم يذْهب أحدٌ ولم يجيء . فقلت له : ومَن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، ثم اندفع يغنّي[2] : [من الوافر]

صوت

جَرتْ سُنُحاً فقلت لَها أجيزي نوى مشمولة فمتى اللقاءُ ؟
بنفسي مَن تذكُّره سَقام أعالجه ومطلبُه عَناءُ

قال : فحبَس النّاس ، واضطربت المحامل ، ومَدَّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنةُ تقع . فأُتي به هشام فقال : يا عدوَّ اللهِ أردتَ أن تفتنَ النّاس ؟ فأمسك عنه وكان تيّاهاً . فقال له هشام : ارفق بتيهك . قال : فقال ابن عائشة : حقٌّ لِمَن كانت هذه قدرتَه على القلوب أن يكون تيّاهاً . فضحك وأطلقه . قال : فنزق ابن أبي الكَنّات ، وكان معجَباً بنفسه ، وقال : أنا أفعل كما فعل ، وقدرتي على القلوبِ أكثر من قدرته كانت ، ثم اندفع فغنّى في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد .

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة ، فانقطعت الطرقُ ، وامتلأت الجسورُ بالنّاس ، وازدحموا عليها ، واضطربت حتى خيف عليها أن تتقطّع لثقل مَن عليها من النّاس . فأُخِذ فأُتِي به الرشيد ، فقال : يا عدوَّ الله أردتَ أن تفتنَ النّاس ؟ فقال : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، ولكنّه بلغني أنّ ابنَ عائشة فعَل مثل هذا في أيّام هشام ، فأحببت أن يكون في أيّامك مثلُه فأُعجب من قوله ذلك ، وأَمَرَ له بمال ، وأمَرَه أن يغنّي ، فسمع شيئاً لم يسمعْ مثله فاحتبسه عنده شهراً يستزيده في كلّ يوم استأذنه فيه في الانصراف يوماً آخر حتى تمَّ له شهر . فقال هذا المخبر عنه : وكان ابن أبي الكَنّات كثير الغِشيان لي : فلمّا أبطأ توهمتُه قد قتل ، فصار إليَّ بعد شهر بأموال جسيمة ، وحدَّثني بما جرى بينه وبين الرشيد .

[سمع غناؤه على بعد ثلاثة أميال]

قال هارونُ : وَأخبرني محمدُ بنُ عبد الله المخزوميُّ عن عثمان بنِ موسى مولانا قال : كنّا يوماً باللاحجة ومعنا عمرو بن أبي الكَنّات ، ونحن على شرابنا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : مَن تحبّون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصورٌ الحجَبيّ . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي

---

1 تقدم خبر ابن عائشة وإيقافه الناس في الموسم في ترجمته 2 : 132 . ونقل ابن حمدون هذا الخبر وخبر إيقاف ابن أبي الكنات الناس على جسور بغداد في التذكرة الحمدونية 9 : 12–13 .

2 تقدم البيتان والشرح في ترجمة ابن عائشة ، والأول منهما لزهير في شرح ديوانه : 59 .

ينحدر فيه إلى سوق البقر ، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغنّي : [من الخفيف]

أَحسنُ النّاس فاعلموه غنــاءً رجـــلٌ مــن بني أَبي الكنّاتِ
عفتِ الدّار بالهضابِ اللواتي بسَوارٍ فملتقــى عرفــــاتِ

فلم نلبثْ أَن رأَينا منصوراً من بُعد قد أَقبل يركُض دابته نحونا ، فلمّا جلس إلينا قلنا له : من أَين علمتَ بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو يغنّي كذا وكذا وأنا في سوق البقر ، فخرجتُ أركضُ دابتي حتى صِرتُ إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

قال هارون ، وأخبرني محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني يحيى بنُ يَعلى بنِ سعيد قال : بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكّة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكنّات كأنّه معي ، فأَمرتُ الغلامَ فأسرجَ لي دابتي ، وخرجتُ أُريده ، فلم أزَل أتبع الصوت حتى وجدتُه جالساً على الكثيب العارض ببطن عُرَنَةَ[1] يغنّي : [من الطويل]

صوت

خــذي العفوَ منّي تستديمي مودَّتي ولا تنطقي في سَورتي حينَ أَغضبُ
ولا تنقريني نَقــرةَ الدُّفِّ مـــرّةً فإنّـــكِ لا تدريــنَ كيـف المغيَّبُ
فإنّي وجدتُ الحبَّ في الصَّدرِ والأَذى إذا اجتمعا لم يلبثِ الحــبُّ يذهبُ

عروضه من الطويل ، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق . والشعر لأسماءِ بنِ خارجة الفزاريّ ، وقد قيل : إنّه لأبي الأسود الدّؤليّ ، وليس ذلك بصحيح . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، وفيه لحنٌ قديمٌ للغريضِ من رواية حمّاد عن أبيه .

1 بطن عرنة : واد بحذاء عرفة .

[437] ـ أسماء بن خارجة وابنته هند

[وصيته لابنته]

أخبرني اليزيديّ عن أحمدَ بنِ زُهير عن الزُّبير بن بكّار قال[1] : زَوّج أسماء بنُ خارجة الفزاريُّ بنته هنداً من الحجّاج بن يوسف ، فلمّا كانت ليلة أراد البناء بها ، قال لها أسماء بن خارجة : يا بنيّة ، إنّ الأُمّهاتِ يؤدّبنَ البنات ، وإنّ أُمّكِ هلكَت وأنتِ صغيرة ، فعليك بأطيب الطيِّب الماء ، وأحسن الحُسن الكحل . وإيّاكِ وكثرةَ المعاتبةِ ، فإنها قطيعة للوُدِّ ، وإيّاكِ والغَيرةِ فإنّها مفتاحُ الطلاقِ . وكوني لزوجكِ أمَةً يكن لكِ عَبداً ، واعلمي أنّي القائل لأُمّكِ : [من الطويل]

خذي العفوَ منّي تستديمي مودَّتي

وذكر الأبيات . قال : وكانت هند امرأةً مجرِّبةً قد تزوّجها جماعة من أمراء العراق ، فقبلَت من أبيها وصيّته . وكان الحجّاج يصفها في مجلسه بكلِّ خير ، وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباها[2] : [من الوافر]

جزاكَ اللهُ يا أسماءُ خيراً ... كما أرضيتَ فَيْشلَةَ الأميرِ
بِصدعٍ قد يفوحُ المسكُ منه ... عليه مثلُ كِركرةِ البعيرِ[3]
إذا أخذَ الأميرُ بمَشعبيها ... سمعتَ لها أزيزاً كالصريرِ
إذا لقحتْ بأرواحٍ تراها ... تجيدُ الرَّهز من فوقَ السريرِ

[واحدة بواحدة]

قال مؤلّف هذا الكتاب : الشعر لعُقَيْبة الأسديّ . أخبرني الجوهريُّ وحبيبُ المهلّبيُّ عن ابن شبّة قال[4] : لمّا قدِم الحجّاجُ الكوفةَ أشار عليه محمدُ بنُ عُمير بنِ عُطارد أن يخطبَ إلى أسماء ابنته هند ، فخطبها فزوّجه أسماءُ ابنته ، فأقبل عليه محمد متمثّلاً يقول : [من الوافر]

أمِنْ حَذر الهُزال نكحتَ عبداً ... فصهرُ العبدِ أدنى للهزالِ

---

1 الوصية والشعر في التذكرة الحمدونية 3 : 339 .
2 التذكرة الحمدونية 4 : 75 .
3 كركرة البعير : القرص الصلب في صدره الذي يبرك عليه .
4 انظر الخبر مفصلاً في التذكرة الحمدونية 8 : 234-235 .

فاحتملها عليه أسماءُ وسكت عن جوابه . ثم أَقبل على الحجّاج يوماً وهندٌ جالسةٌ ، فقال : ما يمنعك من الخِطبةِ إلى محمد بن عمير ابنتَه فإنّ من شأنها كيتَ وكيتَ . فقال : أتقولُ هذا وهندٌ اسمعُ ؟ فقال : موافقتك أحبُّ إليّ من رضا هند . فخطبها إلى محمد بنِ عمير ، فزوّجه إيّاها ، فقال أسماءُ لمحمدِ بنِ عُمَير ، وضربَ بيده على منكبه : [من الطويل]

دونــكَ مــا أَسديته يا ابنَ حاجبٍ سواء كعَينِ الديكِ أَو قُـذّةَ النسرِ[1]
بقولِكَ للحجّاجِ إن كنتَ ناكِحاً فلا تعـدُ هنـداً مـن نساءِ بني بدرِ
فـإن أَباهـا لا يـرى أَنّ خاطباً كفـاءٌ لـه إلاّ المتـوجَ مـن فِهرِ
فزوجتُهـا الحجّـاجَ لا متكارهـاً ولا راغبـاً عنـه ونعمَ أَخو الصهرِ
أَردتَ ضِراري فاعتمدتَ مسرّتي وقد يُحسِنُ الإنسانُ من حيثُ لا يدري
فإن تَرَهـا عـاراً فقد جئتَ مثلها وإن ترَها فخراً فهل لـك من شكرِ

[حبّها لعبيد الله بن زياد]

قال المدائنيّ حدَّثني الحرمازيّ عن الوليد بن هشام القحذميّ وكان كاتبَ خالداً القسريَّ ويوسُفَ بنَ عمر أن هنداً بنت أسماء كانت تحت عُبيدِ الله بنِ زيادٍ ، وكان أَبا عذرها ، فلمّا قتلَ ، وكانت معه ، لبِسَتْ قَباء ، وتقلّدت سيفاً ، وركِبت فرساً لعُبيد الله كان يقال لها : الكامل ، وخرجت حتى دخلَت الكوفة ليس معها دليلٌ ، ثم كانت بعد ذلك أشدَّ خلق اللهِ جزعاً عليه ، ولقد قالت يوماً : إنّي لأشتاق إلى القيامةِ لأرى وجه عُبيدِ الله بنِ زياد .

[بشر بن مروان يتزوّجها]

فلمّا قدِم بشرُ بنُ مروان الكوفة دُلَّ عليها ، فخطبها ، فزُوِّجها ، فولدت له عبدَ الملك بنَ بشر . وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك ، وكان إذا صلّى العصرَ خلا في ناحية من داره ليس معه أحد إلاّ أعينُ مولاه صاحبُ حمام أعينَ بالكوفة ، وأخذ في شأنه . فلم تزَل هندٌ تتجسّس خبره حتى عرفته . فبعثَت مولى لها ، فأحضرها أطيب شراب وأحدّه وأشدّه وأرقّه وأصفاه ، وأحضرَت له طعاماً علمت أنّه يشتهيه ، وأرسلَت إلى أخويها : مالكٌ وعيينةُ . فأتياها ، وبعثَت إلى بشر واعتلَّت عليه بعلّة ، فجاءها فوضعَت بين يديه ما أعدّته ، فأكل وشرب ، وجعل مالك يسقيه ، وعيينة يحدِّثه ، وهند تريه وجهها . فلم يزَل في ذلك حتى أمسى ، فقال : هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً ؟ فقالت : هذا دائم لك ما أردتَه ، فلزمها وبقي أعينُ يتتبّع الديار بوجهه

1 المثل «أصفى من عين الديك» في مجمع الميداني 1 : 417 والدرة الفاخرة 1 : 250 وجمهرة العسكري 1 : 538 ومستقصى الزمخشري 1 : 210 . وقذة النسر : ريشه . ولعلّه يشير إلى المثل «(جزيته) القذة بالقذة» .

ولا يرى بشراً ، إلاّ أَن يبحث عن أَمره فعرفه ، وعلِم أنّه ليس فيه حظّ بعدها . قال ومات عنها بشر فلم تجزع عليه ، فقال الفرزدق في ذلك[1] : [من الطويل]

فإنْ تَكُ لا هندٌ بكتهُ فقد بَكَتْ عليه الثريّا في كواكبها الزُّهرُ

[يخلف عليها الحجّاج]

ثم خَلَفَ عليها الحجّاجُ ، وكان السبب في ذلك فيما ذكره المدائنيّ عن الجِرمازيّ عن القحذميّ ، وأخبرني به مَن هاهنا أحمدُ بنُ عبد العزيز عن ابن شبّة عن عثمانَ بنِ عبد الوهّاب عن عبدِ الحميد الثقفيّ قالا : كان السبب في ذلك أنّه بعث أبا بُردةَ بنَ أبي موسى الأشعريّ ، وهو قاضيه ، إلى أسماء يقول له : إنّ قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أُقيم بموضع فيه ابنا أخيه بِشرٍ لا أضمّهما إليّ ، وأتولّى منهما مثلَ ما أتولّى من ولَدي . فاسأل هنداً أن تطيب نفساً عنهما .

وقال عمرُ بن شبّة في خبره : وأعلِمْها أنّه لا بدّ من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدّبهما . قال أبو بُردة : فاستأذنت فأُذِن لي وهو يأكلُ وهندٌ معه ، فما رأيتُ وجهاً ولا كفّاً ولا ذراعاً أَحسن من وجهها وكفّها وذراعها ، وجعلَت تُتحفني وتضع بين يَديّ .

قال أَبو زيد في خبره : فدَعاني إلى الطعام ، فلم أَفعلْ ، وجعلَت تعبث بي وتضحك ، فقلت : أما والله لو علمتِ ما جئتُ له لبكيتِ . فأمسكت يدها عن الطعام فقال : أسماءُ : قد منعتَها الأكل فقُل ما جئت له . فلمّا بَلَّغْتُ أسماءَ ما أُرسلتُ به ، بكت ، فلَم أرَ واللهِ دموعاً قطّ سائلة من محاجرَ أحسنَ من دموعها على محاجرها . ثم قالت : نعم أُرسل بهما إليه ، فلا أحد أحقَّ بتأديبهما منه .

وقال أَسماءُ : إنّما عبد الملك ثمرة قلوبنا ، يعني عبد الملك بنَ بشر ، وقد أَنِسنا به ، ولكن أَمرَ الأَمير طاعة ، فأَتيت الحجّاج ، فأعلمته جوابها وما رأيته من جوابها وهيئتها . فقال : ارجع فاخطبها عليّ فرجعْتُ وهما على حالهما . فلمّا دخلتُ قلت : إنّي جئتكَ بغير الرسالة الأولى . قال : اذكر ما أحببتَ . قلت : قد جئتُ خاطباً . قال : أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة ؟ قلت : لا ، على مَن هو خيرٌ لها منّي ، وأعلمتُه ما أمرني به الحجّاج . فقال : ها هي تسمع ما أدّيت ، فسكَتَتْ فقال أسماءُ : قد رضيَتْ ، وقد زوّجتها إيّاه .

فقال أَبو زيد في حديثه : فلمّا زَوّجها أَبوها قامت مبادِرة وعليها مُطْرَف ، ولم تستقلّ قائمة مِن ثقل عجيزتها حتى انثنتْ ومالَت لأحد شقيها مِن شَحمها ، فانصرفتُ بذلك إلى

1 ديوان الفرزدق 1 : 217 .

الحجّاج ، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً مِنْ ثياب وقال : يا أبا بردةَ ، إنّي أُحِبُّ أن تسلمها إليها ، ففعلتُ ذلك وأرسلتُ من سلمه إليها ، فأرسلتْ إليّ : جئتَ قاضياً ورجعتَ دلالاً فأرسلت إليّ من المال بعشرين ألفاً ، ومن الثيابِ تختين . فقلت : ما أقبل شيئاً حتى أستطلع رأي الأمير . ثم انصرفتُ إليه فأعلمتهُ ، فأمرني بقبضة ووصلني بمثله .

وقال : أبو زيد في حَديثه : فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كلّ غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية مع كلّ جارية تختٌ من ثياب ، وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يَذكر عددَها . فلمّا وصل ذلك إلى هند أمَرت بمثل ما أمر لي به الحجّاج ، فأبيتُ قبوله ، وقلت : ليس الحجّاج مِمّن يُتَعَرَّضُ له بمثل هذا . وأتيت الحجّاج فأخبرته . فقال : قد أحسنتَ وأضعَف اللهُ لكَ ذلكَ ، وأمَر له بستينَ ألفاً ، وبضعفِ تلك الثياب ، وكان أوّلَ ما أصبته مع الحجّاج . وأرسلَ إليها : إنّي أكره أن أبيتَ خِلواً ولي زوجة . فقالت : وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها كرامته وصداقها ، فَأصلحت من شأنها ، وأتته ليلاً .

قال : المدائنيّ : فسمعتُ أنّ ابن كناسة ذكر أنّ رجلاً من أهلِ العِلم حدَّثه عن امرأة من أهله قالت : كنتُ فيمَن زفّها . فدَخلنا عليه وهو في بيتٍ عظيم في أقصاه ستارة ، وهو دون الستارة عَلى فرشه ، فلمّا أن دخَلت سلَّمتْ ، فأوْمأ إليها بقضيب كان في يده . فجلسَت عند رِجْليه ، ومكثت ساعة وهو لا يتكلّم ونحن وقوف ، فضَرَبت بيدها على فخذه ، ثم قالت : ألم تَبعد من سوء الخلق ؟ قال : فتبسّم ، وأقبل عليها ، واستوى جالساً . فدعونا له وخَرجنا وأرخيت الستور .

[طلاق هند]

قال : ثم قدِم الحجّاج البصرةَ ، فحملها معه . فلمّا بنى قصرَهُ الذي دون المحدثَة[1] الذي يقال لـه : قصرَ الحجّاج اليوم قال لها : هل رأيتِ قطّ أحسن من هذا القصر ؟ قالت : ما أحسنه ! قال : أصدقيني ، قالت : أمّا إذ أبيتَ فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر . وكان فيه عُبيد الله بنُ زياد ، وكان دار الإمارة بالبصرة ، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر . فطلق هنداً غضباً بما قالته ، وبعث إلى القصر فهدمه ، وبناه بلبن . ثم تعهّده صالح بنُ عبد الرحمن في خلافة سليمان بن عبد الملك ، فبناه بالآجرّ ، ثم هُدِم بعد ذلك فأدخل في المسجد الجامع .

[الحجّاج يحنّ إلى هند]

قال : القحذميّ عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ :فخرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر ، فسلّمنا عليه وعُدناه معه . ثم خرجنا وَتخلف الحجّاج ، فوقفنا

1 المحدثة : قرية بواسط .

ننتظره ، فلمّا خرجَ التفت فرآني ، فقال : يا محمدُ وَيحكَ ! رأيتُ هنداً الساعة فما رأيتها قطّ أجمل ولا أشبّ منها حين رأيتها ، وما أنا بمُمسٍ حتى أراجعها . فقلتُ : أصلح اللهُ الأميرَ ، امرأة طلّقتها على عتْب يرى النّاس أنّ نفسك تتبعها ، وتكون لها الحجّة عليك . قال : صدقت ، الصبر أحجى .

قال : محمدٌ : والله ما كان منّي ما كان نظراً ولا نصيحةً ، ولكنّي أنِفت لرجل من قريش أن تداس أُمّه في كلّ وقت .

[الحيّة في النّار]

أخبرني الحسين بنُ يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جويريّةَ بن أسماء عن عمّه قال : حججتُ ، فإنّي لفي رُفقة من قومي إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة ، فنامت وانتبهتُ وحيّةٌ مطويّةٌ عليها ، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها ، فهالنا ذلك وارتحلنا . فلم تزل منطوية عليها لا تضيرها حتى دخلنا الحرَم فانسابت ، فدخلنا مكّة وقضينا نُسكنا ، فرآها الغريض فقال : أيْ شقِيّة ، ما فعلَت حيّتك ؟ فقالت : في النار : قال : ستعلمين مَن أهل النار ؟ ولم أفهم ما أراد ، وظننتُ أنّه مازحها ، واشتقتُ إلى غنائه ، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك . فأتيتُ بعضَ أهلِه ، فسألتُه ذلك ، فقال : نعم ، فوجَّه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا ، وقال لي : اركب بنا ، فركبنا حتى سِرْنا قدرَ مِيل ، فإذا الغريضُ هناك ، فنزلنا ، فإذا طعام مُعَدٌّ ، وموضع حسنٌ . فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا أبا يزيد ، هات بعض طرائفك فاندفع يغنّي ، ويوقع بقضيب[1] : [من الطويل]

مرضتُ فلـم تحفلْ عليّ جَنـوبُ وأُدنفـــتُ والمَمشى إليّ قريـبُ
فــلا يُبـعـد اللهُ الشبابَ وقولَنا إذا مـــا صبونـا صبوة سنتوبُ

فلقد سمعنا شيئاً ظننتُ أنّ الجبال التي حولي تنطق معه : شَجا صوت ، وحُسْن غناء . وقال لي : أتحبّ أن نَزيدك ؟ فقلت : إي واللهِ . فقال : هذا ضيفك وضيفنا ، وقد رغِب إليك وإلينا ، فأسعِفْه بما يريد . فاندفع يغنّي شعر مجنون بني عامر[2] : [من الطويل]

عفـا اللهُ عــن ليـلى الغداةَ فإنّها إذا وَلِيَـتْ حكمـاً عـليّ تجورُ
أأتركُ ليـــلى ليس بينـي وبينها سوى ليلـــة ؟ إنّـي إذاً لصبـورُ

فما عقَلت لِما غنّى من حسنه إلاّ بقول صاحبي : نجور عليك يا أبا يزيد . فقلت : وما

---

1 ديوان حميد بن ثور (صادر) : 8 .

2 ديوان مجنون ليلى : 139 وديوان أبي دهبل : 77–78 .

معناك في ذلك ؟ فقال : إنّ أبا يزيد عرَّضَ بأنّي لمّا وليت الحكم عليه جُرت في سُؤالي إيّاه أكثر من صوت واحد . فقلت له ، بعدَ ساعة ، سرّاً : جُعلتُ فداءك ، إنّي أُريدُ المضيّ وأصحابي يريدون الرحلةَ ، وقد أبطأْتُ عليهم ، فإن رأيت أن تسأله ، حاطه اللهُ من السوء والمكروه ، أن يزوّدني لحناً واحداً . فقال لي : يا أبا يزيد ، أتعلَم ما أنهى إلينا ضيفُنا ؟ قال : نعم ، أرادك أن تكلِّمني في أن أُغنّيه قلت : هو والله ذلك ، فاندفع يغنّي : [من الطويل]

خذي العفوَ منّـي تستديمي مودَّتي ولا تنطقي في سَورتي حـينَ أغضبُ
فإنّي رأيتُ الحبَّ في الصدرِ والأذى إذا اجتمعـا لم يلبثِ الحـبُّ يذهبُ

[نسبة وصية أسماء لابنته إلى أبي الأسود]

فقال : قد أخذنا العفو منك ، واستدَمْنا مودّتك ، ثم أقبل علينا فقال : ألا أُحدِّثكم بحديث حسن ؟ فقلنا : بلى . قال : قال شيخ العلم وفقيه النّاس وصاحب عليٍّ ، صلواتُ الله عليه ، وخليفة عبد الله بنِ العبّاسِ على البصرة أبو الأسود الدؤليّ لابنته ليلَة البناء : أيْ بُنَيّة ، النساء كنَّ بوصيّتك وتأديبك أحقَّ منّي ، ولكن لا بُدّ مِمّا لا بُدّ منه . يا بُنيّة ، إنّ أطيبَ الطيب الماء ، وأحسن الحسن الدهن ، وأحلى الحلاوة الكحل . يا بُنيّة ، لا تكثري مباشرة زوجك فيملَّك ، ولا تباعدي عنه فيجفوكِ ويعتلَّ عليك ، وكوني كما قلتُ لأُمِّك : [من الطويل]

خُذي العفو منّي تستديمي مودَّتي ولا تنطقي في سَورتي حين أغضبُ

فقلت لـه : فدَتـكَ نفسي ، ما أدري أيُّهما أحسن : أحديثك أم غِناؤك ؟ والسلام عليكم . ونهضتُ فركبتُ وتخلّف الغريضُ وصاحبه في موضعهما ، وأتيت أصحابي وقد أبطأتُ ، فرحَلنا منصرفين حتى إذا كنّا في المكان الذي رأيت فيه الحيّة منطوية على صدرِ المرأة ونحن ذاهبون ، رأيتُ المرأة والحيّةُ منطوية عليها ، فلم ألبث أن صفَرت الحيّة ، فإذا الوادي يسيل علينا حيّات فنهشنها حتى بقيت عظاماً . فطال تعجّبنا من ذلك ، ورأينا ما لَم نَرَ مثلَه قطّ . فقلتُ لجاريةٍ كانت معها : ويحِك ! أخبرينا عن هذه المرأة ، قالت : نعم أثقلت ثلاث مرّات ، كلَّ مرّة تلِد ولداً ، فإذا وضعته سجَرت التنور ثم ألقته فيه : فذكرتُ قول الغريض حين سألها عن الحيّة ، فقالت : في النار . فقال : ستعلمين مَن في النّار .

نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء

فمنها : [من الطويل]

صوت

مرِضتُ فلم تحفَلْ عليَّ جَنوبُ وأُدنفتُ والمَمشَى إليَّ قريبُ

فلا يُبعِد اللهُ الشبابَ وقولَنا إذا ما صبونا صبوة سنتوبُ

عروضه من الطويل . الشعر لِحُميدِ بنِ ثَورٍ الهلاليِّ ، والغناء لِلغريضِ من رواية حماد عن أبيه ، وفيه لِعَلُّويَه ثقيل أَوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ومنها : [من الطويل]

صوت

عفا اللهُ عن ليلي الغداةَ فإنَّها إذا وليتْ حكماً عليّ تجورُ
أَأَتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصبورُ !

عروضه من الطويل ، والشعر ، يقال : لأَبي دَهبلٍ الجُمَحيّ ، ويقال : إنّه لمجنون بني عامر ، ويقال : إنه لعمرَ بنِ أَبي ربيعةَ . والغناء لابن سُرَيج خفيف رمَل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة ، وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى ، وفي الثاني والأوّل خفيف ثقيل أَوّل بالبنصر مجهول .

أَخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال : قال أَبو دِهبلٍ : [من الطويل]

أَأَترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذاً لصبورُ
هبوني امرءاً منكم أَضلَّ بعيرَه له ذمّةٌ إنّ الذِمامَ كبيرُ
ولَلصاحب المتروك أَعظمُ حرمة على صاحبٍ من أَن يَضلَّ بعيرُ

قال الزُّبير وقال عمِّي : هذه الأَبيات لمجنون بني عامر .

قال أحمدُ بنُ الحارثِ الخرازُ عن المدائنيّ عن أبي محمدٍ الشيبانيّ قال : قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة : أَنت القائل : [من الطويل]

أَأَترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصبورُ !

قال : نعم . قال فبئس المحبّ أنت : تركتها وبينها وبينك غُدوة . قال : يا أُمير المؤمنين ، إنّها من غُدوات سُليمانَ ، غدوُّها شهر ، ورواحها شهر .

أَخبرني اليزيديّ عن أَحمدَ بن يحيى وابن زهير قال حدَّثني عمرُ بنُ القاسم بنِ المعتمر الزهريُّ قال : قلت لأَبي السائب المخزوميِّ : أَما أَحسنَ الذي يقول : [من الطويل]

أَأَترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصَبُورُ
هبوني امرءاً منكم أَضلّ بعيرَه له ذمةٌ إن الذِمامَ كبيرُ
ولَلصاحب المتروك أَعظمُ حُرمة على صاحبٍ مِن أَنْ يضلَّ بعيرُ ؟

فقال : بأَبي أَنت ، كنتُ والله أُجنّبك وتثقل عليّ ، فأَنا الآن أحبّك وتخفّ عليّ ، حيث تعرف هذا .

صوت

[من الوافر]

مِن الخفِراتِ لم تفضحْ أَخاها ولم تَرفَعْ لوالدها شَنارا
كأَنّ مَجامعَ الأَردافِ منها نقاً دَرجتْ عليه الريحُ هارا
يعافُ وصالَ ذات البَذل قلبي ويتّبع الممنَّعةَ النَّوارا

الخِفرة : الحيِيةَ ، والخَفَر : الحياء . والشَّنار : العار . والنقا : الكثيب من الرمل . درجت عليه الريح : مرّت . هار : تهافت وتداعى . قال الله تبارك وتعالى : ﴿على شفا جُرُفٍ هارٍ﴾[1] ويعاف : يكره . والنوار : الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء .

عروضه من الوافر : الشعر للسُّلَيك بنِ السُّلَكة[2] ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن الهِرْبِذ لحن من رواية بذل ، ولم يذكرْ طريقته . وفيه لابن طنبورة لحنٌ ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنّسه .

1 سورة التوبة ، الآية : 109
2 شعر السليك : 55 .

[438] ـ أخبار السُّليك بن السُّلكة ونسبه[1]

هو السُّلَيك بنُ عمرو ، وقيل : بنُ عميرِ بنِ يثربيّ ، أحدُ بني مُقاعس ، وهو الحارثُ بنُ عمرِو بنِ كعب بنِ سعدِ بنِ زَيد مناةَ بن تميم . والسُّلَكة : أمّه ، وهي أَمَةٌ سوداءُ .

[من الصعاليك العدائين]

وهو أحد صعاليك العربِ العدّائين الذين كانوا لا يُلحَقون ، ولا تعلَق بهم الخيل إذا عدَوا . وهم : السُّلَيك بنُ السُّلَكة ، والشَّنفَرى ، وتأبَّط شرّاً ، وعمرو بن برّاق ، ونفيل بن براقة . وأخبارهم تذكر على تواليها هاهنا إن شاء الله تعالى في أشعار لهم يُغنّى فيها ؛ لتتصل أحاديثهم .

فأمّا السُّلَيك فأخبرني بخبره الأخفشُ عن السكريّ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ ، قال : وقرىء لي خبره وشعره على محمدِ بنِ الحسنِ الأحول عن الأثرم عن أبي عبيدة . أخبرني ببعضه اليزيديّ عن عمّه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل ، وقد جمعتُ رواياتهم ، فإذا اختلفت نسبتُ كلّ مرويٍّ إلى راويه .

[يستودع بيض النعام ماء في الشتاء ليشربه في الصيف]

قال أبو عبيدة : حدَّثني المنتجعُ بنُ نَبْهان قال : كان السُّلَيك بنُ عميرٍ السعديُّ إذا كان الشتاءُ استَودع بِبَيض النّعام ماءَ السماء ثم دفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعَت إغارة الخيل أغار . وكان أدلّ من قطاة[2] ، يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مُضَر ، وإنّما يغيرُ على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة .

وقال المفضل في روايته : وكان السُّلَيك من أشدّ رجال العرب وأنكرِهم وأشعرِهم ، وكانت العرب تدعوه سلَيك المقانب[3] . وكان أدلّ النّاس بالأرض ، وأعلَمهم بمسالكها ، وأشدَّهم عَدْواً على رجليه ، لا تعلَق به الخيل ؛ وكان يقول : اللهمّ إنّك تهيّىء ما شئت لما

---

1 ترجمة السليك بن السلكة في الشعر والشعراء : 281–285 والمؤتلف والمختلف : 202–203 وشرح مقامات الحريري للشريشي 1 : 388–393 وأمثال الضبي : 13–14 وفصل المقال : 270 ، 307 وكتب الأمثال الأخرى تحت الأمثال الواردة في قصته ، وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من الكامل للمبرّد والتذكرة الحمدونية .

2 المثل «أهدى من قطاة» في مجمع الميداني 2 : 409 وجمهرة العسكريّ 2 : 353 .

3 المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة من الخيل للغارة .

شئت إذا شئت . اللهمّ إنّي لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أَمَة . اللهمّ إنّي أَعوذ بك من الخَيبة ، فأمّا الهَيبةُ فلا هيبةَ .

[غارة]

فذكروا[1] أنّه أملقَ حتى لم يَبقَ له شيءٌ فخرج على رِجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض مَن يَمرُّ به فيذهبَ بإبله ، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة ، مُقْمرةٍ فاشتمل الصماءَ ، ثم نام ، واشتمال الصماء : أن يَرُدّ فَضلة ثوبه على عضده اليمنى ، ثم ينام عليها ، فبينا هو نائم إذ جَثم رَجل فقعد على جنبه فقال : استأسر ، فرفع السُّليك إليه رأسه ، وقال : الليل طويل وأنت مقمر[2] . فأرسلَها مثلاً ، فجعل يَلْهَزه[3] ويقول : يا خبيثُ استأسر . فلمّا آذاه بذلك أخرج السُّليك يده ، فضمّ الرجل إليه ضَمّة ضرَط منها وهو فوقه ، فقال السُّليك : أضَرَطاً وأنت الأعلى[4] ؟ فأرسلها مثلاً ، ثم قال : مَنْ أنتَ ؟ فقال : أنا رجل افتقرتُ ، فقلت : لأخرجَنَّ فلا أرجعُ إلى أهلي حتى أستغنيَ ، فآتيَهم وأنا غنيّ ؛ قال : انطلق معي . فانطلقا ، فوجدا رجلاً قصّتُه مثل قصّتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجَوفَ : جوف مراد .

فلمّا أشرفوا عليه إذا فيه نَعَم قد ملأ كلُّ شيء من كثرته ، فهابوا أن يُغِيروا فيَطردوا بعضها ، فيَلحقَهم الطلب . فقال لهما سُلَيك : كُونا قريبا منّي حتى آتي الرِّعاء فأعلمَ لكما عِلمَ الحيّ ، أقَريب أم بعيد . فإن كانوا قريباً رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولا أومىء[5] إليكما به فأغيرا . فانطلقَ حتى أتى الرِّعاء ، فلم يزلْ يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحيّ ، فإذا هم بعيد ، إن طُلبوا لم يُدركوا . فقال السُّليك للرِّعاء : ألا أُغنِّيكم ؟ فقالوا : بلى غنِّنا ، فرفع صوته وغنَّى[6] : [من البسيط]

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي سوى عَبيد وآمٍ بين أذوادِ[7]

---

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 136 .

2 المثل «الليل طويل وأنت مقمر» في مجمع الميداني وجمهرة العسكري 2 : 189 ومستقصى الزمخشري 1 : 344 وفصل المقال 339 وأمثال العرب للمفضل الضبّيّ : 62 .

3 يلهزه : يضربه بجمع يديه .

4 المثل «أضرطاً وأنت الأعلى» في مجمع الميداني 1 : 284 وجمهرة العسكري 1 : 86 وأمثال الضبيّ : 13 وفصل المقال : 339 .

5 ل : أوحي إليكما .

6 شعره : 51 .

7 آم : جمع أمة .

أَتنظرانِ قريباً رَيثَ غفلتِهمْ ... أَمْ تغدوانِ فإنَّ الربحَ للغادي[1]

فلمّا سمعا ذلك أتيا السُّليك ، فأطردوا الإبل فذهبوا بها ولم يبلغ الصَّرِيخُ الحيّ حتى فاتوهم بالإبل .

[غارة أخرى]

قال المفضل : وزعموا أَنّ سُلَيكاً خرج ومعه رجلان من بني الحارث بنِ امرىء القيسِ بنِ زيدِ مناةَ بن تميم يقال لهما : عمرو وعاصم وهو يريد الغارة ؛ فمرَّ على حيّ بني شيبان في ربيع والنّاس مخصبون في عشيّة فيها ضباب ومطر ، فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى . فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا حتى آتيَ أهل هذا البيت ، فلعلّي أن أُصيب لكم خيراً ، أو آتيَكم بطعام . قالوا : افعل ، فانطلق وقد أمسى وجنَّ عليه الليلُ ، فإذا البيتُ بيت رُوَيم ، وهو جدّ حَوْشبِ بنِ يزيدِ بن رُوَيم ، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت .

فأَتى السُّليك البيت من مؤخّره فدخله ، فلم يلبثْ أن راحَ ابنه بإبله . فلمّا أَراحها غضب الشيخ ، وقال لابنه : هلاّ عشيتَها ساعة من الليل . فقال له ابنه : إنّها أبت العَشاء . فقال : العاشية تهيج الآبية[2] ، فأرسلَها مثلاً . ثم غضب الشيخ ، ونفَض ثوبه في وجهها ، فرجعتْ إلى مراتِعها ومعها الشيخ حتى مالتْ بأدنى روضة ، فرتَعتْ ، وجلس الشيخ عندها لتتعشّى ، وغطّى وجهه بثوبه من البردِ ، وتبعه سُليك .

فلمّا وجد الشيخ مغتراً ختَله من ورائه ، فضربه فأَطار رأسه ، وصاح بالإبل فطردها ، فلم يشعر صاحباه ، وقد ساء ظنّهما وتخوّفا عليه ، حتى إذا هما بالسُّلَيك يطردها فطرداها معه ، وقال سلَيك في ذلك[3] : [من الطويل]

وعاشيةٍ راحــتْ بِطاناً ذعَرتُها ... بسوط قتيـل وسْطهـا يُتسيّفُ[4]

كأَنّ عليـه لـونَ بُـرد محبَّر ... إذا مـا أَتـاه صارخُ يتلهّفُ[5]

فبات لهـا أَهـلُ خلاءٍ فناؤهم ... ومرّت بهـمْ طير فلم يتعيّفوا[6]

---

1 الربح : الغلبة والفوز .

2 المثل «العاشية تهيج الآبية» في مجمع الميداني 2 : 9 وجمهرة العسكري 2 : 57 ومستقصى الزمخشري 1 : 331 وفصل المقال : 516 وأمثال العرب : 63 . والعاشية التي ترعى ليلاً .

3 شعره : 59–60 .

4 الميداني : بصوت قتيل .

5 المبرد المحبر : الموشى . وهنا محبر بالدم .

6 فبات لها في ل : فقلت لها .

وباتوا يظنـونَ الظنونَ وصُحبتي إذا ما عَلوا نشزاً أَهلّوا وأَوجفوا
وما نلتُها حتى تصعلكتُ حِقبة وكِدتُ لأَسبابِ المنيّـةِ أعرِفُ[1]
وحتى رأَيتُ الجوعَ بالصيفِ ضرّني إذا قمتُ تغشاني ظلال فأَسدِفُ[2]

[حيلة للغارة]

وقال الأثرم في روايته عن أَبي عبيدة : خرج سُلَيك في الشهر الحرام حتى أَتى عُكاظ ، فلمّا اجتمع الناس ألقى ثيابه ، ثم خرج متفضّلاً مترجّلاً ، فجعل يطوف الناسَ ويقول : مَن يصف لي منازل قومه ، وأَصِف له منازل قومي ؟ فلقيَه قيسُ بنُ مكشوحٍ المراديُّ ، فقال : أَنا أَصِف لك منازل قومي ، وَصِف لي منازل قومك . فتواقفا وتعاهدا ألاّ يتكاذبا .

فقال قيسُ بن المكشوح : خذْ بين مَهَبِّ الجنوب والصَّبا ، ثم سِرْ حتى لا تدري أَين ظلّ الشجرة ؟ فإذا انقطعَت المياه فسِر أَربعاً حتى تبدو لك رملةٌ وقفٌّ[3] بينها الطريق ، فإنّك ترد على قومي مراد وخثعم .

فقال السُّليك : خُذ بين مطلع سهيل ويدِ الجوزاء اليسرى العاقد لها من أُفق السماء ، فثَمّ منازل قومي بني سعد بن زيدِ مناة .

فانطلق قيسٌ إلى قومه فأَخبرهم الخبر ، فقال أَبوه المكشوح : ثكِلتْكَ أُمُّكَ . هل تدرِيَ مَن لقيت ؟ قال : لقيتُ رجلاً فُضُلاً[4] كأنّما خرج من أهله ، فقال : هو والله سُلَيك بن سعْد .

فاستعلق واستعوى السُّلَيك قومه فخرج أَحماس[5] من بني سعد وبني عبد شمس ، وكان في الربيع يعمِد إلى بَيض النّعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز . قال : فإذا غزا في الصيف مرَّ به فاستثاره . فمرَّ بأَصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سُلَيك أَهلكتنا ويحك ! قال : قد بلغتُم الماء ، ما أقربكم منه ! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبّأ الماءَ فيه طلبه فلم يجدْه ، وجعل يتردّدُ في طلبه . فقال بعضُ أَصحابه لبعض : أَين يقودكم هذا العبد ؟ قد والله هلكتُم ، وسمع ذلك ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنّهم ، فهمَّ السُّلَيكُ بقتلِ بعضِهم ، ثمّ أمسَكَ .

فانصرفَت عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد . قال : ومضى السُّلَيك في بني

1 أعرف : أصبر .
2 يسدف : تظلم عيناه من الجوع .
3 القفّ : المرتفع من الأرض .
4 فضل : رجل في ثوب واحد .
5 أحماس : شجعان .

مقاعس ومعه رجل مِن بني حرام يقال له : صُرَد . فلمّا رأى أُصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السُّلَيك ، حتى إذا دنَوا من بلاد خثعم ضلَّت ناقةُ صُرَد في جوف الليل ، فخرج في طلبها ، فأصابه أُناس حين أصبح ، فإذا هم مراد وخثعم ، فأسروه ، ولحقَه السُّليك فاقتتلوا قتالاً شديداً .

وكان أوّلَ مَنْ لقيَه قيسُ بن مكشوح ، فأسرَه السُّلَيك بعد أن ضربه ضربةً أشرفَت على نفسه ، وأصاب من نَعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه ، وأصاب أمّ الحارث بنتَ عوف بنِ يربوعٍ الخثعميّةَ يومئذٍ ، واستنقذ صُرَد من أيدي خثعم ، ثم انصرف مسرعاً ، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحيّ ، وهم أكثر من الذين شهدوا معه ، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا . وقال السُّليك في ذلك[1] : [من الطويل]

بكى صُرَدٌ لّما رأى الحيَّ أعرضَت ... مهامُـه رمـلٍ دونهمْ وسُهوبُ
وخوّفـه ريـبَ الزّمـانِ وفقرَه ... بـلادُ عـدو حاضر وجَدوبُ
ونـأيٌ بَعيدٌ عـن بلادِ مقاعس ... وأن مخاريـقَ الأُمـورِ تَريبُ
فقلتُ لَـه لا تُبـكِ عينكَ إنّها ... قضيّةُ مـا يُقضى لهـا فتثوبُ[2]
سيكفيك فَقدَ الحيّ لحمٌ مغرَّض ... وماء قُـدور في الجِفانِ مشوبُ[3]
ألَم تَـرَ أنّ الدهـرَ لونـان لونُه ... وطَـوران : بِشْر مـرّة وكَذُوبُ[4]
فما خير مَن لا يرتجي خيرَ أوبة ... ويُخشى عليـه مِريـة وحروبُ[5]
رددتُ عليـه نفسه فكأنّـما ... تلاقـى عليـه منسِر وسَرُوبُ[6]
فما ذرَّ قرن الشمس حتـى أُريته ... قُصـار المنايـا والغبـار يثوبُ[7]
وضاربتُ عنـه القومَ حتى كأنّما ... يصعّـد في آثارهـم ويصُوبُ[8]

1 شعره : 44–46 .
2 شعره : لنا فنؤوب .
3 فقد الحي : شراب الحيّ . ومغرض : طري .
4 طوران في ل : وثاران .
5 مرية في ل : سرية ، وهي جماعة الخيل .
6 المنسر : مقدمة الجيش . والسروب : جماعات الخيل .
7 ل : حتى رأيته مصاد المنايا . ومصاد وقصار : الغاية .
8 يصوب : ينحدر .

وقلتُ لــه خــذ هَجْمة حِميريّةً وأَهلاً ولا يبعُــد عليك شَروبُ[1]
وليلـــةَ جابـــانٍ كررتُ عليهمُ على ساعــة فيها الإياب حبيبُ[2]
عشيّةَ كرّت بــالحراميِّ ناقــة بحــيٍّ هــلاً تُدعى به فتُجيبُ[3]
فضاربتُ أُولى الخيل حتى كأنّما أُميــل عليهــا أيــدَعٌ وصبيبُ

الأيدع : دم الأخوين ، والصبيب : الحِناء .

[ينذر قومه فيكذبونه]

قال أَبو عبيدة[4] : وبلغني أَنّ السّليكَ بنَ السُّلَكة رأته طلائع جيش لبَكرِ بن وائل ، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد ، فقالوا : إن عَلم السُّلَيك بنا أَنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ، فلمّا هايجاه خرج يمحَصُ كأنّه ظبيٌ ، وطارداه سحابة يومه ، ثم قالا : إذا كان الليل أعيا ، ثم سقط أو قَصَر عن العدْو ، فنأخذه .

فلمّا أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزعها[5] ، فندرتْ قوسُه فانحطمت ، فوجدا قِصْدة[6] منها قد ارتزّت[7] بالأرض ، فقالا : ما لَهُ ، أخزاه الله ؟ ما أشدّه ! وهمّا بالرّجوع ، ثم قالا : لعلّ هذا كان من أوّل الليل ثم فتر ، فتبِعاه ، فإذا أثره متفاج[8] قد بال فرَغا في الأرض وخدّها ؛ فقالا : ما لَهُ قاتله الله ؟ ما أشدّ متنَه ! والله لا نتبعه أبداً ، فانصرفا . ونمى[9] إلى قومه وأنذرهم ، فكذبوه لبعد الغاية ، فأنشأ يقول[10] : [من الطويل]

يكذّبني العَمْــران عمرُو بــن جندب وعمرو بــن سعد والمكذِّب أَكذبُ
لعمرُكَ مــا ساعيتُ مَن سعى عاجز ولا أَنــا بــالواني ففيــم أُكذَّبُ[11]

---

1 الهجمة : مجموعة من الإبل . وشروب : شراب .
2 جابان : مخلاف باليمن .
3 كرّت في ل : كدت .
4 انظر التذكرة الحمدونية 7 : 345 والكامل : 738–739 والدرة الفاخرة 1 : 305 .
5 ل : فنزا عنها .
6 قصده : قطعة .
7 ارتزت : ثبتت .
8 متفاج : متباعد ما بين رجليه .
9 ل : وتمّ .
10 شعره : 47–48 .
11 رواية الشعر :
سعيت لعمري سعي غير معجز ولا نأنــيء لــو أنني لا أُكذب

ثكلتكما إنْ لم أكُــن قــد رأيتُهــا كراديسَ يهديهــا إلى الحيِّ موكِبُ[1]
كراديسَ فيهــا الحَوْفَــزان وقومــه فوارس همَّام متــى يَــدْعُ يركبوا

يعني الحَوْفَزان بن شريك الشيبانيّ .

تفاقدتــمُ هــل أُنكــرنّ مغيــرة مــع الصبحِ يهديهــنَّ أشقر مغربُ

تفاقدتم : يدعو عليهم بالتفاقد .

[يقتل زوجته]

قال ، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم . قال : وكان يقال للسُّلَيك : سُلَيك المقانب ، وقد قال في ذلك فرار الأسديّ ، وكان قد وجد قوماً يتحدّثون إلى امرأته من بني عمّها فعقرها بالسيف ، فطلبه بنو عمّها فهرب ولم يقدروا عليه ، فقال في ذلك[2] : [من الطويل]

لَــزُوار ليــلى منكــم آل برثُن على الهولِ أمضى من سُلَيك المقانبِ
يزورونهــا ولا أزورُ نساءهــم ألهفــى لأولادِ الإمــاءِ الحواطبِ

[غارة على بني عوار]

وقال أبو عبيدة : أغار السُّلَيك على بني عَوار بطن من بني مالك بن ضُبَيعة ، فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته .

فقال شيخ منهم : إنّه إذا عدا لم يُتعلّق به ، فدعوه حتى يرد الماء ، فإذا شرب وثقُل لم يستطع العَدْو ، وظفرتم به . فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ، ثم بادروه ، فلمّا علِم أنّه مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولجَ على امرأة منهم يقال لها : فُكَيهة ، فاستجار بها ، فمنعته ، وجعلته تحت دِرعها ، واخترطت السيف ، وقامت دونه ، فكاثروها فكشفَت خِمارها عن شعرها ، وصاحت بإخوتها فجاءوها ، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل ، فقال السُّلَيك في ذلك[3] : [من الوافر]

لعمــرُ أبيكِ والأنبــاءُ تنمي لنعم الجار أخــت بني عُوارا
من الخفِرات لم تفضحْ أباها ولم تَرفَــعْ لإخوتهــا شَنارا
كأن مجامــعَ الأردافِ منهــا نَقاً درَجت عليــه الريحُ هارا

---

1 الكراديس : القطع العظيمة من الخيل .
2 لم يرِد البيتان في مجموع شعره .
3 شعره : 55–56

يَعافُ وصال ذات البَذل قلبي ... ويتّبـــع الممنَّعـــة النَّــوارا
وما عجزت فُكَيهة يوم قامتْ ... بنصلِ السيفِ واستلبوا الخِمارا

[أطلق أسيره فأثيب]

أَخبرني الأخفشُ عن السكّريِّ عن أَبي حاتمٍ عن الأصمعيّ أَنّ السُّلَيك أُخذ رجلاً من بني كنانةَ بنِ تَيم بن أُسامةَ بن مالكِ بنِ بكرِ بنِ حبيبِ بنِ غَنْمِ بن تغلبَ يقال له : النُّعمانُ بنُ عُقْفانَ ، ثم أطلقه وقال[1] : [من الوافر]

سمعتُ بجمعهم فرضختُ فيهم ... بنُعمــانَ بن عُقْفانَ بنِ عمرو
فــإنْ تكفرْ فإنِّــي لا أُبــالي ... وإن تشكــرْ فإنِّي لستُ أَدري

قال : ثم قدِم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير ، وهُم بماء لهم يقال له : قُباقِبٌ ، خلف البِشْر ، فأتاه نعمان بابنيه الحكَمِ وعثمانَ ، وهما سيِّدا بني كنانة ، ونائلةَ ابنتِه ، فقال : هذان وهذه لك ، وما أملك غيرهم ؛ فقالوا : صدق ؛ فقال : قد شكرتُ لك وقد رددتُهم عليك .

[يسبق في شيخوخته الشباب]

فجمعَتْ له بنو كنانة إبلاً عظيمة فدفعوها إليه ، ثم قالوا له : إن رأَيت أَن ترينا بعض ما بقي من إحضارك . قال : نعم ، وأبغوني أربعين شابّاً ، وأبغوني درعاً ثقيلة ، فأتوه بذلك ، فلبس الدّرع ، وقال للشبّان : الحقوا بي إن شئتم . وعَدا ، فلاث العدوَ لَوثاً ، وعَدوا جَنَبَته فلم يلحقوه إلاّ قليلاً ، ثم غاب عنهم وكرّ حتى عاد إلى الحيّ هو وحده يُحضِر والدرع في عنقه تَضْرب كأنّها خِرْقة من شدّة إحضاره .

أَخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ عن عبد الرحمن بن أَخي الأصمعيّ ، عن عمِّه فذكر فيه نحو ما تقدّم .

[مقتله]

وقال السكّريّ في خبر مقتله : إنّه لقى رجلاً من خَثعم في أَرض يقال لها : فخة ، بين أَرض عُقَيل وسعد تميم ، وكان يقال للرجل : مالكُ بنُ عُمير بنِ أَبي ذراع بنِ جُشَمَ بنِ عوف ، فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها : النَّوار ، فقال له الخثعميّ : أَنا أَفدي نفسي منك ، فقال له : السُّلَيك : ذلك لك ، على أَلاّ تَخيس بي ، ولا تطلع عليّ أحداً من خَثعم . فحالفه على ذلك ، ورجع إلى قومه ، وخلّف امرأته رهينة معه ، فنكحها السُّلَيك ،

---

1 شعره : 58 .

وجعلَت تقول : احذر خثعم ؛ فإنِّي أُخافهم عليك ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

تُحذِّرني كــي أحذَرَ العام خثعماً وقد علمَت أنّي امرؤ غيرَ مُسلَمِ
ومــا خثعــمٌ إلاّ لئــامٌ أذلّــة إلى الذلِّ والإسحاق تنمى وتنتمي[2]

قال : وبلغ ذلك شبلَ بنَ قلادةَ بنِ عمرَ بنِ سعد ، وأُنسَ بنِ مدرك الخثعميّين ، فخالفا إلى السُّلَيك ، فلم يشعر إلاّ وقد طرقاه في الخيل ، فأنشأ يقول[3] : [من الرجز]

مَــن مبلــغٍ جِذمــي بأنّــي مقتولْ
يــا رُبّ نَهب قد حويتُ عُثكولْ[4]
ورُبّ قِــرن قــد تركتُ مجدولْ
وربَّ زوجٍ قـد نكحـتُ عُطبولْ[5]
وربَّ عــانٍ قـد فككتُ مكبولْ
وربَّ وادٍ قــد قطعــتُ مسبولْ

قال أنس للشبل : إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل ، وإن شئت اكفني القوم أكفِك الرجل . قال : بل أكفيك القوم ، فشدّ أنس على السُّلَيك فقتله ، وقَتل شبل وأصحابُه مَن كان معه .

وكاد الشرّ يتفاقم بين أُنس وبين عبد الملك ، لأنّه كان أُجاره حتى وَداه أُنس لمّا خاف أن يخرج الأمر من يده ، وقال : [من البسيط]

كَم مِن أَخ لي كريمٍ قد فُجعتُ به ثــم بقيتُ كأنّي بعــدَه حَجَرُ
لا أستكينُ على ريبِ الزّمانِ ولا أُغضي على الأمرِ يأتي دونه القدرُ
مِـرْدَى حُروب أُدير الأمرَ حابلَه إذ بعضُهم لأُمــور تعتري جَزَرُ
قـد أطعــنُ الطعنةَ النجلاء أتْبعها طَرْفاً شديداً إذا ما يَشخَصُ البصرُ
ويومَ حمضة مطلوب دَلفتُ لــه بــذاتِ وَدْقــين لمـا يُعفها المطرُ

وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه :

1 شعره : 67 .
2 الإسحاق : الابعاد . ويقال سحقاً لهم .
3 شعره : 63–64 .
4 العثكول : العذق .
5 العطبول : الفتية الجميلة الطويلة العنق .

إنِّي وقتـلي سُلَيكـاً ثـم أعقِلَه

كما ذَكَره مَن روينا عنه ذلك .

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ عن عبد الرحمن بنِ أخي الأصمَعيّ عن عمِّه فذكر ما تقدّم .

[يجعل لعبد الملك ابن مويلك إتاوة ليجيره]

قال أبو عبيدة وحدَّثني المنتَجعُ بنُ نَبهان قال : كان السُّلَيك يعطي عبدَ الملك بنَ مُوَيلكٍ الخثعميَّ إتاوةً من غنائمه على أن يجيره فيتجاوزَ بلاد خثعم إلى مَن وراءهم من أهلِ اليمن ، فيُغيرَ عليهم . فمرَّ قافلاً من غزوة فإذا بَيت من خثعم أهلُه خُلوف[1] وفيه امرأة شابّة بَضّة ، فسألها عن الحيّ فأخبرتْه ، فتسنمها ، أي علاها ، ثم جلس حَجْرةً[2] ، ثم التقَم المَحجَّة[3] . فبادرَتْ إلى الماء فأخبرتْ القوم ، فركب أنس بنُ مُدركٍ الخثعميّ في طلبه فلحقه ، فقتله . فقال عبد الملك : والله لأقتلَنَّ قاتله أو ليَدِينّه ، فقال أنس : واللهِ لا أدِيه ولا كرامة ، ولو طَلب في ديته عِقالاً لما أعطيته . وقال في ذلك : [من البسيط]

إنِّـي وقتـلي سُلَيكاً ثـم أعقِلَه ... كالثورِ يُضربُ لمـا عافتْ البقرُ[4]

غضبتُ للمرء إذ نيكـتْ حليلتُه ... وإذ يُشَدّ على وَجعائهـا الثَّفَرُ[5]

إنِّـي لتاركُ هامـات بمجزَرة ... لا يزدهينـي سوادُ الليلِ والقمرُ

أغشى الحروبَ وسِربالي مضاعَفة ... تغشى البنانَ وسيفي صارمٌ ذكرُ

[غناء بشعره نبّه فتاة إلى وضعها]

أخبرني ابنُ أبي الأزهر عن حمّادِ بنِ إسحاق عن أبيه عن فُلَيح بن أبي العوراء قال : كان لي صديق بمكةَ ، وكنّا لا نفترق ولا يكتم أحدٌ صاحبَه سرّاً ، فقال لي ذات يوم : يا فُلَيحُ ، إنِّي أهوى ابنة عمٍّ لي ولم أقدر عليها قطّ ، وقد زارتني اليوم فأحبّ أن تَسُرّني بنفسك ، فإنِّي لا أحتشمك . فقلت : أفعلُ ، وصرت إليهما ، وأُحضر الطعام فأكلنا ، ووُضع النبيذ فشربنا أقداحاً ، فسألني أن أُغنِّيَهما ، فكأنَّ اللهَ ، عزَّ وجَلَّ ، أنساني الغناء كلّه إلاّ هذا الصوت : [من الوافر]

1 خلوف : غياب الرجال وبقاء النساء في الحي .

2 حجرة : ناحية .

3 التقم المحجة : استقبلها .

4 المثل «كالثور يضرب لما عافت البقر» في مجمع الميداني 2 : 142 وجمهرة العسكري 1 : 288 ومستقصى الزمخشري 2 : 204 وفصل المقال : 387 .

5 الوجعاء : الدبر . والثفر : السير في مؤخر السرج .

من الخفِراتِ لم تفضحْ أَباها ولم تُلحقْ بإخوتِها شَنارا

فلمّا سَمعته الجارية قالت أَحسنت يا أُخي ، أُعِد ، فأَعدتُه . فوثَبَتْ وقالت : أَنا إلى اللهِ تائبة ، واللهِ ما كنت لأفضح أبي ولا أرفعَ لإخوتي شناراً . فجَهَد الفتى في رجوعها فأبَت وخرجَت ، فقال لي : ويحك ما حملك على ما صنعت ؟ فقلتُ : والله ما هو شيء اعتمدتُه ، ولكنّه أُلقي على لساني لأمر أُريدَ بك وبها . هكذا في الخبر المذكور .

وقد رواه غير من ذكرتُه عن فُلَيح بن أبي العوراء ، فأخبرني اليزيديّ عن عمِّه عبيد الله قال : كان إبراهيم بن سَعدان يؤدِّب ولد عليٍّ بنِ هشامٍ ، وكان يغنّي بالعود تأدّباً ولعباً . قال : فوجّه إليّ يوماً عليٌّ بنُ هشام يدعوني ، فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنَّرْد ، فرجعتُ عجِلاً ، فصاح بي : ادخل ، فدخلْت ، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه ، فقال : خُذ عوداً وغنِّ لنا ، ففعلتُ ، ثم غنَّيتُ في وَسَط غنائي : [من الوافر]

مِن الخفِراتِ لم تَفضحْ أَباها ولم ترفَـعْ لإخوتها شَنارا

فوثبت من بين يديه ، وغطّت رأسها ، وقالت : إنّي أُشهدُ اللهَ ، أنّي تائبة إليه ، ولا أُفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شَناراً . ففَتَر عليّ بنِ هشام ولم ينطقْ وخرجَتْ من حضرته ، فقال لي : ويلك ، مِن أين صبّك الله عليّ ؟ هذه مغنِّية بغداد ، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلاّ اليوم ، فجئتني بهذا الصوت حتى هربَت . فقلت : والله ما اعتمدتُ مَساءتك ، ولكنّه شيء خطر على غير تعمّد .

صوت

[من الطويل]

أَمَسلَمَ إنِّـي يـا ابنَ كلِّ خليفة ويا جبلَ الدُّنيا ويا ملِكَ الأَرضِ
شكرتُك إنَّ الشكرَ حظٌّ من التقى ومـا كلُّ مَن أوليتَه نعمة يَقضي

الشعر لأبي نُخَيلة الحِمانيّ ، والغناء لابن سُرَيج ، ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّيّ .

[439] ـ أخبار أبي نخيلة ونسبه[1]

[كنيته اسمه]

أبو نُخيلَة اسمه لا كنيته ، ويكنى أبا الجُنيد ، ذكر الأصمعيّ ذلك وأبو عمرو الشيبانيّ وابن حبيب ، لا يعرف له اسم[2] غيره ، وله كنيتان : أبو الجُنيد وأبو العِرماس ، وهو ابن حزن بن زائدةَ بن لقِيط بن هَرِم بن يَثربيّ ، وقيل : بن أثربي بنِ ظالِم بنِ مُجاسرِ بنِ حمّاد بنِ عبد العُزى بنِ كعبِ بن لُؤيّ بن سعدِ بن زيدِ مناةَ بن تميم .

[عقوقه أباه]

وكان عاقاً بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه ، مطعوناً عليه . وكان الأغلب عليه الرجز ، وله قصيد ليس بالكثير .

[اتصاله بمسلمة]

ولّما خرج إلى الشام اتّصل بمَسْلَمة بن عبد الملك ، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له فأغنَوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم . انقطع إلى بني هاشم ، ولَقّب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العبّاس ، وهجا بني أميّة فأكثر .

[يغري المنصور بخلع عيسى بن موسى]

وكان طامعاً نطفاً ، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهديّ ، فوصله المنصور بألفي درهم ، وأمَره أن يُنشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل . فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث في طلبه مولى له ، فأدركه في طريق خراسان ، فذبحه وسلخ جلده[3] .

[يهجو عند المطل ويمدح عند الإجابة]

أخبرني هاشمٌ الخُزاعيّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : رأى أبو نُخيلة على شَبيب حلّة فأعجبَته ، فسأله إيّاها ، فوعده ومطله ، فقال فيه : [من الرجز]

1 ترجمة أبي نخيلة الحماني الراجز في الشعر والشعراء : 501 والمؤتلف والمختلف : 296–297 وخزانة البغدادي 1 : 163–165 والسمط : 135 والموشح : 343–344 وطبقات ابن سعد : 63–64 وانظر أمالي اليزيدي : 198 وأمالي المرتضى 1 : 580 ، 582 وأعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 في الشعر والشعراء : يعمر ؛ وفي المؤتلف : يعمر بن حزن .

3 ل : وجهه .

يا قـوم لا تُسوّدوا شبيباً ... الملذان الخائـنَ الكذوبا[1]
هل تلـدُ الذِّيبةُ إلاّ الذيبا

قال : فبلغه ذلك ، فبعث إليه بها فقال : [من الرجز]

إذا غدتْ سعـدٌ على شبيبِها ... على فتاهـا وعـلى خطيبها
مِن مطلعِ الشمس إلى مغيبِها ... عجبتَ مـن كثرتها وطيبها

[يخشى لسان خالد بن صفوان]

حدَّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبيُّ عن عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني الرِّعل بن الخطّاب قال : بنى أبو نخيلة داره ، فمرَّ به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة ، ومودّة وكيدة ، فوقف عليه فقال أبو نخيلة : يا ابن صفوان ، كيف ترى داري ؟ قال : رأيتك سألتَ فيها إلحافاً ، وأنفقتَ ما جمعت إسرافاً . جعلتَ إحدى يديك سَطحاً ، وملأتَ الأُخرى سَلحاً ، فقلتَ : مَن وضع في سَطحي وإلاّ ملأتُه بسَلْحي ، ثم ولّى وتركه .

فقيل له : ألا تهجوه ؟ فقال : إذن واللهِ يركب بغلته ، ويطوفُ في مجالس البصرة ، ويصف أبنيتي بما يعيبها . وما عسى أن يضرَّ الإنسان صفةُ أبنيته بما يَعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة .

[تأدّب في البادية]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفّاف عن ابن مَهْرُوَيْه عن أَبي مسلم المستملي عن الحِرمازيّ عن يحيى بن نجيم قال : لمّا انتفى أبو نُخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه ، فتأدّب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما ، وسار شعره في البدو والحضر ، ورواه الناسُ . ثم وفدَ إلى مَسْلَمة بنِ عبد الملك فرفع منه ، وأعطاه ، وشفع له ، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك ، فمدحه ، ولم يزلْ به حتى أغناه . قال يحيى بن نجيم : فحدَّثني أبو نُخيلة قال : وردت على مَسلمَة بن عبد الملك فمدحته ، وقلت له : [من الطويل]

أَمَسْلَمَ إنِّـي يـا ابـنَ كلِّ خليفة ... ويـا فارسَ الهيجا ويا جبلَ الأرضِ
شكرتُك إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقى ... ومـا كلُّ مَـن أُوليتَه نعمة يَقضي
وألقيـتَ لـمـا أَن أُتيتكَ زائـراً ... عليّ لحافـاً سابغَ الطـولِ والعرضِ
وأحييتَ لي ذكري وما كان خاملاً ... ولكـنّ بعض الذكر أَنبهُ مِن بعضِ

[ينشد أرجوزة لرؤبة]

قال : فقال لي مسلمةُ : مِمّن أَنتَ ؟ فقلت : من بني سعد . فقال : ما لكم يا بني سعد والقصيد وإنّما حظّكم في الرجز ؟ قال : فقلت له : أنا واللهِ أرجز العرب ، قال : فأَنشدني من

1 الملذان : الذي لا يَصْدُقُ في مودته .

رجزك ، فكأنّي والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قطّ ، أنسانيه الله كلّه ، فما ذكرتُ منه ولا من غيره شيئاً إلاّ أرجوزة لرؤبة كان قالها في تلك السنة ، فظننتُ أنـها لم تبلغ مَسْلَمة ، فأنشده ايّاها ، فنكس رأسه وتتعتعتُ ، فرفع رأسه إليّ وقال : لا تُتعبْ نفسَكَ ، فأنا أروَى لها منك . قال : فانصرفتُ وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطّفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير ، فعرفني وقرّبني . وما رأيتُ ذلك أثّر فيه ، يرحمه اللهُ ولا قرّعني به حتى افترقنا .

[مزيد من مدحه لمسلمة]

وحدَّثني أبو نُخيلة قال : لمّا انصرف مَسْلَمة من حرب يزيدَ بنِ المهلّب تلقيته ، فلمّا عاينته صحت به : [من الرجز]

مَسْلَم يـا مَسْلَمةَ الحـروبِ أنت المصفَّى من أذى العيوبِ
مُصاصةٌ مـن كَـرَم وطيب لـولا ثقاف ليس بالتدريبِ[1]
تفري به عن حُجُب القلوب لأمست الأمّـة شاءَ الذيبِ

فضحك وضمّني إليه ، وأجزل صلتي .

[رجل من عشيرته يوصله إلى هشام]

حدَّثني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا عبدُ الرحمن ابنُ أخي الأصمَعيّ عن عمّه ، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمد النَّوفليّ عن أبيه ، وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعيّ ، قال : قال أبو نُخيلة : وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات ، وكنت بأخلاق هشام غِرّاً وأنا غريب ، فسألت عن أخص النّاس به ، فذُكِر لي رجلان : أحدهما من قيس ، والآخر من اليمن ، فعدلْتُ إلى القيسيّ بالنزارية فقلت : هو أقربهما إليّ ، وأجدرهما بما أُحب ؛ فجلست إليه ، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له : إنّي مستثيبك لتمَسّني رحِمك .

أنا رجلٌ غريبٌ شاعرٌ من عشيرتك ، وأنا غيرُ عارفٍ بأخلاقِ هذا الخليفة ، وأحببتُ أن ترشدني إلى ما أعمل فينفعُني عنده ، وعلى أن تشفعَ لي وتوصلني إليه . فقال : ذلك كلُّه لك عليّ . وفي الرجل شِدّة ، ليس كَمَن عهدتَ من أهله ، وإذا سئل وخلِط مدحه بطلبٍ حَرم الطالب ، فأخلص له المدح ، فإنه أجدَر أن ينفعَك ، واغد إليه غداً فإنّي منتظرك بالباب حتى أوصلك ، واللهُ يعينكَ . فصرتُ من غد إلى باب هشام ، فإذا بالرجل منتظر لي ، فأدخلني معه ، وإذا بأبي النّجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله[2] : [من الرجز]

1 الثقاف : آلة تسوّى بها الرماح .
2 ديوان أبي النجم (صادر) : 275-276 .

إلى هشام وإلى مروانِ ... بيتان ما مثلهما بيتانِ
كفّاكَ بالجودِ تَباريانِ ... كما تبارى فرسا رِهانِ
مالَ عليّ حَدَثُ الزّمانِ ... وبيعَ ما يغلو من الغلمانِ[1]
بالثمنِ الوَكْسِ من الأثمانِ ... والمهر بعد المُهر والحصانِ[2]

قال : فأَطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجرَ هشام ، وتبيّنتُ الكراهة في وجهه ، ثم استأذنتُ فأَذِن لي : فأَنشدته : [من الرجز]

لَمّا أَتتني نغيةُ كالشّهدِ ... والعسلِ الممزوجِ بعد الرقدِ[3]
يا بَرْدَها لُمشْتَفٍ بالبَرْدِ ... رفعْت من أطمارِ مستعِدٍّ
وقلتُ لِلْعِيسِ اعتلي وجِدّي ... فَهْي تَخدّى أَبرح التخدّي[4]
كم قد تعسّفتُ بها من نجد ... ومُجْرَهِدّ بعد مُجْرَهِدِّ[5]
قد ادّرَعْنَ في مَسير سَمْد ... ليلاً كلَون الطيلسان الجَرْدِ[6]
إلى أميرِ المؤمنينَ المُجدي ... رَبِّ مَعَدّ وسوى معدِّ
مِمّن دَعا مِن أصيدٍ وعبد ... ذي المجدِ والتشريفِ بعد المجدِ
في وجهه بدرٌ بدا بالسّعدِ ... أَنت الهُمام القَرْمُ عند الجدِّ
طُوِّقتها مجتمِع الأشُدّ ... فانهلّ لما قمتَ صوبُ الرعدِ

قال : حتى أَتيت عليها وهممتُ أن اسأله ، ثم عزَفَتْ نفسي وقلت : قد استنصحتُ رجلاً ، وأَخشى أن أُخالفه فأُخطيء ؛ وحانت منّي التفاتة فرأَيت وجه هشام منطلقاً . فلمّا فرغتُ أَقبلَ على جلسائه فقال : الغلامُ السّعديّ أَشعر من الشيخ العِجْليّ ، وخرجت . فلمّا كان بعدَ أيام أَتتني جائزته ، ثم دخلتُ عليه بعد ذلك ، وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إيّاها فألقى عليّ جُبّةَ خزّ من جِبابه مبطنةً بِسَمّور ، ثم دخلت عليه يوماً آخر ، فكساني دُوّاجا[7] كان عليه من خَزّ أَحمر مبطنٍ بسَمّور ، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلمْ يأمرْ لي بشيء ، فحملتني

1 الديوان : حدب الزمان ، أي شدّته ومشقّته .
2 الوكس : البخس .
3 نغية : نغمة ، وفي رواية : لما سمعت . والرقد : الرقاد .
4 تخدّى : تسرع . وفي الخزانة : أُحسن التخدي .
5 مجرهد : مكان لا نبات فيه .
6 سمد : مستمر . والجرد : الخلق .
7 الدواج : الثوب الواسع .

نفسي على أن قلت له : [من الرجز]

كسوتنيهـا فهـي كالتِّجفافِ من خزكَ المصونـةِ الكِثافِ[1]
كأنّني فيهـا وفي اللِّحافِ من عبدِ شمس أو بنـي منافِ
والخَزُّ مشتاقٌ إلى الأفوافِ[2]

قال ، فضحك ، وكانت عليه جبّة أفواف ، وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إليّ ، وقال : خُذها ، فلا بارك الله لك فيها .

[يغير أرجوزته ليجعلها في السفاح]

قال محمدُ بنُ هشام في خبره خاصة : فلمّا أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيّرها وجعلها فيه ، يعني الأرجوزة الداليّة ، فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح .

[الفرزدق يفضل السجن على شفاعته]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدَّثني أبو عمر الخصاف عن العتبيّ قال : لمّا حبَس عمرُ بن هبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبى أن يُشفِّع فيه أحداً ، فدخل عليه أبو نُخَيلة في يومِ فِطر ، فوقف بين يديه وأنشأ يقول : [من الرجز]

أُطلقـتَ بـالأمس أَسير بَكرِ فهـل ، فَداكَ نَفَري وَوفْري
مِن سببٍ أو حُجّـةٍ أو عذرِ يُنْجي التميميَّ القليـلَ الشكرِ
من حَلَـقِ القَيدِ الثِّقالِ السُّمرِ ما زالَ مجنوناً على استِ الدَّهرِ
ذا حسبٍ ينمو وعقـلٍ يحري هبـه لأخوالك يـومَ الفطرِ[3]

قال : فأمر بإطلاقه ، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عِجل جيء به من عين التمر[4] قد أفسد ، فشفعَتْ فيه بكرُ بن وائل فأطلقه . وإيّاه عنى أبو نُخَيلة . فلمّا أُخرِج الفرزدق سأل عمَّن شفع له فأُخبر ، فرجع إلى الحبس وقال : لا أريمه ولو متّ . انطلق قَبلي بكري وأُخرجتُ بشفاعة دَعيّ ، والله لا أخرجُ هكذا ولو من النار . فأُخبر ابنُ هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه ، وقال : وهبتك لنفسك . وكان هجاه فحبسه لذلك ، فلمّا عُزِل ابن هُبيرة وحُبس مدحه الفرزدق ، فقال : ما رأيت أكرم منه ، هجاني أميراً ومدحني أسيراً .

[كانت الشفاعة في غير الفرزدق]

وجدتُ هذا الخبرَ بخَطّ القاسمِ بنِ يوسف ، فذكر أنّ أبا القاسم الحضرَميّ حدَّثه أنّ هذه

---

1 التجفاف : آلة للحرب تلبسها الفرس والإنسان للوقاية .
2 الأفواف : البرود اليمانية والثياب الرقيقة .
3 يحري : ينقص .
4 عين التّمر : بلدة قريبة من الأنبار .

القصّة كانت لأبي نُخيلة مع يزيدَ بن عُمرَ بنِ هُبيرة ، وأنّه أُتي بأسيرين من الشُّراة أُخذا بعين التمر : أحدهما أبو القاسم بنُ بِسطام بن ضِرار بن القعقاع بن معبَد بن زُرارة ، والآخر رجل من بكر بن وائل . فتكلّم في البكريّ قومُه فأطلقه ، ولم يتكلّمْ في التميميّ أحدٌ ، فدخل عليه أبو نُخيلة فقال : [من الرجز]

الحمــــدُ للهِ وليِّ الأَمــــــرِ هــو الذي أَخــرج كلَّ غَمْرِ[1]

وكلَّ عُــوّار وكلَّ وَغْــــرِ من كلِّ ذي قلب نقيِّ الصدرِ[2]

لَمّا أُتــتْ مــن نحوِ عينِ التمرِ سِتٌّ أثــاف ، لا أثافي القِدرِ

فظلّت القضبانُ فيهــم تجري هَبْراً هــو الهبر وفــوق الهبرِ

إنّـــي لمهـــدٍ للإمـــامِ الغَمْرِ شعري ونُصحَ الحبّ بعد الشعرِ[3]

ثم ذكر باقي الأبيات كما ذُكرت في الخبر المتقدّم .

[هجاء الضيف]

أُخبرني أبو الحسن الأسديُّ أحمدُ بنُ محمد قال : حدَّثني محمد بن صالح بن النّطاح قال : ذكر عن العتبيّ أنّ أبا نُخَيلة حجّ ومعه جَرِيب من سَوِيق قد حلاّه بِقَنْد[4] ، فنزل منزِلاً في طريقه ، فأتاه أعرابيّ من بني تميم وهو يقلب ذلك السّويق ، واستحيا منه فعرض عليه ، فتناول ما أعطاه فأتى عليه ، ثم قال : زِدني يا ابن أخ ، فقال أبو نُخَيلة : [من الرجز]

لَمّــا نزلنــا منــزلاً ممقوتــاً نُريــدُ أن نَرحــلَ أو نبيتــا

جئتَ ولم نَدْرِ مــن اينَ جيتا إذا سقيـــتَ المُربـد السّحتيتــا

قلت أَلا زِدني وقــد رَويتــا

فقام الأعرابيّ وهو يسبّه .

وحدَّثني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال : كان أبو نُخَيلة إذا نزلَ به ضيف هجاه . فنزل به يوماً رجل من عشيرته ، فسقاه سويقاً قد حلاّه ، فقال له : زِدني ، فزاده . فلمّا رحل هجاه وذكر الأبيات بعينها ، وقال في الخبر قال أبو عبيدة : السِّحتيت : السويق الدُّقاق .

---

1 الغمر : الحقد .

2 العوار : يعني هنا الفساد والشر . والوغر : الضغينة .

3 الغمر هنا : الكريم الخلق .

4 القند : عسل قصب السكر الجامد .

[اعتذاره من مدح الأمويين]

أَخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال : حدَّثني ابن عائشة قال : دخل أبو نُخَيلة على أبي العبّاس السفّاح فسلَّم ، واستأذن في الإنشاد ، فقال له أبو العبّاس : لا حاجة لنا في شِعرك ، إنّما تنشدنا فضلات بني مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين : [من الرجز]

كنّـــا أُناساً نرهـــبُ الأَملاكا إذ ركبوا الأعنـــاق والأَوراكا
قـــد ارتَجَينـــا زمنـــاً أباكا ثُـــمَّ ارتجينـا بعـــدَه أَخاكا
ثـــم ارتجينـــا بعـــده إيّاكا وكان مـــا قلتُ لِمَن سواكا
زُوراً فقـــد كفّر هـــذا ذاكا

فضحك أَبو العبّاس ، وأَجازه جائزةً سنيّة ، وقال : أَجل ، إنّ التوبةَ لتكفرُ ما قبلها ، وقد كفّر هذا ذاك .

وأَخبرنا أَبو الفيّاض سَوّار بن أَبي شراعة قال : حدَّثني أَبي عن عبد الصمد بن المعذَّل عن أبيه قال : دخل أَبو نُخَيلة على أَبي العبّاس ، قال وكان لا يجترىء عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مَسْلمة إيّاه ، وكثرة مديحه لبني مروان حتى علِم أَنّه قد عفا عمّن هو أَكبرُ مَحَلاً من القومِ وأَعظم جرماً منه . فلمّا وقف بين يديه سلَّم عليه ، ودَعا له وأَثنى ، ثم استأذنه في الإنشادِ ، فقال له : ومَن أَنتَ ؟ قال : عبدك يا أميرَ المؤمنين أبو نُخيلة الحِمّانيّ . فقال : لا حيّاكَ اللهُ ، ولا قرَّب دارك يا نضْو السوء . أَلستَ القائل في مَسْلمةَ بنِ عبد الملكِ بالأمس : [من الطويل]

أَمَسْلَم يـــا مـــن سادَ كلَّ خليفةٍ ويا فارسَ الهيجا ويا قمرَ الأرضِ ؟

واللهِ لولا أَنّي قد أَمّنت نظراءك لما ارتدّ إليك طرفك حتى أَخضِبَك بدمِك . فقال أَبو نُخيلة : [من الرجز]

كنّا أُناساً نرهب الأَملاكا

وذكر الأَبيات المتقدّمة كلَّها مثل ما مضى من ذكرها . فتبسّم أَبو العبّاس ، ثم قال له : أَنت شاعر وطالب خير ؛ وما زال النّاس يمدحون الملوك في دولهم ، والتوبة تكفرُ الخطيئةَ ، والظّفرُ يزيلُ الحقدَ . وقد عفَونا عنك ، واستأنفنا الصنيعة لك . وأَنتَ الآن شاعرنا فاتَّسِم بذلك فيزولَ عنك مِيسم بني مروان ، فقد كفّر هذا ذاك ، كما قلت . ثم التفت إلى أَبي الخصيب فقال : يا مرزوق ، أَدخله دار الرقيق فخيِّره جارية يأخذها لنفسه . ففعل واختار جاريةً وطفاءَ [1] كثيرةَ اللحمِ فلم يحمدْها ، فلمّا كان من غد دخل على أبي العبّاس وعلى رأسه وصيفة حسناء تذبّ عنه ، فقال له : قد عرفتُ خبر الجارية التي أَخذتَها بالأمس وهي

1 الوطفاء : الكثيرة شعر الحاجبين .

كذناكونه فاحتفظ بها ، فأنشأ يقول : [من الرجز]

إنّـــي وجـــدتُ الكذناذَنُوّكا غيرَ مَنيــك فابغنـــي مُنَيِّكا

حتـى إذا حركتُـه تَحَرَّكا

فضحك أبو العبّاس ، وقال : خُذ هذه الوصيفة ، فإنّك إذا خلوتَ بها تَحرّك من غير أن تحرّكه .

[هرب من دين باليمامة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عُبيدة قال : ادّان أبو نُخيلة من بقّال له يقال له : ماعزٌ الكلابيُّ باليمامة ، وكان يأخذ منه أوّلاً أوّلاً ، حتى كثر ما عليه وثقل ، فطالبه ماعز فمطلَه ، ثم بلغه أنّه قد استعدى عليه عامل اليمامة ، فارتحل يريد الموصل ، وخرج عن اليمامة ليلاً ، فلم يعلم به ماعز إلاّ بعد ثلاث . وقد نجا أبو نُخَيلة وقال في ذلك : [من الرجز]

يا ماعزَ الكُرّاثِ قـد خزيتـا لقـد خدعت ولقـد هجيتا

كِـدتَ تَخصينا فقد خُصيتا وكنتَ ذا حظّ فقـد مُحيتا

ويحَـكَ لم تعلمْ بمَـــن صُليتا ولا بـــأيّ حَجَـــر رُميتـــا

إذا رأيـــت المُزبـــدَ الهَبوتـا يركب شِدْقاً شَدْقماً هَريتا[1]

طِـــرْ بجناحيـك فقـد أُتيتا حَـرّان حــرّان فهِيتاً هِيتا

والموصلَ الموصلَ أو تَكْريتــا حيــثُ تبيع النَبــطُ البيوتا[2]

ويأكلـونَ العـدَسَ المَـريتا[3]

وقال أيضاً لماعز هذا : [من الرجز]

يـــا ماعـزَ القَمل وبَيتَ الذّلّ بِتْنا وباتَ البغـل في الإصطبلِ

وبـــاتَ شيطانُ القوافي يُمْلي على امرىء فَحْلٍ وغيرُ فحلِ

لا خيرَ في عِلمي ولا في جهلي لو كان أُودَى ماعــز بنخلي

مــا زال يَقلِيني وعَيْمي يغلي حتى إذا العَيم رمَى بالجفلِ[4]

1 الهبوت : القاهر . الشدقم : الواسع وكذلك الهريت .

2 حران وهيت وتكريت : أسماء مدن .

3 المريت : المجروش .

4 العيم : شدّة العطش وشهوة اللبن . وفي بيروت : وعمّ يقلي . والجفل : الجرف والقشر . ومعناه أن الغضب جعله يقلي ويرمي بالقبيح .

طبّقــت تطبيق الجُراز النصلِ[1]

[يمدح الربيع وسائسه]

نسخت من كتاب اليوسفيّ . حدَّثني المنمقُ بن جمّاع عن أبيه قال : كان أبو نُخَيلة نَذلاً يرضيه القليل ، ويسخطه ، وكان الربيع يُنزله عنده ، ويأمر سائساً يتفقّد فرسه ، فمدح الربيع بأرجوزة ، ومدح فيها معه سائسه فقال : [من الرجز]

لولا أبو الفضل ولولا فضلُه ما اسْطيع باب لا يُسنّى قُفْلُهُ
ومــن صلاح راشد إصطبلُه نِعـمَ الفتى وخيرُ فعــل فعلُهُ
يَسْمَن منـه طِرفـه وبغلُهُ

فضحك الربيع ، وقال : يا أبا نُخَيلة أترضى أن تَقرِنَ بي السائس في مديح ؟ كأنّك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك .

[يمدح الخباز]

قال : ونزل أبو نُخَيلة بسليمان بن صعصعةَ ، فأمر غلامه بتعهّده ، وكان يغاديه ويراوحه في كلّ يوم بالخبز واللحم ، فقال أبو نخيلة يمدح خبّاز سُليمانَ بنِ صعصعة : [من الرجز]

بــارَك ربِّــي فيكَ من خبّازِ ما زلت إذ كنتَ على أوفازِ[2]
تنصبُّ باللحمِ انصباب البازِ

[شعره وقد رأى اجتهاد العمّال في أرض له]

أخبرني هاشم بنُ محمّدٍ الخزاعيُّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينةُ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المعذَّل عن عليّ بن أبي نُخَيلة الحِمانيّ قال : دخلتُ مع أبي إلى أرض له وقد قدِم من مكّة ، فرآها وقد أضرَّ بها جفاء القيِّم عليها وتهاونه بها ، وكلّما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعِمارة حتى سمعتُ نقيضَ الليف ، فقلت : الساعةَ يقول في هذا شعراً ، فلم ألبث أن التفت إليّ وقال : [من الطويل]

شاهــــد مــالاً رَبُّ مــالٍ فساسَهُ سياسة شهم حــازم وابــن حازمِ
أقامَ بها العصْرينِ حينــاً ولم يكن كمَن ضنَّ عن عُمرانهــا بالدّراهمِ
كأنَّ نقيضَ الليــفِ عـــن سعفاته نقيضُ رحــال المَيسِ فوق العياهمِ[3]

---

1 الجراز : السّيف القاطع .

2 على أوفاز : معجل . والوفز : المكان المرتفع .

3 نقيض الرحال : صوتها ، والميس : التبختر . العياهم : جمع عيهم ، وهو الناقة الشديدة السريعة .

وأَضحتْ تغالى بالنباتِ كأنّها ... على متنِ شيخ من شيوخ الأعاجمِ[1]
وما الأصل ما روّيتَ مضرب عِرقه ... من الماءِ عن إصلاح فرع بنائمِ

أَخبرني بهذا الخبر محمدُ بنُ مزيد عن أَبي الأَزهر البُوشَنجيّ قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق الموصليُّ عن النضر بن حديد عن أبي محضة عن الأزرق بن الخميس[2] بن أرطاة ، وهو ابن أُخت أبي نُخيلة ، فذكر قريباً مِمّا ذكِر في الخبر الذي قبله .

[يهجو ويمدح]

وأَخبرني عيسى بن الحسن الورّاق المَرْوَزيُّ قال : حدَّثنا عليُّ بنُ محمد النَّوفليّ قال : حدَّثني أَبي قال[3] : ابتاع أبو نُخَيلة داراً في بني حِمّان ليصحّح بها نسبَه ، وسأل في بنائها ، فأعطاه النّاسُ اتّقاء للسانه وشرّه ، فسأل شبيب بن شبة فلم يعطِه شيئاً واعتذر إليه ، فقال : [من الرجز]

يا قومِ لا تسوّدوا شبيباً ... المَلَذانَ الخائنَ الكذوبا
هل تلدَ الذِّيبةُ إلاّ الذيبا

فقال شبيبُ : ما كنت لأعطيه على هذا القول شيئاً ، فإنّه قد جعل إحدى يديه سطحاً ، وملأ الأُخرى سلحاً ، وقال : مَن وضع شيئاً في سطحي وإلاّ ملأته بسلحي ، من أجل دار يريد أَن يصحّح نسبه بها ، فسفر بينهما مشايخ الحيّ حتى يعطيَه ، فأبى شبيبٌ أن يعطيه شيئاً ، وحلف أبو نُخَيلة ألاّ يكفّ عن عِرضه أو يأخذَ منه شيئاً يستعين به . فلمّا رأى شبيب ذلك خافه ، فبعث إليه بما سأل . وغدا أبو نُخيلة عليه وهو جالس في مجلسِه مع قومه ، فوقف عليهم ، ثم أَنشأَ يقول : [من الرجز]

إذا غدَتْ سعدٌ على شبيبِها ... على فتاها وعلى خطيبِها
مِن مطلعِ الشمسِ إلى مغيبِها ... عجبْتُ من كثرتِها وطيبِها

[حكاية انتحاله أرجوزة مرّة أخرى]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسنِ بن دُرَيد قال : حدَّثنا أَبو حاتم عن أبي عُبيدة قال : دخَلَ أَبو نُخَيلة على عُمَر بنِ هبَيْرة ، وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر ، فأنشد أَبو نُخيلة مديحه له ، ثم قال ابن هبيرة : يا أَبا نُخيلة ، أيَّ شيء أحدثتَ بعدنا ؟ فاندفع يُنشده أَرجوزة لرؤبة ، فلمّا توسّطها كشف رؤبة الستر ، وأخرج رأسه من تحته ، فقال له : كيف أنتَ يا أَبا نُخَيلة ؟ فقطع إنشاده وقال : بخير أَبا العجّاج ، فمعذرة إليك ما علمتُ بمكانَك .

---

1 تغالى : ترفع إلى أقصى الغاية كما يغالى بالسهم .

2 ل : مخيس .

3 تقدّم خبر هجائه ومدحه شبيباً لمناسبة غير هذه .

فقال له رؤبةُ : ألم ننهَك أن تعرِض لشعري إذا كنتُ حاضراً ، فإذا ما غبتُ فشأنك به ! فضحك أبو نُخيلة ، وقال : هل أنا إلاّ حسنة من حسناتك ، وتابعٌ لك ، وحامل عنك . فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع ، ولم يراجعه حرفاً . والله أعلم .

[يريد صلة على المديح وأخرى على الشبه]

أخبرني هاشم بنُ محمد قال : حدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة : أنّ أبا نُخَيلة قدِم على المهاجِر بن عبد الله الكِلابيّ ، وكان أبو نُخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجِسماً وقامة ، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرّق بينه وبين الآخر ، فدخل عليه فأنشده قوله فيه : [من الرجز]

يــا دارَ أمِّ مالك ألا اسلمي ... على التنائيّ من مُقام وانعَمي
كيف أنا إنْ أنتِ لم تَكلّمي ... بالوحْي أو كيف بأن تجمجمي
تقــولُ لي بنتي مــلامَ اللُّوَّم ... يــا أبتــا إنّــك يوماً مؤتمي
فقلت كلاّ فاعلمي ثم اعلمي ... أنّــي لِميقات كتــاب محكَمِ
لو كنتُ في ظلمة شَعب مظلم ... أو في السماء أرتقــي بسلَّمِ
لانصبَّ مقداري إلى مُجْرَنثَمي ... إنّي وربّ الراقصاتِ الرسَّمِ[1]
وربِّ حــوض زمزم وزمزم ... لأستبين الخيرَ عنــد مَقدَمي[2]
وعنــد تَرحاليَ عــن مُخيَّمي ... عَلى ابنِ عبد الله قَرْمِ الأقرمِ
فإنّنــي بالعِلــمِ ذو ترسُّم ... لم أدرِ مــا مهاجِــرُ التكرّمِ
حتى تبيّنت قضايــا الغشّم ... مُهاجِرُ يــا ذا النّوالِ الخِضرِمِ
أنتَ إذا انتُجعتَ خيرُ مُغنِم ... مُشترَك النائــل جــمُّ الأنعُمِ
ولِتَميمٍ منــك خيرٌ مُقْسَم ... إذا التقوا شتــى معــاً كالهُيَّمِ
قــد عَلِــم الشام وكلُّ موسم ... أنّــكَ تحلو لي كحلو المعجَمِ
طوراً وطوراً أنتَ مثلَ العلقمِ

قال ، فأمر له المهاجر بناقة ، فتركها ومضى مغضباً ، وقال يهجوه : [من الرجز]

إنّ الكلابــيّ اللئيــم الأثرما ... أعطى على المِدْحَةِ نابا عِرْزِما[3]
مــا جبرَ العظــم ولكن تمّما

1 مجرنثمي : مستقري ، واجرنثم : سقط من علو إلى أسفل .
2 لأستبين في ل : لآتينّ الخير .
3 الناب العرزم : التي هزلها الكبر . وعلى المدحة في ل : على مدحيه .

فبلغ ذلك المهاجرُ ، فبعث فترضّاه ، وقام في أمره بما يحبّ ، ووصله ، فقال له أبو نُخَيلة : هذه صلة المديح ، فأين صلة الشَّبَه ؟ فإنّ التشابه في النّاس نسبٌ . فوصله حتى أرضاه ، فلم يزلْ يمدحه بعد ذلك حتى مات ، ورثاه بعد وفاته فقال : [من الطويل]

خليـلـيّ مـا لي باليمامـةِ مقعـدٌ ولا قُـرَّةٌ للعـينِ بعـد المهاجرِ
مضى ما مضى من صالح العيش فاربعا على ابـنِ سبيل مزمِع البيْنِ عابرِ
فإن تـكُ في مَلحودة يـا ابنَ وائلٍ فقـد كنتَ زيـنَ الوفدِ زينَ المنابرِ
وقد كنتَ لولا سَلُّك السيف لم ينَم مقيـم ولم تأمـنْ سبيـلُ المسافرِ
لَعَـزَّ على الحيَّـين قيسٍ وخِنِـدفٍ تَبكِّـي عـليٌّ والوليـد وجـابرِ
هـوى قمـرٌ مـن بينهم فكأنّما هوى البدر مـن بين النجوم الزواهرِ

[خاصمته أخته فهجاها]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال : تزوَّجَت أخت أبي نُخيلة برجل يقال له ميار ، وكان أبو نخيلة يقوم بمالِها مع مالِه ، ويرعى سَوامها مع سَوامه ، ويستبدّ عليها بأكثر منافعها ، فخاصمته يوماً من وراء خدرها في ذلك . فأنشأ يقول : [من الرجز]

أظـلُّ أرعـى وتُـراهِزينا مُلَملَما تـرى لـه غضونا[1]
ذا أُبَـن مقومـاً عُثنونـا يطعنُ طعناً يقضبُ الوتينا[2]
ويهتـك الأعفـاجَ والرُّبينا يذهـب ميّـار وتقعدينا[3]
وتفسديـن أو تُبَذِّرينـا وتمنحـين استـك آخرينا
أيرُ الحمارِ في استِ هذا دينا

[ولدت امرأته بنتاً فطلّقها ثم راجعها]

أخبرني هاشم بنُ محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : تزوّج أبو نُخيلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتاً ، فغمّه ذلك ، فطلّقها تطليقة ثم ندِم ، وعاتبه قومه فراجعها . فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأُمُّها تلاعبها ، فحرّكه ذلك ورَقَّ لها ، فقام إليها فأخذها ، وجعل ينزيها ويقول : [من الرجز]

يا بنتَ مَن لم يَكُ يهوى بنتا مـا كنتِ إلاّ خمسة أو ستا

1 ململم : مجتمع مدور .
2 أبن : عقد كالتي في العود . والوتين : عرق في القلب .
3 والرُّبينا في ل : الرئينا .

حتى حللتِ في الحشى وحتى ... فتَتِّ قلبي مِـنْ جوًى فانفتّا[1]
لأنْـــت خيرٌ مــن غلام أنتى ... يُصبح مخموراً ويمسي سَبتا[2]

[أحبّ النساء]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتُ قال : حدَّثنا أبو هِفان قال : حدَّثني أصحابنا الأهتميّون قالوا : دخل عِقال بنُ شَبّة المجاشعيّ على المهديّ فقال له : يا أبا الشَّيظم ، ما بقى من حبك بناتِ آدم ؟ وما يعجبك منهنّ ؟ التي عُصِبت عَصْب الجانّ[3] ، وجُدِلَت جَدْل العنان ، واهتزّتِ اهتزاز البان ، أم التي بَدُنت فعظمت وكمَلت فتمّت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أحبُّهما إليَّ التي وصفها أبو نُخيلة ، فإنّه كانت له جاريةٌ صغيرةٌ وهبَها له عَمُّك أبو العبّاس السفاح ، فكان إذا غشيها صغرت عنه ، وقلَّتْ تحته ، فقال : [من الرجز]

إنِّي وجـدتُ الكذناذَنو كا ... غيرَ منيـك فابغني منيِّكا
شيئـاً إذا حرّكتـه تحرّكا

قال ، فوهب له المهديّ جارية كاملة فائقة متأدّبة بديعة ، فلمّا أُصبح عِقال غدا على المهديّ متشكّراً ، فخرج المهديّ وفي يده مُشط يُسرّح به لحيته وهو يضحك . فدَعا له عِقال وقال له : يا أمير المؤمنينَ مِمَّ تضحك ؟ أدام اللهُ سرورك . قال : يا أبا الشيظم ، إنِّي اغتسلت آنفاً من شيء إذا حرّكته تحرّك ، وذكرتُ قولك الآن لمّا رأيتك ، فضحكت .

[رثاء الجنيد المرّي]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرِّد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ القاسم العجليّ البرتيُّ قال : حدَّثني أبو هفّان قال : حدَّثتني رقيةُ بنت حَمَل عَن أبيها قالت : كان أبو نُخيلة مدّاحاً للجنيدِ بن عبد الرحمن المريِّ ، وكان الجنيدُ له محبّاً ، يكثر رفده ويقرّب مجلسه ، ويحسن إليه . فلمّا مات الجنيد قال أبو نُخيلة يرثيه : [من الطويل]

لعمري لئن رَكبُ الجنيد تحملوا ... إلى الشام من مرٍّ وراحَت ركائبُهْ[4]
لقد غادرَ الركبُ الشآمون خلفهم ... فتـــى غطفانيّـاً يُعلـل جانبُـهْ

1 ل : فتت في القلب جوى فانفتا .
2 أنتى : تأخّر . السبت : النوّام .
3 الجان : ضرب من الحيات .
4 ركائبه في ل : كتائبه .

فتـــى كان يسري للعدوّ كأنّما سُروب القطا في كلِّ يوم كتائبُهْ[1]
وكان كأن البــدرَ تحــت لوائــه إذا راحَ في جيشٍ وراحَتْ عصائبُهْ

[حبه لابنه علي]

أَخبرنا محمدُ بنُ جعفرٍ قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ القاسم قـال : حدَّثنـي أَبو هِفّانَ عن عبدِ الله بنِ داودَ عن عليٍّ بن أبي نُخيلة ، قال : كان أَبي شديد الرقة عليَّ معجباً بي ، فكان إذا أكل خصّني بأطيب الطعام ، وإذا نام أضجعني إلى جنبه ، فغاظ ذلك امرأته أُمَّ حمّاد الحنفيةَ ، فجعلت تعذُله وتؤنبه ، وتقول : قد أَقمتَ في منزلك ، وعكفتَ على هذا الصبيّ ، وتركت الطلب لولدك وعيالك . فقال أَبي في ذلك : [من الوافر]

ولـــولا شهوتـــي شَفَتَيْ عليٍّ رَبعتُ على الصحابةِ والركابِ
ولكـــنّ الوسائـــلَ مـــن عليٍّ خلَصنَ إلى الفؤادِ من الحجابِ

قال ، فازدادت غضباً ، فقال لها :

وليس كأُمِّ حمّـــاد خليـــلٌ إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
منعمـــةً أَرى فتقـــرّ عينـــي وتكفيني خلائقُهـــا عتـــابي

فرضيت وأَمسكت عنّا .

[لولا أبان هلكت نمير]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بن عبد الملك قال حدَّثني سهلُ بنُ زكريا قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أحمدَ الباهليُّ قال : قال أَبان بنُ عبدِ الله النميري يوماً لجلسائه ، وفيهم أبو نُخيلة : واللهِ لَوددتُ أنّه قيل فيّ ما قيل في جرير بن عبد الله : [من الرجز]

لولا جريـرٌ هَلَكَتْ بجيلهْ نِعمَ الفتى وبئست القبيلَهْ

وأَنَّني أَثبت على ذلك مالي كلّه ، فقال له أَبو نُخيلة : هَلُم الثواب ، فقد حضرني من ذلك ما تريد ، فأمر له بدراهم : فقال : اسمع يا طالب ما يخزيه : [من الرجز]

لـــولا أَبانٌ هلكت نُمَيرُ نعم الفتى وليس فيهم خَيرُ

[لا يؤذن له على أبي جعفر]

أَخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ قال : حدَّثنا الحسنُ بنَ عُليل العنَزيُّ قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ خالدِ المازنيُّ عن أبي عبيدة قال : وقف أبو نُخيلة على باب أبي جعفر واستأذن ، فلم يصلْ ، وجعلت الخراسانيّة تَدخل وتخرج ، فتهزأُ به ، فيرون شيخاً أعرابيّاً جِلفاً فيعبثون به ، فقال له رجل عرفه : كيف أنت أبا نُخيلة ؟ فأنشأ يقول : [من الرجز]

1 سُروب في ل : عجاج القطا .

أَصبحتُ لا يملكُ بعضي بعضاً   أَشكو العُروق الآبضات أَبضا[1]
كما تَشكّى الأرحبيُّ الغرْضا   كأنّما كان شبابي قَرضا[2]

فقال له الرجل : وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة ؟ فقال : [من الرجز]

أَكثرُ خلق اللهِ مَن لا يُدرى   مِن أَيّ خلق الله حين يُلْقى
وحُلّةٌ تُنشرُ ثم تُطوى   وطيلسانٌ يُشتَرى فيُغْلى
لعبدِ عبدٍ أَو لمولى مولى   يا ويحَ بيتِ المالِ ماذا يَلقى

[هبات أبان بن الوليد]

وبهذا الإسناد عن أَبي عبيدة أَنّ أَبا نُخيلة قدِم عَلى أَبانِ بنِ الوليد فامتدحه ، فكساه ووهب له جارية جميلة ، فخرج يوماً من عنده ، فلقيَه رجل من قومه ، فقيل له : كيف وجدتَ أبانَ بن الوليد يا أبا نُخيلة ؟ فقال : [من الرجز]

أَكثرَ واللهِ أَبانٌ مَيْري   ومن أَبانِ الخيرِ كلُّ خيري
ثوبٌ لِجِلدي وحِرٌ لأَيري

[العسل والماء البارد دواء التخمة]

نسخت من كتاب اليوسفيّ حدَّثني خالدُ بن حميدٍ عن أَبي عمرٍو الشيبانيِّ قال : أَقحمت السنَة أَبا نُخَيلة فأَتى القعقاع بن ضِرار ، وهو يومئذٍ على شُرطة الكوفة ، فمدحه ، وأنزله القعقاعُ بن ضِرار وابنَيه وعبدَيه وركابهم في دار ، وأقام لهم الأنزال ، ولِركابهم العُلوفَة . وكان طباخ القعقاع يجيئُهم في كلِّ يوم بأَربع قصاع ، فيها أَلوان مطبوخة من لحوم الغنم ، ويأتيهم بتَمر وزُبد . فقال له يوماً القعقاع : كيف منزلك أَبا نُخيلة ، فقال : [من الرجز]

ما زال عنّا قَصَعاتٌ أَربعُ   شَهرين دَأْبا ذُوّد ورجعُ
عَبداي وابناي وشيخٌ يرفعُ   كما يقومُ الجَملُ المطبَّعُ[3]

قال : وكان أَبو نُخيلة يكثر الأَكل فأَصابته تُخَمَة ، فدخل على القعْقاع فسأَله : كيف أَصبحت أبا نخيلة ؟ فقال : أَصبحتُ واللهِ بشماً ، أَمرْتَ خبازك فأَتاني بهذا الرّقاق الذي كأنّه الثياب المبلولة ، قد غمسه في الشحم غمساً ، وأَتبعه بزبد كرأس النعجةِ الخُرْسيّة ، وتمرٍ كأنّه عَنز رابضة ، إذا أخذْتُ التمرة من موضعها تَبِعها من الرُّبِّ كالسلوك الممدودة ؛

1 الآبضات : المتقبضة .
2 الأرحبي : النجيب ، نسبة إلى قبيلة أرحب . الغرض : حزام الرحل .
3 الجمل المطبع : المثقل بالحمل .

فأمعنت في ذلك ، وأعجبني حتى بَشِمتُ ، فهل من أقداح جياد ؟ وبين يدي القعقاع حجّام واقف وسُفرةٌ موضوعة فيها المواسي ، فإذا أُتي بِشُرّاب النبيذ حلقَ رؤوسهم ولحاهم . فقال له القعقاع : أتطلب منّي النّبيذ وأنتَ ترى ما أَصنع بِشرابه ؟ عليك بالعسل والماء البارد ، فوثب ثم قال : [من الرجز]

قــد علِـمَ المظَــلّ والمبيتُ أنّي مِن القعقاع فيما شِيتُ
إذا أتــتْ مائــدةٌ أُتيـتُ ببِـدَع لست بهـا غُذِيتُ
وُلِّيتُ فاستشفِعتُ واستعدِيتُ كأنّنــي كنـت الذي ولِّيتُ
ولــو تمنيـتُ الذي أعطيتُ ما ازددتُ شيئاً فوق ما لقيتُ
أيا ابــن بيتٍ دونَه البيوتُ أقصرْ فقد فوق القِرى قُريتُ
مـا بين شرابي عسلٌ منعوتُ ولا فُــرات صَــرِد بيّوتُ[1]
لكنّني في النــومِ قــد أُريتُ رطــلَ نبيذ مُخفِس سُقيتُ[2]
صلبــاً إذا جاذبتــه رويتُ

فغمزه على إسماعيل ابن أخيه ، وأومأ إلى إسماعيل ، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فسقاه حتى صلح .

[يمدح السفاح ويغضب الجالسين]

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال : حدَّثنا قَعنبُ بنُ المحرزِ وأبو عمرٍو الباهليُّ قالا : حدَّثنا الأصمعيّ قال : دخل أبو نُخَيلة على أبي العبّاس السفاح ، وعنده أبو صفوانَ إسحاقُ بنُ مسلمٍ العُقيليُّ ، فأنشده قوله : [من الرجز]

صادتْك يــومَ الرملتين شَعْفَرُ وقــد يصيدُ القانصَ المزعفَرُ[3]
يــا صورةً حسّنهــا المصوّر لِلرِّيم منها جيدُهـا والمَحجَرُ

يقول فيها في مدح أبي العبّاس :

حتى إذا ما الأوصياءُ عسكروا وقام مِــن تِبر النبيّ الجوهرُ
ومِن بنــي العبّاس نَبع أَصفر ينميــه فــرعٌ طيّب وعنصرُ

---

1 الصرد : الخالص . والبيّوت : البارد .
2 مخفس : سريع المفعول .
3 شعفر : اسم امرأة .

أَقبــلَ بالنّاسِ الهوى المستبهِر ... وصاح في الليــلِ نهـار أنورُ
أَنــا الذي لو قيل إنِّي أَشعرُ ... جلّى الضبابَ الرجز المخبِّرُ[1]
لّما مضت لي أَشهر وأَشهر ... قلــت لنفس تُزدَهــى فتصبرُ
لا يستخفنَّك ركـــب يَصدرُ ... لا مُنجــد يَمضي ولا مُغوِّرُ
وحالفي الأنبار فهــي المحشرُ ... أَو يسمعَ الخليفـــةُ المطهَّرُ
مِنِّي فإنِّـــي كلَّ جنح أُحضر ... وإن بالأنبـــارِ غيثـــاً يهمُرُ
والغيثُ يُرجى والديارُ تنضُرُ ... مـــا كان إلاّ أَن أَتاها العسكرُ
حتى زهاهـــا مسجــد ومِنبر ... لم يبقَ من مـــروانَ عين تنظرُ
لا غائــــبٌ ولا أُنــاس حُضّر ... هيهـــاتَ أُودى المنعم المعقرُ
وأَمست الأنبـــارُ داراً تُعمَــر ... وخرِبــتْ مــــن الشآم أَدوُرُ
حِمصٌ وبـــابُ التِّبن والموقَّر ... ودمّـــرت بعـــد امتناعٍ تدمرُ
وواسطٌ لم يبــقَ إلاّ القرقر ... منها وإلاّ الديربان الأخضرُ[2]

(ومنها) :

أَين أَبو الورد وأَين الكوثرُ

أَبو الورد هذيل بن زفر ، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان .

وأَين مروانُ وأَين الأشقرُ ... وأَين فَــلّ لم يَفُت مخيّرُ
وأَين عاديّكــم المُجَمْهَر ... وعامرٌ وعامـــر وأعصُرُ

قال : يعني عامرَ بنَ صعصعةَ ، وعامرَ بنَ ربيعةَ ، وأعصُرَ باهلةَ وغنيٍّ ، قال : فغضب إسحاق بن مسلم ، وقال : هؤلاء كلّهم في حِرِ أمّك أَبا نُخيلة . فأنكر الخليفة عليه ذلك ، فقال : إنِّي والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شرّاً من هذا في مجالس بني مروان . وما لَه عهد ، وما هو بوفيّ ولا كريم . فبان ذلك في وجه أبي العبّاس ، وقال له قولاً ضعيفاً : إنّ التوبةَ تغسل الحَوْبَةَ ، والحسناتِ يذهبنَ السيئاتِ ، وهذا شاعرُ بني هاشم . وقام فدخل ، وانصرف النّاس ، ولم يعطِ أَبا نُخيلة شيئاً .

---

1 المخبّر في ل : المحبر .

2 القرقر : النواحي الظاهرة من البلد . والديربان : دير أبان من قرى غوطة دمشق وواسط : لعلّه يقصد بلدة بالجزيرة ، فجميع البلدان التي ذكرها في بلاد الشام .

[شعره في تولية المهدي]

وأخبرني أحمد بنُ عُبيد الله بنِ عمار الثقفيُّ حدَّثنا عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ النّوفليُّ قال: حدَّثني أبي عن عبدِ الله بن أبي سُلَيم مولى عبد الله بنِ الحارث قال: بينا أنا أسيرُ مع أبي الفضل يَعني، سُليمانَ بنَ عبد الله، وحدي بين الحِيرةِ والكوفة، وهو يريدُ المنصورَ، وقد همَّ بتولية المهديّ العهدَ وخلْعِ عيسى بن موسى، وهو يَرُوض ذلك، إذا هو بأبي نُخَيلة الشاعرِ، ومعه ابنان له وعبد، وهم يحملون متاعه. فقال له: يا أبا نُخَيلة، ما هذا الذي أرى؟ قال: كنت نازلاً على القعقاع بنِ معبَد أحدِ ولَد معبَد بن زُرارة، فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهديّ العهدَ ونزعِ عيسى بنِ موسى، فسألني التحوّل عنه، لئلاَّ ينالَه مكروه من عيسى إذ كان صنيعته. فقال سليمان: يا عبدَ الله، اذهبْ بأبي نُخَيلة فأنزِله منزلا وأحسِنْ نُزُله وبِرّه، ففعلت. ودخل سليمانُ إلى المنصور فأخبره الخبر، فلمّا كان يوم البَيعة جاء بأبي نُخَيلة فأدخله على المنصور، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس، وهي قصيدته التي يقول فيها: [من الرجز]

بل يا أمينَ الواحدِ الموحَّدِ　　إنّ الذي ولاّكَ ربُّ المسجدِ
ليس وليّ عهدنا بالأَسعدِ　　عيسى فزحلفها إلى محمدِ
من عند عيسى معهداً عن معهد　　حتى تُؤدَّى من يدٍ إلى يدِ

قال: فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم، قال: وبايع لمحمد بالعهد، فانصرف عيسى بن موسى إلى منزله. قال: فحدَّثني داودُ بنُ عيسى بنِ موسى قال: جمعَنا أبي فقال: يا بَنيّ، قد رأيتم ما جرى، فأيُّما أحبُّ إليكم: أن يقال لكم: يا بَني المخلوع، أو يقال لكم: يا بني المفقود؟ فقلنا: لا، بل يا بَني المخلوع. فقال: وُفّقتم بَنيّ. وأوّل هذه الأرجوزة التي هذه الأبيات منها: [من الرجز]

لم يُنسني يا ابنةَ آل معبَدِ　　ذكراكِ تكرارُ الليالي العُوّدِ
ولا ذواتُ العَصَب المورَّد　　ولو طَلَبْنَ الوُدّ بالتودّدِ[1]
ورُحنَ في الدُّرّ وفي الزبرجدِ　　هيهاتَ منهنّ وإن لم تَعهدي
نَجديّةٌ ذاتُ مَعانٍ منجد　　كأنّ ريّاها بُعَيد المَرقَدِ[2]

---

1 العصب: نوع من البرود.

2 معان: منزل.

ريّا الخُزامى في ثَرًى جَعْدٍ ندي كيفَ التصابي فِعلَ من لم يهتدِ
وقد علَتْني ذرأة بادي بَدِي وَرْثيــةٌ تنهــض في تشدّدي[1]
بعدَ انتهاضي في الشبابِ الأملدِ

يقول فيها : [من الرجز]

إلى أميرِ المؤمنــينَ فاعمِــد إلى الذي يُندي ولا يَندَى نَدي
سيري إلى بحـرِ البحارِ المزْبد إلى الذي إن نفِدت لم ينفَدِ
أو ثَمَّدَتْ أشراعها لم يَثمِدِ[2]

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر :

فقـد رضينا بالغـلامِ الأمردِ وقـد فَرَغنـا غير أن لم نشهدِ
وغيرَ أنّ العَقــد لم يؤكـــد فلــو سمعنا قولكَ امدُدِ امدُدِ
كانت لنا كزعقة الوِرد الصدي فنــادِ للبيعة جمعــاً نَحشُدِ[3]
في يومنا الحاضر هــذا أو غــدِ واصنعْ كما شئــتَ ورُدّ يُردَدِ
وَردّه منـــك رداء يرتــــدِ فهــو رِداء السابــق المقلَّدِ
وكان يروى أنّهــا كأن قــد عادت ولو قد نقِلَت لم تُرددِ
أقول في ذكرى أحاديثَ الغدِ للهِ دَري مــــن أخٍ ومنشدِ
لو نلتُ حظّ الحبشيِّ الأسودِ

يعني أبا دُلامة .

[خبر آخر عن أرجوزة العهد للمهدي]

فأخبرني عبدُ الله بنُ محمدٍ الرازيُّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارثِ قال : حدَّثنا المدائنيُّ ، أنّ أبا نُخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم والخاصة ، وتناشدتها العامة . فبلغت المنصور فدعا به ، وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه ، فأنشده إيّاها ، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها . قال أبو نخيلة : فجعلتُ أرى فيه السرور ، ثم قال لعيسى بن موسى : ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررتَ عمّك ، وبلغتَ من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السارّ . فقال

1 الذرأة : الشيب في ابتدائه .
2 ثمدت أشراعها : نزفت مواردها .
3 كزعقة في ل : كدعكة . والورد : القوم يردون الماء .

عيسى : لقد ضلَلتُ إذاً وما أنا من المهتدين . قال : أبو نخيلة : فلما خرجتُ لحِقَني عِقالُ بنُ شبّة فقال : أمّا أنت فقد سررتَ أميرَ المؤمنين ، ولئن تمَّ الأمرُ فلعمري لتصيبنّ خيراً ، ولئن لم يَتم فابتغِ نَفقاً في الأرض ، أو سُلَّماً في السماء . فقلت له :

عَلِقــت معالقَها وصرّ الجندُب[1]

[خبر ثالث عن هذه الأرجوزة]

قال المدائنيّ : وحدَّثني بعض موالي المنصور قال : لمّا أراد المنصور أن يعهَد للمهديّ أحبّ أن تقول الشعراء في ذلك ، فحدَّثني عبدُ الجبّار بنُ عُبيد الله الحِمانيّ قال : حدَّثني أبو نُخيلة قال : قدمتُ على أبي جعفر ، فأقمتُ ببابه شهراً لا أصلُ إليه ، فقال لي عبدُ الله بنُ الربيع الحارثيّ : يا أبا نُخَيلة ، إنّ أميرَ المؤمنين يريد أن يقدّم المهديَّ بين يدَي عيسى بنِ موسى ، فلو قلتَ شيئاً تحثّه على ما يريد . فقلت : [من الرجز]

ماذا على شَحْط النَّوى عناكا أم ما مَرى دمعَك من ذكراكا ؟
وقــد تبكّيتَ فمــا أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها :

خليفــةَ اللهِ وأنــتَ ذاكا أسنِدْ إلى محمــدٍ عصــاكا
فأحفَظُ النّــاس لهــا أدناكا وابنُــك مــا استكفيتَه كفاكا
وكلُّنــا منتظــــر لــــذاكا لــو قلتَ هاتوا قيل هاكَ هاكا

[مقتله وسلخ وجهه]

قال : فأنشدته إيّاها ، فوصلني بألفي درهم ، وقال لي : احذر عيسى بنَ موسى ، فإنّي أخافه عليك أن يغتالك . قال المدائنيّ : وخلَع أبو جعفر عيسى بنَ موسى ، فبعث عيسى في طلب أبي نُخيلة ، فهرب منه ، وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبرُه ، فجرّد خلفَه مولى له يقال له قَطَريّ ، معه عِدّة من مواليه ، وقال له : نَفْسَك نفسك أنْ يفوتَك أبو نُخَيلة . فخرج في طلبه مُغِذّا للسير ، فلحقه في طريقه إلى خراسان ، فقتله وسلخ وجهه .

ونسختُ من كتاب القاسمِ بنِ يوسفَ عن خالدِ بنِ حَمَل أنّ عليّ بن أبي نُخيلة حدَّثه أنّ المنصور أمر أبا نُخيلة أن يهرُب إلى خراسان ، فأخذه قطريّ وكتفَه فأضجعه ، فلمّا وضع السكين على أوداجه قال : إيه يا ابن اللخناء ، ألست القائل :

---

1 المثل «علقت معالقها وصرّ الجندب» في مجمع الميداني 2 : 15 وجمهرة العسكري 2 : 32 ومستقصى الزمخشري 2 : 167 وأمثال العرب : 167 ، ومعناه : قد وجب الأمر ونشب فجزع الضعيف من القوم .

علِقَت معالقَها وصرّ الجندب

الآن صَرّ جندُبُك . فقال : لعن اللهُ ذاك جندُباً ، ما كان أشأم ذكره ! ثم ذبحه ، قَطَري ، وسَلخ وجهه ، وألقى جسمه إلىالنّسور ، وأقسم لا يريم مكانَه حتى تمزّق السباعُ والطيورُ لحمَه ، فأقام حتى لم يبقَ منه إلاّ عظامه ، ثم انصرفَ .

[شماتة أبي الأبرش]

أخبرنا جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدَّثنا أبو حاتم السجستانيُّ قال : حدَّثني الأصمعيّ عن سعيد بنِ سَلْم عن أبيه قال : قلتُ لأبي الأبرش : مات أبو نُخَيلةَ ، قال : حتفَ أنفه ؟ قلتُ : لا ، بل اغتيلَ فقتلَ . فقال : الحمدُ للهِ الذي قطع قلبَه ، وقبض روحَه ، وسفكَ دمَه ، وأراحني منه ، وأحياني بعدَهُ . وكان أبو نُخيلةَ يهاجي الأبرش ، فغلبه أبو نُخَيلةَ .

صوت

[من مجزوء الكامل]

ولقد دخلْتُ على الفتا ... ةِ الخِدرِ في اليومِ المطيرِ
فدفعتُها فتدافعتْ ... مشيَ القطاةِ على الغديرِ
فلثمتُها فتنفّسَتْ ... كتنفّسِ الظبي البهيرِ

الشعر للمنخَّل اليشكريّ ، والغناء لإبراهيم ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرٍو وأحمدَ المكيِّ .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين   الأستاذ بكر عباس

المجلد الحادي والعشرون

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

21

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Iṣphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[440] ـ أخبار المنخَّل[1] ونسبه

[نسبه]

هو المُنخَّل بنُ عمرو ، ويقال : المُنخَّل بنُ مسعودِ ، بن أَفلَتَ بنِ عمرِو بن كعبِ بن سُواءةَ بن غَنْم بن حبيب بن يشكُرَ بن بكرِ بن وائل . وذكر أبو محلِّم النسابة : أنّه المنخَّلُ بنُ مسعودِ بنِ أفلَتَ بنِ قَطَنِ بن سُواءةَ بنِ مالك بن ثعلبة بنِ حبيبِ بن غَنْـم بنِ حبيب بنِ كعب بن يشكُرَ . وقال ابنُ الأعرابيّ : هو المنخَّل بنُ الحارثِ بنِ قيسِ بن عمرِو بن ثعلبة بنِ عَـديٍّ بن جُشَمَ بنِ حبيبِ بنِ كعبِ بنِ يَشْكُرَ .

[اتهامه بالمتجرّدة]

شاعر مُقِلٌّ من شعراء الجاهلية ، وكان النُّعمانُ بنُ المنذر قد اتّهمه بامرأته المتجرّدة ، وقيل : بل وجده معها ، وقيل : بل سُعيَ به إليه في أمرها فقتله ، وقيل : بل حبسه ، ثم غَمَض خبره ، فلم تُعلم له حقيقة إلى اليوم . فيقال : إنّه دفنه حيّاً ، ويقال : إنّه غرّقه . والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العَنَزيّ وأشباهه مِمّن هلكَ ولم يُعلم له خبر . وقال ذو الرُّمَّة : [من الطويل]

تُقـارِبُ حتى تُطمِعَ التابعَ الصِّبا وليستْ بأدنى من إيابِ المنخَّلِ[2]

وقال النَّمِر بنُ تَوْلَب : [من الطويل]

وقَوْلي إذا مـا أُطلقوا عن بعيرِهم تلاقونَــــه حتى يـؤوبَ المنخَّلُ

[قصة قتله]

أَخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ، قال : أَخبرني أَحمد بن زهير قال : أَخبرني عبدُ الله بن كُريم قال : أخبرني أبو عمرٍو الشيبانيُّ قال : كان سبب قتل المنخَّل أنَّ المتجرّدةَ ، واسمُها ماويّة وقيل : هند بنتُ المنـذِر بنِ الأسود الكلبيّة ، كانت عند ابن عمّ لها يقال له : حُلْم ، وهو الأَسودُ بنُ المنذرِ بن حارثة الكلبيُّ ، وكانت أجملَ أهل زمانِها ، فرآها المنذر بن المنذر الملكُ اللّخميّ فعشِقها ، فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حُلـم وامرأتـه المتجرّدة ، فقال المنذر لِحُلم : إنّه لقبيح بالرجل أن يقيمَ على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسِه ولا لِحيته شعرة

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1/404–405 والمؤتلف 178 وشرح الحماسة 2/102–108 وشعراء الجاهلية 421–424 .

2 مثل : انظر المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 1/341 ، 361 وفي كتاب المستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 58 وفي كتاب مجمع الأمثال للميداني 1/211 ، 2/212 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 346 .

بيضاء إلاّ عرفْتها ، فهل لك أن تُطلّقَ امرأتَك المتجرّدةَ وأُطلِّقَ امرأتي سلمى ؟ قال : نعم ، فأخذ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه عهداً . قال : فطلّق المنذرُ امرأته سلمى ، وطلّق حُلم امرأتَه المتجرّدةَ ، فتزوَّجها المنذر ولم يُطلق لسلمى أان تتزوَّج حُلماً ، وحجبها ، وهي أُمّ ابنه النُّعمانِ بن المنذر ، فقال النابغة الذبيانيّ يذكر ذلك : [من البسيط]

قـد خادعوا حُلماً عن حرّة خَرِدٍ ... حتى تبطَّنها الخـدّاعُ ذو الحُلُمِ

قال : ثم مات المنذر بن المنذر ، فتزوّجها بعده النُّعمان بنُ المنذر ابنُه ، وكان قصيراً دميماً أبرش ، وكان ممّن يجالسه ويشرب معه النابغةُ الذُّبيانيّ ، وكان جميلاً عفيفاً ، والمُنخَّل اليشكريّ ، وكان جميلاً ، وكان يُتَّهم بالمتجرّدة . فأمّا النابغة فإنّ النُّعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أوّلها : [من الكامل]

أمِـن آلِ ميّـةَ رائحٌ أو مغتدي ... عجـلانَ ذا زاد وغيرَ مـزوَّدِ

ووصفها فأفحش فقال :

وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدِفٍ ... رابـي المَجسّة بـالعَبيرِ مُقَرمَدِ[1]
وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصِفٍ ... نـزعَ الحَـزَوّر بالرشاءِ المحصَدِ[2]

[تحريضه قومه على قاتله]

فغار المُنخَّل من ذلك ، وقال : هذه صفة مُعايِن ، فهمَّ النُّعمان بقتل النابغة حتى هرب منه ، وخلا المُنخَّل بمجالسته ، وكان يهوى المتجرّدة وتهواه ، وقد ولِدت للنُّعمان غلامين جميلين يشبهان المُنخَّل ، وكانت العرب تقول : إنّهما منه . فخرج النُّعمان لبعض غزواته ، قال ابن الأعرابيّ : بل خرج متصيّداً ، فبعثت المتجرّدة إلى المنخل فأدخلته قبتها ، وجعلا يشربان ، فأخذَت خَلخالها وجعلته في رجله ، وأسدلت شعرها فشدّت خَلخالها إلى خَلخاله الذي في رجله من شدّة إعجابها به . ودخل النُّعمان بعِقب ذلك فرآها على تلك الحال ، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلِب يقال له : عِكَبّ ، وأمَرَه بقتله ، فعذّبه حتى قتله . فقال المُنخَّل يحرّض قومه عليه : [من الوافر]

ألا مَن مبلغِ الحيّـين عنّي ... بأنّ القومَ قـد قتلـوا أُبَيّا
فإن لم تثأروا لي من عِكَبٍّ ... فلا رَوّيتُـمُ أبـداً صَدِيّا

وقال أيضاً : [من الخفيف]

---

1 مقرمد : مطلي .
2 مستحصف : قليل البلولة ضيق . الحزوّر : الرجل القوي . المحصد : الحبل الشديد الفتل .

ظَلَّ وسْطَ النديّ قَتلى بِلا جُرْ م ٍ وقومـي يُنتِّجون السِّخالا[1]

[من شعره في المتجرّدة]

وقال في المتجرّدة : [من الوافر]

دِيارٌ للّتي قتلتـكَ غصباً بلا سيفٍ يُعَـدّ ولا نِبالِ
بطَرْفٍ ميِّت في عين حَيٍّ له خَبَل يزيدُ على الخَبالِ

وقال أيضاً : [من مجزوء الكامل]

ولقد دخلـتُ على الفتـا ةِ الخِـدرَ في اليومِ المطيرِ
الكاعــبِ الحسنـاءِ تـر فُلُ في الدِّمَقْس وفي الحريرِ
دافعتُهـــا فتدافَعـــتْ مَشْيَ القطاةِ إلى الغديرِ[2]
ولثمتُهــــــا فتنفّست كتنفّس الظبــي البَهيرِ[3]
ورَنَت وقالت يـا مُنَخَّـ لُ هل بجسمك من فتورِ[4]
مـا مسَّ جسمي غيرُ حُبِّـ ـك فاهدئي عنّي وسيري[5]
يـا هندُ هــل مـن نائلٍ يـا هندُ للعاني الأَسيرِ ؟[6]
وأُحبّهـــا وتُحبّنــــي ويُحِـبّ ناقتَهـا بعيـري
ولقـــد شربتُ مـن المدا مـــة بالكبيرِ وبالصغيرِ
فــإذا سكـــرتُ فإنّني ربُّ الخورنــق والسريرِ[7]
وإذا صحـــوتُ فإنّنـي ربّ الشُّوَيهـــة والبعيرِ
يـــا رُبَّ يومٍ ـ للمنخَّـ ـل قـد لها فيـه ـ قصيرِ

1 في الشعر والشعراء : ظلّ وسط العباد قتلي . السخال : أولاد الغنم من الضأن والمعز ساعة يولد .
2 في الحماسة والشعر والشعراء : فدفعتها فتدافعت .
3 البهير : المتتابع الأنفاس .
4 في الحماسة :

فدنت وقالـت يـا منخــ ـلُ ما بجسمك من حرورِ

5 في الحماسة والشعر والشعراء : ما شف .
6 في الحماسة : هل لميتّم .
7 فإذا سكرت في الحماسة : فإذا انتشيت ، وفي ل : فإذا شربت . والخورنق : قصر للنعمان الأكبر . في الحماسة : والسدّير ، والسدّير : نهر بناحية الحيرة .

[رواية أُخرى عن المنخَّل مع المتجرّدة]

وأَخبرني بخبر المُنخَّل مع المتجرِّدة أَيضاً عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : أَخبرني أَبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيب عن ابنِ الأعرابيِّ قال : كانت المتجرّدةُ امرأةُ النعمان فاجرةً ، وكانت تُتّهم بالمُنخَّل ، وقد ولَدتْ للنعمان غلامين جميلين يشبهان المُنَخَّل ، فكان يقال : إنّهما منه ، وكان جميلاً وسيماً ، وكان النُّعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً . وكان للنعمان يوم يركب فيه فيُطيل المُكث ، وكان المُنخَّل من ندمائه لا يفارقه ، وكان يأتي المتجرِّدَة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النُّعمان فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النُّعمان آذنَتْها بمجيئه ولِيدة لها موكّلة بذلك فتُخرِجُه .

فركب النُّعمان ذات يوم وأتاها المُنخَّل كما كان يأتيها فلاعبَته ، وأَخذت قيداً ، فجعلت إحدى حلقتيه في رِجْله والأُخرى في رجلها ، وغفَلت الولَيدةُ عن تَرقّب النُّعمان ؛ لأنّ الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قَرُب بعدُ ، وأقبل النُّعمان حينئذٍ ولم يُطِل في مكثه[1] كما كان يفعل ، فدخل إلى المتجرِّدة ، فوجدها مع المُنخَّل قد قيَّدَت رجلها ورجلَه بالقيد ، فأخذه النُّعمان فدفعه إلى عِكَبٍّ صاحبِ سجنه ليعذّبه ، وعِكَبٌّ رجل من لَخم ، فعذّبه حتى قتله . وقال المُنخَّل قبل أن يموتَ هذه الأبيات ، وبعث بها إلى ابنيه : [من الوافر]

ألا مَن مبلِغ الحُرّينِ عنّي بأنّ القومَ قـد قتلوا أُبيّا
وإن لم تثأروا لي من عِكَبٍّ فـلا أُرويتما أَبـداً صَدِيّا
يُطوّفُ بي عِكَبٌّ في معدٍّ ويطعنُ بالصُّملّة في قَفَيّا[2]

[قاتله هو النُّعمان لا عمرو بن هند]

قال ابن حبيب : وزعم ابن الجَصّاص أنّ عمرو بن هند هو قاتل المُنخَّل ، والقول الأَوّل أَصحّ .

[قصيدته في المتجرّدة]

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجرّدة ، وأَوّلها قوله : [من مجزوء الكامل]

إن كنتِ عاذلتـي فسيري نحـوَ العراق ولا تَحوَري
لا تسألي عـن جُـلّ مـا لي واذكري كَرَمي وخِيري
وإذا الريـاحُ تناوحَـتْ بجوانـب البيت الكسيرِ[3]

---

1 ل : وجهه .
2 الصملة : الحربة .
3 الكسير : الذي له كسور ، وهي ما مسّ الأرض من هدابه .

أَلفيتنـــي هشّ النـــــديِّ بِمـرّ قدِحـي أو شجيري[1]

الشجير : القِدح الذي لم يُصلَح حسناً ، ويقال : بل هو القِدح العاريّة .

ونَهَـى أَبـو أَفعـى فقلّـ ـدني أَبو أَفعـى جريري[2]
وجُلالـــة خطّـــارة هوجاءَ جائلـةَ الضُّفورِ[3]
تعدو بأَشعثَ قـد وَهـى سِربالُـــه باقـي المسيرِ[4]
فُضُلا على ظهـرِ الطريـ ـقِ إليك علقمةَ بنَ صيرِ[5]
الواهـبُ الكـومِ الصّفا يا والأوانس في الخُدورِ[6]
يُصفيك حـين تجيئـه بالعَصْب والحَلْي الكثيرِ[7]
وفـوارسٍ كأُوار حـرِّ النّـار أَحـلاس الذُّكورِ[8]
شدُّوا دوابـرَ بيضهـم في كلِّ محكمـةِ القتيرِ[9]
فاستلأمـوا وتَلبَّبُـوا إنّ التلبّـبَ للمغيرِ
وعـلى الجيـادِ المضمَرا تِ فوارسٌ مثل الصقورِ[10]
يَخرجن مـن خَلَل الغبا رِ يَجِفْـن بالنَّعَمِ الكثيرِ
فشفيتُ نفسي مـن أُولـ ـئكَ والفوائـحِ بالعبيرِ
يرفُلـن في المسك الذكيّ وصائـكٍ كـدَمِ النّحيرِ[11]

---

1 في حماسة أبي تمام : أَلفيتنـــي هشّ اليديـــن بمري قدحي أو شجيري
والشجير : القريب .
2 الجرير : حَبْلُ الزِّمام .
3 جلالة : ناقة مسنّة . خطارة : تضرب بذنبها يميناً وشمالاً . الضفور : جمع ضَفْر ، وهو ما يشدّ البعير به من مضفور .
4 باقي المسير : لم يستنفد القدرة على المسير .
5 فضلاً : متفضّلاً في ثوب واحد .
6 الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام . الصفايا : النوق الغزيرة اللبن .
7 العصب : ضرب من البرود .
8 الحلس : الملازم .
9 القتير : رؤوس مسامير الدروع .
10 المضمرات في ل : المشنقات .
11 صائك : وصف من صاك به الطبيب يصيك : لزق .

يعكُفن مثـــلِ أَساود التَّـ ـنُّومِ لم تُعكَــف لِزورِ[1]
ولقـد دخلـــتُ على الفتا ةِ الخدرَ في اليـومِ المطيرِ
الكاعـــبِ الخنساءِ تـر فُل في الدِّمَقْس وفي الحريرِ
فدفَعتُهـــــا فتدافعــــتْ مشيَ القطـاة إلى الغـديرِ
ولَثَمتُهــــــا فتنفَّسَتْ كتنفّسِ الظبـــي البَهيرِ
فدنَــتْ وقالت يـا منخَّـ ـلُ ما بجسمك من حَرورِ ؟
ما شفَّ جسمي غيرُ حبِّــ ـك فاهدئي عنّي وسيري
ولقـد شربـــتُ من المُدا مـــةِ بـالصغيرِ وبالكبيرِ
ولقـد شربتُ الخمرَ بالـ ـخيلِ الإنـاث وبالذُّكورِ
ولقـد شربتُ الخمرَ بالـ ـعبد الصحيح وبالأَسيرِ
فـإذا سكِـــرتُ فإنّنـي ربُّ الخَوَرْنَــق والسديرِ
وإذا صحـــوتُ فإنَّنـي ربّ الشُّوَيهـــة والبعيرِ
يـا رُبَّ يـــوم للمنخَّـ ـل قـد لهـا فيه قصيرِ
يـا هنـدُ هــل من نائلٍ يـا هنــدُ للعاني الأَسيرِ

ومن الناس مَن يزيد في هذه القصيدة :

وأُحبّهـــا وتُحبّنــــي ويحـبّ ناقتَهـا بعيري

ولم أَجده في رواية صحيحة .

صوت

[من الوافر]

لِمَن شيخان قد نَشَدا كلابا كتابَ الله لو قَبِــل الكتابا
أُناشده فيُعــرِض في إبـــاءٍ فــلا وأَبي كلابٍ ما أَصابا

الشعر لأُميّة بنِ الأسكر الليثيّ ، والغناء لعبد الله بن طاهر ، رمَل بالوسطى . صنعه ونسبه إلى لَميسَ جاريته ، وذكر الهِشاميّ أنّ اللحن لها ، وذكره عُبيد الله بنُ عبد الله بن طاهِر في جامع أغانيهم ووقع إليّ ، فقال : الغناء فيه للدّار الكبيرة ، وكذلك كان يكنّي عن أبيه ، وعن إسحاق بن إبراهيمَ بن مُصعبٍ وجواريهم ، ويكنّي عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في دُور إخوته بالدّار الصغيرة .

---

1 يعكفن : يمشطن أو يضفر . التنوّم : شجر يسود كله .

[441 ـ أخبار أُميّة بن الأَسكر ونسبه]

[نسبه]

هو أُميّةُ بن حُرْثانَ بن الأَسكر بن عبد الله بن سرابيل الموت بن زُهرةَ بن زَبينةَ بن جُنْدُع بن ليثِ بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانةَ بن خُزَيمةَ بن مُدرِكةَ بن إلياس بن مُضرَ بن نزار .

شاعر فارس مخضرَم أدركَ الجاهليّة والإسلام ، وكان من سادات قومه وفُرسانهم ، وله أيّام مأثورة مذكورة .

[استعمال ابنه كلاب على الأبلة]

وكان له أَخ يقال له : أَبو لاعق الدم ، وكان من فُرسان قومه وشعرائهم ، وابنُه كِلابُ بنُ أُميّة أيضاً أدرك النبيّ ﷺ فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبيّ ﷺ فقال أبوه فيه شعراً ، ذكر أبو عمرو الشيبانيّ أنّه هذا الشعر ، وهو خطأ ، إنّما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفُرس ، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا .

قال أَبو عمرو في خبره : فأَمره ﷺ بصلة أَبيه وملازمتِه طاعته .

وكان عمر بن الخطّاب استعمل كلاباً على الأُبلّة[1] ، فكان أَبواه يتتابانه ، يأتيه أحدهما في كلّ سنة ، ثم أبطأَ عليه وكبِرا فضعفا عن لقائه ، فقال أبياتاً وأنشدها عمرَ ، فرقّ له وردّه إليهما ، فلم يلبث معهما إلاّ مدّة حتى نهشَتْه أُفعى ؛ فمات وهذا أيضاً وَهْم من أبي عمرو ، وقد عاشَ كِلاب حتى ولي زياد الأُبلّه ، ثم استعفَى ، فأعفاه . وسأذكر خبره في ذلك وغيرَه هاهنا إن شاء الله تعالى .

[شعره في ابنه كلاب لما طالت غيبته في الغزو]

فأمّا خبره مع عمر فإنّ الحسنَ بنَ عليٍّ أَخبرني به ، قال : حدَّثني الحارثُ بنُ محمد قال : حدَّثني المدائنيُّ عن أبي بكر الهُذَليّ عن الزُّبَيريِّ عن عُروةَ بن الزُّبَير قال : هاجر كِلابُ بن أُميَّة بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطّاب ، فأقام بها مدّة ، ثم لَقي ذات يوم طلحةَ بن عُبَيدالله والزُّبيرَ بنَ العوّام ، فسألهما : أيُّ الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد ، فسأل عمرَ فأغزاه في جيش ، وكان أبوه قد كبِر وضعُف ، فلمّا طالت غيبة كلاب عنه قال : [من الوافر]

---

1 الأبلة : بلدة غربي البصرة .

لِمَن شيخان قد نشَدا كلابا كتابَ الله إن قَبِلَ الكتابا[1]
أناديه فيُعرض في إباء فلا وأَبي كلابٍ ما أَصابا[2]
إذا سجعَتْ حمامةُ بطنِ وادٍ إلى بَيْضاتها دَعوا كلابا[3]
أَتاه مهاجران تكنّفاه ففارق شيخه خَطِئا وخابا[4]
تركتَ أَباك مُرعَشةً يداه وأُمّك ما تُسيغ لها شرابا
تُمَسّح مُهره شفَقاً عليه وتجنُبه أَباعرَها الصعابا[5]

قال : تجنُبه وتجنّبه واحد ، من قول الله عزّ وجلّ : ﴿واجنُبْني وبَنيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ﴾[6] قال :

فإنّك قد تركت أَباك شيخاً يطارق أَينُقاً شُزُباً طِرابا[7]
فإنّك والتماسَ الأَجرِ بَعدي كباغي الماء يتّبع السرابا

[ينشد عمر شعراً فيرد كلاباً عليه]

فبلغَتْ أَبياتُه عمرَ ، فلم يردُد كلاباً وطال مقامه فأُهتِر أُميّة وخُلِط جزَعاً عليه ؛ ثم أَتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله ﷺ وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف عليه ثم أَنشأ يقول : [من الوافر]

أَعاذلَ قد عذَلْتِ بغير قدرٍ ولا تدرين عاذلَ ما أُلاقي
فإمّا كنتِ عاذلتي فَرُدّي كِلابا إذ توجَّه للعراقِ
ولم أَقضِ اللُّبانة من كِلابٍ غداةَ غدٍ وأُذّن بالفِراقِ
فتى الفِتيان في عُسْرٍ ويُسرٍ شديدُ الرُّكن في يوم التلاقي
فلا والله ما باليتَ وَجدي ولا شفَقي عليكَ ولا اشتياقي

---

1 ذكرت في الأمالي بترتيب مخالف وبرواية مخالفة في أكثر الأبيات .
2 في الأمالي : أناديه وولاني قفاه .
3 سجعت في الأمالي : هتفت . إلى في الأمالي : على .
4 أتاه مهاجران في الأمالي : فإنّ مهاجرين . ففارق في الأمالي : ليترك .
5 رواية البيت في الأمالي :
تنفّض مهره شفقاً عليه ونجنبه أباعرنا الصعابا
6 سورة إبراهيم ، الآية : 35 .
7 يطارق : يطابق . شزباً : ضامرة . وفي الأمالي :
وإن أباك حيث علمتماه يُطارد أَيْنُقاً شسباً طرابا

وإبقائـي عليــكَ إذا شتَونا — وضمَّك تحت نحري واعتناقي
فلو فَلـق الفؤادَ شَدِيدُ وجْدٍ — لَهَــمَّ سوادُ قلبــي بانفلاقِ[1]
سأستعدي على الفاروقِ ربّــاً — لــه دُفِعَ الحجيجُ إلى بُساقِ[2]
وأدعــو الله مجتهــداً عليــه — ببطــن الأَخشبَين إلى دُفاقِ
إنِ الفاروقُ لم يــردد كلابــاً — إلى شيخــين هامُهما زَواقِ

[مبلغ برّه بأبيه]

قال : فبكى عمر بكاءً شديداً ، وكتب بردّ كلاب إلى المدينة ، فلمّا قدِم دخل إليه ، فقال : ما بلغ من بِرّك بأبيك ؟ قال : كنتُ أُوثره وأكفيه أمره ، وكنت أعتمد إذا أردتُ أن أحلُب له لبناً أغزر ناقةٍ في إبله وأسمَنها فأُريحها وأتركها حتى تستقرّ ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيَه . فبعث عمرُ إلى أُميّة مَن جاء به إليه ، فأدخله يتهادى وقد ضعُف بصرُه وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أميرَ المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، أشتهي أن أرى كِلاباً فأشَمَّه شَمّة ، وأضُمَّه ضَمَّة قبل أن أموت . فبكى عمر ، ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحبّ إن شاء الله تعالى .

[عمر يأمره أن يلزم أبويه]

ثم أمر كلاباً أن يحتلبَ لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعثَ إليه بلبنها ، ففعل فناوله عمرُ الإناء ، وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلمّا أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمر : والله يا أمير المؤمنين ، إنّي لأشمّ رائحة يدي كلاب من هذا الإناء ، فبكى عمر ، وقال : هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به ، فوثب إلى ابنه وضمَّه إليه وقبّله ، وجعل عمرُ يبكي ومَن حضَره ، وقال لكلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ، ثم شأنَك بنفسك بعدهما ، وأمر له بعطائه ، وصرَفه مع أبيه ، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه .

[يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام]

ونسختُ من كتاب أبي سعيد السكريّ أنّ أُميّة كانت له إبل هائمة ، أي أصابها الهُيام وهو داء يصيب الإبل من العطش ، فأخرجَته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلَهم ، فقال لهم : يا بَني بكر ، إنّما هي ثلاث ليال : ليلة بالبقعاء[3] وليلة بالفُرْع[4] ، وليلة بِلَقْف في سامرٍ من

1 شديد في ل : حطام .
2 بُساق : موضع .
3 البقعاء : ماء لعبس ، وقيل : مياه لبني السليط على مبعدة 24 ميلاً من المدينة .
4 الفرع : قرية ناحية المدينة .

بني بكر ، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه ، فأتى مُزَينة فأجاروه ، وأقام عندهم إلى أن صحّت إبله ، وسكنت ، فقال يمدح مُزينة : [من الوافر]

تكنّفها الهُيام وأخرجوها فما تأوي إلى إبل صِحاحِ
فكان إلى مُزَينةَ منتهاها على ما كان فيها من جُناحِ
وما يكن الجُناحُ فإنّ فيها خلائقَ ينتمين إلى صلاحِ
ويوماً في بني ليث بن بكر تُراعي تحت قعقعة الرماحِ
فإمّا أصبحَنْ شيخاً كبيراً وراء الدار يُثقلني سلاحي
فقد آتي الصريخَ إذا دعاني على ذي مَنْعة عَتِدٍ وَقاحِ[1]
وشرٌّ أخي مؤامرةٍ خَذولٌ على ما كان مؤتكلٌ ولاحِ[2]

[عمّر حتى خرف]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا محمد بن عبدِ الله الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيِّ عن أبيه ، وأخبرني به محمد بن خلفِ بن المَرْزُبان قال : حدّثنا أبو توبةَ عن أبي عمرو قال : عُمِّر أُميّةُ بن الأسكر عُمراً طويلاً حتى خَرِف ، فكان ذات يوم جالساً في نادي قومه وهو يحدّث نفسه ، إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتعجّب منه ، فقام لينهض فسقط على وجهه ، فضحك الراعي منه ، وأقبل ابناه إليه ، فلمّا رآهما أنشأ يقول : [من البسيط]

يا بْنَي أُميّة إنّي عنكما غانِ وما الغِنى غير أنّي مُرعَشٌ فانِ
يا بْنَي أُميّة إلاّ تحفظا كِبَري فإنّما أنتما والثُّكلُ سِيّانِ
هل لكما في تُراثٍ تذهبان به إنّ التراثَ لِهَيّانِ بنِ بَيّانِ

يقال : هيانُ بن بَيان ، وهي ترى للقريب والبعيد .

أصبحتُ هُزْءاً لراعي الضأن يَسخَر بي ماذا يَريبك مِنّي راعيَ الضّانِ[3]
اعجَبْ لغيريَ إنّي تابع سلفي أعمامَ مجد وأجدادي وإخواني
وانعَقْ بضأنك في أرضٍ تُطيف بها بين الأساف وأنتجها بجِلْذان[4]

1 عَتِد : أي شديد تام الخلق . والوقاح : الصلب .
2 مؤتكل : غاضب هائج .
3 هزءاً في ل : قرداً .
4 الأساف : البقاع التي لا تنبت ، جمع أسافة . في الأمالي : بجُمدان ورواية البيت مختلفة :
انعق بضأنك في نجم تحقّره من الأباطح واحبسها بجُمدان
وجُمدان ، اسم لواد ، واسم جبل .

جِلذان : موضع بالطائف .

بلــدة لا ينــام الكالئــان بهــا ولا يَقَـرُّ بهــا أَصحــابُ أَلـــوانِ

[الإمام علي يتمثّل بشعرٍ له]

وهذه الأَبيات تمثّل بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، في خطبةٍ له على المِنبر بالكوفة .

حدَّثنا بها أَحمدُ بن عُبيدِ الله بن عمّار وأحمدُ بن عبدِ العزيز الجوهريُّ ، قالا : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : حدَّثنا محمدُ بن أبي رجاء ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بن سعد ، قال : قال عبدُ الله بن عديٍّ بن الخِيار : شهِدت الحكَمَين ، ثم أُتيت الكوفة وكانت لي إلى عليّ عليه السلام حاجة ، فدخلتُ عليه ، فلمّا رآني قال : مرحباً بك يا ابنَ أُمّ قتّال ، أَزائراً جئتنا أم لحاجة ؟ فقلت : كُلٌّ جاء بي ؛ جئت لحاجة ، وأحببت أن أُجدِّد بك عهداً ، وسألته عن حديث فحدَّثني على ألاّ أُحدِّث به واحداً . فبينا أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا عليٌّ صلوات الله عليه متنكّب قَرَناً[1] له ، فجعل يقول : الصلاة جامعة . وجلس على المِنبر ، فاجتمع الناس ، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المِنبر . فلمّا اجتمع الناس ، ورضي منهم قام فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيّها الناس ، إنّكم تزعمون أنّ عندي من رسول الله ﷺ ، ما ليس عند الناس ، ألا وإنّه ليس عندي إلاّ ما في قَرَني هذا ، ثم نَكَتَ كنانته ، فأخرج منها صحيفة فيها : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يَدٌ على مَن سواهم . مَن أحدث حدَثاً أو آوى مُحْدِثاً فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاس أجمعين» . فقال له الأشعث بن قيس : هذه والله عليك لا لك ، دَعْها تترحّل ، فخفَض عليّ ، صلوات الله عليهِ ، إليه بصره ، وقال : ما يدريك ما عَليَّ مِمّا لي ! عليك لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين ، حائكٌ ابنُ حائك ، منافقٌ ابنُ منافق ، كافرٌ ابنُ كافر . والله لقد أسرَك الإسلام مرّة والكفرُ مرّة ، فما فَداك من واحدٍ منهما حَسَبُك ولا مالُك ، ثم رفع إليَّ بصرَه فقال : يا عبيد الله : [من البسيط]

أُصبحتُ قِنّاً لراعي الضأن يلعبُ بي ماذا يَريبك منّـي راعـيَ الضّانِ

فقلت : بأبي أنتَ وأُمّي ، قد كنتُ والله أُحبّ أن أَسمع هذا منك . قال : هو والله ذلك ، قال : [من الطويل]

---

1 قرن : جعبة .

فما قِيلَ لي من بعدها من مقالة ولا عَلِقتْ منّي جديداً ولا دَرْسا

[عودة كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا الحارثُ ، عن المدائنيِّ قال : لمّا مات أُميّةُ بن الأُسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة ، فكان يغزو مع المسلمين ، منها مغازيهم ، وشهد فتوحات كثيرة ، وبقي إلى أيّام زياد ، فولاّه الأُبلّة ، فسمع كلابٌ يوماً عثمانَ بن أبي العاص يحدّث أنّ داود نبيَّ اللهِ ، عليه السلام ، كان يجمع أهلَه في السّحَر فيقول : ادعوا ربّكم فإنّ في السَّحَر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلاّ غُفِر له ، إلاّ أن يكون عَشّاراً[1] أو عَريفاً[2] . فلمّا سَمِع ذلك كلاب كتب إلى زياد ، فاستعفاه من عمله فأعفاه .

قال المدائنيّ : ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات ، والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة منسوبةٌ إليه .

[شعر أُميّة وقد ظفر بنو ليث بقومه]

وقال أَبو عمرو الشيبانيٌّ : كان بين بني غِفارٍ قومِه وبني ليث حربٌ فظفِرَتْ بنو ليث بغِفار ، فحالف رَحْضةُ بنُ خُزيمة بنِ خلافِ بنِ حارثة بن غِفار وقومُه ، جميعاً بني أسلمَ بنِ أفصى بنِ خُزاعة ، فقال أُميّة بن الأسكر في ذلك ، وكان سيدَ بني جندُعِ بنِ ليث وفارسَهم : [من الطويل]

لقد طِبتَ نفساً عن مواليك يا رَحْضا وآثرتَ أذنابَ الشوائل والحمضا[3]

تُعلِّلنا بالنّصر في كلِّ شَتوة وكلّ ربيع أَنت رافضنا رفضا

فلولا تأسّينا وحدُّ رماحنا لقد جرّ قومٌ لحمنا تَرِباً قَضَّا

القضّ والقضيض : الحصا الصغار .

[عبد الله بن الزُّبير يتمثّل بشعره]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثني أَحمد بن زهير قال : حدَّثنا مُصعَبُ بن عبدِ الله عن أَبيه قال : افتعل عمرو بن الزُّبير كتاباً عن معاويةَ إلى مروانَ بن الحكم بأن يدفع إليه مالاً ، فدفعه إليه ، فلمّا عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عَمراً حتى يؤدِّيَ المالَ ، فحبسه مروانُ ، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بنَ الزُّبير ، فجاء إلى مروانَ وسأله عن الخبر ، فحدَّثه به ، فقال : مالُكم في ذمّتي ، فأطلق عَمراً ، وأدّى عبدُ الله المالَ عنه ، وقال : واللهِ إنّي لأُؤدِّيه

1 العشار : جابي عشر الأموال .

2 العريف : الرئيس أو النقيب .

3 الشوائل : جمع شائلة ، وهي التي أتى على حملها سبعة أشهر . والحمض : نبت ترعاه الإبل .

عنه وإنّي لأَعلم أَنّه غير شاكر ، ثم تمثَّل قولَ أُميّة بن الأَسكر الليثيّ : [من الطويل]

فلـولا تأسّينا وحـدّ رماحنا لقد جـرّ قوم لحمنا تَربا قَضّا

[سيّدان يخطبان بنتاً له]

وقال ابنُ الكلبيّ : حدَّثنا بعضُ بني الحارثِ بنِ كعبٍ قال : اجتمع يزيدُ بنُ عبدِ المَدانِ وعامِرُ بنُ الطُّفَيـل بمَوسمِ عُكاظَ ، فقدِمَ أُميّةُ بن الأسكر ، ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها ، فخطبها يزيدُ وعامرٌ ، فقالت أُمُّ كلابٍ امرأةُ أُميّةَ : مَن هذا الرجلان ؟ قال : قال : هـذا ابنُ الديّـان ، وهذا عامر بنُ الطُّفَيل . قالت : أعرف ابنَ الديّـان ، ولا أُعرف عامراً . قـال : هل سَمِعْتِ بمُلاعب الأَسنّة ؟ قالت : نعم والله . قال : فهذا ابنُ أَخيه .

وأَقبل يزيدُ فقال : يا أُميّةُ أنا ابنُ الديان ، صاحبُ الكثيبِ ، ورئيسُ مَذْحِج ، ومكلّمُ العُقاب ، ومَن كان يَصُوب أصابعه فتنطِف دماً ، ويدلُك راحتَيْه فتخرجان ذهباً . قال أُميّة : بَخٍ بَخٍ .

فقال عامر : جدّي الأَحزمُ ، وعمِّي أَبو الأَصبع ، وعمِّي ملاعبُ الأَسنّة ، وجدِّي الرّحّال ، وأَبي فارس قُرْزُل . قال أُميّة : بَخٍ بَخٍ ، مَرْعى ولا كالسَّعْدانِ[1] ، فأرسلها . مثلاً .

فقال يزيد : يا عامرُ ، هل تعلم شاعراً من قومي رحَل بمدحِه إلى رجل من قومك ؟ قال : لا ، قال : فهل تعلم أَنّ شعراء قومك يرحلون بمدحِهم إلى قومي ؟ قال : نعم . قال : فهل لك نجم يمانٍ أو برد يَمانٍ أو سيف يَمانٍ أو ركنٌ يمانٍ ؟ فقال : لا ، قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم ، فنهض يزيد وقام ، ثم قال : [من الرجز]

أُمَيّ يا ابنَ الأَسكر بنِ مُدلج لا تجعلَنْ هوازنـا كمَذحِجِ
إنّك إن تلهـج بأَمـر تلجَجِ ما النّبع في مغرِسه كالعَوْسَجِ
ولا الصَّريحُ المحـضُ كالمُمزَّجِ

وقال مُرّةُ بنُ دُودان العُقَيليّ ، وكان عدوّاً لعامر بن الطُّفَيل : [من الرجز]

1 انظر المثل في جمهرة الأمثال للعسكري 275/2 ، 325 ، 242/4 وفصل المقال لأبي عبيد البكري 199 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 135 ، والفاخر للمفضل بن سلمة الضبي 64 وكتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي 127 وكتاب الأمثال لمجهول 112 . السعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل . مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه . وفي مجمع الأمثال للميداني : أنّه للخنساء . وهو في فصل المقال : 199 مثل يضرب للرجل يحمد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى . وحكى المفضل أنّ المثل لامرأة من طيىء وكان تزوّجها امرؤ القيس بن حجر الكنديّ وكان مفركاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأوّل : فقالت : «مرعى ولا كالسّعدان» .

يا ليت شعري عنك يا يزيدُ ماذا الذي من عامـر تريدُ ؟
لكلّ قـوم فخرُهـم عتيـدُ أَمُطلَقـون نحـن أم عبيدُ ؟
لا بـل عَبيدٌ زادُنـا الهَبيدُ[1]

فزوّج أُميّة يزيد فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يـا لَلرجـال لطارق الأَحزانِ ولِعامـر بـن طفيلٍ الوسنانِ
كانت إتاوةُ قومـه لمحـرِّق زمناً وصارت بعـدُ للنُّعمانِ[2]
عَـدَّ الفوارسَ من هوازن كلّها كَثْفا عـليّ وجئتُ بالديانِ[3]
فـإذا ليَ الفضلُ المبـين بوالدٍ ضخمِ الدَّسِيعة زانني ونماني[4]
يـا عـامِ إنّك فارسٌ متهوّرٌ غضٌّ الشباب أخو نَدًى وقيان
واعلم بأَنّك يا ابن فارس قُرْزُل دون الذي تسمو له وتُداني
ليستْ فوارسُ عامـر بمُقِرَّةٍ لـك الفضيلة في بنـي عَيْلانِ
فإذا لقيتَ بني الخميس ومالكاً وبني الضِّباب وحيَّ آل قنانِ
فاسأَل مَـنِ المرءُ المُنَوَّه باسمه والدافعُ الأَعداء عن نَجران ؟
يُعطـى المَقادةَ في فوارس قومِه كرماً لعمـرك والكريم يمانِ

فقال عامر بن الطُّفيل مجيباً له : [من الكامل]

يـا للرجـال لطارق الأُحزان ولِمـا يجـيء بـه بنو الدّيانِ
فخـروا علـيَّ بِحَبْوة لمحَـرِّق وإتـاوة سلفت مـن النُّعمانِ
مـا أَنـت وابنَ محرقٍ وقبيله وإتاوةَ اللخمـيِّ في عَيْـلانِ ؟
فاقصِد بذَرْعِك قَصْدَ أُمرك قصده ودعِ القبائل من بنـي قحطانِ
إذ كان سالفُنا الإتـاوة فيهم أولى ففخرك فخـر كلّ يمانِ
وافخر بِرَهط بني الحَماس ومالك وابـن الضِّباب وزعبـل وقيانِ
وأَنا المُنخَّل وابنُ فـارس قُرْزُلٍ وأَبـو نـزار زاننـي ونماني

---

1 الهبيد : الحنظل .
2 ممن يلقبون بالمحرق : عمرو بن هند ، والحارث بن عمر .
3 الكثف : الكثرة والالتفاف .
4 الدسيعة : الجفنة والمائدة الكريمة .

وإذا تعاظمت الأُمور موازنا | كنتُ المنوَّهَ باسمه والثاني

فلمّا رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مُرَّةَ بنِ دُودانَ ، فقالوا : أَنت شاعر بني عامر ولم تَهْجُ بَني الديان ، فقال : [من الوافر]

تكلّفني هوازنُ فخْرَ قومٍ | يقولون الأَنامُ لنا عبيدُ
أبوهم مَذْحِج وأَبو أَبيهم | إذا ما عُدّت الآباءُ هودُ
وهل لي إن فخَرتُ بغير فخر | مقالٌ والأَنام له شهودُ ؟
فإنّا لم نزلْ لهمُ قطينا | تجيء إليهمُ منّا الوفودُ[1]
فإنّا نضرب الأَحلامَ صفحا | عن العلياء أَو من ذا يكيدُ ؟
فقولوا يا بني عَيلان كنّا | لكم قِنّاً وما عنكم محيدُ

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبيّ ، والتوليد فيه بيِّن ، وشعره شعر ركيك غثّ ، لا يشبه أشعار القوم . وإنّما ذكرتُه لئلاّ يخلوَ الكتاب من شيء قد رُوي .

[شعره في يوم المريسيع]

وقال محمد بنُ حبيبَ فيما روى عنه أَبو سعيدٍ السكَّريّ ، ونسخته من كتابه ، قال أَبو عمرو الشيبانيُّ : أُصيب قوم من بني جُندعُ بن ليث بن بكرِ بن هوازنَ رهطِ أُميّةَ بن الأسكرِ يقال لهم : بنو زَبينةَ ، أَصابهم أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، يوم المُرَيْسيع[2] في غزوتِه بني المُصْطَلِق ، وكانوا جيرانَه يومئذٍ ، ومعهم ناسٌ من بني لِحْيانَ من هُذَيل ، ومع بني جُندُع رجلٌ من خُزاعةَ يقال له : طارق ، فاتّهمه بنو ليث بهم ، وأنّه دَلَّ عليهم . وكانت خزاعةُ مُسلمها ومشركُها يميلون إلى النبيّ ﷺ ، على قريش . فقال أُميّة بنُ الأسكر لطارقٍ الخُزاعيّ : [من الطويل]

لعمرك إنّي والخزاعيَّ طارقاً | كنَعجة عادٍ حتفَها تتحفّرُ
أَثارت عليها شَفرةً بِكُراعها | فظلّت بها من آخر الليل تُجزَرُ
شَمِتَّ بقومٍ هم صديقك أُهلِكوا | أَصابهمُ يومٌ من الدَّهرِ أَعسرُ
كأنّك لم تُنبأ بيوم ذُؤالة | ويومِ الرّجيع إذ تنحّر حبترُ
فهلاّ أباكم في هذيل وعمّكم | ثأرتُمْ وهمْ أَعدى قلوباً وأَوترُ

---

1 قطينا : أتباعاً .

2 المريسيع : بئر أو ماء لخزاعة .

ويوم الأَراك يـوم أُردِف سبيكم صميمُ سَراة الدِّيـل عبدٌ ويعمرُ
وسَعْد بـن ليث إذا تُسلُّ نساؤكم وكلب بن عوف نحرّوكم وعقروا
عجبت لشيخ مـن ربيعةَ مُهْترٍ أُمِرّ لـه يـومٌ من الدَّهر منكَرُ[1]

[شعر طارق الخزاعيّ يجيبه فيه]

فأَجابه طارق الخزاعيّ فقال : [من الطويل]

لعمرك مـا أُدري وإنِّي لقائل إلى أيٍّ مَـن يَظنّني أَتعذَّرُ ؟[2]
أُعنَّف أَنْ كانت زبينة أُهلكت ونال بنـي لحيانَ شرّ ونُفّروا

[ابن عبّاس ومعاوية يتمثّلان بشعره وشعر صاحبه]

وهذه الأبيات : الابتداء ، والجواب تَمثّل بابتدائها ابن عبّاس في رسالة إلى معاويةَ ، وتمثّل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها .

حدَّثني بذلك أَحمد بنُ عيسى بن أَبي موسى العِجليُّ العطّارُ بالكوفة ، قال : حدَّثنا الحسينُ بن نصرِ بن مزاحم المِنقريّ قال : حدَّثنا زيد بن المعذّل النَّمريُّ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ شعيبِ الخرّاز ، قال : حدَّثنا أبو مِخْنَف ، قال : لمّا بلغ معاويةَ مصابُ أمير المؤمنين عليّ ، عليه السلام ، دسّ رجلاً من بني القَيْن إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه ، فدُلّ على القينيّ بالبصرة في بني سُلَيم ، فأُخِذ وقتل .

وكتب ابن عبّاس من البصرة إلى معاوية :

أَمّا بعد ، فإنّك ودسَّك أَخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غَفَلات قريش مثل الذي ظفرتَ به من يمانيتِك لَكَما قال الشاعر : [من الطويل]

لعمـرك إنِّـي والخزاعيَّ طارقاً كنعجـة عـاد حتفَهـا تتحفّرُ
أَثارت عليهــا شَفـرةً بكُراعِها فظلَّت بهـا مـن آخر الليل تُجزَرُ
شمِتَّ بقوم هم صديقك أُهلكوا أَصابهمُ يـوم مـن الدهرِ أَمعرُ[3]

فأَجابه معاوية : أَما بعد ، فإنّ الحسنَ قد كتب إليّ بنحوٍ ممّا كتبت به وأَنَّبني بما لم أَجْن ظنّاً وسوءَ رأي ، وإنّك لم تَصب مَثَلَنا ، ولكـنْ مثلُنا ومثلُكم كما قال طارقٌ الخزاعيُّ : [من الطويل]

1 المهتر : الرجل يفقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .
2 يظنّني : يتهمني .
3 الأمعر : القليل الخير ، وفي ل : أصعر .

فوالله مــا أَدري وإنّي لصادق ... إلى أَيٍّ مــن يَظَنّني أتعذرُ ؟
أُعَنّف أَن كانتَ زبينةُ أُهلِكت ... ونال بني لِحيان شرّ ونُفِّروا

صوت

[من الكامل]

أَبنيّ إنّــي قــد كبِرتُ ورابَني ... بَصري وفيّ لِمُصْلــحٍ مستمتَعُ
فلئن كبِرتُ لقد دنوتُ من البلى ... وحَلَّت لكم منّــي خَلائقُ أَربعُ[1]

عروضه من الكامل ، والشعر لِعَبْدة بنِ الطبيب ، والغناء لابن مُحرِز ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها ، عن إسحاق ، وفيه لمعَبد خفيفُ ثقيل أوّل بالبِنصر في مجراها عنه أيضاً .

1 في رواية المفضليات (146) :
فلئن هلكتُ لقد بنيت مساعياً ... تبقــى لكــم منهــا مآثر أربعُ

[442] ـ نسب عبدة بن الطبيب[1] وأخباره

[نسبه]

هو فيما ذكر ابنُ حبيبَ عن ابن الأعرابيِّ ، وأبو نصر أحمدُ بنُ حاتمٍ عن الأصمعيِّ وأبي عمرٍو الشيبانيِّ وأبي فرْوة العُكلِيِّ : عَبْدَة بن الطبيب ، والطبيب اسمه يزيدُ بنُ عمرٍو بن وَعْلَةَ بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جُشَمَ بن عبد شمسٍ . ويقال : عَبْشَمْسُ بن سعدِ بن زيدِ مناةَ بن تميم .

وقال ابن حبيب خاصةً : وقد أخبرني أبو عبيدة قال : تميم كلّها كانت في الجاهليّة يقال لها : عبدُ تَيمٍ ، وتَيمٌ ، صنم كان لهم يعبدونه .

[شاعر مجيد]

وعَبْدةُ شاعر مُجيد ليس بالمكثِر ، وهو مُخَضْرَم ، أدرك الإسلام فأسلم ، وكان في جيش النُّعمان بنِ المُقرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن . وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

هل حَبلُ خَوْلَةَ بعد الهَجرِ موصولُ ... أم أَنت عنها بَعيدُ الدّارِ مشغولُ ؟
حلّت خُوَيْلة في دارٍ مجاوِرةً ... أَهلَ المدينة فيها الديك والفيلُ[2]
يقارعون رؤوس العُجْم ضاحيةً ... منهم فوارس لا عُـزْلٌ ولا مِيلُ[3]

[أرثى بيت قالته العرب في شعره]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاسِ اليزيديُّ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن أخي الأَصمعيّ عن عمِّه قال : أرثى بيتٍ قالته العرب قول عَبْدَةَ بنِ الطبيب : [من الطويل]

فما كان قيس هُلْكُه هُلكَ واحدٍ ... ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدَّما

---

1 انظر أخباره في : المفضليات (مفضلية 26 ص 134) ، والشعر والشعراء 727/2 ، واللآلي 69-70 والإصابة 101/5-102 .

2 في المفضليات : المدائن ووردت كذلك في شعر عبدة بن الطبيب : 58 .

3 ميل : جمع أميل ، وهو الجبان والسيء الركوب . أو من لا ترس معه ولا سيف ولا رمح .

وتمام هذه الأبيات : أنشدَناه عليٌّ بنُ سليمان الأَخفشُ عن السكريّ والمبرِّد والأَحول لعَبْدَة يرثي قيساً : [من الطويل]

عليك سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمتُه ما شاء أن يترحّما
تحيةَ من أوليتَه منك نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سلَّما[1]
وما كان قيسٌ هُلكهُ هلكَ واحد ولكنّه بُنيانُ قوم تهدَّما

[يترفع عن الهجاء]

أُخبرني محمد بنُ الحسن بنِ دُريد قال : حدَّثنا أبو عثمانَ الأُشنانْدانيّ عن التوّزيِّ عن أبي عبيدة عن يونس قال : قال رجل لخالد بن صَفوانَ : كان عبْدةُ بنُ الطبيب لا يُحسن أن يهجو ، فقال : لا تقل ذاك ، فوالله ما أُتيَ من عِيٍّ ، ولكنّه كان يترفّع عن الهجاء ويراه ضَعة ، كما يرى تركَه مروءة وشرفاً ، قال : [من الوافر]

وأجرأ مَن رأيتُ بَظَهْر غيبٍ على عيب الرجالِ أولو العيوبِ

[عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعرٍ له]

أُخبرني محمدُ بنُ القاسم الأنباريُّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ يحيى ثعلبٌ ، عن ابن الأعرابيّ : أنّ عبد الملك بنَ مروانَ قال يوماً لجلسائه : أيّ المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر ، كأنّها غِرْقىء[2] البيض . وقال آخرون : مناديل اليمن ، كأنّها نَوْر الربيع . فقال عبد الملك : مناديل أخي بني سعد عَبدةَ بن الطبيب ، قال : [من البسيط]

لّما نزلنا نصبنا ظلّ أَخبيةٍ وفارَ لِلقومِ باللحمِ المراجيلُ[3]
وَرْدٌ وأَشقرُ ما يؤنيه طابخُه ما غيَّر الغليُ منه فهو مأكولُ[4]
ثُمّتَ قمنا إلى جُرْد مُسوَّمةٍ أَعرافُهنَّ لأَيدينا مناديلُ

يعني بالمراجيل : المراجل ، فزاد فيها الياء ضرورة .

---

1 في شعر عبدة بن الطبيب 88 : ألبسته .

2 الغرقيء : القشرة الملتزقة ببياض البيض .

3 في المفضليات : 141 .

لما وردنا رفعنا ظِلّ أرديةٍ وفارَ باللحم للقوم المراجيل

وكذلك ورد في شعر عبدة بن الطبيب 73 .

4 في المفضليات :

ورداً وأشقر لم ينهئه طابخه ما غيَّر الغلي منه فهو مأكول

وكذلك ورد في شعر عبدة 73 يؤنيه : يمهله . ولم ينهئه : أي ينضجه .

صوت

[من الرجز]

إنّ الليالي أَسرعَت في نقضي أخذن بَعضي وتركــن بعضي

حَنَيْنَ طُولي وطَوَين عَرْضي أَقعدْنني مِن بعــد طولِ نهضِ

عروضه من الرّجز ، الشعر للأَغلب العجليّ ، والغناء لعمرو بن بانة ، هزَج بالبنصر .

[443] ـ أخبار الأغلب[1] ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما ذَكر ابن قُتَيبة ، الأغلبُ بن جُشَمَ بن سعدِ بن عِجلِ بن لُجَيمِ بن صعبِ بن عليٍّ بن بكرِ بن وائلٍ .

[إسلامه واستشهاده]

وهو أحمد المعمَّرين ، عُمِّر في الجاهليّة عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وحَسن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعدِ بنِ أبي وقّاص ، فنزلها ، واستُشهد في وَقعةِ بِنَهاوَنْدَ[2] ، فقبره هناك في قبور الشهداء .

[هو أوّل مَن رجز الأراجيز الطوال]

ويقال : إنّه أوّل مَن رجّز الأراجيز الطِّوال من العرب ، وإيّاه عَنى العجّاج بقوله مفتخراً : [من الرجز]

إنّي أنا الأغلبُ أمسى قد نشد

قال ابن حبيب : كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحُداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، فتأتي منه بأبيات يسيرة ، فكان الأغلب أوّلَ مَن قصّد الرجز ، ثم سلك الناسُ بعده طريقته .

[كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز]

أخبرنا الفضلُ بن الحُباب الجُمحيّ أبو خليفة في كتابه إلينا ، قال : أخبرنا محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ . وأخبرنا أحمدُ بنُ محمدٍ أبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدَّثنا الرياشيّ ، قال حدَّثنا مَعْمَر بنُ عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كانت للأغلب سَرْحة يصعد عليها ، ثم يرتجز : [من الرجز]

1 انظر أخباره في : الجمحي : 148–149 والشعر والشعراء 613/2 . والاشتقاق 208 والمؤتلف 22 وأسد الغابة 105/1 والإصابة 56/1 واللآلي 801–802 والخزانة 332/1–333 .

2 نهاوند : من بلاد الجبل ، جنوبي همذان .

قـــد عرَفَتْني سَرْحتي فأُطَّتِ وقد شَمِطتُ بعدها واشمطَّتِ[1]

فاعترضه رجل من بني سعد ، ثم أحدِ بني الحارث بن عمرِو بنِ كعب بنِ سعد ، فقال لـه : [من الرجز]

قَبُحتَ مـن سالِفةٍ ومن قفا عبدٌ إذا ما رسب القوم طفا[2]
كما شِرار الرِّعْي أطرافُ السَّفى[3]

[ينقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعره في الجاهلية]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدَّثني محمدُ بن عباد بنِ حبيبٍ المُهلَّبيُّ ، قال : حدَّثني نصرُ بن نابٍ عن داود بن أبي هند عن الشعبيِّ ، قال : كتب عمرُ بنُ الخطّاب إلى المغيرة بن شُعبةَ وهو على الكوفة : أن استنشد مَن قِبَلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام ، فأرسل إلى الأغلب العجليّ فاستنشده فقـال : [من الرجز]

لقـد سألتَ هيِّنـا موجوداً أَرجَـزاً تريـدُ أم قصيـدا ؟

ثم أرسَلَ إلى لَبيد فقال له : إن شئتَ مِمّا عفا الله عنه ، يعني الجاهليّة ، فعلتُ . قال : لا ، أنشدني ما قلت في الإسلام . فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة ، وقال : أبدلَني الله عزّ وجلّ بهذه في الإسلام مكانَ الشعر .

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر ، فنقَص عمرُ من عطاء الأَغلب خمسمائة ، وجعلها في عطاء لبيد ؛ فكتب إلى عمرَ : يا أمير المؤمنين ، أتنقص عطائي أن أطعتك ! فردّ عليه خمسمائة وأقرَّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة .

أخبرني محمدُ بن عبد العزيز : قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة ، قال : حدَّثنا محمد بن حاتم ، قال : حدّثنا عليُّ بنُ القاسم ، عن الشعبيّ قال : دخل الأغلبُ على عمرَ ، فلمّا رآه قال : هِيهِ ، أنت القائل : [من الرجز]

أرجـزاً تريـدُ أم قصيدا ؟ لقـد سألـتَ هيّناً موجودا

فقال : يا أمير المؤمنين إنّما أطعتك ، فكتب عمر إلى المغيرة : أن اردد عليه الخمسَ المائةِ ، وأقِرّ الخمسَ المائة للبيد .

---

1 السرحة : الشجرة لا شوك فيها . أطّت : صوّتت .
2 أصل السّالفة : مقدم عنق الفرس .
3 الرّعي : ما يُرعى .

[شعر في سجاح حين تزوّجت مسيلمة]

أَخبرنا أَبو خليفةَ عن محمد بن سلاّم قال : قال الأغلب العجليّ في سجاح لَمّا تزوّجت مُسيلمةَ الكذّاب : [من الرجز]

لقد لَقيتْ سجاح من بعد العمى مُلَوَّحـاً في العين مجلود القَرا[1]
مثـل الفنيق في شبابٍ قـد أَتـى مـن اللُّجَيْميّين أُصحابِ القِرى[2]
ليس بـذي واهنـة ولا نَسا نشا بلحـم وبخُبز مـا اشترى[3]
حتـى شتا يَنتح ذِفـراه الندى خاظي البَضيع لحمُـه خَظا بَظا[4]
كأنّما جمِّع مـن لحـم الخُصى إذا تمطَّـى بـين بُرديـه صأى[5]
كأَنَّ عِـرق أَيـره إذا ودى حَبلُ عجوز ضَفَّرت سبعَ قُوى[6]
يمشي عـلى قوائـمٍ خمس زَكا يرفع وُسطاهنّ من بَـرد النَّدى[7]
قالت : متى كنت أَبا الخير متى ؟ قـال حديثـاً لم يغيِّرني البِلى
ولم أُفـارق خُلَّـة لي على قِـلَى فانتُسفَتْ فَيشتُـه ذاتُ الشَّوى[8]
كأَن في أَجلادهـا سبـعَ كُلى مـا زال عنهـا بالحديث والمُنى[9]
والخُلقِ السَّفسافِ يُردي في الردى قـال : أَلا تَرَينَه قالـت : أُرى
قـال : أَلا أَدخِلـه ؟ قالت : بلى فشام فيهـا مثلَ محراث الغضى[10]

1 القرا : الظّهر .
2 الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى للكرامته على أهله ولا يركب .
3 الواهنة : ريح تأخذ في المنكبين ، أو في العضد ، أو في الأخدعين عند الكبر . النّسا : عرق من الورك إلى الكعبين .
4 ينتح : يخرج . الذّفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . خاظي : مكتنز . البضيع : ما انماز من لحم الفخذ ، جمع بضيعة . خظا : اكتنز وبظا ، توكيد لخظا .
5 صأى : صوّت .
6 ودى : المراد نعظ .
7 خمس زكا : خمس عدداً .
8 انتُسف اللون : التمع . وانتسف الطائر الشيء : نقره . الشوى : قحف الرأس .
9 أجلادها : أصل الأجلاد من الإنسان جسمه أو جملة شخصه ، وورد عند البكري : أجيادها . كُلى : من معاني الكلية : معقد حمالة القوس .
10 ورد في فصل المقال : قال ألا ألحمه . محراث : ما تحرك به النار .

يقول لمـا غـابَ فيهـا واستوى   لِمثلهـا كنـتُ أُحسِّيك الحَسا[1]

[من أخبار سجاح]

وكان من خبر سجاح وادّعائها النبوّة وتزويج مسيلمة الكذّاب إيّاها ما أُخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى ، عن أبيه عن شعيب عن سيف : أنَّ سجاح التميميّة ادّعت النبوّة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، واجتمعَتْ عليها بنو تميم ، فكان فيما ادّعت أنّه أُنزِل عليها : يا أيّها المؤمنون المتّقون ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكنَّ قريشاً قوم يبغون .

واجتمعت بنو تميم كلّها إليها لتنصرها . وكان فيهم الأَحنف بن قيس ، وحارثة بن بدر ، ووجوه تميم كلّها .

وكان مؤذِّنَـها شبث بن ربعيّ الرياحيّ ، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذّاب وهو باليمامة ، وقالت : يا معشرَ تميم ، اقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيها كلّ هامة ، وأَضرموا فيها ناراً مِلْهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة .

وقالتْ لبني تميم ، إنّ الله لم يجعل هذا الأَمر في ربيعة ، وإنّما جعله في مضر ، فاقصدوا هذا الجمع ، فإذا فضضتموه كررتم على قريش . فسارت في قومها وهم الدّهم[2] الداهم . وبلغ مسيلمةَ خبرُها ، فضاق بها ذرعاً ، وتحصَّن في حجر حصن اليمامة . وجاءت في جيوشها فأحاطت به ، فأرسل إلى وجوه قومه وقال : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها وتدعنا ، فإن لم نفعل فهو البوار .

وكان مسيلمة ذا دهاء ، فقال : سأنظر في هذا الأَمر . ثم بعث إليها : إنّ الله ، تبارك وتعالى ، أنزل عليكِ وحياً ، وأنزل عليّ . فهَلُمِّي نجتمع ، فنتدارس ما أنزل الله علينا ، فمَن عرف الحقّ تبعه ، واجتمعنا فأكلْنا العرب أكلاً بقومي وقومك .

فبعثَت إليه : أفعل ، فأَمَر بقُبّة أَدَم فضربَت ، وأمر بالعُود المَندَليّ[3] فسُجر فيها ، وقال :

---

1 مثل : ورد في باب «استعانة الرجل بإخوانه» «لمثل هذا كنت أُحسّيك الحسا» . وفي فصل المقال اختلف ترتيب الأشطار فجاءت كما يأتي :

تقذف عينه بمثل المصطكى   يقول لما غاب فيها واستوى
«لمثلها كنت أُحسّيكَ الحُسا»

ورد المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 178/2 ، 185 ، وكتاب الأمثال لمجهول 96 ، وفصل المقال 269 والمستقصى 295/2 .

2 الدهم : العدد الكثير .

3 العود المندلي : منسوب إلى مندل ، قرية بالهند .

أَكثِروا من الطيب والمِجْمر[1] ، فإنّ المرأة إذا شمّت رائحةَ الطيب ذكرت الباه ، ففعلوا ذلك .

وجاءها رسوله يخبرها بأمر القُبّة المضروبة للاجتماع ، فأَتته فقالت : هات ما أُنزِل عليك . فقال : أَلم تَر كيف فعل ربّك بالحبلى ، أخرج منها نُطْفة تسعى ، بين صِفاق[2] وحَشا ، من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربّهم يكون المنتهى . قالت : وماذا ؟ قال : أَلم ترَ أن الله خلقنا أفواجاً ، وجعل النساء لنا أزواجاً ، فنولج فيهنَّ الغراميل إيلاجاً ، ونخرجها منهنّ إذا شئن إخراجا . قالت : فبأيّ شيء أَمرك ؟ قال : [من الهزج]

أَلا قومي إلى النَّيكِ   فقد هُيِّي لك المضجعْ
فإن شئتي ففي البيت   وإن شئتي ففي المُخدعْ
وإن شئتي سلقناك   وإن شئتي على أَربعْ[3]
وإن شئتي بثلثيه   وإن شئتي به أَجمعْ

قال : فقالت : لا ، إلاّ به أَجمع . قال : فقال : كذا أُوحى الله إليّ ، فواقعها . فلمّا قام عنها قالت : إنّ مثلي لا يجري أمرُها هكذا ، فيكون وصمة على قومي وعليّ ، ولكنّي مُسلِّمةٌ النبوّة إليك ، فاخطبني إلى أوليائي يزوِّجوك ، ثم أقودُ تميماً معك .

فخرج وخرجَت معه ، فاجتمع الحيّان مِن حنيفة وتميم ، فقالت لهم سجاح : إنّه قرأ عليّ ما أُنزِل عليه ، فوجدته حقّاً ، فاتبعتُه ، ثم خطبها ، فزوّجوه إيّاها ، وسألوه عن المهر ، فقال : قد وضعتُ عنكم صلاة العصر ، فبنو تميم إلى الآن بالرَّمل لا يصلّونها ، ويقولون : هذا حقّ لنا ، ومهر كريمة منّا لا نردّه . قال : وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سَجاح في كلمةٍ له : [من البسيط]

أَضحَتْ نَبيّتنا أَنثى نُطيف بها   وأَصبحت أَنبياءُ اللهِ ذُكْرانا

قال : وسَمع الزبرقانَ بنَ بدرٍ الأَحنفُ يومئذٍ ، وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم ، فقال الأَحنف : والله ما رأيت أحمق من هذا النبيّ[4] قَطّ . فقال الزبرقان : والله لأخبرن بذلك مسيلمةَ . قال : إذاً والله أحلف أنّك كذبت فيصدّقني ويكذّبك . قال : فأمسك الزبرقان ،

---

1 المجمر : ما يوضع فيه الجمر .
2 الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشاعر .
3 سلقها : بسطها فجامعها .
4 ل : هذه الأنبياء .

وعلم أنّه قد صدق .

قال : وحُدِّث الحسنُ البصريّ بهذا الحديث ، فقال : أَمِن واللهِ أبو بحر من نزول الوحي . قال : فأسلمَت سجاحِ بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة ، وحسُن إسلامها .

صوت

[من السريع]

كم ليلةٍ فيكِ بِتُّ أسهرهــا ولوعــةٍ مــن هواك أُضمِرُها
وحُرقــةٍ والدمــوعُ تُطفئها ثــم يعــودُ الجوى فيُسعِرها
بيضاء رُود الشباب قد غُمِسَت في خَجل دائــب يعصفرها[1]
الله جــار لهــا فما امتلأت عيناي إلاّ من حيثُ أُبصرُها

الشعر للبحتريّ ، والغناء لعَريب ، رمَل مطلق من مجموع أغانيها ، وهو لحن مشهور في أيدي الناس ، والله أعلم .

1 الرود : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء .

[444] ـ أخبار البحتريّ[1] ونسبه

[نسبه]

هو الوليدُ بنُ عُبَيْدِ الله بنِ يحيى بنِ عبيد بن شِمْلال بن جابر بن سَلَمةَ بن مُسْهِر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جَدْي بن تدول بن بُحتر بن عَتود بن عَثَمة بن سَلامان بن ثُعَلَ بن عمرو بن الغوث بن جُلْهُمَةَ وهو طيِّىءُ بنُ أُدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

[شاعريته وندرة هجائه]

ويكنى أبا عُبادة ، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب ، نَقيّ الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرّف حسن فاضل نقيٌّ في ضروب الشعر ، سِوى الهجاء ، فإنّ بضاعته فيه نزْرة ، وجيّدُه منه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يزعم أنّ السبب في قلّة بضاعته في هذا الفنّ أنّه لمّا حضره الموتُ دعا به ، وقال له : اجمع كلّ شيء قلتُه في الهجاء . ففعل ، فأمره بإحراقه ، ثم قال له : يا بني ، هذا شيء قلتُه في وقت ، فشفيتُ به غيظي ، وكافأت به قبيحاً فُعل بي ، وقد انقضى أرَبي في ذلك ، وإن بقي رُوِي ، وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودّة ، وأخشى أن يعودَ عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه ، قال : فعلمت أنّه قد نصحَني وأشْفق عليّ ، فأحرقته .

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي الغَوْث .

وهذا ، كما قال أبو الغوث ، لا فائدة لك ولا لي فيه ، لأنّ الذي وجدْناه وبقي في أيْدي الناس من هجائه أكثرُهُ ساقط ، مثل قوله في ابن شيرزاد : [من المتقارب]

نفقْتَ نُفُـوق الحمار الذَّكَرْ وبـان ضُراطُـك عنّـا فمرْ

ومثل قوله في عليِّ بن الجهم : [من الوافر]

ولو أعطاك ربُّـك مـا تمَنَّى لزادك منـه في غِلَـظ الأيورِ

---

1 انظر أخباره في الفهرست : 190 وتاريخ بغداد 13 : 476 والمنتظم 6 : 11 ومعجم البلدان (منبج) وابن خلكان 6 : 21 ومعجم الأدباء 6 : رقم (1216) : 2796 وعبر للذهبي 2 : 73 وسير الذّهبي 13 : 486 والبداية والنهاية 11 : 76 والنجوم الزاهرة 3 : 99 والشذرات 2 : 186 وأخبار البحتري للصولي (دمشق 1957) والموازنة للآمدي ، ويونس السامرائي : البحتري في سامراء (1–2) بغداد 1971 وخليفة الوقيان : شعر البحتري ، بيروت 1985 .

عَلامَ طَفِقْــتَ تهجــوني مليّاً ... بمــا لفّقت مــن كذبٍ وزُورِ

وأشباه لهذه الأبيات ، ومثلها لا يُشاكل طبعَه ، ولا تليق بمذهبه ، وتنبىءُ بركاكتها وغَثاثة ألفاظها عن قِلّة حَظّه في الهجاء . وما يُعرف له هجاءٌ جيّدٌ إلاّ قصيدتان إحداهما قولُه في ابن أبي قماش : [من المنسرح]

مرّت على عَزْمِهـا ولم تقفِ ... مُبدِيــــةً للشّنــان والشَّنَفِ

يقول فيها لابن أبي قماش :

قد كان في الواجبِ المُحقّق أن ... تعرفَ ما في ضميرها النّطفِ

بما تَعاطيتَ في العيوبِ وما ... أُوتيت من حكمة ومن لَطَفِ

أمَا رأيت المرّيخَ قد مازج الزّ ... هرة في الجدِّ منــه والشّرَفِ

وأخبرتــك النّحـوسُ أنّكما ... في حالتـي ثابـت ومُنْصَرَفِ

من أين أعملت ذا وأنت على ... التّقْويم والزِّيج جِدّ مُنعكفِ

أما زجرتَ الطّير العلا أو تَعَيَّـ ... ـفْت المها أو نظرت في الكَتِفِ

رذُلت في هــذه الصناعةِ أو ... أكديتَ أو رمتَها على الخرَفِ

لم تَخْطُ باب الدّهليز منصرِفاً ... إلاّ وخَلخالُهـا مـع الشَّنَفِ[1]

وهي طويلةٌ ، ولم يكن مذهبي ذكرها إلاّ للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس ، وقصيدته في يعقوب بن الفرج النصرانيّ ، فإنّها ، وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها ، تجري مجرى التّهكمّ باللفظ الطيِّب الخبيث المعاني ، وهي : [من المتقارب]

تظـنّ شُجُــونيَ لم تَعْتَلِـجْ ... وقـد خلج البَيْنُ من قد خَلَجْ

وكان البحتريّ يتشبَّه بأبي تمّام في شعره ، ويَحْذو مَذْهَبَه ، ويَنْحو نحوَه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحباً وإماماً ، ويُقدّمه على نفسه ، ويقول في الفرق بينه وبينه قولَ مُنصِف : إنّ جَيّدَ أبي تمّام خيرٌ من جَيِّدِه ، ووسَطَه ورَدِيئه خيرٌ من وسط أبي تمّام ورديئه ، وكذا حكم هو على نفسه .

[مع أبي تمام]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ : قال : حدَّثني الحسين بن علي الياقُطانيّ : قال : قلت للبحتريّ : أيُّما أشعر أنتَ أو أبو تمام ؟ فقال : جيّده خير من جيّدي ، ورَديئي خَيْر من رديئه .

---

1 الشّنف : ما عُلّق بالأذن .

حدَّثني محمد بن يحيى قال : حدَّثني أَبو الغوث يحيى بن البحتريّ : قال : كان أَبي يُكنّى أبا الحسن ، وأبا عبادة ، فأشير عليّ في أيّام المتوكّل بأن أقتصر على أبي عبادة ، فإنّها أشهر ، فاقتصرت عليها .

حدَّثني محمد قال : سمعتُ عبدَ الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتريّ ـ وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرّد في سنة ستّ وسبعين ومائتين ، وقد أنشد البحتريّ شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله ـ : أنت واللهِ أشعرُ من أبي تمّام في هذا الشعر ، قال : كلاّ والله ، إنّ أبا تمام للرّئيسُ والأستاذُ ، واللهِ ما أكلتُ الخبزَ إلاّ به ، فقال له المُبرّد : لله دَرُّك يا أبا الحسن ، فإنّك تأبى إلاّ شرَفاً من جميع جوانِبك .

حدَّثني محمد : قال : حدَّثني الحسين بن إسحاق : قال : قلت للبحتريُّ : إنّ الناس يزعمون أنّك أشعر من أبي تمام ، فقال : والله ما ينفعني هذا القول ، ولا يضرّ أبا تمام ، والله ما أكلت الخبزَ إلاّ به ، ولَوَدِدْتُ أنّ الأمر كان كما قالوا : ولكنّي والله تابعٌ له آخذٌ منه لائذٌ به ، نَسِيمي يركدُ عند هوائه ، وأرضي تَنْخَفِض عند سمائه .

حدَّثني محمدُ بن يحيى : قال : حدَّثني سَوَّار بن أَبي شراعة ، عن البحتريّ : قال : وحدَّثني أبو عبد الله الألوسيّ ، عن عليّ بن يوسف[1] ، عن البحتريّ : قال : كان أوّلَ أمري في الشعر ونباهتي أنّي صِرتُ إلى أبي تمَّام ، وهو بِحمْص ، فعرضتُ عليه شعري ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل عليّ ، وترك سائرَ مَنْ حضر ، فلمّا تفرّقوا قال لي : أنتَ أشعرُ مَنْ أنشَدني ، فكيف بالله حالك ؟ فشكوت خَلَّةً[2] فكتب إلى أهل مَعَرَّة النُّعمان ، وشهد لي بالحِذق بالشعر ، وشفع لي إليهم وقال : امتدحْهم ، فصرتُ إليهم ، فأكرموني بكتابه ، ووظّفوا لي أربعة آلاف درهم ، فكانت أوّلَ مالٍ أَصبتُه . وقال عليّ بن يوسف في خبره : فكانت نسخة كتابه : «يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عُبادَة الطائيّ ، وهو ، على بذاذته[3] ، شاعر ، فأكرموه» .

[يعشق غلاماً فيلتحي]

حدَّثني جَحظةُ : قال : سمعتُ البُحتريّ يقول : كنت أَتعشَّقُ غلاماً من أَهلِ مَنْبج يقال له شُقران ، واتفق لي سفرٌ ، فخرجت فيه ، فأطلت الغَيْبة ، ثم عُدتُ ، وقد التحى ، فقلت فيه ، وكان أوّلَ شعر قلتُه : [من مجزوء الرمل]

1 ل : علي بن سيف .

2 الخلة : الحاجة .

3 بذاذته : سوء حاله ، ورثاثة هيئته .

نَبتَــتْ لِحْيَــةُ شُقْــرا ... نَ شقِيــقِ النَّفْسِ بَعْدي

حُلِقــت ، كيــف أتتــه ... قبــل أن يُنجِزَ وعدي !

وقد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شنْدان .

[بدء التعارف بينه وبين أبي تمام]

حدَّثني عليّ بن سليمان : قال : حدَّثني أبو الغوث بن البحتريّ عن أبيه ، وحدَّثني عمِّي : قال : حدَّثني علي بن العبّاس النُّوبَخْتيّ عن البحتريّ ، وقد جمعت الحكايتين ، وهما قريبتان : قال : أوّل ما رأيتُ أبا تمَّام أنِّي دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف ، وقال مدحته بقصيدتي : [من الكامل]

أأفاق صبٌّ من هَـوًى فأُفِيقا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقا ؟

فسُرّ بها أبو سَعيد ، وقال : أحسنتَ والله يا فتى وأجدتَ ، قال : وكان في مجلسه رجل نبيلٌ رفيع المجلس منه ، فوق كلّ من حضر عنده ، تكاد تمسُّ ركبتُه ركبتَه ، فأقبل عليَّ ثم قال : يا فتى ، أما تستحي منِّي ! هذا شِعْر لي تنتحله ، وتنشده بحضرتي ! فقال له أبو سعيد : أحقّاً تقول ! قال : نعم ، وإنّما عَلِقه منِّي ، فسبقني به إليك ، وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة ، حتى شَكَّكني ، علمَ الله ، في نفسي ، وبقيت متحيِّراً ، فأقبل عليَّ أبو سعيد ، فقال : يا فتى ، قد كان في قرابتك منّا ووُدّك لنا ما يُغنيك عن هذا ، فجعلتُ أحلِف له بكلّ مُحْرِجَة من الأيْمانِ أنَّ الشعر لي ما سبَقني إليه أحَدٌ ، ولا سَمعته منه ، ولا انتحلتُه ، فلم ينفعْ ذلك شيئاً ، وأطرَق أبو سعيد ، وقُطِع بي ، حتى تمنيت أنّي سُخْتُ في الأرض ، فقمت منكسرَ البال أجرُّ رِجلَيَّ ، فخرجت ، فما هو إلاَّ أن بلغتُ بابَ الدّارِ حتى خرج الغِلمان فردّوني ، فأقبل عليّ الرجل ، فقال : الشعرُ لك يا بنيّ ، والله ما قلته قطّ ، ولا سمعتُه إلاّ منك ، ولكنَّني ظنَنتُ أنّك تهاونتَ بمَوْضعي ، فأقدمتَ على الإنشادِ بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا ، تُريد بذلك مُضاهاتي ومُكاثَرتي ، حتى عرَّفَني الأميرُ نسبَك وموضعَك ، ولَوَدِدْت ألاّ تلد أبداً طائيَّةٌ إلا مثلَك ، وجعل أبو سعيد يضْحَك ، ودعاني أبو تمام ، وضَمَّني إليه ، وعانَقني ، وأقبل يُقرّظني ، ولَزِمْته بعد ذلك ، وأخذتُ عنه ، واقتديتُ به ، هذه رواية مَن ذكرت .

[إشادته بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري]

وقد حدَّثني عليُّ بن سليمان الأخفش أيضاً : قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحُسين بن سَندٍ القُطْرُبُّلِيّ : أنّ البحتريّ حدَّثه أنّه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثَّغْريّ ، وقد مدحه بقصيدة ، وقَصَده بها ، فألفى عنده أبا تمّام وقد أنشده قصيدة له فيه ، فاستأذنه البحتريّ في الإنشاد وهو يومئذٍ حَديثُ السّنّ ، فقال له : يا غلام أتُنْشدني بحضرة أبي تمّام ؟ فقال : تأذن

ويستمع ، فقام ، فأنشده إيّاها ، وأبو تمّام يسمع ويهتزّ من قَرْنه إلى قدمه استحساناً لها ، فلمّا فرغ منها قال : أحسنتَ والله يا غلام ، فممَّن أنت ؟ قال : من طيّىء ، فطَرِب أبو تمّام وقال : من طيّىء ، الحمد لله على ذلك ، لَوَدِدْت أنَّ كلّ طائيةٍ تَلِدُ مِثلَك ، وقبَّل بَين عينيه ، وضمّه إليه وقال لمحمد بن يوسف : قد جعلتُ له جائزتي ، فأمر محمد بها ، فضُمَّت إلى مثلها ، ودفِعت إلى البحتريّ ، وأعطى أبا تَمّام مثلها ، وخُصَّ به ، وكان مدّاحاً له طول أيّامه ولابنه بعده ، ورثاهما بعد مقتليهما ، فأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه ، وروي أنّه قيل له في ذلك فقال : من تمام الوفاء أن تفْضُل المَراثي المدائحَ لا كما قال الآخر ، وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال : كنّا نَعْمَلُ للرَّجاء ، نحن نَعْمَل اليوم للوفاء . وبينَهما بُعْد .

[كان بخيلاً زري الهيئة]

حدَّثني حكم بن يحيى الكنتحي قال : كان البحتريّ من أَوسخ خلق الله ثَوْباً وآلة وأبخلهم على كلّ شيء ، وكان له أخ وغلام معه في داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، فإذا بلغ منهما الجوعُ أتياه يبكيان ، فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مُضيِّقاً مُقتِّراً ، ويقول : كُلا ، أجاعَ اللهُ أكبادَكما ، وأعْرى أجلادَكما وأطال إجهادَكما .

قال حكم بن يحيى : وأَنشدته يوماً من شعر أَبي سهل بن نوبخت ، فجعل يُحرّك رأسه ، فقلت له : ما تقول فيه ؟ فقال : هو يشبه مضغ الماء ، ليس له طعم ولا معنى .

وحدَّثني أَبو مسلم محمدُ بنُ بحر الأَصبهانيّ الكاتب ، قال : دخلت على البحتريّ يوماً فاحتبسَني عنده ، ودعا بطعامٍ له ، ودعاني إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخٌ شاميٌّ لا أَعرفه ، فدعاه إلى الطّعام ، فتقدّم ، وأكل معه أكلاً عنيفاً ، فغاظه ذلك ، والتفتَ إليّ ، فقال لي : أَتعرف هذا الشيخَ ؟ فقلت : لا ، قال : هذا شيخ من بني الهُجَيْم الذين يقول فيهم الشاعر : [من الكامل]

وبَنــو الهُجَيْــم قبيلةٌ مَلْعونةٌ حُصُّ اللِّحى مُتشابهو الأَلْوانِ[1]
لو يسمعون بأَكلــة أَو شَرْبة بعُمانَ أَصبح جَمعُهم بعُمانِ

قال : فجعل الشيخ يشتمه ، ونحن نضحك .

[ماء من يد حسناء]

وحدَّثني جحظة : قال : حدَّثني عليّ بنُ يحيى المُنَجّمُ : قال : اجتازت جارية بالمتوكّل معها كوز ماء ، وهي أحسنُ من القمر ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : برهان ، قال : ولِمَن هذا الماء ؟ قالت : لستّي قُبَيْحة ، قال : صُبّيه في حَلْقي ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحتريّ : قُل

1 حصى اللحى : قليلو شعر اللحية .

في هذا شيئاً ، فقال البحتريّ : [من البسيط]

ما شَرْبَةٌ من رَحِيق كأسُها ذَهَبٌ جاءَت بها الحُورُ من جَنّاتِ رِضْوانِ
يوماً بأطيبَ من ماءٍ بلا عَطَش شربتُه عبثاً من كفِّ بُرْهانِ

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفش ، وأحمدُ بن جعفر جحظة : قالا : حدَّثنا أبو الغوث بن البحتريّ : قال : كتبتُ إلى أبي يوماً أطلب منه نبيذاً ، فبعث إليّ بنصف قِنِّينةِ دُرْديّ[1] ، وكتب إليّ : دونكها يا بنيّ ، فإنّها تكشف القَحْط ، وتضبطُ الرَّهط . قال الأخفش ، وتُقِيتُ الرَّهط .

[قصته مع أحمد بن عليّ الإسكافيّ]

حدَّثني أبو الفضل عبّاسُ بن أحمد بن ثوابةَ قال : قدِم البحتريُّ النِّيلَ[2] على أحمد بنِ عَليّ الإسكافيّ مادحاً له ، فلم يُثِبْه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مُدَّتُه عنده ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها : [من الخفيف]

ما كسبنا من أحمدَ بنِ عَليٍّ ومن النِّيلِ غيرَ حُمَّى النِّيلِ

وهجاه بقصيدة أخرى أوّلها : [من الخفيف]

قِصَّةُ النّيلِ فاسمعوها عُجابَه

فجمع إلى هجائه إيّاه هجاءَ أبي ثَوابة ، وبلغ ذلك أبي ، فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها ، فردَّه إليه ، وقال : قد أسلفتكم إساءةً لا يجوز معها قبولُ رفْدِكم ، فكتب إليه أبي : أمّا الإساءة فمَغفُورة وأمّا المعذرة فمشكورة ، والحَسناتُ يُذهِبْن السيئات ، وما يأسو جراحَك ، مثلُ يدك وقد رددتُ إليك ما رددتَه عليَّ ، وأضعفتُه ، فإن تلافَيْتَ ما فرط منك أثبنا وشكرنا ، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا . فقبل ما بعث به ، وكتبَ إليه : كلامُك واللهِ أحسنُ من شعري ، وقد أسلفْتَني ما أخجَلني ، وحمَّلْتني ما أثقلني ، وسيأتيك ثنائي . ثم غدا إليه بقصيدة أوّلها :

ضَلالٌ لها ماذا أرادت إلى الصّدّ

وقال فيه بعد ذلك :

برقٌ أضاء العقيقَ من ضَرَمِهْ

وقال فيه أيضاً :

دانٍ دعا داعي الصَّبا فأجابَهْ

قال : ولم يزل أبي يصله بعد ذلك ، ويتابع برّه لديه حتى افترقا .

1 الدُّرديّ : ما رسب أسفل من كلّ شيء مائع .
2 النِّيل : بليدة في سواد الكوفة ، ونهر من أنهار الرقة (ياقوت) .

[شعره في نسيم غلامه]

أخبرني جحظة قال : كان نسيمٌ غُلامُ البحتريّ الذي يقول فيه : [من الطويل]

دَعا عَبْرتي تجرِي على الجَور والقصد أظنُّ نسيماً قارفَ الهمَّ من بعدي[1]

خَلا ناظِري من طيفِه بعد شخصِه فيــا عجبــا للدَّهْــر فقــدٌ على فَقْدِ

غلاماً روميّاً ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيَل على النّاس ، فكان يبيعُه ويعتمد أن يُصيّره إلى مِلْك بعض أهل المروءات ومَن ينفق عنده الأدب ، فإذا حصل في مِلْكِه شَبَّب به ، وتشوّقه ، ومدح مولاه ، حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات نسيم ، فكُفي النَّاسُ أمرَه .

[خبره مع محمد بن علي القميّ وغلامه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : كتب البحتريّ إلى أبي محمد بن عَليٍّ القُمِّيّ يستَهديه نبيذاً ، فبعث إليه نبيذاً مع غلام له أمرد ، فجَمَّشه[2] البحتريّ ، فغضب الغلامُ غضباً شديداً ، دلَّ البحتريَّ على أنّه سيخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه : [من المتقارب]

أبــا جعفــرٍ كان تَجْمِيشُنا غلامَك إحدى الهَنــات الدَّنِيَّــهْ

بعثــتَ إلينــا بشمس المُــدامِ تضيء لنــا مــع شمس البريَّــهْ

فليــت الهديّــة كان الرّسول وليــتَ الرسولَ إلينــا الهَــدِيَّهْ

فبعث إليه محمدُ بنُ عَليّ الغُلامَ هَدِيّة ، فانقطع البحتريّ عنه بعد ذلك مدّة ، خجلاً ممّا جرى ، فكتب إليه محمدُ بن عليّ : [من الطويل]

هجرتَ كأنّ البِرّ أعقب حِشمَةً ولم أرَ وَصْلاً قبل ذا أعقب الهَجْرا

فقال فيه قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

فتى مَذْحج عَفْراً فتى مذحجٍ غُفْرا[3]

وهي طويلة . وقال فيه أيضاً : [من الكامل]

أمواهــبٌ هاتيــك أم أنــواءُ هُطُــلٌ وأخــذٌ ذاكَ أم إعطــاءُ

إن دامَ ذا أو بَعضُ ذا مَن فعل ذا ذهب السخاءُ فلا يُعَــدُّ سَخاءُ[4]

1 قارف في ل : قارن .

2 التجميش : المغازلة والملاعبة .

3 مذحج : أكمة ، ولدت مالكاً وطيئاً أمهما عندها ، فسمّوا مذحجاً .

4 فلا يعدُّ سخاءُ في الديوان : «فلا يُحسّ سخاء» .

أيس الذي حلّت تميمٌ وسْطَه الدَّهـ ـناء ، لكـن صدرُكَ الدّهناءُ[1]
ملـك أَغـرّ لآل طَلحـة مَجدُه كفّـاه بحـرُ سماحــةٍ وسماءُ[2]
وشريف أشراف إذا احتكّت بهم جُـرْبُ القبائل أحسنوا وأساءوا[3]
أَمحمدُ بـنَ عـليٍّ اسمَعْ عُـذْرَةً فيهـا شفــاءُ للمُسيء ودَاءُ
مالي إذا ذُكِر الكـرامُ رَأيتُنـي ما لي مـع النّفر الكـرام وَفاءُ ؟
يضفو عـليَّ العَذْلُ وهو مُقاربٌ ويَضيق عني العُذْرُ وهْـوَ فَضاءُ
إنّي هجرتُك إذا هجرتُك حِشْمةً لا العَوَدُ يُذهِبُهـا ولا الإبداءُ[4]
أخجلتَني بنَـدى يديْك فسوَّدَتْ مـا بيننا تلـك اليــدُ البَيضاءُ
وقطعتَنـي بـالبرّ حتـى إنّنـي متوهّـم أن لا يكــون لقاءُ[5]
صِلَةٌ غدَت في النّاسِ وَهْي قطِيعَةٌ عجبـاً وبِـرٌّ راح وَهْـو جَفاءُ
ليواصِلنَّك رَكْبُ شِعريَ سائـراً تُهدى بـه في مدحك الأَعداءُ[6]
حتى يتـمّ لك الثّنـاءُ مُخَلَّداً أَبـداً كما دامــت لك النّعماءُ[7]
فتظلَّ تَحسُدك الملوكُ الصيدُ بـي وأَظَـلَّ يحْسُدني بِـك الشُّعراءُ

[موته بالسكتة]

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأَخفش : قال : سأَلني القاسِم بن عبيد الله عن خبر البُحتريّ ، وقد كان أُسكت ، ومات من تلك العِلّة ، فأخبرتُه بوفاته ، وأنّه مات في تلك السّكتة ، فقال : ويحه رُمي في أحسَنِه .

[أبو تمّام يعلّم البحتريّ الاستطراد]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثني محمدُ بن عليّ الأَنباريّ : قال : سمعتُ البَحتريَّ يقول : أنشدني أبو تمّامٍ يوماً لنفسه : [من البسيط]

وسابحٍ هطـلِ التَعـداء هتّـان على الجـراء أَمِـينٍ غير خـوَّانِ

---

1 وسطه الدّهناء ، لكن صدرُكَ في الديوان : وسطها الدهناء لكن صدرها .
2 مجدُه في الديوان : نَجْرُه .
3 وأساءوا في الديوان : دواء .
4 الشطر الأول في الديوان : إني هجرتُك إذ هجرتُك حشمة .
5 متوهِّم في الديوان : متوهم .
6 الشطر الثاني في الديوان : تُهدى به في مدحك الأعداء .
7 كما دامت في الديوان : كما دافعت .

أظْمى الفصُوص ولم تظمأ قوائِمهُ فخـلٌ عينيك في ظمـآنَ ريَانِ[1]
فلو تــراه مُشِيحاً والحصى زِيَمٌ بين السّنابك من مثْنًى ووُحدانِ[2]
أيقنــتَ إنْ لم تثَبّتْ أنّ حافـرَه من صَخْرِ تَدْمُرَ أو من وَجْه عثمانِ[3]

ثم قال لي : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري ، قال : هذا هو المستطرد ، أو قال الاستطراد . قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُريك أنّه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاءَ عثمان ، وقد فعل البحتريّ ذلك ، فقال في صِفة الفرس : [من الكامل]

ما إن يَعافُ قَذًى ولو أوردتَه يوماً خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الأَحْوَل

وكان حمدويه الأحولُ عدوّاً لمحمد بن علي القُمّيّ الممتدَح بهذه القصيدة فهجاه في عُرض مدحه محمداً . والله أعلم .

[أبو تمّام يشيد به]

حدَّثني عليُّ بن سليمان الأخفش : قال : حدَّثني أبو الغَوْث بن البُحتريّ : قال : حدَّثني أبي : قال : قال لي أبو تمّام : بلغني أنَّ بني حميد أعطوك مالاً جليلاً فيما مدحتهم به ، فأنشدني شيئاً منه ، فأنشدته بعضَ ما قلته فيهم ، فقال لي : كم أعطَوْك ؟ فقلت : كذا وكذا ، فقال : ظلموك ، والله ما وَفَوْك حقّك ، فلِمَ اسْتكثرتَ ما دفعوه إليك ؟

والله لَبيتٌ منها خَيرٌ ممّا أخذْت ، ثم أطرق قليلاً ، ثم قال : لعَمْري لقد استكثرت ذلك ، واستُكثِر لك لمّا مات الناسُ وذهب الكرامُ ، وغاضت المكارمُ ، فكسدت سُوقُ الأدب ، أنت والله يا بُنَيَّ أميرُ الشعراء غداً بعدي ، فقمتُ فقبّلت رأسَه ويديه ورجليه ، وقلت له : والله لهذا القول أسرُّ إلى قلبي وأقوى لنفسي ممّا وصل إليّ من القوم .

[أبو تمّام ينعى نفسه]

حدَّثني محمد بن يحيى عن الحسن بن عليّ الكاتب : قال : قال لي البحتريّ : أنشدتُ أبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فتمثَّل ببيت أوس بن حجر : [من الطويل]

إذا مُقــرَمٌ منّــا ذرا حدُّ نابه تخمَّطَ فينا نــابُ آخر مُقرَمِ[4]

ثم قال لي : نعيتَ واللهِ إليّ نفسي ، فقلتُ : أُعِيذك بالله من هذا القول ، فقال : إنّ عمري لن يَطول ، وقد نشأ في طيىء مِثلُك ، أمَا علمتَ أنّ خالدَ بن صفوان رأى شبيبَ بنَ شَيْبة ،

---

1 الفصوص : المفاصل . تظمأ : تَضْمر .
2 زيم : جمع زيمة ، وهي القطعة من الشيء .
3 عثمان بن إدريس .
4 المُقرم : السيّد المقدم ، تشبيهاً بالمقرم من الإبل . وذرا حدّ نابه : انكسر . والتخمّط : الأخذ والقهر بغلبة .

وهو من رَهْطه يتكلَّم ، فقال : يا بُنَيّ ، لقد نَعى إليّ نفسي إحسانُك في كلامِك ، لأنَّا أهلُ بيت ما نشأ فينا خَطِيبٌ قطّ إلاّ مات مَن قبله ، فقلت له : بل يُبقِيك الله ، ويجعلني فداءَك .
قال : ومات أبو تمّام بعد سنة .

[يضجر المتوكل من عُجبه بنفسه فيغري به الصيمري]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة : قال : حدَّثني أبو العَنْبَس الصَّيْمريّ قال : كنتُ عند المتوكّل والبُحتريّ يُنشِده : [من مجزوء الكامل]

عَـن أيّ ثغـــر تبتَسِمْ وبـأيّ طـرفٍ تحتكمْ ؟

حتى بلغ إلى قوله :

قُـل للخليفَة جعفـر الـ ـمتوكّـلِ بـنِ المعتصِـمْ
المُبْتـــدي للمُجْتَـدي والمُنعِـم بـنِ المُنْتقِـمْ
اسلَـمْ لدِيـنِ محمـدٍ فـإذا سلمتَ فقـد سَلِـمْ

قال : وكان البحتريّ من أبغض النّاس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور[1] في مشيه مرّة جانباً ، ومرّة القَهْقَرى ، ويهزّ رأسَه مَرَّة ، ومنكبيه أُخرى ، ويشير بكُمِّه ، ويقف عند كلّ بيت ، ويقول : أَحسنتُ والله ، ثم يُقبِل على المستمعين ، فيقول : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا يُحسِن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجِر المتوكِّل من ذلك وأقبل عليَّ ، وقال : أما تسمع يا صَيْمَريّ ما يقول ؟ فقلت : بلى يا سيِّدي ، فمُرني فيه بما أحببتَ ، فقال : بحياتي اهجُه على هذا الرّويّ الذي أنشدَنيه ، فقلت : تأمُر ابنَ حمدون أن يكتب ما أقول ، فدَعا بدواةٍ وقرطاسٍ ، وحضَرَني على البديهة أن قلت : [من مجزوء الكامل]

أدخلتَ رأسك في الرّحمِ وعلمـتَ أنَّـكَ تنهزمْ
يـا بحتريُّ حَـذارِ وَيْحَـ ـكَ من قُضاقِضةٍ ضُغُمْ[2]
فلقـد أَسَلْـتَ بواديَـْ ـكَ من الهِجا سَيْلَ العَرِمْ
فبـأيّ عِـرْضٍ تَعتَصِـمْ وبِهَتْكِـه جَـفَّ القَلَمْ ؟
والله حِلْفَـــةَ صـادقٍ وبقبـرِ أحمـد والحَـرَمْ
وبحـقّ جعفـــرٍ الإمـا مِ ابـنِ الإمـام المعتَصِمْ

1 يتزاور : ينحرف .
2 القضاقض : الأسد ، وجمعه قضاقضة . وضغمه : عضه بملء فِيه . فهو ضاغم والجمع ضُغُم .

لأُصَيِّرَنَّـــكَ شُهـــرةً بـــين المَسِيـل إلى العَلَمْ
حَـــيِّ الطّلول بذي سلَمْ حيـث الأَراكـةُ والخِيَمْ
يـا ابنَ الثَّقِيلَـــة والثقيــ ـل على قُلوبِ ذَوِي النِّعَمْ
وعـــلى الصغير مع الكبــ ـير مـــن المَوالي والحَشَمْ
في أيِّ سَلْـــحٍ ترتطـــمْ وبـــأيِّ كـــفٍّ تلتقِمْ ؟
يا ابـنَ المُباحـــةِ للـوَرى أمـــن العفـــاف أم التُّهَمْ
إذ رَحْـــلُ أختك للعَجَم وفـــراشُ أُمّك في الظُّلَمْ
وببــــاب دارِك حانَـــةٌ في بَيْتِـــه يُؤْتـــى الحَكَمْ[1]

قال : فغَضِب ، وخرج يعدو ، وجعلت أصيح به :

أدخلت رأسك في الرَّحِمْ وعلمـــتَ أَنَّك تَنْهَـزِمْ

والمتوكّل يضحك ، ويصفّق حتى غاب عن عينه .

هكذا حدَّثني جحظة عن أبي العَنْبَس .

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخطّ الشاهيني حكاية عن أَبي العَنْبَس ، فرأَيتُها قريبة اللفظ ، موافقةَ المعنى لما ذكره جحظةُ ، والذي يتعارفه الناس أنّ أبا العَنْبَس قال هذه الأبيات ارتِجالاً ، وكان واقفاً خلف البحتريّ ، فلمّا ابتدأ وأنشد قصيدته : [من مجزوء الكامل]

عن أيِّ ثغــــرٍ تبتسِمْ وبـــأيِّ طـــرْف تحتكِمْ

صاح به أَبو العَنْبَس من خلفه :

في أيِّ سَلْـــحٍ ترتَطِـــمْ وبـــأيِّ كَـــفٍّ تَلْتَقِـــمْ
أدخلتَ رأسَك في الرَّحِم وعلمـــتَ أنّـك تنهـزِمْ

فغضب البحتريّ ، وخرج ، فضحك المتوكّل حتى أكثر ، وأمَر لأبي العَنْبَس بعشرة آلاف درهم والله أعلم .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّوليّ ، وحدَّثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه : قال : وحدَّثني يحيى بن عليّ عن أبيه : أنّ البحتريّ أنشد المتوكّل ، وأبو العَنْبَس الصَّيْمريّ حاضر ، قصيدتَه : [من مجزوء الكامل]

1 مثل ورد في فصل المقال 76 وكتاب الأمثال لأبي فيد 47 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 368/1 ، و89/2 ، 101 والدرّة الفاخرة لحمزة الأصبهاني 456/2 ، ومجمع الأمثال 72/2 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 183 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 54 وكتاب الأمثال لمجهول 80 .

عــن أيّ ثَغْــر تَبْتَسم وبـأيّ طَـرْف تحتكمْ ؟

إلى آخرها ، وكان إذا أُنشد يختال ، ويعجب بما يأتي به ، فإذا فرغ من القصيدة ردّ البيت الأوّل ، فلمّا ردّه بعد فراغه منها . وقال :

عـــن أيّ ثغــر تبتسم وبــأيّ طــرف تحتكم

قال أبو العَنْبَس وقد غمزه المتوكّل أن يولع به :

في أيّ سَلْــحٍ تَرْتَطِـم وبــأيّ كَــفٍّ تَلتَقــمْ
أدخلتَ رأسكَ في الرّحم وعلمــتَ أنّــك تَنْهَزِمْ

فقال نصف البيت الثاني ، فلمّا سمع البحتريُّ قوله ولّى مُغْضَباً ، فجعل أبو العَنْبَس يصيح به :

وعلمــتَ أنّـك تَنهـزم

فضحك المتوكّل من ذلك حتى غُلِب ، وأمر لأبي العَنْبَس بالصّلة التي أُعِدّت للبحتريّ .

قال أحمد بن زياد : فحدَّثني أبي : قال : جاءني البحتريّ ، فقال لي : يا أبا خالد أنت عشيرتي وابنُ عمّي وصديقي ، وقد رأيتَ ما جرى عليَّ ، أفتأذنُ لي أن أخرج إلى مَنْبج بغير إذن ، فقد ضاع العِلْم ، وهلك الأدب ، فقلت : لا تفعل من هذا شيئاً ، فإنّ الملوك تمزح بأعظم ممّا جرى ، ومضيت معه إلى الفتْح ، فشكا إليه ذلك ، فقال له نحواً من قولي ، ووصله ، وخلع عليه ، فسكن إلى ذلك .

[الصيمريّ وسخريته بعد موت المتوكّل]

حدَّثني جحظةُ عن عليّ بن يَحْيى المُنجِّم : قال : لمّا قُتِل المتوكِّل قال أبو العَنْبَس الصَّيمريُّ : [من السريع]

يا وحشةَ الدُّنيـا عـلى جَعْفَرٍ عـلى الهمـامِ الملــك الأَزْهَرِ
على قتيــلٍ مــن بنـي هاشمٍ بـين سريـر المُلْــك والمِنبَرِ
واللهِ ربّ البَيْــتِ والمَشْعَــر والله أن لـو قُتِــلَ البُحْتُري
لثــارَ بــالشّام لــه ثائِـرٌ في ألف نَغْلٍ من بني عَضْخَري[1]
يقدُمهــم كُــلُّ أخـي ذِلّـة عـلى حمـارٍ دابِــرٍ أَعــورِ

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتريّ ، فضحك ثم قال : هذا الأحمق يرى أنّي أُجيبُه على مثل هذا ، فلو عاش امرؤ القيس ، فقال ، مَن كان يجيبه ؟

1 النّغل : ابن الزنا .

[445] ـ ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

[منزلتها في الغناء والأدب]

كانت عَرِيب مغنّيةً محسنةً ، وشاعرةً صالحة الشعر ، وكانت مليحةَ الخطّ والمذهب في الكلام ، ونهايةً في الحسن والجمال والظّرف ، وحسن الصورة وجودة الضّرب ، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنّغم والأوتار ، والرواية والشعر والأدب ، لم يتعلّق بها أحدٌ من نظرائها ، ولا رُؤي في النساء بعد القيانِ الحجازيّات القديمات ، مثل جميلة وعَزّة الميلاء وسَلاّمة الزرقاء ومَن جَرى مَجْراهن ، على قِلّة عَدَدهنّ ، نظيرٌ لها ، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهنّ ممّا يكون لمثلها من جواري الخلفاء ، ومَنْ نشأ في قصور الخلافة وغُذّي برقيق العيش ، الذي لا يدانيه عيش الحجاز ، والنشء بين العامّة والعرب الجفاة ، ومن غلُظ طبعه ، وقد شهد لها بذلك مَنْ لا يحتاج مع شهادته إلى غيره .

أخبرني محمد بن خلف وَكِيع ، عن حمّاد بن إسحاق : قال : قال لي أبي : ما رأيتُ امرأة أضربَ من عَرِيب ، ولا أحسنَ صنعة ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أخفَّ رُوحاً ، ولا أحسنَ خِطاباً ، ولا أسرعَ جَواباً ، ولا ألعبَ بالشَّطرنج والنَّرد ، ولا أجمعَ لخَصْلة حَسَنة لم أرَ مثلَها في امرأة غيرها . قال حمّاد : فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي ، فقال : صدق أبو محمد ، هي كذلك ، قلت : أفسمعتها ؟ قال : نعم هناك ، يعني في دار المأمون ، قلت : أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحِذق ؟ فقال يحيى : هذه مسألة الجواب فيها على أبيك ، فهو أعلم منّي بها ، فأخبرتُ بذلك أبي ، فضحك ، ثم قال : ما استحييْتَ من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا .

[هي وإسحاق والخليفة المعتصم]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى : قال : حدَّثني أبي ، قال : قال لي إسحاق : كانت عندي صَنّاجة[1] كنت بها مُعجباً ، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ، فبينا أنا ذات يوم في منزلي ، إذ أتاني إنسان يَدُقّ الباب دقّاً شديداً ، فقلت : انظروا مَن هذا ؟ فقالوا : رسول أمير المؤمنين ، فقلت : ذهبت صنَّاجتي ، تجدُه ذكرها له ذاكرٌ ، فبعث إليّ فيها . فلما مضى بي الرسول انتهيتُ إلى الباب ، وأنا مثخَن ، فدخلت ، فسلّمت ، فردَّ عليَّ السلام ، ونظر إلى تغيّر وجهي ، فقال لي : اسكن ، فسكنت ، فقال لي : غنِّ صوتاً[2] وقال لي : أتدري لمَن هو ؟

1 الصناجة : آلة موسيقية ذات أوتار .

2 ل : فسألني عن صوت .

فقلت : أَسمعه ، ثم أُخبرُ أَميرَ المؤمنين إن شاء الله بذلك ، فأمر جارية من وراء الستارة ، فَغَنَّته وضربت ، فإذا هي قد شبَّهته بالغناء القديم ، فقلت : زِدني معها عوداً آخر ، فإنّه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ، فقلت : هذا الصوت مُحَدث لامرأة ضاربة ، قال : من أين قلت ذاك ؟ قلت : لمّا سمعت لِينَه عرفت أنّه مُحدَث من غناء النساء ، ولمّا رأيت جَودَة مقاطِعِه علمت أنّ صاحبته ضاربة ، وقد حَفِظت مقاطِعَه وأجزاءَه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ، فلم أشكّ ، فقال : صدقت ، الغناء لعَرِيب .

قال ابن المعتزّ : وقال يحيى بن عليّ : أَمرني المعتمد على الله أن أَجمع غناءَها الذي صنعَتْه ، فأخذت منها دفاترها وَصُحُفَها التي كانت قد جمعت فيها غِناءَها فكتبتُه فكان أَلفَ صوت .

[أصواتها]

وأَخبرني عليّ بن عبد العزيز ، عن ابن خُرْداذْبه : أَنّه سأَل عَرِيب عن صَنْعتها ، فقالت : قد بلغتْ إلى هذا الوقت أَلفَ صوت .

وحدَّثني محمد بن إبراهيم[1] قريض أَنّه جمع غناءَها من ديوانَي ابن المعتزّ ، وأَبي العَنْبَس بن حمدون ، وما أَخذه عن بِدعة جاريتها التي أعطاها إيّاها بنو هاشم ، فقابل بعضَه ببعض ، فكان أَلفاً ومائة وخمسة وعشرين صوتاً .

وذكر العتّابيّ أنّ أحمد بن يحيى حدّثه : قال : سمعت أبا عبد الله الهِشاميّ يقول ، وقد ذُكِرت صنعةُ عَرِيب : صَنْعتُها مثلُ قول أبي دُلَف في خالد بنِ يزيدَ حيث يقول : [من مجزوء الكامل]

يـا عـينُ بَكّي خالِداً ... أَلْفا ويُدعَـى واحدا

يريد أَنّ غِناءَها أَلف صوت في مَعْنى واحد ، فهي بمنزلة صَوْت واحد .

وحكى عنه أيضاً هذه الحكاية ابنُ المعتزّ .

وهذا تحامُلٌ لا يَحِلّ ، ولعمري إنّ في صنعتها لأَشياءَ مرذولة لَيِّنة ، وليس ذلك ممّا يَضَعُها ولا عَرِي كبيرُ أحدٍ من المغنِّين القدماء والمتأخّرين من أن يكون في صَنْعَتِه النادرُ والمتوسّطُ سِوى قَوْم معدودين مثلِ ابن محرز ومَعْبد في القدماء ، ومثلِ إسحاق وحده في المتأخّرين ، وقد عِيبَ بمثل هذا ابنُ سُرَيج في محلّه ، فبلغه أنّ المغنِّين يقولون : إنّما يغنّي ابنُ سريج الأرْمال والخفاف ، وغناؤه يَصلُح للأعراس والولائم ، فبلغه ذلك فتغنّى بقوله : [من الطويل]

---

1 ل : القاسم .

لقـد حبَّبَتْ نُعمٌ إلينا بوجهها   مساكنَ ما بين الوتائِر فالنَّقْعِ[1]

ثم توفّي بعدها ، وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه ، وهذا إسحاق يقول في أبيه : على عظيم محلّه في هـذه الصناعة وما كان إسحاق يُشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره ، ولأبي سُتّمائة صوت ، منهـا مائتـان تشبّه فيها بالقديم ، وأتى بها في نهاية من الجودة ، ومائتان غناءٌ وسط مثل أغاني سائر الناس ، ومائتان فلسية ودِدْتُ أنّه لم يُظهِرها ويَنسُبْها لنفسه ، فأسترها عليه ، فإذا كان هذا قولَ إسحاق في أبيه فمَن يعتذر بعده من أن يكون له جيّد ورديء ، وما عَرِي أحد في صناعة من الصناعة من حال يَنقُصه عن الغاية ، لأنّ الكمالَ شيء تفرّد الله العظيم به ، والنقصانَ جبلّةٌ طَبَعَ بني آدم عليها ، وليس ذلك إذا وُجِد في بعض أغاني عَرِيب ممّا يدعو إلى إسقاط سائرها ، ويلزمه اسم الضّعف واللّين ، وحسب المحتجّ لها شهادةُ إسحاق بتفضيلها ، وقلّما شهِد لأحد ، أو سَلِم خَلْق ، وإن تَقدَّم وأُجْمِع على فضله ، من شَيْنه[2] إيّاه وطعنِه عليه ، لنفاسته في هذه الصناعـة ، واستصغـاره أهلَهـا ، فقد تقدّم في أخباره مع علّويَه ، ومُخارق ، وعمرو بن بانة ، وسليم بن سلام ، وحسين بن محرز ، ومن قبلهم ، ومن فوقهم مثلُ ابن جامع وإبراهيم بن المهديّ وتهجينه إيّاهم ، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه وصنعوه ممّا يُسْتغنى به عن الإعادة في هذا الموضع ، فإذا انضاف فِعلُه هذا بهم ، وتفضيلُه إيّاها ، كان ذلك أدلَّ دليل على التحامل مِمّن طعن عليهـا ، وإبْطالِـه فيما ذكرها به ، ولقائل ذلك ، وهو أبو عبد الله الهشاميّ ، سببٌ كان يصطنعه عليها ، فدعاه إلى ما قال ، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وممّا يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاقَ في المعرفـة بـالغناء القديم والحديث ، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها ، فكاد يجوز عليه ، لولا أنه أطال الفكر والتلوّم واستَثبت ، مع علمه بالمذاهب في الصنعة ، وتقدُّمِه في معرفة النّغم وعِلَلِها ، والإيقاعات ومجاريها .

وأخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى : قال : حدَّثني أبي عن إسحاق : فأمّا السبب الذي كان من أجله يعاديها الهشاميّ : فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال : ذُكِر لأبي أحمدَ عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر عَميّ أنَّ الهشاميّ زعم أنّ أحسنَ صوت صنعته عَرِيب :   [من مجزوء الخفيف]

1 الوتائر : موضع بين مكّة والطائف .

2 ل : ثلبه .

صاحِ قــد لمــتَ ظالما

وأَنّ غناءها بمنزلة قول أَبي دُلفٍ في خالد :

يــا عــينُ بكّــي خالدا ألفــاً ويُدعــى واحِـدا

فقال : ليس الأمر كما ذكر ، ولعَرِيب صنعةٌ فاضلةٌ متقدّمة ، وإنّما قال هذا فيها ظلماً وحَسَداً ، وغَمطها ما تستحقّه من التّفضيل ، بخبر لها معه طريف ، فسألناه عنه ، فقال : أخرجتُ الهشاميَّ معي إلى سُرَّ مَنْ رأى ، بعد وفاة أخي ، يعني أبا محمدَ بن عبد الله بن طاهر ، فأدخلتُه على المعتزّ ، وهو يشرب ، وعَرِيب تغنّي ، فقال له : يا ابن هشام ، غَنِّ ، فقال : تُبتُ من الغناءِ مذ قُتِل سَيِّدي المتوكّل ، فقالت له عَرِيب : قد واللهِ أحسنتَ حيث تُبتَ ، فإنّ غناءَك كان قليلَ المعنى ، لا مُتْقَنٌ ولا صحيح ولا مُطرِب ، فأضحكَت أهلَ المجلس جميعاً منه ، فخجِل ؛ فكان بعد ذلك يَبسُط لسانَه فيها ، ويَعِيبُ صنعتَها ، ويقـول : هي ألفُ صوتٍ في العددِ ، وصوتٌ واحد في المعنى .

وليس الأمرُ كما قاله ، إنّ لها لصنعةً تَشبَّهت فيها بصنعة الأوائل ، وجوّدت ، وبرزت فيها ، منها : [من الطويل]

أئن سكنت نَفْسي وقَلَّ عَويلُها

ومنها : [من السريع]

تقــول هَمِّــي يــومَ وَدَّعتها

ومنها : [من البسيط]

إذا أَردت انتصافاً كان ناصركم

ومنها : [من مجزوء الرمل]

بأَبــي مــن هــو دائــي

ومنها : [من المديد]

أَسلموهــــا في دمشــقَ كما

ومنها : [من الوافر]

فـــلا تتعنّتــي ظلمــاً وزورا

ومنها : [من الطويل]

لقد لام ذا الشوق الخَلِيُّ من الهوى

ونسختُ ما أُذكره من أخبارها ، فأَنسبه إلى ابن المعتزّ من كتاب دفعه إليَّ محمدُ بن إبراهيم الجراحيّ المعروف بقريض ، وأخبرني أنّ عبد الله بن المعتزّ دفعه إليه ، من جمعه وتأليفه ،

فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها ، إذ كان فيها حشو كثير ، وأضفت إليه ما سمعته ووقع إليّ غير مسموع مجموعاً ومتفرّقاً ، ونسبت كلّ رواية إلى راويها .

[برمكيّة النسب]

قال ابنُ المعتزّ : حدَّثني الهشاميّ أبو عبد الله وأخبرني عليّ بن عبد العزيز ، عن ابن خُرداذْبه قالا : كانت عَرِيبُ لعبد الله بن إسماعيل صاحبِ مراكب الرّشيد ، وهو الذي ربّاها ، وأدَّبها ، وعلَّمها الغناء .

قال ابنُ المعتزّ : وحدَّثني غيرُ الهشاميّ ، عن إسماعيل بن الحسين خالِ المعتصم : أنّها بنتُ جعفرِ بن يحيى ، وأنَّ البرامكة لمّا انتُهِبوا سُرِقت وهي صغيرة .

قال : فحدَّثني عبدُ الواحدِ بنُ إبراهيم بن محمد بن الخَصِيب : قال : حدَّثني مَنْ أثِق به ، عن أحمدَ بنِ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ : أنّ أمَّ عَرِيب كانت تسمَّى فاطِمة ، وكانت قيِّمةً لأمِّ عبد الله بن يحيى بن خالد ، وكانت صبيّة نظيفة ، فرآها جعفرُ بن يحيى ، فهويَها ، وسأل أمَّ عبد الله أن تُزوِّجه إيّاها ، ففعلت ، وبلغ الخبرُ يَحْيى بنَ خالد ، فأنكره ؛ وقال له : أتتزوّج مَن لا تُعرف لها أمٌّ ولا أب ؟ اشْترِ مكانها مائة جارية وأخرِجها ، فأخرجها ، وأسكنَها داراً في ناحية باب الأنبار سرّاً من أبيه . ووكّل بها مَنْ يحفَظها ، وكان يتردّد إليها ، فولدَت عَرِيب في سنة إحدى وثمانين ومائة ، فكانت سِنُوها إلى أن ماتت ستّاً وتسعين سنة ، قال : وماتت أمُّ عَرِيب في حياة جَعْفر ، فدَفعها إلى امرأة نصرانيّة ، وجعلها دايةً لها ، فلمّا حَدَثت الحادِثة بالبرامكة باعَتْها من سِنْبِسٍ النخّاس ، فباعها من المراكبيّ .

قال ابن المعتزّ : وأخبرني يوسفُ بنُ يعقوب : أنّه سمع الفضل بنَ مَرْوان يقول : كنتُ إذا نظرتُ إلى قدمي عَرِيب شبَّهتُهما بقدَمَي جعفر بن يحيى ، قال : وسمعت مَنْ يحكي أنّ بلاغتها في كتبها ذُكِرت لبعض الكُتّاب فقال : فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى ؟

وأخبرني جحظة قال : دخلتُ إلى عَرِيب مع شروين المغنّي وأبي العَنْبَس بنِ حمدون ، وأنا يومئذٍ غلام عليَّ قِباء ، ومِنْطقة ، فأنكرتني وسألت عنّي ، فأخبرها شَروين ، وقال : هذا فتى من أهلِك ، هذا ابنُ جعفر بن مُوسى بن يحيى بن خالد ، وهو يغنّي بالطُّنْبور ، فأدْنَتْني ، وقرّبت مجلسي ، ودعَت بطُنْبور ، وأمَرَتْني بأن أُغنّي ، فغنَّيت أصواتاً ، فقالت : قد أحسنتَ يا بُنَيَّ ولتكونَنَّ مغنّياً ، ولكن إذا حَضرت بين هَذين الأسدين ضِعْتَ أنتَ وطنبورُك بين عُودَيْهما ، وأمَرَتْ لي بخمسين ديناراً .

قال ابن المعتزّ ، وحدَّثني مَيمونُ بنُ هارون : قال : حدَّثتني عَرِيب قالت : بعثَ الرشيد إلى أهلها ، تَعْني البرامكة ، رسولاً يسألهم عن حالهم ، وأمره ألاّ يعلمهم أنّه من قبله ، قالت : فصار إلى عمِّي الفضل ، فسأله ، فأنشأ عمِّي يقول : [من الخفيف]

صوت

سألُونا عن حالنا كيف أنتمُ مَنْ هَوى نَجمهُ فكيفَ يكونُ ؟
نحن قومٌ أصابنا عَنَتُ الدَّهـ ـرِ فَظَلْنا لريبه نَسْتكِينُ

ذكرت عَرِيب أنّ هذا الشعر للفَضْل بنِ يَحيى ، ولها فيه لحنان : ثاني ثقيل وخفيف ثقيل ، كلاهما بالوُسْطى ، وهذا غَلَط من عَرِيب ، ولعلّه بلغها أنّ الفضل تمثّل بشعرٍ غير هذا ، فأُنسِيَتْه وجعلت هذا مكانه .

فأمّا هذا الشعر فللحُسَيْن بنِ الضحّاك ، لا يُشكّ فيه ، يَرثي به محمداً الأمينَ بعد قوله : [من الخفيف]

نحن قوم أُصابنا حادثُ الدَّهـ ـر فظلْنا لرَيْبه نَسْتِكينُ
نَتَمنَّى من الأمـين إيابـاً كلَّ يوم وأينَ منّا الأمينُ ؟

وهي قصيدة .

[تهرب إلى معشوقها]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني الهِشاميّ : أنّ مولاها خرج إلى البصرة ، وأدَّبها وخرّجها وعلّمها الخطَّ والنّحوَ والشّعر والغناءَ ، فبرعت في ذلك كلّه ، وتزايدت حتى قالت الشعر ، وكان لمولاها صَديقٌ يُقال له حاتم بن عديٍّ من قُوّاد خُراسان ، وقيل : إنّه كان يكتب لُعَجيْف على ديوان الفرض ، فكان مولاها يَدعوه كثيراً ، ويخالطه ، ثم ركبه دَيْنٌ فاستَتَر عنده ، فمدّ عينَه إلى عَرِيب ، فكاتبها ، فأجابَتْه ، وكانت المُواصَلة بينهما ، وعَشِقَته عَرِيب ، فلم تزَل تَحْتال حتى اتخذتْ سُلَّما من عَقَب[1] ، وقيل : من خيوط غلاظ ، وسَترته ، حتى إذا همَّت بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدّه ، وقد أعدّ لها موضعاً ، لفَّت ثيابَها وجعلَتْها في فراشها بالليل ، ودثَّرَتْها بدِثارِها ، ثم تسوَّرَت من الحائط ، حتى هربَت ، فمَضَت إليه ، فمكثت عنده زماناً ، قال : وبلغني أنّها لَمّا صارت عنده بعث إلى مولاها يستَعير منه عُوداً تُغنِّيه به ، فأعاره عودَها ، وهو لا يعلم أنّها عنده ، ثقةً به ، ولا يتّهمه بشيء من أمرها ، فقال

1 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

عيسى بنُ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ ، وهو عيسى ابنُ زَيْنب يهجُو أباه ويُعَيّره بها ، وكان كثيراً ما يهجوه : [من مجزوء الرمل]

قاتـــلَ الله عَرِيبــا فعَلــت فِعْــلاً عَجيبا
رَكِبت والليــلُ داجٍ مركبــاً صَعْبــا مهـوبا
فارتقَت مُتّصِـلا بالنَّجــم أو منــــه قريبـا
صبرت حتــى إذا مــا أقصــد النّــومُ الرَّقيبا[1]
مَثَّلــت بــين حَشايا ها لِكَيْـــلا تَسْتَرِيبــا
خَلفــاً منهــا إذا نــو دِيَ لم يُلــفَ مُجيبا
ومضت يحملهــا الخو فُ قَضيبــاً وكَثِيبــا
مُحَّةً لــو حُرِّكت خِفْــتَ عليهــا أن تَذوبا[2]
فتدلّـــت لُمحِـــبّ فتلقّاهــــا حَبِيبــا
جَذِلاً قــد نال في الدُّنْــيا مــن الدُّنيا نصيبا
أيّها الظَّبْي الذي تَسْحَــرُ عينــاه القُلُوبا
والذي يــأكل بعضا بَعضُــه حُسناً وطِيبا
كُنــتَ نَهْبــاً لذئاب فَلَقَــد أُطعمْــتَ ذِيَبا
وكـــذا الشاةُ إذا لم يَــكُ راعيهـا لَبيبا
لا يُبــالي وَبــأ المَرْ عــى إذا كان خصِيبا
فلقــد أُصبح عبــدُ الله كشخـــانَ حَريبــا[3]
قــد لعمري لَطَم الوَجهَ وقــد شَـقَّ الجُيوبـا
وجــرت منــه دُموعٌ بلّــت الشَّعْـر الخَضيبا

وقال ابن المعتزّ : حدَّثنا محمد بن موسى بن يُونُس : أنّها مَلَّته بعد ذلك ، فهربت منه ، فكانت تُغَنَّى عند أقوام عَرَفَتْهم ببَغْداد ، وهي متستّرة متخفّية ، فلمّا كان يوم من الأيّام اجتاز ابنُ أخ للمراكبيّ ببُستان كانت فيه مع قوم تُغنّي ، فسمع غناءها ، فعرفه ،

1 أقصده : أي أصابه سهمه .
2 المحّة : صفرة البيض .
3 الكشخان : الديوث ، والحريب : المسلوب المال .

فبعث إلى عمِّه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، فلم يبرح حتى جاءَ عمه ، فلبَّبها[1] وأَخذها ، فضربها مائة مِقْرعة ، وهي تصيح : يا هذا لِمَ تقتلني ! أنا لستُ أُصبر عليك ، أنا امرأة حُرَّة إن كنتُ مملوكةً فبِعني ، لست أُصبر على الضِّيقة ، فلمّا كان من غد ندم على فعله ، وصار إليها فقبَّلَ رأسَها ورِجْلَها ، ووهب لها عشرة آلاف درهم ، ثم بلغ محمَّداً الأمينَ خبرُها ، فأخذها منه ، قال : وكان خبرُها سَقَط إلى محمد في حياة أبيه ، فطلبها منه ، فلم يجبه إلى ما سأل ، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنده ، فاضطغَن لذلك عليه ، فلمّا وَلِيَ الخلافةَ جاء المراكبيّ ، ومحمد راكب ، ليُقبِّل يدَه ، فأمر بمَنْعِه ودفعه ، ففعل ذلك الشّاكريُّ ، فضربه المراكبيّ وقال له : أَتمنعني من يدِ سيِّدي أنْ أقبِّلَها ؟ فَجاء الشّاكريُّ لَمّا نزل محمد فشكاه ، فدَعا محمدٌ بالمراكبيّ ، وأمر بضرب عنقه ، فسُئل في أمره ، فأعفاه ، وحبسه ، وطالبه بخمسمائة ألف درهم ممّا اقتطعه من نفقات الكُراع ، وبعث ، فأخَذَ عَرِيب من منزله مع خَدَم كانوا له ، فلمّا قُتِل مُحمد هرَبت إلى المراكبيّ ، فكانت عنده ، قال : وأَنشَدني بعض أصحابنا لحاتم بن عديّ الذي كانت عنده لمَّا هرَبَت إليه ، ثم ملّته فهربت منه ، وهي أبيات عدّة ، هذان منها : [من الطويل]

ورُشُّوا على وَجْهي من الماءِ واندُبُوا ... قتيلَ عَرِيـب لا قتيـلَ حُروبِ
فليتـكِ إنْ عجَّلتنـي فقتَلتنـي ... تكونين مـن بعد الممات نصيبي

قال ابن المعتزّ : وأمّا رواية إسماعيل بن الحُسين ، خالِ المعتصم فإنّها تخالف هذا ، وذكر أنّها إنّما هربت من دارِ موْلاها المراكبيّ إلى محمد بن حامد الخاقانيّ المعروف بالخشن ، أحدِ قوّاد خُراسان قال : وكان أشقر أصهب الشعر أزرق ، وفيه تقول عَرِيب ، ولها فيه هزج ورَمل من روايتَي الهشامي وأبي العبّاس : [من مجزوء الخفيف]

بأَبـي كلّ أَزرقٍ ... أَصهبِ اللّـون أشقـرِ
جُـنّ قلبـي بـه وليـ ... ـس جُنونـي بمُنْكَرِ

[تذكر ناسيا]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني ابن المدبَّر قال : خرجتُ مع المأمون إلى أرض الروم ، أطلُب ما يطلبه الأحداث من الرزق ، فكنّا نسير مع العَسْكر ، فلمّا خرجنا من الرّقّة رأينا جماعة من الحَرَم في العمارِيّات على الجمّازات[2] وكنّا رُفْقَةً ، وكُنّا أترابا ، فقال لي أحدهم : على بعض

1 لبّبها : أخذ بتلابيبها ، وهي مجتمع ثيابها عند العنق . وفي ل : فكبسها .
2 العماريات : الهوادج . والجمازات جمع جماز وتوصف بها النّياق السّريعة .

هذه الجمّازات عَرِيب ، فقلت : مَن يراهنني أمُرُّ في جنبات هذه العمارِيّات ، وأُنشد أبيات عيسى بن زينب : [من مجزوء الرمل]

قاتـــــل الله عَرِيبـــا فعلـــت فعـــلاً عجيبا

فراهنني بَعضُهم وعُدِّل الرّهنانِ[1] وسِرت إلى جانبها فأَنشدْتُ الأَبيات رافعاً صَوْتي بها ، حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسَها فقالت : يا فتى أنسِيتَ أجودَ الشعر وأطيبه ؟ أنسيت قوله : [من مجزوء الرمل]

وعَرِيبٌ رَطْبـــةُ الشَّفْـ ـرَيْنِ قد نِيكت ضُروبا

اذهبْ فخُذ ما بايَعْت فيه ، ثم ألقت السّجْف ، فعَلِمت أنّها عَرِيب ، وبادرتُ إلى أُصحابي خوفاً من مكروه يلحقني من الخدم .

[رقيب يحتاج إلى رقيب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : قال لنا عمر بن شبّة : كانت للمراكبيّ جاريةٌ يقال لها مظلومة ، جميلةُ الوجه ، بارعةُ الحسن ، فكان يبعث بها مع عَرِيب إلى الحَمّام ، أو إلى مَن تزوره من أهله ومعارفه ، فكانت ربّما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه ، فقال فيها بعضُ الشعراء وقد رآها عنده : [من الوافر]

لقـد ظلموكِ يـــا مظلومَ لّما أقامـوكِ الرَّقيبَ على عَرِيبِ
ولـــو أَوْلَوكِ إنصافـاً وعَدْلا لما أَخْلَوْكِ أَنتِ مـن الرّقيبِ
أتَنْهَين المُريبَ عـــن المعاصي فكيف وأنتِ من شأنِ المُريبِ
وكيف يُجانِبُ الجـاني ذنوباً لديـك وأنت داعِيَةُ الذُّنوبِ
فإن يَسْتَرقِبُوكِ عـلى عَرِيـــب فما رَقَبُوكِ مـن غيب القلوبِ

وفي هذا المعنى ، وإن لم يكن من جنسِ ما ذكرته ما أَنشدنيه عليُّ بنُ سليمان الأَخْفَش في رَقِيبَة مُغنِيةٍ استُحسِنَت وأظنّه للنّاشيء : [من المتقارب]

فديتُـكِ لـو أنّهــم أَنصفُوا لقـد منعوا العينَ عن ناظرَيْكِ
أَلَم يقــرءوا ويحهم مـا يرو نَ من وحي طَرْفك في مُقْلَتَيْكِ
وقــد بعثـوك رَقِيباً لنـــا فمـن ذا يكون رَقيباً عليكِ
تصُدِّيـن أعيُنَنا عــن سواكِ وهل تنظـر العيـنُ إلاّ إليكِ

---

1 عُدِّل الرهنان : سوّي بين المبلغين اللذين تراهن عليهما المتراهنان .

[من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني عبد الواحد بن إبراهيم ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، وعن محمد بن إسحاق البغويّ ، عن إسحاق بن إبراهيم : أنّ خبر عَرِيب لمّا نُميَ إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مَوْلاها ، فأحضِرا ، وغنَّت بحضرة إبراهيمَ بنِ المهديّ تقول : [من الطويل]

لكـلّ أُناسٍ جَوْهَـر متنافسٌ وأنتِ طرازُ الآنساتِ المَلائحِ

فطَرِب محمد ، واستَعادَ الصوتَ مِراراً ، وقال لإبراهيم ، يا عمّ كيف سمعت ؟ قال : يا سيِّدي ، سمعتُ حسناً ، وإن تطاولت بها الأيّام ، وسكن رَوْعها ازدادَ غِناؤُها حُسْناً ، فقال للفضل بن الرَّبيع : خُذْها إليك ، وساوِمْ بها ، ففعل ، فاشتَطَّ مولاها في السَّوْم ، ثم أوجَبَها له بمائة ألف دينار ، وانتَقَض أُمرُ مُحمّد ، وشُغِل عنها ، وشُغِلت عنه ، فلم يأمُر لمَوْلاها بثَمَنها حتى قُتِل بعد أن افتَضَّها ، فرجعت إلى مولاها ، ثم هربت منه إلى حاتم بن عديّ ، وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدّم .

وقال في خبره : إنّها هَرَبت من مولاها إلى ابن حامد ، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد ، فتظلّم إليه المراكبيّ من محمد بن حامد ، فأمر بإحضارِه فأُحضِر ، فسأله عنها فأنكر ، فقال له المأمون : كذبت قد سقط إليَّ خبرُها . وأمر صاحبَ الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة ، ويضع عليه السّياط حتى يردّها ، فأخذه ، وبلغها الخبرُ فركبت حمارَ مُكارٍ ، وجاءَت وقد جُرِّد ليُضْرب ، وهي مكشوفة الوجه ، وهي تصيح : أنا عَرِيب ، إن كنتُ مملوكةً فَليبعْني ، وإن كنتُ حرَّة فلا سبيل له عليَّ ، فرُفِع خبرها إلى المأمون ، فأمَر بتعْدِيلها[1] عند قتيبة بن زياد القاضي ، فعُدِّلَتْ عنده ، وتقدَّم إليه المراكبيّ مطالباً بها ، فسأله البيِّنة على ملكِه إيّاها ، فعاد متظلّماً إلى المأمون ، وقال : قد طولبت بما لم يُطالِبْ به أحد في رَقيق ، ولا يوجد مِثْله في يد مَن ابتاع عبداً أو أَمَة .

وتظلّمَت إليه زُبيدةُ ، وقالت : من أَغلَظ ما جرى عليّ بعد قتل محمد ابني هُجومُ المراكبيّ على داري ، وأخذُه عَريباً منها . فقال المراكبيّ : إنّما أخذتُ مِلْكي ، لأنّه لم يَنقُدْني الثَّمَن ، فأمَر المأمونُ بدَفْعِها إلى محمد بن عمر الواقديّ ، وكان قد ولاّه القضاء بالجانب الشرقيّ ، فأخذها من قتيبة بن زياد ، فأمر ببيعها ساذجة ، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم ، فذهبت به كُلَّ مذهب ميلاً إليها ومحبّة لها .

1 عدل الشيء أو الحكم : أقامه وسوّاه .

قال ابن المعتزّ : ولقد حدَّثني علي بن يحيى المنجم أنّ المأمون قبَّل في بعض الأيّام رِجلَها ، قال : فلمّا مات المأمونِ بيعت في ميراثه ، ولم يُبَع له عبدٌ ولا أَمَة غيرها ، فاشتراها المعتصم بمائة ألفِ درهم ، وأعتقها ، فهي مولاته .

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّها لّما هربت من دار محمد حِين قتل تدلَّت من قصْر الخُلْد بحَبْل إلى الطريق ، وهربت إلى حاتم بن عديّ .

وأخبرني جحظةُ ، عن ميمون بن هارون : أنّ المأمونَ اشتَراها بخمسة آلاف دينار ، ودعا بعبد الله بن إسماعيل ، فدفعها إليه ، وقال : لولا أنّي حلفتُ ألاّ أشترِي مملوكاً بأكثرَ من هذا لزِدْتك ، ولكنّي سأولّيك عَمَلاً تكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة ، ورمى إليه بخاتَمَين من ياقوت أحمر ، قيمتهما ألفا دينار ، وخلع عليه خِلَعاً سَنِيّة ، فقال : يا سيِّدي ، إنّما يَنْتَفِع الأحياء بمثل هذا ، وأمّا أنا فإنِّي ميِّت لا محالة ، لأنّ هذه الجارية كانت حياتي ، وخرج عن حضرته ، فاختلط وتغيَّر عقلُه ، ومات بعد أربعين يوماً .

قال ابن المعتزّ : فحدَّثني عليّ بن يحيى قال : حدَّثني كاتب الفضل بن مروان : قال : حدَّثني إبراهيمُ بن رباح قال : كنت أتولّى نفقاتِ المأمون ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عَرِيب ، فأمره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، فأمرني المأمون بحملها ، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أُخرى ، ففعلتُ ذلك ، ولم أدرِ كيف أثبتها ، فحكيت في الدّيوان أنّ المائةَ الألف خرجت في ثمن جَوْهرة ، والمائة الألف الأُخرى خرجت لصائغها ودلاّلها ، فجاء الفضلُ بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره ، وسألني عنه ، فقلت : نعم هو ما رأيت ، فسال المأمونَ عن ذلك ، وقال : أَوَجبَ وهب لدلاّل وصائغ مائة ألفِ درهم ، وغَلّظ القصّة ، فأنكرها المأمون ، فدَعاني ، ودنوت إليه ، وأخبرته أنّه المال الذي خرج في ثمن عَريب وصلة إسحاق ، وقلت : أيّما أصوبُ يا أمير المؤمنين : ما فعلتُ أو أُثبتُ في الدّيوان أنّها خرجت في صلة مُغَنّ وثمن مُغَنّية ؟ فضحك المأمون ، وقال : الذي فَعلتَ أصوبُ ، ثم قال للفضل بن مروان : يا نَبطيّ ، لا تعترض على كاتبي هذا في شيء .

وقال ابن المكّيّ : حدَّثني أَبي عن نَحرير الخادم : قال : دخلتُ يوماً قصر الحرم ، فلمحت عَرِيب جالسةً على كرسي ناشرة شعرها تغتسل ، فسألت عنها ، فقيل : هذه عَرِيب دعا بها سيّدُها اليومَ ، فافتضّها .

قال ابن المعتزّ : فأخبرني ابن عبد الملك البصريّ : أنّها لّما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد ، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته ، ثم احتالت في

الخروج إليه ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت ، حتى حَبلت منه وولدت بنتاً ، وبلغ ذلك المأمون فزوَّجه إيّاها .

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرزور ، عن أَبيه ، وحدَّثني به المظفّر بن كيغلغ عن القاسم بن زرزور ، قال : لمّا وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جُبَّة صوف وختْم زِيقها[1] وحَبَسها في كَنِيف مظلم شهراً لا ترى الضوء ، يُدْخَل إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب في كلّ يوم ، ثم ذكرها ، فرَقَّ لها ، وأمَر بإخراجها ، فلمّا فُتح البابُ عنها ، وأُخرِجَت لم تتكلّم بكلمة حتى اندفعت تغنِّي : [من الكامل]

حجبوه عن بصري فمُثِّل شَخصُه ... في القلبِ فهْو محجَّبٌ لا يُحجَبُ

فبلغ ذلك المأمونَ ، فعجب منها ، وقال : لن تَصْلُح هذه أبداً ، فزوَّجها إيّاه .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لــو كان يَقْــدرُ أَن يَبُثَّك ما به ... لرأيــتَ أَحسن عاتــب يتعَتَّبُ

حجبوه عن بَصَري فمُثِّل شَخصُه ... في القَلْبِ فهو مُحجَّب لا يُحجبُ

الغناء لعَرِيب ثقيل أوّل بالوسطى .

[رقعة منها في تركة]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني لؤلؤٌ صديقُ عليّ بن يحيى المنجّم : قال حدَّثني أَحمدُ بنُ جعفر بنِ حامدٍ : قال : لمّا توفّي عَمِّي محمدُ بن حامد صار جدِّي إلى منزله ، فنظر إلى تركَتِهِ ، وجعل يُقلّب ما خلَّف ، ويُخرَج إليه منها الشيءُ بعد الشيء إلى أن أُخرِج إليه سَفَطٌ مختوم ، ففَضَّ الخاتمَ ، وجعل يَفْتحه ، فإذا فيه رِقاع عَرِيب إليه ، فجعل يتصَفّحها ويَبْتَسم ، فوقعت في يده رقعةٌ ، فقرأها ، ووضعها من يده وقام لحاجة ، فقرأتُها فإذا فيها قوله : [من المجتث]

صوت

ويــلي عليــكَ ومِنْكــا ... أُوقعت في الحــقّ شَكّا

زعمتَ أنّــي خئــونٌ ... جَــوْراً عــليّ وإفْكا

1 زيق القميص : ما أحاط منه بالعنق .

[ولم يكـن ذاك مني إلاّ مجونـاً وفتـكا]
إن كان مـا قلتَ حقّاً أَو كنـت أزمعتُ تَرْكا
فـأبدلَ الله مـا بـي مـن ذِلَّة الحبّ نُسْكا

لعَرِيب في هذه الأبيات رمل وهزج ، عن الهِشاميّ والشعر لها .

[تجيب على قبلة بطعنة]

قال ابنُ المعتزّ : وحدَّثني عبد الوهّاب بن عيسى الخراسانيّ ، عن يعقوب الرّخاميّ : قال : كنّا مع العبّاس بن المأمون بالرقّة وعلى شرطته هاشم ، رجل من أهل خراسان ، فخرج إليّ ، وقال : يا أبا يوسُف ، أُلقِي إليك سِرّاً لثقتي بك ، وهو عندك أمانة ، قلت : هاتِه ، قال : كنت واقفاً على رأس الأمين وبي حَرٌّ شديد ، فخرجت عَرِيب ، فوقفت معي ، وهي تنظر في كتاب فما ملكتُ نفسي أن أومأتُ إليها بقُبْلة ، فقالت : كحاشيَة البُرد . فوالله ما أُدري ما أَرادت ، فقلت ، قالت لك : طعنة .

قال : وكيف ذاك ؟ قلت : أُرادت قول الشاعر : [من الطويل]

رَمى ضرعَ ناب فاستمرّ بطعنةٍ كحاشية البُرْد اليمـانيّ المُسهّم[1]

وحكى هذه القصّة أحمد بن أبي طاهر ، عن بشر بن زيد ، عن عبد الله بن أيّوب بن أَبي شمر ، أنّهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد ، وعَرِيب تغنّيهم ، فغنّت تقول : [من الطويل]

رمى ضَرع نابٍ فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليمانيّ المسهّم

فقال لها المأمون : مَن أشار إليك بقبلة ، فقُلتِ له طعنة ؟ فقالت له : يا سيِّدي ، مَن يشير إليّ بقبلة في مجلسك ؟ فقال : بحياتي عليك ! قالت : محمد بن حامد ، فسكت .

[تحبّ أميراً وتتزوّج خادماً]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني محمد بنِ موسى : قال : اصطَبح المأمونُ يوماً ومعه ندماؤه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعةٌ من المغنِّين ، وعَرِيب معه على مُصَلاّه ، فأومأ محمدُ بنُ حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغنِّي ابتداء : [من الطويل]

رَمى ضَرْع نابٍ فاستَمَرَّ بطَعْنةٍ كحاشية البرد اليماني المسهّم

تريد بغنائها جوابَ محمد بن حامد بأن تقول له : طعنة ، فقال لها المأمون ، أمسكي ، فأمسكت ، ثم أقبل على النّدماء ، فقال : مَن فيكم أومأ إلى عَرِيب بقبلة ؟ والله لئن لم يَصدُقني

1 الناب : الناقة المسنّة .

لأضربنّ عُنقَه ، فقام محمد ، فقال : أنا يا أَمير المؤمنين أَومأتُ إليها ، والعفو أقرب للتقوى ، فقال : قد عفوتُ .

فقال : كيف استدلّ أَميرُ المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأتْ صوتاً ، وهي لا تغنّي ابتداء إلاّ لمعنى ، فعلمتُ أنّها لم تبتدىء بهذا الصوت إلاّ لشيء أُومىء به إليها ، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلاّ إيماء بقبلة ، فعلمت أنّها أجابت بطعنة .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني عليّ بن الحسين : أنَّ عَرِيبَ كانت تتعشَّق أَبا عيسى بن الرشيد وروى غيرُه أنّها كانت لا تضرب المَثَل إلاّ بحُسْنِ وجه أبي عيسى وحسنِ غنائه ، وكانت تزعم أنّها ما عَشِقت أحداً من بَني هاشم وأصْفَته المحبّة من الخُلفاء وأولادِهم سِواه .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني بعضُ جوارينا : أَنَّ عَرِيبَ كانت تتعشَّق صالِحاً المنذريّ الخادمَ ، وتزوّجته سرّاً ، فوجَّه به المتوكّل إلى مكان بعيد في حاجة له ، فقالت فيه شعراً ، وصاغت لحنه في خفيف الثقيل وهو : [من مجزوء الكامل]

صوت

أمَّا الحبيبُ فقد مضى ... بالرغم منّيَ لا الرّضا
أَخطأتُ في تركي لَمن ... لم أُلقَ منه مُعوّضا

قال : فغنّته يوماً بين يدي المتوكّل ، فاستعاده ، وجعل جواريه يتغامَزْن ويضحكن ، فأَصغَتْ إليهنَّ سِرّاً من المتوكّل ، فقالت : يا سَحَّاقات ، هذا خير من عملكنّ .

قال : وحُدِّثْت عن بعض جواري المتوكّل ، أنّها دخلت يوماً على عَرِيب ، فقالت لها : تعالَيْ ويحِك إليّ ، فجاءت . قال : فقالت : قبِّلي هذا الموضع منّي فإنّك تجدين ريح الجَنَّة فأومأتْ إلى سالفتِها[1] ، ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب في هذا ؟ قالت : قبَّلَني صالح المنذريّ في ذلك الموضع .

[ليس وقت ملام]

قال ابن المعتزّ : وأَخبرني أَبو عبد الله الهشاميّ قال : حدَّثني حمدون بن إسماعيل ، قال : حدَّثني محمد بن يحيى الواثقيّ ، قال : قال لي محمد بن حامد ليلة : أحبُّ أن تُفرِغ لي مَضرِبَك ، فإنّي أريد أن أجيئك ، فأُقيمَ عندك ، ففعلتُ ، ووافاني ، فلمّا جلس جاءت عَرِيب ، فدخلت .

وقد حدَّثني به جحظة : قال : حدَّثني أَبو عبد الله بن حمدون : أَنَّ عَرِيب زارت

1 السّالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى نقرة الترقوة .

محمد بن حامد ، وجَلَسا جميعاً ، فجعل يُعاتِبها ، ويقول : فعلتِ كذا ، وفعلتِ كذا ، فقالت لي : يا محمد ، هذا عندكَ رأي ؟ ثم أقبلت عليه ، فقالت : يا عاجز خُذْ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه .

وقال جحظة في خبره : اجعل سراويلي مِخْنَقتي ، وأَلْصِق خَلْخالي بقُرْطي ، فإذا كان غدٌ فاكتب إليَّ بعِتابك في طومارٍ حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة ، ودع هذا الفضولَ ، فقد قال الشاعر : [من الوافر]

صوت

دَعي عَـدَّ الذّنوب إذا التقينا تعـاليْ لا أعـدُّ ولا تعدِّي

وتمام هذا قوله :

فأقسِم لو هممتِ بمدّ شعري إلى نار الجحيم لقُلْتِ مُدِّي

الشعر للمؤمّل ، والغناء لعَرِيب ، خفيف رمل ، وفيه لعلّويه رَمَل بالبِنصر من رواية عمرو بن بانة .

[مع ثمانية من الخلفاء]

أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخَصِيب : قال : حدَّثني أبو الحسن عليّ بن محمد بن الفُرات قال : كنت يوماً عند أخي أبي العبّاس ، وعنده عَرِيب جالسة على دَسْت مفرد لها ، وجواريها يغنّين بين يدينا وخلف ستارتنا ، فقلت لأخي ، وقد جرى ذكر الخلفاء : قالت لي عَرِيب : ناكَني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحداً إلاّ المعتزّ ، فإنّه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد . قال ابن الفرات : فأصغيت إلى بعض بني أخي ، فقلت له : فكيف ترى شهوتها الساعة ، فضحك ولَمَحَتْه ، فقالت : أيَّ شيء قلتم ؟ فجحدتُها . فقالت لجواريها : أَمسكن ، ففعلن ، فقالت : هنّ حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما لَينصرفْنَ جميعاً ، وهنّ حرائر إن حرِدْتُ من شيء جرى ، ولو أنّها تسفيل ، فصَدقتُها . فقالت : وأيّ شيء في هذا ؟ أمّا الشهوة فبحالها ، ولكن الآلة قد بَطَلت أو قالت : قد كَلَّت ، عودوا إلى ما كنتم فيه .

[شرطان لها]

وحدَّثني الحسنُ بن عليّ بن مودّة : قال : حدَّثني إبراهيمُ بن أَبي العَنْبَس : قال : حدَّثنا أَبي : قال : دخلنا على عَرِيب يوماً مُسلِّمين ، فقالت : أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزنيجة صَنَعتْها بِدْعة بيدها من لوز رطب ، وما حضر من الوظيفة ، وأُغنّيكم أنا وهي ، قال : فقلت لها على شريطة ، قالت : وما هي ؟ قلت : شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين ، وأنا أهابُك ، قالت : ذاك لك ، وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل ، فقد علمت ما

هو ، فعجبت لها ، وقلت : فقولي ، فقالت : تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو ؟ فقلت : إي والله ذاك الذي أردت . قالت : شرطي أَيْرٌ صُلْب ، ونَكْهَة طيِّبة ، فإن انضاف إلى ذلك حسنٌ يُوصَف ، وجمال يُحْمد فقد زادَ قَدرُه عندي ، وإلاّ فهذان ما لا بدّ لي منهما .

[حبيبها والهديّة]

وحدَّثني الحسنُ بنُ عليّ ، عن محمد بن ذي السَّيفين إسحاق بن كنداجيق ، عن أبيه : قال : كانت عَرِيب تولع بي وأنا حديث السنّ ، فقالت لي يوماً : يا إسحاق قد بلغني أنّ عندك دَعْوة فابعث إليّ نَصيبي منها ، قال : فاستأنَفْتُ طعاماً كثيراً ، وبعثت إليها منه شيئاً كثيراً ؛ فأقبل رسولي من عندها مُسرِعاً ، فقال لي : لمّا بلغتُ إلى بابها ، وعرفَتْ خبري أَمَرتْ بالطعام فأُنْهِب وقد وَجَّهَتْ إليك برسول ، وهو معي ، فتحيَّرت وظننتُ أنـّها قد استقصَرَتْ فِعْلي ، فدخَل الخادم ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة ، فقرأتها ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا عجميّ يا غبيّ ، ظننتَ أنـّي من الأتراك وَوَخْش[1] الجند ، فبعثتَ إليّ بخبز ولَحم وحلواء ، الله المستعانُ عليك ، يا فَدَتْك نفسي ، قد وجّهت إليك زلّة[2] من حضرتي ، فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه من الأفعال ، ولا تستعمل أخلاق العامّة ، في ردّ الظّرف ، فيزداد العيبُ والعَتْبُ عليك إن شاء الله ، فكشفت المنديل ، فإذا طبق ومكبّة من ذهب منسوج على عمل الخلاف ، وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق ، وقد عَصَبَتْ طرفيهما وفيها قطعتان من صدر درّاج مشوي ونقل وطَلْع[3] وملح ، وانصرف رسولها .

[خذ الخلافة واعطني الصاحب]

قال ابن المعتزّ : حدَّثني الهشاميُّ أبو عبد الله ، عن رجل ذكره ، عن علّويَه قال : أمرني المأمونُ وسائرَ المغنّين في ليلة من اللّيالي أنْ نَصير إليه بُكرةً ليصطبحَ ، فغدونا ولَقِيني المراكبيُّ مولى عَرِيب ، وهي يومئذٍ عنده ، فقال لي : يا أيـّها الرجل الظالم المعتدي ، أما تَرِقّ ولا ترحم ولا تَستحي ؟ عَرِيب هائمة تَحْلم بك في النوم ثلاث مرّات في كلّ لَيْلة ، قال علّويَه : فقلت : أُمُّ الخلافة زانية . ومضيت معه ، فحين دخلت قلت : استوثِق من الباب ، فإنّي أَعرَف خلق الله بفضول البَوَّابين والحُجَّاب ، وإذا عَرِيب جالسةٌ على كرسيّ تطبخ ، وبين يديها ثلاث قدور من دجاج ، فلمّا رأتني قامت تعانقني وتقبّلني ، ثم

1 الوخش : الرديء من كل شيء .
2 الزلة : ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه .
3 الطّلع : ثمر النخل أوّل ظهوره .

قالت : أيما أحبّ إليك أن تأكل من هذه القدور ، أو تشتهي شيئاً يُطْبَخ لك ، فقلت : بل قِدْر من هذه تكفينا ، فغرفت قِدْراً منها ، وجعلتها بيني وبينها ، فأكلنا ودَعَوْنا بالنبيذ ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا ، ثم قالت : يا أبا الحسن ، صَنعت البارحة صوتاً في شعر لأبي العتاهية ، فقلت : وما هو ؟ فقالت هو : [من الطويل]

عَذِيري من الإنسانِ لا إن جفوته صَفا لي ولا إن كنت طوعَ يديهِ

وقال لي : قد بقي فيه شيء ، فلم نزل نردّده أنا وهي حتى استوى ، ثم جاء الحُجَّاب فكسروا باب المراكبيّ واستخرجوني ، فدخلتُ على المأمون ، فلمّا رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق ، وأنا أغنّي الصوت ، فسمع وسمع مَنْ عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه ، وسألني المأمون عن خبره ، فشرحتُه له . فقال لي : ادنُ ورَدِّدْه ، فردَّدْته عليه سبع مرّات . فقال في آخر مرّة : يا علّويَه . خذ الخلافة واعْطني هذا الصاحب .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

عَذِيري من الإنسانِ لا إن جَفَوتُه صفا لي ولا إن كُنتُ طَوعَ يديهِ
وإنّي لمشتاقٌ إلى قُـربِ صاحِبٍ يَـرُوق ويَصْفُو إن كَدرْتُ عليهِ

الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية ، والغناء لعَرِيب ، خفيف ثقيل أوَّل بالوسطى ، ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة والأصبغ إلى عَلُّويَه .

[لماذا غضب الواثق والمعتصم عليها]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني القاسمُ بن زُرْزور : قال : حدَّثتني عَرِيب قالت : كنت في أيّام محمد ابنةَ أربع عشرة سنة ، وأنا حينئذٍ أصوغ الغناء .

قال القاسم : وكانت عَرِيب تكايد الواثق فيما يَصُوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً فيكون أجودَ من لحنه ، فمن ذلك : [من البسيط]

لم آتِ عامـدةً ذَنبــاً إليك بَلى أُقِرّ بالذنبِ فاعفُ اليوم عن زَلَلي

لَحنُها فيه خَفِيف ثقيل ، ولحن الواثق رَمَل ، ولحنها أجود من لحنه ، ومنها : [من البسيط]

أشكو إلى اللهِ ما أَلْقى من الكمَدِ حَسْبي بِربِّي ولا أَشكو إلى أَحَدِ

لحنُها ولحن الواثق جميعاً من الثقيل الأوّل ، ولحنها أجوَدُ من لَحْنِه .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من البسيط]

لم آتِ عامدةً ذنباً إليك بلى أُقِرّ بالذّنبِ فاعفُ اليوم عن زللي
فالصّفح مــن سَيِّدٍ أولى لُمعتَذرٍ وقاكَ ربُّك يوم الخوفِ والوَجَلِ

الغِناء للواثق رمل ، ولعَرِيب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لِطالب بن يزداد فيه هزجاً مطلقاً .

صوت

[من البسيط]

أَشكو إلى اللهِ ما أَلقى من الكَمَدِ حَسْبي بربِّي ولا أَشكُو إلى أَحَدِ
أين الزّمان الذي قـد كنت ناعمةً في ظِلِّه بدنُوِّي منـك يا سَنَدي
وأسأَلُ الله يومـاً منك يُفرحني فقد كحلتُ جفونَ العينِ بالسَّهَدِ
شوقاً إليك وما تدري بما لقيت نفسي عليك وما بالقلبِ من كَمَدِ

الغناء لعَرِيب ثقيل أوّل بالوسطى ، وللواثق ثقيل أوّل بالبنْصر .

قال ابن المعتزّ : وكان سببَ انحرافِ الواثق عنها ، وكيادها إيّاه ، وانحراف المعتصم عنها أنّه وجد لها كِتاباً إلى العَبّاس بن المأمونِ ببلد الرُّوم : اقتُلْ أَنت العِلْج ثَمَّ ، حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا . تعني الواثق ، وكان يَسْهَر بالليل ، وكان المعتصم استخلفه ببغداد .

[تغضب على جارية تشبهها في شبابها]

قال : وحدَّثني أَبو العَنْبَس بنُ حَمدون قال : غَضِبَت عَرِيب على بَعْض جواريها المذكورات ، وسمّاها لي ، فجئتُ إليها يوماً ، وسأَلتُها أَن تعفو عنها ، فقالت في بعض ما تقوله ، ممّا تعتد به عليها من ذنوبها : يا أَبا العَنْبَس إن كنت تشتهي أن تَرى زِنايَ وصَفاقةَ وَجْهي وجراءَتي على كلّ عظيمة أيّام شبابي فانظر إليها ، واعرف أخبارها .

[كانت تجيد ركوب الخيل]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني القاسم بن زُرْزُور قال : حدَّثني المعتمد ، قال : حدَّثتني عَرِيب أنّها كانت في شبابها يُقدَّم إليها بِرْذَوْن ، فتَطفِر عليه بلا ركاب .

[لا تُبالي بلدغ العقرب وهي في الصوت]

قال : وحدَّثني الأسديّ : قال : حدَّثني صالح بن عليّ بن الرشيد المعروف بزعفرانة : قال :

تمارى خالي أبو عليّ مع المأمون في صوت ، فقال المأمون : أين عَرِيب ؟ فجاءت وهي محمومة ، فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها ، فقال لها : غنّيه ، فولّت لتجيء بعود ، فقال لها : غنّيه بغير عود ، فاعتمدت على الحائط للحُمّى وغنّت ، فأقبلت عقرب ، فرأيتُها قد لسعت يدها مرّتين أو ثلاثاً ، فما نَحَّت يدها ، ولا سكتت ، حتى فرغت من الصوت ، ثم سقطت وقد غُشي عليها .

[كيف تغسل رأسها]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني أبو العبّاس بنُ الفرات : قال : قالت لي تحفة جارية عَرِيب : كانت عَرِيب تجد في رأسها بَرْداً ، فكانت تغلّف شعرها مكان العلّة بستّين مِثْقالاً مِسْكاً وعَنْبَراً ، وتغسله من جُمْعةٍ إلى جمعة ، فإذا غَسلَتْه أعادته ، وتتقسّم الجواري غُسالةَ رأسها بالقوارير وما تُسرِّحه منه بالمِيزان .

[ترتجل معارضة لصوت]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة ، عن عليّ بن يحيى المنجّم : قال : دخلتُ يوماً على عَرِيب مسلّماً عليها ، فلمّا اطمأننتُ جالساً هطلت السماء بمَطَر عظيم ، فقالت : أقم عندي اليوم حتى أُغَنِّيك أنا وجواريَّ ، وابعثْ إلى مَنْ أحببتَ من إخوانِكَ ، فأمرتُ بدوابي فرُدَّت ، وجلسنا نتحدَّث ، فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة ، ومَن كان يغنّينا ، وأيَّ شيء استحسنا من الغناء ، فأخبرتها أنَّ صوتَ الخليفة كان لَحْناً صنعه بنانٌ من الماخوريّ ، فقالت : وما هو ؟ فأخبرتها أنّه : [من مجزوء الوافر]

صوت

تُجافي ثم تنطَبِقُ جفونٌ حَشوُها الأرقُ
وذي كَلَفٍ بكى جَزَعاً وسَفْرُ القوم مُنطلِقُ
به قَلَقٌ يُمَلْمِلُه وكان وما به قَلَقُ
جوانحُهُ على خَطَرٍ بنارِ الشّوق تَحترِقُ

فوجَّهتْ رسولاً إلى بنان ، فحضر من وقته . وقد بلّته السماءُ ، فأمرت بخِلَع فاخرة ، فخُلِعَت عليه ، وقُدِّم له طعام فاخر ، فأكل وجلس يشرب معنا ، وسألتْه عن الصوت ، فغنّاها إيّاه فأخذَت دَواةً ورُقعَة وكتبت فيها : [من مجزوء الوافر]

أجابَ الوابِلُ الغَدِقُ وصاح النّرجسُ الغَرِقُ
وقد غنّى بنان لنا : جُفونٌ حَشوُها الأَرَقُ
فهاتِ الكأسَ مُترعةً كأنَّ حُبابَها حَدَقُ

قال عليّ بن يحيى : فما شربنا بقيّة يومنا إلاّ على هذه الأبيات .

[رموز برموز]

حدَّثني محمد بن خلف بنُ المرزبان ، عن عبد الله بن محمد المروزيّ : قال : قال لي الفضل بن العبّاس بن المأمون : زارتني عَرِيب يوماً ومعها عِدَّةٌ من جواريها ، فوافتنا ونحن على شرابنا ، فتحادثنا ساعة ، وسألتها أن تُقيم عندي ، فأبَت وقالت : دَعاني جماعة من إخواني من أهلِ الأدب والظَّرف ، وهم مجتمعون في جَزيرة المُؤيّد ، فيهم إبراهيمُ بن المُدبّر وسَعِيدُ بن حُمَيد ويحيى بن عيسى بن منارة ، وقد عزمتُ على المسير إليهم ، فحلفت عليها ، فأقامت عندنا ، ودعَت بدواة وقرطاس فكتبت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرفٍ متفرّقة لم تزِد عليها ، وهي :

أردتُ ، ولولا ، ولعلّي .

ووجّهت به إليهم ، فلمّا وصلت الرقعة عَيُّوا بجوابها ، فأخذ إبراهيم بن المدبّر الرقعةَ ، فكتب تحت أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت لعلّي : أرجو . ووجّهوا بالرقعة فصفَّقت ونعَرت[1] وشربت رَطلاً وقالت لنا : أأترك هؤلاء وأقعد عندكم ؟ إذاً تركني الله من يديه ، ولكنّي أُخلّف عندكم من جواريّ مَنْ يكفيكم ، وأقوم إليهم ، ففعلت ذلك وخلَّفت عندنا بعضَ جواريها ، وأخذت معها بعضَهن ، وانصرفت .

[بلاغتها]

أخبرنا محمد بن خلف ، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء ، عن أبيه قال : عتَب المأمون على عَرِيب ، فهجرها أيّاماً ، ثم اعتلَّت فعادها ، فقال لها : كيف وجدت طعم الهَجْر ؟ فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، لولا مرارة الهجر ما عُرِفَت حَلاوةُ الوَصْل ، ومَن ذَمَّ بدءَ الغضب أحمد عاقبةَ الرضا ، قال : فخرج المأمون إلى جلسائه ، فحدَّثهم بالقصّة ، ثم قال : أتُرى هذا لو كان من كلام النظام ألَم يكن كبيراً ؟

[لا تريد مَن يتدخّل بينها وبين المأمون]

حدَّثني محمد بن خلف ، عن أبي العيناء ، عن أحمد بنِ أبي داوُد ، قال : جرى بين عَرِيب وبين المأمون كَلامٌ ، فكلَّمها المأمون بشيءٍ غَضِبَت منه ، فهجرته أيّاماً ، قال أحمد بن أبي داوُد : فدخلتُ على المأمونِ ، فقال لي : يا أحمد ، اقضِ بيننا ، فقالت عَرِيبُ : لا حاجة لي في قضائِه ودخوله فيما بيننا ، وأنشأت تقول : [من المنسرح]

---

1 نعرت نعيراً ونعاراً : صاحت وصوّتت بخيشومها .

وتخلِـطَ الهجـرَ بالوِصالِ ولا يَدْخُـلَ في الصُّلحِ بيننا أحدُ

[خلوتها مع محمد بن حامد]

حدَّثني محمد بن خلف قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الرحمن ، عن أحمد بن حمدون ، عن أبيه ، قال : كنتُ حاضراً مجلس المأمون ببلاد الرُّوم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذاتِ رُعود وبُروق ، فقال لي المأمون : اركب الساعة فرسَ النَّوْبة وسِرْ إلى عَسْكَر أبي إسحاق ، يعني المعتصم ، فأدِّ إليه رِسالتي في كيت وكيت ، قال : فركبتُ ولم تَثبُت معي شمعة ، وسمعت وقع حافر دابة ، فرهبْت ذَلِك ، وجعلت أتوقّاه ، حتى صَكَّ ركابي رِكابَ تلك الدّابة ، وبَرقت بارقة فأضاءَت وَجْه الراكب ، فإذا عَرِيب ، فقلت : عَرِيب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ قلت : نعم . ثم قلت : من أين أقبلتِ في هذا الوقت ؟ قال : من عند محمد بن حامد ، قلتُ : وما صنعتِ عنده ؟ قالت عَرِيب : يا تكش ، عَرِيب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجةً من مَضْرِب الخليفة وراجعةً إليه ، تقول لها : أيّ شيء عَمِلت عنده ؟ صَلَّيتُ معه التراويح ؟! أو قرأتُ عليه أجزاءً من القرآن ، أو دارسته شيئاً من الفقه ، يا أحمق تعاتَبنا ، وتحادَثنا ، واصطلحنا ، ولَعِبنا ، وشرِبنا ، وغنَّينا ، وتنايَكنا ، وانصرفنا ، فأخجلتْني وغاظَتني ، وافترقنا ، ومضيتُ فأدّيت الرّسالة ، ثم عدتُ إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتَناشُد الأشعار ، وهَممتُ والله أن أُحَدّثَه حديثها ، ثم هِبْتُه فقلت : أقدّم قبل ذلك تعريضاً بشيءٍ من الشعر ، فأنشدته : [من الطويل]

ألا حـــيِّ أطلالا لواسعة الحبل أُلوفٍ تسوّي صالح القوم بالرَّذْلِ[1]

فلـو أنّ مَــن أمسى بجانب تلعَة إلى جبـليْ طــيٍّ فساقطة الحَبْلِ

جلوسٌ إلى أن يَقْصر الظّلّ عندها لراحوا وكُلّ القوم منها على وَصْلِ

فقال لي المأمون : اخفِض صوتَك لا تَسمعُك عَرِيب فتَغْضَب ، وتظنّ أنّا في حديثها ، فأمسكتُ عمّا أردت أن أُخبره ، وخار الله لي في ذلك .

حدَّثني محمد بن أحمد الحكيمي ، قال : أخبرني ميمون بن هارون : قال : قال لي ابن اليزيديّ : حدَّثني لأبي قال : خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الرُّوم ، فرأيت عَرِيبَ في هودج ، فلمّا رأتني قالت لي : يا يزيديّ ، أنشدني شعراً قلتَه حتى أصنع فيه لحناً فأنشدتها : [من الرجز]

مـاذا بقلبي من دوامِ الخفْقِ إذا رأَيــتُ لمعـانَ البَـرْقِ

1 واسعة الحبل : أي لا تردّ يد لامس .

مــن قِبَــلِ الأردُنِّ أو دِمشْقِ   لأنّ مَــن أهــوى بذاك الأُفْقِ
فإنَّ فيــه وهــو أعــزّ الخَلْقِ   علــيَّ والزّورُ خــلاف الحَقِّ
ذاك الذي يَملِكُ منِّــي رِقّي   ولست أبغِــي ما حَيِيتُ عِتْقِي

قال : فتنفَّستْ تنفّساً ظننتُ أنّ ضُلوعَها قد تقصَّفت منه ، فقلْت : هذا والله تنفّس عاشق ، فقالت : اسكت يا عاجز أنا أعشَق ، والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس ، فادّعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً طريفاً .

[بيتا عبّاس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها]

حدَّثني محمد بن خلف : قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر : قال : حدَّثني أحمدُ بنُ حَمدون : قال : وقَعَ بين عَرِيب وبين محمد بن حامد شَرّ ، وكان يَجِد بها الوَجْد كلّه ، فكادا يَخرُجان من شَرّهما إلى القَطيعة ، وكان في قلبها منه أكثرُ ممّا في قلبه منها ، فلقيته يوماً ، فقالت له : كيف قلبُك يا محمد ؟ قال : أشقى والله ما كان وأقرحُه ، فقالت له : استبدل تسْلُ ، فقال لها : لو كانت البلوى باختيار لفَعلت ، فقالت : لقد طال إذاً تعبك ، فقال : وما يكون ؟ أصْبِر مُكْرَهاً ، أما سَمعتِ قَولَ العبّاسِ بن الأحنف : [من الكامل]

تَعَبٌ يطول مع الرجاءِ بذي الهَوى   خَيرٌ لــه مــن راحــةٍ في الياسِ
لــولا كرامتكــمُ لمــا عاتَبتكُم   ولكنْتُــم عنــدي كبَعْضِ النّــاسِ

قال : فذرفَت عيناها ، واعتذرت إليه وأعتَبَتْه ، واصطلحا ، وعادا إلى أفضلِ ما كانا عليه .

[اختلاف في فن عَرِيب]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة : قال : قال لي أبو العبّاس بن حمدون ، وقد تجاذبنا غِناء عَرِيب : ليس غناؤها مِمّا يعتدّ بكثرته ، لأنّ سقطه كثير ، وصنعتها ساذجة ، فقلت له : ومَن يُعرَف في النّاس كُلّهم من مُغنّي الدولة العبّاسيّة سَلِمت صنعتُه كلّها حتى تكون مثلَه ! ثم جعلتُ أعدّ ما أعرفه من جَيِّد صَنْعتها ومُتَقدّمها وهو يعترف بذلك ، حتى عددت نحواً من مائة صوت مثل لحنها في : [من البسيط]

يا عــزّ هــل لك في شيخٍ فتًى أبدا

و : [من الطويل]

سيسليك عمّــا فــات دولةَ مفضل

و : [من مجزوء الخفيف]

صــاح قـــد لمـــت ظالمـا

و : [من مجزوء الكامل]

ضحــــك الزمــــــان وأشرقـــت

ونحو هذا ، ثم قال لي : ما خَلّفتْ عَرِيبُ بعدها امرأةً مثلَها في الغِناء والرّواية والصَّنْعة ، فقلت له : لا ، ولا كثيراً من الرجال أيضاً .

[قصّة لحن في بيت يتيم]

ولعَريب في صنعتها : [من البسيط]

يا عــزّ هــل لكِ في شيخٍ فتى أبدا

خبرٌ أخبرني ببعضِه أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار ، عن ميمون بن هارون .

وذكر ابن المعتزّ أنّ عبد الواحد بنَ إبراهيم بن الخصيب حدَّثه عَمَّن يثِق به ، عن أحمد بنِ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ : قال : قالت لي عَرِيب : حجَّ بي أبوكَ وكان مضعوفاً ، فكان عديلي ، وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدُهم الأشعارَ ، وأكتب عنهم النوادر وسائرَ ما أسمعه منهم ، فوقف شيخٌ من الأعرابِ علينا يسأل ، فاستنشدتُه ، فأنشدني : [من البسيط]

يا عزّ هل لك في شيخ فَتًى أبدا وقد يكون شَبابٌ غَيرُ فِتيانِ

فاستحسنتُه ، ولَم أكُن سمعته قبل ذلك ، قلت : فأنشدني باقي الشعر ، فقال لي : هو يتيم ، فاستحسنتُ قوله وبرَّرتُه ، وحفِظت البيت وغنَّيت فيه صوتاً من الثقيل الأوّل ، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه . فلمّا كان في ذلك اليوم عَشِيّاً قال لي : ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدَك إيّاه الأعرابيّ ، وقال لك : إنّه يتيم . أنشدينيه إن كنت حَفظْته ، فأنشدتُه إيّاه ، وأعلمته أنّي قد غَنَّيت فيه ، ثم غنَّيته له ، فوهب لي ألف درهم بهذا السبب ، وفرح بالصوت فرحاً شديداً .

قال ابن المعتزّ : قال ابن الخصيب : فحدَّثني هذا المحدِّث أنّه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكّل ، ومَن هاهنا تتَصل روايةُ ابن عَمَّار ، عن ميمون ، وقد جَمعتُ الرّوايتين ، إلاّ أنّ مَيْمون بنَ هارون ذَكَر أنّهم كانوا عِنْد جَعْفَر بنِ المأمون ، وعندهم أبو عيسى ، وكان عندهم عليُّ بنُ يَحْيى ، وبِدعة جاريةُ عَرِيب تغنّيهم ، فذَكَر عليُّ بنُ يحيى أنَّ الصَّنعةَ فيه لِغَير عَرِيب ، وذكر أنّها لا تدّعي هذا وكابَرَ فيه ، فقام جعفرُ بنُ المأمون ، فكتب رُقْعَة إلى عَرِيب ، ونحن لا نعلم ، يسألُها عن أمرِ الصوت وأن تكتب إليه بالقصّة ، ففعلت ، فكتبت إليه بخطِّها :

بسم الله الرحمن الرحيم : [من الطويل]

هَنِيّاً لأَربابِ البيوت بُيوتُهم وللعَزَب المسكين ما يَتَلَبَّسُ

أَنا المسكينة ، وحيدة فريدة بغير مؤنس ، وأَنتم فيما أَنتم فيه ، وقد أَخذتم أنسي ومَن كان يُلهيني ، تعني جاريتيها : بِدعة وتحفة ، فأَنتم في القصف والعزف ، وأَنا في خلاف ذلك ، هناكم الله وأَبقاكم ، وسألتَ ، مدّ الله في عمرك ، عمّا اعتَرَضَ فيه فلان ، والقِصَّةُ في هذا الصوت كذا وكذا ، وقصَّتْ قصَّتها مع الأعرابيّ كما حدَّثت به ، ولم تَخْرُم حرفاً منها ، فجاء الجواب إلى جَعْفر بن المأمون فقرأه وضحك ، ثم رمى به إلى أبي عيسى ، ورمى به أبو عيسى إليّ ، وقال : اقرأْه ، وكان عليّ بن يحيى جالساً إلى جَنْبي ، فأَراد أن يَستَلِب الرقعة ، فمنعتُه وقمتُ ناحية ، فقرأتُها : فأنكر ذلك ، وقال : ما هذا ؟ فورَّينا الأمرَ عنه لَئلاّ تقع عربدة ، وكان ، عفا الله عنّا وعنه ، فعّالاً لها .

[قصة غراميّة عن أبي محلم]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني أَبو الخَطّاب العَبّاسُ بنُ أَحمدَ بن الفُرات ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : كنّا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وعَرِيبُ حاضرةٌ إذ غنّى بعضُ مَن كان هناك : [من الكامل]

يـا بدرُ إنّك قد كُسِيت مشابِهاً من وجــهِ ذاك المستنير اللاّئحِ
وأَراك تمصَح بالمحاقِ ، وحسنُها بـاقٍ على الأيّــام ليس ببارحِ[1]

فضحكت عَرِيب وصفَّقَت وقالت : ما على وجه الأَرض أَحدٌ يعرف خبر هذا الصوتِ غيري ، فلم يُقدِم أحدٌ منّا على مسألتها عنه غيري ، فسأَلتها ، فقالت : أَنا أُخبركم بقصّته ، ولولا أنّ صاحب القِصَّة قد مات لَما أخبرتكم ، إنّ أَبا مُحلّم قدِمَ بغداد ، فنزل بقرب دار صالح المسكين في خانٍ هناك ، فاطّلعت أُمُّ محمد ابنةُ صالح يوماً ، فرأته يبول ، فأَعجبها مَتاعُه ، وأحبَّت مواصلتَه ، فجعلت لذلك علّة بأَن وَجَّهتْ إليه تَقترض منه مالاً ، وتُعلِمُه أنّها في ضِيقَة وأنّها تَردُّه إليه بعد جُمْعَة ، فبَعَث إليها عَشرةَ آلافِ دِرْهم ، وحلَف أنّه لو مَلَك غيرَها لبَعَث به ، فاستحسنتْ ذلك وواصلته ، وجعلت القرضَ سبباً للوُصْلة ، فكانت تُدخلُه إليها ليلاً ، وكنت أَنا أُغنّي لهم ، فشربنا ليلة في القمر ، وجعل أبو مُحلّم ينظر إليه ، ثم دعا بدواة ورقعة ، وكتب فيها قوله : [من الكامل]

---

1 مصح : ذهب وانقطع .

يا بدرُ إنّك قد كُسيتَ مشابها ... من وَجْهِ أُمِّ محمد ابنةِ صالِحِ

والبيت الآخر ، وقال لي : غَنِّي فيه ، ففعلتُ واستحسنّاه وشرِبنا عليه ، فقالَتْ لي أُمّ محمد في آخر المجلس : يا أختي ، قد تنبّلت في هذا الشعر إلاّ أنّه سيبقى عليَّ فَضيحة آخر الدّهر ، فقال أبو مُحلّم : وأنا أغيّره ، فجعل مكان أُمّ محمد ابنة صالح ، «ذاكَ المستنير اللائح» . وغَنَّيته كما غيَّره ، وأخذه الناسُ عنّي ، ولو كانت أُمُّ محمد حيَّة لما أخبرتكم بالخَبَر .

[فأمّا نِسْبة هذا الصوت]

فإنَّ الشعر لأَبي مُحَلّم النَّسَّابة ، والغِناء لعَرِيب ثَقيل أَوَّل مُطلق في مَجْرى الوُسْطى من رواية الهِشاميّ وغيره ، وأبو مُحلّم اسمه عوف بنُ مُحلّم .

[تطلب من حبيبها أن يزورها]

أَخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن ميمونِ بن هارون : قال : كتبتْ عَرِيب إلى محمد بن حامد ، الذي كانت تَهواه ، تستزِيرهُ ، فكتب إليها : إنِّي أخاف على نفسي ، فكتبت إليه : [من المتقارب]

صوت

إذا كنتَ تحـذرُ ما تحذرُ ... وتزعـمُ أَنّك لا تَجسُرُ

فما لي أُقِيمُ على صَبْوَتي ... ويَـومُ لِقائِـك لا يُقدَرُ

فصار إليها من وقته .

لعَرِيب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرا في الخبر رَمَل ، ولشارية خَفِيف رمل ، جُمِعا من رواية ابن المعتزّ ، والبيتان الآخران : [من المتقارب]

تبيَّنتَ عـذري وما تَعذِر ... وأَبليتَ جسمي وما تشعرُ

أَلِفْـتَ السُّرورَ وخَلَّيْتَنـي ... ودَمْعـي من العينِ ما يَفترُ

وذكر ميمون في هذا الخبر أنّ محمدَ بن حامد كتب إليها يُعاتبها في شيء كَرِهَه ، فكتبت إليه تعتذر ، فلم يقبل ، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت : [من البسيط]

صوت

أَحببتُ مـن شعرِ بَشّار لحبّكمُ ... بَيْتـاً ، كلِفتُ به من شِعْرِ بَشّارِ

يـا رحمـةَ اللهِ حُلّي في مَنازِلنا ... وجاوِرِينا فدَتْكِ النَّفسُ من جارِ[1]

---

1 رحمة : محبوبة بشار .

إذا ابتهلتُ سألتُ اللهَ رحمتَه ... كنيتُ عنك وما يَعدُوك إضماري

الشعرُ لأبي نواس منه البيت الأوّل ، والثاني لبشّار ضمّنه أبو نواس ، والغناء لعَرِيب ثقيل أوّل بالبنصر ، ولعمرو بن بانة في الثاني والثالث رمل .

وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عَمّ نجاح بن سَلَمة الكاتب .

[رحمة حبيبة بشّار ورحمة حبيب أبي نواس]

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفَشُ ، عن محمد بن يزيد النحويّ : قال : كان بَشَّار يُشبِّب بامرأة يقال لها رحمة ، وكان أبو نواس يتعشّق غلاماً اسمه رحمة بن نجاح ، عَمّ نَجاحِ بنِ سَلَمَة الكاتب ، وكان متقدّماً في جماله ، وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلاً مدنيّاً ، وكان معهم كأحدهم ، وأكثر أبو نواس التّشبيبَ برحمة في إقامته ببغداد وشخوصه عنها ، وكان بشّار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها : [من البسيط]

يا رحمةَ الله حُلِّي في منازلنا ... حَسْبي برائحة الفِرْدَوس من فِيكِ

يا أَطيبَ النّاسِ ريقاً غيرَ مُختَبَرٍ ... إلاّ شِهادةَ أَطرافِ المساويكِ

فقال أبو نواس ، وضمَّن بيت بَشّار : [من البسيط]

أحببت من شعر بشّار لحُبِّكم ... بَيْتاً كَلِفْت به من شِعْرِ بَشّارِ

الأبيات الثلاثة . . .

وقال فيه : [من الكامل]

يا مَن تأهَّب مُزْمعاً لِرواحِ ... مُتَيَمِّماً بغدادَ غيرَ مُلاحِ

في بَطْن جاريةٍ كَفَتْك بسَيْرِها ... رَمَلاً وكلَّ سِباحة السَّبّاحِ[1]

بُنيت على قَدَرٍ ولاءم بينها ... صِنْفانِ من قارٍ ومن أَلواحِ

وكأنّها ، والماء ينضح صدرَها ... والخَيزُرانة في يَدِ المَلاَّحِ[2]

جُونٌ من الغِربانِ يبتدِر الدّجى ... يَهْوي بصَوْتٍ واصطِفاقِ جَناحِ

سلِّم على شاطي الصّراةِ وأَهلِها ... واخصُص هناك مَدِينةَ الوَضّاحِ[3]

واقصدْ ، هُدِيت ، ولا تكن متحيِّراً ... في مقصِدِ عن ظَبْـي آلِ نَجاحِ

1 جارية : أي السفينة . والرَّمَل : ضرب من السير وهو الهرولة .

2 الخيزرانة : مجداف السفينة .

3 الصّراة : نهر بالعراق .

عن رحمة الرحمن واسأل مَنْ تَرى سيماه سيما شارِبٍ للرّاحِ
فإذا دُفِعْتَ إلى أغنَّ وألثغٍ ومُنَعَّم ومُكَحَّل ورَداحِ[1]
وكشَمْسِنا وكبدرِنا حاشى التي سَمَّيْتها منه بنَوْر أَقاحي
فاقصِد لوقت لِقائه في خَلْوة لِتَبوح عنِّي ثَمَّ كلّ مباحِ
واخبر بما أَحبَبْت عن حالي التي ممسايَ فيها واحدٌ وصَباحي

قال : فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذِكر ابنه بأن عَقَد بينه وبينه حُرْمَة ، ودعاه إلى منزله ، فجاءه أبو نواس والمدينيّ لا يعرفه ، فمازحه مِزاحاً أسرف عليه فيه ، فقام إليه رحمة ، فعرفه أنّه أبو نواس ، فأشفق المدينيّ من ذلك ، وخاف أن يهجوه ويشَهّر اسمه ، فسأل رحمةَ أن يكلّمه في الصّفح له والإغضاء عن الانتقام ، فأجابه أبو نواس وقال : [من الكامل]

اذهبْ سلمتَ من الهجاءِ ولذعِه وأَما ولَثغةِ رحمةَ بنِ نجاحِ
لولا فُتورٌ في كلامِك يُشتَهى وتَرفُّقي لك بعدُ واستِملاحي
وَتكَسُّرٌ في مقلتيك هو الذي عَطَف الفؤاد عليكَ بعد جِماحِ
لَعَلِمتَ أَنّك لا تمازِح شاعِراً في ساعةٍ ليست بحينِ مُزاحِ

صوت

[من المتقارب]

أأبكاكَ بالعُرُف المنزلُ وما أَنتَ والطَّلَلُ المُحولُ ؟
وما أَنتَ ويْك ورسمُ الدّيارِ وسِنُّكَ قد قاربت تكمُلُ ؟

عروضه من المتقارَب ، والشعر للكميت بنِ زيد الأَسديّ ، والغناء لمعْقِل بن عِيسى أَخِي أَبي دُلَفٍ العِجليّ ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبدَ الرحمن بنَ عَنْبسة بنِ سَعِيد بنِ العاصي بن أُميّة .

أخبرني الحسنُ بن عليّ : قال : حدَّثني الحسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، عن عليّ بن هشام ، عن محمد بنِ عبد الأعلى بن كناسة : قال : كان بين بني أسد وبين طيىء بالحُصّ ، وهي قرية من قادِسِيّة الكوفة ، حربٌ ، فاصطلحوا وبقي لطيىء دماءُ رَجُلَين ، فاحتمل ذلك رَجُلٌ من بني أَسد ، فمات قبل أن يؤدّيه ، فاحتمله الكميت بن زيد ، فأعانه فيه عبدُ الرحمن بنُ عَنْبسة ، فمدحه بقوله : [من المتقارب]

1 الرداح : الثقيل الأوراك .

أَأَبكاكَ بالعُرُفِ المنزلُ   وما أَنتَ والطّلل المحوِلُ

فأَعانه الحكم بن الصلت الثقفيّ ، فمدحه بقصيدته التي أوّلها : [من المتقارب]

رأَيــت الغوانيَ وحشا نَفُورا

وأَعانه زيادُ بن المُغفّل الأَسديّ ، فمدحه بقصيدته التي أَوّلها : [من البسيط]

هل للشباب الذي قد فات من طلب ؟

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء ، فأَقبل الرجل يعطي الكميت المائتين ، والثلاث المائة ، وأَكثر وأَقلّ ، قال : وكانت دِيَةُ الأَعرابيّ حينئذٍ أَلفَ بَعِيرٍ ودِيةَ الحَضريّ عَشْرَة آلافِ دِرهم ، وكانت قيمة الجمل عَشرة دراهم ، فأَدّى الكميتُ عِشْرين ألفاً عن قيمة ألفَي بَعِير .

نسبة ما في أَشعار الكميت هذه من الأغاني

منها :

صوت

[من البسيط]

هل للشبابِ الذي قد فات من طلبِ   أَم ليس غابرُه الماضــي بمُنقلبِ
دَعِ البكاء على ما فات من طلب   فالدّهر يأتــي بأَلوان مــن العَجَبِ

غنّاه إبراهيمُ الموصليّ خَفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق .

[446] ـ ذكر معقل بن عيسى

[شاعر مغن]

كان معقِلُ بن عيسى فارساً شاعراً جَواداً ، مغنّياً فَهماً بالنّغم والوتر ، وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دُلَف وتَقريظِه في المعرفة بالنَغَم ، وقال : إنّه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صَنْعةً ؛ إذ سلّم ذلك له أخوه مَعْقِل ، وإنّما أخملَ ذكرَه ارتفاعُ شأن أخيه ، وهو القائل لأبي دُلَف في عَتْب عَتَبه عليه : [من البسيط]

أُخَـيَّ ما لَـكَ ترميني فتُقصِدَني ... وإن رَمَيتُك سهماً لم يجُزْ كبدي
أُخَـيَّ ما لَـكَ مجبولاً على تِرتي ... كأنّ أَجسادنا لم تُغْـذَ من جسدِ

وهو القائل لمخارق ، وقد كان زار أبا دُلَف إلى الجبل ، ثم رجع إلى العراق ، أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي سَعيدٍ السكريّ : [من الطويل]

صوت

لعمري لئن قَـرَّتْ بقُربك أعينٌ ... لقـد سَخِنت بالبَيْنِ منك عُيونُ
فَسِرْ أَو أَقِم وقـفٌ عليك محبَّتي ... مكانُكَ مـن قلبي عليك مَصونُ
فما أُوحشَ الدُّنيا إذا كنتَ نازِحاً ... ومـا أُحسنَ الدُّنيـا بحيثُ تكونُ

عروضه من الطويل ، والشعر لمعقل بن عيسى ، والغناء لمخارق ، ولحنه من الثَّقيل الأَوّل بالوسطى ، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل ، وفيه ثاني ثقيل يقال : إنّه لمخارق ، ويقال : إنّه لمعقل .

ومن شعر معقل قولُه يمتدح المعتصمَ ، وفيه غِناء للزُّبير بن دَحْمان من الثقيل الأَوّل بالبنصر : [من الكامل]

الدّارُ هاجَـك رسمُهـا وطلولُهـا ... أم بَينُ سُعْدى يوم جَـدَّ رحيلُها
كُلٌّ شجاك فقل لعينك أعولِـي ... إن كان يُغنـي في الدِّيـارِ عَوِيلُها
ومحمدٌ زيـنُ الخَلائِـف والذي ... سَنَّ المكـارمَ فاستَبـان سَبِيلُها

صوت

[من الطويل]

أَليسَ إلى أَجبال شمخٍ إلى اللّوى ... لِوى الرَّمل يوماً للنُّفوس مَعادُ ؟

بِلادٌ بهــا كُنّا ، وكُنّا مِنَ آهلِها　　　إذِ النّــاسُ نــاسٌ والبلادُ بلادُ

الشعر لرجل مَن عاد فيما ذكروا ، والغناء لابن محرز ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن ابن المكّيّ ، وقيل : إنّه من منحوله إليه .

[رجل من عاد]

أخبرني ابن عمّار عن أبي سعد ، عن محمد بن الصَّبّاح : قال : حدَّثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيميّ عن الهيثم بن عديّ : قال : أخبرني حمّاد الرّاوية : قال : حدَّثني ابنُ أُخت لنا من مراد : قال : وليتُ صدقاتِ قوم من العرب ، فبينا أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم : ألا أريك عجباً ؟ قلت : بلى ، فأدخلني في شِعب من جبل ، فإذا أنا بسهم من سهام عاد ، من فتى قد نشب في ذِروة الشّعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب : [من الطويل]

ألا هَلْ إلى أبياتِ شمخٍ إلى اللّوى　　　لِوى الرّمل يوماً للنّفوس معادُ ؟

بــلادٌ بهــا كُنّا وكُنّا مِنَ آهلِها　　　إذِ النّــاسُ نــاسٌ والبِلادُ بلادُ

ثم أخرجني إلى ساحل البحر ، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً ، ويظهر تارة ، وإذا عليه مكتوب : يا ابن آدم يا ابن عبدِ ربّه ، اتّقِ الله ، ولا تعجل في أمرِك ، فإنّك لن تسبق رزقَك ، ولن تُرزق ما ليس لك ، ومن البصرة إلى الديل ستّمائة فرسخ ، فمَن لم يصدق بذلك فليمش الطريقَ على الساحل حتى يتحقّقَه ، فإن لم يَقْدِر على ذلك فلينْطَحْ برأسه هذا الحجر .

صوت

[من الكامل]

يا بيت عاتكَـة الذي أتَعزَّل　　　حَذَر العِدا وبه الفُؤادُ موكَّلُ

إنِّي لأَمنحُكَ الصّدودَ وإنَّني　　　قَسماً إليك مع الصّدودِ لأَميَلُ

أتعزله : أتجنّبه واكون بمعزل عنه . العِدا : جمع عدوّ ، ويقال عُدا بالضمّ وعِدا بالكسر ، وأمنحك : أعطيك . والمنيحة : العطيّة . وفي الحديث أنّ رجلاً منح بعض ولده شيئاً من ماله ، فقـال لـه النبيّ ﷺ : أكلَّ ولـد منحتَ مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فارجعه .

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاريّ ، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، والغناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق ويونس وغيرهما ، وفيه لابن سُرَيج خفيف ثقيل الأوّل بالبنصر عن الهشاميّ وابن المكّيّ وعلي بن يحيى .

[447] ـ الأَحوص[1] وبعض أخباره

[الأحوص يعارض ابن أبي دُباكل]

أخبرني بخبر الأَحوص في هذا الشعر الحِرْميّ عن الزُّبير قال : حدَّثني عمر بن أَبي بكر المؤمّلي ، وأَخبرنا به الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، عن مُصْعَب الزُّبيريّ ، عن المؤمّلي ، عن عمر بن أَبي بكر الموصليّ ، عن عبد الله بن أَبي عبيدة بن عمّار بن ياسر : قال : خرجت أنا والأحوصُ بنُ محمد مع عبدِ الله بن الحسن بن الحسن إلى الحجّ ، فلمّا كنّا بقُدَيْد قلنا لعبد الله بن الحسن : لو أرسلت إلى سليمانَ بن أبي دُباكل ، فأنشدَنا شيئاً من شعره ، فأرسل إليه فأتانا ، فاستنشدناه ، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

يـا بيتَ خَنْساءَ الذي أتجنَّب ... ذهب الشباب وحُبُّها لا يَذْهبُ
أَصبحت أَمنَحُكِ الصدودَ وإنّني ... قَسماً إليك مع الصّدودِ لأجنُبُ
مـا لي أحنّ إلى جمالِكِ قُرِّبت ... وأَصُدُّ عنك وأَنت مِنّـيَ أَقربُ
لله دَرُّك هـل لديـك مُعوَّلٌ ... لَمتيَّم أَم هـل لـوُدّك مَطلبُ ؟
فلقـد رأَيتـك قبـل ذاكَ وإنّني ... لَموكَّـل بهـواكِ أَو مُتَقَرّبُ
إذ نحـن في الزمن الرخيّ وأَنتمُ ... متجـاورون كلامُكـم لا يُرقَبُ[2]
تبكي الحمامـةُ شَجوها فتَهيجُني ... ويـروح عـازبُ همِّيَ المتأوِّبُ
وتَهبُّ جاريةُ الرياحِ مِنَ ارضكم ... فأَرى البلادَ لهـا تُطِلُّ وتُخصِبُ
وأَرى السّميّة باسمكـم فيزيدُني ... شوقاً إليـك رجـاؤكِ المُتَنَسّبُ
وأَرى العـدوَّ يـودّكم فـأودّه ... إن كان يُنسب منك أَولا يُنسبُ
وأُخالِف الواشينَ فيـكِ تجمُّلاً ... وهـمُ عـليَّ ذَوُو ضغائنٍ دُؤَّبُ
ثـم اتّخذتِهـم عـليَّ وَليجة ... حتى غَضِبت ومثلُ ذلك يُغضِبُ[3]

قال : فلمّا كان من قابل حجّ أَبو بكر بنُ عبد العزيز بن مروان ، فقدِم المدينة ، فدخل عليه

---

1 انظر أخباره في : الجمحي 137–140 والشعر والشعراء 1/518–521 والمؤتلف 47–48 واللآلي 73 والخزانة 1/231–234 .

2 كلامكم في ل : كلاكم .

3 وليجة : أصدقاء وأعوان .

الأحوصُ ، واستصحبه فأصحبه ، فلمّا خرج الأحوصُ قال له بعض مَن عنده : ماذا تريد بنفسك ؟ تقدُم بالأحوص الشام ، وبها مَن يُنافسك من بني أبيك ، وهو من الأفن والسَّفَه على ما قد علمت فَيعِيبُونك به . فلمّا رجع أبو بكر من الحجِّ دخل عليه الأحوص متنجّزاً لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال : يا خال ، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه ، فيجبهكَ فيشمَتَ بك عدوّي من أهل بيتي ، ولكن خُذْ هذه الثيابَ والدنانير ، وأنا مستأذن لك أميرَ المؤمنين ، فإذا أذِن لك كتبت إليك ، فقدمتَ عليّ ، فقال له الأحوص : لا ولكن قد سُبِعْتُ[1] عندك ، ولا حاجة لي بعطيّتك ، ثم خرج من عنده ، فبلغ ذلك عمرَ بنَ عبد العزيز ، فأرسل إلى الأحوص ، وعمر يومئذٍ أميرُ المدينة ، فلمّا دخل عليه أعطاه مائة دينار ، وكساه ثياباً فأخذ ذلك ، ثم قال له : يا أخي هَبْ لي عِرْض أبي بكر ، قال : هو لك ، ثم خرج الأحوص ، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دُبا كل قصيدةً مدح بها عمرَ بنَ عبد العزيز .

وقال حمّاد : قال أبي : سرق أبيات سليمان بأعيانها ، فأدخلها في شِعره ، وغيَّر قوافِيَها فقط ، فقال : [من الكامل]

يــا بيتَ عاتكــة الذي أتعــزّل … حــذَر العِدا وبـه الفؤاد موكَّلُ
أصبحتُ أمنحُكِ الصّدودَ وإنّني … قَسَماً إليك مــع الصّدود لأَمْيَلُ
فصددتُ عنك وما صددتُ لِبغْضةٍ … أخشى مقالـــةَ كاشحٍ لا يَعْقِلُ
هل عيشُنا بك في زمانك راجعٌ … فلقــد تفاحش بعـــدك المتعلّلُ[2]
إنِّــي إذا قُلـــتُ استقام يحُطُّــه … خُلْفٌ كما نظــر الخِلافَ الأَقبَلُ[3]
لــو بـالذي عالجت لِينَ فؤاده … فأبــى يُــلانُ بـه لَلانَ الجَنْدَلُ
وتَجنُّبــي بَيــتَ الحبيــبِ أودُّه … أُرضي البغيضَ به ، حديثٌ مُعْضِلُ
ولئن صددتُ لأَنتِ لولا رِقبتي … أهــوى من اللائي أَزورُ وأَدْخُلُ
إنّ الشَّبابَ وعيشَنا اللــذَّ الذي … كُنّــا بـــه زمناً نُسرُّ ونَجذَلُ[4]
ذهبــت بشاشتُهُ وأَصبَحَ ذكــرُه … حُزْنــاً يعُــلُّ بــه الفؤاد وينهلُ

---

1 سبع فلان فلاناً : شتمه ووقع فيه .
2 تفاحش في الديوان 167 : تقاعس .
3 القبل : الحول ، أو إقبال نظر كل من العينين على الأخرى .
4 اللذّ : اللذيذ .

إلاَّ تَذكُّرَ ما مضى وصبابةً مُنِيَتْ لقلْب متيَّمٍ لا يَذْهلُ
أودَى الشبابُ وأخلقَتْ لذّاتُه وأنا الحزينُ على الشباب المُعْوِلُ
يبكي لما قَلَب الزمانُ جديدَه خَلَقاً وليس على الزّمانِ مُعوَّلُ
والرأس شامِلُه البَياضُ كأنّه بعد السّوادِ به الثَّغامُ الُمحْجِلُ[1]
وسفيهةٍ هبَّت عليَّ بسُحْرةٍ جَهْلاً تلوم على الثّواء وتَعْذِلُ[2]
فأجبتُها أَن قلتُ لستِ مُطاعةً فذري تنصُّحكِ الذي لا يُقبَلُ
إنّي كَفاني أَن أعالج رِحْلَةً عُمَرٌ ونبْوَةُ مَن يضنّ ويبخلُ
بنَوال ذي فجرٍ تكون سِجالُه عَمَماً إذا نزل الزَّمانُ الممحلُ
ماضٍ على حدث الأُمورِ كأنّه ذو رَوْنق عَضْبٌ جَلاهُ الصَّيْقَلُ
تُبدي الرجال إذا بدا إعظامه حذَرَ البُغاث هَوى لهنّ الأَجْدَلُ[3]
فيرون أنّ له عليهم سورةً وفضيلَةً سبَقَت له لا تُجْهَلُ
مُتَحمِّل ثِقَلَ الأُمورِ حوى له سبقَ المكارم سابِقٌ مُتَمَهّلُ
وله إذا نُسِبَت قريشٌ منهم مجدُ الأُرومة والفَعالُ الأَفضلُ
وله بمكّة إذْ أميّة أَهلُها إرثٌ إذا عُدَّ القديمُ مُؤَثّلُ
أعيت قرابَتُه وكان لُزومُه أمْراً أَبانَ رَشادَه مَنْ يَعْقِلُ[4]
وسموتَ عن أَخلاقهم فتركتهم لنداك إنّ الحازمَ المتحوّلُ
ولقد بدأتُ أريدُ وُدَّ معاشرٍ وَعَدُوا مواعِدَ أخلفت إن حُصِّلوا
حتى إذا رجع اليقينُ مطامِعي يأساً وأَخلَفَني الذين أُؤمِّلُ
زايلتُ ما صَنَعوا إليك برِحْلَةٍ عَجْلى وعندك عنهمُ مُتَحوَّلُ
ووعدتَني في حاجةٍ فصَدَقْتَني ووفيتَ إذ كَذَبوا الحديثَ وبَدَّلوا
وشكوتُ غُرماً فادحاً فحملتَه عَنّي وأنت لمثلهِ مُتَحمِّلُ

---

1 الثغام : نبت أبيض ، وأثغم الرأس : صار كالثغام بياضاً . والمحجل من الحجل ، وهو البياض في رجل الفرس ونحوه ، وفي الديوان 168 وفي ل : المحول .
2 سُحرة : في وقت السّحر .
3 الأجدل : الصقر .
4 أعيت في الديوان 169 : أغنت . قرابته في ل : قرائنه . أمراً في ل : أثراً .

فلأشكرنَّ لـــك الذي أوليتَني شُكراً تُحـلُّ بــه المطِيُّ وتُرحَلُ
مِدَحاً تكون لكم غرائبُ شعرها مَبْذُولَــةً ولغيـــركم لا تُبــذَلُ
فـــإذا تَنحَّلْــتُ القريضَ فإنّه لكم يكـــون خيـــارُ ما أتَنحَّلُ
ولعمرُ مَـن حَـجَّ الحجيجُ لِبَيْته تَهْوِي بـــه قُلُص المَطـيّ الذُّمَّلُ
إنَّ امـــرءاً قـــد نالَ منك قرابةً يَبْغـــي منافِـعَ غيرهـــا لمُضَلَّلُ
تَعْفُو إذا جَهِلُـــوا بحلمك عنهم وتُنِيل إن طلبـــوا النّوالَ فتُجزِلُ
وتكون مَعْقِلَهــــمْ إذا لم يُنجِهم من شَرّ مـــا يخشون إلاّ المَعْقِلُ
حتى كأنّك يتَّقى بـــك دونهمْ من أُسْدِ بيشة خـــادِرٌ مُتَبَسِّلُ[1]
وأراكَ تفعلُ مـــا تقول وبَعضُهم مَذِقُ الحديث يقول مالا يَفْعَلُ[2]
وأرى المدينةَ حين صِرْت أميرَها أمِنَ البَرِيءُ بهـــا ونـــام الأعزلُ

فقال عمر : ما أراك أعفيتني ممّا استُعْفيت منه ، قال : لأنّه مَدَحَ عمر وعَرَّض بأخيه أبي بكر .

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الكامل]

مـــا لي أحِـــنُّ إذا جِمالُك قُرِّبت وأصدّ عنك وأنت مِنِّـــيَ أقربُ ؟
وأرى البـــلادَ إذا حللتِ بغيرها وَحْشاً وإن كانت تُظَلّ وتُخصِبُ
يـــا بيـــت خنساءَ الذي أتجنَّب ذهب الشباب وحُبُّها لا يذهَبُ
تبكي الحمامةُ شجوَهـــا فتَهيجُني ويَرُوحُ عـــازب هَمِّـــيَ المتأوِّبُ

الشعر لسليمان بن أبي دُباكل ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، عن عمرو . وقال ابن المكّيّ : فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز ، وأوّله :

تبكـــي الحمامـــة شجوها فتهيجني

---

1 بيشة : مكان اشتهر بأسده . والخادر : الذي لزم عرينه . ومتبسّل : عابس غضباً أو شجاعة . وقد تضمن البيت مثلاً هو : من أسد بيشة خادِرٌ .

2 مذق الحديث : مخلوط غير خالص . من مذق اللبن : إذا خلطه بالماء .

[التعريف بعاتكة]

أخبرني الحسينُ بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأتُ على أبي ، وقال محمدُ بن كُناسة : حدَّثني أبو دُكين بنُ زكريّا بن محمد بن عمّار بن ياسر : قال : رأيتُ عاتكةَ التي يقول فيها الأحوص :

يـا بيت عاتكة الذي أتعزّل

وهي عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالاً من نيلج[1] تتَملَّح به .

أخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير ، عن محمد بن محمد العمريّ : قال : عاتكة التي يُشبّب بها الأحوصُ عاتكةُ بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية .

أخبرني الحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن إسحاق بن عبد الملك : أنّ الأحوص كان ليِّناً ، وأنّ عاتكة التي يَنْسِب بها ليست عاتكةَ بنتَ عبد الله بن زيد بن معاوية ، وإنّما هو رجل كان ينزل قُرًى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة .

أخبرني الحِرْميّ عن الزُّبيريّ عن يعقوب بن حكيم : قال : كان الأحوص لَيِّناً ، وكان يلزم نازِلاً بالأشراف ، فنهاه أخوه عن ذلك ، فتركه فَرَقاً من أخيه ، وكان يمرّ قريباً من خيمة النازل بالأشراف ويقول : [من الكامل]

يـا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزّل حذرَ العِدا وبـه الفؤادُ مُوكَّل

يكني عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه .

[الفرزدق وكثير يزوران الأحوص]

أخبرني الحِرْميّ ، عن الزُّبيريّ ، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم : قال : حدَّثني عبد العزيز بن عمران : قال : قدِم الفرزدق المدينة ، فقال لكُثَيِّر ؟ هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدّث عنده ؟ فقال له : وما نصنع به ؟ إذاً والله نجد عنده عبداً حالِكاً أسود حلوكاً يؤثره علينا ، ويَبيتُ مُضاجِعه ليلته حتى يصبح ، قال الفرزدق : فقلت : إنّ هذا من عداوة الشعراء بَعضِهِمْ لبعض ، قال : فانهَضْ بِنا إليه إذاً ، لا أبَ لغيرك ، قال الفرزدق : فأردفْتُ كُثَيِّراً ورائي على بَغْلَتي ، وقلت : تلفّف يا أبا صخر ، فمثلُك لا يكون رَدِيفاً ، فخمَّر رأسَه وألصقَ فيَّ وجهه ، فجعلتُ لا أجتاز بمجلس قوم إلاّ قالوا : مَن هذا وراءَك يا أبا فراس ؟ فأقول : جاريـة وَهبَهـا لي الأمير ، فلمّـا أكثرت عليه من ذلك ، واجتاز على بني زُرَيق ، وكان يُبغِضهم ، فقلتُ لهم ما كنت أقول قبل ذلك ، كشف عن رأسه وأومَض[2] وقال : كذَب ،

---

1 النيلج : دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر .

2 أومض : أشار إشارة خفيّة رمزاً أو غمزاً .

ولكنّي كرِهتُ أن أكونَ له رديفاً وكان حديثُه لي مُعجباً ، فركِبت وراءه ، ولم تكن لي دابة أركبُها إلاّ دابّته ، فقال : لا تعجل يا أبا صَخر ، ههنا دَوابُّ كثيرة تركَبُ منها ما أردت ، فقال : دوابكم والله أبغضُ إليَّ من رِدْفه ، فسَكَتُوا عنه . وجعل يتغشّم[1] عليهم ، حتى جاوز أبصارهم ، فقلت : والله ما قالوا لك بأساً ، فما الذي أغضبك عليهم ؟ فقال : والله ما أعلم نفراً أشدَّ تعصبّاً للقرشيّين من نفر اجتزتُ بِهم ، قال : فقلت له : وما أنتَ ، لا أُمَّ لك ولقريش ، قال : أنا والله أحدهم ، قلت : إن كنتَ أحدَهم فأنت والله دَعيُّهم ، قال : دَعِيُّهم خيرٌ من صَحيح نسب العرب ، وإلاّ فأنا والله من أكرم بيوتهم ، أنا أحد بني الصَّلت بن النضر ، قلت : إنّما قريش ولد فهرْ بن مالك ، فقال : كَذَبت . فقال : ما عِلمُك يا ابن الجعْراء بقريش ؟ هم بنو النَّضْر بنِ كنانة ، ألم تَرَ إلى النبيّ ﷺ انتسب إلى النَّضْر بن كنانة ، ولم يكن ليجاوز أكرمَ نسبه ، قال : فخرجنا حتى أتينا الأحوص ، فوجدناه في مشربة له ، فقلنا له : أنَرقى إليك أم تنزل إلينا ؟ قال : لا أقدر على ذلك ، عندي أُمّ جعفر ، ولم أرَها منذ أيّام ، ولي فيها شُغل ، فقال كُثيِّر : أُمّ جعفر والله بعضُ عبيد الزَّرانِيق[2] فقلنا له : فأنشِدنا بعضَ ما أحدثتَ به ، فأنشدنا قوله : [من الكامل]

يـا بيتَ عاتكـةَ الذي أتعزَّل حذرَ العِدا وبـه الفُؤادُ مُوكَّلُ

حتى أتى على آخرها ، فقلت لكثير : قاتَلَه الله ، ما أشعره ، لولا ما أفسد به نَفسَه ، قال : ليس هذا إفساداً ، هذا خَسْفٌ إلى التّخُوم ، فقلت : صدقت ، وانصرفنا من عنده ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : إن شئت فمنزلي ، وأحملُك على البغلة ، وأهب لك المِطْرف ، وإن شئت فمنزِلك ولا أرزؤك شيئاً ، فقال : بل منزلي ، وأبذُلُ لك ما قَدرت عليه ، وانصرفنا إلى منزله ، فجعل يحدِّثني ويُنشدني حتى جاءت الظّهر ، فدَعا لي بعشرين ديناراً وقال : استعِن بهذه يا أبا فراس على مقدمك ، قلت : هذا أشدّ من حُمْلان بني زُرَيق ، قال : والله إنّك ما تأنف من أخذ هذا من أحـد ، غير الخليفة ، قـال الفرزدق : فجعلت أقـول في نفسي : تـالله إنّه لمن قريش ، وهممتُ ألاّ أقبل منـه . فدعتني نفسي ، وهـي طَمِعَةٌ ، إلى أخذِها منه ، فأخذتها .

[من هي الجعراء ؟]

معنى قول كُثَيِّر للفرزدق : يا ابن الجعراء : يُعَيِّره بِدُغَة ، وهي أُمّ عمرو بن تميم ، وبها

1 يتغشّم : يتجنّى .

2 الزرنوق : النهر الصغير ، وتزرنق : استقى على الزرنوق بالأجرة .

يُضرب المثل في الحماقة ، فيقال : هي أَحمق من دُغَة[1] ، وكانت حاملاً ، فدخلت الخلاء ، فولدت ، وهي لا تعلم ما الولد ، وخرجت وسَلاها[2] بين رجليها ، وقد استهلّ ولدها ، فقالت : يا جارتا ، أَيَفتَح الجعر[3] فاه فقالت جارتها : نعم يا حمقاء ، ويدعو أباه ، فبنو تَمِيم يُعَيَّرُون بذلك ، ويقال للمنسوب منهم : يا ابن الجعراء .

[ملاحاة بينه وبين السرّي]

أُخبرني الحِرْميُّ ، عن الزُّبير قال : حدَّثني سليمانُ بن داود المجمعيّ : قال : اجتاز السّريّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عُتبة بن عُوَيْمر بن ساعدة الأنصاريّ بالأَحوص وهو ينشد قوله :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزَّل

فقال السّريّ : [من الكامل]

يا بيتَ عاتكةَ المُنَوَّهَ باسْمِهِ ... اقعُد على مَنْ تحتَ سَقْفِك واعْجَلِ

فواثَبه الأَحوصُ ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فأَنت وشتمي في أَكاريسِ مالك ... وسَبّي به كالكَلْبِ إذ يَنبح النَّجْما[4]
تَداعَى إلى زَيْد وما أنتَ منهم ... تَحُقُّ أَباً إلاَّ الولاءَ ولا أُمَّا
وإنَّك لو عَدَّدْتَ أَحسابَ مالك ... وأَيّامها فيها ولم تنطقْ الرَّجْما
أَعادتْكَ عَبْداً أَو تَنَقَّلتَ كاذِباً ... تَلمَّسُ في حيٍّ سوى مالك جِذْما
وما أَنا بالمَحْسوسِ في جِذْمِ مالك ... ولا بالمُسَمَّى ثم يلتزم الاسما
ولكن أَبي لَوْ قد سأَلتَ وجدتَه ... توسَّطَ منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْما

فأَجابه السّريُّ فقال : [من الوافر]

سأَلتُ جميعَ هذا الخلق طُرّاً ... متى كان الأُحَيْوِص من رِجالي

---

1 مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 219/1 والأمثال للمفضل بن محمد الضبي 172 وكتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبّي 29 والدرة الفاخرة للأصبهانيّ 133/1 ، 145 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 54/1 ، 342 ، 389 ، والمستقصى في الأمثال للزمخشري 79/1 ، وفي فصل المقال 183 ، 485 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 366 .

2 السّلا : جلدة يكون فيها الولد من النّاس والمواشي .

3 الجعر : ما يبس من العذرة .

4 الأكاريس : جمع أكراس . وهي جمع كرس بمعنى الجماعة .

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة ، فألغَيْتُ ذكرها .

[شعره يسعف دليل المنصور]

أخبرني محمد بن أحمد بن الطلاّس أبو الطيّب ، عن أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، وأخبرني به الحِرْميّ ، عن الزُّبير : قال : حدَّثني عمِّي ، وقد جمعت روايتيهما ، أنّ المنصورَ أمَرَ الرّبيع لما حجَّ أن يُسايره برجل[1] يعرف المدينة وأهلَها وطرقَها ودُورَها وحيطانها ، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الرَّبيع زماناً ، وهو رجل من الأنصار ، فقال له : تهيّأ فإنّي أظنّ جَدَّك قد تحرَّك ، إنّ أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة وأهلَها وطرقها وحيطانها ودورها فتَحسَّسْ موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك ، ولا تكتُمه شيئاً ، ولا تسأله حاجة ، فغدا عليه بالرجل ، وصَلَّى المنصورُ الفجر فقال : يا ربيعُ ، الرجل ، فقال : ها هو ذا ، فسار معه يخبره عمّا سأل حتى ندر[2] من أبيات المدينة ، فأقبل عليه المنصور ، فقال : مَن أنتَ أوّلاً ؟ فقال : مَن لا تبلُغه معرفتُك ، هكذا ذكر الخرّاز وليس في رواية الزُّبير ، فقال : ما لَكَ من الأهل والولد ؟ فقال : والله ما تزوّجتُ ، ولا لي خادمٌ ، قال : فأين منزلك ؟ قال : ليس لي منزل ، قال : فإنّ أمير المؤمنين قد أمَرَ لك بأربعة آلاف درهم ، فرمى بنفسه فقبّلَ رِجله ، فقال له : اركب ، فركِب ، فلمّا أراد الانصراف قال للرَّبيع : يا أبا الفضل ، قد أمَرَ لي أمير المؤمنين بصلة ، قال : إيه ، قال : إن رأيت أن تنجّزَها لي ، قال : هيهات ، قال : فأصنع ماذا ؟ قال : لا أدري والله ، وفي رواية الخرّاز أنّه قال : ما أمَرَ لكَ بشيء ، ولو أمَرَ به لدَعاني ، فقال : أعْطِه أو وَقِّعَ إليّ ، فقال الفتى : هذا همٌّ لم يكن في الحساب ، فلبِثتُ أيّاماً ، ثم قال المنصور للرَّبيع : ما فعلَ الرجل ؟ قال : حاضر ، قال : سايرنا به الغداة ، ففعل ، وقال له الرَّبيع : إنّه خارج بعد غد ، فاحتلْ لنفسك ، فإنّه والله إن فاتك فإنّه آخرُ العهد به ، فسار معه ، فجعل لا يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره ، ثم رجع وهو كالمُعرِض عنه ، فلمّا خاف فوتَه أقبل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيتُ عاتكة ، قال : وما بيتُ عاتكة ؟ قال : الذي يقول فيه الأحوصُ : [من الكامل]

يـا بيتَ عاتكة الذي أتعزّل

قال : فَمَهْ ، قال : إنّه يقول فيها :

إنَّ امـرءاً قـد نال منك وسيلَةً ... يرجُـو منافـعَ غيرِهـا لمضلّلُ

1 ل : يبغيه رجلاً .

2 ندر : خرج .

وأراكَ تفعَلُ ما تقول وبَعضُهم مَذِقُ الحديثِ يقول ما لا يَفْعَلُ

فقال الزُّبير في خبره : فقال له : لقد رأيتُك أذكرتَ بنفسك ، يا سليمان بنَ مخلد ، أعطِه أربعة آلاف درهم ، فأعطاه إيّاها ، وقال الخرّاز في خبره : فضحك المنصور ، وقال : قاتلك الله ، ما أظرفك ، يا ربيعُ أعطِه ألف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّها كانت أربعةَ آلاف درهم ، فقال : ألفٌ يُحَصَّل خير من أربعة آلاف لا تُحَصَّل .

[ابن المقفّع يتمثّل بمطلع لاميته]

وقال الخرّاز في خبره : حدَّثني المدائنيّ : قال : أُخِذَ قومٌ من الزنادقة ، وفيهم ابنٌ لابنِ المقفّع ، فمَرَّ بهم على أصحابِ المدائن ، فلمّا رآهم ابنُ المقفّع خَشي أن يُسَلّم عليهم فيُؤخَذ ، فتمثّل : [من الكامل]

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ حذَر العِدا وبه الفؤادُ مُوكَّلُ

الأبيات ، ففَطِنوا لِما أراد ، فلم يُسلّموا عليه ، ومضى .

[الأحوص ومعبد وجارية]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّة : قال : بلغني أنّ يزيدَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله أن يُجَهّز إليه الأحوصَ الشاعر ومعبداً المُغنّي : فأخبرنا محمد بن خلف وكيع : قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ شبيب : قال : حدَّثني إسماعيل بن أبي أويس : قال : حدَّثني أبي : قال : حدَّثنا سلمة بن صفوان الزّرقيّ ، عن الأحوص الشاعر ، وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقيّ : أنّ الزُّبير بن بكّار حدَّثه عن ابن أبي أُويس ، عن أبيه ، عن مسلمة بن صفوان ، عن الأحوص ، وأخبرني به الحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمّه ، عن جرير المدينيّ المغنّي ، وأبو مسكين : قالوا جميعاً : كتب يزيدُ بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة ، وهو عبدُ الواحد بن عبد الله النَصريّ ، أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومَعْبداً المغنّي مولى ابن قَطَن قال : فجُهِّزنا وحُمِلنا إليه ، فلمّا نزلنا عُمانَ أبصرنا غديراً وقصوراً ، فقعدنا على الغدير وتحدَّثنا وذكرْنا المدينة ، فخرجتْ جارية من بعض تلك القصور ، ومعها جرّة تريد أن تَستقي فيها ماء ، قال الأحوص : فتغنَّت بمدحي في عُمَر بن عبد العزيز : [من الكامل]

يا بيتَ عاتكَة الذي أتعزّل

فتغنَّت بأحسن صوت ما سمعْتُه قطّ ، ثم طرّبت ، فألقت الجرّة فكسرتها ، فقال مَعبد : غنائي والله ، وقلت : شعري والله ، فوثبنا إليها ، وقلنا لها : لِمَن أنتِ يا جارية ؟ قالت : لآل سَعِيد بن العاص ، وفي خبر جرير المغنّي : لآل الوليد بن عقبة ، ثم اشتراني رجل من آل الوَحيد بخمسين ألفَ درهم ، وشُغِف بي ، فغَلَبَتْه بنتُ عمٍّ له طرأت عليه ، فتزوّجها على أمري ،

فعاقَبتْ منزِلتُها منزلتي ، ثم عَلا مكانُها مكاني ، فلم تزدها الأيّامُ إلاّ ارتفاعاً ، ولم تزدني إلاّ اتضاعاً ، فلم ترضَ منه إلاّ بأن أخدمها ، فوكّلتني باستقاء الماء ، فأنا على ما تَرَيان ، أخرُج أستقي الماء ، فإذا رأيت هذه القصورَ والغُدرانَ ذكرتُ المدينة ، فطربت إليها ، فكسَرْتُ جرّتي ، فيعذلني أهلي ، ويلومونني . قال : فقلت لها : أنا الأحوص ، والشعر لي ، وهذا مَعْبد ، والغناء له ، ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين ، وسنذكرُك له أحسنَ ذكر . وقال جرير في خبره ووافقه وكيع ، ورواية عمر بن شبّة : قالوا : فأنشأت الجارية تقول : [من الخفيف]

إن تروني الغداةَ أسعى بجرٍّ ... أستَقي المـاءَ نحو هذا الغديرِ
فلقد كنتُ في رخاء من العيـ ... ـش وفي كلّ نعمةٍ وسُرورِ
ثم قـد تُبصِران ما فيه أمْسَيْـ ... ـتُ وماذا إليه صار مَصيري
فـإلى الله أشتكي مـا أُلاقـي ... من هَوانٍ وما يُجِنُّ ضَميري
أبلغـا عَنّيَ الإمـامَ ومـا يعـ ... ـرف صِدقَ الحَديث غيرُ الخَبيرِ
أنَّني أُضرَبُ الخَلائِـق بالعُو ... د وأَحْكاهُـم بِبَـمٍّ وزِيـرِ
فلعـلَّ الإلـهَ يُنقِـذ مِمّـا ... أنـا فيـه فإنَّنـي كالأَسيرِ
ليتني مِتّ يوم فارقتُ أهلي ... وبلادي فزُرت أهـلَ القُبورِ
فاسمعـا مـا أقـول لقّاكما ... الله نجاحاً في أحسن التيسيرِ

فقال الأحوص من وقته : [من الخفيف]

صوت

إنّ زيـنَ الغدير من كسر الجرْ ... رَ وَغَنّى غِنـاء فحلٍ مُجيدِ
قلتُ : مَن أنتِ يا ظعينُ فقالت : ... كنتُ فيما مضـى لآل الوليدِ

وفي رواية الدّمشقيّ :

قلت : من أيْنَ يا خَلوبُ فقالت : ... كنتُ فيمـا مضى لآل سعيدِ
ثم أصبحْتُ بعد حَـيٍّ قريشٍ ... في بنـي خالد لآل الوحيـدِ
فغِنائـي لِمَعبـدٍ ونَشيـدي ... لفتى الناس الأحْوَص الصِّنديدِ
فتباكيْتُ ثم قلـت : أنا الأحْـ ... ـوص والشيخ مَعْبَدٌ فأعِيدي
فأعـادت لنـا بصوتٍ شجيٍّ ... يترك الشيخُ في الصِّبا كالوَليدِ

وفي رواية أبي زيد :

فأعادت فأَحسنَتْ ثم ولَّتْ تَتهادى فقلتُ قولَ عميدِ
يعجزُ المالُ عن شِراكِ ولكن أنتِ في ذِمّةِ الهُمام يزيدِ
ولكِ اليومَ ذِمَّتي بوفاءٍ وعلى ذاك من عِظام العهودِ
أَنْ سيَجْري لك الحديثُ بصوت مَعبديّ يَرُدُّ حَبْلَ الوريدِ[1]
يفعلِ اللهُ ما يشاء فَظُنِّي كُلَّ خير بنا هناكَ وزيدي
قالت القينةُ الكَعابُ : إلى الـ ـلهِ أُموري وأَرْتَجي تَسْديدي

غنَّاه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشاميّ وغيرِهما ، وهي طريقة هذا الصوت ، وأهلُ العِلْم بالغناء لا يصحّحونه لمعبَد .

قال الأحوص : وضع فيه معبَدٌ لحناً فأَجادَه ، فلمّا قَدِمنا على يزيد قال : يا مَعْبَد أَسْمِعني أَحدثَ غناء غنَّيتَ وأطْراه ، فغنّاه معبد : [من الخفيف]

إنّ زَينَ الغدير مَن كَسَرَ الجرْ رَ وغنّى غِناءَ فحْلٍ مُجيدِ

فقال يزيدُ : إنّ لهذا لَقِصَّة فأخبِراني بها ، فأخْبراه ، فكتب لعامِله بتلك الناحية : إنَّ لآل فلان جاريةً ، من حالها «ذيت وذيت» ، فاشْتَرِها بما بَلَغَت ، فاشتراها بمائة أَلف درهم ، وبعث بها هديَّة ، وبعث معها بألطافٍ كثيرة ، فلمّا قَدِمَتْ على يزيدَ رأى فضلاً بارِعاً فأُعْجِبَ بها ، وأجازها ، وأخدمَها ، وأقطعَها ، وأفرَدَ لها قصراً ، قال : فواللهِ ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكُسَاً وطُرَف .

[يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثّل بشعره]

وقال الزُّبير في خبره عن عَمِّه ، قال : أَظنّ القصّة كلّها مصنوعة ، وليس يشبه الشِّعرُ شعرَ الأَحوص ، ولا هو من طرازِه ، وكذلك ذَكَرَ عمرُ بن شبّة في خبره .

أَخبرني الحِرْميّ ، عن الزُّبير قال : سمعت هشامَ بنَ عبد الله بن عِكْرِمة يحدّث عن عتبة بنِ عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : قال : كنتُ مع يزيد بن عُمَرَ بن هبيرة ليلة الفرات ، فلمّا انهزم الناسُ التفتَ إليّ فقال : يا أبا الحارث ، أمسَيْنا واللهِ وهم كما قال الأحوص : [من الكامل]

أَبْكي لما قَلَبَ الزمانُ جديدَه خَلَقاً وليس على الزّمانِ مُعَوَّلُ

1 يردُّ في ل : يدر .

[يتأوّل النّاس شعره بزوال دولة الأمويين]

أُخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن محمد بن محمد العُمَريّ : أنَّ عاتكةَ بنتَ عبد الله بن يزيدَ بن معاوية رُئِيتُ في النّوم قبل ظُهورِ دَوْلة بَني العبّاس على بني أُميّة كأنّها عُريانة ناشِرة شعرَها تقول : [من الكامل]

أَين الشَّبابُ وعيشُنا اللَّذُّ الذي ... كُنّا بـه زَمَناً نُسَرُّ ونُجذَلُ
ذهبتْ بَشاشتُه وأُصبَح ذِكرُه ... حُزْناً يُعَلُّ بـه الفؤادُ ويُنْهَلُ

فتأول النّاس ذلك بزَوال دنيا بني أُميّة ، فكان كما قالوا .

أُخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، عن الجمحيّ ، عن شيخ من قريش : أنّه رأى في النّوم امرأة من ولد عثمان بن عفّان على منايم على دار عثمان المقبلة على المسجد ، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغنّي : [من الكامل]

أينَ الشبابُ وعيشُنا اللَّذُّ الذي ... كنّا بـه يومـاً نُسرُّ ونُجذلُ
ذهبتْ بشاشتَه وأُصبح ذِكرُه ... حُزناً يُعلُّ بـه الفؤادُ ويُنهلُ

قال : فما لبثنا إلاّ يسيراً حتى خرج الأَمر عن أَيديهم ، وقتل مروان .

قال إسحاق : المنامة : الدكان[1] وجمعها منايم .

صوت

[من مجزوء الكامل]

يا هندُ إنَّكِ لو علمـ ... ـتِ بعاذلَيْـنِ تَتابعـا
قالا فلـمْ أَسَمَعْ لِما ... قـالا وقلتُ بل اسْمَعا
هندٌ أحـبُّ إليَّ من ... مالي وروحـيَ فارْجِعا
ولقـد عَصَيْتُ عَواذلي ... وأَطْعتُ قلبـاً مُوجَعا

الشعر لعبد الله بن الحسن بنِ الحسن عليهم السلام ، والغناء لابن سُرَيْح ، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل ، الأَوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رَمَل بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، ذكر أَبو العَنْبَس أَنّه لابن سريج وذكر الهشاميّ وابنُ المكّيِّ أنّه للغريض ، وذكر حَبَش أن لإبراهيم فيه رملاً آخر بالبنصر ، وقال أحمد بن عُبَيْد : الذي صحّ فيه ثقيل الأوّل وخفيفه ورمله ، وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لابن عبّاد .

1 ل : البرنكان .

[448] ـ ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن
عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

[نسبه]

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، وقد مضى نسبُه في أخبار عمِّه الحسين صلواتُ الله عليه في شِعرِه الذي يقول فيه : [من الوافر]

لعمرُكَ إنَّني لأُحِبُّ دارا تَحلُّ بِها سُكَيْنَةُ والرَّبابُ

ويُكنى عبدُ الله بنُ الحسن أبا محمد ، وأُمُّ عبدِ الله بنِ الحَسَن بن الحَسَن فاطمةُ بنتُ الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، وأُمُّها أُمّ إسحاق بنتُ طلحَةَ بن عبيد الله ، وأُمُّها الجرباء بنت قُسامةَ بن رومان من طيِّىء .

[سميت الجرباء لحسنها]

أخبرني أحمد بن سعيد : قال : حدَّثنا يحيى بنُ الحسن قال : إنّما سُمِّيت الجَرباء لِحُسنها ، كانت لا تقف إلى جنبها امرأةٌ ، وإن كانت جميلة إلاّ استُقْبِحَ منظرُها لجمالها ، وكان النساء يتحامَيْنَ أن يَقِفْنَ إلى جنبها ، فشُبِّهت بالنّاقة الجَرباء التي تتوقّاها الإبلُ مخافةَ أن تُعْدِيَها .

وكانت أُمّ إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئِهنّ خُلُقاً ، ويقال : إنّ نساء بني تَيْم كانت لهنّ حُظْوَةٌ عند أزواجهنّ على سوء أخلاقهنّ ، ويروى أنّ أُمَّ إسْحاقَ كانت ربّما حملت وولدَت وهي لا تُكلِّمُ زَوْجَها .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن عمِّه بذلك : قال : وقد كانت أُمّ إسحاق عند الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام ، فلمّا حضرتْه الوفاةُ دَعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له : يا أخي إنِّي أرضى هذه المرأة لك . فلا تَخرُجَنَّ من بيوتكم ، فإذا انقضت عِدَّتُها فتزَوَّجها . فلمّا توفي الحَسَن عنها تزوَّجها الحسين عليه السلام ، وقد كانت ولدَت من الحسن عليه السلام ، ابنَه طلحة بن الحسن ، فهو أخو فاطمة لأُمِّها وابن عمّها ، وقد درج طلحة ولا عقب له .

[جمال وسوء خلق]

ومن طرائف أخبار التَّيْمِيَّات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن محمد بن عبد الله ، قال : كانت أُمُّ سلمة بنتُ

محمد بنِ طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتُغْلِظ له ، ويَفْرَق منها ولا يخالفها ، فرأى يوماً منها طيبَ نَفْس ، فأراد أن يشكو إليها قسوتها ، فقال لها : يا بنتَ محمد ، قد أُحرِق والله قلبي . . . فَحَدَّدَتْ له النَّظَر ، وجمعت وجهها وقالت له : أَحرقَ قلبَك ماذا ؟ فخافَها فلم يقدر على أن يقول لها : سوءُ خُلقك ، فقال لها : حُبُّ أَبي بَكْر الصّدّيق ، فأمسكتْ عنه .

وتزوَّجَ الحسنُ بن الحسن فاطمةَ بنتَ الحُسَيْن في حَياة عَمِّه ، وهو ـ عليه السلام ـ زوَّجَهُ إيّاها .

[زواجه فاطمة بنت الحسين]

أَخبرني الطّوسيّ والحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه بذلك ، وحدَّثني أَحمدُ بنُ محمد بنِ سِعيدٍ عن يحيى بن الحَسَن عن إسماعيلَ بن يعقوبَ : قال : حدَّثني جدِّي عبدُ الله بنُ مُوسى بن عبد الله بن الحسن ، قال : خطب الحسن بن الحسن إلى عمِّه الحُسَيْن ، صلوات الله عليه ، وسأله أن يزوِّجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين عليه السلام . اخترْ يا بُنَيَّ أحبَّهما إليك ، فاستَحْيا الحسن ، ولم يُحْرِ جواباً ، فقال له الحسين عليه السلام : فإنِّي اخترت منهما لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثر شبهاً بأمِّي فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

أَخبرني الطوسيّ والحِرْميّ عن الزُّبير عن عمِّه مصعب : أَنَّ الحسن لَمّا خَيَّره عمُّه اختار فاطمة ، وكانوا يقولون : إنّ امرأةً ، سُكَيْنة مردودتها ، لمنقطعةُ القَرين في الجَمال .

أَخبرني الطوسيّ والحِرْميّ بن أَبي العلاء ، عن الزُّبير بن بكّار ، وأَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن أحمد بن يحيى وأحمدَ بن زهير ، عن الزُّبير ، وأخبرني أحمدُ بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن الزُّبير بن بكّار واللفظ للحَسَن بن عليّ ، وخبرُه أتمّ : قال : قال الزُّبير : حدَّثني عمِّي مصعب ولم يذكر أحداً .

[ليس لمخضوب البنان يمين]

وأَخبرني محمدُ بن يحيى عن أَيّوبَ ، عن عمر بن أَبي المَوالي قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يُوسف بن الماجِشون ، وقد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين : أنَّ الحسن بن الحسن لَمّا حضرته الوفاةُ جَزِع ، وجعل يقول : إنِّي لأَجِد كَرْباً ليس إلاّ هو كربَ الموت ، وأعاد ذلك دفعات ، فقال له بعض أهله : ما هذا الجزع ، تُقدِم على رسول الله ﷺ وهو جدُّك وعلى عَليّ والحسن والحسين ، صلوات الله عليهم ، وهم آباؤُك ؟ فقال : لعمري إنّ الأمرَ لكذلك ، ولكن كأنّي بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أُموت وقد جاء في مُضَرَّجَتَيْن[1] أو

1 ضرج الثوب : صبغه باللّون الأحمر .

مُمَصّرتين وهو يُرجّل جُمَّتَه يقول : أنا من بني عبد مناف جئتُ لأَشْهَد ابنَ عمِّي ، وما به إلاّ أن يخطُب فاطمة بنتَ الحُسَين ، فإذا جاء فلا يَدْخُلْ عليَّ ، فصاحت فاطمة : أتسمع ؟ قال : نعم ، قالت : أَعْتقت كلّ مملوك لي ، وتصدّقت بكلّ مِلك لي إن أنا تزوّجتُ بعدك أحداً أبداً ، قال : فسكن الحسن وما تنفّس ولا تحرّك حتى قَضى ، فلمّا ارتفع الصّياح أقبل عبد الله على الصِّفَةِ التي ذكرها الحسن ، فقال بعضُ القوم : نُدخِله ، وقال بعضهم : لا يدخُل ، وقال قوم : لا يضرّ دُخولُه ، فدخل وفاطمة تَصُكُّ وجهها ، فأَرسل إليها وصيفاً كان معه ، فجاء يتخطّى النَّاسَ حتى دنا منها فقال لها : يقول لك مولاي أبقي على وجهك فإن لنا فيه أَرَباً ، قال : فأرسلت يدَها في كُمّها واختمرتْ وعُرِف ذلك منها ، فما لَطَمَتْ وجهَها حتى دُفِن صلوات الله عليه . فلمّا انقضت عِدَّتُها خَطَبَها فقالت : فكيف لي بِنَذْري ويميني ؟ فقال : نخلف عليك بكلّ عبد عبدَين ، وبكلّ شيء شيئين ، ففعل وتزوّجته ، وقد قيل في تزويجه إيّاها غيرُ هذا .

أَخبرني به أَحمدُ بن محمد بنِ إسماعيل الهمدانيّ ، عن يحيى بن الحسن العلويّ ، عن أَخيه أبي جعفر ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الله البكريّ : أنّ فاطمة لمّا خطبها عبدُ الله أَبت أن تتزوَّجه ، فحلفتْ عليها أُمُّها لتتزوجنَّه ، وقامَتْ في الشّمس ، وآلت لا تَبْرَح حتى تتزوّجه ، فكرِهت فاطمةُ أن تُحْرَج ، فتزوّجته .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخَ أَهلِه وسيّداً من ساداتهم ومقدَّماً فيهم فَضْلاً وعلماً وكرماً ، وحبسه أبو جَعْفَر المنصور في الهاشميّة بالكُوفة لمَّا خرج عليه ابناه محمدٌ وإبراهيمُ فمات في الحبس ، وقيل : إنَّه سقط عليه ، وقيل غير ذلك .

[كان أجمل الناس وأفضلهم]

أَخبرني أَحمدُ بنُ محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن عن عليِّ بن أَحمد الباهليّ : قال : سمعتُ مُصعَباً الزُّبيريَّ يقول : انتهى كلّ حُسْنٍ إلى عبدِ الله بنِ حسن ، وكان يقال : مَنْ أحسنُ النّاس ؟ فيقال : عبدُ الله بنُ الحسن ، ويقال : مَن أَفضلُ النّاس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن .

حدَّثني محمد بن الحسن الخَثْعَمِيُّ الأُشنانيّ والحسن بن عليّ السلوليّ قالا : حدَّثنا عبّاد بن يعقوب قال : حدَّثنا تلميذُ بن سليمان ، قال : رأيت عبدَ الله بن الحسن ، وسمعتُه يقول : أنا أقربُ الناس إلى رسول الله ﷺ ، ولدتْني بنتُ رسول الله ﷺ مرّتين .

حدَّثني أَحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن عبد الله بن موسى ، قال : أوّلُ مَن اجتَمَعتْ له وِلادةُ الحسن عليه السلام والحسين ، صلوات الله عليهما ، عبدُ الله بن الحسن عليه السلام .

حدَّثني محمد بن الحسن الأُشنانيّ ، عن عبد الله بن يعقوبَ ، عن بُندقة بن محمد بن حِجازة الدّهان قال : رأيت عبدَ الله بن الحسن ، فقلت : هذا والله سيّدُ الناس ، كان مكسُوّاً نوراً من قَرْنه إلى قَدَمه .

قال عليُّ بن الحسين ، وقد رُوِي ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام ، وأُمُّه أُمُّ عبد الله بنتُ الحسن بن عليّ عليه السلام .

حدَّثني أحمدُ بن محمد بن سَعِيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن القاسم بن عبد الرزّاق : قال : جاء منظورُ بنُ زبّانَ الفَزاريُّ إلى حسن بن حسن ، وهو جدُّه أبو أُمّه ، فقال له : لعلّك أحْدَثْتَ بعدي أهلاً ، قال : نعم ، تزوّجت بنت عَمِّي الحسين بنِ عليّ ، عليهما السلام ـ قال : بِئْسما صنعتَ ، أما علمت أنّ الأرحام إذا الْتَقَت أَضْوَت[1] ، كان ينبغي أن تتزوّج في الغُرُبِ ، قال : فإنّ الله جلّ وعزّ قد رزقني منها ولداً ، قال : أرنيه ، فأخرج إليه عَبدَ الله بن الحسن فسُرَّ به ، وقال : أنجبت ، هذا والله ليثُ غاب ومعدوّ عليه ، قال : فإنّ الله تعالى قد رزقني منها ولداً ثانياً ، قال : فأرِنيه ، فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن ، فسُرَّ به ، وقال : أنجبت ، وهذا دون الأوّل ، قال : فإنّ الله قد رزقني منها ولداً ثالثاً ، قال : فأرِنيه . فأراه إبراهيمَ بنَ الحسن .

[عمر بن عبد العزيز يرجو شفاعة الرّسول]

حدَّثني أبو عُبيدٍ محمد بن أحمد الصيرفيّ : قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن خلَف قال : حدَّثنا عمر بن عبد الغفار قال : حدَّثنا سعيد بن أبانٍ القُرشيُّ قال : كنتُ عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عبد الله بن الحسن عليه ، وهو يومئذٍ شابٌّ في إزارٍ ورِدَاء ، فرحَّبَ به وأدناه وحيّاه ، وأجلسه إلى جنبِه وضاحكه ، ثم غمز عُكْنة من بطنه ، وليس في البيت حينئذٍ إلاّ أمَوِيّ ، فقيل له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى ؟ قال : إنّي لأرجو بها شفاعةَ محمد ﷺ .

[ينالُ جائزة]

حدَّثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكيّ ، عن عمرَ بن شبّة ، عن إسماعيلَ بن جعفر الجعفريّ : قال : حدَّثني سعيد بن عقبة الجُهَنيّ قال : إنّي لِعندَ عبدِ الله بن الحسن إذ أتاني آتٍ ، فقال : هذا رجل يدعوك ، فخرجت ، فإذا أنا بأبي عَديٍّ الشاعرِ الأمويّ ، فقال : أعْلِم أبا محمد ، فخرج إليه عبدُ الله ، وهم خائفون ، فأمر له بأربعمائة دينار ، وهِنْدٍ[2] بمائتي دينار ، فخرج بستّمائة دينار . وقد روى مالكُ بن أنس عَنْ عبدِ الله بنِ الحَسنِ الحديث .

---

1 أضوت : دقّت وضعفت .

2 الهند : المائة من الإبل .

[كان يسدل شعره]

حدَّثني أحمدُ بن محمد بنِ سَعِيدٍ عن يحيى بن الحسن قال : حدَّثنا عليٌّ بنُ أحمد الباهليُّ عن مُصْعبِ بن عبد الله قال : سئل مالكٌ عن السَّدْل[1] قال : رأيت مَنْ يَرْضى بفِعْله ؛ عبد الله بن الحسنِ يفعلُه ، والسبب في حَبْس عبدِ الله بنِ الحسن وخروج ابْنَيه وقتلِهما يَطولُ ذِكرُه . وقد أتى عُمَرُ بن شَبَّة منه بما لا يَزيدُ عليه أحدٌ إلاّ اليَسِير ، ولكن من أخباره ما يَحسُن ذكره هاهنا فنذكرُه .

[السبب في حبسه وقتل ابنيه]

أخبرني عُمرُ بن عبد الله العتكيّ عن عُمرَ بنِ شَبّة ، قال : حدَّثني موسى بن سَعِيد بن عَبْد الرحمن وأيّوبُ بن عُمرٍ عن إسماعيلَ بن أبي عَمْرو قالوا : لمَّا بنى أبو العبّاس بناءه بالأنبار الذي يُدعى الرُّصافةَ : رصافة أبي العبّاس قال لعبدِ الله بن الحسن : ادخل فانظر ودخل معه ، فلمّا رآه تمثّل : [من الوافر]

أَلَم تَرَ حَوْشَباً أَمْسى يُبَنّي ... بنـاءً نَفعُـه لبنـي نُفَيْلَهْ[2]
يُؤَمّلُ أن يُعَمَّرَ عُمْـرَ نُوحٍ ... وأَمرُ اللهِ يحـدُثُ كلَّ لَيْلَهْ

فاحتَملَه أبو العبّاس ولم يُبَكّتْه بها .

أخبرني عمِّي عن ابن شبّة عـن يعقـوب بنِ القاسم عن عَمْرو بن شهاب ، وحدَّثني أحمدُ بنُ محمد بن سعيدٍ عن يحيى بن الحسن عن الزُّبير عن محمد بنِ الضّحّاكِ عن أبيه قالوا : إنّ أبا العبّاس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تغيُّب ابنَيْه : [من الوافر]

أُريـد حَياتـه ويُريـد قَتْـلي ... عَذيرَك مـن خَليلك من مُرادِ

قال عُمرُ بنُ شبّة : وإنّما كتب بها إلى محمد ، قال عمر بن شَبَّة : فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مَوْلى أبي حنين ، فأجابه : [من الوافر]

وكيف يُريـدُ ذاكَ وأَنتَ منه ... بِمنزلـة النِّيـاط مـن الفُؤادِ
وكيف يُريد ذاكَ وأَنتَ منه ... وزَنْدُك حـين تقدح من زِنادِ
وكيف يُريـد ذاك وأَنتَ منه ... وأَنـتَ لِهـاشمٍ رأسٌ وَهـادِ

أخبرني عُمرُ بن عبد الله بن شَبّة عن عِيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال : بينا أنا في سَمَر أبي

1 السّدل : إرخاء الشّعر .

2 حوشب : اسم رجل .

العبّاس ، وكان إذا تثاءب أو ألقى المِرْوحة من يده قمنا ، فألقاها ليلة فقمنا ، فأمسَكني فلم يبقَ غيري ، فأدخل يده تحت فراشه ، وأخرج إضْبارةَ كُتُب وقال : اقرأ يا أبا محمد ، فقرأت فإذا كتابٌ من محمّد بن هِشام بن عمرو التّغلبيّ يدعوه إلى نفسِه ، فلمّا قرأتُه قلت له : يا أمير المؤمنين ، لك عهدُ الله وميثاقُه ألاّ ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدُّنيا .

أخبرنا العتكيّ عن ابن شَبَّة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر ، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال : لمّا استُخلِف أبو جعفر ألحَّ في طلب مُحمَّد والمسألةِ عنه ، وعمّن يُؤوِيه ، فدعا بَني هاشم رجلاً رجلاً ، فسألهم عنه ، فكلهم يقول : قد عَلِم أمير المؤمنين أنّك قد عَرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، ولا يريد لك خلافاً ، ولا يحبّ لك معصية ، إلاّ الحسن بن زيد فإنّه أخبره خبرَه ، فقال : والله ما آمنُ وثوبَه عليك ، وأنّه لا يَنامُ فيه فَرَ رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة : فأيقَظَ مَنْ[1] لا ينام .

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبّة عن عيسى بن عبدِ اللهِ بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن محمد بن عمران بن عُقبة بن سَلْم : أنَّ أبا جَعْفر دعاه ، فسأله عن اسمه ونسبه ، فقال : أنا عُقبة بن سَلْم بن نافع من الأزْد ، قال : إنّي أرى لك هيئةً وموضعاً ، وإنّي لأرِيدك لأمرٍ أنا به معنيّ ، قال : أرجو أن أُصدِّقَ ظنَّ أميرِ المؤمنين ، قال : فأخفِ شخصَك ، وائتني في يوم كذا وكذا ، فأتيتُه ، فقال : إنّ بَني عَمّنا هؤلاء قد أبَوْا إلاّ كَيْداً بمُلكِنا ، ولهم شِيعَةٌ بخراسانِ بقرْية كذا وكذا ، يُكاتبونهم ، ويرسلون إليهم بصدقات وألْطاف ، فاذهب حتى تأتيَهم مُتنكِّراً بكتاب تكتبه عن أهلِ تلك القرية ، ثم تسير ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا على رأيهم علمت ذلك ، وكنتَ على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشّعاً ، وإن جَبَهَك ، وهو فاعل ، فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنسَ بك ، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إليّ ، ففعل ذلك ، وفُعِل به حتى أنِس عبد الله بناحِيته ، فقال له عقبة : الجواب ، فقال له : أمّا الكتاب فإنّي لا أكتُب إلى أحد ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرئهم السلام ، وأخبرهم أنَّ ابنَي خارج لوقت كذا وكذا ، فشخص عُقبَةُ حتى قدِم على أبي جعفر ، فأخبَره الخبر .

أخبرني العتكيّ عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق ، قال : سأل أبو جعفر عبدَ الله بن الحسن عن ابنَيه لمّا حَجَّ ، فقال : لا أعلم بهما حتى تغالظا ، فأمضَّه[2] أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأيّ أمّهاتي تُمِضُّني ؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمةَ

---

1 أيقظ من لا ينام : أي سلط عليه الخليفة العيون والأرصاد .

2 أمضه : أحزنه وأحفظه .

بنتِ رسول الله ﷺ ، أم بفاطمة بنت الحسين ، عليهم السلام ، أم بأُمّ إسحاق بنت طلحة ؟ قال : لا ولا بواحدة منهنّ ، ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المُسيَّب بنُ زهير ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام زيادُ بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءه ، وقال : يا أَمير المؤمنين ، هبه لي ، فأنا المستخرج لك ابنيه ، فتخلَّصَه منه .

قال ابنُ شَبَّة : وحدَّثني بكر بنُ عبد الله مولى أَبي بكر ، عن عليّ بن رباح أَخي إبراهيم بن رباح ، عن صاحبَ المُصلَّى : قال : إنِّي لواقِفٌ على رأس أبي جعفر وهو يتغدَّى بأوطاس[1] ، وهو مُتوجّه إلى مكّة ، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجَعْفَرِيّ وجماعة من بني العبّاس ، فأَقبل على عبد الله بن الحسن ، فقال : يا أَبا محمد ؛ محمدٌ وإبراهيمُ أَراهما قد استوحشا من ناحِيتي ، وإنِّي لأُحِبّ أن يأنسا بي ويأتِياني فأَصِلَهُما ، وأُزَوِّجهما ، وأخلطهما بنفسي ، قال : وعبد الله يطرق طويلاً ، ثم يرفع رأسه ويقول : وحَقّك يا أَمير المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد عِلم ، ولقد خرجا عن يَدي ، فيقول : لا تفعل يا أبا محمد ، اكتب إليهما وإلى مَن يُوصّل كتابك إليهما ، قال : وامتنع أبو جعفر عن عامّة غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله ، وعَبدُ الله يحلف أنّه لا يعْرف موضِعَهما ، وأبو جَعْفر يكرّر عليه : لا تَفْعل يا أَبا محمد .

قال ابن شبّة : فحدَّثني محمد بن عباد عن السّنديّ بن شاهك : أنّ أَبا جعفر قال لعقبه بن سَلْم : إذا فرغنا من الطَّعام فلحَظْتُك فامثُل بَيْن يدي عبد الله ، فإنّه سيصرف بصره عنك ، فَدُرْ حتى تغمز ظهرَه بإبهام رجلك ، حتى يملأ عينيه منك ، ثم حسبُك وإيّاك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل ذلك عُقبةُ ، فلمّا رآه عبدُ الله وثب حتى جثا بين يَدَي أبي جعفر ، وقال : يا أَمير المؤمنين أَقِلْني أَقالك الله ، قال : لا أَقالني الله إن أَقَلْتُك ، ثم أمر بحَبسِه .

قال ابن شبّة ، فحدَّثني أيُّوبُ بنُ عمر : عن مُحمّد بن خلف المَخْزوميّ قال : أَخبرني العبّاسُ بن محمد بن علي بن عَبْد الله بن عبّاس قال : لمّا حَجَّ أَبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حَسَن ، فإنّهما وإيّاي لعِنْده ، وهو مَشغولٌ بكتاب ينظر فيه إذ تكلَّم المهديُّ فلَحَن ، فقال عبدُ الله : يا أَمير المؤمنين ، ألا تأمر بهذا من يُعدِّل لِسانَه ، فإنّه يفعل فِعْل الأمَة ، فلم يَفْهَم ، وغمزتُ عبد الله فلم ينتبه ، وعاد لأبي جعفر فأُحْفِظ من ذلك ، وقال له : أين ابنك ؟ قال : لا أدري ، قال : لتأتيني به ، قال : لو كان تحت قدميّ ما رَفعْتُهما عنه ،

1 أوطاس : اسم ولد .

قال : يا رَبيعُ فمُرْ به إلى الحبس .

[زوجته هند بنت أبي عبيدة]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن قال : توفّي عبد الله في مَحْبسه بالهاشميّة وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عَناها عبدُ الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عُبَيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ ، وأمّها قرينة بنتُ يزيد بن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعة بن الأسود بن المطّلب .

وكان أبو عبيدة جواداً سيّداً مُمَدَّحاً ، وكانت هندُ قبلَ عبد الله بن الحسن تَحْت عَبدِ الله بن عَبْد الملك بن مروان ، فمات عنها .

فأخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن سليمان بن عيّاش السعديّ قال : لمّا توفّي أبو عبيدة وَجِدَتْ ابنتُه هند وجْداً شديداً ، فكَلَّم عبدُ الله بن الحسن مُحمد بن بشير الخارجيّ أن يدخل على هندَ بنتِ أبي عُبيدة ، فيُعَزّيها ويُؤسّيها عن أبيها ، فدخل معه عليها ، فلمّا نظر إليها صاح بأبعد صوته : [من الطويل]

قومي اضربي عينيك يا هندُ لن تَرَيْ ... أبـاً مثلَـه تسمُو إليـه المَفاخِرُ

وكنت إذا أَسبَلت أسبلت والدا ... يزيـنُ كما زان اليديـن الأساورُ

فصكَّت وجهَها ، وصاحت بحَرَبها وجهدها ، فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دخلت ؟ فقال الخارجيّ : وكيف أُعَزّي عن أبي عُبَيْدة وأنا أُعَزّى به !

أخبرني العَتكيّ ، عن ابن شَبَّة : قال : حدَّثني عبدُ الرحمن بن جعفر بن سليمان ، عن عليّ بن صالح ، قال : زوّج عبد الملك بنُ مروان ابنه عبد الله هِنداً بنتَ أبي عُبيدة وريطةَ بنت عبد الله بن عبد المدان لِما كان يقال إنّه كائنٌ في أولادهما ، فمات عنهما عبد الله أو طلّقهما ، فتزوّج هنداً عبدُ الله بن الحسن ، وتزوّج ريطة محمدُ بن عليّ ، فجاءت بأبي العبّاس السفّاح .

أخبرني العتكيّ عن عمر بن شبّة عن ابنِ داحة عن أبيه قال : لمّا مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هِند بميراثها منه ، فقال عبد الله بن حسن لأمّه فاطمة : اخطُبي عليّ هنْداً ، فقالت : إذاً تَرُدَّك ، أتطمع في هند وقد وَرِثت ما وَرِثته ، وأنت تَربٌ لا مالَ لك ؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند ، فخطبها إليه ، فقال : في الرُّحْبِ والسَّعَة ، أمَّا منّي فقد زوّجتك ، مكانك لا تَبْرَحْ ، ودخل على هند ، فقال : يا بنيّة ، هذا عبد الله بن حسن ، أتاك خاطباً ، قالت : فما قلت له ؟ قال : زوجته . قالت : أحسنت . قد أجزتُ ما صنعْتَ ،

وأرسلت إلى عبد الله : لا تبرح حتى تدخلَ على أهلك . قال : فتزيّنَتْ[1] له فبات بها مُعَرّساً من ليلتـه ، ولا تشعر أمّه ، فأقام سبعاً ، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أمّه وعليه رَدْع[2] الطيب ، وفي غير ثيابه التي تَعرف ، فقالت له : يا بنيّ ، من أين لك هذا ؟ قال : من عند التي زَعمْتِ أنّها لا تريدني .

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلّبيّ وعَمِّي عبدُ العزيز بنُ أحمد بن بَكّار : قالا : حدَّثنا الزُّبير : قال : حدَّثتني ظبية مولاة فاطمة : قالت : كان جدّك عبدُ الله بنُ مُصْعَب يستنشدني كثيراً أبيات عَبْدِ الله بن حسن ويُعْجَب بها : [من الخفيف]

إنّ عينـي تعوّدت كُحْلَ هِنْدٍ جَمَعَـت كَفُّها مع الرِّفق لِينا

صوت

[من البسيط]

يا عِيـدُ ما لكَ من شوقٍ وإيراقِ ومـرِّ طَيْفٍ على الأهـوالِ طَرَّاقِ
يَسْرِي على الأيْنِ والحيَّاتِ مُحْتفِياً[3] نفسي فِداؤُك من سارٍ على ساقِ

عروضه من البسيط . العيد : ما اعتاد الإنسانَ من هَمّ أو شوق أو مرض أو ذِكْر . والأين والأيم : ضرب من الحيّات . والأين : الإعياء أيضاً ، وروى أبو عَمْرو :

يا عيد قلبُك من شوق وإيراق

الشعر لتأبط شرّاً ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من رواية يحيى المكّيّ وحَبَش ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى إلى ابن محرز .

1 ل : فتيسرت .
2 الرّدع : أثر الطيب في الجسد .
3 محتفياً في ل : محتفلاً .

[449] ـ أخبار تأبّط[1] شرّاً ونسبه

[نسبه ولقبه]

هو ثابت بن جابر بن سُفيان بن عُمَيْثل بن عديّ بن كعب بن حزن . وقيل : حرب بن تميم بن سعد بن فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .

وأُمّه امرأة يقال لها أُميمة ، يقال : إنّها من بني القَيْن بَطْن مَن فَهْم ، ولدت خمسةَ نَفَر : تأبّط شرّاً ، ورِيش بِلَغْب ، وريش نسر ، وكعب جُدِر ، ولا بَواكِي له[2] ، وقيل : إنّها ولدت سادساً اسمه عمرو .

وتأبّط شرّاً لقب لُقِّب به ، ذكر الرّواة أنّه كان رأى كبشاً في الصحراء ، فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يَبول عليه طُولَ طريقه ، فلمّا قَرُب من الحَيّ ثَقُل عليه الكَبْش ، فلم يُقِلّه فرمى به فإذا هو الغول ، فقال له قومه : ما تأبّطت يا ثابت ؟ قال : الغول . قالوا : لقد تأبّطت شرّاً فسمّي بذلك .

وقيل : بل قالت له أُمّه : كلّ إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرَك ، فقال لها : سآتيك الليلة بشيء ، ومضى فصاد أفاعيَ كثيرة من أكبر ما قدر عليه ، فلمّا راح أتى بهنّ في جراب متأبِّطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فتساعَيْن في بيتها ، فوثبت ، وخرجت ، فقال لها نساء الحيّ : ماذا أتاكِ به ثابت ؟ فقالت : أتاني بأفاعٍ في جراب . قُلن : وكيف حَمَلَها ؟ قالت : تأبّطها . قلن : لقد تأبّط شرّاً ، فلزمه تأبّط شرّاً .

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى عن أَبي مُحلِّم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها : أنّ أمّه قالت له في زمن الكمأة : ألا تَرى غِلمانَ الحيّ يجتنون لأهليهم الكمأة ، فيروحون بها ؟ فقال أعطيني جرابَك ، حتى أجتني لك فيه ، فأعطته ، فملأه لها أفاعي ، وذكر باقي الخبر مثلَ ما تقدّم .

ومَن ذكر أنّه إنّما جاءها بالغول يحتجّ بكثرة أشعاره في هذا المعنى فإنّه يصف لقاءه إيّاها في شعره كثيراً ، فمن ذلك قوله : [من المتقارب]

1 انظر أخباره في : المفضليات : 27 والشعر والشعراء 1/312–314 ، والأنباري 1–2 و195–196 ، والاشتقاق 162–163 والخزانة 1/66–67 واللآلي 158–159 .

2 ولا بواكي له : هو الاسم الخامس لأولاد أم تأبّط شرّاً .

فأَصبحت الغُــولُ لي جــارةً فيــا جارتــا لك ما أَهولا[1]
فطالبتُهــا بُضْعَهــا فالتــوَت عــليَّ وحاولــتُ أَن أَفعلا[2]
فمَن كان يسأَل عــن جارتي فــإنّ لهــا باللِّــوى مَنْزلا[3]

[كان أعدى ذي رجلين]

أخبرني عمِّي عن الحَزنبل عن عمرو بن أَبي عمرو الشيبانيّ قال : نزلت على حيّ من فهم إخوة بني عدوان من قيس ، فسألتهم عن خبر تأبّط شرّاً ، فقال لي بعضُهم : وما سؤالك عنه ، أتريد أن تكون لصّاً ؟ قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدّائين ، فأتحدَّث بها ، فقالوا : نحدّثك بخبره : إنّ تأبّط شرّاً كان أعدى ذي رِجْلَيْن وذي ساقَيْن وذي عيْنَين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظِّباء فينتقي على نظره أسمَنها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته ، حتى يأخذه ، فيذبَحه بسَيْفه ، ثم يَشْويه فيأكله . وإنّما سُمِّي تأبَّط شرّاً لأنّه ، فيما حُكيَ لنا ، لَقيَ الغُولَ في ليلة ظلماء في موضع يقال له رَحى بَطْحان في بلاد هُذَيل ، فأخذت عليه الطريق فلم يَزل بها ، حتى قَتلَها ، وبات عليها ، فلمّا أصبحَ حَمَلها تحت إبطِه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له : لقد تأبّطتَ شرّاً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

تأَبَّط شرّاً ثم راح أَو اغْتَدى يُوائم غُنْماً أَو يَشِيف على ذَحْلِ

يوائم : يوافق ، ويشيف : يقتدر . وقال أيضاً في ذلك : [من الوافر]

أَلا مَــنْ مُبلــغٌ فِتيــانَ فَهــمٍ بمــا لاقيتُ عنــد رَحى بطانِ[4]
وأنِّي قــد لقيــتُ الغولَ تهوي بسَهْــب كالصحيفة صحصحانِ[5]
فقلــت لهــا : كلانــا نِضْوَأيْنٍ أَخــو سفــر فخلّــي لي مكاني
فشدَّت شدَّةً نحــوي فأَهْــوى لهــا كفــيِّ بمصقولٍ يَمــانِ
فأَضربهــا بــلا دَهَشٍ فَخَرَّت صريعــاً لِلْيَدَيــن وللجِــرانِ[6]

1 لك في الديوان 164 : أنت .
2 البضع : الفرج . الشطر الثاني في الديوان 164 : بوجه تهوّل فاستغولا .
3 الشطر الأول في الديوان : فمن سال : أين ثوت جارتي .
4 فهم : قبيلة الشاعر ، وحي بطان : اسم موضع .
5 السهب : الفلاة . والصحصحان : ما استوى من الأرض .
6 الدهش : التحير . والجران : مقدّم العنق .

فقالت : عُـد ؛ فقلت لها : رُوَيْداً ... مكانَـك إنَّنـي ثَبْـت الجنانِ
فلـم أنفـكَّ مُتّكِئـاً عليهـا ... لأنظـر مُصبِحـا مـاذا أَتاني[1]
إذا عينـان في رأسٍ قبيـح ... كرأس الهِـرِّ مَشْقـوق اللِّسانِ
وساقـا مُخْـدجٍ وشواةُ كلْب ... وثـوب مـن عَبـاءٍ أو شِنانِ[2]

[لا تنهشه الحيّات]

أخبرنا الحسين بن يحيى : قال : قرأت على حمّاد : وحدَّثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللِّهبيّ : قال : قيل لتأبَّط شرّاً : هذه الرجال غلبتَها ، فكيف لا تنهشك الحيّات في سُراك ؟ فقال : إنِّي لأسري البَرْدَين . يَعْني أوّلَ الليل وآخره ، لأنّها تمور[3] خارجة من حُجْرتها ، وآخرَ الليل تمُورُ مُقبِلة إليها .

[يبيع أحمق اسمه بطيلسانة]

قال حمزةُ : ولقي تأبّط شرّاً ذات يوم رَجُلاً من ثَقيف يقال له أبو وَهْب ، كان جَباناً أهوجَ ، وعليه حُلّة جَيّدة ، فقال أبو وَهْب لتأبَّط شَرّاً ، بِمَ تغلب الرجال يا ثابت ، وأنت كما أرى دَميمٌ ضئيل ؟ قال : باسمي ، إنّما أقول ساعة ما ألقى الرَّجُل : أنا تأبَّط شرّاً ، فينخلع قلبُه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثقفيّ : أقط[4] قال : قَطّ ، قال : فهل لك أن تبيعني اسمَك ؟ قال : نعم ، فبِمَ تبتاعُه ؟ قال : بهذه الحُلّة وبكنيتك قال له : أفعل ، ففعل ، وقال له تأبّط شرّاً : لك اسمي ولي كنيتك ، وأخذ حُلَّته وأعطاه طِمْرِية ، ثم انصرف ، وقال في ذلك يخاطب زوجة الثّقفيّ : [من الطويل]

ألا هـل أتـى الحسناء أنّ حَلِيلَها ... تأبَّـطَ شَرّاً واكتنيـتُ أبـا وَهْبِ
فهبه تَسمَّى اسْمي وسُمِّيتُ بـاسِمِه ... فأين له صبري على مُعْظَمِ الخطبِ ؟[5]
وأيـن لـه بأْسٌ كبَأْسي وسَوْرتـي ... وأيـن لـه في كلّ فادحـةٍ قَلْبي ؟

[يعجز عن الجماع]

قال حمزة : وأحبّ تأبّط شرّاً جارية من قومه ، فطَلَبها زماناً لا يقدر عليها ، ثم لقِيتْه

---

1 أتاني في ل : دهاني .

2 أخدجت الناقة : ألقت ولدها لغير تمام . والشواة : قحف الرأس وفي ل : وسراة كلب . الشنان : جمع شن ، وهو القربة البالية .

3 ل : تدبّ .

4 أقط : أي بهذا فقط ، وقط هنا بمعنى فحسب .

5 في الديوان 64 : وسمّاني اسمه .

ذاتَ ليلة فأجابته وأرادها ، فعجز عنها ، فلمّا رأت جزَعه من ذلك تناومت له فآنسته وهدأ ، ثم جعل يقول : [من الرجز]

مالكَ من أيْرٍ سُلِبْتَ الخلَّهْ عجَزْت عن جارية رِفَلَّهْ[1]

تمشي إليك مشيةً خوزلَّهْ كمشية الأرخِ تريد العلَّهْ[2]

الأرخ : الأنثى من البقر التي لم تُنتَج . العلّة تريد أن تُعل بعد النهل ، أي أنّها قد رويت فمِشيتها ثَقِيلة . والعلّ : الشّرب الثاني .

لــو أنّها راعِيةٌ في ثُلَّهْ تحمل نعلين لها قَبَلَّهْ[3]

تضرب كالهــراوة العبلّهْ

العبل : ورق الأرطى .

[قصته مع بجيلة]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعيّ قال : أغار تأبّط شرّاً ، وهو ثابت بن العميثل الفهميّ ، ومعه عمرو بن براق الفهميّ على بَجيلة ، فأطْرَدا لهم نَعَماً ، ونَذَرت بهما بجيلة ، فخرجت في آثارهما ومضيا هارِبَين في جبال السّراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بَجِيلة في السهل فسبقوهما إلى الوَهط ، وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف ، فأدخلوا لهما في قصبة العين ، رجلاً وجاءا ، وقد بلغ العَطَش منهما ، إلى العَيْن ، فلمّا وقفا عليها قال تأبّط شرّاً لابن برّاق : أقِلّ من الشَّراب فإنّها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أعدو بطيره ، إنّي لأسمع وجيبَ قلوب الرّجال تحت قدميّ . وكان من أسمَع العرب وأكيدِهم . فقال له ابنُ برّاق : ذلك وجيب قلبك . فقال له تأبّط شرّاً : والله ما وَجَب قطّ ، ولا كان وجّاباً ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال : والذي أعدو بطيره ، إنّي لأسمع وَجِيبَ قلوبِ الرّجال ، فقال له ابنُ برّاق : فأنا أنزل قبلك ، فنزل فبرك وشرب وكان أكَلَ القوم عند بجيلة شوكة[4] ، فتركوه وهم في الظّلمة ، ونزل ثابت ، فلمّا توسّط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً ، وابنُ برّاق قريب منهم لا يطمعون فيه لِما يَعْلمون من عَدْوه ، فقال لهم ثابت : إنّه من أصْلَف النّاس وأشدّهم عُجْباً بعدْوِه ، وسأقول

---

1 رفلة : سمينة .

2 الخيزلى : نوع من المشي . وفي الديوان 199 : هِروَلّة .

3 الثلة : جماعة الغنم . وقبلّة : مأخوذة من القبل بمعنى الحول .

4 أكل القوم عند بجيلة شوكة ، يريد صغر شأنه عند بجيلة .

له : استأسرْ معي ، فسيدعوه عُجبه بعَدْوه إلى أن يَعْدُو من بين أيدِيكم ، وله ثلاثة أطلاق : أوّلها كالرِّيح الهابّة ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث يكبو فيه ويعثر ، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإنّي أُحِبّ أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونُصحي له ، قالوا : فافعل ، فصاح به تأبّط شرّاً : أنت أخي في الشدّة والرّخاء ، وقد وعدني القومُ أن يَمُنّوا عليك وعليَّ ، فاستأسِرْ ، وَواسني بنفسك في الشدّة ، كما كنتَ أخي في الرّخاء ، فضحك ابنُ برّاق ، وعلم أنّه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيستأثر مَن عنده هذا العَدْو ؟ ثم عدا فعدا أوّل طَلَق مثل الريح الهابة كما وصف لهم ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويَعْثُر ويقع على وجهه . فقال ثابت : خذوه ، فعدوا بأجمعهم ، فلمّا أن نَفَّسَهم عنه شيئاً عدا تأبّط شرّاً في كتافه ، وعارضه ابن بُرّاق ، فقطع كتافه ، وأفلتا جميعاً ، فقال تأبّط شرّاً قصيدتَه القافية في ذلك ، وذكرها ابن أبي سعد في الخبر إلى آخرها : [من البسيط]

يـا عيدُ ما لك من شوقٍ وإيراقِ ... ومَـرّ طيفٍ على الأهـوالِ طرّاقِ
يسرى على الأَيْن والحيّاتِ محتفِياً ... نفسي فداؤك من سارٍ على ساقِ[1]
طيْف ابنـة الحُرِّ إذ كنّا نواصلُها ... ثم اجْتُنِبْتُ بهـا من بعد تَفراقِ[2]
لتَقرِعنَّ عـليَّ السِّنَّ مـن نَـدَمٍ ... إذا تذكّرتِ يومـاً بعضَ أخلاقي
تالله آمـنُ أنثى بعدمـا حَلَفَـتْ ... أسمـاءُ بالله مـن عهـدٍ وميثاقِ
ممزوجَةَ الودِّ بينا واصلَتْ صَرَمَتْ ... الأَوّلُ اللّذْ مَضى والآخِـر الباقِي
فالأَوّلُ اللَّـذْ مضى قال مودَّتَها ... واللّـذُ منهـا هُذاءٌ غير إحقاقِ[3]
تُعْطِيك وعـدَ أمانيٍّ تغـرُّ بـه ... كالقَطْـرِ مَـرَّ على صَخْبانَ برّاقِ[4]
إنّـي إذا خُلّـةٌ ضَنَّـتَ بنائلهـا ... وأمْسَكَت بضعيف الحَبْل أحذاقِ[5]
نجَوْتُ منها نجائي من بجيلةَ إذْ ... أَلقَيْتُ للقوم يوم الرّوع أرواقي[6]

1 الأين : الحية أو الذكر من الحيات . ومحتفياً : حافياً .
2 بعد تفراق في الديوان 127 : بعد التِّفراق .
3 اللذ : بمعنى الذي . والهذاء : الهذيان .
4 الصخبان : الشديد الصخب وفي الديوان 128 : ضجنان وهو جبل بناحية مكّة .
5 حبل أحذاق : قطع وفي المفضليات 28 : ضعيف الوصل .
6 ألقى أرواقه : أسرع في عدوه وفي المفضليات 28 : ألقيت ليلة خبّ الرّهط ، وفي الديوان أيضاً 129 .

وذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها .

وأمّا المفضّل الضبّيّ فذكر أنّ تأبّطَ شرّاً وعمرو بن بَرّاق والشَّنْفَرى ، وغيره يجعل مكان الشنفرى السُّليك بن السَّلَكَة ، غَزَوا بَجيلة فلم يظفروا منهم بغِرّة ، وثاروا إليهم فأسروا عمراً ، وكتَّفوه ، وأفلتهم الآخران عَدْواً ، فلم يقدروا عليهما ، فلمّا علِما أنّ ابنَ برّاق قد أُسِر قال تأبَّط شرّاً لصاحبه : امضِ فكُن قريباً من عمرٍو ، فإنّي سأتراءى لهم وأُطْمِعُهم في نفسي حتى يَتباعَدُوا عنه ، فإذا فعلوا ذلك فحُلّ كِتافَه وانْجُوا ، ففعل ما أَمَرَه به ، وأقبل تأبَّط شرّاً ، حتى تراءى لبَجيلة ، فلمّا رأوْه طمعوا فيه ، فطلبوه ، وجعل يُطمِعهم في نفسه ، ويعدو عدْواً خفيفاً يُقَرِّبُ فيه ، ويسألهم تخفيف الفِدْية[1] وإعطاءه الأمانَ ، حتّى يستأسر لهم ، وهم يُجيبونه إلى ذلك ، ويطلبونه وهو يُحضِر إحضاراً خفيفاً ، ولا يتباعد ، حتى علا تَلْعَة أشرف منها على صاحبَيْه ، فإذا هما قد نَجَوا ، ففَطِنت لهما بَجيلة ، فألحقتهما طلباً ففاتاهم ، فقال : يا معشر بَجيلة أأَعجبكم عَدوُ ابن برّاق اليوم ، واللهِ لأعدونَّ لكم عَدْواً أُنسيكم به عَدْوَه ، ثم عدا عدْواً شديداً ، ومضى وذلك قوله : [من البسيط]

يا عِيدُ ما لَكَ من شَوقٍ وإبراقِ

وأمّا الأصمعيّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عمِّه : أنّ بَجيلة أمهلتْهُم حتّى وَردُوا الماءَ وشربوا وناموا ، ثم شدُّوا عليهم ، فأخذوا تأبَّط شرّاً ، فقال لهم : إنّ ابن بَرَّاق دَلاَّني في هذا ، وإنّه لا يقدر على العَدْوِ لعقْرٍ في رجليه ، فإن تبعتموه أخذتموه ، فكتّفوا تأبَّط شرّاً ، ومضوا في أثر ابن برّاق ، فلمّا بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم ، ورجعوا .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا أبو سَعِيد السكريّ قال : حدَّثنا ابنُ الأثرم ، عن أبيه . وحدَّثنا محمدُ بن حَبِيب ، عن أبي عمرو ، قالا : كان تأبَّطَ شرّاً يَعدُو على رِجليه ، وكان فاتِكاً شديداً ، فبات ليلة ذات ظلمة وبَرْق ورعد في قاع يقال له رَحى بِطان ، فلقيَتْه الغُولُ فما زال يُقاتلها ليلَته إلى أن أصبَح وهي تَطلُبه ، قال : والغول : سَبُعٌ من سِباع الجنّ ، وجعل يراوغها ، وهي تَطلبه ، وتلتمس غِرَّة منه ، فلا تَقدِر عليه ، إلى أن أصبح ، فقال تأبَّطَ شرّاً : [من الوافر]

أَلا مَـــنْ مُبلـــغٌ فِتيانَ فَهمٍ   بما لاقيتُ عنـــد رَحى بِطانِ

---

1 ل : البهر به .

بأنّي قـد لقيت الغولَ تَهوِي ... بسهْبٍ كالصحيفة صَحصَحانِ
فقلت لهـا : كلانا نِضْوُ أينٍ ... أخـو سَفَر فخَلِّـي لي مكاني
فشدّت شدّةً نحـوي فأهوى ... لهـا كفّـي بمصقولٍ يماني
فأضربها بـلا دهشٍ فخَرَّت ... صريعـاً لليديـنِ وللجِـرانِ
فقالت عُدْ ، فقلتُ لها : رويداً ... مكانَـك إنّنـي ثَبْتُ الجَنانِ
فلـم أنفـكَّ متّكئـاً عليها ... لأنظُـرَ مُصبِحـاً مـاذا أتاني
إذا عينـان في رأسٍ قبيـحٍ ... كرأس الهِـرِّ مشقوق اللّسانِ
وساقا مُخْـدجٍ وشواةُ كلب ... وثوبٌ مـن عَبـاءٍ أو شِنانِ

[يفرّ من أعدائه]

قالوا : وكان من حديثه أنّه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه ، وهو يريد أن يَغْترّهـم ، فيصيب حاجَتـه ، فأتى ناحية منهم ، فقتل رجلاً ، ثن استاق غنماً كثيرة ، فَنَذروا بـه ، فتبِعه بعضُهم على خيل ، وبعضُهم رَجّالة ، وهم كثير ، فلمّا رآهم ، وكان من أبصَر النّاس عرف وجوههم ، فقال لصاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ، ولن يُفارِقونا اليوم حتى يُقاتِلونا أو يَظْفَروا بحاجتهم ، فجعل صاحبُه ينظر ، فيقـول : ما أتبيّن أحداً ، حتى إذ دهموهما قال لصاحبه : اشتدّ فإنّي سأمنعك ما دام في يدي سَهْم ، فاشتدّ الرجل ، ولقيهم تأبّط شرّاً ، وجعل يَرْميهم حتى نَفِدَت نبلُه ، ثم إنّه اشتدّ فمرّ بصاحبه فلم يطق شدَّه ، فقتل صاحِبَه ، وهو ابن عمٍّ لزوجَته ، فلمّا رجع تأبَّط شرّاً وليس صاحبُه معه عرفوا أنّه قد قُتِل ، فقالت له امرأته : تركتَ صاحِبَك وجئت مُتباطِئاً ، فقال تأبَّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلكمـا عرسي منيعةُ ضُمِّنت ... مـن اللهِ إثمـاً مُستسِرّاً وعالِنا
تقول : تركتَ صاحباً لك ضائعاً ... وجئـت إلينا فارقـاً مُتباطنا[1]
إذا مـا تركـتُ صاحبي لثلاثة ... أو اثْنَيْن مِثْلَينا فـلا أُبْـتُ آمِنا
وما كنت أبّاء على الخِلّ إذ دَعا ... ولا المـرءِ يدعوني مُمِرّاً مُداهِنا[2]
وكَرّي إذا أُكْرِهتُ رهطاً وأهلَه ... وأرضاً يكون العَوْصُ فيها عُجاهِنا[3]

---

1 فارقاً متباطناً : فارقته وجئت متخفياً .

2 إمرار الحبل : إحكام فتله . والمداهن : من دهنه بمعنى ضربه .

3 رهط : اسم موضع . والعوص : اسم قبيلة . والعجاهن : من معانيه القنفذ .

ولمّا سمعت العوصَ تدعو تنفّرت عصافيرُ رأسي من غُواةٍ فَراتِنا[1]
ولم أَنتظـر أن يَدهموني كأنّهـم ورائيَ نَحْـل في الخليّة واكِنا[2]
ولا أن تُصيب النّافذاتُ مقاتلي ولم أَكُ بـالشدِّ الذلِيـق مُدانِيا[3]
فأرسلتُ مثنيّاً عـن الشدّ واهِناً وقلتُ تزحزحْ لا تكوننّ حائِنا[4]
فأدبرت لا ينجـو نجائي نقنـق يبادر فرخيـه سِمـالاً وراجنا[5]
مـن الحُصِّ هِزْروفٌ يطير عِفاؤه إذا استدرج الفَيْفا ومَـدَّ المغابنا[6]
أزجُّ زَلـوجٌ هـذرفٌ زفـازفٌ هِـزَفٌ يبذُّ الناجيات الصَّوافِنا[7]
فزحزحت عنهم أو تجِئني مَنِيَّتي بغبراءَ أَو عرفاءَ تَفرِي الدَّفائنا[8]
كأنّي أَراها الموتَ لا درّ دَرُّها إذا أَمكنَـتْ أَنيابَهـا والبراثنا
وقالت لأُخـرى خلفهـا وبناتها حتوف تُنَقِّي مخّ مَنْ كان واهِنا
أَخاليـجُ ورَّادٍ على ذي محافـل إذا نزعوا مدّوا الدِّلاءَ الشّواطِنا[9]

وقال غيره : بل خرج تأبَّطَ شرّاً هو وصاحبان له ، حتى أَغاروا على العوص من بجيلة ، فأخذوا نعماً لهم ، واتبعتهم العَوْص ، فأدركوهم ، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة ، فلمّا رأى تأبَّطَ شرّاً ألاّ طاقة لهم بهم شمَّر وتركهما ، فقُتِل صاحباه ، وأُخِذت النعم ، وأفلَتَ ، حتى أَتى بني القَيْنَ من فَهْم ، فبات عند امرأة منهم يتحدَّث إليها ، فلمّا أراد أن يأتي قومه دهنتْه ورجَّلته ، فجاء إليهم وهم يبكون ، فقالت له امرأتُه : لعنك الله

1 تنفرت عصافير رأسي : كناية عن الغضب والثورة . غواة في ل : بواء ؛ وفي الديوان 214 : بَوًى فغوا بنا . والفراتن : جمع فرتنى وهي المرأة الزانية أو الأَمَة .
2 وكن الطائر : دخل عشّه .
3 الشد الذليق : الحديد الماضي .
4 الشطر الأول في الديوان 215 : فأرسلت منبتاً من الشدّ والهاً . حائن : هالك .
5 السمال : ماء في الحوض وفيه دود . راجنا : ماء مختلطاً .
6 الحص : جمع أحص ، وطائر أحص : قليل الريش . هزروف : سريع . العفاء : الشعر والوبر . يطير عفاؤه في ل : كأن عفاءه . المغابن : بواطن الأفخاذ .
7 أزج : بعيد الخطو . زلوج : سريع العدو . هزرفي : كثير الحركة . زفازف : جمع زفزف بمعنى الريح . الهزف : السريع أو النافر ، وفي ل : وقارب . الناجيات : الجياد السّريعة . الصوافن : جمع صافن وهو الحصان يقف على ثلاث قوائم .
8 غبراء : اسم أنثى الذئب . وعرفاء : اسم الضبع .
9 أخاليج : جمع أخلج وهو الحبل . ذو المحافل : البئر . والشوطن : الحبال .

تركت صاحبيك وجئت مُدّهناً . وإنّه إنّما قال هذه القصيدة في هذا الشأن ، وقال تأبَّط شرّاً يرثيهما وكان اسمُ أحدهما عَمراً : [من الطويل]

أَبعد قتيل العَوْص آسى على فتًى | وصاحِبه أَو يأمُلُ الزّادَ طارقُ ؟
أَأَطْرُد فَهماً آخرَ الليل أَبتغي | عُلالة يوم أَن تَعُوقَ العوائقُ[1]
لَعَمرُو فتًى نِلتم كأنّ رداءه | على سرحةٍ من سرح دومة سامقُ[2]
لأطرُد نَهْباً أَو نرودَ بفِتْيةٍ | بأيمانهم سُمْر القَنا والعقائقُ[3]
مَساعَرةٌ شُعْثٌ كأنّ عيونهم | حريقُ الغضا تُلْفى عليها الشّقائقُ[4]
فعُدُّوا شهورَ الحُرمِ ثم تعرّفوا | قتيل أُناسٍ أَو فتاةً تعانقُ

[تعرض لمحاولة قتله بالسم]

قال الأَثرم : قال أَبو عمرو في هذه الرواية : وخرج تأبَّطَ شرّاً يريد أَن يغزو هذيلاً في رهط ، فنزل على الأحلّ بن قنصل ، رَجُلٍ من بجيلة ، وكان بينهما حِلْف ، فأنزلهم ورحَّب بهم ، ثم إنّه ابتغى لهم الذّراريح[5] ليسقيهم فيستريح منهم ، ففطن له تأبّط شرّاً ، فقام إلى أصحابه ، فقال : إنّي أحبّ ألاّ يعلم أنا قد فطنّا له ، ولكن سأبُوه حتى نحلِف ألاّ نأكل من طعامه ، ثم أغترُّه فأقتله لأنّه إن علِم حَذِرني ، وقد كان مالأ ابنَ قنصل رجلٌ منهم يقال له لُكَيْز قتلت فَهْمٌ أخاه ، فاعتلّ عليه وعلى أُصحابه فسَبُّوه وحلفوا ألاّ يذوقوا من طعامه ولا من شرابه ، ثم خرج في وَجْهه ، وأخذ في بَطْن وادٍ فيه النّمور ، وهي لا يكاد يسلم منها[6] أحد ، والعرب تسمِّي النمر ذا اللونين ، وبعضهم يسمِّيه السَّبنتى ، فنزل في بطنه وقال لأصحابه : انطلقوا جميعاً فتصيّدوا ، فهذا الوادي كثير الأَرْوى ، فخرجوا وصادوا ، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمراً وحده ، وغزا هُذَيلاً فغَنِم وأصاب ، فقال تأبّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

أُقسمتُ لا أَنسى وإن طال عيشُنا | صنيع لُكَيْزٍ والأَحلّ بن قنصلِ
نزلنا به يوماً فساءَ صَباحُنا | فإنّكَ عَمْري قد ترى أَيّ منزلِ

---

1 طرد القوم : أتاهم ، وفي ل : أأطرد نهباً .
2 لعمرو في ل : لنعم . السرحة : الشجرة . دومة : مكان . سامق : طويل ، وسامق في الديوان شانق .
3 نرود في ل : أروّي ، وفي الديوان 123 : نزور . العقائق : جمع عقيقة بمعنى السيف الشبيه بالبرق ، وفي ل : العتائق .
4 مساعرة : جمع مسعر بمعنى موقد لنار الحرب ، وشعث : جمع أشعث بمعنى أغبر .
5 الذراريح : جمع ذِرّاح كزنّار : دويبة حمراء منقطة بسواد تطير ، وهي من السّموم .
6 ل : عليها .

بَكَـى إذ رآنـا نازلـين ببابه ... وكَيف بُكاءُ ذي القليـل المُعَيَّلِ[1]

فـلا وأَبيك مـا نَزَلنـا بعامرٍ ... ولا عامـرٍ ولا الرئيس ابن قَوقلِ[2]

عامر بن مالك أبو براء مُلاعِب الأسِنَّة ، وعامر بن الطُّفَيل ، وابن قَوْقَل[3] مالك بن ثَعْلَبة أَحد بني عوف بن الخزرج .

ولا بالشَّليل ربّ مـروان قاعداً ... بأَحسن عَيْش والنُّفاثـيّ نَوْفَـلِ

رَبّ مروان : جرير بن عبد الله البَجلي . ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أَحد بني الدِّيْل بن بكر .

ولا ابن وَهيب كاسبِ الحمدِ والعُلا ... ولا ابـن ضُبَيْعٍ وسط آل المُخبَّلِ

ولا ابنِ حُلَيْسٍ قاعـداً في لِقاحِهِ ... ولا ابن جُرَيٍّ وسط آل المغفّلِ[4]

ولا ابن ريـاحٍ بالزُّليفات دارُه ... رِياح بن سعد لا رياح بن مَعْقِلِ

أولئك أَعطـى للوَلائـد خِلْفَـةً ... وأَدْعى إلى شحم السَّديفِ المُرَعْبَلِ[5]

[يتّخذ من العسل مزلقاً على الجبل فينجو من موت محقق]

وقال أَيضاً في هذه الرواية : كان تأبَّط شرّاً يَشْتار عَسَلاً في غار من بلاد هذيل ، يأتيه كلّ عام ، وأنّ هذيلاً ذكرته ، فرصدوه لإبّانِ ذلك ، حتى إذا جاءَ هو أَصحابُه تدلّى ، فدخل الغار ، وقد أغاروا عليهم فأنفروهم ، فسبقوهم ووقَفوا على الغار ، فحرّكوا الحبل ، فأطلع تأبّط شرّاً رأسه ، فقالـوا : اصعد ، فقال : ألا أراكم ، قالوا : بلى قد رأيتنا . فقال : فعلام أصعد ، أعلى الطَّلاقة أم الفداء ؟ قالوا : لا شرط لك ، قال : فأراكم قاتليّ وآكلي جَنايَ ، لا والله لا أفعل ، قال : وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً أعدّه للهرب ، فجعل يُسيِل العسل من الغار ويُهريقه ، ثم عمد إلى الزّقّ فشدّه على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليماً وفاتهم ، وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث ، فقال تأبّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

أَقول للحيانٍ وقد صَفِرت لهم ... وِطابي ويَوْمي ضَيّق الحَجْر مُعوِرُ[6]

---

1 المعيّل : ذو العيال .

2 قوقل في ل : نوفل .

3 قوقل : أبو بطن من الأنصار .

4 اللقاح : النوق الحوامل .

5 السديف : لحم السنام . والمرعبل : المقطع .

6 صفرت : خلت . والوطاب : جمع وطب ؛ وهو سقاء يتّخذ من الجلد . ومعور أي بيّن العور . والحجر : الناحية .

هما خُطَّتا إمّا إسارٌ ومِنَّةٌ وإمّا دَمٌ والقتلُ بالحُرِّ أجدَرُ[1]
وأُخرى أصادِي النّفسَ عنها وإنّها لمورِدُ حَزْمٍ إن ظَفِرت ومَصدَرُ[2]
فرَشْتُ لها صدري فزَلَّ عن الصّفا بـه جؤجؤٌ صَلْبٌ ومتنٌ مُخصَّرُ[3]
فخالطَ سهلَ الأرض لم يكدح الصَّفا بـه كَدْحَـةً والموتُ خَزيانُ يَنْظُرُ
فأُبْتُ إلى فَهْـمٍ وما كنتُ آئباً وكم مثلها فارقتُها وهـي تَصْفِرُ[4]
إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جَـدَّ جِدّه أضاع وقاسى أَمـرَه وهـو مُدبِرُ
ولكن أخُو الحزْم الذي ليس نازلاً بـه الأمرُ إلاّ وهْو للحزمِ مُبْصِرُ
فذاك قَرِيعُ الدَّهرِ مـا كان حوَّلا إذا سُدَّ منـه مَنْخِرٌ جاش مَنْخَرُ
فإنّك لـو قايَسْت باللِّصب حِيلَتي بلُقْمان لم يُقصِرِ بي الدهرَ مُقْصِرُ[5]

[غارة ينتصر فيها على العوص]

وقال أيضاً في حديـث تأبَّط شرّاً : إنّـه خرج في عِدَّة من فَهْم ، فيهم عامر بن الأخنس ، والشّنفرى ، والمُسيَّب ، وعمرُو بن برّاق ، ومُرَّة بن خليف ، حتي يبيتوا العوص وهم حيٌّ من بجيلة ، فقتلوا منهم نفراً ، وأخذوا لهم إبلاً ، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة ، فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز ، وهو رئيس القوم ، وهم يومئذٍ نحو من أربعين رجلاً ، فلمّا نظرت إليهم صعاليك فَهْم قالوا لعامر بن الأخنس : ماذا ترى ؟ قال : لا أرى لكم إلاّ صدق الضِّراب ، فإن ظفرتم فذاك ، وإن قُتِلْتُم كنتم قد أخذتم ثأركم ، قال تأبّط شرّاً : بأبي أنت وأمّي ، فنعم رئيسُ القوم أنتَ إذا جدّ الجدّ ، وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإنّي أرى لكم أنْ تحملوا على القوم حملةً واحدة فإنّكم قليل والقوم كثير ، ومتى افترقتم كثركُم القومُ ، فحملوا عليهم فقَتلوا منهم في حملتهم ، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت ، وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز ، فقال تأبّط شراًّ في ذلك : [من الطويل]

جَزى الله فِتياناً على العوْص أَمطرت سَماؤُهـم تحـت العَجاجـة بـالدَّمِ

1 في الديوان 89 : لكم خصلة إمّا فداء ومنّة . بالحر في الديوان 89 : المرء .
2 أصادي النفس عنها : أي أحدثها بها . لمورد في ل : لفرصة . وفي الديوان 141 : لخُطّة حزم إن فعلت .
3 زلّ : انزلق . والجؤجؤ : عظام الصدر .
4 وهي تصفر : كناية عن النّدم .
5 اللصب : الشعب في الجبل . لقمان : صاحب قصة النسور المشهورة ، وفي ل وفي الديوان 88 : لحيان .

وقـد لاحَ ضَوءُ الفجرِ عَرْضاً كأنّه بلَمْحته إقـراب أَبْلَـق أَدْهَـمِ[1]
فـإنَّ شِفـاءَ الدّاء إدراك ذَحْلَـةٍ صباحـاً على آثـارِ حـوم عَرَمْرَمِ[2]
وضاربْتُهم بالسفحِ إذ عارَضَتْهُـمُ قبائـلُ مـن أَبناء قسرٍ وخثعـمِ[3]
ضِرابا عَدا منـه ابنُ حاجزَ فارتقى ذُرا الصَّخر في جوف الوجين المُديَّمِ[4]

وقال الشَّنفرى في ذلك : [من الطويل]

دَعيني وقُـولي بَعـدُ ما شئتِ إنَّني سَيُغـدَى بنَعْشي مـرّةً فـأُغيَّبُ
خرجنا فلم نعهـدْ وقَلَّـت وصاتنا ثمانيـةٌ مـا بعدهـا مُتَعَتَّـبُ
سراحِـينُ فتيـانٍ كأَنّ وُجوهَهـم مصابيحُ أو لـونٌ من المـاءِ مذهبُ
نَمُرّ برَهـْو الماءِ صَفْحاً وقد طَوَتْ ثمائِلُنـا والـزّادُ ظَـنٌّ مُغيَّبُ[5]
ثلاثـاً على الأقـدامِ حتى سما بنا على العَوْص شَعْشاعٌ من القومِ مِحْربُ[6]
فثـاروا إلينـا في السوادِ فهَجْهَجُوا وصَوَّت فينـا بـالصّباح المُثوّبُ[7]
فشنَّ عليهـم هِـزّةَ السيف ثابتٌ وصَمَّم فيهـم بـالحُسام المُسيِّبُ
وظَلْـتُ بفتيـانٍ معـي أتّقيهـمُ بهـنّ قليـلاً ساعـة ثـم جنّبوا[8]
وقـد خَـرّ منهـم راجلان وفارسٌ كمـيٌّ صرعنـاه وحَـوْم مسلّبُ[9]
يَشُقُّ إليـه كلّ رَبْـعٍ وقَلْعَـةٍ ثمانيـةٌ والقـوم رَجْـلٌ ومِقْنبُ[10]
فلمّـا رآنـا قومنـا قيـل أَفلَحُوا فقلنـا : اسألوا عن قائلٍ لا يُكَذَّبُ

1 أقرب المهر : دنا وفي الديوان 208 أقراب أي الخواصر . والأبلق : ما فيه بياض وسواد ، والأدهم : الأسود .
2 الذحلة : الثأر . الحوم : الجماعة . والعرمرم : الكثير .
3 قسر وخثعم : قبيلتان .
4 الوجين : شط الوادي . المديم : الممطور وفي الديوان 208 : حَدْر الرجيل بدل : جوف الوجين .
5 رهواً : يسير سيراً هيّناً . والثمائل : جمع ثميلة ، وهي الحبّ أو السويق أو التّمر .
6 الشعشاع : الطويل . والمحرب : المدرب على الحرب .
7 الهجهجة : صياح الجيش عند القتال . وثوّب : رجع .
8 جنبوا : انكشفوا .
9 حوم : جمع . ومسلب : عليه سلب كثير أي مدجج بالسلاح .
10 يشق إليه في الطرائف الأدبية وديوان الشنفرى 32 : يُشَنُّ إليه . ورجل : جمع راجل . والمقنب : الخيل يبلغ عددها أربعين .

وقال تأبّط شرّاً في ذلك : [من الوافر]

أرى قدمَيَّ وقعهُما خَفيفٌ كتحليل الظَّليم حَدا رِئالَه[1]
أرى بهما عذاباً كلَّ يومٍ بخَثْعَم أو بَجِيلَةَ أو ثُمالَه[2]

فَفَرَّق تأبَّطَ شرّاً أصحابَه ، ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم ، وساق تأبَّط شرّاً وأصحابُه الإبلَ حتى قدم بها عُلْيَا مكّة .

[عود إلى سبب تسميته]

وقال غيره : إنّما سمّي تأبّط شرّاً ببيت قاله ، وهو : [من الطويل]

تأبَّطَ شرّاً ثم راح أو اغتدَى يُوائم غُنْما أو يَشِيفُ على ذَحْلِ

[غارته على مراد]

قال : وخرج تأبّط شرّاً يوماً يريدُ الغارةَ ، فلقيَ سَرْحاً لمراد فأطرده ، ونذرت به مراد ، فخرجوا في طلبه ، فسبقهم إلى قومه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

إذا لاقيتَ يومَ الصّدق فاربَع عليه ولا يَهمّك يومُ سَوِّ
على أنّي بِسَرْح بني مرادٍ شجوتُهم سِباقاً أيَّ شجوِ
وآخر مثله لا عيبَ فيه بَصَرتُ به ليوم غيرِ زوِّ[3]
خَفَضتُ بساحةٍ تجري علينا أباريق الكرامة يومَ لَهْوِ[4]

[مع غلام من خثعم]

أغار تأبّط شرّاً وحده على خثعم ، فبينا هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيّد الأرانبَ ، معه قوسُه ونبلُه ، فلمّا رآه تأبّط شرّاً أهوى ليأخذه ، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى وضربه تأبّطَ شرّاً فقتله ، وقال في ذلك : [من الطويل]

وكادت وبيتِ الله أطناب ثابت تقوّضُ عن لَيْلى وتبكي النَّوائحُ
تمنّى فتى منّا يلاقي ولم يَكد غلامٌ نَمَتْه المُحْصنات الصَّرائحُ[5]

1 التحليل : ضرب من المشي . والرأل : ولد النعامة . وفي البيتين في الديوان 198 رأى بدل أرى ودعا بدل حدا .
2 خثعم وبجيلة وثمالة : قبائل . وكل عام في الديوان 198 بدل كل يوم .
3 الزوّ : القرينان .
4 الكرامة : غطاء رأس الحب .
5 الصرائح : الخالصات النسب .

غلام نَمى فوق الخماسيِّ قدره ... ودون الذي قد تَرْتَجيه النَّواكحُ[1]
فإن تكُ نالتـه خطاطِيف كفِّـه ... بأبيض قصّال نمى وهـو فادِحُ[2]
فقـد شد في إحدى يديـه كِنانه ... يُداوى لها في أسود القلب قادحُ[3]

هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبّط شرّاً .

[قالوا لها لا تنكحيه]

قال : وخطب تأبَّط شرّاً امرأة من هذيل من بني سَهْم فقال لها قائل : لا تنكحيه فإنّه لأوّل نصل غداً يُفقَد فقال تأبّط شراً : [من الطويل]

وقالـوا لهـا : لا تَنكَحِيـه فإنّه ... لأوّل نَصْـل أن يُلاقـي مَجْمَعا
فلم تَـرَ مِنْ رأيٍ فتيلاً وحاذرت ... تأيّمها مـن لابس الليـل أرْوَعا[4]
قليلِ غِـرارِ النّـوم أكبرُ همّه ... دَمُ الثّأر أو يلقـى كَمِيّا مُقَنَّعا[5]
قليلِ ادّخـارِ الزّادِ إلاّ تَعِلَّـة ... وقد نشزَ الشُّرسُوفُ والتصق المِعى[6]
تُناضِلـه كلٌّ يشجّـع نفسَه ... ومـا طبُّـه في طرْقه أن يُشجَّعا
يبيت بمغنى الوحش حتى أَلِفْنه ... ويصبح لا يحمي لها الدهرَ مرتعا
رأين فتًـى لا صَيْدُ وحش يهمّه ... فَلَوْ صافحت إنساً لصافَحْنَه معا
ولكنّ أربـابَ المخاض يشقّهم ... إذا افتقـدوه أو رأوه مُشيّعا[7]
وإنّـي ، ولا عِلـمٌ ، لأَعلَمُ أنّني ... سأُلقى سِنانَ الموت يرشُق أضلعا[8]
على غِـرّةٍ أو جَهْرةٍ من مُكاثِرٍ ... أطال نِزالَ الموت حتى تَسَعْسَعا[9]

تسعسع : فنى وذهب . يقال : قد تسعسع الشَّهْر ، ومنه حديثُ عُمَر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال : «إنّ هذا الشهر قد تَسَعْسَع» .

1 الخماسي : الغلام طوله خمسة أشبار .
2 الخطاطيف : جمع خطاف ، وهو الحديدة الحجناء . والقصّال : السيف القاطع .
3 الكنانة : جعبة السهام .
4 الفتيل : الخيط في شق النواة . ولابس الليل : كثير الغارات ليلاً . وأروع : ذكي الفؤاد .
5 غرار النوم : النوم الخفيف .
6 الشرسوف : الطرف الليِّن من الضلع ممّا يلي البطن .
7 يشقّهم : يؤرّقهم .
8 يرشق أضلعاً : كناية عن الموت .
9 مكاثر : كثير الغارات .

وكنتُ أظنّ الموت في الحيّ أو أرى أَلَذّ وأُكرى أو أَموتَ مُقَنَّعا[1]
ولست أَبيتُ الدَّهرَ إلاّ على فتى أُسلّبه أو أُذعِرُ السِرْبَ أَجمَعا
ومَن يَضربُ الأَبطالَ لا بدّ أَنّه سيَلْقى بهم مِنْ مَصْرع الموت مَصْرعا

[فراره بعد أن خلف صاحبيه]

قال : وخرج تأَبَّطَ شرّاً ومعه صاحبان له : عمرو بن كلاب أَخو المسيّب ، وسعد بن الأَشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذِروا بهم ، وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأَخذوا عليهم الطَّريق ، فقاتلوهم فَقُتِل صاحبا تأبّطَ شرّاً ونجا ، ولم يكد حتى أتى قومه . فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح : هَرَبْتَ عن أخي وتركتَه وغررته ، أما والله لو كنت كريماً لما أَسلمته ، فقال تأبّطَ شرّاً في ذلك : [من الطويل]

أَلا تِلكما عِرْسي مَنيعة ضُمِّنَت من اللهِ خِزيـاً مُسْتَسِرّاً وعاهنا

وذكر باقي الأَبيات .

وإنّما دعا امرأَتَه إلى أَن عَيَّرَتْه أَنّه لمّا رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدّث عندها ، وهي من بني القَيْن بن فهم ، فبات عندها ، فلمّا أُصبح غدا إلى امرأته وهو مُدَّهن مُتَرجّل ، فلمّا رأته في تلك الحال علمت أَين بات ، فغارت عليه فعيّرته .

[يغير على خثعم]

وذكروا أنّ تأبّط شرّاً أَغار على خثعم ، فقال كاهن لهم : أَروني أَثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه ، فكفأوا على أثره جَفْنة ، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلمّا رأى أثره قال : هذا ما لا يجوز في صاحبه الأُخَذ ، فقال تأبّط شرّاً : [من الوافر]

أَلا أَبلغ بني فَهْم بن عمرو على طولِ التَّنائي والمَقالَهْ
مَقال الكاهن الجامِيّ لمّا رأى أَثري وقد أُنهِبتُ مالَهْ
رأَى قدمَيّ وقعُهما حثيثٌ كتحليل الظليم دعا رئالهْ
أُرى بهما عذاباً كلَّ عام لخثعمَ أَو بجيلةَ أو ثُمالَهْ
وشرٌّ كان صُبَّ على هذيل إذا علِقت حِبالهُمُ حِبالَهْ
ويَومُ الأزد منهم شرّ يوم إذا بَعُدوا فقد صَدَّقتُ قالَهْ

1 أكرى : أزيد . المقنّع : مَن يلبس البيضة على رأسه .

فزعموا أنّ ناساً من الأزد ربئوا لتأبّط شرّاً ربيئة[1] وقالوا : هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره ، فأقيموا فيه حتى يأتيَكم ، فلمّا دنا من القوم توجّس ، ثم انصرف ، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز ، ومرّ قريباً فطمعوا فيه ، وفيهم رجل يقال له حاجز ؛ ليث من ليوثهم سريع ، فأغروه به فلم يلحقه ، فقال : تأبّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

تَتعتعتُ حِضْنَيْ حاجزٍ وصحابِه وقد نبـذوا خُلقانَهم وتشنَّعوا[2]
أظنُّ وإن صادفتُ وعثاً وأنْ جرى بيَ السهلُ أو متنٌ من الأرضِ مَهْيَعُ
أجارِي ظلالَ الطير لو فات واحدٌ ولو صدقوا قالوا لـه هـو أسرعُ
فلـو كان من فتيان قيسٍ وخِنْدفٍ أطاف به القُنّاصُ من حيث أُفزِعوا
وجاب بـلاداً نصفَ يـوم وليلة لآبَ إليهم وهـو أشوسُ أرْوَعُ[3]
فلـو كان منكم واحـدٌ لكُفيتُه وما ارتجعوا لو كان في القومِ مطمعُ

فأجابه حاجز : [من الطويل]

فإن تـكُ جارَيْتَ الظلال فربّما سُبِقْتَ ويومُ القِرْن عُريان أسْنَعُ[4]
وخلَّيْتَ إخـوان الصفاء كأنّهم ذبائحُ عَنزٍ أو فَحِيـلٌ مُصرَّعُ[5]
تبكِّيهمُ شجوَ الحمامـة بعدمـا أرحْتَ ولَم تُرفَع لهم منك إصْبَعُ
فهذي ثلاثٌ قـد حويت نجاتَها وإن تنـجُ أخرى فهي عندك أربعُ

[خير أيّامه]

أخبرني عمِّي قال : حَدَّثنا عَبدُ الله بن أبي سَعْد قال ذكر عليُّ بن محمد المدائنيُّ ، عن ابن دأْب قال : سئل تأبّط شرّاً : أيّ يوم مرَّ بك خير ؟ قال : خرجت حتى كنت في بلاد بَجيلة ، أضاءت لي النّارُ رجلاً جالِساً إلى امرأة . فعَمَدتُ إلى سيفي فدَفَنْته قريباً ، ثم أقبلتُ حتى استأْنَسْت ، فنبحني الكَلبُ ، فقال : ما هذا ؟ فقُلتُ : بائِس . فقال : ادنُه ، فدنَوْتُ ، فإذا رَجُلٌ جِلْحاب آدم[6] ، وإذا أُضْوى[7] النّاس إلى جانبه ، فشكوتُ إليه الجوعَ والحاجةَ ، فقال :

---

1 ربئوا ربيئة : أقاموا عليه جاسوساً .
2 شنّع الخرقة : شعثها .
3 أشوس هنا أي ينظر بمؤخّر عينه غيظاً .
4 القرن : القرين المنافس . عريان : صحو لا غيم فيه . أسنع : أفضل .
5 الفحل : فحل الإبل إذا كان كريماً .
6 جلحاب : ضخم ، آدم : أسمر .
7 أضوى : الضوى دقّة العظم وقلّة اللحم .

اكْشِف تلك القَصْعة ، فأَتيت قَصْعَة إلى جَنْب إبله ، فإذا فيها تَمْر ولبن ، فأَكلتُ منه حتى شَبِعْت ، ثم خَررتُ مُتناوماً ، فوالله ما شئت أن أضْطَجع حتى اضْطَجع هو ورفع رِجله على رِجْله ثم اندفع يُغنِّي وهو يقول : [من الكامل]

خَيرُ اللَّيـالي إن سأَلت بليلة ... لَيـل بخيْمة بين بِيشَ وعَثَّرِ[1]
لِضَجيـعِ آنسةٍ كأَنَّ حَدِيثَها ... شَهدٌ يُشاب بمزجةٍ من عَنْبَرِ
وضجيعِ لاهيةٍ أُلاعِـب مِثلَها ... بيضاءَ واضحـةٍ كَظَيظ المِئْزَرِ
ولأَنْـتَ مثلُهما وخَيْرٌ منهما ... بعد الرُّقاد وقبل أَن لم تُسْحِري

قال : ثم انْحَرَف فَنام ، ومالَت فَنامَت : فَقلتُ : ما رأَيتُ كاللَّيلةِ في الغِرَّة ، فإذا عَشْر عُشْراوات[2] بين أَثلات فيها عبد واحد وأَمَة ، فوَثبتُ فانْتَضَيت سَيْفي ، وانتَحَيْت للعَبْد فَقَتَلْته وهو نائم ، ثم انحرَفْت إلى الرَّجل فوضَعْت سَيفي على كَبِده حتى أَخرجتُه من صُلْبه ، ثم ضَرَبْت فَخِذ المرأة فجَلَستْ ، فلمّا رأَتْه مَقْتُولاً جَزِعَت ، فقلت : لا تَخافي ، أَنا خير لك منه . قال : وقُمْت إلى جُلّ متاعها فرحلْته على بعض الإبل أنا والأمَة فما حللتُ عَقْده حتى نزلت بصَعْدة بَني عَوْف بن فِهْر ، وأعرستُ بالمرأة هناك وحين اضطجعت فتحت عقيرتي وغَنَّيت : [من الكامل]

بحَليلة البجليّ بِـتُّ مِـن ليلِها ... بين الإزارِ وَكَشْحِها ثم الصَقِ
بأَنيسةٍ طُويـت على مَطْويّهـا ... طيَّ الحمالـةِ أُو كطيّ المِنْطَقِ[3]
فـإذا تقـوم فصَعدةٌ في رَمْلَة ... لبَدَت بريّـق دِيمـة لم تُغدِقِ[4]
وإذا تجيءُ تجيء شحب خلفها ... كالأَيْم أَصْعَـدَ في كَثِيبٍ يَرْتَقِي[5]
كَـذَب الكَواهِنُ والسَّواحِرُ والهُنا ... أَن لا وفـاء لعاجِـزٍ لا يَتَّقِي

قال : فهذا خَيْرُ يوم لَقِيتُه .

[شر أيّامه]

وشَرُّ يوم لَقيت أَنّي خَرجتُ ، حتى إذا كنتُ في بلاد ثُمالَة أَطوف ، حتى إذا كُنتُ

1 خيمة وبيش وعثر : أماكن .
2 عشراوات : جمع عَشْراء .
3 الحمالة : حمالة السيف ، والمنطق : ما يتمنطق به .
4 الصّعدة : القناة المستوية . لبدت : تلبدت .
5 الشحب : العمود .

من الفقير[1] عشيّاً إذا أنا بسبع خلِفات[2] فيهن عَبْد ، فأقبلت نحوَه وكأنّي لا أُريدُه وحذرني فجعل يَلُوذُ بناقة فيها حمراء ، فَقلتُ في نَفسي : والله إنه ليَثِق بها . فأفوّق له ، ووضع رِجلَه في أَرْجُلِها وجعل يدور معها ، فإذا هو على عَجُزها . وأرميه حين أشْرف فوضعتُ سَهْمي في قلبه فَخرَّ ، وندَّت الناقةُ شيئاً وأتبعتُها فرجَعَت فسقتهنَّ شيئاً ثم قلت : واللهِ لو رَكِبْت الناقَة وطردتهنّ ، وأخذت بعُثْنون[3] الحمراء فوثبت ، فساعة استويت عليها كرَّت نحو الحيّ تريع وتَبِعَتها الخِلفات ، وجَعلتُ أُسَكِّنها وذهبت ، فلمّا خَشِيت أن تطرحَني في أيدي القوم رَميتُ بنَفْسي عنها ، فانكسَرَت رِجْلي ، وانطلقتْ والذَّودُ[4] معها . فخرجْتُ أعرّج ، حتى انْخَنَسْتُ في طرف كثيب وجازني الطَّلب ، فمكثْت مكاني حتى أظْلمت ، وشَبَّت لي ثلاثةُ أنوار فإذا نار عَظِيمة ظَنَنْت أنّ لها أهلاً كثيراً ، ونارٌ دُونَها ، ونُويْرة صغيرة ، فهَويت للصُّغْرى ، وأنا أجمِز[5] ، فلمّا نبحني الكلبُ نادى رجل فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت : بائِس ، فقال : ادنُهْ ، فدَنَوتُ وجلست وجَعل يُسائِلُني ، إلى أنْ قال : والله إنِّي لأَجِد منك ريح دم . فقلت : لا واللهِ ، ما بي دَمٌ . فوثب إليَّ فنفضني ، ثم نَظَر في جعبتي فإذا السهم ، فقُلت : رمَيت العشيّةَ أرنباً فقال كذبت ، هذا ريحُ دم إنسان ، ثم وَثَب إليَّ ولا أدفَعُ الشَّرَّ عن نفسي فأوثَقني كِتافاً ، ثم علَّق جعبتي وقوسي ، وطرحَني في كِسْر البَيْتِ ونام ، فلمّا أسحرتُ حرَّكْت رِجْلي ، فإذا هي صالِحة وانْفتَل الرِّباط فحلَلْته ، ثم وثبت إلى قوسي وجعْبتي فأخذتُهما ثم هَممْت بقَتْله فَقلت : أنا[6] ضَمِنُ الرِّجل ، وأنا أخشى أن أُطلَب فأدرَك ولم أقتُلْ أحداً أحبّ إليّ ، فولَّيت ومَضَيت . فوالله إنِّي لَفِي الصَّحراء أُحدِّثُ نفسي إذا أنا به على ناقةٍ يتبعُني ، فلمّا رأيتُه قد دنا منِّي جلست على قوسي وجعْبتي وأمنته ، وأقبل فأناخ راحِلَته ثم عقلها ، ثم أقبل إليَّ ، وعهدُه بي عهدُه ، فقلت له : ويلك ، ما تُريد مِنّي ؟ فأقبل يَشتمُني ، حتى إذا أمكَنَني ، وثَبتُ عليه فما أَلبَثْتُه أن ضَربتُ به الأرض ، وبَركت عليه أربطه ، فجعل يصيح : يا لثمالة ، لم أرَ كاليوم . فجَنْبتُه إلى ناقته وركبْتُها ، فما نزعت حتى أحللتُه في الحيّ ، وقلت : [من الطويل]

1 الفقير : علم على الماء .

2 الخلفات : جمع خلفة ، وهي الناقة الحامل .

3 العثنون : شعيرات طوال تحت حنك الناقة أو البعير .

4 الذود : جماعة الإبل .

5 يجمر : يثب كالجواد في القيد .

6 يقال جواد ضمن : أي متلكىء لا يسير إلاّ بالضرب .

أغرَّك منّي يا ابنَ فَعْلة عِلَّتي عَشِيَّةَ أن رابت عليَّ روائِبي[1]
ومَوْقَد نيران ثَلاثٍ فشَرُّها وألأَمُها إذ قُدْتُها غير عازِبِ[2]
سلبتَ سِلاحي بائِساً وشَتَمْتَني فيا خَيْر مَسْلُوب ويا شَرَّ سالِبِ
فإن أكُ لم أخْضِبك فيها فإنّها نُيوبُ أساوِيد وشَوْل عَقارِبِ[3]
ويا رَكْبة الحَمراء شَرَّة رَكْبةٍ وكادَتْ تكون شَرّ ركبةِ راكِبِ[4]

قال : وخرج تأبَّط غازياً يُريد الغارةَ على الأَزْدِ في بعض ما كان يُغِير عليهم وحده ، فنذرت به الأَزْد ، فأهمَلوا له إبلاً ، وأمروا ثلاثةً من ذوي بأسِهم : حاجزَ بن أُبيّ ، وسَوادَ بن عمرو بن مالك ، وعَوْف بن عبد الله ، أن يتبعوه حتى ينام فيأخذُوه أخْذاً ، فكمنوا له مَكْمَناً ، وأقبل تأبّطَ شرّاً فبصُرَ بالإبلِ ، فطردها بعضَ يومِه . ثم تركها ونهض في شِعْب لِيَنْظُر : هل يطلُبه أحدٌ ؟ فكمن القومُ حين رأوْه ولم يرهُم ، فلمّا لم يَرَ أحداً في أثره عاود الإبل فشَلَّها[5] يومه ولَيْلَته والغد حتى أمسى ، ثم عَقَلها ، وصنع طعاماً فأكله ، والقومُ يَنْظُرون إليه في ظلّه ، ثم هيّأ مُضْطَجعاً على النّار ، ثم أخمَدَها وزحف على بطنِه ومعه قوسُه ، حتى دَخَل بين الإبل ، وخَشي أن يكونَ رآه أحد وهو لا يَعْلَم ، ويأْبى إلاّ الحذر والأخْذ بالحَزْم ، فمَكث ساعة وقد هيّأ سَهْماً على كَبدِ قَوسِه ، فلمّا أحَسُّوا نومَه أقبلوا ثلاثَتُهم يؤمّون المِهادَ الذي رأواه هيّأه ، فإذا هو يرمي أحدهم فيقتلُه ، وجال الآخران ، ورَمى آخَر فقتَله ، وأفْلَتَ حاجزٌ هارباً ، وأخذ سَلَب الرَّجُلَين ، وأطلق عقل الإبل وشلَّها حتى جاء بها قومه ، وقال تأبّطَ في ذلك : [من الطويل]

تُرَجّي نِساءُ الأَزْدِ طلعةَ ثابتٍ أَسيراً ولم يَدْرِين كيف حَوِيلي[6]
فإنّ الأُلى أَوصَيْتُم بَيْن هارِبٍ طَرِيدٍ ومَسْفُوح الدِّماء قَتِيلِ
وخدتُ بهم حتى إذا طال وَخْدُهم ورابَ عليهم مَضْجَعِي وَمَقِيلي[7]

1 الروائب : جمع رائبة أي الحادثة المؤذية .
2 غير عازب : غير منصرف عنها .
3 الأساويد : الحيّات . وشول العقارب : العقارب التي ترفع أذنابها .
4 الحمراء : يشير إلى ناقة . شرّة في الديوان 63 : يا شرّ .
5 شلّ الإبل : طردها .
6 الحويل : الاحتيال والمهارة .
7 الوخد : ضرب من السير ، وراب عليهم : التبس عليهم .

مَهدتُ لهم حتى إذا طاب رَوعُهم إلى المَهْـدِ خاتلْـت الضيّا بِخَتِيلِ
فلمّا أحسُّوا النّوم جاءُوا كأنّهم سِباعٌ أُصابـت هجمـةً بِسَلِيلِ [1]
فقلّدتُ سَوَّارَ بنَ عَمْرو بنِ مالِكٍ بـأَسْمَرَ جَسْر القُذَّتـين طَمِيلِ [2]
فخَـرَّ كأَنَّ الفِيلَ أَلقـى جِرانَه عليـه بريّـان القِـواءِ أُسيلِ [3]
وظل رعاع المَتْن من وقع حاجز يخـرُّ ولـو نَهْنَهْتَ غَيْر قَلِيلِ [4]
لأبتَ كما آبـا ولـو كُنتَ قارِناً لجئتَ وما مالكتَ طول ذَمِيلي [5]
فَسرَّكَ نَدْمانـاك لَمّـا تَتابعـا وأنَّك لم تَرْجِـع بعَوْص قَتِيلِ [6]
سَتأتي إلى فَهْـمٍ غَنِيمَـةُ خلْسَة وفي الأزد نَـوْحُ وَيْلـةٍ بِعَوِيلِ [7]

فقال حاجِز بن أبيّ الأزديّ يُجيبُه : [من الوافر]

سألتُ فلـم تُكلِّمني الرُّسوم

وهي في أشعار الأزد .

فأجابه تأبَّطَ شَرّاً : [من الوافر]

لقـد قـال الخليُّ وقال خَلْساً بظهـر الليـل شُدَّ به العُكومُ [8]
لِطَيفٍ مـن سُعادَ عَناك منها مُراعاةُ النُّجوم ومَـنْ يَهيمُ
وتلك لئن عُنِيتَ بهـا رَداحٌ من النّسوان مَنْطِقُهـا رَخِيمُ [9]
نِيـاقُ القُرطِ غَـرَّاءُ الثّنايا ورَيْداءُ الشّباب ونِعْم خيمُ [10]
ولكن فاتَ صاحبُ بَطْنِ رَهْوٍ وصاحِبـه فأنـتَ بـه زَعِيمُ

1 السّليل : وسط الوادي .
2 الأسمر : يريد السهم . والجسر : الضخم . والقذة : ريش السهم . والطميل : العريض النصل .
3 الجران : المقدم العنق . وفي الديوان 189 : فتـى شهـم الفـؤاد . والقواء : الأرض القفـر . والأسيـل : المستـوي الأملس .
4 الرعاع : مَن لا فؤاد له . حاجز : اسم رجل . غير في الديوان 189 سوق .
5 المقارن : حامل النبل أو السيف . والذميل : نوع من السير .
6 العوص : الشدّة أو الداهية .
7 ويلة في الديوان 190 : خلة .
8 الشطر الأول في الديوان 201 : يقول لي الخليُّ وباتَ جَلْساً . العكوم : ما تشدّ به الرحال .
9 الرداح : الممتلئة الجسم .
10 نياق في الديوان 202 : نياف . وخيم : الصِّفات .

أُؤاخِـذُ خُطَّـة فيهـا سواء ... أَبيتُ وَليـلُ واترهـا نَؤُومُ
ثأرتُ بـه وما اقْتَرفَت يَداه ... فظَلَّ لهـا بنا يـومٌ غَشُومُ[1]
نَحِـزٌ رِقابَهـم حتـى نَزَعْنا ... وأنـفُ المَـوْت مَنْخِرُه رَمِيمُ
وإن تَقـع النّسورُ عليَّ يوْماً ... فلَحْم المعْتفِـي لَحْـم كَرِيمُ[2]
وَذِي رَحمٍ أَحالَ الدَّهْر عنـه ... فلَيْسَ له لـذي رَحِمٍ حَرِيمُ[3]
أَصاب الدَّهـرُ آمـنَ مَرْوَتَيْه ... فأَلقـاه المصاحِـب والحَمِيمُ[4]
مَددتُ لـه يَميناً من جَناحي ... لهـا وَفـرٌ وكافِيَـةٌ رَحُومُ[5]
أُواسِيـه على الأَيَّـام إنِّي ... إذا قَعَـدت بـه اللُّؤما أُلومُ

[موت أخيه عمرو]

ذكروا أنّه لمّا انصرف الناس عن المُستَغَلّ ؛ وهي سوق كانت العرب تجتمع بها ، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبَّطَ شرّاً لَمن حضر من قومه : لا واللات والعُزى لا أرجع حتى أغير على بني عُتَيْرٍ من هذيل ، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما ، فأطردوا إبلاً لبني عُتَير فأتبعهم أرباب الإبل ، فقال عمرو : أنا كارٌّ على القوم ومُنَهْنِهم عنكما ، فامْضيا بالإبل . فكَرَّ عليهم فنهنهم طويلاً ، فجَرَح في القوم رئيساً ، ورماه رجل من بني عُتَيْر بسهم فقتله ، فقالت بنو عُتَير : هذا عمرو بن جابر ، ما تَصْنَعُون أن تلحقوا بأصحابه ؟ أبعدها اللهُ من إبل ، فإنّا نخشى أن نَلحقهم فيقتل القومُ منّا ، فيكونوا قد أخذوا الثّأر ، فرجعوا ولم يُجاوزوه . وكانوا يَظنّون أنّ معه أُناساً كثيراً ، فقال تأبَّطَ لمّا بلغه قَتلُ أخيه : [من الوافر]

وحرّمتُ النساءَ وإن أُحلّت ... بشَور أَو بمـزج أَو لِصابِ[6]
حياتـي أو أَزور بنـي عُتَير ... وكاهلها بجَمْع ذي ضَبابِ
إذا وَقعـت لكَعْب أَو خثيمٍ ... وسيار يَسُوغ لهـا شَرابي[7]

1 اليوم الغشوم : الظلوم لكثرة من مات فيه .
2 المعتفي : الرائد ، أو طالب الفضل .
3 أحاله الدهر عنه : تحول عنه .
4 أمن مروتيه : يعني آمن حصنيه .
5 وكافية رحوم في الديوان 204 : وخافيةٌ رخومُ .
6 وحرّمتُ النساء في الديوان 68 : وحرّمت السِّباء . الشّور : العسل . والمزج : نوع منه أيضاً . واللصاب : شجر مرّ .
7 خثيم في الديوان 70 : قُرَيْم . في الديوان : وسيّار فقد ساغ الشّراب .

أظُنّـي ميّتـاً كَمـداً ولَمّا ... أُطالِعْ طلعـةً أهـلَ الكِرابِ[1]
ودُمْتُ مُسَيَّراً أهـدي رعيلاً ... أؤُمُّ سوادَ طَـوْدٍ ذي نِقابِ[2]

فأجابه أنسُ بنُ حذيفةَ الهُذَلِيُّ : [من الوافر]

لعلّـك أن تَجِيءِ بك المَنايا ... تُساق لِفِتْيـة منّـا غضابِ
فتنزلَ في مَكَرِّهـمُ صريعـاً ... وتنزلَ طُرْقةَ الضّبُع السّغابِ[3]
تأبَّـطَ سَوْأةً وحملـتَ شرّاً ... لعلّك أن تكون من المُصابِ[4]

[أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو]

ثم أنَّ السِّمع بن جابر أخا تأبَّطَ شرّاً خرج في صَعاليك من قومه يريد الغارة على بني عُتير ليثأر بأخيه عَمْرو بن جابر ، حتى إذا كان بِبلاد هذيل لَقِي راعياً لهم ، فسأله عنهم ، فأخبره بأهل بَيْت من عُتَير كثيرٍ مالُهم ، فبيَّتهم ، فلم يُفلِت منهم مُخبِر ، واستاقوا أموالَهم ، فقال في ذلك السِّمع بنُ جابِر : [من الوافر]

بأعلى ذي جماجم أهلُ دارٍ ... إذا ظَعَنت عشيرتُهـم أقاموا[5]
طرقْتُهُـم بفتيـانٍ كِـرامٍ ... مَساعِيرٍ إذا حَمِـي المُقـامُ
متى مـا أدعُ من فَهْم تُجِبْني ... وعـدوان الحمـاةِ لهـم نِظامُ

[إصابته في غارة على الأزد]

ذكروا أنَّ تأبَّطَ شرّاً خرج ومعه مُرّة بن خُلَيف يريدان الغارة على الأزد ، وقد جعَلا الهِدايةَ بينهما ، فلمّا كانت هداية مُرّة نعس ، فجار عن الطريق ، ومضيا حتى وَقَعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب ، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها ؛ وإذا البيض والفراخ بظهور الأكَم ، فقال تأبَّطَ شرّاً : هلكنا واللاّتِ يا مرّة ، ما وَطِيء هذا المكان إنسٌ قبلنا ، ولو وَطِئَته إنسٌ ما باضَتْ الطَّيرُ بالأرض ، فاختَر أيّة هاتين القُنَّتين شِئْت ، وهما أطول شيء يُريان من الجبال ، فأصعدُ إحداهما وتصعد أنت الأخرى ، فإن رأيت الحياة فألِحْ بالثوب وإن رأيت الموت فألِح بالسيف ، فإنّي فاعل مِثلَ ذلك ، فأقاما يومين . ثـم إنَّ تأبّطَ شرّاً ألاح بالثّوب ، وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل ، فقال مرَّة : ما رأيتَ يا ثابت ؟ قال : دخاناً أو جراداً . قال مرّة : إنّك إن جَزِعت

1 الكراب : مجاري الماء في الوادي .
2 رعيلاً : أي جماعة من الفرسان .
3 المكر : موضع الكر ، أي الميدان .
4 السوأة : العورة .
5 أعلى ذي جماجم : الجبل الذي ينزلون به .

منه هلكنا ، فقال تأبَّطَ شرّاً : أما أنا فإنّي سأخرُم بك من حيث تَهْتدي الريح ، فمكثا بذلك يومين وليلتين ، ثم تَبِعا الصَّوت ، فقال تأبّطَ شرّاً : النَّعَمُ والنّاس . أما والله لئن عُرِفنا لنُقتَلنّ ، ولئن أغرنا لنُدْرَكنّ ، فأتِ الحيّ من طرف وأنا من الآخر ، ثم كُنْ ضيفاً ثلاثاً ، فإن لم يرجع إليك قلبُك فلا رَجَع ، ثم أغِر على ما قِبَلك إذا تَدلّت الشمس فكانت قدرَ قامة ، وموعِدُك الطريق . ففعلا ، حتى إذا كان اليوم الثالث أغار كلّ واحدٍ منهما على ما يليه ، فاستاقا النعم والغنم ، وطردا يوماً وليلة طرداً عنيفاً حتى أمسيا الليلة الثانية دخلا شِعْباً ، فنَحرا قَلُوصاً ، فبينا هما يَشْويان إذ سمعا حسّاً على بابِ الشِّعب ، فقال تأبَّطَ : الطَّلبُ يا مُرّة ، إن ثبتَ فلم يدخل فهم مُجيزون ، وإن دخل فهو الطلب ، فلم يلبث أن سَمِع الحِسَّ يدخل ، فقال مُرّة : هلكنا ، ووضع تأبّطَ شرّاً يده على عضد مُرَّة ، فإذا هي تُرْعد ، فقال : ما أُرْعِدت عضدك إلاّ من قِبَل أُمّك الوابشيّة من هذيل ، خذ بظهري ، فإن نجوتُ نجوتَ ، وإن قُتِلتُ وقيتُك . فلمّا دنا القوم أخذ مُرَّة بظهر تأبّطَ ، وحمل تأبّطَ فقتل رجلاً ، ورموه بسهم فأعلقوه فيه ؛ وأفلتا جميعاً بأنفسهما ، فلمّا أَمِنا وكان من آخر الليل ، قال مُرّة : ما رأيت كاليوم غنيمة أُخِذت على حين أشرفنا على أهلنا ، وعضّ مُرَّةُ عضده ، وكان الحيّ الذينَ أغاروا عليهم بجيلة ، وأتى تأبّطَ امرأته ، فلمّا رأت جراحَتَه وَلْوَلَت ، فقال تأبّطَ في ذلك : [من الطويل]

وبالشِّعب إذ سدّت بجيلةُ فَجَّهُ ... ومِن خَلفه هَضبٌ صغار وجاملُ[1]
شدَدْتُ لنفس المرءِ مُـرَّةَ حَزْمَه ... وقد نُصِبت دون النَّجاء الحبائلُ
وقلت له : كن خلفَ ظهري فإنّني ... سأفديك وانظر بعدُ ما أنتَ فاعِلُ
فعـاذ بحَدّ السيف صاحبُ أَمرهم ... وَخلَّوْا عن الشيء الذي لم يحاولوا
وأخطأهـم قَتلي ورفَّعتُ صاحبي ... على الليل لم تُؤخـذ عليه المخاتلُ
وأخطـأ غُنْم الحَـيّ مُـرَّة بعدما ... حوتـه إليـه كفُّـه والأناملُ
يعض عـلى أُطرافـه كيف زَوْلُـه ... ودون الملا سهلٌ من الأرضِ ماثلُ[2]
فقلت لـه : هذي بتلك وقد يَرى ... لها ثَمَناً مـن نفسه مـا يُزاوِلُ
تُوَلْول سُعدى أن أَتيتُ مُجرَّحاً ... إليهـا وقـد مَنَّت عليّ المَقاتِلُ[3]
وكائِنْ أَتاها هارِباً قبـل هـذه ... ومن غانمٍ فأيـن مِنْكِ الوَلاوِلُ

1 هضب في الديوان 157 : صعاب . الجامل : الجمال .
2 الزول : بمعنى الذهاب . والملا : السير الشديد .
3 منت علي المقاتل : أخطأتني المقاتل .

[يثبت مع ثلة من أصحابه]

فلمّا انقضت الأشهرُ الحُرمُ خرج تأبَّطَ والمُسَيَّب بنُ كلاب في ستّة نفر يريدون الغارةَ على بَجيلَة ، والأخذ بثأر صاحِبَيْهم عَمْرو بنِ كِلاب وسَعْدِ بن الأشرس . فخرج تأبَّطَ والمُسيَّب بن كلاب وعامرُ بن الأخنس وعمرو بن برّاق ومُرَّةُ بن خليف والشَّنفرى بنُ مالك ، والسِّمع وكَعْبُ حِدار ابنا جابر أخَوا تأبَّطَ . فمضَوْا حتى أغاروا على العَوْص ، فقتلوا منهم ثلاثة نفر : فارسين وراجلاً ، وأطردوا لهم إبلاً ، وأخذوا منهم امرأتين ، فمضوا بما غَنِموا ، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خَثْعَم في نحو من أربعين رجلاً ، فيهم أبيُّ بنُ جابر الخثعميّ ، وهو رئيس القوم ، فقال تأبّطَ : يا قوم ، لا تُسلِموا لهم ما في أيديكم حتى تُبلُوا عُذْراً ، وقال عامر بن الأخْنَس : عليكم بصدق الضِّراب وقد أدركتم بثأركم ، وقال المُسَيَّب : اصدُقُوا القوم الحملةَ ، وإيّاكم والفَشَل ، وقال عَمرُو بنُ برَّاق : ابْذُلوا مُهَجَكم ساعة ، فإن النَّصر عند الصّبر . وقال الشّنفرى : [من الرجز]

نحن الصَّعاليكُ الحُماةُ البُزَّلُ إذا لَقِينا لا نُرى نُهَلّلُ[1]

وقال مُرَّة بن خُلَيف : [من الرجز]

يا ثابتَ الخَيْر ويا ابنَ الأَخنسِ ويا ابنَ بَرّاق الكَريمِ الأَشْوسِ[2]
والشَّنفرى عند حُيودِ الأنفسِ أَنا ابن حامي السِّربِ في المغمَّسِ[3]
نحن مساعِيرُ الحُروبِ الضُّرَّسِ

وقال كعب حِدار أخو تأبَّطَ : [من الرجز]

يا قوم أمَّا إذ لَقِيتم فاصبِروا ولا تَخِيمُوا جزَعاً فتُدْبِروا[4]

وقال السِمْعُ أَخُو تأبَّطَ : [من الرجز]

يا قوم كونوا عندها أَحْرارا لا تُسلِموا العُونَ ولا البِكارا[5]
ولا القَناعيسَ ولا العِشارا لخَثْعمٍ وقد دَعَوْا غِرارا[6]

1 البزل : جمع بازل ، وهو البعير طلع نابه .
2 الأشوس : مَن ينظر بمؤخر عينه تكبراً .
3 المغمس : الأمر الشديد البالغ الشدّة .
4 خام : نكص وجبن .
5 العون : جمع عوان ، وهي من البقر والخيل التي نتجت بعد بطنها البكر .
6 القنعاس من الإبل : العظيم وجمعه قناعيس . والعشار : جمع عشراء .

ساقوهمُ المَوْتَ معاً أَحرارا وافتخِرُوا الدَّهْر بها افْتِخارا

فلمّا سَمِع تأَبَّطَ مَقالَتهم قال : بأَبي أَنتم وأُمِّي ، نِعْم الحماة إذا جَدَّ الجِدّ ، أَما إذا أَجمع رأيُكم على قتال القوم فاحملوا ولا تتفرَّقوا ، فإنّ القوم أكثر منكم ، فحَمَلُوا عليهم فقتلوا منهم ، ثم كرُّوا الثانيةَ فقتلوا ، ثم كرّوا الثالثة فقتلوا فانهزمت خَثْعم وتفرّقت في رؤُوس الجِبال ، ومضى تأبَّطَ وأصحابُه بما غَنِموا وأسلابِ مَنْ قتلوا ، فقال تأبَّطَ من ذلك : [من الطويل]

جَزى اللهُ فِتْياناً على العَوْصِ أَشرقت سيوفهم تحتَ العَجاجَةِ بالدَّمِ

الأَبيات . . .

وقال الشَّنفرى في ذلك : [من الطويل]

دَعِيني وقُولي بعد ما شئتِ إنّني سيُغْدى بنَفْسي مَرَّةً فأُغيَّبُ

الأَبيات . . .

وقال الشَّنفرى أيضاً : [من الطويل]

أَلا هل أَتى عَنَّا سُعادَ ودُونَها مهامِهُ بِيدٍ تَعْتَلي بالصَّعالِكِ
بأَنَّا صَبَحْنا القوم في حُرّ دارِهِم حِمامَ المنايا بالسُّيوفِ البَواتِكِ[1]
قَتَلْنا بعمرو منهمُ خيرَ فارس يزيدَ وسعداً ، وابنَ عوفٍ بمالكِ
ظَلَلْنا نُفَرِّي بالسّيوف رُؤُوسَهم ونَرشُقهم بالنَّبْل بين الدَّكادِكِ[2]

[ينهزم أمام النساء]

قال : وخرج تأَبَّطَ في سَرِيّة من قومه ، فيهم عَمْرُو بن برّاق ، ومُرَّة بن خُليف ، والمُسَيَّب بن كلاب ، وعامر بن الأَخنس ، وهو رأسُ القوم ، وكعب حِدار ، وريش كعب ، والسِّمع وشريس بَنو جابر إخوةُ تأبَّطَ شرّاً ، وسعد ومالك ابنا الأَقرع ، حتى مرّوا ببني نفاثة بنِ الدِّيل وهم يريدون الغارة عليهم ، فباتوا في جبل مُطِلٍّ عليهم ، فلمّا كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسَه ، فوجد وتَرَها مُسْتَرخياً ، فجعل يوترها ويقول له تأبَّطَ : بعض حطيط وَتَرك[3] يا عامِر ، وسَمِعه شَيخٌ من بَني نُفاثة ، فقال لبنات له : أنصتْن فهذه والله غارة لبني ليث ، وكان الذي بينهم يومئذٍ متفاقماً في قتل

---

1 البواتك : القواطع .

2 الدكادك : جمع دكدك ، وهو ما غلظ من الأرض .

3 بعض حطيط وترك : خفض من صوت إيتار القوس خشية أن يسمعوه .

حُمَيْصة بن قيس أخي بلعاء ، وكانوا أصابوه خطأ ، وكانت بنو نُفاثة في غزوة والحيّ خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغلمان لا طُباخ[1] بهم ، فقالت امرأة منهم : اجهروا الكلام ، والبَسُوا السّلاح ، فإنّ لنا عِدّةً ، فواللاتِ ما هُم إلاّ تأبَّطَ وأصحابه . فبرزن مع نوفل وأصحابه . فلمّا بصُرَ بهم قال : انصرفوا فإنّ القوم قد نذروا بكم ، فأبوا عليه إلاّ الغارة فَسلّ تأبَّطَ سيفه وقال : لئن أغرتم عليهم لأتّكِئن على سيفي حتى أنفذه من ظهري ، فانْصَرَفُوا ولا يحسبون إلاّ أنّ النساء رجال ، حتى مرّوا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها ، فلَحِقهم غلام من بني جُنْدع بن ليث ؟ فقال : يا عامر بن الأخنس ، أتهاب نِساءَ بني نُفاثَة وتُغِير على رجال بَنِي لَيْث ؟ هذه والله إبلٌ لبلعاءَ بن قيس . فقال له عامر : أوَ كان رجالهم خلوفا ؟ قال : نعم ، قال : أقرِىء بَلْعاء منّي السّلام ، وأخبره برَدِّي إبله ، وأعْلِمه أنّي قد حبست منها بَكراً لأصحابي ، فإنّا قد أرملنا[2] فقال الغلام : لئن حبست منها هُلبة[3] لأعلمنّه ، ولا أطرد منها بعيراً أبداً . فحمل عليه تأبَّطَ فقتله ، ومَضَوا بالإبل إلى قومهم ؛ فقال في ذلك تأبَّطَ : [من الطويل]

ألا عَجِبَ الفِتْيانُ من أُمّ مالك ... تقول : أُراك اليوم أَشعثَ أَغبرا[4]
تَبوعاً لآثار السَّرِيَّة بعدما ... رأيتُك بَرَّاق المَفارق أَيْسَرا[5]
فقلتُ لها : يَوْمان يَومُ إقامة ... أَهزّ به غُصْناً من البانِ أَخضرا
ويومٌ أَهزّ السَّيفَ في جيد أَغيد ... له نِسوةٌ لم تلق مثلي أَنكرا
يخفن عليه وهو ينزِع نفسَه ... لقد كنت أبّاء الظلامة قَسْوَرا
وقد صِحْت في آثارِ حَوْم كأَنّها ... عَذارى عُقيل أو بَكارةُ حِمْيرا[6]
أَبعد النّفاثيّين آمل طرقةً ... وآسى على شيء إذا هو أَدْبَرا[7]
أُكفكِف عنهم صُحْبَتي وإخالهم ... من الذلّ يَعْراً بالتّلاعة أَعْفَرا[8]

1 الطّباخ : الإحكام والقوّة .
2 أرمل القوم : نفد زادهم .
3 الهُلبة : شعرة من شعر الذئب .
4 اراك اليوم في الديوان 98 : لقد أصبحت .
5 تبوعاً لآثار السرية في الديوان 99 : قليل الإناء والحلوبة . الأيسر : اللين السهل .
6 الحوم : القطيع من الإبل .
7 آمل طرقة : أتجه إلى طريق وفي الديوان 164 : أزجر طائراً .
8 في الديوان : أنهنه رجلي عنهم . اليعر : الجدي . والتلاعة : ماء لبني كنانة . والأعفر : ما خالط بياضه حمرة .

فلــو نالت الكَفَّان أَصحابَ نوفــل ... بمهمهةٍ من بطــن ظَـرْء فعَرْعَرا[1]
ولّمــا أَبــى الليثِــيُّ إلاّ تَهَكُّماً ... بعِرضي وكان العِرضُ عِرضي أُوفرا[2]
فقلـت لــه : حــقَّ الثناءِ فإنّنــي ... سأَذهب حتــى لم أَجِــد متــأخّرا
ولّمـا رأَيـتُ الجَهْــلَ زاد لَجاجةً ... يقول فــلا يأْلــوك أَن تَتَشَوّرا[3]
دنوت لــه حتـــى كأَنَّ قَميصَه ... تَشرَّب من نضح الأَخادِعِ عُصْفُرا[4]
فمــن مُبْلــغٌ ليثَ بــنَ بكرٍ بأَنَّنا ... تركنــا أُخاهــم يــوم قِرْنٍ مُعَفَّرا[5]

قال : غزا تأَبَّطَ بني نفاثة بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خُلوفٌ ، ليس في دارهم رَجُل ، وكان الخبر قد أتى تأبّطَ ، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحيِّ وهم أسفلَ منه ، فرأَته امرأة فطرح نفسه ، فعلمت المرأة أنّه تأبَّطَ ، وكانت عاقِلةً ، فأمرت النساء فلبسْنَ لِبْسَة الرّجال ، ثم خرجن كأنّهنّ يَطْلُبْنَ الضّالّة ، وكان أصحابه يتفلتون ويقولون : اغزُ ، وإنّما كان في سَرِيّة من بين السّتّة إلى السبعة ، فأبى أن يدعهم ، وخرج يُريد هذيلاً ، وانصرف عن النّفاثيّين ، فبينا هو يتردّد في تلك الجبال إذ لقي حَليفاً له من هذيل ، فقال له : العجبُ لك يا تأبّط ، قال : وما هو ؟ قال : إنّ رجال بني نفاثة كانوا خُلوفاً فمَكَرت بك امرأة ، وأنّهم قد رجعوا .

ففي ذلك يقول : [من الطويل]

أَلا عَجِــب الفِتيان من أُمّ مالك ... تقول : لقد أُصبحت أُشعثَ أُغبرا

وذكر باقي الأَبيات المُتقَدِّمة .

وقال غيره : لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأَخنس الفهميّ ، وكان من حديث عامر بن الأَخنَس أنّه غزا في نَفَر ، بضعةٍ وعِشْرين رجلاً ، فيهم عامِرُ بن الأخنس ، وكان سيِّداً فيهم ، وكان إذا خرج في غزو رَأَسَهُم ، وكان يقال له سَيّدُ الصعاليك ، فخرج بهم حتى باتوا على بَني نُفاثة بنِ عَدي بن الدِّيل مُمْسِين ، ينتظرون أن ينام الحيُّ ، حتى إذا كان في سواد الليل مرّ بهم راعٍ من الحيّ قد أُغدِر ، فمعه غديرته[6] يسوقها فبَصَر بهم

1 ظرء ، وعرعر : مكانان وفي الديوان 101 : ظرّ .
2 إلا تهكُّماً في الديوان 164 : إلاّ انتهاكنا .
3 تشوّر الرجل : فعل فعلاً قبيحاً .
4 الأخدع : عرق متصل بالوريد ، والعصفر : نبت أحمر .
5 قرن : مكان .
6 الغديرة : الناقة يتركها الراعي .

وبمكانهم ، فخلّى الغَديرة وتَبع الضَّراءَ ضَراء[1] الوادي ، حتى جاء الحيّ فأخبرهم بمكان القوم وحَيْث رآهم ، فقاموا فاختاروا فتيانَ الحيّ فسلحوهم ، وأقبلوا نحوهم ، حتى إذا دنَوْا منهم قال رجل من النّفاثِيِّين : والله ما قوسي بمُوتِرَة . فقالوا : فأوتِرْ قَوسَك ، فوضع قَوْسَهُ فأوتَرَها ، فقال تأبّطَ لأصحابه : اسكتُوا ، واستَمَع فقال : أُتِيتُم والله ، قالوا : وما ذلك ؟ قال : أنا والله أسمع حَطِيطَ وتَر قَوْس . قالوا : والله ما نسمعُ شيئاً ، قال : بلى والله إنّي لأسمعه ، يا قوم النّجاءَ ، قالوا : لا والله ما سَمِعْت شيئاً ، فوثب فانطلق وتركهم ، ووثب معه نفر ، وبيَّتهم بَنُو نفاثة فلم يُفلِت منهم إنسان ، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه ، وقُتِل تلك الليلةَ عامِرُ بنُ الأخنس .

قال ابنُ عُمَيْر : وسألت أهلَ الحجاز عن عامرِ بن الأَخنس ، فزعموا أنّه مات على فِراشه .

فلمّا رجع تأبَّطَ قالت له امرأته : تركتَ أصحابَك ، فقال حينئذٍ : [من الطويل]

ألا عَجِب الفِتيان من أُمِّ مالِك تقول : لقد أُصبحْتَ أَشعثَ أَغْبَرا

[يصرعه غلام]

فلمّا رجع تأبَّط وبلغه ما لَقِي أصحابُه قال : والله ما يَمَسُّ رأسي غُسْل ولا دُهْن حتى أثأر بهم . فخرج في نَفَر من قَومه ، حتى عَرَض لهم بَيْتٌ من هذيل بَيْن صُوى[2] جبل ، فقال : اغنَموا هذا البيت أوّلاً ، قالوا : لا والله ، ما لنا فيه أرَب ، ولئن كانت فيه غَنِيمة ما نستطيع أن نَسُوقَها . فقال : إنّي أتفاءَل أن أنزل ، ووقف ، وأتت به ضَبع من يساره ، فكرهها ، وعاف[3] على غَيْر الذي رأى ، فقال : أبشري أُشْبِعك من القوم غداً . فقال له أصحابه : ويحك ، انطلق ، فوالله ما ترى أن نقيم عليها . قال : لا والله لا أريم حتى أصبح . وأتت به ضَبُع عن يساره فقال : أُشبِعك من القوم غداً . فقال أحدُ القوم : والله إنّي أرى هاتين غداً بك ، فقال : لا والله لا أريم حتى أصبح . فبات ، حتى إذا كان في وجه الصبح ، وقد رأى أهل البيت وَعَدَّهم على النار ، وأبصر سواد غلام من القوم دون المُحْتَلم ، وَغَدوْا على القوم ، فقتلوا شيخاً وعجوزاً ، وحازوا جارِيَتَيْن وإبلاً . ثم قال تأبَّطَ : إنّي قد رأيت معهم غلاماً ؛ فأين الغلامُ الذي كان معهم ؟ فأبصر أثره فاتّبعه ، فقال له أصحابه : ويلك دعه فإنّك لا تريد منه شيئاً ، فاتَّبعه ، واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة ، وأقبل تأبّط يَقُصّه[4] وفوّق الغلامُ سهماً حين

---

1 الضراء : الشجر الملتفّ في الوادي ، أو أرض مستوية تأوي إليها السباع .

2 الصوى : جمع صوة ، وهي علامة يهتدى بها في الطريق ، أو ما غلظ وارتفع من الأرض .

3 عاف الطير : زجرها .

4 يقصه : يقتفي أثره .

رأى أنّه لا يُنْجيه شيء ، وأمهله حتى إذا دنا منه قَفَز قفزة ، فوَثَب على الصَّخرة ، وأرسل السهم ، فلم يسمَع تأبَّط إلاّ الحبْضة[1] فرفع رأسه ، فانتظم السهمُ قَلبَه ، وأقبل نحوه وهو يقول : لا بأس ، فقال الغلام : لا بأسَ ، والله لقد وضعتُه حيث تكره ، وغشيه تأبَّطَ بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقَتادة ، ويضربها تأبَّطَ بحُشاشَته ، فيأخذ ما أصابت الضَّربةُ منها ، حتى خلص إليه ، فقتَله ، ثم نزل إلى أصحابه يَجُرّ رجله ، فلمّا رأوه وَثَبوا ، ولم يدروا ما أصابه ، فقالوا : ما لك ؟ فلم ينطق ، ومات في أيدِيهم ، فانطلقوا وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سَبُع ولا طائر إلاّ مات ، فاحتَمَلته هُذَيل ، فألقته في غارٍ يقال له غارُ رَخْمان ، فقالت ريطةُ أخته وهي يومئذٍ متزوّجة في بني الدِّيل : [من الرجز]

نِعْـم الفَتـى غادَرتُـم برُخْمانْ ثابـتٌ بـنُ جابِرِ بن سُفْيانْ

وقال مُرَّة بن خُلَيْف يَرْثِيه : [من البسيط]

إنّ العَزيمةَ والعَـزَّاءَ قـد ثَوَيـا أَكفانَ ميت غدا في غار رُخْمانِ[2]
إلاّ يَكُـن كُرسفٌ كُفِّنتَ جَيّدَه ولا يكن كَفَنٌ من ثَوْبِ كَتَّانِ[3]
فإنّ حُـرّاً مـن الأَنْساب أَلبسه ريشَ الندى ، والنَّدى من خير أَكفانِ
وليلـةٍ رأسُ أَفعاهـا إلى حجرٍ ويـومِ أورٍ مـن الجوزاءِ رنَّانِ[4]
أَمضيتَ أَوَّلَ رهـطٍ عنـد آخره في إثـر عاديـةٍ أَو إثـر فتيانِ

وقالت أُمّ تأبَّطَ تَرْثِيه : [من الرجز]

وابنـاهُ وابـنَ اللَّيْل

[مقتله]

قال أبو عمر الشَّيبانيّ : لا بل كان من شَأن تأَبَّطَ وهو ثابتُ بن جابر بنِ سُفْيان ، وكان جرِيئاً شاعراً فاتِكاً أنّه خرَج من أهلِه بغارة من قومِه ، يُريدون بَني صاهلة بنِ كاهل بن الحارِث بن سَعِيد بن هُذَيل ، وذلك في عقب شَهْر حرام مِمّا كان يُحرِّم أهلُ الجاهليّة ، حتى هبط صدر أدَم[5] ، وخفض عن جماعة بني صاهلة ، فاستَقْبل التّلاعة ، فوجد بها داراً من بني نُفاثة بن عدي ، ليس فيها إلاّ النساء ، غير رجل واحد ، فبصُر الرجل بتأبَّطَ وخَشِيَه ، وذلك

1 الحبضة : نبضة السهم عند انطلاقه .
2 العزّاء : السنة الشديدة .
3 الكرسف : القطن .
4 أور : جمع أوار بمعنى الحر الشديد .
5 أدم : اسم موضع .

في الضُّحى ، فقام الرجل إلى النساء ، فأمرهنَّ فجعَلْن رؤوسهنّ جُمَماً وجعَلْن دروعهن أردِيَة ، وأخذن من بيوتهنّ عُمُداً كهيئة السيوف فجعَلن لها حَمائل ، ثم تأبطنها ثم نَهَض ونهضنَ معه يغريهنّ كما يُغرِي القوم ، وأمرهنّ أن لا يُبْرزن خدّاً ، وجعل هو يَبرُز للقوم ليَروه ، وطفق يُغري ويَصيح على القوم ، حتى أفزع تأبَّطَ شرّاً وأصحابه وهو على ذلك يُغري في بقيّة ليلة أو ليلتين من الشهر الحرام ، فنهضوا في شِعب يقال له شِعْب وَشَل[1] ، وتأبَّطَ يَنْهض في الشّعب مع أصحابه ، ثم يقف في آخرهم ، ثم يقول : يا قوم لكأنّما يطردكم النساء ، فيصيح عليه أصحابه فيقولون : انجُ أدركك القوم ، وتأبى نفسه ، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبَّطَ في ذلك : [من الطويل]

أبعد النفّاثيين أزجر طائراً   وآسى على شيء إذا هو أدبرا

أُنهنِه رِجلي عنهم وإخالهم   من الذّلّ يعراً بالتّلاعة أعفرا

ولو نالت الكفّان أصحابَ نوفل   بمَهْمَهَة من بين ظَرْء وعرعرا

قال : ثم طلعوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذّ من بني قُرَيْم ذنب نمار[2] فظلّ يراقبهم حتى أمسوْا ، وذلك البيت لساعدةَ بنِ سفيانَ أحدِ بني حارثةَ بنِ قُرَيْم ، فحصرهم تأبَّطَ وأصحابُه حتى أمسَوْا . قال : وقد كانت قالت وليدةٌ لساعدةَ : إنّي قد رأيت اليومَ القَوم أو النفر بهذا الجبل ، فبات الشيخ حَذِراً قائماً بسيفه بساحة أهله . وانتظر تأبَّطَ وأصحابُه أن يغفلَ الشيخ ، وذلِك آخرَ ليلة من الشهر الحرام فلمّا خشُوا أن يفضَحهم الصبحُ ، ولم يقدروا على غِرّة مشَوْا إليه وغرُّوه ببقيّة الشهر الحرام ، وأعطَوْه من مواثيقهم ما أقنعه ، وشكَوْا إليه الجوع ، فلمّا اطمأنّ إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى . قال : ومضى تأبَّطَ شرّاً إلى ابنٍ له ذي ذؤابةٍ ، كان أبوه قد أمره فارتبأ[3] من وراء ماله ، يقال له : سُفيانُ بنُ ساعدةَ . فأقبل إليه تأبَّطَ شرّاً مستتراً بِمَجنّة ، فلمّا خَشِي الغلام أن يناله تأبَّط بسيفه وليس مع الغلام سَيْف ، وهو مُفوِّق سهماً ، رمى مجنَّ تأبَّطَ بحَجَر ، فظنّ تأبَّط أنّه قد أرسل سهمه ، فرمى مِجَنّه عن يده ، ومشى إليه فأرسل الغلامُ سهمَه فلم يُخْطِ لَبَّتَه حتى خرج منه السهم ، ووقع في البطحاء حَذْوَ القوم ، وأبوه ممسك ، فقال أبو الغلام حين وقع السهم : أخاطئهُ سفيانُ ؟ فحرَدَ[4] القوم ، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ، ومات تأبَّطَ .

1 وشل : اسم جبل .
2 نِمار : اسم جبل ، ونُمار : اسم واد .
3 ارتبأ : اختبأ وراء ربيئة ؛ هضبة مرتفعة .
4 حرد القوم : اعتزلوا .

فقالت أُمُّه ، وكانت امرأةً من بني القَيْن بن جَسْرِ بنِ قُضاعَة ، ترثيه : [من الوافر]

قتِيلٌ ما قتِيلُ بنـي قُرَيْـمٍ إذا ضَنَّت جُمـادى بالقِطارِ
فتى فَهْـمٍ جميعـاً غادَرُوه مقيماً بالحُرَيْضَةِ مـن نُمارِ[1]

وقالت أُمُّه ترثيه [أيضاً] : [من الرجز]

ويلُ امِّ طِرف غادروا برُخْمانْ بثابت بـن جابـر بـن سفيانْ
يجدِّل القِرنَ ويُروِي النَّدمانْ ذو مأْقِطٍ يحمي وراء الإخوانْ[2]

وقالت ترثيه أيضاً : وابناه وابنَ اللَيلْ ، ليس بزُمَّيْلْ[3] ، شَرُوبٍ للقَيْل[4] ، رقودٍ باللَّيلْ ، وَواد ذي هَوْل ، أجزتَ باللَّيلْ ، تضرب بالذَّيْل ، بِرَجْلٍ[5] كالثَّوْلْ .

قال : وكان تأبَّطَ شرّاً يقول قبل ذلك : [من مجزوء الكامل]

ولقـد علمـتُ لتعـدُوَنَّ م عـليّ شتْـمٌ كالحساكلْ[6]
يأكلـنَ أُوصـالاً ولحـ ـماً كالشَّكاعِـي غيرَ جازِلْ[7]
يـا طيـرُ كُلْـنَ فإنّنـي سُمٌّ لَكُـنّ وذو دَغـاوِلْ[8]

وقال قبل موته : [من الوافر]

لعلّـي ميِّـتٌ كمـداً ولّمـا أطالـع أهـلَ ضيم فالكرابِ
وإن لم آتِ جمـع بني خُثيم وكاهلهـا برَجْـل كالضّبابِ
إذا وقعـتْ بكعـب أو قُرَيْمٍ وسيَّارٍ فيـا سَوْغَ الشَّرابِ

فأجابه شاعر من بني قريم : [من الوافر]

تأبَّطَ سَوْأَةً وحملْـتَ شرّاً لعلّك أن تكونَ من المُصابِ

---

1 الحريضة : موضع في بلاد هذيل .
2 المأقط : مكان الحرب .
3 الزُّميل : الجبان .
4 القيل : شراب اللبن في القيلولة .
5 الرجل : جمع راجل . والثّول : جماعة النحل .
6 الشتم : جمع شتيم ، وهو الأسد الكريه المنظر . والحساكل ، جمع حسكل وهو ما تطاير من شرر الحديد المحمّى .
7 الشكاعي : جمع شُكاعة ، شوكة تملأ فم البعير ، غير جاذل : ما عظم من أصول الشجر .
8 الدغاول : الدواهي .

لعلّك أَن تجـيءَ بك المنايا تُساقُ لفتيـةٍ منّـا غِضابِ
فتُصْبِحَ في مَكَرِّهـمُ صريعاً وتصبحَ طرفة الضَّبْعِ السِّغابِ
فزلتم تهربـون ولو كرهتم تسوقـون الحَرائـمَ بالنِّقابِ
وزال بأرضكم منّـا غـلامٌ طليعـةُ فتيَةٍ غُلْـبِ الرقابِ[1]

ونَذْكُر هاهنا بعد أخبار تأبَّطَ شرّاً أخبار صاحِبيه عَمْرِو بن بَرّاق والشَّنفرى ونبدأ بما يُغنَّى فيه من شعريهما ، ونُتبِعُه بالأخبار .

فأمّا عمرو بنُ برّاقٍ فممّا يغنَّى فيه من شعره قولُه : [من الطويل]

صوت

متى تَجْمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً وأَنفـاً حَمِيّـاً تجتنبْكَ المَظالِمُ[2]
وكنت إذا قومٌ غَزَوْني غَزَوتهم فهل أَنا في ذا يا لَهَمْدانَ ظالِمُ !
كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها مراغمـةً مـا دام للسيف قائِمُ
ولا صُلْحَ حتى تعثُر الخَيلُ بالقَنا وتُضرَبَ بالبِيضِ الرِّقاقِ الجَماجِمُ

عروضه من الطويل ، الشعر لابن برّاق وقيل ابن برّاقة . والغِناء لمحمدِ بنِ إسحاقَ بنِ عمرِو بنِ بَزِيعَ ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

1 زال : نهض . وغلب الرقاب : غلاظ الأعناق : جمع أغلب .
2 القلب الذكي : المتوقد حماسة . والأنف الحمي : كناية عن الأنفة وإباء الضّيم .

[450] ـ عمرو بن برّاق

[يسلبه حريم ماله فيستردّه منه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفش قال : حدَّثنا السّكريُّ عن ابنِ حبيبَ قال : وأخبرنا الهَمدانيّ ثعلب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن المُفضَّل ، قالا : أغار رجل من هَمْدان يقال له حُرَيم على إبلٍ لعمرو بن برّاقٍ وخيل ، فذهب بها ، فأتى عمرو امرأةً كان يتحدَّث إليها ويزورها فأخبرها أنّ حريماً أغار على إبله وخَيلِه فذهب بها ، وأنّه يريد الغارة عليه ، فقالت له المرأة : ويحك لا تَعْرِضْ لتَلَفات حُرَيم فإنّي أخافُه عليك ، قال : فخالفَها ، وأغار عليه ، فاستاق كلَّ شيء كان له ، فأتاه حُرَيم بعد ذلك يطلب إليه أن يردَّ عليه ما أخذه منه ، فقال : لا أفعل ، وأبى عليه ، فانصرف ، فقال عمرو في ذلك : [من الطويل]

تقــول سُلَيمى لا تعــرَّضْ لتَلفةٍ ... وليلُك عن ليل الصعاليك نائمُ
وكيف ينامُ الليلَ من جُــلّ مالِهِ ... حُسامٌ كلون المِلح أبيضُ صارمُ
صَمُوتٌ إذا عضَّ الكريهةَ لم يَدَعْ ... لها طَمعاً طوعُ اليَمِــينُ ملازمُ[1]
نقَدتُ بــه ألفاً وسامحتُ دونه ... على النقدِ إذ لا تُستطاع الدراهمُ
ألَم تَعلمــي أنّ الصعاليكَ نومُهم ... قليلٌ إذا نــام الدَّثُور المُسالِمُ[2]
إذا الليل أدجى واكفهرّت نجومه ... وصاح من الإفراطِ هامٌ جواثمُ[3]
ومال بأصحاب الكرى غالباتُه ... فإنّي عــلى أمــر الغَواية حازمُ
كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونهــا ... مُراغمــةً مــا دام للسيف قائمُ
تَحالفَ أقــوامٌ عــليّ ليسمَنُوا ... وجروا عليَّ الحَرْبَ إذا أنا سالِمُ[4]
أفالآن أُدْعــى للهَــوادة بعدما ... أُجيل على الحيّ المَذاكيّ الصَّلادمُ[5]
كأنّ حُريماً إذ رجا أن يَضُمَّها ... ويُذْهِبَ مالي يا ابنةَ القوم حالِمُ

1 صموت : صفة للسيف .
2 الدثور : الرجل البطن الخامل النؤوم .
3 أدجت نجومه : غابت ، أو غطاها السحاب .
4 سالم : بمعنى مسالم .
5 الهوادة : الملاينة والمسالمة . المذاكي الصلادم : الجياد الشديدة الصلبة .

متى يجمعِ القلبَ الذَّكِيَّ وصارِماً وأَنفــاً حَمِيّـاً تَجْتَنبْكَ المظالِمُ
ومَن يَطلبِ المـالَ المُمَنَّع بالقَنا يَعِشْ ذا غِنًى أَو تَخْتَرِمْه المَخارِمُ[1]
وكنتُ إذا قـومٌ غَزوني غَزَوْتُهم فهـل أَنـا في ذا يالَهمْدان ظالمُ
فـلا صُلْح حتى تعثرَ الخيل بالقنا وتُضْرب بالبيض الرِّقاقِ الجَماجِمُ

وأمّا الشنفرى فإنّه رجل من الأزد ثم من الأَواس بن الحجر بن الهنو بن الأَزد . وممّا يُغَنَّى فيه من شِعره قولُه : [من الطويل]

صوت

أَلا أمُّ عَمْرو أَزمعـت فاستقَلَّت وما ودَّعَت جيرانها إذ تولَّتِ[2]
فوانَدَما بانَـت أُمامَـةُ بعدمـا طَمِعتُ فهَبْها نِعْمَـةً قـد تولَّتِ
وقد أَعجبَتْني لا سَقُوطاً خِمارُها إذا ما مَشَت ولا بـذاتِ تَلَفُّتِ[3]

غنَّى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبِنصر عن عمرو بن بانة .

1 تخترمه المخارم : تهلكه المهالك .
2 أزمعت : عزمت على الرحيل .
3 لا سقوط خمارها : يصفها بالتصوّن والتحشّم .

[451] ـ أخبار الشَّنفرى ونسبه[1]

[نسبه ونشأته]

وأخبرني بخبره الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا أبو يحيى المُؤدّب وأحمد بن أبي المنهال المُهلّبيّ ، عن مؤرّج عن أبي هشام محمد بن هشام النُّميريّ : أنّ الشَّنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث ، أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عَيْلانَ ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرِّج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزدِ رجلاً من فهم ، أحدَ بني شبابة فَفَدَته بنو شبابة بالشّنفرى قال : فكان الشّنفرى في بني سلامانَ بن مفرِّج لا تحسبه إلاّ أحدَهم حتى نازعتْه بنتُ الرجل الذي كان في حِجره ، وكان السُّلاميّ اتّخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه ، فقال لها الشَّنفرى : اغسلي رأسي يا أُخيّة وهو لا يشكّ في أنّها أخته ؛ فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته ، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم ، فقال له الشّنفرى : اصدقني ممّن أنا ؟ قال : أنت من الأواس بن الحجر ، فقال : أمَا إنّي لن أدعكم حتى أقتل منكم مائةً بما استعبدتموني ، ثم إنّه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً ، وقال الشَّنفرى للجارية السّلاميّة التي لطمته وقالت : لست بأخي : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْري والتَّلَهّفُ ضَلّةٌ ... بما ضَربتْ كَفُّ الفتاة هَجِينَها[2]
ولو علمت قُعسوسُ أَنساب والدي ... ووالِدها ظَلّت تقاصَرُ دونها[3]
أَنا ابن خيار الحُجْر بيتا ومَنْصِبا ... وأمي ابنةُ الأَحرار لَوْ تعْرِفينها[4]

قال : ثم لزم الشَّنفرى دار فَهْم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تَبِعه من فَهْم ، وكان يغير وحده أكثر من ذلك ، وقال الشَّنفرى لبني سلامان : [من الطويل]

---

1 انظر أخباره في : الطرائف الأدبية 27 ، ومقصورة حازم للشريف الغرناطي 22/2 ونسخة المغتالين لابن حبيب وغ ج 21 ، والأنباري الرقمان 1 و20 وخ .

2 الهجين : اللئيم ، أو العربي الذي أُمّه أَمَة . وفي الديوان [الطرائف الأدبية] 41 :

ألا هل أتى فتيان قومي جماعة ... بما لطمت كف الفتاة هجينها

3 في الديوان 41 :

ولو علمت تلك الفتاة مناسبي ... ونسبتها ظلّت تقاصر دونها

والقعوس : اسم الفتاة .

4 وفي الديوان 41 :

أليس أبي خير الأواس وغيرها ... وأمي ابنة الخيرين لو تعلمينها

وإنّي لأهوى أن أَلُفَّ عجاجتي   على ذي كساء من سَلامانَ أو بُرِدِ[1]
وأُصبحَ بالعضْداءِ أَبغي سَراتَهم   وأَسلكَ خَلاًّ بين أَرباع والسَّرِدِ[2]

[إحدى غاراته]

فكان يقتل بني سلامان بنِ مُفرّج حتى قعد له رَهْط من الغامديّين من بني الرّمداء فأعجزهم فأَشلَوْا عليه كلباً لهم يقال له حُبَيش ولم يضعوا له شيئاً ، ومَرَّ وهو هارب بقرية يقال لها دَحِيس برجُلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال : [من الطويل]

قتيلَــيْ فِجــارٍ أَنتُمــا إن قُتِلتُما   بجوف دَحِيس أَو تبالةَ يــا اسمعا[3]

يريد : يا هذان اسمعا ، وقال فيما كان يُطالب به بني سلامان :

فــإلاّ تــزرني حَتْفتي أو تُلاقني   أُمشِّ بدَهْــرٍ أَو عــذافَ فنوَّرا[4]
أمشي بأطراف الحمــاطِ وتــارةً   تُنفِّضُ رجــلي بُسْبُطاً فَعَصَنْصَرا[5]
وأَبغي بني صَعب بن مُرٍّ بلادَهم   وسوف أُلاقيهــم إنِ اللّهُ يسّرا[6]
ويوماً بذاتِ الرّأس أَو بطن مِنجَلٍ   هنالــك تَلْقــى القاصيَ المُتَغَوّرا[7]

[مقتله]

قال : ثم قعد له بعد ذلك أُسَيْدُ بن جابر السلامانيّ وخازم الفهميّ بالناصف من أَبيدةَ ومع أُسَيْد ابن أخيه ، فمرّ عليهم الشّنفرى ، فأبصر السواد بالليل فرماه ، وكان لا يرى سواداً إلاّ رماه كائناً ما كان ، فشكّ ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده ، فلم يتكلّم ، فقال الشّنفرى : إن كنتَ شيئاً فقد أصبتُك وإن لم تكن شيئاً فقد أمِنتُك ، وكان خازمٌ باطحاً : يعني مُنْبَطحاً بالطريق يرصده ، فنادى أُسيد : يا خازم أصلِت ، يعني اسْلُلْ سيفَك . فقال الشّنفرى : لكلٍّ

1 في الديوان 34 : وإني زعيم . لفّ العجاجة : كناية عن الغارة .
2 في الديوان 34 :
وأمشي لدى العضداء أبغي سراتهم   وأسلك خــلاًّ بــين أرفاع والسّرِدِ
والعضداء : أرض لبني سلامان .
3 دحيس ، وتبالة : مكانان .
4 في الديوان 35 : في عِداف بَنَوَّرا . وعِداف مكان وبَنَوَّر : جبل .
5 الحماط : ضرب من النبات . وبسبط ، وعصنصر : مكانان .
6 ورد البيت في الديوان 36 كما يأتي :
أُبَغّي بني صعب بــن مُــرٍّ بلادَهم   وسوف أُلاقيهــم إنْ الله أَخّــرا
7 ذات الرأس ومنجل : مكانان . تَلْقى في الديوان 36 : نبغي . المتغوّر : الموغل في الأرض ، أو الموغل في الغارة .

أَصلت ، فأَصلت الشَّنفرى . فقطع إصبعين من أصابع خازمٍ الخِنصَر والبِنصَر ، وضبطه خازمٌ حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة ، فأخذ أسيد سلاح الشَّنفرى وقد صرع الشَّنفرى خازماً وابنَ أخي أسيدٍ ، فضبطاه وهما تحته ، وأخذ أسيدٌ برجل ابن أخيه ، فقال أسيد : رِجْل مَنْ هذه ؟ فقال الشَّنفرى : رِجْلي ، فقال ابن أخي أسيد : بل هي رِجلي يا عمّ فأسروا الشَّنفرى ، وأدّوْه إلى أهلهم ، وقالوا له : أنشدنا ، فقال : إنّما النشيد على المَسَرَّة[1] ، فذهبت مَثَلاً ، ثم ضربوا يدَه فتعرّضت ، أي اضطربت فقال الشَّنفرى في ذلك : [من الرجز]

لا تَبْعَدي إمّـا ذَهَبْتِ شامَـهْ فـرُبّ وادٍ نَفَـرَتْ حَمامَـهْ[2]
ورُبَّ قِـرْنٍ فَصَلتْ عِظامَهْ

ثم قال له السُّلاميّ : أأَطرِفُك[3] ؟ ثم رماه في عينه فقال الشَّنفرى له : كأنّ كُنّا نفعل أي كذلك كنّا نَفْعل ، وكان الشَّنفرى إذا رمى رجلاً منهم قال له : أأَطرِفُك ؟ ثم يرمي عينه . ثم قالوا له حين أرادوا قتله : أين نَقبُرك ؟ فقال : [من الطويل]

لا تَقبُـروني إنّ قَبـرِي مُحـرَّم عليكـم ولكـن أَبشرِي أُمَّ عامرِ[4]
إذا احْتَمَلَتْ رأسي وفي الرأسِ أكثَري وغُودِر عنـد المُلْتَقـى ثَـمَّ سائِري
هنالـك لا أَرجـو حيـاةً تَسرُّني سَميرَ الليـالي مُبْسَلاً بـالجَرائِرِ[5]

[تأبّط شرّاً يرثيه]

وقال تأبَّطَ شَرّاً يرثي الشَّنفرى : [من الطويل]

على الشَّنفرى ساري الغمام ورائحٌ غزيرُ الكُلى ، وَصَيِّبُ الماءِ باكرُ[6]
عليك جـزاءٌ مثلُ يومِكَ بالجَبا وقد أُرغِفتْ منك السُّيوفُ البواترُ[7]

---

1 مثل ورد في جمهرة الأمثال للعسكري 304/2 «النشيد مع المسرة» .
2 ذهبت في الديوان هلكْتِ . والشامة : شامة سوداء كانت في يده .
3 طرف العين : أدخل فيها ما جعلها تدمع .
4 انظر المثل في مجمع الأمثال للميداني 225/1 ، 238 ، 239 ، والدرة الفاخرة للأصفهانيّ 150/1 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 411/1 ، 416 ، والمستقصى للزمخشري 71 وفصل المقال 187 والأمثال لأبي فيد 46 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 126 .
5 سمير الليالي : طول الليالي . مبسلاً بالجرائر : مرهوناً بآثاري وجرائمي .
6 الكُلى : جمع كلوة ، وتطلق على أسفل السّحاب .
7 الجبا : مكان .

ويومِكَ يــومِ العَيْكَتَيْــنِ وعطفةٍ عطفتَ وقد مَسَّ القُلوبَ الحناجِرُ[1]
تجول ببزّ المــوت فيهــم كأنّــهم بشوكتك الحُــدّى ضَئِينٌ نوافِرُ[2]
فإنّك لــو لاقيتني بعدمــا ترى وهــل يُلقَيْن مَــنْ غَيَّبته المقابِرُ
لألفيتني في غــارة أنتمي بهــا إليــك وإمّــا راجعــاً أنا ثائِرُ[3]
وإن تَكُ مأسوراً وظلّت مُخَيِّماً وأَبْليت حتــى مــا يكيدك واتِرُ
وحتى رماك الشَّيبُ في الرأس عانساً وخيرُك مبسوطٌ وزادك حاضرُ[4]
وأجملُ موتِ المرءِ إذ كان ميتاً ولا بدّ يومــاً مَوتُــه وهو صابرُ
فلا يَبعَدنّ الشّنفرى وسِلاحُه الْـ ـحَديــدُ وَشدٌّ خَطْــوُه متواتِرُ[5]
إذا راع رَوْعُ الموت راع وإن حَمى حَمى معــه حُــرٌّ كريــم مُصابِرُ

[رواية أخرى في مقتله]

قال : وقال غيره : لا بل كان من أمر الشّنفرى وسَببِ أسره ومقتله أنَّ الأَزد قتلت الحارثَ بن السّائب الفَهْميّ ، فأبوا أن يبوءوا بقتله[6] ، فباء بقتله رَجُلٌ منهم يقال له حزام بن جابرْ قَبِلَ ذلك ، فمات أخو الشّنفرى ، فأنشأت أُمّه تبكيه ، فقال الشّنفرى ، وكان أوّل ما قاله من الشعر : [من المتقارب]

ليس لوالـــدة هوءُ هـــا ولا قولُهــا لابنهــا دَعْدَعِ[7]
تُطيــفُ وتُحــدِثُ أَحوالَــه وغيْـرُكِ أملَــكُ بــالمَصْرَعِ

قال : فلمّا ترعرع الشّنفرى جعل يُغِير على الأزد مع فَهْم : فيقتل مَنْ أدرك منهم ، ثم قدم مِنًى وبها حزامُ بن جابر ، فقيل له : هذا قاتل أبيك ، فشَدَّ عليه فقتله ، ثم سبق الناسَ على رجليه فقال : [من الطويل]

1 العيكتان : جبلان .
2 البزّ : السلاح ، والحُدّى : موئّث الأحدّ بمعنى المرهف الحدّ . والضئين : جمع ضائن ، الضأن .
3 أنتمي في الديوان 83 : أعتزي .
4 العانس : الرجل السمين .
5 الشدّ : الحملة على الأعداء . ومتواتر : يتلو بعضه بعضاً .
6 باء بقتله : أقرّ به .
7 الهوء : الهمة والرأس . وفي الديوان 37 : همّها .

تنلستُ حزامـاً مُهْدِيـاً بمُلَبِّدٍ ببطن مِنًى وسْط الحجيج المُصَوِّتِ[1]

قال : ثم إنّ رجلاً من الأزد أتى أُسيدَ بن جابر ، وهو أُخو حزام المقتول فقال : تركتُ الشَّنفرى بسوق[2] حُباشة ، فقال أسيد بنُ جابر : والله لئن كنت صادقاً لا نرجع حتى نأكلَ من جَنى أليفِ أبيدة[3] ، فقعد له على الطريق هو وابنا حَزام ، فأحسُّوه في جوف الليل وقد نزع نعلاً ولبس نعلاً ليخفَى وطأه ، فلمّا سمع الغلامان وطأه قالا : هذه الضَّبُع ، فقال أسيد : ليست الضَّبُعَ ، ولكنّه الشَّنفرى ، ليضَعْ كلّ واحد منكما نعلَه على مَقْتله ، حتى إذا رأى سوادهم نكص مليّاً لينظر هل يتبعه أحد ، ثم رجع حتى دنا منهم ، فقال الغلامان : أبصرَنا ، فقال عمّهما : لا والله ما أبصركما ، ولكنّه أطرد ؛ لكيما تتبعاه ، فليضَعْ كلٌّ واحد منكما نعله على مقلته . فرماهـم الشَّنفرى فخسق[4] في النعلِ ولم يتحرّك المَرْمـيّ . ثـم رمـى فانتظم ساقَيْ أُسيد ، فلمّا رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم ، فوثبوا عليه ، فأخذوه فشدُّوه وَثاقاً ، ثم إنّهم انطلقوا به إلى قومهم ، فطرحوه وسطهم ، فتماروْا بينهم في قتله ، فبعضهم يقول : أخوكم وابنكم ، فلمّا رأى ذلك أُحدُ بني حزام ضربه ضربةً فقطع يده من الكوع ، وكانت بها شامةٌ سوداء ، فقال الشَّنفرى حين قُطِعتْ يده : [من الرجز]

لا تَبعَدي إمّا هلكت شامَهْ فـربَّ خَـرقٍ قَطَعتْ قتامَهْ
وربَّ قِـرْنٍ فصَلت عظامَهْ

وقال تأبَّطَ شرّاً يرثيه : [من الطويل]

لا يبعَدنَّ الشَّنفرى وسلاحُه الـ ـحديدُ وشَدٌّ خَطْـوُه مُتواترُ
إذا راع رَوْعَ الموتِ راعَ وإن حَمى حَمى معه حُـرٌّ كريـمٌ مُصابِرُ

قال : وذُرِع خَطوُ الشَّنفرى ليلة قتل فوُجِد أوّل نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوةً ، ثم الثانية سبعَ عشرةَ خطوةً .

قال : وقال ظالم العامريّ في الشَّنفرى وغاراتِه على الأزد وعَجْزهم عنه ، ويَحْمَدُ أُسَيْدَ بن جابرٍ في قتله الشَّنفرى : [من الطويل]

---

1 حزاماً في المفضليات 111 : قتيلاً . مهدياً : مقدماً الهدي في الحجّ . ببطن في المفضليات : جمار . المصوّت : الذي يجهر بالدّعاء ونحوه .

2 سوق حباشة : سوق كانت معروفة عند العرب .

3 أبيدة : اسم مكان .

4 خسق في النعل : أصاب السّهم النعل ، وأخطأ الهدف .

فما لَكُم لم تدركوا رِجْلَ شنفرى وأنتم خِفاف مثلُ أَجنحة الغُرْبِ[1]
تعاديتُم حتى إذا ما لحقتُم تباطأً عنكم طالبٌ وأبو سَقْبِ[2]
لعمركَ لَلسَّاعي أُسَيدُ بن جابرٍ أَحقُّ بها مِنْكم بَني عقبِ الكلبِ

قال : ولمّا قُتِل الشَّنفرى وطُرِح رأسُه مرَّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشَّنفرى بقدمه ، فعُقِرت قدمُه فمات منها ، فتَمَّت به المائَةُ .

[من شعر الشنفرى]

وكان مِمّا قاله الشَّنفرى فيهم من الشعر وفي لطمة المرأة التي أَنكرته الذي ذكرتُه واستغني عن إعادته ممّا تقدّم ذكره من شعر الشَّنفرى ، وقال الشَّنفرى في قتله حزاماً قاتل أبيه : [من الطويل]

أرى أُمَّ عمرو أَجمعت فاستقلَّتِ وما وَدَّعت جيرانَها إذْ تولَّتِ[3]
فقد سبقتنا أُمُّ عمرو بأمرها وقد كان أَعناقُ المَطيِّ أَظلَّتِ[4]
فواندَما على أُميمةَ بعدما طمِعتُ فَهبْها نِعمةَ العيش ولَّتِ[5]
أُميمةُ لا يُخزِي نَثاها حلَيلها إذا ذُكِر النسوان عَفَّت وجَلَّتِ[6]
يَحُلّ بمنجاةٍ من اللّوم بيتُها إذا ما بُيوتٌ بالمَلامة حُلَّتِ[7]
فقد أعجبتني ، لا سَقُوطٌ قِناعُها إذا ما مَشت ولا بذات تَلَفُّتِ
كأَنَّ لها في الأَرضِ نِسْياً تَقُصُّه إذا ما مشت وإن تُحدِّثْك تَبْلتِ[8]

النِّسْيُ : الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو ؛ يصفها بالحياء ، وأنّها لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تبرج . ويروى :

تقصه على أُمّها وإن تُكلِّمك

1 الغرب : جمع غُراب .
2 طالب وأبو سقب : رجلان .
3 أرى في المفضليات 108 : ألا .
4 أظلت : إظلال أعناق المطي كناية عن الرحيل .
5 فواندما في المفضليات 108 : فواكبدا .
6 وجلّت في المفضليات 108 : زلّت . النثا : الحديث .
7 بالملامة في المفضليات 109 : بالمذمّة .
8 تبلت الكلام وتقطعه بما يعتريها من البهر .

فدَقَّت وجلَّت واسْبَكَرَّت وأُكملَتْ ... فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسْن جُنَّتِ[1]
تبيتُ بُعَيْدَ النوم تُهدي غَبُوبَها ... لجاراتِها إذا الهديّة قَلَّتِ[2]

الغبوب : ما غبّ عندها من الطعام أي بات ويروى : غبوقها .

فبِتنا كأنَّ البيت حُجِّر حولنا ... بريحانةٍ راحت عِشاء وطُلَّتِ
بريحانةٍ من بطن حلْيةَ أُمْرِعت ... لها أرجٌ مِنْ حَولِها غيْرُ مُسْنتِ
غدوتُ من الوادي الذي بين مِشْعَل ... وبين الجَبا هيهات أنْساتُ سُربتي[3]
أمشِّي على الأَرض التي لن تضيرَني ... لأكسِبَ مالاً أو أُلاقيَ حُمَّتِي[4]
إذا ما أتتني حَتْفتي لم أُبالها ... ولم تُذْرِ خالاتي الدموع وعَمَّتي
وهُنِّئ بي قومٌ وما إن هنأتُهم ... وأصبحت في قوم وليسوا بمنْبِتي
وأُمِّ عيالٍ قد شهدتُ تَقُوتُهم ... إذا أطْعَمَتْهم أَو تَحَتْ وأَقلَّتِ[5]
تخاف علينا الجوعَ إن هيَ أَكثرت ... ونحن جياعٌ ، أيَّ أَلْيٍ تألَّتِ[6]
عُفاهيَةٌ لا يقصرُ السّترُ دونها ... ولا تُرتَجى للبَيْت إن لم تُبَيِّتِ[7]
لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثون سَلْجَماً ... إذا ما رأت أُولى العَديِّ اقْشَعَرَّتِ[8]
وتأْتي العَديَّ بارزاً نصفُ ساقِها ... كعَدْو حِمار العانةِ المتفَلِّتِ[9]
إذا فُزِّعت طارت بأَبيضَ صارمٍ ... وراحت بما في جُفرها ثم سَلَّتِ[10]

---

1 اسبكرت : اعتدلت واستقامت .

2 غبُوبها في المفضليات 109 : غبوقها . والغبوق : ما يشرب بالعشي .

3 في المفضليات 110 رواية البيت كما يأتي :

خرجنا من الوادي الذي بين مشعلٍ ... وبين الجَبا هيهاتَ أنشأت سربتي

مشعل والجبا : جبلان . والسّربة : الجماعة .

4 الشطر الثاني في المفضليات 110 : لأنكي قوماً أو أصادف حُمّتي . والحمّة : المنية .

5 أوتحت : قلّلت طعامهم .

6 الجوع في المفضليات 110 : العيل . والألتة : المجاعة .

7 عفاهية : ضخمة ، وفي المفضليات 111 مُصَعكِلة : أي صاحبة صعاليك فقراء .

8 رأت في المفضليات 111 : آنست . والوفضة : جعبة السهام . والسَّلجم : السهم العريض النّصل . العدي : جماعة القوم يعدون راجلين للقتال ونحوه . واقشعرت : تهيأت للقتال .

9 كعدو حمار في المفضليات 111 : تجول كعير .

10 الجفر : جمع جفير بمعنى جعبة السّهام .

حُسامٍ كلون الملح صافٍ حديدُه جُرَازٍ مـن اقطار الحديد المنعَّتِ[1]
تَراهـا كأذنـاب المَطـيّ صوادراً وقـد نهلتْ مِـنَ الدِّماءِ وعلَّتِ[2]
سنجزى سَلامانَ بنَ مُفْرجَ قرضَهم بمـا قَدَّمت أيديهـمُ وأَزَلَّتِ[3]
شفَيْنـا بعبـد الله بعضَ غليلِنـا وعوفٍ لدى المَعْدى أوانَ استهلَّتِ[4]
قتلنـا حرامـاً مُهدِيـاً بمُلَبِّـدٍ محلّهمـا بين الحجيـجِ المصوِّتِ
فإن تُقبلوا تُقبِل بِمَنْ نِيلَ منهـمُ وإن تُدبـروا فأُمّ مَنْ نِيلَ فُتَّتِ
أَلا لا تـزرني إن تشكّيت خُلَّتي كفاني بأعلى ذي الحُمَيرةِ عُدْوَتي[5]
وإنّـي لحُلوٌ إن أُريدت حلاوتي ومُرٌّ إذا النفس الصَّدوفُ استَمَرَّتِ
أبـيّ لما آبـى وشيكٌ مَفِيئَتِي إلى كُلِّ نفس تَنْتَحـي بمودّتي[6]

وقال الشّنفرى أيضاً : [من الطويل]

ومرقبـةٍ عَنْقاء يَقصُرُ دونهـا أخو الضَّرْوة الرّجْل الخفيُّ المخَفَّفُ[7]
نَميتُ إلى أعلى ذراها وقد دنـا من الليـل ملتَفُّ الحديقةِ أسدَفُ[8]
فبِتُّ على حَدّ الذّراعـين أحدباً كما يَتَطَـوَّى الأرقـمُ المُتَعَطِّفُ[9]
قليلٌ جَهازِي غيرُ نعلـين أسحقَت صُدورُهما مخصورةً لا تُخصَّفُ[10]
ومِلحَفَـةٍ دَرْسٍ وجَـرْدِ مُـلاءَةٍ إذا أُنهجت من جانب لا تكَفَّفُ[11]

---

1 أقطار الحديد في المفضليات 111 : كأقطاع الغدير . والجراز : القاطع .
2 المطي في المفضليات 111 : الحسيل .
3 سلامان بن مفرج : قبيلة . أُزلت : من الزلل .
4 عبد الله وعوف : قبيلتان . المعدى : مكان . واستهلت : برزت للقتال .
5 الشطر الثاني في المفضليات 112 : شفاني بأعلى ذي البُرَيقين غَدْوَتي . والخلة : الحاجة . ذو الحميرة : مكان .
6 مفيئتي في المفضليات 112 : سريع مباءتي .
7 مرقبة : مرتفع من الهضاب ونحوها ، عنقاء : طويلة العنق . الضّروة : من ضرا بمعنى استخفى . والرّجل : الساعي على رجليه . وفي الديوان 37 الرجل الحفيّ .
8 نميت في الديوان 37 : نعبت .
9 أحدبا في الديوان 37 : مجذياً .
10 قليل جهازي في الديوان 37 : وليس جهازي . أُسحقت : بليت . مخصورة : دقيقة الوسط . لا تخصف : لا تقبل الخرز .
11 في الديوان 37 : وضنيّة جُردٍ وأخلاق رَيْطة
الجرد : البالي . أنهجت : بليتْ .

وأبيضُ مـن ماء الحديـد مهنّدٌ مِجذٌّ لأطرافِ السّواعِدِ مِقطفُ[1]
وصفراءُ مــن نبعٍ أبيٍّ ظَهيرةٌ تُرِنّ كإرنان الشّجيّ وَتَهْتِفُ[2]
إذا طال فيها النّزعُ تأبى بعَجْسها وترمي بذَرْوَيْهـا بهـنّ فتَقْذِفُ[3]
كأنّ حفيفَ النّبل من فوق عَجْسها عوازبُ نحلٍ أخطأ الغارَ مُطْنِفُ[4]
نــأت أمُّ قيسِ المرْبَعَــين كليهما وتحــذَر أن يَنأى بهـا المتصيَّفُ
وإنّــك لو تَدرينَ أنْ رُبَّ مشربٍ مخوفٍ كداء البطن أو هو أخوفُ
وردتُ بمأثـورٍ ونبـلٍ وضالــةٍ تخيَّرتهـا مِمّـا أريش وأرصُفُ[5]
أركّبهــا في كلِّ أحمــر عاتِــرٍ وأقذف منهـنّ الذي هو مقرِفُ[6]
وتابعتُ فيــه البَرْيَ حتــى تركتُه يَـزِفُّ إذا أنفذتُـــه ويزفزفُ[7]
بِكفّــي منهـا للبغيض عُراضَــةٌ إذا بعــتُ خـلاًّ ما له مُتَخَوَّفُ[8]
ووادٍ بعيـدِ العُمق ضنكٍ جِماعُه بواطِنُــه للجنّ والأسْدِ مألَفُ[9]

---

1 مجذ : قطاع ، ومقطف : قطاع .

2 صفراءُ في الديوان 38 : وحمراء . وصفراء : قوس صفراء . النبع : شجر صلب تتّخذ منه القسيّ . ظهيرة : معينة .

3 الشطر الأول في الديـوان 38 : إذا آل فيها النّزع تأبى بعجزها . والعجس : مقبض القوس . ذروا القوس : طرفاها .

4 عجسها في الديوان 38 : عجزها . عوازب في الديوان 38 : غوارب . عوازب نحل : ذواهب نحل . مطنف : من الطنف .

5 المأثور : السيف المؤثر . الضالة : السلاح عامة ، أو السهام خاصة . رصف السهم : شدّ على مدخل سنخ نصله العقبة .

6 في الديوان 38 :

أركبهــا في كل أحمـر غائـــرٍ وأنسج للولــدان ما هو مقرفُ

العاتر : الشديد ، المقرف ، غير الحسن .

7 يزف : يفعل فعل الطائر إذا رمى بنفسه ، وبسط جناحيه ، والزفزفة : شدّة الجري ، أو تحريك الريح للعشب وصوتها فيه . وفي الديوان138 : يرنّ إذا أنزفته .

8 العراضة : الهدية .

9 في الديوان 38 :

ووادٍ بعيد العمق ضنكٍ جُماعـه مراصد أيـم مَانت الرأس أخوف
وحوش موى زاد الذئاب مضلّة بواطنه للجـــنّ والأسد مألـف

تعسَّفتُ منه بعدما سقط الندى غماليلَ يخشى غِيلَها المُتعسِّفُ[1]
وإنّي إذا خامَ الجبانُ عن الرّدى فلي حيث يُخشى أن يُجاوزَ مخسَفُ[2]
وإن امرءاً أَجار سعدَ بنَ مالكٍ عليّ وأثوابِ الأُقَيْصِرِ يَعْنُفُ[3]

وقال الشَّنفرى أيضاً : [من الطويل]

ومُستبسلٍ ضافي القميصِ ضَغَتُّه بأزرقَ لا نِكسٍ ولا مُتَعَوِّجِ[4]
عليه نُسارِيٌّ على خُوطِ نَبْعةٍ وفُوقٌ كعرقوب القطاة مُحَدْرَجِ[5]
وقاربتُ من كفَّيَّ ثم فَرَجتها بنزع إذا ما استُكرِه النزعُ مُخْلِجِ[6]
فصاحت بكفّي صيحةً ثم رجَّعَت أنينَ الأَمِيم ذي الجراح المُشجَّجِ[7]

وقد روى : فناحت بكفّي نوحة .

[رواية ثالثة في مقتله]

وقال غيره : لا بل كان من أمر الشَّنفرى أنّه سَبَتْ بنو سَلامان بنُ مُفَرِّج بنِ مالِك بنِ هَوازن بن كعب بن عبدِ الله بن مالكٍ بن نصرٍ بن الأزد الشَّنفرى ، وهو أحدُ بني ربيعةَ بن الحِجْرِ بن عمرانَ بن عمرو بن حارثةَ بن ثعلبةَ بن امرىء القيسِ بن مازنِ بن الأزدِ ، وهو غلام ، فجعله الذي سَباه في بَهْمة يرعاها مع ابنة له ، فلمّا خلا بها الشَّنفرى أهوى ليقبّلها ، فصكّت وَجْهَه ، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته ، فخرج إليه ليقتلَه ، فوجده وهو يقول : [من الطويل]

أَلا هل أَتى فِتيانَ قومي جَماعةً بما لطمت كفُّ الفتاة هجينَها ؟
ولو علمتْ تلك الفتاةُ مَناسبي ونِسبتَها ظلّت تقاصَرُ دونها

1 الغماليل : الدوابي . الغيل : الأشجار الكثيفة .
2 الشطر الأول في الديوان 39 :
وآب إذا أجرى الجبان وظنّه
خام : جبن وضعف . مخسف : من خسف الطريق بمعنى ذلّله وقطعه .
3 الأُقيصر : صنم مقدس .
4 ضغت الشيء : لاكه بالأنياب والنواجذ .
5 نساري : ريش نسر الخوط . النبعة : شجرة صلبة تتّخذ منها السهام . الفوق من السهم : حيث يثبت الوتر منه . والمحدرج : الأملس .
6 مخلج : من أخلج الشيء بمعنى انتزعه .
7 المشجج : مَن شجّ رأسه .

أليس أَبي خيرَ الأَوسِ وغيرِهــا ... وأمّي ابنةُ الخَيْرِينَ لــو تَعلمينَها

إذا مــا أَرُومُ الــودَّ بيني وبينها ... يــؤمُّ بياضُ الوجــه منّي يمينَها

قال : فلمّا سمع قوله سأله : مِمَّن هو ، فقال : أَنا الشَّنفرى ، أَخو بني الحارثِ بنِ ربيعةَ ، وكان من أقبح النّاس وجهاً ، فقال له : لولا أنّي أخاف أن يقتلني بنو سَلامان لأنكحتُك ابنتي . فقال : عليَّ إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم ، فأنكحه ابنته ، وخلّى سبيله ، فسار بها إلى قومه ، فشدّت بنو سلامان خلافه على الرجل فقتلوه ، فلمّا بلغه ذلك سكت ولم يُظهِر جزعاً عليه ، وطفق يصنع النبل ، ويجعل أَفواقَها من القُرون والعظام ، ثم إنّ امرأتَه بنتَ السلامانيّ قالت له ذات يوم : لقد خِسْتَ[1] بميثاق أَبي عليك ، فقال : [من الطويل]

كأَنْ قَدْ ، فلا يغْرُرْكِ منّي تَمَكُّثي ، ... سلكتُ طريقاً بين يَرْبَغ فالسَّردِ

وإنّــي زعيــمٌ أَن تثور عَجاجتي ... على ذي كِساءٍ من سَلامان أَو بُردِ

هــمُ عرفــوني ناشئاً ذا مَخِيلة ... أُمشّي خلال الدّار كالفرس الوَرْدِ[2]

كأنّي إذا لم يُمسِ في الحيّ مالك ... بتيهاء لا أُهدى السَّبيلَ ولا أَهدي

قال : ثم غزاهم فجعل يقتُلهم ، ويعرفون نَبلَه بأفواقها في قَتْلاهم ، حتى قتلَ منهم تسعة وتسعين رجلاً ، ثم غزاهم غزوة ، فنذَرُوا به ، فخرج هارباً ، وخرجوا في إثره ، فمرّ بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفَتْه ، فأطعمته أقِطاً ليزيد عَطَشاً ، ثم اسْتَسقى فسقته رائباً ، ثم غيّبت عنه الماء ، ثم خرج من عندها ، وجاءَها القوم فأخبرتهم خبرَه ، ووصفت صفته وصِفَةَ نبله ، فعرفوه ، فرصدوه على رَكيٍّ لهم ، وهو ركيّ ليس لهم ماء غيره ، فلمّا جنّ عليه الليل أقبل إلى الماء ، فلمّا دنا منه قال : إنّي أراكم ، وليس يرى أحداً إنّما يريد بذلك أن يُخرِج رَصَداً إن كان ثمّ ، فأصاخ القوم وسكتوا . ورأى سواداً ، وقد كانوا أجمعوا قبلُ إن قُتِلَ منهم قتيل أن يُمسكَه الذي إلى جنبه لئلاّ تكون حركةٌ ، قال : فرمى لَمّا أبصر السواد ، فأصاب رجلاً فقتله ، فلم يتحرّك أحد ، فلمّا رأى ذلك أَمن في نفسه وأقبل إلى الرَّكيِّ ، فوضع سلاحه ، ثم انحدر فيه ، فلم يَرُعْه إلاّ بهم على رأْسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج . فضرب بعضهم شِماله فسقطت ، فأخذها فرمى بها كبد الرجل . فخرّ عنده في القليب[3] ، فوطىء على رقبته فدقّها . وقال في قطع شِماله : [من الرجز]

1 خست بالميثاق : لم تف به .

2 الفرس الورد : الأحمر .

3 القليب : البئر .

لا تبعَــدي إمّا ذهبتِ شامهْ   فــرُبَّ وادٍ نَفَــرتْ حَمامَــهْ
وربّ قِــرْنٍ فَصَلَتْ عظامَــهْ   وربَّ حَــيٍّ فرَّقَــت سَوامَــهْ

قال : ثم خرج إليهم ، فقتلوه وصلبوه ، فلبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل ، قال : فجاء رجل منهم كان غائباً ، فمرّ به وقد سقط فركض رأسه برجله ، فدخل فيها عظم من رأسه فعلَّت عليه فمات منها ، فكان ذلك الرجلُ هو تمام المائة .

صوت

[من المتقارب]

ألا طرقَتْ في الدّجـى زينبُ   وأحببْ بزينــبَ إذ تَطْـرُقُ
عجبتُ لزينــبَ أنَّى سَرَت   وزينــبُ مــن ظلّها تَفـرَقُ[1]

عروضه من المتقارب ، الشعر لابن رُهَيْمة ، والغناء لخليل المعلّم رمل بالبنصر ، عن الهشاميّ وأبي أيوبَ المدنيّ .

1 تفرق : تخاف .

[452] ـ أخبار الخليل ونسبه

[نسبه]

هو الخليلُ بنُ عمرو ، مكّيٌّ ، مولى بني عامِرِ بنِ لؤيٍّ ، مُقِلٌّ لا تُعرَف له صنعة غيرُ هذا الصوت .

[يشتري لهو الحديث]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا محمد بنُ القاسم ، بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعدٍ قال : حدَّثني القَطرانيّ المغنِّي ، عن محمد بنِ حسين ، قال : كان خَلِيل المعلّم يلقّب خليلانَ ، وكان يؤدِّب الصِّبيان ويلقنهم القرآن والخطّ ، ويعلّم الجواري الغِناء في موضع واحد ، فحدّثني مَنْ حضره قال : كنت يوماً عنده وهو يردّد على صبيّ يقرأ بين يديه ﴿ومن النَّاس مَنْ يَشْتَري لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عن سَبِيل الله بغَيْرِ عِلْم﴾[1] ثم يلتفت إلى صَبِيّة بين يديه فيردّد عليها : [من السريع]

اعتــادَ هــذا القلبَ بلبالُهُ أَن قُرِّبَــتْ للبَيْــنِ أَجمالُهُ

فضحِكتُ ضحكاً مفرِطاً لِمَا فعلَه ، فالتفت إليّ فقال : ويلك ما لك ؟ فقلت : أتنكر ضَحِكي ممّا تَفعَل ؟ والله ما سَبَقك إلى هذا أحد ! ثم قلت : انظر أيَّ شيء أخذت على الصبيّ من القرآن ، وأيَّ شيء هوذا تُلقي على الصبيّة ، والله إنِّي لأظنّك مِمَّن يشتري لهو الحديث لِيُضِلّ عن سبيل الله ، فقال : أرجو ألاّ أكون كذلك إن شاء الله .

[يسيء الأزدي فهم غنائه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخفشُ قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرِّدُ قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعذّل قال : كان خُلَيلانُ المعلّم أحسَن الناس غناءً ، وأفتاهم وأفصحهم ، فدخل يوماً على عُقبةَ بن سَلْم الأزديِّ الهنائيّ فاحتبسه عنده ، فأكل معه ثم شرب ، وحانت منه التفاتة ، فرأى عوداً معلّقاً ، فعلِم أنّه عَرَّضَ له به ، فدعا به وأخذه فغنّاهم : [من الخفيف]

يا ابنةَ الأزديّ قلبي كَئِيبُ مُستَهام عندهــا ما يُنِيبُ[2]

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبةَ بن سلم متغيّراً ، وقد ظنّ أنّه عرّض به ، ففطن لمّا أراد

1 سورة لقمان ، الآية : 6 .

2 ينيب : يرجع .

فغنّى : [من مجزوء الوافر]

ألا هَزِئت بنا قُرَشِـ ـيَّـة يهتـزُّ موكِبُهـا

فسُرِّي عن عقبةَ وشرب ، فلمّا فرغ وضع العود من حجره ، وحلف بالطلاق ثلاثاً أنّه لا يغنّي بعد يومه ذلك إلاّ لَمن يجوز حكمُه عليه .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

يـا ابنةَ الأَزْدِيِّ قلبي كئيبُ مستهـام عندهـا مـا يُنِيبُ

ولقـد لاموا فقلتُ : دعوني إنّ مَنْ تَنهوْنَ عنـه حَبِيبُ

إنّما أَبلى عِظامي وجِسْمي حُبُّها والحُبُّ شيءٌ عَجِيبُ

أيـُّها العائِـبُ عندي هَواها أَنتَ تَفدي مَـن أَراك تَعِيبُ

عروضه من المديد ، والشعر لعبد الرحمنِ بنِ أَبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، والغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاقَ ، وفيه لمالكٍ خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عنه ، وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسُبْه إسحاقُ إلى أحد ، ووجدتُه في روايات لا أثِق بها منسوباً إلى حُنَين ، وقد ذكر يُونس أنّ فيه لَحنين ولمالكٍ كلاهما ، ولعلّ هذا أحدهما ، وذكر حَبَش أنّ خفيف الرمل لابن سُرَيج ، وذكر الهِشاميّ وعليّ بن يحيى أنّ لحن مالك الآخر ثاني ثقيل ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لطويسٍ هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر ، وذكر عمرو بن بانة أنّ لمالك فيه ثقيلاً أوّل وخفيفه ، ولمعبد خفيف ثقيل آخر : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا هزِئـت بنا قُرَشِيَّةٌ م يهتـــزُّ موكِبُهـــا

رأَت بـي شَيْبَةً في الـرأ سِ منّـي مـا أُغَيِّبُهـا

فقالت لي : ابنُ قَيْسٍ ذا ؟ وبَعـضُ الشيـب يُعجِبها

لهـا بعـلٌ خَبِيثُ النَّفْس يحصُرُهـا ويَحْجُبُهـا

يـراني هكـذا أَمشي فيُوعِدُهـا ويَضْرِبُهـا

عروضه من الوافر ، الشعرُ لابن قَيْس الرقيات ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفيه ليونُس ثقيل أوّل عن إسحاق بن إبراهيم والهشاميّ .

صوت

[من البسيط]

هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حَبلُها إذ نأتك اليومَ مَصرومُ
أم هل كئيبٌ بكى لم يقضِ عبرتَهُ ... إثْر الأَحِبَّة يــــوم البين مَشْكومُ[1]
يَحملن أُترُجَّةً ، نَضْخُ العبير بها ... كأَنَّ تَطيابَها في الأَنف مَشْمومُ
كأَنَّ فَـــأْرَةَ مسكٍ في مفارقها ... للباسط المُتعاطي وَهْـــو مزكومُ
كأَنَّ إبريقَهم ظَبــيٌ على شرف ... مُفَـــدَّمٌ بسَبا الكتّـــانِ ملثُومُ[2]
قد أَشْهدُ الشَّربَ فيهم مِزْهرٌ صَدِحٌ ... والقومُ تصرعهم صهباءُ خُرطومُ[3]

الشعر لعلقمة بن عَبَدَةَ ، والغناء لابن سُريج ، وله فيه لحنان أحدهما في الأَوّل والثاني خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، والآخرُ رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات ، وذكر عمرو بن بانة أنّ في الأَربعة الأبيات الأُوَل المتوالية لمالك خفيفَ ثقيل بالوسطى ، وفيها ثقيل أوّل نسبه الهِشاميّ إلى الغَريض ، وذكر حَبَش أنَّ لحن الغَرِيض ثاني ثقِيل بالبنصر ، وذكر حبش أنّ في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج .

1 كئيب في شرح ديوان علقمة 33 : كبير . مشكوم : من شكيمة الفرس .
2 مفدّم : مسدود . وسبا الكتان : خرقة .
3 صدح في شرح ديوان علقمة 45 : رَنِمٌ . الخرطوم : السريعة الإسكار .

[453] ـ أخبار علقمة ونسبه[1]

[نسبه]

هو علقمة بن عَبَدَة بن النُّعمان بنِ ناشرةَ بن قيس بن عُبَيد بن ربيعةَ بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياسَ بن مضرَ بن نزار .

[الملك ينتقم من زيد مناة]

وكان زيدُ مناةَ بن تميم وَفَد هو وبكر بن وائل ، وكانا لِدَةَ عصر واحد ، على بعض الملوك ، وكان زيدُ مناة حسوداً شرهاً طعَّاناً ، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكراً داهياً فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة ، ويقلَّ معها حظُّه ، فقال له : يا بكر لا تلقَ الملك بثياب سفرك ، ولكن تأهَّبْ للقائه وادخل عليه في أحسن زينة ، ففعل بكر ذلك ، وسبقه زيد مناة إلى الملك ، فسأله عن بكر ، فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدّي لهنّ ، وقد حدّث نفسه بالتعرّض لبنت الملك ، فغاظه ذلك ، وأمسك عنه ، ونَمى الخبرُ إلى بكر بن وائل ، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ، وصَدَقه عنه ، واعتذر إليه ممّا قاله فيه عذراً قبله ، فلمّا كان من غد اجتمعا عند الملك ، فقال الملك لزيد مناة : ما تحبّ أن أفعل بك ، فقال : لا تفعل ببكر شيئاً إلاّ فعلتَ بي مثْلَيْه ، وكان بكر أعورَ العين اليمنى ، قد أصابها ماء فذهب بها ، فكان لا يعلم مَن رآه أنّه أعور فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له : ما تحبّ أن أفعل بك يا بكر ، قال : تفقأُ عيني اليمنى ، وتُضعفُ لزيد مناة ، فأمر بعينه العوراء ففُقِئت ، وأمر بعينَيْ زيدِ مناة ففقئتا ، فخرج بكر وهو أعور بحاله ، وخرج زيد مناة وهو أعمى .

[سبب تسميته]

وأَخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد ، عن أَبي حاتم ، عن أَبي عبيدة .

ويقال لعلقمة بنِ عَبَدة عَلْقَمَةُ الفَحل ، سُمِّي بذلك لأنّه خلف على امرأة امرىء القيس لما حكمت له على امرىء القيس بأنّه أشعَر منه في صفة فرسه ، فطلّقها ، فخالفه عليها ، وما زالت العرب تسمِّيه بذلك ، وقال الفرزدق : [من الكامل]

والفحلُ عَلقمةُ الذي كانت له حُلَـلُ الملوك كلامُـه يُتَنَحَّلُ

1 انظر أخباره في شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل ـ رواية الأعلم الشنتمري تحقيق حنّا نصر الجتي دار الكاتب العربي 7–14 ، والشعر والشعراء 1 : 218–222 ، والمفضليات : المفضلية 119 ، والأنباري 762–765 ، والموشح 28–30 وطبقات ابن سلاّم 30 ، 31 والخزانة 1 : 565–566 .

[قصيدتاه سمطا الدهر]

أَخبرني عَمِّي قال : حَدَّثني النَّضرُ بن عمرو قال : حدَّثني أَبو السوّار ، عن أَبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى ، عن حَمَّادِ الراويةِ قال : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولاً ، وما ردّوه منها كان مردوداً ، فَقَدِم عليهم علقمةُ بن عَبَدة ، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها : [من البسيط]

هل ما علمتَ وما استُودعْتَ مكتوم أم حَبْلُها أَنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذه سِمطُ الدّهر ، ثم عاد إليهم العامَ المقبلَ فأَنشدهم : [من الطويل]

طحا بك قلب في الحِسان طروبُ بُعَيْد الشَّباب عَصْرَ حان مَشِيبُ

فقالوا : هاتان سِمْطا الدهر .

[يسرقون شعره]

أَخبرني الحسن بن عليٍّ قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، عن حمّاد بن إسحاق قال : سمعت أبي يقول : سرق ذو الرُّمّة قوله : [من البسيط]

يطفو إذا مـا تلقَّتـه الجراثيمُ[1]

من قول العجّاج : [من الرجز]

إذا تلقَّتْـه العقاقيـلُ طفـا[2]

وسرقه العجّاج من علقَمَة بن عَبَدة في قوله : [من البسيط]

يطفو إذا مـا تلقتـه العقاقِيل

[أيّهما أوصف للفرس هو أو امرؤ القيس]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ قال : حدَّثنا العُمَريّ عن لَقيط ، وأَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عُمَر بنُ شَبَّة قال : حدَّثني أبو عُبيدة قال : كانت تحت امرىء القيس امرأةٌ من طيىء تزوّجها حين جاور فيهم ، فنزل به علقمةُ الفَحْل بن عَبَدة التَّمِيميّ ، فقال كلّ واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فتحاكما إليها ، فأنشد امرؤ القيس قوله : [من الطويل]

خليليَّ مُـرَّا بي على أُمّ جُنْدُب

حتى مرَّ بقوله :

---

1 الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي التراب المجتمع في أصول الشجر .

2 العقاقيل : جمع عقال ، وهو داء يصيب رِجل الدابة .

فللسَّوط أُلهوبٌ وللسَّاق دِرَّةٌ وللزَّجر منه وَقْعُ أَخْرجَ مُهذِبِ[1]

ويروى : أهوجَ مِنعَبِ[2] .

فأنشدها علقمة قوله : [من الطويل]

ذَهَبْتَ من الهِجرانِ في غير مَذْهَب

حتى انتهى إلى قوله :

فأدركه حتـى ثنى من عِنانه يمُـرُّ كغيثٍ رائـحٍ مُتَحَلِّب[3]

فقالت له : علقمةُ أَشعرُ منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنّك زجرت فرسَك ، وحرَّكته بساقك ، وضربتَه بسوطك . وأنّه جاء هذا الصيد ، ثم أدركته ثانياً من عِنانه ، فغضب امرؤ القيس وقال : ليس كما قلتِ ، ولكنّك هَويتِه ، فطلّقها ، فتزوّجها علقمة بعد ذلك ، وبهذا لُقِّبَ علقمةَ الفَحْل .

[ربيعة بن حذار يحكم له]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن لقيط قال : تحاكم علقمةُ بن عبدة التميميّ والزبرقانُ بن بَدْر السعديّ ، والمُخبَّل ، وعمرو بن الأهتم ، إلى ربيعة بن حُذار الأَسديّ ، فقال : أما أنت يا زبرقان فإنّ شعرك كلحم لا أُنضِج فيُؤْكلَ ، ولا تُرِك نَيِّئاً فيُنتفعَ به ، وأمّا أنت يا عمرو فإنّ شعرك كبُرْد حبَرة يتلألأ في البصر ، فكلّما أعدّته فيه نقص ، وأمّا أَنت يا مُخبّل فإنّك قصّرت عن الجاهليّة ولم تدرك الإسلام ، وأمّا أنت يا علقمة فإنّ شعرك كمزادة[4] قد أُحكِم خَرْزُها فليس يَقْطر منها شيء .

[عمر يجلد من تمثل بشعره]

أخبرني محمدُ بن الحسنِ بن دُريد قال : حدَّثني عمِّي ، عن العبّاس بن هشام ، عن أبيه قال : مرَّ رجل من مُزينَة على باب رجل من الأنصار ، وكان يُتَّهم بامرأته ، فلمّا حاذى بابَه تنفَّس ثم تمثَّل : [من البسيط]

---

1 الألهوب : اجتهاد الفرس في العدو . الدرة : حث الفرس على العدو . الأخرج : ما خالط بياضه سواده . مهذب : مسرع .

2 مِنْعَب : الجواد يمدّ عنقه عند عدوه كالغراب .

3 في شرح ديوان علقمة 62 :

فأدركهن ثانياً من عنانه يمر كمرّ الرائح المتحلّب

4 المزادة : إناء صغير من الجلد يحمل فيه الماء .

هل ما علمتَ وما استُوْدِعْتَ مكتومُ   أَم حبلُها إذ نأَتك اليوم مصرومُ ؟

قال : فتعلَّق به الرجل : فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه ، فاستعداه عليه ، فقال له المُتمثِّل : وما عليّ في أن أنشدتُ بيتَ شعر ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما لك لم تُنْشِده قبل أن تبلغ بابه ؟ ولكنّك عَرَّضت به مع ما تعلم من القالَة فيه ، ثم أمر به فضُرِب عِشْرين سَوْطاً .

صوت

[من الطويل]

فـوالله لا أَنسى قتِيـلاً رُزِيتُـه   بجانب قَوسَى ما حييتُ على الأرضِ[1]
بـلى إنّهـا تَعْفُو الكلُـومُ وإنّما   نُوكَّلُ بالأَدنى وإن جَلَّ ما يَمضي[2]
ولم أَدرِ مَـن أَلْقى عليـه رداءَه   ولكنّـه قـد بُـزَّ عن ماجدٍ محضِ

الشعر لأَبي خراش الهذليّ ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكّيّ أنّه لابن مسجح وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى المكّيّ ، نحله ابن مسجح ، وفي أخبار معبد أن له فيه لحناً .

1 قَوسى : بلدة بالسراة وبها قتل عروة أخو أبي خراش .
2 تعفو الكلوم : تندمل .

[454] ـ ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره[1]

[نسبه]

أبو خراش اسمه خُوَيْلد بن مُرَّة ، أَحدُ بني قِرْد ، واسمُ قرد عمرو بن معاوية بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلامَ فأَسْلَم وعاش بعد النبيّ ﷺ مدّة ، ومات في خلافةِ عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه ، نَهَشَتْه أُفعى فمات ، وكان مِمّن يَعْدو فيسبِقُ الخيل في غارات قومه وحروبهم .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي والحسن بن عليّ قالوا : حدَّثَنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ عُمَيْر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال : حدَّثني أبو بركة الأشجعيُّ من أنفُسهم قال : خرج أبو خِراش الهُذَليّ من أرض هُذَيل يريد مكّة ، فقال لزوجته أمّ خِراش : ويحك إنِّي أُريد مكّة لبعض الحاجة ، وإنّك من أفَكّ[2] النساء ، وإنّ بني الدِّيل يطلبونني بتراتٍ فإيّاكِ وأنْ تذكُريني لأحد من أهل مكّة حتى نصدر منها ! قالت : معاذ الله أن أذكرك لأهل مكّة وأنا أعرف السبب .

[يتربصون به فيفلت منهم]

قال : فخرج بأُمّ خراش وكَمَن لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتريَ عِطْراً أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهنّ ، فجلستْ إلى عطّار فمرّ بها فتيانٌ من بني الدِّيل ، فقال أحدُهما لصاحبه : أُمّ خِراش وربّ الكعبة وإنّها لَمن أفكّ النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلّنا عليه ، قال : فوقفا عليها فسلّما وأحْفيا[3] المسألة والسلام ، فقالت : مَن أنتما بأبي أنتما ؟ فقالا : رجلان من أهلِكِ من هذيل ، قالت : بأبي أنتما . فإنّ أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد ، ونحن رائحون العشيَّة ، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولًى لهم يقال له مَخْلَدٌ وكان من أجود الرجال عَدْواً ، فكمنوا في عَقَبة على

---

1 انظر أخباره في الاشتقاق 11 والكامل للمبرد 528–530 ، 1186 وفي الشعر والشعراء 663–664 ، وفي الاستيعاب 659–661 وأسد الغابة 5 : 178–179 والإصابة 2 : 152 واللآلي 216–217 والخزانة 1 : 211–212 .

2 أفك النساء : أكذبهنّ .

3 أحفيا : أبديا الحفاوة .

طريقة ، فلمّا رآهم قد لاقوْه في عين الشمس قال لها : قَتَلْتني وربِّ الكعبة لِمَنْ ذكرتني ؟ فقالت : والله ما ذكرتك لأحد إلاّ لِفَتَيَيْنِ من هذيل ، فقال لها : والله ما هما من هذيل ولكنّهما من بني الدِّيل وقد جلسا لي وجمعا عليَّ جماعة من قومهم فاذهبي أنت فإذا جُزتِ عليهم فإنّهم لن يعرِضوا لكِ لئلاّ أسْتَوحِشَ فأفوتَهم ، فاركُضي بعيرَكِ ، وضعي عليه العَصا ، والنجاءَ النجاءَ .

قال : [فانطلقَت] وهي على قَعُودٍ عُقَيْلي يسابق الريح ، فلمّا دَنا منهم وقد تلثّموا ووضعوا تَمْراً على طريقه على كساء ، فوقف قليلاً كأنّه يُصلِحُ شيئاً ، وجازت بهم أُمّ خِراش فلم يَعرضُوا لها لئلاّ ينفِرَ منهم ، ووضعت العصا إلى قعودها ، وتواثبوا إليه ووثب يعدُو .

قال : فزاحمه على المحجَّةِ[1] التي يَسْلُكُ فيها على العقبة ظَبْيٌ ، فسبقه أبو خراش ، وتصايح القومُ : يا مخلد أخْذاً أخْذاً .

قال : ففات الأخذ . فقالوا : ضرباً ضرباً ، فسبق الضرب ، فصاحوا : رَمْياً رَمْياً فسبق الرمي ، وسَبَقَت أُمُّ خراش إلى الحيِّ فنادت : ألا إنَّ أبا خراش قد قُتِل ، فقام أهلُ الحيِّ إليها ، وقام أبوه وقال : ويحك ما كانت قصَّتُه ، فقالت : إنّ بني الدِّيْل عرضوا له الساعة في العقبة ، قال : فما رأيتِ ، أو ما سمعتِ ؟ قالت : سمعتهم يقولون : يا مخلد أخذاً أخذاً ، قال : ثم سمعْتِ ماذا ؟ قالت : ثم سمعتُهم يقولون : ضرباً ضرباً ، قال : ثم سمعت ماذا ؟ قالت : سمعتهم يقولون : رمياً رمياً ، قال : فإن كنتِ سمعتِ رمياً رمياً فقد أفلت ، وهو منّا قريب ، ثم صاح : يا أبا خراش ، فقال أبو خراش : يا لبَّيْكَ ، وإذا هو قد وافاهم على أثرها . وقال أبو خراش في ذلك : [من الطويل]

رَفَوْنِي وقالــوا يا خُوَيْلدُ لم تُرَعْ   فقلت وأَنكرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ[2]

رَفَوْني بالفاء : سكّنوني وقالوا : لا بأس عليك .

فغــارَرْتُ شيئاً والدّريسُ كأنّما   يزعزعُــه وعْــكٌ من المُومِ مُرْدِمُ[3]

غاررت : تلبثت . والدّريس : الخَلَق من الثياب ، ومثلُه الجرْدُ والسَّحق والحَشيف . ومُرْدِم : لازم .

---

1 المحجّة : الطريق .

2 لم تُرَعْ في ديوان الهذليين 144/2 : لا تُرَعْ .

3 فغاررْت في ديوان الهذليين : 144/2 : فعدّيت . الوعك : أذى الحمى ، وعكٌ في ديوان الهذليين 144/2 : ورْدٌ . والموم : الحمى الشديدة .

تذكّرتُ ما أينَ المفرُّ وإنّني ... بحبل الذي يُنْجي من الموتِ مُعْصِمُ[1]
فواللهِ ما رَبْداءُ أو عِلْجُ عانَةٍ ... أقبُّ وما إنْ تَيْسُ رَمْلٍ مُصَمِّمُ[2]
بأسرعَ منّي إذ عرفت عَدِيَّهُم ... كأنّي لأولاهُمْ من القُرْبِ تَوْأَمُ[3]
وأجودَ منّي حينَ وافَيْتُ ساعياً ... وأخطأني خلْفَ الثَّنِيَّةِ أسهُمُ[4]
أوائِلُ بالشَّدِّ الذَّليقِ وحَثَّني ... لدى المتن مشبوح الذراعين خَلْجَمُ[5]
تَذَكَّرَ ذَحْلاً عندنا وهْو فاتكٌ ... من القومِ يَعرُوه اجتراءٌ ومَأثمُ
تقول ابنتي لمّا رأتني عشيَّةً : ... سلمتَ وما إن كِدتَ بالأمس تَسلمُ
فقلتُ وقد جاوزت صارَى عشيَّةً : ... أجاوزتُ أولى القوم أم أنا أحلمُ[6]
فلولا دِراكُ الشدّ آضتْ حليلَتي ... تخيَّر في خُطَّابِها وَهْيَ أيِّمُ[7]
فتسخَطُ أو ترضى مكاني خليفةً ... وكادَ خِراشٌ عند ذلك يَيْتَمُ[8]

[يسبق الخيل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن الحسين الكنديّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا : حدَّثنا الرياشيّ قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : حدَّثني رجل من هذيل قال : دخل أبو خراش الهُذَليُّ مكّةَ وللوليد بن المغيرة المخزوميّ فرسانِ يريد أن يُرسِلَهُما ، في الحلْبة ، فقال للوليد : ما تجعلُ لي إنْ سبقتُهما ؟ قال : إن فعلت ، فهما لك ، فأُرسِلا ، وعَدا بينهما فسبقهما فأخذهما .

قال الأصمعيّ : إذا فاتك الهُذليُّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه .

وأخبرني بما أذكُره من مجموع أخبار أبي خراش عليُّ بن سُلَيْمان الأخفش ، عن أبي سعيد

1 تذكرت في ديوان الهذليين 144/2 : تذكَرَ ما . بحبل : في ديوان الهذليين 144/2 : بِغُرْزٍ . مُعْصِم : مستمسك .
2 العلج : حمار الوحش . أقب : دقيق الخصر ضامر البطن ؛ رَمْلٍ في ديوان الهذليين 145/2 : رَبْلٍ وهو ضرب من الشجر . مصمم : جاد في سيره .
3 لأولاهم : لأولى سراياهم .
4 في ديوان الهذليين 147/2 : يوم كَفَتُّ عادياً .
5 واءل : طلب النجاة . الشد الذليق : الجري السريع . مشبوح الذراعين : عظيمها . الخلجم : الجسم العظيم .
6 صارى : جبل جنوبي المدينة .
7 آضت في ديوان الهذليين 148/2 : قاظتْ ، أي أتتْ عليها قيظة أي صَيْفة .
8 فتسخط وعند في ديوان الهذليين 148/2 : على التوالي : فتقعد ، يوم .

السكريّ ، وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سعيد ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، وعن ابن حبيبَ عن أبي عمرو .

[يمدح دبية حياً ويرثيه ميتاً]

وأخبرني ببعْضه محمدُ بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الرياشيّ ، عن الأصمعيّ ، وقد ذكرتُ ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كلّ واحد منهم عن أصحابه في مواضعه ، قال السكريّ : فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال : نزل أبو خِراش الهذليّ على دُبَيَّةَ السُّلميّ ، وكان صاحبَ العُزّى التي في غطفان وكان يَسْدُنها ، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لمّا بعثه رسول الله ﷺ إليها فهدَمَها وكسرها وقتل دُبَيَّةَ السُّلميَّ ، قال : فلمّا نزل عليه أبو خراش أحسَنَ ضيافَتَه . ورأى في رجله نَعْلين قد أخلقتا ، فأعطاه نعلين من حذاء السِّبْت[1] فقال أبو خراش يمدحه : [من الوافر]

حذانيَ بعد ما خَذِمَتْ نِعالي ... دُبَيَّـةُ إنَّـه نِعـمَ الخليلُ[2]

مُقابَلَتين مِـن صَلَوي مُشِبٍّ ... من الثيرانِ وصلُهما جميلُ[3]

بمِثلِهما يـروح المرءُ لَهواً ... ويقْضي الهمَّ ذو الأَربِ الرَّجيلُ[4]

فنعم مُعرَّسُ الأضياف تُذْحي ... رحالَهُـم شآميّـةٌ بَليـلُ[5]

يُقاتِـل جوعَهـم بمكلّلاتٍ ... مـن الفُرْنيِّ يَرْعَبُها الجميلُ[6]

قال أبو عمرو : الجَميلُ : الإهالة ، ولا يقال لها جميل حتى تُذاب إهالَةً كانت أو شَحْماً . وقال أبو عمرو : ولمّا بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم عُزَّى غطفان ، وكانت ببطن نَخْلَة ، نَصَبَها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرّة وقتل دُبَيَّة فقال أبو خراش الهذليّ يرثيه : [من البسيط]

---

1 السِّبْت : الجلد المدبوغ .

2 خَذِم الحذاء : انقطع .

3 مقابلتين في ديوان الهذليين 140/2 : بموركتين ، أي من الورك . الصِّلوان : ما فوق الذنب من الوركين ، وهو تثنية صلا ، والصّلا : الظّهر . من الثيران وصلهما جميل : في ديوان الهذليين 140/2 : بصرّافين عقدهما جميل أي بشراكين يصرفان ، أي يصوّتان .

4 ورد البيت في ديوان الهذليين 140/2 :

بمثلهـا نروح نريـد لهـواً ... ويقضي حاجة الرّجل الرّجيل

والرجيل : القوي على المشي .

5 الشآمية البليل : الريح التي تهبّ من جهة الشام رطبة ليّنة . تُذحي : تسوق وتطرد وفي الديوان تَذّحى .

6 مكلّلات : مملوءات ، الفرنيّ : نوع من الخبز . يرعبها : يملؤها . الجميل : الإهالة ، وهي الشَّحم .

مـــا لِدُبَيَّـــةَ منـــذُ اليـــــوم لم أَرَهُ ... وسْطَ الشُّرُوبِ ولم يُلْمِمْ ولم يطفِ[1]
لـــو كان حيّـــاً لغاداهـــم بمُترعَةٍ ... فيها الرّواوِيق من شِيزى بني الهَطِفِ[2]

بنو الهَطِفِ : قوم من بني أَسد يَعْملون الجِفان .

كابـــي الرمـــاد عظيـــمُ القِدْرِ جَفْنَتُه ... حين الشتاء كحَوْضِ المُنْهَـلِ اللَّقِفِ[3]

المنهلُ : الذي إبله عطاش . واللقِفُ : الذي يضربُ الماءُ أَسفلَه فيتساقط وهو ملآن .

أَمسى سَقامٌ خَـــلاءً لا أَنيسَ به ... إلاّ السّباعُ ومَـرُّ الريح بالغَرَفِ[4]

[يرثي زهير بن العجوة]

وقال الأَصمعيّ وأَبو عمرو في روايتهما جميعاً : أُخِذ أَصحابُ رسول الله ﷺ في يوم حُنَين أُسارى ، وكان فيهم زهيرٌ بن العَجْوَةِ أخو بني عمرو بن الحارث ، فمرَّ به جميلُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حبيبِ بنِ وهبِ بن حُذافَةَ بن جُمَحَ ، وهو مربوطٌ في الأسرى ، وكانت بينهما إحنةٌ في الجاهليّة ، فضرب عُنقَه ، فقال أبو خراش يرثيه : [من الطويل]

فَجَّعَ أَصحابي جميلُ بـــن معْمَرٍ ... بذي فَجَـــرٍ تأوي إليه الأَرامِلُ[5]
طويلُ نِجادِ السيف ليس بجَيْدَرٍ ... إذا قام واستنَّت عليـــه الحمائِلُ[6]
إلى بَيْتِهِ يـــأوِي الغريبُ إذا شتا ... ومُهتَلِكٌ بـــالي الدّريسَيْن عائِلُ[7]
تروَّحَ مقروراً وراحـــت عشيّة ... لهـــا حَـــدَبٌ تحتثُّـــه فيُوائِلُ[8]
تكـــاد يـــداه تُسْلِمـــان رداءَه ... من القُرِّ لّمـــا استقبلتْه الشمائلُ[9]

---

1 الشُّروب : القوم الذين يشربون . ودبيّة : كان سادناً لبعض الأصنام فضرب خالد بن الوليد عنقه .

2 الرواويق : جمع الراووق وهو الخمر وإناؤها ، وقيل المصافي . والشيزى : الجفنة . بنو الهطف : بنو أسد بن خزيمة ، كانوا حلفاء لبني كنانة ، وكانوا يعملون الجفان .

3 كابي الرماد : عظيم الرماد .

4 سَقام : وادٍ بالحجاز ، والغَرف : الشجر .

5 أصحابي في ديوان الهذليين 148/2 : أضيافي .

6 في ديوان الهذليين 149/2 :

طويـــل نجـــاد البزّ ليس بجيـــدرٍ ... إذا اهتزّ واسترخت عليه الحمائلُ

البزّ : السيف ، والجيدر : القصير . والحيدر : الغليظ السمين ، واستنت : اهتزّت .

7 المهتلك : لا همّ له إلاّ أن يتضيّفه الناس . والدريسان : مثنّى دريس ، وهو الثوب الخلق .

8 الحدب : شدّة البرد . تحتثّه : تسرع به ، يوائل : يطلب النجاة .

9 القر في ديوان الهذليين 149/2 : الجود .

فما بالُ أَهلِ الدّار لم يتصدَّعوا وقد خفَّ منها اللّوذعيُّ الحُلاحلُ[1]
فأُقسِمُ لــو لاقيتَــه غيرَ موثَقٍ لآبك بالجِزْع الضّباعُ النّواهِلُ[2]
لظلّ جميــلٌ أسوأَ القــوم تَلَّةً ولكنَّ ظَهْرَ القِرْنِ للمَرْءِ شاغلُ[3]
فليس كعهدِ الدّار يــا أُمَّ مالكٍ ولكنْ أَحاطت بالرِّقاب السلاسلُ
وعاد الفتى كالكهـل ليس بقائلٍ سوى الحقِّ شيئاً فاستراح العواذلُ
ولم أَنْسَ أَيّامــاً لنــا ولياليــاً بِحَلْيَةَ إذ نلقــى بهــا ما نحاولُ[4]

وقال أَيضاً يرثيه : [من الطويل]

أَفي كلِّ مَمْسى ليلــةٍ أَنا قائل من الدَّهــرِ لا يبعَدْ قتيلُ جميلِ
فما كنتُ أَخشى أَن تصيبَ دماءَنا قريشٌ ولمــا يقتلــوا بقتيلِ
فأَبــرحُ مــا أُمِّرْتُمُ وعَمَرْتُمُ مدى الدّهــرِ حتى تُقْتَلُوا بِغَلِيلِ[5]

[يستنقذ أسرى بني ليث]

وقال أَبو عمرو في خبره خاصة : أَقبل أَبو خراش وأَخوه عروة وصهيب القِرْديّ في بضعةَ عشر رجلاً من بني قِرْد يطلبون الصيد فبينا هم بالمجمعةِ من نخلة لم يَرُعْهم إلاّ قومٌ قريبٌ من عدّتهم فظنّهم القِرْدِيُّون قوماً من بني ذُؤَيبة أحدِ بني سعدِ بن بكرِ بن هوازنَ أَو من بني حبيب أحدِ بني نصرٍ ، فعدا الهذليُّون إليهم يطلبونَهم وطَمِعُوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً ، وإذا هم قومٌ من بني لَيْثِ بن بكرٍ ، فيهم ابنا شَعوب أسرهما صُهَيْبٌ القِرديّ ، فهمَّ بقتلهما ، وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعاً من أصحابه وأَطلقَهم ، فقال أبو خراش في ذلك يمُنُّ على ابنَي شَعُوبَ أحد بني شِجْعٍ بنِ عامر بنِ ليث فعلَه بهما : [من الوافر]

عدونــا عــدوةً لا شكَّ فيها وخِلناهــمْ ذُؤَيبــةَ أَو حَبيبا[6]

1 يتصدّعوا في ديوان الهذليين 149/2 : يتحمّلوا . اللوذعي : الخفيف الذكيّ ، أو الحديد الفؤاد والنفس ، أو اللسن الفصيح . الحلاحل : السيد في قومه ، أو الكريم الجواد .
2 الجزع : منعطف الوادي .
3 تلّة : صرعة .
4 حلية : مكان .
5 وعمَرتم في ديوان الهذليين 157/2 : وملكتم .
6 ذؤيبة وحبيب : قبيلتان .

فنُغـرِي الثائريـــن بهم وقلنا شفاءُ النفس أَنْ بَعَثوا الحروبا
مَنَعْنا مــن عديٍّ بني حُنَيفٍ صِحابَ مضرّسٍ وابني شَعوبا[1]
فأَثْنوا يــا بنــي شِجْعٍ علَيْنا وحقٌّ ابني شَعُوب أَنْ يُثِيبا
وسائلْ سَبرةَ الشِّجعِــيِّ عنّا غــداة نخالهم نَجْــواً جَنيبا[2]
بــأنَّ السابقَ القِرْديَّ أَلقــى عليـــه الثوبَ إذ ولّى دبيبا
ولــولا ذاكَ أَرهقَــه صُهيبٌ حسامَ الحَدِّ مطروراً خشيبا[3]

[يزهد زهد الهنود]

أَخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا الرياشيّ : قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : أَقفر أَبو خراش الهذليّ من الزَّادِ أيّاماً ، ثم مرَّ بامرأةٍ من هذيل جزلةٍ شريفةٍ ، فأَمرت له بشاة فَذُبِحَت وشُوِيَتْ ، فلمّا وَجَدَ بطنه ريحَ الطّعام قرقر[4] ، فضرب بيده على بطنه وقال : إنّكَ لتقرقر لرائحة الطعام ، والله لا طعِمْتَ منه شيئاً ثم قال : يا ربّة البيت ، هل عندك شيء من صَبِرٍ أو مُرٍّ ؟ قالـت : تصنع بـه مـاذا ؟ قـال : أريدُه ، فأَتَتْه منـه بشيء فاقتمحَه ، ثـم أهوى إلى بعيرِه فركِبَه ، فناشدتْه المرأةُ فأبَى ، فقالتْ له : يا هذا ، هل رأيتَ بأساً أو أنكرتَ شيئاً ؟ قال : لا والله ، ثم مضى وأَنشأ يقول : [من الطويل]

وإنِّي لاثْوِي الجوعَ حتى يمَلَّني فأَحيا ولم تدنَس ثيابي ولا جرمي[5]
وأَصْطَبح المـــاءَ القَراحَ فأَكتفي إذا الزادُ أُضحى للمزلَّجِ ذا طَعْمِ[6]
أَردُّ شجاعَ البطـن قـد تَعلمينه وأُوثر غيري من عِيالكِ بالطُّعْمِ[7]

---

1 عدي بني حنيف : جماعة العادين منهم . ومضرس : اسم رجل من بني ليث المعدو عليهم . وشعوب : اسم رجل .
2 نخالهم في ديوان الهذليين 134/2 : تخالنا . النجو : ما أُهمل من قطع الخشب ، أو ما خرج من البطن . والجنيب : المبعد .
3 ذاك في ديوان الهذليين 135/2 نحن . مطروراً : مسنوناً . خشيباً : مسلولاً .
4 قرقر بطنه : صوّت من الجوع
5 لأثوي الجوع : أطيل حبسه عندي حتى يملّني . الجرم : الجسد .
6 صدر البيت في ديوان الهذليين 127/2 :
وأغتبق الماءَ القراح فأنتهي
المزلّج : الرجل الذي لا قدرة له على احتمال المكروه .
7 الشجاع : الثعبان .

مخافةَ أن أَحيــا برَغــمٍ وذلَّةٍ فلَلْمَوْتُ خيرٌ مـن حياةٍ على رَغْمِ

[يفتدي أخاه عروة فيلطمه]

وأخبرني عمِّي عن هارون بن محمد الزيّات، عن أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ بنحو مما رواه الأصمعيُّ، وقال أبو عمرو: أسرتْ فَهْمٌ عروة بن مرّة أخا أبي خراش، وقال غيره: بل بنو كنانة أسرتْه، فلمّا دخلتْ الأشهرُ الحرمُ، مضى أبو خِراش إليهم ومعه ابنُهُ خراش، فنَزل بسيّد من ساداتهم ولم يعرِّفْهُ نَفْسَه ولكنّه استضافه فأنْزله وأحسن قِراه، فلمّا تحرَّم به انتسب له، وأخبره خبرَ أخيه، وسأله معاونتَه حتى يشتريَهُ منهم، فوعده بذلك، وغدا على القوم مع ذلك الرجل، فسألهُمْ في الأسير أن يهبُوه له، فما فعلوا، فقال لهم: فبِيعُونِيهِ، فقالوا: أما هذا فنعم، فلم يزل يساومُهُم حتى رضُوا بما بذله لهم، فدفع أبو خراش إليهم ابنَه خِراشاً رهينَةً، وأطلق أخاه عُروةَ ومضيا، حتى أخذ أبو خراش فِكاكَ أخيه، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إيّاه وأخذ ابنه. فبينما أبو خراش ذات يوم في بيتِه إذ جاءَه عبدٌ له فقال: إنّ أخاك عروةَ جاءَني وأخذ شاة من غنمِك، فذبحها، ولطمني لمّا منعتُه منها، فقال له: دعْه، فلمّا كان بعد أيّام عاد، فقال له: قد أخذ أخرى: فذبحها، فقال: دعه؛ فلمّا أمسى قال له: إنّ أخاك اجتمع مع شَرْب من قومه، فلمّا انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلِك، لينحرَها لهم فعاجِلْه، فوثب أبو خراش إليه، فوجده قد أخذ الناقة، لينحرَها، فطردها أبو خِراش، فوثب أخوه عروةُ إليه فلَطم وجهه، وأخذ الناقةَ، فعقَرها، وانصرف أبو خِراش، فلمّا كان من غدٍ لامه قومُه، وقالوا له: بئست لعمرُ الله المكافأة، كانت منكَ لأخيك؛ رهَنَ ابنَه فيك، وفداك بماله. ففعلتَ به ما فعلتَ، فجاء عروة يَعْتذر إليه، فقال أبو خِراش: [من الوافر]

لَعلَّكَ نافعــي يــا عُروَ يوماً إذا جاورْتُ مَنْ تحتَ القبورِ
أَخذتَ خُفارَتي ولطمتَ عَيْني وكيف تُثِيبُ بالمـنِّ الكبيرِ[1]
ويومٍ قد صبرْتُ عليكَ نفسي لدى الأَشْهاد مُرْتَديَ الحرورِ[2]
إذا مـا كان كَسُّ القوم رَوْقاً وجالت مقلتا الرجل البصيرِ[3]
بمـا يممتُه وتركْــتُ بِكْري وما أُطْعِمتَ من لحم الجَزُورِ[4]

قال معنى قوله بِكري أي بِكْرُ ولدي أي أوَّلُهم.

---

1 خُفارتي: المال الذي أحرسه.
2 الأشهاد: جمع شهد، وشهد جمع شاهد. ومرتدي الحرور: لابساً الحرّ.
3 الكس: الدق الشديد. روقاً: زائداً.
4 بما يممته: بما قصدته من إحساني إليك.

[خبر أخويه الأسود وأبي جندب]

وقال الأصمعيُّ وأبو عبيدة وأبو عمرو وابنُ الأعرابيّ : كان بنو مرّة عَشَرة ، أبو خراش ، وأبو جُندَب ، وعروة ، والأبحّ ، والأسوَد ، وأبو الأسود ، وعمرو ، وزهير ، وجنّاد ، وسفيان ، وكانوا جميعاً شعراءَ دهاة سِراعاً لا يُدْرَكُونَ عَدْواً ، فأمّا الأسود بن مرّة فإنّه كان على ماءٍ من داءَةَ[1] وهو غلام شابّ ، فوردت عليه إبلُ رِئاب بن ناضِرَةَ بن المؤمَّل من بني لَحيان ، ورئابٌ شيخ كبير ، فرمى الأسودُ ضَرْعَ ناقة من الإبل فعقرها ، فغَضِب رئابٌ ، فضربه بالسيف ، فقتله ، وكان أشدَّهم أبو جندب ، فعرف خبر أخيه ، فغضب غضباً شديداً ، وأُسف ، فاجتمعت رجالُ هذيل إليه يكلّمونه وقالوا : خذ عَقْل[2] أخيك ، واستبقِ ابنَ عمّك ، فلم يزالوا به حتى قال : نعم ، اجْمَعُوا العقل ، فجاؤوه به في مرَّة واحدة ، فلمّا أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا لَهُ ، أُرِحنا : اقبضْه منّا ، فقال : إنّي أريد أن أعتمِر فاحبسُوه حتى أرجع ، فإن هلِكت فَلأُمٍّ[3] ما أنتم ، هذه لغة هذيل يقولون : إمّ بالكسر ، ولا يستعملون الضمّ ، وإن عشتُ فسوف ترون أمْري ، وولّى ذاهباً نحو الحَرَم ، فدَعا عليه رجال من هذيل ، وقالوا : اللهمّ لا تَرُدَّه ، فخرج فقدم مكّة فواعَدَ كلَّ خَلِيع وفاتِك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيبَ بهم قومه ، فخرج صادراً ، حتى أخذتْهُ الذُّبحة في جانبِ الحرم ، فمات قبل أن يرجع ، فكان ذلك خبره .

[خبر أخيه زهير]

قالوا : وأمّا زهيرٌ بن مرّة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء الحَرَم حتى ورد ذاتَ الأُقَيْر[4] من نعمان ، فبينا هو يسقي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثُمالة ، فقتلوه ، فله يقول أبو خراش ، وقد انبعث يغزو ثُمالَة ويُغِير عليهم ، حتى قتل منهم بأخيه أهل داريْنِ ، أي حِلَّتين من ثُمالة : [من الطويل]

خذوا ذلكم بالصُّلْحِ إنّي رأَيتُكُم ... قتلتم زُهيراً وهـو مهْـدٍ ومُهْمِلُ

مهدٍ أي أهدى هدياً للكعبة . ومهمَل : قد أهمَلَ إبلَه في مراعيها .

قتلتم فتـى لا يفجُـرُ اللهَ عامداً ... ولا يجتويه جـارُه عامَ يُمْحِلُ[5]

1 داءة : موضع لهذيل .
2 العقل : الدية .
3 فلأمٍّ ما أنتم : أنتم تنتمون إلى أصل عظيم .
4 ذات الأقير : جبل بنعمان .
5 لا يفجر الله : لا يفجر بالله .

ولهم يقول أبو خِراش : [من الرجز]

إنّـي امـرؤٌ أسْأَلُ كيما أَعلَما مَنْ شَرُّ رَهْطٍ يَشْهَدُونَ الموسِما ؟
وجدتُهـم ثُمالـةَ بنَ أَسلما

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول : [من الرجز]

إليـكِ أُمَّ ذِبَّـان مـا ذاكِ من حلْبِ الضَّانْ
لكـن مِصـاع الفِتيـانْ بكـلّ لِيْـنٍ خَـرَّانْ

[خبر أخيه عروة وابنه خراش]

قال : وأمّا عروةُ بنُ مرّة وخراشُ بن أَبي خراشٍ فأَخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رِزام وبنو بلال ، وكانوا متجاورين ، فخرج عروة بن مرّة وابن أبي خراش أخيه مغيرَيْنِ عليهم طمعاً في أن يظفروا من أموالهم بشيءٍ ، فظفِرَ بهما الثماليون ، فأمّا بنو رِزام فنهوْا عن قتلهما وأبت بنو بلال إلاّ قتلَهما ، حتى كاد يكون بينهم شرّ ، فألقى رجل من القوم ثوبَه على خِراش حين شُغِل القوم بقتل عروة ، ثم قال له : انجُ ، وانحرَفَ القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل ، وكانوا أسلموه إليه ، فقالوا : أيْنَ خِراش ؟ فقال : أفلتَ منّي فذهب ، فسعى القوم في أثره ، فأعجزهم ، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عُروةَ ، ويذكر خَلاصَ ابنه : [من الطويل]

حمدتُ إلَهي بعـد عُـروةَ إذ نجا خراشٌ وبعضُ الشر أهونُ من بعضِ
فـواللهِ لا أنسى قتيـلاً رُزِيتـه بجانب قَوْسَي ما حييتُ على الأرضِ[1]
بـلى إنّهـا تَعفـو الكلـومُ وإنّما نُوكَّلُ بالأدْنى وإن جلَّ مـا يَمضي
ولم أدرِ مَـن أَلْقـى عليـه رداءَهُ سوى أنّه قـد سُلَّ عن ماجِد محضِ[2]
ولم يَـكُ مثلـوجَ الفـؤاد مهبَّلاً أضاع الشبابَ في الرَّبيلَةِ والخفضِ[3]
ولكنّـهُ قـد نازعتـه مَجاوِع على أنّه ذو مـرّة صادق النهضِ[4]

قال : ثم إنّ أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيّاً من هذيل يقال لهم بنو زُلَيْفَة بن صَبِيح ليغزوا ثُمالَة بهم طالبَين بثأر أخيهما ، فلمّا دَنوَا من ثمالة أصاب عروةَ وِرْدُ حُمَّى ، وكانت به

1 حييت في ديوان الهذليين 158/2 : ما مشيت .
2 أنه في ديوان الهذليين 158/2 : ولكنّه .
3 مهبلاً في ديوان الهذليين 158/2 مهبّجاً والمهبَّج : المثقل . والمهبّل من القول : هبلتك أمّك أي ثكلتك . ومثلوج الفؤاد : ضعيف الفؤاد . الربيلة والخفض : معناهما واحد أي الدعة ؛ والربيلة ، كثرة اللحم وتمامه .
4 مجاوع في ديوان الهذليين 158/2 مخامص .

حُمَّى[1] الرِّبْع فجعل عروة يقول : [من الرجز]

أَصبحتُ مــوروداً فقرِّبـوني إلى سواد الحــيِّ يَدْفِنـوني
إنَّ زهيـراً وسطَهــم يَدعـوني رَبَّ المخـاض واللِّقاحِ الجُونِ

فلبِثوا إلى أن سكنتْ الحمّى ، ثم بَيَّتوا ثُمالةَ ، فوجدوهم خُلُوفاً ليس فيهم رجال ، فقتلوا مَن وجدوا من الرجال ، وساقوا النساء والذراريَّ والأموال ، وجاء الصائح إلى ثُمالةَ عشاء ، فلحقوهم ، وانهزم أبو خراش وأصحابُه ، وانقطعت بنو زُليفة ، فنظر الأَكنَعُ الثُّماليّ ، وكان مقطوعَ الأصبع ، إلى عروة فقال : يا قوم ، ذلك والله عروة ، وأنا والله رام بنفسي عليه ، حتى يموت أحدنا ، وخرج يمعج[2] نحو عروةَ ، فصاح عروة بأبي خراش أخيه : أي أبا خراش ، هذا والله الأَكنعُ وهو قاتِلي ، فقال أبو خراش : أُمضِه[3] ، وقعد له على طريقه ، ومرّ به الأَكنع مصمّماً على عروة ، وهو لا يَعْلَم بموضع أبي خراش ، فوثب عليه أبو خراش ، فضربه على حبْل عاتقه حتى بلغت الضَّرْبة سَحَرَه[4] ، وانهزمت ثُمالةُ ، ونجا أبو خراش وعروة . وقال أبو خراش يرثي أخاه ومَن قتلته ثمالةُ وكنانةُ من أهله ، وكان الأصمعيّ يفضّلها : [من الطويل]

فَقَدْتُ بنـي لُبْنى فلمّـا فقدتُهم صبَرتُ فلم أَقطعْ عليهم أَباجلي[5]

الأَبجَل : عرق في الرِّجل .

رماحٌ مـن الخطِّيِّ زُرْقٌ نِصالُها حِـدادٌ أَعاليهـا شِدادُ الأَسافلِ
فلَهفي على عمرِو بن مُـرَّة لهفةً ولهفي على مَيْـتٍ بقَوسى المعاقلِ
حِسانُ الوجوه طيِّبٌ حُجُزاتُهُم كريمٌ نَثاهم غيرُ لُـفٍّ مَعازِلِ[6]
قتلـتَ قتيـلاً لا يُحالِفُ غَدْرَةً ولا سُبَّةً لا زِلـتَ أَسفلَ سافلِ
وقـد أَمِنُوني واطمأنَّت نفوسُهم ولم يعلموا كلَّ الذي هـو داخلي

1 حمّى الربع : التي تُصيب المريض يوماً وتدعه يومين ، ثم تعود إليه في اليوم الرابع .
2 يمعج : يسرع .
3 أمضه : اجعله يمضي خلفك .
4 السَّحر : ما اتصل بالحلقوم من رئة وغيرها .
5 بني لُبنى : إخوته لأنّ اسم أمهم جميعاً لبنى ما عدا سفيان .
6 حُجزات : جمع حُجزة وهي موضع التكة من السراويل . والنثا : الحديث . لف : جمع أَلف ، وهو الثقيل البطيء ، أو ألفه العييّ ، المعازل ، المجردون من السلاح .

فمَن كان يرجو الصلْحَ مِنِّي فإنّه كأحمرِ عـاد أو كُلَيْبِ بـن وائلِ
أُصيبتْ هُذيلٌ يا ابن لُبْنى وجُدِّعت أنوفُهُـــمُ باللَّوْذعــيِّ الحُلاحِلِ
رأيتُ بنــي العَلاَّتِ لّمـا تضافروا يَحوزون سَهْمي دونَهمْ بالشَّمائلِ

[أخبار إخوته]

قالوا : وأمّا أبو الأسود فقتلته فَهْمٌ بَياتاً تحت الليل ، وأمّا الأبَحُّ فكان شاعراً ، فأمسى بدار بَعْرعَرَ من ضيِمٍ ، فذكر لسارية بن زنيمٍ العبديّ أحدِ بني عبد بن عَديٍّ بن الدِّيل ، فخرج بقوم من عشيرته يريده ومَن معه ، فوجدوهم قد ظعنوا . وكان بينَ بني عبدِ بن عديّ بن الدِّيل وبينهم حرب ، فقال الأبَـحُّ في ذلك : [من الوافر]

لعمرُكَ سارِيَ بْـنَ أبي زُنَيْمٍ لأنْـتَ بعَرْعَــرَ الثأرُ المنيمُ[1]
تركتَ بني معاوية بنِ صخرٍ وأنت بمربَعٍ وهُــمُ بضِيمِ
تُساقيهمْ على رَصَفٍ وظُــرٍّ كدابغــةٍ وقـد حَلِم الأديمُ[2]

رَصَفٌ وظُرٌّ : ماءان ، ومربع وضِيم ، موضعان .

فلــم نتركهُمُ قصداً ولكنْ فرِقْتَ من المصالِتِ كالنّجومِ
رأيتَهمُ فــوارسَ غيرَ عُــزْلٍ إذا شَرِقَ المُقاتِــلُ بالكُلومِ

فأجابه سارية ، فقال : [من الوافر]

لعلّك يا أبَــحُّ حسِبْتَ أنِّي قتلتُ الأسودَ الحسَن الكريما
أخذتُـــمْ عقلَـــه وتركتُمُــوه يسوق الظُّمْيَ وَسْطَ بني تميما[3]

عيَّرهم بأخذ دية الأسود بن مرّة أخيهم ، وأنّهم لم يدركوا بثأره ، وبنو تميم من هذيل .

قالوا : وأمّا جُنادة وسفيان فماتا ، وقتل عمرو ، ولم يُسَمَّ قاتِلُه . قالوا : وأمّهم جميعاً لُبْنى إلاّ سُفيان بن مرّة ، فإنّ أمّه أمّ عمرو القِرْدِيَّة ، وكان أيْسَرَ القوم وأكثرَهم مالاً .

وقال أبو عمرو : وغزا أبو خراش فهماً ، فأصاب منهم عجوزاً ، وأتى بها منزل قومه ،

1 ساري : ترخيم سارية . عرعر : مكان . الثأر المنيم : الثار الذي أدركه أهله استراحوا وناموا . في هذا البيت والثالث إقواء .
2 المساقاة : المسالمة والمصافاة . وحلم : أصابته الحلمة وهي دودة تأكل الجلد ، فإذا دبغ وهى موضع الأكل . وهنا مثل : ورد في مجمع الأمثال 150/2 وجمهرة الأمثال للعسكري 35/2 ، 158 ، والمستقصى للزمخشري 216 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 343 .
3 عقله : ديته . الظُّمي : جمع ظمياء ، وهي الناقة القليلة لحم الفخذين .

فدفعها إلى شيخ منهم ، وقال : احتفظ بها حتى آتيَك ، وانطلق لحاجته ، فأدخلتْهُ بيتاً صغيراً ، وأغلقت عليه ، وانطلقت ، فجاء أبو خراش ، وقد ذهبت ، فقال : [من الطويل]

سَدَّتْ عليه دَوْلَجاً ثُمَّ يَمَّمتَ   بني فالج بالليث أَهلَ الخزائمِ

الدولج : بيت صغير يكون للبُهْم ، والليث : ماء لهم ، والخزائم البقر واحدتها خَزُومَة .

وقالت له : دَنِّخْ مكانَكَ إنِّني   سأَلقاكَ إن وافيتَ أَهلَ المواسمِ

يقال : دَنَّخَ الرجلُ ودَمَّخَ إذا أَكبَّ على وجهه ويديه .

وقال أَبو عمرو : دخلت أُميمةُ امرأةُ عروَة بن مرّة على أَبي خِراش وهو يلاعب ابنه فقالت له : يا أَبا خراش تناسَيْتَ عُروةَ ، وتركت الطلبَ بثأرِه ، ولهوتَ مع ابنك ، أَما والله لو كنتَ المقتول ما غَفل عنك ، ولطلب قاتلكَ حتى يقتلَه ، فبكى أَبو خِراش ، وأَنشأ يقول : [من الطويل]

لعمري لقد راعتْ أُميمةَ طلعَتي   وإنّ ثَوائـي عندهـا لقليـلُ
وقالـت : أُراه بعد عُـرْوة لاهِياً   وذلك رُزْءٌ لـو علمْـت جليلُ
فـلا تحسبي أَنّي تناسيْتُ فقْدَهُ   ولكـنّ صبري يا أُمَيْمَ جميلُ[1]
أَلم تعلمي أَنْ قَـدْ تفرّق قبلَنا   نديمـاً صفـاءٍ مالكٌ وعَقيلُ[2]
أَبى الصبرَ أَنّي لا يزال يَهيجُني   مبيتٌ لنـا فيمـا خـلا ومَقيلُ
وأَنّي إذا ما الصُّبحُ آنَسْتُ ضوءَه   يعـاودني قُطْـعٌ علـيّ ثقيلُ[3]

قال أَبو عمرو : فأَمّا أَبو جُندب أخو أبي خراشٍ فإنّه كان جاور بني نُفاثَةَ بن عديّ بن الدِّيل حيناً من الدهر ، ثم إنّهم همُّوا بأن يغدِروا به ، وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة ، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة ، وإذا به كُلُومٌ ، فقال له أبو جندب : ما لك ؟ فقال : ضربني رجل من جيرانك ، فأقبل أبو جندب ، حتى أتى جيرانَه من بني نفاثة ، فقال لهم : يا قوم ، ما هذا الجِوار ؟ لقد كنت أرجو من جوارِكم خيراً من هذا ، أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا ؟ .

فقالوا : أَو لم يكن بنو لحيان ، يقتلوننا ، فواللهِ ما قَرتْ دماؤنا ، وما زالت تَغلي ، والله إنّك

1 صدر البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : ولا تحسبي أنّي تناسيت عهده

2 عجز البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : خليـلا صفـاء مالكٌ وعقيل
ومالك وعقيل هما نديما جذيمة الأبرش .

3 القُطع : انقطاع النفس وضيقه .

للثّأر المُنيم ، فقال : أما إنّه لم يُصِبْ أخي إلاّ خيْر ، ولكنّما هذه معاتبة لكم ، وفَطِن للذي يريد القومُ من الغدر به ، وكان بأسفل دفاق[1] ، فأصبحوا ظاعنين ، وتواعَدُوا ماء ظَرٍّ[2] ، فنَفَذ الرجالُ إلى الماء ، وأخرّوا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا ، واتّخذوا الحِياضَ للإبل ، فأمر أبو جندب أخاه جُنادةَ وقال له : اسْرَح مع نَعَم القوم .

ثم توقَّفْ ، وتأخَّرْ ، حتى تمرّ عليك النَّعَم كلُّها ، وأنت في آخرها سارحٌ بإبلك ، واتركها متفرقة في المرعى ، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك ، واطرُدها نحو أرضنا ، ومَوعدُك نجد ألْوذَنِيّة ، في طريق بلاده ، وقال لامرأته أمّ زِنباع وهي من بني كلب بن عوف : اظعَني وتمكّثي ، حتى تخرج آخر ظعينة من النساء .

ثم تَوجَّهي ، فموعدُك ثَنِيَّة يَدعانَ من جانب النخلة ، وأخذ أبو جندب دَلوه ، وَورد مع الرجال ، فاتّخذ القومُ الحياض ، واتّخذ أبو جندب حوضاً ، فملأه ماء ، ثم قعد عنده ، فمرّت به إبل ثمّ إبل ، فكلّما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون : قد بلغتْ ، تركناها بالضَّجْن[3] .

ثم قدمت النساء كلّما قدمت ظعينة سألها عن أهله ، فيقولون : بَلَغَتْكَ تركناها تظعن ، حتى إذا وَرد آخرُ النَّعم وآخرُ الظّعن قال : والله لقد حَبَس أهلي حابسٌ ، أبصِرْ يا فلان ، حتى أستأنِس أهلي وإبلي ، وطرح دلوه على الحوض . ثم ولّى ، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم ، فقال أبو جندب في ذلك : [من الوافر]

أقــول لأُمِّ زِنْبـــاعٍ أقيمي | صُدورَ العِيسِ شطرَ بني تميمِ
وغَرِّبْـــتُ الدّعاءَ وأيْنَ منّي | أنــاسٌ بـين مـرَّ وذي يَدومِ

غربت الدُّعاء : دعوت من بعيد .

وَحَيٍّ بالمناقب قــد حَمَوْهــا | لدى قُرّانَ حتى بطنِ ضِيمِ
وأحياءٍ لــدى سعْدِ بن بكر | بأمــلاحٍ فظاهــرةِ الأديمِ[4]
أولئِكَ معشري وهُمُ أرومي | وبعض القوم ليس بذي أرومِ[5]
هنالِكَ لو دَعَوْت أتاك منهم | رجــالٌ مثــل أرمِيةِ الحميمِ

الأَرْمِيَةُ : السحاب الشديد الوقع ، واحدها رَمِيّ ، والحميم : مطر القيظ .

---

1 دفاق : مكان .

2 ظرّ : ماء .

3 الضجن : واد في بلاد هذيل بتهامة .

4 المناقب ، وقُرّان ، وبطن ضيم ، وأملاح ، وظاهرة الأديم : أمكنة بها آله وأنصاره .

5 الأروم : أصل الشجرة .

أقــلَّ اللهُ خَيْرَهُــم أَلَمّــا يَدَعْهُم بعضُ شرِّهُـم القديمِ
أَلَمّــا يَسلم الجيرانُ منهــم وقد سال الفِجاج من الغميمِ[1]
غــداةَ كأنَّ جنّادَ بــن لُبنى بــه نضخُ العبيرِ من الكُلومِ[2]
دعــا حَوْلي نُفاثةُ ثم قالوا : لعلّــك لسْتَ بالثّــأرِ المنيمِ

المنيم : الذي إذا أُدْرِكَ استراح أهله وناموا .

نعْوا مَــنْ قَتَّلَتْ لِحَيانُ منهم ومــن يغترُّ بالحــرْبِ القرومِ

قالوا جميعاً : وكان أبو جندب ذا شرٍّ وبأس ، وكان قومه يسمّونه المشئوم ، فاشتكى شكوى شديدة ، وكان له جار من خزاعة يقالُ له حاطِم ، فوقعت به بنو لحيان ، فقتلُوه قبلَ أن يَسْتَبِلَّ[3] أبو جندب من مرضه ، واستاقوا أموالَه ، وقتلوا امرأته ، وقد كانَ أبو جُنْدب كلّم قومَه ، فجمعوا لجاره غنماً ، فلمّا أفاق ابو جندب من مرضه خرج من أهله ، حتى قدِم مكّة ، ثم جاء يمشي حتى استلم الركن ، وقد شقَّ ثوبَه عن استْه ، فعرف النّاس أنّه يريد شرّاً ، فجعلَ يصيح ويقول : [من الرجز]

إنّي امــرؤٌ أبكي على جارِيَّــهْ أَبكــي على الكعبيِّ والكعبيَّهْ
ولــو هَلكْــتُ بَكَيــا عليَّهْ كانا مكانَ الثوب من حَقْوِيَّهْ[4]

فلمّا فرغ من طوافه ، وقضى حاجتَه من مكّة خرج في الخُلَعاء من بكر وخزاعة ، فاستجاشهم على بني لحيانَ ، فقتل منهم قتلى ، وسبى من نسائهم وذراريهم سَبايا ، وقال في ذلك : [من الوافر]

لقــد أُمسى بنو لِحْيان منّي بحمــد الله في خِــزْيٍ مُبِــينِ
تركتهمُ على الرّكَباتِ صُعْراً يُشيبُون الذَّوائــب بــالأَنينِ

[يشكو إلى عمر فراق ابنه]

أخبرني هاشِم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثني عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ قال : حدَّثني عمِّي قال : هاجر خِراشُ بن أبي خراش الهذليّ في أيّام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وغزا مع المسلمين ، فأوغل في أرض العدوّ ، فقدِم أبو خراش المدينة ، فجلس بين يدي عمر ،

1 الغميم : نوع من اللبن ، أو من النبات .
2 العبير : الكثير .
3 يستبل : يتم شفاؤه .
4 الحقو : الخصر .

وشكا إليه شوقَه إلى ابنه ، وأنّه رجل قد انقرضَ أَهلُه ، وقُتِل إخوته ، ولم يبقَ له ناصر ولا معين غير ابنه خِراش ، وقد غزا وتركه ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أَلا مَن مُبلغٌ عنّي خِراشاً ... وقد يأْتيك بالنّبأ البعيدُ
وقد يأتيكَ بالأَخبارِ مَنْ لا ... تُجَهِّزُ بالحِذاءِ ولا تُزيدُ

تُزيد وتُزوِّد واحد ، من الزاد .

يُناديه ليَغْبِقَه كَلِيبٌ ... ولا يأتي ، لقد سَفُه الوليدُ[1]
فردَّ إناءَه لا شيءَ فيه ... كأَنّ دموعَ عينيه الفَريدُ[2]
وأَصبحَ دون غابِقِه وأَمسى ... جبالٌ من حِرارِ الشام سُودُ
أَلا فاعلم خِراشُ بأَنَّ خيرَ المها ... جر بعد هجرته زهيدُ
رَأيتكَ وابتغاءَ البِرِّ دوني ... كمحصور اللَّبان ولا يصيدُ[3]

قال : فكتب عمر رضي الله عنه بأن يُقْبِل خراش إلى أبيه ، وألاّ يغزوَ مَن كان له أُب شيخ إلاّ بعد أَن يأذَنَ له .

[مصرعه]

أَخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّةَ : قال : حدَّثنا الأَصمعيّ ، وأَخبرني حبيبُ بن نصر ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثنا عليّ بن الصبّاح ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه .

وأَخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أُبو غسّانَ دَماذُ : قال أَبو عبيدة : وأَخبرني أَيضاً هاشم ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأَصمعيّ ، عن عمِّه ، وذكره أبو سعيد السكريّ في رواية الأَخفش عنه عن أصحابه ، قالوا جميعاً : أسلم أبو خراش فحسُن إسلامه ، ثم أَتاه نفر من أهل اليمن قدِمُوا حُجَّاجاً ، فنزلوا بأَبي خراش والماء منهم غير بعيد ، فقال : يا بني عمِّي ، ما أمسى عندنا ماء ، ولكن هذه شاة وبُرمة وقِربة ، فرِدُوا الماء ، وكلوا شاتكم ، ثم دَعُوا بُرْمَتَنا وقِربتنا على الماءِ ، حتى نأخذها ، قالوا : والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه ،

---

1 يغبقه : يسقيه الماء .
2 الفريد : اللؤلؤ .
3 في ديوان الهذليين 171/2 :
فإنك وابتغاء البر بعدي ... كمخضوب اللبان ولا يصيد
واللّبان : الصدر . والمحصور : المشدود .

وما نحن ببارحين حيث أمسينا ، فلمّا رأى ذلك أبو خراش أخذ قربته ، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى ، ثم أقبل صادراً ، فنهشته حيّة قبل أن يصل إليهم ، فأقبلَ مُسْرِعاً حتى أعطاهم الماء ، وقال : اطْبخوا شاتكم وكلوا ولم يُعلِمهم بما أصابه ، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا ، وأصبح أبو خراش في الموت ، فلم يبرحوا حتى دفنوه ، وقال وهو يعالج الموت : [من الوافر]

لعمـــرُكَ والمنايـــا غالبـاتٌ على الإنسانِ تطلُع كلَّ نجدِ
لقد أهلكْتِ حيّـــةَ بطنِ أنفٍ على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فقدِ[1]

وقال أيضاً : [من الوافر]

لقد أهلكتِ حيّةَ بطن أنفٍ على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فضلِ
فما تركتْ عدوّاً بين بُصْرى إلى صنعـــاءَ يطلبُــهُ بذَحْلِ[2]

قال : فبلغ عُمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه خَبَرُه ، فغضب غضباً شديداً ، وقال : لولا أن تكون سُنّة لأمَرْتُ ألاّ يُضافَ يمانٍ أبداً ، ولكتبت بذلك إلى الآفاق . إنّ الرجل ليَضيف أحدَهم ، فيبذل مجهودَه فيسخطَهُ ولا يقبله منه ، ويطالبُه بما لا يقدر عليه ، كأنّه يطالبه بدين ، أو يتعنّته ليفضَحَه ، فهو يكلفه التكاليف ، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً ، وقتله ، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيُغَرِّمَهم دِيَتَه ، ويؤدِّبهم بعد ذلك بعقوبة تمسّهم جزاءً لأعمالهم .

صوت

[من الطويل]

تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى سواها ولا يُنسيك نَـأْيٌ ولا شُغلُ
كبيضةِ أُدحـــيٍّ بِميثِ خميلةٍ يحفِّفهـا جَـوْنٌ بجؤجؤه صَعْلُ[3]

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى ، عن ابن المكّيّ .

1 أنف : مكان . وفي ديوان الهذليين 2 : 172 : ساقاً بعد فقد .
2 الذّحل : الثأر .
3 الأدحي : مبيض النعام . وميث خميلة : خميلة ممطورة . والصعل : الطويل .

[455] ـ أخبار ابن داره ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن مُسافِع بن دارة ، وقيل : بل هو عبد الرحمن بن رِبْعيّ بن مسافع بن دارة ، وأخوه مسافع بن دارة ، وكلاهما شاعر ، وفي شعريهما جميعاً غناء يُذكر هاهنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضاً وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين . فأمّا سالم فمخضرم قد أدرك الجاهليّة والإسلام . وأمّا هذان فمن شعراء الإسلام ، ودارة لقب غلب على جدّهم ، ومسافع أبوهم ، وهو ابن شُرَيْح بن يربوع الملقّب بدارةَ بنِ كعب بن عديّ بن جُشَمَ بن عوف بن بُهْثَةَ بن عبد الله بن غطفان بن سعيد بن قيس عيلان بن مضر . وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السّمهريّ العكليّ اللصّ وقتلِه وكان نديماً له وأخاً .

[يستعدي قومه على بني أسد]

أخبرني بخبره هاشمُ بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا أبو غسانَ دماذٌ ، عن أبي عبيدة قال : لمّا أُخِذ السمهريّ العكليّ وحُبِس وقُتِل ، وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع ابن دارة ، فقُتِل بعد طول حبس ، فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويُحرّض عليهم عُكْلاً .

صوت

[من الطويل]

إن يُمْسِ بالعينين سُقْمٌ فقد أتى ... لعينيكَ من طولِ البكاء على جُمْلِ
تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى ... سواها ولا تُسْلي بنأيٍ ولا شُغلِ
كبيضة أدحيٍّ بميْثٍ خميلةٍ ... يُحَفِّفها جَوْن بجؤجؤه الصَّعلِ
وما الشمسُ تبدو يومَ غيم فأشرقَتْ ... على الشّامة العنقاء فالنِّير فالذبلِ[2]
بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجِب ... بأحسن منها يوم زالت على الحمْلِ

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 401–403 ، والمؤتلف : 116 والحماسة 1 : 366–372 ، والإصابة 3 : 161–162 والخزانة 1 : 289–294 ، 557–558 .

2 الشامة : أرض بها علامة سوداء ، وعنقاء : طويلة العنق . النير والذّبل : من جبال ضرية .

يقولـون : إزْلٌ حُبُّ جُمْـلٍ وقُرْبُها ... وقـد كذبوا مـا في المودّة من إزلِ
إذا شحَطتْ عنّـي وجـدتُ حرارة ... على كبِدي كادت بهـا كَمداً تغلي
ولم أرَ محزونـيـنَ أجمـلَ لوعـةً ... على نائبات الدَّهرِ منّي ومن جُملِ
كلانا يـذود النفسَ وهْـي حزينـة ... ويُضمِرُ وجـداً كالنوافـذِ بالنبلِ[1]
وإنّي لُمبلِـي اليأسِ من حُبِّ غيرها ... فأمَّا على جُمْـلٍ فإنّـيَ لا أُبلي[2]
وإنَّ شفاءَ النفسِ لو تُسْعِفُ المنى ... ذواتُ الثنايا الغُـرّ والحـدَقِ النُّجلِ
أُولئـك إن يَمْنَعْـنَ فالمنعُ شيمـةٌ ... لهنَّ وإنْ يُعْطِـينَ يُحْمـدن بالبذلِ
سأمسِك بالوصلِ الذي كان بيننا ... وهل تركَ الواشون والنأْيُ من وصلِ
ألا سَقِّيـاني قهـوةً فارسيّـةً ... من الأوّل المختوم ليست من الفضلِ[3]
تُنسِّي ذوي الأحلامِ واللبِّ حلمَهم ... إذا أزبدت في دَنِّهـا زَبـدَ الفحلِ
ويـا راكبـاً إمّـا عرضت فبلِّغَنْ ... عَلى نأْيِهـم منّـي القبائلَ من عُكْلِ
بـأنَّ الذي أمست تجمجم فقعَسٌ ... إسارٌ بـلا أَسْرٍ وقتـلٌ بـلا قتلِ
وكيف تنـام الليلَ عُكلٌ ولم تَنَل ... رِضى قَودٍ بالسمْهريِّ ولا عقلِ ؟[4]
فلا صلحَ حتى تَنْحِط الخيلُ في القنا ... وتوقدَ نارُ الحربِ بالحطب الجزلِ[5]
وَجُـرْدٍ تَعـادى بالكمـاة كأنّهـا ... تُلاحِـظ مـن غيظٍ بأعينَها القُبْلِ[6]
عليهـا رجـال جالدوا يوم مَنْعِجٍ ... ذوي التاج ضرّاً والملوكِ على الوَهْلِ[7]
بضربٍ يُزيـل الهـامَ عن مستقرِّه ... وطعـنٍ كأفـواه المفرّجة الهُدْلِ[8]
عـلامَ تُمشّي فقعسٌ بدمائكـم ... وما هي بالفَرع المُنيفِ ولا الأصلِ ؟[9]

---

1 النوافذ : السهام النوافذ .
2 إبلاء اليأس يعني الرجاء .
3 الأوّل المختوم : الدنّ المعتق .
4 عكل : قبيلة . والعقل : الدية .
5 نحطت الخيل : زفرت وصاتت من الإعياء .
6 القُبْل : الحول .
7 الوهل : الفزع .
8 المفرجة الهدل : القرب المخرقة التي تهدلت شفاهها .
9 نمشي بدمائكم : نذهب بها بلا قود . المنيف : العالي المرتفع .

وكنّـا حسِبنا فقعساً قبل هـذه أذلَّ على وقـع الهـوان من النَّعلِ
فقـد نظرتْ نحو السماءِ وسلَّمَتْ على النّاس واعتاضت بخِصْبٍ من المحلِ
رمى الله في أكبادكم أن نجت بهـا شِعابُ القِنان من ضعيفٍ ومن وَغْلِ[1]
وإن أنتـمُ لم تثـأروا بأخيكـم فكونـوا نِساءً للخَلوقِ وللكُحْلِ[2]
وبيعـوا الرّدينياتِ بالحَلْـي واقْعدُوا على الذلّ وابتاعـوا المغـازل بالنّبلِ
ألا حبّذا مـن عندَهُ القلبُ في كَبْلِ ومَنْ حُبّـه داءٌ وخَبْـلٌ من الخبلِ
ومَن هـو لا يُنسى ومَـنْ كلُّ قَولِه لدينا كطعم الراح أو كجَنى النّحلِ
ومن إن نـأى لم يحدث النأيُ بُغْضَه ومن إن دنا في الدارِ أُرْصِدَ بالبَذْلِ[3]

[خبر السمهريّ مع نديمه ومصرعه]

وأمّا خبر السمهريّ ومقتلُه فإنّ عليَّ بنَ سليمانَ الأخفشَ أخبرني به قال : حدَّثنا أبو سعيد السكّريُّ قال : حدَّثنا محمدُ بن حبيبٍ ، عن أبي عمْرٍو الشيبانيِّ قال : لقِي السّمهريُّ بن بشر بن أُقَيْشَ بن مالك بن الحارث بن أقيشَ العكليّ ويكنى أبا الديل هو وبهدلٌ ومَروانُ بن قرفة الطائيان عونَ بن جعدةَ بن هبيرة بن أبي وَهْبِ بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ومعه خالُه : أحدُ بني حارثةَ بن لأم من طيىء بالتعلبيّة ، وهو يريد الحجّ من الكوفة ، أو يريد المدينة ، وزعم آخرون أنّهم لقُوه بين نخل والمدينة ، فقالوا له : العُراضة ، أي مر لنا بشيء فقال : يا غلامُ ، جَفِّنْ لهم[4] ، فقالوا : لا والله ، ما الطعام نريد ، فقال : عرِّضْهم[5] ، فقالوا : ولا ذلك نريد ، فارتاب بهم ، فأخذ السيف فشدّ عليهم ، وهو صائم ، وكان بَهْدَل لا يسقط له سهم ، فرمى عوناً فأقصده ، فلما قتلوه ندموا ، فهربوا ، ولم يأخذوا إبلَه ، فتفرّقت إبلُهُ ، ونجا خالُه الطائيّ ، إمّا عرفوه فكفّوا عن قتله ، وإمّا هرب ولم يعرف القَتَلة ، فوجد بعضَ إبله في يدي شافع بن واتر الأسديّ .

وبلغ عبدَ الملك بن مروانَ الخبرُ فكتب إلى الحجّاج بن يوسف ، وهو عاملُه على العراق ، وإلى هشام بن إسماعيل ، وهو عامله على المدينة ، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتَلَة عَوْن ،

1 القِنان : جمع قُنّة . والوغل : النذل الساقط .
2 الخلوق : نوع من الطيب .
3 أرصد بالبذل : كوفىء . ببذل الود ونحوه .
4 جفِّن لهم : املأ الجفنة لهم طعاماً .
5 عرضهم : من العراضة بمعنى الهدية .

ويبالغوا في ذلك ؛ وأن يأخذوا السُّعاة به أشدّ أخذ ، ويجعلوا لمَن دَلَّ عليهم جُعلَه ، وانْشام[1] السمهريّ في بلادِ غطفان ما شاء الله .

ثم مرّ بنخلٍ ، فقالت عجوز من بني فزارة : أُظنّ والله هذا العكليَّ الذي قتل عوناً ، فوثبوا عليه ، فأخذوه ، ومرَّ أيّوب بن سلمة المخزوميّ بهم ، فقالت له بنو فزارة : هذا العُكليّ قاتل عون ابن عمِّك ، فأخذه منهم ، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزوميّ عاملَ عبد الملك على المدينة ، فجحد وأبى أن يقرّ ، فرفعه إلى السجن فحبسه .

وزعم آخرون أنّ بني عُذرة أخذوه فلمّا عُرِفت إبلُ عون في يدي شافع بن واتِر اتّهموه بقتله ، فأخذوه ، وقالوا : أنت قِرفتُنا[2] ، قتلتَ عوناً ، وحبسوه بصلّ : ماء لبني أسد ، وجَحَد ، وقد كان عرف مَنْ قتله ، إمّا أن يكون كان معهم ، فورّى عنهم ، وبرأ نفسه ، وإمّا أن يكون أودعوها إيّاه ، أو باعوها منه ، فقال شافعٌ : [من الطويل]

فإنَّ سرَّكم أن تعلمــوا أين ثأرُكم ... فسلمى معانٌ وابن قِرفـة ظالِمُ
وفي السجن عُكْليٌّ شَريك لبهدل ... فولُّوا ذُبابَ السّيفِ مَن هو حازمُ
فوالله مــا كنّا جُنــاةً ولا بنا ... تأوّب عونــاً حتفُه وهو صائمُ[3]

فعرفوا مَن قتَلَه ، فألحُّوا على بهدل في الطلب ، وضيقوا على السمهريّ في القيود والسجن ، وجَحَد ، فلمّـا كان ذلك مـن إلحاحهم على السمهريٍّ أيقنت نفسُه أنّه غير ناج ، فجعل يلتمس الخروج من السجن ، فلمّا كان يوم الجمعة والإمام يخطب ، وقد شُغِل النّاس بالصلاة فكَّ إحدى حلقَتَيْ قيده ، ورمى بنفسه من فوق السجن ، والنّاس في صلاتهم ، فقصد نحو الحرّة ، فولج غاراً من الحرة ، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه ، وغلقوا أبوابهم ، وقال لهم الأمير : اتّبعوه فقالوا : وكيف نتبعه وَحْدَنا ، فقال لهم : أنتم ألفا رجل ، فكيف تكونون وحدكم ؟ فقالوا : أرسل معنا الأبُلّيِّين ؛ وهم حرس وأعوان من أهلِ الأُبُلّة ، فأعجزهم الطلبُ ، فلمّا أمسى كسر الحلقة الأُخرى ، ثم هَمَس[4] ليلته طَلَقا ، فأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ، فبينا هو يمضي إذ نَعب غراب عن شماله ، فتطيَّر ، فإذا الغراب على شجرة بانٍ يُنَشْنِش[5] ريشَه ، ويلقيه ، فاعتاف شيئاً في نفسه ، فمضى ، وفيها ما فيها ، فإذا هو قد لقي راعياً

1 انشام في بلاد غطفان : دخل فيها .
2 القرفة : من تتهمه بشيء .
3 تأوّبه حتفه : أصابته منيته .
4 همس : سار بالليل بلا فتور .
5 نشنش الطائر ريشه : نتفه نتفاً خفيفاً بمنقاره .

في وجهه ذلك ، فسأله : مَن أَنت ؟ قال : رجل من لِهْب من أَزْد شنوءة أَنتجع أَهلي ، فقال له : هلْ عندَك شيءٌ من زَجْر قومِك ؟ فقال : إنِّي لآنس من ذلك شيئاً أي لأبصر ، فقصّ عليه حاله غير أَنّه وَرَّى الذَّنْبَ على غيره والعيافة ، وخبَّرَه عن الغراب والشجرة ، فقال اللّهبيّ : هذا الذي فعل ما فعل ، ورأى الغراب على البانة يَطرحُ ريشه سَيُصْلَب ، فقال السمهريّ : بفيك الحجر ، فقال اللهبيّ : بل بفيك الحجر ، استخبرتني فأخبرتك ثم تغضَب . ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاعة ، وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أنّه توقّف يومه وليلته فيما يعمله ؛ وهل يعود من حيث جاء ثم سار . حتى أتى أرضَ عُذرةَ بنِ سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً ، ويستحلِب الرعيان اللبنَ ، فيحلبون له ، ولَقِيَه عبدُ الله الأَحدب السعديّ : أَحدُ بني مخزوم من بني عبد شمس ، وكان أشدَّ منه وألصَّ ، فجنى جناية ، فَطلِبَ ، فتَرك بلادَ تميم ، ولحق ببلاد قضاعة ، وهو على نجيبة لا تُسايَرُ ، فبينا السمهريّ يماشي راعياً لبني عذرة ، ويحدثه عن خيار إبلهم ، ويسأله السمهريُّ عن ذلك ، وإنّما يسأله عن أَنْجاهُنَّ ليركبها ، فيهربَ بها ، لئلاّ يفارق الأحدب ، أشار له إلى ناقة ، فقال السمهريّ : هذه خير من التي تفضلها ، هذه لا تجارى ، فتحَيّن الغفلة ، فلمّا غفل وثب عليها ، ثم صاح بها فخرجت تَطير به ، وذلك في آخر الليل ، فلمّا أَصبحوا فقدُوها ، وفقدوه ، فطلبوه في الأثر . وخرجا حتى إذا كان حَجْرٌ عن يسارهما ، وهو واد في جبل ، أو شِبه الثقب فيه استقبلتهما سَعَةٌ هي أوسع من الطريق ، فظنّا أنّ الطريق فيها ، فسارا مليّاً فيها ، ولا نجم يأْتمان به ، فلمّا عرفا أنّهما حائِدان ، والتفت عليهما الجبال أمامهما ، وجدَّ الطلبُ إثر بعيريْهِما ، ورواه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنّه سيرجع ، فقعدوا له بفم الثقب ثم كرّا راجعَين ، وجاءت الناقة ، وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامِها ، فلمّا أبصر القومَ همَّ أن يعقر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ما هذا جزاؤها . فنزل ، ونزل الأحدب ، فقاتلهما القومُ ، حتى كادوا يغشَوْن السّمهريُّ فهتف بالأحدب ، فطرد عنه القوم ، حتى توقلا في الجبل ، وفي ذلك يقول السّمهريّ يعتذر من ضلاله : [من الطويل]

وما كنتُ مِحْياراً ولا فزِعَ السُّرى ولكن حِذا حجْرٍ بغيرِ دليلِ[1]

وقال الأَحدب في ذلك : [من الطويل]

لَمّا دعاني السمهريُّ أَجبتُه بأَبيضَ من ماءِ الحديد صقيلِ
وما كنتُ ما اشتدّتْ على السيْفِ قبضتي لأُسْلِمَ من حُبِّ الحياة زميلي

وقال السمهريّ أيضاً : [من الطويل]

1 حذا حجر : مشيت بجانبه فأضلّني .

نجـوتُ ونفسي عنـد ليـلى رهينة وقـد غَمَّني داجٍ مـن الليل دامسُ
وغامسْتُ عـن نفسي بأَخلَقَ مِقصلٍ ولا خيرَ في نفس امرئٍ لا تُغامِسُ[1]
ولـو أَنَّ ليـلى أبصرتنيَ غـدوة ومَطْـوايَ والصفُّ الذيـن أُمارسُ
إذاً لبكـت ليلى عـليَّ وأُعولت وما نالـت الثـوبَ الذي أُنا لابسُ

فرجع إلى صحراء مَنعِج ، وهي إلى جنب أُضاخَ ، والحلّة قريب منها ، وفيها منازل عُكل ، فكان يتردّد ولا يقرب الحلّة ، وقد كان أكثِر الجُعْلُ فيه ، فمرّ بابنَي فائد بن حبيب من بني أسد ، ثم من بني فَقعس فقال : أجيرا متنكّراً ، فحَلبا له ، فشرب ومضى لا يعرفانه ، وذهبا ، ثم لبث السمهريّ ساعة ، وكرَّ راجعاً فتحدث إلى أخت ابنَي فائد ، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدَّحة[2] ، وإذا كدوحٌ طريَّةٌ ، فأخبر أخاه بذلك ، فنظر ، فرأى ما أخبره أخوه ، فارتابا به ، فقال أحدهما : هذا والله السمهريّ الذي جُعِل فيه ما جعل ، فاتفقا على مضابرته[3] ، فوثبا عليه ، فقعد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهريّ ، فألقى الذي على ظهره ، وقال : أتلعبان ؟ وقد ضبطَ رأسَ الذي كان على ظهره تحت إبطه ، وعالجه الآخر ، فجعل رأسَه تحت إبطه أيضاً ، وجعلا يعالجانه ، فناديا أُختَهما أن تعينهما ، فقالت : أُليَ الشِّرْك في جُعْلكما ؟ قالا : نعم ، فجاءت بجرير[4] فجعلته في عنقه بأُنشوطة ثم جذبته ، وهو مشغول بالرَّجُلين يمنعهما ، فلمّا استحكمت العقدة ، وراحت من عَلابِيِّهِ[5] خلى عنهما ، وشدَّ أحدُهما ، فجاء بِصِرارٍ[6] ، فألقاه في رجله ، وهو يداور الآخر ، والأخرى تخنقه ؛ فخرَّ لوجهه ، فربطاه ، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المُرِّيّ ، وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذِه ، فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن ادفعه إلى ابن أخي عون : عدي ، فدُفِعَ إليه ، فقال السمهريّ : أَتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمّك أنا أم لا ؟ ادنُ أُخبرْك ، فأراد الدّنوَّ منه ، فنودِي : إيّاك والكلبَ ، وإنّما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله بعمّه . ولمّا حبسه ابن حيّان في السجن تذكر زَجْر اللِّهْبيّ وصدقَه ، فقال : [من الطويل]

1 غامست : خضت الحرب . وأخلق مقصل : سيف قاطع .
2 مكدحة : ذات خدش وسحجات .
3 مضابرته : جمعه وشدّه .
4 بجرير : بحبل .
5 العلابيّ : أعصاب العنق .
6 الصّرار : ما يشد به خلف النّاقة .

أَلا أيّها البيتُ الذي أَنا هاجِرُه فلا البيتُ منسيٌّ ولا أَنا زائرُهْ
أَلا طرقت ليلى وساقي رهينةٌ بأَشهبَ مشدودٍ عليّ مَسامرُهْ
فإن أَنجُ يا ليلى فربّ فتًى نجا وإن تَكنِ الأخرى فشيءٌ أحاذرُهْ
وما أُصْدَق الطيْرِ التي بَرِحت لنا وما أعيفَ اللِهبيّ لا عزَّ ناصرُهْ
رأَيتُ غُراباً ساقطاً فوق بانة ينشنشُ أَعلى ريشه ويُطايرُهْ
فقال غرابٌ باغترابٍ من النوى وبانٌ بِبَيْنٍ من حبيبٍ تُحاذرهْ
فكان اغترابٌ بالغراب ونيةٌ وبالبانِ بَيْنٌ بَيِّنٌ لك طائِرُهْ[1]

وقال السمهريّ في الحبس يُحرض أَخاه مالكاً على ابني فائد : [من الطويل]

فمن مُبلغٌ عنّي خليلِيَ مالكاً رسالة مشدود الوَثاق غريبِ
ومن مبلغٌ حَزْماً وتَيْماً ومالكاً وأَربابَ حامي الحفر رهطِ شبيبِ
لِيُبْكوا التي قالت بصحراء مَنْعِج ليَ الشِّركُ يابني فائدِ بن حبيبِ
أَتضرب في لحمي بسهم ولم يكن لها في سهام المسلمين نَصيبُ[2]

وقال السمهريّ يرقّق بني أَسد : [من الطويل]

تمنّتْ سُليمى أن أقيلَ بأَرضها وأنّى لسَلْمى ويْبها ما تَمَنَّتِ[3]
أَلا ليتَ شعري هل أزورَنّ ساجِراً وقد رَوِيَت ماءَ الغوادي وعلّتِ[4]
بني أَسد هل فيكمُ من هَوادةٍ فتَغْفِرَ إن كانتْ بي النعل زَلَّتِ

وبنو تميم تزعم أنّ البيت لمرّة بن مَحْكان السعديّ .

وقال السمهريّ في الحبس يذمّ قومه : [من الطويل]

لقد جمع الحدّادُ بين عِصابة تسائل في الأَقياد ماذا ذُنوبُها ؟
بمنزلة أمّا اللئيمُ فشامِتٌ بها وكِرامُ القوم بادٍ شحوبُها
إذا حَرَسيٌّ قَعقَعَ البابَ أُرْعِدَتْ فرائصُ أَقوامٍ وطارت قلوبُها
أَلا ليتني من غير عُكْلٍ قبيلتي ولم أَدرِ ما شُبَّانُ عُكلٍ وشِيبُها ؟

1 نيّة : من نوى بمعنى انتقل .
2 في البيت إقواء .
3 ويبها : ويحها .
4 ساجر : مكان باليمامة .

نبيلة «مَنْ» لا يقرع البابَ وفدُها لخير ولا يَهْدي الصوابَ خطيبُها
نرى الباب لا نَسطيع شيئاً وراءه كأنّا قُنِـــيٌّ أَسلَمتْهـا كُعوبُها[1]
وإن تَكُ عُكلٌ سرَّها ما أَصابني فقد كنتُ مصبوباً على مـا يَرِيبها

وقال السمهريُّ أَيضاً في الحبس : [من الطويل]

أَلا حـيِّ ليـلى إذ أَلـمَّ لِمامُها وكان مع القوم الأعادي كلامُها
تعلَّلْ بليـلى إنّمـا أَنـتَ هامَةٌ من الغدِ يدنو كلَّ يـوم حِمامُها[2]
وبادرْ بليـلى أَوجهَ الركب إنّهم متى يرجعوا يَحْرُمْ عليك كلامُها
وكيف ترجِّيها وقـد حِيلَ دونها وأُقسم أَقـوامٌ مَخوفٌ قِسامُها
لأَجْتَنِبَنْهَـا أو لَيَبْتَدِرُنَّـي ببيضٍ عليها الأُثْرُ فَعْـمٌ كِلامُها[3]
لقد طرقتْ ليـلى ورِجْلي رهينةٌ فما راعني في السجن إلاّ لِمامُها
فلمّا انتبهتُ للخيال الذي شرى إذا الأَرضُ قَفْرٌ قـد علاها قَتامُها
فإلاّ تكـن ليـلى طَوتْك فإنّه شبيهٌ بليـلى حُسنُهـا وقوامُها
أَلا ليتَنـا نَحْيـا جميعـاً بغِبْطَـةٍ وتَبلى عظامـي حين تبلى عِظامُها

وقال أَيضاً : [من الطويل]

أَلا طرقـتْ ليلى وساقي رَهينةٌ بأسمَـر مشدودٍ عـليّ ثقيلُ[4]
فما البينُ يا سلْمى بأَن تَشْحَطَ النّوى ولكـن بيناً مـا يُريـد عقيلُ
فإن أَنجُ منها أَنْجُ من ذي عظيمةٍ وإن تكن الأُخـرى فتلك سبيلُ

وقال أيضاً وهو طريد : [من الطويل]

فـلا تيأسا من رحمةِ الله وانظُرا بوادي جَبُونـا أَن تَهُبَّ شَمالُ[5]
ولا تيـأَسا أَن تُرْزَقـا أَريحيّـةً كعِينِ المهـا أَعناقُهُـنَّ طِوالُ[6]

1 قُنيّ : جمع قناة ، وقناة الرمح أعلاه ، وكعبه : أسفله .
2 هامة الغد : قصير العمر .
3 الأثْر : بريق السيف ورونقه .
4 الأسمر : القيد .
5 بوادي جبونا : مكان . تهب الشمال : تهب ريح شمالية مؤذنة بالفرج .
6 أريحية : خيلاً أريحية .

مـــن الحارِثيّـــينَ الذين دِماؤهم حَـــرامٌ وأَمّا مـا لَهُـم فحلالُ

وقال أَيضاً : [من الطويل]

أَلم تَـرَ أَنّي وابنَ أَبيضَ قد جفت بنا الأَرضُ إلاّ أَنْ نَـؤمَّ الفَيافيا
طَريدَيْـــن من حيَّيْنِ شتى أَشَدَّنا مخافَتُنا حتـى نخلْنـا التّصافيا
وما لُمْتُـه في أَمـرِ حَزمٍ ونجدةٍ ولا لامني في مِرّتـي واحتياليا
وقلتُ لـه إذْ حلَّ يسقى ويَسْتَقي وقد كان ضوءُ الصبح لِلّيْلِ حاديا
لعمري لقد لاقت ركابُك مشْرَباً لئنْ هيَ لم تَضْبَـحْ عليهنَّ عاليا

[بعض أخباره]

وأُخِذتْ طَيِّىء ببهدلٍ ومروانَ أَخيه أَشدَّ الأَخْذ ، وحُبِسوا ، فقالوا : إن حُبِسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون ، ولكن خلُّوا عنّا ، حتى نتجسَّسَ عنهما ، فنأتِيَكمْ بهما ، وكانا تأبَّدا مع الوحش يَرْمِيان الصَّيْدَ فهو رزقهما . ولمّا طال ذلك على مروانَ هبط إلى راعٍ ، فتحدَّث إليه فسقاه ، وبسطه ، حتى اطمأنَّ إليه ، ولم يُشْعِرهُ أنّه يعرفه ، فجعل يأتيه بين الأَيّام ، فلا ينكره ، فانطلق الراعي ، فأخبره باختلافه إليه ، فجاءَ معه الطلب ، وأَكْمَنَهُم ، حتى إذا جاءَ مروان إلى الراعي كما كان يفعل سقاه ، وحدَّثه فلم يشعُر حتى أطافوا بـه ، فأَخذوه ، وأتَوْا به عثمانَ بنَ حيّان أيضاً عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة ، فأَعْطى الذي دلَّ عليه جُعْلَه ، وقتله .

[نهاية بهدل]

وأَمّا بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى ، فبلغَ ذلك سَيِّداً من سلْمَى ، من طيىء ، فقال : قد أُخِيفت طيِّئ ، وشُرِّدَتْ من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب ، فجاء حتى حَلَّ بأهله أَسفل تلك الهضبة ومعه أَهْلاتٌ[1] من قَومه ، فقال لهم : إنّكم بعَيني الخبيث ، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت ، وليُخلوا النساء ، فإنّه إذا رأى ذلك انحدرَ إلى القِباب ، وطلب الحاجة والعَلّ[2] فكانوا يخلون الرجال نهاراً فإذا أُظلموا ثابوا إلى رحالهم أيّاماً ، فظَنَّ بهدل أنّهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم ، فانحدر إلى قُبّة السَّيِّد ، وقد أَمَر النساء : إن انحَدَرَ إليكن رجل فإنّه ابنُ عمِّكن ، فأَطعمنه وادهنّ رأسَه .

وفي قبّة السيِّد ابنتان له ، فسألهما : مَن أَنتما ؟ فأَخبرتاه ، وأَطعمتاه ، ثم انصرف فلمّا راح أبوهما أخبرتاه ، فقال : أَحسنتما إلى ابن عمّكما ، فجعل ينحدرُ إليهما ، حتى اطمأنَّ ،

1 أهلات : جمع أهل .
2 العل : الشراب .

وغسلتا رأسه ، وفَلّتاهُ ودهنتاه ، فقال الشيخ لابنتيه : أَفلياه ، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرّة ، واعقدا خُصَلَ لِمَّتِه إذا نَعِس رويداً بخمْل القطيفة .

ثم إذا شدَدْتما عليه فاقلبا القطيفة على وجهه ، وخذا أنتما بشَعره من ورائه فَمُدَّا به إليكما ، ففعلتا ، واجتمع له أصحابه ، فكرّوا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها ، وشدّوا عليه ، فربطوه ، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان ، فقتله ، فقالت بنت بَهْدَل ترثيه : [من الطويل]

فيــا ضَيْعــةَ الفِتيــانِ إذ يَعتِلونه ... ببطن الشّرى مثل الفنيق المسدَّمِ[1]
دعا دعوة لّما أتــى أَرضَ مالك ... ومَن لا يُجَبْ عند الحفيظة يُسلمِ[2]
أَما كان في قيسٍ من ابن حفيظةٍ ... من القوم طَلاَّبِ التِّرات غَشمْشمِ[3]
فيقتُل جَبراً بامــرىءٍ لم يكن بــه ... بــواءٌ ولكِــنْ لا تكايُلَ بالدّمِ[4]

وكان دَعا : يا لَمالك لِيَنْتَزِعوه ، فلم يجبه أَحد .

[مساجلة بينه وبين الكميت]

قال : ولّما قال عبدُ الرحمن بنُ دارة ابن عمّ سالم بن دارة هذه القصيدة يَحُضُّ عُكْلاً على بني فَقْعَس اعترض الكميت بن معروف الفقعسيّ ، فعيّره بقتل سالم حين قتله زُميل الفزاريّ ، فقال قوله : [من الطويل]

فلا تُكثِروا فيــه الضَّجاج فإنّــه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

فقال عبد الرحمن بن دارة : [من الطويل]

فيــا راكباً إمّــا عرضْتَ فبلّغَــنْ ... مُغَلْغَلَــةً عنّي القَبائــلَ من عُكلِ
جلت حمماً عنها القِصافُ وما جلتْ ... قُشَيْرٌ وفي الشدّاتِ والحربِ ما يُجلي[5]
فإن يَكُ بــا ع الفَقعسيُّ دماءَهم ... بوَكسٍ فقــد كانت دماؤكم تَغلي
وكيف تنام الليلَ عُكلٌ ولم يكن ... لهــا قَــوَدٌ بالسّمْهريّ ولا عَقْلِ
رمى اللهُ في أَكبادِهم إن نجتْ بها ... حروفُ القِنانِ من ذليلٍ ومن وغلِ

1 يعتلونه : يقتادونه بغلظة . الفنيق : فحل الإبل . والمسدّم : الهائج .
2 الحفيظة : الحرب .
3 الغشمشم : المقدام الذي يقتحم الحروب غير هيّاب .
4 جبر بن عبيد الذي دفع بهدلاً إلى السلطان فقتله . بواء : كفء . لا تكايل في الدم : لا تقدر الدماء بالكيل .
5 القصاف : فرس مشهورة لبني قشير . الحمم : ما خمد من النيران .

وكنّا حسبْنا فَقْعَساً قبل هذه أذلَّ على طولِ الهوانِ من النَّعلِ
فإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ فكونوا بَغايا للخَلُوق وللكُحلِ
وبيعوا الردينيّاتِ بالحلْي واقعدوا على الوتْرِ وابتاعوا المغازلَ بالنَّبلِ
فإنّ الذي كانت تُجمجمُ فَقْعَسٌ قتيلٌ بلا قَتْلى وَتَبْلٌ بلا تَبْلِ
فلا سِلْمَ حتى تنحَطَ الخيلُ بالقنا وتُوقَدَ نارُ الحَرْب بالحَطَب الجَزْلِ

[يقتلون ابن سعدة وأُمّه]

فلمّا بلغ قوله مالكاً أخا السمْهريِّ بخراسان ، انحطَّ من خراسان ، حتى قدِم بلاد عُكلٍ فاستجاش نفراً من قومه ، فعلِقوا[1] في أرض بني أسد يطلبون الغِرَّة فوجدوا بثادقٍ[2] رجلاً معه امرأة من فقْعَس ، فقتلوه ، وحزّوا رأسه ، وذهبوا بالرأس ، وتركوا جسده ، كما قتلوها أيضاً ، وذُكِرَ لي : أنَّ الرجلَ ابنُ سِعْدَة والمرأة التي كانت معه هي سعدة أُمُّه ، فقال عبد الرحمن في ذلك : [من الرجز]

ما لقتيلِ فَقْعَسٍ لا رأْسَ لهْ هلاَّ سألْتَ فقْعَساً من جَدَّلَهْ
لا يتْبَعَنَّ فَقْعَسيٌّ جملَهْ فرداً إذا ما الفقعسيُّ أُعملَهْ
لا يلقَيَنَّ قاتلاً فيقتلَه بسيفه قد سَمَّهُ وصقَلَهْ

وقال عبد الرحمن أيضاً : [من الكامل]

لمّا تَمالى القومُ في رأْدِ الضُّحى نَظراً وقد لَمَعَ السّرابُ فجالا[3]
نظر ابنُ سعْدَةَ نظرةً ويَلاً لها كانت لصحبك والمطيِّ خَبالا[4]
لَمْحاً رَأى من فوق طودٍ يافعٍ بعضَ العُداة وجُنّةً وظِلالا[5]
عيَّرتَني طَلبَ الحُمُول وقد أرى لم آتهنَّ مكفِّفاً بَطَّالا[6]
فانظر لنفسِكَ يا ابن سَعْدَة هل ترى ضُبُعاً تجرُّ بثادِقٍ أوْصالا[7]

1 علقوا : طفقوا .
2 ثادق : اسم واد في ديار عقيل .
3 تمالى القوم : ساروا سيراً حثيثاً .
4 ابن سعدة : هو القتيل الذي قتلوه .
5 الجنة : السلاح ونحوه .
6 الحمول : الديات .
7 سعدة : هي أمّ الكميت التي قتلوها مع ابنها .

أَوصالَ سَعْدةَ والكميتِ وإنّما كان الكُميتُ على الكُميتِ عِيالا

وقال عبد الرحمن في ذلك : [من الطويل]

أُصبحتُمُ ثَكْلى لِئامـاً وأَصبحتْ شياطينُ عُكْلٍ قـد عَراهُنَّ فَقْعَسُ
قَضى مالكٌ ما قد قَضى ثم قلَّصت به في سواد الليل وجناءُ عِرْمِسُ[1]
فأَضحتْ بأَعلى ثـادقٍ وكأَنّها مَحالَـةُ غَرْبٍ تستَمِرُّ وتمْرُسُ[2]

[مصرعه]

وحدَّثني علي بن سليمان الأخفش أنّ بني أَسد ظفِرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبِّهم وهجائهم وتآمروا في قتله ، فقال بعضهم : لا تقتلوه ، ولتأخذوا عليه أن يمدَحَنا ونُحْسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلَف من هجائه ، فعزموا على ذلك ، ثم إنّ رجلاً منهم كان قد عضَّه بهِجائه ، اغتفله فضربه بسيفه ، فقتله وقال في ذلك : [من الكامل]

قُتِلَ ابنُ دارةَ بالجزيرةِ سَبَّنا وزعمـتَ أَن سِبابَنا لا يَقْتُلُ

قال عليّ بن سليمان : وقد رُوي أنّ البيت المتقدّم :

فلا تكثروا فيــه الضّجاج فإنّه محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أَجمعا

لهذا الشاعر الذي قَتَلَ ابنَ دارة ، وهو من بني أُسد ، وهكذا ذكر السكّريّ .

صوت

[من الطويل]

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُملُ إذ بدت ونَجْـمَ الثريـا والمـزارُ بعيـدُ
فكيف بكم يـا جملُ أَهلاً ودونكم بحـورٌ يُقمِّصْن السَّفـينَ وبيـدُ[3]
إذا قلتُ : قـد حان القفول يَصُدُّنا سليمـانُ عـن أَهوائنـا وسعيدُ[4]

الشعر لمسعود بن خَرَشَة المازنيِّ ، والغناء لبحر ، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ .

1 مالك : فقعسيّ هارب . والعرمس : الصلبة . وقلصت به : نجت به .
2 المحالة : البكرة تعلق على البئر يتصل بها الدلو . والغرب : الكبيرة من الدلاء . وتمرس : من أمرس الحبل : أعاده إلى مكانه .
3 قمص البحر السفينة : جعلها تضطرب .
4 سليمان وسعيد : واليان .

[456] ـ أخبار مسعود بن خرشة

[نسبه وهواه]

مسعودُ بنُ خَرَشَة أحدُ بني حُرقُوص بن مازن بنِ مالك بن عمرِو بنِ تميم ، شاعرٌ إسلامي بدويٌّ من لصوص بني تَميم ، قال أبو عمرو : وكان مسعودُ بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها : جُمْلٌ بنتُ شَراحيل ، أُختُ تَمّامِ بنِ شراحيلَ المازنيّ الشاعر ، فانتجع قَومُها ونأوْا عن بِلادِهم ، فقال مسعود : [من الطويل]

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُمْلُ إذ بدتْ ونَجْمَ الثّريّا والَمزارُ بعيدُ
فكيف بكم يا جُمْلُ أَهلاً ودونَكم بُحورٌ يُقَمِّصْن السَّفينَ وبِيدُ[1]
إذا قلت : قد حان القُفولُ يصدُّنا سليمانُ عن أهوائنا وسعيدُ[2]

قال أبو عمرو : ثم خطبها رجل من قومها ، وبلغ ذلك مسعوداً فقال : [من الطويل]

أيا جملُ لا تشقَيْ بأقْعَسَ حَنْكلٍ قليلِ النَّدى يسعى بكِيرٍ ومِحْلَبِ[3]
لـه أعنزٌ حُوٌّ ثمانٍ كأنّما يراهنّ غُرّ الخيل أو هُنَّ أنجبِ

[يسرق إبلاً]

وقال أبو عمرو : وسرق مسعودُ بن خرشَة إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسيّ ، هو ورفقاءُ له ، وكان معه رجلان من قومه ، فأتوْا بها اليمامة ليبيعوها ، فاعترض عليهم أميرٌ كان بها من بني أُسد ، ثم عُزِلَ ووُلّي مكانَه رجلٌ من بني عُقَيْل فقال مسعود في ذلك : [من الوافر]

يقول المرجفون : أجاءَ عهدٌ كفى عهداً بتنفيذ القِلاصِ
أتى عهدُ الإمارة من عُقيلٍ أغرَّ الوجه رُكّب في النواصي

1 قمص البحر السفينة : جعلها تضطرب .
2 سليمان وسعيد : واليان .
3 الأقعس : من برز صدره ودخل ظهره في جسمه . الحنكل : القصير القامة ، أو اللئيم النذل .

حُصونُ بني عُقيلٍ كلُّ عَضْبٍ إذا فَزِعوا وسابغةٍ دِلاصِ[1]
وما الجارات عند المَحْل فيهم ولو كثر الروازحُ بالخِماصِ[2]

قال : وقال مسعود «وقد» طلبه والي اليمامة ، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب : [من الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بوعثاءَ فيها للظباء مكانسُ[3]
وهل أنجُوَنْ من ذي لَبيدِ بن جابرٍ كأنَّ بناتِ الماء فيه المُجالسُ
وهل أسمَعَنْ صوتَ القَطا تندب القطا إلى الماء منه رابع وخوامسُ

1 العضب : السّيف القاطع . والسّابغة الدلاص : الدّرع الصافية اللينة .
2 الروازح : جمع رازحة ، وهي الناقة الهزيلة ونحوها . الخماص : الجياع .
3 الوعثاء : الأرض ذات الصخور .

[457] ـ أخبار بحر ونسبه[1]

هو بحرُ بن العلاء ، مولى بني أُمَيَّةَ ، حجازيٌّ ، أَدركَ دولةَ بني هاشم ، وعُمِّرَ إلى أيّام الرشيد ، وقد هَرِمَ ، وكان له أخٌ يقال له عبّاس ، وأخوه بحر أصغر منه ، مات في أيّام المعتصم ، وكان يلقَّب حامضَ الرأس ، وله صنعة ، وأَقدَمَهُ الرشيدُ عليه ، ثم كرهه ، فصرفه .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارونَ قال : حدَّثني أَحمد بن أَبي خالد الأَحول ، عن عليّ بن صالح صاحب المصلَّى : أنّ الرشيد سمِع من عَلُّويَه ومخارقٍ وهما يومئذٍ مِنْ صِغار المغنِّينَ في الطبقة الثالثة أَصواتاً استحسنها ، ولم يكن سمعها ، فقال لهما : مِمَّن أخذتما هذه الأصواتَ ، فقالا : من بَحْرٍ ، فاستعادها ، وشرب عليها ، ثم غنّاه مخارق بعد أيّام صوتاً لبَحْر ، فأمر بإحضاره ، وأمره أن يغنِّي ذلك الصوت ، فغنّاه ، فسمع الرشيدُ صوتاً حائلاً مرتعشاً فلم يُعْجِبه ، واستثقله لولائِه لبني أُميّة ، فوصله ، وصرفه ، ولم يصل إليه بعد ذلك .

صوت

[من الطويل]

أَلا يـا لَقومـي لِلنّوائب والدّهر ... ولِلمرءِ يُردي نفسه وَهْو لا يَدري
وللأَرض كم من صالح قد تودَّأَت ... عليـه فوارتْـهُ بلمّاعـةٍ قَفْرِ

عروضه من الطويل ، قال الأصمعيّ : يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم : يالَ كذا «بفتح اللام» وإذا دعوت للشيء . قلت بالكسرة ، تقول : ياَللرجال ويالقوم . وتقول : يا للغنيمة ويا لِلحادثة ، أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة ، فكأنّه قال : يا قوم اعجلوا للغنيمة . وروى الأصمعيّ وغيره مكان قد تودّأت : قد تلمّأت عليه ، وتلاءمت ، أي وارته ، ويروى : تأكّمت أي صارت أكمة .

الشعر لهدبة بن خشرم ، والغناء لمعبد ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 انظر أخباره في الاشتقاق 320 والكامل 1246–1249 والشعر والشعراء 2 : 691–695 والمرزباني 483 واللآلي 249–250 ، 639–640 والتبريزي 2 : 43–52 والخزانة 4 : 81–87 .

[458] ـ أخبار هدبة بن خشرم ونسبه
وقصته في قوله هذا الشِّعر وخبر مقتله

[نسبه]

هو هُدْبةُ بنُ خَشْرَم بن كُرْزِ بن أُبي حيَّة بن الكاهن ، وهو سلمة ، بن أَسحمَ بن عامر بن ثعلبةَ بن عبد الله بن ذبيان بنِ الحارثِ بن سعد بن هُذَيم ؛ وسعد بنِ هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة ؛ ويقال : بل هو سعد بن أَسلم ، وهذيم عبدٌ لأبيه رباه ، فقيل : سعد بن هذيم ، يعني سعداً هذا .

وهدبة شاعر فَصيح من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ، كان يروي للحُطيئة ، والحطيئة يروي لكعب بن زهير ، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير ، وكان جميل راوية هدبة ، وكثيّر راوية جميل ، فلذلك قيل : إنّ آخر فحل اجتمعت له الراوية إلى الشعر كثير .

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلّهم شاعر : حَوطٌ وسَيْحانُ والواسع ، أُمّهم حيَّةُ بنتُ أبي بكر بن أبي حيّة من رهطهم الأدْنَيْن ، وكانت شاعرة أَيضاً .

وهذا الشعر يقوله هُدْبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّةَ بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم .

أَخبرني بالخبر في ذلك جماعةٌ من شيوخنا ، فجمعتُ بعضَ روايتهم إلى بعض ، واقتصرتُ على ما لا بدّ منه من الأشعار ، وأتيتُ بخبرهما على شرح ، وألحقتُ ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان .

فممّن حدَّثني به محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل العتكيّ : تِينةُ قال : حدَّثنا خلف بن المثنى الحُدانيّ ، عن أبي عمرو والمدينيّ .

وأَخبرني الحسن بن يحيى ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنْجيّ ، عن حمّاد بن إسحاق الموصليّ عن أَبيه .

وأَخبرني إبراهيم بن أَيّوبَ الصائغ ، عن ابن قتيبة .

[الحرب بين قومه وقوم زيادة بن زيد]

وأَخبرني أَحمد بن عبيد الله بن عمّار ، عن عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ ، عن أَبيه عن عمِّه . وقد نسبتُ إلى كلّ واحد منهم ما انفرد به من الرواية ، وجمعت ما اتّفقوا عليه ، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصّة : كان أوّل ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن

ذبيان وبين بني رَقاش ، وهم بنو قُرَّة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان ، وهم رهط زيادة بن زيد ، وبنو عامر رهط هدبة ، أنّ حَوْطَ بن خشرم أخا هدبةَ راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما ، وكان مُطْلَقَهُما[1] من الغاية على يوم وليلة ، وذلك في القيظ ، فتزوّدوا الماء في الروايا والقِرَب ، وكانت أختُ حوطٍ سلمى بنتُ خشرم تحت زيادة بن زيد ، فمالت مع أخيها على زوجها ، فوهَّنت أوعية زيادة ، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه ، فقال زيادة : [من الرجز]

قـد جعلـت نَفْسيَ في أَدِيم مُحَـرَّمِ الدّبّـاغ ذِي هُزُومِ
ثمّ رَمَت بِي عُرُضَ الدَّيْمومِ في بارحٍ من وَهَجِ السَّمومِ[2]
عند اطّلاع وعـرة النجوم[3]

قال اليزيديّ في خبره : المُحَرَّم : الذي لم يُدبغ ، والهُزوم : الشقوق .

قال : وقال زِيادَةُ أيضاً : [من الرجز]

قـد عَلِمَتْ سلمةُ بالعَميسِ ليلَـة مَرْمـارٍ ومَرْمَرِيسِ
أنَّ أبـا المِسْور ذو شَرِيس يَشفي صُداع الأَبلَجِ الدِّلْعِيسِ[4]

العَمِيسُ : موضع ، والمرمار والمَرمِريس : الشدّة والاختلاط ، وأبا المسور يعني زيادة نفسه ، وكانت كنيته أبا المسور .

[هدبة وزيادة يشبب كل منهما بأخت الآخر]

قال : فكان ذلك أوَّلَ ما أثبت الضغائن بينهما . ثم إنّ هدبة بن خَشْرَم وزيادة بن زيد اصطحبا ، وهما مقبلان من الشام ، في رَكْبٍ من قومهما ، فكانا يتعاقبان السَّوْق بالإبل ، وكان مع هدبة أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال : [من الرجز]

عُوجي علينا واربَعي يا فاطما ما دون أن يُرى البَعيرُ قائِما

أي ما بين مُناخ البعير إلى قيامه .

أَلا تَريـن الدمعَ منّي ساجما حِـذارَ دارٍ منك لـن تُلائما

1 مطلقهما : موضع إطلاقهما .

2 العرض : الجانب . الديموم : الصحراء المترامية الأطراف . البارح : الريح الحارة صيفاً . السموم : الحر الشديد .

3 النجوم : جمع نجم وهو ما لا ساق له من النبات .

4 الشريس : الشراسة ، وهي سوء الخلق . الدلعيس : الضخمة المترهلة من الإبل .

فعَرَّجَــتْ مطَّــرداً عُراهِما　　　فَعْمـاً يبــذّ القُطُفَ الرَّواسِما

مُطَّرد : متتابع السير ، وعُراهم : شديد ، وفَعْم ، ضخم ، والرسيم : سير فوق العَنَق ، والرّواسم : الإبل التي تسير هذا السيْرَ الذي ذكرناه .

كأَنَّ في المثناة منــه عائمَـا　　　إنَّــكَ واللهِ لأَنْ تُباغِمـا[1]

المثناة : الزمام ، وعائم : سائح ، تباغم : تكلّم .

خَــوْداً كأَنّ البُوْصَ والمآكِما　　　منهـــا نقـاً مُخالطٌ صَرائما

البُوْص : العجز ، والمأكمتان : ما عن يمين العجز وشماله ، والنقا : ما عظم من الرمل . والصرائم : دونه .

خيرٌ مــن استقبالك السَّمائما　　　ومـــن مُنــادٍ يبتغي مُعاكِما

ويروى : ومن نداء ، أي رجل تناديه تبتغي أَن يعينك على عَكمك حتى تشدّه .

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأُخت زيادة ، وكانت تُدعى ، فيما روى اليزيديّ ، أُمَّ حازم ، وقال الآخرون : أُمَّ القاسم ، فقال هُدْبَة : [من الرجز]

لقــد أَراني والغُـلامَ الحازما　　　نُزجي المَطـيَّ ضُمَّراً سَواهِما[2]
متـى تَظُــنّ القُلُصَ الرّواسِما　　　والجِلَّــةَ النّاجيــةَ العَياهِما[3]

العَياهم : الشِّداد .

يُبلِغْــن أُمَّ حــازم وحازمـا　　　إذا هَبَطــن مُسْتَحيراً قاتِما[4]
ورجَّع الحادي لهــا الهَماهِما　　　أَلا تَرَيْنَ الحُـزنَ منِّي دائما[5]
حِــذارَ دارٍ منك لن تُلائما　　　واللهِ لا يَشفي الفــؤادَ الهائما
تَمساحُكَ اللَّبّـاتِ والمــآكِما　　　ولا اللِّمامُ دون أَن تُلازِما[6]

---

1 تباغم : من بغمت الغزالة إذا نادت ولدها بصوت ليّن .
2 الضمر السواهم : النياق الصلبة .
3 القلص : جمع قلوص : الفتية من الإبل . والرواسم : التي تمشي الرسيم . الجلة : جمع جليل وهي الناجية : السريعة . العياهم : جمع عيهم وهي الناقة السريعة .
4 المستحير : الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي .
5 الهمهمة : الصوت تنوم المرأة به طفلها .
6 المآكم : رؤوس الأفخاذ .

ولا اللِّئـــام دون أن تُفاقما ولا الفِقــامُ دون أن تفاغَما[1]
وتَعلُوَ القوائمُ القوائما

قال : فشتمه زيادة ، وشتمه هُدبة ، وتسابّا طويلاً ، فصاح بهما القوم اركبا ، لا حملكما الله . فإنّا قوم حُجّاج ، وخَشُوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما ، حتى أمسك كلّ واحد منهما على ما في نفسه ، وهدبة أشدّهما حنقاً ، لأنـّه رأى أن زيادة قد ضامَه ، إذ رجز بأُخته وهي تسمع قولَه ، ورجز هو بأُخته ، وهي غائبة لا تسمع قوله ، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة ، حتى قضيا حجّهما ، ورجعا إلى عشيرتيهما .

[هجائهم هدبة]

قال اليزيديّ خاصة في خبره : ثم التقى نفر من بني عامر ، من رهط هدبة ، فيهم أَبو جَبْر ، وهو رئيسهم الذي لا يعصونه ، وخَشْرَمٌ أبو هدبة ، وزُفَر عمّ هدبة ، وهو الذي بعثَ الشرّ ، وحجّاج بن سلامة ، وهو أبو ناشِبٍ ، ونفر من بني رَقاش رهط زيادة ، وفيهم زيادة بن زيد ، وإخوته : عبد الرحمن ونفَّاعٌ وأدرَعُ بواد من أودية حرَّتهم ، فكان بينهم كلام ، فغضب ابن الغسَّانية ، وهو أدرع ، وكان زفر عمّ هدبة يُعزى إلى رجل من بني رقاش ، فقام له أدرع فرجز به فقال : [من مجزوء الرجز]

أدُّوا إلينـــا زُفَــرا نعرفُ منــه النَّظَرا
وعينَــه والأَثَرا

قال : فغضب رَهْط هُدبة ، وادَّعوا حَدّاً على بني رقاش ، فتداعَوْا إلى السلطان ، ثم اصطلحوا على أن يُدْفَع إليهِم أدرعُ ، فيخلو به نَفَرٌ منهم ، فما رأوه عليه أمضَوْه ، فلمّا خلَوا به ضربوه الحدّ ضرباً مبرِّحاً ، فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغَضِبوا ، فقال عبد الرحمن بن زيد : [من الوافر]

أَلا أَبلــغ أَبـــا جَبْرٍ رسولاً فما بينـــي وبينكـُم عِتابُ
أَلم تعلــمْ بـــأَن القوم راحوا عشيّةَ فارقوك وهــم غِضابُ

فأَجابه الحجّاج بن سلامة فقال : [من الطويل]

إن كان ما لاقى ابنُ كنعاء مُرغِماً رقاشَ فــزاد اللهُ رَغْمــاً سِبالَها[2]

---

1 الفقام : المباضعة . والفغام : التقبيل .
2 ابن كنعاء : أدرع . السبال : طرف الشارب ، أو مقدم اللحية .

منعنا أَخانا إذ ضربنـــا أَخاكُم   وتلكَ مـن الأَعـداء لا مِثْلَ مالها

[هو وزيادة يتهاديان الأشعار]

قال اليزيديّ في خبره : وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار ، ويتفاخران ، ويطلب كُلّ واحدٍ منهما العُلُوَّ على صاحبه في شعره ، وذكر أشعاراً كثيرة ، فذكرتُ بعضها ، وأَتيتُ بمختار ما فيه ، فمن ذلك قولُ زيادة في قصيدة أَوّلها : [من الطويل]

أَراكَ خليلاً قَـد عزمت التّجنبا   وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤاد فأَصحبا[1]

اخترت منها قوله :

وأَنّك للنّاس الخليـلُ إذا دنـتْ   بـه الدارُ ، والباكي إذا ما تغيَّبا
وقد أَعذَرَتْ صرفُ الليالي بأَهلها   وشَحْطُ النَّوى بيني وبينك مَطلبا
فلا هي تأْلو ما نـأَتْ وتباعَدَتْ   ولا هـو يأْلـو مـا دنا وتقرَّبا
أَطعتُ بها قول الوشاة فلا أَرى الـ   ـوشاةَ انتهوا عنه ولا الدهر أَعتبا
فهـلاّ صَرَمْـتِ والحبـالُ متينةٌ   أُميمـةُ إن واشٍ وشى وتكذَّبا
إذا خفتَ شكَّ الأَمرِ فارمِ بعزمة   غَيابَتَه يركب بك الدهـرُ مركبا
وإن وِجهةٌ سُدَّتْ عليك فُرُوجُها   فإنّـك لاقٍ لا محالـة مذهبا
يُلامُ رجـالٌ قبل تجريبِ غَيْبِهم   وكيـف يُـلام المرءُ حتى يُجرَّبا
وإنّي لِمِعْـراضٌ قليـلٌ تعرُّضي   لوجـه امرىءٍ يوماً إذا ما تجنَّبا[2]
قليلٌ عِثاري حين أُذعَرُ ، ساكنٌ   جَناني إذا ما الحرب هرَّت لتكْلَبا[3]
بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل   قِـراهُ ونَوِّبْــه إذا مـا تنوّبا[4]
ولا تَنتجع شَرّاً إذا حيل دونـه   بِسِتْرٍ وهَـبْ أَسبابَه مـا تهيّبا
أَنا ابن رَقاشٍ وابـنُ ثعلبةَ الذي   بنى هاديـاً يعلـو الهواديَ أَغلبا[5]
بَنى العِزُّ بنياناً لقومي فماصَعُوا   بأَسيافهم عنـه فأَصبح مُصعَبا[6]

---

1 أَصحب الفؤاد : أَصابه خبل .
2 معراض : كثير الإعراض .
3 هرت : كشرت عن أنيابها . لتكلب : لتشتدّ .
4 نوّبه : حفظ حقّه في النوبة عند الركوب نحوه .
5 الهادي : العنق . الأغلب : الغليظ العنق .
6 ماصع : جالد .

فما إنْ ترى في النّاس أُمّاً كأُمِّنا ولا كأبينا حين ننسُبُه أبا
أتمَّ وأنمى بالبنين إلى العلا وأكرمَ منّا في المناصب مَنصَبا
مَلَكنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ كأنَّ لنا حقّاً على الناس تُرتَبا

قال اليزيديّ : تُرتَب : ثابت لازم .

بآيةِ أنّا لا نرى مُتَتَوِّجاً من الناس يعلونا إذا ما تعصَّبا
ولا مِلكاً إلاّ اتّقانا بمُلكه ولا سُوقَةً إلاّ على الخَرْجِ أُتعِبا[1]
ملكنا ملوكاً واستبحْنا حِماهمُ وكنّا لهم في الجاهليّة موكِبا
نَدامى وأردافاً فلم تَرَ سُوقةً توازننا فاسأل إياداً وتَغلِبا[2]

فأجابه هدبة ، وهذا مختار ما فيها فقال : [من الطويل]

تَذَكَّرَ شَجواً من أُميمةَ مُنصِبا تليداً ومُنتاباً من الشوقِ مُجْلِبا[3]
تَذَكَّر حبّاً كان في مَيْعة الصِّبا ووجداً بها بعد المشيب مُعتِّبا[4]
إذا كادَ ينساها الفؤادُ ذكرتُها فيا لكِ ما عَنّى الفؤادَ وعذّبا
غَدا في هواها مستكيناً كأنّه خليعُ قِداحٍ لم يجد مُتنشَّبا[5]
وقد طال ما عُلِّقْتَ ليلى مُغَمّرا وليداً إلى أن صار رأسُكَ أشْيَبا

المغمّر : للغمر أي غير حدث .

رأيتك في لَيلى كذي الدّاءِ لم يجد طبيباً يداوي ما به فَتَطَبَّبا
فلمّا اشتفى ممّا به كرَّ طِبُّه على نفسه من طول ما كان جرَّبا

[يقتل زيادة فيسجن]

فلم يزل هدبة يطلبُ غِرَّةَ زيادة حتى أصابها فبيَّته فقتله ، وتنحّى مخافة السلطان ، وعلى المدينة يومئذٍ سعيدُ بن العاص ، فأرسل إلى عمّ هدبة وأهلِه فحبسهم بالمدينة ، فلمّا بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نَفسه وتخلّص عمَّه وأهلَه ، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية ، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يُقِيد منه إذا قامت البينة ،

1 الخرج : الضريبة ونحوها .
2 أرداف : جمع ردف ، وهو خليفة الملك في الجاهلية .
3 منصب : متعب . مجلب : من أجلب الجرح : علته القشرة .
4 معتب : مستوجب للعتاب واللوم .
5 الخليع : من غلب في القمار . المنتشب : من النشب ، وهو النبل .

فأقامها ، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن ، فسألوه قبول الدية فامتنع ، وقال : [من الطويل]

صوت

أنختُم علينا كَلْكَلَ الحرب مُرَّةً ... فنحن مُنيخوها عليكم بكلكلِ
فلا يدْعُني قومي لزيدِ بن مالك ... لئن لم أُعجِّل ضربةً أو أعجَّلِ
أبعد الذي بالنَّعْف نعفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةِ رمسٍ ذي تراب وجندلِ[1]
كريمٌ أصابته دياتٌ كثيرة ... فلم يدرِ حتى حين من كل مدخلِ
أذكَّر بالبُقيا على مَن أصابني ... وبُقيايَ أنِّي جاهدٌ غيرُ مؤتلي[2]

غنّاه ابن سُرَيْج رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وقيل : إنّه لمالك بن أبي السمح وله فيه لحن آخر .

رجع الخبر إلى سياقته

وأمّا عليّ بن محمد النوفليّ ، فذكر عن أبيه : أنّ سعيدَ بن العاص كره الحكم بينهما ، فحملهما إلى معاوية ، فنظر في القصّة ، ثم ردّها إلى سعيد . وأمّا غيره فذكر أنّ سعيداً هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية .

قال عليّ بن محمد عن أبيه : فلمّا صاروا بين يَدَيْ معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له : يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي وما دُفِعْتُ إليه ، وجرى عليَّ وعلى أهلي وقُربايَ وقتلَ أخي زيادة ، وترويعَ نسوتي ، فقال له معاوية : يا هُدبة قُل . فقال : إنّ هذا رجل سَجّاعة ، فإن شئت أن أقصّ عليك قصّتنا كلاماً أو شعراً فعلتُ ، قال : لا بل شعراً ، فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالاً : [من الطويل]

ألا يا لَقومي لِلنّوائب والدّهر ... ولِلمرءِ يُردِي نفسه وهْو لا يدرِي
وللأرض كم من صالحٍ قد تأكَّمَت ... عليه فوارتْهُ بلمّاعةٍ قَفْرِ
فلا تتّقي ذا هَيْبة لجلالِه ... ولا ذا ضياعٍ هنّ يُتْرَكْن للفقرِ

حتى قال :

رُمِينا فَرامَينا فصادف رَمْيُنا ... مَنايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ
وأنت أميرُ المؤمنين فما لنا ... وراءك من مَعدًى ولا عنك من قَصْرِ

1 النعف : المكان المرتفع . وكويكب : موضع في ديار سعد بن هزيم .
2 غير مؤتل : غير مقصر في طلب الوتر .

فإن تَكُ في أموالنـا لم نَضِق بهـا ذِراعاً ، وإن صبرٌ فنصبِرُ للصَّبرِ

فقال له معاوية : أراك قد أقررت بقتل صاحبهم ، ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولَدٌ ؟ قال : نعم ، المسوَر ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمّه ووليٌّ دم أبيه ، فقال : إنّك لا تؤمَن على أخذ الديَة أو قتلِ الرجل بغير حق ، والمِسور أحقُّ بدم أبيه فَرَدَّه إلى المدينة فحُبس ثلاث سنين حتى بلغ المسوَر .

[بينه وبين جميل بن معمر]

أخبرني الحِرْميّ بن العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : نسخت من كتاب عامر بن صالح قال : دخل جميلُ بن مَعْمَرِ العُذْريُّ على هدبة بن خَشْرمٍ السجنَ وهو محبوس بدم زيادةَ بن زيد ، وأهدى له بُردين من ثياب كساه إيّاها سعيدُ بن العاص ، وجاءه بنفقة ، فلمّا دخل إليه عرض ذلك عليه ، وسأله أن يقبله منه ، فقال له هدبة : أأنت يا ابن مَعْمرٍ الذي تقول : [من الطويل]

بنـي عامـرٍ أنّى انتجعتُـم وكنتـمُ إذا عُدِّد الأقـوامُ كالخُصْية الفَردِ ؟

أما والله لئن خلّص اللهُ لي ساقي لأمدنّ لك مضمارك[1] ، خذ بُرديك ونفقَتَك ، فخرج جميلٌ ، فلمّا بلغ باب السجن خارجاً قال : اللهمّ أغْنِ عنّي[2] أجدعَ بني عامر ، قال : وكانت بنو عامر قد قلّت ، فحالَفت لإياد .

[من شعر أمّه فيه]

قال أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ : فقالت أمّ هُدبة فيه لما شَخَص إلى المدينة فَحُبِسَ بها : [من الطويل]

أيـا إخوتـي أهـلَ المدينة أكرموا أسيركُـمُ إنّ الأسيـرَ كريـمُ
فَـرُبَّ كريـمٍ قـد قَـراه وضافَه ورُبَّ أمـورٍ كلّهـن عظيـمُ
عَصـى جلُّهـا يومـاً عليـه فراضَه مـن القـوم عَيّافٌ أشمُّ حليـمُ

[يتوسّطون له فترفض وساطتهم]

فأرسل هدبةُ العشيرةَ إلى عبد الرحمن في أوّل سنة فكلّموه ، فاستمع منهم ثم قال : [من الطويل]

1 لأمدن لك مضمارك : لأوسعن الميدان الذي ألاقيك فيه .
2 أغنِ عنّي : اكفني شرّه .

أبعَــدَ الذي بالنَّعف نعــفِ كُوَيْكِبِ رهينــةِ رمس ذي تُــراب وجندَلِ
أُذكَّــر بالبُقْيــا عــلى مَــنْ أصابني وبُقْيــايَ أنِّي جاهــدٌ غيرُ مُؤْتلي

فرجعوا إلى هدبةَ بالأبيات فقال : لم يُوئسُني بعدُ ، فلمّا كانت السنة الثالثة بلغ المِسور ، فأرسل هدبةُ إلى عبد الرحمن مَنْ كلَّمه فأنصت حتى فرغوا ، ثم قام عنه مغضباً وأنشأ يقول : [من الطويل]

سأُكْذِب أقوامــاً يقولون : إنَّــي سآخــذُ مــالاً مــن دم أنا ثائرُهْ[1]
فبِاسْتِ امرىءٍ واسْتِ التي زَحَرت به يسوق سَوامــاً مــن أخٍ هــو واترُهْ

ونهض ، فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال : الآن أيِستُ منه ، وذهب عبد الرحمن بالمِسور ، وقد بلغ إلى والي المدينة ، وهو سعيد بن العاص ، وقيل مروان بن الحكم ، فأخرج هدبة .

[لقاؤه الأخير بزوجته]

قالوا : فلمّا كان في الليلة التي قُتِل في صباحها أُرسلَ إلى امرأته ، وكان يحبّها : إيتيني الليلة أَستَمتع بك وأودِّعك ، فأتته في اللِّباس والطيّب ، فصارت إلى رجل ، قد طال حبسُه ، وأنتنت في الحديد رائحتُه ، فحادَثها ، وبكى ، وبكت ، ثم راودها عن نفسها ، وطاوَعته ، فلمّا عَلاها سمعَتْ قَعقعةَ الحديد فاضطربت تحته ، فتنحّى عنها وأنشأ يقول : [من الطويل]

وأَدْنَيْتني حتــى إذا مـــا جعلتِني لَدى الخصْر أو أدنى استَقَلَّك راجفُ[2]
فــإن شئتُ واللهِ انتهيــتُ وَإنَّــي لئــلاّ تَرَيْني آخــرَ الدّهــر خائفُ
رأت ساعــدَيْ غُــولٍ وتحت ثيابه جآجــيء يدْمى حدُّهــا والحراقفُ[3]

ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويلٌ جدّاً وفيه يقول :

صوت

فلم تَــرَ عيني مثــلَ سرب رأيتُــه خرجْنَ علينا من زقــاق ابنِ واقفِ[4]
تضمَّخْن في الجاديِّ حتــى كأنَّما الأ نــوفُ إذا استَعْرَضْتَهُــنَّ رَواعِفُ[5]

1 أنا ثائره : أنا طالب ثأره .
2 استقلك راجف : أصابك ما أفزعك .
3 جآجيء : جمع جؤجؤ ، وهو عظم الصدر . الحراقف : جمع حرقفة ، وهو أعلى الورك .
4 في هذا البيت إقواء .
5 الجادي : الزعفران .

خرجن بأعناق الظباء وأعيُن الـ ـجآذرِ وَارتجَّت لهن السَّوالفُ[1]
فلو أنَّ شيْئاً صاد شيئاً بطَرفه لصِدْن ظباء فوقهنَّ المطارفُ

غنّى فيه الغريض رملاً بالبنصر من رواية حَبَش ، وفيه لحن خفيف ثقيل ، وذكر إسحاق أنّ فيه لحناً ليونس ، ولم يذكر طريقته في مجرده .

[يفضل السمكات على سربه]

أخبرنا الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير عن عمِّه قال : مَرَّ أبو الحارث جُمَّيْن يوماً بسوق المدينة ، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاثُ سمكات قد شقَّ أجوافَها : وقد خرج شحمُها ، فبكى أبو الحارث ، ثم قال . تَعِس الذي يقول : [من الطويل]

فلم تَـرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيته خرجن علينا من زُقاقِ ابنِ واقفِ

وانتكس وَلا انجبر ، والله لهذه السمكات الثلاث أحسَنُ من السرب الذي وصف .

وَأحسب أنّ هذا الخبر مصنوع لأنّه ليس بالمدينة زُقاقٌ يعرف بزقاق ابن واقف ، ولا بها سَمَك ، ولكن رويت ما رُوي .

[حُبّى ترثي لحاله وهو أسير]

وقال حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ ابن كُناسة قال : مُرَّ بهُدْبَةَ على حُبّى ؛ فقالت : في سبيل الله شبابُك وجلَدُك وَشِعْرُك وكرمُك ؛ فقال هدبة : [من الطويل]

تَعَجَّبُ حُبَّى من أسير مُكبّلٍ صَلِيبِ العَصا باقٍ على الرَّسَفانِ[2]
فلا تَعْجَبي مِنّي حَلِيلَة مالكٍ كذلك يأْتي الدهرُ بالحَدْثانِ

[يبين لزوجته أوصاف من يتزوجها بعده]

وقال النوفليُّ عن أبيه : فلمّا مُضِيَ بِهِ من السجن للقتل ، التفَتَ فرأى امرأته ؛ وكانت من أجمل النساء فقال : [من الطويل]

أَقِلّي عليّ اللّومَ يا أُمّ بَوزَعا ولا تَجْزَعي ممّا أُصابَ فأَوجعا
ولا تنْكَحي إن فرّق الدهرُ بيننا أَغَمَّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا[3]
كَليلاً سوى ما كان من حَدّ ضِرْسه أُكَيْبِدَ مِبْطانَ العَشيّاتِ أَرْوَعا[4]

---

1 السوالف : جمع سالفة ، وهي جانب العنق .
2 حبّى : اسم امرأة . الرسفان : المشي الوئيد الذي يمشيه الرجل في القيد .
3 الأنزع : من انحسر شعره عن جبينه وقفاه .
4 مبطان العشيات : كثير الأكل ليلاً . أروع : من الروع ، أي الخوف .

ضَروباً بلَحييْه على عَظْـم زَوره ... إذا النّـاس هَشُّوا للفعـال تَقَنَّعا[1]
وحُلْــي بـذي أُكرومة وحَمِيّةٍ ... وَصبْرٍ إذا ما الدّهـر عَضَّ فأسرَعا

[زوجته تشوه جمالها بسكين]

وقال حَمّاد عن أَبيه عن مُصْعب بن عبد الله قال : لمّا أُخرِج هُدبةُ من السجن ليُقتل ، جعل الناسُ يتعرَّضون له ويَخْبُرون صَبْره ، ويَسْتَنْشِدونه ، فأدرَكه عبدُ الرحمن بنُ حسّانَ ، فقال له : يا هدبةُ ، أتأمُرني أن أتزوّج هذه بَعْدَك ، يعني زوجتَه ، وهي تمشي خلفَه فقال : نعم ، إن كنتَ من شَرْطها ، قال : وما شَرْطُها ؟ قال : قد قُلتُ في ذلك : [من الطويل]

فلا تنكَحِي إنْ فَرَّق الدهرُ بيننا ... أَغـمَّ القفا والوجهِ ليس بأنزعا
وكُوني حَبِيساً أَو لأَروعَ ماجدٍ ... إذا ضَنَّ أَعشاشُ الرِّجـال تبرَّعا[2]

فمالت زوجتُه إلى جزّار وأخذت شَفْرته ، فجَدَعت بها أنفَها ، وجاءته تَدْمى مجدوعة فقالت : أتخاف أن يكون بَعد هذا نِكاح ؟ قال : فرسَف في قُيُودِه وقال : الآن طابَ الموت .

وقال النوفليُّ عن أبيه : إنّها فعلت ذلك بحَضْرة مَرْوان وقالت له : إنّ لهُدْبة عندي وَدِيعة ، فأمهِلْه حتى آتِيَه بها ، قال : أسرِعي ، فإنّ الناس قد كَثُروا ، وكان جلس لهم بارزاً عن دارِه فمضت إلى السُّوق ، فانتَهت إلى قصّاب وقالت : أعطني شَفرتك ، وخُذ هذين الدرهمين وأنا أردُّها عليك ، ففَعل ، فَقَربت من حائط ، وأرسلت مِلْحَفَتها على وَجهها ، ثم جدعت أنفها من أصْله ، وقطعت شَفَتَيْها ، ثم ردَّت الشفرَة ، وأقبلت حتى دَخلَت بين الناس وقالت : يا هُدْبةُ ، أتُراني متزوّجةً بعدما تَرى ؟ قال : لا ، الآن طابت نَفْسي بَعْد بالموت ، ثم خرَج يرسُف في قيودِه ، فإذا هو بأبوَيْه يتوقّعان الثّكل ، فهما بسُوء حال ، فأقبل عليهما وقال : [من الرمل]

أَبلِيــاني اليـومَ صبراً منكما ... إنّ حُزْناً إن بدا بادِئ شرّ
لا أُراني اليــومَ إلاّ ميِّتــاً ... إنَّ بعـدَ المـوت دارَ المستَقَرّ
اصبِرا اليـوم فإنّــي صابِـرٌ ... كلُّ حَــيٍّ لقَضـاءٍ وقَدرْ

[زوجته تنكث بعهدها]

قال النوفليّ : فحدَّثني أَبي قال : حدَّثني رجلٌ من عُذرةَ عن أَبيه قال : إنِّي لببلادنا يوماً في بعض المياه ، فإذا أنا بامرأة تَمشي أمامي وهي مدبرة ، ولها خَلْق عجيب من عَجُز وهَيْئة ،

---

1 الناس في الشعر والشعراء : القوم . اللحيان : العظمان اللذان ركبت فيهما الأسنان العلوية والسفلية .
2 أعشاش الرجال : من عش معروفة بمعنى قلّله .

وتمام جسم ، وكمال قامَة ، فإذا صَبِيَّان قد اكتنفاها يمشيان ، قد ترعرعا ، فتقدّمتُها ، والتفتُّ إليها ، فإذا هي أقبحُ مَنْظر ، وإذا هي مجدوعةُ الأنف ، مقطوعةُ الشفتين ، فسألتُ عنها فقيل لي : هذه امرأة هُدْبة ، تزوَّجت بعده رَجُلاً ، فأولدَها هذين الصَّبِيَّين .

[أخو زيادة يرفض الدية]

قال ابنُ قُتيبة في حديثه : فسأَل سعيدُ بن العاص أَخاً زيادَة أَن يَقْبَل الدية عنه ، قال : أُعطيكَ ما لم يُعطَه أَحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جَدّاءُ[1] ولا ذاتُ داء ، فقال له : والله لو نَقَبْت لي قُبّتك هذه ، ثم ملأْتَها لي ذهباً ، ما رضيت بها من دم هذا الأَجدع ، فلم يزل سعيد يسألُه ، ويعرض عليه فيأْبى ، ثم قال له : والله لو أَردتُ قبول الدّية لمنعني قوله : [من البسيط]

لَنجدَعَنَّ بأَيدينا أُنوفَكم ... ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدَرا

فدفعه حينئذٍ ليقتله بأَخيه .

[يعرض بحبّى وهو في طريقه إلى الموت]

قال حمّاد : وقرأْتُ على أَبي عن مصعب بن عبد الله بن الزُّبيريّ قال : ومَرَّ هُدبةُ بحُبَّى ، فقالت له : كنتُ أَعدّك في الفتيان ، وقد زَهِدْتُ فيك اليوم ، لأنّني لا أنكر أن يَصْبر الرّجال على الموت ، لكن كيف تَصْبر عن هذه ؟ فقال : أما والله إنَّ حُبّي لها الشديد ، وإن شِئْتِ لأَصفَنَّ لك ذلك ، ووقف الناس معه ، فقال : [من الطويل]

وَجِدت بها ما لم تَجِد أُمّ واحدٍ ... ولا وجدُ حُبّى بابن أُمّ كِلابِ

رأَته طويلَ السّاعدين شمَرْدَلا ... كما تَشْتَهي من قوّة وشبابِ[2]

فانقمعت[3] داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه . قالوا : فدُفع إلى أَخي زيادة ليقتُلَه ، قال : فاستأذن في أن يُصَلِّي ركعتين ، فأَذِن له ، فصلاّهما وخفّف ، ثم التفَتَ إلى مَنْ حضر فقال : لولا أن يُظَنّ بي الجزعُ لأَطَلْتهُما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما ، ثم قال لأهله : إنّه بلغني أنّ القَتيل يَعقِل ساعة بعد سُقوط رأسه ، فإن عَقَلْتُ فإنّي قابضٌ رجلي وباسطُها ثلاثاً ، ففعل ذلك حين قُتِل ، وقال قبل أَن يُقتَل : [من الطويل]

إن تقتُلوني في الحديد فإنّني ... قتلتُ أَخاكم مُطْلقاً لم يُقَيّدِ

---

1 الجدّاء : القليلة اللبن من مرض أصابها .

2 الشمردل : الجميل الخلق .

3 فانقمعت : ولّت هاربة .

فقال عبد الرحمن أَخو زيادة : والله لا قَتَلْتُه إلاّ مُطلقاً من وَثاقه ، فأُطلق له ، فقام إليه وهزّ السيف ثم قال : [من الرجز]

قد عِلِمتْ نفسي وأَنت نعلمُهْ   لأَقتلَنَّ اليـومَ مَـن لا أَرحمُـهْ

ثم قتله .

فقال حمّاد في روايته : ويقال : إنّ الذي تولّى قتلَه ابنه المِسْوَر ، دفع إليه عَمُّه السيفَ وقال له : قم فاقتل قاتل أَبيك ، فقام ، فضَرَبَه ضربتين قتله فيهما .

[كاهنة تتنبأ بقتله صبرا]

أَخبرني الحُسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأْتُ على أَبي قال : بلغني أَنّ هدبة أَوّل مَن أُقِيد منه في الإسلام .

قال أَحمد بن الحارث الخرّاز : قال المدائنيّ : مرّت كاهنة بأُمّ هُدْبة وهو وأَخوته نِيامٌ بين يديها ، فقالت : يا هذه ، إنّ الذي معي يُخبرني[1] عن بنيك هؤلاء بأمر . قالت : وما هو ؟ قالت : أمّا هُدبة وحَوْطٌ فيُقتلان صَبْرا[2] ، وأمّا الواسع وسَيْحان فيموتان كَمَداً ، فكان كذلك .

أَخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأْتُ على أَبي : أَخبرك مروان بن أَبي حفصة قال : كان هُدبة أَشْعَر النّاس منذ يوم دخل السجن إلى أن أُقِيد منه ، قال الخرّاز عن المدائنيّ : قال واسعُ بنُ خَشْرم يرثي هُدْبَةَ لمّا قُتِل : [من البسيط]

يا هُدْبَ يـا خَيْرَ فتيان العشيرةِ مَنْ   يُفجَعْ بمثلك في الدُّنيـا فقد فُجِعا
الله يعلـم أنّـي لـو خشيتهمُ   أَو أَوجسَ القلبُ من خوفٍ لهم فزعا
لم يقتلـوه ولم أُسلِـم أَخـي لهـمُ   حتـى نَعيش جَمِيعـاً أَو نَمُوت معا

وهذه الأَبيات تمثّل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنهم ، لمّا بلغه قَتلُ أَخِيه محمد .

[أخبار هدبة وزياد]

أَخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حَدَّثنا أَحمد بن أَبي خَيْثَمَة قال : حدَّثني مصعبٌ الزُّبيريُّ قال : كنَّا بالمدينة أَهلَ البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبرُ هدبة وزيادة وأشعارهما ازدَريناه ، وكنّا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها .

1 تقصد الذي معها من علم التنجيم أو الجن الذي تزعم مؤاخاته .

2 يقتل صبراً : يحبس حتى يموت .

[جميل بن معمر راوية له]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : أخبرني محمد بن الحسن الأحول ، عن رواية من الكوفيّين قالوا : كان جميلُ بن معمر العُذْريّ راويةَ هُدْبة ، وكان هُدبة راويةَ الحطيئة ، وكان الحطيئةُ راوية كعب بن زهير وأبيه .

[عائشة أمّ المؤمنين تدعو له بعد موته]

حدَّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المُهَلَّبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال : حدَّثني أبو مُصعَب الزُّبيريّ قال : حَدَّثني المُنكَدِرُ بنُ محمد بنِ المُنْكَدِرِ ، عن أبيه قال : بعث هُدبةُ بنَ خَشْرم إلى عائشةَ زوج النبيّ ﷺ يقول لها : استغفري لي ، فقالت : إن قُتِلْتَ استغْفَرْتُ لك .

صوت

[من الطويل]

أَلم تَـرَ أنّي يـومَ جوِّ سُوَيْقَةٍ بكيتُ فنادتني هُنيـدةُ ما لِيـا ؟

فقلتُ لهـا : إنّ البكاء لراحـةٌ بـه يشتفي مَنْ ظنّ أن لا تلاقيا

قفي ودّعينـا يـا هُنَيْدَ فإنَّني أرى القوم قد شاموا العَقِيقَ اليمانيا

ويروى : أرى الركبَ قد شاموا[1] .

إذا اغرورقت عَيناي أَسبَلَ منهما إلى أن تغيب الشِّعْريان بكائيا[2]

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً ، وهي فيما قيل أوّلُ قصيدة هجاه بها ، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشاميّ ، قال الهشاميّ : وفيه لمالك ثقيل أوّل ، وابتداء اللحنين جميعاً .

أَلم تَـرَ أنّي يوم جوّ سُوَيْقَة

ولعلُّويَه فيه لحن من الرمل المطلق ابتداؤه :

قفي ودعينا يـا هنيدَ فإنَّني

1 شام السحاب والبرق ونحوها : نظر إليه ليتحقق أفيه مطر أم لا ، والمراد هنا النجعة والرحيل .

2 الشعريان : نجمان .

[459] ـ نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته[1]

[نسبه]

الفرزدق لقب غَلَب عليه ، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجفّفه النساءُ للفَتوت ، وقيل : بل هو القطعة من العجين التي تبسط ، فيُخبَز منها الرغيف ، شُبِّه وجهه بذلك ؛ لأنّه كان غليظاً جهماً . واسمه همّام بن غالبِ بن صَعصعةَ بن ناجيةَ بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناةَ بن تميم .

قال أبو عبيدة : اسم دارم بحر ، واسم أَبيه مالكٍ عوف[2] ويقال عرف . وسُمِّي دارمٌ دارماً لأنّ قوماً أتوا أباه مالكاً في حَمالة[3] فقال له : قُم يا بحر فأْتني بالخريطة ، يعني خريطة كان له فيها مال ، فحملها يدرِم عنها ثِقلاً ، والدّرمان : تقارب الخطو ، فقال لهم : جاءَكُم يَدْرِم بها ، فسُمِّي دارماً ، وسُمِّي أبوه مالِكٌ غَرفًا لجوده .

وأمّ غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيانَ بن مجاشع .

وكان للفرزدق أخ يقال له هُمَيم ، ويلقّب الأَخطل ، ليست له نباهة ، فأَعقب ابناً يقال له محمد ، فمات والفرزدق حيّ فرثاه ، وخبرُه يأتي بعد . وكان للفرزدق من الولد خَبطةٌ ولَبطةٌ وسَبطة ، هؤلاء المعروفون ، وكان له غيرهم فماتوا ، ولم يُعرفوا . وكان له بنات خمس أو ستّ .

وأُمّ الفرزدق ، فيما ذكر أَبو عبيدة ، لينة بنت قرظة الضَّبِّيَّة .

[صعصعة محيي الموءودات]

وكان يقال لصعصعة محيي الموءودات ؛ وذلك أَنّه كان مرّ برجلٍ من قومه ، وهو يحفِر بئراً ، وامرأته تبكي ، فقال لها صعصعة : ما يبكيك ؟ قالت : يريد أن يئد ابنتي هذه ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الفقر . قال : فإنّي أشتريها منك بناقتين

---

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1 : 471–482 وطبقات ابن سلاّم : 299–379 والموشّح 156 والسمط 44 وابن خلكان 6 : 86 والخزانة 1 : 105 والشذرات 1 : 141 والشريشي 1 : 142 وشرح شواهد المغني : 4 وأمالي المرتضى 1 : 43 ومرآة الجنان 1 : 234 وعبر الذهبيّ 1 : 236 وسير الذهبي 4 : 590 ومعاهد التنصيص 1 : 45 والنجوم الزاهرة 1 : 268 وسرح العيون : 389 ، 464 . والبداية والنهاية 9 : 265 ، ومعجم الأدباء 6/2785–2788 .

2 ل : غرف .

3 الحمالة : الغرامة يحملها قوم عن قوم أو الدية .

يتبعهما أولادهما ، تعيشون بألبانهما ، ولا تئد الصبية ، قال : قد فعلت ، فأعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً ، وقال في نفسه : إن هذه لمكرُمةٌ ما سبقني إليها أحد من العرب ، فجعل على نفسه ألاّ يسمع بموءودة إلاّ فداها ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة ، وقيل : أربعمائة .

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن دَماذ ، عن أبي عبيدة .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ وعليّ بن سليمان الأخفش قالا : حدَّثنا أبو سعيد السكّريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال : قال صعصعة : خرجتُ باغياً ناقتين لي فارقتين ، والفارق : التي تفرق إذا ضربها المخاض فتندّ على وجهها ، حتى تُنْتِج ، فرُفعت لي نار فسرت نحوها ، وهممت بالنزول ، فجعلت النار تضيء مرّة ، وتخبو أخرى ، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت : اللهمّ لك عليّ إن بلّغتني هذه النار ألاّ أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد النّاس أن يفرِّجها إلاّ فرّجتها عنهم ، قال : فلم أسر إلاّ قليلاً حتى أتيتها ، فإذا حيٌّ من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم ، وإذا أنا بشيخ حادر[1] أشعر يوقدها في مقدّم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض ، قد حبستهنّ ثلاث ليال . فسلّمت فقال الشيخ : مَن أنت ؟ فقلت : أنا صعصعة بن ناجية بن عقال ، قال : مرحباً بسيِّدنا ، ففيمَ أنت يا ابن أخي ؟ فقلت : في بغاء ناقتين لي فارقتين عُمِّيَ عليّ أثرُهما ، فقال : قد وجدتَهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك ، وقد نتجناهما ، وعطفت إحداهما على الأخرى ، وهما تانك في أدنى الإبل . قال : قلت : ففيم توقد نارك منذ الليلة ؟ قال : أوقدها لامرأة ماخض[2] قد حبستنا منذ ثلاث ليال ، وتكلّمت النساء فقلن : قد جاء الولد ، فقال الشيخ : إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به ، وإن كانت جارية فلا أسمعنّ صوتها ، أي أقتلنها ، فقلت : يا هذا ذرها فإنّها ابنتك ، ورزقها على الله ، فقال : اقتُلْنها ، فقلت : أنْشُدك الله ، فقال : إنّي أراك بها حفيّاً ، فاشترها منّي ، فقلت : إنّي أشتريها منك ، فقال : ما تعطيني ؟ قلت : أعطيك إحدى ناقتيّ قال : لا ، قلت : فأزيدك الأُخرى ، فنظر إلى جملي الذي تحتي ، فقال : لا ، إلاّ أن تزيدني جملَك هذا ، فإنّي أراه حسن اللون شابّ السّنّ ، فقلت : هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه ، قال : قد فعلت ، فابتعتها منه بلقوحين[3] وجمل ، وأخذت عليه عهدَ الله وميثاقه ليُحسنَنَّ بِرّها وصلتَها ما عاشت ، حتى تبين منه ، أو

1 حادر : سمين الجسم غليظ .

2 ماخض : أدركها المخاض .

3 بلقوحين : بناقتين حاملتين .

يدركها الموت ، فلمّا برزتُ من عنده حدَّثتني نفسي وقلت : إنّ هذه لمكرمة ما سبقني إليها أُحد من العرب ، فآليت ألاَّ يئد أحد بنتاً له إلاّ اشتريتها منه بلَقوحين وجمل ، فبعث الله عَزَّ وجلَّ محمداً عليه السلام ، وقد أحييتُ مائة موءودة إلاّ أربعاً ، ولم يشاركني في ذلك أحد ، حتى أنزل الله تحريمَه في القرآن ، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدّة قصائد من شعره ، ومنها قصيدتُه التي أوّلُها : [من الطويل]

أبي أَحـدُ الغَيْثَيْن صعصعةُ الذي ... متى تُخْلفِ الجوزاءُ والدّلْوُ يُمْطِرِ[1]
أَجارَ بنـاتِ الوائِدينَ ومن يُجِرْ ... على الفقـر يُعْلَمْ أَنّه غيرُ مُخْفِرِ[2]
على حينَ لا تُحيا البناتُ وإذ هُمُ ... عكوف على الأَصنام حول المدَوَّرِ[3]

المُدَوَّر : يعني الدّوّار الذي حول الصنمْ ، وهو طوافهم .

أنـــا ابـــن الذي ردّ المنيّةَ فضلُه ... فما حسبٌ دافعتُ عنـه بمُعْوِرِ[4]
وفـارقِ ليلٍ من نساءٍ أَتتْ أَبي ... تُمـــارس ريحـاً ليلُها غير مُقْمِرِ[5]
فقالت : أَجِرْ لي ما ولدتُ فإنّني ... أَتيتك مــن هزلى الحَمولـةِ مُقْتِرِ[6]
هِجفٌ من العُثْو الرؤوس إذا بدت ... لـه ابنةُ عامٍ يحطم العظم منكرِ[7]
رأى الأَرضَ منها راحةً فرمى بها ... إلى خُـــدَدٍ منها إلى شرّ مخفرِ[8]
فقــال لهـــا : فِيئــي فإنّي بذمّتي ... لبنتك جـــارٌ مــن أبيها القَنَوَّرِ[9]

[إسلام أبيه على يد الرسول]

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبيّ ﷺ فأسلم وقد كان وَفَدهُ أَبوه صعصعةُ إلى النبيّ ﷺ فأخبره بفعله في الموءودات ، فاستحسنه وسأله : هل له في ذلك من أَجر ؟ قال : نعم فأسلم وعمِّر غالبٌ ، حتى لحق أمير المؤمنين عليّاً صلوات الله عليه بالبصرة ، وأَدخل إليه الفرزدق ،

1 والدلو في الديوان ص 379 : والنجم .
2 غير مخفر : غير ناقض للعهد .
3 الأصنام في الديوان 379 : الأنصاب .
4 معور : المعيب .
5 الفارق : الناقة أخذها المخاض فندت في الأرض .
6 هزلى الحمولة : من هزل الرجل إذا ماتت ماشيته . مقتر : فقير مقلّ .
7 الهجف : الجافي . العثو : الكثير الشّعر . في الديوان 380 : ضغتْ أي بكت .
8 خدد : شقوق .
9 القنوّر : الشرس الخلق .

وأظنّه مات في إمارة زياد ومُلك معاوية .

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ وهاشم بن محمد الخزاعيّ ، وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قالوا : حدَّثنا الرّياشيّ قال : حدَّثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية ، قال : حدَّثني عقال بن كسيب أبو الخنساء العنبريّ ، قال : حدَّثني الطُّفيل بن عمرو الربعيّ ، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة ، عن صعصعة بن ناجيةَ المجاشعيِّ جدِّ الفرزدق قال : قدمت على النبيّ ﷺ ، فعرض عليّ الإسلام ، فأسلمت ، وعلّمني آياتٍ من القرآن ، فقلت : يا رسول الله إنّي عملت أعمالاً في الجاهليّة هل لي فيها من أجر ؟ فقال : وما عمِلت ؟ فقلت : إنّي أضللتُ ناقتين لي عُشراوين ، فخرجت أبغيهما على جمل ، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض ، فقصدت قصدهما ، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً ، فقلت له : هل أحسست من ناقتين عُشراوين ؟ قال : وما نارهما ؟ ، يعني السّمة ، فقلت : ميسم بني دارم ، فقال : قد أصبت ناقتيك ونتجناهما ، وظأرتا على أولادهما ونَعش الله بهما أهلَ بيت من قومك من العرب من مضر ، فبينا هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر : قد ولدت ، فقال : وما ولدتِ ؟ إن كان غلاماً فقد شرِكَنا في قُوتنا ، وإن كانت جارية فادفنوها ، فقالت : هي جارية : أفأئدها ؟ فقلت : وما هذا المولود ؟ قالت : بنت لي ، فقلت : إنّي أشتريها منك ، فقال : يا أخا بني تميم ، أتقول لي : أتبيعني ابنتك وقد أخبرتك أنّي من العرب من مضر ؟ فقلت : إنّي لا أشتري منك رقبتها ، إنّما أشتري دَمَها لئلاّ تقتلها ، فقال : وبِم تشتريها ؟ فقلت : بناقتي هاتين وولديهما . قال : لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه ، قلت : نعم ، على أن ترسل معي رسولاً فإذا بلغتُ أهلي ردَدْتُ إليك البعير ففعل ، فلمّا بلغت أهلي رددتُ إليه البعير ، فلمّا كان في بعض الليل فكّرت في نفسي فقلت : إنّ هذه مكرمة ما سبقني إليها أحدٌ من العرب ، فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائةٍ وستّين موءودة ، أشتري كُلَّ واحدة منهنّ بناقتين عُشراوين وجمل ، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام : هذا باب من البرّ ، ولك أجره إذ مَنَّ الله عليك بالإسلام ، قال عباد : ومِصداقُ ذلك قولُ الفرزدق : [من المتقارب]

وجـدِّي الذي منع الوائداتِ وأَحيـا الوئيد فلـم يُـــوأَدِ

أخبرني محمد بن يحيى ، عن الغِلاّبيّ ، عن العبّاس بن بكّار ، عن أبي بكر الهذليّ قال : وفد صعصعة بن ناجية جَدّ الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد من تميم ، وكان صعصعةُ قد منع الوَئيد في الجاهلية ، فلم يدع تميماً تَئِد ، وهو يقدر على ذلك ، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية ، فقال للنبيّ ﷺ : أوصني ، فقال : أُوصيك بأُمّك وأَبيك وأَخيك وأُختك وإمائك ، قال : زدني ، قال : احفظ ما بين لحييك ، وما بين رجليك .

ثم قال له عليه السلام : ما شيءٌ بلغني عنك فعلتَه ؟ قال : يا رسول الله رأَيت النّاس يموجون على غير وجه ، ولم أدرِ أين الوجه ، غير أنّي علمت أنّهم ليسوا عليه ، ورأيتهم يئدون بناتهم ، فعلمتُ أنّ ربّهم لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم يئدون ، وفديت من قدرت عليه .

وروى أَبو عبيدة أنّه قال للنَّبيِّ ﷺ : إنّي حملتُ حَمالات في الجاهليّة والإسلام ، وعليّ منها ألفُ بعير ، فأدَّيتُ من ذلك سبعمائة ، فقال له : إنّ الإسلام أَمَرَ بالوفاء ، ونهى عن الغدر ، فقال : حسبي حسبي ، ووفّى بها .

ورُوِي أنّه إنّما قال هذا القول لعمر بن الخطّاب ، وقد وفد إليه في خلافته .

وكان صعصعةُ شاعراً وهو الذي يقول : أُنشدنيه محمد بن يحيى له : [من الطويل]

إذا المرء عـادى من يودُّك صدرُه ... وكان لَمن عاداك خِدْنـاً مُصافِيا

فـلا تسأَلَنْ عمّـا لديـه فإنّـه ... هـو الدّاءُ لا يخفى بذلـك خافيا

[كرم أبيه]

أُخبرني محمد بن يحيى ، عن محمد بن زكريّا ؛ عن عبد الله بن الضحّاك ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عوانة قال : تَراهَن نَفرٌ من كلب ثلاثةٌ على أن يختاروا من تميم وبكر نَفَراً ليسائلوهم ، فأيّهم أعطى ، ولم يسألهم عن نسبهم مَن هم ؟ فهو أفضلهم ، فاختار كلّ رجل منهم رجلاً ؛ والذين اختيروا عميرُ بنُ السليك ، بن قيس بن مسعود الشيبانيّ ، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ ، وغالب بن صعصعة المجاشعيّ أبو الفرزدق ، فأتوا ابن السُّليك فسألوه مائة ناقة ، فقال : مَن أنتم ؟ فانصرفوا عنه .

ثم أَتوا طلبة بن قيس ، فقال لهم مثل قول الشيبانيّ ، فأَتوا غالباً ، فسأَلوه ، فأَعطاهم مائةَ ناقة وراعيها ، ولم يسألهم مَن هم فساروا بها ليلة ، ثم ردّوها ، وأخذ صاحبُ غالب الرَّهنَ ، وفي ذلك يقول الفرزدق : [من الطويل]

وإذا ناحبَت كَلبٌ على النّاس أَيُّهم ... أَحـقُّ بتـاج الماجـدِ المتكرِّمِ [1]

على نفرٍ هُم من نزار ذوي العلا ... وأهـل الجراثيـم التي لم تهدَّمِ [2]

فلم يُجزِ عن أَحسابهم غيرُ غالبٍ ... جرى بعنـان كلِّ أَبيضَ خِضرمِ [3]

---

1 ناحبت في الديوان 199/2 : نحبت .

2 نزار ذوي في الديوان 199/2 : نزار ذؤابة . الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي الأصل .

3 فلم يجز في الديوان 200/2 : فلم يَجْلُ . الخضرم : الكريم المعطاء .

[سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن جهم السليطيّ ، عن إياس بن شبّة ، عن عقال بن صَعصعة ، قال : أجدبت بلاد تميم ، وأصابت بني حنظلة سنةٌ[1] في خلافة عثمان ، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة ، فانتجعتها بنو حنظلة ، فنزلوا أقصى الوادي ، وتسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة ، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب ، فنَحر ناقته فأطعمهم إيّاها ، فلمّا وردت إبل سحيم بن وثيل الرِّياحيّ حبس منها ناقة ، فنحرها من غد ، فقيل لغالب : إنّما نحر سُحيم مواءمةً لك ، أي مساواة لك ، فضحك غالب ، وقال : كلا ، ولكنّه امرؤ كريم ، وسوف أنظر في ذلك ، فلمّا وردت إبل غالب حبس منها ناقتين ، فنحرهما ، فأطعمهما بني يربوع ، فعقر سُحَيم ناقتين ، فقال غالب : الآن علمت أنّه يوائمني ، فعقر غالب عشراً ، فأطعمها بني يربوع ، فعقر سحيم عشراً ، فلمّا بلغ غالباً فعلُه ضحك ، وكانت إبله ترد لخمس ، فلمّا وردت عقرها كلّها عن آخرها ، فالمكثر يقول : كانت أربعمائة ، والمُقِلّ يقول : كانت مائة ، فأمسك سحيم حينئذٍ ؛ ثم إنّه عقر في خلافة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بكُناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير ، فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم ، ورآهم عليٌّ عليه السلام ، فقال : أيّها الناس لا يحل لكم ، إنّما أُهِلّ بها لغير الله عزّ وجلّ . قال : فحدَّثني مَن حضر ذلك قال : كان الفرزدق يومئذٍ مع أبيه وهو غلام ، فجعل غالب يقول : يا بنيّ ، اردُدْ عليّ ، والفرزدق يردُّها عليه ، ويقول له : يا أبت اعقِر ، قال جهم : فلم يُغنِ عن سحيم فعله ، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطِق فعلَه .

[يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن]

حدَّثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم ، يعني أبا العيناء ، عن أبي زيد النحويّ ، عن أبي عمرو قال : جاء غالب أبو الفرزدق إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة ، فقال : إنّ ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه ، قال : علّمه القرآن ، فكان ذلك في نفس الفرزدق ، فقيّد نفسَه في وقت ، وآلى : لا يَحُلُّ قيدَه حتى يحفظ القرآن .

[عريق في قرض الشعر]

قال محمد بن يحيى : فقد صحّ لنا أنّ الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة ، وندع ما قبل ذلك ، لأنّ مجيئَه به بعد الجمل ، على الاستظهار ، كان في سنة ستّ وثلاثين ، وتوفّي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أوّل خلافة هشام هو وجرير والحسن

1 سنة : جدب .

البصريّ وابن سيرين في ستّة أشهر ، وحُكِي ذلك عن جماعة ، منهم الغِلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه .

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ عن الغِلابيّ ، عن ابن عائشة أيضاً ، عن أبيه قال : قال الفرزدق أيضاً : كنت أُجيد الهجاء في أيّام عثمان ، قال : ومات غالب أبو الفرزدق في أوّل أيّام معاوية ودُفِن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه : [من الطويل]

لقد ضمّت الأكفانُ من آل دارمٍ فتًى فائِضَ الكفّين محضَ الضّرائبِ[1]

[الفرزدق أشعر أم جرير]

أخبرني حبيب المهلّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عمران الضبّيّ ، قال : حدَّثني جعفر بن محمد العنبريّ ، عن خالد بن أُمّ كلثوم ، قال : قيل للمفضل الضبّيّ : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال الفرزدق : قال : قلت : ولِمَ ؟ قال : لأنّه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال : [من الطويل]

عجبتُ لِعجلٍ إذ تُهاجِي عَبِيدَها كما آلُ يربوع هَجَوْا آلَ دارِمِ

فقيل له : قد قال جرير : [من الكامل]

إنَّ الفرزدقَ والبَعِيثَ وأُمّه وأبا البَعِيث لشرّ ما إستارِ[2]

فقال : وأيّ شيء أهون من أن يقول إنسان : فلان وفلان وفلان والنّاس كلّهم بنو الفاعلة !

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة مَعمرُ بنُ المثنّى : كان الشعراء في الجاهلية من قيس ، وليس في الإسلام مثلُ حظٍّ تميم في الشعر ، وأشعر تميمٍ جرير والفرزدق ، ومن بني تغلِب الأخطلُ .

قال يونس بن حبيب : ما ذُكِر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتَّفَق المجلسُ على أحدهما ، قال : وكان يونس فرزدقيّاً .

[بيتين لابن ميادة]

أخبرني عمّي ، عن محمد بن رستم الطبريّ ، عن أبي عثمان المازنيّ قال : مرّ الفرزدق بابن مَيّادة الرمّاح والنّاسُ حوله وهو ينشد : [من الطويل]

1 الضرائب : جمع ضريبة أي الطبيعة والسجية .

2 إستار : لفظ معرّب بمعنى أربعة .

لــو انّ جميعَ النّاس كانوا بربوة وجئتُ بجَدِّي ظـالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلَّت رقـابُ النّاس خاضعةً لنا سُجوداً على أَقدامنـــا بالجماجمِ

فسمعه الفرزدق ، فقال : أَما والله يا ابنَ الفارسيّة لَتدعنّه لي أَو لأَنبِشَنَّ أُمَّك من قبرها ، فقال له ابن ميّادة : خذه لا بارك الله لك فيه ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

لــو انّ جميعَ النّاس كانــوا بربوة وجئتُ بجــدِّي دارمٍ وابنِ دارمِ
لظلَّت رقابُ النّــاسِ خاضعةً لنا سجوداً على أَقدامنـــا بالجماجمِ

[عود إليه هو وجرير]

أَخبرني عمّي ، عن الكرانيّ ، عن أَبي فراس الهيثم بن فراس ، قال : حدَّثني ورقة بن معروف ، عن حمّاد الرّاوية قال : دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بُنيّةٌ له يَشمّها فقال جرير : ما هذه يا أمير المؤمنين عندك ؟ قال بُنَيَّة لي ، قال : باركَ اللهُ لأَمير المؤمنين فيها . فقال الفرزدق : إن يكن دارم يضرب فيها فهي أكرم العرب ، ثم أَقبل يزيد على جرير فقال : ما لك والفرزدق ؟ قال : إنّه يظلمني ويبغي عليّ ، فقال الفرزدق . وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرتُ فيه بسيرتهم ، قال جرير : وأما والله لَتردَّنَّ الكبائرُ على أسافلها سائر اليوم ، فقال الفرزدق : أَمّا بك يا حمار[1] بني كليب فلا ، ولكن إن شاء صاحب السرير ، فلا والله ما لي كفء غيرُه ، فجعل يزيد يضحك .

أَخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن حمّاد الراوية قال : أَنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي : أَتيتَ الكلبَ ، يعني جريراً ، قلت : نعم .

قال : أَفأَنا أَشعَر أم هو ؟ قلت : أَنتَ في بعض وهو في بعض ، قال : لم تناصحني ، قال : قلت : هو أَشعَر منك إذا أُرخيَ من خناقه ، وأَنتَ أَشعَر منه إذا خفت أَو رجوت ، قال : قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلاّ في الخير والشرّ .

قال : وروى عن أَبي الزّناد عن أَبيه قال : قال لي جرير : يا أَبا عبد الرحمن : أَنا أَشعَر أَم هذا الخبيث ، يعني الفرزدق ، وناشدني لأخبرنّه[2] ، فقلت : لا والله ما يشاركك ولا يتعلّق بك في النسيب قال : أَوْه قضيت والله له عليّ ، أنا والله أُخبرك : ما دَهاني ، إلاّ أَنّي هاجيتُ كذا وكذا شاعراً ، فسمَّى عدداً كثيراً ، وأَنّه تفرّد لي وحدي .

1 ل : عيّار .
2 ل : إلاّ أخبرته .

[خبره مع النوار]

أخبرني عبد الله قال : قال المازنيّ : قال أبو علي الحرمازيّ : كان من خبر الفرزدق والنَّوار ابنةِ أعيَن بن صعصعة[1] بن ناجية بن عقال المجاشعيّ ، وكانت ابنة عمِّه ، أنّه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضِيته ، وكان الفرزدق وليّها ، فأرسلت إليه أنَّ زَوِّجْني من هذا الرجل ، فقال : لا أفعل أو تُشهدِيني أنّك قد رضيت بمَن زوّجتك ، ففعلت ، فلمّا توثّق منها ، قال : أرسلي إلى القوم فليأتوا ، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : قد علمتم أنّ النّوار قد ولّتني أمرَها ، وأُشهدكم أنّي قد زَوَّجتُها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة . فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزُّبير حين أعياها أهلُ البصرة ألاّ يطلّقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود ، وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتّقاء الفرزدق ، وابنُ الزُّبير يومئذٍ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة ، فلم تجد مَن يحملها ، وأتت فتيةً من بني عديّ بن عبد مناة بن أُدّ ، يقال لهم بنو أُمّ النُّسَيْر ، فسألتهم برحم تجمعهم وإيّاها ، وكانت بينها وبينهم قرابة ، فأقسمت عليهم أُمّها : ليحملنّها ، فحملوها ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فاستنهض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه ، وأوقروا له عدّة من الإبل ، وأُعِين بنفقة ، فتبع النَّوار ، قال : [من الطويل]

أَطاعت بني أُمّ النُّسَيْر فأَصبحت على شارفٍ ورقاءَ صعبٍ ذلولُها[2]
وإنّ الذي أُمسى يخبِّب زوجتي كماشٍ إلى أُسْد الشّرى يَستبيلُها[3]

فأدركها وقد قَدِمت مكّة ، فاستجارت بخَولَةَ بنتِ منظورِ بنِ زبَّان بن سيّار الفزاريّ ، وكانت عند عبد الله بن الزُّبير ، فلمّا قدِم الفرزدق مكّة اشرأبَّ النّاس إليه ، ونزل على بني عبد الله ابن الزُّبير ، فاستنشدوه ، واستحدثوه ثم شفعوا له إلى أبيهم ، فجعل يشفعهم في الظاهر ، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه ، فمال إلى النوّار ، فقال الفرزدق في ذلك : [من البسيط]

صوت

أَمّا بنــوه فلم تُقْبــل شفاعتُهم وشُفّعت بنتُ منظــورِ بن زِبّانا
ليس الشّفيع الذي يأتيك مُؤْتَزِراً مثلَ الشفيع الذي يأتيكَ عُرْيانا

لَعِريب في هذا البيت خفيف رمل .

---

1 ل : ضبيعة .

2 الشارف : الناقة المسنة ، والورقاء : ما في لونها بياض إلى سواد .

3 وإن الذي أمسى في الديوان 61/2 فإن امرأ يسعى . يخبِّب : يفسد . يستبيلها : يطلب بولها .

قال : وسَفَر بينهما رجالٌ من بني تميم كانوا بمكّة ، فاصطلحا على أَن يرجعا إلى البصرة ، ولا يجمعهما ظلّ ولا كِنٌّ حتى يَجْمَعا في أَمرهما ذلك بني تميم ، ويصيرا على حكمهم . ففعلا ، فلمّا صارا إلى البصرة رجعت إليه النّوار بحكم عشيرتها .

قال : وقال غير الحرمازيّ : إنّ ابن الزُّبير قال للفرزدق : جئني بصداقها وإلاّ فرّقت بينكما ، فقال الفرزدق : أنا في بلاد غربة فكيف أُصنع ؟ قالوا له : عليك بسلم بن زياد ؟ فإنّه محبوس في السجن يطالبه ابن الزُّبير بمال ، فأتاه فقصّ عليه قصّته قال : كم صداقها ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمَر له بها وبألفين للنفقة ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

دعي مُغلقي الأَبواب دون فَعالهم ولكن تمشَّيْ بي ، هُبِلْت ، إلى سَلم[1]
إلى مَن يرى المعروفَ سهلاً سَبِيلُه ويفعلُ أَفعال الرّجال التي تَنمي[2]

قال : فدفعها إليه ابن الزُّبير ، فقال الفرزدق : [من الوافر]

هلمّـي لابن عمّـك لا تكـوني كمختـارٍ على الفـرس الحمـارا

قال : فجاء بها إلى البصرة ، وقد أَحبلها ، فقال جرير في ذلك : [من الطويل]

أَلا تِلكـمُ عِرسُ الفرزدق جامحاً ولـو رضِيَتْ رُمح استِهِ لاستقرَّتْ

فأَجابه الفرزدق ، وقال : [من الطويل]

وأُمُّـك لـو لاقيتُهـا بِطِمرَّةٍ وجاءَت بها جوف استِها لاستقرَّتْ[3]

وقال الفرزدق وهو يخاصم النَّوار : [من الوافر]

تُخاصمنـي وقـد أُولجتُ فيهـا كـرأْس الضَّبّ يلتمس الجـرادا

قال الحِرمازيّ : ومكثت النَّوار عنده زماناً ، ترضى عنه أَحياناً ، وتخاصمه أَحياناً ، وكانت النَّوار امرأة صالحة ، فلم تزل تشمئزُّ منه ، وتقول له : ويحَك ! أنت تعلم أنّك إنّما تزوَّجت بي ضُغطة[4] وعلى خُدعة ، ثم لا تزال في كلِّ ذلك ، حتى حلفت بيمين مُوثَّقة ، ثم حنِثتَ . وتجنَّبَتْ فراشَه ، فتزوّج عليها امرأة يقال لها جُهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأُمُّها الخميصة من بني الحارث بن عبّاد ،

1 ولكن تمشي بي في الديوان 221/2 ولكن تمضَّيْ لي .
2 أفعال في الديوان 221/2 أخلاق . تنمي : ترفع القدر .
3 الطمرة : الفرس السريعة العدو .
4 ضغطة : اضطراراً .

فنافرته الخميصة ، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق ، وقال : إنّها منّي بريء طالق وطلّق ابنتَها ، وقال : [من البسيط]

إنّ الخميصةَ كانــت لي ولابنتها ... مثل الهَراسةِ بـين النّعل والقَدَمِ[1]
إذا أتــت أهلَهـــا منّــي مُطَلَّقة ... فلـن أردَّ عليهـا زَفــرَةَ النَّدمِ

جعل يأتي النَّوارَ وبه رَدْع الخَلوق[2] وعليه الأثر فقالت له النَّوار : هل تزوّجتها إلاّ هُداديّة ، تعني حيّاً من أزد عُمان ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

تُريك نجومَ الليل والشّمسُ حَيَّةٌ ... كــرامُ بنات الحـارث بن عُبادِ[3]
أبوهـــا الذي قـاد النّعامة بعدما ... أبت وائــلٌ في الحرب غير تمادِ
نساءٌ أبوهـنّ الأعــزّ ولم تكن ... مــن الأزد في جاراتهــا وهَدادِ
ولم يَـكُ في الحيِّ الغموضِ محلُّها ... ولا في العُمانيِّــين رهـطِ زيادِ[4]
عَدلتُ بها مَيلَ النَّوار فأصبحتْ ... وقــد رَضيت بالنّصف بعد بعادِ

قال : فلم تزل النَّوار ترققه ، وتستعطفه ، حتى أجابها إلى طلاقها ، وأخذ عليها ألاّ تفارقَه ولا تبرح من منزله ، ولا تتزوَّجَ رجلاً بعده ، ولا تمنَعَه من مالِها ما كانت تبذله له ، وأخذت عليه أن يُشهد الحسنَ البصريَّ على طلاقها ، ففعل ذلك .

قال المازنيّ : وحدَّثني محمد بن روح العدويّ عن أبي شَفْقَل راوية الفرزدق قال : ما استصحَبَ الفرزدقُ أحداً غيري وغير راوية آخر ، وقد صحِب النوارَ رجالٌ كثيرة ، إلاّ أنّهم كانوا يلوذون بالسّواري خوفاً من أن يراهم الفرزدق ، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق : يا أبا سعيد ، قال له الحسن : ما تشاء ؟ قال : اشهد أنّ النّوار طالق ثلاثاً ، فقال الحسن : قد شهدنا ، فلمّا انصرفنا قال : يا أبا شفقل ، قد ندمتُ ، فقلت له : والله إنّي لأظنّ أنّ دمك يترقرق ، أتدري مَنْ أشهدت ؟ والله لئن رجعت لترجمنّ بأحجارك ، فمضى وهو يقول : [من الوافر]

ندمـــتُ ندامـــةَ الكُسَعيّ لمّا ... غـدت منّـــي مُطلَّقةً نوارُ[5]

---

1 الهراسة : نوع من الشوك .
2 ردع الخلوق : ريح الطيب .
3 الحارث بن عباد : فارس النعامة في حرب البسوس .
4 الحيّ الغموض : القبيلة التي تخفى مكانتها .
5 الكسعي : رجل يضرب به المثل في الندامة على كسره قوسه ، وكان جربها في عدة ظباء ، فظنّ أنها لم تصبهن ، ثم اتّضح أنّها أصابتهن جميعاً .

ولـــو أنّي ملكتُ يدي وقلبي لكــان عــليٌّ للقَــدرِ الخيارُ
وكانت جَنّتي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجـه الضِّرارُ[1]
وكنتُ كفاقىءٍ عينيــه عمداً فأصبح ما يضيء لــه النهارُ

[خصومته لكلّ من يساعد النّوار]

وأخبرني بخبره مع النّوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني محمد بن يحيى، عن أبيه يحيى بن عليّ بن حميد: أنَّ النّوار لمّا كرهت الفرزدق حين زَوَّجها نفسَه لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقريّ ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم: [من الطويل]

بني عاصم لا تجنبوهــا فإنّكم ملاجيءُ للسوآت دُسم العَمائِمِ[2]
بَني عاصمٍ لو كان حَيّــاً أبوكم للام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمٍ[3]

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا له: والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنّك غيلة، وخلّوه والنَّوار وأرادت منافرتَه إلى ابن الزُّبير، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكريَها[4] خوفاً منه. ثمّ إنّ قوماً من بني عديّ يقال لهم بنو أمّ النُّسَير أكروها، فقال الفرزدق: [من الوافر]

ولــولا أن يقــول بنو عَديٍّ ألم تَــكُ أمَّ حَنظلَــة النَّوارُ
أتتكم يــا بنــي مِلْكان عنّي قــوافٍ لا تُقسِّمهــا التِّجارُ

وقال فيهم أيضاً: [من الطويل]

لعمري لقــد أردى النَّوارَ وساقها إلى البــورِ أحلامٌ خِفــافٌ عقولُها[5]
أطاعت بنــي أمّ النُّسَير فأصبحت على قَتبٍ يعلــو الفــلاةَ دليلُها[6]
وقد سَخِطَت مِنّي النّوارُ الذي ارتضَى بــه قبلَهــا الأزواجُ خــاب رحيلُها
وإنّ امــرءاً أمسى يُخَبِّب زوجتــي كساعٍ إلى أُسْدِ الشرى يستبيلُها
ومــن دون أبــواب الأسود بَسالةٌ وبَسْطَة أيــدٍ يمنع الضَّيمَ طُولُها[7]

1 أخرجه في الديوان 1/294 حين لج به.
2 دسم العمائم: من الدنس.
3 قيس بن عاصم كان مضرب المثل في الحلم تعلم منه الحلم أحنف بن قيس.
4 يكري: يعطي دابة بالكراء.
5 البور أحلام خفاف في الديوان 2/60 الغور أحلام قليل.
6 الشطر الثاني في الديوان 2/61 على شارف ورقاء صعب ذلولها.
7 ومن دون أبواب في الديوان 2/61: ومن دون أبوال. وبسطة في الديوان 2/61 وصولة.

وإنَّ أميرَ المؤمنين لعالِمٌ بتأويل ما وَصَّى العِبادَ رَسُولُها[1]
فَدُونَكَها يا ابنَ الزُّبير فإنّها مُوَلَّعَة يُوهِي الحجارةَ قِيلُها
وما جادل الأقوامَ من ذي خصومة كورهاء مَشْنوءٍ إليها حليلُها[2]

فلمّا قدمت مكّة نزلت على تماضر بنتِ منظور بن زَبّان زوجة عبد الله بن الزُّبير، ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزُّبير، ومدحه بقوله: [من الكامل]

أمسيتُ قد نزلتْ بحمزة حاجَتي إن المنوَّه باسمِه الموثوقُ
بأبي عمارةَ خيرِ من وَطِىء الحصا وجرت له في الصالحين عُروقُ
بين الحواريِّ الأعزّ وهاشمٍ ثم الخليفةُ بعدُ والصِّدِّيقِ[3]

غنّى في هذه الأبياتُ ابنُ سريج رملاً بالبنصر.

قال: فجعل أَمرُ النَّوار يقوى، وأَمرُ الفرزدق يضعفُ، فقال: [من البسيط]

أمّا بنوه فلم تُقْبل شفاعتُهم وَشُفِّعَتْ بنتُ منظورِ بنِ زَبّانا

[ملاحاة بينه وبين ابن الزُّبير]

وقال ابن الزُّبير للنَّوار: إن شئت فرّقت بينكما، وقتلته، فلا يَهْجُونا أبداً، وإن شئت سيَّرته إلى بلاد العدوّ، فقالت: ما أريد واحدة منهما، فقال لها: فإنّه ابن عمّك وهو فيك راغب، فأُزوِّجُك إيّاه، قالت: نعم، فزوّجها منه، فكان الفرزدق يقول: خرجنا ونحن متباعضان، فعدنا متحابين.

قال: وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزُّبير، وقد توجّه الحكم عليه، إنّما تريد أن أُفارقها فتَثِب عليها، وكان ابن الزُّبير حديداً[4]، فقال له: هل أنت وقومك إلاّ جالية[5] العرب؟

ثم أمر به فأُقيم، وأقبل على مَن حضر، فقال: إنّ بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة، فاستلبوه، فاجتمعت العرب عليها لمّا انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط، فأجلتها من أرض تِهامة، قال: فلقي الفرزدق بعضَ النّاس، فقال: إيه يعيرنا ابن الزُّبير بالجلاء! اسمع، ثم قال: [من الوافر]

1 الشطر الأول في الديوان 62/2: فإنّ أبا بكر إمامك عالم.
2 وما جادل في الديوان 62/2: وما خاصم. ورهاء: حمقاء، مشنوء: مبغض.
3 في هذا البيت إقواء.
4 حديد: سريع الغضب.
5 الجالية: الذين أجلوا: أي أبعدوا عن أوطانهم.

فإن تغضَبْ قريشٌ أو تَغَضَّبْ ... فـإنّ الأَرضَ تُوعِبُهـا تميمُ
هُـمُ عَـددُ النّجوم وكلُّ حيٍّ ... سواهـمْ لا تُعـدُّ لـه نجومُ
ولـولا بيت مكّـة ما ثويتم ... بهـا صحَّ المنابتُ والأُرومُ[1]
بهـا كثُر العديدُ وطاب منكم ... وغيرُكم أخيـذُ الريش هِيمُ[2]
فمهلاً عَنْ تعلّل مَـن غَدَرْتم ... بخونتـه وعذَّبـه الحَميمُ
أَعبـدَ اللهِ مهـلاً عـن أَذاتي ... فإنّـي لا الضعيفُ ولا السئومُ
ولكنّـي صفـاةٌ لم تُدَنَّس ... تـزِلُّ الطيرُ عنها والعُصومُ[3]
أَنـا ابن العاقِر الخُورَ الصّفايا ... بضوّى حين فُتِّحت العُكومُ[4]

قال : فبلغ هذا الشعرُ ابنَ الزّبير ، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه ، فغمز عنقَه ، فكان يدقّها ، ثم قال : [من الطويل]

لقد أُصبحت عِرسُ الفرزدق ناشزاً ... ولـو رَضَيت رُمحَ استِه لاستقرّتْ

وقال : هذا الشعر لجعفر بن الزّبير .

وقيل : إنّ الذي كان تقرَّر عليه عشرةُ آلاف درهم ، وإنّ سَلْمَ بنَ زيادٍ أمر له بعشرين أَلف درهم مهْراً ونفقة ، فقبضها ، فقالت له زوجته أُمّ عثمان بنتُ عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفيّة : أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس ؟ فقال : [من الطويل]

أَلا بَكَـرَتْ عِرسي تلومُ سفاهةً ... على مـا مضى منّي وتأمرُ بالبُخْلِ
فقلتُ لهـا ، والجودُ منّي سجيَّةٌ : ... وهل يمنع المعروفَ سُؤّالَه مِثلي ؟
ذَرِيني فإنّي غيرُ تـارك شِيمتي ... ولا مُقصرٍ طول الحياة عن البذْلِ
ولا طاردٍ ضيفي إذا جاءَ طارقاً ... وقد طرقَ الأَضيافُ شيخيَ من قبلي
أَأَبخَلُ ؟ إن البُخْل ليس بمُخْلِدي ... ولا الجودُ يدنيني إلى الموت والقتلِ
أَبيعُ بني حرب بـآلِ خويلدٍ ! ... وما ذاك عند الله في البيع بالعدلِ[5]

---

1 الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .
2 أخيذ الريش : مهيض الجناح . الهيم : النوق العطاش .
3 العصوم : الأوساخ .
4 الخور : النوق الغزر ، جمع خوارة . الصفايا : المنتقاة . العكوم : جمع عِكم وهو ما يحمله الرجل على ظهره من طعام .
5 خويلد : أبو العوام جد عبد الله بن الزّبير .

وليس ابنُ مروان الخليفةُ مشبهاً لفحل بَني العوّام ، قُبِّح من فحلِ
فإن تُظهرُوا لِيَ البخلَ آلَ خُوَيْلد فما دأْبكم دأْبي ولا شكلُكم شكلي
وإن تَقهروني حين غابت عشيرتي فمن عجبِ الأَيّام أَن تقهروا مِثلي

فلمّا اصطلحا ، ورضيت به ، ساق إليها مهرها ، ودخل بها ، وأحبلها قبل أن يخرج من مكّة .

ثم خرجا وهما عديلان في محمل .

[يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزُّبير]

وأَخبرني أَبو خليفة ، عن محمد بن سلاَّم ، عن إبراهيم بن حبيب الشَّهيد بنحو من هذه القصّة .

قال عُمَر بنُ شبّة : قال الفرزدق في خبره : [من البسيط]

يا حمزَ هل لك في ذي حاجة عَرَضت أَنضــاؤه بمكـــان غيرِ ممطــورِ [1]
فأَنــت أَحرى قريش أَن تكون لهــا وأَنــت بــين أَبي بكــرٍ ومنظورِ [2]
بين الحــواريّ والصدّيـــق في شُعَبٍ ثَبَتْــنَ في طُنُــب الإسلام والخِيرِ [3]

[يتّقون لسانه]

أَخبرنا أَبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم قال : حدَّثنا عبد القاهر بن السّريّ السلميّ ، قال : كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق ، قال : فأخذناهُ ، فأتينا به الفرزدق وقلنا : هذا بين يديك فإن شئت فاضْرب ، وإن شئت فاحلق ، فلا عَدْوى عليك ولا قصاص ، قد برئنا إليك منه ، قال : فخلّى سبيله وقال : [من الوافر]

فمن يَكُ خائفاً لأذاة شعري فقد أَمِنَ الهجاءَ بَنُو حـــرامِ
هم قـــادوا سَفيهَهم وخافوا قلائـــدَ مثـــل أُطواق الحمامِ

قال ابن سلام : وحدَّثني عبد القاهر قال : مرّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام معنا عنبسة مولى عثمان بن عفّان ، فقال : يا أبا فِراس ، متى تذهب إلى الآخرة ؟ قال : وما حاجتك إلى ذاك يا أخي ؟ قال : أكتب معك إلى أبي ، قال : أنا لا أذهب إلى حيث أبوك ، أبوك في النّار ، اكتب إليه مع ريالويه واصطفانوس .

---

1 أنضاء : جمع نضو ، وهو المهزول من الإبل .
2 يعني منظور بن زبّان جدّه لأُمّه .
3 طنب الإسلام في الديوان 252/1 طيّب الإسلام . الخِير : الكرم والشرف .

[يغضب على ابن الكلبيّ لعدم روايته شعره]

أُخبرني الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه قال : أُخبرني مخبر ، عن خالد بن كلثوم الكلبيّ ، قال : مررتُ بالفرزدق ، وقد كنت دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير ، وبلَغه ذلك ، فاستجلسني ، فجلست إليه ، وعذت بالله من شرّه ، وجعلت أحدّثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه ، ثم قلت له : إنِّي لأذكر يوم لقَّبَك بالفرزدق ، قال : وأيّ يوم ؟ قلت : مررت به وأَنت صبيّ ، فقال له بعضُ مَن كان يجالسه : كأنَّ ابنَك هذا الفرزدقُ دهقان الحيرة في تيهه وأُبَّهته ، فسمَّاك بذلك ، فأَعجبه هذا القول ، وجعل يستعيد ، ثم قال : أنشدني بعضَ اشعار ابن المراغة فيّ ، فجعلت أنشده ، حتى انتهيت ، ثم قال : فأَنشد نقائضها التي أجبته بها ، فقلت : ما أحفظها ، فقال : يا خالد ، أتحفظ ما قاله فيّ ولا تحفظ نقائضَه ؟ والله لأهجوَنّ كلباً هجاء يتّصل عارُه بأعقابها إلى يوم القيامة ، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدنيها ، فقلت : أفعل فلزمته شهراً ، حتى حفظت نقائضها ، وأنشدته إيّاها خوفاً من شرّه .

[يكايد النّوار بحدراء فتستعدي عليه جريراً]

أَخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني الأَصمعيّ قال : تزوّج الفرزدق حَدْراء بنت زِيقِ بنِ بِسْطامِ بن قيس الشيباني ، وخاصمته النّوار وأخذت بلحيته ، فجاذبها وخرج عنها مُغضَباً وهو يقول : [من الكامل]

قامَــتْ نــوارُ إليَّ تَنتِف لِحيتي تَنْتافَ جعــدةَ لحيةَ الخشخاشِ[1]
كلتاهمــا أَسدٌ إذا مــا أُغْضِبت وإذا رَضينَ فهــنَّ خير معاشِ[2]

قال : والخشخاش : رجل من عَنَزة ، وجعدةُ امرأته ، فجاءَت جعدةُ إلى النّوار ، فقالت : ما يريد منّي الفرزدق ؟ أما وجد لامرأته أُسوة غيري .

وقال الفرزدق للنَّوار يفضّل عليها حدراءَ : [من الطويل]

لعمــري لأَعْرابيَّــةٌ في مظَلَّــةٍ تظلُّ بِرَوقَيْ بيتِهــا الرِّيحُ تخفُقُ[3]

---

1 في الديوان 388/1 :
بكرت عليّ نَـوار تنتف لحيتي نتف الجعيدة لحية الخشخاش

2 وفي الديوان 388/1 :
كلتاهمـا أسد إذا حرّبتهـــا ورضاهمـا وأبيك خير معاش

3 روقي : تثنية روق ، ومن معانيه رواق البيت .

أَحبُّ إلينا مِـن ضِنـاكٍ ضِفَنَّةٍ إذا وُضعت عنها المراويحُ تَعْرَقُ[1]
كريـمِ غـزالٍ أو كدُرَّةِ غائصٍ تكاد ، إذا مرّت ، لها الأرض تُشرقُ[2]

فلمّا سمعت النَّوار ذلك أرسلت إلى جرير ، وقالت للفرزدق : والله لأخزينَّك يا فاسق فجاء جرير ، فقالت له : أما ترى ما قال الفاسق ، وشكته إليه ، وأنشدته شعرَه ، فقال جرير : أنا أكفيك ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

ولَسْت بمعطي الحكمِ عن شَفٍّ منصبٍ ولا عـن بنـات الحنظليّين راغِبُ[3]
وهـنّ كماء المزن يُشْفى بـه الصَّدى وكانت مِلاحـاً غيرَهُنَّ المشارِبُ[4]
لقـد كنتَ أهلاً أن يسوق دياتكم إلى آل زيـق أن يعيبَـك عائـبُ
ومـا عدلـتْ ذاتُ الصليبِ ظعينةً عُتَيْبةُ والرّدفـان منهـا وحاجِبُ[5]
أأَهْديتَ يـا زيـقُ بن بَسْطامَ ظَبيةً إلى شرٍّ مـن تُهْـدى إليه القرائبُ
ألا رُبَّمـا لم نُعْـطِ زيقـاً بحُكمِهِ وأدّى إلينـا الحكـمَ والغُلُّ لازبُ[6]
حَوَينـا أبـا زيـقٍ وزيقـاً وعمَّه وجَـدّةُ زيـق قـد حَوَتْها المقانِبُ[7]

فأجابه الفرزدق فقال : [من الطويل]

تقـول كليبٌ حـين مثَّت سِبالها وأعشَبَ مـن مرُوتِهـا كلُّ جانبِ[8]
لسوّاقِ أغنـام رعتهـنّ أمّـه إلى أن علاها الشيبُ فوق الذوائبِ[9]
ألستَ إذا القعساءُ مـرّت براكبٍ إلى آل بِسطامِ بـن قيس بخاطبِ[10]

---

1 الضناك : الموثق الخلق الشديد . الضفنة : الحمقاء الكثيرة اللحم .

2 في الديوان 55/2 :
كأمّ غـزالٍ أو كـدرة غائص إذا ما بدتْ مثل الغمامة تُشْرقُ

3 الشفّ : الفضل .

4 ملاحاً : من الملوحة .

5 ذات الصليب : حدراء . عتيبة : هو ابن الحارث بن شهاب . الردفان هما عتاب بن هرمي ، وعوف بن عتاب بن هرمي . وحاجب : هو ابن زرارة .

6 زيق : أبو حدراء ، والغلّ : القيد .

7 المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة الخيل .

8 مثت : أخصبت . سبالها : سنابل زرعها . مرّوت : جمع مرت ، وهو القفر لا نبات به .

9 في الديوان 96/1 لسوُبان أغنام وهو الحسن القيام على المال .

10 مرت براكب في الديوان 96/1 أنسل ظهرها .

وقالوا : سمعنا أنّ حدراءَ زُوِّجَتْ على مائَةٍ شُمِّ الذُّرى والغوارب[1]
فلو كنتَ من أكفاء حدْراء لم تلُمْ على دارمِيٍّ بين ليلى وغالبِ
فنل مثلَها من مثلهم ثُمّ أُمَّهم بملكك من مال مُراح وعازبِ[2]
وإنّي لأخشى إن خطبتَ إليهمُ عليك الذي لاقى يسارُ الكَواعِبِ
ولو تنكِحُ الشّمسُ النجومَ بناتِها نكحنا بناتِ الشمس قبل الكواكبِ

وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق ، قال جرير أبياته التي أوّلها : [من البسيط]

يا زيقُ أنكحتَ قَيناً في استه حَمَمٌ يا زيقُ ويْحَك مَن أنكحتَ يا زيقُ[3]
أين الألى أنزلوا النُّعمان ضاحيةً أم أين أبناءُ شيبانَ الغرانيقُ ؟[4]
يا رُبّ قائلةٍ بعد البناء بها : لا الصهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ معشوقُ
غاب المثنّى فلم يشهد نَجِيَّكُما والحوفَزانُ ولم يشهدْك مفروقُ[5]

والفرزدق يقول لجرير : [من البسيط]

إن كان أنفُك قد أعياك مَحمِلُه فاركب أتانك ثم اخطُب إلى زيقِ

[خبران عن ولديه]

أخبرني الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن زكريا بن ثباة الثقفيّ قال : أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه ، فلمّا انتهى إلى قوله : [من الطويل]

بِفي الشّامِتِين الصَّخْر إن كان مسَّني رزيّةُ شِبْلٍ مُخْدِرٍ في الضَّراغمِ

قال : يا أبا يحيى ، أرأيت ابني ؟ قلت : لا ، قال : والله ما كان يساوي عباءته .

[بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة]

قال إسحاق : حدَّثني أبو محمد العبديّ ، عن اليربوعيّ ، عن أبي نصر قال : قدِم لبطةُ بن الفرزدق الحيرة ، فمرّ بقوم من بني تغلب فاستَقْراهم فَقَرَوْه ، ثم قالوا له : مَن أنت ؟ قال : ابن شاعرِكم ومادِحِكم ، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم : [من الكامل]

---

1 شمّ الذرى والغوارب : عالية الأسنمة والظهور .
2 ثم أمهم بملكك في الديوان 97/1 ثم لمهم بمالك .
3 القين : الحداد . والحم : الفحم .
4 الغرانيق : جمع الغرنوق : الشاب الممتلىء الناعم .
5 الحوفزان : هو الحارث بن شريك بن الصلب ، ومفروق : هو النُعمان بن عمرو الأصم .

أضحى لتغلبَ مـن تميمٍ شاعِرٌ يرمي الأعـاديَ بالقريض الأثقَلِ
إن غاب كعبُ بني جُعَيلٍ عنهم وتَنَمَّر الشعـراء بعـد الأخطلِ[1]
يتباشرون بموتِـه ووراءهـم مِنّي لهـم قِطَعُ العذابِ المُرْسِلِ

فقالوا له : فأنت ابن الفرزدق إذاً ، قال : أنا هو ، فتنادَوا : يا آل تغلب ، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه ، فجعلوا له مائة ناقة ، وساقوها إليه ، فانصرف بها .

[عمرو بن عفراء يتحدّاه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم قال : أتى الفرزدق عبدَ الله بن مُسلِم الباهِلِيّ فسأله فثَقُلَ عليه الكثير ، وخَشِيَه في القليل ، وعنده عمرو بن عفْراء الضَّبِّيُّ راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله : [من الطويل]

ونُبِّئْـتُ جوَّابـاً وسَلْمـاً يسبّنـي وعمرو بن عِفْرى ، لا سلامٌ على عمرِو

فقال ابنُ عفراءَ للباهليّ : لا يهولنّك أمره ، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان هَمّ له به ، فأعطاه ثلثمائة درهمٍ ، فقبلها الفرزدق ورضي عنه ، فبلغه بعد ذلك صنيعُ عمرو فقال : [من الطويل]

ستعلم يا عمرو بن عفْرى مَن الذي يُـلام إذا مـا الأمـر غَبَّتْ عواقبُه[2]
نهيـتُ ابنَ عِفـرى أن يعفّـر أُمّه كعفْـر السّلا إذ جرَّرَتْـه ثعـالبُهْ[3]
فلو كنتَ ضَبِّيّاً صفحتُ ولو سَرتْ عـلى قَدَمِـي حيّاتُـه وعقـاربُهْ
ولكـن دِيـافِيٌّ أَبـوه وأُمّـه بحوْران يعصِرْن السليـط أقاربُهْ[4]
ولّمـا رأى الدّهنـا رمتـه جبالُهـا وقالـت دِيـافِيٌّ مـع الشّام جـانبُهْ
فإن تغضبَ الدّهنـا عليك فما بها طريـقٌ لمرتـاد تُقـاد رَكائبُهْ[5]
تضـنُّ بمـال الباهـليِّ كأنّمـا تضِنُّ على المـالِ الذي أنت كاسِبُهْ[6]

---

1 كعب بني جُعيل والأخطل : شاعران تغلبيان .

2 غبّت عواقبه : بلغ مداه .

3 السّلا : غشاء يحيط بالجنين عند ولادته . في الديوان 46/1 عفّرته ثعالبه .

4 دياف : بلد بالشام ، السليط : ما يستخرج من الحبوب من الزيوت .

5 طربق لمرتاد في الديوان 46/1 طريق لربّات . والرِبة : الجماعة الكثيرة .

6 في الديوان 46/1 :

تشمّر مـال الباهـليّ ، كأنّما تهرّ على المال الذي أنت كاسبُه

وإنّ امـــرءاً يَغْتابُنـــي لم أَطـــأْ له حَرِيمـــاً ولا يَنْهـــاهُ عنِّـــي أَقـــارِبُهْ
كمحتَطِـــبٍ يومـــاً أَساودَ هَضْبة أَتاه بهـــا في ظلمة الليـــل حاطِبُهْ[1]
أَحينَ التقى نابـــاي وابيضَّ مِسْحَلي وأَطرق إطراق الكرى مَـــن يُجانِبُهْ[2]

فقال ابن عفراء ، وأَتاه في نادي قومه : اجهَد جهدك ، هل هو إلاّ أَن تسبّني ، والله لا أَدع لك مساءة إلاّ أتيتُها ، ولا تأمرني بشيء إلاّ اجتنبتُه ولا تنهاني عن شيءٍ إلاّ ركبتُه ، قال : فاشهدوا أنّي أنهاه أن ينيك أُمّه ، فضحك القوم وخجل ابن عِفْرى .

[يتطفّل فيجاز]

أَخبرنا أَبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثنا شعيب بن صخر قال : تزوّج ذبيان بن أَبي ذبيان العَدَويّ من بَلْعُدَوية ، فدعا الناس في وليمته ، فدعا ابن أبي شيخ الفُقيميّ ، فألقى الفرزدق عنده ، فقال له : يا أَبا فراس ، انهض ، قال : إنّه لم يدعني ، قال : إنّ ابن ذبيان يُؤتى وإن لم يَدْعُ ، ثم لا تخرج من عنده إلاّ بجائزة فأتياه ، فقال الفرزدق حين دخل : [من البسيط]

كم قال لي ابنُ أَبي شيخ وقلت له : كيف السَّبيلُ إلى معروف ذُبيانِ
إنّ القلوصَ إذا أُلقست جآجئهـــا قُـــدَّام بابـــك لم نرحل بجِرمانِ[3]

قال : أَجل يا أَبا فراس فدخل فتغدّى عنده ، وأَعطاه ثلثمائة دِرْهم .

أَخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : حدَّثني أَبو بكر المدنيّ قال : دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موتَ طلحةَ بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ ، وكان سيّداً سَخِيّاً شريفاً ، فقال : يا أَهلَ المدينة ، أنتم أذلّ قوم الله ، قالوا : وما ذاك يا أَبا فراس ؟ قال : غلبكم الموت على طلحة حتى أَخذه منكم .

[يعطى عروضاً بدل النقد]

وأَتى مكّة ، فأَتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أُميّة بن خلف الجمحيّ ، وهو سيّد أَهل مكّة يومئذٍ ، وليس عنده نقد حاضر ، وهو يتوقّع أعطيته وأعطية ولده وأَهله ، فقال : والله يا أَبا فراس ، ما وافقت عندنا نقداً ، ولكن عُروضاً[4] إن شئت ، فعندنا رقيق فُرْهَةٌ[5] ، فإن شئت أَخذتهم ، قال : نعم ، فأَرسل له بوُصَفاءٍ من بنيه وبني أَخيه ، فقال : هم لك عندنا

1 الأساود : جمع أسود وهو الحية العظيمة .
2 المسحل : جانب اللحية . في الديوان 47/1 من أحاربه .
3 الجآجيء : جمع جؤجؤ ، وهو عظام الصدر .
4 العروض : جمع عَرْض وهو ما سوى النقد من المتاع .
5 أي عبيداً وجواري حساناً .

حتى تشخص ، وجاءه العطاء ، فأخبره الخبر وفداهم ، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبختر : [من البسيط]

تمْشي تَبَخْتُر حولَ البيتُ منتخياً لو كنتَ عمرَو بنَ عبد الله لم تزدِ

[يحتج بشعره]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثنا عامر بن أبي عامر ، وهو صالحُ بن رستم الخرّاز ، قال : أخبرني أبو بكر الهذليّ قال : إنّا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطّى حتى جلس إلى جنبه ، فجاء رجل ، فقال : يا أبا سعيد : الرجل يقول : لا والله ، وبلى والله في كلامه ، قال : لا يريد اليمين ، فقال الفرزدق : أوما سمعتَ ما قلت في ذلك ؟ قال الحسن : ما كُلَّ ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت : [من الطويل]

ولستَ بمأخوذٍ بلغوٍ تقولـه إذا لم تعمَّدْ عاقـداتِ العزائمِ

قال : فلم ينشب أن جاء رجل آخر ، فقال : يا أبا سعيد . نكون في هذه المغازي فنُصيب المرأة لها زوج ، أفيحِلّ غِشيانُها وإن لَمْ يُطَلِّقها زوجها ؟ فقال الفرزدق : أوما سمعت ما قلتُ في ذلك ؟ قال الحسن : ما كُلَّ ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت : [من الطويل]

وذات حَليلٍ أنكحْتنا رِماحُنا حلالاً لَمن يَبْني بهـا لم تُطَلَّق

[يهجو إبليس]

قال أبو خليفة : أخبرني محمد بن سلاّم ، وأخبرني محمد بن جعفر قالا : أتى الفرزدقُ الحسن ، فقال : إنّي هجوتُ إبليس فاسمع ؟ قال لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لَتسمعنّ أو لأخرجنّ ، فأقول للناس : إنّ الحسنَ يَنهى عن هجاء إبليس ، قال : اسكت فإنّك بلسانه تنطق .

[الحسن يتمثّل بالشعر]

قال محمد بن سلاّم : أخبرني سلاّم أبو المنذر ، عن عليّ بن زيد قال : ما سمعت الحسن متمثلاً شِعراً قطّ إلاّ بيتاً واحداً وهو قوله : [من البسيط]

الموتُ بـابٌ وكُلُّ النّاسِ داخلُه فليتَ شعريَ بعد الباب ما الدّارُ ؟

قال : وقال لي يوماً : ما تقول في قول الشاعر : [من السريع]

لـولا جريـرٌ هلكتْ بَجيلهْ نِعْمَ الفتـى وبئسَت القبيلَهْ

أَهَجاه أم مدَحَه ؟ قلت : مدحه وهجا قومه ، قال : ما مُدِحَ مَن هُجِيَ قومُه .

وقال جرير بن حازم : ولم أسمعه ذكر شِعراً قطّ إلاّ : [من الخفيف]

ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ إنّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحياءِ

[الشعر ونقض الوضوء]

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبِّر : أَيُتَوَضّأُ من الشعر ؟ فانصرف بوجهه إليه فقال : [من الطويل]

أَلا أَصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ولو رضِيتْ رُمحَ استه لاستَقَرَّتْ

ثم كبر .

[من أبياته السيارة]

قال ابنُ سلاّم : وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقَلَّداً ، والمُقَلَّد : المُغْنِي . المشهورُ الذي يضرب به المثل ، من ذلك قوله : [من الطويل]

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبني كأنّ أَباها نَهْشَلٌ أَو مُجاشِعُ[1]

وقوله : [من الكامل]

ليس الكرام بناحِليك أَباهمُ حتى يُردَّ إلى عطيّة نَهْشَلُ

وقوله : [من الطويل]

وكنّا إذا الجبّار صَعَّر خَدّه ضربناه حتى تستقيم الأَخادعُ[2]

وقوله : [من الطويل]

وكنتَ كذئب السوء لمّا رأى دَماً بصاحبه يوماً أَحال على الدَّمِ[3]

وقوله : [من الطويل]

تُرجِّي رُبيعٌ أن تجيء صغارُها بخير وقد أَعيا رُبيعاً كبارُها

وقوله : [من الكامل]

أَكلتْ دوابرَها الإكامُ فمشيها ممّا وَجِئْن كمِشية الإعياءِ[4]

وقوله : [من الطويل]

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأُ القطرُ الإناءَ فيَفعَمُ

وقوله : [من الكامل]

---

1 كليب : قبيلة جرير . نهشل ومجاشع من أجداد الفرزدق .

2 صعّر خدّه : آماله تكبّراً . الأخادع : جمع أخدع ، وهو أحد عرقين في جانب العنق .

3 أحال على الدم : أقبل عليه . ويضرب هذا البيت مثلاً لمَن إن نزلت بصاحبه مصيبة استغلّها لمصلحته بدل أن يفرجها عنه .

4 دوابر : جمع دابرة ، وهي العرقوب .

أَحلامُنا تـزِن الجبـال رَزانةً وتخالنـا جِنّـا إذا مـا نجهلُ

وقوله : [من الطويل]

وإنّك إذ تسعى لتدرك دارماً لأَنت المُعَنَّى يـا جرير المُكَلّفُ

وقوله : [من الطويل]

فإن تنجُ منّي تنجُ من ذي عَظيمةٍ وإلاّ فإنِّـي لا إخالـك ناجيا

وقوله : [من الطويل]

تـرى كلّ مظلوم إلينا فِـرارُه ويهرَبُ منّا جهـدَه كُلُّ ظالمِ

وقوله : [من الطويل]

ترى النّاس ما سِرْنا يسيرون حولَنا وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقّفوا

وقوله : [من الطويل]

فسَيف بني عبسٍ وقد ضربوا به نَبا بيَدَيْ وَرْقاءَ عن رأْسِ خالدِ

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ويَقطعـن أَحياناً مَناط القَلائدِ

وكان يُداخل الكلام ، وكان ذلك يُعجب أصحاب النحو ، من ذلك قَولُه يمدح هِشامَ بنَ إسماعيل المخزوميّ خالَ هشام بن عبد الملك : [من الطويل]

وأَصبَح مـا في النّاس إلاّ مُمَلَّكاً أَبـو أُمِّه حَـيٌّ أَبـوه يُقارِبُهْ

وقوله : [من الكامل]

تـالله قـد سَفِهَتْ أُميّةُ رأيَـها فاستجهلت سُفهاؤها حلماءَها[1]

وقوله : [من الوافر]

أَلستـم عائجيـن بنـا لعنَّـا نـرى العَرصاتِ أو أَثَر الخيامِ

فقالـوا : إن فعلتَ فأغنِ عنّـا دُموعـاً غيرَ راقِئـة السّجامِ[2]

وقوله : [من الطويل]

فهل أَنتَ إن ماتت أَتانُكَ راحِلٌ إلى آل بِسطامِ بن قيس فخاطِبُ

وقوله : [من الطويل]

فَنَلْ مثلَها مـن مِثلهم ثم دُلَّهم على دارمـيّ بين ليلى وغالبِ

1 سفه رأيه : حمله على السفه .

2 غير راقئة السجام : دائمة الحملان .

وقوله : [من الطويل]

تعـالَ فإن عاهدتنـي لا تخونُني   نكنْ مثلَ مَنْ ، يا ذئبُ ، يَصْطحبانِ

وقوله : [من البسيط]

إنّـا وإيّـاك إن بلّغْـنَ أرحُلَنـا   كمَنْ بِواديـه بعد المَحْل مَمْطورُ

وقوله : [من الوافر]

بنـي الفاروق أُمّك وابـن أروى   بـه عثمـان مـروان المصابا[1]

وقوله : [من الطويل]

إلى مَلِك مـا أُمُّه من مُحاربٌ   أبـوه ولا كانت كليب تصاهِرُه

وقوله : [من الطويل]

إليـك أُميرَ المؤمنـين رمَـتْ بنا   هموم المنـا والهَوْجَـل المتعسّف[2]

وعضّ زمانٌ يا ابن مروان لم يدعْ   من المالِ إلاّ مُسحتاً أو مُجلَّفِ[3]

وقوله : [من الكامل]

ولقد دنت لك بالتخلّف إذْ دَنَت   منهـا بـلا بَخَـلٍ ولا مبـذولِ

وكأنّ لونَ رُضابِ فيهـا إذ بدا   بَـرَدٌ بفـرع بَشامةٍ مصْقولُ[4]

وقوله فيها لمالك بن المنذر : [من الكامل]

إنّ ابـن ضبّـاري ربيعةَ مالِكاً   لله سيـف صنيعـةٍ مَسْلـولُ

مـا نـال مـن آل المُعلّـى قبلَه   سيـفٌ لكـلّ خليفـة ورسُولُ

وقوله : [من الكامل]

ما من يَديْ رَجُـلٍ أحقُّ بما أَتى   من مكرمـات عطايـة الأخطارِ

من راحتين يزيـدُ يقـدح زندَه   كفّاهمـا ويشدّ عقـد جـوارِ

وقوله : [من الطويل]

---

1 في الديوان 82/1 :

هو السيف الذي نصر ابن أروى   بـه مـروانُ عثمـانَ المصابـا

2 الهوجل المتعسف : الدليل المتعسف .

3 المسحت : الكسب الخبيث ، المجلف : الموقع صاحبه في الجدب .

4 البشام : نوع من الشجر ، وفي البيتين إقواء .

إذا جئتَــه أعطاك عفواً ولم يكن ... على ماله حال الندى منك سائلُهْ
لدى ملك لا تنصف النعلُ ساقَه ... أجل لا ، وإن كانت طُوالاً حمائلُهْ[1]

وقوله : [من الكامل]

والشيب يَنْهَضُ في الشبابِ كأنّه ... ليـــل يسير بجانبيـــه نهـــارُ

[لا يكذب في مدحه]

قال أبو خليفة : أخبرنا محمد بن سلاّم قال : حدَّثني شعيب بن صخر ، عن محمد بن زياد ، وأخبرني به الجوهريّ وجَحْظَة عن ابن شَبّة ، عن محمد بن سلاّم ، وكان محمد في زمام الحجّاج زماناً قال : انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجّاج بالرّدَم وهو قائم والنّاس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك : [من الطويل]

وكم أطلقتْ كفّاك من غــلّ بائس ... ومن عُقدةٍ مــا كان يُرجى انحلالُها
كثيراً من الأيدي التي قد تكتّفَتْ ... فَكَكْتَ وأعناقــاً عليهــا غِلالُها[2]

قال : قلت : أنا والله أحدُهم ، فأخذ بيدي وقال : أيّها النّاس سلوه عمّا أقول والله ما كذبت قطّ .

[يأبى حين يريد]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني ابن شبّة ، عن محمد بن سلاّم فذكر مثلَه وقال فيه : والله ما كذبت قطّ ولا أكذب أبداً .

قال أبو خليفة : قال ابن سلاّم : وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول : كتب يزيدُ بن المهلّب لمّا فتح جُرْجان إلى أخيه مدركَة أو مروان : احمل إليَّ الفرزدق ، فإذا شخص فأعطِ أهله كَذا وكذا ؛ ذكر عشرة آلاف درهم ، فقال له الفرزدق : ادفعها إليّ ، قال : اشخص وأدفَعُها إلى أهلِك ، فأبى ، وخرج وهو يقول : [من الطويل]

دعاني إلى جُرجانَ والرّيُّ دونه ... لآتِيَــهُ إنّــي إذاً لـــزءورُ
لآتيَ مـــن آل المهلّب ثائراً ... بأعراضِهم والدّائــرات تدُورُ
سآبى وتَـأْبى لي تميمٌ وربّما ... أبَيْتُ فلـم يقـدرْ علـيّ أميرُ

[لم يمنعه أهله فدخل السجن]

قال أبو خليفة : قال ابن سلاّم : وسمعت سلمة بنَ عيّاش قال : حُبِسْت في السجن ، فإذا

---

1 لا تنصف النعل ساقه : لا تبلغ نصفها .
2 الغلال : جمع غل ، وهو الطوق .

فيه الفرزدق قد حبسه مالِكُ بن المنذر بن الجارود ، فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية ، ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر ، فقال لي : مِمّن أنت ؟ قلت : من قريش قال : كُلُّ أيْرِ حمارٍ من قريش ؛ من أيِّهم أنتَ ؟ قلت : من بني عامر بن لؤيّ ، قال : لئام والله أذلة ، جاورتهم فكانوا شَرّ جيران ، قلت : ألا أُخبرك بأذَلّ منهم وألأم ؟ قال : مَن ؟ قلت : بنو مُجاشع ، قال : ولِمَ ويلك ! قلت : أنت سيِّدهم وشاعرهم وابنُ سيِّدهم ، جاءَك شرطي مالك ، حتى أدخلك السجن ، لم يمنعوك ، قال : قاتلك الله .

[يهجو عمر بن هبيرة]

قال أبو خليفة : قال ابن سلاّم : وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلّب فلبث بها غيرَ كثير ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك ، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساءَ عَزْلَ مسلمة ، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس : [من الكامل]

وَلَّتْ بمسلمَة الركابُ مُودَّعاً ... فارعَيْ فزارةُ لا هَناكِ المَرْتَعُ
فسدَ الزّمانُ وبُدِّلت أَعلامُه ... حتى أُمَيّةُ عن فزارةَ تنْزِعُ[1]
ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرت ... أن سوف تطمع في الإمارة أَشجعُ
وبحقِّ ربّك ما لهم ولمثلهم ... في مثل ما نالت فَزارةُ مطمعُ
عُزِل ابنُ بشر وابنُ عَمْرو قبلَه ... وأخو هَراةَ لمثلها يتوقَّعُ

ابن بشر : عبد الملك بن بشر بن مروان ، كان على البصرة ، أمَّرَه عليها مسلمة . وابن عمرو : سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، وأخو هراة : عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاصي .

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة : [من الوافر]

أَمِير المؤمنين وأَنتَ عَفٌّ ... كريمٌ لستَ بالطَّبعِ الحريصِ[2]
أَوَلَّيتَ العِراقَ ورافِدَيْه ... فزاريّاً أَحذَّ يدِ القَميصِ[3]
ولم يكُ قبلها راعي مخاضٍ ... لتأمنَه على وَرِكَيْ قَلُوصِ
تفنَّن بالعراقِ أَبو المُثَنّى ... وعَلَّم أَهلَه أَكْلَ الخَبيصِ[4]

---

1 تنزع : تكف أذاها عنها وتجاملها .

2 عفّ كريم في الديوان 389/1 : والٍ شفيق . الطّبع : الدنيء اللئيم .

3 أوليت في الديوان 389/1 أأطعمت . أحذّ : مقطوع .

4 تفنّن : في الديوان 389/1 : تفيهق .

وأنشدني له يونس : [من البسيط]

جَهّــز فإنّك ممتــارٌ ومُبتعثٌ إلى فزارةَ عِيْراً تحمِل الكَمَرا[1]
إنَّ الفزاريَّ لـو يعمى فأَطعَمَه أَيرَ الحِمارِ طبيبٌ أَبرأَ البَصَرا
إنّ الفزاريّ لا يشفيه مـن قَرَمٍ أُطايبُ العَيْر حتى ينهش الذّكرا
يقول لمّا رأى ما في إنائهم : لله ضيف الفزاريين ما انتَظَرا

فلمّا قدِم خالد بن عبد الله القسريّ والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن ، فنُقِب له سَرَبٌ ، فخرج منه ، فهرب إلى الشام ، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه : [من الطويل]

ولّما رأيتَ الأَرضَ قــد سُدَّ ظهرُها ولم تَــرَ إلاّ بطنَهــا لــك مخرجا
دعــوت الذي نــاداه يونُسُ بعدما ثــوى في ثــلاث مظلمات ففرّجا
فَأصبحت تحت الأَرض قد سِرْتَ ليلةً ومــا سار سارٍ مثلهــا حــين أَدلجا
خرجتَ ولم تمنُــنْ عليــك شفاعةٌ سوى رَبذِ التقريب من آل أُعوجا[2]
أَغرّ من الحُــوِّ اللهاميم إذ جــرى جرى بِكَ محبوكُ القِرى غير أَفحجا[3]
جــرى بِــك عُريان الحماتين ليلَةُ به عنكَ أَرخى الله مــا كان أَشرجا[4]
ومــا احتال مُحتالٌ كحيلتــه التي بهــا نفسه تحــت الصّريمــة أَولجا[5]
وظَلماء تحت الأَرض قد خُضت هولَها وليــلٍ كلــون الطَيلسانيّ أَدْعجا[6]
همــا ظُلْمتا ليـــل وأَرض تلاقتــا على جامع مــن هَمِّـــه مــا تعوَّجا

[يهجو خالد بن عبد الله القسريّ أيضاً]

فحدَّثني جابر بن جندل قال : فقيل لابن هبيرة : مَن سيِّد العراق ؟ قال : الفرزدق هجاني

1 ممتار : طالب ميرة . الكمر : جمع كمرة ، وهو رأس القضيب .
2 شفاعة في الديوان 117/1 طلاقة . ربذ التقريب : خفيف الجري . أعوج : حصان عتيق تنسب العرب إليه جياد الخيل .
3 الحوّ : السمر . اللهاميم في الديوان 117/1 : الجياد ، واللهاميم : جمع لهموم ، وهو السريع العدو . وفي الديوان أيضاً : جرى جري عريان . القرى : الظهر . أفحج : من الفحج ، وهو تدالي صدور قدمي الفرس وتباعد عقبيه .
4 الحماتان : لحمتان في ساقي الفرس . أشرج ، من أشرج العيبة : أحكم شدّها ، وفي الديوان 118/1 : أشنجا ، وأشنج : تقبض وتقلّص .
5 الصريمة في الديوان : الضريحة .
6 الطيلساني : فيه طلسة ، وهي السواد . أدعج : شديد الظلمة .

أميراً ومدحني سوقة . وقال الفرزدق لخالد القسريّ حين قدِم العراق أميراً لهشام : [من الطويل]

ألا قطـع الرحمن ظهرَ مطيَّةٍ أتتنا تَمَطَّى من دمشقٍ بخالدِ
وكيف يــؤمّ المسلمين وأُمُّه تديـن بـأنّ اللهَ ليس بواحدِ
بَنى بَيْعَةً فيها الصَّليبُ لأُمِّه وهَدَّم من كُفرٍ مَنارَ المساجدِ

وقال أيضاً : [من الكامل]

نزلت بجيلَةُ واسطاً فتمكّنَتْ ونَفَتْ فزارةَ عن قرارِ المنزلِ[1]

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمري لئن كانت بجيلةُ زانها جَريرٌ لقد أخزى بجيلةَ خالِدُ

فلمّا قدِم العِراقَ خالدٌ أميراً أمّر على شرطة البصرة مالِكَ بن المنذر بن الجارود ، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدَّعِي على مالك قَرْية ، فأبطلها خالد ، وحفر النهر الذي سمّاه المبارَك ، فاعترض عليه الفرزدق ، فقال : [من الطويل]

أهلكتَ مـالَ الله في غيرِ حقّه على النَّهــرِ المشؤوم غيرِ المباركِ
وتَضرِبُ أقواماً صِحاحاً ظهورهم وتتركُ حـقَّ الله في ظَهْرِ مالكِ[2]
أإنفـاقَ مـالِ الله في غير كُنهِـه ومَنْعاً لحَقِّ المرمِلاتِ الضرائكِ[3]

[مهر حدراء ومصرعها]

أخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعيّ قال : قال أعْيَن بن لبطة : دخل الفرزدق على الحجّاج لمّا تزوّج حدراء يستميحه مهرها ، فقال له : تزوّجتُ أعرابيّةً على مائة بعير ، فقال له عنبسة بن سعيد : إنّما هي فرائض قيمتُها ألفا درهم ، الفريضة عشرون درهماً ، فقال له الحجّاج : ليس غيرَها ، يا كعب ، أعطِ الفرزدق ألفَي درهم .

قال : وقدِم الفُضيل العَنَزيّ بصدقات بكر بن وائل ، فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان ، قال الفرزدق : فصلَّيت مع الحجّاج الظهر حتى إذا سلّم ، خرجت فوقفت في الدّارِ فرآني ، فقال مَهْيَم[4] ، فقلت : إنّ الفُضيل العَنَزيّ قدِم

---

1 بجيلة : قبيلة خالد .

2 وردت رواية البيتين في الديوان 58/2 كالآتي :

أتتك رجـال من تميـم فشهدوا فضيعت حق الله في ظلم مالك
وأنفقت مـال الله في غير حقّـه على نهرك المشؤوم غير المبـارِكِ

3 الضرائك في الديوان 59/2 : الضوانك ، والضرائك : جمع ضريكة ، وهي الفقيرة .

4 مهيم : كلمة استفهام بمعنى ما شأنك .

بصدقات بكر بن وائل ، وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان ، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل ، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ، ونسي ما كان أمر له به ، قال : فلمّا جاءَ الفرزدق بالإبل قالت له النّوار : خسرت صفقتك ، أتتزوّج أعرابيّة نصرانيّة سوداء مهزولة حمشاء[1] الساقين على مائة من الإبل ؟ فقال يُعرِّض بالنّوار وكانت أُمّها وليدة : [من الطويل]

لَجاريةٌ بين السَّليل عروقُها ... وبين أبي الصَّهباء من آل خالدِ[2]
أحقُّ بإغلاءِ المهورِ من التي ... رَبَتْ وهي تنزو في حجور الولائدِ

فأبت النّوار عليه أن يسوقها كلّها ، فحبس بعضَها ، وامتار[3] عليه ما يحتاج إليه أهلُ البادية ، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير ، قال أعين : فلمّا كان في أدنى الحيّ رأوا كبشاً مذبوحاً ، فقال الفرزدق : يا أوفى ، هلكت والله حدراء ، قال : وما عِلمُك بذلك ؟ قال : ويقال : إن أوفى قال للفرزدق : يا أبا فراس لن ترى حدراء ، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق ، وهو جالس ، فرحّب به ، وقال له : انزل فإنّ حدراءَ قد ماتت ، وكان زيق نصرانيّاً فقال : قد عرفنا أنّ نصيبك من ميراثها في دينكم النصف ، وهو لك عندنا ، فقال له الفرزدق : والله لا أرزؤك منه قطميراً ، فقال زيق : يا بني دارم ، ما صاهرنا أكرمَ منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

عَجِبت لحادينا المقَحِّم سيرَه ... بنا مُوجِعاتٍ من كَلالٍ وظُلَّعا[4]
ليُدنينا ممّن إلينا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أردنا لتجمعا
ولو نعلمُ الغيبَ الذي من أمامنا ... لكرَّ بنا الحادي المطيّ فأسرعا[5]
يقولون : زُرْ حدراءَ والتُّربُ دونها ... وكيف بشيءٍ وصلُه قد تَقَطَّعا
يقول ابن خِنزير : بكيت ولم تكن ... على امرأة عيني إخال لتدمعا
وأهونُ رزء لامرئٍ غير جازعٍ ... رزيئةُ مرتجِ الروادفِ أفرعا
ولست ، وإن عزّت ، عليّ بزائرٍ ... تُراباً على مرموسةٍ قد تَضعضعا[6]

1 حمشاء الساقين : مشوهتها
2 السّليل وأبو الصهباء : من أجداد حدراء .
3 امتار : طلب الميرة .
4 موجعات في الديوان 422/I مُزْحفات .
5 الغيب في الديوان 422/I العلم . والمطي في الديوان : الركاب .
6 مرموسة في الديوان : مرسومة .

وقيل إنّ النَّوار كانت استعانت بأُمّ هاشم لا بتُماضر ، وأُمّ هاشم أُخت تُماضرَ ؛ لأَنّ تُماضرَ ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خُبَيْباً وثابتاً ابنَي عبد الله بن الزبير ، وتزوّج بعدها أُختها أُمّ هاشم ، فولدت له هاشماً وحمزة وعبّاداً ، وفي أُمّ هاشم يقول الفرزدق : [من الطويل]

تروّحــتِ الرّكبــانُ يــا أُمَّ هاشمٍ ... وهــنَّ مُناخــاتٌ لهــنّ حنــينُ
وحُبِّسْن حتــى ليس فيهــنّ نافِقٌ ... لبيـــعٍ ولا مركوبُهـــنّ سمـــينُ

[نشوز زوجة أخرى]

أَخبرنا عبد الله قال : حدَّثنا محمد بن حبيب قال : حدَّثني الأَصمعيّ قال : نشزت رُهَيمة بنت غنيّ بن درهم النَّمريّة بالفرزدق فطلّقها ، وقال يهجوها بقوله : [من الطويل]

لا ينكحــنْ بعدي فتًــى نَمريّةً ... مُرَمَّلــةً مــن بعلهـــا لبعــادِ[1]
وبيضاء زَعــراء المفــارق شَخْتَةً ... مولّعـــةً في خُضــرة وسوادِ[2]
لهـــا بَشَرٌ شَثْنٌ كأَن مَضَمَّـــه ... إذا عانقــت بَعْــلاً مَضَــمُّ قتادِ[3]
قرنتُ بنفسي الشؤمَ في وِرد حوضها ... فَجُرِّعتُـــه مِلحـــاً بمـــاءِ رمادِ
ومـــا زلتُ ، حتى فرّق الله بيننا ... لــه الحمدُ ، منها في أَذًى وجهادِ
تُجدِّد لي ذكرى عـذابِ جهنَّمٍ ... ثلاثــاً تُمسِّنــي بهــا وتغادي

[يبكي ولداً له من سفاح]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني الحسين بن موسى قال : قال المدائنيّ : لقي الفرزدق جارية لبني نهشل ، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً ، فقالت له : ما لك تنظر ؟ فوالله لو كان لي ألف حِرٍ ما طمعتَ في واحدٍ منها ، قال : ولِمَ يا لخناء[4] ؟ قالت : لأَنّك قبيح المنظر سيىء المخبر فيما أرى ، فقال : أما والله لو جربتني لعفَّى خُبري على منظري ، قال : ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر ، فتضبّعت[5] له عن مثل سنام البكر فعالجها ، فقالت : أَنِكاح بنسيئة ؟ هذا شرّ القضيّة ، قال : ويحك ، ما معي إلاّ جبّتي ، أفتسلبينني إيّاها ثم تسنّمها ، فقال : [من الرجز]

---

1 مرمّلة في الديوان 179/1 مزملة .
2 شختة في الديوان : شجنة ، أي الغصن الملتف المشتبك ، وشختة : نحيفة .
3 شثن : جلد خشن .
4 اللخناء : القبيحة الكلام .
5 تضبّعت : تكشفت .

أولجتُ فيهـا كذِراع البَكرِ   مُدملَكَ الرأس شديـدَ الأَسْرِ[1]
زاد عـلى شِبْرٍ ونصفِ شِبْرِ   كأنّنـي أُولجتُـه في جَمـرِ
يُطيـر عنـه نَفَيـانَ الشّعْـرِ   نفي شُعور النّاس يَوْمَ النحرِ[2]

قال : فحملتْ منه ، ثم ماتت ، فبكاها وبكى ولده منها . [من الطويل]

وغِمْدِ سلاحٍ قد رزئتُ فلم أَنُح   عليـه ولم أبعثْ عليه البواكِيا
وفي جَوفِه من دارمٍ ذو حفيظةٍ   لـو أنّ المَنايـا أنسأَتـه لياليا
ولكنَّ ريب الدّهرِ يعْثُر بالفتى   فلم يستطعْ رَدّاً لما كان جائِيا
وكم مثلِـه في مثلِها قد وضعته   ومـا زلت وثّاباً أجرُّ المخازيا

فقال جرير يعيّره : [من الطويل]

وكم لَكَ يا ابنَ القَيْن إنْ جاء سائلٌ   من ابنٍ قصير الباع مثلُك حاملُهْ
وآخر لم تشعُر بـه قـد أضعتَه   وأوردتـه رِحمـاً كثيراً غوائِلُهْ

[يتزوّج ظبية فيعجز عنها]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن موسى ، قال : حدّثني محمد بن سليمان الكوفيّ عن أَبيه قال : تزوّج الفرزدقُ ظبية ابنة حالم من بني مُجاشع بعد أن أسنّ ، فضعف ، وتركها عند أُمّها بالبادية سنة ، ولم يكن صداقها عنده ، فكتب إلى أبان بن الوليد البَجَلِيّ ، وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسْريّ ، فأعطاه ما سأل وأرضاه ، فقال يمدحه : [من الوافر]

فلـو جمعوا من الخِلاّنِ أَلفا   فقالـوا : أَعطِنـا بهـمُ أبانا
لقلتُ لهـم : إذاً لغبنتموني   وكيف أَبيع من شرَط الزمانا[3]
خليـلٌ لا يـرى المائةَ الصّفايا   ولا الخيـلَ الجيادَ ولا القيانا
عَطـاءً دون أَضعـاف عليها   ويُطعمُ ضَيفَه العُبُطَ السِّمانا

العُبُط : الإبل التي لا وجع بها .

فما أَرجـو لظبيةَ غيرَ ربِّـي   وغيرَ أَبـي الوليد بمـا أَعانا[4]

1 مدملك الرأس : رأسه كالثدي الناهد . وشديد الأسر : قوي محكم .
2 نفيان الشعر : ما طار منه .
3 شرط الزمانا في الديوان 337/2 شرط الضمانا : التزم به وهو المهر .
4 وأبي الوليد في الديوان : ابن الوليد .

أعـان بهجمـة أرضَتْ أباها وكانـت عنـده غَلَقاً رِهانا[1]

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

لقد طال ما استودعتُ ظبيةَ أُمَّها وهـذا زمـان رُدّ فيـه الودائعُ

وقال حين أراد أن يبني بها : [من الطويل]

أبـادِر سُؤَّالاً بظبيـة أنّنـي أتتني بهـا الأهوالُ من كلّ جانبِ
بمالِئـةِ الحِجْلَيْـنِ لـو أنَّ مَيّتـاً ولو كان في الأمواتِ تحت النصائبِ
دعته لألقـى التُّربَ عنـد انتفاضِه ولو كان تحت الراسيات الرواسبِ

فلمّا ابتنى منها عجز عنها فقال : [من البسيط]

يا لهفَ نفسي على نَعْظٍ فُجِعْتُ به حين التقى الرَّكَبُ المحلوقُ والرَّكَبُ[2]

وقال جرير : [من الكامل]

وتقول ظبيـةُ إذ رأتك محوقِلاً ـ حَوْقَ الحمار ـ من الخبالِ الخابلِ[3]
إنَّ البليَّـة وهْـيَ كلُّ بليَّـةٍ شيخٌ يُعَلّـل عِرْسَه بـالباطِلِ
لو قـد عَلقتِ من المهاجرِ سُلَّما لنجوتِ منـه بالقضاء الفاصِلِ

قال : فنشزت منه ، ونافرته إلى المهاجر ، وبلغه قولُ جرير فقال المهاجر : لو أتتنى بالملائكة معها لقضيتُ للفرزدق عليها .

[يشيد بابنته مكيّة وأمّها الزنجيّة]

قال : وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكّيّة ، وكانت زنجيّة ، وكان إذا حَمي الوطيسُ ، وبلغ منه الهجاء يكتني بها ، ويقول : [من الرجز]

ذاكُمْ إذاً مـا كنتُ ذا محميَّهْ بدارِمـيٍّ أُمُّـه ضَبِّيَّـهْ
صمحمح يُكنى أبا مكِّيّة[4]

وقال في أمِّها : [من الرجز]

1 بهجمةٍ في الديوان 337/2 بدفعة ، والهجمة عدد كبير من الإبل . وغلق الرهن : استحقّ لِمَن هو عنده بعد ما مضى ميعاده .
2 الرّكب : العانة أو أصل الفرج .
3 محوقل : من حوقل بمعنى ضعف وأعيا .
4 الصمحمح : القوي الشديد المجتمع الألواح .

يا ربَّ خوْدٍ من بناتِ الزّنجِ تحمل تنُّوراً شديـــدَ الوهْجِ
أَقعبَ مثْـــلَ القدَحِ الخَلَنجِ يزداد طيباً عند طـول الهرجِ[1]
مَخَجْتُها بالأَيــر أَيَّ مخجِ[2]

فقالت له النَّوار : ريحُها مثل ريحك .

وقال في أُمّ مكّيّة يخاطب النَّوار : [من الوافر]

فإن يَكُ خالها من آل كسرى فكِسرى كان خيراً من عِقالِ
وأَكثرَ جزيـــةً تُهـدَى إليــه وَأَصبرَ عنـد مختلِف العوالي

قال : وكانت أُمّ النَّوار خُراسانيّة ، فقال لها في أُمّ مكيّة : [من الطويل]

أَغـــرّك منهـــا أُدْمَـــةٌ عربيّةٌ علت لونَها إن البِجادِيَّ أَحمرُ[3]

[يمدح سعيداً فيغضب مروان]

حدَّثني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، عن ابن الكلبيّ قـال : دخـل الفرزدق على سعيـد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده : [من الوافر]

ترى الغرّ الجحاجحَ من قريش إذا ما الخطب في الحدثانِ غالا[4]
وقُوفــاً ينظـــرون إلى سعيـــد كأنّـهـمُ يـــرون بــــه هِـلالا

وعنده كعب بن جُعيل ، فلمّا فرغ من إنشاده قال كعب : هذه والله رؤياي البارحة ، رأيتُ كأنّ ابن مُرّة في نواحي المدينة وأنا أضمّ ذلاذلي[5] خوفاً منه ، فلمّا خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال : لم ترض أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك :

قِيامــاً ينظـــرون إلى سعيـــد كأَنّـهمُ يـــرون بـــه هِـلالا

فقال له : يا أَبا عبد الملك إنّك من بينهم صافن[6] ، فحقد عليه مروان ذلك ، ولم تطل الأيّام حتى عُزِل سعيد ، ووُلّي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدّماً حتى قال قصيدته التي

1 أقعب : شبيه بالقعب ، وهو القدح الكبير . والهرج : كثرة النكاح .
2 مخجتها : أتيتها .
3 الأدمة : الجلد الأحمر . البجادي : نوع مخطط من الأكسية العربية .
4 الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد الكريم .
5 الذلاذل : أسافل القميص الطويل .
6 صفن الرجل : صف قدميه .

قال فيها : [من الطويل]

هما دَلّتـاني مـن ثمانين قامةً كما انقضَّ بازٌ أقتمُ الرِّيش كاسرُهْ
فلمّا استوت رجلاي في الأرض قالتا أحَـيٌّ يُرجَّـى أم قتيـلٌ نُحاذرُهْ
فقلت : ارفعا الأمراسَ لا يشعروا بنا وأقبلـتُ في أعقابِ ليل أُبادِرُهْ[1]
أُبادِر بوّابـين لم يشعـروا بنـا وأحمـرَ مـن ساجٍ تلُوح مسامرُهْ[2]

فقال له مروان : أتقول هذا بين أزواج رسول الله ﷺ ، اخرج عن المدينة فذلك قول جرير : [من الطويل]

تدلّيتَ تـزني مـن ثمانينَ قامةً وقَصَّرت عن باع النّدى والمكارمِ

[رواية أخرى للخبر السابق]

أُخبرنا ابن دُرَيد ، قال : أخبرنا الرياشيّ ، عن محمد بن سلاَّم ، قال : دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد ، وعليها سعيدُ بن العاص بن أميّة بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية ، فدخل على سعيد ، ومَثَلَ بين يديه ، وهو معتم ، وفي مجلس سعيد الحُطيئةُ وكعب بن جُعَيل التغلبيّ ، وصاح الفرزدق : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، أنا عائذ بالله وبك ، أنا رجل من تميم ، ثم أحَد بني دارم ، أنا الفرزدق بن غالب ، قال : فأطرق سعيدٌ مليّاً ، فلم يجبه ، فقال الفرزدق : رجل لم يصب دماً حراماً ، ولا مالاً حراماً ، فقال سعيد : إن كنت كذلك فقد أمنت ، فأنشده : [من الوافر]

إليك فررتُ مِنك ومن زيادٍ ولم أُحسب دمي لكما حَلالا
ولكنّي هجوتُ وقـد هجاني معاشرُ قد رضخْتُ لهم سِجالا[3]
فإن يكن الهجاء أحـلَّ قَتلي فقـد قلنـا لشاعرهـم وقالا
أرقتُ فلـم أنَم ليلاً طويلاً أُراقب هل أرى النَّسريْنِ زالا[4]
عليك بنـي أُميّـة فاستجرهم وخُذ منهم لـما تخشى حِبالا
فإنّ بنـي أُميّـة في قريش بَنَـوْا لبيوتهـم عَمَداً طوالا
ترى الغرَّ الجحاجح من قريشٍ إذا ما الأمر في الحدثانِ غالا[5]

1 الأمراس : الحبال .
2 أحمر بن ساج : أي الباب .
3 رضخت لهم : رضخت التيوس إذا أخذت النطاح .
4 النسريْن في الديوان 70/2 : النسران : كوكبان .
5 الغر في الديوان 70/2 : الشم . غالا : في الديوان 70/2 : عالا : عال : فدح وثقل .

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنّهم يرون به هِلالا

قال : فلمّا قال هذا البيت ، قال الحطيئة لسعيد : هذا واللهِ الشعر ، لا ما كنت تَعَلَّلُ به منذ اليوم ، فقال كعب بن جُعيل : فضلته على نفسك ، فلا تفضله على غيرك ، قال : بلى والله إنّه ليفضلني وغيري ، يا غلام ، أدركت مَنْ قَبلك ، وسبقت مَن بعدك ، ولئن طال عمرك لتبرُزَنَّ .

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق ، فقال : يا غلام ، أَنْجَدَتْ أُمُّك ؟ قال : لا بل أَبي ، أَراد الحطيئة : إن كانت أُمُّك أنجدَت فقد أصبتُها فولدَتك إذ شابهتني في الشعر ، فقال الفرزدق : لا بل أبي ، فوجده لَقِناً .

[مع مخنث]

أَخبرني ابن دريد قال : قال لنا أَبو حاتم : قال الأصمعيّ : ومن عبثات الفرزدق أَنّه لقي مُخَنَّثاً فقال له : من أين راحت عمّتنا ؟ فقال له المخنَّث : نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير : [من المتقارب]

نفاك الأغرّ ابن عبد العزيز وحقُّك تُنفى من المسجدِ

[جرير يعترف له بالغلبة]

أَخبرنا ابن دريد عن الرياشيّ ، عن النضر بن شميل قال : قال جرير : ما قال لي ابن القين بيتاً إلاّ وقد اكتفأته ، أي قلبته إلاّ قوله : [من الكامل]

ليس الكِرامُ بناحليك أَباهم حتى يرد إلى عطية تُعْتلُ

فإنّي لا أَدري كيف أَقول فيها .

[جرير يلقّبه بالعزيز]

وأَخبرني ابن دريد قال : حدَّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، عن ابن الكلبيّ ، عن عَوانة بن الحكم ، قال : بينما جرير واقف في المِرْبد وقد ركبه النّاس وعمر بن لجأ مواقفه فأَنشده عمر جواب قوله : [من البسيط]

يا تَيْمُ تَيْمَ عديٍّ لا أَبا لكم لا يقذفنَّكُم في سَوأَةٍ عمرُ
أَحين صِرْتُ سِماماً يا بني لجأ وخاطرَتْ بيَ عن أَحسابها مُضرُ[1]

1 خاطرت : رافعت .

فقال عمر جواب هذا : [من البسيط]

لقد كذبتَ وشرُّ القولِ أكذبُهُ ... ما خاطرَتْ بِك عن أحسابها مُضَرُ

ألَسْتَ نَزوَة خوّارٍ على أمة ؟ ... لا يسبق الحلباتِ اللؤمُ والخورُ

وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة ، فقال جرير لمّا سمعها : قبحاً لك يا ابن لجأ ، أهذا شعرك ، كذبت والله ولو مِتَّ ، هذا شعر حنظليّ ، هذا شعر العزيز يعني الفرزدق فأبلس عمر فما ردّ جواباً .

[يلقب جريراً بالقرم]

وخرج غنيم بن أبي الرَّقراق حتى أتى الفرزدقَ ، فضحك ، وقال : إيه يا ابن أبي الرَّقراق ، وإن عندك لخبراً ، قلت : خُزِيَ أخوك ابن قتب ، فحدَّثته ، فضحك ، حتى فحص برجليه ، ثم قال في ساعته : [من الطويل]

وما أنت إن قَرْما تَمِيم تساميا ... أخا التّيمِ إلاّ كالوشِيظة في العَظمِ[1]

فلو كنت مولى الظّلم أو في ثِيابه ... ظلمتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظُّلْمِ

فلمّا بلغ هذان البيتان جريراً قال : ما أنصفني في شعر قطّ قبل هذا يعني قوله :

. . . إنْ قرْما تميم تساميا

[يغتصب الشعر]

أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا الرياشيّ قال : كان الفرزدق مَهِيباً تخافه الشعراء ، فمرَّ يوماً بالشمردل ، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وما بين مَنْ لم يُعطِ سمعاً وطاعةً ... وبين تميمٍ غيرُ حزّ الغَلاصمِ[2]

قال : والله لتتركنَّ هذا البيت أو لتتركَنَّ عرضَك ، قال : خذه على كرهٍ منّي ، فهو في قصيدة الفرزدق التي أوّلها قوله :

تحنّ بزوراءِ المدينة ناقَتِي

قال : وكان الفرزدق يقول : خير السرقة ما لا يجبّ فيه القطع يعني سرقة الشعر .

أخبرنا ابن دريد عن حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن الضحاك بن بهلول الفُقَيْميّ قال : بينما أنا بكاظمة وذو الرُّمّة ينشد قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

1 الوشيظة : شظية زائدة في أصل العظم .

2 الغلاصم : جمع غلصمة ، وهي رأس الحلقوم ، أو اللحم بين الرأس والعظم .

أحينَ أعاذت بـي تميمٌ نساءَها وجُرِّدتُ تجريدَ اليَمانيِّ من الغِمدِ

إذا راكبان قد تدلّيا من نَعفٍ كاظمة متقنعان ، فوقفا ، فلمّا فرغ ذو الرُّمّة حسر الفرزدق عن وجهه ، وقال : يا عُبيد ، اضممها إليك ، يعني راويته ، وهو عبيد أخو بني ربيعة بن حنظلة ، فقال ذو الرُّمّة : نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت ، قال : دع ذا عنك ، فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات : [من الطويل]

أحـين أعاذت بـي تميمٌ نساءها وجُرِّدت تجريدَ اليماني مـن الغِمدِ
ومـدت بضَبْعيَّ الرِّبـابُ ومالكٌ وعمرٌو ، وشالت من ورائي بنو سعدِ[1]
ومـن آلِ يربـوعٍ زُهـاءٌ كأنّه دُجى الليـل محمود النِّكايةِ والوِردِ[2]
وكنّـا إذا الجبّـارُ صَعَّرَ خـدَّه ضربناه فـوق الأُنثَيَيْن على الكَرْدِ[3]

[يجوز السبق في الفخر]

أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : اجتمع الفرزدق وجرير وكثيّر وابن الرّقاع عند سليمان بن عبد الملك ، فقال : أنشدونا من فخرِكم شيئاً حسناً ، فبدرهم الفرزدق ، فقال : [من الوافر]

وما قـوم إذا العلماء عَدّت عروقَ الأكرمين إلى الترابِ
بمختلفـين إن فضَّلتمونـا عليهم في القَديم ولا غِضابِ
ولو رَفـع السحابُ إليه قوماً عَلَوْنا في السماءِ إلى السحابِ

فقال سليمان : لا تنطقوا ، فوالله ما ترك لكم مقالاً .

[يتعصّب لابنته مكيّة]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن عمرانَ الضبّيّ ، عن سليمانَ بنِ أبي سليمانَ الجوزجانيّ قال : غاب الفرزدق فكتبت النَّوار تشكو إليه مكّيّة وكتب إليه أهله يشكون سوء خُلُقها وتبذّيها عليهم فكتب إليهم : [من الطويل]

كتبتـم عليهـا أنّها ظلمتكم كذبتم وبيتِ الله بل تظلمونَها

---

1 بضبعي : مثنى ضبع ، وهو ما بين الإبط إلى منتصف العضد من أعلاها ، ومدت بضبعي : أعانَتْني . والرباب ومالك وعمره وبنو سعد : قبائل .

2 الزهاء : العدد الكثير .

3 الشطر الأول في الديوان 178/1 «وكنا إذا القيسيّ نَبّ عتوده» . ونبّ عتوده : تكبّر . صعّر خده : أماله صلفاً وتكبراً . الأنثيان : الأذنان . الكرد : العنق .

فإلاّ تعدُّوا أنّها من نسائكم فإنّ ابنَ ليلى والدٌ لا يشينَها
وإنّ لها أعمامَ صدق وأخوة وشيخاً إذا شاءَت تَنَمّر دونَها

[عقوق ابنه]

قال : وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منهم لَبطة ، والآخر حَبَطَة ، والثالث ، سبطة ، وكان لبطة من العَقَقة فقال له الفرزدق : [من الطويل]

أإن أُرعِشتْ كفَّا أبيك وأُصبَحتْ يداك يَدَيْ ليثٍ فإنّك جاذِبُهْ
إذا غالَبَ ابنٌ بالشّبابِ أباً له كبيراً فإنّ الله لا بُدَّ غالبُهْ
رأيتُ تباشيرَ العقوق هي التي من ابن امرىء ما إن يزال يُعاتبُهْ
ولمّا رآني قد كبِرتُ وأنّني أخو الحيّ واستغنى عن المسح شاربُهْ
أصاخ لغربان النّجيِّ وإنّه لأزورُ عن بعض المقالة جانبُهْ[1]

قال أبو عبيدة في كتاب النقائض : قال رؤبة بن العجّاج : حجّ سليمان بن عبد الملك ، وحجّت معه الشعراء ، فمرَّ بالمدينة منصرفاً ، فأُتِي بأسرى من الرّوم نحو أربعمائة ، فقعد سليمان ، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن ، عليهم السلام ، وعليه ثوبان مُمَصّران[2] ، وهو أقربهم منه مجلساً ، فأدنَوا إليه بطريقَهم ، وهو في جامعة[3] ، فقال لعبد الله بن حسن : قُم ، فاضرب عنقه فقام ، فما أعطاه أحد سيفاً ، حتى دفع إليه حَرَسيٌّ سيفاً كليلاً ، فضربه ، فأبان عنقه وذراعه ، وأطنّ[4] ساعده وبعض الغلّ ، فقال له سليمان : والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك ، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه ، فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم ، فدسّت إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض ، فضربه ، فأبان رأسه ، ودُفِع إلى الفرزدق أسير ، فدسّت إليه القيسيّة سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسير ضربات ، فلم يصنع شيئاً ، فضحك سليمان وضحك النّاس معه . وقيل : إنّ سليمان لمّا دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً ، وقال : اقتله به ، فقال : لا ، بل أقتله بسيف مجاشع ، واخترط سيفه ، فضربه ، فلم يُغنِ شيئاً ، فقال سليمان : أما والله لقد بقي عليك عارُها وشَنارها ، فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها ، وأوّلها : [من الطويل]

1 غربان النجي : قرناء السوء .
2 ممصران : مصبوغان : بصبغ أصفر .
3 جامعة : قيد يجمع اليدين إلى الرجلين .
4 أطن : قطع .

أَلا حــيٍّ ربــعَ المنزل المُتقــادِمِ وما حُــلَّ مُذ حَلَّت بــه أُمُّ سالمِ

منها :

أَلم تشهد الجَوْنَيْن والشِّعب ذا الغَضى وكَرَّاتِ قيسٍ يومَ دَيْر الجماجم ؟[1]

تُحرِّضُ يا ابنَ القَيْن قيساً ليجعلوا لقومك يوماً مثلَ يــومِ الأَراقمِ[2]

بسيفِ أَبي رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالمِ[3]

ضربتَ بــه عند الإمام فأُرْعِشتْ يداك وقالوا : مُحَدَثٌ غيرُ صارمِ

فقال الفرزدق يجيب جريراً عن قوله : [من الطويل]

وهل ضربــةُ الرُّوميِّ جاعلةٌ لكم أَبــاً عن كُلَيْبٍ أَو أَباً مثلَ دارمِ[4]

كذاك سيوفُ الهنــدِ تنبو ظُباتُها وتقطــعُ أَحيانــاً مَنــاطَ التمائمِ

ولا نقتلُ الأَسرى ولكن نفكُّهُم إذا أَثقل الأَعنــاقَ حمــلُ المغارمِ

وقال يعرِّض بسليمانَ ، ويعيِّره نُبُوَّ سيف ورقاءِ بنِ زهير العبسيِّ خالد بن جعفر ، وبنو عبس هم أَخوال سليمان : [من الطويل]

فَإِن يــكُ سيفٌ خان أَو قَدَرٌ أَبى بتعجيلِ نفسٍ حتفُهــا غيرُ شاهدِ

فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به نبــا بيَدَيْ وَرقاءَ عن رأسِ خالدِ

كذاك سيوفُ الهنــدِ تنبو ظُباتُها وتقطــعُ أَحيانــاً مَنــاط القلائدِ

وأَوّلها :

تباشَرُ يربــوعٌ بنبــوةِ ضربــةٍ ضربتُ بها بــين الطُّلا والمحاردِ[5]

ولو شئْتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنقه إلى عَلَــق بــين الحِجابَيْن جامِدِ[6]

وقيل : إنّ الفرزدق قال لسليمان : يا أَمير المؤمنين ، هب لي هذا الأَسير ، فوهبه له ،

1 الجونان : عمرو ومعاوية ابنا الجون . ويوم دير الجماجم يوم مشهور كان بين محمد بن الأسقف الخارج على بني أمية وجيوش بني أمية .

2 يوم الأراقم كان بين قيس وبني تغلب .

3 أبو رغوان : كنية مجاشع جد الفرزدق . مجاشع : أحد أجداد الفرزدق . وابن ظالم : الحارث بن ظالم من فتاك العرب المشهورين .

4 كليب : جد جرير . ودارم : جد الفرزدق .

5 الطّلا : الأعناق . والمحارد : مفاصل الأعناق .

6 العلق : ما تجمد من الدم .

فأعتقه ، وقال الأبيات التي منها : [من الطويل]

ولا نقتُل الأسرى ولكن نفكُّهم ... إذا أُثقِلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ

ثم أقبل على راويته ، فقال : كأنّي بابن المراغة ، وقد بلغه خبري ، فقال :

بسيفِ أبي رَغوانَ سيفِ مجاشعٍ ... ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالمِ

ضربتَ به عند الإمام فأُرعِشت ... يداك وقالوا مُحدَثٌ غير صارمِ

فما لبثنا إلاّ أيّاماً يسيرة ، حتى جاءتنا القصيدة ، وفيها البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق ، وقال أيضاً في ذلك : [من البسيط]

أيعجبُ النَّاسُ أن أضحكتُ خيرَهُم ... خليفةَ الله يُستسقى به المطرُ

فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن دَهَشٍ ... عند الإمامِ ولكن أُخرِّ القدرُ

ولو ضربتُ به عمداً مُقَلَّدَهُ ... لخرَّ جثمانُه ما فوقه شَعَرُ[1]

وما يُقدِّم نفساً قبل مِيتَتِها ... جمعُ اليدين ولا الصَّمْصامة الذكرُ[2]

[من شعره في السجن]

وأخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة ، قال : هجا الفرزدق خالداً القَسريّ وذكرَ المباركَ : النهرَ الذي حفره بواسط ، فبَلَغه ذلك ، وكتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احْبس الفرزدقَ فإنّه هجا نهرَ أمير المؤمنين بقوله : [من الطويل]

وأهلكتَ مالَ اللهِ في غير حقِّه ... على نهرك المشؤومِ غير المُبارَكِ

الأبيات ، فأرسل مالك إلى أيّوبَ بنِ عيسى الضّبّيّ ، فقال : ائتني بالفرزدق ، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه ، فطلب إليهم أن يمرّوا به على بني حنيفة ، فقال الفرزدق : ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة ، فلمّا قيل لمالك : هذا الفرزدق انتفخ وريدُ مالك غضباً ، فلمّا أُدخِل عليه قال : [من الطويل]

أقول لنفسي حين غصَّت بريقها ... ألا ليتَ شعري ما لها عند مالكِ ؟

لها عنده أن يَرجعَ اللهُ رُوحَها ... إليها وتنجو من جميع المهالِكِ

وأنت ابنُ جَبَّارَيْ ربيعةَ أدركت ... بك الشمس والخضراءَ ذاتَ الحبائكِ[3]

---

1 عمداً في الديوان 291/1 على عمد .

2 صدر البيت في الديوان 291/1 : ما يجعل السيف نفساً قبل ميتتها . الصمصامة : السّيف الذي لا يثنيه الضّراب .

3 الخضراء : السماء . والحبائك : جمع حبيكة ، وهي مسير النجم .

فسكن مالك ، وأمر به إلى السجن ، فقال يهجو أيّوبَ بنَ عيسى الضّبيّ : [من الطويل]

فلـو كنتَ قَيْسِيّاً إذا ما حبستني ... ولكـنَّ زنجيّـاً غليظـاً مشافِرُهْ
مَتَـتُّ لـه بالرِّحْـم بَيْني وبينه ... فألفيتُـه منِّـي بَعيـداً أواصِرُهْ
وقلت : امرؤ من آل ضَبّةَ فاعتزى ... لغيرهم لـونُ استِه ومَحاجِرُهْ
فسوف يرى النوبيّ ما اجترحَت له ... يَداه إذا مـا الشِّعر عَيَّتْ نَوافرُهْ
ستُلقِي عليك الخنفساء إذا فست ... عليك من الشعر الذي أنت حاذِرُهْ
وتَأتي ابنَ زُبٍّ الخنفساء قصيدةٌ ... تكـون لـه منِّـي عَذاباً يُباشِرُهْ
تعذرتَ يا ابن الخنفساء ولم تكن ... لتُقْبَـلَ لابْـنِ الخنفساء معاذرُهْ
فإنّكما يـا بنـي يسار نزوْتما ... على ثُفرها ما حنّ للزيت عاصرُهْ[1]
لزِنجيَّـة بظـراءَ شقَّق بظرَهـا ... زحيرٌ بأيّوبِ شديـدٌ زوافرُهْ[2]

ثم مدح خالدَ بنَ عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحاً كثيراً ، فأنشدني يُونُس في كلمة له طويلة : [من الكامل]

يا مالِ هـل هو مُهلكي ما لم أَقل ... وليُعلَمـنَّ مـن القصائـد قيلي
يا مالِ هل لك في كبير قد أتـتْ ... تسعون فـوق يديـه غير قليلِ[3]
فتجيرَ ناصِيَتـي وتُفْـرجَ كُربتي ... عنِّي وتطلقَ لي يـداك كُبُولي[4]
ولقد بنـى لكـم المُعَلَّى ذِروةً ... رَفعـتْ بنـاءَك في أَشَمَّ طويلِ[5]
والخيلُ تعلـم في جَذِيمة أنّها ... تَـرْدى بكـلّ سَميدَعٍ بُهلُولِ[6]
فاسقُوا فقد ملأَ المعلّى حوضَكم ... بذَنوبِ مُلتَهِـم الرِّبـابِ سجيلِ[7]

وقال يمدح مالكاً وكانت أُمّ مالك هذا بنت مالك بن مسمع : [من الوافر]

وقِـرْمٍ بـين أولاد المُعلّـى ... وأولاد المَسامِعَـةِ الكـرامِ

---

1 الثفر : المهبل .
2 الزحير : أنين المرأة عند المخاض .
3 كبير في الديوان 122/2 : أسير .
4 فتجير في الديوان 122/2 : فتجزّ .
5 الشطر الأول في الديوان 121/2 : ولقد نمت بك للمعلّى سورة .
6 تردى في الديوان 123/2 : تَعْدو .
7 الرباب في الديوان 123/2 : الذّناب .

تخمَّط في ربيعة بين بكر وعبد القيس في الحسبِ اللُّهامِ[1]

فلمّا لم تنفعه مديحة مالك ، قال يمدح هشام بن عبد الملك ، ويَعتذر إليه : [من الطويل]

أَلِكْني إلى راعي البريَّةِ والذي له العَدلُ في الأَرضِ العريضة نوّرا[2]
فإن تُنكِروا شعري إذاً خرجت له بوادرُ لو يُرمى بها لتَفقَّرا[3]
ثبير ولو مسّت حِراءَ لحرّكت به الرّاسيات الصُّمَّ حتى تكوّرا[4]
إذا قال غاوٍ من مَعَدٍّ قصيدةً بها خَرَبٌ كانت وبالا مُدَمِّرا[5]
أَينطِقُها غيري وأُرمى بجُرمها فكيف أُلوم الدَّهرَ أن يتغيّرا
لئن صَبَرتْ نفسي لقد أُمِرت به وخيرُ عباد الله مَن كان أَصبرا
وكنت ابنَ أَحْذارٍ ولو كنتُ خائفاً لكنت من العصماء في الطودِ أَحذرا[6]
ولكنْ أَتوْني آمناً لا أَخافهم نهاراً وكان اللهُ ما شاءَ قدّرا

أَخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم قال : حدَّثني أَبو يحيى قال : قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس اشخصْ إلى هشام ، وامدحْه بقصيدة ، وقال : استعن بالقيسيّة ، ولا يمنعك قولي فيهم فإنّهم سيغضبون لك وقال : [من الطويل]

بكت عينُ محزونٍ ففاض سجامُها وطالت ليالي ساهر لا ينامُها[7]
فإن تبك لا تبك المصيبات إذ أَتى بها الدَّهر والأيّام جَمٌّ خِصامُها
ولكنّما تبكي تَهتّكَ خالد محارمَ مِنّا لا يحل حَرامُها[8]
فقُل لبني مروان : ما بال ذمَّة وحرمَةِ حَقٍّ ليس يُرْعى ذمامُها[9]
أَنُقْتَل فيكم أن قَتلْنا عدوَّكم على دينكم والحرب باقٍ قتامُها

1 الحسب اللهام : الذي يلتهم كل حسب غيره ، ويغطي عليه .
2 ألكني : احمل عني ألوكة ؛ رسالة .
3 تفقر : تقسم فقرا .
4 تكور : تهدم .
5 الخَرَب : الويل والهلاك .
6 العصماء : الطيور العصماء : التي في جسمها بياض .
7 ل ، وفي الديوان 239/2 : حادث لا .
8 تهتك في الديوان 240/2 : تنهّك .
9 حق في الديوان 240/2 : حلّ .

أتاك بقتل ابن المُهَلَّب خالِدٌ وفينا بَقيّاتُ الهدى وإمامُها[1]
فغيِّر ، أمير المؤمنين ، فإنّها يمانيةٌ حَمْقاءُ أنت هشامُها
أرى مُضَرَ المِصْرين قد ذَلَّ نصرُها ولكنْ عسى أن لا يَذِلّ شآمُها[2]
فمَنْ مُبلغ بالشام قيساً وخِندِفاً أحاديثَ ما يُشْفى ببرءٍ سَقامُها
أحاديثَ منّا نشتكيها إليهمُ ومظلمةً يغشى الوجوهَ قتامُها
فإن مَنْ بها لم يُنكرِ الضَّيمَ منهمُ فيغضبَ منها كهلُها وغلامُها
نمَتْ مثلُها من مِثلهم وتُنكِّلوا فيعلمَ أهلُ الجَوْر كيف انتقامُها[3]
بغلباءَ من جُمهورنا مضريَّةٍ يُزايل فيها أذرعَ القوم هامُها[4]
وبيْضٍ على هام الرّجال كأنّها كواكب يحلوها لسار ظلامُها[5]
غضبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا عسى أنَّ أرواحاً يسوغُ طَعامُها
ولا تقطعوا الأرحامَ منّا فإنّها ذُنوبٌ من الأعمالِ يُخشى أثامُها
ألَم تَكُ في الأرحامِ منّا ومنكمُ حواجزُ أيّام عزيزٍ مَرامُها
فترعى قريشٌ من تميمٍ قرابةً ونَجْزى بأيّامٍ كريمٍ مَقامُها
لقد علمَتْ أبناءُ خِندَف أنّنا ذُراها وأنا عزُّها وسَنامُها
وقد علِم الأحياء من كلِّ موطن إذا عُدَّت الأحياء أنا كرامُها
وأنّا إذا الحربُ العَوانُ تضرَّمت نَليها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامُها
قِوامُ قُوى الإسلام والأمرِ كلِّه وهل طاعة إلاّ تميم قوامُها[6]
تميمُ التي تخشى معدٌّ وغيرُها إذا ما أبى أن يستقيم همامُها
إلى الله تشكو عزَّنا الأرضُ فوقَها وتعلم أنا ثِقْلُها وغَرامُها
شكتنا إلى اللهِ العزيز فأسمعتْ قريباً ، وأعيا مَنْ سِواه كلامُها

1 أتاك في الديوان 240/2 : وثار .
2 عسى في الديوان 240/2 ولكن قيْساً .
3 نمت في الديوان 240/2 يَعُدْ .
4 هامها في الديوان 240/2 : لامها .
5 وبيض على هام الرجال في الديوان 240/2 : وبيض علاهن الدَّجَال ، وهو فرند السيف . يحلوها في الديوان : يجلوها .
6 قوى : في الديوان 241/2 : عُرى .

نصولُ بحول الله في الأَمــرِ كلّه　　إذا خِيف من مصدوعةٍ ما التئامُها

فأعانته القيسيّة وقالوا : كلّما كان ناب من مُضَر أو شاعر أو سيّد وثب عليه خالد وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاماً : [من الطويل]

إلى الأَبرشِ الكلبيّ أَسندتُ حاجةً　　تواكلَهــا حَيّـا تميــمٍ ووائلِ
على حين أَن زلّت بي النّعل زَلّـةً　　فأَخلف ظنّـي كُلُّ حافٍ وناعلِ
فدونكها يــا ابن الوليـد فإنّها　　مفضّلــة أُصحابَهــا في المحافلِ
ودونكها يــا ابن الوليد فقم بها　　قيــام امرىء في قومه غيرِ خاملِ

فكلّم هشاماً وأَمَر بتخليته فقال يمدح الأبرش : [من الطويل]

لقــد وثــب الكلبيُّ وَثبةَ حازمٍ　　إلى خير خلــقِ الله نفساً وعُنصرا
إلى خير أَبنــاء الخليفة لم يجد　　لحاجتــه مــن دونهــا مُتأخّرا
أَبى حِلْفُ كلبٍ في تميمٍ وعقدُها　　كما سنَّــت الآبـــاء أَن يتغيَّرا

وكان هذا الحلفُ حلفاً قديماً بين تميم وكلب في الجاهليّة ، وذلك قولُ جرير بن الخَطَفى في الحِلف : [من الطويل]

تميــمٌ إلى كلبٍ وكلبٌ إليهــمُ　　أَحــقُّ وأَدنــى من صُداءَ وحِميَرا

وقال الفرزدق : [من الطويل]

أَشدُّ حبــالٍ بــين حيَّين مِــرّةً　　حبالٌ أُمِرَّت من تميمٍ ومن كلبِ[1]
وليس قُضاعــيٌّ لدينــا بخائـفٍ　　ولو أَصبَحتْ تغلي القدورُ من الحربِ

وقال أَيضاً : [من الطويل]

أَلم تَرَ قيساً قَيسَ عَيلانَ شمَّرتْ　　لنَصرِي وحاطتني هنــاك قُرومُها
فقد حالفتْ قيسٌ على النأي كلُّهم　　تميماً فهــم منهــا ومنها تَميمُها
وعادتْ عَدوّي إن قيساً لأسرتي　　وقومي إذا ما النّاس عُــدَّ صميمُها

[شرطيان يعبثان به]

أَخبرني ابن دريد : قال حدَّثني أَبو حاتم ، عن أَبي عبيدة ، قال : بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيّام زياد في سِكّةٍ ليس لها منفذ إذ مرّ به رجلان من قومه كانا في الشرطة

1 المِرّة : إحكام الفتل .

وهما راكبان ، فقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن أُفزّعه ، وكان جباناً ، فحرّكا دابّتيهما نحوه فأدبر مُولّياً فعثر في طرف برده فشقّه ، وانقطع شِسعُ نعلِه ، وانصرفا عنه ، وعرف أنّهما هَزِئا منه فقال : [من الطويل]

لقد خار إذ يُجري عليَّ حمارَه ضِرارُ الخنا والعنبريُّ بن أخوقا
وما كنتُ لو خوّفتماني كلاكما بأُمّيكما عُرْيانَتَيْن لأفرَقا
ولكنّما خوّفتماني بخادر شَتيمٍ إذا ما صادف القِرن مزّقا[1]

[حديثه مع توبة وليلى الإخيلية]

أخبرني عبد الله بنُ مالك ، قال : حدّثنا محمد بن موسى ، قال : حدّثنا القحذميّ عن بعض ولد قتيبة بن مسلم بن ابن زالانَ المازنيّ ، قال : حدّثني الفرزدق ، قال : لمّا طردني زيادٌ أتيت المدينةَ وعليها مرْوانُ بن الحكم ، فبلغه أنّي خرجت من دار ابن صياد ، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنّه الدّجال ، فليس يكلّمه أحد ، ولا يجالسه أحد ، ولم أكن عرفتُ خبرَه ، فأرسل إليَّ مروانُ فقال : أتدري ما مَثَلُك . حديث تحدّث به العرب : أن ضَبُعاً مرّت بحيّ قوم ، وقد رحلوا ، فوجدتْ مرآة ، فنظرت وجهَها فيها ، فلمّا نظرت قُبْح وجهها ألقتها ، وقالت : من شرّ ما اطّرحك أهلك[2] ، ولكن من شرّ ما اطّرحك أميرُك ، فلا تقيمنّ بالمدينة بعد ثلاثة أيّام ، قال : فخرجتُ أُريد اليمن ، حتى إذا صرتُ بأعلى ذي قَسيّ ، وهو طريق اليمن من البصرة ، فإذا رجل مقبل ، فقلت : من أين أوضع الراكب[3] ؟ قال : من البصرة ، قلت : فما الخبر وراءك ؟ قال : أتانا أنّ زياداً مات بالكوفة ، قال : فنزلتُ عن راحلتي ، فسجدتُ ، وقلت : لو رجعت ، فمدحت عُبيدَ الله بن زياد ، وهجوت مروان بن الحكم ، فقلت : [من الطويل]

وقفتُ بأعلى ذي قسيٍّ مطيّتي أُميِّل في مروانَ وابنِ زيادِ
فقلت : عُبَيْدُ الله خيرُهما لنا وأدناهما من رأفةٍ وَسَدادِ

ومضيت لوجهي ، حتى وطئتُ بلاد بني عُقَيْل فوردت ما بين مياههم فإذا بيتٌ عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أرَ كحسنها وهيئتها قطّ ، فدنوتُ ، فقلت : أتأذنين في الظلّ ؟ قالت : انزل فلَكَ الظِّلّ والقِرى ، فأنختُ ، وجلست إليها ، قال : فدعَت جاريةً لها سوداءَ كالرّاعية ، فقالت : ألطِفيه[4] شيئاً واسعَي إلى الرّاعي ، فرُدّي عليَّ شاة ، فاذبحيها له ،

---

1 الخادر الشتيم : الأسد .
2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 310/2 وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبيّ 215 .
3 أوضع الراكب الدابة : حملها على المسير .
4 ألطف فلان فلاناً : أتحفه وبرّه .

وأَخرجَت إليَّ تمراً وزبداً ، قال : وحادثتها فوالله ما رأَيت مثلَها قطّ ، ما أَنشدتها شعراً إلاّ أنشدتني أحسنَ منه ، قال : فأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل رجل بين بُردين ، فلمّا رأَته رمَت ببرقعها على وجهها ، وجلس وأُقبلت عليه بوجهها وحديثها ، فدخلني من ذلك غيظ ، فقلت للحِين : هل لكَ في الصراع ؟ فقال : سوأة لك[1] ، إنّ الرجل لا يصارع ضيفَه ، قال : فألححت عليه ، فقالت له : ما عليك لو لاعَبْتَ ابنَ عمّك ؟ فقام ، وقمت ، فلمّا رمى ببرده ، إذا خلْقٌ عجيب ، فقلت : هلكتُ وربِّ الكعبة ، فقبض على يدي ، ثم اختلجني[2] إليه ، فصرت في صدره ، ثم حملني ، قال : فوالله ما اتَّقيت الأرض إلاّ بظهر كبدي وجلس على صدري ، فما ملكت نفسي أن ضرطتُ ضَرْطة منكرة ، قال : وثُرت إلى جملي فقال : أنشدك الله ، فقالت المرأة : عافاك الله الظلّ والقِرى ، فقلت : أخزى الله ظلَّكم وقِراكم ، ومضيت ، فبينا أسير إذ لحقني الفتى على نَجيب يجنب بُخْتِيّاً[3] برحله وزمامه ، وكان رحله من أحسن الرحال ، فقال : يا هذا ، والله ما سرّني ما كان ، وقد أراك أبدعت أيّ كلّت ركابُك ، فخذ هذا النجيب ، وإيّاك أن تُخدَع عنه ، فقد والله أُعطِيْتُ به مائتي دينار قلت : نعم آخذه ، ولكن أخبرني مَن أنتَ ؟ ومَن هذه المرأة ؟ قال : أنا توبةُ بنُ الحُميَّر ، وتلك ليلى الأخيليّة ، وقد أخبرني بهذا الخبر عمِّي .

[رواية أخرى في الخبر السابق]

قال : حدَّثني القاسم بن محمد الأنباريّ ، قال : حدَّثني أَحمد بن عبيد ، عن اَلأصمعيّ ، قال : كانت امرأة من عُقَيل يقال لها ليلى ، يتحدّث إليها الشباب ، فدخل الفرزدق إليها ، فجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها ، كانت تألفه ، ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها ، وتركت الفرزدق ، فغاظه ذلك ، فقال للرَّجل : أتصارعني ؟ قال : ذلك إليك ، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذَ الفرزدق مثل الكرة فصرعه ، وجلس على صدره ، فضرَط الفرزدقُ ، فوثب عنه الرجل خجلاً ، وقال له الرجل : يا أبا فِراس ، هذا مقام العائذ بك ، والله ما أردت بك ما جرى ، فقال : ويحك ، ما بي أَن صرعتني ، ولكن كأنّي بابن الأَتان جرير ، وقد بلغه خبري هذا ، فقال يهجوني : [من الطويل]

جلستَ إلى ليلى لتحظى بقُربها ... فخانك دُبْرٌ لا يزال يَخونُ

1 سوأة لك : أتيت ما يشين .

2 اختلجه : جذبه .

3 البختي : واحد البخت ، وهي الإبل الخراسانية .

فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءها كما شدَّ خَرْتــاً للدِّلاص قُيونُ[1]

قالوا : فوالله ما مضت أيّام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين .

[يقضي يوماً كيوم دارة جلجل]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثني القحذميّ ، قال : حدَّثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن زالان التميميّ راوية الفرزدق ، أنّ الفرزدق قال : أصابنا بالبصرة مطر[2] جَوْدٌ ليلاً ، فإذا أنا بأثر دوابٍّ قد خرجت ناحية البريّة ، فظننت قوماً قد خرجوا لنزهة ، فقلت : خليقٌ أن تكون معهم سُفرةٌ وشرابٌ ، فقصصتُ أثَرَهم ، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير ، فأغْذذت السير نحو الغدير ، فإذا نسوة مستنقَعات في الماء ، فقلت : لم أرَ كاليوم قطّ ، ولا يوم دارة جُلْجُل ، وانصرفتُ مستحيياً منهن ، فنادَيْنَني : بالله يا صاحب البغلة ، ارجع نسألك عن شيء ، فانصرَفتُ إليهن ، وهنّ في الماءِ إلى حلوقهنّ ، فقلن : بالله إلاّ ما خبرتنا بحديث دارة جلجل[3] ، فقلت : إنّ امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمٍّ له يقال لها عُنيزة ، فطلبها زماناً ، فلم يصل إليها ، وكان في طلب غِرَّة ، من أهلها ؛ ليزورها ، فلم يُقض له ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ، وذلك أنّ الحيّ احتملوا ، فتقدّم الرجال ، وتخلّف النساء والخدم والثَّقَل[4] ، فلمّا رأى ذلك امروٌ القيس تخلّف بعدما سار مع قومه غَلوة ، فكمن في غَيابةٍ من الأرض ، حتى مرَّ به النساء فإذا فتيات ، وفيهنّ عُنيزة ، فلمّا وردنَ الغدير قلن : لو نزلنا فذهب عنّا بعضُ الكَلال ، فنزلْنَ إليه ، ونحّينَ العبيدَ عنهنّ ، ثم تجرّدن فاغتمسن في الغدير ، كهيئتكنّ الساعة ، فأتاهنّ امروٌ القيس محتالاً كنحو ما أتيتكنّ ، وهنّ غوافل ، فأخذ ثيابَهنّ ، فجمعها ، ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعضَ أثوابِهنّ ، فجمعها ، ووضعها على صدره ، وقال لهنّ كما أقول لكنّ : والله لا أُعطي جارية منكنّ ثوبها ، ولو أقامت في الغدير يومَها ، حتى تخرج مجرّدةً ، قال الفرزدق : فقالت إحداهنّ ، وكانت أمجنهنّ : ذلك كان عاشقاً لابنة عمِّه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ قال : لا والله ، ما أعشق منكنّ واحدة ، ولكن أشتهيكنّ ، قال : فنعرن[5] ، وصفّقن

---

1 الوكاء : الخيط الذي تربط به الصرة أو الكيس ونحوهما . الخرت : الثقب . الدلاص : الدرع اللينة . قيون : جمع قين ، وهو الحداد .

2 المطر الجود : المطر الغزير .

3 دارة جلجل : مكان أشار إليه امرؤ القيس في معلّقته .

4 الثّقل : المتاع .

5 نعرن : صوّتن بخياشيمهنّ أصواتاً فيها غنّة .

بأيديهنّ ، وقلن : خذ في حديثك ، فلست منصرفاً إلاّ بما تحبّ ، قال الفرزدق في حديث امرىء القيس : فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار ، ثم خشين أن يُقصِّرن دون المنزل الذي أردنه ، فخرجت إحداهنّ ، فوضع لها ثوبها ناحية ! فأخذته فلبسته ، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيَتْ عُنيزة ، فناشدته الله أن يَطرح إليها ثوبَها ، فقال : دعينا منك ؛ فأنا حرام إن أخذتِ ثوبكِ إلاّ بيدك ، فخرجت فنظر إليها مقبلةً ومدبرة ، فوضع لها ثوبها ، فأخذته ، وأقبلن عليه يلُمنه ، ويعذُلنه ، ويقلن : عرَّيْتَنا ، وحبستنا ، وجوَّعتَنا ، قال : فإن نحرتُ لكنّ مطيّتي أتأكلن منها ؟ قلن : نعم ، فاخترط[1] سيفه ، فعقرها ، ونحرها ، وكشطها ، وصاح بالخدم ، فجمعوا له حطباً ، فأجّج ناراً عظيمة ، ثم جعل يقطّع لهنّ من سَنامها وأطايبها وكبدها ، فيُلقيها على الجمر ، فيأكلن ، ويأكل معهن ، ويشرب من رَكوة[2] كانت معه ويغنّيهنّ ، وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب ، حتى شبعن ، وطربن ، فلمّا أراد الرّحيل قالت إحداهنّ ، أنا أحمل طنفسته[3] ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله ، وقالت الأخرى : أنا أحمل حَشيَّتَه وأنساعه[4] ، فتقسّمن متاعَ راحلته بينهنّ ، وبقيت عُنيزة لم يُحمِّلها شيئاً ، فقال لها امرؤُ القيس : يا ابنة الكرام ، لا بدّ لك أن تحمليني معك ؛ فإنِّي لا أُطيق المشي ، وليس من عادتي ، فحملته على غارب بعيرِها ، فكان يُدخلُ رأسَه في خِدرها ، فيقبّلها ، فإذا امتنعت مالَ حِدْجُها[5] ، فتقول : يا مرأ القيس ، عقرت بعيري ، فانزل ، فذلك قوله : [من الطويل]

تقول وقد مـال الغَبيط بنا معاً : عقرتَ بعيري يا مرأ القيس فانزلِ

فلمّا فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة : قاتلك الله ، ما أُحسنَ حديثَك يا فتى وأظرفك ، فمَنْ أنت ؟ قال : قلتُ : من مُضَر ، قالت : ومن أيّها ؟ فقلت : من تميم ، قالت : ومن أيّها ؟ قلت : إلى ههنا انتهى الكلام ، قالت : إخالُك والله الفرزدق قلت : الفرزدق شاعر وأنا راوية ، قالت : دعنا من توريتك على نسبك ، أسألك بالله ، أنت هو ؟ قال : أنا هو والله ، قالت : فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلاّ عن رِضاً ، قلت : أُجل ، فاصرف وجهك عنّا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه ، فغطَطْنَ في الماء ، فتوارين ، وأبدين رؤوسهنّ ، وخرجن ، ومع كلّ واحدة منهنّ ملء كفَّيها طيناً ، وجعلت

1 اخترط سيفه : سلّه من غمده .
2 الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، أو الدلو الصغير .
3 الطُّنفُسة : الوسادة الصغيرة تجعل تحت الرحل .
4 الأنساع : سيور طويلة عريضة تشدّ بها الحقائب والرّحال .
5 الحدج : مركب من مراكب النساء .

يتعادين نحوي ، فضربْنَ بذلك الطين والحمأة[1] وجهي ، وملأْن عيني وثيابي ، فوقعتُ على وجهي ، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها ، وشددن على ثيابهنّ ، فأخذنها ، وركبت الماجنة بغلتي ، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخزاها وهي تقول : زعم الفتى أنّه لا بدّ أن يَنِيكنا ، فما زلت من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي ، وجفّفتها ، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي ، وبغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهنّ ، وقُلن : قُل له تقول لك أخواتك : طلبتَ منّا ما لم يمكننا ، وقد وجّهنا إليك بزوجتك ، فنِكها سائرَ ليلتك وهذا كِسْرُ[2] درهم لحمّامك إذا أصبحت ، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول : ما مُنِيت بمثلهنّ .

[يهجو مَن يرثي زياداً]

أَخبرني عبد الله بنُ مالك ، قال : حدَّثنا أَبو مسلم الحرّانيّ ، قال : حدَّثني الأَصمعيّ ، قال : حدَّثنا العلاء بنُ أسلم ، قال : لمّا مات زياد رثاه مسكين الدارميّ ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

أَمسكينُ أَبكى اللهُ عينيك إنّما ... جرى في ضلالٍ دَمعُها إذ تحدَّرا
بكيتَ امرءاً من آل مَيْسان كافراً ... كِكسرى على عِدّانِه أَو كقَيصرا[3]
أَقولُ له لمّا أَتاني نَعِيُّه : ... به لا بظبيٍ بالصَّريمةِ أَعفرا[4]

[يهجو ويمدح آل المهلب]

أَخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أَبي مسلم الحرّانيّ ، قال : حدَّثنا الأَصمعيّ ، قال : حدَّثنا العلاء بن أسلم ، قال : لما أراد المهلّب الخروج إلى الأزارقة لقي الفرزدقُ جريراً ، فقال له : يا أبا فراس ، هل لك أن تكلّم المهلّب ، حتى يضع عنّي البحث ، وأعطيكَ أَلف درهم ، فكلّم المهلّب ، فأجابه فلامه جُذَيع ، رجل من عشيرته ، وشكا ذلك إلى خيرةَ امرأةِ المهلّب وقال لها : لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه ، فلامته خيرة بنت ضَمرةَ القُشَيريّة ، فقال المهلّب : إنّما اشتريتُ عِرضي منه ، فبلغ ذلك

1 الحمأة : الطين الأسود الكريه الرائحة .
2 الكسر : القليل .
3 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . العِدّان : العهد والزمان .
4 الصريمة : القطعة المنعزلة من الرمل ، والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة . والمثل «به لا بظبي أعفر» في مجمع الأمثال 90/1 وفي المستقصى 16/2 وفي فصل المقال 100 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 78 وفي رواية أخرى : «به لا بظبي بالصرائم أعفرا» في جمهرة الأمثال 203/1 ، 207 والأمثال لمجهول 49 .

الفرزدق ، فقال يهجو جُذَيعاً : [من الكامل]

إن تَبْن دارك يا جُذَيع فما بنى ... لك يـا جذيع أَبوك من بُنْيانِ
وأَبـوك ملتزم السفينة عاقـدٌ ... خُصْيَيْه فـوق بنائـق التُّبّانِ[1]
ويظلّ يدفَـع باستِه متقاعِساً ... في البحر معتمداً على السُّكّانِ[2]
لا تحسبنَّ دراهمـاً جمّعتَهـا ... تمحو مَخازِيَـك التي بِعُمانِ

وقال يهجو خيرة : [من الوافر]

أَلا قشَر الإلـهُ بنـي قُشَيرٍ ... كقَشْر عصا المنقِّح من مُعالِ[3]
أَرى رهطـاً لخيرة لم يَؤُوبـوا ... بسهم في اليمـين ولا الشمالِ
إذا رُهِزَت رأَيت بنـي قُشَيرٍ ... مـن الخُيَلاء مُنتفشي السِّبالِ

فغضب بنو المهلّب لمّا هجا جُذَيعاً وخَيرة ، فنالوا منه ، فهجاهم ، فقال : [من الوافر]

وكائِن للمهلَّب مـن نَسيبٍ ... يُـرى بلَبانـه أثـرُ الزِّيارِ[4]
بِخارَكَ لم يُقـد فرساً ولكن ... يقـود السّاج بالمَسد المغارِ[5]
عمِيٌّ بالتَّنائف حين يُضحي ... دَليـلَ اللّيل في اللججِ الغِمارِ
ومـا للهِ يسجُد إذ يصلّـي ... ولكـن يسجدون لكلّ نارِ

فلمّا ولِّي يزيدُ بن المهلّب خراسان والعراق بعد أَبيه ، ولاّه سليمان بن عبد الملك ، خافَ الفرزدقُ من بني المهلّب ، فقال يَمدحُهم : [من الكامل]

فلأَمدحـنَّ بنـي المهلَّب مِدحةً ... غَـرّاءَ قاهـرة على الأَشعارِ[6]
مثـل النجـوم أَمامها قَمْراؤها ... تجلو العَمى وتضيء ليلَ السَّاري
ورِثوا الطِّعان عن المهلّب والقِرى ... وخلائقـاً كتدفُّـقِ الأَنهـارِ

1 بنائق : جمع بنيقة ، وهي الزيق يخاط في جيب القميص تثبت فيه الأزرار . التبان : سراويل يلبسها الملاحون والفلاحون ونحوهم .
2 التقاعس : بروز الصدر ودخول الظهر في الجسم .
3 نقح العود : قشره . مُعال : أعلى .
4 الزِّيار : ما يشد به الرحل إلى صدر البعير ، وفي ل : الدّبار .
5 خارك : جزيرة فارسية كان منها أبو المهلب . الساج : شجر تتّخذ منه المراكب . والمغار : المحكم الفتل .
6 قاهرة في الديوان 303/1 : ظاهرة .

كان المهلّب للعراق وقايةً وحَيا الرَّبيعِ ومَعقِل الفُرَّارِ[1]
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتَهم خُضُعَ الرِّقابِ نواكسَ الأبصارِ
ما زال مُذ شَدّ الإزار بكفِّه ودنا فأدرك خمسة الأشبارِ[2]
أيزيدُ إنّك للمهلّب أدركت كفَّاك خيرَ خَلائِقِ الأخيارِ

[يخشى بأس يزيد بن المهلّب]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني الأصمعيّ ، قال : لمّا قَدِم يزيدُ بن المهلّب واسطاً قال لأُميّةَ بنِ الجعدِ ، وكان صديقَ الفرزدق : إنّي لأُحِبّ أن تأتيَني بالفرزدق ، فقال للفرزدق : ماذا فاتك من يزيدَ أعظمِ النّاس عفواً ، وأسخى النّاس كفّاً ، قال : صدقت ، ولكن أخشى أن آتيَه فأجد العمانيّةَ ببابه فيقومَ إليّ رجل منهم فيقولَ : هذا الفرزدق الذي هجانا ، فيضربَ عنقي ، فيبعث إليه يزيد ، فيضربَ عنقه ، ويبعث إلى أهلي ديتي ، فإذا يزيدُ قد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب ، قال : لا والله لا أفعل ، فأُخْبِرَ يزيدَ بما قال ، فقال : أمّا إذ وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله .

[ماجن يعبث به]

قال ابنُ حبيب : وحدَّثنا يعقوبُ بن محمد الزهريّ[3] عن أبيه عن جدّه قال : دخل الفرزدق مع فتيانٍ من آل المهلّب في بركة يتبرّدون فيها ، ومعهم ابنُ أبي علقمة الماجن ، فجعل يتفلّت إلى الفرزدق ، فيقولُ : دعوني أنكحْه ، حتى لا يهجُونا أبداً ، وكان الفرزدق من أجبن النّاس ، فجعل يستغيث ، ويقول : ويلكم ! لا يمسَّ جلدُه جلدِي ، فيبلغَ ذلك جريراً ، فيوجِبَ عليّ أنّه قد كان منه الذي يقول ، فلم يزل يناشدهم حتى كَفَوْه عنه .

[يفخر بالمضرية أمام حاكم يمانيّ]

أخبرني عبيد الله قال : حدَّثني محمد بن حبيب قال : حدَّثني موسى بن طلحة قال : لمّا وَلِي خالدُ بن عبد الله العراق ، فقدِمها وكان من أشدّ خلق الله عَصَبيّة على نزار فقال لبطةُ بن الفرزدق : فلبس أبي من صالح ثيابه ؛ وخرج يريد السلام عليه ، فقلت له : يا أبتِ ، إنّ هذا الرجلَ يمانيٌّ ، وفيه من العصبيّة ما قد علمت ، فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهلَ اليمن

---

1 وقاية في الديوان 304/1 : سكينة .
2 الشطر الأول في الديوان 305/1 : ما زال مذ عقدت يداه إزاره .
3 ل : الزّبيري .

لعلّ اللهَ أن يأتيَك منه بخير ، فإنّك قد كبرت على الرحلة ، فجعل لا يردُّ عليّ شيئاً ؛ حتى دُفِعْنا إلى البّواب ، فأذِن له ؛ فدخل ؛ وسلَّم ؛ فاستجلسه ؛ ثم قال : إيه يا أبا فراس ، أنشدنا ممّا أحدثت ، فأنشدتُه : [من البسيط]

يختلف الناسُ مـا لم نجتمعْ لهمُ ولا خلاف إذا ما أجمعت مُضَرُ[1]
فينا الكواهــلُ والأعناقُ تقدُمها فيها الرؤوسُ وفيها السَّمعُ والبصرُ[2]
ولا نخالــف غيرَ الله مـن أحد إلاّ السيوفَ إذا ما اغرَوْرَق النظرُ
ومَـن يَمـلْ يُمـلِ المأثورُ قُلَّتَه بحيث يَلقى خِفافَيْ رأسه الشعرُ[3]
أمـا الملـوكُ فإنّا لا نلين لهم حتى يلينَ لضرس الماضغِ الحجرُ[4]

ثم قام ، فخرجنا ، قلت : أهكذا أوصيتك ؟ قال : اسكت ، لا أُمَّ لك فما كنتُ قطُّ أملأُ لقلبه مني الساعة .

[يفحم المنذر بن الجارود]

أخبرني عبد الله : قال حدَّثني محمد بن حبيب ، عن موسى بن طلحة قال : كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع ، وفيها المنذرُ بنُ الجارود العبديّ ، فقال المنذر : مَن الذي يقول : [من الوافر]

وجدنا في كتاب بنـي تميم أحقُّ الخيـلِ بالركضِ المعارُ

فقال الفرزدق : يا أبا الحكم هو الذي يقول : [من الوافر]

أَشاربُ قهـوةٍ وخدينُ زيرٍ وعَبْــديٌّ لفَسْوَتـــه بُخـارُ
وجَدنا الخيــلَ في أبناء بكرٍ وأفضلُ خيلهــم خشبٌ وقارُ

قال : فخجل المنذر ، حتى ما قدرَ على الكلام .

[خليفة أمويّ يفضله ويصله]

أخبرني عبد الله بن مالك : قال : حدَّثني محمد بن موسى قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : دخل الفرزدق على بعض خلفـاء بنـي مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول : [من البسيط]

ما حملَتْ ناقةٌ من معشر رجلاً مثلي إذا الريح لفَّتْني على الكُورِ[5]

---

1 أجمعت في ل : استجمعت .
2 في الديوان 200/1 : والرأس منّا وفيه .
3 قلّته في الديوان 200/1 : ذروته .
4 الملوك في الديوان 200/1 : العدُوّ .
5 لفّتني في ل : ألقتني . الكور : الرحل .

أعـزَّ قوماً وأوفى عند مكرمةٍ   لمُعْظَمٍ من دماء القوم مهجورِ

فقال له : إيه ، فقال :

إلاّ قُريشاً فـإنّ الله فضَّلها   على البريّـةِ بالإسلامِ والخيرِ
تلقى وجوهَ بني مرْوانَ تحسبُها   عند اللقاءِ مشُوفاتِ الدَّنانيرِ[1]

ففَضَّله عليهم ، ووصله .

[عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد]

قال ابن حبيب : وكان الفرزدق يهاجي الأشهبَ بن رميلةَ النهشليَّ وبني فُقَيْم ، فأرفث بهم[2] ، فاستعدوا عليه زياداً ، فحدَّثني جابر بن جندل : قال : فأتى عيسى بن حُصَيْلَة بنِ مغيث[3] بن نصر بن خالد السُّلميّ ثم من بني بَهْزٍ ، فقال : يا أبا حُصَيلة ، إنّ هذا الرجل قد أخافني ؛ وقد لَفَظني جميع مَن كنت أرجو ، قال : فمرحباً بك يا أبا فِراس ، فكان عنده ليالي ، ثم قال : إنّي أريد أن ألحقَ بالشام ، قال : إن أقمت ففي الرَّحب والسَّعة ، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبيّة[4] أُمتِّعك بها ، وألف درهم ، فركب النّاقة ، وخرج من عنده ليلاً ، فأرسل عيسى معه مَن أجازه من البيوت ؛ فأصبح وقد جاوز مسيرةَ ثلاث ، فقال يمدحه : [من الطويل]

كفـاني بهـا البَهْزيُّ حُملانَ مَنْ أبى   مـن الناسِ ، والجاني تُخاف جرائمُهْ[5]
فتـى الجـودِ عيسى والمكارمِ والعُلا   إذا المال لم ينفـعَ بخيـلاً كرائمُهْ[6]
ومَن كان يـا عيسى يُؤنّب ضَيْفَه   فَضَيْفُـكَ يـا عيسى هنيءٌ مطاعمُهْ
وقـال : تَعلَّـمْ أنّها أَرحبيَّـةٌ   وأنَّ لك الليـلَ الذي أنت جاشمُهْ[7]
فأصْبَحتُ والمُلْقـى ورائـي وحَنبَلٌ   وما صَدَرَتْ حتى علا النجمَ عاتمُهْ[8]
تَـزاورَ في آل الحقيـق كأنّهـا   ظليـمٌ تباري جُنـح ليـل نعائمُهْ

---

1 مشوفات الدنانير : الدنانير المجلوة اللامعة .
2 أرفث : أفحش .
3 ل : معتب .
4 أرحبية : نسبة إلى أرحب ، وهو فحل أو مكان قبيلة تنسب إليها الإبل الممتازة .
5 البهزيّ : لقب عيسى بن حصيلة ، الحُملان : الدواب تحمل عليها الهدايا .
6 ذو المكارم والعلا .
7 جاشمه : متكلّف السير فيه .
8 الملقى وحنبل مكانان . في الديوان 205/2 حتى تلا الليل .

رأت دون عينيهــا ثويّـة فانجــلى لها الصبح عن صَعْلٍ أسيلٍ مخاطمُهْ[1]

وقال : [من الطويل]

تدارَكني أسبابُ عيسى مــن الرَّدى ومــن يَـكُ مـولاه فليس بواحِدِ
نمتْـه النواصي مــن سُلَيْمٍ إلى العلا وأعـراقُ صـدق بـين نَصْر وخالِدِ
سأُثنـــي بمــا أُوليتَنـــي وأرُبُّــه إذا القوم عــدُّوا فضْلَهم في المشاهِدِ

فلمّا بلغ زياداً شخوصُه أتْبَعَه عليَّ بن زهدمٍ الفقيميَّ : أحدَ بني مؤلة فلم يلحقه فقال الفرزدق : [من الطويل]

فإنّــك لــو لاقيتَني يــا ابنَ زهدمٍ لأَبــت شعاعيّــاً على غير تمثـالِ[2]

[يلجأ إلى بكر بن وائل]

فأتى بكر بن وائل ، فجاورهم ، فأَمن ، فقال : [من الطويل]

وقــد مَثَلَتْ أَيــنَ المسيرُ فلم تجد لعَوذَتهــا كالحــيّ بكــر بن وائلِ[3]
وسارت إلى الأَجفانِ خمساً فأَصبحت مكــان الثريــا مــن يــد المتناولِ
وما ضرّهــا إذ جــاورت في بلادِها بني الحِصن ما كان اختلاف القَبائلِ

الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل .

[يأمن زياداً في حمى سعيد بن العاص]

وهرب الفرزدق من زياد ، فأتى سعيدَ بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أُميّة ، وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، فأمنه سعيد ، فبلغ الفرزدق أنّ زياداً قال : لو أتاني أمّنتُه ، وأعطيتُه ، فقال في كلمة له : [من الطويل]

دعــاني زيــادٌ للعطاءِ ولَـم أكُـنْ لآتِيَــهُ مــا ساق ذو حسبٍ وَفْرا
وَعنــد زيــادٍ لــو أَراد عطاءَهم رجــالٌ كثيرٌ قــد يــرى بهمُ فقرا
قعودٌ لدى الأَبوابِ طـلابُ حاجة عوانٍ من الحاجاتِ أَو حاجةً بكرا
فلمــا خشيتُ أَن يكــون عطــاؤه أَداهــمَ سوداً أَو مُحَدْرَجَةً سُمرا[4]

1 الشطر الأول في الديوان 205/2 : رأت بين عينيها رويّة فانجلى . وروية ماء . وثوية : مكان . الصعل : ما دق رأسه من النعام . أسيل : ناعم ، مخاطم : جمع مخطم ، وهو مقدم الأنف .
2 شعاعياً : نسبة إلى الشعاع بمعنى التفرق .
3 مثلت : زالت عن موضعها .
4 أداهم : جمع أدهم ، يريد القيد ، المحدرجة : السياط .

نميْـتُ إلى حَـرْف أَضرَّ بَنيِّهـا سُرى الليل واستعراضُها البلد القفْرا[1]

فلمّا اطمأنّ عند سعيد بن العاصي بالمدينة قال : [من الوافر]

أَلا مَـنْ مبلـغٌ عنّي زِياداً مُغلغلةً يخُـبُّ بهـا البَريدُ[2]
بأنّي قـد فـررتُ إلى سعيدٍ وَلا يُسْطاعُ مـا يَحْمي سعيدُ
فررتُ إليه مـن ليثٍ هِزبْرٍ تفـادى عـن فريسته الأُسودُ
فإن شئتُ انتميْت إلى النصارى ونَاسَبَنـي وناسَبْـتِ اليهـودُ
وإن شئـت انتسبت إلى فُقَيْمٍ ونَاسَبَنـي وناسبـتِ القرودُ
وأَبغضُهم إليَّ بَنـو فُقَيـم ولَكـن سوف آتي مـا تُرِيدُ

فأَقام الفرزدق بالمدينة ؛ فكان يدخل بها على القيان . فقال : [من الطويل]

إذا شئتُ غنَّاني من العاجِ قاصفٌ على معصم ريّـان لم يتخدَّدِ[3]
لبيضاءَ من أَهلِ المدينـة لم تعِش ببؤس ولم تتبعْ حُمولـة مُجْحدِ[4]
وقامت تُخشّيني زيـاداً وأجفلت حواليَّ في بُردَيْ يمانٍ ومُجسَدِ[5]
فقلتُ : دعينـي من زيـاد فإنّني أَرى الموتَ وَقّاعاً على كلِّ مَرْصَدِ

[بينه وبين مسكين الدارميّ]

فلمّا هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عديّ بن عدس بن عبد الله بن دارم ، فقال[6] : [من الوافر]

رأَيتُ زيـادةَ الإسلامِ وَلَّتْ جهـاراً حـين فارقَهـا زِيادُ

فبلغ ذلك الفرزدق ، فقال : [من الطويل]

أَمسكينُ أَبكـى الله عينيك إنَّما جرى في ضلالٍ دَمعُهـا فتحدَّرا
أَتبكي امرءاً من آل مَيسان كافراً ككِسرى على عِدَّانـه أَو كقَيصرا

---

1 الحرف : الناقة . والنيّ : الشحم .
2 مغلغلة : أي رسالة مغلغلة : محمولة من بلد إلى بلد .
3 قاصف من العاج : مزهر أو نحوه من آلات الغناء التي تتخذ من العاج .
4 المجحد : القليل الخير .
5 مجسد : مطلي بالجساد وهو الزعفران أو العصفر ونحوهما ممّا تُطلى به الثياب .
6 تقدّمت هذه الأبيات في هذه الترجمة ص 241 .

أقول لــه لمّـا أتـاني نَعِيُّـه : بِــه لا بظبــيٍ بالصّرِيمة أعفرا[1]

فقال مسكين : [من الطويل]

ألا أيّها المرءُ الذي لَسْتُ قائماً ولا قاعداً في القوم إلاّ انبرى لِيا
فجئْني بعَـــمٍّ مثل عَمِّي أو أبٍ كمثلِ أبي أو خالِ صدقٍ كخاليا
بعَمرو بن عمرو أو زرارةَ ذي النَّدى سموتُ بـــه حتى فَرعتُ الرّوابيا

فأمسك الفرزدق عنه ، وكان يقول : نجوتُ من أن يهجوني مسكين ، فإن أجبته ذهبتُ بشطر فخري ، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدَّهرِ .

[تعوذ بقبر غالب]

أخبرني أبو خليفة ، فقال : أخبرنا ابن سلاّم ، قال : حدَّثني الحكم بن محمد المازنيّ ، قال : كان تميم بن زيد القضاعيّ ، ثُـمَّ أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش ، فجمّرهم[2] ؛ وفي جيشه رجل يقال له حُبَيْش ، فلمّا طالت غيبتُه على أُمِّه اشتاقته ، فسألت عمَّن يكلّم لها تَميمَ بن زيد أن يُقْفلَ ابنها ، فقيل لها : عليك بالفرزدق ، فاستجيري بقبر أبيه ، فأتت قبر غالب بكاظمةَ ، حتى علِم الفرزدق مكانها .

ثمّ أتته ، وطلبت إليه حاجتها ، فكتب إلى تَميمِ بن زيد هذه الأبيات : [من الطويل]

هَبْ لي حُبَيشاً واتّخذْ فيه مِنَّةً لغُصَّةِ أمٍّ مــا يَسوغُ شرابُها
أتتني فعاذَت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفْرةِ السافي عليهــا تُرابُها
تَميمُ بن زَيدٍ لا تكونَنَّ حاجتي بظَهرٍ فـلا يخفى عليَّ جَوابها

فلمّا أتاه كتابُه لم يدرِ ما اسمه حُبَيْشٌ أو حُنَيْشٌ ، فأخْرَجَ ديوانه ، وأقفل كلّ حبيْش وحُنَيْش في جَيْشِه ، وهم عدّة ، وأنفذهم إلى الفرزدق .

[مُكاتب يعوذ بقبر غالب]

قال أبو خليفة : قال ابن سَلاّم : وحدَّثني أبو يحيى الضّبيّ ، قال : ضرب مكاتب لبني مِنْقر بساطاً على قبرِ غالب أبي الفرزدق ؛ فقدِم النّاس على الفرزدق ، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه .

ثم قدِم عليه فقال : [من الطويل]

---

1 مثل : أشرنا إليه ص 241 .
2 جمّرهم : أطال مدّة غزوهم .

بقبر ابن لَيْلى غالب عُذْتُ بعدما ... خَشِيت الرَّدى أو أن أُرَدَّ على قَسْرِ

فأخبرني قبرُ ابنِ لَيْلى فقال لي : ... فِكاكُكَ أن تأتي الفرزدقَ بالِمصْرِ

فقال الفرزدق : صدق أبي ؛ أنِخْ ؛ ثمَّ طاف له في النَّاس ؛ حتى جمع له مكاتبَته وفضلاً .

[عائذة أخرى بقبر غالب]

وكان نُفَيْعُ ذو الأهدام : أحد بني جعفر بن كلاب يتعصّب لجرير بمدحه قيساً ؛ فهجاه الفرزدق ، فاستجارت أمّه بقبر غالب ؛ وعاذت من هجاء الفرزدق ؛ فقال : [من الطويل]

ونُبِّئتُ ذا الأهدامِ يعوي ودونه ... مـن الشَّام زُرَّاعاتُها وَقُصُورُها

على حينَ لم أتركْ على الأرْض حيَّةً ... ولا نابحاً إلاّ استقـرّ عقورُها

كلابٌ نَبَحن الحيّ من كلّ جانبٍ ... فعاد عُـواءً بعـد نَبْحٍ هريرُها

عجوزٌ تصلّي الخمس عاذت بغالِبٍ ... فلا والذي عاذت به لا أُضيرُها

لئن نافـعٌ لم يـرعَ أرحامَ أُمِّهِ ... وَكانت كدَلْـوٍ لا يزال يعِيرُها[1]

لبئس دمُ المولـودِ بـلَّ ثيابَهـا ... عشيَّةَ نـادى بـالغلامِ بشيرُها

وإنِّي على إشفاقها مـن مخافتي ... وإن عَقَّهـا بي نافـعٌ لمجيرها

وَلَو أنَّ أُمَّ النّاس حـوّاءَ جاوَرت ... تميمَ بن مُـرٍّ لم تجد مَن يجيرها

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة .

[جرير يبزه]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا أحمد بن حاتم المعروفُ بابن نصر ، عن الأصمعيّ ، قال : كان عبد الله بنُ عطيّةَ راوية الفرزدق وجرير ، قال : فدَعاني الفرزدق يوماً ، فقال : إنِّي قلت بيت شعر والنَّوّار طالق إن نقضَه ابن المراغة[2] ، قلت : ما هو ؟ قال : قلت : [من الطويل]

فإنِّي أنـا الموتُ الذي هو نازلٌ ... بنفسك فانظر كيف أنتَ تُحاولهُ

ارحل إليه بالبيت ، قال : فرحلت إلى اليمامة ، قال : ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل ، فقلت : إنّ الفرزدق قال بيتاً ، وحلف بطلاق النَّوّار أنّك لا تنقضه ، قال : هيه ، أظَنَّ واللهِ ذلك ؟ ما هو ؟ ويلك ، فأنشدته إيّاه ، فجعل يتمرّغ في الرمل ، ويحثوه

1 عار : عاب أو أتلف .

2 المراغة : الأتان .

على رأسه، وصدره ، حتى كادت الشمس تغرب ، ثم قال : أنا أبو حزرة ، طَلَقَت امرأةُ الفاسق ، وقال : [من الطويل]

أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدّهرُ خالدٌ فجئني بمثل الدّهرِ شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسقِ ، قال : فقدمت على الفرزدق ، فأنشدته إيّاه ، وأعلمته بما قال ، فقال : أقسمت عليك لَما سترتَ هذا الحديث .

[هناك مَن هو أجفى منه]

أخبرني عبد الله ، قال : أخبرني محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ وأبو عبيدة ، قال : دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة ، فضحكوا فقال : يا أبا فِراس أتدري مِمَّ ضحكوا ؟ قال : لا ، قال : من جفائك ، قال : أصلح الله الأمير ، حججت ؛ فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبيّ ، وعلى عاتقه الأيسر صبيّ ؛ وإذا امرأة آخذة بمئزرِه ؛ وهو يقول : [من الرجز]

أنتَ وهبتَ زائداً ومزْيَدا وكهلةً أُولجُ فيها الأَجردا

والمرأة تقول من خلفه : إذا شئت ، فسألت : مِمّن هو ؟ فقيل : من الأشعريين ، أفأنا أجفى أم ذلك ؟ فقال بلال : لا حيّاك الله ، قد علمت أنّهم لن يفلتوا منك .

[تهزمه امرأة]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا موسى بن طلحة ، عن أبي زيد الأنصاريّ ، قال : ركب الفرزدق بغلته ، فمرّ بنسوة ؛ فلمّا حاذاهنّ لم تتمالك البغلة أن ضرَطت ، فضحكن منه ، فالتفت إليهنّ ، فقال : لا تضحكن ، فما حملتني أنثى إلاّ ضرطَت ، فقالت له إحداهنّ : ما حملتك أُنثى أكثر من أمّك ، فأُراها قاست منك ضُراطاً كثيراً ، فحرّك بغلته ، وهرب منهنّ ، وبهذا الإسناد قال :

[يهجو إبليس]

أتى الفرزدق الحسنَ البَصريّ فقال : إنّي قد هجوتُ إبليس ، فقال : كيف تهجوه وعن لسانه تنطق ؟

[يسأل سائله فيفحمه]

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق : يا أَبا فراس ، أسألك عن مسأَلة ، قال : سل عمّا أحببت ، قال : أيّما أحبُّ إليك ؟ أتسبق الخير أم يَسْبِقُك ؟ قال : إن سبقني فاتني ، وإن سبقتُه فتُّه ، ولكن نكونُ معاً ، لا يسبقني ، ولا أسبقه ، ولكن أسألك عن مسألة . قال ابن بيض : سَل ، قال : أيما أَحبُّ إليك ؟ أن تنصرف إلى منزلك ، فتجدَ امرأتَك قابضة على أير

رجل ، أم تراه قابضاً على هَنِها ، قال : فتحيّر ، وكان قد نُهي عنه ، فلم يَقْبَل .

[لا صلح بينه وبين جرير]

أخبرني عبد الله قال : حدَّثني محمد بن عمران الضّبيّ ، قال : حدَّثني الأصمعيّ ، قال : اجتمع الفرزدقُ وجريرُ عند بشر بن مروانَ فرجا أن يُصْلِحَ بينهما حتى يتكافّا ، فقال لهما : ويحكما ! قد بلغتما من السنّ ما قد بلغتما ، وقربت آجالُكما ؛ فلو اصطلحتما ووهب كلُّ واحد منكما لصاحبه ذنبَه ، فقال جرير : أصلح الله الأمير ، إنّه يظلمني ، ويتعدّى عليّ ، فقال الفرزدق : أصلح الله الأمير ، إنِّي وجدت آبائي يظلمون آباءه . فسلكتُ طريقَهم في ظلمه ، فقال بشرٌ : عليكما لعنة الله ، لا تصطلحان واللهِ أبداً .

[يهزأ به وبهجائه]

وأخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن عمران الضّبيّ ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ : قال الفرزدق : ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرّة قال لي : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ؛ قال : أفأموت إن هجوتني ؟ قلت : لا ، قال : أفتموت عَيْشُونةُ ابنتي ؟ قلت : لا ، قال : فرجلي إلى عنقي في حِرِ أُمِّكَ ، قال : قلتُ : ويلك ! لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أي شيء تصنع ؟

[يأمره مجنون فيطيع]

أخبرني عبد الله ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب عن الأصمعيّ ، قال : مرَّ الفرزدقُ بمأجل[1] فيه ماء ، فأشْرَعَ بغلته فيه ، فقال له مجنون بالبصرة : يقال له حربيش : نحِّ بغلتك ، جذ الله رجليك ، قال : ولِمَ ؟ ويلك ، قال : لأنّك كذوب الحنجرة ، زاني الكَمَرة ، فقال الفرزدق لبغلته : عَدَسْ ومضى ، وكره أن يسمع قولَه الناسُ .

[هو وغيره يؤثرون القصائد القصار]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل للفرزدق : ما اختيارك في شعرك للقِصار ؟ قال : لأنّي رأيتها أثبتَ في الصدور ، وفي المحافلِ أجْوَلَ ؛ قال : وقيل للحُطيئة : ما بالُ قِصارك أكثرَ من طوالك ؟ قال : لأنّها في الآذان أوْلَجُ . وفي أفواه النّاس أعْلَقُ .

أخبرني عبد الله بن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل لعقيل بن عُلَّفة : ما لكَ تُقَصِّر في هجائك ؟ قال : حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة[2] .

1 المأجل : كلّ ماء في أصل جبل أو واد .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 196/1 والمستقصى للزمخشري 62/2 والأمثال لمجهول 57 .

[يتندّر باسمه فيلقمه حجراً]

أخبرني عبد الله ، عن محمد بن عليّ بن سعيد الترمذيّ ، عن أحمد بن حاتم : أبي نصر ، قال : قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرْميّ للفرزدق : أمَا وجدتْ أمُّكَ اسماً لك إلاّ الفرزدق الذي تكسره النساءُ في سُويقِها[1] ؟ قال : والعربُ تسمِّي خبْزَ الفَتُوت الفرزدق فأقبل الفرزدقُ على قوم معه في المجلس ، فقال : ما اسمه ؟ فلم يخبروه باسْمِه ، فقال : والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلّكم ، قال : الجهمُ بنُ سويد بنُ المنذر ، فقال الفرزدق : أحقُّ النّاس ألا يتكلّمَ في هذا أنت ؛ لأنّ اسمك اسمُ متاعِ المرأة ، واسم أبيك اسمُ الحمار واسمُ جدّك اسم الكلب .

[بيتان يثيرانه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن الزُّبير عن عمِّه عن بعض القرويين ، قال : قدِم علينا الفرزدق ، فقلنا له : قدِم علينا جرير ، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم ، ومضى يريدهم ، فقال : أنشدونيها ، فأنشدناه قصيدة كثيِّر التي يقول فيها : [من الوافر]

وما زالت رُقاك تسُلُّ ضِغْني ... وتخرجُ من مكامنها ضِبابي[2]
ويَرقيني لك الحـاوون حتى ... أجابك حيّةٌ تحـت الحِجابِ

قال : فجعل وجهه يتغيّر ، وعندنا كانون ، ونحن في الشتاء ، فلمّا رأينا ما به قلنا : هوِّنْ عليك يا أبا فراس ، فإنّما هي لابن أبي جمعة[3] ، فانثنى سريعاً ليسجد ، فأصاب ناحية الكانون وجْهه فأدماه .

[مع الحسين بن عليّ]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : أخبرني القحذميّ ، قال : لقي الفرزدق الحسين بن عليّ عليهما السلام متوجّهاً إلى الكوفة خارجاً من مكّة في اليوم السادس من ذي الحجّة فقال له الحسين ، صلوات الله عليه وآله : ما وراءك ؟ قال : يا ابنَ رسول الله ، أنفُس النّاسِ معك ، وأيديهم عليك ؛ قال : ويحك ، معي وِقْر بعير من كتبهم يدعونني ، ويناشدونني الله ، قال : فلمّا قتل الحسين ، صلوات الله عليه ، قال الفرزدق : انظـروا فـإن غضبت العرب لابن سَيِّدهـا وخيْرهـا فاعلموا أنّه سيدوم عزُّهـا ، وتبقي هيبتهـا ، وإن صبرت عليـه ، ولم تتغيّر لم يزدهـا الله إلاّ ذُلاًّ إلى آخر الدّهر ، وأنشد في

1 السويق : طعام يتّخذ من مدقوق الحنطة والشعير .
2 ضباب : جمع ضبّ ، والمقصود الحقد الكامن .
3 إشارة إلى كثيّر نفسه .

ذلك : [من الطويل]

فإن أنتُـم لم تثأروا لابـن خيركم فألقـوا السلاح واغزلـوا بالمغازلِ

[حافظة الفرزدق]

أخبرنا عبد الله بن مالك : قال : أخبرني أبو مسلم ؛ قال : حدَّثني الأصمعيّ ، قال : أنشد الرّاعي الفرزدق أربع قصائد ، فقال له الفرزدق : أعيدُها عليك ، لقد أتى عليَّ زمان ، ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عنّي .

[يشرب الخمر ممزوجة باللبن]

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدَّثني أبو مسلم الحرانيّ عن الأصمعيّ ، قال : تَغَدّى الفرزدق عند صديق له . ثم انصرف فمرّ ببني أسد ، فحدَّثهم ساعة ثم استسقى ماء ، فقال فتى منهم : أو لبناً ، فقال : لبناً ، فقام إلى عُسٍّ[1] ، فصبَّ فيه رطلاً من خمر ، ثم حلب عليه ، وناوله إيّاه ، فلمّا كرع فيه انتفخت أوداجه[2] ، واحمرّ وجهه ثم ردّ العُسَّ ، وقال : جزاك الله خيراً ، فإنّي ما علمتك تحبّ أن تُحْفي[3] صديقك ، وتُخفي معروفك ثم مضى .

[النَّوار تحتال عليه]

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن القحذميّ ، قال : كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها ، فامتنعت عليه ، وتهدّدها بالهجاء والفضيحة ، فاستغاثت بالنَّوار امرأته ، وقصَّت عليها القصّة ، فقالت لها : واعديه ليلة ، ثم أعلميني ، ففعلت ، وجاءت النَّوار ، فدخلت الحجلة مع المرأة ، فلمّا دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية ، فأطفأت السراج ، وغادرت المرأة الحجلة ، واتبعها الفرزدق ، فصار إلى الحجلة ، وقد انسلّت المرأةُ خلف الحجلة ، وبقيت النَّوار فيها ، فوقع بالنَّوار وهو لا يشكّ أنّها صاحبته ، فلمّا فرغ قالت له : يا عدوّ الله ، يا فاسق ، فعرف نغمتها ، وأنّه خدع ، فقال لها : وأنتِ هي يا سبحان الله ! ما أطيبك حَراماً ، وأردأكِ حلالاً .

[يضنّ عليه ابن سبرة بجارية فيهجوه]

أخبرني عبد الله بن مالك . قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثني القحذميّ قال : استعمل الحجّاج الخيارَ بن سبرة المجاشعيّ على عُمان ، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية

1 العسّ : القدح الكبير .

2 الأوداج : جمع ودج ، وهو عرق في العنق يقطعه الذابح .

3 تحفي : تحتفي .

فكتب إليه الخيار : [من الوافر]

كتبت إليّ تستهدي الجواري لقد أنعظتَ من بلدٍ بعيدِ

فأجابه الفرزدق : [من الوافر]

ألا قال الخيارُ وكان جهلاً قد استهدى الفرزدقُ من بعيدِ
فلولا أنّ أمّك كان عمّي أباها كنتَ أخرس بالنشيدِ
وأنّ أبي لَعَمُّ أبيك لحّا وأنّك حين أغضبُ من أسودي[1]
إذاً لشددتُ شدّةَ أعوجيٍّ يدقّ شكيمَ مجدول الحديدِ[2]

[لا يستسيغ خطأ في القرآن]

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعيّ قال : سمع الفرزدق رجلاً يقرأ : والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسبا نَكالاً من اللهِ واللهُ عفورٌ رحيمٌ فقال : لا ينبغي أن يكون هذا هكذا ، قال : فقيل له : إنّما هو ﴿عزيز حكيم﴾ قال : هكذا ينبغي أن يكون .

[يمدح أسماء بن خارجة]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا أبو مسلم ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ : قال : مرَّ أسماءُ بن خارجة الفزاريّ على الفرزدق ، وهو يهنأ[3] بعيراً له بنفسه ، فقال له أسماء : يا فرزدق كسد شعرك ، واطرحتك الملوك ، فصرت إلى مهنة إبلك ، فقد أمرت لك بمائة بعير ، فقال الفرزدق فيه يمدحه : [من البسيط]

إنَّ السّماحَ الذي في الناسِ كلّهمُ قد حازه اللهُ للمفضال أسماءِ
يُعطي الجزيلَ بلا مَنٍّ يكدّره عفواً ويُتْبع آلاءً بنعماءِ
ما ضَرَّ قوماً إذا أمسى يجاورهم ألاّ يكونوا ذوي إبلٍ ولا شاءِ

[ضعف شعره عندما شاخ]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة : دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة ، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها : [من الطويل]

1 لحا : من لحت القرابة إذا دنت ، والتصقت .
2 الأعوجي : الجواد المنسوب إلى أعوج ، وهو جواد أصيل ينسب إليه الخيول البعيدة .
3 يهنأ بعيرا : يطليه بالهناءة ، وهي القار .

فإنّ أبا موسى خليــلُ محمدٍ وكفّاه يُمْنى للهدى وشِمالُها

فقال ابن أبي بردة : هلكت واللهِ يا أبا فراس ، فارتاع الشيخ ، وقال : كيف ذاك ؟ قال ذهب شعرك ، أين مثلُ شعرك في سعيد ، وفي العبّاس بن الوليد ، وسمّى قوماً فقال : جئني بحَسبٍ مثل أحسابِهم ، حتى أقول فيك كقولي فيهم ، فغضب بلال حتى دَرَّت أوداجه ودُعي له بطست فيه ماء بارد ، فوضع يده فيها ، حتى سكن ، فكلّمه فيه جلساؤه وقالوا : قد كفاك الشيخ نفسه وقلّ ما يبقى حتى يموت ، فلم يَحُل عليه الحول حتى مات .

[قواد له من أصحابه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن سعيد بن همام اليماميّ ، قال : شرب الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق ، فقال لصاحبٍ له : إنَّ الغُلمة قد آذتني فأكسِبني بَغِيّاً ، قال : من أين أُصيب لك هاهنا بغيا ؟ قال : فلا بدّ لك من أن تحتال ، قال : فمضى الرجل إلى القرية ، وترك الفرزدق ناحية ؛ فقال : هل من امرأة تُقبِّل [1] ، فإنّ معي امرأتي وقد أخذها الطّلق فبعثوا معه امرأة ، فأدخلها على الفرزدق ، وقد غطّاه ، فلمّا دنت منه واثبها . ثمَّ ارتحل مبادراً ، وقال : كأنّي بابنِ الخبيثة يعني جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال : [من الوافر]

وكنتَ إذا حَللتَ بدارِ قــومٍ رحلتَ بخِزْيةٍ وتركتَ عارا

قال : فبلغ جريراً الخبر ، فهجاه بهذا الشعر .

[يغتصب بيتاً]

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : قال أبو نهشل : حدَّثنا بعض أصحابنا : قال : وقف الفرزدق على الشمردل ، وهو ينشد قصيدة له ، فمرَّ هذا البيت في بعض قوله : [من الطويل]

وما بين مَن لم يعطِ سمعاً وطاعة وبين جرير غير حــزِّ الحلاقمِ

فقال الفرزدق : يا شمردل ، لتتركن هذا البيت لي أو لتتركنّ عرضك ؛ قال : خذه ، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم ، وهي التي أوّلها قوله : [من الطويل]

تحنُّ إلى زورا اليمامة ناقتــي حنينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائمِ [2]

---

1 تقبل : تشتغل قابلة .

2 زورا اليمامة في الديوان 307/2 : لزوراء المدينة . البوّ : جلد يحشى تبناً على هيئة الحوار لتدرّ اللبن حين تراه . رائم : عطوف .

[تستعيذ بقبر أبيه]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيبَ ، عن الأَصمعيّ ، قال : جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق ؛ فضربت عليه فسطاطاً . فأتاها فسألها عن أمرها . فقالت : إنّي عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بي ، قال لها : وما هو ، قد ضَمِنت خلاصك منه ، قالت : إنّ ابناً لي أغزي إلى السِّند مع تميم بن زيد ؛ وهو واحدي قال : انصرفي ، فعليّ انصرافُه إليك إن شاء الله ، قال : وكتب من وقته إلى تَمِيم بقوله : [من الطويل]

تَميمَ بنَ زيد لا تكونَنَّ حاجتي بظَهرٍ فلا يخفى عليَّ جَوابُها
وهب لي حُبيشاً واتّخِذْ فيه مِنَّةً لحرْمة أمٍّ مـا يسوغُ شَرابُها
أتتني فعاذت يا تَمِيمُ بغالبٍ وبالحفْـرة السّافي عليها ترابُها

قال : فعرض تميم جميع مَن معه من الجند ، فلم يدع أحداً اسمه حُبيْش ، ولا حُنَيش إلاّ وصله ، وأذِن له في الانصراف إلى أهله .

[ما يشتهي]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : أخبرنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعيّ ، قال : مرَّ الفرزدق بصديق له ، فقال له : ما تشتهي يا أبا فراس ؟ قال : أشتهي شواءً رَشْراشاً ، ونَبيذاً سعيراً[1] ، وغناءً يفتق السمع .

الرشراش : الرَّطْب ، والسعير : الكثير .

[يتبرم بمحبّي شعره]

أخبرنا عبد الله بن مالك . قال : حدَّثنا محمد بن حبيب : قال : حدَّثني السعديّ ، عن أبي مالك الزيديّ . قال : أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً ، فجلسنا ببابه ننتظر ، إذ خرج علينا في مِلْحفة . فقال لنا : يا أعداء الله ، ما اجتماعُكم ببابي ؟ والله لو أردت أن أزني ما قدَرت .

[يعاني في صنع الشعر]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا أبو مسلم ، قال حدَّثنا الأَصمعيّ عن هشام بن القاسم ، قال : قال الفرزدق : قد علِم النّاس أنـّي فحل الشعراء . وربّما أتت عليّ الساعة لَقَلْع ضرسٍ من أضراسي أهونُ عَلَيّ من قولِ بيت شعر .

1 ل : سعبراً .

[يهجو راويته فلا يخالفه]

حدَّثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم ، عن الأَصمعيّ ، قال : كان الفرزدق وأبو شَقْفَل راويته في المسجد ؛ فدخلت امرأة ، فسألت عن مسألة ، وتوسّمت ؛ فرأت هيئة أبي شَقَفَل ، فسألته عن مسألتها ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

أبو شَقْفَل شيخ عن الحقِّ جائرٌ   بباب الهدى والرّشد غيرُ بصيرِ

فقالت المرأة : سبحان الله ؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ ؟ فقال أبو شقفل : دعيه فهو أعلم بي .

[سكينة بنت الحسين تنقده وتهبُه جاريتها]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا المدائنيّ ، قال : خرج الفرزدق حاجّاً ، فمر بالمدينة ، فأتى سُكَيْنَةَ بنت الحسين صلوات الله عليه وآله ، فقالت : يا فرزدق . مَنْ أشعَر النّاس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ؛ أشعر منك الذي يقول : [من الوافر]

بنفسي مَـن تجنُّبُه عزيـزٌ   عليَّ ومَـنْ زيارتُـه لِمـامُ
ومَن أُمسي وأُصبح لا أُراه   ويطرُقني إذا هجـعَ النيامُ

فقال : والله لو أذِنتِ لي لأسمعتك أحسن منه . فقالت : أقيموه . فأُخرِج . ثم عاد إليها في اليوم الثاني . فقالت له : يا فرزدق . مَن أشعر النّاس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت : أشعرُ منك الذي يقول : [من الكامل]

لولا الحياءُ لهاجنـي استعبارُ   ولَزرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ
لا يلبث القُرناءُ أن يتفرّقـوا   ليـلٌ يكـرّ عليهـمُ ونهارُ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها   كُتِمَ الحديثُ وعَفَّت الأَسرارُ

قال : أَفأُسْمِعكِ أحسن منه ؟ قالت : اخرج .

ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جاريةٌ كأنّها ظبيةٌ ، فاشتدّ عجبه بها . فقالت : يا فرزدق ، مَن أشعر النّاس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعَر منك الذي يقول : [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ   قتَلْننـا ثـم لم يُحيـين قَتْلانا
يَصرعْن ذا اللُّبّ حتى لا حَراكَ له   وهُـنَّ أَضعفُ خلق الله أركانا

ثم قالت : قُم فاخرج . فقال لها : يا بنت رسول الله ، إن لي عليك لحقّاً . إذ كنتُ إنّما جئتُ مسلّماً عليك ، فكان من تكذيبك إيّاي وصنيعك بي حين أردتُ أن أُسمعك شيئاً من

شعري ما ضاق به صدري . والمنايا تغدو وتروح ، ولا أدري ، لعلّي لا أُفارق المدينةَ حتى أموت . فإن مِتُّ فمُرِي مَن يدفِنني في حِرِ هذه الجارية التي على رأسك ، فضحكت سُكَيْنَةُ ، حتى كادت تخرج من ثيابها ، وأمَرت له بالجارية ، وقالت : أحسِن صحبَتها ؛ فقد آثرتك بها على نفسي ، قال : فخرج وهو آخذ برَيْطتها[1] .

[يطالب معاوية بتراث عمّه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا المدائنيّ قال : وفد الحُتاتُ عمُّ الفرزدق على معاوية ، فخرجت جوائزهم ، فانصرفوا ، ومرض الحتاتُ ، فأقام عند معاوية حتى مات ، فأمر معاوية بماله ، فأُدخِلَ بيتَ المال ، فخرج الفرزدق إلى معاوية ، وهو غلام ، فلمّا أُذِنَ للنّاس دخل بين السماطين[2] ، ومَثَل بين يدَي معاوية ، فقال : [من الطويل]

أبوك وعمّي يا معاويَ ورَّثا تراثاً فيحتازُ التّراثَ أقاربُه[3]
فما بال ميراثِ الحتات أكلتَهُ وميراثُ حرب جامدٌ لِيَ ذائبُه ؟[4]
فلو كان هذا الأمرُ في جاهليّةٍ علمتَ مَن المولى القليلُ حلائبُه[5]
ولو كان هذا الأمر في مِلك غيركم لأدّاه لي أو غَصَّ بالماءِ شاربُه[6]

فقال له معاوية : مَن أنت ؟ قال : أنا الفرزدق قال : ادفعوا إليه ميراث عمِّه الحتات ، وكان ألف دينار ، فدفع إليه .

[امرأة تهجوه فتوجعه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبي حمزة الأنصاريّ ، قال : أخبرنا أبو زيد ، قال : قال أبو عبيدة .

انصرف الفرزدق من عند بعض الأُمراء في غداة باردة ، وأمر بجزور . فنُحِرت ثمَّ قُسِّمَت ، فأغفل امرأة من بني فُقيم ، نسيها ، فرجزت به ، فقالت : [من الرجز]

1 الريطة : الملاءة كلّها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب ليّن رقيق .
2 السماطين : الصفين .
3 يحتاز : يحوز .
4 في الديوان 45/1 : أتأكل ميراث الحتات ظلامةً .
5 الأمر في الديوان 45/1 : الدين . حلائب : جمع حلوب .
6 أدّاه لي في الديوان 45/1 : لأبديته .

فَيْشلةٌ هــدْلاءُ ذات شِقْشقِ   مشرفةُ اليافــوخ والمحــوَّقِ[1]
مُدمجَةٌ ذاتُ حِفــافٍ أخلقِ   نِيطت بحَقْــوَيْ قَطِمٍ عَشنَّقِ[2]
أُولجتهــا في سَبَّــة الفرزدق[3]

قال أبو عبيدة : فبلغني أنّه هرب منها ، فدخل في بيت حمّاد بن الهيثم ، ثم إنّ الفرزدق قال فيها بعد ذلك : [من الطويل]

قتلــتُ قتيــلاً لم يَــرَ الناسُ مثلَه   أُقلِّبُــــه ذا تَوْمَتَــــين مُسَوَّرا[4]
حملــتُ عليــــه حملتَين بطعنةٍ   فغادرتــهُ فــوق الحشايا مكوّرا
ترى جرحَه من بعد ما قد طعنته   يفوح كمثل المسك خالطَ عنبرا
وما هو يــوم الزحف بارزَ قِرنَه   ولا هــو ولّى يــوم لاقى فأدبرا
بني دارم مــا تأمرون بشاعرٍ   برود الثّنايا مــا يــزال مزعفرا
إذا مــا هو استلقى رأيت جهازه   كمقطع عُنق الناب أسود أحمرا[5]
وكيف أُهاجي شاعراً رمحُهُ استه   أعــدَّ ليــوم الرّوع دِرْعاً وَمَجْمرا

فقالت المرأة : ألا لا أرى الرجال يذكرون منّي هذا ، وعاهدت الله ألاّ تقول شعراً .

[كأنّه يريد أن يؤتى]

أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم ، عن الأصمعيّ قال : مرّ الفرزدق يوماً في الأزد ، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه ، وأعانه على ذلك سفهاؤهم ، فجاءت مشايخ الأزد وأولو النُّهى منهم ، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء ، فقال لهم ابن أبي علقمة : ويلكم ! أطيعوني اليوم ، واعصوني الدهر ؛ هذا شاعرُ مضَر ولسانها ، قد شتم أعراضَكم ، وهجا ساداتِكم ، والله لا تنالون من مضر مثلها أبداً ، فحالوا بينه وبينه ، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك : قاتله الله . إي والله ، لقد كان أشار عليهم بالرأي .

[أنصاريّ يتحدّاه بشعر حسّان بن ثابت]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : قال الكلبيّ : قال

1 هدلاء : طويلة . مشرفة اليافوخ : طويل أعلاها . المحوق : من الحوق ، وهو ما أحاط بالكمرة من حوافيها .
2 أخلق : صلب . الحقو : الخصر . قطم : مجيد للنكاح مشته له . عشنق : طويل .
3 السبّة : الإست .
4 التّومة : لؤلؤة تتحلّى بها المرأة . مسوّراً : لابساً أساور .
5 يريد بالجهاز بضع المرأة . والناب : الناقة المسنة .

إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص . وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ والأخفش جميعاً ، عن السكريّ ، عن ابن حبيب ، عن أبي عبيدة والكلبيّ : قال : وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، قالوا جميعاً : قدِم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أبان بن عثمان ، فأتى الفرزدق وكثيِّر عزّة ، فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما شخت[1] رقيق الأدمة ، في ثوبين ممصرين ، فقصد نحونا ، فلم يسلِّم ، وقال : أيّكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا ، فقال له الفرزدق : مَن أنتَ لا أمَّ لك ، قال : رجل من الأنصار ، ثم من بني النجار ، ثم أنَّا ابن أبي بكر بن حزم ، بلغني أنّك تزعم أنّك أشعر العرب ، وتزعمه مضر ، وقد قال شاعرنا حسّان بن ثابت شعراً ، فأردتُ أن أعرضه عليك ، وأؤجّلكَ سنة ، فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب ، كما قيل ، وإلاّ فأنت منتحِلٌ كذّاب ، ثم أنشده : [من الطويل]

ألم تسألِ الرَّبـعَ الجديـدَ التكلُّما

حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وأبقى لنا مَـرُّ الحروب ورزؤُها سيوفاً وأدراعـاً وجمّاً عرمرما
متى مـا تُرِدْنا مـن مَعدٍّ عِصابةٌ وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدَّما
لنـا حاضر فعْـمٌ وبـادٍ كأنّه شماريخُ رَضْوى عِـزّةً وتكرُّما[2]
أبى فِعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا وقائلُنـا بالعُـرف إلاّ تَكلُّما
بكلِّ فتًى عـاري الأشاجع لاحَه قِراعُ الكماةِ يرشح المِسكَ والدَّما[3]
ولدنا بنـي العنقـاء وابنَيْ محرِّقٍ فأكرم بذا خالا وأكرم بذا ابْنما
يُسوِّدُ ذا المـالِ القليل إذا بدت مروءتُـه فينـا وإن كان مُعدِما
وإنا لَنقْري الضيفَ إن جاءَ طارقاً من الشحم ما أمسى صحيحاً مُسلَّما
لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعن بالضّحى وأسيافُنا يقطرن مـن نجدةٍ دَما

فأنشده القصيدة ، وهي نَيِّف وثلاثون بيتاً ، وقال له : قد أجّلتك في جوابها حولا ، فانصرف الفرزدق مغضباً ، يسحَب رداءه ، وما يدري أيّة طرقه حتى خرج من المسجد ،

1 الشخت : الضامر النحيف خلقة .
2 فعم : ممتلىء .
3 الأشاجع : أصول الأصابع ، أو عروق ظاهر الكف .

فأقبل على كثيِّر ، فقال له : قاتل الله الأنصار ما أفصحَ لهجتهم ، وأوضحَ حُجّتهم ، وأجودَ شعرهم ، فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقيّة يومنا ، حتى إذا كان من الغدِ خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنتُ فيه بالأمس ، فأتى كثيِّر ، فجلس معي ، وإنَّا لنتذاكر الفرزدق ، ونقول : ليت شعري ما صنع ؟ إذ طلع علينا في حُلّة أفوافٍ[1] ، قد أرخى غديرته ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصاريّ ؟ فنلنا منه ، وشتمناه ، فقال : قاتله الله : ما مُنيت بمثله ، ولا سمعتُ بمثل شعره ، فارقته ، وأتيتُ منزلي ، فأقبلت أُصعِّدُ وأصوِّب في كلّ فن من الشعر ، فكأنّي مفحَم لم أقل شعراً قطّ ، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحَلتُ ناقتي ، وأخذت بزمامها حتى أتيت ريّانا ، وهو جبل بالمدينة ، ثم ناديت بأعلى صوتي : أخاكم أخاكم ، يعني شيطانه ، فجاش صدري كما يجيش المرجل ، فعقلت ناقتي وتوسّدت ذراعها ، فما عتمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً ، فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصاريّ ، حتى إذا انتهى إلينا سلَّم علينا ، ثم قال : إنّي لم آتِك لأعجلَك عن الأجل الذي وقّتّه لك ، ولكنّي أحببتُ ألاّ أراك إلاّ سألتك : إيش صنعت ؟ فقال : اجلس ، وأنشده قوله : [من الطويل]

عزفتَ بأعشاشٍ وما كنت تعزفُ ... وأنكرتَ من حدراءَ ما كنت تعرفُ
ولجَّ بك الهجرانُ حتى كأنّما ... ترى الموتَ في البيتِ الذي كنت تألفُ

في رواية ابن حبيب : تَيْلُف حتى بلغ إلى قوله :

تَرى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أَومأنا إلى النّاسِ وقّفوا

وأنشدها الفرزدق ، حتى بلغ إلى آخرها ، فقام الأنصاريّ كئيباً ، فلمّا توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم في مشيخة من الأنصار ، فسلّموا عليه ، وقالوا : يا أبا فراس ، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله ﷺ ، وقد بَلَغنا أنّ سفيهاً من سفهائنا ربّما تعرّض لك ، فنسألك بحقّ الله وحقّ رسوله لما حفِظت فينا وصيةَ رسول الله ﷺ ، ووهبتنا له ، ولم تفضحنا .

قال محمد بن إبراهيم : فأقبلتُ عليه أكلّمه ، فلمّا أكثرنا عليه ، قال : اذهبوا ، فقد وهبتكم لهذا القرشيّ .

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : أنشِدني أجودَ شعر عملته ، فأنشده : [من الطويل]

عزفتَ بأعشاش وما كدت تعزفُ

1 أفواف : ثياب رقاق موشاة مخطّطة .

فقال : زِدني : فأَنشده : [من الوافر]

ثـلاثٌ واثنتانِ فتلك خمس ... وواحـدة تميل إلى الشِّمامِ[1]
فبِتْـنَ بجانبــيّ مصرَّعـاتٍ ... وبــتُّ أفضُّ أَغـلاق الخِتامِ[2]

فقال له سليمان : ما أراك إلاّ قد أحللتَ نفسك للعقوبة ، أقررتَ بالزّنى عندي ، وأَنا إمام ، ولا تريد منّي إقامة الحدّ عليك ، فقال : إن أخذت فيّ بقول الله عزَّ وجلَّ لم تفعل . قال : وما قال ؟ . قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿والشّعراء يتَّبعُهم الغاوون ، أَلم تَرَ أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون ، وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾ ، فضحك سليمان وقال : تلافيتها ودرأت عنك الحدّ وخلع عليه وأجازَه .

[يجتمع وهو وجرير بالشام]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعيّ ، قال : قدِم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفى ، فقال له جرير : ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه ، فقال له الفرزدق : إنّي طالما أخلفتُ ظنّ العاجز .

[الفرزدق لعنة وجرير شهاب]

أُخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن طلحة : قال : قال أَبو مِخْنف : كان الفرزدق لُعَنَة ، أَي يتلعّن به كأنّه لُعَنَة على قوم ، وكان جرير شهاباً من شهب النار .

[يتندّر بمحمد بن وكيع]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا الأزديّ : قال : حدَّثنا عمرو بن أَبي عمرو عن أبيه ، قال : قال أبو عمرو بن العلاء : مرّ الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سُود ، وهو على ناقة فقال له : غدِّني ، قال : ما يحضرني غَداء ، قال : فاسقني سَوِيقاً ، قال : ما هو عندي ، قال : فاسقني نبيذاً ، قال : أو صاحبَ نَبيذٍ عهدتَني ، قال : فما يُقعدك في الظلّ ؟ قال : فما أصنع ؟ قال أطْلِ وجهك بدِبْس[3] ، ثم تحوّل إلى الشمس ، واقعد فيها ، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه ، قال أبو عمرو : فما زال ولد محمد يُسبُّون بذلك من قول الفرزدق انتهى .

[هاشم بن القاسم يتجاهله]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن موسى بن طلحة ، عن أَبي عبيدة ،

1 الشمام : القبل والترشف وما إليها .
2 فضّ الأغلاق : أي المضاجعة .
3 الدبس : الأسود من كل شيء .

عن أبي العلاء : قال : أخبرني هاشم بن القاسم العنزيّ أنّه قال : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت له : مَن أنت ؟ قال : أما تعرفني ؟ قلت : لا ، قال : فأنا أبو فراس ، قلت : ومَن أبو فراس ؟ قال : أنا الفرزدق ، قلت : ومَنِ الفرزدق ؟ قال : أوما تَعْرِف الفرزدق ؟ قلت : أعرف الفرزدقَ أنّه شيء يتّخذه النساء عندنا ، يتَّسمّنَّ به وهو الفَتُوت ، فضحك وقال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم .

[الكلبيّون يعبثون به]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن النضر بن حديد ، قال : مرَّ الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً ، فأخذوه ، وكان جباناً ، فقالوا : والله لتلقيَنَّ منّا ما تكره ، أو لتنكحَنَّ هذه الأتان ، وأتوه بأتان ، فقال : ويلكم ! اتّقوا الله ، فإنّه شيء ما فعلتُه قطّ ، فقالوا : إنّه لا ينجيك والله إلاّ الفعل قال : أمّا إذا أبيتم فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها عطية[1] ، فضحكوا ، وقالوا : اذهب لا صحبك الله .

[أسود يستخفّ به]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن العتبيّ قال : دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة ، وفي صدر مجلسهم فتى أسودُ ، وعلى رأسه إكليل ؛ فلم يحفَل بالفرزدق ولم يُخْفِ به تهاوناً ، فغضب الفرزدق من ذلك وقال : [من الطويل]

جلوسُك في صدر الفراش مَذَلَّةٌ … ورأسك في الإكليل إحدى الكبائرِ
وما نَطَفَتْ كأسٌ ولا لَذَّ طعمُها … ضربْتَ على حافاتها بالمشافرِ[2]

[يرثي وكيعاً]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى ، عن العتبيّ قال : لمّا مات وكيعُ بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أُخرِج ، وعليه قميص أسود ، وقد شقّه إلى سرته وهو يقول : [من الطويل]

فمات ولم يوتر وما من قبيلة … من النّاس إلاّ قد أباءت على وترِ
وإنّ الذي لاقى وكيعاً وناله … تناول صِدِّيق النبيّ أبا بكرِ

قال : فعَلق الناسُ الشعر ، فجعلوا ينشدونه ، حتى دُفِنَ ، وتركوا الاستغفار له .

1 عطية : والد جرير .
2 نطفت الكأس : قطرت .

[ميميّته المشهورة في علي بن الحسين]

أخبرنا عبد الله بن عليّ بن الحسن الهاشميّ ، عن حيان بن عليّ العنزيّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ قال : حجّ الفرزدق بعدما كبر ، وقد أتت له سبعون سنة ، وكان هشامُ بن عبد الملك قد حجّ في ذلك العام فرأى عليَّ بنَ الحسين في غمار النّاس في الطواف ، فقال : مَن هذا الشاب الذي تَبرُق أسرة وجهه كأنّه مرآة صينيّة تتراءى فيها عذارى الحيّ وجوهَها ؟ فقالوا : هذا عليّ بنُ الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق : [من البسيط]

هذا الذي تَعرِف البطحاءُ وطأَتَه — والبَيْتُ يَعْرِفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهم — هذا التقيُّ النقيُّ الطاهِرُ العلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَه — بجدِّه أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا
وليس قولُك : مَن هذا بضائرِه — العُرْبُ تعرِف مَنْ أنكرتَ والعجمُ
إذا رأَته قريشٌ قال قائلها : — إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
يُغْضي حياءً ويُغْضَى من مهابته — فما يُكَلَّمُ إلاّ حين يَبْتسِمُ
بكَفّه خيزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ — من كفّ أروعَ في عِرْنينه شممُ[1]
يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته — رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
اللهُ شرَّفه قِدْماً وعَظَّمه — جَرى بذاك له في لوحِه القلمُ
أيُّ الخلائقِ ليست في رقابهم — لأَوَّلِيَّة هذا أَوْلَهُ نِعَمُ
مَنْ يشكرِ اللهَ يشكرْ أَوَّلِيَّة ذا — فالدِّين من بيت هذا ناله الأممُ
يَنْمي إلى ذِروة الدِّين التي قَصُرَت — عنها الأكفُّ وعن إدراكها القَدَمُ
مَنْ جَدُّه دان فَضْلُ الأنبياءِ له — وفَضْلُ أُمَّته دانت له الأممُ
مُشتقّةٌ من رسول الله نبعتُه — طابت مغارسُه والخِيمُ والشِّيَمُ[2]
ينشقُّ ثَوبُ الدّجى عن نُورِ غُرَّته — كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُّلَمُ
مِنْ معشرٍ حبُّهم دينٌ ، وبغضهمُ — كُفْرٌ وقُربُهمُ مَنْجًى ومُعْتَصَمُ
مُقَدَّمٌ بعد ذكر الله ذِكرُهمُ — في كلِّ بدْءٍ ومختومٌ به الكَلِمُ

---

1 العرنين : الأنف .

2 النبعة : شجرة صلبة الألياف تتّخذ منها القسيّ . الخيم : الأصل والشرف .

إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمّتهم ... أو قيل مَنْ خيرُ أهلِ الأرض قيلَ: همُ
لا يستطيع جـوادٌ كنه جودهمُ ... ولا يدانيهـمُ قـومٌ وإن كرموا[1]
يُسْتَدفَع الشرُّ والبلـوى بحبِّهـمُ ... ويسترِبُّ بـه الإحسانُ والنِّعمُ[2]

وقد حدَّثني بهذا الخبر أحمدُ بنُ الجعد، قال: حدَّثنا أحمد بن القاسم البرتيّ، قال: حدَّثنا إسحاق بن محمد النخعيّ، فذكر أنّ هشاماً حجَّ في حياة أبيه، فرأى عليَّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهم، يطوف بالبيت والنّاسُ يُفْرجون له. فقال: مَنْ هذا؟ فقال الأبرش الكلبيّ: ما أعرفه، فقال الفرزدق: ولكنّي أعرفه، فقال: مَن هو؟ فقال:

هـذا الذي تعرِفُ البطحـاءُ وطأته

وذكر الأبيات . . . إلخ.

قال: فغضب هِشامٌ فحبَسه بين مكّة والمدينة فقال: [من الطويل]

أتَحبِسني بـين المدينـة والتـي ... إليها قلـوب النّاس يَهْوي مُنِيبُها
يقلِّبُ رأساً لم يكـن رأس سيِّد ... وعيناً لـه حولاء بـادٍ عيوبُها

فبلغ شعرُه هِشاماً، فوجّه، فأطلقه.

[مع مالك بن المنذر]

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرنا أبو روح الراسبيّ، قال: لمّا وليَ خالدُ بن عبد الله العراقَ ولّى مالك بن المنذر شُرطَة البصرة، فقال الفرزدق: [من الطويل]

يُبَغِّض فينـا شرطـةَ المصر أنّني ... رأيتُ عليها مالكاً عَقِبَ الكلبِ

قال، فقال مالك: عَلَيَّ به، فمضوا به إليه، فقال: [من الطويل]

أقـول لنفسي إذ تَغَصُّ بريقهـا ... ألا ليت شعري ما لها عند مالِكِ؟

قال: فسمع قولَه حائكٌ يطلع من طرازه، فقال: [من الطويل]

لهـا عنـده أن يَرجعَ اللهُ ريقهـا ... إليهـا وتنجُو مـن عظيم المهالكِ

فقال الفرزدق: هذا أشعرُ النّاس، ولَيعودَنَّ مجنوناً، يصيح الصبيان في أثره فقال: فرأوه بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره.

1 كنه في الديوان 181/2: بعد.
2 يسترِبُّ: يستزاد وينمى.

أخبرنا عبدُ الله بنُ مالك قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن سعيد ، قال : حدَّثنا القَحْذميّ : قال : فلمّا أتَوْا مالك بن المنذر بالفرزدق قال : هيه عَقِب الكلب ، قال : ليس هذا هكذا قلت ، وإنّما قلت : [من الطويل]

أَلم تَرَني ناديتُ بالصوت مالكاً ليسمعَ لما غصَّ من ريقه الفمُ
أعوذ بقبر فيه أكفانُ مُنْذرٍ فهن لأيدي المستجيرين مَحرَمُ[1]

قال : قد عذتَ بمعاذ[2] ، وخلّى سبيلَه .

أخبرنا عبد الله قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : كتب خالدٌ القسريُّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق ، ويذكر أنّه بلغه أنّه هجاه ، وهجا نهرَه المبارك ، وهو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره ، فاشتدّ مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومرُّوا به على بني مجاشع ، فقال : يا قوم ، اشهدوا أنّه لا خاتم بيدي ، وذلك أنّه أخذ عمرَ بنَ يزيدَ بن أسَيْد ، ثم أمَر به فلُوِيَتْ عنقُه ، ثم أخرجوه ليلاً إلى السجن ، فجعل رأسه يتقلّب ، والأعوان يقولون له : قوِّمْ رأسك ، فلمّا أتَوْا السجّانَ قال : لا أتسلّمه منكم ميتاً ، فأخذوا المفاتيح منه ، وأدخلوه الحبس ، وأصبح ميتاً ، فسمَّعوا أنّه مصّ خاتمه وكان فيه سمّ ، فمات ، وتكلّم النّاس في أمره ، فدخل لبطةُ بن الفرزدق على أبيه ، فقال : يا بنيّ ، هل كان من خبر ؟ قال : نعم ، عُمَرُ بنُ يزيدَ مصَّ خاتمه في الحبس ، وكان فيه سمّ ، فمات ، فقال الفرزدق : والله يا بنيّ لئن لم تلحق بواسط ليمصنّ أبوك خاتَمَه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

أَلم يَكُ قَتْلُ عبد الله ظُلماً أَبا حفص من الحُرَم العظامِ
قتيلُ عداوة لم يجنِ ذنباً يُقَطَّعُ وهو يهتف للإمامِ

[جرير يشفع له]

قال : وكان عُمَرُ عارضَ خالداً وهو يصف لهشام طاعةَ أهل اليمن وحسنَ موالاتهم ونصيحتهم ، فصفَّق عَمرُو بن يزيد إحدى يديه على الأُخرى ، حتى سمع له في الإيوان دَويٌّ ، ثم قال : كذب والله يا أمير المؤمنين ، ما أطاعت اليمانيّة ، ولا نصحت ، أليس هم أعداؤك وأصحابُ يزيد بن المهلّب وابن الأشعث ؟ والله ما ينعَقُ ناعق إلاّ أسرعوا الوثبة إليه ، فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال : فتبيّن ذلك في وجه هشام ووثب رجل من

1 منذر : أبو مالك .
2 بمعاذ : بذي حرمة .

بني أُميّة ، فقال لعمرو بن يزيد : وصل الله رحمك وأَحسن جزاءك ، فلقد شددتَ من أنفس قومك ، وانتهزْتَ الفرصة في وقتها ، ولكن أحسَبُ هذا الرجل سَلِي العراقَ ، وهو منكِرٌ حسود ، وليس يَخـارُ لـك[1] إن وَلِـي ، فلم يرتدعْ عمر بقوله ، وظنّ أنّه لا يُقدم عليه ، فلمّا وَلِيَ لم تكن له همّة غيْرُه ، حتى قتله ، قال : ثم إنّ مالكاً وجَّهَ الفرزدق إلى خالد ، فلمّا قدِم به عليه وجده قد حجّ ، واستخلف أخاه أسدَ بنَ عبد الله على العراق ، فحبسه أسد ، ووافق عنده جريراً ، فوثب يشفع له ، وقال : إن رأى الأمير أن يَهَبه لي ، فقال أسد : أتشفع له يا جرير ؟ فقال : إنّ ذلك أذلُّ له ، أصلحك الله ، وكلّم أسداً ابنهُ المنذِرُ ، فخلّى سبيله ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

لا فضلَ إلاّ فضلُ أمٍّ على ابنهـا كفضل أَبي الأَشبال عند الفرزدقِ
تداركنـي مـن هُوَّةٍ دون قعرِها ثمانون باعـاً للطُّـوال العَشَنَّقِ[2]

وقال جرير يذكر شفاعته له : [من الطويل]

وهـل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ فتطلـقَ عنـه عضَّ مَسِّ الحدائدِ ؟[3]
يعودُ وكان الخبثُ منـه سجيّةً وإن قـال : إنّي مُنْتَهٍ غَيْرُ عائدِ

[يهجو بني فقيم]

أَخبرني عبيد الله ، عن محمد بن موسى ، عن القحذميّ ، قال : كان سببَ هرب الفرزدق من زياد ، وهو على العراق ، أنّه كان هجا بني فقيم ، فقال فيهم أبياتاً منها : [من الوافر]

وآب الوفـدُ وفـدُ بني فُقَيمٍ بأخبث مـا تئوب بـه الوفودُ
أَتَوْنـا بالقـرود مُعادليهـا فصار الجَـدُّ للجـدِّ السعيدُ

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقَيْميّ والأشهب بن رميلة بأَبيات ، منها قوله : [من الطويل]

تمنّـى ابنُ مسعودٍ لقائي سفاهةً لقـد قـال مَيْناً يوم ذاك ومنكرا
غنـاءٌ قَلِيـلٌ عـن فُقَيمٍ ونهْشَلٍ مَقـامُ هَجينٍ ساعـةً ثم أَدْبرا[4]

يعني الأَشهبَ بنَ رُمَيْلة ، وكان الأَشهبُ خطب إلى بني فُقَيم ، فردّوه ، وقالوا له : اهْجُ الفرزدق حتى نزوّجَك ، فرجز به الأشهب ، فقال : [من الرجز]

1 يخار لك : يختار لك .
2 الطوال والعشنق : الطويل .
3 الحدائد : القيود .
4 الهجين : غير صريح النسب .

يا عجباً هل يركبُ القَيْنُ الفرس   وَعَرَقُ القَيْنِ على الخيلِ نَجَسْ[1] ؟
وإنّمــا سلاحُــه إذا جَلَــسْ   الكَلْبتــان والعَــلاةُ والقَبَسْ[2]

[يهرب من زياد]

فلمّا بلغ الفرزدق قولُه هجاه ، فأرفث[3] له ، وألحّ الفرزدق على النهشليين بالهجاء ، فشكوه إلى زياد ، وكان يزيدُ بنُ مسعود ذا منزلة عند زياد ، فطلبه زياد ، فهرب ، فأتى بكرَ بن وائل ، فأجاروه ، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات : [من الطويل]

إنّــي وإن كانت تميمٌ عِمارتي   وكنتُ إلى القُرْمُوسِ منها القُماقِمِ[4]
لَمُثْنٍ على أبنــاء بكــرِ بن وائلٍ   ثنــاءً يوافي ركبهــم في المواسمِ
همو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا   برأسٍ بــه تَدْمى رؤوسُ الصّلادمِ[5]

وهرب ، حتى أتى سعيد بن العاصي ، فأقام بالمدينة يشرب ، ويدخل إلى القيان ، وقال : [من الطويل]

إذا شئتُ غنَّاني من العاجِ قاصف   على معصم ريّــانَ لم يتخــدَّدِ
لبيضاءَ مــن أهلِ المدينةِ لم تعِشْ   ببؤس ولم تتبــعْ حمولــةَ مُجْحَدِ
وقامت تخشِّيني زيــاداً وأجفلت   حــواليَّ في بُــرْدٍ يمانٍ ومَجْسَدِ
فقلــتُ : دعيني مــن زياد فإنّني   أرى الموتَ وقّافاً على كلِّ مَرْصَدِ

[مروان ينفيه ثم يجيزه]

فبلغ شعرُه مروانَ ، فدَعاه ، وتوعّده ، وأجلّه ثلاثاً ، وقال : اخرج عنّي ، فأنشأ يقول الفرزدق : [من الوافر]

دعانــا ثــم أجلّنــا ثلاثــاً   كما وُعِــدَتْ لَمهْلَكِهـا ثمــودُ

قال مروان : قولوا له عنّي : إنّي أجبته ، فقلت : [من الكامل]

قــل للفرزدق والسّفاهةُ كاسْمِها   إن كنت تاركَ ما أمرتُكَ فاجلِسِ

---

1 القين : الحداد .
2 الكلبتان : آلة من آلات الحداد ، والعلاة : السندان .
3 أرفث : أفحش .
4 العمارة : الحي دون القبيلة . القرموس : السيد الرئيس . القماقم : الجواد ذو الفضل الغزير .
5 الصلادم : جمع صلدم بمعنى الأسد أو الحجر الصلب .

ودعِ المدينــةَ إنّهــا محظـورةٌ والحَـقْ بمكّــةَ أو ببيتِ المقدسِ

قال : وعزم على الشخوص إلى مكّة ، فكتب له مروان إلى بعض عمّاله ، ما بين مكّة والمدينة بمائتي دينار ، فارتاب بكتاب مروان ، فجاء به إليه وقال : [من الكامل]

مــروانُ إنّ مطيّتي معقولــةٌ ترجو الحباءَ وربُّهـا لم ييأسِ
آتيتني بصحيفــةٍ مختومــةٍ يُخشى عليَّ بها حِباءُ النّقرسِ[1]
ألقِ الصحيفةَ يا فرزدق لا تكن نكراء مثـلَ صحيفةِ المُتَلَمِّسِ

قال : ورمى بها إلى مروانَ ، فضحك ، وقال : ويحك ! إنّك أُمِّيٌّ ، لا تقرأ ، فاذهب بها إلى مَن يقرؤها ، ثم ردَّها ، حتى أختمها ، فذهب بها ، فلمّا قُرئت إذا فيها جائزة ، قال : فردَّها إلى مروان ، فختمها ، وأمر له الحسينُ بنُ عليّ عليهما السلام بمائتي دينار ، قال : ولّما بلغ جريراً أنّه أخرج عن المدينة قال : [من الوافر]

إذا حـــلَّ المدينــةَ فارجُمُوهُ ولا تُدْنوهُ من جَدَث الرسولِ
فما يُحْمــى عليه شرابُ حدٍّ ولا وَرْهــاءُ غائبــةُ الحليلِ[2]

فأجابه الفرزدق ، فقال : [من الوافر]

نعتّ لنــا مــن الورْهاء نَعْتاً قعــدتُ بــه لأمِّك بالسبيلِ
فلا تبْغي إذا ما غــاب عنها عطيّــةُ غيرَ نَعْتِك من حَليلِ

[يموت بذات الجنب]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا أبو عكرمة الضّبّيّ عن أبي حاتمٍ السجستانيّ ، عن محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، قال أبو عكرمة : وحُكِيَ لنا عن لَبطَة بنِ الفرزدق أنّ أباه أصابته ذات الجنب ، فكانت سببَ وفاته .

قال : ووُصِف له أن يشرب النِّفط الأبيض ، فجعلناه له في قدح ، وسقيناه إيّاه ، فقال : يا بنيّ عجّلت لأبيك شراب أهل النّار ، فقلت له : يا أبتِ ، قُل : لا إله إلاّ الله ، فجعلت أُكرِّرها عليه مراراً ، فنظر إليّ وجعل يقول : [من الطويل]

فظَلَّــتْ تَعــالى باليَفاعِ كأنّها رماح نحاها وِجْهة الرِّيحِ راكزُ

فكان ذا هجِّيراه حتى مات .

1 النقرس : الهلاك أو الداهية ، أو وجع في مفاصل الكفين .
2 الورهاء : الحمقاء .

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثني شُعَيب بن صخر ، قال : دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه ، وهو يقول : [من الوافر]

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأَمر جلَّ عن الخطابِ

البيتين ، فقال بلال : إلى الله ، إلى اللهِ .

[يتمرّد في مرض موته]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الأصمعيّ ، قال : كان الفرزدق قد دَبَّر عبيداً له ، وأوصى بعتقهم بعد موته ، وبدفع شيء من ماله إليهم ، فلمّا احتُضِر جمع سائرَ أهل بيته ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أروني مَـنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأَمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى مَـن تفزعون إذا حَثَوْتم بأَيديكـم علـيَّ مـن التَّرابِ

فقال له بعض عبيده ، الذين أمر بعتقهم : إلى الله ، فأمر ببيعه قبل وفاته ، وأبطل وصيَّته فيه ، والله أعلَم .

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، عن بشر بن مروان ، عن الحميديّ ، عن سفيان ، عن لَبَطَة بن الفرزدق قال : لَمّا احتُضِر أبو فراس قال ، أيْ لَبطَةَ : أَبغِني كتاباً أكتبْ فيه وصيَّتي ، فأتيته بكتاب فكتب وصيَّته :

أَروني مَـن يقـومُ لكـم مقامي

البيتين ، فقالت مولاة له ، قد كان أوصى لها بوصيّة : إلى الله عزَّ وجلَّ ، فقال : يا لبطة ، امحها من الوصيّة .

قال سفيان : نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس .

[ينظم وصيّته شعراً]

وقال عَوانة : قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أَوصِ ، فقال : [من الطويل]

أُوصِّي تميماً إن قضاعةَ ساقهـا نَدى الغيث عن دارٍ بدومةَ أَو جدْبِ
فإنَّكم الأَكفاءُ والغيـث دُولـةٌ يكون بشرق من بلاد ومن غَرْبِ[1]
إذا انتجعت كلْبٌ عليكم فوسِّعوا لها الدارَ في سهل المَقامَة والرَّحبِ
فأعظمُ مـن أَحلام عادٍ حُلومُهم وأَكثرهم عند العديد من التُّرْبِ

---

1 دولة : متداولة ، لا تستقرّ على حال .

أشدُّ حبالٍ بعد حَبَّيْن مِرَّةً حِبالٌ أُمِرَتْ من تميم ومن كلبِ[1]

[غلام له يموت قبله]

قال : وتوفِّي للفرزدق ابنٌ صغير قبل وفاته بأيّام ، وصلّى عليه ، ثم التفت إلى النّاس ، فقال : [من الطويل]

وما نَحْن إلاّ مِثْلُهم غير أنّنا أَقَمنا قليلاً بعدهم وتَقَدَّمُوا

[أنشد عند موته]

قال : فلم يلبث إلاّ أيّاماً حتى مات : وقال المدائنيّ : قال لَبَطَةُ : أُغميَ على أبي ، فبكينا ، ففتح عينيه ، وقال : أعليَّ تبكون ؟ قلنا : نعم ، أَفعلى ابن المراغة نبكي ؟ فقال : ويحكم ! أهذا موضع ذكره ؟ وقال : [من الوافر]

إذا ما دبَّت الأنقاءُ فوقي وصاح صدًى عليَّ مع الظلامِ[2]

فقد شَمِتتْ أعاديكم وقالت : أُدانيكم مِن أينَ لنا المحامي ؟

[وقع نعيه على جرير]

أَخبرني أبو خليفة الفضلُ بنُ الحُباب إجازة ، قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثنا أبو الغرَّاف ، قال : نُعيَ الفرزدق لجرير ، وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة ، فقال : [من الكامل]

مات الفرزدقُ بعد ما جرَّعتُهُ ليْتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا[3]

فقال له المهاجر : بئس ما قلت ، أتهجو ابن عمِّك بعد ما مات ! ولو رثيته كان أحسن بك . فقال : والله إنِّي لأعلمُ أنَّ بقائي بعده لقليلٌ ، وأنّ نجمي لموافق لنجمه ، أفلا أرثيه ؟ قال : أبعد ما قيل لك : ألو كنت بكيته ما نسيَتْك العربُ .

قال أبو خليفة : قال ابن سلاّم : فأنشدني معاوية بن عمرو ، قال : أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها : [من الطويل]

فلا ولَدَتْ بعد الفرزدق حاملٌ ولا ذاتُ بعل من نِفاسٍ تعَلَّتِ[4]

---

1 المرة : إحكام الفتل .

2 النقا : الكثيب من الرمل . والصدى : رجع الصوت من الجبل أو نحوه ، أو هو طائر أسطوري يخرج من رأس القتيل طالباً الثأر .

3 جرعته : سقيته المرّ ونحوه .

4 تعلت المرأة من نفاسها : انقضت عنها مدته .

هـو الوافد المأمونُ والرَّاتِقُ الثَّأى إذا النعلُ يومـاً بالعشيرةِ زَلَّتِ[1]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة بخبر جرير لّما بلغه وفاة الفرزدق ، وهو عند المهاجر ، فذكر نحواً ممّا ذكره ابن سلاّم ، وزاد فيه ، قال : ثم قام ، وبكى ، وندِم ، وقال : ما تقارب رجلان في أمرٍ قطّ ، فمات أحدهما إلاّ أوشك صاحبُه أن يتبعه .

[في أيّ سنة مات]

قال أبو زيد : مات الحسنُ وابنُ سيرينَ والفرزدق وجريرٌ في سنة عشرٍ ومائةٍ ، فقبْر الفرزدق بالبصرة ، وقَبرُ جرير وأيّوب السّختيانيّ ومالك بن دينار باليمامة في موضعٍ واحد .

وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبّة ، لأنّ الفرزدق مات بعد يوم كاظمة ، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة ، وقد قال فيه الفرزدق شعراً ، وذكره في مواضع من قصائده ، ويُقوِّي ذلك ما أخبرنا به وكيع ، قال : حدَّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، قال : حدَّثني ابن النطّاح ، عن المدائنيّ ، عن أبي اليقظان وأبي هَمّام المجاشعيّ : أنّ الفرزدق مات سنة أربعَ عشرةَ ومائةٍ .

[جرير ينعى نفسه ويرثيه]

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو أيّوب بن كسيب من آل الخطفى ، وأمّه ابنة جرير بن عطيّة ، قال : بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل ، فقال له جرير : من أين أوضَح الراكب[2] ؟ قال : من البصرة ، فسأل عن الخبر ، فأخبره بموت الفرزدق ، فقال : [من الكامل]

مـات الفرزدق بعد مـا جرّعته ليت الفرزدقَ كان عـاش قليلا

ثم سكت ساعة ، فظنناه يقول شعراً ، فدمعت عيناه ، فقال القوم : سبحان الله ، أتبكي على الفرزدق ! فقال : والله ما أبكي إلاّ على نفسي ، أما والله إنّ بقائي ؛ خلافَه[3] لقليل ، إنّه قلّ ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شرّ إلاّ كان أمدُ ما بينهما قريباً ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

فُجِعنـا بحمَّالِ الدِّياتِ ابنِ غالبٍ وحامي تميـم كلِّهـا والبَراجِمِ

1 الثأي : الفتق .
2 من أين أوضح الراكب ؟ : من أين طلع .
3 خلافه : بعده .

بكيناكَ حِدْثــانَ الفِــراق وإنّما بكيناك شجْواً للأُمــورِ العظائمِ[1]
فلا حَمَلت بعــدَ ابنِ ليلى مَهيرَةٌ ولا شُدَّ أَنساعُ المطــيِّ الرَّواسمِ[2]

[يموت بالدبيلة]

وقال البلاذريّ : حدَّثنا أَبو عدنان ، عن أَبي اليقظان ، قال : أَسنَّ الفرزدق حتى قارب المائة فأَصابته الدُّبَيْلة[3] ، وهو بالبادية فقدِمِ إلى البصرة ، فأُتيَ برجل من بني قيس متطبّب ؛ فأشار بأن يُكوى ، ويشربَ النّفط الأبيض ، فقال : أتعجِّلون لي طعام أهل النّار في الدنيا ؟ وجعل يقول : [من الوافر]

أَروني مَــنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأَمرُ جلَّ عن الخطابِ

[أبو ليلى المجاشعيّ يرثيه]

وقال أَبو ليلى المجاشعيّ يرثي الفرزدق : [من الطويل]

لعمري لقد أَشجى تميماً وهَدَّها على نكباتِ الدَّهرِ موتُ الفَرزدقِ
عشيَّــةَ قُدْنــا للفــرزدق نعشَه إلى جَدَثٍ في هُوّة الأَرض مُعْمَقِ
لقد غيَّبوا في اللَّحدِ مَنْ كان ينتمي إلى كلِّ بــدر في السماءِ مُحَلِّقِ
ثَوى حاملُ الأَثقالِ عن كلِّ مُثقَلٍ ودفّــاعُ سلطانِ الغشومِ السَّمَلَّقِ[4]
لسانُ تميــمٍ كلِّهــا وعِمادُهــا وناطقُها المعــروف عند المُخَنَّقِ[5]
فمن لتميمٍ بعد مــوت ابن غالبٍ إذا حَلَّ يــومٌ مظلمٌ غَيرُ مُشرِقِ
لتبكِ النِّساءُ المعْوِلاتُ ابنَ غالبٍ لجانٍ وعانٍ في السلاسلِ مُوثَقِ

[أعلام ماتوا سنة موته]

وقال ابن زكريّا الغلابيّ ، عن ابن عائشة ، قال : مات الفرزدق وجرير في سنة عشرة ومائة ، ومات جرير بعده بستّة أشهر ، ومات في هذه السنة الحسنُ البصريّ وابنُ سيرين ، قال : فقالت امرأة من أهل البصرة : كيف يفلح بلدٌ مات فقيهاه وشاعراه في سنة ؟ ونسبت جريراً إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة ، وقبر جرير باليمامة ، وبها مات ، وقبر

1 حدثان الفراق : أوّل الفراق وابتداؤه .
2 المهيرة : من غولي في مهرها .
3 الدبيلة : داء من الأدواء التي تصيب الجوف .
4 السملّق : الشرس السيىء الطبع .
5 عند المخنّق : عندما يعيا المرء عن الكلام كأنّه مختنق .

الأعشى أيضاً باليمامة : أعشى بني قيس بن ثعلبة ، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم : وقال جرير لمّا بلغه موتُ الفرزدق : قلّما تصاول فحلان ، فماتَ أحدهما إلاّ أسرع لحاق الآخر به .

ورثاهما جماعة ، فمنهم أبو ليلى الأبيض ، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما : [من الطويل]

لعمري لئنْ قَرْمـا تَميمٍ تتابعـا مُجِيبَيْن للدّاعي الذي قد دَعاهُما
لرُبّ عَـدُوٍّ فـرّق الدّهرُ بينه وبَيْنهمـا لم تُشْوِه ضَغْمتـاهما[1]

[يتراءى في المنام]

أخبرني ابن عمّار ، عن يعقوب بن إسرائيل ، عن قعنب بن المحرز الباهليّ ، عن الأصمعيّ ، عن جرير يعني أبا حازم قال : رُئي الفرزدقُ وجرير في النّوم ، فرئي الفرزدق بخير ، وجرير مُعَلّق .

قال قعنب : وأخبرني الأصمعيُّ ، عن روح الطائيّ ، قال : رئي الفرزدق في النّوم ، فذكر أنّه غُفِر له بتكبيرة كبّرها في المقبرة عند قبر غالب .

قال قَعنَب : وأخبرني أبو عبيدة النحويّ وكيسان بن المعروف النحويّ ، عن لَبَطَة بن الفرزدق ، قال : رأيت أبي فيما يرى النائم ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : نفعَتْني الكلمةُ التي نازَعنيها الحسنُ على القبر .

[الحسن البصري في جنازة النّوار]

أخبرني وكيع ، عن محمد بن إسماعيلَ الحسانيّ ، عن عليّ بن عاصم ، عن سفيان بن الحسن ، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم ، والرواية قريب بعضها من بعض : أنَّ النَّوار لمّا حَضَرها الموت أوصت الفَرزدقَ ، وهو ابنُ عمّها ، أن يُصَلِّيَ عليها الحسنُ البصريّ ، فأخبره الفرزدقَ ، فقال : إذا فرغتم منها فأعلمني ، وأُخرِجت ، وجاءها الحسن ، وسبقهما النّاس ، فانتظروهما ، فأقبلا ، والنّاسُ ينتظرون ، فقال الحسن : ما للنّاس ؟ فقال : ينتظرون خيرَ النّاس وشرَّ النّاس ، فقال : إنِّي لستُ بخيرهم ، ولستَ بشرِّهم ، وقال له الحسن على قبرها : ما أعددتَ لهذا المضجع ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله منذ سبعين سنة .

هذا لفظ محمد بن سَلاّم . وقال وكيع في خَبَره : فتشاغل الفرزدق بدفنها ، وجلس

---

1 أشوى الصائد الصيد : أخطأه . والضغمة : العض العنيف .

الحسنُ يعظ النّاس ، فلمّا فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن ، وقال : [من الطويل]

لقد خاب من أَولاد آدمَ مَنْ مَشى إلى النّـارِ مغلولَ القِـلادةِ أزرقا[1]
أخاف وراءَ القبرِ إن لم يُعافنـي أشدَّ مـن القبرِ التهابـا وأَضيقا
إذا جاءَني يـومَ القيامـة قائدٌ عَنِيـفٌ وسَوَّاقٌ يَقُـود الفرزدقا

[رواية أخرى له مع الحسن]

أَخبرنا أَحمد : قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا حيان بن هلال : قال : حدَّثنا خالد بن الحرّ : قال : رأيت الحسنَ في جِنازة أبي رجاء العُطارِديّ ، فقال للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله منذ بضع وتسعين سنة ، قال إذاً تنجوَ إن صدقت . قـال : وقال الفرزدق : في هذه الجنِـازة خيرُ النّـاس وشرّ النّاس ، فقال الحسن : لستُ بخير النّاس ولستَ بشرِّهم .

[يذكر ذنوبه فينشج]

أَخبرنا ابن عمّار ، عن أَحمد بن إسرائيل ، عن عبيد الله بن محمد القرشيّ بطُوس ، قال : حدَّثني يزيدُ بنُ هاشم العبديّ : قال : حدَّثنا أَبي : قال : حدَّثنا فُضَيلٌ الرّقاشيّ قال : خرجت في ليلة باردة ، فدخلتُ المسجدَ ، فسمعتُ نشيجاً وبكاءً كثيراً ، فلم أَعلَم مَنْ صاحبُ ذلك ، إلى أن أَسفر الصبح ، فإذا الفرزدق ، فقلت : يا أبا فراس ، تركت النَّوار ، وهي لَيّنة الدّثار دَفئة الشِّعار ، قال : إنِّي والله ذكرت ذُنُوبي ، فأقلقَتني ، ففزعت إلى الله عزَّ وجلَّ .

[في المنام تنجيه شيبته من النار]

أخبرني وكيع ، عن أبي العبّاس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدريّ قال : حدّثني هلال بن يحيى الرازيّ : قال : حدّثني شيخ كان ينزل سكة قريش : قال : رأيت الفرزدق في النوم فقلتُ : يا أَبا فراس ، ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بإخلاصي يوم الحسن ، وقال : لولا شيبتك لعذّبتك بالنّار .

[رواية أخرى في لقائه مع الحسين]

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن دَماذ ، عن أبي عبيدة ، عـن لَبَطة بن الفرزدق ، عن أبيه : قـال : لقيت الحسين بن عليّ ، صلوات الله عليهما ، وأصحابَه بالصِّفاح ، وقد ركبوا الإبل ، وجَنَّبوا الخيـل ، متقلّدين السيوفَ ، متنكبين القِسيَّ ، عليهم يلامق[2] من الديباج ، فسلمت عليه ، وقلت : أَين تريد ؟ قال : العراق ، فكيف تركت النّاس ؟ قال : تركتُ الناسَ قلوبُهم

1 مغلول القلادة : مطبق الطوق .
2 يلامق : جمع يلمق وهو القباء ، فارسي معرّب .

معك ، وسيوفُهم عليك ، والدُّنيا مطلوبة ، وهي في أَيدي بني أُميّة ، والأَمر إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، والقضاء ينزل من السماء بما شاء .

[أبو هريرة يعظه]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، وأَحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة قال : حدَّثني هارون بن عمر ، عن ضمرة بن شوذب قال : قيل لأَبي هريرة : هذا الفرزدق ، قال : هذا الذي يقذف المحصناتِ ، ثم قال له : إنِّي أرى عظمَك رَقيقاً وعِرْقَك دقيقاً ، ولا طاقةَ لك بالنّار ، فتُب ، فإنّ التّوبةَ مقبولةٌ من ابن آدمَ حتى يَطيرَ غُرابه[1] .

أَخبرني هاشم بن محمد ، عن الرياشيّ ، عن المنهال بن بحر بن أَبي سلمة ، عن صالح المرّيّ ، عن حبيب بن أبي محمد ، قال : رأيت الفرزدق بالشام ، فقال : قال لي أبو هريرة : إنّه سيأتيك قوم يؤيِسُونك من رحمة الله ، فلا تيأسْ .

[موازنة بينه وبين جرير والأخطل]

قال أَبو الفرج : والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ، ومَحلُّه في الشعر أكبر من أن يُنبَّه عليه بقول ، أو يُدلَّ على مكانه بوصف ، لأنّ الخاص والعام يعرفانه بالاسم ، ويعلمان تَقدُّمَه بالخبر الشائع علماً يستَغْنى به عن الإطالة في الوصف ، وقد تكلَّم النّاس في هذا قديماً وحديثاً ، وتعصّبوا ، واحتجّوا بما لا مزيد فيه ، واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيُّهم أحقُّ بالتقدّم على سائرها ، فأمَّا قدماءُ أهل العلم والرواة فلم يسوُّوا بينهما وبين الأخطل ؛ لأنّه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثلُ ما لهما من فنونه ، ولا تصرَّفَ كتصرّفهما في سائره ، وزعموا أنّ ربيعة أفرطت فيه ، حتى ألحقته بهما ، وهم في ذلك طبقتان ، أمّا مَن كان يميل إلى جزالة الشعر ، وفخامته ، وشدّة أسرِه ، فيُقدّم الفرزدق ، وأمّا مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين ، وإلى الكلام السَّمح السهل الغزِل فيُقدِّمُ جريراً .

أُخبرنا أبو خليفة : قال حدَّثنا محمد بن سلاّم ، قال : سمعت يونس بن حبيب يقول : ما شهدت مشهداً قطّ ذكر فيه الفرزدق وجريرٌ ، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما . قال ابن سلاّم : وكان يونس يقدّم الفرزدق تقدمة بغير إفراط ، وكان المفضل يقدّمه تقدمة شديدة .

قال ابن سلاّم : وقال ابن دأب ، وسئل عنهما ، فقال : الفرزدق أَشعر خاصَّةً وجرير أَشعرُ عامَّةً .

---

1 طيران الغرب : كناية عن الشيب .

أخبرني الجوهريّ وحبيب المهلّبيّ عن ابن شبّة ، عن العَلاء بن الفضل : قال : قال لي أبو البيداء : يا أبا الهُذَيل ، أيّهما أشعر ؟ أجرير أم الفرزدق ؟ قال : قلت : ذاك إليك ، ثم قال : ألـم تسمعهُ يقول : [من البسيط]

مـا حُمِّلت ناقـةٌ مـن معشرٍ رجلاً ... مثـلي إذا الرّيح ألْقَتْنـي على الكُورِ
إلاّ قـريشاً فـإنّ الله فضّلهـا ... مـع النبـوّة بـالإسلام والخيرِ

ويقول جرير : [من البسيط]

لا تحسَبَنَّ مِراسَ الحرب إذ لَقِحَتْ ... شُرْبَ الكسِيس وأكلَ الخبز بالصِّيرِ[1] ؟

سلح والله أبو حزرة .

[ثلث اللغة من شعره]

أخبرني هاشم الخزاعي ، عن أبي حاتم السجستانيّ ، عن أبي عبيدة ، قال : سمعت يونس يقول : لولا شعرُ الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

[يقرض الشعر في خلافة عثمان وعليّ]

أخبرني هاشم الخزاعيّ ، عن أبي غسّان ، عن أبي عبيدة قال : قال يونس أبو البيداء : قال الفرزدق : كنت أُهاجي شعراءَ قومي ، وأنا غلام في خلافة عثمانَ بن عفّان ، فكان قومي يخشون مَعَرّة لساني منذ يومئذٍ ، ووفد بي أبي إلى عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عامَ الجمل ، فقال له : إنّ ابني هذا يقول الشعر ، فقال : علّمه القرآن ، فهو خير له .

[خمس وسبعون سنة في مباراة الشعراء]

قال أبو عبيدة : ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة ، وقد نيّف على التسعين سنة ، كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء ، ويهجو الأشراف فيغضّهم ، ما ثبت له أحد منهم قطّ ، إلاّ جريراً .

[يرث الشعر عن خاله]

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصّيرفيُّ : قال : حدَّثنا الحسن بن عليل العَنزيّ ، قال : حدَّثني محمد بن معاوية الأسديّ ، قال : حدَّثنا ابن الرازيّ ، عن خالد بن كلثوم قال : قيل للفرزدق : ما لك وللشعر ؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صعصعةُ شاعراً ، فمن أين لك هذا ؟ قال : من قِبَل خالي ، قيل : أيُّ أخوالك ؟ قال : خالي العَلاءُ بن قرظة الذي يقول : [من الوافر]

---

1 الكسيس : شراب يتّخذ من الشعير والذرة . الصير : السمكات المملوحة .

إذا مـا الدَّهر جـرَّ على أُناسٍ بكلكلـه أنـاخ بآخرينا[1]
فقل للشامتين بنـا أفيقوا سيلقـى الشامتـون كما لقينا

[يؤنّبه أخواله فيمنّ عليهم]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية ، وأخبرني هاشم الخزاعيّ : قال : حدَّثنا دَماذ ، عن أبي عبيدة قال : دخل قوم من بني ضَبَّة على الفرزدق فقالوا له : قبَّحك اللهُ من ابن أخت ! قد عرَضتنا لهذا الكلب السفيه ، يعنون جريراً ، حتى يشتم أعراضَنا ، ويذكر نساءَنا ، فغضب الفرزدق ، وقال : بل قبَّحكم الله من أخوال ! فوالله لقد شرَّفكم من فخري أكثرُ ممّا غضَّكم من هجاء جرير ، أفأنا ويلكم عرَّضتكم لسُوَيد بن أبي كاهل حيث يقول : [من الطويل]

لقـد زَرِقَتْ عيناك يا ابن مُكعْبَرٍ كما كلُّ ضَبّيٍّ مـن اللؤمِ أزرقُ
ترى اللؤمَ فيهم لائحاً في وجوههم كما لاح في خيـل الحلائب أبلقُ[2]

أو أنا عرّضتكم للأغلب العِجْليّ حيث يقول : [من الرجز]

لن تجـدَ الضبّيَّ إلاّ فَلاّ عبـداً إذانـا ولقومٍ ذَلاّ[3]
مثل قَفـا المُديـة أو أكَلاَّ حتى يكـون الألأمَ الأقلاَّ

أو أنا عرَّضتكم له حيث يقول : [من الرجز]

إذا رأيتَ رجـلاً من ضبَّهْ فنِكه عمداً في سَواءِ السَّبَّهْ[4]
إنّ اليَمانيَّ عِقـاصُ الزُبَّـهْ[5]

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول : [من الطويل]

ولو يُذبَح الضَّبّيُّ بالسيف لم تجدْ من اللؤمِ للضَّبّيّ لحماً ولا دما !

والله لَما ذكرتُ من شرَفكم ، وأظهرتُ من أيّامكم أكثرُ ، ألستُ القائلَ : [من الكامل]

وأنا ابنُ حنظلةَ الأغرُّ وإنّني في آل ضبَّـة للمُعِـمُّ المُخْوِلُ

---

1 الكلاكل : عظام الصدر .
2 الحلائب : خيول السباق . والأبلق من الخيل ونحوها : ما اجتمع فيه سواد وبياض .
3 الفلّ : المنهزم .
4 السواء : الوسط ، السبّة : الدبر .
5 العقاص : خيط تربط به الضفيرة . الزبة : ربما جمع زُبّ .

فرعان قد بلغ السّماءَ ذُراهما وإليهما من كلِّ خوف يُعْقَلُ[1]

[بنو حرام يخشون لسانه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا : كان فتى في بني حرام بن سماك شويعر ، قد هجا الفرزدق ، فأخذناه ، فأتينا به الفرزدق ، وقلنا : هو بين يديك ، فإن شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، لا عدوى عليك ولا قصاص ، فخلّى عنه وقال : [من الوافر]

فمن يــكُ خائفاً لأذاة قولي فقــد أمِنَ الهجــاءَ بنو حَرامِ
هــمُ قــادوا سفيهَهُمُ وخافوا قلائــدَ مثــلَ أطــواق الحمامِ

[عائذة بقبر غالب]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثني الحكم بن محمد ، قال : كان رجل من قضاعة ثم من بني القَين على السّند ، وفي حبسه رجل يقال له حُبَيْشٌ ، أو خُنَيْسٌ ، وطالت غيبته عن أهله ، فأتت أمُّه قبرَ غالب بكاظمة ، فأقامت عليه ، حتى علِم الفرزدق بمكانها ، ثم إنّها أتت فطلبت إليه في أمر ابنها ، فكتب إلى تميم القضاعيّ : [من الطويل]

هَب لي خُنَيْساً واتّخذْ فيه منّةً لغُصَّة أمٍّ ما يَسوغ شرابُها
أتتْني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفرة السَّافي عليــه ترابها
تميمُ بنَ زيد لا تكونَنَّ حاجتي بظهرٍ فــلا يخفى عليَّ جوابُها

فلمّا أتاه الكتابُ لم يدرِ : أخنيس أم حبيش ! فأطلقهما جميعاً .

[مُكاتبٌ يعوذُ بقبر غالب]

أخبرني أبو خليفة : قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم : قال : حدَّثني أبو يحيى الضّبيّ قال : ضرب مكاتب لبني مِنْقَر خيمةً على قبر غالب ، فقدِم النّاس على الفرزدق فأخبروه أنّهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ، ثم قدِم عليه ، وهو بالمِرْبد فقال : [من الطويل]

بقبرِ ابن ليلى غالبٍ عُذْتُ بعدما خشيتُ الرَّدى أو أن أُردَّ على قسرِ
فخاطبني قبرُ ابن ليلى وقال لي : فَكاكُك أن تَلْقى الفرزدقَ بالمِصْرِ

فقال له الفرزدق : صدق أبي ، أنخْ أنخْ ، ثم طاف في النّاس ، حتى جمع له كتابته وفضلا .

---

1 يُعقل : يُلجأ ويُفزع .

[يعتذر عن مناقضته نفسه]

أخبرني ابنُ خلف وكيع ، عن هارونَ بن الزيّات ، عن أحمد بن حمّاد بن الجميل ، قال : حدَّثنا القحذميّ ، عن ابن عيّاش : قال : لقيتُ الفرزدق فقلتُ له : يا أبا فراس ، أنت الذي تقول : [من الطويل]

فليتَ الأكفَّ الدافناتِ ابنَ يوسفٍ يُقطَّعْن إذ غيَّبْن تحت السقائِفِ

فقال : نعم ، أنا ، فقلتُ له : ثم قلتَ بعد ذلك له : [من الطويل]

لئن نفــرُ الحجّــاج آلُ مُعَتِّب لَقُوا دَوْلَـةً كان العــدوُّ يُدالُها[1]
لقد أصبح الأحيــاءُ منهم أذلّـةً وفي النّاسِ موتاهم كلوحاً سبالُها[2]

قال : فقال الفرزدق : نعم ، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه ، فإذا تخلّى منه انقلبنا عليه .

[هل أجاز إيّاس شهاته ؟]

أخبرنا هاشم بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، عن بعض أشياخه قال : شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية ، فقال : أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس ، وزيدونا شهوداً ، فقام الفرزدق فرحاً ، فقيل له : أما والله ما أجاز شهادتك قال : بلى ، قد سمعته يقول : قد قبلنا شهادة أبي فراس ، قالوا : أفما سمعتَه يستزيد شاهداً آخر ؟ فقال : وما يمنعه ألا يقبلَ شهادتي ، وقد قذفتُ ألفَ محصنة !

[يستردّ هبته]

أخبرنا ابن دُرَيد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس : قال : كان عطيّة بنُ جُعال الغدانيّ صديقاً ونَديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أنّ رجلاً من بني غُدانةَ هجاه وعاون جريراً عليه ، وأنّه أراد أن يهجو بني غُدانة ، فأتاه عطيّة بن جُعال فسأله أن يصفح له عن قومه ، ويهبَ له أعراضَهم ، ففعل ، ثم قال : [من الكامل]

أبني غُدانــة إنّني حَرّرتكــم فوهبتكــم لعطيّــةَ بنِ جُعالِ
لولا عطيّةُ لاجتَدَعْتُ أنوفكم مــن بــين ألأم آنفٍ وسبالِ

فبلغ ذلك عطيّة ، فقال : ما أسرع ما أرتجع أخي هبَته ، قبّحها الله من هبة ممنونة مرتجعة .

---

1 يُدالها : تتاح للعدو .
2 السبال : جمع سبلة ، وهي طرف الشارب ، أو طرف اللحية .

[مجنون يعبث به]

أخبرني وكيع ، عن هارون بن محمد : قال : حدَّثني قبيصة بن معاوية المهلّبيُّ ، عن المدائنيّ ، عن محمد بن النضر : أنّ الفرزدق مرَّ بباب المفضَّل بنِ المهلَّب ، فأرسل إليه غِلمة ، فاحتملوه ، حتى أُدخِل إليه بواسط ، وقد خرج من تيّار ماء كان فيه ، فأمَر به ، فأُلقيَ فيه ، بثيابه ، وعنده ابنُ أبي علقمة اليَحمَديّ المجنونُ ، فسعى إلى الفرزدق ، فقال له المفضل : ما تريد ؟ قال : أريد أن أنيكه وأفضحه ، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزد ، فصاح الفرزدق : اللهَ اللهَ أيُّها الأمير فيّ ، أنا في جوارك وذمّتك ؛ فمنع عنه ابن أبي علقمة ، فلمّا خرج قال : قاتل الله مجنونَهم ؛ والله لو مسَّ ثوبُه ثوبي لقام بها جرير وقعد ؛ وفضحني في العرب فلم يبقَ لي فيهم باقية .

وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبيُّ ، عن ابن شبّة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الحميد ، عن أبيه ، عن جدِّه : قال أبو زيد : وأخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار ، قال : قال لي الفرزدق : ما مرَّ بي يوم قطّ أشدَّ عليّ من يوم دخلتُ فيه على أبي عيينة بن المهلّب ، وكان يوماً شديد الحرّ ، فما منّا أحد إلاّ جلس في أبزَن[1] . فقلنا له : إن أردتَ أن تنفعنا فابعث إلى ابن أبي علقمة ، فقال : لا تريدوه ؛ فإنّه يكدّر علينا مجلسنا ، فقلنا : لا بدّ منه ، فأرسل إليه ، فلمّا دخل فرآني ؛ قال الفرزدق واللهِ . ووثب إليّ ، وقد أنعظ أيره ، وجعل يصيح : والله لأنيكنّه ؛ فقلت لأبي عيينة : اللهَ اللهَ فيَّ ، أنا في جوارك ، فوالله لئن دنا إليّ لا تبقى لي باقية مع جرير ؛ فلم يتكلّم أبو عيينة ؛ ولم تكن لي همّة إلاّ أن عدَوْتُ حتى صعِدتُ إلى السطح ، فاقتحمت الحائط ، فقيل له : ولا يوم زياد كان مثل يومئذٍ ، فقال : ولا مثل يوم زياد .

[عمر بن عبد العزيز يجيره ، ثم ينفيه]

أخبرني عمّي ، عن ابن أبي سعد ، عن أحمد بن عمر ، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له : كوزا الراوية ؛ قال أحمد بن عمر : وأخبرني عثمان بن خالد العثمانيّ : أنّ الفرزدق قدم المدينة في سنة مُجْدبة حصّاء[2] فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيّها الأمير ، إنّ الفرزدق قدِم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامّة الأموال التي لأهل المدينة ، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً ، فلو أنّ الأمير بعث إليه ، فأرضاه ، وتقدّم إليه ألاّ يَعرِض لأحد بمدح ولا هجاء ؛ فبعث إليه عمر : إنّك يا فرزدق قدِمت مدينتنا

1 الأبزن : حوض ماء يتّخذ من المعدن للاستحمام وهو معرّب .

2 الحصّاء : السنة الجرداء لا خير فيها .

هذه في هذه السنة الجدبة ، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم ؛ فخذها ، ولا تعرضْ لأحد بمدح ولا هجاء ، فأخذها الفرزدق ، ومرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو جالس في سقيفة داره ، وعليه مُطْرَف[1] خَزّ أحمر وجُبّةُ خزّ أحمر ، فوقف عليه ، وقال : [من الوافر]

أعبد الله أنت أحقُّ ماشٍ ... وساعٍ بالجماهير الكبارِ
نما الفاروقُ أُمَّك وابنُ أروى ... أبوكَ فأنت مُنصَدَعُ النّهارِ
هما قَمَرا السماء وأنتَ نجمٌ ... به في الليل يُدْلجُ كُلُّ سارِ

فخلع عليه الجبّة والعمامة والمِطْرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ، ورأى ما أعطاه إيّاه ، وسمع ما أمره عمر به من ألاّ يعرض لأحد ، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز ؛ فأخبره ، فبعث إليه عمر : ألَم أتقدّم إليك يا فرزدقُ ألا تعرضَ لأحد بمدح ولا هجاء ؟ أُخرج ، فقد أجلتك ثلاثاً ، فإن وجدتك بعد ثلاث نكّلت بك ؛ فخرج وهو يقول : [من الوافر]

فأجّلني وواعدني ثلاثاً ... كما وُعِدَت لَمهْلكِها ثَمُودُ

قال : وقال جرير فيه : [من المتقارب]

نفاك الأغرُّ ابنُ عبد العزيزِ ... ومثلُك يُنفى من المسجدِ
وشَبَّهْتَ نفسَكَ أَشقى ثَمُودَ ... فقالوا : ضَلَلتَ ولم تهْتَدِ

[يهجو من يستكثر عليه الجائزة]

أخبرني حبيب المهلّبيّ ، عن ابن أبي سعد ، عن صباح ، عن النوفليّ بن خاقان ، عن يونس النحويّ قال : مدح الفرزدقُ عمرَ بن مسلم الباهليّ ، فأمر له بثلثمائة درهم ، وكان عمرو بن عَفراء الضّبيّ صديقاً لعمر ، فلامه ، وقال : أتعطي الفرزدق ثلثمائة درهمٍ ، وإنّما كان يكفيه عشرون درهماً ، فبلغه ذلك فقال : [من الطويل]

نهيتُ ابنَ عِفْرى أن يعفِّر أمَّهُ ... كعَفْر السَّلا إذ جرّرَتْه ثعالبُهْ
وإنّ امرءاً يَغْتابني لم أطأ له ... حريماً فلا ينهاهُ عنّي أقاربُهْ
كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضْبةٍ ... أتاه بها في ظلمة الليل حاطبُهْ

1 المطرف : رداء من خزّ مربع ذو أعلام .

أَلَمّا استَوى ناباي وابيضَّ مِسْحلي ... وأطرقَ إطراقَ الكرى مَنْ أُحاربُهْ ؟
فلو كانَ ضَبِّيّاً صفحتُ ولو سرت ... على قدمي حيّاتُه وعقاربُهْ
ولكن دِيافيٌّ أَبوه وأُمّه ... بحَورانَ يعصِرنَ السَّليطَ قرائبُهْ

صوت

[من الطويل]

ومقالها بالنَّعف نعف مُحَسَّرٍ ... لفتاتها : هل تعرفين المُعْرِضا[1] ؟
ذاك الذي أُعطى مواثقَ عَهدِهِ ... ألاّ يخونَ وخِلتُ أن لن يَنْقُضا
فلئن ظفرتُ بمثْلِها من مثلِه ... يوماً ليَعترفَنَّ ما قد أَقْرَضا[2]

الشعر لخالد القَسْريّ ، والنّاس ينسبونه إلى عمر بن أَبي ربيعة ، والغناء للغريض ، ثقيل أوّلُ بالوسطى ، عن الهشاميّ وابن المكّيّ وحبش . وقبل أن أذكر أخبارَه ونسبَه فإنّي أذكر الرواية في أنّ هذا الشعرَ له .

[قصّة تتعلّق بأبيات هذا الصوت]

أَخبرنا محمد بن خلف وكيع : قال : أَخبرني عبد الواحد بن سعيد ، قال : حدَّثني أَبو بشر ، محمد بن خالد البجلّي : قال : حدَّثني أبو الخطَّاب بن يزيد بن عبد الرحمن : قال : سمعت أبي يحدّث : قال : حدَّثني مسمع بن مالك بن جحوش البجليّ ، قال : ركب خالد عبد الله ، وهو أمير العراق ، وهو يومئذٍ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكْرَخةُ ، وهي من الكوفة على أربعة فراسخ ، وركبت معه في زورق ، فقال لي : نشدتك الله يابن جحوشٍ ، هل سمعت غريضَ مكّة يتغنّى : [من الطويل]

ومقالها بالنّعفِ نعفِ مُحَسَّرٍ ... لفتاتها : هل تعرفين المُعْرِضا

قال : قلت : نعم ، قال : الشعر والله لي ، والغناء لغريض مكّة ، وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمرَ بنِ أبي ربيعة التي رواها المدنيّون والمكّيّون ، وإنّما يوجد في الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة ، ثم نرجع الآن إلى ذكره .

* * * *

1 النعف ومحسر : مكانان .
2 أقرض : أسلف .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني والعشرون

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

22

الطبعة الأولى
1423هـ -2002 م
الطبعة الثانية
1426هـ - 2005م
الطبعة الثالثة
1429هـ - 2008م

دار صادر
تأسست سنة 1863
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[460] ـ أخبار خالد بن عبد الله

[نسبه]

هو خالدُ بنُ عبد الله بنِ يزيدَ بن أسدِ بن كُرْزِ بن عامرِ بن عبد الله بن عبد شمس بن غَمغمةَ بن جرير بن شِقٍّ بن صَعْب ، وشقٌّ بن صعب هذا هو الكاهن المشهور ، بن يشكرَ بن رُهم بن أقزل ، وهو سعدُ الصبح ، بن زيد بن قَسْر بن عَبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيانَ بن الغوث بن القرز ، ويقال : الفرز بن نَبْتَ بن مالك بن زيد بن كَهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يعرُبَ بن قحطانَ .

فأما غَلبةُ بجيلَة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلةَ ليست برجل ، إنما هي امرأة قد اختُلِف في نسبها ، فقال ابن الكلبي : يقال لها بجيلةُ بنت صعب بن سعد العشيرة ، تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصُهَيْبَة وجَذِيمَة وأشهل وشهلاءَ وطريفاً والحارث ومالكاً وفهْماً وشيبة . قال ابنُ الكلبي : ويقال : إن بجيلةَ إمرأةٌ حبشيَّة كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غير خَثعَم ، فإنه انفرد ، فصار قبيلة على حِدَتِه ، ولم تحضنْهُ بجيلةُ ، واحتج من قال هذا القول بقول شاعرهم : [من الوافر]

وما قَرُبت بجيلةُ منـك دوني ... بشيء غيرِ ما دُعِيَتْ بجَيلَهْ
وما للغـوثِ عندك أن نُسِبْنا ... علينا في القرابـة من فضيلَهْ[1]
ولكنّـا وإيّـاكم كثُرنـا ... فصِرنا في المحـلِّ على جَديلَهْ

جَدِيلة ها هنا موضع لا قبيلة ، وهم أهلُ بيت شرف في بجيلةَ ، لولا ما يقال في عبد الله بن أسد ؛ فإن أصحابَ المثالب ينفونه عن أبيه ، ويقولون فيه أقوالاً أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا ، إن شاء الله ، وعلى ما قيل فيه أيضاً ؛ فقد كان له ولابنه خالدٍ سُؤْدُدٌ وشرف وجود .

[جده كرز]

وكان يقال لكُرْز كُرْزُ الأعِنَّة ، وإياه عنى قيسُ بن الخطيم بقوله ، لما خرج يطلب النصر على الخزرج : [من الوافر]

فإن تنزِلْ بذي النَّجدَاتِ كُرْزٍ ... تُـلاقِ لديـه شَرْبـا غيرَ نَزْرِ

1 الغوث : من أجداد خالد .

لــه سَجْلانِ سَجْلٌ من صريحٍ وسجلُ رثيئــةٍ بعتيق خمرِ[1]
ويمنــعُ مــن أراد ولا يُعايــا مُقاماً في المَحَلــة وسطَ قسرِ[2]

[جده أسد بن كرز]

وكان أسدُ بن كُرْز يُدْعَى في الجاهلية رَبّ بجيلة ، وكان ممن حرّم الخمر في جاهليته تنزُّهاً عنها ، وله يقول القتّال السُّحَميّ : [من الوافر]

فأبلِغ ربَّنــا أسَدَ بن كُــرْزٍ بأنّ النأيَ لم يــكُ عن تَقالي

وله يقول القتّال يعتذر : [من الوافر]

فأبلغ ربَّنــا أسدَ بنَ كُــرْزٍ بأنّي قـد ضَلَلْت وما اهتديْتُ

وله يقول تأبّط شرّاً : [من الطويل]

وجدتُ ابنَ كُرْز تستهلُّ يمينُه ويُطلق أغـلالَ الأسير المكَبَّلِ[3]

[جده أسد وبنو سحمة]

وكان قوم من سُحْمة عرضوا لجار لأسد بن كرز ، فأطْرَدوا إبلاً له ، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة في الجاهلية ، وتتبعهم حتى عاذوا به ، فقال القتّال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه ، ويستقيله فعلَهم[4] بجاره ، ولم أذكرها ههنا لطولها ، وأنَّ ذلك ليس من الغرض المطلوب في هذا الكتاب ، وإنما نذكر ها هنا لُمَعاً[5] وسائِرُه مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابَها وأخبارها ، وسَمَّيته كتاب التعديل والانتصاف . ولبني سُحمة يقول أسد بن كرز في هذه القصة ، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً : [من الطويل]

ألا أبلِغــا أبنــاءَ سُحْمَةَ كلَّهــا بنــي خثعــمٍ عنّــي وذلَّ لخثعمِ
فمــا أنتُــم منّــي ولا أنــا منكم فراش حريــقِ العَرْفَـجِ المتضرِّمِ[6]

---

1 سجلان : مثنى سجل ، وهو الدلو العظيمة . صريح : لبن صريح . الرثيئة : اللبن المحلوب على حامض ، وفي رواية أخرى الربيلة : الخفض والنعمة .
2 لا يعايا : من المعاياة بمعنى لا يضار . قسر : بطن من بجيلة .
3 تستهلُّ يمينه : تجود .
4 يستقيله فعلهم : يطلب إليه إقالتهم من عقوبة ذنبهم .
5 لمعاً : جمع لمعة : بلغة من العيش .
6 العرفج : شجر يتخذ منه الوقود .

فلستُ كمن تُزري المقالةُ عِرضَه ... دنيئاً كعــودِ الدوحــةِ المترنِّمِ[1]
ومــا جــارُ بيتي بالذليل فتُرْتَجى ... ظُلامَتُـــه يومـــاً ولا المتهضَّمِ
وَأَقْــزَلُ آبائـــي وقسرٌ عَمارتي ... همِـا ردِّياني عِزَّتـــي وتكرُّمي
وأحمسُ يومـاً إن دعوتُ أجابني ... عرانينُ منهــم أهــل أيدٍ وأنعمِ
فمن جار مَوْلىً يدفعُ الضيمَ جارُهُ ... مع الشمس ما إن يستطاع بسلَّمِ
وكيف يخافُ الضيمَ من كان جاره ... إذا ضاع جاري يا أميمةُ أوْ دمي

وهي قصيدة طويلة .

ولأسد أشعار كثيرة ذكرتُ هذه منها ها هنا لأن تعلم إعراقَهم في العلم والشعر ، وسائرُها يُذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل ، إن شاء الله تعالى .

[إسلام جده أسد وابنه يزيد]

وأدرك أسدُ بنُ كُرْزٍ الإسلامَ هو وابنُه يزيد بنُ أسد ، فأسلما ، فأما أسدٌ فلا أعلمه رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلِه رواية كثيرة ، بل ما روى شيئاً .

وأما يزيد ابنُه فروى عنه رواية يسيرة ، وذكر جريرُ بن عبد الله خبرَ إسلامه ، حدَّث بذلك عنه خالدُ بن يزيدَ عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : أسلم أسدُ بن كرز ، ومعه رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبي ﷺ قوساً ، فقال له : يا أسد ، من أين لك هذه النَّبْعَةُ ؟ فقال : يا رسول الله تنبُتُ بجبلنا بالسراة ، فقال الثقّفيّ : يا رسول الله ، الجبلُ لنا أم لهم ؟ قال : بل الجبل جبل قسرٍ ، به سمي أبوهم قسْر عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، ادْعُ لي . فقال : اللهم اجعل نصرك ونصرَ دينك في عقب أسد بن كُرْز . وما أدري ما أقول في هذا الحديث ، وأكره أن أكذِّب بما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ ، ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه لو كان رسول الله ﷺ دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفّين على عليٍّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه . ولا كان ابن ابنه خالدٌ يلعنه ، على المنبر . ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره ، قبحه الله ولعنه ، إلا أني أذكر الشيء كما رُوي ، ومَن قال على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وآله ما لم يَقُل فقد تبوَّأ مقعده من النار . كما وعده عليه السلام .

[منافرة بين جده جرير وقضاعة]

وكان جريرُ بن عبد الله نافرَ قضاعة ، فبلغ ذلك أُسدَ بن عبد الله ، وكان بينه وبينه ، أعني

1 المترنم : من الرنمة ، وهي نبات دقيق .

جريراً ، تباعدٌ ، فأقبل في فوارسَ من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً ، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه ، فرآه جرير ، ورأى أصحابَه في السلاح ارتاع ، وخافه ، فقيل له : هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك ، فقال جرير : ليت لي بكل بلد ابن عمّ عاقّاً مثلَ أسد ، فقال جعدةُ بن عبد الله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد : [من الطويل]

تدارك رَكْضُ المرء من آل عبقر جريراً وقد رانت عليه حلائبُهْ
فنفَّسَ واسترخى به العَقْدُ بعد ما تغشَّاه يوم لا تَوارى كواكبُهْ[1]
وقاك ابن كُرْزٍ ذو الفَعَال بنفسه وما كنتَ وَصَّالاً له إذ تحاربُهْ
إلى أسدٍ يأوي الذليلُ ببيتِه ويلجَأ إذ أعيت عليه مذاهبُهْ
فتى لا يزال الدهرَ يحمل مُعْظَماً إذا المجتدَى المسؤول ضَنَّت رواجِبُهْ[2]

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومَه مع أبيه على النبي ﷺ ، وقد روى عنه أيضاً حديثاً ذكره هُشَيْمُ بن بشر الواسطيّ عن سنان بن أبي الحكم قال : سمعتُ خالدَ بن عبد الله القسريّ ، وهو على المنبر يقول : حدثني أبي عن جدّي يزيدَ بن أسد ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا يزيد ، أحِبْ للناس ما تُحبُّه لنفسك . وخرج يزيدُ بن أسد في أيام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام ، فكان بها ، وكان مطاعاً في اليمن عَظِيم الشأن .

[جده ينتصر لعثمان]

ولما كتب عثمان إلى معاويةَ حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام ، فوجد عثمانَ قد قُتِل .

[خطبة جده يزيد في صفين]

فانصرف إلى معاويةَ ، ولم يُحْدِثْ شيئاً ، ولما كان يوم صفِّينَ قام في الناس فخطب خطبة مذكورة ، حرضهم فيها . فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامةُ خَزٍّ سوداء ، وهو متكىءٌ على قائم سيفه ، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ : وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهلَ ديننا في هذه الرقعة من الأرض ، واللهُ يعلم أني كنت لذلك كارها ، ولكنهم لم يُبْلِعُونا ريقنا ، ولم يدعونا نَرْتاد لديننا وننظر لمعادنا ، حتى نزلوا في حريمنا وبيضتنا[3] . وقد علمنا أنَّ بالقوم حلماءَ وطَغاماً . فلسنا نأمن طَغامهم على

1 نَفَّس : تنفّس .
2 الرواجب : أصول الأصابع . معظماً : عظيماً من الأعطية والدِّيات . ضنت رواجبه : بخلتْ يده .
3 البيضة : الحوزة والحمى .

ذرارينا ونسائنا ، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهلَ ديننا ، فأحرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالُنا حَمِيّةً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، والذي بعث محمداً بالحق لودِدتُ أنّي مِتّ قبل هذا ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً لم يستطع العبادُ ردّه ، فنستعين بالله العظيم ، ثم انكفأ .

[خمول أبيه عبد الله]

ولم تكن لعبد الله بن يزيد نباهةُ من ذكرت من آبائه ، وأهلُ المثالب يقولون : إنه دعيّ ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيامَ خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قُتِل عمرو هرَبَ حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمَّن من الناس عامَ الجماعة ، فأمَّنه .

[تخنثه في حداثته]

ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان في حداثته يتخنَّث ، ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشي بين عمرَ بن أبي ربيعة وبين النساء في رسائلهن إليه وفي رسائله إليهن ، وكان يقال له خالد الخِرِّيت[1] فقال مصعب الزبيري : كل ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره ، فقال : أرسلت الخِرِّيت أو قال : أرسلت الجَرِيّ[2] فإنما يعني خالداً القسريّ ، وكان يترسل بينه وبين النساء .

[يظلل ابن أبي ربيعة وعشيقته]

أخبرني بذلك الحِرْميّ ومحمد بن مزيْد وغيرُهما ، عن الزبير ، عن عمه ، وأخبرني عمي : قال : حدثني الكراني ؛ عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال : بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي ومعه خالد بن عبد الله القسري ، وهو خالد الخزاعي الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبّب بهما ، وهما يتماشيان فقصداهما ، وجلسا معهما مليّاً ، فأخذتهم السماء ، ومُطِروا ، فقام خالد وجاريتان للمرأتين ، فظللوا عليهم بمِطرفة[3] وبردين له ، حتى كفّ المطر وتفرقوا ، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

أفي رسم دارٍ دمعُــكَ المترقــرقُ ... سفَاهاً وما استِنطاق ما ليس ينطِقُ ؟
بحيثُ التقى جَمعٌ ومُفْضَى مُحسّرٍ ... معالمُ قد كادت على الدهر تَخْلُقُ[4]

---

1 الخريت : الدّليل الماهر في أمر الدلالة .
2 الجري : الرسول ، أو الوكيل .
3 المطرفة : رداء من خز مربع فيه أعلام .
4 محسر : اسم مكان .

ذكرتُ بها ما قد مضى من زماننا وذكـرُك رسمَ الدّار ممّـا يشوِّقُ
مُقاما لنا عنـد العشاء ومَجْلسا لنـا لم يكـدِّره علينـا مُعوّقُ
وممشًى فتـاةٍ بالكساء يَكُنُّهـا بـه تحـت عـينٍ برقُهـا يتألّقُ
يُبِلُّ أعالي الثـوب قطـرٌ وتحتـه شُعاعٌ بدا يُعشي العيونَ ويُشرِقُ
فأحسنُ شيء بـدءُ أولِ ليلـةٍ وآخرُهـا حُـزْنٌ إذا نَتَفَرقُ

الغناء في هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي ، وذكر الهشامي أنه منحول .

[خالد وابن أبي عتيق يستنجزان ابن أبي ربيعة وعده]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو العباس المرْوَزِيّ ، قال : حدّثنا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عُمَرَ بن أبي ربيعة يوماً وهو ينشد قوله : [من الطويل]

ومـن كان محروباً لإهْراق دمعة وَهَـي غربُهـا فليأتنا نَبْكِهِ غدا[1]
نُعِنه على الإثكال إن كان ثاكـلاً وإن كان محزوناً وإن كان مُقْصَدا[2]

قال : فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخرِّيت ، وقال : قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه ، فقال له ابن أبي عتيق : قد جئنا لموعدك ، قال : وأي موعد بيننا ؟ قال : قولك . فليأتنا نَبْكِهِ غدا .

قد جئناك لموعدك ، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف على أنَّك غير صادق ، ثم مضى وتركه .

قال ابن عائشة : خالد الخريت هو خالد القسري .

[يجمع بين ابن أبي ربيعة ومعشوقاته]

أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم : قال : حدثنا أبو هِفّان عن إسحاق ، وأخبرنا محمد بن مزْيَد ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الحزاميِّ والمثّنى ومحمد بن سلام ، قالوا : خرجت هند والرّباب إلى متنزّه لهما بالعقيق في نسوة فجلستا هناك تتحدثان مليّاً ، ثم أقبل إليهما خالدٌ القَسريُّ ، وهو يومئذ غلام مؤنث ، يصحب المغنّين والمخنّثين ، ويترسّل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء . فجلس إليهما . فذكرتا عمر بن أبي ربيعة ، وتشوقتاه ، فقالتا لخالد : يا خِرِّيت ، وكان يعرف بذلك ، لك عندنا حُكمُكَ إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم

1 الغرب : مسيل الدمع من العيون .
2 المقصد : من أقصد فلان فلاناً : طعنه فلم يخطىء مقاتله .

أنا بعثنا بك إليه ، فقال : أفعل فكيف تريان أن أقول له ؟ قالتا : تُؤذنه[1] بنا ، وتُعلمه أنا خرجنا في سرٍّ منه ، ومُرْهُ أن يتنكر ، ويلبس لِبسة الأعراب ، ليرانا في أحسن صورة ، ونراه في أسوأ حال ، فنمزح بذلك معه ، فجاء خالد إلى عمر ، فقال له : هل لك في هند والرباب وصواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حَذَر منك وكِتمانٍ لك أمْرَهما ؟ قال : والله إني إلى لقائهن لمشتاق ، قال : فتنكر ، والبِس لِبْسة الأعراب ، وهلمّ نمض إليهن ، ففعل ذلك عمر ، ولبس ثياباً جافِيةً ، وتعمّم عمّة الأعراب ، وركب قعوداً له على رحل غير جيد ، وصار إليهن ، فوقف منهن قريباً ، وسلّم ، فعرفنه ، فقلن : هلُمّ إلينا يا أعرابيّ ، فجاءهن ، وأناخ قعوده ، وجعل يحدثهن ، وينشدهن ، فقلن له : يا أعرابي : ما أظرفك ، وأحسن إنشادَك ! فما جاء بك إلى هذه الناحية ؟ قال : جئتُ أَنْشُدُ ضالّة لي ، فقالت له هند : انزل إلينا ، واحسِرْ عمامتك عن وجهك ، فقد عرفنا ضالّتك ، وأنت الآن تُقَدِّرُ أنَّك قد احتلت علينا ، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخِرّيت ، حتى قال لك ما قال ، فجئتنا على أسوأ حالاتك ، وأقبح ملابسك ، فضحك عمرُ ، ونزل إليهن ، فتحدّث معهن ، حتى أمسوا ، ثم إنهم تفرقوا ، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

صوت

ألم تعـرفِ الأطـلالَ والمتربَّعا ... ببطـن حُليَّـات دوارسَ بَلقعا[2]
إلى السّرْح من وادي المغمَّس بُدِّلَت ... معالمـه وبـلا ونكبـاءَ زعزعا[3]
فيَبْخَلنَ أو يُخبرن بالعلم بعد ما ... نَكَـأنَ فؤادا كان قِدْمـاً مفجَّعا
لهندٍ وأتـرابٍ لهنـد إذ الهوى ... جميـع وإذ لم نَخْشَ أن يتصدّعا

في هذه الأبيات ثقيل أول لمعبد :

تبالَـهْـنَ بالعِرفـان لّمـا رأينني ... وقُلْنَ امـرؤ بـاغٍ أكلَّ وأوضعَا[4]
وقرّبـن أسبابَ الهـوى لمتيّـمٍ ... يقيس ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصْبعَا

[جده كان عبداً آبقاً]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، وذكر مثل

1 تؤذنه : تعلمه .
2 حليات : جمع حلية ، وهو نبت سبط من أجود المراعي .
3 المغمس : مكان النكباء . الزعزع : الريح العاتية .
4 أكل : أرهق دابته . أوضع : أسرع بدابته حتى أنهكها .

ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى : أن كُرزَ بن عامر جدَّ خالد بن عبد الله عبدٌ كان آبقاً عن مواليه عبد القيس من هَجَر ، ويقال : إن أصله من يهود تَيْماءَ ، وكان أَبَقَ ، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمغمةَ بن شِقٍّ الكاهن ، ثم وهبوه لقوم من بني طُهَيَّة ، فكان عندهم حتى أدرك ، وهرب ، فأخذَتْه بنو أسد بن خزيمة ، فكان فيهم ، وتزوج مولاة لهم يقال لها زَرْنَب ، ويقال : إنها كانت بغيّاً ، فأصابها ، فولدت له أسدَ بن كُرْز ، سماه باسم أسد بن خزيمة لرِقَّةٍ كانت فيهم ، ثم أعتقوه ، ثم إن نَفراً من أهل هجر مرّوا به ، فعرفوه ، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه ، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم ، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف ، فلما رأى دار بجيلة أعجبته ، فاشترى نفسه وابنه ، فجاء ، فنزل فيهم ، فأقام مدة ، ثم ادّعى إليهم وعاونه على ذلك حيٌّ من أحمس يقال لهم : بنو مُنَبّة ، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة ، سُمِّي بذلك لأن عينَه أُصيبت . فكان يغطيها بخرقة ، وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شِقّ ، فنزل كرز في بني سُحْمة هارباً من ذي الرُّقعة ، ثم وثب على ابن عم للقتّال بن مالك السُّحميّ فقتله ، وهرب إلى البحرين مع التجار ، فأقام مدة ، ثم مات ، ونشأ ابنه يزيد بن أُسد يدّعي في بَجِيلة ، ولا تُلحِقُه إلى أن مات ، ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد ، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري ، وكتب له ، وكان كاتباً مُفوَّها ، وذلك في إمارة عثمان بن عفان .

[أبوه خطيب الشيطان]

فنال حظاً وشرفاً ، وكان يقال له : خطيب الشيطان ، ووسَم خيلَه : القسريّ ، ثم تَدَسَّسَ ليملك خيلاً في بلاد قسر ، فمنعته بجيلة ذلك أشدّ المنع ، فلم يقدر عليه ، حتى عظم أمره ، ونشأ ابنه خالد ، ومات هو ، فكان خالد في مرتبته ، ثم ولي العراق ، وقال قيس بن القتال له في هذا المعنى : [من الوافر]

ومن سَمَّاك باسمك يا ابن كرز ؟ وأين المولد المعروف تدري ؟

وقال بُجير بن ربيعة السُّحْميُّ : [من الطويل]

نفته من الشِّعبين قَسر بِعزّها إلى دارِ عبد القيس نَفْيَ المُزَنَّم[1]

[بين أبيه وأبي موسى بن نصير]

قال أبو عبيدة : وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نُصير كلام عند عبد الملك بن مروان . فقال له عبد الله : إنما أنت عبد لعبد القيس ، فقال :

---

1 المزنّم : الدّعي في قوم ليس منهم .

اسكت ، فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك ، فقال له عبد الله : أنا ابن أسد بن كرز ، نحن الذين نضْمَن الشَّهر ، ونُطعِم الدهر ، فقال له : تلك قَسْرٌ ، ولستَ منهم ، وإنَّما أنت عبدٌ آبِقٌ ، قد كنتُ أرَاك تروم مثل ذلك ، فلا تقدر عليه ، ثم نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام ، فأقام بها مدة ، ثم مضى إلى حبيب ، فقال له : دع ذكر البحرين لفرارك ، أتراك منهم وأنت عَبْدٌ ، وأهلك من يهود تيماء فأسكتهما عبد الملك ، ولم يسرّه ما قال عبد الله لأبي موسى بن نصير ، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله ، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير : [من البسيط]

جاريــت غيرَ سَؤُومٍ في مطاولة يا ابنَ الوشائط من أبناء ذي هجر[1]
لا من نزارٍ ولا قحطان تعرفكم سوى عبيدٍ لعبـد القيس أو مُضر

[الكذب متوارث في أسرته]

وقال أبو عبيدة : فأخبرني عبد الله بن عمر بن زيد الحكمي قال : كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان ، وكان أكذب الناس في كل شيء معروفاً بذلك ، ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهاجَه في الكذب ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وسخاء كانا فيه سترا ذلك من أمره .

قال عُمَر بن زيد : فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة ، فجعل يأتي بأحاديث أنكرها ، فقلت له : من أنت يا ابن أخي ؟ قال إسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسريّ . فقلت : يا ابن أخي . لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفتُ نسبَك فجعل يضحك .

[يطلب على المنبر أن يطعموه ماء]

أخبرني اليزيديُّ ، عن سليمانَ بن أبي شيخ ، عن محمد بن الحكم ، وذكره أبو عبيدة ، واللفظ له ، قالا : كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس ، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر ، فدهش وتحيّر ، فقال : أطعموني ماء ، فقال الكميْتُ في ذلك ، ومدح يوسفَ بن عمر : [من الطويل]

خرجتَ لهم تمشي البَراحَ ولم تكن كمن حِصْنُه فيه الرِّتَاجُ المُضَبَّبُ[2]

---

1 الوشائط : الدّخلاء . ينتمون إلى قوم ليسوا منهم .
2 البراح : البيّن الواضح . والرتاج المضبب : غلق الباب المصنوع من الحديد .

وما خالدٌ يستطعم الماءَ فاغراً بِعَدْلِكَ والداعي إلى الموت ينعَبُ[1]

[أولى كذبات ابن الكلبي]

وقال ابن الكلبي : أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كُرز ، وكانت أمةً بغيّاً لبني أسد يقال لها : زرنب . فقلت له : هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين ، فَسُرَّ بذلك ، ووصلني .

[بنو أسد ينكرونه]

قال : قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسدي : يا أبا الصباح ، قد ولدتمونا ، فقال : ما أعرف فينا ولادة لكم ، وإن هذا لكذب . فقيل له : لو أقررت للأمير بولادة ما ضرّك ، قال : أأفسُد وأستنبط ما ليس مني ، وأقرّ بالكذب على قومي ؟ فأمر خالدٌ خِداشاً الكنديَّ ، وكان عاملَهُ ، بضرب مولًى لعبّاد بن إياس الأسدّي ، فقتله ، فرُفِع إلى خالد ، فلم يُقِده ، فوثب عبّادٌ على خِداش فقتله ، وقال : [من الطويل]

لعمــري لئن جــارتْ قضيةُ خالدٍ عن القصد ما جارت سيوفُ بني نَصْر

[يتطاول على السماء]

فأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، عن سحيم بن حصين قال : قتل خِداش الكِنديّ رجلاً من بني أسد ، وكان الكنديّ عاملاً لخالد القسري ، فطُولِب بالقَوَد ، وهو على دَهْلَك[2] فقال : والله لئن أقدتُ من عاملي لأقيدنّ من نفسي ، ولئن أقدتُ من نفسي لَيُقيدن أمير المؤمنين من نفسه ، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه ، لَيُقيدَنّ رسول الله ﷺ من نفسه ، ولئن أقاد رسول الله من نفسه هاهْ هاهْ ! يعرِّض بالله عز وجل ، لعنة الله على خالد .

[أمه نصرانية]

أخبرني الحسن : قال : حدثنا الخراز ، عن المدائني ، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبي اليقظان ، قالوا : كانت أم خالد رومية نصرانية ، فبنى لها كَنِيسةً في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضُرِبَ لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم .

[أعشى همدان يفحش في هجائه]

فقال أعشى همدان يهجوه ، ويعيّره بأمه ، وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك

1 العِدل : المعادل .

2 الدهلك : جزيرة بين اليمن وأرض الحبشة ، أو واحد الدهالك : آكام سوداء معروفة بجزيرة العرب .

الوقت قالوا ابن البظراء ، فأنف من ذلك ، فيقال : إنه ختن أمه وهي كارهة ، فعيَّره الأعشى بذلك حين يقول : [من الطويل]

لعمرُكَ ما أدري وإني لسائلٌ أبظراءُ أم مختونةٌ أمُّ خالدِ
فإن كانت الموسى جرتْ فوق بَظرها فما خُتِنت إلا وَمَصَّانُ قاعدِ[1]
يرى سوأة من حيث أطلع رأسه تمرّ عليها مرهفاتُ الحدائِدِ

وقال أيضاً فيه ، يرميه باللّواط : [من الوافر]

ألم تَرَ خالداً يَختارُ مِيماً ويتركُ في النِّكاح مَشَقَّ صادِ
ويُبغِض كلَّ آنسةٍ لعوبٍ ويَنكِح كلَّ عبدٍ مستقادِ[2]
ألا لعن الإلهُ بني كُرَيْزٍ فكرزٌ من خنازير السوادِ[3]

[يكره مضر ، ويسب علي بن أبي طالب]

قال المدائني في خبره : وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال : قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتبْ لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياماً ، ثم أتيته . فقال : ما صنعت ؟ فقلت : بدأت بنسب مضر وما أتممته . فقال : اقطعْه ، قطعه الله مع أصولهم ، واكتب لي السيرة ، فقلت له : فإنه يمرّ بي الشيء من سَيَرِ علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، فأذكُره ، فقال : لا ، إلا أن تراه في قعر الجحيم . لعن الله خالداً ومَن ولاّه ، وقبّحهم ، وصلوات الله على أمير المؤمنين .

[من مظاهر زندقته]

وقال أبو عبيدة : حدثني أبو الهذيل العلاّف ، قال : صعِدَ خالدٌ القسري المنبر ، فقال : إلى كم يغلبُ باطلنا حقَّكم ، أما آن لربكم أن يغضب لكم ؟ وكان زنديقاً ، أمه نصرانية ، فكان يولِّي النصارى والمجوسَ على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضَرْبهم ، وكان أهل الذمة يشترون الجواريَ المسلماتِ ويطئونهن ، فيطلق لهم ذلك ، ولا يُغيِّر عليهم .

وقال المدائني : كان خالد يقول : لو أمرني أمير المؤمنين نقضتُ الكعبة حجراً حجراً ، ونقلتها إلى الشام .

قال : ودخل عليه فراسُ بن جعدةَ بن هبيرةَ وبين يديه نبقٌ ، فقال له : العَن عليَّ بن أبي

1 مصّان : أي ماص بظر أمه .
2 مستقاد : تابع مقود .
3 كريز : تصغير كرز جد خالد . والسواد : اسم يطلق على العراق .

طالب ولك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة ديناراً .

قال المدائني : وكان له عامل يقال له : خالدُ بن أُمَيّ . وكان يقول : والله لخالد ابنُ أُميّ أفضل أمانة من علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .

وقال له يوماً : أيّما أعظم ركيتنا[1] أم زمزم ؟ فقال له : أيها الأمير : من يجعل الماء العذب النُّقَاخ[2] مثل الملح الأجاج ؟ وكان يسمي زمزم أم الجعلان[3] .

[بينه وبين الفرزدق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدّثنا أبو غسّانَ دَماذُ ، عن أبي عبيدة ، قال : أتى الفرزدقُ خالد بن عبد الله القسري ، يَستحمِله في ديات حَمَلها ، فقال له : إيه يا فرزدق ، كأني بك قد قلتَ : آتي الحائكَ بن الحائك ، فأخدعَه عن ماله إن أعطاني ، أو أذمّه إن منعني . فأنا حائكٌ ابن حائك . ولستُ أعطيك شيئاً . فاذممني كيف شئت ، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها : [من الخفيف]

ليتني مـن بَجيلةِ اللؤم حتـى ... يُعْزلَ العامـلُ الذي بالعراقِ
فـإذا عامـل العراقـين ولّـى ... عدت في أسرة الكرام العتاقِ

قال : وإنما أراد خالد بقوله : الحائكَ بن الحائك تصحيح نسبه في اليمن ، والانتفاء من العبودية لأهل هجر .

[يتطاول على الخليفة وابنه فيعزله]

وكان خالد شديدَ العصبية على مضر . وبلغ هشاماً أنه قال : ما ابني يزيدُ بن خالدٍ بدون مسلمةَ بن هشام ، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق .

[يتطاول على مقام النبوّة]

قال : وخطب بمكة وقد أخذ بعضَ التابعين ، فحبسه في دور آل الحضرمي ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه ، فقال : قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدوَّ أمير المؤمنين ومن حاربه ، والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبةَ حجراً حجراً لنقضتُها ، واللهِ لأميرُ المؤمنين أكرمُ على الله من أنبيائه عليهم السلام ، ولعن الله تعالى خالداً وأخزاه .

أخبرني أبو عبيدة الصيّرفي ، قال : حدّثنا الفضلُ بنُ الحسن المصريّ ، قال : حدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثني عبيد الله بن حُباب ، قال : حدّثني عطاءُ بنُ مسلم قال : قال

---

1 الركية : البئر غير مطوية .
2 النقاخ : الماء العذب الصافي المورد .
3 الجعلان : جمع جعل .

خالدُ بنُ عبد الله ، وذكر النبي ﷺ ، فقال : أيُّما أكرم عندكم على الرجل : رسوله في حاجته أو خليفته في أهله ؟ يُعرِّض بأنَّ هشاماً خيرٌ من النبي ﷺ .

[يوازن بين إبراهيم الخليل والخليفة]

قال أبو عبيدة : خطب خالد يوماً ، فقال : إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء ، فسقاه الله ملحاً أجاجاً ، وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماء فسقاه الله عَذباً نُقاخاً ، وكان الوليد حفر بئراً بين ثنيّة ذي طُوى وثنيّة الحَجون ، فكان خالد ينقل ماءها ، فيوضع في حوض إلى جنب زمزم . ليرى الناسُ فضلها . قال : فغارت تلك البئر ، فلا يُدْرَى أين هي إلى اليوم ؟

[ينال من علي بن أبي طالب]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ : قال حدثنا العباس بن ميمون طايع ، عن ابن عائشة ، قال : كان خالد بن عبد الله زِنْديقاً ، وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه فرأى يوماً عِكرمةَ ، مولى ابن عباس ، وعلى رأسه عمامةٌ سوداءُ ، فقال : إنه بَلَغني أنَّ هذا العبْدَ يشبه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامُه ، وإني لأرجو أن يسَوِّد اللهُ وجهَه كما سوّد وجه ذاك .

قال : حدثني مَنْ سمعه ، وقد لعن عليّاً ، صلوات الله عليه وسلامه ، فقال في ذكره : عليُّ بن أبي طالب بنُ عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وزوجُ ابنته فاطمةَ ، وأبو الحسن والحسين ، هل كنَّيْتُ . اللهم ألْعن خالداً واخزِه ، وجدِّد على روحه العذابَ .

[إسماعيل بن خالد يسب بني أميّة في مجلس السفاح]

وقال أبو عبيدة : ذكر إسماعيل بن خالد بنُ عبد الله القسريُّ بني أمية عند أبي العباس السفاح في دولة بني هاشم ، فذمهم وسبهم ، وقال له حمّاس الشاعر مولى عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين : أيُسبُّ بني عمك وعُمَّالَهم وعماتِك رجلٌ اجتمع هو والخِرِّيتُ في نسب ؟ إن بني أمية لحمُك ودمُك ، فكلْهم ولا تؤكِّلهم . فقال له : صدقتَ . وأمسك إسماعيل فلم يُحرْ جواباً .

[سليمان يضربه مائة سوط]

وقال ابن الكلبي : كان خالدُ بن عبد الله أميراً على مكةَ فأمر رأس الحجبة[1] أن يفتح له الباب وهو ينظر ، فأبى فضربه مائة سوط . فخرج الشَّيْبيُّ[2] إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه

1 رأس الحجبة : رأس حجبة الكعبة .

2 الشيبي : نسبة إلى شيبة الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة .

فصادف الفرزدقَ بالباب ، فاسترفده[1] . فلما أذن للناس ، ودخلا شكا الشيبيُّ ما لحقه من خالد ، ووثب الفرزدق ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

سلُوا خالداً لا أكـرم الله خالـداً ... متى وليَتْ قسرٌ قريشاً تَدينُها[2]
أقبلَ رسول الله أم ذاك بعـدَه ! ... فتلك قريشٌ قـد أغـثَّ سمينُها[3]
رَجَونا هُدَاه لا هدَى الله خالداً ... فما أمُّـه بـالأم يُهْدَى جنينُها

فحميَ سليمان وأمر بقطع يد خالد ، وكان يزيدُ بن المهلَّب عنده ، فما زالَ يُفَدِّيه ، ويقبِّل يدَه ، حتى أمر بضربه مائةَ سوط ، ويُعفَى عن يمينه ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

لعمري لقد صُبَّتْ على ظهر خالد ... شآبيبُ ما استَهْلَلْنَ من سَبَل القَطرِ
أيُضْرَبُ في العِصيان من كان طائعاً ... ويَعصي أميرَ المؤمنين أخو قَسْرِ ؟
فنفسَك لُـمْ فيمـا أتيـتَ فإنما ... جُزِيت جزاءً بالُمحَدْرَجَةِ السُّمرِ[4]
وأنتَ ابنُ نصرانيَّةٍ طال بظَرْهـا ... غَذَتْـك بأولاد الخنازير والخمرِ
فلولا يزيدُ بـن المهلَّـب حَلَّقَتْ ... بكفك فتخاءُ إلى الفرخِ في الوكرِ[5]
لَعمري لقد صالَ ابنُ شيبةَ صولةً ... أرتْك نجومَ الليل ظاهرةً تسري

[يحبس الفرزدق]

فحقدها خالد على الفرزدق فلما وُلِّي ، وحفر نهر العراق بواسط قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوه منها : [من الطويل]

وأهلكتَ مالَ اللهِ في غيرِ حقّـهِ ... على النَّهَـرِ المشئوم غيرِ المباركِ
وتضربُ أقواماً صِحاحاً ظهُورُهم ... وتتركُ حـقَّ الله في ظهر مالِكِ

وقال ، ويقال : إنها للمفرج بن المرقع . [من الوافر]

كأنّـك بالمباركِ بعـدَ شهـرٍ ... يخـوضُ غمـارَهُ بُقْعُ الكلابِ[6]

---

1 استرفده : استعان به .
2 تدينها : تخضعها وتذلها .
3 أغث سمينها : هزل ما كان سميناً من إبلها وشائها .
4 المحدرجة السمر : السياط .
5 الفتخاء : العقاب اللينة الجناحين .
6 بقع الكلاب : جيف الكلاب المنقوعة في الماء .

كذبت خليفـةَ الرحمـن عنـه   وكيف يرى الكذوبُ جَزا الكِذابِ

فأخذ خالد الفرزدق ، فحبسَه ، واعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك ، فقال الفرزدق في السجن : [من الطويل]

أبلـغْ أميـرَ المؤمنـين رسالـةً   فعجِّـل هـداكَ اللهُ نزعَكَ خالدَا
بَنَـى بِيعـةً فيهـا الصَّليبُ لأمّه   وهـدَّم مـن بغض الإله المساجدَا

فبعث هشامٌ إلى خالدِ بنَ سويد يأمره بإطلاق الفرزدق ، فأطلقه ، فقال الفرزدقُ يهجو خالداً القَسْريّ : [من الطويل]

ألا لعَـن الرحمـنُ ظهـرَ مطيـةٍ   أتتْنـا تَخَطّـى مـن بعيد بخالدِ
وكيـف يـؤمُّ المسلمين وأمُّه   تديـنُ بأنّ اللهَ ليس بواحـدِ ؟

[ابن عيّاش يشتمه]

أخبرنا الحسن ، قال : حدّثنا أحمدُ بن الحارث ، قال : حدّثنا المدائني ، قال : شتم عبد الله بن عيّاش الهمذانيّ خالدَ بن عبد الله في أيام منصور بن جمهور ، فسمِعه رجل من لَخم ، فقدَّمه إلى منصور واستعداه عليه ، فقال له منصور : ما تريدُ ؟ فقال ابنُ عيّاش : أمرنا أيها الأمير برقية العقرب . وفيه عجب ، لخميٌّ يستنصر كلبيّاً على هَمَذَانيٌّ لبَجَليٌّ دَعِيٍّ[1] .

[يدل على هشام]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله قريباً من هشام بن عبد الملك مكيناً عنده فأدَلَّ ، وتمرَّغ[2] عليه ، حتى إنه التفت يوماً إلى ابنه يزيدَ بن خالد عند هشام ، فقال له : كيف بك يا بنيَّ إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين ؟ قال : أُواسيهم ولو في قميصي . فتبين الغضب في وجه هشام ، واحتملها .

[يلقب هشاماً بابن الحمقاء]

قال المدائني : حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام : إنه كان واقفاً على رأس هشام ، فسمع هذا من خالد ، قال : وكان إذا ذُكر هشامٌ قال له : ابن الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إن هذا البَطِر الأشِر الكافر لنعمتك ونعمةِ أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر ، فقال : ماذا يقول ؟ لعله يقول : الأحول قال : لا والله ، ولكن ما لا تنشق به الشفتان قال : فلعله قال : ابنُ الحمقاء ، فأمسك الشاميّ ، فقال : قد بلغني كل ذلك عنه .

1 اللخمي هو الواشي . والكلبي هو منصور بن جمهور ، والهمذاني هو المتكلم . والبجلي الدعي هو خالد .
2 تمرّغ عليه : تلبّث عنده ، وأطال الترداد عليه .

[يجمع مالاً كثيراً]

واتخذ خالدٌ ضيعاً كثيرة حتى بلغت غلّتهُ عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دِهقانٌ كان يأنس به فقال له : إن الناس يحبون جسمَك ، وأنا أحِبُّ جسمك وروحك ، قد بلغت غَلةُ ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلّتك ، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا ، فاحذر ، فقال له خالد : إن أخي أسدَ بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا ، أفأنت أمرته ؟ قال : نعم ، قال : ويحك ! دعْه ، فرُبَّ يومٍ كان يَطلُب فيه الدرهم ، فلا يجده .

[كان بخيلاً بطعامه]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله بخيلاً على الطعام ، فوفد إليه رجل له به حرمة ، فأمر أن يكتبَ له بعشرة آلاف درهم ، وحَضر الطعامُ ، فأُتِيَ به ، فأكل أكلاً منكراً ، فأغضبه ، وقال للخازن : لا تعرض عليّ صكّه ، فعرَّفه الخازن ذلك ، فقال له : ويحك ! فما الحيلة ؟ قال : تشتري غداً كل ما يُحتاجُ إليه في مَطْبخه ، وتهَبُ الطبَّاخَ دراهم ، حتى لا يشتري شيئاً ، وتسألُه إذا أكل خالد أن يقول له : إنك اليومَ في ضيافة فلان ، فاشترى كل ما أراد ، حتى الحطبَ ، فبلغَ خمسمائة درهم ، فأكل خالد ؛ فاستطاب ما صُنِعَ له . فقال له الطبَّاخ : إنك كنتَ اليومَ في ضيافة فلان ، قال له : وكيف ذاك ؟ فأخبرَه ، فاستحيا خالد ودعا بصكّه ، فصيَّره ثلاثين ألفاً ، ووقع فيه ، وأمر الخازن بتسليمها إليه .

[حيلة تاجر]

قال : وكان لبعض التجار على رجل دينٌ ، فأراد استعداءَ خالدٍ عليه ، فلاذَ الرجلُ ببواب خالد ، وبرَه ، فقال له : سأحتال لك في أمر هذا بحيلة ، لا يُدخِلْه عليه أبداً ، قال : فافعل ، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل ، وخالد يأكل سمكاً ، فجعل يأكل أكلا شنيعاً كثيراً ، فغاظ ذلك خالداً ، فلمّا خرج قال لبوابه : فيم أتاني هذا ؟ قال : يستعدي على فلان في دَين يدعيه عليه . قال : والله إني لأعلم أنه كاذب ، فلا يدخلنّ عليّ . وتقدَّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه ، وقال المدائني في خبره :

[يعرف لغة الحمير]

كان خالدُ يوماً يخطب على المنبر . وكان لُحَنَةً ، وكان له مؤدب يقال له : الحسين بن رَهمة الكلبيّ ، وكان يجلس بإزائه ، فإذا شك في شيء أومأ إليه ، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم ، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته ، وقال : قد حضرتني مسألة ، قال : ويحك ! أما ترى الشيطان عينه في عيني ، يعني حُسينا ، قال : لا بد والله منها ، قال : هاتها ، قال : أخبرني ، قَلمسانُ إذا

ساف[1] ، ثم رفع رأسه وكرف[2] أي شيء يقول ؟ قال : أراه يقول : ما أُطيبه يا رباه ، قال : صدقتَ ما كان ليستشهدَ على هذا سوى ربه .

[رأيه في حفظة القرآن]

قال المدائني : وقال خالد يوماً على المنبر : هذا كما قال الله عز وجل : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ثم أُرتجَ عليه ، فقال للتغلبي : قم فافتح عليّ يا أبا زمزم سورة كذا وكذا ، فقال : خفِّضْ عليكَ أيها الأمير ، لا يهولنَّك ذلك ، فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن ، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال ، قال : صدقتَ ، يرحمُك الله .

[يهب المغنية للقصاص]

وقال المدائنيّ : حدثني أبو يعقوب الثقفيّ ، قال : قال خالد بن عبد الله للعُريان : يا عُرْيَانُ ، أعجزتَ عن الشرَط ، حتى أوَلّي غيرَك ! فإن الغناء قد فشا وظهر قال : لم أعجزْ ، وإن شئت فاعزِلني ، فقال له : خذ لي المغّنيات ، فأحضرهُ خمساً منهن أو ستّاً ، فأدخلهُنّ إليه ، فنظر إلى واحدة منهن بيضَاءَ دعجاءَ ؛ كأنـّها أُشرِبتْ ماءَ الذهب ، فدعا لها بكرسيٍّ ، فجلست . ثم قال لها : أين البَرْبط[3] الذي كانت تضرب به ؟ فأُحضِر ، ثم سوّته ، فغنت : [من الطويل]

إلى خالدٍ حتّى أُنخـنَ بخالدٍ فنعمَ الفتى يُرجَى ونعم المؤمّلُ

فقال : اعْدلي عن هذا إلى غيره ، فغنّت : [من الطويل]

أروحُ إلى القصّاص كل عَشيَّةٍ أرجِّي ثوابَ الله في عدد الخُطَا

قال : وأقبل قاصُّ المِصر . فقال له خالد : أَكانت هذه تروح إليك ؟ قال : لا ، وما مثلها يروحُ إليَّ ، قال : خذ بيدها فهي لك ، ومولاها بالباب ، فسأل عنها فقيل : وهبَها للقاصِّ ، فتحمّل[4] عليه بأشراف الكوفة ، فلم يردُدْها ، حتى اشتراها منه بمائتي دينار .

[هشام يضيق به ذرعاً فيقرعه]

وقال المدائني : قال خالد في خطبته : والله ما إمارة العِراق مما يشرفني ، فبلغ ذلك هشاماً ، فغاظه جدّاً ، وكتب إليه : بلغني يا ابنَ النَّصرانية أنك تقول : إن إمارةَ العراق ليست مما يشرفك ، صدقتَ والله ، ما شيءٌ يشرفك ، وكيف تشرُف وأنت دَعيٌّ إلى

1 ساف : شم .
2 كرف الحمار وغيره : شم بول الأتان ، ثم رفع رأسه ، وقلب جحفلته .
3 البربط : العود .
4 تحمّل : توسّل .

بجيلةَ القبيلةِ القليلةِ الذليلةِ ، أما والله إني لأظنُّ أن أولَ ما يأتيكَ ضَغِنٌ[1] من قيس ، فَيُشد يديك إلى عنقك .

[هشام ينكل به]

وقال المدائني : حدثني شَبيبُ بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال : لم تزل أفعالُ خالد به ، حتى عزلَه هشام ، وعذَّبه ، وقتل ابنَه يزيد بن خالد ، فرأيتُ في رِجْلهِ شريطاً قد شُدَّ به ، والصبيان يجرونه ، فدخلتُ إلى هشام يوماً ، فحدثته ، وأطلت ، فتنفس . ثم قال : يا خالدُ ، رُبَّ خالدٍ كان أُحبَّ إليَّ قربا ، وألذَّ عندي حديثا منك ، قال : يعني خالداً القسري ، فانتهزتها ، ورجوت أن أشفَع له فتكون لي عند خالدٍ يدٌ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده ؟ فقد أدَّبْته بما فَرَطَ منه ، فقال : هيهاتَ ، إن خالداً أوجف فأعجف ، وأدلّ فأملّ ، وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة ، فَحلِم الأديمُ[2] ، ونغل الجرح[3] ، وبلغ السيلُ الزُّبى[4] والحزام الطُّبْيَيْن[5] ، فلم يبق فيه مُسْتَصْلح ، ولا للصنيعة عنده موضع عُد إلى حديثك .

[عود إلى تخنثه ودورانه في فلك عمر بن أبي ربيعة]

فأمَّا أخباره في تخنثه وإرسال عمرَ بن أبي ربيعة إياه إلى النساء ، فأخبرني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هِفّان ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي ، وأخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير بن بكّار ، قال : حدثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي ، عن إبراهيم بن قُدَامة الحاطبيّ ، عن أبيه ، واللفظ لعلي بن صالح في خبره ، قالا : قال الحاطبي : أتيتُ عمرَ بن أبي ربيعة بعد أن نَسَك بسنين ، فانتظرته في مجلس قومه ، حتى إذا تفرق القومُ دنوتُ منه ، ومعي صاحب لي ، فقال لي صاحبي : هل لك في أن تُرِيغَه[6] عن الغزل ، فننظر هل بقي منه شيء عنده ؟

1 ضَغِن : حاقد .

2 الأديم : الجلد . حلم : كثر دوده ، حتى تثقب وفسد . وهنا مثل : «كدابغة وقد حلم الأديم» ورد في مجمع الأمثال 150/2 والمستقصى للزمخشري 216/2 والأمثال للقاسم بن سلام 343 والجمهرة للعسكري 137/2 ، 158 .

3 نغل الجرح : تعفن وفسد .

4 الزبى : جمع زبية ، وهي الربوة التي لا يصل إليها الماء وهنا مثل : ورد في مجمع الأمثال 91/1 ، 93 ، 96 و142/12 والجمهرة للعسكري 203 ، 220 والمستقصى للزمخشري 14/2 وفصل المقال 472 .

5 الطبي : حلمة ثدي الناقة . وهنا مثل : يضرب به في تفاقم الأمر .

6 تريغه : من أراغه عن الأمر وعليه : طلبه منه .

فقلت له : دونك . فقال : يا أبا الخطاب أحسنَ والله رَيْسان العذري ، قاتله الله ، قال : وفيمَ أحسن ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

لو جُزَّ بالسيف رأسي في مودَّتها لمالَ لا شك يَهوي نحوَها رأسي

فقال : نعم أحسن ، فقلت : يا أبا الخطاب ، وأحسنَ واللهِ تحيَّةُ بنُ جنادة العذريّ ، قال : في ماذا ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

سرت لعينيك سَلْمى بعد مغْفاها فبِتُّ مستوهناً من بَعْدِ مسراها
فقلتُ : أهلاً وسهلاً من هَدَاكِ لنا إن كنتِ تمثالَها أو كنتِ إيَّاها

وفي رواية الزبيري خاصة :

تأتي الرياحُ التي من نَحْوِ أرضكم حتى أقولَ : دنَتْ منّا برَيّاها
وقد تراخت بها عنّا نوىً قَذَفٌ هيهاتَ مُصْبَحُها من بعدِ مُمساها[1]
من حُبِّها أتمنّى أن يلاقيَني من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقولَ : فِراقٌ لا لقاءَ له وتُضمرَ اليأسَ نفسي ثم تَسْلاها
ولو تموت لراعتْني وقلتُ لها : يا بؤسَ للدهر ليت الدهرَ أبقاها

ويروى :

. . . . . . لراعتني مِنيَّتُها وقلتُ يا بؤسَ ليت الدهرَ أبقاها

فضحك عمر ثم قال : يا ويحه أحسن والله ، لقد هيجتما عليَّ ما كان ساكناً مني فلأحَدِّثنّكما حديثاً حُلواً : بينا أنا أوَّل أعوامي جالس إذا بخالد الخريت قال : مررت بأربع نسوة قبيلٍ[2] ، يَرِدْنَ ناحية كذا وكذا من مكة ، لم أرَ مثلهن قط ، فيهن هند ، فهل لك أن تأتيهن متنكراً فتسمَع من حديثهن ، ولا يعلمن ؟ فقلت : وكيف لي بأن يخفى ذلك ؟ قال : تلبس لِبسةَ الأعراب ، ثم تقعدُ على قَعود ، كأنك تَنشُدُ ضالة ، فلا يَشْعُرْنَ حتى تهجمَ عليهن ، قال : فجلست على قعود . ثم أتيتُهنَّ فسلّمت عليهن ، فآنَسْنني ، وسألنَني أن أنشدَهن ، فأنشدتهن لكُثّير وجميل وغيرهما ، وقلن : يا أعرابي ، ما أملحك ، لو نزلت ، فتحدثت معنا يومنا هذا ، فإذا أمسيت انصرفت ، فأنختُ قعودي ، وجلستُ معهن ، فحدثتهن ، وأنشدتهن ، فدنت هند ، فمدّتْ يدها ، فجذَبت عِمامتي ،

1 قَذَف : بعيدة تتقاذف بمن تصيبه .
2 قبيل : متشابهات .

فألقتها عن رأسي ، ثم قالت : تالله لظننتَ أنك خدعتنا ، نحن والله خدَعْناك ، أرسلنا إليك خالداً الخِرّيتَ في إتيانك بك على أقبح هَيئتِك ، ونحن على أحسن هيئتنا . ثم أخذنَ بنا في الحديث ، فقالت إحداهن : يا سيدي لو رأيتني منذ أيام ، وأصبحت عند أهلي ، فأدخلت رأسي في جيبي ، فنظرت إلى حِري ، فرأيته ملءَ العُسّ[1] والقَسّ فصِحتُ : يا عمراه ! فصحتَ : لبيك لبيك ، ولم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا ، فتفرقنا ، عن أنعم عيش ، فذلك حين أقول : [من الطويل]

ألم تعـرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ... ببطنِ حُليّــات دوَارسَ بلقعا

وذكر الأبيات .

انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً .

صوت

[من الطويل]

أنائــلُ مــا رؤيا زعمتِ رأيْتِها ... لنا عجبٌ لـو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

أنائــلُ مــا للعيشِ بعدكَ لذةٌ ... ولا مشربٌ نلقــاه إلا مُرَنَّقُ[2]

أنائــلُ إني والذي أنــا عبـدُه ... لقد جعلتْ نفسي من البينِ تُشفِقُ

لعمرُك إن البــينَ منــك يشوقني ... وبعض بُعادِ البـين والنأي أشوقُ

الشعر لصخر بن الجعد الخُضريّ .

أخبرنا بذلك محمد بن مزيد ، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري ، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر . ومن الناس من يروي هذه الأبيات لجميل ، ولم يأتِ ذلك من وجه يصحّ ، والزبيرُ أعلم بأشعار الحجازيين .

والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي ، وفيه لابن المكي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

---

1 العس : القدح الكبير .

2 مشرب مرنّق : مشوب غير صاف .

[461] ـ أخبار صخر بن الجعد ونسبه

[نسبه]

صخرُ بنُ الجعدِ الخُضْريّ ، والخُضرُ ولدُ مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر ، وصخر أحد بني جِحاش بن سَلَمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف ، قال : وسُمّي ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادِهم ، وكان مالك شديد الأُدْمة[1] . وخرج ولدُه إليه فقيل لهم الخُضْر ، والعربُ تسمي الأسودَ الأخْضَرَ .

[ابن ميادة يترفع عن مهاجاته]

وهو شاعر فصيحٌ من مُخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وقد كان يَعْرِض لابن ميادة لمَّا انقضى ما بينه وبين حَكَمٍ الخُضْريّ من المهاجاة ، ورام أن يهاجيَه ، فترفّع ابنُ ميّادة عنه .

أخبرني بخبره عليُّ بن سليمان الأخفش ، عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن الزبير بن بكار مجموعاً ، وأخبرني بأخبار له متفرقة الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، عن الزبير ابنِ بكار .

وحدثني بها غيرُهما من غير رواية الزبير ، فذكرت كلَّ شيء من ذلك مفرداً ، ونسبته إلى راويه .

[قصته مع كأس]

قال الزبير فيما رواه هارون عنه : حدثني مَنْ أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجَون قال : كان صخرُ بن الجعد مُغرماً بكأسٍ بنت بُجَيْر بن جُنْدب ، وكان يشبب بها ، فلقيه أخوها وقَّاصٌ ، وكان شجاعاً ، فقال له : يا صخرُ ، إنك تشبب بابنة عمك ، وشَهَرْتَها ، ولعمري ما بها عنك مذهبٌ ؛ ولا لنا عنك مرغَب ، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوّجُكَها ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمَنْ ما عرضت لها بذكر ، ولا أسمعَنّه منك . فأُقسمُ بالله لئن فعلتَ ذلك ليخالطنَّك سيفي ، فقال له : بل والله إن لي لأشدَّ الحاجة إليها ، فوعده موعداً وخرج صخرٌ لموعِدِه ، حتى نزل بأبياتِ القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقَّاصٌ فذَبَح ، وجمع أصحابَه . وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقّاص بعث إليه : أن هلمَّ لحاجتك ، فأبطأ ، ورجع الرسولُ فقال مثلَ قوله ، فغضِب . وعمِدَ إلى رجل من الحيِّ ليس يُعْدَلُ بصخر ، يقال له حِصْنٌ ، وهو مُغضَب لما صنع ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ، وزوَّجه كأسَ ، وافترق القوم ، ومروا بصخر ،

1 الأدمة : السواد .

فأعلَموه تزويجَ كأسٍ بحصن ، فرحل عنهم من تحت الليل ، واندفع يهجوها بالأبياتِ التي قذَفها فيها فيما قذفَها ، وذلك قوله حين يقول : [من الطويل]

وأنكحَها حصناً لِيَطْمِسَ حَملَها وقد حملَتْ من قبلِ حصنٍ وجرَّتِ

أي زادت على تسعة أشهر ، قال : وترافع القومُ إلى المدينة ، وأميرُها يومئذٍ طارق مولى عثمان ، قال : فتنازعوا إليه . ومعهم يومئذ رجل يقال له حَزْمٌ ، وكان من أشد الناس على صخر شرّاً . فقال : وفيه يقول صخر : [من الطويل]

كفى حَزَناً لو يعلمُ النّاسُ أنني أدافعُ كأساً عند أبوابِ طارقِ[1]
أتنسيْنَ أياماً لنا بسُوَيْقَةٍ وأيامَنا بالجزعِ جِزْعِ الخلائقِ
لياليَ لا نخشى انصِداعاً من الهوى وأيامَ حزمٌ عندنا غيرُ لائقِ
إذا قلت لا تَفْشي حديثي تعجرفَت زياداً لِوُدٍّ ها هنا غير صادقِ[2]

قال : فأقاموا عليه البيِّنة بقَذف كأس ، فضُرِبَ الحَدَّ ، وعاد إلى قومه ، وأسِف على ما فاته من تزويج كأس ، فطفِق يقول فيها الشعر .

[مطولته في كأس]

قال الزُّبير : فأنشدني عمّي وغيرُه لصخر قوله : [من الطويل]

لقد عاود النفسَ الشقيَّةَ عِيدُها نعم إنَّهُ قد عادَ نحساً سُعودُها[3]
وَعاوَدَهُ من حُبِّ كأسٍ ضَمانةٌ على النأي كانت هيضةً تستقيدُها[4]
وأنَّى ترجِّيها وأصبحَ وصلُها ضعيفاً وأمستْ همَّه لا يكيدُها
وقد مَرَّ عَصْرٌ وهي لا تستزيدُني لما استُوْدِعتْ عندي ولا أستزيدُها
فما زلتَ حتى زَّلتِ النعلُ زَلَّة برِجْلك في زوراءَ وعثٍ صعودُها[5]
ألا قلْ لكأسٍ إن عرضتَ لبيتِها فأينَ بُكا عيني وأين قصيدُها ؟
لعل البُكا يا كأسُ إن نفعَ البُكا يُقرِّب دنيانا لنا فيعيدُها

1 المدافعة : المقاضاة .
2 تعجرفت : تكبّرت .
3 العيد : العادة .
4 الضمانة : العلة . والهيضة : المرض بعد المرض .
5 زوراء : أرض بعيدة . وعث صعودها : من وعث الطريق وعثاً : تعسّر سلوكه .

وكانت تناهتْ لوعــةُ الودِّ بيننا فقد أصبَحَتْ يُبْساً وأُذبل عودُها

ويروى : وقد ذَاء عودُها يقال : ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد .

ليالِيَ ذاتُ الرمْسِ لا زال هيْجُها جنوباً ولا زالتْ سحابٌ تجودُها[1]

وعيشٌ لنا في الدهرِ إذ كان قَلبُه يطيبُ لديه بُخْلُ كأسٍ وجودُها[2]

تذكَّرْتُ كأساً إذ سَمِعْتُ حمامةً بكت في ذُرَا نخل طِوالٍ جريدُها

دعت ساقَ حُرٍّ فاستَجبتُ لصوتها مولَّهَــةً لم يبــقَ إلا شريدُها[3]

فيا نفسُ صبراً كلُّ أسبابِ واصلٍ ستنمي لهـا أسباب هَجْـرٍ تُبيدُها

قال أبو الحسن الأخفش : ستنمي لها أسباب صَرْم تُبيدها أجود .

وليلٍ بَــدَتْ للعين نــارٌ كأنّها سنا كوكبٍ للمستبين خُمودُها

فقلت : عساها نــارُ كأسٍ وعلَّها تَشكَّى فأَمْضي نحوَهــا وأعودُها

فتسمع قولي قبل حتف يَصِيدُني تُسَرُّ بِه أو قَبْــلَ حتفٍ يصيدُها

كأن لم نكُنْ يا كأسُ إلفَي مَودةٍ إذِ الناسُ والأيامُ تُرْعَـى عهودُها

[من شعره في تجواله]

أخبرني عبدُ الله بن مالك النحويّ ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : لما ضُرِبَ صخرُ بن الجعد الحدَّ لكأسٍ ، وصارت إلى زوجها نَدِمَ على ما فرط منه ، واستحيا من الناس للحدّ الذي ضُرِبَه ، فلحِقَ بالشام ، فطالتْ غيبتُه بها ، ثمّ عادَ فمرَّ بنخلٍ كانَ لأهلِه ولأهلِ كأْسٍ ، فباعوه ، وانتقلوا إلى الشام ، فمرَّ بها صخر ورأى المبتاعين لها يَصرِمونها[4] ، فبكى عند ذلك بكاء شديداً ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

مررتُ على خَيماتِ كأسٍ فأسبلتْ مدامــعُ عينــي والرياحُ تُميلُها

وفي دارهمْ قومٌ سواهم فأسبلتْ دموعٌ من الأجفانِ فاضَ مسيلُها

كذاكَ الليالي ليسَ فيهــا بسالمٍ صديقٌ ولا يبقــى عليهــا خَليلُها

وقال وهو بالشام : [من الطويل]

---

1 ذات الرمس : مكان . الهيج : الريح .

2 قلبه في ل : فلتة .

3 ساق حرّ : ذكر القماري .

4 صرم النخلة : جذّها .

ألا ليتَ شعري هــل تغيَّرَ بَعدَنا عن العهدِ أم أمْسَى على حالِه نجدُ ؟
وعهدي بنجدٍ منذ عشرينَ حِجَّةً ونحنُ بِدُنيا ثَــمَّ لم نَلقهَــا بعدُ
بــه الخوصَةُ الدهماءُ تحتَ ظلالِها رياضٌ بها الحَوْذان والنَّفَل الجعدُ[1]

قال : ومرَّ على غديرٍ كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعون عليه ، فوقف طويلاً عليه يبكي وكان يقال لذلك الغدير جَنان فقال صخرُ : [من الطويل]

بلِيتُ كما يَبْلَى الرِّداءُ ولا أرَى جَناناً ولا أكنافَ ذِرْوَةَ تَخلُقُ[2]
أُلــوِّي حيازيمي بِهِــنَّ صبابةً كما تتلــوَّى الحيَّــةُ المُتَشَرِّقُ[3]

[تموت كأس فيرثيها]

أخبرني عبدُ الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : قال السّعيديّ : حدّثني سَبرةُ مولى يزيدَ بن العوّام ، قال : كان صخر بن الجعد المحاربي خِدْنا لعوّام بن عقبة ، وكان عوّام يهوَى امرأة من قومِه ، يقال لها : سوداء ، فماتت ، فرثاها ، فلما سمعَ صخرُ بن الجَعْد المرثية ، قال : ودِدتُ أن أعيش حتى تموتَ : كأس ، فأرثيَها ، فماتت كأس ، فقال : [من الطويل]

عـــلى أمِّ داودَ السلامُ ورحمـــةٌ مــن اللهِ يجري كلَّ يوم بشيرُها
غداةَ غد الغادون عنهـــا وغُودِرَتْ بلمَّاعــةِ القِيعــان يستنُّ مورُها[4]
وغُيِّبتُ عنهـــا يـــومَ ذاكَ وليْتَني شهِدتُ فيحوي مَنْكِبِيَّ سريرُها

ويروى : فيعلو منكبي .

نـــزَت كبـــدي لمـــا أتاني نِعيُّها فقلتُ : أدانٍ صدعُها فمُطيرُها ؟

[أمير المؤمنين يسأل عن قائل شعره]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير ، قال : حدثني خالد بن الوضاح قال : قال عَبدُ الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجُمَحِيُّ لعبد الله بن مصعب : سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه : مَنِ الذي يقول : [من الوافر]

ألا يا كأسُ قد أفنيتُ شِعْري فلستُ بقائـــلٍ إلا رجيعـــا ؟

1 الخوص : ورق النخل والمقل والنارجيل . الحوذان : نبات عشبي . النفل : نبت طيب الرائحة أصفر الزهر .
2 جنان ، وذروة : مكانان .
3 الحيزوم : الصدر أو وسطه . الحية المتشرق : التي تحاول الدفء عند شروق الشمس .
4 لمّاعة القيعان : فلاة يلمع السراب أو البرق في قيعانها . يستن : يسرع . المور : الغبار الذي تطير به الريح .

ولم أدرِ لمن الشعر ؟ فقال عبدُ الله بن مصعب : هو لصخرٍ الخُضْرِيّ ، وأنشدَ باقيَ الأبيات ، وهي :

تُرجِّــي أن تلاقــيَ آلَ كأسٍ   كما يرْجو أخو السَّنةِ الربيعا[1]
فلستَ بنائـمٍ إلا بحُــزْنٍ   ولا مستيقظــاً إلا مَرُوعــا
فإنَّكَ لـو نظـرتَ إذا التقينا   إلى كبدي رأيتَ بها صُدوعا

[من شعره حينما ندم على عدم زواجها]

قال ابنُ حبيب في رواية عبد الله بن مالك : لما زُوِّجَتْ كأسٌ جزع صخرُ بن الجعد لما فرط منه وندِم وأسِفَ ، وقال في ذلك : [من الطويل]

هنيئاً لكأسٍ قطعُها الحبـلَ بعدما   عقدْنـا لكأس موثِقـاً لا نخونُها
وإشماتُها الأعـداءَ لـمّـا تألَّبوا   حـواليَّ واشتدَّت علـيَّ ضُغُونُها
فإن حَراماً أن أخونَــك مادعا   بيَلْيَلَ قُمْـرِيُّ الحمـام وجُونُها[2]
وقد أيقَنَت نفسي لقد حِيل دونها   ودونكَ لـو يأتــي بيـأسٍ يَقينُها
ولكن أبتْ لا تستفيقُ ولا تَـرى   عَــزاءً ولا مجلـودَ صَبْرٍ يُعينُها[3]
لـوَ انّا إذ الدّنيـا لنـا مطمئنّةٌ   دَحَا ظِلُّها ثم ارجحنَّت غُصونُها[4]
لهونـا ولكنـا بغـرَّة عيشِنا   عجبنا لدُنيانـا فكِدنـا نُعينُها
وكنا إذا نحـنُ التقيْنا ومـا نُرى   لعينين إلا مــن حجابٍ يَصونُها
أخذنا بأطرافِ الأحاديــث بيننا   وأوساطِهـا حتى تُمَــلّ فنونُها

[تراه كأس في النوم]

قال ابنُ حبيب : أرسلتْ كأسٌ بعد أن زُوِّجَت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يرى النائم : كأنه يُلبِسُها خماراً ، وأنَّ ذلك جدّد لها شوقاً إليه وصَبابة ، فقال صخر : [من الطويل]

أنائــلُ مـا رؤيا زعمتِ رأيتِها   لنا عجَب لـو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

---

1 السنة : الجدب والمحل .
2 يَلْيَل : اسم موضع . الجون جمع جوناء : وهي الناقة السوداء .
3 مجلود : من جلده على الأمر : أكرهه عليه .
4 دحا الظلّ : استرخى وامتد . ارجحنّت : تمايلت .

أنائلُ لـولا الودُّ مـا كان بيننا نضاً مثل ما ينضو الخضابُ فيخلُقُ[1]

[يشتري نسيئة ثم يهرب من البائع]

أخبرنا حبيب بن نصر ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب ، قال : حدثني محمد بن عبد الله البكري ، قال : قدم صخر بن الجعد الخُضْريّ المدينة ، فأتى تاجراً من تجارها ، يقال لـه سَيَّارٌ فابتاع منه بُرّاً وعِطراً ، وقال : تأتينا غُدوة فأقضيك ، وركب من تحت ليلته ، فخرج إلى البادية ، فلما أصبح سيَّار سأل عنه ، فعُرف خبرُه ، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه ، حتى أتوا بئرَ مُطّلِب ، وهي على سبعة أميال من المدينة ، وقد جهدوا من الحرِّ ، فنزلوا عليها ، فأكلوا تمراً كان معهم ، وأراحوا دوابَّهم وسَقَوْها ، حتى إذا بَرَد النهار انصرفوا راجعين ، وبلغ الخبرُ صخرَ بن الجعد ، فقال : [من البسيط]

أهْـونْ عـليَّ بسيّارٍ وصفوتـه إذا جعلـتُ صِـراراً دون سيَّارِ[2]
إن القضاءَ سيأتـي دونـه زمن فاطوِ الصّحيفةَ واحفَظْهَا من العارِ[3]
يسائلُ الناسَ هـل أحْسَسْتُمُ جَلباً محاربيّـاً أتـى مِـن نحـو أظفارِ[4]
ومـا جَلَبْتُ إليهـمْ غيرَ راحلة وغيرَ رحـل وسيف جَفنةُ عارِ
ومـا أُريـتُ لهـم إلا لأدفعهم عني ويخرجُني نقضي وإمراري[5]
حتى استغاثُوا بأروَى بئرِ مُطّلب وقـد تحـرَّق منهـم كلُّ تَمّارِ[6]
وقال أوّلُهم نُصحـاً لآخرهم : ألا ارجِعُوا واتركوا الأعرابَ في النارِ

[جاريته تخدعه]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا ابن الأعرابي ، قال : كان الجعد المحاربيّ أبو صخر بن الجعد قد عُمِّرَ حتى خَرِف ، وكان يكنى أبا الصَّموت ؛ وكانت له وليدة[7] يقال لها سمحاء[8] ، فقالت لـه يوماً : يا أبا الصَّموت ، زعم بَنُوكَ أنك إن مِتَّ

---

1 نضا : نصل .
2 صرار : موضع قرب المدينة .
3 قضاء : قضاء الدين .
4 الجلب : ما جلب من متاع وشاء وإبل ونحو ذلك . أظفار : طائفة من الكواكب .
5 الإمرار : فتل الحبل ونحوه . النقض : ضد الفتل .
6 الأروى : أنثى الوعل . وبئر مطلب : المكان الذي نزل فيه سيار ورفقته .
7 وليدة : جارية .
8 ل : سحماء .

قَتَلُوني ، قال : ولِمَ ؟ قالت : ما لي إليهم ذنب غير حبّي لك ، فأعتقها على أن تكونَ معه ، فمكثت يسيراً ، ثم قالت له : يا أبا الصَّمُوت ، هذا عَرابة من أهل المعدِن يَخطُبني ، قال : أين هذا مما قلت لي ؟ قالت : إنَّه ذو مال ، وإنّما أردتُ مالَهُ لك ، قال : فأتني به ، فأتته فزوّجه إياها ، فولدت له أولاداً ، وقَوَّتْهُ بما كانت تصيبُه من الجَعْد ، وكانت تأتي الجعدَ في أيّام ، فتخضب رأسه ، ثم قطعته ، فأنشأ الجعْدُ يقول : [من البسيط]

أَمْسَى عَرابــةُ ذا مــال وذا ولدٍ ... من مــالِ جَعْدٍ وجعدٌ غيرُ محمودِ
تظــل تُنشِقُــه الكافــورَ متكئــاً ... على السريرِ وتعطينــي على العُودِ

[من قوله لامرأته]

قال والجَعْدُ هو القائل لامرأته : [من الطويل]

تُعالجنــي أُمّ الصَّموت كأنّمــا ... تُدَاوي حِصاناً أوهنَ العظمَ كاسِرُهْ
فــلا تعجبــي أمَّ الصَّموتِ فإنه ... لكــلِّ جــواد مَعْثَرٌ هــو عاثِرُهْ
وقــد كنتُ أصطاد الظباءَ مُوَطِّئا ... وأضربُ رأسَ القِرن والرمحُ شاجِرُهْ[1]
فأصبَحتُ مثل العشِّ طارَتْ فراخُه ... وغــودر في رأسِ الهشيمةِ سائِرُهْ[2]

[أولاده يرثونه حيّاً]

فلما كبر حَمَلَهُ بنوه ، فأتوا به مكة ، وقالوا له : تعبَّدْ ها هنا ، ثم اقتسموا المال ، وتركوا له منه ما يُصلِحُه ، فقال : [من الوافر]

ألا أبلــغْ بنــي جَعْــدٍ رسولاً ... وإن حالــتْ جبــالُ الغَوْرِ دُوني
فلــم أرَ مَعْشَراً تركــوا أباهُم ... مــن الآفــاقِ حيــثُ تركتموني
فــإني والرَّواقِص حــول جَمْــعٍ ... ومَحْطِمُهُنّ مــن حَصْبا الحجونِ[3]
لــو آني ذو مدافعــةٍ وحــولي ... كما قــد كنــت أحيانــاً كمُوني
إذا لَمَنَعْتُكــمْ مــالي ونفسي ... بنصــلِ السّيــف أو لقتلتُموني

[يعيا وعبده حاضر البديهة]

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثنا محمدُ بن

1 موطئاً : منحدراً . شاجره : داخل فيه مشتبك به .
2 الهشيمة : الشجرة البالية . سائره : باقيه .
3 الرواقص : الإبل التي تحمل الحجيج . جمع : علم على المزدلفة . الحجون : جبل بمعلاة مكة .

عبد الله بن عثمان البكريّ ، عن عروة بن زيد الخضري ، عن أبيه قال : كنتُ في ركب فيهم صخر بن الجعد ، ودرنٌ مولى الخضريين معنا ، ونحن نريد خيبر ، فنزلنا منزلاً تعشّينا فيه ، فهيّجنا إيلَ صخر ، فلمّا ركبنا ساق بنا واندفع يَرجُز ، ويقول : [من الرجز]

لقــد بعثت حاديا قراصِفا[1]

فردَّده قِطْعاً من الليل لا يُنْفِده ، ولا يقول غيرَه ، ثم قال لنا : إنّي نسيت عِقالا ، فرجع يطلبه في المَتعشَّى ، ونزل دَرَنٌ يسوق بالقوم ، فارتجز دَرَن ببيت صخر ، وقال : [من الرجز]

لقــد بعثــتُ حاديــاً قُراصِفَا ... مــن منزلٍ رَحَلْــتُ عنه آنفا
يسوقُ خُوصاً رجَّفاً حواجفا ... مثلَ القسيّ تقذفُ المقاذفا[2]
حتــى تـرى الرَّباعِيَ العُتارِفا ... من شدّةِ السيرِ يُزَجِّي واجفا[3]

قال : فأدركه صخر ، وهو في ذلك ، فقال له : يا ابن الخبيثة أتجترىء على أن تنفذ بيتاً أعياني ؟ فقاتله ، فضربه ، حتى نزلنا ، ففرقنا بينهما .

صوت

[من الطويل]

إذا سَرَّها أمرٌ وفيــه مَساءتي ... قضيْتُ لها فيما تُحِبُّ على نفسي
وما مرَّ يومٌ أرتجي منــه راحةً ... فأذكُرَه إلاّ بكيتُ على أَمْسي

الشعر لأبي حفصٍ الشِّطرنجيّ ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو .

1 قراصفا : مسرعا .
2 خوصاً : جمع خوصاء ، وهي الناقة ونحوها غارت عينها . رجفاً : مهتزة .
3 الرّباعي : من ربعت الإبل : سرحت في المراعي . واجفا : مسرعا .

[462] ـ أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

[نشأته]

أبو حفص : عمر بن عبد العزيز ، مولى بني العبّاس ، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال ، وكان اسمه اسماً أعجميّاً ، فلمّا نشأ أبو حفص وتأدَّب ، غيَّرهُ وسمّاه عبد العزيز .

أخبرني بذلك عمّي ، عن أحمد بن الطّيب ، عن جماعة من موالي المهديّ .

ونشأ أبو حفص في دار المهديّ ومع أولاد مواليه ، وكان كأحدِهم ، وتأدَّب ، وكان لاعباً بالشِّطرنج مشغوفاً به ، فلُقِّب به لغلَبته عليه .

[انقطاعه إلى عليّة بنت المهديّ]

فلمّا مات المهديّ انقطع إلى عُليّة ، وخرج معها لّما زوِّجت ، وعاد معها لّما عادت إلى القصر ، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأُمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء ، فتَنتحِل بعض ذلك ، وتترك بعضه ، وممّا ينسب إليها من شعر . ولها فيه غناء ، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارِها : [من الطويل]

تَحَبَّبْ فإنّ الحــبَّ داعيــةُ الحبّ

وهو صوت مشهور لها .

[يخلعون عليه أحبّ الأوصاف]

حدَّثني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدَّثني أحمد بن الطيب السَّرَخسي قال : حدَّثني الكنديّ ، عن محمد بن الجهم البرمكيّ ، قال : رأيت أبا حفص الشطرنجيّ الشاعر ، فرأيت منه إنساناً يُلهيك حضورُه عن كلّ غائب وتُسليك مجالستُه عن هموم المصائب ، قُرْبُهُ عُرْس ، وحديثه أُنْس ، جِدُّه لَعِب ، ولَعِبه جد ، ديِّن ماجد ، إن لبستَهُ على ظاهره لبِسْتَ موموقاً لا تملّه ، وإن تتبَّعتَه لتستبطِنَ خبرتَه وقفتَ على مُرُوَّة لا تطير الفواحشُ بجَنباتها ، وكان فيما علمته أقلّ ما فيه الشعر ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

صوت

تَحبَّبْ فإنّ الحُبَّ داعيــةُ الحبِّ ... وكم من بعيدِ الدّار مُسْتَوجِب القُربِ
إذا لم يكن في الحبِّ عَتبٌ ولا رضاً ... فأين حلاوات الرسائل والكُتُبِ ؟

تفكَّرْ فإن حُدِّثتَ أنَّ أخا هوًى نجا سالمًا فارجُ النّجاة من الكربِ[1]
وأطيبُ أيّامِ الهوى يومُك الذي تُرَوَّعُ بالتّحريشِ فيه وبالعَتْبِ[2]

قال : وفي هذه الأبيات غناء لعُلَيَّة بنتِ المهديّ ، وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها ، فيقولها ، وتغنّي فيها .

قال وأنشدني لأبي حفص أيضاً : [من الخفيف]

صوت

عَرِّضَنْ للذي تُحِبّ بحبٍّ ثمّ دَعْهُ يَرُوضُهُ إبليسُ
فلعَلَّ الزّمانَ يُدْنيك منه إن هذا الهوى جليلٌ نفيسُ
صابِرِ الحبَّ لا يُصرِّفْكَ فيه من حبيب تجهُّمٌ وعبوسُ
وأقِلَّ اللَّجاجَ واصبرْ على الجهـ ـدِ فإنَّ الهوى نعيمٌ وبُوسُ

في هذه الأبيات للمَسْدُودِ هزج ذكره لي جحظة وغيرُه عنه .

وأمّا قوله :

تحبَّب فإنّ الحبّ داعية الحبّ

فقد مضت نسبته في أخبار عُلَيَّة .

[مساجلة بينه وبين الرشيد على لسان ماردة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أبو العبّاس الكاتب قال : كان الرشيد يحبّ ماردةَ جاريتَه ، وكان خلَّفها بالرَّقّة ، فلمّا قدم إلى مدينة السلام اشتاقها ، فكتب إليها : [من المتقارب]

صوت

سلامٌ على النازحِ المغتربْ تحيّةَ صَبٍّ به مكتئبْ
غَزالٌ مراتعُه بالبليخِ إلى دَيْرِ زكّى فقَصرِ الخشبْ
أيا مَنْ أعان على نفسه بتخليفه طائعاً مَنْ أحبْ

---

1 الكرب في ل : الحب .
2 التحريش : الحك والدلك بمشط ونحوه .

سأستر والسَّترُ مـــن شيمتي هوى مَن أُحِبُّ بمَنْ لا أُحِبْ

فلمّا ورد كتابُه عليها أمرت أبا حفص الشِّطرنجيّ صاحب عُليَّة ، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات ، فقال : [من المتقارب]

أتـــاني كتابُــك يــا سيِّدي وفيــه العجائــبُ كلّ العجَبْ
أتزعـــمُ أنّـــك لي عاشقٌ وأنّــك بــي مُستهامٌ وصبّ
فلــو كان هـــذا كذا لم تكنْ لتتركنـــي نُهْـــزَةً للكُرَبْ
وأنـــتَ ببغدادَ ترعـــى بهـــا نبـاتَ اللَّذاذةِ مـَعْ مَنْ تُحِبّ
فيـــا مَـــن جفاني ولم أجفُه ويا مَن شجاني بما في الكتبْ
كتابُك قـــد زادني صَبـــوةً وأَسْعَرَ قلبـــي بحَـــرّ اللّهبْ
فهَبني نَعَمْ قـــد كتمتُ الهوى فكيف بكتمانِ دَمْعٍ سَرَبْ
ولـــولا اتّقـــاؤك يـــا سيِّدي لوافتك بي النّاجيات النُّجُبْ[1]

فلمّا قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد ، حتى حَدَرَها[2] إلى بغداد في الفرات ، وأمر المغنِّين جميعاً ، فغنَّوْا في شعره .

قال الأصفهانيّ : فمِمَّن غنَّى فيه إبراهيم الموصليّ ؛ غنَّى فيه لحنَيْنِ ، أُحدهما ماخوريّ ، والآخر ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وغنّى يحيى بن سعد بن بكر بن صَغِير العين فيه رملاً . ولابن جامع فيه رمل بالبنصر ، ولفليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى ، وللمعلّى خفيف رمل بالوسطى ، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى ، ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر ، هذه الحكايات كلّها عن الهشاميّ ، وقال : كان المختار من هذه الألحان كلّها عند الرشيد الذي اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم .

[يصلح بين الرشيد وعليّة بشعره]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ، قال : حدّثنـي محمد بن يزيد النحويّ ، قال : حدَّثني جماعة من كتّاب السلطان : أنَّ الرشيد غضب على عُلَيَّة بنت المهديّ ، فأمرت أبا حفص الشِّطرنجيَّ شاعرَها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد ، ويسألُه الرضا عنها ، فيستعطفه لها فقال : [من البسيط]

1 الناجيات النُّجب : الإبل الأصيلة المسرعة .
2 حدر الشيء : دحرجه من علو إلى أسفل .

صوت

لو كان يمنعُ حسنُ العقل صاحِبَه من أن يكونَ له ذنبٌ إلى أُحدِ
كانت عُلَيَّـةُ أَبـرا الناس كلِّهمُ من أن تُكافا بسوءٍ آخـرَ الأَبدِ[1]
ما لي إذا غِبتُ لم أُذكَـر بواحدةٍ وإن سَقِمْتُ فطال السُّقْمُ لم أُعَدِ
ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه قد كنتُ أُحسبُ أنّي قد ملأتُ يدي

فأتاها بالأبيات ، فاستَحسَنتها ، وغنَّت فيها ، وألقَت الغناء على جماعة من جواري الرشيد ، فغنَّيْنَه إيّاه في أوّل مجلس جلس فيه معهن ، فطرِبَ طرباً شديداً ، وسألهن عن القصّة ، فأخبرنه بها ، فبعث إليها ، فحضرت ، فقبَّل رأسَها ، واعتذرت ، فقَبِل عُذرَها ، وسألها إعادةَ الصوت ، فأعادته عليه ، فبكى ، وقال : لا جرم أنّي لا أُغضب أبداً عليك ما عشت .

[بيتان في دنانير بمائتي دينار]

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى ، عن عمرو بن بانة ، قال : دخل أبو حفص الشّطرنجيّ على يحيى بن خالد ، وعنده ابن جامع ، وهو يلقي على دنانيرَ صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها ، وقال لأبي حفص : قُل في دنانير بيتين يغنّي فيهما ابنُ جامع ، ولك بكلّ بيت مائة دينار إن جاءت كما أُريد ، فقال أبو حفص : [من السريع]

صوت

أَشبَهكِ المسكُ وأَشبهتِه قائمـةً في لونـه قاعدَهْ
لا شكَّ إذْ لونُكما واحدٌ أَنّكما مـن طينةٍ واحدَهْ

قال : فأمر له يحيى بمائة دينار ، وغنّى فيهما ابنُ جامع .

قال الأصفهانيّ : لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج .

[صديق حميم لأسرة الخليفة]

أَخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان أَبو حفص الشّطرنجيّ ينادم أَبا عيسى بنَ الرشيد ، ويقول له الشعر ، فينتحله ، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأُخته ، وكذلك بعُليَّة عمّتهم .

---

1 أبرا : من البراءة .

[يُعاتب عيسى بن الرشيد]

وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأنسون به ، فمرِض ، فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى فكتب إليه : [من الطويل]

إخاءُ أبي عيسى إخاءُ ابنِ ضَرَّةٍ ... ووُدّيَ وُدٌّ لابنِ أُمٍّ ووالدِ
ألم يأتِه أنّ التأدّبَ نِسبةٌ ... تلاصق أهواءَ الرّجالِ الأباعدِ
فَما بالُه مُستعذباً من جفائِنا ... مواردَ لم تَعذُبْ لنا من مواردِ
أقمتُ ثلاثاً حِلْفَ حُمَّى مُضِرَّةٍ ... فلم أرَه في أهلِ ودِّي وعائدي
سلامٌ هي الدُّنيا قروضٌ وإنّما ... أخوك مُديمُ الوصلِ عند الشدائدِ

[بيتان ليسا له]

حدَّثني جعفر بن الحسين ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : حدَّثنا أبي عن أبي حفص الشطرنجيّ : قال : قال لي الرشيد يوماً : يا حبيبي ، لقد أحسنتَ ما شئتَ في بيتين قلتَهما ، قلت : ما هما يا سيِّدي ؟ فمِنْ شرفهما استحسانُك لهما ، فقال : قولك : [من الكامل]

صوت

لم ألْقَ ذا شَجَن يبوح بحُبِّه ... إلاّ حَسِبتُكِ ذلك المحبوبا
حذراً عليكِ وإنّني بكِ واثقٌ ... ألاَّ ينالَ سوايَ منكِ نصيبا

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، ليسا لي ، هما للعبّاس بن الأحنف ، فقال : صِدْقُك والله أعجبُ إليَّ ، وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول : [من الطويل]

إذا سرَّها أمرٌ وفيه مساءَتي ... قضيْتُ لها فيما تريدُ على نَفسي
وما مرَّ يومٌ أرتجي فيه راحةً ... فأذْكُرَه إلاّ بكيتُ على أمْسي

في البيتين الأوّلين اللذين للعبّاس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصليّ ، وفيهما لابن جامع رملٌ عن الهشاميّ ، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن ، وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّس .

[ينعى نفسه قبل أن يموت]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني الحسين بن يحيى ، قال ، حدَّثني عبد الله بن الفضل ، قال : دخلت على أبي حفص الشّطرنجيّ شاعِر عُلَيّة بنتِ المهديّ أعوده في عِلّته التي مات فيها ، قال : فجلست عنده فأنشدني لنفسه : [من المتقارب]

صوت

نَعى لك ظلَّ الشَّبابِ المشيبُ ونادَتك باسمٍ سِواكَ الخطوبُ
فكُن مستعِدّاً لداعي الفناء فإنّ الذي هو آتٍ قريبُ
أَلسنا نرى شهواتِ النفو س تَفْنى وتبقى عليها الذنوبُ
وقبلَك داوى المريضَ الطبيبُ فعاش المريضُ ومات الطبيبُ
يخافُ على نفسِهِ مَن يتوبُ فكيف ترى حال مَن لا يتوبُ ؟

غنّى في الأوّل والثاني إبراهيم هزجا .

انقضت أخباره .

صوت

[من الهزج]

أَبى لَيْليَ أن يذهبْ ونيطَ الطرْفُ بالكوكبْ
ونجمٍ دونه النَّسرا نِ بين الدَّلْوِ والعقَربْ[1]
وهذا الصُّبحُ لا يأتي ولا يدنو ولا يَقرُبْ

الشعر لأُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى .

[تسرق لحن إسحاق وهو سكران]

أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحويّ ، قالا : حدَّثنا محمد بن حمّاد ، قال : التقيتُ مع دِمَنَ جارية إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يوماً ، فقلت لها : أسمعيني شيئاً أخذتِه من إسحاق ، فقالت : والله ما أحدٌ من جواريه أخذ منه صوتاً قطّ ولا ألقى علينا شيئاً قطّ وإنّما كان يأمر مَن أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلّويه ووجه القرعة الخزاعيّ وجواري الحارث بن بسخنّر أن يلقوا علينا ما يختارون من أغانيهم ، وأمّا عنه فما أخذت شيئاً قطّ إلاّ ليلة ، فإنّه انصرف من عند المعتصم ، وهو سكران ، فقال للخادم القيِّم على حُرَمه : جئني بدِمَن ، فجاءني الخادم ، فدَعاني ، فخرجت معه ، فإذا هو في البيت الذي ينام فيه ، وهو يصنع في هذا الشعر : [من الهزج]

أَبى لَيْليَ أن يَذْهَبْ ونيط الطَّرْفُ بالكوكَبْ

---

1 النسران : مجموعتان من النجوم تقعان في النصف الشمالي من القبة السماوية .

وهو يتزايد فيه ، ويقومه ، حتى استوى له ، ثم قام إلى عُودٍ مصلَح معلَّق كان يكون في بيت منامه ، فأخذه ، فغنّى الصوت ، حتى صحَّ له ، واستقام عليه ، وأخذته عنه ، فلمّا فرغ منه قال : أين دمن ؟ فقلت : هو ذا أنا هاهنا ، فارتاع ، وقال : مُذْ كَمْ أنتِ هاهنا ؟ قلت : مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدِك ، فقال : خذي العود ، فغنّيه ، فأخذته ، فغنّيته ، حتى فرغت منه ، وهو يكاد أن يتميّز غيظاً ، ثمّ قال : قد بقي عليك فيه شيء كثير ، وأنا أصلحه لك ، فقلت : أنا مستغنية عن إصلاحك ، فأصلِحه لنفسك ، فاضطجع في فراشه ونام ، وانصرفت ، فمكث أيّاماً إذا رآني قطّب وجهه .

وهذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به مَن قُتِلَ في حروب الفِجار[1] من قريش .

1 الفِجار : جمع فجرة ، وإنّما سمّيت بذلك لأنّها كانت في الأشهر الحرم ، ولأن قيساً لما انهزمت فيه قالت : «قد فجرنا» .

[463] ـ ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ ونسب أُميمة بنت عبد شمس

[نسب أميمة]

أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأمّها تفخَرْ بنت عبيد بن رواس بن كلاب ، وكانت عند حارثة بن الأُوقص بن مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلميّ ، فولدت له أُميّةَ بنَ حارثة .

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أُعوام متواليات ، ولم يكن لقريش في أوّلها مدخل ، ثم التحقتْ بها .

فأمّا الفِجار الأوّل فكانت الحرب فيه ثلاثة أيّام ، ولم تسمَّ باسم لشهرتها .

وأمّا الفِجار الثاني فإنّه كان أعظمهما ؛ لأنّـهم استحلوا فيه الحرم ، وكانت أيّامه يوم نخلة ، وهو الذي لم يشهده رسول الله ﷺ منها ، وشهد سائرها ، وكان الرؤساء فيه حربَ بن أُميّة في القلب ، وعبدَ الله بن جُدْعان ، وهشام بن المُغيرة في المَجْنَبَتَيْن ثم يوم شمطة ، ثم يوم العبلاء ، ثم يوم عكاظ ، ثم يوم الحرة .

[ما الذي أدى إلى حرب الفجار]

قال أبو عبيدة : كان أوّل أمر الفِجار أنّ بَدْرَ بن معشر الغِفاريّ أحد بني غِفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بِمَنَعَته على مَن ورد عكاظ ، فاتّخذ مجلساً بسوق عكاظ ، وقعد فيه وجعل يَبذخ[1] على الناس ويقول : [من الرجز]

نحن بنو مدركةَ بـنِ خِنْدِف مَن يطعنوا في عينه لا يَطْرِفِ[2]
ومَنْ يكونـوا قومَـه يُغطرِف كأنّـهم لُـجَّــةُ بحرٍ مُسدِفِ[3]

وبدر بن معشر باسطٌ رجليه ، يقول أنا أعزّ العرب ، فمن زعم أنّه أعزُّ منّي فليضرب هذه بالسيف ، فهو أعزّ منّي ، فوثب رجل من بني نصر بن معاوية ، يقال له الأحمر بن مازن بن أُوس بن النابغة ، فضربه بالسيف على ركبته ، فأنْدَرَها[4] ، ثم قال : خذها إليك

1 يبذخ : يفخر ويغالي في فخره .
2 لا يطرف : من طرف البصر : تحرك جفناه .
3 يغطرف : من الغطرفة بمعنى التيه والخيلا . مسدف : مظلم .
4 أندرها : فصلها .

إيّها المخندِف ، وهو ماسك سيفه ، وقام أيضاً رجل من هَوازِنَ ، فقال : [من الرجز]

أنا ابنُ هَمْدانَ ذوي التَّغطرفِ بحرُ بحـورٍ زاخـرٌ لم يُنْـزَفِ
نحـنُ ضربنا ركبةَ المخندِف إذ مدَّها في أشهـرِ المُعَرّفِ[1]

وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها .

[اليوم الثاني من أيّام الفجار الأوّل]

ثم كان اليوم الثاني من أيّام الفِجار الأوّل ، وكان السبب في ذلك أنّ شباباً من قريش وبني كنانة كانوا ذوي غرام ، فرأوا امرأة من بني عامرٍ جميلةً وسيمةً ، وهي جالسة بسوق عكاظ في درع وهي فُضُل[2] عليها برقع لها ، وقد اكتنفها شباب من العرب ، وهي تحدّثهم ، فجاء الشباب من بني كنانة وقريش ، فأطافوا بها ، وسألوها أن تُسفِر فأبت ، فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحل طرف ردائها ، وشدَّهُ إلى فوق حُجْزتها[3] بشوكة ، وهي لا تعلم ، فلمّا قامت انكشف درعها عن دبرها ، فضحكوا وقالوا : منعتِنا النظر إلى وجهكِ ، وجُدْتِ لنا بالنظرِ إلى دبركِ ، فنادَتْ يا آل عامر ! فثاروا ، وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ووقعت بينهم دماء ، فتوسّط حربُ بنُ أُميّة ، واحتمل دماء القوم ، وأرْضَى بني عامر من مَثُلَةِ صاحبتهم .

[اليوم الثالث من أيّام الفجار الأوّل]

ثم كان اليـوم الثالث من الفِجار الأوّل ، وكان سبَبَه أنّه كان لرجـل من بني جُشَم بن بكر بن هوازنَ دَيْن على رجل من بني كنانة فلواه[4] به ، وطال اقتضاؤه إيّاه ، فلم يُعطِه شيئاً ، فلمّا أعياه ، وافاه الجشميّ في سوق عكاظ بِقِرْدٍ ، ثم جعل ينادي : مَن يبيعني مثل هذا الرُّبّـاح[5] بما لِيَ على فلان بن فلان الكنانيّ ؟ مَن يعطيني مثل هذا بما لِيَ على فلان بن فلان الكناني ؟ رافعاً صوته بذلك ، فلمّا طال نداؤه بذلك وتعييرُه به كنانةَ مرَّ به رجل منهم ، فضرب القردَ بسيفه ، فقتله ، فهتف به الجشميّ : يا آل هوازنَ ، وهتف الكناني : يـا آل كنانة ، فتجمع الحيان فاقتتلوا ، حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلَى ، ثم كفوا : وقالوا : أفي رُبّـاحٍ تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ، وحمل ابنُ جُدْعانَ ذلك في ماله بين الفريقين .

1 في أشهر المعرف : في أشهر الوقوف بعرفات .
2 فضل : امرأة فُضُل أي مختالة تُسبل من طرف ردائها .
3 الحجزة : معقد تكة السراويل .
4 لواه : ماطله .
5 الرُّباح : الذكر من القرود .

[اليوم الأوّل من أيّام الفجار الثاني]

قال : ثم كان يوم الفِجار الثاني ، وأوّل يوم حروبه يوم نخلة ، وبينه وبين مبعث النبيّ ﷺ ستّ وعشرون سنة ، وشهد النبي ﷺ ذلك اليوم مع قومه ، وله أربعَ عشرةَ سنةً ، وكان يناول عمومتَه النَّبل ، هذا قول أبي عبيدة . وقال غيره : بل شهِدَها ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة .

قال أبو عبيدة : كان الذي هاج هذه الحرب يومَ الفجار الآخرَ ، أنّ البراض بن قيس بن رافع ، أحدَ بني ضَمرةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكِّيراً فاسقاً ، خلعه قومُه ، وتبرءوا منه فشرب في بني الدِّيل ، فخلعوه ، فأتى مكّة ، وأتى قريشاً ، فنزل على حرب بن أُميّة ، فحالفه فأحسن حربٌ جِواره ، وشرب بمكّة ، حتى همَّ حربٌ أن يخلعَه ، فقال لحرب : إنّه لم يبق أحد ، ممّن يعرفني إلاّ خلعني سواك ، وإنّك إن خلعتني لم ينظر إليّ أحد بعدك ، فدَعني على حِلْفِك ، وأنا خارج عنك ، فتركه ، وخرج ، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة .

[لطيمة النعمان]

وكان النُّعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة[1] يُجيزُها له سيِّدُ مُضر ، فتباع ، ويُشترى له بثمنها الأَدَمُ والحريرُ والوِكاءُ والحِذاءُ والبُرودُ من العَصب[2] والوشي والمُسيَّر[3] والعَدَني ، وكانت سوق عكاظ في أوّل ذي القعدة ، فلا تزال قائمة يُباع فيها ويُشترى إلى حضور الحجّ ، وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة أميال ، وبها نخل وأموال لثقيف ، فجهز النُّعمان لطيمة له ، وقال : مَن يجيزها ؟ فقال البرّاض : أنا أُجيزها على بني كِنانة ، فقال النُّعمان : إنّما أُريد رجلاً يجيزها على أهل نجد ، فقال عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذٍ رجل من هوازن : أنا أُجيزها ـ أَبيتَ اللعن ـ فقال له البرّاض : مِنْ بني كنانة تجيزها يا عروة ؟ قال : نعم ، وعلى النّاس جميعاً أفَكلْبٌ خليع يجيزها !

[البراض يقتل عروة]

قال : ثم شخص بها ، وشخص البرّاض ، وعروة يرى مكانه ، لا يخشاه على ما صنع ، حتى إذا كان بين ظَهْرَيْ غطفان إلى جانب فَدَك ، بأرض يقال لها أُوارةُ قريب من الوادي الذي يقال له تَيْمَنٌ نام عروة في ظلّ شجرة ، ووجد البرّاضُ غفلتَه ، فقتله وهرب في عضاريط[4] الركاب ، فاستاق الركاب ، وقال البراض في ذلك : [من الوافر]

1 اللطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة .
2 قد يكون العصب من الخرز في القلادة ، أو البرود اليمانية .
3 المُسيّر : ثوب به خطوط من القزّ والحرير ونحو ذلك .
4 العضاريط : جمع عضروط ، وهو الخادم أو الأجير .

وداهيـةٍ يُهـال الناسُ منهـا ... شددتُ لها بني بكر ضلوعي
هتكتُ بها بيوتَ بني كلاب ... وأرضعتُ المـوالي بالضروعِ
جمعت لها يديَّ بنصل سيفٍ ... أفلّ فَخرَّ كالجِـذْع الصَّريعِ[1]

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

نقَمْتُ على المرء الكلابيّ فخرَه ... وكنت قديمـاً لا أُقِرُّ فَخارا
علوتُ بحدّ السيف مفرِقَ رأسه ... فأسمع أهـلَ الواديين خُوارا

قال : وأمُّ عروة الرّحال نُفَيْرَةُ بنت أبي ربيعة بن نُهَيْكِ بن هلال بن عامر بن صعصعة ، فقال لبيد بن ربيعة يحضّ على الطلب بدمه : [من الوافر]

فأبلغْ إن عرضتَ بنـي نُمَيْرٍ ... وأخـوالَ القتيـلِ بنـي هِلالِ
بأنَّ الوافدَ الرحَّـال أضحى ... مقيماً عنـد تَيْمَنَ ذي الطِّلالِ

قال أبو عبيدة : فحدَّثني أبو عمرو بن العلاء ، قال : لقي البرّاضُ بشرَ بن أبي خازم ، فقال له : هذه القلائِص لك على أن تأتي حربَ بن أُميّة وعبد الله بن جُدْعانَ وهِشاماً والوليد ابني المغيرة ، فتخبرَهـم أنّ البرّاض قتل عروة ، فإنّي أخـاف أن يسبق الخبرُ إلى قيس أن يكتموه . حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً . فقال له : وَما يؤمّنك أن تكون أنت ذلك القتيل ؟ قال : إنّ هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طرِيداً من بني ضَمْرَةَ ، قال : ومرّ بهما الحُلَيْس بنُ يزيدَ أحدُ بني الحارث بن عبد مناةَ بن كِنانة ، وهو يومئذٍ سيدُ الأحابيش من بني كنانة . والأحابيشُ من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نُفاثة بن الدِّيل ، وبنو لحيان من خزاعة ، والقارة ، وهو أثيـع بن الهون بن خزيمة ، وعَضَل بن دَمَس بن محلِّم بن عائذ بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة ، فقال لهم الحليس : ما لي أراكم نَجيّاً[2] ؟ فأخبروه الخبر ، ثم ارتحلوا ، وكتموا الخبر على اتّفاق منهم .

[وفاء ابن جدعان]

قال : وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جُدْعان ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجّهم ثم يردَّها عليهم إذا ظعنوا ، وكان سيّداً حكيماً مثرياً من المال . فجاءه القوم ، فأخبروه خبر البرّاض وقتلِه عُروةَ ، وأخبروا حربَ بن أُميّة وهشاماً والوليد ابنَي المغيرة ، فجـاء حـرب إلى عبد الله بن جُدْعان ، فقـال لـه : احتبس قِبلَك سلاح

1 أفل : به فلول من كثرة الصراع .
2 نجيّاً : من النجوى أي متناجين .

هوازن ، فقال له ابنُ جُدعان : أَبِالْغَدْر تأمرني يا حرب ؟ والله لو أَعلم أنّه لا يبقى منها سيفٌ إلاّ ضُرِبتُ به ، ولا رمحٌ إلاّ طُعِنتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً ، ولكن لكم مائة درع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستعينون بها ، ثم صاح ابنُ جُدعان في النّاس مَن كان له قِبَلي سلاح فليأتِ ، وليأخذه ، فأخذ الناس أَسلحتهم .

[عدم جدوى خداع هوازن]

وبعث ابنُ جُدعان وحربُ بن أُميَّة وهشامٌ والوليدُ إلى أَبي بَراء : إنّه قد كان بعد خروجنا حرب ، وقد خِفنا تفاقم الأمر ، فلا تُنكروا خروجنا ، وساروا راجعين إلى مكّة ، فلمّا كان آخرَ النهار بلغ أبا بَراء قتلُ البراض عُرْوَة ، فقال : خدعني حربٌ وابنُ جُدعان ، وركب فيمَن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم ، فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم ، وجنّ عليهم الليل ، فكفّوا ، ونادى الأَدْرَمُ بن شعيب ، أحدُ بني عامر بن ربيعة بن صعصعة : يا معشر قريش ، ميعادُ ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ ، وكان يومئذٍ رؤساء قريش حربُ بن أُميَّة في القلب ، وابنُ جُدعان في إحدى المجنبتين ، وهشامُ بنُ المغيرة في الأُخرى ، وكان رؤساء قيس عامرُ بن مالك ، ملاعبُ الأسِنَّة على بني عامر ، وكدّامُ بن عُمَير على فَهم وعدوان ، ومسعودُ بن سهم على ثقيف ، وسبيعُ بن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية ، والصِّمّةُ بن الحارث ، وهو أبو دُرَيْدِ بن الصِّمّة على بني جُشم ، وكانت الراية مع حرب بن أُميَّة ، وهي راية قُصَيّ التي يقال لها العُقاب .

[ما قاله خداش بن زهير في هذه الحرب]

فقال في ذلك خِداشُ بن زهير : [من البسيط]

يـا شَدَّةً مـا شددْنا غيرَ كاذبةٍ ... على سَخينةَ لـولا الليلُ والحرَم[1]

إذ يَتَّقِينـا هشامٌ بالوليـد ولـو ... أنّا ثَقِفنـا هشاماً شالت الخَدَم[2]

بين الأَراكِ وبين المـرج تبطحُهم ... زُرقُ الأَسِنَّة في أَطرافها السُّهُمُ[3]

فإن سمعتم بجيش سالـكٍ سَرَفاً ... وبطنَ مُرّ فأخفوا الجرس واكْتَتِمُوا[4]

[عبد الملك يستنشد شعر خداش]

وزعموا أنّ عبد الملك بن مروان استنشد رجلاً من قيس هذه الكلمة ، فجعل يحيد عن

1 الشدّة : يريد بها الهجوم . سخينة : لقب يطلق على قريش ، وهو في الأصل طعام كانت تتخذه .
2 هشام : هشام بن المغيرة ، والوليد : أخوه . شالت : ارتفعت . الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلعة المحكمة .
3 السُّهُم : الحرارة الغالبة .
4 سرف ، وبطن مر : مكانان .

قوله : «سخينة» ، فقال عبد الملك : إنّا قومٌ لم يزل يعجبنا السُّخْن ، فهات ، فلمّا فرغ قال : يا أخا قيس ، ما أرى صاحبَك زاد على التمنّي والاستنشاء .

[البراض يقدم باللطيمة]

قال : وقَدِمَ البرّاض باللطيمة مكّةَ ، وكان يأكلها ، وكان عامر بنُ يزيدَ بن الملوَّح بن يعمُرَ الكِنانيُّ نازلاً في أخواله من بني نُمَيْر بن عامر ، وكان ناكحاً فيهم ، فهمت بنو كلاب بقتله ، فمنعته بنو نمير ، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه ، واستَغْوَتْ[1] كنانةُ بني أسد وبني نمير واستغاثوا بهم ، فلم تغثهم ، ولم يشهد الفِجارَ أحدٌ من هذين الحيَّين .

[اليوم الثاني من الفجار الثاني]

ثم كان اليوم الثاني من الفِجار الثاني ؛ وهو يوم شمطة ، فتجمّعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة ، والأحابيش ، وأعطت قريشٌ رُؤوسَ القبائل أسلحةً تامة وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامّة وأداة ، وجَمَعتْ هوازن ، وخرجت ، فلم تخرج معهم كلابٌ ولا كعبٌ ، ولا شهد هذان البطنان من أيّام الفِجار إلاّ يومَ نخلة مع أبي براء عامرِ بن مالك ، وكان القوم جميعاً متساندين ، على كلّ قبيلة سيِّدُهم .

[قوّاد قريش ومَن معهم]

فكان على بني هاشم وبني المطَّلب ولَفِّهِم[2] الزُّبيرُ بن عبد المطَّلب ، ومعهم النبيّ ﷺ ، إلاّ أنّ بني المطَّلب ، وإن كانوا مع بني هاشم ، كان يرأسهم الزُّبير بن عبد المطَّلب بن هاشم ورجل منهم ، وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب بن عبد مناف ، وأُمّ الزُّبير الشَّفَّاء بنت هاشم بن عبد مناف ، وكان على بني عبد شمس ولِفِّها حربُ بن أُميّة ومعه أخواه أبو سُفيان وسفيان ، ومعهم بنو نوفلٍ بن عبد مناف ، يرأسهم بعد حرب مُطعمُ بن عديّ بن نوفل ، وكان على بني عبد الدار ولِفِّها خويلدُ بن أسد وعثمان بن الحويرث ، وكان على بني زُهرةَ ولفّها مَخْرمةُ بنُ نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان ، وكان على بني تيم بن مرة ولِفِّها عبدُ الله بنُ جُدْعان ، وعلى بني مخزوم هشامُ بن المغيرة ، وعلى بني سَهمٍ العاصي بن وائل ، وعلى بني جُمَح ولِفِّها أُميّةُ بن خلف ، وعلى بني عديٍّ زيدُ بن عمرو بن نفيل ، والخطابُ بن نفيل عمّه ، وعلى بني عامر بن لؤيّ عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ أبو سَهْلٍ بن عمرو ، وعلى بنـي الحارث بن فِهْر عبدُ الله بن الجَرّاح أبو أبي عبيدة عامر بن

---

1 استغوت كنانة بني أسد : أغوتهم بجرهم إلى الحرب .

2 اللف : الجماعة والأخلاط من الناس .

عبد الله بن الجرّاح ، وعلى بني بكر بَلْعاءُ بن قيس ، ومات في تلك الأيّام ، وكان جثّامة بن قيس أخوه مكانَه ، وعلى الأحابيش الحُلَيسُ بن يزيد .

[قوّاد هوازن ومَن معهم]

وكانت هوازن متساندين كذلك ، وكان عطيةُ بن عفيف النَّصْريّ على بني نصر بن معاوية ، وقيل : بل كان عليهم أبو أُسماء بن الضَّرِيبة ، وكان الخُنيسق الجشميّ على بني جُشم وسعدٍ ابنَي بكر ، وكان وهب بن مُعَتِّب على ثقيف ، ومعه أخوه مسعود ، وكان على بني عامر بن ربيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب سلمةُ بن إسماعيل : أحد بني البكّاء ، ومعه خالد بن هوذَةَ : أحدُ بني الحارث بن ربيعة ، وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعةُ بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نُهيْك بن هلال بن عامر .

[هوازن تسبق قريشاً وترجح كفتّها]

قال : فسبقت هوازنُ قريشاً ، فنزلت شَمْطَةَ من عكاظ ، وظنّوا أَن كنانة لم توافهم ، وأقبلت قريش ، فنزلت مِن دون المسيل ، وجعل حربٌ بني كنانة في بطن الوادي ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ، ولو أُبيحت[1] قريش ، فكانت هوازن من وراء المسيل .

قال أَبو عبيدة : فحدّثني أبو عمرو بنُ العلاء : قال : كان ابن جُدعان في إحدى المجنبتين ، وفي الأخرى هشام بن المغيرة ، وحرب في القَلْب ، وكانت الدائرة في أوّل النهار لكنانة ، فلمّا كان آخر النّهار تداعت هوازن ، وصبروا واستَحرَّ القتل في قريش ، فلمّا رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة ، وهم في بطن الوادي ، مالوا إلى قريش ، وتركوا مكانهم ، فلمّا استحرّ القتل بهم قال أبو مُساحق بلعاءُ بن قيس لقومه : أَلحقوا برَخَم ، وهو جبل ، ففعلوا ، وانهزم الناس .

[الرسول ﷺ يحضر هذه الحرب]

وكان رسول الله ﷺ لا يصير في فئة إلاّ انهزم مَن يحاذيها ، فقال حرب بن أُميّة وعبد الله بن جُدعان : أَلا ترون إلى هذا الغلام ما يَحمِل على فئة إلاّ انهزمت ؟

[شعر خداش في المعركة]

وفي ذلك يقول خِداشُ بن زهير في كلمة له : [من الوافر]

فأَبلغ إن عرضْتَ بنا هِشاماً ... وعبدَ الله أبلغْ والوَليدا
أُولئكَ إن يكن في الناسِ خيرٌ ... فإن لديهمُ حَسَباً وجُودا

---

1 ولو أُبيحت : ولو دارت الدائرة عليها .

هـمُ خير المعاشرِ من قريشٍ وأَوْراها إذا قُدِحــت زنودا
بأنّا يــومَ شَمطةَ قــد أُقمنا عمودَ المجدِ إنَّ لــه عمودا
جلَبنا الخيــلَ ساهمــةً إليهم عوابسَ يَدَّرِعْــنَ النقَع قودا[1]
فبِتنا نعقِــدُ السِّيما وباتــوا وقلنا : صبِّحوا الأُنسَ الحديدا[2]
فجـاؤوا عارضاً بَــرِداً وجئنا كما أضرمتَ في الغاب الوقودا
ونادوا : يــا لعمرٍو لا تفِــرّوا فقلنا : لا فِــرارَ ولا صُدُودا

قوله : نعقد السّيما أي العلامات .

فَعاركْنا الكُمــاةَ وعاركونــا عِراكَ النُّمْر عاركتِ الأسودا
فولَّوْا نضْربُ الهامــاتِ منهم بما انتهكوا المحارمَ والحُدودا
تركنا بطن شَمْطَةَ مــن علاءٍ كأنَّ خلالهــا معَــزاً شريدا
ولم أرَ مثلَهــم هزِموا وفُلّــوا ولا كذِيادِنــا عَنَقــاً مذودا[3]

قوله : يا لعمرو ، يعني عمرَو بن عامرِ بنِ ربيعة بنِ عامرِ بن صعصعة .

[اليوم الثالث يوم العبلاء]

ثم كان اليوم الثالث من أيّام الفِجار ، وهو يوم العَبْلاء ، فجمع القوم بَعضُهم لبعض ، والتقَوْا على قَرْن الحول بالعَبْلاء ، وهو موضع قريب من عكاظ ، ورؤساؤهم يومئذٍ على ما كانوا عليه يوم شَمْطَةَ ، وكذلك مَنْ كان على المجنَبتين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت كنانة .

[شعر خداش في المعركة أيضاً]

فقال خداشُ بن زهير في ذلك : [من الوافر]

أَلم يَبلغْــك بالعبــلاء أنّــا ضَرَبْنا خِنْدِفاً حتى استقادوا[4]
نُبَنّــي بــالمنازل عِــزَّ قيسٍ ووَدُّوا لــو تَسِيخُ بنا البلادُ[5]

وقال أيضاً : [من الوافر]

1 ساهمة : ضامرة . قودا : جمع أقود ، وهو السلس القياد ، أو الطويل العنق والظهر .
2 صبّحوا القوم الحديد : أي عاجلوهم بالحديد بدل شرب اللبن أو الخمر .
3 العنق : الجماعة من الناس .
4 استقادوا : انقادوا وخضعوا .
5 تسيخ : تخسف .

أَلَم يبلغْك مــا لاقَتْ قريشٌ وحيُّ بنــي كنانة إذ أُثيرُوا
دهمناهــم بأرعَــنَ مكفهــرٍّ فظــلَّ بنــا بعَقْوَتِهم زئيرُ[1]
نقــوِّمُ مــارِنَ الخطِّيّ فيهم يجــيء على أسنّتِنا الخريرُ[2]

[اليوم الرابع يوم عكاظ]

ثم كان اليوم الرابع من أيّامهم ، يوم عُكاظَ ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول ، وفيه جمع بعضُهم لبعض ، واحتشدوا ، والرؤساء بحالهم ، وحمل عبد الله بن جُدعان يومئذٍ ألفَ رجل من بني كنانة على ألف بعير .

[العنابس من أولاد أميّة]

وخَشِيت قريش أن يجرَى عليها مثلُ ما جَرى يومَ العَبْلاء ، فقيّد حربٌ وسفيانُ وأبو سفيان بنو أُميّة بنِ عبد شمس أنفسهم ، وقالوا : لا نبرح حتى نموتَ مكاننا ، وعلى أبي سفيان يومئذٍ دِرعانِ قد ظاهر بينهما[3] ، وزعم أبو عمرو بن العلاء أنّ أبا سفيان بن أُميّة خاصة قيَّد نفسه ، فسُمِّي هؤلاء الثلاثةُ يومئذٍ : العَنابس ، وهي الأُسودُ واحدها عَنْبَسةُ ، فاقتتل النّاس يومئذٍ قتالاً شديداً ، وثَبَت الفريقان ، حتى همّت بنو بكر بن عبد مناةَ وسائرُ بطون كنانة بالهرب ، وكانت بنو مخزوم تَلي كِنانة ، فحافظت حِفاظاً شديداً ، وكان أشدَّهم يومئذٍ بَنُو المغيرة ، فإنّهم صَبَرُوا ، وأبلَوْا بلاءً حسناً ، فلمّا رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا[4] فرجعوا وحمل بلعاء بن قيس وهو يقول : [من المنسرح]

إنَّ عُكاظَ مأوانــا فخلُّوهْ وذا المجاز بعد أن تَحُلُّوهْ[5]

[مبارزة يهزم فيها رئيس الأحابيش]

وخرج الحُلَيسُ بن يزيد : أُحدُ بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو رئيس الأحابيش يومئذٍ ، فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثانُ بنُ سعد النصريّ ، فطعنه الحدثان ، فدقّ عضده وتحاجزا .

[الدائرة تدور على قيس]

واقتتل القوم قتالاً شديداً ، وحَمَلت قريشٌ وكنانةُ على قيس من كلّ وجه ، فانهزمت

---

1 جيش أرعن : عظيم جرار . العقوة : المكان المنفسح أمام المحلة .
2 مارن الخطّيّ : الرماح اللدنة . الخرير : خرير الدم المنبثق من الطعنة .
3 ظاهر بينها : جعل كلاًّ منهما مقوية للأخرى .
4 تذامروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .
5 عكاظ وذو المجاز : مكانان مشهوران في الجاهلية .

قيسٌ كلّها إلاّ بني نصر فإنّهم صبروا ، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان ، فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا ، وكان عليهم سُبَيْعُ بن أبي ربيعةَ ، أحدُ بني دُهْمان ، فعقَل نفسه ونادى : يا آل هَوازن ، يا آل هَوازن ، يا آل نصر ! فلم يعرج عليه أحد ، وأجفلوا منهزمين ، فكرّ بنو أُميّة خاصة في بني دُهمان ومعهم الخُنيسِقُ وقشعة الجشميّانِ ، فقاتلوا فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا .

[من المستجير بخباء سبيعة]

وكان مسعود بن مُعتِّب الثقفيّ قد ضرب على امرأته سبيعةَ بنتِ عبد شمس بن عبد مناف خِباء ، وقال لها : مَنْ دخله من قريش فهو آمن ، فجعلت تُوصِل في خبائها ، ليتّسع ، فقال لها : لا يتجاوزني خباؤك فإنّي لا أمضي لك إلاّ مَن أحاط به الخباء ، فأحْفَظَها[1] فقالت : أما والله إنّي لأظنّ أنّك ستودّ أن لو زدتَ في توسعته ، فلمّا انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أُميّة جيرانها ، وقال لها : يا عمّة ، مَن تمسّك بأطناب خبائك ، أو دار حولَه فهو آمن ، فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبائها ، حتى كثروا جدّاً ، فلم يبقَ أحد لا نجاة عنده إلاّ دار بخبائها فَقِيلَ لذلك الموضع : مَدارُ قيس ، وكان يُضرب به المثلُ ، فتغضب قيس منه ، وكان زوجُها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس ، وهو من ثقيف ، قد أخرج معه يومئذٍ بنيه من سُبَيعة ، وهم عروة ولوجة ، ونُوَيْرَة ، والأسود ، فكانوا يدورون ، وهم غلمان ، في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمّهم ، ليجيروهم ، فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمّهم أن يفعلوا .

[رواية أخرى لخبر خباء سبيعة]

فأخبرني الحِرْميّ والطوسيّ : قالا : حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن ، عن المحرز بن جعفر وغيره : أنّ كنانة وقيساً لما تَوافَوْا من العام المُقْبل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعودٌ الثقفيّ على امرأته سبيعةَ بنت عبد شمس أُمِّ بنيه خِباء ، فرآها تبكي حين تدانى النّاس ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : لما يُصاب غداً من قومي ، فقال لها : مَن دخل خباءك فهو آمن ، فجعلت تُوصِل فيه القطعة بعد القطعة والخِرقَة والشيء ليتّسع ، فخرج وَهْب بن مُعتب حتى وقف عليها ، وقال لها : لا يبقى طُنُبٌ من أطناب هذا البيت إلاّ ربطتُ به رجُلاً من بني كنانة ، فلمّا صُفَّ القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة فنادت بأعلى صوتها : إنّ وهباً يأتلي ويحلف ألاّ يبقى طُنُب من أطناب هذا البيت إلاّ ربط به رجلاً من كنانة ، فالجِدّ الجِدّ ، فلمّا هُزِمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس ، فأجارهم حَربُ بن أُميّة .

1 أحفظها : أغضبها ، وأوغر صدرها .

[قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرها حرب بن أميّة]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدَّثنا أبو غسّان دَماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : لمّا هُزِمت قيس لجأت إلى خباء سُبَيْعة ، حتى أخرجوها منه ، فخرجت ، فنادت : مَن تعلّق بطنب من أطناب بيتي فهو آمن في ذمّتي ، فداروا بخبائها ، حتى صاروا حلقة ، فأمضى ذلك كلَّه حربُ بن أميّة لعمّته ، فكان يضرب في الجاهليّة بمدار قيس المثل ، ويُعيّرُون بمدارهم يومئذٍ بخباء سُبَيْعة بنت عبد شمس ، قال :

[شاعران يتحدّثان عن الموقعة]

وقال ضرار بن الخطّاب الفهريّ قوله[1] : [من المتقارب]

ألَم تسألِ الناسَ عن شأننا ... ولم يُثبتِ الأمـرَ كالخابرِ
غداةَ عُكاظ إذ استكملَتْ ... هوازنُ في كفِّهـا الحاضرِ
وجـاءتْ سُلَيْمٌ تهزّ القَنا ... على كلِّ سَلْهَبـةٍ ضامرِ[2]
وجئنا إليهم على المضمراتِ ... بأرْعَـنَ ذي لَجبٍ زاخرِ[3]
فلمّـا التقينـا أذقناهـمُ ... طِعاناً بِسُمْرِ القنـا العائرِ[4]
ففـرّت سُلَيمٌ ولم يصبروا ... وطارت شَعاعاً بنو عامرِ[5]
وفـرت ثقيفٌ إلى لاتِها ... بمُنقَلب الخائبِ الخاسرِ[6]
وقاتلت العَنْسُ شَطْرَ النها ... رِ ثم تولّـت مع الصادرِ[7]
على أنّ دُهمانَهـا حافظت ... أخيراً لـدى دارةِ الدائرِ

وقال خِداشُ بن زُهير : [من الطويل]

أتتنـا قريش حافلـينَ بجمعهم ... عليهم مـن الرحمنِ واقٍ وناصرُ
فلمّا دنونـا للقِبـابِ وأهلِهـا ... أُتيـحَ لنا ريبٌ مع الليل ناجرُ[8]

1 ديوانه : 63 ، طبعة دار صادر ، 1996 .
2 السلهبة من الخيل : العظيم الطويل العظام .
3 جيش أرعن : عظيم جرّار .
4 العائر : الذي يصيب العين بالعور .
5 الشعاع : المتفرق المنتشر .
6 إلى لاتها : أي إلى اللات الصنم المعبود .
7 العنس : إحدى القبائل .
8 ناجر : شديد الحرارة .

أُتيحت لنـا بكـرٌ وحول لوائها كتائبُ يخشاهـا العزيزُ المكاثرُ
جثت دونهم بكرٌ فلم تستطعهمُ كأنّهـمُ بالمشرفيَّـة سامـرُ
وما برحت خيلٌ تثورُ وتُـدَّعى ويَلْحـقُ منهـم أولـون وآخرُ
لدن غدوة حتى أُتى وانجلى لنا عَمايَـةُ يـومٍ شرُّه متظاهـرُ[1]
وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت هـوازنُ وارفضَّت سُلَيمٌ وعامرُ
وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصخرَ حدُّها إذا أُوهـن الناسَ الجدودُ العواثرُ

[اليوم الخامس يوم حريرة]

ثم كان اليوم الخامس ، وهو يوم الحُرَيْرَةَ[2] ، وهي حرَّةٌ إلى جانب عُكاظَ ، والرؤساء بحالهم إلاّ بلعاءَ بن قيس ؛ فإنّه قد مات فصار أخوه على عشيرته ، فاقتتلوا ، فانهزمت كنانةُ وقُتِل يومئذٍ أبو سُفيانَ بنُ أُميّة وثمانيةُ رَهْطٍ من بني كنانة ، قتلهم عُثمان بن أسدٍ من بني عمرو بن عامر بن ربيعة ، وقتل ورقاءُ بنُ الحارث : أحدُ بني عمرو بن عامر من بني كنانة وخمسة نفر .

[خداش يسجل هذه الموقعة]

وقال خداش بن زهير ، في ذلك : [من البسيط]

لقـد بَلَوْكُمْ فأَبلَوْكم بلاءهمُ يوم الحُرَيرة ضرباً غيرَ تكذيبِ
إن تُوعدوني فإنِّي لابْنُ عمِّكمُ وقد أُصابوكُم منـه بشُؤْبوبِ[3]
وإن ورقاءَ قد أُردى أَبا كَنَفٍ وابنَيْ إياسٍ وعمراً وابنَ أيّوبِ
وإنّ عثمانَ قـد أُردى ثمانيةً منكم وأنتم على خُبْرٍ وتجريبِ

[يتحدث عن مقتل والد خداش]

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجلَ ، والرجلان يلقيان الرجلين ، فيقتل بعضُهم بعضاً . فلقي ابنُ مَحْمِيَةَ بن عبد الله الديلي زهيرَ بن ربيعة أبا خداش ، فقال زهير : إنِّي حَرامٌ جئت معتمراً ، فقال له : ما تُلقى طِوالَ الدّهر إلاّ قلتَ : أنا معتمر ، ثم قتله ، فقال الشويعر الليثيّ ، واسمه ربيعةُ بنُ عَلَس : [من الوافر]

---

1 شره متظاهر : هجومه قوي .
2 الحريرة : الأرض ذات حجارة سود كأنّها أحرقت .
3 الشؤبوب : الدفعة من المطر وهنا الدماء .

تركنا ثاويـاً يزقو صداهُ زهيراً بالعوالي والصِّفاحِ[1]
أُتيح له ابنُ مَحميَةَ بنِ عبدٍ فأعجلـه التسوُّم بالبطاحِ[2]

[صلح لا يتمّ]

ثم تداعَوْا إلى الصلح على أن يَدِي مَنْ عليه فضلٌ في القتلى ، الفضلَ إلى أهله ، فأبى ذلك وَهْـب بن مُعتِّب ، وخالـف قومه ، واندسّ إلى هوازن ، حتى أغارت على بني كنانة ، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة ، عليهم سلمةُ بن سُعْدى البكائيّ ، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظَبْيان الهلاليّ ، وبنو نصر بن معاوية ، عليهم مالكُ بن عوف ، وهـو يومئـذٍ أمْرَدُ ، فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء الغميم ، فكانت لبني ليث أوّل النّهـار ، فقتلوا عبيد بن عوف البكائيّ ، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمّل الجسريّ حليف بني عامر ، ثـم كانت على بني ليْث آخرَ النهار ، فانهزموا ، واستحر القتل في بني الملوِّح بن يعمُرَ بـن ليث ، وأصابـوا نعماً ونساءً حينئذٍ ، فكان ممّن قُتِل في حروب الفِجار من قريشٍ العوّامُ بنُ خويلـد ، قتله مُـرّةُ بن مُعتِّب ، وقُتل حزام بن خويلد ، وأحيحةُ بن أبي أُحَيْحَةَ ، ومعمر بن حبيب الجُمَحيّ ، وجُرِح حرب بن أميّة ، وقُتل من قيس الصِّمّة أبو دريد بن الصمَّة ، قتله جعفر بن الأحنف .

[صلح يتمّ برهائن]

ثم تراضَوا بأن يعدُّوا القتلى ، فيَدُوا مَن فضل ، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة ، فاجتمعت القبائل على الصلح ، وتعاقدوا ألاّ يعرضَ بعْضُهم لبعض ، فرهن حربُ بن أُميّة ابنه أبا سفيانَ بنَ حرب ، ورهن الحارثُ بن كَلَدةَ العبديّ ابنَه النضْرَ ، ورهن سفيانُ بن عوف أحدُ بني الحارث بن عبد مناة ابنَه الحارث ، حتى وُديت الفضولُ ، ويقال : إنّ عتبةَ بن ربيعةَ تقدم يومئذٍ ، فقال : يا معشر قريش ، هلمُّوا إلى صلة الأرحام ، والصلح ، قالوا : وما صلحكم هنا ، فإنَّا موتورون ؟ فقال : عَلى أن نَدِيَ قتلاكم ، ونتصدق عليكم بقتلانا فرضُوا بذلك ، وساد عتبة مذ يومئذٍ ، قال : فلمّا رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو ، فأطلقوهم .

[النبيُّ يشهد الفجار]

قال أبو عبيدة : ولم يشهد الفِجار من بني هاشم غيرُ الزُّبير بنِ عبد المطلب ، وشهد النبيّ ﷺ وآلِه سائـرَ الأيـّام إلاّ يومَ نخلة ، وكان ينـاول عمَّـه وأهلـه النّبلَ ، قال :

1 يزقو : يصوت . الصدى : طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل . الصفاح : السيوف .

2 التسوم : الإغارة ، أو سوق الخيل المسومة .

وشهدها ﷺ وهو ابن عشرين سنة ، وطَعَن النبيّ ﷺ وآلِه أبا بَراء مُلاعِبَ الأسنّة ، وسئل صلّى الله عليه وآلِه عن مشهده يومئذٍ ، فقال : ما سرَّني أنّي لم أشهده ، إنّهم تعدَّوْا على قومي ، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرَّاضَ صاحبهم ، فأبوا .

[عدد القتلى]

قال : وكان الفضل عشرين قتيلاً من هوازن ، فوداهم حرب بن أُميّة فيما تروي قريش ، وبنو كنانة تزعم أنّ القتلى الفاضِلين قتلاهم ، وأنّهم هم وَدَوْهم .

[أعمام النبي يشهدون هذه الموقعة]

وزعم قوم من قريش أنّ أبا طالبٍ وحمزةَ والعبّاسَ بني عبد المطّلب ، عليهما السلام ، شهدوا هذه الحروب ، ولم يردَّ ذلك أهلُ العِلم بأخبار العرب .

[سبيعة تجير بعلها]

قال أبو عبيدة : ولمّا انهزمت قيس خرج مسعود بن مُعتّب لا يُعرّج على شيء حتى أتى سُبَيْعةَ بنتَ عبد شمس زوجته ، فجعل أنفَه بين ثدييها ، وقال : أنا بالله وبك ، فقالت : كلا ، زعمت أنّك ستملأ بيتي من أسرى قومي ، اجلس فأنت آمن .

[عود إلى الصوت وبقيته]

وقالت أُميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أُميّة ومَن قُتِل من قومها ، والأبيات التي فيها الغناء منها : [من الهزج]

أبــى لَيلُـكَ لا يذهبْ ... ونيط الطَّـرفُ بالكوكبْ
ونجــم دونــه الأهْـوا ... لُ بين الدَّلــو والعقربْ
وهــذا الصبحُ لا يأتــي ... ولا يدنــو ولا يقــربْ
بعَقــــرِ عشيرةٍ منّــــا ... كرام الخِيــم والمنصِبْ[1]
أحــالَ عليهـــمُ دهــرٌ ... حديــدُ النّابِ والمِخلبْ
فحــلَّ بهــم وقــد أمِنوا ... ولم يُقْصِــرْ ولم يَشْطُبْ[2]
ومــا عَنْــهُ إذا مـا حـ ... ـلّ من مَنجًى ولا مَهربْ
ألا يــا عــينُ فابكِيهم ... بدمــعٍ منك مستغرِبْ[3]

1 الخيم : الخصال والطباع .
2 يشطب : من شطب عن الشيء بمعنى عدل عنه .
3 مستغرب : غزير .

فإن أبــكِ فهــم عِزّي وهم ركني وهم مَنكِبْ
وهم أصلي وهــم فرعي وهــم نسبي إذا أُنْسَبْ
وهم مجدي وهم شرفي وهــم حِصني إذا أرْهَبْ
وهم رُمحي وهــم تُرسي وهــم سيفي إذا أغضبْ
فكم مــن قائــلٍ منهم إذا مــا قــال لم يكذِبْ
وكم مــن ناطــقٍ فيهم خطيــبٍ مِصقَــعٍ مُعْرِبْ
وكم مــن فــارسٍ فيهم كمِــيٌّ مُعْلَــمٍ مِحْرَبْ[1]
وكم مــن مِـدرَهٍ فيهم أريــبٍ حُــوَّل قُلَّبْ[2]
وكم مــن جَحفَـلٍ فيهم عظيــمِ النّــارِ والموكِبْ
وكم مــن خِضْـرمٍ فيهم نجيبٍ ماجــد مُنجِبْ[3]

صوت

[من الطويل]

أُحِبُّ هبوطَ الواديَين وإنّني لمشتهــرٌ بالواديــين غريبُ
أحقّاً عبادَ الله أنْ لستُ خارجاً ولا والجــاً إلاّ عــليّ رقيبُ
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة من النّاسِ إلاّ قيل : أنت مُرِيبُ
وهــل ريبةٌ في أن تحِنَّ نَجيبةٌ إلى إلفهــا أو أن يَحِنّ نَجيبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيبانيّ في أشعار بني جعدة ، وذكره أبو الحسن المدائنيّ في أخبار رواها لمالك بن الصَّمصامة الجَعْديّ ، ومن النّاس مَن يرويه لابن الدُّمينة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية ، والرويّ والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو .

1 المعلم من الفرسان : مَن يتّخذ لنفسه في الحرب علامة تميّزه . المحرب : الخبير المطّلع بأمور الحرب .
2 المدره : خطيب القوم ، أو سيّدهم .
3 الخضرم : السيد الجواد . المنجب : مَن ينجب أولاده .

[464] ـ أخبار مالك ونسبه

[نسبه]

هو مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك : أحد بني جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر بدويّ مُقِلّ .

[يحول أخو جنوب دون حبّها]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن خلف بن المرزبان ، قالا : أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ ، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبي عمرو الشيبانيّ ، قالوا : كان مالك بن الصَّمصامة الجعديُّ فارساً شجاعاً جواداً جميل الوجه ، وكان يَهوى جنوبَ بنت مِحصَن الجعديَّة ، وكان أخوها الأصبغ بن مِحصَن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم ، فنَمى إليه نُبَذٌ من خبر مالك ، فآلى يميناً جزْماً : لئن بلغه أنّه عَرَضَ لها أوْ زارها ليقتلنه ، ولئن بلغه أنّه ذكرها في شعر أو عرّض بها ليأسرنه ، ولا يطلقُه إلاّ أن يجُزَّ ناصيته في نادي قومه ، فبلغ ذلك مالكَ ابنَ الصَّمصامة ، فقال : [من الطويل]

إذا شئتَ فاقرِنّي إلى جَنْب عيهب ... أجبٍّ ونضوي للقلوص جنيبُ[1]
فما الحلْق بعـد الأسر شرٌّ بَقيّـةً ... من الصَّدِّ والهِجرانِ وهي قريبُ
ألا أيّها الساقـي الذي بلّ دَلوَه ... بقُربان يَسْقي هـل عليك رقيبُ[2]
إذا أنتَ لم تشربْ بقُريان شربةً ... وحانيـةِ الجدران ظَلْتَ تَلوبُ[3]
أحـبّ هبـوطَ الواديين وإنّني ... لمشتهـر بالواديـين غريـبُ
أحقّاً عِبادَ الله أنْ لستُ خارجاً ... ولا والجـا إلاّ عـليَّ رقيبُ !
ولا زائراً وحدي ولا في جماعةٍ ... من النّاس إلاّ قيـل : أنتَ مُريبُ

1 العيهب : الكساء من الصوف . أجبٌّ : مقطوع . النضو : الثوب الخلق .

2 قربان : موضع .

3 تلوب ، من لاب : دار حول الماء وهو لا يستطيع الوصول إليه .

وهـل ريبـة في أن تَحِنَّ نجيبةٌ إلى إلفهـا أو أن يحِـنَّ نجيبُ

[يراها فلا يستطيع مخاطبتها]

وقال أبو عمرو خاصة : حدَّثنا فتيان من بني جعدة أنّها أقبلت ذات يوم ، وهو جالس في مجلس فيه أخوها ، فلمّا رآها عرفها ، ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها ، فأغمي عليه ، وفَطِن أخوها لما به ، فتغافل عنه ، وأسنده بعضُ فِتيان العشيرة إلى صدره ، فما تحرّك ، ولا أحار جواباً ساعة من نهاره ، وانصرف أخوها كالخجِل ، فلمّا أفاق قال : [من الطويل]

أَلَمَّتْ فما حيّت وعاجتْ فأسرعت إلى جرعـة بين المخارمِ فالنّحرِ[1]
خليليَّ قـد حانَتْ وفاتيَ فاحفِرا برابيـةٍ بـين المخافـر والبُترِ
لكيما تقـول العبدليّـةُ كلّما رأت جدثي : سُقّيت يا قبرُ من قبرِ

[جنوب ترعى عهده]

وقال المدائنيّ في خبره : انتجع أهل بيت جنوب ناحية حِسْيٍ والحِمى ، وقد أصابها الغيث ، فأمرعت ، فلمّا أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصَّمصامة ، حتى إذا بلغته جَنُوبُ أخذ بِخطام بعيرها ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

أريْتُـكِ إن أزمعتـمُ اليوم نِيّـةً وغالكِ مُصطافُ الحِمى ومرابعُهْ[2]
أترعَيْن ما استُودِعْتِ أم أنتِ كالذي إذا مـا نأى هانت عليـه ودَائعُهْ

فبكت ، وقالت : بل أرعى والله ما استودِعْت ، ولا أكونُ كمَن هانت عليه ودائعه ، فأرسل بعيرها ، وبكى ، حتى سقط مغشيّاً عليه ، وهي واقفة ، ثم أفاق ، وقام ، فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

ألا إنَّ حِسْياً دونـه قُلَّةُ الحِمى مُنى النفس لو كانت تُنال شرائعهْ[3]
وكيف ومِن دونِ الورودِ عوائقٌ وأصبغُ حامي مـا أُحِبُّ ومانعُهْ[4]
فـلا أنـا فيما صدَّني عنه طامعٌ ولا أرتجي وصلَ الذي هو قاطعُهْ

1 عاجت : رجعت . الجرعة : الأرض ذات الحزونة . المخارم والنحر : مكانان .
2 نيّة : رحلة وبعداً . غالك : أخفاك عنّي .
3 قلّة كل شيء : أعلاه . شرائع : جمع شريعة ، وهي مورد الماء كالغدير ونحوه .
4 يريد الأصبغ أخا جنوب .

صوت

[من البسيط]

يـــا دارَ هنْدٍ عفاهـــا كلُّ هطّالِ   بالخَبتِ مثلُ سحيقِ اليَمْنَةِ البالي[1]
أربَّ فيهـــا وليٌّ مـــا يغَيّرُها   والريحُ ممّـــا تعفّيهـــا بأذيالِ
دارٌ وقفتُ بهـــا صَحبي أُسائلها   والدمع قد بلَّ منّي جَيْبَ سِرْبالي
شوقاً إلى الحـــيِّ أيّامَ الجميعُ بها   وكيف يطربُ أو يشتاق أمثالي ؟

قوله . أَرَبَّ فيها أيّ أقام فيها وثبت ، والوليّ : الثاني من أمطار السنة ، أوّلها الوسْميّ ، والثاني الوليّ ، ويروى :

جرت عليها رياح الصيف فاطَّرقت

واطَّرَقَتْ : تلبدت .

الشعر لعَبِيد بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن جامع رَمَل بالوسطى ، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولَحنُ إبراهيم إليه .

1 عفاها : محاها . الخبت : مكان . اليمنة : برد مخصوص يرد من اليمن .

[465] ـ أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه[1]

[اسمه ونسبه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : هو عَبيدُ بن الأبرص بن حَنْتَمٍ بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر . شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية ، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرَن به طَرَفَة وعلقمة بن عَبَدة وعديَّ بنَ زيد .

[شاعر ضائع الشعر]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سَلاَّم ، قال : عبيدُ بن الأبرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشِعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلاّ قوله في كلمته :

أَقْفَرَ مِـــن أَهْلِـــهِ مَلْحُوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك .

[يتّهم بأخته]

أخبرنا عبد الله بن مالك النحويّ الضرير ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيبَ ، عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ ، قالا : كان من حديث عبيد بن الأبرص أنّه كان رجلاً محتاجاً ، ولم يكن له مال ، فأقبل ذات يوم ومعه غُنَيْمة له ، ومعه أخته ماوِيّة ؛ ليوردا غنمهما الماءَ ، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبَهه[2] ، فانطلق حزيناً مهموماً للذي صنع به المالكيّ ، حتى أتى شجراتٍ فاستظلّ تحتهنّ ، فنام هو وأخته ، فزعموا أنّ المالكي نظر إليه وأُختُه إلى جنبه ، فقال : [من الرجز]

ذاك عبيدٌ قد أصاب مَيّا يـــا ليتَـــه ألقحها صبيّا

فحملت فوضعت ضاويّا[3]

---

1 انظر ترجمته في مقدمة ديوانه 5–16 وفي الشعر والشعراء 1 : 267–269 والأمالي 3 : 195–196 وأمثال العسكري 93 ومختارات ابن الشجري 2 : 33–35 والخزانة 1 : 321–324 و4 : 164–165 والبلدان 6 : 282–286 والاقتضاب 348 وشعراء الجاهلية 596–615 .

2 جبهه : صك جبهته ، أو قابله بما لا يحبّ .

3 ضاوياً : مهزولاً نحيفاً .

فسمعه عَبيد ، فرفع يديه ، ثم ابتهل ، فقال : اللهمّ إن كان فلان ظلمني ، ورماني بالبهتان فأَدِلْني منه ، أي اجعل لي منه دَوْلَة ، وانصُرني عليه ، ووضع رأسه فنام ، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر .

[يهبط عليه الشعر من السماء في النوم]

فذُكِر أنّه أتاه آتٍ في المنام بكُبَّةٍ[1] من شَعْر ، حتى أَلقاها في فيه ، ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز : يعني بني مالك ؛ وكان يقال لهم بنو الزِّنْية يقول : [من الرجز]

أيـا بني الزِّنية مـا غرّكمُ ... فلكمُ الويلُ بسربال حَجَرْ

ثم استمرَّ بعد ذلك في الشعر ، وكان شاعرَ بني أُسد غير مدافَع .

[بينه وبين امرىء القيس]

أُخبرني هاشم بن محمد الخزاعيٌ ، قال : حدَّثنا أبو غسان دَماذ ، عن أَبي عبيدة ، قال : اجتمعت بنو أُسد بعد قتلهم حُجْرَ بن عمرو والدَ امرىء القيس إلى امرىء القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه ؛ أو يُقِيدوه من أيّ رجل شاء من بني أسد ، أو يُمهلَهم حولاً ؛ فقال : أَما الدية فما ظننت أنّكم تعرضونها على مِثْلي ، وأما القَوَدُ فلو قِيد إليَّ ألفٌ من بني أسد ما رَضيتُهم ؛ ولا رأيتهم كفوًا لِحُجْر ، وأمّا النَّظِرة[2] فلكم ، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان ، أُحكِّم فيكم ظُبا السيوف وشَبا الأسنَّة ، حتى أُشفيَ نفسي ، وأنالَ ثأري ، فقال عبيدُ بنُ الأبرص في ذلك[3] : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـا ذا المخوِّفُنـا بقتـ ... ـلِ أَبيـه إذلالا وحَيْنا[4]
أَزعمـتَ أَنّك قـد قَتَـ ... ـلْتَ سَراتنا كذباً ومَيْنا ؟
هـلاَّ على حُجْـرِ ابن أُمْ ... مِ قطامِ تبكـي لا علينا[5]
إنّـا إذا عَـضَّ الثِّقـا ... فُ برأس صَعْدتِنا لَوَيْنا[6]

---

1 الكبّة : مجموعة من الخيوط ونحوها على شكل كرة .
2 النَّظِرة : المهلة .
3 ديوانه : 141 .
4 الحين : الهلاك .
5 حجر ابن أم قطام : هو أبو امرىء القيس .
6 الثقاف : آلة تعدل بها الرماح المعوجة . الصعدة : الرمح .

نحمـي حقيقتنـا وبعـ ـضُ النّاس يسقط بين بينا[1]
هلاَّ سألتَ جمـوع كِنـ ـدةَ يوم ولَّـوْا أين أينا ؟

الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشاميّ ، وفيه ليَحيى المكّيّ خفيف ثقيل : قال : وتمام هذا الأبيات :

أيّـامَ نضربُ هامَهـم ببواتـرٍ حتـى انحنينا
وجمـوعَ غسَّانَ الملـو ك أتينَهم وقـد انطوَيْنا
لُحُقـاً أيـا طِلُهـنّ قـد عالجـن أسفـاراً وأينا[2]

والأياطل : الخواصر أي هنّ ضوامرها ؟

نحن الأُولى فاجمع جمو عَـك ثـم وجِّههم إلينا[3]
واعلـمْ بـأنَّ جيادَنـا آلَيْـنَ لا يقضِيـن دينا
ولقـد أبحْنـا مـا حَميـ ـتَ ولا مُبيحَ لما حَمينا
هذا ولـو قَـدَرَتْ عليـ ـكَ رماحُ قومي ما انتهينا
حتـى تنـوشَك نَوْشَةٌ عاداتِهـنَّ إذا انتـويْنا[4]
نُغْـلي السِّباءَ بكـلِّ عـا تقةٍ شمولٍ مـا صحَوْنا[5]
ونُهِـينُ في لذّاتنـا عُظْمَ التّلادِ إذا انتشينا
لا يبلُـغ البـاني ولـو رفـعَ الدّعائـمَ ما بَنَيْنا
كم مـن رئيسٍ قـد قَتَلـ ـناهُ وضَيـمٍ قـدْ أبينا
ولـربَّ سَيِّـدِ معشرٍ ضخمِ الدّسيعة قد رمينا[6]
عِقْبانُـه بظلالِ عِقـ ـبانٍ تُتَمِّـمُ مـا نوينا
حتـى تركنـا شِلـوَه جَزَرَ السِّباعِ وقد مضينا[7]

1 الحقيقة : ما ينبغي حمايته من حريم ووطن ومال وغير ذلك .
2 الأين : التعب والمشقة .
3 فاجمع جموعك في الديوان 142 جمِّع جموعاً .
4 تنوشك : تتناولك .
5 العاتقة الشمول : الخمر المعتقة .
6 الدسيعة : الجفنة الكبيرة ، أو المائدة الكريمة ، أو العطية الجزيلة ، أو القوة العارمة .
7 الشّلو : بقية اللحم ونحوه . جزر السِّباع : ما تأكله السباع من اللحم .

إنّا لعُمـرك مـا يُضا مُ حليفُنـا أبـداً لدينا
وأوانِس مثـلِ الدُّمـى حُورِ العيون قـد استبينا

[الشعر على ألسنة الأفاعي]

وقرأت في بعض الكتب ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، وهو خبر مصنوع ؛ يتبين التوليد فيه : أنَّ عبيدَ بن الأبرص سافر في ركب من بني أسد ، فبينا هم يسيرون إذا هم بشجاعٍ يَتَمعَّك[1] على الرمضاء فاتحاً فاه من العطش ، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها ، فنزل فسقاه الشجاعَ عن آخره حتى رَوِيَ وانتَعَشَ ، فانساب في الرمل ، فلمّا كان من الليل ، ونام القوم ندّت رواحلهم ، فلم يُرَ لشيءٍ منها أثَر ، فقام كل واحد يطلب راحلته ، فتفرّقوا ، فبينا عبيد كذلك ؛ وقد أيقن بالهَلَكة والموت إذا هو بهاتف يهتف به : [من الرجز]

يا أيُّها الساري المضِلُّ مذهبُهْ دونكَ هذا البَكرَ منّا فاركبُهْ
وبكْرُكَ الشارد أيضاً فاجنُبُه حتـى إذا الليلُ تَجَلّى غيهبُهْ
فَحُطّ عنه رحلَه وسَيِّبُه

فقال له عبيد : يا هذا المخاطِبُ ، نشدتُك الله إلاّ أخبرتني : مَن أنت ؟ فأنشأ يقول : [من البسيط]

أنا الشّجاع الذي ألفيْتَه رَمِضاً في قفرةٍ بين أحجارٍ وأعقادِ[2]
فَجُدْتَ بالماءِ لما ضَنَّ حاملُه وزِدتَ فيه ولم تبخلْ بإنكادِ
الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوْعيتَ من زادِ[3]

فركب البكرَ وجنَب بكرَه ، وسار فبلغ أهله مع الصبح ، فنزل عنه ، وحلّ رحله ، وخلاّه ، فغاب عن عينه ، وجاء من سلِمَ من القوم بعد ثلاث .

[يومان للمنذر بن ماء السماء]

أخبرني محمد بن عمران المؤدّب وعمّي ، قالا : حدّثنا محمد بن عبيد : قال : حدَّثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبيّ ، عن الشرقي بن القطامي : قال : كان المنذرُ بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد ، أحدهما خالد بن المضلّل ، والآخر عمرو بن مسعود بن كَلَدة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يُحفر لكلّ واحد حَفِيرةٌ بظَهر الحِيرة ، ثم يجعلا في تابوتين ، ويدفنا في الحفرتين ، فَفُعِلَ ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما ،

---

1 يتمعّك : يتمرّغ في التراب ، ويتقلب عليه .
2 الشجاع : الثعبان . رمضاً : حار الجوف من شدّة العطش .
3 أوعيت : حملت في وعائك .

فأُخبِر بهلاكهما ، فندِم على ذلك ، وغَمَّه ، وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل الأسديين يقول شاعر بني أسد : [من الكامل]

يا قبرُ بـيـنَ بيوتِ آل محرّقٍ جادت عليك رواعـدٌ وبروقُ
أمّا البكاءُ فقلّ عنـك كثيرُه ولئن بُكِيـتَ فَلَلْبُكـاء خَليقُ

ثم ركب المنذر ، حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغَرِيّيْن[1] عليهما ، فبُنِيا عليهما ، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغَرِيَّيْن ، يُسمّى أحدهما يوم نعيم ، والآخر يوم بؤس ، فأوّلُ مَن يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الإبل شُوما[2] أي : سودا ، وأوّل مَن يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبانٍ[3] أسود ، ثمّ يأمرُ به ، فيذبح ويغرّى بدمه الغريان ، فلبث بذلك برهة من دهره .

[يقتل في يوم بؤس المنذر]

ثم إنَّ عبيدَ بنَ الأبرص كان أوّل من أُشرف عليه في يوم بؤسه ، فقال : هلا كان الذبح لغيركَ يا عَبيد ؟ فقال : أَتَتْك بحائنٍ[4] رجلاه[5] ، فأرسلها مثلاً ، فقال له المنذر : أو أجَلٌ بلغ إناه ، فقال له المنذر : أنشدني ، فقد كان شعرك يعجبني ، فقال عبيد : حال الجريض[6] دون القريض ، وبلغ الحِزام الطُّبيين[7] . فأرسلها مثلاً ، فقال له النُّعمان : أُسمعني ، فقال : المنايا على الحوايا[8] ، فأرسَلَها مثلاً ، فقال له آخر : ما أشدَّ جزعَك من الموت ، فقال : لا يرحلُ رَحْلَك

1 الغريان : بناءان أقامهما المنذر على نديميه اللذين قتلهما .
2 شوما : لعلّه جمع أشيم أو شيماء بمعنى في جسمها شامة .
3 الظربان : حيوان أصلم الأذنين ، طويل الخطم ، قصير القوائم ، منتن الرائحة .
4 الحائن : الهالك .
5 مثل ورد في مجمع الأمثال 21/1 ، 360 و206/2 والجمهرة للعسكري 10/1 ، 119–120 والأمثال للقاسم بن سلام 328 ، والمستقصى للزمخشري 37/1 .
6 الجريض : الغصة . مثل ورد في كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبيّ 250 ومجمع الأمثال للميداني 191/1 ، 204 والجمهرة للعسكري 341/1 ، 359 والمستقصى للزمخشري 55/2 وفصل المقال 44 والأمثال للقاسم بن سلام 319 ، 341 .
7 الطبيان : تثنية طبي ، وهو حلمة الضرع أو الضرع كلّه ، وهو مثل يضرب للأمر تجاوز حدّه ، ورد في الجمهرة للعسكري 220/1 ، 360 و25/2 ، وفي المستقصى 13/2 ومجمع الأمثال للميداني 42 وورد جاوز الحزام الطبيين في مجمع الأمثال 166/1 و124/2 .
8 الحوايا : ما استوى عليه بطن الإنسان والحيوان وهو مثل وفي الجمهرة 197/1 و308 وفي غيرها وورد بصيغة : البلايا على الحوايا ، والمنايا على السوايا ويروى على الحوايا : مجمع الأمثال 303/2 والجمهرة للعسكري 359/1 و226/2 ، 275 والمستقصى 350/1 والأمثال لأبي القاسم بن سلام 341 .

مَنْ ليس معك[1] فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر : قد أَمْلَلْتني ، فأرحني قبل أن آمر بك ، فقال عبيد : من عَزَّ بَزَّ[2] فأرسلها مثلاً ، فقال المنذر : أنشدني قولك :

أقفرَ مِـن أهله مَلحوبُ

فقال عبيد : [من السريع]

صوت

أقفرَ مـن أهلِهِ عَبِيدُ فليس يُبدِي ولا يُعِيدُ
عَنتْ لـه عَنَّـةٌ نكُودٌ وحان منها لـه ورودُ

فقال له المنذر : يا عبيد ، ويحك ، أنشدني قبل أن أذبحك ، فقال عبيد : [من السريع]

والله إن مِـتُّ لمـا ضرّني وإن أعشْ ما عشتُ في واحدَهْ

فقال المنذر : إنّه لا بدّ من الموت ، ولو أنّ النُّعمان عرض لي في يوم بؤس لذبحته ، فاختر إن شئتَ الأكحلَ[3] ، وإن شئتَ الأبجلَ[4] ، وإن شئتَ الوريدَ[5] ، فقال عبيد : ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شَرُّ ورَّاد ، وحاديها شرُّ حاد ، ومعادها شرُّ معاد ، ولا خير فيه لمرتاد ، وإن كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر ، حتى إذا ماتت مفاصلي ، وذهلت لها ذواهلي فشأنَك وما تريد ، فأمر المنذر بحاجته من الخمر ، حتى إذا أخذت منه ، وطابت نفسه ، دعا به المنذر ، ليقتله ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول : [من الطويل]

وخيَّرني ذُو البؤس في يـوم بؤسه خِصالاً أرى في كلها الموتَ قد بَرَقْ
كما خُيِّرت عـادٌ من الدَّهْرِ مَرّةً سحائبَ ما فيها لذي خِيرة أَنَقْ[6]
سحائـب ريح لم تُوكَّـل ببلـدةٍ فتتركهـا إلاّ كما ليلـةِ الطَّلَقْ[7]

فأمر به المنذر ، فَفُصِد ، فلمّا مات غُرِّي بدمه الغَرِيَّان .

---

1 مثل : ويروى «مَن لا يرحّل رحلك» . ورد في مجمع الأمثال 237/2 والجمهرة للعسكري 360/1 و376/2 ، 396 ، والمستقصى 269/2 .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 307/2 والجمهرة 226/2 ، 257 ، 288 ، 360 والمستقصى 357/2 والأمثال للمفضل بن محمد الضبّيّ 124 وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبّيّ 89 .

3 الأكحل : وريد في وسط الذراع .

4 الأبجل : عرق في الرجل ، أو في اليد بإزاء الأكحل .

5 الوريد : عرق في العنق .

6 الأنق : الحسن الرائع .

7 الطلق : البعد .

[طائيّ يفِد على المنذر في يوم بؤسه]

فلم يزل كذلك حتى مرَّ به رجل من طيّىء ، يقال له : حنظلةُ بن أَبي عفراء ، أو ابن أَبي عُفْر ، فقال له : أبيت اللعن ، والله ما أتيتك زائراً ، ولأَهْلي من خيرك مائرا[1] فلا تكن ميرتَهم قتلي ، فقال : لا بدّ من ذلك فاسأل حاجة أقضينَّها لك ، فقال : تؤجِّلُني سنة أرجع فيها إلى أهلي ، وأُحكِم من أمرهم ما أُريد ، ثم أصيرُ إليك ، فأنفِذْ فيَّ حكمَك ، فقال : ومَن يكفُلُ بك حتى تعود ؟ فنظر في وجوه جلسائه ، فعرف منهم شرِيكَ بن عمرو : أبا الحَوْفزانِ بن شريك ، فأَنشد يقول : [من مجزوء الرمل]

يا شريكٌ يا ابنَ عمرٍو ... مـا مـن الموتِ مَحالَهْ
يا شريكٌ يا ابنَ عمرو ... يـا أَخا مـن لا أَخالَهْ
يا أَخا شَيْبان فُـكَّ اليـ ... ـوم رهنـاً قـد أَنالَهْ
يا أَخـا كلِّ مُضـافٍ ... وحيـا مـَنْ لا حَيا لَهْ
إنَّ شَيْبـانَ قبيـلٌ ... أَكـرمَ اللهُ رجـالَهْ
وأَبـوك الخيرُ عمـرٌو ... وشراحيـلُ الحَمـالَهْ
رَقيَّاك اليـوم في المجـ ... ـدِ وفي حُسنِ المقـالَهْ

[شريك بن عمرو يضمن الطائيّ]

فوثب شريك ، وقال : أَبيت اللعن ، يدي بيده ، ودمي بدمه إن لم يعد إلى أَجله ، فأطلقه المنذر ، فلمّا كان من القابل جلس في مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يأتيه ، فأبطأ عليه ، فأمر بشريك ، فقُرِّب ، ليقتله .

[الطائيّ يفي بعهده]

فلم يشعر إلاّ براكب قد طلع عليهم ، فتأمّلوه ، فإذا هو حَنْظلة قد أقبل متكفّنا متحنّطا معه نادِبتُه تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه ، فلمّا رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما ، وأبطل تلك السُّنَّة .

[رواية أُخرى لقصّة مصرع عبيد]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثنا عليّ بن الصباح ، عن هشام بن الكلبيّ ، قال : كان من حديث عبيد بن الأبرص وقتله أنَّ المنذرَ بن ماء المساء بنى الغريّين ، فقيل له : ما تريد إليهما ؟ وكان بناهما على قبري رجلين من بني أَسد كانا

1 مائراً : طالباً الميرة : القوت .

نديميه ، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسيّ ، والآخر عمرو بن مَسْعود ، فقال : ما أنا بملك إن خالف النّاس أمري ، لا يَمُرَّنَّ أحد من وفود العرب إلاّ بينهما ، وكان له يومان في السنة يوم يسمِّيه يوم النعيم ، ويوم يسمِّيه يوم البؤس ، فإذا كان في يوم نعيمه أُتي بأوّل مَن يطلع عليه ، فحياه ، وكساه ، ونادمه يومه ، وحمله ، فإذا كان يوم بؤسه أُتي بأوّل مَن يطلع عليه ، فأعطاه رأس ظَرِبانٍ أسودَ ، ثم أمر به فذبح وغُرِّيَ بدمه الغَرِيَّان ، فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عَبيدٌ ، فقال لرجل كان معه : من هذا الشقيّ ؟ فقال له : هذا عبيدُ بن الأبرص الأسَديّ الشاعر ، فأُتيَ به فقال له الرجل الذي كان معه : اتركه ، أبيتَ اللعن ، فإنّي أظنّ أنّ عنده من حُسن القريض أفضلَ ممّا تدرك في قتله فاسمعْ منه ، فإن سمعت حسناً استزدته ، وإن لم يعجبك فما أقدرَك على قتله . فإذا نَزَلْتَ فادعُ به ، قال : فنزل ، وطعم وشرب ، وبينه وبين النّاس حجابُ سترٍ يراهم منه ولا يرونه ، فدعا بعبيد من وراء الستر ، فقال له رَدِيفُه[1] : هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد ! فقال : أَتَتْك بحائن رجلاه[2] ، فأرسلها مثلاً ، فقال : ما ترى يا عبيد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . فقال : فهل قلتَ شيئاً ؟ فقال : حال الجريض دون القريض[3] ، فقال : أنشدني :

أقفرَ مِـن أهلِه مَلحوب

فقال : [من السريع]

أَقْفَرَ مِـن أَهلِـهِ عبيدُ ... فليس يُبدي ولا يعيدُ
عنَّت لـه خُطَّةٌ نكودُ ... وحان منها لـه ورودُ

فقال أنشدْنا : [من المتقارب]

هِيَ الخمرُ تُكنى بأُمِّ الطِّلَى ... كما الذئبُ يكنى أَبا جَعْدَه[4]

وأبى أن ينشدهم شيئاً ممّا أرادوا ، فأُمِر به ، فقتل .

[خبر نديمي المنذر]

فأمّا خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل ومقتلهما فإنّهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء ، فيما ذكره خالدُ بن كلثوم ، فراجعاه بعض القول على سُكْرِه ، فغضب ، فأمر بقتلهما ، وقيل : بل دفنهما حيَّين ، فلمّا أصبح سأل عنهما ، فأُخبِر خبَرهما فندِم على

1 الرديف : نديم السلطان الذي يشاربه .
2 راجع الحاشية رقم 5 ، ص 62 .
3 راجع الحاشية رقم 6 ، ص 62 .
4 الطلى : من أسماء الخمر .

فعله ، فأمر بإبل ، فنُحرت على قبريهما ، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاماً لهما وحزن عليهما ، وبنى الغَرِيَّين فوق قبريهما ، وأمر فيهما بما قدَّمتُ ذكره من أخبارهما ، فقالت نادبةُ الأسديين : [من الطويل]

ألا بَكَـرَ الناعي بخير بني أسدْ بعمرِو بن مسعودٍ وبالسيّد الصَّمَدْ

وقال بعض شعراء بني أسد يرثي خالد بن المُضَلَّل وعمرو بن مسعود ، وفيه غناء : [من الكامل]

صوت

يا قبرُ بيـنَ بيوتِ آل مُحرّقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ
أمّا البُكاءُ فقلّ عنك كثيرُهُ ولئـن بُكِيتَ فبالبكاء خليقُ

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه .

ومّما يغنى به أيضاً من شعر عبيد : [من البسيط]

صوت

طاف الخيال علينا ليلةَ الوادي من أُمِّ عمـرو ولم يُلْمِمْ لميعادِ[1]
أنّى اهتديت لِركبٍ طال سيرهمُ في سَبْسَبٍ بين دَكْداكٍ وأعقادِ[2]
اذهب إليك فإنّي مـن بني أسد أهلِ القباب وأهل الجردِ والنّادي[3]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسْحاقَ ، وفيه ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه لأبي زكار الأعمى ، وذكر حبش أنّه لابن سريج .

وفي هذه القصيدة يقول : يخاطبُ حجر بن الحارث أبا امرىء القيس ، وكان حُجْرٌ يتوعّده في شيء بلغه عنه ، ثم استصلحه فقال يخاطبه : [من البسيط]

أبلـغ أبا كَـرِبٍ عنّي وإخوتَه قولاً سيذهب غَـوْراً بعد إنجادِ[4]

1 أمّ عمرو في الديوان : 62 . لآل أسماء لم .

2 السبسب : المفازة . الدكداك : ما غلظ من الأرض ، أو فيها رمل متلبّد . أعقاد : أرض شجراء .

3 الجرد : بدل الجود .

4 الغور : ما انخفض من الأرض . والإنجاد : سلوك النجود المرتفعة .

لا أعرفنَّك بعد المـوتِ تَندُبني | وفي حياتـيَ مـا زوَّدتَني زادي[1]
إنَّ أمامَكَ يوماً أنـتَ مدركُهُ | لا حاضرٌ مفلتٌ منـه ولا بادي
فانظر إلى ظلّ مُلْكٍ أنْت تاركُهُ | هـل تُرسِيَنَّ أواخيـه بأوتادِ[2]
الخيرُ يبقى وإن طالَ الزمانُ به | والشَّرّ أخبث ما أوعيتَ من زادِ

[عمر يبكي خالد بن الوليد بعد موته]

أخبرنا عيسى بن الحسين، قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزاعيّ، عن المدائنيّ، عن أبي بكر الهذليّ قال: سمع عمرُ بنُ الخطّابُ نساء بني مخزوم يبكين على خالد بن الوليد، فبكى، وقال: لِيقُلْ نساءُ بني مخزوم في أبي سليمان ما شِئن، فإنّهنّ لا يكذبن، وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي، فقال له طلحةُ بنُ عبيد الله، إنّك وإيّاه لكما قال عبيدُ بنُ الأبرص: [من البسيط]

لا أُلْفِيَنَّك بعدَ الموتِ تندُبني | وفي حياتـيَ ما زوّدتني زادِي

[كلب في ضيافة كلب]

أخبرني عمّي، قال: حدَّثني عبد الله بن أبي سعد: قال: حدَّثني محمد بن عبد الله العبديّ، قال: حدَّثني سيفٌ الكاتبُ، قال: وَلِيتُ وِلايةً، فمررتُ بصديق لي في بعض المنازل، فنزلت به، قال: فنِلنا من الطعام والشراب، ثم غلب علينا النبيذُ، فنِمنا، فانتبهتُ من نومي، فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يَبَشّ به ويسلّم عليه لا أُنكِر من كلامهما شيئاً، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره، وقال له: هل عندك شيء تُطْعِمنيه؟ قال: نعم، قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام، وليس عليه شيء، فذهبا إليه، فكأنّي أسمع وُلوغَهما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه، ثم سأله نبيذاً، فقال: نعم، لهم نبيذ في إناء آخَر ليس له غطاء، فذهبا إليه فشربا.

[الكلاب تتغنّى بشعره]

ثم قال له: هل تطربني بشيء؟ قال: إي وعيشك، صوت كان أبو يزيد يغنّيه، فيجيده، ثم غنّاه في شعر عبيد بن الأبرص.

1 أعرفنك في الديوان: 62 لأعرفنّك.
2 الأواخي: جمع الآخية وهي عروة تربط إلى وتد مدقوق ويشدّ فيها الشيء. والأواخي هنا: الأواصر.

صوت

[من البسيط]

طافَ الخيالُ علينا ليلةَ الوادي لآلِ أسماءَ لم يُلمِمْ لميعادِ
أنّى اهتديت لركبٍ طال سيرهُم في سَبسبٍ بين دَكْداكٍ وأعقادِ

قال : فلم يزل يغنيه هذا الصوت ، ويشربان مليّاً ، حتى فنِيَ ذلك النبيذ ، ثم خرج الكلبُ الداخل ، فَخِفْتُ واللهِ على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل ، فأمسكتُ ، وما أذكر أنّي سمعت أحسن من ذلك الغناء .

وممّا يغنّى فيه من شعره قوله : [من البسيط]

صوت

لمن جِمالٌ قُبيلَ الصّبح مزمُومَه ميمّماتٌ بلاداً غيرَ معلومَهْ
فيهنَّ هندٌ وقد هام الفؤاد بها بيضاءُ آنسةٌ بالحسن موسومَهْ[1]

الغناء لابن سريج رمل عن يونُس والهشاميّ وحبش .

ومنها قوله : [من الخفيف]

صوت

دَرَّ دَرُّ الشباب والشعرِ الأسـ ـود والضّامراتِ تحت الرِّحالِ[2]
فالخناذيذِ كالقداحِ من الشّو حط يحملن شِكّةَ الأبطالِ[3]
ليس رسمٌ على الدّفين ببالٍ فَلِوى ذرْوةٍ فجنْبَيْ أُثالِ[4]
تلك عِرسي قد عيّرتني خِلالي أَلِبينٍ تريدُ أم لدلالِ[5]

الغناء لطويس خفيف رمل لا شكّ فيه ، وفيه ثقيل أول ، ذكر علي بن يحيى أنّه لطويس أيضاً ، ووجدته في صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ، وفي الثالث والرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر ، عن عبد الله بن موسى والهشاميّ .

---

1 وقد في الديوان 135 : التي .
2 الضامرات في الديوان 115 : والراتكات ومفردها : راتكة : التي تعد في خطو متقارب .
3 الخناذيذ في الديوان 115 : والغناجيج ، والخناذيذ : جمع خنذيذ : الشجاع البهمة من الفرسان ، والعناجيج : الواحدة عنجوج : الطويل العنق . الشوحط : شجر تتّخذ منه القسي والسهام . والشكة : السّلاح .
4 أُثال : اسم جبل .
5 الشطر الأول في الديوان 113 : تلك عرسي تروم قِدْماً زيالي .

صوت

[من الكامل]

لَمَن الدّيارُ كأنّها لم تُخْلَلِ   بجنوبِ أُسنمةٍ فَقُفٍّ العُنْصُلِ
درَسَتْ معالُمها فباقي رَسْمِها   خَلَقٌ كعنوانِ الكتابِ المُحْولِ[1]
دارٌ لسُعدى إذ سعادٌ كأنّها   رشأ غضيضُ الطّرف رَخْصُ المِفْصلِ[2]

عروضه من الكامل ، جنوب أسنمة : أودية معروفة . والقُفّ : الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتدّ . والعنصل : بصل معروف .

الشعرُ لربيعةَ بنِ مَقْرومٍ الضّبيّ ، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشاميّ .

1 محول : أتت عليه أحوال أي سنون .
2 رخص المفصل : لينة المفاصل .

[466] ـ أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه[1]

[نسبه]

هو ربيعةُ بنُ مقروم الضّبيٍّ بنِ قيس بنِ جابر بن خالد بن عمرِو بن عبد الله بنِ السيِّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أُدّ بن طابخةَ بن إلياس بن مُضر بن نزار .

شاعِرٌ إسلاميّ مخضرم ، أدرك الجاهليّة والإسلام ، وكان ممّن أُصفَق[2] عليه كسرى ، ثم عاش في الإسلام زماناً .

[يهجو ضابىء بن الحارث]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : كان ربيعةُ بن مقرومٍ باع عَجْردَ بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابرِ بن قَطَنِ بنِ نهشل بن دارم ، لِقْحةً[3] إلى أجل ، فلمّا بايعه وجد ابنُ مقروم ضابىءَ بن الحارث عند عَجْرد ، وقد نهاه عن إنظاره بالثمن ، فقال ابنُ مقروم يُعرّض بضابىء إنّه أعان عليه وكان ضِلعَه معه[4] : [من الوافر]

أعَجْــرُ ابن المليحــة إنَّ همِّي إذا مــا لَــجَّ عُــذَّالي لَعــانِ

قوله : لعان أي عان من العناء ، عناني الشيء يَعنِيني ، وهو لي عانٍ .

يَرى مــا لا أرى ويقول قولاً وليس على الأُمــورِ بمستعانِ
ويحلِف عنــد صاحبــه لَشاةٌ أحبُّ إليَّ مــن تلك الثّمانِ
وحامل ضبّ ضِغنٍ لم يَضِرْني بعيــدٍ قلبُــه حلــوِ اللسانِ[5]
ولــو أنّــي أشاء نقَمتُ منــه بِشَغْبٍ مــن لسانٍ تَيِّحانِ[6]
ولكنّي وصلــتُ الحبل منــه مواصلــة بحبــلِ أبــي بيانِ

1 انظر ترجمته في المفضليات : 180 والاشتقاق 123 والإصابة 2 : 220 والخزانة 3 : 566 .
2 أصفق عليه : أطبق عليه وحبسه في المشقّر .
3 اللقحة : الناقة ذات لبن .
4 ل : لعمر أبي المليحة .
5 الضب : الضغن .
6 الشّنب : الشرّ في الخصام . والتيّحان : من يتعرّض للشداد والمكرمات .

ترفَّع في بنــي قَطَنٍ وحلّت بيوتَ المجــدِ يبنيهــنّ باني

يعني حلَّت بنو قطن بيوتَ المجد .

وضَمرة إن ضمرةَ خيرُ جارٍ إلى قطَــنٍ بــأسبابٍ مِتانِ
هجانُ الحيِّ كالذهب المصفّى صبيحةَ ديمــةٍ يجنيه جانِ[1]

قال أبو عمرو : الذهبُ في معدنه إذا جاءه المطر ليلاً لاح من غد عند طلوع الشمس فيُتَتَبَّع ويُؤْخذ .

[يمدح مخلصه من الأسر]

قال أبو عمرو : وأُسِرَ ربيعةُ بنُ مقروم واستِيقَ مالُه ، فتخلّصه مسعود بن سالم بن أبي سلمى بن ذُبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيّد ، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله : [من المتقارب]

كَفاني أبو الأشْوسِ المنكراتِ كفـاهُ الإلــهُ الذي يَحْــذَرُ
أعــزُّ مــن السيِّدِ في منصِبٍ إليــه العَــزازة والمفخــرُ[2]

وقال يمدحه أيضاً : [من البسيط]

بانَ الخليطُ فأمسى القلبُ معموداً وأخلفتْــك ابنةُ الحــرِّ المواعيدا[3]
كأنّها ظبيــةٌ بِكْــرٌ أطاع لهــا من حَوملٍ تَلعاتُ الحــيِّ أو أُودا[4]
قامت تريك غداةَ البين مُنسدِلاً تجللت فــوق متنيهــا العناقيدا[5]
وبــارداً طَيِّبــاً عذبــاً مَذاقتُــه شربتُه مَزِجــاً بالظلمِ مشهودا[6]
وجَسْرةٍ أُجُــد تَدمَــى مناسِمُها أَعْمَلْتُها بِــيَ حتى تَقطعَ البيدا[7]

1 الهجان : الكريم الحسب .
2 السيّد : يطلق على الذئب والأسد . والأسد هو المراد .
3 في المفضليات (رقم 43) 213 : بانت سعاد ، والخليط : المخالط من زوج وجار وصديق ونحو ذلك . معموداً : مضنى مريضاً .
4 أطاع لها : اتسعت ودانت لها . تلعات الحيّ : روابيه العالية . حومل وأود : مكانان .
5 متناها : جانباها . والعناقيد ، عناقيد الشعر .
6 في المفضلية رقم 43 ص 213 : مقبّله . الظلم : ماء الأسنان وبريقها .
7 أجد في ل : حَرج . والجسرة : الضخمة . الأجد : الناقة المتينة الأضلاع . والحرج : الطويلة على وجه الأرض . وأعملتها : سرت عليها .

كلّفتُها ، فــرأت حتمــاً تكلُّفها ظهيرةً كأجيــج النّار صَيخودا[1]
في مهمهٍ قُذُفٍ يُخشى الهلاكُ به أصداؤه لا تَنــي بالليــل تغريدا[2]
لَمّا تشكّت إليَّ الأيــنَ قلتُ لها : لا تستريحِنَّ مــا لم ألقَ مسعودا[3]
ما لم ألاقِ امــرءاً جَــزْلاً مواهبُه رحبَ الفِناء كريمَ الفِعْلِ محمُودا
وقد سمعتُ بقــوم يُحمَدون فلم أسمع بمثلِك لا حِلْماً ولا جودا
ولا عفافــاً ولا صبراً لنائبـــة ولا أُخبِّرُ عنــك الباطـلَ السيِّدا[4]

السيّد : قبيل الممدوح من آل ضبّة .

لا حلمُك الحلمُ موجودٌ عليه ، ولا يُلْفى عَطاؤك في الأقوامِ منكودا[5]
وقد سبقتَ لغاياتِ الجوادِ وقد أشبهتَ آبــاءك الشُّمَّ الصناديدا[6]
هذا ثنائي بمــا أوليتَ من حَسَنٍ لا زلــت برّاً قريرَ العينِ محسودا[7]

[يتقاضى دينه بشعره]

قال أبو عمرو : كان لضابِىء بن الحارث البُرجُميّ ، على عَجْرَد بن عبد عمرو دينٌ بايعه به نَعَماً ، واسْتخار الله في ذلك ، وبايعه ربيعة بن مقروم ، ولم يستخر الله تعالى ، ثم خافه ضابىء فاستجار بربيعةَ بن مقروم في مطالبَته إيّاه ، فضمن له جواره ، فوفّى عَجْرَدٌ لضابىء ، ولم يفِ لربيعة ، فقال ربيعة : [من الطويل]

أعَجْــرُد إنّي مــن أمانيَّ باطلٍ وقــولِ غــداً شيخٌ لذاك سؤومُ
وإنَّ اختلافي نصف حولٍ مجرَّم إليكم بنــي هنــدٍ عــليَّ عظيمُ
فلا أعرفنّي بعــد حــولٍ مجرَّم وقــولٍ خــلا يُشكُونَني فألومُ[8]

1 ظهيرةً : في المفضلية 43 ص 214 : وديقة وهي أشدّ الحر . الصيخود : الشديدة .
2 القذف : مترامي الأطراف . أصداؤه : جمع صدى ، وهو طائر يخرج من رأس القتيل لا يفتأ يصيح «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره .
3 الأين : التعب .
4 في المفصلية 214/43 : وما أبنّيء .
5 موجود عليه : أي لم يطش حلمك فيوجد عليك ، أي يغضب . عطاء منكود : نزر قليل .
6 لغايات في المفضلية 214/43 : بغايات .
7 برّاً في ل وفي المفضلية 214/43 عوضُ .
8 يشكونني : من أشكاه : أزال سبب شكواه .

ويلتمسوا وُدِّي وعطفيَ بعد ما تناشدَ قولي وائلٌ وتميمُ
وإن لم يكن إلاّ اختلافي إليكم فإنّي امرؤٌ عِرضي عليّ كريمُ
فلا تُفسدوا ما كان بيني وبينكم بني قَطَنٍ إنَّ المُليم مُليمُ[1]

فاجتمعت عشيرةُ عَجْرَدٍ عليه ، وأخذوه بإعطاث ربيعة مالَه ، فأعطاه إيّاه .

[حماد الراوية يثري على حسابه]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عَديّ ، عن حمّاد الرّاوية ، قال : دخلتُ على الوليد بن يزيدَ ، وهو مُصطبِح ، وبين يديه معبد ، ومالك ، وابن عائشة وأبو كامل ، وحكم الوادي ، وعمر الوادي يُغنُّونه ، وعلى رأسِه وصيفة تَسقيه ، لم أرَ مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً . فقال لي : يا حمّاد ، أمرتُ هؤلاء أن يغنُّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتُها لَمن وافق صفتها نِحْلةً[2] . فما أتى أحدٌ منهم بشيء ، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها ، وهي لك ؛ فأنشدته قولَ ربيعةَ بن مقروم الضّبّيّ : [من الكامل]

دارٌ لسُعْدى إذ سُعاد كأنَّها رَشأٌ غضيض الطَّرفِ رخصُ المِفْصَلِ
شَمَّاءُ واضحةُ العوارضِ طَفلَةٌ كالبدرِ من خَلَل السحابِ المنجلي[3]
وكأنّما ريحُ القَرَنفُلِ نَشرُها أو حَنْوَةٌ خُلِطَتْ خُزامى حَوْملِ[4]
وكأنّ فاها بعد ما طرَق الكرى كأسٌ تُصَفَّق بالرحيقِ السّلسلِ
لو أنّها عرضت لأشْمَطَ راهبٍ في رأس مُشرفةِ الذُّرا متبتّلِ[5]
جأّرٍ ساعاتِ النّيامِ لربِّهِ حتى تخدَّدَ لحمُه مُستعملِ[6]
لصَبا لبهجتها وحُسنِ حَديثها ولهمَّ من ناموسه بتَنَزُّلِ[7]

فقال الوليدُ : أصبتَ وصفَها ، فاخترها أو ألفَ دينار ، فاخترتُ الألفَ الدينار ، فأمرها ، فدخلتْ إلى حرمِهِ ، وأخذتُ المالَ .

---

1 المليم : من أتى عملاً يستحقّ عليه اللوم .
2 نحلة : عطاء .
3 العوارض : جمع عارضة : الثنيّة من الأسنان ، أو صفحة الخد . طفلة : ناعمة رخصة .
4 الحنوة : الريحانة . الخُزامى : نبات عطري الرائحة . حومل : اسم مكان .
5 الأشمط : المختلط سواد شعره ببياض . في رأس مشرفة الذّرا : في رأس قمة عالية . متبتّل : متعبّد .
6 جآر : مبالغة من جأر : رفع صوته . تخدد لحمه : تشقق من كثرة قيام الليل . مستعمل : مستعمل أعضاءه في أعمال التعبّد .
7 الناموس : بيت الراهب .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيّدِه ، وحسَنِه ، فمن مختارها ونادرها قوله :

صوت

بـل إنْ تَرَيْ شَمَطاً تفرَّعَ لِمّتي ... وحَنا قناتي وارتقى في مِسْحَلي[1]
ودَلَفْتُ مـن كبَرٍ كأنّيَ خاتـلٌ ... قَنَصاً ومن يدِبـبْ لصيـدٍ يختِلِ
فلقد أُرى حَسَنَ القَنـاة قويمَها ... كالنَّصْل أُخلصه جَـلاءُ الصَّيقَلِ
أزمانَ إذْ أنا والجديدُ إلى بلًـى ... تُصبِي الغـواني مَيْعَتـي وتنقُّلي[2]

غنى بذلك معبد ثقيلاً أوّل :

ولقد شهِدْتُ الخيل يوم طِرادها ... بِسَليمِ أُوظفـةِ القوائـم هَيكَلِ[3]
متقاذفٍ شَنِجٍ النَّسا عَبْلِ الشَّوى ... سبَّاقِ أنديـة الجيـاد عَمَيْثَلِ[4]
لولا أكفكِفُـه لكان إذا جـرى ... منه العزيم يـدقُّ فأسَ المِسحلِ[5]
وإذا جـرى منـه الحميـمُ رأيتَـه ... يهـوِي بفارسِه هُوِيَّ الأجدلِ[6]
وإذا تَعلَّـلُ بالسّياط جيادُهـا ... أعطـاك نائيـه ولم يتعلّـلِ
ودَعَـوْا : نزالِ فكنتُ أوَّلَ نازلٍ ... وعـلامَ أركبُـه إذا لم أنـزلِ ؟
ولقد جمعتُ المالَ من جَمْع امرئٍ ... ورفعتُ نفسي عـن لَئِيمِ المأكلِ
ودخلـتُ أبنيـةَ الملـوك عليهمُ ... ولَشَرُّ قولِ المـرء مـا لم يُفعَلِ
وألـدَّ ذي حَنَـقٍ عـليَّ كأنّمـا ... تَغـلي عـداوةُ صَدْرِهِ كالمِرْجلِ
أزْجَيْتُه عنّـي فأبصرَ قصـدَه ... وكويتُه فـوق النّواظر مـن عَلِ[7]

1 تفرّع لمّتي : انتشر ، وتفشّى فيها . حنا قناتي : قوس ظهري . المسحل : جانب اللحية .
2 الميعة من كلّ شيء : أوّله . تنقلي في ل : وتبتلي .
3 أوظفة : جمع وظيف . مستدق الذراع والساق من الفرس ونحوه ، هيكل : ضخم .
4 متقاذف : سريع . شنج : منقبض . النّسا : عصب الورك يمتدّ منه إلى الكعب . عبل الشّوى : مندمج الأطراف . عميثل : ضخم قوي . آبدة الجياد : أي سباق الجياد الشاردة .
5 في مجموع شعر ربيعة بن مقروم بن ضبّة ص 373 لكاد . مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد عدد 11 ، حزيران 1968 . العزيم : الجري . المسحل : اللجام ، فأس المسحل : حديدته التي في حنك الفرس .
6 الحميم : العرق . الأجدل : الصقر .
7 أزجيته : دفعته .

وأخـي مُحافظـةٍ عَصى عُذّاله وأطـاع لذّتـه مُعِـمٍّ مُخوِلِ
هشٍّ يـرَاحُ إلى النّـدى نبّهتُه والصبحُ ساطِعُ لونـه لم يَنْجَلِ[1]
فأتيـتُ حانوتـاً بـه فصبَحْته من عاتـقٍ بمزاجهـا لم تُقتلِ[2]
صهبـاءَ إلْياسِيَّةٍ أُغـلى بهـا يَسرٌ كريـمُ الخِيـم غيرُ مُبخَّلِ[3]
ومُعَـرَّسٍ عُـرْضِ الرداء عَرَسْتُهُ من بعـد آخـرَ مثلِه في المنزِلِ[4]
ولقد أُصبتُ مـن المعيشة لينَها وأصابني منـه الزمـانُ بكلكلِ
فـإذا وذاك كأنّـه مـا لم يكن إلاّ تذكُّـره لمَـن لم يجهلِ
ولقـد أتتْ مائـةٌ علـيَّ أعدُّها حَـوْلاً فحـولاً لا بَلاها مُبتلِ
فإذا الشّبـاب كمِبْـذَلٍ أنضيتُه والدَّهرُ يُبلِـي كلَّ جِـدَّةٍ مِبْذَلِ[5]
هلاّ سألتِ وخُبْرُ قـوم عندَهم وشفاءُ غَيِّـكِ خابـراً أن تسأَلي
هـل نُكرم الأضْيافَ إنْ نزلوا بنا ونسودُ بالمعـروفِ غيـرَ تنحُّلِ[6]
ونحُـلّ بالثغْر المخُـوفِ عَدوُّه ونـردُّ حـالَ العارض المتهلِّلِ[7]
ونُعـين غارمَنـا ونمنع جارَنا ونَزينُ مولى ذِكْرِنـا في المحفِلِ[8]
وإذا امـرؤ منّـا حَبـا فكأنَّه مِمّا يُخافُ على مناكـبِ يَذبُلِ[9]
ومتى تَقُمْ عنـد اجتماع عشيرةٍ خطباؤها بـين العشيرة يُفْصَلِ[10]
ويرى العـدوُّ لنـا دُروءاً صعبةً عنـد النجـوم منيعـةَ المتأوّلِ[11]

1 يراح إلى الندى : يرتاح إليه .
2 العاتق : الخمر المعتقة .
3 إلياسية : لعلّها منسوبة إلى الخمّار . وفي الخزانة 566/3 صهباء صافية القذى أغلى بها . يسر : سهل سمح ، أو يلعب الميسر .
4 المعرّس : مكان التعريس : الإقامة ليلاً .
5 المبذل : الثوب يلبس في المهنة .
6 غير تنحّل : غير ادّعاء وكذب وفي ل : غير تبخّل .
7 العارض المتهلّل : السّحاب المعترض في الأفق .
8 المولى : من معانيه الصديق .
9 يذبل : اسم جبل .
10 يفصل في ل : تفصل .
11 الدروء : جمع درء ، وهو النتوء في الجبل . المتأوّل : من تأوّل الأمر : توسمه وتحرّاه .

وإذا الحَمالةُ أُثقلت حُمَّالَها فعلى سوائمنا ثقيلُ المحمِلِ[1]
ونُحقُّ في أموالِنا لحليفنا حقّاً يبوء به وإن لم يَسْأَلِ[2]

وهذه جملةٌ جمعتُ فيها أغانيَ من أشعار اليهود ، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة ، فمن ذلك : [من الكامل]

صوت

أنَّى تَذَكَّر زينبَ القلبُ وطِلابُ وصلِ عزيزةٍ صَعْبُ
ما رَوْضَةٌ جاد الرَّبيع لها مَوْليةٌ ما حولها جدْبُ
بألذَّ منها إذ تقول لنا سيراً قليلاً يَلْحقِ الرَّكبُ

الشعر لأَوْس بن دَنّى القرظيّ ، والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وزعم عمرو أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى لمالك ، وأنّ فيه صنعة لابن محرز ، ولم يجنّسها .

1 الحمالة : ما يحمل في الديات ونحوها . السائمة : الماشية .
2 في الخزانة 565/3 : أموالنا لحريبنا . . حق تنوء به .

[467] ـ أَخبار أُوس ونسب اليهود
النازلين بيثرب وأَخبارهم

أُوس بن ذُبّى اليهوديُّ رجل من بني قُرَيْظة ، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم : الكاهنان ، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران صلّى الله على محمد وآله وعليهما ، وكانوا نزولاً بنَواحي يثربَ بعد وفاة موسى بن عمرانَ عليه السلام ، وقبل تفرّق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج بيثرب .

[العمالقة في المدينة]

أَخبرني بذلك عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ ، عن جعفر بن محمد العاصي عن أَبي المنهال عُيَيْنَةَ بن المنهال المهلبيّ ، عن أبي سليمان : جعفر بن سعد ، عن العِماريّ ، قال : كان ساكنُو المدينة في أوّل الدّهر قبل بني إسرائيل قوماً من الأمم الماضية ، يقال لهم : العماليق ، وكانوا قد تفرّقوا في البلاد ، وكانوا أهل عزّ وبغي شديد ، فكان ساكني المدينةِ منهم بنُو هفّ وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق ، وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يقال له : الأرقم ، ينزل ما بين تَيْماءَ إلى فَدَك ، وكانوا قد ملئوا المدينة ، ولهم بها نخل كثير وزروع ، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجُبابرة من أهل القرى يغزونهم ، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشاً من بني إسرائيل ، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم ، ولا يَستبِقُوا منهم أحداً ، فقدِم الجيشُ الحجازَ ، فأَظهرهم الله عزّ وجلّ على العماليق ، فقتلوهم أجمعين إلاّ ابناً للأرقم ؛ فإنّه كان وضيئاً جميلاً ، فضِنُّوا به على القتلِ ، وقالوا : نذهب به إلى موسى بن عمران ، فيرى فيه رأيه ، فرجعوا إلى الشام ، فوجدوا موسى ، عليه السلام ، قد توفّي ، فقالت لهم بنو إسرائيل : ما صنعتم ؟ فقالوا : أظهرنا الله جلّ وعزّ عليهم ، فقتلناهم ، ولم يبقَ منهم أحد غيرُ غلام كان شابّاً جميلاً ، فنَفِسْنا به عن القتل ، وقلنا : نأتي به موسى عليه السلام ، فيرى فيه رأيه ، فقالوا لهم : هذه معصية : قد أُمِرْتم ألاّ تَستَبْقُوا منهم أحداً ، والله لا تدخلون علينا الشام أبداً .

[أوّل سكنى اليهود المدينة]

فلمّا مُنِعوا ذلك قالوا : ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز ، نرجع إليهم ، فنقيم بها ، فرجعوا على حاميتهم ، حتى قدموا المدينة ، فنزلوها ، وكان ذلك الجيش أوّل سكنى اليهود المدينة ، فانتشروا في نواحي المدينة كلّها إلى العالية ، فاتّخذوا

بها الآطام[1] والأموال والمزارع ، ولبثوا بالمدينة زماناً طويلاً .

[بنو قريظة والنضير يلحقون بإخوانهم]

ثم ظهرت الرّوم على بني إسرائيل جميعاً بالشام ، فوطئوهم ، وقتلوهم ، ونكحوا نساءهم ، فخرج بنو النَّضير وبنو قريظة وبنو بَهْدَل هاربين منهم إلى مَنْ بالحجاز من بني إسرائيل لّما غلبتهم الرّوم على الشام ، فلمّا فَصَلوا عنها بأهليهم بعث ملكُ الرّوم في طلبهم ؛ ليردّهم ، فأعجزوه ، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوزَ ، فلما بلغ طلبُ الرّوم الثمد انقطعت أعناقهم عطشاً ، فماتوا ، وسمّي الموضع ثمد الروم ، فهو اسمه إلى اليوم ، فلمّا قدِم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابَة ، فوجدوها وَبِيَّة[2] فكرهوها ، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمس لهم منزلاً سواها ، فخرج حتى أتى العالية ، وهي بُطحانُ ومَهْزُورٌ : واديان من حَرَّة على تلاع أرض عَذِيّة ، بها مياه عذبة تنبت حُرَّ الشجر ، فرجع إليهم ، فقال : قد وجدتُ لكم بلداً طيّباً نَزِهاً على حَرّة يصبّ فيها واديان على تلاع عذية ومَدرةٍ[3] طيبة في مُتأخَّر الحرّة ، ومدافع الشَّرْج ، قال : فتحوَّل القومُ إليها من منزلهم ذلك ، فنزل بنو النضير ومن معهم على بُطحانَ ، وكانت لهم إبل نواعم ، فاتّخذوها أموالاً ، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومَن معهم على مهزور ، فكانت لهم تِلاعُهُ وما سقي من بُعاثَ وسمرات ، فكان مِمّن يسكن المدينة ، حين نزلها الأوس والخزرج ، من قبائل بني إسرائيل بنو عكرة ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر ، وبنو زغورا ، وبنو قينقاع ، وبنو زيد ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو الفصيص ، فكان يسكن يثربَ جماعةٌ من أبناء اليهود ، فيهم الشرف والثروة والعزّ على سائر اليهود ، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ، ولهم كان الأُطُمُ الذي يقال له : الخال .

[بطون من العرب بالمدينة]

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم : بنو الحرمان : حي من اليمن ، وبنو مَرْثد حي من بليّ ، وبنو أنيف من بليّ أيضاً ، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بَهْثَةَ ، وبنو الشطية : حي من غسّان ، وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود : الكاهنان ، نُسِبوا بذلك إلى جدِّهم الذي يقال له الكاهن ، كما يقال : العُمَران والحسنان والقمران[4] ، قال كعبُ بن سعد القرظيّ : [من البسيط]

1 الآطام : جمع أُطُمُ أو أُطْم : الحصون ، أو كلّ بناء مرتفع .

2 وبية : تخفيف وبيئة بمعنى كثر فيها الوباء .

3 مدرة : تربة .

4 العمران : أبو بكر وعمر ، والحسنان : الحسن والحسين . والقمران : الشمس والقمر .

بالكاهِنَيْن قررتمْ في ديارِكُمُ جمّاً ثواكم ومن أجلاكم جَذُبا[1]

وقال العبّاس بن مرداس السُّلميّ يردّ على خَوّات بنِ جبير لمّا هجاهم : [من الطويل]

هجوتَ صريحَ الكاهِنَيْنِ وفيكمُ لهم نِعَمٌ كانت مدى الدَّهر تُرْتُبا[2]

[هجرة القبائل بعد سيل العرم]

فلمّا أرسل الله سيلَ العرم على أهل مأرب ، وهم الأزد ، قام رائدهم فقال : مَن كان ذا جَمَل مِفَنّ ووطب[3] مدنّ وقربَة وشنّ ، فلينقلب عن بقرات النعم ، فهذا اليوم يومُ همّ وليلحق بالثّنْي من شنّ ، قال وهو بالسراة ، فكان الذين نزلوه أُزد شنوءة ، ثم قال لهم : ومَن كان ذا فاقة وفقر ، وصبر على أزمات الدّهر فليلحق ببطن مُرّ ، فكان الذين سكنوه خزاعة ، ثم قال لهم : مَن كان منكم يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمير ، والديباج والحرير ، فليلحق بِبُصْرى والحفير ، وهي من أرض الشام ، فكان الذين سكنوه غسّان ثم قال لهم : ومَن كان منكم ذا همٍّ بعيد وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلحق بقصر عُمان الجديد ، فكان الذين نزلوه أزد عُمان ، ثم قال : ومَن كان يريد الرّاسخاتِ في الوَحْل ، المطعمات في المَحْل ، فليلحق بيثرب ذات النخل .

[الأوس والخزرج يعانون شظف العيش بالمدينة]

فكان الذين نزلوها الأوسَ والخزرج ، فلمّا توجّهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا في صِرار[4] ثم تفرّقوا ، وكان منهم مَن لجأ إلى عَفاء[5] من أرض لا ساكن فيه ، فنزلوا به ، ومنهم مَن لجأ إلى قرية من قُراها ، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة ؛ لأنّ المدينة ليست بلاد نَعَم ، وليسوا بأصحاب نخل. ولا زرع ، وليس للرجل منهم إلاّ الأعْذاقُ[6] اليسيرة ، والمزرعة يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ، فلبثت الأوس والخزرج بذلك حيناً .

[أبو جبيلة يفتك باليهود]

ثم إنّ مالكَ بن العجلان وفد إلى أبي جُبيلة الغَسّانيّ وهو يومئذٍ مَلِك غسان ، فسأله عن

---

1 جمّا ثواكم : كثيرة إقامتكم .
2 ترتبا : أمراً ثابتاً .
3 المفن : ذو الفن ، فلعلّه يعني تفنن الجمل في ضروب السير . الوطب : الإناء يُسقى فيه اللبن .
4 صرار : موضع على قرب من المدينة .
5 عفاء : يباب .
6 الأعذاق : جمع عَذْق وهو النخلة بحملها .

قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم ؛ وضيق معاشهم ، فقال له أبو جبيلة : والله ما نزل قوم منّا بلداً قطّ إلاّ غلبوا أهله عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضيّ إلى قومه ، وقال له : أعلِمهم أنّي سائر إليهم ، فرجع مالك بن العجلان ، فأخبرهم بأمر أبي جُبَيْلة ، ثم قال لليهود : إنّ الملكَ يريد زيارتكم فأعِدّوا نُزُلاً فأعدّوه ، وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف ، حتى قدِم المدينة ، فنزل بذي حُرُض ، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج ، فذكر لهم الذي قدِم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسَهم وأشرافهم ، وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصّنوا في آطامهم ، فيُمْنَعوا منه حتى يطول حصاره إيّاهم ، فأمر ببنيان حائرٍ[1] واسع ، فبُني ، ثم أرسل إلى اليهود : أنّ أبا جبيلة الملكَ قد أحبّ أن تأتوه ، فلم يبقَ وجهٌ من وجوه القوم إلاّ أتاه ، وجعل الرجل يأتي معه بخاصّته وحشمه رجاء أن يحبُوَهم ، فلمّا اجتمعوا ببابه أمر رجالاً من جنده أن يدخلوا الحائر الذي بُني ثم يقتلوا كل مَن يدخل عليهم من اليهود ثم أمر حجّابه أن يأذنوا لهم في الحائر[2] ويدخلوهم ، رجلاً رجلاً ، فلم يزل الحجّاب يأذنون لهم كذلك ، ويقتلُهم الجند الذين في الحائر ، حتى أتوا على آخرهم .

[سارة القريظية ترثي قومها]

فقالت سارة القريظيّة ترثي مَن قَتَلَ منهم أبو جُبَيْلة ، تقول : [من الوافر]

بنفسي أمّـــةٌ لم تُغْنِ شيئاً بذي حُرُضٍ تُعفِّيها الرياحُ
كُهولٌ مـن قُريظةَ أتلفتْها سيوفُ الخزرجيَّة والرّماحُ
رُزِئنا والرزيّـةُ ذات ثِقْلٍ يَمُـرُّ لأهلِها المـاءُ القَراحُ
ولو أُرِبُـوا بأمرهمُ لجالت هنالك دونهم جَأْوا رَداحُ[3]

[الرمق يمدح أبا جبيلة]

وقال الرّمق ، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جُبيلة الغسانيّ : [من مجزوء الكامل]

لم يُقْـضَ ديْنُك في الحسا نِ وقد غَنِيتَ وقد غَنِينا[4]

---

1 الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء ، فيتحيّر ، ولا يخرج .
2 الذي . . . . . . الحائر زيادة من ل .
3 أربوا : كانوا من ذوي الأرب بمعنى الفطنة والحذق . جأوا : أي جأواء . رداح : كثيرة العدد .
4 غنيت ، غنين : أقمت وأقمن .

الرّاشقـــاتِ المرشقــا تِ الجازياتِ بما جُزِينا[1]
أمثـــال غــزلانِ الصرا ئــمِ يأتــزِرن ويرتدينا[2]
الرَّيْـــــطَ والدِّيبـــاجَ والزَّردَ المضاعف والبُرِينا[3]
وأبــو جُبيْلــة خيرُ مَن يمشي وأوفاهـــم يَمينا
وأبَــرُّه بِـرّاً وأعْلَـــ ـــمهُ بعلـــم الصالحينا
أبقت لنـــا الأيّامُ والحَر بُ المهمَّـــةُ تعترينـــا
كبشاً لنـــا ذَكَراً يفُــلُّ حسامُه الذكـــرَ السَّنِينا[4]
ومعاقــلاً شُمّــاً وأسيـــ ـــافاً يَقُمـــن وينحنينا
ومحلّـــة زوراء تُـــــر جِفُ بالرِّجالِ المُصلِتينا[5]

فلمّا أنشدوا أبا جُبيلة ما قال الرّمق ، أُرسل إليه ، فجيء به ، وكان رجلاً ضئيلاً غير وضيء ، فلمّا رآه قال : «عسل طيِّب ووعاء سوء»[6] ، فذهبت مثلاً ، وقال للأوس والخزرج : إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد مَن قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم ، ثم رحل إلى الشام .

[بقية خبر أبي جبيلة]

وقال الصامت بن أصرم النّوْفليّ يذكر قَتْل أبي جُبيلة اليهود : [من الكامل]

سائل قُريظَـةَ مَـن يُقَسِّم سَبْيَها يوم العُرَيْض ومن أفاء المغنما ؟
جاءتهمُ الملحـــاءُ يخفِــق ظلُّها وكتيبــةٌ خشناءُ تدعــو أسلما[7]
عمِّي الذي جلـــب الهمامَ لقومه حتى أحـلَّ على اليهودِ الصَّيْلَما[8]

[مالك بن العجلان يقتفي أثر أبي جبيلة]

يعني بقوله : «مَن يقسِّم سبيَها» نسوةً سباهنّ أبو جُبَيْلة من بني قريظة ، وكان رآهن

1 الراشقات : الراميات بسهام العيون . المرشقات : من أرشق الظبي : مدّ عنقه .
2 الصرائم : جمع صريمة : القطعة من الرمل .
3 الريط : الثياب اللينة الرقيقة . والبرين ، جمع برة : الحلقة من سوار أو خلخال أو حلق ونحو ذلك .
4 الكبش : سيد القوام المدافع عنهم . الذكر السنين : السيف المسنون .
5 زوراء : بعيدة . المصلتين : المجردين سيوفهم .
6 مثل : وردت صيغة المثل في مجمع الأمثال 133/2 كلام كالعسل وفعل كالأسل .
7 الملحاء : الكتيبة العظيمة . الخشناء : كثيرة السّلاح .
8 الصيلم : الداهية الشديدة ، أو اسم من أسماء السّيف .

فأعجبنه ، وأعطى مالك بن العجلان منهنّ امرأة .

قال أبو المنهال أحدُ بني المعلّى : إنّهم أقاموا زمناً بعد ما صنع ، ويهود تعترض عليهم ، وتُناوِئهم ، فقال مالك بن العجلان لقومه : والله ما أثخنّا يهودَ غلبةً كما نريد ، فهل لكم أن أصنع لكم طعاماً ، ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود ، فإذا جاءوني فاقتلوهم جميعاً ، فقالوا : نفعل ، فلمّا جاءهم رسول مالك قالوا : والله لا نأتيهم أبداً ، وقد قَتَل أبو جُبَيْلة منّا مَن قتل ، فقال لهم مالك : إنّ ذلك كان على غير هوًى منّا ، وإنّما أردنا أن نمحوَه ، وتعلموا حالَكم عندنا ، فأجابوه ، فجعل كلّما دخل عليه رجل منهم أمَرَ به مالك فقُتِل ، حتى قَتَل منهم بضعة وثمانين رجلاً ، ثم إنّ رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك ، فتَسمَّعَ فلم يسمع صوتاً فقال : أرى أسرَعَ ورِدٍ وأبعدَ صَدَرٍ ، فرجع وحَذَّر أصحابه الذين بَقُوا ، فلم يأتِ منهم أحدٌ ، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان : [من المتقارب]

فَسفَّهْـتَ قَيْلَـةَ أحلامَهـا ففيمَن بقيتَ وفيمن تَسودْ[1] ؟

فقال مالك : [من المتقارب]

فإنّي امرؤ مـن بني سالم بْـ ـنِ عَوْفٍ وأنت امرؤٌ من يهودْ

قال : وصَوَّرت اليهود مالكاً في بِيَعهم وكنائِسهم ، فكانوا يلعنونه كلّما دخلوها ، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله : [من المتقارب]

تَحامِـي اليهـودِ بتَلْعانهـا تَحامِـي الحميـرِ بـأبوالها[2]
فمـاذا عـليَّ بـأن يلْعَنـوا وتأتـي المنايـا بـأذلالها[3]

[اليهود يذلّون]

قال : فلمّا قَتل مالكٌ من يهود مَنْ قَتل ذلّوا ؛ وقلّ امتناعُهم ؛ وخافوا خوفاً شديداً ؛ وجعلوا كلّما هاجهم أحدٌ من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمشِ بعضُهم إلى بعض ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهوديّ إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول : إنّما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كلّ قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس والخزرج ، يتعزّزون بهم .

1 قيلة : أم الأوس والخزرج .
2 تحامى ، من طلب الحماية باللّعن .
3 أذلال : جمع ذَلّ : بمعنى الطريق الممهد .

[يهودية تعتنق الإسلام]

وذكر أبو عمرو الشيباني أنّ أوسَ بنَ دَبّى القرظيّ كانت له امرأة من بني قريظة أسلمت وفارقته ، ثم نازعتها نفسها إليه ، فأتته ، وجعلت ترغبه في الإسلام ، فقال فيها : [من الطويل]

دَعتني إلى الإسلامِ يومَ لقِيتُها فقلت لها : لا بل تعالَيْ تهوَّدِي
فنحنُ على توراة موسى ودينِه ونعم لعمري الدينُ دِينُ محمدِ
كلانا يرى أنّ الرّسالةَ دينُهُ ومن يُهْدَ أبوابَ المراشدِ يَرْشُدِ

ومن الأغاني في أشعار اليهود : [من الوافر]

صوت

أعاذلتي ألا لا تَعذِليني فكم من أمرِ عاذلةٍ عَصَيْتُ
دَعيني وارشُدي إن كنتُ أغْوى ولا تغوَيْ زعمتِ كما غوَيتُ
أعاذلَ قد أطلتِ اللّومَ حتّى لَو انّي مُنْتَهٍ لقد انتهيتُ
وحتى لو يكونُ فَتى أُناسٍ بكى من عَذل عاذلةٍ بكَيْتُ
وصفراءِ المعاصِمِ قد دعتني إلى وصلٍ فقلتُ لها : أبَيْتُ
وزِقٌ قد جررتُ إلى النَّدامى وزِقٌ قد شَرِبت وقد سَقَيتُ

الشعر للسموءل بن عاديا ، فيما رواه السكريّ عن الطوسيّ ، ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأوّل والثاني والرابع والخامس من الأبيات ؛ وزعم ابن المكّيّ أنّه لمعبد ، وزعم عمرة بن بانة أنّه لمالك ، ولدَحْمان أيضاً في الأوّل والثاني والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكّيّ أنّ هذا الرمل لابن سريج ، وفي الأوّل والثاني والسادس رمل بالوسطى ، لأبي سعيد مولى فائِد ثاني ثقيل عن يحيى المكّيّ ، وزعم الهشاميّ أنّ الرمل لعبد العزيز الدفاف .

[468] ـ أخبار السموءل ونسبه[1]

[نسبه]

هو السموءل بن عُرَيض بن عاديا ، بن حباء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكريّ عن الطوسيّ وابن حبيب ، وذكر أنّ النّاس يُدرِجون عُرَيضاً في النسب ، وينسبونه إلى عاديا جدّه ، وقال عمر بن شبّة : هو السموءل بن عاديا ، ولم يذكر عريضاً .

وحكى عبد الله بن أبي سعد عن دارم بن عقال ، وهو من ولد السموءل ، أنّ عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ، وهذا عندي محال ؛ لأنّ الأعشى أدرك شريح بن السموءل وأدرك الإسلام ، وعمرو مزيقيا قديم ، لا يجوز أن يكون بينه وبين السموءل ثلاثة آباء ولا عشْرَة إلاّ أكثر ، والله أعلم .

[من مفاخر السموءل]

وقد قيل : إنّ أُمّه كانت من غسان ، وكلّهم قالوا : إنّه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجدّه عاديا ، واحتفر فيه بئراً رَويَّة عذبة ، وقد ذكرتْه الشعراء في أشعارها ، قال السموءل : [من المتقارب]

فبِالأبلــقِ الفَــردِ بيتي بــه وبيتُ النضير سوى الأبلــقِ

وقال السموءل يذكر بناء جدّه الحصن : [من الوافر]

بنى لي عاديــا حِصناً حصيناً ومــاءٌ كلّما شئتُ استقيْتُ

وكانت العربُ تنزل به ، فيضيفها ، وتمتارُ من حصنه ، وتقيم هناك سوقاً .

وبه يُضرب المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قُتِل ، ولم يخن أمانته في أدْراع أُودِعَها .

[امرؤ القيس يفِد عليه]

وكان السبب في ذلك ، فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبيّ ، أنّ امرأ القيس ابنَ حُجْر لّما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموءل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه

1 انظر أخباره في : محاضرات الراغب 1 : 285 والمحاسن والأضداد : 47 والبيهقي 108 والشريشي 3 : 172 ونهاية الأرب 3 : 240 والعقد الفريد للملك السعيد : 86 والتذكرة الحمدونية 3 : 12–13 ، وشعر السموأل في هذه المصادر وفي حماسة البحتري : 141 وغرر الخصائص : 32–33 .

بني كنانة على أنّهم بنو أسد وكراهةِ أصحابه لفعله ، وتفرّقهم عنه ، حتى بقي وحده ، واحتاج إلى الهرب ، فطلبه المنذر بن ماء السماء ، ووجّه في طلبه جيوشاً من إياد وبهراءَ وتنوخ وجيشاً من الأساورة أمده بهم أنو شروان ، وخذلته حِمْيَر ، وتفرّقوا عنه : فلجأ إلى السموءل ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة والخريق ، وأمّ الذيول ، وكانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملكٌ عن ملك ، ومعه بنته هند ، وابن عمّه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال كان بقي معه ، ورجل من بني فزارة يقال له : الربيعُ بن ضَبُع شاعر ، فقال له الفزاريّ : قل في السموءل شعراً تمدحه به ، فإنّ الشعر يعجبه ، وأنشده الربيع شعراً مدحه به وهو قوله : [من الكامل]

ولقد أتيتُ بني المُصاصِ مُفاخراً وإلى السموءل زرتُـه بـالأبلقِ
فأتيتُ أفضلَ مَـن تحمَّل حاجةً إنْ جئتَـه في غـارمٍ أو مُرهَقِ
عَرَفتْ لـه الأقـوامُ كلَّ فضيلةٍ وحـوى المكارمَ سابقاً لم يُسْبَقِ

قال : فقال امرؤ القيس فيه قصيدته : [من الكامل]

طرقتْكَ هنـدٌ بعـد طول تجنُّبِ وَهْناً ولم تَـكُ قبل ذلك تطرُقُ

قال : وقال الفزاريّ : إنّ السموءل يمْنَع منك حتى يرى ذاتَ عينك ، وهو في حصن حصين ومال كثير ، فقدِم به على السموءل ، وعرفه إيّاه ، وأنشداه الشعر ، فعرف لهما حقّهما ، وضرب على هند قُبَّة من أَدَم ، وأنزل القوم في مجلس له بَراح ، فكانت عنده ما شاء الله .

[امرؤ القيس يستودعه ودائعه ويرحل]

ثم إنّ امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أَبي شَمِر الغسَّانيّ أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب معه رجلاً يدلّه على الطريق ، وأودع بنيه وماله وأدراعه السموءل ، ورحل إلى الشام ، وخلَّف ابن عمّه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ، قال : ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق ؛ ويقال : بل الحارث بن أبي شَمِر الغسانيّ ؛ ويقال ، بل كان المنذر وجّه بالحارث بن ظالم في خيل ، وأمَرَهُ بأخذ مال امرىء القيس من السموءل .

[يضحي بابنه وفاء بعهده]

فلمّا نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يَفَع وخرج إلى قَنص له ، فلمّا رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموءل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابني ، قال : أفتسلّم ما قِبَلك أم أقتله ؟ قال : شأنك به ، فلستُ أخفِر ذمّتي ، ولا أسلم مال جاري ، فضرب الحارثُ وسَط الغلام ، فقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ؛ فقال السموءل في ذلك : [من الوافر]

وفيْتُ بأدرُعِ الكِنــديّ إنّي إذا مــا ذُمَّ أقــوامٌ وفيْتُ
وأوصى عاديــاً يومــاً بألاّ تُهــدّم يــا سموءلُ ما بنيتُ
بنى لي عاديــاً حِصناً حَصِيناً ومــاءٍ كلّما شئتُ استقيتُ

[الأعشى يستجير بابنه فيجيره]

وقال الأعشى يمدح السموءل ويستجير بابنه شريح بن السموءل من رجل كلبي كان الأعشى هجاه ، ثم ظفر به ، فأسره ، وهو لا يعرفه ، فنزلَ بشريح بن السموءل ، وأحسن ضيافته ، ومَرَّ بالأسْرَى ، فناداه الأعشى : [من البسيط]

شُرَيحُ لا تُسْلِمنّي اليومَ إذ عَلِقت حبالُك اليوم بعــد القيد أظفاري
قــد سرتُ مــا بين بلقاء إلى عدنٍ وطال في العُجم تَكراري وتَسياري
فكان أكرمَهــم عهــداً وأوثَقهم عَقْـداً أبــوك بعُرفٍ غير إنكارِ
كالغيثِ ما استمطَرُوه جاد وابلُه وفي الشدائدِ كالمستأسِد الضاري
كُنْ كالسَّموءل إذ طاف الهمامُ به في جحفلٍ كسواد الليــل جرّارِ[1]
إذ سامه خُطَّتَيْ خسفٍ فقال له : قُــل مــا تشاء فإنّي سامعٌ حارِ
فقــال : غَـدرٌ وثُكْلٌ أنت بينَهما فاخترْ ، ومــا فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويــلٍ ثم قال لــه : اقتُل أسيرَك إنّي مانـــعٌ جاري
وسوف يُعْقبُنِيه إن ظفِــرتَ بــه ربٌّ كريــمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهارِ
لا سِرُّهُنّ لدينا ذاهــبٌ هــدَراً وحافظاتٌ إذا استُودِعْن أسراري
فاختار أدْراعَه كَيْــلا يُسبَّ بها ولم يكن وعْــدُهُ فيهــا بختّارِ[2]

فجاء شريحُ إلى الكلبيّ فقال له : هب لي هذا الأسيرَ المضرور فقال : هو لك ، فأطلقه ، وقال له : أقِم عندي ، حتى أكرمك ، وأحْبُوكَ ، فقال له الأعشى : إنّ تمام إحسانك إليّ أن تعطيَني ناقة ناجية[3] ، وتُخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي أن الذي وَهب لشريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريح ، ابعَث إليَّ الأسيرَ الذي وهبتُ لك حتى أحبُوَه ، وأعطيَه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه .

1 يقصد بالهمام الحارث بن ظالم .
2 ختّار : غدّار .
3 ناجية : سريعة .

[469] ـ سعية بن غريض[1]

سَعيةُ بن غُرَيض بن عاديا أخو السموءل شاعر ، فمن شعره الذي يُغنّى فيه قولُه : [من البسيط]

صوت

يا دارَ سُعْدى بمفْضى تلعةِ النَّعم حُيِّيتِ داراً على الإقواء والقِدَمِ
عُجْنا فما كلَّمتنا الدارُ إذ سُئِلت وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صممِ
وما بِجزعكِ إلاّ الوحش ساكنةٌ وهامدٌ من رماد القدر والحُمَمِ[2]

الشعر لسعْيَةَ بن غُريضَ ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه خفيف ثقيل عن الهشاميّ ، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشاميّ ، ويقال : إنّه لمالك ، وفيه لابن جُؤذرةَ رمل عن الهشاميّ : وسَعْية بن غَريض القائل ، وفيه غناء : [من السريع]

صوت

لُبابُ هلْ عندكِ من نائلٍ لعاشقٍ ذي حاجةٍ سائلِ
عَلّلتِه منك بما لم يَنَلْ يا ربَّما عَلَّلتِ بالباطلِ

الغناء لابن سُريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لابن الهربذ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لمتَيَّم رمل آخر من جامعها ، وفيه لحن ليونس غير مجنّس ، وأوّل هذه القصيدة :

لُبابُ يا أختَ بَني مالكٍ لا تشتري العاجلَ بالآجلِ
لُبابُ داوِيني ولا تَقتُلي قد فُضِّل الشافي على القاتلِ
إن تسألي بي فاسألي خابراً والعِلْم قد يُلْفَى لدى السائلِ
يُنْبيكِ مَن كان بنا عالِماً عنّا وما العالِمُ كالجاهلِ

---

1 وردت ترجمته في الجزء 3 : 90 .

2 الجزع : منعطف الوادي ، أو وسطه . والحمم : الفحم والرماد ، وكل ما تخلّف ممّا أحرقته النار .

أنَّا إذا حارت دواعي الهوى وأنصتَ السامـــع للقائلِ
واعتلج القــومُ بـألبابهم في المنطق الفاصل والنائلِ
لا نجعلُ الباطلَ حقّــاً ولا نَلُـظُّ دون الحـقّ بالباطلِ[1]
نخاف أن تَسفَـه أحلامُنا فنُخْملَ الدهـرَ مع الخاملِ

[معاوية يتمثّل بشعره]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم الفراسيّ : قال : حدَّثني العمريّ ، عن العتبيّ ، قال : كان معاوية يتمثّل كثيراً إذا اجتمع النّاس في مجلسه بهذا الشعر :

إنّا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامــع للقائلِ
لا نجعل الباطلَ حقّـاً ولا نَلُـظُّ دون الحـقّ بالباطلِ
نخاف أن تسفَــهَ أحلامُنا فنُخْملَ الدهرَ مـع الخاملِ

[عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء : قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار : قال : أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال : أخبرني خالي يوسف بن الماجشون ، قال : كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده : [من السريع]

إنّا إذا مالت دواعي الهوى وأنصـت السّامعُ للقائلِ
واصْطـرعَ القـومُ بألبابهم نقضي بحُكْـمٍ عادل فاصلِ
لا نجعلُ الباطـل حقّاً ولا نُلِـظُّ دون الحـقّ بالباطلِ
نخاف أن تسفَـهَ أحلامُنـا فنُخْملَ الدَّهـرَ مع الخاملِ

ثم يجتهد عبد الملك في الحقّ بين الخصمين .

[أصحابه يميلون مع الريح]

أخبرني وكيع والحسن بن علي قالا : حدَّثنا أبو قلابة : قال : حدَّثنا الأصمعيّ ، عن أبي الزّناد ، عن أبيه ، عن رجال من الأنصار : أنَّ سَعْيَةَ بن غريض أخا السموءل بن عاديا كان ينادم قوماً من الأوس والخزرج ، ويأتونه ، فيقيمون عنده ، ويزورونه في أوقات قد أَلِف زيارتَهم فيها ، فأغار عليه بعض ملوك اليمن ، فانتسَفَ[2] من ماله حتى افتقر ، ولم يبقَ

1 لظ الشيء وألظّ به : تمسك به ، ولزمه .
2 انتسف ماله : اقتُلع من أصله .

له مالٌ ، فانقطع عنه إخوانُه ، وجَفَوه ، فلمّا أُخصب ، وعادت حاله ، وتراجعت راجعوه ، فقال في ذلك : [من الوافر]

أَرى الخُلاَّن لما قلَّ مالي وأَجحفَتِ النوائبُ وَدَّعوني
فلمّا أَن غَنِيتُ وعاد مالي أَراهم لا أَبا لك راجعوني
وكان القوم خُلاّنا لمالي وإخواناً لما خُوِّلْتُ دوني
فلمّا مَرَّ مالي باعدوني ولما عاد مالي عاودوني

ومن أشعار اليهود ويُغنَّى به :

صوت

[من المنسرح]

هل تعرِف الدارَ خفَّ ساكنُها بالحِجْرِ فالمُسْتَوى إلى ثمدِ
دار لبهنانةٍ خَدَلَجَّةٍ تضحك عن مثل جامد البرَدِ[1]
نِعمَ ضجيعُ الفتى إذا برد الليلُ وغارت كواكبُ الأسدِ
يا مَن لقلبٍ متيَّم سَدِمٍ عانٍ رهينٍ أُحيط بالقفدِ[2]
أزجرُه وهْو غيرُ مُزدجرٍ عنها وطرفي مقارنُ السُّهُدِ
تمشي الهوينا إذا مشت فُضُلاً مشي النزيفِ المبهورِ في صَعَدِ[3]
تظلّ من زَوْرِ بَيْتِ جارتها واضعةً كفّها على الكبِدِ

الشعر لأبي الزّناد اليهوديّ العديمي ، والغناء لابن مسجح ثقيل أوّل بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول ، عن الهشاميّ ويحيى المكّي ، وفيها لمعبد خفيف ثقيل أوّل عن الهشاميّ ، وقال : أظنّه من منحول يحيى بن المكيّ ، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح ، ولابن محرز في «يا من لقلب» . وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو أنّ فيها لحناً لمعبد لم يذكر طريقته ، وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديماً غير مجنّس ، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم ، وذكر ذلك عمر بن شبّة : ومن الغناء في أشعار اليهود من قُريظة والنّضير : [من البسيط]

---

1 البهنانة : الطيبة النفس والريح ، والضحوك الخفيف الروح . الخدلّجة : الممتلئة الساقين والعضدين .

2 سدم : عاشق سدم : شديد العشق .

3 فضل : مختالة في مشيتها ، تفضل من ذيل ردائها . النزيف : المنتشي من السكر ونحوه . المبهور : من انقطع نفسه من الإعياء .

صوت

دورٌ عَفَتْ بِقُرى الخابورِ غَيَّرَها   بعـدَ الأُنيسِ سَوافِي الرِّيحِ والمطرُ
إن تُمسِ دارُكَ مِمَّنْ كان ساكنَها   وحشا فَذَلِكَ صَرفُ الدَّهر والغِيَرُ
وقـد تَحُـلّ بهـا بيض ترائبُها   كأنّها بـين كُثْبانِ النَّقـا البقرُ[1]

الشعر للربيع بن أبي الحُقيق ، روى ذلك السكريّ ، عن الطوسيّ ، وعن محمد بن حبيب ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهو صوت مشهور ابتداؤه نشيد .

1 الترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين ، أو موضع القلادة ، مفردها تريبة .

[470] ـ أخبار الربيع بن أبي الحقيق

[الربيع رئيس لبني قريظة]

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة ، وهم وبنو النضير جميعاً من ولد هارون بن عمران ، يقال لهما : الكاهنان ، وكان الربيعُ أحدَ الرؤساء في يوم حرب بُعاثَ ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه ، فكانت رياسة بني قريظة للربيع ، ورياسة الخزرج لعمرو بن النُّعمان البياضيِّ ، وكان رئيسَ بني النضير يومئذٍ سلامُ بن مشْكَمٍ.

[يلتقي بالنابغة الذبيانيّ]

أخبرني عمّي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدّثني محمد بن الحسن الأنصاريُّ ، قال : حدّثني الحسن بن موسى ؛ مولى بني مازن بن النجّار عن أبي عبيدة قال : أقبل النابغة الذبيانيّ يريد سُوقَ بني قَيْنُقاعَ ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أُطُمِه ، فلمّا أشرفا على السوق سمعا الضَّجّة ، وكانت سوقاً عظيمة ، فَحاصَتْ[1] بالنابغة ناقته ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

كادت تُهال من الأصوات راحلتي[2]

ثم قال للربيع بن أَبي الحقيق : أَجِز يا ربيع ، فقال : [من البسيط]

والنَّفْرُ منها إذا ما أُوجَسَتْ خُلُق

فقال النابغة : ما رأيتُ كاليوم شِعراً ، ثم قال : [من البسيط]

لولا أُنَهْنِهُها بالسَّوطِ لاجْتَذَبتْ[3]

أَجزِ يا ربيع ، فقال : [من البسيط]

منّي الزمام وإنّي راكبٌ لَبِق

فقال النابغة : [من البسيط]

قد ملَّتِ الحَبْسَ في الآطامِ واسْتَعفَتْ

أَجزِ يا ربيع ، فقال : [من البسيط]

1 حاصت ناقته : نفرت ، وحادت .

2 تهال : يعتريها الهول .

3 أنهنهها : أزجرها

إلى مناهِلِهـا لـو أَنَّهـا طُلُق

فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر النّاس .

[أبان بن عثمان يتمثّل بأبياته]

حدَّثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، قالا : حدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال : حدَّثني الحِزاميُّ قال : حدَّثني سعيد بن محمد الزُّبيريّ ، قال : حدَّثنا ابن أبي الزّناد ، عن أبيه قال : قَلَّ ما جَلَسْتُ إلى أبانَ بن عثمان إلاّ سمعتُه يتمثَّل بأبيات ابن أبي الحُقَيق : [من المتقارب]

سئِمْتُ وأَمْسَيْتُ رهـنَ الفِرا ش مِن جُرْمِ قومي ومن مَغْرَمِ
ومن سَفَهِ الرَّأي بعـد النُّهى وغَيْـبِ الرشادِ ، ولم يُفْهَمِ
فلَـوْ أَنَّ قومـي أطاعوا الحلـ ـيمَ لم يتَعـدَّوْا ولم نُظْلَمِ
ولكنّ قومـي أطاعُوا الغُوا ةَ حتى تعكّص أهـلُ الدمِ[1]
فأودى السَّفيهُ بـرأي الحلـ ـيم وانْتَشَرَ الأَمـرُ لم يُبْرَمِ

[يعاتب قوماً من الأنصار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا مُعاذ ، عن أبي عبيدة قال ، قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوماً من الأنصار في شيء بينهم وبينه : [من الطويل]

رأيتُ بني العنقاء زَالُوا ومُلْكُهُمْ وآبُوا بأَنْفٍ في العشيرة مُرْغَمِ
فإن يُقْتَلُوا نَنـدمْ لذاك وإن بقُوا فـلا بـدَّ يوماً من عُقُوقٍ ومأثَمِ
وإنَّا فُويـقَ الرأسِ شؤبوبُ مُزْنَةٍ لها بَرَدٌ ما يغشَ مِ الأرضِ يَحْطِمِ[2]

صوت

[من الرمل]

ولنـا بئـرٌ رَواءٌ جَمَّـةٌ مَـن يردْهـا بإنـاءٍ يغتَرِفْ[3]
تُدْلِـجُ الجـونُ على أَكنافها بدِلاءٍ ذاتِ أَمـراسٍ صُدُفْ[4]

---

1 تعكص أهل الدم : ضنوا .

2 الشؤبوب : الدفعة من المطر .

3 الرواء : الماء العذب ، أو الكثير الذي يرتوي منه .

4 تدلج : تسير ليلاً . الجون : الإبل السوداء . أكنافها : جوانبها ونواحيها . أمراس : حبال . صدف : جمع صدوف ، وهي المرأة تعرض لك وجهها ثم تصدف عنك .

كلّ حاجاتــيَ قَـــد قَضَّيتها غيرُ حاجاتيَ من بطن الجُرُفْ[1]

الجرف : موضع لهم ، بالجيم معجمة .

الشعر لكعب بن الأشرف اليهوديّ ، والغناء لمالك ثقيل أوّل عن يحيى المكّيّ ، قال : وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل ، ولمعبد ثاني ثقيل قال يحيى في كتابه : وقد خلط الرّواة في ألحانهم ، ونسبوا لحنَ كلٍّ واحد منهم إلى صاحبه ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لابن جامع خفيفَ رمل بالبنصر ، وفيه لجُعْدُب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس .

1 بطن الجرف : موضع قرب المدينة .

[471] ـ أخبار كعب ونسبه ومقتله

[اسمه ونسبه]

كعبُ بنُ الأشرف مُختلَفٌ في نسبه ، فزعم ابن حبيب أنّه من طيّىء ، وأمّه من بني النَّضير ، وأنّ أباه توفّي وهو صغير ، فحملته أمّه إلى أخواله ، فنشأ فيهم ، وساد ، وكبر أمره ، وقيل : بل هو من بني النَّضير .

وكان شاعراً فارساً ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيرِه في الحروب التي كانت بين الأوْس والخزرج ، تُذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى ـ وهو شاعر من شعراء اليهود فَحْل فصيح ، وكان عدوّاً للنبيّ ﷺ يهجوه ، ويهجو أصحابَه ، ويُخَذِّل عنه العربَ ، فبعث النبيّ ﷺ نفراً من أصحابه ، فقتلوه في داره .

[ذكر خبره في ذلك]

كان كعب بن الأشرف يهجو النبيَّ ﷺ ، ويُحرِّض عليه كُفّارَ قريش في شعره ، وكان النبيّ ﷺ قدِم المدينة ، وهي أخلاط ، منهم المسلمون الذين تجمَعُهم دعوةُ النبيّ ﷺ ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوْثان ، ومنهم اليهود ، وهم أهل الحلقة[1] والحصون ، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج ، فأراد النبيّ ﷺ ، إذ قدم ، استصلاحَهم كلَّهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك ، ويكون مسلماً وأخوه مشرك ، وكان المشركون واليهود حين قدِم النبيّ ﷺ يؤذونه وأصحابَه أشدّ الأذى ، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصّبر على ذلك والعفوِ عنهم ، وأنزل في شأنهم : ﴿ولَتَسْمَعُنَّ من الذين أُوتُوا الكتابَ من قبلِكم﴾[2] الآية . وأنزل فيهم : ﴿وَدَّ كثيرٌ من أهلِ الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم﴾[3] إلى قوله : ﴿ واصفحوا﴾ فلمّا أبي كعبُ بنُ الأشرف أن ينزِع عن أذى النبيّ ﷺ وأصحابه أمر النبيّ ﷺ سعدَ بن معاذ أن يبعث إليه رهطاً ، فيقتلوه ، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبْسِ بنَ جُبير ، والحارث بن أخي سعد ، في خمسة رهط ، فأتوه عشيّة ، وهو في مجلس قومه بالعوالي ، فلمّا رآهم كعب أنكر شأنَهم ، وكان يُذْعَر منهم ، فقال لهم : ما جاء بكم ؟

1 الحلقة : يراد بها حلقة القوم ، أو حلقة البئر .
2 سورة آل عمران ، الآية : 186 .
3 سورة البقرة ، الآية : 109 .

فقالوا : جئنا لنبيعَك أدراعاً نسْتَنْفِق أثمانها ، فقال : والله لئن فعلتم ذلك لقد جُهِدتُم[1] مُذْ نـزل بكـم هذا الرجل ، ثم واعدهم أن يأتوه عشاءً حين تهدأ أعينُ النّاس ، فجاؤوا ، فناداه رجل منهم ، فقام ليخرج ، فقالت امرأته : ما طرقوك ساعتَهم هذه بشيءٍ ممّا تحبّ ، فقال : بلى إنّهم قد حدّثوني حديثَهم ، وخرج إليهم ، فاعْتَنَقَهُ أبو عبس ، وضربه محمد بنُ مَسلمة بالسيف في خاصرته ، وانحنوا عليه ، حتى قتلوه ، فرُعِبَتْ اليهود ومَنْ كان معهم من المشركين ، وغدوا على النبيّ ﷺ ، فقالوا : قد طُرِق صاحبنا الليلة ، وهو سيِّد من سادتنا ، فقتل ، فذكر لهم ﷺ ما كان يُؤذَى به في أشعاره ، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً ، فكُتِبت الصحيفة بذلك في دار الحارث ، وكانت بعد النبيّ ﷺ عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

صوت

[من البسيط]

هل بالديار التي بالقاع من أحدِ ... باقٍ فيسمَعَ صَوتَ المُدْلج الساري
تلك المنازلُ من صَفراءَ ليس بها ... نـارٌ تضيء ولا أصوات سُمَّارِ

ويروى : «ليس بها حَيٌّ يُجيب» .

الشعر لبيهسٍ الجرْميّ ، والغناء لأحمدَ بن المكيّ ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وقال عمرو بن بانة : فيه ثاني ثقيل بالبنصر ، يقال : إنّه لابن محرز ، وقال الهشاميّ : فيه لطياب بن إبراهيم خفيف ثقيل ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء . [من الكامل]

ارفع ضعيفكَ لا يَحُرْ بك ضعفُهُ[2]

1 جهدتم : افتقرتم ، وساءت حالكم .
2 لا يحر بك ضعفه : لا يرجع بك ضعفه عن نصرته .

[472] ـ أخبار بيهس ونسبه

[نسبه]

بَيْهسُ بن صُهَيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عُبَيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عَديّ بن بَيهس بن طَرُود بن قدامة بن جَرم بن الديان بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

ويكنى أبا المقدام : شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يبدو[1] بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعُذرة ، ويحضر إذا حضروا ، فيكون بأجناد الشام ، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة ، وكانت له مواقف مشهورة وبلاءٌ حسن ، وبَعضُ أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر .

[من هي صفراء]

وقد اختلف الرّواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا ، فذكر القَحْذَميّ أنّها كانت زوجتَه وولدت له ابناً ، ثم طلّقها ، فتزوّجت رجلاً من بني أسد ، وماتت عنده ، فرثاها . وذكر أبو عمرو الشيبانيّ أنّها كانت بنتَ عمّه دِنْيَةً[2] ، وأنّه كان يهواها فلم يُزَوَّجْها ، وخطبها السديُّ ، وكان مُوسِراً ، فزُوِّجَها .

قال أبو عمرو : وكان بيهس بن صُهيب الجرميّ يهوى امرأة من قومه ، يقال لها ، صفراءُ بنتُ عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل ، وهي بنتُ عمّه دِنْيَةً ، وكان يتحدّث إليها ، ويجلس في بيتها ، ويكتم وَجْدَهُ بها ، ولا يُظهره لأحد ، ولا يخطبها لأبيها ؛ لأنّه كان صعلوكاً لا مال له ، فكان ينتظر أن يُثْرِيَ ، وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارةً وحديثاً وشِعراً ، فكان نساء الحيِّ يتعرّضْنَ له ، ويجلسْن إليه ويتحدّثن معه ، فمرّت به صَفْراء ، فرأته جالساً مع فتاة منهن ، فهجرته زماناً لا تُجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ، وعرض له سفر ، فخرج إليه ، ثم عاد ، وقد زوّجها أبوها رجلاً من بني أسد ، فأخرجها ، وانتقل عن دارهم بها ، فقال بيهسُ بنُ صُهيب : [من الطويل]

---

1 يبدو : يسكن البادية .

2 دنية : قريب لاصق .

سقى دمنةً صفراءُ كانت تَحلُّها ... بنـوء الثُّريّـا طلُّهـا وذِهابُها[1]
وصابَ عليهـا كلُّ أسحمَ هاطلٍ ... ولا زال مخضرّاً مَرِيعـاً جنابُها[2]
أَحَبُّ ثَرى أرضٍ إليَّ وإن نأت ... مَحلُّـكِ منهـا نَبْتُهـا وترابُها
على أنّها غضبـى علـيّ وحبّـذا ... رِضاها إذا مـا أُرضِيَتْ وعتابُها
وقد هـاج لي حيناً فراقُك غُدوَةً ... وسعيُك في فيفاءَ تعْـوي ذئابُها[3]
نظرتُ وقـد زال الحُمولُ ووازنوا ... بِركوةَ والوادي وخفَّـتْ رِكابُها
فقلتُ لأصحابي : أبِالقـرب منهمُ ... جرى الطيرُ أم نادى ببين غرابُها ؟

[يرثي صفراء]

قال أبو عمرو : ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجُها ، فقال بيهسٌ يرثيها : [من البسيط]

هل بالديار التي بالقاعِ مـن أحدٍ ... باقٍ فيسمعَ صوتَ المُدلِجِ الساري
تلك المنازل من صفراءَ ليس بها ... نـارٌ تضيء ولا أصواتُ سُمّارِ
عَفَّـتْ معارفَهـا هُـوجٌ مُغبَّرَةٌ ... تَسفي عليها ترابَ الأَبطَحِ الهاري[4]
حتـى تنكَّرتُ منهـا كلَّ مَعْرِفَةٍ ... إلاّ الرَّمادَ نخيـلاً بـين أحجارِ
طال الوقوفُ بها والعينُ تسبِقُني ... فوقَ الرِّداء بَوادي دَمْعِها الجاري[5]
إن أُصْبحِ اليومَ لا أهلٌ ذوو لَطَفٍ ... أَلْهو لديهم ولا صفراءُ في الدّارِ[6]
أرعـى بعيني نجـومَ الليل مرتقباً ... يا طُولَ ذلك مـن هَمٍّ وإسْهارِ[7]
فقد يكونُ لِيَ الأهلُ الكِرامُ وقد ... أَلْهُو بصفراءَ ذاتِ المنظرِ الواري[8]
مـن المَواجدِ أعْراقـاً إذا نُسِبَتْ ... لا تَحْرِمِ المالَ عن ضَيفٍ وعن جارِ[9]

1 بنوء في ل : نجاء . ونوء الثريا : مطرها .
2 صاب المطر ونحوه : انصب . اسحم : أسود .
3 الفيفاء : القفراء . وفي ل : خشناء .
4 هوج في ل : هوجاء . والهاري : تخفيف الهارىء .
5 بوادي دمعها : ظواهره .
6 اللطف : اليسير من الطعام .
7 مرتقباً في ل : مرتفقاً .
8 الواري : السمين .
9 المواجد : جمع ماجده .

لم تَلقَ بؤساً ولم يَضْرر لها عَوَزٌ ... ولم تُزخِّفْ مع الصّالي إلى النّارِ[1]
كذلك الدَّهرُ إنّ الدَّهرَ ذو غِيَرٍ ... على الأَنــامِ وذو نقضٍ وإمْرارِ[2]
قد كاد يعتادني من ذكرِها جَزَعٌ ... لولا الحيــاءُ ولولا رهبــةُ العارِ
سقى الإلهُ قبــوراً في بني أسدٍ ... حول الرَّبيعة غَيْثاً صوبَ مدرارِ[3]
مَنِ الذي بعدكم أرضى بــه بدلاً ... أو مَنْ أُحَدِّثُ حاجاتي وأَسْراري ؟

[يقف وصحبه على قبرها وينشد]

قال أبو عمرو : واجتاز بيهسٌ في بلاد بني أسد ، فمرَّ بقبر صفراء ، وهو في موضع يقال له الأَحَصُّ ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد ، فأوسعوا لهم ، وكان بينهم صِهرٌ وحِلْف ، فنزل بيهس على القبر ، فقال له أُصحابه : ألا ترحل ، فقال : أما والله ، حتى أظلّ نَهاري كلَّه عنده ، وأقضيَ وطراً فنزلوا معه عند قبرها ، فأنشأ يقول ، وهو يبكي : [من الطويل]

أَلِمَّـــا على قَبرٍ لصفراءَ فاقــرآ ... السّلام وقــولا حَيِّنـا أيُّها القبرُ
وما كان شيئاً غير أن لستُ صابراً ... دعاءكَ قبراً دونـــه حِجَجٌ عَشْرُ
برابيـــةٍ فيهـــا كِـــرامٌ أحِبَّـــةٌ ... على أنَّهـــا إلاّ مضاجعَهـــم قَفرُ
عشيَّةَ قال الرّكبُ من غَرَضٍ بنا ... تروّحْ أبا المقدام قد جنَح العصرُ[4]
فقلتُ لهـمُ : يــومٌ قليلٌ وليلةٌ ... لصفراءَ قد طال التجنُّبُ والهَجرُ
وبِتُّ وبــات الناسُ حَوليَ هُجّداً ... كأنَّ عليَّ اللَّيلَ مـــن طوله شهرُ
إذا قلتُ هــذا حين أُهجَع ساعة ... تطاول بـــي ليـــلٌ كواكبُهُ زُهرُ
أقولُ إذا ما الجنبُ مَــلَّ مكانَه ... أشوكٌ يُجافي الجَنْب أم تحته جمْرُ ؟
فلو أنَّ صَخْراً مــن عَمايةَ راسياً ... يقاسي الذي أَلقى لقد مَلَّه الصخرُ[5]

قال : وأمّا القحذميّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن عيسى بن إسماعيل تينَةَ عنه ، أنّه كان تزوّجها ، ثم طلّقها بعد أن ولدت منه ابناً ؛ فتزوّجها رجل من بني أسد ، فماتت عنده ، وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً ممّا تقدّم ذكره .

1 لم تزخَف : من زخفت المرأة العجين إذا أكثرت ماءه وفي ل : ترجّف .
2 النقض والإمرار : ضدان : الأول فك الحبل ، والثاني فتله .
3 الربيعة : مكان قبر صفراء ، صوب مدرار . مطر سحابة هطّالة .
4 الغرض : الضجر والملال .
5 عماية : اسم جبل

وذكر أنّ بيْهسَ بن صُهَيْب كان من فُرسانِ العرب ، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام .

[يتّهم في قتيل]

قال : أبو عمرو : ولمّا هدأت الفتنة بعد مرج راهط ، وسكن النّاس مرَّ غلامٌ من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب ، وكانوا متجاورين على ماء لهم ؛ فيقال : إنّ بعض أحداثهم نخس «بيْهسٌ» به ناقتَه فألقته ، فاندقّت عنقُه ، فمات ؛ فاستعدى قومُه عليهم عبد الملك ، فبعث إلى تلك البطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فحبسهم ، وهرب بيهس بن صهيب الجَرْميّ ، وكان قد اتّهم أنّه هو الذي نَخَس به ، فنزل عَلى محمد بن مروان فعاذَ به ، واستجاره ، فأجاره إلاّ من حدٍّ توجبه عليه شَهادة ، فرضي بذلك ، وقال هو متوارٍ عند محمد : [من الوافر]

لقد كانتْ حوادثُ معْضلاتٌ وأيّـــامٌ أغصَّت بـالشّرابِ
ومـا ذنـبُ المعاشرِ في غلامٍ تقطّر بـين أَحواض الجِبابِ[1]
على قَـوْداء أفرطهـا جِلالٌ وغضٌّ فَهـي باقيـةُ الهبابِ[2]
ترامـت باليديـن فأرهقتـه كما زلَّ النَّطيح مـن القبابِ[3]
فإنّي والعِقابَ ومـا أُرجِّـي لكالسَّاعِي إلى وَضَحِ السَّرابِ
فلمّا أن دَنـا فـرجٌ بربِّي يكشِّف عـن مُخفقَةٍ يتبابِ
من البُلدانِ ليس بهـا غَريبٌ تَخُبّ بأرضهـا زُلُّ الذّئابِ[4]
فظنّـي بالخليفـةِ أنَّ فيـه أمانـاً للبـريء وللمصابِ
وأنَّ محمـداً سيعـود يومـاً ويرجعُ عن مراجَعةِ العِتابِ[5]
فيجبر صِبْيَتي ويَحوط جاري ويُؤْمِن بعدهـا أبـداً صِحابي
هـو الفرعُ الذي بُنِيَتْ عليه بُيوتُ الأطيبين ذوي الحِجابِ

---

1 تقطر : وقع على قطره من علو . الجباب : اسم مكان .
2 القوداء : الطويلة العنق والظهر . أفرطها جلال : ضخمة .
3 القباب في ل : الحقاب .
4 زل : جمع أزل : السريع العدو الخفيف الوركين .
5 ويرجعُ في ل : ويعجل .

قال : فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه ، حتى أمَّن بيهسَ بن صهيب وعشيرته ، واحتمل ديةَ المقتول لقيس وأرضاهم .

صوت

[من الكامل]

نزل المشيبُ فما لـه تحويلُ   ومضى الشّبابُ فما إليه سبيلُ
ولقد أُراني والشَّبابُ يقودُني   ورداؤه حسنٌ عـليَّ جميلُ

الشعر للكميت بن معروف الأسديّ ، والغناء لمعبد خفيف ، ولحنه من القدْر الأوسط ، من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

[473] ـ أخبار الكميت بن معروف ونسبه

[نسبه]

هو الكُمَيْتُ بنُ معروف بنِ الكُميت بن ثعلبةَ بن ربابٍ بن الأَشْتر بن جحوانَ بن فقعسٍ بن طَرِيف بن عَمْرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أُسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

شاعر من شعراء الإسلام بدَويّ ، أُمّه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة .

[في أسرته شعراء وشواعر]

والكميت أحد المُعرِقين في الشعر ، أُبوه معروف شاعر ، وأُمّه سعدة شاعرة ، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر ، وابنه معروف بن الكميت شاعر .

فأمّا أبوه فهو القائل لعبد الله بن المُساوِر بن هند : [من الطويل]

إنَّ مُناخي أُمسِ يـــا ابنَ مُساورٍ ... إليك لَمِنْ شُرْب النُّقاخ المُصَرَّدِ[1]

تباعدتَ فوق الحقّ من آل فقعسٍ ... ولم ترجُ فيهم رِدَّةَ اليومِ أو غدِ[2]

وقلتَ غِنًى لا فقرَ في العَيْشِ بعدَه ... وكلُّ فَتًــى للنائبـــاتِ بمَرْصَدِ

كأنّك لم تعلـــمْ محـــلَّ بيُوتِكم ... مــع الحــيّ بـين الغور والمُتَنجَّدِ

فلولا رجال مـــن جَذيمة قَصْرةً ... عَدَدْت بلائي ثم قلت له اعدُدِ[3]

[أمه تؤنبه وترثيه]

وأُمُّه سُعدةُ القائلة له ، وقد تزوَّج بنتَ أُبي مَهْوش على مراغمة لها ، وكراهة لذلك ، فغضبت سُعدةُ وقالت فيه : [من الطويل]

عليكَ بأنقاضِ العراقِ فقـدْ عَلَتْ ... عليكَ بتَخديـن النّساء الكرائمِ[4]

لعمري لقد راش ابنُ سُعدةَ نَفسَه ... بريش الذُّنابـى لا بريش القَوادمِ[5]

1 النّقاخ : الماء العذب البارد . المصرد : من صرد العطاء : قلله ، وصرد الإناء : وضع فيه ماء لا يكفي للشرب .
2 آل فقعس : قبيلة الشاعر .
3 قصرة : داني النسب .
4 بتخدين النساء : باتخاذهنّ أخدانا .
5 القوادم : ريشات عشر أو أربع في مقدمة جناح الطائر .

بَنى لــك معروفٌ بنـاءً هدمتَهُ ... ولِلشَّرف العــاديِّ بـانٍ وهادِمُ[1]

وهي القائلة ترثي ابنَها الكُمَيْت : [من الطويل]

لأُمِّ البلادِ الويــلُ ماذا تضمَّنَت ... بأَكْناف طورى من عَفافٍ ونائلِ

ومن وَقَعــاتٍ بالرِّجــالِ كأَنَّها ... إذا عَنَّت الأَحداثُ وقْعُ المناصلِ[2]

يُعزّي المُعزّي عـن كُمَيْتٍ فتنتهي ... مقالتُــه والصَّــدرُ جـمٌّ البَلابِلِ

[أخوه يرثيه]

وأَعشى بَني أَسد أَخو الكميت ، واسمُه خَيْثَمةُ ، الذي يقول يرثي الكُمَيت غيرَه من أَهل بيته : [من البسيط]

هوِّن عليك فإنَّ الدَّهرَ منجدبٌ ... كلُّ امرىءٍ عن أَخيه سوفَ ينْشَعِبُ[3]

فــلا يُغرَّنْــكَ مِـن دهرٍ تقلُّبُه ... إنَّ اللَّيـــالي بالفتيـــانِ تنقلِبُ

نــام الخليُّ وبــتُّ الليلَ مُرتفِقاً ... كما تزاور يخشى دفّــه النَّكِبُ[4]

إذا رجعـــتُ إلى نفسي أُحدِّثُها ... عمَّن تضمَّن من أَصحابيَ القُلُبُ[5]

من إخــوةٍ وبنـي عـمٍّ رُزِئْتُهُمُ ... والدَّهْرُ فيــه على مستعتِبٍ عَتَبُ

عاودتُ وجداً على وجدٍ أُكابِدُه ... حتى تكاد بناتُ الصَّدْرِ تلتهبُ[6]

هل بعدَ صخرٍ وهل بعد الكميتِ أَخٌ ... أَم هل يعودُ لنا دهرٌ فنصطحبُ ؟

لقد علمتُ ولــو مُلِّيت بعدَهُم ... أَنِّي سأَنهل بالشِّربِ الذي شربوا[7]

[ابنه معروف يتغزّل]

ومعروف بن الكميت القائل : [من البسيط]

قــد كنت أحسبني جَلْداً فهيَّجني ... بالشيبِ منزِلــةٌ مــن أُمِّ عمَّارِ

---

1 معروف : أبو الكميت . العادي : العتيق .

2 عنَت في ل : عَيَّتِ .

3 منجدب : مطاوع جدبه : ذمّه ، وعابه .

4 مرتفقاً : متكئاً على مرفقي . تزاور : مال وانحرف . دفه : جنبه . النكب : المصاب في منكبه .

5 القلب : جمع قليب بمعنى البئر .

6 أكابده في ل : أكيد به . بنات الصدر : كناية عن الضلوع .

7 ولو مليت : ولو أمهلت .

كانت منازلَ لا ورهـاءَ جافيةٍ على الحـدوجِ ولا عُطْلاً بمقفارِ[1]
ومـا تَجاوُرُنـا إذ نحـنُ نسكنها ولا تَفَرُّقُنـا إلاّ بمقـدارِ

صوت

[من الطويل]

أرقـتُ لبرق دُونَـه شَذَوانِ يمانٍ وأهـوى البرَقَ كلَّ يماني[2]
فليت القِلاصَ الأُدْمَ قد وخدَت بنا بـوادٍ يمـانٍ ذي رُباً ومَحاني[3]

الشعر ليعلى الأحولِ الأزديَّ ، وجدت ذلك بخطّ أبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد في شعر الأزد ، وقال عمرُو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه : هي ليعلى الأحْول ، كما رَوى غيرُه ، قال : ويقال : إنّها لعمرو بن أبي عمارة الأزديّ من بني خُنَيس ، ويقال : إنّها لجوَّاس بن حيانَ من أزد عمان .

وأوّل هذه القصيدة ، في رواية أبي عمرو ، أبيات فيها غناء أيضاً وهي : [من الطويل]

صوت

أَوَيْحكما يا واشِيَيْ أُمّ مَعْمَرٍ بمَن وإلى مَنْ جئتما تَشيانِ ؟
بمَن لـو أُراه عانيـاً لفدَيْتُهُ ومَن لـو رآني عانيـاً لفَداني

لِعَريب في هذين البيتين ثَقِيل أوّل ، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته ، وقال ابنُ المكّيّ : لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كُلّها .

1 الورهاء : المرأة الكثيرة الشحم . الحدوج : جمع حِدج وهو مركب من مراكب النّساء كالهودج .
2 شذوان : مثنى شذا : شجر تتخذ من المساويك .
3 القلاص الأدم : النوق السمراء .

[474] ـ أخبار يعلى ونسبه

[نسبه]

يعلى الأحولُ بنُ مسلم بن أَبي قيس ، أحدُ بني يَشكُر بن عمرو بن رالان ، ورالانُ هو يشكر ، ويشكر لقب لُقِّب به ، بن عمران بن عمرو بن عديّ بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام ، هكذا وجدته بخَطّ المبرِّد ، بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

[شاعر فاتك خليع]

شاعر إسلاميّ لصّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكّة عند نافع بن عَلْقَمَة الكِنانيّ في خلافة عبد الملك بن مروان .

قال أبو عمرو : وكان يعلى الأحولُ الأزديُّ لِصّاً فاتكاً خارباً ، وكان خليعاً ، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم ، فيغيرُ بهم على أحياء العرب ، ويقطع الطريق على السَّابلة ، فَشُكي إلى نافع بن علقمةَ بن الحارث بنِ محُرَث الكنانيّ ثم الفقيميّ ، وهو خال مروان بن الحكم ، وكان واليَ مكّة ، فأخَذ به عشيرته الأزدِيِّين ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمع إليه شيوخ الحَيّ فعَرفّوه أنّه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنّه لو أخَذَ به سائِرَ الأزِد ما وضع يده في أيديهم ، فلم يقبل ذلك منهم ، وألزمهم إحضارَه ، وضَمَّ إليهم شُرَطاً يطلبونه إذا طرق الحيّ حتى يجيئوه به .

[يسلّمه قومه إلى الحاكم]

فلمّا اشتَدَّ عليهم في أُمره طلبوه ، حتى وجدوه ، فأُتوا به ، فقيّده وأودعه الحبس .

[قصيدته في سجنه]

فقال في محبِسه : [من الطويل]

أرِقـتُ لبـرقٍ دونـــه شَذَوانِ ... يَمـانٍ وأهـوى البرقَ كلَّ يمانِ
فبِتُّ لـدى البيت الحرام أشيمُهُ ... ومِطْوايَ مـن شوقٍ لـه أرِقانِ[1]

المِطْو : الصاحب .

إذا قلتُ : شِيماه يقولان والهوى ... يصادف منّـا بعض مـا تريانِ
جرى منه أطرافُ الشرى فمشيَّعٌ ... فأَبيـانُ فالحيَّـانِ مـن دَمرانِ[2]

---

1 أشيم من شام البرق ونحوه : تطلع إليه ليرى أين يقع مطره .

2 مشيّع وأبيان ، ودمران : أماكن .

فمرّانُ فالأقْباصُ أقبــاصُ أملَجٍ فماوانِ مـــن وَدايهما شَطِنانِ[1]
هنالك لــو طَوَّفْتمــا لوجدتما صديقاً مـــن اخوانٍ بها وغوانِ
وعزْفُ الحمامِ الوُرْقِ في ظلِّ أيكةٍ وبالحيِّ ذي الرَّوْدَين عزفُ قيانِ[2]
ألا ليت حاجاتي اللواتي حَبَسْنَني لدى نافــعٍ قُضِّينَ منــذ زمانِ
ومــا بِــيَ بغضٌ للبلادِ ولا قِلًى ولكـــنَّ شوقــاً في سواه دَعاني
فليتَ القِلاصَ الأُدم قد وخَدت بنا بوادٍ يمــانٍ ذي رُبـــاً ومحاني
بــوادٍ يمانٍ يُنبِت السِّدرَ صدرُه وأَسفلـــه بالمـــرخِ والشَّبَهانِ[3]
يدافعنـــا مـــن جانبيـــه كليهما عزيفـــان مـــن طرفائه هَدِبانِ[4]
وليت لنا بــالجوز واللوز غيلـة جناها لنا مــن بطن حلية جاني

الغيلة : شجر الأراك إذا كانت رطبة ، ويروى في موضع : من بطن حلية : من حبٍّ جيحة .

وليتَ لنا بالدِّيـك مُكّـاءَ روضةٍ على فَنَنٍ مـــن بطن حليةَ داني[5]
وليت لنا مـــن مـــاء حزنة شربةً مبردةً باتـــت عـــلى طهمانِ[6]

ويروى : من ماء حمياء .

صوت

[من الكامل]

إنّ السلامَ وحُسنَ كلِّ تحيّـــةٍ تغــدو على ابن مجــزٍّ وتروحُ
هلا فَدى ابنَ مجـــزٍّ متفحّشٌ شَنِجُ اليدين على العطاء شَحِيحُ[7]

الشعر لجَوَّاسٍ العُذْرِيّ ، والغناء لسائب خاثر خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّيّ والهشاميّ من رواية حمّاد عن أبيه ، في أخبار سائب خاثر وأغانيه .

1 مران وأملح : مكانان . أقباص : جمع قَبِص : مجتمع الرمل الكثير . ماوان : تثنية ماء . شطنان : بعيدان .
2 الرَّودين : تثنية رود : الريح اللينة .
3 المرخ والشبهان : مكانان .
4 عزيفان : تثنية عزيف : صوت الرياح حين تسفي الرمال ، الطرفاء : أنواع من الشجر ، منها الأثل .
5 المكاء : طائر .
6 طهمان : مكان .
7 شنج اليدين : مقبوضهما ، كناية عن البخل .

[475] ـ نسب جواس وخبره في هذا الشعر

[نسبه]

هو جَوَّاس بن قُطْبَةَ العُذريُّ ، أَحدُ بن الأحبِّ رهطِ بُثيْنَةَ ، وجَوَّاسٌ وأُخوه عبد الله الذي كان يهاجي جَميلاً ابنا عَمِّها دِنْيَةً ، وهما ابنا قُطبةَ بن ثعلبةَ بن الهون بن عمرو بن الأحبّ بنُ حُنّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن عبيد بن كثير بن عجرة .

[ينافر جميل بن معمر فترجح كفّته]

وكان جوّاس شريفاً في قومه شاعراً ، فذكر أَبو عمرو الشيبانيّ : أَنَّ جميلَ بن عبدِ الله بنِ مَعْمَرٍ لمّا هاجى جَوَّاساً تنافرا إلى يهود تَيْماء ، فقالوا لجميل : يا جميل ، قُلْ في نفسك ما شئت ، فأنت والله الشاعرِ الجميل الوجه الشريف ، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئْت ، ولا تذكرنَّ أنت يا جميل أباك في فخر ؛ فإنّه كان يسوق معنا الغنم بتَيْماء ، عليه شملةٌ لا تُواري استَه ، ونفَّروا[1] عليه جوّاساً ، قال : ونَشِب الشرُّ بين جَمِيل وجوّاس ، وكانت تَحته أمّ الجُسَيْرِ أختُ بثينةَ التي يذكرها جميل في شعره ، إذ يقول : [من الخفيف]

يـــا خَلِيـــليَّ إنّ أُمَّ جُسَيْرٍ حين يدنو الضَّجيع مـن عَلَلِهْ
روضةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزامـى جـادَ فيها الرَّبيعُ مـن سَبَلِهْ[2]

[قوم جميل يثأرون منه]

فغضب لجميل نَفرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جوّاس ليلاً وهو في بيته ، فضربوه وعَرَّوْا امرأته أُمَّ الجُسَير في تلك الليلة ، فقال جَميل : [من الطويل]

مـا عَـرَّ جوَّاسَ استَها إذ يسبُّهم بصَقْريْ بني سُفيانَ قَيْسَ وعاصمِ[3]
همـا جـرّدا أُمَّ الجُسَيْرِ وأَوقعا أَمـرَّ وأَدهـى مـن وَقِيعةِ سالِمِ

يعني سالم بن دارة .

---

1 نفّروا : نصروا ، وفضلوا .

2 الحنوة : بنات سهل أو الريحان ، أو نوع من الآذريوان . الخزامى : نبت طيب الرائحة . السبل : المطر .

3 عرّ : ساء وضرّ .

فقال جوّاس : [من الطويل]

مـــا ضُرِبَ الجَوَّاسُ إلاّ فُجاءةً على غفلـــةٍ مـــن عَيْنِه وهْو نائمُ
فإلاَّ تُعجِّلْنـــي المنيَّـــةُ يصْطبـــح بكأسِك حِصْناكم حُصَيْن وعاصِمُ
ويُعطِي بنو سفيان ما شئتُ عَنْوةً كما كنـــت تُعطِيني وأنفُك راغِمُ

[جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : حجَّ مروانُ بن الحَكَم ، فسار بين يديه جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَر ، وجوَّاسُ بن قطبة ، وجوَّاس بن القَعْطل الكلبيّ ، فقال لجَميل : انزل فسُقْ بنا ، فنزل جميل فقال : [من الرجز]

يا بُثْن حَيّـــي وَدِّعينا أوْصِلي وهوِّني الأَمرَ فزُوري واعْجَلي
ثُمَّت أَيّـــاً مـــا أَردتِ فافْعَلي إنّي لآتـــي مـــا أَتيتُ مُؤْتَلي[1]

فقال له مروان : عَدّ عن هذا ، فقال : [من الرجز]

أَنا جميـــلٌ والحِجـــازُ وطني فيه هَوى نَفْسي وفيه شَجَني
هـــذا إذا كان السّياق دَدَني[2]

[جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان]

فقال لجوَّاس بن قطبة : انزل أنت يا جوّاس فسُق بنا ، فنزل فقال : وقد كان بلغه عن مروان أنّه توعّده إن هاجى جميلاً : [من الطويل]

لستُ بعبـــدٍ للمطايـــا أسوقها ولكنّنـــي أرمـــي بهـــنّ الفَيافِيا
أَتانِيَ عَـــن مـــرْوانَ بالغيبِ أنّه مُبيحٌ دمـــي أَو قاطِعٌ من لسانيا[3]
وفي الأرضِ مَنجاة وفُسحَةُ مذهبٍ إذا نحـــن رقفنـــا لهـــنّ المثانيا[4]

فقال له مروان : أما إنّ ذلك لا ينفعُك إذا وجب عليك حقّ ، فاركب لا ركبتَ .

[جواس بين القعطل يحدو ركاب مروان]

ثم قال لجَوَّاس بن القَعْطل ، ويقال بل القصّة كلّها مع جوّاس بن قطبة : انزل فارجز

---

1 موْتلي : من ألا الشيء ألوا : استطاعه .
2 الددن : اللهو .
3 مبيح في ل : مقيد .
4 رقفنا في ل : رفعنا . المثاني ما يكرر ويثنى من الآيات القرآنية وغيرها ، وهنا أناشيد الحداء .

بنا ، فنزل فقال هذه الأبيات : [من الطويل]

يقول أميري : هل تسوقُ ركابَنا ... فقلتُ : اتّخذ حادٍ لهنّ سوائِيا
تكرّمتُ عن سَوْقِ المَطيِّ ولم يكن ... سِياقُ المطايا هِمَّتي ورَجائِيا
جعلتَ أبي رِهْناً وعِرْضيَ سادراً ... إلى أهلِ بيتٍ لم يكونوا كِفائيا[1]
إلى شرِّ بيت من قُضاعَة منصِباً ... وفي شرِّ قوم منهمُ قد بَدا لِيا

فقال له : اركب لا ركبتَ .

[عود إلى الصوت وخبر بن مجزز]

والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جوّاس بنُ قُطْبَة العذريُّ علقمةَ بن مجزٌز قال أبو عمْرٍو الشيبانيُّ : وكان عُمَر بنُ الخطّاب رضي الله عنه بعث علقمةَ بن مجزّز الكنانيَّ ثم المدلجيَّ في جيش إلى الحبشة ، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلاّ بإذن الملك ، وإلاّ قوتلوا عليه ، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سُمّاً ، فوردوه مغترين ، فشربوا منه ، فماتوا عن آخرهم ، وكانوا قد أكلوا هناك تمراً ، فنبت ذلك النّوى الذي ألقوه نخلاً في بلاد الحبشة ، وكان يقال له نخل ابن مجزز ، فأراد عمر أن يجهّز إليهم جيشاً عظيماً فشُهِد عنده أنّ رسول الله ﷺ قال : اتركوا الحبشة ما تركوكم ، وقال : وددت لو أنّ بيني وبينهم بحراً من نار ، فقال جوّاس العذريّ يرثي علقمةَ بن مجزٍز : [من الكامل]

إنّ السّلامَ وحُسْنَ كلٍّ تحيّةٍ ... تغدو على ابن مجزٍّز وتَروحُ
فإذا تجرّد حافِراك وأصبحت ... في الفجرِ نائحةٌ عليك تنوحُ
وتخيّروا لك من جيادِ ثيابهم ... كفناً عليك من البَياضِ يلوحُ
فهناك لا تُغني مودّةُ ناصحٍ ... حذراً عليك إذا يُسَدُّ ضريحُ
هلا فَدى ابنَ مجزّز متفحّشٌ ... شَنِجُ اليدين على العطاء شحيحُ
متمرِّعٌ ورِعٌ وليس بماجدٍ ... متملّح وحديثُه مقبوحُ[2]

وفيمن هلك مع ابن مجزٍز يقول جوّاس : [من الطويل]

أَلَهْفي لِفتيانٍ كأنّ وجوهَهم ... دنانيرُ وافت مهْلِكَ ابنِ مُجزٍّز

---

1 الرِّهن : هو رهن مال ونحوه ، أي سائس .

2 المتمرع : طالب المرع : الخصب . ورع : جبان . متملح : يتكلّف الملاحة .

صوت

[من المتقارب]

أُحَبَّتَنــا بأَبــي أَنتُــمُ وسَقْياً لكــم حيثما كُنتُمُ
أُطلتمْ عَذابــي بميعــادِكم وقلتُم نــزورُ فمــا زرتُمُ
فأُمسك قلبِي على لوعتــي ونَمَّتْ دموعي بمــا أُكتُمُ
ففيمَ أسأتــم وأخلفتُــمُ وقِدْمــاً وفَيْتُــمْ وأَحسنتُمُ

الشعر لإبراهيم بن المدبر ، والغناء لِعَريب خفيف ثقيل .

[476] ـ أخبار إبراهيم بن المدبِّر

[نشأته]

أبو إسحاق إبراهيم بن المُدَبِّر شاعرٌ كاتب متقدّم من وجوه كتّاب أهل العراق ومتقدّميهم وذوي الجاه والمتصرِّفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكّلُ يقدّمه ويؤثره ، ويفضله ، وكانت بينه وبين عَريبَ حالٌ مشهورة ، كان يهواها ، وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة ، قد ذكرتُ بعضها في أخبار عَريبَ ، وأذكر باقيها هاهنا .

[بين يدي المتوكل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةَ قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبر قال : مرض المتوكّل مرضة خِيف عليه منها ثم عوفي ، وأُذِن للنّاس في الوصول إليه ، فدخلوا عَلى طبقاتهم كافة ودخلتُ معهم ، فلمّا رآني استدناني ، حتى قُمتُ وراء الفتح ، ونظر إليَّ مُسْتَنطِقاً فأنشدته : [من مجزوء الكامل]

يــومٌ أتانــا بــالسرورِ ... فالحمــد لله الكبيــرِ
أخلصــتُ فيــه شُكــرَه ... وَوَفيْــتُ فيــه بالنُّذورِ
لّمــا اعتَللــتَ تَصدَّعتْ ... شُعَبُ القلوب من الصدورِ
مــن بــين ملتهب الفؤا ... دِ وبــين مكتئبِ الضميرِ
يا عُدَّتــي للدِّينِ والدُّنْيـ ... ـا وللخَطْـبِ الخطيرِ
كانت جُفونــي ثَــرَّةَ الْـ ... ـآماق بالدَّمْــعِ الغَزيرِ
لِمْ لَمْ أمت جزعــاً لعمـ ... ـرُكَ إنَّنــي عــينُ الصبورِ
يومــى هنالــك كالسِّنيـ ... ـنَ وساعتي مِثلُ الشُّهورِ
يــا جعفــرُ المتوكّلُ الـ ... ـعالي عَلى البــدرِ المُنيرِ
اليــومَ عــاد الديــن غـ ... ـضَّ العود ذا وَرَقٍ نَضِيرِ
واليــومَ أصبحت الخِـلا ... فة وهي أرسى من ثَبِيرِ[1]

1 ثبير : جبل .

قــد حالَفَتْـكَ وعاقَدَتْـ ـكَ عَلى مطاوِلَةِ الدُّهورِ
يــا رحمــــةً للعالميــ ـنَ ويـا ضياء المستَنيرِ
يـا حجَّــــةَ اللهِ التــي ظَهَرَتْ لـه بهُدًى ونُورِ
للهِ أنــتَ فمــــا نشا هِدُ منكَ مـن كَرَمٍ وخيرِ
حتـى نقـول ومَـنْ بِقُر بِـكَ مـن وليٍّ أو نَصيرِ
البـــدرُ ينطِـــق بيننـــا أَمْ جعفرٌ فوقَ السريرِ !
فــإذا تواتَـــرتِ العَطا ئـمُ كُنتَ منقطعَ النَّظيرِ
وإذا تعـــذَّرت العَطــــا يــا كُنتَ فيَّاضَ البُحورِ
تُمضي الصوابَ بلا وزيـ ـرٍ أو ظهيــرٍ أو مُشيرِ[1]

فقال المتوكّلُ للفتح : إنّ إبراهيمَ لينطق عن نيّة خالصة ، وودٍّ مَحْض ، وما قضينا حقّه ، فتقدَمْ بأن يُحملَ إليه الساعةَ خمسون ألف درهمٍ ، وتُقدمْ إلى عبيد الله بن يحيى بأن يُولّيه عملاً سَرِيّاً يَنتفع به .

[المتوكّل ينتقض عليه ويودعه السجن]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني محمد بن داود بن الجَرّاح قال : كان أحمد بن المدبِّر وليَ لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملاً ، فلم يَحمَد أثرَه فيه ، وعمل عَلى أن يَنْكُبَه . وبلغ أحمدَ ذلك فهـربَ ، وكان عُبيد الله منحرِفاً عـن إبراهيم ، شديدَ النَّفاسة[2] عليه برأي المتوكّل فيه ، فأغـراه بـه ، وعرّفه خبرَ أخيه ، وادَّعى عليه مـالاً جليلاً ، وذكر أنّه عند إبراهيم أخيه ، وأوغر صدرَه عليه حتى أذِن له في حَبْسه ، فقال وهو محبوس : [من الوافر]

تسلَّ ليس طولُ الحبس عـاراً وفيـه لنـا مـن اللهِ اختيارُ
فلولا الحبس مــا بُلي اصطبارٌ ولولا الليــلُ مـا عُرِفَ النّهارُ
ومـا الأيّـــامُ إلاّ مُعْقِباتٌ ولا السلطــانُ إلاّ مستعـارُ[3]
وعن قدرٍ حُبِسْتُ فَلا نَقِيضٌ وفيمـا قَـــدَّرَ اللهُ الخَيـارُ
سيُفْرَجُ مــا ترينَ إلى قليلٍ مقــدره وإن طــال الإسارُ

1 ظهير : معين .
2 النفاسة : نفست عليه الشيء إذا ضننت به ، ولم تحب أن يصل إليه .
3 معقبات : يعقب بعضها بعضاً بالخير والشرّ أو بالنور والظلام .

ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حِسانٌ مختارة ، منها قولُه في قصيدة أوّلها : [من الكامل]

أدموعُهـا أم لؤلـؤٌ متناثرٌ ... يندى بـه وَردٌ جنِـيٌّ ناضرُ

يقول فيها :

لا تؤيسَنَّكَ مـن كريم نَبـوةٌ ... فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ[1]

هذا الزمـانُ تسومُني أيّامُه ... خَسْفاً وهأنـذا عليـه صابرُ

إن طالَ ليلي في الإسارِ فَطالما ... أفنيتُ دهـراً ليلُـه متقاصرُ

والحبسُ يحجبُنـي وفي أكنافِه ... منّي عَلى الضرَّاء ليثٌ خادِرُ[2]

عجباً له كيـف التقت أبوابُه ... والجودُ فيـه والربيعُ الباكرُ ؟

هلا تقطَّع أو تصدَّع أو وَهـى ... فَعَذَرْتُـه ؛ لكنّـه بـيَ فاخرُ

ومنها قوله في قصيدة أوّلها : [من الطويل]

ألا طرقتْ سَلْمى لَدى وَقْعَةِ السَّاري ... فريـداً وحيـداً موثَقاً نازحَ الدارِ[3]

هـو الحبْسُ مـا فيـه عَلَيَّ غَضاضَةٌ ... وهل كان في حبس الخليفةِ من عارِ !

يقول فيها :

ألستِ ترينَ الخمر يظهرُ حسنُها ... وبهجتُها بالحبس في الطينِ والقارِ![4]

ومـا أنـا إلاّ كالجوادِ يصُونه ... مقوِّمه للسَّبْقِ في طَـيٍّ مضمارِ

أو الدُّرَّةِ الزهـراءِ في قعر لُجَّةٍ ... فـلا تُجتَلى إلاّ بهَـولٍ وأخطارِ

وهـل هـو إلاّ منزِلٌ مثلُ منزلي ... وبيتٌ ودارٌ مثلُ بيتيَ أو داري ؟

فلا تنكري طولَ المَدى وأذى العِدى ... فإنَّ نهايـاتِ الأمـورِ لإقْصارِ

لعـلَّ وراءَ الغَيبِ أمـراً يسرُّنا ... يقدِّرُه في علمِـه الخالِقُ الباري

وإنّي لأرجـو أن أصُولَ بجعفرٍ ... فأهضمَ أعدائـي وأُدْرِكَ بالثَّارِ

[يثني على من خلّصه من سجنه]

فأخبرني عمّي عن محمدِ بنِ داودَ : أنّ حبسه طال ، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة

---

1 ينبو : يبعد في ضربه .
2 أكنافه : نواحيه جمع كنف . الضرّاء : الشدّة والضيق . خادر : ملازم لأجمته .
3 الطرق : الضرب على الباب ليلاً . وقعة الساري : نومته آخر الليل . نازح : بعيد .
4 القار : ما يدهن به سداد الدنان .

مع عَضْل[1] عبيد الله وقصدِهِ إيّاه ، حتى تخلَّصَه محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر ، وجَوَّد المسأَلة في أمره[2] ، ولم يلتفت إلى عُبَيد الله ، وبذل أن يحتملَ في ماله كلَّ ما يطالبُ به ، فأعفاه المتوكّل من ذلك ، ووهبه له ، وكان إبراهيم استَغاثَ به ومدَحَهُ ، فقال : [من الطويل]

دعوتك من كَرْب فلبَّيتَ دعوتي ... ولم تعترضْني إذ دعوتُ المعاذرُ
إليك وقد حُلّئتُ أوردْتُ هِمَّتي ... وقد أُعجزتني عن هُمومي المَصادرُ[3]
نمى بـك عبدُ الله في العزّ والعُلا ... وحـاز لك المجدَ المؤثَّـلَ طاهرُ
فأنتم بَنو الدُّنيـا وأَملاكُ جوِّها ... وساسَتُهـا والأعظَمـون الأَكابِرُ[4]
مآثرُ كانــتْ للحُسَيْنِ ومُصعَبٍ ... وطلحةَ لا تحوِي مَداهـا المفاخِرُ
إذا بذلــوا قيـلَ الغيوثُ البواكرُ ... وإن غَضِبوا قيل الليوثُ الهواصرُ[5]
تطيعكُمُ يَـوْمَ اللقـــاءِ البــواترُ ... وتزهو بكـمْ يـوم المقامِ المنابرُ
ومــا لكُــمُ غيرَ الأسرَّة مجلِسٌ ... ولا لكُـمُ غيرَ السيوفِ مخاصرُ[6]
ولي حاجة إن شئتَ أحرزتَ مجدها ... وسرَّكَ منهـا أوّلٌ ثــم آخـرُ
كـلام أَميرِ المؤمنـين وعطفُـه ... فمـا لِيَ بعــد الله غيـرَكَ ناصرُ
وإن ساعدَ المقدورُ فالنُّجح واقع ... وإلاّ فإنّــي مخلـص الودِّ شاكِرُ

[عريب تكاتبه وتشفع له]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال : كتبتْ عَريبُ مِنْ سُرَّ مَن رأى إلى إبراهيمَ بنِ المدبِّر كتاباً تتشوَّقُه فيه ، وتخبره باستيحاشها له ، واهتمامها بأمره ، وأنّها قد سألت الخليفةَ في أمره ، فوعدها بما تُحِبُّ ، فأجابها عن كتابها ، وكتب في آخر الكتاب : [من الطويل]

لعمرك مــا صوتٌ بديــعٌ لمعبَدٍ ... بأَحسنَ عندي من كتاب عَريبِ
تأمّلــتُ في أَثنائِــه خَـطَّ كاتبٍ ... ورقَّــةَ مشتاقٍ ولَفــظَ خَطيبِ

1 عضل : منع .
2 جوّد المسألة في أمره : أحسن الشفاعة فيه .
3 حلئت : منعت الماء .
4 جوُّها في ل : شرقها .
5 الهواصر : الكواسر المحطمة .
6 المخصرة : ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب .

وراجَعَني من وصلها ما استرقَّني وزهَّـدني في وصلِ كلِّ حَبيبِ
فصرتُ لها عبداً مُقـرّاً بمِلكِها ومستمسِكاً مـن وُدِّها بنصيبِ

[يُحبُّها وهي مشغولة بمظفّر]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال: كان عليّ بنُ يحيى المنجِّم وإبراهيم بن المدبِّر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسُرَّ مَن رأى على حال أُنْس، وكانت تغنّيهم جارية يقال لها نَبْتٌ جاريةُ البكريّة المغنّية من جواري القِيان، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبِّر بنظره ومَزْحه وتجميشه[1]، وهي مقبلة على فتًى كان أمرَدَ من أولاد الموالي يقال لهُ مُظَفَّر، كانت تهواه، وكان أحسن النّاس وجهاً، ولم يزل ذلك دأبَهم إلى أن افترقوا، فكتبَ إليه عليُّ بنُ يحيى يقول: [من الطويل]

لقد فتنَتْ نبتٌ فتى الظَّرف والنَّدى بمقلةِ رِيـمٍ فاتـرِ الطَّـرفِ أحورِ
وشدوٍ يروقُ السامعين ويملأ الـ ـقلوب سروراً مُونِـقٍ متخيَّرِ
فأَصبحَ في فـخٍّ الهـوى متقنَّصا عزيـزٌ على إخوانـه ابنُ المدبِّرِ
ولم تدرِ مـا يَلْقى بهـا ولـو انَّها دَرَتْ روَّحتْ مـن -تَرِّهِ المُتَسعِّرِ
وذاكَ بهـا صبٌّ ونَبتٌ خليَّـةٌ ومشغولـةٌ عنـه بوجـه مُظَفَّرِ
ولـو أنصفتْ نبتٌ لما عدلتْ به سواهُ وحازت حُسْنَ مرأًى ومَخْبَرِ

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر: [من الطويل]

طَرِبْـتُ إلى قطربّـلٍ وبَلَشْكُرِ وراجعتُ غَيّاً ليس عنّي بمُقصِرِ[2]
وذكَـرني شعرٌ أتـانيَ مونِـقٌ حبائبَ قَلبي في أوائِـلِ أعصُري
فَنَهنَهتُ نفسي عن تذكُرِ ما مضى وقلتُ: أفيقي لاتَ حـينَ تذكُّرِ[3]
أَبا حَسَنٍ مـا كنتَ تُعْرَفُ بالخَنا ولا بِعُلُـوٍّ في المكـانِ المؤَخَّرِ
وما زِلْتَ محمود الشمائل مرتضى الخـ ـلائقِ معروفـاً بعُرْفٍ ومنكَرِ
أَترمي بنَبْتٍ مـن جفاهـا تَخَيُّراً وباعدهـا عنـه بـرأْيٍ موقَّرِ ؟
ودافَعها عـن سرِّها وهي تَشْتَكي إليـه تبـاريحَ الهـوى المتسعِّرِ

1 التجميش: المغازلة بالقرص واللعب.
2 قطربّل: قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر. بلشكر: من قرى بغداد.
3 نهنهت: كفت وزجرت.

ولــو كان تبَّاعــاً دواعيَ نفسِه إذاً لقضى أوطــارَه ابــنُ المدبّرِ
على أنَّه لو حصحَصَ الحقُّ باعَها ولــو كان مشغوفــاً بها بمُظَفَّرِ
بلؤلؤةٍ زهــراءَ يشرُق ضوءُ هــا وغُــرَّةِ وجــهٍ كالصباحِ المشهَّرِ
إلى اللهِ أشكــو أنَّ هــذا وهــذِه غــزالا كثيبٍ ذي أقــاحٍ مُنوِّرِ
وأنــتَ فقــد طالبتَهــا فوجدتَها لها خُلُــقٌ لا يرعَــوِي ذو توعُّرِ
وحاولتَ منها سلوة عــن مُظَفَّرٍ فما لان منها العِطْفُ عند التَّخيُّرِ
نصحتُك عــن وُدٍّ ولم أَكُ جاهداً فإن شئتَ فاقبل قولَ ذي النصح أوْذَرِ

فكتب إليه عليُّ بنُ يحيى المنجّم : [من الطويل]

لعمري لقد أحسنتَ يا ابنَ المدبّر وما زلت في الإحسان عين المشهَّرِ
ظَرِفْتَ ومن يجمعْ من العلم مثلَ ما جمعت أَبا إسحاق يَظْرُفْ ويُشْهَرِ

وِلإبراهيم في نبتٍ هذه أشعارٌ كثيرةٌ منها قوله : [من البسيط]

نَبْتٌ إذا سكتَت كان السكوتُ لها زَينــاً وإن نطقت فــالدرُّ يَنْتَشِرُ
وإنّمــا أَقصدتْ قلبــي بمُقلَتِها مــا كان سهمٌ ولا قوسٌ ولا وَتَرُ[1]

وقوله : [من البسيط]

يا نبتُ يا نبتُ قد هام الفؤادُ بكم وأنــت واللهِ أَحلى الخلقِ إنسانا
أَلا صِليني فإنِّي قد شُغِفْتُ بِكُمْ إن شئتِ سرّاً وإن أَحببتِ إعلانا

[خاتما عريب]

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال : كان في إصبع إبراهيم بن المدبِّر خاتمان وهبْتهما له عَريب ، وكانا مشهورين لها ، فاجتمع مع أَبي العَنْبَس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب ، فلمّا سكرا اتّفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العَنْبس ، ويقيمَ عنده من غدٍ إن لم يُرَ الهلال ، وأخذ الخاتَمين منه رهناً . ورُئِي الهلالُ في تلك الليلة ، وأصبح النّاس صياماً ، فكتب إبراهيم إلى أبي العَنْبَس يطالبه بالخاتمين ، فدافَعَه ، وعبِث به ، فكتب إليه من غدٍ : [من الخفيف]

كيف أَصبحتَ يا جعلتُ فِداكا إنّــي أَشتكي إليــك جَفاكا

---

1 أقصدت : أصابت فلم تخطىء .

قد تَمادى بك الجفاءُ وما كنـ ـتَ حقيقـاً ولا حَرِيّاً بذاكا
كُن شبيهاً بمَن مضى جعل اللـ ـهُ لكَ العُمرَ دائمـاً ورَعاكا
إنَّ شهرَ الصيامِ شهرُ فكاكٍ أنتَ فيه ونحنُ نرجو الفكاكا
فارددِ الخاتَمينِ ردّاً جَميلاً قد تنعَّمت فيهما مـا كفاكا[1]
يـا أبـا عبدِ اللهِ دعوةَ داعٍ يرتجي نُجحَ أمره إذْ دَعاكا

يعني أبا عبد الله بن حمدون والد أبي العَنْبَس المخاطب بهذا الشعر :

خاتمايَ اللذانِ عند أبي العبّـ ـاسِ قـد شارفا لديه الهلاكا
وهـو حُـرٌّ وقد حكاك كما أنـ ـتَ في المكرُماتِ تحكي أباكا

فبعث بالخاتَمين إليه .

[عريب تزوره ، وتستزير أبا العنبس]

وأخبرني جعفر قال : زارت عَريبُ إبراهيم بنَ المدبّر وهو في داره على الشاطىء في المُطَيْرة[2] واقترحت عليه حضور أبي العَنْبَس فكتب إليه إبراهيم : [من المتقارب]

قـل لابنِ حمدونَ ذاك الأريبِ وذاك الظريفِ وذاك الحسيبِ
كتابي إليكَ بشكوى عَريبٍ لوجدٍ شديدٍ وشوقٍ عجيبِ
وشَوْقي إليكَ كشوقِ الغريبِ إلى أرضِهِ بعـد طولِ المغيبِ
ويوْمِـيَ إن أنـتَ تَمّمتَـه بقُربكَ ذو كُلِّ حُسْنٍ وطِيبِ
حَبـاني الزمـانُ كما أشتَهي بقرب الحبيب وبُعْدِ الرقيبِ
فما زلـتُ أشربُ مـن كفِّه وأسقيه سقيَ اللطيف الأديبِ
ويشكو إليَّ وأشكـو إليـه بقـولٍ عفيفٍ وقـولٍ مريبِ
إلى أن بـدا ليَ وجـهُ الصباحِ كوجهك ذاك العجيبِ الغريبِ
فلا تُخلِنا يـا نظـامَ السرو رِ منك فأنـت شفاءُ الكئيبِ
وغـنِّ لنـا هَزَجـاً مُمْسِكاً تَخِـفُّ لـه حركاتُ اللبيبِ
فإنّكَ قد حُزتَ حسنَ الغناء وقد فُزتَ منه بأوفى نصيبِ

---

1 تنعمت : تمتعت . وفي ل : تولّعت .

2 المطيرة : قرية من متنزهات بغداد وسامراء .

وكن بأبي أنتَ رَجْعَ الجوابِ فِـداؤك أنفُسُنا مـن مُجيبِ

[يعجبه اللحن فيكمله]

أخبرني جعفر قال : غنّى أبو العَنْبَس بنُ حَمْدون يوماً عند إبراهيم : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّـي سألتـكَ بـالذي أدنـى إليكَ مـن الوريدِ
إلاّ وصلـتَ حبالَنـا وكَفَيْتَنـا شرَّ الوعيـدِ

فزاد فيه إبراهيم قوله : [من مجزوء الكامل]

الهجـرُ لا مستحَسَنٌ بعـد المواثِـقِ والعهـودِ
وأراكِ مغـراةً بـه أفما غرِضت من الصدودِ[1]
إنّـي أجـدِّدُ لَذّتـي مـا دمت في يومٍ جديدِ
شُربـي معتّقـة الكُرو مِ ونُزهَتـي وَرْدُ الخُدُودِ

فغنّى هذه الأبيات أبو العَنْبَس متّصلة باللحن الأوّل في البيتين وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن ، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبّر والأوّلان لَيْسا له .

نسبة هذا الصوت

الغناء في البيتين الأوّلين خفيف ثقيل مزموم[2] لأبي العَنْبَس ، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب ثاني ثقيل بالوسطى .

[يكمل لحناً آخر]

قال جعفر : وغنته يوماً كُراعةُ بسُرَّ مَن رأى ونحنُ حضور عنده : [من السريع]

يـا معشرَ النـاسِ أمـا مُسلمٌ يشفعُ عنـد المذنِبِ العاتبِ ؟
ذاك الذي يهـرُب من وصلِنا تعلّقـوا بـالله بـالهاربِ

فزاد فيهما قولَه : [من السريع]

ملّكتُـه حَبْـلي ولكنّـه ألقـاهُ مـن زُهدٍ عَـلى غاربي

1 مغراة : مولعة من أغرى بالشيء أولع به . غرضت : ضجرت ومللت .
2 مزموم من الزم وهو شدّ الأوتار .

وقال إنّي في الهوى كاذبٌ فانتقمَ اللهُ من الكاذبِ

[عود إلى حبس المتوكّل له]

حدَّثني عمّي، قال: حدَّثني محمد بن داود قال: كتب إبراهيم بن المدبّر إلى أبي عبد الله بن حمدون[1] في أيّام نكبته يسأله إذكارَ المتوكّل والفتحِ بأمره: [من الرمل]

كم تُرى يبقى على ذا بدني قد بَلي من طول هَمٍّ وضَني[2] !
أنا في أسرٍ وأسبابِ رَدًى وحديدٍ فادح يكْلَمُني
يا ابن حمدونَ فتى الجودِ الذي أنا منه في جَنْي وردٍ جَني
ما الذي ترقُبُه أم ما ترى في أخ مضطَهدٍ مرتَهَنِ !
وأبو عمرانَ موسى حنقٌ حاقدٌ يطلُبني بالإحَن[3]
وعبيدُ اللهِ أيضاً مثلُه ونجاحٌ بي مُجِدٌّ ما يَني
ليس يشفيه سوى سفكِ دمي أو يراني مُدرَجاً في كَفَني
والأميرُ الفتحُ إن أذكرتَه حُرْمَتي قام بأمري وعُني
فألُ صدقٍ حين أدعو باسمِه وسرور حين يَعْرُو حَزَني
قل له: يا حُسْنَ ما أوليتَني ما لِما أوليتَني من ثَمنِ
زاد إحسانَك عندي عِظَماً أنَّه بادٍ لِمَن يعرفُني
لستُ أدري كيفَ أجزيكَ به غير أنّي مُثقَلٌ بالمِنَنِ
ما رأى القومُ كذَنبي عندَهمْ عُظْمُ ذَنبي أنّني لم أخُنِ
ذاكَ فِعلي وتُراثي عن أبي واقتدائي بأخي في السُّنَنِ
سنَّةٌ صالحةٌ معروفَةٌ هي منّا في قَديم الزمَنِ
ظَفِرَ الأعداءُ بي عن حيلةٍ ولعلَّ اللهَ أن يُظفِرني
ليتَ أنّي وهُمُ في مجلسٍ يَظْهَرُ الحقُّ به للفَطِنِ
فترى لي ولَهُمْ ملحمَةً يَهلِكُ الخائنُ فيها والدَّني

---

1 حمدون: أحد ندماء المتوكل.
2 ضني: تعب.
3 أبو عمران موسى بن بغا الكبير أحد قوّاد المتوكّل.

والــذي أسألُ أن يُنصِفَنــي حاكِــمٌ يَقضي بمــا يلزمُني
قُــل لحمدونَ خليــلي وابنِــه ولعيسى حرِّكــوه يــا بني[1]

يعني يا بني الزانية ، فلم يزالوا في أمره حتى خلَّصوه .

[هل جرب الخمر من فمها ؟]

حدَّثني محمد بن يحيى الصولي : قال : كان إبراهيم بن المدبّر يحبّ جارية للمغنّية المعروفة بالبكريّة بسُرَّ مَن رأى فقال فيها : [من السريع]

غادرتِ قلبي في إسار لديك فويلتــا منــكِ وويلي عليكِ
قــد يعلــمُ اللهُ عَــلى عرشِه أنّي أُعاني الموتَ شوقاً إليكِ
مُنِّــي بفكّ الأَسرِ أو فاقتُــلي أيّهما أحببتِ مــن حُسْنَيَيْكِ
قــد كنتُ لا أُعدي على ظالم فصرتُ لا أُعدي على مُقلتيكِ
الخمــرُ مــن فيــكِ لِمَن ذاقَهُ والوردُ للناظِــرِ مــنْ وجنتيْكِ
يا حسرتا إن مُتُّ طوعَ الهوى ولم أَنَــلْ مــا أُرتجيه لديكِ

وأنشدها أبو عبدِ الله بن حَمدونَ هذه الأبيات ، وغنَّت بها ، وجعل يكرِّر قوله :

الخمرُ مــن فيكِ لِمَن ذاقه

ويقول : هذا والله قولُ خبير مجرّب ، فاستحيتْ من ذلك ، وسبَّت إبراهيم ، فبلغه ذلك ، فكتب إلى أبي عبدِ الله يقول : [من البسيط]

أَلَم يَشُقْكَ التماعُ البرقِ في السحَرِ ؟ بَلى وهَيَّج مــن وَجْــدٍ ومن ذِكَرِ
ما زال دمعــي غزيرَ القَطْر مُنسجماً سَحّاً بأَربعــةٍ تَجــري مــن الدُّررِ
وقلتُ للغيثِ لمــا جــادَ وابِلُــه ومــا شجاني مــن الأَحزانِ والسَّهَرِ
يا عارضاً ماطــراً أَمطِــرْ على كبدي فإنّهــا كَبِــدٌ حَــرَّى مــن الفِكَرِ
لشدَّ مــا نــالَ منِّي الدَّهرُ واعتلقَتْ يدُ الزّمانِ وأَوهتْ من قُوى مِرَري[2]
يا واحــدي مــن عبادِ اللهِ كلِّهم ويــا غنــاي ويــا كَهْفي ويا وَزَري
أَحينَ أنشدتَ شِعــري في مُعذِّبَتي أَمــا رثَيْتَ لهــا من شدّة الحَصَرِ ؟

---

1 يقصد عيسى بن إبراهيم النصرانيّ كاتب سعيد بن صالح ، وكان يسعى على ابن المدبر .

2 مرري : قواي ، جمع مرّة .

وما شفعتَ بهـا شِعري وقلت به | في ريقها الباردِ السلسالِ ذي الخَصَرِ[1]
لبئس مستَنصحاً في مثـل ذلـك يا | نفسي فِـداؤكَ من مستنصح غَدِرِ
واليـوم يـومٌ كريـم ليس يُكرَمُه | إلاّ كريـمٌ مـن الفتيـانِ ذُو خَطَرِ
نشدتُـكَ اللهَ فاصْبَحْـه بصُحبتـه | مُباكِـراً فألَـذُّ الشُّرب في البُكَرِ
واجمعَ نداماكَ فيـه واقترحْ رَمَـلاً | صوتاً تغنِّيـه ذاتُ الـدَّلِّ والخَفَرِ
يرتاح للدَّجْنِ قَلبـي وهـو مقتَسَمٌ | بـين الهمومِ ارتياحَ الأرضِ للمطَرِ
يا غـادراً يـا أحبَّ النّاسِ كلِّهمُ | إليَّ واللهِ مـن أُنْثـى ومـن ذَكَرِ
ويا رجائـي ويا سُؤْلي ويـا أَمَلي | ويـا حياتـي ويا سَمعي ويا بَصري
ويا مُنـايَ ويـا نوري ويا فَرَحي | ويا سروري ويا شَمسي ويا قمرِي
لا تقبلي قـولَ حسَّادي علـيّ ولا | والله مـا صدقـوا في القولِ والخَبَرِ
أدالني اللهُ مـن دهـرٍ يُضَعْضِعُني | فقـد حُجِبتُ عـن التسليمِ والنظَرِ[2]
إن يحجُبُوا عنك في تقديرهم بصَري | فكيف لم يحجُبُوا ذِكري ولا فِكَري ؟
يا قوم قَلبـي ضعيفٌ من تذكُّرها | وقلبُهـا فـارغٌ أقسى مـن الحجَرِ
اللهُ يعلـمُ أنّـي هائـمٌ دَنِـفٌ | بغـادَةٍ ليتَهـا حَظّـي مـن البَشَرِ

[مجلس من مجالسه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثني عبد الله بن محمد المرَوَزي ، قال : حدَّثني الفضل بن العبّاس بن المأمون ، قال : زارتني عَريبُ يوماً ومعها عِدَّةٌ من جواريها ، فوافتنا ونحن عَلى شرابنا ، فتحدّثت معنا ساعة ، وسألتُها أن تقيمَ عندنا ، فأبَتْ ، وقالت : قد وعدتُ جماعة من أهـلِ الأدب والظَّرف أن أصيرَ إليهـم ، وهم في جزيرة المربد ، منهم إبراهيم بن المدبّر ، وسعيد بن حميد ، ويحيى بن عيسى بن منارة ، فحلفت عليها ، فأقامت . ودعَت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطراً واحداً : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أردتُ ، ولولا ، ولعلّي .

ووجَّهت الرقعة إليهم ، فلمّا وصلت قرؤوها ، وعَيُوا بجوابها ، فأخذها إبراهيم بن المدبّر ، فكتب تحت أردت «ليتَ» وتحت لولا «ماذا» ؟ وتحت لعلّي «أرجو» ووجَّه

1 الخصر : البرد .
2 أدالني : نصرني .

بالرقعة إليها ، فلمّا قرأتْها طرِبت ونعرَت[1] ، وقالت : أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم ؟ تركني الله إذاً من يديه ، وقامت فمضتْ وقالت لكمْ فيمن أتخلَّفُه عندكم من جواريّ كفاية[2] .

[عريب تتدله في حبّه عند مكاتبتها]

أُخبرني محمد بن خلَف : قال : حدَّثني عبد الله بن المعتزّ ، قال : قرأت في مكاتبات لعَريب فصلاً من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبّر مكاتبة بديعة بعيادة : قد استبطأتُ عيادتكَ ، قُدِّمتُ قبلكَ ، وعَذَرْتك ، فما ذكرت عذراً ضعيفاً لا ينبغي أن يفرح به . فأستديم الله نعمه عندك .

قال وكتبت إليه أيضاً : أستوهب الله حياتَك ، قرأت رقعتَك المسكينة التي كلّفتَها مسألتك عن أحوالنا ، ونحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ، ونسأله الإجابة فلا تُعوِّد نفسكَ ، جعلني الله فداءها ، هذا الجفاءَ ، والثقةَ منّي بالاحتمال وسرعة الرجوع .

وكتبْت إليه وقد بلغها صومُه يوم عاشوراء : قَبِل الله صومَكَ وتلقَّاه بتبليغَكَ ما التمست ، كيف ترى نفسك ؟ ، نفسي فداؤك ، ولم كدّرت جسمَك في آب ، أخرجه الله عنك في عافية ، فإنَّه فظّ غليظ وأنت محرور[3] ، وإطعامُ عشْرة مساكين أعظمُ لأجرك ، ولو علمتُ لصمتُ لصومك مساعدة لك وكان الثواب في حسناتكَ دوني ، لأنّ نيّتي في الصومِ كاذبة .

أُخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : اتّصلت لعريب أشغال دائمة في أيّام تركوا رسى ، وخدمتها فيما هنالك . فلم يرها إبراهيم بن المدبّر مدّة ، فكتب إليها : [من الطويل]

صوت

إلى اللهِ أَشكو وحشتي وتفجُّعي — وبعدَ المَدى بيني وبين عَريبِ
مضى دونها شَهْرانِ لم أحلَ فيهما — بعيشٍ ولا مـن قُربها بنصيبِ
فكنت غريباً بين أهلي وجيرتي — ولستُ إذا أبصرتُهـا بغريبِ
وإنّ حبيباً لم يَـرَ النَّاسُ مثلَه — حقيقٌ بأَن يُفْدى بكلّ حبيبِ

لعَريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتزّ ، وهو من مشهور غنائها .

1 نعرت : صوتت بخيشومها .
2 تخلّف فلان فلاناً : جعله خليفته .
3 محرور : يجد بصدره حرارة .

[عود إلى مكاتبات عريب]

وقال ابن المعتزّ في ذكره مكاتبات عَريب إلى إبراهيم بن المدبّر ، وقد كتب إليها يشكو علّته : كيف أصبحتَ أنعم الله صباحكَ ومبيتَك ؟ وأرجو أن يكون صالحاً ، وإنّما أردتَ إزعاجَ قلبي فقط .

وكتبتْ إليه تدعو له في شهرِ رَمضان : أفديك بسمعي وبصري وأهلَّ اللهُ هذا الشهرَ عليك باليُمن والمغفرةِ ، وأعانك على المفترَض فيه والمتنفَّل ، وبلَّغك مثلَه أعواماً ، وفرَّج عنك وعنّي فيه :

قال وكتبت إليه : فداؤك السمعُ والبصرُ والأمُّ والأبُ ومَن عرفني وعرفتُه . كيف ترى نفسَك وُقّيتَها الأذى ؟ وأعمى الله شانِئَك ، ومقَّه[1] الله عند هذه الدّعوة ، وأرجو أن تكون قد أُجيبت إن شاء الله ، وكيف ترى الصوم ؟ عرَّفك الله بركَته ، وأعانك على طاعتِه ، وأرجو أن تكون سالِماً من كلِّ مكروه بحول الله وقوّته ، وواشَوقي إليكَ وواحشتي لَك ، ردَّك الله إلى أحسنِ ما عوّدك ، ولا أشمتَ بي فيك عدوّاً وَلا حاسداً . وقد وافاني كتابُكَ لا عدمتُه إلاّ بالغنى عنه بك ، وذكرت حامله ، فوجّهتُ رسولي إليه ليدخله ، فأسألَه عن خبرك ، فوجدتَه منصرفاً ، ولو رأيته لفرشت خدّي له ، وكان لذلك أهلاً .

وكتبتْ إليه وقد عَتبَتْ عليه في شيء بلَغها عنه : وَهب الله لنا بقاءَكَ ممتَّعاً بالنّعم ، ما زلتُ أمس في ذكرك ، فمرّة بمدحكَ ، ومرّة بشكركَ ، ومرّة بأكلك وذكرك بما فيك لوناً لوناً . اجحدْ ذنبك الآن وهات حُجَجَ الكتَّاب ونفاقَهم ، فأمّا خبرنا أمس فإمّا شربنا من فَضلة نبيذك على تذكارك رطلاً رطلاً ، وقد رفعنا حُسباننا إليك ، فارفع حُسبانك إلينا ، وخبِّرْنا من زاركَ أمس وألهاكَ ، وأيّ شيء كانت القصَّةَ على جِهتها ؟ ولا تُخطرف ، فتحوجَنا إلى كشفِك والبحثِ عنك ، وعن حالك ، وقُل الحقَّ ، فمن صدق نجا ، وما أحوجك إلى تأديب ، فإنَّكَ لا تُحسن أن تؤدّبه ، والحقّ أقولُ إنّه يعتريك كُزاز[2] شديد يجوز حدّ البرد . وكفاك بهذا من قولي عقوبة ، وإن عدت سمعتَ أكثرَ من هذا ، والسلام .

[شماتة]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني محمد بن داود قال : كان عيسى بن إبراهيم النَّصراني

---

1 مقّه : أي أهلكه .

2 الكُزاز هنا : الانزواء ، والانقباض ، والكزاز أصله من شدّة البرد .

المكنى أبا الخير كاتب سعيدَ بنْ صالح يسعى على إبراهيم بن المدبّر في أيّام نكبته ، فلمّا زالت ، ومات سعيد نُكب عيسى بن إبراهيم وحُبس ونُهبت دارهُ فقال فيه إبراهيم بن المدبّر : [من المنسرح]

قـل لأبـي الشرِّ إنْ مـررتَ به   مقالـةً عُرِّيـتْ مـن اللَّبَسِ
أَلبَسكَ اللهُ مـن قوارعـه   آخـذةً بالخُنـاقِ والنَّفَسِ
لا زلتَ يا ابنَ البظراء مرتهَنا   في شرِّ حـال وضيـقِ محتَبَسِ
أقـول لمـا رأيـتُ منزلَـه   منتهبـاً خاليـاً مـن الأَنَسِ[1]
يـا منزلاً قـد عَفا مـن الطَّفس   وساحـةً أُخليتْ مـن الدَّنَسِ[2]
من لاقترافِ الفحشاء بعد أبي الشـــرّ ومن للقبيح والنجِسِ ؟

أُخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : وليَ إبراهيمُ بنُ المدبّر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغورَ الجزرية ، فكان أكثر مقامه بمَنبج[3] ، فخرج في بعض أيّام ولايته إلى نواحي دَلوك[4] ورعبان[5] ، وخلّف بمنبج جاريةً كان يتحظّاها مغنّية يقال لها غادِر ، فحدَّثني بعضُ كتّابه أنّه كان معه بدَلوك ، وهو على جبل من جبالها ، فيه دَيْر يُعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزَهها ، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأُكل وشرب ، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب : [من الطويل]

أَيـا ساقِيَينا وسْطَ دَيْـر سليمانِ   أَديـرا الكُؤوسَ فانهلاني وعُلاَّني[6]
وخُصَّا بصافيها أَبـا جعفر أَخي   وذا ثقتي بـين الأَنـامِ وخُلصاني
وميلاَ بهـا نحـو ابنِ سَلاَّمٍ الذي   أودُّ وعُـودا بعـد ذاك لنعمانِ
وعُمَّا بها الندمان والصحبَ إنّني   تَنكَّرتُ عيشي بعد صحبي وإخواني
ولا تتركا نفسي تمُـتْ بسَقامها   لذِكْرى حبيب قد شجاني وعنّاني[7]

1 الأنس : المؤانسين : جمع أنيس .
2 الطفس : الدنس .
3 منبج : من أعمال حلب شمالي الشام .
4 دلوك : بليدة من نواحي حلب .
5 رعبان : مدينة بين حلب وسميساط .
6 دير سليمان : قرب دلوك مطل على مرج العين .
7 لذكرى حبيب في ل : لذكري حبيباً .

ترحّلتُ عنه عن صدود وهِجرة ... وأقبل نحوي وهو باكٍ فأبكاني
وفارقتُه واللهُ يجمع شملَنا ... بلَوعة محزون وغُلَّة حَرَّانِ
وليلة عين المَرْج زار خيالُه ... فهيَّج لي شوقاً وجدَّد أشجاني[1]
فأشرفت أعلى الدَّيْر أنظر طامحاً ... بألمح آماقٍ وأنظَرِ إنسانِ
لعلّي أرى أبياتَ مَنبج رؤية ... تُسَكّنُ من وجدي وتكشفُ أحزاني
فقصَّر طرفي واستهلَّ بعَبرة ... وفدَّيتُ من لو كان يدري لفدَّاني
ومثَّلَه شوقي إليه مقابلي ... وناجاهُ قلبي بالضمير وناجاني

[يهدي شعره إلى أخيه]

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبّر أهداه مجموعاً إلى أخيه أحمد ، فلمّا وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطّه : [من الوافر]

أبا إسحاقَ إن تكنِ الليالي ... عطفنَ عليكَ بالخطبِ الجسيمِ
فلم أرَ صرْفَ هذا الدَّهرِ يجري ... بمكروه على غيرِ الكريمِ

[وفاء عريب له]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني ميمونٌ بنُ هارون قال : اجتمعتُ مع عريب في مجلس أنسٍ بسرَّ مَن رأى عند أبي عيسى بن المتوكّل ، وإبراهيمُ بن المدبّر يومئذٍ ببغداد ، فمرَّ لنا أحسنُ يوم ، وذكرتْهُ عريب فتشوَّقته وأحسنت الثناء عليه والذكر له ، فكتبتُ إليه بذلك من غد ، وشرَحَتْه له ، فأجابني عن كتابي وكتب في آخره : [من الطويل]

أتعلَمُ يا ميمونُ ماذا تُهيجُه ... بذكركَ أحبابي وحِفظِهم العَهْدا
ووصفِ عريبٍ في كريم وفائها ... وإجمالها ذكري وإخلاصها الوُدَّا ؟
عليها سلامي إن تكن دارُها نأتْ ... فقد قرَّب الله الذي بيننا جدّا
سقى الله داراً بعدَنا جمعْتكُمُ ... وسكَّن ربُّ العرش ساكنَها الخُلدا
وخصَّ أبا عيسى الأميرَ بنعمة ... وأسعد فيما أرتجيه له الجَدَّا
فما ثَمَّ من مجدٍ وَطَوْلٍ وسُودَد ... ورأي أصيلٍ يصدَع الحجَرَ الصَّلْدا

[يصلحون بينه وبين عريب]

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني عبد الله بن حمدون قال : اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبّر

1 عين المرج : قرية من نواحي سامراء .

وابن منارة والقاسم وابن زُرزُور في بستان بالمُطَيرة وَفي يوم غيم يُهريق رذاذه ويَقطر أحسن قَطْر ، ونحن في أطيب عيش وأحسن يوم ، فلم نشعر إلاّ بعريبَ قد أقبلت من بعيد ، فوثب إبراهيم بن المدبّر من بيننا ، فخرج حافياً ، حتى تلقّاها وأخذ بركابها[1] ، حتى نزلتْ وقبّل الأرضَ بين يديها ، وكانتْ قد هجرته مدّة لشيء أنكرته عليه ، فجاءَتْ وجلست وأقبلتْ عليه مبتسمة ، وقالتْ : إنّما جئتُ إلى مَنْ هاهنا لا إليكَ . فاعتذرَ وَشيَّعْنا[2] قوله ، وشفعنا له . فرضيت وأقامت عندنا يومئذٍ وباتَتْ ، واصطبحنا من غد ، وأقامت عندنا فقال إبراهيم : [من الرمل]

صوت

بأبي مـــن حقَّقَ الظنّ به فأتانـــا زائـــراً مُبتدِيـــا
كان كالغَيثِ تراخى مُدّةً وأتـــى بعـــد قُنوط مُرويا
طاب يومـــانِ لنا في قُربه بعـــد شهرين لهجرٍ مضَيا
فأقرَّ اللهُ عَينـــي وشَفـــى سَقَماً كان لجسمي مُبليا

لعريب في هذا الشعر لحنان : رَمَل وَهزج بالوسطى .

[من شعره في عريب]

أنشدني الصوليّ رحمه الله لإبراهيم بن المدبّر في عريب : [من المديد]

زعمـــوا أنّي أُحـــبُّ عَريبا صدقـــوا واللهِ حُبّـــاً عجيبا
حلَّ من قلبـــي هواهـــا مَحلاً لم تَـــدَعْ فيـــه لخَلْق نصيبا
ليقلْ من قَدْ رأى الناس قِدْماً : هل رأى مثلَ عَريب عَرِيبا ؟
هـــي شمسٌ والنساءُ نُجـــومٌ فـــإذا لاحـــتْ أفلـــن غُيوبا

وأنشدني الصوليّ أيضاً له فيها . [من المتقارب]

ألا يـــا عريبُ وُقِيتِ الرَّدى وجنَّبـــكِ اللهُ صَـــرْف الزَّمنْ
فإنّـــك أصبحتِ زينَ النساء وواحـــدة النّـــاس في كلّ فَنّ
فقربُـــكِ يُدني لذيـــذَ الحياةِ وبعـــدُك ينفـــي لذيذَ الوَسَنْ

1 الركاب : حديدة معلقة في السرج يستعان بها على الركوب ، والجمع رُكبُ .
2 شيّعنا : قوينا .

فنِعم الجليسُ ونعـم الأَنيسُ ونعـم السَّميرُ ونعمَ السَّكنْ

وأَنشدني أيضاً له : [من السريع]

إنّ عريباً خُلقتْ وحدَهـا في كلِّ ما يحسُنُ من أمرِها
ونعمـة للهِ في خَلقِـهِ يقصرِّ العـالم عن شكرِها
أَشهـدُ في جاريتَيهـا على أنّهمـا مُحْسِنَتـا دَهرِها
فبدعةٌ تُبـدعُ في شَدْوها وتُحْفَةٌ تتحـف في زَمْرِها
يـا ربِّ أَمتعْها بما خوَّلَت وامدُد لنا يا ربِّ في عمرِها

[أَبو شراعة يودّعه]

أَخبرنا أَبو الفيّاض سوار بن أَبي شُراعة القيسيّ البصريّ قال : كان إبراهيمُ بنُ المدبّر يتولّى البَصرَة ، وكان محسناً إلى أهلِ البلد إحساناً يعمّهم ، ويشتمل على جماعتهم نفعُه ، ويخصُّنا من ذلك بأوفر حظّ وأجزلِ نصيب ، فلمّا صُرِفَ عن البصرة شيَّعه أهلُها ، وتفجّعوا لفراقه وساءهم صَرْفُه ، فجعل يردّ الناسَ من تشييعهم على قدر مراتبهم في الأنس به ، حتى لم يبقَ معه إلاّ أبي ، فقال له : يا أبا شراعة ، إنّ المشيِّع مودِّع لا محالة ، وقد بلغت أقصى الغايات ، فبحقّي عليك إلاّ انصرفتَ ، ثم قال : يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به ، فأَحضر ثياباً وطيباً ومالاً ، فودَّعه أَبي ثم قال : [من الرمل]

يـا أَبـا إسحاق سرْ في دَعَـة وامضِ مصحوباً فمـا منك خَلفْ
ليت شعـري أيُّ أَرض أجدبتْ فأُغيثت بك من جهد العَجَفْ ؟[1]
نـزل الرُّحْـمُ مـن الله بِهِـم وحُرِمنـاكَ لذنـب قـد سلفْ[2]
إنّمـا أَنـت ربيـعٌ باكِـر حيثُمـا صرَّفـه الله انصـرفْ

[قلبه عند عريب]

أَخبرني عليّ بن العبّاس بن طلحة الكاتب قال : قرأتُ جواباً بخطّ إبراهيمَ بن المدبّر في أَضعاف رقعة كتبتْها إليه عريبُ ، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره : [من الطويل]

وساءلتموه بعـدَكم كيـف حالُـه وذلك أمـر بيّـنٌ ليس يُشكلُ

1 العجف : الهزال الشديد .
2 الرّحم : الرحمة .

فلا تسألوا عن قلبه فَهْو عندكم ولكن عن الجسم المُخلَّف فاسألوا

[لا سرور في غيابها]

أخبرني عليّ بنُ العبّاس قال : حدَّثني أبي قال : كنتُ عند إبراهيم بنِ المدبّر ، فزارته بدعةُ وتُحفةُ وأخرجتا إليه رقعةً من عريب فقرأناها فإذا فيها : بنفسي أنت وسمعي وبصري ، وقلّ ذلك لك ، وأصبح يومنا هذا طيّباً ، طيَّب الله عيشَك ، قد احتجبت سماؤه ورقَّ هواؤه ، وتكامل صفاؤه ، فكأنّه أنت في رقّة شمائلك وطيب محضَرك ومخبرك ، لا فقدتُ ذلك أبداً منك ، ولم يصادف حسنُه وطيبُه مني نشاطاً ولا طرباً لأُمور صدَّتْني عن ذلك ، أكره تنْغيص ما أشتهيه لك من السرور بنشرها . وقد بعثتُ إليك ببدعةَ وتحفةَ ليؤنساك وتُسَرَّ بهما . سرَك الله وسرَّني بك !

فكتب إليها يقول : [من المنسرح]

كيف السرورُ وأنتِ نازحةٌ عنّي وكيف يسوغُ لي الطربُ !
إن غبتِ غاب العيشُ وانقطعتْ أسبابُهُ وألحَّت الكُرَبُ

وأنفذ الجواب إليها ، فلم يلبث أن جاءت ، فبادر إليها ، وتلقاها حافياً حتى جاء بها عَلى حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه ، يطأ الحمارُ عَلى بساطه وما عليه ، حتى أخذ بركابها ، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها ، ثم قال : [من الطويل]

ألا ربّ يوم قصَّر اللهُ طولَه بقرب عريبٍ حبَّذا هو من قُرَبِ
بها تحسُن الدُّنيا وينعَم عيشُها وتجتمع السرَّاءُ للعين والقَلْبِ

[من شعره في جاريتي عريب]

حدَّثني عليّ بن سليمان قال : أنشدني أبي قال : أنشدني إبراهيم بن المدبِّر ، وقد كتب إلى بِدعة وتحفة يستدعيهما ، فتأخّرتا عنه فكتب إليهما : [من مجزوء الكامل]

قُل يا رسول لهذه ولهذه بأبي هُما
قد كان وصلكما لنا حَسَناً ففيم قَطعْتُما ؟
أعريبُ سيّدةُ النسا ء بهجرنا أمرتْكما ؟
كلاً وبيت الله بل هذا جفاءٌ منكما

[صوت له غنّته عريب]

وأنشدني عليّ بنُ العبّاس لإبراهيم بن المدبّر ، وفيه لعَرِيبَ هَزَج ، وقال : [من الهزج]

ألا يا بأبي أنتمْ نأت دارٌ بنا عنكمْ

فإن كنتُم تبدلتُمْ ... فما مِنْ بَدَل منكمْ
وإن كنتم عَلى العَهدِ ... فأحسنتُم وأجملتمْ
ويا ليتَ المنى حَقَّت ... فنَبديهــا ولا نَكتُمْ
فكنتُــم حيثمــا كنّا ... وكنّـــا حيثما كنتمْ

[من شعره في سجنه]

وحدَّثني عليّ قال : حدَّثني أبي قال : دخلتُ ليلة على إبراهيم بن المدبّر في أيّام نكبته ببغداد في ليلة غَيم ، فلاح برقٌ من قطب الشمال ونحن نتحدّث ، فقطع الحديثَ ، وأمسك ساعة مفكّراً ، ثم أقبل عليّ فقال : [من مجزوء الخفيف]

بــارقٌ شرَّد الكــرى ... لاح مـــن نحوِ ما تَرى
هـــاج للقلــبِ شجوَه ... فاعْتَرى منه مــا اعترى
أيّهـــا الشادنُ الــذي ... صاد قلبي ومــا درَى[1]
كــن عليمــاً بشِقْوَتي ... فيك من بينِ ذا الوَرى

[عود إلى جاريتي عريب]

وحدَّثني عن أبيه قال : كنت عند إبراهيم بن المدبّر فزارتْه بِدعةُ وتُحفةُ وأقامتا عنده ، فأنشدنا يومئذٍ : [من الخفيف]

أيّها الزائــران حيّــاكما اللـ ... ـــه ومــن أنتما لــه بالسَّلامِ
ما رأينا في الدَّهرِ بدراً وشمساً ... طَرَقــا ثــم رجّعــا بالكلامِ
كيف خلَّفتما عَريباً سقاها اللـ ... ـــه ربُّ العباد صوبَ الغَمامِ
هي كالشَمس والحسانُ نجوم ... ليس ضوءُ النّهارِ مثلَ الظلامِ
جمعتْ كلّ مــا تفرّق في النا ... سِ وصارت فريدةً في الأنامِ

[شعره في سجنه]

وأنشدني عن أبيه لإبراهيم بن المدبّر وهو محبوس : [من الطويل]

وإنّــي لأستنشي الشّمال إذا جــرتْ ... حنينــاً إلى أُلاَّفِ قلبــي وأحبابي[2]
وأهــدي مــع الريح الجنوب إليهمُ ... سلامي وشكوى طولِ حُزني وأوصابي

---

1 الشّادن : ولد الظبي .
2 أستنشي : أشمّ .

فياليت شعري هل عريبٌ عليمةٌ   بذلك أو نام الأحبّة عمّا بي ؟

[يعاتب صديقه أبا الصقر]

حدَّثني عمّي ، عن محمد بن داود قال : كان إبراهيم بن المدبّر صديقَ أبي الصقر إسماعيل بن بُلبُل فلم يرضَ فعله لمّا نكب ولا نيابتُه عنه فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

لا تُطِل عذلي عناء   إن في العذلِ بلاءَ
لست أبكي بطن مرٍّ   فكديًّا فكَداءَ[1]
إنّما أبكي خليلا   خانَ في الودِّ الصفاءَ
يا أبا الصقرِ سقاكَ الل   ـه تَهتانا رواءَ[2]
وأدامَ الله نُعما   ك وَملاَّك البقاءَ[3]
لِمْ تجاهَلتَ وِدادي   وتَناسيتَ الإخاءَ ؟
كنت بَرّاً فعلى رأ   سي تعلَّمت الجفاءَ
لا تميلنَّ مع الريـ   ـح إذا هبَّتْ رُخاءَ
ربَّما هبَّتْ عقيماً   تترك الدُّنيا هَباءَ[4]

[حلم يتحقق]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال : حدَّثني أبي قال : كنت عند إبراهيم بن المدبّر وزارته عَريبُ . فقال لها : رأيت البارحة في النوم أبا العَنْبَس وقد غنّى في هذا الشعر وأنتِ تراسلينه فيه : [من الرمل]

يا خليليَّ أرِقْنا حَزَنا   لِسَنا بَرقٍ تبدَّى مَوْهنا[5]

وكأنّي أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأوّل : [من الرمل]

وجلا عن وجهِ دعدٍ مَوْهِنا   عجباً منه سَناً أبدى سَنا

فقالت : ما أملح والله الابتداء والإجازة ! فاجعل ذلك في اليقظة ، واكتب إلى أبي العَنْبَس

1 بطن مر : من نواحي مكّة يجتمع عنده وادي النخلتين . فكدياً : بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعيين . فكداء : بأعلى مكة عند المحصب .
2 تهتانا : مطراً متتابعاً . رواء : كثيراً مروياً .
3 ملاّك : أمتعك .
4 عقيماً : لا خير فيها .
5 موهن ، نحو نصف الليل .

وسَله عنّي وعنكَ الحضورَ ، فكتب إليه إبراهيم : [من الرمل]

يا أَبا العبّاسِ يا أُفتى الورى زارنا طيفُك في سُكْرِ الكَرى
وتغنّـــى لِيَ صوتـــاً حسناً في سَنا برقٍ على الأُفْقِ سَرى
وعريـــبٌ عندنـــا حاصلـةٌ زينُ مَنْ يمشي على وجه الثَّرى
نحـــن أَضيافُـــكَ في منزِلنا نتمنّاكَ فكُـــن أَنـــتَ القِرى

قال : فسار إليهما أبو العَنْبَس ، وحدَّثه إبراهيم برؤياه ، فحفظا الشعر ، وغنَّيا فيه بقية يومهما : [من الطويل]

صوت

أَلا حَيِّ قبل البين من أَنتَ عاشقُهْ ومن أَنـــتَ مشتاقٌ إليه وشائقُهْ
ومَـــن لا تواتي دارَه غيرَ فَيْنَـــةٍ ومَن أَنتَ تبكي كلَّ يوم تُفارقُهْ[1]

الشعر لقَيْس بن جَرْوَة الطائيّ الأجَئِيّ ، قاله في غارة أغارها عمرُو بنُ هند على إبلِ لطيِّء فحرَّض زُرارة بن عُدَس عمرو بن هند على طيِّء وقال له : إنَّهم يتوعّدونَك ، فغزاهم واتَّصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني تميم في يوم أوارة[2] وخبر ذلك يذكر هاهنا ؛ لتعلُّق بعض أَخباره ببعض .

والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ومن مجموع غناء إبراهيم .

1 الفينة : الحين .

2 أوارة : اسم ماء أو جبل لبني تميم بناحية البحرين .

[477] ـ ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب

[يوم أوارة]

نسختُ ذلك من كتاب عُمَر بنِ محمد بن عبد الملك الزيّات بخطّه ، وذكر أنّ أحمدَ بن الهيثم بن فراس أخبره به عن العمريّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وغيره من أشياخ طيّيء . قال : وحدّثني محمد بن أبي السريّ عن هشام بن الكلبيّ قالوا : كان من حديث يوم أُوارة أنّ عمرَو بنَ المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند يعرف باسم أُمّه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حُجْر آكل المُرار[1] الكنديّ وهو الذي يقال له مُضَرِّط الحجارة ، أنّه كان عاقد هذا الحيّ من طيّيء على ألاّ ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ، وأنَّ عمرو بنَ هند غزا اليمامةَ ، فرجع مُنفِضاً[2] فمرَّ بطيّيء ، فقال له زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظليّ : أَبيتَ اللعن ! أَصِبْ من هذا الحيّ شيئاً ، قال له : ويلك ! إنّ لهم عَقْدا ، قال : وإن كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذْواداً[3] .

[قيس بن جروة يتهدّده عمرو بن هند]

فقال في ذلك الطائيّ ، وهو قَيس بن جَروة أَحد الأجئيِّين قال : [من الطويل]

أَلا حيٌّ قبل البين من أَنت عاشقُهْ ... ومَن أَنتَ مشتاقٌ إليه وشائقُهْ
ومَن لا تُواتي دارَه غيرَ فَينةٍ ... ومَن أَنت تبكي كلَّ يومٍ تُفارقُهْ
وتعدو بصحراء الثويّةِ ناقتي ... كعدو النَّحوص قَدْ أمخَّت نواهِقُهْ[4]
إلى الملك الخيْرِ ابن هند تزوره ... وليس من الفوْت الذي هو سابقُهْ
وإنَّ نساءَ هُنَّ ما قال قائلٌ ... غنيمةُ سَوء بينهنّ مَهارقُهْ[5]
ولو نيل في عهدٍ لنا لحمُ أرنب ... رَدَدْنا وهذا العهد أَنت مُعالقُهْ[6]

1 المرار : شجر تأكله الإبل .
2 منفضاً : نافذ الزاد .
3 الذود : جماعة الإبل من ثلاث إلى عشر ولا يكون إلاّ في الإناث .
4 الثوية : موضع قرب الكوفة . النحوص : الأتان لا ولد لها ولا لبن فيها . أمخت : صار لها مخ . النواهق : عظام شاخصة من ذي الحافر في مجرى الدمع ، أي سمينة .
5 المهرق : ثوب أبيض أو ورق يكتب عليه العهود وما أريد بقاؤه على الدهر .
6 معالقه : متعلق بذمتك .

فهبكَ ابنَ هنـد لم تعُقْك أمانـةٌ ... وما المـرء إلاّ عَقده ومَواثِقُهْ
وكنّـا أُناساً خافضـين بنعمـةٍ ... يسيل بنـا تلْـع المَـلا وأبارقُهْ[1]
فأقسمتُ لا أحتـلُّ إلاّ بصهوةٍ ... حـرامٌ عـليَّ رَملُـه وشقائِقُهْ[2]
وأقسم جَهـداً بالمنازلِ من مِنًى ... وما خبّ في بطحائِهِنَّ دَرادِقُهْ[3]
لئن لم تغيَّر بعضَ مـا قـد فعلتُم ... لأنتحينّ العظـم ذو أنـا عارقُهْ[4]

فسمّي عارقاً[5] بهذا البيت. فبلغ هذا الشعر عمرَو بنَ هند، فقال له زُرارة بن عُدَس: أبيت اللعن، إنّه يتوعّدك. فقال عمرو بن هند لتُرملة بن شُعاث الطائيّ، وهو ابن عمّ عارق: أيهجوني ابن عمّك ويتوعّدني! قال: والله ما هجاك، ولكنّه قد قال: [من الكامل]

والله لو كان ابنُ جفنةَ جارَكمْ ... لَكَسا الوجوه غضاضة وهوانا[6]
وسلاسلا يبرقن في أعناقكـم ... وإذاً لقطَّـع تلكـم الأقرانا[7]
ولكـان عادتُـه على جيرانه ... ذهبـا ورَيطـا رادِعـا وجِفانا

قالوا: الرادع: المصبوغ بالزعفران، وإنّما أراد ترملة أن يُذهبَ سَخيمته، فقال: والله لأقتلنّه. فبلغ ذلك عارقاً، فأنشأ يقول: [من الطويل]

مـن مبلـغٌ عَمرو بنَ هنـدٍ رسالةً ... إذا استحقبتها العِيس تُنْضى على البعدِ[8]
أيوعـدُني والرمـل بينـي وبينـه ؟ ... تبـينْ رويـداً مـا أُمامة مـن هندِ
ومـن أجـإٍ دوني رِعـانٌ كأنّها ... قنابل خيـل مـن كميت ومن وَرْدِ[9]

1 تلع: جمع تلعة. الملا: الصحراء. أبارق: جمع أبرق: أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين.
2 أحتل: أنزل. صهوة: برج يتّخذ في أعلى الرابية. شقائق: جمع شقيقة؛ وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب.
3 الخبب: سير يراوح الفرس فيه بين يديه ورجليه. درادق: جمع دردق كعسكر: صغار الإبل.
4 لأنتحين: لأقصدن، يريد لأصيبن هذا العظم.
5 عرق العظم: أخذ اللحم الذي عليه كلّه.
6 الشطر الثاني في ل: ما إن كساكم غصة وهوانا.
7 الأقران: جمع قَرَن: حبل.
8 استحقبتها: حملتها على حقيبة الرجل. الإبل العيس: البيضاء جمع أعيس. تنضى: تهزل.
9 رعان: جمع رعن، وهو أنف يتقدّم الجبل. قنابل: جمع قنبل، جماعة من الخيل، وفي ل: قبائل. كميت: تصغير كمت، وهو من الخيل ما خالط حمرته سواد غير خالص. ورد: أحمر ضارب إلى الصفرة.

غدرتَ بأمـــر أنـــت كنتَ اجتذبْتنا ... عليـــه وشرُّ الشيمة الغـــدرُ بالعهدِ[1]
فقد يتركُ الغـــدرَ الفتـــى وطعامُه ... إذا هو أمسى حَلبـــةٌ مـــن دمِ الفصدِ[2]

فبلغ عمرَو بن هند شعرُه هذا ، فغزا طيئاً ، فأسر أسرى من طيّىء من بني عديّ بن أخزم ، وهم رهط حاتم بن عبد الله ، فيهم رجلٌ من الأجئيِّين يقال له قيسُ بن جَحدر ، وهو جدّ الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم ، فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند ، وكذلك كان يصنع ، فسأله إيّاهـم ، فوهبهم لـه إلاّ قيس بن جحدر ، لأنـّه كان من الأجئيِّين من رهط عارق ، فقال حاتم : [من الطويل]

فككت عديّـــاً كلّها من إسارها ... فأنعِمْ وشفِّعني بقيسِ بنِ جَحْدَرِ
أبـــوه أبـــي والأُمّهـــاتُ امّهاتنا ... فأنعم فدتْكَ اليوم نفسي ومعْشري

فأطلقه .

[مالك بن المنذر]

قال : وبلغنـا أنّ المنذرَ بن ماء السماء وضع ابناً لـه صغيراً ، ويقـال : بـل كان أخاً له صغيراً ، يقال لـه : مالِك عند زُرارة ، وإنّه خـرج ذات يـوم يتصيَّـدُ ، فأخفق ، ولم يصب شيئاً ، فرجع ، فمرَّ بإبلٍ لرجل من بني عبد الله بن دارِم ، يقال له سُوَيد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكان عند سويد ابنـةُ زُرارة بن عُـدَس ، فولدت لـه سبعةَ غِلمة ، فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ، ثم اشتوى وسويدٌ نائم ، فلمّا انتبه شدَّ على مالك بعصاً فضربه بها ، فأمَّه[3] . ومات الغلامُ ، وخرج سويدٌ هارباً حتى لحق بمكّة وعلم أنّه لا يأمن ، فحالـف بني نوفل بن عبـد مناة واختطّ[4] بمكـّة ، فمن ولده أبو أهاب بن عزيز بن قيس بن سويد ، وكانت طيّىء تطلب عثرات زُرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلقَط الطائيّ يقول : [من مجزوء الكامل]

من مبلغٌ عمراً بأنَّ المـــر ... ءَ لم يُخلـــقْ صُبارَهْ[5]
وحـــوادث الأيّـــام لا ... تبقـــى لهـــا إلاّ الحجارَهْ

---

1 اجتذبتنا في ل : احتذيتنا .
2 حلبة : مرة من الحلب وكانوا يأخذون دم العروق يفصدونه ويجففونه ثم يأكلونه .
3 أمّه : شجَّ رأسه .
4 اختطّ : نزل خطّة بمكّة .
5 صُبارة : الحجارة الملس .

أنّ ابـــن عِجزةِ أُمّـــه بالسَّفح أَسفَلَ من أُوارَهْ

قال هشام : أوّل ولد المرأة يقال له : زُكمة ، والآخر : عِجزة .

تسفي الرياحُ خلاله سَحْياً وقَـــد سَلَبُـــوا إزارَهْ[1]
فاقتـــل زُرارةَ لا أرى في القوم أفضلَ من زُرارَهْ

[هرب زرارة وعودته]

فلمّا بلغ هذا الشعرُ عمرَو بن هند بكى ، حتى فاضت عيناه ، وبلغ الخبرُ زرارة ، فهَرَب ، وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهي حُبلى فقال : أذَكَرٌ في بطنك أم أُنثى ؟ قالت : لا علم لي بذلك ، قال : ما فعل زُرارة الغادر الفاجر ؟ فقالت : إن كان ما علمتُ لطيِّبُ العَرَق سمين المَرق ويأكل ما وَجد ، ولا يسأل عمّا فَقَد ، لا ينام ليلةَ يَخافُ ، ولا يشبع ليلةَ يُضافُ . فبَقر بطنها .

فقال قوم زُرارة لزرارة : والله ما قتلتَ أخاه ، فأتِ الملك ، فاصدقه الخبر ، فأتاه زرارة ، فأخبره الخبر فقال : جئني بسويد ، فقال : قد لحق بمكّة ، قال : فعليّ ببنيه السبعة ، فأتي ببنيه وبأمّهم بنت زُرارة وهم غِلْمة بعضهم فوق بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه ، وتعلّق بزُرارة الآخرون فتناولوهم ، فقال زُرارة : يا بعضي دع بعضاً[2] ، فذهبت مثلاً . وقتِلوا .

[عمرو ينكل ببني تميم]

وآلى عمرو بن هند بأليّة ليحرِقَنَّ من بني حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدهم وبعث على مقدَّمته الطائيَّ عمرو بن ثعلبة بن عَتّاب بن مِلقط ، فوجدوا القوم قد نَذِروا ، فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأسفل أوارة من ناحية البحرين ، فحبسهم ، ولحقه عمرو بن هند ، حتى انتهى إلى أوارة ، فضُرِبت فيه قبّتُه ، فأمر لهم بأخدود فحفِر لهم ، ثم أضرمه ناراً ، فلمّا احتدمت وتلظّت ، قذف بهم فيها ، فاحترقوا .

[إنّ الشقي وافد البراجم]

وأقبل راكب من البراجم ، وهم بطن من بني حنظلة ، عند المَساء ، ولا يدري بشيء ممّا كان يُوضع له[3] بعيره فأناخ ، فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ قال : حبُّ الطعام ، قد

1 سحياً في ل : كشحيه . وسحياً : قشراً .
2 مثل يضرب في تعاطف ذوي الأرحام ، وورد في مجمع الأمثال 410/2 والجمهرة للعسكري 420/2 ، 423 والمستقصى 405/2 وفصل المقال 209 والأمثال للقاسم بن سلام 139 .
3 الإيضاع : حمل الدواب على العدو السّريع .

أُقويْتُ[1] ثلاثاً لم أذق طعاماً ، فلمّا سطع الدّخان ظننته دخانَ طعام ، فقال له عمرو بن هند : مِمّن أنتَ ؟ قال : من البراجم ، قال عمرو : إنّ الشقيّ وافدُ البراجم[2] فذهب مثلاً ، ورمى به في النار ، فهجت العرب تميماً بذلك ، فقال ابن الصَّعِق العامريّ : [من الوافر]

أَلا أَبلغْ لديكَ بني تميم ... بآيــة مــا يُحبُّون الطعاما

[مثل من شجاعة المرأة]

وأَقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أُبيت اللعن ! لو تحلَّلت بامرأة منهم ، فقد أُحرقت تسعة وتسعين رجلاً . فدَعا بامرأة من بني حنظلة ، فقال لها : مَن أنت ؟ قالت : أَنا الحمراء بنت ضَمرة بن جابر بن قَطَن بن نهشلَ بن دارم ، فقال : إنّي لأظنّك أعجميّة ، فقالتْ : ما أنا بأعجميّة ولا ولدْتني العجم . [من الرجز]

إنّي لبنتُ ضمرةَ بــن جابر ... سادَ معــدّاً كابــراً عن كابرِ
إنّي لأختُ ضَمرة بنِ ضَمرهْ ... إذا البــلاد لُفِّعَــت بجمرهْ

قال عمرو : أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصَرَفتكِ عن النّار ، قالت : أما والذي أسأَلُه أن يضع وسادَك ، ويخفِض عمادَك ، ويسلبك مُلكك ، ما قتلتَ إلاّ نساء أعاليها ثُديّ وأسفلها دُميّ قال : اقذفوها في النّار ، فالتفتت ، فقالت : ألا فتًى يكون مكان عجوز ! فلمّا أبطؤوا عليها قالت : صار الفتيانُ حُمماً[3] ، فذهبت مثلاً فأُحرِقت ، وكان زوجها يقال له هَوذة بن جرول بن نهشل بن دارم .

[لقيط يعيّر بني مالك]

فقال لقيط بن زرارة يعيّر بني مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك وقتله إيّاهم ونزولهم معه : [من المتقارب]

لمــن دمنــةٌ أقفرتْ بالجنابِ ... إلى السفحِ بين المَلا فالهضابِ[4]
بكيــتَ لعرفـــان آياتهـــا ... وهاج لك الشوقَ نعبُ الغرابِ

1 أقويت : نفد زادي .
2 مثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة . ويُروى راكب البراجم . ورد في مجمع الأمثال 29/1 والدرر الفاخرة 259/1 ، 260 والجمهرة 10/1 ، 121 ، 122 والمستقصى 405/1 وفصل المقال 452 .
3 مثل ورد في مجمع الأمثال 394/1 والمستقصى 137/2 .
4 الجناب، والسّفح والملا والهضاب : مواضع .

فأبلـغ لديـــك بنـــي مالك ... مغلغلـــةً وسراةَ الرّبـــابِ[1]
فــإن امــــرءاً أنتـــمُ حولَـــه ... تحِفُّـــون قبَّتَـــه بـــالقِباب
يُهـــينُ سراتكـــمُ عامـــداً ... ويقتلكم مثـلَ قتـلِ الكلاب
فلـــو كنتـــمُ إبـــلاً أملَحَت ... لقـــد نزَعَتْ للمياهِ العذابِ[2]
ولكنَّكـــم غَنـــمٌ تُصطَفـــى ... ويُتـــرك سائرُهـــا للذئابِ
لعمر أبيـــكَ أبـــي الخير مـا ... أردتَ بقتلهـــمُ مـــن صوابِ
ولا نعمـــةً إن خيرَ الملـــو ... كِ أفضلهم نعمـــةً في الرقابِ

[شعر الطرماح في أوارة]

وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا : [من البسيط]

واسأل زُرارة والمأمور مـــا فعلت ... قَتْلى أُوارةَ مـــن رعلان واللَّددِ[3]
ودارِمـــاً قـــد قذفنا منهمُ مائـــة ... في جاحِم النارِ إذ يُلقونَ بالخُدَدِ[4]
ينزون بالمشتوي منهـــا ويوقدُها ... عمرٌو ولولا شحوم القوم لم تَقِدِ

[زرارة يريد الثأر من ابن ملقط]

قال : فحدَّثني الكلبيّ عن المفضل الضبّيّ قال : لمّا حضر زُرارة الموتُ جمع بنيه وأهل بيته ثم قال : إنّه لم يبقَ لي عند أحد من العرب وِتْر ، إلاّ قد أدركته ؛ غير تحضيض الطائيّ ابن ملقطِ الملك علينا ، حتى صنع ما صنع ، فأيّكم يضمن لي طلب ذلك من طيّيء ؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : أنا لك بذلك يا عم . ومات زرارة ، فغزا عمرو بن عمرو جديلة من طيّيء ، ففاتوهم ، وأصاب ناساً من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن تمامة وقال في ذلك شعراً .

[لقيط بن زرارة يخطب بنت ذي الجدين]

وكان زُرارة بن عُدس بن زيد رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط ، ورأى منه خُيَلاءَ ونشاطاً ، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذٍ شابّ . فقال له زرارة : لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنّما جئتني بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء ، أو نكحتَ بنت ذي

1 مغلغلة : أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد .
2 أملحت : وردت ماء ملحاً .
3 رعلان : حصن . واللدد : موضع .
4 جاحم : شديد الاشتعال . الخدد : جمع خدة أي حفرة .

الجدَّين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله عليَّ ألا يمس رأسي غَسْل ، ولا آكُلَ لحماً ، ولا أشرب خمراً ، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ومعه ابن خال له : يقال له : القُراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شيبان ، فسلَّما على ناديهم ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ذو الجدَّين ؟ وكان سيدَ ربيعة يومئذٍ ، قالوا : نعم ، قال : فأيّكم هُو ؟ قال قيس : أنا قيسٌ ، فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً ابنتَك ، وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحدٌ ابنته علانية إلاّ أصابه بشَرٍّ وسَمَّع به ، فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : أنا لقيط بنُ زُرارة بن عُدَس بن زيد ، قال قيس : عجباً منك يا ذا القُصَّة ! هلا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : ولِمَ يا عمّ ؟ فوالله إنّك لرُغْبة[1] وما بي من نَضاة ، أي ما بي عار ، ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتك لا أفضحك ، فأعجَب قيساً كلامُه ، وقال : كفء كريم ؛ إنّي زوّجتُكَ ومهرتُك مائة ناقة ليس فيها مظائر[2] ولا ناب[3] ولا كَزُوم[4] ؛ ولا تبيت عندنا عَزبا ولا محروما . ثم أرسل إلى أُمّ الجارية : أنّي قد زوّجت لقيطَ بن زُرارة ابنتي القَدور ، فاصنعيها واضربي لها ذلك البَلَق[5] ، فإن لقيطُ بنَ زُرارة لا يبيت فينا عَزبا . وجلس لقيط يتحدّث معهم ، فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو فأردُّها للقاح وأهزِلُها للجمال ، وأمّا المقام فأسمنها للجِمال ، وأحبُّها للنساء . فأعجب ذلك قيساً ، وأمر لقيطاً ، فذهب إلى البَلَق فجلس فيه ، وبعثت إليه أُمُّ الجارية بِمجمرة وبخور ، وقالت للجارية : اذهبي بها إليه ، فوالله لئن ردّها ما فيه خير ، ولئن وضعها تحته ما فيه خير ، فلمّا جاءته الجارية بالمجمرة بخَّر شعره ولحيته ثم ردَّها عليها ، فلمّا رجعت الجاريةُ إليها ، خبَّرتها بما صنع ، فقالت : إنّه لخليقٌ للخير ، فلمّا أمسى لقيط أُهدِيت الجارية إليه . فمازحها بكلام اشمأزّت منه ، فنام وطرح عليه طرفَ خَميصة[6] ، وباتت إلى جنبه ، فلمّا استثقل انسلَّتْ فرجَعَت إلى أُمّها ، فانتبه لقيط ، فلم يرها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل بعيرك[7] وإيّاك أن يُسمع رُغاؤها .

1 رغبة : يرغب فيك الناس .
2 مظائر : ليست مشرومة الأنف حين تغمى للظئار .
3 الناب : الناقة المسنة .
4 الكزوم : الناقة ذهبت أسنانها هرماً .
5 البلق : الفسطاط .
6 الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .
7 البعير يطلق على الناقة أيضاً .

[لقيط يحظى بجوائز المنذر وكسرى]

فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأَصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت ، ولم يدر ما الذي ذهب به . ومضى لقيط ، حتى أتى المنذرَ فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه ، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر ، ثم انصرف لقيط من عند كسرى ، فأتى أباه ، فأخبره خبره .

[لقيط يعود إلى زوجته ثم تئيم منه]

وأَقام يسيراً ، ثم خرج هو وقرادٌ حتى جاءا محلّة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل ، فقال لقيط : [من البسيط]

انظر قــرادُ وهاتا نظرةً جزعا عُرضَ الشقائق هل بيَّنْتَ أُظعانا

فيهن أترجّــة نضخ العبير بها تكسى ترائبها شَذْرا ومَرجانا[1]

فخرجا حتى أَتيا قيس بن خالد . فجهزها أبوها ، فلمّا أرادت الرحيل قال لها : يا بنيَّة كوني لزوجـكِ أَمةً يكن لكِ عبداً ، وليكن أكثرُ طيبِك الماء ، فإنّك إنّما يُذهَب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدتِ فستلدين لنا غيظاً طويلاً ، واعلمي أنّ زوجَك فارسُ مضر ، وأنّه يوشك أن يُقتلَ أو يموت ، فلا تخمِشي عليه وجهاً ولا تحلقي شعراً ، قالت له : أما والله لقد ربيتَني صغيرة ، وأَقصيتني كبيرة ، وزوّدتني عند الفراق شرَّ زاد . وارتحل بها لقيط ، فجعلتْ لا تمرّ بحيّ من العربِ إلاّ قالت : يا لقيط ، أَهؤلاء قومُكَ ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلّة بني عبد الله بن دارم ، فرأت القبابَ ، والخيل العَرابَ[2] ، قالت : يا لقيط أَهؤلاء قومك ؟ قال : نعمْ ، فأقام أيّاماً يُطعِم ويَنحر ، ثم بنى بها ، فأقامت عنده حتى قُتِل يوم جَبَلة[3] ، فبعث إليها أبوها أخاً لها فحُمِلت ، فلمّا ركِبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بني دارم ، أُوصيكم بالغرائب خيراً[4] ، فوالله ما رأَيت مثلَ لقيط ، لم تخمِش عليه امرأة وَجْهاً ولم تحلِق عليه شَعراً ، فلولا أنـِّي غريبة لخَمَشْت وحلقت ، فحبب الله بين نسائكم ، وعادى بين رعائكم ، فأثْنوْا عليها خيراً .

1 الأترجة : ثمر شجر من فصيلة الليمون . نضخ : أثر طيب يبقى في الثوب وغيره . شذراً : قطعاً من الذهب .
2 العراب : خلاف البراذين واحدها عربي .
3 يوم جبلة : يوم بين بني عبس وذبيان ابني بغيض .
4 ل : شرّاً .

[زوجة لقيط في عصمة غيره]

ثم مضت حتى قدمتْ على أبيها ، فزوّجها من قومه ، فجعل زوجُها يسمعُها تذكر لَقيطاً ، وتحزن عليه ، فقال لها : أيَّ شيء رأيت من لقيط أحسنَ في عينك ؟ قالت : خرج يوم دَجْن وقد تطَيَّب وشرب ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني وبه نضحُ دماء ، فضمّني ضمّة ، وشمَّني شمّة ، فليتني مِتُّ ثَمَّة ، فلم أرَ منظراً كان أحسنَ من لَقيط ، فمكث عنها حتى إذا كان يومُ دَجن شَرب ، وتطيّب ، ثم ركب ، فطرد البقر ، ثم أتاها وبه نضح دمٍ والطيبُ وريح الشراب ، فضمّها إليه وقبّلها ، ثم قال لها : كيف ترينَ ؟ أأنا أم لَقيط فقالت : ماءٌ ولا كصَدَّاء ، ومرعى ولا كالسَّعدان[1] فذهبت مثلاً ، وصَدَّاء : ركية ليس في الأرض ركية أطيب منها ، وقد ذكرها التميميّ في شعره : [من الطويل]

إنِّـــي وتهيامـــي بزينبَ كالذي ... يُخالس من أُحواض صَدَّاءَ مَشربا
يرى دونَ برد الماء هَـولاً وذادةً ... إذا اشتدَّ صاحوا قبـل أن يتحببا[2]

يقول : قبل أن يروى يقال : تحبَّبتُ من الشراب أي رَويتُ ، وبضعْت منه أيضاً أي رويت منه ، والتحبُّبُ : الرَّيّ .

صوت

[من الطويل]

وكاتبةٍ في الخدِّ بالمسك جعفرا ... بنفسي مَخطُّ المسك من حيث أثَّرا[3]
لئن كتبتْ في الخدِّ سطراً بكفِّها ... لقد أودعتْ قلبي من الحُبِّ أسطُرا
فيا مــن لمَمْلوك لملكِ يمينـــه ... مطيـــعٌ لهـــا فيمــا أسرَّ وأظهرا
ويا من هواها في السريرة جعفرٌ ... سقى الله مــن سُقْيا ثَناياكِ جعفرا

الشعر لمحبوبة شاعرةِ المتوكّل ، والغناء لعريب خفيف رَمَل مطلق .

---

1 السعدان : أطيب المراعي للإبل . وهنا مثل ويُروى كصدى : ورد في مجمع الأمثال 277/2 وفصل المقال 199 ، 201 والجمهرة للعسكري 91/2 ، 241 ، 255 والمستقصى 339/2 وورد مرعى ولا كالسعدان في مجمع الأمثال 225/2 ، 242 ، 275 والمستقصى 344/2 وفصل المقال 199 والقاسم بن سلام 135 ومواطن أخرى .

2 اشتد في ل : شدّ .

3 المخطّ : القلم يخطّ به المسك .

[478] ـ أخبار محبوبة

[محبوبة أجمل من فضل]

كانت محبوبة موَلّدة من مولدات البصرة ، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشاعرة اليماميّة أن تتقدّمها ، وكانت محبوبة أجملَ من فَضْل وأعفّ ، ومَلَكها المتوكّل وهي بكر ، أهداها لهُ عبدُ الله بنُ طاهر ، وبقيت بعده مدّة ، فما طمع فيها أحد ، وكانت أيضاً تغنّي غِناء ليس بالفاخر البارع .

[حاضرة البديهة]

أَخبرني بذلك جحظةُ عن أَحمد بن حَمدون . وأَخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني عليّ بن يحيى المنجم : كان عليّ بنُ الجهم يُقرَّب من أنس المتوكّل جدّاً ، ولا يكتمه شيئاً من سرّه مع حرمه وأحاديث خَلواته ، فقال له يوماً : إنّي دخلت على قبيحةَ ، فوجدتُها قد كتبتْ اسمي على خدِّها بغالية[1] ؛ فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدّ ، فقل في هذا شيئاً . قال : وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء السِّتر ، وكان عبد الله بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة إلى المتوكّل ، قال : فدَعا عليّ بن الجهم بدواة ، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكّر ، قالت محبوبة على البديهة من غير فكرٍ ولا رويّة : [من الطويل]

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدِّ جعفَرا ... بنفسي مَخطُّ المسكِ من حيث أثَّرا

لئن كتبتْ في الخدِّ سطراً بكَفِّها ... لقد أُودعتْ قلبي من الحبِّ أَسطرا

فيا مَنْ لمملوك لِملكِ يمينه ... مطيعٍ له فيما أسرَّ وأظهرا

ويا مَن مناها في السريرةِ جعفرٌ ... سقى الله من سُقيا ثَناياك جعفَرا

قال : وبقيَ عليّ بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف . وأَمر المتوكّل بالأبيات ، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تغنّي فيها ، قال عليّ بن يحيى ، قال علي بن الجهم بعد ذلك : تحيّرتُ والله ، وتقلّبتُ خواطري ، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله .

[شعرها في تفّاحة]

أَخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني ابن خُرْداذبه قال حدَّثني عليّ بنُ الجهم : قال :

---

1 الغالية : أخلاط من طيب .

كنتُ يوماً عند المتوكّل وهو يَشربُ ونحن بين يديه ، فدفع إلى محبوبة تُفّاحة مغلَّفة فقبّلتها ، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرِب ، ثم خرجت جاريةٌ لها ومعها رقعة ، فدفعتها إلى المتوكّل فقرأها ، وضحك ضحكاً شديداً ، ثم رمى بها إلينا ، فقرأناها وإذا فيها : [من المنسرح]

يــا طيبَ تُفاحــة خلوتُ بهــا ... تُشعل نــارَ الهـوى على كَبَدي
أبكــي إليهــا وأشتكـي دَنَفي ... ومــا أُلاقــي من شدَّة الكَمَدِ
لــو أنَّ تفّاحــةً بكــت لبكت ... مــن رحمتــي هــذه التي بيدي
إن كنــتِ لا ترحمين مـا لقيتْ ... نفسي من الجهدِ فارحمي جسدي

قال : فوالله ما بقيَ أحد إلاّ استظرفها ، واستملحها ، وأمر المتوكّل فغُنّيَ في هذا الشعر صوتٌ شربَ عليه بقيّة يومه .

[وفاؤها للمتوكّل بعد موته]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بنُ يحيى المنجم : أن جواريَ المتوكّل تفرّقن بعد قتله ، فصار إلى وصيف عدّة منهنّ ، وأخذ محبوبة فيمن أخذ ، فاصطبح يوماً وأمر بإحضار جواري المتوكّل ، فأحضِرن ، عليهنّ الثياب الملونة ، والمذهبة والحُليّ ، وقد تزيَّنّ وتعَطَّرن إلاّ محبوبة فإنّها جاءت مَرْهاء[1] متسلِّبةً[2] ، عليها ثيابُ بياضٍ غير فاخرة ، حزناً على المتوكّل . فغنّى الجواري جميعاً ، وشربن وطربَ وصيفٌ وشرب ، ثم قال لها : يا محبوبة غنّي فأخذت العود ، وغنَّت وهي تبكي ، وتقول : [من مجزوء الخفيف]

أيُّ عيش يطيــبُ لي ... لا أرى فيــه جعفَــرا
ملكاً قــد رأتــه عَيْــ ... ــني قتيــلا معفَّــرا[3]
كلُّ مَــن كان ذا هُيــا ... مٍ وحــزن فقـد بـرا[4]
غيــر محبوبــةَ التــي ... لــو ترى الموتَ يُشترى
لاشترتــه بمِلكهــا ... كُــلُّ هــذا لتُقبَــرا

---

1 مرهاء : غير مكتحلة .
2 متسلبة : لابسة ثياب الحداد .
3 معفراً : ممروغاً في التراب أو مضروباً به الأرض .
4 برا : تخفيف من برأ ، أي شفي من المرض .

إن مَوْتَ الكئيبِ أَصْـ ـلَحُ مــن أن يعمَّرا

فاشتدّ ذلك على وصيف ، وهمَّ بقتلها . وكان بُغا حاضرا ، فاستوهبها منه ، فوهبها له ، فأعتقها ، وأمر بإخراجها ، وأن تكونَ بحيث تختارُ من البلاد ، فخرجت من سُرَّ مَن رأى إلى بغداد ، وأُخْمِلَتْ ذكرها طولَ عمرِها .

خصام وصلح في المنام ؛ ثم في اليقظة]

أَخبرني جعفر بن قُدامة ، قال : حدَّثني ملاوي الهَيْثَميّ قال : قال لي عليٌّ بنُ الجهم : كانت محبوبة أُهديت إلى المتوكّل ، أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية ، وكانت بارعةَ الحسن والظَّرف والأدب مغنّيةً محسنة ، فحَظِيتْ عند المتوكّل ، حتى إنّه كان يُجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب ، فيُدخلُ رأسَه إليها ، ويحدّثها ، ويراها في كلّ ساعة . فغاضبها يوماً ، وهجرها ومنع جواريَه جميعاً من كلامِها ثم نازعتْه نفسه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعته العزّةُ ، وامتنعت من ابتدائه إدْلالاً عليه بمحلّها منه . قال عليٌّ بنُ الجهم : فبكَّرْتُ إليه يوماً فقال لي : إنّي رأيت البارحة محبوبة في نومي كأنّي قد صالحتها ، فقلت : أقرّ الله عينَك يا أمير المؤمنين ، وأنامَك على خير ، وأيقظك على سرور ، وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة ، فبينا هو يحدّثني وأُجيبه إذا بوصيفة قد جاءته ، فأسرّت إليه شيئاً ، فقال لي : أتدري ما أسرّتْ هذه إليَّ ؟ قلت : لا ، قال : حدَّثتني أنّها اجتازت بمحبوبة الساعةَ وهي في حجرتها تغنّي ، أفلا تعجب من هذا ؟ إنّي مغاضبها ، وهي متهاونة بذلك ، لا تبدؤني بصلح ، ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها ، قم بنا يا عليُّ حتى نسمع ما تُغنّي . ثم قام ، وتبعتُه ، حتى انتهى إلى حُجرتها فإذا هي تغنّي وتقول : [من المنسرح]

أَدُور في القصر لا أَرى أَحـداً أَشكـو إليــه ولا يكلّمُني
حتـى كأنّي ركبتُ معصيةً ليستْ لهـا توبـةٌ تُخلِّصْني
فهــل لنـــا شافعٌ إلى مَلِكٍ قد زارني في الكَرى فصالحني
حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا عــاد إلى هجـره فصارمني

فطرب المتوكّلُ ، وأحستْ بمكانه . فأمرت خدَمَها ، فخرجوا إليه ، وتنحّينا وخرجتْ إليه ، فحدَّثته أنها رأتـه في منامهـا ، وقد صالحها ، فانتبهتْ ، وقالت هذه الأبيات ، وغنّت فيها . فحدَّثها هو أيضاً برؤياه ، واصطلحا ، وبعث إلى كلٍّ واحد منّا بجائزة وخِلْعة .

ولمّا قُتِل تسلّى عنه جميعُ جواريه غيرها ، فإنّها لم تزل حزينة متسلّبة هاجرة لكلّ لذة حتى ماتتْ . ولها فيه مراثٍ كثيرة .

صوت

[من البسيط]

يـــا ذا الذي بعذابي ظلَّ مفتخرا   هل أَنــت إلاّ مليكٌ جارَ إذ قَدَرا
لــولا الهوى لتجازيْنا على قَدَرٍ   وإن أُفِقْ منه يوماً ما فسوفَ تَرى

الشعر يقال إنّه للواثق ، قاله في خادم له غضب عليه ، ويقال : إنّ أبا حفص الشَّطرنجي قاله له .

والغناء لعُبَيدة الطنبوريّة رمَل مطلق ، وفيه لحن للواثق آخر ، قد ذكر في غنائه .

[479] ـ أخبار عبيدة الطنبورية

[نشأتها]

كانت عُبيدةُ من المحسِنات المتقدمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاقُ وحسْبها بشهادته . وكان أبو حَشيشة[1] ، يعظّمها ، ويعترف لها بالرياسة والأستاذيّة ، وكانت من أحسنِ النّاس وجهاً ، وأطيبِهم صوتاً . ذكرها جحظة في كتاب الطُّنبوريين والطُّنبوريّات ، وقرأتُ عليه خبرَها فيه فقال : كانت من المحسِنات ، وكانت لا تخلو من عِشْق ، ولم يُعرف في الدُّنيا امرأة أعظمُ منها في الطنبور ، وكانت لها صنعةٌ عجيبة ، فمنها في الرمَل : [من المجتث]

كـن لي شفيعاً إليكا إن خـفَّ ذاك عليكا
وأعفِنـي مـن سؤالي سواكَ مـا في يديكا
يـا مَـنْ أُعِزّ وأهوى مـالي أُهـونُ عليكا ؟

[تغنّى بحضرة إسحاق وهي لا تعرفه]

أُخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : قال ، لي عليّ بن الهيثم اليزيديّ : كان أبو محمد ، يعني أبي رحمة الله إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ ، يألفني ويدعوني ، ويعاشرُني ، فجاء يوماً إلى أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه ، فرجع ومرَّ بي ، وأنا مشرف من جَناح لي ، فوقف وسلَّم عليَّ . وأخبرني بقصتّه ، وقال : هل تنشطُ اليومَ للمسير إليَّ ؟ فقلت له : ما على الأرض شيء أحبّ إليَّ من ذلك ، ولكنّي أُخبرُك بقصتّي ، ولا أكتمُك . فقال : هاتِها ، فقلت : عندي اليوم محمدُ بنُ عمرو بنِ مَسعدة وهارون بن أُحمد بن هشام ، وقد دعونا عُبيدةَ الطُّنبوريّة ، وهي حاضرة ، والساعةَ يجيء الرجلان ، فامض في حفظ الله ، فإنّي أجلسُ معهم حتى تنتظمَ أمورُهم ، وأروح إليك ، فقال لي : فهلاّ عرضتَ عليَّ المُقام عندك ؟ فقلت له : لو علمتُ أنّ ذلك ممّا تنشَط له والله لرغبتُ إليك فيه ، فإن تفضّلتَ بذلك كان أعظمَ لِمنّتك ، فقال : أفْعلُ ، فإنّي قد كنت أشتهي أن أسمَع عُبيدة ، ولكن لي عليك شريطَة ، قلت : هاتِها ، قال : إنّها إن عرفتني وسألتموني أن أُغنّي بحضرتها لم يَخفَ عليها أمري وانقطعتْ فلم تصنع شيئاً ، فدعوها على جبِلّتها ، فقلت : أفعلُ

1 أبو حشيشة : محمد بن علي بن أبي أمية كان نديم الخلفاء ، وله كتاب في الطنبوريين .

ما أُمرتَ به ، فنزل وردَّ دابته وعرَّفتُ صاحبيَّ ما جرى ، فكتماها أمرَه وأكلنا ما حضر ، وقُدِّم النبيذ ، فغنَّت لحناً لها تقول : [من مجزوء الوافر]

قريـــبٌ غيرُ مقتـرِبِ ومؤتلِـــفٌ كمجتنِبِ
لــه وُدِّي ولي منــه دواعي الهــمّ والكُرَبِ
أواصلـــه على سَبـبٍ ويهجُرني بـــلا سببِ
ويظلمنـــي على ثقـــةٍ بـــأنَّ إليـــهِ مُنْقَلَبي

فطرب إسحاق ، وشرب نِصفاً ، ثم غنَّت وشرب نِصفاً ، ولم يزل كذلك حتى والى بين عشرة أنصاف ، وشربناها معه ؛ وقام ليصلّي ، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام : وَيحك يا عبيدة ! ما تبالين والله متى متّ ، قالت : ولِم ؟ قال : أتدرينَ من المستحسنُ غناءَكِ والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله ، قال : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فلا تعرِّفيه أنّك قد عرفته . فلمّا جاء إسحاق ابتدأتْ تغنّي ، فلحقتها هيبَةٌ له ، واختلاط ، فنقصتْ نقصاناً بيِّناً ، فقال لنا : أعرّفتُموها من أنا ؟ فقلنا له : نعم ، عرَّفها إيَّاكَ هارونُ بنُ أحمد ، فقال إسحاق : نقوم إذاً ، فننصرف ، فإنّه لا خيرَ في عشرتكم الليلةَ ولا فائدةَ لي ولا لكم ، فقام فانصرف .

حدّثني بهذا الخبر جحظةُ عن جماعة منهم العبّاس بن أبي العَنْبَس ، فذكر مثله وقال فيه : إنّ الصوت الذي غنّته : [من البسيط]

يـــا ذا الذي بِعذابـــي ظلَّ مفتخرا

[المسدود يأبى أن يغنّي قبلها]

حدّثني جحظةُ قال : حدَّثني محمد بن سعيد الحاجب قال : حدَّثني ملاحِظٌ غلام أبي العبّاس بن الرشيد . وكان في خدمة سعيد الحاجب ، قال : اجتمع الطُّنبوريُّون عند أبي العبّاس بن الرشيد يوماً ، وفيهـم المسدودُ وعُبيدة ، فقالوا للمسدود : غنِّ ، فقال : لا والله ، لا تقدَّمتُ ، عُبيدة ، وهي الأستاذة ، فما غنّى حتى غنّتْ .

[لم تدخل عليه بعد أن تزوّج]

وحدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني شرائح الخزاعيُّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر وساباط شرائح مشهور قال : كانت عُبيدة تعشقُني فتَزَوَّجتُ فمرَّت بي يوماً فسألتها الدُّخولَ إليّ فقالت يا كشخانُ[1] ، كيف أدخل إليك وقد أقعدتَ في بيتك صاحب مصلحةٍ ! ولم تدخلْ .

1 الكشخان : مَن لا يغار على حريمه .

[ما كتب على طنبورها]

وحدَّثني جحظة قال : وهب لي جعفرُ بنُ المأمونُ طُنبورَها فإذا عليه مكتوب بأبنوس : [من مجزوء الخفيف]

كلّ شيءٍ سوى الخيا نـة في الحُـبِّ يُحْتَمَلْ

[لا تردّ يد لامس]

وحدَّثني جحظةُ وجعفرُ بنُ قدامة ، وخبر جعفر أتمّ ، إلاّ أنّي قرأتُه على جحظة ، فعرفه ، وذكر لي أنّه سَمِعه ، قالا جميعاً : حدَّثنا أحمد بن الطيّب السرخسيّ قال : كان عليّ بن أحمد بن بسطام المروزيّ ، وهو ابن بنت شبيب بن واج ، وَشبيب أحد النفر الذي سترهم المنصور خلف قبّته يوم قتلَ أبا مُسلم ؛ وقال لهم : إذا صفّقتُ فاخرجوا فاضربوه بسيوفكم . ففعل وفعلوا ، فكان عليّ بن أحمد هذا يتعشّقُ عُبيدة الطُّنبوريّة وهو شابّ وأنفَقَ عليها مالاً جليلاً ، فكتبتُ إليه أسأله عن خبرها ومَن هي ؟ ومن أين خرجَت ؟ فكتب إليَّ : كانت عُبيدةُ بنتَ رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغسّانيّ ، نديم عبد الله بن طاهر ، وأبو السمراءِ أحدُ العِدّة الذين وَصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد لكلّ رجل منهم مائةُ ألفِ دينار ، وكان الزبيديّ الطُّنبوريّ أخو نظم العمياء ، يختلف إلى أبي السمراء ، وكان صباح صاحب أبي السمراء ، فكان الزبيديّ إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وباتَ ، وشربَ ، وغنّى وأُنِس ، وكان لعُبيدة صوت حسن وطبع جيِّد ، فسمعت غناءَ الزُّبيديّ ، فوقع في قلبها واشتهته ، وسمع الزُّبيديّ صوتها ، وعرفَ طبعَها فعلّمها ، وواظبَ عليها ، ومات أبوها ، ورقَّت حالُها ، وقد حَذِقت الغِناء على الطُّنبور ، فخرجت تغنّي ، وتقنع باليسير ، وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح ، فلم يزل أمرها يزيد ، حتى تقدّمتْ وكبُر حظّها ، واشتهاها النّاس . وحلّتْ تِكّتَها ، وسَمحت ، ورغب فيها الفتيانُ ، فكانَ أولَ مَن تعشّقها علي بن الفرج الرُّخّجيّ أخو عمر ، وكان حسنَ الوجه كثيرَ المال ، فكنت أراها عنده ، وكنّا نتعاشر على الفروسيّة ، ثم ولدت من عليّ بن الفرج بنتاً ، فحَجَبها لأجل ذلك ، فكانت تحتال في الأوقات بعلّة الحمّام وغيره ، فتلُمُّ بمَن كانت تودُّه ويودُّها ، فكنت ممّن تلُمُّ به ، وأنا حينئذٍ شابّ قد ورثتُ عن أبي مالاً عظيماً وضياعاً جليلة ، ثم ماتت بنتُها من عليّ بن الفرج ، وصادفَ ذلك نكبتَهم واختلالَ حال عليّ بن الفرج ، فطلّقها فخرجت ، فكانت تخرج بدينارين للنهار وديناريْن لليل ، واعترّت[1] بأبي السمراء ، ونزلت في بعضِ دوره .

1 اعترّتْ بفلان : اعترضت للمعروف .

وتزوّجت أُمّها بوكيل له ، فتعشّقت غلاماً من آل حمزةَ بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد ، وكان يغنّي بالمعرفة غناء مليحاً ، وكان حسنَ الوجه ، لا عيب في جَماله إلاّ أنّه كان متغيّرَ النَّكْهَة ، وكانت شديدة الغُلمة لا تحرِم أحداً ولا تكرهه ، من حدّ الكهول إلى الطفل ، حتى تعلّقت شابّاً يعرفُ بأبي كرب بن أبي الخطّاب ، مشرط الوجه أفطس قبيحاً شديد الأدْمة ، فقيل لها : أيّ شيء رأيت في أبي كرب ؟ فقالتْ : قد تمتّعت بكلّ جِنس من الرّجال إلاّ السودان ، فإنّ نفسي تبشعهم ، وهذا بينَ الأسود والأبيض ، وبيته فارغ لما أُريد ، وهو صفعاني[1] إذا أردت ووكيلي إذا أردت . قال : وكان لها غُلام يَضْرِب عليها يقال له عليّ ويلقّب ظئر عُبيدة ، فكانت إذا خلت في البيت وشَبقت اعتمدت عليه ، وقالت : هو بمنزلة بغْلِ الطحّان يصلح للحَمْل والطَّحْن والركوب .

وكان عمرو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنّيهم مع جواريه ، وإنّما عرفها من داري ، لأنّه بعث يدعوني ، فدخل غلامُه ، فرآها عندي ، فوصفها له فكتب إليَّ يسألني أن أجيئَه بها معي . ففعلتُ ، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث بن جمعة والحسن بن سليمان البرقيّ وهارون بن أحمد بن هشام ، فعدلوا كلُّهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه ، ومال إليها جواريه ، وما خرجت إلاّ وقد عقدت بين الجماعة مودّة ، وكان جواري عمرو بن بانة يشتقْن إليها ، فيسألنه أن يدعوها ، فيقول لهنّ : ابعثْن إلى عليّ حتى يبعثَ بها إليكنّ ، فإنّه يميل إليها ، وهو صديقي وأخشى أن يظنّ أنّي قد أفسدتها عليه ، ولم يكن به هذا إنّما كان به الدّيناران اللذان يريد أن يحدرها بهما ، وكان عمرو من أبخل النّاس ، وكان صوتُ إسحاق بن إبراهيم عليها : [من البسيط]

يــا ذا الذي بعذابــي ظلَّ مفتخراً

وكان صوتُ عَلّويه ومُخارق عليها : [من مجزوء الوافر]

قريــبٌ غير مقترب

وهذان الصوتان جميعاً من صنعتها .

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها ، ويمنع نفسه ذلك لتيهه ولبَرْمكته وتوقّيه أن يبلغَ المعتصم عنه شيء يعيبه ، وماتت عُبيدة من نَزْف أصابها ، فأفرط حتى أتلفها .

---

1 صفعاني : يصفع .

[إسحاق يحبها حية ويرثيها ميتة]

وفي عبيدة يقول بعضُ الشعراء ، ومن النّاس مَن ينسبه إلى إسحاق : [من البسيط]

أُمست عُبيدةُ في الإحسانِ واحدةً فاللهُ جارٌ لها من كلِّ محذورِ
من أحسَنِ النّاس وجهاً حين تُبصرُها وأحذقِ النّاس إن غنَّت بطُنبورِ

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : سمعت إسحاق يقول : الطُنبور إذا تجاوز عُبيدةَ هَذَيان .

صوت

[من السريع]

سَقِمتُ حتى ملَّني العائدُ وذبتُ حتى شمِتَ الحاسدُ
وكنتُ خِلواً من رسيسِ الهوى حتى رماني طرفُك الصائدُ

الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد الكاتب ووجدتُه في شعر محمد بن أُميَّة له ، والغناء لأحمد بن صَدقة الطُّنبوريّ ، رمل مطلق .

وقد مضت أخبارُ خالد الكاتب ومحمد بن أُميّة ونذكر هاهنا أخبارَ أحمدَ بن صدقة .

[480] ـ أخبار أحمد بن صدقة

[اسمه ونسبه ونشأته]

هو أحمدُ بن صدَقة بن أبي صدقة ، وكان أبوه حجازيّاً مغنّياً ، قدِم على الرشيد ، وغنّى له ، وقد ذَكرْتُ أخبارَه في صدر هذا الكتاب .

وكان أحمدُ بنُ صدقة طُنبوريّاً محسناً مقدَّماً حاذقاً حَسَنَ الغناء مُحكم الصنعة ، وله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطُّنبوريّين ، وكان ينزل الشام ، فوُصف للمتوكّل ، فأمر بإحضاره ، فقدِم عليه وغنّاه ، فاستحسن غناءه ، وأجزل صلته ، واشتهاه الناسُ وكَثُر مَن يدعوه ، فكسب بذلك أكثر ممّا كسبه مع المتوكّل أضعافاً .

[جحظة يشيد به]

أخبرني بذلك جحظةُ وقال : كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوتَ المتقدِّمَ ذكرُه ووصفَه وقرَّظه ، وذكر بعده هذا الصوت : [من السريع]

وشادنٍ ينطِـــق بالظَّـــرفِ حُسنُ حبيبي منتهى الوصفِ
هام فؤادي وجـــرت عَبْرتي لا بَعُـــدَ الإلْـــفُ مـــن الإلفِ

قال : وهو رَمَل مطلق ، ولو حلفْتُ أنّهما ليسا عند أحد من مغنّي زماننا إلاّ عند واحد ما حَنِثت ، يعني نفسه .

[خبره مع خالد بن يزيد]

حدّثني محمد بنُ مزْيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أحمد بن صدَقة قال : اجتزت بخالد بن يزيدَ الكاتب ، فقلت له : أنشدْني بيتين من شعركَ حتى أُغنّي فيهما . قال : وأيُّ حظّ لي في ذلك ؟ تأخذُ أنت الجائزةَ وأُحصِّل أنا الإثم !

فحلفت له أنّي إن أفدتُ بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظّاً ، أو أذكرتُ به الخليفة ، وسألته فيك ، فقال : أمّا الحظّ من جهتك فأنت أنزل من ذلك ، ولكن عسى أن تفلحَ في مسألة الخليفة ، ثم أنشدني : [من المتقارب]

تقولُ سلا فمـــن المدْنَفُ ومَنْ عينُه أبـــداً تَذْرِفُ ؟
ومـــنْ قلبُه قَلِـــق خافقٌ عليك وأحشاؤه ترجُفُ ؟

فلمّا جلس المأمون للشرب دعاني ، وقد كان غضب على حَظِيَّة له ، فحضرتُ مع المغنّين ، فلمّا طابت نفسه وَجَّهتْ إليه بتفّاحة من عنبر ، عليها مكتوب بالذهب : يا

سيِّدي ، سلوتَ . وعلم الله أنّي ما عرفتُ شيئاً من الخبر .

[غضب المأمون]

وانتهى الدور إليَّ ، فغنَّيتُ البيتين ، فاحمرَّ وَجه المأمون ، وانقلبت عيناه وقال لي : يا ابن الفاعلة ، ألك عليَّ وعلى حرمي صاحب خبر ! فوثبت ، وقلت : يا سيدي ما السبب ؟ . فقال لي : من أين عرفتَ قصّتي مع جاريتي ؟ فغنَّيتَ في معنى ما بيننا ، فحلفتُ له أنّي لا أعرف شيئاً من ذلك ، وحدّثته حديثي مع خالد ، فلمّا انتهيتُ إلى قوله ، «أنتَ أنزلُ من ذلك» ضحك ، وقال : صدق ، وإن هذا الاتفاق ظريف ، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد مثلها .

[دخوله على المأمون في يوم السعانين]

أخبرني محمد قال : حدَّثنا حمّاد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ صدقة قال : دخلت على المأمون في يوم السعانين[1] ، وبين يديه عشرون وَصيفة ، جَلباً روميات مزنّرات[2] ، قد تزينَّ بالدِّيباج الروميّ ، وعَلّقن في أعناقهنّ صُلْبانَ الذهب ، وفي أيديهنّ الخوص والزيتون ، فقال لي المأمون : وَيلك يا أحمد ! قد قلتُ في هؤلاء أبياتاً فغنّني فيها .

ثم أنشدني قوله : [من الهزج]

ظبـــاءٌ كالدنانيـــر مِـــلاحٌ في المقاصيرِ
جَلاهُـــنَّ السعانينُ علينـــا في الزنـــانيرِ
وقـــد زَرَّفن أصداغاً كأذنـــابِ الزرازيرِ
وأقبلـــنَ بـــأوساطٍ كأوساط الزنـــابيرِ

فحفظتها ، وغنَّيته فيها ، فلم يزل يشرب ، وترقُص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند[3] ، إلى الإيلا حتى سكر ، فأمر لي بألفِ دينار ، وأمر بأن يُنثرَ على الجواري ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت الألف ، ونُثرت الثلاثة الآلاف عليهنّ ، فانتهبتُها مَعهنَّ .

[يغضب فيسترضيه الفضل]

حدَّثني جحظة قال حدَّثني جعفر بن المأمون قال : اجتمعنا عند الفضل بن العبّاس بن المأمون ، ومعنا المسدود ، وأحمد بن صدقة ، وكان أحمد قد حلَق في ذلك اليوم رأسَه ، فاستعجلوا بسُلافة كانت لهم ، فأخذ المسدود سُكُرّجة[4] خردَل ، فصبّها على رأس أحمد بن

1 يوم السّعانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع .
2 مزنّرات : لابسات الزنّار وهو خاص بالنصارى ، والمجوس يتزيّنون به .
3 الدستبند : الرقص مع التماسك بالأيدي في حلقات وهو معرّب .
4 سكرجة : صحفة للطعام .

صدقة وقال : كلوا هذه حتى تجيء تلك . فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم ، فانصرف . ولمّا كان من غد جمعهما الفضل بن العبّاس ، فتقدّم المسدودُ ، ودخل أحمد وطُنبور المسدود موضوع ، فجسَّه ، ثم قال : مَن كان يسبح في هذا الماء ؟ فما انتفعنا بالمسدود سائر يومه ، على أن الفضل قد خلع عليهما ، وحَملهما .

[نهايته على أيدي الأعراب]

ولم يزل أحمد مقيماً ، حتى بلغه موت بُنيَّة له بالشام ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه .

[كان أبخر]

قال جحظة : وقال بعض الشعراء يهجو أحمدَ بنَ صدقة وكانت له صديقة فقطعتْه فعيَّره بذلك ونسبها إلى أنّها هربت منه لأنّه أبخر : [من الكامل]

هربتْ صديقــة أحمــدٍ ... هربتْ مــن الرِّيقِ الرّدِي
هربت فإن عــادت إلى ... طُنبــورِه فاقطــعْ يدي

صوت

[من الطويل]

ألم تعلَمــوا أنّي تُخاف عَرامتي ... وأن قَناتــي لا تلـينُ على القَسْرِ
وإنّــي وإيّاكم كمَن نبَّــه القَطا ... ولو لم تُنبَّه باتت الطيرُ لا تسْري
أنــاةً وحلماً وانتظاراً بكم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضَّرَع الغُمرِ[1]
أظُنُّ صروفَ الدَّهرِ والجهلِ منكمُ ... ستحملكم منّي على مَركَب وَعْرِ

الشعر للحارث بن وعْلة الجَرميّ ، والغناء لابن جامع ثقيل بالبِنصر عن عمرو ، وفيه لسِياط لحن ذكره إبراهيم ولم يجنسْه ، وقيل إنّ الشعر لوعلةَ نفسِه .

1 الضَّرَع : الجبان . والغُمر : الغبي ، والذي لا يجرّب الأمور .

[481] ـ أخبار الحارث بن وعلة

[نسبه]

الحارث بن وعْلة بن عبد الله بن الحارث بن بُلع بن سبيلة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن جَرْم بن زبان ، وهو علافٌ ، وإليه تنسبُ الرِّحال العِلافِيّة ، وهو أوّل مَن اتّخذها ، بن حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة . وقد ذكرت متقدّماً الاختلاف في قضاعة ، ومن نسبَه مَعَدِّياً ، ومَنْ نَسَبه حِميريّاً .

والرِّحال العِلافيَّة[1] مَشْهُورَة عند النّاس ، قد ذكرتْها الشعراءُ في أشعارها ، قال ذو الرُّمّة : [من الطويل]

وليلٍ كجلباب العَروس ادَّرعتُـه ... بأربعة والشَّخصُ في العين واحدُ
أحَـمٌ عِـلافيٌّ وأبيضُ صـارمٌ ... وأعيسُ مَهْـرِيٌّ وأروعُ ماجدُ

وكان وَعلةُ الجرميّ وابنُه الحارث من فُرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها ، وشهد وعلةُ الكُلاب الثاني[2] ، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المِنقريّ ، وطلبه ، ففاته ركْضاً وعدواً ، وخبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاء الله تعالى .

[ابن الأشعث وعبد الملك يتمثّلان بشعره وشعر أبيه]

فأخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا العمريّ عن العُتبيّ قال : كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجَّاج مبتدئاً : أمّا بعد ، فإن مَثَلي ومَثَلُكَ كما قال القائل : [من البسيط]

سائلْ مُجاورَ جَـرْم هـل جنيتُ لها ... حَرْبـاً تفرّق بـين الجيرة الخُلُطِ ؟
أم هـل دلفتُ بجـرَّار لــه لَجَبٌ ... يَغشى الأماعِزَ بين السَّهل والفُرُطِ ؟[3]

والشعر لوَعْلَة الجَرمِيّ ، هذا مَثَلي ومَثَلُك ، فسأحملك على أصعبه ، وأريحك من مركبه .

1 علاف : رجل من الأزد وهو زيان أبو جرم من قضاعة .
2 الكلاب : ماء بين جبلة وشمام وللعرب يومان فيه : الكلاب الأول والكلاب الثاني وثانيهما لتميم على مذحج .
3 الفُرُط : واحد الأفراط : وهي آكام شبيهات بالجبال .

فكتب الحجّاج بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه جوابه : أمّا بعد ؛ فإنّي قد أجبت عدوَّ الرحمن بلا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله ، ولعمرُ الله لقد صدق ، وخلع سلطانَ اللهِ بيمينه ، وطاعته بشماله ، وخرج من الدِّين عُرياناً ، كما ولدتْه أمُّه .

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدعَ جوابَه بشعر فقال : وعلى أن مَثَلي ومَثَلَه ما قال الآخر : [من الطويل]

أنــاةً وحِلْماً وانتظاراً بكُــم غدا فما أنا بألواني ولا الضرَعِ الغَمْرِ
أظُنّ صروفَ الدَّهرِ والجهلَ منهمُ ستحمِلُهم منّي على مَركَــب وعْرِ

فليت شعري أَسَما عَدوُّ الرّحمن لدعائم دين اللهَ يهدِّمُها ؟ أم رام الخلافةَ أن ينالها ؟ وأوشك أن يُوهن اللهُ شوكتَه ، فاستعنْ بالله ، واعلم أنّ اللهَ مع الذين اتَّقوْا والذين هم مُحسنون .

قال مؤلّف هذا الكتاب : الشعر الذي تمثَّل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلَة الجرميّ ، والشعر الذي تمثَّل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة .

[يخذله قومه وينصره آخرون]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال : حدَّثني طلحة بن عبد الله الطَّلحيّ ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن أبي عبيدة قال : قتلَتْ نَهدٌ أخا وعلة الجرميّ ، فاستعان بقومه ، فلم يعينوه ، فاستعان بحُلفاء [من] بني نمير ، وكانوا له حلفاء وإخواناً ، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك : [من البسيط]

سائل مُجاورَ جَرم هل جنيتُ لها حرباً تُزيِّل بين الجيرة الخُلُطِ[1]
أم هــل علوتُ بجرَّار له لَجبٌ يغشى المخارمَ بين السهل والفُرُطِ[2]
حتى تركتُ نساءَ الحيّ ضاحيةً في ساحة الدّار يستوقدْنَ بالغُبُطِ[3]

[يفرّ من قيس بن عاصم عند غزوه لليمن]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا الرياشيّ قال : خرج رجل من بني تميم ، يقال إنّه قيسُ بن عاصم قال الرياشيّ : وحقق أبو عبيدة أنّه قيس ، يوم الكُلاب ، يلتمس أن يصيبَ رجلاً من ملوك اليمن له فداء ، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وَعلَة

1 الخلط : خليط وهم القوم الذين أمرهم واحد .
2 المخارم : جمع مخرم وهو أفواه الفجاج .
3 ضاحية : بارزة .

الجَرْميّ ، وعليه مقطعات له فقال له : على يمينك ، قال : على يساري أقصَدُ لي ، قال : هيهاتَ منك اليمن ، قال : العراقُ منّي أبعد ، قال : إنّك لن ترى أهلَكَ العامَ ، ولا أهلك تراهم ، وجعل وعلةُ يركضُ فرسه ، فإذا ظنَّ أنّها قد أعيت وَثَب عنها ، فعدا معها ، وصاح بها ، فتجري وهو يُجارِيها ، فإذا أعْيا وثب فركِبَها ، حتى نجا . فسأل عنْه قيس ، فعرف أنّه وَعْلَةُ الجرميّ ، فانصرف وتركه ، فقال وعلة في ذلك : [من الطويل]

فِـدًى لكما رِحْلِيَّ أُمِّي وخالتي ... غـداةَ الكُلابِ إذ تُحَـزُّ الدَّوابرُ
نجوتُ نجاء لم يَـرَ النّاسُ مثلَه ... كأنّي عقابٌ عنـد تَيْمَن كاسِرُ[1]
ولمّا رأيت الخيلَ تدعـو مُقاعِساً ... تنازعنـي من ثُغـرةِ النحر جائِرُ
فإن أستطع لا تلتبسْ بي مُقاعسٌ ... ولا يـرَني ميدانهـم والمحاضرُ
ولا تَـكُ لي جـرَّارة مضريَّـةٌ ... إذا مـا غدت قوتَ العيالُ تُبادرُ

أمّا قوله : «تحزّ الدوابر» فإنّ أهل اليمن لمّا انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه : لا تشتغلوا بأسْرهم فيفوتكم أكثرهم ، ولكن اتّبِعوا المنهزمين ، فجزّوا أعصابهم من أعقابهم ودعُوهم في مواضعهم ، فإذا لم يبقَ أحد رجعتم إليهم ، فأخذتموهم . ففعلوا ذلك ، وأهل اليمن يومئذٍ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم : اليزيدون ، وهم يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن هَوْبَر ، ويزيد بن المأمورِ ويزيد بن مخرَّم . هؤلاء الأربعة اليزيدون ، والخامس عبد يغوث بن وقّاص ، فقُتِل اليزيدون أربعتهم في الوقعة ، وأُسِر عبد يغوث بن وقاص ، فقتلته الرِّباب برجل منها ، وقد ذُكِر خَبَرُ مقتله متقدّماً في صوت يغنى فيه وهو : [من الطويل]

ألا لا تلوماني كفى اللومَ ما بيا

وأمّا قوله : [من الطويل]

ولمّا رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً

فإنّ بني تميم لمّا التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمعة يا آل كعب ! فتنادى أهلُ اليمن : يا آل كعب ! فتنادوا : يا آل الحارث ! فتنادى أهل اليمن ! يا آل الحارث ! فتنادوا : يا آل مقاعس ! وتميّزوا بها من أهل اليمن .

1 تيمن : أرض بين بلاد تميم ونجران .

صوت

[من البسيط]

والله لا نظرتْ عيني إليكَ ولو سالت مَساربُها شوقاً إليكَ دَما
إن كنتُ خنتُ ولم أُضمرْ خيانتكمْ فاللهُ يأخذُ مِمَّن خانَ أو ظَلَما
سماجة لُمحبٍّ خان صاحبَه ما خان قطُّ محبٌّ يعرفُ الكَرَما

الشعر لعليّ بن عبد الله الجعفريّ ، والغناء للقاسم بن زُرزور ، ولحنه ثقيل أوّل مطْلق ابتداؤه نشيد ، وكان إبراهيم بن أبي العَنْبَس يذكر أنّه لأبيه .

[482] ـ أخبار عليّ بن عبد الله بن جعفر ونسبه

[نسبه]

هو عليُّ بنَ عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام ، وأُمّه وَلاّدة بنت الحجَل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أُميّة : شاعر ظريف حجازيّ ، كان عمر بن الفرج الرُّخّجيّ حمله من الحجاز إلى سُرَّ من رأى مع مَنْ حمل من الطالبيِّين فحبسَه المتوكّل معهم .

[يحبسه المتوكّل]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ قال : حدَّثنا عمر بن عثمان الزُّهريّ المعروف بابن أبي قُباحَة قال : رفع عمر بن الفرج عليّ بن عبد الله بن جعفر الجعفريّ إلى المتوكّل أيّام حَجَّ المنتصر ، فحبسه المتوكّل لأنّه كان شيخَ القوم وكبيرَهم ، وكان أغلظ لعُمَر بن الفرج .

[يتديّث في شعره]

قال عليّ بن عبد الله : مكثت في الحبس مدّة ، فدخل عليَّ رجل من الكتّاب يوماً فقال : أريد هذا الجعفريَ الذي تديَّث في شعرِه فقلت له : إليَّ فأنا هو ، فعدل إليّ وقال : جعلت فداك ! أُحبّ أن تنشدني بيتيك اللذين تديّثت فيهما ، فأنشدته : [من الطويل]

ولمّا بدا لي أنّها لا تودُّني … وأن هواها ليس عنّي بمُنجَلِ
تمنَّيتُ أن تهوى سواي لعلّها … تذوقُ حراراتِ الهوى فترقَّ لي

قال : فكتبهما ، ثم قال لي : اسمع ، جعلتُ فداك ، بيتين قلتهما في الغيْرة ، فقلت : هاتِهما فأنشدني : [من الخفيف]

ربّما سرَّني صدودُك عنّي … في طلابيكِ وامتناعكِ منّي
حذراً أن أكون مِفتاحَ غيري … فإذا ما خلوت كنتِ التَّمنّي

[لا يخفض جبينه إلا لله]

حدَّثني اليزيديُّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : أخبرني العبّاس بن عيسى العُقيليّ أنّ عليّ بن عبد الله الجعفريّ أنشده : [من المجتث]

والله والله ربّـي وتلكَ أُقصـى يَمِيني
لو شئتُ ألا أُصلّـي لمـا وضعت جَبيني

[أيّهما يدع]

حدَّثنا اليزيديّ قال: حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العبّاسُ بن عيسى قال: حدَّثني عليّ بن عبد الله الجعفريّ قال: مرَّت بي امرأة في الطواف، وأنا جالس أُنشدُ صديقاً لي هذا البيتَ: [من البسيط]

أهوى هَوى الدِّين واللذاتُ تُعجبني فكيفَ لي بهـوى اللذات والدِّينِ؟

فالتفتت المرأةُ إليَّ وقالت: دع أيَّهما شئت وخُذ الآخرَ.

[عود إلى الصوت]

حدَّثنا اليزيديّ قال: حدَّثنا محمد بن الحسن الزُّرقيّ قال: حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال: أنشدني عليُّ بن عبد الله بن جعفر الجعفريّ لنفسه: [من البسيط]

والله لا نظـرتْ عيني إليكَ ولو سالت مساربُها شوقاً إليـكَ دَما
إلاّ مفاجـأة عنـد اللقـاء ولا نازعتكِ الدَّهـرَ إلاّ ناسيا كلِما
إنْ كنتُ خُنتُ ولم أُضمرْ خِيانتكمْ فالله يأخذُ مِمَّن خـانَ أو ظلما
سماجَـةٌ لمحـبٍّ خـان صاحبَه مـا خان قطُّ محبٌّ يَعرفُ الكَرَما

قال عبد الله بن شبيب وأنشدني عليُّ بن عبد الله لنفسه: [من الكامل]

صوت

وقف الهوى بي حيثُ أنت فليس لي متأخَّـر عنـه ولا مُتقـدَّمُ
أجِـد الملامـةَ في هـواكِ لذيذةً حُبّـاً لذكـركِ فلْيلُمْني اللوَّمُ
وأهَنْتِني فأهنت نفسيَ جاهـداً ما مـن يهون عليك مِمّن يُكرمُ
أشبهتِ أعدائـي فَصِرتُ أُحِبُّهم إذ صار حظّي منـكِ حظّيَ منهمُ

صوت

[من الطويل]

أتعـرفُ رسمَ الدّارِ مـن أُمِّ معبدِ نعم فرمـاكَ الشوقُ قبل التجلُّدِ

فيا لكَ مِنْ شوقٍ ويا لكِ عبرَةً سوابقُها مِثْــلَ الجُمـــانِ المبدَّدِ

الشعر لعتيبة بن مرداس المعروف بابن فَسْوة ، والغِناء لجميلة ، خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكّيّ .

وذكر الهشاميّ أنّ فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأوّل ، وأنّه يظنّه من منحول يحيى إليه .

[483] ـ أخبار عتيبة ونسبه

[نسبه]

عُتَيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، لم يقع إليَّ من نسبه غيرُ هذا ، وهو شاعر مُقلٌّ غيرُ معدود في الفحول ، مُخضرم ممّن أدرك الجاهلية والإسلام هجَّاء خبيث اللسان بَذِيٌّ .

وابنُ فسْوة لَقب لزِمه في نفسه ، ولم يكن أبوه يُلقّب بفسوة ، إنّما لُقب هو بهذا ، وقد اختُلِف في سبب تلقيبه بذلك ، فذكر إسحاق الموصليّ عن أبي عمرو الشَّيبانيّ : نسختُ ذلك من كتاب إسحاق بخطّه .

[لماذا لقّب بابن فسوة]

أنّ عتيْبةَ بن مِرداس كان فاحشاً كثيرَ الشرّ قد أدركَ الجاهليّة ، فأقبل ابن عَمٍّ له من الحَجّ ، وكان من أهلِ بيت منهم يقال لهم : بنو فَسْوة ، فقال لهم عتيبة : كيف كنْتَ يا ابن فسوة ؟ فوثب مغضباً ، فركب راحلته وقال : بئس لعمر الله ما حيَّيْتَ به ابن عمِّك ، قدِم عليك من سفر ، ونَزل دارَك ! فقام إليه عُتيبة مُسْتَحيياً ، وقال له : لا تغضب يا ابن عمّ ، فإنما مازحتُكَ ! فأبى أن ينزل ، فقال له : انزِل وأنا أشتري منك هذا الاسمَ فأتسمَّى بـه ، وظـنَّ أنّ ذلك لا يضرّه ، قال : لا أفعلْ أو تشتريه منّي بمحضَرٍ من العشيرة . قال : نعم فجمعهم وأعطاه بُرداً وجملاً وكبشين ، وقال لهم عتيبةُ : اشهدوا أنّي قد قبلت هذا النَّبزَ وأخذت الثمن ، وأنّي ابنُ فسوة ، فزالت عن ابن عمِّه يومئذٍ ، وغَلَبتْ عليه وَهُجيّ بذلك ، فقال فيه بعض الشعراء : [من البسيط]

أُودى ابنُ فسوة إلاّ نَعْتَه الإبلا

وعُمِّر عُمراً طويلاً ، وإنّما قال : [من البسيط]

أُودى ابنُ فسوة إلاّ نَعْتَه الإبلا

لأنّه كان أوصفَ النّاس لها ، وأغراهم بوَصفها ، ليس له كبير شعر إلاّ وهو مُضَمَّن وَصفها .

[سبب آخر للتسمية]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : إنّما سُمّي عتيبةُ بنُ مرداس ابن فسوة ، لأنـّه كان له جارٌ من عبد القيس ، فكان يتحدّثُ إلى ابنته ، وكان

لها حظٌ من جمال ، وكانت تُعجبُه ويَهيم بها ، فكان أحداثُ بني تميم ، إذا ذكروا العبديّ ، قالوا : قال ابن فسوة ، وفعل ابن فسوة ، فأكثروا عليه من ذلك حتى ملَّ فعمِل على التحوُّل عنهم ، وبلغ ذلك عتيبةَ ، فأتاهُ فطلب إليه أن يقيم ، وأن يحتمل اسمه ، ويشتريه منه ببعير ، فلم يفعل ، قال : العبديّ : فتحوّلتُ عنهم وشاع في النّاس أنّه قد ابتاع منّي وغلب عليْهِ ، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له : [من الطويل]

وحَوَّلَ مولانـا علينا اسمَ أُمّه ... ألا رُبَّ مولًى ناقصٍ غير زائدِ

[ابن عبّاس ينهره]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث قال : حدَّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ وابن دأْب وابن جُعْدَبَة ، قالوا : أتى عُتيبةُ بن مرداس ، وهو ابن فسوة ، عبدَ الله بن العبّاس عليهما السلامُ وهـو عامـل لعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة ، وتحته يومئذٍ شُمَيلة بنت جُنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانيّة ، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السُّلميّ ، فاستأذن عليه ، فأذِن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدَحهم ، فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلمّا دخل على ابن عبّاس قال له : ما جاء بكَ إليَّ يا ابنَ فسوة ؟ فقال له : وهل عنك مَقصَرٌ أو وراءك مَعْدًى ؟ جئتك لتعينَني على مروءتي ، وتَصِلَ قرابتي ، فقال له ابن عبّاس : وما مروءة مَنْ يعصي الرحمنَ ويقول البُهتانَ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصلَ ؟ والله لئن أعطيتك لأعيننَّكَ على الكفرِ والعصيان ، انطلق فأنا أُقسِم بالله لئن بلغني أنّك هجوت أحداً من العرب لأَقطعنَّ لسانك . فأراد الكلام ، فمنعه مَنْ حضر ، وحبسه يومَه ذلك ، ثم أخرجه عن البصرة .

[الحسن وابن جعفر يصلانه خشية لسانه]

فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليٍّ عليه السلام ، فلقي الحسن بن عليّ عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام ، فسألاه عن خَبَره مع ابن عبّاس عليه السلام فأخبرهما ، فاشتريا عرضَه بما أرضاه ، فقال عتيبة يمدح الحسن وابن جعفر عليهما السلام ويلوم ابنَ عبّاس رضي الله عنهما : [من الطويل]

أتيتُ ابنَ عبّاس فلم يقضِ حاجتي ... ولم يَرْجُ معروفي ولم يَخشَ منكَرِي
حُبستُ فلم أُنطق بعذر لحاجةٍ ... وسَدَّ خَصاص البيت من كلِّ منظرِ [1]

1 خصاص الباب : ثقبه .

وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءه كصوت الحمام في القَليب المغوَّرِ[1]
ومـا أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابه بذي صَولَـة ضارٍ ، ولا بحَزوَّرِ[2]
فلو كنتُ مِن زهرانَ لم ينس حاجتي ولكنَّني مـولى جميل بنِ مَعْمَرِ

وكان حليفاً لجَميل بن مَعْمر القُرشيّ :

وباتَتْ لعبد الله مِن دون حاجتي شُمَيلةُ تلهـو بالحديـث المفتَّرِ
ولم يَقتربْ مـن ضوء نارٍ تحثُّها شُميلة إلاّ أن تَصلَّـى بمِجْمَرِ
تُطالع أهلَ السوق والبابُ دونَها بمستفلِكِ الذِّفـرى أَسيل المدثَّرِ[3]
إذا هـي هَمَّتْ بالخروجِ يردُّها عن البابِ مصراعـاً مُنيف مجَيَّرِ

وجدت بخطّ إسحاق الموصليّ مُجَيَّر : محير . والمحيّر : المصهرج[4] . والحيار : الصهروج .

فليت قَلوصي عُرِّيتْ أو رحلتُها إلى حَسن في داره وابنِ جعفرِ
إلى ابنِ رسول الله يأمـرُ بالتّقى وللدِّين يدعـو والكتابِ المطهَّرِ
إلى معشَر لا يخصِفـون نعالهـم ولا يلبسون السِّبتَ ، ما لم يُخَصَّرِ[5]
فلمّا عرفتُ البأسَ منه وقد بدتْ أيـادي سَبا الحاجـاتِ للمتذكِّرِ
تَسنَّمتُ حُرجوجـاً كأن بُغامَها أَحيحُ ابنِ مـاء في يراعٍ مُفَجَّرِ[6]
فما زلتُ في التَّسيارِ حتى أَنختُها إلى ابـنِ رسول الأُمَّـةِ المتخيَّرِ
فلا تَدَعُنّـي إذْ رحلـتُ إليكمُ بَنـي هاشم أن تُصْدروني بِمَصدرِ

وهي قصيدة طويلة ، هذا ذكر في الخبر منها .

وأخبرني بهذا الخبر أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، وأحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار ، عن عمر بن شَبَّة ، عن المدائنيّ مثل ما مضى أو قريباً منه ، ولم يتجاوز عمر بن شبّة المدائنيّ في إسناده .

1 القليب : البئر البعيدة الغور .
2 حزور : رجل قوي .
3 مستفلك : مستدير . الذّفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .
4 مصهرج : أي معمول بالصاروج وهو النورة وأخلاطها تصرج بها الحياض ، والبيوت ونحوها .
5 يخصفون : يخرزون . السبت : الجلد المدبوغ . يخصر : يدقق وسطه .
6 الحرجوج : الناقة السمينة الطويلة وتجمع على حراجيج . أحيح : المراد الصوت . ابن ماء : طائر يكثر وجوده حول الماء .

[عامر بن الكريز يُهينه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسَن بن الحرون قال : قال ابن الأعرابيّ : كان عتيبة بن مرداس السُّلَميّ شاعراً خبيثَ اللسان مَخُوف المعرَّة في جاهليّته وإسلامه ، وكان يَقدُم على أُمراء العراق وأشرافِ النّاس ، فيصيب منهم بشعره ، فقدِم على ابن عامر بن كُرَيْز ، وكان جواداً ، فلمّا استؤذن له عليه أرسل إليه : إنّك والله ما تسألُ بحسب وَلا دين ولا منزلة ، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيَك شيئاً ، وأمر به فلُكِزَ وأُهينَ فقال ابنُ فَسْوة : [من الطويل]

وكائــن تخطَّت ناقتــي وزَميلُها إلى ابن كُريز مِنْ نُحوسٍ وأسْعُدِ
وأغبرَ مَسْحولِ الترابِ تَـرى لـه حيا طردَتْه الريحُ من كلّ مَطْرَدِ[1]
لعمرك إنّي عند بـاب ابنِ عامر لكالظَّبــي عنـد الرَّمْيَــةِ المتردِّدِ[2]
فلم أرَ يومــاً مثلـه إذ تكشَّفتْ ضبابتُــه عنّــي ولَّمــا أُقَـيَّدِ

[ثم يطيب خاطره]

فبلغ قولُه ابنَ عامر ، فخاف لسانَه وما يأتي به بعد هذا ورجع له ، وأحسن القومُ رِفْدَه ، وقالـوا : هـذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه واليَسير يرضيه ، فقال : رُدُّوه فرُدّ ، فقـال لـه : إيه يا عتيبة ، أردد عليّ ما قلت ، فقال : ما قلت إلاّ خيراً قال : هاته فقـال : قلت[3] : [من الطويل]

أتعرفُ رسمَ الدّارِ مــن أُمّ معبَدِ نعم فرمـاك الشوقُ قبلَ التجلُّدِ
فيا لكَ مــن شوقٍ ويا لكِ عَبرةً سوابقُهــا مِثْــل الجُمــانِ المبدَّدِ
وكائــنْ تخطَّتْ ناقتــي وزميلُها إلى ابن كُريز مِــن نُحوسٍ وأسعُدِ
فتى يشتري حُسنَ الثّنــاءِ بماله ويعلــم أنَّ المـــرءَ غيرُ مخلَّدِ
إذا مــا ملمّــاتُ الأُمـورِ اعترينَه تجلَّى الدُّجى عن كوكَب مُتوقِّدِ[4]

فتبسَّم ابن عامر وقال : لعمري ما هكذا قلت ، ولكنّه قول مستأنف ، وأعطاه حتى رَضي وانصرف .

1 مسحول : ناعم .
2 عند في ل : بعد .
3 ورد هذا المطلع في دالية عدي بن زيد في المجمهرات .
4 اعترينه في ل : اعتلينه .

[ابن الأعرابيّ يستحسن أبياتاً له]

قال : وأنشدنا ابن الأعرابيّ له بِعقب هذا الخبر ، وكان يَستحسنُ هذه الأبياتَ ويستجِيدُها : [من الطويل]

منعّمـةٌ لم يغذهـا أهـلُ بلدةٍ ولا أهلُ مصرٍ فهْـيَ هيفاءُ ناهِدُ
فَرِيعتْ فلم تخبـا ولكن تأوّدتْ كما انتصَّ مكحولُ المدامعِ فارِدُ[1]
وأهوت لتنتاشَ الرِّواق فلـم تَقُم إليـه ولكـن طأطأتْـه الولائدُ[2]
قليلـةُ لحـم الناظرَيـنِ يَزينها شبابٌ ومخفوضٌ من العيش بارِدُ
تَناهى إلى لهـو الحديـثِ كأنّها أخـو سَقَمٍ قـد أسلمتـه العوائدُ
ترى القُرطَ منْهـا في قناة كأنّها بمهلكـة لـولا البُـرا والمَعاقِدُ[3]

[يرثي صريعاً في بئر]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : أغار رجل مِنْ بني تَغلب يقال له الهُذَيل بعقب مقتل عثمان على بني تميم ، فأصاب نَعَماً كثيراً ، فورد بها ماءً لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال لـه سَفارٍ[4] ، فـإذا عليه الأسود وخالد ابنا نُعيم بن قَعْنب بن الحارث بن عمرو بن همّام بن رباح في إبل لهما قد أورداهما ، فأراد الهذيل أخذَها ، فتفرّقت ، فتفرّق أصحابُه في طلبها ، وهو قائم على رأس رَكيَّة من سَفار ، فرماه أحدهما فقتَله فوقع في الرَّكيَّة فكانت قَبرَه . ويقال : بل رماه عبدٌ أسود لمالك بن عروة المازنيّ ، فقال عتيبة بن مِرداس الذي يقال له ابنُ فَسْوة في ذلك : [من الطويل]

مَـنْ مبلـغٌ فِتيـانَ تغلبَ أنّه خـلا للهُذيل من سفارٍ قلِيبُ ؟
إذا صوَّت الأصداءُ صوَّت وسطَها فتى تغلبـيٌّ في القَلِيـبِ غريبُ
فأعددتُ يربوعـاً لِتَغلـبَ إنّهم أنـاسٌ غذتهـم فتنـةٌ وحروبُ
حويتَ لقاحَ ابني نُعيم بن قَعنب وإنّـك إن أحرزتَهـا لكسوبُ

[بشر بن كهف يمنعه]

وقال أبو عمرو أيضاً : كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوّج أخت بشر بن كهف أحد

---

1 انتصّ : سار .
2 الرِّواق : مقدم البيت أو الفسطاط . وتنتاش : تتناول .
3 البُرا : جمع برة ، وأصلها بروة : الخلخال . المعاقد : جمع معقاد ، وهو خيط فيه خرزات تعلّق في عنق الصبيّ .
4 سفار : منهل بين البصرة والمدينة قبل ذي قار لبني مازن بن مالك .

بني خُزاعة بن مازن ، فكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحمى ، فسأله ابنُ فسوة أن يُرْعيَه فأبى ، ومنعه ، وطرد إبله ، فقال في ذلك : [من الطويل]

مَـنْ يـكُ أَرْعـاه الحمى أخواتُه ... فما ليَ من أُختٍ عَوانٍ ولا بِكرِ
وما ضرَّها أن لم تكن رَعتِ الحِمى ... ولم تطلب الخيرَ الممنَّع مـن بشرِ
متى ما يجيء يوماً إلى المال وارثي ... يجد قَبض كفٌّ غير ملأى ولا صِفرِ
يجـد مُهـرة مثـل القَنـاةِ طمِرَّة ... وعضْبٌ إذا ما هُزَّ لم يرضَ بالهَبْرِ[1]
فإن تمنعـوا منهـا حِمـاكم فإنّه ... مُباحٌ لها مـا بين إنبط فالكدْرِ[2]
إذا ما امرؤٌ أثنى بفضل ابـن عمّه ... فلعنـةُ ربِّ العالمـين عَـلى بشرِ

[يسرقون ثيابه]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ ، ونسخته أيضاً من خطّ إسحاقَ الموصليّ ، وجمعت الروايتين : إنّ ابن فسوةَ نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، ومعه جارية له يُقال لها جوزاء ، فسرقوا عَيْبَةً له فيها ثيابُه وثياب جاريته ، فرحل عنهم ، فلمّا عاد إلى قومه أعلمهمْ ما فعله به بَنو سعد بن مالك . فركب معه فُرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد فأخذوا منها صِرْمة[3] ، واستاقوها فدفعوها إليه ، فقال يمدح قومه ويهجو بَني سعدٍ بقوله : [من الطويل]

جزى اللهُ قومي من شفيعٍ وشاهدٍ ... جـزاء سليمـانَ النَّبـيُّ المكرَّمِ
همُ القومُ لا قـومُ ابنِ دارةَ سالمٍ ... ولا ضابىءٌ إذ أَسْلِما شَرَّ مُسلَمِ
وما عيبة الجوزاء إذ غدرتْ بها ... سَراةُ بنـي قيس بسرٍّ مكتَّـمِ
إذا ما لَقِيت الحيَّ سعدَ بنَ مالك ... على زَمّ فانـزل خائفاً أو تقدّمِ[4]
أُناسٌ أَجارونـا فكـان جِوارُهمْ ... شَعاعـاً كلحـم الجازرِ المتقسَّمِ
لقد دنِستْ أعراضُ سعدِ بن مالك ... كما دَنِسَتْ رجـلُ التقيِّ من الدَّمِ
لهم نِسوة دُسْمُ الثياب مَواجِـنٌ ... ينادين مَـن يبتاعُ عـوداً بدِرهمِ
إذا أَيِّمٌ قيسيَّةٌ مـات بعلُهـا ... وكان لهـا جـارٌ فليستْ بأيِّمِ

1 الطمرة : الفرس الجواد . الهبر : قطع اللحم ، المفرد هبرة .
2 إنبط : موضع ببلاد كلب بن وبرة . الكدر : موضع على ثمانية برد من المدينة أو ماء لبني سليم .
3 الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين .
4 زم : بئر لبني سعد بن مالك .

يُمشّي ابنُ بشر بينهنّ مقابَلا ... بأيسر كأيْسرِ الأرجحيّ المخرَّمِ
إذا راحَ من أبياتِهنّ كأنّما ... طليْتَ بتنوُّم قَفَاه وخِمخِمِ[1]

وفيه رواية إسحاق :

تسوق الجواري مَنْخَراه كأنّما ... دَلَكنَ بتنوُّم قفاه وخمخمِ

صوت

[من المنسرح]

قد طالَ شَوقي وعادني طربي ... من ذكر خَوْدٍ كريمةِ النسبِ
غرّاءَ مثلِ الهلالِ صُورَتها ... أو مثلِ تمثالِ صُورة الذهبِ

ويروى : «بيعة الرُهُب» الشعر لعبد الله بن العجلان النّهديّ ، والغناء لمالك ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن مسْجح .

1 التنوم : شجر مثمر ورقه مع الخل يقلع الثآليل . خمخم : نبت له شوك دقيق .

[484] ـ أخبار عبد الله بن العجلان

[نسبه]

هو عبد الله بنِ العَجْلان بن عبد الأَحَبّ بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . شاعر جاهليٌّ أحد المتيّمين من الشعراء ومَنْ قتله الحبّ منهم .

وكانت له زوجة يقال لها هند ، فطلّقها ، ثم ندِم على ذلك ، فتزوّجت زوجاً غيره ، فمات أسفاً عليها .

[قصته تشبه قصة قيس ولبنى]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديٍّ قال : كان عبد الله بن العجلان النهديّ سيِّداً في قومه وابنَ سيِّد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بني نَهْدٍ مالاً ، وكانت هند امرأة عبد الله بنِ العَجْلان ، التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نَهْدٍ ، وكانت أحبَّ النّاس إليه ، وأحظاهم عنده ، فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلِد ، فقال له أبوه : إنّه لا ولد لي غيرُك ، ولا ولد لك ، وهذه المرأة عاقر ، فطلِّقها ، وتزوّج غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فآلى ألاّ يكلّمه أبداً حتى يطلّقها فأقام على أمره ، ثمّ عمدَ إليه يوماً ، وقد شرِب الخمر حتى سكِر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه أن صِرْ إليّ ، فقالت له هند : لا تمضِ إليه ، فوالله ما يريدك لخير ، وإنّما يريدك لأنّه بلغه أنّك سكران ، فطمع فيك أن يقسم عليك ، فتطلّقني ، فنمْ مكانك ، ولا تمضِ إليه . فأبى وعصاها ، فتعلّقت بثوبه ، فضربها بمسواك ، فأرسلته ، وكان في يدها زعفران ، فأثَّر في ثوبه مكان يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده في أمرها ، وأنّبه ، وضعَّفه ، وجمع عليه مشيخة الحيّ وفتيانهم ، فتناولوه بألسنتهم ، وعيَّروه بشغفه بها وضَعْفِ حَزْمه ، ولم يزالوا به حتى طلَّقها . فلمّا أصبح خُبِّر بذلك ، وقد علمت به هند ، فاحتجبت عنه ، وعادت إلى أبيها ، فأسِف عليها أسفاً شديداً ، فلمّا رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير ، فزوَّجها أبوها منه ، فبنى بها عندهم ، وأخرجها إلى بلده . فلم يزل عبد الله بن العَجْلان دَنِفاً سقيماً ، يقول فيها الشعر ، ويبكيها حتى مات أسفاً عليها ، وعرضوا عليه فتيات الحيّ جميعاً فلم يقبل واحدة منهنّ ، وقال في طلاقه إيّاها : [من مجزوء الكامل]

فارقــتُ هنداً طائعــاً فندمــت عنــدَ فراقِها
فالعينُ تــذْري دمعــةً كالــدُّرِّ مـــن آماقِها
متحلِّياً فـــوق الردا ء يجول مــن رَقْراقِها
خَــوْدٌ رَداحٌ طَفْلَــةٌ ما الفحش من أُخلاقِها
ولقــد أَلَـــذُّ حديثَهــا وأُسَرُّ عنــد عنــاقِها

وفي هذه القصيدة يقول :

إن كنتِ ساقيــةً ببُزْ لِ الأُدْمِ أو بِحقــاقِها
فاسقي بني نهــدٍ إذا شربــوا خيــار زِقاقِها
فالخيل تعلم كيف نُلْـ ـحِقها غــداة لحاقِها
بأسِنَّةٍ زُرْق صبَحْـــ ـنا القوْمَ حــدَّ رقاقِها
حتى تــرى قِصَد القنا والبيــضَ في أعناقِها

[شعره في غارة شنّها قومه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : لمّا طلّق عبد الله بن العَجْلان هنداً أُنكِحَت في بني عامر ، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات ، فجمعت نهد لبني عامر جمعاً ، فأغاروا على طوائف منهم ، فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وبنو الحَريش وبنو قُشَيْر ، ونذروا بهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، وغنمت نهدٌ أموالهم ، وقتل في المعركة ابنٌ لمعاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له ، وقُرْط وجُدعانُ ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة بن كعب وحُسين بن عمرو بن معاوية ومَسْحَقة بن المجمَّع الجعفيّ ، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك : [من الوافر]

أَلا أبلغ بنـــي العجلان عنِّي فــلا يُنْبيك بالحَدثانِ غيري
بأنّــا قــد قتلنا الخير قُرْطا وَجُرنــا في سَراةِ بنــي قشيرِ
وأَفلتَنا بنـــو شَكَــلٍ رجــالاً حُفــاةً يربئــون على سُمَيْرِ

[قيسية ترثي قتلى قيس]

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم : [من الوافر]

أُصبتم يا بنــي نهــدِ بن زيد قُرومــاً عنــدَ قعقعةِ السلاحِ
إذا اشتدَّ الزّمــانُ وكان محلاً وحاردَ فيــه إخْوانُ السماحِ

أهانـوا المالَ في اللَّزباتِ صبراً وجـادوا بالمتـالي واللقاحِ
فبكِّي مالكـاً وابْكـي بجيراً وشدّاداً لمشتجِـرِ الرّمـاحِ
وكَعباً فاندبيه معـاً وقُرطـا أولئك معشري هدُّوا جناحي
وبكّي إن بكَيْتِ على حُسَيْلٍ وَمِـرداس قتيلِ بنـي صباحِ

[حسيل يغدر به أسيره]

قال : وأَسَرَ عبد الله بن العَجلان رجلاً من بني الوَحيد ، فمنَّ عليه ، وأَطلقه ، ووعده الوحيديّ الثوابَ فلم يَفِ فقال عبد الله : [من الوافر]

وقالوا لـن تنالَ الدَّهـر فقراً إذا شكرتْك نعمتَك الوحيدُ
فيا ندما ندمـت عـلى رِزام وَمُخْلِفِـهِ كما خُلِـع العَتُـودُ

قال أبو عمرو : ثم إنّ بني عامر جمعوا لبني نهد ، فقالت هند امرأة عبد الله بن العَجلان التي كانت ناكحاً فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر : لك خمسَ عَشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر ، فقال : أفعَل ، فحملته على ناقة لزوجها ناجيةٍ ، وزوّدته تمراً وَوَطْباً من لبن ، فركب فجدَّ في السير ؛ وفَنيَ اللبنُ ، فأتاهم والحيّ خلوف في غزو وميرَةٍ ، فنزل بهم ، وقد يبس لسانه ، فلمّا كلّموه لم يقدر على أن يجيبهـم ، وأومأ لهم إلى لسانه ، فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن ، فأسخن ، وسقاه إيّاه ، فابتلّ لسانه ، وتكلّم ، وقال لهم : أتيتم ، أنا رسول هند إليكم تُنذركم ، فاجتمعت بنو نهد واستعَدّت ووافتهم بنو عامر فَلَحِقُوهم على الخيل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت بنو عامر ، فقال عبد الله بن العَجلان في ذلك : [من الطويل]

عـاوَدَ عيني نصبُهـا وَغرورها أَهَـمٌّ عَناهـا أم قَذاهـا يعورُها
أم الدّار أمستْ قـد تعفَّت كأنها زبـورُ يمـانٍ رقشتـه سطورُها
ذكرت بهـا هنداً وأترابَها الأُلى بها يكذب الواشي ويُعْصى أميرُها
فمـا مُعْـوِلٌ تبكـي لفقد أليفها إذا ذكرتـه لا يكـفُّ زفيرُها
بأغـزر منّـي عبرة إذ رأيتهـا يحـث بهـا قبـل الصباحِ بَعيرُها
ألم يأتِ هنداً كيفما صُنْعُ قومِها بني عامـر إذ جاء يسعى نَذِيرُها
فقالوا لنـا إنّـا نحـبّ لقاءكم وإنّـا نحيّـي أرضكـم ونزورُها
فقلنا : إذا لا نَنْكُل الدَّهرَ عنكمُ بصُمِّ القنا اللائيّ الدمـاءَ تُميرُها

فـلا غرو أنَّ الخيل تَنْحِط في القنا تمطُّرُ مـن تحت العوالي ذكُورُها[1]
تـأوَّهُ ممّـا مَسَّها مـن كريهةٍ وتُصفي الخدود والرِّماحُ تَصورُها[2]
وأربابها صرعى بِبُرْقَـةِ أخرب تُجَرِّرُهُـمْ ضُبْعانهـا ونُسورُها
فأبلـغ أبـا الحجاج عنّي رسالةً مغلغلـة لا يَغْلِبَنْـك بُسُورُها
فأنت منعـتَ السلم يومَ لقيتنا بكفّيـكَ تُسْدي غيَّـةً وتنيرُها
فذوقوا على ما كان من فرط إحْنَة حلائبنـا إذْ غـابَ عنّا نصيرُها

[نهاية حبّه]

قال أبو عمرو : فلمّا اشتدَّ ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سرّاً من أبيه مخاطراً بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يرهب ما بينهم من الشرّ والتّراتِ ، حتى نزل ببني نمير ، وقصد خباء هند ، فلمّا قارب دارها رآها وهي جالسة عَلى الحوض ، وزوجها يسقي ، ويذود الإبلَ عن مائه ، فلمّا نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتدُّ إليها ، وأقبلت تشتدّ إليه ، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ، وأقبل زوج هند ينظر ما حالُهما ، فوجدهما ميتين .

قال أبو عمرو : وأخبرني بعض بني نهد أنَّ عبد الله بن العَجلان أراد المضيّ إلى بلادهم ، فمنعه أبوه وخوّفه الثارات وقال : نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكّة ، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت ، فحجّ ، وحجَّ أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثَرُ كفّها في ثوبه بخَلوق ، فرجع إلى أبيه في منزله ، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات . هذه رواية أبي عمرو .

وقد أخبرني محمد بن خلف وَكيع ، قال حدَّثني عبد الله بن عليّ بن الحسن قال : حدَّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيّوب عن ابن سيرين قال : خرج عبد الله بن العجلان في الجاهليّة فقال : [من الطويل]

ألا إنَّ هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حُمُوَّتِها حَما
وأصبحت كالمقمورِ جفن سلاحه يقلّب بالكفَّـين قوساً وأسهما

ثم مدَّ بها صوته فمات .

1 تنحط : تزفر . تمطر : تسرع .
2 تصورها : تميلها .

[الشعر له أم لمسافر]

قال ابن سيرين : فما سمعت أنّ أحداً مات عشقاً غير هذا . وهذا الخبر عندي خطأ لأنّ أكثر الرّواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أميّة ، قالهما لمّا خرج إلى النُّعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة ، فقدِم أبو سفيان بن حرب ، فسأله عن أخبار مكّة ، وهل حدث بعده شيء ، فقال : لا ، إلاّ أنّي تزوّجتُ هنداً بنت عتبة ، فمات مسافرٌ أسفاً عليها ، ويدلّ على صحّة ذلك قوله :

وأصبحت مـن أدنـى حموَّتِهـا حما

لأنّه ابن عمّ أبي سفيان بن حرب لحّاً وليس النميريّ المتزوّج هنداً النهدية ابن عمّ عبد الله بن العجلان فيكون من أحْمائها ، والقول الأوّل على هذا أصحّ .

[من شعره في هند]

ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند : [من الطويل]

ألا أبلغا هنـداً سلامي فإن نأتْ ... فقلبيَ مذ شطَّتْ بها الدارُ مدنَفُ
ولم أرَ هنـداً بعـد موقِف ساعة ... بأنْعَـمَ في أهـلِ الدِّيـارِ تطوَّفُ
أتَتْ بين أتراب تَمايَسُ إذ مشتْ ... دبيبَ القطا أو هـنَّ منهنّ أقْطَفُ
يباكِرْنَ مِـرآةً جليّـاً وتـارةً ... ذكيّاً وبالأيْدي مَداكٌ ومِسْوَفُ
أشارت إلينـا في خَفـاةٍ وراعَها ... سراةُ الضُّحى منّي على الحيّ موقفُ
وقالت : تباعد يا ابن عمِّي فإنَّني ... مُنيت بذي صَـوْلٍ يَغار ويَعْنُفُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال : أنشدنا فضل اليزيديّ عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهديّ قال إسحاق وفيه غناء : [من الطويل]

خليليَّ زورا قبل شحْط النّوى هنداً ... ولا تأمنا مِنْ دارِ ذِي لَطَفٍ بُعْدا
ولا تعجلا ، لم يَدْرِ صاحبُ حاجةٍ ... أغيّاً يلاقـي في التعجُّلِ أم رُشْدا
ومـرَّا عليهـا بـاركَ اللهُ فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوجهيكما قَصْدا
وقولا لها ليس الضلال أجازَنـا ... ولكنّنا جُزْنـا لنلقاكُـمُ عَمْدا

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا يـا ظبيـةَ البلَـدِ ... براني طـولُ ذا الكمدِ

فـــردِّي يـــا معذِّبتي فؤادي أو خُذي جسدي
بُليتُ لشِقوتـــي بكُـــمُ غلاماً ظاهِـــرَ الجلَدِ
فشَيَّبَ حُبُّكـــم رأسي وبيّضَ هجـــرُكم كبِدي

الشعر للمؤمّل بن أميل ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[485] ـ أخبار المؤمّل ونسبه

[نسبه]

المؤمّل بن أُميل بن أُسيد المحاربيّ . من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، شاعر كوفيٌّ من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعبّاسيّة ، وكانت شهرته في العبّاسيّة أكثر ، لأنّه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصّهم ، ويخدمهم من أوليائهم ، وانقطع إلى المهديّ في حياة أبيه وبعده . وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرِّزين الفحول ولا المرذُولين ، وفي شعره لِينٌ ، وله طبع صالح .

[يتمنّى العمى فيعمى]

وكان يهوى امرأةً من أهل الحِيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدَتَه المشهورة : [من البسيط]

شفَّ المؤمَّلَ يوم الحيرة النظرُ ليت المؤملَ لم يُخلق له بَصَرُ

يقال : إنّه رأى في منامه رجلاً أدخل أصبعيه في عينيه ، وقال : هذا ما تمنَّيت ، فأصبح أعمى .

[المهدي يغدق ويردّ ما استعاده المنصور]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ : قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثنا عبد الله بن الحسن الحرّاني ، قال : حدَّثني أبو قُدامة ، قال : حدَّثني المؤمّل قال : قدِمت على المهديّ وهو بالرّيّ ، وهو إذ ذاك وليّ عهد ، فامتدحتُه بأبيات ، فأمر لي بعشرين ألفَ دِرْهم ، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور ، وهو بمدينة السلام يُخْبره أنّ الأمير المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألفَ درهم ، فكتب إليه يَعذِله ويلومه ، ويقول له : إنّما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أنْ يقيم ببابك سنةً أربعةَ آلاف درهم ، وكتب إلى كاتب المهديّ أن يوجِّه إليه بالشاعر ، فطُلبَ ، ولم يَقدر عليه ، وكتب إلى أبي جعفر أنّه قد توجّه إلى مدينة السلام ، فأجلَس قائداً من قوّاده على جِسر النهرَوان ، وأمره أن يتصفَّح الناسَ رجلاً رجُلاً ، فجعل لا يمرّ به قافلة ، إلاّ تصفَّح من فيها ، حتى مرّت به القافلةُ التي فيها المؤمِّل ، فتصفحهم ، فلمّا سأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمِّل بنَ أُميل المحاربيّ الشاعر ، أحدُ زوار الأمير المهديّ ، فقال : إيّاك طلبتُ ، قال المؤمّل : فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر .

فقبضَ عليَّ ، وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، وقال له : هذا الشاعر الذي أخذ من المهديّ عشرين ألفاً ، قد ظَفرنا به ، فقال : أدخلوه إليَّ ، فأُدخلتُ إليه ، فسلَّمت تسليم فزع ، مرَوّع ، فردَّ السلام ، وقال : ليس لك هاهنا إلاَّ خَيْر ، أنتَ المؤمّل بن أُميل ؟ قلت : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنينَ أنا المؤمّل بن أُميل ، قال : أتيتَ غلاماً غِرّاً كريماً ، فخدعته فانخدع ؟ قلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، أتيت غلاماً غِرّاً كريماً ، فخدعتُه فانخدعَ قال : فكأنّ ذلك أعجبَه ، فقال : أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدتُه : [من الوافر]

هو المهديُّ إلاّ أن فيه ... مشابهَ صورة القمر المنيرِ
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا مُشكلانِ على البصيرِ
فهذا في الظلامِ سراجُ ليلٍ ... وهذا في النّهارِ ضياءُ نُورِ
ولكن فضَّل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابرِ والسَّريرِ
وبالمُلْك العزيزِ فذا أميرٌ ... وماذا بالأميرِ ولا الوزيرِ
وبعضَ الشهر ينقصُ ذا وهذا ... مُنير عند نقصانِ الشهورِ
فيا ابن خليفةِ الله المصفّى ... به تعلو مفاخرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافَوْا ... إليكَ مِنْ السهولةِ والوُعورِ
لقد سبق الملوك أبُوك حتّى ... بقوا من بين كابٍ أو حَسيرِ[1]
وجئتَ مصلياً تجري حثِيثاً ... وما بك حين تجري من فُتورِ[2]
فقال الناس ما هذان إلاّ ... كما بينَ الخليق إلى الجديرِ
لئن سبق الكبيرُ لأَهْلُ سَبْقٍ ... له فضلُ الكبير على الصَّغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مَدى كبيرٍ ... فقد خُلِق الصغيرُ من الكَبيرِ

فقال : والله لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألفَ درهم ، فأين المال ؟ قلت : هو هذا ، قال : يا ربيع ، امض معه ، فأعطِه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي . قال المؤمّل : فخرج معي الربيع ، وحَطّ ثِقْلي ، ووَزنَ لي من المال أربعةَ آلاف درهم ، وأخذَ الباقي .

فلمّا وَليَ المهديُّ الخلافة ولّى ابن ثوبانَ المظالم ، فكان يجلس للناس بالرُّصافة ، فإذا

---

1 كاب : عاثر من كبا يكبو .

2 مصلياً : تالياً للسابق .

ملأ كساءه رِقاعاً رفعها إلى المهديّ ، فرُفِعَتْ إليه رُقْعة ، فلمّا دخل بها ابن ثَوبان جعل المهديُّ ينظر في الرقاع ، حتى إذا وصل إلى رُقعتي ضَحِك ، فقال له ابنُ ثوبان : أصلَحَ الله أميرَ المؤمنين ! ما رأيتك ضَحِكْتَ من شيءٍ من هذه الرّقاع إلاّ من هذه الرُّقعة ، فقال : هذه رقعة أعرفُ سببها ، ردّوا إليه عشرين ألفَ درهم ، فردّوها إليّ وانصرفْت .

[يبايع موسى وهارون فيأخذ بدرة ونصفاً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن سعد بن أبي سعد قال : حدَّثني الحكم بن موسى السلوليّ ، قال : حدَّثني سعد بن أخي العوفيّ قال : قدِم على المهديّ في بيعة ابنيه موسى وهارون المُؤمِّل بنُ أميل المحاربيّ والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السَّلوليّ وقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحِمْيريّ من الكوفة ، فقدِما على المهديّ في عسكره ، فأنشده المؤمِّل : [من الوافر]

هـاكَ بِياعَنـا يـا خير والٍ فقـد جُدْنـا بـه لكَ طائعينا
فإن تفعلْ فأنـت لذاك أهلٌ ففضلك يا ابنَ خير النّاس فينا
وعَدلُكَ يا ابن وارث خَيرِ خَلْق نبـيٌّ الله خَيْـرِ المرسلينا
فـإن أبـا أبيكَ وأنتَ منه هـوَ العبَّـاسُ وارثـهُ يقينا
أبان بـه الكتابُ وذاك حقٌّ ولسنـا للكتـابِ مُكذِّبينا
بكم فُتِحتْ وأنتم غير شكٍّ لهـا بالعَـدلِ أكرمُ خاتمينا
فدونَكَهـا فأنـتَ لهـا محلٌّ حَباكَ بهـا إلـهُ العالَمينا
ولـو قِيدَتْ لغَيرِكُم اشمأزَّت وأعْيَـتْ أن تُطيـعَ القائدينا

فأمر لهما بثلاثينَ ألفَ درهم ، فجيء بالمال ، فأُلقي بينهما ، فأخذ كلّ واحد منهما بَدرة[1] ، وصدَعَ الأُخرى بينهما ، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفاً .

[يتلف في ضحكه كل مال]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، عن عبد الله بن أمين عن أبي محمد اليزيديّ ، عن المؤمِّل بن أميل قال : صِرتُ إلى المهديّ بجُرجان فمدحتُه بقولي : [من المتقارب]

تعزَّ ودعْ عنكَ سَلمى وسِرْ حثيثـاً على سائـراتِ البِغالِ

1 البدرة : كيس فيه عشرة آلاف درهم .

وكلّ جـوادٍ لـه مَيْعَـةٌ ... يَخُبُّ بسرجِكَ بعدَ الكَلالِ[1]
إلى الشمسِ شمسِ بني هاشمٍ ... وما الشمسُ كالبَدْرِ أو كالهِلالِ
ويُضحكه أن يـدومَ السؤالُ ... ويُتلف في ضحكـه كلَّ مالِ

فاستحسنَها المهديُّ ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وشاع الشعر وكان في عسكره رجل يُعرف بأبي الهوْسات ، يُغنّي ، فغنّى في الشعر لرُفقائه ، وبلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سرّاً ، فدخل عليه ، فغنّاه ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أُخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور .

ثُمّ ذكر باقي الخبر على ما تقدَّم قبله ، وزاد فيه : أنّ المنصور قال له : جئتَ إلى غلام حَدَث ، فخدعته ، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألفَ درهم لشعر قلته فيه ، غيرِ جيّد وأعطاكَ من رقيقِ المسلمينَ مالاً يملكه ، وأعطاك من الكُراعِ والأثاثِ ما أسرف فيه ، يا ربيعُ خُذ منه ثمانية عشر ألف درهم ، وأعطِه ألفين ، ولا تعرض لشيء من الأثاث والدّواب والرقيق ، ففي ذلك غناؤه . فأُخِذَتْ والله منّي بخَواتِمها ، ووُضِعتْ في الخزائن ، فلمّا وليَ المهديّ دخلتُ إليه في المتظلّمين . فلمّا رآني ضحك وقال : مَظلمةٌ أعرفها ، ولا أحتاج إلى بيّنة عليها ، وجَعل يضحك ، وأمر بالمالِ فرُدَّ إليّ بعينه ، وزاد فيه عشرَةَ آلاف .

[لا لحم فيه ولا دم]

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخفَّاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني حُذيفة بن محمد الطائيّ قال : حدَّثني أبي قال : رأيت المؤمِّل شيخاً مُصفَرّاً نحيفاً أعمى ، فقلت له : لقد صدقت في قولك : [من الطويل]

وقـد زعموا لي أنّها نذرتْ دَمي ... ومـا لي بحَمـدِ الله لحـمٌ ولا دمُ

فقال : نعم ، فديتك ، وما كنت أقول إلاّ حقّاً .

قال محمد بن القاسم : وحدَّثني عبد الله بن طاهر أنّ أوّل هذا الشعر :

حلمتُ بكـم في نَوْمتي فغضبتُمُ ... ولا ذنب لي إن كنتُ في النّومِ أحلُمُ
سأطردُ عنّـي النـومَ كيلا أراكُمُ ... إذا مـا أتاني النَّـومُ والنّاس نُوَّمُ
تُصارِمُنـي والله يعلـمُ أنّنـي ... أبَـرُّ بهـا من والديْها وأرحَمُ

1 ميعة الفرس : أوّل جريه .

صوت

وقد زعموا لي أنّها نذرتْ دمي ... وما لي بحمدِ اللهِ لحمٌ ولا دمُ
برى حبُّها لحمي ولم يُبق لي دَماً ... وإن زعموا أنّي صحيحٌ مسلَّمُ
فلم أرَ مثلَ الحُبّ صحَّ سَقيمهُ ... ولا مثل مَن لا يعرف الحبُّ يسقَمُ
ستقتُلُ جِلداً بالياً فوقَ أعظُمٍ ... وليس يُبالي القتلَ جلدٌ وأعظُمُ

في هذه الأبيات التي أوّلها :

وقد زعموا لي أنّها نذرت دمي

لنبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوُسطى عن ابن المكّيّ .

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن أحمد بن عليّ ، قال : لمّا قال المؤمِّل : [من البسيط]

شفَّ المؤمّل يوم الحيرةِ النظرُ ... ليت المؤمّل لم يُخْلَقْ له بَصَرُ

عَمي ، وأُرِي في منامه : هذا ما تمنيتَ .

أخبرني حَبيبُ بن نَصْر قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال حدَّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ : قال : رأى المؤمّل في منامه قائلاً يقول : أنت المتألّي على الله ألاّ يعذِّبَ المحبِّين حيث تقول :

يَكفي المحبِّينَ في الدُّنيا عذابُهمُ ... والله لا عذَّبَتْهم بعدها سَقَرُ

فقال له : نعم ، فقال : كذبت يا عدوَّ الله ، ثم أدخل إصبعيه في عينيه وقال له : أنت القائل :

شفّ المؤمِّل يوم الحيرة النظرُ ... ليت المؤمّل لم يُخْلَقْ له بصرُ

هذا ما تمنّيت ، فانتبهَ فزعاً ، فإذا هو قد عَمي .

[لا ترضى مضر بقتله]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا مُصعب الزُّبيريّ قال : أُنشِدَ المهديُّ قولَ المؤمِّل :

قتلتِ شاعرَ هذا الحيِّ من مُضرٍ ... واللهُ يعلم ما ترضى بذا مُضَرُ

فضحك ، وقال : لو علمنا أنّها فعلت ما رَضينا ، ولَغَضبنا له وأنكرنا .

صوت

[من الطويل]

بكيتُ حذارَ البين علماً بما الذي إليــه فؤادي عنــد ذلك صائرُ
وقال أُنـاس لــو صبرتَ وإنَّني على كلِّ مكروه سوى البين صابرُ

الشعر لأبي مالك الأعرج ؛ والغناء لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته ورواية الهشاميّ .

قال الهشاميّ : وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل ، ولسليم ثقيل أوّل .

[486] ـ أخبار أبي مالك ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو مالك النَّضر بن أبي النضر التميميّ ، هذا أكثر ما وجدتُه من نسبه ، وكان مولده ومنشؤه بالبادية .

ثم وفد إلى الرشيد ، ومدحه ، وخَدمه فأَحمدَ مذهبه ، ولحظتْه عنايةٌ من الفضل بن يحيى ، فبلغ ما أُحبَّ ، وهو صالح الشعر ، متوسّط المذهب ، ليس من طبقةِ شعراء عصره المجيدين ، ولا من المرذولين .

[يرثي أباه]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أحمد بن الهَيثم بن فراس قال : كان أبو مالك النضر بن أبي النضر التميميّ مع الرشيد ، وكان أبوه مقيماً بالبادية ، فأصاب قوم من عشيرته الطريقَ ، وقطعُوه عن بعض القوافل ، فخرج عامل دِيارِ مضر ، وكان يقال له جَيَّال ، إلى ناحيةِ كانت فيها طوائف من بني تميم ، فقصدَهم وهم غارُّون[1] ، فأخذَ منهم جماعةً فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج ، وكان ذا مال ، فطلبه فيمن طلَب من الجناة ، وطمع في ماله ، فضربه ضرباً أتى فيه على نفسه ، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه : [من الخفيف]

فيمَ يُلحى على بكائي العذولُ ... والذي نابنـي فَظيـعٌ جليلُ
عدّ هـذا الملام عنّي إلى غيـ ... ـرى فقلبـي ببَثّـه مشغولُ
راعَني والدي جَنتْ كفُّ جَيّا ... ل عليـه فـراح وهـو قَتيلُ
أيّها الفاجعي برُكني وعزّي ... هبلَتْني إن لم أُرُعـك الهُبولُ[2]
سُمْتَني خُطَّةَ الصَّغار وأظلمْـ ... ـتَ نَهـاري عليَّ غالتْك غولُ
مـا عداني الجفاءُ عنكَ ولكنْ ... لم يُدلني مـن الزمان مُديلُ[3]

---

1 غارُّون : غافلون .

2 هبلتني الهبول : ثكلتني أمّي .

3 لم يدلني : لم ينصرني .

زال عنّا السرورُ إذ زُلتَ عنّا وازدهانا بكاؤنا والعويلُ[1]
ورأينا القريبَ منّا بعيداً وجفانا صديقُنا والخليلُ
ورمانا العدوُّ من كلِّ وجه وتجنّى على العزيزِ الذليلُ
يا أبا النضر سوفَ أبكيك ما عشـ ـتُ سويّا وذاك منّي قليلُ
حملتْ نعشَك الملائكةُ الأبـ ـرارُ إذ ما لَنا إليك سبيلُ
غير أنّي كذبتُك الودَّ لم تقْـ ـطُر جفوني دماً وأنت قَتيلُ
رضِيتْ مقلتي بإرسال دَمعي وعلى مثلك النفوسُ تَسِيلُ
أسِواكَ الذي أُجودُ عليه بدمي إنّني إذاً لبخيلُ
عثر الدهرُ فيك عثرةَ سَوْءٍ لم يقُلِ مثلَها المعينُ المقيلُ
قُل إن ضنَّ بالحياةِ فإنّي بعده للحياةِ قالٍ مَلولُ
إنَّ بالسفحِ من ضباعةَ قومي ليسَ منهم ، وهم أدانٍ ، وَصولُ[2]
لا يزورون جارَهم من قريبٍ وهمُ في الترابِ صَرعى حلولُ
حفرة حَشْوُها وفاءٌ وحِلمٌ وندًى فاضلٌ ولُبٌّ أصيلُ
وعفافٌ عمّا يَشين وحِلمٌ راجحُ الوزنِ بالرّواسي يَميلُ
ويمين بنانُها غيرُ جَعد وجبينٌ صَلت وخدٌّ أسيلُ[3]
وامرؤٌ أشرقتْ صُفَيحهُ خدَّيـ ـهِ عليه بشاشةٌ وقَبولُ

صوت

[من الطويل]

لئن مصرُ فاتتني بما كنتُ أرتجي وأخلفني فيها الذي كنتُ آملُ
فما كلّ ما يخشى الفتى بمُصيبِه ولا كلُّ ما يرجو الفَتى هو نائلُ

الشعر لأبي دُهمان ، والغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . انتهت أخبار مالك ونسبه .

---

1 ازدهانا : استخفّنا وأذهب وقارنا .
2 ضباعة : اسم جبل من جبال طيىء .
3 جعد : قصير . صلت : واضح .

[487] ـ أخبار أبي دهمان

أبو دُهمان الغِلابيّ شاعر من شعراء البصرة ممّن أدرك دولتَي بني أُميّة وبني العبّاس . ومدح المهديّ ، وكان طيّباً ظريفاً مليحَ النادرة .

[لا يبوح باسم محبوبته]

وهو القائل لمّا ضَرب المهديُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عُتبة : [من المنسرح]

لولا الذي أحدثَ الخليفةُ في الْـ ـعُشاق مـن ضربهم إذا عَشِقُوا
لبُحْـتُ باسم الذي أُحِبُّ ولـ ـكنّي امـرؤ قـد ثَنانيَ الفَرَقُ

[يجيد التقليد]

حدَّثني بذلك الصوليّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية . وأخبرني جَحْظَةُ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قال رجل لأبي دهمان : ألا أحدّثك بظريفة ؟ قال : بَلى ، قال : كنّا عند فلان ، فمدّ رجله هكذا ، فضَرَط ، ومدّ المحدِّث رجله يحكيه فضرَط ، فقال له أبو دُهمان : يا هذا أنتَ أحذَقُ خلق الله بحكاية .

[رجل يتيه عليه وهو أمير]

نسختُ من كتاب بخط ميمون بن هارون : بلغني أنّ أبا دُهمان مرَّ وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديقٌ له يسايرهُ ، فقام النّاس إليه ودعَوْا له إلاّ ذلك الرجل ، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره : أما ترى ذلك الرجلَ في النَّظارة وترى تيهَه عليّ ؟ فقال له : وكيف يتيه عليك وأنتَ الأمير ! قال : لأنّه قد ناكَني وأنا غلام .

[غلامه يتعجّل موته]

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ ، قال : مرض أبو دُهمان مرضاً أشْفى منه على الموت ، فأوصى وأملى وصيّته على كاتبه ، وأوصى فيها بعِتق غلام كان له واقفاً ، فلمّا فرغ غدا الغلامُ بالرقعة ، فأتربَها ، ونظر إليه أبو دُهمان ، فقال له : نعم أتربِها يا ابنَ الزّانية ، عسى أن يكونَ أنجَحَ للحاجة ، لا شفاني الله إن أنجحتَ ، وأمر به ، فأخرج لوقته ، فبيع .

صوت

[من الطويل]

يكُـرُّ كما كـرَّ الكُليبيّ مُهـرَه وما كـرَّ إلاّ خيفةً أن يُعيَّرا

فلا صُلح حتى تزحف الخيلُ والقنا بِنا وبِكمْ أَوْ يَصْدُرَ الأَمـرُ مَصْدَرا

الشعر لأَبي حُزابة التميميّ ، والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر .

وهذا الشعر يرثي به أبو حُزابةَ رجلاً من بني كُلَيب بن يربوع يقال له ناشرةُ اليَرْبُوعيّ ، قُتِل بسجستان في فتْنة ابن الزُّبير ، وكان سيِّداً شُجاعاً .

[يرثي ناشرة اليربوعيّ]

أُنشدنيه جَعفرُ بن قُدامة قال : أَنشدني أَبو هِفَّان وأَحمد بن أَبي طاهر قالا : أَنشدنا عبدُ الله بن أَحمد العدويّ لأبي حُزابة يرثي ناشرةَ اليربوعيّ وقُتِل بسجستان في فتنة ابن الزُّبير قال : [من الطويل]

لعَمري لقد هدَّتْ قريشٌ عروشَنا بأَبيضَ نفَّـاح العَشيَّـات أَزهرا
وكان حَصاداً للمَنايـا زَرعْنَـهُ فهلاَّ تركنَ النَّبتَ ما كان أَخضرا
لحا اللّهُ قوماً أَسلموكَ وجرّدوا عناجِيج أَعطتْها يمينُك ضُمَّرا[1]
أَما كان فيهمْ ماجدٌ ذو حفيظةٍ يرى الموت في بعض المواطنِ أَفخرا
يكـرّ كما كَـرَّ الكُليبيّ مُهـره ومـا كـرَّ إلاّ خشية أَن يُعَيَّرا

يُريد ما كان في هؤلاء القَوم مَنْ يكرُّ كما كرَّ ناشرة الكُلَيْبيّ مُهرَه ؟

1 العناجيج : جياد الخيل واحدها عنجوج كعصفور .

[488] ـ أخبار أبي حزابة ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو حُزابة اسمه الوليد بن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم . شاعر من شعراء الدولة الأمويّة بَدَوِيٌّ حَضِرٌ[1] وسكن البصرة ، ثم اكتُتِب في الديوان ، وضُرِب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك ، وأظنُّه قُتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجّاء .

[أبطأت عليه جائزة طلحة]

فأخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدَّثنا محمد الهيثم الشاميّ قال : حدَّثني عمّي أبو فراس عن العذريّ قال : دخل أبو حُزابة على طلحةِ الطلحات الخُزاعي ، وقد استعمله يزيدُ بن معاوية على سِجِستان ، وكان أبو حُزابة قد مدحه ، فأبطأت عليه الجائزةُ من جهته ، ورأى ما يُعطى غَيرُه من الجوائز ، فأنشده : [من الطويل]

وأدليتُ دَلْـوِي في دِلاء كثيرةٍ فجئن مِـلاءً غير دَلْـوي كما هِيا
وأهلكنـي ألاّ تـزالَ رَغِيبـةٌ تُقصِّـر دوني أو تَحُـلُّ وَرائيـا
أراني إذا استمطرتُ منكَ سحابةً لِتُمطِرني عـادتْ عَجاجاً وسافِيا

قال : فرماه طلحة بحُقّ فيه دُرّة فأصاب صدرَه ، ووقعت في حجره ، ويقال : بل أعطاه أربعةَ أحجارٍ ، وقال له : لا تُخدعْ عنها ، فباعها بأربعين ألفاً . ومات طلحةُ بسِجِستان .

[بخيلٌ يخلف كريماً]

ثم وَلِيَ من بعده رجل من بني عبدِ شمس يقال له عبدُ الله بن عليّ بن عَدِيّ وكان شحيحاً فقال له أبو حزابة[2] : [من الرجز]

يا ابنَ عليٍّ بَـرَحَ الخفاءْ قد عِلم الجيرانُ والأكفاءْ

---

1 حضير وحضري بمعنى واحد .

2 الأبيات في الحيوان 1 : 255 برواية فيها اختلاف :

يا ابنَ عـليٍّ بَـرِح الخِفـاءْ أنت لغير طلحـة الفـداءْ
قد علم الأشرافُ والأكفاءْ أنّك أنـت الناقص اللّفَـاءْ
. . . . .
بنــو عـليٍّ كلّهـم سواءْ كأنّهـم زينيّـة جِـراءْ

أنّك أنـت النذلُ واللفَّاء   أنـت لعَيْنِ طَلْحَةَ الفِداءْ[1]
بنـو عَـدِيٍّ كلّهم سواءْ   كأنّهم زينيّـةٌ جِراءْ[2]

[رثاء وهجاء]

قال ثم وليَها بعدَ عبد الله بن عليّ عبدُ العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيز أيّام الفتنة ، فاستأذنَه أبو حزابة أنْ يأتيَ البَصرة ، فأذِن له ، فقدمها ، وكان الناس يحضُرون المِرْبد ، ويتناشدون الأشعار ، ويتحادثون ساعة من النهار ، فشهدهم أبو حُزابةَ ، وأنشدهم مَرْثية له في طَلحةِ الطلحات يضمنها ذمّاً لعبدِ الله بن عليٍّ وهي قوله : [من الرجز]

هيهاتَ هيهاتَ الجنابُ الأخضر   والنائـلُ الغمـرُ الذي لا يُنْـزَرُ
وَاراهُ عنّـا الجَـدثُ المغـوَّرُ   قـد علِم القومُ غـداة استعبَرُوا[3]
والقَبرُ بـين الطلحـاتِ يُحفر   أنْ لَنْ يروا مثلَك حتى يُنشروا
أنَّـا أتانـا جَـرزٌ محمّـرُ   أنكَـرَه سَرِيرُنـا والمِنْبَرُ
والمسْجِـد المُحْتَضـر المُطَهَّـر   وخَلَـفٌ يـا طلـح منك أعْوَرُ
بليَّـة يـا ربَّنـا لا نَسخَـر   أقَـلُّ مـن شبرين حِـينَ يُشبَرُ
مثل أبي القعواء لا بل أقْصرُ

قال : وأبو القَعْواءِ حاجبٌ لطلحة كان قصيراً .

[بئس العقاب]

فقال عون بن عبد الرحمن بن سَلامة ، وسلامة أمُّهُ ، وهو رجل من بني تميم بن مرّة قيس : بئسَما قلت ! أتشاهر الناسَ بشَتْم قريش ؟ فقال له ، إنّي لم أُعُمّ ، إنّما سَمَّيت رجلاً واحداً ، فأغلظ له عونٌ حتى اتصرفَ عن ذلك الموضع ، ثم أمر عَوْن ابن أخ له ، فدعا أبا حُزابة فأطعمه ، وسَقاه ، وخلط في شرابه شُبرُما[4] فسلّحه ، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه ، فسلَح على بابهم وَفي طريقه ، حتى بلغ أهلَه ، ومرض أشهراً ، ثـم عُوفي ، فركب فرساً له ، ثم أتى المِرْبد فإذا عونُ بن سلامة واقف ، فصاح به ، فوقف ، ولو لم يقفْ كان أخفَّ لهجائه ، فقال له أبو حُزابة : [من الرجز]

1 اللفاء : الخسيس .
2 زينية : كلاب .
3 المغوّر : البعيد الغور .
4 الشبرم : شراب مسهل .

يـا عون قفْ واستمع الملامَةْ   لا سلَّـم اللهُ عـلى سلامَةْ
زنجيّــة تحسبُهــا نَعامَــةْ   شكّــاء شانَ جسمَها دَمامَةْ
ذاتِ حِــرٍ كريشتَي حمامَــةْ   بينهمـا بَظْـرٌ كـرأس الهامَةْ
أعلمتُهــا وعالِـمِ العَلامَــةْ   لــو أن تحت بَظرها صِمامَةْ
لدفعتْ قُدُما بها أمامَـةْ

فكان الناس يصيحون به :

أعلمتها وعـالم العلامَةْ

[أبو حزابة ينشد طلحة]

أخبرني عَمّي قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدَّثني عمّي أبو فراس ، عن الهيثم بن عديّ قال : كان عبد الله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقُتِل معها يومئذٍ ، وعلى بني خلف نزلتْ عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصرِ بني خلف ، وكان هوى طلحة الطلحات أمَويّاً ، وكانت بنو أُميّةُ مكرِمين له .

فأنشد أبو حُزابة يوماً طلحة : [من الرجز]

يا طلحَ يَأبى مجدُك الإخلافا   والبخــلَ لا يُعترفُ اعترافا[1]
إن لنـــا أحمـــرةً عِجافــاً   يأكُلْــن كلَّ ليلـــة إكافا[2]

فأمر له طلحة بإبلٍ ودراهمَ ، وقال له : هذه مكانُ أحمرتك .

[يأبى الوقوف بباب يزيد]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني العمريّ ، عن لَقيط قال : قيل لأبي حُزابة : لو أتيتَ يزيدَ بن معاوية لفرض لك ، وشرَّفكَ ، وألحقكَ بعِلْية أصحابه ، فلست دونَهم ، وكان أبو حُزابة يومئذٍ غلاماً حَدَثاً ، وكان معاوية حيّاً ، ويزيدُ أميراً يومئذٍ ، فلمّا أكثر قومُه عليه في ذلك وفي قولهم : إنّك ستَشرفُ بمصيرك إليه قال : [من الطويل]

يُشرّفنــي سيفــي وقلــبٌ مُجانبٌ   لكــلّ لئيــم باخــلٍ ومعلهَجِ[3]

---

1 اعترفه : سأل عن حاله .
2 الإكاف : برذعة .
3 معلهج : أحمق لئيم .

وكَــرّي على الأبطال طِرْفــاً كأنّه ظَليمٌ وضربــي فــوق رأسِ المدَجَّجِ
وقَولي إذا ما النفسُ جاشتْ وأجهشت مخافــةَ يــومٍ شَرُّه متــأُجِّجِ
عليكِ غمارَ المــوت يــا نفسُ إنّني جريءٌ على درء الشجاع المُهَجْهَجِ[1]

[ثم يقف ؛ فلا يصل إليه]

فلمّا أكثر عليه قومُه ، وعنَّفوه في تأخّره أتى يزيدَ بن معاوية ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه فرجع ، وقال : والله لا يراني ما حملت عيناي الماءَ إلاّ أسيراً أو قتيلاً ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

فوالله لا آتــي يزيــدَ ولــو حوتْ أناملُــه مــا بــين شرقٍ إلى غربِ
لأنَّ يزيــداً غيَّر الله مــا بِــه جَنوحٌ إلى السُّوءى مُصِرٌّ على الذنبِ
فقل لبني حــرْب تَقُــوا الله وحدَه ولا تُسعــدوه في البِطالــة واللعبِ
ولا تأمنــوا التغييرَ إن دام فعلُــه ولم ينهَه عن ذاك شيخُ بَني حربِ
أيشربُها صِرفــاً إذا الليــل جنَّــه معتَّقةً كالمسكِ تختــالُ في العُلَبِ
ويَلْحــى عليهــا شاربيهــا وقلبُــه يَهيمُ بها إن غاب يوماً عن الشَّربِ[2]

[يرهن سرجه ليبيت]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمر بن شبَّة ، عن المدائنيّ قال : لمّا خرج عبد الرحمن بن محمدِ بن الأشعث على الحجّاج ، وكان معه أبو حُزابة فمرّوا بدَسْتَبى[3] وبها مستراد[4] الصَّنّاجة[5] ، وكانت لا يبيت بها أحدٌ إلاّ بمائة درهم ، فبات بها أبو حُزابة ورهن عندها سرجَه ، فلمّا أصبحَ وقف لعبد الرحمن ، فلمّا أقبل صاح به وقال : [من الرجز]

أَمرٌ عضال نابني في العَجِّ كأنّنــي مطالَبٌ بخَرْجِ[6]
ومستراد ذهبتْ بالسَّرْجِ في فتنة الناسِ وهذا الهَرْجِ

فعرف ابنُ الأشعث القصَّةَ ، وضحك ، وأمر بأن يُفتكَّ له سرجهُ ، ويُعطى معه ألفَ

---

1 المهجهج : الداهية .
2 الشّرب : جماعة الشّاربين .
3 دستبى : كورة كبيرة تشمل قرى كانت مقسومة بين الري وهمذان .
4 مستراد : موضع كمراد .
5 الصناجة : اللاعبون بالأوتار أو المغنّون .
6 العجّ : الصياح والضوضاء .

درهم ، وبلغت القصّةُ الحجّاجُ فقال : أيجاهرُ في عسكره بالفجور فيضحك ، ولا ينكِر ! ظفرتُ به إن شاء الله .

[لا يثيبه على المدح فيهجوه]

أخبرني عمِّي ، قال حدَّثنا الكُرانيّ عن العُمريّ ، عن العُتبيّ قال : مدح أبو حُزابة عبد الله بن علي العَبْشَميّ وهو على سِجِستان فلم يُثِبْه فقال يهجوه : [من مجزوء الكامل]

هَبَّـتْ تُعاتبْنـي أُمـا   مةُ في السماحة والفِضالِ
وأبيـتُ عنـد عِتابهـا   إلاّ خلائـقَ ذي النَّوالِ
أُعْطـي أخـي وأَحُوطُه   جُهدي وأبذُل جُلَّ مالي
وأقِيه عنـد تشاجُر الأَبطا   ل بـالأَسَلِ النِّهـالِ
حِفْظـاً لـه ورعايـةً   للخاليـاتِ مـن الليالي
إذ نحـنُ نشربُ قَهـوة   دِرياقـة كـدمِ الغَزالِ[1]
حمـراءَ يُذهِـبُ رِيحُها   ما في الرؤوس من الخَبالِ
وإذا تشعشع في الإنـا   ءِ رمتْ أخاهـا باغتيالِ[2]
وعـلا الحَبـابُ فخلته   عِقْـداً يُنظَّـم مـن لآلي
تَشفي السقيـمَ بريحهـا   وَتُميتُـه قبـلَ الإجالِ[3]
تلك التـي تركـتْ فـؤا   د أبي حُزابـةَ في ضَلالِ
لا يستفيـق ولا يُفيـ   ـق نزيفهـا في كلّ حالِ
وإذا الكمـاةُ تنازلـوا   ومشى الرجالُ إلى الرجالِ
وبـدت كتائبُ تَمتري   مُهجَ الكَتائـبِ بالعوالي[4]
فأبـو حُزابـةَ عنـد ذا   كَ أخو الكريهـة والنِّزالِ
يمشي العرضنـةَ مُعلِمـاً   بالسيف مشيـاً غير آلِ[5]

---

1 درياقة : شفاء .
2 تشعشع : تمزج وتخلط .
3 الإجال : جمع أجل .
4 تمتري : تستخرج .
5 جاعلاً لنفسه علامة ليتحدّى الأبطال في النزال .

كالليــث يتــرك قِرنَـــه ... مُتجـــدِّلا بـــين المجالِ
إنّي نذيــرُ بنـــي تميـ ... ـم مـن أُخي قيلٍ وقالِ
مَن لا يجـــود ولا يسو ... د ولا يُجير مـــن الهُزالِ
وتراه حـين يجيئُه السؤّا ... ل يُولَـــع بـــالسُّعالِ
متشاغـــلاً متنحنِحـــاً ... كالكلب جَمَّحَ للعِظالِ[1]
فـارفضْ قريشاً كُلَّهـــا ... من أَجل ذي الداء العُضالِ

يعني عبد الله بن عليّ العبشَميَّ .

[يشيد بشجاعة التميميِّين]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدَّثني محمد بن الهيثم الشاميّ قال : حدَّثني عمِّي أبو فِراس ، عن العذريّ قال : دخل ابو حُزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجّاج ، وقد قَدِما سِجِستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان عبد الرحمن لمّا قدماها هرَب ، ولم يبقَ بسِجِستان من أُصحابه إلاّ سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها ، فقال لهما أبو حُزابة : إنّ الرّجل قد هرب منكما ، ولم يبقَ من أصحابه أحد ، وإنّما بسِجِستان مَن كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا له : ما لهم عندنا أمان ، لأنـّهم قد كانوا مع ابن الأشعث ، وخلعوا الطّاعة ، فقال : ما خلعوها ، ولكنّه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقَة . فلم يُجيباه إلى ما أراد ، وعاد إلى قومه ، وحاصرهم أهل الشام ، فاستقتلت بنو تميم ، فكانوا يخرجون في كلّ يوم إليهم ، فيواقعونهم ، ويَكْبسونهم بالليل ، وينهبون أُطرافهم ، حتى ضجروا بذلك ، فلمّا رأى عمارة فِعلَهم صالحهم ، وخرجوا إليه ، فلمّا رأى قلّتهم قال : أما كنتم إلاّ ما أرى ! قالوا : نعم ، فإن شئت أن نُقيلك الصلح أقلناك ، وعُدْنا للحرب ، فقال : أنا غنيّ عن ذلك ، وآمنهم ، فقال أبو حُزابة في ذلك : [من الطويل]

لله عينــاً مَـــن رأى من فوارس ... أكرَّ على المكــروه منهم وأَصبَرا
وَأَكــرمَ لـــو لاقَوْا سواداً مُقاربا ... ولكن لقُوا طَمّاً من البحرِ أُخضرا[2]

---

1 جمّح : الجمح : الكبر والفخر ويبدو أن معناها هنا : الانتصاب . العظال : الملازمة في السفاد للكلاب ونحوهـا .
2 طمّاً : غمراً .

فما برحــوا حتى أعضُّوا سيوفَهم ذُرى الهام منهم والحديدَ المُسمَّرا
وحتى حسبناهم فوارسَ كهَمْسٍ حيوا بعد ما ماتوا من الدّهرِ أعصرا[1]

صوت

[من المتقارب]

إذا اللهُ لم يسَق إلاّ الكـــرامَ فسَقَّى وُجــوه بَنــي حَنبلِ
وسقَّــى ديارَهـــمُ باكـــراً من الغيث في الزّمن المُمْحِلِ
تُكفكفــه بــالعَشيّ الجنوبُ وتُفْرِغُــهُ هـــزّة الشَّمأَلِ[2]
كأنَّ الرَّبابَ دوينَ السحابِ نَعــامٌ تعلَّـــقُ بــالأرجلِ[3]

الشعر لزهير السكب التميميّ المازنيّ ، والغناء لإبراهيم خفيف رَمل بالبِنصر عن الهشاميّ وحبش .

1 كهمس : أبو حي من ربيعة .
2 تفرغه في ل : وتقرعه .
3 الرباب : السّحاب الأبيض .

[489] ـ نسب زهير السكب وأخباره

[نسبه]

هو زُهير بن عُروة بن جُلْهُمة بن حَجر بن خُزاعَيّ ، شاعر جاهليٌّ . وإنّما لقّب السَّكب ببيت قاله وقال فيه : [من البسيط]

بَرقٌ يُضيء خلالَ البيتِ أُسْكوبُ[1]

[يتشوّق إلى أبناء عمومته]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال : حدَّثنا أبو هِفّان عن سَعِيد بن هُرَيم عن أبيه قال : كان زُهير بن عروة المازنيّ الملقّب بالسَّكْب جاهليّاً ، وكان من أشراف بني مازن وأشدّائهم وفُرسانهم وشُعرائهم ، فغاضب قومه في شيء ذمّه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم ، فلحِقَه فيهم ضيم ، وأرادَ الرجوعَ إلى عشيرته ، فأَبَتْ نفسُه ذلك عليه ، فقال يتشوّق ناساً منهم كانوا بني عمّه دِنْية يقال لهم بَنُو حَنْبل : [من المتقارب]

إذا الله لم يَسْقِ إلاّ الكـرامَ ... فسقَّـى وجـوهَ بنـي حَنْبلِ
مُلِثّاً أحـمَّ دوانـي السَّحاب ... هَزيـم الصلاصـل والأزملِ[2]
تكركره خضخضاتُ الجنوب ... وتفرغـه هِـزّة الشَّمألِ[3]
كأنّ الربابَ دُوينَ السحابِ ... نَعـام تعلَّـق بـالأرجُلِ
فنعـم بَنـو العمّ والأقربون ... لدى حُطْمـة الزمن المُمْحلِ[4]
ونعـم المواسونَ في النائبـا ... ت للجـار والمعتفـى المُرْمِلِ[5]

---

1 أسكوب : المطر .

2 ملثا : دائم المطر لا ينقطع . أحم : أسود . صلصل الرعد : صفا صوته وواحدة الصلاصل : صلصلة . الأزمل : الصوت المختلط .

3 تكركره : تجمعه بعد تفرّقه . خضخضات : جمع خضخضة : وهي تحريك الماء والسويق ونحوهما . وريح الجنوب عند العرب ممطرة مخصبة بخلاف ريح الشّمال . وتفرغه في ل : تقرعه .

4 حطمة : الشدة .

5 المعتفي : السّائل . المرمل : الذي نفد زاده .

ونعـم الحماةُ الكفاةُ العظيمَ إذا غائِـظُ الأَمـرِ لم يُحلَلِ[1]
ميامينُ صُبْرٌ لدى المعضلاتِ على مُوجـع الحدَثِ المعضِلِ
مباذيلُ عفـواً جزيـلَ العطاء إذا فَضلـةُ الـزّاد لم تُبذَلِ[2]
همُ سبقوا يـوم جَرْيِ الكرامِ ذَوي السبق في الزمـنِ الأوَّلِ
وسامَوْا إلى المجدِ أهلَ الفَعال فطالـوا بفعلهـم الأَطوَلِ

[أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره]

أَخبرنا هاشم بنُ محمد الخزاعيّ : قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أَخي الأَصمَعيّ ، عن عمّه قال : سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرَّبابِ فقال : أَما تراه معلقاً بالسحابِ كالذيل له ، أَما سمعت قول صاحبنا السَّكب : [من المتقارب]

كأن الرَّبابَ دُوَيْنَ السحاب نَعـامٌ تعلَّـق بـالأَرجلِ

صوت

[من المتقارب]

سلا عـن تذكُّـره تُكتَما وكان رَهينـا بهـا مُغرَمـا
وأقصـرَ عنهـا وآثارُهـا تُذكِّـره داءَهـا الأقدمـا

الشعر للنَّمِر بن تولَب ، والغناء لخزَرج خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ .

---

1 غائظ الأمر : الأمر المجهد الشاق .
2 عفواً : فضلاً وزائداً .

[490] ـ أخبار النمر بن تولب ونسبه[1]

[اسمه ونسبه]

هو النَّمِر بن تَوْلَب بن أُقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل ، واسم عكل عوف بن عبد مناف ، بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر مقلٌّ مخضرم أدركَ الجاهليّة ، وأسلم ، فحسُن إسلامه ، ووفد إلى النبيّ ﷺ ، وكتبَ له كتاباً ، فكان في أيدي أهلِه ، وَرَوى عنه ﷺ حديثاً سأذكره في موضعه ، وكان النمرُ أحدَ أجواد العرب المذكورين وفُرسانهم .

[أبو عمرو بن العلاء يسمِّيه الكيس]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : أخبرنا محمد بن حبيب قال : قال الأصمعيّ : كان أبو عمرو بن العلاء يُسمِّي النمرَ بن تولب الكَيِّسَ لجَوْدة شعره وحُسْنه .

أُخبرنا محمد بن خلف المرزُبان قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد قال : أخبرنا محمد بن سلام الجُمَحيّ ، وأخبرنا به أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلاَّم قال : كان النّمر بن تولب جواداً لا يُليق[2] شيئاً ، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسمِّيه الكيِّس لحُسن شعره .

أُخبرني هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخزاعيّ قال : أخبرنا الرياشيّ قال : حدَّثنا الأصمعيّ : قال حدَّثنا قُـرَّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله بن الشّخِّير أخي مُطرِّف ، وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم قال : وفد النَّمِر بن تولَب على النبيّ ﷺ وكتب له كتاباً ، أخبرناه قُرّة بن خالد السَّدوسيّ وسعيد بن إيّاس الجريريّ ، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشَّخّير أخي مُطرّف .

[يحظى بكتاب نبوي]

وأُخبرني عمِّي عن القاسم عن محمد الأنباريّ عن أحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ ، عن

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 309 وفي كتب الصحابة وطبقات ابن سعد ج7 ق1 ص 26 والمعمرين 63 والجمحي 36–38 واللآلي 284–285 والخزانة 1 : 152–156 ، وله ترجمة ضافية في شعر النمر بن تولب صنعة نوري حمودي القيسيّ . مطبعة المعارف بغداد ص 5–22 .

2 لا يُليق : لا يبقي شيئاً لجوده وسخائه .

قُرّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله أخي مُطرف ، واللفظ قريبٌ بعضُه من بعض ، قال : بينما نحنُ بهذا المِربد جلوس ، يعني مِربد البصرة ، إذ أتى علينا أعرابيٌ أشعثُ الرأس ، فوقف علينا ، فقلنا : والله لكأنَّ هذا الرجلَ ليس من أهل هذا البلد ، قال : أجَلْ ، وإذا معه قِطعة من جِراب أو أديم ، فقال : هذا كتاب كتبهُ لي رسول الله ﷺ ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب ، بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ رسول الله لبني زُهَير ، هكذا قال أحمدُ بنُ عبيد ، وقال الباقون : لبني زُهَير بن أُقيش ، حيٌّ من عُكْل ، إنّكم إن شهدتم أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله ، وأقمتم الصلاةَ ، وآتيتم الزكاةَ ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخُمْس من الغنائم وسهم النبيّ والصَّفيّ[1] فأنتم آمنون بأمان الله وأمانِ رسوله .

[يشكون في روايته ، فيغضب]

وقال أحمد بن عبيد الله في خبره خاصة : «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» . وقالوا جميعاً في الخبر : فقال له القومُ : حدّثنا رَحِمَكَ اللهُ ، ما سمعت من رسول الله ﷺ ، فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «صَوْمُ شهر الصَّبر ، وصومُ ثلاثة أيّام من كلّ شَهر يُذهِبْن كثيراً من وَحَرَ[2] الصدر» . فقال له القوم : أأنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال : أراكُم تخافون أن أكذبَ على رسول الله ﷺ ، لا حدّثُتكم حديثاً ، ثم أهوى إلى الصحيفة ، وانصاع[3] مُدبراً . قال يزيد بن عبد الله : فقيل لي بعد ما مضى : هذا النمر بن تولب العُكليّ الشاعر .

[مثل من كرمه]

أخبرني محمد بن خَلَف قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن خلف قال : أخبرنا محمد بن سلام ، قال : خرج النمرُ بنُ تولب بعد ما كبر في إبله ، فسأله سائل ، فأعطاه فحلَ إبله ، فلمّا رجعت الإبل إذا فحلُها ليس فيها ، فهتفت به امرأتهُ ، وعذَلَته ، وقالت : فهلاً غيرَ فحل إبلك ؟ فقال لها : [من المتقارب]

دَعِيني وأمري سأكفِيكهِ وكُوني قعيدةَ بيت ضُباعا[4]
فإنّك لن تَرْشُدي غاوياً ولن تدركي لك حظّاً مُضاعا

وقال أيضاً في عذلها إيّاه : [من المديد]

1 الصفي : ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل القسمة وجمعه صفايا .
2 وحر : حقد وغيظ .
3 انصاع : انفتل راجعاً .
4 ضباع : يرجح أنها مرخم «ضباعة» زوجته .

بَكَرتْ باللَّوم تَلحانــاً   في بعير ضلَّ أو حــانا
عَلِقَتْ لــوّاً تُكرّرهــا   إنَّ لــوّاً ذاكَ أعيــانا

قال : وأدرك الإسلام فأسلم .

[تخدعه زوجه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بن زهير ، قال : حدَّثنا محمد بن سلام قال : كان للنَّمِر بن تولَب أخ يقال له الحارث بن تولَب ، وكان سيِّداً معظماً ، فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأةً منهم ، يقال لها جَمرة بنت نوفل ، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففرِكته[1] ، فحبسها ، حتى استقرّتْ ، وولدت له أولاداً ، ثم قالت له في بعض أيَّامها : أزِرني أهلي فإنّي قد اشتقتُ إليهم ، فقال لها : إنّي أخافُ إن صرتِ إلى أهلك أن تَغْلِبيني على نفسك ، فواثقته لترْجعنَّ إليه . فخرج بها في الشهر الحرام ، حتى أقدَمها بلادَ بني أسد ، فلمّا أطلَّ على الحيّ تركتْه واقفاً ، وانصرفتْ إلى منزل بَعلِها الأوّل ، فمكثت طويلاً ، فلم ترجع إليه ، فعَرف ما صنعت وأنّها اختدَعتْه فانصرف وقال : [من الطويل]

جزى الله عنّا جَمرةَ ابنة نوفَلٍ   جــزاء مُغِــلٍّ بالأمانــةِ كاذبِ[2]
لهان عليها أمسِ موقــفُ راكبٍ   إلى جانب السَّرْحات أخيبِ خائبِ
وقــد سألتْ عنّي الوشاة ليَكذِبوا   عــليَّ وقــد أبليتها في النوائبِ[3]
وصدَّت كأنَّ الشمسَ تحتَ قِناعها   بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ

وقال فيها أيضاً : [من المتقارب]

كلّ خليــلٍ عليــه الرعا   ثُ والحُبَلاتُ كَذوبٌ مَلِق[4]

الحبَلات : واحدتها حَبَلة ، وهي جنس من الحلي قَدرُ ثَمر الطَّلْح .

وقامــتْ إليَّ فأحلفتُهــا   بهَــدْيٍ قلائــده تختفق[5]
بأن لا أخونَكَ فيما علمت   فإن الخيانَــةَ شرُّ الخُلقْ

وقال فيها أشعاراً كثيرة يطولُ ذكرُها .

1 فركته : أبغضته .
2 مغل : خائن .
3 أبليتها : أحسنت إليها .
4 الرعاث : مفردها رعثة .
5 تختفق : تتحرّك وتضطرب .

[يشبه حاتماً في شعره]

أخبرني اليزيديٌّ، عن محمد بن حبيب قال: كان أبو عمرو يُشبِّه شِعْر النمر بِشعرِ حاتم الطائيّ.

[أفتى الشعراء]

أخبرني الحُسين بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن زهير، قال: حدَّثنا مُصعَب بن عبد الله الزُّبيريّ قال: بلغني أنّ صالحَ بنَ حسان قال يوماً لجلسائه: أيُّ الشعراء أفتى؟ قالوا: عمر بن أبي ربيعة، وقالوا: جميل، وأكثروا القول، فقال: أفتاهم النمر بن تولَب حين يقول: [من الطويل]

أهيمُ بدَعد ما حييتُ وإن أمُتْ فواحزنا مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعدي!

[جمرة توصيه بولده منها]

أخبرني الحسن قال: حدَّثنا أحمد بن زُهير، عن محمد بن سلام قال: حجَّ النمر بن تولب بعد هرب جمرةَ منه فنزل بمِنًى، ونزلت جمرةُ مع زوجها قريباً منه، فعرفته، فبعثت إليه بالسلام، وسألته عن خبره، ووصَّتْه خيراً بولده منها فقال: [من الطويل]

فحُيِّيتِ عن شَحطٍ بخيرِ حَديثنا ولا يأمنُ الأيّامَ إلاّ المُضَلَّلُ
يودُّ الفتى طولَ السلامة والغِنى فكيف يرى طولَ السَّلامة يفعلُ!

[شعره بين يدي الرسول]

أخبرني ابنُ المرزُبان قال: حدَّثنا أبو محمد اليزيديّ، عن الأصمعيّ. وأخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال: لما وفد النمر بن تولب على النبيّ ﷺ أنشده: [من الرجز]

يا قوم إنّي رجل عندي خَبَرْ لله من آياته هذا القَمَرْ
والشمسُ والشعرى وآياتٌ أُخَرْ من يتسامَ بالهدى فالخبثُ شَرّْ[1]
إنّا أتيناك وقد طال السفَرْ نَقودُ خَيلاً رُجُعاً فيها ضَرَرْ[2]
نُطعِمُها اللحمَ إذا عزَّ الشَّجَرْ

قال اليزيديّ، عن ابن حبيب خاصة، قال الأصمعيّ: أطعمها اللحم: أسقيها اللبن، والعرب تقول: اللبن أحد اللحميْنِ. وقال ابن حبيب: قال ابن الأعرابيّ: كانت العرب إذا لم تجد العَلَف دقّتِ اللحمَ اليابسَ، فأطعَمَتْه الخيل.

---

1 الشعرى: نجم في السماء وهما شعريان: الكبير والغميصاء، ويعدونهما أختي سهيل.
2 رجعاً: كليلة.

[يتسلّى عن جمرة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، وأخبرنا ابنُ المرزُبان قال : أخبرني عيسى بنُ يونس قال : حدَّثني محمد بن الفضل قال : حدَّثنا الهيثمُ بن عديّ ، عن ابن عبَّاس قال : لمّا فارق النمر بن تولب ، امرأتَه الأسديّة جزع عليها ، حتى خيفَ على عَقلِه ومكث أيّاماً لا يَطعمُ ، ولا ينام ، فلمّا رأت عشيرَتُه منه ذلك ، أقبلوا عليه يلومونَه ، ويصبّرونه ، وقالوا : إن في نساء العرب مندوحةً ومتَّسَعاً ، وذكروا له امرأة من فَخذه الأدنَين يقال لها دَعْد ، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح ، فتزوَّجها ووقعت من قلبه وشغلته عن ذكر جَمْرَةَ وفيها يقول : [من الطويل]

أهِيمُ بدَعد ما حيِيتُ فإن أمُتْ ... أُوَكِّلْ بدَعْدٍ مَن يَهيمُ بها بَعدِي

والنّاسُ يروون هذا البيتَ لنُصيب وهو خطأ .

أخبرني اليزيديّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه . وأخبرني إبراهيم بن محمد الصائغ ، عن ابن قتيبة ، عن عبد الرحمن ، عن عمِّه ، عن حماد بن ربيعة أنّه قال : أظرف النّاس النَّمر بن تولَب حيث يقولُ : [من الطويل]

أهيمُ بدعـد مـا حييتُ فإن أمت ... أوكِّلْ بدعـد مَنْ يهيم بها بعدي

[يرثي جمرة]

أخبرني ابن المرزُبان قال : أخبرني عبد الله بن محمد قال : أخبرني محمدُ بنُ سلاّم قال : لّما بلغ النَّمرَ بنَ تَولَب أن امرأته جَمرة تُوفِّيت ، نعاها له رجلٌ من قومه يقال له حِزام أو حَرام ، فقال : [من الوافر]

ألَم تَـرَ أنَّ جمرةَ جاء مِنها ... بيانُ الحقِّ إنْ صدقَ الكلامُ

نَعاهـا بالنـديِّ لنا حـزامٌ ... حَديث مـا تحدثُ يـا حَرامُ

فـلا تبعَد وقد بعِدَتْ وأُجرى ... على جـَدثٍ تضمَّنها الغَمامُ

قال الأصمعيّ : يقال بَعِد وأبْعَد .

[يهذي في كبره]

أخبرني أبو الحَسَن الأسديّ قال : حدَّثنا الرياشيّ ، عن الأصمعيّ ، عن أبي عمرو ، وأخبرني بـه هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسَّان دَماذ ، عن أبي عبيدة ، أبي عمرو قـال : أدركَ النَّمرُ بن تولب النبيّ ﷺ ، فأسلم وَحسن إسلامه ، وعُمِّـر ، فطال عمره ، وكان جواداً واسعَ القِرى كثيرَ الأضياف وَهَّاباً لمالِه ، فلمّا كبِر

خَرِف وأُهتِر[1] ، فكان هِجِّيراه[2] : اصبَحوا الرَّاكبَ ، اغبقوا الرَّاكب اقرُوا ، انحروا للضيف ، أعطوا السائل ، تحملوا لهذا في حِمالته كذا وَكذا ، لعادته بذلك ، فلم يزل يَهذي بهذا وشبههِ مدّة خَرَفة حتى ماتَ .

[خرق أفضل من خرف]

قال : وخَرِفتْ إمرأةٌ مِنْ حَيّ كرام عظيم خطرُهم وخطرُها فيهم ، فكان هِجِّيراها : زَوِّجوني ، قولوا لزوْجي يدخل ، مهِّدوا لي إلى جانِب زوجي ، فقال عمرُ بن الخطاب ، وَقد بلغه خبرُها : ما لهِجَ به أخو عُكل النمِر بن تولب في خَرَفه أفخرُ وأسْرى ، وأجملُ مّما لَهِجتْ به صاحبتُكم . ثم ترحَّم عليه .

[يرثي أخاه]

أُخبرني ابن المرزُبان قال : حدَّثني أبو بكر العامريُّ ، قال : حدَّثني عليّ بنُ المغيرة الأثرم ، عن أبي عبيدة قال : مات الحارث بن تولَب ، فرثاه النمر فقال : [من الطويل]

لا زال صوبٌ مِنْ ربيع وصيِّف ... يجودُ على حِسْي الغميم فيثرِبِ[3]
فـوالله مـا أُسقي البـلادَ لحبِّها ... ولكنّما أُسقيكَ حـار بن تولَبِ
تضمَّنْـتَ أُدواء العشيرة بينهـا ... وأنت على أعـواد نَعش مُقلَّبِ
كأن امرءاً في النّاس كنتَ ابنَ أمه ... على فَلَج من بطن دجلة مطنبِ[4]

[يتمثّل بأبياته]

قال حمّاد الراوية : كان النمرُ بنُ تولب كثيرَ البيت السائر والبيتِ المتمثَّل به ، فمن ذلك قوله : [من الكامل]

لا تغضبنَّ على امرىءٍ في مالـه ... وعلى كرائم صُلب مالكَ فاغضَبِ
وإذا تصبك خصاصة فارجُ الغِنى ... وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ[5]

وقوله : [من المتقارب]

تلبَّسْ لدهـــركَ أثوابَــه ... فلــن يبتنــي النّاسُ مـا هُدِّما

---

1 أُهتر : فقد عقله من الكبر .
2 هجيراه : ديدنه وعادته .
3 صيف : مطر يجيء في الصيف أو بعد الربيع . الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .
4 فلج : نهر صغير .
5 وإذا في الشعر والشعراء 310/1 ومتى .

وأحبب حبيبك حبّاً رويدا فليس يعولُك أن تصْرِما
وَأَبغِضْ بغيضَك بُغضاً روَيداً إذا أنت حاولتَ أن تحكما

وقاله : [من الطويل]

أعاذلُ إن يصبحْ صداي بقَفرَةٍ بعيدٍ نآني ناصري وقريبي
تَرَيْ أن ما أَبقيتُ لم أَكُ ربَّه وأن الذي أفنيت كان نَصيبي

[يعفى صديقه من الدية ويتحمّلها]

نسخت من كتاب بخطّ السّكريّ أبي سَعيد قال : محمدُ بن حبيب : كان للنَّمرِ بن تولَب صديق فأتاه النمرُ في ناس من قومه يسألونه في ديةٍ احتملوها ، فلمّا رآهم ، وسألوه تبسَّم ، فقال النمر : [من الوافر]

تبسم ضاحكاً لما رآني وأصحابي لدى عُنَنِ التُّمامِ

فقال له الرجل : إن لي نفساً تأمرني أن أعطيكم ، ونفساً تأمرني ألاّ أفعل ، فقال النمر : [من البسيط]

أمّا خليلي فإنّي غيرُ معجِله حتى يؤامرَ نفسيْه كما زَعما
نفسٌ له من نفوسِ النّاس صالحةٌ تعطى الجزيلَ ونفس ترضع الغَنَما

ثم قال النَّمرُ لأصحابه : لا تسألوا أحداً ، فالديةُ كلُّها عليَّ .

[قصة سيف كالذي وصف النمر]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال : حدَّثنا أبي قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ محمد بن عبد الله بن حسن بن عليّ قال : جاءَ أعرابيّ إلى أبي ، وهو مستتر بسُوَيقة[1] قبل مخرجه ، ومعه سيف قد علاه الصَّدأ ، فقال : يا ابن رسول الله ، إنّي كنت ببطن قُدَيد[2] ، أرعى إبلي وفيها فحل قَطِم[3] ، قد كنتُ ضربتُه ، فحقد عليَّ وأنا لا أدري ، فخلا بي فشدَّ عليّ يريدُني ، وأنا أُحْضِر ، ودنا منّي حتى أن لغامه ليسقط على رأسي لقربه منّي . فأنا أشتدُّ ، وأنا أنظر إلى الأرض لعلّي أرى شيئاً أذبّه عنّي به ، إذ وقعتْ عيني عَلى هذا السيف قد فَحصَ عنه السيل ، فظننته عوداً بالياً ، فضربتُ بيدي إليه ، فأخذته فإذا سيفٌ ، فذبَبْت به البعيرَ عنّي ذبّاً ، والله ما أردتُ به الذي بلغتُ منه ، فأصبتُ خيشومَه

1 سويقة : موضع قرب المدينة يسكنه آل عليّ بن أبي طالب .
2 قديد : موضع قرب مكّة .
3 القطم : الصَّؤول .

فرميت بفَقْمِه[1] ، فعلمتُ أنّه سيف جيّد ، وظننته من سيوف القوم الذين كانوا قُتِلوا في وقعة قُديد[2] ، وها هوذا قد أهديته لك يا ابن رسولِ الله قال : فأخذه منه أبي ، وسُرَّ به . وجلس الأعرابيّ يُحادثه ، فبينا هو كذلك إذ أقبلت غنمٌ لأبي ثلاثمائة شاةٍ فيها رِعاؤها ، فقال له : أبي : يا أعرابيُّ هذه الغنم والرُّعاة لك مكافأةً لك عن هذا السيف ، قال : ثم أُرسل به إلى المدينة ، أو أُرسل إلى قَيْن[3] فأُتـي بـه من المدينة ، فأمر به فحُلِّيَ ، فخرجَ أكرَم سيوفِ الناس ، فأمر فاتُّخِذ لـه جَفن ، ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد . فلمّا كان اليوم الذي قُتِل فيه ، قاتـل بغيرِ ذلك السيف ، قال : وبقـيَ ذلك السيف عنـد أختـي فاطمة بنت محمد . فزرتها يوماً وهي بينبُع في جماعـة من أهـل بيتـي ، وكانـت عنـد ابن عمّها الحسن بـن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم أجمعين السلامُ ، فخرجتْ إلينـا ، وكانت بَرْزة[4] تجلس لأَهلها كما يجلس الرجال ، وتحدِّثهـم ، فجلست تحدّثُنا ، وأمرت مولًى لها ، فنحرَ لنا جزوراً[5] ليهيـىء لنا طعاماً .

فنظرت إليها ، والجَزورُ في النخل باركة ، وقد بردت وهي تُسلَخُ ، فقالت : إنّي لا أرى في هذه الجزور ، مضرِباً حسَناً . ثم دعتْ بالسيْف ، وقالت : يا حسنُ ، فدتك أُختُك ، هذا سيف أبيك ، فخذه واجْمَع يديك في قائمه ، ثم اضرب به أثناءَها من خلفها ، تريدُ عراقيبها ، وقد أثبتُّها للبُروك ، وهي أربعة أعظم ، قال : فأخذتُ السيفَ ثم مضيتُ نحوها ، فضربت عراقيبَها فقطعتُها ، والله ، أربَعتَها وسبقني السيف ، فدخل في الأرض ، فأشفقْتُ عليه أن ينكسِرْ إن اجتذبتُه فحفرتُ عنهُ ، حتى استخرجتُه ، قال : فذكرتُ حينئذٍ قولَ النمر بن تولب : [من البسيط]

أَبقى الحـوادثُ والأَيّامُ من نَمِرٍ ... أُسباد سيفٍ كريـم أثرُه بادي[6]
تظلّ تحفِـر عنـه الأرضَ مُدفعاً ... بعـد الذراعين والقَيدين والهادِي[7]

ويروى : تظلُّ تحفر عنـه إن ظفرتَ به

1 الفقم : اللحي وطرف الخطم .
2 وقعة قديد : وقعة لأبي حمزة الخارجي على أهل المدينة .
3 القين : الحداد والصيقل .
4 برزة : متجاهرة جليلة تجلس للقوم يتحدثون إليها وهي عفيفة .
5 جزور : بعير أو ناقة تجزر .
6 أسباد : مفرده سبد وهو البقية .
7 في شعرِ النمر بن تولب 53 : إن ضربت به . الهادي : العنق وجمعه هواد .

[يشكو المشيب]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال : أخبرني أحمد بن معاوية الباهليّ ، عن أبي عُبيدة قال : قيل للنمِر بن تولَب كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فأنشأ يقول : [من الرجز]

أُصبحت لا يَحملُ بعضي بعضاً أَشكو العروقَ الآبضات أبضا[1]
كما تَشَكّى الأَرحَبيُّ الغَرْضا كأنّما كان شبابي قرضاً[2]

[من توسلاته]

أخبرني هاشِم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال : حدَّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : أنشدني حمّاد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدِّه : [من الوافر]

أَعِذْني ربّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفسٍ أعالجُها علاجا
ومن حاجات نفسٍ فاعصِمنّي فإن لمضْمرات النفسِ حاجا
فأنت وليُّها وبرئتُ منها إليك فما قضيتَ فلا خِلاجا[3]

[عود إلى فتوته]

ثم قال : كان النمر أفتى خلقِ الله ، فقلت : وما كانت فتوّته ؟ قال : أوليس فتًى من يقول : [من الطويل]

أهيمُ بدَعد ما حييتُ فإن أمتْ فواحزَنا مَن ذا يهيم بها بَعْدي

صوت

[من الطويل]

أَيا صاحبيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا
وخُطّا بأَطراف الأَسِنَّةِ مضجَعي ورُدّا عَلى عَيْنيَّ فضلَ رِدائيا
ولا تحسداني باركَ اللّهُ فيكما من الأرض ذات العَرض أن تُوسِعا لِيا
لعمري لئن غالتْ خراسانَ هامتي لقد كنتُ عن بابيْ خُراسانَ نائيا[4]

1 الآبضات : الشادات . وفي شعر النمر بن تولب 70 : النابيات .
2 الأرحبيّ : كريم الفحول المنسوبة إلى قبيلة أرحب .
3 خلاجاً : نزاعاً وشكاً .
4 هامتي : رأسي .

فيــا ليتَ شِعري هــل أَبيتَنَّ ليلــةً بجنبِ الغضا أُزْجي القِلاصَ النواجِيا[1]

الشعر لمالك بن الريب ، والغناءُ لمعبد ممّا لا يشكُّ فيه من غنائه ، خفيف ثقيل أوّل بالوُسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير ، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية عليّ بن يحيى ، وفيه لابن سُرَيج هَزَج بالخِنصر في مجرى البنصر عن ابن المكيّ ، وفيه لإبراهيم رَمل بالوسطى عن عبد الله بن موسى في الأوّل والثالث من الأبياتِ ، ولإبراهيم ثقيل أوّل في الخامس ثم الرابع عن الهشاميّ ، وقيل : إنّ الرَّمَل المنسوب إليه لنبيه .

1 النواجي : جمع ناجية أي سريعة .

[491] ـ أخبار مالك بن الريب ونسبه[1]

[نسبه]

هو مالك بن الريب بن حَوط بن قُرط بن حِسْل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

[لص قاطع طريق]

وكان شاعراً فاتكاً لصّاً ، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شُعراء الإسلام في أوّل أيّام بني أُميّة .

[الوالي يريد استصلاحه]

أُخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأَخفش قال : أُخبرنا أَبو سعيد السكَّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وعن هشام ابن الكلبيّ وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصَّاص وحَمَّاد الراوية وكلُّهم قد حكى من خبره نحواً ممّا حكاه الآخرون قالوا : استعمل معاوية بن أبي سُفيان سعيدَ بنَ عثمان بن عفّان عَلى خراسان ، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس ، فلقيَه بها مالك بن الريب المازنيّ ، وكان من أجمل النّاس وجهاً ، وأُحسنهم ثياباً فلمّا رآه سعيد أعجبه ، وقال له : ما لكَ ، ويحَكَ تُفسد نفسَك بقطع الطريق ! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العَبث والفساد ، وفيك هذا الفضل ! قال : يدعوني إليه العَجْز عن المعالي ، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيتُك واستصحبتك ، أتكفُّ عمّا كنتَ تفعل ؟ قال : إي والله أيّها الأمير ، أكفُّ كفّاً لم يكفَّ أُحدٌ أحسنَ منه ، قال : فاستصحبه ، وأُجرى له خمسمائة دِرهم في كلّ شهر .

[داود بن الحكم يتعقبه وأصحابه]

قالوا : وكان السبب الذي من أُجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنّه كان يقطع الطريق هو وأصحابٌ له ، منهم شِظاظ ، وهو مولى لبني تميم ، وكان أخبثهم ، وأبو حرْدَبَة ، أُحد بني أُثالة بن مازن ، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز : [من الرجز]

اللهُ نجــاكَ مــن القصيم   وَبطنِ فَلْج وبنــي تميمِ

---

1 انظر ترجمته في الشعر والشعراء 353/1 ، والخزانة 1 : 317–321 وشواهد المغني 215–216 واللآلي 8 : 41–419 وذيله 64 .

ومن أبي حردبة الأثيم ومالكٍ وسيفه المسمومِ
ومن شِظاظ الأحمرِ الزَّنيم ومن غويث فاتح العُكومِ[1]

فساموا[2] الناسَ شرّاً ، وطلبهم مروانُ بن الحكم ، وهو عامل معاوية على المدينة ، فهرَبوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحيّ ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم ، فهربوا منه .

[يتوعد من يتوعده]

وبلغ مالكَ بنَ الريب أنّ الحارث بن حاطب يتوعّده فقال : [من الوافر]

تألّى حِلفةً في غير جُرْمٍ أميري حارث شِبهُ الصّرارِ[3]
عليّ لأجْلدَنْ في غيرِ جُرم ولا أُدنى فينفعني اعتذاري
وقلتُ وقد ضممتُ إليَّ جأشي تحلَّلْ لا تألَّ عليَّ حارِ
فإنّي سوف يكفينيكَ عَزمي ونصُّ العيسِ بالبلدِ القفارِ[4]
وعنسٌ ذات معجمة أمونٌ علنداة موثَّقة الفَقارِ[5]
تَزيف إذا تواهقتِ المطايا كما زاف المشرِّف للخِطارِ[6]
وإن ضربتْ بلَحييها وعامت تفصَّم عنهما حلقُ السِّفارِ[7]
مِراحاً غير ما ضغْنٍ ولكنْ لَجاجا حين تشتبهُ الصحاري
إذا ما استقبلتْ جَوْنا بَهيما تفرَّج عن مخيَّسة حِضارِ[8]
إذا ما حال روض رُباب دوني وَتَثليثٍ فشأنُكَ بالبكاري[9]

1 الزنيم : الملحق بقوم ليس منهم ولا يحتاجون إليه . العكوم : جمع عكم وهو الحمل .
2 ل : فسعروا .
3 الصرار : ما يشدّ فوق خلف الناقة من خيط .
4 نص العيس : إجهادي النوق على السير الشديد وفي ل : ونصّي .
5 العنس : الناقة الصلبة القوية . ذات معجمة : ذات قوة وسمن وبقاء على السير . أمون : موثقة الخلق مأمونة الكلال . علنداة : ضخمة شديدة طويلة .
6 تزيف : تسرع في تمايل . تواهقت : تبارت وتنافست .
7 تفصم : تكسر من غير انفصال . السفار : حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير كالحكمة للفرس .
8 مخيسة : مذللة منقادة . حضار : جمعت قوة وجودة سير .
9 رباب : أرض بين ديار بني عامر والحارث بن كعب . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكّة .

وأنيـــابٌ سيُخلفُهـــنّ سَيفي وشدَّاتُ الكميِّ عَلى التِّجارِ[1]
فإن أُسطَعْ أُرِحْ منـــه أُناسي بضربـــة فاتـــك غيرِ اعتذارِ
وإن يُفلتْ فإنِّي سوفَ أبغـي بنيـــهِ بالمدينـــة أو صِرارِ[2]
ألا مـــن مبلغٌ مـروانَ عنِّي فإنِّي ليسَ دهـــري بالفِرارِ
ولا جـــزِع من الحدَثانِ يوماً ولكنِّـــي أرود لكـــم وبارِ

وبار : أرض لم يطأ أحد ثراها .

بهزمـــار تـــرادُ العِيس فيها إذا أُشفقنَ من قَلق الصِّفارِ[3]
وهنَّ يحشْن بالأعناق حَوْشا كأن عظامهـــنَّ قِـداحُ بارِ[4]
كأنَّ الرحْـل أُسأَرَ من قَراها هـــلالَ عشيّة بعـد السِّرارِ[5]
رأيتُ وقد أتى بُحْرانُ دُوني لليـــلى بالغُميِّم ضـــوء نارِ[6]
إذا ما قلتُ : قد خمدَتْ زَهاها عُصيُّ الرند والعصْف السواري[7]
يُشَبُّ وقودهـــا ويلوحُ وَهْنا كما لاح الشَّبوب من الصِّوارِ[8]
كأن النَّارَ إذْ شُبتْ لليـــلى أُضاءتْ جيدَ مُغزلـــة نَوارِ[9]
وتصطادُ القلوبَ على مطاهـــا بلا جَعْـد القرون ولا قِصارِ[10]
وتبسم عن نقيّ اللون عَذْب كما شِيفَ الأُقاحـــي بالقطارِ[11]
أتجزعُ أن عرفـــتَ ببطن قَوٍّ وصحراء الأدَيهم رسمَ دارِ[12]

1 أنياب جمع ناب وهي الناقة المسنة .
2 صرار : ماء قرب المدينة على سمت العراق .
3 بهزمار في ل : بموماة . الصّفار : تلتصق بالضلوع فتعضّها عند الجوع .
4 يحشن : يرمين .
5 أسأر : أبقى . والقرا : الظهر . السرار : آخر الشهر .
6 الغميم : ماء لبني سعد .
7 الرند : شجر طيب الرائحة يستعمل في البخور . العصف : جمع عصوف وهي الريح الشديدة .
8 الشبوب : الشاب من البقر . الصوار ، كغراب : القطيع من البقر .
9 مغزلة : ذات غزال . نوار : نفور .
10 القرون الجعدة : القصيرة ، والقرون : الضفائر . قصار : اسم من قصر .
11 شيف : جليّ ، ومنه درهم مشوف مجلو .
12 بطن قو : واد بين البصرة والمدينة .

وإن حلَّ الخليطُ ولستَ فيهم مرابع بين دحْــلَ إلى سَرارِ[1]
إذا حلُّــوا بعائجــةٍ خــلاءٍ يُقطِّفُ نــوْرَ حَنْوتِها العذاري[2]

[يقتل حارسه ويخلص صديقه]

فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه ، وأخذ أبا حردبة ، فبعث بأبي حردبة وتخلّف الأنصاريّ مع القوم الذين كان مالكٌ فيهم ، وأمر غلاماً له ، فجعلَ يسوق مالكاً . فتغفَّلَ مالكٌ غلام الأنصاريّ ، وعليه السيف ، فانتزعه منه ، وقتله به ، وشدَّ على الأنصاريّ ، فضربه بالسيفِ حتَّى قتله ، وجعل يقتل مَن كان معه يميناً وشمالاً .

ثم لحق بأبي حرْدبة ، فتخلّصه ، وركِبا إبلَ الأنصاريّ ، وخرجا فراراً من ذلك هاربين ، حتى أتيا البحرين ، واجتمعَ إليهما أصحابُهما ، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالكٌ ، فلم يزل بفارس ، حتى قدِم عليه سعيد بن عثمان ، فاستصحبه .

[شعره في مهربه]

فقال مالك في مهربه ذلك : [من الطويل]

أَحقّــاً على السلطان أمّا الذي لَهُ فيُعطِي وأَمّا مــا يــرادُ فيمنعُ
إذا ما جعلتُ الرملَ بيني وبينَهُ وأعرضَ سهبٌ بين يبرين بلقَعُ[3]
من الأُدمى لا يستجمُّ بها القَطا تكــلُّ الريــاحُ دونَــه فتقطَّعُ[4]
فشأنكم يــا آل مَروانَ فاطلبُوا سِقاطي فما فيــه لباغيه مَطمعُ[5]
وَمــا أَنــا كالعير المقيــم لأَهلِه على القَيْد في بُحبوحة الضَّيم يَرتعُ
ولــولا رسولُ اللهِ أَن كان منكمُ تبيَّن مَن بالنَّصف يَرضى ويقنعُ

وقال أيضاً : [من البسيط]

لو كنتمُ تنكرونَ الغدرَ قلت لكم يا آل مروانَ جاري منكم الحكمُ
وَاتَّقيكــم يمــينُ اللهِ ضاحيــةً عند الشهودِ وَقد توفي بــه الذممُ

---

1 مرابع : موضع قريب من حزن بني يربوع . سرار : واد .
2 الحنوة : نبت طيّب الريح .
3 يبرين : قرية كثيرة النخل والعيون بحذاء الأحساء .
4 الأدمى : موضع ببلاد سعد .
5 سقاطي : عثاري وسقوطي .

لا كنتُ أُحدث سوْءا في إمارتكم ... وَلا الذي فات منّــي قبل ينتقمُ
نحنُ الذيــن إذا خفتُــم مجلّلةً ... قلتم لنــا : إنّنا منكم لتَعتَصِمُوا[1]
حتى إذا انفرجَتْ عنكم دجُنّتُها ... صرتم كجَرَمٍ فـلا إلٌّ وَلا رَحِمُ

وقال مالكٌ حين قَتل غلام الأنصاريّ الذي كان يقودُه : [من الطويل]

غلامٌ يقول السيف يُثقِـل عاتقي ... إذا قادني وَسْطَ الرجال المجَحْدلُ[2]
فلولا ذُبابُ السيفِ ظـلَّ يقودُني ... بنِسعتـــه شثْنُ البنـــان حَزنْبلُ[3]

[أراد اغتيال مالك فاغتاله]

قالوا : وبَينا مالك بن الريب ذاتَ ليلة في بعض هناته وهو نائم ، وَكان لا ينام إلاّ متوشّحاً بالسيف ، إذ هو بشيء قد جَثَم عليه لا يدري ما هو ، فانتَفضَ به مالك ، فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسودُ كان يقطع الطريق في تلك الناحية ، فقال مالك في ذلك : [من البسيط]

أدلجتُ في مهمهٍ ما إن أرى أحداً ... حتى إذا حان تعريسٌ لمَـن نَزلا
وضعتُ جنبي وقلتُ : الله يكلؤني ... مهما تنم عنكَ من عينٍ فما غَفلا[4]
والسيفُ بيني وبين الثوب مُشعِرَه ... أخشى الحوادث إنّي لم أكن وَكِلا[5]
مــا نمــتُ إلاّ قليلاً نمتُه شئِزاً ... حتى وجدتُ على جُثمانيَ الثِّقلا[6]
داهية من دواهــي الليــلِ بيّتني ... مُجاهـداً يبتغي نفسي ومـا ختَلا
أهويتُ نفحاً لــه والليل ساترُه ... إلاّ توخيتُه والجــرس فانخزَلا[7]
لمّا ثنــى اللهُ عنّــي شرَّ عَدْوتـه ... رقدت لا مُثْبَتاً ذُعْـراً ولا بَعِلا[8]
أما ترى الدّار قَفــراً لا أنيسَ بها ... إلاّ الوحوشَ وأمسى أهلُها احتمَلا

---

1 مجللة : نازلة عامة .
2 جحدل فلان فلاناً : صرعه .
3 النسعة : قطعة من سير أو حبل من أدم تشد به الرحال . شثن : غليظ . حزنبل : قصير وثيق الخلق .
4 عين في ل : ليلٍ .
5 مشعره : جاعله شعاري .
6 شئزاً : قلقاً .
7 نفحاً : ضرباً . انخزل : انقطع .
8 بعلاً : دهشاً فرقاً .

بين المُنيفةِ حيـــث استنَّ مَدفعُها وبين فردةَ مـن وحشيِّها قبلا[1]
وقد تقــولُ ومـا تخفى لجارتها إنّي أُرى مالكَ بنَ الريب قد نَحَلا
من يشهد الحربَ يصلاها ويسعِرُها تراه ممّـــا كسته شاحبـاً وجِلا
خذها فإنّي لضرَّاب إذا اختلفت أيدي الرّجال بضرب يختِلُ البطَلا[2]

وقال مالك في ذلك أيضاً : [من الكامل]

يـا غاسلاً تحـتَ الظلام مطيّةً متخايِـلاً لا بـلْ وغير مخايلِ
أنَّـى أُتِخْــتُ لشابـكٍ أنيابَه مستأنس بدُجــى الظلام مُنازِلِ[3]
لا يستريع عظيمةً يُرمــى بهـا حصَّاءَ تحسر عـن عظام الكاهلِ
حربــاء تنصّبه وبيت هواجـــر عاري الأَشاجع كالحسام الناصِلِ[4]
لم يدرِ مـا غرفُ القُصور وفيؤها طاوٍ بنخــل سوادِهــا المتمايلِ
يقظ الفؤادِ إذا القلوب تآنست جزعــاً ونُبِّــهَ كلُّ أروع باسلِ
حيث الدُّجى متطلِّعــاً لغفولـه كالذئب في غلَس الظلام الخاتِلِ
فوجدتــه ثَبْــتَ الجنان مُشيَّعا ركَّابَ مَنسِجِ كلِّ أمــر هائلِ[5]
فقراك أبيض كالعقيقــة صارمــاً ذا رَونق يغشى الضريبة فاصلِ[6]
فركبتَ رَدعـك بـين ثنيي فائزٍ يعلــو بـــه أثر الدّماء وشائلِ[7]

[رجل حرب لا سائس إبل]

قال : وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خُراسان ، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن ، فطلبوا صاحب إبلهم ، فلم يجدوه ، فقال مالكٌ لغلام مِنْ غِلمان سعيد : أُدْنِ منّي فلانة ، لناقة كانت لسَعيد غزيرة ، فأدناها منه ، فمسحها وأبسَّ[8] بها حتى

---

1 المنيفة : ماء لتميم على فلج بين نجد واليمامة . استنّ : وضح . مدفعها : مسيلها ومجراها . فردة : جبل في ديار طيىء . قبلاً : عياناً .
2 يختل البطلا : أي ينزع أعلى البيضة .
3 شابك : الأسد المشتبك الأنياب .
4 عاري الأشاجع : رؤوس الأصابع ، جمع أشجع .
5 مشيعاً : شجاعاً .
6 العقيقة : البرقة المستطيلة في عرض السحاب يكثر استعارتها للسّيف .
7 الردع في الأصل : الزعفران ، ويقال للقتيل : ركب ردعه إذا خرّ لوجهه على دمه . فائز : المراد به السيف .
8 أبس : مسح ضرعها .

درَّت ، ثم حَلَبها ، فإذا أحسن حلب حلبه النّاس وأغزره دِرَّة ، فانطلق الغلام إلى سعيد ، فأخبره ، فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقوم بأمر إبلي ، فتكونَ فيها ، وأُجزلَ لك الرزقَ إلى ما أرزقُك ، وأضع عنك الغَزْو ؟ فقال مالك في ذلك : [من الطويل]

إنّي لأستحيي الفوارسَ أن أُرى بأرض العدا بوَّ المخاضِ الروائمِ[1]
وإنِّي لأستحيي إذا الحربُ شَمَّرَتْ أن ارْخِيَ دون الحرب ثوبَ المُسالمِ
وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ولا المتّقي في السلمِ جَرَّ الجرائمِ
ولا المتأنّي في العواقب للذي أهمُّ به من فاتكاتِ العزائمِ
ولكنني مستوحدُ العزم مِقدَمٌ على غمرات الحادث المتفاقمِ
قليلُ اختلاف الرأْي في الحربِ باسلٌ جميعُ الفؤاد عند حلِّ العظائمِ

فلمّا سمع ذلك منه سعيدُ بنُ عثمان ، علِم أنّه ليس بصاحب إبل ، وأنّه صاحب حرب ، فانطلق به معه .

[مالك والذئب]

قالوا : وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم في بعض مغازاته إذ بيَّته ذئب ، فزجره فلم يزدجر ، فأعاد ، فلم يبرح ، فوثب إليه بالسيف ، فضربه ، فقتله ، وقال مالك في ذلك : [من الطويل]

أذئبَ الغضا قد صرتَ للنّاس ضُحكة تُغادى بك الركبانُ شرقاً إلى غربِ
فأنت وإن كنتَ الجريءَ جنانُه مُنيتَ بضِرغام من الأُسْد الغُلْبِ
بمَن لا ينامُ الليلَ إلاّ وسيفُه رهينةُ أقوام سِراعٍ إلى الشَّغْبِ
ألَم ترني يا ذئبُ إذ جئتَ طارقاً تخاتِلُني أنِّي امرؤ وافرُ اللُّبِّ
زجرتكَ مرّاتٍ فلمّا غلبتَني ولم تنزجرْ نهنهتُ غربَك بالضربِ[2]
فصرت لَقًى لمّا علاكَ ابنُ حرَّة بأبيض قطّاع يُنَجّي من الكَرْبِ
ألا ربَّ يومٍ ريبَ لو كنتَ شاهداً لهالك كرّي عند مَعمعمة الحربِ
ولستَ تَرى إلاّ كَمِيًّا مجدَّلاً يداه جميعاً تَثبتانِ من التُّربِ
وآخر يهوِي طائرَ القلبِ هارباً وكنتُ امرءاً في الهيْجِ مجتمعَ القلبِ

1 الروائم : جمع رائم ورائمة : عطوف على ولدها .
2 نهنهت : كفكفت .

أصولُ بذي الزرِّين أمشي عِرِضْنَةً ... إلى الموتِ والأقرانُ كالإبلِ الجُربِ[1]
أرى المـوتَ لا أنحاشُ عنـه تكرّما ... ولو شئتُ لم أركَب على المركَب الصعبِ
ولكـــن أبـتْ نفسي وكانت أبيَّـةً ... تَقاعَسُ أو ينصاعَ قـومٌ من الرعبِ

[ابنته تخشى فراقاً لا لقاء بعده]

قال أبو عبيدة : لمّا خرج مالكُ بنُ الريب مع سعيد بن عثمان تعلّقت ابنته بثوبه ، وبكت ، وقالت له : أخشى أن يطولَ سفرُكَ أو يحول الموتُ بيننا فلا نلتقي ، فبكى وأنشأ يقول : [من الخفيف]

ولقـد قُلْتُ لابنتي وهـي تبكـي ... بدخيـلِ الهُمـوم قلبــاً كئيبا
وهي تُذري من الدّموع على الخدّيـ ... ـن مـن لوعـة الفراقِ غُرُوبا
عَبَرات يكِدن يجرحْن مـا جُزْ ... ن بـه أو يدعْـنَ فيـه نُدوبا
حـذرَ الحتفِ أن يصيب أباهـا ... ويلاقـي في غير أهـلٍ شَعوبا[2]
اسكُتي قـد حززتِ بالدَّمعِ قلبي ... طالمـا حـزَّ دمعُكـنَّ القلوبا
فعسى اللّهُ أن يدافـع عنِّـي ... ريبَ مـا تحذريـن حتى أؤوبا
ليس شيءٌ يشاؤه ذُو المعـالي ... بعزيـزٍ عليـه فادْعـي المُجيبا
ودَعـي أن تُقَطِّعـي الآن قَلبي ... أو تُريـني في رحلتـي تَعذيبا
أنـا في قبضـةِ الإلـه كُنْـ ... ـتُ بعيداً أو كنتُ منـكِ قَريبا
كم رأينـا امـرءاً أتى مـن بعيدٍ ... ومقيمـاً على الفـراشِ أُصيبا
فدعينـي مـن انتحابِـكِ إنّي ... لا أُبـالي إذا اعتزمـتُ النَّحيبا
حسبيَ اللهُ ثـم قرّبـتْ لِلسَّـ ... ـيرِ عـلاةً أنجِبْ بهـا مَركُوبا[3]

[خروجه من أجل ضرطة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان سببُ خروج مالك بن الريب إلى خُراسان واكتتابه مع سعيد بن عثمان ، هَرباً من ضرطَةٍ ، فسألته كيف كان ذلك ؟ قال : مرَّ مالك بليلى الأخيليّة ، فجلس إليها يحادثُها طويلاً ، وأنشدَها . فأقبلت

1 الزرين : الحدين . عرضنة : أي أمشي بقوّة .
2 شعوب : علم على المنية .
3 علاة : ناقة مُشرفة .

عليه ، وأُعجبتْ به حتى طَمِع في وصلها ، ثم إذا هو بفتًى قد جاء إليها ، كأنّه نصلُ سَيف ، فجلس إليها ؛ فأعرضتْ عن مالك وتهاونَتْ به ، حتى كأنّه عندها عُصفور ، وأقبلت على صاحبها مليّاً من نَهارها ، فغاظهُ ذلكَ من فعلها ، وأقبل على الرجل ، فقال : مَن أنتَ ؟ فقال : توبةُ بن الحُمَيِّر ، فقال : هل لك في المصارعةَ ؟ قال : وما دعاكَ إلى ذلك وأنت ضيفُنا وجارُنا ؟ قال : لا بدَّ منه ، فظنَّ أنّ ذلك لخوفِه منه ، فزداد لَجاجاً ، فقام توبةُ فصارعه ، فلمّا سقط مالك إلى الأرض ضَرَطَ ضَرْطة هائلة ، فضحكت ليلى منه . واستحيا مالك ، فاكتتب بخُراسان وقال : لا أُقيم في بلد العرب أبداً ، وقد تحدّثتْ عنّي بهذا الحديثِ ، فلم يزل بخُراسان حتى مات ، فقبره هناك معروف[1] .

[يتذاكر مع أصحابه ماضيهم]

وقال المدائنيّ ، وحدَّثني أبو الهيثم : قال : اجتمع مالكُ بن الريب وأبو حَردبة وشِظاظ يوماً ، فقالوا : تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سَرِقتنا ، فقال أبو حَردبة : أعجب ما صنعت ، وأعجَبُ ما سرقت أني صحبتُ رُفقةً فيها رجل على رَحْل ، فأعجبني ، فقلت لصاحبي ، والله لأسرقنَّ رَحْلَه ، ثم لا رضيتُ أو آخذَ عليه جُعالة ، فرَمقْته ، حتى رأيتُه قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بخِطام جَمله ، فقدته ، وعَدَلْتُ به عن الطريق ، حتى إذا صيّرتُه في مكان لا يغاثُ فيه إن استغاث ، أنخت البعيرَ وصرعته ، فأوثقت يدَه ورجلَه ، وقدتُ الجمل ، فغيّبتُه ثم رجعت إلى الرُّفقة ، وقد فقدوا صاحبهم ، فهم يسترجعون ، فقلتُ : ما لكمُ ؟ فقالوا : صاحبٌ لنا فقدناه ، فقلتُ : أنا أعلم النّاسِ بأثره ، فجعلوا لي جُعالة ، فخرجت بهم أتبع الأثرَ ، حتى وقفوا عليه ، فقالوا : ما لك ؟ قال : لا أدري ، نَعست ، فانتبهتُ لخمسين فارساً قد أخذوني ، فقاتلتهم ، فغَلبُوني .

قال أبو حَردبة ؛ فجعلت أضحَك من كذبه ، وأعطوني جُعالَتي ، وذهبوا بصاحبهم .

وأعجب ما سرقت أنّه مرَّ بي رجل معه ناقةٌ وجمل ، وهو على الناقة ، فقلت : لآخذنَّهما جميعاً ، فجعلت أعارضه وقد رأيتُه قد خَفق برأسه ، فدرت ، فأخذتُ الجملَ ، فحللتُه ، وسقته ، فغيبتُه في القَصيم ، وهو الموضع الذي كانوا يسرِقون فيه ، ثم انتبه ، فالتفت ، فلم يَرَ جملَه ، فنزل وعقَلَ راحلته ، ومضى في طلب الجمل . ودُرْت فحللت عِقال ناقته ، وسقتُها .

فقالوا لأبي حَردَبة : ويحك ! فحتَّام تكون هكذا ! قال : اسكتوا ، فكأنّكم بي وقد تبت ، واشتريتُ فرساً ، وخرجتُ مجاهداً ، فبينا أنا واقف إذ جاءَني سهمٌ كأنّه قطعة

1 يُروى هذا الخبر فيما سبق مع رجل آخر .

رِشاء ، فوقع في نحري ، فمتُّ شهيداً . قال : فكان كذلك : تابَ ، وقدِم البصرةَ ، فاشترى فرساً ، وغزا الرّوم ، فأصابه سهم في نحره فاستُشهد .

ثم قالوا لشِظاظ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذتَ في لصوصيّتك ، ورأيت فيها ، فقال : نعم كان فلانٌ (رجل من أهل البصرة) له بنتُ عمّ ذاتُ مال كثير ، وهو وليُّها ، وكانت له نِسوة ، فأبت أن تتزوَّجَه ، فحلف ألاّ يزوِّجَها من أحد ضراراً لها ، وكان يخطبُها رجل غنيّ من أهل البصرة ، فَحرِصَت عليه ، وأبى الآخر أن يزوِّجَها منه ، ثم إنَّ وليّ الأمر حجَّ ، حتى إذا كان بالدوّ[1] ، على مرحلة من البصرة حذاءها ، قريب منه جبل يقال له سَنام ، وهو منزل الرفاق إذا صدرتْ ، أو وردتْ ، مات الوليّ ، فدُفِن برابية ، وشُيِّد على قبره ، فتزوّجت الرجلَ الذي كان يخطبها . قال شِظاظ :

وخرجت رُفقة من البصرة معهم بَزّ ومتاع ، فتبصرتهم وما معهم وأتبعتُهم حتى نزلوا ، فلمّا ناموا بيَّتُّهم ، وأخذتُ من متاعهم . ثم إنّ القوم أخذُوني ، وضربوني ضرباً شديداً ، وجرَّدوني ، قال : وذلك في ليلة قَرَّة ، وسلبوني كلَّ قليل وكثير ، فتركوني عُرياناً ، وتماوتُّ لهم ، وارتحل القومُ ، فقلت : كيفَ أصنعُ ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيتُه ، فنزعتُ لوحَه ، ثم احتفرتُ فيه سَرَبا ، فدخلت فيه ، ثم سددتُ عليّ باللوح ، وقلت : لعلّي الآنَ أدفأ فأتبعَهم . قال : ومرَّ الرجل الذي تزوّج بالمرأة في الرُّفقة ، فمرَّ بالقبر الذي أنا فيه ، فوقف عليه ، وقال لرفيقه : والله لأنزلنَّ إلى قبر فلان ، حتى أنظرَ هل يحمي الآن بُضْعَ فلانة ؟ قال شِظاظ : فعرفت صوتَه فقلعتُ اللوحَ ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القَبر ، وقلت : بلى وربِّ الكعبة لأحمينَّها ، فوقع والله على وَجهه مَغشياً عليه ، لا يتحرّك ولا يعقل . فسقط من يده خِطام الراحلة ، فأخذْت وعهد الله بخطامها فجلستُ عليها ، وعليها كلُّ أداة وثياب ونقد كان معه ، ثم وجّهتها قصدَ مطلع الشمس هارباً من النّاس ، فنجوتُ بها ، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدِّثُ الناس بالبصرة ، ويحلف لهم أنّ الميّت الذي كان منعَه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بسلَبِه وكَفنه . فبقي يومه ، ثم هرب منه ، والناس يعجَبون منه فعاقلُهم يكذّبه ، والأحمقُ منهم يصدقه ، وأنا أعرف القصَّةَ ، فأضحَكُ منهم كالمتعجّب .

[مغامرة أخرى لشظاظ]

قالوا : فزدنا ، قال : فأنا أزيدكم أعجَبَ من هذا وأحمقَ من هذا ؛ إنّي لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أسْرِقه ، قال : فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، قال : وكان هناك شجرةٌ ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظِلٌّ غيرَها ، وإذا أنا برجل يسيرُ على حمار له ، فقلت له : أتسمعُ ؟

1 الدوّ : أرض ملساء بين مكّة والبصرة .

قال : نعم ، قلتُ : إنّ المقيل الذي تريد أن تقيله يُخسَفُ بالدوابّ فيه ، فاحذره ، فلم يلتفت إلى قولي . قال : ورمقتُه ، حتى إذا نام أقبلتُ على حماره ، فاستقتُه ، حتى إذا برزت به ، قطعتُ طَرف ذَنَبه وأُذنيه ، وأخذتُ الحمارَ ، فخبأتُه وأبصرتُه حين استيقظ من نومه ، فقام بطلب الحمارَ ، ويقفو أثرَه ، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طَرَف ذَنَبه وأُذنيه ، فقال : لعمري لقد حُذِّرتُ لو نفعني الحذر ، وأستمرّ هارباً خوف أن يُخسَف به ، فأخذتُ جميع ما بقيَ من رحله فحملتُه على الحمار ، واستمرّ فألحق بأهلي .

[الحجاج يصلب شظاظاً]

قال أبو الهيثم : ثم صلب الحجّاجُ رجلاً من الشُّراة بالبصرة ، وراح عشيّاً ، لينظر إليه ، فإذا برجل بإزائه مُقبِل بوجهه عليه ، فدنا منه ، فسمعه يقول للمصلوب : طال ما ركبتَ فأعقِبْ ، فقال الحجّاج : مَن هذا ؟ قالوا : هذا شِظاظٌ اللِّصّ قال : لا جرَمَ ! والله ليُعقِبَنَّك ، ثم وقف ، وأمر بالمصلوب ، فأنزِل وصَلَبَ شِظاظاً مكانَه .

[مات مالك حتف أنفه]

قال ابنُ الأعرابيّ : مَرِض مالكُ بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خُراسان في طريقه ؛ فلمّا أشرف على الموت تخلّف معه مُرّةُ الكاتب ورجل آخرُ من قومه من بني تميم وهما اللذان يقولُ فيهما : [من الطويل]

أيا صاحبيْ رَحْلي دنا الموتُ فانزلا … برابية إنِّـي مقيـمٌ لياليـا

ومات في منزله ذلك ، فدفناه ، وقبرُه هناك معروف إلى الآن ، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسَه .

قال أبو عبيدة : الذي قاله ثلاثة عشر بيتاً ، والباقي منحول ، ولَّدهُ الناس عليه .

صوت

[من الطويل]

فما بيضةٌ بـات الظليمُ يَحفُّها … ويرفـعُ عنهـا جُؤجُؤًا مُتجافيا
بأحسنَ منها يوم قالتْ : أظاعنٌ … مع الرَّكب أم ثاوٍ لدينا لياليا ؟[1]
وهبَّتْ شمالٌ آخـر الليـل قَرَّةٌ … ولا ثـوب إلاَّ بُرْدُهـا وردائيا[2]

---

1 أظاعن في الديوان : أراحل .

2 الشطر الأول في الديوان : وهبت لنا ريح الشّمال بقرة .

وما زال بُردى طيِّباً مـــن ثيابِها ... إلى الحولِ حتى أنهَجَ الثوبُ باليا[1]

الشعر لعبد بني الحَسحاس ، والغناء لابن سُريج في الأوّل والثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق ، وفي الثالث والرابع لُمخارق خفيف ثقيل عمله على صنعة إسحاق في :

أماويَّ إن المـــال غادٍ ورائحُ

وكادَه بذلك ليقال إنّ لحنه أخذه منه ، وألقاه على عجوز عُمير ، فألقته على النّاس ، حتى بلغ الرشيدَ خبره ، ثم كشفه فعلِم حقيقته ؛ ومَن لا يعلم بنسبه إلى غيره ، وقد ذكر حَبْش أنّه لإبراهيم ، وذكر غيره أنّه لابن المكّيّ .

وقد شرحتُ هذا الخبر في أخبار إسحاق .

1 أنهج : خلق وبلي . الثوب في الديوان : البرد .

[492] ـ أخبار عبد بني الحسحاس

[نسبه]

اسمه سُحَيم ، وكان عبداً أسودَ نوبيّاً أعجميّاً مطبوعاً في الشعر ، فاشتراه بنو الحَسحاس ، وهم بطن من بني أسد ، قال أبو عبيدة : الحَسحاسُ بن نُفاثة بن سَعيد بن عمرو بن مالك بن ثَعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

قال أبو عبيدة ، فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ عن أبي حاتم عنه : كان عبدُ بني الحَسحاس عبداً أسودَ أعجميّاً ، فكان إذا أنشد الشعر ، استحسنَه أم استحسنَه غيرُه منه ، يقول : أهشَنْتُ والله ، يريد أحسنتُ والله ، وأدرك النبيّ ﷺ ، ويقال : إنّه تمثّل بكلمات من شعره غير موزونة .

[يستشهد الرسول ببيت له]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدَّثنا أحمد بن منصور قال حدَّثنا الحسنُ بن موسى قال حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن الحسن أنّ النبيّ ﷺ تمثَّل :

كفى بالإسلام والشيبِ ناهيا

فقال أبو بكر : يا رسولَ الله : [من الطويل]

كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

فجعلَ لا يطيقُه ، فقال أبو بكر : أشهد أنّك رسولُ الله ﴿وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له﴾ .

قال محمد بن خلف وحدَّثني أحمدُ بن شداد عن أبي سلمة التَّبوذكي عن حمّاد بن سلمة ، عن رجل ، عن الحسن مثله ، وروي عن أبي بكر الهذليّ أنّ اسم عبد بني الحسحاس حَيَّة .

[كان أسود الوجه]

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم قال : كان عبدُ بني الحسحاس حُلوَ الشعر رقيقَ الحواشي ، وفي سواده يقول : [من الطويل]

وما ضَرَّ أثوابي سوادِي وإنَّني لكالمسك لا يسلو عن المسكِ ذائقُهْ
كُسيتُ قَميصاً ذا سواد وتحتَه قميصٌ من القُوهيّ بيض بنائقُهْ[1]

ويروى : وتحته قميص من الإحسان .

---

1 القوهيّ : منسوب إلى قوهستان ، ويطلق القوهي على الثوب الأبيض . البنائق : جمع بنيقة أي ما يحيط بالعنق من الثوب .

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثمة قال : أنشدني مُصعَب بن عبد الله الزُّبيريّ لعبد بني الحسحاس ، وكان يستحسنُ هذا الشعرَ ويعجب به ، قال : [من البسيط]

أشعارُ عبد بني الحسحاس قُمْنَ له عند الفخارِ مَقام الأصلِ والورِقِ
إن كنتُ عبداً فنفسي حرّةٌ كَرَماً أو أسودَ اللونِ إنّي أبيضُ الخُلُقِ

وقال الأثرم : حدَّثني السَّرِيُّ بنُ صالح بن أبي مِسهرِ قال : أخبرني بعضُ الأعراب ، أن أوّل ما تكلّم به عبدُ بني الحسحاس من الشعر أنّهم أرسلوه رائداً فجاء وهو يقول : [من الرجز]

أنعتُ غيثاً حسناً نباتُه كالحَبَشيّ حولَه بناتُه

فقالوا : شاعرٌ والله ، ثم انطلق[1] بالشعر بعد ذلك .

[بيت له يستحسنه عمر]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : أنشد سُحيمٌ عمرَ بنَ الخطّاب قوله : [من الطويل]

عُميرة ودّع إن تجهَّزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال عمر : لو قلتَ شعرَك كلّه مثلَ هذا لأعطيتُك عليه .

[لا حاجة لعثمان به]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : حدّثني خالي يوسف بن الماجِشون قال : كان عبد الله بن أبي رَبيعة عاملاً لعثمان بن عفّان على الجند ، فكتب إلى عثمانَ : إنّي قد اشتريتُ غلاماً حَبشيّاً يقول الشعرَ ، فكتب إليه عثمانُ : «لا حاجة لي إليه ، فاردده ، فإنّما حظُّ أهل العبد الشاعرِ منه ، إن شَبعَ أن يتشبَّب[2] بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوَهم» ، فردَّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس .

وروى إبراهيم بن المنذرِ الحزاميّ هذا الخبر عن ابن الماجِشون قال : كان عبدُ الله بن أبي ربيعة ، مثل ما رواه الزُّبير ، إلاّ أنّه قال فيه : إن جاع هَرَّ ، وإن شَبع فَرَّ .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال : حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأثرم عن أبي عبيدة . وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمَر قولَه : [من الطويل]

---

1 ل : نطق .
2 ل : ينسب .

تُوسِّدُني كفّـاً وتَثني بمِعْصَمٍ ... عليَّ وتحوي رِجلَها من ورائيا

فقال عمر : ويلكَ إنَّك مقتول .

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ قال : حدَّثني أحمد بن القاسم قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ ، عن ابن أبي عائشة قال : أنشد عبد بني الحسحاس عمرَ قوله : [من الطويل]

كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهياً

فقال له عمر : لو قدَّمتَ الإسلام على الشيب لأجزتك .

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وحبيبُ بنُ نصر قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثنا معاذُ بن معاذ وأبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيف ، أنّ عبد بني الحسحاس أنشد عمرَ هذا وذكر الحديث مثل الذي قبله .

[كان قبيح الوجه]

أخبرني محمد بن خلف قال : حدَّثنا إسحاق بن محمد قال : حدَّثنا عبد الرحمن ، ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : كان عبد بني الحسحاس قَبِيحَ الوجه ، وفي قبحه يقول : [من الطويل]

أَتيتُ نساء الحارثيِّين غُدوةً ... بوجهٍ بَراه اللهُ غيرَ جَميلِ

فشبَّهْنَني كلباً ولستُ بِفوقِهِ ... ولا دونه إن كان غيرَ قليلِ

[كان يشبب بنساء مواليه]

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاَّم ، قال : أُتي عثمانُ بن عفّان بعبد بني الحسحاس ليشتريَه فأعجب به فقالوا : إنّه شاعر وأرادوا أن يرغّبوه فيه ، فقال : لا حاجة لي به ؛ إذ الشاعرُ لا حريم له ، إن شبع تشبَّب[1] بنساء أهله ، وإن جاع هجاهم ، فاشتراه غيرُه ، فلمّا رحل قال في طريقه : [من الطويل]

أشوقاً ولَمّـا تمضِ لي غيرُ ليلة ... فكيف إذا سار المطيُّ بنا شَهْرا ؟

وما كنت أَخشى مالكاً أن يبيعَني ... بشيء ولو أَمست أَناملُه صِفرا

أَخوكم ومولى مالِكم وحليفُكم ... ومن قد ثَوى فيكم وعاشركُمْ دَهْرا

فلمّا بلغهم شعرُه هذا رَثوا له ، فاستردّوه .

1 ل : نسب .

فكان يشببُ بنسائهم ، حتى قال : [من الكامل]

ولقد تحدَّرَ من كريمةِ بعضِكم عرَقٌ على متن الفِراش وطِيبُ[1]

قال : فقتلوه .

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجِشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها : فلمّا استردّوه نَشِب يقولُ الشعر في نسائهم ، فأخبرني مَن رآه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبِّب بأخت مولاه وكانت عَليلَة ، ويقول : [من المنسرح]

مـاذا يريـدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جَمـال لوجهـه تَبَـعُ
ما يَرْتجي خاب من محاسِنها أمـا لَـهُ في القِبـاح مُتَّسَعُ
غيَّر مـن لونهـا وصفرهـا فارتـدَّ فيـه الجمال والبِدَعُ
لو كان يبغي الفداءَ قلتُ له : ها أنـا دونَ الحبيبِ يا وجعُ

أخبرني محمد بنِ خَلف قال : حدَّثنا أبو بكر العامريّ ، عن عليّ بن المغيرة الأُثْرَم قال : قال أبو عبيدة : الذي تناهى إلينا من حديث سُحيم عبدِ بني الحسحاس أنّه جالسَ نِسوةً من بني صُبَيْر بن يربوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب وشِدّة المغالبة على إبداء المحاسن ، فقال سُحَيم : [من الطويل]

كأن الصُّبيريّاتِ يـومَ لقينَنا ظباءٌ حنَت أعناقهنَّ في المكانِسِ
فكم قد شقَقنا من رداء مُنَيَّر ومن برقع عن ناظرٍ غيرِ ناعسِ
إذا شُقَّ بردٌ شُقَّ بالبرد بُرقُعٌ على ذاك حتى كلُّنا غيرُ لابسِ[2]

فيقال : إنّه لما قال هذا الشعرَ اتّهمه مولاه ، فجلس له في مكان كان إذا رَعى نام فيه ، فلمّا اضطجع تنفّس الصُّعداء ، ثم قال : [من السريع]

يا ذِكرةً ما لكَ في الحاضرِ تذكُرُها وأنتَ في الصادرِ
من كلّ بيضاءَ لهـا كعثبٌ مثلُ سنام البكـرة المائرِ

قال : فظهر سيّدُه من الموضع الذي كان فيه كامناً ، وقال له : ما لَكَ ؟ فلجلَج في منطقه ، فاستراب به ، فأجمعَ على قتله ، فلمّا وردَ الماءَ خرجت إليه صاحبتُه ، فحادثته ، وأخبرتْه بما

1 الشطر الأول في الديوان : فلقد تحدّر من جبين فتاتكم . متن في الديوان : على ظهر .
2 على ذاك في الديوان : دواليك .

يرادُ به ، فقام ينفض ثوبَه ويُعفي أثره ، ويلقُط رضّاً[1] من مَسَكِها[2] كان كَسرَها في لِعبِه معها ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

أتُكتَم حييتُم على النـأي تُكتَما   تحيـةَ مَـن أمسى بحبِّـكِ مُغرَما
ومـا تُكتَمـين إن أتيتِ دَنِيَّـةً   ولا إن ركبنا يا ابنةَ القوم مَحْرما
ومثلِكِ قد أبرزتُ من خِدرِ أمّها   إلى مجلسٍ تجـرُّ بُـرداً مسَّهما

الغناء للغريض ثقيل أوّل بالوسطى وفيه ليحيى المكّيّ ثاني ثقيل ، قال : [من الطويل]

وماشيـةٍ مَشْيَ القطـاة اتّبعتُها   من السترِ تخشى أهلَها أن تكلَّما
فقالـتْ : صهٍ يا ويحَ غيرك إنّني   سمعت حديثاً بينهم يَقطُـر الدَّما
فنفضتُ ثوبيها ونَظّـرت حولها   ولم أخشَ هـذا الليلَ أن يتصرَّما
أُعفّـي بآثـار الثيـابِ مبيتَها   وأَلقط رضّـاً من وقوف تحطَّما[3]

قال : وغدوا به ليقتلوه ، فلمّا رأته امرأة كانت بينها وبينه مودّةٌ ثم فسدت ، ضحكت به شماتةً فنظر إليها وقال : [من الطويل]

فإن تضحكي منّي فيا رُبَّ ليلةٍ   تركتُكِ فيهـا كالقَباء المفرَّجِ

فلمّا قدّم ليقتل قال : [من الكامل]

شُدُّوا وثاقَ العبـد لا يُفلِتْكُم   إن الحياةَ مـن المماتِ قريبُ
فلقد تحدَّر مـن جبين فَتاتِكم   عَرَقٌ على مَتْنِ الفراش وَطِيبُ

[يحرق في أخدود]

قال : وقُدِّم فقُتِل . وذكر ابن دَأْب أنّه حُفِر له أُخدود ، وأُلقيَ فيه ، وأُلقيَ عليه الحطَبُ فأُحرِق .

[أصابهن كلهن إلاّ واحدة]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزهرَ قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال : كان عبدُ بني الحسحاس يسمَّى حيَّة ، وكان لسيِّده بنتٌ

1 رضا : كسراً .
2 مسكها : من سوارها أو خلخالها .
3 وقوف : جمع وقف أي ، سوار من ذبل أو عاج .

بِكر ، فأعجبها ، فأمرته أن يتمارضَ ، ففعل وعصب رأسه . فقالت للشيخ : أسرِحْ أيّها الرجُل إبلكَ ، ولا تَكِلْها إلى العبد ، فكان فيها أيّاماً ، ثم قال له : كيف تجدُك ؟ قال : صالحاً ، قال : فَرُحْ في إبلك العشيّة ، فراح فيها ، فقالت الجاريةُ لأبيها : ما أحسبُك إلاّ قد ضيَّعتَ إبلك العشيّةَ ، أن وَكلْتها إلى حيّة ، فخرج في آثار إبله فوجده مستلقياً في ظلّ شجرةٍ ، وهو يقول :

يا رُبَّ شجوٍ لك في الحاضر ... تذْكُرهــا وأنــتَ في الصادرِ
مــن كلِّ حمــراءَ جُماليَّــةٍ ... طيّبــةِ القــادم والآخــرِ[1]

فقال الشيخ : إنّ لهذا[2] لشأناً ، وانصرف ، ولم يُرِه وجهَه . وأتـى أهـل المـاء ، وقال لهم : تعَلَّموا والله أنّ هذا العبدَ قد فضحنا ، وأخبرهم الخبر ، وأنشدهم ما قال ، فقالوا : اقتله ، فنحنُ طوعُك ، فلمّا جاءهم وثبوا عليه ، فقالوا له : قلتَ وفعلتَ ، فقال : دعوني إلى غد حتى أُعْذِرَها[3] عند أهل الماء ، فقالوا : إنّ هذا صواب فتركوه ، فلمّا كان الغد اجتمعوا فنادى : يا أهل الماء ، ما فيكم امرأةٌ إلاّ قد أصبتُها إلاّ فلانةَ فإنّي على موعد منها ؛ فأخذوه فقتلوه .

وممّا يغنّى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس ، وقال : إنّ من النّاس مَن يرويها لغيره : [من الطويل]

تجمَّعْنَ من شتَّى ثلاثاً وأربعاً ... وواحــدةً حتــى كَمَلْنَ ثَمانيا
وأَقبلن من أقصى الخيام يَعُدنَني ... بقيَّة مــا أَبقيــنَ نَصلاً يمانيا
يعُدْن مريضاً هنَّ قد هِجن داءَهُ ... أَلا إنّمــا بعضُ العوائــدِ دائيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأوّل ، والذي ابتداؤه «تجمعنَ من شتى ثلاث» لبنان .

والذي أوّله : «وأَقبلن من أقصى الخيام» . ذكر الهشاميّ أنّه لإسحاق وليس يشبه صَنعته ولا أُدري لَمن هو ؟

[مخارق يكيد لإسحاق]

أخبرني جحظة عن ابن حمدون أنّ مخارقاً عملَ لحْناً في هذا الشعر : [من الطويل]

وَهبَّتْ شمالاً آخرَ الليل قَــرَّةً ... ولا ثــوبَ إلاّ بردُها ورِدائيا

---

1 جمالية : جميلة .

2 لهذا في ل : لهذين .

3 أعذرها : أثبت لها عذراً .

على عمل صنعة إسحاق في :

أماويَّ إن المـال غاد ورائح

ليكيد به إسحاق ، وألقاه على عجوز عُمَير الباذ عيسى ، وقال لها : إذا سئلتِ عنه فقولي : أخذتُه من عجوزٍ مدنية ، ودار الصوت حتى غنّيَ به الخليفة ، فقال لإسحاق : ويلك أخذتَ لحنَ هذا الصوتِ تُغنّيه كلَّه ، فحلف لـه بكلّ يمين يرضاه أنّه لم يفعَلْ وتضمّن له كشفَ القصّة ، ثم أقبل على مَنْ غنّاهم الصوتَ فقال : عمّن أخذتَه ؟ فقال : عن فلان ، فلقيه ، فسأله عمّن أخذه فعَرفه ، ولم يزل يكشف عن القصّة ، حتى انتهت من كلّ وجه إلى عَجوز عمير ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أخذتُه عن عجوز مدنية ، فدخل إسحاق على عُمَير ، فحلف له بالطلاق والعِتاق وكلِّ مُحرِج من الأَيْمان ألاّ يكلمَه أبداً ولا يدخل داره ولا يترك كيدَه وعداوتَه أو يصْدقَه عن حال هذا الصوت وقصّتِه ، فصدَقه عُمير عن القصّة ، فحدَّث بها الواثق بحضرة عمير ومُخارق ، فلم يمكن مُخارقاً دفعُ ذلك ، وخجل خجلاً بان فيه ، وبطل ما أراده بإسحاق .

صوت

[من الطويل]

ثلاثــةُ أبيــات فبيـتٌ أُحبُّـــه   وبيتان ليسا من هوايَ ولا شَكلي
ألا أيّهـــا البيتُ الذي حيلَ دونَه   بنا أنتَ من بيتٍ وأهلُكَ من أهلِ

الشعر لجميل ، والغناء لإسحاق ماخوريّ بالبِنصر من جامع أغانيه ، وفيه رَمَل مجهول ذكره حَبَش لعُلّويه ولم أجِد طريقته .

[493] ـ متمم العبدي والجويرية

أخبرني الحسين بن يحيى المراديّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حدَّثني متمم العبديّ قال : خرجت من مكّة زائراً لقبر النبيّ ﷺ ، فإنّي لَبِسُوق الجُحْفَةِ[1] إذا جُوَيريّة تسوقُ بعيراً ، وتترنّم بصوت مليح طيِّب حُلْو في هذا الشعر : [من الطويل]

ألا أيّها البيتُ الذي حِيل دونه   بنا أنت من بيتٍ وأَهْلُكَ من أهلِ
بنا أنت من بيت وحولك لَذَّةٌ   وظِلُّكَ لو يُسْطاعُ بالبارد السهلِ
ثلاثةُ أبياتٍ فبيتٌ أُحِبُّه   وبيتان ليسا من هوايَ ولا شكلي

فقلت : لَمِن هذا الشعر يا جُويرية ؟ قالت : أما ترى تلك الكُوَّة الموقّاةَ بالكِلَّة الحمراء ؟ قلت : أراها ، قالت : من هناكَ نهض هذا الشعرُ ، قلت : أو قائلهُ في الأحياء ؟ قالت : هيهات ، لو أنَّ لميّت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك ، فأعجبني فصاحةُ لسانها ورقّةُ ألفاظِها ، فقلت لها : أَلَكِ أبوان ؟ فقالت : فقدت خيرَهما وأجلَّهما ، ولي أُمّ ، قلت : وأين أُمُّكِ ؟ قالت : منك بمرأى ومسمع ، قال : فإذا امرأة تبيعُ الخَرَزَ على ظهر الطريق بالجُحْفَة ، فأتيتُها ، فقلتُ : يا أُمَّتاه ، استمعي منّي ، فقالتْ لها : يا أُمَّهْ ، فاستَمعي من عمّي ما يلقيه إليكِ ، فقالتْ : حيّاكِ الله ، هيه ، هل من جائية خبر[2] ؟ قلتُ : أهذه ابنتُك ؟ قالت : كذا كان يقول أبوها ، قلتُ : أفتزوِّجينها ؟ قالت : أَلِعلَّةٍ رغبتَ فيها ؟ فما هي والله مَنْ عندها جمالٌ ، ولا لَها مال ، قلتُ : لحلاوة لسانِها وحُسن عقلِها ، فقالت : أَيُّنا أَملَكُ بها ؟ أنا أمْ هي بنفسها ؟ قلت : بل هي بنفسها ، قالت : فإيّاها فخاطِبْ ، فقلتُ : لعلّها أن تستحيَ من الجواب في مثل هذا ، فقالت : ما ذاكَ عندها ، أنا أخبر بها ، فقلتُ : يا جارية ، أما تستمعين ما تقول أُمُّكِ ؟ قالت : قد سمعت ، قلت : فما عندكِ ؟ قالت : أَوَليس حسبك أنْ قلت : إنّي أستحيي من الجواب في مثل هذا ، فإن كنتُ أستحيي في شيء فلِمَ أفعلُه ؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطكَ ، لا واللهِ لا يشُدُّ عليّ رجل حِواءه وأنا أجدُ مَذْقَةً[3] لبن أو بقلةً الـين

1 الجحفة : قرية كانت على طريق المدينة من مكّة على أربع مراحل وهي ميقات أهل مصر والشام .
2 مثل : ويروى : هل من مغربة خبر . ورد في مجمع الأمثال 404/2 ، والمستقصى 390/2 ، والأمثال لمجهول 119 .
3 مذقة : لبن مخلوط بالماء .

بها مِعاي ، قال : فورد والله عليَّ أعجبُ كلام على وجه الأرض ، فقلتُ : أو أتزوّجكِ والإذنُ فيه إليكِ ، وأعطي اللهَ عهداً أنّي لا أقربكِ أبداً إلاّ عن إرادتِك ؟ قالت : إذا والله لا تكون لي في هذا إرادةٌ أبداً ، ولا بعد الأبد إن كان بَعْده بَعْد ، فقلت : فقد رضيتُ بذلك ، فتزوّجتها ، وحملتها وأُمَّها معي إلى العراق ، وأقامت معي نحواً من ثلاثينَ سنة ما ضممتُ عليها حِواي قطُّ ، وكانت قد عَلِقتْ من أغاني المدينة أصواتاً كثيرة ، فكانت ربّما ترنَّمت بها ، فأَشتهيها ، فقلت : دَعيني من أغانيكِ هذه فإنّها تبعثُني على الدُّنُوِّ منك . قال : فما سمعتها رافِعةً صوتها بغناء بعد ذلك ، حتى فارقَتِ الدُّنيا ، وإن أُمّها عندي حتى الساعة ، فقلت : ما أدري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه .

صوت

[من الخفيف]

أيـّها النـاسُ إن رأيـي يُرينـي ـ وهـو الرأيُ ـ طوفَةً في البلادِ
بالعـوالي وبالقنابـل تَـرْدي بالبطاريـق مِشيَـةَ العُـوَّادِ[1]
وبجيش عرمـرَمٍ عربـيٍّ جَحْفل يستجيبُ صوتَ المنادي
مـن تميـم وخندِفٍ وإيـاد والبهاليـلِ حِمْيـرٍ ومُـرادِ
فإذا سرتُ سارت النّـاسُ خَلفي ومَعـي كالجبـالِ في كلِّ وادِ
سَقِّني ثـم سقِّ حميرَ قومـي كأسَ خمـرٍ أُولي النُّهى والعِمادِ

الشعر لحسَّان بن تُبَّع ، والغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه .

1 تردي : تُسْرِع . البطاريق : جمع بطريق : قائد الروم ، تحت إمرته عشرة آلاف رجل .

[494] ـ أخبار حسان بن تبع

[يطوف الأرض كلّها]

أخبرني بخبر حسّان الذي من أجله قال هذا الشعر عليّ بن سليمان الأخفش عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ. وعن أبي عبيدة وأبي عمرو، وابن الكلبيّ وغيرهم، قال: كان حسّانُ بن تُبَّع أحوَل أعسَرَ[1]، بعيدَ الهمّة شديدَ البطش، فدخل إليه يوماً وجوهُ قومه، وهم الأقيالُ مِنْ حِمير، فلمّا أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم: [من الخفيف]

أيّها النـاسُ إن رأيي يُريني ... وهْـوَ الرأي طوفةً في البلادِ
بالعـوالي وبالقنابـل تَـرْدي ... بالبطاريـقِ مِشيـةَ العُـوّادِ

وذكر الأبيات التي مضت آنفاً، ثم قال لهم: استعدّوا لذلك، فلم يراجعه أحد لهيبته، فلمّا كان بعد ثلاثة خرج، وتبعه الناسُ، حتى وطىءَ أرض العَجم، وقال: لأبلغنَّ من البلاد حيث لم يبلُغ أحدٌ من التبابعة، فجال بهم في أرض خُراسان، ثم مضى إلى المغرِب، حتى بلغ رُومية[2]، وخلف عليها ابنَ عمّ له، وأقبل إلى أرض العراق، حتى إذا صار على شاطىء الفُراتِ، قالت وجوهُ حِمير: مالنا نُفني أعمارَنا مع هذا! نطوفُ في الأرضِ كلِّها، ونفرّق بيننا وبين بلدنا وأولادِنا وعيالنا وأموالنا! فلا ندري من نُخْلفُ عليهم بعدَنا!

فكلّموا أخاه عَمْراً، وقالوا له: كلّم أخاكَ في الرجوع إلى بلده، ومُلكه. قال: هو أعسرُ من ذلك وأنكر، فقالوا: فاقتلْه، ونملّكُك علينا، فأنت أحقّ بالملك من أخيك، وأنت أعقل وأحسنُ نظراً لقومك، فقال: أخاف ألاّ تفعلوا، وأكونُ قد قتلتُ أخي، وخرَج الملك عن يدي، فواثقوه، حتى ثَلِج[3] إلى قولهم، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم إلاّ ذا رُعيْن، فإنّه خالفهم، وقال: ليس هذا برأي، يذهب المُلْك من حِمير. فشجّعه الباقون على قتل أخيه، فقال ذو رعين: إن قتلتَه باد ملكُك.

فلمّا رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومةٍ، فقال: يا عمرو: إنّي مستودِعكَ هذا الكتاب، فضعه عندك في مكان حَريز، وكتب فيه: [من الوافر]

---

1 أعسر: يعمل بيده اليسرى.
2 رومية: مدينة بالمدائن بنيت وسميت بأحد الملوك.
3 ثلج إلى قولهم: استراح.

ألا مَـــنْ يشتري سهراً بنومٍ سعيد مَـــنْ يبيتُ قَريـرَ عَينِ
فإن تكُ حِميرٌ غَدَرَتْ وخانتْ فمعذرةُ الإلــهِ لــذي رُعَيْنِ

[قتله أخوه فامتنع منه النوم]

ثم إنّ عَمْراً أتى حسَّانَ أخاه وهو نائم على فراشِه ، فقتله ، واستولى على مُلكه . فلم يبارَكْ فيه ، وسلَّط الله عليه السهر ، وامتنع منه النومُ ، فسأل الأطباء والكهَّان والعُيّاف ، فقال له كاهن منهم : إنّه ما قتل أخاه رجل قطُّ إلاّ مُنِع نومَه ، فقال عمرو : هؤلاء رؤساء حِمير حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم ، ولم ينظروا إليَّ ولا لأخي .

فجعل يقتل مَن أشار عليه منهم بقتله ، فقتلهم رجلاً رجلاً ، حتى خَلَص إلى ذي رُعين وأيقنَ بالشرّ ، فقال له ذو رعين : ألم تعلم أنّي أعلمتك ما في قتله ، ونهيتك وبيّنت هذا ؟ قال : وفيمَ هو ؟ قال : في الكتاب الذي استودعتُك .

فدَعا بالكتاب ، فلم يجدْه ، فقال ذو رعين : ذهـب دمـي على أخْذِي بالحزم ، فصرت كمَن أشار بالخطأ ، ثم سأل الملك أن يُنعم في طلبه ، ففعل ، فأُتِـيَ به فقرأه ، فإذا فيه البيتان ، فلمّا قرأهما قال : لقد أخذتَ بالحزم ، قال : إنّي خشيت ما رأيتك صنعتَ بأصحابي .

[ذو شناتر وذو نواس]

قال : وتشتّت أمرُ حِمير حِينَ قُتِل أشرافُها ، واختلفت عليه ، حتى وثب على عمرو لَخنيعةُ يَنوف ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، فقتله ، واستولى على ملكه ، وكان يقال له ذو شَناتر[1] الحميريّ ، وكان فاسقاً يعمـل عمـل قـوم لوط ، وكان يبعثُ إلى أولاد الملوك فيلوط بهم ، وكانت حِمير إذا ليطَ بالغلام لم تملِّكه ، ولم ترتفع به ، وَكانت له مَشرَبَة[2] ، يكون فيها يشرف على حرسه ، فإذا أُتِيَ بالغلام أخرج رأسه إليهم وفي فيه السواكُ ، فيقْطعون مشافر ناقة المنكوح وذنبها ، فإذا خـرجَ صيح بـه : أرطْبٌ أم يباس[3] ؟ فمكث بذلك زماناً .

حتى نشأ زُرعةُ ذو نواس ، وكانت له ذُؤابة ، وبها سمِّي ذا نُواس ، وهو الذي تهوَّد ، وتسمى يوسف ، وهو صاحب الأخدود بنَجران ، وَكانوا نصارى ، فحرقهم ، وحرقَ الإنجيلَ ، وهدَّم الكنائس ، ومن أجله غزت الحبشةُ اليمن ، لأنـّهم نَصارى ، فلمّا غلبوا على اليمن اعترضَ البحرَ ، واقتحَمه على فرس فغَرِق .

1 شناتر : أصابع بلغة حمير .
2 مشربة : غرفة مرتفعة .
3 يباس : يابس أو ييبس .

فلمّا نشأ ذو نواس قيل له : كأنّك وَقد فُعِل بكَ كذا وكذا ، فأخذ سِكِّيناً لطيفاً خفيفاً وسمَّه ، وجعل له غلافاً ، فلمّا دَعا به لخنيعة جعله بين أخمصه ونعله ، وأتاه على ناقة له يقال لها : سرابٌ ، فأناخها ، وصَعِد إليه ، فلمّا قام يجامعه كما كان يفعلُ انحنى زُرعة ، فأخذ السكين فوَجأ بها بطنَه ، فقتله ، واحتزّ رأسه ، فجعل السواك في فيه ، وأطلعه من الكُوّة ، فرفع الحرسُ رؤوسهم ، فرأوه ، ونزل زُرعةُ ، فصاحوا : زُرعةُ يا ذا نواس ، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس استُ ذي نُواس ، رَطب أم يباس ؟ وجاءَ إلى ناقته ، فركبَها ، فلمّا رأى الحرس اطّلا ع الرأس صعدوا إليه ، فإذا هو قد قتل . فأتوا زُرعة ، فقالوا : ما ينبغي أن يملِكنا غيرُك بعد أن أرحْتنا من هذا الفاسق ، واجتمعتْ حميرٌ إليه ، ثم كان مِنْ قصَّته ما ذكرناه آنفاً .

صوت

[من البسيط]

يا ربــةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ   ضُمِّي إليكِ رحالَ القوم والقُرُبا[1]
في ليلــة مِنْ جُمادى ذاتِ أنديةٍ   لا يُبصر الكلبُ من ظلمائها الطُّنُبا[2]
لا ينبحُ الكلبُ فيها غَير واحدةٍ   حتى يَلُـفَّ على خيشومه الذَّنبا

الشعر لمُرَّة بنَ محكان السَّعديّ ، والغناء لابن سُريج ، رَمَل بالوسطى ، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو ، وذكر حَبَش أنّ فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوُسطى ، والله أعلم .

1 القُرُب : جمع قراب وهو غمد السيف .
2 الطنب : الحبل الطويل يشد به السّرادق وجمعه أطناب .

[495] ـ أخبار مرّة بن محكان

[نسبه]

هُو مُرَّة بن مَحكان ولم يقع إلينا باقي نسبه ، أَحدُ بني سعد بن زيد مناة بن تَميم . شاعر مُقِلّ إسلاميّ من شُعراء الدولة الأُمويّة ، وكان في عصر جرير والفرزدق ، فأُخملا ذكره ، لنباهتهما في الشعر .

[ينحر مائة بعير]

وكان مُـرَّة شريفاً جواداً وهو أَحد من حُبِس في المناحَرةِ والإطعام . أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز ، عن المدائنيّ ، قال : كان مُرَّة بن مَحكان سخيّاً ، وكان أبو البكراء يوائمهُ في الشرف ، وهما جميعاً من بني الرُّبيع ، فأنهب مُرَّةُ بنُ محكان مالَهُ الناسَ ، فحبسَه عبيد الله بن زياد ، فقال في ذلك الأُبيرِد الرّياحيّ : [من الطويل]

حبستَ كريمـاً أَن يجـودَ بماله ... سعـى في ثـأْي من قومـهِ متفاقمِ
كأَنَّ دماءَ القـوم إذ عَلقـوا بـه ... على مكفَهِـرٌّ مـن ثَنايـا المخارمِ
فإن أنتَ عاقبت ابن مَحكان في النَّدى ... فعاقـب هـداك اللهُ أعظُـمَ حاتمِ

قال : فأطلقه عُبيد الله بن زياد ، فذبحَ أبو البكراءَ مائة شاة ، فنَحَرَ مُرَّة بن محكان مائة بعير ، فقال بعضُ شعراء بني تميم يمدح مُرّة : [من الوافر]

شرى مائـةً فأنهبها جواداً ... وأَنتَ تناهب الحذَف القِهادا

الحذف : صغار الغنم . والقهاد : البيض .

أُخبرني أحمدُ بنُ محمد الأسديّ أبو الحسن ، قال : حدَّثنا الرياشيّ قال : سئل أَبو عبيدة عن معنى قول مُرّة بن مَحكان :

ضمِّي إليك رحـالَ القوم والقُرُبا

ما الفائدة في هذا ؟ فقال : كان الضيفُ إذا نزل بالعرب في الجاهليّة ضموا إليهم رَحلَه ، وبقـى سِلاحُه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات ، فقال مُرّة بن محكان يخاطب امرأته : ضمِّي إليكِ رحال هؤلاء الضَّيفان وسلاحَهم ، فإنّهم عندي في عزّ وأَمْن من الغارات والبَيات ، فليسوا ممّن يحتاجُ أن يبيتَ لابساً سلاحه .

[مصعب بن الزبير يقتله]

أُخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثنا أُبو حاتـم ، عـن أُبـي عبيدة ، عن يونس ، قال : كان الحارث بن أَبي ربيعة على البصرة أيّام ابن الزُّبير ، فخاصم إليه رجلٌ

من بني تميم ، يقال له مُرّة بن مَحكان ، رجلاً ، فلمّا أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مُرّة بنُ مَحكان يقول : [من الطويل]

أحـــارِ تثبّـــتْ في القَضاء فإنّــه ... إذا ما إمامٌ جار في الحكم أقصَدا[1]
وإنّكَ موقوف على الحكم فاحتفظْ ... ومهما تصبْه اليومَ تُدرِكْ به غدا
فإنّيَ مِمَّا أُدرِكُ الأمـرَ بالأنـى ... وأُقطـعُ في رأس الأميــر المُهنَّدا[2]

فلمّا وُلّيَ مُصعبُ بنُ الزُّبير دعاه ، فأنشده الأبياتَ ، فقال : أَما والله لأقطعنّ السيف في رأسك قبل أن تقطعَه في رأسي ، وأمر به فحُبِس ، ثم دسَّ إليه من قتله .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد عن أبيه ، عن ابن جامع ، عن يونس قال : جاءَ رجل من قريش إلى الغَريض فقال له : بأبي أنتَ وأُمي إنّي جئتُك قاصداً الطائف أسألك عن صوت تُغنّيني إيّاه ، قال : وما هو ؟ قال : لحنك في هذا الشعر : [من الطويل]

تشرَّبَ لـــونَ الرازقـــيّ بياضُه ... أو الزعفرانَ خالط المسكَ رادعُهْ

فقال : لا سبيل إلى ذلك ، هذا الصوتُ قد نهتني الجنُّ عنه ، ولكنّي أُغنيك في شِعر لمُرَّة بن مَحكان ، وقد طرقه ضيفٌ في ليلة شاتِيةٍ ، فأنْزَلهم ، ونَحَر لهم ناقته ، ثم غنّاه قوله : [من البسيط]

يا رَبَّة البيت قومــي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمّي إليك رحالَ القَوْمِ والقُرُبا

فأطربه ، ثم قال له الغريض : هذا لحن أخذتُه من عبيد بن سُريج ، وسأغنيك لحناً عملته في شعر على وزن هذا الشعر وَرويّه للحطيئة ، ثم غنّاه : [من البسيط]

ما نَقَمــوا مــن بغيضٍ لا أبا لهـمُ ... في بائس جــاء يحدو أينُقاً شُزُبا
جاءَتْ به مـــن بلاد الطُّور تحملُه ... حصَّاءُ لم تتركْ دون العصا شَذبا

فقام القرشيّ ، فقبَّلَ رأسه ، فقال له : فدتك نفسي وأهلي ، لو لم أقدُم مكّة لعمرة ولا لبِرّ وتقوى ، ثم قدمتُ إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلكَ قليلاً . ثم انصرف .

وحدَّثني بعض مشايخ الكتّاب أنّه دخل على أبي العَنْبَس بن حَمدون يوماً ، فسأله أن يُقيم عنده فأقام ، وأتاهم أبو العَنْبَس بالطعام ، فأكلوا ، ثم قُدِّم الشراب فشَرِبوا ، وغنَّاهم أبو العنَبس يومئذٍ هذا الصوتَ : [من الطويل]

ألا مُـــتَّ لا أعطيتَ صبراً وعزمةً ... غداة رأيـــتَ الحـيَّ للبين غاديا

---

1 أقصد : قتل مكانه .
2 بالأنى : الحلم .

ولم تعتصرْ عينيك فَكهــةُ مازحٍ　　كأنّك قد أبدعتَ إذ ظلتْ باكيا

فأحسن ما شاء ، ثم ضرب ستارتَه وقال :

يـــا ربّـــةَ البيتِ غَنِّي غير صاغرة

فاندفعت عِرفانُ ، فغنّت :　[من البسيط]

يا ربّــةَ البيت قومي غيرَ صاغرة　　ضُمِّي إليك رِحــال القوم والقُرُبا

قال : فما سمعت غناءً قطّ أحسن ممّا سمعتُه من غنائهما يومئذٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ألا متَّ لا أُعطِيتَ صبراً وعزمةً　　غــداة رأيــتَ الحيّ للبين غاديا

ولم تعتصر عينيك فَكهــةُ مازح　　كأنّك قد أبدعت إذ ظلتَ باكيا

فصيّرتَ دمعــاً أن بكيتَ تَلَدُّداً　　بــه لفــراقِ الألف كفوًا مُوازيا

لقد جلَّ قدر الدَّمع عندكَ أنْ ترى　　بكـــاءك للبـــين المُشتِّ مُساويا

الشعر لأعرابيّ أنشدناه الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناريّ عن إسحاق الموصليّ لأعرابيّ .

قال الديناريّ : وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب ، وهو قائله وأظنّ هذا الشعر له ، والغناء لعمرو بن بانة ثقيل أوّل بالبنصر من كتابه .

صوت

[من الطويل]

فإن تـــكُ من شيبانَ أُمِّي فإنني　　لأبيضَ من عجل عريض المَفارقِ

وكيف بذكرى أُمَّ هارون بعدما　　خبطنَ بأيديهـــنَّ رمـــلَ الشقائقِ

كأنّ نَقــاً مــن عالــج أُزِّرَتْ به　　إذا الزُّلّ ألهاهـــنَّ شَدُّ المناطقِ

وإنّا لتَغــــلي في الشِّتاء قُدُورُنا　　ونصبرُ تحتَ اللاّمعــاتِ الخوافِقِ

عروضه من الطويل والشعر للعُدَيل بن الفَرخ العِجْليّ ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه ، عن يونس وإسحاق ، وفيه لهشام بن المرِّيَّة لحن من كتاب إبراهيم ، وفيه لسنان الكاتب ثقيل أوّل عن الهشاميّ وحَبَش ، وقال حبش خاصة : فيه للهذليّ أيضاً ثاني ثقيل بالوسطى .

[496] ـ أخبار العديل ونسبه

[نسبه]

العُدَيل بن الفَرخ بن مَعن بن الأسود بن عمرو بن عَوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سُمى بن الحارث ، وهو العُكابة[1] ، بن ربيعة بن عِجْل بن لُجيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعميّ بن جديلةَ بن أسد بن ربيعة بن نِزار .

وقال أبو عبيدة : كان العُكابة اسمَ كلب للحارث بن ربيعة بن عِجل ، فلقب باسم كلبه ، وغَلَب عليه . قال : وكان عِجل من مُحمّقي العرب ، قيل له : إن لكلّ فَرسٍ جوادٍ اسماً وإن فرسَك هذا سابق جواد ، فسمِّه ، ففقأ إحدى عينيه وقال : قد سمّيته الأعور ، وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

رمتْني بَنـــو عجـــل بـــداء أبيهـمُ وهل أحدٌ في النّاسِ أحمقُ من عجلِ ؟
أليسَ أبوهـــمْ عـــارَ عـــينَ جواده فصارتْ به الأمثالُ تضرب بالجهلِ

[هو ودابغ]

والعُدَيل شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان له ثمانيةُ إخوة ، وأُمّهم جميعاً امرأة من بني شيبان ، ومنهم مَن كان شاعراً فارساً : أسود وسوادة وشَملة ، وقيل سلمة ، والحارث ، وكان يقال لأمّهم درماء .

وكان للعُديل وإخواته ابنُ عمّ يسمّى عَمْراً ، فتزوّج بنت عمّ لهم بغير أمرهم ، فغضِبوا ورصدوه ليضربوه ، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمّى دابغاً ، فوثب العُديلُ وإخوتُه ، فأخذوا سُيوفَهم ، فقالت أمّهم : إنّي أعوذ بالله من شرّكم ، فقال لها ابنها الأسود : وأيَّ شيء تخافينَ علينا ؟ فوالله لو حملنا بأسيافنا على هذا الحِنْوِ حِنو قُراقر[2] لما قاموا لنا فانطلقوا حتى لقوا عَمْراً ، فلمّا رآهم ذُعِر منهم وناشدهم ، فأبوا ، فحمل عليه سَوادة فضرب عَمْراً ضربة بالسيف ، وضربه عمرو فقطع رِجله فقال سوادة : [من الوافر]

ألا مَن يشتري رِجلاً برجْل تأبّـــى للقيـــام فـــلا تقومُ

وقال عمرو لدابغ : اضربْ وأنت حرّ ، فحمل دابغ ، فقتل منهم رجلاً ، وحمل عمرو ، فقتل آخر ، وتداولاهم ، فقتلا منهم أربعةً ، وضُرِب العُدَيل على رأسِه ، ثم تفرّقوا ، وهـربَ

1 ل : العباب .

2 قراقر : موضع ، معجم البلدان 4 : 317 .

دابغ ، حتى أتى الشام ، فداوى[1] ربضةُ بن النُّعمان الشيبانيّ للعُدَيل ضربتَه ، ومكث مدة . ثم خرج العُدَيل بعد ذلك حاجّاً ، فقيل له إنّ دابغاً قد جاء حاجّاً ، وهو يرتحل ، فيأخذُ طريقَ الشام ، وقد اكترى ، فجعل العُدَيلُ عليه الرصدَ ، حتى إذا خرج دابغ ركِبَ العديلُ راحلتَه وهو متلثّم ، وانطلق يتبعه ، حتى لقيه خلفِ الرّكاب يحدو بشعر العُدَيل ويقول : [من الرجز]

يا دارَ سلمى أقفرتْ من ذي قارْ وهـل بإقفـارِ الديارِ مـن عارْ

وقـد كسينَ عرَقـاً مثل القارْ يخرجْن من تحت خلال الأوبارْ

فلحقه العديل ، فحبس عليه بعيره ، وهو لا يعرفه ، ويسير رويداً ، ودابغ يمشي رُويداً ، وتقدّمت إبلُه فذهبت ، وإنّما يريدُ أن يباعده عنها بوادي حُنَين ، ثم قال له العديل : والله لقد استرخى حَقَبُ[2] رحلي ، أنزِلْ فأغيّر الرّحْلَ ، وتُعينُني . فنزل فغيَّر الرّحْلَ ، وجعل دابغٌ يُعينه ، حتى إذا شدَّ الرَّحْلَ أخرج العُديلُ السيف ، فضربه حتى بَرَدَ ، ثم ركب راحلتَه فنجا ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

ألَمْ تَرَني جلّلتُ بالسيفِ دابغاً وإن كان ثأراً لم يُصبه غليلي

بوادي حنينٍ ليلةَ البدر رعتُه بأبيض من ماء الحَديد صَقيلِ

وقلتُ لهم : هذا الطريقُ أمامَكم ولَم أكُ إذ صاروا لَهم بدَليلِ[3]

[جرثومة العنزي يعير العديل]

وقال أبو اليقطان : كان العُديلُ هجا جرثومة العَنزيّ الجلاَّنيّ فقال فيه : [من االطويل]

أهاجي بني جِلاَّن إذ لم يكنْ لها حديثٌ ولا في الأولين قديمُ

فأجابه جرثومة فقال : [من الطويل]

وإنّ امرءاً يهجو الكرام ولم ينَل مـن الثـأرِ إلاّ دابغاً للئيمُ

أتطلُب في جِلاّنِ وتراً ترومُه وفاتـك بالأوتـارِ شَرٌّ غريمِ[4]

[العديل يهرب من الحجّاج]

قالوا : واستعدى مولى دابغ على العُديل الحجّاجَ بن يوسُف ، وطالبه بالقَوَد فيه ، فهرب العُديلُ من الحجّاج إلى بلد الروم ، فلمّا صار إلى بلد الروم ، لجأ إلى قيصرٍ ، فأمّنه ، فقال في الحجّاج : [من الطويل]

أُخَـوَّفُ بالحّجاج حتَّـى كأنّما يُحرَّكُ عظـم في الفؤادِ مَهيضُ

1 ل : فودى .
2 الحقب : الحزام يلي حقو البعير .
3 أك في ل : آل .
4 في هذا البيت إقواء .

ودون يد الحجّاج من أن تنالَني بِساط لأيدي الناعجاتِ عَريضُ[1]
مهامُه أشباه كأن سَرابَها مُلاءٌ بأيدي الراحضات رَحيضُ[2]

فبلغ شعرهُ الحجّاج ، فكتب إلى قيصر : لتبعثَنَّ به أو لأُغزِينّك جيشاً يكون أوّله عندكَ وآخره عندي ، فبَعث به قيصر إلى الحجّاج ، فقال له الحجّاج لمّا أُدخِل عليه : أأنت القائل : ودون يد الحجّاج من أن تنالَني . . . فكيف رأيتَ اللهَ أمكَنَ منك ؟ قال : بل أنا القائل أيّها الأميرُ : [من الطويل]

فلو كنتُ في سلمى أجاً وشعابِها لكان لحجّاجٍ عليّ سبيلُ
خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه لكلّ إمامٍ مُصطَفًى وخليلُ
بَنى قُبَّةَ الإسلامِ حتى كأنَّما هَدى الناسَ من بعد الضلالِ رسولُ

فخلّى سبيله ، وتحمل دِيَةَ دابغ في ماله .

[الحجّاج يعفو عن العديل]

أخبرني عمّي وحبيب بن نصر المهلّبيّ ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن منصور بن عَطيّة الغنويّ قال : أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن أبي عثمان البُقطُريّ قال : خرج العُدَيل بن الفَرخ يريد الحجّاج ، فلمّا صار ببابه حجبه الحاجبُ ، فوثب عليه العُديلُ ، وقال : إنّه لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريش أكبرُ منّي ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجبُ الكلامَ ، فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب الحجّاج إلى يزيدَ بن المهلّب ، فلمّا دخل إليه أنشأ يقول : [من الطويل]

لئن أرتج الحجاجُ بالبخلِ بابَه فباب الفتى الأزديّ بالعُرف يُفتحُ
فتًى لا يبالي الدَّهرَ ما قَلَّ مالُه إذا جعلتْ أيدي المكارمِ تسنَحُ
يداه يدٌ بالعرف تُنهبُ ما حوتْ وأخرى على الأعداءِ تَسطو وتجرحُ
إذا ما أتاه المرمِلون تيقَّنوا بأن الغِنى فيهم وَشيكاً سَيسرَحُ[3]
أقام على العافين حُرَّاسَ بابِه يُنادونهم والحُرُّ بالحرّ يَفرحُ
هلمّوا إلى سَيْبِ الأمير وَعُرفِه فإنَّ عطاياه على النّاس تَنْفَحُ

1 الناعجات : السارعات .
2 الراحضات : الغاسلات . والرحيض : المغسول .
3 المرملون : من نفذ زادهم .

وليس كعِلجٍ مــن ثمــودَ بكَفِّه   من الجودِ والمعروف جِذم مطوَّحُ

فقال له يَزيدُ : عرَّضْتَ بنا وَخاطرْتَ بدمِك ، وبالله لا يصلُ إليك وأنتَ في حيِّزي ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، وحمله على أفراس ، وَقال له : الحقّ بعلياء نَجد ، واحذر أن تعلقك حبائلُ الحجّاج أو تحتجنَك محاجِنُهُ ، وابعث إليَّ في كلّ عام ، فلك عليّ مثلُ هذا ، فارتحل . وبلغ الحجّاجَ خبَرُه ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العُدَيلَ ، ففاته ، وقال لّما نجا : [من الطويل]

ودونَ يـد الحجّاج من أن تنالَني   بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ

قال : ثم ظَفِر به الحجّاج بعد ذلك ، فقال : إيه ، أنشدني قولَكَ :

ودون يد الحجاج من أن تنالني

فقال : لم أقل هذا أيّها الأمير ، ولكنّي قلت : [من الطويل]

إذا ذُكِر الحجّاجُ أُضمرتُ خِيفة   لهـا بـين أحناء الضلوع نَفيضُ

فتبسم الحجّاجُ ، وقال : أولى لك ! وعفا عنه ، وفرضَ له .

[سادات بكر يشفعون له عند الحجّاج]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : لمّا لجَّ الحجّاج في طلب العُدَيل لفظتْه الأرض ، ونَبا به كلُّ مكان هربَ إليه ، فأتى بكرَ بنَ وائل ، وهم يومئذٍ بادُون جميعٌ ، منهم بَنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكُر ، فشكا إليهم أمرَه ، وقال لهم : أنا مقتول ، أفتُسلمونني ، هكذا وأنتم أعزُّ العرب ؟ قالوا : لا والله ، ولكنَّ الحجّاجَ لا يُراغَم ، ونحن نستوهِبُك منه ، فإن أجابنا فقد كُفِيتَ ، وأن حادَّنا في أمرك منعناكَ ، وسألنا أمير المؤمنين أن يَهبكَ لنا . فأقام فيهم ، واجتمعتْ وجوه بكرِ بن وائل إلى الحجّاج ، فقالوا له : أيـّها الأميرُ ، إنّا قد جَنَيْنا جميعاً عليكَ جنايةً لا يُغفر مثلُها ، وهـا نحن قـد استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فإمّا وهبتَ فأهلُ ذلك أنت ، وإمَّا عاقبتَ ، فكنتَ المسلَّطَ الملك العادل . فتبسَّم ، وقال : قد عفوت عن كلّ جرم إلاّ جُرْمَ الفاسق العُديل ، فقاموا على أرجلهم ، فقالوا : مثلُك أيـّها الأميرُ لا يَستثني على أهلِ طاعته وأوليائه في شيء فإن رأيتَ ألاّ تكدِّر مِنَنك باستثناء ، وأن تهبَ لنا العُدَيل في أوّلِ مَن تَهَبَ ! قال : قد فعلت فهاتوه قبَّحه الله ، فأتوه به ، فلمّا مَثَل بين يديه أنشأ يقولُ : [من الطويل]

فلو كنتُ في سلمى أجاً وشعابِها   لكــان لحجّــاجٍ عــليَّ دليلُ
بنــى قُبــة الإسلام حتى كأنَّما   هَدى الناسَ من بعد الضلال رسولُ
إذا جار حُكْم النَّاس ألجأ حكمَه   إلى اللهِ قــاضٍ بالكتاب عقولُ

خليــلُ أميرِ المؤمنيـن وسيفُـه ... لكلّ إمـام صاحـبٌ وخليلُ
بــه نصرَ اللهُ الخليفــةَ منهمُ ... وثبَّــتَ مُلكــاً كادَ عنـه يَزُولُ

ويروى : به نَصرَ اللهُ الإمامَ عليهم .

فأنت كسيفِ اللهِ في الأرضِ خالدٍ ... تصولُ بعــون الله حــين تصولُ
وجازيْتَ أصحابَ البلاء بلاءَهم ... فَمــا منهــمُ عمَّا تُحِبُّ نُكولُ
وصُلتَ بمرّاقِ العراقِ فأصبحتْ ... مَناكِبُهــا للوطءِ وهــي ذَلولُ[1]

أقام الواحد مقامَ الجمع في قوله : ذلول .

أذقت الحِمامَ ابني عُبادٍ فأصبحوا ... بمنزل موهــونِ الجَنــاح ثكولِ[2]
ومن قَطريٌّ نلــتَ ذاك وحوله ... كتائــبُ مــن رجَّالــة وخُيولُ
إذا ما أتت بابَ ابن يوسُف ناقتي ... أتــتْ خيرَ منزول بـــه ونَزيلِ[2]
وما خفتُ شيئاً غيرَ ربِّيَ وحدَه ... إذا ما انتحيتُ النفسَ كيفَ أقولُ ؟
ترى الثقلينِ الجنّ والأنسَ أصبحا ... على طاعـــة الحجَّاج حينَ يقولُ

فقال له الحجّاجُ : أولى لك فقد نجوتَ ! وفرض له ، وأعطاه عطاءه ، فقال يمدح سائر قبائلَ وائل ، ويذكر دفعَها عنه ، ويفتخرُ بها : [من الكامل]

صَرمَ الغواني واستراح عــواذلي ... وصحوتُ بعــد صَبابــة وتمايُلِ
وذكرت يــوم لوى عتيقٍ نسوةً ... يخْطِــرْن بــين أكِلَّــةٍ ومراحلِ
لعــب النعيمُ بهــنّ في أظلاله ... حتــى لبِسنَ زمــانَ عيش غافلِ

صوت

يأخــذْن زينتهُنّ أحسنَ ما ترى ... وإذا عَطِلــن فهــنَّ غيرُ عواطلِ
وإذا خبــأن خدودَهــنّ أرينَنا ... حدَقَ المها وأجَدْنَ سهــم القاتلِ
ورمينَنــي لا يستترن بجُنَّــــة ... إلاّ الصِّبــا وعَلمْــن أين مَقاتلي
يلبَسن أرديــــةَ الشباب لأهلِها ... ويجــرُّ باطلُهــنَّ حبــلَ الباطلِ

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سُريج ثاني ثقيل بالوُسطى من رواية يحيى المكّيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يَحيى المكّيّ إلى ابن سُريج .

1 مراق : قرية كثيرة النخيل والآبار والعيون على طريق البصرة .

2 في هذا البيت إقواء .

بيضُ الأنوق كأنّهـنّ ، ومن يُرِدْ بَيْضَ الأنـوق فوكرُهـا بمعاقلِ[1]
زعم الغواني أن جهلك قد صحا وسوادَ رأسك فضلُ شَيب شاملِ
ورآك أهلُـكَ منهـمُ ورأيتَهم ولقد تكونُ مع الشباب الخاذلِ
وإذا تطاولـتِ الجبـالُ رأيتَنـا بفـروع أرعَـنَ فوقهـا مُتطاولِ
وإذا سألت ابنَـيْ نـزارٍ بيَّنا مَجْدي ومنزلتي مـن ابنَيْ وائلِ
حدِبَـتْ بنو بكـر علـيَّ وفيهمُ كلُّ المكـارِمِ والعديـدِ الكاملِ
خَطروا ورائـي بالقنا وتجمَّعتْ منهـم قبائـلُ أُردِفـوا بقبائلِ
إنّ الفوارسَ مـن لُجَيمٍ لم تزَل فيهـم مهابـةُ كلُّ أبيضَ ناعلِ[2]
متعمّمٍ بالتّـاجِ يسجـدُ حولَـه مِـنَ آل هَـوذة للمكارِمِ حاملِ[3]
أو رهط حنظلة الذيـن رماحُهمْ سُمُّ الفوارسِ حتْف موتٍ عاجلِ[4]
قوم إذا شَهَرُوا السيوف رأَوْا لها حقّـاً ولم يَـكُ سَلُّها للباطلِ
ولئن فخرْتُ بهـم لمثلِ قَديمهم بسَطَ المُفاخـر للسّان القـائلِ
أولاد ثعلبـة الذيـن لِمثلِهـم حِلْم الحليم وردُّ جهـلِ الجاهلِ
ولَمَجْـدُ يشكرَ سَوْرةٌ عاديّـةٌ وأب إذا ذكـروه ليس بخاملِ
وبَنـو القدارِ إذا عددْتَ صنيعَهم وضَح القديمُ لهـم بكـلّ محافلِ
وإذا فخـرْتَ بتغلبَ ابنةِ وائل فاذكر مكارمَ من ندًى وشمائلِ[5]
ولتغلبَ الغلبـاء عـزٌّ بيِّـنٌ عاديّـة ويزيـد فـوقَ الكاهلِ
تسطو على النُّعمان وابـنِ محرِّق وابنـي قَطـامِ بعِـزّة وتناوُلِ
بالمقربات يبتْنَ حـول رحالِهـم كالقـدِّ بعـد أجلّـة وصواهلِ
أولاد أعـوجَ والصريح كأنّهـا عِقبـانُ يـوم دُجُنّـةٍ ومَخايلِ
يلقِطنَ بعـد أزومِهـنّ على الشّبا عَلَق الشكيـمُ بألسُن وجحافلِ

---

1 الأنوق : العقاب .
2 لجيم بن صعب بن وائل .
3 آل هوذة: هو هوذة بن علي وفد على كسرى وقاتل المندر بن ماء السماء يوم عين أباغ .
4 رهط : من بني عجل بن لجم .
5 وشمائل في ل : وأوائل .

قـوم هـم قتلوا ابن هندٍ عَنْوة وقنـا الرّماح تذودُ وِرْدَ الناهلِ
منهم أبـو حَنَشٍ وكان بكفّـه ريُّ السِّنان وريُّ صـدرِ العاملِ
ومُهلهِل الشعراء إن فَخـروا بـه وندى كُلَيْـبٍ عنـد فضلِ النائلِ
حَجَبَ المنيَّةَ دون واحـد أمِّـه مـن أن تبيتَ وصدرُهـا ببلابِلِ
وأبى مجالسةَ السِّبابِ فلم يكنْ يُستبُّ مجلسُه وحـقٌّ النازلِ
حتى أجـارَ على الملوكِ فلم يدعْ حَرِبـاً ولا صَعِـراً لرأس مائلِ
في كلّ حـيٍّ للهُذيـل ورهطِه نَعَـم وأخـذُ كريمـةٍ بتناولِ
بيضٌ كرائـمُ ردَّهـن لعَنوة أسلُ القَنـا وأُخـذْنَ غيرَ أراملِ
أبناؤهنَّ مـن الهُذيـل ورهطِه مثلُ الملـوك وعشنَ غيرَ عواملِ

وقال أبو عمرو أيضاً : قال العُدَيل لرجل من موالي الحجّاج كان وجَّهه في جيش إلى بني عِجْل يطلب العُدَيل حين هرب منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق إبلَه ، وأحرق بيته ، وسلب امرأته وبناتِه وأخذ حُليَّهن ، فدخل العُدَيلُ يوماً على الحجّاج ومولاه هذا بين يديْه واقف فتعلَّق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول : [من الكامل]

صوت

سلبتَ بناتـي حَلْيَهنّ فلـم تدَعْ سِواراً ولا طوْقاً على النَّحر مُذهبا

هكذا في الشعر : سلبتَ بناتي ، والغناءُ فيه : سلبتَ الجواري حَلْيهنّ .

ومـا عـزَّ في الآذان حتى كأنّما تُعَطِّـل بـالبيض الأوانسَ رَبربا
عواطـلُ إلاّ أن تـرى بخدودها قسامَةَ عِتـق أوَ بنانـا مُخضَبّا[1]
فككتَ البُرينَ عن خِـدال كأنها بَـرادِيُّ غِيلٍ ماؤه قـد تنضبّا[2]
من الدُّر والياقوتِ عن كلّ حُرَّةٍ ترى سِمطَها بين الجُمانِ مُثَقَّبا
دَعَوْن أميرَ المؤمنين فلـم يُجب دعـاءً ولم يُسمعنَ أُمّاً وَلا أَبا

غنّى في الأوّل والرابع من هذه الأبيات أحمدُ النصيبيّ الهَمذانيّ ثان ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيهما ثقيل أوّل بالسبَّابة والوُسطى ، نسبه ابن المكّي إلى عبد الرحيم الدّفّاف ، ونسبه الهشاميّ إلى عبد الله بن العبّاس .

---

1 قسامة : حُسْن .

2 البرين : جمع برة ، وهي هنا الخلخال . خدال : السوق الغليظة المستديرة جمع خدلة . برادي : جمع بَردي ، وهو نبات مائي يكتب على أوراقه إذا جفّت . غيل : أجمة وكل واد فيه ماء .

[رجل من قوم العديل يُصيب أنف عجليّ]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : أصاب رجل من رهط العُديل من بني العكابة أُنف رجل من بني عِجل يقال له جَبَّار ، فقال العُدَيلُ في ذلك ، وكان عَدُوّاً له : [من الطويل]

أَلَم تَـرَ جَبّـاراً ومـارِنَ أَنفِه ... لـه ثُلَـمٌ يهويْـن أَن يتنخَّعا
ونحـنُ جَدَعْنـا أُنفَـه فكأنّما ... يَرى الناسَ أعداءً إذا هـو أُطلَعا
كُلُـوا أنـفَ جَبّار بِكاراً فإنّما ... تركناه عن فَرطٍ من الشَّرِّ أُجدعا[1]
معاقـدُ مـن أيديهـمُ وأُنوفهمْ ... بِكارا وثِيباً تركـبُ الحَزْن ظُلَّعا

قال : وكان رجلٌ من رَهط العُدَيل أيضاً ضربَ يد وكيع أُحدِ بني الطاغية ، وهما يشربان ، فقطعها وافترقا ، ثم هرب العُدَيلُ وأبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأوّل يفخَر بقطع أنف جبّار ويد وكيع ؛ لأنّهم حلفوا أن يقطعوا أنفَه ويدَه دَون من فَعلَ بهم ، فلجأ إلى عُفَير بن جُبَير بن هلال بن مُرّة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشَم بن قيس بن عجل ، فقال العُديلُ في ذلك : [من الطويل]

تركتُ وكيعاً بعدما شاب رأسُه ... أشلَّ اليمـين مستقيمَ الأَخادِعِ
فَشَرِّب بها وُرْقَ الإفال وكُلْ بها ... طعامَ الذليل وانجَحِرْ في المَخادعِ[2]

فقالتْ بنو قَيس بن سعد للفَرخ أبي العُدَيل : يا فرخُ ، أنصفْ قَومك ، وأعطِهم حقَّهم ، فركبَ إليهم الفرخُ ، ومعه حسّانُ بن وقّاف ودينار (رجلان من بني الحارث) فأسرتْه بنو الطاغية ، وانتزعوه من الرجلين ، وتوجَّهوا به نحو البصرة ، فرجع حسّان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم ، فركب النفير في طلب بني الطاغية ، فأدركوا منهم رجلاً فأسروه بدل الفرخ . ثم إنّ عُفَيْراً لَحِقَ بهم ، فاشترى منهم الجراحةَ بسبعين بعيراً ، وأخذ الفرخ منهم فأطلَقه ، فقال العُدَيلُ في ذلك : [من الطويل]

مـا زال في قيسِ بن سعد لجارهمْ ... على عَهدِ ذي القرنين مُعْطٍ ومانعُ
هم استنقذوا حسّانَ قسراً وأنتمُ ... لِئام المقـام والرِّمـاحُ شوارعُ
غدرتـم بدينارٍ وحسّان غَدرةً ... وبالفَرخ لمـا جاءَكم وهْو طائعُ
فلولا بنو قيسِ بن سعد لأصبحَتْ ... عـليَّ شداداً قَبضُهـنَّ الأَصابعُ

1 بكاراً : مبادرين مسرعين .
2 وُرق : جمع أورق وهو ما في لونه بياض إلى سواد . الإفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .

أَلا تسأَلون ابــــن المشَتَّم عنهمُ   جُعامــةَ والجيرانُ وافٍ وظالعُ[1]

وأَخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثنا الرّياشي عن الأَصمعيّ قال : قال أَبو النجم للعُديل بن الفرخ : أرأيت قولك : [من الطويل]

فــإن تــكُ من شيبانَ أُمِّي فإنَّني   لأَبيضُ عجــليٌّ عريضُ المَفارقِ ؟

أَكنتَ شاكّاً في نسبك حين قلتَ هذا ؟ فقال له العُدَيْل : أَفشككت في نفسك أو شعرك حين قلت : [من الرجز]

أَنا أَبو النجم وشعري شعري   للهِ دَرِّي مــا يُجِــنُّ صدري

فأَمسك أَبو النَّجم واستحْيا .

[العديل ومالك بن مسمع]

أخبرني أَبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدّثنا الرياشيّ عن العُتبيّ قال : حَمَل زيادٌ إلى معاويةَ مالاً من البصرة ، ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مِسمَع ، وكانت ربيعةُ مجتمعةً عليه كاجتماعها على كُلَيب في حياته ، واستغاثوا به ، وقالوا : يَحمِلُ المال ، ونبقى بلا عطاء . فركب مالك في ربيعة ، واجتمع الناسُ إليه ، فلحِق بالمال فردّه ، وضرب فُسطاطاً بالمِربد ، وأنفق المالَ في النّاس حتى وفّاهم عطاءهم ، ثم قال : إن شئتم الآن أن تحملوا فاحملوا ، فما راجعه زياد في ذلك بحرف ، فلمّا وليَ حمزةُ بن عبد الله بن الزُّبير البَصرة جمع مالاً ؛ ليحمِلَه إلى أبيه ، فاجتمع النّاس إلى مالك ، واستغاثوا به ، ففعل مثل فعلِه بزياد ، فقال العُديلُ بنُ الفَرخ في ذلك : [من الطويل]

إذا مــا خَشينا مــن أَميرٍ ظُلامة   دعونــا أَبــا غسَّانَ يوماً فعسكرا
ترى النّاسَ أَفواجاً إلى باب دارِه   إذا شاء جاؤُوا دارِعِينَ وحُسَّرا[2]

وأَوَّلُ هذه القصيدة :

أَمِــن منزلٍ مــن أُمّ سَكْن عشيَّةً   ظلِلْــتُ بــه أَبكــي حزيناً مُفكِّرا
معي كلّ مُسترخــي الإزار كأَنّه   إذا ما مشى من جنِّ غِيل وعَبقَرا[3]
يُزجِّي المَطايــا لا يبــالي كلالها   مُقلّصة خُوصا مــن الأَيْن ضُمَّرا[4]

1 ظالع : غامز في مشيه .
2 حسّر : جمع حاسر : مَن لا سلاح معه .
3 غيل وعبقر : مكانان تزعم العرب أنّهما من مساكن الجنّ .
4 خوص : جمع خوصاء أي غائرة العين . من الأين : من التعب .

[العديل شاعر بكر بن وائل]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثَنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الحسَن الشيبانيّ قال : حدَّثَني عبدة بن عِصْمة بن معبد القَيسيّ قال : حدَّثني جدِّي أبو أُمِّي فِراس بن خِنـدِف ، عن أَبيه ، عن جدِّه عليّ بن شَفيع قال : لقيتُ الفرزدقَ منصرفَه عن بكر بن وائل ؛ فقلت له : يا أبا فِراس : مَنْ شاعرُ بكر بن وائل مِمّن خلفْتَه خلفك ؟ قال : أُميم بني عِجل ، يعني العديلَ بنَ الفرخ ، على أنّه ضائع الشعر ، سروقٌ للبيوت .

[مدح أو تحريض]

أخبرني جعفر بن قُدامة قـال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن إسحاق عـن الهيثم بن عـديّ ، عن حمّـاد الراويـة قـال : لمّـا قـدِم الحَجّاجُ العراقَ قال العُدَيل بنُ الفَرخ : [من الطويل]

دعوا الجُبنَ يـا أَهل العراق فإنّما يُهـان ويُسبى كلُّ مَـن لا يقاتلُ
لقد جـرَّد الحجّاجُ لِلحقِّ سيفَه أَلا فاستقيمـوا لا يميلـنَّ مائلُ
وخافوه حتى القومُ بينَ ضُلوعهم كَنَزْوِ القطا ضُمَّتْ عليـه الحبائلُ
وأَصبح كالبـازي يقلِّبُ طرفَـه على مرقب والطيرُ منـه دواحلُ[1]

قال : فقال الحجّاج ، وقد بَلَغتْه ، لأصحابه : ما تقولون ؟ قالوا : نَقُول : إنّه مدحك ، فقال : كلاَّ ولكنّه حرَّض عليّ أهلَ العراق ، وأمر بطلبه فهرَب وقال : [من الطويل]

أُخـوَّفُ بالحجّـاج حتى كأنّما يُحـرِّكُ عَظْم في الفؤادِ مَهيضُ
ودون يَدِ الحَجّاج مـن أَن تنالَني بِساطٌ لأَيدي الناعجات عَريضُ
مهامُـه أَشبـاه كأَنَّ سَرابَهـا مُلاءٌ بأَيـدي الغاسلات رَحيضُ

فجد الحجَّاجُ في طلبه حتى ضاقتْ عليه الأرضُ ، فأَتى واسطاً ، وتنكَّر ، وأَخذ رُقعةً بيده ، ودخل إلى الحجَّاج في أَصحاب المظالم ، فلمّا وقف بين يديه أَنشأَ يقولُ : [من الطويل]

هأَنذا ضاقتْ بـيَ الأرض كلُّها إليـكَ وقـد جوَّلْتُ كلَّ مكانِ
فلو كنتُ في ثَهلان أو شُعبتَيْ أَجاً لخلتُـكَ إلاّ أَن تَصُـدَّ تَراني[2]

فقال له الحجّاج : العديلُ أَنتَ ؟ قال : نعم ، أَيّها الأمير ، فَلَوى قضيبَ خيزُران كان في يده في عنقه ، وجعل يقول : إيه .

---

1 دواحل : معناها فارة ومستترة .

2 ثهلان : جبل لنمير .

بساط لأيـــدي الناعجات عريض

فقال : لا بِساط إلاّ عفوُك ، قال : اذهب حيث شئتَ .

[حوشب بن يزيد وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف]

أخبرني محمدُ بنُ خَلَف بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عدِيّ ، عن ابن عيّاش قال : كان حوشب بن يَزيد بن الحُويْرث بن رُوَيْم الشيبانيّ وعِكرِمَة بن رِبعيّ البكريّ ، يتنازعان الشرف ، ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجُزُر في عسكر مصعب ، وكاد حوشَب يغلب عِكرِمَة لسَعة يده . قال : وقَدِمَ عبدُ العزيز بنُ يسار مولى بُجَير ، قال : وهو زوج أُمّ شُعْبة الفقيه ، بسفائنِ دَقيق ، فأتاه عِكرِمة فقال له : اللهَ اللهَ فيَّ ، قد كاد حوشَبٌ أن يستعليَني ، ويغلبَني بماله ، فَبِعْني هذا الدقيقَ بتأخير ، ولك فيه مثلُ ثمنه رِبْحاً ، فقال : خذه ، وأعطاه إيّاه ، فدفعه إلى قومه ، وفرَّقَه بينَهم ، وأمرهم بعَجنه كلِّه ، فعجنوه كلَّه ، ثم جاء بالعجين كلِّه ، فجمعه في هُوَّة عظيمة ، وأمر به ، فغُطِّيَ بالحشيشِ ، وجاء بَرمكةَ[1] ، فقرّبوها إلى فرس حوشب ، حتى طلَبها ، وأفلت ، ثم ركضوها بين يديه وهو يَتبعُها ، حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس ، حتى تورَّطا في العجين وبقيا فيه جميعاً ، وخرج قومُ عِكرِمة يصيحون في العسكر : يا معشر المسلمين ، أدركوا فرسَ حوشبَ ، فقد غرق في خميرة عكرِمة ، فخرج النّاس تعجُّباً من ذلك أن تكون خميرةٌ يغرَقُ فيها فرس ، فلم يبق في العسكر أحدٌ إلاّ ركبَ ينظر ، وَجاؤوا إلى الفرس ، وهو غريق في العجين ما يبين منه إلاّ رأسُه وَعنقُه ، فما أُخرج إلاّ بالعُمُد والحِبال ، وغلب عليه عِكرِمة ، وافتضح حوشَب ، فقال العديل بن الفرخ يمدحهما ، ويفخر بهما : [من الطويل]

وعكرِمةُ الفيّاضُ فينا وَحوشَبٌ   همـا فتيا النّاسِ اللّذا لم يغمَّرا
هما فتيا النّاسِ اللذا لم يَنَلْهما   رئيسٌ ولا الأقيالُ من آلِ حمْيَرا

قال : وفي حوشَب يقولُ الشاعر :

وأجــوَدُ بالمـــالِ من حاتمٍ[2]   وأنحـــرُ للجزْر من حَوشَبِ

[شعر العديل بين السهل والفحل]

أخبرني محمد بن يونس الكاتب قال : حدَّثنا أحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ قال : دخلتُ على الرشيد يوماً وهو مَحموم فقال : أنشدني يا أصمعيّ شعراً مَليحاً ، فقلت :

---

1 الرمكة : الفرس والبرذونة تتّخذ للنسل .

2 مثل : ورد في الدرر الفاخرة 107/1 ، 126 وجمهرة الأمثال للعسكري 298/1 و336 ، ومجمع الأمثال للميداني 182/1 ، والمستقصى للزمخشري 53/1 .

أرصيناً فحلاً تُريده يا أميرُ المؤمنين أم شجيّاً سهلاً ؟ فقال : بل عَزَلاً بين الفحْل والسَّهل ، فأنشدتُه للعُدَيل بن الفَرخ العِجْليّ : [من الطويل]

صحا عن طِلاب البِيض قبل مَشيبه ... وراجع غَضَّ الطرف فهو خَفيضُ
كأنّيَ لم أَرعَ الصِّبا ويروقُني ... من الحيّ أَحْوى المقلتين غَضيضُ
دَعاني له يوماً هوًى فأجابه ... فُؤادٌ إذا يلقى المِراضَ مريضُ
لُمستأنساتِ بالحديثِ كأنَّه ... تهلُّلُ غُرٍّ بَرْقُهنَّ وَميضُ

فقال لي : أعدْها ، فما زلتُ أكررها عليه ، حتى حفِظها .

[موته ورثاء الفرزدق له]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال : حدَّثني الرياشيّ ، عن محمد بن سَلاَّم ، قال : قدِم العُدَيل بن الفرخ البصرة ، ومدح مالك بن مِسْمع الجَحْدريّ ، فوصله ، فأقام بالبصرة ، واستطابها ، وكان مقيماً عند مالك ، فلم يزل بها إلى أن مات ، وكان يُنادمُ الفرزدق ، ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه : [من الطويل]

ومـا وَلَدتْ مثلَ العُدَيلِ حليلةٌ ... قديماً ولا مستحدثاتُ الحلائلِ
ومـا زال مذ شَدَّتْ يداه إزاره ... بـه تَفتَح الأَبوابَ بكرُ بن وائلِ

صوت

[من المنسرح]

إنّي بدَهماء عزَّ ما أَجدُ ... عاودني من حِبابها زُؤُدُ
عاودني حبُّها وقد شَحَطَتْ ... صرفُ نواها فإنَّني كَمِدُ

قوله : «عزَّ ما أَجد» أي : شدَّ ما أجد . وحبابُها : حبّها ، وهو واحد ليس بجمع ؛ والزُّؤُدُ : الفزع والذعر . وصرفُ نواها : الوجه الذي تصرِفُ إليه قصدَها إذا نأَت . والكمد : شِدّة الحُزن .

الشعر لصخر الغَيِّ الهُذَليّ ، هكذا ذكر الأصمعيّ وأَبو عمرو الشيبانيّ ، وذكر إسحاق عن أَبي عبيدة أنّه رأى جماعة من شعراء هُذَيل يختلفون في هذه القصيدة فيرويها بعضُهم لصَخْر الغَيِّ ، ويرويها بعضهم لعمرو ذي الكلب ، وأَنّ الهيثم بن عديّ حدَّثه عن حمّاد الراوية أنّها لعَمْرو ذِي الكلب .

* * * *

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين   الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث والعشرون

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

23

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Iṣphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[497] ـ أخبار صخر الغيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو صخرُ بن عبد الله الخَيْثميّ ، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل . هذا أكثر ما وجدته من نسبه ، ولقب بصخر الغيّ لخلاعته ، وشدّة بأسه ، وكثرة شرِّه .

فمَن روى هذه القصيدة له ، ذكر أنّ السبب فيها أن جاراً لبني خُناعة بن سعد بن هُذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مُزينة ، وقيل : إنّه كان جاراً لأبي المثلّم الشاعر ، وهو أخوهم ، فقتله صخر الغيّ فمشى أبو المثلم إلى قومه ، وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزنيّ والإدراكِ بثأره ، فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلَّم وما فعله ، فأوّلها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول : [من المنسرح]

وَلستُ عبداً للموعِدِينَ ولا أقبلُ ضَيماً أتى به أحدُ
جاءت كبيرٌ كيما أخفِّرَها والقوم صِيدٌ كأنّهم رَمِدوا
في المزنيّ الذي حششتُ به مالَ ضَريك تِلادُهُ نَكِدُ[2]
إن أمتسِكْه فبالفِداء وإن أُقتل بسيفي فإنّه قَوَدُ

ولصخرْ وأبي المثلّم في هذا مناقضات وقصائدُ قالاها ، وأجاب كلٌّ واحد منهما صاحبه ، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب .

[الأعلم العداء]

وحكى الأثرم عن أبي عبيدة أنّه حدَّث عن عبد الله بن إبراهيم الجمَحيّ قال : كان الأعلم أخو صَخْر الغيّ أحدَ صعاليك هُذيل ، وكان يعدو على رجليه عَدْواً لا يُلحق ، واسمه حبيب بن عبد الله ، فخرج هو وأخواه صخر وصُخَير ، حتى أصبحوا تحت جبل يقالُ له السِّطاع[3] ، في يوم من أيّام الصيف شديد الحرِّ ، وهو متأبّط قِربة لهم فيها ماء ،

1 انظر أخباره في : الإصابة : 3 : 259 .

2 ضريك : الفقير السيء الحال .

3 سِطاع : جبل بينه وبين مكّة مرحلة ونصف من جهة اليمين .

فأيبستْها السَّموم ، وعَطِشوا حتى لم يكادوا أن يصرِوا مِنْ العَطش ، فقال الأعلم لصاحبيه : أشرب من القربة لعلي أن أرِد الماءَ فأروى منه وانتظراني مكانَكما ، وكانت بنو عديّ بن الدّيل على ذلك الماءِ وهو ماء الأطواء ، يتفيّؤون بنخل متأخّر عن الماء قدرَ رَمية سهم . فأقبل يمشي مُتَلثّماً ، وقد وضع سيفَه وقوسَه ونَبله فيما بَينه وبينَ صاحبه ، فلمّا برز للقوم مَشى رُويداً مشتملاً ، فقال بعض القوم : مَن تَرون الرجلَ ؟ فقالوا : نراه بعْضَ بني مُدلج بن مرّة .

ثم قالوا لبعضِهم : القَ الفتى ، فاعرفْه ، فقال لهم : ما تريدون بذلك الرجلِ ؟ هو آتيكم إذا شَرِب ، فدعوه فليسَ بمفيتَنا ، فأقبل يمشي حتى رمى برأسِه في الحوض مُدْبراً عنهم بوجهه ، فلمّا رَوى أفرغ على رأسه من الماء ، ثم أعاد نِقابه ، ورجع في طريقه رُويداً ؟ فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء : هل عرفت الرجل الذي صَدر ؟ قال : لا ، فقالوا : فهل رأيت وجهَه ؟ قال : نعم ، هو مشقوق الشَّفة ، فقالوا : هذا الأعلَم ، وقد صار بينه وبين الماء مقدارُ رَمية سهْم آخر ، فعَدَوْا في أثره ، وفيهم رجل يقال له : جُذَيمة لَيس في القوم مثلُه عدواً ، فأغروه به ، وطردوه فأعجزهم ، ومرَّ على سَيفِه وقوسه ونَبله ، فأخذه ، ثم مرَّ بصاحبَيه فصاح بهما فضبرا[1] معه ، فأعجزوهم ، فقال الأعلم في ذلك : [من مجزوء الكامل]

لمـا رأيـتُ القومَ بالْـ ـعَلْياء دون قِدى المناصب[2]
وفَرِيتُ مـن فـزعٍ فلا أرْمي ولا ودَّعتُ صاحبْ[3]
يُغـرون صاحبهـم بِنا جَهداً وأُغري غيرَ كاذبْ
أُغري أخـي صخراً لِيُعْـ ـجزهم ومَدُّوا بالحلائب[4]
وخشيتُ وقـعَ ضريبةٍ قد جُرِّبَتْ كلَّ التجارب[5]
فأكـونُ صيدَهُم بهـا للذيب والضَّبع السَّواغبْ

1 ضبرا معه : عدوا معه .
2 قِدى : قدر . المناصب : الأغراض والمرامي .
3 فريت : تحيرت ودهشت .
4 أخي صخراً في الديوان : «أبا وهب» . الحلائب : الجماعات جمع حلبة .
5 ضريبة : سيف .

جَـزَراً وللطيـر المُربَّـ ـة والذئـابِ وللثَّعالِبْ[1]

وهي قصيدة طويلة .

صوت

[صخر يرثي أخاه أبا عمرو]

وقالوا جميعاً : خرج صخْرٌ الغيّ وأخوه أبو عمرو في غَزاة لهما ، فباتا في أرض رَملة ، فنهشت أخاه أبا عمرو حيّة ، فمات ، فقال يرثيه : [من الطويل]

لعمرُ أبـي عمرو لقد ساقه المنا إلى جَدَثٍ يُوزَى لـهُ بالأهاضِبِ
لحيّـةِ جُحـرٍ في وجار مقيمةٍ تنمَّى بها سوقُ المنا والجوالبِ[2]
أخي لا أخـا لي بعْده سبقتْ به منيَّتُه جمـعَ الرُّقـى والطبائبِ
وذلك ممّـا يُحـدث الدهرُ إنّه لـه كلّ مطلوبٍ حثيثٍ وطالبِ

يوزى له : يمنى له . والإزاء : مهراق الدلو . والأهاضب : الجبال .

وقال الأثرمُ عن أبي عبيدة . خرج صَخرٌ الغيّ في طائفة من قومه يقدُمها خوفاً من أبي المثلَّم ، فأغار على بَني المصطلق من خُزاعة ، فانتظر بقيّة أصحابه ، وَنَذَرَت به بَنو المصطلق ، فأحاطوا به فقال : [من الرجز]

لـو أن أصحابي بَنُو معاويَهْ أهلُ جُنوب النخلـة الشّآميَهْ[3]
ورهطُ دُهمانٍ ورَهطُ عاديَهْ مـا تركوني للذئاب العاويَهْ

وجعل يَرميهم ويَرتجز ويقول : [من الرجز]

لـو أنّ أصحابي بنُو خُناعَهْ أهـلُ النَّدى والمجدِ والبَراعَهْ
تحـتَ جلـود البَقر القرَّاعه لمنعـوا مـن هـذه اليراعَهْ[4]

وقال أيضاً وهو يقاتلهم : [من الرجز]

1 المربّة : المقيمة الملازمة .

2 الوجار : كل حجر يسكن فيه حنش من أحناش الأرض . تنمّى : ارتفع .

3 جنوب : جمع جنب بمعنى ناحية .

4 القراعة : الصلبة . اليراعة : الضعيف ، وفي الديوان : «المراعة» .

لـو أنّ حولي من قُريم رَجْلاً بيضَ الوجوه يحملونَ النَّبلا[1]
لمنعـوني نَجـــدة وَرِسْلا سفع الوجوه لم يكونوا عُزْلا

[مقتل صخر ورثاؤه]

يقول : منعوني بنَجدة وشِدَّة وَعلى رِسْلهم بأهونِ سَعي . قال : فلم يزلْ يُقاتلهم حتى قَتلوه .

[رثاء أبي المثلّم له]

وبلغ ذلك أبا المثلّم ، فقال يَرثيه : [من البسيط]

لـو كان للدهـر مـالٌ عند مُتلده لكان للدَّهــرِ صخرٌ مـــالَ قُنْيانِ
آبـي الهضيمـة آت بالعظيمة متْـ ـلافُ الكريمة لا سِقْـطٌ ولا واني
حامـي الحقيقـة نسّالُ الوديقة مِعـ ـتاقُ الوسيقـة جَلْـدٌ غير ثِنْيانِ[2]
رَقّــاء مرقَبـــة ، منّـــاعُ مَغلبـــةٍ ركّابُ سلهَبـــة ، قطـاعُ أَقــرانِ[3]
هبــاطُ أوديـــةٍ شهَّــادُ أنديـــةٍ حمّــالُ ألوِيـــةٍ سِرحـانُ فِتيـانِ

السرحان : الأسد في لغة هذيل وفي كلام غيرهم الذئب .

يحمي الصحابَ إذا جدَّ الضِّرابُ ويكـ ـفي القائلينَ إذا مـا كُبِّـلَ العاني
فيتــرك القِـرنَ مصفَرّاً أناملُـه كأنَّ في رَيْطتَيـه نضـخَ إرقانِ

الإرقان : اليَرقان ، يعني صُفرتَه .

يعطيكَ مــا لا تكاد النفسُ تسلِمُـه مــن التِّلادِ وهــوبٌ غيرُ مَنّـانِ[4]

1 قريم : حي من هذيل .
2 نسّال : مسرع . الوديقة : شدّة الحر . الوسيقة : الطريدة .
3 رقاء في ل والديوان : «ربّاء» بمعنى علا وارتفع . سلهبة : جسيمة طويلة . أقران : جمع قرن ، وهو الحبل .
4 تسلِمُه في الديوان : ترسله .

[498] ـ نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

[نسبه]

هو عَمرو بن العَجلان بن عامر بن بُرد بن مُنَبّه ، أحد بني كاهل بن لَحيان بن هُذيل .

قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ : إنّما سُمِّي ذا الكلب لأنّه كان له كلبٌ لا يفارقه .

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنّه قال : لم يكن له كلبٌ لا يفارقه ، إنّما خرج غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ، فثبتتْ عليه .

قال : ومن النّاس مَن يقول له عَمرو الكلب ، ولا يقول فيه : «ذو» .

قال : وكان يغزو بني فَهْم غزواً متَّصلاً ، فنام ليلة في بعضِ غزواته ، فوثب عليه نَمِران فأكلاه فادَّعت فهمٌ قتلَه ، هكذا في هذه الرواية .

[عمرو ذو الكلب وأمّ جليحة]

وقد أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا أبو سعيد السكريّ ، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبيدة عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل وغيرِهم من الرّواة قالوا : كان من حديث عمرو ذي الكلب الهُذَليّ ، وكان من رجالهم ، أنّه كان قد عِلِقَ امرأة من فَهْم يقال لها : أمّ جُلَيْحة ، فأحبَّها وأحبَّته ، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه ، وطلبوا دمَه ، إلى أن جاءها عاماً من ذلك ، فنذِرُوا به ، فخرجوا في أثره ، وخرج هارباً منهم فتبِعوه يومَهم ذلك ، وهم على أثره ، حتى أمسى ، وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظلْماء ، فبينا هو يسيرُ على ظهر الطريقِ إذ رأى ناراً عن يمينه ، فقال : أخطأتُ واللهِ الطريقَ وإن النارَ لعلى الطريق ، فحار وَشكّ ، وقصد للنّار ، حتى أتاها ، وقد كان يصيحُ ، فإذا رجل قد أوْقَدَ ناراً ليس معه أحدٌ ، فقال له عمرو ذو الكلب : مَن أنت ؟ قال : أنا رجل من عَدْوان ، قال ، فما اسم هذا المكان ؟ قال السَّدُّ ، فعلِم أنّه قد هلك وأخطأ ، والسدُّ شيء لا يجاوَز ، قال : ويلك ! فلمَ أوقدتَ ، فوالله ما تشتوي ، ولا تصطَلي ، وما أُوقدتَ إلاّ لمنيّة عمرو الشّقيّ ، هل عندك شيءٌ تُطعمني ؟ قال : نعم ، فأخرج له ثَمرات قد نقَّاها في يده ، فلمّا رآها قال : ثمرات ، تتبعها

عبرات من نساء خَفِرات ، ثم قال : اسقِني ، قال : ماذا ؟ ألبناً ؟ قال : لا ، ولكن اسقِني ماء قَراحاً ، فإنّي مقتول صباحاً ، ثم انطلق ، فأسند في السَّدِّ ، ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه أثره ، حيث أخطأ ، فاتبعوه ، حتى وجدوه فدخل غاراً في السّدّ ، فلمّا ظهروا للسّدّ عَلِموا أنّه في الغار فنادوْه ، فقالوا : يا عمرو ، قال : ما تشاءون ؟ قالوا : اخرج ، قال : فلِمَ دخلت إذن ؟ قالوا : بلى ، فاخرجْ ، قال : لا أخرُج ، قالوا : فأنشِدْنا قولك : [من الوافر]

وَمقعدِ كُربــةٍ قــد كنتُ مِنها مكان الإصبعـين من القِبالِ[1]

قال : ها هي ذه أنا فيها . قال : وعنَّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله ، فقالوا : أقتلته يا عدوَّ الله ؟ فقال : أجَلْ ، ولقد بقيتْ معي أربعةَ أسهم كأنّها أنيابُ أُمِّ جُلَيْحة لا تصلون إليَّ أو أقتُلَ بكل سَهم مِنها رجُلاً منكم ، فقالوا لعبدهم : يا أبا نِجاد ، ادخُلْ عليه ، وأنت حُرّ ، فتهيّأ للدخول أبو نِجاد عليه ، فقال له عمرو : ويلك ! يا أبا نجاد ، ما ينفعك أن تكون حرّاً إذا قتلتك ؟ فنكصَ عنه ، فلمّا رأوا ذلك صعدوا ، فنقبوا عليه ، ثم رمَوْه حتى قتلوه ، وأخذوا سَلَبه ، فرجعوا به إلى أُمّ جُلَيحةَ وهي تَتَشَوّفُ ، فلمّا رأَوْها قالوا لها : يا أُمَّ جُلَيحة ، ما رأيكِ في عَمرو ، قالت : رأيي والله أنّكم طلبتموه سريعاً ، ووجدتموه مَنِيعاً ، ووضعتموه صَرِيعاً ؟ فقالوا : والله لقد قتلناه ، فقالت : والله ما أراكم فعلتُم ، ولئن كنتم فعلتُم ، لربّ ثَدي منكم قد افترشَه ، وضَبٌّ قد احترشه[2] ، فطرحوا إليها ثيابَه ، فأخذتْها ، فشمّتْها ، فقالت : ريحُ عِطْر وثوبُ عَمرو ، أما والله ما وجدتموه ذا حُجْزة[3] جافية ، ولا عانة وافية ، ولا ضالّة[4] كافية .

[أخته ترثيه]

وقالت رَيطة أختُ عمرو ذي الكلب ترثيه : [من البسيط]

كلُّ امرىءٍ لمحال الدهـر مكروبُ وكلّ مـن غالـبَ الأيّامَ مغلوبُ[5]

1 القبال : الزمام في النعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها .

2 احترشه : صاده .

3 الحجزة : موضع التكّة من الإزار .

4 الضلة : المراد بها السّلاح .

5 محال : قوة .

وكلُّ حيٍّ وإن عزوا وإن سَلِموا يومـاً طريقُهمُ في الشَّرِّ دُعبوبُ[1]
أبلغْ هذيـلاً وأَبلغ مَـنْ يُبلِّغُها عنِّي رَسولاً وبعضُ القول تكذيبُ[2]
بأنَّ ذا الكلبِ عَمْراً خيرهم نسباً ببطن شِريان يعوي حولَـه الذيبُ[3]
الطاعنُ الطعنـةَ النجـلاءَ يتبَعُها مُثْعنجِرٌ من نَجيع الجوفِ أُسكوبُ[4]
والتـاركُ القِـرنَ مصفرّاً أناملُـه كأنّه من نقيع الوَرْس مخضوبُ[5]
تَمشي النسورُ إليه وهـي لاهيةٌ مَشْيَ العذارى عليهنَّ الجلابيبُ
والمخـرجُ العاتـقَ العذْراء مُذعنةً في السَّبي ينفحُ من أَرْدانها الطيبُ

صوت

[من البسيط]

يا دارَ عمرةَ مِن مُحْتلِّها الجَرَعا هاجتْ ليَ الهمَّ والأَحزانَ والوجَعا[6]
أَرى بعينـي إذا مالت حَمولَتُهمْ بطن السلَوْطَح لا ينظرن من تبعا[7]
طوراً أَراهـم وطـوراً لا أَبينُهُمُ إذا تَرَفَّـع حِـدْجٌ ساعـة لمعا

الشعر للقيط الإياديّ يُنذر قومَه قصدَ كِسرى لهم ، والغناء لكردَم بن مَعْبد هَزَج بالبنصر من روايتي حَبَش والهشاميّ .

1 دُعبوب : الطريق الموطوءة .
2 القول في ل : الغيّ .
3 بطن شريان : موضع أو واد باليمن يُقال إنّ به قبر عمرو .
4 مثعنجر : سائل . أسكوب : منسكب أو مسكوب .
5 نقيع في ل : نجيع .
6 الجرع : الرملة لا تنبت شيئاً ، وهي موضع هنا .
7 السلوطح : موضع بالجزيرة قريب من البشر .

[499] ـ خبر لقيط ونسبه[1]
والسبب في قوله الشعر

[نسبه]

هو لقيطُ بن يعمَرَ[2] . شاعر جاهليّ قديم مُقلّ ، ليس يُعرف له شعرٌ غيرَ هذه القصيدة وقِطعٍ من الشعر لطافٍ متفرّقة .

[غزو كسرى لإياد]

أخبرني بخبر هذا الشعر عمّي قال : حدَّثني القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدَّثني أحمد بن عبيد قال : حدَّثني الكَلبيّ عن الشرقي بن القُطاميّ قال : كان سبب غزوِ كسرى إياداً أنّ بلادهم أجدبتْ ، فارتحلوا حتى نزلوا بسِنداد[3] ونواحيها ، فأقاموا بها دهراً حتى أخصبوا وكثُروا ، وكانوا يَعبدون صنماً يقال له : ذو الكَعبين ، وعبدته بكرُ بنُ وائل من بعدهم ، فانتشروا ما بين سِنْداد إلى كاظِمَة وإلى بارق[4] والخَورْنق ، واستطالوا على الفُرات ، حتى خالطوا أرضَ الجزيرة ، ولم يزالوا يُغيرون على ما يليهم من أرض السواد ، ويَغزون ملوك آل نصر ، حتى أَصابوا امرأة من أشراف العجم كانت عَروساً قد هُدِيت[5] إلى زَوجها ، فوليَ ذلك منها سفهاؤهم وأحداثُهم ، فسار إليهم مَن كان يليهم من الأعاجم ، فانحازت إيادٌ إلى العراق وجعلوا يعبُرون إبلهم في القراقير[6] ويقطعون بها الفُرات وجعل راجزهم يقول : [من الرجز]

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 199/1 ، 201 والاشتقاق لابن دريد 104 والمؤتلف 175 .
2 في الشعر والشعراء : ابن معمر وأورد محمود محمد شاكر أنّ مختارات ابن الشجريّ وجمهرة اللغة لابن دريد أوردته «يعمر» كما في الأغاني وكذلك في ديوانه في حين ورد في مصادر أخرى «معبد» .
3 سنداد : منازل لإياد ، أسفل الكوفة .
4 بارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة .
5 هديت : زفت إلى بعلها .
6 القراقير : جمع قُرقور : السفينة الطويلة أو العظيمة .

بئس مناخُ الحلَقات الدُّهْمِ   في ساحة القُرقور وسط اليَمِّ[1]

وعَبروا الفراتَ ، وتبعَهم الأعاجمُ ، فقالت كاهنة من إياد تسجعُ لهم : [من الرجز]

إن يقتلوا منكم غلاماً سِلْما   أو يأخذوا ذاك شَيخاً هِمّا[2]

تُخضِّبوا نحورَهم دَمّا   وتُرووا منهم سُيوفاً ظُمّا

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن مِحْجن بإبل لأبيه فلقيتْه الأعاجم ، فقتلوه ، وأخذوا الإبل ولقيتهم إيادٌ في آخر النهار ، فهزمت الأعاجم .

قال : وحدَّثني بعض أهل العِلم أنّ إياداً بيَّتَتْ ذلك الجَمع حين عبروا شطَّ الفرات الغَربيّ ، فلم يفلِت منهم إلاّ القليلُ ، وجمعوا به جِماجمَهم وأجسادهم ، فكانت كالتلّ العظيم ، وكان إلى جانبهم دَيْر ، فسمِّي ديرَ الجَماجم ، وبلغ كسرى الخبر ، فبعث مالكَ بنَ حارثة : أحد بني كعب بن زُهير بن جُشَم في آثارهم ، ووجَّه معه أربعة آلاف من الأساورة . فكتب إليهم لَقيط : [من البسيط]

يا دارَ عمرةَ من مُحتلّها الجَرَعا   هاجتْ لي الهمَّ والأحزانَ والوجعا

وفيها يقول ، قال الشَّرقي بن القطاميّ أنشدَنيها أبو حمزة الثماليّ :

يا قوم لا تأمنوا إن كنتمُ غُيُراً   على نسائكُمُ كِسرى وما جَمَعا
هو الجلاءُ الذي تبقى مذلَّته   إن طار طائركم يوماً وإن وقَعا
هو الفَناء الذي يجتثُّ أصلكمُ   فمَن رأى مثلَ ذا رأيا ومَنْ سَمِعا
فقلِّدوا أمركم لله دَرُّكُم   رَحْبَ الذراع بأمر الحَرْب مُضْطَلِعا
لا مترَفاً إن رخاءُ العيش ساعده   ولا إذا حلَّ مكروه به خَشَعا
لا يَطعَم النومَ إلاّ ريثَ يبعثُه   همٌّ يكادُ حَشاه يقطَع الضِّلَعا
مسهَّدُ النوم تَعنِيه ثُغورُكُمُ   يرومُ منها إلى الأعداء مُطَّلَعا
ما انفكَّ يحلُبُ هذا الدهرَ أَشطرَه   يكون متَّبِعاً طوراً ومتَّبَعا
فليس يشغلُه مالٌ يُثَمِّره   عنكمْ ولا ولد يَبغي له الرَّفَعا

1 الحلقات : جمع حلقة : الإبل الموسومة بالحلقات .

2 ذاك في ل : ذلك .

حتى استمرَّتْ على شزْرٍ مريرتُه   مستحكِمَ السنّ لا قحْما ولا ضَرَعا[1]
كمالِكِ بنِ قِنان أو كصاحبه   زيدِ القنا حين لاقى الحارِثَيْنِ مَعا[2]
إذ عابه عائبٌ يوماً فقال له :   دَمِّث لجنبكَ قبلَ الليل مُضطَجَعا[3]
فساوَرُوه فألفَوْه أخا عَلَلٍ   في الحرب يَخْتِلُ الرئبال والسَّبُعا
عبلَ الذراع أبيّاً ذا مُزابنَةٍ   في الحربِ لا عاجزاً نكْساً ولا وَرَعا[4]
مستنجداً يتحدّى الناسَ كلَّهمُ   لو صارعوه جميعاً في الوَرى صَرَعا
هذا كتابي إليكُمْ والنذير لكمْ   لِمَن رأى الرأي بالإبرامِ قد نَصَعا
وقد بذلتُ لكم نُصْحي بلا دَخَلٍ   فاستيقظوا إن خيرَ العِلم ما نَفَعا

وجعل عنوان الكتاب : [من الوافر]

كتابٌ في الصَّحيفةِ من لَقيطٍ   إلى مَن بالجزيرة من إيادِ
بأن الليثَ كسرى قد أتاكُمْ   فلا يحبسكُمُ سوقُ النِّقادِ[5]

[موقعة مرج الأكم]

قال : وسار مالك بن حارثة التغلبيّ بالأعاجم حتى لقيَ إياداً ، وهم غارُّون لم يلتفتوا إلى قول لَقيط وتحذيرِه إيّاهم ثِقةً بأن كسرى لا يقدُم عليهم . فلقيهم بالجزيرة في مَوضع يقال له مَرْج الأكم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفِر بهم ، وهزَمهم ، وأنقذَ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفُرات ، ولحقت إيادٌ بأطراف الشام ولم تتوسَّطْها خوفاً من غسّان يوم الحارثين ، ولاجتماع قُضاعة وغسَّان في بلد خوفاً من أن يصيروا يداً واحدةً عليهم ، فأقاموا ، حتى أمِنوا . ثم إنّهم تطرّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الرّوم بناحية أنقرة ، ففي ذلك يقول الشاعر : [من الكامل]

---

1 استمرت : استحكمت وقويت . شزر : ما يفتل على غير وجهه ، أي من اليسار . المريرة : طاقة الحبل ، أي أنّه متين . قحماً : شيخاً فانياً عجوزاً . ضرعاً : ضعيفاً ذليلاً مستكيناً .

2 الحارثين : الحارث بن ظالم والحارث بن عوف المريّين .

3 مثل : ويروى دمث لنفسك . ورد في : مجمع الأمثال 265/1 ، والجمهرة للعسكري 443/1 ، 444 وفصل المقال 31 ، والمستقصى للزمخشري 81/2 .

4 الورع : الجبان الضعيف .

5 النقاد : جنس من الغنم قبيح الشكل مفرده نقد .

حلُّــوا بأنقــرةٍ يسيــل عليهــمُ ... مــاءُ الفُرات يجــيءُ مِن أطوادِ

صوت

[من الطويل]

اللبين يــا ليــلى جِمالُكِ تُرحَلُ ... لِيَقْطَعَ منّا البينُ ما كان يوصَلُ
تُعلِّلُنــا بالوعــد ثُــمَّــت تلتوي ... بموعودهــا حتــى يموتَ المعلَّلُ
أَلَم تَــرَ أنَّ الحَبْــلَ أصبحَ واهناً ... وأُخلف من ليلى الذي كنت آمُلُ
فلا الحبلُ من ليلى يُواتيك وصلُه ... ولا أنت تنْهى القلب عنها فيَذهَلُ

عَروضه من الطويل ، الشعرُ لنُصيب الأصغر مولى المَهديّ ، والغناء ليحيى المكّيّ خفيف رَمَل بالبنصر ، وكذا نَسَبَتْهُ بذل إليه .

وذكر عَمرو بن بانة في نسخته أنّ خفيف الرَّمل لمالك وأنّه بالوسطى ، والصحيح أنّه لابن المكّيّ .

[500] ـ أخبار نُصيْب الأصغر

[نشأته]

نُصيب مولى المهديّ ؛ عبدٌ نشأً باليمامة ، واشتُريَ للمَهديّ في حياة المنصور : فلمّا سمع شعره قال : والله ما هو بدون نُصيب مولى بني مَروان ، فأعتقه ، وزوَّجه أمةً له يقال لها : جعفَرَة . وكناه أبا الحَجْناء ، وأَقطعه ضيعةً بالسواد ، وعُمِّر بعدَه .

[يمدح الرشيد]

وهذه القصيدةُ يمدحُ بها هارون الرشيد ، وهي من جيّد شعره وفيها يقول : [من الطويل]

خليـلَيَّ إنّـي مـا يزالُ يشوقُني … قَطينُ الحِمَـى والظاعـنُ المتحمِّلُ
فأقسمتُ لا أنسى ليـاليَ مَنعِجٍ … ولا مأسَلٍ إذ منزلُ الحيّ مأسَلُ[1]
أمِـن أجـل آياتٍ ورسم كأنّه … بَقيـة وحْـيٍ أو رداءٌ مُسَلسَلُ[2]
جرى الدّمعُ من عينيكَ حتى كأنّه … تحـدُّر دُرٍّ أو جُمـانٌ مُفصَّلُ
فيا أيُّها الزنجيُّ ما لـكَ والصِّبا … أفقْ عن طِلابِ البِيض إن كنت تعقِلُ
فمثلكَ من أُحبوشة الزَّنج قُطِّعت … وسائـلُ أسبـابٍ بهـا يُتَوَسَّلُ[3]
قصدنـا أميرَ المؤمنـين ودونَـه … مهامُه مَوماةٍ مـن الأرض مَجْهَلُ
على أرحبيّاتٍ طوى السيرُ فانطوتْ … شمائلُهـا ممّـا تُحَـلُّ وتُرْحَلُ[4]
إلى ملـكٍ صَلْت الجَبـين كأنّه … صَفيحَةُ مَسنون جلا عنه صَيقلُ[5]

---

1 منعج : واد يدفع في بطن فلج ، حدثت به واقعة من أيّام العرب . مأسل : دارة من دارات العرب ، ذكرت في شعر لبيد .

2 مسلسل : رديء النسج .

3 أحبوشة : جماعة الناس ليسوا من قبيلة .

4 أرحبيات : نجائب منسوبة إلى أرحب ، فحل من فحولهم .

5 صلت : واضح .

إذا انبلَج البابانِ والسترُ دونَه بَدا مثلَ ما يبدو الأغرُّ المحجَّلُ
شريكانِ فينا منهُ عينٌ بَصيرة كَلوءٌ وقلبٌ حافظ ليسَ يغفُلُ
فما فاتَ عينيْه وعاهُ بقلبه فآخِرُ ما يرعى سواءٌ وأوَّلُ
وما نازعت فينا أُمورَك هفْوةٌ ولا خَطلة في الرأي والرأي يَخطَلُ
إذا اشتبهتْ أعناقُه بيَّنت له معارفُ في أعجازِهِ وهْو مُقبلُ
لئن نالَ عبدُ اللهِ قبلُ خِلافةً لأنتَ من العهدِ الذي نِلتَ أفضلُ
وما زادكَ العهدُ الذي نلتَ بسطةً ولكن بتقوى الله أنتَ مُسربَلُ
وريثَ رسولَ الله عُضْواً ومَفصِلاً وذا من رسول اللهِ عُضوٌ ومَفصِلُ
إذا ما دهتْنا من زمانٍ مُلمَّةٌ فليس لنا إلاّ عليكَ المعوَّلُ
على ثقةٍ منّا تَحِنُّ قلوبنا إليكَ كما كُنَّا أباكَ نُؤمِّلُ

وهي قصيدة طويلة ، هذا مختار من جميعها .

[يبذر في مال المهدي فيوثقه بالحديد]

أخبرني الحسنُ بن عليٌّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني أبي ، قال : وجَّه المهديُّ نُصَيْباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبلٍ مَهرِيَّة ، ووجَّه معه رجلاً من الشيعة ، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألفَ دينار ، قال : فمدَّ أبو الحجناء يدَه في الدّنانير يُنفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجواري والتزويج ، فكتب الشيعيُّ بخبره إلى المهديّ ، فكتب المهديُّ في حَمْلِه مُوثَقاً في الحديد .

[يتشفع بشعره إلى المهدي]

فلمّا دخل على المهديّ أنشده شعْرَه : وقال : [من الطويل]

تأوَّبني ثِقلٌ من الهمِّ مُوجِعُ فأرَّق عَيْني والخَلِيُّون هُجَّعُ
هُموم تَوالتْ لو أطافَ يَسيرُها بِسَلْمى لظلَّتْ شُمُّها تتصدَّعُ
ولكنَّها نيطتْ فَناءَ بحملها جَهيرُ المنايا حائنُ النَّفس مجزعُ
وعادتْ بلادُ الله ظلماءَ حِندِساً فخِلتُ دُجى ظلمائها لا تَقشَّعُ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

إليكَ أميرَ المؤمنين ولم أجدْ سواك مُجيراً منكَ يُدني ويَمنعُ
تلمّستُ هل من شافع لي فلم أجِدْ سوى رحمةٍ أعطاكها اللهُ تَشفعُ
لئن جلّت الأجْرامُ منّي وأفظعتْ لَعفوُكَ عن جُرمي أجلُّ وأوسعُ
لئن لم تسعْني يا ابنَ عمِّ محمد لَما عجزتْ عنّي وسائلُ أربعُ
طُبِعت عليها صبغةٌ ثم لم تَزَلْ على صالح الأخلاقِ والدِّينُ تُطبَعُ
تغابيكَ عن ذي الذنبِ ترجو صلاحَهُ وأنت ترى ما كان يأتي ويصْنَعُ
وعفوكَ عمَّن لو تكونُ جريمةٌ لطارتْ به في الجوِّ نكباءُ زَعزَعُ
وأنّكَ لا تنفكُّ تُنعِش عاثِراً ولم تعترضْه حين يكبو ويخْمَعُ[1]
وحلمكَ عن ذي الجهل من بعدما جرى به عَنَقٌ من طائش الجهل أشنعُ[2]
ففيهنَّ لي إمَّا شَفَعْنَ منافعٌ وفي الأربع الأولى إليهنَّ أفزَعُ
مُناصحتي بالفعلِ إن كنت نائياً إذا كان دانٍ منك بالقولِ يَخدَعُ
وثانيةٌ ظنّي بك الخيرَ غائباً وإن قلتَ عبدٌ ظاهر الغشِّ مُسبَعُ[3]
وثالثةٌ أنّي على ما هَوِيتَه وإن كثَّر الأعداءُ فيَّ وشنَّعوا
ورابعةٌ أنّي إليكَ يسوقُني ولائي فمولاكَ الذي لا يُضيَّعُ
وإنّي لمولاكَ الذي إن جفوتَه أتى مستكيناً راهباً يَتضرَّعُ
وإنّي لمولاكَ الضعيفُ فأعْفني فإنّي لعفوٍ منكَ أهلٌ وموضعُ

[المهدي يقبل الشفاعة ويجيزه ويزوّجه]

فقطع المهديُّ عليه الإنشادَ ، ثم قال له : ومَنْ أعتقك يا ابن السوداء ! فأومأ بيده إلى الهادي ، وقال : الأمير موسى يا أمير المؤمنين ، فقال المهديُّ لموسى : أعَتقْته يا بُنيَّ ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، فأمضى المهديُّ ذلك وأمر بحديده ، ففُكَّ عنه ، وخلعَ عليه عِدّةً من

1 يخمع : يعرج في المشي .
2 العنق : ضرب من السّير .
3 مسبع : خبيث .

الخِلَع الوشْي والخزّ والسوادِ والبياضِ ، ووصله بألفيْ دينار ، وأمر له بجارية يقال لها : جعفرة جميلة فائقةٍ من رُوقة[1] الرقيق .

فقال له سالم قيِّمُ الرقيق : لا أدفعها إليكَ أو تعطِيَني ألف دِرهم ، فقال قصيدته : [من البسيط]

أآذنَ الحيُّ فانصاعوا بتَرحالِ فهاج بينهمُ شوقي وبلبالي

وقام بها بين يديّ المهديّ فلمّا قال :

ما زلتَ تبذل لي الأموالَ مجتهداً حتى لأصبحتُ ذا أهلٍ وذا مالِ
زَوَّجْتَني يا ابنَ خير النّاس جاريةً ما كان أمثالُها يُهدَى لأمثالي
زوَّجتَني بضَّةً بيضاءَ ناعمةً كأنَّها دُرَّة في كفٍّ لآلِ
حتى توهَّمتُ أن اللهَ عجَّلَها يا ابنَ الخلائفِ لي من خيرِ أعمالي
فسالَني سالِمٌ ألفاً فقلتُ له أنَّى ليَ الألفُ يا قُبِّحتَ مِن سالِ

أراد : من سائل ، كما قالوا : شاكي السلاح وشائك .

هيهات أَلْفُكَ إلاّ أن أجيء بها من فضل مولًى لطيفِ المَنِّ مِفْضالِ

فأمر له المهديُّ بألف دينار ولسالم بألف دِرهم .

[ابنته تبكي حين رأته مقيداً]

قال ابن أبي سعد : وحدَّثني غير محمد بن عبد الله ؛ أنّه حُبس باليمن مدةً طويلةً ، ثم أُشخِص إلى المهديّ ، فقال وهو في الحبس ، ودخلتْ إليه ابنتُه حَجْناءُ ، فلمّا رأت قيوده بكت ، فقال : [من الطويل]

لَقد أصبحَتْ حَجناءُ تبكي لوالدٍ بِدَرَّة عَين قلَّ عنه غناؤها
أحجناءُ صبراً ، كلُّ نفس رهينةٌ بموتٍ ومكتوبٌ عليها بَلاؤها
أحجناءُ أسبابُ المنايا بمرصدٍ فإلاَّ يعاجلْ غَدْوُها فمسَاؤها
أحجناءُ إن أُفلِتْ من السجنِ تَلْقَني حُتوفُ منايا لا يُردُّ قَضاؤها

1 روقة الرقيق : جمع رائقة ، أي حسان الرقيق .

أُحجناءُ إن أُضحى أبوكِ ودلوُه تعرّتْ عُـراً منها ورثَّ رِشاؤُها
لقد كان يُدْلي في رجالٍ كثيرة فيمتَح مَلأى وهي صفرٌ دِلاؤُها
أحجناء إن يصبحْ أبوكِ ونفسُه قليـلٌ تَمنِّيهـا قصيـرٌ عَزاؤُها
لقـد كان في دنيـا تفيّأ ظِلَّها عليـه ومجلـوبٌ إليـه بَهاؤُها

[يمدح ثمامة العبسي]

قال ابن أبي سعد : ولمّا دخل نُصَيْب على المهديّ مُقيَّداً رَفَدَه ثمامةُ بن الوليد العبسيّ عنده واستعطفه له ، وسوَّغ عذره عنده ، ولم يزل يرفُقُ به ، حتى أمر بإطلاقه ، وكان نُصَيب في متقدّم الأيّام منقطعاً إلى أخيه شَيبة فقال فيه : [من الكامل]

أثُمامُ إنّـك قـد فككت ثُماما حَلَقـاً بريْـن من النُّصيبِ عظاما
حَلَقـاً توسَّطهـا العمودُ فلزَّها لـولا ثمامـةُ والإلـهُ لداما[1]
اللهُ أنقـذني بـه مـن هُـوَّةٍ تيهـاءَ مُهلكـةٍ تكـونُ رِجاما
فلأشكرنَّك يـا ثمامةُ ما جرتْ فِـرقُ السحاب كَنَهْورا ورُكاما[2]
ولأشكرنَّك يـا ثمامةُ ما دعتْ وُرقُ الحمـام على الغُصون حَماما
وخلفْتَ شيبةَ في المقـامِ ولا أُرى كمقـام شيبةَ في الرِّجـالِ مَقاما
أغنى إذا التمس الرجـالُ غَناءه في كلِّ نازلـةٍ تكـون غَراما
وأعـمُّ منفعـةً وأُكـرمُ حائطاً تهـدِي إليـه تحيَّـة وسلاما
لا يبعـدَنَّ ابـنُ الوليـد فإنّـه قـد نال من كلِّ الأُمورِ جِساما[3]
لو مِن سوى رَهـط النبيِّ خليفةٌ يُدعـى لكـان خليفـةً وإماما

[يبكي شيبة أخا ثمامة]

قال ابن أبي سعد : ودخل نُصيب على ثُمامة بعد وفاة أُخيه شيبة ، وهو يفرِّق خيلَه على النّاس ، فأمر له بفرس منها ؛ فأبى أن يقبله ؛ وبكى ، ثم قال : [من البسيط]

1 لزّها : ألصقها .
2 كنهوراً : قطعاً من السحاب . ركاما في ل : جهاما وهو سحاب لا يمطر ، والركام : المتراكم المتجمع .
3 نال من كل الأمور في ل : قد كان نال من الأمور .

يا شيبةَ الخيرِ إمَّا كنتَ لي شَجَناً آليتُ بعـدك لا أُبكي على شَجنِ
أُضحَتْ جيادُ أَبي القعقاع مُقْسَمةً في الأقربـين بـلا مَنٍّ ولا ثَمنِ[1]
ورَّثْتهـم فتعزَّوا عنـك إذ وَرِثوا ومـا ورِثْتـُك غيرَ الهـمّ والحَزَنِ

فجعَل ثُمامة ومَنْ عنده حاضرٌ من أُهله وإخوانه يبكون .

وشَيبة بن الوليد هذا وأُخوه من وجوه قواد المهديّ .

[اليزيديّ يهجو شيبة]

وفي شَيبة يقول أَبو محمد اليزيديّ يهجوه ، وكان عارضَه في شيء من النحو بحضرة المَهديّ : [من الخفيف]

عِشْ بِجَـدٍّ فلن يضرَّك نَوْكٌ إنّما عيشُ مَن ترى بالجُدودِ
عِشْ بجَـدٍّ وكن هبنَّقَةَ القيـ ـسيَّ جهلاً أو شَيبةَ بنَ الوليدِ

أُخبرنا بذلك محمدُ بنُ العبّاس اليزيديّ عن عمِّه عن أبيه .

[يهجو مَن لا يجيزه]

أُخبرني عمِّي قال : حدَّثنا القاسم بن محمد الأنباريّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن بشر البَجَليّ عن النضْر بن طاهر قال : أُتى نُصيبٌ مولى المهديّ عبدَ الله بن محمد بن الأشعث ، وهـو يتقلَّـد صنعاء للمهديّ ، فمدحه ، فلم يُثِبه ، واستكساهُ بُرداً فلم يَكسُه ، فقال يَهجوه : [من الطويل]

سأَكسوكَ من صنعاءَ ما قد كسوتَني مقطَّعـــةً تَبقـى على قِـدم الدَّهـرِ
إذا طُويــتْ كانــتْ فُضوحُك طَيَّها وإن نُشرتْ زادتْك خِزياً على النَّشرِ[2]
أغــرّك أَن بيَّضْتَ بيــتَ حمامــةٍ وقلت : أَنــا شبعانُ منتفجُ الخَصْرِ[3]
لقد كنتَ في سَلْحٍ سَلَحْتَ مخافةَ الـ ـحرُوريّة الشَّاريـن داعٍ إلى الضرِّ[4]

---

1 مَنّ في ل : حمل .
2 خزياً في ل : طيّاً .
3 منتفج : مرتفع .
4 الحرورية : طائفة من الخوارج في اليمن ، كانت من أُتباع نجدة بن عويمر .

ولكنّـهُ يأبـى بـك البهـرُ كُلَّمـا جريتَ مع الجاري وضيقٌ من الصدرِ[1]

[مساجلة حول فرس]

قال النضْر : وكان النُّصيب مَلعوناً ، هَجّاء ، فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثيّ فَرساً فَقبِله ، ثم ندِم خوفاً منْ ثِقَل الثواب ، فجعل يَعِيب الفرس ، ويذكر بُطأَه وعجْزه ، فبلغ ذلك النُّصيب ، فقال : [من الوافر]

أعبتَ جوادنـا ورغبتَ عنـه ومـا فيـه لعمرُكَ مِن مَعابِ

ومـا بجوادنـا عجـزٌ ولكن أظنُّك قد عجزتَ عن الثوابِ

فأَجابه الربيعُ فقال : [من الوافر]

رُوَيدَك لا تكـن عَجِلاً إلينا أتـاك بما يسوءك من جوابِ

وجدتُ جوادَكم فَدْمـا بَطيئا فما لَكُمْ لَدينـا مـن ثَوابِ[2]

فلمّا كان بعد أيّام رأى النُّصيبُ الفرسَ تحتَ الربيع فقال له : [من الوافر]

أخذتَ مُشَهَّرا في كلّ أرض فعجِّـلْ يـا ربيعُ مشهَّراتي

يمانيَـةً تخيَّرهـا يَمـانٍ منمنَمـةَ البيـوت مُقطَّعاتِ

وجارِيَـةً أُضلَّـت والدَيْهـا مولَّـدةً وبِيضـاً وافيـاتِ

فعجِّلْهـا وأَنفِذْهـا إلينـا ودَعْنـا مـن بَناتِ التُّرَّهاتِ[3]

فأَجابه الربيعُ فقال : [من الوافر]

بعثْـتَ بمقـرِفٍ حَطِـمٍ إلينا بطيء الحُضْر ثم تقولُ : هاتِ[4]

فقال النُّصيب : [من الرمل]

في سبيـل الله أُودى فَرَسي ثـم عُلِّلـتُ بـأَبيات هَـزَجْ

كنتُ أَرجو مـن ربيع فرجاً فإذا مـا عندَه لي مـن فَرَجْ

---

1 البهر : تتابع النفس من شدّة الجري وانقطاعه من الإعياء .

2 الفدم : الغليظ الجافي الأحمق .

3 الترهات : الأباطيل ومفردها ترهة .

4 المقرف : ليست أمّه عربيّة ولا أبوه . حطم : متكسر ، والحطم داء في قوائم الدابة والحضر : شدّة عدو الفرس .

[بيض الدراهم بدل بيض الغواني]

قال : ثم خرج الرَّبيعُ إلى مكّة ، وقد كان وعد النُّصيبَ جاريةً ، فلم يعطه ، وأمر ابنه أن يدفع إليه أَلْفَي دِرهم ففعل ، فقال النُّصيب : [من الطويل]

ألا أَبلغــا عَنّــي الربيعَ رِسالــةً ربيعَ بنــي عبــد المَدانِ الأكارمِ
أَعــزَّتْ عليكَ البيضُ لمّا أرغتُها فرُغتَ إلى إعدادِ بِيض الدراهمِ[1]
ألم تَرَ أنّــي غيرُ مستطرَفِ الغِنى حديث وأنّي من ذُؤابــة هاشِمِ
وأنّك لم تهبطْ مــن الأرضِ تَلعةً ولا نجــوةً إلاّ بعهدي وخاتَمي

[شعر حول طبق تمر]

قال : ثم قدِم الربيعُ فأهدى إلى دُفافَة بن عبد العزيز العَبسيّ طبق تمر ، فقال فيه دُفافة : [من الطويل]

بعثــتَ بتَمــرٍ في طُبيــقٍ كأنّما بعَثــت بياقــوتٍ توقّــدَ كالجَمْرِ
فلــو أن مــا تُهدِي سنيّاً قَبِلتُــه ولكنّما أهديــتَ مثلَك في القَدرِ
كأنّ الذي أهديتَ من بُعدُ شُقّةٍ إلينا مــن المُلْقى على ضِفَّة الجسْرِ

فأجابه الربيعُ فقال : [من الطويل]

سَلِ الناسَ إما كنتَ لا بــدَّ طالباً إليهــم بــألاّ يحملوك على القَدْرِ
فإنّك إن تُحْمَلْ على القَدْرِ لا تَنَل يَــدَ الدَّهرِ مِن بَــرٍّ فَتيلا ولا بَحرِ
لقد كنتَ منّي في غَدير وروضة وفي عَسل جَمٌّ وما شئتَ من خمرِ
وما كنتُ منّانــاً ولكنْ كفَرْتني وأَظهرتَ لي ذَمّاً فأَظهرتُ من عذري
لعَمْري لقد أُعطِيتَ ما لستَ أهلَه ولا أهلَ ما يُلْقى على ضِفَّة الجِسْرِ

فبلغتْ أبياتهُما نُصيباً ، فشمت بالربيع ، وقال فيه هذه القصيدة : [من الطويل]

رضيتُكما حِرصاً وَمنعاً ولم يكن يَهيجُكمــا إلاّ الحقيرُ مــن الأمرِ
متى يجتمعْ يومــاً حريصٌ ومانع فليس إلى حمــدٍ سبيلٌ ولا أجــرِ

---

1 أرغتها : طلبتها . رغت : مِلْت وحُدْتَ .

أحارِ بن كعبٍ إنَّ عبساً تغلغلَتْ إلى السرِّ من نَجران في طلب التَّمْرِ
فكيفَ تَرى عبساً وعبسٌ حريصةٌ إذا طمِعَتْ في التَّمرِ من ذلك العُبْرِ[1]
لقــد كُنتمــا في التَّمــرِ لله أنتُما شبيهيْن بالمُلقى على ضِفَّـة الجِسرِ

[يرتجل مطولة في مدح الفضل بن يحيى]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيد النحويّ ، قال : حُدِّثت من غير وجه : أنَّ النُّصيب دخل على الفضْل بن يحيى بن خالد مسلِّماً ، فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه ، فهم يُنشِدونه ، ويأمر لهم بالجوائز ، ولم يكن امتدحه ، ولا أعدَّ له شيئاً . فلمّا فرغوا ، وكان يُرَوّي قولاً في نفسه ، استأذن في الإنشاد ، ثم أُنشدَ قصيدته التي أوّلها قَولُه : [من الكامل]

طرقتْك ميَّةُ والمزار شَطِيب وتُثيبكَ الهجرانَ وهْي قريبُ
لله ميــةُ خُلَّــةٌ لـو أنَّهـا تجزي الوِداد بوُدِّها وتُثيبُ
وكأنّ ميَّةَ حين أتلـع جيدُها رشأ أغنُّ مـن الظِباء ربيبُ
نصفان ما تحت المؤزَّر عاتِكٌ دِعْصٌ أغرُّ وفوقَ ذاك قضيبُ[2]
مـا للمنازل لا تكـاد تجيبُ أنى يُجيبكَ جَنــدلٌ وجَبُوبُ[3]
جادتْك من سَبَل الثريا دِيمةٌ ريًّا ومن نَوءِ السِّماكِ ذَنوبُ
فلقد عهدتُ بك الحِلال بِغبطة والدَّهر غضٌّ والجَنابُ خصيبُ
إذ للشباب عليَّ من وَرق الصِّبا ظِلٌّ وإذ غُصْن الشبابِ رطِيبُ
طرِبَ الفؤادُ ولاتَ حين تطرُّبٍ إن الموكَّـلَ بالصِّبــا لَطروبُ
وتقول ميَّــةُ ما لِمثلكَ والصِّبا واللون أسودُ حالكٌ غِرْبيبُ
شاب الغرابُ وما أَراكَ تَشيبُ وطلابُكَ البيضَ الحسانَ عجيبُ
أعلاقَـــةٌ أُسبابهُـنَّ وإنَّمــا أفنانُ رأْسكَ فُلفُـل وزَبيبُ

1 العُبْر من الشيء : الكثير .
2 العاتك : الخالص من الألوان المحمر من الطيب .
3 جبوب : وجه الأرض الصلب .

لا تَهزئي منّي فَرُبَّتَ عائبٍ ما لا يعيبُ الناسَ وهو معيبُ
ولقد يصاحِبُني الكرامُ وطالَما يسمو إليَّ السيّدُ المحجُوبُ
وأجُرُّ من حُلَلِ الملوكِ طَرائفا منها عليَّ عصائبٌ وسَبيبُ[1]
وأُسالبُ الحسناءَ فضلَ إزارها فأُصورُها وإزارُها مسلوبُ[2]
وأقول منقوح البدِيّ كأنّه بردٌ تَنافسه التّجارُ قَشيبُ[3]

يقولُ فيها في مدح الفضل :

والبرمكيُّ إذا تقارب سنُّه أو باعدَته السنُّ فهو نجيبُ
خرِقَ العطاء إذا استهلَّ عطاؤُه لا مُتبعٌ منّاً ولا مَحسوبُ
يا آل برمكَ ما رأينا مثلَكمْ ما منكمُ إلاّ أغرُّ وَهوبُ
وإذا بدا الفضلُ بنُ يحيى هِبْتُهُ لِجلالِه إنَّ الجليلَ مَهيبُ
قاد الجيادَ إلى العِدا وكأنّها رَجْلُ الجراد تَسوقهنَّ جَنُوبُ
قُبّاً تُباري في الأعنَّةِ شُزَّبا تَدَعُ الحُزونَ كأنّهنَّ سُهوبُ[4]
من كلِّ مضطرِب العِنان كأنّه ذِئب يبادرُه الفريسةَ ذِيبُ
تهوِي بكلِّ مغاورٍ عاداتُه صِدقُ اللقاء فما لَه تكذيبُ
حتى صَبَحن الطالبيَّ بعارضٍ فيه المنايا تَغْتَدِي وتَئُوبُ
خاف ابنُ عبد الله ما خوَّفتَه فجفاكَ ثم أتاك وهو مُنيبُ
ولقد رآك الموتُ إلاّ أنَّه بالظنِّ يُخْطِيء مرّة ويُصيبُ
فرمى إليكَ بنفسه فنَجا بها أجلٌ إليه يَنتهي مكتوبُ
فكسوتَه ثوبَ الأمان وإنَّه لا حبلُه واهٍ ولا مقضوبُ
شِمنا إليكَ مَخيلةً لا خُلَّباً في الشَّيمِ إذ بعضُ البروق خَلوبُ

---

1 سبيب : جمع سبيبة وهي شقة رقيقة من الثياب ، وقيل من الكتان خاصة .
2 أصورها : أميلها .
3 البدي : البديهة . ومنقوح الكلام ، مهذبه ومحرره وفي ل : مقترح .
4 قبا : ضوامر ، مفرد أقب أو قباء . شزباً : خشنة يابسة ، جمع شازب .

إنَّا عـلى ثِقـةٍ وظنٌّ صادقٍ مِمَّـا نؤمّلـه فليسَ نَخيبُ

[يجيزه الفضل فيشكره]

قال : فاستحسنها الفضلُ ، وأمر له بثلاثين ألفَ دِرهم ، فقبضَها ، وَوَثب قائماً ، وهو يقول : [من البسيط]

إنّي سأمتدحُ الفضلَ الذي حُنِيَت منّـا عليـه قُلـوبُ البرِّ والضِّلَعُ
جـاد الربيـعُ الذي كنّـا نؤمِّلُه فكلُّنـا بربيـع الفضْـلِ مـرتَبعُ
كانت تطولُ بنا في الأرضِ نجعتُنا فاليوم عنـد أبـي العبّاس نَنْتَجعُ
إن ضاق مذهبُنا أو حـلَّ ساحتَنا ضَنكٌ وأزْم فعند الفضلِ متَّسَعُ[1]
ما سلَّم اللّهُ نفسَ الفضل من تلَفٍ فما أُبالي أُقـام النّاسُ أم رَجعُوا
إن يمنعوا مـا حوتْ منّا أكفُّهمُ فلن يضرَّ أبـا الحجناء ما مَنَعُوا
أو حلَّأُونا وذادوا عـن حياضِهِم يومَ الشروع ففي غُدْرانِكَ الشَّرَعُ[2]
يا ممسكاً بِعُرا الدُّنيـا إذا خُشِيَت منهـا الزلازلُ والأمرُ الذي يقعُ
قد ضرَّسَتْك الليالي وهـي خاليةٌ وأحْكَمَتْك النهى والأزلَمُ الجذَعُ[3]
فغادرا منك حَزنـاً عن مُعاسرةٍ سهلَ الجنابِ يسيراً حـين يتَّبَعُ
لم يفتلِتْـك نقيراً عـن مُخادعة دَهْـيُ الرّجال وللسؤّالِ تَنخدعُ[4]
فأنـت مضطلِعٌ بـالملكِ تَحملـه كما أبـوك بِثقل المُلك مُضطلِعُ

[يمدح زبيدة في موسم الحج]

قال ابن أبي سعد : لمّا حجّتْ أُمّ جعفر زُبيدةُ لَقِيَها النُّصيب ، فترجّل عن فرسه وأنشأ يقول : [من الطويل]

سيستبشر البيتُ الحـرامُ وزمـزَمٌ بـأُمٍّ وليِّ العهـدِ زيـنِ المـواسمِ

---

1 أزم : شدة .

2 حلأُونا : منعونا الشرب .

3 الأزلم الجذع : معناهما الدهر الكثير البلايا الذي لا يهرم .

4 دهي : أي الدهاء ، وهو جودة الرأي والبصر بالأمور .

ويعلم مَـنْ وافـى المحصَّب أنّها ستحمل ثِقل الغُرم عن كلِّ غارمِ[1]
بنـو هاشم زيـنُ البريـة كلّها وأمٌّ وليّ العهـد زيـنٌ لهاشمِ
سليلةُ أمـلاكٍ تفرَّعـت الذُّرى كـرامٍ لأبنـاء الملـوك الأكارمِ
فوالله مـا نَدري : أفضلُ حديثِها عليهـم بـه تَسمـو أم المُتقادمِ
يظـنّ الذي أعطتْه منهـا رغيبةً يقصّ عليـه النـاسُ أحلامَ نائمِ

فأمرتْ لـه بعشْرة آلاف درهـم وفـرس ، فأعطيَـه بـلا سرج ؛ فتلقَّاهـا لّما رحلـتْ وقـال : [من الوافر]

لقـد سادتْ زُبيدةُ كلَّ حـيٍّ وميْتٍ مـا خلا الملكَ الهُماما
تُقًى وسماحـةٌ وخلوصُ مَجد إذا الأنسابُ أُخلصتِ الكراما
إذا نزلـتْ منازلَهـا قريشٌ نزلـتِ الأنفَ منها والسَّناما
بلغْتِ من المفاخـر كلَّ فخرٍ وجاوزْتِ الكلامَ فـلا كلاما
وأعطيتِ اللُّهـى لكـنَّ طِرْفِي يريـدُ السَّرجَ منكم واللِّجاما

فأمرت له بسَرج ولِجام .

[الحجناء ابنته تنشد المهدي]

قال ابنُ أَبي سعد : خرج المهديّ يتنزّه بعيسى باذ[2] ، وقدِم النُّصيبُ ، ومعه ابنتُه حجْناء ، فدخل على المهديّ ، وهي معه ، فأنشدته قولَها فيه : [من الخفيف]

رُبَّ عيش ولـذّةٍ ونعيـم وبهـاء بمشرِق المَيْـدانِ
بسط اللهُ فيـه أَبهـى بِساط مـن بَهـار وزاهـر الحَوْذانِ[3]
ثم من ناضرٍ من العُشْب الأخْـ ـضَرِ يزهـو شقائقَ النُّعمانِ
مـدَّه اللهُ بـالتَّحاسين حتـى قَصَرت دون طوله العَينانِ[4]

1 المحصب : موضع رمي الجمار بمنى .
2 عيسى باذ : محلة كانت بشرقي بغداد .
3 بهار : نبت طيب الرائحة . الحوذان : بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر طيب الرائحة أيضاً .
4 التحاسين : جمع تحسين وهو ما وضع للزينة .

خُفِّفَتْ حافتاه حيثُ تَناهى بخيامٍ في العَين كالظُّلْمانِ
زيَّنوا وسطَها بطارمةٍ مِثْـ ـلِ الثريَّا يَحفُّها النَّسرانِ[1]
ثم حَشْوُ الخيام بيضٌ كأمْثا لِ المَها في صَرائم الكُثْبانِ[2]
يتجاوبْنَ في غِناءٍ شَجيٍّ «أَسْعِداني يا نخلَتيْ حُلوانِ»[3]
فبقصر السلام من سَلَّم اللـ ـهُ وأبقى خليفةَ الرحمنِ
ولديه الغِزلانُ بل هنَّ أبهى عنده من شَوادِنِ الغِزْلانِ
يالَه منظراً ويومَ سرورٍ شهدتْ لذَّتيه كلُّ حَصانِ

فأمر لها المهديّ بعشرة آلاف دِرهم ، وله بمثلها .

[الحجناء تمدح العباسة بنت المهدي]

قال : ثم دخلت الحَجناءُ على العبَّاسة بنت المهديّ ، فأنشدتها تقول : [من الطويل]

أتيناكِ يا عبّاسةَ الخير والحيا وقد عَجَفَتْ أُدْمُ المهاري وكَلَّتِ[4]
وما تركتْ منّا السُّنونَ بقيّةً سوى رِمَّةٍ منّا من الجَهدِ رَمَّتِ
فقال لنا مَن ينصحُ الرأيَ نفسَه وقد ولَّت الأموالُ عنّا فقلَّتِ
عليكِ ابنةَ المهديِّ عُوذي ببابها فإن محلَّ الخير في حيث حلَّتِ

فأمرتْ لها بثلاثة آلاف درهم وكُسوة وطِيب ، فقالت : [من البسيط]

أغنيتني يا ابْنةَ المهديِّ أيَّ غِنًى بأعجرين كثيرٌ فيهما الوَرَقُ

أي : اغنيتِني على عقب ما أغناني أخوكِ . بأعجَرين : بكيسين .

من ضرب تسع وتسعينِ مُحَكَّكَةٍ مثلِ المصابيح في الظَّلماء تأتَلِقُ

---

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .

2 صرائم الكثبان : جمع صريمة ، وهي قطعة من الرمل .

3 نخلتا حلوان : يطلق هذا الاسم على جملة قرى ، والمراد هنا حلوان العراق . وهذا الشطر في مطلع قصيدة مطيع بن إياس التي يقول فيه :

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكياني من ريب هذا الزمان

4 أدم : جمع أدماء ، أي لونها مشرب بياضاً أو سواداً .

أمّــا الحسودُ فقــد أمسى تغيُّظه غمّــاً وكادَ برَجْع الرِّيــق يَخْتَنِقُ
وذو الصداقة مسرورٌ بنــا فَرِحٌ بادي البِشارة ضاحٍ وجهُه شَرِقُ

[يمدح إسحاق بن الصباح]

وقال ابن أبي سعد : كان إسحاق بن الصباح الأشعثيّ صديقاً للنُّصيب ، وقدِم قدمة من الحجاز ، فدخل على إسحاق ؛ وهو يهب لجماعة وردوا عليه بُرّاً وتَمراً ، فيحملونه على إبلهم ويمضون ، فوهب لنصيب جارية حسناءَ يقال لها : مَسرورة ، فأردفها خلفَه ، ومضى وهو يقول : [من الطويل]

إذا احتقبوا بُــرّاً فأنــتِ حَقِيبتي من البشَريَّــاتِ الثقال الحَقائبِ[1]
ظفرتُ بهــا مــن أشعثيٍّ مهذَّبٍ أغرَّ طويــلِ الباع جــمٍّ المواهبِ
فدًى لكَ يــا إسحاق كلُّ مبخَّلٍ ضجورٍ إذا عضَّت شِدادُ النوائبِ
إذا مــا بخيــلُ القوم غيَّب مالَه فمالُــك عِــدٌّ حاضرٌ غيرُ غائبِ[2]
إذا اكتسب القــومُ الثَّراء فإنَّما ترى الحمدَ غُنماً من كريمِ المكاسبِ

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

فتًى من بنــي الصَّبَّاح يهتزُّ للنَّدى كما اهتزَّ مَسنــونُ الغِــرار عتيقُ
فتى لا يذُمّ الضيفُ والجارُ رِفْدَه ولا يجتويــه صاحــبٌ ورَفيقُ[3]
أغــرُّ لأبنــاء السبيل مَــوارِدٌ إلى بيتــه تَهديهــمُ وطــريقُ
وإن عُــدَّ أنسابُ الملوك وجدتَه إلى نَسب يعلوهُــمُ ويَفــوقُ
فما في بني الصَّبَّاح إن بَعُد المَدى عـلى النّــاس إلاّ سابـقٌ وعَريقُ
وإنّــي لِمَــنْ شاحَنْتُمُ لُمشاحِنٌ وإنّــي لِمَــنْ صادقْتــمْ لصَديقُ

[يمدح خزيمة بن خازم]

قال : وكان النُّصيبُ إذا قَدِم على المَهديّ استهداه القوّادُ منه ، وسألوه أن يأمره بزيارتهم ،

---

1 البشريات في ل : المسريات .

2 القوم في ل : المال . مالك عد : أي كثير ، ولعل تشبيه بالماء العد وهو الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر .

3 يجتويه : يكرهه .

فكان فيمن استزاره خُزَيمة بن خازم ، فوصله وحمله ، وقال فيه : [من الوافر]

وجدتُـك يــا خُزَيمةُ أريحيّاً بما تحوي وذا حَسَبٍ صَمِيمِ
تميمٌ كانَ خيرَ بنــي معــدٍّ وأنتَ اليـومَ خيرُ بنـي تميمِ
سوى رهط النبيِّ وهـم أديمٌ وأنت قُدِدْتَ من ذاك الأديمِ

وقال فيه أيضاً : [من البسيط]

يا أفضلَ الناسِ عُودا عند مَعْجَمِه إذا تَفاضلَ يومـاً مَعْجَـمُ العُودِ
إنّي لواحدُ شعرٍ قـد عُرفتُ بـه وذا خزيمةُ أضحى واحدَ الجودِ
إن يعطكَ اليوم معروفاً يعِدك غداً فأنــت في نائـل منـه وموعودِ
وقـد رأينـا تميمـاً غير مُكْرهَـةٍ ألقَـتْ إليـك جميعـاً بالمقاليدِ
فأنــت أكرمُهــا نفساً وأفضَلُها إنّ الصناديـدَ أبنـاءُ الصناديدِ

قال : وكان في غزاة سَمالو[1] مع المهديّ ، فوقف به فرسُه ، ومرَّ به جَعْدٌ مولى عبد الله بن هشام بن عمرو ، وبين يديه فرس يُجنَب[2] فقال له : قد تَرى قيام فرسي تحتي ، فارددْ إليَّ جَنِيبَك حتى يتروَّح فرسي ساعة ، فسكَتَ ، ولم يُجِبْه فقال فيه : [من الطويل]

أُنادي بأعلى الصوتِ جَعْدا وقد يَرى مكاني ولكن لا يُجيبُ ويَسْمَعُ
ولم يَـرَني أهـلاً لحُسْنِ إجابـة ولا سُوئِهـا إنّـي إلى اللهِ أرجعُ
فلو أنّنـي جازيـتُ جَعْداً بِفعله لقد لاح لي فيه من الشعرِ مَوضعُ
ولكنّنــي جافيـتُ عنــهُ لِغيره بحُسْنِ الذي يأتـي إليَّ ويَصْنَعُ
رأيتــك لم تحفـظْ قرابَــةَ بيننـا وما زالتِ القُربى لدى الناسِ تَنْفَعُ

[لا يريد شريكاً]

قال : وسألَ عُبيدَ الله بن يحيى بن سليمان مركباً ، فأعطاه إيّاه ، وجعل معه شريكاً له فيه ، فقال : [من البسيط]

لقد مدحتُ عبيداً إذ طَمِعتُ بِهِ وقــد تملَّقتُــه لــو ينفـعُ الملَقُ

1 سمالو : من ثغور الشام قرب المصيصة وطرسوس .
2 فرس يجنب : يُقاد إلى آخر .

فعاد يسأل مـا أصبحتُ سائلَه ... فكلُّنا سائـل في الحِـرْص مُتَّفِقُ
أحينَ سار مديحـي فيكـمُ طُرُقاً ... وحيث غنَّتْ به الرُّكبانُ والرُّفَقُ
قطعتَ حبـلَ رجـاءٍ كنتُ آملُه ... فيما لديكَ فأضحى وهو مُنْحَذِقُ[1]
قد كان أورَقَ عودي من أبيك فقد ... لَحيْتُ عُودي فجفَّ العُودُ والوَرَقُ
من نازع الكلبَ عَرْقاً يرتجي شِبَعاً ... كمصطلٍ بحريـقٍ وهـو يَحتَرِقُ[2]

[الفضل بن يحيى يستقلّ ما أعطاه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال : كتب إليَّ أبو محمد إسحاق بن أبي إبراهيم يقول : أنشدتُ الفضلَ بن يَحيى قولَ أبي الجَحْناء نُصَيْب : [من الكامل]

عنـد الملـوكِ مَضـرَّةٌ ومنافـعُ ... وأرى البرامِـكَ لا تضـرُّ وتَنْفَعُ
إنّ العُروقَ إذا استسرَّ بها الثَّرى ... أَشِرَ النباتُ بِهـا وطابَ المَزْرَعُ[3]
فإذا نَكِـرتَ مـن امرىءٍ أعراقَه ... وقديمَه فانظـرْ إلى مـا يَصْنَعُ

قال : فأعجبه الشعرُ ، فقال : يا أبا محمد ، كأنّي واللهِ لم أسمعْ هذا القول إلاّ الساعة ، وما له عندي عيب إلاّ أنّي لم أكافئْه عليه . قال : قلتُ : وكيفَ ذلك أصلحكَ اللهُ ، وقد وهبتَ له ثلاثين ألفَ دِرهم ! فقال : لا والله ما ثلاثُون ألفَ دينار بمكافِئة له ، فكيفَ ثلاثون ألفَ درهم !

[جود الفضل جعل الناس كلّهم شعراء]

أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال : أخبرني أحمدُ بنُ سليمان بن أبي شيخ قال : كان أبي يستملح قولَ نُصيب وقد رأى كثرةَ الشعراء على باب الفضل بن يحيى . فلمّا دخل الناس إليه قال له : [من الطويل]

ما لقينا من جودِ فضلِ بن يحيى ... تـركَ النـاسَ كلّهـم شُعراءَ

---

1 منحذق : منقطع . وفي ل : منخرق .
2 عَرْقاً : عظماً .
3 أشر النبات : ازدهر .

ويقول : ما في الدُّنيا أَحسنُ من هذا المعنى ، وعلى أنّه قد أخذ منهم مالاً جليلاً ولكنْ قلّما سمعتُ بطبقته مثلَه .

صوت

[من الكامل]

طاف الخيالُ ولان حينَ تَطرُّبِ أَن زار طيف موهِناً مِـن زَينبِ
طرقَتْ فنفَّرتِ الكَرى عـن نائمٍ كانـتْ وسادَتُه ذِراعَ الأرحبي[1]
فبكـى الشبابَ وعهـدَه وزمانَه بعد المشيبِ وما بُكاءُ الأَشيبِ

عَروضه من الكامل ، الشعر لأبي شُراعةَ القَيسيّ ، والغناء لدَعامة البَصريّ خفيف رَمَل بالبنصر من كتاب الهشاميّ .

---

1 الأرحبيّ : الجمل المنسوب إلى أُرحب ، وهي قبيلة من همدان .

[501] ـ أخبار أبي شراعة ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما كتب به إلينا ابنُه أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شُراعة من أخباره ونسبه ، أحمدُ بن محمد بن شُراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نُعَيم بن خالد بن عَبَدة بن مالك بن مُرّة بن عبَّاد بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل : شاعرٌ بصْريّ من شعراء الدولة العبّاسيّة جيِّدُ الشعر جزلُه ، ليس برقيق الطبع ، ولا سهل اللّفظ ، وهو كالبدويِّ الشعر في مذهبه ، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخُطَب مع شعره ، وكانت به لُوثة وهَوَج .

وأُمّه من بني تميم من بني العنبر ، وابنه أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شُراعة أحدُ الشعراء الرّواة ، قدِم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلثمائة ، فكتب عند أصحابُنا قِطعاً من الأخبار واللّغة ، وفاتني فلم ألقه ، وكتب إليَّ وإلى أبي ، رحمه الله ، بإجازة أخباره على يدي بعض إخواننا ، فكانت أخبار أبيه من ذلك .

[يهب نعله ويمشي حافياً]

فمنها ما حكاه عنه أنّـه كان جواداً لا يُليـقُ[1] شيئاً ، ولا يُسأَلُ ما يقدر عليه إلاّ سَمحَ بـه ، وأنّـه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنَعْلِه وانصرف حافياً ، فعَثَر فَدَمِيتْ إصبعُه فقال في ذلك : [من الطويل]

ألا لا أُبالي في العُـلا مـا أُصابني ... وإن نَقِبت نَعلاي أو حَفِيتْ رِجْلي[2]
فلم تَرَ عَيْني قَـطُّ أحسنَ منظَراً ... من النكْبِ يدمى في المواساةِ والبذلِ[3]
ولستُ أُبالي مَـنْ تـأَوَّبَ منزلي ... إذا بقيتْ عندي السراويلُ أو نَعْلي[4]

---

1 لا يُليق : لا يمسك .

2 نقبت نعلاي : رقّت أو ثقبت .

3 من النكب يدمى : وهو صدم الحجارة الرِّجل .

4 تأوب منزلي : زارني ليلاً .

[أخوه يقول إنّه مجنون فينشد شعراً]

قال : وبلغه أنّ أخاه يقول : إنّ أخي مجنون ، قد أفقرَنا ونفسَه ، فقال : [من الطويل]

أأُنبَزُ مَجنوناً إذا جُدتُ بالذي ملكتُ وإن دافعتُ عنه فعاقِلُ
فدامُوا على الزُّورِ الذي قُرِفوا به ودمتُ على الإعطاءِ ما جاءَ سائلُ[1]
أبيتُ وتأبى لي رجالٌ أشحَّةٌ على المجدِ تنمِيهم تميمٌ ووائلُ[2]

قال : وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

أئِنْ كنتُ في الفتيانِ آلوت سيدا كثيرَ شحوب اللون مختلِفَ العَصْبِ
فما لَكَ من مولاك إلاّ حفاظُهُ وما المرءُ إلاّ باللسان وبالقلبِ
هما الأصغران الذائدانِ عن الفتى مكارِهَه والصاحِبانِ على الخَطْبِ
فإلاَّ أُطِقْ سعيَ الكرام فإنَّني أفكُّ عن العاني وأُصْبِرُ في الحَرْبِ

[قصة لحن]

أَخبرني عمِّي قال : أَخبرني مَيمونُ بنُ هارون قال : حدَّثني إبراهيم بن المدَبِّر قال : كان عندي أَبو شُراعةَ بالبَصرة ، وأَنا أَتولاَّها ، وكان عندي عمير المغنِّي المدنيّ ، وكان عُمير بنُ مرّة غَطَفانيّاً ، وكان يغنِّي صوتاً يُجيدُه ، واختاره عليه وهو : [من الطويل]

أَتحسِبُ ذاتَ الخالِ راجيةً رَبّاً وقد صدعتْ قلباً يُجَنُّ بها حُبّا

فاقترحه أبو شُراعةَ على عُمَير ، فقال : أَعطِني دَراهمَ ، حتى أَقبلَ اقتراحكَ ، فقال له أَبو شُراعةَ : أَخْذُ المغنى من الشاعر يدلُّ على ضعف الشاعر ، ولكنّي أعرضُك لأبي إسحاق ، فغنّاه إيّاه ثلاث مرّات وقد شَرِبَ عليه ثلاثةَ أرطال . وقال : [من الطويل]

عدوْتُ إلى المُريِّ عدوةَ فاتِكٍ مِعنّ خليع للعواذل والعُذْرِ[3]
فقال لشيء ما أُرى قلتُ : حاجةٌ مُغَلغلَة بين المخنَّق والنَّحرِ[4]

1 قرفوا به : وصموا .
2 رجال أشحة : جمع شحيح ، أي بخيل .
3 مِعنّ : مبالغ في العناء والتجشّم .
4 مغلغلة : داخلة ممعنة . المخنق : موضع الخناق .

فلمّـا لـواني يَسْتثيب زَجرتُـه   وقلت : اغتَرِفْ إنَّا كلانا على بَحْرِ
أليس أبـو إسحاقَ فيـه غِنًى لَنا   فيُجدي على قَيسٍ وأُجدِي على بكرِ
فغنَّى بذات الخالِ حتى استخفَّني   وكاد أديمُ الأرض مَن تحتنا يَجرِي

[ابن المدبّر يعطيه عشرة آلاف درهم]

حدَّثني عليٌّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد المبرّد قال : كان أبو شُراعةَ صديقاً لابن المدبّر أيّامَ تقلّده البصرة ، وكان لا يُفارقه في سائر أحواله ، ولا يمنعه حاجة يسأله إيّاها ، ولا يشفَع لأحد إلاّ شفَّعه ، فلمّا عُزِلَ إبراهيـم بن المدبّر شيَّعه النّاس ، وشيَّعه أبو شُراعةَ ، فجعل يردُّ الناسَ ، حتى لم يبقَ غيرُه ، فقال له : يا أبا شُراعةَ غايةُ كلّ مودِّع الفراقُ ، فانصرفْ راشداً مكْلُوءاً من غير قِلًى واللهِ ولا مَلَلٍ ، وأمرَ له بعشْرة آلاف دِرهم ، فعانقه أبو شُراعة ، وبكى ؛ فأطال ، ثم أنشأ يقول : [من الرمل]

يـا إسحـاقَ سِرْ في دَعـةٍ   وامضِ مصحوباً فما منك خَلَفْ
ليتَ شعري أيُّ أرض أجدبتْ   فأُغيثَتْ بك من جهد العَجَفْ
نـزل الرُّحْم من الله بهِـمْ   وحُرِمناك لِذنـبٍ قـد سَلَفْ
إنّمـا أنـت ربيـعٌ باكـرٌ   حيثُمـا صرَّفـه اللهُ انصرَفْ

[خلاف حول هلال رمضان]

قال أبو الفيّاض سَوَّار بن أبي شُراعة : دخل أبي على إبراهيم بن المدبّر وعنده مُنَجِّم ، فماراه[1] بن المدبِّر في رؤية الهِلال لشهر رمضان ؛ فحكم المنجِّم بأنّه يُرى ، وحَلَف إبراهيم بعِتْقِ غِلمانه أنَّه لا يُرى ، فرئيَ في تلك الليلة ، فأعتق غِلمانه ، فلمّا أصبح دخل الناسُ يهنّؤونه بالشهر ، فأنشدَه أبو شُراعةَ يقول : [من الخفيف]

أيّـها المكثر التَّجنّـي على المـا   لِ إذا مـا خـلا من السُّؤّالِ
أفتِنـا في الذيـن أعتقْتَ بالأمْـ   ـس مواليكَ أم موالي الهِلالِ
لم يكن وَكْدُك الهلالَ ولكنْ   تتألَّـى لِصالِـح الأعمـالِ
إنّمـا لذَّتـاك في المالِ شتَّى   صونُك العِرْضَ وابتذالُ المالِ

---

1 ماراه بمعنى : عارضه .

مـا نُبـالي إذا بقيتَ سَليما   مَن تولَّتْ بـه صروفُ اللَّيالي

[لا يدعى فيغضب]

قال أَبو الفيَّاض : وكان أَبو شُراعة صديقَ السِّدْري ، فدَعا يوماً إخوانَه ، وأَغفل أَبا شُراعةَ . فمرَّ به الرياشيّ ، فقال : يا أَبا شُراعة ، أَلست عِنْدَ السِّدرِي معنا ؟ فقال : لم يدعُنا . ومرَّ به جماعة من إخوانه ، فسأَلوه عن مثل ذلك ، ومرَّ به عيسى بنُ أَبي حرب الصَّفار ، وكان ممّن دُعيَ ، فجلس وحَلَف أَلاّ يبرَحَ حتى يأتيَه السِّدْرِي ، فيَعتَذِرَ إليه ، ويدعوه ، فقال أَبو شُراعةَ : [من الرجز]

أَيْر حمـارٍ في حِـرِ أمِّ شِعْري   وخُصيتاه في حِـرِ امِّ قَدْرِي
إن أَنـا لم أُشْفَعْهمـا بِوَفـرِ   لو كنتُ ذا وفرٍ دَعاني السِّدْري
أَو كان مـن همّ هشامٍ أَمري   أَو راح إبراهيمُ يُطري ذِكري
وابن الرياشيّ الضعيفُ الأسر   يخافُ إن أَردَفَ أَلاَّ يَجري
وأَنتَ يا عِيسى سقاكَ المُسْري   نعـمَ صديـقُ عُسرةٍ ويُسرِ

[لا يستعين بإخوانه في بناء داره]

قال أَبو الفيَّاض : سقطتْ دارنا بالبصرة ، فعوتِبَ أَبي على بنائها ، وقيل له : استعن بإخوانِك إن عجزتَ عنه فقال : [من الطويل]

تَلوم ابنـةُ البكـريِّ حين أُؤوبها   هَزيـلاً وبعض الآئبـين سَمينُ
وقالـتْ : لحاكَ الله تستحسنُ العَرا   عـن الدار إنَّ النائبـاتِ فُنُونُ
وحولـك إخوانٌ كرامٌ لهمْ غِنًى   فقلت لإخـواني : الكـرامُ عُيونُ
ذَرينـي أَمُتْ قبـل احتلالِ محلَّةٍ   لهـا في وُجـوه السائلين غُضونُ
سأَفدِي بمالي مـاءَ وجهيَ إنَّني   بما فيـه مـن ماء الحياء ضَنِينُ

[في ليالي شهر رمضان]

قال سوَّار بن أَبي شُراعة : كان إخوانُ أَبي يجتمعون عند الحُسين بن أَيّوب بن جعفر بن سليمان في ليالي شهرِ رمضان ، فيهم الرياشيّ والجمّاز ، فقال أَبي في ذلك : [من البسيط]

لو كنتُ من شيعة الجمَّاز أَقعدني   مقاعداً قُربُهنَّ الريـفُ والشَّرفُ

لكنَّني كنتُ للعبّاس متَّبعاً   وليس في مَركب العبّاس مرتَدَفُ
قد بقيتْ من ليالي الشهر واحدةٌ   فعاوِدوا مالحَ البقّال وانصرفُوا

[طلاقه ليلة عرس نديمه]

قال : وتزوّج نديمٌ لأبي شُراعة يقال له بَيَّانُ امرأةً ، فاتّفق عرسُه في ليلة طلَّق فيها أبو شراعة امرأته ، فعوتِبَ في ذلك ، وقيل : بات بيّانُ عَروساً ، وبتَّ عَزَباً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رأتْ عُرسَ بَيّانٍ فهبَّتْ تلومني   رويدَكِ لوماً فالمطَلَّق أحوطُ
رويدكِ حتى يرجَع البرُّ أهله   ويرحمُ رُبُّ العِرْس من حيث يُغْبَطُ
إذا قال للطحَّان عند حسابه   أعِدْ نظراً إنّي أظنّك تغلِطُ
فما راعه إلاّ دعاءُ وليدةٍ   هلُمَّ إلى السّواق إن كنت تَنْشَطُ
هنالك يدعو أمَّه فيسبّها   ويلتبس الأجرَ العَقوق فيحبَطُ
فياذا العُلا إنّي لفضلك شاكرٌ   أبيتُ وحيداً كلّما شئت أضرَطُ

[يشمت في بيان]

قال : ثم بلغه عن بيّان هذا أنّه عجز عن امرأته ، ولم يَصِلْ إليها ، ولقي منها شرّاً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رمى الدّهرُ في صَحبي وفرَّق جُلاَّسي   وباعدهم عنّي بظَعنٍ وإعراسِ
فكلُّهمُ يبغي غِلافاً لأيره   وأقعدَني عن ذاك فَقري وإفلاسي
فشكراً لربّي خان بيَّانَ أيرُه   وأسعى بأيري في الظَّلام على النّاسِ
يمسحه بالكفِّ حتى يقيمه   وهل ينفع الكفَّانِ من ثقل الرّاسِ

[أولادنا أكبادنا]

وقال أبو الفياض سوَّار : نظر إليَّ أبي يوماً وقد سألتُ عمِّي حاجة فردَّني ، فبكى ، ثم قال : [من البسيط]

حُبِّي لإغناء سوَّارٍ يُجشِّمني   خَوضَ الدُّجى واعتساف المَهمَهِ البِيدِ
كي لا تهونَ على الأعمامِ حاجَتُه   ولا يعلَّل عنها بالمواعيدِ
ولا يولّيهمُ إن جاءَ يسألُها   أكتافَ مَعرضة في العِيس مردودِ

إذا بكى قال منهمْ ذُو الحِفاظ له | لقد بُليت بخلْقٍ غيرِ محمودِ

[يصف صنع النبيذ]

قال : وتَمارى أبو شُراعة ورجلٌ من أهل بَغداد في النبيذ ، فجعل البغداديُّ يذُمّ نبيذ التمر والدِّبْس ، فقال أبو شُراعة : [من الرجز]

إذا انتخبتَ حبَّه ودِبسَه | ثم أجدْت ضَربه ومَرْسَهُ[1]
ثم أطلْتَ في الإناء حَبسهُ | شربتَ منه البابليَّ نفسَه

[دراهمه تغني عن سؤال بخيلين]

قال : وأعوز أبا شُراعة يومئذٍ النبيذُ ، فطلبَ من نديمين كانا له ، فاعتلَّ أحدهما بحلاوة نبيذه ، والآخرُ بحُموضته ، فاشترى من نبّاذ يقال له : أبو مَظْلُومة دَسْتيجة[2] بدرهمين ، وكتب إليهما : [من الوافر]

سيُغني عن حلاوة دِبْسِ يحيى | ويُغني عن حُموض أبي أُميَّهْ
أبو مَظلومةَ الشيخُ المولِّي | إذا اتَّزنتْ يداه دِرْهَمَيَّهْ

أخبرني عليٌّ بن سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان أبو شُراعة قبيحَ الوجه جدّاً ، فنظر يوماً في المرآة ، فأطالَ ، ثم قال : الحمد لله الذي لا يحمدُ على الشرِّ غيرُه .

[يوثر النبيذ على امرأته]

قال سوَّار بن أبي شُراعة : حلفَ أبي ألاّ يشرب نبيذاً بطلاق امرأة كانت عندَه ، فهجره حولَين ، ثم حَنِث ، فشرِب ، وطلَّق امرأته وأنشأ يقول : [من الطويل]

فمَن كان لم يسمعْ عجيباً فإنَّني | عجيبُ الحديث يا أُميمَ وصادقُهُ
وقد كان لي أُنسانِ يا أُمَّ مالكٍ | وكلٌّ إذا فتَّشتَني أنا عاشقُهُ
عزيزةُ والكأسُ التي مَن يُحلّها | تُخادعه عن عقله فتصادقهُ
تحارَبَتا عندي فعطَّلتُ دَنَّها | وأكوابَها والدَّهر جَمٌّ بَوائقهُ[3]
وحرَّمتُها حولَينِ ثم أزلَّني | حديثُ النَّدامى والنشيدُ أُوافقهُ

1 انتخبت حبه : دنه وزيره . ضربه ومرسه : نقعه من الماء ودعكه باليد .

2 دستيجة : إناء من زجاج .

3 بوائقه : جمع بائقة بمعنى مصيبة .

فلمّا شربتُ الكأس بانتْ بأُختِها فبـان الغـزال المستحبّ خلائقهُ
فما أُطيب الكأس التي اعتضت منكمُ ولكنّهـا ليست بِريـمٍ أُعانقهُ

[في مجلس الحسن بن رجاء]

قال أبو الفيّاض : قال أبي : قصدتُ الحسنَ بن رَجاء بالأهواز ، فصادفتُ ببابه دِعبل بن عليٍّ الخُزاعيّ وجماعةً من الشعراء ، وقد اعتلَّ عليهم بديْن لزمه ومصادرة[1] فكتبَ إليه : [من البسيط]

المـالُ والعقـلُ شيءٌ يُستعانُ به على المَقـامِ بأبـواب السلاطينِ
وأنـت تعلَـمُ أنّي مِنهمـا عَطِلٌ إذا تأملْتَني يـا ابـنَ الدَّهاقينِ
هل تعلم اليومَ بالأهواز من رَجلٍ سواك يصلُـح للدُّنيـا وللدِّينِ

قال : فوعدَنا وعداً قرَّبه ، ثم تدافعَ ، فكتب إليه : [من الخفيف]

آذنَـتْ جُبَّتـي بأمـرٍ قبيح مـن فِراقٍ للطيلسان الفسيحِ
فكأنّي بمَن يزيـدُ على الجُبَّـ ـةِ في ظلِّ دار سهلِ بنِ نوحِ
أنت رُوح الأهواز يا ابنَ رجاء أيّ شيء يعيشُ إلاَّ بـرُوحِ

فأذِن لي وللجماعة ، وقضى حوائجَنا .

[يخدع أبناء سعيد بناقة عجفاء]

قال أبو الفيَّاض وحدَّثني أبي قال : حجَجْتُ ، فأتيت دار سعيد بن سلم ، فنحرتُ فيها ناقةً ، وقلت : [من البسيط]

وردت دارَ سعيـد وهـي خاليةٌ وكان أبيضَ مِطعامـاً ذُرى الإبلِ
فارتحتُ فيها أصيلاً عند ذُكرتـه وصُحْبتي بِمِنًى لاهُونَ في شُغُلِ
فابتعتْ مـن إبل الجمَّال دهشرَةً موسومةً لم تكنْ بالحِقَّـةِ العُطُلِ[2]
نحرتُها عن سعيد ثـم قلت لهـمْ : زوروا الحَطِيمَ فإنّـي غير مرتَحِلِ

قال : وبلغت الأبيات وفِعْلي ولدَه ، فأحسنوا المكافأة ، وأجزلوا الصِّلة ، قال : فقال له

1 مصادرة : مطالبة .

2 دهشرة : ناقة كبيرة وفي ل : دوسرة . الحقة : الناقة التي دخلت في السنة الرابعة . والعطل : هي التي لا سمة لها ولا قلائد .

صديق له : وأنت أيضاً قد استجدتَ لهم النَّحيرةَ ! فضحك ، ثم قال : أغرَّكَ وصفي لها ؟ أُشهدُ الله أنّي ما بلغتُ بها دار سعيد إلاّ بين عَمودَيْن .

[هو خير ممن تعوله أمّه]

وقال أبو الفيّاض : كان أبو أُمامة محمدُ بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم ، وأُمّه سُعدى بنت عمرو بن سعيد بن سلم ، صديقاً لأبي شُراعة ، وكانت أُمُّه سُعدى تعولُه ، فكان أبو شراعة لا يزال يعبَث به ، وبلغه أنّ أبا أُمامة يقول : إنّما معاشُ أبي شُراعة من السلطان ورِفْده ، ولولا ذاك لكان فقيراً ؛ فقال فيه :

عَيَّرتَني نائلَ السلطان أُطلُبه ... يا ضلَّ رأيُك بين الخُرق والنَّزَقِ
لولا امتنانٌ من السلطان تَجهلُه ... أُصبحتُ بالسَّودفى مُقعوْعِسٍ خلَقِ[1]

السَّود : موضع تنزلُه باهلَةُ بالبادية .

رثَّ الرِّدا بين أهدام مرقَّعَةٍ ... يبيتُ فيها بليلِ الجائعِ الفَرِقِ
لا شيء أثبتُ بالإنسانِ معرفَةً ... من التي حزمت جَنبيه بالخِرَقِ
فأين دارُك منها وهي مؤمنة ... بالله معروفةُ الإسلام والشَّفَقِ
وأين رزقُك إلاّ من يَدَيْ مَرَةٍ ... ما بِتَّ من مالها إلاّ على سَرَقِ
تبيت والهرَّ ممدوداً عيونكما ... إلى تطعُّمِها مخضرّة الحَدَقِ
ما بين رزقيكما إن قاس ذُو فِطَنٍ ... فرقٌ سوى أنّه يأتيكَ في طَبَقِ
شارِكْهُ في صيدِه للفأر تأكُلُهُ ... كما تُشاركه في الوجهِ والخُلُقِ

[أبو أمامة يفحمه في برمة طفشيل]

قال أبو الفيّاض : وزاره أبو أمامة يوماً فوجد عنده طَفْشِيلاً فأكله كلَّه ، فقال أبو شُراعة يمازحه : [من الطويل]

عين جودي لبُرمةِ الطَّفْشِيل ... واستهلّي فالصبرُ غيرُ جميلِ[2]
فجعتْني بها يد لم تَدَعْ للذّ ... رّ في صَحن قِدرها من مَقيلِ

1 مقعوعس خلق : بال قديم .

2 الطفشيل : نوع من المرق .

كان واللهِ لحمُها من فَصيل ... راتعٍ يرتعي كَريمَ البُقولِ
فخلطنا بلحمه عَدَسَ الشّا ... مِ إلى حِمَّصٍ لنا مَبلُولِ
فأتتْنا كأنّها روضةٌ بالحَزْ ... نِ تدعو الجيرانَ للتَّطْفيلِ
ثم أكفأتُ فوقَها جفنةَ الحيّ ... وعلّقتُ صَحفتي في زَبيلِ[1]
فَمَنى اللهُ لي بفظٍّ غليظٍ ... ما أراه يُقِرُّ بالتَّنزيلِ
فانتحى دائباً يُدَبِّلُ منها ... قلتُ : إن الثريدَ للتَّدبيلِ[2]
فتغنَّى صوتاً ليوضِحَ عِندي ... حيٌّ أُمَّ العلاء قبلَ الرّحيلِ

[نبيذ مُزج بالماء]

أُخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدّثني سوَّار بن أبي شُراعة قال : كتب أُبي إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قُتَيبة يستهديه نَبيذاً ، فكتب إليه سعيد : إذا سألتني ، جعلني اللهُ فِداءك ، حاجة فاشطُط ، واحتكم فيها حُكْمَ الصَّبِيٌّ على أهله[3] ، فإن ذلكَ يسرُّني ، وأُسارع إلى إجابتك[4] فيه . وأمر له بما التَمس من النبيذ ، فمزَجه صاحِبُ شرابه ، وبعثَ به إليه . فكتب إليه أبو شُراعة : أَسْتَنْسِيءُ[5] اللهَ أجلَك ، وأُستعيذُه من الآفات لكَ ، وأستعينُه على شكر ما وهَب من النِّعمة فيك ، إنّه لذلك وليّ ، وبه مليّ . أُتاني غلامُك المليحُ قدُّه ، السعيدُ بملكك جَدُّه بكتابٍ قرأْتُه غيرِ مستكرَه اللفظ ، ولا مُزْوَرٍّ عن القصد ، ينطق بحكمتِك ، ويَبينُ عن فضلك ، فوالله ما أُوضحَ لي خفيّاً ، ولا زادني بكَ عِلماً ، وإذا أنت تسألُ فيه أن تَهب ، وتحبّ أن تُحمد ، ولا غروَ[6] أن تفعل ذلك ، ومن كَتَبٍ أخذتَه ، وعن كَلالة وغير كلالة ورثتَه ، موسى أبوك ، وسعيدٌ جدُّك ، وعمرو عمّك ، ولك دار الصِّلَة ، ودار الضيافة ، وصاحب البَغْلةِ الشَّهباء[7] وحصينُ بنُ

1 زبيل : قفة أو جراب .
2 يدبّل : يكبر اللقمة للفم .
3 مثل .
4 ل : محبتك .
5 أستنسيء : أسأل الله أن يطيل أجلك .
6 لا غرو : لا عجب .
7 الشهبة : بياض يخالطة سواد .

الحُمام وعروة بن الوَرد ، ففي أيّ غلواتِ[1] المجدِ يطمع قَرينُك أن يستولي على المدى ، والأمدُ دونَك . وكتابك إليّ أن أتحكّم عليك تحكّم الصبيّ على أهله ، فلشدّ ما جررت إليّ معروفَك ، ودللتَ على الأُنس بِك ، وحاشى للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسَب العَتيق ، والمنظر الأنيق الذي يسُرّ القلبَ ، ويلائم الرُّوحَ ، ويطردُ الهَمَّ : [من المتقارب]

تــدِبّ خــلال شؤون الفَتى دبيبَ دَبــى النَّملة المنتعش[2]

إذا فُتِحــت فَغَمَــتْ ريحُهــا وإن سيل ِخَمَّارها قال : خُشْ

خُشْ : كلمة فارسية تفسيرها : طَيِّب .

فإن كنتَ رعيتَ لها عهداً ، وحفظتَ لها عندَك يداً ، فانظر ربَّ الحانوت فامطُله دِيْنَه ، واقطع السبب بينَك وبينَه ، فقد أساء صُحبتَها ، وأفسد بالماءِ حِسَّها ، وسلِّط عليها عدُوَّها ، واعلم بأن أباك المتمثّل بقوله : [من الطويل]

يرى درجاتِ المجدِ لا يستطيعُها فيقعــد وسْطَ القــوم لا يتكلّمُ

وقد بسطتْ قدرتك لسانَك ، وأكثرتْ لك الحمد ، فدونك نُهزةَ البديهة منه : [من الطويل]

وبادرْ بمعروف إذا كنت قــادراً زوال افتقار أو غنًى عنك يُعقبُ

وقد بعثتُ إليك بقرابة مع الرسول ، وأنشأتُ في أثرها أقول : [من الطويل]

إليك ابن موسى الجودِ أعْمَلْتُ ناقتي مجلَّلــةً يضفــو عليهــا جلالُها[3]

كتومُ الوَجى لا تشتكي ألَمَ السُّرى سواء عليهــا موتُهـــا واعتلالُها

إذا شَرِبَتْ أبصرتَ ما جوفُ بَطنها وإن ظَمِئَت لم يبد منهــا هُزالُها

وإن حَملتْ حِملاً تكلّفتُ حِملها وإن حُطَّ عنها لم أَقل كيف حالُها[4]

بعثنا بهــا تسمو العيــونُ وراءها إليك وما يُخشى عليهــا كَلالُها

وغنّـــى مُغنِّينـاً بصوتٍ فشاقني «متى راجعٌ من أمّ عمرو خيالُها»

1 غلوات : جمع غلوة ، أي قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه .

2 دبى النملة : أصغر النمل والجراد .

3 مجللة : لابسة جلها وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

4 لم أقل في ل : لم أَتَلْ .

أُحِبُّ لكم قيسَ بن عيلان كلَّها ويعجبنــي فُرسانهـا ورجـالُها
ومـاليَ لا أُهـوى بقـاء قَبيلة أبـوكَ لهـا بـدرٌ وأنت هلالُها

قال : فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ ، واستملحه في شِعره ، وبصاحب شرابه ، وكل ما كان في خزانته من الشَّراب وبثلاثمائة دِينار .

[مساجلة حول جارية]

أخبرني الأخفش عن المبرّد وسوَّار بن أبي شُراعة جميعاً : أنّ أبا الفيَّاض سوار بن أبي شُراعة كان يَهوى قينةً بالبصرة يقال لها : مَليحَة ، فدُعِيتْ ذاتَ يوم إلى مجلس لم يكن حاضرَه ، وحضر أبو عليٍّ البصير ذلك المجلس ، فجمَّشها بعضُ مَن حضر ، فلم تَلْتَفِتْ إليه ، وعرف أبو عليّ ذلك فكتب إلى أبي الفيّاض : [من الخفيف]

لـك عندي بِشارة فاستمعها وأجِبنـي عنهـا أبـا الفيَّاضِ
كنتُ في مجلسٍ مَليحـةُ فيـه وهي سُقْمُ الصِّحاح برءُ المِراضِ
وقديماً عهدتَني لستَ في حقِّ ـكَ والذبِّ عنك ذا إغماضِ
فتغفَّلتُهـا تغفُّـلَ خَصْـمٍ وتأمّلتُهـا تأمُّـل قـاضِ
ورمَتْها العيونُ مـن كلِّ أُفْقٍ وتشاكَوْا بالوَحْي والإيماضِ
مـن كهـولٍ وسادةٍ سُمَحاءٍ باللُّهـا باخلـينَ بالأَعراضِ[1]
وصفاتُ القيانِ أوّلها الغـد رُ عليـهِ في وَصلهنَّ التَّراضي
فتشوّفتُ ذاكَ منهـا وأعـدد تُ نكيري وسَوْرتي وامتِعاضي
فحمتْ جانبَ المُزاحِ وعمَّتهـ ـم جميعاً بالصَّدِّ والإعراضِ
وكفـاني وفاؤهـا لـكَ حتَّى آذنَ الليلُ جمعَهم بارفِضاضِ

فأجابَه أبو الفيّاض : [من الخفيف]

ليتَ شعري مـاذا دَعاك إلى أن هجتَ شوقي وزدتَ في إمراضي
ذكَّرتنـي بُشراك داءً قديمـاً مـن سَقام علـيَّ لا شكَّ قاضي
إن تكنْ أحسنتْ مليحةُ في وصْـ ـلي وعاصَت رِياضـة الرُّوَّاضِ

1 اللُّها : العطايا .

وأقامتْ على الوفاء ولم تَـرْ عَ لوحيٍ منهم ولا إيماضِ
فعلى صحَّةِ الوفاء تعاقدْ نَا وصونِ النُّفوس والأعراضِ
وعلينا من العفافِ ثيابٌ هنَّ أبهى من حالياتِ الرياضِ
ليس حظّي منها سوى النظر الختْـ ـل وإنّي به لجذلانُ راضِ
لحظاتٌ يقعنَ في ساحة القلـ ـب وُقوع السهامِ في الأغراضِ
وابتسامٌ كالبرق أو هو أخفى بين سِتريْ تحرُّزٍ وانقباضِ
لا أخافُ انتقاضَها آخرَ الدَّهـ ـرِ بِغَدر ولا تخافُ انتقاضي
فأبِنْ لي ألستَ تحمَد ذا الـ ـودَّ وقاكَ الرّدى أبو الفيّاضِ

[يهجو بني سدوس]

قال أبو الفيَّاض : اتصل بأبي شُراعة أنّ أبا ناظرة السّدوسيّ يغتابه ، وكان مع آل أبي سُفيان بن ثَوْر فقال يهجوهم : [من الكامل]

لعن الإلهُ بني سدوسٍ كلَّهمْ ورمى بمنجوفٍ وَريّة قافِ[1]
قد سبَّني عُضروطُهم فسببتُهم ذنبُ الدَّنِيء يُناط بالأشرافِ[2]

[لا يخرج من شتيمة إلى وليمة]

قال أبو الفيّاض : وكان بَيْن بعض بني عَمّنا وبينَ أبي شُراعة وحشَة ، ثم صالحوه ، ودعوه إلى طعامهم ، فأبى ، وقال : أمِثلي يَخرجُ من صوم[3] إلى طُعم ، ومن شَتيمة إلى وليمَة : وما لي ولكم مَثَلٌ إلاّ قول المُتَلمِّس . [من الطويل]

فإن تُقبلوا بالودّ نُقبلْ بمِثلِه وإلاّ فإنّا نحن آبى وأشمَسُ[4]

وقال فيهم : [من الوافر]

بني سَوّارَ إن رثَّتْ ثيابي وكَلَّ عن العشيرة فضلُ مالي

---

1 منجوف : سهم عريض . قاف : اسم جبل والمراد داهية نكراء .
2 عضروطهم : لئيمهم .
3 ل : صرم .
4 وأشمَس في ل : وأشوس .

فمطَّــرَحٌ ومتروك كلامــي وتجفُوني الأَقــاربُ والموالي
أَلَم أَكُ مـن سَراة بنــي نُعَيمٍ أَحلُّ البيتَ ذا العَمَد الطِّوالِ
وحــولي كلُّ أَصيـدَ تَغْلَبـيٌّ أَبـيٌّ الضيْـم مشتركُ النوالِ
إذا حضر الغَــداءُ فغيرُ مغـنٍ ويُغْني حــين تَشتجرُ العوالي
وأَبقــوْني فلستُ بمستكين لصاحب ثَـروة أُخرى الليالي
ولا بممسِّح المُثريـن كيْمــا أُمسِّحُ مـن طعامهمُ سِبالي[1]
أَنا ابــنُ العنبريّــة أَزَّرتني إزار المكرمــات إزار خالي
فإن يكــن الغِنى مجداً فإنِّي سأَدعُـو الله بــالرزق الحَلالِ

صوت

[من الطويل]

إذا أَبصرتْكَ العينُ من بُعد غايــة وأَوْقعتُ شكّاً فيك أَثبَتك القلبُ
ولــو أَنّ رَكبْــاً يمّموك لقادَهم نسيمُك حتى يستدلَّ بكَ الرّكبُ

الشعر لعبدِ الله بنِ محمد بن البوَّاب ، والغناء لأحمد بن صَدَقة الطُّنبوريّ ، رَمَل مطلق في مجرى البِنصر رواية الهشاميّ .

1 السِّبال : جمع سبلة ، وهي الدائرة وسط الشفة العليا ، أو طرف الشارب .

[502] ـ أخبار ابن البوّاب

[نشأته]

هو عبدُ الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق ، من أهل بخارى . وجّه بجدّه وجماعة معه رهينة إلى الحجّاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، فأقطعهم سِكّة بها ، فاختطّوها ونزلوها طولَ أيّام بني أُميّة ، ثم انقطعوا من الدولة العبّاسيّة إلى الربيع ، فخدموه .

وكان عبدُ الله بن محمد هذا يخلُفُ الفضلَ بن الربيع على حجبة الخلفاء ، وكان أبوه محمد بن عتاب يخلُفُ الربيع في أيّام أبي جعفر ، وكان معَه فرآه أبو جعفر مع أبيه ، فسأله عنه فأخبره ، فكساه قَباء خَزٍّ ، وكساه تحتَه قباءَ كَتَّان مرقوع القَبِّ ، وقال له : هذا يَخْفى تحت ذاك .

ذكر لي أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن محمد البوّاب عن أبيه .

وكان عبد الله صالحَ الشعر قليلَه ، وراوية لأخبار الخلفاء عالِماً بأُمورهم ، روى عنه أبو زيد عُمَرُ بن شبَّة ونظراؤه ، وقد مضت في هذا الكتاب وتأتي أخبار من روايته .

[يمدح المأمون بعد أن نال منه]

قال أحمد بن القاسم اليوسُفيّ : حدَّثني محمد بن عبد الله البوّاب قال : حدَّثني أبي قال : حجبت موسى وهارون خليفةً للفضلِ بن الربيع .

وخدم محمداً الأمينَ فأغناه وأعطاه ، ومدحه ، ونال من المأمون وعرَّض به ، فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال : حدَّثَني عبد الله بن أحمد الباهليّ قال : حدَّثني الحسين بن الضحّاك قال : لمّا أُتي المأمون بشعر ابن البّواب الذي يقول فيه : [من الطويل]

صوت

أيبخَل فردُ الحسن فردُ صفاته ... عليَّ وقد أفردته بهوًى فَردِ
رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده ... فملّكه والله أعلم بالعَبْدِ
ألا إنّما المأمون للنّاس عِصمةٌ ... مُمَيَّزةٌ بين الضَّلالة والرُّشدِ

لعلّويه في هذه الأبيات رَمَل بالوسطى .

قال : فقال المأمون : أليسَ هو القائل : [من الطويل]

أعينـــيَّ جـودا وابكيـــا لي محمَّدا ولا تدْخَـرا دَمعـــاً عليه وأسْعِدا

فلا فـــرِحَ المأمونُ بالمُلْكِ بعـــدَه ولا زالَ في الدُّنيا طريداً مشرَّدا

هيهات ، وواحدةٌ بواحدة ! ولم يَصِلْه بشيء .

[بينه وبين إسحاق]

هكذا روي عن الحُسَين بن الضّحاك . وقد روي أنّ هذين الشعرين جميعاً للحسين ، وأنّ قولَ المأمون هذا بعينه فيه .

وقال أحمد بن القاسم حدَّثني جَزء بن قَطَن . وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق ، قالا جميعاً : وقع بين إسحاق وبين ابن البّواب شرٌّ فقال ابن البوّاب شعراً ذَميماً رَديئاً ، ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليُعيّره به وهو : [من الخفيف]

إنّما أنـــتِ يـــا عنانُ سراج زيتُه الظَّـــرف والفَتيلـةُ عقلُ

قاده للشقاء منّـــي فُـــؤادي رِجْل حُبٍّ لكم وللحبِّ رِجلُ

هَضَم اليوم حبُّكم كلَّ حُـــبٍّ في فؤادي فصار حُبُّـكِ فُجْلُ

أنـــت ريحانـــةٌ وراحٌ ولكن كلُّ أنثـى سواكِ خَـــلٌّ وبَقلُ

وقال حمّاد في خبره وبلغ ذلك أبي فقال له : [من الكامل]

الشعر قـــد أعيـــا عليك فخلّه وخُذ العَصا واقعدْ عَلى الأبوابِ

فجاء ابنُ البواب إلى إبراهيم جدِّي فشكا أبي إليه فقال له : ما لكَ ولَه يا بُنيّ ؟ فقال له أبي : تعَرَّضَ لي فأجبته ، وإن كفَّ لم أرجع إلى مساءته . فَتَتاركا .

[يهوى جارية اسمها عبادة]

قال أحمد بن القاسم ، أخبرني محمد بن الحسن بن الفضل قال : أخبرني : إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحيم قال : كان بالكَرخ نخَّاس يُكْنى أبا عُمَير ، وكان له جوارٍ قيانٌ لهنّ ظَرف وأدب ، وكان عبد الله بن محمد البوّاب يألف جارية منهنَّ يقال لها : عبّادة ، ويكثُر غِشْيان منزل أبي عُمَيرٍ من أجلها ، فضاق ضيقة شديدةٌ ، فانقطع عن ذلك ، وكره أن يقصرّ عمّا كان يستعملُه من برّهم فتعلم بضيقته ، ثم نازعتْه نفسُه إلى لقائها وزيارتها ، وصعُبَ عليه الصبرُ عنها ، فأتاه فأصاب في منزله جماعةً ممّن كان يألفُ جواريه ، فرحّب به أبو عمير والجارية والقومُ جميعاً ،

واستبطأوا زيارته ، وعاتبوه على تأخّره عنهم ، فجعل يجمجم في عذره ، ولا يصرِّح ، فأقام عندهم ، فلمّا أخذ فيه النبيذُ أنشأ يقول : [من الخفيف]

لو تشكَّى أبو عُمير قليلاً   لأتيناه من طَريق العِيادَهْ
فقضيْنا من العيادة حقّاً   ونظرنا في مُقْلَتَيْ عبَّادَهْ

فقال له أبو عمير : مالي ولك يا أخي ؟ انظر في مُقلتي عبَّادة متى شئتَ غيرَ ممنوع ، ودَعْني أنا في عافية ، لا تتمنَّ لي المرضَ لتعودَني .

[شعره في صديق مدمن]

وقال أحمد بن القاسم : كان عبد الله بن إسماعيل بن عليّ بن رَيْطة يألف ابن البوّاب ، ويعاشرُه ، فشربَ عندَه يوماً حتى سكر ونام ، فلمّا أفاق في السَّحَر أراد الانصراف ، فحَلَف عليه واحتبسه ، وكان عبد الله يهوى جارية له من جواري عَمرو بن بانة ، فبعث إلى عمرو بن بانة فدعاه وسأله إحضار الجارية ، فأحضرها ، وانتبه عبد الله بن إسماعيل من نومه ، وهو يَتململ خُماراً . فلمّا رآها نَشِط ، وجلس فشرب ، وتمَّوا يومهم ، فقال عبد الله بن محمد بنُ البوّاب في ذلك : [من المديد]

وكريمِ المجدِ محضٍ أبوه   فهو الصفْو اللُّبابُ النُّضارُ
هاشميٌّ لقُروم إذا ما   أظلمتْ أوجهُ قومٍ أناروا
رمت القهوةُ بالنومِ وهْنا   عينَه فالجَفنُ فيه انكسارُ
فهو من طَرفٍ يُفدِّيك طَوْرا   ويُعاطيكَ اللواتي أداروا
ساعةً ثم انثنى حين دبَّتْ   ومشتْ فيه السُّلاف العُقارُ
وأبتْ عَيني اغتماضاً فلمّا   حان من أخرى النجومِ انحدَارُ
قلت : عبدَ الله حاذرتَ أمرا   ليس يُغنى خائفيه الحِذارُ
فاستوى كالهُنْدَوانيِّ لمّا   أن رأى أنْ ليس يُغني الفِرارُ
قلتُ : خذْها مثلَ مصباحِ ليل   طُيِّرتْ في حافتَيه الشِّرارُ
أقبلتْ قَطْراً نِطافا ولمّا   يُتعب العاصرَ منها اعتصارُ
هي كالياقوت حمراءُ شيبتْ   وعَلا الحُمرةَ منها اصفرارُ

كالدنانيرِ جــرى في ذُراهـا   فِضّــةٌ فالحسنُ منهـا قُصارُ[1]
تُنطِقُ الخُرسَ وبالصمتِ تَرمي   مَعشرا نُطْقــا إذا ما أُحاروا

[يمدح المأمون]

قال أحمد : وحدَّثني يعقوبُ بنُ العبّاس الهاشميّ أبو إسماعيل النقيب قال : لمّا طال سخط المأمون على ابن البوّاب قال قصيدة يمدحُه بها ، ودسَّ مَن غنّاه في بَعضها ، لمّا وجد فيه نشاطاً . فسأل مَن قائلُها ؟ فأُخْبِرَ به فرضِيَ عنه ، وردّه إلى رسْمه من الخِدمة ، وأَنشدني أبو إسماعيل القصيدة ، وهي قوله : [من المجتث]

هــل للمحبِّ مُعينُ   إذ شطَّ عنه القريــنُ
فليس يَبكي لَشجو الـ   ـحزيــنِ إلاّ الحــزينُ
يا ظاعناً غــاب عنّا   غَـداةَ بــانَ القطـينُ
أبكى العيونَ وكانتْ   بــه تَقَــرُّ العيــونُ
يــا أيّهــا المأمون الـ   ـمبـــارَك الميمـــونُ
لقد صفتْ بك دُنيا   للمسلمــين وديــنُ
عليكَ نُــور جـلالٍ   ونُــور مُلــك مبـينُ
القــول منــكَ فِعالٌ   والظــنُّ منـك يقينُ
مــا مِن يديك شِمال   كلتــا يديــك يَمينُ
كأنّما أنتَ في الجُو   دِ والتُّقــى هــارونُ
مَنْ نالَ من كلِّ فضلٍ   مــا نالـــه المأمــونُ
تألّــف النّاسَ منــه   فضلٌ وجــودٌ ولــينُ
كالبدر يبــدو عليــه   سكينـــةٌ وسكُــونُ
فالرزقُ مــن راحتيه   مقسّمٌ مَضْمـــــونُ
وكلّ خَصلــةِ فضلٍ   كانتْ ، فمَنــه تكونُ

والأبـيات التـي فيهـا الغنـاء المذكـور آنفـاً أربعـة أبـيات ، أنشدنيهـا الأخفش وهـي

1 قصار : غاية ونهاية .

قولُه : [من الطويل]

أَفِقْ أيّها القلب المعذَّبُ كم تَصبو فلا النأيُ عن سلماك يُسلِي ولا القرْبُ
أَقولُ غداة استخبرَت مِمَّ علّتي من الحبِّ كربٌ ليس يشبهُه كَربُ
إذا أَبصرتك العين من بُعد غايةٍ فأَدخلتُ شكا فيك أَثبتَك القلبُ
ولو أَن رَكباً يمموك لقادَهم نَسيمُك حتى يَستدلَّ بِكَ الرّكبُ

فقال الأَخفش مثل هذا البيتِ الأخيرِ قول الشاعر : [من المنسرح]

واستَودَعَت نشرَها الديارُ فما تَزدادُ طيباً إلاّ على القِدَم

[يخشى العين على ساقيه]

أَخبرني الحسنُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق : قال : رأَيتُ محمد بن عبد الله البوّاب وقد جاء إلى أَبي مسلِّماً فاحتبسه ، ورأَيته وهو شيخ كبير ، وكان ضخماً طويلاً عظيمَ الساقين كأَنّهما دَنّان ، وكان يشدّ في ساقيه خرزا أَسود لئلاّ تصيبهما العينُ .

[يملق فيغنّيه أبو دلف]

وقال محمد بن القاسم : أَملق عبدُ الله بن محمد البوّاب حين جفاه الخليفة ، وعلت سِنُّه عن الخِدمة ، فرحل إلى أَبي دُلَف القاسم بن عيسى ، ومدحه بقصيدة ، فوهب له ثلاثين أَلفَ درهم ، وعاد بها إلى بَغداد ، فما نَفِدتْ حتى مات وهي قوله : [من الكامل]

طرقتْك صائدةُ القلوبِ رَبابُ ونأَتْ فليس لها إليك مآبُ
وتصرَّمتْ منها العهودُ وغُلِّقتْ من دون نيلِ طِلابِها الأبوابُ
فَلأَصدِفنَّ عن الهوى وطِلابِه فالحبُّ فيه بَلِيَّةٌ وعذابُ
وأَخصُّ بالمدح المهذَّب سيِّدا نفحاتُه للمُجْتدين رغابُ[1]
وإلى أَبي دُلَف رحلْتُ مطيّتي قد شفَّها الإرقالُ والإتعابُ[2]
تعلو بنا قُلَلَ الجبال ودونَها ممّا هوتْ أُهويَّة وشِعابُ[3]

1 رغاب : جمع رغيبة ، بمعنى واسعة .
2 الإرقال : الإسراع .
3 أُهويّة : هوة .

فـإذا حللتَ لـدى الأمير بأرضه   نلـتَ المُنـى وتقضَّـت الآرابُ
مَلِكٌ تأثَّـل عـن أبيـه وجدِّه   مَجْـدا يُقصِّـر دونـه الطُّلابُ
وإذا وزنتَ قديم ذي حسبٍ به   خضعتْ لفضلِ قديمه الأحسابُ
قـومٌ علَوْا أمـلاكَ كلِّ قبيلـة   فالنّـاس كلّهـمُ لهـم أذْنابُ
ضرَبَتْ عليـه المكرمـاتُ قِبابَها   فعلا العمـودُ وطالَتِ الأطنابُ
عَقِم النساءُ بمثلـه وتعطَّلـتْ   مـن أنْ تُضَمَّن مثلَـه الأطلابُ

صوت

[من مجزوء الكامل]

صغيرُ هـواكَ عذّبني   فكيف به إذا احْتُنِكا
وأنت جمعت من قلبي   هَوًى قد كان مشترَكا
وحبسُ رضاك يقتُلُني   وقتـلي لا يَحـلُّ لكا
أمّا تَرْثـي لمكتئِبٍ   إذا ضحك الخليُّ بَكى

الشعر لمحمَّد بن عبد الملك الزيّات والغناءُ لأبي حشيشةَ رَمل بالوُسطى عن الهشاميّ .

[503] ـ أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه

[نسبه]

هو محمدُ بن عبد الملك بن أبان بن أَبي حمزة الزيات ، وأصله من جَبُّل[1] ويكنى أبا جعفر . وكان أبوه تاجراً من تجّار الكرْخ المياسير ، فكان يحثّه على التجّارة وملازمتها ، فيأبى إلاّ الكتابةَ وطلبَها ، وقصد المعالي ، حتى بلغَ منها أن وزر ثَلاثَ دفعات ، وهو أوّل مَنْ تولّى ذلك وتمَّ له .

أُخبرني الأخفشُ عليٌّ بن سليمان قال : حدَّثني عمرُ بن محمد بن عبد الملك قال : كان جدِّي موسراً من تجّار الكَرخ ، وكان يريد من أبي أن يتعلّق بالتجارة ، ويتشاغَل بها ، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدبَ وطلبَه ، ويخالطُ الكُتّاب ، ويلازم الدّواوين ، فقال له ذاتَ يوم : والله ما أرى ما أنت ملازمُه ينفعك ؛ وليضُرَّنّك ، لأنّك تَدَع عاجلَ المنفعة . وما أنت فيه مكفيٌّ ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجلَ الذي لا تدري كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلَمنَّ أيُّنا ينتفع بما هو فيه ؛ أأنا أم أنت ؟ ثم شخَصَ إلى الحسن بن سهل بفم الصِّلح[2] ، فامتدحه بقصيدته التي أوّلها : [من الرجز]

كأنّها حينَ تناءى خطوُها ... أَخنَسُ مَوشيّ الشَّوى يرعى القُلَلْ[3]

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فعاد بها إلى أَبيه ، فقال له أَبوه : لا أَلومك بعدها . على ما أَنتَ فيه .

---

1 جبلٌ : قرية مقابلة لقرية دسكرة غربي بغداد .

2 فم الصِّلح : موضع على نهر الصلح وهو نهر كبير فوق واسط ، بينها وبين جبل عليه عدة قرى . والصلح كانت دار الحسن بن سهل .

3 أُخنس : ثور وحشي ، مَوْشي الشوى : ملون الأطراف .

[دخوله على الحسن بن سهل]

أخبرني جحظة والصُّوليّ ، قالا : حدَّثنا ميمون بن هارون : قال : لمّا مدح محمد بن عبد الملك الحسن بنَ سهل ، ووصله بعشرة آلاف درهم مَثَلَ بين يديه وقال له : [من البسيط]

لم امتدحْكَ رجاءَ المالِ أطلُبه ... لكنْ لتُلبِسَني التَّحجيلَ والغُررا

وليس ذلك إلاّ أنَّني رجلٌ ... لا أطلب الوِرْدَ حتى أعرِفَ الصَّدَرا

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مُجيداً ، لا يقاس به أحد من الكتّاب ، وإن كان إبراهيم بن العبّاس مثله في ذلك ، فإنّ إبراهيمَ مقلّ وصاحب قِصار ومقطَّعات ، وكان محمدٌ شاعراً يُطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ، وكان بليغاً حَسَنَ اللفظ إذا تكلّم وإذا كتب .

[ينصف خصمه من نفسه]

فحدَّثني عمِّي رَحمه الله قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال : جلس أبي يوماً للمظالم ، فلمّا انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً ، فقال له : أَلكَ حاجة ؟ قال : نعم تدنيني إليك ؛ فإنِّي مظلوم . فأدناه ، فقال : إني مظلوم ، وقد أعوزني الإنصاف ، قال : ومن ظَلَمك ؟ قال : أنتَ ، ولست أصل إليكَ ؛ فأذكر حاجتي ؟ قال : ومَنْ يحجبك عنِّي وقد ترى مجلِسي مبذولاً ؟ قال : يحجبني عنك هَيْبتي لك وطول لسانك ؛ وفصاحَتُك ، واطِّراد حُجّتك ، قال : ففيم ظلمتُك ؟ قال : ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غَصْباً بغيرِ ثَمن ، فإذا وجب عليها خراجٌ أدّيته باسمي لئلاّ يثبتَ لك اسم بملكها ، فيبطل مِلكي ، فوكيلك يأخذ غلَّتها ، وأنا أؤدِّي خراجها ، وهذا ممّا لم يسمعْ في الظلم مثله ، فقال محمد : هذا قولٌ تحتاج عليه إلى بَيِّنَةٍ وشهود وأشياء ، فقال له الرجل : أيؤمنني الوزير من غضبه ، حتى أُجيبَ ؟ قال : قد أمَّنْتك ، قال : البينة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليسَ يحتاج معهم إلى الشيء ، فما معنى قولك : بيّنة وشهود وأشياء ، أيش هذه الأشياءُ إلاّ العيّ والحَصر والتغطرس[1] ؟ فضحك ، وقال : صدقتَ ، والبلاء موكَّلٌ بالمنطق ، وإنِّي لأرى فيك مصطَنَعا ، ثم وقَّع له بردّ ضَيعته وبأن يطلق له كُرُّ حِنطة[2] وكرّ شعير ومائة دينار يستعين بها على عِمارة ضَيعته ، وصيَّره من أصحابه ، واصطَنَعه .

---

1 التغطرس : التعامي عن الشيء .

2 كر حنطة : أربعون أردباً .

[يهدد إبراهيم بن المهدي]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدَّثني أحمد بن محمد الطالَقانيّ قال : حدَّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال : لمّا وثب إبراهيم بن المهديّ على الخلافة ، اقْترضَ من مياسير التُّجّار مالاً ، فأخذ من جدّي عبد الملك عشرَة آلاف دِرهم ، وقال له : أنا أردُّها إذا جاءني مال ، ولم يتمّ أمرُه فاستخفى ، ثم ظهر ورَضيَ عنه المأمونُ ، فطالبَه الناسُ بأموالهم ، فقال : إنّما أخذتُها للمُسلمين ، وأردتُ قَضاءها من فيئهم ، والأمرُ الآن إلى غيري ، فعمل أبي محمدُ بنُ عبد الملك قصيدَةً يخاطبُ فيها المأمونَ ، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهديّ ، فأقرأه أيّاها وقال : والله لئن لم تُعطني المال الذي اقترضتَه من أبي لأوصلنَّ هذه القصيدة إلى المأمون ، فخاف أن يقرأها المأمون ، فيتدبَّر ما قاله ، فيُوقع به ، فقال له : خذ منّي بعضَ المال ، ونجِّم عليَّ بعضه ، ففعل أبي ذلك بعد أن حَلَّفه إبراهيمُ بأوكد الأيمان ألاَّ يظهر القصيدة في حياة المأمون ، فوفَّى له أبي بذلك ، ووفَّى إبراهيم بأداء المال كلّه .

والقصيدة قوله : [من الطويل]

ألَم تَرَ أنّ الشيءَ للشيء علَّةٌ ... تكونُ له كالنّارِ تُقدَح بالزَّندِ
كذلكَ جرّبْتُ الأُمورَ وإنّما ... يدُلُّك ما قد كان قبلُ على البَعْدِ
وظنّي بإبراهيم أنّ مكانَه ... سيُبعث يوماً مثلَ أيّامه النُّكْدِ
رأيت حُسَيْناً حين صار محمد ... بغير أمانٍ في يديه ولا عَقدِ
فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربةٍ ... فصيَّره بالقاع مُنْعفِر الخدِّ
إذا لم تكنْ للجند فيه بقيّةٌ ... فقد كان ما خُبِّرتُ من خبرِ الجُندِ
هُمُ قَتلوه بعد أن قَتلوا له ... ثلاثين ألفا من كهول ومن مُرْدِ
وما نصروه عن يَدٍ سلفَتْ له ... ولا قتلوه يوم ذلكَ عن حِقدِ
ولكنّه الغدرُ الصُّراح وخِفّةُ الـ ... ـحُلوم وبعدُ الرأي عن سَنَنِ القَصدِ
فذلك يوم كان للنّاس عبرةً ... سيبقى بقاءَ الوَحْي في الحَجر الصَّلدِ[1]

---

1 الوحي : الكتابة .

وما يـوم إبراهيـم إن طال عمرُه ... بأبعـد في المكـروه من يومه عِنْدي
تذكَّـر أميرَ المؤمنـين مقامَـه ... وأيمانـه في الهـزلِ منه وفي الجَدِّ
أمـا والذي أمسيتَ عبـداً خليفـةً ... لـه شرُّ أيمـان الخليفـة والعبدِ
إذا هـزّ أعـوادَ المنابـر باستهِ ... تغنّـى بليـلى أو بميَّـةَ أو هِنْـدِ
فوالله مـا مـن تَوبـةٍ نزعتْ بـه ... إليـك ولا مَيـلٍ إليـك ولا وُدِّ
ولكـنَّ إخـلاصَ الضمير مقـرِّبٌ ... إلى الله زُلْفـى لا تَخيبُ ولا تُكدي
أتاكَ بهـا طوعـاً إليـكَ بأنفه ... على رغمـه واستأثَـر اللهُ بالحَمْدِ
فـلا تترُكنْ للناسِ موضعَ شُبهـة ... فإنّك مَجْزِيّ بحسْب الذي تُسدي
فقد غَلِطوا للنّـاس في نَصْب مثلِه ... ومن ليسَ للمنصور بابنٍ ولا المَهدي
فكيف بمَن قـد بايع الناسَ والتقتْ ... ببيعتـه الركبـانُ غَـوْرا إلى نَجدِ
ومـن سلكَّ تسليمُ الخلافـة سَمْعَهُ ... ينادى بـه بـين السِّماطينِ من بُعْدِ
وأيّ امرئٍ سمَّـى بهـا قطُّ نفسَه ... ففارقهـا حتـى يُغيَّـبَ في اللَّحدِ
وتزعـمُ هـذي النابتيّـة أنّـه ... إمـامٌ لهـا فيما تُسِرُّ وما تُبدِي[1]
يقولـون سُنِّـيٌّ وأيّـةُ سُنَّـة ... تقومُ بجَوْن اللون صَعْل القفا جَعْدِ[2]
وقـد جعلـوا رُخْصَ الطعام بعَهده ... زعيماً لـه باليُمنِ والكوكَب السَّعْدِ
إذا مـا رأوا يومـاً غـلاءً رأيتَهم ... يَحِنّـون تَحنانـا إلى ذلـك العَهدِ
وإقبالـه في العيـد يوجَف حولَـه ... وجيف الجياد واصطفاق القنا الجُرْدِ[3]
ورجّالـةٍ يمشون بـالبيضِ قبلـه ... وقـد تَبعـوه بـالقضيبِ وبالبُردِ
فإن قلـتَ قـد رام الخلافةَ غيرُهُ ... فلم يـؤتَ فيما كان حاول من جَدِّ
فلَـمْ أجـزه إذ خيَّـبَ اللهُ سعيَه ... على خطإٍ إذ كان منـه ولا عَمَدِ[4]

---

1 النابتية : طائفة من الحشوبة أحدثوا بدعاً غريبة في الإسلام .

2 صعل القفا : كناية عن لؤم الحسب . وجعد : بخيل .

3 يوجف حوله : يسرع . وفي الديوان اصطكاك وهي بمعنى الاصطفاق .

4 على خطإٍ في الديوان : على عمد .

ولم أرضَ بعـد العفـوِ حتّى رفعته ... ولْلعَـمُّ أولى بالتَّعَهُّـد والرِّفْدِ[1]
فليس سواءٌ خارجـيٌّ رمـى بـه ... إليكَ سفاهُ الرأي والرأيُ قـد يُرْدي
تعاوتْ لـه مـن كلّ أَوْبٍ عِصابـةٌ ... متى يُورِدُوا لا يُصدروه عـن الوِرْدِ
ومَـن هـو في بيتِ الخلافة تَلْتقي ... بـه وبـك الآبـاءُ في ذِروة المجدِ
فمـولاكَ مـولاه وجنـدُك جنـدُه ... وهل يجمع القينُ الحُسامين في غِمْدِ ؟[2]
وقـد رابنـي مـن أهل بيتك أنَّني ... رأيتُ لهـم وجـدا بـه أيَّما وَجدِ
يقولـون لا تبعـدَ مـن ابن مُلمَّةٍ ... صبورٍ عليها النفسَ ذي مِـرَّة جَلْدِ
فَدانـا وهانتْ نفسُه دونَ مُلكنـا ... عليه لذي الحال التي قلَّ من يفدي[3]
على حين أعطى الناسَ صَفْقَ أكفّهم ... عليُّ بـنُ موسى بالولايـة والعَهدِ
فما كان فينا مَـن أبى الضَّيْم غيرُه ... كريمٌ كفى مـا في القبولِ وفي الرَّدِّ
وجـرَّد إبراهيـمُ للمـوتِ نفسَه ... وأبدى سلاحاً فوق ذي مَيعةٍ نَهْدِ[4]
وأبلى ومَـن يبلغْ مـن الأمر جُهدَه ... فليسَ بمذمـومٍ وإن كان لم يُجْدِ
فهذي أمـورٌ قـد يخافُ ذَوُو النُّهى ... مَغَبَّتَهـا واللهُ يهديـكَ للرّشْدِ

[يزري بيحيى بن خاقان]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني عبد الله بن الحسين القَطربلي ، عن جعفر بن محمد بن خَلَف قال : قال لي المعلّى بن أيّوب : كيف كان محلُّ يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقدارُه ؟ فقلت له : سمعتُ محمداً يذكره ، فقال : هو مهـولُ الألفاظ ، عليلُ المعاني سخيف العقل ، ضعيفُ العقدة[5] ، واهي العزْم مأفونُ الرأي .

[لا يلبس القباء]

قال عبدُ الله : ولما تولّى محمد بن عبد الملك الوزارة ، اشترط ألاّ يلبس القَباء ، وأن

1 رفعته في الديوان : رفدته .
2 مثل .
3 الشطر الثاني في الديوان : عليه على الحين الذي قل من يفدي .
4 ذو ميعة : أوّل جري الفرس ونشاطه . نهد : جسيم مشرف .
5 العقدة : الولاية .

يلبس الدُّرَّاعة[1] ويتقلّدَ عليها سيفاً بحمائل ، فأجيب إلى ذلك .

[من لا يرحم لا يرحم]

أُخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني أَبو ذَكْوان ، قال : حدَّثني طمَّاس ، قال ميمونُ بنُ هارون : كان محمد بن عبد الملك يقول : الرَّحْمة خَوَرٌ في الطبيعة ، وضَعفٌ في المُنَّة ، ما رحمتُ شيئاً قطّ . فكانوا يطعَنون عليه في دينه بهذا القول ، فلمّا وُضع في الثِّقْل والحديد قال : ارحَموني ، فقالوا له : وهل رحمتَ شيئاً قَطُّ فتُرحَم ! هذه شهادتُك على نفسِك وحكْمُك عليها .

أُخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني أَبو ذَكوان ، قال : حدَّثني طماس ، قال : جاء أَبو دَنْقش الحاجبُ إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضرُ ، فدخل ليَلْبَس ثيابه ، ورأى ابن دَنْقَش الحاجب غِلماناً لهم رُوقة[2] فقال : وهو يظنُّ أنّه لا يسمع : [من الكامل]

وعلى اللواط فلا تلومَنْ كاتِباً إنّ اللّواط سَجِيَّة الكُتّابِ

فقال محمد له : [من الكامل]

وكما اللّواطُ سجيّةُ الكُتَّابِ فكذا الحُلاقُ سَجِيَّة الحُجَّابِ[3]

[لا اعتذار مع القصاص]

فاستحيا ابن دَنْقَش ، واعتذرَ إليه ، فقال له : إنّما يقع العُذْر لو لم يقع الاقتصاص فأمّا وقد كافأتك فلا .

[يرثي سكرانة]

أُخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : أُنشدني الحسنُ بنُ وهب لمحمد بن عبد الملك أَبياتاً ، يرثي بها سكرانَةَ أُمَّ ابنه عُمَر ، وجعل الحسنُ يتعجّب من جودتها ، ويقول : [من الطويل]

يقول لِيَ الخِلاَّنُ لو زرتَ قبرها فقلتُ : وهل غيرُ الفؤاد لها قبرُ

1 الدُّرّاعة : ثوب كالجبة مشقوق المقدم يعمل من الصوف خاصة .

2 غلمان لهم روقة : حسان .

3 الحُلاق : داء الأبنة .

على حينَ لم أحدُثْ فأجهلَ قدرَها ... ولم أُبلـغ السنَّ التي معهـا الصبرُ

[اعتذاره إلى عبد الله بن طاهر]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيعٌ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقيّ ، قال : استبطأ عبدُ الله بن طاهر محمدَ بن عبد الملك في بعض أُموره ، واتَّهمه بعدوله عن شيء أراده إلى سواه ، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك ، وكتبَ في آخر كتابه يقول : [من الوافر]

أتزعُـم أنَّني أهـوى خليلاً ... سواكَ على التّـداني والبِعادِ
جحـدتُ إذاً مُوالاتـي عليّاً ... وقلـت بأنَّني مـولى زيادِ

[واحدة بواحدة]

قرأت في بعض الكتب : كان عبدُ الله بنُ الحسن الأصفهانيّ يخلُفُ عمرَو بنَ مَسعدة على ديوان الرسائل ، فكتب إلى خالدِ بنِ يزيدَ بنِ مزيد : إنّ المعتصم أمير المؤمنين ينفخُ منك في غير فَحْم ، ويخاطب امرءاً غير ذي فهم ، فقال محمد بن عبد الملك : هذا كلام ساقط سخيف ؛ جعل أميرَ المؤمنين ينفُخُ بالزِّقّ كأنّه حدَّاد ، وأبطل الكِتاب ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر : وأنت تُجري أمرَك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسعى بنقصان ، ولا تميل برجحان ، فقال عبدُ الله الأصبهانيّ : الحمد لله ، قد أُظهرَ من سخافة اللفظ ما دلَّ على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربِح السِّلع ، ورُجحان الميزان ، ونُقصان الكيل ، والخُسران من رأس المال . فضحك المعتصِمُ ، وقال : ما أسرع ما انتصف الأصبهانيّ من محمد ، وحَقدها عليه ابن الزيات ، حتى نكبه .

[أدعاء له أم عليه]

أخبرني الأخفشُ عن المبرِّد قال : نظر رجل كان يُعادى يونس النحويّ إليه وهو يُهادى بين اثنين من الكِبَر ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، أبلغْتَ ما أرى ؟ فعلم يُونس أنّه قال له ذلك شامتاً ، فقال : هذا الذي كنتُ أرجو فلا بلغته ، فأخذه محمدُ بنُ عبد الملك الزيّات : فجعله في شعر فقال : [من مخلع البسيط]

وعائـبٍ عابنـي بِشيْبٍ ... لم يعْـدُ لّمـا ألـمَّ وقتَهْ

فقلتُ إذ عابني بشَيْبي : يا عائبَ الشيبِ لا بلْغتَهْ

[منديل تحت عمامته]

وذكر أبو مَروان الخُزاعيّ أنّ أبا دُهمان المغنّيَ سَرَق من محمد بن عبد الملك مِنديلاً دَبَقِيّاً[1] فجعلَه تحتَ عِمامته ، وبلغ محمداً ، فقال فيه : [من الرمل]

ونديـــمٍ سارقٍ خاتلَنـــي وهو عندي غيرُ مذموم الخُلُقْ
ضاعفَ الكَــوْرَ على هامتـه وطوى منديلَنا طــيَّ الخِرَقْ
يــا أبــا دُهمانَ لــو جاملْتَنا لكفينــاكَ مَـؤونــاتِ السَّرَقْ

[ترجوه فتحرمه]

أخبرنا أبو مسلم محمد بن بَحر الأَصبهانيّ ، قال : كنتُ عند أبي الحسين بن أبي البغْل لَمّا انصرف عن بَغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة وبُطْلانِ ما نَذَره من ذلك ورجوعه ، فجعل يحدِّثنا بخبره ، ثم قال : لله درُّ محمد بن عبد الملك الزيّات حيث يقول : [من البسيط]

ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحرَمُه قد كنتُ أحسبُ أنّي قد ملأتُ يدي
ما لي إذا غبتُ لم أُذكَرْ بصالحةٍ وإن مَرِضتُ فطال السُّقمُ لم أُعَدِ

[يتبادلان المدح]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني عوْن بن محمد الكِنْديّ ، قال : حدَّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع ، قال : وصفَني محمدُ بنُ عبد الملك للمعتصم ، وقال : ما له نظيرٌ في ملاحة الشعر والغِناء والعِلم بأُمورِ الملوكِ ، فلقيتُه فشكرتُه ، وقلت : جُعِلْتُ فِداءك ! أتَصِف شِعري وأنت أشعرُ الناس ؟ ألستَ القائلَ : [من الوافر]

ألَـم تعجَــب لمكتئِبٍ حزينٍ خَدين صَبابة وحليفِ صَبرِ
يقولُ ، إذا سألتَ به ، بخَيْرٍ وكيف يكون مهجورٌ بخَيْرِ

قال : وأين هذا ، من قولك ؟

يقــولُ لي كيــفَ أصبــ ـحتَ كيــفَ يُصبح مِثلي

---

1 دبقياً : نسبة إلى دبيق . قرية كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر مشهورة بالثياب الدبقية ، وهي ثياب رقيقة تكور عمائم ، وقد ترقم بأسلاك الذهب .

ماءٌ ولا كصدَّاء[1] ، ومرعى ولا كالسَّعدان[2] .

أخبرني الصولي ، قال : حدَّثني عَون بن محمد : قال : لقي الكنجيُّ محمد بن عبد الملك فسلَّم عليه فلم يجبه ، فقال الكنجيّ : [من البسيط]

هـذا وأنت ابنُ زيـاتٍ تُصغِّرنا فكيف لو كنتَ يا هذا ابن عطَّارِ

[لا ينتصف من ساقط أحمق]

فبلغ ذلكَ محمداً ، فقال : كيفَ يُنتصفُ من ساقط أحمق ، وَضْعُه رَفْعُه ، وعقابُه ثوابُه .

[أضيع ميتة]

أخبرني الصوليّ ، قال : أخبرني عبدُ الله بن محمد الأزديّ ، قال : حدَّثني يعقوبُ بن التّمار ، قال : قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه : ما أخَّرك عنّا ؟ قال : موتُ أخي ، قال : بأيّ علّة ؟ قال : عضَّت إصبعَه فأرة ، فضربتْه الحُمْرة[3] ، فقال محمد : ما يرد القيامةَ شهيدٌ أخسُّ سبباً ، ولا أنذلُ قاتلاً ، ولا أضيَعُ مِيتةً ، ولا أظرفُ قِتلة من أخيك .

[خمسون بيتاً في بيت]

أخبرني عمّي عن أبي العيناء ، قال : كان محمد بن عبد الملك يُعادي أحمدَ بن أبي دواد ، ويهجوه ، فكان أحمدُ يجمع الشعراء ، ويُحرّضهم على هجائه ، ويَصلُهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين ، كانا أجودَ ما هُجِيَ به ، وهما[4] : [من السريع]

أحسن من خَمسين بيتاً سُدًى جمعُـك إيَّاهُـنَّ في بيتِ
مـا أحوجَ الناس إلى مَطْرة تُذهِـبُ عنهم وَضَرَ الزيتِ

---

1 مثل : يضرب في باب الرجلين يكونان ذوي فضل غير أن لأحدهما فضيلة الآخر والصداء : ركية ليس أعذب منها . وهو يضرب للرجل يحمد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى .
وهو عن قصة لامرأة تزوجت من رجل آخر فسألها زوجها عن زوجها الأول .

2 مثل : وهو شبيه في قصته ومغزاه بالمثل الأول . والسعدان : نبت من أفضل ما يُرعى .

3 الحمرة : ورم من جنس الطواعين ينشأ من اتساخ جرح .

4 وردت في الخزانة برواية مختلفة قليلاً هي :

أحسن من تسعين بيتاً شذى جعلـك معناهـن في بيـت
ما أحـوج الملك إلى مطـرة تغسل عنـه وضـر الزيـت

وكان ابن أبي دواد يقول : ليس أحدٌ من العرب إلاّ وهو يقدرُ على قول الشعر ، طبعاً رُكّب فيهم ، قَلّ قولُه أو كثُر .

[أبو تمام يمدحه]

أخبرنا الصوليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ موسى عن الحَسَنْ بن وَهْب ، قال : أنشد أبو تمّام محمد بن عبد الملك قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

لهـان علينا أن نقولَ وتفعلا[1]

فأثابه عليها ووقَّع عليه : [من الطويل]

رأيتك سهلَ البيع سمحاً وإنّما ... يُغالَى إذا ما ضَنَّ بالشيء بائعُهْ
فأمّا الذي هانتْ بضائعُ بيعِه ... فيُوشك أن تَبقى عليه بضائعُهْ
هو الماءُ إن أجمَمْتَه طاب وِردُه ... ويُفسدُ منـه أن تباحَ شرائعُهْ

فأجابه أبو تمام وقال : [من الطويل]

أَبا جعفر إن كنْتُ أُصبحتُ شاعراً ... أُسامِحُ في بيعـي لـه مَـن أُبايعُهْ
فقـد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً بـه ... تُساهل مـن عادتْ عليك منافعُهْ
فصرتَ وزيراً والوزارة مَكْـرَعٌ ... يَغصّ بـه بعـدَ اللـذاذة كارعُهْ
وكَمْ مـن وزير قـد رأينا مُسلَّطاً ... فعـاد وقـد سُدَّتْ عليه مطالعُهْ
ولله قـوسٌ لا تطيش سهامُهـا ... ولله سيـفٌ لا تُفـلُّ مقـاطعُهْ

[راشد الكاتب يطلب منه هدية]

حدَّثني الصُّوليّ ، قال : حدَّثني محمد بن يحيى بن عباد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حجَّ محمد بن عبد الملك في آخر أيّام المأمون ، فلمّا قَدِم كتب إليه راشدٌ الكاتبُ قولَه : [من المنسرح]

لا تنسَ عهـدي ولا مودَّتِيَـهْ ... واشتَـقْ إلى طَلعتـي ورُؤيتِيَـهْ
إن غبتَ عنّا فلم تغب كثرة الـ ... ـذكـر فـلا تَغْفُلَـن هديتِيَـهْ
التَّمر والنقـل والمساويك والقسـ ... ـب وخير النعـال حُسْنَ شِيَـهْ

---

1 عجز البيت : ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

فإن تجاوزتَ ما أقول إلى العَصْـ ـبِ فـذاك المأمـولُ منك لِيَـهْ[1]

فأجابه محمد بن عبد الملك : [من المنسرح]

إنّك مِنّي بحيثُ يطّردُ الناظـ ـرُ من تَحت ماء دَمْعَتِيَهْ
ولا ومَـن زادني تودُّدُه على صِحابـي بفضـل غَيْبَتِيَهْ
ما أحسن التركَ والخلافَ لما تريـدُ منّي ومـا تقولُ لِيَهْ
يـا بأبي أنتَ مـا نسيتُك في يـوم دُعائـي ولا هَدِيَّتِيَهْ
ناجيتُ بالذكر والدُّعاء لك اللّـ ـهُ لـدى البيت رافعاً يَدِيَهْ
حتى إذا ما ظننتُ بالملكِ القـ ـادر أن قـد أجاب دَعْوَتِيَهْ
قمتُ إلى موضع النعالِ وقد أقمت عشرينَ صاحبـاً مَعِيَهْ
وقلـتُ لي صاحبٌ أريـدُ له نَعْـلاً لـو مـن جلود راحتيهْ
فانقطـع القـولُ عنـد واحدةٍ قال الذي اختار يـا بِشارَتِيَهْ
فقلتُ عندي لك البشارةُ والشُّكـ ـرُ وقَـلاً في جَنب حاجَتِيَهْ
ثم تخيّرتُ بعد ذاك من العَصْـ ـب اليَمـاني بفضـل خِبْرَتِيَهْ
موشيَّـةً لم أزلْ بِبائعهـا أرغِـبُ حتـى زهـا عليَّ بِيَهْ
يرفـعُ في سومِـه وأرغِبُـه حتـى التَقـى زهدُه ورَغْبَتِيَهْ
وقـد أتـاكَ الذي أمرتَ به فاعـذِرْ بكُثر الإنعـام قِلَّتِيَهْ

[المعتصم يأخذ برذونه فيقول في ذلك شعراً]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش ، قـال : حدَّثنـا محمـدُ بنُ يزيد المبرِّد ، قال : كان لمحمد بن عبد الملك برذونٌ أشهب لم يُرَ مثلُه فراهةً وحسناً ، فسعى به محمدُ بن خالد حيْلَويه إلى المعتصم ، ووصف له فراهته[2] ، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه ، فقال محمد بن عبد الملك يَرثيه : [من الكامل]

كيف العَزاء وقـد مضى لسبيلِهِ عنّـا فودَّعنـا الأحـمُّ الأشهبُ[3]

---

1 العصب : ضرب من البرود .
2 فراهته : حسنه ونشاطه .
3 الأحم الأشهب : الأسود .

دبَّ الوشاةُ فأبعـدوك وربَّمـا بَعُدَ الفتى وهـو الأَحبُّ الأقربُ
لله يـومَ نأيـتَ عنّـي ظاعنـا وسُلبتُ قربَـك أيَّ عِلْقٍ أُسلَبُ
نفسٌ مفرَّقـةٌ أقـام فريقُهـا ومضى لِطِيَّتِـه فريـقٌ يُجنَبُ
فـالآن إذ كُملت أداتُـك كلُّها ودعا العيونَ إليك لـونٌ معجِبُ
واختيرَ من سرّ الحدائـد خيرُهـا لك خالصاً ومن الحُليّ الأغرَبُ
وغدَوتَ طَنّـان اللّجـام كأنّـما في كلِّ عُضو منك صَنْجٌ يُضرَبُ
وكأنَّ سرجَـك إذ علاك غَمامةٌ وكأنّما تحـتَ الغمامـةِ كَوكَبُ
ورأى عليَّ بـك الصديقُ جلالـةً وغـدا العـدوُّ وصدرُه يتلهّبُ
أنساكَ لا زالـت إذاً منسيَّـةً نفسي ولا زالـت يَمينيَ تُنكبُ
أضمرتُ منك اليأسَ حين رأيتُني وقُوى حبـالي من قُواك تقضَّبُ
ورجعتُ حين رجعتُ منكَ بحسرة لله مـا فعـل الأحمُّ الأشهبُ

[ناظر ضعيف البصر]

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المرزُبان ، رضوانُ الله عليه ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ ناصح رحمةُ الله عليه ، قال : لحقتْ غلاَّتِ أهلِ البَتِّ[1] آفةٌ في أيّام محمد بن عبد الملك من جَراد وعَطَش ، فتظلَّم إليه جماعة منهم ، فوجَّه ببعض أصحابه ناظراً في أمرهم ، وكان في بصره ضَعْف ، فكتب إليه محمد بن عليٍّ البَتّي : [من السريع]

أتيتَ أمـراً يـا أبا جعفرٍ لم يأتِـه بَـرٌّ ولا فاجرُ
أغثتَ أهل البتِّ إذ أُهلِكوا بناظـرٍ ليس لـه ناظرُ

فبلغه ، فضحِك وردّ الناظرَ ووقَّع لهم بما سألوا بغير نَظر .

[مساجلة بينه وبين علي بن جبلة]

أخبرني الصوليّ رضي الله عنه قال : حدَّثني محمدُ بن يحيى بن أبي عبّاد عن أبيه رضي الله عنهما قال : قال عليّ بن جَبَلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيّات ، وكان قد قصدَ أبا دُلَف القاسم بن عيسى في بعض أمره : [من البسيط]

1 البتّ : قرية من أعمال بغداد قريبة من راذان .

يـا بائعَ الزيتِ عرِّج غيرَ مرموقِ لَتُشغلَنَّ عـن الأرطالِ والسوقِ
مَن رام شتمكَ لم ينزِع إلى كَذبٍ في مُنتمـاك وأبـداه بتَحقيقِ
أبـوك عبـدٌ وللأُمِّ التي فلقت عن أُمِّ رأسك هَـنٌ غيرُ محلوقِ
إن أنتَ عدَّدت أصلالاً تُسَبُّ به يومـاً فأُمُّك مني ذاتُ تَطليقِ
ولن تطيقَ بحـولٍ أن تُزيل شَجاً أثبتُّـه منـك في مستنزَلِ الرِّيقِ
الله أنشاك من نَوْكٍ ومن كَذِبٍ لا تعطفـنَّ إلى لـؤمٍ لمخلوقِ
مـاذا يقـول امرؤ غشَّاك مِدحتَه إلاّ ابنُ زانية أو فـرخُ زِنديقِ

فأجابه محمد : [من البسيط]

اشمخْ بأنفك يـا ذا السيِّىء الأدبِ ما شئتَ واضربْ قذال الأرضَ بالذنَبِ
وارفع بصوتك تدعو مَن بذي عَدَنٍ ومَن بِقالي قَـلا بالويـل والحَرَب[1]
ما أنتَ إلاّ امـرؤٌ أُعطـي بلاغتَه فَضْلَ العِـذار ولم يربـعْ عَلى أدبِ[2]
فاجمَحْ لعلّك يومـاً أن تعضَّ على لُجْـمٍ دِلاصيَّةٍ تَثنيكَ مـن كَثَبِ[3]
إنِّي اعتذرت فما أحسنتَ تسمعُ مِن عُذري ومن قبلُ ما أحسنتَ في الطَّلَبِ
صَبْراً أبـا دُلَـفٍ في كلِّ قافيـة كالقِدْر وَقْفاً على الجارات بالعُقَبِ[4]
يا ربّ إن كان ما أنشأتَ من عرَبٍ شَرْوى أبي دُلَفٍ فاسخَطْ على العربِ[5]
إنَّ التعصُّبَ أبـدى منـك داهيَـةً كانَتْ تُحَجَّبُ دونَ الوهم بالحُجُبِ

فأجابه علي بن جَبَلة : [من البسيط]

نبَّهتَ عـن سِنَةٍ عينيـكَ فاصطبرِ واسحبْ بذيلك هل تَقْفُو عَلى أثرِ[6]

---

1 قالي قلا : مدينة بأرمينية من نواحي خلاط ، بلد أبي علي القالي صاحب الأمالي .
2 يربع : يقف .
3 لجم دلاصية : ملساء براقة .
4 العقب : جمع عقبة ، أي شيء من المرق يرده مستعير القدر .
5 شروى : مثل .
6 تقفو : تمحو .

إن يَرحَضِ اللهُ عنّي عارَ مُطلّبي ... إليك رِفداً ألا فانجِد به وغُرِ
إنّي ودعواكَ أن تأتي بمكرُمةٍ ... كمُنبضِ القوْسِ عن سَهمٍ بلا وَتَرِ
فاردد جُفونَك حَسْرى عن أبي دُلَفٍ ... ولا ملامَةَ أن تعْشى عن القَمرِ
لا يسخطنّ امرؤ إن ذلّ من حَسبٍ ... فالله أنزلَه في مُحكَم السُّوَرِ
لم آتِ سَوْءا ولم أُسخَط عَلى أحدٍ ... إلاّ على طَلَبي في مُجْتَدًى عَسِرِ[1]
أقصِرْ أبا جعفرٍ عن سَطْوةٍ جمحَت ... إن لم تُقصِّر بها مالتْ إلى القِصَرِ

فأجابه محمد بنُ عبد الملك : [من المنسرح]

يا أيُّها العائبي ولم يَرَ لي ... عيباً أما تنتهي فتزدجِرُ
هل لكَ وترٌ لديَّ تطلبُه ... فأنت صَلدٌ ما فيك معتَصَرُ
فالحمدُ والمجدُ والثناءُ لنا ... وللحسودِ التُّرابُ والحَجَرُ

وهي طويلة يقول فيها :

تعيشُ فينا ولا تلائِمُنا ... كما تعيشُ الحَميرُ والبقَرُ
تُغلي علينا الأشعار منكَ وما ... عندكَ نَفْعٌ يُرجى ولا ضَرَرُ

[غزل بغلام]

أخبرني عمّي ، رحمه الله ، قال : حدَّثني عمرُ بنُ نصر الكاتب ، قال : حدَّثني عمّي عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى ، قال محمد : اجتاز بديع غلامُ عُمير المأمونيّ بمحمد بن عبد الملك الزيّات ، وكان أحسنَ خلق الله وجهاً ، وكانَ مُحمَّد يحبُّه ويُجنُّ به جنوناً فقال : [من السريع]

راح علينا راكباً طِرفَهُ ... أغْيَدُ مثلُ الرشإ الآنسِ
قد لَبِس القُرطُقَ واستمسكتْ ... كفَّاه من ذي بُرَقٍ يابِسِ[2]
وقُلِّد السيفَ على غُنْجِه ... كأنّهُ في وقعةِ الدّاحِسِ
أقول لمّا أن بدا مُقْبِلاً ... يا ليتني فارسُ ذا الفارسِ

1 اجتدى : سأل حاجته .
2 القرطق : القباء .

[سماء تعوقني عن سماء]

أخبرني الأخفشُ ، قال : حدَّثني محمدُ بنَ يزيد قال : دامت الأمطارُ بسُرَّ مَنْ رأى ، فتأخّر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيّات ، وهو يومئذٍ وزيرٌ ، والحسن يكتبُ له ، فاستبطأه محمد بن عبد الملك ، فكتب إليه الحسنُ يقول : [من الخفيف]

أوجبَ العذرَ في تراخي اللقاء ما تـوالَى مـن هذه الأنواء
لست أدري ماذا أقولُ وأشكو مـن سماءٍ تعوقُني عـن سماء
غير أنّي أدعو على تلكَ بالثُّكْـ ـلِ وأدعـو لهـذِه بالبقاء
فسلام الإلـه أهدِيـه غضّاً لـك منّـي يـا سيِّد الوُزَراء

[عتاب]

أخبرني الصُّوليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ موسى ، قال : اعتلّ الحسنُ بن وهب ، فتأخّر عن محمد بن عبد الملك أيّاماً كثيرةً ، فلم يأته رسولُه ، ولا تعرَّف خبره ، فكتب إليه الحسنُ قولَه : [من الخفيف]

أيُّهـذا الوزيـرُ أيَّدك اللـ ـهُ وأبقاك لي بَقـاءً طويلا
أجميلاً تـراه يـا أكرمَ النا س لكيما أراه أيضـاً جميلا
إنّني قـد أقمتُ عَشراً عليلا مـا ترى مرسِلاً إليَّ رسولا
إن يكن موجب التعمّد في الصّحّـ ـه مَنّـاً علـيَّ منكَ طويلا
فهو أولى يـا سيدَ النّاس برّاً وافتقـاداً لَمـن يكـون عليلا
فلماذا تركتَنـي عُرضة الظّنّ من الحاسدينَ جيلا فجيلا
ألِذَنْبٍ فما علمتُ سوى الشكـ ـر قرينـا لنيَّتي ودَخيلا
أم ملالٍ ، فمـا علمتك للصا حبِ مثلي على الزمانِ مَلولا
قد أتـى اللهُ بالشفاء فما أعْـ ـرفُ ممّـا أنكرتَ إلاّ قليلا
وأكلتُ الدُّرّاج وهـو غِـذاءٌ أفَلَـتْ علّتـي عليـهِ أفولا[1]
بعدما كنتُ قد حملتُ من العلَّـ ـةِ عِبْئـاً على الطِّباعِ ثقِيلا

1 الدُّرّاج : طائر أرقط .

ولعلّـــي قَدِمـــتُ قبلَك آتيـ ـلكَ غَداً إن وجدتُ فيه سَبيلا

فأَجابه محمدُ بنُ عبد الملك : [من الخفيف]

دفع اللهُ عنـكَ نائبةَ الدَّهـ ـــر وحاشاكَ أَن تكونَ عَليلا

أُشهِدُ اللهَ مـا علمتُ ومـاذا كَ مـن العُـذرِ جائزاً مقبولا

ولعَمري أَن لَو علمتُ فلازمتـ ـك حولاً لكان عِندي قَليلا

إنَّني أَرتَجي وإن لم يكنْ مـا كان ممّـا نَقَمـتُ إلاّ جليلا

أَن أَكونَ الذي إذا أَضمر الإخـ ـلاصَ لم يلتَمِسْ عليـه كَفيلا

ثـمّ لا يبـذُلُ المـودَّة حتى يجعـلَ الجهدَ دُونها مَبذولا

فإذا قال كانَ مـا قال إذْ كا نَ بعيداً مـن طَبعـه أَن يَقولا

فاجعلَنْ لي إلى التعلُّق بالعُذْ رِ سَبيلاً إن لم أَجِـدْ لي سَبيلا

فقديماً ما جادَ بالصفْح والعفْـ ـوِ وما سامحَ الخَليلُ الخَليلا

قال : وكتبَ محمدُ بن عبد الملك إلى الحَسَن بن وهْب وقد تأخّر عنه : [من البسيط]

قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خبَرٌ ماذا تراه دَهاه قلت : أَيْلولُ

شهرٌ تجذُّ حبالُ الوصلِ فيه فما عقدٌ من الوصل وهو محلولُ

[مساجلة بينهما]

قال : وكان محمد قد ندبه لأَن يخرجَ في أَمر مُهِمّ فأَجابَه الحَسَنُ فقال : [من البسيط]

إنِّي بحـولِ امرِىءٍ أَعليتَ رُتبتَه فحظُّـه منـكَ تعظيـم وتبجيلُ

وأَنـتَ عُدّتـه في نَيـل هِمّته وأَنـتَ في كلِّ مـا يهواه مأمولُ

مـا غالنـي عنـك أَيلولٌ بلذَّتِه وطيبِـه ولنعـمَ الشهـرُ أَيلولُ

الليلُ لا قِصَرٌ فيـه ولا طـولُ والجو صافٍ وظهر الكأسَ مَرحولُ

والعود مستنطَقٌ عـن كلِّ معجبةٍ يُضحي بها كلُّ قلب وهو مَتْبولُ

لكن توقُّعُ وشْك البين عن بلدٍ تحلُّـه فـوكاءُ العـين محلولُ

ما لي إذا شمَّرتْ بـي عنك مبتَكِراً دُهمُ البِغـال أَو الهوجُ المراسيلُ[1]

---

1 الهوج المراسيل : النوق المسرعة سهلة السير .

إلاّ رعاياتُـــك اللاَّتي يعـــودُ بها حــدُّ الحوادثِ عنّي وهو مفلولُ

قال : وكان الحسنُ بن وهب يساير محمداً على مُسَنَّاة[1] ، فعدل عن المسنّاة لئلاّ يضيق لمحمد الطريقُ ، فظنّ محمد أنّه أشفقَ على نفسه من المسنّاة ، فعدل عنها ، ولم يساعده على طريقه ، وظنَّ بنفسه أن يصيبَها ما يصيبه ، فقال له محمد : [من الخفيف]

قـــد رأيناكَ إذ تركتَ المُسنّا ةَ وحاذَيْتَنـــي يَسارَ الطـريقِ
ولعمري ما ذاك منكَ وقد جدَّ بـك الجِــدُّ من فِعال الشَّفيقِ

[مساجلة أخرى]

فقال له الحسَنُ : [من الخفيف]

إن يكنْ خوفي الحُتُوفَ أَراني أَن تــراني مشبَّهــا بالعَقُوقِ
فلقد جارتِ الظنونُ على المُشـ ـفقِ والظَّنُّ مولــعٌ بالشفيقِ
غرَّر السيدُ الأجلُّ وقــد سا رَ على الحَرْفِ من يَمين الطريقِ
فأَخذتُ الشِّمالَ بُقيا عَلى السيـ ـــد إذ هالني سُلوكُ المَضيقِ
إنَّ عندي مــودَّةً لك حازتْ مــا حوى عاشقٌ من المَعشوقِ
طودُ عــزّ خصصتُ منــه ببرٍّ صار قَدْري بــه مع العَيُّوق[2]
وبنفسي وإخوتــي وأَبي البـــ ـرّ وعَمِّي وأُسرتي وصَديقي
من إذا ما رُوِّعْتُ أَمَّن رَوْعي وإذا مــا شَرِقْتُ سوَّغَ رِيقي

[يفتخر]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش والصوليّ ، قالا : حدَّثنا المبرِّد ، قال : استسقى الحسنُ بنُ وهب من محمد بن عبد الملك نبيذاً ببلد الروم ، وهو مع المعتصم فسقاه وكتب إليه : [من مجزوء الكامل]

لم تلـــقَ مِثـلي صاحبا أندى يـــداً وأعمَّ جودا
يسقــي النديـــمَ بقَفـرةٍ لم يُسْق فيها الماءَ عُودا

---

1 مسناة : سدّ يعترض به الوادي .

2 العيّوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا .

صفــراءَ صافيــةً كأنّ بكــأسها دُرّاً نَضيــدا
وأجودُ حــين أجودُ لا حَصِراً بــذاكَ ولا بليدا
وإذا استقــلّ بشكرهــا أوجبــتُ بالشُّكْر المزيدا
خُذهــا إليــكَ كأنّما كُسِيتْ زُجاجَتُها عُقودا
واجعل عليــكَ بأن تقو مَ بشكرهــا أبداً عهودا

[يوم سرور لا يكمل]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني أحمد بن محمد الأنصاريّ ، قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسنَ بن وهب في آخر أيّام المأمون ، فجاءهُ ودخلا حمّاماً له ، وأقاما على لهوهما ، ثم طُلِب الحسنُ بن وهب لعمل احتيج فيه إليه ، فمضى ، وبطل يومهم ، فكتب الحسن إليه : [من السريع]

سقيــاً لنَضرِ الوجــهِ بَسَّامِهِ مُهــذَّبِ الأخــلاق قَمقامِهِ[1]
تكسبــه شُكــراً على أنّها مُطبقــةُ السِّنِّ لِلوّامِــهِ[2]
زُرْناه في يــوم عــلا قدرُه مــن سائِــرِ الأيّام في عامِهِ
أسعــده الله وأحظــى بــه وجــاده الغيــث بإرهامِهِ[3]
فكــان مسروراً بنــا بــاذلاً لرحْلِــهِ الرحــبِ وحمّــامِهِ
نخدمــه وهــو لنــا خــادم بفضلــه مــن دون خُدَّامِهِ
ثــم سقانا قَهــوةً لم يــدَعْ أطيــبَ منهــا بقُــرى شامِهِ
صهباء دَلّتْ عــلى دَنِّهــا وحدَّثَتْ عــن ضعف إسلامِهِ

فأجابه محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى : [من السريع]

وزائــرٍ لــذَّ لنــا يومُــهُ لــو ساعد الدهرُ بإتمامِهِ
مــاذا لقينا مــن دواوينه وخطّــه فيهــا بأقلامِهِ

---

1 القماقم : السيّد .
2 إطباق السن : كناية عن الصمت .
3 الإرهام : الغيث .

أسرّ مــا كنّا فمن مازحٍ — أو شارب قد عَبَّ في جامِهِ
فارقنــا فالنَّفس مطروفــة — بواكف الدَّمــع وسجَّامِهِ
وعاد بـالمدح لنـا منعِماً — بـه إلى سالــف إنعامِهِ
ليت ـ وأنَّى لي بها مُنْيَةٌ ـ — لو كنت فيـه بعضَ قُوَّامِهِ
يَشْكر مـا نـال على أنّه — لا يُشكـرُ الحـرُّ لحمَّامِهِ
أمسحه فيــه وأُدنــو لــه — مــن خلفـه طوراً وقُدَّامِهِ
جعلت نفسي جُنَّة للصِّبا — وبِعت إسلامــي بإسلامِهِ
فصار ما يشرب حِلاًّ لــه — وصــرت مأخـوذاً بآثامِهِ

[ابن الزيات في قيوده]

أخبرني الحسن بن القاسم الكاتب ، قال : سمعت القاسم بن ثابت يحدّث عن أبيه ، قال : قال أحمد الأحول : لما قُبِض على محمد بن عبد الملك الزيّات تلطَّفتُ في الوصول إليه ، فرأيته في حديد ثقيل ، فقلت له : أعْزِزْ عليّ ما أُرى ، فقال : [من الرمل]

سَلْ ديارَ الحيّ مـا غيَّرَها — ومحاهـا ومحـا منظرَهـا
وهي اللاتي إذا ما انقلبت — صَيَّرت مَعروفَها مُنكرَها
إنّمـا الدُّنيـا كظِلٍّ زائلٍ — نحمـد الله كــذا قدَّرَها

في هذه الأبيات رمل طنبوري لا أُدري لَمن هو ؟

وممّا يغنَّى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيّات : [من مجزوء الرمل]

صوت

ظالمـي مــا علمتُـهْ — مُعتــدٍ لا عدمتُــهْ
مُطْمِعي بالوصال ممـ — ـتنعٌ حــين رُمتُــهْ
مُرْصِدٌ بالخلاف والـ — ـمَنْع من حيثُ سمتُهْ[1]
هاجــرٌ إن وصلتُـهُ — صابــرٌ إن صَرَمتُـهْ
كم وكم قد طويتُ ما — بي وكَم قــد كَتمتُـهْ

1 أرصد له شيئاً : أعدّه له .

رُبَّ همٍّ طويت فيـ ـك وغيظٍ كظمتُـهْ
وحيـاةٍ سئمتهـا والهوى ما سئمتُـهْ
رُمتُ شيئاً هَويتُـه ليس لي مـا حُرِمتُـهْ
قـال إذ صرَّح البكا ءُ بمـا قـد سترتُـهْ
لـو بكى طول دهرِهِ بـدمٍ مـا رَحِمْتُـهْ

الغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر .

صوت

[من الهزج]

إذا أحببـتُ لم أسْلُ وإن واصلـتُ لم أقطَعْ
وإن عاتبنـي النـاسُ تصاممْتُ فلـم أسْمَعْ
وقـد جرّبت مـا ضرّ وقـد جرّبت مـا ينفعْ
فمـا مثـل الهوى أنهَـ ـكُ للجسم ولا أضْرَعْ
ولا كالهجـرِ في القربِ إلى المـوتِ ولا أسْرعْ
وإن أوجعنـي العَـذْل فنِيرانُ الهـوى أوجعْ
وهـذا عَـدَمُ العقـلِ فمـا أسْطِيع أن أصنَعْ
ولا والله مـا عنـدي لما قـد حلَّ بـي مَدْفَعْ
ولا فـيّ لهجرانـ ـك لولا ظلمكمْ موضعْ

الغناء لعريب لحنان : خفيف ثقيل بالبنصر ، وهزج بالوسطى .

[يمدح الحسن بن وهب]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : حدّثني الحسن بن رجاء ، قال : قدِم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصِّلح ، وامتدحه بقصيدته التي أوّلها : [من الرجز]

كأنّهـا حـين تنـاءَى خَطْـوُهُ أخْنس مَوْشيُّ الشَّوى يرعى القُلَلْ[1]

1 الأخنس : ذكر البقر الوحشي . موشي الشوى : منقوش الأطراف .

وقال فيها :

إلى الأمير الحسن استنجدْتها   أيّ مرادٍ ومَناخٍ ومَحلّ
سيف أمير المؤمنين المنتَضى   وحصن ذي الرياستين المُقْتَبلْ
آباؤك الغرّ الألى جدُّهمُ   كِسرى أنو شروان والناس هَمَلْ
من كلّ ذي تاجٍ إذا قال مضى   كلُّ الذي قال وإن همّ فَعَلْ
فأيْنَ لا أيْنَ وأنّى مِثْلُكمْ   أنتم الأُملاك والنّاس خَوَلْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[يتنكّر للحسن بن سهل فيخجله]

قال : ومرض الواثق ، فدخل إليه الحسن بن سهل عائداً ، ومحمد بن عبد الملك يومئذٍ وزيره ، والحسن بن سهل متعطّل ، فجعل الحسن بن سهل يتكلّم في العلّة وعلاجها وما يصلح للواثق من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام ، قال : فحسده محمد بن عبد الملك ، وقال له : مِنْ أين لك هذا العلم يا أبا محمد ؟ قال : إنّي كنت أستصحب من أهل كلّ صنعة رؤساء أهلها ، وأتعلّم منهم ، ثم لا أرضى إلاّ ببلوغ الغاية ، فقال له محمد ، وكان حسوداً : ومتى كان ذلك ؟ قال : في زمان قلت فيّ : [من الرجز]

فأين لا أين وأنّى مثلكم   أنتم الأملاك والناس خوَلْ

فخجل محمد بن عبد الملك ، وأطرق ، وعَدَل عن الجواب .

[عسى أمور بعد ذلك تكون]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني حمّاد بن إسحاق قال : حدّثني ميمون بن هارون بن خلف قال : كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيّات ، وهو يريد يومئذٍ منزله ، حتى مرّ بدار إبراهيم بن رباح ، فرأى فيها قبّة مشيدة ، فقال : [من الكامل]

أمّا القبابُ فقد أراها شُيِّدَتْ   وعسى أُمورٌ بعد ذاك تكون
عبدٌ عرَتْ منه خلائقُ جهلهِ   إذ راح وهو من الثّراء سمينُ

فما كان إلاّ أيّام حتى أُوقع به .

[ابن أبي دواد يكيد له]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الحسن بن عليّ بن عبد الأعلى عن أبيه ، قال : كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيّات وبين أحمد بن أبي دواد ، فكفَّ محمد عن ذكره ، وجعل ابن أبي دواد يخلو بالواثق ، ويغريه به ، حتى قبض عليه وكان فيما بلغه عنه أنّه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه . فقبض الواثق عليه ، ثم أطلقه بعد مدّة ، ثم وزر للمتوكّل ، وكان محمد بن عبد الملك أشار بابن الواثق ، وأشار ابن أبي دواد بالمتوكّل ، وقام وقعد في أمره حتى وُلّي ، وعمَّمه بيده ، وألبسه البُردة ، وقبَّل بين عينيه ، وكان المتوكّل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك في حياة الواثق يشكو إليه جفاءه له فيَتجهّمه محمد ، ويُغلظ له الردّ ، إلى أن قال يوماً بحضرته : ألا تعجبون إلى هذا العاصي ، يعادي أمير المؤمنين ، ثم يسألني أن أصلح له قلبه ! اذهب ، ويلك فأصلح نفسَك له ، حتى يصلح لك قلبه . فكان موقع ذلك يحسن عند الواثق ، فدخل إليه يوماً وقد كان قال للواثق : إنّ جعفراً يدخل إليّ وله شعر قفاً وطُرّة مثل النساء ، فقد ضحك فأمره بأن يحلقهما ، ويضرب بشعرهما وجهه ، فلمّا دخل إليه المتوكّل فعل ذلك به ، وتجهَّمَه بالقبيح ، فلمّا ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه ، فاستوزره وخلع عليه ، وجعل ابن أبي دواد يغريه به ويَجِد عنده لذلك موقعاً واستماعاً ، حتى قبض عليه وقتله ، فلم يجد له من أملاكه كلّها من عينٍ وَوَرِق وأثاث وضيعة إلاّ ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فندِم على ذلك ، ولم يجِد منه عوضاً ، وكان أمره ممّا يُعتدُّ على أحمد بن أبي دواد ، ويقول : أطمعتَني في باطل ، وحملتَني على أمر لم أجِد منه عوضاً .

[دندن الكاتب يتنبأ بما حدث له]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : زعم محمد بن عيسى الفساطيطيّ ، أنّ محمد بن عبد الملك اجتاز بدندن الكاتب ، وعليه خلع الوزارة للمتوكّل لمّا وزر له ، فقال دندن : [من الكامل]

راح الشقيّ بخلعة النُّكْرِ مثل الهدِيِّ لليلة النَّحْرِ[1]

1 الهدي : الضحية ونحوها .

لا تمَّ شهر بعــد خِلْعَتِــه حتى تــراه طافِيَ الجَمْرِ
ويُرى يُطامن من إساءته يَهْوي لَـهُ بِقَواصم الظهْرِ

فكان الأمر كما قال .

[في التنور]

قال عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى : فلمّا قبض عليه المتوكّل استعمل له تنُّورَ حديد ، وجعل فيـه مسامير لا يقـدر معها أن يتحرّك إلاّ دخلت في جسده ، ثم أُحماه له وجعله فيه ، فكان يصيح : ارحموني ! فيقال له : اسكت ، أنت كنت تقول : ما رحمت أحداً قطّ ، والرحمة ضعف في الطبيعة ، وخَوَرٌ في المُنَّة ، فاصبر على حكمك ! وخرج عليه عبادة ، فقال : أردت أن تَشْوِيَني ، فَشَوَوْك .

[موت ومكايدة]

أُخبرني طاهر بن عبد الله بن طاهر الهاشميّ : قال : قال العبّاس بن طومار : أُمر المتوكّل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيّات ، وقد أحمي تنّور حديد ، وجعله فيه ، فيكايده ، فدخل إليه فوقف بإزائه . ثم قال : اسمع يا محمد ، كان في جيراننا حفّار يحفر القبور ، فمرضت مخنّثة من جيراني ، وكانت صاحبةً لي ، فبادر فحفر لها قبراً من الطمع في الدراهم ، فبرأت هي ومرض هو بعد أيّام ، فدخلت إليه صاحبتي وهو بالنزع ، فقالت : ويْ يا فلان ؟ حفرت لي قبراً وأنا في عافية ، أوَ ما علمت أنه مَن حفر بئر سوء وقع فيها ، وحياتك يا محمد ، لقد دفنّاه في ذلك القبر ، والعقبى لك . قال : فوالله ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ، ويكايده إلى أُن مات .

[الحسن بن وهب يرثيه]

قال الصوليّ : وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك ، وكان في حياته ينتفي[1] منها ، ويجحدها ، ثم شاعت بعد ذلك ، ووجدت بخطّه : [من الوافر]

يكـاد القلب مـن جزعٍ يطيرُ إذا مـا قيـل قـد قُتِل الوزيرُ
أميرَ المؤمنـين هَدَمْـتَ ركناً عليـه رَحـاكُمُ كانـت تدورُ

1 ينتفي منها : يتنصّل منها .

سيُبلى الملك مـن جزعٍ عليه ويخرب حين تَضْطرب الأُمورُ
فمهلاً يـا بنـي العبّاس مهلاً فقـد كُوِيَتْ بفعلكمُ الصدورُ
إلى كم تَنْكُبُـون النـاسَ ظلماً لكـم في كلٍّ ملحمـة عقيرُ
جزيتـم ناصراً لكـمُ المنايا وليس كذلِكُمْ يُجْزَى النَّصيرُ
فكنتم سائقـاً أرسا إليكـم وذلك مـن فعالكـمُ شهيرُ
وكانَ صلاحـه لـو شئتموه قريبـاً لا يحاولـه البصيرُ
كأَنَّ اللهَ صيَّركـم ملـوكاً لئـلاَّ تعدلـوا ولأنْ تجوروا

[504] ـ أخبار أبي حشيشة

[نسبه]

أبو حشيشة لقبٌ غَلَبَ عليه ، وهو محمدُ بن أُميّة بن أبي أُميّة ، يكنى أبا جَعفر ، وكان أهله جميعاً متّصلين بإبراهيمَ بن المهديّ ، وكان هو من بينهم مَعنِيّاً بالطُّنبور ، يُغنّى أحسن غِناء وخَدَم جماعة من الخلفاء أوّلهم المأمونُ ، ومَن بعدَه إلى المعتمِد .

[أبو صالح يكتب له في استتاره]

وله يقول أبو صالح بن يَزداد وكتب بها في استتاره : [من الوافر]

جُعِلْتُ فِداك يا ابنَ أبي أُمَيّهْ   أرى الأيّامَ قد حكمتْ عليَّهْ
وملّنيَ الصديقُ وخانَ عهدي   فما أقْرا لكمْ كتُبا إليَّهْ
فإن كان الضميرُ كما بدا لي   فهذا والإلهِ هو البَلِيَّهْ

وكان أكثرُ انقطاعه إلى أبي أحمد بنِ الرشيد أيّامَ حياته ، وكان أبوه وجده وأخواله كُتّاباً .

وقرأت على أحمد بن جعفر جَحظةَ ما ذكره عن أبي حشيشةَ في كتابه الذي ألّفه في أخبار مراتب الطُّنبوريين والطُّنبوريّات وكان من ذلك أنه قال : شاهدت أبا حشيشةَ مدّة ، وكان يتغنّى في أشعار خالد الكاتب وبني أُميّة ، وكانت معه فِقَرٌ من الأحاديث يضعُها مواضعَها ، وكانت له صنعة تقدَّم فيها كلَّ طُنبوريّ ، لا أحاشي من قولي ذلك ، فَمِنها : [من الطويل]

كأنَّ همومَ الناس في الأرضِ كُلِّها   عليَّ وقلبي بينهم قلبُ واحدِ
ولي شاهدا عدلٍ سُهادٌ وعَبرةٌ   وكم مُدَّعٍ للحُبّ من غيرِ شاهدِ

وهو خفيف رَمَل مطلق . قال جَحظةُ : ورأيته في القَدْمةِ التي قدِمها مع ابن المدبّر بين يدي المعتمد ، وقد غنّاه من شعر عليّ بن محمد بن نصر .

صوت

[المجتث]

حُرِمتُ بذلَ نوالك   واسوأتا من فِعالِكْ

لمـا مَلَلْـتَ وصـالي آيسْتِني مـن وِصالِكْ

فوهبَ له مائتي دينار .

واللحن رَمَل مطلق .

[عريب تفضله على علويه ومخارق]

أخبرني جَحظة فيما قرأتهُ عليه ، قال : حدَّثني ابن نُوْبخت : يعني عليَّ بنَ العبّاس قال : رأيتُه وقد حضرتْ عَريبُ عند ابن المدبر ، وهو يُغنّي ، فقالت له عَريب : أحسنتَ يا أبا جعفر ، ولو عاش الشَّيْخان ما قلتُ لهما هذا ، تَعني عَلّويَه ومُخارقاً .

[يُهدَّدُ بالجلد إنْ تكلّم]

حدَّثني أبو حشيشةَ ، قال : هجم عليَّ خادمٌ أسودُ ، فقال لي : البِسْ ثيابَك ، فعلمتُ أنّ هذا لا يكون إلاّ عن أمر خليفة أو أميرٍ ، فلم أراجعه ، حتى لبستُ ثيابي ، فمضيت معه فعبَر بي الجسرَ ، وأدخلني إلى دارٍ لا أعرفها ، ثم اجتاز بي في رِواق فيه حُجَرٌ تفوح منهنَّ رائحةُ الطعامِ والشرابِ ، فأدخِلتُ منهنَّ إلى حجرة مفروشة ، وجاءني بمائدة كأنّها جَزْعة يمانية قد نشرت في عراصها الحِبَرة[1] ، فأكلتُ وسقاني رِطْلين وجاءني بصندوق ففتحه فإذا فيه طَنابر ، فقال لي : اخترْ ، فاخترتُ واحداً ، وأخذ بيدي ، فأدخلني إلى دار فيها سَمّاعة وفيها رجلان على أحدهما قَباء غليظ ، وعلى الآخر ثيابٌ مُلحَم[2] وخَزّ ، فقال لي صاحب الخزّ : اجلس ، فجلست ، فقال : أكلتَ وشربتَ ؟ فقلت : نعم . قال : عندنا ؟ قلتُ : نعم ، قال : تُغَنّي ما نقول لك ؟ فقلت له : قل ، فقال : تُغنّى بصنعتك : [من الخفيف]

يـا كثيرَ الإقبالِ والإنصرافِ ومَلولاً ولـو أشا قلت خافِ

وهو رَمَل مطلق ، فغنّيتهُ إيّاه ، وجعلَ يطلبُ منّي صوتاً بعد صوت من صَنعتي ، فأغنّيه ، ويستعيده ، ويشرب هو والرجُل ، وأُسقى بالأنصاف المختونة[3] إلى أن صلّوا العشاءَ الآخرة ، وهم لا يشربون إلاّ على الصوتِ الأوّل لا يريدون غيره ، ثم أوْمأَ إليَّ الخادم : قم ، فقمت ، فقال لي صاحبُ القَباء منهما : أتعرفني ؟ قلتُ : لا والله ، قال : أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، وهذا محمد بن راشد الخنّاق ، واللهِ لئن بلغني أنّك تقولُ : إنّك رأيتَني لأضربنّك

1 الحبرة : كناية عن ألوان الطعام الشهية البراقة .
2 مُلْحَم : جنس من الثياب .
3 المختونة : الناقصة .

مائتيْ سَوط ؛ انصرف . فخرجتُ ودفع إلى الخادم ثلاثمائة دينار ، فجهدتُ أن يقبلَ منها شيئاً على سبيل البرّ ، فما فعَل .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني أبو حشيشة : قال : وجّه إليّ إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، فصرتُ إليه وهو في داره التي على طرَف الخَندق ، فدَعا بجُونة[1] ، فأكل وأكلتُ من ناحية ، ودَعا بسِتارة وقال : تغنَّ بصنعتِك : [من مجزوء الكامل]

عـادِ الهَوى بالكأسِ بردا فأطِعْ إمـارة مـنِ تبدَّى

وهو خفيف رَمَل مطلق .

فغنَّيتُه مراراً ، ثم ضرب السِّتارة ، وقال : قولوه ، فقالَتْه جاريةٌ فأحسنت غاية الإحسان ، فضحِك ثم قال : كيف تَراه ؟ فقلت : قد والله بغَّضُوه إليَّ ، فازداد في الضحِك ، وأنا أرمقُ جُبّةَ خَزٍّ خَضراء كانتْ عليه ، فقال : كم ترمُقُ هذه الجُبَّة ؟ يا غلامُ كانت عشرة أثواب خزّ فقطعت منها هذه الجبّة ، فهاتِ التسعةَ فجيء بها ، فدفعها إليَّ فكنت أبيعَ رُذالَها بستِّينَ دِيناراً .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني أبو حشيشة أنّ بَني الجنيد الإسكافيِّينَ كانوا أوّل مَن اصطنعه ، وأنّهم كانوا يسمّونه الظَّريف ، وأنّ أوّل منزل ابْتاعه من أموالهم إلى أن شاع خبرُه ، وتفاقم أمرُه . قال : وكانوا آكلَ الناس ، رأيتُ رجلاً منهم ، وقد أكل هو وابن عمّ له اثنينِ وعشرين رأساً كباراً ، وشَرِبا ، فسكِرا وناما ، ثم انتبها في وقت الظُّهر ، فدعَوا بالطعام ، فعادا إلى الأكل ، ما أُنكر مِنْهما شيئاً .

[المأمون أوّل خليفة سمعه]

ونسختُ من كتاب ألَّفه أبو حشيشةَ ، وجمع فيه أخباره مع مَن عاشره ، وخدمَ من الخلفاء ، وهو كتاب مشهور ، قال : أوّل مَن سمِعني من الخُلفاء المأمونُ ، وهو بدمشق ، وصفَني له مُخارق ، فأمر بإشخاصي إليه ، وأمر لي بخمسين ألفَ دِرهم أتجهّزُ بها ، فلمّا وصلتُ إليه أدناني ، وأُعجِبَ بي ، وقال للمعتصِم : هذا ابنُ مَن خدمك وخدم آباءك وأجدادكَ يا أبا إسحاق ، جَدُّ هذا أُميّة كاتب جدِّكَ المهديّ على كتابة السرِّ وبيتِ المال والخاتمَ ، وحجَّ المهديُّ أربعَ حِجَج كان جدّ هذا زميلَه فيها .

1 جونة : سلة صغيرة .

[يضرب لغنائه بشعر فيه ذكر الشيب]

واشتهى المأمونُ من غنائي : [من الرمل]

صوت

كان يُنْهى فَنَهى حــينَ انتهى وانجلتْ عنــه غياباتُ الصِّبا
خلع اللهــوَ وأضحى مُسْبِلا للنُّهــى فَضــلَ قميصٍ ورِدا
كيف يرجــو البيضُ مَنْ أوَّلُه في عيــون البيض شَيْبٌ وجلا
كان كحــلا لمآقيهــا فقــدْ صار بــالشيب لعينيها قَذى

الشعر لدِعبِل ، والغناء لمحمد بن حسين بن مُحرز رمَل بالوسطى .

قال أبو حشيشة : وكان مُخارق قد نَهاني أن أُغنّيَ ما فيه ذكرُ الشيبِ من هذا الشعر ، وأن أقتصر على البيتين الأوّلين ؛ لأنّ المأمون كان يشتدُّ عليه ذكرُ الشيب ، ويكرهه جدّاً من المغنّين ، وأمر ألاّ يغنّيَه أحدٌ بشعر قيل في الشيْب أو فيه ذكر له ، فسكرتُ يوماً ، فمررتُ في الشعرِ كلِّه ، فقال : يا مُخارق ، ألا تحسنُ أدبَ هذا الفتى ! فنَقَفني[1] مُخارق نَقْفة صلبة ، فما عُدتُ بعدها لذكر شيء فيه الشيب .

[لكلّ خليفة صوت يحبه]

وذكر أبو حشيشةَ في كتابه هذا ممّا كان يشتهيه عليه المأمونُ وغيره من الخلفاء أصواتاً كثيرةً ، ولا فائدة في ذكرها هاهنا لأنّها طويلة ، فذكرت ممّا كان يختاره عليه كلُّ خليفة صوتاً . قال أبو حشيشةَ : كان المعتصم يَشتهي عليَّ : [من مجزوء الكامل]

صوت

أسرفْــتَ في سوء الصنيعِ وفتكتَ بــي فتكَ الخليعِ
وولِعــتَ بـــي مُتمــرِّداً والعــذر في طرف الوَلُوعِ
صبَّــرتُ حبَّــك شافعــاً فأتيتُ مــن قِبَــل الشَّفيعِ

الشعرُ لأصرَم بن حُميد ، والغناء لأبي حَشيشَة .

قال : وكان الواثق يختارُ من غنائي : [من مجزوء الكامل]

1 النقف : أشد الضرب بعصا ونحوها .

يـا تاركي متَلدِّد العُـ ـوَّاد جَـذلانَ العُداةِ[1]
انظُـر إليّ بعـين را ض نظـرةً قبل المماتِ
خلَّيتَنـي بـين الوعيـ ـدِ وبين أَلْسِنَةِ الوُشاةِ
مـاذا يُرَجّـي بالحيـا ةِ مُنَغَّصٌ روحَ الحيـاةِ

الشعر لمحمد بن سعيد الأسديّ ، والغناء لأَبي حَشيشَة خفيف رَمَل .

قال : وكان المتوكِّل يحبُّني ، ويستخفُّني ، وكانت أُغانيه التي يشتهيها عليّ كثيرةً منها : [من المتقارب]

صوت

أُطعتُ الهوى وخلعتَ العِذارا وباكرتَ بعد القَراح العُقارا[2]
ونازعكَ الكأسَ مـن هاشم كريـمٌ يحـبُّ عليها الوَقارا
فتـى فـرّق الحمـدُ أَموالَه يَجُرّ القميصَ ويُرخي الإزارا
رأى اللهُ جعفـرَ خيرَ الأَنـام فملَّكـه ووقـاهُ الحِـذارا

الشعرُ والغناءُ لأَبي حَشيشَة .

قال : وكان الفتح بن خاقان يشتهي عليّ : [من الكامل]

صوت

قالوا عشقتَ فقلتُ أَحسنَ من مَشى والعشقُ ليس على الكريـمِ بعارِ
يا مَن شكوتُ إليه طول صبابتي فأَجابنـي بتجَهُّـمِ الإنكـارِ

قال : وكان المستعين يشتهي عليّ : [من المتقارب]

صوت

وما أنسَ لا أنسَ منها الخشوعَ وفيضَ الدّمـوع وغَمزَ اليدِ
وخَـدّي مُضافـاً إلى خدِّهـا قيامـاً إلى الصُّبـح لم نرْقُدِ

الشعر لمحمدِ بن أَبي أُميّة والغناءُ لأَبي حشيشة .

---

1 متلدد العواد : متحير الزائرين .

2 العقار : الخمر .

قال : وأخبرني محمد بن عليّ بن عِصْمة ، وكان إليه الزهدُ في الدُّنيا كلِّها ، قال : حضرتُ المعتزَّ وقد ورد عليه جوابُ كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكان كتب إليه يطلُبني منه ، فكتب إليه محمد : إنّي عَليلٌ ، لا فضلَ فيّ للخدمة ، قال أبو عِصمة : فقال لي المعتزّ : يا أبا محمد ، صديقك أبو حشيشة يؤثر علينا آل طاهر ، فقلتُ له : يا سيِّدي ، أنا أعلم الناس بخَبرِه ، هو والله عليل : ما فيه موضع لخدمةِ أمير المؤمنين ، قال : ثم ذكرني المعتمد . وحرّضَه عليّ ابنُ حَمدون ، فكتب إلى أيّوب سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذٍ أمير بَغداد ، في إشخاصي ، فشخَّصني إليه من ساعتي ، فأكرمني ، وأدْنى في مجلسي ، وأمر لي بجائزة ، واشتهى عليّ : [من الكامل]

قلبي يُحبُّكِ يا مُنى ... قلبي ويُبغضُ من يُحِبُّكْ
لأكونَ فرداً في هوا ... كِ فليتَ شِعري كيفَ قَلبُكْ

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والصنعةُ لأبي حشيشة رمل .

[مع إبراهيم بن المهدي]

قال أبو حشيشة : سمع إبراهيم بن المهديّ أصواتاً من غناء محمد بن الحارث بن بسخُنّر وعمرو بن بانة ، فاستحسنها وأخذها جواريه ، وقال : الطُّنبور كُلُّه باطل ، فإن كان فيه شيء حقّ فهذا . وأشتهي أن يسمعني . فهبته هيبة شديدة ، وقلت : إن رضيَني لم يزِد ذلك في قَدري ، وإن لم يرضَنِي بقيتُ وصمةً آخرَ الدّهر ، وكان يطلُبني من محمد بن الحارث بن بسخُنّر خاصة ، ومن إسحاق بن عمرو بن بزيع ، فكنتُ أفرُّ منهما ، حتى صِرتُ بسُرَّ مَن رأى ، وأنا في تلك الأيّام منقطعٌ إلى أبي أحمد بن الرشيد ، ونحن في مضاربَ لم نكن سكنّا المنازل بعدُ ، فوافى إلى أبي أحمد بن الرشيد رسولُ إبراهيم بن المهديّ فأبلغه السلامَ ، وقال : يقول لك عَمُّك : قد أعْيَتْنيَ الحِيَلُ في هذا الخبيثِ ، وأنا أحبُّ أن أسمعه ، وهو يهرُبُ منّي ، فأحبُّ أن تبعثَ به إليَّ ، وتكون رَبْربُ معه تُؤْنسه . فقال لي : أبو أحمد : لا بدَّ أن تمضيَ إلى عمِّي ، فجهدتُ كلَّ الجَهد أن يُعفِيَني ، فأبى ، فلمّا رأيت أنّه لا بدّ لي منه لبستُ ثيابي ، ومضيتُ إليه ، وهو نازل في دسْكرة ، فرحّب بي وقرَّب ، وبسطَني كلَّ البسط ومعي رَبْربُ ، ودَعا بالنبيذ ، وأمر خدَماً له كباراً ، فجلسوا معي وشربوا وسقَوْني . وعرض لي بكلِّ حيلة أن أغنّيَ ، فهبتُه هيبة شديدة ، وحَصِرتُ . وشرِبَ ، ودعا بثلاث جوار ، فخرجن

وجلسن ، وقال لهنَ : قُلنَ : [من المنسرح]

صوت

كيفَ احتيالي وأنتَ لا تصلُ   عِيل اصطباري وقلَّتِ الحيلُ
إن كان جِسمي هواكَ يُنحِله   فـإن قلبـي عليـك يتَّكِلُ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء لأبي حشيشةَ رمل . وكان يسمِّيه الرُّهبانيّ ، عمله على لحن من ألحان النصارى سمعه من رُهبانٍ في الليل يردِّدُونه ، فغنَّاه عليه .

فقالتْه إحداهنّ ، فذهب عقلي ، وسمعت شيئاً لم أَسمع مثلَه قطُّ ، فقال : يا خليلي ، أهذا لك ؟ فقلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، وأخذتني رِعْدة ، ثم قال لهنّ : إيهِ ، قُلن : [من مجزوء الخفيف]

صوت

رَبِّ مـا لي وللْهـوى   مـا لهـذا الهـوى دَوا
حازَ طَرْفي الذي هوى الـ   ـحُسْنُ قَلبي وما حوى

الشعرُ لخالدٍ ، والغناء لأبي حشيشةَ رَمَل .

فَغَنَّتْهُ فسمعتُ ما هو أعجبُ من الأوّل ، فقال : يا خليلي ، هذا لك ؟ قلت : نعمْ يا سيِّدي ، قال : هكذا أُخذناهما من محمد بن الحارث ، ثم شربَ رِطلاً آخر ، فقلت : يا نفس ، دعـاكِ الرجُـل يَسْمعكِ ، أو يُسمعكِ ، وقوّيت عزمي ، وتغنّيته بشعر خالد الكاتب ، وهو هذا : [من المتقارب]

صوت

لئنْ لـجَّ قلبُـك في ذكـره   ولـجَّ حبيبُـكَ في هَجـرِهْ
لقد أورث العينَ طولَ البُكا   وعـزّ الفـؤادُ عـلى صَبرِهْ
فإن أذهبَ القلبَ وجدٌ بِـه   فجسمُـكَ لا شكَّ في إثْرِهْ
وأيُّ مُحِـبٍّ تجافى الهَـوى   بطُـولِ التفكُّـرِ لم يُبْـرِهْ

فجعل يُـردّد البيتَ الأوّلَ والبيتَ الأخير ، وقـال لي : لا تَخرجنَّ يا خليلي من هذا إلى غيره ، فلم أَزل أردده عليه ، حتى شَرِب ثلاثاً ، واسترحتُ ساعةً ، وشربتُ وطابت نفسي ، ثم استعادني فغنّيته ، فأُعجِبَ به خلافَ الأوّل ، فنظر إليّ وضَحِك ، ولم يقُل شيئاً ، وشرب رِطلاً رابعاً وجاءت المغرب ، فقال لي : يا خليلي ، ما أشكّ في أنّك قد أُوحشت ابني منكَ ،

فامضِ في حفظ الله تعالى . فخرجت أطير فرحاً بانصرافي سالماً ، فلمّا وافيتُ أبا أحمد ، وبصَر بي من بعيد قال : حِنطة ، أو شعير ؟ فقلت ، بلٍ سِمْسِم وشَهْدٌ ، انْجُ على رغم أنفِ مَن رغم ، فقال : ويحكَ ، أتُراني لا أعرفُ فضلَك ، ولكن أحببتُ أن أستعينَ برأيه على رأيي فيك ، وقصصتُ عليه القصة ، فسرّه ذلك ، ولم يرضَ حتى دسَّ إليه محمدَ بن راشد الخناق ، فسأله عني ، فقال : ما ظننت أن يكون في صناعته مثله .

[إسحاق يزكيه]

قال أبو حشيشة : وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصليّ غنائي فاستحسنه ، فسأل عني ، فقال : غناء الطُّنبور كله ضَعيف ، وما سمعتُ فيه قطُّ أقوى ولا أصحَّ من هذا .

[موت أبي حشيشة]

حدّثني جحظةُ ، قال : كان سببُ موت أبي حشيشة بسُرّ مَن رأى ، أنّ قلماً غلام الفضلِ بن كاووس صار إليه في يوم بارد ، فدعاه إلى الصّبوح ، فقال له : أنا لا آكل إلاّ طعاماً حاراً ، وليس عندكَ إلاّ فُضَيلة من مجليّة ، قال : تساعدني ، وتأكل معي ، فأكلَ منها ، فجمّدَتْ دمَ قلبه ، فمات ، فحملَه إبراهيمُ بنُ المدبّر إلى بناتِه وما كسبه بِسُر مَن رأى معه ، فاقتسمْنَه بينهُنَّ .

صوت

[من المنسرح]

سَقياً لقاطولَ لا أرى بلَداً أوْطَنَهُ الموطِئــون يُشْبِهُها
أمنا وخفضا ولا كَبهْجَتِها أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفهُها

البيت الأول من البيتين لِعنان جارية الناطفيّ ، والثاني يقال : إنّه لعمْرو الوراق ، ويقال إنّه لأبي نُواس ، ويقال بل هو لها .

والغناء لعَريب خفيف رَمَل . وكان الشعر : «سَقْيا لبغداد» فغيّرته عريب وجعلت مكانه «سقيا لقاطول» .

[505] ـ أخبار عنان

كانتْ عِنان مولّدةً من مولّدات اليمامة ، وبها نشأتْ وتأدّبتْ ، واشتراها الناطفيّ ، وربّاها ، وكانت صفراءَ جميلةَ الوجه ، شَكِلة[1] مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة . وكان فحول الشعراء يساجلونها ، ويقارضونها ، فتنتصف منهم .

[مساجلة فاحشة بينها وبين أبي نواس]

أُخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ صهرُ المبرِّد النحويّ وعليٌّ بنُ صالح بن الهيثم قال : حَدَّثنا أَبو هِفَّان عن الجمَّاز قال : دخل أَبو نواس يوماً على عِنان جاريةِ الناطفيّ ، فتحدّثا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت شعراً ، فقالت : هاتِ فقال : [من مجزوء الرمل]

إن لي أَيْــراً خبيثاً ... لونُه يَحكي الكُميتا
لو رأى في الجوِّ صَدْعاً ... لنْــزا حتّــى يموتا
أَو رآه فــوق سقفٍ ... لتحــوَّل عنكَبُــوتا
أَو رآه جــوفَ بحرٍ ... خِلتَه في البحرِ حُوتا

قال : فما لبثَتْ أَن قالت : [من مجزوء الرمل]

زوّجوا هــذا بألْفٍ ... وأَظُــنُّ الأَلــف قُوتا
إنَّنــي أَخشى عليــهِ ... إن تَمادى أَن يمُوتا
بادروا ما حلَّ بالمسـ ... ـكين خوفاً أَن يَفُوتا
قبــل أَن يَنْتكس الدّ ... اءُ فلا يأتــي ويُوتى

قال : ودخل إليها يوماً ، فقال : [من المجتث]

مــاذا تريــنَ لِصَبٍّ ... يريدُ منــك قُطَيرَهْ

---

1 شكلة : ذات غنج ودلال .

فأجابته : [من المجتث]

إيـايَ تَعنـي بهـذا عليـك فاجْلدْ عُمَيرَهْ

فقال لها : [من المجتث]

أُريدُ هــذا وأَخْشى على يدي منكِ غَيْرَهْ

قال : فخجِلتْ وقالت : تَعِستَ ، وتعِس مَنْ يَغارُ عليك .

[تطارح أبا حنش]

أخبرنا أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ : قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة : قال : حدَّثني أَبو أَحمد بن معاوية : قال : سمعت أَبا حَنَشٍ يقول : قال لي الناطفيّ : لو جئتَ إلى عِنان فطارحتَها ، فعزمتُ على الغدوّ ، فبتُّ ليلتين أحوكُ بيتين ، ثم غدوتُ عليها فقلتُ : [من الطويل]

أَحَـبَّ المِلاحَ البيضَ قلبـي ورُبّما أَحَبَّ المِلاحَ الصُّفْر من وَلَد الحَبَشْ
بكيـتُ على صفـراء منهنّ مـرّةً بكاءً أَصاب العـينَ مِنّيَ بالعَمَشْ

فقالتْ : [من الطويل]

بكيـــتُ عليهـــا أَنَّ قلبــي يحبُّها وأَن فُؤادي كالجَناحين ذُو رَعَشْ
تَعَنَّيتَنـــا بالشِّعْــرِ لمـــا أَتَيْتَنـــا فدونَك خذْه محكماً يا أَبا حَنَشْ

[هي أشعر الجن والإنس]

أخبرني أَحمدُ : قال : حدَّثني عمر بن شبّة : قال : حدَّثني أَحمد بنُ مُعاوية : قال : سمعتُ مروان بن أَبي حفصة يقول : لَقِيَني الناطفيّ ، فدعاني إلى عِنان ، فانطلقتُ معه ، فدخل إليها قبلي ، فقال لها : قد جئتُكِ بأشعر الناس ، مروان بن أَبي حَفْصة ، فوجدها عليلةً ، فقالتْ له : إنّي عن مروانَ لفي شُغلٍ ، فأهوى إليها بسوْط فضربها به ، وقال لي : ادخُل ، فدخلتُ وهي تبكي ، فرأَيت الدموع تَنْحدِر من عينيها فقلتُ : [من السريع]

بكتْ عنانٌ فجرى دمْعُها كالدُّرِّ إذ يسبقُ مـن خَيطِهْ

فقالت وهي تَبكي : [من السريع]

فليت مَـن يَضربُهـا ظالماً تَيْبَس يُمنـاهُ عـلى سَوطِهْ

فقلت : أَعتق مروانُ ما يملك إن كان في الجنّ والإنس أَشعر منها .

[تجيز ما لا يجاز]

أخبرني الجوهريّ ، قال : حدَّثنا أبو زيد عن أحمد بن معاوية : قال : قال لي رجل : تصفَّحتُ كُتُباً ، فوجدت فيها بيتاً جَهدت جهْدِي أن أجد مَن يُجيزه ، فلم أجد ، فقال لي صديق : عليك بعِنان جارية الناطفيّ ، فجئتُها فأنشدتُها : [من الطويل]

صوت

وما زالَ يشكُو الحبّ حتى رأيتُهُ تنفّسَ في أحشائــه وتكلّما

فما لبثت أن قالت : [من الطويل]

ويَبكي فأبكــي رحمــةً لبُكائه إذا ما بكى دمْعاً بكيتُ له دَما

في هذين البيتين لحن من الرَّمَل ، أظنُّه لجحظةَ أو لبعض طبقته .

[تعايي شاعراً]

قرأتُ في بعض الكتب : دخل بعضُ الشُّعراء على عِنان جارية الناطفيّ ، فقال لها مولاها عايبه ، فقالتْ : [من المنسرح]

سَقياً لبغداد لا أرى أبداً يسكنه الساكنون يُشبهها

فقال : [من المنسرح]

كأنّها فِضَّــةٌ مُمَوَّهــةٌ أخلَصَ تمويهَهــا مُمَوِّهُها

فقالتْ : [من المنسرح]

أمنٌ وخفض ولا كَبَهجَتِها أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفَهُها

فانقطع .

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمار ، قال : حدَّثني ابن أبي سَعيد قال : حدَّثني مسعودُ بن عيسى ، قال : أخبرني موسى بن عبد الله التّميميّ ، قال : دَخَل أبو نُواس على الناطفيّ ، وعنانُ جالسةٌ تبكي ، وخَدُّها على رَزَّة من مِصراعِ الباب ، وقد كان الناطفيّ ضربها ، فأوماً إلى أبي نواس أن يحرّكها بشيء ، فقال أبو نُواس : [من المنسرح]

عنان لو جُدْتِ لي فإنّيَ من عمريَ في آمَنَ الرسول بما

فردّتْ عليه عِنانُ : [من المنسرح]

فإن تمادى ولا تمادَيْـتَ في قطعك حَبلي أكُنْ كمَن ختَما

فردَّ عليها أَبو نُواس فقال : [من المنسرح]

علقتُ مَـن لو أتـى على أَنفُـ ـسِ الماضِينَ والغابرينَ ما نَدِما

فردَّتْ عليه : [من المنسرح]

لـو نظـرتْ عينُها إلى حَجَرٍ ولَّـد فيـه فُتُورهـا سَقَما

[لا بديل لخاتمها]

أَخبرني ابنُ عمّار ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مهروَيْه : قال : حدَّثني محمد بن أَبي مروان الكاتب : قال : أَخذ أَبو نُواس من عِنان جارية الناطفيّ خاتماً فَصُّه أحمر ، فأخذه أَحمد بن خالد حيلويه من أَبي نُواس ، فطلبته منه عِنان ، فبعث إليها مكانه خاتماً فَصُّه أَخضر ، فاتَّهمتْه في ذلك ، فكتب أَبو نواس إلى أَحمد بن خالد ، فقال : [من السريع]

فدتْكَ نفسي يـا أَبا جعفرِ جاريـةٌ كالقمـر الأَزهـرِ

تعلقتْنـي وتعلَّقتُهـا طِفلينِ في المهـدِ إلى المكْبرِ

كنتُ وكانت نتهادى الهوى بخاتمينـا غيرَ مستنكـرِ

حنَّت إلى الخاتم منِّي وقد سلَبتْني إيّـاه مـذ أَشهُرِ

فأرسلـتْ فيـه فغالطتُّها بخاتَـمٍ في قَـدّه أَخضرِ

قالت : لقـد كان لنا خاتَمٌ أَحمـرُ أَهـداه إلينا سرِي

لكنّـه عُلِّـق غَيري فقـدْ أَهدى لـه الخاتَم لا أُمتَري

كفـرتُ بـالله وآياتِـه إن أَنـا لم أَهجـرْه فليصبرِ

أَو فأتِ بالمخرجِ من تُهمَتي إيّـاه في خاتَمِنـا الأَحمرِ

فارْدُدْه تَرْدد وصلَها إنَّهـا قُـرّةُ عَيني يـا أَبا جَعْفَرِ

فإنّنـي متَّهَـمٌ عندهـا وأَنت قـد تعلَم أَنِّي برِي

قال : فردَّ إليه الخاتم ، وبعث إليه معه بألفي درهم .

[الرشيد أشعر منها]

أَخبرني ابن عمّار وعليّ بن سليمان الأَخفش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرد ، عن

المازنيّ عن الأصمعيّ ، وقال ابن عمّار في خبره عن بعض أصحابه ، أظنّه المازنيّ ، عن الأصمعيّ ، قال : ما رأيتُ أثر النبيذ في وجه الرشيد قطُّ إلاّ مرَّةً واحدة ، فإنّي دخلتُ إليه أنا وأبو حفص الشَّطَرَنْجي ، فرأيت التّخثُّر[1] في وجهه ، فقال لنا : استبقا إلى بيتٍ بل إلى أبيات ، فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف دِرهَم ، قال : فأشفقتُ ، ومنعتني هيبته ، قال : فقال أبو حفص : [من الخفيف]

كلَّما دارتِ الزجاجةُ زادتـ ـه اشتياقاً وحُرقةً فبكاكِ

فقال : أحسنتَ فلك عشرة آلاف درهم .

قال : فزالتِ الهيبة عنّي ، فقلتُ : [من الخفيف]

لم ينلْكِ الرجاءُ أن تحضُريني وتجافتْ أمنيَّتي عن سواكِ

فقال : لله درُّكَ ! لك عشرون ألف دِرهم ، قال : فأطرقَ مليّاً ، ثم رفع رأسه إليّ ، فقال : أنا والله أشعرُ منكما ، ثم قال : [من الخفيف]

فتمنَّيتُ أن يَغَشّيَني اللـ ـهُ نُعاسا لعلَّ عَيْني تَراكِ

[الأصمعي يصرف الرشيد عنها]

أخبرني ابنُ عمّار والأخفشُ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيد عن المازنيّ : قال : قال الأصمعيّ : بعثتْ إليّ أُمُّ جَعفر أنّ أمير المؤمنين قد لَهِج بذكر هذه الجارية عِنان ، فإن صرفتَه عنها فلك حكمك . قال : فكنتُ أُريغُ[2] لأن أجد للقول فيها موضعاً ، فلا أجدُه ، ولا أقدمُ عليه هيبةً له ، إذ دخلتُ يوماً فرأيتُ في وجهه أثر الغضب ، فانخزلْتُ ، فقال : ما لك يا أصمعيُّ ؟ قلت : رأيت في وجه أمير المؤمنين أثَرَ غضبٍ ، فلعنَ اللهُ مَنْ أغضبَه ! فقال : هذا الناطِفيّ والله ، لولا أنّي لم أجُرْ في حكم قطّ متعَمِّداً لجعلتُ على كلّ جبلٍ منه قطعةً ، وما لي في جاريته أرَبٌ غير الشعر ، فذكرت رسالة أُمِّ جعفر ، فقلت لَهُ ، أجلْ والله ما فيها غير الشعر ، أفيسرّ أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدَقَ ؟ فضحِكَ حتى استلقى ، واتَّصل قولي بأُمّ جعفر فأجزلَتْ لي الجائزةَ .

1 التخثّر : غثيان النفس .
2 أريغ : أطلب .

[الرشيد يلح في طلبها]

أخبرني عَمِّي والحسنُ بن عليّ ، قالا : حدَّثنا عُمرُ بن محمد بنِ عبد الملك الزيات ، قال : حدَّثني محمد بن هارون ، عن يعقوبَ بن إبراهيم : أن الرشيد طلب من الناطفيٌّ جاريتَه ، فأبى أن يبيعَها بأقلَّ من مائة ألْف دينار ، فقال : أُعطيك مائةَ ألْفِ دينار على أن تأخذ بالدينار سبعةَ دراهم ، فامتنع عليه ، وأمر أن تُحمَلْ إليه ، فذكروا أنّها دخلتْ مجلسه ، فجلستْ في هيئتها تنتظره فدخل عليها ، فقال لها : ويلك ! إنّ هذا قد اعتاصَ عليَّ في أمركِ ، قالت : وما يمنعك أن توفيَه وتُرضيَه ؟ فقال : لَيْس يقنعُ بما أُعطيه ، وأمرها بالانصراف . فبلغني أنّ الناطفيّ تصدَّقَ بثلاثين ألْف درهم حين رجعتْ إليه ، فلم تزلْ في قلب الرشيد حتى مات مولاها ، فلمّا مات بعث مسروراً الخادم ، فأخرجها إلى باب الكرَخ ، فأقامها على سرير وعليها رداء رشيديّ قد جلَّلَها ، فنوديَ عليها : مَن يزيد ؟ بعد أن شاور الفقهاء فيها ، وقال : هذه كَبِدٌ رطْبة ، وعلى الرجل ديْنٌ ، فأشاروا بِبيعها ، قال : فبلغني أنّها كانت تقولُ ، وهي في المصطَبة : أهان الله مَن أهانني ، وأذَلَّ مَن أذلَّني ، فَلكزها مسرورٌ بيده ، وبلغ بها مسرورٌ مائتيْ ألْف درهم ، فجاءَ رجل ، فقال : عليّ زيادةُ خمسةٍ وعشرين ألف درهم ، فلكزه مسرورٌ ، وقال : أتزيد على أمير المؤمنين !

ثم بلغ بها مائتين وخَمْسينَ ألْفا ، وأخذها له قال : ولم يكن فيها شيءٌ يعاب ، وطلبوا لها عيباً لئلاّ تصيبها العينُ ، فأوقعوا بخنصرَ رجلها شيئاً . وأولدها ابنين ، قال : أظنّهما ماتا صغيرين ، ثم خرج بها إلى خُراسان ، فمات هناك وماتت عِنان بعده .

[أبو نواس يُشَبِّبُ بها]

قال : وأنشدنا لأبي نُواس في قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد ويذكُر عِنان في تشبيبها : [من السريع]

عِنان يا مَن تُشبه العِينا ... أنتِ على الحُبِّ تلومينا
حُسنكِ حُسْنٌ لا أرى مثلَه ... قد ترك الناس مَجانينا

[بينهما وبين العبّاس بن الأحنف]

أخبرني عمِّي : قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُليل العَنَزيّ : قال : حدَّثني أحمد بن القاسم العِجليّ : قال : حدَّثني أبو القاسم النخعيّ قال : كان العبّاس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطفيّ ، فجاءَني يوماً ، فقال : امض بِنا إلى عِنان جارية الناطفيّ ، فصرنا إليها ، فرأيتها

كالمهاجرةِ له ، فجلسنا قليلاً ، ثم ابتدأ العبّاس فقال : [من مجزوء الرمل]

قال عبّاسٌ وقَـد أُجْـ ـهِد من وجدٍ شديدِ
ليس لي صبرٌ على الهَجْـ ـرِ ولا لَذْعِ الصُّدُودِ
لا ولا يَصْبِر للهجْـ ـرِ فـؤادٌ من حَديدِ

فقالت عنان : [من مجزوء الرمل]

مَن تـراهُ كان أغنى منكَ عن هذا الصدودِ
بعد وصلٍ لـكَ منّي فيـه إرغامُ الحَسودِ
فاتّخذ للهَجْرِ إن شئـ ـتَ فؤاداً من حديدِ
مـا رأينـاكَ على مـا كنت تَجني بجَليدِ

فقال العبّاس : [من مجزوء الرمل]

لـو تجودينَ لصَبٍّ راح ذا وجدٍ شديدِ
وأخي جهلٍ بما قدْ كان يَجْني بالصدودِ
ليس مَن أحدثَ هَجْراً لصديـقٍ بسَديـدِ
ليسَ منه الموتُ إن لَمْ تَصليـه ببَعيـدِ

قال : فقلتُ للعبّاس : ويحكَ ! ما هذا الأمرُ ؟ قال : أنا جنيت على نفسي بِتتايُهي عليها ، فلم أبرحْ حتى ترضَّيتُها له .

[أبو نواس يبغض الرشيد فيها]

أخبرني الحسنُ بن عليّ : قال : حدَّثنا الحارثُ بن يحيى بن حَمَد بن أبي ميَّة : قال : حدَّثني يحيى بن محمد : أنّ الرشيد كان يساوم بعِنان جارية النَّطافيّ ، فبلغ ذلك أُمَّ جعفر ، فشقَّ عليها ، فدسَّت إلى أبي نواس أن يحتالَ في أمرِها فقال يَهجوها : [من السريع]

إن عِنـانَ النطّافيّ جاريةٌ أصبح حِرُّها للنَّيْكِ مَيدانا
ما يشتريهـا إلاّ ابنُ زانية أو قَلْطَبانٌ يكون مَن كانا[1]

1 القرطبان والقلطبان : الديوث الذي لا غيرة له .

فبلغ ذلكَ الرشيدَ ، فكان يقولُ : لعن اللهُ أَبا نواس ، وقبَّحه فلقد أَفسدَ عليّ لذَّتي في عِنان بما قال فيها ، ومنعني من شِرائها .

صوت

[من السريع]

ما لي وللخمرِ وقـد أَرعشَت   مِنّي يَميني هـاتِ باليُسرى
حتـى تَـراني مائـلاً مُسنَدا   لا أَستطيعُ الكـأسَ بالأخرى

الشعر للحسن بنِ وَهْب ، والغناء لعبدِ الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ، خفيف ثَقيل بالوُسطى ، وفيه أيضاً له خفيف رَمل بالبنصر .

[506] ـ أخبار الحسن بن وهب[1]

[نسبه]

هو الحسنُ بنُ وَهْب بن سعيد ، كاتب شاعر مترسِّلٌ فصيح أُديب ، وأُخوه سُليمان بنُ وهب فَحْل من الكتَّاب ويكنى أَبا عليّ ، وهو عريق في الكتابة ، ولأولاده نَجابةٌ مشهورة تستغني عن وصف ذلك ، وكانوا يقولون إنّهم من بَني الحارث بن كعب ، وأصلُهم نَصارى ، وفي بني الحارث نَصارى كثير .

[قول البحتري فيه]

وفي الحسن بن وهبْ يقول البُحْتريّ : [من الخفيف]

يا أَخا الحارثِ بنِ كعب بن عمرو أَشُهوراً تَصومُ أَم أَيّاما

وكان البُحتُريّ مدَّاحاً لهم ، وله في الحسن ، وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته : [من الوافر]

أَناةً أَيُّها الفَلَكُ المُدارُ أَنهبٌ ما تطرَّق أَم جُبارُ
نزلنا منزلَ الحسنِ بن وهبٍ وقد دَرَستْ مغانيهِ القِفارُ

يقول فيها يصف صَبوحاً كانوا قد اصطَبحوه :

أَقمنا ، أَكْلُنا أَكلُ استلابٍ هُناكَ وشربُنا شُربٌ يُدارُ
تنازعْنا المدامةَ وهي صِرْفٌ وأَعجلْنا الطبائخَ وهْي نارُ
ولم يكُ ذاك سُخْفاً غيرَ أَنّي رأَيت الشَّرْب سُخْفُهمُ الوَقارُ

أَخبرني الصوليّ ، وذكر ذلك عن جماعةٍ من الكتاب : أَنّ الحسنَ بنَ وهب كان أَشدّ تمسكاً بالنسب إلى بني الحارث بن كعب من أَخيه سُليمان ، وكان سليمان يُنكر ذلك ، ويعاتبُ عليه أَخاه الحَسْن وابنَه أَحمد بنَ سليمان . وأَصلهم من قرية من سواد واسط في جسر سابور يقال لها «سارَقيقا» .

1 أنظر أخباره في : الفهرست : 136 ، والسمط 506 وابن خلكان 2 : 15–18 ومصورة ابن عساكر 4 : 604 وتهذيب ابن عساكر 4 : 256 والوافي 12 : 297 والفوات 1 : 367 وفي معجم الأدباء 1019–1022 .

[يتباهون بحفظ أشعاره]

أُخبرني عمِّي : قال : حدَّثني عمر بن نصر الكاتب ، وكان من مشايخ الكتّاب بِسُرَّ مَن رأى ، قال : كنّا نتهادى ونحن في الديوان أُشعارَ الحسن بن وهب ، ونتباهى بحِفْظها ، قال : وأنشدني له ، وكتب بها إلى أُخيه سليمان بن وهب من مدينة السلام وهو محبوس في أيّام الواثق : [من الكامل]

خطبٌ أبا أيوبَ جلَّ محلُّه ... فإذا جزعتَ من الخطوب فمن لَها

إنّ الذي عَقَد الذي انعقَدتْ به ... عُقَدُ المكاره فيكَ يُحْسِن حلَّها

فاصبرْ لعلَّ الصبرَ يفتِق ما ترى ... وعسى بها أن يَنْجَلي ولعلَّها

قال : وكتب إليه أيضاً وهو في الحبس بسُرَّ من رأى : [من الطويل]

خليلَيَّ من عبدِ المَدان تروَّحا ... ونُصَّا صدورَ العيس حَسْرى وطُلَّحا[1]

فإنَّ سليمان بن وهب ببلدةٍ ... أُصابَ صميمَ القلب منّي فأقْرَحا

أُسائلُ عنه الحارسينَ لحَبْسه ... إذا ما أُتوني : كيف أُمسى وأُصبحا

فلا يُهنىء الأعداءَ أَسْرُ ابن حُرّةٍ ... يَراه العِدا أُندى يميناً وأُسمحا

وأنهضَ للأمر الجليلِ بعزْمَةٍ ... وأقرعَ للباب الأصمِّ وأُفتحا

أُخبرني محمد بن يحيى الصوليّ : قال : حدَّثني محمد بن موسى بن حمّاد : قال : وجّه الحسن بن وهب إلى أُبي تمّام وهو بالوصل خِلَعاً فيها خَزٌّ وَوَشْيٌ ، فامتدحه بقصيدة أَوّلُها : [من المنسرح]

أَبو عَليّ وَسْمِيُّ منتجِعَهْ ... فاحْلُلْ بأعلى واديه أُو جَرَعِهْ

ثم وصف الخِلْعة فقال :

وقد أُتاني الرسولُ باللبس الفَخْ ... ـم لصَيف امرىءٍ ومُرتَبعِهْ

لو أُنّها جُلِّلتْ أُوَيْساً لقد ... أُسرعتِ الكِبرياءِ في وَرعِهْ

رائقُ خَزٌّ أُجيدَ سابِرُه ... سَكْبٌ تدين الصِّبا لمدَّرعِهْ

وسرُّ وشْيٍ كأنَّ شِعريَ أُحْيا ... نًا نسيبُ العيونِ من بِدَعِهْ

---

1 النص : استخراج جهد الناقة في السير . وحسر وطلح البعير : أعيا وتعب .

تركْتني ساهـر الجفونِ على أزْلمِ دهـرٍ بحُسنها جذَعِهْ

يعني الدهرَ ، والدهر يقال له : الأزْلم الجذَع ، والأزلم : الطويل ، والجذَع : الجديد : يقول : هو قديم سالِف ، ويومُه جديد ، قال لقيطٌ الإياديّ : [من البسيط]

يـا قـوم بيضتُكم لا تفضحنَّ بها إنّي أُخاف عليها الأزلَم الجذَعا[1]

[موقفه من سجن أخيه]

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرد قال : لما حَبس محمد بن عبد الملك الزيات سليمانَ بن وهب ، وطالبه بالأموال وقْت نكبته قال الحسن بنُ وهب : [من الطويل]

خليـليّ مـن عبد المـدان تروَّحا ونُصّا صدورَ العِيس حَسْرى وطُلَّحا
فإنَّ سليمان بـن وهـبٍ بمنزلٍ أُصاب صميم القلب منّي فأقرحا
أُسائـل عنـه الحـارسِيْن لحبسه إذا مـا أُتوني كيفَ أُمسى وأُصبَحا
فلا يُهنىء الأعداءَ حبسُ ابنِ حرّة يـراه العِـدا أُندى يميناً وأُسمحا
وقُـولا لهمْ صَبراً قليلاً وأُصبِحوا فما أُقرب الليلَ البهيمَ من الضُّحا

قـال : وقيل لـه وسُليمـانُ محبوسٌ : كيف أصبحْتَ ؟ قال . أُصبحتُ والله قليلَ النّشاط ، كالَّ القريحةِ ، صَدِىء الذهْنِ ، ميّت الخاطرِ من سوء فعل الزّمان ، وتَوارُد الأحزان ، وتَغَيُّر الإخوان ، قال : وآلى ألاّ يذوقَ طعاماً طيِّباً ، ولا شرب ماء بارداً ، ما دام أُخوه محبوساً ، فوفَّى بذلك .

[من قوله في حاج]

أُخبرني الصوليّ : قال : أُخبرني أُبو الأسود : قال : كان للحسن بن وهب جارٌ هاشميّ ، يلقَّب بالطيْر ، فحجّ سنةً من السنين ، ورجع آخر الناس ، فقال فيه الحسنُ : [من الوافر]

أُينقصُ أم يزيـدُ مـن الرقاعهْ أُخـو حُمْقٍ لـه الدُّنيا مشاعَهْ
يحـجّ على الجِمالِ ولـو تجلَّى لمكّـة جاءَهـا في بعْضِ ساعَهْ

[الدمع حزن محلول]

أُخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا الطالقانيّ : قال : حدّثنا أُحمد بن سليمان بن وهب . قال : رآني عمّي الحسن ، وأُنا أُبكي لِفراقِ بعض ألاّفي فقال : [من السريع]

---

1 بيضة البلد : السيّد وبيضة القوم : أصلهم .

ابكِ فما أنْفَعَ ما في البكا لأنَّه للوجْــــد تَسهيــلُ
وهـــو إذا أنــتَ تأمَّلتَـه حزن على الخَدّينِ مَحْلولُ

[لا تنه عن خُلق]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا علي بن الصبَّاح : قال بلغ الحسنَ بن رجاء أنْ الحسن بنَ وهب عابه بحُبّ الغِلْمان ، وكان الحسن بن وهب أشدَّ حبّاً لهم منه ، فقال : مَثَلي ومثَلُه كما قال حسان بن ثابت : [من الطويل]

وإنّي لأغنى الناسِ عن فضلِ صاحبٍ يـرى النّاس ضُلاّلاً وليس بمُهْتَدِ

[المسؤول أحوج من السائل]

أخبرنا محمد : قال : حدَّثنا الحَزَنْبل : قال : كتب رجل إلى الحسنِ بنِ وهب يستميحه ، فوقّع في رُقعته : [من البسيط]

الجودُ طَبعي ولكن ليس لي مالُ فكيف يحتالُ مَـنْ بالرَّهْن يحتالُ

[تكره النار]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ : قال : حدَّثني محمدُ بن موسى بن حمَّاد : قال : كنت أكتُبُ في حداثَتي بين يدي الحسن بنِ وهب ، وكان شديد الشَّغَف ببنات جارية محمد بن حمّاد كاتب راشدٍ ، فكنّا يوماً عنده ، وهي تُغَنّى ، وبين أيدينا كانُونُ فحم ، فتأذّت به ، فأمرتْ أن يباعَدَ ، فقال الحسن : [من الكامل]

بأبـي كرهـتِ النارَ حتى أُبعِدتْ فعلمتُ مـا معنــاكِ في إبعادِها
هي ضرةٌ لــك بالتماع ضِيائِها وبحسن صُورتهــا لـدى إيقادِها
وأرى صنيعَكِ في القلوبِ صَنيعَها في شَوكهـا وسَيالِهـا وقَتادِها[1]
شَرِكتْكِ في كلِّ الجهاتِ بحسْنِها وضِيائهـا وصَلاحهـا وفَسادِها

[تفاجئه بنات]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدَّثني الحسَيْنُ بن يحيى : قال : كنّا عند الحسن بن وهب ، فقال : لو ساعدنا الدّهر لجاءتنا بناتُ ، فما تكلَّم بشيء حتى دخلتْ ، فقال : إنّي وإيّاكِ لَكَما قال علي بن أُميّة : [من الكامل]

1 السيّال : شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض ، وقيل إنّه ما طال من السّمر .

وفاجأتني والقلب نحوَكِ شاخِص ... وذكرُكِ ما بين اللسانِ إلى القَلبِ
فيا فرحـةً جاءت على إثْر تَرْحةٍ ... ويا غفلتنا عنها وقـد نزلَتْ قُربي

[تخونه شجاعته أمام بنات]

قرأتُ في بعض الكتب : دخلتْ يوماً بناتُ على الحسن بن وهب ، وهو مخمور ، فسلّمتْ عليه ، وقبّلتْ يدَه ، فأراد تقبيلَ يدها ، فمنعته فرُعِشَ ، فقال : [من الطويل]

أقولُ وقـد حاولـت تقبيلَ كَفِّها ... وبي رِعـدةٌ أهتزُّ منهـا وأسكُنُ
فديتُكِ إنِّـي أشجعُ النّاس كلِّهِم ... لدى الحربِ إلاّ أنّني عنكِ أجبَنُ

[بنات داؤه ودواؤه]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدَّثني محمدُ بن موسى : قال : جاءت بناتُ تسأل الحسن بن وهب من علّةٍ نالته ، فحين رآها دعا برطْلٍ ، فشَرِبه على وَجْهها ، وقال : قد عوفيتُ ، فأقيمي اليوم عندي ، فأبت وقالتْ : عند مولاي دَعوةٌ ، فأمر بإحضار مائتي دينار ، فأحضِرتْ فقال : هذه مائة لمولاك ، فابعثي بها إليه ومائة لكِ ؛ فقالت : أمّا هو فأبعث بمائة إليه ؛ وأمّا أنا فوالله لا أخذتُ المائةَ الأُخرى ، ولأتصدَقنّ بمثلها لعافيتِكَ ولكن أكتبُ إليه رقعةً تقوم بعذري ؛ فأخذ الدواةَ ؛ وكتب إلى مولاها : [من الخفيف]

ضرَّةَ الشمس والقمرْ ... متْعينـي مـن النَّظرْ
مَتِّعينـــي بجـلْسةٍ ... منك يا أحسن البَشَرْ
أشتريهـا إن بعتنـ ... ـيها بسمْعي وبالبَصرْ
أذهبَ السقمَ سُقمُ طر ... فِكِ ذي الغُنْج والحَورْ
فأديمـي السرورَ لا ... تَمْزِجي الصفوَ بالكَدَرْ
ليس يُبقي علـيَّ حُبُّـ ... ـكِ هـذا ولا يذرْ
وأنـا منـه فأنعَمـي ... بمُقـامٍ علـى خَطرْ
وتَغَنَّـيْ فـداك كلُّ ... مُغـنٍّ لكـي أُسَرّ
ربع سَلمى بذي بقر ... عرضـة الريح والمَطرْ[1]

---

1 ذو بقر : واد .

[عمه يحبّ بنات]

حدَّثني أَبو إسحاق بن الضحاك عن أَحمد بن سليمان ، والحكايتان متفقتان متقاربتان ، أَخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني الحسيْن بن يحيى : قال : حدَّثني أَحمدُ بن سليمان بن وهب قال : قال لي أَبي : قد عزمت على معاتبة عمِّك في حبّه لبنات ، فقد شهَّر بها وافتضَح ، فكُن معي ، وأعنّي عليه ، وكان هواي مع عمّي ، فمضيْتُ معه فقال له أَبي ، وقد أَطال عتابه : يا أَخي ، جُعِلْتُ فداك ! الهوى أَلَذُّ وأَمتع ، والرأي أَصوبُ وأَنفَع ، فقال عمِّي متمثّلا : [من الطويل]

إذا أمرتْك العاذلاتُ بهَجرِها أبتْ كبدٌ عمّا يقلنَ صَديعُ
وكيف أُطيع العاذلاتِ وحبُّها يُؤرِّقُني والعاذلاتُ هُجوعُ

فالتفت إليّ أَبي يَنظُر ما عندي ، فتمثّلت : [من الطويل]

وإنِّي ليلحاني على فرط حُبِّها رجالٌ أطاعتْهم قلوب صَحائحُ

فنهض أَبي مُغضباً وضمَّني عمِّي إليه ، وقبَّلني ، وانصرفتُ إلى بناتِ ، فحدَّثْتها بما جرى وعمِّي يسمع ، فأخذتِ العُودَ ، فغنَّتْ : [من الوافر]

يلومُك في مودّتها أُناسٌ لوَ انَّهُمُ برأيكَ لم يلوموا

فيه ثقيل أوّل .

[عجوز لا تعود إلى لومه]

قال أَحمدُ بن سليمان ، وعَذلتْه عجوزٌ لنا ، يقال لها : مُنى ، فقال لها : قومي ، فانظري إليها ، واسمَعي غناءها ، ثم لُومِيني ، فقامت معه ، فرأتْها ، وسمعت غناءها فقالت له : لستُ أعاودُ لومَك فيما بعدَ هذا ، فأَنشأَ يقول : [من الطويل]

ويومٍ سها عنه الزمانُ فأَصبحتْ نواظرُه قد حار عنها بَصيرُها
خلوتُ بمن أَهوى به فتكاملتْ سُعودٌ أَدارَ النحسَ عنَّا مُديرُها
أَما تعذريني يا منى في صَبابتي بمَن وجْهُها كالشمس يلمَع نُورُها

[تعممت الوسيلة بنات]

قال أَحمد بن سليمان : كان لعمِّي كاتب يعرف بإبراهيم : نَصْرانيٌّ يأنس به ، فسأَل بناتَ مَسأَلتَها عمِّي أَن يجعل رزقَه أَلفَ دِرهم في الشَّهر ، فلمّا شرب أَقداحاً ، وطربَ وثبَتْ قائمةً

وقالت : يا سيِّدي لِيَ حاجة ، فوثب عَمِّي ، فقام لقيامِها ، فقالت : تجعلُ رزقَ إبراهيم ألفَ درهم في الشهر ، فقال : سمعاً وطاعة ، فجلستْ فأنشأ يقول : [من الكامل]

قامت فقمتُ ولم أكن لو لم تقمْ لأُجـلّ خلقـاً غيرَهـا فأقوما

شفعت لإبراهيـمَ في أرزاقـه فوددِتُ أنّي كنـتُ إبراهيما

فأجبتُها إنّي مطيـعٌ أمْرَهـا وأراه فرضـاً واجبـاً محتُوما

ما كان أُطيبَ يومَنـا وأسَرَّه لو لم يكـن بِفراقهـا مَختوما

قال : ثم إنّ عمِّي صار إلى أبي ، فأخبره الخبرَ ، فأمر أن يجعلَ لإبراهيمَ من ماله ألفَ دِرهم أخرى لشفاعتها .

[بنات لا تزوره في علّته]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني إسماعيل بن الخصيب : قال : اعتلَّ الحسن بن وهب فلم تعلم بناتُ بذلك ، وتأخّرتْ عن عيادته ، فكتب إليها : [من الهزج]

عليـلٌ أنـتِ أعْلَلْتِهْ فلَـو أنّـك علّلتِهْ

بوعْـدٍ أن تَزوريه إذا مـا مُمكنٌ نلتِهْ

قريبـاً لنفيت الدَّا ءَ عنه حينَ واعدتِهْ

وما ضرّكِ لـو جاء رسولٌ منك أرسلتِهْ

فيحكي لَكِ ما قال كما يحكي الذي قُلتِهْ

أمـا والله لو أنّ الـ ـذي يُحمَـل حُمِّلتِهْ

لما احتاج إلى التعلـ ـيم فيما قد تجاهَلْتِهْ

[في الشفانين الشفاء]

أخبرني الصّولي : قال أحمد بن إسماعيل : قال : حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن جميل : قال : أهدى الحسن بن وهب إلى بنات في علّة اعتلتها هدايا حسنة وأهدى معها قفص شفانين[1] ، وكتب إليها : [من الطويل]

شفـاءٌ أنـينِ بالشفانـين أملَتْ لكم نفسُ مَن أهدى الشفانين عامدا

1 الشفانين : ضرب من الحمام جميل الصوت بهي المنظر .

كُلُوها يَكِلُّ الداءُ عنكــم فإنّني أزورُكُمُ للشوق لا زرتُ عــائدا

[يهجو سيّدها]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثني ميمون بن هارون : قال : كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم جمعة يستدعيها ، فكتبت إليه أن عند مولاها أصدقاءَ له ، وقد منعها من المسير إليه ، فكتب إليها ثانياً يقول : [من الخفيف]

يومنــا يــوم جُمعــة بأبي أنـ ـتِ وعندَ الوضيع لا كانَ قوْمُ
سَفَلٌ مثله يسومونَــه الخَسْـ ـفَ ويَرضاه وهو للوغْدِ سَوْمُ
فامنعيهمْ منكِ البشاشةَ حتى يتغَشّاهــمُ مــن البَــرْد نَومُ
وليكنْ منك طول يومكِ لِلّـ ـــه صلاةٌ إلى المَساء وصومُ
وارفعــي عنهم الغِناء وإن نــا لك عــذلٌ مـن الوضيع ولَوْمُ
واذكري مُغرماً بحبِّك أمسى همُّــه أن يُديِلَــه منــكِ يومُ[1]

[يصف البرق]

أخبرني عمّي قال حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : كان الحسنُ بن وهب يشربُ عند محمد بن عبد الله بن طاهـر ، فعرضَت سحابة ، فبَرَقتْ ورعـدَت ، وقَطَرت ، فقال الحسنُ : [من الخفيف]

هطلتنا السماءُ هَطْــلا دِراكاً عارض المرزمانِ فيها السِّماكا[2]
قلـــت للبرق إذ تألّق فيهــا يــا زِنادَ السماء من أوراكا
أحَبيبــاً نأيْــتَــــه فَبكــاكا فهــو العارضُ الذي اسْتبكاكا
أم تشبهتَ بالأمير أبي العَبّـ ـاس في جُوده فلسْتَ كذاكا

[بينه وبين ابن الزيات]

أخبرني عمي ، قال : حدَّثنا أبو العَيناء ، قال : طلبَ محمدُ بن عبد الملك الزياتِ الحسنَ بنَ وهبِ ، وكان قد اصطبح مع بنات فكتب إليه : يا سيدي ، أنا في مجلس بَهِيٍّ ، وطعام هَنيٍّ ، وشرابٍ شَهيّ ، وغناء رضيٍّ ، أفأتحوّلُ عنه إلى كدِّ الشقيّ ، ووثبت بناتُ لتقوم ، فردّها

1 أدالنا من عدونا : غلبنا عليه .

2 المرزمان : نجمان في السماء مع الشعريين .

وكَتَب : [من المجتث]

ما بانَ عنكَ الذي بِنـ ـتَ عنه لا عاشَ بَعْدَكْ
إن لم يكن عنده الصبـ ـرُ والسُّلُوُّ فعنـدَكْ
ومـا وجدتَـه إلاّ عبـدَ الرجـاء وعبدَكْ

فاستلمها الرسولُ ، ومضى بها إلى محمد ، فوقّع فيها : [من المجتث]

أبـا علـيٌّ أَراك الإله في الأمـرِ رُشدَكْ
إن لم تكن عنديَ اليو مَ كنتُ بالشوق عندَكْ
فاهدم مَحلَّـك عندي واجهَـدْ لذلك جَهدَكْ
فلسـتُ أزدادُ إلاّ رعايـةً لـك وُدَّكْ
وانعَمْ بمَن قُلتَ فِيهـا عبـدَ الرجـاء وعبدَكْ
أُزيـلَ نحسُك فيهـا وأَطلَـعَ الله سَعـدكْ

وردّ الرقعةَ إلى الحسن ، فلمّا قرأَها خَجِل ، وحلفَ أَلاّ يشرب النبيذَ شهراً ، ولا يفارق مجلسَ الوزير .

[آخر عهده ببنات]

أَخبرني عمِّي عن إبراهيم بن المدبّر ، قال : ولدَت بناتُ من مولاها ولَداً وسمّته بإبراهيم ، فأبغضها الحسنُ بن وهب ، وكتبَ إليها : [من الخفيف]

نُتِـج المُهـرةَ الهجانُ هجيناً ثـم سَمّى الهجـينَ إبراهيما
بخليلِ الرحمنِ سَمَّيتَ عَبـدا أم قريعَ الفِتيانَ ذاك الكريما

وبعثَ بالبيتين إليها ، وكان آخر عهدِه بها .

[بينه وبين أبي تمام]

أَخبرني الصوليّ قال : حدَّثنا محمد بن موسى قال : كان الحسن بن وهب يعشق غلاماً روميّاً لأَبي تمام ، وكان أَبو تمام يعشقُ غلاماً خَزريّاً للحسن ، فرأى أَبو تمام يوماً الحسنَ يعبثُ بغلامه ، فقال له : والله لئن أُعنقت إلى الروم لنركُضنّ إلى الخزر ، فقال له الحسنُ : لو شئت لحكمتنا واحتكمت ، فقال له أَبو تمام : ما أشبّهك إلاّ بداود ، ولا أشبّهُ نفسي إلاّ بخصميْه ، فقال له : لو كان هذا منظوماً حفِظناه ، فأمّا المنثور فهو عارضٌ لا حقيقة له ، فقال

أبو تمّام : [من البسيط]

أبا علِيٍّ لصرْف الدّهر والغِيَرِ ... وللحوادث والأيّامِ والعِبَرِ
أعندك الشمسُ لم يخطَ المغيب بها ... وأنت مضطربُ الأحشاء للقمرِ
أذكرتَني أمر داود وكنت فتى ... مُصرَّف القلب في الأهواء والذِّكَرِ
إن أنت لم تترك السيرَ الحثيث إلى ... جآذر الرّوم أعْنقْنا إلى الخزَرِ[1]
إن الغزال له منّي محلٌّ هوًى ... يحلّ منّي محلَّ السمع والبصرِ
ورُبَّ أمنَع منه جانباً وحِمًى ... أمسى ولكنّه منّي على خطَرِ
جرَّدتُ منه جنودَ العزم فانكشفتْ ... منه غيابتُها عن تِكّة هَدَرِ
سبحانَ من سبّحتْه كلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طَمحانِ الأيْر والنظرِ
أنت المقيم فما تعدو رواحلُه ... وأيرُه أبداً منه على سَفَرِ

[غلامه وغلام أبي تمام]

قال الصوليّ : فحدَّثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : قلتُ لأبي تمّام : غلامُكَ أطوعُ للحسنِ بن وهب من غلام الحسن لكَ ، قال : أجلْ والله ؛ لأنَّ غلامي يجد عندَه ما لا يجدُه غلامه عندي ، وأنا أعطي غُلامه قِيلاً وقالاً ، وهو يعطي غُلامي ثياباً ومالاً .

[ابن الزيات يتجسّس عليه]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني أبو الحسن الأنصاريَّ ، قال : حدَّثني أبي . وحدَّثني الفَضْلُ الكاتبُ المعروف بفنجاخ : أنّ الحسنَ بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وهو وزيرُ الواثق ، وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسنِ بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما ، فتقدّم إلى بعض ولده ، وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب ، بأن يُعلموه بخبرهما ، وما يكون بينهما . قال : وعزم غلامُ أبي تمام على الحِجامة ، فكتب إلى الحسن يُعلمه بذلك ، ويسأله التوجيه إليه بنبيذٍ مطبوخ ، فوجَّه إليه بمائة دنّ ومائة دِينار ، وبخلعة حسنة وبخورٍ كثير ، وكتب إليه : [من الخفيف]

---

1 الجؤذر : ولد الظبي .

ليتَ شعري يا أملحَ الناسِ عندي ... هـل تداويــتَ بالحِجامة بَعدي
دفـعَ الله عنــك لي كُـلَّ سَوءٍ ... باكرٍ رائحٍ وإن خنــتَ عهدي
قــد كتمتُ الهوى بمبلغِ جُهدي ... فبـدا منـه غيرُ مـا كنتُ أبدي
وخلعــتَ العِــذارَ فليعلـم النا ... س بأنِّــي إيّــاك أُصفي بوُدّي
وليقولوا بمـا أحبُّـوا إذا كنــ ... ـتَ وَصـولا ولم ترُعنــي بصدٍّ
مَنْ عذيري من مُقلتيكَ ومن إشـ ... ـراق وجهٍ من دون حُمرة خَدِّ

قال : ووضع الرّقعةَ تحتَ مُصلاّه ، وبلغ محمد بن عبد الملك خبرُ الرّقعة ، فوجَّه إلى الحسن ، فشغله بشيءٍ من أمره ، وأمر مَن أخذَ الرقعة من تحت مُصلاّه ، وجاءه بها ، فقرأها ، وكتب في ظَهرِها : [من الخفيف]

ليت شِعري عن ليت شِعركَ هذا ... أَبِهــزلٍ تقولــه أم بِجــدٍّ
فلئــن كنــتَ في المقــال مُحِقّاً ... يا ابنَ وهبٍ لقـد تَغَيَّرتَ بعدي
وتشبَّهْتَ بــي وكنتُ أرى أنِّي ... أنــا العاشِقُ المتيَّــم وحْــدي
أتركُ القصدَ في الأمــورِ ولـولا ... غمراتُ الهَوى لأبصرت رُشدي
وأحبّ الأخ المشارك في الحــبِّ ... وإن لم يكــن بــه مثلُ وجدي
كنديمــيْ أبــي عــليّ وحاشا ... لنديمــي مثــل شِقـوة وَجْدي

صوت

إنَّ مــولايَ عبـد غيري ولــولا ... شُؤْم جَدِّي لكان مولايَ عَبْدي
سيِّدي سيِّدي ومــولايَ مــن أوْ ... رَثَني ذِلَّــةً وأضــرَعَ خَــدِّي

في هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل ، أظنّه لِجحظة أو غيره من طَبقته .

قال : ثم وضع الرقعة في مكانها ، فلمّا قرأها الحسنُ قال : إنّا لله ! افتضحْنا عند الوزير ، وحَدَّثَ أبا تمّام بما كان ، ووجَّه إليه بالرقعة ، فلقيا محمدَ بن عبد الملك ، وقالا له : إنّما جعلنا هذين سبباً للمكاتبة بالأشعار لا للريبة ، فتضاحَكَ وقال : ومَنْ يظنّ بكما غير هذا ! فكان قولُه أشدَّ عليهما من الخبرة .

[يتشاغل عن أبي تمام]

قرأتُ في بعض الكتب : كان الحسنُ بن وهب يعاشرُ أبا تمّام عِشرةً متّصلة ، فنُدب الحسنُ بن وهب للنظر في أمر بعض النواحي ، فتشاغلَ عن عِشرة أبي تمام ، فكتب إليه أبو تمّام : [من البسيط]

قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خَبَرٌ ماذا تراه دهاه ؟ قلتُ : أيلولُ
شهرٌ كأنّ حِبالَ الهَجر منه فلا عَقْدٌ من الوصل إلاّ وهْو مَحلولُ

فأجابه الحسن : [من البسيط]

ما عاقَني عنكَ أيلولٌ بلذّته وطِيبِهِ ولنعمَ الشهرُ أيلولُ
لكن توقّعَ وَشْك البينِ عن بَلدٍ تحتلُّه ووِكاء العينِ مَحلولُ

[يهجو الغنوي وابن أبي دواد]

وقرأت فيه : كان بين الحسنِ بن وهب وبين الهيثم الغَنَويّ وأحمد بن أبي داود تباعدٌ ، فقال يهجوهما : [من الوافر]

سألت أبي وكان أبي خبيراً بسُكّان الجزيرة والسّوادِ
فقلت لهم : أهيثَمُ من غَنيٍّ فقال كأحمدَ بن أبي دُوادِ
فإن يكُ هيثَمٌ من جَذْم قَيس فأحمدُ غير شَكٍّ من إيادِ

[مجاملة]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثني عُمر بن نصر الكاتب ، قال : كتب الحسنُ بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطيّ يسأله أن يصيرَ إليه فكتب إليه محمد : [من الوافر]

وقيتُكَ كلَّ مكروهٍ بنفسي وبالأدْنينَ من أهلي وجِنسي
أتأذن في التأخُّرِ عنك يومي على أن ليس غيرُكَ لي بأُنسِ

فأجابه الحسنُ بن وهب ، فقال : [من الوافر]

أقِم لا زلت تُصبحُ في سرورٍ وفي نِعَمٍ مواصلة وتُمسي
فما لي راحةٌ في حبس مَن لا أراهُ يكونُ مَحبوساً بحَبسي

وكان الحسنُ يومئذٍ معتقلاً في مُطالبة يُطالب بها .

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسناد .

[صاحب غير مؤتمن]

كان الحسنُ بنُ وهب يعشق بناتَ ، جاريةَ محمد بن حمّاد الكاتب ، وكان له معها أخبارٌ كثيرة ، وكان لا يصبرُ عنها ، فقَدِم الحسنُ بن إبراهيم بن رَباح من البصرة ، واتصل به خبرُها ، ووصفها له الحسنُ بن وهب ، وصار به إليها ، فأتمَّ ليلتَه معها ، ومرَّت بينهما أعاجيب ، ثم خالفه الحسنُ بن إبراهيم بن رَباح ، وخاتلَه في أمرها ، فكتب إليه الحسنُ بنُ وهب : [من مجزوء الخفيف]

لا جميـلٌ ولا حَسَنْ خُنتَ عهدي ولم أخُنْ
كملتْ إذ فعلـتَ هـ ـذا أعاجيب ذا الزَّمنْ
فـإلى اللهِ أشتكِـي مـا بقلبـي مـن الحَزَنْ
رُبَّ شكوى من الصديـ ـقِ إلى غير ذي شَجَنْ
بأبـي أنـتَ يا حسنْ يـا أخـا الطوْل والمِنَنْ
أيُّ رأيٍ أراك خَتْـ ـلي في الشادِنِ الأغَنْ
يتخطّـى إليـه دُو نَ في حالِـكِ الدُّجُنْ
فتـرى منـه سُنّـةً تَتعـالى عـن السُّنَنْ
مَع كشفي لك الحديـ ـثَ الذي عنكَ لم يُصَنْ
واعتمادي زعمتُ مِنـ ـكَ على أحصَنِ الجُنَنْ
وعـلى خيرِ صاحـبٍ وعـلى خيرِ مـا سكَنْ
خَجِـلي مـنْ إساءةٍ فَضحَتْ حُسنَ كلِّ ظَنّ
ثـم مِمّـن جرّتْ إلى مَن وفيمَن وعند مَنْ
إن تكـنْ تِلك هفوةً فهـي كالشيء لم يكُنْ
أو تكن بِعـتَ خُلّتي بمـوافٍ مـن الثَّمنْ
دُرّة البحرِ مـن عدَنْ ذُخر سيفِ بن ذي يَزَنْ
لم يكـن قـطُّ مثلُها في معـدٍّ ولا عَـدَنْ

فتغافل عن جوابه ، وأقام على مُواصلتها وسماعها وحَظَر عليها ، فلم يكن الحسنُ بنُ وهب يلقاها ، فغَلُظ ذلك عليه ، وكتب إليها بهذه الأبيات : [من الكامل]

أَنكرتِ معرفتي جُعلتُ لك الفدا ... إنكــارَ سيّــدةٍ تُلاعِــبُ سَيِّدا
أَنــا ذو منْعتِ جفونَــه أَن ترقُدا ... وتركتِــه ليــلَ التّمــام مُسهَّدا
وبريــتِ لحــمَ عِظامــه فتجرَّدا ... وأَزَرْتِ مضجعَــه النساءَ العُوَّدا
أَنا ذا فــإن لم تعرِفيني بعــدَ ذا ... فأَنا ابنُ وهبٍ ذو السماحة والنَّدى
أَشكُو إلى اللهِ الفــؤاد المُقْصَــدا ... وجوًى ثَوى تحــتَ الحَشا مُتلدِّدا
وغريــرة مــا كنتُ من إشفاقها ... يومــاً وإن بَعُــد التلاقي مُسْعِدا
يــا ظبيــة في روضــةٍ مَوْلِيَّــةٍ ... جــادَ الربيــعُ تُرابَهــا فتلبَّدا
هل تجزيــنَّ الوُدَّ منّــي مثلَــه ... أَو تَصدُقين من المواعِدِ موعدا
إنّي وإنْ جَعلَ القريضُ يجولُ بي ... حتّى يغُــورَ بمــا أَقــولُ ويُنجِدا
لَعلَــى يقــينٍ أَنّ قلبــكِ موجَــعٌ ... عندي المثالُ أَنا الحِمى ولك الفِدا
وكما علمــتِ إذا لبستِ المُجْسَدا ... وثَنَيْتَ خَلفِ الأُذْنِ حاشيةَ الرِّدا[1]
وحَبَوتِ جيدكِ من حُلُيِّكِ عَسْجداً ... ونظمتِ ياقوتــاً بــه وزَبرْجَدا
وشكوتِ وجدكِ في الغِناء شِكايةً ... تُنسي حُنَيْنــا والغَريــضَ ومَعْبَدا
سِيمــا إذا غَنَّيتنــي بتعمُّــدٍ ... بأَبــي وأُمّي ذاك منــكِ تَعمُّدا
أَثْــوى فأقصرَ ليلــةً ليــزوّدا ... ومضى وأَخلفَ من قُتَيْلَة موْعِدا

[صاحبه يرثي لحاله]

فوقعت الأبيات في يد ابن رباح فقرأها ، وعلم أَنَّه قد بلغ منه . فكتب إليه : [من الطويل]

فِدًى لكَ آبائي وحقَّ بأَن تُفدى ... فِدًى لك قَصْداً من ملامكَ لي قَصْدا
ولا تَلْحَنــي في عَثرة إن عَثرتُها ... فلا والذي أَمسيتُ أُدعى له عَبدا
وعهدُك يا نفسي يَقيك من الرّدى ... فأَعظمْ به عندي وأَكرمْ به عَهْدا
يمــينَ امــرىءٍ بَرٍّ صَدوقٍ مُبرَّإٍ ... من الإثمِ ما حاولتُ هَزْلاً ولا جِدًّا
سِوى مــا بــه أَزدادُ عندكَ زُلفةً ... ويُكسبني منك المودَّة والحَمْدا

1 المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران .

أرى الغيّ إن أومأت للغيّ طاعةً لأمركَ فضلاً عن سِوى الغيّ لي رُشدا
وأسعى لما تسعى وأتبعُ ما ترى وفي كلّ ما يُرضيك أستغرِقُ الجُهدا
إذا أنا لم أمْنَحك صفوَ مودّتي فمن ذا الذي أُصفي له غيرَك الوُدَّا
ومن ذا الذي أرعى وأشكُرُ والذي يُؤمِّل خيراً بعدُ منّي أو رِفْدا
وأنت ثِمالي والمعوّل والذي أشدّ به أزري فيعصِمُني شَدَّا
وآثرُ خلقِ الله عندي ومَن له أيادٍ ووُدٌّ لستُ أُحصيهما عدًّا
فلا تحسبنّي مائلاً عن خَليقتي لك الدهرَ حتى أُسكنَ القبرَ واللَّحْدا
معاذ إلهي أن أرى لك خاذِلاً ولكنَّ عذري واضحٌ أنّ بي وَجْدا
بأحسنِ مَن أبصرتُ شخصاً وصُورةً وأملحِ خلقِ الله كلِّهمُ قَدّا
بمالكةٍ أمري وإن كنتُ مالكاً لَها ففؤادي ليس من حُبّها يَهْدا
إذا سألتْني أن أُقيم عَشيَّةً لأونِسها لا أستطيعُ لها رَدَّا
تُراشِفُني صفوَ المودَّة تارةً وأجني إذا ما شئتُ من خدّها وَردا
قنعتُ بها لمّا وثِقتُ بحبّها فلا زينبا أبْغي سواها ولا هِنْدا
ولو بُذِلَتْ لي جنّةُ الخُلد منزِلاً وقلتَ : اجتنبْها لاجتنبتُ لها الخُلْدا

[الحسن يكتب إليها]

فلمّا قرأها الحسن بن وهب علم أنّه ندِمَ فكتب إليه : [من مجزوء الخفيف]

حسنٌ يشكو إلى حسنٍ فقْدَ طَعم النّوم والوَسَنِ
وهَوًى أمستْ مَطالِبُهُ قُرِنَتْ باليأس في قَرَنِ
وحبيبٌ في محلّته معه في الدّارِ لمْ يَبِنِ
فإذا ما رام زَورتُه فهو كالغادين في الظُّعُنِ
عجباً للشمس لم تَرَها مُقلَتي حَولاً ولم ترِني
أتراها بعدَنا صَرَمتْ حبَّنا هذا من اليَمنِ
فقديماً كان مطلعُها بيدي سَيف بن ذي يزَنِ

فكتب إليه ابن رَباح : [من المديد]

حسنٌ يَفــدي بمُهجتــه   حسناً مــن حــادث الزّمنِ
ويَقِيــه مــا تضمَّنــه   مــن دَخيـل الهـمِّ والحزَنِ
هاكَ عينــي فابــكِ واقيةً   عينــك العَبْرى على الشَّجَنِ
وفــؤادي فامْلَــهُ حَزَنــاً   مــن صُروف الهــمّ والفتنِ
إن تكن شمسُ الضُّحا حُجبت   عـن سليل المجد مــن يَمنِ
فهْــي حَيرى عــن مَطالعها   في سوى قــوم ابن ذي يَزَنِ

[رواية عن عشقه]

ثم اعتذر إليه ، ورجع إلى معاشرته ، وكان لا يحضُر دار محمد بن حمّاد ، ولا يسمع غناء بناتَ جاريته إلاّ مع الحسنِ بن وهب لا يستأثرُ بها عليه .

وقال محمد بن داود الجراح : حدَّثني بعض أُصحابنا : أنّ الحسنَ بنَ وهب ، أتى أبا إسحاق إبراهيم بن العبّاس مستعدياً على أبي محمد الحسن بن مخلد في أمر بنات جارية محمد بن حمّاد ، وكان الحسنُ بن وهب يتعشّقها ، فأفسدها عليه الحسنُ بن مخلد ، ولم يذكر محمد بن داود من خبرهما غير هذا . وإنّما ذكرت هذه القصة على قلّة الفائدة فيها ليتَّضح خبرهُ مع بنات إذ كان ما مضى ذكره من خبرها لم يقع إليّ بروايته .

[أبو تمام يستسقيه]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن أحمد ، قال : وجدت بخطّ محمد بن يزيد : كتب أبو تمّام إلى الحسن بن وهبٍ يستسقيه نبيذاً : [من الوافر]

جعلتُ فِداك عبد الله عندي   بعقْــبِ الهَجــر منــه والبعادِ
لــه لُمَــةٌ مــن الكتّاب بيضٌ   قَضوْا حــقَّ الزيــارة والوِدادِ
وأحسِبُ يومَهم إن لم تجدهم   مُصادِفُ دَعــوةٍ منهم جَمادِ
فكــم يــومٍ من الصهباء سارٍ   وآخــرَ منــكَ بالمعروف غادِ
فهــذا يستهِــلُّ على غَلِيـلي   وهــذا يَستهــلُّ عــلى تِلادي
فيسقي ذا مَذانبَ كُلِّ عِرْق   ويَنــزع ذا قــرارةَ كُلِّ وادِ
دعوتهمُ عليكَ وكنــتَ مِمَّنْ   نُعيِّنُــه على العُقَــدِ الجيادِ

[هو وأبو تمام يزوران أبا نهشل]

قال : فوجّه إليه بمائة دينار ومائة دنٍّ نبيذاً .

قال محمد بن داود بن الجراح : زار الحسنُ بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حُميد ، فبدأ أبو تمّام ، فقال : [من السريع]

أغصَّك اللهُ أبـا نَهشلٍ

ثم قال للحسن أجِزْ : فقال : [من السريع]

بخدٍّ ريم شادِنٍ أكحلِ

ثم قال : أجزْ يا أبا نهشل ، فقال : [من السريع]

نَطمعُ في الوصـلِ فإن رمتَه   صار مـعَ العيّوق في مَنزلِ[1]

[من كتبه إلى أبي تمام]

أخبرني جعفر بن محمد بن قُدامة بن زياد الكاتب : قال : كتب الحسنُ بنُ وهب إلى أبي تمام ، وقد قدِم من سفَر : جُعِلت فِداءك ووقاءك وأسعدني الله بما أوفى عليَّ من مقدمك ، وبلَغَ الوَطرُ كلُّ الوطَر بانضمام اليدِ عليك . وإحاطة الملك بِك ، وأهلاً وسهلاً ، فقرَّب الله داراً قرَّبَتْك ، وأحيا رِكاباً أدَّتك ، وسقى بلاداً يلتقي ليلُها ونهارُها عَليك ، وجعلكَ اللهُ في أحصن معاقِله ، وأيقظِ محارسِه وأبعدِها على الحوادث مراماً برحمته .

[يدافع عن أبي تمام]

أخبرني الحسنُ بن علي : قال : حدَّثنا محمد بن موسى : قال : قال رجل للحسن بن وهب : إنّ أبا تمام سَرَق من رجل يقال له مُكنَف من ولد زهير بن أبي سُلمى ، وهو رجل من أهلِ الجزيرة قصيدَته التي يقول فيها : [من الطويل]

كأنّ بنـي القعقـاع يومَ وفاته   نُجومُ سماء خـرَّ من بينها البدْرُ
تُوفِّيـت الآمـالُ بعـدَ محمـدٍ   وأصبحَ في شُغْلٍ عن السَّفَر السَّفْرُ

فقال الحسن : هذا دِعبل حكاه ، وأشاعَه في النّاس ، وقد كذبَ ، وشعرُ مكنِف عِندي ، ثم أخرجه ، وأخرج هذه القصيدة بعينها ، فقرأها الرجل فلمْ يَجد فيها شيئاً ممّا قاله أبو تمام في قصيدته : ثم دخل دعبل على الحسن بن وهب ، فقال له : يا أبا عليّ ، بلغني أنّك قلتَ في أبي

1 العيوق : نجم أحمر في طرف المجرة الأيمن .

تمّام كيتَ وكيتَ ، فهبه سَرق هذه القصيدة كُلَّها ، وقبلنا قولَكَ فيه ، أسرق شعرَه كلَّه ؟ أتحسنُ أنت أن تقول كما قال : [من الطويل]

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكمُ بَعدي ومَحَّتْ كما مُحَّتْ وشائعُ من بُردِ[1]
وأنْجَدتمُ من بَعد إتّهام دارِكُمْ فيا دمعُ أنجِدْني على ساكِني نجْدِ

فانخزل دِعبل واستحيا ، فقال له الحسنُ : الندمُ توبة ، وهذا الرجل قد توفّي ، ولعلّك كنتَ تُعاديه في الدُّنيا حسداً على حظِّه منها ، وقد مات الآن ، فحسبُك من ذكره ، فقال له : أصدقك يا أبا عليٍّ ، ما كان بيني وبينه شيء قطّ إلاّ أنّي سألتُه أن ينزل لي عن شيء استحسنتُه من شعره ، فبخِلَ عليّ به ، وأمّا الآن فأمسكُ عن ذكره ، فجعل الحسنُ يضحَك من قوله واعترافه بما اعترف به .

[اليزيدي يهجو محمد بن حماد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء : قال : حدَّثنا إسحاق بن محمد النَّخعيّ : قال كتب إبراهيمُ بنُ محمد بن أبي محمد اليزيديّ إلى محمد بن حمّاد الكاتب يهجوه ، ويعيره بعشق الحسن بن إبراهيم بن رباح والحسن بن وهب جاريته وتغايُرهما عليها : [من الخفيف]

لي خليطان مُحكمان يُجيدا نِ لِما يعمَلانِه حاذقانِ
واحد يعملُ القِسيَّ فيأتيـ ـكَ بها في استقامةِ المِيزانِ
وفتًى يعمَل السكاكينَ في القَرْ نِ مقرٌّ بحذقه الثَّقَلانِ
وهما يطلبان قَرْناً على رأسـ ـكَ فانظر في بعضِ ما يسألانِ
قلت : هلْ يُؤلِم الفتى قطعُ ما فيـ ـه تريدان أيّها الفَتيانِ
فأجابا بلُطفِ قولٍ وفَهْمٍ قم فإنّا إذاً لنَوْكى مَدانِ[2]
فاقطع الآن ما برأسكَ مِنها إن فيما ترى لمحضُ بيانِ
ذاك خيرٌ من أن يُسمّى اسمَ سوء فيقالُ انظُروا إلى القَرْنانِ[3]

1 الوشيعة : المكوك .
2 نوكى : جمع أنوك .
3 القرنان : الديوث .

صوت

[من الكامل]

قــد كان عتبـك مـرَّةً مكتوما ... فاليــوم أُصبــحَ ظاهــراً معلوما
نــال الأعادي سُؤْلَهــم لا هُنِّئوا ... لمَّــا رأونــا ظاعنــاً ومُقيما
والله لــو أبصرتَنــي لأَدَيْتَ لي ... والدّمع يَجري كالجُمانِ سُجُوما[1]
هبني أسأتُ فعـادةٌ لك أَن تُـرى ... مُتجـاوِزاً مُتطـاولا مَظْلــوما

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والغناء لعُبيد بن الحَسن الناطفيّ اللَّطَفي ، ثاني ثقيل بالوسَط ، وفيه خفيف رمل يقال : إنّه لرَذاذ ، وفيه ثقيل أَوّل مجهول .

---

1 أديت : أشفقت ورفقت .

[507] ـ أخبار أحمد بن يوسف[1]

[اسمه ونسبه]

هو أحمدُ بن يوسف بن صبيح الكاتب ، وأصله من الكوفة ، وكان مذهبه الرسائلَ والإنشاء ، وله رسائل معروفة ، وكان يتولّى ديوان الرسائل للمأمون ، ويُكنى أبا جعفر ، وكان موسى بن عبدُ الملك غلامَه وخِرِّيجَه ، فذكر محمدُ بن داود بن الجراح أنّ أحمد بن سَعيد حدَّثه عن موسى بنِ عبد الملك : قال : وهب لي أحمد بن يوسف ألفي ألف درهم تفاريق عن ظهر يَدٍ .

[أخوه القاسم يمدح البهائم ويرثيها]

وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر ، وكان ينتمي إلى بني عِجْل ، ولم يكن أخوه أحمد يدَّعي ذلك .

وكان القاسم قد جعل وَكْده[2] في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعرِه في ذلك ، منها قوله يرثي شاة : [من الخفيف]

عــينُ بكّــي لعنزنا السوداء كالعروس الأدماء يوم الجلاء[3]

وقوله في الشاهَمُرك[4] : [من مجزوء الرمل]

أقفــرت منــك أبا سَعْــدٍ عِــراص وديــارُ

وقوله في السِّنَّوْر : [من المتقارب]

ألا قُــل لمُجَّةَ أو ماردة تبكّي على الهِرَّة الصائدَهْ

1 انظر أخباره في : كتاب بغداد لابن أبي طاهر : 128 وتاريخ بغداد 5 : 216 والجهشياري : 304 والفهرست : 139 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 287 وتهذيب ابن عساكر 2 : 124 ومختصر ابن منظور 2 : 330 وبغية الطلب 2 : 148 والوافي 8 : 279 وفي معجم الأدباء 2 : 560–569 .

2 الوكد : المراد والهم .

3 الأدماء : البيضاء .

4 الشّاهَمُرك : الدجاج قبل أن يبيض .

وقوله في القُمْرِيّ : [من المجتث]

هــل لامرىء من أمانِ مــن طارق الحَدَثــانِ

[يتبنى جارية للمأمون]

أخبرني محمدُ بن خَلَف وكيع : قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سعد : قال : حدَّثني رجل من ولد عبد الملك بن صالح أنّ الهشاميّ قال : كان أحمدُ بن يوسف قد تبنّى جارية للمأمون اسمُها مُؤْنِسة ، فأراد المأمونُ أن يسافر ويحمِلَها ، فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها ، وأمر بعض المغَنِّين ، فغنَّاه به ، فلمّا سمعَه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه ، وهو : [من الكامل]

قد كان عَتْبُك مرّة مكتوما

[يعتب على جارية]

وقال محمد بن داود : حدَّثني أحمد بن أبي خيثمة الأطرُوش قال : عتب أحمد بنُ يوسف على جارية له ، فقال : [من المنسرح]

وعامــلٍ بالفُجــور يأمــرُ بالــ ـبِرّ كهادٍ يخُوض في الظُّلَمِ
أو كطبيبٍ قــد شفَّــه سَقَمٌ وهْو يُداوي من ذلكَ السَّقَمِ
يــا واعــظَ الناسِ غير متّعظ نفسَك طهِّــر أوْ لا فــلا تلُمِ

[يقول شعراً على لسان مؤنسة]

ووجدتُ في بعض الكتب بلا إسناد : عَتَب المأمون على مؤنسةَ ، فخرج إلى الشَّمَّاسيّة[1] متَنزِّهاً ، وخلَّفها عند أحمد بن يوسف الكاتبَ فرجَتْ أن يذكرها إذا صار في مُتنزَّهه ، فيرسلَ في حملها ، فلم يفعلْ ، وتمادى في عتبه ، فسألتْ أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً ترفعُه فقال : [من البسيط]

يا سيدا فقدُه أغــرى بيَ الحَزَنا لا ذقتُ بعدكَ لا نوماً ولا وَسَنا
لا زلتُ بعدك مَطويّــاً على حُرَقٍ أشنا المُقامَ وأشنا الأهلَ والوطَنا
ولا التذذتُ بكــأس في مُنادمةٍ مذ قيل لي : إن عبد الله قد ظَعَنا

---

1 الشماسية : موضع .

ولا أرى حَسنـاً تبـدو محاسنُه إلاَّ تذكَّرتُ شوقاً وجهَك الحَسَنا

وبعثتْ به إلى إسحاق الموصليّ ، فغنّاه به ، وقيل : بل بعثتْ به إلى سُندُس ، فغنَّتْه به ؛ فاستحسن ذلك ، وقـال : لَمن هذا الشعر ؟ . فقال أحمد بن يوسف : لمؤنسة يا سيِّدي تترضّاك ، وتشكو البعد منك ، فركب من ساعته ، حتى ترضَّاها ، ورضيَ عنها .

ووجدت في هذا الكتاب قال : كنّا مع أحمد بن يوسف الكاتب في مجلس ؛ وعندنا قَيْنة ، فتحلاّها[1] أحمدُ بنُ يوسف ، فكتب إلى صاحب المنزل : [من مجزوء الرمل]

أنـا رهـنٌ للمنايـا بـين إبـرامٍ ونَقْضِ
من هَوى ظبي غريرٍ مونَـق المنظـرِ غَضٍّ
ليتها جـادتْ بتقبيـ ـلٍ لخدَّيهـا وعَضٍّ
إن عجزتُم عن شِراها لي بفَـرْضٍ أو بقَرْضِ
فتمنَّـوا لي جميعـاً أنّهـا قَبـرٌ لبعْضي

[يستسقي الفضل]

أخبرني عمِّي : قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُليل : قال : ذكر مسعود بن أبي بِشر أنّ أحمدَ بنَ يوسف دخلَ يوماً على الفضْل بن سَهـل أو أخيـه في يـوم دجْن ، فأطال مُخاطبته ، وكان أحمد بن يوسف آنساً به ، ففتح دواتَه وكتبَ إليه : [من الوافر]

صوت

أرى غَيْماً تؤلِّفُـه جَنُوبٌ وأحسِبُـه سيأتينـا بهَطْلِ
فوجْهُ الرأي أن تدعو برَطلٍ فتشربه وتدعُو لي برَطلِ

ودفعها إليه فقرأهما ، وضحِك ، وقال : إن كان هذا عينَ الرأي قبِلناه ، ولم نردّه ، ثم دعا بالطعام والشراب ، فأتموا يومَهم .

الغِناء في هذين البيتين للقاسم بن زُرزُور ثاني ثقيل بالوسطى .

[يعشق محمد بن سعيد]

ومّما يغنّى فيه من شعره : [من الخفيف]

1 تحلاّها : أي وجدها حلوة .

صوت

صدَّ عنِّي محمدُ بنُ سعيدِ　　أَحسنَ العالمين ثانيَ جِيدِ
ليس من جفوةٍ يصدُّ ولكِنْ　　يتجنّى لحُسْنه في الصُّدودِ

الغناء فيه لزُرزور خفيف رَمَل ، ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زُرزور عن أبيه ، ومحمد بن سعيد هذا كان من أَولاد الكتّاب بسُرّ مَن رأى ، وكان أحمدُ يتعشَّقه .

ومن شعره الذي يُغَنَّى فيه : [من المنسرح]

صوت

كم ليلةٍ فيكَ لا صباحَ لها　　أحييتُها قابضاً على كَبِدي
قد غَصَّت العينُ بالدّموع وقدْ　　وضعتُ خدِّي على بَنانِ يَدي
كأنّ قلبي إذا ذكرْتُكُم　　فريسةٌ بين ساعِدَيْ أَسدِ

الغناء لشارية من رواية طبَّاع ، وفيه خفيف رَمَل ، ذكر حَبش أنّه لأَحمد النُّصيبيّ ، وهو خطأ يشبه أن يكون لأحمد بن صَدَقة أو بعض طَبقَته .

صوت

[من الكامل]

الراحُ والنّدْمانُ أَحسنُ منظراً　　في كلِّ ملتفٍّ الحدائق رائِقِ
فإذا جمعتَ صفاءَه وصفاءها　　فارْجُمْ بكلّ مُلمة من حالِقِ

الشعر للعَطَوي ، والغناء لبَنان ثقيل أوّل بالوُسطى ، وفيه لذكاء وجه الرزّة خفيف ثقيل .

[508] ـ أخبار العطوي

[نسبه]

هو محمدُ بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، ويكنى أبا عبد الرحمن بَصريٌّ المولد والمَنشأ .

وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العبّاسيّة ، واتصل بأحمد بن أبي دواد ، وتقرَّبَ إليه بمذهَبه وتقدّمِه فيه بقوّة جِدالِه عليه ، فلمّا تُوفِّيَ أحمد نقصت حاله . وله فيه مدائح يسيرة ، ومراثٍ كثيرة .

[يرثي ابن أبي دواد]

منها ما أنشدنيه الأخفش عن كوثرةَ أخي العَطَويّ :

أحنطْتَه يا نصرُ بالكافورِ ... وزففتَه للمنزلِ المهجورِ
هلاّ ببعض خِصاله حَنَّطتَه ... فيضوعُ أفقُ منازلٍ وقُبورِ
تاللهِ لو من نشرِ أخلاقٍ له ... يُعزى إلى التقديسِ والتطهيرِ
حنّطتَ مَن سَكَن الثّرى وعلا الرُّبا ... لِتُزَوِّدُوه عُدَّةً لنُشورِ
فاذهبْ كما ذهبَ الوفاءُ فإنّه ... ذهبتْ به ريحا صباً ودَبُورِ
واذهبْ كما ذهب الشبابُ فإنّه ... قد كان خير مُصاحِب وعَشيرِ
والله ما أبَّنْتُه لأزيدَه ... شَرفاً ولكن نفثةُ المَصدورِ

وأنشدني الأخفش للعَطويّ أيضاً يرثي أحمدَ بنَ أبي دُواد قال :

وليس صريرُ النعش ما تسمعونَه ... ولكنّه أصلابُ قومٍ تقَصَّفُ
وليسَ نسيمُ المسكَ ريّا حَنُوطِه ... ولكنّه ذاكَ الثناءُ المُخَلَّفُ

[جعله الكتّاب إماماً]

وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء ، فقال : كان له فنٌّ من الشعر لم يُسبَق إليه ، ذهب فيه إلى مذهب أصحابِ الكلام ، ففاقَ جميعَ نظرائه ، وخفّ شعرُه على كل لسان ، ورُوِي ، واستعمله الكتّابُ ، واحتَذوْا معانيَه ، وجعلوه إماماً .

[قذارة وإدمان]

قال ابن داود : وحدَّثني المبرِّد : قال : كان العَطَويّ ، وهو عندنا بالبصرة ، لا ينطِق بالشعر ، ثم ورد علينا شعرُه لمّا صار إلى سُرّ مَنْ رأى ، وكنّا نتهاداه ، وكان مقتّراً عليه رزقه ، دَفِراً[1] وسِخاً ، منهوماً بالنبيذِ ، وله فيه في وصف الصّبوح وذِكر النّدامى والمجالس أُحسَنُ قول ، وليس له قولٌ يَسقط ، فمن ذلك قوله : [من مجزوء الرجز]

فِيئـي إلى أهدى السُّبُلْ ... قـولاً وعلمـاً وعَمَلْ
قاتلهـا اللهُ لقـدْ ... سامتكُما إحدى العُضَلْ[2]
تقـول هـلا رِحلَـة ... تنقُلُنـا خيـرَ نُقَـلْ
أُخشى على جائلةِ الآمـ ... ـالِ جـوّالَ الأَجَـلْ

[في جمع المال ونفاد العمر]

أُخبرني عليّ بن سليمان الأخفش : قال : حدَّثني محمد بن يزيد : قال : سمع العَطويُّ رجلاً يحدّث أَنّ رجلاً قال لعمر بن الخطّاب : إنّ فلاناً قد جمعَ مالاً ، فقال عمر بن الخطّاب : فهل جمعَ له أيّاماً ؟ فأَخذ العطويّ هذا المعنى فقال : [من البسيط]

أرفِهْ بعيش فتًى يغـدو على ثِقَـةٍ ... إنَّ الذي قسم الأرزاقَ يـرزُقُهُ
فالعِرْضُ منـه مَصون لا يُدنِّسه ... والوجه منـه جَديد ليس يخلُقُهُ
جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له ... يـا جامعَ المـال أيّاماً تُفَرِّقُـهُ
المـالُ عنـدَكَ مخزونٌ لوارثـه ... مـا المـالُ مالُك إلاّ حـين تُنفِقُهُ

[يتمنى كأساً وندمانا]

ومن قوله في النُّدمان والنّبيذ ممّا يغنى فيه ما أُنشدنيه الأخفش وغيرُه من شيوخنا :

صوت

فكم قالـوا تمنَّ فقلتُ كاسٌ ... يطوفُ بها قضيبٌ في كثيبِ
وَنُدْمـانٌ تُساقطُنـي حديثاً ... كلحظ الحِبِّ أو غضِّ الرقيبِ

الغناء في هذين البيتين لذكاء وجه الرزّة خفيف رَمَل .

1 دفر : نتن .

2 العضل : جمع عضلة وهي الداهية .

[يستسقي نبيذاً]

أخبرني عمّي : قال : حدّثني كَوْثرة أخو العَطَوي قال : كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكُتّاب ، ومعهم قَيْنَة يقال لها : مِصْباح ، من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم غناء ، فما زالوا في قَصْف وعَزفٍ إلى أن انقطع نبيذهم ، فبقوا حَيارى ، وكانوا قريباً من منزلِ أبي العبّاس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلويّ ، وكان صديقاً لأبي عبد الرحمن فكتب إليه : [من الخفيف]

يا ابن مَن طاب في المواليدِ مذ آ ... دم جَرًّا إلى الحُسين أبيهِ
أنا بالقرب منكَ عندَ كريم ... قد ألحّتْ عليه شُهبُ سِنيهِ[1]
عندَه قينةٌ إذا ما تغنّتْ ... عاد مِنّا الفقيهُ غيرَ فَقيهِ
تزدَهيني وأينَ مثليَ في الفهـ ... ـم تُغنّيه ثم لا تَزْدَهيهِ
مجلسٌ كالرياض حُسناً ولكن ... ليس قطبُ السرور واللهو فيهِ
فأقمه بما به يمتري دنّ عجـ ... ـوز خمارة ممتريهِ
وبأشياخِك الكرامِ إلى السُّؤْ ... دَد موسى بن جعفرٍ وأبيهِ
إن تَحشَّمْتَني وإن كان إلاّ ... مثلَ ما يأنس الفتى بأخيهِ

قال : فلمّا وصلت الرقعةُ إلى أبي العبّاس أرسل إليهم براوية شراب ، فلم يزالوا يشربون مجتمعين ، حتى نَفِدتْ في أخفَضِ عيش .

[كأس وقينة]

حدّثني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخصيب الكاتب : قال : جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العَطَويّ بعد وفاة عمّي أحمد بن الخصيب بسنتين ، وكان صديقَه وصنيعتَه ، فجلس عندي يحادثُني حديثَه ، ويبكي ساعة طويلة ، ثم تغيمت السماء وهطلت ، فسألته أن يقيم عندي ، فحلف ألاّ يفعَلَ إلاّ بعد أن أُحْضِرَه من وقتي ما راج من الطعام ، ولا أُتكلَّفُ له شيئاً ، ففعلت وجئته بما حضر ، فقال لي : ما فعلتْ عُقَدُ ؟ قلتُ : باقية ، وهي في يومنا هذا مقيمةٌ عندي ، والساعةَ تسمع غناءها ، فقال لي : عجِّل إذن فإنّ النهار قصيرٌ ، ثم أنشا يقول : [من الخفيف]

أدرِ الكأسَ قد تعالى النّهارُ ... ما يُميتُ الهمومَ إلاّ العُقارُ

1 سنة شهباء : مجدبة .

صاحِ هذا الشتاء فاغدُ عليها إنّ أيّامــه لِــذاذٌ قِصارُ
أيّ شيءٍ ألذّ مــن يوم دَجْنٍ فيــه كأس على النّدامــى تُدارُ
وقيــانٌ كأنّهــنّ ظِبــاءٌ فــإذا قُلْــنَ قالــتِ الأوتارُ

[أحسن يوم وأطيبه]

حدَّثني عمِّي : قال : حدَّثني كوثرة : قال : كان لأبي عبد الرحمن صديقٌ من الأدباء ، وكان يتعشّق جارية من جواري القيان يقالُ لها : عَثْعَث ، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير ، واجتماعٍ يسير ، فأرسل إليها يوماً ، فأحضرها وأصلح جميع ما يحتاج إليه ، واتّفق أن كان ذلك في يوم رذاذ به من الطِّيب والحُسن ما الله به عليم ، فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر ، ويسأله المصيرَ إليه ووصف له القصة بشعرٍ ، فقال : [من المتقارب]

يــوم مطيــرٌ وعيش نضيــرُ وكأسٌ تــدورُ وقِــدرٌ تفــورُ
وعثْعــثُ تأتــي إذا جئتَنا فتسمع منهــا غِنــاء يَصُورُ[1]
وعندي وعنــدك مــا تشتَهيـ ـه شعــرٌ يمــرُّ وعِلمٌ يدورُ
وإذ كان هذا كما قــد وصفتُ فــإن التفــرّق خطبٌ كبيرُ
فقم نصطبحْ قبل فوتِ الزَّمانِ فــإنّ زمــانَ التلهّي قصيرُ

قال : فسار إليه صاحبُه فمرّ لهما أحسنُ يوم وأطيبُه .

[أعرابي يصف مجلس شراب]

وهذا الشعر أخذه العَطويّ من كلام إسحاق ، أخبرني به وَسْواسَة بن الموصليّ عن حمّاد عن أبيه : قال : كان يألفُني بعضُ الأعراب وكان طيباً ، فجاءني يوماً ، فقلت له : لم أرك أمسِ ، فقال : دعاني صديق لي ، فقلتُ : صف لي ما كنتمُ فيه ، فقال لي : كنّا في مجلسٍ نِظامُه سرور بين قُدور تَفور ، وكأسٍ تدور ، وغِناء يصور ، وحديثٍ لا يجور ونَدامى كأنّهم البُدور .

قال إسحاق : وقلت لأعرابيّ : كان يألفني : أين كنت بالأمس ؟ قال : كنت عند بعض ملوك سُرّ مَن رأى ، فأدخلني إلى قُبّة كإيوان كسرى ، وأطعمني في قِصاعٍ تَتْرى ، وغنتْني جاريةٌ سَكْرى ، تلعب بالمضرابِ كأنّه مِدْرى ، فيا ليتَني لقيتها مرّة أخرى .

قال إسحاق : وقلت لبعض الأعراب : طلبتُك أمس فلم أجدْكَ فأين كنتَ ؟ قال : كنتُ

---

1 يصور : يميل .

عند صديقٍ لي ، فأطعمني بناتِ التّنانير ، وأطعمني أُمّهات الأَبازير[1] وحلواء الطَّناجِير[2] ، وسقاني زُعاف القوارير ، وأسمعني غناءَ الشادِنِ الغَرير ، على العيدانِ والطّنابير ، قد مُلِكتْ بأوقار الدراهمِ والدّنانير .

[في مجلس شراب وغناء]

قرأت في بعض الكتب بغير إسنادٍ : أنّ العطويّ كان يوماً جالساً في منزله ، وطرقه صديقٌ له ممن كان يغنّي بِسُرّ مَن رأى ، فقال له : قد أهديتُ إليك جواريَّ اليوم ونبيذاً يكفيك ، وحسبُك بالكفاية . وأقام عنده ، فدخل عليه غلام أمردُ أحسنُ من القمر ، فاحتَبسوه وكتب العَطويّ إلى صديقٍ له من أهل الأدب : [من الخفيف]

يومنا طيّب بـه حسنُ القَصْـ ـف وحثُّ الأرطال والكاساتِ
ما ترى البرقَ كيف يلمعُ فيه ورشاشاً يبـلُّ في الساعاتِ
ولديْنا ظبـيٌ غريـرٌ ظَرِيفٌ قـد غَنِينـا بـه عَنِ القَيْناتِ
إن تخلّفتَ بعد ما تصلُ الرّقعـ ـعةُ عَنّـا فأنتَ في الأمواتِ

فأجابه الرجلُ فقال : [من الخفيف]

أنا في إثـر رُقعتي فاعلمَنْ ذا كَ عـلى أنّنـي مـن البُيّاتِ
فافهم الشَّرطَ بيننا لا تقل لي قد تثاقَلْت فانصرفْ بحياتي
لا لسَوء لكن لأمتعَ نَفسي بحديثِ الظبي الغريـرِ المواتِي

صوت

[من الطويل]

أيا بيتَ ليـلى إنَّ ليلى مريضةٌ براذان لا خالٌ لديْها ولا ابنُ عمّ
ويا بيتَ ليلى لو شَهِدتك أعولَتْ عليكَ رجالٌ من فَصيح ومن عَجَمْ
ويا بيت ليلى لا يَبِسْتَ ولا تزَل بلادُك سُقياها من الواكِفِ الدِّيَمْ

الشعر لمرّة بن عبد الله النّهديّ ، والغناء لأحمد النُّصَيبيّ ثقيل أوّل بالوسطى ، يقال إنّه لحُنَين .

---

1 الأبازير : جمع أبزار وهي التوابل .

2 الطناجير : القدور .

[509] ـ أخبار مرّة ونسبه

[نسبه]

هو مُرّة بن عبد الله بن هُليل بن يسار : أُحد بني هِلال بن عَصَم بن نصر بن مازن بن خُزيمة بن نَهد ؛ وليلى هذه من رهطه ، يقال لها : ليلى بنت زهير بن يَزيد بن خالد بن عمرو بن سَلَمة .

[يهجو مَن يخطبها]

نسختُ خبرَها من كتاب ابن أَبي السَّرِيّ قال : حدَّثني ابن الكلبيّ عن أَبيه : قال : كانت امرأة من بني نَهد ، يقال لها : ليلى بنت زهير بن يَزيد ، وكان لها ابن عمّ يقال له مرّة بن عبد الله بن هليل يهواها ، واشتدّ شغَفُه بها فخطَبها ، وأَبوْا أَن يزوِّجوه ، وكان لا يخطبها غيرُه إلاَّ هجاه ، فخطبها رجل من بني نَهْشَل ، يقال له : إران ، فقال مرّة يهجوه : [من الطويل]

وما كنتُ أُخشى أَن تصيرَ بمَرَّةٍ ... من الدَّهر ليلى زوجـةُ لإرانِ
لَمن ليس ذا لُبٍّ ولا ذا حفيظةٍ ... لعِرس ولا ذا منطِـق وبَيانِ
لقــد بُليتْ ليـلى بشرٍّ بَليَّةٍ ... وقــد أُنزلتْ ليلى بدار هَوانِ

[تنعى إليه فيرثيها]

قال : فتزوّجها المِنجابُ بن عبد الله بن مسروق ين سَلَمة بن سعد ، من بني زُوي بن مالك بن نَهـد ، فخـرج إلى البعْثِ براذان ، وهي إذ ذاك مَسْلَحةٌ لأَهل الكوفة ، فخرج بها معه ، فماتت براذان ودُفِنتْ هناك . فقدِم رجُلان من بَجيلة من مكتبهما براذان من بني نهـد ، وكانتْ بجيلة جيرانَ بني نهد بالكوفة ، فمرَّا على مجلسهم ، فسألوهما عمَّن براذان من بنـي نهـدٍ ، فأَخبراهـم بسلامتهـم ، ونعيـا إليهـم ليلى ومُـرّة في القـوم ، فـأَنشأ يقـول : [من الطويل]

أَيا ناعِيَيْ ليلى أَما كان واحدٌ ... من النّاس ينعاهـا إليّ سواكما
ويا ناعييْ ليلى أَلم نك جيرَةً ... ندامى ذوي حـقٍّ فأَلاّ نَهاكما

ويا ناعييْ ليلى لقد هجتُما لنا تجاوبَ نَوْحٍ في الدّيار كلاكُما
ويا ناعييْ ليلى لجلَّتْ مُصيبةٌ بنا فقدُ ليلى لا أُمِرَّت قواكما[1]
ولا عشتما إلاّ حليفَيْ بَلِيّـةٍ ولا مِتُّ حتى يُشترى كَفناكما
فأشْمَتَ والأيّـام فيهـا بوائِقٌ بموتِكما إنِّـي أُحِـبُّ رَداكما

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

كأنّك لم تُفجَـع بشَيْءٍ تعـدُّه ولم تصطبرْ للنائباتِ مـن الدهرِ
ولم تَر بؤساً بعـد طـول غضارةٍ ولم ترمِكَ الأيّامُ من حيثُ لا تدري
سقى جانبيْ راذان والساحَة التي بها دَفَنـوا ليلى مُلِثٌّ من القَطرِ[2]
ولا زال خِصْبٌ حيث حلَّتْ عظامها براذانَ يُسقى الغيث من هَطِلٍ غَمْرِ
وإن لم تكلمنـا عظـام وهامَـةٌ هناك وأصداء بَقِـينَ مع الصخرِ

وقال فيها : [من الطويل]

أيا قبر ليلى لا يَبِسْتَ ولا تَـزَلْ بلادُكِ تَسقيها من الواكفِ الدِّيمْ
ويا قبر لَيلى غُيِّبَتْ عنك أُمّهـا وخالَتُها والناصحـون ذَوو الذِّمْ
ويا قبر ليلى كم جمـالٍ تُكِنُّـه وكم ضُمّ فيكَ من عَفافٍ ومن كرمْ

وساق باقي الأبياتِ التي فيها الغناءُ .

[هل كان تزوّجها]

وحكى الهيثم بن عدي عن شيخ من بني نهد : أنّ مرّة كان تزوّجَها ، وكان مكتبه براذان ، وأخرجها معه ، ثم ضُرِب عليه البعث إلى خراسان ، فخلّفها عند شيخ من أهل منزله هناك ، وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها ، ومضى لبَعثه ، ثم قدِم بعد حول ، فلقيَ فتى من أهل راذان قبلَ وصوله إلى دارها ، فسأله عنها ، فقال : أترى القبرَ الذي بِفناء الدّار ؟ قال : نعم ، قال : هو والله قبرها ، فجاء ، فأكبّ عليه يَبكي ، ويندُبها ، وترك مكتبَه ، ولزِم قبرَها يغدو ويروح إليه ، حتى لحِق بها .

1 أُمِرَّتْ : اشتدّت .

2 مُلِث : دائم ، شديد الهطل .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

بأبي أنتَ يـا ابن مَن لا أُسمّـي لبعضٍ ما
يا شبيهَ الهـلالِ مثـ ـلُك في الأُفـق أنجُما
راقـبِ اللّهَ في أَسـ ـيرك إن كنت مُسْلِما

الشعر لعليّ بن أُميّة والغناء لعمر المَيْدانيّ رَمَل مطلق .

[510] ـ أخبار علي بن أُميّة

[نسبه]

علي بن أُميَّة بن أَبي أُميَّة ، وكان أبوه يكتبُ للمهديِّ على ديوان بيت المال وديوانَيْ الرسائل والخاتَم ، وكان منقطعاً إلى إبراهيم بن المهديّ ، وإلى الفضل بن الربيع ، وقد تقدَّم خَبَرُ أَخيه محمد في مواضع من هذا الكتاب .

[لحن يثير ضجة]

فحدَّثني أَحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار : قال : حدَّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات : قال : حدَّثني محمد بنُ عليّ بن أُميّة : قال : لمّا قدِم عليُّ بنُ أُميَّة ، وقال : [من مجزوء البسيط]

صوت

يا ريحُ مـا تصنَعينَ بالدِّمَنِ ؟ كم لك مـن محوِ منظَرٍ حَسَنِ
محـوتِ آثارنـا وأحدثـتِ آ ثـاراً بربْـعِ الحبيبِ لم تكنِ
إن تك يا ربعُ قـد بَليتَ من الرِّيحِ فـإني بـالٍ مـن الحَزَنِ
قد كان يا ربعُ فيك لي سَكَنٌ فصرت إذ بانَ بعـدَه سَكَني
شبّهتُ ما أَبلتِ الرياحُ مِن آ ثـار حبيبي الثَّـأى بلا بَدَنِ
يا ريحُ لا تطمسي الرموسَ ولا تمحي رسومَ الدّيـار والدّمنِ
حاشاك يا ريح أَن تكوني على العاشق عونـاً لحـادث الزَّمنِ

كثر الناسُ فيه ، وغنّاه عمرو الغزال ، فقال أَبو موسى الأَعمى : [من مجزوء البسيط]

يا ربّ خُذني وخذ عَلِيّاً وخُذْ يـا ريح مـا تصنعين بالدِّمَنِ
عَجِّل إلى النّار بالثلاثـةِ والرا بـع عمـرو الغَـزال في قَرَنِ

ثم ندم ، وقال : هؤلاء أَهلُ بيت ، وهم إخوتي ، ولا أحبّ أَن أُنشِب بيني وبينهم عداوةً وشرّاً ، فأَتى أُميَّة فقال : إنّي قد أَذنبت فيما بيني وبينكم ذنباً ، وقد جئتك مُستجيراً بك من

فتيانك ، فدَعا بعليٍّ بن أُميّة ، فقال : يا هذا ، عمُّك أبو موسى قد أتاك معتذراً من الشعر الذي قاله ، قال : وما هو ؟ فأنشده ، فقال : قد ضَجِرنا نحن والله منه كما ضَجِرتَ أنت وأكثر ، وأنت آمِنٌ من أن يكون منّا جوابٌ ، وأتى محمد بن أُميَّة ، فقال له مثل ذلك ، ومضى أبو موسى ، فأخذ عليُّ بن أُميَّة رقعة فكتب فيها : [من مجزوء البسيط]

كم شاعرٍ عند نفسه فَطِنِ ... ليس لدينا بالشاعر الفَطِنِ

قد أَخْرَجَتْ نفسَه بغُصَّتها ... يا ريحُ ما تَصنَعين بالدِّمنِ

ودفع الرقعةَ إلى غلام له ، وقال : ادفعها إلى غلام أبي موسى ، وقُل له : يقول لكَ مولاك : اذكرني بهذا إذا انصرفتَ إلى المنزل ، فلمّا انصرف إلى المنزل أتاه غلامُه بالرقعة ، فقال : ما هذه ؟ فقال : التي بعثت بها إليَّ ، فقال : والله ما بعثتُ إليك رقعة ، وأظنّ الفاسق قد فعلها ، ثم دعا ابنه ، فقرأها عليه ، فلمّا سمع ما فيها قال : يا غلام ، لا تنزع عن البغلة . فرجع إلى عليّ بن أُميّة ، فقال : نشدتك الله أن تزيد على ما كان ، فقال له : أنت آمن .

لحن عمرو الغزال في أبيات عليّ بن أُميّة رمل بالوسطى .

[بئس المغني عمرو الغزال]

وقال يوسف بن إبراهيم : حدَّثني إبراهيم بن المهديّ : قال : حدَّثني محمد بن أيّوب المكّيّ : أنّه كان في خدمة عُبيدِ الله بن جعفر بن المنصور ، وكان مستخِفّاً لعمرو الغزال ، محبّاً لـه ، وكان عمـرو يستحقّ ذلك بكلّ شيء ، إلاّ ما يدَّعيه ويتحقّقُ به من صناعة الغناء ؛ وكان ظريفاً أدِيباً نظيفَ الوجه واللباس ، معه كلُّ ما يحتاج إليه من آلة الفتُوّة ، وكان صالح الغناء ، ما وقف بحيث يستحقّ ، ولم يدَّع ما لا يستحقّه ، وأنّه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما ، لا يرى لهم عليه فضلاً ولا يشكّ في أنَّ صنعتهم مثلُ صنعتِه ، وكان عبد الله قليـلَ الفهـم بالصناعـة ، فكان يظنّ أنّه قد ظفِر منه بكنز من الكنوز ، فكان أحظى الناس عنده مَن استحسن غناء عمْرو الغَزال وصنعته ، ولم يكن في ندمائه مَن يفهم هذا ، ثم استزار عبيدُ الله بن جعفر أخاه عيسى ، وكان أفهَم منه ، فقلت له : استعن برأي أخيك في عمرو الغزال ؛ إنّه أفهَمُ منك ، وكانت أُمُّ جعفر كثيراً ما تَسأل الرشيد تحويل أخيها عبيد الله وتقديمه والتنويه به ، فكان عيسى أخوه يُعرّف الرشيد أنه

ضعيف عاجز لا يستحقّ ذلك ، فلمّا زاره عيسى أسمعه غناء عمرو ، فسمع منه سُخْنَةَ عين[1] ، فأظهر من السرور والطّرب أمراً عظيماً ، ليزيد بذلك عُبيدَ الله بصيرةً فيه ، ويجعلَه عيسى سبباً قوياً يشهد عند الرشيد بضعف عقله ، وعلمتُ ما أراد ، وعرفت أن عمراً الغزال أوّل داخل على الرشيد ، فلمّا كان وقت العصر من اليوم الثاني ، لم نشعر إلاّ برسول الرشيد قد جاء يطلب عمراً الغزال ، فوجّه إليه وأقبل يلومني ويقول : ما أظنّك إلاّ قد فرقتَ بيني وبين عمرو ، وكنتَ غنيّاً عن الجمع بينه وبين عيسى ، واتفق أن غنى عمرو الرشيد في هذا الشعر صنعته : [من مجزوء البسيط]

يــا ريح ما تصنعين بالدِّمنِ كَم لك مــن محوِ منظرٍ حَسنِ

وكان صوتاً خفيفاً مليحاً فأطربه ، ووصله بألف دينار ، وصار في عِداد مُغنّي الرشيد ، إلاّ أنّه كان يلازم عبيدَ الله إذا لم يكن له نوبة ، فأقبلتُ أتعجّب من ذلك ، واتّصلت خدمته إيّاه ثلاث سنين ، ثم انصرفا يوماً من الشّمّاسية مع عبيد الله بن جعفر ، فلقيَه الخضر بنُ جبريل ، وكان في الناس في العسكر ، فعاتبه عبيدُ الله على تركه وانقطاعه عنه ، فقال : والله ما أفعل ذلك جَهلاً بحقّك ، ولا إخلالاً بواجبك ، ولكنّا في طريقين مُتباينين لا يمكن معهما الاجتماع ، قال : وما هما ويحَكَ ؟ قال : أنت على نهاية السَّرف في مَحبَّة عمرو الغزال ، وأنا على نهاية السّرف في بغضه وأنت تتوهّم أنّه لا يطيب لك عيش إلاّ به ، وأنا أتوهّم أنّي إن عاشرتُه ساعة متّ ، وتقطّعتْ نفسي غيظاً وكمداً ، وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبداً ، فقال له عبيدُ الله : إذا كان هذا هكذا فأنا أعفيك منه إذا زرتَني ، فصِرْ إليَّ آمناً ، ففعل ، ولم يجلس عبيدُ الله حتى قال لحاجبه لا تُدخِل اليومَ أحداً ، ولا تستأذن عليَّ لخلق بتةً ودخلنا ، فلمّا وُضِعَت المائدة لم يأكل ثلاث لُقَم ، حتى دخل الحاجبُ فوقف بين يديه ، وأقبل عمرو الغزال خلفَه ، فرآه من أقصى الصحن ، فقال له عبيدُ الله : ثكلتْك أمُّك ! ألم أقل لك لا تُدخلْ عليّ أحداً مِن خلقِ الله ؟ فقال له الحاجب : امرأته طالقٌ ثلاثاً إن كان عنده أن عمراً عندك في هذا المجرى ، ولو جاء جبريل وميكائيل وكلّ مَن خلق الله لم يَدخلوا عليك إلاّ بإذن سوى عمرو ؛ فإنّك أمرتَني أن آذن له خاصة وأن يدخُلَ متى شاء ، وعلى كلّ حال . قال : ولم يفرغ الحاجبُ من كلامه حتى دخل عمرو ، فجلس على

1 سخنة عين : ضد القُرّة والارتياح .

المائدة وتغيّر وجهُ الخِضر ، وبانت الكراهةُ فيه ، فما أكل أكلاً فيه خيرٌ ، وتبيَّن عبيد الله ذلك ، ورُفعت المائدة وقُدِّم النبيذ ، فجعل الخِضر يشرب شرباً كثيراً لم أكن أعهده يشرب مثلَه ، فظننت أنّه يريد بذلك أن يستتر من عمرو الغزال ، وعمرو يتغنّى ، فلا يقتصر وكلّما تغنَّى قال له عبيد الله : لِمَن هذا الصوتُ يا حبيبي ؟ فيقول : لي وعندنا يومئذٍ جوارٍ مطربات محسنات ، وهو يقطع غناءهنّ بغنائه ، وتبيّنت في وجه الخضر العربدة إلى أن قال عمرو بعقب صوت : هذا لي ، فوثب الخِضر وكشف استَه وخَرِي في وسط المجلس على بساط خزٍّ لم أرَ لأحد مثلَه ، ثم قال : إن كان هذا الغناء لك ، فهذا الخراء لي ، فغضب عبيد الله ، وقال له : يا خِضرُ أكنت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا ؟ قال إي والله أيّها الأمير ، ثم وضع رجليه على سلحه ، ثـم أخرَجَهما فمشى على البساط مُقْبلاً ومُدبراً ، حتى خرج وقد لوَّثه ، وهو يقول : هذا كلّه لي ، وتفرَّقنا عن المجلس على أقبح حال وأسوئها ، وشاع الخبر ، حتى بلغ الرشيد ، فضحِك حتى غُلِب عليه ، ودَعا الخضر ، وجعله في نُدمائه منذ يومئذٍ ، وقال : هذا أطيب خلق الله ، وانكشف عنده عُوارُ عمرو الغزال واسترحنا منه ، وأمر أن يُحْجَبَ عنه ، فسقط منذ يومئذٍ ، وقد كان الجواري والغِلمانُ أخذوه ولَهِجوا به ، وكان الرشيد يكايد به إبراهيم الموصليّ وابن جامع قبل ذلك فسقط غِناؤه أيضاً منذ يومئذٍ ، فما ذكر منه حرفٌ بعد ذلك اليوم إلاّ صنعتَه في : [من مجزوء البسيط]

يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمَنِ

ولولا إعجابُ الرشيد به لسقط أيضاً .

[أية ريح يعني]

حدَّثني الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم عن أبي هِفّان : قال : كنّا في مجلس ، وعندنا قَينة تغنّينا ، وصاحبُ البيت يهواها ، فجعلت تكايده ، وتومىء إلى غيره بالمزح والتَّجْميش[1] ، وتغيظُه بجَهدها ، وهو يكاد يموت قلقاً وهمّاً وتَنَغّص عليه يومُه ، ولجَّتْ في أمرها ، ثم سقط المِضرابُ عن يدها ، فأكبَّت على الأرض لتأخذه ، فضرَطت ضَرطةً سمعها جميعُ مَن حضر ، وخَجِلت ، فلم تَدْرِ ما تقول فأقبلت على عشيقها فقالت : أيش

1 التجميش : الملاعبة .

تشتهي أن أُغنّي لك ؟ فقال : غَنّي : [من مجزوء البسيط]

يا ريحُ مـا تصنعين بالدِّمنِ

فخجِلت وضحك القوم وصاحبُ الدار : حتى أُفرطوا ، فبكتْ وقامتْ من المجلس ، وقالت : أنتم والله قوم سِفَل ، ولعنة الله عليَّ مَن يُعاشركم ، وغضِبَتْ وخرَجَتْ ، وكان ، عَلِم الله ، سببَ القطيعة بينهما وسلوّ ذلك الرجل عنها .

[من الرسول]

أخبرني ابن عمّار وعمّي الحسن بن عليّ ، قالوا : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثنا الحسين بن الضحاك : قال : كنت في مجلس قد دعينا إليه ، ومعنا عليّ بن أُميَّة ، فعلقتْ نفسُه بقَيْنة دعيتْ لنا يومئذٍ ، فأقبل عليها فقال لها : أتُغنّين قوله : [من الخفيف]

خبريني مَـن الرسولُ إليكِ ؟ واجعليـه مَـن لا ينـمُّ عليكِ
وأشيري إليَّ مـن هـو باللحـ ـظ ليَخفى على الذيـن لَديكِ

فقالت : نعم ، وغنّتْه لوقتها وزادت فيه هذا البيت ، فقالت :

وأقلّي المُزاحَ في المجلس اليو مَ فـإن المُـزاحَ بين يديكِ

ففطن لِمـا أرادتْ وسُرّ بذلك ، ثم أقبلت على خادم واقف فقالت له : يا مسرور ، اسقني ، فسقاها ، وفطِن بنُ أُميّة أنّها أرادت أن تعلمه أنّ مسروراً هو الرسول ، فخاطبه ، فوجده كما يريد ، وما زال ذلك الخادم يتردَّد في الرسائل بينهما .

[511] ـ أخبار عمر الميداني

[متقدم في الصنعة والأداء]

هو رجل من أهل بغداد كان ينزل المَيدان[1] فعرف به ، وكان لا يفارق محمداً وعليّاً ابنيْ أُميّة وأَبا حشيشة ، ينادمهم ويغنّي في أَشعارهم ، وكان منزله قريباً منهم ، وهو أَحد المحسنين المتقدّمين في الصنعة والأَداء .

حدَّثني جحظةُ : قال : سمعتُ ابنَ دقاق في منزل أَبي العَنْبَس بن حَمدون يقول : سمعت أَبا حَشيشة والمسدود ، ومَن قبلَهما من الطُّنبوريين ، فما سمعتُ منهم أَصحَّ غناء ولا أَكثرَ تصرّفاً من عُمر الميداني .

[مائدة إسحاق وجائزته]

حدَّثني جحظةُ : قال : حدَّثني علي بن أُميّة : قال : دخلتُ يوماً على عمر الميدانيّ ، وكان له بقّال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ، ويقارضه إذا أَعسر ، ويتصرّفُ في حوائجه ، فإذا حصلتْ له دراهمُ دفعها إليه يقبض منها ما رأَى ، لا يسأَله عن شيء ، فوجدتُ عنده يومئذٍ هذا البقالَ ، فقال لنا عمر : معي أَربعة دراهم تُعطوني منها لعلف حماري دِرهماً ، والثلاثة لكم ، فكلوا بها ما أَحببتم . وعندي نبيذٌ ، وأَنا أَغنّيكم ، والبقال يُحضِرنا من الأبقال اليابسةِ ما في حانوته . فوجّهنا بالبقّال . فاشترى لِنا بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم فاكهةً وريحاناً . وجاءَنا من حانوته بحوائج السِّكباج[2] ونُقْل . فبينا نحنُ نتوقّع الفراغَ من القِدر إذا بفُرانق[3] يدقّ الباب . فأَدخله عمر : فقال له : أَجب الأَمير إسحاق بنَ إبراهيم . فحلف علينا عمرُ بالطلاق أَلاَّ نبرح ، ومضى هو ؛ وأَكلنا السِّكباج وشربنا وانصرف عِشاء . وبَكَر إليَّ رسولُه في السَّحَر أَن صِرْ إليَّ ، فصرت إليه ، فقلت : أَعطِني خبرك من النّعل إلى النّعل[4] . قال : دخلتُ فوُضِعَتْ بين يديّ مائدة

1 الميدان : محلة ببغداد .

2 السكباج : لحم يطبخ بخل .

3 الفرانق : الرسول .

4 من النعل إلى النعل : أي القصة من البداية إلى النهاية .

كأنّها جَزْعة[1] يمانيّة قد فُرِشت في عِراصِها الحِبَرُ فأكلتُ وسُقيتُ رطلين ، ودُفِع إليَّ طُنبورٌ . فدخلت إلى إسحاق ، فوجدته في الصدر جالساً ، وخلفه ستارة . وعن يمينه مُخارق وعن يساره علّويه . فقال لي : أنت عُمر الميدانيّ ؟ فقلت : نعم . فقال : أأكلت ؟ فقلت : نعم قال : هاهنا أو في منزلك ؟ فقلت : بل هاهنا ، قال : أحسنت ، فغنّ بصوتك الذي صنعته فيَّ : [من مجزوء الخفيف]

يا شبيه الهلال كُلّـ ـــل في الأفْق أنجُما

وهو رَمَل مطلق ، فغنّيته فضربَ الستارةَ . وقال : قولوه أنتم ، فقالوه ، فقال : لمخارق وعلّويه : كيف تسمعانِ ؟ فقالا : هذا والله ذا ، وذا ذاك . فرددتُه مراراً . وشرب عليه . وقال لي : أنا اليوم على خلوة ولك عليّ دعوات ، فانصرف اليومَ بسلام . فخرجت ودفع إليَّ الغلام خمسة آلاف درهم . فهي هذه ، والله لا استأثرتُ عليكمُ منها بدرهم . فلم نزل عنده نقصِفُ حتى نَفِدَت .

صوت

[من الهزج]

أمينَ الخالــق الباري وراعــي كلِّ مخلوقِ
أدِرْ راحَك في المعشو ق من راحة معشوقِ

الشعر لأبي أيّوب سُليمان بن وهب . والغناء للقاسم بن زُرزور ثقيل أوّل بالبنصر من جامع غنائه المأخوذ عن أبيه أبي القاسم عبيد الله بن القاسم .

1 الجزع اليماني : من الأحجار الثمينة .

[512] ــ أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه تصلح لهذا الكتاب[1]

[ينكر الانتساب إلى الحارث]

قد تقدّم نسبُه في أخبار الحسن بن وهب أخيه وانتماؤه في بني الحارث بن كَعب . وأن أصلهم من قرية يقال لها : سار قرمقا من طَسُّوج[2] خُسْرُوسابور من سواد واسط ، وكان سليمان بن وهب ينكر الانتسابَ إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن وعلى ابنه أبي الفضل أحمد بن سليمان بن وهب لشدّة تعلّقهما به ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتّاب .

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني الحسن بن يحيى وعَوْن بن محمد الكِنديّ ، أنّ جعفر بن محمد كان وزير المهتدي في أوّل أمره ، فبلغه عنه تشيُّعٌ فكرهه ، وقال : هذا رافضيّ لا حاجةَ لي فيه ، واستوزر جعفر بن محمد بن عمّار ، فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهتدي ، ثم قدِم موسى بن بَغا من الجبل ، وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ، فاستوزر المهتدي سليمانَ بن وهب ولقب الوزير حقّاً ؛ لأنّ مَن كان قبلَه كان غيرَ مستحقّ للوزارة ، ولا مستقلاً بها .

[ينصفه ويعطيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني الحسنُ بن يحيى بن الجمّاز : قال : لمّا استُوزرَ سليمانُ بن وهب جلس للنّاس ، فدخل عليه شاعر يقال له : هارون بن محمد البالسيّ ، فذكر مظلمةً له ببلده ، ثم أنشده : [من الخفيف]

زِيـدَ في قـدرك العـليِّ علـوٌّ   يا ابن وهـبٍ من كاتبٍ ووزيرِ

---

1 انظر أخباره في ترجمة الحسن بن وهب التي مرّت آنفاً ولسليمان بن وهب ترجمة ضمن ترجمة الحسن بن وهب في معجم الأدباء 3 : 1019–2022 .

2 طَسُّوج : الناحية .

أسفَر الشرق منك والغرب عن ضو ء مــن العدل فاق ضوءَ البدورِ
أنشر النــاسَ غيثُكــمْ بعدما كا نوا رُفاتــاً مــن قبلِ يومِ النّشورِ
شرَّد الجــورَ عدلُكــم فسرحْنا بينكــم بــين رَوْضــة وغديرِ
[أنت عَيْن الإمام والقِــرْم مو سى بــك تفترّ عابسات الأُمورِ]

فوقع في ظلامته [بما أراد] ووصله بمائتيْ دِينار .

[يزيد المهلبيّ يمدحه فيزيد جائزته]

أخبرني محمدُ بن يحيى : قال : حدَّثنا أحمد بن الخصيب : قال : لعهدي بيزيد بن محمد المهلّبيّ عند سليمان بن وهب بعد ما استوزرَه المهتدي ، وقد أجلسه إلى جانبه ، وهو ينشده قولَه : [من الطويل]

وهبتم لنــا يــا آلَ وهب مودَّة فأبقــت لنا جاهــاً ومجداً يؤثّلُ
فمَــن كان للآثــام والذلِّ أرضُه فأرضُكُم للأجْــر والعِــزّ منزلُ
رأى الناسُ فوقَ المجدِ مقدارَ مجدِكم فقد سألوكم فوقَ ما كانَ يُسْأَلُ
يقصِّر عــن مسعاكُمُ كلُّ آخــرٍ ومــا فاتكــم ممّــن تقــدَّمَ أوَّلُ
بلغتُ الذي قــد كنتُ أمّلته لكم وإن كنتُ لم أبلغ بكم مــا أُؤمِّلُ

فقطع عليه سليمان الإنشاد ، وقال له : يا أبا خالد ، فأنت واللهِ عندي كما قال عُمارة بن عَقيل لابنه : [من الطويل]

أُقهقهُ مسروراً إذا أُبتَ سالمًا وأبكي من الإشْفاق حين تغيبُ

فقال له يزيد : فيسمعُ منّي الوزيرُ آخرَ الشّعر لا أوَّلَه ، وتمّم فقال : [من الطويل]

ومــاليَ حــق واجبٌ غيرَ أنّني بجــودكُمُ في حاجتــي أتوسَّلُ
وأنّكــمُ أفضلتــمُ وبَررْتــمُ وقــد يستَتِمُّ النّعمــةَ المتفضِّلُ
وأوليتــمُ فِعــلاً جميــلاً مقدَّما فعــودوا فإنّ العَوْدَ بالحــرّ أجملُ[1]
وكم مُلحفٍ قد نال ما رام منكمُ ويمنعنا مــن مثلِ ذاكَ التجمُّلُ

1 فعودوا في ل : فعودا .

وعوّدتموناقبـلَ أن نسألَ الغِنى ولا بذلَ للمعروف والوجهُ يُبذَلُ

فقال له سليمانُ : لا تبرح واللهِ إلاّ بقضاء حوائجك كائنةً ما كانت ، ولو لم أستفد من كَتَبَة أمير المؤمنين إلاّ شكرَكَ لرأيت جنابي بذلك مُمرِعاً ، وغرسي مُثمِراً ، ثم وقّع له في رِقاع كثيرةٍ كانت بين يديه .

[رجل من ذوي حرفته يطلب عملاً]

أخبرني محمد : قال : حدَّثنا الحَزَنْبَل : قال : لمّا وَلَّى المهتدي سليمانَ بن وهب وزارتَه قام إليه رجل من ذوي حِرفته ، فقال : أنا ، أعزّ الله الوزير ، خادمُك ، المؤمِّل دولتَك ، السعيدُ بأيّامك ، المطويُّ القلب على ودّك ، المنشورُ اللسان بمدحِك ، والمرتهَنُ بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر : [من البسيط]

وفَّيْـتُ كلَّ أديب ودَّني ثَمناً إلاّ المؤمِّـلَ دَولاتـي وأيَّامي

فإنَّنـي ضامـنٌ ألاَّ أُكافئـه إلاّ بتسويغه فَضْـلي وإنعامي

وإنِّي لَكَما قال القَيْسيُّ : ما زلت أمتطي النهارَ إليك ، وأستدِلُّ بفضلك عليك ، حتى إذا جنَّني الليلُ ، فَقَبَض البصر ، ومحا الأثر ، أقام بَدَني ؛ وسافر أملي ، والاجتهادُ [عذر] ، وإذا بلغتُك فهو مرادي فقط . فقال له سليمان : لا عليكَ : فإنِّي عارف بوسيلتِكَ ، محتاج إلى كفايتِكَ ، ولستُ أؤخِّرُ عن أمري النظر في أمرك وتَوليتَكَ ما يحسن أثرُه عليك .

[القاضي أحد شهودها]

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال : ما رأيتُ أظرفَ من سليمان بن وهب ، ولا أحسنَ أدباً : خرجنا نتلقّاه عند قُدومه من الجبل مع موسى بن بَغا ، فقال لي : هات الآن يا أبا الحسن ، حدِّثني بعجائبكم بعدي ، وما أظنّك تحدِّثني بأعجبَ من خبرِ ضَرَطة أبي وهب بحضرة القاضي ، وما سُيِّر من خبرها ، وما قيل فيها ، حتى قيل : [من الكامل]

ومن العجائب أنّها بشهادَة الْـ ـقاضي فليس يُزيلُها الإنكارُ

وجعل يضحك .

[يعترف بفضل ابن ثوابة]

قال علي بن الحسين الأصفهاني : حضرت أبا عبد الله الباقطانيّ ، وهو يتقلّد ديوانَ المشرق ، وقد تقلَّد ابن أبي السلاسل ماسَبذان ومِهْرجان قُذُف[1] ، وجاءه يأخذ كتبه ،

1 ماسبذان ومهرجان قذف : كورتان من نواحي الجبل في طريق القاصد من حلوان العراق إلى همذان .

فجعل يوصيه كما يوصي أصحابُ الدواوين العُمَّالَ ، فقال ابن أبي السلاسل : كأنَّك استكثرتَ لي هذا العمل أنت أيضاً ! قد كنتَ تكتب لأبي العبّاس بن ثوابة ، ثم صرتَ صاحب ديوان ، فقال له الباقطانيّ : يا جاهل يا مجنون ، لولا أنّه قبيح عليّ مكافأة مثلك لراجعتُ الوزير ، أيده الله ، في أمرك ، حتى أُزيلَ يدَك ، ومَن لي أن أجِد مثل ابن ثوابة في هذا الوقت ، فأكتب له ، ولا أريد الرياسة ! ثم أقبل علينا يحدِّثنا ، فقال : دخلت مع أبي العبّاس بن ثوابة إلى المهتدي ، وكان سليمان بن وهب وزيره ، وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمّال والكتّاب ، فيعملون بحضرته ، فيوقع إليهم في الأعمال ، فأمر سليمان أن يكتبَ عنه عشرةَ كتب مختلفة إلى جماعةٍ من العمّال ، فأخذ سليمان بيد أبي العبّاس بن ثوابة ، ثم قال له : أنت اليوم أحدُّ ذهناً منّي فهلمّ نتعاون ، فدخلا بيتاً ، ودخلتُ معهما ، وأخذ سليمان خمسةَ أنصاف وأبو العبّاس خمسةَ أنصاف أُخَر ، فكتبا الكتب التي أُمر بها سليمانُ ما احتاج أحدهما إلى نسخة ، وقد أكمل كلٌّ واحد منهما ما كتب به صاحبه ، فاستحسنَه وقرّظَه ، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي ، فقال له وقد قرأها : أحسنتَ يا سليمانُ ، ونعم الرجلُ أنتَ لولا المعجَّل والمؤجَّل ، وكان سليمان إذا ولَّى عاملاً أخذ منه مالاً معجَّلاً ، وأجَّل له مالاً إلى أن يتسلَّم عمله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقّاً أو باطلاً ، فإن كان باطلاً فليس مثلُكَ مَن يقوله ، وإن كان حقّاً ، وقد علمت أنّ الأصول محفوظة ، فما يضرّ مَن يساهمني من عمّالي على بعض ما يصل إليهم من برٍّ ؛ من غير تحيُّف للرعيّة ولا نقص للأموال ؟ فقال : إذا كان هكذا فلا بأسَ ، ثم قال له : اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتَقَل في يده ، بباقي ما عليه من المصادرة ، فقال له أبو العبّاس بن ثوابة : كلُّنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك ، وكلّنا حاطب في حبلك ، وساع فيما أرضاك وأيَّد ملكَك ، أفنمضي ما تأمر به على ما خيَّلْتَ أم نقول بالحقّ ؟ قال : بل قُل الحقَّ يا أحمد فقال : يا أمير المؤمنين ، المِلْك يقين ، والمصادَرة شكٌّ ، أفترى أن أُزيلَ اليقين بالشكّ ؟ قال : لا ، قال : فقد شهدتَ للرجل بالملك ، وصادَرته عن شكّ فيما بينك وبينه ، وهل خانك أم لا ، فتجعل المصادرة صُلحاً ! فإذا قبضتَ ضيعته بهذا فقد أزلتَ اليقينَ بالشكّ ، فقال له : صدقت ، ولكن كيف الوصول إلى المال ؟ فقال له : أنت لا بدّ لك من عُمّال على أعمالك ، وكلّهم يرتزق ، ويرتَفِق ، فيحوز رِفقَه ورزقَه إلى منزله ، فاجعله أحد عمّالك ؛ ليصرف

هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه ، فيتخلّصَ بنفسه وضيعته ويعودَ إليك مالك ، فأمر سليمانَ بن وهب بأن يفعلَ ذلك ، فلمّا خرجا من حضرة المهتدي قال له سليمان : عهدي بهذا الرجلِ عدوّك ، وكلّ واحد منكما يسعى على صاحبه ، فكيف زال ذلك ، حتى نُبْتَ عنه في هذا الوقت نيابةً أحييته بها ، وتَخَلّصتَ نفسَه ونعمته ؟ فقال : إنّما كنت أُعاديه ، وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف منّي ، فأمّا وهو فقير إليّ فلا . فهذا ممّا يحظره الدين والصناعة والمروءة . فقال له سُليمان : جزاك الله خيراً ، أما والله ، لأشكرن هذه النيّةَ لك . ولأعتقدنّك من أجلها أخاً وصديقاً . ولأجعلنَّ هذا الرجل لك عبداً ما بقي . ثم قال الباقطانيّ : أفمن كان هذا وزنه وفعله يُعاب مَن كان يكتُبُ له ؟

[من شعره في نكبته]

أخبرني محمد بن يحيى الباقطانيّ : قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى الباقطانيّ قال : كنت آلف سليمانَ بن وهب كثيراً ، وأخدمه وأُحادثه . وكان يخصّني ويأنس بي . فأنشدَني لنفسه يذكر نكبتَهُ في أيّام الواثق : [من مخلع البسيط]

صوت

نوائـبُ الدّهـر أدَّبتْنـي وإنّمـا يُوعـظُ الأريبُ

قد ذقتُ حُلواً وذقتُ مُرّاً كذاك عيشُ الفتى ضُروبُ

مـا مَـرَّ بؤسٌ ولا نَعيـمٌ إلاّ وَلي فيهمـا نصيبُ

فيه رمل محدَث لا أعرف صانعه .

[بينه وبين علي بن يحيى]

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى أنَّ جفوةً نالت أباه من سليمان بن وهب فكتب إليه : [من الطويل]

جفاني أبو أيّوب نَفسي فداؤه فعاتبتُه كيمـا يَريـعَ ويُعتِبا

فوالله لـولا الضنُّ منّي بوُدّه لكان سُهيلٌ مـن عِتابِيه أقرَبا

فكتب إليه سليمان : [من الطويل]

ذكرتَ جَفائي وهْو من غير شيمتي وإنّـي لـدانٍ مـن بعيد تَقرَّبا

فكيـف بخِـلٌّ لي أضِنّ بـوُدّه وأُصفيـه وُدّاً ظاهـراً ومُغيَّبا

عليّ بن يحيى لا عدمتُ إخاءه فما زال في كلّ الخصال مهذّبا
ولكنّ أشْغالاً عَرَتْ وتواتَرت فلمّا رأيت الشغلَ عاق وأتعبا
وكنتُ إلى عذر الأخلاّء إنّهم كِرامٌ وإن كان التواصلُ أوجبا
فإن يطّلبْ منّي عتابُك أوبةً ببرٍّ تجدْني بالأمانة مُعتِبا

[قبلة بقبلة]

أخبرني محمدُ بن العبّاس اليزيديّ عن عمِّه : قال : كان سليمان بن وهب ، وهو حَدَث ، يتعشَّق إبراهيم بن سوَّار بن شداد بن ميمون ، وكان من أحسنِ النّاسِ وجهاً وأملحِهم أدباً وظَرفاً ، وكان إبراهيم هذا يتعشّق جاريةً مُغنّية ، يقال لها رُخاص ، فاجتمعوا يوماً فسكِر إبراهيم ، ونام ، فرأت رُخاصُ سليمانَ يقبّله ، فلمّا انتبه لامته ، وقالت : كيف أصفو لك وقد رأيتُ سليمانَ يُقبّلك ؟ فهجره إبراهيم ، فكتب إليه سليمان : [من المجتث]

قل للذي ليس لي مِن جوى هواه خَلاصُ
أئِنْ لثمتُك سرّاً وأبصرتْني رُخاصُ
وقال لي ذاكَ قوم على اغتيابي حِراصُ
هجَرتَني وأتَتْني شَتيمةٌ وانتقاصُ
وَسرَّ ذاك أُناساً لهم علينا اختِراصُ
فهاكَ فاقتصَّ منّي إنَّ الجُروحَ قِصاصُ

وأهدى سليمانُ إلى رُخاصَ هدايا كثيرة ، فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوماً عند سليمان ، ويوماً عند إبراهيم ، ويوماً عند رُخاص .

[مساجلة بينه وبين أحد أصحابه]

أخبرني الصوليّ عن أحمد بن الخصيب : قال : حضرتُ سليمان بن وهب ، وقد جاءته رُقعة من بعض مَن وعده أن يصرّفه من أصحابه ، وفيها : [من الرجز]

هَبني رضيتُ منكَ بالقليل أكانَ في التأويل والتنزيلِ
أو خبرٍ جاء عن الرّسول أو حُجّةٍ في فِطَر العقولِ
مستحسَنٌ من رجل جليلِ عالٍ له حظٌّ من الجميلِ

ينقصُ ما أشاع بالتطويل والقول دونَ الفعل بالتحصيلِ
ليس كذا وصف الفتى النّبيل

قال : فكتب له بولاية ناحية ، وأنفذ إليه مائتيْ دينار وكتب في رقعة : [من الرجز]

ليس إلى الباطل من سبيلِ إلاّ لَمن يَعدِل عن تعديلِ
وقد وَفَيْنا لكَ بالتحصيلِ فاطْوِ الذي كان عن الخليلِ
فضلاً عن الخليط والنزيلِ وَعُدْ من القول إلى الجميلِ
وعفٌّ في الكثير والقليلِ تَحظَ من الرتبة بالجزيلِ

[هل كان مرتشياً]

أخبرني محمدُ بن يَحيى عن عبد الله بن الحُسَين بن سعد عن بعض أهله أنّه كتب إلى سليمان بنِ وهب ، وهو يتولّى شيئاً من أعمال الضِّياع : [من الهزج]

أطال اللهُ إسعادَ ك في الآجل والعاجلْ
أما ترعى لَمن أمَّـ ـل فضلاً حُرمة الآملْ
وعندي عاجل من رشـ ـوةٍ يتبعها آجلْ
وأنت العالمُ الشاهـ ـدُ أنّي كاتب عاملْ
فـولٌ الكافلَ البـاذ لَ دون العاجز الباخلْ
فما أفشي لك السرَّ فِعالَ الأخرقِ الجاهلْ

قال : فضحك وأجلسه وكتب في رقعته : [من الهزج]

أبِن لي ما الذي تخطـ ـبُ شرحاً أيّها الباذِلْ
وما تُعطي إذا وُلِّيـ ـتَ تعجيلاً وما الآجلْ
أفي الإسلافِ تَنقيص أم الوزنُ له كاملْ
وفي الموقوفِ تضمينٌ أم الوعدُ به حاصِلْ
وهل ميقاته الغَلَّـ ـةُ في العامِ أو القابلْ
أبِنْ لي ذاك واردُدْ رُقْـ ـعتي يا كاتباً عاملْ

[مع سلّة رطب]

فلمّا قرأها الرجلُ قطع ما بينه وبينه ، وردَّ الرقعة عليه ، وولاَّه سليمانُ ما التمس . أخبرني محمد بن يحيى عن موسى البربريّ قال : أهدى سليمانُ بنُ وهب إلى سُليمان بنِ عبد الله بن طاهر سِلالَ رُطب من ضَيعته وكتب إليه يقول : [من مجزوء الكامل]

أذِن الأميرُ بفضلـه وبجـوده وبنَيْلِـهِ
لوليِّــه في بِــرِّه بجَناه سُكَّـرَ نَخلِـهِ
فبعثْـتُ منـه بسَلَّةٍ تحكِي حـلاوةَ عَدلِهِ

[قلمه يصم السَّمع]

أخبرني محمد الباقطاني : قال : كتب سليمانُ بنُ وهب بقلم صُلْب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرَّ القلمُ في يده ، فقال : [من الطويل]

إذا مـا حَددْنـا وانتضيْنا قواطعـاً أصمّ الذكيَّ السمع منهـا صريرُها
تظـلّ المنايـا والعطايـا شوارعـاً تدورُ بمـا شِئنا وتمضـي أُمورُها
تَساقَطُ في القرطـاس منهـا بدائعٌ كمثـل الـلآلي نَظمُهـا ونَثيرُها
تَقُـودُ أَبِيّـاتِ البيـان بفطنـةٍ تَكَشَّفَ عـن وجـه البلاغـة نورُها
[إذا ما خطوبُ الدهر أرخت ستورَها تجلَّـت بنـا عمّـا تُسِرّ ستورُها]

[يرثي أخاه الحسن]

قال : وأنشدَني له يَرثي أخاه الحسن : [من الطويل]

مضى مذ مضى عِزُّ المعالي وأصبحت لآلي الحجا والقول ليس لهـا نظمُ
وأضحى نجيُّ الفِكر بعـدَ فراقه إذا همّ بالإفصاح مَنْطِقُـه كَظْمُ

وذكر ابن المسيّب أنَّ جماعة تذاكروا لمّا قَبَض الموفّق على سليمان بن وهب وابنه عبد الله : أنّه إنّما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بَغا وودائعه ، فلمّا استقصى ذلك نكبَهما لكثرة ما لهما ، فقال ابن الروميّ وكان حاضراً : [من الطويل]

ألَـم تَـرَ أنّ المـالَ يُتلِف ربَّه إذا جـمَّ آتِيــه وسُدَّ طريقُه
ومَن جاور الماء الغزير مَجمُّه وسُدَّ مفيضُ المـاء فهو غَريقُه

[البحتري يرثيه]

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مُطالَب ، فرثاه جماعة من الشعراء ، فممّن جوَّد في مرثيته البحتريّ حيث يقول : [من الكامل]

هذا سليمانُ بنُ وهبٍ بعدما ... طالتْ مساعيه النجومَ سُموكا
وتنصَّف الدُّنيـا يُدبِّـر أَمرَها ... سبعين حولا قد تَمَمْن دكيكا[1]
أَغْرت به الأقدارُ بَغْتَ مُلِمَّةٍ ... مـا كان رسُّ حديثِها مأفوكا
أَبلغ عُبَيدَ الله فـارعَ مَذْحِجٍ ... شرفاً ومُعطي فَضْلَها تَمليكا
إن الرزيَّةَ في الفقيدِ فَإن هَفا ... جَزِعٌ بلُبِّك فالرزيَّـةُ فِيكا
ومتى وجدتَ الناس إلاّ تاركاً ... لحميمه في التُّرب أَو مَتروكا
بلغَ الإدارة إذ فـداك بنفسه ... وتودُّ لـو تفديـه لا يفديكا
لو يَنجلي لكَ ذخرُها من نَكبةٍ ... جَلَلٍ لأَضحككَ الذي يَبكيكا

صوت

[من الطويل]

لقد برّزَ الفضلُ بن يحيى ولم يزلْ ... يُسامي من الغاياتِ ما كان أَرفَعا
يـراه أَميـرُ المؤمنـين لملكـه ... كَفيلاً لِما أَعطى مـن العهد مَقْنَعا
قضى بالتي شدّتْ لهارونَ مُلكه ... وأَحيـت ليحيـى نفسَه فتمتّعا[2]
فأَمست بنو العباس بعد اختلافها ... وآل عـليّ مثـل زَنْدَىْ يـدٍ معا
لئن كان من أَسدى القريضَ أَجاده ... لقـد صاغَ إبراهيم فيـه فأَوقعا

الشعر لأبانِ بنِ عبد الحميد اللاحقيّ يقوله في الفضلِ بن يحيى لمّا قدِم يحيى بن عبد الله بن الحسين على أَمان الرشد وعهده . والغِناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالبنصر عن أَحمد بن المكّيّ ، وكان الرشيدُ أَمره أَن يغنّي في هذا الشعر ، وإيّاه عنى أَبان بقوله :

لقـد صاغَ إبراهيمُ فيه فأَوقعا

1 دكيكاً : تاماً .

2 نفسه في ل : ملكه .

[513] ـ أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه

[نسبه]

أَبانُ بنُ عبد الحميد بن لاحق بن عَفير مولى بني رَقاش ، قال أَبو عبيدة : بنو رقاش ثلاثةُ نفر يُنسبون إلى أُمّهم ، واسمها رَقاش ، وهم : مالك ، وزيد مَناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

[صنيعة البرامكة]

أَخبرني عمّي : قال : حدَّثنا الحسين بن عُلَيل العَنَزيّ : قال : حدَّثني أَحمد بن مَهران مولى البرامكة : قال : شكا مروانُ بن أَبي حفصة إلى بعض إخوانه تَغيّر الرشيد عليه وإمساكَ يدِه عنه ، فقال له : ويحك ! أَتشكو الرشيدَ بعد ما أَعطاك ؟ قال : أَوَ تعجبُ من ذلك ؟ هذا أَبان اللاحقيّ ، قد أَخذَ من البرامكة بقصيدةٍ قالها واحدةٍ مثلَ ما أَخذتُه من الرشيد في دهري كلّه ، سوى ما أَخذه منهم ومن أَشباههم بعدَها ، وكان أَبان نقَل للبرامكة كتابَ كليلةَ ودِمنَة ، فجعله شعراً ، ليسهل حفظُه عليهم ، وهو معروف ، أوّله : [من الرجز]

هـذا كتابُ أَدبٍ ومحنهْ وهو الذي يُدعى كليلة ودمنهْ
فيه احتيالاتٌ وفيه رُشدُ وهو كتابٌ وضعتْه الهِندُ

فأَعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأَعطاه الفضلُ خمسةَ آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئاً ، وقال : أَلا يكفيك أَن أَحفظه فأَكونَ راويتَك ؟ وعمل أَيضاً القصيدة التي ذكر فيها مبدأَ الخلق وأَمر الدنيا وشيئاً من المنطق ، وسمّاها ذاتَ الحُلَل ، ومن الناس مَن يَنسبُها إلى أَبي العتاهية ، والصحيح أَنّها لأَبان .

[بينه وبين أبي نواس]

أَخبرني محمدُ بنُ جعفر النحويّ صهرُ المبرِّد : قال : حدَّثنا أَبو هِفَّان : قال : حدَّثني الجمَّاز ، قال : كان يحيى بن خالد البرمكيّ قد جعل امتحان الشعراء وترتيبَهم في الجوائز إلى أَبان بن عبد الحميد ، فلم يرضَ أَبو نواس المرتبة التي جعلَه فيها أَبانُ ، فقال يهجوه

بذلك : [من المجتث]

جالستُ يومـاً أبانـاً ... لا درَّ درُّ أبـانِ
حتى إذا ما صلاةُ الأ ... ولى دَنـتْ لأوانِ
فقـام ثَـمَّ بهـا ذو ... فَصاحـةٍ وبَيـانِ
فكلّمـا قـال قُلنـا ... إلى انقضـاء الأذانِ
فقال : كيف شَهِدتم ... بـذا بغيـر عِيـانِ
لا أشهدُ الدَّهـرَ حتى ... تعايـنَ العينـانِ
فقلت : سبحانَ رَبِّي ... فقـال : سبحانَ ماني

فقال أبانُ يجيبه : [من مجزوء الرمل]

إن يكن هـذا النُّواسيّ ... بـلا ذنـبٍ هَجانا
فلقـد نِكنـاهُ حينـاً ... وصفعنـاهُ زمـانا
هانـئ الجَرْبى أبوه ... زادَه اللهُ هَـوانا
سائل العبـاسَ واسمعْ ... فيـه من أمِّك شانا
عجنوا مـن جُلَنَّـارٍ ... لِيَكيـدُوك عِجـانا

جُلّنار أُمّ أبي نُواس ، وتزوجَها العبّاسُ بعد أبيه .

[هو والمعذل يتهاجيان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ : قال : حدَّثنا أبو قُلابة عبدُ الملك بن محمد : قال : كان أبان اللاحقيّ صديقاً للمعذَّل بن غَيْلان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء ، فيهجوه المعذَّلُ بالكفر وينسبه إلى الشؤم ، ويهجوه أبان ، وينسبه إلى الفُساء الذي تُهجى به عبدُ القيس ، وبالقِصَر ، وكان المعذَّل قصيراً ، فسعى في الإصلاح بينهما أبو عُيَيْنة المهلَّبيّ ، فقال له أخوه عبد الله ، وهو أسنّ منه : يا أخي إن في هذين شرّاً كثيراً ولا بدّ من أن يُخرجاه ، فدعهما ؛ ليكون شرُّهما بينهما ، وإلاّ فرّقاه على النّاس ، فقال أبان يهجو المعذَّل : [من الطويل]

أحاجيكُمُ مـا قـوس لحم سِهامُها ... من الريح لم توصَلْ بقِـدٍّ ولا عَقَبْ[1]

1 قد : سير من جلد . عقب : عصب يعمل منه الأوتار .

وليست بشَريانٍ وليست بشَوْحَطٍ وليستْ بنبْعٍ لا وليستْ من الغَرب[1]
ألا تلك قوسُ الدَّحْدحيّ معذَّلٍ بها صار عبديّاً وتمَّ له النسَبْ[2]
تصكُّ خياشيمَ الأنوفِ تعمُّداً وإن كان راميها يريد بها العُقَبْ
فإن تفتخر يوماً تميمٌ بحاجبٍ وبالقوس مضموماً لكسرى بها العربْ
فحَيُّ ابن عمرٍو فاخرون بقَوْسه وأسهمه حتى يغلّب مَن غلبْ

قال أبو قلابة : فقال المعذَّل في جواب ذلك : [من الطويل]

رأيتُ أباناً يوم فِطْرٍ مصلّياً فقُسِّمَ فكري واستفزنيَ الطرَبْ
وكيف يصلّي مظلمُ القلب ، دِينُه على دين ماني إنَّ ذاك من العجبْ

[يهجو أبا النضير]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثنا عَوْن بن محمد الكنديّ : قال : كان لأبي النَّضِيرِ جوارٍ يغنّين ، ويخرجن إلى جِلّة أهل البصرة ، وكان أبان بن عبد الحميد يهجوه بذلك ، فمن ذلك قوله : [من الرمل]

غضِب الأحمقُ إذ مازحتُه كيف لو كنا ذكرنا المَزدغَهْ
أو ذكرنا أنّهُ لاعبَها لعبة الجِدّ بِمزحْ الدغدغهْ[3]
سوَّد الله بخمسٍ وجهَه دُغنٍ أمثالِ طين الردَغَهْ[4]
خنُفُساوان وبنتا جُعَلٍ والتي تفترُّ عنها وزغَهْ
يكسر الشِّعرَ وإن عاتبتَه في مجالٍ قال : هذا في اللغَهْ

وأنشدني عمّي : قال : أنشدني الكُرانيّ : قال : أنشدني أبو إسماعيل اللاحقيّ لجدّه أبان في هجاء أبي النَّضير ، [وأخبرني الصوليّ أنّه وجدَها بخطّ الكُرانيّ] : [من الهزج]

إذا قامت بواكيكَ وقد هتَّكْنَ أستارَكْ

---

1 الشريان والشوحط والنبع . أشجار تصنع منها القسي .
2 الدحدحي : القصير .
3 الدغدغة : الزغزغة .
4 دغن : سود ، جمع دغناء .

أيُثنــينَ عــلى قبــر ك أم يلعــنَّ أحجارَكْ
ومـا تترك في الدُّنيـا إذا زرتَ غـداً نـارَكْ
تـرى في سَقَرَ المَثْوى وإبليس غــداً جـارَكْ
لَمــنْ تَتـرك زِقَّيْـك ودنَّيْـك وأوتــارَكْ
وخمساً من بنات الليـ ــل قد أُلبِسْنَ أطمارَكْ
تعـالى اللهُ مـا أقبحَ إذ وَلَّيــتَ أدبـارَكْ

وقال فيه أيضاً : [من الوافر]

قيـانُ أبــي النضير مثلَّجاتٌ غناءٌ مثـل شعر أبـي النضيرِ
فلا هَمَذَانَ حين نصيف نبغِي ولا الماهَيْــنِ أيّــام الحَرورِ[1]
ولا نبغــي بقرمِيسينَ رَوحا ولا نُبـلي البغالَ مـن المسيرِ
فإن رمت الغناء لديه فاصبر إذا مــا جئتــه للزَّمهــريرِ

[يهجو المعذل]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثنا أبو خليفة وأبو ذَكْوان والحسن بن عليّ النَّهديّ : قالوا : كان المعذّل بن غيلان المهري يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور ، وهو يلي حينئذٍ إمارة البصرة من قِبَل الرشيد ، فوهب للمُعذّل بن غَيْلان له بيضةَ عنبر وزنها أربعة أرطال ، فقال أبان بنُ عبد الحميد : [من السريع]

أصلحكَ الله وقــد أصلحـا إنِّــيَ لا آلــوك أن أنصَحا
عــلام تُعطـي منـوَيْ عَنبرٍ وأحسِبُ الخازن قــد أرجحا
مَن ليس من قِـرد ولا كَلبة أبهــى ولا أحْــلى ولا أملحا
[رسول يأجــوج أتى عنهم يخبـر أنّ الروم قــد أقبحا]
مــا بــين رجليـه إلى رأسه شِبْرٌ فــلا شبَّ ولا أفلحـا

[على باب الفضل بن يحيى]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا أبو العَيْناء : قال : حدَّثني الحرمازيّ : قال : خرج أبانُ بن

1 همذان والماهين وقرميسين : بلاد فارسية معروفة .

عبد الحميد من البصرة طالباً للاتّصال بالبرامكة ، وكان الفضلُ بنُ يحيى غائباً ، فقصده ، فأقام ببابه مدّة مديدة لا يصل إليه فتوسَّلَ إلى مَن وصَّل له شعراً إليه ، وقيل : إنّه توسّل إلى بعض بني هاشم ممّن شخص مع الفضل ، وقال له : [من الخفيف]

يا غزيـر النّدى ويا جوهرَ الجو هــر مـــن آل هاشمٍ بالبطاحِ
إنَّ ظَنّـــي وليس يُخلِـفُ ظَنّي بـك في حاجَتـي سبيلُ النّجاحِ
إن مــن دونهـا لَمصمَتُ بـابٍ أنـت مـن دون قفْلـه مِفتاحي
تاقـت النفسُ يـا خليلَ السَّماح نحو بحـرِ النّدى مُجارِي الرّياحِ
ثم فكّرتُ كيف لي واستخرتُ اللـ ـه عنـد الإمساء والإصبـاحِ
وامتدحـتُ الأميرَ أصلحَه اللـ ـه بشعـرٍ مشهَّـر الأوضـاحِ

فقال : هاتِ مديحَك ، فأعطاه شعراً في الفضل في هذا الوزنِ وقافيته : [من الخفيف]

أنـا مَـن بُغيـةُ الأميرِ وكنـزٌ مـن كُنـوزِ الأميـر ذُو أربـاحِ
كاتـبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديـبٌ ناصـحٌ زائـدٌ عـلى النُّصَّاح
شاعـرٌ مُفلِقٌ أخفُّ مـن الرّيشـ ـة مِمّا يكـون تَحت الجَنـاحِ

وهي طويلة جدّاً يقول فيها :

إن دَعـاني الأميرُ عايـن منّي شَمَّرِيّـاً كالبُلبُـل الصَّيَّـاحِ[1]

قال : فدعا به ، ووصله ، ثم خُصَّ بالفضل ، وقُدِّم معه ، فقُرِّب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم .

[يصل إلى الرشيد على حساب آل علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ : قال : حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ : أنّ أبانَ بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصالَه إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه ، فقالوا له : وما تريدُ من ذلك ؟ فقال : أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروانُ بنُ أبي حفصة ، فقالُوا له : إنّ لمروانَ مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذمّهم ، به يحظى وعليه يُعطى ، فاسلُكه حتى نفعل ، قال : لا أستحلّ ذلك ، قالوا : فما تصنع ؟ لا يجيء طلبُ الدُّنيا إلاّ بما لا

1 شمريا : ماضياً مجرباً .

يحلّ ، فقال أبان : [من الطويل]

نشَدتُ بحقِّ الله مَن كان مسلماً أعُمُّ بما قد قلته العُجمَ والعرَبْ
أعَمٌّ رسولِ الله أقربُ زلفةً لديه أم ابنُ العمّ في رتبة النسبْ
وأيُّهما أولى به وبعهده ومَن ذا له حقُّ التُّراث بما وجَبْ
فإن كان عبّاسٌ أحقّ بتلكمُ وكان عليٌّ بعد ذاكَ على سَبَبْ
فأبناءُ عبّاسٍ هُمُ يرثونه كما العمُّ لابن العمِّ في الإرث قد حَجَبْ

وهي طويلة ، قد تركت ذكرها لما فيه ، فقال له الفضل : ما يَرِدُ على أمير المؤمنين اليومَ شيء أعجب إليه من أبياتك ، فركب فأنشدها الرَّشيدَ ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ، ثم اتصلت بعد ذلك خدمته الرشيد ، وخُصَّ به .

[بينه وبين عنان]

أخبرنا أبو العبّاس بن عمار عن أبي العيناء عن أبي العبّاس بن رستم قال : دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عِنانَ جاريةِ النّاطفيّ ، وهي في خيش ، فقال لها أبان : [من المجتث]

العيشُ في الصيف خَيشُ

فقالت مُسرعة : [من المجتث]

إذ لا قتالٌ وجيشُ

فأنشدتُها أنا لجرير قولَه : [من الطويل]

طللتُ أُواري صاحبيَّ صَبابتي وهل عَلِقتْني من هواك عَلوقُ

فقالت مُسرعة : [من الطويل]

إذا عقل الخوفُ اللسانَ تكلمتْ بأسراره عينٌ عليه نَطوقُ

[مائدة بطيئة]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد بن عُثمان بن لاحق : قال : أولَمَ محمد بن خالد ، فدَعا أبانَ بن عبد الحميد والعتبيّ ، وعبيدَ الله بن عمرو ، وسهلَ بن عبد الحميد ، والحَكَم بن قَنبر ، فاحتبس عنهم الغداءُ ، فجاء محمد بن خالد فوقف على الباب فقال : ألكم أعزّكم اللهُ حاجةٌ ؟

يمازحهم بذلك ، فقال أبان : [من السريع]

حاجَتُنا فاعْجَل علينا بها ... مِن الحَشاوي كلَّ طُردِينِ[1]

فقال ابن قنبر بعد ذلك : [من السريع]

ومن خبيصٍ قد حكَت عاشقاً ... صُفرته زِينَ بتلوينِ

فقال عُبَيْد الله بنُ عمرو : [من السريع]

وأتبِعوا ذاك بأُبِّيَّةٍ ... فإنّكم آيينُ آيينِ[2]

فقال سَهْل : [من السريع]

دَعنا من الشعر وأوصافِه ... واعجَلْ علينا بالأخاوينِ[3]

فأحضر الغَداءَ ، وخلع عليهم ووصلَهم .

[يشبّب بغلام تركي]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا محمد بن زياد : قال : حدَّثني أبان بن سعيد الحميدي بن أبان بن عبد الحميد : قال : اشترى جارٌ لجدِّي أبان غلاماً تركيّاً بألف دينار ، وكان أبان يهواه ويُخفي ذلك عن مولاه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ليتني ، والجاهلُ المغـ ... ـرورُ مَن غُرَّ بلَيْتِ
نلتُ مِمّن لا أُسَمِّي ... وهو جاري بَيْتَ بَيْتِ
قُبلةً تُنعِش ميْتاً ... إنَّني حَيٌّ كَمَيْتِ
نتساقى الريقَ بعد الشـ ... ـرب من راحٍ كُمَيتِ
لا أُسَمِّيه ولكنْ ... هو في كَيْتَ وكَيْتِ

وكان اسمه يتك .

[يحض عمارة على الهرب من زوجها]

وقال أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شُراعة : كان في جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد ، وكان عدوّاً لأبان ، فتزوَّج بعمَّارة بنت عبد الوهّاب الثقفيّ ، وهي

1 الحشاوي : لم ترد في المعاجم ، ولعلّها ما يُحشى . وطردين : طعام للأكراد .
2 الآيين : العادة ، والعرف المتبع في جماعة من الناس .
3 الأخاوين : جمع إخوان .

أُخت عبد المجيد الذي كان ابن مُناذر يهواه ، ورثاه ، وهي مولاة جِنان التي يُشَبِّبُ بها أَبو نواس ، ويقولُ فيها : [من الخفيف]

خرجتْ تشهدُ الزفافَ جِنانٌ فاستمالتْ بحُسنها النُّظّارهْ
قال أَهلُ العَروس لمّا رأَوْها ما دهانا بها سِوى عمّارهْ

قال : وكانت موسرة ، فقال أَبان بن عبد الحميد يهجوه ويحذِّرها منه : [من السريع]

لمّا رأَيت البَزَّ والشارهْ والفرشَ قد ضاقتْ به الحارهْ
واللوزَ والسّكّرَ يُرمَى به من فوق ذي الدار وذي الدارهْ
وأحضروا المُلهِين لم يتركوا طبلاً ولا صاحبَ زَمّارهْ
قلت : لماذا ؟ قيل أعجوبةٌ محمد زَوِّج عَمّارهْ
لا عَمَّرَ اللهُ بها بيتَه ولا رأَته مُدرِكاً ثارَهْ
ماذا رأَتْ فيه وماذا رجَتْ وهي من النِّسوان مُختارَهْ
أَسودَ كالسَّفُّود يُنسَى لدى التَّنـ ـنور بل محراكُ قَيَّارَهْ[1]
يُجري على أَولاده خمسةً أَرغفةً كالريِّش طيّارَهْ
وأَهله في الأَرض من خَوفه إن أَفرطوا في الأَكل سيَّارَهْ
ويحكِ فِرِّي وأَعصبي ذاكَ بي فهذه أُختُك فرَّارَهْ
إذا غفا بالليل فاستيقظي ثم اطْفِري إنّك طفّارَهْ
فصعَّدَت نائلةٌ سُلَّما تخافُ أَن تصعدَه الفارَهْ
سُرورُ غَرَّتْها فلا أُفلحتْ فإنّها اللَّخناء غرَّارَهْ
لو نلتَ ما أَبعدْتَ من ريقها إن لها نَفثةَ سحَّارَهْ

قال : فلمّا بلغتْ قصيدتُه هذه عمّارة هربتْ فحُرِم الثقفيّ من جهتها مالاً عظيماً ، قال : والثلاثة الأَبيات التي أَوّلها :

فصعّدت نائلةٌ سلما

زادها في القصيدة بعد أَن هربتْ .

---

1 القيّارة : أَصله القير وهو الزفت .

[ابن مناذر يهجوه]

أخبرني الأخفش عن المبرّد عن أبي وائلة ، قال : كان أبان اللاحقيّ يُولَع بابن مُناذر ، ويقول له : إنّما أنت شاعر في المراثي ، فإذا متّ فلا ترْثني ، فكثر ذلك من أبان عليه ، حتى أغضبه ، فقال فيه ابنُ مُناذر : [من السريع]

غُنجُ أبانٍ ولـينُ منطقه يخبر النّـاس أنّه حَلَقي[1]
داء بـه تُعرَفـونَ كلُّكمُ يا آل عبدِ الحميد في الأُفُقِ
حتّى إذا ما المساء جلَّلهُ كان أطِبَّـاؤه على الطُّرُقِ
ففرِّجوا عنه بعضَ كربته بمسبطِرٍّ مُطـوَّق العُنُقِ

قال : وهجاه بمثل هذه القصيدة ، ولم يجبه أبانٌ خوفاً منه ، وسُعِيَ بينهما ، فأمسك عنه .

[أكان يهودياً]

أخبرني الصُّوليّ ، عن محمد بن سعيد ، عن عيسى بن إسماعيل : قال : جلس أبانُ بن عبد الحميد ليلة في قوم ، فثلب أبا عبيدة فقال : يقدحُ في الأنساب ولا نَسَب له . فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه : لقد أغفل السلطانُ كلَّ شيء حتى أغفل أخْذَ الجزية من أبان اللاحقيّ ، وهو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسْفار التوراة ، وليس فيها مُصحف ، وأوضحُ الدلالة على يهوديتهم أنّ أكثرهم يدَّعِي حفظَ التوراة ، ولا يحفظُ من القرآن ما يُصلّي به ، فبلغ ذلك أباناً فقال : [من الخفيف]

لا تَنِمَّنَّ عــنْ صديــقٍ حديثـاً واستعِــذْ مــن تسرُّر النمَّـــامِ
واخفضِ الصَّوتَ إن نطقتَ بليلٍ والتفِــتْ بالنّهــارِ قبــلَ الكَلامِ

[أكان كافراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة : قال : كنّا في مجلس أبي زيد الأنصاريّ ، فذكروا أبانَ بن عبد الحميد ، فقالوا : كان كافِراً ، فغضب أبو زيد ، وقال : كان جاري ، فما فقدتُ قرآنه في ليلة قطُّ .

---

1 حلقي : مأبون .

[يقضي على جاره المريض]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ عن دَماذ : قال : كان لأبان جارٌ ، وكان يعاديه ، فاعتلّ علّة طويلة وأرجف أبانٌ بموته ، ثم صَحَّ من عِلَّته ، وخرج ، فجلس على بابه ، فكانت علّته من السُّلّ ، وكان يكنى أبا الأطول ، فقال له أبان : [من الهزج]

أبـا الأطـولِ طوَّلْتَ ... ومـا يُنجيـك تطويلُ
بـك السُّلُّ ولا واللّـ ... ـهِ مـا يبرأُ مسلـولُ
فـلا يغررْكَ مـن طِبِّـ ... ـك أقـوالٌ أباطيلُ
أرى فيـكَ علامـاتٍ ... وللأسبـاب تأويـلُ
هُـزالاً قـد بَرى جسـ ... ـمَك والمسلولُ مهزولُ
وذِبَّانـاً حواليْـكَ ... فموقـوذٌ ومقتـولُ[1]
وحُمَّى منكَ في الظّهر ... فأنـت الدَّهـرَ مَمْلولُ
وأعْلامـاً سِوى ذاك ... تُواريهـا السّراويـلُ
ولـو بالفيـلِ مِمّا بـ ... ـك عُشرٌ ما نجا الفيلُ
فمـا هـذا على فيـكَ ... قُـلاعٌ أم دَماميـلُ[2]
ومـا زال مُناجيـك ... يُولّـي وهْـو مَبْلُـولُ
لئن كان مـن الجَوْف ... لقـد سالَ بِـك النِّيلُ
وذا داء يُزَجِّيـك ... فـلا قـالٌ ولا قِيـلُ

فلمّا أنشده هذا الشعرَ أُرعِد ، واضطرب ، ودخل منزلَه ، فما خرج منه بعد ذلك ، حتى مات .

صوت

[من الخفيف]

ما تزال الدّيارُ في بُرقةِ النَّجـ ... ـد لسُعدى بقرْقرى تُبكِيني[3]

1 الموقوذ : الصريع .
2 القلاع : داء يصيب الفم .
3 قرقرى : موضع باليمامة .

قد تحيّلتُ كي أرى وجهَ سُعدى ... فـإذا كلّ حيلـة تعيـنـــي

قلتُ لما وقفتُ في سُدَّة البا ... ب لسُعـدى مَقالـةَ المِسكينِ

افعلي بي يا ربَّـةَ الخِدرِ خَيراً ... ومـن المـاء شَربةً فاسقيني

قالتِ : الماءُ في الرَّكيِّ كثيرٌ ... قلتُ : مـاءُ الركيّ لا يُرويني

طرحتْ دونيَ الستورَ وقالتْ : ... كلُّ يــوم بعلّــةٍ تــأتيني

الشعر لتُويت اليماميّ ، والغناء لأبي زَكار الأعمى ، رَمَل بالوسطى ، ابتداؤه نشيد من رواية الهِشاميّ .

[514] ـ أخبار تويت ونسبه

[نسبه]

تُوَيْت لقب ، واسمه عبدُ الملك بن عبد العزيز السَّلوليّ من أهل اليمامة ، لم يقع لي غير هذا وجدتُه بخطّ أبي العبَّاس بن ثَوابة ، عن عبد الله بن شَبيب من أخبار رواها عنه .

وتُويْت أحدُ الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حَفْصة وذويهم ، ولم يَفِد إلى خليفة ، ولا وجدْتُ له مديحاً في الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكرَه ، وكان شاعراً فصيحاً نشأ باليمامة وتُوفّي بها .

[حبيبته تضربه]

قال عبد الله بن شَبيب : كانت تُويت يهوى امرأةً من أهل اليمامة يقال لها : سُعدى بنتُ أزهر ، وكان يقول فيها الشعر ، فبلغها شعرُه من وراء وراءَ ، ولم تره ، فمرَّ بها يوماً ، وهي مع أتراب لها ، فقلن : هذا صاحبك ، وكان دَميماً ، فقامت إليه وقُمن معها ، فضربْنَه ، وخرَّقْن ثيابَه ، فاستعدى عليهنَّ فلم يُعدِه الوالي ، فأنشأ يقول : [من المنسرح]

إنّ الغواني جرَحْنَ في جسدي ... من بعد ما قد فَرَغْنَ من كَبِدي
وقد شقَقْن الرِّداءَ ثُمَّـتَ لم ... يُعـدِ عليهـنّ صاحِبُ البلدِ
لم يُعدِني الأحولُ المشومُ وقد ... أبصرَ ما قد صَنَعن في جَسدي

[ترقّ له]

قال : فلمّا جرى هذا بينَه وبينَها عقدَ له في قلبها رِقّة ، وكانت تتعرَّضُ له إذا مرَّ بها ، واجتاز يوماً بِفنائها فلم تتوارَ عنه ، وأرته أنّها لم تَرَه ، فلمّا وقفَ مَلِيّاً سترتْ وجْهها بخِمارها ، فقال تُوَيْت : [من الطويل]

ألا أيّها الثـارُ الذي ليسَ نائماً ... على تِرةٍ إن مُـتَّ من حُبِّها غَدا
خذُوا بدمي سُعدى فسعدى منِيتُها ... غداةَ النَّقا صادتْ فُؤاداً مُقصَّدا[1]

---

1 مقصّداً : مكسّراً .

بآيــةِ مــا ردَّت غــداةَ لقِيتُها على طَـرفِ عَيْنَيْها الرداءَ المورَّدا

[قاتلته تحجّ]

قال ابن شَبيب : ولقيها راحلةً نحوَ مكّة حاجَّةَ ، فأَخذ بخِطام بَعيرِها وقال : [من الكامل]

قــل للتي بكــرتْ تريدُ رَحيلا للحــجّ إذ وجدتْ إليــهِ سبيلا

مــا تصنعــين بحَجّــةٍ أو عُمْرةٍ لا تُقْبَــلانِ وقــد قَتلــتِ قَتيلا

أَحيِي قتيلَكِ ثم حُجّي وانسُكي فيكــون حجُّــكِ طاهــراً مَقبولا

فقالتْ له : أَرسل الخِطام ، خيّبك اللهُ وقبحك ، فأَرسلَه ، وسارت .

[يهجو زوجها]

قال عبد الله بن شبيب : ثم تزوَّجها أَبو الجنوب يَحيى بنُ أَبي حَفصة ، فحجبها ، وانقطع ما كان بينها وبين تُوَيت ، فطفِقَ يَهجو يحيى فقال : [من الوافر]

عَناءٌ سِيقَ للقلــب الطروبِ فقــد حُجِبتْ معذِّبةُ القُلوبِ

أَقول وقــد عرفتُ لهــا محَلاً ففاضت عبرةُ العينِ السَّكوبِ

أَلا يــا دارَ سُعــدى كَلِّمينا وما في دار سُعدى من مُجيبِ

ولّمــا ضمَّها وحــوى عليها تركــتُ لــه بعاقبــةٍ نَصيبي

وقلت : زِحامُ مثلكِ مثلَ يَحيى لعمركِ ليس بالرأي المُصيبِ

فمــا لــك مثــلُ لُمّتِه تُدرَّى وما لك مثلُ بُخل أَبي الجنوبِ[1]

إذا فقــد الرغيفَ بكى عليه وأَتبــع ذاك تَشقيقَ الجُيوبِ

يعذّب أَهلَه في القُرْصِ حتــى يظلّوا منــهُ في يــومٍ عصيبِ[2]

وقال أيضاً : [من الطويل]

أَلا في سبيــل اللهِ نفسٌ تقسَّمتْ شَعاعاً وقلــبٌ للحسانِ صديقُ

أَفاقت قلوبٌ كُــنَّ عُذِّبْن بالهوى زمانــاً وقلبــي مــا أَراهُ يُفيقُ

سَرَقْتِ فؤادي ثــم لا ترجعينَــه وبعضُ الغوانــي للقلوب سَروقُ

1 لمته تدرَّى في ل : ما جنيت بُدّاً .

2 القرص : أي قرص العجين .

عَروفُ الهوى بالوعد حتى إذا جرتْ ببَيْنِـك غِربـانٌ لهـن نَعيـقُ
ورُدَّت جِمالُ الحيّ وانشقَّتِ العَصا وآذنَ بالبـين المُشِتُّ صَـدوقُ
ندمـتِ على ألاّ تكـوني جَزيْتني زَعمـتِ وكلُّ الغانيـاتِ مَذُوقُ
لعلّـك أن ننـأى جميعاً بغُلّـة تذوقِين مـن حَرِّ الهوى وأذوقُ[1]
عصيتُ بكِ الناهين حتى لوَ انَّني أمـوتُ لمـا أرعـى عليَّ شَفيقُ

[من مختار قوله في سعدى]

ومن مختار قول تُويت في سعدى هذه ممّا أخذتُه من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة أوّلها : [من الوافر]

سنُرضِـي في سُعيـدى عاذليْنا بعاقبـة وإن كُرمـتْ علَيْنا

يقول فيها :

لقيتُ سُعَيدَ تمشي في جَوارٍ بجرعـاء النَّقـا فلقيتُ حَيْنا
سلبنَ القلبَ ثـم مضينَ عنّي وقـد ناديتُهـنَّ فمـا لَوَيْنا
فقلتُ وقد بقِيتُ بغير قَلب بقلبي يـا سُعَيدى أيـن أيْنا
فما تجزينَ يـا سُعدى مُحِبّاً يهيم بكـم ولا تَقضينَ دَيْنا
وقالت إذ شكوتَ المطلَ منها لعمركَ مَـن سمعتَ لـه قَضَيْنا
ومَن هذا الذي إن جاء يشكُو إلينا الحبَّ مـن سَقَمٍ شَفيْنا
فهـنَّ فواعـلٌ بـي غيرَ شكٍّ كما قبـلي فَعلْـنَ بصاحِبَيْنا
بعـروةَ والذي بسهامِ هِنـدٍ أُصيب ، فما أقدْنَ ولا وَدَيْنا[2]

ومن مختار قوله فيها :

سلِ الأطلالَ إن نفع السُّؤالُ وإن لم يربَع الركبُ العِجالُ
عن الخَوْدِ التي قتلتكَ ظلماً وليس بهـا إذا بَطَشت قِتالُ
أصابـك مُقلتانِ لهـا وجيدٌ وأشنبُ بـاردٌ عـذبٌ زُلالُ

---

1 ننأى في ل : بنّا .

2 يقصد عبد الله بن عجلان وصاحبته هند .

أعارَكِ ما تبلْتِ بـه فؤادي ... مـن العينَين والجيـدِ الغَزالُ
أيـا ثاراتِ مَن قتلتْه سُعدى ... دَمي ، لا تطلبُوه ، لها حَلالُ
أرِقُّ لهـا وأُشفِق بعد قَتلي ... على سُعدى وإن قَـلَّ النَّوالُ
ومـا جادتْ لنا يومـاً ببذلٍ ... يمينٌ مـن سُعادَ ولا شِمالُ

ومن قوله فيها أيضاً : [من الكامل]

يا بنت أزهـرَ إنّ ثأري طالبٌ ... بدمي غـداً والثّأرُ أجهدُ طالبِ
فـإذا سمعـتِ براكبٍ متعصّبٍ ... ينعى قتيلَك فافزَعِـي للراكبِ
فلأنـتِ من بـين الأنامِ رميتني ... عن قَوس مَتْلَفَـةٍ بسهمٍ صائبِ
لا تأمنـي شُمَّ الأنوفِ وتَرْتِهم ... وتركتِ صاحبَهم كأمسِ الذاهبِ
مَن كان أصبحَ غالباً لهـوى التي ... يهوى فإن هـواكِ أصبحَ غالِبي
قالت وأسبلتِ الدّمـوع لتِربها ... لمـا اغتررتُ وأومأتْ بالحاجبِ
قولي لـه : بـاللهِ يُطلِقُ رحلَه ... حتى يُـزَوَّدَ أو يَـروحَ بصاحبِ

وقال فيها أيضاً : [من الكامل]

أرَّق العـينَ مـن الشّوقِ السَّهَرْ ... وصبـا القلـبُ إلى أُمِّ عُمَـرْ
واعتَرتْنـي فكـرةٌ مـن حُبِّها ... ويحَ هذا القلبِ من طُولِ الفِكَرْ
قَـدَرٌ سِيـقَ فمـن يَملكـه ... أين مَـن يملكُ أسبابَ القَدَرْ
كلُّ شيءٍ نالنـي مـن حُبّهـا ... إن نَجتْ نفسي من الموتِ هَدَرْ

وقال أيضاً : [من الكامل]

يـا لَلرِّجـالِ لِقَلبكِ المتطرِّفِ ... والعينُ إن تَرَ بـرْقَ نَجْدٍ تَذْرِفِ
ولحاجـةٍ يـومَ العبير تعرَّضَتْ ... كبرتْ فـرُدَّ رسولُها لم يُسعفِ
يـا بنت أزهر مـا أراكِ مُثِيبَتي ... خيراً على وُدِّي لكـم وتلطُّفي
إنّـي وإن خبِّرتِ أنَّ حياتَنـا ... في طرف عينك هكذا لم تطرِفِ
ليظلُّ قَلبـي مـن مخافة بَيْنِكمْ ... مثـلَ الجنـاح معلَّقاً في نَفْنَفِ[1]

1 نفنف : مهوى بين جبلين .

وليَظَلّ في هَجـر الأَحبَّـة طالِباً لرضاكِ ممّا جـار إن لم تُسعفي
كأَخي الفَـلاة يَغُرّه مـن مائِها قِطعُ السرابِ جَرى بقاعٍ صَفْصَفِ
أَهـراقَ نُطفتَـه فلمـّا جاءها وجـدَ المَنِيَّـةَ عندَها لم تُخلِفِ

صوت

[من الطويل]

أَمِنتَ بـإذن الله من كلِّ حادثٍ بقربِكَ من خير الورى يا ابنَ حارثِ
إمـامٌ حـوى إرثَ النبيّ محمدٍ فأَكـرِمْ بـه من ابنِ عَمٍّ ووَارثِ

الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخنّر ، خفيف رَمَل بالبنصر مطلق من جامع أَغانيه وعن الهِشاميّ .

[515] ـ أخبار محمد بن الحارث

[مروءة أبيه]

مولى المنصور ، وأصله من الرّيّ من أولاد المَرازبة ، وكان الحارث بن بسخنّر أبوه رفيع القَدْر عند السلطان ، ومن وُجوه قواده وولاّه الهادي ، ويقال الرشيد ، الحربَ والخراجَ بكُوَر الأهوازِ كلِّها .

فأخبرني حبيب المهلَّبيّ : قال حدَّثني النَّوفليّ عن محمد بن الحارث بن بسخنَّر : قال : كنت بالدَّيْر ، وكان رجل من أهلها يَعرِض عليّ الحوائجَ ويخدمني فَيُكْرِمُني ، ويذكر قديمنا ، ويترحَّم على أبي ، فقال لي رجلٌ من أهلِ تلكَ الناحية : أتعرفُ سببَ شكرِ هذا لأبيك ؟ قلت : لا ، قال : فإن أباه حدَّثني ، وكان يُعرف بابن بانة ، بأن أباك الحارث بن بسخنّر اجتاز بهم يُريد الأهواز فتلقاه بدِجلة العوراء ، وأهدى له صُقوراً وبَواشق صائدةً ، فقال له : الحقْ بي بالأهواز ، فقال له يوماً : إنّي نظرتُ في أمور الأعمال بالأهواز ، فلم أجِدْ شيئاً منها يرتفق منه بما قَدَّرتُ أن أبرَّك به ، وقد ساومني التُّجّار بالأهواز بالأرز ، وقد جعلتُه لك بالسعر الذي بذَلوه ، وسيأتونني ، فأعلمُهم بذلك ، فقلتُ : نعم ، فجاءوا ، وخلصوه منه بأربعين ألفَ دينار ، فصرتُ إلى الحارث فأعلمتُه ، فقال لي : أرضيتَ بذلك ؟ فقلت : نعم ، قال : فانصرف .

ولّما قَفل الحارث من الأهواز مرَّ بالمدائن ، فلقيَه الحُسينُ بن مُحرِز المدائنيّ المَغنّي فغنّاه : [من السريع]

قد علِم اللهُ عـلا عرشُه أنـّي إلى الحارثِ مُشتاقُ

فقال له : دعْني من شوقك إليَّ ، وسلني حاجةً فإنّي مُبادر ، فقال له : عليَّ دين مائةُ ألف درهم ، فقال : هي عليّ ، وأمر له بها ، وأصعد .

[كان من أصحاب إبراهيم بن المهديّ ويسير على منهاجه]

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهديّ والمتعصّبين له على إسحاق ، وعن إبراهيم بن المهديّ أخذ الغِناء ، ومن بحره استَقى ، وعلى منهاجه جَرى .

[جاسوس غير أمين]

أخبرَني عيسى بن الحسين الورَّاق ، عن محمد بن هارون الهاشميّ ، عن هِبةِ الله بن إبراهيم بن المهديّ : قال : كان المأمونُ قد ألزم أبي رجلاً ينقل إليه كلَّ ما يسمعه من لفظ جِدّاً وهَزلاً شِعراً وغِناء ، ثم لم يثق به ، فألزمه مكانَه محمد بن الحارث بن بسخنَّر ، فقال له : أيّها الأمير ، قُل ما شئتَ واصنع ما أحببتَ ، فوالله لا بلَّغتُ عنك أبداً إلاّ ما تحِبّ ، وطالت صحبته له ، حتى أمِنه وأنِس به ، وكان محمد يغنّي بالمِعْزَفة فنقلَه أبي إلى العود ، وواظب عليه حتى حَذِقَه ، ثم قال له محمد بن الحارث يوماً : أنا عبدُك وخرِّيجُك وصنيعتُك ، فاخْصصني بأن أرويَ عنك صنعتَك ، ففعل ، وألقى عليه غِناءه أجمعَ ، فأخذه عنه ، فما ذهب عليه شيء منه ولا شَذَّ .

[يغنّي للواثق]

وقال العتّابيّ : حدَّثني محمد بن أحمد بن المكّيّ : قال : حدَّثني أبي : قال : كان محمد بن الحارث قليلَ الصنعةِ ، وسمعتُه يغنّي الواثق في صنعته في شعر له مدَحه به وهو : [من الطويل]

أمِنتَ بـإذنِ الله من كلِّ حادثٍ ... بقربك من خير الورى يا ابنَ حارثِ

فأمر له بألفي دينار .

وذكر عليّ بن محمد الهشاميّ ، عن حمدون بن إسماعيل ، قال : كان محمد بن الحارث قد صنع هزجاً في هذا الشعر : [من مجزوء الكامل]

صوت

أصبحـتُ عبـداً مُسترَقاً ... أبكِي الأُلى سكنُوا دِمَشْقا
أعطيتُهـم قلبـي فمَـنْ ... يَبْقى بـلا قلـبٍ فأبقى

[يهب لحنه لغيره]

وطرحه على المَسْدود ، فغنّاه ، فاستحسنه محمدُ بنُ الحارث منه لطِيب مسموع المسدود ، ثم قال : يا مسدود ، أتحبُّ أن أهَبَه لك ؟ قال : نعم ، قال : قد فعلتُ ، فكان يُغنِّيه ، ويدَّعيه ، وهو لمحمد بن الحارث .

وقال العتّابيّ : حدَّثني شَرْوين المغنّي المداديّ . أنّ صَنعةَ محمدِ بنِ الحارث بلغت عشرةَ أصوات ، وأنّه أخذها كُلَّها عنه ، وأن منها في طريقة الرَّمَل ، قال : وهو أحسَنُ ما صنعه .

[من ألحانه العشرة]

صوت

[من المتقارب]

أَيا مَــن دَعــاني فلَبَّيتُه ببذْل الهوى وهو لا يَبذُلُ
يُــدِلُّ عــليَّ بِحُبِّي لــه فمَن ذاك يفعَلُ مــا يَفعَلُ

لَحْنُ محمدِ بنِ الحارث في هذا الصوت رَمَلٌ مطلق ، وفيه ليزيدَ حوراء ثقيل أوّل وفيه لسُلَيم لحن وجدته في جميع أغانيه غير مُجنّس .

[مع ابن العبّاس الربيعي]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ : قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد : قال : حدَّثني أبو تَوبة صالحُ بنُ محمد ، عن عمرو بن بانَة : قال : كنت عند محمد بن الحارث بن بسخنَّر في منزله ، ونحن مُصطبحون في يوم غيْم ، فبينا نحنُ كذلك إذ جاءتنا رُقعة عبد الله بن العبّاس الربيعيّ ، وقد اجتاز بنا مُصعِداً إلى سُرَّ مَن رأى ، وهو في سفينة ، ففضَّها محمدٌ ، وقرأها ، وإذا فيها : [من الطويل]

محمدُ قــد جادتْ علينــا بوَدْقِها سَحائــبُ مُــزنٍ برقُهــا يتهلَّلُ
ونحنُ مــن القاطــول في مُتَرَبَّعٍ لــه مسرحٌ سَهــلُ المحلَّة مُبْقِلُ[1]
فَمُرْ فائــزاً تَفديك نفسي يُغَنِّني أعَنْ ظُعُنِ الحيّ الألى كنتَ تسألُ
ولا تسقِنــي إلاّ حــلالاً فإنَّني أعــافُ مــن الأشياء ما لا يُحَلَّلُ

فقام محمدُ بنُ الحارث مستعجِلاً حافياً ، حتى نزلَ إليه فتلقَّاه ، وحلفَ عليه حتى خرج معه ، وسار به إلى منزله ، فاصطبَحا يومئذٍ ، وغنَّاه فائزٌ غلامُه هذا الصوتَ ، وكان صوته عليه ، وغنَّاه محمد بن الحارث وجواريه وكلّ مَن حضَر يومئذٍ ، وغنَّانا عبدُ الله بن العبّاس الربيعيّ أيضاً أصواتاً وصنَعَ يومئذٍ هذا الهَزَج ، فقال : [من الكامل]

يا طيبَ يَوْمِي بالَمطيرة مُعمِلاً للكأس عندَ محمدِ بنِ الحارثِ[2]

---

1 القاطول : موضع على دجلة .

2 المطيرة : قرية من نواحي سامراء وكانت من منتزهات بغداد .

في فِتيـــةٍ لا يسمعونَ لعاذلٍ قــولاً ولا لمسوِّفٍ أو رائِثِ

[عجائز أبيه أساتذة مخارق]

حدَّثني وسواسه[1] : قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق : قال : كان أبي يستحسنُ غناء جواري الحارث بن بسخنَّر ، ويعتمدُ على تعليمِهنَّ لجَواريه ، وكان إذا اضطربَ على واحدة منهنّ أو على غيرهنّ صوتٌ ، أو وقع فيه اختلاف ، اعتمدَ على الرجوع فيه إليهنّ . ولقد غنَّى مُخارقٌ يوماً بين يديه صوتاً ، فتزايد فيه الزوائدُ التي كان يستعملُها ، حتى اضطرب . فضحك أبي ، وقال : يا أبا المُهَنّأ ، قد ساء بعدي أدبُك في غِنائِك فالزم عجائز الحارث بن بسخنَّر يُقوِّمْنَ أوَدَك .

صوت

[من الوافر]

بنــانُ يــدٍ تُشير إلى بَنـانِ تَجاوبَتـــا ومــا يتكلَّمــانِ
جرى الإيماءُ بينَهما رَسولاً فأحكم وحْيَــهُ المتناجيــانِ
فلو أبصرتَه لغضضْتَ طَرْفـاً عــن المُتناجِيَيْن بـــلا لسانِ

الشعر لِماني المُوَسْوِس ، والغِناء لعُمر المَيْداني هَزَج ، وفيه لعَريب لَحنٌ من الهَزَج أيضاً .

1 وسواسة : هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ .

[516] ـ أخبار ماني الموسوس

[نسبه]

هو رجلٌ من أهلِ مِصر ، يكنى أبا الحسن واسمه محمدُ بنُ القاسم ، شاعر ليّن الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلاّ في الغزل ، وماني لقب غلَب عليه ، وكان قدِم مدينةَ السلام ، ولقيَه جماعةٌ من شيوخنا ، منهم أبو العبّاس محمد بن عمّار وأبو الحسن الأسديّ وغيرهما .

[ينشد للعريان البصري]

فحدَّثني أبو العبّاس بن عمّار ، قال : كان ماني يألفُني ، وكان مليحَ الإنشاد حلوه ، رقيقَ الشعر غزِلَه ، فكان يُنشدني الشيءَ ، ثم يُخالَط ، فيقطعُه ، وكان يوماً جالساً إلى جنبي ، فأنشدني للعُريان البصريّ : [من المنسرح]

مـا أنصفتْك العُيونُ لم تكِفِ ... وقـد رأيتَ الحبيبَ لم يَقِفِ
فابكِ دياراً حـلَّ الحبيبُ بها ... فَباعَ منْهـا الجَفـاءَ باللَّطَفِ
ثم استعارَتْ مسامعاً كَسد اللـ ... ـومُ عليها مـن عاشِقٍ كَلِفِ
كأنّهـا إذْ تقنَّعَـتْ بِبِلّـى ... شَمطاءُ ما تستقلُّ من خرَفِ
يـا عـينُ إمّا أريْتني سَكَناً ... غضبانَ يَزوي بوجهِ مُنصرِفِ
فمثِّلِيـه للقلـبِ مُبتسمـاً ... في شَخص راضٍ عليَّ مُنعطِفِ
إن تَصفيـه للقلـب مُنقَبضاً ... فأنتِ أشقى منـه بـه فَصفي
يُقال بالصّبرِ قتـلُ ذي كَلفٍ ... كيف وصبري يموت من كَلَفي
إذا دعا الشوقُ عَبرَةً لِهـوًى ... فأيّ جَفْـنٍ يقـول لا تَكِفي
ومُستراذٍ لِلَّهْـوِ تنفسح الْـ ... ـمُقْلَةُ في حافتيـه مؤتَلفِ
قَصَرْتُ أيّامَـه على نَفَـرٍ ... لا مُنُنٍ بالنَّـدى ولا أُسُفِ
بحيث إن شئتَ أن ترى قمراً ... يسعى عليهم بالكأسِ ذا نُطَفِ[1]

1 نطف : جمع نطفة وهي القليل من الماء .

قال : فسألته أن يمليها عليَّ ، ففعل ، ثم قال : اكتب ، فعارضه أبو الحسن المصري : يَعني «ماني» نفسَه فقال : [من المنسرح]

أقفــرَ مَغْنــى الديار بالنَّجَفِ وحُلْت عمّا عهدتُ من لَطفِ
طويــتُ عنهــا الرِّضا مذمّمةً لمّا انطوى غضُّ عيشِها الأُنُفِ
حَللتُ عن سَكرة الصَّبابة من خوفِ إلهـي بمعـزلٍ قُذُفِ[1]
سَئِمتُ وِرْدَ الصِّبا فقد يَئستْ منّي بناتُ الخدور والخَزَفِ[2]
سلوتُ عــن نُهَّـدٍ نُسِبْنَ إلى حسنِ قَوامٍ واللحظ في وَطَفِ
يمددنَ حَبل الصِّبا لمَن أَلِفَتْ رجلاه قِــدَّ المُحول والدَّنَفِ
ومُدنَفٍ عادَ في النحول من الوَجـ ــد إلى مثـلِ رِقَّــة الأَلِفِ
يشاركُ الطيرَ في النَّحيب ولا يَشركنَه في النُّحول والقَضَفِ[3]
ومُسمِعاتٍ نَهكْــنَ أَعظُمَــهُ فهو مــن الضيم غيرُ منتَصِفِ
مفتخراتٍ بالجَـوْر عُجْبــاً كما يفخر أَهــلُ السّفاه بالجَنَفِ
وقهوةٍ مــن نِتــاج قُطرُبُّلٍ تخطف عقلَ الفتى بلا عُنُفِ
ترجعُ شَرخَ الشباب للخَرِفِ الـ ـفاني وتُدني الفتى من الشَّغَفِ

[يصفع المؤذن]

قال : فبينا هو يُنشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذي كنّا بإزائه قد صَعِد المئذنة ليؤذّن فأمسك عن الإنشاد ، ونظر إليه ، وكان شيخاً ضعيف الجسم والصوت ، فأذّن أذاناً ضعيفاً بصوت مرتَعِش ، فصعِدَ إليه ماني مُسرعاً ، حتى صار معه في رأس الصَّوْمَعة ، ثم أخذ بلحيتِه ، فصفَعَه في صَلْعَتِه صفعةً ظننتُ أنَّه قد قلع رأسَه ، وجاء لها صوتٌ منكرٌ شديد ، ثم قال له : إذا صَعِدت المنارَة لتؤذّن ، فعَطْعِط[4] ، ولا تُمَطْمِط ، ثم نزل ومضى يعدُو على وجهه . ولقيتُ عنتاً منَ عتْب الشيخ وشكواه إيّاي إلى أبي ومشايخ الجيران ،

---

1 بمعزل : بمعرك

2 الخزف : هزّ اليدين في تبختر .

3 القضف : النحافة .

4 عطعط من العطعطة وهي تتابع الأصوات واختلافها ، وهي أيضاً حكاية صوت .

يقول لهم : هذا ابن عمّار يجيء بالمجانين ، فيكتُبُ هَذَيانَهم ، ويسلّطهم على المشايخ فيصفَعونهم في الصوامع إذا أذَّنوا ، حتى صرتُ إلى منزله ، فاعتذرت وحلفت أنّي إنّما أكتب شيئاً من شعره ، وما عرفت ما عَمِله ولا أُحيطُ به علماً .

[الجارية تغنّي وهو يضيف]

ونسخت من كتاب لابن البَراء : حدَّثني أبي قال : عزم محمد بنُ عبد الله بنِ طاهر على الصَّبوح ، وعنده الحسنُ بن محمد بن طالوت ، فقال له محمد : كنّا نحتاج أن يكون معنا ثالثٌ نأنَسُ به ونلذُّ في مجاورته فمَن ترى أن يكونَ ! فقال ابنُ طالوت : لقد خَطَر ببالي رجل ليسَ علينا في منادمته ثِقَل ، قد خلا من إبرام المجالسين ، وبَرِىء من ثِقَل المؤانسين ، خفيفَ الوطأة إذا أدنيتَه ، سريع الوثبة إذا أمرتَه ، قال : مَن هو ؟ قال : ماني المَوْسوِس ، قال : ما أسأتَ الاختيار ، ثم تقدّم إلى صاحب الشُّرطةِ بطلبه وإحضاره ، فما كان بأسرعَ من أن قبض عليه صاحبُ الشرطة بربع الكَرخ فَوافى به بابَ محمد بن عبد الله ، فأُدخل ، ونُظِّف ، وأُخِذ من شَعْره ، وأُلبِسَ ثِياباً نِظافاً ، وأُدخل على محمد بن عبد الله ، فلمّا مَثَل بين يديه سلَّم ، فردَّ عليه ، وقال له : أما حان لك أن تزورَنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له ماني : أعزَّ اللهُ الأميرَ : الشوق شديد ، والوُدُّ عَتيد ، والحجابُ صعب ، والبواب فَظٌّ ، ولو تسهّل لنا الإذنُ لسهُلتْ علينا الزيارة ، فقال له محمد : لقد لطُفتَ في الاستئذان ، وأمره بالجلوس . فجلس ، وقد كان أُطعِم قبل أن يدخل ، فأتى محمد بن عبد الله بجارية لإحدى بنات المَهديّ ، يقال لها : مَنُوسة ، وكان يحبّ السماعَ منها ، وكانت تُكثر أن تكونَ عنده ، فكان أوّل ما غَنَّتْه : [من الطويل]

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحمَّلوا ... دُموعي على الخدَّينِ من شدَّة الوجْدِ
وقولي وقد زالتْ بعيني حُمولُهمْ ... بواكرُ تُحدى لا يكُنْ آخرَ العهدِ

فقال ماني : أيأذَنُ لي الأمير ؟ قال : في ماذا ؟ قال : في استحسان ما أسمع ، قال : نعم ، قال : أحسنْتِ والله ، فإن رأيتِ أن تزيدي مع هذا الشعر هذين البيتين : [من الطويل]

وقمتُ أداري الدمعَ والقلبُ حائرٌ ... بمقلةِ موقوفٍ على الضرِّ والجَهْدِ
ولم يُعدِني هذا الأميرُ بعدْله ... على ظالمٍ قد لَجَّ في الهَجرِ والصَّدِّ

فقال له محمد : ومن أيّ شيء استعديتَ يا ماني ؟ فاستحيا ، وقال : لا من ظلم أيّها الأمير ، ولكن الطّربَ حرّك شوقاً كان كامناً ، فظهر . ثم غنّتْ : [من الخفيف]

حَجبوها عـن الريـاح لأنّي قلت : يا ريحُ بلّغيها السّلاما
لو رضُوا بالحجاب هان ولكنْ منعوهـا يـوم الرياحِ الكَلاما

قال : فطرِب محمد ، ودعا برِطل فشربه فقال ماني : ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين البيتين : [من الخفيف]

فتنفّستُ ثـم قلـتُ لطَيفي : ويـكَ إن زُرتَ طيفَها إلماما
حَيِّهـا بـالسلام سرّاً وإلاّ منعوهـا لشِقْوَتـي أن تَناما

فقال محمد : أحسنت يا ماني ، ثم غنّت : [من الخفيف]

يـا خليليَّ ساعـةً لا تَرِيما وعَـلى ذي صبابـةٍ فأقيما
مـا مررْنـا بقصرِ زينَبَ إلاّ فضح الدّمعُ سِرَّكَ المكتُوما

قال ماني : لولا رهبةُ الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يَردان على سمع سامع ذي لُبّ فيصدران إلاّ عن استحسانٍ لهما ، فقال محمد : الرغبةُ في حُسْن ما تأتي به حائلةٌ عن كلّ رهبة ، فهاتِ ما عندكَ ، فقال : [من الخفيف]

ظَبيةٌ كالهلال لـو تلحظ الصخْرَ بطَـرفٍ لغادَرتْـه هَشيمـا
وإذا ما تبسّمتْ خِلتَ مـا يبدُو مـن الثّغـر لؤلـؤاً مَنظومـا

[اللحن الحسن يطيّب الشعر]

فقال محمد : إن أحسنَ الشعر ما دام الإنسان يشرَبُ ما كان مكسوًّا لحناً حسناً تُغَنّي به مَنُوسة وأشباهها ، فإن كسيتَ شعرَك من الألحان مثلَ ما غنّتْ قبلَه طاب ، فقال : ذلك إليها .

[يصف منوسة]

فقال له ابن طالوت : يا أبا الحُسَين ، كيف هي عندكَ في حسنها وجمالها وغِنائها وأدبها ؟ قال : هي غاية يَنتهي إليها الوصفُ ، ثم يقِف ، قال : قُل في ذلك شعراً ، فقال : [من السريع]

وكيفَ صبرُ النفس عـن غادةٍ تَظلمُهـا إن قلـتَ طاووسَهْ

وجُــرتَ إن شبّهتَهــا بانــةً في جنّـــةِ الفردوس مَغروسَهْ
وغيرُ عـــدْلٍ إن عَدَلْنا بهــا لؤلــؤةً في البحْـــرِ منفوسَهْ
جلَّتْ عن الوصفِ فما فِكرةٌ تلحَقُهــا بالنعـــتِ مَحسوسَهْ

فقال له ابنُ طالوت : وجب شكرُك يا ماني ، فساعدَك دهرُك ، وعطف عليك إلفُك ، ونلتَ سرورَك ، وفارقْتَ محذورَك ، والله يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع شملُنا ، وطاب يومُنا .

[إذا زرت فخفف]

فقال ماني : [من المديد]

مُدْمِــنْ التخفيف مَوصولُ ومُطِيــل اللَّبـــثِ مَمْلولُ

فأنا أستودعُكمُ الله ، ثم قام فانصرف ، فأمر له محمد بن عبد الله بصِلَة ، ثم كان كثيراً ما يبعث يطلبه إذا شَرِب ، فيبرُّه ، ويصلُه ، ويقيمُ عنده .

[يشبب بغلام]

أخبرني جعفر بن قُدامة ، قال : حدَّثني المبرّد ، قال : حدَّثني بعض الكتاب ممَّن كان ماني يلزمه ، ويكثُرُ عنده ، قال : لقيني يوماً ماني بعد انقطاع طويل عنّي ، فقال : ما قطعني عنـك إلاّ أنّي هائـم ، قلت : بِمَنْ ؟ قال بمَن إن شئتَ أن تراه الساعةَ رأيتَه فعذرْتَني ، قلتُ : فأنا معك ، فمضى ، حتى وافى بابَ الطّاق ، فأراني غُلاماً جميلَ الوجه بين يدي بزّاز في حانوتِه ، فلمّا رآه الغلام عدا ، فدخل الحانوتَ ، ووقف ماني طويلاً ينتظره ، فلم يخرج ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

ذَنبي إليه خضوعي حين أُبْصِرُه وطولُ شوقي إليه حـينَ أذكُرُهْ
وما جرحْتُ بطرف العَين مُهجَتَه إلاّ ومـن كَبدي يقتصُّ مَحجرُهْ
نفسي على بُخله تَفديه مـن قَمرٍ وإن رمــاني بذنبٍ ليسَ يغفِرُهْ
وعاذل باصطبارِ القلـبِ يأمرُني فقلتُ : من أينَ لي قلبٌ أُصَبِّرُهْ[1]

ومضى يعدو ويصيح : الموت مخبوءٌ في الكتب .

1 قلبٌ أُصبِّرُه في ل : صبر فأهجره .

صوت

[من الرجز]

وشادنٍ قلبي بـــه مَعمودُ   شِيمتُه الهِجــرانُ والصُّدودُ
لا أسأَمُ الحِرصَ ولا يجودُ   والصبرُ عــن رؤيته مفقودُ
زُنّــارُه في خَصرِه مَعقودُ   كأنّه مـــن كَبِدي مَقْدودُ

عروضه من الرجز ، والشِّعْرُ لبكرِ بن خارجة ، والغِناء للقاسم بن زُرْزُور ، خفيف رَمَل بالوسطى .

[517] ـ أخبار بكر بن خارجة

[كان وراقاً]

كان بكرُ بن خارجة ، رجلاً من أهل الكوفة ، مولًى لبني أسد ، وكان ورّاقاً ضيّقَ العيش ، مقتصراً على التكسّب من الوِراقة ، وصرفَ أكثرَ ما يكسبُه إلى النبيذ ، وكان مُعاقراً للشُّرب في منازل الخمَّارين وحاناتهم ، وكان طيّبَ الشّعر مليحاً مطبوعاً طَبْعاً ماجناً .

[يتعشّق هدهداً]

فذكر أبو العَنْبَس الصَّيْمريّ أنّ محمد بن الحجّاج حدَّثه قال : رأيتُ بكرَ بنَ خارجةَ يبكّر في كلّ يوم بقِنّينتين من شراب إلى خراب من خراباتِ الحِيرة ، فلا يزال يشربه فيه على صوت هُدْهُد كان يأوي إلى ذلك الخراب ، إلى أن يَسْكر ، ثم ينصرف ، قال : وكان يتعشّق ذلكَ الهُدْهُدَ .

وحدَّثني عمِّي عن ابن مَهرويه عن عليّ بن عبد الله بن سعد ، قال : كان بكرُ بنُ خارجة يتعشّق غلاماً نصرانيّاً ، يقالُ له : عيسى بن البَراء العِباديّ الصَّيْرفيّ ، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكُرُ فيها النَّصارى وشرائعَهم وأعيادَهم ، ويُسمِّي دياراتِهم ، ويفضّلُهم .

[دعبل يحسده على بيتين قالهما]

قال : وحدَّثني [من شَهِد دِعبِلاً] وقد أُنشدني قوله في عيسى بن البراء النصرانيّ العِبادِيّ : [من الرجز]

زُنّارُه في خَصره معقــودُ كأنّه مــن كبِدي مقدودُ

فقال دِعبل : ما يعلمُ الله أنّي حسدتُ أحداً قطُّ كما حسدت بَكراً على هذين البيتين .

[الجاحظ يكتب أبياتاً له وهو قائم]

وحدَّثني عمِّي عن الكُرانيّ ، قال : حرّم بعضُ الأمراء بالكوفة بيعَ الخمر على خماري الحِيرة ، وركب فكسر نَبيذَهم ، فجاء بَكر يشربُ عندهم على عادته ، فرأى الخمرَ مصبوبة في الرِّحابِ والطرق ، فبكى طويلاً ، وقال : [من الخفيف]

يـا لَقومـي لِما جَنى السلطانُ لا يكونَنْ لما أهانَ الهوانُ
قهـوةٌ في التراب مـن حَلَب الكَرْ مِ عُقاراً كأنّها الزعفـرانُ
قهـوةٌ في مكـان سَوء لقـد صا دف سعـدَ السعـود ذاكَ المكـانُ
مـن كُميـتٍ يُبدي المِزاجُ لها لؤ لـؤَ نظـمٍ والفصـلُ منها جُمانُ
فإذا مـا اصطبحتُها صغُرت في الـ ـقَدْرِ تختالُها هـي الجرذانُ
كيفَ صبري عن بعضِ نفسي وهل يصْـ ـبرُ عـن بعض نفسِه الإنسانُ

قال : فأنشدتُها الجاحظ ، فقال : إن من حقّ الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً وما أقدر على ذلك إلاّ أن تَعْمِدني ، وقد كان نقرسَ ، فعمَدتُه ، فقام ، فكتبها قائماً .

[الخمر تفسد عقله]

وقال محمد بن داود بن الجرَّاح في «كتاب الشعراء» : قال لي محمد بن الحجّاج : كانت الخمرُ قد أفسدتْ عقلَ بكر بن خارجة في آخر عمره ، وكان يمدح ويهجو بدِرهم وبدِرهمين ونحو هذا فاطُّرِح ، وما رأيت قطّ أحفظَ منه لكلِّ شيء حسن ، ولا أروَى منه للشعر .

قال : وأنشدني بعضُ أصحابنا له في حال فساد عقله : [من مجزوء الكامل]

هبْ لي فديتُـك دِرهماً أو دِرهَمَـينِ إلى الثّلاثَـهْ
إنّي أحـبُّ بنـي الطفيـ ـل ولا أحبُّ بَني عُلاثَهْ[1]

قال ابنُ الجرّاح حدَّثني محمد بن القاسم بن مهروَيْه قال : حدَّثني بعض أصحابنا الكوفيِّين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي وبِتنا عنده ، فنمت فما أنبهني إلاّ صياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : ما لك ؟ فاشرب فالدّار مليئة ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أي شيء ؟ قال : في الدار كلب كبير ، فأخاف أن يظنّني غزالاً فيثب عليّ ويقطّعني ويأكلني ، فقلت له : ويحك يا بكر ! فالحمير أشبه منك بالغزال ، قُم فاشرب إن كنت عطشان وأنتَ آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب .

قال : وأنشدني له ، وقد رأى صديقاً له قرأ رقعة من صديق له آخر ثم حرقها : [من البسيط]

لم يقو عندي على تحريق قرطاسي إلاّ امرؤ قلبه مـن صخرة قاسي

1 بنو الطافيل : نسبة إلى عامر بن الطفيل ، وبنو علاثة نسبة إلى علقمة بن عُلاثة .

إنّ القراطيسَ مـن قلبي بمنزلة تحويه كالسمع والعينين في الرأسِ

ومما يغنّى فيه من شعر بَكر بن خارجة : [من السريع]

صوت

قلبـي إلى مـا ضرَّني داعي يُكْثِـر أحـزاني وأوجـاعي
لقَلَّ مـا أبقـى على ما أرى يوشك أن ينعـانيَ النـاعي
كيفَ احتراسي من عدوِّي إذا كان عدوِّي بـين أضلاعـي
أسلمني الحـبُّ وأشياعـي لمّا سعى بـي عندها الساعي
لمّـا دَعـاني حبُّهـا دعـوةً قلـت لـه : لبَّيْكِ مـن داعِ

الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثقيل أوّل ، وفيه لعبدِ الله بنِ العبّاس هَزَج ، جميعاً عن الهشاميّ ، وقيل : إن فيه لحناً لابن جامع .

وقد ذكر الصوليّ في أخبار العبّاس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات للعبّاس بن الأحنف ، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح عن أبي هفَّان أنّها لبكر بن خارجة .

صوت

وَيلي على ساكن شَطّ الصَّراهْ من وجنتيه شِمتُ برْقَ الحياه[1]
ما ينقضي من عجب فِكْرتي في خَصلة فـرّط فيهـا الوُلاه
تـركُ المحِبّـينَ بـلا حـاكمٍ لم يُقعـدوا للعاشقين القُضاهْ

الشعرُ لإسماعيل القراطيسيّ والغناءُ لعبّاس بنِ مَقام خفيف رَمَل بالوسطى .

1 الصّراة : يطلق على نهرين ببغداد .

[518] ـ أخبار إسماعيل القراطيسي

[كان مألفاً للشعراء]

هو إسماعيلُ بن مَعْمَر الكوفيّ ، مولى الأَشاعثة ، وكان مَألفاً للشعراء ، فكان أَبو نواس وأَبو العتاهية ومُسلم وطبقتهم يقصدون منزلَه . ويجتمعون عنده ، ويقصِفون ، ويدعو لهم القيانَ وغيرَهن من الغلمان ، ويساعدُهم .

وإيّاه يعني أَبو العتاهية بقوله : [من الهزج]

لقــد أَمسَى القراطِيسي رئيساً في الكَشاخين[1]

[وجهه في المرآة]

وفي هذه الأبيات التي فيها الغناء يقول القراطيسيّ : [من السريع]

وقــد أَتــاني خبــرٌ ساءَني مقالهــا في السرِّ واسَوْأَتــاهْ
أَمثــلَ هــذا يبتغــي وصلَنا أَما يَرى ذا وجهَــه في المِراهْ

[وجه أبي العتاهية أيضاً]

أَخبرني ابنُ عمَّار عن ابن مَهرُويه ، عن عليّ بنِ عمران ، قال : قال القَراطيسيّ : قلت للعبّاس [بن الأحنف] : هل قلتَ في معنى قولي :

وقــد أَتــاني خبــرٌ ساءَني مقالهــا في السرِّ : واسوأَتاه

قال : نعمْ ، وأَنشدَني : [من السريع]

جاريــة أَعجبَهــا حسنُهــا فمثلُهــا في النّــاس لم يُخْلَقِ
خبَّرتُهــا أنِّي مُحِــبٌّ لهــا فأَقبلــتْ تضحكُ من منطقي
والتفتــتْ نحــو فتــاةٍ لهــا كالرشأ الوَسنانِ في قُــرطُقِ[2]

---

1 الكشاخين : جمع كشخان وهو الديوث .

2 قرطق : القباء .

قالت لهـا : قُولي لهذا الفَتى انظرْ إلى وجهكَ ثـم اعشَقِ

[يهجو الفضل]

أُخبرني الحسنُ بن مَهرُويه ، قال . حدَّثني أَحمد بن بِشر المَرْثديّ ، قال : مدح إسماعيلُ القراطيسيّ الفضلَ بن الربيع ، فحرمَه فقال : [من الهزج]

ألا قـلْ للّذي لم يَهـد ه اللهُ إلى نفــع
لئن أخطأتُ في مدحيـ ـكَ ما أخطأتَ في منعي
لقد أُحلَلْتُ حاجاتـي بـوادٍ غيـر ذي زَرْعِ

[بيته منتدى العابثين]

أُخبرني محمدُ بن جعفر النحويّ صهر المبرِّد عن أَبي هفَّان عن الجمّاز ، قال : اجتمع يوماً أَبو نواس وحُسينُ الخليع وأَبو العَتاهية في الحَمّام وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع ؟ فقال القراطيسيّ : [من الهزج]

أَلا قومـوا بأَجمعكم إلى بيـتِ القَراطيسي
لقـد هيَّـا لنا النَّزْلَ غـلامٌ فـارةٌ طُوسي
وقد هيّـا الزُّجاجاتِ لنا مـن أَرضِ بِلْقيسِ
وألوانـاً مـن الطيْرِ وألوانـاً مـنَ العِيسِ
وقينـاتٍ مـن الحُورِ كأَمثـالِ الطـواويسِ
فنيكوهُـنَّ في ذاكم وفي طاعـة إبليسِ

صوت

[من البسيط]

أَبكي إذا غضبتْ حتى إذا رضيَتْ بكيتُ عند الرضا خوفاً من الغَضَبِ
فالويلُ إن رضِيت والعوْلُ إن غَضِبَتْ إن لَم يتمَّ الرّضا فالقلب في تَعَبِ

الشعر لأَبي العِبَر الهاشميّ ، أَنشَدنِيه الأَخفش وغيرُه من أَصحابنا ، وذكره له محمد بن داود بن الجرّاح ، والغناءُ لعُلَيَّة بنتِ المهديّ ثاني ثقيل بالوسطى عن الهِشاميّ .

[519] ـ أخبار أبي العبر ونسبه

[نسبه]

هو أَبو العبّاس محمد بنُ أَحمد ، ويلقب حمدوناً الحامض بن عبد الله بن عبد الصَّمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان صالح الشعر مطبوعاً يقول الشعرَ المستوِي في أوّل عمره منذ أيّام الأَمين وهو غلام ، إلى أَن وليَ المتوكّل الخلافة ، فترك الجِدّ ، وعاد إلى الحُمق والشهرة به ، وقد نيَّف على الخمسين ، ورأَى أَنّ شعره مع توسّطه لا ينفقُ مع مشاهدته أَبا تمّام الطائيّ والبحتريّ وأَبا السمط بن أَبي حفصة ونظراءهم .

[شاعر هازل]

حدَّثني عمّ أَبي عبد العزيز بن أَحمد ، قال : سمعت حمدون الحامض يذكر أَن ابنه أَبا العِبَر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، قال : وعُمِّر إلى خلافة المتوكّل ، وكسب بالحُمق أَضعافَ ما كسبه كلُّ شاعر كان في عصره بالجِدّ ، ونَفَقَ نَفاقاً عظيماً ، وكسب في أَيّام المتوكّل مالاً جليلاً ، وله فيه أَشعارٌ حميدة ، يمدحه بها ، ويصف قصرَه وبرجَ الحمام والبِرْكة كثيرة المحال ، مُفرِطة السقوط ، لا معنى لذكرها ، سيما وقد شهرت في النّاس .

فحدَّثني محمد بن أَبي الأَزهر ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بكَّار ، قال : قال لي عمِّي : ويحك ! أَلا يأنف الخليفة لابن عمّه هذا الجاهل ممّا قد شهَّر به نفسه وفضحَ عشيرته ! والله إنّه لَيَعُرُّ بني آدم جميعاً ، فضلاً عن أَهله والأَدنَيْن ! أَفلا يردَعُه ويمنعه من سوء اختياره !

فقلت : إنّه ليس بجاهل كما تعتقد ، وإنّما يتجاهل ، وإن له لأَدباً صالحاً وشعراً طيِّباً ، ثم أَنشدتُه : [من المديد]

لا أَقــول اللهُ يَظلِمنــي كيف أَشكو غيرَ مُتَّهمِ
وإذا ما الدَّهرُ ضَعْضعني لم تجِدْني كافــرَ النِّعمِ
قنَعتْ نفسي بما رُزِقَتْ وتناهَتْ في العلا هِمَمي

لَيس لي مالٌ سوى كرَمي وبــه أمْنــي مــن العَدَمِ

فقال لي : ويْحكَ ! فلم لا يلزَمُ هذا وشبهه ؟ فقلت له : والله يا عمّ لو رأيتَ ما يصل إليه بهذه الحماقات لعذرتَه ، فإن ما استملحتَ له لم يَنفُق به ، فقال عمِّي ، وقد غضِب ، أنا لا أعذره في هذا ولو حازَ به الدُّنيا بأسرها ، لا عذرني اللهُ إن عذرتُه إذَن !

[الهزل ينفق]

وحدَّثني مُدرِك بن محمد الشيبانيّ ، قال : حدَّثني أبو العَنْبَس الصّيمريّ ، قال : قلتُ لأبي العِبَر ونحن في دار المتوكّل : ويحك ! أيش يحملُك على هذا السُّخف الذي قد ملأتَ به الأرض خُطباً وشعراً وأنت أديب ظَريف مليحُ الشعر ؟ فقال لي : يا كشخانُ ، أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت ؟ أنت أيضاً شاعر فَهِمٌ متكلِّم فلِمَ تركتَ العِلمَ ، وصنعت في الرّقاعة نيّفاً وثلاثين كتاباً ، أُحبُّ أن تخبرني لو نفق العقلُ أكنتَ تُقدِم على البُحتريّ ، وقد قال في الخليفة بالأمس : [من مجزوء الكامل]

عـن أي ثَغـرٍ تبْتسم وبأيّ طَـرف تَحْتكمْ

فلمّا خرجتَ أنتَ عليه وقلت : [من مجزوء الكامل]

في أيّ سَلْـح تَرتطِمْ وبـأيّ كـفّ تلتطمْ
أدخلتَ رأسَكَ في الرَّحِم وعلمتَ أنّـك تَنْهزِمْ

فأُعطِيتَ الجائزة وحُرِم ، وقُرِّبتَ وأُبعد ، في حِرِ أُمّكَ وحِرِ أُمّ كلّ عاقل معك ! فتركتُه ، وانصرفْتُ .

[لا خير في الشعر الفاتر]

قال مدركُ : ثم قال لي أبو العَنْبَس : قد بلغني أنّك تقول الشعر ، فإن قدرتَ أن تقوله جيّداً ، جيّداً ؟ وإلاّ فليكن بارداً ، بارداً ، مثلَ شعر أبي العِبَر وإيّاك والفاتر فإنّه صفعٌ كلُّه .

[مذهبان متناقضان]

حدَّثني جعفر بن قُدامــة ، قــال : حدَّثنــي أبو العينـاء ، قــال : أنشدتُ أبا العِبـر : [من مجزوء الكامل]

مـا الحـبُّ إلاّ قُبلَة أو غمزُ كفٍّ وعَضُدْ
أو كُتبٌ فيهـا رُقىً أنفذُ مـن نَفْث العُقَدْ

مَن لم يكـن ذا حُبِّه فإنّمـا يبغِـي الوَلَدْ
ما الحـبُّ إلاّ هكذا إن نُكِح الحبُّ فسَدْ

فقال لي : كذب المأبونُ : وأكل من خَراي رِطلين ورُبعاً بالميزان ، فقد أخطأ وأساء ، ألا قال كما قلتُ : [من الهزج]

باضَ الحـبُّ في قلْبي فواويـلي إذا فَـرَّخْ
ومـا ينفعُني حُبِّـي إذا لم أكنس البربَخْ
وإن لم يطرحْ الأصلَـعُ خُرجيه عَلى المَطْبَخْ

ثم قال : كيف ترى ؟ قلتُ : عجباً من العَجب ، قال : ظننت أنّك تقول : لا ، فأبلُّ يدي وأرفعها . ثم سكت ، فبادرتُ ، وانصرفتُ خوفاً من شرِّه .

[يُملي على من معه]

حدَّثني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي ، قال : كان أبو العِبر يجلس بسُرَّ مَن رأى في مجلس يجتمع عليه فيه المُجّان يكتبون عنه ، فكان يجلس على سُلَّم وبين يديه بلاّعة فيها ماء ، وحَمْأة ، وقد سُدَّ مَجراها ، وبين يديه قصبةٌ طويلة ، وعلى رأسه خُفٌّ ، وفي رجليه قَلَنْسِيّتان ، ومُستمليه في جوف بِئر ، وحوله ثلاثةُ نفرٍ يدُقُّون بالهواوين ، حتى تكثر الجَلَبَةُ ، ويقلّ السماع ، ويَصيح مُستمليه من جوف البئر من يكتب[1] ، عذَّبك الله ، ثم يملي عليهم ، فإن ضحك أحد ممّن حضر قاموا فصبُّوا على رأسه من ماء البلاّعة إن كان وضيعاً ، وإن كان ذا مُروءة رشَّشَ عليه بالقصبةِ من مائها ، ثم يحبس في الكنيف إلى أن ينفضَّ المجلسُ ، ولا يخرج منه حتى يغرم دِرْهمين . قال : وكانت كنيتُه أبا العبّاس ، فصيرها أبا العِبر ، ثم كان يزيد فيها في كلّ سنة حرفاً ، حتى مات ، وهي أبو العِبر طرد طيل طليري بك بك بك .

[أبوه يحلف ألاّ يكلمه أبداً]

حدَّثني جحظةُ ، قال : رأيت أبا العبر بسُرّ مَن رأى ، وكان أبوه شيخاً صالحاً ، وكان لا يكلِّمُه ، فقال له بعض إخوانه : لم هجرتَ ابنك ؟ قال : فضحني ، كما تعلمون ، بما يفعلُه بنفسه ، ثم لا يرضى بذلك ، حتى يُهَجِّنَني ويُؤْذيني ، ويُضحك الناسَ منّي ، فقالوا له : وأيّ

1 ل : نمميت .

شيء من ذاك ؟ وبماذا هجَّنك ؟ قال : اجتاز عليّ منذ أيّام ومعه سُلَّم ، فقلت له : ولأيّ شيء هذا معك ؟ فقال : لا أقول لك ، فأخجلني ، وأضحك بي كلّ مَن كان عندي ، فلمّا أن كان بعد أيّام اجتاز بي ومعه سَمَكة ، فقلت له : إيش تعمل بهذه ؟ فقال : أُنيكُها ، فحلفتُ لا أُكلِّمه أبداً .

[مذهبه في الكتابة]

أخبرني عمّ أبي عبد العزيز ، قال : سمعتُ رجلاً سأل أبا العِبَر عن هذه المُحالات التي لا يُتكلّم بها : أيُّ شيء أصلها ؟ قال : أُبكِّر ، فأجلِسُ على الجسر ، ومعي دواة ودَرْج ، فأكتب كلَّ شيء أسمعُه من كلام الذاهب والجائي والملاّحين والمُكارين ، حتى أملأ الدَّرج من الوجْهين ، ثم أقطعه عَرضاً وطولاً وألصقه مخالفاً ، فيجيء منه كلام ليس في الدُّنيا أحمقُ منه .

[مذهبه في الصيد]

أخبرني عمّي ، قال : رأيت أبا العِبَر واقفاً على بعض آجام سُرّ مَن رأى ، وبيده اليسرى قوس جُلاهق[1] ، وعلى يده اليمنى باشق ، وعلى رأسه قطعة رِئة في حبل مشدود بأنشوطَة ، وهو عُريان ، في أيرِه شعر مفتول مشدود فيه شِصّ قد ألقاه في الماء للسَّمك ، وعلى شفته دُوشاب[2] مُلطَّخ ، فقلت له : خَرِب بيتُك ، أيش هذا العمل ؟ فقال : أصطادُ يا كَشخان يا أحمقُ بجميع جوارحي ، إذا مرَّ بي طائر رميته عن القوس ، وإن سقط قريباً منّي أرسلتُ إليه الباشَق ، والرئة التي على رأسي يجيء الحِدأ ليأخذها فيقع في الوَهَق[3] والدُّوشاب أصطاد به الذُّبابَ ، وأجعله في الشِّص ، فيطلبه السمك ، ويقع فيه ، والشصّ في أيري ، فإذا مرّتْ به السمكة أحسستُ بها ، فأخرجتُها .

[عبث]

قال : وكان المتوكّل يَرمي به في المَنْجَنيق إلى الماء ، وعليه قميصُ حرير ، فإذا علا في الهواء صاح : الطريقَ الطريقَ ، ثم يقع في الماء ، فتخرجه السُّبَّاح ، قال : وكان المتوكّل يُجلسه على الزّلاّقة ، فينحدرُ فيها ، حتى يقع في البِركة ، ثم يطرح الشبكة ، فيُخرجه كما يُخرج السمك ،

1 الجلاهق : بندق يرمى به .
2 دوشاب : عصير عنب .
3 الوهق : حبل يرمى به في أنشوطة للدابة ، مفرد أوهاق .

ففي ذلك يقول في بعض حماقاته : [من مجزوء الرجز]

ويأمـــر بـــي المَلِـــكْ فيطرحُنـــي في البِـرَكْ
ويصطـــادُني بالشّبـــكْ كأنِّـــي مـــن السَّمـــكْ
ويضحك كك كك ككك ككك كك ككك كك ككك

[عبثه مع إسحاق]

وحدَّثني جعفر بن قدامة ، قال : قدم أبو العِبرَ بغداد في أيّام المستعين ، وجلس للناس ، فبعث إسحاقُ بن إبراهيم ، فأخذه ، وحبسه ، فصاح في الحبْس ، لي نصيحة ، فأُخرِج ، ودعا به إسحاق ، فقال : هات نصيحتَك ، قال : على أن تؤمِّنني ؟ قال : نَعَم ، قال : الكَشْكية ، أَصلحك الله ، لا تَطيب إلاّ بالكشك ، فضحك إسحاق وقال : هو ، فيما أُرى ، مجنون ، قال : لا ، هو أمتخط حوت ، قال : أيش هو أُمتخط حوت ؟ ففهم ما قاله ، وتبسّم ثم قال : أظنُّ أنِّي فيك مأثوم ، قال : لا ، ولكنّك في ماء بَصل ، فقال : أُخرجوه عني إلى لعنة الله ، ولا يقيم ببغداد ، فأردَّه إلى الحبس ، فعاد إلى سُرَّ مَن رأى .

[من شعره في غلام]

وله أشعار مِلاح في الجِدّ ، منها ما أُنشدَنيه الأخفش له يخاطب غلاماً أمردَ : [من الخفيف]

أيّها الأمــردُ المولّــع بالهجـ ـــر أفِق ما كذا سبيلُ الرشادِ
فكأنّي بحُسن وجهكَ قـد أُلـ ـبس في عارضَيْك ثوبَ حِدادِ
وكأنّي بعاشِقيك وقــد بُدّلْ ـتَ فيهـم مـن خُلطة بِبِعادِ
حين تنبو العيونُ عنكَ كما ينقبـ ـضُ السّمعُ عن حديثٍ مُعادِ
فاغتنم قبـل أن تصيرَ إلى كا نَ وتُضحي في جُملة الأَضْدادِ

وأنشدني محمد بن داود بن الجرّاح له ، وفيه رَمَلٌ طُنبوريّ محدَث أَظنُّه لجحظةَ .

[من غزله المستملح]

صوت

[من السريع]

داء دفيـنٌ وهـوًى بادي أظْلِـم فَجازيـك بمِرصادِ
يـا واحـدَ الأُمّة في حُسنه أشمتَ بـي صدُّك حُسَّادي

قـد كدتُ ممّا نال منّي الهوى ... أُخْفـى على أعـين عُوَّادي
عبـدُكَ يُحْيـي موتَـه قُبلةٌ ... تجعلهـا خاتمـةَ الـزَّادِ

[الحماقة أنفق]

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويْه، قال: حدَّثني أحمد بن عليٌّ الأنباريّ: قال: كنّا يوماً في مجلس يزيد بن محمد المهلّبيّ بسُرَّ مَن رأى، فجرى ذكر أبي العِبر، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطَه، فقلت ليزيد: كيف كان عندَك، فقد رأيته؟ فقال: ما كان إلاَّ أديباً فاضلاً، ولكنّه رأى الحماقةَ أنفقَ وأنفَعَ له، فتحامق.

[يهجو قاضيين أعورين]

فقلت له: أُنشدُك أبياتاً له أنشدَنيها، فانظر لو أراد دِعبِل، فإنّه أهجى أهل زماننا، أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيدَ على ما قال، قال: أنشِدْنيها، فأنشدته قوله: [من الوافر]

رأيتُ مـن العجائبِ قاضيَيْن ... همـا أُحدوثـةٌ في الخافِقَيْن
هما اقتسما العمى نصفين فَذّاً ... كما اقتسما قضـاءَ الجانِبَيْن
هما فألُ الزّمانِ بِهُلك يَحيى ... إذا افتُتِح القضـاءُ بأعورَيْن[1]
وتحسب منهما مـن هزَّ رأساً ... لينظـرَ في مواريـثٍ ودَيْنِ
كأنّك قـد جعلتَ عليه دَنّـاً ... فتحت بزالَـه مـن فَردِ عَيْنِ[2]

فجعل يضحكُ من قوله، ويعجب منه، ثم كتب الأبيات.

[نصيحة]

أخبرني الحسنُ بن عليٌّ قال: حدَّثنا محمد بن مهرويْه: قال: حدَّثني ابن أبي أحمد، قال: قال لي أبو العِبر: إذا حدَّثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعَه فاشتغل عنه بنَتْف إبطك، حتى يكون هو في عمل وأنتَ في عمل.

[بغضه لعلي قتله]

وقال محمد بن داود: حدَّثني أبو عبد الله الدوادي، قال: كان أبو العِبر شديدَ البغضِ لعليّ بن أبي طالب، صلوات الله عليه، وله في العلويين هجاءٌ قبيح، وكان سببَ ميتته

---

1 الأعوران: حيان بن بشر وسوار بن عبد الله.
2 البِزال: موضع ثقب الدف.

أنّه خرج إلى الكوفة ليرمِيَ بالبُنْدق مع الرماة من أُهلها في آجامهم ، فسمِعه بعض الكوفيين يقول في عليّ ، صلوات الله عليه ، قولاً قبيحاً استحلّ به دمَه ، فقتله في بعض الآجام ، وغرّقه فيها .

صوت

[من الطويل]

لقــد طــال عهــدي بالإمام محمدٍ وما كنت أُخشى أَن يَطولَ به عهدي
فأَصبحتُ ذا بُعْــدٍ وداري قريبـةٌ فواعجبا من قُرب داري ومن بُعدي
فيا ليــت أَنّ العِيــدَ لي عــادَ مـرّةً فإنّي رأَيت العِيــدَ وجهَك لي يُبْدِي
رأَيتُــك في بُــرْدِ النبــيّ محمــد كبدر الدُّجـى بـين العِمامة والبُردِ

الشعر لمروان بن أبي حفصة الأصغر ، والغناء لبنان خفيف رمل بالبنصر .

[520] ـ أَخبار مروان بن أَبي حفصة الأَصغر

[كنيته]

هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأَكبر بن أَبي حفصة . قد تقدَّم خبره ونسبه ، ويكنى مروان الأَصغر أَبا السّمط ، وكان يتشبّه بجدّه في شِعره .

[كان يتقرّب إلى المتوكّل بهجاء آل أَبي طالب]

ويمدح المتوكّل ، ويتقرّبُ إليه بهجاء آل أَبي طالب ، فتمكَّن منه وقَرُب إليه ، وكسب معه مالاً كثيراً ، فلمّا أُفضت الخلافة إلى المنتصر تجنّب مذهبَ أَبيه في كلّ أَمر ، فطرده وحلف أَلاّ يدخل إليه أَبداً لِما كان يسمعه منه في أَمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه .

فأَخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وعَمِّي قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم العَبديّ قال : دخل مروان بن أَبي الجنوب على المتوكّل فأَنشده قوله : [من الطويل]

سلام على جُملٍ وهيهات من جُملِ ... ويا حَبَّذا جُملٌ وإن صرمت حَبْلي

وهي من مشهور شعره ، وفيها يقول :

أَبوكم عــليٌّ كان أَفضــلَ منكــمُ ... أَباه ذوو الشورى وكانوا ذَوِي عَدْلِ
وساءَ رسولَ الله إذ ساءَ بِنتَــه ... بخِطْبته بنــتَ اللعيـنِ أَبي جهلِ
أَراد عَلى بنـت النبــيّ تزوُّجـاً ... ببنت عدوّ الله ، يا لك من فِعْلِ
فذمّ رسولُ الله صِهـرَ أَبيكــمُ ... على منبرٍ الإسلام بالمنطق الفَصلِ
وحكّم فيهــا حاكمَيْن أَبوكُــمُ ... هما خلعاه خلعَ ذي النَّعل للنَّعلِ
وقد باعها مـن بعده الحسنُ ابنُه ... فقد أَبطلا دعواكما الرَّثّـةَ الحبلِ
وخلَّيتُموها وهْــيَ في غير أَهلها ... وطالبتُمُوها حيث صارتْ إلى الأَهلِ

فوهب له المتوكّل مائة أَلف درهم .

وقال محمد بن داود بن الجَرَّاح : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني أبو هاشم الجُبَّائيُّ ، قال : دخل أبو السِّمط على المتوكّل فأنشده قوله : [من مجزوء الكامل]

الصّهرُ ليس بــوارثٍ والبنتُ لا ترِثُ الإمامَهْ
لــو كان حقّكـمُ لهمْ قامت على النّاس القيامَهْ
أُصبحت بـين مُحبّكمْ والمبغِضين لكـم عَلامَهْ

فَحشا المتوكّل فمه بجوهر لا يُدْرى ما قيمته .

وحدَّثني أحمدُ بنُ جعفر جَحْظة قال : أنشد أبو السَّمط المتوكّل قوله : [من الكامل]

إنِّــي نَزلــتُ بساحة المتوكّلِ ونزلتُ في أقصى دِيارِ المَوْصِلِ

فقال الفتح بن خاقان : فإذا كانا متباعدين هكذا فمن كان الرسول ؟

[أبو العَنْبَس ينقد شعره]

فقال أبو العَنْبس الصَّيْمريّ : كانت له طيورٌ هُدًّى[1] تحمل إليه كتبه ، فضحك المتوكّل حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصَّيْمريّ ولم يعط أبا السّمط شيئاً ، فماتا متهاجرين .

[مدح المتوكّل وولاة عهده]

أخبرني عمِّي والحسن بن علي قالا : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا حمّاد بن أحمد البتيّ قال : أخبرني أبو السّمط مروان بن أبي الجنوب قال : لمّا صرتُ إلى المتوكّل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة ، وأنشدته ذلك في قولي : [من الطويل]

سقى الله نجداً والسَّلامُ على نجدِ ويا حبّذا نجدٌ على النَّـأي والبعدِ
نظرتُ إلى نجـدٍ وبغـدادُ دونها لعلّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ
بلادٌ بهـا قـوم هَواهُمْ زِيارتي ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي

فلمّا استَتْممتُها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه .

[بين المتوكل وخالد بن يزيد الكاتب]

أخبرني عليّ بن أبي العبّاس بن أبي طلحة قال : حدَّثني إبراهيم بن محمد أبو إسحاق قال : حدَّثني خالد بن يزيد الكاتب قال : دعاني المتوكّل ليلة وقد غنّى بين يديه عمر الطنبوريّ في

1 الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرب على السفر من مكان إلى مكان .

قولي : [من مجزوء الكامل]

يــا مقلتيّ قتلتماني فبقيتُ رحمةَ مَنْ يراني
مَـنْ ذا ألـوم وأنتما بيَدِ الهـوى أسلمتُماني

قال : ولم يغنّه البيت الثالث ، وهو :

لعبت بنـا أيدي الخطو ب وغالنا رَيبُ الزمانِ

كراهةَ أن يَتطيَّر منه ، فجعل ينظر إليَّ وأنا واقف ، ثم قال لي : ويلك يا خالد ، تهرب منّا ونحنُ نطلبك ، وأنت في غياباتِ صبواتك وغَزلك . يا غلام اسقِه ثلاثة أقداح في القدح المُبْرم ، وهو الذي لا قرار له ، فإذا أخذه الإنسان لم يقدر أن يضعه مِنْ يَدِه ، فقلت : [من مجزوء الرمل]

سيِّــدي لا تَسْقنــي أكثر مِـن رِطْـل نبيذِ
إنَّ شُرْبــي للَّــذي يؤلمنـــي غير لذيــذِ

فقال : يا غلام ، إن لم يشرب فاصفعْه ، فقلت : [من مجزوء الرمل]

سيِّــدي حوصَلتي ضَيْـ ــيقَةٌ عــن شربِ رطلِ
فمتــى زدتُ عليــه خفت أن يذهب عقلي

فقال الفتح : هو كما قال يا سيِّدي لا يُطيق الشرْب .

وحضر ابن أبي حفصة ، فقال لنا المتوكّل ، قولا على البديهة ، فقلت له : هو يا سيِّدي شيخ الشعراء ومادحُك ، وآباؤه مُدَّاح آبائك ، فأنشأ يقول : [من المجتث]

يا ليت [لي] ألفَ عينٍ عينــاي لا تكفيــانِ

فقلت له : سَخُنت عينك ، أنا لي عين واحدة أدعو الله عليها بالعمى منذ ستّين سنة ، أقول : [من مجزوء الكامل]

يــا عـين أنت بليتني فأراحني الرحمـن منكِ

وأنت تتمنّى ألفَ عين . ثم قال لي المتوكّل : اهجُه ، فقلت : إنّ الرجل لم يعرِض لي ، فأقبل هو عليَّ وقال : قُل ما شئتَ ، وما عسى أن تقول ؟ فقلت : [من الهزج]

زاد البَـردُ يومـــين فقال الناس : ما القصَّةْ

فقلنـــا : أُنشدونـا شعـــ ـــر مروان بن أَبي حفصَهْ
فتـى مــن شهوة النَّيْكِ بحلقــوم استِـــه غصَّهْ
ولــو يُرْمــى بِبَطِّيــخٍ لوافـــى دُبْـــرَهُ رَصَّهْ

قال : فضحك المتوكّل حتى صفّق برجليه الأرض ، وأفحم مروان ، ثم أَمر لي بجائزة فأَخذْتُها وانصرفت .

[يستدعيه المتوكّل من اليمامة]

قال ابن أَبي طاهر : حدَّثني مروان بن أَبي الجنُوب قال : لمّا استُخْلِف المتوكِّل بعثْتُ إلى ابن أَبي دُواد بقصيدة مدحتُه فيها وذكرتُ فيها ابن الزيّات ببيتين وهما : [من الطويل]

وقيــلَ لي : الزياتُ لاقى حِمامَه فقلــت : أَتاني اللهُ بالفَتْح والنصْرِ
لقـــد حفر الزيّاتُ بالبغي حُفرة فألقاه فيهـــا اللهُ بالكفر والغَدْرِ

قال : فذكرني ابن أَبي دُواد للمتوكّل ، فأَمر بإحضاري ، فقيل له : نفاه الواثق إلى اليمامة ، وذلك لميله إليك . فقال : يُحْمل ، فقال له ابنُ أَبي دُواد : عليه ستّة آلاف دينار دَيْن ، فقال : يكتب له بها إلى عامل اليمامة ، فكتب لي بها وبالحُملان والمعُونة ، فقدمت عليه وأنشدتُه قولي : [من الكامل]

صوت

رحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ والشيبُ حَــلَّ وليتَه لم يَحْلُلِ

فلمّا بلغتُ إلى هذا البيت :

كانت خلافــةُ جعفــر كنبوّةٍ جاءت بلا طَلَبٍ ولا بتمَحُّلِ
وهبَ الإلهُ لكَ الخلافة مثلَ ما وهـــب النبـــوّة للنبيِّ المُرسَلِ

فأَمر لي بخمسين أَلف درهم .

وفي أَوّل هذه القصيدة لعريب ثاني ثقيل بالوسطى .

والصوت المذكور في أوّل هذه الأخبار من قصيدة قالها أَبو السّمط في المنتصر لمّا ولي الخلافة .

[يستأذن على المنتصر فلا يؤذن له]

أَخبرني بخبره فيها جماعة من أَصحابنا ، منهم محمد بن جعفر النحويّ صِهْر المبرِّد ،

والحسن بن عليّ قالا : حدَّثنا محمد بن موسى قال : حدَّثني القاسم بن محمد الكاتب قال : حدَّثني المرزيان بن الفَروران حاجب المنتصر قال : إنّ مروان بن أبي حفصة الأصغر المكنى أبا السّمط استأذن على المنتصر لمّا ولي الخلافة ، فقال : والله لا أذنت للكافر ابن الزّانية ، أليس هو القائل : [من الطويل]

وحكَّم فيها حاكمين أبوكُمُ ... هما خَلَعاه خلْع ذي النَّعْلِ للنَّعْلِ

قولوا له : والله لا وصلتَ إليَّ أبداً ، فلمّا بلغه هذا القول عَمِل هذا الشِّعر : [من الطويل]

لقد طال عهدي بالإمام محمد ... وما كنتُ أخْشى أن يطول به عَهْدي

وذكر الأبيات كلّها .

قال : وسأل بنانَ بن عمرو ، فصنع فيه لحناً وغنَّى به المنتصر ، فلمّا سمعه سأل عن قائلها ، فأخبرتُه ، فقال : أما الوصول إليَّ فلا سبيل إليه ، ولكن أعطوه عشرة آلاف درهم يتحمل بها إلى اليمامة .

[حرّضه المتوكّل على علي بن الجهم فأعنته وهجاه]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدَّثني جعفر بن هارون بن زياد قال : حدَّثني أحمد بن الفضل الكاتب قال : لمّا قال عليّ بن الجهم هذه القصيدة في المتوكّل : [من الخفيف]

اغْتَنِمْ جِدَّة الزَّمان الجديدِ ... واجعل المهرجان أيمنَ عِيدِ

أنشدها وأبو السمط بن أبي حفصة حاضر ، فغمزه المتوكّل على عَليّ بن الجَهْم وأمَرَه أن يُعْنِتَه . فقال له : يا عليّ ، أخبرني عن قولك :

واجعل المهرجان أيمن عيد

المهرجان عيد أمْ يومُ لهو ، إنّما العيد ما تَعَبَّد اللهُ به الناس مثل الفطر والأضحى والجمعة وأيّام التشريق . فأمّا المهرجان والنيروز فإنّما هما أعياد المجوس ، لا يجوز أن يقال لخليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته : اجعل المهرجان عيداً .

فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله : [من الخفيف]

نحن أشياعكمْ من آل خراسا ... ن أُولو قُوّة وبأسٍ شديدِ

نحن أبناء هـذه الخِرَق السُّو ... دِ وأهـل التَّشيُّـع المَحْمُودِ

فقال له مروان: لو كنتم من أهل التَّشيّع المحمود ما قَتَل قحطبةُ جدَّك وصَلَبه في عداوة بني العبّاس. فقال له المتوكّل: ويلك، أقتل قحطبةُ جدَّك؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين. فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر، فقال له: بحياتي الأمرُ كما قال مروان؟ فقال له محمد: وإن كان كما قال، فأيُّ ذنب لعليٍّ بن الجهم؟ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم. فضحك المتوكّل وقال: شهدتَ والله بها عليه، فقال مروان في ذلك: [من الرمل]

غَضِب ابنُ الجَهْم من قولي له ... إنّ في الحـقّ لِقَـوْمٍ مَغْضَبَهْ
يا ابنَ جهمٍ كيف تهوى مَعْشراً ... صلبوا جَدّك فـوق الخشبَهْ
يا إمـام العدل نصحي لكمُ ... نُصحُ حَـقّ غير نُصح الكَذَبَهْ
إن جدِّي مـن رفعتم ذِكْرَه ... بكرامـاتٍ لشكري مُوجِبَهْ
وابنُ جهـم مَـن قتلتم جَدَّه ... وتولَّـى ذاك منـه قَحْطَبَهْ
فخراسانُ رأتْ شِيعَتُكُـمْ ... أنَّـه أهـلٌ لضرب الرّقبَهْ
أتُراه بعدهـا ينصحكـمْ ... لا وربٌ الكعبـةِ المحتجبَهْ

[هجا علي بن الجهم فلم يجبه]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال: حدَّثني جعفر بن هارون قال: حدَّثني أحمد بن حمدون بن إسماعيل قال: بلغ المتوكّلَ أنّ عليّ بن الجهم خطب امرأةً من قريش فلم يزوِّجوه، فسأل عن السبب في ذلك وعن قصّته، وعن نسب سامَةَ بن لؤي، فحُدِّث بها، ثم انتهى حديثُهم بأنّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يدخلاهم في قريش، وأنّ عثمان رضي الله عنه أدخلهم فيه، وأنّ عليّاً رضي الله عنه أخرجهم منه، فارتدُّوا مع الحارث، وأنّه قتل مَن ارتدَّ منهم، وسبى بقيتهم، وباعهم من مَصْقَلة بن هبيرة، فضحك المتوكّل، وبعث إلى عليّ بن الجهم فأخبره بما قال القوم فأنكر ذلك وقال. هذه الدعوى من الرافضة، وشتم القوم. وكان منهم أبو السَّمط فقال له: [من المديد]

إنَّ جَهْماً حـين تنسبه ... ليس من عُجْمٍ ولا عَرَبِ
لجَّ في شتمي بلا سَبَبٍ ... سارقٌ للشِّعر والنَّسبِ

مـن أنـاسٍ يدَّعون أبا ماله في الأرض من عقبِ

فغضب عليّ بن الجهم ولم يجبه ؛ لأنّه كان يحتقره ويَسْتَرِكُّه[1] ، وأومأ إليه المتوكّل أن يزيده فقال : [من الوافر]

أأنتم من قريش يا ابن جَهْم وقـد باعوكُمُ في مَنْ يزيدُ
أترجو أن تكاثرنـا جِهاراً بنسبتكم وقد بِيع الجدودُ

قال : وما زال مروان يهجو عليّ بن الجهم فما أجابه عن شيء من شعره أنفة منه .

[مدح ابن أبي دواد]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدّثنا إسحاقُ بن محمد النخعيّ قال : حدّثني الجمّاز أبو عبد الله قال : دخل مروان الأصغَر على أحمد بن أبي دواد وقد أصابه الفالج وتَماثَل قليلاً ، فأنشده : [من البسيط]

لسانُ أحمـدَ سيفٌ مَسَّه طَبَـعٌ مـن عِلَّـةٍ فجلاه عنـه جاليها[2]
ما ضرَّ أحمدَ باقـي عِلَّةٍ دَرَسَتْ واللهُ يُذْهِـبُ عنـه رسْم باقيها
قد كان موسى على عِلاّت منطقه رسائـلُ الله إذ جـاءت يُؤدِّيها
موسى بن عمران لم يَنْقص نبوَّتـه ضعفُ اللسانِ وقِدْماً كان يُمضِيها

فوصله أحمد رحمه الله تعالى واعتذر إليه .

[رثى ذا اليمينين]

أخبرني عمّي قال : حدّثني مُتوِّج قال : قال أبو السمط : دخلت على عبد الله بن طاهر فقال : إنّي تذكّرت في ليلتي هذه ذا اليمينين ، فبتّ أرقاً حزيناً باكِياً ، فارْثِهِ في مقامِك هذا بأبيات تجعل لي طريقاً إلى شفاء عِلّتي ولك حُكمُك ، فَفكّرت هنيهة ثم قلت : [من الكامل]

إنّ المكارم إذ تولَّـى طاهرٌ قطَع الزمانُ يمينَهـا وشِمالَها
لو كافحتْه يـدُ المنون مُجاهراً لاقـت لوقع سيوفـه آجالَها

---

1 يستركه : يستضعفه .

2 الطّبع : الدنس وغيره وللسيف الصدأ .

أَرْسى عِمادَ خليفةٍ في هاشم ورمـى عمادَ خلافـة فأزالها
بكت الأَعِنّةُ والأَسِنَّة طاهـراً ولطالما روّى النَّجيـعُ نِهالَها
ليتَ المنون تجانبت عن طاهرٍ ولوت بذِرْوَة مَن تشاءُ حِبالها
ما كنت لو سَلِمَتْ يمينا طاهرٍ أَدري ولا أَسلُ الحوادث مالها

فقال : أَحسنت والله فاحتكِم ، فقلت له : خمسون أَلف درهم أقضي منها ديناً ، وأَصلح حالي ، وأَبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي . فأَمر لي بها وقال : ربحنا وخسرت ، ولو لم تحتكم لزدتك ، ولك عندنا عَدٌّ وعَدٌّ بعد عَدٍّ .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لا تلمْنـــيَ أَن أَجْزعا سَيِّـــدي قـــد تمنّعا
وا بلائـــي إن كانَ ما بيننــا قـــد تَقَطَّعا
إنَّ مُـوسى بِفَضْلـــه جمَّـع الفضْلَ أَجمَعا

الشعر ليوسف بن الصَّيْقل والغناء لإبراهيم خفيف رَمَل بالبِنْصَر .

[521] ـ أخبار يوسف بن الحجّاج ونسبه

[نسبه]

هو يوسفُ بن الحجَّاج الصَّيقل ، يقال : إنّه من ثَقيف ، ويقال : إنّه مولًى لهم ، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح أنّه كان يلقب لَقوة[1] وأنّه كان يصحَب أبا نواس ، ويأخذ عنه ، ويروي له ، وأبوه الحجَّاج بن يوسف محدث ثقة ، وروى عنه جماعة من شيوخِنا ، منهم ابن منيع ، والحسن بن الطيب الشجاع ، وابن عفير الأنصاريّ ، وكان يوسف بن الصيقل كاتباً ، ومولده ومنشؤه بالكوفة .

[قصة هذا الصوت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ ، عن ابن شَبَّة ، قال : قال أحمدُ بنُ صالح الهِشاميّ : قال لنا يوسف بنُ الصَّيقل يوماً ، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها ، فقال : صنع اللهُ لكم ، ثم أقبل على إبراهيم الموصليّ ، فقال له : كنّا نهزِل ، فنأخذ الرغائبَ ، وهؤلاء المساكينُ الآن يَجدُّون ، فلا يُعطونَ شيئاً ، ثم قال لإبراهيم : أتذكر ونحن بجُرجان مع موسى الهادي ، وقد شرب على مستشرف عالٍ جدّاً وأنت تُغَنِّيه هذا الصوت : [من مجزوء الخفيف]

واستدارت رحالُهم بالرُّدَينيِّ شُرَّعا

فقال : هذا لحن مليح ، ولكنّي أريد له شعراً غير هذا ، فإن هذا شعر بارد ، والتفت إليَّ فقال : اصنع في هذا الوزن شعراً ، فقلتُ : [من مجزوء الخفيف]

لا تلمنيَ أن أجزعا سيِّدي قد تمنّعا

فغَنَّيتُه فيه بذلك اللحن ، ومرَّت به إبل يُنقَل عليها ، فقال أوقِروها لهما مالا ، فأُوقِرَتْ مالاً وحُمِل إلينا ، فاقتسمناه ، فقال إبراهيم : نعم ، وأصاب كلَّ واحد منّا ستّينَ ألفَ درهم .

1 اللقوة : داء يعوج منه الوجه . ومن معانيها لعُقاب أيضاً .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه

صوت

[من مجزوء الخفيف]

فـارسٌ يضرِب الكتـ ـيبةَ حتّـى تصـدَّعا
في الوغى حينَ لا يَرى صاحبُ القوسِ مَنزعا
واستـدارتْ رحالُهـمْ بالرُّدَيـنـيِّ شُرَّعـا
ثـم ثـارتْ عَجاجَةٌ تحتَهـا المـوتُ مُنْقعـا

في هذه الأبيات رَمَل ينسب إلى ابن سُرَيج وإلى سِياط ، وفيه لابن جامع خفيف رَمَل بالبنصر .

[الهادي أم الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن محمد بن عبد الله العَبْديّ ، فذكر مثل هذه القصّة إلاّ أنّه حكى أنّها كانت بالرقّة ، لا بجُرجان ، وأنّ الرشيد كان صاحبَها لا موسى .

[يفاجىء الرشيد بمدحه فيجيزه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ العَنَزيّ ، عن محمد بن يونس الربيعيّ ، قال : حدَّثني أبو سعيد الجنديسابوريّ ، قال : لمّا ورد الرشيد الرَّقّة خرج يوسُفُ بن الصيْقل ، وكمن له في نهر جافّ على طريقه ، وكان لهارون خدم صغارٌ يسمِّيهم النّمل يتقدّمونه ، بأيديهم قِسيُّ البندُق ، يرمون بها مَن يعارضه في طريقه ، فلم يتحرّك يوسف ، حتى وافته قُبَّة هارون على ناقة ، فوثب إليه يوسف ، وأقبل الخدمُ الصغارُ يرمونه ، فصاح بهم الرشيد : كُفُّوا عنه ، فكفُّوا ، وصاح به يوسف يقول : [من الهزج]

صوت

أغيثـاً تحمـلُ النـا قـةُ أم تحملُ هرونا
أم الشمسُ أم البدرُ أم الدُّنيـا أم الدِّينا
ألا كلَّ الـذي عدّدْ تُ قد أصبح مَقرونا

على مَفــرِقِ هارون فَــــداه الآدمِيُّــونا

فمدَّ الرشيدُ يدَه إليه ، وقال له : مرحباً بك يا يوسفُ ، كيف كنتَ بعدي ؟ ادْنُ منِّي ، فدَنا ، وأُمر له بفرسٍ ، فركِبه ، وسار إلى جانب قبّته يُنشده ، ويحدّثه ، والرشيد يضحَك ، وكان طيِّبَ الحديث ، ثم أُمر له بمال ، وأُمر بأن يُغَنَّى في الأبيات : الغناء في هذه الأبيات لابن جامع خفيف رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ :

[نواسيّ المذهب]

وقال محمد بن دواد : كان يوسف فاسقاً مُجاهِراً باللّواطِ ، وله فيه أشعار ، فمنها قوله : [من مجزوء الكامل]

لا تَبخلَـنَّ عـلى النديــ ـم برِدْف ذي كَشْحٍ هَضِيمِ
تعلُــو وينظُــر حَسْرةً نَظَـرَ الحمـارِ إلى القَضِيمِ[1]
وإذا فرغْــتَ فــلا تقــم حتـى تُصَــوِّتَ بــالنَّديمِ
فــإذا أُجـابَ فقـلْ هلُـ ـمَّ إلى شهـادةِ ذي الغريمِ
واتبــعْ للذّتــك الهـوى ودعِ الملامــةَ للمُلِيـمِ

قال : وهذا الشعر يقولُه لصديق له رآه قد علا غلاماً له ، فخاطبه به .

ومن مشهور قوله في هذا المعنى :

لا تَنيكَنَّ ما حييتَ غُلامــاً مكابَــرَهْ
لا تمـرَّنَّ باستــه دُون دَفْـعِ المؤامرَهْ
إنّ هذا اللّواطَ دِينٌ تـــراه الأَساورَهْ[2]
وهــمُ فيــه منصِفو ن بحُسنِ المعـاشرَهْ

ومن قوله في هذا المعنى أيضاً هذه الأبيات : [من الرمل]

ضع كذا صدرَك لي يا سيِّدي واتَّخذْ عنــدي إلى الحشر يَدا

---

1 القضيم : شعير الدابة .

2 الأساورة : جمع إسوار وأُسوار من الفرس وهو الفارس المقاتل أو القائد أو جيّد الرمي بالسهام .

إنَّمـا رِدفـك سرْجٌ مُذهَبٌ كُشِفَ البِزْيـونُ عنه فبدا[1]
فأَعِرنيـــه ولا تبخـلْ بـــه ليس يُبليـه رُكوبـي أبـدا
بـل يصفِّيه وَيَجلـوه ولا أثـرٌ تـرآه فيـه أبـدا
فادْنُ يا حِبُّ وطِبْ نفساً به إنّ ذاك الدِّيـنَ تُقضاه غـدا

[لا يحبّ القيان]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدَّثني عُمر بن شبَّة عن أحمد بن صالح الهاشميّ ، قال : هجا يوسف بن الصيقل القِيان ، فقال : [من مجزوء الكامل]

احـذر فديتُك مـا حييـ ـتَ حبائـلَ المتَشاكلاتِ
فلهُـنَّ يُفْلِسْن الفَتـى وكفـى بهـنَّ مُفْلساتِ
وبـل امـرئٍ غِرٌّ تَجيـ ـه رقاعُهـنَّ مُخَتَّماتِ
ورقاعُهُـــنَّ إليهـــمُ بُرقى القِحابِ مُسَطَّراتِ
وعـلى القيـادة رُسْلُهـ ـنَّ إذا بُعِثْـن مدرَّباتِ
يهدمْـنَ أكيـاسَ الغنيّ مـن المؤنـةِ والهِباتِ
حفـرَ العلـوجُ سَواقيـاً للمـاء في الأرضِ المَواتِ
فيصيرُ مـن إفـلاسه ومـن الندامـةِ في سُباتِ

قال : وشاعت هذه الأبيات وتَهاداها الناس ، وصارت عَبَثاً بالقِيان لكلّ أحد ، فكانت المغنِّية إذا عثَرتْ قالت : تَعِس يوسُف !

[الموالي يتعصبون له]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ ، قال : أخبرني عيسى بنُ الحسن الآدميّ : قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي فَنَن ، قال : أحضر الرشيدُ عشرَة آلاف دينار من ضرب السَّنة ففرَّقَها ، حتى بقيت منها ثلاثةُ آلاف دينار ، فقال : ائتوني شاعراً أَهَبُها له ، فوجدوا منصوراً النَّمَريّ ببابه ، فأُدخِل إليه ، فأنشدَه ، وكان قبيح الإنشاد ، فقال له الرشيد : أعانك الله على نفسك ، انصرفْ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد دخلت إليك دَخْلتين ، لم تُعطني فيهما شيئاً ، وهذه الثالثةُ ، ووالله لئن حرمتني لا رفعتُ رأسي بين الشعراء أبداً . فضحك

1 البزيون : السندس من الديباج .

الرشيد ، وقال : خذْها ، فأخذها ، ونظر الرشيد إلى الموالي ينظر بعضُهم بعضاً ، فقال : كأنّي قد عرفتُ ما أردتم إنّما أردتم : أن تكونَ هذه الدنانير ليوسف بن الصَّيْقل ، وكان يوسُفُ منقطعاً إلى الموالي ينادِمُهم ، ويمدَحهم ، فكانوا يتعصّبون له ، فقالوا : إي واللهِ يا أمير المؤمنينَ ، فقال : هاتوا ثلاثة آلاف دينار ، فأُحضِرَتْ ، فأقبل على يُوسُف ، فقال : هاتِ ، أنشِدْنا ، فأنشدَه يُوسُف : [من الطويل]

تصدَّتْ لـه يـوم الرُّصافَة زينبُ

فقال له : كأنَّكَ امتدحْتنا فيها ، فقال : أجلْ ، واللهِ يا أمير المؤمنين فقال : أنتَ ممّن يوثَقُ بنِيَّته ، ولا تُتَّهم مُوالاتُه ، هاتِ من مُلحك ، ودع المديح ، فأنشدَه أقولَه : [من المجتث]

صوت

العفوُ يـا غَضبـانُ ... مـا هكـذا الخِلاّنُ
هَبْني ابتُليتُ بذَنْـبٍ ... أمـا لَـه غُفْـرانُ
وإن تعاظَـمَ ذَنْـبٌ ... ففوقَـه الهِجـرانُ
كم قد تقرَّبْتُ جَهدي ... لـو ينفَـع القُرْبانُ
يا ربّ أنتَ على مـا ... قد حَـلَّ بي المستَعانُ
ويْـلي ألستَ تَـراني ... أهْذي بهـا يـا فلانُ

فقال الرشيدُ : ومَن فُلان هذا ويلك ؟ فقال له الفضل بن الربيع : هو أبانُ مولاك يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : وَلِمَ لَمْ تُنْشِدني كما قلتَ يا نَبَطيّ ؟ فقال : لأنّي غَضبان عليه . قال : وما أغضبك ؟ قال : مدّت دِجلة ، فهدمتْ داري وداره ، فبنى داره ، وعلاَّها ، حتى سترت الهواءَ عنّي ، قال : لا جرمَ ، ليعطينَّك الماصُّ بظرَ أمِّه عشرةَ آلاف درهـم ، حتـى تبني بناءً يعلو على بنائه ، فتستُر أنتَ الهواءَ عنه ، ثم قال له : خُذ في شعرك ، فأنشده نحواً من هذا الشعر ، فقال للفضل بن الربيع : يا عبّاسيّ ، ليس هذا بشعر ما هو إلاّ لَعِب ، أعطوه ثلاثةَ آلافِ درهم مكان الثلاثة الآلافِ الدينار ، فانصرف الموالي إلى صالح الخازن ، فقالوا له : أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أوّلاً ، فقال : أسْتأمِرُه ، ثم أفعل ، فقالوا له : أعطِه إيّاها بضماننا ، فإن أُمضيَتْ له وإلاّ كانت في أموالنا ، فدفعها إليه بضمانهم ، فأمضيتْ لـه ، فكان يوسف يقـول بعد ذلك : كنّا نلعب ، فنأخذُ مثل هذه الأموال ، وأنتم تقتلون أنفسكم ، فلا تأخذونَ شيئاً !

صوت

[من الكامل]

هبَّـــتْ قُبيـــل تبلُّـــجِ الفجـرِ هنـــدٌ تقـــولُ ودمعُهـــا يَجري
أنَّى اعتراك وكنت في عهديَ لا سَرِبَ الدّمـوع وكنتَ ذا صَبْرِ

الشعرُ لرجل من الشُّراة يقال لَه : عَمرو بن الحصين مولَى بني تميم ، يقولُه في عبد الله بن يحيى الذي تسمّيه الخوارجُ طالبَ الحقّ ، ومن قُتِلَ من أَصحابه معه يَرثيهم . والغناء لعبد الله بن أَبي العلاء ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

[522] ـ خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله

[كان مجتهداً عابداً]

أخبرني بذلك الحسنُ بن عليّ الخفّاف ، قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن محمد بن أبي محمد الخزامي ، وخلاّد بن يزيد ، وعبد الله بن مصعب ، وعمرو بن هِشام ، وعبد الله بن محمد الثَّقفيّ ، ويَعقوب بن داود الثقفيّ ، وحُريم بن أبي يحيى : أنّ عبد الله بن يحيى الكِنْديّ أحد بني عمرو بن معاوية كان من حَضْرَموْت ، وكان مجتهداً عابداً ، وكان يقولُ قبل أن يخرجَ : لقيني رجل ، فأطال النظرَ إليّ ، وقال : ممّن أنت ؟ فقلت : من كِندة ، فقال : من أيّهم ؟ فقلت : من بني شيطان ، قال : والله لتملكَنَّ ، ولتبلُغنَّ خيلُك وادي القُرى[1] ، وذلك بعد أن تذهَب إحدى عينيكَ .

[إلى حضرموت]

فذهبتُ أتَخوّفُ ما قال ، وأستخيرُ الله ، فرأى باليمن جَوْراً ظاهراً ، وعَسْفاً شديداً ، وسيرةً في النّاس قَبيحه ، فقال لأصحابه : ما يحلّ لنا المقامُ على ما نرى ، ولا يسعُنا الصبرُ عليه ، وكتب إلى عُبيدة بن مُسلم بن أبي كَريمة الذي يقالُ له : كُودين مولى بَني تميم ، وكان ينزل في الأزْدِ ، وإلى غيره من الإباضيّة بالبصرة يُشاورُهم في الخروج ، فكتبوا إليه : إن استطعتَ ألا تقيمَ يوماً واحداً فافعلْ ، فإن المبادرةَ بالعملِ الصالح أفضلُ ، ولستَ تدري متى يأتي عليكَ أجلُك ؟ ولله خيرَةٌ من عباده يبعثُهم إذا شاء لنُصرة دينه ، ويخُصُّ بالشهادة منهم مَن يَشاء . وشخَص إليه أبو حمزة المختار بن عَوف الأزديّ أحدُ بني سلمة ، وبلْجُ بن عُقبة السّقُوريّ في رجالٍ من الإباضية ، فقدِموا عليه حَضْرَمَوت ، فحثُّوه على الخروج ، وأتوْه بكتُب أصحابه : إذا خرجتم فلا تَغُلُّوا ، ولا تغدِروا ، واقتدُوا

1 وادي القرى : بين المدينة والشام من أعمال المدينة .

بسلفكم الصالحين ، وسيرُوا سِيرَتَهم ، فقد علمتم أنّ الذي أخرجَهم على السلطان العيثُ لأعمالهم .

فدَعا أصحابه ، فبايعوه ، فقصدوا دار الإمارة ، وعلى حَضْرَمَوت إبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة الكِنديّ ، فأخذوه ، فحَبسوه يوماً ، ثم أطلقوه ، فأتى صَنعاء ، وأقام عبد الله بن يحيى بحَضرَمَوت ، وكثُرَ جمعه ، وسمّوْه «طالب الحقّ» .

[ثم إلى صنعاء]

فكتب إلى مَن كان من أصحابه بصنعاء : إنّي قادمٌ عليكم ، ثم استخلف على حَضْرَمَوت عبدَ الله بن سعيد الحَضرميّ ، وتوجّه إلى صَنعاء سنة تسعٍ وعشرين ومائة في ألفين ، وبلغ القاسمَ بنَ عمر أخا يوسفَ بن عمر ، وهو عامل مَرْوان بنِ محمد على صَنعاء ، مسيرُ عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحّاك بن زَمْل ، وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعُدّة وجمعٍ كثير ، فعسكر على مسيرة يوم من أبيْن[1] وخلّف فيها الأثقالَ ، وتقدَّمت المقاتِلة ، فلَقِيَهُ عبد الله بن يحيى بلَحْج ، قرية من أُبيْن ، قريباً من الليل ، فقال الناسُ للقاسم : أيّها الأمير ، لا تقاتل الخوارج ليلاً ، فأبى ، وقاتلَهم ، فقتَلوا من أصحابه بشراً كثيراً ، وانهزموا ليلاً ، فمرّ بعسكره ، فأمرهم بالرحيل ، ومضى إلى صنعاء ، فأقام يوماً ، ثم خرج فعسكر قريباً من صَنعاء ، وخندقَ وخلّف بصنعاء الضحاك بن زَمْل ، فأقبل عبد الله بن يحيى ، فنزلَ جُوَين[2] على ميلين من عسكر القاسم ، فوجَّه القاسمُ يزيدَ بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن ، فكانت بينَهم مناوشةٌ ثم تحاجزوا ، فرجع يزيدُ إلى القاسم ، فاستأذنه في بياتِهم ، فأبى أن يأذنَ له ، فقال يزيد : والله لئن لم تُبَيِّتْهم ليَغمَّنَّك ، فأبى أن يأذَن له ، وأقاموا يومين لا يلتَقُون ، فلمّا كان في الليلة الثالثة أقبل عبدُ الله بن يحيى ، فوافاه مع طلوع الفجر ، فقاتلهم الناسُ على الخندق ، فغلبتهم الخوارج عليه ، ودخلوا عسكرَهم ، والقاسمُ يُصلّي ، فركب ، وقاتَلَهم الصَّلْتُ بنُ يوسف ، فقُتِل في المعركة ، وقام بأمْرِ الناس يزيدُ بنُ الفيض ، فقاتلهم ، حتى ارتفع النهار ، ثم انهزم أهلُ صنعاء فأراد أبرَهَةُ بن الصبّاح اتّباعهم ،

---

1 أبين : مخلاف باليمن .

2 جوين : كورة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور ، تسميها أهل خراسان كُويان فعربت فقيل جوين .

فمنعه عبدُ الله بنُ يحيى ، واتَّبع يزيدُ بن الفيض القاسمَ بن عمر ، فأخبره الخبر فقال للقاسم[1] : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعري هل أذودَنَّ بالقَنا وبالهُنْدوانيّاتِ قَبْلَ مماتي

وهل أُصبِحنّ الحارثَين كِلَيهما بطعنٍ وضربٍ يَقطعُ اللهَواتِ

قال : ودخل عبد الله بن يحيى صنعاءَ ، فأخذ الضَّحاكَ بن زَمْل وإبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة ، فحبسَهما ، وجمع الخزائنَ والأموال ، فأحرزها ، ثم أرسل إلى الضحاك وإبراهيم ، فأرسلَهما ، وقال لهما : حبستُكما خوفاً عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه ، فأقيما إن شِئتُما أو اشخصا ، فخرجا .

[خطبته بعد فتح اليمن]

فلمّا استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناسَ ، فحمد الله جلّ وعزّ وأثنى عليه وصلّى على نبيّه ﷺ ، ووعظ ، وذكّر ، وحذّر ، ثم قال : إنّا ندعوكُم إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه وإجابة مَن دعا إليهما : الإسلامُ دينُنا ، ومحمدُ نبيُّنا ، والكعبةُ قِبْلتُنا ، والقرآنُ إمامُنا ، رضينا بالحلالِ حلالاً لا ينبغي به بديلاً ، ولا نشتري به ثمناً قليلاً ، وحرَّمنا الحرامَ ، ونبذناه وراء ظهورِنا ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، وإلى الله المُشْتكى ، وعليه المُعَوَّل . من زَنى فهو كافر ، ومن سَرق فهو كافر ، ومن شَرِب الخمر فهو كافر ، ومن شكّ في أنّه كافر فهو كافر ، ندعوكم إلى فرائضَ بيّنات ، وآياتٍ مُحْكَمات ، وآثارٍ مُقتدًى بها ، ونشهد أنّ الله صادق فيما وعد ؛ عَدْلٌ فيما حكم وندعو إلى توحيد الربِّ ، واليقينِ بالوعيد والوعدِ ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولايةِ لأهل وِلاية الله ، والعَداوةِ لأعداء الله . أيّها الناس إنَّ مِن رحمة الله أن جعل في كلِّ فَترة بقايا من أهل العِلم يَدْعون من ضلّ إلى الهدى ، ويَصبِرون على الألَم في جَنْب الله تعالى ، يُقتَلون على الحقِّ في سالفِ الدّهور شُهداء ، فما نَسيَهم ربُّهم ، وما كان ربُّك نَسِيًّا . أوصيكم بتقوى الله ، وحسنِ القيام على ما وكّلكم اللهُ بالقيام به ، فأبلوا للهِ بلاءً حسناً في أمره وزجره ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

1 ورد البيتان في معجم الشعراء على النحو الآتي :

ألا ليت شعري هل أدوسن بالقنا تبالة أو نجران قبل مماتي

وهل أصبحن الحارثين كليهما بسم زعاف يقطع اللهوات

[يوجه أتباعه إلى مكّة]

قالوا : وأقام عبدُ الله بنُ يحيى بصنعاء أشهراً ، يُحسنُ السِّيرة فيهم ويُلينُ جانبَه لهم ويكفُّ عن النّاس ، فكثر جمعه ، وأتته الشّراة من كلّ جانب ، فلمّا كان وقتُ الحجِّ وجَّه أبا حمزة المختار بن عوف ، وبلْج بن عُقبة ، وأبرَهة بن الصَّبّاح إلى مكّة في تسعمائة ، وقيل : بل في ألف ومائة ، وأمره أن يقيمَ بمكّة إذا صدَر الناسُ ، ويُوَجِّه بلْجا إلى الشام ، وأقبل المختار إلى مكّة ، فقدِمها يومَ التّرْوية ، وعليها عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأمُّه بنتُ عبدِ الله بن خالد بن أسيد ، فكره قتالهم .

[هدنة بين المختار وعبد الواحد]

وحدَّثنا من هذا الموضع بخبر أبي حمزة محمدُ بنُ جرير الطّبريّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن عيسى العَقِيلي ، قال : حدَّثنا هارون بن موسى العواري ، قال : حدَّثنا موسى بن كثير مولى الساعديِّين ، قال : كان أوّل أمر أبي حمزة ، وهو المختار بن عوف الأزديّ ثم السُّلميّ من أهلِ البصرة أنّه كان يوافي في كلِّ سنة يدعو إلى خلافةِ مَرْوان بن محمد وآل مروان ، فلم يزل يختلفُ كلَّ سنة حتى وافى عبدُ الله بنُ يحيى في آخر سنة ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يا رجل ، إنّي أسمع كلاماً حسناً ، وأراكَ تدعو إلى حق ، فانطلقْ معي ، فإنّي رجلٌ مطاعٌ في قومي ، فخرج به ، حتى ورد حَضْرَمَوْت ، فبايعه أبو حمزة على الخِلافة ، قال : وقد كان مرَّ أبو حمزة بمعدِن بني سُليم ، وكثير بن عبد الله عامل على المَعْدِن ، فسمع بعضَ كلامه ، فأمَر به فجُلدَ أربعين سوطاً ، فلمّا ظهر أبو حمزة بمكّة تغيَّب كثيرٌ حتى كان من أمره ما كان ، ثم رجع إلى موضعِه ، قال : فلمّا كان في العام المقبل تمامَ سنةَ تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفةَ إلاّ وقد طلعت أعلام عمائم سُودٍ خُرَّميّة في رؤوس الرّماح ، وهم سبعمائة ، هكذا قال : هذا وذكر المدائنيّ أنّهم كانوا تسعمائة أو ألفاً ومائة ، ففزع الناسُ منهم حين رأوْهم ، وقالوا لهم : ما لكم ؟ وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرِّي منهم .

فراسلهم عبد الواحد بن سليمان ، وهو يومئذٍ على المدينة ومكّة والموسم ، ودعاهُم إلى الهدْنة ، فقالوا : نحن بحجّنا أضَنَّ وعليه أشحُّ ، فصالحهم على أنّهم جميعاً آمنون بعضُهم من بعْض ، حتى ينفِر الناس النَّفْر الأخير ، وأصبحوا من غدٍ ، فوقفوا على حِدَةٍ بعرفة ، ودفع عبدُ الواحد بالنّاس ، فلمّا كانوا بمنًى قالوا لعبد الواحد : إنّك قد أخطأتَ فيهم ، ولو حملتَ عليهم

الحاجَّ ما كانوا إلاّ أُكلَةَ رأس[1] ، فنزل أبو حمزة بقرن الثّعالب من مِنًى ، ونزل عبد الواحد منزِلَ السلطان ، فَبعثَ عبدُ الواحد إلى أبي حمزة عبدَ الله بنَ حسن بن حسن بن عليّ ، عليهم السلام ، ومحمدَ بنَ عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبدَ الرحمن بنَ القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بنَ عمرو بن حفص العمريّ ، وربيعةَ بنَ عبد الرحمن ، في رجال من أمثالهم ، فلمّا دَنَوْا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح أبي حمزة ، فأخذوهم ، فدُخِلَ بهم على أبي حمزة ، فوجدوه جالساً ، وعليه إزار قطَواني[2] ، قد ربطه الحَوَرة في قَفاه ، فلمّا دَنَوْا تقدّم إليه عبدُ الله بنُ حسن ومحمدُ بن عبد الله بن عمرو ، فنَسَبَهما ، فلمّا انتسبا له عبَسَ في وَجْهَيْهما وبَسَر ، وأظهر الكراهة لهما .

ثم تقدّم إليه بعدهما البكْريّ والعمريّ فنسبَهما ، فلمّا انتسبا له هشّ إليهما ، وتبسّم في وُجوههما ، وقال : والله ما خرجنا إلاّ لنَسيرَ بسيرة أبويكما ، فقال له عبدُ الله بن حسن بن حسن : والله ما جئناك لتفاضلَ بين آبائنا ، ولكن بعثَنا إليك الأميرُ برسالة ، وهذا ربيعةُ يخبركَها ، فلمّا ذكر ربيعةُ نَقْضَ العهد ، قال بلج وإبراهيم ، وكانا قائدين له : الساعةَ الساعةَ ، فأقبل عليهما أبو حمزة ، وقال : معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيسَ به ، والله لا أفعل ولو قُطِعتْ رقبتي هذه ، ولكن تنقضي هذه الهدنةُ بيننا وبينكم . فلمّا أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبدَ الواحد .

[المختار يدخل مكّة]

فلمّا كان النَّفْرُ الأوّل نَفَر عبد الواحد ، وخلَّى مكّةَ لأبي حمزة ، فدخلها بغير قِتال . قال هارونُ : وأنشدني يعقوب بن طلحة الليثيّ أبياتاً هُجِيَ بها عبد الواحد لشاعر لم نحفِلْ به : [من الكامل]

زار الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا ديـنَ الإلـه ففرّ عبدُ الواحدِ
تـرك الإمارةَ والحلائلَ هارباً ومضى يُخَبِّطُ كالبعيرِ الشاردِ
لـو كان والدُه تخيَّر أُمَّـه لَصَفَتْ خلائقُـه بعِرْق الوالدِ
ترك القتال ومـا بـه من عِلَّةٍ إلاّ الوهون وعرقةٌ من خالدِ

---

1 مثل يضرب للقلة .

2 قطواني : نسبة إلى قطوان : موضع بالكوفة تتخذ منه الأكسية .

ثم مضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة ، فدَعا بالدّيوان ، وضرب على الناس البعث ، وزادهم في العطاء عشرةً عشرةً .

[انتصاره في قديد]

قال هارون : أخبرني بذلك أبو ضَمرة أنسُ بنُ عِياض أنّه كان فيمن اكتَتَب ، قال : ثم محوتُ اسمي .

قال هارون : وحدَّثني غير واحد من أصحابنا أنّ عبد الواحد استعمل عبدَ العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على النّاس ، فخرجوا ، فلمّا كانوا بالحرّة لقيتهم جُزُرٌ منحورة ، فمضَوْا ، فلمّا كانوا بالعقيق تعلّق لواؤهم بسَمُرة ، فانكسر الرمحُ ، وتشاءم الناسُ بالخروج ، ثم ساروا ، حتى نزلوا قُديدا[1] ، فنزلوها ليلاً ؛ وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمِنبر اليوم ، وكانت الحياضُ هناك ، فنزل قوم مغتَرُّون ليسوا بأصحاب حرْب ، فلم يرُعْهم إلاّ القومُ قد خرجوا عليهم من الفصل ، فزعم بعض الناس أنّ خزاعةَ دلَّتْ أبا حمزة على عورتهم ؛ وأدخلوهم عليهم ، فقتلوهم ، وكانت المقتلةُ على قريش ، وهم كانوا أكثرَ الناس ، وفيهم كانت الشوكة ، فأُصيب منهم عدد كثير .

[اليمانيون يشمتون بقريش]

قال العبّاس : قال هارون : فأخبرني بعضُ أصحابنا : أنَّ رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول : الحمد لله الذي أقرَّ عيني بمقتل قُريش ، فقال له ابنه : الحمد لله أذلّهم بأيدينا ، فما كانت قريش تظنُّ أنّ من نزل على عمانَ من الأزْد عربيّ ، قال : وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة ، فقال القرشيّ لابنه : يا بني ، هلُمّ نبدأ بهذين الرجلين ، قال : نعم يا أبتِ ، فحَملا عليهما ، فقتلاهما ، ثم قال لابنه : أيْ بُنيّ تقدّم ، فقاتَلا . حتى قُتِلا .

وقال المدائنيّ : القرشيّ كان عمارةَ بن حَمزة بن مصعب بن الزُّبير ، والمتكلِّم بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار . قال : ثم ورد فُلاّل[2] الجيش المدينةَ ، وبكى الناسُ قتلاهم ، فكانت المرأة تقيمُ على حَمِيمها النُّواحَ ، فلا تزال المرأة يأتيها الخبرُ بمقتل حميمها ، فتنصرِف ، حتى ما يبقى عندها امرأة ، فأنشدني أبو ضمرة هذه الأبيات في قتلى قُدَيد الذين أُصيبوا من قومه لبعضِ أصحابه : [من البسيط]

---

1 قديد : موضع قرب المدينة .

2 فلال : جمع فل ، وهم المنهزمون ويجمع على فلول .

يـا لهفَ نفسي ولهفٌ غير نافعةٍ على فـوارسَ بالبطحـاءِ أنجـادِ
عمرٌو وعمرٌو وعبدُ الله بينَهما وابناهما خامسٌ والحارث السادِي[1]

[جيش من الأغمار يحارب الخوارج]

قال المدائنيّ في خبره : كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكّة ، فكتب مروانُ إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره بتوجيه الجيش إلى مكّة ، فوجّه ثمانيةَ آلافِ رجل من قريش والأنصار والتجّار ، أغمار لا عِلمَ لهم بالحرب ، فخرجوا في الصبَّغات والثياب الناعمة واللهوِ ، لا يظنُّون أنّ للخوارج شوكةً ولا يشكون أنـّهم في أيديهم .

[يبيع سبي الطائف فينهزم]

وقال رجل من قريش : لو شاء أهلُ الطائفِ لكفوْنا أمرَ هؤلاء ، ولكنّهم داهنوا في أمر الله تعالى ، والله إن ظَفِرنا لنسيرنَّ إلى أهل الطائفِ ، فلنسْبينّهم ، ثم قال : مَنْ يشتري منّي سبيَ أهلِ الطائف ؟ فلمّا انهزم الناسُ رجع ذلك الرجلُ القائلُ : مَن يشتري منّي سبي أهلِ الطائف في أوَّلِ المنهزمين ، فدخل منزلَه ، وأراد أن يقول لجاريته : أغلقي البابَ ، فقال لها : غاقِ باقِ دَهَشا ، ولم تفهم الجاريةُ قولَه ، حتى أومأ إليها بيده ، فأغلقتِ البابَ ، فلقَّبَهُ أهلُ المدينة بعد ذلك «غاقِ باقِ» .

[أموي وقريشي]

قال : وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرِض الجيشَ بذي الحُلَيفة ، فمرَّ به أُميَّةُ بن عَنْبَسة بـن سعيـد بن العاص ، فرحَّـب بـه ، وضَحِكَ إليـه ، ومرَّ به عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزُّبير ، فلم يكلّمه ، ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع ، وكان ابن خالته ، أُمّاهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد : سبحان الله ! مرَّ بك شيخٌ من شيوخ قريش ، فلم تنظرْ إليه ، ولم تُكلّمه ، ومرَّ بك غلام من بني أُميّة ، فضَحِكْتَ إليه ولاطفتَه ! أما والله لو قد التَقى الجمعانِ لعلمتَ أيُّهما أصبرُ ؟ قال : فكان أُميّة بن عَنْبَسة أوَّل مَن انهزم ، ونكَّب فرسه ومَضى ، وقال لغلامه : يا مجيب ، أما والله لئن أحرَزْتُ نفسي هذه الأَكلُبَ من الشُّراة إنّي لعاجز . وقاتلَ يومئذٍ عمارة بن حَمزة بن

1 السادي : السادس .

مصعب ، حتى قُتِل ، وتمثّل : [من الطويل]

وإنّــي إذا ضــنَّ الأَميرُ بإذنــه ... على الأذنِ من نفسي إذا شئتُ قادرُ

والشعر للأغرّ بن حمَّاد اليَشْكُريّ .

[أبو حمزة يحمس أصحابه]

قال : ولمّا بلغَ أَبا حمزة إقبالُ أَهل المدينة إليه استخلَف على مكّة إبراهيم بن الصبَّاح ، وشَخَص إليهم ، وعلى مقدّمته بَلْجُ بن عُقْبة ، فلمّا كان في الليلة التي وافاهم في صَبيحَتها ، وأَهلُ المدينة نُزُولٌ بقُدَيد ، قال لأصحابه : إنّكم لاقُو قومِكم غداً ، وأَميرهم ، فيما بلغني ، ابن عثمان أوّل مَنْ خالفَ سيرة الخلفاء ، وبدَّل سنة رسول الله ، ﷺ ، وقد وَضَح الصبحُ لذي عَيْنَين ، فأَكثروا ذكرَ الله تعالى ، وتلاوةَ القرآن ، ووطِّنوا أَنفسكم على الصَّبرِ . وصبَّحَهم غداة الخميس لتسعٍ أو لسبعٍ خلونَ من صفر سنة ثلاثين ومائة ، فقال عبد العزيز لغلامه : أبغِنا عَلَفاً . قال : هو غالٍ ، قال : ويحَك ! البواكي علينا غداً أَغلى .

[رسول أبي حمزة إلى أهل المدينة]

وأَرسل إليهم أَبو حمزة بلْجَ بنَ عقبة ؛ ليدعوهم ، فأَتاهم في ثلاثين راكباً ، فذكّرهم الله ؛ وسأَلاهم أَن يكُفُّوا عنهم ؛ وقال لهُم : خلُّوا لنا سبيلَنا ؛ لنسير إلى مَن ظلمكم ؛ وجار في الحكْم عليكم ؛ ولا تَجعَلوا حدّنا بكم ؛ فإنّا لا نريد قتالكم ؛ فشتَمهم أَهلُ المدينة ، وقالوا : يا أَعداءَ اللهِ ، أَنحن نُخَلِّيكم ونَدَعُكم تُفسدون في الأرض ! فقالت الخوارجُ : يا أَعداء الله ، أَنحن نُفسدُ في الأرض ! إنّما خرجنا لنكُفَّ أَهلَ الفساد ، ونقاتـل مَـن قاتلنـا واستأثر بالفيء ، فانظروا لأَنفسِكم ، واخلعوا مَن لا يجعل اللهُ له طاعةً ، فإنّه لا طاعةَ لَمن عَصى اللهَ ، وادخلوا في السِّلم ، وعاونوا أَهل الحَقِّ ، فقال له عبد العزيز : ما تقـولُ في عثمـانَ ؟ قـال : قـد برىء المسلمون منه قبْلي ، وأَنا متّبع آثارَهم ، ومقتَدٍ بهم ، قال : فارجعْ إلى أَصحابك ، فليس بيننا وبينهم إلاّ السيفُ .

[الآن حلت لكم دماؤهم]

فرجع إلى أَبي حمزة ، فأَخبره ، فقال : كـفُّوا عنهم ، ولا تقاتلوهـم . حتى يبدَءوكم بالقتال ، فواقفوهم ، ولم يُقاتلوهم . فرمى رَجلٌ من أَهل المدينة في عسكر أَبي حمزة بسَهم ، فجرحَ رجلاً ، فقال أَبو حمزة : شأنكم الآن بهم ، فقد حلَّ قتالهم ، فحملوا عليهم ، وثبت بعضُهم لبعْض ، ورايةُ قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع .

ثم انكشف أهل المدينةِ ، فلم يَتْبعوهم ، وكان على مُجنِّبتهم[1] ضميرُ بن صخر بن أبي الجَهْم بن حُذيفة ، فكرّ وكرّ الناسُ معه ، فقاتلوا قليلاً ، ثم انهزموا ، فلم يُبعدوا . حتى كرُّوا ثالثةً ، وقاتلهم أبو حمزة ، فهزمهم هزيمة لم تُبق منهم باقية ، فقال له عليّ بن الحُصَين : أتبعِ القوم . أو دَعْني أتبعهم ، فأقتلَ المدْبر ، وأُذَفِّف[2] على الجريح ، فإن هؤلاء شَرٌّ علينا من أهل الشام ، فلو قد جاءوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره ، فقال : لا أفعلُ ، ولا أُخالفُ سيرةَ أسلافِنا . وأُخِذ جماعةٌ منهم أُسَراء ، فأراد إطلاقهم ، فمنعه عليّ بن الحصين ، وقال له : إنَّ لأهل كُلِّ زمان سيرةً ، وهؤلاء لم يؤسَروا وهم هُرَّاب ، وإنّما أُسِروا وهم يقاتلون ، ولو قُتِلوا في ذلك الوقت لم يحرُم قتلهُم ، وكذلك الآن قتلُهم حَلال ، فدَعا بهم ، فكان إذا رأى رجلاً من قريش قتله ، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه ، فأُتِيَ بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنسبه ، فقال : أنا رجل من الأنصار ، فسأل الأنصارَ عنه ، فشهدوا له ، فأطلقه ، فلمّا ولّى قال : واللهِ إنّي لأعلم أنّه قرشيّ وما حُذاوة[3] هذا حُذاوةَ أنصاريّ ، ولكن قد أطلقتُه .

قال : وبلغتْ قتلى قُدَيد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً ، منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلاً ، ومن الأنصار ثمانون ، ومن القبائل والموالي ألفٌ وسبعمائة ، قال : وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العُزّى أربعونَ رجلاً ، وقُتل يومئذٍ أُميّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، خرج يومئذٍ مقنّعاً ، فما كلّم أحداً ، وقاتل حتى قُتِل ، وقُتل يومئذٍ سُمَيّ مولى أبي بكر الذي يَروي عنه مالكُ بنُ أنس ، ودخل بلْجٌ المدينة بغير حرب ، فدخلوا في طاعته ، وكفّ عنهم ، ورجع أبو حمزةَ إلى مكّة ، وكان على شُرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة من بني عَدِيّ ، فكان أهل المدينة يقولون : لعن اللهُ السُّراقيّ ، ولعن بلْجاً العراقيّ .

[نائحة المدينة تبكي قتلى قديد]

وقالت نائحةُ أهل المدينة تبكيهم : [من مجزوء الكامل]

مـا للزمـان وما لِيَـهْ　　أفنـت قُدَيْـدُ رِجالِيَهْ

1 ل : حاميتهم .

2 أذفف : أجهز .

3 حذاوة : شبه .

فلأَبكِيَــنَّ سَرِيــرَةً ولأَبكــينَّ عــلانِيَهْ
ولأُبكيَــنَّ إذا خلــو تُ مع الكلاب العاوِيَهْ
ولأُثنــينَّ عـلى قُدَيْـ ـدَ بسوء مـا أبلانِيَهْ

في هذه الأَبيات هزَج قديم يشبه أَن يكون لطُوَيس أَو بعض طبقته .

[عمرو بن الحسن يذكر وقعة قديد]

وقال عمرو بن الحسن الكوفيّ مولى بني تميم يذكر وقعة قُديد وأَمرَ مكّة ودخولهم إيّاها ، وأَنشدنيها الأَخفش عن السُّكريّ والأَحول وثعلب لعمرٍ وهذا ، وكان يستجيدُها ويُفضِّلُها : [من الكامل]

مــا بالُ همِّك ليسَ عنك بعازبِ يَمري سوابقَ دمعِك المتساكبِ
وتبيتُ تَكتلِــىء النجــومَ بمقلةٍ عبْرى تُسَرّ بكــلِّ نجــمٍ دائبِ
حــذرَ المنيّــةِ أَن تَجــيء بداهةً لم أَقِض مــن تبــع الشُّراةِ مآربي
فأَقودُ فيهــم للعِــدا شَنِجَ النّسا عَبْلَ الشَّوى أَسوان ضمر الحالِبِ[1]
متحــدِّراً كالسيِّد أَخلصَ لونَــه ماءُ الحسيك مع الجِلال اللاّتِبِ[2]
أَرمي بــه من جَمْع قومي مَعْشراً بُــورا إلى جَبْريّــةٍ ومَعــايبِ
في فِتيــةٍ صُبُرٍ أَلُفُّهُــمُ بــه لَفَّ القداح يَدَ المُفيض الضاربِ
فندور نحــنُ وهُــم وفيمـا بينَنا كأسُ المَنونِ تقول : هلْ من شاربِ
فنظلُّ نسقيهم ونشرَب مــن قَناً سُمْرٍ ومُرهفةِ النُّصولِ قواضبِ
بينا كذلكَ نحــنُ جالــتْ طعنةٌ نجلاءُ بــينَ رُهائــب وترائبِ[3]
جوفــاءُ منهَــرةٌ تــرى تامورَها ظُبَتَــا سِنانٍ كالشِّهابِ الثاقبِ[4]
أَهوى لهــا شِقَّ الشِّمال كأَنَّنــي حَفَضٌ لقًى تحتَ العَجاج العاصبِ
يــا ربّ أَوجبهــا ولا تتعلَّقَــنْ نفسي المنــون لَدى أَكُفٍّ قرائبِ

1 شنج النسا : لم تسترخ رجلاه . وعبل الشوّى : ضخم الأطراف .
2 اللاتب : اللازق مثل اللازب .
3 لعلّ رهائب جمع رُهابة وهي عُظيم في الصدر مشرف على البطن وقد ورد جمعها في لسان العرب على رَهاب .
4 منهرة : واسعة . وتامور : الدم وله معنى الخمر والإبريق .

كم من أُولى ثِقــةٍ صحْبتُهم شَرَوْا   فخذلتُهمْ ولبئسَ فعلُ الصاحبِ
متأوِّهــين كأنّ في أَجْوافِهـــم   نــاراً تُسعِّرهــا أَكُفٌ حَواطبِ
تَلقاهمُ فتراهــمُ مــنْ راكــعٍ   أو ساجــدٍ متضـــرّعٍ أو ناحبِ
يتلو قــوارعَ تمتري عَبراتِـــه   فيجودُهــا مَــرْيَ المريّ الحالبِ
سُبُرٍ لجائفــة الأُمــورِ أَطبَّــةٌ   للصَّدع ذي النبأ الجليـل مدائبِ
ومُبرّئــينَ مــن المعايبِ أحرزوا   خُصَــل المكــارم أتقياء أطايبِ
عَــرّوْا صَوارمَ للجلاد وباشَروا   حــدَّ الظبــاةِ بآنُفٍ وحواجبِ
ناطــوا أُمورَهُــم بأَمْرِ أخٍ لهـم   فرمى بهــم لَقَمَ الطريقِ اللاحبِ[1]
مُتسربِلي حَلَـق الحديـدِ كأنّهم   أُسْدٌ على لُحْق البطون سلاهبِ[2]
قِيدت مِن آعلى حضرموتَ فلم تزل   تَنفــي عداهــا جانبــاً عن جانبِ
تحمــي أعنَّتَهــا وتحــوي نَهْبَها   للهِ أَكـــــرمُ فتيـــــةٍ وأشائبِ
حتى وردنَ حِياضَ مكّــة قُطَّنا   يحكِــينَ واردةَ اليمام القاربِ[3]
مــا إن أَتــينَ على أخــي جَبْريةٍ   إلاّ تركنَهـــــمُ كأمسِ الذاهبِ
في كلّ معترَكٍ لهــا مــن هامهم   فِلَــقٌ وأيــدٍ عُلِّقــتْ بمناكبِ
سائلْ بيوم قُدَيــدَ عــن وقعاتها   تُخبرْك عــن وقعاتِهــا بعجائبِ

[خطبة أبي حمزة في أهل المدينة]

وقال هارونُ بن موسى في رواية محمد بن جرير الطبريّ عن العبّاس بن عيسى عنه : ثم دخل أبو حمزة المدينةَ سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام ، فرقيَ المِنبرَ ، فحمد الله ، وأثنى عليه : وقال : يا أهل المدينة ، سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء ، فأسأتم ، لعمرُ الله ، فيهم القولَ ، وسألناكم : هل يَقتلون بالظَّن ؟ فقلتم : نعم ، وسألناكم : هل يستحلُّون المال الحرام والفرْجَ الحرامَ ؟ فقلتم : نعم ، فقلنا لكم : تعالَوا نحن وأنتم ، فنناشدهم اللهَ أن يتنحّوا عنّا وعنكم ، ليختار المسلمونَ لأنفسهم ؛ فقلتُم : لا تفعلون ،

1 لَقَم الطريق : وسطه .
2 السلهب من الخيل : ما طالت عظامه .
3 القارب : طالب الماء ليلاً

فقلنا لكم : تعالَوا نحن وأنتم نلقاهم ، فإن نظهرْ نحنُ وأنتم نأتِ بمَن يقيمُ فينا كتابَ الله وسنَّةَ نبيه ، وإن نَظفَر نعدلْ في أحكامكم ، ونَحملُكم على سنّة نبيكم ، ونقسِم فيئَكم بينَكم ، فإن أبيتُم ، وقاتلتمونا دونَهم ، فقاتلناكم ، فأبعدكم الله ، وأسحقكم يا أهل المدينة ، مررتُ بكم في زمان الأحول هِشامِ بن عبد الملك ، وقد أصابتْكم عاهةٌ في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجَكُم عنكم ، فكتب بوضعها عنكمُ ، فزاد الغنيّ غِنًى ، وزاد الفقير فقراً ، فقلتُم : جزاكم الله خيراً ، فلا جزاه الله خيراً ، ولا جزاكم .

[خطبة أخرى جامعة مانعة]

قال هارون : وأخبرني يَحيى بنُ زكريّا : أنّ أبا حمزة خَطب بهذه الخُطبة : رقى المِنبَر ، فحمِد الله ، وأثنى عليه ، وقال : أتعلمونَ يا أهلَ المدينة ، أنّا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشَراً ولا بَطراً ولا عَبثاً ولا لهْواً . ولا لدولة مُلك نُريد أن نخوضَ فيه ، ولا ثأرٍ قديم نِيلَ منّا ، ولكنّا لمّا رأينا مصابيحَ الحقّ قد عُطِّلت ، وعُنِّف القائل بالحقّ ، وقُتِل القائمُ بالقِسط ، ضاقتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وسَمِعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحُكم القرآن ، فأجَبْنا داعيَ الله ﴿ومَن لا يُجِب داعيَ اللهِ فليس بمُعجزٍ في الأرض﴾[1] فأقبلْنا من قبائِلَ شتّى ، النفرُ منّا على بعير واحد ، عليه زادُهم وأنفسُهم ، يتعاورُون لِحافاً واحداً ، قليلُون مستضعَفون في الأرض ، فآوانا الله ، وأيَّدَنا بنصره ، وأصبحنا ، واللهِ ، بنعمتِه إخواناً ، ثم لقِينا رجالَكم بقُدَيْد ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمنِ ، وحُكْم القرآن ودعَوْنا إلى طاعةِ الشيطان ، وحُكْم مَروان ، وآلِ مَرْوان ، شَتّان ، لعمرُ الله ، ما بينَ الغَيّ والرُّشد ، ثم أقبلوا يُهْرعون ، ويَزِفُّون ، قد ضربَ الشيطانُ فيهم بِجرانه ، وغَلَت بدمائهم مراجلُه ، وصَدَق عليهم ظَنُّه ، وأقبل أنصارُ الله عصائبَ وكتائب بكلّ مهنّد ذي رونَق ، فدارتْ رحانا واستدارت رحاهم ، بضربٍ يرتابُ منه المبطلون . وأنتم يا أهلَ المدينة ، إن تنصروا مروانَ وآل مَروان يُسْحِتْكم اللهُ بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشْفِ صدورَ قومٍ مُؤمنين ، يا أهل المدينة : إن أوَّلكم خيرُ أوّل ، وآخركم شرّ آخر ، يا أهل المدينة ، الناسُ منّا ونحن مِنهم إلاّ مشركاً عابدَ وَثن ، أو كافراً من أهل الكتاب ، أو إماماً جائراً ، يا أهل المدينة ، مَن زعم أنّ اللهَ تعالى كلَّف نفساً فوق طاقتِها ، أو سألها عمَّا لم يُؤتِها فهو لله عدوّ ، ولنا حَرْبٌ . يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضَها الله تعالى في

---

1 سورة الأحقاف ، الآية : 32 .

كتابه على القويِّ للضَّعيف فجاء التاسعُ ، وليس له منها ولا سهم واحد ، فأَخذ جميعَها لنفسه مُكابِراً مُحارِباً لربّه ، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فِعله ؟ يا أَهل المدينة ، بلغني أَنكم تنتقصون أَصحابي ، قلتم : هم شباب أَحداث ، وأَعراب جفاة ، ويحكم يا أَهل المدينة ! وهل كان أَصحابُ رسول الله ﷺ ، إلاّ شباباً أَحداثاً ! شَباب والله مكْتَهِلون في شَبابهم ، غَضِيضةٌ عن الشرِّ أَعينُهم ، ثقيلَةٌ عن الباطل أَقدامُهم ، قد باعوا أَنفُساً تَموتُ غداً بأَنفسٍ لا تموتُ أَبداً ، قد خَلطوا كَلالهم بكَلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصيام نَهارهم ، مُنحنية أَصلابُهم على أَجزاء القرآن ، كلّما مرّوا بآيةِ خوفٍ شَهِقوا خوفاً من النّار ؛ وإذا مرّوا بآية شوقٍ شَهِقوا شوقاً إلى الجنّة ، فلمّا نظروا إلى السيوف قد أُنضِيتْ ؛ وإلى الرِّماحِ قد أُشرِعَتْ وإلى السهام قد فُوِّقَتْ ؛ وأُرعدت الكتيبةُ بصواعِقِ الموت استخَفُّوا وعيد الكتيبةِ عند وعيد الله ، ولم يستَخِفّوا وعيدَ الله عند وعيد الكتيبة ؛ فَطُوبى لهم وحُسنُ مآب ! فكم من عينٍ في منقار طائر طالما بَكى بِها صاحِبُها من خَشْيَةِ الله ، وكم من يدٍ قد أُبينَتْ عن ساعدها طالما اعتمدَ عليها صاحبُها راكِعاً وساجداً . أقولُ قولي هذا ، وأَستغفرُ اللهَ من تَقصيرنا ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلتُ وإليه أُنيب .

[مرتكب الكبيرة كافر]

قال هارون : وحدَّثني جدّي أبو عَلْقمة ، قال : سمعت أَبا حَمزة على مِنبر النبيّ ﷺ يقولُ : «مَن زَنى فهو كافر» ، ومَن سَرَق فهو كافر ، ومَن شكَّ أَنّه كافر فهو كافر : [من الكامل]

بَرِح الخفاءُ فأَينَ ما بِكَ يذهبُ

[خطبة له في أهل المدينة]

قال هارونُ : قال جدِّي : كان أَبو حمزة قد أَحسن السيرة في أَهلِ المدينة ، حتى استمالَ الناسَ ، وسمع بعضُهم كلامَه في قوله : مَن زَنى فهو كافر ، قال هارون : قال جدِّي : وسمعت أَبا حمزة يخطب بالمدينة ، فحمِد الله وأَثنى عليه ، ثم قال : يا أَهلَ المدينةِ ؛ ما لي رأَيت رسمَ الدِّين فيكم عافياً ، وآثارَه دارِسَة ! لا تَقبلون عليه عِظَة ، ولا تفقهون من أَهلِه حُجَّة ، قد بَلِيتْ فيكم جِدَّتُه ، وانطمست عنكم سنّته ، ترَوْن معروفه مُنكراً ، والمُنكرَ من غيرِه مَعروفاً ، إذا انكشفت لكم العِبَر ، وأُوضحتْ لكم النُّذُر ، عميتْ عنها أَبصارُكم ، وصُمّت عنها أَسماعكم ، ساهينَ في غَمرة ، لاهينَ في غَفْلة ، تَنْبسطُ قلوبُكم لِلْباطل إذا نُشِر ، وتنقبضُ عن الحقِّ إذا ذُكِر ، مستوحِشةً من العلم ، مستأنِسةً بالجهل ، كلّما وقعت عليها موعِظَةٌ زادَتْها

عن الحقِّ نُفوراً ، تحمِلون منها في صدوركم كالحجارة أو أشدَّ قسوة من الحجارة ، أوَلم تَلِنْ لكتاب الله الذي لو أُنزِلَ على جَبَل لرأيتَه خاشعاً مُتصدِّعاً من خَشيةِ الله ! يا أهلَ المدينةِ ، ما تُغني عنكم صحَّةُ أبدانِكم إذا سَقِمت قلوبُكم إن الله قد جعل لكلّ شيء غالباً يُقادُ له ، ويطيعُ أمرَه ، وجعل القلوبَ غالبةً على الأبدانِ ، فإذا مالت القلوبُ مَيلاً كانت الأبدانُ لها تَبَعاً ، وإنَّ القلوبَ لا تلين لأهلِها إلاّ بصِحَّتها ، ولا يصحِّحُها إلاّ المعرفةُ باللهِ وقوَّةُ النِّيَّة ، ونفاذُ البصيرة . ولو استشعرتْ تقوى الله قلوبُكم لاستعملتْ بطاعة الله أبدانكم . يا أهلَ المدينة ، دارُكم دارُ الهِجرة ، ومَثْوى رسول الله ﷺ ، لمّا نَبَتْ به دارُه ، وضاق به قرارُه ، وآذاه الأعداءُ ، وتجهَّمَتْ له ، فنَقله إلى قوم ، لعَمْري لم يكونوا أمثالكم ، مُتوازرين مع الحقِّ على الباطلِ ، ومختارين للآجلِ على العاجلِ ، يصبرون للضَّرّاء رجاءَ ثوابِها ، فنَصروا اللهَ ، وجاهدوا في سبيله ، وآوَوْا رسول الله ﷺ ، ونصروه ، واتَّبعوا النورَ الذي أُنْزِل معه ، وآثروا اللهَ على أنفسهم ولو كانت بهم خَصاصَةٌ ، قال الله تعالى لهم ولأمثالِهم ولمَن اهتدى بهُداهم : ﴿ومَن يوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المفلحون﴾ [1] وأنتم أبناؤهم ، ومَن بَقِي من خَلَفهم ، تَتْركون أن تَقتَدوا بهم ، أو تأخذُوا بسنَّتِهم ، عُمْيِ القلوب ، صُمّ الآذان ، اتَّبعتُم الهوى ، فأرداكم عن الهُدى وأسْهاكم ، فلا مواعظُ القرآن تزجرُكُم فتزدَجروا ، ولا تعِظُكم فتعتَبروا ، ولا تُوقظكم فتَستيقظوا ، لبئس الخَلَفُ أنتم من قوم مَضَوْا قبلَكم ، ما سِرتُم بسيرتهم ، ولا حَفِظتم وصيتَهم ، ولا احتذيتُم مثالَهم ، لو شُقَّت عنهم قبورُهم ، فعُرِضَت عليهم أعمالُكم لعَجِبوا كيف صُرِفَ العذابُ عنكم . قال : ثم لَعَن أقواماً .

[خطبة أخرى]

قال هارون : وحدَّثني داود بن عبد الله بن أبي الكِرام ، وأخرَجَ إليَّ خطَّ ابن فَضالة النحويّ بهذا الخبر : أنّ أبا حمزةَ بلغه أنَّ أهلَ المدينة يَعيبون أصحابَه لحداثة أسنانهم ، وخفّة أحلامهم ، فبلَغه ذلك عنهم ؛ فصَعِد المِنبر ؛ وعليه كِساء غليظٌ ؛ وهو متنكِّبٌ قوساً عربيّة فحمد الله ، وأثنى عليه وصلّى على نبيه ﷺ وآله ، ثم قال : يا أهلَ المدينة ، قد بلغتْني مقالتُكم في أصحابي ، ولولا معرفَتي بضعفِ رأيكم وقلّةِ عقولكم لأحسنتُ أدبكم ، ويحكم ! إنّ رسول الله ﷺ أُنزِل عليه الكتابُ ، وبُيِّنَ له فيه السُّنَن ، وشرع له فيه الشرائع ، وبُيِّنَ له فيه ما

1 سورة الحشر ، الآية : 9 .

يأتي وما يذَر ، فلم يكن يتقدّمُ إلاّ بأَمر الله ، ولا يُحجم إلاّ عن أَمر الله ، حتى قبضه الله إليه ، ﷺ ، وقد أَدَّى الذي عليه ، لم يدعْكم من أَمركم في شُبهة ، ثم قام من بعده أَبو بكر ؛ فأَخذ بسُنّته ، وقاتل أَهلَ الرِّدّة ؛ وشمّر في أَمر الله ؛ حتى قبضه الله إليه والأُمّة عنه راضُون ، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه ؛ ثم وَلِي بعده عُمر ، فأَخذ بسنّة صاحبَيْه ، وجنَّد الأَجنادَ ؛ ومصَّر الأَمصارَ ؛ وَجَبى الفَيْء ؛ فقسَّمه بين أَهله ؛ وشمَّر عن ساقه ، وحَسَر عن ذراعه ، وضرب في الخمر ثَمانين ، وقام في شهر رمضان ، وغزا العدُوَّ في بلادهم ؛ وفتح المدائنَ والحُصونَ ؛ حتى قَبضهُ الله إليه والأُمّة عنه راضُون ، رحمةُ الله عليه ورضوانُه ومغفرته ، ثم وَلِي من بعده عُثمانُ بنُ عفّان فعَمِل في ستٍّ سنين بسُنّة صاحبيه ؛ ثم أَحدثَ أَحداثاً أَبطل آخرٌ منها أَوّلاً ، واضطرب حبلُ الدِّين بعدها ، فطلبها كلُّ امرىءٍ لنفسه ، وأَسرّ كلُّ رجل منهم سريرةً أَبداها الله عنه ؛ حتى مَضَوْا على ذلك ، ثم وَلِيَ عليّ بنُ أَبي طالب ، فلم يبلغ من الحقّ قَصْداً ؛ ولم يرفع له مناراً ومضى ؛ ثم وَلِي معاويةُ بنُ أَبي سفيان لعينُ رسول الله ﷺ وابنُ لعينه ، وجِلْف من الأعراب ، وبقيةٌ من الأحزاب ، مؤلَّف طليقٍ ، فسفك الدمَ الحرامَ ، واتّخذ عباد الله خَوَلاً ، ومالَ اللهِ دُوَلا ، وبغى دينه عِوَجاً ودَغلاً[1] ، وأَحلَّ الفرج الحرام ، وعَمِل بما يشتهيه ؛ حتى مَضى لسبيله ، فعل اللهُ به وفَعَل ، ثم ولي بعده ابنُه يزيدُ : يزيدُ الخمور ، ويزيدُ الصّقور ، ويزيدُ الفهود ، ويزيد الصَّيود ، ويزيدُ القُرود ، فخالف القرآنَ ، واتّبع الكهَّان ، ونادم القِردَ ، وعَمِل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعَنَهُ الله ، وفعلَ به وفعلَ ، ثم وَلِيَ مروانُ بنُ الحكم طريدٌ لعينُ رسول الله ، ﷺ وآله ، وابنُ لعينه ؛ فاسقٌ في بطنه وفرْجِه ، فالعنُوه والعنُوا آباءه ثم تداولها بنو مروان بعده ؛ أَهلُ بيتِ اللعنة ، طُرَداءُ رسولِ الله ، ﷺ وآله ، وقومٌ من الطلقاء ليسوا من المهاجِرينَ والأنصارِ ولا التابعين لهم بإحسان ، فأَكلوا مالَ الله أَكلاً ، ولَعِبوا بدين الله لَعِباً ، واتّخذوا عبادَ الله عبيداً ، يُورّث ذلك الأَكبرُ منهم الأَصغرَ . فيا لها أُمّةً ، ما أُضيعَها وأَضعفَها ! والحمد لله ربِّ العالمين ، ثم مَضَوا على ذلك من أَعمالهم واستخفافِهم بكتاب الله تعالى ؛ قد نَبذوه وراءَ ظهورهم ، لعنَهم الله ؛ فالعنوهم كما يستَحِقُّون ؛ وقد وَلِي منهم عمرُ بن عبد العزيز ؛ فبلغ ؛ ولم يَكدْ ؛ وعجزَ عن الذي أَظهرَه ، حتى مَضى لسبيلِه ، ولم يذكُرْه بِخَير ولا شرٍّ ، ثم وَلِيَ يزيدُ بنُ عبد الملك ، غلامٌ ضعيفٌ

1 دغلاً : فساداً .

سفيه غيرُ مأمونٍ على شيء من أُمور المسلمين ، لم يبلغ أَشدَّه ، ولم يُؤانِسُ رُشدهُ ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿فإن آنسْتُم منهم رُشداً فادفعوا إليهم أَموالَهم﴾[1] فأَمرُ أُمّة محمدٍ في أَحكامها وفروجها ودمائها أَعظمُ من ذلك كلّه ، وإن كان ذلك عند الله عظيماً ، مأبونٌ في بطنه وفَرجه ، يشربُ الحرام ، ويأْكلُ الحرام ، ويلبسُ الحرامَ ، ويلبسُ بردتين قد حِيكَتا له ، وقُوِّمتا على أهلهما بأَلف دينار وأَكثر وأَقلّ ، قد أُخِذَتْ من غيرِ حِلّها وصُرِفتْ في غير وجهها ، بعد أَن ضُرِبتْ فيها الأَبشار[2] ، وحُلِقتْ فيها الأَشعار ، واستُحلَّ ما لم يُحلُّ اللهُ لعبدٍ صالح ، ولا لنبيّ مُرسَل ، ثم يُجلسُ حَبابة عنْ يمينه ، وسَلاّمة عن شِماله تُغنّيانه بمزامير الشَّيطانِ ، ويشربُ الخمر الصُّراح المحرمة نصّاً بعينها ، حتى إذا أُخذت مأخذَها فيه ، وخالطت روحَه ولحمُه ودَمه ، وغلبتْ سَوْرتُها على عَقله مزَّق حُلَّتَيْه ، ثم التفت إليهما فقال : أَتأْذنانِ لي أَن أطيرَ ؟ نَعَم ، فَطِرْ إلى النارِ ، إلى لعنةِ الله وناره حيث لا يردُّك الله .

ثم ذكر بني أُميّة وأَعمالَهم وسيرَهم فقال : أَصابُوا إمرة ضائعةً وقوماً طَغاماً جُهَّالاً ، لا يقومون لله بحقّ ، ولا يفرّقون بين الضلالة والهُدى ، ويروْن أَنّ بني أُميّة أَربابٌ لهم ، فملكوا الأمرَ ، وتسلَّطوا فيه تسلُّطَ رُبوبيّة ، بطشُهم بطشُ الجبابرة ، يحكمون بالهَوى ، ويقتلُون على الغضب ، ويأْخُذون بالظنّ ، ويُعطِّلون الحدود بالشفاعات ، ويؤمِّنُون الخَونةَ ويُقْصُونَ ذَوي الأَمانةِ ، ويأخذون الصدقَةَ في غير وقتها على غير فَرضِها ، ويضعونَها في غيرِ موضِعها ، فتلك الفرقَةُ الحاكمةُ بغير ما أَنزل اللهُ ، فالعَنوهم ، لعنَهُم اللهُ !

وأَمّا إخوانُنا من هذه الشيعَة فليسوا بإخواننا في الدِّين ، لكن سمعتُ اللهَ عزَّ وجلَّ قال في كتابه : ﴿يا أيّها النّاسُ إنّا خلقناكم من ذَكر وأُنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لتعارفُوا﴾[3] شيعةٌ ظاهرتْ بِكتاب الله ، وأَعلنت الفِريةَ على الله لا يرجِعون إلى نَظَر نافذٍ في القرآن ، ولا عقلٍ بالغ في الفِقه ، ولا تفتيشٍ عن حقيقةِ الصّواب ، قد قلّدوا أَمرهم أَهواءَهم ، وجعلوا دينَهم عصبيّة لحزبٍ لزموه ، وأَطاعوه في جميع ما يقوله لهم ، غَيّاً كان أو رُشداً ، أَو ضَلالةً أَو هُدًى ، ينتظرون الدُّوَل في رَجْعةِ الموتى ، ويؤمنونَ بالبعث قبلَ الساعةِ ، ويدّعون عِلم الغيب

---

1 سورة النساء ، الآية : 6 .

2 الأبشار : الجلود .

3 سورة الحجرات ، الآية : 13 .

لمخلوق ، لا يعلم أحدُهم ما في داخل بيته ، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبُه أو يحويه جسمه ، يَنقمون المعاصيَ على أهلها ، ويُعلَمُون إذا ظهروا بها ، ولا يعرفون المخرجَ مِنها ، جُفاة في الدِّين ، قليلةٌ عقولُهم ، قد قلّدوا أهل بيتٍ من العرب دينَهم ، وزعموا أنَّ موالاتِهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنجيهم من عِقاب الأعمال السيئة ﴿قاتلهم الله أنّى يُؤفكون﴾ [1] فأيَّ هؤلاء الفِرق يا أهل المدينة تَتْبعون ؟ أو بأيِّ مذاهِبهم تَقتَدون ؟ وقد بلغني مقالَتُكم في أصحابي ، وما عبتموه من حَداثة أسنانهم ، ويحكمُ ! وهل كان أصحابُ رسول الله ، ﷺ وآله ، المذكورون في الخَير إلاّ أحداثاً شَباباً . شبابٌ والله مكتَهلون في شبابهم ، غَضيضَةٌ عن الشرّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أنضاءُ عبادة قد [2] نظر اللهُ إليهم في جَوْف الليل مُنحنِيةً أصلابُهم على أجزاءِ القرآن ، كلّما مرَّ أحدُهم بآية من ذكر الجنّة بكى شَوقاً ، وكلّما مَرَّ بآية من ذكر النّار شَهق خوفاً ، كأنّ زفيرَ جهنَّمَ بين أُذُنيه ، قد أكلت الأرضُ جباهَهم ورُكَبهم ، ووصلوا كَلالَ الليل بكلال النّهار مصفرَّةً ألوانُهم ، ناحلةً أجسمُهم من طول القيامِ وكثرة الصيامِ ، أنضاءُ عبادةٍ ، مُوفُون بعهد الله ، مُنْتَجِزُون لوعد الله ، وقد شَرَوْا أنفسهم ، حتى إذا التقت الكتيبتانِ وأبرقت سُيوفُها وفُوّقت [3] سِهامُها ، وأُشرِعَتْ رماحُها لقُوا شَبا الأسنّة ، وشائكَ السهام ، وظُباةِ السيوفِ بنُحورهم ووُجوههم وصُدورهم ، فمضى الشابُّ منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه ، واختضَبتْ محاسنُ وجهِه بالدِّماء ، وعُفِّر جبينُه بالثّرى ، وانحطَّتْ عليه الطير من السماء ، وتمزقتْه سِباعُ الأرض ، فكم من عين في مِنقار طائر ، طالما بكى بها صاحبُها في جَوْفِ الليل من خوف الله ! وكم من وجهٍ رقيق وجَبين عتيق قد فُلِق بِعَمَد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فِراق الإخوان ! رحمةُ الله على تلك الأبدان ، وأدخل الله أرواحَهم الجِنان .

[مروان يغزوهم]

قال هارون : بلغني أنّه بايعه بالمدينة ناسٌ منهم إنسان هُذَلِيّ ، وإنسان سُراقي وبشكسْتُ الذي كان معلمَ النحو ، ثم خرج ، وخلّف بالمدينة بعضَ أصحابه ، فسار حتى نزل الوادي ، وكان مروان قد بعثَ ابن عطيّة .

1 سورة التوبة ، الآية : 30 .

2 بهم نحافة وهزال من العبادة ، والنضو في الأصل : البعير المهزول .

3 الفوق : موضع السهم من الوتر .

قال هارون : حدَّثني أبو يحيى الزُّهْريّ أنّ مروانَ انتخَبَ من عسكره أربعةَ آلاف استعمل عليهم ابن عطيّة ، فأمره بالجدّ في السير ، وأعطى كلّ رجل من أصحابه مائةَ دينار وفرساً عربيّاً ، وبَغلاً لثِقله ، وأمره أن يَمضي ، فيقاتِلَهم .

[يتفاءل بغلام]

وقال المدائنيّ : بعث عبد الملك بن عطيّة السعديّ ، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلافِ ، معه فرسانٌ من أهل الشام ووجوهِهم ، منهم شُعَيب البارقيّ ، ورومي بن ماعز المُرّي ، وقيل : بل هو كِلابيّ ، وفيهم ألفٌ من أهل الجزيرة ، وشَرطوا على مروانَ أنّهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه ، رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز ، فأجابهم إلى ذلك ؛ قالوا : فخرج ؛ حتى إذا نزل بالمعَلّى . فكان رجلٌ من أهل المدينة يقال له : العلاء بن أفلح مولى أبي الغَيْث يقول : لقِيَني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطيّة ؛ فسألني : ما اسمك يا غلام ؟ فقلت : العلاء ، فقال : ابنُ مَن ؟ فقلت : ابنُ أفلح ، قال : أعربيٌّ أم مولى ؟ قلت : بل مولى ، قال : مولى مَن . قلت : مولى أبي الغَيْث ، قال : فأينَ نحنُ ؟ قلتُ : بالمعلّى ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلتُ : بغالبٍ ، قال : فما كلَّمني ، حتى أردفَني خلفَه ، ثم مضى بي ، حتى أدْخَلَني على ابن عطيّة ، فقال : سَل هذا الغلام : ما اسمه ؟ فسألني ، فرددت عليه القولَ الذي قلت ، فسُرَّ بذلك ؛ ووهب لي دراهم .

[أبو صخر الهذليّ يستبشر بابن عطيّة]

وقال أبو صخر الذهليُّ حين بلغه قدوم ابن عطيّة : [من الرجز]

قُل للذين استُضعِفوا لا تعجَلوا أتـاكُمُ النصرُ وجيشٌ جَحْفَلُ
عشرونَ ألفاً كلّهـم مُسربَلٌ يقدُمهم جَلْد القُوى مُستبسِلُ
دونَكـمُ ذا يَمـنٍ فأقبِلُـوا وواجهوا القومَ ولا تستَخْجِلوا
عبدُ المليـكِ القُلَّبِـيُّ الحُوّلُ أقسمَ لا يُقْـلى ولا يُـرَجَّلُ
حتـى يبيدَ الأعـورُ المضلَّل ويقتـلَ الصَّبـاح والمفضَّلُ

الأعورُ عبد الله بن يَحيى رئيسُهم .

[ابن عطيّة ينتصر على بلج]

قال المدائنيّ عن رجاله : وبعثَ أبو حمزةَ بلجَ بن عقبة في ستّمائة رجل ليقاتلَ عبدَ الملك بنَ

عطيّة ، فلقيه بوادي القُرى لأيّام خلتْ من جُمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا ، ودعاهم بلْجٌ إلى الكتاب والسنّة ، وذكَر بني أُميّة وظُلمَهم ، فشتَمهم أهلُ الشام ، وقالوا : أنتم يا أعداء الله أحقّ بهذا ممّن ذكرتُم وقلتم ، فحمل عليهم بلْجٌ وأصحابُه ، فانكشف طائفة من أهل الشام ، وثبت ابن عطيّة في عصبةٍ صبروا معه ، ونادى يا أهلَ الشام يا أهلَ الحِفاظ ناضِلوا عن دينكم وأميرِكم ، فكرُّوا ، وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قِتالاً شديداً ، فقُتِل بلْجٌ وأكثرُ أصحابه ، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبلٍ اعتصموا به ، فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثةَ أيّام فقتَلَ منهم سبعين رجلاً ونجا ثلاثون ، فرجعوا إلى أبي حمزة ، ونصب ابنُ عطيّة رأسَ بلْجٍ على رُمحٍ ، قال : واغتمّ الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القُرى إلى المدينة ، وهم الثلاثون ، ورجعوا وجزعوا من انهزامهم ، وقالوا : ما فررنا من الزَّحف ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأنا لكم فِئة وإليّ انصرفتم .

[أهل المدينة ينقضون على الخوارج]

قال المدائنيّ : وخرج أبو حمزةَ من المدينة إلى مكّة ، واستخلف رجلاً يقال له : المفضّل عليها ، فدعا عمرُ بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطّاب الناسَ إلى قتالهم ، فلم يجد كبيرَ أمرٍ ؛ لأنّ القتل قد كان شاع في النّاس ، وخرج وجُوه أهل البلدِ عنه ؛ فاجتمع إلى عمرَ البربرُ والزّنجُ وأهل السوق والعبيد ، فقاتل بهم الشُّراة ؛ فقُتِل المفضَّلَ وعامةُ أصحابه ؛ وهرب الباقون ؛ فلم يبق في المدينة منهم أحد ؛ فقال في ذلك سُهيْل أبو البيضاء مولى زينب بنتِ الحكم بن العاصي : [من مجزوء الرمل]

ليت مروانَ رآنا ... يوم الاثنين عَشيَّهْ
إذ غسلنا العارَ عنّا ... وانتضيْنا المَشْرَفِيّهْ

قال : فلمّا قدِم ابنُ عطيّة المدينةَ أتاه عمر بن عبد الرحمن بن أسيد ؛ فقال له : أصلحك اللهُ ! إنّي جمعتُ قَضّي وقَضيضي[1] ؛ فقاتلت هؤلاء ؛ فقتلنا مَن امتنعَ من الخروج عن المدينة وأخرجنا الباقين ، فلقيه أهل المدينة بقَضّهم وقضيضِهم .

[مصرع أبي حمزة وزوجته]

قال : وأقام ابنُ عطيّةَ بالمدينة شهراً ؛ وأبو حمزة مقيم بمكّة ؛ ثم توجَّه إليه فقال له عليّ بنُ

1 مثل : يقال إذا جاء القوم كلهم «جاءوا قضهم بقضيضهم» ، فصل المقال 198 .

حُصين العنبريّ : إنّي قد كنت أشرتُ عليك يوم قُدَيد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلّهم ، فلـم تفعل ، وعرّفتُك أنّهم سيغدِرون فلم تقبل ؛ حتى قتلوا المفضّل وأصحابَنا المقيمين بالمدينة ؛ وأنا أشيرُ عليك اليومَ أن تضع السيفَ في هؤلاء ؛ فإنّهم كَفَرة فجرَة ؛ ولَو قدِم عليك ابن عطيّة لكانوا أشدَّ عليك منه ؛ فقال : لا أرى ذلك ؛ لأنّهم قد دخلوا في الطاعة ؛ وأقروا بالحكْم ؛ وَوَجب لهم حقُّ الولاية ؛ قال : إنّهم سيغدِرون ؛ فقال : أبعدهم اللهُ ، ﴿فمن نكثَ فإنّما ينكُث على نفسِه﴾[1] . قال : وقَدِم عبد الملك بن عطيّة مكّةَ ، فصيّر أصحابه فِرقتين ، ولقيَ الخوارج من وجهين ؛ فصيّر طائفةً بالأبطح ؛ وصار هو في الطائفةِ الأخرى بإزاء أبي حمزة ؛ فصار أبو حمزة أسفلَ مكّة ؛ وصيّر أبرهةَ بن الصَّبَّاح بالأبطح في ثمانين فارساً ، فقاتلهم أبرهة : فانهزم أهلُ الشام إلى عَقَبة مِنى ؛ فوقفوا عليها ؛ ثم كرُّوا ؛ وقاتلهم ؛ فقُتل أبرهةُ : كمَن له هبَّار القُرشيّ ؛ وهو على خيل دمشق عندَ بئر ميمون ؛ فقتله ؛ وتَفرّق الخوارجُ ؛ وتَبعهم أهلُ الشام يقتلونهم ؛ حتى دخلوا المسجد ، والتقى أبو حمزة وابن عطيّة بأسفل مكّة ؛ فخرج أهل مكّة مع ابن عطيّة ؛ فقُتِل أبو حمزة على فَم الشِّعب وقُتِلتْ معه امرأته ؛ وهي ترتجز وتقول : [من الرجز]

أنـا الجُعَيْـداءُ وَبنتُ الأعلمْ ... من سال عن إسمي فإسمي مَريمْ

بعتُ سِواريّ بسيفٍ مِخذَمْ[2]

[صلب أبي حمزة وأبرهة]

قال : وتَفرَّقتِ الخوارجُ فأسر أهلُ الشام منهم أربعمائة ؛ فدَعا بهم ابنُ عطيّة ؛ فقال : ويلَكم ! ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ قالوا : ضمن لنا الكَنّة : يريدون الجَنَّة ، وهي لغتُهم ، فقتلهم ، وصلَبَ أبا حمزة وأبرهةَ بنَ الصباح ورجلَين من أصحابهم على فَمِ الشّعب : شِعب الخَيْف ، ودخل علي بن الحصين داراً من دُور قريش ، فأحدق أهل الشام بالدّار فأحرقوها ، فلمّا رأى ذلك رمى بنفسه من الدار ، فقاتلَهم وأُسِر فقُتِل ، وصُلِب مع أبي حمزة ، ولم يزالوا مصلَّبين حتى أفضى الأمرُ إلى بني العبّاس ، وحجَّ مهلهِل الهُجَيميّ في خلافة أبي العبّاس ، فأنزل أبا حمزة ليلاً ، فدفنه ، ودفن خشبته .

1 سورة الفتح ، الآية : 10 .

2 مخذم : قاطع .

[مصرع مخنثين]

قال المدائنيّ : وكان بمكّة مُخنَّثان ، يقال لأحدهما : سبكت ، وللآخر : صَقرة ، فكان صقرة يرجُف بأهل الشام ، وكان سبكت يرجُف بالإباضية ، فعرف الخوارجُ أمرهما ، فوجّهوا إلى سبكت ، فأخذوه فقتلوه ، فقال صقرة : يا ويله هو والله أيضاً مقتول ، وإنّما كنتُ أنا وسبكت نتكايد ونتكاذَب ، فقتلوه ، وغداً يجيء أهل الشام ، فيقتلونَني ، فلمّا دخل ابنُ عطيّة مكّة عرف خبرَهما ، فأخذ صقْرةَ ، فقتله .

[مذهب ابن عطيّة]

وقال هارون في خبره : أخبرني عبد الملك بنُ الماجِشون ، قال : لمّا التقى أبو حمزة وابن عطيّة قال أبو حمزة : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم : ما تقولون في القرآن والعملِ به ؟ فصاح ابن عطيّة : نضعه في جرف الجوالق[1] ، قال : فما تقولونَ في مال اليتيم ؟ قال : نأكل ماله ؛ ونفجُر بأمّه ، [ثم أجاب] في أشياء بلغني أنّه سأله عنها ؛ فلمّا سمعوا كلامَهم قاتلوهم ؛ حتى أمسَوا ؛ فصاحت الشُّراةُ : ويحك ، يا ابن عطيّة ! إنّ الله ، جلَّ وعزَّ ، قد جعل الليلَ سكَناً ؛ فاسكن ونسكن ؛ فأبى وقاتَلهم ؛ حتى قتلَهم جميعاً .

[أهل المدينة يجهزون على من بقي منهم]

قال هارون : أخبرني موسى بن كَثير أنّ أبا حمزة خطب أهلَ المدينة ؛ وودَّعهم ؛ ليخرجَ إلى الحرب ؛ فقال : يا أهل المدينة ؛ إنّا خارجون لحرْب مرْوان ؛ فإن نظهرْ نعدِلْ في أحكامكم ؛ ونحمِلْكم على سنّةِ نبيكم ، ونقسِم بينكم ، وإن يكن ما تَمنَّوْن لنا فسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبون ، قال : ووثب الناسُ على أصحابه حين جاءهم قتلُه ، فقتلوهم ، فكان بشكسْت ممّن قُتلوا ، طلبوه فرقى في درجة كانت في دار أُذينة ، فلحقوه فأنزلوه منها ، وهو يصيح : يا عباد الله ، فيم تقتلونني ؟

قال : وأنشدني بعضُ أصحابنا : [من المتقارب]

لقد كان بشكسْتُ عبد العزيز ... مـنَ اهـل القراءةِ والمسجدِ
فبُعداً لبشكسْتِ عبـد العزيز ... وأمّا القُـرانُ فـلا يَبعدِ

---

1 الجوالق : الوعاء .

[القتل للشاري والشامي معاً]

قال هارون : وأخبرني بعض أصحابنا أنّه رأى رجلاً واقفاً على سطح يرمي بالحجارة فقيل : ويلَك ! أتدري مَن ترمي مع اختلاط النّاس ؟ قال : والله ما أُبالي مَن رميت ؟ إنّما هو شامٍ وشارٍ ، والله ما أُبالي أيُّهما قتلتُ !

[مصرع طالب الحق]

وقال المدائنيّ : لمّا قَتَلَ ابنُ عطيّة أبا حمزة بعث برأسه مع عُروة بن زيد بن عطيّة إلى مَروانَ ، وخرج إلى الطائف ، فأقام بها شهرين ، وتزوّج بنتَ محمد بن عبد الله بن أبي سويد الثقفيّ ؛ واستعمل على مكّة روميَّ بنَ عامر المُرّي . وأتى فَلُّ أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء . فأقبل معه أصحابُه . وقد لقّبوه طالبَ الحقّ ، يريد قتالَ ابنِ عطيّة ، وبلغ ابنَ عطيّةَ خبرُه ، فشَخَصَ إليه ، فالتقوا بكسة ، فأكثر أهل الشام القتلَ فيهم ، وأخذوا أثقالهم وأموالَهم ، وتشاغلوا بالنَّهب ، فركِب عبد الله بن يحيى فكشفهم ، فقتَل منهم نحو مائة رجل ، وقتلَ قائداً من قوّادهم يقال له : يزيد بن حَمل القُشَيريّ من أهل قِنّسْرين ، فذمرهم[1] ابن عطيّة ، فكرُّوا ، وانضمّ بعضهم إلى بعض . وقاتلوا حتى أمسَوْا ، فكفَّ بعضُهم عن بعض ، ثم التقَوْا من غد في موضع كثيرِ الشجر والكَرْم والحيطان ، فطال القتالُ بينهم ، واستحرّ القتلُ في الشُّراة ، فترجَّل عبدُ الله بنُ يحيى في ألف فارس ؛ فقاتلوا ، حتى قُتِلوا جميعاً عن آخرهم ؛ وانهزم الباقون ؛ فتفرّقوا في كلّ وجه . ولَحِق مَن نجا منهم بصنعاء ؛ وولّوا عليهم حمامة فقال أبو صخر الهُذَليّ : [من الطويل]

قتلنا دُعيساً والذي يكتَني الكُنى ... أبا حمزة الغاوي المضلَّ اليَمانيا
وأبرهةَ الكِندِيَّ خاضتْ رماحُنا ... وبلْجاً صبحناه الحُتوفَ القَواضيا
وَما تركت أسيافُنا منذ جُرِّدَتْ ... لمروانَ جبّاراً على الأرض عاديا

[مطولة في رثاء الشراة]

قال المدائنيّ : وبَعث عبدُ الملك بن عطيّة رأسَ عبدِ الله بن يحيى مع ابنه يزيدَ بنِ عبد الملك إلى مروان . وقال عمرو بن الحصين ، ويقال : الحسن العنبريّ ، مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة . وهذه القصيدة التي في أوّلها الغناء المذكور أوّل هذه الأخبار : [من الكامل]

---

1 ذمرهم : عنّفهم .

هبّتْ قُبيلَ تبلُّج الفجرِ ... هنـدٌ تقـول وَدمْعها يَجري

أن أبصرتْ عينـي مَدامعها ... ينهـلّ واكِفُها عـلى النَّحرِ

أنَّى اعتراكَ وكنتَ عهديَ لا ... سَرِبَ الدّموع وكنتَ ذا صبْرِ

أقـذًى بعينـك مـا يُفارقها ... أم عائـرٌ أم ما لهـا تُذري[1]

أم ذِكرُ أخوان فُجعتَ بهـم ... سلكـوا سبيلَهُـمُ عـلى خُبْرِ

فأجبتُها بـل ذكـرُ مصرَعِهم ... لا غيرُه عبراتُهـا تَمـرِي

يـا ربِّ أسلِكنـي سَبيلَهمُ ... ذا العرش واشْدُد بالتُّقى أزرِي

في فِتيـةٍ صبروا نفوسَهـمُ ... للمشرفيّـة والقَنـا السُّمْرِ

تاللهِ ألقـى الدَّهـرَ مثلَهـمُ ... حتـى أكـونَ رهينـةَ القَبرِ

أوفـى بذمّتهـم إذا عَقَـدُوا ... وَأعِـفّ عنـد العُسر واليُسرِ

متأهِّلـينَ لكـلِّ صالحـةٍ ... ناهـين مَـنْ لاقَوْا عن النُّكْرِ

صُمتٌ إذا احتضروا مجالِسَهم ... وُزُن لقـول خَطيبهـم وُقْرِ

إلاّ تجيبهـمُ فإنّهـمُ ... رُجُف القلوب بحضْرة الذِّكْرِ

متأوِّهـون كأنّ جمـرَ غَضاً ... للخوف بين ضلوعِهم يَسري

تلقاهـمُ إلاّ كأنّهـمُ ... لخشوعهم صَدَروا عن الحَشْرِ

فهمُ كأنَّ بهم جَـوى مرضٍ ... أو مسَّهمْ طَـرْفٌ من السِّحْرِ

لا ليلُهـم ليـلٌ فيلبَسُهـم ... فيـه غَواشي النـومِ بالسُّكْرِ

إلاّ كـذا خُلساً وآونـةً ... حذرَ العقابِ وهم على ذُعْرِ

كم من أخٍ لك قد فُجعتَ بـه ... قـوّامُ ليلتِـه إلى الفَجْرِ

متـأوِّهٍ يتلـو قـوارعَ مِـن ... آي القُـرانِ مفـزَّع الصَّدْرِ

نَصِبٍ تَجيشُ بنـاتُ مُهجته ... بالموتِ جَيْش مُشاشةِ القِدْرِ[2]

ظمـآن وقـدة كلِّ هاجرةٍ ... تَـرّاكُ لذَّتـه عـلى قَدْرِ

---

1 عائر : ما أعل العين كالعوار .

2 مشاشة القدر : العظم الهش في أطراف المفاصل .

تَرّاك مــا تهوى النفوسُ إذا رُغَبُ النفوسِ دَعتْ إلى النَّذْرِ
ومبــرّأً مــن كلِّ سَيئــةٍ عــفٌ الهوى ذي مِرّة شَزْرِ[1]
والمصطلي بــالحربِ يسعَرُها بغبارهــا وبفتيــةٍ سُعْــرِ
يجتاحها بأفــلّ ذي شُطَبٍ عضبِ المضاربِ قاطعِ البَتْرِ[2]
لا شيءَ يلقــاه أسرَّ لــه مــن طعنــةٍ في ثُغْرةِ النَّحرِ
نجــلاء مُنهَــرة تَجيشُ بما كانت عواصي جَوفِه تَجري
كخليلــكَ المختــارِ أذْكِ بــه مــن مقتــدٍ في الله أو مُشْرِ
خــوّاض غمــرةِ كلِّ مَتلفة في الله تحــت العِثْيَرِ الكُدْرِ[3]
تَرّاك ذي النَّخوات مُختَضِباً بنجيعــه بالطَّعنــة الشَّزْرِ
وابن الحصين وهــل لــه شَبَهٌ في العرفِ أنَّى كان والنُّكْرِ
بسَّامــةٍ لم تُحــنَ أضلُعــه لــذوي أُخوَّتِــه عـلى غِمْرِ
طلــق اللسانِ بكلِّ مُحكمة رآبُ صدع العَظم ذِي الوقْرِ
لم ينفِكــك في جوفــه حَزَنٌ تغــلي حرارتُــه وتستَشْري
ترقــى وآونــةً يُخفِّضُهــا بتنفّس الصُّعَــداء والــزَّفْرِ
ومُخالطــي بَلْــجٍ وخَالصتي سُمُّ العــدوِّ وجابــر الكَسْرِ
نِكْلِ الخصومِ إذا هُمُ شَغِبوا وسِداد ثَلمــة عــورة الثَّغْرِ
والخائضُ الغمراتِ يخطِــر في وسط الأعــادي أيَّما خَطْرِ
بمشطَّــبٍ أو غير ذي شُطَب هــامَ العِــدا بِذُبابِــهِ يَفْري
وأخيكَ أبرهةَ الهجان أخي الْـ ــحَربِ العَــوانِ مُلقِّحِ الجَمْرِ
بمُرِشَّةٍ فَــرْعٍ تَثُــجُّ دَمــاً ثــجَّ الغويِّ سُلافَــةَ الخَمْرِ
والضارب الأخدودِ ليس لهــا حَــدٌّ ينهنهــا عــن السَّحْرِ

---

1 الشّزر : من الفتل وتعني القوة والشدة .
2 العضب : القاطع .
3 العثير : الغبار .

وولِيُّ حكمهم فجعتُ به   عمرو فَواكَبِدي على عَمرِو
قَوّالُ مُحكَمةٍ وذي فَهَمٍ   عَفٌّ الهوى متثبّتِ الأَمْرِ
ومسيَّبٍ فاذكُرْ وصيّتَه   لا تنسَ إمّا كنتَ ذا ذُكْرِ
فكلاهُما قد كان مُحْتَسِباً   للهِ ذا تقوى وذا بِرٍّ
في مُخْبِتين ولم أُسمّهمُ   كانوا يدي وهمُ أُولو نَصري
وهمُ مساعرُ في الوَغى رُجُحٌ   وخِيارُ مَن يَمشي على العَفْرِ[1]
حتى وَفَوْا لله حيث لَقُوا   بعهودِ لا كذبٍ ولا غَدْرِ
فتخالَسوا مُهجاتِ أَنفسهم   وعُداتِهم بقواضبٍ بُتْرِ
وأَسنَّةٍ أُثْبِتْن في لُدُنٍ   خَطِّيّةٍ بأكفّهم زُهْرِ
تحتَ العَجاج وفوقَهم خِرَقٌ   يخفِقْنَ من سُودٍ ومن حُمْرِ
فتفرّجتْ عنهم كماتُهمُ   لم يُغمِضوا عيناً على وِتْرِ
فشعارُهم نِيرانُ حربِهمُ   ما بين أَعلى الشَّحْر فالحِجْرِ[2]
صرعى فَحاجِلةٌ تنوشُهُم   وخَوامِعٌ لُحمانَهمْ تَفْري[3]

[ابن عطية يتوجّه إلى صنعاء]

قال المدائنيّ : وكتب مروانُ إلى ابن عطيّة يأمره بالمسير إلى صنعاء ، ليقاتل مَن بها من الخوارج ، فاستخلفَ ابنَه محمد بن عبد الملك على مكّة ، وعلى المدينة الوليدَ بنَ عروة بن عطيّة ، وتوجَّه إلى صنعاءَ ، ورجع أَهل الجزيرة جميعاً إلى بلدهم ، وكذلك كان مروان شَرَط لهم ، فلمّا قُرب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها ، فأَخذ أَهلُ صنعاء أَثقاله وحملين من مالٍ كان معه ، فسَلّموا ذلك إلى ابن عطيّة ، وتتبع أُصحابَ عبد الله بن يحيى في كلّ موضع يقتُلهم ، وأَقام بصنعاء أَشهراً ، ثم خرج عليه رجل من أُصحابِ عبد الله بن يحيى في آل ذي الكلاع ، يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السبّاق في جمع كثير بالجند ، فبعثَ إليه ابنُ عطيّة بنَ أَخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطيّة ، فلقيه بالحرب ، فهزمه ، وقتل عامة أَصحابه ،

1 العفر : التراب .
2 الحجر : بلد بأعلى المدينة .
3 فحاجلة : جمع فحجل وهو الأفحج . خوامع : ضباع جمع خامعة .

وهرب منه فنجا ، وخرج عليه يحيى بن كرْب الحميري بساحل البحر ، وانضمّت إليه شُذّاذُ الإباضية ، فبعث إليه أبا أمية الكِنديّ في الوضاحية ، فالتقوا بالساحل ، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل ، وتحاجزوا عند المساء فهربت الإباضية إلى حَضْرَمَوت ، وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له : عبد الله بن معبد الجرْمي ، فصار في جيش كثير ، واستفحل أمرُه ، وبلغ ابنَ عطيّة الخبرُ ، فاستخلف ابنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطيّة على صنعاء ، وشخص إلى حضرموت وبلغ عبدَ الله بن معبد مسيرُ عبد الملك إليهم ، فجمعوا الطعامَ وكلّ ما يحتاجون إليه في مدينة شبام . وهي حصن حضرموت مخافة الحِصار . ثم عزموا على لقاء ابن عطيّة في الفلاة ، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت ، في عدد كثير في فلاة . وأتاهم ابن عطيّة ، فقاتلهم يومه كلّه ، فلمّا أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام حَدَر عسكرَه في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً . ثم أصبح ، فقاتلَهم حتى انتصف النهارُ . ثم تحاجزوا ، فلمّا أمسوا ، تبع عسكرَه . وأصبح الخوارج ، فلم يرَوْا للقوم أثراً . فاتّبعوهم وقد سبقوهم إلى الحِصْن ، فأخذوا جميعَ ما فيه ومَلَكوه ، ونصب ابنُ عطيّة عليهم المسالِح ، وقطع عنهم المادّة والمِيرَة ، وجعل يقتل مَن يقدر عليه ويَسبي ويأخذُ الأموال .

[مصرع ابن عطيّة]

ثم ورد عليه كتابُ مروان بن محمد يأمره بالتعجّل إلى مكّة ، ليحُجّ بالنّاس ، فصالح أهل حضرموت على أن يردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم . ويولي عليهم مَن يختارون ، وسالَموه ، فرضي بذلك ، وسالمَهم وشخَص إلى مكّة متعجّلاً مُخِفّاً . ولمّا نفَذ كتابُ مروان ندِمَ بعد ذلك بأيّام ، وقال : إنّا لله ! قتلت واللهِ ابنَ عطيّة ؛ هو الآن يخرج مُخِفّاً مُتَعجّلاً ، ليلحق الحجّ ، فيقتُلَه الخوارجُ . فكان كما قال : تعجَّل في بضعة عشر رجلاً ، فلمّا كان بأرض مُراد تلفَّفت عليه جماعةٌ ، فمَن كان من تلك الجماعة إباضيّاً عرفه ، فقال : ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه ، ومن لم يكن إباضياً ظنّه من الإباضية ، وأنّه منهزم ، فلمّا علِم أنّهم يريدونه قال لهم : ويحكم ! أنا عاملُ أمير المؤمنين على الحجّ ، فلم يلتفِتوا إلى ذلك . وقتلوه ، ونصبتِ الإباضية رأسَه ، فلمّا فتشوا متاعه ، وجدوا فيه الكتابَ بولايته على الحَجّ ، فأخذوا من الإباضية رأسَه ، ودفنوه مع جسده .

قال المدائنيّ : خرج إليه جُمانة وسَعيد ابنا الأُخنَس ، في جماعةٍ من قومهما من كِندة ، وعرفه جُمانة لمّا لقِيَه ، فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من هَمدان ، يقال له : رُمّانة .

وثلاثة من مُراد ، وخمسة من كِندة ، وقد توجّه في طريق مع أربعة نفرٍ من أصحابه . وتوجّه باقيهم في طريق آخر ، فقصدوا حيث توجَّه ابن عطيّة ، ووجّهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلاً منهم ، فأدركوهم فقتلوهم ، وأدرك سعيدٌ وجُمانة وأصحابُهما ابنَ عطيّة ، فعطف عبد الملك على سعيد ، فضربه وطعنه جُمانة ، فصرعه عن فرسه ، ونزل إليه سعيد ، فقعد على صدره ، فقال له ابنُ عطيّة : هل لك يا سعيدُ في أن تكون أكرم العرب أسيراً ؟ فقال : يا عدوَّ الله ، أترى اللهَ كان يمْهلك ؟ أو تطمع في الحياة وقد قتلتَ طالبَ الحقّ وأبا حمزة وبلْجا وأبرَهة ! فقتله وقتل أصحابَه جميعاً . وبعثوا برأسه إلى حضرموت ، وبلغ ابنَ أخيه ، وهو بصنعاء ، خبرُه . فأرسل شُعيباً البارقيّ في الخيل . فقتل الرجال والصِّبيان . وبقر بطونَ النساء ، وأخذ الأموالَ ، وأخربَ القُرى ، وجعل يتتبع البرِيء والنَّطِف[1] . حتى لم يَبْقَ أحدٌ من قتلة ابن عطيّة ولا من الإباضية إلاّ قتله ، ولم يزل مقيماً باليمن إلى أن أفضى الأمرُ إلى بني هاشم ، وقام بالأمر أبو العبّاس السفّاح .

* * * *

1 النّطف : النجس والمريب .

الفهرس

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين　　　　الأستاذ بكر عباس

المجلد الرابع والعشرون

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

24

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[523] ـ خبر عبد الله بن أبي العلاء

عبدُ اللهِ بنُ أبي العلاء ، رجلٌ من أهلِ سُرَّ مَن رأى . وكان يأخُذُ عن إسحاقَ وطبقتِه فبَرع ، وله صنعةٌ يَسيرةٌ جيِّدةٌ .

[حسن الوجه والزي]

وابنُه أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بن أبي العلاء ، أحدُ المُحْسِنين المتقدِّمين ، أخذ عن مُخارقٍ وعلُّويَه وطَبَقتِهما . وعُمِّرَ إلى آخرِ أيّام المعتضدِ . وكانت فيه عرْبدةٌ .

وكان عبدُ الله بن أبي العَلاء حَسَنَ الوجهِ والزِّيِّ ، ظريفاً شَكِلاً .

حدَّثني ذَكاءُ وجهُ الرُّزّة قال : قال لي ابنُ المكّي المُرْتَجِلُ : كان يُقوِّم دابة عبدِ الله بن أبي العلاءِ وثيابَه إذا ركب ألفَ دينارٍ .

[يعتذر عن البقاء عند إسحاق]

قال : وقال لي ابنُ المكِّيّ : حدَّثني أبي ، قال : نظر أحمدُ بن يُوسُفَ الكاتبُ إلى عبد الله بنِ أبي العلاء عند إسحاقَ ، وهو يُطارِحُه ، فأقام عند إسحاقَ ، وسألَه احتباسَ عبدِ الله عندَه ، فأمَرَه بذلك ، فاعْتلَّ عليه . وقال : أُريدُ أن أُشَيِّع غازياً يخرُجُ من جيراننا ، فقال له أحمدُ بن يوسُفَ : [من الكامل]

لا تَخرُجَنَّ مع الغُزاةِ مُشَيِّعاً ... إنَّ الغَـزِيَّ يـراكَ أفضلَ مَغْنَمِ
ودَعِ الحَجيجَ ولا تُشيِّع وَفْدَهُمْ ... أخْشى عليكَ من الحَجيجِ المُحرِمِ
مـا أنـتَ إلاَّ غـادَةٌ مَمْكُورةٌ ... لـولا شَوارِبُـكَ المُحيطةُ بالفَمِ

وقد رُوِي أنَّ هذا الشعرَ لسعيدِ بن حُمَيدٍ[1] في عبد الله بن أبي العلاء . وهو الصَّحيح .

فأقسمَ عليه إسحاقُ أن يُقيمَ ، فأقامَ .

وقال لي جعفرُ بن قُدامةَ ، وقد تجاذبْنا هذا الخبرَ : حدَّثني حمّادُ بن إسحاقَ ، عن أبيه : أنّ العِشْرةَ اتّصلتْ بينَ عبدِ الله وبين أحمدَ بن يوسفَ ، وتَعشَّقَهُ وأنفقَ عليه جُملةً من المالِ ، حتّى اشتهرَ به ، فعاتبَه محمدُ بن عبدِ المَلِكِ الزيَّاتِ ، في ذلك ، فقال له : [من السريع]

1 تقدمت هذه الأبيات مع بعض اختلاف في ترجمة سعيد بن وهب منسوبة إليه في الجزء 20 : 215 .

لا تعذِلنّي يــا أَبا جَعْفرٍ عَذْلُ الأَخِلاّء مــن اللُّومِ
إنَّ اسْتَهُ مُشْرَبَــةٌ حُمرةً كأنَّـها وَجْنَـــةُ مَكْظُومِ

وقد قيل : إنَّ هذين البيتين لأحمدَ بن يوسُف في موسى بن عبد الملك .

[أبوه سقاء]

وكان بعضُ الشعراء قد أُولِعَ بعبد الله بن أبي العلاء ، يهجوه ويذكرُ أنَّ أباه أبا العلاء هو سالم السَّقّاءُ ، وفيه يقول هذا الشعرَ : [من الخفيف]

كنتُ في مَجْلسٍ أنيقٍ جَميلٍ فأَتانـــا ابــنُ سالمٍ مُخْتالا
فتَغنَّى صَوتــاً فأَخطأَ فيــهِ وابتَــدا ثانِيــاً فكان محالا
وابتغى خِلْعةً على ذاكَ مِنَّا فخلَعْنا على قَفَــاهُ النِّعالا

وفيه يقولُ هذا الشاعرُ ، أنشدناه ابنُ عمّارٍ وغيرُه : [من الوافر]

إذا ابنُ أَبي العــلاء أُقيمَ عَنَّا فأَهــلاً بــالمُجالسِ والرَّحيقِ
قَفاهُ على أَكُفِّ الشَّرْبِ وَقْفٌ وجِلْــدةُ وَجْهِــهِ مَيدانُ رِيقِ

صوت

[من المتقارب]

أَفاطِــمَ حُيِّيــتِ بــالأَسعُدِ مَتــى عهدُنا بــكِ لا تبعُدِي
تبارَكَ ذو العَرشِ ، ماذا نَرى من الحُسْنِ في جانِبِ المسْجِدِ
فإنْ شِئْتِ آليتُ بــينَ المقا مِ والرُّكـــنِ والحَجَرِ الأَسودِ
أَنْساكِ مــا دامَ عَقْــلي مَعي أَمُـــدُّ بـــه أَمَـــدَ السَّرْمَدِ

الشعر لأُميَّة بنِ أَبي عائِذٍ[1] . والغناء لحَكَمِ الوادي ، هَزَجٌ خفيفٌ ، بإطلاق الوَتَر في مجرى الوُسْطى ، عن إسحاقَ . وفيه للأبجر ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى ، عن عمروٍ . وقال ابنُ المكّي[2] : فيه هزَجٌ ثقيلٌ بالبِنصر لعمر الوادي . وفيه لفُليح لحنٌ من رواية بَذل . ولم يذكر طريقته .

1 شرح أشعار الهذليين : 493 ، وفيه في البيت الأخير : «نسيتك» .
2 ل : ابن الكلبي

[524] ـ نسب أميّة بن أبي عائذ وأخباره[1]

أُميّةُ بنُ أَبي عائذٍ العَمْريُّ ، أَحدُ بني عمرٍو بن الحارثِ بن تميمٍ بن سَعْد بن هُذَيْل . شاعرٌ إسلاميٌّ من شُعراء الدّولةِ الأُمويّة . وهذا أكثرُ ما وجدتُه من نسبه في سائرِ النُّسَخِ .

[مداح لبني مروان]

وكان أُميّةُ أَحد مَدّاحي بني مروان ؛ وله في عبدِ الملك وعبد العزيز ابنَيْ مروانَ قصائِدُ مشهورةٌ .

فذكر ابنُ الأعرابيّ وأُبو عبيدةَ جَميعاً : أنّه وَفَد إلى عبدِ العزيز إلى مصر قاصداً له وقد امتدحَه بقصيدتِه التي أوّلُها[2] : [من المتقارب]

ألا إنَّ قَلبـي مَـعَ الظاعِنينـا حَزِيـنٌ فمَن ذا يُعَـزِّي الحَزينـا
فيا لَـكِ مِـن رَوْعَـةٍ يومَ بانُوا بمَـن كنـتُ أَحسَبُ أَلاَّ يَبينـا

في هذين البيتين للحُسَين بن مُحْرِزٍ خفيف ثقيل ، عن الهشاميّ .

وفي هذه القصيدة يقول :

إلى سيِّـدِ النـاسِ عبـدِ العزيـ ـزِ أَعْملتُ للسَّيْرِ حَرْفـاً أَمُونا[3]
صُهابيّـةً كعَـلاةِ القُيـو نِ من ضَرْبِ جَوهرٍ ما يُخْلِصُونا[4]
إذا أَزبَـدَتْ مِـن تَبـارِي البطيّ خِلـتَ بهـا خَبَـلاً أَو جُنُونا[5]
تَـؤُمُّ النَّـواعِشَ والفَرْقَدَيْـنِ تُنصِّـبُ للقَصْدِ منهـا الجَبِينا[6]

1 ترجمة أمية بن أبي عائذ في الشعر والشعراء : 558 والإصابة 1 : 117 والخزانة 2 : 435–436 والسمط : 482 .

2 شرح أشعار الهذليين : 515–520 .

3 الحرف : الناقة الضامرة الصلبة . الأمون : التي أمن أن تكون ضعيفة .

4 صهابية : في بياضها حمرة . والعلاة : السندان . والقيون : جمع قين ، وهو الحداد . ومن ضرب جوهر : أي من خالصه .

5 بها خبلاً في شرح أشعار الهذليين : بها أخيلاً .

6 النواعش : بنات نعش .

إلى مَعــدِنِ الخيرِ عبــدِ العزيزِ تُبلِّغُنـــا ظُلَّعـــاً قـــد حَفِينا[1]
تَــرى الأُدْمَ والعِيسَ تحــت المسُو حِ قد عُدنَ من عَرَقِ الأَيْنِ جُونا[2]
تَسِيــرُ بمدحِـــيَ عبــدَ العزيـــزِ رُكبــانُ مكَّــةَ والمُنجِدُونا[3]
مُحَبَّــرةٌ مـــن صَرِيحِ الكـــلا مِ ليس كما لَفَّــقَ المُحْدثـــونا[4]
وكان امـــرءاً سيِّـــداً ماجـــداً يُصَفِّـــي العَتِيقَ ويَنفــي الهَجِينا[5]

[تشوّقه إلى أهله]

قال: وطال مُقامُه عند عبدِ العزيز، وكان يأنَسُ به، ووصلَه صِلات سَنِيّةً، فتشوّق إلى الباديةِ وإلى أهلِهِ، فقال لعبدِ العزيز[6]: [من الطويل]

مَتى راكبٌ من أهْلِ مصرَ وأهْلُه بمكَّــةَ مــن مصرَ العَشيَّةَ راجعُ
بَلى إنَّها قــد تقْطعُ الخرْقَ ضُمَّرٌ تُبارِي السُّرى والمُعْسِفون الزعازِعُ
متى ما تُجْزهــا ابنَ مروانَ تَعْترف بلادَ سُلَيْمَى وهي خَوصاءُ ظالِعُ[7]
وباتَتْ تؤُمُّ الدّارَ من كلِّ جانبٍ لتخرُجَ واشتدَّت عليها المَصارِعُ[8]
فلمّـــا رأَتْ ألاّ خُـــروجَ وأنَّما لها مــن هَواها ما تُجِنُّ الأضالِعُ
تَمطَّــتْ بمجدولٍ سِبَطرٍ فطالَعَتْ وماذا مــن اللَّوحِ اليَماني تُطالِعُ[9]

فقال له عبدُ العزيز: اشتقتَ، واللهِ، إلى أهلِكَ يا أُميّةُ. فقال: نعم، واللهِ، أيُّها الأميرُ، فوَصَلَه وأذِن له.

وممّا يُغنّى فيه من شعرِ أُمَيَّةَ: [من المتقارب]

1 ظلعاً في شرح أشعار الهذليين: ظلّماً.
2 جون: سود.
3 شرح شعر الهذليين: وسار بمدحة . . .
4 شرح أشعار الهذليين: كما لصّق . . .
5 شرح أشعار الهذليين:
وأنت امرؤ ماجد سيد تصفي . . . . وتنفي
6 شرح أشعار الهذليين: 531.
7 الشطر الأول في ل وشرح أشعار الهذليين: متى ما يجوزها ابن مروان. والخوصاء: الغائرة العينين. وفي شرح أشعار الهذليين: بلاد سليم.
8 وباتت تؤم في شرح أشعار الهذليين: وباتت تروم.
9 بمجدولٍ سبطر في ل: بمجد مسبطر. والسبطر: السريع.

صوت

تَمُــرُّ كجَنْدلــةِ المنْجَنيــ ـقِ يُرْمى بها السُّورُ يومَ القتالِ
فمـاذا تُخَطْرِفُ مـن قُلَّـةٍ ومـن حَـدَبٍ وإكامٍ تَـوالي
ومـن سَيْرِهـا العَنَقُ المسْبَطِرُّ والعَجْرفيَّــةُ بعــد الكلاَلِ

الغناءُ لابن عائشة[1] . وقد ذُكر في أخباره مع غريبِه ، وأحاديثَ لابن عائشةَ في معناه .

صوت

[من الطويل]

أأُمَّ نُهَيكٍ ارْفَعي الطَّرْفَ صاعِداً ولا تيأَسي أَن يُثريَ الدَّهرَ بائسُ
سيُغْنِيكِ سَيْرِي في البِلادِ ومَطْلَبي وبَعلُ التي لم تَخطَ في الحيِّ جالسُ
سأَكسِب مـالاً أَو تَبيتنَّ لَيلـةً بصدرِكِ من وَجْـدٍ عليَّ وساوِسُ
ومـن يَطْلبِ المـالَ الممنَّعَ بالقَنا يَعِشْ مُثْرِياً أَو يُـودِ فيما يمارسُ

الشعر : لعبدِ الله بن أبي مَعْقِل الأنصاريّ[2] . والغناء : لسُلَيم ، خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى ، عن عمرو . وقد ذكر ابن المكّيّ أن فيه لإبراهيمَ لحناً من الهزَج بالوُسْطى ، وذكر الهاشميُّ وحَبَشٌ أنّ فيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ ، وذكر حَبَشٌ أنّه لإسحاقَ .

1 تقدمت الأبيات وشرح أبي الفرج في ترجمة ابن عائشة في الجزء 2 : 142 .

2 ورد بعض هذه الأبيات في التذكرة الحمدونية 8 : 124 وهي في السمط 2 : 46 وأبيات من القصيدة نفسها سترد بعد قليل ، وفي الشعر والشعراء : 123 ، ويشار في المرجعين إلى الشاعر باسم : عبد الله بن نهيك وهو اسم جده .

[525] ـ أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ أَبي معقل بن نُهيك بن إسافِ بن عديٍّ بن زَيد بن جُشَمَ بن حارثةَ بن الحارِث بن الخَزْرَج بن عمرو ، وهو النَّبيتُ ، بن مالك بن الأوْس بن حارثة بن ثَعْلبة بن عمرِو بن عامرِ بن حارثةَ بن امرىء القَيْس بن ثَعْلبة بن مازنِ بن الأزْدِ بن الغَوْثِ بن نَبْتِ بن مالكِ بن زيد بن كهلانَ بن سَبَأ بن يَشجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطان .

شاعر مُقِلٌّ حجازيٌّ من شُعراءِ الدّولة الأُمويّة .

وكان يقال لأبيه : مُنهِب الوَرِق . وقيل : بل جَدُّه المسمَّى بذلك ، لأَنّه كسَب مالاً ، فعجب أهلُ المدينة من كثْرتِه ، فأباحَهُمْ إيّاه فنهبوه .

[البيتان الأوّلان ليسا لجدّه]

أَخبَرني الحِرْميُّ بنُ أَبي العَلاء قال : حدَّثني أَبو بكر عبدُ الله بن جعفر بن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : حدَّثني جدِّي مُصْعَب[1] بن عبد الله ، عن ابن القدّاح أنّه قال : هذان البيتان ، يعني قوله : [من الطويل]

أأُمَّ نُهَيْكٍ ارفعي الطرف صاعداً . . .

والذي بعدَه لعبدِ الله بن أَبي مَعْقِل بن نُهيك بن إساف ، والناس يروونهُما لجدِّه . وليس ذلك بصحيحٍ ؛ هما لعبدِ الله .

وكان عبّادُ بن نُهيك بن إساف ، عمُّه ، أُدرك النبيَّ ﷺ ، وصَحِبَه ، وصلَّى معهُ إلى القِبلَتين ، وصلّى معه الظهرَ ، وصلَّى معه ركعتين منها إلى بيتِ المَقْدِس ، وركعتيْن إلى الكعبةِ .

وأدرك النبيَّ ، ﷺ وآلِه ، وهو شيخٌ كبيرٌ لا فضل فيه ، فوضع عنه الغَزْوَ .

وكان نُهيك بن إساف يُهاجي أَبا الخَضراء الأشهليَّ في الجاهليّة . وأشعارُهما موجودةٌ في أشعارِ الأنصار .

[قومه يعادونه ليساره]

أَخبرني الحِرْميُّ بن أَبي العلاء قال : قال : حدَّثني عبدُ الله بن جعفرٍ عن جدِّه مُصْعَب ، عن ابنِ القدَّاح قال : كان ابنُ أَبي مَعْقِل مَحْسوداً في قومِه ، يُجاهرُونه بالعداوةِ ، ليساره

---

1 هذه الأبيات هي أبيات الشعر والشعراء التي أشرنا إليها : 123 .

وسعةِ مالِه ، ويحسدونه . وكان بَنى قصراً في بني حارثة ، وسمّاه : «مُرْغَماً» وقال له قائل : ما لَكَ ولقومِكَ ؟ فقال : ما لي إليهم ذَنْبٌ إلاّ إنّي أثريتُ وكنتُ مُعدِماً ، وبَنيْتُ مُرغَماً ، وأنكحتُ مريمَ ومريمَ ، يعني ابنتَه مريم وبنت ابنِه مريم .

فأمّا ابنتُه مريم فتزوَّجها حبيبُ بن الحكَم بن أبي العاصي بن أُميّة ، وبنتُ ابنِه مسكينِ بن عبدِ الله بن أبي مَعْقِل ، وهي مريم ، تزوَّجها محمد بن خالد بن الزُّبيرِ بن العوّام .

[مريم الكبرى والصغرى]

أُخبرني الحِرْميُّ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي مُصْعَبٌ قال : خَطَب محمدُ بن خالد بن الزُّبير وحَبيبُ بن الحكم بن أبي العاصي إلى عبد الله بن أبي مَعْقِل ابنتَه مريم ، فأَرْغَبه حبيبٌ في الصَّداقِ فزوَّجَه إيّاها ، ثم شبَّت مريمُ بنتُ مِسكينِ بن عبد الله بن أبي معقل ، فبَرعت في الجمال . ولَقيَ محمدَ بن خالد يوماً فقال له : يا ابن خالدٍ ، إن تكن مريمُ قد فاتَتْك فقد يفعتْ مريمُ بنتُ أخيها ، وما هي بدونها في الجمال ، وقد آثرتُك بها . قال : فتزوَّجَها على عشرين ألفاً .

[يرحل طلباً للغنى]

وقال ابنُ القدَّاح : كان ابنُ أبي معقل كثيرَ الأسفارِ في طَلَبِ الرِّزْق ، فلامَتْه امرأتُه أُمُّ نُهَيكٍ ، وهي ابنة عمّه ، على ذلك ، وقد قَدِم من مصر ، فلم يلبثْ أن قال لها : جهِّزيني إلى الكوفة ، إلى المُغيرةِ بن شُعْبَةَ ، فإنَّه صديقي وقد وليَها . فجهَّزته ثم قالت : لن تزالَ في أسفارِكَ هذه تتردَّدُ حتى تموتَ ، فقال لها : أو أُثْريَ . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

أأُمَّ نُهيْكٍ ارْفَعي الطَّرْفَ صاعِداً ... ولا تيأَسي أَن يُثْرِيَ الدَّهرَ بائِسُ

وهي قصيدةٌ فيها ممّا يُغنَّى فيه قولُه : [من الطويل]

صوت

فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من عِيشةِ الفَتى ... وجَـدِّك لم أَحفِلْ متى قام رامسُ

فمِنهنَّ تحريــكُ الكُمَيْتِ عِنانَـهُ ... إذا ابتـدَر النَّهبَ البعيدَ الفوارسُ

ومِنهُنَّ سَبْـقُ العاذِلاتِ بشَربــةٍ ... كأَنَّ أُخاها ، وهو يقْظانُ ، ناعِسُ

ومنهنّ تجريــدُ الأَوانِس كالدُّمَى ... إذا ابتُزَّ عَـنْ أَكفالِهِـنَّ الملابِسُ

الغناءُ في هذه الأبياتِ : لمقاسة بن ناصِح ، ثقيل أوّل بالبِنصرِ . وفيها للحُسَين بن مُحْرِز خفيفُ ثقيل من جامع أغانيه . وهو لحنٌ معروفٌ مشهورٌ .

قال ابن القدّاح : ثم قَدِم المدينةَ ، فلم يزل مُقيماً بها حتى وليَ مُصعبُ بنُ الزُّبير العراقَ ، فوفَد إليه ابن أبي مَعْقِل ، ولَقِيَه ، فدخل إليه يوماً وهو يندبُ الناسَ إلى غزوة زَرَنج ويقول : مَن لها ؟

[يصيب مالاً من غزوة زرنج]

فوَثب عبد الله أبي مَعْقِل وقال[1] : أَنا لها : فقال له : اجْلس ، ثم ندَب الناس ، فانتَدبَ لها مرّةً ثانيةً ، فقال له مُصْعَبٌ : اجلس ، ثم ندَبهم ثالثةً ، فقال له عبدُ الله : أنا لها ، فقال له : اجلس . فقال له : أدْنني إليكَ حتى أُكلِّمَكَ ، فأدناه ، فقال : قد علمت أنّه ما يمنعُكَ منّي إلاَّ أنّكَ تعرفُني ، ولو انتدَب إليها رجلٌ ممّن لا تعرفه لبعثته ، فلعلَّك تحسُدني أن أُصيبَ خيراً أو أستشْهِد فأستريح من الدُّنيا وطلبِها . فأعجبَه قولُه وجزالتُه فولاّه ، فأصابَ في وجهِه ذلكَ مالاً كثيراً ، وانصرف إلى المدينة ، فقال لزوجته : ألَم أُخبْرك في شعري أنّه : [من الطويل]

سيُغنِيكِ سَيْرِي في البلادِ ومَطلَبي وبَعلُ التي لم تَحْظَ في الحيِّ جالسُ

فقالتْ : بلى واللهِ ، لقد أخبرتني وصدَق خبرُك .

قال : وفي هذه الغَزاةِ يقول ابنُ قيس الرقيّات[2] : [من الخفيف]

صوت

إن يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحنُ بخير قد أَتانـا من عيشِنا مـا نُرَجِّي
مَلِكٌ يُطعِـمُ الطّعـامَ ويَسقِي لَبَن البُختِ في عِساسِ الخَلَنْجِ
جَلَب الخيلَ مـن تِهامَةَ حتَّى بلغَتْ خَيْلُـه قُصورَ زَرنجِ[3]

صوت

[من البسيط]

يَقْتُلْنَنا بحَديـثٍ ليس يَعلمُـه مَنْ يَتَّقِينَ ولا مكْنونُـهُ بادِي
فهُنَّ ينبِذْنَ مـن قولٍ يُصِبْن به مواقعَ الماءِ من ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي

الشعر : للقُطاميّ[4] . والغناء : لإسحاق . خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى وفيه رمل مجهول .

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 8 : 124–125 .
2 ديوان ابن قيس الرقيات : 180 .
3 زرنج : قصبة سجستان .
4 ديوان القطامي : 81 .

[526] ـ ذكر نسب القطامي وأخباره[1]

[نسبه]

القُطاميّ لَقَبٌ غَلَب عليه ، واسمُه عُمَيْر بن شُيَيم ، وكان نصرانيّاً ، وهو شاعر إسلاميٌّ مُقِلّ مُجيدٌ .

[الأخطل يفضله على نفسه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثَنا الكرانيّ قال : حَدَّثنا العُمَرِيُّ ، عن الهيثم بن عَديٍّ ، عن عبد الله بن عيّاش ، عن مُجالد ، عن الشَّعبيّ قال : قال عبدُ الملِكِ بن مروان ، وأنا حاضرٌ ، للأخطل : يا أخطلُ ، أتُحِبُّ أنّ لكَ بشعرِك شعرَ شاعر من العربِ ؟ قال : اللهمَّ لا ، إلاّ شاعراً منّا مُغْدَفَ القناع[2] ، خامِلَ الذِّكر ، حديث السِّنّ ، إن يكنْ في أحدٍ خيرٌ فسيكون فيه ، ولودِدْتُ أنّي سبَقْتُه إلى قوله : [من البسيط]

يَقْتُلْنَنا بحديثٍ ليس يَعْلمُه مَنْ يتَّقينَ ولا مَكنونُه بادِي
فهُنَّ ينبذْنَ مِن قولٍ يُصِبْنَ به مَواقعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصَّادي

[تلقيبه بصريع الغواني]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدَّثنا محمد بن صالح بن النَّطَّاح قال : القُطاميُّ أوَّلُ مَن لُقِّب «صريع الغواني» بقوله : [من الطويل]

صَرِيعِ غَوانٍ راقَهُنَّ ورُقْنَه لَدُنْ شبَّ حتى شابَ سُودُ الذَّوائبِ

[هجاء محاربيه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : نزل القطاميُّ في بعضِ أسفارِه بامرأةٍ من مُحاربِ قيسٍ ، فنسَبها ، فقالت : أنا من قوم يشتَوُون القَدّ من الجُوع ، قال : ومَن هؤلاء ويحَكِ ؟ قالت : مُحارِبٌ ، ولم تَقْرِه ، فبات عندها بأسوأ ليلةٍ ، فقال فيها قصيدةً أوّلُها[3] : [من الطويل]

---

1 ترجمة القطامي في الشعر والشعراء : 609 وخزانة البغدادي 12 : 370–371 والمؤتلف : 251 ومعجم المرزباني : 73–74 وطبقات ابن سلام : 534–540 وانظر بروكلمان 1 : 236–237 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد نشر ديوانه بارت (ليدن ـ 1902) وطبع مرة أخرى بتحقيق السامرائي ومطلوب ، وإلى هذه الطبعة نشير .

2 مغدف القناع : قناعه مرسل على وجهه .

3 ديوان القطامي : 42–47 .

نأتْكَ بليلى نِيَّةٌ لم تُقارِبِ وما حُبُّ ليلى من فُؤادي بِذاهِبِ

يقول فيها :

ولا بُدَّ أنَّ الضيفَ يُخبِرُ ما رأى مُخَبِّرُ أهلٍ أو مُخَبِّرُ صاحِبِ
سأُخبِرُكَ الأنباءَ عن أُمِّ منزلٍ تَضيَّفتُها بينَ العُذَيبِ فراسِبِ[1]
تَلفَّفْتُ في طَلٍّ وريحٍ تَلُفُّني وفي طِرْمِساءَ غيرِ ذاتِ كواكبِ[2]
إلى حَيْزبونٍ تُوقِدُ النارَ بعدَما تَلَفَّعَتِ الظَّلْماءُ من كلِّ جانبِ
تَصلَّى بها بَرْدَ العِشاءِ ولم تَكُنْ تَخالُ وَميضَ النّارِ يَبْدُو لراكبِ[3]
فما راعَها إلاّ بُغامُ مَطِيَّةٍ تُريحُ بمحْسورٍ من الصَّوتِ لاغِبِ[4]
تقولُ وقد قرَّبْتُ كُوري وناقتي إليكَ فلا تَذْعَرْ عَليَّ ركائِبي
فلمّا تنازَعْنا الحديثَ سألْتُها : مَن الحيُّ قالت : مَعْشَرٌ من مُحارِبِ
مِنَ المُشْتَوِينَ القِدَّ مِمَّا تَراهُمُ جياعاً وريفُ النّاسِ ليس بِعازِبِ[5]
فلمّا بَدا حِرْمانُها الضَّيفَ لم يكنْ عليَّ مُناخُ السَّوْءِ ضَرْبَةَ لازِبِ

[قصيدة رفعت ذكره]

قال أبو عمرو بن العَلاء : أوّل ما حَرَّك من القُطاميّ ورفَع من ذِكرِه أنّه قَدِم في خلافةِ الوليدِ بن عبد الملِك دمشقَ ليمدَحه ، فقيل له : إنّه بخيلٌ لا يُعطي الشُّعراءَ . وقيل : بل قَدِمَها في خلافة عُمَر بن عبد العزيز ، فقيل له : إنّ الشعر لا ينفُق عند هذا ولا يُعطي عليه شيئاً ، وهذا عبدُ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك فامتدِحْه ، فمدَحَه بقصيدته التي أوّلها[6] : [من البسيط]

إنّا مُحيُّوكَ فاسلمَ أيُّها الطَّلَلُ وإنْ بَليتَ وإن طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ[7]

فقال له : كم أمَّلْتَ من أميرِ المؤمنين ؟ قال : أمَّلْتُ أن يُعطيَني ثلاثين ناقةً . فقال : قد

1 سأُخبِرُك في الديوان : لمخبرك . والعذيب وراسب : موضعان .
2 الطرمساء : الظلمة الشديدة .
3 وميض في الديوان : وبيص . والوبيص : البريق .
4 مطية في الديوان : مطيتي .
5 القد : جلد ولد الناقة ساعة يولد ويشوى ويؤكل في الجدب . الديوان : وريف الناس ليس بناضبِ .
6 الديوان : 23–30 .
7 الطيل : الدهر .

أمرتُ لكَ بخمسين ناقةً مُوقَرَةً بُرّاً وتمراً وثياباً ، ثم أَمَرَ بدفع ذلك إليه .

وفي أوّل هذه القصيدة غناءٌ نسبته : [من البسيط]

صوت

إنّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ وإنْ بَلِيتَ وإنْ طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ
يَمْشِينَ رَهواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصُّدورُ على الأعجازِ تَتَّكِلُ[1]

الغناء لسُليم ، هزج بالبِنصر . وقيل : إنّه لغيره .

[أشعر الناس]

أخبرني ابنُ عَمَّار قال : حدَّثنا محمد بن عبَّاد قال : قال أبو عمرو الشَّيبانيّ : لو قال القُطاميُّ بيتَه : [من البسيط]

يَمْشِينَ رَهواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصدورُ عَلى الأعجازِ تَتَّكِلُ

في صفة النساء لكان أشْعَرَ الناس .

ولو قال كُثيّرٌ[2] : [من الطويل]

فقلتُ لها : يا عزُّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

في مرثية أو صفةِ حَرْب لكان أشعر النَّاس .

[بيد الابطاء والعجلة]

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحْظة قال : حدَّثني مَيْمونُ بن هارون قال : حدَّثني رجلٌ كان يُديم الأسفارَ ، قال : سافرتُ مَرَّةً إلى الشَّام على طريق البَرَّ ، فجعلتُ أتمثَّل بقول القُطاميُّ : [من البسيط]

قد يُدرِكُ المُتأنّي بعضَ حاجَتِهِ وقد يكونُ مع المُسْتَعجِلِ الزَّلَلُ

ومعي أعرابيٌّ قد استأجرت منه مَرْكَبي ، فقال : ما زاد قائلُ هذا الشعرِ على أن ثَبَّطَ النَّاسَ عن الحَزْم ، فهلاّ قال بعدَ بيته هذا :

ورُبَّما ضَرَّ بعضَ الناسِ بُطْؤُهُمْ وكان خيراً لَهُمْ لو أنَّهُمْ عَجِلُوا

[غارة زفر على المصيخ]

وكان السببُ في أَسْر القطاميّ ، على ما حَكاه مَن ذكَرْنا ، وذكر ابن الكلبيُّ عن عُرامِ بن

---

1 رهواً : برفق . والبيت في وصف الإبل .

2 ديوان كثير : 97 .

حازمِ بن عطيَّة الكلبيِّ قال : أغار زُفَرُ بن الحارث على أهل المُصَيَّخ ، وبه جماعةٌ من الحاجّ وغيرِهم ، وقد أصابَ أوّل النّهارِ أهلَ ماءٍ يقال له : حَصْف ، وفيه سيِّدُ بني الجُلاحِ مَصاد بنُ المُغيرة بن أبي جَبلة ، فأسره . فأتى به قَرْقيسيا ، ثم مَنَّ عليه ، وقَتل عفيفَ بن حسَّان بن حُصَيْن من بني الجُلاحِ . ثم مضى زُفَر إلى المُصيّخ فاجتمع مَن بها إلى عُمَير بن حسّان بن عُمر بن جَبلة فامتنعوا . فقال لهم زُفَرُ : إنّي لا أُريد دماءَكم ، فأَعْطُوا بأيديكم . فأبَوْا وقاتلوا فقُتل منهم جماعةٌ كثيرةٌ ، وقُتِلَ معهم رجُلانِ من تَغْلِبَ ، يقال لأحدهما : جسَّاس ، والآخر غَنيّ ، وهو أبو جسَّاسٍ . وقد قالت له امرأتُه : يا أبا جسَّاسٍ ، هؤلاء قومُكَ فأْتِهِم حين اجتمعوا وامتنعوا ، فقال : اليومَ نزاريٌّ وأمس كلبيٌّ ! ما أنا بمُفارقهم . فقاتَل حتّى قُتِل ، فكانت القتلى يوم المُصيّخ من كلْبٍ ثمانيةَ عشر رجلاً والتّغلبيَّين ، وبقي الماءُ ليس فيه إلاّ النّساء . فلمّا انصرفَ عنهمْ زُفَرُ أراد النساءُ أن يجرُرْنَ القتلى إلى بئرٍ يقالُ لها : كوكب . فلمّا أردْنَ أن يجرُرْنَ رجُلاً قالت وليّته من النِّساء : لا يكونُ فلانٌ تحت رجالِكُنَّ كلِّهم . فأتَتْ أُمُّ عميرِ بن حسّان ، وهي كيِّسةُ بنتُ أُبيٍّ ، فأعْلقت في رِجْلِه رداءَها ، ثم قالت : اجسُرْ عُميرُ فإنّ أباك كان جَسُوراً ؛ ثم أَلقَتْ عليه التُّرابَ والحَطَبَ ليكونَ بينَه وبين أُصحابه شيءٌ . ثم جعلْن كلّما أَلقَيْن رجلاً أَلقَيْن عليه التُّرابَ والحَطَب حتى وارتهم القليب . ولمّا بلغَ حُميدَ بن حُرَيْث بن بَحْدَلٍ ما لَقيَ قومُهُ أقبل حتى أتى تدْمُر ليجمع أُصحابه ، وليغير على قيس . فلمّا وقعت الدِّماء نهض بنو نُميرٍ ، وهم يومئذٍ ببطن الجبل ، وهُو على مياهٍ لهم ، إلى حُميد بن حُرَيْث بن بَحْدَلٍ ، حتى قدِمَ وراءَهُ يتهيّأُ للغارة ، واجتمعت إليه كلبٌ ، وقالوا له : إن كنت تُبْرئُنا ببراءَتِنا ، وتعرف جوارنا أقَمْنا ، وإن كنت تتخوّفُ علينا من قومِكَ شيئاً لحِقْنا بقومِنا . فقال : أتُريدون أن تكونوا أدِلاَّءَهُمْ حتى تنجليَ هذه الفِتْنَةُ ؟ فاحتبسهُمْ فيها ، وخليفتُه في تَدْمُر رجلٌ من كلبٍ يقال له : مَطَر بن عوص ، وكان فاتِكاً ؛ فأراد حُمَيداً عَلى قتلِهم ، فأبى وكَرِهَ الدِّماءَ . فلمّا سار حُميدٌ ، وقد عاد زُفَرُ أيضاً مُغيراً ، ليَرُدَّه عمَّا يريدُه ، فنزل قريةً له ، وبلغهُ مَسِيرُ زُفَر فاغتاظ وأخذ في التّعبئة . فأتاه مطرٌ وكان خرج معه مُشيِّعاً له انتهازاً لدماءِ الذين في يده من النُّميريِّين ، فقال : ما أصْنَعُ بهؤلاء الأسارى الذين في يدي وقد قُتِلَ أهل مُصيخ ؟ فقال وهو لا يَعْقِلُ من الوَجْدِ : اذهَبْ فاقتُلْهم . فخرج مطرٌ يركضُ إلى تدمر ، تخوُّفَ ألاّ يبدوا له ، فلمّا أتى تدمر قتلَهُم . وانتبه حُميدٌ بعد ذلك بساعةٍ فقال : أينَ مطرٌ حتى أُوصِيَهُ ؟ قالوا : انصرف ، قال : أدْرِكُوا عدوَّ الله ، فإنّي أخافُ على مَن بيده من النُّميريِّينَ .

وبعث فارساً يركُضُ يمنعُ مَطراً عن قتلِهم ، فأتاه وقد قَتَل كلَّ مَن كان في يدِهِ من الأسْرى

إلاَّ رجُلَيْن ، وكانوا ستِّين رجُلاً ، فلما بلَّغه الرّسول رسالةَ حُميدٍ قال النُّميريّان الباقيانِ : خلٍّ عنّا فقد أُمِرتَ بتخْلِيةِ سَبِيلنا . فقال : أبعد أهل المصيَّخ ! لا والله لا تُخبِّرانِ عنْهُمْ ، ثم قتَلَهما . فلمّا بلغ زُفرَ قتلُ النُّميريّيْن بسط يدَه على كلّ مَن أدرك من كلْب ، واستحلَّ الدِّماء ، وأخذ في وادٍ يقال له وادي الجيوشِ ، وقد انتشرتْ به كلبٌ للصَّيد ، فلم يُدْرِك به أحداً إلاّ قتلَهُ ، فقتَل أكثر من خمسمائةٍ ، ولَم يلقه حُميد . ثم انصرف إلى قرقيسياء .

وذكر بعضُ بني نُمَيرٍ أنّ زُفَر أغار على كلْبٍ يوم حَفِير ويوم المُصيَّخ ويوم الفَرْس ، فقَتل منهم أكثر من ألفِ رجُلٍ . قال : وأغار عليهم زفرُ في يوم الإكلِيل فقتل منهم مَقْتلةً عظيمةً ، واستاق نعماً كثيرةً .

وذكر عرّام قال : قتَل زُفَر يوم الإكْليل جُبَيْر بن ثَعلَبة من بني الجُلاح ، وحَسَّان بن حُصَين من بني الجُلاح ، ومحمد بنَ طُفَيْل بن مُطَير بن أبي جَبَلة ، وعمرو بن حسَّان بن عَوْف من بني الجلاح ، ومحمد بن جَبلة بن عَوْف ، أخوان لأُمّ . وقالت امرأة من بني كلب تَرْثيهم : [من السريع]

أبعـدَ مَـن دَلَّـيْتِ في كَوْكَبٍ ... يـا نفسُ تَرْجِين ثَواءَ الرِّجالْ

[غارات ابن الحباب]

قال لقيط : أخبرني بعضُ بني نمير قال : أغار عُمَيرُ بن الحُباب على كلْبٍ فأصابهُمْ يومَ الغُوَيْر ويَوم الهُبل ويوم كَآبة . فأمّا يومُ الغُوير فإنّه أرسل رجُلاً من بني نُمَيْرٍ يقال له كُلَيب بن سَلَمة عيناً له ، ليعْلم له عِلْمَ ابن بَحْدَل ، وكانت أُمُّ النمَيْريّ كلبيّةً ، فكانت تتكلَّم بكلامِهم ، فكان الحُسام بن سالم طريداً فيهم فنذِروا به فقَتلُوه وأخذوا فرسه ، فلَقِيَ كُلَيبُ ابن سَلمة رجلاً من بني كلبٍ فعَرفه ، فقال : مِن أين جئتَ ؟ فقال : من عندِ الأميرِ حُمَيد بن حُرَيث ، قال : وأينَ تركته ؟ قال : بمكان كذا وكذا ، قال كليبٌ : كذبتَ ! أنا أحدَثُ به عهداً منكَ ، قال : فأين تركته أنتَ ؟ قال بغُوير الضبع ، قال : لكنّي فارقته أمس ، فخرج النُّميريُّ يسوقُ الكلبيَّ إلى أصحابِه ، قال : فوالله إنّي لو أشاءُ أن أقتله لقتلْتُه ، أو آخذَه لأخذتُه ، فخرجَ يسوقُه ، حتّى إذا نظر إلى القوم أنكرهم ، فقال : والله ما أرى هؤلاء أصحابنا . قال : ويستدبرهُ النُّميْريّ فيَطْعنُه عند ناغض[1] كتفِه اليمنى ، حتى أخرج السّنانَ من حَلمَة الثّدْي ، وأخطأ المقتَلَ ، وحرَّكَ الكلبيُّ فرسَه مُوَلِّياً ، فاتّبَعتْه الخيلُ حتى يدفع إلى ابن بَحْدلٍ فانهزم . فقتلوا من كلب مقتلة عظيمة ، واتّبع عُمَيرٌ بن بَحدل فجعل يقول لفرسِه : [من الرجز]

1 ناغض : أصل العنق .

أَقْدِمْ صِدامُ إِنّـهُ ابنُ بَحْدَلْ[1]
لا تُدْرِكِ الخيلَ وأنتَ تَدْأَلْ[2]
أَلاَّ تمـرَّ مثـلَ مَـرِّ الأَجدلْ[3]

قال : فمضى حُمَيْدٌ حتى يَدفَع إلى الغُوَيرِ[4] ، وقد كاد الرُّمْح ينالُه ، فانطَلَقَ يُريدُ الباب ، فطعَـن عميرٌ البابَ وكسر رُمْحَه فيه ، فلم يُفْلِت من تلك الخيلِ غيرُ حُمَيدٍ وشبلِ بن الخيتار . فلمّا بلغ ذلك بشرَ بنَ مروانَ قال لخالدِ بن يزيدَ بن معاوية : كيف ترى خالي طَرَدَ خالَك ؟ .

وقال عُمَيْرٌ : [من الطويل]

وَأفلتَنا ركْضاً حُمَيدُ بن بَحْـدلٍ عـلى سابحٍ غَـوْجِ اللَّبانِ مُثابرِ[5]
ونحنُ جَلبْنا الخيلَ قُبّـاً شَوازِباً دِقاقَ الهوادِي داميـاتِ الدَّوابرِ[6]
إذا انتقصَتْ من شأْوِه الخيلُ خلفَه تَرامى بـه فوقَ الرِّماحِ الشواجِرِ
تُسائلُ عـن حَيَّـيْ رُفيدةَ بعدَما قَضَتْ وَطـراً من عَبْد وُدٍّ وعامِرِ

وقال شِبْل بن الخَيتار : [من البسيط]

نجَّـى الحُساميَّـةَ الكَبْداءَ مُبْتَرِكٌ من جَريِها وحَثِيثُ الشدِّ مَذعورُ[7]
من بعدِ مـا التثَق السِّربالَ طَعْنَتُه كأنَّـه بنَجيـع الوَرْسِ ممكــورُ[8]
ولَّـى حُمَيــد ولم يَنْظُـرْ فوارسَهُ قَبْــل التَّقِــرَّة والمغـرورُ مغرورُ[9]
فقد جَزِعتُ غَداةَ الروْع إذ لقِحتْ أَبطالُ قيسٍ عليها البَيضُ مَشْجورُ[10]
يَهــدِي أوائِلَهــا سمــحٌ خلائِقُــهُ ماضي العِنانِ على الأعداءِ منصورُ

1 صدام : اسم الفرس .
2 يدأل : يقارب الخطو بتثاقل .
3 والأجدل : الصقر .
4 الغوير : ماء لبني كلب في السماوة .
5 غوج اللبان : واسع جلدة الصدر .
6 قب : ضامرة البطون . والشوازب : الضامرة من غير هزال .
7 مبترك : سريع .
8 التثق : ابتل . وممكور : مصبوغ .
9 التقرة : الثبات والسكون .
10 مشجور : مربوط .

يَخْرجْنَ من بَرَض الإكْليل طالِعةً كأنّهنّ جرادُ الحَرَّةِ الزُّورُ[1]

وذكر زِيادُ بن يزيد بن عُمَيرِ بن الحُباب ، عن أشياخ قومِه ، قال : أغار عميرُ بن الحُباب على كلْبٍ ، فلقِيَ جمعاً لهم بالإكْليل في سِتّمائة أو سبعمائة ، فقتل منهم فأكثرَ ، فقالت هند الجُلاحيّةُ تُحرِّضُ كلباً : [من الوافر]

أَلا هل ثائِرٌ بدماء قومٍ أصابَهُمُ عُميرُ بنُ الحُبابِ
وهَل في عامِرٍ يوماً نَكيرٌ وحَيّيْ عَبدِ وُدٍّ أو جَنابِ
فإن لم يَثأرُوا مَنْ قد أصابُوا فكانُوا أعْبُداً لبني كِلابِ
أَبعدَ بني الجُلاحِ ومَن تركتُمْ بجانِبِ كوكبٍ تحتَ الترابِ
تطِيبُ لغائرٍ منكم حياةٌ أَلا لا عيشَ للحيِّ المُصابِ

فاجتمعوا فقاتلهم عُمَيْرٌ ، وأصاب فيهم ، ثم أغار فلقِيَ جمعاً منهم بالجوْفِ فقتلهم ، ثم أغار عليهم بالسّماوةِ فقتل منهم مَقتلة عظيمة ، فقال عُمَيرٌ : [من الوافر]

أَلا يا هِنْدُ هندَ بني الجُلاحِ سُقيتِ الغيثَ من قُلَلِ السَّحابِ
أَلَمّا تُخبَرِي عنّا بأنّا نرُدُّ الكبشَ أعْضبَ في تَبابِ
أَلا يا هندُ لو عاينْتِ يوماً لقَومِكِ لامْتَنَعْتِ من الشَّرابِ
غَداةَ نَدُوسُهُم بالخيلِ حتّى أَبادَ القتلُ حَيَّ بني جَنابِ
ولو عَطَفتْ مواساةٌ حُميداً لغُودِرَ شِلْوُهُ جَزَرَ الذِّئابِ

وذكر زيادُ بن يزيد بن عُمَيْرِ بن الحُباب ، عن أشياخِ قومه ، قال : خرج عُمَيرٌ فأغار على قومه أيضاً يومَ الغُوَيْر ، فلمّا دنا من الغُوَيْرِ وصار بين حُمَيد ودمشقَ دعا رجلاً من بني نُمَيْرٍ ، وقال له : سِرِ الآن حتى تأتي حُميدَ بن بَحْدَلٍ ، فقُل له : أجِبْ ، فإن قال : مَن ؟ فقل : صاحِبِ عَقْدٍ خرجَ قبل ذلك بيومين من دمشق ، فإن جاءَ معك فلا تَهِجْهُ حتى تأتيَني به ، فنكونَ نحن الذين نلي منه ما نريدُ أن نَليَ ، فإنّه إن رَكِب الحُساميَّة لم يُدْرك . فأتاه النميريُّ فقال : أجِبْ ، فقال : ومَنْ ؟ قال : فلانَ بن فلانٍ صاحبَ العَقْدِ . قال : فركِب ابنُ بَحْدَل الحُساميّةَ . ثم خرج يسيرُ في أثَرِ النُّميريِّ ، حتى طَلَع النُّميريُّ على عُمَيْرٍ ، فقال النُّميريُّ في نفسِه : أقتُلُه أنا أحبُّ إليَّ من أن يقتُلَه عمَيرٌ لقتلِه الحُسامَ بنَ سالمٍ . فعطف عليه ، وولّى حُميدٌ ، واتّبعَهُ عميرٌ وأصحابه ، وتَرَكَ العسكر ، وأمرهُم عميرٌ أن يميلوا إلى القوم ، فذلك

1 البرض : ما يخرج قليلاً . والزور : مائلة الرقاب .

حيثُ يقول لفرسِهِ :

أَقدم صِدامُ إنَّه ابنُ بحدلْ

فاستباح عسكر ابن بحدل وانصرف .

ثم أَغار عليهم يومَ دهمان كما ذكر عَوْنُ بن حارثة بنِ عديّ بنِ جَبَلة أحد بني زُهَيْرٍ عن أَبيه ، قال : أغارَ عُميرٌ على كَلْبٍ ، فأخذ الأموالَ ، وقتل الرِّجالَ ، وبلغ ابنَ بحدلٍ مخرجُه من الجزيرة ، فجمع له ، ثم خرج يعارضُه ، حتى إذا دنا منهم بعث العينَ يأخُذُ لهم أثَرَ القوم . فأتاهُ العينُ فأخبره أنّ عميْراً قد أتى دُهمانَ فاستباح فيهم ، ثم خلَّف عسكره وخرج هو في طلب قوم قد سمع بهم ، فقال حميدٌ لأصحابه : تهيّئوا للبياتِ ، وليكن شِعارُكم : «نحن عِبادُ اللهِ حقّاً حقّاً» . فبيَّتَهُم فقتل فيهم فأوجَعَ . وانقلب عُميرٌ حين أصبحَ ، إلى عسكره ، حتى إذا أشرف على عسكرِه رأى ما أنكرهُ من كَثْرةِ السَّوادِ ، فقال لأصحابِه : إنِّي أرى شيئاً ما أعرفُه ، وما هو بالذي خلَّفنا ، فلمّا رآهم ابنُ بَحْدلٍ قال لأصحابه : احملوا عليهم ، فقتل من الفريقين جميعاً ، فقال ابن مِخْلاة : [من الطويل]

لقد طار في الآفاقِ أنَّ ابنَ بحْدَلٍ حُمَيْداً شَفى كلباً فقرَّت عيونُها

وقال مُنْذِر بن حسّان : [من الوافر]

وباديــةِ الجواعِــرِ مــن نُمَيرٍ تُنــادي وهْــيَ سافرةُ النِّقابِ
تنادِي بالجزيرةِ : يــا لقَيْسٍ وقيسٌ بئْسَ فِتيــانُ الضِّرابِ
قَتَلنا مِنْهُــم مائتــينِ صَبْراً وأَلفــاً بالتِّــلاعِ وبالرَّوابي
وأَفلَتَنا هَجِـينُ بنــي سُليـمٍ يُفَدِّي المُهْرَ من حُبِّ الإيابِ
فلــولا اللهُ والمُهْــرُ المُفَــدَّى لغُودِرَ وَهْــو غِربالُ الإهابِ

ثم سار عُمَيرٌ ، وجمعَ لهم أكثر ممّا كان تجمَّع ، فأغار عليهـم ، فقتـل منهم مَقْتَلةً ، واستاق الغنائمَ وسَبى . فلمّا سَمِعت كلبٌ بإيقاعِهِ تحمَّلت من منازِلها هاربةً منه ، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ في موضع يقْدِر عُميرٌ على الغارة عليه إلاّ أن يخوضَ إليهم غيرَهم من الأحياء ، ويخلِّفَ مدائِنَ الشامِ خلفَ ظهرِه ، وصارُوا جميعاً إلى الغُوَيْر ، فقال عُميرٌ في ذلك : [من الرجز]

بَشِّرْ بنــي القَيْنِ بطعنٍ شَرْجِ يُشْبِعُ أَولادَ الضِّباعِ العُرْجِ[1]
مــا زال إمراري لهمْ ونَسْجِي وَعُقْبتي للكُــورِ بعــد السَّرْجِ

1 طعن شرج : طعن يسيل الدماء .

حتّى اتَّقَوْني بالظُّهورِ الفُلْجِ   هل أَجْزِيَنْ يوماً بيوم المَرْجِ
ويومِ دُهمانَ ويومِ هَرْجِ

وقال رجلٌ من نُمَيْرٍ : [من الوافر]

أَخذتُ نِساءَ عبدِ اللهِ قهراً   وما أعفيتُ نِسوةَ آلِ كلبِ
صَبَحْناهم بِخَيلٍ مُقْرَباتٍ   وَطَعْنٍ لا كِفاءَ له وضَرْبِ[1]
يُبَكِّينَ ابنَ عمرو وهو تَسْفي   عليهِ الرِّيحُ تُرْباً بعد ترْبِ
وسعدٌ قد دَنا منه حِمامٌ   بأَسمرَ من رماحِ الخَطِّ صُلْبِ
وَقد قالَتْ أُمامةُ إذ رأَتْني   بُلِيتُ وَما لُقيتُ لِقاءَ صَحْبِ
وَقد فقدَتْ معانقَتي زَماناً   وَشَدَّ المِعْصمَينِ فُوَيْقَ حَقْبِ
لقد بُدِّلتَ بَعْدِي وَجْهَ سَوْءٍ   وآثاراً بجِلْدِكَ يا ابنَ كعْبِ
فقلْتُ لها كذلكِ مِنْ يُلاقي   عِتاقَ الخيْلِ تحملُ كلَّ صَعْبِ

وقال المُجير بن أَسْلم القُشَيْريّ : [من الخفيف]

أَصبَحتْ أُمُّ مَعْمرٍ عَذَلَتْني   في رُكوبي إلى مُنادي الصَّباحِ
فدَعِيني أُفيدُ قوْمَكِ مَجْداً   تَندُبيني به لَدى الأنواحِ
كلَّ حَيٍّ أَذقْتُ نُعمى وَبُؤسى   بنِي عامِرِ الطِّوالِ الرِّماحِ
وصَدمنا كلْباً فَبَيْنَ قتيلٍ   أَو سليبٍ مُشَرَّدٍ من جراحِ
وأَتَوْنا بكلِّ أَجردَ صافٍ   ورجالٍ مُعَدَّةٍ وسلاحِ

وقال أيضاً : [من الوافر]

أَبْلِغْ عامِراً عنّي رسولاً   وأَبْلغْ إن عَرَضْتَ بَني جَنابِ
هَلُمَّ إلى جيادٍ مُضْمراتٍ   وَبيضٍ لا تُفَلُّ من الضِّرابِ
وسُمْرٍ في المَهَزَّةِ ذاتِ لِينٍ   نُقِيمُ بهنَّ مِنْ صَعَرِ الرِّقابِ
إذا حَشَدتْ سُليمٌ حَولَ بيتي   وَعامِرُها المركَّبُ في النِّصابِ
فمَن هذا يُقارِبُ فخرَ قومِي   وَمنْ هذا الذي يَرْجُو اغْتصابي؟

وقال زُفَرُ بن الحارثِ : [من الكامل]

1 الخيل المقربات : التي تقرب معالفها ومرابطها لكرامتها .

يا كلبُ قد كَلِب الزَّمانُ عليكمُ وأَصابكُم منّي عذابٌ مُرسَلُ
أَيهُولُنا يا كلبُ أَصْدقُ شِدَّةٍ يومَ اللِّقاء أم الهُوَيلُ الأوَّلُ
إنَّ السَّماوَةَ لا سَماوَةَ فالْحقي بالغَوْرِ فالأفحاصِ بِئْسَ المَوْئِلُ
فجَنُوب عَكَّا فالسَّواحِلَ إنَّها أَرضٌ تَذُوبُ بها اللِّقاحُ وَتُهزَلُ
أَرْضُ المذلَّةِ حيثُ عَقَّتْ أُمُّكم وأَبُوكُمُ أَوْ حيثُ مُزِّعَ بحْدَلُ[1]

وقال عُمير بن الحُباب : [من الوافر]

ورَدْنَ على الغُوَير غُويرِ كلْبٍ كأنَّ عُيونها قُلُبُ انتزاحِ
أَقَرَّ العَيْنَ مَصرعُ عبدِ وُدٍّ وَما لاقَتْ سَراةُ بني الجُلاحِ
وقائمةٍ تُنادِي يا لَكلْبٍ وكَلْبٌ بئسَ فِتْيانُ الصَّباحِ

وقال عُمَيْر أيضاً : [من الطويل]

وكلْبٌ تركْنا جمعَهمْ بينَ هاربٍ حِذارَ المَنايا أَوْ قَتيلٍ مُجَدَّلِ
وأَفلَتنا لَمَّا التقَينا بعاقِدٍ على سابحٍ عند الجِراء ابنُ بحْدلِ
وأُقْسِمُ لو لاقَيتُه لعَلَوْتُه بأَبيَضَ قَطّاعِ الضَّريبةِ مِقصَلِ

وقال عُمير أيضاً : [من الطويل]

وكلْباً تركْناهمْ فلُولاً أذِلَّةً أَدرْنا عليهمْ مثلَ راغيةِ البَكْرِ[2]

وقال جهمٌ القُشَيريّ : [من السريع]

يا كلْبُ مَهْلاً عن بني عامرٍ فليس فيها الجَدُّ بالعاثِرِ
وَلَّى حُمَيدٌ وَهو في كُرْبَةٍ على طويلٍ متنُهُ ضامِرِ
بالأُمِّ يَفْدِيها وَقد شَمَّرَتْ كاللَّبْوَةِ المْطُولةِ الكاسِرِ
هَلاَّ صَبَرْتُم للقَنا ساعةً وَلَم تَكُنْ بالماجِدِ الصابِرِ

وقال عُمَيرٌ[3] : [من الطويل]

وَأَفلتنا رَكْضاً حُمَيدُ بنُ بَحْدلٍ على سابحٍ غَوْجِ اللبَّانِ مُثابِرِ

---

1 عقت : حملت . مزع : تقطع وتفرق .
2 المثل «كراغية البكر» في جمهرة العسكري 2 : 156 وانظر مجمع الميداني 2 : 141 وفصل المقال : 458 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 .
3 تقدمت هذه الأبيات عدا الثالث منها .

إذا انتقصتْ مِنْ شأوهِ الخيلُ خلفَهُ ... تَرامَى بِــه فوقَ الرِّماحِ الشّواجرِ
لدُنْ غـدوةٍ حتـى نَزَلنـا عَشيَّةً ... يَمـرُّ كمِرِّيــخِ الغُــلامِ المُخاطِرِ

وقال عُمَيرٌ : [من الكامل]

يا كلْبُ لم تترُكْ لكـم أَرْماحُنا ... بِلــوى السَّماوةِ فالغُوَيْــرِ مَـرادا
يا كلبُ أحرَمْنا السماوةَ فانظري ... غير السَّماوةِ في البِــلادِ بِـلادا
ولقد صككنا بالفوارسِ جَمْعكم ... وَعَديدَكم يـا كلــبُ حتـى بادا
ولقـد سبقــتُ بوَقْعــةٍ تركتُكُمُ ... يــا كلبُ بالحَـرْبِ العَوانِ بِعادا

وقال زُفر بن الحارث : [من الطويل]

جزى اللهُ خَيْراً كلّما ذَرَّ شارقٌ ... سَعيـداً ولاقتْـهُ التحيَّة والرُّحْبُ
وحَلْحلـــةُ المغْــوارُ للهِ جَـدُّهُ ... فلو لَم يَنَلْهُ القتلُ بادتْ إذنْ كلبُ
بنــي عَبــْدِ وُدٍّ لا نطالبُ ثأرنا ... من الناسِ بالسُّلطانِ إن شَبَّتِ الحربُ
ولكـــنَّ بيضَ الهِنْــدِ تُسْعِرُ نارَنا ... إذا ما خَبَتْ نارُ الأعادِي فما تخبُو
أَبادتكمُ فُرسانُ قيسٍ فمـا لَكُـمْ ... عَديدٌ إذا عُدَّ الحصى لا ولا عَقْبُ
بأيديهـــمُ بيضٌ رِقــاقٌ كأنَّهـا ... إذا ما انتضَوْها في أَكُفِّهِمُ الشُّهْبُ
فسبُّوهُمُ إن أَنْتُــم لم تُطالِبــوا ... بثأرِكُمْ قــد ينفعُ الطالبَ السَّبُّ
ومـــا امتنَعَ الأقــوامُ عنّا بنأيِهم ... سواءٌ علينا النأيُ في الحربِ والقُرْبُ

وقال عُمير : [من الطويل]

شَفَيتُ الغليلَ مــن قُضاعةَ عَنْوةً ... فظــلَّ لهــا يــومٌ أغَــرُّ مُحَجَّلُ
جزيْناهُــم بالمَـرجِ يومـاً مُشَهَّراً ... فلاقَوْا صَباحـاً ذا وَبــالٍ وقُتِّلُوا
فلم يَبْقَ إلاّ هــاربٌ من سُيُوفِنا ... وإلاّ قتيـــلٌ في مَكَــرٍّ مُجدَّلُ[1]

وقال ابنُ الصَّفَّار المحاربيّ : [من الكامل]

عَظُمَتْ مصيبةُ تَغْلــبَ ابنةِ وائلٍ ... حتى رأَتْ كلبٌ مَصيبَتَها سُوى
شَمتُوا وكان اللهُ قـد أَخزاهـــمُ ... وتُريدُ كلــبٌ أن يكونَ لها أسا
وبِكُمْ بدأْنـا يـــالَ كَلْبٍ قَتْلَهُمْ ... ولعلّنا يومـاً نَعُــودُ لكم عَسى

---

1 المكر : موضع الحرب . ومجدل : صريع .

أخَنْتْ على كلبٍ صُدُورُ رِماحِنا ... مـا بينَ أَقْبلـةِ الغُويرِ إلى سُوا[1]
وعركْنَ بَهـراءَ بن عمرٍو عَركةً ... شَفَتِ الغليـلَ ومَسَّهُمْ مِنّـا أذى

وقال الرّاعي[2] : [من الطويل]

متى نفترشْ يومـاً عُلَيمـاً بغارةٍ ... يكونوا كعَوْصٍ أو أَذَلَّ وأَضرعا[3]
وحَيَّ الجُلاح قـد تركْنا بدارِهمْ ... سَواعِـدَ مُلقـاةً وهامـاً مُصَرَّعا
ونحن جَدَعْنا أَنفَ كلبٍ ولم نَدَعْ ... لِبَهراءَ في ذكـرٍ من النّاسِ مَسْمَعا
قَتَلْنا لَـوَ انَّ القتلَ يَشْفي صُدورَنا ... بتدمُـرَ أَلفاً مـن قُضاعةَ أَقْرَعا[4]

وقال زُفَر بن الحارث ، وذكر أبو عُبَيدة أنّها لعقيل بن عُلَّفَة[5] : [من الطويل]

أَقرَّ العُيونَ أنَّ رهطَ ابنِ بحدَلٍ ... أُذيقُوا هَواناً بالذي كان قَدَّما
صَبَحناهمُ البيضَ الرِّقاقَ ظُباتُها ... بجانب خَبْتٍ والوشيجَ المقَوَّما
وجَرْداءَ مَلَّتْها الغُزاةُ فكلُّها ... تَرى قَلِقاً تحت الرِّحالةِ أهضَما
بكلّ فتًـى لم تأبِرِ النّخـلَ أُمُّه ... ولم يُدْعَ يوماً للغرائر مِعْكَما[6]

وهذه الحروب التي جرت : ببنات قَيْن[7] . فلمّا أَلحَّ عميرٌ بالغارات على كلب رحَلت حتى نزلت غَوْريّ[8] الشام ، فلمّا صارت كلب بالموضع الذي صارت قيس ، انصرفت قيس في بعضِ ما كانت تنصرف من غَزْوِ كلب ، وهم مع عمير ، فنزلوا بِثنيٍ من أثناءِ الفُرات بين منازل بني تَغلب ، وفي بني تَغْلب امرأةٌ من تميم يقال لها : أم دُوَيل ناكحةٌ في بني مالك بن جُشَم بن بكرٍ ، وكان دُوَيلْ من فرسانٍ بني تَغْلب ، وكانت لها أعنزٌ بمَجْنبة[9] ، فأخذوا من أَعْنزِها ، أخذها غلامٌ من بني الحَرِيش ، فشكَوْا ذلك إلى عُميرٍ فلم يُشْكِهم ، وقال : مَعَرَّة

1 الغوير وسُوا : ماءان .
2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 168 .
3 نفرش : نصيب ونستبيح . عليم : أبو بطن . وعوص : قبيلة من كلب .
4 ألف أقرع : تامة .
5 في ترجمة عقيل بن علفة أبيات على نفس الوزن والروي للحصين بن همام . وانظر ترجمة الحصين والحماسة رقم 41 في شرح المرزوقي .
6 المعكم : المكتنز اللحم .
7 بنات قين : موضع .
8 الغوري : ما انخفض من الأرض .
9 ل : بمحنية .

الجُنْد ، فلمَّا رأى أصحابُه أنّه لم يَقدَعْهم وثَبوا على بقيّة أعنُزِها فأخذُوها وأكلُوها ، فلمّا أتاها دُوَيل أخبرتْه بما لَقِيت ، فجمع جمعاً ثم سار فأغار على بني الحريش ، فلقي جماعةً منهم فقاتلوه ، فخرج رجلٌ من بني الحريش ، زعمتْ تغلبُ أنّه مات بعد ذلك ، وأخذَ ذوْداً[1] لامرأةٍ من بني الحريش يقال لها : أمُّ الهيثم ، فبلغ الأخطل الوقعةُ ، فلم يَدْرِ ما هي ، وقال وهو بِراذان[2] : [من الطويل]

أتاني ودُوني الزَّابيـانِ كلاهما ودِجْلةُ أنباءٌ أمـرُّ مـن الصَّبْرِ
أتاني بـأن ابنـي نِـزارٍ تهادَيا وتَغْلِب أولى بالوفـاء وبالغَدْرِ

فلمّا تبين الخبرَ قال[3] : [من الطويل]

وجاءُوا بجَمْعٍ ناصِري أمِّ هيثمٍ فمـا رَجَعُوا مـن ذَوْدِها ببعيرِ

فلمّا بلغ ذلِكَ قيساً أغارتْ عَلى بني تَغلب بإزاء الخابُور ، فقتلوا منهم ثلاثةَ نَفَرٍ ، واستاقُوا خمسةً وثلاثين بعيراً . فخرجت جماعة من تغلب ، فأتوا زُفَر بن الحارث وذكروا له القرابةَ والجوارَ ، وهم بَقَرْقيسيا ، وقالوا : ائتنا برحالنا ورُدَّ علينا نعَمنا . فقال : أما النّعمُ فنردُّها عليكم ، أو ما قدرنا لكم عليه ، ونكمل لكم نعمكم من نَعَمِنا إن لم نصبها كلَّها ، وندِي لكم القتلى . قالوا له : فدَع لنا قَرَيات الخابور ، ورحِّل قيساً عنها ، فإنَّ هذه الحروب لن تُطْفأ ما داموا مجاورينا . فأبى ذلك زفرُ ، وأبَوْا هم أن يرضَوْا إلاّ بذلك . فناشدَهم الله وألحَّ عليهم ، فقال له رجلٌ من النَّمِر كان معهم : واللهِ ما يسرُّني أنّه وَقاني حربَ قيسٍ كلبٌ أبقعُ تركتُه في غنمي اليومَ . وألحَّ عليهم زفرُ يطلب إليهم ويُناشِدهم ، فأبَوْا فقال عميرٌ : لا عليكَ ، لا تُكْثر ، فواللهِ إنِّي لأرى عيونَ قومٍ ما يريدون إلاّ محاربتك . فانصرفوا من عندِه ، ثم جمعوا جمعاً ، وأغاروا على ما قرُب من قَرْقيسيا من قُرى القَيْسيّة . فلقيهم عُميرُ بن الحُباب ، فكان النُّميريُّ الذي تكلَّم عند زفر أوّلَ قتيل ، وهَزَم التغلَبيِّين ، فأعظم ذلك الحيّان جميعاً قيسٌ وتغلِبُ ، وكرهوا الحربَ وشماتة العدُوّ .

فذكر سليمانُ بن عبد الله بن الأصَمِّ : أنَّ إياس بن الخرّازِ ، أحدَ بني عُتَيْبَة بن سعد بن زُهَير ، وكان شريفاً من عيونِ تغلِبَ ، دخل قَرْقيسيا لينظُرَ ويُناظِر زفَر فيما كان بينهم ، فشدَّ عليه يزيدُ بن بحزن القرشيّ فقتَلَه . فتذمَّم زفرُ من ذلك ، وكان كريمـاً مجمِّعاً لا يُحِبّ

1 الذود : قطيع من الإبل من ثلاث إلى خمس عشرة .
2 راذان : منطقة في سواد العراق . والبيتان في ديوان الأخطل : المقطوعة 301 .
3 ديوان الأخطل : المقطوعة 36 .

الفرْقَة . فأرسل إلى الأمير ابنِ قَرْشة بن عَمرو بن رِبْعيّ بن زُفَر بن عُتَيْبة بن بعْج بن عُتْيبة بن سعد بن زُهير بن جُشم بن الأرْقم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلب ، فقال له : هل لك أن تَسُود بني نزار فتقبلَ منّي الدِّيةَ عن ابن عمِّك ؟ فأجابه إلى ذلك . وكان قَرْشة من أشراف بني تغلب ، فتلافى زفر ما بين الحيّيْن ، وأصلح بينهم ، وفي الصدورِ ما فيها . فوفَد عمير على المُصْعَبِ بن الزُّبير ، فأعلمه أنّه قد أوْلَجَ قضاعة بمدائِنِ الشام . وأنّه لم يبقَ إلاّ حيٌّ من ربيعةَ أكثرُهم نصارى ، فسأله أن يولِّيَه عليهم . فقال : اكتب إلى زُفر ، فإن هو أراد ذلك وإلاّ ولاّك . فلمَّا قَدِم على زُفر ذكر له ذلك فشقّ عليه ذلك ، وكَرِه أن يليَهُم عميرٌ فيحِيف بهم ويكون ذلك داعيةً إلى منافرتِه . فوجَّه إليهم قوماً ، وأمَرَهُمْ أن يرفُقُوا بهم . فأتَـوْا أخلاطاً من بني تغلِبَ من مشارقِ الخابورِ فأعلمُوهم الذي وُجِّهُوا به ، فأبَوْا عليهم ، فانصرفوا إلى زُفر ، فردَّهم وأعلَمهم أنّ المصعب كتب إليه بذلك ، ولا يجدُ بُدّاً من أخذِ ذلك منهم أو محارَبتِهم ، فقتلوا بعضَ الرسُل .

وذكر ابن الأصمّ : أنّ زُفر لمّا أتاه ذلك اشتَدَّ عليه ، وكره استفْسادَ بني تغلب ، فصير إليهم عُميرُ بن الحُباب فلقِيَهم قريباً من ماكِسِين على شاطىء الخابور ، بينه وبين قَرْقِيسِيا مسيرةُ يوم ، فأعظم فيها القتل .

[أسر القطامي]

وذكر زيادُ بن يزيدَ بن عُمير بن الحُباب : أنّ القتل استحرَّ ببني عَتّاب بن سَعْد ، والنَّمِر ، وفيهم أخلاطُ تَغْلِب ، ولكنَّ هؤلاء معظمُ النّاس ، فقَتلوهم بها قتلاً شديداً ، وكان زفرُ بن يزيد أخو الحارث بن جُشَمٍ له عشرون ذكراً لصُلْبِهِ ، وأُصيب يومئذٍ أكثرُهم ، وأُسِر القطاميُّ الشاعرُ وأُخِذَت إبلُه . فأصاب عميرٌ وأصحابُه شيئاً كثيراً من النّعَم ، ورئيس تَغْلب يومئذٍ عبد الله بن شُريح بن مُرّة بن عبد الله بن عمْرو بن كلثوم بن مالِك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم . فقُتِل ، وقُتِل أخوه ، وقُتِل مُجاشِعُ بن الأجلح ، وعمرو بن معاويةَ من بني خالدِ بن كعب بن زُهير ، وعبدُ الحارث بن عبد المسيح الأوسيُّ ، وسَعْدان بن عبدِ يسوعَ بن حرب ، وسعد وُدّ بن أوْس من بني جُشَم بن زُهير . وجعلُ عُمَيرٌ يصيحُ بهم : «وَيْلَكمْ لا تَسْتَبْقُوا أحداً» . ونادى رجلٌ من بني قُشَيْر يقال له النّدّار : «أنا جارٌ لكلِّ حاملٍ أتتني ، فهي آمِنَةٌ» ، فأتته الحبالى ، فبلغني أنّ المرأة كانت تشُدُّ على بطنها الجَفْنة من تحتِ ثوبها تشبيهاً بالحُبْلى بما جَعَل لهُنَّ . فلمّا اجتمعْنَ له بَقَر بطونهُنَّ فأفظع ذلك زُفَرَ وأصحابَه ، ولام زفرُ عُميراً فيمن بُقِر من النّساء ، فقال ما فعلتُه ولا أمرتُ به ، فقال في ذلك الصفّارُ المحاربيُّ : [من الوافر]

بقَرْنا مِنكـمُ ألْفَـيْ بَقِيرِ فلـم نَتْرُكْ لحاملـةٍ جَنِينَا

وقال الأخطلُ يذكر ذلك[1] : [من الوافر]

فليتَ الخيلَ قد وَطِئَتْ قُشَيْراً سَنابكُها وقد سَطَع الغبارُ
فنجْزِيهمْ ببَغيِهمُ علَينا بني لُبنى بما فَعلَ الغُدارُ

وقال الصّفّار : [من الطويل]

تمنَّيتُ بالخابُور قيساً فصادَفَتْ مَنايا لأسباب وِفاقٍ إلى قَدْرِ

وقال جَرير[2] :

نُبِّئْتُ أنَّك بالخابورِ مُمْتَنعٌ ثم انْفَرَجْتَ انفراجاً بعدَ إقرارِ

فقال زُفرُ بنُ الحارث يُعاتِبُ عُمَيراً بما كان منه في الخابُور : [من الوافر]

ألا مَن مُبلغٌ عنِّي عُميراً رسالة عاتِبٍ وعليكَ زارِي
أتترُكُ حَيَّ ذي كلَعٍ وَكلبٍ وتجعلُ حَدَّ نابِكَ في نزارِ
كمُعتمدٍ على إحدى يديهِ فخانَتْهُ بِوهْيٍ وانكسارِ

[زفر يفك أسر القطامي]

ولّما أُسِرَ القُطاميُّ أتى زفر بقرقيسيا فخلَّى سَبيله ، وردّ عليه مائة ناقةٍ ، كما ذكر أدهمُ بن عِمران العبديّ ، فقال القطاميُّ يمدحه[3] : [من الوافر]

قِفي قَبْلَ التفرُّقِ يا ضُباعا ولا يكُ موقفٌ منكِ الوَداعا
قِفي فادِي أُسيرك إنَّ قَوْمي وقومكِ لا أُرى لهم اجتماعا
ألَم يَحزنْكِ أنَّ حِبالَ قَيسٍ وتغلبَ قد تَبايَنت انْقِطاعا
فصارا ما تُغِبُّهما أمورٌ تزيدُ سَنا حريقتِها ارتفاعا[4]
كما العظْمُ الكَسيرُ يُهاضُ حتى يَبِتَّ وإنَّما بدأ انصداعا[5]
فأُصبح سبلُ ذلِك قد تَرَقى إلى مَن كان منزلُه يَفاعا

1 لم يرد البيتان في ديوان الأخطل .
2 ديوان جرير (صادر) : 242 .
3 ديوان القطامي : 31–38 .
4 الديوان : وصاروا . . . . حريقهما .
5 يهاض : يكسر بعد جبر . ويبت : ينقطع . أي أن الكسر بدأ صدعاً ثم أصبح كلّما جبر انكسر .

فـلا تبْعَـد دمـاءُ ابني نزارٍ ولا تَقْـرَر عيونُكِ يا قَضاعا
ومَـن يكن استَلامَ إلى ثَوِيٍّ فقــد أُحسنتَ يا زفرُ المَتاعا[1]
أَكُفْـراً بعــد رَدِّ الموتِ عنّي وبعد عَطائِكَ المائــةَ الرِّتاعا[2]
فلو بيدَيْ سِواكَ غـداةَ زَلَّتْ بــيَ القدَمانِ لم أُرْجُ اطِّلاعا[3]
إذن لهلكتُ لـو كانَتْ صِغارٌ من الأَخْلاق تُبْتدعُ ابتِداعا[4]
فَلَــم أَرَ مُنعِمــينَ أقــلَّ مَنّاً وأُكرمَ عِندَما اصطُنِعُوا اصْطناعا
مِن البِيضِ الوُجُوهِ بنــي نُفَيلٍ أَبــتْ أَخلاقُهـــمْ إلاَّ اتّساعا
بَنِي القَـرْمِ الذي عَلِمتْ مَعدٌّ تفضَّــلَ قومَهــا سعــةً وباعا

وقال أيضاً[5] : [من الرجز]

يا زفرُ بنَ الحارثِ ابن الأكرم قد كنتَ في الحربِ قديمَ المُقْدَمِ[6]
إذْ أَحجم القومُ ولَمّـا تُحجِم إنَّــكَ وابنيكَ حفِظتمْ مَحْرَمي
وحقَــنَ اللهُ بِكفَّيــكَ دمــي مِن بعدِ ما جَفَّ لِساني وفمي[7]
أنقذتني مــن بطــلٍ مُعمَّـــم والخيــلُ تحت العارضِ المُسَوَّمِ
وَتغلبٌ يَدعونَ يــا لَلأَرْقمِ

وقال أيضاً[8] :

يــا نــاقُ خُبّــي خبَباً زِوَرَّا وقلِّبــي مَنْسِمَــكِ المُغْبَرَّا[9]

---

1 استلام : فعل ما يلام عليه . والثوي : الضيف والمقيم . وفي الديوان : فقد أكرمت .
2 الرتاع : التي ترعى كيف شاءت في خصب وسعة .
3 لم أرج اطلاعاً : لم أرج نجاة .
4 تبتدع ابتداعاً في ل : تنتزع انتزاعاً ، وهي رواية .
5 ديوان القطامي : 122–123 .
6 قديم المقدم في الديوان : كريم المقدم .
7 الديوان :
بعذ العوالي بعدما ذب فمي وحقــن الله بأيديكـم دمــي
8 ديوان القطامي : 120–121 .
9 زورّ : شديد .

وعارضي اللَّيلَ إذا ما اخضرَّا سوف تُلاقـين جَـواداً حُرَّا[1]
سيّـدَ قيسٍ زُفَـرَ الأَغَـرَّا ذاكَ الذي بايـعَ ثُـمَّ بَرَّا
ونقَضَ الأَقْـوامُ واستمـرَّا قـد نفـعَ اللّهُ بـهِ وضَرَّا[2]
وكانَ في الحرْبِ شِهاباً مُرَّا

وقال أيضاً[3] : [من الرجز]

كأَنَّ في المركَبِ حينَ راحـا بدراً يزيـدُ البصرَ انفِضاحا[4]
ذا بلَـجٍ ساواكَ أُنّى امْتاحـا وَقَـرَّ عينـاً ورَجـا الرِّباحا
أَلا ترى مـا غَشيَ الأَرْكاحا وغشيَ الخابـورَ والأَملاحا[5]
يُصفِّقُون بالأَكُـفِّ الرَّاحا

وقال فيه أيضاً هذه القصيدةَ التي فيها الغناءُ المذكورُ بذكر أخبارِ القُطاميّ[6] : [من البسيط]

ما اعتادَ حُبُّ سُليمى حينَ معتادِ ولا تَقَضَّى بَواقي دَيْنِها الطادِي[7]
بيضاءُ مَحْطُوطـةُ المَتْنَيْن بَهْكَنَةٌ رَيَّا الرّوادفِ لم تُمغِـلْ بأَولادِ[8]
مـا لِلكواعبِ ودَّعْـنَ الحياةَ كما ودَّعْنَني واتَّخَذْنَ الشَّيْبَ ميعادي
أَبصارُهُـنَّ إلى الشُّبّـانِ مائلـةٌ وقـدْ أَراهُـنَّ عَنـّي غيرَ صُدّادِ
إذْ باطِـلي لم تَقشَّع جاهليَّتُـهُ عنّي ولم يَترُك الخُلاّنُ تَقوادِي
كنِيّة الحيِّ منْ ذي القَيضةِ احتَملوا مُسْتَحْقِبين فُـؤاداً مالُـه فادِي[9]

---

1 الديوان : وعارضي الليل إذا ما اخضرّا أخبرك البـارح حـين مـرا
إذ سوف تلقين جـواداً حرّا سيد قيس زفـر الأغـرا

2 نقض في الديوان : وتقض .

3 ديوان القطامي : 173–174 .

4 الديوان :
كأن في الموكب حـين لاحا بدراً يزيـد النظر انفساحـا
أفلح ساق بيديـك امتاحـا

5 الأركاح : الأفنية .

6 ديوان القطامي : 78–87 .

7 الطادي : الثابت القديم .

8 محطوطة المتنين : ممدودتهما . الممغل من النساء : التي تحمل كل سنة قبل فطام الصبي .

9 مستحقب : محتمل . وفي الديوان : ذي الغضبة ويروى : ذي الغيضة ، وهو مكان .

بانُوا وكانوا حياتي في اجتِماعِهِمُ وفي تفرُّقِهِمْ قَتْلي وإقصادي[1]
يَقْتُلننا بحديثٍ لَيْسَ يعلمُه مَن يَتَّقِينَ ولا مكنُونُه بادِي
فهنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ بهِ مواقعَ الماءِ من ذي الغُلَّةِ الصَّادِي

يقول فيها في مدح زُفَر بن الحارث :

مَنْ مُبلغٌ زُفرَ القَيسيَّ مِدْحَتَه من القُطاميِّ قَوْلاً غيرَ إفنادِ[2]
إنّي وإن كان قَوْمي ليسَ بينهُم وبينَ قومِكَ إلاَّ ضَربةُ الهادِي[3]
مُثنٍ عليكَ بما استبْقيتَ مَعرِفتي وقد تَعْرِض منِّي مَقتلٌ بادِي[4]
فلن أُثيبَك بالنَّعماءِ مَشتَمةً ولن أُبدِّل إحساناً بإفسادِ[5]
فإن هجوتُكَ ما تَمَّت مكارِمَتي وإن مَدحتُ فقد أُحسنتَ إصفادي[6]
وما نسيتُ مَقامَ الوَرْدِ تحبِسُه بيني وبينَ خَفيفِ الغابةِ الغادي[7]
لولا كتائِبُ من عمرٍو تصول بها أُرْدِيتُ يا خيرَ مَن يَنْدُو له النَّادي[8]
إذْ لا ترى العينُ إلاّ كلَّ سَلْهبةٍ وسابحٍ مثل سِيدِ الرَّدْهةِ العادي[9]
إذ الفَوارسُ من قيسٍ بِشِكَّتِهِمْ حَوْلي شُهودٌ وما قَوْمي بشُهَّادي
إذ يَعتريكَ رجالٌ يسأَلونَ دَمي ولو أطعتَهمُ أَبكيتَ عُوَّادي
فقد عَصَيتَهمُ والحربُ مقبلةٌ لا بل قَدَحْتَ زناداً غيرَ صلاَّدِ[10]
والصِّيدُ آلُ نُفَيْلٍ خيرُ قومِهمُ عند الشتاءِ إذا ما ضُنَّ بالزَّادِ
المانِعُونَ غَداةَ الرَّوْعِ جارَهمُ بالمشْرَفِيَّةِ من ماضٍ ومُنْآدِ[11]

1 وكانوا حياتي في الديوان : وكانت حياتي .
2 إفناد : كذب .
3 الهادي : العنق .
4 استبقيت معرفتي : استبقيتني لمعرفتك إيّاي .
5 الديوان : ولن أكافىء .
6 إصفادي : إعطائي .
7 الورد : فرس كان للزفر بن الحارث والغابة هنا : الرماح .
8 يندو : يجتمع .
9 سلهبة : الفرس الطويل . والسيد : الذئب . الردهة : أُكمة كثيرة الحجارة أو نقرة في الجبل .
10 الصلاد : الزند الذي لا يوري .
11 المنآد : المعوج .

أَيَّامَ قومي مكاني مُنْصِبٌ لهمُ ولا يظنُّونَ إلاَّ أَنَّني رادِي[1]
فانتاشَني لكَ من غمّاءَ مظلمةٍ حبلٌ تضمَّن إصداري وإيرادِي[2]
ولا كردِّكَ مالِي بعدَما كرَبَتْ تُبْدِي الشماتَة أعدائي وحُسَّادي
فإنْ قَدَرتُ على خَيرٍ جَزَيتُ به واللهُ يجعل أقواماً بمِرْصادِ

قال ابنُ سلاَّم : فلمّا سمع زفرُ هذا قال : لا أَقْدرَكَ اللهُ على ذلك .

وقال أيضاً[3] : [من الوافر]

أَلا مَن مُبلغٌ زُفَرَ بن عمرٍو وخيرُ القولِ ما نَطَقَ الحكِيمُ
أَبِيٌّ ما يُقادُ الدَّهرَ قَسْراً ولا لِهَوى المصرِّف يَسْتقيمُ
أَنوفٌ حينَ يغضبُ مُسْتَعِزٌّ جَنوحٌ يَسْتَبِدُّ به العزيمُ[4]
فما آلُ الحُبابِ إلى نُفَيلٍ إذا عُدَّ المُمهَّلُ والقديمُ[5]
كأَنَّ أبا الحُبابِ إلى نُفَيلٍ حِمارٌ عَضَّهُ فرسٌ عَذُومُ[6]
بَنى لك عامرٌ وبنو كلابٍ أُرُوماً ما يُوازيه أُرومُ

[أحسن الناس ابتداء]

أَخبرني أحمد بن جعفر جَحظة ، قال : حدَّثني علي بن يحيى المنجِّم ، قال : سمعت مَن لا أُحصى من الرُّواة يقُولون : أَحسنُ النّاسِ ابتداءً قصيدٍ في الجاهليَّة امرؤ القيس حيثُ يقولُ :

أَلا عِم صباحاً أيُّها الطَّللُ البالي

وحيث يقول :

قفا نبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ

وفي الإسلاميِّين القطاميُّ ، حيث يقول :

إنّا مُحيُّوكَ فاسْلم أَيُّها الطَّلَلُ

وفي المحدثين بَشّارٌ ، حيث يقول :

---

1 منصب : متعب . ورادي : هالك .
2 غنّاء في الديوان : غبراء .
3 ديوان القطامي : 113–115 .
4 مستعز : عزيز النفس . والعزيم والعزيمة واحد .
5 آل الحباب : آل عمير بن الحباب . ونفيل : الرهط الذين ينتسب إليهم زفر بن الحارث . والممهل : المتروك المنسي .
6 الفرس العذوم : العضوض .

أبـى طَلَلٌ بالجَزْعِ أن يَتكلَّما ... ومـاذا عليه لـو أجابَ مُتيَّما
وبالفُرْعِ آثـارٌ لِهنـدٍ وباللِّوى ... مَلاعِبُ مـا يُعْرَفْنَ إلاَّ تَوَهُّما

[الشعبي يفضله على الأخطل]

نسختُ مِنْ كتابِ أحمد بن الحارث الخرَّاز ، ولم أسمعه من أحدٍ ، وهو خبرٌ فيه طولٌ اقتصرتُ منه على ما فيه من خَبَر القُطاميّ ، قال أحمد بن الحارث الخَرّاز : حدَّثني المدائنيّ ، عن عبد الملك بن مُسلم ، قال[1] : قال عبدُ الملك بن مَرْوان للأخطل ، وعنده عامر الشّعبيّ : أتحبّ أن لك قياضاً[2] بشعرك شعرَ أحدٍ من العَرب أم تحبّ أنّك قلته ؟ قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، إلاّ أنّي وَدِدتُ أنّي كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منّا مُغدَفُ القِناع ، قليلُ السَّماع ، قصيرُ الذِّراع ، قال : وما قال ؟ فأنشد قول القُطاميّ : [من البسيط]

إنّا مُحيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَـلُ ... وإن بَليتَ وإن طَالَتْ بكَ الطِّيَلُ
ليسَ الجديدُ بـه تبقى بَشاشَتُه ... إلاّ قليـلاً ولا ذو خُلَّـةٍ يَصِلُ
والعيشُ لا عَيْشَ إلاّ مـا تَقَـرُّ به ... عَينٌ ولا حـالَ إلاّ سوفَ تَنْتقلُ
إن تَرْجِعي من أبي عثمانَ مُنْجِحةً ... فقد يهُونُ على المستَنْجِحِ العَمَلُ[3]
والناسُ مَـنْ يلْقَ خيراً قائلونَ له ... مـا يَشتهِي ولأُمِّ المخطِـىءِ الهَبلُ
قد يُـدْرِكُ المتأنّي بعضَ حاجَتِـهِ ... وقـد يكونُ مع المسْتعجل الزَّلَلُ

حتى أتى على آخرها : قـال الشَّعبيُّ : فقلتُ له : قد قال القُطاميُّ أفضلَ من هذا ، قال : وما قال ؟ قلت : قال[4] : [من الكامل]

طرقتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطْرَقِ ... مـا كنت أحْسِبُها قريبَ المُعْنَقِ[5]
قَطعتْ إليكَ بمثـل جِيـدِ جَدايةٍ ... حَسَنٍ مُعلَّـقُ تُومَتَيْـه مُطوَّقِ[6]
ومُصرَّعـينَ مـن الكَلالِ كأنّما ... بكَروا الغَبوقَ من الرَّحيقِ المُعتِقِ[7]

1 تقدم هذا الخبر والشعر في ترجمة النابغة الذبياني في الجزء 11 : 17 .
2 قياضاً : مقايضة .
3 الخطاب للناقة .
4 ديوان القطامي : 105–112 .
5 أعنق : سار سيراً سريعاً . ويعني أنّ المكان الذي أعنقت منه قريب .
6 الجداية : الغزال . والتومة : اللؤلؤة . ويعني هنا الحبّة في القرط .
7 الرحيق : الخمر .

مُتوسِّديـــن ذراعَ كلِّ شِمِلَّـــةٍ ومُفــرّجٍ عُــرَقِ المَقَــذِّ مُنَوَّقِ[1]
وجَثَتْ على رُكَبٍ تهُدُّ بهــا الصَّفا وعلى كلاكِــلَ كالنَّقِيلِ المُطرَقِ[2]
وإذا سَمِعْــنَ إلى هَماهــمِ رُفْقَةٍ ومِــن النُّجُومِ غوابــرٌ لم تخفقِ[3]
جعلــتْ تُميــلُ خُدودَها آذانُها طرَبــاً بهــنَّ إلى حُــداءِ السُّوَّقِ
كالمُنْصِتــات إلى الزَّميرِ سَمِعْنَــه مــن رائــعٍ لقلوبهــنَّ مُشَوِّقِ[4]
فإذا نَظَــرْنَ إلى الطَّريــقِ رأينَــهُ لَهَقاً كَشاكلــةِ الحِصانِ الأَبلقِ[5]
وإذا تخلَّــفَ بعدهُــنَّ لحاجــةٍ حــادٍ يُشَسِّعُ نَعلَــه لم يَلحقِ
وإذا يُصيبُك ، والحوادثُ جمَّةٌ ، حدثٌ حَداكَ إلى أَخيكَ الأَوثقِ[6]
ليتَ الهُمُومَ عــن الفؤادِ تفرَّجَتْ وخــلا التَّكلُّــم للِّسان المُطلَقِ[7]

قال : فقال عبدُ الملك بن مروانَ : ثكِلت القطاميَّ أُمُّه ، هذا واللهِ الشِّعرُ . قال : فألتفتَ إليَّ الأخطلُ فقال لي : يا شعْبيُّ ، إن لكَ فنوناً في الأحاديث ، وإنّما لنا فنٌّ واحدٌ ، فإن رأيتَ ألاّ تحملني على أكتافِ قوْمِكَ فأدَعهم حَرْبى فقلت : وكرامةً ، لا أعرِضُ لك في شِعر أبداً ، فأقِلني هذه المرَّة .

ثم التفتُّ إلى عبد الملك بن مروان ، فقلتُ : يا أَمير المؤمنين : أسألُكَ أَن تستغفرَ لي الأخطل ، فإنِّي لا أُعاودُ ما يَكره . فضَحِكَ عبدُ الملك بن مروان وقال : يا أخطلُ إنَّ الشعبيَّ في جواري . فقال : يا أميرَ المؤمنين : قد بدأْته بالتحذير ، وإذا ترك ما نكره لم نَعرض له إلاّ بِما يُحبّ . فقال عبد الملك بن مروان للأخطل : فعليَّ ألاّ يعْرضَ لك إلاّ بما يحبُّ أبداً . فقال له الأخطلُ : أنت تتكفَّل بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال عبدُ الملك بن مروان : أنا أكفُل به ، إن شاء الله تعالى .

1 الرواية السابقة : كل نجيبة . الشملة : الناقة الخفيفة . المفرج : ما بان مرفقه عن إبطه . والمقذ : ما بين الأذنين . والمنوق : الجمل الذي أحسنت رياضته .
2 النقيل : رقاع النعل والخف . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض .
3 هماهم رُفْقةٍ في الديوان : هماهماً من رفقة . والهماهم : الكلام الخفي . غوابر : بواق . وتخفق : تغيب .
4 إلى الزمير في الديوان : إلى الغناء .
5 اللهق : البياض دون لمعان . والشاكلة : الخاصرة .
6 وإذا يُصيبُك في الديوان : وإذا أصابك .
7 ليتَ في الديوان : لئن .

صوت

[من البسيط]

يا ابنَ الذين سَما كِسْرى لجمْعهِمُ فجلَّلُوا وَجْهَه قاراً بِذِي قارِ[1]
دوِّخْ خُراسانَ بالجُرْدِ العِتاقِ وبالْبِـ ـيضِ الرِّقاق بأَيْدِي كلٌّ مِسعارِ

الشِّعر لأبي نجدة ، واسمه لُجيم بن سعد ، شاعِرٌ من بني عِجْلٍ .

أخبرني بذلك جماعةٌ من أهلِه . وكان أبو نجدةَ هذا مع أحمد بن عبد العزيز بن دُلَف بن أبي دُلفٍ ، منقَطعاً إليه .

والغناء لكُنيز دبَّة ، ولحنه فيه خفيفٌ بالبنْصر ، ابتداؤه نشيد .

[مناسبة هذا الشعر]

وكان سَببُ قوله هذا الشعر أنَّ قائداً من قُوَّاد أحمد بن عبد العزيز التجأ إلى عمرو بن اللَّيث ، وهو يومئذٍ بخُراسانَ ، فغمَّ ذلك أحمدَ وأقْلقه ، فدخل عليه أبو نجدة ، فأنْشده هذين البيتين ، وبعدهما : [من البسيط]

يا مَنْ تيمّم عَمراً يستجيرُ به أَما سَمِعْتَ ببيْتٍ فيـهِ سيّارِ
المسْتجيرُ بعمْرو عنـد كُرْبته كالمسْتجير من الرّمْضاءِ بالنَّارِ[2]

فسُرَّ أحمد بذلك ، وسُرِّي عنه ، وأمر لأبي نجدة بجائزةٍ ، وخَلعَ عليه وحمله ، وغنَّى فيه كُنيزٌ لحنه هذا ، وهو لحنٌ حسنٌ مشهورٌ في عصرنا هذا ، فأمر لكنيز أيضاً بجائزةٍ ، وخلع عليه وحمله .

سمعْتُ أبا عليٍّ محمدَ بن المَرْزبان يُحدِّثُ أبي ، رحمه الله ، بهذا على سبيل المذاكرة ، وكانت بيننا وبين آل المرْزُبانِ مودّةٌ قديمةٌ وصِهرٌ .

1 ذو قار : ماء لبكر بن وائل قرب الكوفة .

2 المثل «كالمستجير (كالمستغيث) من الرمضاء في النار» في مجمع الميداني 1 : 375 ، 2 : 149 وجمهرة العسكري 2 : 160 وفصل المقال : 377 . وعمرو في البيت الأول هو عمرو بن الليث المذكور في الخبر ، وفي البيت الثاني هو عمرو بن الحارث الذي طلب منه كليب أن يغيثه بشربة ماء فنزل وأجهز عليه .

[527] ـ خبر وقعة ذي قار[1]
التي فُخِر بها في هذا الشعر

أخبرنا بخبرها عليُّ بن سليمانَ الأخفش ، عن السّكريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الكلبيّ ، عن خِراش بن إسماعيل . وأضفتُ إلى ذلك رواية الأثْرَم عن أبي عبيدةَ ، وعن هشامٍ أيضاً ، عن أبيه ، قالوا : كان من حديث ذي قار أنّ كِسْرى أَبَرْويز بن هُرْمُز لمّا غضِبَ على النُّعمانِ بن المنذر أتى النُّعمانُ هانىء بن مَسعود بن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذُهْل بن شَيبان[2] ، فاستودعه مالَه وأهلَه وولَدَه ، وألفَ شِكّةٍ ، ويقال : أربعة آلاف شِكّة ، قال ابنُ الأعرابيّ : والشِّكّةُ : السّلاحُ كلّه ، ووضع وضائعَ عند أحياء من العرب ، ثم هرَبَ وأتى طيِّئاً لصهره فيهم .

وكانت عنده فَرعةُ بنتُ سعيد بن حارثةَ بن لأمٍ ، وزينبُ بنتُ أوس بن حارثة . فأبوْا أنْ يُدخلُوه جَبَلهم ، وأتتْهُ بنو رواحة بن ربيعةَ بن عنبس ، فقالوا له : «أبيتَ اللَّعنَ ، أقمْ عندنا ، فإنّا مانِعوكَ ممّا نَمنعُ منه أنفسنا» . فقال : ما أُحِبُّ أن تهلِكوا بسببي ، فَجُزِيتم خيراً .

ثم خرج حتى وضع يدَه في يدِ كسرى ، فحبسه بساباط[3] ، ويقال بخانِقين ـ وقد مضى خبرُه مشروحاً في أخبار عديّ بن زيد ، قالوا : فلمّا هَلَكَ النُّعمانُ جعلتْ بكرُ بن وائلٍ تُغيرُ على السَّوادِ . فوفد قيس بنُ مسْعودِ بن قيس بن خالدِ ذي الجدَّيْن ، بن عبدِ الله بن عمرٍو إلى كسْرى ، فسأله أن يجعل لـه أُكُلاً وطُعْمةً ، على أن يضْمنَ له على بكر بن وائلٍ ألاّ يدخلوا السّوادَ ولا يُفسدُوا فيه ، فأقطعَه الأُبُلّة وما والاها .

وقال : هل تكْفيكَ وتكفي أعْرابَ قومِك ؟ . . وكانتْ له حُجْرة[4] فيها مائةٌ من الإبل للأضياف ، إذا نُحرَتْ ناقةٌ رُدَّت مكانها ناقةٌ أُخرى وإيّاه عَنى الشمّاخُ بقوله : [من البسيط]

---

1 خبر وقعة ذي قار في كتب التاريخ كالطبريّ وابن الأثير والمفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي وفي الخزانة والعقد والنقائض وأيام العرب في الجاهلية وغيرها . وانظر التذكرة الحمدونية 3 : 15–18 .

2 في الطبري عن أبي عبيدة أنّ هانىء بن مسعود لم يدرك هذا الأمر ، إنّما هو هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود .

3 ساباط : بلد قرب سمرقند .

4 الحجرة : حظيرة الإبل .

فادْفعْ بألْبانها عنكـمُ كما دَفعت عنهم لِقاحُ بني قيس بن مَسعودِ[1]

قال : فكان يأتيه مَنْ أتاه منهم فيُعطيه جُلَّة تمر وكِرْباسةً[2] ، حتى قدِم الحارثُ بن وَعلة بن مجالد بن يَثربيٍّ بن الدَّيّان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة ، والمكسِّر بن حنظلةَ بن حُيَيّ بن ثعلبة بن سيّار بن حُيَيّ بن حاطبة بن الأسعد بن جَذِيمة بن سَعْد بن عجل بن لُجَيم ، فأعطاهما جُلَّتي تَمْرٍ وكِرْباستَيْن ، فغَضبا وأبيا أن يَقْبلا ذلك منه ، فخرجا واستَغويا ناساً من بكر بن وائلٍ ، ثم أغارا على السّواد ، فأغار الحارثُ على أسافل رُودمَيسان[3] وهي من جِرْد ، وأغار المكسِّر على الأنبار ، فلقيهُ رجل من العِباديِّين من أهل الحيرة ، قد نُتِجتْ بعض نُوقهم ، فحملوا الحُوار على ناقةٍ ، وصرّوا[4] الإبل .

فقال العِباديُّ : لقد صبَّح الأنبارَ شرٌّ ، جَمَلٌ يحملُ جَمَلاً ، وجملٌ بُرَتُهُ[5] عودٌ ، فجعلوا يضحكون من جهله بالإبل .

قال : وأغار بُجيرُ بن عائذ بن سُوَيد العجليّ ، ومعهُ مَفْرُوق بن عمرٍو الشَّيبانيّ على القادسيّة وطِيرناباذ ، وما والاهما ، وكلُّهم ملأ يَديْهِ غنيمةً . فأمّا مَفْرُوقٌ وأصحابه فوقع فيهم الطاعون فموَّت منهم خمسةَ نفرٍ مع مَن موّت من أصحابهم ، فدُفِنُوا بالدُّجَيل ، وهو رِحله[6] من العُذيب يسيرةٌ ، فقال مفروقٌ : [من الطويل]

أتـاني بأنْباطِ السَّوادِ يَسُوقُهـمْ إليَّ وأوْدَتْ رَجْلَتـي وفَوارِسي[7]

فلمّا بلَغ ذلك كِسرى اشتدَّ حَنَقُه على بكرِ بن وائلٍ ، وبلغه أن حَلْقَةَ[8] النُّعمانِ وولَدَه وأهلَه عندَهم ، فأرسل كِسْرى إلى قيسِ بن مَسْعودٍ ، وهو بالأُبُلَّة فقال : غررتَني من قومِكَ ، وزعمتَ أنّك تكفينيهم ، وأمَر به فحُبِس بساباطَ ، وأخذ كسرى في تعبئةِ الجيوشِ إليهم ، فقال قيسُ بن مسعود ، وهو محبوسٌ ، من أبيات : [من الوافر]

ألا أبلـغْ بَني ذُهْـلٍ رَسُولاً فمن هذا يكونُ لكـم مكاني

1 ديوان الشمّاخ : 119 .
2 الجلة : القفة الكبيرة . والكرباسة : ثياب خشنة .
3 ميسان : كورة ين البصرة وواسط . وروذ : من أسماء بعض القرى .
4 صروا الإبل : شدّوا ضروعها فلا ترضعها أولادها .
5 البرة : حلقة تجعل في أنف البعير .
6 ل : مروحة .
7 الرجلة : جمع رجل .
8 الحلقة : الدروع والسلاح .

أيأكُلُها ابــنُ وعْلَة في ظَلِيفٍ ويأمَــنُ هَيْثَــمٌ وابنـا سِنانِ[1]
ويأمَــنُ فيكمُ الذُّهْليُّ بَعْدي وقــد وسَموكمْ سِمــةَ البيانِ
ألا مَــنْ مُبلغٌ قَوْمي ومَن ذا يبلِّــغُ عــن أسيرٍ في الإِوانِ

يعني الإيوان .

تطاوَلَ ليلُــه وأصاب حُزْنـاً ولا يَرْجُـو الفِكاكَ مع المِنانِ

يعني بالهَيْثم وابني سِنان : الهيثمَ بن جَرير بن يساف بن ثَعلبة بن سَدوس بن ذُهْل بن ثَعلبة ، وأبو عِلباءَ بن الهيثم .

وقال قيس بن مسعود يُنذِرُ قومَه[2] : [من الطويل]

ألا لَيتَني أَرشُو سِلاحِـي وبَغْلَتي لِمَن يُخبِرُ الأَنباءَ بكرَ بن وائلِ[3]

ويروى : لِمَن يُعلم الأنباءَ .

فأُوصيهِــمُ باللهِ والصُّلح بينهــمْ لينصأ معـروفٌ ويُزْجَرَ جاهِلُ[4]
وصاةَ امرىء لو كان فيكم أَعانَكُم على الدَّهرِ والأَيّامُ فيهـا الغوائِلُ
فإيّـاكُم والطَّــفّ لا تقْرَبُنَّــهُ ولا البحرَ إنَّ الماءَ للبحرِ واصِلُ[5]
ولا أَحْبِسَنْكم عن بُغا الخَيْرِ إنَّني سَقَطتُ عَلى ضِرغامةٍ فهــو آكِلُ[6]

رواه ابن الأَعرابيِّ فقال :

. . . . إنّ الماءَ للقَوْدِ واصِلُ

أي أنّه مُعِينٌ لهم ، يقُود الخَيل إليكم .

قال : وقال قيسٌ أيضاً يُنْذِرُهم : [من الطويل]

تَعنَّاك مِـن ليـلى مع اللَّيلِ خائِلُ وذِكرٌ لهـا في القَلبِ ليس يُزايِلُ
أُحبّك حُبَّ الخَمرِ ما كان حُبُّها إلَــيَّ وكُــلٌّ في فـؤادِيَ داخِلُ
ألا لَيتَني أَرْشُو سِلاحي وبَغْلتـي فيُخْبِرَ قومـي اليومَ مــا أنا قائِلُ

1 في ظليف : بغير حقّ .
2 الأبيات في معجم المرزباني : 201 .
3 عجز البيت في المرزباني : لأن تعلم الأنباء والعلمَ وائلُ ، وبه يزول الإقواء .
4 المرزباني : لينطق معروف .
5 المرزباني : للقود واصل .
6 لم يرد هذا البيت عند المرزباني .

فإنّا ثَوَيْنا في شُعوبٍ وإنَّهُمْ غَزَتْهُمْ جنودٌ جَمَّةٌ وقبائِلُ
وإنَّ جُنودَ العُجْمِ بيْني وبَينَكم فيا فَلَجي يا قومُ إن لم تقاتلوا[1]

قال : فلمّا وضَح لكسرى واستبانَ أنّ مال النُّعمانِ وحلْقتَه وولَدَه عند ابن مَسْعود ، بعث إليه كسرى رجلاً يخبره أنّه قال له : إنَّ النُّعمانَ إنّما كان عاملي ، وقد استودَعَك مالَه وأهلَه والحلقةَ ، فابْعث بها إليَّ ولا تكلِّفْني أن أبعثَ إليك ولا إلى قومِكَ بالجنودِ ، تقْتُلُ المقاتِلَة وتَسْبي الذُّرِّية . فَبعث إليه هانئ : إنَّ الذي بلغك باطلٌ ، وما عِندي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمرُ كما قِيل فإنّما أنا أحدُ رجُلَين ؛ إمّا رجلٌ استُودِعَ أمانة ، فهو حقيق أن يردَّها على مَن استْودَعَه إيّاها ، ولن يُسَلِّم الحُرُّ أمانته أو رجلٌ مكذوبٌ عليه ، فليس ينبغي للملِكِ أن يأخذه بقول عدوٍّ أو حاسدٍ .

قال وكانت الأعاجمُ قوماً لهم حِلْم ، وقد سمِعوا ببعض عِلم العرب ، وعَرفوا أنَّ هذا الأمر كائنٌ فيهم .

فلمّا ورد عليه كِتابُ هانيء بهذا حملته الشَّفَقةُ أن يكونَ ذلك قد اقتربَ ، فأقْبل حتى قطع الفُراتَ ، فنزل غَمْر بني مُقاتل . وقد أحْنَقَهُ ما صنعتْ بكرُ بن وائل في السَّوادِ ومَنْعُ هانيء إيّاه ما مَنَعَهُ .

قال : ودَعا كِسرى إياسَ بنَ قبيصَةَ الطائيَّ ، وكان عاملَه على عين التَّمر وما والاها إلى الحِيرة ، وكان كسرى قد أطعمه ثلاثين قريةً على شاطىء الفرات ، فأتاه في صَنائِعِه من العَربِ الذين كانوا بالحِيرةِ فاستشارَهُ في الغارةِ على بكرِ بن وائلٍ ، وقال : ماذا تَرى ؟ وكم ترى أن نُغْزِيَهم من الناس ؟ فقال له إيّاسٌ : إن المِلكَ لا يَصلُح أن يَعْصِيَه أحدٌ من رَعِيّته ، وإن تطِعني لم تُعلم أحداً لأيّ شيءٍ عبرتَ وقطعتَ الفُراتَ ، فيَرَوْا أنّ شيئاً من أمر العرب قد كَرَبك ، ولكن تَرجعُ وتُضْرِبُ عنهم ، وتَبعث عليهم العُيونَ حتى ترى غِرَّةً منهم ثم ترسل حَلْبة من العجم فيها بعضُ القبائل التي تَلِيهم ، فيُوقِعونَ بهم وقعةَ الدَّهرِ ، ويأتونَك بطِلبَتِكَ . فقال له كسرى : أنت رجلٌ من العرب ، وبكرُ بن وائل أخوالك ، وكانت أُمُّ إياس ، أُمامةُ بنتُ مسعودٍ ، أختَ هانيء بن مسعود ، فأنت تتعصَّبُ لهم ، ولا تألُوهم نُصحاً . فقال إياسٌ : رأيُ الملك أفضل . فقامَ إليه عمرو بن عديٍّ بن زيدِ العِبادِيُّ ، وكان كاتبَه وتُرجُمانَه بالعربيّة في أُمور العربِ ، فقال له : أقِمْ أيُّها الملكُ ، وابْعث إليهم بالجُنودِ يَكْفُوك . فقامَ إليه النُّعمانُ بن زُرْعَةَ بن هَرَميٍّ ، من ولد السَّفّاح التَّغْلبيِّ ، فقال : أيُّها المِلكُ ، إنَّ هذا الحيَّ من

1 الفلج : الإصابة بالفالج .

بكرِ بن وائلٍ إذا قاظوا بذي قارٍ تهافَتُوا تهافُتَ الجرادِ في النّارِ . فعَقد للنُّعمانِ بن زُرعةَ على تغلِبَ والنّمِرِ ، وعقد لخالدِ بن يزيد البهرانيِّ على قُضاعةَ وإيادٍ ، وعَقَد لإياسِ بن قَبيصة على جميعِ العرَب ، ومعه كَتيبتاهُ الشَّهْباءُ والدَّوْسَرُ ، فكانت العربُ ثلاثةَ آلافٍ . وعقد للهامُرْزِ على ألفٍ من الأساوِرةِ[1] ، وعقد لخُنابِرين على ألفٍ ، وبعث معهم باللَّطيمةِ ، وهي عِيرٌ كانت تخرُج من العراقِ فيها البَزّ والعِطْر والألطافُ ، تُوصَل إلى باذامَ عامِلِه باليمين ، وقال : إذا فَرَغْتُم من عدوِّكم فسيروا بها إلى اليَمن ، وأمر عمرو بن عديٍّ أن يسيرَ بها ، وكانت العربُ تخفِرهم وتجيرهم حتى تبلغَ اللَّطيمةُ اليمينَ . وعَهِدَ كسرى إليهم إذا شارفُوا بلاد بَكْرٍ بن وائلٍ ودنَوا مِنها أن يبعثوا إليهم النُّعمانَ بن زُرعةَ ، فإن أتَوْكُم بالحلقة ومائةِ غلامٍ منهم يكونون رَهْناً بما أحدث سُفهاؤُهم ، فاقبلوا منهم ، وإلاّ فقاتِلوهم . وكان كِسرى قد أوقع قبلَ ذلك ببني تميمٍ ، يومَ الصَّفْقةِ[2] ، فالعرَبُ وَجِلةٌ خائفة منه . وكانت حُرَقةُ بنتُ حسَّانَ بن النُّعمانِ بن المنذرِ يومئذٍ في بني سِنانٍ ، هكذا في هذه الرِّواية .

وقال ابنُ الكلبيِّ : حُرَقةُ بنت النُّعمانِ ، وهي هندُ ، والحرَقة لقبٌ ، وهذا هو الصحيح . فقالتْ تُنْذِرُهم : [من الوافر]

ألا أبلِـغْ بنـي بكـرٍ رَسُولاً فقـد جَـدَّ النَّفيرُ بعَنْقَفيرِ[3]
فَلَيتَ الجيشَ كُلَّهُــمُ فِداكُمْ ونَفسيَ والسَّريرَ وذا السَّريرِ
كأنّي حـينَ جَـدَّ بهم إليكُمْ مُعَلَّقَــةُ الذَّوائـِـبِ بالعَبُورِ[4]
فلــو أنّي أطقتُ لِذاكَ دَفْعاً إذَنْ لَدَفَعْتُــهُ بِدَمِـي وريري[5]

فلمّا بَلَغ بكرَ بن وائلٍ الخبرُ سار هانيء بنُ مسعودٍ حتى انتهى إلى ذي قار ، فنزل به . وأقبل النُّعمانُ بن زُرْعة ، وكانت أُمُّه قِلْطِفَ بنت النُّعمان بن معديكرِب التّغلبيِّ ، وأمّها الشَّقِيقة بنتُ الحارث الوصّاف العِجْليِّ ، حتى نزلَ على ابن أُختِه مُرَّةَ بنِ عمرو بن عبدِ الله بن مُعاويةَ بن عبد الله بن قيس بن سعدِ بن عِجْل ، فحمِد الله النُّعمان وأثنى عليه ثم قال : إنّكم أخوالي وأحدُ طَرَفيَّ ، وإنَّ الرائِدَ لا يَكذِبُ أهلَه[6] ، وقد أتاكُم ما لا قِبَل لكم به من أحرار

1 الأساورة : جمع أسوار ، وهو الفارس من الفرس .
2 تقدم خبر يوم الصفقة في الأغاني 17 : 228 .
3 عنقفير : داهية .
4 العبور : تعني الشعرى العبور .
5 الرير : مخ العظام وفي رواية : وزيري ، وهو ما أحكم فتله من الأوتار ، وتعني بذلك عروقها .
6 المثل «الرائد لا يكذب أهله» في مجمع الميداني 2 : 233 وجمهرة العسكري 1 : 472 .

فارسَ ، وفُرسانِ العرب ، والكتيبتان : الشَّهباءُ والدَّوْسَرُ ، وإن في هذا الشّرِّ خِياراً . ولأن يفتديَ بعضُكم بعضاً خيرٌ من أن تُصطلموا[1] ، فانظُروا هذه الحلقةَ فادفعوها وادفعوا رهناً من أبنائِكُم إليه بما أحدث سُفهاؤُكم . فقال له القومُ : ننظرُ في أمرِنا . وبعثوا إلى مَن يَلِيهمْ من بكر بن وائل ، وبَرزوا ببطحاء ذي قار بين الجهلتَيْن .

قال الأثرم : جَلْهة الوادي : ما استقبلَكَ منه واتّسع لك . وقال ابنُ الأعرابيِّ : جَلْهةُ الوادِي : مُقدَّمُه ، مثل جَلْهة الرأسِ إذا ذهب شعره ، يقال : رأس أجْلَهُ .

قال : وكان مرداسُ بن أبي عامر السُّلَميّ مُجاوِراً فيهم يومئذٍ ، فلمّا رأى الجيوشَ قد أقبلتْ إليهم حَمَل عِيالَه فخرج عنهم ، وأنشأ يقولُ يحرّضُهم بقوله : [من البسيط]

أبلِــغ سَراةَ بنــي بكــرٍ مُغَلْغَلةً ... إنِّي أخافُ عليهم سُرْبــةَ الدَّارِ[2]
إنِّي أرى الملِــكَ الهامُرْزَ مُنْصَلِتاً ... يُزْجِي جِياداً وركبــاً غير أبرارِ[3]
لا تَلْقُطُ البَعَر الحَــوْليَّ نِسْوَتُهُمْ ... للجائزِين عَلَى أعطــانِ ذِي قارِ[4]
فإن أبَيْتُمْ فإنِّــي رافِــعٌ ظُعُني ... ومُنْشِبٌ في جِبال اللُّوبِ أظْفاري[5]
وجاعِــلٌ بينَنا وِرداً غَوارِبُـــه ... تَرْمي إذا مــا ربــا الوادي بتَيَّارِ

ربا : ارتَفَع وطال ، وقوله : ورداً غواربُه : أراد البحرَ .

قال علي بن الحسين الأصفهانيّ : هذه الحكايةُ عندِي في أمر مِرداس بن أبي عامرٍ خطأ ؛ لأن وقعَةَ ذِي قار كانت بعد هجرةِ النبيِّ ، ﷺ وآله ، وكانت بين بَدْرٍ وأُحُد ومرداس بن أبي عامرٍ وحربُ بن أُميَّة أبو أبي سفيان ماتا في وقتٍ واحدٍ ، كانا مرَّا بالقريَة ، وهي غَيْضة مُلتفةُ الشَّجر ، فأحْرقا شَجَرها ليتخذاها مزرعةً ، فكانت تخرجُ من الغَيْضة حيّاتٌ بِيضٌ فتطِيرُ حتى تغيبَ . ومات حربٌ ومرداسٌ بعقب ذلك ، فتحدَّث قومُهما أنّ الجِنّ قتلتْهُما لإحْراقِها منازِلَهمْ من الغَيْضَةِ ، وذلك قبل مَبْعَث النبيِّ ، ﷺ ، بحين . ثم كانت بين أبي سُفيانَ وبين العبّاسِ بن مِرداس مُنازَعةٌ في هذه القُرية ، ولهما في ذلك خبرٌ ليس هذا مَوْضِعَه . وأظنُّ أنّ هذه الأبياتَ للعبّاسِ بن مرداس بن أبي عامرٍ .

---

1 اصطلموا : استؤصلوا .
2 السربة : جماعة الخيل المغيرة ، أو السرعة في قضاء الأمر .
3 في رواية : غير أعيار أو أعرار ، والأولى جمع عير وهو الحمار الوحشي ، والثانية : جمع عر وهو الغلام .
4 أعطان : مبارك الإبل .
5 جبال اللوب : موضع .

رجع الحديث إلى سياقته في حديث ذي قار .

قال : وجعلتْ بكر بن وائل حين بَعَثُوا إلى مَن حَولَهمْ من قبائلٍ بكرٍ لا تُرْفَعُ لهم جَماعةٌ إلاَّ قالوا : سيدُنا في هذه . فرُفِعت له جماعةٌ ، فقالوا : سيِّدُنا في هذه ، فلمَّا دنَوا إذا هم بعبدِ عمرو بن بِشْر بن مَرْثَد ، فقالوا : لا . ثم رُفِعَت لَهُم أُخْرى ، فقالُوا : في هذه سيِّدُنا ، فإذا هو جَبَلَةُ بن باعث بن صَرِيم اليَشْكُرِيّ ، فقالوا : لا .

فرفِعت أُخرى ، فقالوا : في هذه سيّدُنا ، فإذا هو الحارثُ بن وعْلَة بن مُجالِدٍ الذُّهْليّ فقالوا : لا . ثم رُفِعت لهم أُخرى ، فقالوا : في هذه سيّدُنا ، فإذا فيها الحارث بن ربيعة بن عثمان التيميُّ ، من تيم الله ، فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أُخرى أكبر ممّا كان يجيءُ ، فقالوا : لقد جاءَ سيّدنا ، فإذا رجلٌ أصلَعُ الشعر ، عظيمُ البَطْنِ ، مُشْرَبٌ حُمرةً ، فإذا هو حَنْظلةُ بن ثعلبةَ بن سيّار بن حُيَيّ بن حاطِبة بن الأسْعد بن جذيمة بن سَعد بن عجل . فقالوا : يا أبا مَعْدانَ ، قد طال انتظارُنا ، وقد كرِهْنا أن نقطع أمراً دونَكَ ، وهذا ابن أختِكَ النُّعمانُ بن زُرعةَ قد جاءَنا ، والرائدُ لا يكذبُ أهلَه . قال : فما الذي أجمعَ عليه رأيكم ، واتّفق عليه ملؤُكم ؟ قالوا : قال : إنّ اللّخْي أهْوَنُ من الوَهْي[1] وإنّ في الشرِّ خياراً ، ولأنْ يفتديَ بعضكم بعضاً خيرٌ من أن تُصطَلَموا جميعاً .

قال حنظلةُ : فقبّح اللهُ هذا رأياً ، لا تَجرُّ أحرارُ فارس غُرَلَها[2] ببطحاءِ ذي قارٍ وأنا أسمعُ الصوتَ .

ثم أمر بقُبَّتِه فضُرِبَتْ بوادي ذي قار ، ثم نزَلَ ونزلَ الناسُ فأطافوا به ، ثم قال لهانيء بن مَسْعود : يا أبا أُمامةَ ، إن ذمَّتَكم ذمَّتُنا عامةً ، وإنّه لن يوصلَ إليكَ . حتى تفنى أرواحُنا ، فأخرِجْ هذه الحلقة ففرِّقْها بين قومِكَ ، فإن تَظْفر فستُرَدُّ عليكَ ، وإن تهلِكْ فأهونُ مفقودٍ .

فأمر بها فأُخرِجتْ ، ففرقها بينَهُم . ثم قال حنظلة للنُّعمانِ : لولا أنَّكَ رسولٌ لما أُبْتَ إلى قومكَ سالماً . فرجع النُّعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما ردَّ عليه القَومُ ، فباتُوا ليلتَهُم مستعدِّين للقتال ، وباتت بكرُ بن وائل يتأهّبون للحرب .

فلمّا أصبحوا أقبلت الأعاجمُ نحوهم ، وأمر حنظلةُ بالظعن جميعاً فوقفها خلفَ النَّاسِ ، ثم قال : يا معشرَ بكرِ بن وائل ، قاتِلوا عن ظُعُنكم أو دَعُوا ، فأقبلتْ الأعاجمُ يسيرونَ على تعبئةٍ ، فلمّا رأتْهُم بنو قيس بن ثعلبةَ انصرفوا فلحِقُوا بالحيّ فاستخفَّوْا فيه ، فسمِّي : «حيّ

1 اللخي : العطاء . والوهي : الوهن والهلاك .

2 الغرل : جمع غرلة ، وهي القلفة .

بني قيس بن ثعلبة» قال : وهو على موضع خفيٍّ فلم يشْهدُوا ذلك اليومَ .

وكان ربيعةُ بنُ غزالة السَّكونيّ ، ثم التُّجيبيُّ ، يومئذٍ هو وقومُهُ نُزولاً في بني شيْبانَ ، فقال : يا بني شَيبانَ ، أما لو أنـِّي كنتُ منكم لأشرتُ عليكم برأيٍ مثلِ عُروةِ العِكْمِ[1] . فقالوا : فأنت والله من أوسطنا ، فأَشِرْ علينا . فقال : لا تُستهدَفُوا لهذه الأعاجم فتُهْلِكَكم بنُشَّابها ، ولكن اتكردَسُوا لهم كراديس[2] ، فيُشدّ عليهم كُردوسٌ ، فإذا أقبلوا عليه شدَّ الآخرُ ، فقالوا : فإنَّكَ قد رأيتَ رأياً ، ففعلوا .

فلمّا التَقى الزحفانِ ، وتقارَبَ القَوْمُ قام حَنظلةُ بن ثعلبة فقال : يا معشرَ بكْرِ بنِ وائل ، إنَّ النُّشَّاب الذي مع الأعاجم يعرِفُكم ، فإذا أرْسَلوه لم يُخْطِئكم ، فعاجلوهم باللِّقاء ، وابدءوهم بالشِّدَّة .

ثم قام هانىءُ بنُ مسعودٍ فقال : يا قومُ ، مَهلِكٌ مَعْذُورٍ خيرٌ من نجاءٍ معرورٍ[3] وإن الحذَر لا يدفع القَدَرَ ، وإنَّ الصَّبر من أسباب الظَّفر ، المنيّةُ ولا الدَّنيّةُ[4] ، واستقبالُ الموت خيرٌ من استدبارهِ ، والطَّعنُ في الثَّغر خيرٌ وأكرمُ من الطعن في الدُّبر ، يا قوم ، جِدُّوا فما من الموت بدٌّ ، فتحٌ لو كان له رجالٌ ، أسمعُ صوتاً ولا أرى قوماً ، يا آلَ بكرٍ ، شُدُّوا واستعدُّوا ، وإلاّ تشُدُّوا تُرَدُّوا .

ثم قام شَرِيك بن عمرو بن شراحيل بن مُرَّة بن همَّام فقال : يا قوم ، إنّما تهابُونهم أنّكم ترونْهمْ عند الحفاظِ أكثرَ منكم ، وكذلك أنتم في أعينهم ، فعليكم بالصبر ، فإنّ الأسنّة تُرْدِي الأعنّة ، يا آلَ بكرٍ قُدُماً قُدُماً .

ثم قام عمرو بن جَبَلَة بن باعث بن صَرِيم اليَشْكُريُّ فقال : [من الرجز]

يا قَــوْمُ لا تغرُرْكم هذِي الخِرَقْ وَلا وَميضُ البَيْضِ في الشَّمْسِ برقْ
مَــنْ لم يقاتِلْ مِنْكمُ هذِي العُنُق فجنِّبــوه الرَّاح واسقُــوه المَرَقْ[5]

1 العكم : ما جمع وشدّ لإحكام الربط . وهذا من الأمثال .
2 الكردوس : الجماعة الكبيرة من الخيل .
3 النجاء المعرور : الفرار الذي يلحق العار .
4 من المثل «لا ينفع حذر من قدر» في مجمع الميداني 2 : 237 . والمثل «المنية ولا الدنية» في مجمع الميداني 2 : 303 وجمهرة العسكري 2 : 225 وأمثال القاسم بن سلام : 197 . أمّا باقي أقواله فهي في حكم الأمثال ولكن لم ترِد في كتب الأمثال .
5 العنق : الجماعة . وفي رواية : فجنبوه اللحم . . .

ثم قام حنظلةُ بن ثعْلبة إلى وَضِين[1] راحلةِ امرأتِه فقطَعَهُ ، ثم تتبّع الظُّعُنَ يقْطعُ وُضُنَهنّ لئلاّ يفرّ عنهن الرجال ، فسُمِّيَ يومئذٍ : مُقطِّع الوَضين» .

والوَضِين : بِطانُ الناقةِ .

قالوا : وكانت بنو عِجل في الميمنةِ بإزاء خُنابِرين ، وكانت بنو شَيبان في الميسرةِ بإزاء كتيبة الهامُرْز ، وكانت أفناءُ بكر بن وائل في القَلب . فخرج أُسوارٌ من الأعاجم مُسوَّرٌ ، في أُذنيه دُرَّتان ، من كتيبة الهامُرْز يتحدّى الناسَ للبِراز ، فنادى في بني شيبان فلم يبرزُ له أحدٌ ، حتى إذا دنا من بني يَشْكُرَ برز له يزيدُ بن حارثةَ أخو بني ثعلبةَ بن عمرو فشدَّ عليه بالرُّمح ، فطعنه فدقَّ صُلْبَه ، وأخذ حِلْيته وسلاحَه ، فذلك قولُ سُوَيْدِ بن أبي كاهل يفتخر[2] : [من الطويل]

ومنَّا يَزيدُ إذْ تحـــدَّى جُموعَكم ... فلـم تَقْرَبـــوه ، المَرْزُبانُ المشهَّرُ[3]
وبـــارَزَهُ منَّـــا غُــلامٌ بِصارمٍ ... حُسامٍ إذا لاقـى الضَّرِيبَةَ يَبترُ

ثم إنَّ القومَ اقتتلوا صدرَ نهارهم أشدَّ قتالٍ رآهُ الناسُ ، إلى أن زالت الشمس . فشدّ الحوْفزانُ ، واسمه الحارث بن شَرِيك ، على الهامُرْزِ فقتَلهُ ، وقتلَتْ بنو عجلٍ خُنابِرين ، وضرب اللّهُ وجُوهَ الفُرْسِ فانهزَموا ، وتَبِعتْهم بكرُ بن وائل ، فلحِق مَرْثَدُ بنُ الحارث بن ثوْر بن حرْملة بن علقمة بن عمرو بن سَدُوس ، النُّعمانَ بن زرعةَ ، فأهوى له طعناً ، فسبقَهُ النّعمانُ بصدرِ فرسِهِ فأفْلتَهُ ، فقال مَرْثدٌ في ذلك : [من الطويل]

وَخَيْــلٍ تَبـــارى للطِّعانِ شَهِدتُها ... فأغرقتُ فيها الرُّمْحَ والجمعُ مُحجِمُ
وأُفلتَني النُّعمانُ قـــابَ رماحِنـــا ... وفوقَ قَطــاةِ المهْــرِ أَزْرقُ لهذَمُ[4]

قال : ولحِق أسودُ بن بُجَير بن عائذ بن شَرِيك العجْليّ النُّعمانَ بن زُرعةَ ، فقال له : يا نعمانُ ، هلمّ إليَّ ، فأنا خير آسرٍ لك ، وخير لك من العطش ، قال : ومَنْ أنتَ ؟ قال : الأسودُ بن بُجيرٍ ، فوضع يدَهُ في يدِه ، فجزّ ناصيَته ، وخلّى سبيله ، وحَمَلهُ الأسودُ على فرسٍ له ، وقال له : انجُ على هذه ، فإنّها أجودُ من فَرَسِكَ . وجاء الأسودُ بن بُجير على فرس النُّعمانِ بن زُرعة . وقُتِلَ خالد بن يزيدَ البهراني ، قتله الأسودُ بن شَرِيك بن عمرو ، وقُتِل يومئذٍ عمرو بن عديّ بن زَيْدِ العباديُّ الشاعر ، فقالت أُمُّه تَرثيهِ : [من الرمل]

---

1 الوضين : حزام الرحل .

2 تقدمت ترجمة سويد بن أبي كاهل في الأغاني وفيها بعض أبيات هذه القصيدة في الجزء 13 : 72 .

3 عجز البيت في ترجمة سويد : فلم تفرحوه المرزبان المسور . وفي الطبري : فلم تقربوه المرزبان المسورا .

4 قطاة المهر : عجزه . واللهذم : القاطع .

وَيْحَ عمرو بن عديٍّ من رجُلْ   حانَ يومـاً بعدما قيل كَملْ
كان لا يعقِـلُ حتى مـا إذا   جاءَ يـومٌ يأكلُ الناسَ عَقلْ
أيُّهــم دَلاَّكَ عمْرٌو للرَّدى   وقديمـاً حَيّنَ المـرْءَ الأَجلْ
ليــت نُعمَانَ علينْــا مَلِكٌ   وبُنَــيَّ لِيَ حَـيٌّ لم يَزَلْ
قد تنظَّرْنــا لغــادٍ أوْبــةً   كان لو أغنى عـن المرءِ الأَمَلْ
بانَ منــهُ عَضدٌ عَـنْ ساعدٍ   بؤسَ للدَّهــر وبؤسى للرجلْ

قال : وأَفلتَ إيّاسُ بن قَبِيصَةَ على فرس له كانت عند رجل من بني تَيْم الله يقال له : «أبو ثَوْر» فلمّا أراد إياسٌ أن يغزُوهم أرسَل إليه أبو ثور بها ، فنهاهُ أصحابه أن يفعلَ ، فقال : واللهِ ما في فرس إياسٍ ما يُعِزُّ رجلاً ولا يُذلّه ، وما كنتُ لأقطعَ رحِمَه فيها ، فقال إياس : [من الطويل]

غَذاهــا أبو ثــوْرٍ فلمّا رأيتُها   دَخِيسَ دواءٍ لا أُضيعَ غِذاؤها[1]
فأعددتُها كفـؤاً ليَوْمِ كريهـةٍ   إذا أقبلتْ بكرٌ تُجَـرُّ رشاؤها

قال : وأتْبعَتْهم بكرُ بن وائل يقتلونهم بقيَّةَ يومهم وليلتهم ، حتى أصبحوا من الغدِ ، وقد شارفُوا السّوادَ ودخلوه ، فذكروا أنَّ مائةً من بكر وائل ، وسَبْعين منْ عِجْل ، وثلاثينَ مِن أفناء بكر بن وائلٍ ، أُصبَحوا وقد دَخلوا السّوادَ في طَلَبِ القومِ ، فلم يُفلِت منهم كبيرُ أحدٍ وأقبلتْ بكرُ بنُ وائلٍ على الغَنائم فقسَّموها بينهم ، وقسَّموا تلك اللَّطائمَ بين نِسائهم . فذلك قولُ الديّان[2] بن جَندل : [من البسيط]

إن كنتِ ساقيةً يومـاً على كَسرمٍ   فاسْقي فوارسَ من ذُهلِ بن شيبانا
واسْقِي فوارسَ حامَوْا عن ديارهمُ   واعْلِي مَفارِقَهمْ مِسكاً وَرَيْحانا

قال : فكانَ أوّلَ مَن انصرَف إلى كسرى بالهزيمةِ إياسُ بن قَبِيصةَ . وكان لا يأْتيه أُحدٌ بهزيمةِ جيشٍ إلاّ نَزعَ كتفيه ، فلمّا أتاهُ إياسٌ سأله عن الخبرِ ، فقال : هَزَمْنا بكرَ بن وائلٍ ، فأتيناك بنسائهمْ ، فأعجَب ذلك كسْرى وأمر له بكُسوة ، وإنَّ إياساً استاذنـهُ عند ذلك ، فقـال : إنَّ أخي مريضٌ بعين التَّمر ، فأردتُ أن آتِيَه ، وإنّما أرادَ أن يتنحَّى عنه . فأذِنَ له كسرى ، فترك فَرسَه «الحمامة» وهي التي كانت عند أبي ثورٍ بالحيرةِ ، ورَكِب نجيبةً فلحق بأخيه . ثـم أتى كسْرى رَجلٌ من أهلِ الحِيرة وهو بالخَوَرْنَق ، فسأل : هلْ دخَلَ على الملكِ

1 دخيس : مكتنزة .
2 ل : الدهان .

أحدٌ ؟ فقالوا : نعَمْ ، إياسٌ ، فقال : ثكِلتْ إياساً أُمُّه ! وظَنَّ أنّه قد حدَّثه بالخبر ، فدَخلَ عليه فحدَّثه بهزيمةِ القوْمِ وقتلِهمْ ، فأمَر به فنُزِعتْ كتِفاه .

[الرسول عليه السلام يشيد بنصر العرب]

قال : وكانت وقعة ذي قار بعد وقعةِ بدْرٍ بأشهرٍ ، ورسولُ الله ، ﷺ ، بالمدينة ، فلمّا بَلغهُ ذلك قال : «هذا يومٌ انتصفتْ فيه العربُ من العجم ، وبي نُصِروا» .

قال ابنُ الكلبيّ : وأخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاسٍ ، قال : ذُكِرت وَقْعةُ ذي قارٍ عند النبيّ ، ﷺ ، فقال : «ذلك يومٌ انتصفَت فيه العربُ من العجَم وبِي نُصِرُوا» .

ورُوِي أنّ النبيّ ، ﷺ ، مُثِّلت له الوقعةُ وهو بالمدينة ، فرفع يديه فدعا لبني شيبان ، أو لجماعة ربيعةَ بالنَّصرِ ، ولم يزَلْ يدعو لهم حتى أُرِيَ هزيمةَ الفُرْسِ .

ورُوِي أنّه قال : «إيهاً بني ربيعةَ ، اللهُمَّ انْصر بني ربيعة» فهم إلى الآنَ إذا حاربوا دَعوْا بشِعار النبيِّ ، ﷺ ، ودعوتِه لهم ، وقال قائلهم : «يا رسول الله وَعْدَك» ، فإذا دَعوْا بذلك نُصِرُوا .

[الفخر بعد النصر]

وقال أبو كلبة التّيميّ يفخر بيوم ذي قارٍ[1] : [من البسيط]

لولا فوارِسُ لا مِيلٌ وَلا عُزُلٌ ... من اللّهازِم ما قِظْتُم بذي قارِ[2]
ما زِلتُ مُفترِساً أجسادَ أفْتيةٍ ... تُثِيرُ أَعطافَها منها بآثارِ
إنَّ الفَوارسَ من عِجلٍ هُمُ أَنِفُوا ... من أن يُخَلّوا لكِسْرى عَرْصةَ الدَّارِ
لاقَوْا فَوارِسَ من عِجْلٍ بشكَّتِها ... ليسوا إذا قَلَّصَتْ حربٌ بأغمارِ
قد أحسنَتْ ذُهلُ شيبانٍ وما عدَلَتْ ... في يومِ ذِي قارَ فُرْسانُ ابنِ سيَّارِ
همُ الذين أتَوْهُمْ عنْ شمائلهمْ ... كما تلبَّس وُرَّادٌ بصُدَّارِ[3]

فأجابه الأعشى فقال[4] : [من البسيط]

أَبلغْ أبا كلْبةَ التَّيمِيَّ مألُكةً ... فأنتَ من مَعْشرٍ ، واللهِ ، أشْرارِ
شيبانُ تَدْفعُ عنك الحربَ آونةً ... وأنتَ تنبَح نبْحَ الكلْبِ في الغارِ

---

1 في الطبري أربعة أبيات من هذه القصيدة منها البيتان الأوّل والأخير هنا .
2 الطبري : ما قاظوا .
3 الطبري : نحن أتيناهم من عند أشملهم .
4 لم يرد البيتان في ديوان الأعشى .

وقال بُكَيْرٌ الأَصَمُّ[1] : [من الكامل]

إن كنتِ ساقيةَ المُدامــةِ أَهْلَها فاسقي على كَــرَمٍ بني همَّامِ
وأبــا ربيعــة كلَّهــا ومُحلَّماً سبَقُوا بأَنْجَــدِ غايــةِ الأَيّامِ[2]
زَحفُوا بجمْعٍ لا تُــرى أَقْطارُه لقِحَتْ بِــه حرْبٌ لغيرِ تمامِ
عَرَبٌ ثلاثــةُ آلُفٍ وكتيبةٌ أَلْفانِ عُجْمٌ مــن بني الفَدَّامِ[3]
ضربُوا بني الأَحرارِ يومَ لَقُوهُمُ بالمشرفيِّ عــلى شُؤون الهامِ[4]
وغدا ابنُ مَسعُودٍ فأَوقعَ وَقْعةً ذَهَبَتْ لهــمْ في مُعرِقٍ وشآمِ[5]

وقال الأعشى[6] :

فِدًى لبني ذُهْلِ بن شَيبان ناقتي وراكبُهــا يــومَ اللّقاءِ وقلَّتِ
هُمُ ضَرَبُوا بالحِنْوِ حِنوِ قُراقرٍ مُقدِّمــةَ الهامُرْز حتــى تولَّتِ

وقال بعْضُ شعراء ربيعةَ في يوم ذِي قار : [من الطويل]

أَلا مَن لليــلٍ لا تغُورُ كواكبُه وهمٍّ سَرى بين الجوانحِ جانبُهْ
أَلا هَلْ أتاها أَنّ جيْشاً عَرَمْرماً بأَسفلِ ذي قارٍ أُبيدتْ كتائبُهْ
فما حلْقةُ النُّعمانِ يومَ طلبتَها بأقرَبَ من نجم السماء تَراقبُهْ

وقال الأعشى[7] : [من البسيط]

حَلفْتُ بالمِلْح والرَّمادِ وبالعُزَّ ى وبــاللاَّتِ تُسْلَــم الحلقَهْ
حَتّى يظَــلَّ الهمــامُ مُنجدِلاً ويقْــرَعَ النَّبــلُ طُرَّةَ الدَّرَقَهْ

---

1 هذه الأبيات في الطبري مع اختلاف في الترتيب .

2 الطبري : سبقاً بغاية أمجد الأيام . وفي ل : سبقاً لغاية أفضل الأقسام .

3 الطبري :

عربــاً ثلاثــةَ آلــفٍ وكتيبــة ألفــين أَعجــمَ من بني الفدام

وفيه البيت التالي قبل هذا البيت فنصب . وقيل : كان سقاة الأعاجم إذا سقوا فدموا (أي غطوا) أفواههم (اللسان) .

4 الطبري : على مقيل الهام .

5 الطبري :

شد ابن قيس شدة ذهبت لها ذكـرى لــه في معـرق وشآم

6 البيتان في الطبري وديوان الأعشى (صادر) : 33 .

7 لم يرِد البيتان في ديوانه .

وقال ابن قِرِدِ الخنزيرُ التَّيْميُّ : [من الوافر]

أَلا أَبلِغْ بنـــي ذُهْــلٍ رسُولاً … فــلا شَتماً أَردتُ ولا فسادا
هزرتُ الحامِلينَ لكــي يَعُودُوا … إذا يــومٌ مــن الحَدثانِ عادا[1]
وجدتُ الرِّفْدَ رِفْدَ بني لُجَيْمٍ … إذا مــا قَلَّــت الأَرفادُ زادا
هُم ضَرَبُوا الكتائبَ يومَ كِسْرى … أَمامَ النّاسِ إذْ كَرِهُــوا الجِلادا
وهُمْ ضَرَبُوا القِبابَ ببَطْنِ فَلْجٍ … وذادُوا عـــن محارِمنـــا ذِيادا

وقال الأَعشى في ذلك[2] : [من البسيط]

لــو أنَّ كلَّ معــدٍّ كان شارَكَنا … في يوم ذي قارَ ما أَخطاهُمُ الشَّرَفُ
لَّمــا أَتَوْنــا كأنَّ الليلَ يقدُمُهم … مُطَبِّق الأَرض تغشاها لهم سَدَفُ
بطَارِقٌ وبنــو مُلْــكٍ مرازِبَــةٌ … من الأَعاجِــمِ في آذانِها النُّطَفُ[3]
من كلِّ مَرْجانةٍ في البَحْرِ أَحْرَزَها … تَيَّارها ووقاها طينَهــا الصَّدَفُ[4]
وظُعْننا خَلْفَنــا تَجْــرِي مَدامِعُها … أَكبادُها وَجَلاً مَّما تَــرى تَجِفُ[5]
يَحْسِرْنَ عن أَوجهٍ قد عايَنَتْ عِبَراً … ولاحهــا غُبْرَةً أَلوانُهــا كِسَفُ[6]
ما في الخُدودِ صُدودٌ عن وُجُوهِهِمُ … ولا عن الطَّعْنِ في اللبَّاتِ مُنحَرِفُ[7]
عَوْداً على بَدْئِهِــم مــا إنْ يُلَبِّثُهمْ … كرَّ الصُّقُورِ بناتِ المــاءِ تَخْتَطِفُ
لَّما أَمالُــوا إلى النُّشّابِ أَيديَهــمْ … مِلْنا ببيضٍ فظَــلَّ الهامُ يُقْتَطفُ[8]
وخيلُ بكرٍ فمــا تَنْفَكُّ تطحنُهُمْ … حتــى تولَّوْا وكادَ اليومُ يَنْتَصِفُ

وقال حُرَيم بن الحارث التَّيميّ : [من الطويل]

---

1 هزر : ضرب ضرباً شديداً .
2 ديوان الأعشى : 112 مع اختلاف في الترتيب والرواية .
3 بطارق في الديوان : جحاجح .
4 أحرزها تيارها في الديوان : أخرجها غواصها .
5 وجلاً في الديوان : وجف .
6 الديوان :

حواسر عن خدود عاينت عبراً … ولاحها وعلاها غبرة كسف

7 لم يرد هذا البيت والذي يليه في الديوان .
8 لما في الديوان : إذا .

وإنَّ لُجَيمــاً أهــلُ عزٍّ وَثَرْوَةٍ وأهــلُ أيــادٍ لا يُنالُ قَديمُها
همُ مَنَعُوا في يــومِ قارٍ نِساءَنا كما مَنَع الشَّولَ الهِجانَ قُرومُها[1]
إذا قِيلَ يومــاً أقدِمُوا يتقَدَّموا وهل يمنعُ المخْزاةَ إلاّ صَميمُها

قال : ولم يزل قيسُ بن مسعود في سِجْن كسرى بساباطَ ، حتى مات فيه .

صوت

[من الطويل]

خليلَيّ ما صَبْرِي على الزَّفَراتِ ومــا طاقتــي بالهمِّ والعَبَراتِ
تَساقَطُ نفسي كلَّ يــومٍ وليلةٍ على إثْر ما قــد فاتَها حَسَراتِ

الشعر : للقُحَيفِ العُقَيْليّ . والغِناء : لإبراهيمَ الموصليّ ، رمَل بالوُسْطى ، عن عمرو بن بانة ، وذكر الهِشاميُّ أنّ الرّمل لعَلّويَه ، وأنّ لحنَ إبراهيم من الثّقيلِ الأوّل بالوُسْطى .

1 القروم : السادة .

[528] ـ أخبار القُحَيف ونسبه[1]

القُحَيف بن حُميِّر ، أَحَد بني قُشَير بن مالك بن خَفاجة بن عُقَيل بن كعب بن رِبيعةَ بن عامرِ بن صَعْصَعة . شاعر مُقِلّ من شعراء الإسلام .

[تشبيه بخرقاء]

وكان يشبِّب بخرقاءَ التي كان ذو الرُّمَّة يُشَبِّب بها[2] .

فأخبرني محمد بن خَلَف بن وكيع ، وعمِّي ، قالا : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبدِ المِلك ، عن العَدَويّ ، عن أبي الحَسَنِ المدائنيّ ، عن الصّباح بن الحجّاج عن أبيه[3] ، قال : مررتُ بخرقاءَ وهي بفَلْج فقالت : أقضَيتَ حجَّك وأتْمَمْتَه ؟ فقلتُ : نعم ، فقالت : لم تفعل شيئاً ، فقلت : ولِمَ ؟ فقالت : لأنّك لم تُلْمِم بي ولا سَلَّمتَ عليّ ، أو ما سمِعتَ قولَ ذي الرُّمَّة : [من الوافر]

تمـامُ الحـجّ أن تَقِفَ المَطايا على خَرقـاءَ واضِعـةِ اللّثامِ

فقال : هيهات يا خرقاءُ ، ذهب ذاك منك ، فقالت : لا تَقُلْ ذاكَ ، أما سمعتَ قولَ القُحَيْفِ عمِّك : [من الطويل]

وخَرقاءُ لا تَـزْدادُ إلاّ مَلاحـةً ولـو عُمِّرتْ تَعْمِيرَ نُوحٍ وجلَّتِ

أخبرني الحِرْميُّ بنُ أبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّارٍ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : حدّثني أبو الشّبلِ المعَدّي قال : نَسَب ذو الرُّمَّةِ بخرقاءَ البكّائيّةِ ، وكانت أصبحَ من القَبس ، وبقيتْ بقاءً طويلاً ، فنَسب بها القُحَيفُ العُقَيليّ فقال :

وخَرقـاءُ لا تـزدادُ إلاّ مَلاحـةً ولـو عمِّـرتْ تعمير نُوحٍ وجَلَّتِ

أخبرني حَبِيبُ بن نَصرٍ المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبّةَ قال : حدَّثني أبو غسّان دَماذ قال : كبِرتْ خرقاءُ حتى جاوزتْ تسعين سنة ، وأحبَّت أن تنفقَ ابنتَها وتُخطَبَ ، فأرسَلَتْ إلى القُحَيفِ العُقَيليّ ، وسألتْهُ أن يشبِّب بها ، فقال : [من الطويل]

---

1 ترجمة القحيف العقيلي في طبقات ابن سلام : 791–797 وذكره باسم القحيف بن سليم العقيلي ومعجم المرزباني : 211 وفيه القحيف بن حمّير (بالحاء) والمؤتلف : 129 وفيه القحيف بن خمير (بالخاء) وكذلك في الخزانة 10 : 139 .

2 تقدم الخبر وشعره في خرقاء في ترجمة ذي الرمة جزء 18 : 28 .

3 في ترجمة ذي الرمة هو الحجاج بن عمير بن يزيد .

لَقد أُرسلَتْ خَرْقاءُ نحوِي جَرِيَّها لِتَجعَلني خرقاءَ مِمَّن أَضَلَّتِ[1]
وخرقاءُ لا تزدادُ إلاّ مَلاحةً ولو عُمِّرت تَعمِير نوحٍ وجَلَّتِ

[عشق عبسية ثم رحل حياء من كذبه]

وقال عمرو بنُ أَبي عَمْرٍو الشيبانيّ : كان القُحَيف العُقَيْليّ يتحدّث إلى امرأةٍ من عَبْس ، وقد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عِشْقاً ، وكان يخبرها أنّ له نَعَماً ومالاً ، وهويته العَبْسيّةُ ، وكان من أجمل الرجالِ وأشطِّهم[2] ، فلمّا طال عليها واستحْيا من كَذِبه إيّاها في مالِه ارتحلَ عنهمُ ، وقال : [من البسيط]

تَقُولُ لي أُختُ عَبْسٍ : ما أَرى إبلاً وأَنــتَ تزعمُ مَن والاك صِنْدِيدُ
فقلتُ يكْفِــي مكانُ اللَّوْمِ مُطَّرِدٌ فيــه القَتِير بسَمْرِ القَيْنِ مَشْدُودُ[3]
وشِكَّةٌ صاغَهــا وَفْــراءُ كامِلــةٌ وصارمٌ مــن سُيُوفِ الهِنْدِ مَقْدُودُ
إنِّي ليَرْعَــى رجــالٌ لي سَوامَهُمُ لِيَ العقائِــلُ منهــا والمَقاحِيدُ

[شعره حول عدوان المهير]

وقال أَبو عمرو : كان الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك ولَّى عليَّ بن المهاجِر بن عبد الله الكلابيُّ اليمامةَ . فلمّا قُتِل الوليدُ بن يزيدَ جاءه المهيْرُ بن سلمى الحنفيّ فقال له : إنّ الوليد قد قتِل ، وإنّ لكَ عليَّ حقّاً ، وكان أبوك لي مُكرِماً ، وقد قُتِل صاحِبك ، فاختر خَصلةً من ثلاثٍ : إن شئتَ أن تُقيمَ فينا وتكونَ كأحدِنا فافْعَلْ ، وإن شئت أن تتحوّلَ عنّا إلى دارِ عمِّك ، فتنزِلَها أنتَ ومَن معك إلى أن يَرد أمرُ الخليفة المُوَلَّى فتعملَ بما يأمُرُ به ، فافعل . وإن شئتَ فخُذ من المال المجتمع ما شئتَ والْحق بدار قومِكَ . فأنِفَ عليّ بن المهاجِر من ذلك ولم يقْبَله ، وقال للمُهَيْر : أنت تعزلني يا ابن اللَّخْناءِ ؟ فخرج المُهَير مُغضَباً ، والتفَّ معه أهلُ اليمامةِ ، وكان مع عليَّ سِتُّمائةِ رجل من أهل الشام ومثلُهم من قومِهِ وزُوّاره . فدعاهم المُهَيرُ وذكر لهم رأيه ، فأبوْا عليه وقاتلوه . وجاء سهمٌ عائِرٌ فوقع في كبِدِ صانعٍ من أهل اليمامة . فقال المَهير : احمِلوا عليهم ، فحملوا عليهم فانهزموا ، وقُتِل منهم نَفَرٌ ، ودخلوا القصر وأغلقوا البابَ وكان من جُذوعٍ . فدعا المُهَير بالسَّعف فأحرقه ، ودخل أصحابُه فأخذوا ما في القَصْر ؛ وقامَ عبدُ الله بنُ النُّعمان القَيْسيّ في نفرٍ من قومه فحمَوْا بيتَ المالِ ومنعُوا منه ، فلم يَقْدر عليه المُهَير ، وجمع المُهَير جيشاً يريد أن يغزوَ بهم بني عُقَيل وبني كِلابٍ ، وسائرَ بطون

1 جريها : رسولها .
2 أشطهم : أطولهم وأكثرهم اعتدال قامة .
3 القتير : رؤوس المسامير . وسمر : شد الشيء بالمسمار : والقين : الحداد .

بني عامرٍ ، فقال القُحيف بن حُمِّير لمّا بلَغَهُ ذلك : [من الوافر]

صوت

أَمِن أَهْـلِ الأَرَاكِ عَفَتْ رُبُوعُ نَعَـمْ سَقْياً لهـم لو تَستطيعُ[1]
زيارتَهـم ، ولكـنْ أَحْضَرَتْنا هُمـومٌ مـا يزالُ لهـا مُشِيعُ

غنّى في هذين البيتين إبراهيم ، فيما ذكره هو في كتابه ، ولم يذكر طريقته :

كأَنَّ البَيْنَ جَرَّعَنـي زُعافـاً مـن الحيَّـاتِ مَطعَمُه فَظِيعُ
وماءٍ قـد ورَدتُ على جِباهُ حمـامٌ حائـمٌ وقطاً وُقوعُ[2]

وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة : [من الوافر]

صوت

جعلتُ عِمامتي صِلةً لدَلْوي إليهِ حـينَ لم تَـرِدِ النُّسُوعُ[3]
لأَسْقـيَ فِتيـةً ومُنَقَّبـاتٍ أَضرَّ بِنقْيِهـا سَفَـرٌ وَجِيعُ[4]

قال أبو الفرج : غنّى في هذين البيتين سُليمٌ ، خفيف رملٍ بالوسطى ، ذكر ذلك حَبَش : [من الوافر]

لقـد جَمَـع المُهَيْرُ لَنا فقُلْنا : أَتحسَبُنـا تروِّعُنـا الجُمُوعُ
سَتَرْهَبُنا حَنيفـةُ إن رأَتْنـا وفي أَيمانِنـا البِيضُ اللّمُـوعُ
عُقَيْـلٌ تَعْتَزِي وبَنُـو قُشَيرٍ تَوارى عن سواعِدِها الدُّرُوعُ
وجَعْدةُ والحَرِيشُ لُيوثُ غابٍ لهـم في كلِّ مَعْركَـةٍ صَرِيعُ
فنعمَ القَوْمُ في اللَّزَباتِ قومي بنُو كَعْـبٍ إذا جَحد الرَّبيعُ[5]
كُهولٌ مَعْقِـلُ الطُّرَداء فيهِمْ وفتيـانٌ غَطارِفَـةٌ فُروعُ
فمهلاً يـا مُهَيرُ فأَنت عَبْـدٌ لِكَعْـبٍ سامِـعٌ لهـمُ مُطِيعُ

قال : وبعثَ المُهَيْرُ رجُلاً من بني حنيفةَ يقال له : المُنْدَلِف بن إدريس الحنفيّ ، إلى الفَلْج ،

1 عفت ربوع في ل : هوى يريع .
2 قد وردت في ابن سلام : قد يظل .
3 ابن سلام : لتبلغ إذ تقاصرت النسوع . وصلةً لدلوي في ل : صلة لبردي .
4 منقبات في ابن سلام : منفهات أي متعبات وأضر بنِيِّها سفر رجيع . والنيّ : الشحم والنقي : مخ العظام . والسفر الرجيع : السفر المتتابع .
5 اللزبات : الشدائد . وجحد الربيع : لم يطل .

وهو منزلٌ لبني جَعْدَةَ ، وأمَرهُ أن يأخُذَ صَدَقاتِ بني كَعْبٍ جميعاً . فلمّا بلغهم خبرُه في أطرافهم يستصرِخُون عليه . فأتاهم أبو لطيفة بن مَسْلَمة العُقَيليّ في عالمٍ من عُقيل ، فقتلوا المندَلِفَ وصلبوه ، فقال القُحَيفُ في ذلك : [من الوافر]

أتانا بالعَقِيقِ صَرِيخُ كعْـبٍ ... فحنَّ النَّبْـعُ والأَسَلُ النِّهالُ[1]

وحالَفْنا السُّيوفَ ومُضمَراتٍ ... سواءٌ هُـنَّ فينـا والعِيالُ[2]

تعادَى شُزَّباً مثـلَ السَّعـالي ... ومِن زُبَـرِ الحَديدِ لها نِعالُ[3]

وقال أيضاً ، ويروى لنَجْدة الخَفاجيّ : [من الوافر]

لقد منعَ الفرائِضَ عـن عُقَيلٍ ... بِطَعْنٍ تحـتَ أَلْوِيـةٍ وضَرْبِ

تـرى مِنْهُ المُصَدِّق يـومَ وافى ... أَطـلَّ عـلى مَعاشِرِه بصَلْبِ

[نظرة فاسقة في الحجّ]

قال أبو عمرو في أخباره : ونَظر بعضُ فُقَهاء أهل مكَّةَ إلى القُحَيف ، وهو يُحِدّ النظر إلى امرأةٍ ، فَنهاهُ عن ذلك ، وقال له : أما تَتَّقي الله ؟ تنظر هذا النَّظَر إلى غير حُرْمة لك وأنت مُحْرِم ؟ فقال القُحَيفُ : [من الطويل]

أَقْسمتُ لا أَنْسى وإن شَطَّت النَّوى ... عَرانِينَهنَّ الشُّمَّ والأعـينَ النُّجْلا

ولا المِسْكَ من أعطافِهِنَّ ولا البُرى ... ضَمَمْنَ وقد لوَّيْنَها قُضُباً خُدْلا[4]

يقول لِيَ المُفْتي وهُـنَّ عَشِيَّـةً ... بمكَّةَ يُلْمِحْن المهذَّبَـةَ السُّحْلا[5]

تَقِ اللهَ لا تَنظُـرْ إليهنَّ يا فَتى ... وما خِلتُني في الحجّ مُلْتَمِساً وَصْلا

وإنَّ صِبًا ابـنِ الأربعـينَ لَسُبَّةٌ ... فكيف مع اللائي مَثَلْنَ بنا مَثْلا[6]

عَواكِفَ بالبيتِ الحـرام ورُبَّما ... رأيتَ عيونَ القَوْم من نحوها نُجْلا

---

1 العقيق هنا : واد باليمامة . والصريخ : المستغيث . والنبع : شجر تعمل منه القسي . والأسل : شجر كثير الأغصان دقيقها وبلا ورق . والنهال : جمع نهل ، وهي العطاش (إلى الدم) .

2 ومضمرات في ابن سلام : وصافنات .

3 ابن سلام :

شعير زادها وفتيت قـت ... ومن ماء الحديد لها نعال

وشزباً في ل : في الوغى ، والشزب : الضامرة .

4 البرى : جمع برة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال . والخدل : الممتلئة الساق .

5 المهذبة السحل : الثياب الرقيقة ذات الأهداب .

6 مثلن بنا : نكلن بنا .

صوت[1]

[من الهزج]

كَفَفْنا عن بَنــي ذُهْلٍ وقُلنــا القومُ إخوانُ[2]
عَسى الأيّامُ أن يَرجِعْـ ـن قوماً كالذّي كانُوا
فلمّــا صَــرَّحَ الشَرُّ وأمسَى وهْــو عُرْيانُ[3]
ولم يبــقَ سِوى العُدْوا نِ دِنَّاهُــمْ كما دانُــوا

الشعر : للفِند الزِّمَّانيّ ، والغِناءُ : لعبدِ الله بن دَحْمان ، خفيفٌ رمَل بالبِنْصَر ، عن بَذْل والهشاميّ وابن المكّيّ .

وتمامُ هذا الشعرِ :

شَددنا شدَّةَ اللّيــثِ غَــدا واللّيثُ غَضْبانُ[4]
بضَرْبٍ فيــه تَفْجيعٌ وتأْيِيــمٌ وإرْنــانُ[5]
وطَعْــنٍ كفَــمِ الزّقِّ غَــذا والــزِّقُّ ملآنُ[6]
وفي العُــدْوانِ للعُدْوا نِ توهــينٌ وإقْــرانُ[7]
وبعضُ الحلْم عِنَدَ الجهْـ ـــلِ للذلّــةِ إذْعانُ
وفي الشَّرِّ نَجــاةٌ حِيــ ـــنَ لا يُنْجِيك إحسانُ

قوله : دِنّاهم كما دانُوا ، أي جَزَيْناهُم .

ومثلُه قولُ الآخر :

إنَّا كذاكَ نَدِينُ الناسَ بالدِّينِ

والتأْيِيمُ : تركُ النساءَ أيامى . والإرْنان والرَّنَّةُ : البُكاءُ والعَويل .

والإقران : الطَّاقةُ للشَّيء ، قال اللهُ عَزَّ وجلَّ : ﴿وما كُنَّا لَه مُقْرِنينَ﴾ أي مُطِيقينَ .

---

1 هذه هي القصيدة الثانية في حماسة أبي تمام (انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي 32–38) .
2 كففنا في الحماسة : صفحنا .
3 الحماسة : فأمسى .
4 الشطر الأول في الحماسة : مشينا مشية الليث .
5 الحماسة :

بضرب فيــه توهــ ـين وتخضيع وإقران

6 غذا : سال .
7 لم يرِد هذا البيت في الحماسة .

[529] ـ أخبار الفند الزّمّاني ونسبه[1]

[نسبه]

الفِنْدُ : لَقبٌ غَلبَ عليه ، شبّه بالفِنْد من الجَبَل ، وهو القطعةُ العظيمةُ ، لعِظَم خَلْقه .

واسمه : شهْل بن شيبان بن ربيعة بن زِمّان بن مالك بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائِلٍ .

وكان أحدَ فرسان ربيعةَ المشهورين المعدودينَ ، وشهِد حربَ بكْر وتغلبَ وقد قاربَ المائة السنةِ . فأبْلى بلاءً حسناً ، وكان مشهدُه في يومِ التحالُقِ[2] الذي يقولُ فيه طرفة[3] : [من الرمل]

سائلوا عنَّا الذي يَعرِفُنا ... بقوانا يومَ تَحلاقِ اللِّمَمْ
يومَ تُبدي البِيضُ عن أُسوُقِها ... وتَلُفُّ الخَيْلُ أَعْراجَ النَّعَمْ[4]

[هو والشيطانتان في بني شيبان]

وقد مضى خبرُه في مقتل كُلَيْب : فأخبرني محمد بن الحسنِ بن دُرَيْد قال : حدَّثني عمِّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال : أرسلتْ بنو شيبانَ في محاربتِهم بني تغلبَ إلى بني حنيفة يستنجدونَهُمْ ، فوجَّهُوا إليهِم بالفِنْد الزِّمّانيّ في سبعينَ رجلاً ، وأرسلوا إليهِمْ : إنَّا قد بعثْنا إليكمُ ألفَ رجُلٍ[5] .

وقال ابنُ الكلبيِّ : لمّا كان يومُ التحالُقِ أقبل الفِنْدُ الزِّمانيُّ إلى بني شيبان ، وهو شيخٌ كبيرٌ قد جاوز مائة سنةٍ ، ومعه بنتانِ له شيطانتانِ من شياطين الإنسِ ، فكشفَتْ إحداهُما عَنها وتجرَّدَتْ ، وجعلت تصيحُ ببني شيبان ومَن معهم من بني بكرٍ : [من الرجز]

وَعا وَعا وَعا وَعا
حَرَّ الجُوادُ والتَظى[6]
ومُلِئتْ منه الرّبى

---

1 ترجمة الفند الزماني في خزانة البغدادي 3 : 434–435 و7 : 119–120 والسمط : 578–579 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي .

2 المثل «يوم التحالق» أو «يوم تحلاق اللمم» في مجمع الميداني 2 : 439 وهو اليوم الذي حلقت فيه بنو بكر رؤوسها استبسالاً للموت وليكون ذلك علامة بينهم وبين نسائهم .

3 ديوان طرفة : 90 (صادر) .

4 أسؤق : جمع ساق ، وهو لغة في أسوق . والأعراج : جمع عرج ، وهو قطعة من الإبل نحو ثمانين أو أكثر .

5 لذلك سمّي الفند الزماني : عديد الألف .

6 حر الجواد : بضم الجيم : جهده العطش من الحر . وفي رواية : «حر الجياد والمطا» ، والمطا : الظهر .

يــا حَبَّذا يــا حَبَّذا
المُلْحِقُــون بالضُّحَى

ثم تجرَّدت الأُخرى وأَقبلتْ تقول[1] : [من مجزوء الرجز]

إن تُقْبِلُوا نُعانِـقْ ونَفْرِشِ النَّمارِقْ
أَو تُدْبِروا نُفارِقْ فِـراقَ غيرِ وامِقْ

قال : والتَقى الناسُ يومئذٍ ، فأَصْعَدَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعْلَبة ابنتَه على جَمل له في ثنيّةِ قِضَةَ[2] ، حتى إذا توسَّطَها ضرب عُرقوبي الجمل ، ثم نادى : [من الرجز]

أَنا البُرَكْ أَنا البُرَكْ أَنزِلُ حيثُ أُدْرَكْ

ثم نادى : ومحلوفةٍ لا يَمُرُّ بي رجلٌ من بكر بن وائلٍ إلاّ ضربتُه بسَيفي هذا ، أَفي كلِّ يومٍ تفِرُّونَ فيعطف القومُ ؟ فقاتَلُوا حتى ظَفِرُوا فانهزمت تغلبُ .

قال ابنُ الكلبيِّ : ولحِقَ الفِنْد الزِّمّاني رجلاً من بني تغلِب يقال له : مالِك بن عَوْف ، قد طعَن صبيّاً من صبيان بكرِ بن وائل ، فهو في رأس قناتِه ، وهو يقول : يا وَيْسَ أُمِّ الفرْخ[3] ، فطعنَه الفِنْد وهو وراءه ردفٌ[4] له فأنفذهما جميعاً ، وجعل يقول[5] : [من الهزج]

أَيــا طعنــةَ ما شَيْخٍ كبيرٍ يَفَــنٍ بــالي[6]
تفتَّيتُ بهــا إذ كــ ـرِهِ الشِّكّةَ أَمثالي[7]
تُقيــمُ المأْتَــم الأعــلى على جُهــدٍ وإعْوالِ[8]
كجَيبِ الدِّفْنسِ الوَرْها ءِ رِيعَتْ بعدَ إجفالِ[9]

ويروى : قد رِيعَتْ بإجفال .

1 نسب هذا الرجز في الطبري إلى امرأة من بني عجل في وقعة ذي قار .
2 قضة : موضع .
3 ويس : بمعنى ويح .
4 يعني أنه عندما طعن الرجل كان وراء الرجل ردف فانتظمهما .
5 هذه الأبيات وردت في الحماسة 176 وبعضها في خزانة البغدادي 7 : 119 .
6 ما هنا زائدة . وكأنّه يعجب من هول الطعنة (انظر شرح الحماسة والخزانة) . اليفن : الفاني .
7 الشكة : السلاح كلّه ، وفي رواية «السّكة» بفتح السين فيكون معناها الطعنة .
8 المأتم الأعلى : الأفظع شأناً .
9 الدفنس : الحمقاء . والورهاء : المتساقطة العقل الضعيفة التماسك .

[530] ـ أخبار عبد الله بن دحمان

عبدُ الله بن دَحمان الأشْقر المُغَنِّي . وقد تقدَّم خبرُ أبيه وأخيه الزُّبير[1] .

[يتعصب لإبراهيم بن المهدي]

وكان عبدُ الله في جَنَبة إبراهيمَ بن المهديِّ ومتعصِّباً له ، وكان أخوه الزُّبير في جنَبةِ إسحاقَ الموصليِّ ومتعصِّباً له ، فكان كلٌّ واحدٍ منهما يرفع من صاحبه ويُشيدُ بذكره . فعلا الزُّبيرُ بتقديم إسحاقَ له ، لتمكُّن إسحاقَ وقبول النَّاس منه ، ولم يرتفعْ عبدُ اللهِ بذكر إبراهيم له ، مَع غضِّ إسحاقَ منه ، وكان الزُّبير على كلِّ حالٍ يتقدَّم أخاهُ عبد اللهِ .

فأخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حمّادٍ ، عن أبيه ، قال : كان أبي كثيراً ما يقولُ : ما رأيتُ أقلَّ عقلاً ومعرفةً ممّن يقولُ : إنّ دَحمانَ كان فاضلاً ، واللهِ ما يساوي غناؤه كلّه فَلْسَين ، وأشبهُ الناسِ به صوتاً وصنعةً وبلادةً وبرداً ابنُه عبدُ الله ، ولكنَّ المحسنَ ، واللهِ ، المُجمِلَ المؤدِّيَ الضاربَ المطربَ : ابنهُ الزُّبيرُ .

وقال يوسفُ بن إبراهيم : كان أبو إسحاقَ يؤثِرُ عبدَ الله بن دَحْمان ويقدِّمهُ ، وإذا صنع صوتاً عرضهُ على أبي إسحاق فيقوِّمُه له ويُصلحُه ، مضادّةً لأخيه الزُّبير في أمره ؛ لميل الزُّبير إلى إسحاق وتعصُّبه له ، وأوصلهُ إلى الرشيدِ مع المغنِّينَ عدّة مرّاتٍ ، أخرج له في جميعها جائزةً .

صوت[2]

[من البسيط]

أَقُــولُ لَمَّــا أَتاني ثَـمَّ مَصْرعُهُ ... لا يَبْعَدِ الرُّمْحُ ذو النّصلَيْنِ والرَّجُلُ[3]

التــاركُ القِــرْنَ مُصفــرًّا أَنامِلهُ ... كأَنّهُ مِــنْ عُقـارٍ قَهْـوةٍ ثمِلُ[4]

---

1 في الجزئين 6 : 19 و18 : 219 .

2 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : من قصيدته في الجزء 3 : 1280–1285 .

3 أشعار : أقول لما أتى الناعيان به .

4 مصفراً أنامله : أي نزف دمه كله .

لیس بعَــلٍّ کبیرٍ لا شَبابَ لــَهُ   لکــنْ أُثیلةُ صافي الوَجــهِ مُقتَبَلُ
یُجیبُ بعــدَ الکری لبَّیكَ داعِیَهُ   مِجْذامــةٌ لهــواهُ قُلْقــلٌ عجِلُ

قوله : لا يَبْعَد الرُّمْح ، يَعني ابنهُ الذي رَثاه ، شبَّههُ بالرُّمْح في نفاذِه وحِدَّته . والنَصلانِ : السِّنانُ والزُّجُّ . والرجُلُ : يعني به ابنه أيضاً من الرُّجْلة ، يصفُه بها ، أو أنّه عَنى : لا يبعد الرجلُ ورمحُه . والعلُّ : الكبير السِّنِّ الصّغيرُ الجسم ، ويقال أيضاً للقُرادِ : عَلٌّ . والمُقْتبَل : المقبِل . وقولُه : مِجْذامةٌ لهواهُ ، يَعني أنّه يقطعُ هواهُ ولا يتَّبعُه فيما يغُضُّ من قَدْره . وقُلقُل : خفيفٌ سريعٌ ، والمتقلْقل ، الخفيفُ .

الشعر للمتنخِّل الهُذليّ . والغناءُ : لمعبَد ، وله فيه لحنان : أحدُهما من القَدْر الأوسطِ من الثقيلِ الأوّل ، بإطلاقِ الوتر في مَجرى البِنصر ، عن إسحاقَ ، والآخرُ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ، عن عمرٍو .

وذكر الهِشاميُّ أنَّ فيه للغريض لحناً من الثقيل الأوّل ، ابتداؤه :

لیسَ بِعَلٍّ کبیرٍ لا شبابَ له

والذي بعده : وأن لجميلةَ فيه خفيفَ ثقيلٍ . وفيه ثاني ثقيل يُنسَبُ إلى ابن سُرَيج ، وأظنُّه ليَحيى المكّيِّ .

وقال حبَشٌ : فيه لعبدِ الله بن العبّاس ثقيل أوّل بالبِنصر .

[531] ـ أخبار المتنخِّل ونسبه[1]

[نسبه]

المُتَنَخِّلُ لَقَبٌ ، واسمُه مالكُ بنُ عُوَيْمر بن عثمانَ بن سُوَيدِ بن حُبَيْش[2] ، بن خُناعةَ بن الدِّيلِ بن عادِيَةَ بن صَعْصعة بن كعب بن طابِخة بن لِحْيان بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَرَ بن نِزار . هذه رواية ابن الكلبيّ وأبي عمرٍو .

وروى السُّكّريُّ عن الرياشيّ عن الأصمعيّ ، وعن ابن حبيب ، عن أبي عُبيدةَ وابن الأعرابيّ : أنّ اسمَه مالكُ بنُ عُوَيمر بن عثمانَ بن حُبيش بنِ عاديةَ بن صعصعَةَ بن كعب بن طابخةَ بن لحيان بن هُذَيلٍ ، ويكنّى أبا أُثَيْلة . من شُعراءِ هُذيلٍ وفُحُولهم وفُصَحائِهم .

وهذه القصيدةُ يرثي بها ابنَه أُثيلةَ ، قتلَتْه بنو سعد بن فَهم بن عَمرو بن قيس بن عَيْلانَ بن مُضَر .

[مقتل ابنه أُثيلة]

وكان من خَبَرِ مقتلِهِ فيما ذكر أبو عمرٍو الشيبانيُّ : أنَّه خَرج في نفرٍ من قومِه يُريد الغارةَ على فَهْم ، فسلكوا النجديّة ، حتى إذا بلغوا السَّراةَ أتاهُ رجلٌ فقال : أين تريدونَ ؟ قالوا : نُريد فهماً . فقال : ألا أدُلّكم على خيرٍ من ذَلكم ، وعلى قومٍ دارهُم خيرٌ من دار فَهْم ؟ هذه دارُ بني حَوْفٍ عندكم ، فانصبُّوا عليهم على الكداء حتى تُبَيِّتوا بني حَوْفٍ . فقبلُوا منه وانحرفوا عن طريقهم ، وسَلكوا في شِعب في ظهر الطريق حتى نفذوه ، ثم سَلكوا على السّمُرةِ ، فمرُّوا بدار «بني قُرَيم» بالسَّرو ، وقد لصقَتْ سيوفُهم بأغمادِهم من الدّمِ . فوجَدوا إياسَ بن المُقْعَد في الدار ، وكان سيداً ، فقال : من أينَ أقبلتم ؟ فقالوا : أتينا بني حَوْفٍ ، فدعا لهم بطعامٍ وشرابٍ ، حتى إذا أكلوا وشَرِبوا دلَّهُم على الطريق وركبَ معهم ، حتى أخذوا سَنَنَ قصدهم . فأتَوا بني حَوف ، وإذا هُم قد اجتمعوا مع بطنٍ من فَهم للرّحيل عن دارهم ، فلقِيهم أوّلٌ من الرّجال على الخيل فعرفوهم ، فحملوا عليهم وأطردوهم ورمَوْهم ، فأثبتوا أُثيلةَ جريحاً ومضَوْا لطِيّتهم ، وعاد إليه أصحابُه فأدركوه ولا تحامُلَ به ، فأقاموا عليه حتى مات ، ودفنوه في موضعه .

1 ترجمة المتنخل الهذلي في الشعر والشعراء : 552–553 والمؤتلف : 129 والسمط : 724 والعيني 3 : 517 وشعره في الجزء الثالث من شرح أشعار الهذليين .

2 شرح أشعار الهذليين : خنيس .

فلمّا رجعوا سألهم عنه المتنخّل ، فدامَجوه[1] وستَرُوه .

ثم أُخبره بعضهم بخبَره ، فقال يرثيه[2] : [من البسيط]

مـا بالُ عينك تبكي دَمْعُها خضِلُ ... كما وهى سَرِبُ الأخرابِ مُنبزلُ[3]

لا تَفتأُ الدَّهــرَ مِـن سَحٍّ بأَربعةٍ ... كأنَّ إنسانَها بالصَّاب مُكتحِلُ[4]

تبكي على رجُــلٍ لم تَبـلَ جِدَّتُه ... خلّى عليها فِجاجـاً بينها خلَلُ[5]

وقد عجبتُ وهل بالدَّهْرِ من عَجَبٍ ... أنَّى قُتِلتَ وأَنــتَ الحازِمُ البطَلُ

وَيــلِ أمِّــهِ رجلاً تأبى بــه غَبَناً ... إذا تجــرَّدَ لا خــالٌ ولا بَخَلُ

خالٌ : من الخُيلاء ، ويروى : خَذِل .

السالكُ الثُّغْــرَةَ اليقظـانَ كالِئُها ... مشْيَ الهَلوك عليْها الخيعَلُ الفُضُلُ[6]

والتاركُ القِــرنَ مُصفـرًّا أناملُـه ... كأنَّه مــن عُقــارٍ قهــوةٍ ثَمِلُ

مُجــدَّلاً يتسَقَّى جلــدُهُ دَمَــهُ ... كما يُقطِّرُ جِذْعُ الدَّومــةِ القُطُلُ[7]

ليس بعَــلٍّ كبيرٍ لا شَبابَ بــهِ ... لكِــن أُثيلةُ صافي الوجــهِ مُقتَبلُ

يُجيبُ بعــد الكَرى لبَّيكَ داعِيَه ... مِجْذامــةٌ لهــواهُ قُلْقُــلٌ عَجِلُ

حُلوٌ ومُــرٌّ كعَطفِ القِدْح مِرَّتُه ... في كلِّ آنٍ أتــاهُ الليــلُ ينتعِلُ[8]

فاذهبْ فأيُّ فتًى في النَّاسِ أحرزَهُ ... من حتفِه ظُلَمٌ دُعْــجٌ ولا جَبَلُ[9]

فلو قُتِلْتَ ورِجلي غيرُ كارهــةِ الـ ... ـإدْلاج فيها قَبيضُ الشَّدِّ والنسَلُ[10]

---

1 دامجوه : كتموا أمره .

2 هذه هي القصيدة التي أشرنا إليها من قبل .

3 الأخراب : عرى المزادة ، واحدتها خُربة . وفي الديوان : الأخرات ، جمع خرت ، وهو الثقب .

4 الصاب : شجرة إذا ذبحت يخرج منها لبن إذا أصاب شيئاً أحرقه .

5 لم تبل جدته : أي مات شاباً . وخلى عليك فجاجاً : أي كان يسد كل مكروه فلمّا مات خلى فجاجاً ينفذ منها الشر . وعليها في الديوان «عليك» .

6 الثغرة والثغر واحد ، وهو مكان الخوف . والهلوك : الغنجة المتكسرة . والخيل : درع يخاط أحد شقّيه ويترك الآخر . والفضل : التي ليس لثوبها إزار . فالخيعل : ثوب . الفضل امرأة ، ورفعه على المجاورة .

7 الدَّومة في الديوان : النخلة . والجذع القطل : العود المقطوع .

8 الديوان : بكل إنْي حذاه الليل ينتعل . ومعناه أنه يسري في كل ساعة من الليل .

9 أحرزه من حتفه : منع حتفه .

10 عدو قبيض : شديد . والنسل : من نسلان الذئب ، وهو ضرب من المشي نحو الهَدَج .

إذنْ لأُعملتُ نفسي في غزاتهم ... أو لابتَعثْتُ بـهِ نَوْحاً لـهُ زَجَلُ[1]
أقـولُ لَمَّا أتـاني الناعِيان بِهِ : ... لا يَبعَد الرمحُ ذو النَّصْلَيْنِ والرجُلُ
رُمحٌ لنـا كان لم يُفلَلْ تنوءُ بـهِ ... تُوفَى بِهِ الحرْبُ والعزَّاءُ والجُلَلُ[2]
ربَّـاءُ شمَّاءُ لا يدنُـو لِقُلَّتِهـا ... إلاّ السَّحابُ إلاّ النُّوبُ والسَّبَلُ[3]

[يرثي أباه]

وقال أبو عمرٍو الشيبانيُّ : كان عمرُو بن عثمان ، أبو المتنخِّل يُكنى أبا مالكٍ ، فهلك ، فرثاهُ المتنخِّل فقال[4] : [من المتقارب]

ألا مَـن يُنادي أبا مالكٍ ... أفي أمْرِنـا أمرُهُ أم سِواهْ
فواللهِ مـا إنْ أبو مالكٍ ... بـوانٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ[5]
ولا بألَـدَّ لـه نـازعٌ ... يُعادي أخاهُ إذا ما نهاهْ[6]
ولكنّـه هَيِّـنٌ ليِّـنٌ ... كعاليةِ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَساهْ[7]
إذا سُدتَه سُدتَ مِطواعةً ... ومهما وكَلْتَ إليهِ كفاهْ
أبو مالـكٍ قاصرٌ فقـرَهُ ... على نفسِهِ ومُشِيـعٌ غِناهْ

[تمثل بشعره]

حدَّثني أبو عُبيد الصَّيرفيُّ قال : حدَّثنا الفضلُ بن الحسن البصريُّ قال : حدَّثنا أحمد بن راشِدٍ قال : حدَّثني عَمِّي سعيد بن خَيْثَم قال : كان أبو جعفرٍ محمدُ بن عليٍّ ، عليهما السلامُ ، إذا نظر إلى أخيهِ زيدٍ تمثّلَ :

لعمرُكَ ما إنْ أبُو مالكٍ ... بـواهٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ
ولا بألَـدَّ لَـهُ نـازعٌ ... يُعادِي أخاهُ إذا مـا نهاهْ

---

1 لأعملتُ في الديوان : إذن لأعلمت .
2 ل : الحرب والضراء . والجلل : الأمور العظيمة ، جمع جلّى .
3 الديوان : لا يأوي لقلّتها . . . وإلاّ الأوب . والأوب : رجوع النحل . والسبل : المطر وفي رواية «إلا العقاب وإلاّ . . .» . والمعنى أنّ هذه الهضبة لا يعلوها لارتفاعها إلاّ العقاب والنحل والمطر .
4 شرح اشعار الهذليين : 1276–1277 مع اختلاف في الترتيب .
5 الديوان : لعمرك ما .
6 يعادي أخاه في الديوان : يغاري أخاه .
7 عرد نساه : شديد ساقه .

ولكنَّــه هيِّــنٌ ليِّــنٌ كعاليةِ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَساهْ
إذا سُدتَه سُدتَ مِطْواعةً ومهما وكَلتَ إليهِ كفاهْ
أَبُو مالكٍ قاصرٌ فقرَهُ على نفسهِ ومُشِيعٌ غِناهْ

ثم يقول : «لقد أنجبتْ أُمٌّ وَلَدتْك يا زيدُ ، اللّهُمَّ اشدُدْ أزْرِي بِزَيْدٍ» .

[أجود طائية]

أَخبرني محمدُ بن العبّاسِ اليَزيديُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ ، عن الأصمعيِّ قال : أَجودُ طائيةٍ قالتها العربُ قصيدةُ المُتَنَخّل[1] : [من الوافر]

عَرفتُ بأَجْدُثٍ فنِعافِ عِرْقٍ عَلامــاتٍ كتَحْبيرِ النِّمــاطِ
كأَنَّ مَزاحِــفَ الحَيّاتِ فيهــا قُبيــلَ الصُّبحِ آثــارُ السِّياطِ

في هذين البيتين غِناء : [من الطويل]

صوت[2]

عَجبتُ لِسعْيِ الدَّهر بيني وبينها فلمّا انقضَى ما بيننا سكَن الدَّهْرُ
فيا هجْرَ ليلى قد بلغْتَ بيَ المدى وزدتَ على ما لم يكنْ بَلَغَ الهَجْرُ[3]
ويا حُبَّها زِدْني جوًى كُــلَّ ليْلةٍ ويــا سَلْوةَ الأَيّامِ موعدُكِ الحَشرُ
أَما والذي أَبكى وأَضحَكَ والذي أَماتَ وأَحيــا والذي أَمرُهُ الأَمْرُ
لَقد تركَتني أَحسُدُ الوحشَ أَن أَرَى أَلِيفَيْن منهــا لا يَرُوعُهُما الزجْرُ[4]

الشعر : لأَبي صخرٍ الهُذَليِّ . والغِناء : لَمعبَد في الأوّل والثاني من الأبيات ، ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرٍو ، ولابن سُرَيجٍ في الرابع والخامس ثقيلٌ أَوّلُ ولعريبَ فيهما أيضاً ثقيلٌ أَوّلُ آخرُ ، وهو الذي فيه استهلال . وللواثق فيهما رمَلٌ ، ولابن سُريجٍ أيضاً ثاني ثقيل في الثالثِ وما بعدَه ، عن أَحمدَ بن المكّيّ ، وذكرَ ابن المكّيّ أَنّ الثقيلَ الثاني بالوسطى لجدّه يحيى المكّيّ .

---

1 هذان البيتان من قصيدة تتألف من أَربعين بيتاً ، وهما الأول والتاسع والعشرون في شرح أَشعار الهذليين : 1266–1277 .

2 هذه الأبيات من رائية أَبي صخر الهذلي المشهورة (شرح أَشعار الهذليين 2 : 956–959 وأَمالي القالي 1 : 148–150) وقد نسب بعض أَبياتها إلى مجنون ليلى (ديوانه : 130–132) .

3 الأَمالي : فيا حب ليلى .

4 شرح أَشعار الهذليين : أَغبط الوحش .

[532] ـ أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبدُ الله بن سَلَمْ[2] السَّهميّ ، أَحد بني مُرمِضٍ[3] وهذا أكثرُ ما وجدتُه من نسبهِ في نسخةِ السُّكريِّ ، وهي أتمُّ النسخِ مِمّا يأْثُرُه عن الرّياشي عن الأصمعيِّ ، وعن الأثرمِ عن أبي عبيدة ، وعن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ . وهو شاعر إسلاميّ من شعراء الدولةِ الأمويّة ، وكان مُوالياً لبني مروانَ ، متعصّباً لهم ، وله في عبدِ الملك بن مروان مدائحُ ، وفي أخيه عبد العزيز ، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أُسيدٍ . وحَبَسَه ابنُ الزُّبير إلى أن قُتِل .

[كان أموي الهوى غاضباً على ابن الزُّبير]

فأخبرني يحيى بن أحمد بن الجوْن ، مولى بني أُميَّة ، لقيته بالرَّقَّة ، قال : حدَّثني الفيض بن عبدِ الملِك قال : حدَّثني مولايَ عن أبيهِ ، عن مَسلَمة بن الوليدِ القرشيِّ ، عن عبد العزيز بنُ عمر بن عبد العزيز قال : لمّا ظَهر عبدُ الله بن الزُّبير بالحجاز وغلب عليها ، بعد موت يزيدَ بن مُعاويةَ ، وتشاغل بنو أُميَّة بالحرب بينهم في مرْج راهِط وغيره ، دخل عليه أبو صَخْرٍ الهذليُّ ، في هُذيلٍ . وقد جاءوا ليقْبِضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواهُ في بني أُميّة ، فمنعه عطاءه ، فقال : علامَ تمنعني حقّاً لي ؛ وأنا امرؤ مُسلمٌ ، ما أحدثتُ في الإسلام حدَثاً ، ولا أخرجْتُ من طاعةٍ يداً ؟ قال : عَليكَ بني أُميّة فاطلبْ عندهم عَطاءَك .

قال : إذن أجدهم سباطاً[4] أكُفُّهم ، سَمحةً أنفسهُم ، بُذَلاءَ لأموالهم ، وهّابين لمجتَدِيهم ، كريمةً أعراقُهم ، شريفةً أصولهم ، زاكيةً فروعُهم ، قريباً من رسولِ اللهِ ، ﷺ ، نسبُهم وسَببهم ؛ ليسوا إذا نُسِبوا بأذنابٍ ولا وشائظَ[5] ولا أتباعٍ ، ولا هم في قُرَيشٍ

1 ترجمة أبي صخر الهذلي في الشعر والشعراء : 467 (الحاشية) وخزانة البغدادي 3 : 261–263 والسمط : 399 والعيني 1 : 62 وأمالي القالي 1 : 146 وشعره في الجزء الثاني من شرح أشعار الهذليين .

2 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : سلمة .

3 أشعار : أحد بني مُرَمَّض بفتح الراء وأضاف الشارح : وفي موضع آخر بكسر الميم والكسر الصواب .

4 سبط الكف : سمح سخي .

5 وشائظ : دخلاء .

كفقعةِ القاع[1] ، لهُم السؤددُ في الجاهليّة ، والمُلكُ في الإسلام ، لا كمَن لا يُعدُّ في عِيرها ولا نفيرها[2] ، وَلا حُكِّم آباؤه في نقيرِها ولا قِطميرِها[3] ، ليسَ من أحلافها المطيَّبين ، ولا من ساداتها المطعِمين ، ولا من جُوَدائها الوهّابين ، ولا من هاشمها المنتخَبين ، ولا عبد شمسها المسوَّدينِ . وكيف تُقابلُ الرؤوسُ بالأذنابِ ؟ وأين النَّصْلُ من الجفن ؟ والسِّنانُ من الزُّجِّ ؟ والذُّنابى من القُدامى ؟ وكيف يُفضَّل الشَّحيحُ على الجوادِ ، والسُّوقةُ على الملكِ ، والمُجيعُ بُخلاً على المطعِم فضلاً ؟ فغضِبَ ابنُ الزُّبير حتى ارتعدتْ فرائصُه ، وعَرِقَ جبينه ، واهتز من قَرنه إلى قدمِه وامتُقِع لونُه ، ثم قال له : يا ابن البوّالة على عقبيها ، يا جِلفُ ، يا جاهلُ ، أما واللهِ لولا الحرماتُ الثّلاثُ : حُرمةُ الإسلام ، وحُرْمة الحَرَمِ ، وحُرمةُ الشهر الحرامِ ، لأخذتُ الذي فيه عيناكَ .

ثمَّ أمَرَ به إلى سجن عارمٍ ، فَحُبِس به مُدّةً ، ثم استوْهبته هُذيلٌ ومنْ له بين قريشٍ خُؤولةٌ في هُذيل ، فأطلقه بعد سنةٍ ، وأقسم ألاّ يُعطيَه عطاء مع المسلمينَ أبداً .

[عبد الملك يقربه ويصله]

فلمّا كان عام الجماعةِ ووُلِّي عبدُ الملك وحجَّ ، لقيهُ أبو صخر ، فلمّا رآه عبدُ الملك قرّبه وأدناه ، وقال له : إنّه لم يخْفَ عليَّ خبرُك «مع الملحدِ» ولا ضاع لكَ عندي هَواك وموالاتُك ؛ فقال : أما إذ شفى اللهُ منه نفسي ، ورأيتُه قتيل سيفك ؛ وصريعَ أوليائك ، مصلوباً مهتوك السِّتر ، مفرَّق الجمع ، فما أُبالي ما فاتني من الدُّنيا .

ثم استأذنه أبو صخر في الإنشاد ، فأذِن له ، فمثل بين يديه قائماً ، وأنشأ يقول[4] : [من الطويل]

عفَت ذاتُ عِرْقٍ عُصلُها فرِئامُها ... فدهناؤها وَحْشٌ وأجلى سَوامُها[5]
على أنَّ مَرسى خَيمةٍ خَفَّ أَهلُها ... بأَبْطحَ مِحلالٍ وَهَيهاتَ عامُها[6]
إذا اعتلَجَتْ فيها الرِّياحُ فأَدْرجتْ ... عَشيّاً جرى في جانبيها قُمامُها

1 تقدم هذا المثل الذي يضرب في الذلة جزء 18 : 82 .
2 المثل «لا في العير ولا في النفير» في الفاخر : 177 ومجمع الميداني 2 : 221 وجمهرة العسكري : 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 264 .
3 النقير : نقرة في النواة ، والقطمير : القشرة الرقيقة على النواة ، وكلاهما حقير .
4 أشعار : 953–956 مع اختلاف في الترتيب .
5 عصل ورئام ودهناء : أسماء مواضع .
6 في أشعار الهذليين «سوى» بدل «على» وبأبهر بدل بأبطح ، والأبهر : اللين من الأرض .

وإنَّ مَعاجي في الدِّيــار وموقِفي ... بدارسة الرَّبعــين بــالٍ ثُمامُها[1]
لجهــلٌ ولكنّــي أُسلّي ضَمانةً ... يُضعِّفُ أسرارَ الفــؤاد سَقامُها[2]
فأقصِرْ فلا ما قد مَضى لكَ راجع ... وَلا لــذَّةُ الدُّنيا يَدُومُ دوامُها[3]
وَفــدٌ أميرَ المؤمنين الذي رَمــى ... بجأواءَ جُمهــورٍ تَسيلُ إكامُها[4]
مِن أرض قُرى الزيتون مكّة بعدما ... غُلِبْنــا عليهــا واستُحِلَّ حرَامُها

يقول : رَمى مكّةَ بالرّجال من أهل الشام ، وهي أرضُ الزَّيتون .

وإذ عاثَ فيها النَّاكِثون وأفسدُوا ... فخِيفَتْ أقاصيها وطــار حَمامُها
فشَجَّ بهــم عَــرضَ الفَلاةِ تعَسُّفاً ... إذا الأرضُ أخْفى مُستَواها سَوامُها[5]
فَصبَّحُهم بالخيلِ تزحَــفُ بالقَنا ... وبَيْضاءَ مثلِ الشَّمْس يبْرُق لامُها[6]
لهمْ عسكرٌ ضافِي الصُّفوفِ عَرمْرمٌ ... وجُمهورَةٌ يَثني العــدوَّ انتقامُها[7]
فطهَّر منهمْ بطــنَ مكّــةَ ماجِــدٌ ... أبى الضَّيْمَ والميلاءَ حينَ يُسامُها[8]
فدَعْ ذا وبشِّر شاعِرَيْ أُمِّ مالكٍ ... بأبياتِ مــا خِزي طوِيل عُرامُها[9]

شاعرَيْ أُمِّ مالكٍ : رجلان من كنانة كانا مع ابن الزُّبير ، يمدحانه ويحرِّضانه على أبي صخر ، لعداوةٍ كانَتْ بيْنهما وبينه .

1 أشعار : بوانية البندين بال ثمامها . والبندان : شرط الخيام التي تشد بها ، واحدها بند .
2 أشعار : أسلي زمانة .
3 أشعار : تمور إكامها .
4 أشعار :
وألحــد فيهــا الفاسقون وأفسدوا ... فخافــت فواشيها وطار حمامها
الفواشي : المال الراعي .
5 أشعار :
يشجّ . . . . وأما إذا يخفى مــن أرض علامهــا
6 لم يرد هذا البيت في متن القصيدة في شرح أشعار الهذليين . ولامها : مخفف لأمها ، وهي أداة الحرب .
7 أشعار :
له عسكر طاحي الصفاف عرمرم ... وجمهورة يزهــى العدو احتدامها
8 أشعار : أبيٌّ شباةِ الضيم حين يسامها .
9 لم يرد هذا البيت في متن القصيدة في شرح أشعار الهذليين . وشاعرا أم مالك هما رجلان من كنانة كانا يمدحان ابن الزُّبير ويحرضانه على أبي صخر لعداوة كانت بينهما وبينه .

فإنْ تَبـدُ تُجدَعْ مَنْخِراكَ بمُدْيَةٍ   مُشَرْشرةٍ حَرَّى حَديدٍ حُسامُها[1]
وإن تخْفَ عنَّا أو تخَفْ منْ أذاتِنا   تَنُوشُكَ نابـا حَيَّـةٍ وسِمامُها[2]
فلـولا قريشٌ لاسْتُرِقَّت عَجُوزُكم   وطالَ على قُطْبَي رَحاها احتِزامُها

قال : فأمرَ له عبدُ الملك بما فاتهُ من العطاء ، ومثلِه صِلةً من مالِه ، وكَساهُ وحمَلَه .

[رثاء حيّ]

ونَسَخْتُ منْ كتاب أبي سَعيدٍ السُّكَّريِّ ، عن مُحمد بن حبيبٍ ، عن ابن الأعرابيّ وأبي عبيدة قالا : كان أبو صخر الهذليُّ مُنقطعاً إلى أبي خالدٍ عبدِ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ؛ مدّاحاً له ، فقال له يوماً : ارْثني يا أبا صخر وأنا حيٌّ ، حتى أسمع كيف تقول ، وأين مراثيك لي بعدِي من مديحَك إيّايَ في حياتي ؟ .

فقال : أُعيذُكَ باللهِ أيُّها الأميرُ من ذلك ، بل يُبقيكَ اللهُ ويقدِّمني قبلك ، فقال : ما مِنْ ذلك بُـدٌّ . قال : فرثاهُ بقصيدته التي يقولُ فيها[3] : [من الطويل]

أبا خالدٍ نفسي وقتْ نَفْسَك الرَّدى   وكانَ بها من قبـلِ عَثرتك العَثْرُ
لتبكِك يـا عبـدَ العزيـز قلائصٌ   أضرَّ بهـا نصُّ الهواجر والزَّجرُ[4]
سَمونَ بنـا يَجْتَبْن كلَّ تَنُوفـةٍ   تضِلُّ بها عنْ بَيْضِهنَّ القطا الكُدرُ
فما قدِمَتْ حتـى تواتـرَ سَيرُها   وحتى أُنيخَتْ وهي ظالعةٌ دُبرُ[5]
فَفرَّجَ عنْ رُكْبانُها الهَم والطَّوى   كريمُ المحيَّـا ماجـدٌ واجدٌ صَقْرُ
أخو شَتواتٍ تَقْتُـل الجوعَ دارُهُ   لِمَـنْ جاءَ لا ضَيْقُ الفِناءِ ولا وعرُ
ولا تَهنِـيء الفِتيـانَ بعدَك لذَّةٌ   ولا بلَّ هامَ الشامتين بكَ القطْرُ[6]
وإن تُمسِ رمساً بالرُّصافةِ ثاويـاً   فما مات يا ابنَ العِيصِ نائلُك الغَمرُ[7]

1 أشعار :

وإن تبد تَجـدع منخريـك بمديـة   مشرشرة حـرى رميض حسامهـا

2 أشعار :

فإن تبدُ أو تستخفِ تغض على أذى   ويخطفـك نابـا حيـة وسمامهـا

3 أشعار : 950–953 .
4 أشعار : أضر بها طول المنصة والزجر .
5 أشعار : وهي داهفة دبر .
6 أشعار : فلا نفع الفتيان .
7 أشعار : أيامك الزهر .

وذي ورقٍ من فضلِ مالِكَ مالُه ... وذي حاجةٍ قد رِشْتَ ليس له وفرُ
فأمْسى مُرِيحاً بعدَ ما قد يؤوبه ... وكَلَّ به المَوْلى وضاقَ به الأمرُ

قال : فأضْعَفَ لهُ عبدُ العزيز جائِزَتَه ووصَلَه ، وأمر أولاده فرَووا القصيدة .

[رثاء ابنه]

وقال أبو عَمرو الشيبانيُّ : كان لأبي صَخرٍ ابنٌ يقالُ له داوُد لم يكن له ولدٌ غيرُه ، فماتَ ، فجزِع عليه جزعاً شديداً حتى خُولِط ، فقال يرثيه[1] : [من الطويل]

لقد هاجَني طيفٌ لداوُد بعدما ... دَنتْ فاستقلَّتْ تالياتُ الكواكبِ
وما في ذُهولِ النفس عن غيرِ سَلوةٍ ... رَواحٌ من السُّقم الذي هو غالبي[2]
وعندكَ لو يحيا صداكَ فنَلتَقي ... شِفاءٌ لِمَنْ غادرتَ يومَ التّناضبِ
فهلْ لَكَ طِبٌّ نافعي من عَلاقةٍ ... تُهيِّمُني بين الحشا والتَّرائبِ
تشكَّيتها إذْ صدَّع الدَّهرُ شَعْبنا ... فأمستْ وأُعيت بالرُّقى والطّبائبِ[3]
ولولا يقيني أنّما الموتُ عزمةٌ ... منْ الله حتى يُبعثُوا للمَحاسبِ[4]
لقلتُ له فيما أُلِمُّ برمْسِه : ... هلَ آنتَ غداً غادٍ مَعي فَمُصاحبي
وماذا ترى في غائبٍ لا يُغِبُّني ... فلستُ بناسيه وليس بآئبِ[5]
سألتُ مليكي إذ بلاني بفقدِه ... وفاةً بأيدِي الرُّوم بين المقانبِ[6]
ثَنوْني وقد قدَّمْتُ ثأرِي بطعْنةٍ ... تجيشُ بَموَّارٍ من الجوفِ ثاعِبِ[7]
فقد خِفْتُ أن ألقى المَنايا وإنّني ... لَتابعُ مَنْ وافى حِمامَ الجوالبِ
ولَمّا أُطاعِنْ في العدُوِّ تنفُّلاً ... إلى اللهِ أبغي فضْلَهُ وأُضاربِ
وأعطِفْ وراءَ المُسْلِمينَ بِطَعْنةٍ ... على دُبُرٍ مُجْلٍ من العيشِ ذاهِبِ[8]

1 من قصيدة في شرح أشعار الهذليين : 916-923 .
2 النفس في أشعار : الناس .
3 أشعار : فأمست قد آعيت .
4 أشعار : ولولا يقين .
5 لا يغبني : لا يزورني غبا .
6 المقانب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الخيل للغارة .
7 أشعار : تجيش بقلاص . والقلاص والموار بمعنى ، وهو الجرح الذي يفيض بشدّة . وثاعب : جارٍ .
8 بطعنة في أشعار : بشدة .

[رده على من عابه]

وقال أبو عمرٍو : بلغ أبا صخرٍ أنَّ رجلاً من قومه عابَهُ وقدح فيه ، فقال أبو صخرٍ في ذلك[1] : [من الكامل]

ولقد أتاني ناصحٌ عَنْ كاشحٍ بعَداوةٍ ظهرتْ وقُبْحِ أقاوِلِ[2]
أَفَحِينَ أحكمني المشيبُ فلا فتًى غُمْرٌ ولا قَحْمٌ وأعصلَ بازلي[3]
ولبِسْتُ أطوارَ المعيشةِ كُلَّها بمُؤبَّداتٍ للرِّجالِ دَواغِلِ[4]
أصْبَحْتَ تَنقُصُني وتَقْرَعُ مَرْوَتي بَطِراً ولم يرْعَبْ شِعابَك وابلي[5]
وتنلكَ أظفارِي ويبرِكَ مِسْحَلي بَرْيَ الشَّسيبِ من السَّراءِ الذَّابِلِ[6]
فتكونَ للباقينَ بعدكَ عِبرةً واطَأَ جَبِينكَ وَطأَةَ المُتثاقِلِ

[شعره في امرأة تزوجت ورحلت]

وقال أبو عمرٍو : وكان أبو صخرٍ الهذليُّ يهوى امرأةً من قُضاعة ، مجاورةً فيهم ، يقال لها ليلى بنتُ سَعْد ، وتكنى أُمَّ حَكيم ، وكانا يتواصلانِ بُرهةً من دهْرِهما ، ثم تزوَّجت ورحَل بها زوجُها إلى قومِهِ ، فقال في ذلك أبو صخرٍ[7] : [من الطويل]

أَلَمَّ خَيَالٌ طَارِقٌ متأَوِّبُ لأُمِّ حكيمٍ بعدما نِمتُ مُوصِبُ[8]
وقد دَنَت الجوْزاءُ وَهْيَ كأنَّها ومِرْزَمَها بالغَوْرِ ثَوْرٌ ورَبْرَبُ[9]
فباتَ شَرابي في المنامِ مع المُنى غَريضُ اللَّمى يَشْفي جَوى الحُزْنِ أَشْنَبُ[10]

---

1 من قصيدة في شرح أشعار الهذليين : 927–930 .
2 أشعار : «بل قد» بدل من «ولقد» و«زَغْر» بدل و«قبح» .
3 أعصل بازلي : اشتد نابي .
4 أشعار :

ولبست أطوار المعيشة كلها وعرفت من حق وراع عواذلي
وذببت عن أفناء خندف كلها بمؤبدات للرجال عداملي

مؤبدات : وحشيات ، يعني شعره . وعدامل : قديمة .
5 لم يرعب : لم يملأ .
6 الشسيب : القوس . والسَّراء : شجر تتّخذ منه القسي . والمسحل : مثل المبرد .
7 من قصيدة في «شرح أشعار الهذليين» 936–938 .
8 موصب : من الوصب ، وهو الوجع والألم .
9 المرزم : نجم من نجوم المطر ، وهما مرزمان .
10 الغريض : ماء المطر وكل أبيض طري .

قُضاعِيَّةٌ أدنى دِيارٍ تَحُلُّها ... قَناةُ وأَنَّى من قناة المُحَصَّبُ[1]
سراجُ الدُّجى تَغْتَلُّ بالمسك طَفْلَةٌ ... فلا هي مِتْفالٌ ولا اللَّونُ أَكْهَبُ[2]
دَميثةُ ما تحت الثِّيابِ عَميمةٌ ... هَضيمُ الحشا بِكْرُ المجسّةِ ثَيِّبُ[3]
تعلَّقتُها خَوْداً لذيذاً حديثُها ... ليالِيَ لا تُحْمى ولا هِيَ تُحْجَبُ[4]
فكانَ لها وُدِّي ومحْضُ عَلاقتي ... وَليداً إلى أَنْ رأْسِيَ اليومَ أَشْيَبُ[5]
فلم أَرَ مثلي أَيْأَسَتْ بعد عِلْمِها ... بوُدِّي ولا مِثْلي على اليأسِ يَطْلُبُ
ولو تلتقي أصداؤُنا بعدَ موْتِنا ... ومِن دُونِ رَمْسَيْنا من الأرضِ سَبْسَبُ[6]
لظلَّ صَدى رمسي ولو كنتُ رِمَّةً ... لِصوتِ صَدى ليلى يَهَشُّ ويطرَبُ[7]

[الرائية المشهورة]

وقصيدة أبي صخر التي فيها الغناءُ المذكورُ من مختار شعر هُذَيلٍ ، وأوَّلُها[8] : [من الطويل]

لِلَيلى بذاتِ الجيش دارٌ عرفتُها ... وأُخرى بذات البَين آياتُها سطْرُ[9]
وقفتُ برسميْها فلمّا تنكَّرا ... صدفْتُ وعيني دمعُها سرِبٌ هَمْرُ
وفي الدَّمْعِ إن كَذَّبتُ بالحبِّ شاهدٌ ... يُبيِّنُ ما أُخْفي كما بَيَّن البَدْرُ
صبرتُ فلمّا غالَ نفْسي وشفَّها ... عجاريفُ نأيٍ دُونها غُلِبَ الصَّبْرُ[10]
إذا لم يكُنْ بينَ الخليلينِ رِدَّةٌ ... سِوى ذِكْرِ شيءٍ قد مضى درسَ الذِّكْرُ[11]

وهذا البيت خاصّةً رواه الزُّبيرُ بن بكّار لنُصَيْبٍ :

---

1 وأنّى في أشعار : وأدنى .
2 تغتلّ : تتعطر ، من الغالية . ومتفال : منتنة الريح . وأكهب : أغبر .
3 عميمة : طويل . وبكر المجسة : حسنة الجسم لم تتغير ، فكأنّها بكر وهي ثيب .
4 خوداً في أشعار : بكراً . و«لا تعدى» بدل «لا تحمى» ، أي لا تشغل .
5 أشعار : فكان لها أدّي وريَقةَ ميعتي . وأدّي : لغة هذيل في ودي . وريقة ميعتي : أولها .
6 سبسب في أشعار : منكب .
7 رمسي في أشعار : صوتي .
8 هذه هي القصيدة التي أشرنا في أوّل الترجمة ، وفيها اختلاف كبير في الرواية والترتيب عما في شرح أشعار الهذليين والأمالي .
9 أشعار : عكس موضعي الجيش والبين . وعفر بدل سطر .
10 أشعار : عجاريف ما تأتي . وعجاريف الدهر : حوادثه .
11 الخليلين في أشعار : الحبيبين .

إذا فلتُ هـذا حينَ أُسلو يَهيجُني ... نسيمُ الصَّبا مـن حيثُ يَطَّلِعُ الفجرُ
وإنّـي لتَعْـروني لِذكـراكِ فَتْـرةٌ ... كما انتَفَضَ العُصفـورُ بَلَّلـهُ القَطْرُ[1]
هجرتُكِ حتَّى قِيل لا يعرِفُ الهوى ... وزُرْتُكِ حتـى قيـل ليسَ لـهُ صبرُ
صَدقْتِ أنا الصَّبُّ المصابُ الذي به ... تباريحُ حُبٍّ خامـرَ القلبَ أو سِحْرُ
أمَـا والذي أبكـى وأضْحكَ والذي ... أمـاتَ وأحيـا والذي أمـرُه الأَمْرُ
لَقـد تركَتني أحسُدُ الوحشَ أن أرى ... أليفَـينِ منهـا لم يُروِّعْهُمـا الزَّجْرُ[2]
فيا هجْرَ لَيلى قـد بلغتْ بِـيَ المَدى ... وزدتَ على مـا لم يكـنْ بلغ الهجْرُ
ويـا حُبَّهـا زِدْني جَـوًى كلَّ ليلةٍ ... ويـا سلوةَ الأيَّـامِ موعِدُكِ الحشْرُ
عجِبتُ لسَعيِ الدَّهـرِ بينـي وبينها ... فلمّا انقَضى مـا بيْننا سَكَـنَ الدَّهرُ
فليستْ عَشيَّاتُ الحِمـى برَواجـعٍ ... لنا أبـداً مـا أوْرَق السَّلَمُ النَّضرُ[3]

صوت

وإنّـي لآتيهـا لكيمـا تُثيبَنـي ... وأوذُنُها بالصُّرْمِ مـا وَضح الفَجْرُ
فمـا هُـو إلاّ أن أراهـا فُجـاءَةً ... فأُبْهتَ لا عُـرْفٌ لـديَّ ولا نُكرُ[4]
تكاد يَـدي تندى إذا مـا لَمسْتُها ... ويَنبتُ في أطرافهـا الوَرقُ الخُضرُ[5]

في هذه الأبياتِ ثقيلٌ أوّل قديمٌ مجهولٌ ، وفي البيت الأخير لعريب خفيفُ ثقيلٍ ، وقد أضافت إليه بيتاً ليس من الشعر ، وهو :

أبـى القَلـبُ إلاّ حُبَّهـا عامريّـةً ... لهـا كنيةٌ «عمرٌو» وليس لها «عمرُو»[6]

[الهادي يشقّ ثيابه طرباً]

أخبرني محمد بن مزيَد قال : حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أبي عن جدِّي قال : دخلتُ يوماً على موسى الهادي وهو مصطبَحٌ ، فقال لي : يا إبراهيمُ غنّني ، فإن أطربتَني فلكَ

1 الشطر الأول في أشعار : إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها .
2 أشعار : لا يروعهما الزعر .
3 فليست في أشعار : أليس .
4 فجاءة في أشعار : بخلوة .
5 لمستها في أشعار : مسستها .
6 لم يرد هذا البيت في شرح أشعار الهذليين ، وهو مما نسب إلى المجنون .

حكمُك ، فغنَّيتُه : [من الطويل]

وإنّي لَتَعْروني لذكراكِ فترةٌ كما انْتَفضَ العُصْفورُ بلَّلَهُ القَطْرُ

فضرب بيده إلى جنْب دُرَّاعتِه فَشَقَّها حتى انتهى به إلى صدره .

ثمَّ غنَّيته : [من الطويل]

أما والذي أبكى وأضحَكَ والذي أماتَ وأحْيا والذي أمرُه الأمرُ
لقد تَركتْني أحسُدُ الوحْشَ أنْ أرى أليفيْنِ منها لا يَرُوعُهما الزَّجرُ

فشق دُرَّاعتَه حتى انتهى إلى آخرها .

ثم غنَّيتُه : [من الطويل]

فيا حُبَّها زِدني جَوًى كلَّ ليْلةٍ ويا سَلوةَ الأيّامِ موعدُكِ الحَشْرُ

فشَقَّ جبَّةً كانت تحت الدُّرَّاعةِ حتى هتكها .

ثمَّ غنَّيتُه : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْي الدَّهرِ بَيْني وبينها فلمّا انقضى ما بيننا سَكنَ الدَّهْرُ

فشقَّ قميصاً كان تحتَ ثيابه حتى بَدا جِسمُه . ثم قال : أحسنتَ واللهِ فاحتكِمْ . فقلتُ : تهَب لي ، يا أميرَ المؤمنينَ ، عينَ مروان بالمدينةِ ، فغضِبَ حتى دارتْ عيناه في رأسِه ، ثم قال : لا ، ولا كرامةَ ، أردتَ أن تجعلَني أُحدوثةً للنّاسِ ، وتقول : أطربتُه فحكَّمني ، فحكمتُ ، فأمضى حُكمِي .

ثم قال لإبراهيم الحرّانيّ : خُذ بيد هذا الجاهلِ وأدخِله بيتَ مالِ الخاصَّة فإنْ أخذَ كلَّ شيءٍ فيه فلا تمنعْه منه ، فدخلتُ معه فأخذْتُ مالاً جليلاً وانصرفتُ .

وممّا يُغنّى فيه من شعر أبي صخر الهذليّ قولُه من قصيدةٍ له[1] : [من الكامل]

صوت

بيَدِ الذي شَغفَ الفؤادَ بكُم فرَجُ الذي ألْقى من الهمِّ
همٌّ منَ اجلكِ ليْس يكْشِفهُ إلاّ مَليكٌ جائزُ الحُكمِ[2]
فاستَيقِني أنْ قد كلِفْتُ بكم ثمَّ افعَلي ما شِئتِ عنْ عِلْمِ

---

1 هذه الأبيات من قصيدة له في شرح أشعار الهذليين مع اختلاف في الترتيب : 972-972 .

2 أشعار : كرب من أجلك . . . مليك الناس . . . .

قَـدْ كان صُرْمٌ في المَماتِ لنا فعجِلت قبـل المـوْتِ بالصُّرْمِ

الشعر لأبي صخرٍ الهذليِّ . والغناء للغَريض ، ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى ، عن عمرو . وفيه لسياط ثقيلٌ أوّل آخر بالبِنصر ، ابتداؤه نشيدٌ :

فاستَيقنــي أنْ قــد كلِفْتُ بكُم

وهكذا ذكر الهشاميُّ أيضاً ، وذكر أنّ لحن الغريض ثاني ثقيلٍ ، وأنّ فيه لابن جامعٍ خفيفَ رملٍ .

[النظام والغلام]

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بن الحسن الحرون قال : حدَّثني الكِسْرَويُّ قال : لَقيَ إبراهيم النَّظّام غلاماً أمردَ فاستحسنه ، فقال له : يا بُنيَّ ، لولا أنّه قد سَبَق من قول الحُكماء ما جعلوا به السَّبيلَ لمثلي إلى مثلِك في قولهم : «لا ينبغي لأحدٍ أن يكبَرَ عن أن يسألَ ، كما لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُرَ عن أن يقول» لما أنِستُ إلى مخاطبتك ، ولا هَشِشْتُ لمُحادَثتِكَ ، ولكنّهُ سببُ الإخاء ، وعقْدُ المودَّةِ ، ومحلُّكَ من قلبي[1] محلُّ الرُّوح من جَسدِ الجبان . فقال له الغُلامُ وهو لا يعرفُه : لَئِن قلتَ ذاك أيُّها الرجلُ لقد قال الأستاذ إبراهيمُ النّظّام : «الطبائِعُ تُجاذبُ[2] ما شاكَلَها بالمجانسةِ ، وتميلُ إلى ما يُوافقُها بالمؤانسَةِ» وكِياني مائِلٌ إلى كيانِك بكليّتي ، ولو كان ما أنطوي لك عليه عَرَضاً ما اعتددتُ به وُدّاً ، ولكنَّه جوهرُ جسمي ، فبقاؤه ببقاء النفْس ، وعدمُه بعَدمها ، وأقولُ كما قال الهُذليُّ : [من الكامل]

فاسْتَيقني أن قد كَلِفْتُ بِكم ثم افعلي ما شِئتِ عن عِلمِ

فقال له النظّامُ ، إنّما خاطبتُكَ بما سمعتَ ، وأنتَ عندي غلامٌ مستحسَنٌ ، ولو علمتُ أنّك بهذه المنزلة لرفعتُك إلى رتبتها .

قال أبو الحسن الأخفشُ : فأخذ أبو دُلَف هذا المعنى فقال[3] : [من الوافر]

أُحبّك يــا جنانُ وأنتِ منّي محلُّ الرُّوحِ من جسدِ الجبانِ
ولو أنّـي أقــولُ مكانَ نفسي لخفتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ[4]

---

1 ل : مسألتي .

2 ل : توافق .

3 تقدمت هذه الأبيات في ترجمة أبي دُلَف جزء 8 : 177 .

4 ل : من ريب الزمان .

لإقدامي إذا مـا الخيلُ خامتْ وهـابَ كُماتُها حَـرَّ الطِّعانِ[1]

وتمام أبيات أبي صخرٍ الميميّةِ التي ذكرتُ فيها الغناءَ الأخيرَ وخبرَه أنشدنيها الأخفشُ عن السّكريّ عن أصحابه : [من الكامل]

ولَمّـا بقيـتِ لَيَبْقَيَنَّ جَـوًى بينَ الجوانحِ مُضرِعٌ جِسْمي[2]
ويُقِرُّ عينـي وهْـي نازحـةٌ مـا لا يُقِـرُّ بعيـنِ ذي الحلمِ
أَطْلالُ نُعْـمٍ إذْ كَلِفْتُ بهـا يـا دِينَ هذا القَلْبَ من نُعْمِ[3]
ولو انَّنـي أُسْقَى على سَقَمي بِلَمى عَوارِضِها شَفَى سُقْمي
ولقد عَجِبْـتُ لِنَبْـلِ مُقتدرٍ يَسِطُ الفؤادَ بهـا ولا يُدْمي[4]
يَرْمـي فيجْرَحُنـي برمْيتـهِ فلَـوَ آنَّني أَرْمـي كما يرمي[5]
أَو كان قلـبٌ إذ عَزمتُ لهُ صُرْمي وهَجري كان ذا عَزْمِ[6]
أَو كان لي غُنْـمٌ بِذكرِكُـمُ أَمسيتُ قَـد أَثريتُ مـن غُنْمِ

[العجوز التي تحسن الغناء]

أَخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حمّادٍ عن أبيه ، عن أَبي عبدِ اللهِ الأنصاريِّ ، عن غُرَير بن طلحةَ الأرقميِّ قال : قال لي أبو السَّائِبِ المخزوميُّ ، وكان من أهلِ الفضل والنُّسكِ : هل لك في أحسنِ النّاس غناءً ؟ قلت : نعم . وكان عليَّ يومئذٍ طيلسانٌ لي أُسمّيه من غِلَظه وثقَلِه «مُقطِّع الأزرار» . فخرجنا حتى جئنا إلى الجبّانةِ ، إلى دارِ مُسلم بن يحيى الأرَتِّ صاحب الخمر ، مولى بني زُهْرَةَ فأذِن لنا . فدخلنا بيتاً طولُه اثنتا عشرةَ ذراعاً في مِثلها ، وسَمْكُه في السماء ستَّ عشرة ذراعاً ، ما فيه إلاّ نُمرقتانِ قد ذَهبتْ منهما اللُّحمةُ وبقيَ السَّدَى ، وفراشٌ محشوٌّ ليفاً[7] ، وكُرسِيّان من خشب قد تقلَّع عنهُما الصِّبْغُ من قِدَمهما[8] وبينَهما مِرفَقتانِ محشوّتانِ باللِّيف . ثم طلعتْ علينا عجوزٌ

1 خامت : نكصت .
2 مضرع في ل : مسقم .
3 دين : عادة .
4 يسط : يحل في وسطه .
5 الشطر الأول في أشعار : يرمي فلا تشويك رميته .
6 أشعار : ولو ان قلبي .
7 ل : ريشاً .
8 ل : فوقهما .

كَلْفاء[1] عَجْفاءُ ، كأنَّ شعرَها شعرُ ميِّتٍ ، عليها قَرقَل[2] هَرَوِيٌّ أصفرُ غَسيلٌ[3] ، كأنَّ وَركَيْها في خيطٍ من رسَحِها[4] حتى جَلَست . فقلتُ لأبي السّائبِ : بأبي أنتَ وأُمِّي ما هذه ؟ قال : اسكتْ : فتناولتْ عوداً فضربَتْ ، وغنّتْ :

بِيـدِ الـذي شغَفَ الفُـؤادَ بكمْ فَـرَجُ الذي أَلْقَـى مِـن الهمِّ

قال غُريرٌ : فحسُنَتْ ، واللهِ ، في عَيْني ، وَجاء نقاءٌ وَصفاءٌ ، فأذْهبَ الكلَف منْ وجهها ، وزَحفَ أبو السَّائبِ وزحفْتُ معه . ثمّ غنَّت : [من الكامل]

صوت

بَرِح الخَفاءُ فأيَّ ما بك تَكتُم وَلسوْف يظْهرُ مـا يُسَرُّ فيُعلَمُ
ممّا تضمّنَ مـن غُريرةَ قلبُـهُ يـا قلبُ إنّكَ بالحِسانِ لَمُغْرَمُ
يا ليتَ أنّك يا حُسامُ بأرْضنا تُلْقـي المراسيَ دائمـاً وتُخيِّمُ
فتذوقَ لـذَّةَ عيشِنا ونعيمَـهُ ونكـونَ أجـواراً فماذا تنقِمُ

الغناء لحكم ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى ، عن الهشاميِّ .

فقال أبو السائب : إن نَقِمَ هذا فيَعضّ بظْرَ أُمِّه . وزحف وزحفتُ معهُ ، حتى قاربتُ النُمرُقَةَ وَربَتِ العجفاءُ في عيني كما يربُو السَّويقُ شِيبَ بماء قِربَةٍ .

ثم غنّتْ : [من المنسرح]

صوت

يا طُولَ لَيْـلي أُعالجُ السَّقَما إذ حَـلَّ دُون الأَحبَّةِ الحرَما
ما كنتُ أخشى فِـراقَ بينكمُ فاليومَ أضحى فراقُكـم عَزَما

الغناء للغريض ، ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها ، وله أيضاً فيه خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر جميعاً ، عن إسحاقَ .

قال غُرَير : فألقيتُ طيْلَسان وتناولتُ شاذكونة[5] ، فوضعتها على رأسي وصِحتُ كما

---

1 كلفاء : في وجهها حمرة كدرة أو نمش كالسمسم .
2 قرقل : قميص بلا كمين .
3 غسيل : مغسول .
4 الرسح : قلة لحم العجز ، والمرأة رسحاء .
5 الشاذكونة : مضربة النجّاد .

يُصاحُ بالمدينة : الدَّخن[1] بالنَّوى ، وقام أَبو السائبِ ، وتناوَلَ رَبْعةً[2] فيها قوارير دُهْنٍ كانتْ في البيت ، فوضعَها على رأسِهِ ، وصاح ابنُ الأرَتّ صاحبُ الجارية ، وكان أَلْثغَ : «قواليلي قواليلي» ، يريد : قواريري قواريري ، أسألكَ بالله . فلم يلتفتْ أبو السّائب إلى قوله ، وحَرَّك رأسه مَرَحاً فاضطربت القواريرُ وتكسَّرتْ ، وسال الدُّهن على وجه أَبي السائب وظهره وصدره ؛ ثم وضع الرّبعة وقال لها : لقد هِجْتِ لي داءً قديماً .

قال : ومكثنا نختلفُ إليها سنين ، في كلِّ جُمعةٍ يومين ، وقال : ثم بعث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من الأندلُس ، فاشترِيت له العجفاءُ وحُمِلت إليه .

صوت

[من الطويل]

أَلا هل إلى ريح الخُزامى ونظرةٍ إلى قرقَرى قبلَ الممات سبيلُ[3]
فيا أَثلاتِ القاعِ من بطْنِ تُوضِحٍ حَنيني إلى أُطلالكُنَّ طويلُ
ويا أَثْلاتِ القاعِ قلبي مُوكَّلٌ بكنَّ ، وَجدْوَى خيركنّ قليلُ
ويا أَثلاتِ القاعِ قد مَلَّ صُحبتي وقوفي ، فهلْ في ظلِّكُنَّ مَقِيلُ ؟

الشعر : ليحيى بن طالبِ الحنفيِّ ، والغناءُ لعلُّويه ، خفيفُ رمَل بالوسطى ، عن عمرٍو . وفيه لإبراهيم لحنٌ ماخوريّ بالوسطى ، وفيه لعَريبَ رملٌ ، ولمتيم خفيفُ رمَل آخر عن الهشاميِّ . وفيه لابن المكِّيّ خفيفُ ثقيل من كتابه وذكر ابنُ المعتزِّ أن لحن عريب ومتيَّم جميعاً من الرمل .

---

1 ل : الدجر ، وهو اللوبياء .

2 الربعة : جونة العطار .

3 قارن بديوان مجنون ليلى : 221 وهي في السمط : 363 وأمالي القالي 1 : 123 ومصارع العشاق 1 : 294 ومعجم البلدان (قرقرى) ليحيى بن طالب . قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخل كثير .

[533] ـ أخبار يحيى بن طالب[1]

يحيى بن طالب : شاعرٌ من أهلِ اليمامةِ ، ثم من بني حنيفةَ . لم يقعْ إليَّ نسبُه . وهو من شُعراء الدّولةِ العبّاسيّة مُقِلٌّ ، وكان فصيحاً شاعراً غزِلاً فارساً .

[هربه من دين]

وركِبَه دَيْنٌ في بلدِهِ فهرب إلى الرّيّ ، وخرج مع بَعْثٍ إليها ، فمات بها ، وقد ذَكَر ذلك في هذه القصيدة فقال : [من الطويل]

أُريدُ رجُوعاً نحوَكُمْ فَيُصدُّني ... إذا رمْتُهُ دَيْنٌ عليَّ ثقيلُ

حدَّثني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال : غَنَّى أبي الرشيدَ في شعر يحيى بن طالبٍ :

ألا هل إلى شَمِّ الخُزامى ونَظْرةٍ ... إلى قَرقرى قبل المماتِ سَبيلُ

فأَطربَهُ ، فسأله عن قائل الشعر ، فذكَره له وأعلمه أنّه حيٌّ ، وأنّه هرب من دَيْنٍ عليه ، وأنشده قولَه :

أُريدُ رجوعاً نحوَكُمْ فَيَصُدُّني ... إذا رُمْتُه دَيْنٌ عليَّ ثَقِيلُ

فأمر الرشيدُ أن يُكتب إلى عامل الريّ بقضاءِ دَيْنِه ، وإعطائِه نفقةً ، وإنفاذه إليه على البريد ، فوصل الكتاب يومَ مات يحيى بن طالب .

[شاعر ظريف غزل]

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع وعَمِّي قالا : حدَّثنا عبد الله بن شَبِيب قال : حدَّثني الجَهْمُ بن المغيرةِ قال : كنّا عند حُتْرُش[2] بن ثُمال القُرَيْظيّ بضَرِيَّة[3] فمرَّت بنا جارية صفراءُ مُولَّدةٌ ، فقال لي حُتْرُش : استفتِحْ كلامَها فانظُر فإنّها ظَرِيفةٌ ، فقلتُ لها : يا جاريـة ، أين نَشأْتِ ؟ قالت : بقَرْقرى ، فقلتُ لها : أين مِن شَعْبَعَب[4] ؟ فضحِكت ثم

---

1 ليحيى بن طالب الحنفي أخبار في أمالي القالي 1 : 123 ومعجم البلدان (قرقرى) وانظر التذكرة الحمدونية 1 : 247 و6 : 71 .

2 ل : جرش .

3 ضرية : قرية كانت عامرة على طريق مكة من البصرة .

4 شعبعب : اسم ماء باليمامة ، انظر معجم البلدان (شعبعب) وفيه أبيات يحيى مع اختلاف في الرواية .

قالت : بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ ، قلتُ : فمن الذي يقول : [من البسيط]

يا صاحِبَيَّ فَدَتْ نفسي نُفُوسَكما ... عُوجا عليَّ صُدورَ الأَبْغُلِ السُّنُنِ[1]

ثم ارفعا الطَّرفَ نَنْظُرْ صُبْحَ خامسةٍ ... لقَرقَرى يــا عناءَ النفسِ بالوَطَنِ

يا ليت شعريَ والإنسانُ ذو أَمَلٍ ... والعَيْنُ تَذْرِفُ أحيانــاً من الحَزَنِ

هل أجعَلَنَّ يَــدي للخَــدِّ مِرْفَقَةً ... على شَعَبْعَبَ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ

فالتَفتَتْ إلى حُترش بـن ثمـالٍ فقالـت : أُخبِره بقائِلها ، فقال : ما أَعْرِفُهُ ، فقالتْ : بَلى ، هذا يقوله شاعِرنا وظريفُ بلادِنا وغَزِلُها . فقال لها حُتْرشٌ : وَيْحكِ ، ومَن ذلك ؟ فقالت : أشهد إن كنتَ لا تعرفُه وأنتَ من هذا البلدِ إنَّها لسوْأَةٌ ، ذلك يحيى بن طالب الحنفيُّ ، أقسم بالله ما مَنَعكَ من معرفته إلاّ غِلَظُ الطبعِ ، وجفاءُ الخُلُق . فجعل يضحَكُ من قولها وتعجّبنا منها .

[يرفض ركوب البحر]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثنا أبو غسَّان دَماذ ، عن أبي عُبيدةَ قال : قال رجل ليحيى بن طالب الحنفيِّ : لو ركبتَ معي في البحر ، وشَغَلْت مالَكَ في تجاراتِه لأَثْريتَ وحسُنَتْ حالُكَ ، فقال يحيى بن طالب[2] : [من الطويل]

لشُرْبُــكَ بالأنقـاءِ رَنْقـاً وصافِيـاً ... أعَفُّ وأَعْفَى من ركوبِكَ في البحْرِ

إذا أَنــت لم تنظُــرْ لنفسِكَ خالِيـاً ... أَحاطَت بك الأحزانُ من حيثُ لا تدري

[وفاته مرّة أخرى]

حدَّثني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعدٍ قال : حدَّثني أبو عليّ الحنفي ؛ قـال : حدَّثنـي عمِّي عن عليّ بن عمـر قـال : غنّـيَ الرشيدُ يوماً بشعر يحيى بن طالب : [من الطويل]

أَلا هَل إلى شَمِّ الخُزامَى ونَظْرةٍ ... إلى قَرقَرى قبلَ المماتِ سَبِيلُ

وذكر الخبر كما ذكره حمّادُ بن إسحاقَ ، إلاّ أنّه قال : فوجَده قد مات قبل وصولِ البريدِ بشهر .

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيُّ قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بن أخـي الأصمعيّ ، عن عمّه قال : كان يحيى بن طالبٍ يُجالسُ امرأةً من قومه ويألَفُها ، ثم خرجَ مع والي اليمامةِ إلى مكّة ،

1 السنن : التي تسير سيراً شديداً .

2 قارن الأبيات بما في معجم البلدان (قرقرى) وأمالي القالي 1 : 123 .

وابتاع منه الوالي إبلاً بتأخيرٍ ، فلمَّا صار إلى مكّةَ عُزِل الوالي ، فَلَوى يحيى بماله مدّة ، فضاق صدرُه ، وتَشوَّقَ إلى اليمامةِ وصاحبتِه التي كان يتحدَّث إليها ، فقال : [من الطويل]

تصبَّرتُ عنهـا كارهـاً وهجرتُها وهِجْرانُها عندي أَمَرُّ من الصَّبْرِ

صوت

إذا ارتَحَلـتْ نحـو اليمامـة رُفْقةٌ دعاني الهوى واهتاجَ قلبيَ للذِّكْرِ
كأنَّ فؤادي كُلَّما عَـنَّ ذِكْرُها جَناحا غُرابٍ رامَ نهضاً إلى وَكْرِ

الغناء للزفـنّ ، ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ في هذين البيتين .

وقال فيها :

مُدايَنـةُ السُّلطـانِ بـابُ مَذَلَّـةٍ وأَشبـهُ شَيءٍ بالقَناعـةِ والفقْـرِ
إذا أنـتَ لم تنظُـرْ لنفسِكَ خالِيـاً أَحاطتْ بِكَ الأَحزانُ من حيث لا تَدْري

[أمنية المتمني]

أَخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حَمَّادٍ عن أَبيه ، قال : قال أَبو الذَّيَّال الحَنَفيّ : خرج يحيى بن طالب الحنفيّ من اليمامة يُريد خُراسان على البريد ، فقال وهو بقُومِس [1] : [من الطويل]

أقولُ لأَصحابي ونحـن بقُومِس نُـراوِحُ أَكتافَ المحذَّفـةِ الجُرْدِ
بعُدنـا وعهدِ اللهِ من أَهلِ قرقرى وفيها الأُلى نَهوى وزِدْنا على البُعْدِ

أَخبرنا الحسنُ بن عليٍّ قـال : حدَّثنا محمدُ بن موسى بن حمّادٍ قال : حدَّثني عبد الله بنُ بِشْر ، عن أبي فراسٍ الهيثَم بن فراسٍ الكِلابيّ قال : كنتُ مع أَبي ونحن قاصِدُون اليمامةَ ، فلمّا رأيناهـا لَقِينا رجـلٌ ، فقال له أَبي : أين قرقرى ؟ قال : وراءَك ، قال : فأين شَعَبْعَب ؟ قـال : بإزائِه ؛ قال : أرِني ذلكَ ، فأراه إيّاها حتى عَرَفه ، فقال لي : ارجع بنا إلى الموضِع ، فقلت له : يا أبتِ قد تَعِبنا وتعِبت ركائِبُنا ، فما لك هناك ؟ قال : إنّك لأحمقُ ، ارجع ويْلك ، فرجعـتُ معه حتى أتـى شَعَبْعَب ، وصار إلى الحـوض والعَطَن ، وأناخ راحِلتَه ، وقال لي : أَنِـخ ، فأَنَخْت ؛ ونزل فنظَر إلى شَعَبْعَب وقرقرى ساعةً ، ثم اضطجع بين الحوضِ والعَطَن اضطِجاعةً ، ويده تحت خدِّه ، ثم قام فركِب ، فقُلت : يا أبتِ ما أردتَ بهذا ؟ فقال : يا جاهلُ ، أما سمعتَ قولَ يحيى بن طالب : [من البسيط]

---

1 البيتان في معجم البلدان (قومس) مع اختلاف في الرواية .

هــل أجعلَنَّ يَــدِي للخدِّ مِرفقةً | على شَعَبْعَبَ بين الحَوْضِ والعَطَنِ

أفليسَ عجزاً أن نكونَ قد أتينا عليهما وهما أُمنية المتمنّي فلا ننال ما تَمَنّاه منهما ، وقد قدرتُ عليه ؟ فجعلتُ أعجبُ من قوله وفعلِه .

[يحمل مغارم قومه]

أخبرنا محمدُ بن جعفر النحويّ قال : حدَّثني طلحةُ بن عبدِ الله الطَّلحيُّ قال : حدَّثنا أبو العاليةِ عن رجل من بني حنيفة قال : كان يحيى بن طالبٍ جواداً ، شاعراً ، جميلاً ، حَمَّالاً لأثقالِ قومِهِ ومغارمِهم ، سمحاً يَقْرِي الأضيافَ ، ما تشاءُ أن ترى في فتًى خَصلةً جميلةً إلاّ رأيتها فيه . فدخلتُ عليه وهو في آخر رَمَقٍ ، فسألتُه عن خبرِه ، وسلَّيتُه وقلتُ له ما طابَتْ به نفسُه ، ثم أنشدني قولَه[1] : [من الطويل]

ما أنــا كالقولِ الذي قلتَ إن زَوَى | مَحَلِّــيَ عــن مــالي حِذارَ النَّوائبِ
بمنزلــةٍ بــين الطريقَيْــنِ قابَلَتْ | بِــوادِي كُحَيْــلٍ كُلَّ مــاشٍ وراكِبِ
حللــتُ على رأْسِ اليَفــاعِ ولم أكُــنْ | كمَن لاذَ من خَوفِ القِرى بالحواجِبِ
فلا تَسأَلِ الضِّيفانَ مَــن هُــمْ وأَدْنِهم | هُمُ النَّاسُ من معروفِ وَجْهٍ وجانِبِ
وقُولُوا إذا مــا الضَّيفُ حَــلَّ بِنَجْوةٍ | ألا في سبيــلِ اللهِ يَحيــى بن طالبِ

قال أبو العاليةِ : كُحَيْل : نخل بناحية فَران دون قَرقرى ، وهناك كان منزلُ يحيى بن طالب .

صوت[2]

وقد جمع معه كلّ ما يُغنّى فيه من القصيدة : [من الطويل]

لعمرُكَ إنِّي يــومَ بُصْرى وناقَتي | لَمُخْتَلِفــا الأَهــواءِ مُصْطَحبانِ
متى تَحملي شَوْقي وشوقَكِ تظْلَعي | ومــا لَكِ بالحِمْــلِ الثَّقيلِ يَدانِ
ألا يا غُرابَــيْ دِمْنــةِ الدَّارِ خبِّرا | أبــالبَيْنِ مــن عفــراءَ تَنْتَحِبانِ

1 انظر معجم البلدان (قرقرى) .

2 هذه الأبيات من نونية عروة بن حزام وهي من مجموع شعره 9–27 ، وقد كثرت الإضافات والروايات في هذه القصيدة واختلف ترتيب أبياتها في المصادر التي أوردتها أو اقتبست منها . وقد نسب بعضها إلى ابن الدمينة والمجنون وغيرهما .

فإن كان حقّاً مـا تَقُولانِ فانهَضا … بلحمي إلى وَكْرَيْكُمـا فكُلاني
ولا يَعْلَمَنَّ النّاسُ مـا كان مِيتَتي … ولا يأكُلَـنَّ الطَّيْرُ مـا تَذَرانِ
جَعلتُ لعـرَّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ … وعَرَّافِ حَجْـرٍ إنْ هُما شَفَياني
فمـا تَركا مـن حيلـةٍ يَعلمانِها … ولا رُقْيَـةٍ إلاَّ وقَـدْ رَقَيـاني
وقـالا : شَفـاكَ اللهُ واللهِ ما لَنا … بما حُمِّلَتْ مِنكَ الضُّلوع يدانِ
كأَنَّ قَطـاةً عُلِّقَـتْ بجَناحِهـا … على كَبِـدي مـن شِدَّةِ الخَفَقانِ

الشعر لِعُروةَ بن حِزام ، والغناء لإبراهيم الموصليِّ في الأربعة الأبياتِ الأول ؛ ثقيلُ أَوَّلُ بالوُسطى ، ولعَريب في الرابع والخامس والسادس والتاسع هَزَجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، عن إسحاقَ ، وفي السابع وما بعده إلى آخرها ثقيلٌ أوّلُ ينسب إلى أبي العَنْبَس بن حَمدون ، وإلى غيره .

[534] ـ أَخبار عروة بن حزام[1]

[نسبه]

هو عُروةُ بن حزام بن مُهاصِرٍ ، أَحدُ بني حِزام بن ضَبَّة بن عبد كَبِير بن عُذْرةَ . شاعِرٌ إسلاميٌّ ، أحدُ المتيَّمِينَ الذين قتلَهم الهوى ، لا يُعْرَفُ له شعرٌ إلاّ في عَفْراءَ بنتِ عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر ، وتَشْبيبِه بها .

[عروة وعفراء]

أخبرني بخبرها جماعةٌ من الرُّواةِ ؛ فمنهُ ما أَخبرَني به الحسنُ بن عليٍّ بن محمد الآدميٌّ قال : حدَّثنا عُمرُ بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، قال : حدَّثني مُوسى بن عيسى الجَعْفَريُّ ، عن الأسباطِ بن عيسى العُذْريّ .

وأخبرني الحسينُ بن يحيى المِرداسيُّ ، ومحمد بن مزيد بن أَبي الأَزهَرِ ، عن حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن رجالِه .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عمر بن شبَّةَ . وأُخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاءِ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكّارٍ عمّن أسنَد إليه . وأخبرني إبراهيم بن أيّوبَ الصائغ عن ابن قُتيبةَ . وقد سُقتُ رواياتِهم وجمعتُها .

قال الأَسباط بن عيسى ، وروايتُه كأنّها أتمُّ الروايات وأشدُّها اتّساقاً ، أدركتُ شيوخَ الحيِّ يذكرون أنّه كان من حَدِيثِ عُروةَ بنِ حِزام وعفراءَ بنت عقال : أنّ حِزاماً هلَك وترك ابنَه عروةَ صغيراً في حِجْر عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر . وكانت عفراءُ تِرْباً لعروةَ ، يلعبان جميعاً ، ويكونانِ معاً ، حتى أَلِفَ كلُّ واحدٍ منهُما صاحبه إلفاً شديداً . وكان عقالٌ يقول لعروةَ ، لما يرى من إلْفِهما : أَبْشِرْ ، فإن عفراءَ امرأتُك[2] ، إن شاءَ اللهُ . فكانا كذلك حتى لَحِقَتْ عفراءُ بالنِّساء ، ولحق عُروةُ بالرجال . فأتى عُروةُ عمّةً له يقالُ لها : هندُ بنتُ مُهاصِر ، فشكا إليها ما به من حبِّ عفراءَ ، وقال لها في بعضِ ما يقولُ لها : يا عمّةُ ، إنّي لأُكلِّمُك وأنا منكِ مُسْتحٍ ، ولكن لم أفعل هذا حتى ضقْتُ ذَرْعاً بما أنا فيه ، فذهبتْ عمّتُه إلى أخيها فقالت له :

---

1 ترجمة عروة بن حزام في الشعر والشعراء : 519–523 وذيل الأمالي : 157–162 وخزانة البغدادي 3 : 215–218 والفوات 2 : 447–450 ومصارع العشاق 1 : 317–321 وتزيين الأسواق 1 : 46 وقد جمع شعره إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد (1961) ونشرا فصلة منها .

2 ل : أَمَتَك .

يا أخي ، قد أتيتُكَ في حاجةٍ أُحبُّ أن تُحْسِن فيها الردَّ ، فإنَّ اللهَ يأجُرك بصلة رحمكَ فيما أسألُكَ . فقال لها : قولي ، فلن تسألي حاجةً إلاّ رددْتُك بها . قالت : تُزوّجُ عُروةَ ابنَ أخيكَ بابنتك عفراءَ . فقال : ما عنه مذهبٌ ، ولا هو دونَ رجُلٍ يُرغَبُ فيه ، ولا بنا عنه رغبةٌ ؛ ولكنّه ليس بذِي مالٍ ، وليست عليه عَجَلةٌ . فطابتْ نفسُ عُروةَ ، وسكَن بعضَ السُّكونِ .

[أم عفراء تريد رجلاً موسراً]

وكانت أُمُّها سيِّئةَ الرأيِ فيه ، تريدُ لابنتها ذا مالٍ ووفْرٍ ، وكانت عُرضةَ ذلك كمالاً وجمالاً ، فلمّا تكامَلَتْ سنُّه وبَلَغ أشُدَّهُ عَرَفَ أنَّ رَجُلاً من قومِه ذا يسار ومال كثيرٍ يخطبُها ، فأتى عمَّه ، فقال : يا عمّ ، قد عَرفتَ حقّي وقرابتي ، وإنّي ولَدُكَ وربّيتُ في حِجْرِكَ ، وقد بلغني أنّ رجلاً يخطب عفراءَ ، فإن أسعَفْته ، بطلبَته قتلتني وسَفكتَ دمي ، فأنشُدكَ اللهَ ورحمي وحقّي . فرقَّ له وقال له : يا بُنيّ ، أنت مُعْدِم ، وحالُنا قريبةٌ من حالِكَ ، ولستُ مُخْرِجَها إلى سِواكَ ، وأُمُّها قد أبتْ أن تزوِّجها إلاّ بمهرٍ غالٍ ، فاضطرِبْ واسترْزِقِ اللهَ تعالى .

فجاءَ إلى أُمِّها فألطفَها وداراها ، فأَبَتْ أن تُجيبه إلاّ بما تَحْتَكِمُه من المَهْرِ ، وبعد أن يَسُوقَ شَطْره إليها ، فوعدها بذلك .

وعلم أنّه لا يَنفَعُهُ قرابةٌ ولا غيرُها إلاّ بالمالِ الذي يطلبونه ، فعَمل على قَصْدِ ابن عمٍّ له مُوسِرٍ كان مُقيماً باليمنِ[1] . فجاء إلى عمِّه وامرأتِه فأخبرهما بِعَزْمِهِ ، فصوّباهُ ووعداه ألاّ يُحْدِثا حدَثاً حتى يعودَ .

[ابن عمّه يعينه]

وصار في ليلةِ رَحيله إلى عَفراء ، فجلس عندها ليلةً هو وجَواري الحيّ يتحدَّثون حتى أصبحوا ، ثم ودّعَها وودّع الحيّ وشدَّ على راحِلته ، وصَحِبَه في طريقِه فَتَيانِ من بني هِلالِ بنِ عامرٍ كانا يألفانِه ، وكان حيّاهُم متجاوِرَين ، وكان في طولِ سفرِه ساهياً يكلِّمانِه فلا يفهمَ ، فِكرهُ في عفراء ، حتى يُرَدَّ القولُ عليه مِراراً ، حتى قدِم على ابن عمِّه . فلقيه وعرَّفَه حالَه وما قَدِمَ له ، فوصَلَه وكَساه ، وأعطاهُ مائةً من الإبل ، فانصرفَ بها إلى أهلِه .

[زواج عفراء]

وقد كان رجلٌ من أهل الشّام من أسبابِ بني أُميَّة نزل في حيّ عفراءَ ، فَنحَر وَوَهب وأطْعم ، وكان ذا مالٍ عظيم . فرأى عفراءَ ، وكان منزلُه قريباً من منزلِهم ، فأَعجبَتْهُ وخطبها إلى أبيها ، فاعتذَرَ إليه وقال : قد سمّيتُها إلى ابنِ أخٍ لي يَعْدِلُها عِندي ، وما إليها لغيره سبيلٌ .

---

1 ل : بالري .

فقال له : إنّي أرغبكَ في المهرِ ، قال : لا حاجة لي بذلك . فعَدَل إلى أُمِّها ، فوافقَ عندَها قبولاً ، لبذله ورغبةً في مالِه . فأجابتْه ووعدته ، وجاءت إلى عقالٍ فآدتْه[1] وصخِبَت معه ، وقالت : أيّ خيرٍ في عُروة حتى تُحبَسَ ابنتي عليه وقد جاءها الغنيُّ يطرُقُ عليها بابَها ؟ والله ما ندري أعروةَ حيٌّ أمْ ميِّتٌ ؟ وهل ينقلبُ إليك بخيرٍ أمْ لا ؟ فتكون قد حَرَمْت ابنتَك خيراً حاضراً ورزقاً سنيّاً . فلم تزل به حتى قال لها : فإن عاد لي خاطباً أجبتُه . فوجَّهتْ إليه أن عُد إليه خاطباً . فلمّا كان من غدٍ نَحَر جُزُراً عِدَّةً ، وأطعم ووهب وجمعَ الحيَّ معهُ على طعامه ، وفيهم أبو عفراءَ ، فلمّا طعِموا أعاد القولَ في الخِطْبة ، فأجابه وزوَّجه ، وساق إليه المهر ، وحُوِّلت إليه عفراءُ وقالت قبل أن يدخُلَ بها : [من الكامل]

يا عُرْوَ إنَّ الحيَّ قد نَقضوا عَهْدَ الإلهِ وحاوَلُوا الغَدْرا

في أبيات طويلة .

فلمّا كان اللّيلُ دخَل بها زَوجُها ، وأقام فيهم ثلاثاً ، ثم ارتَحل بها إلى الشام ، وعمد أبوها إلى قبرٍ عتيقٍ ، فجدَّدهُ وسوّاهُ ، وسأل الحيَّ كتمانَ أمرها .

[يعرف الحقيقة فيرحل إليها]

وقدِم عُروةُ بعد أيّام ، فنعاها أبوها إليه ، وذهب به إلى ذلك القَبرِ ، فمكث يختلفُ إليه أيّاماً ، وهو مُضنًى هالكٌ ، حتى جاءته جاريةٌ من الحيِّ فأخبرتْه الخبر . فتركهُم وركب بعضَ إبله ، وأخذ معه زاداً ونفقةً ، ورحل إلى الشّام فقدمها ، وسأل عن الرجل فأُخبِر به ، ودُلَّ عليه ، فقصدهُ وانتسب له إلى عدنان ، فأكرمَه وأحسن ضيافتَه . فمكث أيّاماً حتى أنِسُوا به ، ثم قال لجاريةٍ لهم : «هل لكِ في يدٍ تولينيها ؟» قالت : نعم . قال : تدفَعين خاتمي هذا إلى مولاتك . فقالت : سَوْأة لك ، أما تستحي لهذا القول ؟ فأمسك عنها ، ثم أعاد عليها وقال لها : ويحك ! هي والله بنتُ عمِّي ، وما أحدٌ منّا إلاّ وهُو أعزُّ على صاحِبِه من النّاس جميعاً ، فاطرحي هذا الخاتم في صبوحِها[2] ، فإذا أنكرتْ عليكِ فقولي لها : اصطبح ضيفُك قبلَك ، ولعلَّه سَقَطَ مِنهُ . فرقّت الأمَةُ وفعلتْ ما أمَرها به .

فلمّا شَرِبَتْ عفراءُ اللبنَ رأت الخاتمَ فعرفَتْه ، فشَهَقَت ، ثم قالت : اصدُقيني عن الخبر ، فصدَقتْها . فلمّا جاءَ زوجُها قالت له : أتدري مَن ضيفُك هذا ؟ قال : نعم ، فلان بن فلان ، للنَّسب الذي انتَسَبَ له عُروة . فقالت : كلا والله يا هذا ، بل هو عُروة بن حِزام ابنُ عمِّي ، وقد كَتم نفسَه حَياءً مِنكَ .

---

1 ل : فآذنته واستصحبت معه .

2 ل : في صحنها .

وقال عمرُ بن شَبَّة في خبره : بل جاءَ ابنُ عمٍّ له فقال : أَتركتُمْ هذا الكلب الذي قد نَزَل بِكم هكذا في دارِكم يفضَحُكم ؟ فقال له : ومَن تعني ؟ قال : عُروةُ بن حزام العُذْريُّ ضيفُك هذا . قال : أوَ إنّه لعروةُ ؟ بل أنتَ والله الكلبُ ، وهو الكَريمُ القَريبُ .

قالوا جميعاً : ثم بعَث إليه فدَعاه ، وعاتَبهُ على كتمانِه نفسه إيَّاه ، وقال له : بالرحْب والسَّعَةِ ، نشدتُك اللهَ إن رِمْتَ[1] هذا المكان أبداً ، وخرج وتركَهُ مع عفراءَ يتحدَّثان . وأوصى خادِماً له بالاستماع عليهما ، وإعادة ما تسمَعُه منهُما عَليه ، فلمّا خَلَوا تشاكَيا ما وَجَدا بعد الفِراقِ ، فطالت الشّكوى ، وهو يبكي أحَرَّ بكاءٍ ، ثم أتَتْه بشرابٍ وسألَتْه أن يشربَه . فقال : والله ما دَخل جَوفي حَرامٌ قطُّ ، ولا ارتكبتُه منذُ كنتُ ، ولو استحلَلْتُ حراماً لكنتُ قد استحللتُه منكِ ، فأنتِ حظِّي من الدُّنيا ، وقد ذَهَبْتِ منّي ، وذَهَبتُ بعدَكِ فما أعِيشُ ! وقد أجملَ هذا الرجلُ الكريمُ وأحسنَ ، وأنا مستحيي منه ، وواللهِ لا أُقيمُ بعد علمهِ مكاني ، وإنّي عالِمٌ أنّي أرحلُ إلى مَنيَّتي . فبكتْ وبكى ، وانصرف .

[حمل نفسه على اليأس]

فلمّا جاءَ زوجها أخبره الخادم بما دار بينهما ، فقال : يا عفراء ، امْنعي ابن عمِّك من الخروج . فقالت : لا يمتنع ، هو واللهِ أكرمُ وأشدُّ حياءً من أن يُقيمَ بعدَ ما جَرى بينكما ، فدعاهُ وقال له : يا أخي ، اتَّقِ اللهَ في نفسِك ، فقد عرَفتُ خبرَكَ ، وإنّكَ إن رَحَلت تلِفْتَ ، وواللهِ لا أمنعُكَ من الاجتماع معها أبداً ، ولئنْ شِئتَ لأفارقَنَّها ولأنزلَنَّ عنها لك . فجزاهُ خيراً ، وأثنى عليه ، وقال : إنّما كان الطّمعُ فيها آفتي ، والآن قد يئِستُ وقد حملتُ نفسي على اليأس والصّبر ، فإنَّ اليأس يُسْلي ، ولي أمورٌ ، ولا بُدَّ لي من رجوعي إليها ، فإن وَجدتُ منْ نفسي قوّةً على ذلكَ ، وإلاّ رَجعتُ إليكم وزُرتكم ، حتى يقضيَ اللهُ من أمري ما يشاءُ . فزوَّدوه وأكرمُوه وشيَّعوه ، فانصرفَ . فلمّا رَحَل عنهم نُكِسَ بعد صلاحهِ وتماثُلِه ، وأصابَهُ غَشْيٌ وخفقانٌ ؛ فكان كلّما أُغمِيَ عليه أُلْقِي على وجهِهِ خِمارٌ لعفراءَ زوَّدتْه إيَّاهُ ؛ فيُفيق .

[هو وعرّاف اليمامة]

قال : وَلقيهُ في الطريق ابنُ مكحولٍ عَرَّافُ اليمامة ، فرآه وجلس عنده ؛ وسأله عمّا به ؛ وهل هو خَبَلٌ أو جُنونٌ ؟ فقال له عُروةُ : ألكَ عِلمٌ بالأوجاع ؟ قال : نعمْ ؛ فأنشأَ يقول[2] : [من الطويل]

1 رمت المكان : بارحته .

2 هذه الأبيات من القصيدة الثانية في مجموع شعره : 28–31 .

وما بيَ من خَبْلٍ ولا بِي جِنَّةٌ ولكنَّ عمّي يا أُخَيَّ كذُوبُ[1]
أقولُ لعَرَّافِ اليمامة داوني فإنَّكَ إنْ داويتني لَطبيبُ[2]
فواكَبِدا أَمْسَت رُفاتاً كأنَّما يلذّعُها بالمُوقِداتِ طبيبُ
عَشيَّةَ لا عَفراءُ منْكَ بعيدةٌ فَتَسْلو ولا عَفْراءُ مِنكَ قريبُ[3]
عشيّة لا خلفي مَكَرٌّ ولا الهوى أمامي ولا يَهوَى هوايَ غَريبُ
فواللهِ لا أَنساكِ ما هبَّت الصَّبا وما عقَّبتْها في الرِّياحِ جَنُوبُ
وإنّي لتَغْشاني لذِكراكِ هِزّةٌ لها بينَ جلدِي والعِظامِ دَبيبُ[4]

وقال أيضاً يخاطب صاحبيه الهلاليّين بقصَّته : [من الطويل]

خليلَيَّ من عُليا هلالِ بن عامرٍ بصَنْعاءَ عُوجا اليومَ وانتظِراني
ولا تزهَدا في الذُّخْرِ عندي وأَجمِلا فإنَّكما بي اليومَ مُبتلِيانِ
أَلِمّا على عفراءَ إنّكما غداً بوَشْك النَّوى والبَيْنِ معترفانِ
فيا واشِيَي عَفراءَ ويحكما بمَنْ وما وإلى مَنْ جِئتما تشِيانِ
بمَنْ لو أَراهُ عانياً لفدَيتُه ومَنْ لو رآني عانياً لفَداني
مَتى تكشِفا عنّي القميصَ تَبيَّنا بِيَ الضُّرَّ من عفراءَ يا فتَيانِ
إذن تَرَيا لحماً قليلاً وأَعظُماً بَلِينَ وقلباً دائمَ الخفقانِ
وقد تركَتني لا أَعي لمحدِّثٍ حديثاً وإن ناجيتُه ونجاني
جعلتُ لعرّاف اليمامةِ حُكمَه وعرّافِ حَجْرٍ إن هما شفياني
فما تَرَكا من حيلةٍ يعرفانها ولا شَرْبةٍ إلاّ وقد سَقَياني
ورَشّا على وجْهي من الماء ساعةً وقاما مع العُوّاد يبتدِرانِ
وقالا : شفاكَ اللهُ واللهِ ما لنا بما ضُمِّنت منكَ الضّلوعُ يدانِ
فوَيْلي على عفراءَ ويلاً كأنَّهُ على الصَّدْر والأَحشاء حدُّ سِنانِ

---

1 شعره : عمي الحميري .
2 شعره : وقلت . . . فإنك إن أبرأتني .
3 شعره :
عشية لا عفراء دان مزارها فترجى ولا عفراء منك قريب
4 شعره : لتغشاني لذكراك رعدة .

أُحِبُّ ابنةَ العُذريِّ حُبّاً وإن نأتْ ودانيتُ فيهـا غيرَ مـا مُتداني

صوت

إذا رامَ قلبي هجْرَها حال دُونه شَفيعانِ مـن قلبي لهـا جَدِلانِ

غنّته شاريةُ ؛ ولحنُه من الثقيل الأوّل :

إذا قُلْتُ : لا ، قالا : بَلى ، ثمّ أُصْبَحا جَميعـاً على الـرأي الذي يَريَانِ

تحمَّلتُ من عَفراءَ ما ليسَ لي به ولا للجِبـال الرَّاسيـاتِ يَدانِ

فيا رَبِّ أنتَ المستعانُ على الذي تحمَّلتُ مـن عفـراءَ منذُ زمانِ

كأنَّ قَطـاةً عُلِّقَـتْ بجَناحِهـا على كَبِدي مـن شِدَّةِ الخفقانِ

في : تحمَّلتُ من عَفراءَ . . . .

والذي بعده ، ثقيلٌ أوَّل ، يقال إنّه لأبي العنبس بن حَمدون .

[عفراء ترثيه]

قال : فلم يزلْ في طريقِه حتى ماتَ قبلَ أن يصِلَ إلى حيِّه بثلاثِ ليالٍ . وبلغ عفراءَ خبرُ وفاته ، فجَزِعَتْ جَزعاً شديداً ، وقالت ترْثيه : [من الطويل]

ألا أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ ويحكم بحـقٍّ نَعَيْتُم عُروةَ بـنَ حِزامِ

فلا تهنـأ الفِتيانَ بعدكَ لَذَّةٌ ولا رجعُوا مـن غَيْبَةٍ بسَلامِ

وقل للحَبالى لا تُرجِّيـنَ غائباً ولا فَرِحـاتٍ بعـدَهُ بغُلامِ

قال : ولم تزلْ تردِّدُ هذه الأبياتَ وتندُبه بها ، حتى ماتت بعده بأيّامٍ قلائلَ .

وذكَر عُمَر بن شَبَّة في خَبره : أنّه لم يعلمْ بتزويجها حتى لقي الرُّفقةَ التي هي فيها ، وأنّه كان توجَّه إلى ابن عمٍّ له بالشّام ، لا باليمن[1] ، فلمّا رآها وقَف دَهِشاً ، ثم قال : [من الطويل]

فمـا هـي إلاّ أن أراهـا فجاءَةً فأُبْهَـتَ حتـى مـا أكادُ أجيبُ

وأُصْدِفُ عن رأيي الذي كُنت أرتأي وأنسى الذي أزْمَعتُ ، حين تغيبُ[2]

ويُظهِـرُ قلبـي عُذرَهـا ويُعينُهـا عـليَّ فمـا لي في الفـؤادِ نَصيبُ

وقـد علِمتْ نفسي مكـانَ شِفائها قريباً ، وهـل مـا لا يُنالُ قريبُ ؟

---

1 ل : لا بالري .

2 شعره : وأصرف .

حَلفتُ بربٍّ السَّاجدينَ لربِّهم خُشوعاً ، وفوقَ السَّاجدينَ رَقيبُ
لئن كان بَردُ الماء حرَّانَ صادياً إليَّ حَبيباً إنَّها لحَبيبُ

وقال أبو زيد في خبره : ثم عادَ من عندِ عفراءَ إلى أهله ، وقد ضَني ونَحَل . وكانت له أخواتٌ وخالةٌ وجدَّة ، فجعلنَ يعِظْنهُ ولا ينْفعُ ، وجئن بأبي كُحيلةَ رباح بن شدَّاد مولى بني ثُعَيْلة ، وهو عرّاف حَجْر ، ليداويَه فلم ينفعْهُ دواؤه .

وذكر أبو زيد قصيدتَه النُّونيّة التي تقدَّم ذكرُها وزاد فيها : [من الطويل]

وعينانِ ما أُوفَيتُ نشْزاً فتنظُرا مآقيهما إلاّ هما تَكِفانِ
سِوى أنَّني قد قلتُ يوْماً لصاحبي ضُحًى وقَلُوصانا بنا تخدِانِ
ألا حبّذا من حُبِّ عفراءَ وادياً نَعامٌ وبُزْلٌ حيثُ يلتقيانِ

وقال أبو وزيد : وكان عُروةُ يأتي حِياضَ الماء التي كانت إبلُ عفراءَ ترِدَها فيُلصِقُ صدرَه بها ، فيقال له : مَهلاً ، فإنَّكَ قاتِلٌ نفسَك ، فاتَّقِ الله . فلا يقبل ، حتى أشرفَ على التَّلفِ ، وأحسَّ بالموتِ .

فجعل يقول[1] : [من الطويل]

بِيَ اليأسُ والدَّاءُ الهُيامُ سُقِيتُه فإيَّاكَ عنِّي لا يكُنْ بك ما بِيا

[روايات أخرى في وفاته]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشون ، عن أبي السَّائبْ قال : أخبرني ابنُ أبي عَتِيق قال : واللهِ إنِّي لأسيرُ في أرض عُذْرة إذا بامرأةٍ تحمل غلاماً جَزْلاً ، ليس يُحمَلُ مثلُه ، فعجِبتُ لذلك ، حتى أقبلَتْ به ، فإذا له لحيةٌ ، فدعوتُها فجاءَت ، فقلتُ لها : ويحكِ ! ما هذا ؟ فقالت : هل سمعتَ بعروةَ ابن حزام ؟ فقلت : نعم ، قالت : هذا واللهِ عروةُ . فقلت له : أنت عروة ؟ فكلّمني وعيناه تذرِفان وتدوران في رأسه ، وقال : نعم أنا واللهِ القائل : [من الطويل]

جَعلتُ لعرَّافِ اليمامةِ حُكمَهُ وعرَّافِ حَجْرٍ إن هما شفَياني
فقالا : نعم نَشفي من الدَّاء كُلِّه وقاما مع العُوَّادِ يَبْتدِرانِ
فعَفْراءُ أحظى النّاسِ عندي مَوَدَّةً وعَفْراءُ عنِّي المُعْرِضُ المُتَواني

1 لم يرِد البيت في مجموع شعره .

قال : وذهبت المرأةُ ، فما بَرِحتُ من الماء حتى سمعتُ الصَّيحةَ ، فسأَلتُ عنها ، فقيل : ماتَ عُروةُ بنُ حزامٍ .

قال عبدُ الملك : فقلت لأَبي السائب : ومن أيِّ شيءٍ مات ؟ أَظنُّه شرِق ، فقال : سخُنت عيناك ، بأيِّ شيءٍ شرِق ؟ قلت : بريقه ، وأنا أُريد العبثَ بأبي السائب ، أفترى أحداً يموتُ من الحبِّ ؟ قال : واللهِ لا تُفلحُ أبداً ، نعم يموتُ خوفاً أن يتوبَ اللهُ عليه !

أُخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا الكرانيُّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديٍّ ، عن هشام بن عروةَ ، عن أبيه ، عن النعمانِ بن بشير قال : ولاّني عثمانُ ، رضي الله عنه ، صَدقاتِ سعد هُذَيْمٍ ، وهم : بليٌّ ، وسَلامانُ وعُذرةُ ، وضَبَّةُ بن الحارثِ ، ووائلٌ : بنو زيد ، فلمّا قبضتُ الصدقَة قسّمتُها في أهلها ، فلمّا فرغتُ وانصرفتُ بالسهمين إلى عثمان ، رضي الله عنه ، إذا أنا ببيتٍ مُفرَدٍ عن الحيِّ ، فمِلتُ إليه ، فإذا أنا بفتًى راقدٍ في فناء البيت ، وإذا بعَجُوزٍ من ورائه في كِسْرِ البيتِ ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ بصوتٍ ضعيفٍ ، فسألتُه : ما لك ؟ فقال[1] : [من الطويل]

كأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجناحهـــا على كَبِدي من شدَّةِ الخَفقانِ

وذكر الأبيات النونيّة المعروفةَ ، ثم شهَق شَهقةً خفيفةً كانت نفسُه فيها . فنظرتُ إلى وجهه فإذا هو قد قَضى فقلت : أيّتُها العجوزُ ، مَن هذا الفتى منكِ ؟ قالت : ابني ، فقلت : إنِّي أراه قد مضى . فقالت : وأنا واللهِ أرى ذلك . فقامت فنظرتْ في وجهه ثم قالت : فاظ وربِّ محمدٍ ، فقلت لها : يا أُمَّاه ، مَن هو ؟ فقالت : عُروةُ بن حزام ، أحدُ بني ضبَّة ، وأنا أُمُّه . فقلت لها : ما بلغ به ما أرى ؟ قالت : الحبُّ ، واللهِ ما سمعتُ له منذ سنَةٍ كلمةً ولا أنّةً إلاّ اليومَ ، فإنّه أقبل عليّ ثم قال : [من البسيط]

مَـــن كان مِن أُمَّهاتي باكيـــاً أبداً فاليومَ إنِّي أُراني اليـــومَ مَقبوضا
يُسْمِعْنَنيهِ فإنِّـــي غيرُ سامعــــهِ إذا علوتُ رقابَ القـومِ مَعْروضا

قال : فما بَرِحتُ من الحيِّ حتى غسَّلته ، وكفَّنتُه ، وصلَّيتُ عليه ، ودفَنتُه .

[رواية أخرى في وفاة عفراء]

وذكر أبو زيد عمر بن شَبَّة في خبره ، هذه القصَّةَ عن عُروة بن الزُّبير ، فقال هذين البيْتين بحضرته :

---

1 شعره : 32 .

مَن كان من أخواتي باكياً أبداً . . . .

قال : فحضرنه فبرزْنَ ، واللهِ ، كأنّهنّ الدُّمى ، فشققْنَ جُيوبَهُنَّ ، وضرَبنَ خُدودهُنَّ ، فأبكَين كلَّ مَن حضَر . وقضى من يومه .

وبلغ عفراء خبرُه ، فقامتْ لزوجها فقالتْ : يا هَناه ، قد كان من خيرِ ابن عمِّي ما كان بَلَغك ، وواللهِ ما عرفتُ منه قطُّ إلاّ الحسنَ الجميلَ ، وقد مات فيّ وبِسَبَبي ، ولا بُدَّ لي من أن أندُبَه وأُقيمَ مأتماً عليه . قال : افْعلي . فما زالت تندُبه ثلاثاً ، حتى تُوُفِّيت في اليوم الرابع .

وبلغ معاويةَ بن أُبي سُفيانَ خبرهُما ، فقال : لو علمتُ بِحال هَذيْن الحُرَّيْن الكريمَيْنِ لجمعتُ بينَهُما .

ورُوِي هذا الخبر عن هارونَ بن موسى القرويّ ، عن محمد بن الحارث المخزوميّ ، هم هشام بن عبدِ الله ، عن عِكرمة ، عن هشام بن عروةَ عن أبيه ، أنّه كان شاهداً ذلك اليومَ . ولم يذكر النُّعمانَ بن بشير في خبره .

[طلب عفراء بعد أن رفضها]

وذكر هارون بن مسلمة عن غُصَيْن بن بَرَّاق ، عن أُمّ جميلٍ الطائيَّةِ : أنّ عفراءَ كانت يتيمةً في حِجْرِ عمِّها عمِّه ، فعرَضَها عليه فأباها ، ثم طال المَدى ، وانصرف عروةُ في يوم عيدٍ ، بعد أن صلَّى صلاةَ العيدِ ، فرآها وقد زُيِّنَت ، فرأى منها جمالاً بارعاً ، وقدَّمَت له تُحفةً فنال منها وهو ينظر إليها ، ثم خطبها إلى عمِّه فمنَعه ذلك ، مكافأةً لما كان من كراهَتِهِ لها لمّا عرضها عليه ، وزوَّجها رجلاً غيره فخرج بها إلى الشام ، وتَمادى في حبِّها حتى قتله .

حدَّثنا محمد بن خَلَف وَكِيع قال : حدَّثنا عبدُ الله بن شَبيب قال : حدَّثنا أبو بكر بن أُبي شَيْبة وغيرُه ، عن سليمانَ بن عبد العزيز بن عمران الزُّهريِّ قال : حدَّثني خارجةُ المكِّيُّ : أنّه رأى عُروةَ بن حزامٍ يُطافُ به حولَ البيت . قال : فدَنَوتُ منه ، فقلت : مَن أنتَ ؟ فقال : الذي أقول : [من الطويل]

أَفي كلِّ يـومٍ أَنتَ رامٍ بلادَها ... بعينـينِ إنساناهُمـا غَرِقـانِ
أَلا فاحمِلاني باركَ اللهُ فيكُما ... إلى حاضر الرَّوْحاء ثم ذَراني

فقلتُ له : زِدني ، فقال : لا واللهِ ولا حرفاً .

[يقتله الحبّ عند ابن عبّاس]

أخبرني عليٌّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني أبو سعيدٍ السكَّريُّ قال : حدَّثني محمدُ بن حبيب قال : ذكر الكلبيُّ ، عن أبي صالح ، قال : كنتُ مع ابنِ عبّاسٍ بعرفَة ، فأتاه فِتيانٌ يحملون بينهم فتًى لم يبقَ منه إلاّ خيالُه ، فقالوا له : يا ابنَ عمِّ رسولِ الله ، ادْعُ له ! فقال : وما به ؟ فقال الفتى : [من الطويل]

بِنا من جَوى الأحزانِ في الصدرِ لوْعةٌ ... تَكادُ لها نَفْسُ الشَّفِيقِ تذوبُ
ولكنَّما أبقى حُشاشةَ مُعْوِلٍ ... على ما به عُودٌ هناكَ صَلِيبُ

قال : ثم خَفَتَ في أيديهم فإذا هو قد مات .

فقال ابنُ عبّاسٍ :

هذا قتيلُ الحبِّ لا عَقْلٌ ولا قَود

ثم ما رأيتُ ابن عبّاس سأل الله ، جلَّ وعزَّ ، في عشيَّته إلاّ العافيةَ ، ممّا ابتُليَ به ذلك الفَتى . قال : وسألْنا عنه فقيل : هذا عُروةُ بنُ حزام .

صوت[1]

[من الطويل]

أعاليَ أعلى اللهُ جَدَّكِ عاليا ... وأسقى بَريَّاكِ العِضاهَ البواليا
أعاليَ ما شمسُ النّهارِ إذا بَدَتْ ... بأحسنَ مِمَّا تحتَ بُرْدَيْكِ عاليا
أعاليَ لو أنَّ النساءَ ببَلدَةٍ ... وأنتِ بأخرى لاتَّبعتُكِ ماضيا
أعاليَ لو أشْكو الذي قد أصابني ... إلى غُصُنٍ رَطْبٍ لأصبح ذاويا[2]

الشعر للقَتَّال الكِلابيّ .

وقد أدخل بعضُ الرُّواة الأوَّلَ من هذه الأبياتِ مع أبياتِ سُحَيم عَبْدِ بني الحَسْحاس التي أوّلُها :

فما بيضةٌ بات الظَّليمُ يحُفُّها[3]

في لحنٍ واحدٍ . وذكرتُ ذلك في موضعِه ، وأفردتُه على حِدَتِه ، وأتيتُ به على حقيقَتِه .

---

1 ديوان القتال الكلابي : 94 .

2 ذاويا في الديوان : باليا .

3 تمام البيت : ويرفع عنها جؤجؤاً متجافياً وقد تقدم شعر سحيم في ترجمته .

والغناءُ لابن سُرَيج ، ثاني ثقيل بالسبّابةِ في مجرى الوُسْطى . وذكر الهِشاميُّ أنّ فيه لأبي كامل ثانيَ ثَقيل ، لا أدري أهذا يعني أم غيره . ووافَقَه إبراهيمُ في لحن أبي كامل ولم يُجَنِّسه ، وزعَم أنّ فيه لحناً آخر لابن عبّاد ، وفيه ثقيلٌ أوّلُ ، ذكر ابن المكّيّ أنّه لمعْبَدٍ . وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى منحولٌ إلى مَعْبدٍ . وذكر حَبَشٌ أنّه لطُوَيس .

وفي هذه القصيدةِ يقول القتّالُ : [من الطويل]

أعـــاليَ أخـــتَ المالكيِّـين نَوِّلي ... بمـــا ليس مَفقوداً وفيـه شفائيا
أصارِمَتـي أُمُّ العَلاء وقــد رَمى ... بـيَ النّاسُ في أُمِّ العـلاءِ المرامِيا
أيـا إخوتــي لا أُصبِحَنْ بمُضِلَّةٍ ... تُشِيبُ إذا عُــدَّتْ عليَّ النَّواصِيا
فرادِ لدَيْكَ القومَ واشعبْ بحقِّهم ... كما كنتَ لـو كنتَ الطَّرِيدَ مُرادِيا[1]
وشمِّرْ ولا تجعلْ عليكَ غَضاضةً ... ولا تنسَ يـا ابنَ المَضرحيّ بلائيا

ولهذه القصيدةِ أخبارٌ تُذكَر في مواضِعها هاهُنا إن شاء الله تعالى .

---

1 الديوان : وأتبعته فيكم إذا كان حقهم . وراد : فعل أمر من راد بمعنى راود .

[535] ـ أخبار القتال ونسبه[1]

[نسبه]

القتّال لقبٌ غَلَب عليه ، لتمرُّدِه وفَتكِه . واسمه : عبد الله بن المُضَرَّحِيّ بن عامر الهَصَّان بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة . ويكنى أبا المُسيَّب ، وأُمّه عَمْرة بنتُ حُرَقة بن عوف بن شدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب . وقد ذكرها في شعره وفَخَر بها ، فقال : [من الطويل]

لقـد وَلَدَتْنـي حُـرَّةٌ رَبَعيَّـةٌ   من اللاء لم يحضُرْنَ في القَيْظِ ذِبْذِبا[2]

[قتل أخا عالية وهرب]

نسختُ من كتاب لمحمد بن داوُد بن الجَرَّاح خبره ، وذكر أنَّ عبد الله بن سليمان السِّجِستانيّ دَفَعَه إليه وأخبره أنّه سَمِعَه من عُمَر بنِ شَبّةَ وأجاز له روايتَه ، وأخبرني بأكثرِ روايةِ عمر بن شَبَّة هذه الأخفشُ عن السّكريِّ عنه في أخبار اللُّصُوص وجمعتُ ذلك أجمع .

قال عمر بن شبَّة : حدَّثني حُمَيد بن مالِك بن يسار المِسْمعيّ قال : حدَّثني شدَّاد بن عُقبة بن رافع بن زَمْل بن شُعَيب بن الحارث بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلابٍ . وكانت أُمُّ رافع جنوبَ بنتَ القتّال .

وحدَّثني شيخٌ من بني أبي بكر بن كِلاب ، يكنى أبا خالد ، أيضاً بحديث القتّال ، قال أبو خالد : كان القتّالُ ، قتّالُ ربيعةَ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، يتحدَّث إلى ابنة عمٍّ له يقال لها العاليةُ بنت عبيد الله . وكان لها أخٌ غائِبٌ يقال له : زياد بن عُبَيد الله . فلمّا قَدِمَ رأى القتّالَ يتحدَّث إلى أُخته ، فنهاهُ وحلف : لئن رآه ثانيةً ليقتُلَنَّه . فلمّا كان بعد ذلك بأيّامٍ رآهُ عندها ، فأخذ السيف وبَصُرَ به القتّال ، فخرج هارباً ، وخرج في إثره ، فلمّا دنا منه ناشده القتّالُ باللهِ والرحمِ ، فلم يلتفت إليه . فبينا هو يسعى ، وقد كاد

---

1 ترجمة القتال الكلابي في الشعر والشعراء : 594–595 والمؤتلف : 252 وخزانة البغدادي والسمط : 12 وأسماء المغتالين : 303 وألقاب الشعراء : 312 والمحبر لابن حبيب : 213 ، 226 ونسب قريش : 219 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد حقق إحسان عبّاس ديوانه (بيروت ، 1961) بمقدمة ضافية وتخريج كثير ، وإليه نشير .

2 ذبذبا في الديوان : دندنا . ودندن : الخشب اليابس إذا اسودّ من القدم . وذبذب : ركية في ديار أبي بكر بن كلاب .

يلحَقُه ، وَجد القتال رُمْحاً مَرْكوزاً ، وقال السكريّ : وجد سَيفاً ، فأَخذه وعطف على زيادٍ فقَتلَه ، وقال[1] : [من الطويل]

نَهَيــتُ زيــاداً والمَقامةُ بيننا وذكرتُه أَرحامَ سِعْرٍ وهَيْثَمِ[2]
فلمَّا رَأيــتُ أَنَّه غيرُ مُنتــهٍ أَمَلْـتُ لــه كفِّي بلَدْنٍ مُقوَّمِ
ولـمّـا رأيــتُ أَنَّني قد قَتَلْتُه نَدِمْــتُ عليــه أيَّ ساعةِ مَندمِ

وقال أَيضاً[3] : [من الطويل]

نَهيــتُ زيــاداً والمَقامــةُ بيننــا وذكرتُـــه باللهِ حَــوْلاً مُجَرَّمـا
فلمَّـــا رأيــتُ أَنَّهُ غيرُ مُنْتَــهٍ ومــولايَ لا يَــزْدادُ إلاّ تقدُّما
أَمَلْــتُ لــه كفِّــي بأَبيضَ صارمٍ حُسامٍ إذا ما صادَفَ العَظْمَ صَمَّما
بكفِّ امرىءٍ لم تَخْدُمِ الحيَّ أُمُّه أَخي نجــداتٍ لم يكنْ مُتَهضَّما[4]

ثم خرج هارباً ، وأَصحاب القَتيل يطلبُونه ، فمرَّ بابنة عمٍّ له تُدْعَى زينب ، مُتَنَحِّيةٍ عن الماء ، فدخل عليها ، فقالت له : وَيْحَكَ ! ما دَهاك ؟ قال : أَلقي عليَّ ثيابَكِ ! فأَلْقَتْ عليه ثيابَها ، وألبسَتْه بُرْقُعَها ، وكانت تمسُّ حِنَّاءً ، فأخذ الحِنّاءَ فلطَّخ بها يَدَيْه وتنحَّتْ عنه ، ومَرَّ الطَلَبُ به ، فلمّا أتوا البيت قالوا وهم يظنُّونَ أنّه زينب ؟ : أين الخَبيثُ ؟ فقال لهم : أَخَذ هاهنا ، لغير الوجهِ الذي أراد أن يأخُذه . فلمّا عرف أن قد بَعُدوا أخَذ في وجهٍ آخرَ ، فلَحِقَ بعَمايةَ ، وعمايةُ جَبلٌ ، فاستَتَر فيه ، وقال في ذلك[5] : [من الطويل]

فمــنْ مُبْلِغٌ فِتيانَ قومــيَ أَنَّني تسمَّيْتُ لَمّـا شبَّت الحَرْبُ زَيْنَبا[6]
وأَرخيتُ جِلْبابي على نبْت لِحْيتي وأَبديتُ للنَّــاسِ البَنــانَ المخضَّبا

وقال أَيضاً[7] : [من الطويل]

1 ديوان القتال : 89 .
2 نهيت في الديوان : نشدت ، أي استحلفت . والمقامة بيننا : وأَهل المجلس بيننا حاضرون (عن التبريزي) . وسعر وهيثم : رجلان .
3 ديوانه : 90 .
4 متهضما : تهضم حقوقه وهو ساكن .
5 ديوان القتال : 35 .
6 الديوان : ألا هل أَتى فتيان قومي .
7 ديوانه : 45 .

جَزى اللهُ عَنَّا والجزاءُ بكفِّهِ عَمايــةَ خيراً أُمَّ كلِّ طريدِ[1]
فما يزدهِيها القومُ إنْ نزلُوا بها وإن أُرسل السُّلطانُ كلَّ بَريدِ
حَمَتْنيَ منها كلُّ عَنقاءَ عَيْطَلٍ وكلُّ صفاً جَمّ القِلاتِ كَؤودِ[2]

فمكث بعمايةَ زماناً يأتيه أخٌ له بما يحتاجُ إليه ، وألِفَه نَمِرٌ في الجبَلِ كان يأوي مَعه في شِعْبٍ .

[مصاحبة النمر]

وأخبرني عبدُ الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمدُ بن حَبيب ، عن ابن الكلبيّ ، قال : كان القتّالُ الكِلابيُّ أصابَ دماً ، فطُلِب به ، فهرب إلى جبَل يقال له عَماية ، فأقام في شعبٍ مِن شِعابِهِ ، وكان يأوي إلى ذلك الشِّعب نَمِرٌ ، فراح إليه كعادتِه ، فلمّا رأى القتّالَ كشَرَ عن أنيابه ، ودلع لسانَه فجرد القتّال سيفَه من جَفنِه ، فردَّ النمرُ لسانه ، فشام القتّال سيفَه ، فربَض بإزائه ، وأخرج براثنه ، فَسَلَّ القتّالُ سهامَه من كِنانتِه ، فَضَرَب بيدِهِ وزأر ، فأوْتر القتّالُ قوسَه ، وأنبض وترها ، فسكن النَّمِرُ وألِفَه .

فقال ابنُ الكلبيِّ في هذا الخبر ، ووافقه عمر بن شبَّة في روايته : كان النمر يصْطادُ الأَرْوى فيجيءُ بما يَصْطاده ، فيُلقيه بين يدي القتّال ، فيأخُذ منه ما يقُوته ، ويُلقي الباقي للنَّمر فيأكلُه . وكان القتّال يخرجُ إلى الوحْش فيرمي بنبْله ، فيُصيب منه الشيءَ بعد الشيءَ ، فيأتي به الكهف ، فيأخُذُ لِقُوته بعضَه ، ويلقي الباقي للنَّمر . وكان القَتّالُ إذا وَرَدَ الماءَ قام عليه النَّمرُ حتى يشْربَ ، ثم يتَنَحَّى القتّالُ عنه ويَرِدُ النَّمِرُ ، فيقُومُ عليه القتّالُ حتى يشْرب . فقال القتّال في ذلك من قصيدة له[3] : [من الطويل]

ولي صاحبٌ في الغارِ يعْدِلُ صاحباً أَبــا الجـوْن إلاَّ أنّــه لا يُعَلَّلُ

أبو الجوْن : صديق له كان يأنس به ، فشبهه به . وفي رواية عمر بن شَبَّة : أخي الجون ، فإنَّ القتّال كان له أخ اسمه الجوْنُ ، فشبَّههُ به :

كِلانــا عــدُوٌّ لا يَرى في عَدُوِّه مَهَزّاً وكُــلٌّ في العَداوةِ مُجمِلُ[4]

1 عماية : جبل بنجد .
2 عنقاء : صفة للهضبة لارتفاعها . والعيطل : الهضبة الطويلة . والصفا : الصخر الأملس والقلات : جمع قلت ، وهي النقرة في الجبل .
3 ديوان القتال : 77–78 مع اختلاف في الترتيب .
4 مهزّاً في الديوان : محزاً .

إذا مـا التَقَيْنا كان أُنْسُ حَدِيثِنا ... صِماتاً وطَرْفٌ كالمَعابِـلِ أُطْحَلُ[1]

لنـا مَـوْرِدٌ قَلْتٌ بأَرْضٍ مَضَلَّةٍ ... شَرِيعَتُنـا : لأَيِّنـا جـاءَ أَوَّلُ[2]

تَضَمَّنَت الأَرْوى لنـا بِشِوائِنـا ... كِلانا لـه منها سَديفٌ مُخَرْدَلُ[3]

فأَغْلِبُـه في صَنْعَـةِ الزَّادِ إنَّنـي ... أُمِيطُ الأَذى عنـه ومـا إنْ يُهَلِّلُ

أي ما يسمِّي اللهَ تعالى عند صَيْدِه .

[وليمة كاذبة]

أخبرني اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي الفضلُ عن إسحاقَ الموصليّ ، وأخبرني به محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ ، عن الفضل ، عن إسحاق . وأخبرني به وَسواسة بن الموصليّ عن حمّادٍ ، عن أبيه ، قال : قال أبو المجيب أو شدّاد بن عقبة : دعا رجلٌ من الحيّ يقال له أبو سفيان القتّالَ الكلابيَّ إلى وَليمةٍ ، فجلس القتّال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى انتَصف النّهار ، وكانت عنده فِقرة من حُوار ، فقال لامرأته[4] : [من الطويل]

فـإنَّ أَبا سُفيانَ ليس بمُـولِمٍ ... فقُومي فهاتي فِقْرةً من حُوارِكِ

قـال إسحاق : فقلتُ لـه : ثمَّ مَـهْ ؟ قال : لم يأتِ بعده بشيءٍ ، إنّما أرسَلَه يتيماً . فقلتُ له : لِمَـهْ ؟ أفلا أَزِيدُكَ إليه بيتاً آخرَ ليس بدونِه ؟ قال : بلى ، فقلتُ : [من الطويل]

فبيتُكِ خيْرٌ مـن بيوتٍ كثيرةٍ ... وقِدْرُك خيْرٌ من وليمة جارِكِ

فقال : بأَبي أَنتَ وأُمّي ، والله لقد أَرسلتَه مثلاً ، وما انتظرتَ به العربَ ، وإنكَّ لَبَزُّ طرازٍ ما رأيتُ بالعراق مثله ، وما يُلام الخليفةُ أن يُدنيكَ ويؤْثِرَك ويتملَّحَ بِك ، ولو كان الشَّبابُ يُشتَرى لابْتَعتُه لك بإحدى يدَيَّ ويُمنى عينيَّ ، وعلى أنّ فيكَ بحمد الله بقيّةً تَسُرُّ الودُودَ ، وتُرغِمُ الحسُود .

[كبر وشبّ ولداه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني عمر بن شَبَّة قال : كان للقتّال ابنان ، يقال لأحدهما المسيَّب ، وللآخر عبد السلام ، ولعبد السلام يقول[5] : [من البسيط]

1 المعابل : جمع معبل ، وهو النصل الطويل العريض . وأطحل : بلون الطحال .
2 الديوان : وكانت لنا قلت بأرض مضلة .
3 الديوان : بطعامنا بدل بشوائنا . . . نصيب ومأكل . والسديف : الشحم .
4 ديوان القتال : 72 .
5 ديوان القتال : 53 .

عبدَ السَّلام تأمَّلْ هــل تَرى ظُعُناً إنِّي كَبِرتُ وأَنت اليومَ ذو بَصَرِ
لا يُبعِـدُ اللهُ فِتيانـاً أَقــولُ لهمْ بالأبرقِ الفَرْدِ لَمّـا فاتني نَظَري[1]
أَلا تَــروْنَ بأَعــلى عاصمٍ ظُعُنـاً نكّبْنَ فَحْلَــينِ واستقبَلن ذا بَقَرِ[2]

[يغيظه عدم الطلب بالثأر]

وقال أبو زيد عُمَر بن شَبَّة من رواية ابن داوُد عنه : حدَّثني سَعِيد بنُ مالك قال : حدَّثني شدّاد بن عُقْبة قال : اقتَتل بنـو جَعْفَـر بن كِلاب وبنـو العَجْلان بن كَعْـب بن ربيعة بن صَعْصَعـة ، فقتلت بنو جَعفر بن كلاب رَجُلاً من بني العَجْلان . قال شدّاد : وكانت جـدَّة القتّالِ أُمُّ أبيه عجلانيّةً ، وهي خَوْلـة بنت قيس بن زيـاد بن مالك بن العجلان . فاستبطأ القتّال أخوالَه بني العجلان في الطّلَبِ بثأرِهِم من بني جعفر ، وجعل يحضُّهم ويُحرِّضُهم ، فقال في ذلك ، وقد بلَغَهُ أنّهم أخذُوا من بني جعفر دِيَةَ المقتول ، فعيَّرهم بما فعلوا وقال[3] : [من الطويل]

لعَمْــرِي لحَــيٌّ من عُقَيْلٍ لقيتُهُم بخَطْمَــةَ أو لاقيتُهُــم بالمناسِكِ[4]
عليهمْ مــن الحَــوْكِ اليمانيِّ بِزَّةٌ على أرْحَبِيَّاتٍ طِــوالِ الحَوارِكِ[5]
أَحَبُّ إلى نفسي وأَملحُ عندَهـا منَ السَّرَواتِ آل قيس بنِ مالِكِ
إذا مــا لقيتُمْ عُصْبَةً جعفريَّـةً كرِهتُم بني اللَّكْعاء وقْعَ النيازِكِ[6]
فلستُمْ بأَخْــوالي فــلا تصْلُبُنِّي ولكنَّما أُمِّي لإحــدى العواتِكِ[7]
قِصارُ العِمادِ لا تَــرى سَرَواتِهم مع الوفـد جَثَّامُونَ عنــد المبارِكِ
قُتِلتُم فلمَّــا أن طلبتُــمْ عُقِلْتُــم كذلــكَ يُؤْتــى بالذَّليـلِ كذلكِ

[حكاية اغتيال السجّان]

وقال ابن حبيب : خرج ابنُ هبّار القُرشيُّ إلى الشام في تجارة أو إلى بعض بني أُمَيَّة ،

---

1 فاتني في الديوان : فاتهم .
2 الديوان : يا هل تراءى بأعلى عاصم ظعنٌ .
3 ديوان القتال : 71 .
4 خطمة : جبل يصب رأسه في واد .
5 أرحبيات : نوق منسوبة إلى أرحب . والحوارك : جمع حارك ، وهو الظهر .
6 اللكعاء : الحمقاء . وفي الديوان : وقع السنابك .
7 في الحديث «أنا ابن العواتك بن سليم» . ولعل القتّال يعني أنّ أخواله من سليم وينفي أن يكونوا من بني العجلان (انظر الفائق 3 : 113 واللسان : عتك) .

فاعترضه جماعةٌ فيهم القتّال الكلابيُّ وغيره ، فقتلوه وأخذوا مالَه . وشاع خبره ، فاتُّهم به جماعةٌ من بني كِلاب وغيرهم من فُتّاك العرب ، فأُخِذوا وحُبِسوا ، أخذهم عامل مروانَ بن الحكم ، فوجَّههُم إليه وهو بالمدينة ؛ فحبَسهم ليبحث عن الأمر ، ثم يقْتل قتَلةَ ابن هبّار . فلمّا خَشيَ القتّال أن يُعلم أمرُهُ ، ورأى أصحابه ليس فيهم غَناء ، اغتال السَّجّان فقتله ، وخرج هو ومنَ كان معه من السِّجن فهربوا ، فقال يذكر ذلك[1] : [من الطويل]

أُمَيْمَ أثيبي قبل جِدِّ التَّزيُّل ... أثيبي بوصْلٍ أو بِصُرْمٍ مُعَجَّلِ[2]
أُمَيْم وقد حُمِّلْتُ ما حُمِّلَ امْرُؤٌ ... وفي الصُّرْم إحْسانٌ إذا لم تُنَوِّلي[3]

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

وإنّي وذكري أُمَّ حَسّانَ كالفتى ... متى ما يذُقْ طَعْمَ المُدامة يَجْهلِ[4]
ألا حبّذا تلك البلادُ وأهلها ... لو انَّ عذابي بالمدينة ينْجلي[5]
برزتُ لها من سِجْن مرْوان غُدوةً ... فآنستُها بالأَيْم لم تتحوّلِ[6]
وآنستُ حَيّاً بالمطالي وجامِلاً ... أبابيلَ هَطْلى بين راعٍ ومُهملِ[7]
نظرتُ وقد جَلّى الدُّجى طامِسَ الصُّوى ... بسِلْعٍ وقَرْنُ الشمسِ لم يترجَّلِ[8]
وشُبَّتْ لنا نارٌ للَيْلى صباحه ... يُذَكّى بعُودٍ جَمْرُها وقَرَنْفُلِ[9]
يُضيء سَناها وجهَ ليلى كأنّما ... يُضيءُ سَناها وَجْهَ أَدْماءَ مُغْزِلِ
علا عظمُها واستعْجَلَتْ عن لِداتِها ... وشَبَّتْ شباباً وهْيَ لمّا تُسَرْبَلِ[10]
ولمّا رأيتُ البابَ قد حِيل دُونَهُ ... وخِفْتُ لِحاقاً من كتابٍ مُؤَجَّلِ

---

1 ديوان القتّال : 73–76 .
2 التزيل : الرحيل .
3 لم تنوِّلي في الديوان : لم ينول .
4 أم حسّان في الديوان : أم حيان .
5 البلاد في الديوان : الديار .
6 لها في الديوان : بها ، أي بالمدينة .
7 المطالي : أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب . والجامل : القطيع من الجمال . وقيل الحي العظيم . هطلى : جماعات متفرقة : وأبابيل : جماعات .
8 طامس في الديوان : طاسم ، أي طامس . ولم يترجل : لم يرتفع .
9 صباحه في الديوان : شيافة .
10 غلا عظمها : سمنت . وفي الديوان : وتربّل : يربو جسمها .

حملتُ عَلى المكروهِ نفساً شريفةً إذا وُطِّئَتْ لم تستقِدْ للتّذَلّلِ[1]
وكالىءِ بابِ السِّجْنِ ليس بِمُنْتهٍ وكان فِراري منه ليس بمُؤْتَلي
إذا قلتُ رفِّهني من السِّجْنِ ساعةً وتمِّمْ بها النُّعْمى عَلَيَّ وأَفْضِلِ[2]
يَشُدُّ وَثاقاً عابِساً ويَغُلُّني إلى حَلَقاتٍ من عمودٍ مُوَصَّلِ[3]
فقُلتُ له والسَّيفُ يَعْضِبُ رأسَهُ أنا ابنُ أَبي التَّيماء غيرُ المنحَّلِ[4]
عرفتُ نِدايَ من نِداهُ وشيمتي وريحاً تَغشّاني إذا اشتَدَّ مِسْحَلي[5]
تركتُ عِتاقَ الطَّيْرِ تحجِلُ حَوْلَهُ على عُدَواءَ كالحُوارِ المجدَّلِ[6]

وقال أبو زيد في خبره : وأنشدني شدّادٌ للقتَّال الكلابيِّ يذكر قَتلَ ابنِ هَبّار[7] : [من الطويل]

تركتُ ابنَ هَبَّارٍ لَدى الباب مُسْنَداً وأَصبحَ دُوني شابَةٌ وأُرومُها[8]
بسيفِ امرىءٍ ما إن أُخَبِّرُ باسمِهِ وإن حَقَرتْ نفسي إليَّ هُمومُها[9]

هكذا روى ابنُ حبيب وعمرُ بن شبَّة .

وَنسختُ مِن كتابٍ للشاهِينيِّ بخطِّه فيه شعر للقَتّال وأَخبارٌ من أَخباره قال : حُبِس القتّال في دم ابن عمِّهِ الذي قتلَه ، فحُبِسَ زماناً في السِّجن ، ثم كان بينَ ابن هبّار القرشيّ وبين ابنِ عمٍّ له من قريشٍ إِحْنة ، فبلغ ابن عمِّه أنّ القتّالَ محبوسٌ في سِجْنِ المدينة . فأتاه فقال له : أرأيتَ إنْ أنا أخرجتُك أتقتلُ ابن عمّي المعروفَ بابنِ هبّار ؟ قال : نعم ، قال : فإنّي سأُرسِلُ إليك بحديدةٍ في طعامِك ، فعالج بها قيدَك حتى تفكَّه ثم البَسه حتى لا تُنكَرَ ، فإذا خرجتَ إلى الوُضوء فاهرُبْ من الحَرَس ، فإنّي جالسٌ لك ومخلِّصُك ومُعْطيك فرساً تنجُو عليه ، وسيفاً

1 الديوان : رددت . . . نفساً شريسة . وشريسة : ذات شراسة شديدة عسرة .
2 الديوان : تدارك بها نعمي .
3 الديوان :

يشدُّ وثاقي عابساً ويتلني إلى حلقات في عمود مرمّل

مرمل : ملطخ بالدم .
4 الديوان :

أقول له والسيف يعصب رأسه أنا ابن أَبي أَسماء غير التنحل

5 المسحل : العزم الصارم . والريح التي تغشاه هي ريح الأنفة .
6 عدواء : أرض صلبة .
7 ديوان القتال : 86 .
8 شابة : جبل بنجد . أروم : جبل لبني سليم .
9 الديوان : لن أخبر الدهر باسمه . وانظر حاشية محقق الديوان .

تمتنع به ، فإن خلّصك ذلك وإلاّ فأبعدكَ اللهُ ، فقال : قد رَضيتُ .

قال : وكان أهلُ المدينة يُخرِجون المحتَبَسين إذا أمسَوا للوُضوء ، ومعهم الحرسُ ، ففعل ما أمره به ، وأتاه القُرَشيُّ فخلَّصه وآواه ، حتى أمسك عنه الطَّلبُ . ثم جاء به وأعطاه سيفاً ، فقتل ابنَ عمِّه المعروفَ بابنِ هبّار ، ووهب له نجيباً ، فنجا عليه وقال : [من الطويل]

تركتُ ابنَ هبَّار لدى البابِ مُسنَداً وأَصْبَــح دُوني شابّــةٌ وأرومُها
بسَيف امرِئٍ لا أُخبرُ الناسَ باسمِهِ ولــو أُجهشَتْ نفسي إليَّ همُومُها

[هجاء علية بنت شيبة وقومها]

وقال : أبو زيدٍ عُمرُ بن شَبَّة فيما رواه عن أصحابه : مَرَّ القَتَّال بعُلية بنتِ شيبة بن عامرِ بن ربيعةَ بنِ كَعْب بن عمرو بن عبد بن أبي بكر وأخويها : جَهمٍ وأُويس ، فسألها زِماماً فأبتْ أن تُعطيَه ؛ وكانت جدَّتهمُ أُمُّ أبيهم أمةٌ يُقال لها أُمُّ حُدَيْر ، وكانت لقريظة بن حُذَيفة بن عمّار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر . فولدَتْ له أُمَّ هؤلاء ، واسمها نجيبة ، فولدت له عُليّةَ هذه ، فقال القتّالُ يهجوهُم[1] : [من البسيط]

يــا قَبَّحَ اللهُ صِبيانــاً تجــيءُ بهِم أُمُّ الهُنَيْبِر مــن زَنْــدٍ لهــا واري[2]
مــن كلِّ أعلــمَ مُنشَقٍّ مَشافرُهُ ومؤذَنٍ ما وَفــى شِبْراً بمِشبارِ[3]
يا وَيْحَ شَيماءَ لم تَنْبِذْ بأَحــرارِ مثــلي إذا اعتراني بعْضُ زُوَّاري
إنَّ القُريطِينَ لم يَدْعُــوكِ كَنَّتَهم فأقصِري آلَ مَسْعُــودٍ ودِينارِ[4]
أَمَّا الإماءُ فمــا يَدْعونَني ولداً إذا تُحُدِّثَ عن نقضي وإمراري
يا بِنتَ أُمِّ حُدَيْرٍ لــو وهبتِ لنا ثنتين مــن مُحكَمٍ بالقِدِّ أُوتاري[5]
إمَّا جديــداً وإمَّــا باليــاً خَلَقــاً عــاد العَــذارى لِقَطْعَيْهِ بأَسْيارِ
لكان رِدْءاً قليــلاً واعتجنتُ له صهْباءَ مقَّعَها حاجِي وأَسفاري[6]

---

1 الأبيات من قصيدتين منفصلتين في ديوان القتال 54-58 . ثم جمعهما المحقق في رواية واحدة عن الأغاني : 59-60 .

2 أم الهنيبر : الضبع في لغة فزارة . وقال ابن دريد أم الهنيبر : أتان . وقيل أم الهنيبر في البيت امرأة من بني كلاب .

3 مؤذَن في الديوان : مؤدن (بالدال) ، وهو القصير العنق الضيق المنكبين .

4 الديوان : كنيتهم بدل كنتهم . وفانصر بني آل مسعود .

5 أوتاري في الديوان : أوباري .

6 مقّعها : شربها أشدّ الشرب .

أنا ابنُ أسماءَ أعمامي لها وأبي إذا ترامى بنو الإموانِ بالعارِ[1]
قد جرَّب النّاسُ عُودي يَقرعُون به وأقْصَرُوا عن صليبٍ غير خَوَّارِ
ما أرْضع الدَّهرَ إلاَّ ثدْيَ واضِحةٍ لواضح الوَجْه يحْمي حَوْزة الجارِ[2]
يَسْتلِب القِرْنَ مُهريهِ وصعْدَتهُ حقّاً وينزعُ عنْهُ ذات أزْرارِ[3]
من آلِ سُفيانَ أو ورْقاءَ يمنَعُها تحتَ العَجاجَةِ طَعْنٌ غيرُ عُوَّارِ[4]
يَمنعُها كلُّ مَذْرورٍ ، بصَعْدَتِه نضْحُ الدِّباء ، على عُرْيانَ مِغْوارِ[5]
تَسمعُ فيهمْ إذا استَسْمَعْتَ واعِيَةً عَزْفَ القِيانِ وقولا يال عَرْعارِ
طِوالُ أنضيةِ الأعناقِ لم يجِدُوا رَيحَ الإماءِ إذا راحَتْ بأزفارِ[6]
والقومُ أعلم أنَّا من خيارهِم إذا تقلَّدت عَضباً غيرَ مِيشارِ[7]
فزّا بَسَيْري وبردُ اللَّيلِ يضربني عُرض الفَلاة بثُنيانٍ وأكوارِ[8]
أمَّا الرَّواسمُ أطلاحا فتعرفُني إذا اعتصبتُ على رأسي بأطمارِ
ولم أُنازعْ بني السَّوداء فيئَهمُ والعِظْلِميّاتِ من يَعْرٍ وأمْهارِ
فكلُّ سوداء لم تُحلَق عَقِيقتُها كأنَّ أصداغَها يُطلَينَ بالقارِ
لقد شَرتني بنو بَكرٍ فما رَبحتْ ولا رأيتُ عليها جَزأة الشّاري
إنّ العُرُوقَ إذا استَنزعتها نزَعَتْ والعِرْقُ يسْري إذا ما عَرَّسَ السَّاري

أخبرني حبيب بن نصْر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عُمر بن شبَّة قال : أنشدني الأصمعيُّ للقتَّال رائيّةً يقولُ فيها :

إنّ العُروقَ إذا استنزعتَها نزعَتْ والعرقُ يسْري إذا ما عرَّس السّاري

---

1 الإموان : جمه أمة .
2 الديوان : لا أرضع . . . لواضح الخد .
3 لم يرد هذا البيت في القصيدتين وورد في ما نقل عن الأغاني : 59 .
4 العوّار : الضعيف .
5 هذا البيت والذي بعده ما نقل عن الأغاني فقط . وفيه مدروء بدل مذرور .
6 أنضية : جمع نضو ، وهو عظم العنق . وأزفار : أحمال ، واحد زفر . ويضرب مثلاً للرجل فيقال : إنّه لزفر أي حمال أثقال .
7 الديوان : قد يعلم القوم أنّي من خيارهم . . . وغير مشبار .
8 الأبيات الخمسة التالية مما لم يرد في الديوان في ما نقل عن الأغاني .

قد جرَّب النّاسُ عُودِي يَقرعُون بِهِ ... فأقصرُوا عـن صَليبٍ غيرِ خوّارِ

فقال : لقد أحسنَ وأجاد ، لولا أنّه أفسدَها بقوله إنّه طلَب جُعْلاً فلم يُعْطَه ، وكان في دناءة نفسه يُشبه الحطيئة ، وكان فارساً شاعراً شجاعاً .

[هجاء قومه مرة أخرى]

وقال السكريّ في روايته : زوَّج القَتَّالُ ابنته أُمّ قيس ، واسمها قطاة ، رذاذَ بن الأخرم بن مالك بن مُطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر ، فمكثتْ عنده زماناً ، وولدت له أولاداً . ثم أغارها[1] فشكت إلى أبيها ، فاستَعدى عليه ورماه بخادمها ، وجاء رَذاذُ بالبينة على قذْفه إيّاه بالأمةِ فأُقيم ليُضربَ ، فلم تنتصِرْ له عشيرتُه ، وقامَت عشيرةُ رذاذٍ فاستوهبوا حدَّه من صاحبهم ، فوَهبهُ لهم . وكانت عشيرة القتّال تُبغضهُ لكثرة جناياته ، وما يَلحقها من أذاهُ ، ولا تمنعهُ من مكروهٍ ، فقال يَهجو قومَهُ[2] : [من الطويل]

إذا مـا لَقِيتـم راكبـاً مُتعمِّماً ... فقولوا لـه : ما الرّاكبُ المتعمِّمُ
فإن يَكُ من كَعْبِ بن عَبْدٍ فإنَّه ... لئِيمُ المُحَيَّا حالِكُ اللَّـونِ أدهَمُ
دعوتُ أبـا كَعْـبِ رَبيعةَ دَعْوةً ... وفَوقي غَواشي المَوْتِ تُنحى وتُنجَمُ[3]
ولَـم أكُ أدرِي أنَّـهُ ثُكْلُ أُمِّهِ ... إذا قيلَ للأَحْرارِ في الكُرْبَةِ اقدُمُوا
فلو كنتَ مـن قـومٍ كرامٍ أعِزَّةٍ ... لحاميتَ عنّي حِـينَ أحمى وأُضْرَمُ
دعوتُ فكَمْ أسْمَعتُ من كلّ مُؤْذِنٍ ... قَبيحِ المُحَيَّا شانَهُ الوجهُ والفَمُ[4]
سِوى أنَّ آلَ الحارثِ الخيرِ ذَبَّبُوا ... بأعيـطَ لا وغْـلٌ ولا مُتَهَضَّمُ
ألا إنَّهم قوْمي وقـومُ ابن مالِكٍ ... بنـو أمّ ذِئب وابنُ كبشةَ خيثَمُ
ولكنَّما قَومـي قُماشةُ حاطـبٍ ... يُجمِّعُها بالكفِّ ، واللَّيْلُ مُظْلِمُ[5]

[وجد عند امرأته رجلاً فطلقها]

قال أبو زيد : وحدَّثني شدَّادُ بن عُتْبَةَ قال : كانَتْ عند القتّال بنتُ ورقاءَ بن الهيثم بن الهصَّان ، وكان جاراً لبني الحصين بن الحُوَيرِث بن كعب بن عبد بن أبي بكر ، وكانت لها

1 أغارها : تزوّج عليها فأثار غيرتها .
2 ديوان القتال : 85 .
3 الغواشي : حالات الإغماء .
4 مؤذن في الديوان : مودن (بالدال) .
5 قماشة : فتات الأشياء يطلق على أراذل الناس .

ضَرّةٌ عنده يقال لها أُمُّ رِياح بنتُ ميسرة بن نفير بن الهصّان ، وهي أُمُّ جنوب بنت القتّال . فخرج القتّال في سَفَرٍ له ، فلمّا آب منه أقبل حين أناخ إلى أهله ، فوجد عند بنت ورقاءَ جريرَ بن الحُصَين . فلمّا رأى جريرٌ القتّال نهض ، فسأل القتّالُ عنه ، فقالت له امرأتُه أُمّ رياح ، وهي صفيّة ويقال صُفَيفة بنت الحارث بن الهصّان : إنّ هذا البيتَ لبيتٌ لا نزال نسمع فيه ما لا يُعجبنا فطَلّق القتّالُ بنتَ ورقاءَ ، وهي حامِلٌ ، فولَدَت له بعد طلاقها المسيَّبَ ابنه .

وقال السكَّريُّ في خبَرِه : فقال القتَّال في ذلك[1] : [من الوافر]

ولَمَّا أنْ رأَيْتُ بني حُصَيْنٍ بِهِم جنَفٌ إلى الجاراتِ بادِ
خلَعْتُ عِذارها ولَهِيتُ عنها كما خُلِعَ العِذارُ من الجوادِ
وقلت لها : عليكِ بني حُصَيْنٍ فما بيني وبينكِ من عوادِ
أُنادِيها بأسفلِ وارِداتٍ نَكِدتَ أبا المُسَيَّب مَن تُنادِي[2]

وفي رواية السكريّ :

أُنادِيهما وما يومٌ كيومٍ قضى فيه امرؤٌ وَطَر الفُؤادِ
فرُحْتُ كأنَّني سيفٌ صَقيلٌ وعزَّت جارةُ ابنِ أَبي قُرادِ

[يرفض قبول عقل ضربة أنفه]

قال : ثم إنَّ كلابَ بن ورقاءَ بن حُذيفة بن عَمّار بن ربيعة بن كعب بن عبْد بن أُبي بكر ، نحر جزوراً وصنَع طعاماً وجَمع القومَ عليه وقال : كلوا أيّها الفتيانُ ، فإنَّ الطّعام فيكم خيرٌ منهُ في الشُّيوخ . فقال القتّال : أنا واللهِ خيرٌ للفتيان منك ، أرى المرأة قد أعجبتْ أحدَهم فأُطلّقُها له . وفي القوم جريرُ بنُ الحُصَين الذي كان وَجَدهُ عند امرأتِهِ ، فرفع جريرٌ السَّوط فضرب به أنف القتّال .

ثم إنّهم أعطوا القتّال حقَّه فلم يقبله حتى أدرك ابناه : المُسَيَّبُ وعبدُ السلام .

وقال السُّكَّريُّ : حتى احتلم ولدُه الأربعةُ ، وهم : حبيب ، وعبد الرحمن ، وعبد الحيِّ وعُمَيْر ، وأُمُّهُم : ريّا بنتُ نَفَر بن عامر بن كعب بن أبي بكر . فحَمَلَهم على الخيل حين أظْلم اللّيلُ ، ثم أتى بهم بني حُصين فلقي لِقاحاً لهم ثمانين ، فأشْمَرها[3] وبات يسوقُها ، لا تتخلَّفُ

---

1 ديوان القتال : 47 .

2 رواية الديوان تطابق رواية السكري .

3 أشمرها : أطلقها وأرسلها .

ناقةٌ إلاّ عقرها حتى حبسها على الحَصى ، حين طلعت الشّمسُ ، والحَصى ماءٌ لعبدِ الله بن أبي بكر . فحبسها وزَجرهُم عنها ، حتى جاءَ بنو حُصين فعقلوا له من ضربته أربعين بكرةً وأهدِرت الضَّرْبةُ ، وإنّما أخذ الأربعين بَكْرةً مُكرهاً ، لأنّ قومَه أُجبروه على ذلك .

قال شدّادُ : وفي ابنه عبد السّلام ، يقولُ : [من البسيط]

عبدَ السّلام تأمَّل هل تـرى ظُعُناً ... إنّي كبِرتُ وأَنت اليوم ذو بَصرِ
لا يُبعِـد اللهُ فتياناً أَقـولُ لهـم ... بالأبرقِ الفـردِ لمّا فاتني نظري
يا هَـلْ تَرَوْن بأَعـلى عاصمٍ ظُعناً ... نكَّبْنَ فحْليْنِ واستقبْلْـن ذا بقرِ
صلَّى على عمـرةَ الرحمنُ وابنتِها ... ليلى وصَلَّى عَلى جاراتها الأُخَرِ[1]
هُـنَّ الحرائِـرُ لا ربَّـاتُ أَحمرةٍ ... سودُ المحاجـرِ لا يقـرأنَ بالسُّورِ

قال أَبو زيد : وحدّثـني شدّاد بن عُقبة قـال : أَتـى الأخرم بـن مالـك بـن مُطرف بن كعب بن عوف بن عَبد بن أبي بكر ومُحْصن بن الحارث بن الهصّان في نفر من بني أبي بكر القتّال وهو مَحبوسٌ ، فشرطوا عليه ألاّ يذكر عاليةَ في شعره ، وهي التي ينسُبُ بها في أشعاره ، فضمِنَ ذلك لهم ، فأَخرجُوه من السِّجْن عِشاءً . ثم راح القوْم من السِّجن ، وراحَ القتّال معهم ، حتى إذا كان في بعض الليل انحدر يسوقُ بهم ويقول[2] : [من الرجز]

قلتُ لـه يـا أَخرمُ بنَ مالِ
إن كنت لم تُزْرِ على وصالي[3]
ولم تجِدْني فاحِشَ الخلالِ
فارفعْ لنا مـن قُلُصٍ عِجالِ
مُستوسِقاتٍ كالقطـا عِيالِ
لعلّنـا نطـرُقُ أُمَّ عـالِ
تخيَّري خُيِّرتِ في الرِّجالِ
بـين قصيرٍ باعُـهُ تِنبالِ[4]

1 لم يرد هـذان البيتان فيما تقدّم ، وهما في شعر الراعي النميري (ديوانه (فايبرت) 122) وفيه عزّة بدل عمرة .
2 ديوان القتال : 83 .
3 وصالي في الديوان : الوصال .
4 تنبال : قصير .

وأُمُّــهُ راعيــةُ الجمــالِ
تَبيتُ بين القِدْرِ والجِعالِ[1]
أَذاكَ أَم مُنْخرِق السِّرْبالِ[2]
كريــمُ عــمٍّ وكريــمُ خالِ
مُتلِـفُ مــالٍ ومُفيدُ مالِ[3]
ولا تــزالُ آخـــرَ الليالي
قَلُوصُــهُ تعثــرُ في النِّقالِ[4]

النِّقال : المناقلةُ .

قال شَدّادٌ : فنزل القومُ فرَبطوه ، ثم آلَوْا أَلاّ يَحُلُّوه حتى يُوثِّق لهم بيمين أَلاّ يذكرها أَبداً ، ففعل وحلّوه .

قال : وهي امرأةٌ من بني نصر بن معاوية ، وكانت زوجة رجلٍ من أَشراف الحيِّ .

[قتل أَمَة عمِّه لئلاّ تحمل منه]

قال : وحدّثني أبو خالدٍ ، قال : كانت لعم القتّالِ سُرِّيّة ، فقال له القتّال : لا تطأْها ، فإنّا قومٌ نُبْغِض أن تَلِدَ فينا الإماءُ ، فعصاه عمُّه . فضربها القتّالُ بسيفِه فقتلها ، فادّعى عمُّه أنّه قَتلها وفي بطنها جنينٌ منه ، فمشى القتّالُ إليها فأخرجَها من قبْرِها ، وذهبَ معهُ بقومٍ عُدولٍ ، وشَقَّ بطنَها وأخرج رَحِمها حتى رأَوْه لا حمْلَ فيه ، فكذَّبوا عمَّه . فقال ، في ذلك[5] : [من الرجز]

أَنا الذي انتَشلْتُها انتِشالاً ثمَّ دعوتُ غِلمــةً أَزْوالا
فصَدَّعُوا وكذَّبوا ما قالا

وقال وأَنشدني له أيضاً[6] : [من الرجز]

أَنا الذي ضَرَبتُها بالمُنْصُلِ عِند القُرَيْنِ السائل المفضَّلِ[7]
ضَرْباً بكفِّيْ بَطَلٍ لم يَنْكُلِ

---

1 ل : تبيت بين القت والحبال . والحبال في الديوان : والجعال .
2 الديوان : مخرّق .
3 مفيد مال : مستفيده .
4 النقال : الأرض ذات الحجارة .
5 ديوان القتال : 84 .
6 ديوان القتال : 84 .
7 القرين : تصغير قرن ، وهو حد ربوة تشرف على وهدة صغيرة .

[بنت المحلق تتزوّج غيره]

وقال السكريُّ في روايته : أراد القتّال أن يتزوَّج بنتَ المحلِّق بن حنْتم ، فتزوَّجها عبدُ الرحمن بنُ صاغرٍ البكائيُّ . فلقي مولاةً لها يقال لها جَون ، فقالَ لها : ما فعلتْ ؟ قالت : تزوَّجها عبدُ الرحمن بن صاغر ؛ فقال : ما لَها ولعبدِ الرحمن ؟ فقالت له : ذاك ابنُ فارس عرّاد . قال : فأنا ابنُ فارس ذي الرَّحل ، وأنا ابنُ فارِسِ العَوْجاء ثمَّ انصرف وأنشأ يقولُ[1] : [من البسيط]

يا بنتَ جَونٍ أبانَتْ بنتُ شدَّادِ ... نَعم لعمري لِغوْرٍ بعدَ إنجادِ
لَمطْلع الشَّمْسِ ما هذا بمُنْحَدَرٍ ... نحو الرَّبيع ولا هذا بإصعادِ
قالت فوارسُ عَرّادٍ ، فقلتُ لها : ... وفيم أُمِّيَ من فُرسانِ عَرّادِ[2]
فُرسانُ ذي الرَّحْل والعوجاء وابنَتِها ... فِدًى لهم رهطُ رَدَّادٍ وشدّادِ

[حض لقومه ولوم]

والقصيدةُ التي في أوَّلها الغناء المذكورُ ، يقولُها القَتَّالُ يحضُّ أخاه وعشيرتَه على تخلُّصِه من المطالبة التي يُطالبُ بها في قَتْلِ زِيادِ بن عُبيد الله ، واحتمال العقْل عنه ، ويلُومهم في قُعودِهم عن المطالبةِ بثأرٍ لهم قِبَل بني جعفر بن كلاب .

وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمرُ بن شَبَّة ، عن حُمَيد بن مالك عن أبي خالد الكلابيَّ ، قال : كان عمرو بن سَلَمة بن سكن بن قُرَيظ بن عبْد بن أبي بكر أسلم فَحسُن إسلامُه ، ووفد إلى النبيِّ ﷺ ، فاستقطعه حِمًى بين الشقراء والسَّعدِيَّة . والسعديّة : ماءٌ لعمرو بن سَلمة ، والشقراءُ : ماءٌ لبني قتادة بنِ سكن بن قُريظ ، وهي رَحْبَة طولُها تسعة أميالٍ في ستّة أميال ، فأقطعه إيَّاها ؛ فأحماها ابنه جَحَوَّش . فاسترعاه نفرٌ من بني جعفر بن كلاب خيلهم وفيهم أحدرُ بنِ بشر بن عامر بن مالك بن جعفر ، فأرْعاهم . فحملوا نَعَمَهم مع خيْلهم بغير إذنِه ، فأُخبر بذلك فغَضِبَ وأراد إخراجَهم منه ، فقاتَلوه . فكانت بينهم شِجاجٌ بالعِصيِّ والحجارةِ ، من غير رمي ولا طِعان ولا تَسايُفٍ . فظهَر عليهم جَحَوَّش ، ثم تداعَوْا إلى الصلح ومشَت السُّفراءُ بينهم على أن يدعُوا جميعاً الجراحاتِ . فتواعَدُوا للصُّلح بالغَداة ، وأخٌ لجحوَّشٍ يقال له سعيد في حلْقِه سِلعَة ، وهو شَنِجٌ مُتنحٍّ عن الحيِّ عند امرأةٍ من بني أبي بكر تَرقِيه . فرجع إلى أخيه ومعه رَجُلان من قومه ، يقال

1 ديوانه : 46 .
2 عراد : اسم فرس .

لأحدهما : مُحْرز بن يزيد ، وللآخر : الأخدر بن الحارث . فلقيَهم قُراد بن الأخدر بن بشر بن عامر بن مالك ، وابنُ عمِّه أبو ذرّ بن أشهل ، ورجلٌ آخر من الجعفريِّين . فحمل قُرادٌ على سَعيدٍ فطعنَهُ فقتله ، فحذف مُحرز بن يزيد فرَس قُراد فعقَرها ، فأردفه أبو ذرٍّ خلفَهُ ، ولحقُوا بأصحابهم الجعْفريِّين . وأوقد جَحَوَّش بن عمرو نارَ الحرْب في رأس جرعاءَ طويلةٍ ، فاجتمعت إليه بنو أبي بكر ، وخرج قُرادٌ هارباً إلى بشر بن مَروان ، وهو ابنُ عمَّته ، حتّى إذا كان بالقنان ، حميت عليه الشمْسُ ، فأناخ إلى بيتِ امرأةٍ من بني أسدٍ ، فقال[1] في بيتها . فبينا هو نائمٌ إذْ نبَّهَتْه الأسديّة فقالتْ له : ما دهاكَ وَيْحكَ ؟ انظُر إلى الطّير تحُوم حولَ ناقتكَ . فخرَج يَمشي إلى ناقتِه ، فإذا هي قد خَدَجت ، والطيرُ تُمَزِّقُ ولدَها . فجاء فأخبرها ، فقال : إنَّ لكَ لخبراً فاصدِقني عنه ، فلعلّه أن يكون لكَ فيه فائدةٌ . فأخبرها أنّه مطلوبٌ بدَمٍ ، فهو هاربٌ طرِيدٌ . قالت : فهل وراءك أحدٌ تشفق عليه ؟ فقال : أخٌ لي يقال له جبأة وهو أحبُّ النّاسِ إليَّ . قالت : فإنّه في أيدي أعدائِكَ ، فارْجع أو امضِ ، فخرج لوجههِ إلى بشرٍ .

قال : ولّما حرّض القتّالُ قومَه على الطَّلبِ بثأرهم في الجعفريِّين وعيّرهم بالقُعودِ عنهم مضى جميعُهم لقِتال بني جعْفر ، فقال لهم الجَعفريُّون : يا قومنا ، ما لنا في قتالكم حاجةٌ ، وقاتِلُ صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جبأة ، فاقتلوه . فرضُوا بذلك فأخذُوا جبأة ، فلمّا صاروا بأسود العينِ قدّمه جَحَوَّشٌ فضرب عنقه بأخيه سعيدٍ وممّا قاله القتّال في تحريضهم في قصيدةٍ طويلةٍ[2] : [من الطويل]

فيا لأبي بكر ويا لجَحَوَّشٍ ... ولله مَوْلى دَعوةٍ لا يُجابُها
أفي كلِّ عامٍ لا تزالُ كتيبةٌ ... ذُؤيْبيَّةٌ تهفُو عليكم عُقابُها
لهم جَزَرٌ منكم عَبيطٌ كأنَّه ... وقاعُ الملوك فتكُها واغتصابُها[3]
وأنتمُ عديدٌ في حديدٍ وشِكَّةٍ ... وغابِ رماحٍ يوجِف القلبَ غابُها[4]
يُسقَّى ابن بشر ثم يمْسح بطنَه ... وحوْلي رجالٌ ما يسوغُ شرابُها
فما الشرّ كلّ الشرّ لا خير بعْده ... على النّاس إلاّ أن تذلَّ رقابُها

1 قال : قضى وقت القيلولة .
2 ديوان القتال : 33 مع اختلاف في الترتيب .
3 الجزر : ما يباح للذبح . وصاروا لهم جزراً : قتلوهم . الوقاع : الموافقة في الحرب .
4 يوجف القلب غابُها في الديوان : يكسف الشمس غابها .

نساء ابــن بِشرٍ بُــدَّنٌ ونساؤنا بَلايــا عليهــا كلَّ يــومٍ سِلابُها[1]
تنام فتقضي نوْمــة الليــل عِرسُه وأُمُّ سعيــدٍ مــا تنــامُ كلابُها[2]
فإن نحــن لم نغضب لهم فنثيبُهم وكلّ يــدٍ مُــوفٍ إلينـا ثوابُها
فنحنُ بنــو اللائــي زعمتُم وأنتم بنــُو مُحصنــاتٍ لم تدنَّسْ ثِيابُها

صوت[3]

[من مجزوء الوافر]

أَلا للهِ دَرُّك مِـــنْ فتــى قَــوْمٍ إذا رَهِبُوا
وقالوا : بمَنْ فَتًى للحَرْ بِ يَرقُبنــا ويَرْتقِبُ[4]
فكنتَ فتاهــمُ فيهــا إذا يُدعــى لهــا يثِبُ[5]
ذكرتُ أخــي فعاودَني صُداعُ الرّأس والوَصبُ[6]
كما يعتــادُ ذاتُ البَــوِّ بعــد سُلوّهــا الطّربُ[7]
فدمْعُ العيْن مــن بُرحا ءِ ما في الصَّدرِ يَنْسَكِبُ
كما أُودى بمــاء الشَّنَّةِ المخْـــروزَةِ السَّرَبُ[8]
على عَبْدِ بــن زُهرة طُو لَ هــذا اللّيــلِ أَكتئبُ

الشعر لأبي العِيال الهُذليّ والغِناء لمعبد ثقيل أوَّلُ بالخِنْصر في مجرى الوُسْطى عن إسحاقَ وابن المكّي وغيرهما ممّا لا يشكّ فيه من صنعته . وفي الثالث والرابع من الأبيات لمالكٍ خفيفُ ثقيل عن الهشاميّ ، ومن النّاس مَنْ ينسبُه إلى معبد أيضاً . وفي الأوّل والثّاني والثّالث لمعْبد أيضاً خَفيف رمل بالوسطى ، عن عمْرو بن بانة ، وذكر الهشاميُّ وحمّاد بن إسحاق أنّه لابن عائشة ، وفيه لمالك هزج بالبنصر فيما ذكر حبش .

1 بدّن : ضخام من السمنة . وبلايا : جمع بلية ، وهي النائحة . والسلاب : ثياب الحزن .
2 الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترِد في متن القصيدة في الديوان وأُلحقت في الزيادات .
3 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : 424–426 مع اختلاف في الترتيب .
4 للحرب في أشعار : للثغر .
5 الشطر الثاني في أشعار : إذا تدعى لها تثب .
6 أشعار : رداع السقم والوصب . والرداع : النُكس أو معاودة المرض . والوصب : التعب من المرض .
7 ذات البَوّ : الناقة التي مات ولدها فحُشي جلده لترأمه . والطرب : خفة وضيق في النفس .
8 الشنة : القربة الخلق الصغيرة . والسرب : ما سال من الماء .

[536] ـ أخبار أَبي العيال ونسبه[1]

أَبو العيال بنُ أَبي عَنترة ، وقال أَبو عمرو الشَّيبانيّ : ابنُ أَبي عنبرَ بالباء[2] ، ولم أَجِدْ له نَسَباً يتجاوز هذا في شيء من الرِّوايات . وهو أحدُ بني خُناعةَ بن سعد بنِ هُذَيْل ، وهذا أكثر ما وجدتـه مِنْ نَسبه . شاعرٌ فصيحٌ مُقدَّم ، من شُعراء هُذَيْل ، مُخضرَم ، أدرك الجاهليّة والإسلام ، ثم أسلم فيمنْ أسلم من هذيل ، وعُمِّرَ إلى خِلافةِ معاوية .

وهذه القصيدة يرثي بها ابنَ عمِّه عبدَ بنَ زهْرة ، ويقال : إنّه كان أَخاه لأُمِّه أيضاً .

[يصف معركة فبكا معاوية]

أَخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديّ فيما قرأْتُه عليه من شِعر هُذَيْل ، عن الرِّياشيّ ، عن الأصمعيّ . ونَسَختُ أيضاً خبره الذي أذكره من نُسْخَةِ أبي عمرو الشَّيبانيّ قالا : كان عبدُ بنُ زُهْرَةَ غزا الرّومَ في أيّامِ معاوية .

وقال أَبو عمرو خاصّةً : مع يزيد بن مُعاوية في غَزاتِه التي أغزاه أبوه إيّاها ، فأُصيبَ في تلْك الغَزاةِ جماعةٌ من المسلمين من رؤسائِهم وحُماتهم ، وكان شوكةُ الرُّوم شديدةً ، قُتِل فيها عبدُ العزيز بنُ زُرارةَ الكلابيُّ ، وعبدُ بنُ زُهْرة الهذليُّ وخَلْقٌ من المسلمين ، ثم فتح الله عليهم . وكان أبو العيال حاضراً تلك الغَزاة فكتب إلى مُعاوية قصيدة قَرَأَها وقُرِئَت على النّاس ، فبكى النّاسُ وبكى معاويةُ بكاءً شديداً جَزَعاً لما كَتَب به .

والقصيدة[3] : [من الكامل]

مِنَ ابي العِيال أَخي هُذَيْلٍ فاعْلَموا ... قـولي ولا تتجمجَمُوا ما أُرسِلُ[4]

أَبلِغ مُعاويــةَ بــنَ صَخـْـرٍ آيــةً ... يَهــوِي إليه بهــا البَرِيدُ الأَعجلُ

والمرءَ عَمـــراً فأْتـــهِ بصحيفةٍ ... مِنّي يَلُــوح بهـــا كتابٌ مُنْمَلُ

لا تتجمْجَمُوا : لا تكْتموا . والمُنمَل : كأَنَّ سُطُورَه آثارُ نَمل .

1 ترجمة أبي العيال الهذلي في الشعر والشعراء : 560 والإصابة 7 : 143 وشرح أشعار الهذليين 2 : 405 .

2 شرح أشعار الهذليين : ابن أبي غثير ، وقال الأصمعيّ : ابن أَبي عثير .

3 أشعار : 433–435 مع اختلاف في الترتيب .

4 فاعلموا في أشعار : فاسمعوا .

وإلى ابنِ سَعْدٍ إنْ أُؤخِّرْه فَقَد ... أزرَى بنا في قَسْمه إذْ يَعْدِلُ[1]
وإلى أُولي الأحْلام حيثُ لقيتَهُم ... أهـلِ البَقِيَّةِ والكتابُ المُنْزَلُ[2]

في ديوان الرَّجل : حَيثُ البَقيّة والكتاب المُنزل .

أنَّا لقِينــا بعـدكم بدِيارنـــا ... من جانب الأمراجَ يوماً يُسألُ[3]
أمراً تَضيقُ به الصُّدُورُ ودُونَه ... مُهَجُ النُّفوسِ وليس عنه مَعْدِلُ
في كلِّ مُعتَركٍ تَرى مِنّــا فتًى ... يَهْـوي كعزلاءِ المَزادةِ تُزغِلُ[4]

تزغِل : تَدفع دَفْعاً .

أو سَيِّداً كَهْــلاً يَمُور دِماغُه ... أو جانِحاً في رأْس رُمْح يَسْعُلُ[5]

يَسْعل : يَشْرَقُ بالدَّمِ .

وتَرى النِّبالَ تَعِيرُ في أقْطارِنـــا ... شُمْساً كأنَّ نِصالَهُــنَّ السُّنْبُلُ
وتَرى الرِّماح كأنّما هي بَيْنَنا ... أشْطانُ بئرٍ يُوغِلُــون ونُوغلُ
حتى إذا رَجَبٌ تَولَّى فانْقَضى ... وجُمادَيان وجَاءَ شهْرٌ مُقْبلُ[6]
شعْبان قَدَّرْنــا لوَقْتِ رَحِيلِهم ... تِسعاً يُعَدّ لهــا الوفاءُ وتَكمُلُ
وتَجرَّدت حرْبٌ يكونُ حِلابُها ... عَلَقاً ويَمرِيها الغَوِيُّ المُبطِلُ[7]
فاستقْبَلُوا طرفَ الصَّعيدِ إقامةً ... طوْراً وطوراً رِحْلــةً فتحمَّلُوا[8]

[خصامه مع بدر بن عامر]

قال الأصمعيُّ وأبو عَمرو : وكان أبو العيال وبدرُ بنُ عامر ، وهما جميعاً من بني خُناعة بنِ سعْدِ بنِ هُذَيل يسكُنانِ مِصْرَ ، وكانا خرَجا إليها في خلافةِ عمرَ بنِ الخطّابِ رِضوانُ الله عليه ، وأبو العِيالِ معه ابنُ أخ له . فبينا ابن أخي أبي العيال قائِم عند قوم

1 يعدل : يحيد عن الحق .
2 البقية : المرجع الحسن في المروءة والدِّين .
3 يسأل : يسأل عنه لشدّته .
4 عزلاء المزادة : فمها . وتزغل : تدفع بالدم .
5 يمور : يذهب ويجيء . جانح : داني الصدر .
6 تولّى في أشعار : تجلى .
7 العلق : الدم . يمريها : يدرها حتى تحلب .
8 الصعيد : التراب . تعير تذهب كذا وكذا . وفي شرح أشعار الهذليين : فتنقلوا .

ينتَضِلونَ إذْ أصابَه سهْم فقتله ، فكان فيه بعضُ الهَيج ، فخاصَم في ذلك أبو العيال ، واتَّهَم بَدْرَ بن عامر ، وخشي أن يكون ضِلَعُه مع خُصَمائِه ، فاجْتَمعا في ذلك في مجلِسٍ فتناثًا فقال بدرُ بنُ عامر[1] : [من الكامل]

بَخِلت فُطَيْمـةُ بـالذي تُولِيني ... إلاّ الكـلامَ وقـلّ مـا يُجدِيني
ولقدْ تَناهى القلبُ حـين نهيتُـه ... عنهـا وقـد يَغـوي إذا يَعصِيني
أفُطَيْمُ هـل تدْريـن كم من مَتلفٍ ... جـاوزتُ لا مرعًى ولا مسكونِ

يقول فيها :

وأبُو العِيـال أخِي ومَنْ يَعْرِضْ له ... منكم بسُوءٍ يـؤْذِني ويَسُوني
إنِّي وجـدتُ أبا العِيالِ ورهْطَه ... كالحِصْنِ شُدَّ بجَنْدَلٍ مَوْضُونِ[2]
أعْيـا الغَرانيقَ الدّواهـيَ دونه ... فتركْتَـهُ وأبَـرّ بـالتّحْصينِ[3]
أسدٌ تفِـرُّ الأُسْدُ مـن وثباتِه ... بعـوارض الرُّجّـاز أو بعُيـونِ[4]
ولِصَوْتِـه زَجَـلٌ إذا آنستَـه ... جَـرَّ الرّحـى بشَعيرِه المطْحونِ[5]
وإذا عدَدْتَ ذوي الثِّقات وجدتَه ... ممَّـنْ يَصُـولُ بـه إليَّ يميني

فأجابه أبو العيال فقال : [من الكامل]

إنّ البَـلاء لـدي المَقاوس مُعرِض ... مـا كان من غَيْبٍ ورجْم ظُنُونِ

في الديوان : لدى المقاوس مخرجٌ : والمِقْوَس الحبْلُ الذي يُمَدُّ به على صُدُور الخيْل أي فَما كان عِنْدَه من خيْرٍ أو شرٍّ فسيَخْرُجُ عند الرِّهان والعدْوِ .

وإذا الجوادُ وَنى وأخلف مِنْسَراً ... ضُمُـراً فـلا تُوقِنْ لـه بيقينِ[6]
لـو كان عِنْدَكَ مـا تقُولُ جعلتَني ... كنزاً لرِيْبِ الدَّهْـرِ غيرَ ضَنينِ[7]

---

1 أشعار : 407-423 .
2 أشعار : كالحصن شيد بآجر موضون . وموضون : مرصوص .
3 أبرّ : غلب . أي هذا الحصن أعيا المجانيق .
4 من وثباته في أشعار : من عروائه ، وهي القشعريرة من الحمى . الرجاز وعيون موضعان .
5 آنسته : رأيته . وفي أشعار الهذليين : بجرينها المطحون ، والجرين : ما طحنته .
6 ونى : ضعف . وأخلق منسراً : أي جماعة الخيل .
7 غير ضنين في أشعار : غير ظنين .

ولقد رمَقْتُك في المَجالس كلِّهـا فإذا وأنـت تُعِينُ مَـنْ يَبغِيني[1]
هَلاَّ درأْت الخَصْم حين رأيتَهـم جَنَفـاً عـليَّ بـألسُنٍ وعُيونِ
وزجرتَ عَنّـي كلَّ أَشوَس كاشِح تَرِع المقالـةِ شامِـخ العِرْنين[2]

فأجابه بدْرُ بنُ عامر فقال : [من الكامل]

أقسمتُ لا أنسى مَنيحَـة واحـدٍ حتـى تَخَيَّـط بالبَياض قُروني[3]
حتى أصير بمسْكنٍ أثـوي بـهِ لِقرارِ مُلْحَدَةِ العَـداء شَطُونِ[4]
ومَنَحْتَني جَـدّاء حـين منحتني شَحَصاً بمالِئَـة الحِـلاب لَبُونِ[5]

الشَّحَصُ : ما لَيْس فيه لبنٌ من المالِ .

وحبَوتُك النُّصْح الذي لا يُشْتَرى بالمـالِ فانْظُـر بعْدُ مـا تَحبُوني
وتأمَّلِ السِّبتَ الذي أحذُوكَـه فانْظر بمثـل إمامِـه فاحذُوني[6]

فأجابه أبو العيال : [من الكامل]

أقسمتُ لا أنسى شبابَ قَصيدةٍ أبـداً فما هـذا الذي يُنسيني[7]
وَلَسوف تَنْساهـا وتعلـم أنّهـا تَبـعٌ لآبيـةِ العِصاب زَبُونِ[8]
ومَنَحْتَني فَرضيتَ رأيَ مَنيحَتي فـإذا بِهـا واللهِ طيـفُ جُنُونِ[9]
جهـراءُ لا تألو إذا هـي أُظْهِرَت بَصَـراً ولا مـن حاجـةٍ تُغْنِيني[10]
قَرِّب حِذاءَك قاحـلاً أو لَيِّنـا فتمـنَّ في التَّخْصِيرِ والتَّلْسينِ[11]

1 رمقتك : رميتك ببصري خفية . والواو في «وأنت» مقحمة كقولهم : ربّنا ولك الحمد .
2 أشعار : كل أبلخ ، والأبلخ : الأهوج الفخور . وكاشح : مبغض . وترع : عجل بقول السوء ، أو كثير المقالة جاهل .
3 المنيحة : المعارة . ويقصد هنا القصيدة . وتخيط بالبياض قروني : يبدو الشيب في رأسي .
4 المسكن هنا : القبر . والعداء : الصخر . وشطون : معوج .
5 جداء : لا لبن فيها .
6 السِّبت : النعال المدبوغة .
7 أشعار : لا أنسى مقال .
8 زبون : تدفع برجليها ، أي تتبع أخرى .
9 أشعار : حين منحتني . . . فإذا بها وأبيك .
10 جهراء : لا تبصر في الشمس . وأشعار الهذليين : ولا من عيلة .
11 أشعار : قافلاً بدل قاحلاً . . . والتليين بدل والتلسين .

وارجع مَنِيحتَــك التي أَتْبعْتهــا هُوْعــاً وَحَــدَّ مُذلَّــقٍ مسْنُونِ[1]

ولهما في هذا المعنى نقائض طوالٌ يطولُ ذكرُها ، وليست لها طُلاوةٌ إلاّ ما يُستفاد في شعر أمثالهما من الفصاحة ، وإنّما ذكرت ما ذكرتُ هاهنا منها لأنّي لم أجِد لهذا الشاعر خبراً غير ما ذكرتُه .

صوت

[من الوافر]

أَلَـم تسأَل بعارمــةَ الدِّيــارا عـن الحَــيِّ المفارق أَين سارا

بـلى ساءلتُهــا فأَبَتْ جوابــاً وكيف سُؤالك الدِّمَن القفارا

الشعر للرّاعي[2] والغِناء لإسْحاق خفيف ثقيلٍ أَوَّل بالبنصر عن عمرو بن جامع وإسحاق .

1 الهوع : القيء ، أو العداوة . والمذلق والمسنون : المحدد .

2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 140-151 .

[537] ـ نسب الراعي وأخباره وخبر ابنه جندل[1]

[نسبه]

هو عُبيد بنُ حُصين بنِ مُعاوية بن جنْدل بن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمَير بن عامر بن صعْصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصفةَ بن قيْس بن عيْلان بن مُضَر . ويُكنى أبا جَنْدل ، والرّاعي لقب غلب عليه ، لكثرة وصفه الإبل ، وَجوْدة نعْته إيّاها . وهو شاعرٌ فحل من شعراء الإسلام ، وكان مُقدَّماً مُفضَّلاً حتى ، اعترض[2] بين جرير والفرزْدق ، فاستكفّه جرير فأبى أن يكُفَّ ، فهجاه ففضحه .

وقد ذكرتُ بعضَ أخباره في ذلك مع أخبار جرير ، وأُتـْممتها هنا .

[يمدح سعيد بن عبد الرحمن]

وقصيدةُ الرّاعي هذِه يمدَح بها سعيدَ بنَ عبد الرّحمن بن عَتَّاب بن أُسيد بن أبي العِيص بن أُميَّة ، وفيها يقُول : [من الوافر]

تُرجِّـي مـن سَعيدِ بني لُؤيٍّ أخـي الأَعْيـاص أَنـواءً غِزارا
تلقَّـى نَوْأُهُـنَّ سِرارَ شَهْرٍ وخَيرُ النَّوءِ مـا لقي السِّرارا
خَليـلٌ تَعْـزُبُ العِـلاَّتُ عنه إذا مـا حـانَ يوماً أن يُزارا
متى مـا تأْتِـه ترجُـو نداهُ فلا بُخْلاً تَخافُ ولا اعْتِذارا
هو الرَّجلُ الذي نَسبت قُريشٌ فَصار المجدُ فيها حيْثُ صارا
وأَنضـاءٍ أُنِخـنَ إلى سَعيدٍ طُروقـاً ثـم عَجَّلن ابْتِكارا[3]
على أَكْوارِهِـنَّ بنُـو سَبيلٍ قليـلٌ نَوْمُهـم إلاّ غِرارا[4]

1 ترجمة الراعي النميري في الشعر والشعراء : 320–327 وطبقات ابن سلام : 502–521 والمؤتلف : 177–178 وخزانة البغدادي 3 : 150–151 والسمط : 49 وحيث وردت ترجمة جرير ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع ديوانه راينهرت فايبرت (بيروت ـ 1980) كما جمعه نوري حمودي القيسي وهلال ناجي وعلى الأولى نعتمد .

2 ل : اعتن .

3 أنضاء : جمع نضو ، وهو البعير المهزول .

4 بنو السبيل : الغرباء .

حَمِدْنَ مَــزاره ولقِين منــه عَطاءً لم يكــنِ عِدَةً ضِمارا

[تفضيله الفرزدق على جرير]

أخبرَني عليّ بن سُليمان الأخْفش قال : حدَّثنا الحسن بن الحسين السكَّريّ عن الرّياشيّ عن الأصمعيّ ، قال : وذكره المغيرة بن حَجْناء قال : حدّثني أبي عن أبيه قال : كان راعي الإبل يقضي للفرزْدق على جرير ويُفضِّله ، وكان راعي الإبل قد ضَخُم أمرُه ، وكان من أشعَرِ النّاس ؛ فلمّا أكثرَ من ذلك خرج جريرٌ إلى رجال من قومه فقال : ألا تَعْجَبون لهذا الرّجل الذي يقضي للفرزدق عليّ ويُفضِّله وهو يهجُو قومه وأنا أمدَحُهم ؟ قال جرير : ثم ضربتُ رأيي فيه ، فخرجتُ ذات يوم أمشي إليه . قال : ولم يرْكَب جريرٌ دابَّته ، وقال : والله ما يسرّني أن يعلم أحدٌ بسيْري إليه . قال : وكان لراعي الإبل وللفرزْدق وجُلسائهما حلقةٌ بأعلى المِربد بالبصْرة يجْلسُون فيها . قال : فخرجتُ أتعرَّض لها لألقاه من حِيال حيثُ كنتُ أراه .

ثم إذا انْصرَف من مجلسه لقِيتُه ، وما يسُرّني أن يعلم أحدٌ ، حتى إذا هو قد مرَّ على بَغلة له ، وابنه جنْدل يسير وراءه راكباً مُهراً له أحْوى محذُوف الذَّنب وإنْسانٌ يمشي معه ويسأله عن بعض السَّبب . فلمّا استْقبلتُه قلت له : مرحباً بك يا أبا جنْدل . وضربتُ بشمالي إلى مَعرفة بغلته ، ثم قلتُ : يا أبا جنْدل ، إنَّ قولك يُستْمَع ، وإنّك تفضِّل عليَّ الفرزْدق تفضيلاً قبيحاً ، وأنا أمدحُ قومَك وهو يهجُوهم ، وهُو ابنُ عمِّي ، وليس منك ، ولا عليْك كُلفَة في أمري معه ، وقد يكفيك منْ ذلك هيِّنٌ ، وأن تقُولَ إذا ذُكِرْنا : كلاهما شاعرٌ كريم ، فلا تحمل منه لائمة ولا منِّي . قال : فبينا أنا وهو كذلك ، وهو واقفٌ عليَّ لا يَردُّ جواباً لقولي ، إذ لحق بالرّاعي ابنُه جنْدل ، فرفع كرمانيَّةً معهُ ، فضرب بها عجزُ بَغلته ، ثم قال : أراكَ واقفاً على كلْب بني كُلَيْب ، كأنّك تخشى منه شرّاً أو ترجو منه خيراً ، فضرب البَغلة ضربةً شديدة ، فزحمتْني زحمةً وقعت منها قلنسوتي . فوالله لو يَعُوج عليَّ الرّاعي لقلتُ : سَفيهٌ غويٌّ ، يعني جندلاً ابنه ، ولكنّه لا والله ما عاج عليَّ ، فأخذتُ قلنْسوتي فمسحْتُها وأعدتُها على رأسي وقلتُ : [من الوافر]

أجندلُ مــا تَقــولُ بَنُو نُمَيْر إذا ما الأَيرُ في اسْتِ أَبيك غابا

قال : فسمِعتُ الرَّاعي يقول لابنه : أما والله لقد طرحتَ قلنسوتَه طَرْحةً مشؤومة . قال جرير : ولا والله ما كانت القلنْسُوةُ بأغْيظَ أمره إليّ لو كان عاج عليَّ .

[معاناة جرير في النظم]

فانصرفَ جريرٌ مُغضَباً حتى إذا صلَّى العِشاء ومَنزلُه في عُلِّيَّة قال : ارفعوا إليَّ باطية من نَبيذِ ، وأسْرِجُوا لي ، فأسرَجُوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ فجعل يُهينم فسمعَتْه عجوزٌ في

الدّارِ . فطلعتْ في الدَّرجة حتى إذا نَظرتْ إليه فإذا هو على الفِراش عُريان لَما هُو فيه . فانحدرت فَقالتْ : ضيفُكم مجْنُون ، رأيتُ منهُ كذا وكذا ؛ فقالوا لها : اذْهبي لِطِيَّتِك ، نَحْنُ أعلم به وبما يُمارس . فما زالَ كذلِك حتّى كان السَّحَرُ فإذا هو يُكبّر ، قد قالَها ثمانينَ بيتاً ، فلمّا بَلَغَ إلى قوله :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فــلا كَعْبــاً بَلغْتَ ولا كِلابا

فذاكَ حِين كَبَّر ، ثم قال : أخزَيْته والله أخزَيْتُه ورَبِّ الكَعْبة ثم أصبح ، حتى إذا عَرَف أنَّ النّاسَ قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبد . وكان جريرَ يعرِف مجلس الرّاعي ومجْلس الفرزدق . فدعا بِدهن فادّهن وأصلح وجهه وكشفَ رأسَهُ ، وكان حَسَن الشّعَر ، ثم قال : يا غلامُ أسرِجْ لي ، فأسرَجَ له حصاناً ، ثمّ قَصَدَ مَجْلِسَهم ، حتّى إذا كان بمَوْضع السّلام ، لم يُسلّم ، ثم قال : يا غُلام ، قُل لعُبَيْد الرّاعي : أبَعَثَتْك نِسْوَتُك تُكْسِبُهنّ المال بالعراق ؟ والذي نفسُ جَرير بيده ، لترجعَن[1] إليهنَّ بما يسوؤهنّ ولا يسرّهنّ . ثم اندفع في القصيدة فأنشدَها . فنكّس الفرزدقُ رأسَهُ ، وأطرَقَ راعي الإبل ، فلو انشقَّتْ لهُ الأرضُ لساخَ فيها ، وأرَمّ القومُ[2] ، حتى إذا فرغ منها ، سار ، فوثب راعي الإبل من ساعته فركِبَ بغلَتَهُ بِشَرٍّ وعَرٍّ[3] . وتفرَّق أهلُ المجلس ، وصَعَد الرّاعي إلى منزله الذي كان ينزله ، ثم قال لأصحابه : رِكابَكم رِكابَكم ، فليس لكم هاهنا مُقام ، فضحكم والله جَرير . فقال له بعضُهم : ذلك شؤمُك وشؤم جَنْدل ابنك . قال : فَما اشتغلوا بشيء غير تَرحّلهم . قالوا : فسِرْنا والله إلى أهلِنا سَيراً ما ساره أحد ، وهم بالشُّرَيْف[4] ، وهو أعلى دار بَني نُمَيْر ، فحلف راعي الإبلِ أنّهم وجَدُوا في أهلِهم قَوْلَ جَرير :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ من نُميرٍ

يَتَناشَدُه النَّاس ، وأقسَمَ بالله ما بَلَغه إنسان قَطّ ، وإنَّ لجرير لأشياعاً من الجنِّ . فتشاءمت به بنو نُمَير ، وسَبّوه وسبُّوا ابنه ، فَهُم إلى الآن يتشاءمون بهم وبولدهم .

[أخزاه وفضحه]

وأخْبَرني بهذا الخبَر عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ ، قال : حدَّثني النّضْر بنُ عَمْرو ، عن أبي

---

1 ل : لتؤوبن .

2 أرم القوم : سكتوا .

3 عر : شدّة .

4 الشريف : أرض بني نمير .

عُبيدةَ بمثله أو نَحْو منه ، وقال في خبره : أجِئْتَ تُوقِر إبلَكَ لِنسائِكَ بُرّاً وتَمْراً ؟ والله لأحملَنَّ إلى أعجازها كلاماً يبقى مِيسَمُه عليهنّ ما بقي اللّيلُ والنّهار يَسُوءُك وإيّاهُنّ استماعُه .

وقال في خَبرِه أيضاً : فلمّا قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِـن نُمَير

وثَبَ وثْبَةً دَقَّ رأسَهُ السَّقفُ ، فجاءَ له صوتٌ هائِلٌ ، وسمعت عجوزٌ كانت ساكِنَة في عُلْو ذلِكَ الموضع صوتَه ، فَصاحَتْ : يا قَوْمِ ، ضَيفُكم والله مَجْنونٌ . فجِئنا إليه وهو يَحبُو ويقول : غَضَضْتُه والله ، أخزَيتُه والله ، فضحتُه وربِّ الكعْبة ، فقلت له : ما لك يا أبا حَزرَة ؟ فأنشدَنا القصيدةَ ، ثم غَدا بها عليه .

[الحجاج يسأل جريراً : ما لك وللراعي]

وذَكَر ابنُ الكلبيّ ؛ عَنْ النَّهشليّ ، عَنْ مِسْحَل بنِ كُسيب ؛ عن جرير في خَبرِه مع الحجَّاج لمّا سأله عمّن هجاهُ من الشُّعراء قال : قال لِيَ الحجّاج : ما لكَ وللرّاعي ؟ فقُلْتُ : أيّها الأمير ، قَدِم البصرة ، وليس بيني وبينهُ عَمل ، فبلَغني أنّه قال في قصيدةٍ له : [من الكامل]

يا صاحبيّ دنا الرّواحُ فَسِيرا غَلَب الفرزْدقُ في الهِجاء جرِيرا

وقال أيضاً في كلمةٍ له : [من الوافر]

رأيتُ الجَحْشَ جَحْشَ بني كُلَيبٍ تَيَمَّـم حَـوْض دِجلة ثـم هابا

فأتيتُه وقُلتُ : يا أبا جَنْدَل ، إنّكَ شيخُ مُضَر ، وقد بلَغني تَفضِيلُك الفرزدق عليّ ، فإن أنصفْتَني وفضَّلتني كنتُ أحقَّ بذلك ، لأنّي مَدحتُ قومَك وهجاهم .

وذكر باقي الخبر نحواً مِمّا ذكرهُ مَن تقدَّم ، وقال في خبره : فقلتُ له : إنَّ أهلَكَ بَعثُوكَ مائِراً ، وبئس والله المائرُ أنت ، وإنّما بَعَثَني أهلي لأقعدَ لهم على قارِعَةِ هذا المِرْبد ، فلا يَسبُّهم أحدٌ إلاّ سببته ، فإنَّ عليَّ نَذْراً إنْ كَحَلْتُ عينيْ بغمْضٍ حتى أخزيَك ، فما أصبحتُ حتّى وفَيْتُ بيميني . قال : ثم غدوتُ عليه فأخذْتُ بعِنانِه ، فما فارقَني حتى أنشدتُه إيّاها ، فلمّا بَلَغت قولي :

أجَنـدلُ مـا تَقولُ بَنُو نُمَيْرٍ إذا ما الأَيرُ في اسْتِ أَبيكِ غابا

قال : فأرسلَ يدي ثم قال : يقولون شَرّاً والله .

[توقع الفرزدق لبيت جرير]

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيمان الأخفش ؛ قال : حَدَّثَني محمد بنُ الحَسن بنِ الحَرُون قال : قال أبو عُبيدة : أنشد جريرٌ الرّاعي هذه القصيدة والفرزدق حاضر ، فلمّا بَلغ فيها قوله :

بهـا بَرَصٌ بأسفل إسكَتَيْها

غَطّى الفرزدق عنْفَقَتَه بِيَدِه ، فقال جرير :

كَعَنْفقةِ الفَرَزدَق حينَ شابا

فقال الفرزدق : أَخزاكَ الله ، والله لقد علمتُ أنّكَ لا تَقولُ غيرَها . قال : فسمع رجل كان حاضراً أبا عُبيدة يُحدِّث بها ، فحلفَ يميناً جزْماً أَنَّ الفرزدق لقَّن جريراً هذا المِصْراع بتغطية عنْفَقته ، ولو لم يَفعل لما انتبه لذلك ، وما كان هذا بيتاً قاله مُتقدِّماً ، وإنّما انتبه لذلك .

[قتله الكمد من الهجاء]

أُخبرنا أَبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بنُ سَلاَّم قال : أُخبرني أَبو الغرّاف قال : الذي هاج التَّهاجي بين جرير والرّاعي أَنَّ الراعي كان يُسْأَل عن جرير والفرزدق . فيقول : الفرزْدَق أكرمُهُما وأشعرُهما ؛ فلقيه جرير فاستعْذره من نفسه .

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدّم ، وزاد فيه : أَنَّ الرّاعي قال لابنه جَنْدل لّما ضرب بغْلته : [من الوافر]

أَلَم تَـرَ أَنَّ كلبَ بَني كُليبٍ أُراد حِياضَ دِجلـةَ ثـم هابا

ونفرَتْ البغلةُ فزحمَتْهُ حتى سقطتْ قلنْسُوة جرير . فقال الرّاعي لابنه : أَما والله لتكُونَنَّ فعلَةً مشؤومة عليك وليهجونّي وإيّاك ، فليتهُ لا يُجاوزُنا ولا يذكر نِسْوتنا . وعَلِم الرّاعي أنّه قد أساءَ وندِم ، فتزعم بنو نمير أنّه حَلَفَ ألاّ يُجيب جريراً سنة غضباً على ابنه ، وأنّه مات قبل أن تمضي سنة . ويقول : غير بني نُمَير : إنّه كَمِد لّما سمعها فمات كمداً .

[معترف لجرير بالغلبة]

أُخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ وأبو الحسن عليّ بن سُليمان الأخفش ، قالا : حدَّثنا أَبو سعيد السّكريّ ، عن محمد بن حبيب وإبراهيم بن سعْدان ، عن أبي عُبيدة وسعدان والمفضل وعمارة بن عقيل ، وأخبرنا به أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن أبي البيداء قالوا جميعاً :

مرَّ راكبٌ بالرّاعي وهو يَتَغَنّى : [من الطويل]

وَعاوٍ عَوى من غير شيءٍ رميتُه بقافيــةٍ أَنفاذُهــا تقطرُ الدّما
خَروجٍ بأَفْــواهِ الرُّواة كأَنّـها قَرا هُندُوانيٌّ إذا هُــزَّ صمّما

فسمعها الرّاعي فأتبعهُ رسُولاً ، وقال له : مَنْ يقول هذين البيتين ؟

قال جرير ، فقال الرّاعي ، أَؤلام أَن يغلبني هذا ؟ والله لو اجتمع الجنُّ والإنْسُ على صاحب هذين البيتين ما أَغنوا فيه شيئاً .

قال ابنُ سلام خاصَّة في خبره : وهذان البيتان لجرير في البَعيث ، وكذلك كان خبره معه ، اعترضه في غير شيء .

[لا يحتذي ولا يعارض]

أُخبرنا أبو خليفة قال : أُخبرنا محمد بنُ سلاّم ، قال : كان الرّاعي من رجال العَرب ووُجوه قومه ، وكان يُقالُ له في شعره : كأنّه يعتسِفُ الفلاةَ بِغَيرِ دليل ، أي أنّه لا يحتذي شعرَ شاعر ، ولا يعارضُه ، وكان مع ذلك بذِيّاً هجّاءً لعشيرته ، فقال له جرير : [من الوافر]

وَقَرْضُكَ في هَوازانَ شرُّ قرضٍ تهجُّنُهم وتَمْتَدِح الوِطابا

[نسب بامرأة من بني عبد شمس]

أُخبرنا أبو خليفة ، قال : أُخبرنا محمدُ بنُ سلاَّم قال : قال أبو الغَرّاف : جاوَرَ راعي الإبل بَني سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم ، فنَسَب بامرأةٍ منهم من بَني عبد شَمس ، ثم أحد بني وابشيّ ، فقال[1] : [من الطويل]

بَني وابِشيٍّ قد هَوينا جوارَكُم وما جمَعَتْنا نِيَّةٌ قبلها معا
خَلِيطَيْن من حَيَّين شتَّى تجاورا جَميعاً وكانا بالتّفرّق أُمتعا[2]
أَرى أَهلَ ليلى لا يبالي أَميرُهم على حالة المحزُون أَن يَتَصدّعا

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

صوت

تذكَّر هذا القلبُ هِندَ بني سَعْدِ سَفاهاً وجَهْلاً ما تَذكَّر مِنْ هِنْدِ
تذكَّر عَهداً كان بَيْني وبَيْنَها قديماً وهل أَبقت لك الحربُ من عَهدِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثَّقيل الأوّل بالوُسْطى ، وذكر الهشاميُّ أنّه لنَبيه ، وذكر قمري وذُكاء وَجْهِ الرّزَّة أنّه لبنان .

قال ابنُ سَلاَّم : فلمّا بلغَهم شِعرُه أَزعجُوه ، وأَصابوه بأذًى ، فخرج عنهم وقال فيهم[3] : [من الوافر]

أَرى إبلي تكالأُ راعِياها مخافَةَ جارِها الدَّنِسِ الذَّميمِ[4]

1 ديوان الراعي : 165–166 .
2 من حيَّين في الديوان : من شعبين .
3 ديوان الراعي : 252 .
4 الشطر الثاني في الديوان : مخافة جارها طبق النجوم .

وقـد جاورتُهـم فرأيت سَعْداً شَعاعَ الأمـرِ عازِبـةَ الحُلُومِ
مَغانيم القـرى سَرقـاً إذا ما أجنَّـتْ ظُلمةُ اللَّيـلِ البَهيمِ[1]
فأُمـِّي أرضَ قوْمك إنَّ سعْداً تحمّلت المخـازِيَ عـن تَميمِ

[قدومه على عبد الملك]

أُخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاَّم ، عن عبدِ القاهر بنِ السَّريِّ ، قال : وفَد الرّاعي إلى عبدِ الملك بنِ مرْوان ، فقال لأهل بيته : تزوَّحُوا إلى هذا الشيخ فإنِّي أراهُ مُنجباً .

[جندل يدافع عنه]

أُخبرنا محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيْد قال : حَدَّثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس : قال : قدِم جَندلُ بنُ الرّاعي على بلالِ بن أبي بُرْدة ، وقد مَدحهُ ، وكان يُكثِر ذكرَ أبيه ووصفه ، فقال له بلال : أليس أبوك الذي يقول في بِنْتِ عمِّه ، وأمـُّها امرأةٌ من قومه[2] : [من الطويل]

فلمّا قضتْ من ذي الأراكِ لُبانَةً أرادَتْ إلينـا حاجـةً لا نُريدُها

وقد كان بعد هِجاء جرير إيّاه مُغلَّبا ؟ فقال له جندل : لئن كان جريرٌ غلبه لما أمسك عنه عَجزاً ، ولكنَّه أقسم غَضَباً عليَّ ألاّ يُجيبه سنةً ، فأين أنت عن قوله في عديّ بنِ الرّقاع العامليّ[3] : [من البسيط]

لو كنتَ من أحدٍ يُهجى هجْوتُكم يا ابن الرّقاع ولكن لستَ من أحدِ
تأبى قُضاعةُ لم تعرِفْ لكم نسباً وابنـا نِـزارٍ وأنتـم بيضةُ البَلدِ[4]

قال : فضَحِك بلالٌ وقال له : أمّا في هذا فقد صدقْت .

[لا يطلب حاجة لنفسه]

أُخبرني محمد بن عِمرانَ الصيرفيّ وعمِّي قالا : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ عبد الرّحمن ، عن ابن عائشةَ قال : لمّا أنشد عُبيدُ بنُ حُصين الرّاعي عبدَ الملك بنَ مرْوان قوله[5] : [من البسيط]

فـإنْ رفعتَ بهـم رأساً نَعْشتَهمُ وإن لَقـوا مثلَها من قابلٍ فسدُوا

1 سرقاً في الديوان : سرفٌ .
2 ديوان الراعي : 94 وفيه «من ذي الإناء» .
3 ديوانه : 79 .
4 بيضة البلد : مثل . ورد في مجمع الأمثال للميداني (صادر) 1 : 269 .
5 ديوانه : 66 .

قال له عبدُ الملك : فتريد ماذا ؟ قال : تَرُدّ عليهم صدقاتهم فتنعشَهُم ، فقال عبد الملك : هذا كثير ، قال : أنت أكثر منهُ ، قال : قد فعلتُ ، فسلني حاجةً تخصّك ، قال : قد قَضيْتَ حاجتي . قال : سل حاجَتَك لنفسِك ؟ قال : ما كُنت لأُفسد هذه المكرُمة .

[بنو سعد يعطونه مال العنبري]

حدَّثني أحمدُ بن محمد بن سَعِيد الهمذاني قال : حَدَّثنا يحيى بنُ الحسن العلوي ، قال حدَّثنا إسماعيل بنَ يعقوب ، عن عثمان بنُ نُمَيْر ، عن أبيه قال : كنتُ عند العبّاس بن محمد في يوم شاتٍ ، فدخل عليه مُوسى بنُ عبد الله بن حسن ؛ فقال له العبّاس بنُ محمد : يا أبا الحسن ، ما لي أراك مُتغَيّراً ؟ فقال له موسى : والله إنّي لأعْرق ممّا كان اليوم ؛ قال : وما كان يا أبا الحسن ؟ فقال : ذاكَ أنّ أمير المؤمنين أخرج لي وللعبّاس بنِ الحسَن خمسين ألفاً : للعبّاس منها ثلاثون ألفاً ، والله ما أجد لي ولكُم مثلاً إلاّ ما قال أخو بني العنبَر ، وجاورَ هو وراعي الإبل في بني سعد بن زيد مَناة ، فكانوا إذا مدحهم الراعي أخذُوا مالَ العنْبريّ فأعطوه الرّاعي ، فقال العنبرِيّ في ذلك : [من الطويل]

أيُقطَع مَوْصولٌ ويُوصَل جانب أسعدُ بنَ زَيْدٍ عَمرَكِ الله أجملي
فإنّا بأرْضٍ هاهُنا غير طائل مَتى تَعلفوا بالرّغم والخسْف نأكُلِ

قال : فقال له العبّاس : إنّكم نازعتُم القوم ثوبَهم . وكان عبّاس وأهلُه أعواناً له على حذيَّةٍ منكم ، ومع ذلك فعبّاس الذي يقول لبنت حيدة المحاربيّة يرثيها : [من الوافر]

أتتْ دُونَ الفِراش فأبشَرَتْنا مصيبتنا بأخت بني حُدادِ
كأنَّ الموت لا يعني سِوانا عشيّة نحوها يحدُوه حادِي
فإنَّ خليفةَ اللهِ المُرَجَّى وغيثَ النّاس في الإزَم الشّدادِ
تطاول ليلهُ فعداك حتّى كأنّك لا تَتوب إلى مَعادِ
يظَلّ ، وحقّ ذاك ، كأنَّ شَوْكاً عليه العينُ تطْرِف من سُهادِ
فليتَ نُفوسَنا حَقّاً فدَتْها وكلّ طَريف مالٍ أو تِلادِ

وجندل بن الراعي شاعر ؛ وهو القائل ، وفي شعره هذا صنعة : [من الطويل]

صوت

طلبْت الهوى الغَوْرِيّ حتى بلغتُه وسيّرت في نجديّةٍ ما كفانيا
وقلت لحِلمي لا تنزعنّي عن الصِّبا وللشَّيبِ لا تذْعَر عليَّ الغَوانِيا

الشعر لجَنْدل بن الرّاعي ، والغِناء لإسحاق خَفيف ثقيل بالبِنْصَر ؛ عن عمرو من جامع إسحاق . وقال الهشاميّ : وله فيه أيضاً ثاني ثقيل ، وهو لحْن مشهور ، وما وجدناه في جامعه ، ولعلّه شذَّ عنه أو غلط الهشاميّ في نسبته إليه ، وقال حبش : فيه أيضاً لإسحاق خفيف رمل .

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني أبو عبدِ الله الهشاميّ قال : قال إسحاق : قال أبو عبيدة : كانت لجَنْدل بن الرّاعي امرأةٌ من بني عُقَيل ، وكان بخيلاً ، فنظر إليها يوماً وقد هُزِلت وتخدَّد لحمها ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

عُقَيليَّــة أمَّا أعــالي عِظامِها ... فعُــوجٌ وأمّا لحمهــا فقليلُ

فقالت مُجيبةً له عن ذلك : [من الطويل]

عُقيلِيَّة حَسْناء أُزرى بلَحْمِها ... طعامٌ لديــكَ ابنَ الرّعاء قليلُ

فجعل جندل يَسبّها ويَضربُها وهي تقول : قلتَ فأجبتُ ، وكذبتَ فصدَّقْتُ ، فما غضَبُك ؟

صوت

[من مجزوء الخفيف]

أصبح الحبــلُ مــن سَلا ... مــةَ رَثّــاً مُجَـذَّذا
حَبَّــذا أنــتِ يــا سلا ... مــةُ ألفيْــن حبَّــذا
ثــم ألفيــن مُضْعفيــ ... ــن وألفَيْــن هكــذا
في صميم الأحشاء مِنّي ... وفي القلبِ قــد حَـذا
حــذوَةً مــن صَبابــةٍ ... تركتْــــه مُفلَّـــذا[1]

الشعر لعمَّار ذي كُبار والغِناء لحَكم الوادي هَزَج بالوسطى عن الهشاميّ . قال الهشاميُّ وذكر يحيى المكي أنّه لسليم الوادي لا الحكم .

1 مفلذا : مقطعا .

[538] ـ أخبار عمار ذي كبار ونسبه[1]

هو عَمّار بن عَمْرو بن عبدِ الأكبر يُلَقَّب ذا كُبار ، هَمْدانيٌّ صَلِيبَةً ، كُوفيّ ، وجدتُ ذلك في كتاب محمد بن عبد الله الحَزَنْبل .

وكان لَيِّن الشِّعر ماجِناً خِمِّيراً مُعاقِراً للشراب ، وقد حُدَّ فيه مَرّات ، وكان يَقُول شعراً ظريفاً يُضحِك من أكثره ، شديد التّهافُت جَمّ السخف ، وله أشياء صالِحة نذكرُ أجودَها في هذا الموضع من أخباره ومُنْتَخب أشعاره ؛ وكان هو وحمّاد الراوية ومُطِيعُ بن إيّاس يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترِقُون ، وكلّهم كان مُتّهماً بالزَّنْدَقة .

[يلازم الكوفة]

وعمّار ممَّن نشأ في دولة بني أُميّة ، ولم أُسمع له بخبر في الدّولة العبّاسيّة ، ولا كان مع شَهْوة النّاس لشِعره ، واستطابتهم إيّاه ينتجع أحداً ولا يَبرح الكُوفةَ لعشاء بَصَره وضَعْف نظره .

فأخبرني محمدُ بنُ مزيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الرّاوية ، وأُخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم الفراسيّ قال : حدَّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية ، ولفْظ الرجلين كالمتقارب قال : استقدمني هشامُ بن عبد الملك في خِلافته ، وأمر لي بِصِلةٍ سنيّةٍ وحُمْلان[2] فلمّا دخلتُ عليه استنشدني قصيدةَ الأفوهِ الأوديّ[3] : [من البسيط]

لنـــا معاشِرُ لم يَبْنُــوا لقومِهِــمُ   وإن بَنى قومُهم ما أَفسَدُوا عادُوا

قال : فأنشدتُه إيّاها ، ثم استَنْشَدَني قولَ أبي ذُؤَيْب الهُذَليّ :

أَمِنَ المَنون ورَيْبـها تَتَوجَّعُ

فأنشدتُه إيّاها ، ثم استَنْشَدَني قولَ عدِيّ بن زَيْد :

أَرواحٌ مودِّع أم بُكور

---

1 لعمار ذي كبار ترجمة في الوافي 22 : 396 وذكره الأستاذ محمود محمد شاكر في حاشية طبقات ابن سلام (360) باسم عمار ذو كنار وفي فهرست الطبقات عمار ذو كناز .

2 الحملان : ما يحمل عليه من الدواب .

3 ديوان الأفوه الأودي (صادر) : 64 .

فأنشدته إيّاها ، فأمر لي بمنزل وجراية ، وأقمتُ عنده شهراً ، فسالني عن أشعار العرب وأيّامها ومآثرها ومحاسنِ أخلاقها ، وأنا أخبره وأنشده ، ثم أمر لي بجائزة وخِلعة وحُملان ، وردَّني إلى الكوفة ، فعلِمْتُ أنّ أمرَه مُقبِل .ثم استقدمَني الوليد بن يزيد بعده ، فما سألني عن شيء من الجدِّ إلاّ مرَّة واحدة ، ثم جعلتُ أُنشِده بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه ، ولا يَهَشّ إلى شيء منه ، حتى جَرى ذكر عمّار بن ذي كبار فتشوَّقه وسأل عنه ، وما ظننت أنّ شِعر عمّار شيء يُرادُ أو يُعبأُ به . ثم قال لي : هل عندكَ شيءٌ من شعْره ؟ فقلت : نعم أنا أحفظ قصيدة له ، وكنت لكثرة عبثي به قد حفِظتُها ، فأنشدتُه قصيدتَه التي يقولُ فيها : [من مجزوء الخفيف]

حَبّـذا أنتِ يـا سلا ... مـةُ ألفـين حَبّذا
أشتَهِي مِنْكِ مِنْكِ مِنـ ... ـكِ مكانـاً مُجَنْبَذا[1]
مُفعَمـاً في قُبالـةٍ ... بـين رُكْنـين رَبَّذا
مُدغمـاً ذا مناكـب ... حسنَ القَدِّ مُحْتَذى
رابيـاً ذا مَجَسَّة ... أَخْنساً قـد تَقَنْفَذا
لم تَـرَ العـينُ مِثلَه ... في منـامٍ ولا كَـذا
تامِكـاً كالسّنـام إذْ ... بُـذَّ عنـه مُقَذَّذا[2]
مِلء كَفّـيْ ضَجيعِها ... نـال منهـا تَفَخُّذا
لـو تأمَّلتَـه دُهِشْـ ... ـتَ وعايَنْتَ جِهْبِذا[3]
طيّب العَرف والمجَسّـ ... ـة واللّمسِ هِرْبِذا[4]
فأجـا فِيـه فيـه فيـ ... ـه بأيـرٍ كمِثْل ذا[5]
ليتَ أيري ولَيْت حِـ ... ـرْك جَميعـاً تآخَذا
فأخذَ ذا بِشعْـر ذا ... وأخـذ ذا بقَعْـر ذا

قال : فضحِك الوليد حتى سقط على قَفاه ، وصَفّق بِيَدَيْه ورجْلَيه ، وأُمَر بالشراب فأُحضِر ، وأمرني بالإنشاد ، فجعلتُ أُنشدِه هذه الأبيات وأُكرّرها عليه ، وهو يَشرَب ويُصَفّق

1 مجنبذ : مرتفع مستدير كالقبة .
2 تامك : ممتلىء مرتفع . ومقذذ : محلوق .
3 الجهبذ : الخبير بغوامض الأمور .
4 الهربذ : أحد القائمين على بيت النار عند المجوس .
5 أجا : مخفف وجأ بمعنى دفع .

حتى سَكِر ، وأمر لي بحُلَّتين وثلاثين ألف درهم ، فقبضتُها . ثم قال لي : ما فَعل عمّار ؟ فقلتُ : حيٌّ كميّت ، قد عَشي بَصَرُه ، وضَعُف جِسمُه ، ولا حَراك به . فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فقلت له : ألا أخبر أميرَ المؤمنين بشيء يفعَلُه لا ضَررَ عليه فيه ، وهو أحبُّ إلى عمّار من الدُّنيا بحذافيرها لو سيقت إليه ؟ فقال : وما ذاك ؟ قلت : إنّه لا يزال يَنْصَرِف من الحانات وهو سَكْران ، فترفَعُه الشُّرَط ، فيُضرَب الحدَّ ، فقد قُطِّع بالسِّياط ، وهو لا يَدَع الشَّرابَ ولا يكُفُّ عنه ؛ فتكتُب بألاّ يُعرَض له . فكتب إلى عامِلِه بالعِراقِ ألاّ يَرفع إليه أحد من الحَرَس عمّاراً في سُكْر ولا غيرْه إلاّ ضُرِب الرافعُ له حدّين وأطلق عمّاراً .

فأخذتُ المالَ وجِئته به ، وقُلتُ له : ما ظننْتُ أنَّ الله يُكسب أحداً بشعْرك نقِيراً ولا يسأل عنه عاقل ، حتى كَسبتُ بأوضع شيءٍ قُلتَه ثلاثين ألفاً . قال : عزَّ عليَّ فذلِك لقلّة شكْرك يا ابن الزّانية ، فهات نصيبي منها . فقُلت : لقد استغنيتَ عن ذلك بما خُصصتَ به ، ودَفعت إليه العشرة آلاف درهم . فقال : وَصَلَك الله يا أخي وجَزاك الله خيراً ، ولكنّها سَبَبُ هلاكي وقَتْلي ، لأنـّي أشرب بها ما دام مَعي منها درْهم ، وأُضرَب أبداً حتى أموت . فقلت له : لقد كفيتك ذلك ، وهذا عهد أمير المؤمنين ألاّ تُضرَب ، وأن يُضرَب كلُّ مَنْ يرْفعك حدَّين . فقال : والله لأنا أشدُّ فرحاً بهذا من فرحي بالمالِ ، فجُزيت خيْراً من أخ وصديقٍ ؛ وقبض المالَ ، فلم يزل يشربُ حتى ماتَ ، وبقِيَّته عنده .

[خلافه مع امرأته]

نسختُ من كتابِ الحزَنْبل المُشتمِل على شعر عمّار وأخبارِه : أنّ عمّاراً ذا كبار كانت له امرأة يقال لها دُومَة بنتُ رَباح ، وكان يُكَنِّيها أُمَّ عَمّار وكانت قد تخلّقت بخُلُقه في شُرب الشَّراب والمُجُون والسَّفه ، حتى صارت تُدْخِل الرجالَ عليها وتَجمعُهم على الفَواحِش ، ثم حجَّت في إمارة يوسف بن عُمر ، فقال لها عمّار : [من الخفيف]

اتَّقـي اللهَ قـد حَجَجْتِ وتُوبي ... لا يكونَـنَّ مـا صَنَعْـتِ خَبالا
ويلكِ يا دُومُ لا تَدُومي على الخَمْـ ... ـرِ ولا تُدْخِـلي عليـكِ الرِّجالا
إنَّ بالمِصْـر يوسُفـاً فاحذَريـه ... لا تَصيري للعالمـين نَـكالا
وثَقِيـفٌ إن تَثْقَفَنْـك بحـدٍّ ... لم يُساوِ الإهـابُ منك قِبالا[1]
قد مَضى ما مَضة وقد كان ما كا ... ن وأودى الشَّبابُ منـكِ فَزالا

1 القبال : سير في النعل بين أصابع القدم .

قال : فضربته دُومَة وخرّقَت ثيابه ، ونتفت لحْيَته ، وقالت : أتجعلني غرضاً لشعْرك ؟ فطَلّقها واشْترى جاريةً حَسناء ، فزادت في أذاه وضربْه غِيرةً عليه . فشكاها إلى يوسفَ بن عمَر ، فوجَّه إليها بخدَم من خدَمه ، وأمرهم بضَربها وكسْر نبيذِها ، وإغرامِها ثيابَ عمّار ، فَفَعلوا ذلك ، وبلغُوا منها الرِّضا لعمّار ، فقال في ذلك عمَّار : [من مجزوء الرمل]

إنّ عِـرسي لا هَداها ... الله بنـتٌ لِرَبـاحِ
كلَّ يـوم تُفزع الجُلاَّ ... س منهـا بالصِّيـاحِ
ورَبوخٌ حـين تُوْتـى ... وتَهَيّـا للنِّكـاحِ
كلبُ دَبَّـاغ عَقُـورٌ ... هـرَّ من بعـد نُباحِ
ولها لونٌ كدَاجي اللّيـ ... ـل مـن غير صَباحِ
ولسانٌ صـارِمٌ كالسّيـ ... ـفِ مَشحوذ النَّواحي
يقطَع الصَّخـرَ ويَفرِيـ ... ـه كما تَفرِي المَساحي
عجِّـل اللهُ خلاصـي ... مـن يديهـا وسَراحي
تُتعِبُ الصّاحِبَ والجا ... رَ وتَبغِي مَـنْ تُلاحِي
زَعمـتْ أنّي بَخيـلٌ ... وقد آخنى بن سَماحي
ورأت كَفِّـي صِفْـراً ... مـن تِلادي ولِقاحي
كذَبَت بِنـتُ رَبـاحِ ... حـين هَمَّت باطِّراحي
حاتِمٌ لـو كانَ حَيّـاً ... عاش في ظِـلّ جَناحي
ولقـد أُهلكتُ مـالي ... في ارتياحي وسَماحي
ثـم مـا أُبقيتُ شَيئاً ... غيرَ زادِي وسِلاحـي
وكُمَيْتٍ بـين أشطا ... نِ جَـوادٍ ذي مِراحِ
يسبِقُ الخيـلَ بتَقْريبٍ ... وشَدٌّ كالرِّيـــاحِ
ثـم غـارَتْ وتَجَنَّت ... وأُجـدَّت في الصِّياحِ
لابْتِياعـي أُملَحَ النِّسـ ... ـوان مـن فَيْءِ الرِّماحِ
دُميةُ المِحْـرابِ حُسْناً ... وحَكَت بَيضَ الأُداحي
هيَ أشهى لِصَدَى الظَّمـ ... ـآن مـن بـرد القَراحِ
قلـتُ : يـا دُومَةُ بِيني ... إنَّ في البَيْنِ صَلاحي

فأنـا اليـوم طَلِيـقٌ   من إسارِي ذُو ارتِياحِ
لستُ عمّن ظَفِرت كَفْـ   ـي بهـا اليوم بِصاحِ
أنـا مَجْنـون بِريـمٍ   مُخْطَفِ الخصر رَداحِ
مُشبَع الدُّملُجِ والخَلْخا   ل جَـوَّالِ الـوِشاحِ
إنَّ عَمَّـارَ بـنَ عَمْرو   ذا كُبـارٍ ذو امْتداحِ
وهِجـاءٍ سارَ في النَّـ   ـاسِ لا يَمحُـوه ماحي
أبداً مـا عاش ذُو رُوحٍ   ونُـودِي بالفَـلاحِ

[هجاء بائع الرؤوس]

قال : وكان لعمّار جارٌ يبيع الرّؤوس يقال له غُلامُ أبي داود ، فطَرقَ عمّاراً قَومٌ كانوا يعاشرونه ويَدْعُونه فقالوا : أطعمنا واسقنا ، ولم يكن عِنْده شيءٌ يومئذٍ ، فبعث إلى صاحب الرؤوس يسأله أن يوجّه إليه بثلاثة أرْؤُسٍ ليُعْطِيَه ثمنَها إذا جاءه شيء ، فلم يفعل . فباع قميصاً له واشْترى للقَومِ ما يُصلِحُهم وشَرِبُوا عنده ، فلمّا أصبحَ القوم خرج إلى المحلّة ، وأهلُها مُجْتمِعون ، فأنشأ يقول : [من الهزج]

غـلامٌ لأبـي داو   دَ يُدْعـى سالقَ الرُّوسِ
وفي حُجْرَتِـه قَمْـلٌ   كأَمثـالِ الجَوامِيسِ
فمَنْ ذا يشتري الرُّوسَ   وقد عَشَّشَ في الرُّوسِ
رُؤوسٌ قـد أراحـت   كَـرُؤوسٍ في النَّواوِيسِ
تُحاكي أوجُـهَ المَوتى   وريحـاً كالكَرابِيسِ[1]
يُنقّـي القمـل مِنهنَّ   إذا بـاع بتَـدلِيسِ

قال : فشاعت الأبياتُ في النّاس ، فلم يقرُب أحدٌ ذلك الرجل ، ولا اشترى منه شيئاً ، فقام من مَوْضِعِه ذلك ، وعطَّلَ حانوتَه .

[يعتذر للأمير عن فجوره بعجزه]

قال : وحَضَر عمّار ذو كُبار مع هَمْدان لقَبض عَطائِه ، فقال له خالِدُ بنُ عَبْدِ الله : ما كُنتُ لأعطِيك شيئاً . فقال : ولِم أيُّها الأمير ؟ قال : لأنّك تُنفِق مالَكَ في الخُمُورِ والفُجُورِ ، فقال : هَيهاتَ ذلِك ، وهل بقي لي أرَبٌ في هذا وأنا الذي أقول : [من مجزوء الخفيف]

1 الكرابيس : جمع كرباس وهو المرحاض .

أَيرُ عمّارٍ اصبحَ الـ ـيوم رِخْواً قد انْكَسَرْ
أَلِداءٍ يُرى بـه أم من الهمِّ والضَّجَرْ
أم بـه أُخذَةٌ فقد تُطلِق الأُخذةَ النُّشَرْ
فلئن كان قَوَّسَ اليـ ـومَ أو عَضَّه الكِبَرْ
فَلَقِدْماً قَضى ونـا لَ من اللَّذَّةِ الوَطَرْ
ولقـد كُنتُ مُنعِظاً أبداً قائمَ الذَّكَرْ
وأنا اليومَ لو رأى الحُو رَ عندي لما انْتَشَرْ
ساقطٌ رأسُه على خُصْيَتَيه به زَوَرْ
كلّما سُمْتُه النهو ضَ إلى كُوَّةٍ عَثَرْ

قال : فضَحِك خالدٌ ، وأمر له بعَطائه ، فلمّا قَبضَه قَضى منه دَيْنَه ، وأصلَح حالَه ، وعاد لشَأنه ، وقال : [من مجزوء الخفيف]

أَصبحَ اليومَ أَيرُ عمَّارَ قد قامَ واسبَطَرّ
أَخَذَ الرِّزْقَ فاستَشا طَ قِياماً من البَطَرْ
فَهُو اليومَ كالشِّظا ظ من النَّعْظ والأَشَرْ
يترُك القِرنَ في المَكـ ـرّ صريعاً وما فَتَرْ
يُشرِعُ العُودَ للطّعان إذا انصاع ذو الخَوَرْ
سَلْم نِعْمَ الضَّجيعُ أَنـ ـتِ لنا ليلَةَ الخَصَرْ
لَيلَةَ الرّعد والبرو قِ مع الغيم والمَطَرْ
ليتَني قد لَقِيتُكُم في خَلاءٍ من البَشَرِ
فَنَشرنا حَدِيثَنا عِندكم كُلَّ مُنْتَشَرْ
خالياً ليلةَ التَّما م بسَلْمى إلى السَّحَرْ
فهي كالدُّرّة النَّقِيّـ ـةِ والوَجهُ كالقَمَرْ

[صديقه تركه يغرق]

قال : وخَرج عمّار في بَعضِ أَسفارِه ، ومعه رجُلٌ يُعْرف بدَنْدان ، فلمّا بلغا إلى الفرات نزلا على قرية يقال لها ناباذ ، وأرادا العُبور فلم يَجِدا مَعْبراً . فقال له دَنْدان : أنا أعبُرك ، فنزل معه فلمّا توَسَّطا الفرات خلَّى عنه ، فبعد جهدٍ ما نَجا ، فقال عمّار في ذلك : [من الرمل]

كادَ دَنْــدانُ بــأَن يجْعلني يــوم نابــاذ طَعاماً للسَّمَكْ
قُلْتُ : دَنْدانُ أَغِثْني فمضى وأنا أعلُــو وأَهْوِي في الدَّرَكْ
ولقــد أَوقَعنــي في وَرطَــة شَيَّبَتْ رأْسي وعاينْتُ المَلَكْ
لَيْتَ دَنْــدانَ بِكَفَّــيْ أَسدٍ أو قَتيــلاً ثاوِيــاً فيمَن هَلَكْ

[عند خالد القسري]

أَخبرني أَبو الحسَن الأَسَديّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ صالح بن النطّاح ، عن أَبي اليَقظان قال : دَخَل عمّار ذُو كُبار على خالِدٍ القَسْريِّ بالكوفة ، فلمّا مَثَل بَين يَدَيه صاح به : أَيُّها الأَمير : [من الخفيف]

أَخلقَتْ رَيْطتِي وأَودى القَمِيصُ وإِزاري والبَطنُ طاوٍ خَمِيصُ

قال : خالد : فنَصْنَع ماذا ؟ ما كُلّ مَنْ أَخلقت ثيابُه كسَوْناه ، فقال :

وخَـلا منزِلي فـلا شيءَ فيـهِ لستُ مِمَّن يُخشى عليه اللُّصوصُ

فقال له خالد : ذلك من سُوء فعلِك وشُرْبِك الخمر بما تُعطاه ، فقال :

واستحلَّ الأَميرُ حَبْسَ عطائي خالــدٌ إنَّ خالــداً لحريصُ

فقال خالد وقد غضِب : على ماذا ثكِلتك أُمُّك ؟ قال :

ذو اجتهاد على العبادة والخَيْـ ـرِ ولكــن في رزْقنا تعْويصُ[1]

فقال : على ماذا تقْبِض العطاءَ ولا غناءَ فيك عن المسلمين ؟ فقال :

رخَّص اللهُ في الكتاب لذي العُذْ ر ومــا عنْــد خالدٍ ترْخِيصُ

فقال : أَو لم نرخِّص لذي العُذْر أَن يقيمَ ويبعث مكانه رسولاً ؟ فقال :

كلَّـف البائسَ الفقيرَ بديـلاً هل لـه عنه معْدل أَو مَحيصُ
العليلَ الكبيرَ ذا العـرَج الظا لـعَ أَعْشى بعيْنـه تلْحيصُ[2]
يــا أَبا الهيثَم المباركَ جُدْ لي بعطاء مــا شانــه تنغيصُ
وبرزقــي فإنّنا قــد رزحْنـا مــن ضَياعٍ وللعيال بَصيصُ
كبصيصِ الفرْخين ضمَّهُما العُشُّ وغاذِيهمــا أَسيرٌ قنيـــصُ

1 تعويص : صعوبة وشدة .
2 تلحيص : التصاق جفني العين من الرمد .

قال : فَدَمعَتْ عَينا خالد ، فأمر له بعطائِه .

وهذه الأبياتُ من قصيدة يقول فيها : [من الخفيف]

وتَـرى البيتَ مُقْشَعِرّاً قـواءً ... مـن نواحيـه دَوْرقٌ وأصيصُ[1]،

وبِجـادٌ مُمَـزَّقٌ وخِـوانٌ ... ندَرت رجْلُـه وأُخرى رَهيصُ[2]،

ولقـد كان ذا قوائـم مُلسٍ ... توُكل اللَّحْـمُ فوقـهُ والخبِيصُ

شَطَنَتْ هكـذا شوارِدُ بالمِصْـ ... ـر وعَنِّـي لم يُلهِـه التَّرْبيصُ[3]،

وتولَّـى في كلِّ بَحْـرٍ وبَـرٍّ ... همُّـهُ العَرسُ فيـه والتَّحصيصُ[4]،

مُتعـالٍ عـليَّ آخـرُ مَحْبُـو ... رٌ يُغادِيـه بطّـةٌ ومَصُوصُ[5]،

وشِواءٌ مُلَهْـوَجٌ ورؤوسٌ ... وصُيـودٌ قـد حازَهـا التّقنيصُ

ثمَّ لا بُـدَّ يلتقي الوزْن بالقِسْـ ... ـطِ لدى الحشْر فاحذَروا أن يبُوصُوا[6]

أكثِروا الملْـك جانبـاً واجْمعُوه ... سوف يُـودِي بذلـك التنقِيصُ

[مديح جزاؤه جبة ومائتا درهم]

ونَسختُ من كتاب الحَزَنبل : أنَّ عمَّاراً وقف على عاصم بن عقِيل بن جعْدة بن هُبيرة المخزوميّ فقال له : [من مجزوء الرمل]

عاصمٌ يا ابن عَقِيلٍ ... أفسحُ العـالم باعاً

وارثُ المجـد قديماً ... سامياً يَنمي ارتفاعا

عن هُبَيْرٍ وابنه جَعْـ ... ـدةَ فاحتـلّ التّلاعا

فقال له عاصم : أسمعتَ يا عمَّار فقلْ فقد أبلغْتَ في الثَّناء ، فقال :

اكْسُني أصلحك اللـ ... ـهُ قميصاً وصِقاعا[7]

1 قواء : لا أنيس فيه .
2 رهيص : واهن .
3 التربيص : المكث والانتظار .
4 العرس : الإقامة في الفرح . التحصيص : البيان والظهور .
5 المصوص : لحم ينقع في الخلّ ويطبخ .
6 يبوصوا : يهربوا ويستتروا .
7 صقاع : ما يقي الرأس .

وأرِحْني مـن ثيابٍ باليـــاتٍ تتـداعى
طال تَرْقِيعي لها حتـ ـى لقد صارتْ رِقاعا
كلُّها لا شيءَ فيها غيْر قَمْـلٍ تَتساعى
لم تزلْ تُولي الذي يَرْ جوك بِرّاً واصطِناعا

فنزع عاصمٌ جُبَّة كانت عليه ، وأمر غلامهُ فجعل تحتها قميصاً ودَفعها إليه ، وأمر لهُ بمائتي دِرْهم .

[ذاليته مضحكة رغم مرذولها]

فأمَّا القصيدة الذّاليّة ، التي استَحْسنها الوليد ، وسأل حمّاداً الرَّاوية عنها فإنَّها كثيرةُ المرذُولِ ، ولكنّها مُضْحكة طيِّبة من الشِّعر المرذُول وفيها يقول : [من مجزوء الخفيف]

أنتَ وَجْداً بها كَمُغْضِـ ـي جُفونٍ على القَذى
لم يقل قائـلٌ مـن النَّـ ـاس قـولاً كنحْو ذا
تحـت حـرٍّ وصلتهُ صار شعـراً مُهـذَّذا[1]
قَـوْل عمّـار ذِي كُبا رِ فيا حُسْنَ ما احْتَذى
علِّـلاني بذِكْرهـا واسْقيـاني مُحـذّذا[2]
تتـركُ الأذن سُخنـةً أُرجُوانـاً بهـا خَذا[3]

[من صالح شعره]

ومن صالح شِعره قولُه : [من الهزج]

شجا قَلبـي غـزالٌ ذُو دَلالٍ واضــحُ السُّنَّهْ
أسيلُ الخـدّ مَرْبوبٌ وفي مَنْطِقـهِ غُنّـهْ
ألا إنَّ الغَـواني قـد بَـرى جِسْمي هَواهنَّهْ
وقالـوا : شَفَّكَ الحورُ هَوًى قلتُ لهـم : إنَّهْ
ولكنِّـي عـلى ذاكَ مُعنَّـى بـأذاهنَّهْ
أراحَ اللهُ عمّـاراً مـنَ الدُّنيـا وَمِنْهنَّهْ

1 مهذذ : من الهذ وهو السرعة في القراءة .
2 المحذذ : السريع النفاذ .
3 الخذا : الاسترخاء .

بَعيــــداتٍ قَرِيبــاتٍ فــلا كان ولا كُنَّـــهْ
فقد أذهل مِنّــي العَقلَ والقلــبَ شَجاهُنَّــهْ
يُمنّــينَ الأَباطِيـــلَ وَيَجْحَـدْن الـذي قُلْنَهْ

وقوله أيضاً : [من الكامل]

يــا دُومُ دام لنا صَلاحُكُم وسقاكِ ربِّـي صَفْـوةَ الدِّيَمِ
مــن كلِّ دانٍ مُسْبَـل هطلٍ مُتتابـعٍ سَحٍّ مــن الرِّهَـمِ[1]
تَرِدُ الوحُوشُ إليــه سارعةً والطيرُ أفواجــاً مـن القُحمِ[2]
قَلْقَلْتِ من وجْدٍ بكم كبدي وصَدعتِ صَدْعــاً غيرَ مُلتئِمِ
وترَكتنــي لعــواذلي غَرضاً كاللَّحـم مُتَّرَكاً على الوَضَمِ[3]
بَرِحَ الخفاءُ وقد علمتِ بــه إنِّــي لحُبِّــك غيرُ مُكتتمِ
أخفيتُــهُ حتَّى وهَــى جَلَدي وبَرى فؤادي واسْتباحَ دمي
يــا أحسنَ الثّقَلـين كلِّهــم وأتمَّ مَــنْ يخطُــو على قدَمِ
يَصبُو الحليــمُ لحُسْنِ بهْجتها ويزيـــدُه ألمــاً إلى ألَمِ
تفترُّ عــن سِمْطَيْن من برَدٍ مُتفلِّــجٍ عــن حُسن مبتَسمِ
كالأُقحــوانِ لغِــبّ ساريةٍ جُنـحَ العشاءِ يُنيرُ في الظُّلَمِ
حُـمّ اللِّثاتِ يَــرُوقُ ناظِرُه ما عِيبَ من رَوَقٍ ولا قَصَمِ[4]
تومــي بكفٍّ رَطْبةٍ خُضِبَتْ وأنامــلٍ ينطُفــن كالعَنَمِ
وبمقلـــةٍ حَــوْراءَ ساجيــةٍ وبحاجِــبٍ كالنُّــونِ بالقَلَمِ
والجِيــدُ منهــا جِيــدُ مُغزِلَةٍ تحْنُو إلى خِشْفٍ بذي سَلَمِ[5]
وكدُميـــةِ المحــرابِ ماثلـة والفَرْعُ جثْلُ النبت كالحُمَمِ[6]

1 الرهم : المطر الدائم .
2 القحم : جمع قحمة ، وهي القحط أو السنة الشديدة .
3 الوضم : ما يدق عليه اللحم .
4 الروق : طول الأسنان . والقصم : انكسار الثنية .
5 المغزلة : الظبية التي لها غزال صغير هو الخشف .
6 الجثل : الكثير الملتف .

وكأنَّ ريقتَهـا إذا رقـدت ... راحٌ يفُـوحُ بأطيب النَسَمِ

[رواية أخرى لإنشاء ذاليته]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ أحمد بن طالب الدِّيناريّ قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم الموْصليّ ، قال : قال حمّاد الراوية : أرسلَ الوليدُ بنُ يزيد إليَّ بمائتي دينار : وأمرَ يُوسفَ بن عمر بحمْلي ، على البريد ، فقلتُ : يسألني عن مآثر طَرفيْه قريْشٍ أو ثقيفٍ ، فنظرتُ في كتابَيْ ثقيف وقريْش حتى حفِظتهما . فلمّا قدِمْتُ عليه سألني عن أشعار بليّ ، فأنشدته منها ما حفظته ، ثم قال لي : أنشدني في الشّرابِ ، وعنده قومٌ من وُجوه أهل الشام . فأنشدتهُ لعمّار ذي كُبار : [من مجزوء الخفيف]

أصبحِ القوْمَ قهوةً ... في أباريقَ تُحتَذى
من كميْتٍ مُدامةٍ ... حبّذا تلـك حبَّذا
تتْرك الأُذْنَ شربُها ... أرجُواناً بهـا خَذا

فقال : أعِدها ، فأعدتُها ، فقال لخدمه : خُذوا آذانَ القَوْم ، قال : فأُتينا بالشراب فسُقِينا حتى ما دَرَيْنا متى نُقِلنا ، ثم حُمِلنا فطُرِحنا في دار الضّيْفان ، فما أيقظنا إلاّ حرُّ الشَّمس . وجعل شيخٌ من أهلِ الشَّام يشتمني ويقول : فَعل اللهُ بك وفعَلَ ، أنتَ صنعتَ بنا هذا .

صوت

[من مجزوء الكامل]

شَطَّتْ ولم تُثِبِ الرَّبابْ ... ولعلَّ للكَلِفِ الثَّوابْ
نَعِب الغُرابُ فراعَني ... بالبينِ إذْ نعَب الغُرابْ

عروضه من الضرْب الثالث من العروضِ الثالثة من الكامل .

والشعر : لعبد الله بن مُصعب الزُبيريّ ، والغناءُ لحَكَم الوادي ، ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق .

[539] ـ أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه[1]

[نسبه]

عبدُ الله بن مُصعَب بنِ ثابت بنِ عبد الله بنِ الزُّبير بن العوَّام بنِ خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب .

شاعِرٌ فصيحٌ خطيبٌ ذو عارضَة وبيان واعتبار بين الرجال وكلامٍ في المحافل ؛ وقد نادم أوائلَ الخلفاء من بني العبّاس ، وتولّى لهم أعمالاً ، وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمَن خرج من آل الزُّبير ، فلمّا قُتل محمد استتر عنه ، وقيل : بل كان استتارُه مدّة يسيرة إلى أن حجَّ أبو جعفر المنصور وأمّن النّاسَ جميعاً فظهر .

[المهديّ يعجب بشعره]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار ، قال : حدَّثنا عمِّي وفُلَيْح بن إسماعيل ، عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال : دخلتُ على المهدي ، وإذا هو يكتُبُ على الأرض بفَحمةٍ قولَ عبدِ الله بن مُصعَب : [من الطويل]

فإنْ يَحجبُوها أو يَحُلّ دُونَ وصْلِها ... مَقالــةُ واشٍ أو وعيـــدُ أميرِ
فلن يمنعُوا عينيَّ مــن دائم البكا ... ولم يُخرجُوا ما قد أجنَّ ضميري
وما بَرِح الواشون حتى بدت لنا ... بُطُون الهــوى مَقلوبـــةً لظهُورِ
إلى اللهِ أشكُو ما ألاقي من الجَوى ... ومـــن نَفسٍ يعتـــادُني وزفيرِ

ويقول أحْسنَ واللهِ عبدُ الله بن مصعب ما شاء .

وهذه الأبياتُ تُنسب إلى المجنون أيضاً[2] ؛ وفيها بيْتان فيهما غناءٌ ليزيد حَوراء خفيف رمَل بالوُسطى من رواية عَمْرو بن بانة . ويُقال : إنّه للزُّبيْر بن دَحْمان ، وذكر حَبَش أنَّ فيهما لإسْحاق خفيف ثقيل أوّل بالوُسْطى .

1 ترجمة عبد الله بن مصعب الزبيريّ في نسب قريش : 250 وجمهرة نسب قريش : 334 وجمهرة أنساب العرب : 125 والمحبر لابن حبيب : 189 والمعارف : 224 ونور القبس : 114 وتاريخ خليفة : 414 وتاريخ الإسلام 5 : 38 والنجوم الزاهرة 10 : 311 .

2 انظر ديوان مجنون ليلى : 169 وديوان قيس لبنى (صادر) : 51 .

[هوى مع عزوف عن اللهو]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عُمرُ بنُ شبَّة ؛ قال : حدَّثني مُحمدُ بنُ الحسن بن زياد . ونسختُ هذا الخبر من كتابِ أبي سعْد العدَويّ ، عن أبي الطِّرمّاح مولى آل مُصْعب بن الزُّبير من أهل ضريَّة ، وروايتُه أتمّ .

أنّ عبد الله بن مُصعب لمّا وَلِي اليمامة مَرَّ بالحوْأب يوماً ، وهو ماءٌ لبني أبي بكْر بن كلاب ، وهو الذي ذكره النبيُّ ﷺ لعائشة ، فرأى على الماء جاريةً منهم ، فهَوِيَها وهوِيته ، وقال : [من البسيط]

يا جُملُ للوالِهِ المستعبر الوصِب ... ماذا تضَمَّن من حُزْنٍ ومن نَصَبِ

أنَّى أُتيحَت لـه للحَيْن جارية ... في غيرِ مـا أمَمٍ منها ولا صَقِبِ[1]

جاريةٌ مـن أبي بكر كلِفتُ بها ... ممَّنْ يَحِلُّ عن الحصّاء والحَوَبِ[2]

مـن غير معرِفـة إلاّ تعرُّضَها ... حيناً لذلـك إن الحيْـن مُجْتَلِبي

قامت تعرَّضُ لي عمداً فقلتُ لها ... يا عَمْرَكِ الله ، هل تدرين ما حسبي

بين الحواريّ والصِّدِّيق في نَسَبٍ ... ينهى عن الفُحش مثْلي غيْر مُؤتَشَبِ[3]

ولا أدِبُّ إلى الجارات مُنسرِباً ... تاللهِ إنِّي لعِزهـاةٌ عـن الرِّيَبِ[4]

فخطبها ، وكانت العرب لا تُنكِح الرجل امرأة شبَّب بها قبل خِطبَته ، فلم يزوّجُوها إيّاه ، فلمّا يئست منه قالت : [من الطويل]

إذا خَدِرت رجلي ذكرتُ ابنَ مُصعبٍ ... فـإن قيـل عبدُ الله ، خفَّ فُتورُها

ألا ليتَني صاحبتُ ركْبَ ابنِ مصعَبٍ ... إذا مـا مطايـاه اتلأبَّتْ صدُورُها[5]

لقـد كنتُ أبكـي واليمامةُ دونَه ... فكيـف إذا التفّت عليـه قصورُها

قال أبو الطِّرمَّاح في خبره : وكان لها إخوةٌ شُرُس غُيُرٌ فقتلوها .

أخبرنا ببعْض هذه القصّة ابنُ عمّار ، عن أحمد بن سُليمان بن أبي شيخ ، عن أبيه ، عن أبي عمر الزّهريّ ، وذكر الشِّعريْن جميعاً والألفاظُ قريبة .

---

1 الصقب : الجوار .

2 الحوب : مخفف الحوأب .

3 غير مؤتشب : غير مختلط النسب .

4 العزهاة : العازف عن اللهو .

5 اتلأبت : استقامت .

[ملاحاة في حضرة المهدي]

وأخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني عليُّ بن محمد النّوفليّ عن أبي عمر الزّهْريّ ، قال : حدَّثني أبي : أنَّ عبد الله بن مُصعبْ خاصمَ رجلاً من ولد عُمَر بن الخطَّاب بحضْرة المهديّ ، فقال له عبدُ الله بنُ مُصعَب : أنا ابنُ صفيَّة ، قال ، هي أدنتك من الظّلّ ولولاها لكُنتَ ضاحياً وكُنتَ بين الفَرْث والحويَّة[1] . قال : أنا ابنُ الحواريّ . قال له العُمَريّ : بل أنتَ ابنُ ورْدان المُكاريّ . قال : وكان يُقال : إنَّ أُمّه كانت تهْوى رَجلاً يكري الحمير يقال لهُ ورْدان ، فكان مَنْ يسُبّهُ يَنسبه إليه ، وقال فيه الشاعر : [من الطويل]

أَتُدْعى حَواريّ الرَسول سَفاهةً ... وأنــتَ لوَردانِ الحميرِ سَليلُ

فقال : والله لأنـّا بأبي أشبهُ من التمرة بالتمرة والغُراب بالغراب . قال له العمريّ : كذبتَ ، وإلاّ فأخبرني ما بال آل الزُّبير ثُـطّ[2] اللّحى وأنت ألحى وما لهُم سُمراً جِعاداً وأنت أحمرُ سَبْط ؟ قال : أليَ تقول هذا يا ابن قتيل أبي لؤلُـؤة ؟ قال العُمريّ : يا ابن قتيل ابن جُرْمُوز على ضلالة ، أتُعيِّرني أنْ قتل أبي رجل نصرانيّ وهو أميرُ المؤمنين قائماً يُصلّي في محرابه وقد قتل أباكَ رجلٌ مسلمٌ بيْن الصفّين يدفعه عن باطل ، ويدعوه إلى حقّ ؟ فأنا أقول : رحم الله ابنَ جُرْموزٍ ، فقل أنت : رَحِم الله أبا لؤلؤة ، ثم أقبل على المهديّ فقال : ألا تَسْمع يا أميرَ المؤمنين ما يقولُ عائِدُ الكلبِ في عمر بن الخطّاب ، وقد عرفْتَ ما كان بينه وبين أبيك العبّاس بن عبد المطّلب وابنه عبدالله من المودَّة ، وتَعْلَم ما بين جَدّه عبد الله بن الزُّبير وبين جَدّك عبد الله بن العبّاس من العَداوة . فأعِن يا أميرَ المؤمنين أولياءك على أعدائك . فوثب رجلٌ من آل طلحة فقال له : يا أمير المؤمنين ، ألا تكفُّ هذين السّفيهين عن تناول أعراض أصحاب رسول الله ﷺ وآله . وتَكلّم النّاسُ بينهما وتوسّطوا كلامَهُما وأكثروا ، فأمر المهديّ بكفِّهما والتفريق بينهُما .

[لقب عائد الكلب]

قال النّوفليّ : وكان عبدُ الله بن مُصْعَب يُلقَّب عائِدَ الكلب لقوله : [من الكامل]

مــا لي مَرِضْتُ فلم يَعُدني عائِدٌ ... منكم ويَمْـرضُ كَلبُكـم فأعودُ
وأشدُّ مــن مَرضي عَلَيَّ صُدُودُكم ... وصُدودُ عَبْـدِكم عَلَــيَّ شَديدُ

فلُقّب عائدَ الكَلْب .

1 الفرث : بقايا الطعام في المعدة . والحوية : ما تحوي الأمعاء .

2 ثط : جمع أثط ، وهو الخفيف اللحية .

قال ابنُ عَمَّار : هكذا حِفظي عن النَّوفليّ ، وقد يزِيدُ القَوْلُ وينقص .

لحَكَم الوادي في هذين البيتين اللذين أوّلُهما :

ما لي مَرضتُ فلم يَعُدْني عائدٌ   منكم ويمرض كلْبُكم فأَعُودُ

لحنان خفيفُ ثقِيل بالوُسْطى ، عن إبراهيم وحَبَش ، ورَمَل بالوُسْطى عن الهشاميّ .

[يحسد شاعراً أقبل عليه المهدي]

أخبرنا أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني أحمدُ بن سليمان بن أبي شيخ ، قال : أنشد الأُحيحيُّ المهديَّ قصيدةً مدَحَه بها ، وكان عبد الله بن مُصْعب حاضراً ، فحسدَه على إقبال المهديّ عليه ، وكان المهديّ يُحبّه ، فجعَل يخاطب المهديّ ويحدِّثه ، فقال له : أمسِك فما يَشْغَلني كلامُك عنه ، فقطع الأُحيحيُّ الإنشاد ، ثم أقبل على المهديّ فقال له : [من المنسرح]

عبدُ منافٍ أَبُو أُبوَّتِنا   وعَبدُ شمْس وهاشمٌ تَوَمُ
بَحران خَرّ العوَّامُ بَيْنَهُما   فالْتَطَما والبِحارُ تَلْتَطِمُ

فقال له المهديّ : كَذاكَ هو ، فدَع هذا المَعْنى وعُدْ إلى ما كنت فيه ، وخَجِل عَبدُ الله فما انتفع بنفسه يومئذٍ .

قال ابنُ عمّار : فحدَّثني بعضُ شُيُوخنا قال : كُنتُ عند مُصْعب بن عبد الله الزُّبيْريّ يوماً وقد جرى ذكرُ الأُحَيحيّ ، فأنشدتُه هذين البَيتَين ، فتغيَّر لونُه ، ثم قال لي : نعم ، قد كان خاطب أبي بهما فأمضَّه ، فلمّا قمنا عنه قال لي : ويْحَك ، أتنشد رجُلاً كنت تتعلّم منه وتأخذ عنه هِجاءً في أبيه ؟ فقلتُ له : دعْني فإنِّي أحببتُ أن أغُضَّ من كِبرِه قال : وكان في مُصعب بعضُ ذلك .

صوت

[من البسيط]

زارتْ سُلَيمى وكان الحيُّ قد رقَدا   ولم تَخفْ من عدوٍّ كاشِحٍ رَصَدا
لقد وَفَت لك سَلمى بالذي وَعدَت   لكنَّ عُقْبَةَ لم يُوفِ الذي وَعَدا

عروضه من البسيط ، الشعر لابن مُفرّغ الحمْيريّ[1] ، والغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن أحمد بن المكّيّ ، وفيه لعواد لحن من كتاب إبراهيم غير مُجنّس .

---

1 ديوان ابن مفرغ : 107 عن الأغاني .

وقد تقدّمت أخبار ابن مفرّغ مُسْتَقْصاة فيما قبل هذا من الكتاب ، فاستغْنى عن إعادتها هاهنا وإعادة شيء منها ، إذ كان قد مضى منها ما فيه كِفاية ولله الحمد .

صوت

[من الكامل]

ما شأنُ عَينِك طَلَّـةُ الأجفانِ   مِمّـا تَفيض مريضة الإنسانِ
مَطْروفَةٌ تَهمي الدّموعَ كأنّـها   وشَلٌ تَشَلْشَل دائِـمُ التَّهتانِ[1]

الشعر لعُمارة بن عقيل ، والغِناء لمتيّم ثاني ثقيل بالوسطى .

1 الوشل هنا : الماء الكثير . وتشلشل : تقطر .

[540] ـ أخبار عمارة ونسبه[1]

[نسبه]

عُمارةُ هو ابنُ عقِيل بن بلال بن جرير بن عطيّة بن الخَطَفى ، وقد تقدّم نَسبُه ونَسبُ جدّه في أوّل الكتاب . ويُكْنى عُمارة أبا عقيل ، شاعرٌ مُقدَّم فَصِيح ، وكان يسكن باديةَ البصرة . ويزور الخلفاء في الدولة العبّاسيّة فيُجزلون صلتَه ، ويمدح قوّادهم وكتّابَهم فيَحْظى منهم بكلّ فائدة ، وكان النحويُّون بالبصرة يأخذون عنه اللُّغة .

[مكانته في الشعر]

أخبرني عليُّ بن سُليمان الأخفش قال : سمعتُ محمد بن يزيد يقول : خُتِمت الفصاحَةُ في شعْر المُحْدَثِين بعُمارة بنِ عَقيل .

أخبرني محمدُ بن عِمران الصّيرفيّ ، والحسنُ بن عليّ ، والصُّوليُّ قالوا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال : سمعتُ سَلْم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول : كان جدّي أبو عمرو يقول : خُتِم الشِّعرُ بذي الرُّمَّة ، ولو رأى جدِّي عُمارةَ بن عقيل لعَلم أنّه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرُّمَّة . قال العنزيّ : ولعَمْري لقد صَدَق .

وسمعتُ سَلْماً يقول : هو أشدُّ استواءً في شعره من جرير ، لأنّ جريراً سَقَط في شعره وضَعُف ، وما وجَدُوا لعمارة سَقْطةً واحدةً في شعره .

قال العنزيّ : وحدَّثني أحمدُ بن الحَكَمُ بنِ بشْر بن أبي عَمْرو بن العلاء قال : أتيتُ عُمارةَ أسأله عن شيءٍ أكتبُه عنه ، فقال لي : مَن أنت ؟ فقلتُ أنا ابنُ الحكَم بن بِشْر بن أبي عمْرو بن العلاء فقال لي : كان أبوكَ صَدِيقي ، ثم أنشدني : [من الوافر]

بَنى لكـــم العَلاءُ بِناءَ صِدْقٍ وتَعْمُرُ ذاكَ يا حَكَمَ بنَ بِشْرِ
فما مَدْحي لكم لأُصِيب مالاً ولكن مَدْحُكُم زَيْنٌ لِشعْري

---

1 ترجمة عمارة بن عقيل في الشعر والشعراء (ترجمة جرير) وطبقات ابن المعتز : 316–319 والمرزباني : 78 وجمهرة أنساب العرب : 226 وألقاب الشعراء 1 : 453 ونزهة الألباء : 136 وخزانة البغدادي وتاريخ بغداد 5 : 276 وكتاب بغداد : 154 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد حقّق ديوانه شاكر العاشور ولكن لم يتيسّر لنا .

[الهجاء لا يقتل أحداً]

حدَّثني محمدُ بن يَحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : حَدَّثنا أبو مُحَلِّم قال : هَجا عمارةُ بن عَقِيل امرأةً ، ثم أتته في حاجة بعد ذلك ، فجعل يعتذر إليها ، فقالت له : خَفِّض عليك يا أخي ، فلو ضَرَّ الهِجاءُ أحداً لقتَلك وقتل أباك وجدّك .

قال مؤلِّف هذا الكتاب : وكان عُمارة هَجَّاءً خَبِيثَ اللّسان ، فهجا فروةَ بن حَمِيصَةَ الأسديّ وطال التّهاجي بينهما ، فلم يغلب أحدُهما صاحبَه حتى قُتِل فَرْوة .

وأخبرني محمدُ بن يَحيى قال : حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : قال لي عُمارة : ما هاجَيت شاعراً قطُّ إلاّ كُفِيتُ مؤونَته في سنةٍ أو أقلّ من سنةٍ ، إمّا أن يموت ، أو يُقْتَل ، أو أُفحِمه ، حتى هاجاني أبو الرُّدَينيّ العُكليّ ، فَخنَقَني[1] بالهِجاء ، ثم هجا بني نُمَير فقال : [من الوافر]

أتوعِدُني لِتَقْتُلني نُمَيرٌ ... مَتى قَتلتْ نُميرٌ مَنْ هجاها

فكفانِيهِ بنو نُمَيرْ فقَتلوه ، فَقَتلت بنو عُكْل ، وهم يَوْمَئِذٍ ثلاثمائة رَجل ، أربعة آلاف رجُل من بني نُمَير . وقتلت لهم شاعِرَيْن : رأسَ الكلْبِ وشاعراً آخر .

[المأمون يقف على ما وقع بينه وبين فروة بن حميصة]

أخبرني محمدُ بن يَحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني العنزيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم العبْدِيّ قال : حدَّثني عُمارة بنُ عَقِيل قال : كنتُ جالساً مع المأمون ، فإذا أنا بهاتفٍ يَهتِف من خَلفي ويقول : [من البسيط]

نَجَّى عُمارةَ منّا أنَّ مُدَّتَه ... فيها تراخٍ ورَكْضُ السَّابح النَّقِلِ
ولو ثقِفْناه أُوهَيْنا جَوانِحَه ... بذابلٍ من رِماح الخَطِّ مُعْتَدِلِ
فإن أعناقَكم للسَّيفِ مَحْلَبَة ... وإنَّ مالَكم المرعيَّ كالهَمل[2]
إذ لا يُوطِّن عبدُ الله مُهْجَتَه ... على النِّزالِ ولا لِصّاً بَني حَمَلِ

قال : وهذا الشِّعر لفَرْوة بن حميصة فيّ . قال : فدَخلَني من ذلك ما الله يَعْلَمه ، وما ظَنَنتُ أنّ شعرَ فروَة وقع إلى مَنْ هُنالِك . ثم خرَج عليُّ بنُ هِشام من المجلس وهو يَضْحَك ، فقلتُ : يا أبا الحَسَن ، أتفعل بي مِثلَ هذا وأنا صديقُك ؟ فقال : ليس عليك في هذا شيء . فقلت : من أين وقع إليك شعر فروة ؟ قال : وهل بَقِي كِتاب إلاّ وهو عِنْدي ؟ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أهجى في دارِك وبحضرتك ؟ فضحك ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنصِفْني ، فقال :

---

1 ل : فخبثني .
2 علبة في ل : مختلة .

دَعْ هذا وأخبرني بخَبر هذا الرجلِ ، وما كان بينك وبينه ، فأنشدتُه قصيدتي فيه ، فلمّا انتهيت إلى قولي : [من الكامل]

مـا في السَّوِيّة أن تَجُرَّ عليهم وتكُونَ يوم الرَّوعِ أوَّلَ صادرِ

أعجب المأمونَ هذا البيتُ فقال لي المأمونُ : ألهذه القصيدة نقيضه ؟ قلت : نعم ، قال : فهاتها . فقلت له : أَوْذِي سمعي بلساني ؟ فقال : عليّ ذلك ، فأنشدتُه إيّاها ، فلمّا بلغتُ إلى قوله : [من الكامل]

وابنُ المَراغَة جاحِرٌ من خَوْفِنا بـادٍ بمنزلَةِ الذَّليـلِ الصَّاغِرِ
يَخْشى الرِّياحَ بأن تكونَ طليعةً أو أن تَحُـلَّ بـه عقوبةُ قادِرِ

فقال لي : أوجعكَ يا عُمارة ، فقُلت : ما أوجعتُه به أكثر .

[بيت له يقضي على فروة]

أخبرني محمد قال : حدَّثني الحَسَن قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله بن آدم قال : حدَّثني عمارة قال : إنّما قَتل فروةَ قَولي له :

مـا في السَّوِيَّة أن تَجُرَّ عليهم وتكونَ يومَ الرَّوع أوَّلَ صادِرِ

فلمّا أحاطت به طيِّيء وقد كان في مَعاذٍ وموئل ، وكان كَثِيرَ الظَّفر بهم كثيرَ العَفْو عمَّن قَدَر عليه منهم ، فقالوا له : والله لا عَرَضْنا لك ولا أوصَلَنا إليك سوءا فامْض لِطِيَّتِك[1] ولكنّ الوِترَ معك فإن لنا فيهم ثأراً . فقال فروة : فأنا إذاً كما قال ابنُ المراغة :

مـا في السَّوِيَّة أن تَجُرّ عليهمُ وتكُونَ يَومَ الرَّوع أوَّلَ صادِرِ

فلم يزل يَحمل أصحابه ويَنْكِي[2] في القوم حتى اضْطَرّهم إلى قَتلِه ، وكان جمعُهم أضعافَ جمعه .

[يبالغ في وصف نفسه بالكرم]

أخبرني محمدُ قال : حدَّثني الحسن قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم قال : قِيل لعمارة : أقَتَلْتَ فَرْوة ؟ فقال : والله ما قَتَلتُه ولكنّي أقتَلتُه أي سَبّبت له سبباً قُتِل بهِ .

أخبرني محمد قال : حدَّثنا الحسن قال : حدَّثني محمد بن عبد الله قال : حدَّثني عُمارة قال : رُحْـتُ إلى المأمـون ، فكان ربّما قرَّب إليَّ الشيءَ من الشَّراب أشربُه بين يديه ، وكانَ يأمر بكَتْب كَثِيرٍ ممّا أقولُه ، فقال لي يوماً : كيف قُلت : قالت مُفَدّاة ؟ ونظر إليّ نظراً مُنكراً . فقلت : يا أمير

1 ل : لكلمتك .

2 ينكي : يقهرهم بالقتل والجرح .

المؤمنين ، مفدّاة امرأتي ، وكانت نظرت إليّ وقد افتقرت وساءت حالي ، قال : فكيف قُلتَه ؟ فأنشدته : [من البسيط]

قالــت مُفــدّاةُ لّمــا أنْ رأَت أرَقي والهــمُّ يَعْتــادُني مــن طيفِــه لَمَمُ
أنهبْت مالــكَ في الأدنَــين آصِرةً وفي الأباعــد حتــى حَفَّــكَ العَدَمُ
فاطلب إليهمَ تَجِد ما كُنْت من حَسَنٍ تُسْدِي إليهم فقد ثابتْ لهم صِرَمُ[1]
فَقُلْت : عاذلتــي ، أكثرتِ لائِمتي ولم يَمُــت حاتِــمٌ هُــزلاً ولا هَرِمُ

قال : فنظر إليَّ المأمونُ مُغضَباً وقال : لقد عَلَتِ هِمّتك أن ترقى بنفسك إلى هرم وقد خرج من ماله في إصلاح قومِه .

[يوسط عمرو بن مسعدة ليؤذن له بالانصراف]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال : حدَّثني العنزيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله قال : حدَّثنا عمارة قال : استَشْفَعْت بِعَليّ بن هشام في أن يؤذَن لي في الانْصراف ، فقال : ما أفعلُ ذلك لأنّك تُنشِد أمير المؤمنين إذا خلوتَ به وتُخبره عن وقائعك وفِعالِك ثم تُخبره أنّك مَظْلوم ، وقد أخذ هذا أميرُ المؤمنين عليك . ثم تذاكرنا فقال : أما تذْكُر أبا الرّازي حين أوقَعَ بقومك وأوقعوا به ، ثم تدخل على أمير المؤمنين مُغْضَباً فتقول : [من الطويل]

عَلامَ نِزارُ الخَيْل تَفْأى رُؤوسَنا وقد أُسلَمَتْ مــع النَّبيّ نِزارُ[2]

وهي أبياتٌ قالها حين قتلهم أبو الرّازيّ ، وكان عُمارة قد خرج من عند المأمون فنظر إلى رؤوس أصحابه ، فدخل فأنشد هذا البيت ، قال : وأكرهُ أن تتبعك نفسي أمير المؤمنين فيَجدُ على مَـنْ كلّمه فيك ، فَعَلَيـك بعمرو بن مسعدة وأبي عبّـاد فإنّهما يكتُبان بين يدي أمير المؤمنين ، ويخلوان معه ويُمازحانه ، فأتيتُ أبا عبّاد فذكرتُ له التشوُّقَ إلى العيال ، وسألته الاستئذان . فصاح في وجهي وقال : مُقامك أحبُّ إلى أمير المؤمنين من ظعْنك ، وما أفعل ما يكْرهـه . فذهبتُ من فـوري إلى عمـرو بن مَسْعـدة ، فدخلتُ عليه وهو يختَضبُ ، فشكوتُ إليه الأمر فقال : يا أبا عقيل ، لقد أذِنت لك في ساعة ما أظهر فيها لأحد ، ولي حاجة ، قلت : وما هي ؟ قال : ألفُ درهم تُجْعل لك في كيسٍ تَشْتري بها عبـداً يؤنسك في طريقـك ، ولستُ أقصرٌ فيما تحبّ . فتلعثمتُ ساعةً وتلكّأت ، فقال : حقّاً ، لئن لم تأخُذْها لا كلمتك ، فأخذتها وانصرفت وأنا أقول : [من الكامل]

---

1 صرم : جمع صرمة ، وهي القطعة من الإبل أو النخل .

2 فأى رأسه : فلقه .

عمـــرُو بنُ مسعدةَ الكريمُ فَعالُه خَيرٌ وأَمجـدُ مـن أَبــي عبّادِ
مـن لم يُزَمْزِمْ والداه ولم يكُن بالـرَّيّ عِلْـجَ بِطارةٍ وحَصادِ
بَصَّرتُه سُبُلَ الرّشادِ فمـا اهتَدى لسبيلِ مكرُمـــةٍ ولا لَـرَشادِ[1]
وعرفت إذ عَلِقَت يـدِي بعَنانِه أنّــي عَلِقت عِنـانَ غيرِ جَوادِ
لــو كان يعلم إذ يُشيحُ تَحَرُّقي في كلّ مكرمـةٍ ولـين قيادِي
عرف المُصَدَّقُ رأيُـه أنّي امـرؤٌ يُفنـي العطاءَ طَرائفـي وتِلادِي
وأَصُون عِرْضي بالسَّخاءِ وإن غدت غُبْرَ المحاجـرِ شُعَّثـاً أَولادي

[بينه وبين السّجستاني في اللغة]

أَخبرني محمد بنُ يحيى قال : حدَّثنا العنزيّ قال : حدَّثني سلْم بنُ خالد قال : أَنشدَ عُمارة قصيدةً له ، فقال فيها : الأَرياحُ والأمطار ، فقال له أبو حاتم السِّجستاني : هذا لا يجوز ، إنّما هو الأَرواح ، فقال : لقد جذَبَني إليها طبعي ، فقال له أَبو حاتم ، قد اعترضه علمي ، فقال : أَما تسمعُ قولَهم : رياحٌ ؟ فقال أبو حاتم : هذا خلافُ ذلك ، قال : صدَقْت ، ورَجع .

[يريد الخلعة مع السيف]

حدَّثنا محمدُ بنُ يَحيى قال : حدَّثنا الحسنُ ، قال : حدَّثنا العنزيّ ، قال : قَدِم عُمارةُ البصرةَ أيّام الواثق ، فأتاهُ علماءُ البصْرة وأنا معهم ، وكُنتُ غلاماً ، فأنشدهم قصيدةً يمدَحُ فيها الواثقَ فلمّا بلغ إلى قوله : [من الكامل]

وبقِيتُ في السَّبعين أنهضُ صاعداً فمَضى لذاتــي كلُّهـم فَتشعّبُوا

بكى على ما مَضى من عُمْره . فقالوا له : أملها علينا ، قال : لا أَفعلُ حتى أُنشِدها أَميرَ المؤمنين ، فإنّي مدحتُ رجلاً مرّةً بقصيدة فكتبها منّي رجل ثم سبقني بها إليه . ثم خرج إليّ الواثق فلمّا قدِم أتوه وأنا معهم فأملاها عليهم .

ثم حدَّثهم فقال : أدخلَني إسحاقُ بنُ إبراهيم على الواثق ، فأَمَر لي بخلْعةٍ وجائزةٍ ، فجاءَني بهما خادمٌ ، فَقلتُ : قد بقي من خِلْعتي شيءٌ قال : وما بقي ؟ قلت : خلعَ عليّ المأمون خِلعةً وسيفاً . فرجع إلى الواثق فأخبره ، فأَمره بإدخالي ، فقال : يا عُمارة ، ما تَصْنع بسَيْف ؟ أتريدُ أَن تقْتل به بقيّة الأَعراب الذين قتلْتَهم بمقالك ؟ قلتُ : لا والله يا أَميرَ المؤمنين ولكن لي شريكٌ في نخيل لي باليمامة ، ربّما خانني فيه فلعلّي أُجرِّبه عليه .

1 ل : فما انتهى .

فضحك وقال : نأمرُ لك به قاطعاً ، فدفع إليّ سيفاً من سُيوفه .

[اتصاله بالمأمون]

أخبرنا الصُّوليُّ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمد المهلّبيّ قال : حدَّثني النّخعيّ قال : لمّا قَدِم عُمارةُ إلى بغدادَ قال لي : كلِّم لي المأمون ، وكان النَّخعيُّ من ندماء المأمون ، قال : فما زِلتُ أكلِّمهُ حتى أوصلتُه إليه ، فأنشَده هذه القصيدة : [من الكامل]

حتّـامَ قلبُك بالحِسانِ مُوكّل كلِفٌ بهِـــنَّ وهنَّ عنهُ ذُهّلُ

[يقدم غلاماً من ربيعة على شيخ بني تميم]

فلمّا فرَغ قال لي : يا نَخَعيّ ، ما أدري أكثر ما قال إلاّ أن أقيسَه[1] ، وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف درهم : حدَّثني الصُّوليّ ، قال : حدَّثني الحسن ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله بن آدم العبديّ قال : كانت بنو تميم اجتمعت ببغداد على عُمارة حين قال شِعْرَة الذي يُقدِّم فيه خالدَ بنَ يزيد على تميم بن خُزيمة ، فقالوا له : قطَع الله رَحِمك وأهانَك وأذلَّك ، أتُقدِّم غلاماً من ربيعة على شَيْخٍ من بني تَميم ، تَميمِ بنِ خُزيمة ، وهو مع ذلك من بيت تَميم ؟ ولاموه ، فقال : [من الطويل]

صَهُوا يــا تَميمُ إنَّ شَيبانَ وائـلٍ بطرفِهــم عنكــم أضنُّ وأرغَبُ
أإن سُمْت بِرْذَوناً بطِرفٍ غَضِبتُم عليّ وما في السُّوقِ والسَّوْم مَغضَبُ
فإن أكرمَتْ أو أنجبت أُمُّ خالدٍ فزنـــد الرِّياحِيِّين أورى وأثقبُ[2]

قال : ثمّ حدَّثنا عُمارة قال : قال لي عليّ بنُ هشامٍ ، وفيه عصبيّةٍ على العرب : قد علمتَ مكانك منّي ، وقيامي بأمرك ، حتى قرّبك أميرُ المؤمنين المأمون ، والمائة الألف التي وصلتك أنا سببُها ، وهاهُنا من بَني عمِّك مَن هو أقربُ إليك ، وأجدرُ أن يُعِينني على ما قَبَل[3] أميرُ المؤمنين لك . فقلت : ومَن هو ؟ قال : تميمُ بنُ خُزيمة ، قال : قلتُ : آتيه . قال : وخالدُ بنُ يَزيد بن مزيد ، قلت : سآتيهما . فبعث معي شاكريّاً ، من شاكريّته ، حتى وقف بي على باب تميم . فلمّا نظر إليّ غِلمانُه أنكرُوا أمري . فدَنا الشّاكريُّ فقال : أعلِموا الأمير أنّ على الباب ابنَ جريرٍ الشّاعـر جاء مُسلِّماً فتوانَـوْا ، وخرجَ غُلامٌ أعرِف أنّه غُلامُ الأمير ، فحَجبني ، فداخلني من ذاك ما الله به عالِم . فقلتُ للشّاكريِّ : أين منزل خالد ؟ فقال :

---

1 ل : أفتشه .

2 الرياحيين في ل : الحصينيين .

3 قبل : كفل .

اتْبعني فما كان إلاّ قليلاً حتى وقف بي على بابه ، ودخل بعضُ غلمانه يطلبُ الإذن ، فما كان إلاّ قليلاً حتى خَرج في قميصِه وردائِه ، يتْبعه حَشَمُه . فقال لي بعضُ القوم : هذا خالد قد أقبل إليك . قال : فأردت أن أنزل إليه ، فوَثَب وثبةً فإذا هو معي آخِذٌ بعَضدِي يُريد أن أتّكيء عليه . فجعلت أقول : جعلني الله فِداكَ ، أنزِل ، فيأبى حتى أخذ بعَضُدي ، فأنزلني وأدخَلني ، وقرَّب إليَّ الطعامَ والشراب ، فأكلتُ وشربت ، وأخرج إليَّ خمسة آلافِ درهم وقال : يا أبا عقِيل ، ما آكل إلاّ بالدَّين ، وأنا على جناح من ولاية أمير المؤمنين ، فإن صحَّت لي ، لم أدَعْ أن أغنيك ، وهذه خمسة أثوابِ خزٌ قد آثرتك بها ، كنتُ قد ادَّخرتُها . قال عُمارة ، فخرجتُ وأنا أقول : [من الطويل]

أأترُكُ إن قلَّت دَراهمُ خالدٍ زيارتَه إنِّي إذاً للئيمُ
فَليت بثوْبيه لنا كان خالدٌ وكان لبكرٍ بالثَّراء تَميمُ
فيصبح فينا سابقٌ مُتمَهِّلٌ ويُصبح في بكرٍ أغمُّ بَهيمُ
فقد يُسْلِع المرءُ اللئيمُ اصطناعهُ ويعتلُّ نقدُ المرءِ وهو كريمُ

قال اليزيديُّ : يُسْلع : أي تكثر سِلعَته . والسِّلعة : المتاع .

أخبرني الصُّوليُّ ، قال : حدَّثني الحسَنُ قال : حدَّثني محمد بنُ عبد الله قال : حدَّثني عُمارة قال : لمّا بلَغ خالدَ بن يزيد هذا الشِّعرُ قال لي : يا أبا عَقيل ، أبلغك انَّ أهلي يرتضُون منّي ببديِل كما رَضِيت بنو تميم بتميم بنِ خُزَيمة ؟ فقلتُ : إنمّا طلبتُ حظَّ نفسي وسُقْت مكرمةً إلى أهلي لو جاز ذلك ، فما زال يُضاحكني .

[أشدّ ما هجي به]

أخبرني الصُّوليُّ قال : حدَّثنا الحسنِ قال : سَمعْتُ عبدَ الله بن محمد النّباجيّ يقول : سَمعتُ عُمارةَ يقول : ما هُجيت بشيءٍ أشدَّ عليَّ من بيت فَرْوة : [من الكامل]

وابنُ المراغَةِ جاحِرٌ مِنْ خَوْفِنا بالوَشْم منزلةَ الذَّليلِ الصَّاغرِ

[مدح يوجب حقاً]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى قال : حدَّثني الحسنُ بن عليل العنزيّ ، قال : حدَّثني النَّباجيّ قال : لمّا قال عُمارةُ يمدَح خالداً : [من الكامل]

تأبى خَلائِقُ خالدٍ وفَعالُه إلاَّ تجنّبَ كلّ أمرٍ عائبِ
فإذا حضَرْتَ البابَ عند غدائِهِ أُذِنَ الغَداءُ لنا برَغْم الحاجِبِ

لقِيهُ خالدٌ فقال له : أوجبْتَ والله عليّ حقّاً ما حييت .

[هجاء الأشراف]

قال العنزيُّ : وسمعتُ سلْم بن خالد يقول : قلتُ لعُمارة : ما أجودُ شِعْرك ؟ قال : ما هجوْتُ بِهِ الأشرافَ . فقلت : ومَنْ هُم ؟ قال : بنو أسد ، وهل هاجاني أشرفُ من بني أسد ؟

قال العنزيّ : وحدَّثني أبو الأشهب الأسديّ من ولد بِشْر بن أبي خازِمٍ قال : لمّا أُنشِد فَروةُ بنُ حميصةَ قولَ عُمارة فيه : [من الكامل]

مـا في السَّوِيّة أن تَجُرّ عليهمُ وتكونَ يومَ الرَّوعِ أوَّلَ صادرِ

قال : والله ما قتلني إلاّ هذا البيت .

فلمّا تكاثرَت عليه الخَيْلُ يوم قُتِل قيل له : انجُ بنفْسِك ، قال : كلاَّ والله ، لا حقَقتُ قولَ عُمارة ، فصبَرَ حتى قُتِل .

وكان فَرْوةُ من أحسَنِ النّاس وجْهاً وشِعْراً وقَدّاً ، لو كان امرأةً لانتَحَرت عليه بنو أسد .

[أكرم هجاء]

أخبرني محمد بن يَحْيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثني العنزيّ ، قال : حدَّثني عليّ بنُ مُسلم قال : أنشدتُ يعقوبَ بنَ السِّكيت قصيدة عمارة التي رَدَّ فيها على رَجاء بن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة التي أوّلُها : [من الكامل]

حَــيِّ الدِّيـارَ كأنّـها أسطارُ بالوَحْي يَدْرُس صُحْفَها الأَحْبارُ
لعِبَ البِلى بجديدها وتنفّسَتْ عرصاتِهـا الأَرْواحُ والأَمطارُ

قال أبو عليّ : وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال : الأرياح ، فردَّه عليه أبو حاتم السِّجستانيّ وهو يتَغيّظ ، فلمّا بلغ إلى قوله :

وجموعُ أسْعد إذ تعَضُّ رؤوسَهم بيــضٌ يَطِيــر لوِقعِهِــنَّ شَرارُ
حتى إذا عَزمُـوا الفِرارَ وأسلموا بيضاً حواصِنَ مــا بهــنَّ قرارُ
لِحقت حَفيظتُنا بهــنّ ولم نـزَلْ دُونَ النِّساء إذا فزِعْــن نَغارُ

قال ابنُ السِّكِّيت : للهِ دَرُّه ، ما سمعت هِجاءً قطّ أكرمَ من هذا .

[عود إلى الدفاتر القديمة]

أخبرني محمد بن يحيى قال : وفَدَ عُمارة على المتوكّل ، فعمل فيه شِعراً ، فلم يأتِ بشيء ، ولم يُقارب ، وكان عُمارة قد اختلَّ وانقطعَ في آخر عُمْره ، فصار إلى إبراهيم بن سَعدان المؤدِّب ، وكان قد روى عنه شعْرَه القديم كلّه ، فقال له : أُحِبُّ أن تخرج إليَّ أشعاري كلّها

لأنقلَ أَلفاظَها إلى مدحِ الخليفة ، فقال : لا واللهِ أَو تُقاسِمني جائزتك . فحلف له على ذلك ، فأخرج إليه شِعرَه ، وقلب قصيدةً إلى المتوكّل ، وأخذ بها منه عشْرَةَ آلافِ دِرهم ، وأعطى إبراهيم بنَ سعدان نصْفها . والله أعلم .

صوت[1]

[من الطويل]

تَفَرَّقَ أَهلي من مُقيمٍ وظاعنٍ فللّهِ دَرّي أيَّ أَهـْلِيَ أَتْبَعُ
أَقام الذيـنَ لا أُبـالي فِراقَهم وَشَطَّ الذيـن بَينَهـم أَتوَقَّعُ

الشعر للمُتلمّس ، والغناء لمتيّم خفيف ثقيل بالوسطى .

1 ديوان المتلمس (صادر) : 119 .

[541] ـ أخبار المتلمس ونسبه[1]

[نسبه]

المتلمس لقب غلب عليه ببيت قاله وهو[2] : [من الطويل]

فهذا أوانُ العِرض جُنّ ذُبابهُ   زَنابِيــرُه والأزرقُ المتـلمِّسُ

واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بن جُلَيّ بن أحمَس بن ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار .

قال ابن حبيب فيما أخبرنا به عبد الله بن مالك النحويّ عنه : ضُبَيْعات العرب ثلاثٌ كلُّها من ربيعة : ضُبَيْعة بن ربيعَة وهم هؤلاء ، ويقال : ضُبَيْعة أضجم ، وضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ، وضُبيعة بن عِجْل بن لُجَيْم .

قال : وكان العزّ والشرف والرئاسة على ربيعة في ضُبيعة أضجم ، وكان سيّدها الحارث بن الأضجم ، وبه سُمِّيت ضُبَيْعة أضجم ، وكان يقال للحارث حارث الخَيْر بن عبد الله بن دَوْفَن بن حرب ، وإنّما لُقِّب بذلك لأنّه أصابته لقوةٌ[3] فصار أضجم ، ولُقِّب بذلك ، ولُقِّبت به قبيلتُه .

ثم انتقلت الرئاسة عن بني ضُبَيْعة فصارت في عَنَزَة ، وهو عامر بن أَسد بن ربيعة بن نـزار ، وكان يـلي ذلك فيهم القُـدار أحـد بني الحارث بن الدُّول بن صُباح بن عَتِيك بن أسْلم بن يذكُر بن عَنَزَة .

ثم انتقلت الرئاسة عنهم ، فصارت في عبد القيس فكان يليها فيهم الأفكَلُ وهو عمرو .

هنا انقطع ما ذكره الأصفهانيّ رحمهُ اللهُ[4] .

* * * *

---

1 ترجمة المتلمس في الشعر والشعراء : 112–116 وطبقات ابن سلام : 131–132 وخزانة البغدادي 7 : 301–305 وانظر أيضاً ترجمة طرفة 2 : 419–422 ، ومجمع الميداني 1 : 270 ، ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية ومقدمة ديوانه بتحقيق د . محمد التونجي (صادر ـ بيروت) .

2 ديوان المتلمس (صادر) : 105 .

3 اللقوة : داء يصيب الوجه فيعوج منه الشدق . والأضجم : الأعوج .

4 أجريت محاولات لاستيفاء ترجمة المتلمس من غير كتاب الأغاني . وقد آثرنا أن نبقي كتاب الأغاني كما وضعه أبو الفرج . وفي المراجع عنه وعن صحيفته ما يغني .

الفهارس العامة

فهرس الموضوعات

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الخامس

الجزء السادس

الجزء السابع

الجزء الثامن

الجزء التاسع

الجزء العاشر

الجزء الحادي عشر

الجزء الثاني عشر

الجزء الثالث عشر

الجزء الرابع عشر

الجزء الخامس عشر

الجزء السادس عشر

الجزء السابع عشر

الجزء الثامن عشر

الجزء التاسع عشر

الجزء العشرون

الجزء الحادي والعشرون

الجزء الثاني والعشرون

الجزء الثالث والعشرون

الجزء الرابع والعشرون

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

الفهارس العامة

المجلد الخامس والعشرون

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

25

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

دار صادر

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

فهرس
المائة الصوت المختارة

تَبَلَتْ فؤادَكَ في المنامِ خَرِيدةٌ تَشْفي الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسّامِ

غناء موسى بن خارجة الكوفي في شعر حسان بن ثابت [من الكامل] 4 : 104

أيُّها القلبُ لا أراكَ تُفيقُ طالَما قدْ تَعَلَّقَتْكَ العَلُوقُ

غناء بابَوَيه الكوفي في شعر عمر بن أبي ربيعة [من الخفيف] 4 : 153 ؛ 8 : 190

لِمَنْ رَبْعٌ بذاتِ الجَيْـ ـشِ أمْسى دارساً خَلَقا

غناء الدلال المخنَّث في شعر الأحوص [من الهزج] 4 : 159

يا دِينَ قَلْبكَ منها لستَ ذاكرَها إلاّ تَرَقْرَقَ ماءُ العينِ أو دَمَعا

غناء يحيى بن واصل المكي في شعر الأحوص [من البسيط] 4 : 210

كالبَيْضِ بالأُدْحِيّ يلمَعُ في الضُّحى فالحُسْنُ حسنٌ والنَّعيمُ نَعيمُ

غناء أبي سعيد مولى فائد في شعر طريح بن إسماعيل الثقفي [من الكامل] 4 : 211

ويَحيى غَداً إنْ غَدا عليَّ بما أُحْذَرُ من لَوْعَةِ الفِراقِ غَدُ

غناء ابن مِشعب الطائفي في شعر طريح بن إسماعيل الثقفي [من المنسرح] 4 : 224

لَقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لَمّا قَضَيْتُها أَلا لَيتَ هذا لا عَلَيَّ ولا لِيا

غناء أبي سعيد مولى فائد في شعره أو شعر المجنون [من الطويل] 4 : 233

مُهاةٌ لَوَ انّ الذرَّ تَمشي ضِعافُه على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَما

غناء فُليح بن أبي العوراء في شعر حُميد بن ثور الهلالي [من الطويل] 4 : 247

أفاطِمَ إنّ النأيَ يسلي ذوي الهوى ونأيُكِ عنّي زادَ قَلبي بكم وَجْدا

غناء يونس الكاتب أو غيره في شعر إبراهيم بن هرمة [من الطويل] 4 : 255

أَقصدَتْ زَينبُ قَلبي بعدما ذَهَبَ الباطلُ عنّي والغَزَلْ

غناء عمر الوادي في شعر ابن رهيمة المدني [من الرمل] 4 : 279

أَلا يا لَقَومي لِلرُّقادِ المُسَهَّد ولِلماءِ مَمنوعاً مِنَ الحائمِ الصَّدى

غناء يونس في شعر إسماعيل بن يسار أو غيره [من الطويل] 4 : 284

أَلَمَّ بنا طَيْفُ الخيالِ المهجِّدُ وقد كادت الجوزاءُ في الجوِّ تَصْعَدُ

غناء الهذلي [من الطويل] 5 : 44

لَيسَتْ نَعَمْ منكَ للعافينَ مُسْجَلَةً من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ

غناء شهية مولاة العبلات في شعر ابن هرمة [من البسيط] 6 : 74

في حاضرٍ لَجِبٍ بالليل سامرُه فيه الصواهلُ والرايات والعَكَرُ

غناء حنين في شعر ابن هرمة [من البسيط] 6 : 87

بزينب أَلْـمِم قَبل أن يَرحلَ الركبُ وقُلْ إنّ تَمَلّينا فما ملَّك القَلبُ

غناء كردم بن معبد في شعر نصيب [من الطويل] 6 : 88

النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأَطرافُ الأَكفّ عَنَمْ

غناء ابن عائشة في شعر المرقش الأكبر [من السريع] 6 : 92

إذا قلتُ تَسْلو النفسُ أو تَنتهي المُنى أَبى القلبُ إلاّ حبَّ أُمِّ حَكيمِ

غناء سياط في شعر صالح بن عبدالله أو غيره [من الطويل] 6 : 101

يا أُمَّ عمرو لقد طالبتُ ودّكُم جُهدي وأَعْذرتُ فيه كلَّ إعذارِ

غناء الرطاب [من البسيط] 6 : 113

تَصَدَّع الأُنسُ الجميعُ أَمْسى فَقَلبي به صُدُوعُ

غناء دُكَين [من مخلع البسيط] 6 : 113

يا أيُّها الرجلُ الذي قد زان منطقَه البيانُ

غناء نُبيه في شعر عبدالله بن هارون العروضي [من مجزوء الكامل] 6 : 114

وقفتُ عَلى رَبْعٍ لسُعْدى وعَبْرتي تَرَقْرَقُ في العينين ثم تَسِيلُ

غناء سُلَيم [من الطويل] 6 : 116

عَتَقَ الفُؤادُ من الصِّبا ومن السَّفاهة والعَلاقِ

غناء ابن عبَّاد الكاتب في شعر سعيد بن عبدالرحمن [من مجزوء الكامل] 6 : 121 ؛ 8 : 192

يا طَلَلاً غَيَّره بَعدِي صوبُ رَبيع صادق الرعدِ

غناء يحيى المكّي [من السريع] 6 : 123

سُلَيمى تلك في العِيرِ   قِفي نُخْبِرْكِ أو سِيري

غناء إسماعيل بن هربذ في شعر يزيد بن ضبَّة أو الوليد بن يزيد [من الهزج] 7 : 71

امدَحِ الكأسَ ومن أعْمَلها   واهْجُ قوماً قتلونا بالعَطَشْ

غناء أبي كامل في شعر نابغة بني شيبان أو الوليد بن يزيد [من الرمل] 7 : 80

يا عَمْرُ حُمَّ فراقُكم عَمْرا   وعَزَمْتِ منّا النأيَ والهجرا

غناء فزار المكّي في شعر أبي دهبل الجمحي [من الكامل] 7 : 86

ألا أيُّها الشادنُ الأكحلُ   إلى كم تَقولُ ولا تَفعلُ

غناء أبي زكّار الأعمى في شعر الحسين بن الضحّاك [من المتقارب] 7 : 110

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ على القلب منّي   فيكِ إلاّ استَتَرْتُ عن أصحابي

غناء محمد نعجة الكوفي في شعر السيِّد الحميري [من الخفيف] 7 : 176 ؛ 8 : 198

فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلّعاً لِمْ حَمَلْنها   إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادِقِ

غناء متيَّم مولاة علي بن هشام في شعر كثيِّر أو غيره [من الطويل] 7 : 212

إنّ العيونَ التي طَرْفها مرضَ   قَتَلْننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

غناء ابن محرز في شعر جرير [من البسيط] 7 : 232

أتْبَعْتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ   هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا

وفي شعر جرير أيضاً [من البسيط] 7 : 232

رحَل الخَليطُ جِمالَهم بسَوادِ   وحَدا على إثْرِ البَخيلة حادي

غناء إبراهيم الموصلي في شعر جميل [من الكامل] 8 : 65

أمسى الشَّباب مُوَدَّعاً محمودا   والشيبُ مُؤْتَنِفُ المحلِّ جديدا

غناء إسحاق الموصلي في شعر يزيد بن الطثرية [من الكامل] 8 : 112

شأتْكَ المنازلُ بالأبرَقِ   دوارسَ كالعين في المُهْرَقِ

غناء جميلة في شعر الأحوص [من المتقارب] 8 : 133

سَلا أُمَّ عمرٍو فيم أَضحى أَسيرُها   تُفادى الأسارى حَولـه وهو موثقُ

غناء دُقاق في شعر شبيب بن البرصاء [من الطويل] 12 : 194

تكاشرني كُرْهاً كأنّك ناصحٌ   وعَيْنُك تُبْدِي أَنَّ صدرك لي دَوِي

غناء إبراهيم الموصلي في شعر يزيد بن الحكم الثقفي [من الطويل] 12 : 206

أَبى القلبُ إلاّ أُمَّ عَوفٍ وحُبُّها   عجوزاً ومَن يَعشَقْ عجوزاً يُفنَّدِ

غناء علويه في شعر أبي الأسود الدؤلي [من الطويل] 12 : 214

فهرس القوافي

ـ قافية الألف المقصورة ـ

ـ قافية الهمزة المضمومة مع الهاء المضمومة ـ

ـ قافية الهمزة المضمومة مع ها ـ

ـ قافية الهمزة المكسورة ـ

ـ قافية الهمزة المكسورة ومعها «كا» ـ

ـ قافية الهمزة المكسورة ومعها «ه» ـ

ـ قافية الهمزة المكسورة ومعها ها ـ

ـ قافية الهمزة المفتوحة ـ

ـ قافية الباء المضمومة ـ

ونطربِ	الطويل	إسحاق الموصلي	5 : 210 ، 211
المعذبِ	الطويل	ـ	5 : 251
التجنبِ	الطويل	مجنون ليلى	5 : 261
سبسبِ	الظويل	قاسم الخياط غلام السيد الحميري ونسبها له	7 : 178
مرقبِ	الطويل	جميل	8 : 70
التجنبِ	الطويل	امرؤ القيس	8 : 136
المحصبِ	الطويل	امرؤ القيس	8 : 136
المعذبِ	الطويل	امرؤ القيس	8 : 138 ، 139
تدربِ	الطويل	امرؤ القيس	8 : 137
مذنبِ	الطويل	امرؤ القيس	8 : 137
مهذبِ	الطويل	امرؤ القيس	8 : 137
مسببِ	الطويل	ـ	8 : 138
مغربِ	الطويل	علقمة الفحل	8 : 138
التجنبِ	الطويل	علقمة الفحل	8 : 139
منعبِ	الطويل	امرؤ القيس	8 : 139
ملهبِ	الطويل	علقمة الفحل	8 : 139
منصبِ	الطويل	الأحوص أو طفيل الغنوي	8 : 165 ، 166
المقربِ	الطويل	كثيّر	9 : 9
المتكذبِ	الطويل	الأحوص أو سراقة البارقي	9 : 10
ومغربِ	الطويل	نصيب	9 : 34 ، 35
متغضبِ	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	9 : 182
المحصبِ	الطويل	المجنون	9 : 218
مرقبِ	الطويل	جميل	9 : 253
المخضبِ	الطويل	مروان بن أبي حفصة	10 : 72
تغلبِ	الطويل	الحارث بن ظالم	11 : 69
المتنهبِ	الطويل	الفرزدق	11 : 73
واغضبِ	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	12 : 222
جندبِ	الطويل	عوين بن عبدالله بن الحجاج	13 : 117
مصعبِ	الطويل	عبدالله بن الزبير الأسدي	14 : 148
المهلبِ	الطويل	حاجب الفيل	14 : 168 ، 169
مرببِ	الطويل	حماد عجرد	14 : 244
يطربِ	الطويل	ـ	15 : 48
لزينبِ	الطويل	ـ	15 : 49

ـ قافية الباء المفتوحة مع الكاف الساكنة ـ

ـ قافية الباء المفتوحة مع الهاء الساكنة ـ

قرضابَهْ	البسيط	دعبل الخزاعي	69 : 20
شيبَهْ	الوافر	ـ	238 : 14
وخيبَهْ	الوافر	حماد عجرد	238 : 14
عكابَهْ	الكامل	الحارث بن ظالم	81 : 11
الكاذبَهْ	مجزوء الكامل	والبه بن الحباب	227 : 14
والبَهْ	مجزوء الكامل	علي بن ثابت	76 : 18
يأبويَهْ	الهزج	إسماعيل بن عمار	248 : 11
صلبَهْ	الرجز	النابغة الذبياني	26 : 11
الحبيبَهْ	الرجز	هند بنت خالد	156 : 13
الرحبَهْ	مجزوء الرجز	يونس الخياط	231 : 19
الكتبَهْ	الرمل	أبو شبل البرجمي	127 : 14
مغضبَهْ	الرمل	مروان بن أبي حفصة الأصغر	182 : 23
سلهبَهْ	السريع	سلامة بن صبيح	6 : 13
مسطبَهْ	السريع	ـ	47 : 15
الخشبَهْ	المنسرح	الوليد بن يزيد	268 : 1
قبَهْ	المتقارب	السيد الحميري	192 : 7
دبَهْ	المتقارب	دعبل الخزاعي	91 : 20

ـ قافية الباء المفتوحة مع ها ـ

قَلْبَها	مجزوء الكامل	حماد عجرد	219 : 14
عواقبَها	الكامل	إبراهيم بن العباس	52 : 10

ـ قافية التاء الساكنة ـ

فتزينَتْ	الطويل	غيلان بن سلمة	144 : 13
تركتْ	المديد	عبدالصمد بن المعذل	161 : 13
اقتربتْ	البسيط	إبراهيم بن المهدي	233 : 16 ؛ 94 ، 93 : 10
		نسبه إلى إبراهيم الموصلي	233 : 16
فاختمرتْ	مجزوء الوافر	ـ	117 : 19
بليتْ	السريع	إبراهيم الموصلي	110 : 5
نسيتْ	السريع	العباس بن الأحنف	110 : 5
دنتْ	مجزوء الخفيف	مسلم بن الوليد	26 ، 25 ، 24 : 19
فأدبرت	مجزوء الخفيف	جعيفران الموسوس	115 : 20
روسبيداسْتْ	ـ	شعر فارسي ابن مفرغ	193 : 18

ـ قافية التاء المضمومة ـ

ـ قافية التاء المضمومة مع الهاء الساكنة ـ

ـ قافية التاء المكسورة ومعها كاف ساكنة ـ

ـ قافية التاء المكسورة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الجيم المضمومة ـ

ـ قافية الجيم المكسورة مع ها ـ

ـ قافية الجيم المفتوحة ـ

ـ قافية الجيم المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الحاء الساكنة ـ

ـ قافية الحاء المضمومة ـ

ـ قافية الحاء المكسورة ـ

ـ قافية الحاء المفتوحة ـ

ـ قافية الدال المضمومة ـ

ـ قافية الدال المكسورة ـ

الخفيف	حسان بن تبع	، 221 : 22
الخفيف	أبو العبر	: 23
الخفيف	بشار	: 3
الخفيف	موسى شهوات	: 3
الخفيف	الوليد بن يزيد	: 7
الخفيف	إسماعيل بن عمار	: 11
الخفيف	العبلي	: 11
الخفيف	العبلي	: 11
الخفيف	ـ	: 16
الخفيف	ابن مناذر	: 18
الخفيف	ابن مناذر	، 130 : 18
الخفيف	ابن مناذر	، 129 : 18
الخفيف	ابن مناذر	: 18
الخفيف	ابن مناذر	، 145 ، 129 : 18
الخفيف	ابن مناذر	: 18
الخفيف	ابن مناذر	: 18
الخفيف	ابن مفرغ	: 18
الخفيف	الحكم بن قنبر	: 19
الخفيف	بكر بن النطاح	: 19
الخفيف	أبو محمد اليزيدي	: 20
الخفيف	أبو العتاهية أو عيسى بن زينب	، 191 ، 190 : 20
الخفيف	عيسى بن زينب	: 20
الخفيف	الأحوص	، 82 : 21
الخفيف	أبو محمد اليزيدي	: 23
الخفيف	أحمد بن يوسف	: 23
الخفيف	علي بن الجهم	: 23
الخفيف	علي بن الجهم	: 23
مجزوء الخفيف	سعيد بن عبد الرحمن بن حسان	: 15
المتقارب	عمر بن أبي ربيعة	: 1

ـ قافية الدال المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الدال المفتوحة ومعها ها ـ

ـ قافية الذال المضمومة ـ

ـ قافية الذال المكسورة ـ

ـ قافية الراء المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الراء المضمومة ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية الراء المضمومة ومعها هاء ـ

ـ قافية الراء المكسورة ـ

ـ لفظ قافية أخرى هو : (دهر) ـ

ـ قافية أخرى لقافية : عصر ـ

ـ قافية السين المضمومة ومعها ها ـ

ـ قافية السين المكسورة ـ

ـ قافية الشين الساكنة ـ

ـ قافية الشين المضمومة ـ

ـ قافية الشين المضمومة ومعها ها ـ

ـ قافية الشين المكسورة ـ

ـ قافية الشين المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الصاد المضمومة ـ

ـ قافية العين المفتوحة ومعها كاف ساكنة ـ

ـ قافية العين المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية العين المفتوحة ومعها ها ـ

ـ قافية الغين المضمومة ـ

ـ قافية الغين المكسورة ـ

ـ قافية الغين المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الفاء الساكنة ـ

ـ قافية الفاء المضمومة ـ

ـ قافية الفاء المكسورة ـ

ـ قافية الفاء المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية القاف الساكنة ـ

ـ قافية القاف المضمومة ـ

ـ قافية القاف المضمومة ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية القاف المضمومة ومعها ها ـ

ـ قافية القاف المكسورة ـ

ـ قافية القاف المفتوحة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية القاف المفتوحة ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية الكاف الساكنة ـ

ـ قافية الكاف المضمومة ـ

ـ قافية الكاف المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الكاف المضمومة ومعها ما ـ

ـ قافية الكاف المكسورة ـ

ـ قافية الكاف المفتوحة ـ

ـ قافية اللام المضمومة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية اللام المضمومة ومعها ها مضمومة ـ

ـ قافية اللام المضمومة ومعها ها ـ

ـ قافية اللام المكسورة ـ

ـ قافية اللام المكسورة ومعها كاف ساكنة ـ

ـ قافية اللام المكسورة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية اللام المكسورة ومعها هاء مكسورة ـ

ـ قافية الميم المضمومة ـ

ـ قافية الميم المكسورة ـ

ـ قافية الميم المكسورة ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الميم المكسورة ومعها هاء مكسورة ـ

ـ قافية الميم المفتوحة ـ

ـ قافية النون المضمومة ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية النون المضمومة ومعها ها ـ

ـ قافية النون المكسورة ـ

ـ قافية الياء ومعها كاف مكسورة ـ

ـ قافية الياء ومعها هاء ساكنة ـ

ـ قافية الياء ومعها هاء مضمومة ـ

ـ قافية الياء ومعها هاء مكسورة ـ

فهرس الشعراء

ـ ت ـ

ـ ح ـ

ـ د ـ

- ز -

- س -

ـ ش ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ك ـ

ـ ن ـ

فهرس الأمثال

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ح ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

فهرس المصادر والمراجع

آراب الفلاسفة لحنين بن إسحاق ، اختصره محمد بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الأنصاري ، تحقيق وتقديم د. عبد الرحمن بدوي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، ط1 ، الكويت 1985 .
الآمل والمأمول المنسوب للجاحظ ، تحقيق د. رمضان ششن ، دار الكتاب الجديد ، بيروت 1983 .
إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن للغزي (مخطوط رقم 418ج) بمكتبة البلدية بالاسكندرية ، ومنه ميكرو فيلم (رقم : 308) بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .
الأجوبة المسكتة لابن أبي عون ، تحقيق د. وداد القاضي ، بيروت .
أحاسن المحاسن للإمام أبي الحسن الرخجي ، (ضمن مجموعة خمس رسائل) ، الجوائب 1301 .
إحياء علوم الدين للغزالي (1–4) ، القاهرة 1302 .
أخبار أبي تمام للصولي ، تحقيق محمد عبده عزام وخليل محمود عساكر ونظير الإسلام الهندي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1980 .
أخبار البحتري لأبي بكر الصولي ، تحقيق د. صالح الأشتر ، دمشق 1958 .
أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي ، نشر القدسي ، دمشق 1347 .
أخبار الدولة العباسية لمجهول ، تحقيق د . عبد العزيز الدوري و د. عبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، بيروت 1971 .
أخبار الزجاجي أبي القاسم ، تحقيق د. عبد الحسين المبارك ، دار الرشيد ، بغداد 1980 .
أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي ، دمشق 1347 .
أخبار القضاة لوكيع بن خلف (1–3) ، تحقيق عبدالعزيز المراغي ، القاهرة 1366–1369 .
الأخبار الموفقيات ، انظر : الموفقيات .
أخبار النساء لابن قيم الجوزية ، مصر 1307 .
أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان للعباس بن بكار الضبي ، تحقيق سكينة الشهابي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1983 .
(اختيار) **المنظوم والمنثور** لابن أبي طاهر طيفور ، مخطوطة دار الكتب المصرية .
أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، دمشق 1965 .
أدب الخواص للوزير المغربي ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض 1980 .
أدب الدنيا والدين للماوردي ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة 1955 .
الأدب الصغير لابن المقفع ، نشره محمد كرد علي في رسائل البلغاء ، ط3 ، القاهرة 1946.
الأدب الكبير لابن المقفع ، نشره محمد كرد علي في رسائل البلغاء ، ط3 ، القاهرة 1946 .
أدب الكتّاب للصولي ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، القاهرة 1342 .
الأدب المفرد للبخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1375 .
أدب النديم لكشاجم ، القاهرة 1298 .
الأذكياء لابن الجوزي ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1979 .

الإرشاد للشيخ المفيد ، مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1979 .
إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (1–10) ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1305 .
الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (1–2) ، حيدر أباد الدكن 1322 .
أساس البلاغة للزمخشري ، دار صادر ، بيروت 1979 .
الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول ، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية 1958 .
الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (1–4) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة .
أسد الغابة لابن الأثير (1–5) ، طهران 1342 .
الأسد والغواص ، تحقيق د . رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1978 .
الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للملاّ علي القاري ، تحقيق محمد الصباغ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1972 .
أسماء المغتالين من الشعراء لمحمد بن حبيب (ضمن نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1972 .
الإشارة إلى أدب الإمارة للمرادي ، تحقيق د. رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1981 .
الأشباه والنظائر للخالديين (1–2) ، تحقيق د. السيد محمد يوسف ، القاهرة 1958–1965 .
أشجع السلمي : حياته وشعره ، د. خليل بنيان الحسون ، بيروت 1981 .
أشعار الخليع (الحسين بن الضحاك) ، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج ، بيروت 1960 .
أشعار النساء للمرزباني ، تحقيق سامي مكي العاني وهلال ناجي ، بغداد 1976 .
الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (1–8) ، مصر 1323–1325 .
الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، 1955 .
الاعتبار لابن أبي الدنيا ، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف ، دار البشير ، عمان .
إعجاز القرآن للباقلاني ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة 1953 .
إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لمحمد بن علي بن طولون ، دمشق 1348 .
أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، تأليف عمر رضا كحالة ، بيروت 1977 .
الأعلام ، تأليف خير الدين الزركلي (1–10) ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1954–1959 .
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (1–25) ، دار الثقافة ، بيروت 1955–1960 ؛ (1–16) طبعة دار الكتب المصرية .
الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي (1–3) ، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد ، القاهرة 1983 .
ألف باء البلوي (1–2) ، القاهرة 1287 .
ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه لمحمد بن حبيب (ضمن نوادر المخطوطات) ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1973 .

الإكليل ، لأبي محمد بن يعقوب الهمداني (1–3) حققه وعلق حواشيه محمد بن علي الأكوع الحوالي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1963 .
الإلمام للنويري (1–7) تحقيق د. عزيز سوريال عطية ، حيدر أباد الدكن 1973–1976.
الاماء الشواعر لأبي الفرج الأصبهاني ، تحقيق د. نوري حمودي القيسي و د. يونس أحمد السامرائي ، بيروت 1984 .
أمالي ابن الشجري (1–2) ، طبعة حيدر أباد الدكن .
أمالي الزجاجي ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1382 .
أمالي الشيخ الصدوق لابن بابويه القمي ، طهران 1380 .
أمالي الطوسي (1–2) ، بغداد 1964 .
أمالي القالي (والذيل) (1–3) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1953 .
أمالي المرتضى (الدرر والغرر) (1–2) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1967 ؛ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1954 .
أمالي اليزيدي ، حيدر أباد الدكن 1938 .
الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة (1–2) ، تحقيق د. طه محمد الزيني ، القاهرة 1967.
إمتاع الأسماع للمقريزي (جـ : 1) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة 1941 .
الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (1–3) ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة 1939–1944 .
الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، دار المأمون ، دمشق 1980 .
أمثال العرب للمفضل الضبي ، قدم له وعلق عليه د. إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت 1981 .
الأمثال والحكم للماوردي (نسخة ليدن) .
أمراء البيان (1–2) ، لمحمد كرد علي ، مصر 1937 .
أمل الآمل المنسوب للجاحظ ، تحقيق رمضان ششن ، بيروت 1968 .
الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ، تحقيق د. قاسم السامرائي ، ليدن 1973 .
إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (1–4) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1950–1973 .
الانتقاء لابن عبر البر ، القاهرة 1350 .
أنس المحزون لصفي الدين أبي الفتح الحلبي ، (مخطوطة جامعة ييل) .
أنساب الأشراف للبلاذري :
جـ 1 (مخطوطة رئيس الكتاب رقم 597) .
جـ 3 تحقيق د. عبد العزيز الدوري ، سلسلة النشرات الإسلامية (رقم : 28) ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1978 .
جـ 1/4 تحقيق د . إحسان عباس ، سلسلة النشرات الإسلامية (رقم : 28) ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1979 .
أنساب الخيل لابن الكلبي ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب ، القاهرة 1946 .

أنموذج الزمان لابن رشيق القيرواني ، جمع وتحقيق محمد البكوش والعروسي المطوي ، تونس 1986 .
الأوراق للصولي (أخبار الشعراء المحدثين) ، تحقيق ج. هيورث دن (مصورة عن الطبعة المصرية) ، بيروت 1982 .
الأوراق للصولي (أشعار أولاد الخلفاء) ، تحقيق ج. هيورث دن (مصورة عن الطبعة المصرية) ، بيروت 1982 .
أيام العرب في الجاهلية ، تأليف محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1942 .
الإيجاز والإعجاز للثعالبي ، (ضمن مجموعة خمس رسائل) ، الجوائب 1301 .
الإيناس في علم الأنساب للوزير المغربي ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض 1980 .
البخلاء للجاحظ ، تحقيق د. طه الحاجري ، دار المعارف بمصر ، 1948 .
البخلاء للخطيب البغدادي ، تحقيق د. أحمد مطلوب وآخرين ، بغداد 1964 .
البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي (1–5) ، نشر كلمان هوار ، باريس 1899–1919 .
البداية والنهاية لابن كثير (1–14) ، مكتبة المعارف ، بيروت ومكتبة النصر ، الرياض 1966 .
البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، تحقيق د. أحمد أحمد بدوي و د. حامد عبد المجيد ، القاهرة 1960 .
برد الأكباد في الأعداد للثعالبي ، (ضمن مجموعة خمس رسائل) ، الجوائب 1301 .
البرصان والعرجان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، بغداد 1982 .
البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي :
1 – نسخة الفاتح رقم 3695–3699 .
4 – (نسخة الأمبروزيانا) .
1–9 تحقيق د. وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت 1984 .
بغية الطلب لابن العديم (5) ، صورة عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ؛ (1–10) + الفهارس ، تحقيق د. سهيل زكار ، دمشق .
بغية الوعاة للسيوطي (1–2) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1964–1965 .
البلدان ، (مختصر كتاب) لابن الفقيه ، تحقيق دي غويا ، ليدن 1302 .
بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور ، صححه أحمد الألفي ، القاهرة 1908 .
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (1–3) ، لمحمود شكري الآلوسي ، ط2 ، مصر 1924 .
بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر ، تحقيق محمد رضوان ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
بهجة المجالس لابن عبد البر النمري (1–2) ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
البيان المغرب لابن عذاري (1) ، تحقيق الأستاذين كولان وليفي بروفنسال ، ليدن 1948.
البيان والتبيين للجاحظ (1–4) ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1961 .
البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة الحسيني (1–2) ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1980 .
تاج العروس للزبيدي (1–10) ، المطبعة الخيرية بمصر ، 1306–1307 .

التاج في أخلاق الملوك (المنسوب للجاحظ) ، تحقيق أحمد زكي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1914 .
تاريخ ابن الأثير للجزري (1–3) ، تحقيق تورنبرج ، دار صادر ، بيروت 1965 .
تاريخ ابن الدبيثي = ذيل تاريخ مدينة السلام ، بغداد (1–2) ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، بغداد 1974–1979 ؛ (ومخطوطة كيمبردج) .
تاريخ ابن عساكر (تراجم النساء) ، تحقيق سكينة الشهابي ، دمشق 1982 .
تاريخ أصفهان ، أبو نعيم ، طبعة بيروت .
التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لعز الدين بن الأثير ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة 1963 .
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (1–14) ومعه الذيل على تاريخ بغداد لابن النجار (15–17) ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت (مصورة عن طبعة الخانجي الأولى ، القاهرة) .
تاريخ الحكماء للقفطي ، تحقيق جوليوس ليبرت ، ليبسك 1903 .
تاريخ الخلفاء للسيوطي ، طبعة دار الثقافة ، بيروت .
تاريخ دمشق لابن عساكر (1–19) ، مخطوط .
تاريخ الردة للكلاعي ، تهذيب خورشيد أحمد فاروق ، معهد الدراسات الاسلامية ، دلهي 1970 .
تاريخ الطبري (1–15) طبعة مصورة عن الطبعة الأوروبية ، (1–10) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1960–1969 .
تاريخ الموصل للشيخ أبي زكريا الأزدي ، تحقيق د. علي حبيبة ، القاهرة 1967 .
تاريخ اليعقوبي (1–2) ، دار صادر ، بيروت 1960 ؛ وتحقيق هوتسما ، ليدن 1883 .
تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، مصر 1326 .
تتمة اليتيمة للثعالبي (1–2) ، عني بنشره عباس إقبال ، طهران 1353 .
تجارب الأمم لمسكويه (وذيله لأبي شجاع) (1–3) ، تحقيق آمدروز ، القاهرة 1914–1916 ، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .
تحسين القبيح وتقبيح الحسن للثعالبي ، تحقيق شاكر العاشور ، بيروت 1981 .
التحف والهدايا لأبي بكر وأبي عثمان ابني هاشم الخالديين ، تحقيق د. سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر 1956 .
تحفة الأنفس لابن هذيل ، طبعة أوروبة .
التحفة الملوكية في الآداب السياسية (المنسوب للماوردي) تحقيق د. فؤاد عبد المنعم ، الاسكندرية .
تحفة الوزراء (المنسوب للثعالبي) تحقيق حبيب علي الراوي ود. ابتسام مرهون الصفّار ، بغداد 1977 .
تذكرة الحفاظ للذهبي (1–4 في مجلدين) ، طبعة حيدر أباد الدكن 1955–1957 .
التذكرة الحمدونية لابن حمدون (1–10) تحقيق د. إحسان عباس وبكر عباس ، دار صادر ، بيروت 1996 .
تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ، تقديم محمد صادق بحر العلوم ، النجف 1964 .
التذكرة السعدية لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي ، تحقيق عبدالله الجبوري ، النجف 1972 .
ترتيب المدارك للقاضي عياض (1–7) ، الرباط .

الترجمة والنقل عن الفارسية (1) جمع د. محمدي ، بيروت 1964 .
ترويح الأرواح لجراب الدولة ، نسخة المكتبة الوطنية ، باريس .
تزيين الأسواق للأنطاكي ، مصر 1302 ؛ (1–2) طبعة بيروت 1973 (عن الطبعة المصرية ؛ ومعه ديوان الصبابة) .
تسهيل النظر وتعجيل الظفر لأبي الحسن الماوردي ، تحقيق محيي هلال السرحان ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981 .
التشبيهات لابن أبي عون ، تحقيق د. عبد المعيد خان ، كمبردج 1950 .
التعازي للمدائني ، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفّار وبدري محمد فهد ، بغداد 1971 .
التعازي والمراثي للمبرد ، تحقيق محمد الديباجي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1976 .
تعريف القدماء بأبي العلاء ، لجنة بإشراف د. طه حسين ، القاهرة 1944 .
تفسير القرطبي = **الجامع لأحكام القرآن** (1–20) ، مصر 1354 .
تقييد العلم للخطيب البغدادي ، تحقيق أسعد طلس ، دمشق .
تكملة تاريخ الطبري للهمذاني ، تحقيق ألبير كنعان ، بيروت 1961 .
التكملة لوفيات النقلة للمنذري (1–4) ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، بيروت 1981 .
تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1969 .
التمثيل والمحاضرة للثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة 1961 .
تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ، انظر مجموعة ورّام .
التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه لأبي عبيد ، عبدالله بن عبد العزيز البكري ، مصر 1926 .
التنبيهات على أغاليط الرواة في كتب اللغة المصنفات لأبي القاسم علي بن حمزة البصري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ، مصر .
تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، وقف على طبعه الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت 1895 .
تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (1–7) ، صنعة الشيخ عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت 1979 .
تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (1–12) ، حيدر أباد الدكن 1325–1327 .
تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
التوفيق للتلفيق للثعالبي ، تحقيق إبراهيم صالح ، دمشق 1983 .
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1965 .
ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي (بهامش المستطرف للأبشيهي) .
جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1–2) ، دار الفكر ، بيروت ؛ تحقيق عبد الكريم الخطيب ، القاهرة 1982 .
الجامع الصغير للسيوطي (1–2) ، القاهرة 1954 .
الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للمعافى بن زكريا النهرواني (1–2) تحقيق د. محمد مرسي الخولي ، بيروت 1981–1983 ؛ (3–4) تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1987 .
جمع الجواهر للحصري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1953 .

الجمهرة لابن دريد (1–4) ، ط. حيدر أباد الدكن .
جمهرة الإسلام للشيزري (مصورة عن مخطوطة ليدن ، فؤاد سيزكين ، فرانكفورت) .
جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (1–2) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ؛ طبعة دار صادر ، بيروت 1978 .
جمهرة الأمثال للعسكري (1–2) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و د. عبد المجيد قطامش ، القاهرة 1964 .
جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة 1962 .
جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (1–3) ، جمع أحمد زكي صفوت ، البابي ، القاهرة 1933 .
جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة (1–4) ، جمع أحمد زكي صفوت ، البابي ، القاهرة 1937–1938 .
جمهرة النسب للزبير بن بكار (1) تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة 1381 .
الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لمحمد بن منصور بن حبيش المعروف بابن الحداد (آيا صوفيا ، رقم 4824/1) ؛ وتحقيق ودراسة د. رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1983 .
حاشية على شرح بانت سعاد لعبد القادر البغدادي (ج : 1) تحقيق نظيف محرم خواجة ، فيسبادن 1980 .
الحكمة الخالدة (جاويدان خرد) لمسكويه ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، القاهرة 1952.
الحلة السيراء لابن الأبار (1–2) ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة 1963 .
حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (1–10) ، القاهرة 1938 .
حلية المحاضرة في صناعة الشعر لمحمد بن الحسن الحاتمي (1–2) ، تحقيق د. جعفر الكتاني، بغداد 1979 .
حماسة ابن الشجري ، حيدر أباد الدكن 1345 .
حماسة أبي تمام (شرح التبريزي) (1–4) ، بولاق 1296 .
حماسة أبي تمام (شرح المرزوقي) (1–4) ، تحقيق أحمد أمين و د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1951–1953 .
حماسة البحتري ، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت 1910 .
الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري (1–2) ، تحقيق د. مختار الدين أحمد ، حيدر أباد الدكن 1964 .
حماسة الخالديين : انظر الأشباه والنظائر .
حماسة الظرفاء لأبي محمد العبدلكاني (1–2) ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، بغداد 1978 .
الحنين إلى الأوطان للجاحظ ، مطبعة المنار ، القاهرة 1333 .
حياة الحيوان الكبرى للدميري (1–2) ، مصر 1292 .
الحيوان للجاحظ (1–7) ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1938–1945 .
خاص الخاص للثعالبي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1326 .
خريدة القصر (قسم العراق) (1–4) (ولها تكملة) ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، بغداد .
خزانة الأدب للبغدادي (1–4) بولاق 1299 ؛ تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة .

الخصال للشيخ الصدوق ، قم 1376 .
خطب خالد بن صفوان وأقواله وأخباره ، جمعها د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد 1990.
خلاصة الذهب المسبوك للأربلي ، بغداد 1964 .
خمس رسائل لابن بطلان وابن رضوان ، تحقيق يوسف شخت وماكس مايرهوف ، القاهرة 1937 .
خمس رسائل (من ضمنها الإيجاز والإعجاز وبرد الأكباد) ، الجوائب 1301 .
الدر المنثور للسيوطي (1—6) ، القاهرة 1314 .
الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة الأصفهاني ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، القاهرة 1972 .
دعائم الإسلام للنعمان بن محمد بن منصور التميمي ، تحقيق آصف بن علي ، دار المعارف ، مصر 1951 .
دلائل النبوة لأبي نعيم ، حيدر أباد الدكن 1369 .
دلائل النبوة للبيهقي (جـ : 1) تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1970 ؛ (جـ : 3 ، جـ : 5) تحقيق د . عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1985 .
الديارات للشابشتي ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد 1966 .
ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الأدبية) ، تصحيح عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1937.
ديوان ابن دريد ، دراسة وتحقيق عمر ابن مسالم ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1973 .
ديوان ابن الدمينة ، صنعة ثعلب ومحمد بن حبيب ، تحقيق راتب النفاخ ، مطبعة المدني ، نشر دار العروبة ، 1959 .
ديوان ابن رشيق القيرواني ، جمع وتحقيق د. عبد الرحمن ياغي ، دار الثقافة ، بيروت .
ديوان ابن الرومي (1—6) ، تحقيق د. حسين نصار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1973—1981 .
ديوان ابن المعتز (3—4) ، تحقيق ب. لوين ، استانبول ، 1945—1950 .
ديوان ابن المعتز (1—3) ، تحقيق د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد 1978 .
ديوان ابن مفرغ ، جمع وتحقيق د. عبد القدوس أبو صالح ، بيروت 1975 ؛ (شعر ابن مفرغ) ، جمع وتقديم د. داود سلوم ، بغداد 1968 .
ديوان ابن نباتة السعدي (1—2) ، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، بغداد 1977 .
ديوان ابن هانىء الأندلسي ، ط. دار صادر ، بيروت 1952 .
ديوان ابن هرمة ، جمع محمد جبار المعيبد ، النجف 1969 ؛ وجمع د. حسين عطوان ومحمد نفاع ، دمشق 1969 .
ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بيروت 1975 .
ديوان أبي تمام (1—4) ، تحقيق محمد عبده عزام ، القاهرة 1951—1965 ؛ شرح وتعليق شاهين عطية ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، بيروت 1968 .
ديوان أبي دلامة ، جمع وتحقيق د. رشدي علي حسن ، بيروت 1985 .
ديوان أبي دهبل الجمحي ، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، النجف 1972 .
ديوان أبي دواد الإيادي ، جمع غوستاف غرنباوم وأعاد تحقيقه د. إحسان عباس ، بيروت 1959 .
ديوان أبي ذؤيب ، انظر : ديوان الهذليين .

ديوان أبي الشيص ، جمع عبدالله الجبوري . بغداد 1967 .
ديوان أبي العتاهية ، تحقيق د. شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق 1965 ؛ تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1964 .
ديوان أبي الفتح البستي ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، بيروت 1980 .
ديوان أبي فراس الحمداني (1-2) ، جمع وشرح د. سامي الدهان ، بيروت 1944 .
ديوان أبي قيس بن الأسلت ، دراسة وتحقيق حسن محمد باجودة ، القاهرة 1973 .
ديوان أبي النجم العجلي ، نشر وليم بن الورد ، (ضمن ديوان العرب) ، لايبزغ 1903 ؛ صنعه وشرحه علاء الدين أغا ، النادي الأدبي ، الرياض ، 1981 .
ديوان أبي نواس (1-3) تحقيق ايفالد فاغنر ، فيسبادن 1958-1982 ؛ وتحقيق د. بهجت الحديثي ، بغداد 1980 ؛ وتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، بيروت 1953 ؛ (جـ : 4) تحقيق غريغور شولر ، فيسبادن 1982 .
ديوان أبي الهندي وأخباره ، جمع عبدالله الجبوري ، بغداد 1969 .
ديوان الأخطل بعناية الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1891 ؛ شرح كارين صادر ، دار صادر ، بيروت 1999 .
ديوان الأعشى ، تحقيق غوبار ، بيانه 1927 ، دار صادر ، بيروت .
ديوان أعشى باهلة ، تحقيق وليم بن الورد ، (ضمن ديوان العرب)، لايبزغ 1903 .
ديوان أعشى همدان ، نشر رودلف غاير ، لندن 1928 (الصبح المنير في شعر أبي بصير) .
ديوان الأفوه الأودي (ضمن مجموعة الطرائف الأدبية) تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1937 ؛ وتحقيق د. محمد ألتونجي ، دار صادر ، بيروت 1998 .
ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة 1958 ؛ دار صادر ، بيروت 1963 .
ديوان أمية بن أبي الصلت الأندلسي ، جمع وتحقيق محمد المرزوقي ، تونس 1974 ؛ جمع د . عبد الحفيظ السطلي ؛ بشير يموت ، بيروت 1937 .
ديوان أوس بن حجر ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، بيروت 1960 .
ديوان البحتري (1-4) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة 1963-1965 ؛ وشرح كرم البستاني (1-2) دار صادر ، بيروت .
ديوان بشار بن برد (1-3) ، باعتناء محمد الطاهر بن عاشور ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1955-1966 ؛ وجمع بدر الدين العلوي ، دار الثقافة ، بيروت ؛ إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 2000 .
ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1960 .
ديوان بكر بن النطاح ، جمع وتحقيق غازي النقاش ، بغداد 1977 .
ديوان تأبط شراً ، تحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1984 .
ديوان تميم بن أبي بن مقبل ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1962 .

ديوان جران العود النميري ، رواية السكري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، 1931 .

ديوان جرير (1–2) ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، القاهرة 1971 ؛ شرح وجمع كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1964 .

ديوان جميل بثينة ، جمع وتحقيق د. حسين نصار ، مكتبة نصر ، القاهرة ؛ تحقيق وشرح بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت 1966 .

ديوان الأحوص الأنصاري ، تحقيق وشرح د. سعدي ضنّاوي ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .

ديوان الأقيشر الأسدي ، صنعه الدكتور محمد علي دقّة ، دار صادر ، بيروت ، 1997 .

ديوان حاتم الطائي ، تحقيق د. عادل سليمان جمال ، القاهرة ؛ ودار صادر ، بيروت .

ديوان الحارث بن حلزة ، إعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، 1996 .

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق د. وليد عرفات ، لندن ودار صادر ، بيروت 1971 .

ديوان الحسين بن مطير الأسدي ، جمع وتحقيق د. محسن غياض ، بغداد 1971 ؛ جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، مجلة المخطوطات العربية ، مجلد 15 ، الجزء الأول 1969 .

ديوان حسين بن الضحّاك ، جمع الأستاذ عبد الستّار فراح ، دار الثقافة ، بيروت 1960 .

ديوان الحطيئة ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه ، القاهرة 1958 ؛ طبعة دار صادر ، بيروت 1967 .

ديوان الحماني ، مجلة المورد 1974/2 .

ديوان حميد بن ثور الهلالي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، 1951 ؛ إشراف د . محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت 1995 .

ديوان الحيص بيص (1–3) ، تحقيق مكي السيد جاسم وشادي هادي شكر ، بغداد 1972–1975 .

ديوان خالد الكاتب ، تحقيق د. يونس أحمد السامرائي ، بغداد 1981 .

ديوان الخالديين ، جمع وتحقيق د. سامي الدهان ، دمشق 1961 .

ديوان الخريمي ، جمع وتحقيق علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد ، بيروت 1971 .

ديوان الخنساء (أنيس الجلساء) بعناية أحد الآباء اليسوعيين ، بيروت 1888 ؛ تحقيق أنور أبو سويلم ، دار عمان ، عمان 1988 ؛ دار صادر ، بيروت 1963 .

ديوان دعبل الخزاعي ، جمع د . محمد يوسف نجم ، بيروت 1962 ؛ وجمع د. عبد الكريم الأشتر (شعر دعبل بن علي الخزاعي) منشورات المجمع العلمي العربي ، دمشق 1964 .

ديوان ديك الجن الحمصي ، تحقيق أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري ، دار الثقافة ، بيروت 1964 .

ديوان ذي الإصبع العدواني ، تحقيق وجمع عبد الوهاب العدواني ومحمد الديلمي ، الموصل ، 1973 .

ديوان ذي الرمة (1–3) ، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، دمشق 1972–1973 ؛ طبعة أوروبة تحقيق مكارتني ؛ وبتحقيق الشيخ زهير فتح الله ، دار صادر ، بيروت 1995 .

ديوان الراعي النميري ، جمع وتحقيق راينهرت فايبرت ، فيسبادن 1980 ؛ وتحقيق د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي ، بغداد 1980 .
ديوان ربيعة بن مقروم الضبّي ، جمع وتحقيق تماضر عبد القادر فياض حرفوش ، دار صادر ، بيروت ، 1999 .
ديوان رؤبة (مجموع أشعار العرب) ، اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي ، برلين 1903 .
ديوان الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، دراسة وتحقيق سعود محمود الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984 .
ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية ، 1944 .
ديوان زهير بن جناب الكلبي ، صنعه د . محمد شفيق البيطار ، دار صادر ، بيروت 1999 .
ديوان سحيم ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، 1950 .
ديوان السري الرفاء ، ط. القدسي ، القاهرة ؛ وط . بغداد .
ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق فخر الدين قباوة ، حلب 1968 ؛ وتحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت 1910 .
ديوان الشريف الرضي (1-2) ، دار صادر ، بيروت 1961 .
ديوان الشريف المرتضى (1-3) ، تحقيق رشيد الصفار ، القاهرة 1958 .
ديوان شعر الخوارج ، جمع وتحقيق د. إحسان عباس ، ط4 ، دار الشروق ، بيروت 1982 .
ديوان شعر المثقب العبدي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة 1971 .
ديوان الشماخ بن ضرار ، تحقيق صلاح الدين الهادي ، القاهرة 1968 .
ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براق ، إعداد وتقديم طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، 1996 .
ديوان الصمة بن عبدالله القشيري ، جمعه د. عبد العزيز محمد الفيصل ، الرياض ، النادي الأدبي ، الرياض 1981 .
ديوان الصاحب ابن عباد ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد 1965 .
ديوان الصنوبري ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1970 .
ديوان ضرار بن الخطاب الفهري ، جمع د . فاروق أسليم بن أحمد . دار صادر ، بيروت ، 1996 .
ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق 1975 ؛ جمع وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1953 .
ديوان الطرماح ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1968 .
ديوان الطغرائي أبي إسماعيل الحسين بن علي ، تحقيق د. علي جواد الطاهر و د. يحيى الجبوري ، الكويت 1983 .
ديوان الطفيل الغنوي ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت 1968 ؛ تحقيق كرنكو ، لندن 1927 ؛ تحقيق حسان فلاح أوغلي ، دار صادر ، بيروت 1997 .
ديوان عامر بن الطفيل ، دار صادر ، بيروت 1959 .

ديوان عبد الصمد المعذل ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، دار صادر ، بيروت 1998 .
ديوان عبيد بن الأبرص ، جمع وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .
ديوان عروة ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1964 .
ديوان العباس بن الأحنف ، جمع وتحقيق عاتكة الخزرجي ، القاهرة 1954 ؛ جمع وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1978 .
ديوان العباس بن مرداس ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، بغداد 1968 .
ديوان عبدالله بن رواحة ، تحقيق د. وليد قصاب ، دار العلوم ، الرياض 1982 ؛ دراسة وتحقيق د. حسن محمد باجوده ، القاهرة 1972 .
ديوان عبد المحسن الصوري (1–2) ، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر ، بغداد 1980 .
ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت 1958 .
ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق د. حسين نصار ، القاهرة 1957 ؛ تحقيق شارلس لايل ، سلسلة جيب التذكارية ، 1913 .
ديوان العجاج ، نشر وليم بن الورد ، (ضمن ديوان العرب) ، لايبزغ 1903 .
ديوان عدي بن الرقاع ، تحقيق الدكتورين القيس والضامن ، بغداد 1987 .
ديوان عدي بن زيد ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، بغداد 1965 .
ديوان العرجي ، تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد 1956 .
ديوان عروة بن أذينة ، دار صادر ، بيروت 1996 .
ديوان عروة بن الورد ، شرح ابن السكيت ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق 1966 .
ديوان علقمة بن عبدة (الفحل) ، شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، ط1 ، مطبعة الأصيل بحلب ، 1969 ؛ وتحقيق سعيد نسيب مكارم ، دار صادر ، بيروت 1996 .
ديوان العلوي الكوفي ، مجلة المورد 1974/2 .
ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بك ، دمشق 1946 .
ديوان عُليّة بنت المهدي . جمعه وحققه الدكتور سعدي ضنّاوي ، دار صادر ، بيروت 1997 .
ديوان عمارة بن عقيل ، تحقيق شاكر العاشور
ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ، بيروت 1961 .
ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، دار صادر ، بيروت 1994 ؛ نشر لايل ، كيمرج ، 1919 .
ديوان عمرو بن كلثوم ، دار صادر ، بيروت ، 1996 .
ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، جمع هاشم الطعان ، بغداد 1970 .
ديوان عنترة ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1964 .
ديوان الفرزدق (1–2) ، دار صادر ، بيروت 1966 .
ديوان القتال الكلابي ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت 1961 .
ديوان القطامي ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، بيروت 1960 ؛ وبنشر بارت ، ليدن 1902 .

ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1967 .

ديوان قيس بن ذريح : شعر ودراسة ، صنعة حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة 1960 .

ديوان كثير عزة ، جمع وشرح د. إحسان عباس ، بيروت 1971 .

ديوان كشاجم ، تحقيق خيرية محمد محفوظ ، سلسلة كتب التراث (رقم 17) ، بغداد 1970 .

ديوان كعب بن زهير ، شرح السكري ، دار الكتب ، القاهرة 1950 .

ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني ، بغداد 1966 ؛ تحقيق مجيد طراد ، دار صادر ، بيروت 1997 .

ديوان لقيط بن يعمر ، تحقيق د. عبد المعيد خان ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت 1971 .

ديوان ليلى الأخيلية ، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية وجليل العطية ، الكويت 1971 .

ديوان المتلمس ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة 1970 ؛ وبتحقيق د. محمد ألتونجي ، دار صادر ، بيروت 1998 .

ديوان المتنبي ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، القاهرة 1944 ؛ شرح أبو البقاء العكبري ، القاهرة 1936 .

ديوان مجنون ليلى ، جمع عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة مصر ، القاهرة ؛ شرح زكي درويش ، دار صادر ، بيروت 1994 .

ديوان محمد بن حازم الباهلي ، صنعة شاكر العاشور ، بغداد 1977 .

ديوان محمد بن عبد الملك الزيات ، تحقيق د. جميل سعيد ، القاهرة 1949 .

ديوان المرقشين (المرقش الأكبر : عمرو بن سعد . المرقش الأصغر : عمرو بن حرملة) تحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت 1998 .

ديوان مزرد بن ضرار ، رواية ابن السكيت ، شرح ثعلب ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، بغداد 1962 .

ديوان مسكين الدارمي ، جمع وتحقيق خليل إبراهيم العطية وعبدالله الجبوري ، بغداد 1970 .

ديوان مسلم بن الوليد (شرح ديوان صريع الغواني) تحقيق د. سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر 1957 .

ديوان المعاني للعسكري أبي هلال (1-2) ، نشر القدسي ، القاهرة 1352 .

ديوان معن بن أوس ، صنعة د. نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن ، بغداد 1977 .

ديوان النابغة الجعدي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1964 .

ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1977 ، جمع ماريا نلينو ؛ وجمع وشرح محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس 1976 .

ديوان النابغة الشيباني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1932 .

ديوان الهذليين (شرح أشعار الهذليين) (1-3) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ومراجعة محمود محمد شاكر ، القاهرة .

ديوان الوأواء (أبو الفرج الدمشقي) ، تحقيق د. سامي الدهان ، ط1 ، 1950 ، ط2 ، دار صادر ، بيروت 1993 .

ديوان الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق ف . غابريلي ، دار الكتاب الجديدة ، بيروت 1969 .

ديوان الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د. واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت 1998 .

ديوان وضاح اليمن ، جمعه وقدم له وشرحه د . محمد خير البقاعي ، دار صادر ، بيروت 1996 .
ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ، القاهرة 1356 .
الذخائر والتحف المنسوب للقاضي الرشيد ، تحقيق محمد حميد الله ، مراجعة د. صلاح الدين المنجد ، الكويت 1959 .
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (1–8) ، تحقيق د. إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، 1975 .
الذهب المسبوك في مواعظ الملوك للحميدي ، طبعة الرياض .
ذيل الروضتين لأبي شامة (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) ، القاهرة 1947 .
الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (1 ، 4–6 ، 8) تحقيق د. محمد بنشريفة و د. إحسان عباس ، بيروت 1964–1965، 1973 .
ربيع الأبرار للزمخشري (1–4) ، تحقيق د. سليم النعيمي ، بغداد 1976–1982 ؛ ومخطوطة برنستن رقم : 3535 .
رحلة التجاني ، تقديم حسن حسين عبد الوهاب ، تونس 1958 .
رحلة النهروالي (المسمى الفوائد السنية في الرحلة المدنية) ، مخطوطة ولي الدين رقم : 2440 .
رسالة الطيف لبهاء الدين الأربلي ، تحقيق عبدالله الجبوري ، بغداد 1968 .
رسالة في علم الكتابة للتوحيدي (ضمن رسائل أبي حيان التوحيدي) ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني ، دمشق .
الرسالة الموضحة للحاتمي ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت 1965 .
رسائل ابن أبي الدنيا (مجموعة رسائل) ، الطبعة الأولى ، مصر 1935 .
رسائل ابن حزم الأندلسي (1–4) ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1982 .
رسائل أبي العلاء (جـ : 1) ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1982 .
رسائل بديع الزمان الهمذاني (كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان) ، تحقيق الشيخ إبراهيم الأحدب الطرابلسي ، بيروت 1890 .
رسائل البلغاء ، جمع وتحقيق محمد كرد علي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط3 ، القاهرة 1946 .
رسائل التوحيدي ، تأليف إبراهيم الكيلاني ، دار طلاس ، دمشق 1985 .
رسائل الجاحظ (1–4) ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1964–1979 .
رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ، جمع وتحقيق د. يونس السامرائي ، بغداد 1971 .
رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة للشريف الغرناطي (شرح مقصورة حازم) (1–2) ، مصر 1344 .
الروض الأُنف للإمام عبد الرحمن السهيلي (1–7) ، تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
الروض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميري الصنهاجي ، تحقيق د. إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، 1975 .
روضة العقلاء لابن حبّان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1977 .

روضة القضاة للسمناني (4 أجزاء في مجلدين) ، تحقيق صلاح الدين الناهي ، بغداد 1970 ؛ مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984 .
رونق التحبير في السياسة والتدبير (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم : 1182) .
الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (1–2) ، ط2 ، القاهرة 1953 .
الريحان والريعان لابن خيرة الأندلسي (جـ : 1) ، نسخة الفاتح رقم : 3909 .
الزاهر في معاني كلمات الناس ، لأبي بكر الأنباري ، تحقيق د. حاتم الضامن ، (1–2) مؤسسة الرسالة ، بيروت 1992 .
الزهد لابن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، حيدر أباد الدكن .
الزهد للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق محمد جلال شرف ، بيروت 1981 .
زهر الآداب لأبي إسحاق الحصري (1–2) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1969 .
زهر الأكم في الأمثال والحكم (1–3) ، أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1981 .
الزهرة لابن داود الأصفهاني الظاهري (1–2) ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. نوري حمودي القيسي ، بغداد 1975 ، عمان 1985 .
سراج الملوك للطرطوشي ، الاسكندرية 1289 ؛ وطبعة دار صادر ، بيروت 1995 .
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري ، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1964 .
سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت ، تحقيق محمد مصطفى هدارة ، القاهرة 1957 .
سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي ، تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور ، سلسلة نفائس المخطوطات التونسية .
سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي ، (اختصار ابن منظور) ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1980 .
السعادة والإسعاد لأبي الحسن العامري ، بعناية مجتبى مينوي ، فيسبادن 1957–1958 .
سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري (1–2) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1936 .
سنن ابن ماجة ، انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
سنن أبي داود (1–2) ، باعتناء الشيخ أحمد سعد علي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة 1952 .
سنن الترمذي ، انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح (1–5) ، بيروت 1983 .
سنن الدارمي (1–2) ، بعناية محمد أحمد دهمان ، دار إحياء السنة النبوية .
السنن الكبرى للبيهقي (1–10) ، حيدر أباد الدكن 1344–1355 .
سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي (1–8) ، القاهرة .
سير أعلام النبلاء للذهبي (1–25) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1981–1988 .

سيرة ابن طولون للبلوي ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق 1358 .
سيرة ابن هشام (1–4) ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، القاهرة 1955 .
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، مصر 1331 .
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ، اعتناء أحمد عبيد ، القاهرة .
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن كثير ، تقديم وتعليق أحمد الشرباصي ، القاهرة .
الشافي في شرح أصول الكافي لابن المظفر (1–3) ، ط2 ، النجف 1969 .
شذرات الذهب لابن العماد (1–8) ، القاهرة 1350–1351 .
شذرات من كتب مفقودة ، جمع وتحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 .
شرح أمالي القالي ، انظر : السمط .
شرح البسامة (شرح قصيدة ابن عبدون) ، القاهرة 1340 .
شرح ديوان جرير ، تحقيق إسماعيل الصاوي ، مصر 1935 .
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لثعلب ، دار الكتب المصرية ، 1944 .
شرح ديوان صريع الغواني ، تحقيق سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر .
شرح ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د. إحسان عباس ، الكويت 1962 .
شرح خطبة عائشة لابن الأنباري ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد .
شرح السبع الطوال لابن الأنباري ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1963 .
شرح شواهد الكشاف لمحب الدين الحموي ، مصر 1281 .
شرح شواهد المغني للسيوطي ، مصر 1322 .
شرح القصائد التسع لأحمد بن محمد النحاس (1–2) ، تحقيق أحمد خطاب ، بغداد 1973 .
شرح ما يقع فيه التصحيف لأبي أحمد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، القاهرة 1963 ؛ (القسم الأول) تحقيق د. السيد محمد يوسف ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1975 .
شرح مقامات الحريري للشريشي (1–5) ، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1969–1976 .
شرح مقصورة حازم ، انظر : رفع الحجب المستورة .
شرح نقائض جرير والفرزدق (1–2) ، تحقيق بيفان ، ليدن 1905–1908 .
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (1–20) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1959–1963 .
شروح سقط الزند (1–5) ، دار الكتب المصرية ، 1945–1948 .
الشريشي ، شرح مقامات الحريري (1–5) ، للشريشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة .
شعب الإيمان للبيهقي (1–9) ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1990 .
شعر أشجع السلمي ، جمع د . خليل حسون ، دارة المسيرة ، بيروت ، 1981 .
شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، دمشق 1982 ؛ جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي ، بغداد 1968 .

شعر أبي زبيد الطائي ، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي ، بغداد 1967 .
شعر الأحوص ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 .
شعر الأسدي (اسماعيل بن عمار) .
شعر الببغا ، تحقيق د. سعود عبد الجبار ، جامعة قطر ، 1983 .
شعر ثابت قطنة ، جمع وتحقيق ماجد السامرائي ، بغداد 1968 .
شعر الأحوص بن محمد الأنصاري ، جمع وتحقيق د . إبراهيم السامرائي ، مطبعة النعمان ، النجف 1969 .
شعر الحادرة الذبياني ، إملاء أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1973 .
شعر الحارث بن خالد المخزومي ، جمع د. يحيى الجبوري ، بغداد 1972 .
شعر الحسين بن مطير ، جمع د . حسين عطوان ؛ وبعناية د . محسن غياض ، بغداد .
شعر خُفاف بن ندبة السّلمي ، جمعه وحققه الدكتور نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد 1967 .
شعر دريد بن الصمة الجشمي ، جمع وتحقيق وشرح د. محمد خير البقاعي ؛ تقديم د. شاكر الفحام ، دار قتيبة ، دمشق 1981 .
شعر ربيعة الرقي ، مجمع د . يوسف بكار .
شعر ربيعة بن مقروم بن ضبّة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، حزيران 1968 .
شعر الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم ، دراسة وتحقيق د. سعود محمود عبا الجابر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984 .
شعر الزبعرى ، جمع د . يحيى الجبوري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .
شعر زياد الأعجم ، جمع وتحقيق يوسف حسين بكار ، دار المسيرة ، بيروت 1983 .
شعر سعيد بن حميد ، جمع يونس أحمد السامرائي ، بغداد ، 1971 .
شعر السليك بن السلكة ، جمع حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد ، مطبعة العاني ، بغداد .
شعر طريح ، جمع د . نوري حمودي القيسي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1982 .
شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ، جمع وتحقيق د . سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد 1971 .
شعر عبد الصمد بن المعذل ، تحقيق زهير غازي زاهد ، بغداد 1970 .
شعر عبدالله بن الزبير الأسدي ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، بغداد 1974 .
شعر عبدالله بن معاوية ، جمع عبد الحميد الراضي ، بغداد 1976 .
شعر العتابي (العتابي : حياته وما تبقى من شعره) ، جمع د. ناصر حلاوي ، مجلة المربد 2–3 ، السنة الثانية ، ص 369–436 .
شعر عروة بن حزام ، جمع د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، مجلة كلية الآداب بغداد ، 1961 .
شعر علي بن جبلة (الملقب بالعكوّك) ، جمع د. حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ، 1972 .

شعر عمر بن لجأ التميمي ، جمع د. يحيى الجبوري ، بغداد 1976 .
شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1974 .
شعر عمرو بن شأس الأسدي ، تحقيق د . يحيى الجبوري ، مطبعة الآداب ، النجف 1976 .
شعر الكميت بن زيد الأسدي (1–2) ، جمع د. داود سلّوم ، بغداد 1969 .
شعر المتوكل الليثي ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، مكتبة الأندلس ، بغداد 1971 .
شعر مالك ومتمم ، جمع ابتسام مرهون الصّفار ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1968 .
شعر مروان بن أبي حفصة ، جمع قحطان رشيد التميمي ، النجف 1972 .
شعر منصور النمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1981 .
شعر الناشىء الأكبر ، صنعة هلال ناجي ، مجلة المورد ، المجلد 11 ، بغداد 1982 .
شعر النامي ، جمع وتحقيق صبيح رديف ، بغداد 1970 .
شعر نصيب بن رباح ، جمع د. داود سلّوم ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1967 .
شعر النعمان بن بشر ، حققه وقدم له د . يحيى الجبوري ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1968 .
شعر النمر بن تولب ، صنعه نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد .
شعر هدبة بن الخشرم العذري ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، وزارة الثقافة والإرشاد ، بغداد ، 1976 .
الشعر والشعراء لابن قتيبة (1–2) ، دار الثقافة ، بيروت 1969 ؛ وتحقيق دي غويا ، ليدن 1902 .
شعر الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ، مكتبة الأقصى ، عمان 1979 .
شعر يزيد بن الطثرية ، صنعة حاتم صالح الضامن ، دار التربية ، بغداد 1973 .
شعر يزيد بن مفرغ الحميري ، تحقيق شارل بلا ؛ وبتحقيق د . داود سلّوم ؛ وبتحقيق د . عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1995 .
شعر اليزيديين ، جمع د . محسن غياض ، بغداد 1972 .
شعراء إسلاميون ، نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، بيروت 1984 .
شعراء أمويون ، نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب ، الموصل 1976 .
شعراء عباسيون لفون غرونباوم ، ترجمة محمد يوسف نجم ، بيروت 1959 .
شعراء عباسيون منسيون ، د . إبراهيم النجار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997 .
شعراء مقلون ، حاتم صالح الضامن ، عالم الكتب ، بيروت 1987 ؛ جمع د . نوري حمودي القيسي ، بغداد .
الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزي ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، القاهرة 1978 .
شمائل الرسول لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة 1967 .
الشهاب في الشيب والشباب للشريف المرتضى ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية 1302 .
الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان ، نسخة الخزانة العامة بالرباط ، رقم : 729 .
الشيخان : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري ، **في أنساب الأشراف**، تحقيق إحسان صدقي العمد ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت 1989 .

الشوق والفراق لابن المرزبان ، تحقيق د . جليل العطية ، المطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1994 .
صبح الأعشى للقلقشندي (1–4) ، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالقاهرة ، 1963 .
صحيح ابن حبان ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة 1952 .
صحيح البخاري (1–9) ، القاهرة 1958 .
صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الألباني (1–6) ، المكتب الإسلامي ، 1982 .
صحيح مسلم (1–2) ، القاهرة 1290 .
الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني ، دمشق 1964 .
صفة الصفوة لابن الجوزي (1–4) ، حيدر أباد الدكن 1355 .
صوان الحكمة (المنسوب لأبي سليمان المنطقي) انظر : منتخب صوان الحكمة .
ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الألباني (1–6) ، المكتب الإسلامي ، (دمشق – بيروت) .
طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، نشر الأب لويس شيخو ، بيروت 1912 .
طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1956 .
طبقات الصوفية للسلمي ، تحقيق نور الدين شريبة ، القاهرة 1953 .
طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (1–2) ، تحقيق وشرح محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، 1972 .
الطبقات الكبرى لابن سعد (1–8) ، دار صادر ، بيروت 1957–1958 .
طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1973 .
طيف الخيال للشريف المرتضى ، تحقيق الصيرفي والأبياري ، القاهرة 1962 .
عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ، تأليف د. إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان 1988 .
العبر في خبر من غبر للذهبي (1–6) ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد وآخرين ، الكويت 1960/1966 .
العثمانية للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة 1955 .
عرائس المجالس للثعالبي ، القاهرة 1954 .
العزلة لأبي سليمان الخطابي ، القاهرة 1352 .
العطاء الجزيل للبلوي ، مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط رقم : 6148 .
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين المكي ، تحقيق فؤاد سيد ومحمود محمد الطناحي ، القاهرة 1959–1969 .
العقد الفريد لابن عبد ربه (1–7) ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط2 ، القاهرة 1962 .
العققة والبررة لأبي عبيدة ، معمر بن مثنى ، ضمن نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مصر 1954 .

عقلاء المجانين للنيسابوري ، تحقيق محمد بحر العلوم ، النجف 1968 .
العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي (1–2) ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، المكتبة العلمية ، لاهور ، باكستان 1979 .
العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني (1–2) ، القاهرة 1907 .
عنوان الأريب للنيفر (1–2) ، تونس 1351 .
عهد أردشير ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1967 .
عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، تحقيق د. عبد العزيز المانع ، الرياض .
عين الأدب والسياسة لابن هذيل ، مصر 1302 ؛ ودار الكتب العلمية ، بيروت 1981 .
العيني ، انظر : المقاصد النحوية .
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس (1–2) ، القاهرة 1352 .
عيون الأخبار لابن قتيبة (1–4) ، طبعة دار الكتب المصرية .
عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ، رقم : 1377 .
عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (1–2) ، تحقيق أوغست ميللر ، المطبعة الوهبية ، القاهرة 1299 .
العيون والحدائق لمؤلف مجهول – من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم ، نشره دي غويه ، بريل 1871 (مصورة مكتبة المثنى ببغداد) .
غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، ط بيروت .
غرر السير للثعالبي ، تحقيق مجتبى مينوي ، مكتبة الأسدي ، طهران 1963 .
غريب الحديث للخطابي (1–3) ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي (منشورات جامعة أم القرى ، 1983) .
الغنية ، فهرست شيوخ القاضي عياض ، تحقيق د. ماهر جرار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1982 .
الفاخر في الأمثال للمفضل بن سلمة ، تحقيق ش. أنبروس استوري ، ليدن 1915 .
الفاضل للمبرد ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1956 .
الفاضل للوشاء (1–2) ، طبعة بغداد .
الفائق في غريب الحديث للزمخشري (1–3) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1945-1947 .
فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ، القاهرة 1959 .
فتوح البلدان للبلاذري ، تحقيق صلاح الدين المنجد .
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تأليف محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، نشره يوسف توما البستاني ، القاهرة 1927 ؛ طبعة دار صادر ودار بيروت 1960 .
الفرج بعد الشدة للتنوخي (1–5) ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت 1978 .
فرحة الأديب للغندجاني ، تحقيق د. محمد علي سلطاني ، دمشق 1981 .
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري ، تحقيق د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت 1971 .

الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة لابن الصباغ المغربي ، الطبعة الثانية ، النجف .
فقر الحكماء ونوادر العلماء (نشر ضمن كتاب رسائل فلسفية على أنه لمؤلف مجهول ، ومؤلفه حسب نسخة برنستن رقم : 723 هو عمر بن ظفر السراجي) تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، بيروت 1980 .
فقه اللغة وخصائص العربية للثعالبي ، بيروت 1858 .
الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم ، تحقيق فلوجل (طبعة مصورة) بيروت 1964 ؛ تحقيق رضا تجدد ، طهران 1971 .
فوات الوفيات والذيل عليها لابن شاكر الكتبي (1-5) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1973 .
الفوائد لابن قيم الجوزية ، تخريج وحواشي أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت 1981 .
الفوائد السنية ، انظر : رحلة النهروالي .
قطب السرور للرقيق ، تحقيق أحمد الجندي ، دمشق 1969 .
قوانين الوزارة وسياسة الملك للماوردي ، دراسة وتحقيق د . رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1979 .
قيس بن ذريح ووضاح اليمن للأصبهاني ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت 1950 .
الكافي (الأصول) للكليني ، طهران 1381 .
الكامل للمبرد (1-4) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، القاهرة ، 1956 ؛ وتحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986 .
الكامل في التاريخ لابن الأثير (1-13) ، دار صادر ، بيروت 1965-1967 .
كتاب الآداب لجعفر ابن شمس الخلافة ، القاهرة 1931 .
كتاب بغداد لابن أبي طاهر طيفور ، القاهرة 1949 .
كتاب الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي وعبد الحميد النعماني ومحمد عثمان الماليكانوى ، ناسك 1960 .
كتاب الخراج لأبي يوسف ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت 1985 .
كتاب الخيل لأبي عبيدة ، حيدر أباد الدكن 1358 .
كتاب سيبويه (1-2) ، طبعة بولاق .
كتاب صفين (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، ط2 ، 1382 .
كتاب العصا لأسامة بن منقذ ، تحقيق د. حسن عباس ، الاسكندرية 1977 .
كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (1-8) ، حيدر أباد الدكن 1968-1975 .
كتاب النوادر للقالي ، القاهرة 1926 .
كتاب الأمثال لأبي فيد السدوسي حققه وقدم له د . رمضان عبد التواب ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة 1971 .
كتاب المعمرين من العرب لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة 1961 .
كتاب النقائض ، نقائض جرير والفرزدق (1-3) تحقيق المستشرق بيفان ، ليدن 1907 .

كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني (1–2) ، ط2 ، باعتناء أحمد الفلوس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1979 .
الكلم الروحانية لأبي الفرج ابن هندو ، تصحيح وطباعة مصطفى الدمشقي ، مصر 1900 .
كليلة ودمنة لابن المقفع ، دار الشروق ، بيروت 1981 .
كنايات الأدباء للجرجاني ، مصر 1908 .
كنز العمال لابن قاضي خان الهندي (1–16) ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب 1969–1977 .
اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي (1–2) القاهرة 1352 .
اللباب (شرح الشهاب) ، تصنيف أبو الوفا مصطفى المراغي ، القاهرة 1970 .
لباب الآداب لأسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة 1935 .
لسان العرب لابن منظور (1–15) ، دار صادر ، بيروت 1955–1956 .
لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء للثعالبي ، تحقيق قاسم السامرائي ، ليدن 1978 .
لطائف اللطف (وهو لطائف الظرفاء) للثعالبي ، تحقيق عمر الأسعد ، دار المسيرة ، بيروت 1980 .
لطائف المعارف للثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وحسن كامل الصيرفي ، القاهرة 1960 .
لطف التدبير للخطيب الاسكافي ، تحقيق أحمد عبد الباقي ، القاهرة 1964 .
لقاح الخواطر وجلاء البصائر لعبد الله بن يحيى بن عبدالله (مخطوطة كيمبردج رقم : 139) .
اللمع في التصوف للسراج ، تحقيق نيكولسون ، ليدن 1914 .
مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي ، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار ، بغداد 1968 .
مجاز القرآن لأبي عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، الخانجي ، القاهرة 1954 .
مجالس ثعلب (1–2) ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، القاهرة 1960 .
المجتنى لابن دريد ، حيدر أباد الدكن ، 1362 .
مجلة Studia Islamica (1978) (مقالة للدكتورة وداد القاضي حول «عهد الإمام علي لمالك الأشتر») .
مجلة الدراسات ، الجامعة الأردنية ، 1988 .
مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ، طبعة لاهور .
مجمع الأمثال للميداني (1–2) ، مصر 1310 ؛ وبتحقيق د. جان عبدالله توما ، (1–4) ، دار صادر ، بيروت 2002 .
مجمع الذاكرة (1–4) ، تحقيق د. إبراهيم النجار ، الجامعة التونسية 1987–1990 .
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (1–10) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
مجموعة المعاني ، طبعة الجوائب 1301 .
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، جمع د. محمد حميد الله ، دار الإرشاد ، بيروت 1969 .
مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) (1–2) ، دار صعب ودار التعارف ، بيروت ، (صورة عن الطبعة الأولى 1376) .

المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ، القاهرة 1324 .

المحاسن والمساوىء للبيهقي ، دار صادر ، بيروت 1960 .

محاضرات الأبرار لابن عربي (1–2) ، دار صادر ، بيروت 1968 .

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصفهاني (1–4 في مجلدين) ، دار الحياة ، بيروت .

المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، تأليف السري بن أحمد الرفاء ، (1–3) ، تحقيق مصباح غلاونجي ، (جـ 4) ، تحقيق ماجد حسن الذهبي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1986 .

المحبر لابن حبيب ، حيدر أباد الدكن 1361 .

المحمدون من الشعراء للقفطي ، تحقيق حسن معمري ، الرياض 1970 .

مختار الحكم للمبشر بن فاتك ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، مدريد 1958 .

المختار من رسائل الصابي ، تحقيق الأمير شكيب أرسلان ، بعبدا ، لبنان 1898 .

المختار من شعر بشار ، بعناية محمد بدر الدين العلوي ، القاهرة 1934 .

مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس لابن الكازروني ، تحقيق د. مصطفى جواد ، بغداد 1970 .

مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (1–32) ، لمحققين متعددين ، دمشق 1984–1988 .

مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الكويت 1969 .

مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (جـ : 8 في جزءين) حيدر أباد الدكن 1951–1952 .

مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1955 .

مروج الذهب للمسعودي (1–7) ، تحقيق شارل بيلا ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1965–1979 ؛ (1–9) ، تحقيق باربيه دي مينار ، باريس 1861–1873 .

المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1–2) لجلال الدين السيوطي شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ، علي البجاوي . محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (جـ : 11) (تراجم شعراء المغرب والأندلس) .

المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق 1946 .

المستدرك للحاكم (1–4) ، القاهرة 1335 .

المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي (1–2) ، مصر 1277 .

المستقصى في الأمثال للزمخشري (1–2) ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت 1977 .

مسند الإمام أحمد بن حنبل (1–6) ، دار صادر والمكتب الإسلامي ، بيروت 1969 .

مسند الشهاب للقضاعي (1–2) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، بيروت 1985 .

مصارع العشاق للسراج (1–2) ، دار صادر ، بيروت 1958 .

المصباح المضيء في سيرة المستضيء لابن الجوزي (1–2) ، تحقيق ناجية عبدالله إبراهيم ، بغداد 1976–1977 .

مصنف ابن أبي شيبة ، نشره عبد الخالق خان ، حيدر أباد الدكن 1966 .

مصنف عبد الرزاق (1–11) ، باعتناء حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1970–1972 .

المصون للعسكري ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، الكويت 1960 .

مطالع البدور في منازل السرور للغزولي (1–2) ، القاهرة 1299 .

معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (1–4) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1947 .

معجم الأدباء لياقوت الحموي (1–7) ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 .

المعجم الأوسط للحافظ الطبراني ، تحقيق محمود الطحان ، ط1 مكتبة المعارف ، الرياض 1985 .

معجم البلدان لياقوت الحموي (1–7) ، دار صادر ، بيروت 1993 .

معجم الشعراء للمرزباني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1960 ؛ تحقيق كرنكو ، القاهرة 1354 .

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (1–4) لأبي عبيد البكري الأندلسي ، حققه وضبطه مصطفى السَّقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة 1945 .

المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، العراق 1984 .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (1–7) ، لفنسنك وآخرين ، ليدن 1936–1969 .

المعارف لابن قتيبة ، حققه وقدم له ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة 1960 .

المعرفة والتاريخ للفسوي (1–3) ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، بغداد 1974–1976 .

المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة 1961 .

المغازي للواقدي (1–3) ، تحقيق مارسدن جونز ، لندن 1966 .

المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي.

المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة .

المفضليات ، شرح ابن الأنباري ، تحقيق كارلوس يعقوب ليال ، بيروت 1920 .

مفيد العلوم للخوارزمي ، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، بيروت 1980 .

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1949 .

المقاصد الحسنة للسخاوي ، تصحيح عبدالله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف ، مصر 1956 .

المقاصد النحوية للعيني (على هامش خزانة الأدب للبغدادي) ، طبعة بولاق .

المقفى (1–8) ، لتقي الدين المقريزي ، تحقيق د . محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1991 .

مقامات بديع الزمان ، قدم لها وشرحها الشيخ محمد عبده ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1957 .

المقدمات الممهدات لابن رشد (1–2) ، القاهرة 1325 .

مكارم الأخلاق للطبرسي ، مصر 1303 .

المكافأة وحسن العقبى لابن الداية ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة 1940 .

الملاحن لابن دريد ، تصحيح أبو إسحق إبراهيم أطفيش الجزائري ، القاهرة 1347 .

ملامح يونانية في الأدب العربي ، تأليف د. إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1977 .

الملل والنحل للشهرستاني (1–2) ، تحقيق محمد فتح الله بدران ، القاهرة .

الممتع للنهشلي ، تحقيق عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1983 .

مناقب أبي حنيفة للكردري ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1981 .

مناقب الشافعي للبيهقي (1–2) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1970 .

مناقب المزيدية لابن البقاء ، تحقيق الدكتورين درادكه وخريسات ، عمان .

مناهج الفكر للوطواط (جـ 1 ، 2) منشورات معهد تاريخ العلوم ، فرانكفورت 1990 .

المنتحل في تراجم الشعراء للثعالبي ، المطبعة التجارية ، الإسكندرية 1903 .

منتخب صوان الحكمة المنسوب لأبي سليمان المنطقي (نشر بعنوان صوان الحكمة) ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ، طهران 1974 .

منتهى الطلب من أشعار العرب (1–9) ، تأليف محمد بن ميمون ، تحقيق د. محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت 1999 .

المنتظم لابن الجوزي ، طبعة بيروت .

المنمق لابن حبيب البغدادي ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، حيدر أباد الدكن 1964 .

المنهج المسلوك في أخلاق الملوك لعبد الرحمن بن عبدالله (نسخة ليدن) ؛ وتحقيق علي عبدالله الموسى ، عمان 1987 .

الموازنة للآمدي (1–2) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة 1965/1961 .

المؤتلف والمختلف للآمدي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1961 ؛ تصحيح وتعليق كرنكو ، دار الجيل ، بيروت 1991 .

الموسوعة الاسلامية (بالانجليزية) مادة Kihana .

الموشى لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء ، تحقيق رودولف برونو ، ليدن 1886 ؛ تحقيق مصطفى كمال ، القاهرة 1953 .

الموشح للمرزباني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1965 .

الموفقيات (الأخبار الموفقيات) للزبير بن بكار ، تحقيق د . سامي العاني ، بغداد 1972 .

ميزان الاعتدال للذهبي (1–4) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1963 .

الميسر والقداح لابن قتيبة ، تصحيح محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1342 .

نثر الدر للآبي (1–7) تحقيق محمد علي قرنة وآخرين ، القاهرة 1990 ؛ (7) ، تحقيق د. عثمان بو غانمي التونسي ، الدار التونسية للنشر ، 1983 .

نثر النظم وحل العقد للثعالبي ، المطبعة الأدبية ، مصر 1317 .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (1–16) ، طبعة دار الكتب المصرية .

نزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزوري (1–2) ، صححه خورشيد أحمد فاروق ، ط. حيدر أباد الدكن 1976 .

نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء للملك الأفضل العباس بن علي ، (نسخة مكتبة محمد بن عبد الرحمن العبيكان بالرياض) .

نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد 1959 .

نسب قريش للمصعب الزبيري ، تحقيق إ . ليفي بروفنسال ، مصر 1953 .

نشوار المحاضرة للتنوخي (1—8) ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت .

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد (1—2) ، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن ، عمان 1982 .

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (1—8) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1968 .

نكت الهميان في نكت العميان للصفدي ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة 1911 .

النمر والثعلب لسهل بن هارون ، تحقيق وتقديم وترجمة إلى الفرنسية عبد القادر المهيري ، تونس 1973 .

نهاية الأرب للنويري (1—22) ، طبعة دار الكتب المصرية .

نهج البلاغة من كلام الإمام علي ، تحقيق د. صبحي الصالح ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1967 .

نوادر أبي زيد في اللغة ، تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد ، دار الشروق ، بيروت 1981 .

نور القبس للمرزباني ، اختصار أبي المحاسن اليغموري ، تحقيق رودولف زلهايم ، فيسبادن 1964 .

الهاشميات للكميت ، شرح أبي رياش ، ليدن 1904 .

الهدايا والتحف للخالديين ، انظر : التحف والهدايا .

الهفوات النادرة للصابي ، تحقيق صالح الأشتر ، دمشق 1967 .

الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (1—18 + 22) ، لمحققين مختلفين ، شتوتفات 1993 .

الوحشيات ، وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر ، القاهرة 1963 .

الورقة لابن الجراح ، تحقيق د. عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج ، مصر 1953 .

الوزراء للصابي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة 1958 .

الوزراء والكتّاب للجهشياري ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة 1938 .

الوزير المغربي : الشاعر الناثر الثائر ، تأليف د. إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان 1990 .

وفيات الأعيان لابن خلكان (1—8) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1969/1973 .

يتيمة الدهر للثعالبي (1—4) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1375/1377 .

الفهرس

بعونه تعالى

تمّ طبع كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني

يوم الرابع والعشرين من شهر نيسان (ابريل)

سنة 2002م ، الموافق إلى يوم

الحادي عشر من شهر صفر

سنة 1423هـ

ولله الحمد .